الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

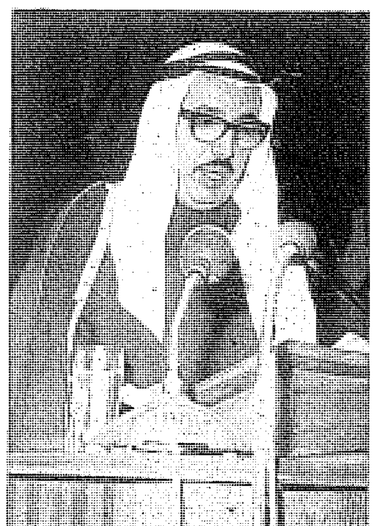
(رسالة الصيام)
هديتنا مع هذا
العدد

العدد الحادى والعشرون ـ السنة الثانية ـ رمضان ١٣٨٦ هـ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٦٦ م

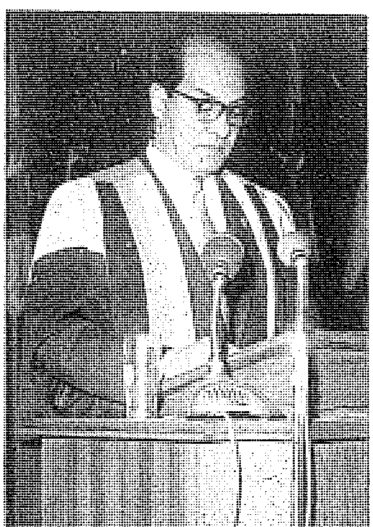




صاحب السمو الامير المعظم يستقبل فى قصر السيف العامر وفـود الـدول الشقيقة والصديقة الذين شهدوا حفل افتتاح الجامعة .



سعادة السيد خالد المسعود وزيـر التربية يلقى كلمته فى حفل افتتـاح الجامعة .



الدكتور عبد الفتاح اسماعيل مدير الجامعة يلقى كلمته .

صالح حامد عثمان

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادى والعشرون ــ السنة الثانية
غرة رمضان سنة ١٣٨٦ هـ
١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

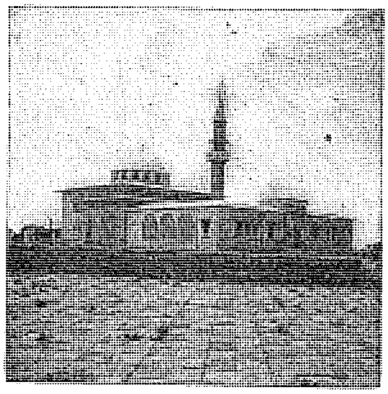
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد الخالدية بالكويت
قامت ببنائه حديثا وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على الطراز الاسلامي بمنطقة الخالدية الجديدة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

الإحتفال الرسمي بافتتاح جامعة الكويت

جامعة نحرص عليها ونرعاها

كلمة صاحب السمو أمير البلاد المعظم

كان يوم الاحد ١٤ من شعبان عام ١٣٨٦ هـ. الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ م. يوما حافلا وفاصلا فى تاريخ الكويت وتطورها العلمى أو هو الحدث الرابع فى تاريخ الكويت الحديث بعد ظهور النفط ، واعلان الاستقلال ، وافتتاح مجلس الامة بها ـ كما قال سعادة وزير التربية السيد خالد المسعود فى كلمته .. فقد تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح جامعتها الوليدة فى هذا اليوم فى حفل علمى عالمى كبير تشهده البلاد لاول مرة ، وتوج حفل الافتتاح بكلمة تاريخية وأبوية كريمة يسر مجلة « الوعي الاسلامي » مشاركة منها فى هذه المناسبة التاريخية أن تسجلها فى افتتاح هذا العدد لهذا الشهر المبارك فألا حسنا لحياة هذه الجامعة التى نرجو أن تجنى الكويت والبلاد العربية والاسلامية ثمراتها الطيبة فى هدى من نور الايمان والاخلاص للاوطان .

قال سموه حفظه الله :

حضرات الضيوف الكرام ،
حضرات السادة
أبنائى أساتذة الجامعة وموظفيها وطالباتها وطلابها .
السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد .

فباسم الله العلي القدير نفتتح ـ جامعة الكويت ـ صرحا شامخا نتوج به هامة التعليم فى بلادنا ، وحصنا راسخا ذخيرته العلم والبحث العلمي ، نحمي به نهضتنا ، ونقيها عوامل التخلف أو الجمود ، بل ونصعد بها سلم المجد درجة من بعد درجة ، على دعائم قوية من عقول وسواعد أبناء البلاد .

جامعة نعتز بها ، ونفخر ، ونضع فيها من الطاقات والامكانيات ما يجعلها قادرة على أداء رسالتها كاملة ، لتكون على شاطئنا منارة مرموقة للعلم والبحث العلمي .. لا فى هذا الجزء من عالمنا العربى فحسب ، ولكن بين أترابها من جامعات العالم كلها ، .. جامعة نحرص عليها ونرعاها ، ففيها بناتنا وأبناؤنا وهم درة حياتنا ، وأغلى شيء لدينا .. وهم فوق ذلك الدعامة الاولى لمستقبل



سمو الامير المعظم يزيح الستار عن اللوحة التذكارية للجامعة عند افتتاحها .

هذا الوطن ، ومحط آماله وأمانيه ، وثروته الحقيقية ، لا تدانيها أى ثروة أخرى مهما بلغت وايا كانت .

أيها السادة الكرام .. أبنائى الاعزاء ،

فى هذه اللحظة التاريخية التى تمثل قمة من قمم المجد فى بلادنا ، ومرحلة من مراحلها الخالدة ، يطيب لى أن استمطر الرحمات على الاجداد الاوائل الذين عاشوا على هذه الارض الطيبة سنين وسنين فى ظروف من العيش قاسية وحافظوا على أرض الوطن بالعرق والدمع والدم . ومتى ذكر هؤلاء الاجداد الاوائل ، فان النفس مدفوعة بطبيعتها الى المقارنة بين قسوة عهدهم ، ونضارة عهدنا نحن الابناء والاحفاد .

اننا مدينون بالكثير مما نحن فيه الآن الى العلم أمضى اسلحة التقدم فى هذا العصر .. فالعلم هو الذى كشف تحت رمال الصحراء عن الكنوز النفطية الدفينة .. والعلم هو الذى حول هذا النفط الى طاقة فعالة ، وتلك الطاقة الى نهضة مباركة .. ظهرت معالمها فى كل مكان عمرانا شاملا وخدمات صحية واجتماعية .. ومستوى من المعيشة ، بكل وسائلها ، لا يكاد يدانيه مستوى لدى غيرنا من الشعوب العريقة .. والجامعات فى وقتنا الحاضر هى منابت العلم ومصانع العلماء ، ولهذا فجامعة الكويت الفنية التى نحتفل اليوم بافتتاحها ، هى خير ما يمكن أن تهديه حكومة هذا البلد الى شعبه الوفى ، والى شبابنا الذى يقع عليه العبء الاول فى تخطيط مستقبل هذا البلد وتشكيله ، بعون من الله وتوفيقه ، لكى يظل علم نهضتنا المباركة مرفوعا عاليا ، فوق الهامات ، جيلا بعد جيل ، عبر الزمن .

وانه ليسعدنى فى هذا اليوم الاغر فى تاريخ بلادنا ، أن أوجه التحية والتقدير الى كل يد أسهمت فى اقامة صرح هذه الجامعة . والى كل يد تمتد الى العمل من أجلها وتدعيمها .. والى الضيوف الكرام الذين شاركونا يومنا هذا . والله أدعو أن يوفقنا حكومة وشعبا ويسدد خطانا ، ويمنحنا القوة والعزم ، لما فيه خير بلدنا الحبيب ، والعروبة ، والانسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عقد فى طوكيو باليابان مؤتمر طبى عالمى ، خلال شهر سبتمبر الماضى ، ونشرت بعض الصحف العربية فى لبنان والأردن أخبارا عن هذا المؤتمر طيرتها وكالة ((رويتر)) للأنباء ، تنسب فيها الى الصيام تسببه فى احداث قرحة بالمعدة .

ومما لا شك فيه أن مثل هذا الخبر يلفت نظر القراء ، ويشغل جزءا من تفكيرهم ، ولا سيما المسلمين منهم ،مما حمل الكثيرين على أن يبعثوا الينا برســائلهم ، ومعها القصاصة الخاصة بهذا الموضوع ، وكانت طليعة هذه الرسائل رسالة جاءتنا من السيد حمد يعقوب صادق من الكويت يقول فيها :

((أبعث لسيادتكم مع هذا ما كتبته جريدة النهار البيروتية بعددها الصادر فى ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٦ ، تحت عنوان (صيام رمضان له علاقة باحداث القرحة فى المعدة) وفى آخر كتابه يطلب منا (أن تقول المجلة رأيها فى هذا الموضوع) الذى يبدو فيه التهجم على أحكام الاسلام))

ثم كانت الرسالة الثانية بعدها من السيد / رفيق صالح الشريف من القدس . نقل فيها نص البرقية ثم قال : ((هذا ما نشرته بالحرف الواحد احدى الصحف اليومية بالأردن ، ورأيت من واجبى أن أكتب اليكم لتبينوا للناس الحقيقة ، وتزيلوا بعض الشك الذى أصاب بعض الناس ..)) .. ثم توالت بعد ذلك رسائل القراء بصورة عبرت عن غيرتهم ووعيهم .

ونحن من جانبنا لا يسعنا الا أن نحيى هذه الروح ، ونشكر لأصحابها غيرتهم ويقظتهم ، ومبادرتهم بالكتابة الينا بما نشر عن هذا الموضوع ، الذى قد يتخذ منه بعض المتحللين وسيلة وعذرا للتملص من الصيام باسم هذا الذى أثير وقيل فى المؤتمر الطبى ، كما قد يتخذ منه بعض المغرضين سلاحا يهاجم به الاسلام فى ركن هام من أركانه وهو الصـــيام ..

واننا وكل المؤمنين معنا بحكمة الله فيما شرعه لنا من عبادات وغيرها ، لم نتردد لحظة واحدة فى الحكم على ما نشر عن المؤتمر بأنه زيف ، وبعيد عن الواقع ، اذ لا يمكن أن الله يأمرنا بشىء نتعبده به ، ونتقرب اليه بعمله ، ويكون من شأنه أن يحدث ضررا لصحة الانسان ، أو يعرضه لخطر مثل هذا المرض .

فالله سبحانه قد أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث حفظا لصحتنا ، وصيانة لأرواحنا ، وأموالنا ، وعقولنا . وهدف الشارع من كل تشريعاته انما هو الصيانة . فاذا كان الانسان مريضا ، أو يعرض لخطر المرض من وراء أمر أمرنا به ، أعفانا الله من هذا الأمر حفظا لصحة الجســم .

والقواعد والأسس العامة فى هذا ماخوذة من نص القرآن الكريم نفسه : ((لا يكلف الله نفسا الا وسعها)) ((ما جعل عليكم فى الدين من حرج)) ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) . فهل يمكن بعد هذا أن يقوم تكليف من التكاليف الأساسية فى العبادات كالصيام على أساس أنه يضر بالصحة ويحدث القرحة ؟ هذا ما يرفضه العقل بداهة من أول لحظة ، قبل أن يتصدى له الايمان بالانكار ..

وقد كان أول مظهر لهذا ما أجمعت عليه الرسائل التى وصلت الينا من تعليق على هذه البرقية يتهم المؤتمرين ووكالة الأنباء بالغرض والحقد على الاسلام ، والرغبة فى تشويهه ، كما يفعل الكثيرون من الحاقدين ..

ومع هذا فقد رأينا بمجرد وصول أول رسالة الينا ، أن هذا الموضوع لا يصح أن يترك يمر على الناس دون توضيح يزيل كل لبس ، فربما يترك فى نفوس المتحللين ـ كما قلنا ـ عذرا يتخذونه تعلة لما يريدون من افطار ، فى الوقت الذى يتخذه الحاقدون حجة للطعن على الاسلام ، مدجلين على الناس باسم ما قيل ونشر ..

ولهذا رأينا أن نعقد على صفحات ((الوعى الاسلامى)) مؤتمرا طبيا آخر ، وبالمراسلة ، حيث يقرر كل طبيب رأيه فى هدوء عن هذا الموضوع .. فبادرنا بطبع البرقية الواردة من طوكيو .. وأرسلناها لكبار الاطباء فى الكويت وفى العالم العربى .. ومن هؤلاء الأطباء الدكتور منذر دقاق المندوب العربى السورى فى مؤتمر طوكيو ـ لا المصرى ـ كما ذكرت البرقية ، وطلبنا منهم أن يبدوا رأيهم الطبى فيما نشر عن المؤتمر .

وقد بادر كثير من اخواننا ـ مشكورين ـ بالاستجابة الينا ، وارسال آرائهم الطبية عن هذا الموضوع ، مدعمة بالاختبارات والاحصائيات ، وذلك فى وقت مناسب ، أتاح لنا أن نقدمها اليك فى هذا العدد .. لتقرأها وتزداد ايمانا بربك وحكمته ولطفه ..

ولم نقف بالأمر عند هذا الحد ، بل رأينا أن نرسل الى جريدة النهار فى بيروت خلاصة هذه البحوث ، وجعلنا فى طليعتها ما قرره الدكتور منذر دقاق مما تراه فى مقاله المنشور فى هذا العدد . وذلك لتنشره فى المكان الذى نشرت فيه برقيتها عن المؤتمر .

ولا شك أنك سترى من هذه البحوث الطبية ، بعد أن تقرأها بتمهل ـ كيف أن الايمان العميق بالله ، والرضا الصبير بقضائه يجنبان الانسان كثيرا من الامراض الخطيرة ، ويمنحانه من السعادة والراحة النفسية مالا يستطيع الحصول عليه بدونه ، ولو كانت الدنيا كلها ملك يمينه ورهن اشارته ، حتى ولو وصل الى القمر واستعمره ..

وسترى كذلك ـ وهذا هو ما أحب أن ألفت اليه الأنظار بنوع خاص ـ كيف أن الطريقة التي أرشدنا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخاصة فى صيامنا وفطورنا وسحورنا هي الطريقة المثلى التى يؤكد الطب الحديث على اتباعها ، توفيرا لصحة الانسان ، وتلافيا لأضرار قد تنزل به .

لاحظ ما يقوله الطب عن آثار القلق ، والانفعال النفسى ، والتهيج العصبى فى رمضان ـ بخاصة ـ على معدة الانسان ، ثم لاحظ ما أرشدنا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ((اذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم)) . ويلوذ بالهدوء التام .

وقارن بين ما يقوله الطب عمن يسارعون بملء بطونهم ، وتكديس الطعام فيها عندما يحين وقت الافطار ، وبين ما أرشدنا اليه الرسول وسنه بعمله من كيفية الافطار .

وتأمل ما أرشدنا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الافطار على تمر ، وطبعا بعد التمر الماء وأنت تقرأ ما قرره نابغة الطب وفقيده المرحوم الدكتور أنـور المفتي ـ وتراه فى ((رسالة الصيام)) التي توزع هدية لك مع هذا العدد ـ من شدة حاجة المعدة والجسم عند الافطار فى رمضان الى مادة سكرية أولا ، وكان التمر فى المدينـة هو المادة السـكرية المتوفـرة ..

قارن ، ثم ادع الله معى : ((وقل رب زدنى علما)) وايمانا وتسليما ،

رئيس التحرير

هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة والدفاع عنها

الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

روى الترمذى وأحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

لما أخرج رسول الله من مكة وهاجر الى المدينة قال أبو بكر رضي الله عنه : اخرجوا نبيهم . انا لله وانا اليه راجعون ، ليهلكن القوم ، فأنزل الله سبحانه على نبيه . (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال .

الاسلام دين أخوة وسلام ، لا يدعو فى تعاليمه الأصيلة الى قتال مسلح أبدا لحمل الناس على الدخول فيه قوة واقتدارا ، وأبرز ما وصى به اتباعه فى هذا الصدد ، هو أن يحملوا نوره الى البشرية قاطبة ، ويعرضوا هداه فى لطف ورفق ، يقول الله تبارك وتعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١)) .. قال المفسرون لهذه الآية الكريمة . (وخلاصة ذلك . اسلك فى الدعوة والمناظرة الطريقة المثلى ، وهى الدعوة بالتي هى أحسن وليس عليك غيرها ، أما الهداية والضلال والمجازاة عليهما ، فالى الله سبحانه لا الى غيره ، اذ هو أعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال لسوء اختياره ، وبحال من يصير أمره الى الاهتداء لما ينطوى بين جنبيه من الخير ، فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى تقتضيه الحكمة ، وهو كاف فى هداية المهتدين وازالة عذر الضالين) . وقال سبحانه قولا واضحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا يحتاج الى العدول عن

(١) سورة النحل ١٢٥ .

ظاهره ، يوضح تماما بأدنى نظر أن الحق أبلج وأن الباطل لجلج ، فيكفى الكشف عن مزايا الحق وهو الاسلام ، وتبيين زيف الباطل والكفر بالحسنى بعيدا عن أى اكراه ، وثبت ذلك بالآية الكريمة . (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (١)) ومعنى ذلك . لا اكراه على الدخول فى الاسلام فقد بان خيره ووضح « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (٢) فمن تأمل وفكر ثم ترك من تكون عبادته سببا فى الطغيان والبعد عن الحق والهدى انسانا كان أو وثنا ، أو تقليدا لمارق أو اتباعا لهوى ، ثم آمن بالله الواحد الأحد ، واعترف بقلبه وفعله بصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنهم مبشرون ومنذرون بأوامر الله وحده ونواهيه، فقد استمسك بأوثق عرى الفوز والنجاة ، وأقوى وسائل الخير والنجاح ، والله سبحانه يسمع ويعلم ما تبدى وما تكن الصدور ، وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا من الأنصار أسلم وكان له ابنان بقيا بعد اسلام أبيهما على دينهما ولم يسلما ، فقال الرجل ويدعى الحصين ــ للنبى صلى الله عليه وسلم . ألا استكرههما ؟ أى أأحملهما على الاسلام مكرهين ؟ حيث أبيا الدخول فيه طائعين ، وفى رواية أنه حاول ، بل وشرع فى اكراههما فعلا ، فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل يا رسول الله : أيدخل بعضى النار وأنا أنظر ؟ . فنزلت الآية الكريمة (لا اكراه فى الدين ..) فخلاهما أبوهما وما يعبدان ... وفى سورة فصلت رسمت الآية (٣٣) الطريقة المثلى للدعوة الى الله .. قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) . ومن أصدق من الله قيلا ؟

من أجل وأفضل وأحسن ممن يرشد الناس الى الله تعالى بقوله الصادق ، ثم يطبق ما يفعل على ما يقول ، لأن القدوة العملية أجدى وأكمل ، والمثل الأعلى فى هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا تلا هذه الآية الكريمة يقول : (هذا رسول الله ، هذا حبيب الله هذا ولى الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا والله أحب أهل الأرض الى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس الى ما أجاب اليه) . ثم أشارت الآية التالية لهذه رقم (٣٤) من السورة نفسها الى أن هذا عمل لا يتحمله الا من عرف أن السيئة لا تكافىء الحسنة ، فيجب على الداعى أن يختار الأفضل فكلما صد وعودى وعورضت دعوته من الجاحدين دفع شرهم بخير الدعوة التي هى أحسن ، حتى يلين قلب قاسيهم ويسلس قياد عاصيهم ، ويدركوا من حسن صنيعه معهم جمال ما يحمل اليهم من سعادة وخير ، فينخرطوا فى سلكه ويوالوه ويتصدروا هم لحمل الهداية الى سواهم ... قال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) قال عمر رضي الله عنه : « ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « أمر الله نبيه فى هذه الآية بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الاساءة فاذا اقتدى المسلمون به صلى الله عليه وسلم فى هذا عصمهم الله من الشيطان واخضع لهم عدوهم » . وهضم هذا المعنى من الآية الكريمة مؤمن صادق الايمان وتمثله شعرا فقال :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وان كثرت منه لدى الجرائم

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٢) سورة ق ٣٧ .

فمـا النـاس الا واحد من ثلاثـة
شريـف ومشروف ومثـل مقـاوم

فأما الذى فـوقي فاعـرف قدره
وأتبع فيه الحـق والحـق لازم

وأما الذى دونى فان قال صـنت عن
اجابتـه عرضـى وان لام لائـم

وأمـا الذى مثل فان زل أو هفـا
تفضلت ان الفضـل بالحلم حاكـم

وقال آخر فيمن عادوه :

فان نهشوا عرضى وقرت عروضـهم
وان هووا غيى هـويت لهم رشـدا

ثم جاءت الآية الكريمة رقم (٣٥) من نفس السورة فأشادت بفضل سلوك هذا الطريق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الله تعالى وبينت أن هذا هو سبيل أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام وضخمت حظ من سار على شاكلتهم قال تعالى : (ومـا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) . قال المفسرون : (.. وما يتقبل هذه الوصايا وينسج على منوالها ويطبقها تماما على سلوكه الا الصابرون على تحمل التكاليف الشاقة والقادرون على تجرع مرارة الشدائد والكاظمون الغيظ والتاركون الانتقام لأنفسـهم لأن هذه أمور شاقة صعبة المنال ، لا يتحملها فى مجرى العادة الا مـن عصـمه اللـه ووفقه » . نسـأل اللـه أن ينظمنا فى سلكهم ويسلك بنا طريقهم انه هو البر الرحيم .

وفوق هذا وذاك يحث الله أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم على حمل تعاليمه بنفس الطريقة ، طريقة الهدوء والحلم وضبط النفس والبشر ، والابتعاد عن كل ما يثير المدعو ويغضبه ، فيقول سبحانه فى سورة آل عمران آية رقـم (١٠٤) (ولتكن منكم أمـة يدعون الى الخير ويأمـرون بالمعـروف وينهون عن المنكر وأولئك هـم المفلحون) . وبهذا يستمر حملة مشاعل الهداية سـائرين فى الطريق اللا حب الذى سلكه مرشـد العباد ومنير دجنتهم ومبصرهم سيدنا رسـول الله ، وتستمر أيضـا صـوى وأعلام الدعـوة تهدى الضال وترشـد الحيران بأسلوب بعيد عن العنف يقرب ولا ينفر ويحبب ولا يبغض .

بعد أن استبان بالكتاب والسنة ، أن الدعوة الاسلامية قد أمر رسولها باتباع الطرق السلمية فى التبليغ عن الله تعالى نعود فنتسـاءل . اذاً ما الذى حمـل الرسول الكريـم وصـحبه على خوض المعارك الحربية منذ غزوة بدر وما سبقها من سرايا وما تلاها من غزوات ؟ ما الذى أجبـر هؤلاء الهداة على الاشـتباكات المسلحة ، ويجيء الجواب نصا من القرآن الكريم ينزله الله على نبيـه آيات تتلى وتحمل فى ثناياها السـبب الداعى لهذا الاذن بالقتال حـين يقـول الله تعالى : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حـق الا أن يقولوا ربنـا الله ..) (١) وهى أول آيـة أذن فيهـا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام بالقتـال ، وتنص صراحـة على السـبب الداعى الى هذا الاذن ، وقد أجمله سبحانه وتعالى فى قـوله (بأنهـم ظلموا) والظلم الذى وقع على رسـول الله صلى الله عليه وسلم وصـحابته فى مكة أول الدعـوة بـاد للعيـان فى ايذاء المشركين لهم ايذاء شديدا تناول الأبدان بالضرب والقتل أحيانا ، وتناول الأقوات بحبس الطعام عنهم ومقاطعتهم فى البيع

---

(١) الآيتان ٣٩ ، ٤٠ من سورة الحج .

والشراء والأخذ والعطاء وتناول العقيدة نفسها بصدهم عن مزاولة عباداتهم فى الأماكن العامة فضلا عن البذاءة فى القول والاساءة فى المعاملة ، وكانت نهاية المطاف فى التفنن فى ايذاء الذين آمنوا بالله ورسوله أن أخرجوهم من ديارهم مسقط رؤوسهم ومراتع صباهم ، ففروا بدينهم الى البلد الذى يطمئنون فيه على عقيدتهم ويجهرون فيه بعبادة ربهم وحده ، روى الترمذى وأحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قال أبو بكر رضي الله عنه . أخرجوا نبيهم . انا لله وانا اليه راجعون ، ليهلكن القوم ، فأنزل الله سبحانه على نبيه . (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر . فعرفت أنه سيكون قتال ... وما كان للمسلمين من ذنب ولا جناية الا انهم تركوا عبادة حجارة لا تنفع ولا تضر وعبدوا الله الواحد الأحد قيوم السموات والأرض ، يقول القرآن الكريم (يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) (١) ويقول : (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) (٢) مبينا بهذا شأن الكافرين دائما فهم ينقمون على المؤمنين ايمانهم .

ونخلص من هذا الى أن الأسباب التي دعت للدخول فى الاشتباك المسلح مع الكفار تتلخص فى :

١ ــ حماية الدعوة ، ودفع الاعتداء الواقع على حملتها ، كما حدث من اعتداء كسرى على من أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم محاولته (أى كسرى) قتل رسول الله عندما شرع هذا المشرك العنيد يغرى بالعطاء الجزيل من يأتيه برأس محمد رسول الله ، وكما فعل هرقل ملك الرومان حين أمر بقتل كل من أسلم من أهل الشام ، ولكل ذلك جهز عليه الصلاة والسلام جيشا قبيل وفاته لقتال الروم بالشام .

٢ ــ درء المفاسد وجلب المصالح مع النهى عن الاعتداء والبغى والظلم قال تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (٣) فحروب الرسول كانت دفاعا وليس فيها شيء من العدوان ، وقد كان المسلمون يكرهون القتال ويحبون المسالمة وتشهد لذلك آية نزلت فى فرض القتال . قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٤) قال المفسرون . « المراد بذلك أن المسلمين أنفسهم فئة قليلة حملت هذا الدين واهتدت به ، فخافوا أن يقاوموا المشركين بالقوة فيهلكوا جميعا ويضيع الحق الذى هدوا اليه وكلفوا اقامته والدعوة اليه ، فأبان الله سبحانه وتعالى لهم سنته التي جرت بنصر الحق وحزبه على الباطل وأهله ما استمسكوا به ودعوا اليه ودافعوا عنه ، وأن القعود عن المدافعة ضعف فى الحق يغرى به أعداءه ويطمعهم فى التنكيل بحزبه والتألب عليه للايقاع به » .

٣ ــ من أسباب القتال المشروع نقض العهود ونبذها قال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) (٥) أى بدأوا بالقتال ثم نقض العهد فهم المعتدون فعلا ، كما حدث فى نقض الكفار لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عقده معهم فى صلح الحديبية ،

البقية : على ص ٧١

---

(١) سورة الممتحنة الآية ١ . (٢) الآية ٨ من سورة البروج .
(٣) الآية ١٩٠ من سورة البقرة . (٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .
(٥) الآية ١٣ من سورة التوبة .

ليلة القدر المباركة

— ١ —

جمهور المفسرين على أن الضمير في (أنزلناه) عائد إلى القرآن، وروح السورة قد يفيد ذلك. وقد تقدمه أول سورة الدخان هذه الجملة: (حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين) [illegible] مما يرجح أن ضمير (أنزلناه) عائد إلى الكتاب المبين وهو القرآن.

ولقد روى المفسرون عن ابن عباس وغيره في صدد معنى (أنزلناه) أن الله عز وجل أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، ثم نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة.

وهذا الحديث لم يرد في كتب الأحاديث المعتبرة. وليس في هذه الكتب شيء آخر من ذلك. ولقد روى بعض المفسرين عن الشعبي أحد علماء التابعين أن العبارة عنت بدء نزول القرآن في ليلة القدر. وهو ما تطمئن إليه النفس. لأنه لا يفهم أي حكمة للقول الأول، كما أنه غير متسق مع طبيعة الأشياء من حيث أن معظم فصول القرآن احتوت صورا متنوعة للسيرة النبوية في مكة أولا ثم في المدينة، وكثيرا ما كانت تنزل في مناسبات أحداثها وإبان حدوثها.

وبهذا يمكن القول أن السورة احتوت تنويها بعظم حادث بدء نزول القرآن، وخطورة الليلة التي شرف الله قدرها بحدوث هذا الحادث العظيم.

والتنويه هنا رائع. والليلة التي وقع فيها هذا الحادث جديرة به، فهو أعظم حادث في تاريخ الإسلام. والليلة ترجع كل حادث فيه. وأن ذكرى من ذكرياته، وكل خير وبركة من خيراته وبركاته. وهو الجدير بأن يكون تاريخه موضع تنويه وإشادة وتكريم وخلود في كل جيل من أجيال البشر، وفي كل مكان من الأرض. فالنبوة المحمدية التي بدأت به هي نبوة الخلود والبشرية جمعاء. والقرآن الذي بدىء بإنزاله على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة هو كتاب الله الخالد الذي فيه الرحمة والهدى والشفاء لجميع الناس في كل مكان وزمان. والذي احتوى ما فيه الكفاية لرجع أمور الدين والدنيا إلى نصابها الحق، ولإقامة إخاء عام بين البشر، ونظام اجتماعي وسياسي واقتصادي مرتكز على قواعد الحق والعدل والحرية والمساواة والكرامة.

وهذا التاريخ هو التاريخ الوحيد المعروف في مثله من تاريخ الأنبياء وكتبهم.

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

للأستاذ محمد عزة دروزة — دمشق

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي بقي في أيدي الناس كما بلغه النبي الذي أنزل عليه سليما تاما فوق كل مظنة ، ومحمد هو النبي الوحيد الذي لم يدر حول وجوده وشخصيته وتاريخه ما دار حول غيره من الشكوك والأقوال صلى الله عليه وسلم .

وفي احتواء السورة من الإشارة إلى نزول الملائكة وعلى رأسهم عظيمهم (الروح) في هذه الليلة المباركة بأوامر الله وبركاته وشمولها بالسلام والتجليات الربانية قصد إلى بيان عظمة شأنها ورفعة قدرها أولا ، وبالتالي دعوة ضمنية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى إحيائها في كل عام اقتداء بالملائكة وتحصيلا للبركة الربانية فيها وتكريما للذكرى المقدسة العظمى التي انطوت فيها .

ومن العجيب أن يغفل المسلمون عن المعنى العظيم لهذه الذكرى ، وأن ينحوا من أمرها إلى المعاني والأهداف المادية الخاصة فيما يلحون الله به في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، كما هو السائد في الأوساط الإسلامية منذ قرون طويلة .

— ٢ —

ولقد رويت أحاديث نبوية عديدة في عظم شأن هذه الليلة وتعيينها ، منها حديث رواه الخمسة (1) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه) وحديث رواه الخمسة كذلك عن عائشة قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله) ولفظ رواية الترمذي (كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها) وحديث رواه الشيخان والترمذي عن عائشة قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الأواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) وحديث رواه الخمسة إلا الترمذي جاء فيه (قال ابن عمر أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر) وحديث رواه الشيخان والترمذي عن عائشة قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في

(1) نعني البخاري ومسلم وأبا داود والترمذي والنسائي ، وهم أصحاب أوثق كتب الحديث .

ليلة القـدر المباركـة

الوتر من العشر الأخير من رمضان) أى فى الليالى المفردة (٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩) وحديث رواه الخمسة الا البخارى عن زر بن حبيش قال (سألت أبى بن كعب فقلت ان أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله أراد ألا يتكل الناس . أما أنه قد علم أنها فى رمضان وأنها فى العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى – لا يقول ان شاء الله ، وهذه الجملة فقال : خشية الحنث فى اليمين – انها ليلة سبع وعشرين) . وحديث رواه أبو داود وأحمد عن معاوية بن أبى سفيان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ليلة القدر ليلة سبع وعشرين) وحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان . ليلة القدر فى تاسعه تبقى . فى سابعه تبقى . فى خامسه تبقى (١) .

وهناك أحاديث أخرى وردت فى غير الكتب الخمسة المعتبرة منها ما هو المتطابق ومنها ما فيه مباينة . فاكتفينا بما ورد فى هذه الكتب لأنها الأكثر وثاقة وشهرة .

والمشهور المتواتر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان . وكون ليلة القدر هى فى شهر رمضان مؤيدة بآية سورة البقرة هذه (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ..) الآية ١٨٤ ثم بالأحاديث السابقة الذكر .

– ٣ –

ولقد روى المفسرون أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون فأنزل الله السورة . كما رووا أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما أربعة من بنى اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فعجب المسلمون فأتاه جبريل فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر . فقد أنزل الله خيرا لك من ذلك ثم تلا عليه السورة .

وهذه الأحاديث لم ترد فى كتب الأحاديث وبخاصة المعتبرة منها . والمتبادر استئناسا من تبكير نزول السورة أولا وترتيبها فى المصحف بعد سورة العلق ثانيا – ونحن نعتقد أن ترتيب السور فى المصحف كان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم – أنها نزلت بعد قليل من نزول الآيات الخمس الأولى التي كانت أولى القرآن نزولا على ما هو المشهور الأوثق سندا بقصد التنويه بحادث نزول أول وحى قرآنى الجدير حقا به .

ولقد قال الطبرى ان أشبه الأقوال بظاهر التنزيل فى معنى جملة (ليلة القدر خير من ألف شهر) قول من قال (ان عملا فى ليلة القدر خير من عمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر) وروى عن مجاهد أن معناها هو أن قيامها والعمل فيها خير من ألف شهر . ومع ما فى هذه الأقوال من وجاهة فلا نزال نرجح أن الجملة جاءت بقصد التوكيد على ما فى ليلة القدر من خير وبركة وخطورة وشأن بسبيل التنويه والتعظيم للحادث العظيم الذى كان فيه .

– ٤ –

وقد رويت أحاديث عديدة فى أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرآن فى ليلة القدر المباركة . وأشهر هذه الأحاديث الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله

---

(١) نقلنا نصوص الأحاديث من كتاب التاج الجامع لأصول أحاديث الرسول الجزء الثاني ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ .

عنها فى أولية الوحى قالت (أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث ـ أى يتعبد ـ فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال:اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال . اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها النبى صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءا قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من بن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى . يا ليتنى فيها جذعا . ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم . قال نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى . وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى) (١) .

ولا يمكن لأى انسان الا أن يقف خاشعا أمام موقف أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وهى تتكشف عن حدس صادق وبصيرة نيرة ونظرة ثاقبة صافية وحب عظيم وثقة لا تحد فتهتف بما تهتف به لتؤيد رسول الله ، وتذهب عنه الروع وتذكره بأخلاقه العظيمة التي كانت من أسباب اصطفاء الله تعالى له لرسالته العظمى ، والتي وصفها القرآن كذلك وهو يهتف بالنبى (وانك لعلى خلق عظيم) فى أوائل آيات سورة القلم التي تجىء الثانية فى ترتيب السور نزولا ، وتسجل بذلك أعظم موقف وقفه مسلم فى أول وأعظم حادث فى تاريخ الرسالة المحمدية.

والمتبادر أن الله تعالى والله أعلم قد قصد بالآيات أمر رسول الله أولا بتلاوة ما يلقى اليه ، وثانيا تنبيهه الى المهمة العظمى التي انتدب اليها ، وتعلمه أن يذكر الله فى كل أمر من أموره دون سواه . وفى هذا تلقين جليل مستمر المدى وشامل للناس جميعا بالانصراف عما سوى الله ، وبالارتفاع بالنفس الانسانية الى أفق لا تتأثر فيه بقوى الدنيا ومخاوفها .. ولا ترتبط فى حياتها ومعايشها ومطالبها وآمالها بغير الله الرب الأكرم ويزيد فى قوة هذا التلقين أنه جاء فى أول آيات أنزلها الله تعالى على رسوله المصطفى .

وينطوى فى الآيات الى هذا تنويه بالقراءة والكتابة والعلم ، وبالانسان الذى اختص وحده بالقابلية لهذه النعم. وبدء القرآن بذلك يزيد فى قوة هذا التنويه . فكأنما أريد جعل هذه النعم فى مقدمة نعم الله التي أنعمها على الانسان وفى مقدمة ما يجب على الانسان أن يشكر الله عليه ويسعى فى اكتسابه .

والقرآن على هذا الاعتبار أعظم وأقوى وأول داع دينى الى العلم والقراءة

البقية : على ص ٢٢

(١) التاج ج ٣ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

فواصل

من الدراسات القرآنية

« ١ »

ليس فى لغة العرب كلام يشبه القرآن الكريم ، فى طريقة الأداء .

فهو ليس شعرا ؛ لأنه لا يجرى على ما يجرى عليه الشعر من أوزان ، ولا هو يلتزم ما يلتزمه الشعر من قافية .

وهو ليس شعرا لأن للشعر مضطربا من المعانى يجول فيه ، فان الشعر القديم يصف الأطلال والمرابع ، ويصف الحنين والرحلة ، ويصف الناقة ، وحمر الوحش ، ويصف النعام والظلمان ، ويعرض للمرأة فى غزل مكشوف أو مستور ، وهو يخرج عن ذلك أحيانا الى الفخر أو الهجو ، والى الاعتذار أو المديح والى الحرب والوعيد ، والشعر غير القديم يأخذ فى هذه الأغراض وما يدنو منها ، أو يتصل بها من أحوال الطبيعة أو النفس الانسانية .

وأيا ما كان أمر الشعر فهو لا يأنف من المبالغة والخيال الطائر ، ولا يعنيه أن يلتزم الحق والقصد فى القول ، بل ربما كان الجنوح عن الحق والاسراف فى القول من أبرز خصائصه .

وما كان القرآن الكريم من ذلك كله فى شىء . فى نظمه وأسلوبه ، ولا فى معانيه وأغراضه ، وانما هو شىء أحد له سيماه التى لا تشتبه بأى كلام ..

وأبرز المظاهر التى مازت القرآن عن كل كلام سبقه أو جاء من بعده هو مجيئه على صورة آيات مفصلة ، لها مزاجها الخاص فى الاتصال والانفصال ، وفى الطول والقصر ، وفيما يظهر من من الائتلاف والاختلاف . (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) .

ونحن لا نعلم كتابا نهج النهج القرآنى فى النظم الا كتاب (الفصول والغايات) لأبى العلاء المعرى ، وموضوعه تمجيد الله تعالى والزلفى اليه ، وهو يقوم على فواصل تحاكى فى ظواهرها فواصل الكتاب العزيز ، ولكن من يقرأ فصلا من كتاب أبى العلاء يجد الاختلاف البين فى الطبقتين ، فأبو العلاء فى فواصله وغاياته يحجل فى قيود ضيقة من المعنى والاسلوب ، ويشق على نفسه وعلى

القرآن ١

للاستاذ كامل السيد شاهين
المدرس بكلية البنات الاسلامية
جامعة الازهر

الناس بما يتكاءدهم فهما حتى يضيقوا به ، ويملوه منذ أول فصل ، فلو أن صابرا تصبر لقراءته فهو الصبر على الدرس ، ومكارهة النفس على المشقة ، فاذا جاءتك الفواصل جاءتك مقتسرة مجلوبة مخزومة من أنوفها ، مناخة على صخور لا يطيقها مطيق ..

ونحن لا نتهم أبا العلاء بأنه كان يناصى القرآن ويعارضه ، فمذهب الرجل وسلوكه لا يسمح لنا بظن السوء فيه ، أليس هو القائل فى شأن القرآ الكريم .

« وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلألىء فى جنح غسق والزهرة البادية فى جدوب » .

((٢))

ولكن ما شأن هذه الفواصل ، ولماذا بنى نظم القرآن عليها ؟

أما الفواصل فهى نهايات الآيات ، وهى قد تتفق فى أواخرها ، وقد تختلف ، وقد تتقارب ، وهى اذا اتفقت لون من ألوان السجع غير أن القرآن الكريم اختص باسم الفاصلة ، نظرا لأن السجع قد شوهه استعمال الكهان له ، حيث يقتسرونه اقتسارا ، ويجعلون المعنى تابعا له ، ويحكمون حكمهم على حسب ما يتيسر لهم من استجابة السجع .. ومن ثم فقد عاب الرسول صلوات الله عليه من قال له « أنَدِى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثل ذلك يطل » فانت ترى نظم الكلام مضطربا ، وكان الوجه فيه أن يقال ، أندى من لم يأكل ولم يشرب ، ولم يستهل صائحا ، ان مثل ذلك يهدر .. ولذلك غضب صلوات الله عليه وقال . أسجعا كسجع الكهان ... فالنبى صلوات الله عليه لم يعب السجع من حيث هو سجع ، ولكنه عابه من حيث شابه سجع الكهان فى تكلفه وايثار اللفظ مهما يكن على المعنى ، وذهب بعض العلماء الى التفرقة بين السجع والفاصلة ، بأن الفواصل لا تحيد عن المعنى أبدا ، وأن السجع يحيد عن المعنى أبدا .

ولم يرتض الخفاجى فى (سر الفصاحة) هذا القول حيث قال عنه . « وهو غلط » فان من السجع ما لا تكلف فيه ، ولا يستحق بذلك اسم الفاصلة فالصواب أنهما من واد واحد غير أن رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم دعاهم الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل .

((٣))

ولما كانت الفواصل تعين على الضبط والحفظ ، وتحسن النغم وتقويه ، ولما كان القرآن قد أنزل ليتلى ، ويتلى فى صوت يسمع ، ويظهر الوانا مختلفة تروع باختلاف جرسها ، وباتفاق جرسها أيضا ، كان ايقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل متأكدا جدا على حد تعبير الزركشى فى البرهان ، ذلك لأن هذه المناسبة فى الايقاع مؤثر فى نسق الكلام وحسن موقعه فى النفوس ..

ولهذا السبب خرج النظم القرآنى عن النظم المألوف فى بعض الأحيان .

فقد يزيد من أجل اتساق الفواصل حرفا ، كما زاد الالف فى قوله سبحانه (وتظنون بالله الظنونا) لأن المقاطع فى فواصل هذه السورة (سورة الأحزاب) الفات منقلبة عن تنوين الوقف ، ومثله قوله تعالى (انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وقوله عز وجل (أطعنا الله وأطعنا الرسولا) .

وقد يحذف حرفا ، كقوله سبحانه (الكبير المتعال) (ما لهم من دونه من وال) (والليل اذا يسر) فلو اتصلت الياءات لاختلفت الفواصل .

وقد يفرد ما أصله الجمع ، كقوله سبحانه (أن المتقين فى جنات ونهر) قال الفراء : الأصل (أنهارا) ، وانما وحد لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رءوس الآى .

وقد يثنى ما أصله أن يفرد كقوله تعالى . (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

قال الفراء : هذا كقولهم (ديار لها بالرقمتين) ، وقولهم (قولا لأهل المكتين) ، قال : وانما ثناهما الله تعالى لأجل الفاصلة ، والقوافى تحتمل فى الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام .

وأنكر ذلك ابن قتيبة ، وأغلظ للفراء وقال : انما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى ، فمعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الأثنين ، قال . (ذواتا أفنان) ، ثم قال . (فيهما) .. ولو أن قائلا قال فى خزنة النار : انهم عشرون ، وانما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية أى ليوافق قوله قبل (وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر) ما كان الا كقول الفراء .. وغير ذلك كثير .

((٤))

والقرآن العظيم ، لم يجر فى فواصله على نهج واحد لا يختلف ، ولكنه جاء أحيانا على تلاؤم تام فى الفواصل ، كما فى قوله سبحانه (والطور . وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور ..) وقوله تعالى (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ..) .

وأخرى على تقارب فى الفواصل ، كما نرى فى قوله جل شأنه (الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) ، وقوله تبارك وتعالى (ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا أنه جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب) .. وربما التزمت حركة بعينها وان اختلفت الحروف فى أواخر الكلمات كالذى نرى فى سورة الكهف (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) وتمضى السورة على هذا النحو الى آخرها .

قال بعض الباحثين : وأكبر الظن أن التزام هذه الفواصل المنسقة انما يكون حين يتحد موضوع السورة أو يأتلف ائتلافا شديدا . فسورة الشعراء مثلا قد اختلفت فيها قصص الامم التى كذبت رسلها ، ولكن موضوعها واحد هو التخويف والارهاب ، وانذار قريش وغيرها من مشركى العرب بان ما أصاب تلك الامم التى أصرت على تكذيب الرسل قد يصيبهم ان أصروا على تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسورة طه توشك قصة موسى أن تستغرقها ، وسورة مريم تمجيد للأنبياء ، وتخويف للجاحدين .

وأكبر الظن أيضا أن الفواصل حين تلتزم على هذا النحو يدل التزامها على أن السورة أنزلت مرة واحدة ، ولم تنجم آياتها كما تكون الحال فى سورة أخرى لم تلتزم فيها الفواصل على هذا النحو ، ولم يتحد موضوعها ، أو يشتد الائتلاف بين موضوعاتها ان تعددت ، واتحاد الموضوع نفسه ، وشدة ائتلاف الموضوعات حين تتعدد قد يشعر بأن السورة أنزلت جملة واحدة وان لم يلتزم فى فواصلها ما نراه قد التزم فى السور التى أشرنا اليها .

فسورة يوسف مثلا قد اتحد موضوعها اتحادا لا شك فيه ، وقد قصرت على قصة يوسف ، وما أرى الا أنها قد أنزلت جملة .

ومثلها فى ذلك سورة هود فهى تبدأ بالانذار والتخويف ، وضرب الأمثال للموعظة ، ثم تقص قصة نوح ، وتتلوها قصة عاد ، فثمود ، وتعرض طرفا من حديث ابراهيم وقوم لوط ، ثم قصة شعيب ، ويلاحظ أن قصة قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم شعيب قد ختمت كلها بخواتم متشابهة ، ففى آخر قصة قوم نوح (وقيل بعدا للقوم الظالمين) وفى آخر قصة قوم هود (الا بعدا لعاد قوم هود) وفى آخر قصة ثمود قوم صالح (ألا بعدا لثمود) وفى آخر قصة مدين قوم شعيب (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) ..

وهذا للتذكير بين الحين والحين بالغرض والغاية المرادة من ذكر القصة ، ومع هذا الترابط والالحاح فيه نجد السورة تختم بالتذكير بآيات الله واثبات أن النبى صادق فيما يحدث به ..

وربما كانت خواتيم السورة الواحدة مختلفة فيما بينها اختلافا يضيق أو يتسع كما نرى فى سورة البقرة ، فان موضوعاتها على جانب كبير من الاختلاف ، ولم يلتزم فى فواصلها ولا فى اسلوبها نسق بعينه منذ تبدا الى آن تنتهى ، فهذا التنوع فى التعبير ، وهذا الاختلاف فى الفواصل ، وهذا التباين فى الاساليب والاغراض ، يدل على أن السورة لم تنزل جملة واحدة ، وان كان القرآن الكريم كله ينتظمه أنه يدعو دائما الى أصول معينة .. يدعو الى توحيد الله تعالى ، ونبذ الشرك على اختلاف صوره والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من كتاب ، والايمان بالرسل الذين جاءوا من قبله ، وما نزل عليهم من كتاب . والايمان بالبعث والحياة الاخرة وما بها من نعيم مقيم لمن أخبتوا لله ، واتبعوا رسله ، ومن عذاب خالد لمن أعرضوا عن رسالات الرسل ونفروا منها ، واستكبروا عنها .

ثم هو يأمر الناس بأن يقيموا حياتهم على هذه الأسس .. فتطهر نفوسهم ، وتصفو ضمائرهم ويسيطر ضميرهمعلى سلوكهم ، ولا يظلمون غيرهم ، ولا يستغلون، ولا يؤثرون الشر، وانما ينأون عنه ، وينهون عنه ما وسعهم النأى والنهى .. ويحسنون الى الوالدين ، ويتوخون طاعتهما ، ويبرون أولى القربى واليتامى والمساكين وذوى الحاجات ويعتبرون الناس جميعا نظراء لهم مهما تكن منازلهم فى الحياة الدنيا ، فللفقير ما للغنى من حق ، وللضعيف ما للقوى من حق ، وللمولى ما للسيد من حق .

فلا غرابة أن تختلف مذاهب القول فى القرآن باختلاف الموضوعات وبتعدد المقامات ، وانما الغرابة فى التزام منهج واحد من مناهج القول فى التشريع والقصص والتبشير والانذار والموعظة الرقيقة واللوم العنيف .

((٥))

ويسوقنا هذا الى اختلاف الآيات طولا وقصرا ، فهناك فواصل تأتيك بعد كلمات معدودة فيتوالى رنينها ، ويطرد جرسها (يأيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) .. أوامر يردف بعضها بعضا فى ولاء وعجلة، لا ريث فيها ولا مهل ، ولا مجال معها للتراخى والمطاولة .

ويطرد ذلك فى ذكر الحساب وهول الجحيم ومشاهد القيامة ، والقيام ليوم الدين ، وبيان ما أعد للمجرمين من هول، وما أعد للمؤمنين من أسباب الرضا والمغفرة والنعيم ، فتكاد تمسك جنبيك من الرعب والرهب ، والخوف والامن ، والفزع والاطمئنان .

ودائما تجد بازائك الصورتين تردف احداهما الاخرى ، صورة الطاعة وما وراءها من نعمة وسعادة وخير عميم ، وصورة العصيان وما وراءه من كرب كارب ، وبؤس بئيس ، وعذاب مقيم .

(فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى . ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والاولى . فأنذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الأشقى . الذى كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى) .

(هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام الا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع . وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية . فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابى مبثوثة) .

ولعلك تظفر فى القرآن الكريم بالموضوع الواحد يساق على طريقتين ، طريقة العرض القصير المتلاحق وطريقة العرض المستأنى المبسوط ، ولكنك بعد تجد لكل موقعه الذى لا يصلح فيه غيره ، ولا ترتاح النفس الا اليه . ودونك فانظر قوله تعالى فى هلاك قوم نوح .

(وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الآمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) .

فانت لا تجد هنا فواصل مطردة متلاحقة كما وجدت فى صدر سورة المدثر .. وانما تجد فواصل متباعدة ، ومع هذا التباعد نشعر أن الجو المسيطر على الآية هو العجلة .

فالأرض تبلع ، والسماء تقلع ، والماء يغيض ، والقضاء ينفذ ، والسفينة ترسو ، واللعنة تتبع الظالمين ، فهذا التدارك والتتابع فى الحركة ، والتعبير عن كل أمر من هذه الأمور الجليلة بجملة خاطفة تتبعها جملة خاطفة انما هو لتمثيل الحالة الوحيدة التي اقترنت بهذه الأمور ، وللوصول الى النهاية من القضاء على القوم وابعادهم عن الرحمة ، ولو قد فصل أمر ابتلاع الماء ، واقلاع السماء ... لفات الهدف ، على أن الأمر الصادر للأرض وهو البلع يقتضى أن تخفى الماء دفعةواحدة كما تزدرد اللقمة، والأمر الصادر للسماء بالاقلاع يقتضى أن

يكون كفها كفا تاما لا تدرج فيه ، وطى الفاعل مع الفعل (غيض) معين على ذلك ، وكذا يقال فى الفعل (قضى) . وبمقربة منه ، الاعتماد على المقام فى التعرف على الفاعل فى قوله (واستوت على الجودى) والمراد السفينة ، ثم طى الفاعل فى (قيل) ، وانابة المصدر فى (بعدا) .

والطرافة أنك تجد هذه العجلة العاجلة ، والسرد السريع ، واقعة بين قصص هادىء النفس ، يبدأ بمناقشة طويلة بين نوح وقومه ، وحجاج يتجلى فيه عنف قومه به ، واعناتهم له ، وحلم نوح معهم ، وتحننه اليهم ، وينتهى بمناقشة أخرى فيها لوعة نوح على ابنه الغريق ، وزجر من الله له ، وتحذير أن يتورط فى الاعتراض فيكون من الجاهلين ، والذى أريد أن ينتهى بنا البحث اليه أن ندل على أن للقرآن فنونا مختلفة فى الالهاب والزجر والتخويف ، تأتى مع قصر الفواصل ، وتأتى مع الفواصل الطوال أيضا .

— ((٦)) —

ومناسبة الفاصلة لما سبقها من كلام أمر لا معدل عنه ، والا تزايل الكلام ، واختل نظامه واضطربت مجاريه .

غير أن من ذلك ما يتضح ويظهر ، ومنه ما يدق ، فيحتاج الى تلطف فى استخراجه ومعرفة السر الذى وراءه .

فأما الواضح فانك تراه فى مثل قوله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) وقوله تعالى . (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ونظيرهما قوله عز وجل (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) فان من دل عدوه على عورة نفسه ، وأعطاه سلاحه ليقتله به فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل ، فلهذا ختمها بقوله تعالى (أفلا تعقلون) .

قال فى البرهان . ((وهذه الفاصلة لا تقع الا فى سياق انكار فعل غير مناسب فى العقل ، نحو قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) ، لأن فاعل غير المناسب ليس بعاقل)) .

وأما الخفى الذى يحتاج الى تأت لمعرفة السر فيه فمثل قوله جل ثناؤه . (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون . أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) فلما كانت الموعظة فى الآية الأولى سمعية بدأها بقوله (أو لم يهد لهم) ،ولم يقل أو لم يروا وقال بعد ذكر الموعظة (أفلا يسمعون) .

ولما كانت الموعظة فى الآية الأخرى مرئية بدأها بقوله (أو لم يروا) . وختمها بقوله تعالى (أفلا يبصرون) .

وقد يظن أن الفاصلة بعيدة المناسبة بما قبلها ، فاذا رجع الى ما هو حاق المعنى ذهب الوهم ، فمن ذلك قوله تعالى . (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . فان قوله (وان تغفر لهم) يوهم أن الفاصلة ينبغى أن تكون (الغفور الرحيم) .

المحدث عنه ههنا أولئك الذين أدعوا ألوهية عيسى ، فهم مستحقون لأشد العذاب ، فاذا نالهم الغفران فذلك لا يكون الا من العزيز الذى ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، أو يؤاخذه عليه ... وربما فهم أن العزة التى تقتضى الغفران لمن يستحق التنكيل ليست من الحكمة ، فكان التعقيب بوصف الحكمة احتراسا حسنا ، فهو اذا غفر فغفران الحكيم الذى لا يفعل الشيء جزافا ولا اعتباطا .

والكتابة . وتعبير الانسان شامل للذكر والأنثى على السواء . وهكذا تكون الدعوة القرآنية شاملة لجنس الانسان . وفى هذا من الجلال والروعة ما يعلو فوق كل مستوى . وما يدل على عظمة براعة استهلال القرآن الكريم والدعوة الاسلامية . وبعد مداها . وقوة عناصر خلودها .

وهناك حديث يفيد أن فتور الوحى الذى جاء فى آخر الحديث المروى عن عائشة انما كان قصيرا . رواه الشيخان والترمذى عن جابر وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم « بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى زملونى فأنزل الله تعالى (يأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر .) فحمى الوحى وتتابع » (١) .

وفى الآيات خطة رائعة رسمها الله تعالى لرسوله حين أمره بالبدء بالقيام بمهمته العظمى .

أما ما جاء فى حديث عائشة من جملة (خشيت على نفسى) فهناك حديث يرويه الطبرى عن عبد الله بن الزبير فيه توضيح لذلك لم يرد فى كتب الأحاديث المعتبرة ولكن هذا لا يمنع صحته . وقد جاء فيه فيما جاء (أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع من جبريل الآيات الخمس قال فى نفسه انه لم يكن أحد من خلق الله أبغض اليه من شاعر أو مجنون ، وأنه كان لا يطيق أن ينظر اليهما وانك الأبعد — يعنى نفسه — لشاعر أو مجنون . لا تحدث عنى قريش بهما أبدا . لأعمدن الى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي فلأقتلنها فلأستريحن . قال فخرجت أريد ذلك حتى اذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فرفعت رأسي فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر فشغلني ذلك عما أردت فما أتقدم وما أتأخر . وجعلت أصرف وجهي عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك . فما زلت واقفا حتى بعثت خديجة برسلها فى طلبى فقصصت عليها وقلت ان الأبعد لشاعر أو مجنون . فقالت أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم . ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما علم منك من صدق حديثك وعظم أمانتك . وحسن خلقك وصلة رحمك . ثم أخذته الى ورقة) (٢)

— ٥ —

وحديثا عائشة وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يفيدان من ناحية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يخطر بباله شيء من أمر وحى الله ونبوته . وهذا مما تلهمه آيات قرآنية مثل آية سورة يونس هذه (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) ((١٦)) وآية سورة القصص هذه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ..) ٨٦ وآية سورة الشورى هذه (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ٥٢ . وكل ما كان من أمره على ما تلهمه الآيات والأحاديث وروايات السيرة أنه كان يتعبد الله تعالى تقربا واخلاصا وايمانا . فلا غرو أن يكون قد ذهل حينما نزل عليه الوحى بأول القرآن . وعاد يرجف

(١) التاج ج ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ . (٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٨ و ٤٩ .

الى بيته ويقول انه خشي على نفسه أن يكون قد صار شاعرا أو مجنونا .

ولقد صار يظهر قبيل البعثة النبوية أفراد من قريش وغيرهم أنفوا عقائد قومهم وتقاليدهم الجاهلية ، وأدركوا حقيقة وحدانية الله تعالى بريئة من كل شائبة ، واتجهوا الى الله تعالى وحده . وقد ذكرت الروايات عددا منهم مثل زيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث وأمية ابن الصلت وورقة بن نوفل وأبى الهيثم بن النبهان وابى ذر الغفارى وأبى عامر الأوسى وأبى قيس النجارى (١) . وفى أسد الغابة (٢) صيغة دعاء وتوسل معزوة الى زيد كان يناجي ربه بها فيقول (لبيك حقا حقا تعبدا ورقا . عذت بما عاذ به ابراهيم . انني لك عان راغم . مهما تجشمنى فانى جاشم ثم يسجد) . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم اجتمع اليه قبل البعثة وقال عنه يبعث أمة واحدة . وذكر ابن هشام فى سياق ذكر أبى عامر الأوسى أنه كان يدعىأنه علىالحنيفية دين ابراهيم (٣) حيث يفيد هذا وذاك أن هذا النفر كانوا يتمرسون ملة ابراهيم الحنيفية التوحيدية . وليس ما يمنع القول أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته واحدا منهم . وكان الله تعالى يعلم أنه هو الأفضل والأقوى لرسالته العظمى وهو (أعلم حيث يجعل رسالته) كما جاء فى آية سورة الأنعام (١٢٤) فاصطفاه من بينهم وأمره بأن يهتف (اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) سورة الأنعام ١٦٢ — ١٦٣ .

— ٦ —

هذا . وهناك سؤال قد يرد بالبال وهو ما اذا كان تسمية (ليلة القدر) هى تسمية قرآنية ونعتية طارئة القصد منها التنويه والحفاوة والتذكير بخطورةوعظمة شأن الحادث الذى كان فيها ، أم أنها كانت معروفة المدى قبل نزول القرآن . ولم نطلع على قول يساعد على نفى أو اثبات . غير أن الحديث المروى عن عائشة فى أولية الوحى قد يلهم شيئا . فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحنث أى يتعبد فى غار حراء الليالى ذوات العدد ، فنزل عليه الوحى فى احداها . وجملة (الليالى ذوات العدد) قد تعنى أن هذه الليالى كانت معينة مخصصة لهذه العبادات والاعتكافات قبل نزول الوحى ، ومن الجائز أن تكون هى الليالى العشر الاخيرة من رمضان . ولقد روى الطبرى فى تاريخه أن التحنث فى رمضان مما كان يفعله بعض رجال قريش فى الجاهلية . حيث يسوغ القول ان الليالى ذوات العدد من الامور التي كانت معروفة فى أوساط المتحنثين (٤) .

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢١٥ — ٢٢٣ و ج ٢ ص ١٠٣ و ص ١٧٧ و ١٧٩ م .
(٢) ج ٢ ص ١٧٨ . (٣) ج ١ ص ٤٨ .
(٤) هذه كلها احتمالات وليس لنا الا ان نقطع بأن نزول القرآن أو بدء نزوله فى هذه الليلة هو الذى أعطاها هذا الشرف وذلك القدر العظيم كما صرح القرآن الكريم .

نحن والشباب المثقف

للشيخ نديم الجسر
مفتى طرابلس ــ لبنان

أمام هذا الجيل الصاعد من الشباب المسلم ، المزهو بسلاح العلم والعقل ، المفتون بأقوال المستشرقين ، لا يجوز لنا أن نحصر الرد على المتهجمين أو المشككين فى مبادىء الاسلام فى أن هذا المبدأ موضع اجماع المسلمين ، ولا أن نشهر فى المعركة أسلحة التفسيق والتكفير لنخنق أصوات الشباب . لان خنق الاصوات يرد الشك الى صدور الشباب ويجعلهم أكثر حيرة ، وزيغا ، وتصديقا لتهم المشككين من أعداء الاسلام ، ولأن هؤلاء المثقفين من الشباب لا يكتفون بالردود السطحية ، ولا يبالون بالتهديد والوعيد ، ولا يقلعون عن التساؤل والاستفهام الا اذا يئسوا من قدرة العلماء على الرد القاطع المقنع ، ودخلوا ــ بيأسهم ــ الى منطقة الزيغ والكفر لا سمح الله . ولست أدرى ــ والله ــ سببا يجعلنا ننكر على الشباب مطالبته لنا بالاقناع العقلى الحر ، ونحن أهل دين يجعل للعقل السلطان الاعلى فى فهم نصوص القرآن فضلا عن الحديث .

توطئة للكلام مع الشباب

وقبل أن أقدم للشباب المثقف ما عندي من وسائل الاقناع العقلي، وقبل أن أنصب لهم الميزان الذى توزن به صحة الاحاديث أو المبادىء الاسلامية يهمنى أن أكرر لهم الشيء الذى طالما كررته فى كل ما أكتب فى الدين ، لخير الشباب وهو : التنبيه الى عدم الخلط بين المستحيل عادة ، والمستحسن والمستهجن رأيا وذوقا .

فالشباب المثقف ، الذى يحسن التفريق والتمييز بين هذه المعانى عند التفكير فى قضية رياضية أو فلسفية ، لا يتورع عن الخلط بينهما عند التفكير فى قضايا الايمان والدين ، ومن هنا يأتيهم الانكار لكثير من الاحاديث الواردة فى

الصحيحين ، بل الزيغ أمام المتشابهات من آيات القرآن ، بل ضعف الايمان بوجود الله .

واذا كان بعضهم يتعمد هذا الخلط لمجرد المراء والتفاخر بتقليد الملحدين ، فان اكثر الناضجين منهم يقعون فى هذا الخلط عن عدم انتباه ، بل عن حسن نية وغيرة على الدين ، حين يخيل اليهم ان بعض الأحاديث يتناقض مع العقل أو يتنافى مع الحق والخير والمصلحة .

فلهؤلاء أقول ، من باب التنبيه لا من باب التعليم لشىء قد عرفوه فى دراساتهم الرياضية الفلسفية : ان المستحيل العقلى هو الذى يحدث تصوره تناقضا عقليا فى الذهن . كقولنا ان الجبل يدخل فى الكأس أو أن الجمل يدخل فى سم الخياط ، كما مثل القرآن ، أو انكارنا أن الواحد نصف الاثنين ، أو انكارنا أن الكل أكبر من جزئه . أما المستحيل العادى فانه لا يحدث تناقضا عقليا فى الذهن ولكن جرت (العادة) أن نستبعد وقوعه ، مثل استبعادنا ، قبل اليوم طيران الانسان الى السماء وسماع صوت المتكلم من أقصى الارض ، والوصول الى القمر ، وغير ذلك من الأمور التى كنا نحسبها ، فى العادة ، (مستحيلة) ثم تبين أنها (ممكنة) ولذلك سموها المستحيلات العادية .

اما الاستحسان والاستهجان فانهما لا يصلحان حجة للقطع بحسن الشىء وقبحه الا اذا كان هنالك اجماع من كل العقول السليمة ، كاستحسان الصدق واستهجان الكذب ، أو كان هنالك نص دينى قاطع يقضى بهما ، ولو خفيت علينا الحكمة بادىء الرأى ، كالاستهجان لأكل لحم الخنزير . أما الاستحسان والاستهجان الصادران عن رأى الفرد ، لا عن اجماع ، وكذلك الاستبعاد الصادر عن رأى علمى لم يبلغ درجة اليقين فانها كلها لا تصلح أن تكون أساسا للقطع والجزم بعدم صحة الأحاديث الصحيحة .

لأنه قد يكون وراء الرأى الفردى ، أو وراء الرأى العلمى ، حقيقة من النفع والضرر ، أو حقيقة من العلم سوف تظهر لنا ، كما ظهرت طبيا حكمة الحديث الآمر بغسل الاناء الذى تلوث بلعاب الكلب سبع مرات احداهن بالتراب لازالة جراثيم داء الكلب ، وكما ظهر من ضرر القليل من الخمر وأثره فى الأجنة ، بالتجربة التي أجراها العلماء فى أمريكا على عشرة أزواج من الارانب سقيت تسع منها جرعات متفاوتة القدر من الخمر ، فظهر تأثير الخمر وضررها فى أجنتها جميعا ، حتى عند الزوجين اللذين لم يسقيا الا جرعة واحدة فقط ، أما الزوجان اللذان لم يسقيا شيئا من الخمر فلم يظهر فى أجنتهما أى أثر لأى ضرر . وعلى غرار هذين المثلين نذكر ما اكتشفه العلم مؤخرا من وجود مادة هرمونية فى البول تسمى (يوروغا سترون Ursgastrone) وأخرى تسمى (انثلون Anthelone) تنفعان فى مرض (قرحة المعدة) كما ذكر ذلك الدكتور ميشال صليب أستاذ الامراض الباطنية بكلية عين شمس فى مبحث (قرح المعدة) من كتابه (أمراض الجهاز الهضمى) المؤلف بالانجليزية المطبوع سنة ١٩٦٣ فى الصفحة السادسة والاربعين . وقد تمكنت شركة (بارك ديفز) الانجليزية الشهيرة من صنع علاج يسمى (كورتون Kurtone) يحتوى على هذه الهرمونات البولية . وهذا ما يحل الاشكال الذى كنا نعانيه فى تفسير حديث البخارى عن شرب أبوال الابل ، الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم به بعض الأعراب المرضى . فكل هذه الأحاديث عن غسل الاناء وتحريم الخمر والتداوى بالأبوال ، قد قيلت منذ أربعة عشر قرنا ، فى وقت لم يكن فيه الناس يدركون بعقولهم وجود جراثيم الكلب ، أو ضرر القليل من الخمر ، أو نفع شرب البول فى بعض الأمراض بل كنا كلنا نستهجن هذا الشرب ونستقذره ونحار فى تفسير هذا الحديث للسائلين من الشباب .

وهكذا يظهر بجلاء أن الاستحسان من الأفراد ، والاستبعاد المبنى على الآراء العلمية (الظنية) لا يجوز أن تتخذ أساسا للقطع والجزم بعدم صحة الأحاديث النبوية الصحيحة .

وبعد فهذه توطئة نرجو ألا تغيب حقائقها الواضحة عن تفكير الشباب المثقف ، عند كل بحث وتساؤل من بعض الأحاديث النبوية الواردة فى صحيح البخارى أو صحيح مسلم . ولسنا نريد بها أن نحمل الشبان المثقفين على أن يتهيبوا البحث ، ويدفنوا شكوكهم فى صدورهم لتنقلب الى زيغ مرير ، بل نريد بها أن نضع لهم الميزان الذى يوزن به كل حديث يقع فى تفكير الشباب ، وظنهم أن ظاهره يخالف العقل أو الحق أو الخير أو العلم .

ما هو الميزان

الميزان هو القرآن الكريم والعقل . وللايضاح لا بد من ذكر ست حقائق :

الحقيقة الأولى : ان القرآن قد جعل للعقل السليم السلطان الاعلى فى ادراك الحق والخير من أتفه شيء ، كاماطة الأذى عن الطريق الى أعظم شيء وهو الايمان بوجود الله . وهذه أولى مزايا الاسلام . فنحن بالعقل نؤمن بوجود الله وبالعقل نؤمن بوحدانيته وكل صفات كماله ، وبالعقل نؤمن بالقرآن الذى أمرنا بتحكيم العقل فى كل أمر من أمور الايمان .

الحقيقة الثانية : كل نص يوجب ظاهره تناقضا عقليا قاطعا فى الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض ، وهذا متفق عليه عند العلماء ، لان تعطيل العقل يرجع بالتعطيل على جميع الآيات الكثيرة التى أمرنا الله فيها بتحكيم العقل فى أمور الايمان ، ويرجع بالتعطيل على صدق الرسول الذى عرفنا صدق رسالته بالبراهين العقلية .

مثال ذلك : قول القرآن فى سورة الكهف عن ذى القرنين (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ، فان ظاهر هذه الآية يتناقض مع الحكم العقلى البديهي القاطع الذى يقضى بامتناع دخول الجسم الكبير فى الوعاء الصغير . لأن الأرض أصغر من الشمس بكثير . فوجب هنا تأويل ظاهر الآية ، كما فعل العلماء الأعلام حين قالوا : ان المراد بها : أن ذا القرنين رأى الشمس فى غروبها كأنها تغرب فى العين الحمئة ، كما يقول أحدنا رأيت الشمس تغرب فى النيل أو فى البحر وهو يعلم قطعا انها لا تغرب فى النيل ولا فى البحر بل تغرب وراء الأرض .

الحقيقة الثالثة : وهى نابعة من الحقيقة الثانية ، وتابعة لها ، ولكننا أفردناها عنها ، وأبرزناها مستقلة ، لأهميتها وخطرها : وهى أن التناقض لا يكون الا بين قضيتين قاطعتين تتناقضان . أما اذا كانت احدى القضيتين قاطعة والثانية غير قاطعة وانما هى ظنية ، فلا يكون هنا ذلك التناقض الذى يوجب تأويل النص .

ففي قضية غروب الشمس فى العين نجد أننا بين قضيتين قطعيتين الأولى قول القرآن (وجدها تغرب فى عين حمئة) والثانية القضية البديهية القائلة بامتناع دخول الجسم الكبير وهو الشمس فى الجسم الصغير وهو العين ، فاحتجنا الى التأويل الذى يرفع التناقض .

ولكنا فى آية أخرى مشابهة فى نفس سورة الكهف نجد أن التناقض غير

متحقق : وان كانوا فى الماضي يظنون خطأ انه موجود ، ذلك فى قوله تعالى عن ذى القرنين (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) فهاهنا حقيقة قاطعة وهي قوله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سترا) وفى مقابل هذه الحقيقة (أمر ظنى) ناشىء من العلم الجغرافى القديم الناقص ، الذى كان معتمدا قبل اكتشاف مناطق القطبين ، وقبل معرفة دورة الارض حول الشمس وهي مائلة ميلا يحدث عنه طول النهار فى أحد القطبين حتى لا تغيب عنه الشمس عدة اشهر ، وحلول الليل فى القطب الثانى حتى لا تطلع عليه الشمس عدة أشهر . فقد كان الناس لا يجدون فى بقاع الأرض التى عرفوها ، بقعة تطلع عليها الشمس بلا ليل . فكان يبدو فى الظاهر وجود تناقض بين القرآن والعلم . والحال أنه لا يوجب ذلك التناقض الحقيقي الذى شرطه قيام قضيتين قاطعتين تتناقضان ، لأن نفى الناس وجود بقعة أرض لا تغيب عنها الشمس كان نفيا ظنيا خاطئا بحسب ما عندهم من العلم الناقص عن جميع بقاع الارض ، فلما تم اكتشاف القطبين وظهرت البقاع التى تبقى الشمس فيها طالعة عدة أشهر تحقق صدق الآية .

نرجو ألا تغرب هذه الحقيقة الثالثة عن أذهان الشبان المثقفين ، لأنهم سيقعون فى الأحاديث النبوية الصحيحة على كلام يتوهمون فيه التناقض لاعتقادهم بأن الامور التي يعرفونها قطعية ، وهى لا تكون قطعية حقا فى باب العلم كما ظهر فى المثال الآنف الذكر .

الحقيقة الرابعة : ليس فى القرآن أبدا أى معنى أو خبر يحدث تناقضا مع أحكام العقل أو مع أحكام العلم اليقينية ، لأن ارادة الله لا تتعلق بالمستحيلات العقلية . حتى المعجزات هى من الممكنات العقلية . فخلق عيسى من غير أب من الممكنات ، وفلق البحر لموسى من الممكنات ، وانقلاب عصا موسى الى حية تسعى من الممكنات ، وتكلم عيسى فى المهد من الممكنات ، واحياء الموتى من الممكنات ، والاسراء بالنبى من مكة الى بيت المقدس فى ليلة واحدة من الممكنات . وقس عليه ما ورد فى الأحاديث الصحيحة . ولكن لا تخرج فى قياسك هذا عن القاعدة وهى التمييز الصحيح بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة ، وبين أحكام العلم اليقينية والظنية . فالمستحيل العادى من نوع الممكن . وأحكام العلم الظنية لا تصلح أساسا للقول بوجود التناقض .

الحقيقة الخامسة : ان القرآن فيه آيات (محكمات) وأخر (متشابهات) كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) .

فالمحكمات التى وصفها الله بأنها (أم الكتاب) هى الآيات التى لا يحدث تصور معانيها تناقضا عقليا فى الذهن ، بل القول باستحالتها هو الذى يحدث التناقض العقلى ، لأنها اما أن تكون من نوع الواجب العقلى ، واما أن تكون من نوع الممكن العقلى . والقول باستحالة الواجب أو الممكن هو الذى يحدث التناقض العقلى . كما لا يخفى . أما المستحيل العقلى فلا تتعلق به ارادة الله كما سبق القول .

أما المتشابهات فهى ما يشتبه ويلتبس على الناظر أمرها فيظن أنها تحدث تناقضا مع العقل ، أو مع المحكمات وهى ليست كذلك . وقد أمرنا الله عند حصول هذا الالتباس ، أن نرد المتشابهات

الى المحكمات ، قبل أن نتورط فى انكارها ، ما دامت بذاتها لا تشكل فى الحقيقة تناقضا قطعيا مع العقل ، أو مع المحكمات ، أو مع العلم اليقينى القاطع ، كما فى الأمثلة التى ذكرناها عن المعجزات التى يشتبه على غير الراسخين فى العلم أمرها ويعدها من المستحيلات ، وهي من الممكنات . وكما فى المثال الذى اوردناه عن طول ظهور الشمس فى منطقة القطبين ، فقد اشتبه على الناس أمر تلك الآية ، فظنوا انها تناقض العلم ، ثم تبين لنا أن القضية العلمية ليست يقينية بل ظنية كذبها العلم . فظهر بهذا حكمة أمر الله لنا بأن نرد المتشابهات الى المحكمات ، قبل أن نتورط فى الجدل والمراء بشأنها ، وبأن نقول عنها قول الراسخين فى العلم ، الذين يعرفون هذه الفروق بين التناقض الحقيقي المؤكد وشبهة التناقض فيعتمدون على صدق القرآن ، ويرجعون فى تصديق المتشابهات — ولو لم يعلموا تأويلها الى المحكمات ، ويقولون عن القرآن كله (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) .

الحقيقة السادسة : ان كل ما فى السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ، ومردود اليه ، ومقيد به . فلا يناقضه أبدا . فالقرآن هو (الميزان) الذى نزن به الأحاديث الصحيحة فما كان منها متفقا مع أصول القرآن فلا مجال البحث فيه . وما كان منها متناقضا مع القرآن ، وكان التناقض قطعيا لا سبيل فيه الى التوفيق ، فهذا هو الذى يصح أن نقف عنده ، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته .

وخلاصة القول : ان الميزان الذى نزن الحديث هو القرآن نفسه . فان كان الحديث يتلاءم مع أصول القرآن ، ولا يتناقض معها ، لم يبق مجال عند المؤمن العاقل الى نقد الحديث أو انكاره اعتمادا على ما فى تفكيره من الاستحسان أو الاستهجان أو الاستبعاد الظنى . وكل ما نرجوه من الشبان المثقفين المخلصين ألا يستعجلوا فى نشر النقد للحديث الصحيح الذى لا يسيغه تفكيرهم ، وأن يعرضوه بأنفسهم ، أو بمعونة أهل العلم ، على الميزان الذى ذكرناه من القرآن والعقل . فان وجدوا له أصلا فى القرآن فقد انحل الاشكال . وان لم يجدوا له أصلا فى القرآن لجأوا الى ميزان العقل الذى قررناه وأوضحناه ، فان رأوا فى الحديث ما يوجب تناقضا عقليا ، لا ظنيا ، مع أصل أو أكثر من أصول القرآن جاز لهم عندئذ البحث فى مبلغ الحديث من الصحة .

هذا ما ألهمنا الله أن نكتبه فى هذا الموضوع ليكون جوابا لكل شبهة . والله المستعان .

- كان الناس يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .
- أفضل العطاء ما كان من معسر الى معسر .
- الايام مزارع ، فما زرعت فيها حصدته .
- لا أوعظ من قبر ولا أمتع من كتاب .
- الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

الإسلام

ومواقف منه عند شعراء المهجر

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

لفت نظرى وانا اتحدث عن الشعر العربى فى المهجر أن اكثر شعراء المهجرين / الشمالى والجنوبى ، قد اشادوا بالاسلام فى قصائدهم،ولم يتركوا مناسبة دينية اسلامية او اجتماعية الا ابرزوها ، واطالوا الوقفة الشعرية عندها ، واستخرجوا منها اجمل ما تحمله من ذكريات ، واسمى ما تتضمنه من عظات .

وقد اشرت الى تلك الظاهرة التي تلفت النظر فى كتابى عن شعر المهجر . وهي ظاهرة لم يلتفت اليها التفاتة طويلة مستأنية مستقصية واحد من السادة الذين كتبوا عن الادب المهجرى فى مختلف فنونه . وكانت السطور القليلة التي تناولت بها هذه الظاهرة الكريمة فى كتابى غير كافية لايفاء الموضوع حقه من البحث والتتبع والاستشهاد ، فلم تكن غير ملحوظة عابرة ، لخصيصة ظاهرة ..

ولعل المجال فى مجلة ((الوعى الاسلامي)) هو اليق المجالات فى الدراسة والبحث الاسلامي لتناول هذه الظاهرة الشعرية ، وفاء بحق الدرس من ناحية ، وايفاء لفضل هؤلاء الشعراء المهجريين من ناحية اخرى .

وترجع روح الانصاف عند اخواننا الشعراء فى المهجر الامريكي الى ما وهبوه من اتساع النظرة الى الاديان ، والبعد عن ضيق الافق الذى يحجب الرؤية الصحيحة للأمور على حقيقتها . فقد وسع التسامح الديني فيهم من نظرهم الى فكرة الاديان ، كما فتح نوافذ قلوبهم على كل ما يخالف دينهم ، ومن هنا نجد

مثل هذا الكلام المنثور للشاعر الناثر جبران خليل جبران : (أنا مسيحي ، ولى الفخر بذلك ، ولكنني اهوى النبى العربى واحب مجد الاسلام ، وأخشى زواله) .

ولا تجد عند شعراء المهجر الشمالى والجنوبى فرقا من ناحية التسامح الدينى ، والبعد عن التعصب ، فهم فى ذلك سواء ، الا انهم قد يختلفون فى التعبير عن ذلك . كما تجد عند حفنة كريمة منهم تحمسا للاسلام ، وروحه ، ورسالته العالية ، وتمجيدا لنبيه العربى الكريم ، واعتقادا جازما بأنه فخر للامة العربية التي ينتمون اليها على الرغم من اختلاف دينهم ، وينضوون تحت لوائها .

ولعل هذه الظاهرة تتجلىواضحة عند الشاعر القروى « رشيد سليم الخورى » الذى لا يتوانى لحظة عن المشاركة باشعاره القومية فى المناسبات الدينية الخاصة بالمسلمين . فأذا جاء عيد الفطر فى اعقاب شهر الصيام الذى يطهر نفوس الصائمين ويزكيها ، رأيت الشاعر القروى يشارك فى تكريم هذا العيد ، ويباهى بنبى المسلمين ، وآياته الكبرى ، ويتوق الى أن يرى العرب كلهم محررين من رق الاجانب تحت علم من نسج محمد وعيسى وفى ظل آمنة بنت وهب ومريم عليهم السلام ، فيقول :

أكرتم هذا العيد تكريم شاعر
يتيه بآيات النبى المعظم
ولكننى اصبو الى عيد امة
محررة الاعناق من رق اعجمى
الى علم من نسج عيسى واحمد
وآمنة فى ظله أخت مريم

واذا جاء عيد المولد النبوى رأيت الشاعر القروى — وهو فى مهاجره بالبرازيل — يسارع الى الحفاوة به بمثل قوله من قصيدة قومية :

عيد العروبة عيد المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دوى
عيد النبى ابن عبد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العاوى
يا قوم . هذا مسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الأخوى
فان ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام ((الشاعر القروى))

وما كان للمولد النبوى هذا الاهتمام فى شعر المهجر عند الشاعر القروى وحسب ، فاننا نرى الشاعر الكبير « الياس فرحات » يشترك فى هذه المناسبة بقصيدة محكمة النسج ليقول فيها :

غمر الارض بانوار النبوه
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى اصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت فى مكةٍ للنور كوه
وطمى الاسلام بحراً زاخراً
بأواذي المعالي والفتوة ..

وتمر السنوات فى العالم الجديد بشعراء العرب المهجريين عاما بعد عام ، فلا نرى عيد مولد النبى عليه السلام دون ان يسمع فيه صوت لشاعر من اخواننا هناك . واذا بنا فى احد تلك الاعياد نرى الشاعر الرقيق رياض المعلوف ابن صديقنا واستاذنا العلامة المرحوم عيسى اسكندر معلوف — يشترك

مع اخوانه المسلمين فى المهجر الجنوبى بقصيدة نبوية يقول فيها :

وحد الله . فالمؤذن وحد
وبذكر النبى فى العيد أنشد
يا رسول الانام . انت وعيسى
خير من يصطفى،ويرجى ،ويقصد
وكفى العرب فخرهم بانتساب
لنبى هو النبى ((محمد))

ثم نلتقى فى احد الاعياد للمولد النبوى عند شاعر مهجرى آخر هو الاستاذ نصر سمعان احد اعضاء « العصبة الاندلسية » فى البرازيل ، واحد المهاجرين السوريين من بلدة « القصير » من أعمال مدينة حمص . فاذا به يرتقى منبر حفل اعد لهذه المناسبة الكريمة ، واذا به يستهل قصائده ومقطعاته بهذا المقطع الجميل :

كوكب رحّب الوجود به يو
م تجلى على الوجود شعاعه
كلما مرت العصور وغارت
فى مهاوى الزمان زاد ارتفاعه
شهد الله اننا فى سبيل الحق
والمجد كلنا اتباعه ....

واذا به يقول من قصيدة كافية فى المناسبة ذاتها مخاطبا النبى العربى عليه الصلاة والسلام :

بزغْتَ فحيت الجوزاءُ مهدكْ
واعلت فوق مجد الشمس مجدك
وكل فم له الفصحى لسان
يردد بعد حمد الله حمدك ....
وكم خلت الممالك من ذويها
وانت ملأت قلب الدهر وحدك
نبى قريش . ان قريش ولت
وولت اشرف النزعات بعدك
فلا عمر تراه ، ولا علي
يقود الى مراقى العز جندك

وما تقاعس صديقنا الشاعر المهجرى الكبير جورج صيدح فى مغتربه ، عن المشاركة فى تمجيد « عيد المولد النبوى » بقصيدة طويلة رقيقة من مجزوء الكامل ، تبلغ ابياتها بضعة وخمسين بيتا ، يقول فيها عن النبى محمد :

لا يعجز اللهُ الذى
ان قال : كن للشيء كانْ
امر الرمال فأطلعت
صحراء يشرب أقحوانْ
للرسل آيات .... وهـ
ـذا الطفل آيته البيان
الروح يملى ما يترَ
جمه ونعم الترجمان
بالضاد آذن ربه
فتخلدت لغة الاذان
يا صاحبي بأي آلا
ء الرسول تكذبان ؟؟

ومضى الشاعر جورج صيدح يحدثنا فى قصيدته النبوية عن غار حراء ، والوحى ، والاسراء والمعراج ، وعن دعائم الاسلام الذى بنى حائط ملكه على العدل « وأساسه تقوى الجنان ... » .

وما كان عيد المولد النبوى وحده هو موضوع العناية والاهتمام من شاعرية جورج صيدح ، فقد كان لعيد الاضحى منه التفاتة أخرى فى قصيدة طويلة رقيقة مجزوءة البحر ، نظمها فى بوينس

البقية : على ص ٤٤

صيام

بين مؤتمر طوكيو

قرحة المعدة تصيب من غير المسلمين سبعة أمثالهم من المسلمين

أبعد الناس عن الدين أكثرهم تعرضاً للقرحة

الصيام يقوي البدن، وينظم الأجهزة الهضمية والدموية

الصيام وسيلة لشفاء القرحة المعدية

المصابون بالقرحة يشعرون بالراحة في الصوم

لم نلاحظ زيادة القرحة في شهر رمضان

شهر رمضان

الطبي والأطباء العرب

تحدثنا معك في المقال الافتتاحي عما أثير في مؤتمر طوكيو الطبي حول الصيام وتعليقنا عليه . وها نحن أولاء نقدم لك هذا الموضوع كاملا : الرؤية الواردة من طوكيو التي نشرتها بعض الصحف ، والبحوث التي جاءتنا من السادة الأطباء الذين نقدم لهم وافر الشكر على مبادرتهم بارسال آرائهم . ونوجه نظر القراء الى مقال الدكتور منذر الدقاق المنشور في هذا العدد .

د . محمد عبد القادر ـ الكويت

د . زكي سويدان ـ القاهرة

د . سالم نجم ـ الكويت

د . أحمد شوكت الشطي ـ دمشق

د . وجيه زين العابدين ـ العراق

د . خليل دري لطفي ـ الاسكندرية

جريدة النهار اللبنانية العدد ٩٤٥٢ - ٢٥ أيلول ١٩٦٦

مؤتمر طوكيو

كلام في مؤتمر طبي :

صيام رمضان له علاقة بحدوث القرحة في المعدة

طوكيو — ٢٤ ايلول — رويتر — اعلن للعلماء المجتمعين في مؤتمر عالمي للبحث في شؤون جهاز الهضم هذا الاسبوع في طوكيو ، ان صيام المسلمين في شهر رمضان له علاقة بحدوث القرحة في المعدة .

وذكر للمؤتمر ان السبب الرئيسي للاصابة بالقرحة في جهاز الهضم في تركيا هو تناول الاطعمة الحامضة ، يليها شرب الشاي والماكولات المرة وتدخين السجائر والاكل بسرعة واكل اللحوم والتخمة والاكثار من شرب الماء والوجبات الساخنة والقهوة والوجبات المالحة والكحول على هذا الترتيب .

ولوحظ ان صيام رمضان من العناصر التي تعجل في الاصابة اذ تبين ان هناك ٥٩٫٤ بالمئة من ٤٢٥ صائما طلبوا المعالجة في الاسبوع الاول من شهر رمضان و ٩٫٤ بالمئة في بقية الشهر و ٨٫٢ بالمئة بعده .

وقال المندوب المصري السيد دقاق منذر : « ان استعراض الحالات التي لدينا يظهر اختلافا اكيدا بالنسبة الى صيام رمضان في حدوث القرحة »

صورة بالزنكوغراف لما نشر بجريدة النهار

وهذا ما بعث به الدكتور محمد عبدالقادر

ان أول ما يلفت نظرى فى المنشور عن هذا المؤتمر هو القاء القول جزافا دون تأمل أو تبصر . وانى سأستخرج الدليل على بطلان هذا الادعاء من الكلام المنشور نفسه ، فقد جاء فيه ما نصه بالحرف : « اذ تبين أن هناك ٥٩٫٤ بالمئة من ٤٢٥ صائما طلبوا المعالجة فى الاسبوع الاول من شهر رمضان و ٩٫٤ بالمئة فى بقية الشهر و ٨٫٢ بالمئة بعده» . فهل هناك دليل أقوى من هذه الاحصاءات . — ان صدقت — على أن صيام رمضان خير ما يؤدى الى تنشيط الجهاز الهضمى ، والتخلص من كثير من الاضطرابات الهضمية . فان كان أكثر من نصف هؤلاء الصائمين قد شكوا من أعراض دعتهم الى طلب العلاج فى أول أسبوع من رمضان ، فان تأثير الصيام قد بدا واضحا فى انخفاض هذه النسبة من ٥٩٫٤٪ الى ٩٫٤٪ فى بقية الشهر وما بعده . وكل ما هناك أن تغيير مواعيد الأكل فى أول الشهر يتطلب توازنا جديدا قد يضطر الصائم الى طلب المعالجة ، ولكن هذا لا يعنى أن الصائم قد أصيب بقرحة المعدة أبدا . وقد لا يتعدى الامر شيئا سوى مجرد الامساك أو غيره .

وقد يعزو بعض الناس هذه الاضطرابات الى الصيام بدون مبرر . والحقيقة أن الأمر بعكس ذلك تماما . فهذه الاضطرابات لا تحدث الا عند من يتجاهل فلسفة الصيام وحكمته ، ويسرف فى

الطعام بعد الافطار فيصاب بالتخمة . والصيام لم يفرض لملء البطون . وانما جعل لاراحتها فترة معينة، وليشعر الصائم ببعض ما يعانيه المحرومون، ولكى يعود نفسه الصبر . ولا شك أن الاسراف فى الطعام يتنافى مع هذه الفلسفة . فما ذنب الصيام ان كانت هناك قلة من المسلمين تمارسه بطريقة تتنافى مع أبسط مبادىء الاسلام .

ثم ذكرت البرقية بعض الاسباب الرئيسية للاصابة بقرحة المعدة ، ومنها الأطعمة الحامضة والتدخين والكحول . فهل فى تعاليم الاسلام ما يحتم على الصائم تناول الخمر والاسراف فى التدخين ؟

ان الاسلام حرم الخمر تماما كما أنه يحرم الاسراف فى كل شيء حلال وان بعض الدول الاسلامية كالكويت قد منعت تداول الخمور على مدار السنة ، وان كثيرا من الدول الاسلامية الاخرى تحرم تداولها فى شهر رمضان . وهل فى القرآن نص على التدخين فى رمضان ؟ .

انه مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين الاسراف فى الأكل ، وبين بعض الامراض التى تفشت فى المجتمع مع تفشى المدنية الزائفة . وأذكر على سبيل المثال مرض البول السكرى وضغط الدم وتصلب الشرايين ، وما يتبعه من مضاعفات فى القلب والجهاز العصبى . فان أراد القارىء استعراضا للأرقام ، فانى أضع أمامه بعض الاحصاءات التى وردت فى تقرير هيئة الصحة العالمية لسنة ١٩٦٢ ، ولقد حرصت على أن أنتخب من بينها ما يبين الفرق الشاسع فى معدل الاصابة ببعض هذه الامراض فى دولتين اسلاميتين (الجمهورية العربية المتحدة . والاردن) وبين بعض الدول غير الاسلامية .



الدكتور محمد عبد القادر

البلد	معدل الوفيات فى كل مائة ألف من السكان فى السنة			
	قرحة المعدة	البول السكرى	امراض الجهاز العصبى الناشئة عن تصلب الشرايين	أمراض القلب الناشئة عن تصلب الشرايين
ج ع م	٣ و ١	٢ و ٨	٨ و ٥	٣ و ٤٥
الأردن	٩ و ١	٢ و ٣	٤ و ٧	٧ و ٩
انجلترا	١ و ١٠	٢ و ٨	٨ و ١٦٧	٧ و ٣٢٢
فرنسا	٣	٩ و ١٣	٧ و ١٣٩	٢ و ٨٥
الولايات المتحدة	٦ و ٦	٨ و ١٦	٣ و ١٠٦	٣ و ٣١٣
اليابان	٦ و ١٠	٤	٤ و ١٦٩	٨ و ٥٣

مؤتمر طوكيو

فان كانت العبرة بالخواتيم ، فهل هناك دليل أقوى من هذه الأرقام المدونة الناطقة بفضل الاسلام وتعاليم الاسلام من صيام وغيره على صحة المسلمين . قرحة المعدة تقتل من غير المسلمين سبعة أمثالهم من المسلمين كل عام . وأمراض الجهاز العصبى الناشئة عن تصلب الشرايين تقتل من غير المسلمين ستة أو سبعة أمثال المسلمين . حتى البول السكرى تزيد نسبته فى غير المسلمين . افبعد هذا يتقول القائلون على الاسلام والصيام ؟

ان الاسلام باق على مر الدهور والأزمان ، وقواعده ستظل راسخة رسوخ الجبال العظام . أما العلم ففى تطور دائم ، يبدأ من ظلام دامس ، ثم يخطو فى كل يوم خطوة نحو النور . وهو فى مسيرته قد يتعثر فى الأخطاء والفروض التي سرعان ما تثبت الأيام خطأها . فلا مجال اذن للتعريض بالدين لظواهر لم يثبتها العلم ولفروض لا تلبث أن تنقض ان الاسباب الاساسية لقرحة المعدة مازالت مجهولة للآن . وكل ما يقال فى هذا المجال انما هو محض افتراض قد تثبته الأيام أو قد تنفيه . وليس هناك دليل على جهلنا بأسباب القرحة من كثرة ما دار حولها من الجدل والافتراضات فى المؤتمرات والندوات العلمية .

كل ما فى الأمر أن بعض الأطباء يظنون أن وجود الافراز الحمضى فى المعدة الخالية أثناء النوم قد يساعد على حدوث القرحة اذا تجرد سطح المعدة من المخاط الذى يكسوه ويحميه من هذا الافراز. ولكن هذا لا يتعدى مجرد ظن قد تؤيده الابحاث أو تنفيه

ومهما قيل عن الصيام فالعبرة بالنتائج النهائية ، وهى واضحة وضوح الشمس فى البيانات التى سبق أن سردناها .

ان قرحة المعدة تزيد فى الذكور عن الاناث بنسبة أربعة الى واحد . فهل معنى ذلك أن الرجال هم وحدهم الذين يصومون وان نساء المسلمين لا يؤدين فريضة الصيام .

ولي فى هذا المجال كلمة أخيرة . فان مخاطبة الجماهير على صفحات الجرائد يجب أن تتصف بالدقة التامة والحذر الشديد ، وعلى الاخص فيما يتعلق بتعاليم الدين . فالدين باق والعلم فى تغير مستمر



الدكتور زكي سويدان

أما الدكتور محمد زكى سويدان رئيس مجلس الأمراض الباطنية العامة بكلية الطب بجامعة عين شمس بالقاهرة ، فقد أرسل الينا رده الآتى مع خطاب رقيق جاء فيه « وانى أرفق الرد عسى أن يرد السهم الى قلب راميه ، وأرجو اعتبارى دائما فى خدمة أسمى الأديان السماوية ، الوحيد الذى يتمشى مع جميع التطورات الدنيوية » وهذا هو رده الذى جعل له هذا العنوان » .

« الصيام وعلاقته بقرحة المعدة »

اذا تطرقنا الى هذا الموضوع من الأساس العلمي ، فان هذا يتطلب ذكر الحقائق التالية :

ان الأسباب والنظريات والتجارب العلمية تثبت أن الاصابة بالقرحة تكثر فى الأفراد المصابين بالقلق النفسي والعمل الذهني الشاق .

ان القلق النفسي يؤدى الى تنبيه مراكز الهيبوثا لامس فى المخ الأوسط ، وهذا يؤدى الى تأثيرين .

أ ـ تنبيه العصب الحائر وهو الذى يغذى المعدة ويزيد حركتها وافرازها .

ب ـ تنبيه الفص الأمامى للغدة النخامية ، وهى التي تسيطر على باقى الغدد الصماء ، وخاصة

الغدد فوق الكلى (الكظرية) وقد يثبت علميا سواء بالتجارب أن زيادة افرازها أو استعمال هرموناتها يؤدى الى زيادة افراز المعدة الحمضى . واكلينيكيا قد يؤدى الى نزف من المعدة والاثنى عشر باحداث قرحة .

ولهذا فان الكورتيزون ومشتقاته محرمة كعلاج طبى لمرضى الروماتزم اذا كانوا مصابين بقرحة معدية .

كما ثبت أن المصابين بضمور الغدد فوق الكلى (مرض أديسون) يصابون بنقص أو انعدام الافراز المعدى وبالتالى عدم حدوث قرحة .

وهرمونات الغدد فوق الكلى تؤدى الى قرحة بالمعدة والأثنى عشر بعدة عوامل علاوة على زيادة افراز المعدة الحمضى ، منها ضعف مقاومة الغشاء المخاطى للتآكل بالحمض ، وثانيا ضعف عملية البناء اليومية به والمعوقة لعملية الهدم فى جميع الأنسجة الحية .

وان القلق النفسي سواء من البيئة أو العمل أو الخوف ، أو الناجم من عوامل مرضية أخرى مثل جلطة الشرايين التاجية بالقلب والحروق والجراحة أو عوامل طبيعية مثل التعرض للأشعة العميقة يؤدى الى قرحة بهذا السبيل .

ان القلق النفسي والانفعالات النفسية تؤدى أيضا الى اقلال مقادير الدم المغذية للمعدة وبالتالي يسهل تآكل جدارها .

علاوة على هذا فهناك عوامل مساعدة كثيرة منها :

١ ــ الاستعداد الخلقى والوراثى . وقد ثبت ارتفاع نسبة حدوث القرحة فى نوع معين من فصيلة الدم فى افرازه كما أن حوالى ١٠٪ من البالغين تكون نسبة الحموضة مرتفعة عن الحد الطبيعي وبذلك يكونون أكثر عرضة للقرحة .

٢ ــ التدخين وخاصة الافراط فيه .

٣ ــ كثرة استعمال العقاقير المضادة للروماتيزم والآلام والصداع مثل الاسبرين والساليسيلات .

٤ ــ كثرة تناول المواد الحريفة والبهارات التي تؤدى الى تهيج الغشاء المخاطى للمعدة .

هذا من الناحية العلمية لأسباب القرحة ، أما من الناحية الاحصائية ، فان الاصابة بها لا تحدث فى الأفراد الذين يتعيشون بالمجهود الجثمانى لا الذهني فهى لا تصيب العمال الزراعيين ولا البدو ولا سكان القرى ولا الفقراء ، وهؤلاء هم الغالبية العظمى التي تمارس الصيام بايمان صادق .

كما أن عملية الهضم تختل بالانفعالات النفسية وأوضح مثل لهذا حدوث القىء اذا أعترى بعض الأفراد رائحة كريهة أو خوف ، كذلك فان المعدة تمثل مندوبا خاصا يشترك فى آلام وأمراض الجسم المختلفة مثل التهاب الزائدة الدودية وأنواع التسمم المختلفة سواء من داخل الجسم أو خارجه، ويذكرنا هذا بأجيرة المآتم التي تشترك فى ندب فقيد العائلات المختلفة .

ونخلص من هذا أن قرحة المعدة هى احدى رذائل المدنية فى المدينة ، بما فيها من جهد ذهنى فى أشخاص يتفشى فيهم القلق النفسى ، والحيرة فى مشاكل واشكالات فوق طاقة احتمالهم الفكرى ، كما يتفشى فيهم عدم الرضا ، وكثرة الشكوى من ظروفهم وحوادثهم .

وعند الاصابة بالقرحة يتحتم تناول الوجبات الغذائية الخاصة معظمها من اللبن ومشتقاته فى فترات قصيرة حتى لا تشتد وطأة القرحة ، أو تعرض المريض للمضاعفات الخطيرة وخاصة النزف والانثقاب .

من هذا نرى أن قرحة المعدة تكثر فى الأشخاص الدنيويين عديمى الايمان الصادق عديمى الرضا بالواقع ، وهؤلاء أبعد الناس عن الدين وأكثرهم تعرضا للقرحة .

لقد كان غاندى وتلاميذه يمارسون الصيام أكثر من أشهر بايمان صادق وعزيمة قوية .. ولم يصابوا بقرحة المعدة .

ومع أن الصيام أحد أركان الاسلام الا أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى المسلم اجازة الافطار فى قوله تعالى « ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

لهذا أرى أن الصيام فى حد ذاته لا يكون سببا فى حدوث القرحة .

مؤتمر طوكيو

وهذا رأى الدكتور سالم نجم رئيس قسم الأبحاث الطبية بوزارة الصحة بالكويت ، يقول فيه :

من المعروف لدى رجال الطب الثقاة أن اسباب قرحة المعدة غير معروفة حتى الآن ، وهناك الكثير من النظريات التي وضعت لتفسير بعض جوانب هذا المرض منها : ازدياد افرازات المعدة والأمعاء الدقيقة وخاصة الأحماض ، ومنها التدخين وشرب الخمر ، ومنها توالى التهاب المعدة الحاد المتكرر ، ومنها ادخال الطعام على الطعام وخاصة المتبل منه ، ومنها اضطرابات الهرمونات فى الجسم وخاصة المفرزة من الغدد الصماء ، ومنها ازدياد الحساسية النفسية واختلال الأمزجة ، وهناك من يقول بنظرية الاستعداد الشخصي مع عامل الوراثة . وآخر يقول باحتمال وجود علاقة وثيقة بين نوع فصائل الدم فى الانسان وبين اصابته بقرحة المعدة . كل ذلك مجرد افتراضات ، وليست هناك آراء فى هذا الموضوع تتعدى حدود النظريات لتصبح مكان اليقينيات حتى نقول ان قرحة المعدة تنتج من هذا السبب أو من ذاك .

والعجيب فى الأمر أنه ليس من بين هذه الأسباب الصيام (لا صيام المسلمين ولا صيام الهنود ولا أى صيام آخر) بل انه يتحتم علاج حالات الالتهابات المعدية الحادة بالامتناع عن الطعام واعطاء الجهاز الهضمي فرصة للراحة ليسترد قواه . ولا يعقل أن تعالج حالات الالتهابات الحادة بالصيام اذا كان يسبب قرحة المعدة كما جاء فى البحث .

على أنه يجب أن نشير الى أمر مهم وهو أن المرضى المصابين بقرحة المعدة أو الاثنى عشر يتحتم عليهم مراجعة أطبائهم للاستشارة قبل البدء بالصيام ، حيث ثبت احصائيا أن الافطار بنهم بعد الصيام قد يسبب انفجارا أو نزيفا للمرضى المصابين بالقرحة ، كما أشار الى ذلك أستاذنا الدكتور عبد الوهاب مورو فى بحث له عن هذا الموضوع . هذا وفى يقيني أن المسلمين اذا ما التزموا بآداب الصيام ، من تجنب للغضب ، وضبط للنفس



الدكتور سالم نجم

وتسامح ورضى وابتهاج روحى بالصيام ، مع مراعاة آداب الطعام والشراب ، وعدم الافراط فيهما ، فان الصائم يقوى بدنه وتنتظم أجهزته الهضمية والدموية وغيرهما ، ويتحقق بذلك قول رسولنا الأعظم صلوات الله عليه (صوموا تصحوا) هذا بالنسبة الى المسلم الصحيح البدن . أما المريض فأمره متروك الى طبيبه المؤمن الحاذق ينصحه بما يفرضه عليه دينه وفنه وعلى المريض الطاعة والامتثال .

أما الدكتور أحمد شوكت الشطى الأستاذ بكلية الطب جامعة دمشق ــ والذى عرفه القراء مما نشرناه له ــ فقد بعث الينا برأيه فى أسلوب عانق فيه العلم الأدب كما يقال :

لقد زعم بعض البحاثين فى مؤتمر طوكيو كما نشرت بعض صحفنا أن لصيام المسلمين فى شهر رمضان علاقة بحدوث القرحة المعدية فى بلاد الاسلام وليتهم عكسوا العنوان حتى يصدق الصحيح ويدعم بالبيان ، فجعلوه « الصيام فى الاسلام وسيلة لشفاء القرحة المعدية وغيرها من الأسقام » .

ان قرحة المعدة مرض تنازع فى شأن حدوثه الأطباء الباطنيون والهضميون، والأطباء النفسيون، وقد فاقت حجج الآخرين على حجج الأولين ، وعادت العوامل النفسية معتبرة عوامل مؤثرة ،

وساهم فى التجوال فى الميدان علــم الوراثة فقال جهابذته : لا تنسوا أن العوامـــل الوراثية هي المسيطرة ، أما عواملكم من هضمية ونفسية فليست الا عوامل مؤهلة غير خطرة ، ويســتطاع التغلب عليها اذا عرف الانسان سلوك سواء السبيل فى شربــه وأكلــه ، وفى الانتفاع كما يجب من نهاره وليله ، ومن هدوء نفسه وراحة باله .

لقد تنازع العلماء الاختصاصيون على أسباب القرحة كما تنافس فى شأن معالجتها الهضميون والجراحون الذين رأوا فى المبضع علاجها ، كما رأى الهضميون فى الحمية دواءها ، وأثبت النفسانيون أن فى اجتناب الهلع والتوتر ، وفى اطمئنان النفس وهدوئها دعما للطريقتين المتبعتين فى معالجـــة القرحة ، ومنعا لتكرار ظهورها وعودتها بنكسها



الدكتور احمد الشطي

أو تحولها ولعل هــذا أهم بكثير من معالجتها . وقد ثبت أخيرا أن خير حمية تتبـــع فيها (أى القرحة) هى حمية اللبن (الحليب) وحده مدة تقرب من ثلاثة أسابيع . وهذا أمر متفق عليه بين جميع الاختصاصيين اتبعناه باستمرار ، وشفى به أكثر مرضانا ، ورضى أكثرهم عن هذه الطريقــة الخالية من الأخطار والمحاذير ، الا فريقا منهمابتلاه الله بالنهم فلم ترق له ، ورأى فى هذه الطريقة كبتا لرغباته ، وحدا من شهواته ، حتى قال بعضهم أما يكفينا الصيام وما فيه من فرض لاجتناب الطعام خلال ساعات عديدة ومدة طويلة من الأيام فاستفلينا ما فاه به وقال ، وقلنا للمريض ما دام الصـــيام فى نظرك ضبط النفس وهواها ، فاشدد عليهـا واقتصر على اللبن طيلة أيام شهر رمضان فتكسب بذلك حسنتين ، حسنة أدائك الفرض العظيم ، وحسنة شفائك من مرضك المستديم .

ولقد اتبعنا هذا الأسلوب فى العاصـين على الحمية اللبنية خارج رمضان من المعودين ، غير المتألين فشفى أكثرهم ، واننا ندعو الزمـلاء الى اختبار ما قلناه ليتبينوا انطباق القول على الفعل فيما ذكرناه .

وأخيرا كان حريا بهؤلاء البحاثين أن يبينوا ان تخليط الطعام الذى ذكـــروه واثبتوا ضرره فى قرحة المعدة لا صلة له بالاسلام ، الذى ينهى عن التخليط والافراط فى الطعام ، بل ان سببه عدم تمسكهم بما تقتضيه تعاليم الاسلام من دعـــوة الى هدوء النفس والاقلال من الطعام فى شـــهر الصيام .

يتضح لك مما ذكرت يا أخى براءة تعاليـــم الاسلام وخاصة منها الصيام من توليد القرحة .

أما الدكتور وجيــه زيـــن العابدين الطبيب الاختصاصي فى بغداد فيناقش ما نشر مناقشةطبية منطقية فيقول :

لم تكن كلمات المؤتمرين تدل بوضوح على أن الصوم فى رمضان يسبب القرحة ، فما ذكـــره الطبيب عن الاصابات فى تركيا بين أن سببه تناول الأطعمة الحامضة وشرب الشاى والتدخين .. الخ وهو يحدث فى رمضان وفى غيره ، وربما قد تساعد هذه الأشياء على الاصابة بالقرحـــة عند ذوى الاستعداد .

أما قوله (ولوحظ أن صيام رمضان من العناصر التي تعجل فى الاصابة اذ تبين أن هناك ٤ر٥٩٪ من

مؤتمر طوكيو

٤٢٥ صائما طلبوا المعالجة فى الأسبوع الأول من شهر رمضان و ٤ر٩٪ فى بقية الشهر و٢ر٨ بالمئة بعده) فانه لم يذكر أن هؤلاء الـ (٤٢٥) مريضا كانوا مصابين بالقرحة فى المعدة ، ولم يكونوا تحت المعالجة فطلبوها .. أم أنهم ظهرت عندهم الأعراض أو زادت فى الأسبوع الأول ، أم كانوا صائمين اعتياديين فمرضوا وطلبوا المعالجة ؟ .. ولو فرضنا أنهم كانوا جميعا سالمين فظهرت عليهم أعراض القرحة فلا يتم تشخيصهم فى أسبوع واحد وان تم ، فلا يعنى أنهم كانوا قبل رمضان سالمين ، اذ لا يمكن تشخيص القرحة أى تكوينها بحيث تظهر



الدكتور وجيه زين العابدين

بالأشعة وتعطى علاماتها وأعراضها فى أسبوع واحد أبدا .. ولو فرضنا أنهم كانوا مصابين ورجعنا الى النسبة لوجدنا أن ٥٩٪ فى الأسبوع الأول هبطت الى ٩٪ فى الأسبوع الأخير وهو دليل على فائدة الصيام لا العكس .. ثم ما هى الواسطة التى شخص بها المرض ؟ ان كانت الاشعة فان أكثر من ٣٠٪ من الأشعة التي تظهر قرحة يكون الانسان فيها سليما معافى من القرحة كما أن نسبة كبيرة أيضا من التقارير الشعاعية النافية للقرحة تثبت فى العملية وجود لا قرحة واحدة بل قرح .. (هذا ما ذكرته المجلات الطبية وشاهدته بنفسى) .. وأصبح المعول الوحيد فى التشخيص هو النظر فى المعدة بواسطة الناظور ...

وأعرف بعض مرضاى المصابين بالقرحة قد شعروا بالراحة فى الصوم ، واعتقد أن الايمان بالله هو الذى يجلب الراحة النفسية ، فيعين ذلك على شفاء القرحة ، كما انتهى اليه العلم الحديث فصار يخلط مع أدوية المعدة دواء لسكون النفس واطمئنانها .

وهذا رأى الدكتور خليل درى لطفى رئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية طب الاسكندرية ، يقول سيادته :

وبعد ـ فمن حيث الصيام وعلاقته بالاصابة بالقرحة فانى أفيد سيادتكم بالرد الآتى :

ان هناك احتمالين : شخص مصاب بقرحةالجهاز الهضمي وعلى الأخص الاثنى عشر فهو فى هذهالحالة على مرض ، وهو يعفى من الصيام ، لأن علاج هذه القرحة يحتاج لأكلات صغيرة متعددة .

أما الفريق الثانى فهو يخشى الاصابة بالقرحة ، وهم هؤلاء الذين عندهم حموضة أكثر من الطبيعي وقد لوحظ بالتجربة فى بحث عملى بالقسم نشر باللغة الايطالية فى مجلة الجمعية الطبية الايطالية ٢٦ مايو ١٩٦١ ـ أن الحموضة تزداد فى المعدة الخالية تدريجيا ، ولكن هناك بالطبع ظروف صناعية تتحكم أثناء فحص هذه الحالات ، وتغير النتيجة مثل : الخوف من ابتلاع الأنبوبة فى بعض الحالات ، ولكن ليست الحموضة فقط هي العامل الوحيد فى هذه الحالات ، بل هناك عوامل أخرى ومن أهمها : العامل النفسانى ولذلك بالرغم من ازدياد الحموضة فى هذه الحالات فلم نلاحظ معها زيادة حدوث القرحة فى شهر رمضان .

ومما لا شك فيه أن الصائم الذى يصوم ايمانا واحتسابا عنده من هدوء النفس والطمأنينة ما يساعده على رفع شر هذه الحموضة المتزايدة .

أما الحالات التي يلاحظ اصابتها بأعراض عسر هضم أثناء الأيام الأولى من شهر رمضان فهى جميعها نتيجة لتغيير نظام الأكل ، وادخال كمية طعام كبيرة ودسمة أكثر من المعتاد عند الافطار ، ولم يلاحظ زيادة فى حدوث القرحة أثناء شهر رمضان - ولست الآن فى موقف أذكر فيه فوائد الصوم للصحة ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((صوموا تصحوا)) فذلك صحيح تماما ، ولم يقصد الصوم بمنع الأكل فقط ، بل بجميع ما نبغيه من تخليص النفس من الشوائب ، ونقاء الضمير والقلب ، وهدوء النفس ، والايمان المطلق بالله ، وكذلك لم يقصد المرضى الذين سمح لهم بالافطار .

الصيام لا يضر القرحة بل قد يفيدها

وهذا رأي الدكتور يس عبد الغفار استاذ الامراض الباطنية العامة بجامعة القاهرة يقول فيه:

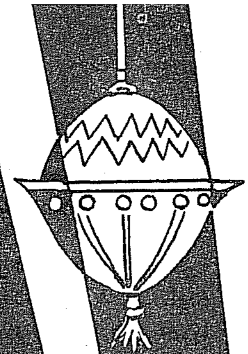
ان تجربتى الخاصة فى هذه الناحية لا تتفق والقول بأن صيام رمضان له علاقة باحداث قرحة المعدة ، وانى قد تابعت مرضى قرحة المعدة والاثنى عشر أثناء صيام رمضان فلم أجد أي زيادة ملحوظة فى نشاط القرحة ولا فى نسبة حدوث المضاعفات مثل النزيف المعدى أو الانثقاب المعدى .

واذا شئنا أن ندرس موضوع علاقة صيام رمضان بحدوث قرحة المعدة على أساس علمى فان الموضوع سوف يتلخص فى تأثير الصيام على الافراز الحمضى للمعدة ، اذ أن المعروف أن الحامض المعدى يلعب دورا رئيسيا فى قرحة المعدة ، لا من الناحية السببية فحسب ، بل من ناحية أثر الحامض فى تكييف الاعراض واحداث المضاعفات وان كان كنه العلاقة بين الحامض وايجاد القرحة أو تكييف اعراضها أو احداث مضاعفاتها لم يتحدد تماما بعد ، وان رأينا فى هذا الصدد الذى أقمناه على أساس من البحث التجريبي فى الحيوانات هو ان الحامض لا يوجد القرحة وانما يأتى دوره بعد حدوثها حيث يعوق العوامل الطبيعية التى تؤدى الى التئامها ، وان السبب المباشر لحدوث القرحة هو حالة تفاعل مناعى معين.

وتأثير الصيام على القرحة يتوقف على تأثيره على الافراز الحمضى للمعدة ، وحيث أن المعدة تفرز افرازها الحمضى على أثر الوجبة التى تصلها وأن كمية الحامض ودرجته تختلفان باختلاف الوجبة كما ونوعا ، فانه من الواضح أن طول فترة الصيام حين لا تكون هناك وجبات تبعث المعدة على الافراز فان القرحة لا تتعرض لمزيد من الحامض ، ومن هنا فان الصيام لن يضر القرحة بل على النقيض قد يفيدها . رب قائل يقول كيف يتأتى هذا ونحن نعلم أن علاج القرحة يقوم أساسا على تناول وجبات متعددة بحيث يأخذ المريض وجبة اضافية أو أكثر بين كل وجبتين أساسيتين ، وذلك لكى يتعادل الافراز الحمضى مع الطعام فى كل وجبة أي أن تعدد الوجبات سوف يؤدى الى عدم ارتفاع الحامض ارتفاعا يؤذى القرحة ، والحقيقة ان المقصود من وراء تعدد الوجبات ليس هو تعادل الحامض بالطعام فحسب وانما وهذا هو الاهم ان نحول دون افراز المعدة كمية كبيرة من الحامض اذا وصلتها الوجبة الكبيرة المعتادة ، فعن طريق الوجبات الصغيرة سوف يبقى افراز الحامض قليلا ، وصغر حجم الوجبة يتطلب تكرارها كثيرا حتى يعوض العدد الكثير من الوجبات الحجم الصغير لكل وجبة ، وبذلك نوفى حاجة الجسم من التغذية اللازمة له يوميا .

وعلى ضوء هذا التفسير نستطيع أن نتبين لماذا لا يضار مريض القرحة بالصيام كما أثبتت الدراسات التى اجريناها على مريض القرحة والتى أشرنا اليها فى صدر المقال .

أما ما ورد فى التقرير الذى قدم للمؤتمر من أن نسبة كبيرة من مرضى القرحة تقدموا للعلاج فى رمضان فهو فى أرجح الظن يرجع الى سوء النظام الذى يتبعه بعض الصائمين من تناول وجبة متخمة فى الافطار أو السحور فمثل هذه الوجبة لا ريب تثير افراز المعدة الحمضى حسب ما بينا الى حد يسىء الى القرحة وعلى ذلك فالصيام فى حد ذاته لا يضر القرحة وانما الذى يضر هو الافراط وسوء الاختيار فيما يتناوله الصائم فى الافطار أو السحور أو ما بينهما من مأكل أو مشرب .



مرحى

اللهُ أكبر، لاح وجهُ المشـــرقِ ... بهلالِه، وجبينِه المتألّـــق

نبضت حياةُ البُشْريات، وحلّقت ... بالأفْق، بارقةُ الشُّعاع المرتقـــى

رمضانُ أقبلَ بالبشائر والهــدى ... وبسلسلٍ من برّه المتدفّـــق

قُدسيّةٌ من الصَّبوات، في نفحاته ... ما شاء كل متيم أن يستقـــى

لقد استدار به الزمانُ على الـــورى ... فتزاحمُوا حول الرّبيع المونـــق

حفّوا به، وقد استخف نفُوسَهمْ ... فيضُ الجلال به، وحُسْنُ الرَّونق

شهرٌ به غُرَرُ الليالى أشرقـــتْ ... في الدهرِ بالآمل السَّنِيِّ الشَّيـــق

كم هزَّ من عِطْفٍ، ورنّح مهجةً ... ومضى مع النَّجْوى به البَرُّ التَّقى

مرحى هلالَ الصَّومِ، عُدْتَ بطلْعةٍ ... وضّاءةٍ وسنا جبينٍ مُشْـــرِق

والله أودع فيك من أســـراره ... روحا بغير البر لم تتخلـــق

كالنُّور يدْفُق في الجوانح فيضُــه ... كالخيْر ينْبُضُ بالبنَان الأرفـــق

هو ذلك الشّهْرُ الكريم تحدثـــتْ ... عنه السماءُ بسرّها المستغلـــق

نزلَ الكتابُ به مواكبَ رحْمـــةٍ ... وهُدىً يُؤيدُ كلَّ برٍّ صَيْـــدَق

مسَّ العقُول، فشبَّ فيها ثـــورةً ... وأضاء حالكةَ الظّـلامِ المُطْبِـــق

لقد اصطفى اللهُ العليُّ محمــــداً ... للنّاس بالذّكر الحكيمِ المغـــدق

رفَع الغشاوة عن بصيرةِ قوْمـــه ... ومضى يُحرر كلّ رأيٍ موثـــق

هلال الصوم

للاستاذ محمد هارون الحلو

وجَلاَ بِنُور الحقّ ما صَدِئَتْ بِـــهِ ... تِلْك العُقُولُ ، وضلَّ سعْيُ الأحمقِ

برهانهُ نورُ الكتاب مفصَّـــــلاً ... ورسالةُ التوحيد أكرم مَوْثِـــق

نزلَ الأمينُ به بأكرم ليلـــــةٍ ... يُوحى لأكرم صادقٍ ، ومصـدَّق

وسَرَت حقيقةُ دينه ، ويقينِـــــه ... نوراً يفصله بِسِحْر المنطـــق

فإذا القلوبُ على شريعةِ ربّهـــا ... وإذا بها حَوْل الحقيقة تلتقـــي

رمضانُ أنْتَ على العُروبة رايـــةٌ ... ضمَّتْ لواءَ الشَّرق غير مُفَـــرَّق

سطعَتْ بنورِ اللّه فيكَ حقيقـــةٌ ... تَهْدى لسَعْيٍ في الزمان موفّـــق

مددٌ من الإيمان ، يعصم أمَّـــةً ... ويُقيلُها من عـثرة ، وتمـــزُّق

الوحدةُ الكبرى تقودُ زِمَامَهـــا ... أبداً ، لنَصْرٍ في الزمان محقَّـــق

شهر الجهادِ ، دَعَوتَ شعباً باسلاً ... للذّوْدِ عن كَنَفِ المَهيض المرهَـق

أخلِق بقومٍ أكرمين تعاهــــدوا ... أن يَسْتَرِدُّوا [illegible] يعرب [illegible]

بقية : الاسلام ومواقف منه عند شعراء المهجر

ايرس ١٩٤٨ واودعها ديوانه الاخير « حكاية مغترب » الذى نشر فى بيروت ١٩٦٠. وقد مهد الشاعر لهذه القصيدة الاضحوية يقول « عيد الاضحى كان بمثابة عيد للنصارى والمسلمين فى الارجنتين » . وقد يكون من جميل المناسبة ان نروى هنا بضعة الابيات الاولى من هذه القصيدة :

عيد الاضاحيِّ نوَّر
سبح لربك وانحر
واشرب شرابا طهورا
مولاك اجراه كوثر
واقض المناسك واعلم
ان الملائك حُضَّر
ترف حول الاضاحى
رفيف انسام عنبر
يا ساريا فى الدياجى
بشراك ، فالصبح اسفر
آى النبى تجلت
على الحجيج المؤزر ..
ورددت عرفات
نداء : الله اكبر

ولم تقف مشاركات الشاعر المهجرى جورج صيدح للمناسبات الاسلامية عند هذا الحد ، فقد رأينا له فى ديوانه الاخير ايضا قصيدة بعنوان « الحجيج » نظمها فى احد الاحتفالات البرازيلية بعيد الاضحى ، وقد انتهز فيها فرصة « الضحية » و « النحر » بما يفعله الاعاجم من نحر العرب ، كما انتهز فرصة ضياع فلسطين، فدعا العرب الى تخليصها من يد الغاصبين ، فيقول فى مطالعها :

حجوا جناح الله واعتصموا
يا قاضى الحاجات ، كن لهمو .
الروح تسمع ما يخالجهم
ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس من شعائرهم
شكوى تضيق ببثها الكلم
ما كان يوم النحر يشهدهم
عربا ، يطوق نحرهم عجم
ان الحجيج يحثهم أمل
غير الحجيج يحزهم الم ...

ولا تجد الاشادة بالنبى العربى محمد عليه الصلاة والسلام عند الشعراء المهجريين فى مناسبة المولد النبوي ، فحسب ، ولكنك تجدها حين يجد كل شاعر مهجري راحة لنفسه فى الرجوع الى عزة الاسلام ومجد العرب القديم .

فهذا الشاعر المهجرى «رشيد ايوب» وهو من فحول شعراء المهجر الشمالى بنيويورك ، بل هو صوفيهم ودرويشهم ، واكبر حامل للآلام فيهم « لان النفس التي لا تتألم — كما يقول — لا جمال فيها ولا تقترب من الله » ... هذا الشاعر الحر تهيجه نعرة الاتراك واستعلاؤهم على العرب ، فينظم قصيدة رائعة قوية يعرج فيها على النبى العربى محمد عليه الصلاة والسلام قائلا :

فنحن بنو الاعراب ، كنا ولم نزل
بما خصنا المولى نفوق الاجانبا
فمن يا ترى اعلى الورى ((كمحمد))
وارفعهم مجدا ، واسمى مناقبا ؟

ولا يفوت الشاعر رشيد ايوب ، وهو يصلى على انبياء الله ورسله ، ويتعبد لعيسى عليه السلام ، ويصلى لموسى ، ان

يتلو السلام على محمد النبى العربى قائلا :

اصلى لموسى ، واعبد عيسى
واتلو السلام على ((احمد))

واختيار شاعرنا لاسم « احمد » فيه اشارة للآية القرآنية الكريمة التي بشر فيها المسيح بالنبى فى قوله تعالى :

(ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) .

ولا يقل تمجيد شعراء المهجر لنبى الاسلام عن تمجيدهم للاسلام نفسه ، حتى ليكون هذا قرين ذاك فى المناسبات المختلفة . فنجد الشاعر « محبوب الخورى الشرتونى » فى ديوانه المطبوع ببروكلين ١٩٣٨ يقول :

المسلمون العرب اخوان لها
فاذا يضام المسلمون يضام
الشرق والاسلام مسقط رأسها
لا الشرق منتقل ولا الاسلام

ثم نراه فى قصيدة اخرى يتحدث عن (الفتوح الاسلامية) الاولى فى ايام الراشدين والامويين والعباسيين ، واتسامها بالعدل والامن والعلم :

طلعت بفيض الامن حول سيوفها
والعلم حول عمائم السواس
فتح عليه من العدالة مسحة
لبنى امية ، او بنى العباس

ثم ينتقل الى ضياع ملك المسلمين والعرب ، بالاندلس قائلا فى تحسر :

ذهبت باندلس الجوائح وانطوى
علم على ((الحمراء)) ثمةَ راسى
ما زال فى اخلاقكم ولسانكم
ما كان فى قِدَم لغير اناس ....

وفى قصيدة ثالثة يتساءل عن ايام العرب ، وفتوحات الاسلام ، وسيوف الفاتحين من امثال طارق بن زياد فيقول :

فأسائل الدهر عن دمشق عن الايا
م فيها عن العراق وشانه
وعن الامس عن امية فى الأمصا
ر عن سيف ((طارق)) وسنانه

وهل ننسى نحن فى معرض الحديث عن اشادة شعراء المهجر بالاسلام دينا . وبمجده ماضيا ، ما قاله الشاعر الياس فرحات ؟ .

سلام على ((الاسلام)) ايام مجده
طويل عريض يغمر الارض والسما
نما فنمت فى ظله خير امة
اعدت لنصر الحق سيفا ومرقما

اما الشاعر المهجرى الكبير الياس عبد الله طعمة الناصع الديباجة ، القوى الاسلوب ، المتاجج حماسة ووطنية ، فقد كانت له وقفات كريمة منصفة مع الاسلام وبنى الاسلام ، فلما شرح الله صدره للدين الاسلامي ١٩١٦ ، وتسمى باسم ((أبى الفضل الوليد)) رأينا شعره الاسلامي يزداد اتساعا ، ويزيد قوة ، ويفيض اشراقا . واكثر ما يتجلى ذلك فى قصيدة ((الرؤيا النبوية)) التي تقارب ابياتها خمسين ومائتى بيت ، كما يتجلى فى مطولته الاخرى التي يصور فيها رؤياه لفاطمة بنت محمد فى المنام ، وقد فرحت بهدايته الى الاسلام .

ولنا فى عدد تال عودة ان شاء الله الى ((الاسلام)) ومواقف منه ، عند شعراء المشرق .

مائدة القارئ

يا رجال القرآن

روى أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه رجلا مستلقيا على قفاه ، ورجل قائم بيده فهر أو صخرة ، فيشدخ بها رأسه، فيتدهده ـ يتدحرج ـ فاذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان ، فيصنع به مثل ذلك ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا رجل آتاه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به بالنهار ، فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة !!

أكرم صهر

كان على ـ كرم الله وجهه ـ يعرف منزلته عند صهره النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعتز بها ، وحدث أن سأل الامام علي الرسول الكريم هذا السؤال :

أيهما أحب الى رسول الله : ابنته فاطمة الزهراء ، أم زوجها على ؟

فاجاب الرسول فى ابتسامة رقيقة : فاطمة أحب الى منك ، وأنت أعز على منها .

دعاء ليلة القدر

قالت أم المؤمنين عائشة : يا رسول الله . أرأيت ان وافقت ليلة القدر . ما أقول فيها ؟ قال : قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى .

عبدان ـ عبادان

درج الناس على كتابة هذا الاسم ونطقه بهذه الصورة عَبَدان ، وهذا خطأ والصواب عبّادان ، وهى مدينة قديمة تقع فى رأس الخليج العربى ، وتنسب الى عباد بن الحصين الحبطى من قواد الحجاج ، وقد ألحق بكلمة « عباد » المقطع « ان » ليدل به على النسبة ، والحاق الألف والنون للنسبة لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها . قال ياقوت فى معجم البلدان : انهم اذا نسبوا موضعا الى رجل يزيدون فى آخره ألفا ونونا .

علامة الانصراف

كان كسرى أنو شروان اذا أراد أن يصرف جلساءه مد رجله ، وكان فيروز يدلك عينيه ، وبهرام يرفع رأسه الى السماء .

أما معاوية فكان اذا أراد صرف الناس قال : « اذا شئتم » أو « العزة لله » ، وكان يزيد يقول : على بركة الله ، وعبدالملك بن مروان يحمل بيده خيزرانة ، فاذا ألقاها عرف جلساؤه أنه يريد انصرافهم ، وكان يزيد بن هبيرة يدعو بمنديل ، فيعرف الجالسون أنه يريد فض المجلس ، فيقومون .

وفى الكويت والجزيرة عامة يؤتى ببخور العود ويطاف به على الجالسين ، ويترجمون هذا العمل بقولهم : ما بعد العود قعود .

غاية لا تدرك

أراد رجل أن يعلم ابنه شيئا من طبائع الناس ، فأخذ دابة ، وركبها ، وأردف ابنه خلفه ، ومرا على جماعة من الناس فقالوا : ما أقسى قلبه . يركبان معا على هذا الحيوان الضعيف!! فنزل الولد ، وركب أبوه ، فمرا على جماعة أخرى ، فقالوا : أشفق الرجل على الحيوان ، ولم يشفق على ابنه !! فنزل الرجل ، وأركب ولده ، فقال من لقيهما : ولد سيء الادب . يركب ، ويترك والده يمشي ـ ! فنزل الولد ومشى مع أبيه ، وتركا الدابة حتى يسلما من انتقاد الناس ، فلما مرا على جماعة قالوا : ما أحمقهما !! يمشيان ، ومعهما دابة ، فلم خلقت ! ؟

مفاخر العرب

قال لسان الدين بن الخطيب الأندلسي : العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، انما فخرها عدو يغلب ، وثناء يجلب ، وجزر تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفني النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العراب ، وكل الذى فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تجلى وتصقل .

صدقت

اتى الجاحظ يوما رجل ثقيل الظل، فقال له : قد سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمني منها .

قال الجاحظ : نعم .

فقال له الرجل الثقيل : اذا قال لي شخص يا ثقيل الروح ، فبماذا أجيبه ؟

فقال له الجاحظ : قل له صدقت .

بكاؤه يؤذيني

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ببيت ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ـ وكان متعجلا ـ فسمع صوت بكاء الحسين رضى الله عنه ، فدخل الرسول على ابنته معاتبا، وقال لها : أو ما علمت أن بكاءه يؤذيني .

مدرسة البخل

قال الأصمعي : تعرق أعرابي عظما فلما أراد أن يلقيه وله بنون ثلاثة قال له أحدهم أعطنيه قال وما تصنع به قال أتعرقه حتى لا تجد فيه ذرة مقيلا فأغضى عنه وقال : ما قلت شيئا . قال الثاني : « أعطنيه » قال : « وما تصنع به ؟ » قال : أتعرقه حتى لا يدرى ألعامه ذلك هو أم للعام الذى قبله قال : ما قلت شيئا قال الثالث : أعطنيه قال وما تصنع به ، قال : أجعل مخه ادامه . قال أنت له . وأعطاه له .

اسم على مسمى

أكل أعرابي مع أبي الأسود الدؤلي فرأى له لقما منكرا وهاله ما يصنع قال : ما اسمك قال لقمان : قال صدق أهلك .

المروءة

قيل لمحمد بن عمران التميمي أى شيء المروءة .

قال : لا تعمل شيئا في السر تستحي منه في العلانية

السر

قال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لاني كنت اضيق صدرا منه حين استودعته اياه حتى أفشاه .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمـر

فرصـــة :

يهيىء الله لنا فى هذا الشهر من كل عام فرصة ينتهزها عباده المقبلون عليه ، الطامعون فى رحمته ، الراجون حسن ثوابه ومغفرته ، الحريصون على تكبير رصيدهم من الخـير عنده .

فماذا يكون موقفك من هذه الفرصة ؟

هل ترى الناس يقبلون عليها يوفرون لانفسهم خيرها وأنت محجم عنها ، وليست هذه عادتك اذا واتتك فرصة من فرص المادة وزينتها ؟ !

هل تترك غيرك يتقرب الى مولاه ، ويحظى فى هذا الموسم برضاه ، وأنت متكاسل تحرم نفسك لذة القربى اليه . وقد جرت عادتك أن تبتكر الوسائل التى تقربك الى رؤسائك ، وتنتهز الفرص لتثبت لهم حسن ولائك ، وربما ارتكبت الصعب ، وتحملت الذنب فى سبيل هذا التقرب والولاء ؟ !

ألا تريد تقريرا حسنا فى صفحاتك عند الله ، وأنت تقوم وتقعد ، وتروح وتجىء ، وتبذل الكثير من جهدك ومن ماء وجهك لتحظى بتقرير طيب فى آخر العام من رئيسـك ، تتيه به بين زملائك ، تأخذ به علاوة أو درجة : « والله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » ؟ ! !

أيفتح الله باب رحمته لك وأنت تغلقه وتصد عنه ؟ !

أينادينا الله ، فلا نقبل عليه .. ولو أشار الينا رئيس باصبعه لهرولنا اليه فى تلهف وخضوع ؟ ! أيخرج زملاؤك آخر الشهر بحصيلة ورصيد من اطمئنان النفس ومن ثـواب الله ومغفرته ، وأنت تخـرج بحصـيلة ورصـيد من غضـبه ومقته ؟ !

أتراهم يجنون الزهر وتقعد أنت تجنى الشـوك ؟

أترضى لنفسك بهذه الخسارة ؟ ومواسم الخير تمضى ، ولا تدرى هل تعيـش لتستقبلها مرة ثانية ، أم تودع دنياك وتجابه حسابك ؟ اذن هيا الى الله الى ساحات رحمتـه .

وانتهز الفرصة ان الفرصة   تصير ان لم تنتهزها غصـة

مزيدا من الأضـواء

فى أنحاء العالم الاسلامى كثرة من المشايخ الراحلين الذين اشتهروا بيننا باسم « أولياء الله الصالحين » لما ذاع عنهم ، واشتهر ، وتنوقل بين الناس عبر الأجيال من تقـوى وكرامـات ..

والذى يغور بتفكيره وبحثه فى نفسيات المسلمين يجد لهؤلاء الراحلين تأثيرا بعيد المدى فى نفوسهم يختلف قوة وضعفا وشيوعا وانحسارا ..

وقد اهتم أتباع هؤلاء المشايخ بعد وفاتهم بالدعوة اليهم كل الى شيخه الذى يسير على طريقته ، ولم يجد هؤلاء الدعاة طريقة أنجع ولا أقوى من التأثير على عامة المسلمين وجذبهم اليهم من اشاعة الكرامات المتعددة عن شيخه والأشياء الخارقة التى كانت تجرى على يديه باعتبار ذلك أسهل وسيلة لا ستهواء قلوب الناس ، وبتوالى السنين تكثر هذه الكرامات وتتنـوع ثم نجد كتيبات تطبع فى سيرة هؤلاء لا تعتمد على السيرة السليمة الصحيحة الوقائع ، ولكنها تتفنن فى استهواء القلوب بتصويرها الشيـخ بطلا . كل حياته فعل الكرامات وخوارق العادات التى لا أظن ان الشيخ كان يدعيها أو يعملها .. كأن ينادى أمه وهو فى بطنها ، أو يأكل العجين كله ، وتسع بطنه كذا وكذا الى غير ذلك مما يستهوى الصبيان واسذج من الناس ، وهم يسمعونه من المداحين الذين يدورون على الأبواب فى الأرياف ، ومن المنشدين فى الموالد التى تقام لهؤلاء المشايخ ، ويتقاطر اليها أهل الريف خاصة .. وتغطى هذه المعلومات البعيدة عن الحقائق ، أو هذه الخيالات حياة الشيخ الحقيقية ، فلا يرى فيه الناس الا صاحب كرامة خارقة ، وبركات مغرقة ، يسأل فيجيب ، ويلتمس منه ، فيلبى ، وتقدم له الشكاوى فينصف ، ويستمد منه المدد فيمد

وبالرغم مما أعرف من جهود العلماء ولا سيما فى المناسبات العامة التى تقام فيها الموالد لهؤلاء ، ويجتمع فيها مئات الآلاف ، لتنوير أذهانهم وارشادهم الى الحقيقة من أمر دينهم .. الا أننى كنت من زمن بعيد مشوقا الى أن تسلط الأضواء العلمية على حياة هؤلاء المشايخ ، ويكتب تاريخهم الحقيقي من مصادره الموثوق بها ، وينشر على الناس بشكل واسع ، ويدخل ضمن اطار التاريخ العام للبلاد بوصف هؤلاء من العلماء المجاهدين الذين أثروا على مجرى الحياة فيها وكان لهم مواقف مشهورة فى تاريخها .. الخ ان كان لهم مثل هذا الماضى .. وهذا النوع من الدراسة هو الذى يقضى على الخرافات الشائعة والانحرافات السائدة التى أصبحت مثار تندر واستخفاف من المتنورين يصرفهم تماما عن هؤلاء المشايخ ان لم يصرفهم كلية عن الدين بينما سيرتهم وبطولاتهم التى تسجلها كتب علمية هي التى تستهوى القلوب الان ، وتدعو الى الاحترام والاقتـداء ..

من أجل هذا كنت شديد الاعجاب بالدراسة التى نشرت عن السيد احمد البدوى رضى الله عنه وبالفيلم التاريخى الذى أظهره على حقيقته بطلا من الابطال المجاهديـن فى سبيل الله لا بادعاء الكرامات . ولا بالانقطاع فى الخلوات .. وسرنى ما قرأته أخيرا من تصدى احد الجامعيين فى مدينة دسوق لتقديم رسالة علمية عن حياة السيد ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه لنيل شهادة الماجستير ..

بمثل هذه الدراسات العلمية المحققة ، ونشرها على نـطاق واسـع فى الكتب والصحف والمجلات نقضى بالتدريج على البضاعة الزائفة التى غزت العقول عدة قرون فانحرفت بها عن الطريق المستقيم .

الحمد لله

كنت أتابـع بأسى عميق ـ كغيري ـ بعض مظاهـر الخلاف بين الصـفوة من اخواننا فى لبنان حول بعض أمورهم ولهذا شعرت بارتياح كبير لانهاء هذا الخلاف واختيارهم شخص المفتى الجديد باجماع . تهنئة لهم ولفضيلتى المفتى الجديد .. والمفتى السابق ودعوة لهم جميعا بجميل التوفيق ..

نظرة الشريعة إلى المجرم

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

الناس سواء أمام الجريمة .. فلا يكون مركز الشخص أساسا أو سببا لأن تطبق عليه عقوبة دون أخرى .

١ ـ روى البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : **« ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت . فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشفع في حد من حدود الله ؟** ثم قام فاختطب ، ثم قال : **انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »** .

٢ ـ ولكن المشرع جعل لهذا الأصل العام استثناء في الأمور الآتية لحكم نبينها :

(أ) في عقوبة التعزير ، فجعله يناسب كل طائفة . فتأديب ذوى الهيئة من أهل

العلم والأدب أخف من تأديب أهل البذاء والسفاهة . قال صلى الله عليه وسلم « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود » وتكون عقوبة من جل قدره بالاعراض عنه ، وتعزير من دونه بزاجر الكلام الذى لا قذف فيه ولا سب . ثم يعدل بمن دون ذلك الى الحبس الذى ينزلون فيه على حسب رتبهم وبحسب هفواتهم ، فمنهم من يحبس يوما ومنهم من يحبس أكثر منه الى غير غاية مقدرة ، ثم يعدل بمن دون ذلك الى النفى والابعاد اذا تعدت ذنوبه الى اجتلاب غيره اليها واستضراره بها .

ويجب أن نعلم فى هذا الصدد أن المراد بذوى الهيئة هم الصالحون وذوو الأخلاق الفاضلة ، لا أصحاب الأموال والقوة ، والمراد بأهل البذاء والسفاهة الأشرار الحمقى . فمن كان من هؤلاء يثقل علبه بالأدب لينزجر وينزجر به غيره .

(ب) أخبر الله تعالى أن من جاء من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين ، لشرف منزلتهن ، وفضل درجتهن ، وتقدمهن على سائر النساء أجمع ، وكذلك ثبت فى الشريعة انه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات ، ولذلك ضوعف حد الحر على حد العبد ، والثيب على البكر ، لزيادة الفضل والشرف فيهما على قرينهما — قال تعالى « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا » قال مسروق ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم يحدون حدين .

قال ابن العربى : يا مسروق . لقد كنت فى غنى عن هذا ، فان نساء النبي لا يأتين أبدا بفاحشة توجب حدا ، ولذلك قال ابن عباس : ما بغت امراة نبى قط ، وانما خانت فى الايمان والطاعة ، ولو أمسك الناس عما لا ينبغي ، بل عما لا يعنى لكثر الصواب وظهر الحق .

كذلك عوتب الأنبياء عليهم السلام على أمور لا يؤاخذ بها غيرهم لزيادة النعمة عليهم وسمو مكانتهم عن سائر الناس ، فزيادة النعمة ترتب تغليظ الجريمة وبالتالي تشديد العقوبة .

(ج) ولما كان للعبد أوضاع خاصة فقد وضعت له عقوبات خاصة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على العبد نصف حد الحر فى الحد الذى يتبعض كزنى البكر والقذف ، وشرب الخمر .

وروى عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى قالا : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الأمة اذا زنت ولم تحصن ؟ قال (ان زنت فاجلدوها ، ثم ان زنت فاجلدوها ، ثم ان زنت فاجلدوها ، ثم بيعوها ولو بضفير) .

قال محمد بن شهاب : لا ادرى أبعد الثالثة أو الرابعة . وقال مالك رحمه الله والضفير الحبل . وقال الجمهور يرجم العبد كالحر .

أما فى حد السرقة فتقطع يده كما تقطع يد الحر ، وذلك فى الأرجح وذلك كله فى حد العبد ، اما فى تعزيره فهو كالحر .

مراعاة المشرع لحال الجانى

عند تنفيذ العقوبة

لما كان الغرض من عقاب الجانى هو ردعه حتى لا يعود الى الجريمة ، ومنع الغير عن محاكاته بارتكاب الجريمة ، ولم يكن الغرض أبدا التنكيل به أو تعذيبه فان **المشرع راعى حال الجانى** اذا كان مريضا أو به مانع يضره اذا نفذت عليه العقوبة .

١ ــ مرض الجانى :

اذا كان المحكوم عليه مريضا ووجبت عليه عقوبة ــ ينظر : فلن كان مرضه من الأمراض التي ينتظر أن يشفى منها ، وكان قد وجب عليه حد من الحدود فى زنا أو شرب أو سرقة حبس حتى يبرأ ، وذلك لأنه لو أقيم الحد على المريض ربما انضم ألم الجلد الى ألم المرض فيؤدى ذلك الى هلاك الجانى ــ والحد انما يقام للزجر لا للاهلاك . وان كان المريض مرضه لا يرجى شفاؤه واستحكم ذلك المرض فالراجح أنه يقام عليه الحد اذا لم يكن هذا الحد رجما .

اما الرجم فيقام من بادىء الأمر رغم المرض لأن الرجم مفروض فيه أنه عقوبة مهلكة فلا يمتنع اقامتها بسبب المرض .

ويلحق بالمرض البرد الشديد أو الحر الشديد الذى يخاف أن يهلك فيه الجاني اذا أقيمت عليه العقوبة . فالقاضى يحبسه الى أن يزول البرد أو الحر .

كما يلحق بالمريض المراة النفساء لانها بمنزلة المريضة .

فى رواية أبى داود عن أبى جميلة عن علي قال : فجرت جارية لآل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يا علي انطلق فأقم عليها الحد . قال : فانطلقت ، فاذا بها دم يسيل لم ينقطع . فأتيته فقال : يا علي أفرغت ؟ فقلت : رأيتها ودمها يسيل . فقال : دعها حتى ينقطع دمها . ثم أقم عليها الحد .

والراجح انه دم نفاس لا حيض لأن الحائض بمنزلة الصحيحة فى اقامة الحد عليها والنفساء بمنزلة المريضة .

روى مسلم والترمذى . خطب علي ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أيها الناس أقيموا الحدود على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن . فان أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت ، فامرنى أن أجلدها ، فأتيتها فاذا هي حديثة عهد بنفاس فخشيت ان أنا جلدتها أن أقتلها ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنت . اتركها حتى تماثل .

٢ ــ كبر السن :

ان كان المحكوم عليه شيخا كبيرا يجب أن توقع عليه عقوبة الجلد بشكل لا يهلكه فيقتصر على ضربه بدرة أو بأداة لا تهلكه. روى أبو داود والنسائي عن أبي أمامة ابن سهل عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى ، فعاد جلده على عظم . فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها . فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك . وقال : استفتوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاني قد وقعت

على جارية دخلت علي . فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ما رأينا بأحد من الضر مثل الذى هو به ولو حملناه اليك لتفسخت عظامه . ما هو الا جلد على عظم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة .

٣ ـ المرأة الحامل :

ان كانت المرأة المطلوب توقيع عقوبة الجلد أو الرجم عليها حبلى حبست حتى تلد لحديث الغامدية .

فقد روى فى الموطأ كما روى مسلم عن بريدة قال : بعد أن ذكر قصة ماعز : فجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله ، انى قد زنيت فطهرني . وانه ردها فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله ، لم تردنى ؟ لعلك ان تردنى كما رددت ماعزا ، والله انى لحبلى . قال : اما لا ، فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة . فقالت هذا قد ولدته . قال فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام . فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فتنضح الدم على وجه خالد ، فسبها فسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها . فقال : مهلا يا خالد . فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت .

ومجرد ادعاء المرأة بأنها حبلى لا يؤخر تنفيذ العقوبة ، وانما يعرضها القاضى على أهل الخبرة ـ فان قلن هى حبلى حبسها حتى تلد ، فان لم تلد خلال المدة الطبيعية للحمل : ترجم أو تجلد بعدها للتيقن بعدم حملها .

٤ ـ قطع يد السارق :

كل مال محرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل لا شبهة له فى المال ولا فى حرزه قطعت يده اليمنى من مفصل الكف وهو الكوع ، فان سرق مرة ثانية بعد قطعه قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب ، فان سرق ثالثة فقد رأى البعض منهم بأنه لا يقطع بعد ذلك ، ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب . ويبرر هؤلاء قولهم بما روى عن سيدنا علي رضي الله عنه انه أتى بسارق فقطع يده ، ثم أتى به الثانية وقد سرق فقطع رجله ، ثم أتى به الثالثة وقد سرق فقال لا أقطع . ان قطعت يده فبأى شيء يأكل وبأى شيء يتمسح ، وان قطعت رجله فبأى شيء يمشى انى لأستحى من الله فضربه بخشبة وحبسه .

وروى أن سيدنا عمر أتى بسارق أقطع اليد والرجل ، وقد سرق نعالا يقال له سدوم وأراد أن يقطعه فقال له سيدنا علي : انما عليه قطع يد ورجل فحبسه عمر ولم يقطعه .

قال كمال الدين بن الهمام فى ذلك : كان غالبية الفقهاء يفعلون كما فعل علي . وأخرج عن مكحول أن عمر رضي الله عنه قال : اذا سرق فاقطعوا يده ، ثم ان عاد فاقطعوا رجله ولا تقطعوا يده الأخرى وذروه يأكل بها ويستنجى بها ولكن احبسوه عن المسلمين . وأخرج عن النخعى انهم كانوا يقولون : لا يترك ابن آدم مثل البهيمة ليس له يد يأكل بها ويستنجى بها ، وهذا كله قد ثبت ثبوتا لا مرد له .

رمضان

شهر الذكريات

للدكتور زكي محمد غيث
أستاذ التاريخ بكلية الشريعة جامعة بغداد

تمر بنا في هذه الأيام المباركة من شهر رمضان المعظم ذكرى عزيزة هي : ((فتح مكة)) وتطهير الكعبة من أوثان الشرك وأصنامه ، وتسلم المسلمين لقبلتهم التي يتجهون اليها في صلاتهم .

ومن قبل الفتح كان ((صلح الحديبية)) تمهيدا له ، ونصرا من الله لرسوله ودينه ، وكان من شروطه : ((أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم)) .

وكان بين بكر وخزاعة دماء في الجاهلية ، وكانت مساكنهم بأحياء مكة وضواحيها ، ثم جاء الاسلام فحجز بينهم ، وتشاغل الناس به ، فلما كان ((صلح الحديبية)) انحازت بكر الى قريش ، وخزاعة الى النبي ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا ، ثم أن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلا ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له ((الوتير)) ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد ، وهذا ليل ما يرانا أحد ، فاعانوهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

خزاعة تستنجد بالرسول

فلما عدت بنو بكر وقريش على خزاعة ، ونقضوا ما كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ، خرج « عمرو بن سالم الخزاعى » حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه ، وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فأنشد :

يا رب انى ناشد محمدا
حلف أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتمو وُلْدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرا أعتدا
وادعُ عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربَّدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزْبِدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كَدَاءَ رصدا
وزعموا أن لست أدعوا أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هُجَّدا
وقتلونا رُكعا وسجدا

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، ثم خرج « بديل بن ورقاء » سيد خزاعة فى نفر من قومه حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين الى مكة، « وكان ذلك مما هاج فتح مكة » .

وفى الوقت نفسه كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن قريشا بدأت بعد المسلمين فى « موقعة مؤتة » تسخر سرا بشروط صلح الحديبية ، وتحرض أعداء الاسلام على معاداة النبى ، وخيل الى قريش أن هذه الهزيمة قد « قضت على المسلمين وعلى سلطانهم حتى لم يبق انسان يأبه لهم ، أو يقيم لعهدهم وزنا ، فلتعد الأمور كما كانت قبل عهد الحديبية، ولتعد قريش حربا على المسلمين ومن فى عهدهم من غير أن تخشى من محمد قصاصا » .

وبجانب ذلك كان عليه الصلاة والسلام يعلم أن العرب لا تخضع وتذل الا اذا خضعت وذلت قريش ، ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة .

وغير هذا كله فان تيار التقدم الاسلامي كان لا بد من اتجاهه يوما الى مكة معقل الوثنية ، وكان لا بد من فتح مكة لترفع أم القرى منار التوحيد ولواءه ليضىء العالم بنوره الوضاء ، ولذا فان حادثة اعتداء بنى بكر على خزاعة لم تكن الا سببا مباشرا عجل بعزم النبى صلى الله عليه وسلم على فتح مكة ، لتصبح حرما آمنا ، وليضع يده على البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا .

قريش تحس الخطر

أحست قريش بشؤم ما فعلت ، فبعثت كبيرها أبا سفيان بن حرب ، ليؤكد عقد الحديبية ويزيد فى مدته ، فلقى الرسول صلى الله عليه وسلم وكلمه فلم يجبه ، واستشفع بأبى بكر وعمر بن الخطاب فلم يشفعا ، فما استطاع الا أن يقف بباب المسجد ويصيح : انى قد أجرت بين الناس (كما أشار عليه علي) ، ورجع الى مكة خائبا ، واتهمته قريش بالتقصير ، واضطرب الحال فى مكة .

لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم مكة فى اضطرابها طويلا ، اذ كان قد عزم على مهاجمتها بمجرد استماعه لشكوى الخزاعيين ، « وأمر الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يعمى على قريش خبره ، حتى يبغتهم فى بلادهم » ، واستنفر الأعراب من حول المدينة ، فأقبلوا وهم لا يعرفون مقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

محاولة فشلت

ولما تجهز المسلمون من المهاجرين والأنصار والأعراب أعلمهم بأنه سائر الى

مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وأوصاهم بالكتمان حتى لا يصل الى قريش شيء من أمرهم،غير أن « حاطب بن أبى بلتعة » أراد أن يكون له عند قريش مكرمة ، فبعث اليهم مع مولاة لبعض بنى عبد المطلب كتابا ، وفرض لها جعلا على أن تبلغه قريشا « فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب » فبعث فى أثر الجارية : عليا بن أبى طالب ، والزبير ابن العوام ، فأدركاها ، واستخرجا منها الكتاب بعد تخويفها ، ورجعا به الى الرسول صلى الله عليه وسلم « فدعا حاطبا وقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لي فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم عليهم » .

لم يعجب هذا الجواب ابن الخطاب ، فاستأذن الرسول فى قتله ، فأجابه عليه الصلاة والسلام : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع الى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ولا شك أن حاطبا وهو من كبار المسلمين قد أتى أمرا لا يليق بمثله اتيانه ، حتى ان ابن الخطاب قد اتهمه بالنفاق وأراد قتله ، ولو لم يكن من أصحاب بدر لكان مصيره القتل ، ولذا نزل قول الله تعالى من أول سورة الممتحنة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » الآيات الى قوله تعالى : واليك أنبنا واليك المصير » .

الزحف الى مكة

وفى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة زحف جيش المسلمين من المدينة المنورة صوب مكة المكرمة ، حتى نزلوا « بمر الظهران » قرب مكة وهم عشرة آلاف ، « وكلهم ممتلىء النفس بالايمان : أن لا غالب لهم من دون الله، وسار محمد صلى الله عليه وسلم على رأسهم وأكبر همه ، وكل تفكيره أن يدخل البيت الحرام من غير أن يريق قطرة دم واحدة » .

فلما نزل عليه الصلاة والسلام ، مر الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ، ولا يدرون ما هو فاعل ، فخرج فى تلك الليلة، أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرا ، أو يسمعون به » .

ولأمر أراده الله فان العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد تلقى الرسول ببعض الطرق وأسلم ، ولما علم العباس وجهة الرسول اشفق على أهل مكة من الهلاك ، « ولعله أفضى بمخاوفه هذه الى رسول الله وسأله : ماذا يصنع اذا طلبت قريش أمانه ؟ »، وكأنما استراحت نفس الرسول الى هذا ، ورجا أن يكون عمه رسول خير الى أهل مكة ، ، « فيدخل مكة من غير أن يسفك دما ، وتظل مكة حرما آمنا كما كانت ، وكما يجب أن تكون » . وخرج العباس ممتطيا بغلة الرسول البيضاء يلتمس رجلا يبعث به الى مكة ليخبر أهلها « بقوة المسلمين ، وبأس جيوشهم حتى يخرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة » .

وبينما هو فى بحثه قرع سمعه صوت أبى سفيان مع رفيقيه يتذاكرون أمر هذه النيران ، وذلك العسكر ، فناداه العباس بكنيته : يا أبا حنظلة، فعرف صوته وأجاب : أبا الفضل ؟ والتقيا ، فبادره العباس بقوله : « ويحك يا أبا سفيان ،

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قريش اذا دخل مكة عنوة ! » وأردفه خلفه ليلقى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلقيه وكانت هدايته ، فاعتنق الاسلام ، وحينئذ طلب العباس من الرسول أن يخص أبا سفيان بشيء لأنه رجل يحب الفخر ، « فقال : نعم . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » .

حرب أعصاب

فلما هب أبو سفيان لينصرف أوقفه العباس « عند خطم الجبل بمضيق الوادي » بأمر الرسول حتى تمر به الجنود فيراها ، وكان كلما مرت قبيلة سأل عنها ، حتى اذا مرت الكتيبة الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى منهم غير الحدق في الحديد ، قال : « من هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، فقال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، فقال ويحك ! انها النبوة ، فقال : نعم اذاً » .

وحينئذ أذن له العباس بالانصراف وقال له : « الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به . قالوا : فمه : فقال : من دخل داري فهو آمن ، فقالوا : ويحك : وما تغني عنا دارك ؟ فقال : ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » ، وأيقنت قريش بأنه لا قبل لها بهذا الجيش فاستكانت ، ولم تبد استعدادا للقتال والمقاومة !! .

دخول مكة

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بجنوده عامدين الى مكة ، حتى اذا انتهى الى (ذي طوى) وتأكد من عدم مقاومة مكة ، توقف « ووقف على راحلته وانحنى لله شاكرا ، ان فتح الله عليه مهبط الوحي ، ومقر البيت الحرام ليدخله والمسلمين آمنين مطمئنين » ، وقسم جيشه الى أربع فرق ، ونهى الجميع عن القتال وسفك الدماء الا عند الضرورة ، فدخلوها من جبهاتها الشمالية ، والجنوبية ، والغربية ، وتقدم أبو عبيدة بمن معه بين يدي الرسول فدخلها من (أذاخر) حتى نزل بأعلى مكة ، ولم يكن قتال الا المناوشة مع خالد بن الوليد قتل فيها رجال قليلون ، وكان دخول الرسول والمؤمنين صبح يوم الجمعة في العشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم على راحلته من غير احرام ، وهو يقرأ سورة الفتح ، ولواؤه يومئذ أبيض ، ورايته سوداء تسمى : العقاب ، ونزل بأعلى مكة في قبة ضربت له هناك ، فلما استراح واطمأن الناس امتطى ناقته القصواء وسار بها حتى بلغ الكعبة ، فطاف بالبيت سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن في يده ، وكان حول الكعبة من الأصنام ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل ـ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد .

ثم دخل الكعبة فكسر ما وجد فيها من تماثيل ، وأزال ما فيها من صور ، ثم وقف على باب الكعبة وخطب خطبة وضع فيها مآثر الجاهلية ، الا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، وبين أحكام القتل ، وسوى بين الناس ، ثم تلا قوله تعالى من سورة الحجرات : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ،

يقول الطبرى «فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة ، وكانوا له فيئا ، فبذلك يسمى أهل مكة : الطلقاء » .

لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى التسامح ، وسمو النفس ، وتناسى أن قريشا آذته وأصحابه ، وأكرهتهم على ترك ديارهم والفرار بدينهم .

انتصر الحق ، « وكبت الأصنام على وجوهها وظهورها ، وطهر البيت الحرام بذلك منها ، وأتم محمد بذلك فى أول يوم لفتح مكة ما دعا اليه منذ عشرين سنة ، وما حاربته مكة أشد الحرب فيه ، أتم تحطيم الأصنام ، والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام بمشهد من قريش ، ترى أصنامها التي كانت تعبد ويعبد آباؤها ، لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا » .

ثم انصرف النبى صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا فعلاه ، واتجه الى البيت وجعل يحمد الله ويدعوه بما شاء ، ثم جلس على (الصفا) فبايع الناس : الرجال ، ثم النساء .

فلما كان الغد من يوم فتح مكة عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فغضب الرسول وقام فى الناس خطيبا فقال : « يأيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام الله الى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعضد فيها شجرا ، لم تحل لأحد كان قبلى، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحل لى الا هذه الساعة غضبا على أهلها ، الا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا : ان الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة .. الخ » ، ثم ودى الرجل الذى قتلته خزاعة ، وبذلك أكد حرمة مكة الى أن تقوم الساعة ، وكف أيدى الناس عن بعضهم البعض ، ورسم لهم بقوله وفعله طريق السماحة والعفو مما غرس حبه فى قلوب أهل مكة فأقبلوا على اعتناق الاسلام ، « وأقام النبى صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين » .

بعد أن استقرت الأمور فى مكة،وأسلم أهلها ، وطهرت الكعبة والبيت الحرام من الأصنام والأوثان نادى مناديه عليه الصلاة والسلام فى أهل مكة : ((من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنما الا حطمه)) ثم أرسل الدعاة يدعون القبائل الى الاسلام ودخل الناس فيه أفواجا ،اذ رأوا الكعبة فى حوزته بعد أن لبثوا ينتظرون عقبى الجلاد بين النبى وقومه ، وكذلك أرسل السرايا المسلحة لهدم الأوثان فى الحجاز فهدمت العزى ، وسواع ، ومناة .

وبذلك استقر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وزلزت الوثنية زلزالا شديدا ، فلم يكن بعد الا انتشار الدين فى أرجاء البلاد العربية ، وتسلم المسلمون قبلتهم التي يتجهون اليها فى صلاتهم ، وعادت الكعبة كما أراد الله لها ، عادت مركزا روحيا للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، تهفو اليها نفوسهم ، ويسعى اليها حجيجهم ، ويطوف بها عابدهم ، ويأمن عندها خائفهم ، وتقبل فى رحابها توبة مذنبهم . وارتفعت فى أم القرى راية التوحيد ، وثبتت دعائم الايمان بالله واليوم الآخر ، ثم انتشرت دعوة الاسلام بما فيها من معانى الأمن والسلام ، والعدالة والرحمة ، والحرية والمساواة ، فاستفاء بنورها كثير من شعوب الأرض ((اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)) .

في مسالك اليقين

بقلم الأستاذ احمد العناني

مع التاريخ

طفقت في حال من الكرب التمس الايناس من أخبار الناس .. قلت أراجع حوادث الأيام الخوالي ، واعتبر بمواعظ الاقدار ، نازلات بما يبهج ويشجي في وضح النهار أو ظلمات الليالي .. قلبت الصفحات وصاحبت الكلمات ، وتقريت الحروف ، وأطلقت للتامل كل عنان . ولقد بارحت شجني الحاضر ، وعشت مع كل غابر ، واحسست لجلجة الدمع في المآقي مع الحريب المنكود : ورقص الحبور في جوانحي مع المحظوظ والمجدود .. حينا مع المأمون في وهج المجد وأعراس بغداد يوم زفاف بوران .. أطنان من العنبر والكافور وأركاس من الديباج ترتمي فوق اركاس وأكوام ، وآفاق تزدحم فيها الأغاريد والأهازيج الحسان ، وحينا مع المعتمد بن عباد أسيرا في أغمات من أرض المغرب ، باكيا يعتصره جحود الأباعد والأقربين ، ملتاعا يستذله الأسر المهين ، ويبكي لشجوه الباكون ، وتعلق بالعصور من أحزان شجون وشجون ... وحينا مع العلماء وحينا مع الغوغاء ، وساعة في اسواق الرقيق ، ومثلها في زقاق الموت ، والرماح مشتجرة ، والمنايا حوّم ، والدنيا حوّل قلّب ، والمال عرض تافه ، والأماني تلتقي في مجرّد شربة ماء تطفىء أوام جرح ، والعيون يشدو فيها شجو الفراق ، ومآسي العوائل والأطفال .

وعرجت ومعي همي على تواريخ المستضعفين في الارض وسمعت أنين المحاويج ، وكأني أسمع بين السطور ضجيج الجياع ، ورنين قيود العبيد ، واحسست بهزة فرائص روما وهي ترتجف لوعة على أنغام نيرون ، وشهدت مسرح شكسبير ولوعة كل ليلى وجولييت ، وقلب كل قيس وفرتر كأنما تتعلق القلوب بأجنحة القطا ، تعالج شراكا تصطادها ، ولا تطيق منها فكاكا .

سافرت وهمي معي بين الكتب ، لا أنا مرتو ولا الهم يزول ، وراجعت مع المتفلسفين هجمات الأفكار المغرورة على حائط الغيب ؛ كما شهدت غطرسة فرعون يوم لقاء موسى ، ثم ما حال اليه ذلك من أنين متفجع وندم يتوجع ، واليم يبتلعه ولا عاصم من غضبة الله .

وقرات حتى كاد يهدني ما اقرأ عن اقوال الاحزاب والفرق ، ودعاوى الملل والنحل ، وجدل أهل الكلام والمنطق ، وأحاديث مكرورة معادة لا القلب منها يمتلىء ، ولا بلابل الوجدان بساكتة ، ولا رهبة المجهول عن خناق النفس بمرخية يدا ، ولا مجرية نفسا .

مع الحاضر

لم تستطع الكتب أن تذهب همي ، فمضيت به الى مضطرب الناس ، والى مواطن عزلتهم .. هذا متفرد بنعمة ، وارف فى ظل وفر ومغنم ، ولكنه يتثاءب فى ملالة ، يتنزى ألما من خمول الذكر وخواء العمر ، وذلك معتل على اكداس ، ولكنه يتطلع من عليائه الى مواطىء أقدامه ، فتروعه جماجم المقتولين ، وتخلخل أحلامه وجوه الصفر المنخوبين ، الحزانى المستغلين ، الضائعين المضيعين... وذلك يقسم بالله جهد ايمانه ما يريد الا اصلاحا وتوفيقا ، فاذا خلا الى شياطينه أفرغ جراب احقاده ، وأخرج عقارب نياته فاذا الأرض بفساده مظلمة ، والدنيا من حوله بالفساد مدثرة .. وذلك أقعدته الهمة الرخوة عن معارج الرفعة ، ونبا به الخوف ، عن مسالك السؤدد ، فذم الأماني ، وعاب المطامح حتى أمكنته فرصة فاستذلت رقبته ، واستنوق جمله ، وكثر كذبه ، وانفضح من نقاب الرياء وحشي وجهه .

يقظة

وبقيت وهمي ما زال يمنع عني النوم ظامىء شوقي ، ويسهدني غامض مبتغاى ، ثم جاء ليل فقلت سعيا الى النجوم ... وكانت ليلة نابغية زنجية ، تحلت بقلائد من العقيان ، لامعات بقدرة الرحمن ، تجلى بها ليل بهيم ، واعتذر بلمعانها عن أسحم اهابه .. يا لهاتيك النجوم... وسبحان الحي القادر القيوم .

سرى مع نسيم الليل أرتال من متضاغط أساى ، وراح يخف صدرى ، وتجدر مع منظر القدرة ، ومجلى العظمة دفع تملات به العينان فانجابت لوعتى ، وأشرقت مع ايماءات النجوم أنوار فى الجوانح أذهبت خفي اللواعج ، وتمثلت روعة العظمة الأبدية لخالق يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ، اله رحيم ، غيوبه مآلها الخير والنور والاحسان، وعقباها المرحمة والبر ونشوة الوجدان، وادركت بالنظر فى النجوم سرا لم أجده فى أسفار الكتب ولا مغاليق الصدور .. وانطلق اللسان فى معرض القدرة الوحي يتوسل الى الرب الأوحد ، ويناجي رحماته .

اتسعت آفاق الصدر حتى كأنه سهب ممتد لا حدود له ، صحصحان بعيد المرامي ليس فيه مع الأمن المرتاح الهادىء الا همسة واحدة تقول « وفى الارض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون » .

حقا ورب الكعبة قد كنت مخطئا تائها .. فهاتان العينان اللتان تدوران برأسي من أين للناس . جميعا لو تجمعت قدراتهم أن يؤتوا رأسي مثلهما ، وكل هذه الأجهزة العجيبة المتناسقة فى جسدى الترابي .. كلها تعمل فى تناسق مبدع مذهل .. من ذا ركبها ، وأجرى آلاتها ، وقدر حركاتها ، وأحكم تلاقيها وتباعدها ، وتآلفها وتنافرها ، وعملها وسكونها ؟ من غير رب تلك النجوم ؟ من غير الحي القيوم ؟ من غير بديع السموات والأرض الرحمن الرحيم ؟ .

لئن كانت آياته فى الأرض من حولي ، وفى السماء من فوقي .. وفى القريب القريب من ذاتي وعجيب تركيبي وكياني ، ولئن كان مصير هذا الكيان فى حياته ومماته ونشوره ليس ملك أحد غير الذى فطره ، ولئن كانت نتائج اضطرابه فى الأرض وسعيه وراء الرزق لا تعدو ما يريده صانعه ، ولئن كان مجيىء هذا الليل قد كان من النهار ، وعما قريب ينبعث نور النهار سويا ، ماتعا عبقريا .. فلماذا لا تولد الحياة من الموت ، أو يمطر الله تعالى مطرا يحيي موات البشر ، فاذا حياة ونشور ونفض اكفان وهجر قبور ؟ .

ووجدت التأمل قد رق فى الشعور حتى بات دعاء فى القلب يتمتم به اللسان ، ويهتز له ارتياحا ونشوة كل شيء فى جوانحي وكياني .

مناجاة

الهي ! أنا من الخلق من عيالك ، أنا من الضعف لا أبرىء من الضعف نفسي ، أنا رافقتني الشهوات

لم تنفصل عن الشهوات ذاتي ، طاردني الشيطان وهو اكبر عداتي ، ولكنني لا أملك أن أخفي عنك ، لا أستطيع أن أأتمر بارادة الخير التي أودعتها فيَّ رحمتك ، وأنا بمنأى عن بصرك ، لم أتخف بواسع الحيلة متسترا على ذنوبي الا بسابغ من سترك ، ولولا فضل رحمتك كنت أنا الضعف كله بغير قوة ، والعجز كله بغير وسيلة ، والجوع كله بغير شبع ، والعرى كل عاره فى غير كساء ، والضياع فاتك الضياع بغير يقين ... لولاك يا رب ، لولا رحمتك .

الهي لم اكن بدعائك شقيا ، لم اكن بفضل هداك اعبد المنفعة وثنا غريبا .

ولا أبيع شكرانك فى دمي ، ونعمة ايجادك لي متعبدا للخبز صنما شرقيا .

لا أطرح ثوب الستر عني ، ولا أنضو لباس التقوى فأخسر خسرانا أبديا .

الهي عشت بهداك وباذنك سوف القاك مؤمنا مسلما حنيفيا .

ابراهيم الذى نظر فى النجوم فآمن بالحي القيوم رأس دينى ، ومحمد خاتم ذلك الطريق نبيي ، فتقبلني برحمتك مرضيا رضيا .

يا الهي عطاشي تروت باللجوء اليك ، قلقي استقر بالمعاد الى رحمتك ، همي تبدد تحت شعاع اليقين بوحدانيتك ، خوفي انماث بنور الأمل فى غفرانك ، بلابل الأمل المستنير غردت فى جناني يوم داخلتني انسام الرجاء فى عفوك ! .

الهي فى رحابك بالدعاء يقين لم أجده فى الكتب ، وفى نظرة بين القرآن والسماء ساورتني سكينة مطمئنة كأنها سنة المنام تسرى فى متعب الأوصال ، كأنها عذب البشائر بمعاد الاحباب بعد تمادى غياب .

الهي لئن شاءت رحمتك لي ثباتا فلا أرجون سواك ، ولا غير ذنوبي من عداك وما عداك ، ولأسعدن برضاك ما أجمل رضاك ، ولا آبهن الا لظلم أجترحه ، فأخشى معه غضبك ، اللهم انه ان لم يكن بك علي غضب فاني كما قال رسولك الامين لا أبالي .

آه ألم يكن فى النظر الى بديع ملكوتك أول طريق ابراهيم عليه السلام .

وانه لبمثل ذلك ختم النبوات محمد عليه الصلاة والسلام .

سنوات قضاها بين الوحدة والنجوم ، يقلب فوق حراء بصر المتفكر الواجم مندهشا من روائع ما صنعت قدرتك .. وأين فى الناس مثل محمد يحيا الوحدة سنين وسنين ؟ .

اللهم قد هزتنا نكبة الأرض المباركة فى فلسطين .

فايقظ بها ضمائرنا يا رب ولا تطمس بالكارثة عليها .

اللهم هذا دين لنا ما بعده ولا مثله من دين ، وقرآننا وهبتنا ، لا ياتيه الباطل من شمال ولا من يمين ، ونبيا أرسلت لنا شرف الحياة بالخلق الكريم الأمين .

جمعت له الأمانة والألم والتواضع والتامل .

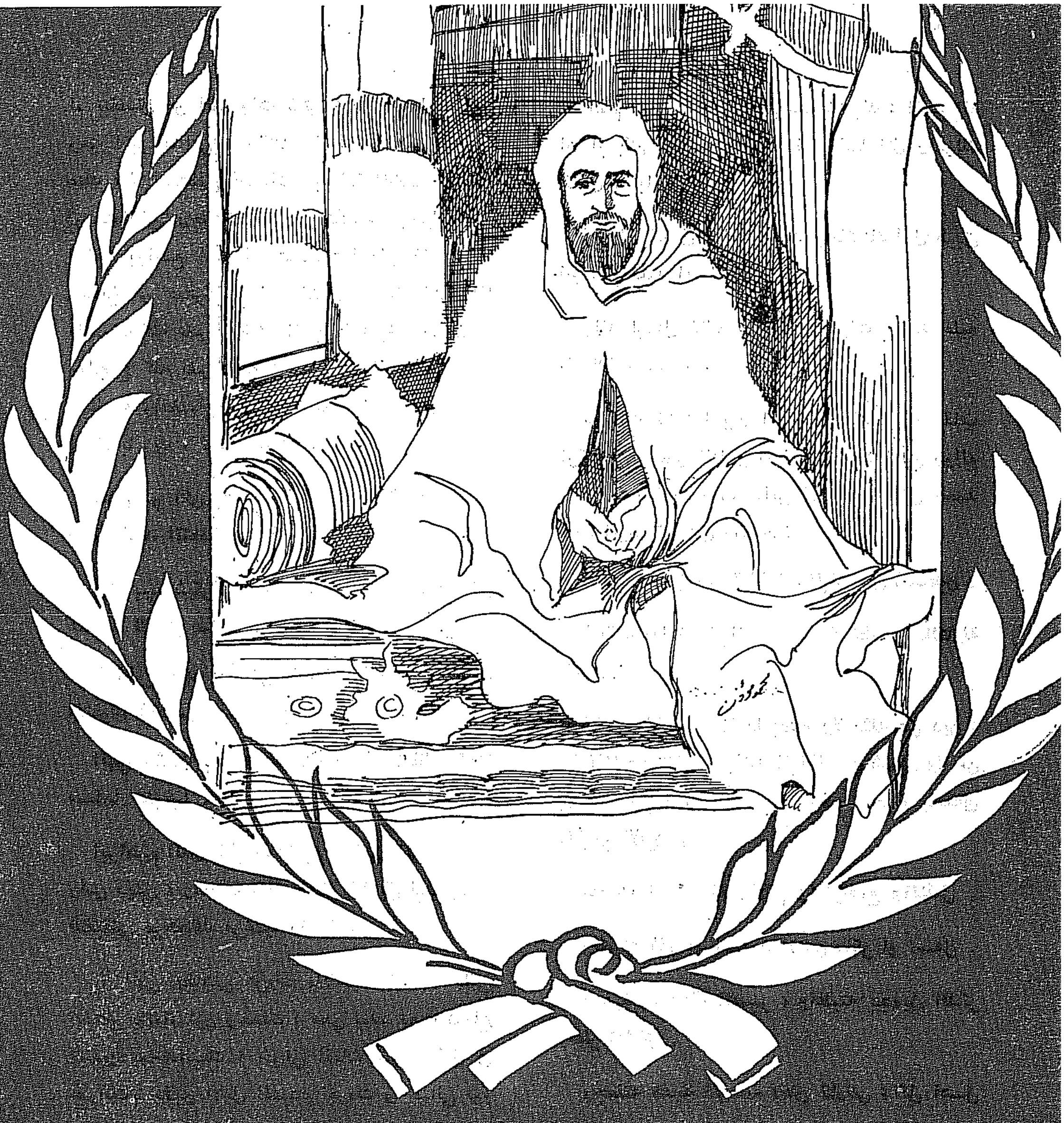
وطهرته فلم يمسسه سوء من منكر أو تسفل .

صفيته بصادق الصبر ، وأغليته بجميل الذكر وعطر الشكر .

وجعلته هدية الرحمة لأهل الأرض ، كل أهل الأرض .

فاجعل لنا من محمد عليه أزكى الصلاة والسلام قدوة السياسة فى غير غش ، والقيادة فى غير خور ، ولا بطش ، والعظمة النفسية لا يمسها كذب ولا مين ، ولا يتعلق بها زور ، ولا آثام .

الهي بهذا سكنت النفس ، وزايل الهم ، واستجاب الصبر ، وغنت الروح نشيدها فى طاعتك .. اللهم فادم لي سلم الاسلام ، وأدمه لكل مسلم .. وارحمنا كلنا برحمتك يا ولي الراحمين.



الأمير البطل عبد

القادر الجزائري

للأستاذ عبد الباقي أحمد سلامة

اذا أردنا أن نحدثك عن هذا البطل فلا بد أن نرجع للوراء قليلا لنرى كيف كانت الجزائر دولة قوية مرهوبة الجانب لها ثروتها ولها جيشها وأسطولها وهيبتها .. وان كانت تربطها بتركيا دولة الخلافة ما كان يربط البلاد العربية كلها بها .

ولا نريد أن نشغلك كثيرا بما يخرج عن موضوعنا ولنبدأ معك بالحديث عن الجزائر في عهد الداى .. حسين خوجة الذى عين دايا على الجزائر سنة ١٨١٨ م ، والذى كان من سوء حظه أن يتم احتلال فرنسا للجزائر في عهده .

وقبل أن يصطدم الداى حسين بفرنسا . حصلت أزمة بينه وبين الانجليز . فارسلوا اليه ٢٣ باخرة تطالب بالتعويض عن الاهانة التي أوقعها بالقنصل الانجليزي فرفض . فوقعت معارك بحرية بين الطرفين انتهت برجوع الانجليز منهزمين — وكان ذلك في يولية ١٨٢٤ .

قصة المروحة

كانت فرنسا واقعة في ديون كثيرة لحكومة الجزائر . وللداى حسين . ولاثنين من التجار الجزائريين (بو شناق ، بو خريص) فدفعت فرنسا بعض الديون لهذين التاجرين غير عابئة بنصيب الحكومة والداى . وهى مؤامرة دبرها التاجران مع القنصل الفرنسي (ديفال) الذى أخذ لنفسه مليونى فرنك فاتهمه الداى . وطلب من فرنسا سحبه . لكن فرنسا أرسلت لقنصلها تأمره أن يستغل فرصة لاستفزاز الداى . وافتعال حادث يكون مبررا لقطع العلاقات . والتهرب من الديون واعلان الحرب .

وجاءت هذه التعليمات الى القنصل مع عيد الفطر سنة ١٢٤٣ هـ . فذهب حسب التقاليد لتهنئة الداى بالعيد . وبعد تقديم التهانى تكلم في أمور سياسية . فسأله الداى عن الديون ، وقضية بوشناق وبوخريص ، وجواب فرنسا على ذلك ؟ فقال القنصل بقصد الاستفزاز . ان ملك فرنسا لا يتنازل لمراسلة داى الجزائر .. فصرخ فيه الداى غاضبا . وقال : اخرج يا رومى . ورماه بمروحة لم يصبه منها الا طرف ريشة فيها فانسحب مهددا بابلاغ حكومته . فأدرك الداى الفخ الذى نصبه له « ديفال » ، وحاول

الخروج منه . فدعا بعض الفرنسيين المقيمين فى الجزائر ، وأفهمهم أنه يحميهم . وليس بينه وبين فرنسا شيء . ولم يقصد اهانتها . وأن ما حدث بينه وبين القنصل يعتبر مسألة شخصية . ولكن : ما أشبه الليلة بالبارحة ولا فرق بين حكاية المكارى (١) وحكاية المروحة .

الانذار الغريب

فى ١٨٢٧/٦/١١ وجهت فرنسا الى الداى انذارا بأن يقدم اعتذاراته علانية الى القنصل العام . ويرفع العلم الفرنسي فوق مدينة الجزائر . ثم توجه اليه التحية بمئة طلقة مدفعية جزائرية . والا بدأت الحرب بعد ٢٤ ساعة . ولا تعديل فى هذه المطالب ! ! .

ولما كان هذا مستحيلا فقد رفضه الداى طبعا . فأعلنت الحرب فى ١٨٢٧/٦/١٦ وفرضت فرنسا الحصار على الشواطىء الجزائرية .

ومدينة الجزائر ذات مناعة ومقدرة دفاعية . وأهلها رجال حرب بواسل . وأسطولها البحرى قوى جبار تخشاه فرنسا وغيرها . وان كانت بعض وحداته مشغولة فى حرب اليونان تساعد الأسطول العثماني فالأمر ليس بسهل . وقد قال القنصل الفرنسي (ان الجزائر هى المدينة الوحيدة فى العالم التي تستحق أن تسحق بواسطة آلة جهنمية . لكننا لسنا متأكدين من تأثير ذلك ، لكى نقدم على هذه المحاولة . ثم قال . لا يمكن الوصول الى تحطيم مدينة الجزائر الا بواسطة جيش برى) .

فكرة الاحتلال

الواقع أنها بدأت عند الفرنسيين فى سنة ١٧٨٢ . وظلوا يدرسون الفكرة والخطة والتكاليف حتى آمنوا بالفكرة سنة ١٧٩١ وكانت الخطة تتلخص فى النزول فى المكان المسمى (سيدى فرج) على بعد ٢٥ كم من العاصمة ، والتكاليف يدفعها الجزائريون أخيرا أى أن كنوز القصبة (الحى القديم فى المدينة ذو الحصون والقلاع) كافية لتغطية المصاريف لأنها تفرغ فيها من حين لآخر مبالغ هامة ، دون ان يستخرج منها شيء .

ولكن هزيمة الأسطول الفرنسي فى موقعة (أبى قير) أجلت بعض الشيء مشروع احتلال الجزائر . وفى سنة ١٨٠٠ نجح بونابرت فى اقرار السلم بين فرنسا والجزائر مؤقتا . الى أن تجمعت لديه المعلومات والمذكرات التي جاءته من وزرائه وقناصله . فعززت عزمه على احتلال الشمال الأفريقى . وكتب الى ضباطه ليدرسوا الخطة ولا يجيبوه الا بعد شهر . فجاء الى الجزائر ضابط متنكر فى ١٨٠٨/٥/٢٤ ليدرس المواقع . فارتاب الداى فى تحركاته . وأنذره . فعاد وقد أعد تقريرا مفصلا . وبين قدرة الداى العسكرية . وأعطى معلومات عن الماء ودرجة الحرارة . وفصل الجفاف . وموجات الوباء . وخريطة مفصلة للميناء . وأشار بضرورة افتعال حرب بين تونس والجزائر ــ الخ .

ثم حصلت حكاية المروحة . والانذار . واعلان الحرب سنة ١٨٢٧ ــ ثم تأجلت الحرب الى سنة ١٨٣٠ لأسباب منها :

١ ــ الخوف من بريطانيا . لأنها هى الأخرى كانت طامعة فى الجزائر . وتخاف على مواقعها المهمة فى البحر المتوسط .

٢ ــ محاولة فرنسا الوصول الى اسهام محمد علي (حاكم مصر) فى غزو الجزائر ليحملوه بعض النفقات . ولأنه مسلم فلا يتحمس الجزائريون ضده وو .. الخ

٣ ــ الخوف من بسالة الجزائرين فى الحرب .

لكن محمد علي اشترط شروطا ، وجرت مفاوضات ، ثم توقفت بأمر القسطنطينية (استامبول) تحت تأثير الانجليز ولما اقتنع الفرنسيون بأن كنوز القصبة كافية لتغطية التكاليف اندفعوا الى احتلال الجزائر بمفردهم واتخذوا هذا القرار فى اجتماع مجلس الوزراء فى ١٨٣٠/١/٣١ .

أعدت فرنسا حملة ضخمة ٧٠٠ باخرة عليها ٣٣٠٠٠ جندى . وأعطتها أسبانيا حق مدها بالمؤن . واقامة المستشفيات بها . وأيدتها باقى

---

(١) التى افتعلها الانجليز للهجوم على الاسكندرية واحتلال مصر .

الدول الأوربية . عدا انجلترا خوفا على مالطة وجبل طارق .

ودنت البواخر الفرنسية من شاطىء (سيدى فرج) فى ١٨٣٠/٦/١٣ فقابلهم الداى . فخدعوه بالتحول شرقا ، فتحول معهم بأغلب جنده ، فعادوا سريعا وأنزلوا قواتهم بالمكان الأول بدون مقاومة تذكر . وفى ١٨٣٠/٦/٢٨ تمكنوا من انزال المدفعية الضخمة والعتاد الثقيل . ثم اتجهوا الى الحصن الكبير فى ١٨٣٠/٧/٤ وأظهرت حامية الحصن استبسالا شديدا . ولكن برغم ذلك استولى الفرنسيون على الحصن . وأصبحت مدينة الجزائر واقعة تحت تهديد مدافعهم . وأدرك الداى أنه لم يعد فى الامكان الصمود . فوجه وكيله للتفاوض ، وتم الاتفاق كالآتى :

١ ـ تسليم حصن القصبة وما يشتمل عليه من كنوز . وكل الحصون الأخرى فى منتصف يوم ٧/٥ .

٢ ـ يتعهد القائد الفرنسي بضمان حرية الداى وعدم المس بثرواته الخاصة . وهو حر فى أن ينسحب وعائلته الى المكان الذى يختاره

٣ ـ تضمن القيادة لأفراد الجيش التركى نفس الضمانات والحمايات .

٤ ـ حرية ممارسة الديانة الاسلامية . وحرية كل السكان من كل الطبقات .

وبهذا انتهت قصة الجزائر فى العهد التركى . وابتدأت فور هذه النهاية قصة أخرى . قصة طويلة كان بطلها باستمرار هو الشعب .

بعد أن استقر للفرنسيين أمر عاصمة الجزائر فكروا فى احتلال المدن الأخرى . فتارة يتجهون شرقا الى عنابة وقسطنطينة . وأخرى الى وهران ومستغانم غربا . وكان الشعب الجزائرى صلبا أمام قواتهم واستعداداتهم ، حتى ان الفرنسيين فكروا فى الانسحاب كلية من الجزائر . ولكن الخوف من العار أمام الدول الأخرى جعلهم يستمرون فى هذه المحاولات الشاقة المضنية .

وكان الشعب الجزائرى يواجه قوات الاحتلال من غير رياسة جامعة . فكل ولاية وحاكمها يتولون أمر الدفاع عن ولايتهم حتى يظهر لهم اليأس فيسلموا .

الشعب يبحث عن قائد

ثم فكر نفر منهم فى اختيار أمير تجتمع عليه كلمتهم . ويسيرون وراءه الى المعارك قوة متحدة ، فجاءوا الى الأمير محيى الدين والد الأمير عبد القادر . ورشحوه لامارة الجزائر . وألزموه القبول لنفسه أو لابنه . ولما لم يجد حيلة للاعتذار والتخلى . قبلها لابنه . وبايعه عليها سنة ١٨٣٢ . وبايعته الوفود والعلماء . وجاءه رؤساء العشائر والقبائل والولايات يعلنون الدخول فى طاعته . الا من شذ حسدا وأنفة . وكان شوكة فى ظهر الوحدة اللازمة لمواجهة العدو .

والأمير عبد القادر

هو ابن محيى الدين بن مصطفى . ويتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبى طالب ولد عام ١٨٠٧ بقرية (غتنا) بالقرب من (معسكر) التي تقع فى الطريق بين العاصمة ووهران ، وكان الناس يجلون أباه محيى الدين لتقواه وورعه ونسبه .

واجتمع للأمير عبد القادر فوق ذلك الاجلال فى الشخصية ، وحسن الدراية ، وقوة الادراك ، والذكاء والشجاعة وتحصيل العلوم وقرض الشعر .

ودخل حلبة الدفاع عن الوطن سنة ١٨٣٢ وكان عمره اذ ذاك ٢٥ سنة . وكان متمسكا بالدين الحنيف فى غير تعصب ، وجعل شعاره فى جهاده : الدفاع عن الدين . ولم يقبل لقب (السلطان) واكتفى بلقب (الأمير) وكناه أبوه بعد البيعة (ناصر الدين) .

بين الزوجة والواجب

وقبل أن يخطو الى مهمته التي تحملها رأى أن يصارح زوجته بأخطار المستقبل ويقول لها :

(ان القوم قد وضعوا فى عنقى أمانة ، وانه من الواجب علي أن أقوم بها ، وان ذلك لا يدع لي مجالا لأن أقوم بواجباتي الزوجية على أكمل حال . ولك ان أردت أن تبقى معى من دون التفات الى طلب حقوقك . وان كان قصدك الا تفرطى فيها ، فأمرك بيدك ، وذلك لأنى قد تحملت ما يشغلني عنك) فأجابت .

(بأنها تضحى بنفسها وحياتها فى سبيل قضية الوطن) فحمد الله وشكره .

وقد لقى فى أول الأمر ـ وظل يلاقى ـ عناء شديدا فى جمع كلمة المعارضين له بدافع الحسد والغيرة . والمنشقين عليه بسبب الدس وسياسة التفرق التي يبثها الاحتلال وأعوانه .

وتغلب على هذا كله . وظل يقاتل الاستعمار تارة

ومعارضيه الجزائرين تارة اخرى . واشتبك فى مناوشات مع الفرنسيين فى عدة أماكن متفرقة اقلقتهم . واضعفت مراكزهم . وهددت بقاءهم .

وفى المدة ما بين عامى ٣٤ – ١٨٣٧ أرغم فرنسا على ابرام معاهدتين معه . اعترفت فيهما ببسط نفوذ الأمير على كل الجهة الغربية من القطر الجزائرى عدا وهران ، مستغانم . فأخذ فى تنظيم الأمور فيها وأعد جيشا كبيرا قوامه ٨٠٠٠٠ جندى . واهتم بتنظيمه تنظيما يتجاوب مع روح العصر . جاعلا نصب عينيه أن الجزائر عربية مسلمة . ومن العار أن تفرط فى شيء من ذلك وتدين بالولاء لمن لا تربطها بهم صلة . وبهذه الروح العالية قاد الأمير الجزائر من نصر الى نصر من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٧ التى غلب فيها على أمره .

ويمكننا أن نقول : ان فرنسا لم تذق طعم الراحة منذ اعتدت على الجزائر . فقد ظل الأمير عبد القادر يدافع عن البلاد شبرا شبرا . وربما كان قليل العدة . نافد الزاد . فقد قطع عليه الفرنسيون خط التموين من مراكش باعلانهم الحرب عليها . وأكثروا من بث الفتن بين القبائل ورؤساء العشائر لخيانة الأمير والخروج عليه ، والقعود عن مساعدته . مما ضاعف مسئولياته . واضعف مجهوداته . وكانت تمر عليه الشهور لا يقتات بغير ثمر البلوط . وقد أصابته ثلاث هزات حربية . كل حادثة منها كانت صالحة لسقوط قوة أعظم سلطان راسخ القدم ، ومع هذا فان شيئا من ذلك لم يؤثر فى أمره ولم يفت فى عضده .

ولم يكن مدافعا فقط . بل كان مهاجما أكثر الأحيان . فمثلا . مدينة (تلمسان) بعد أن استولى عليها الفرنسيون بصعوبة ، وبعد مقاومة أهلها وحاميتها . لحق بها الأمير عبد القادر وحاصرها تسعة أشهر . وضيق على الجيش الفرنسي فيها كل التضييق ، حتى ان قائد الحامية وهو محصور فى القلعة كان يشترى الهر الواحد بأربعين فرنكا لقوته . أما غيره فلم يكن يجد فأرا يقيم به أوده . وختم الأمير فى مدة هذا الحصار قراءة صحيح البخارى أربع مرات . وكان الأمير سريع الحركة والانتقال حتى أنه فى اليوم الواحد كان يظهر فى غدوته فى مكان ، وفى عشيته يظهر فى آخر بعيد المسافة .

وفى سنة ١٨٤٧ أتم الله عليه انتصارات عديدة متوالية ووقعة (الغزوات) وهى ميناء فى الغرب عند الحدود كانت له نصرا مبينا ، غير أن رصاصة أصابته فى طرف أذنه ولم يصبه فى حروبه كلها أى جرح أو اصابة غيرها . ولما أحس بها نزل ، وصلى ركعتين شكرا لله تعالى على ما لحقه فى سبيل الله ، وكان البعض يظن أنه يدخل المعارك حاملا أحجبة تحفظه . لكنه كان يحيط نفسه (كما يقول) بالتعاويذ الواردة فى السنة (فالله خير حافظا) .

وكان مما قاله يفتخر بجيشه .

لنا فى كل مكرمة مجال ... ومن فوق السماك لنا رجال
ركبنا للمكارم كل هول ... وخضنا أبحرا ولها زجال
اذا عنها توانى الغير عجزا ... فنحن الراحلون لها عجال
سلوا عنا الفرانس تخبرنكم ... ويصدق اذ حكت منها المقال
فكم لى فيهمو من يوم حرب ... به افتخر الزمان ولا يزال

ولما جن جنون الفرنسيين وقد فشلوا فى استمالته بكل العروض . وفى تهديده . وفى حربه ووجدوا أن السهل أصبح صعبا . وأن عبد القادر يزداد كل يوم قوة . وكلما كبا مرة أو انهزم عاد منتصبا . وثار منتقما واسترد ما سلبوه ، واستعاد ما غلبوه . حينذاك لجأوا الى الحرب الانتحارية . فقذفوا بأعداد غير معدودة من الجند والسلاح ، وشغلوا الأمير وأعيوه من كثرة التحركات والخيانات ، وقطع المعونات والمساعدات الخارجية وكل تموين داخلى . وأحرقوا الغابات ، ودخلوا القرى وذبحوا كل أهلها ، وأشعلوا فيها النيران لتحرق حيواناتها . وتقضى على الأخضر واليابس فيها مما دفع أهالى القرى – خوفا على انفسهم – الى مبايعة الفرنسيين .

استسلام

وهنا اشفق الأمير على البقية من أهل العزم من جنده واتباعه وأهل بلده ، فجنح الى السلم ، واستسلم للقضاء والقدر . وبكى وهو يردد : حنانك يا رب أمنن على عبادك بالصبر ، وارزق الجزائر رجالا يمكنهم أن يثأروا لي ولها ، وأن ينتقموا من الذين شوهوا الحقائق ، ونالوا النصر بفضل الدسائس والمؤامرات ، وان فرنسا ستدفع ثمن طيشها .

ووقع اتفاقية التسليم على أن يذهب الى المشرق مهاجرا . ومعه من شاء من الأهل والقواد ، وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة . ثم عاش بعد ذلك ٣٦ سنة .

وقد قال وهو يستشير خاصته وذويه في أمر التسليم :

لا أرى الا التسليم لقضاء الله تعالى والرضا به ، ولقد اجهدت نفسي في الذب عن الدين والبلاد . وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر والباد . وذلك من حين اهتز غصن شبابي . وافتر عن شباة الهندى نابي . وأقمت على ذلك أقتحم المهالك ، واملأ بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك ، استحقر العدو على كثرته ، وأستسهل استصعابه ، وأتوغل غير خائف أوديته وشعابه ، وأرتب له في طريقه الرصائد ، وأنصب له فيها المكائد والمصائد . تارة أنقض عليه انقضاض الجارح ،وأخرى أنصب اليه انصباب الطير الى المسارح ، وكثيرا ما كنت ابيته فافنيه ، وأصبحه فأبرد غليلي منه واشفيه ، ولا زلت في أيامي كلها أرى المنية ولا الدنية ، واشمر عن أقوى ساعد وبنان ، وأقضي حق الجهاد بالمهند والسنان ، الى أن فقدت المعاضد والمساعد ، وفني الطارف من أموالي والتالد ، ودبت الى من بني ديني الأفاعي ، واستملت على منهم المساعي ، والآن بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين فسبحان من لا يكيده كائد ولا يبيد ملكه ، وكل شيء بائد

ان يسلب القوم العدا ... ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه ... لم تسلم القلب الضلوع
أجلي تاخر لم يكن ... بهواه ذلي والخضوع
ما سرت قط الى القتا ... ل وكان من أملي الرجوع
شيم الألى أنا منهمو ... والأصل تتبعه الفروع

فهذه ١٦ عاما جاهد فيها الشعب جهادا مريرا بقيادة اميره عبد القادر ، ثم من بعده ظل على عهده شبابه المتفجر ثورة ووطنية ، وعلماؤه القابضون على دينهم ولغتهم فلم يسلموها للاعداء ، حتى نوفمبر ١٩٥٤ حيث اندلعت الثورة الكبرى التي أتاحت للشعب الجزائري أن يثأر لبطله ، وينال الاعجاب والاكبار لتصميمه على دفع ضريبة الدم بسخاء .

يوم الرحيل

لما شاع تسليم الامير عند أهل الجزائر عظم الخطب عليهم ، وكثر النواح ، واشتعلت المنادب في المدن والقرى ، وسار من جامع الغزوات الى المرسى ، والناس على اليمين والشمال يبكون وينتحبون . حتى ركب البارجة المعدة له ولمن معه وتوجه نحو فرنسا .

وفي ١٨٤٨/١/١ رست البارجة في ميناء « طولون » على انها ستقلع به ، وتواصل رحلتها الى الشرق حسب الاتفاق ولكنه فوجيء بحاكم طولون واخبره أنه مأمور بانزاله في برج « لاملاك » فحينئذ أحس الأمير بالخديعة ، ولم يسعه الا النزول ، وبعد أيام بلغه أن قضيته رفعت الى مجلس الامة فحصل بين رجاله اختلاف وقال البعض ان الامير خرج عن الطرق المرعية في الحرب بقتله الاسرى صبرا . فلا عهد له عندنا ، ولكن المجلس رفض هذا الرأى ، ثم عاد المجلس للانعقاد في ١٨٤٨/٢/٦ وتكلم وزير الخارجية وقال . فرضنا أننا لا نتمكن من ارسال الأمير الى عكا ، لأن الدولة العثمانية لا تعترف باستيلائنا على الجزائر . فاننا نتمكن من ارساله الى الاسكندرية . فقال رئيس الوزراء ان المخابرة جارية بيننا وبين محمد علي . وقد طلبنا منه الكفالات اللازمة لذلك . ولما اتصلت هذه الاخبار بالأمير سكن روعه . وهدأ فكره . أما جواب محمد علي فكان بعدم القبول .

سوء معاملته

ثم حدث أن دالت الملكية في فرنسا وانتصر حزب الجمهوريين ، وحدث للأمير عبد القادر من

سوء معاملة الحكومة له ما أثار حزنه وهيج كربه، لأن الجمهوريين خافوا أن ينصب الملكيون به لهم مكيدة ، فيحملوه الى الجزائر ، وبذلك يمسون فى ارتباك عظيم ، فنقلوه فى وحشية وقسوة الى قلعة طولون ، ثم قبضوا على اخوته فى الجزائر وألحقوهم به فى سجنه ، حتى لا يخرج منه ويعود اليهم ، فيكونوا له أعوانا . وأشيع أن الانجليز ربما يحاولون مساعدته على الهروب. فشددوا عليه الرقابة والأذى ، ونقلوه الى (بو) مدينة مما يلى أسبانيا (فى ابريل) سنة ٤٨ ثم نقلوه الى (امبواز) التابعة لمقاطعة اورليان على المحيط (فى أكتوبر) وبقى بها أربع سنوات لا يروع وان لم يكن آمنا ، ولم يتجدد له كرب ، وان كان فى باطنه كامنا ، (وكان الناس يتقاطرون عليه من جميع أنحاء فرنسا وغيرها لمشاهدة حاله فى أسره ، فكانوا يعجبون من سمو همته ، وبعده عن اظهار الضجر ، وتسليمه لتصاريف القضاء والقدر ، ولا شك أن من كان مثله فى القوة الفاضلة لا يبالى بالشدائد النازلة ...) وقد قيل له فى ذلك ، فقال .

تعودت مس الضر حتى الفتـــه
وأســلمنى طـول البلاء الى الصبر

قال الجنرال « لامورسير » الذى وقع معاهدة التسليم مع الأمير عبد القادر ، حينما لاموه وبكتوه فى مجلس النواب فى قبوله التسليم متعللين بأنه كان بالامكان جعله أسير حرب . قال الجنرال « ان هذا اللوم الشديد قد وقع على بجنوحى للسلم فى موضع يجب فيه الحرب بزعمكم . وأنا متحقق أنى لو ركبت الخطر بالزحف على عبد القادر ، ما رجعت الا بخيمته وسجادته ، وانه ليذهب الى الصحراء بحيث لا يمكننى أن أصل اليه ، وهذا آكد عندى من أن يقع فى يدى ، لأن عبد القادر ذو قوة وصلابة فى دينه ، مشتهر بالأمانة والصدق فى وطنه ، شديد التمسك بمبادئه » .

أختار الحرية والفقر

وفى هذه المدة ، هددوه وخيروه : اما أن يبقى سنين عديدة لا يتيسر له التوجه الى المواضع التى طلبها ، واما أن يوطن نفسه على جعل فرنسا وطنا له ، فيعطوه أملاكا جيدة فى أرضها ، ليعيش كواحد من كبرائها مع المداومة على وظائفه الدينية . ويربى أولاده أحسن تربية . فأجاب الأمير : لو جمعت فرنسا كل أموالها ، ثم خيرتنى بين أخذها وأكون عبدا ، وبين أن أكون حرا فقيرا معدما لاخترت أن أكون حرا فقيرا ، فلا تراجعونى بمثل ذلك الخطاب ، فانه ليس عندى بعد هذا الخطاب جواب .

وجاء لمؤانسته من الجزائر - بموافقة الحكومة - العلامة الشيخ محمد الشاذلى قطب العارفين فتلقاه الأمير بقصيدة منها .

أهلا وسهلا بالحبيب القادم
هذا النهار لدى خير مواسم
أفديك بالنفس النفيسة زائرا
من غير ما من ولست بنادم
طالت مساءلتى الركاب تشوقا
لجمال رؤية وجهك المتعاظم
كانت على سمعى تغار نواظرى
حتى رأتك وأنت أنت مكالمى

فأجابه الشيخ الشاذلى :

سلام عليكم طال شوقى اليكم
وقلبى سواكم فى البرية ما أحب
وكان مرادى أن ألا قيكم على
بساط عزيز الملك والحرب فى نشب
وما كان فى ظنى أرى سيدى كما
رأيت . ألا لله ما تصنع النوب
فصبرا لحكم الله راج ثوابه
فان ثواب الله يأتى على التعب

نهاية سجنه

كان الامير نابليون الثالث يعطف على الامير عبد القادر ، ويرى الوفاء له بوعده ، ولكن الاحزاب كانت تخالفه وتغلبه على رأيه فلما تمكن من زمام الحكم سنة ١٨٥٢ بدأ باعادة اتباع الامير وأقاربه الى الجزائر كجس نبض للمقاومة

الفرنسية الشعبية ، وكما قال هو فى كتابه الى الامير عبد القادر فى ذلك :

ان من وقع فى وحل يتعين عليه فى خلاصه منه أن يرفع رجلا بعد أخرى .

وعندما سنحت الفرصة للبرنس نابليون فى انجاز وعده خرج يتفقد الولايات ، ومر على (امبواز) فى ١٨٥٢/١٠/١٦ — وهناك توجه الى قصر الامير عبد القادر ، فنزل الامير واستقبله عند الباب ، ودخلا يدا فى يد ، وساله عن حاله وأثنى عليه ، وذكر شجاعته التى رآها وسمعها ، وانه كان ينوى مساعدته عندما يقدر ، ولما تمكن من ذلك جاء اليه ، ثم قدم كتابا باطلاق سراحه ، جاء فيه :

(عبد القادر . اننى أتيت لاعلن لك حريتك ، وأنك ستحمل بمن معك الى عاصمة سلطان تركيا ، وذلك بعد الفراغ من الترتيبات المقتضية لسفرك ، وستعين لك الحكومة الفرنساوية مرتبا يليق بمقامك واعلم ان سجنك قد كدرنى كدرا حقيقيا .. واذا كنت عدوا لفرنسا فلا يمنعنى ذلك من أن اشكر اخلاقك الحميدة ، وشجاعتك وصبرك على الشدائد ، ولذلك أفتخر باطلاقك) .. ثم هيئت مائدة الفداء ، وكان الاكل جزائريا ، وبعده قدم الامير والدته للبرنس ، فقبل يدها طالبا دعاءها ، ثم توادعا عند الباب .

فى باريس

بعد تسعة أيام انتقل الامير الى باريس فى احتفال عظيم هرع اليه الناس من كل فج . واقيمت له عدة احتفالات وقام ببعض الزيارات ثم عاد الى (امبواز) ليستعد للسفر ، وقدم له البرنس سيفا هدية قائلا :

احببت ان تخرج من بلادنا بسيف عوضا عن سيفك الذى سلمته ، وأنا على يقين بأنك لا تجرده على فرنسا . **فقال الامير له : انى الآن ممن يستعمل القلم لا ممن يستعمل السيف .**

وقبل أن يبارح (امبواز) اشترك مع أهلها فى الانتخاب وكتب هو ومن معه انتخابهم للبرنس نابليون الثالث ، وتم الفوز بالامبراطورية له فتوجه الامير عبد القادر الى باريس لتهنئة الامبراطور ، فاكرم وفادته ، وقدمه لمجلس الوزراء ورجال الدولة ، وصافحه قائلا : أرأيت أيها الامير كيف كان صوتك ميمونا على ؟ فاجابه : ان صوتى قد أعرب عما فى ضميرى ، وانى أحمد الله الذى عجل لك بالجزاء عنى بما تريد قبل خروجى من فرنسا . فسر الامبراطور بذلك .

الى اسلامبول

وفى آخر سنة ١٨٥٢ تحركت به سفينة خاصة تسير بأمره ،ومعه ما شاء ومن شاء ، من مرسيليا قاصدة اسلامبول حيث اعد له منزل يليق به فى (بروسة) . وأثناء مروره بجزيرة صقلية تلقاه حاكمها بكل اجلال واحترام ، وجال خلال الجزيرة، ثم وصل الى الآستانة فى ١٨٥٣/١/٨ . وبدا بزيارة قبر أبى أيوب الانصارى ثم جامع أياصوفيا وزار الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا . وفى اليوم الثالث دعى الى حضرة السلطان الغازى عبد المجيد خان . فرحب به وشكره على ما كابد من الدفاع عن الدين والوطن ، وحمده على صبره على ما قاساه فى فرنسا . ومما قاله الامير للسلطان حينذاك :

وأشكر الله اذ لم ينصرم أجلى
حتى وصلت بأهل الدين ايصالا

وامتد عمرى الى أن نلت من سندى
خليفة الله أفياء وأظلالا

فالله اكرمنى حقا وأسعدنى
وحط عنى أوزارا وأثقالا

قد طال ما طمحت نفسى وما ظفرت
لكن للوصل أوقاتا وآجالا

وبعد عشرة ايام وصل الى (بروسة) وظل بها يصلى الخمس فى الجامع ويقرا الفية ابن مالك بشروحها ، والسنوسية بشرح المصنف والايساغوجي وو .. وقدم عليه أحباؤه من مصر والجزائر وغيرها .

انتقاله الى دمشق

فى فبراير ١٨٥٦ أى بعد ثلاث سنوات قضاها فى (بروسة) خرج بمن معه وكانوا حوالى ٢٠٠ نفس ، فركب بهم باخرة فرنسية الى بيروت ، فهرعت أهاليها لاستقباله ، واحتفل واليها به احتفالا عظيما . وطار خبره فى سوريا فاجتمع

الامراء لملاقاته ، ورتبوا جموعهم على الطريق ، ولما قرب اقبلوا عليه يهرولون ، وأكبوا على يديه . وسار فى طريقه الى دمشق فخرج واليها محمود نديم باشا وعلماؤها وأعيانها الى قرية (دمر) واستقبله هناك الجميع بالاجلال والاحترام ، وسار الامير فى موكب عظيم بين تلك الجموع الى أن نزل عند ضريح العارف بالله (محيى الدين ابن العربى) - وألقى فى دمشق عصا الترحال .

وزار بيت المقدس سنة ١٨٥٧ . ثم زار قبر خالدبن الوليد وعمر بن عبد العزيز فى حمص وحماة ، وكان مشغولا بخدمة أمه بنفسه ، فلما ماتت رحمها الله راضية عنه داعية له سنة ١٨٦٣ قصد الحج .

فى مصر

فركب البحر من بيروت الى الاسكندرية . فاستقبله أعيان الحكومة وقناصل الدول وتوجه الى القاهرة لزيارة الحسين والامام الشافعى .

وأنزله الخديوى سعيد باشا عنده وأجل ضيافته ودعاه (رئيس شركة قناة السويس فرد يناند ديليسبس) وأمعن فى اكرامه واحترامه ، ومن السويس استقل الباخرة الى جدة .

فى مكة

كتب له شريف مكة السيد عبد الله باشا بانه مستعد لاستقباله رسميا خارج مكة فأجابه الامير عبد القادر . انه لا يقبل ذلك ، انما يريد أن يدخل مكة دخول عبد منكسر الى بيت مولاه .. وهناك أرسل الى مصر سؤالا فقهيا عميقا خاصا بالشاذروان والحجر واختلاف العلماء وسببه هل هما من البيت أم لا .. الخ . وأجابه الشيخ العدوى على سؤاله بما زاد وفاض وملأ عشرات الصفحات .

فى المدينة

وفى رجب من العام التالى ذهب الى المدينة المنورة ، واحتفل به حاكم المدينة ، وضرب له خيمة الى جانب خيمته ، ثم عاد منها الى مكة حاجا مرة أخرى ثم الى السويس وبالغ الخديوى اسماعيل فى ضيافته ، وجال خلال الديار المصرية ، ثم من الاسكندرية توجه الى بيروت فدمشق سنة ١٨٦٥ - ثم زار الآستانة ثم باريس، ولم ينس زيارة (امبواز) أيضا . وزاد له الامبراطور فى مرتباته السنوية ، ثم عاد الى دمشق .

فى افتتاح القناة

وفى سنة ١٨٦٩ دعى الأمير عبد القادر لحضور حفل افتتاح قناة السويس فاجتمع هناك بامبراطورة فرنسا فأعظمت لقاءه . وكان مجلسه تحت المظلة بين أمبراطورة فرنسا وامبراطور النمسا وابنى أمبراطور ألمانيا وملك ايطاليا .

وفى سنة ١٨٨٠ أشيعت كذبا وفاة الأمير ، فانهالت فيه قصائد الرثاء تترى،ثم ظهر كذب هذه الاشاعة فجاءته القصائد العصماء من غير ماخذ تهنىء . ولما اتصل الخبر بالأمير سر له وقال : ان الموت لا بد منه عند نهاية الاجل . والحمد لله الذى أرانى وأسمعنى ما يقال فى من الخير بعدى . وهذا نادر الوقوع .

مرضه وموته

لم يمرض الا ٢٥ يوما انتقل بعدها الى مولاه فى ٢٤ أيار سنة ١٨٨٣ . ودفن عند الشيخ محيى الدين بن العربى داخل القبة « والأحشاء محترقة . والأجفان بماء عيونها غرقة . والمكارم تبدى شجوها لفقده ، والمحاسن تعثر فى أسمال حدادها من بعده . وفنون العلم تلطم خدودها ، وأفانين المعارف تشق برودها » .

وفاء واعتراف

ثم شاء وفاء ابناء الجزائر الحرة الجديدة لبطلهم الخالد - الذى يسمى بلده وتسمى به فهى بلاد عبد القادر . وهو عبد القادر الجزائري - أن يعيدوا رفاته الى الأرض التى جاهد فيها . وأخرج منها . وحرم البقاء فيها حيا . نعم ليعد . وليأخذ مكانه فى (العالية) بين الشهداء من حرب التحرير .

واحتفلت الجزائر حكومة وشعبا فى عيدها الأكبر الوطنى ١٩٦٦/٧/٥ بايداع هذا الجثمان الطاهر مقره الأخير فى سجل الخالدين .

وترتب على ذلك عزمه عليه الصلاة والسلام على فتح مكة . هذا الى أن الاسلام لم يقر مشركى العرب على دينهم ، كما فعل مع النصارى واليهود لأن الشرك الذى كانت عليه العرب لم يكن دينا مطلقا بل عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، ولأنه لا يمكن أن يستقر حال الاسلام بالجزيرة العربية وفيها مشرك واحد لأنه يثير القلاقل والفتن ، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن مشركى العرب . (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) .

٤ ـ أوجب الاسلام الجهاد على جميع المسلمين اذا اجتيحت بلادهم وغزيت من عدو خارجي حاول الاستيلاء على جزء من أرض المسلمين ، ومثال ذلك فى عصرنا . ما حدث فى فلسطين من احتلال العصابات اليهودية لجزء منها ، فهذا يوجب على المسلمين النفير العام دفاعا عن هذا الجزء المحتل ، ودفعا للعار الذى لحق بالاسلام وأهله من جراء الاعتداء الأثيم فالاسلام لا يعفى أحدا من المسلمين من تحمل المسئولية كاملة غير منقوصة .

وهكذا

لو تتبعنا الحروب والغزوات التي حدثت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهود خلفائه الراشدين لما وجدناها تخرج عن واحد مما أشير اليه سابقا ، فأبو بكر رضي الله عنه يؤمن الدعوة ويدافع عنها ويرد الاعتداء على حملتها بتسيير جيش أسامة الذى أعده رسول الله قبيل وفاته لغزو بلاد الروم ، وكذلك فعل حينما بعث جند الاسلام يقضون على الفتن الداخلية التي أثارها رجال بالجزيرة العربية هم مانعو الزكاة ، وحروب الردة أيضا التي أبلى فيها خالد ابن الوليد رضي الله عنه بلاء حسنا أعاد الى الاسلام هيبته وقوته ، ومكنت له فى وطنه الأصلى بالجزيرة كلها ، وفى عهد عمر رضي الله عنه فتحت الشام ومصر وبلاد فارس ، واذا عرفنا أن كل هذه البلاد كانت تهدد الدعوة ويعمل حكامها حينذاك على الكيد للاسلام وأهله ، ويحاولون القضاء على هذا النور الذى عم الجزيرة وأيقظ العرب ، يطالبون بمكانتهم اللائقة بهم على وجه الأرض ، أيقنا أنه لم يكن هناك بد من اعلان الحرب عليهم .

والخلاصة

أن العلاقات بين الدول فى نظر الاسلام يجب أن تقوم على السلام والكرامة الانسانية والوفاء بالعهود وتبادل المصالح فى شتى صورها ، أما اذا ديست العهود ونقضت ، وأهدرت الحقوق وامتهنت ، وعوديت دعوة الاسلام وحوربت ، وتعطلت مصالح المسلمين أو اغتصبت أرضهم واحتلت فهنا القتال ولا مفر منه . يقول الله تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (١) صدق الله العظيم ، ولعل فيما مضى برهانا على أن الاسلام لم ينشر دعوته بالسيف ، وانما نشرها وينشرها فى كل زمان ومكان بالحكمة والموعظة الحسنة . والله لا يحب المعتدين ، والسلام على من اتبع الهدى .

---

(١) الآيتان ٦١ ، ٦٢ من سورة الأنفال .

صيام رمضان بين

« كنت احد المحاضرين فى موضوع القرحة الهضمية فى المؤتمر العالمي لأمراض جهاز الهضم الذىانعقد فى طوكيو فى أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٦ ،وكنت قد تعرضت الى أشياء عديدة ، منها الدور المحدود للصوم فى تطور مرض القرحة ولم يتكلم أحد حول دور الصوم فى حدوث مرض القرحة لأن القول بهذا غير صحيح طبيا وعلميا فالصوم لا يسبب القرحة ، وليس له علاقة مباشرة فى انطلاقها انما القرحة ــ الموجودة قبل الصوم ــ تتفاقم أو تنتكس نتيجة الصوم ، ولهذا فان العلاقة بين انطلاق القرحة وصيام رمضان علاقة نسبية محدودة ، تختلف من شخص الى آخر ، ومن مريض الى مريض ، وفى البلاد الغير اسلامية التى لا تعرف صيام رمضان ، نرى وفرة هذه العلة الهضمية . وهذا ما يثبت انه لا يوجد علاقة مباشرة للصوم فى حدوثالقرحة » .

أهمية الصوم فى صحة الانسان

من المؤكد أن للصوم تأثيرا خاصا فى صحة الانسان وخاصة فى جهازه الهضمى وان هذا الأثر ينعكس فى الاعضاء الهضمية التى تتحمل أكثر العناء فى ساعات الصوم وفى لحظات الافطار .

وما الضجة التى أثيرت حول أثر الصوم فى جسم الانسان سوى احدى الخطوط التائهمة فى خضم الاهمية الطبية الحقيقية للصوم ، ويزيد هذه الضجة صخبا أن نظن أن فائدة الصوم تعم كافة المرضى اذا ما صاموا ، وتزداد هذه الضجة اضطرابا اذا ما سمعنا الذى يجعل الصوم أذى مؤكدا لكل مريض .. وليس من شك أبدا أن للصوم فوائد جمة لدى بعض المرضى ، وانه شديد الأذى لدى البعض الآخر ، ولهذا وجب التأكيد على ضرورة تصنيف المرضى ، واعطاء التوصية الطبية الصحيحة الامينة .

« صوموا تصحوا »

وفى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (صوموا تصحوا) اتجاه حق يعود حتما الى الشكل الطبى الخاص الذى يقدمه الصوم معدلا الآلية الغريزية لجسم الانسان .

فالصحة التى تأتى عن طريق الصوم تعود الى أن جهاز الهضم معرض لنوع من التعب الخاص

الصحة والمرض

للدكتور منذر الدقاق
رئيس شعبة الامراض الداخلية في مستشفى دمشق

في بلاد الشرق خاصة حيث يختص الطعام الشرقي بصعوبة الهضم لثقله ، وكثرة الدسم فيه ، وتعقد اصول طبخه وتعدد اجزائه المخلوطة ، ونقل هذا الطعام يحمل الى جهاز الهضم تعبا شديدا خلال فترة مديدة من السنة حتى يأتي شهر رمضان فيقدم فترة راحة ضرورية لجهاز متعب .

والهضم الصحيح يأتي عن طريق الترتيب الصحيح لأوقات الطعام ، والشخص الذي اعتاد الفوضى في تناول طعامه خلال أيام السنة ، يجد نفسه مضطرا لتنظيم أوقات طعامه خلال شهر كامل ، وهو ما يسمح لجهاز الهضم أن يصلح الكثير من اضطراباته التي تراكمت طوال العام .

ومن السهل على الهضم أن يتعود على ترتيب وقتي جديد ... واذا كانت الايام الاولى من رمضان صعبة شاقة لدى الكثيرين ، فلأن تطبيع جهاز الهضم على شكل زمني جديد يفرض هذه الصعوبة المؤقتة .. وقد اعتادت عضلات المعدة على التقلص اثر الجوع في أوقات الطعام العادية .. حتى اذا ما اتى الصوم ، تقلصت في الايام الاولى من رمضان ، دون ان يلبيها الصائم ، ثم ما تلبث أن تعتاد على التقلص في ساعات الافطار وتترك عادتها الاولى .. لتأخذ عادة ثانية تحمل اليها الراحة المطلقة خلال ساعات طوال قد لا تقل احيانا عن الاثنتي عشرة ساعة .

الا أن لهذه الراحة المقصودة المفيدة ، محذورا كبيرا يتمثل في اثقال المعدة دفعة واحدة وقت الافطار ، مما يسبب تخمة ضارة ، قد تذهب بالفائدة الطبية للصوم ، ولذلك كان الاعتدال في طعام الافطار ضرورة طبية تلازم الصوم نفسه اذا تم .

فائدة الصوم

ولا يحق لنا ان نوزع الصحة على كل الصائمين من مرضى وسالمين .. واذا كان الصوم يقدم الراحة الصحية لكثير من المرضى ، الا انه قد يبعث من جديد او انه قد تزيد في شكوى مرضية لدى من لا تحتمل علته الصيام ، ولهذا وجب التفريق بين نوع من المرضى يرتاح بالصيام ، ونوع آخر يتأذى وقد يتأذى كثيرا من الصيام .

دور الصوم في شفاء بعض الامراض

تبدو فائدة الصوم من الناحية الطبية لدى المصابين بالالتهابات الهضمية الزمنة ، وفي طليعتهم المصاب بالالتهاب المعدى الزمن ، فهو أول من يستفيد من هذا المرض الدنيئ اذ أن الطعام يؤذي — الالتهاب ويزيده في شتى الحالات . والصوم يحمل الى هذه الشكوى راحة ثابتة تمتد طول الشهر ، وتكون ذات اثر كبير في شفاء الالتهاب .

كما أن التهاب الامعاء الزمن والتهاب الكولون الزمن يستفيدان من الصوم كثيرا .. وابعاد الغشاء المخاطي للامعاء عن تماس الطعام مدة طويلة يرمم الخلايا الملتهبة ، ويقلل من افرازاتها المرضية الكثيرة ، ويخفف سوائلها المخاطية ، ويقدم

صيام رمضان بين الصحة والمرض

معونة أساسية فى شفاء هذه الاصابات المعوية المزمنة .

اما أثر الصوم لدى مرضى الكبد ، فيختلف باختلاف نوعية وجبات الافطار ، فالمصاب بقصور كبدى يستفيد من الصوم ، اذا ما كانت وجبة الافطار معتدلة خالية من الثقل المعهود والطعام الدسم المعقد ، اما اذا افرط فى افطاره ، فان الصوم لا يحمل لمرضه أى نفع طبى .

كما أن للصوم أثرا متباينا لدى المصابين بحصيات مرارية فمنهم من يتأثر بالصوم ويستفحل مرضه فتتكرر نوباته ، ومنهم من تهدأ آلامه بالصوم .. وهذه أغلب من الاولى فيما لو تابع الصائم الحمية الغذائية التى اعتاد عليها قبل الصوم .

وفى بعض حالات التحسس ، يستفيد المريض من الصيام ويساعد تقنين الاغذية على ذهاب الكثير من أعراض التحسس ، اذ أن اراحة الجهاز الهضمى أمر اساسى للخلاص من بعض حالات « الشرى » والحكة التى تنتج عن بعض الاغذية .

ولا شك أن الصوم يفيد المصابين بالسمنة ، لأن الغذاء يأتي فى مقدمة اسباب السمنة ، ولا بد لحمية الصوم من أن تخفف شيئا من وزن الشخص البدين الذى يشكو السمنة .

« ليس على المريض حرج .. »

« ليس على المريض حرج .. » بهذا القول الكريم ، قدم الدين الاسلامى الحنيف للمريض الغير القادر على الصيام التسامح الانسانى الذى تتطلبه شكواه المرضية .

والصيام مؤذ لكثير من المرضى .. فهو شدد الاذى فى أمراض السل ، يعجل بالنهاية فى كثير من أمراض السرطان ، ويقدم احيانا بعض الاختلاطات فى مرض السكرى ، ويؤثر غالبا فى حالات الاحتشاء القلبى ، وهو خطر فى حالات التهابات الكبد، وعلى الاخص اليرقانات الالتهابية، اذ أن الصوم يساعد على اذابة مدخرات الكبد من عناصر سكرية وشحمية ، وهذه المدخرات تساعد كثيرا على ترميم الخلية الكبدية الملتهبة ، ولذا كانت المعالجة بالغذاء الكامل الصحيح هو خير ما يستفيد منه الكبد المريض ، وهو ما ليس متوفرا من خلال صيام شهر كامل .

وفى شتى الامراض الانتانية ومنها الامراض الرثوية الحادة ، يحتاج المريض المصاب الى تغذية خفيفة منظمة متقطعة .. وهذا ما لا يتوفر فى الصيام ، ولذا وجب فى هذا الحال الافطار ، لان الصوم يزيد فى سوء الحالة العامة للمريض .

كما يضر الصيامالاشخاص الناقهين منالعمليات الجراحية الحديثة ، ولا سيما من أجرى تداخلا على أحد أقسام جهازه الهضمى كالمعدة والمرارة والامعاء . وهؤلاء المرضى لا يستطيعون الصوم قبل مضى مدة طويلةعلىاجراءالمداخلات الجراحية حتى يتاح لعضويتهم التعويض والترتيب الوظيفى للاضطراب الفريزى الذى لا بد وأن تتركه المداخلة الجراحية .

مدى علاقة الصوم بالقرحة الهضمية

واذا كان الصوم يفيد فى حالات الالتهابالمعدى، فانه يزيد فى آلام المصابين بالقرحة المعدية أو الاثنى عشرية ، فيثيرها اذا كانت هاجعة ، اذ أن بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة ساعات طويلة ، يجعل الافراز المعدى الحامض يتراكم فى جوف المعدة الفارغة ، والافراز الحامض يحتاج الى معدل يبدد فعله وأذاه . وقد اعتاد المريض أن يستخدم الاطعمة فى فترات متعددة من اليوم ، لتعديل الحموضة الزائدة لمعدته .. واذا ما تابع الافراز الحامض فى معدة فارغة .. ازدادت آلام البطن ، واشتدت وعادت نوبة القرحة الهضمية الى أخذ شكلها الطبى المعروف .. وقد تتطور الاعراض الى حد انثقاب القرحة فى المعدة أو فى الاثنى عشر وقد نصادف تردد النزف ..

ويغلب أن نلاحظ نكس القرحة أو انثقابها أو

---

(١) يراجع رأى الدكتور يس عبد الغفار المنشورفى هذا العدد . وكذلك مقال الدكتور أحمد الشطى .

نزفها فى القسم الثانى والاخير من شهر رمضان حيث تزداد اختلاطات القرحة الخطرة أحيانا نتيجة ازدياد الافراز المعدى الحامض الذى ياكل المعدة ويثقبها وقد اعتاد فى الاصل أن يعدل الحموضة بالطعام غالبا وبالدواء أحيانا .

لذلك ، كان الصوم فى حالات القرحة الهضمية مع فرط الحموضة ، تدبيرا علاجيا خطرا جدا ،لانه يعرض القرحة للانثقاب ، وبالتالى لالتهاب الباريطوان ، وهى حالة جراحية خطرة جدا ، ان لم تلق الاسعاف العاجل السريع . وفى شهر رمضان من كل عام ، تزداد حوادث انثقابات القرحة التى تتردد على المستشفيات ، وهذه قاعدة طبية معروفة فى أكثر مراكز الاسعاف الصحى فى البلاد العربية والاسلامية (١) .

وفى بلادنا الشرقية أشكال عديدة للقرحة .. اذ أنه بالاضافة الى وجود قرحة ذات افراز حامضى زائد ، فقد تأكد وجود حالات محدودة وبنسبة ضئيلة من القرحات ، يغلب أن يشارك وجود القرحة فى الجسم اصابة طفيلية بالزحار أو باحدى الديدان .. ومصادفة الامراض الطفيلية مع القرحة لدى مريض واحد يقدم أحيانا قرحة بلا حموضة ، وفى مثل هذه الحالات المحدودة والنادرة فان صيام رمضان ممكن .. على أن مثل هذا التفريق عائد الى الطبيب ، ولا يمكن الجزم به قبل اجراء تحاليل خاصة على عصارة المعدة لقياس الحموضة وهو ما يسمح بتقدير دور الصيام فى تطور القرحة .

والصوم يؤذى ايضا القرحة اذا شفيت حديثا لان ندبتها تكون على استعداد دائم للانطلاق من جديد ، وبعث الاعراض القرحية بعد الهجوع اذا ما توفرت الشروط المنبهة .. وافراغ المعدة مدة طويلة عن طريق الصوم هو أحد العناصر المثيرة لالام القرحة واعراضها .. ولذلك كانت أكثر حالات نكس القرحة تاتى فى النصف الثانى من رمضان المبارك .

أما القرحة التى مضى على شفائها أكثر من سنة ، فانها قد تتاثر وقد لا تتاثر بالصوم ، فقد تتحمله اذا ما ابتعد المصاب عن الاطعمة الحامضة أو المنبهة المخرشة وتابع حميته الاولى خلال الصوم وبقى بعيدا عن البرد والمثيرات العصبية والنفسية .

كما أن بعض القرحات لا تتحمل الصوم ، وان طبق المريض الحمية الغذائية خلال هذا الشهر الدينى أو مضى على شفائها أكثر من سنة ، لان طاقة النكس فى القرحة لا تعود دائما الى عامل غذائى أو زمنى فهى تختلف وفق عوامل عديدة منها : الجوع الطويل واختلاف الطقس ،والتعرض للبرد والصدمات العصبية الاجتماعية ، الا أن افراغ المعدة مدة طويلة قد يهيىء المصاب الشافى للنكس اذا ما تهيأت العوامل المرضية المنبهة .

وبشكل أوضح ، يمكن ارجاع عودة القرحة وانتكاسها الى عامل غذائي وعامل عصبى وعامل موسمى تحسسى . أما الصوم فيرتبط ارتباطا وثيقا بالعامل الغذائي اذ أنه قد يثير قرحة هاجعة .

أما العامل العصبى ومنه الالم النفسى الشديد الذى يعرف بالزعل فدوره عام لا يرتبط كثيرا بآلية الصوم ، فاذا ما توفر لدى المريض .صام أم لم يصم ــ فقد يكون السبب فى عودة القرحة ولو كان المصاب مفطرا .

وما العامل الموسمى التحسسى سوى عنصر يختص بانطلاق النوبة القرحية من مدخل الربيع أو الخريف . وليس له علاقة خاصة بالصوم ، وعلى الاخص اذا توافق قدوم شهر رمضان مع بدء الموسم .

وليس من علاقة اطلاقا بين الصيام وتكون القرحة الهضمية اذ انه لا يوجد أى ارتباط بينهما من الناحية الطبية الامراضية لان ظهور القرحة لا يخضع لعوامل غريزية من ناحية املاء أو افراغ

البقية : على ص ٨٦

(١) يراجع مقال الدكتور محمد ابو شوك والاحصاء الذى جاء فيه

غزوة بدر

أرأيتَ أعلم بالجوى ومصبّه ... وأسدّ رأياً في الهوى ومهبه

من شاعرٍ طاف الوجودَ خياله ... أو من حكيم عينه في قلبه

أنا ذا الأديب أصوغهن بدائعا ... تمحو من الطاووس آية عجبه

لكن من حظّ الأديب فوارقاً ... مثل الهوى إيجابه في سلبه

تلهيه عن مُتَع الحياة عوامل ... كالحبّ يعبث باللبيب ولبّه

والحب فلسفة أدق حدودها ... حكم الحبيب على فؤاد محبّه

كالشأن في حبّ (النبي) مهيمنا ... كالنجم في بعد المكان وقربه

ميزَتْ شمائله بحكمة مرسل ... يغني عن الجيش الكثيف بكتبه

مَنْ في البريّة كالنبي معظّم ... (جمع الشجاعة والخشوع لربه)

يستنزل الرحماتِ في محرابه ... عبداً تنزّه بالتقى عن مشبه

ويهز متن السيف في ميدانه ... فردا يروع الجيش محكم ضربه

في جنتَين : من الحديد ومن تُقَى ... ربٍّ تعالى عن بيان مُشَبِّه

راع الجبال مهابة ، وصلابةً ... في دور مِحوَره وثابت قطبه

تعشو النجوم السائرات لضوئه ... ويطوف (جبريل) الأمين بركبه

فتدين أعلام الكماة لبأسه ... وتخر أعناق الجبال لعضبه (١)

***

ذكرى الحوادث شعلة وقّادة ... تكسو الخَمولَ حميّةَ المتنبه

في يوم (بدر) موقفٌ سجدت له ... قممُ الجبال تروم موطئ كعبه

(١) العضب من أسماء السيف

للاستاذ مرسى شاكر طنطاوى

يوم تكشّف عن صفوف ملائك ... تسعى لتأييد (النبى) وحزبه
والحرب موقدة بسَوْرة ثورة ... مناعة دون الغمام وسكبه
« عزريل » في غمراتها متربّص ... بالكفر يكشف عن خفىّ مدبّه
وقد استقل غمامَها وتساقطت ... شهب المنايا عن لوامع قضبه
تغشى جموع المشركين بحملة ... مثل انحدار السيل عند مصبه
كانت نذير (الهدرجينة) قبل ما ... يربد وجه المهلكات برعبه
(لابى تراب) في دياجرِ نقعِها ... قبسٌ يعيرُ الجوَّ رَوْعَةَ شهبه
ولوقفة « المقداد » صيحة صائح ... تمتدُّ من شوق النزال لغربه
وهناك جيش المسلمين يمدّه ... جند السماء بعدة من سربه
رسموا بإيمان المحبة مبدأ ... يدعو به الداعى لصالح شعبه
وقضوا على شبح الضلال كأنما ... زَجَرُوا غرابَ الليل خيفةَ نعبه
وسمت بهم روحُ العناية فاستوت ... بهم على عرش يفيض بسُحبِه
الصالحون حكومةً وإدارةً ... الناظرون إلى الزمان وعقبه

***

الملجأ الأقوى لكل مجاهد ... روحُ اليقين إذا استعدّ لوثبه
وإذا اليقين ثوى بقلب مجاهد ... في الله . لاتثنيه قلةُ صحبه
كان اليقين هو اشتغال عزائم ... تربو على صهر الحديد وصبه

صوموا تصحوا

للدكتور محمد محمد أبو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية ـ بالمستشفى الاميري ـ الكويت

يقول الله تعالي ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون))

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ من سورة البقرة .

آيات بينات من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . شرع فيها ـ خالق الكون ومدبره ـ الذى يعلم ما يضره وما ينفعه ، شرع فيها الصوم رابع ركن من أركان الاسلام الحنيف ، وما جاءت شرعة فى هذا الدين الا وكانت خيرا وبركة على بنى الانسان ، شهد بها وبعظمتها كل من تعمق فى هذا الدين ونهل من معينه الذى لا يغيض ـ القصى والدانى، العربى والمستشرق ، الفيلسوف والحكيم ـ كل استولى على لبه هذا الدين : وعندما يخلع كل انسان فى هذا العالم ثوب التعنت والتحيز والغطرسة ستنقشع عن عينه تلك الغشاوة ويرى أن دين الاسلام هو الدين الحق شرائعه ناصعة ، وأحكامه ساطعة ، جاءت لخير البشرية جمعاء « ان الدين عند الله الاسلام» «وما أرسلناك الا كافة للعالمين» .

حكمة الصوم

الصوم ليس مجرد امساك عن طعام أو شراب ، وانما هو الامساك عن كل ما ينافي الايمان، ولا يتفق وفضيلة التقوى، ومن وراء حكمة الحرمان من الطعام والشراب تكمن حكمته الحقيقية الا وهى غرس خلق الصبر ، وتحمل المشاق ، ليثبت ويتحمل ، ويتسلح بسلاح الاستعانة بالله ، والرجوع اليه ، والاعتماد عليه فى دنيا كلها مصاعب ومشاق . ثم ان الحكمة الروحية فى

الصوم لا تدانيها حكمة ، فتصفو نفسه وتتهذب روحه ، ويصير منبعا للخير على نفسه وعلى بيته ، وعلى بني وطنه ، ويعيش عيشة هادئة كلها محبة ووئام وتعاون وسلام . وما أجملها من حياة لو إتسمت بهذا الطابع وبتلك المثل العليا والخلال الحميدة .

الصوم والصحة

يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « صوموا تصحوا » وحقا ما قاله رسول الله . فان للصوم فوائد لا تحصى ولا تعد على صحة الابدان . ففى الساعات التى يستريحها الجهاز الهضمى من عمليات شاقة من مضغ للطعام ، وزيادة فى افراز العصارات الهضمية ، وحركة للأمعاء وما يترتب على ذلك من ارهاق لاجهزة الجسم الاخرى أثناء تناول الطعام ، وأثناء مروره بالجهاز الهضمى نتيجة لهذا يحصل الجسم على راحة ولو لفترة ما ، ولكنها هامة وذات فائدة على أجهزة الجسم المختلفة . ولو اتبع الصائم النهج الصحيح السليم فى صيامه ، من ناحية تناول الوجبات ، والتقيد بوجبة خفيفة عند الافطار ، ووجبة أخرى عند السحور دون أن يسرف فى طعامه وشرابه ، أو يفرط فى تناول المأكولات التى يقولون عنها انها من لزوميات رمضان . ورمضان من الافراط والاسراف فى الاكل والشراب براء .

والدلائل واضحة لنا نحن الاطباء ، بل وبين الناس الذين يصومون الصوم الصحيح من الاحساس بالنشاط ، وعدم التعرض للتخمة ، والارتباكات المعوية والمعدية ، وتجمع الغازات داخل البطن وما الى ذلك من تلبكات فى الجهاز الهضمى . كل هذا يزول ولا يحسه الصائم . ولقد واجهت العدد الكثير من مرضاى ممن يشكون من هذه الاعراض التى سرعان ما تذهب عنهم عند حلول الشهر المبارك .

ويتمنى بعضهم أن يكون رمضان السنة كلها ، لما يحسه فيه من راحة وبعد عن هذه الأعراض التى تنغص على الانسان حياته ، وتؤلمه فى نهاره وتؤرقه فى ليله .

وروحانية رمضان وما تفيضه على الصائم من صفاء النفس وتهذيب الروح والصبر على احتمال المشاق ، والعطف على الفقراء والمحتاجين ، والبعد عن التردى فى الشهوات ، وما تجره على الفرد من ويلات ، وتزكية النفس بالاخلاق الفاضلة من صدق فى المعاملة وأمانة فى تأدية العمل ، والبعد عن الغضب والانتقام ، ونقاء النفس من الحقد والحسد والبغض للناس — كل هذا يضفى على النفس البشرية روح السلام والمودة والمحبة والصفاء التى بدورها تؤثر على الجهاز العصبى للانسان ، والذى يهدأ الجسم لهدوئه ويثور لثورته . وبثورة الجهاز العصبى تثور باقى الأجهزة التى تحفظ للجسم كيانه . فيا لها من حكمة الهية تجعل من الصائم حقا ملاكا فى صورة انسان ليسعد بحياته ويسعد به الآخرون .

فالى من يترددون على عيادات الاطباء طلبا لدواء يذهب عنهم التوتر العصبى ، والانهاك العصبى والارق والكآبة وغيرها من الامراض التى تذهب بالعقول — هاكم رمضان — لو تمسكتم بروحانيته وما يضفيه على نفوسكم من خير — لما احتجتم فى يوم من الأيام الى مالا نهاية من علاج ودواء .

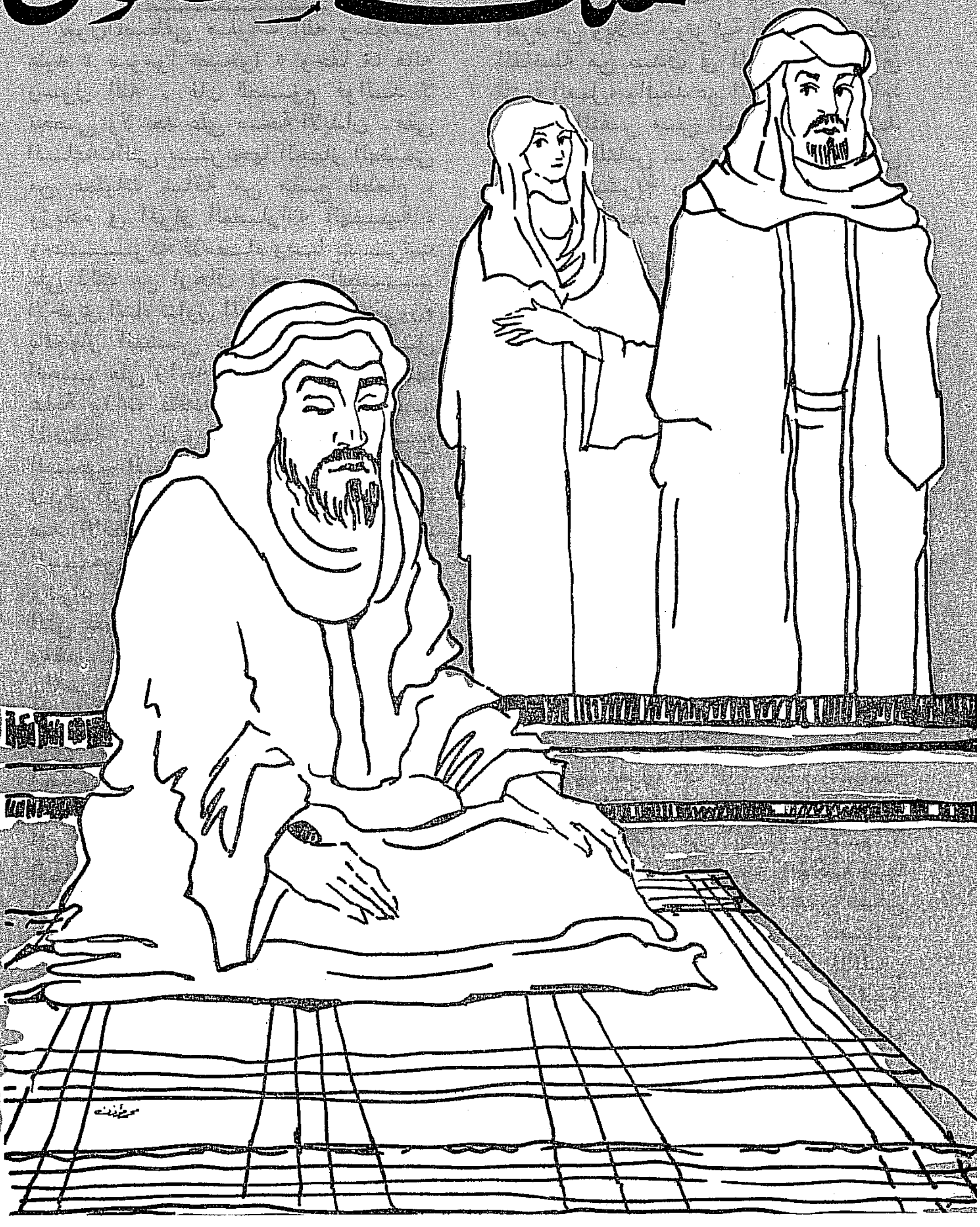
الصوم والسمنة

والذى يقول لك ان علاج السمنة المفرطة علاجا أساسيا فى غير التقيد بالنظام والاقلال من الطعام واهم لا محالة . فالسمنة المفرطة الغالب منها يرجع الى النهم ، وترك النفس على هواها تلتهم ما تشتهى من دهنيات ونشويات وسكريات وغيرها — تتكدس داخل الجسم فتجر وراءها ذيلا ثقيلا من المضاعفات : من آلام الظهر ، والمفاصل

البقية : على ص ٨٧

قصة العدد

هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ



للأستاذ علي احمد باكثير

((فى بيت سلمان الفارسى الصحابى الجليل . حجرة صغيرة متواضعة ليس بها من الرياش غير القليل ولكن يظهر عليها الترتيب والتنسيق . أريكة صغيرة واطئة تكاد تلامس الأرض)) .

ترى أميمة زوجة سلمان وهى تكنس الحجرة ولا تكاد تفرغ من ذلك حتى تسمع قرعا على الباب .

أميمة : من ؟

صوت : أنا أم الدرداء .

أميمة : (تفتح الباب) أهلا وسهلا . مرحبا بك يا أم الدرداء .

أم الدرداء : أظنك كنت تكنسين . أتمى عملك يا أم عبد الله .

أميمة : قد فرغت من الكنس يا أم الدرداء . اجلسي أنت على الرحب والسعة (تجلسان على الأريكة)

أم الدرداء : كيف حالك يا أم عبد الله وكيف حال سلمان زوجك ؟ .

أميمة : بنعمة الله وعافيته . وكيف حال أبى الدرداء لعله بخير

أم الدرداء : تسألينني عن أبى الدرداء . هو كحاله يا أختاه . بخير

أميمة : ما خطبك ؟ أليس كما تحبين ؟

أم الدرداء : بلى . كما أحب وكما يحب لنفسه

أميمة : كما يحب لنفسه وليس كما تحبين !

أم الدرداء : أستغفر الله يا أختى لم أقل ذلك

أميمة : أردت ذلك ولم تقوليه

ام الدرداء : كلا لست أشكو من أبى الدرداء أى شيء

أميمة : بل فى نفسك شيء تكتمينه عنى . أنت لست راضية عن زوجك

أم الدرداء : ويحك يا أم عبد الله من أين جاءك هذا الظن ؟

أميمة : من لحن قولك يا خيرة

أم الدرداء : لتطب نفسك يا أميمة فانى راضية راضية

أميمة : فما بالك على هذه الهيئة ؟

أم الدرداء : ماذا تنكرين من هيئتي ؟

أميمة : شعرك أشعث غير مدهون ولا مرجل

أم الدرداء : كنت أرفو اليوم قميص أبى الدرداء فشغلنى ذلك عن اصلاح شعرى

أميمة : ما احسبه عرف الدهن منذ أيام . ان لم يكن عندك دهن فسأعطيك شيئا من عندى .

أم الدرداء : بل عندى الدهن ولله الحمد . وعندى المشط كذلك . سأدهن شعرى وأرجله لك حين ازورك يوما آخر

أميمة : لى أنا أم لأبى الدرداء ؟

أم الدرداء : لك أنت أولا ثم لأبى الدرداء

أميمة : بل لأبى الدرداء أولا ثم لى

أم الدرداء : لا مشاحة يا أميمة .. كما تشائين

أميمة : (لا تريد أن تستسلم للجواب الذى تخلصت به أم الدرداء) وهذا الثوب ؟

أم الدرداء : ما باله ؟

أميمة : لا يعجبني أن أراه عليك فما أنت بعانس ولا ايم .

أم الدرداء : بالله يا أميمة دعيني من هذا . انا جئت لأتئنس بك لا لتنقدى ثوبى وشعرى

أميمة : يا خيرة يا بنت أبى حدرد لا ينبغى لك أن تنسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين والأنصار قد آخى بين زوجى وزوجك .

أم الدرداء : هذا امر لا ينسى أبدا

أميمة : فسلمان الفارسى وأبو الدرداء الخزرجى شىء واحد وانا وانت شىء واحد

أم الدرداء : هذا حق

أميمة : فما ينبغى لى أن ألبس ثوبا خيرا من ثوبك ، ولا أن أصلح من شعرى ما لا تصلحين من شعرك

أم الدرداء : لا عليك منى فى هذا الشأن يا أميمة ، فما عندى ميل الى التزين والتجمل مثلك

أميمة : أما والله لقد كنت فيما مضى من أملح نساء الأنصار ، وأجملهن شعرا . وأفضلهن زينة وتطرية

أم الدرداء : ذاك عهد مضى يا أم عبد الله وقد اختلف الحال اليوم

أميمة : فيم يا أم الدرداء ؟

أم الدرداء : كان أبو الدرداء تاجرا من قبل ، فأصبح اليوم وقد لزم العبادة وترك التجارة

أميمة : ما كان أبو الدرداء بموفق فى ذلك

أم الدرداء : انه يزعم أنهما لا يجتمعان . العبادة والتجارة

أميمة : ماذا يمنع ؟ هذا سلمان ما زال حتى اليوم ينسج الخوص ، وياكل من كسب يده ، ويرى ذلك من أفضل العمل .

أم الدرداء : يا أم عبد الله الا تعلمين أن زوجك شىء آخر ؟ انه رجل لا يشغله شىء عن شىء

أميمة : لا ينبغى لك يا أم الدرداء أن تحذى حذو زوجك فتنسى ما ينبغى للمراة المتزوجة من زينة .

أم الدرداء : لمن ينبغى على المرأة المتزوجة أن تتزين ؟ أليس لزوجها ؟

أميمة : بلى

أم الدرداء : فزوجى أصبح لا يعنيه اليوم من زينتي شيء . لقد صار سواء عنده اليوم : أتزين أو لا اتزين . وان اتكحل أو لا أتكحل ، وان أصلح شعرى أو لا أصلحه . فلمن تريدين أن أتزين ؟ للشيطان ؟

أميمة : معاذ الله يا أم الدرداء كيف تقولين هذا ؟

أم الدرداء : ماذا أصنع لك ؟ أبيت الا أن تحاوريني حتى أعلنت لك

أميمة : نعم ما فعلت يا خيرة . قد كان ينبغي عليك أن تصارحيني بهذا الذى تجدين فى نفسك من أول الأمر .

أم الدرداء : ما خير ذلك يا أختى الا أن ألقى همى على همك

أميمة : لعلى أستطيع أن أصنع لك شيئا

أم الدرداء : ماذا بوسعك أن تصنعى لى ؟ تهدين لى ثوبا آخر من ثيابك ؟

أميمة : اذا شئت يا أم الدرداء فان عندى ما تحبين

أم الدرداء : كلا يا أم عبد الله . احتفظى بثوبك خيرا لك . أتدرين ماذا صنع زوجى بذلك الثوب الذى أهديته الى ؟

أميمة : ماذا صنع به ؟

أم الدرداء : ما أن رآه ذات يوم حتى أمرنى أن اخلعه : واتصدق به على احدى فقيرات أهله .

أميمة : غفر الله لأبى الدرداء . والله لأكلمن سلمان فى شانه لينصحه

أم الدرداء : كلا . اياك أن تفعلى يا أم عبد الله

أميمة : اى باس فى ذلك ؟
أم الدرداء : هذا سر بينى وبين زوجى ، لا ينبغى أن يعلم أنى بحت به لأحد
أميمة : لن يعلم زوجك شيئا . ان سلمان كما تعلمين لكيس لبق
أم الدرداء : كلا يا أختى . انى بعد لاستحى من بعلك أكثر مما أستحى من بعلى
أميمة : سلمان أخ لزوجك فهو بمنزلة أخيك
أم الدرداء : حتى أخى ابن أبى وأمى استحى منه فى مثل هذا الشأن
أميمة : فاعلمى اذن أن سلمان قد عرف هذا السر الذى تكتمين
أم الدرداء : ويلك ممن عرفه ؟
أميمة : منك أنت
أم الدرداء : ماذا تقولين ؟
أميمة : انه زاركم ذات يوم فانكر هيئتك فسألك فقلت له: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ؟
أم الدرداء : يا هنتاه . حقا قلت له ذلك ، ولكنى ما قصدت هذا المعنى ، وانما قلت ما قلت اعتذارا له ، كراهية أن يكلف نفسه فيهدى لنا ثوبا من عنده .
أميمة : مهما يكن من قصدك فقد فطن سلمان لحقيقة ما بك وانه لكيس فطين ، انى والله لربما اكتم عنه الشيء فيكشفه لى كانما يقرأ من كتاب
أم الدرداء واحياءاه ! واخجلتاه !
أميمة : هونى عليك فان هو الا أخ أمين

* * *

« فى بيت أبى الدرداء . حجرة تشبه الحجرة السابقة الا أنها أكثر تواضعا منها »

أبو الدرداء : (يستقبل سلمان الفارسى) مرحبا بك يا أبا عبد الله يا سابق فارس !
سلمان : (فرحا)سابق فارس ! بأبى هو وأمى اذ لقبني بذلك !
أبو الدرداء : صلى الله عليه وسلم
سلمان : لقد حضرت أنا وأهلى يا أبا الدرداء
أبو الدرداء : ومرحبا بأهلك يا أبا الدرداء
سلمان : سنتغدى ونتعشى عندكم
أبو الدرداء : على الرحب والسعة يا أخى . أين هى امراتك ؟
سلمان : قد سبقتني اليكم . داخل الدار عند أهلك
ابو الدرداء : عجبا والله ما علمت
سلمان : وأنى لك أن تعلم وأنت مشغول يومك كله عن أهلك ؟ وعسى أن تكون مشغولا عنهم ليلك كله كذلك ! !
أبو الدرداء : ويل بنت أبى حدرد . كان عليها ان تخبرنى (ينادى) أم الدرداء يا ام الدرداء
ام الدرداء (صوتها) لبيك يا أبا الدرداء
أبو الدرداء : هذا سلمان أخى عندى
ام الدرداء : مرحبا به وأهلا . وهذه امراة اخيك سلمان عندى
ابو الدرداء : مرحبا بها وأهلا . اصنعى لهما شيئا يا خيرة . فانهما سيتغديان عندنا
أم الدرداء : وسيتعشيان أيضا
ابو الدرداء : أجل أجل .. هيئى لهما ما عندك .

أم الدرداء : قد هيأت كل شيء .
أبو الدرداء : أحسنت يا خيرة . أحسن الله اليك .
أبو الدرداء : هلم يا أبا عبد الله فها قد أحضرت أم الدرداء الغداء
سلمان : (ينظر الى الصفحة أمامه على الخوان) ما شاء الله . لقد عنيت بنا أم الدرداء فهيأت لنا هذا الطعام الطيب
أبو الدرداء : كل يا أخى هنيئا مريئا
سلمان : وأنت ألا تجلس فتأكل
أبو الدرداء : اعذرنى يا سلمان فانى صائم
سلمان : صائم ؟ ! . أجيء أنا من بيتى لآكل عندك فتصوم ؟ !
أبو الدرداء : قد نويت الصوم يا أخى قبل أن تحضر .
سلمان : فافطر الآن اذ حضرت .
أبو الدرداء : ألا تدعنى يا سلمان أتم صومى ؟ وساجلس معك احادثك على الطعام .
سلمان : أيصح هذا فى شرعتكم يا معشر العرب ؟
أبو الدرداء : بئس ما تقول يا أخى . ان الله قد أكرمنا بالاسلام فأغنانا عن شرعة العرب .
سلمان : وبئس ما تفعل أنت يا عويمر . فان الإسلام لا يرضى ذلك . وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . والله ما أنا بآكل حتى تأكل .
أبو الدرداء : فسآكل معك اذن يا سلمان . باسم الله
سلمان : باسم الله (يأكل الاثنان من الصفحة)
(أم الدرداء تتزين وتساعدها فى ذلك زوجة سلمان)
أم الدرداء : أنظرى يا أختى . لقد جاء زوجك من صلاة العشاء ولما يجيء أبو الدرداء
أميمة : لعله آت فى الأثر .
أم الدرداء : والله ما هذا بحسن . يكون عنده الضيف فلا يسبق الضيف الى البيت
أميمة : أتركى ذلك لسلمان فانه كفيل بتأديبه
أم الدرداء : صدقت لقد أدبه اليوم فأحسن تأديبه
أميمة : هيا أكملى الآن زينتك
أم الدرداء : قد أكملتها .. ماذا تريدين بعد ؟
أميمة : هذا الطيب لم تمسيه بعد . ضمخى به رأسك وما بين كتفيك

***

سلمان : (يدخل عليه أبو الدرداء من الخارج) معذرة يا أبا الدرداء ان سبقتك الى بيتك
أبو الدرداء : بل اعذرنى أنا يا أبا عبد الله اذ تأخرت عنك فى المسجد . البيت بيتك على كل حال
سلمان : غفر الله لأم الدرداء . لقد أكثرت لنا فى العشاء حتى أسرع الى النعاس
أبو الدرداء : ان كنت تريد النوم فادخل الى أهلك . فقد أعددنا لكما الحجرة الداخلية
سلمان : وأنت يا أخى ألا تأوى الى أهلك ؟
أبو الدرداء : ليس الآن . سابقى هنا قليلا لأقوم بعض الليل
سلمان : ويلك كيف يطيب لى ولأهلى النوم فى بيتك وأنت قائم تتهجد وامرأتك ساهرة تنتظر ؟
أبو الدرداء : عجبا لك اليوم يا سلمان ما خطبك ؟

سلمان : ان كنت تكره ان نبيت عندك فدعنا ننصرف الى بيتنا .
أبو الدرداء : معاذ الله يا أخى . ادخل الى اهلك وسادخل الى اهلى
سلمان : بل أدخل انت اولا وسادخل بعدك
أبو الدرداء : سمعا يا أبا عبد الله
سلمان : واياك أن تقوم حتى أكون أنا الذى اوقظك من آخر الليل فنقوم معا ونصلى معا .
أبو الدرداء (فى غيظ مكتوم) سمعا يا سلمان ! !

* * *

(بعد بضعة أيام فى نفس المكان)

أبو الدرداء : ما هذا الذى فعلت يا سلمان ؟ كيف تقيم فى بيتى وتحضر طعاما من بيتك ؟
سلمان : قد صارت لنا ثلاثة أيام فى بيتك فلا ينبغى أن نبقى فى ضيافتك
أبو الدرداء : كلا يا سلمان اما أن تقيما فى ضيافتنا أو تنصرفا الى بيتكما
سلمان : فهلم أنت وأهلك فاقيما فى بيتنا بضعة أيام
أبو الدرداء : ويحك ما يدعونا الى ذلك ؟
سلمان : لنتعاون على البر والتقوى . نذهب الى المسجد معا ، ونعود الى أهلنا معا ، ونقوم آخر الليل معا .
أبو الدرداء : (محتدا) يا سلمان قد صبرت لك طويلا . وقد آن لى أن أصارحك انك لم تعنى على البر . بل شغلتنى عنه . ما عدت أستطيع أن أصوم ولا أن أقوم منذ اقمتما عندنا أنت وأهلك
سلمان : وقد آن لى أنا أيضا أن أصارحك . ان كنت تبغى التقرب الى الله بما تفعل فان الله تعالى لا يتقرب اليه باضاعة الحقوق التى عليك
أبو الدرداء : أى حقوق أضعت ؟
سلمان : ان لربك عليك حقا ، وان لبدنك عليك حقا ، وان لأهلك عليك حقا . فاعط كل ذى حق حقه .
أبو الدرداء : هذا حق . وما أرانى الا معطيا كل ذى حق حقه
سلمان : بل أضعت حق بدنك وحق أهلك
أبو الدرداء : أفلهذا اقمت عندى هذه الأيام ؟
سلمان : أجل لأحملك على البر ،وأسير بك فى الجادة
أبو الدرداء : هذا رأيك يا سلمان وأنا أرى خلاف رأيك
سلمان : هلم اذن نحتكم الى النبى صلى الله عليه وسلم لنرى أينا اهدى سبيلا
أبو الدرداء : أنصفت يا سلمان فهلم .

* * *

(فى بيت سلمان . أم الدرداء تزور أميمة وهى فى هندام حسن)

أميمة : أهلا أهلا بك يا أم الدرداء . أراك اليوم على خير حال
أم الدرداء : جزاك الله صالحة يا أختاه ، وجزى سلمان خيرا . لقد صار أبو الدرداء خلقا آخر .
أميمة : حديث النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أصلحه
أم الدرداء : أجل .. أصبح زوجى لا يكف عن ترديده فى كل حين
أميمة : هلك المتنطعون .
أم الدرداء : لا تختصرى الحديث يا أم عبد الله . لقد قال صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء لما احتكم هو وسلمان اليه : لقد صدق سلمان . سلمان أفقه منك يا أبا الدرداء . هلك المتنطعون . هلك المتنطعون .

المعدة بل ان اعراض القرحة ترتبط بشروط الحمية والبرد والالم النفسى (الزعل) ودور الصوم انما ينحصر فى تفاقم الاعراض ، ويؤدى الى عنادها وصعوبة شفائها لدى المصابين بها ، كما انه يهيىء الى عودة القرحة ونكسها بعد الشفاء فالصيام عنصر كاشف وليس بعنصر مسبب ولا يمكن أن نقول ابدا ان كل الصائمين معرضون للقرحة ، بل يمكن أن نقول ان مرضى القرحة هم أقرب الى عناد المرض واختلاطاته اذا ما طبقوا فرض الصيام . ومن أجل هؤلاء جاء التيسير فى القرآن الكريم .

الصيام بين الامراض الوظيفية والامراض العضوية

ان الذى يجب أن نعرفه بصورة عامة ، ان الصيام يفيد كثيرا فى الشكوى المرضية الوظيفية ويضر فى الشكوى المرضية العضوية . ونقصد بالشكوى الوظيفية الالام التى تتردد على المريض من اضطراب فى وظائف جسمه ويدخل فى هذا التصنيف عددا كبيرا جدا من الامراض العصبية والنفسية والاوهام .. كما نقصد بالشكوى العضوية الالام التى تأتى نتيجة اصابة الانسان بعلة عضوية معينة كالقرحة والسرطان والسل والاحتشاء القلبى الخ .. من الامراض الشائعة .

بقى أن نعرف أن الطبيب وحده قادر على التفريق بين الاصابات العضوية ، والاصابات الوظيفية ، وقد يضطره هذا التفريق الى اللجوء الى فحوص مخبرية وشعاعية للتأكد من تصنيفه .

وهذا ما يفسر لنا الكثير من الحالات المرضية يتردد ذكرها بين حين وآخر حول شفاء المرضى بالصوم .. اذ أن الصيام لدى المرضى المصابين بشكوى وظيفية مفيد حتما ، وهذا أمر صحيح ومعروف فى الطب .. والصوم مفيد فى الحالات الرثوية العصبية من آلام فى الظهر والمفاصل وفى أطراف الجسم كله .. طالما أن شكوى هؤلاء المرضى لا تقوم على ناحية عضوية بل على ناحية وظيفية عصبية يطلق عليها العامة (العصبى) وأحيانا (الامراض الوهمية) .

أما القول مثلا أن الصوم قد أفاد مريضا مصابا بالقرحة أو الاحتشاء أو السرطان ، فهذا لا يمكن أن يكون (1) واذا تحرينا الامر وجدنا أن التشخيص لدى المريض خاطىء وأنه غير مصاب بقرحة أو احتشاء الخ من الأمراض العضوية بل ان شكواه عصبية وظيفية .. وطالما أنه لا يحمل قرحة .. فان الصوم يفيده وهكذا يتخيل المريض أنه قد شفى من قرحة لا يحملها فى الاصل ، وكم من مرة راجعنى المرضى لمعالجة قرحة لديهم ، ثم اتضح لي أن ليس لديهم من قرحة ، انما قد أسيء تشخيص اصابتهم الهضمية من خلال فحص خاطىء ناقص ، أو صور شعاعية غير صحيحة قرئت خطأ .. ويكون المريض حاملا تشخيصه القرحى الخاطىء لمدة طويلة دون أن يكون صحيحا .

نتيجة وخاتمة

يبدو لنا جيدا أن موضوع الصوم لدى المرضى موضوع طبى علمى فى منتهى الدقة ولا يقبل المزاودة به دائما وهو يحتاج الى دراسة وروية قبل اطلاق رأى مطلق فيه ، وأن أثره العام فى صحة الانسان بعيد جدا .. ويتباين هذا الاثر لدى الاصحاء والمرضى وفق طبيعة اجسامهم ونوع شكواهم ومدى استعدادهم الهضمى وشكل العلة الهضمية اذا ما وجدت .

ولعل جهاز الهضم هو أكثر الاعضاء تأثرا بالصوم فاذا كان هذا الواجب الدينى له فائدة طبية فى كثير من أمراض الهضم ليكسب الجسم الراحة والصحة والشفاء ، فانه فى بعض الحالات المرضية يحمل الى الجسم عناء مؤذيا .. ولذا كانت التعاليم الشرعية تسمح بتجاوز هذا الفرض الدينى فى حالات مرضية محدودة .

على أن الصوم لدى الاصحاء قد يعنى راحة ضرورية لاجهزة غريزية تعبة اذا ما توفرت الشروط الغذائية الاساسية ومن أهمها تنظيم وحسن انتقاء الطعام فى شهر رمضان .

---

(1) يراجع مرة ثانية رأى الدكتور الشطى

بقية : صوموا تصحوا

المختلفة وارتفاع ضغط الدم ، وانسداد شرايين القلب ، والدوالى ، والفتوق المختلفة ، ومرض السكر والتهابات المرارة ، والنزلات الصدرية . كل هذه الامراض يكمن علاجها وراء حمية خاصة . حبذا لو بدأ أصحاب السمنة المفرطة حميتهم بشهر رمضان ، وعودوا أنفسهم على الاقلال من الطعام والشراب حتى يعم النفع ، ويستعد البدن للتخلص من كابوس السمنة الذى يثقل كاهله .

الصوم والمعدة

واذا كانت بعض الصحف العربية نقلت أخبارا عن مؤتمر طوكيو الطبى تتصل بصيام رمضان والقرحة وتتهم الصوم ، فاننا لا ندرى على أى أساس بنى هؤلاء كلامهم ، فان قرحة المعدة والأثنى عشر لها من الاسباب العديدة ما يجعلنا نحتار فى تحديد السبب المباشر . فهى فى بعض الحالات تكون وراثية أى أن هناك استعدادا فى أفراد العائلة ، لحدوث مثل هذه القرحة . ثم الاضطرابات النفسية التى طالما تكون سببا فى حدوث القرحة ثم أنواع الاكل التى تؤثر على المعدة والمشروبات الروحية ، والتدخين ، وزيادة القرحة فى أشخاص ذوى فصيلة دم خاصة ، ثم انتشار القرحة فى بعض الاجناس دون غيرها ، ثم أخيرا وجد أن هناك علاقة بين الحساسية وبين القرحة . وكذلك من المحتمل وجود تفاعل بين مواد يفرزها الجسم Anti-bodies ومواد تدخل الى الجسم Antigens ومن نتيجة هذا التفاعل تحدث القرحة ، كما فى أمراض أخرى مشابهة .

اذا هناك زوايا كثيرة من المحتمل ان تكون كل منها سببا لحدوث القرحة . لا أعتقد أن ما قيل فى هذا المؤتمر اذا كان قد قيل حقا . ثم مسارعة بعض الصحف الى نشره بتلك الصورة قد قصد به شىء الا تشويه وجه رمضان الكريم الذى سيبقى الى يوم الدين شهرا كريما له قدسيته وروحانيته ، .

ثم كيف يجرؤ بشر على أن يناقض شريعة فرضها الخالق الذى خلق الانسان وكونه ويعرف ما يضره وما ينفعه ، وحاشا أن يشرع له ويلزمه ما يضر بصحته . وهو الذى يقول سبحانه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

اليسر فى الصيام

ان الخالق جل علاه الذى لا يكلف نفسا الا وسعها يسر على عباده أداء الفريضة ، فأعطى رخصة الفطر للمريض وللمسافر على أن يقضى ما فاته أيام الصحة والاقامة . وأباح للأصحاء المقيمين الذين يشق عليهم الصوم ويجهدهم جهدا شديدا يعرضهم للخطر كالشيوخ والحوامل والمرضعات أباح لهم الافطار فى رمضان . ونظرا الى أنه من المتعسر على بعض هؤلاء أن يجدوا وقتا يقضون فيه ما فاتهم من صوم اكتفى منهم أن يطعموا مسكينا واحدا عن كل يوم . فهل بعد هذا من يسر ؟

ان الاسلام دين يسر لا عسر « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » الا فليصمه كل مسلم ومسلمه ، وليعلم علم اليقين أن ذلك فيه الفائدة الجمة لجسده وروحه ، اذا صامه كما صامه رسول الله وصحابته : تنزه عن الملذات ، ورغبة فى العبادات ، والبعد عن التخمة ـ « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » وعدم ملء المعدة « فما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » . اذا تمسكنا بقوانين الصوم الصحيحة سعدنا بهذا الصوم دنيا وآخرة ـ رغم ما يتقول به ذووا الأهواء الذين يكيدون لهذا الدين « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

بريد الوعي الإسلامي

حول الاقتصاد الاســلامى

من بغداد أرسل الاخوة عمر أحمد وزملاء له يسألون عن الاقتصاد الاســلامى والتخطيط نحو أمة سعيدة بشريعة تامة كاملـة .

ونقول للاخوة ان المجلة كما قلتم تقول الحق فى كل شيء ، سواء كان لها أم عليها ، وتقرر فى جراة مهذبة كل حقائق الاسلام ، وان كانت تبعد عما يؤدى الى تفرقة الصـــفوف .

أما بخصوص ما سألتم عنه فبامكانكم أن تراجعوا اعداد المجلة من العدد التاسع وتقرأوا ما نشر عن هذا الموضوع للدكتور محمد عبد الله العربى . ثم تتابعوا ما قد ينشر عن ذلك فى المستقبل ان شاء الله . مع دعواتنا لكم بالتوفيق ..

حريص على دينـه

وكذلك أرسل الينا قارىء من بغداد يشكر المجلة على تفانيها فى خدمة الاســلام وتقديمها له فى ثوب عصرى راق ، ويهنىء على قرب اكتمالها العامين ، وهو من بعد ذلك يسأل هل يجوز أن آكل واشرب فى أوانى البيت التى يشرب فيها والده خمرا ، أو يدنسها به ، وهل تصح صلاته فى ذلك البيت أيضا ، وماذا يفعل مع والده ؟

ونحن نشكر للقارىء الفاضل تقديـره للمجلة وحرصـه عليها ، ومـع الله نشـكره على غيرتـه الدينية ولكننـا نوصيه بأن يتلطف هو ومن معه فى البيت فى ابعاد والده عمـا يرتكبـه من محرم ويحاولوا بقدر استطاعتهم معالجة ما هو واقــع فيــه بحكمة حتـى لا يحدث للاسرة تفكك وانفصـام يكون ضرره عليها أشــد من ضرر الخمـر على والدهـم .

اما عن صلاتك فى البيت الذى يشرب فيه والدك فلا شيء فيها ، لأن نجاسـة الخمر نجاسة حكمية لا تتعدى المكان أو الانـاء الـذى مسته ، وفى كل بيت سـجادة أو مصـلى متنقلة يمكنك أن تصـلى عليها فى ـ أى مكان بالبيت أو عـلى أى شـيء طاهر آخر ، والمسـالة سهلة من هذه الناحيـة ليس فيها تعقيد ، وكذلك الآنية التى ترى أن والـدك وضـع فيها خمرا يمكنك استعمالهـا بعد غسلها وتطهيرها ، ونروى لك حديثا فى موضوع مشـابه . فعن ابى ثعلبة الخشـنى رضى اللـه عنه قال . قلت يا رسـول الله . انا بارض قوم أهل كتاب أفنأكل فى آنيتهم قال : لا تأكلوا فيها الا أن لا تجدوا غيرها فاغسلوها وكلـوا فيهـا . (متفـق عليـه)

وفق الله والدك الى طريق الخير ، وشد من عزمك على طريق الحق .

ومن يتق الله يجعل له مخرجـا

والى القارى الذى طلب منا أن نرمز الى اسمه برمز ع.أ.ح الزرقاء الأردن .

قرأنا يا سيد ع.أ.ح رسالتك ونحن نحيى فيك هذه العواطف المتدينة الصادقة متمثلين فيك روح الشباب المسلم الحق الذى يرعى مسئولياته بشرف وصدق وشجاعة

فليس من الحق ان يفرض الزواج عليك ، أو تفرضه على نفسك دون استطاعة . قال صلى الله عليه وسلم . « يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم » والباءة هنا هى تكاليف الزواج المعروفة عادة . وما عليك الا أن تصبر وتصبر معك مخطوبتك وتتقيا الله فان من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . أما اذا لم تصبر هى معك فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ويعوضك الله خيرا .

مزيدا من التوفيق

ومن بديا ـ الأردن أرسل السيد محمد عبد الرحيم عبد السلام يسأل عن شابين يصلى أحدهما ويصوم ، ويؤدى الفرائض الدينية جميعا ، ومع ذلك فهو يسلك سلوك الاسلام من الصدق والأمانة والعفة والاستقامة ، ويجتنب كل ما ينافى أخلاق الاسلام من الكذب والخداع والنميمة ، ولكنه تنقصه الغيرة على الاسلام عندما يهاجمه أحد المتحذلقين ، فيود هذا الخلوص من المجلس أو تغيير مجرى الحديث .

أما الآخر فهو على العكس من ذلك اذا قام الى الصلاة قام كسولا ، فاذا ألقته الظروف فى مجلس يهاجم من فيه الاسلام تغيرت ملامحه ، وهب لمناقشته مبطلا شبهاته .

فأيهما أفضل ؟

ونقول يا سيد محمد ان الاسلام وحدة لا تتجزأ لا تنفصل فيه العقيدة عن السلوك ، أو ينفك فيه الايمان عن العمل والمؤمن الكامل هو الذى يجمع بينهما بحيث يكون ربانيا فى كيانه كله لا يتخلف عن واجب يمليه عليه دينه أو حق يفرضه عليه ضميره ، فى أى مجال كان وفى أى موطن .

فزميلاك كلاهما مقصر فى رسالته مفرط فى واجبه ، وكان الاولى بمن سلك سبيل الاسلام ، وتخلق بآدابه وعباداته ان يدافع عن عقيدته كما يدافع الرجل منا عن عرضه وماله ونفسه ، لا يتخاذل ، ولا ينى متى وجد ذلك امرا مجديا فى المجلس الذى هو فيه ، وكان قادرا على الرد والدفاع كما كان اخلق بصاحبك ووجهه يتغير وملامحه تنقلب غيرة على الله ورسوله ، وما جاء به أن يدافع بسلوكه بجانب لسانه حتى يكون اقدر على دفاعه ، ويكون الناس أسمع لكلامه وحتى لا يكون ممن قال الله فيهم « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » « ونحن ياسيد محمد وان كان لابد لنا ولك من ترجيح احد الرجلين على صاحبه فانا نرى الاول خيرا بلا شك حيث يضرب لغيره القدرة الحسنة بعمله وسلوكه ، ولا تظن أنه تنقصه الغيرة الاسلامية كما تقول فربما كان خروجه من المجلس أو تغييره لمجرى الحديث قطعا للجدال مع أناس همهم الجدال ولا فائدة من الجدل معهم ، ولعله يتمثل بقوله تعالى « واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » .

وفقكم الله يا شباب .

الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر

كما جاءتنا رسالة من السيد غريب جمعة الطالب بكلية الطب جامعة الاسكندرية يبدى فيها اعجابه الشديد بسلسلة بحوث « الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر » التى نشرت بالمجلة للاستاذ أحمد حسين المحامى لما تمتاز به من عمق الفكرة ، ووضوح الهدف والمنهج ، وقوة الحجة ، وحسن العرض ..

ويقترح علينا أن نجمع هذه البحوث وننشرها فى رسالة أشبه برسالتى الصيام والحج اللتين نصدرهما كل عام هدية من المجلة وهو اقتراح وجيه سبق أن جاءنا من الاستاذ أحمد حسين نفسه أنه سيقوم بتحقيقه بعد أن أتم طبع كتابه الجديد « الامة الانسانية » ...

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

بناء المسجد فى المقابر

السـؤال : ـ

هل يجوز ان يقام مسجد للصلاة فى الفضـاء المتسع داخل السـور المحيط بالمقابـر ؟
(أ . ف ـ الكويت)

الاجابـة : ـ

شرعت الصلاة شكرا للمنعم عز وجل وامتثالا وخضوعا لما أمر به يستشعر فيها المسلم عظمة ربه ، فيناجيه فى خشوع ملتمسا عفوه ورضاه ، ولقد تعددت فرائضها ليبقى العبد متصـلا دائما بمولاه ، وهى من أفضل العبادات ، لذلك ينبغى أن يخلص المصلى قلبـه فى التوجـه الى اللـه سبحانه . ومن ثم فلا يصح ان توجد أمامه مشاهد تبعث فى نفسه شيئا يصرفه عن تعظيمه ، أو تشغله عن أداء العبادة على الوجه الاكمل .

ولما كانت المساجد هى مكان العبادة ، وفيها تقام الصلوات خالصة لوجه الله كان من الواجب ان تقام فى مكان يحقق هذه الغاية .

ولقد ابتلى كثير من أفراد الأمة المسلمة ببناء المساجد على القبور الأمر الذى يتنافى مع حكمة مشروعية الصلاة . وقد نهى الرسول صـلى الله عليه وسلم وحذر من اتخاذ القبور مسـاجد فقال : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » كما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهـود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

فالرسول يحذرنا أن نصنع بقبره أو بقبور الصالحين مثل اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم وصالحيهم لأن هذا الامر يصير بالتدرج شبيهـا بعبادة الأوثان .

وحين وسع المسلمون مسجد رسول الله وادخلوا فيه بيوت أمهات المؤمنين ومنها حجرة السيدة عائشة التى دفن فيها الرسـول الكريم مـع صاحبيه .. أقاموا جدرانا مرتفعة حول الحجرة لئلا يظهر القبر الشريف فى المسجد فيصل اليـه العـوام .

من هذه الأحاديث وفعل الصحابة والتابعين ندرك أن الذى جرت به عادة كثير من بلاد الاسلام اليوم من بناء المساجد على القبور محرم ومخالف للسنة المطهرة .

وبما أن السيد السائل يقول أنه يوجد داخل السور المحيط بالمقابر مكان خال متسـع لبناء مسجد عام فلا مانع من بناء هذا المسجد لعدم بنائه على قبر من القبور .

بناء المساجد من الزكـاة

السـؤال : ـ

طلب منى جماعة من أهل الخير أن أتبرع بمقدار من زكاة مالى للمساهمة فى بناء مسجد تحتـاج اليه البلد ، فهل يحسب هذا التبرع من الزكاة ؟
(موسى الكاظمى ـ بغداد)

الاجابـة : ـ

يرى بعض الفقهاء أن صرف الزكاة فى بناء المساجد أو تعميرها لا يجوز شرعا لأن القـرآن الكريم حدد مصارف الزكاة فى ثمانية مصارف وليس هذا منها ، ولا يدخل بناء المسـاجد وتعميرها فى مصرف (فى سبيل الله) لأن المراد فى الآية خصوص الغزو لكثرة استعمالها فيه ، ولكثرة اقترانها بالجهاد .

ويرى بعضهم أن صرف الزكاة فى أى جهة من جهات البر جائز شرعا وذلك كبناء المسـاجد والمستشفيات والمدارس ويدخل ذلك فى مصرف (فى سبيل الله) لأن سبيل الله معناه الطريـق الموصل الى مرضاة الله ، وهذا يشمل الجهاد وغيره ، ولا يوجد مخصص يقصره على الجهاد .

ونرى أنه لا ينبغى صرف الزكاة فى بناء المساجد الا اذا كان الصرف فيه أهم من الصرف فى غيره من المصارف بأن لم يكن فى البلد من المساجد ما يستغنى به الناس عن المسجد المراد انشاؤه .

قضاء الصوم

السـؤال : ـ

مرضت فى شهر رمضان الفائت ، وأفطرت عشرة أيام منه ، وأريد قضاءها ولكنى لا أستطيع قضاءها متوالية ، فهل يكفى أن أصوم كل أسبوع يوما أو يومين ؟

(عبد الرحمن العائش ـ دبى)

الاجابـة : ـ

جمهور الفقهاء على أنه لا يجب التتابع فى صوم القضاء ، وانما هو مستحب ، والدليل على ذلك قوله تعالى « فعدة من أيام أخر » ومن صام ما عليه متفرقا فقد صام عدة من أيام أخر ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قضاء الصوم متفرقا ، فقال للسائل : ذلك اليك . ارأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين . ألم يكن ذلك قضاء فالله أحق أن يعفو ويغفر .

فاذا أردت أن تقضى ما عليك من الصوم متفرقا صح هذا القضاء وان كان الافضل أن تصوم متتابعا ، « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

صيام أهل البادية

السـؤال : ـ

نحن عرب البادية . حياتنا دائما فى حل وترحال نسعى وراء الكلأ بصفة مستمرة دائمة ، فلا نستقر فى مكان ، فهل يجوز لنا الفطر . ؟

(محمد نمر ـ الشارقة)

الاجابـة : ـ

أهل البادية الذين يشتون فى مكان ،ويصيفون فى مكان . لهم أن يفطروا فقط فى حال ظعنهم من المشتى الى المصيف ،ومن المصيف الى المشتى اذا كان انتقالهم هذا يأخذ شكل السفر الحقيقي . بخلاف ما لو تدرجوا فى الانتقال كتدرجهم وراء المرعى عادة فاذا ما نزلوا بمشتاهم ومصيفهم فلا يجوز لهم الفطر .

الفطر فى السفر

السـؤال : ـ

لقد أصبح السفر سهلا ميسرا لا مشقة فيه ، فهل يباح لى الفطر أثناء السفر مع سهولته وقدرتى على احتمالى الصوم فيه ؟ .

(عبد العزيز النابلسى ـ الأردن)

الاجابـة : ـ

ذهب الأئمة الأربعة أنه يجوز للمسافر أن يصوم ، وأن يفطر ، فقد ورد فى الصحيحين عن أنس قال : « كنا نسافر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلا يعيب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » وقال الله سبحانه « ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وفى **المسند** : عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الله يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته » وفى الصحيح « ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، انى رجل أكثر الصوم ، أفأصوم فى السفر ؟ فقال : ان افطرت فحسن ، وان صمت فلا بأس » .

فيجوز لك الفطر فى السفر ـ بشروطه ـ مع قدرتك على الصوم فيه .

زكاة مال المتوفى

السـؤال : ـ

مات والدى وأنا أعلم أنه لم يؤد زكاة ماله ، فهل يجب على اخراج هذه الزكاة من تركته نيابة عنه ، واذا أخرجتها فهل يسقط عنه العقاب .

(أبو حسام ـ دمشق)

الاجابـة : ـ

اذا فرط الانسان حال حياته ولم يخرج زكاة ماله حتى مات ، فعلى الورثة اخراجها عند احمد والشافعى .

وعند غيرهما لا يجب على الورثة اخراجها . واذا أخرجوها من عند أنفسهم تبرعا كان ذلك برا منهم بوالدهم ، والمأمول فى رحمة الله وعفوه أن يتقبلها منهم ويعفو عن الميت ، وقد سبقت رحمته سبحانه وتعالى غضبه والله غفور رحيم .

بأقلام القراء

الاعتصام بالكتاب والسنة

يناشد السيد مساعد خليفة الخرافي من ـ الكويت ـ المسلمين ، ويدعوهم الى الاعتصام بالكتاب والسنة ، ويستهل كلمته بالآية الكريمة ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)) ويقول :

في هذه الآية الكريمة يحذر الله عواقب مخالفته ، ويبين ان الدين قواعد ونظم وحدود ، وان ذلك كله يرجع الى أمر الرسول ونهيه ، وفعله وتركه ، فكل شيء أمر به الرسول أو نهى عنه وجب علينا امتثاله ، وكل شيء فعله الرسول ، أو تركه وجب علينا تنفيذه بدقة واحكام .

ولقد بين الرسول الكريم كل ما يحتاج الى بيان ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة على أكمل وجه ، وأدق بيان . وما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى الا بعد أن كانت كل معالم الدين واضحة وسنته كاملة ، وأحكامه تامة .

فالزيادة في الدين ، أو النقص منه أمر ضرره كبير وخطره عظيم . يفسد العمل الصالح ، ويحبط ثواب العبادة ، ويستوجب غضب الله ومقته ، ((تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)) .

ومع وضوح هذه الحقيقة فانا نرى فريقا من المسلمين تعدوا حدود ما شرع الله لهم ، وشرعوا لانفسهم ما لم يأذن به الله ورسوله ، وأحدثوا من البدع المنكرة مالا يرضاه الله . من ذلك ما يفعله الجهلة من التمسح بالأضرحة وطلب الشفاء ، وقضاء الحاجات من الأولياء ، وكذا النذر لهم والاستعانة بهم والذبح عند قبورهم ، وشد الرحال الى أجداثهم .

وقد نهى عن ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ((لا تشد الرحال الا لثلاث مساجد : المسجد الحرام، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى)) وقال ((لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)) .

فالعبادة المقبولة هي التي يقصد بها وجه الله وحده ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) .

القرآن الكريم

وبعث الأستاذ جلال الدين عبد الرحمن من القاهرة بكلمة يتحدث فيها عن القرآن الكريم نقتطف منها ما يلي :

هو مصدر الهداية الاسلامية ، وأصل الشريعة المحمدية ، منه يأخذ المجتهدون ، وعليه يعول المشرعون والمستنبطون ، لا علم لهم الا ما علمهم اياه، ولا حكم الا ما أرشدهم اليه ، ولا عقيدة الا ما ينص عليها ، فهو الكتاب الجامع والنافع الشافع والحكم العدل ، والقول الفصل ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)) .

والقرآن في الاسلام ، معجزة دعوته ، ودستور شريعته ـ وفي اللغة العربية تاج أدبها وقاموس لغتها ، وعند أولي الألباب فردوس المعاني الروحية ، ومناهل الايمان والعرفان الربانية ، في أطوار أسراره لمسات سماوية تهتز لها المشاعر ، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، أمثاله عبر لمن تدبرها ، وأوامره هدى لمن استبصرها .

فهو أساس الدين وحبل الله المتين . والذكر الحكيم لا تزيغ به الأهواء : ولا تتشعب به الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء . من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ،ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

وقد اهتم المسلمون بكتاب الله ، وقدروه حق قدره ، وجعلوه أهم مواد دراستهم، وأفسحوا له المجال ، بل جعلوه المحور والأساس ، واستغنوا به عن غيره ، ولم يستغنوا بغيره عنه . فالعالم الفاضل هو من حفظه وتفهم معانيه ، فكان للقرآن المكان الأول من كل قلب ، والمحل الأسمى عند كل نفس ، والعناية الكبرى فى دور العلم .

وسيبقى القرآن الكريم الى ما شاء الله تعالى معجزة السماء الخالدة ، وسيظل الى ما شاء الله غنيا عزيزا برسالته التى كلما مضى الزمان عليه مضت وهى تثبت قوتها واعجازهـــا .

فكتاب الله لا يحتاج الى مادح يزكيه ، أو دليل يبين عظمته وقدسيته ، ومـــع أنه كتاب هداية واصلاح وتهذيب الا أنه لم يفرط فى شىء من قوانين الحياة ونظمها ومطـالبهـــا .

المطالعة والدراسة والانتاج فى رمضـــان

وارسل الأخ محمد صالح بربندى من الرياض بكلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

لا شك أننا نجد فى رمضان فرصة كبرى ــ قد لا تتاح لنا فى الأشهر الأخرى للمطالعة والبحوث الدينية والعلمية الى جانب قيامنا بالعبادات المطلوبـــة ، فقراءة القرآن الكريم أولا هى خير ما يفعله الصائم قبل كل شىء ، فعباراته القوية ومعانيه السامية تخلب عقل السامع وتصقل نفس القارىء سيما فى الصيام الذى انصرفت فيه النفوس بكليتها الى طبيعة دينية وخلقية سامية ، وحينذاك يشعر القارىء أن آياته يسرى هداها فى القلوب ، ويجرى رواؤها فى الأعماق ، فتهز النفوس هزا ، وتصهر الأفئدة ، وتأخذ بلباب العقول .

ومن الخير أن يقرأ الصائم تفسيرا للقرآن الكريم ، وقد أكثر العلماء والحمد لله من شروح وتفسير الآيات البينات فنجد كتب التفسير التى تتجلى فيها جهود الباحثين ــ جزاهم الله خيرا ــ فى سبيل شرح معانى آى الذكر الحكيم ــ قدر استطاعتهم ــ ولكن القرآن بحر خضم زاخر بأمواجه ، فأنى للكتب والعقول أن تحيــط بمراميـــه ومقاصده وغاياته ، فهو كما يقول الله تعالى :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » . صدق الله العظيم ، ومن الخير أن يقرأ الصائم ايضا شيئا من الحديث الشريف ، فنستطيع قراءة صحيح الامام البخارى أو الامام مســـلم أو غيره من صحاح الحديث الأخرى ، وهناك الكتب المطولة والجامعة والمختصرة العصرية المشروحة ، فالصائم اذا خصص جزءا من وقته اليومى لدراسة الحديث النبـــوى يستطيع أن يلم فى نهاية هذا الشهر المبارك بثروة حســـنة من روائع الهـــدى الخالدة ، وهى ذخيرة علمية ستنفعه مدى حياتـــه .

ومن المفيد أيضا أن يقرأ الصائم فى هذا الشـــهر المبارك الســـيرة النبويـــة ليطلع على أخلاق الرسول العربى الكريم صلى الله عليه وسلم وصبره وجهاده وقـــوة ارادته وبلاء الصحـــابة الكـــرام فى سبيل الفتح العربى ومآثرهـــم الجلى وآثارهم الكريمة الخالدة .

كل ذلك يدعو الصائم الى أن يكون باحثا عابدا ساعيا مستفيدا من أوقات هذا الشـــهر المبارك لا يقتصر وقته على العبادة والنوم فقط بل يقرأ ويطالع ، ويبحث ويكتب ، ولعله ان فعل ذلك يشعر انـــه استزاد ثروة علمية وفقهية كبيرة بالاضافة الى راحة النفس وطمانينتها وعبادتها وخشوعها ، وهذا ما يقوى جهد الصائم ، ويجعله يشعر بفائدة الصيام وآثاره على نفسه فى جميع نواحيها .

قالت صحف العالم

العدوان الاسرائيلى

هذا العنوان أصبح بابا ثابتا دائما فى الصحف والمجلات العربية والاسلامية وننقل اليك ما نشره الملحق الدينى لصحيفة الجمهورية القاهرية تحت هذا العنوان .

العدوان الاسرائيلى الذى وقع على سوريا والأردن هو جريمة فى حق الانسانية كلها . ويعتبر فى نفس الوقت تحديا لكل العرب ، ومن ثم وجب على جميع العرب أن يتكاتفوا استعدادا للمعركة الحاسمة لضرب المعتدين ورد العدوان بكل عنف وقوة وحزم .

من واجب العرب جميعا بل من واجب كل المسلمين أن يقفوا صفا واحدا فى وجه المؤامرات الصهيونية والاعتداءات الاسرائيلية التى تثبت أن اسرائيل اداة للاستعمار وقاعدة للعـدوان .

ان العدوان الاسرائيلى يدل على أن هناك مخططا عدوانيا تعمل الصهيونية على تنفيذه لخدمة الاستعمار متحدية بذلك كل القوانين الدولية وميثاق الامم المتحدة ، واذا لم يتحد العرب ، ويتخذوا الاحتياطات اللازمة ، ويتناسوا خلافاتهم فان اسرائيل ستكرر العدوان . ان الوقت وقت كفاح وجهاد واعداد واستعداد ولن تستقر الأوضاع الا بازالة اسرائيل التى قامت أساسا على العدوان . وذلك لن يتأتـى الا بالاتحـاد والتضامن والوقوف صفا واحدا للدفاع عن كيان الوطن العربى واستقلاله .

لقد دعت الأديان كلها الى مقاومة العدوان ومحاربة العدو الغاصب . وأمرت بالجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الحق ورد عدوان الذين يفسدون فى الأرض ، ويريدون القضاء على البشرية .. ان اسرائيل جرثومة فى الوطن العربى ، ومن واجبنا أن نقضى عليها حتى نعيش جميعا فى سلام وامن واستقرار .

التعليـم العالـى

وبمناسبة بدء الدراسة فى جامعة الكويت الجديدة ، والاحتفال الرسمى الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة وشهده كبار المشتغلين بالتعليم الجامعى فى العالمين العربـى والغربى نشرت مجلة الكويت مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلى .

ان مهمة الجامعة تعنى بالاضافة الى اكتشاف الانسان لذاته هو أن يتأمل فيما حوله . وليس من شك أن التأمل ركن من أركان التقدم العلمى . فما من عالم استطاع أن يقدم اختراعا من الاختراعات ، وما من عالم استطاع أن يقدم بحثا من البحوث ، وما من فنان استطاع أن يقدم لنا شيئا فى عالم الفن الا بعد أن يكون قد تأمل فى المادة التى تخصص فيها أو أحبها . فهو بعد أن يقف عندها متأملا مفكرا يستطيع بعد ذلك أن يقدم شيئا للانسانية .

اذن فمهمة الجامعة تعنى أن يساهم الفرد فى العطاء الانسانى . وما دامت هذه مهمة الجامعة أو بعض مهمتها فانى فيما أظن لن أكون مغرقا فى الخيال اذا ما أملت فى أن أرى فى الكويت باحثين أو مخترعين أو مكتشفين ، أو من يضع أساسـا لاختراع أو اكتشاف ، فان ذلك ليس بعيدا على جامعة يبذل لها كل ما تريد . على أن هذا

الأمل لن يتحقق الا اذا تهيأ جو طليق تتفاعل فيه الآراء المختلفة لكي تنجلي الحقيقة فان الفكر الصحيح هو ذلك الفكر الحر المتسامح الذى ينشد الخير والحب والجمال .

أو ليس هذا البلد جزءا من وطن قد عرف شعبه بحضارته العريقة التى كانت أساسا لمدنيتنا الحاضرة كما يقول معظم المؤرخين المنصفين ؟ او ليست أمتنا العربية قد عرفت الجامعات قبل غيرها من الامم ؟ وأن هذه الجامعات الغربية والشرقية التى تنشر العلم فى هذا الوقت مقتبسة فى أسسها من جامعاتنا العربية الاسلامية ، كجامعة المستنصرية والنظامية والأزهر فى المشرق وجامعة الزيتونة والقيروان وقرطبة فى المغرب . فقد كانت تلك الجامعات تتبع نظما شبيهة بنظمنا الحاضرة سواء كان ذلك من حيث التدريس أو من حيث الحياة الجامعية .

جيـــل قلــق

ومن باب كلمات بيضاء فى مجلة الاسبوع العربى اللبنانية ننقل للقارىء الفقرات التالية :

الصيحات التي تتعالى من وقت الى آخر مقررة ـ بحسن نية أو بسوء نية ـ ان جيلنا ((جيل فاسد)) ستجد تأكيدا جديدا لهذه (الحقيقة) . وستتهم الجيل باستيراد قلقه وضياعه ، وسيرد بعض المسترزقين اللؤماء مدافعين : عصر حديث يتطلب ذلك .

نعم جيلنا ضائع وقلق لأنه بلا يقين ، ولأنه لا شيء حوله قد يمنحه هذا اليقين ؟ من قال أن الكتب المدرسية وحدها تكفى ؟ .

ماذا حوله ؟ ..

الصحف مرآة . لنقرأ معه ما يقرأ من تناقضات . ولنلتقطها من الصحف العربية المختلفة .

هذا خبر اجتماعي انقله حرفيا .

((السيدة س . سافرت الى أوروبا للاستجمام من .. من عناء الحفلات ..)) .

فى صفحة الجرائم من العدد نفسه خبر (أقل أهمية) . نساء احدى القرى تظاهرن مطالبات ببناء مدرسة لأطفالهن ...

ريبورتاج مصور عن السيدة التي امتهنت قص شعر الكلاب المدللة ـ الكلاب تشكل اليوم طبقة هامة فى المجتمع المودرن لم يخطر لابن خلدون ذكرها .

لنقرأ مزيدا من الأخبار ، أقل ايلاما من مهزلة أكل لحم بن بركة (بالشوكة والسكين) فى محكمة مكسيم (الباريسية) ... أخبار أعياد الميلاد مثلا ..

كل عام والعالم الحر بخير ...

منظمة السلام (الأمم المتحدة) بلغت سن الرشد (بالهوية فقط) واحتفلت منذ أيام بعيد ميلادها باطفاء ٢١ شمعة (ومع ذلك ما تزال الشمس تشرق بالضياء نفسه) .

وتصادفت ذكرى مولدها المجيد مع ذكرى مرور ٤٩ سنة على وعد بلفور الذى أساء التقدير (فلو عرف مدى تخاذلنا لاقطع اسرائيل بلادنا كلها من المحيط الى الخليج ، ولما اكتفى بجس نبضنا فى فلسطين وترك الباقى على خلفائه) .

احداث وأحداث .. وفى مثل هذا الجو يترعرع جيلنا (الصاعد) .. جيلنا الضائع الذى يصرون على أن يستورد ضياعه ، (جيلنا الرافض) أن تكون حياته استمرارا للقرن التاسع عشر لكنهم يصرون على أنه يستورد رفضه ...

(جيلنا الأصيل) لأنه رغم الجو الفاسد الذى يحيطونه به ـ بحسن نية وبسوء نية ـ ما زال مصرا على التمرد بحثا عن مصير أفضل ....) .

أخبار العالم الإسلامي

الكـــويت

※ تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح جامعة الكويت في مهرجان تاريخي شهده عدد كبير من وزراء التربية وكبار المشتغلين بالتعليم الجامعي في العالم وذلك يوم الاحد ١٥ شعبان ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ وهو اليوم الذي يوافق الذكرى الاولى لتوليه سلطاته الدستورية .

كما تفضل سموه ثاني يوم بوضع حجر الاساس لمدينة الصباحية الجديدة التي سيتكلف انشاؤها ٤٠ مليون دينار .

※ زار البلاد فخامة رئيس الجمهورية العراقية السـيد عبد الرحمن عـارف بدعوة من سمو أمير البلاد المعظم وذلك في الثالث من شهر ديسمبر ٦٦ .

※ كما زارها فخامة الرئيس هاماني ديوري رئيس جمهورية النيجر ، وقد قبل سمو الامير المعظم دعوته لزيارة النيجـر .

※ أعلن سفير الهند بالكويت أن سمو الامير المعظم قبل الدعوة لزيارة الهند قريبا .

※ تلقى معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كتاب شكر من اتحاد الطلبة المسلمين في أوربا على المعونة التي قدمتها الوزارة للاتحاد .

※ وعد معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية في البرنامج التلفزيوني « مع المسئولين » بزيادة كمية مجلة الوعي الاسلامي تلبية لرغبات المسلمين هنا وفي العالم الاسلامي كما وعد معاليه ببناء عدد كبير من المساجد مسايرة للتقدم العمرايي .

※ قرر المؤتمر الثالث والعشرون لمقاطعة اسرائيل مقاطعة شركات فورد وكوكاكولا وار. سي أي. وشركات أخرى لتعاملها مع اسرائيل .

※ أبدت أمانة جامعة الدول العربية رغبتها في مساهمة الكويت في بناء مسجد في ريودي جانيرو بالبرازيل .

الجمهورية العربية المتحدة

※ أرسل الازهر مجموعة كتب اسلامية الى زعيم مسلمي تايلاند بناء على طلبه.

※ تقرر اعفاء جميع الطلاب الفلسطينيين بالتعليم العالي من دفـع الرسـوم الاضافية هذا العام .

※ بلغت الميزانية المخصصة لرعاية البعوث الاسلامية الذين يبلغون ٦٥٠٠ من مختلف البلاد العربية والاسلامية مبلغ ١٠٢٠٠ر١ر٢٠٠ جنيها بزيادة قدرها ١٠٠ر٨٠٥ جنيها عن العام الماضي .

※ وافق مجلس جامعة الازهر على منهج الدراسات الدينية للكليات الجديدة ، المنهج يتناسب مع ما يدرس في كل كلية .

※ قام الرئيس هواري بومدين رئيس الجمهورية الجزائرية بزيارة للجمهورية العربية المتحدة وقضى في زيارتها مدة أسبوع .

السعودية

* زار فخامة رئيس جمهورية النيجر المملكة العربية السعودية بدعوة من جلالة الملك فيصل وقد زار الرئيس الاماكن المقدسة ومعالم التقدم فى البلاد ، كما زارها فخامة السيد اسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة السودانى .
* تم اعداد ثلاث حلقات من سلسلة تاريخية عن قادة الجزيرة وعلمائها فى قالب قصصى حديث وينتظر أن تبلغ هذه السلسلة عشرين حلقة .
* عمم مدير عام الشئون الاجتماعية على جميع رؤساء الاندية بضرورة حضور الصلاة جماعة ووقف جميع الالعاب فى وقت الصلاة .
* ستبدأ الدراسة قريبا فى كلية التربية بجامعة الرياض .

العراق

* احتفلت جمعية الآداب الاسلامية بليلة الاسراء وحضر الحفل السيد رئيس الجمهورية ورجال حكومته .
* قبل الرئيس عارف الدعوة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة قريبا .

سوريا

* تبادلت سوريا والعراق التمثيل الدبلوماسى حيث عينت كل من الدولتين سفيرا لها لدى شقيقتها .

السودان

* بدأت الدراسة فى الجامعة الاسلامية التى انشئت هذا العام واختير لها اساتذة من خيار المشتغلين بالدراسات الاسلامية فى مصر والبلاد العربية ، ويتولى عمادتها الدكتور كمال الباقر .. تمنياتنا الطيبة .

الاردن

* تألفت لجنة من كبار التجار ورجال الاعمال لجمع التبرعات لاعادة بناء قرية » السموع « التى تهدم معظمها نتيجة للاعتداء الاسرائيلى الاخير .
* اعترفت جريدة » البوست « أن القائد اليهودى فى معركة السموع قد قتل وان المعركة كانت مع القرية من بيت الى بيت .
* تقرر ايفاد احد المقرئين الى كراتشى للاشتراك فى مسابقة قراءة القرآن الكريم .

الجزائر

* بلغ عدد سكان الجزائر فى الاحصاء الاخير ـ ابريل الماضى ـ ١٢ مليونا و٩٣ الف نسمة .

لبنان

* استقال فضيلة الشيخ محمد علايا مفتى لبنان وتم الاجماع على اختيار فضيلة الشيخ حسن خالد خلفا لفضيلته وقد تخرج المفتى الجديد من الازهر عام ١٩٤٥ وكان يشغل قاضيا لمنطقة جبل لبنان .

تونس

* عينت فى المحكمة الاميرية لاول مرة قاضية اسمها أمل الشيمى .

اخبار متفرقة

روالبندى ـ تظاهر الاف من الطلبة والشعب فى روالبندى واسلام اباد احتجاجا على نشر التايمز اللندنية صورة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ماليزيا ـ يقوم وفد دينى ماليزى بزيارات لعدة بلاد آسيوية وافريقية لدعم العلاقات المشتركة

روما ـ تظاهر عدد كبير فى أحد الميادين الرئيسية مطالبين باباحة الطلاق وعقدوا اجتماعا كبيرا لذلك ضم اعضاء مجلس الشيوخ والنواب من جميع الاحزاب عدا الحزب الديمقراطى المسيحى .

الهند ـ لاول مرة تولى وزير مسلم وزارة الشئون الخارجية فى الوزارة الجديدة .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامةــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى صب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الامير عبد القادر الجزائري

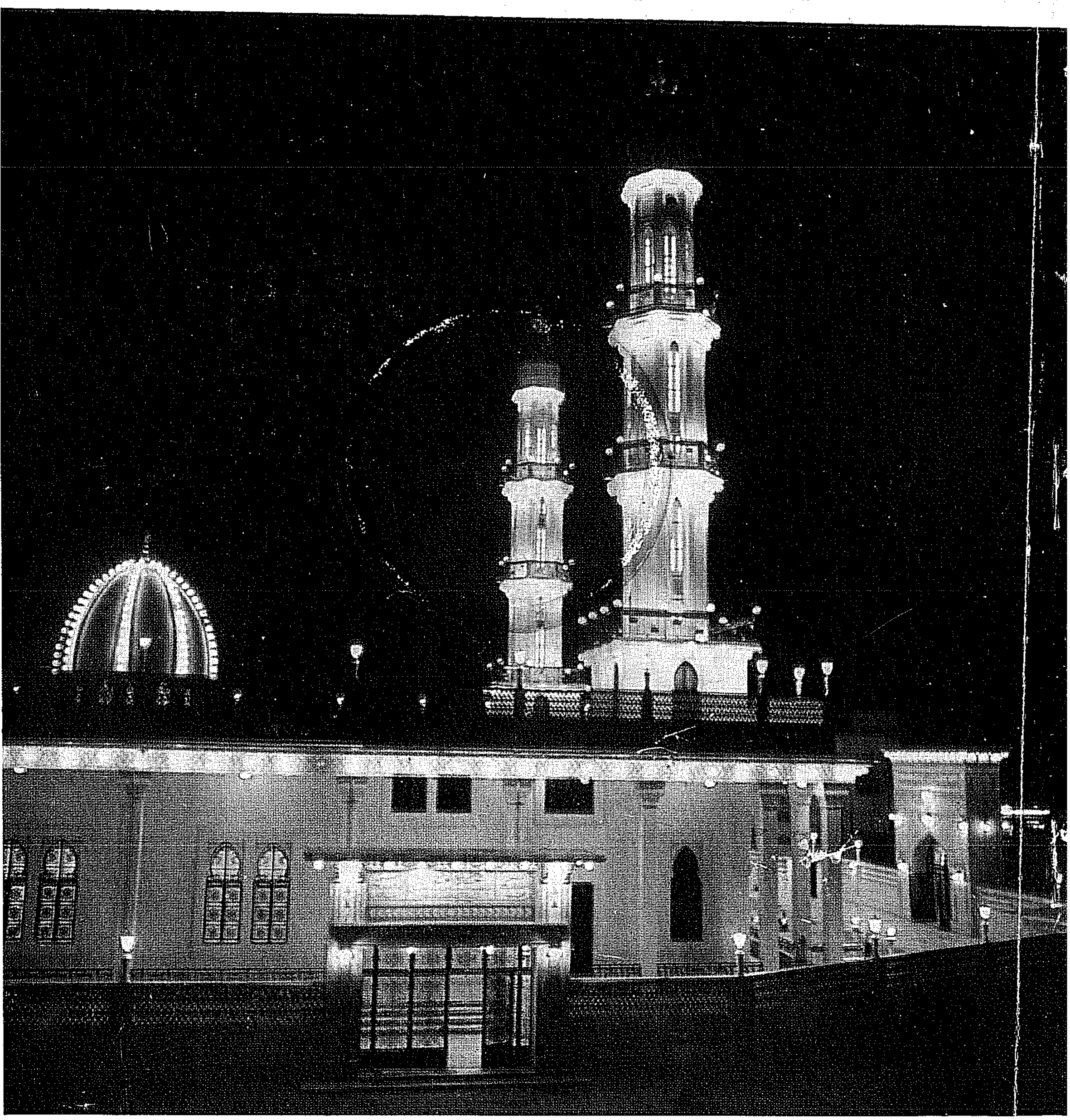
لوحة زيتية بريشة
محمد مؤذن

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية ـ العدد الثاني والعشرون ـ شوال ١٣٨٦ هـ ـ يناير ١٩٦٧ م





سمو الامير المعظم وسيادة الرئيس عبد الرحمن عارف يتقبلان باقات الزهور
لدى وصول الضيف الكبير الى مطار الكويت



سيادة الرئيس العراقى اثناء زيارته لجامعة الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثاني والعشرون ــ السنة الثانية

غرة شوال سنة ١٣٨٦ هـ

١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

صورة الغلاف



مسجد المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان: من أفخم المساجد الحديثة بالكويت. وعلى واجهته ومئذنتيه الانوار التي تسطع طوال شهر رمضان .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

كيف نخدم ديننا ؟ او كيف نخدم مجتمعنا عن طريق الدين ؟

هذا هو السؤال الذى اختلفت وتختلف وجهات نظر المخلصين وأعمالهم فى الجواب عنه .. وكان الاختلاف فيه أمرا طبيعيا ما دامت عقول الناس وثقافتهم مختلفة ومتفاوتة .. فقد نتفق جميعا على الهدف ، ثم تختلف بعد ذلك وجهات نظرنا فى الطريق الذى يؤدى اليه ، ولكن من الضرورى بجانب هذا أن يكون مفهوما انه مهما تختلف وجهات النظر هذه فلا يقبل من أصحابها ان يتبادلوا الاتهام بالتنكر لهدفهم ، أو عدم الاخلاص للغاية التى يريدونها ويعملون لها .. وحتى لو أخطأ أحدهم فى وجهة نظره ، وفى رسم الطريق المؤدى لغايته ، فمن الواجب التماس العذر له لانه فكر واجتهد مخلصا حسب ما آتاه الله من علم وعقل للوصول الى الهدف .

هذا هو المبدأ السليم الذى يمكن على أساسه أن نخدم الدين أو نخدم المجتمع عن طريق الدين ، والذى علمنا هذا المبدأ وأرشدنا اليه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرر أن للمجتهد أجرين اذا أصاب وأجرا واحدا اذا اخطأ . فلم يحرم المخطىء من ثواب اجتهاده ، ولم يجرده من اخلاصه . فكان هذا المبدأ هو المفتاح الذى فتح عقول المسلمين ، ودفعها للتفكير والعمل كل واحد على قدر عقله ، وفى دائرة اختصاصه وعمله .. فانطلقوا لخدمة دينهم كل على قدر طاقته وما يهديه اليه عقله ، فاختلفوا مثلا فى فهم بعض آيات الله وأحاديث رسول الله ، واستنبط كل واحد غير ما يستنبطه الآخر ، ومع ذلك لم نعثر فى تاريخهم على اتهام وجه اليهم من المختلفين معهم ينتقص من دينهم ، أو من غيرتهم واخلاصهم . بل كانوا مع هذا الاختلاف يجل بعضهم بعضا ويثنى عليه .

حمى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة الامام الشافعى من بطش الخليفة حين وشى به اليه . كما احتضنه الليث بن سعد صاحب الامام مالك حين ترك بغداد وجاء الى مصر .. ولم يستجب الامام مالك لرغبة الخليفة فى حمل الناس جميعا على مذهبه ، ليكون هو المذهب الوحيد فى العالم الاسلامى ، احتراما منه لرأى زملائه المجتهدين الآخرين ..

وفى هذا الجو الذى أوجده الاسلام ترعرعت العقول ونشطت ، فأنتجت لنا هذا الميراث الفكرى الضخم الذى نعتز به ونعيش عليه .

ولو ظل هذا الجو يملأ على المسلمين حياتهم لسعدنا بأضخم من هذا التراث ،

ولظلت الحركة الفكرية فى تقدم مستمر . ولظل للعلماء والمفكرين مقامهم وجلالهم .

ولكن مع الاسف الشديد هبت على المسلمين ريح التعصب الاعمى ، وشغل العلماء بأنفسهم ، وغلبتهم أنانيتهم ، فكاد بعضهم لبعض عند العامة وعند الحكام ، واسرع بعضهم يتهم الآخر فى دينه واخلاصه لمجرد رأى يراه، فحاصرت هذه الروح الكيدية العقول ، وغللتها بالاغلال ، فأجدب الحقل الاسلامى قرونا من أن ينتج أناسا على غرار مالك والشافعى وابى حنيفة وابن حنبل والثورى والاوزاعى والليث بن سعد وغيرهم ، ممن حفلت بهم القرون الاولى فى الاسلام .

وكانت نومة طال ليلها .. وكأن الذين عاشوا فى هذا الليل وتخبطوا فيه قد ألفوا السير فى ظلامه من طول ما لبثوا فيه ، فأصبح كل نور يلمع أمامهم يعشى أبصارهم ، ويفقدهم توازن أقدامهم وخطواتهم ، فيهبون جميعا لمحاصرته حتى يطفئوه ويقضوا عليه .. تساعدهم فى ذلك مآرب حكام ومستعمرين يتبادلون واياهم عواطف الاسترضاء ، وتحقيق المصالح والاهواء ...

حتى طلع الفجر .. وبدأ الناس يبصرون مواقع أقدامهم ، وينظرون لقافلة الحياة تسبقهم الى النور . وهال نفرا منهم ما هم فيه من تخلف وركود وقصور ، فاتجهوا الى منبع النور الأول ـ كتابهم وسنة نبيهم ـ يستهدونه ، والى منهج السلف الصالح يترسمونه ، وهبوا فى النائمين فى الظلام ليوقظوهم ، ويقودوا قافلتهم الى حيث تعيش فى النور ، وتطرد عنها أشباح الليل ، وتثبت أقدامها على درب الحياة القوية المفعمة بالأمل ، المزدانة بالتفكير والعمل .. ولكن قوما ممن ألفوا حياة الركود والظلام ، قاموا فى وجه هؤلاء المخلصين يلقون التهم عليهم ويرشقونهم بالحجارة ، ويلطخونهم بالطين .. كلما سمعوا رأيا لم يألفوه قالوا : خروج عن الدين ، مع أنه من صميم الدين ، ولكنهم جهلوه . والانسان عدو لما جهل .. ومع ذلك لم تتوقف القافلة ، بل سارت ولكن فى تعثر ، وما كان لها أن تتوقف أو تعود الى الركود بعد أن تيقظت ، ووضعت أقدامها على أول الطريق ، ولكنها وجدت نفسها فى يد غيرها ، وأمورها يصرفها الدخيل عليها ، ويدخل على مجتمعها من المعاملات والتقاليد ما هو غريب عليها ، ليلقى بها بعيدا عن دينها وتقاليدها حتى يصعب عليها العودة اليه ..

وهنا كان مفترق الطرق لها . اما أن تستسلم لما أريد بها ، وترتمى فى أحضان غيرها ، وتنسلخ نهائيا من تراثها ، وتتنكر لماضيها وفى ذلك فناء لها .

واما أن تحاول استرجاع شخصيتها ، والحفاظ على تراثها ، والاتصال بماضيها ، وتنقية حياتها من كل دخيل غريب على دينها وطبيعتها وفطرتها ..

وكان لا بد لها أن تختار الطريق الثانى ، لأنه طريق حياتها ، طريق العزة التي تتعشقها ..

ولكن هذه المخلفات التي تراكمت على الطريق من آثار قرون مضت ، ومن آثار حياة زرعها الاستعمار فى مجتمعنا كيف تتخلص منها ؟ .

ان القضاء عليها يتطلب عقولا متفتحة تفهم وتستوعب ، وعزائم قوية تحتمل

العبء ، ولا تيأس من التيارات المضادة لها ، ولا من الاتهامات الخاطئة الهوجاء التي توجه اليها .. ويتطلب ايمانا تذوب على حرارته كل الصعاب والمشقات .. ومع ذلك كله يتطلب من جميع العاملين فى الحقل الديني أمرا مهما وفعالا ، وهو أن يتأدبوا فى دعوتهم بآداب الاسلام ، وتكون لهم قدوة حسنة بسيرة الائمة الأعلام الذين اختلفت وجهات نظرهم ووسائل عملهم ، ولم تختلف قلوبهم ، ولم يهدم بعضهم بعضا ، ويتهمه فى دينه وعقيدته ..

واذا كان من واجب الغيورين على الاسلام العاملين له أن يلتزموا بهذه الآداب فى كل زمان ، فانهم فى هذا الزمان يجب أن يكونوا أكثر التزاما بها ، حتى لا تتفرق صفوفهم ، وتتبدد جهودهم ، وتضعف قواهم أمام الذين اتحدت صفوفهم ، وتجمعت قواهم لمحاربة الاسلام بكل وسيلة يملكونها ..

واذا كان من واجب الغيورين على الاسلام أن يعملوا جاهدين على احياء روحه فى النفوس ، فان من واجبهم كذلك ان ينهضوا جميعا لمجابهة المشكلات الحديثة التي وفدت مع الغزو الغربى بايجاد الحلول السليمة لها ، حتى لا تكون فى مجتمعنا تناقضات بين مجرى حياتنا ، ربما تزرع اليأس فى قلوب بعض المسلمين من أمكان العودة الى الدين ،وتشكيل حياتنا على هديه وتعاليمه .

واذا كان هذا واجبا على الطليعة المفكرة من علمائنا ، فان هناك واجبا آخر تتحمله الصفوف التي تقف خلف هؤلاء العلماء المفكرين ، وهو أن تشد أزرهم ، وتتمسك فى حكمها عليهم ونظرتها لهم بالهدى النبوى الكريم الذى جعل للمجتهد المصيب أجرين وللمخطىء أجرا ، فلا تسيىء الظن بهم ، ولا تطلق ألسنتها للنيل من اخلاصهم لدينهم ، واتهامهم بالخروج عليه ، وأن ينزل منها الى ميدان المناقشة البريئة النزيهة من يستطيع المناقشة ، لنصل فى النهاية الى نتيجة ايجابية ، وثروة فكرية علمية تضاف الى ثرواتنا التى ورثناها ..

أقول هذا وأكرره لأن كثيرا من الذين يقفون فى هذه الصفوف الخلفية يحملون دائما معاول الهدم لكل تفكير جديد لا يألفونه ولا يدركونه مهما يكن مصيبا . ويتخذون من اشهار أسلحة الاتهام فى وجه المفكرين وسيلة الى الشهرة ، واتخاذ مواقف البطولة المصطنعة باسم الدفاع عن الدين والغيرة عليه . وقد يكون بعضهم مخلصا ولكن الاخلاص وحده لا يكفى ، بل لا بد أيضا من البصيرة والفهم ، فان العدو العاقل خير من الصديق الجاهل .

ان كثيرا من المفكرين يخشون لسان هؤلاء ، ويؤثرون السلامة منهم على أن يتقدموا بآرائهم ودراساتهم ..

بل ان بعض هؤلاء المفكرين يتملق عواطف هؤلاء ، فيؤثر الجانب الذى يرضيهم ، وينتزع اعجابهم على حساب عقله وفكره وضميره . وهذا شيء يؤسف له .

ان على العاملين فى الحقل الاسلامي ، وفى مقدمتهم المفكرون أن يدركوا أن أمامنا الآن هدفين مهمين يجب أن تتضافر كل الجهود فى العمل من أجلهما :

أولهما : صيانة العقيدة الاسلامية وتثبيتها فى النفوس ، وتقريب مبادىء الدين وتعاليمه للعقول .

وثانيهما : ايجاد الحلول المناسبة للأحداث والمعامــلات الجديدة حتى يزول التناقض الواقع بين ديننا ومجرى حياتنا ..

وحــول هذين الهدفين ومن أجلهما يجب أن تتجه جهود الغيورين من العلماء والحكام وعامة الشعب فى كل مكان وميدان .

وان مما نحمد الله عليه أن يكون هذان الهدفان هما الأساس الذى قامت عليه مجلة ((الوعى الاســلامي)) وكرست جهودها للعمــل من أجلهما ، وأهابت بالعلماء واستنفرت هممهم لخدمتهما فى أول عدد صدر منها .. ولا تزال تطلب منهم المزيد من الجهد الفكرى فى هذا السبيل .

لا نريد أن تكون ((الوعى الاسلامى)) صورة مكررة لما ألفناه من أبحاث مكررة شبع القراء من قراءتها ..

اننا نريد أن نحطم الأغلال التي أحاطت بنا زمنا طويلا ، وحالت بيننا وبين الحياة الاسلامية السليمة .

لسنا ممن يحبون أن يسيروا على سياسة الباب المغلق ، ونلف وندور داخــل الجدران التي أحاطت بنا ، وأفسدت الهواء علينا زمنا طويلا ايثارا للسلامة والعيش الهنىء وليكن بعد ذلك ما يكون ..

ومع أننا نؤثر السلامة ونطلبها مثل كل الناس الا أننا لا نحب أن نتمتع بها على حساب التغافل ، واغماض العين عما يشغل الرأى العام الاسلامي ويبلبل أفكاره ويزرع فيه المتناقضات وينميها .. ويجعله فى حيرة قاتلة بين دينه وحياته .

لا نريد ، ولا يرضى لنا الله الذى جعلنا أمناء على دينه أن نتمتع بهذه الســلامة عن طريق اهمالنا لأبسط الواجبات على رجال تحملوا أمانة تبصير المسلمين بدينهم ، والكشف عما فيه من قيم وحلول لمشكلاتنا اتقاء للرشاش الذى يصــيبنا من بعض المتحمسين الذين نرجو لهم مع هذا التحمس الكثير من التعمق فى الفهم والادراك ..

لا نريد أن نترك ميدان العمل الجاد المفتوح لخدمة الاسلام ورد السهام عنه ، ونشغل أنفسنا بالتوافه ، ونكرر مهزلة البيزنطيين حين كانت الجيوش تطرق أسوار مدينتهم ، وهم فى شغل عنها بمناقشة حامية : هل البيضة أصل الدجاجة أو الدجاجة أصل البيضة ، حتى اقتحمت الجيوش عليهم مدينتهم وقضت عليهم ..

أخى : حينما ندرك جميعا هذا ، ونعمل له ، ونصل اليه ، وتزول من أوساطنا المهاترات والمزايدات نكون فعلا قد حققنا معنى العيد فى قلوبنا ومظاهرنا .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

رئيس التحرير

أشراط الساعة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ،ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » (رواه البخارى ومسلم) .

نحن المسلمين آمنا بالله وصدقنا رسله وقر فى قلوبنا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، ولكن الناس أهمتهم دنياهم فعكفوا عليها يحاولون الوصول الى أسرار ما فى كونها ، وغفلوا عن الآخرة مع أنها أكثر أهمية بالنسبة لهم ، لأن ما هم فيه محكوم عليه بالفناء ان عاجلا أو آجلا طال الزمان أو قصر ، والكل راحلون الى حيث يشاء الله عظم أمر الراحل أو هان ، وانحصر حديث القوم فى المحسات حتى استغرق القول والعمل ، واذا حانت من عاقلهم التفاتة الى ما هو آت سرعان ما يلوى عنقه الى بهرج يجذبه وزخارف تلهب حواسه ، فلا بد من تذكير ، والذكرى تنفع المؤمنين ، بيوم تحدث عنه القرآن الكريم ، وجلا أمره سيد المرسلين ، وورد ذكره فى كتب السماء جميعا ، يوم ينفخ فى الصور فتسوى الارض ، وتندك الجبال ، وتطوى السماء كطى السجل للكتاب ، وتنسف الراسيات ، وتترك البسيطة قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولكن متى يكون ذلك ومتى يصدر الامر الالهى بالتنفيذ ؟ تساؤل ليس غريبا على البشرية ، وليس حديثا فيها ، فما أكثر ما ورد بالذكر الحكيم ، وما اكثر ما أجاب عنه رب العالمين . !
قال تعالى فى سورة الاعراف الآية (١٨٧)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . وفى سورة الاحزاب الآية (٦٣) يقول الله تعالى : « يسألونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا » وفى سورة النازعات الآيات : (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦) يقول العلى الكبير سبحانه : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » . وقد ورد فى حديث جبريل عليه السلام وقد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الناس أمور دينهم ، ما نصه : « .. ثم قال — أى جبريل — يا محمد متى الساعة ؟ وجاء الجواب : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ! .. وهكذا لا نجد جوابا يحدداليوم والوقت المعين لنهاية العالم فأمر ذلك مما استأثر الله بعلمه وحجبه لامر يعلمه سبحانه عن عباده ، واختص تبارك اسمه بتوقيته ، والحكمة فى ذلك مكنونة فى غيبه قال عز وجل : فى سورة السجدة (فصلت) الآية (٤٧) : « اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد » . وفى سورة لقمان الآية (٣٤) يقول سبحانه : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » . وهنا قرن الله سبحانه علم الساعة التى تحدد نهاية هذا الكون بأمور تحدث فيه تباعا أى تتوالى أمام أنظارنا ولا نعلم من أمرها قبل حصولها شيئا لنؤمن بأن الساعة أيضا ستحدث وستتحقق ولكن متى ؟ الجواب دائما وأبدا : الله وحده يعلم متى ؟ . وقد ترك الله تبارك وتعالى الشواهد فى الحوادث المغيبة تشير الى قرب الحصول أو بعده ولكن لا تحدد شيئا ، ولا يمكن للمخلوق العاجز أمامها أن يحدد شيئا مهما أوتى من العلم فما أوتى منه الا قليلا : تتجمع السحب ونقول حان وقت المطر وقد ينقشع السحاب وتتبدد الغيوم ولا يتساقط المطر ، وتحمل الانثى ونبسط أكف الضراعة نقول : لعله من نوع يحبه الآباء وترجوه الامهات، ويقول صاحب الغيب صبرا فعما قليل يزول الحجاب ويزحف الجنين الى الفضاء بعيدا عن كنه وستعلمون ، لكن الآن ، لا . ويقدر البشر أنه سيفعل وسيفعل ليحصل على طعام الغد ، وفريسة الساعة القادمة ، ولكنها تفلت أقرب ما تكون اليه ، أما كيف أفلتت فلا يدرى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) . قال الجاحظ (رب مقبل والخير من ورائه ، ورب مدبر والخير أمامه) . فأمر الغد تلوح ملامحه ولكنها لا تصدق دائما ، ويتطور المخلوق سائرا فى دروب الحياة يقطع فيافيها ويسلك مفاوزها وتعتوره سنة الله وتلاحقه آثار الايام فيه ، فيعوج كهلا وشيخا ويرد الى أرذل العمر مقيما فى بقعة ما من الكون ، وتراه وقد تقوس ظهره ، وأخذت منه السنون كل مأخذ يبتغى مسكنا فى غير مسقط رأسه ، ويريم أهلا فى غير واديه ، وتلاحقه منيته فى مكان لم يكن طرقه

من قبل ولا جاس خلاله فيما مضى له من عمر على المعمورة .

وهكذا أمر الساعة مجرى حديثنا وموضع استقصائنا ومراد بحثنا لا نجد فيها أى فى ميعادها نصا حاسما ، ومع هذا فلها علامات ودلائل تحدث عنها الصادق وأوضحها بما لا يقبل الجدل بعد أن تحقق كثير مما قال ، ولمسنا بحواسنا صدق ما أخبر عنه ، وعشنا فى جيل تجلت فيه بعض الامور التى أشار اليها سيد الخلق الذى لا ينطق عن الهوى فما هى تلك العلامات ؟ هذا ما تجيب عليه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها البخارى ومسلم واتفق على بعضها جميع رواة السنة الذين حققوها متنا وسندا ووضحوها ونفوا عنها ما يوهنها ، فما لقى علم من العلوم الاسلامية عناية واهتماما كما لقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد دققه وحققه وحفظه علماء أجلاء عبر أجيال متطاولة منهم من قضى نحبه غفر الله لهم ، ومنهم — وهم قلة الان فى أطراف الارض — أطال الله بقاءهم ، وسيجىء يوم لا يوجد فيه منهم أحد كما حدث الصادق المصدوق ، ومما يعزى أنه ستبقى آثارهم خالدة فى كتبهم ، وأخشى ما أخشاه أن تصير متاحف وآثارا ينظر اليها ولا يدرى ما فيها ، ويكون ذلك من علامات الساعة كما يشير اليه ما ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

وقد قسم العلماء العارفون علامات الساعة الى قسمين : علامات صغرى وهى كالارهاص لدنو أجل الدنيا واقتراب فنائها . وعلامات كبرى وهذه ستحدث بين يدى الساعة مباشرة ، وقد وردت أحاديث صحيحة تبين العلامات الصغرى منها ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » وقال صلى الله عليه وسلم « يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل » والمراد بتقارب الزمان نزع البركة منه ومعه كل شىء وأن اليوم يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بساعة واحدة ، وقد ورد فى حديث الترمذى مما رواه مرفوعا عن أنس رض الله عنه ما يدل على أن تقارب الزمان قبيل الساعة أمر حسن ونص الحديث : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة » وتبعا لذلك ينقص العمل ، ويرجع العلماء كل هذا الى سوء المطعم ، فالناس لا يتحرزون فى أقوالهم بل يتناولونها من الحلال ومن الحرام ، ومما فيه شبهة ولا يبالى أحدهم من أى سبيل حصل عليها ، والواقع أن البركة فى الزمان وفى الرزق وفى النبت انما تكون عن طريق

قوة الايمان واتباع الاوامر واجتناب النواهى ، ويشهد لذلك قوله تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » الآية ، وأما المراد بالعلم الذى سيقبض فهو علم الشريعة الاسلامية حلالها وحرامها حدودها وقواعدها وقد بدأ هذا فعلا فاننا نلاحظ فى مختلف بلاد المسلمين تناقص عدد العلماء الفاقهين للاسلام حق الفقه الذين أفنوا زهرة شبابهم فى البحث والتحصيل ، والذين يستطيعون أن يوجدوا لكل مشكلة حلا من كتاب الله وسنة رسوله — أقول — ان عددهم آخذ فى الانقراض بشكل يستلفت النظر ، والادهى من ذلك والامر أن المسلمين اتجهوا الى العلوم المادية البحتة والنظرية البعيدة عن الشريعة ولم يفردوا لعلوم الشريعة مكانا خاصا ولم يفسحوا لها مجالا تتركز به فى أذهان الناشئة ، اللهم الا أضواء خافتة تتراءى هنا وهناك ، وهذا بدء تحقق كلام الرسول ، وسيجىء اليوم الذى يسأل فيه المسلم عن أبسط أمور دينه فيجيب خبط عشواء بعيدا عن المراد لله ولرسوله ، ونسأل الله ألا ندرك تلك الايام السود ، وقانا الله واياكم شرها وشر ما يدهم العالم فيها من فتن ومحن واحن والمراد بالهرج : القتل كما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كانت للهرج معان أخرى تربو على التسعة : منها : شدة القتل ، وكثرة القتل ، والاختلاط والفتنة فى آخر الزمان ، وكثرة النكاح وكثرة الكذب ، وكثرة النوم ، وما يرى فى النوم غير منضبط ، وعدم الاتقان للشىء

ومن الاحاديث الشريفة ما يدل على أن الساعة تأتى بغتة ومفاجئة للعالم على غير انتظار ، كما ورد ذلك بالكتاب العزيز « .. لا تأتيكم الا بغتة .. » وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها (١) فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه (اى يصلحه بالطين) . فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » . ودلت بعض الاحاديث على أن حربا شعواء سيستعر أوارها بين المسلمين واليهود وسيكون النصر فيها حليف المسلمين ، فقد روى مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر

البقية على ص ٣٧

(١) وهذه من العلامات الكبرى

لماذا اختلف الأئمة

هل عمل صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور التي اختلف

ولماذا يكون الشئ فرضاً عند إمام مكروهاً مثلاً عند إمام آخر

وما الحكم فيما لو قلد إماماً في نقطة وقلد غيره

وهل يمكن تقليد غير الأربعة أو الاعتماد على الكتاب والسنة

ان الخلاف الذى وقع بين رجال الشريعة الاسلامية نوعان :

١ ــ خلاف حرمه الله ورسوله .

٢ ــ خلاف تقتضيه طبيعة البشر ،فهو ضرورى الوقوع ما دامت أدلة الفقه ظنية ، وأن الله خلق الناس مختلفى الأنظار والتفكير ، وذلك يقتضى طبعا تشعب الآراء . وهذا أنواع :

١ ــ ما حصل بين الصحابة ، والرسول صلى الله عليه وسلم حاضر معهم ، وقد يكون طرفا فى الخلاف .

٢ ــ ما حصل من الصحابة عن اجتهاد منهم فى حياة الرسول ولم يكن صلى الله عليه وسلم حاضرا معهم ، وهذا أربعة أنواع :

أ ــ ما وقع من اجتهاد بعضهم فى عهده صلى الله عليه وسلم ولم يقره .

ب ــ ما وقع من اجتهاد بعضهم فى عهده صلى الله عليه وسلم ووافق عليه .

ج ــ ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم طرفاً وأنكر الآخر .

د ــ ماوقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم كلا من الطرفين .

٣ ــ ما حصل بين علماء المسلمين بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وهو أوسع الخلافات .

وما الحكم في تقليدهم؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

فيها الفقهاء؟
في أمور العبادات؟
في غيرها؟
دون التقيد بمذهب الآن؟

تردنا كثيرا أسئلة من القراء حول المسائل المختلف فيها بين الأئمة ولا سيما فى الأمور الفقهية . منهم من يستفسر عن سر الخلاف ، ومنهم من يستعظم أمره ويتمنى لو لم يكن .

ولفت نظرنا بصورة خاصة سؤال جاءنا من قارىء بطنطا بالجمهورية العربية المتحدة فرأينا أن نحرر هذه الأسئلة ، ونضيف اليها ما يكملها ، ونتوجه بها لفضيلة الشيخ ـ وله فى موضوعها كتب وأبحاث ـ ليتناول علاجها بشيء من الافاضة تريح القارىء وتطمئنه . فتفضل ـ مشكورا ـ بارسال هذا البحث الذى نقدمه اليك الآن على أن نوالى فى الاعداد القادمة تكملته ان شاء الله .

الوعى الاسلامى

أما الخلاف الذى حرمه الله ورسوله فهو ما نهى عنه الله ، وحذر منه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال فيه سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آية ١٠٥ من آل عمران .

وقال سبحانه (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء) آية ١٥٩ من سورة الانعام ، وقال (ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) آية ٣٢ من سورة الروم ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم خطر الخلاف بين المسلمين فقال : « اختلف اليهود والنصارى الى ثلاث فرق ، وستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم فى النار الا واحدة » قالوا وما هى يا رسول الله قال : « هى ما أنا عليه وأصحابى » يريد صلى الله عليه وسلم بهذه الفرقة الناجية من تكون على ما هو عليه وأصحابه من اتباع تعاليم الشريعة السمحة ، مع سعة الصدر مع المخالف فى غير المقطوع به ، المعلوم من الدين بالضرورة .

وهذا الخلاف المنهى عنه فى الكتاب والسنة هو ما كان منشأه التعصب للرأى ، والبعد الشاسع عن مبادىء الدين السمحة ، حتى يعادى المسلم أخاه مهما ظهر له من دليل يخالفه ، الى غير ذلك من أسباب هيأ مصائدها لهؤلاء المخالفين الشيطان وجنوده .

وهذا الخلاف هو الذى قال فيه الغزالى فى كتابه « الاحياء » بعدما نقل ما كان عليه الصدر الأول من سعة الصدر ، قال فى أهله : « وانظر اليوم الى مناظرى زمانك كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح الحق على لسان مناظره وكيف يجتهد فى مكابرته بأقصى ما يستطيع ، ويبلغ به الغيظ أن يداوم على الطعن فيمن أفحمه طول عمره » .

ثم قال الغزالى : « واعلم أن المناظرة بقصد الغلبة والتظاهر بالعلم والفضل والتشدق عند الناس ، وقصد المباهاة ، هى منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله ابليس ، ونسبتها للفواحش الباطنة من الكبر ، والعجب ، والحسد ، وحب الجاه ، وغير ذلك ، كنسبة شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وغير ذلك . وقد جاء عن بعض السلف أنه قال : اذا تعلم الناس العلم ، وتركوا العمل وتحابوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، لعنهم الله وأعمى أبصارهم » .

ثم قال الغزالى : « وقد أصبحنا فى زمان يشتغل علماؤه بدقائق الجدل ، ويزعمون أن ذلك من أعظم القربات وقد كان ذلك فى الصدر الأول ، من المنكرات » .

وقال صاحب المنار فى مقدمة كتاب « المغنى » : « ولما كان الخلاف فى الفهم والرأى من طبائع البشر ، خص الاختلاف المذموم فى الاسلام بما كان ناشئا عن تفرق ، أو كان سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح ، فحظروا فتح باب الآراء فى العقائد ، وأصول الدين ، وأوجبوا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالأحكام العملية ، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه فى المسائل الاجتهادية ، ولا يكلفه أن يوافقه فى فهمه ، ثم ان كثيرا من العلماء حاولوا أن يجعلوا اختلاف العلماء فى مسائل الأحكام رحمة بهذه الأمة ، وتحقيقا ليسر دينها الذى ثبت بنصوص الكتاب والسنة ، واتقوا ما حذر الله فى كتابه من مضار التفرق والاختلاف ، الذى أفسد على الأمم السابقة دينها ودنياها ، ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وتشدد كل منهم فى تحتيم تقليد مذهبه ، وحرم على المنتمين اليه أن يقلدوا غيره ، ولو لحاجة فيها مصلحتهم ، وكان من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ وغيرها كالأحياء للغزالي حتى صار بعض المسلمين اذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه ينظرون اليه نظرتهم الى البعير الأجرب بينهم » .

ولم يقصد أحد من الأئمة من تدوين أقواله أن تكون هى الشرع ، أو كالشرع تتبع لذاتها ، ويحرص على التعصب لها ، ولا أن تفترق الطوائف المقلدة لكل منهم وتتعادى ، فتكون كاتباع الشرائع المتعددة المختلفة ، لأن كل هذه معاصي مجمع على تحريمها ، **وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء ، وتعصب كل شيعة لمذهب منها فى الأصول ، والفروع ، هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ، ولا شيء مما يتعصبون له بقطعى ولا مجمع عليه .**

فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك أسباب هذا التفرق والاختلاف ، حتى قال الغزالى فى كتابه « القسطاس المستقيم » بالاكتفاء بالعمل المجمع عليه ، واعتبار المسائل المختلف فيها كأن لم تكن ، وأن ما ترتب على التفرق من الضرر والفساد المدون فى التاريخ والذى أفضى فى هذه الأزمنة الى ضعف المسلمين ، والى ذهاب ملكهم ، وتمكين الأجانب من الاستيلاء على بلادهم ، واغراء عوامل نفور بعضهم من بعض . كل ذلك يؤيد

وجوب تلافي شرور هذا التفرق، والعمل على جمع الكلمة ، ووحدة الأمة .

وأما الخلاف الذى حصل بين الصحابة والرسول حاضر معهم فمنه : ما حصل بين أبى بكر وعمر فى أخذ الفداء من أسرى بدر وعدمه ، ووافق الرسول رأى أبى بكر ، ونزل القرآن بما يؤيد رأى عمر من عدم أخذ الفداء آية ٦٧ من الأنفال .

أ ـ وأما ما وقع من اجتهاد بعض الصحابة والرسول غير حاضر معهم ولما علم به لم يقره ، فمثله : ما رواه أبو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أنه قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشج رأسه ، ثم لما بات احتلم ، فلما أصبح سأل أصحابه : هل تجدون لي رخصة فى التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فاشتد جرحه ، فمات ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر بذلك قال : قتلوه ، قتلهم الله ، انما كان يكفيه أن يتيمم ، ويعصب على رأسه خرقة ، ثم يمسح عليها ، ويغسل سائر جسده .

فهؤلاء منشأ خطئهم أنهم أخذوا آية (فان لم تجدوا ماء فتيمموا) على ظاهرها، مع أن شرط استعمال الماء ألا يؤذيه ، أما اذا كان الماء باردا مثلا ولا يستطيع تدفئته أو كان يستطيع التدفئة ولكنه يضر به مطلقا ، فان التيمم يكفيه .

ونظير ذلك ما رواه البخارى ومسلم والدار قطنى عن عمار بن ياسر قال : أجنبت فلم أجد ماء ، فتمرغت فى الصعيد (أى التراب) وصليت ، وذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما يكفيك هكذا ، وضرب صلى الله عليه وسلم بيديه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، ولفظ الدارقطنى انما كان يكفيك أن تضرب بكفيك على التراب ، ثم تنفخ فيهما ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك الى الرسغين (والرسغ بضم الراء وسكون السين هو العظم الفاصل بين الكف والذراع) .

وممن كان يظن كان ظن عمار من تعميم التراب للبدن ، عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود ، ولما علما بما كان من عمار رجعا الى ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم ، فترى هنا أن النبى صلوات الله عليه لم يقر عمارا على تمريغ جسمه فى التراب فى التيمم بدل الغسل .

ومن هذا النوع ما رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شيخا يمشي بين أبنيه يتوكأ عليهما فقال : ما بال هذا ؟ قالوا نذر أن يمشي (أى الى بيت الله الحرام) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى » ، وأمره أن يركب .

ومنه ما رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل فقال يا رسول الله ان أختى نذرت ان تحج ماشية فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا ، فلتحج راكبة ولتكفر عن نذرها (١) .

وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم يخطب اذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : هذا أبو اسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال صلى الله عليه وسلم مره فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه .

فتراه صلى الله عليه وسلم أقر هنا ما هو عبادة ، ورفض غيره .

ب ـ وأما ما وقع من اجتهاد بعض الصحابة فى عهده صلى الله عليه وسلم ولما علم به وافق عليه فمثله : ما رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عمرو

البقية على ص ٢٢ ، ٢٣

(١) وكفارة النذر هى كفارة اليمين .

مناهج التفكير في الشريعة الإسلامية

لماذا اختلف علماؤنا السابقون لماذا لا يكون لنا رأي

سبب الاختلاف

قد يقبل بعض المجتهدين حديثا لتوافر شروط القبول فى نظره ، ويرده آخر لعدم توافر شروط القبول عنده ، ويقع ذلك على وجوه : منها ما يرجع الى السند ـ أى الى فحص رواة الحديث والتأكد من عدالتهم وضبطهم ـ ومنها ما يرجع الى المتن ـ أى الى نقد موضوع الحديث نفسه ، لمعرفة ما اذا كان فيه نكارة معنوية ، أو هو خال من كل نكارة مع صحة سنده فى الحالين .

وأكثر الخلاف بين العلماء من حيث القبول والرفض راجع الى فحص السند ، وتمحيص حال الرواة .

وكل المسلمين متفقون على أنه اذا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به ، ما لم يتضمن علة قادحة فيه من جهة المعنى ، لكنهم يختلفون فى الثبوت أو عدمه ، وفى وصول العلة القادحة فى متن الحديث الى الحد الذى يجعله منكرا ، أو عدم وصولها الى هذا الحد .

وقد اشتهرت على ألسنة العلماء فى ذلك عبارة تقول : ان الخلاف انما هو فى الصغرى دون الكبرى ، أو الخلاف صغروى لا كبروى .

وبيان هذه العبارة : أن هناك قياسا منطقيا من الشكل الأول ، يستصحبه المجتهد دائما كنبراس له يستضىء به فى طريقه ، وهذا القياس مركب من مقدمتين ونتيجة :

فالمقدمة الأولى ـ وهى الصغرى ـ

الفقهاء في الأحكام ؟ نقدوا سند الحديث وموضوعه . بجانب السابقين في الجرح والتعديل ؟

للشيخ محمد محمد المدنى
الاستاذ بكلية الشريعة ـ جامعة الأزهر

تقول : « هذا الحديث ثبت عن رسول اللــه » .

والمقدمة الثانيــة ـ وهى الكبرى ـ تقول « وكل ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعا » .

والنتيجة المســتخلصة مـــن هاتين المقدمتين تقـــول « فهذا الحديث يجب العمل به شرعا » .

فالخلاف بين المجتهدين ليس فى المقدمة الكبرى ، اذ كلهم مؤمن بأن ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعا ، لقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تســليما » وغير ذلك من الآيات الدالة على وجــوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ، أو نهى عنه ، أو دل عليه فعله أو تقريره ، فليس فى المقدمة الكبرى اذن خلاف .

وانما الخلاف فى المقدمة الصــغرى ، اذ يعارض بعضهم فى ثبوت حديث مثلا ، بينما يتمسك الآخر بأنه ثبت ، بناء على المنهج الذى اختطه فى شروط القبول .

فلا تجد أحدا من المسلمين يقول : هذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون علة قادحة فيه ، ومع ذلك لا أعمل به ، ولكن تجد منهم من يقول : لم يثبت هذا فأنا لا أعمل به ، او هو ثبت رواية وسندا ولم يصح موضوعا ومتنا لوجود علة فيه ، فأنا لا أعمل به .

مثال نقد السند

فمن أمثلة الخلاف الذى يرجـع الى السند : ما اســتدل به الشــافعية من حديث مروى عن عبادة بن الصــامت ، قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، فثقلت عليه القراءة ـ أى لأنهم كانوا يقرأون خلفه بصــوت مسموع فكان يجد ثقلا وهو يقرأ مـــن أجل قراءتهم خلفه ـ فلما انصرف قال : « انـــى أراكـــم تقـــرأون وراء امامكم ، قالـــوا : اى والله يا رســـول

الله ، قال : « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » — رواه أبو داود والترمذى .

وقد استدل الشافعية بهذا الحديث فيما استدلوا به على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم .

وفى هذا الحديث يقول ابن قدامة المقدسى صاحب « المغنى » : « حديث عبادة لم يروه غير ابن اسحاق ، ونافع ابن محمود بن ربيع ، وابن اسحاق مدلس ، ونافع أدنى حالا منه .

فنراه لا يقبل الحديث لضعفه من جهة السند ، معتمدا على تجريح راوييه .

وهذا النوع كثير ، وهو أساس هام من أسس الخلاف ، ولا سيما بين السنة والشيعة الامامية والزيدية ، فكل فريق منهم يرى أحاديث ثبتت عنده لا يراها الآخر ، بسبب تجريحهم من رواها : أو عدم الأخذ به لأمر آخر قام لديهم .

— ولنا تعقيب على هذا سيرد على القارىء فى هذا المقال .

ومثال آخر فى نقد المتن

ومن أمثلة الخلاف الذى يرجع الى متن الحديث وما تضمنه : أى نقد الموضوع نقد ابن حزم لحديث قيل ان الحسن رواه عن ابن عباس جاء فيه **« أنه — أى ابن عباس — خطب فى آخر** رمضان على منبر البصرة ، فقال : أخرجوا صدقة صومكم ، فكأن الناس لم يعلموا ، فقال : من ههنا من أهل المدينة ؟ فقوموا الى اخوانكم فعلموهم فانهم لا يعلمون : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الصدقة صاعا من تمر أو شعير ، أو نصف صاع من قمح ، على كل حر أو مملوك ، ذكرا أو أنثى ، صغيرا أو كبيرا ، فلما قدم على رأى رخص الشعير ، قال : قد أوسع الله عليكم ، فلو جعلتموه صاعا من كل شيء » .

قال ابن حزم : وهذا الحديث قبل كل شيء لا يصح لوجوه ظاهرة :

أولهما : أن الكذب والتوليد والوضع فيه ظاهر كالشمس ، لأنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم بالأخبار أن يوم الجمل(١) كان لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ثم أقام على بالبصرة جمادى الآخرة ، وخرج راجعا الى الكوفة فى صدر رجب ، وترك ابن عباس بالبصرة أميرا عليها ، ولم يرجع على بعدها الى البصرة — هذا ما لا خلاف فيه من أحد له علم بالأخبار — وفى الخبر المذكور ذكر تعليم ابن عباس أهل البصرة صدقة الفطر ، ثم قدم على بعد ذلك ، وهذا هو الكذب البحت الذى لا خفاء به .

ووجه ثان : أن الحسن لم يسمع من ابن عباس أيام ولايته البصرة شيئا : ولا كان الحسن حينئذ بالبصرة ، وانما كان بالمدينة — هذا مما لا خلاف فيه بين أحد من نقلة الأحاديث .

وأيضا — وجه ثالث — : فانه حديث مفتعل لا يصح ، لأن البصرة فتحها وبناها — سنة أربع عشرة من الهجرة عتبة بن غزوان المازنى — بدرى مدنى ووليها بعده المغيرة بن شعبة ، وأبو موسى ، وعبد الله بن عامر ، وكلهم مدنيون ، ونزلها من الصحابة أزيد من ثلاثمائة رجل ، منهم عمران بن الحصين ،

---

(١) يوم الجمل هو اسم للموقعة الشهيرة بين الامام علي رضى الله عنه ، وفريق من الصحابة كان على رأسهم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ،وكانت فى هودج على جمل تحث على القتال،فسميت الموقعة لذلك « بيوم الجمل » .

وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، والحكم ابن عمرو، وغيرهم، وفتحت ايام عمر بن الخطاب، وتداولها ولاته، الى أن وليها ابن عباس بعد صدر كبير من سنة ست وثلاثين من الهجرة، أفلم يكن فى هؤلاء من يخبرهم بزكاة الفطر، بل ضيعوا ذلك وأهملوه، واستخفوا به أو جهلوه مدة أزيد من اثنين وعشرين عاما : مدة خلافة عمر بن الخطاب، وعثمان رضى الله عنهما، حتى وليهم ابن عباس بعد يوم الجمل ؟ أترى عمر وعثمان ضيعا اعلام رعيتهما هذه الفريضة ؟ أترى أهل البصرة لم يحجوا أيام عمر وعثمان، ولا دخلوا المدينة، فغابت عنهم زكاة الفطر الى ما بعد يوم الجمل ؟ .

ان هذا لهو الضلال المبين، والكذب المفترى، ونسبة البلاء الى الصحابة رضوان الله عليهم . ان هذا الخبر ما يدخل تصحيحه فى عقل سليم، وما حدث الحسن — والله أعلم — بهذا الحديث الا على وجه التكذيب له — لا يجوز غير ذلك » (١) .

ولا شك أن هذا نقد موضوعي جيد يدل على تعمق وطول باع، ويشهد بأن علماءنا الأولين رحمهم الله، كانوا أحرص الناس على تعرف الحق، وأقوم الناس منهجا فى تحصيله والذود عنه ! .

وواضح أن ابن حزم فى هذا النقد لم يكن موجها سهامه الى الرواة، ولكنه وجهها الى نفس المتن، وأخذ من عباراته وترتيب وقائعه، ما استدل به على نكارته وبطلانه .

ومثال ثالث

ومن أمثلة ذلك على عهد الصحابة ما فعلته عائشة رضى الله عنها، فى الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

فقد وجدت أن فى معنى هذا الحديث نكارة، فأن أصول الاسلام لا يتفق معها أن يعذب أحد بما يفعله أهله، فقضت عليه بأنه لم يأخذ الحديث على وجهه، وصححت هذا الوضع كما تعلمه فقالت : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها فقال : «انهم يبكون عليها، وانها تعذب فى قبرها » فظن ابن عمر أن العذاب علته البكاء، فجعل الحكم عاما على كل ميت .

وان كان بعض العلماء حمل ما رواه ابن عمر على أن المراد به الميت الذى أوصى أهله بالبكاء عليه بعد موته، فهذه وصية بفعل محرم يلحقه اثمها، فمن ثم عذب ببكاء أهله عليه .

وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، فيوصون بابكاء عليهم، فأبطله الاسلام، ويدل على تقليد الجاهلية فى هذا ما روى من أن « لبيد بن ربيعة العامرى » أحد أصحاب المعلقات، قال لابنتيه وهو يحتضر :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا الا من ربيعة أو مضر. ؟
فان حان يوما أن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر.
وقولا هو المرء الذى لا حليفه
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر.
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر. !

والواقع أن نقد عائشة رضى الله عنها لابن عمر فى هذا الحديث مبنى على

---

(١) الاحكام لابن حزم ج ٢ ص ١٣٢ .

أنه قد وهم ، وانما حملها على ذلك منافاة الحديث لأصل اسلامي : ومعرفتها الشخصية بحقيقة الحديث،أما التخريج والحمل على البكاء الموصى به فهو مجرد محاولة يراد بها التخلص من أن يكون هذا الحديث مصادما لأصل قطعى .

رأى لنا

ونود أن نقول هنا كلمة عن رأينا فى الخلاف الذى سببه استمساك كل فريق بما جاء عن طريق رواته ، ورفضه الأخذ بما جاء عن طريق رواة مخالفيه ، فنقول:

ان هذا النوع من الخلاف لا مبرر له ، ولا ينبغى أن يعتد به ، ونستطيع ــ نحن معاشر المتأخرين من مختلف المذاهب الاسلامية ــ أن نتخلص منه ، ونسير على أساس آخر هو أن ننظر من حيث السند الى صدق الراوى وضبطه ، أو كذبه وخلطه ، ولا شأن لنا بكونه يرى كذا فى المعارف الكلامية : أو فى الأمور التي لا تتعلق بأصول الدين ، ما دام لا يعتقد جواز الكذب لتأييد مذهبه .

ونؤيد هذا الرأى بما يأتى :

أولا : ــ انه لا ارتباط بين ما يعتقده الانسان فى المعارف الكلامية التي لا تتصل بأصول الدين ، وما يتصف به من الصدق أو الكذب ، أو الضبط أو السهو ، فكم من صادق ضابط فى روايته ، وهو مع ذلك يعتقد نظرية كلامية معينة هو مخطىء فيها ، وكم من مصيب فيما يعتقد ، ولكنه مع ذلك معروف بالكذب أو الغفلة ، ونحن مكلفون بالعمل بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى طريق صحيح منضبط : لا من طريق معين دون سواه .

وهذا طبعا فى خصوص أهل القبلة ؛ أما الكافر فلا تقبل روايته أصلا ، ولو علم أنه يحترز عن الكذب ، لأن عداوته للاسلام تحمله على محاولة تضليل المسلمين :

قال الامام فخر الدين الرازى :

« أجمعت الأمة على أنه لا تقبل رواية كافر ، سواء علم منه الاحتراز عن الكذب أو لم يعلم ، والمخالف من أهل القبلة ــ اذا كفرناه كالمجسم وغيره ــ هل تقبل روايته أم لا ؟ والحق انه ان كان مذهبه جواز الكذب لا تقبل روايته ، والا قبلناها ، وهو قول أبى الحسن البصرى (١)

هذا كلام الامام الرازى ، ولا شك أنه رأى منصف ، بل اننا نستطيع ان نصفه بالتسامح ، لأنه جعل المجسم ممن تقبل روايته ، فما بالنا بمن لا يصل مذهبه الى القول بالتجسيم ؟ .

ويقول الطوفى الحنبلى :

« ان المحدث اذا كان ناقدا بصيرا فى فنه جاز له أن يروى عن جماعة من

(١) نزهة الخاطر حاشية روضة الناظر ٢٨١ جـ ١ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٧ هـ .

المبتدعة الذين يفسقون ببدعتهم ، كعباد ابن يعقوب ــ وكان غالبا فى التشيع ــ وحريز بن عثمان ــ وكان على عكسه مبغضا لعلى رضى الله عنه » (١) .

ومما يتصل بهذا أن أهل الأصول قد تكلموا فى قبول التعديل والتجريح للرواة ، اذا لم يبين سببهما ، فالتعديل عند المحققين لا يشترط بيان سببه ، استصحابا لحال العدالة فى المسلم ، وأما سبب الجرح فيشترط بيانه ، وممن يقول بذلك الشافعى وأحمد فى أحد قوليه ، وذلك لاختلاف الناس فى سبب الجرح ، واعتقاد بعضهم ما لا يصلح أن يكون سببا للجرح جارحا على نحو من الغلو . وفى مثل ذلك ما رواه الطوفى اذ يقول « ولقد رأيت بعض العامة وهو يضرب يدا على يد ويشير الى رجل ويقول: ما هذا الا زنديق ، ليتنى قدرت عليه فأفعل به وأفعل ، فقلت له : ما رأيت منه ؟ فقال : رأيته وهو يجهر بالبسملة فى الصلاة » (٢) .

ثانيا : ــ انه ليس فى المذاهب المعتبرة فى العالم الاسلامي من يرى جواز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد صح عنه أنه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد جاء هذا الحديث بلفظه أو بمعناه فى روايات صحيحة فى مختلف المذاهب ، وقد بلغ من تشديد الشيعة الامامية فى ذلك أنهم يجعلون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسدا للصوم ، وأنه اذا وقع عمدا من الصائم فى رمضان، وجب عليه القضاء والكفارة ، كما يجبان على من تعمد سائر المفطرات (٣) .

ثالثا : ــ ان خلاف هؤلاء ليس من قبيل الخلاف على الأصول التي يكون بها المسلم مسلما ، وبجحودها أو جحود شيء منها يخرج من ربقة الاسلام ، واذن فينبغي الا ينظر فى التجريح الى مجرد اتباع الراوى لمذهب من المذاهب ، فلا يجوز للشيعي أن يقول ذلك فى مخالفه السنى ، ولا يجوز للسنى أن يقول ذلك فى مخالفه الشيعى .

وهذا عند التحقيق ما يعمل به أهل السنة والشيعة الامامية والزيدية ، وان تراءى من النظرة العاجلة أن كلا من الفريقين يرفض ما عند الآخر .

فالشيعة الامامية مثلا يعملون بالحديث الذى يسمونه « الموثق » كما يعملون بالأحاديث الصحيحة أو الحسنة فى اصطلاحهم ، والموثق عندهم هو ما رواه مسلم غير شيعى ، ولكنه ثقة أمين فى النقل (٤) .

وقد قبل البخارى وغيره من أصحاب كتب الصحاح التي يعتمدها أهل السنة، كثيرا من الرواة المعروفين بالتشيع ، وقد عد الشيخ شرف الدين الموسوى فى كتابه « المراجعات » مائة من الرواة المعروفين بالتشيع الذين أخذ أهل السنة برواياتهم .

والخلاصة : أن المنهج السليم فى القبول والرفض واضح لكل منصف .

---

(١) المرجع السابق فى الموضع نفسه . (٢) المصدر نفسه ص ٢٩٥

(٣) انظر كتاب المراجعات للشيخ شرف الدين الموسوى ص ٥٠ مطبعة العرفان سنة ١٣٧٣ هـ .

(٤) انظر الرسالة الوجيزة لبهاء الدين العاملى ص ٣

ابن العاص أنه قال : بعثني صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فاحتلمت فى ليلة شديدة البرد ، فأشفقت ان اغتسلت أن أموت ، فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له ذلك ، قال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ، قلت ؟ ذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) آية ٢٩ من سورة النساء ، فتيممت ثم صليت ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا . فهذا اقرار منه صلى الله عليه وسلم لعمل عمرو بن العاص ، واقراره صلى الله عليه وسلم حجة شرعية ، لأنه لا يقر باطلا .

ج – وأما ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم طرفا وأنكر الآخر فمثله : ما رواه البخارى فى كتاب الاجارة ، عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : انطلق نفر (١) من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ (٢) سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط (٣) الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا : يأيها الرهط ، ان سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ . فقال بعضهم (٤) : نعم والله انى لأرقى ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا ! فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يقرأ (الحمد لله رب العالمين) (٥) فكأنما فك من عقال ، فانطلق يمشي وما به من علة، قال فأوفوهم جعلهم (٦) الذى صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا (٧) ، فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا (٨) ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : وما يدرك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم (٩)

---

(١) كانوا نحو ثلاثين رجلا .

(٢) أى فى تلك الليلة التي استضافوهم فى أولها ، لدغته عقرب كما فى رواية أخرى .

(٣) وفى رواية لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين هم من أتباع هذا الرجل الذىظهر بمكةويقول انه رسول الله.

(٤) هو أبو سعيد أمير القوم .

(٥) سورة الفاتحة لأنها أم الكتاب وقد جمعت كل مقاصده من التوحيد والبعث وطلب الهداية للطريق المستقيم والبعد عن الضالين .

(٦) أعطوهم ثلاثين شاة بعددهم .

(٧) أى قال بعض هؤلاء الصحابة اقسموا هذا الجعل بيننا حتى يتصرف كل واحد منا فى نصيبه بما يراه من أكل أو غيره .

(٨) فقد لا يكون هذا الجعل حلالا .

(٩) أى فى الرقية بأم الكتاب ، وفى توقفكم من التصرف فى الجعل حتى تعلموا حكم الله .

اقسموا واضربوا لى معكم سهما (١) ، وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

د ـ وأما ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم كلا منهما فمثله ما رواه أبو داود والنسائي عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : خرج رجلان فى سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيدا طيبا ، وصليا ، ثم وجدا الماء قبل أن يخرج وقت الصلاة ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك ، فقال للذى لم يعد : أصبت السنة وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى توضأ وأعاد : لك الأجر مرتين .

ومثله أيضا ما حصل بعد الفراغ من حادثة الأحزاب ، عندما أمر الله رسوله أن يسرع الى تأديب يهود بنى قريظة ، لخيانتهم العهد ، وهجومهم مع مشركي مكة على المدينة ، فنادى منادى الرسول ، صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، فأسرع الصحابة الى الخروج وأدركتهم صلاة العصر فى الطريق ، فقطع بعضهم السير ، وصلى العصر فى الطريق ، ثم استأنف السير ، وأبى بعضهم وواصل السير ، ولم يصل العصر الا بعد أن وصل الى بنى قريظة ، وقد غربت الشمس ، فصلى العصر قضاء ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما صنع الفريقان ، فأقر كلا على ما رآه ، وذلك أن الفريق الأول الذى صلى فى الطريق ، فهم أن من مراد الرسول صلى الله عليه وسلم عدم التباطؤ فى الذهاب الى العدو ، وهذا ممكن مع أداء الصلاة فى وقتها ، وفهم الفريق الآخر أن الأمر على ظاهره ، فنفذه حرفيا ، مهما ترتب عليه من تأخير الصلاة عن وقتها ، فالكل مقصده حسن ، والكل مأجور .

ومن ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف فى حجة الوداع ، فجعلوا يسألونه فقال رجل : حلقت قبل أن أذبح ، فقال : «اذبح ولا حرج» فجاء رجل آخر فقال نحرت قبل أن أرمى ، فقال : « ارم ولا حرج » ، فما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ، أو أخر ، الا قال : « افعل ولا حرج » . وعدد بعضهم الأشياء التي سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، فى ذلك اليوم ، حتى أوصلها بعضهم الى أربع وعشرين صورة ، الحلق قبل الرمى ، والحلق قبل الذبح ، والذبح قبل الرمى ، والافاضة قبل الرمى ، والرمى والافاضة قبل الحلق ، والافاضة قبل الذبح ، والسعى قبل الطواف . .

أقول : أليس فى هذا دليل على أن كل فعل طلب من المكلف ، ولم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم شيء فيه يحدد كيفيته ، أو ترتيب بعضه على بعض ، يكون الأمر فيه واسعا ؟ يفعل المكلف ما يغلب على ظنه أنه هو المطلوب ، ولا حرج عليه بعد ذلك ، لأنه لو كان غير ذلك ، لوجب على النبى صلى الله عليه وسلم أن يبينه للناس .

« وللبحث بقية تأتي ان شاء الله تعالى » .

(١) يقصد صلى الله عليه وسلم بذلك المبالغة فى بيان أنه حلال ، وضحكه كان سرورا بتوفيق الله لهم لما فيه قضاء حاجتهم فى سفرهم .

الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

العمل وتنظيمه في الإسلام

الحلقة الثالثة

للأستاذ: محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الإسلامية – القاهرة

اتضح مما قدمنا فى أساس هذا البحث أن الاقتصاد الاسلامي يعتمد اعتمادا كليا فى رسم منهجه على تعاليم الاسلام الخلقية العقيدية، التي تمتد آثارها الى كل جانب من جوانب هذا المنهج، بعكس الاقتصاد المعاصر – شرقي وغربي – الذى لا يعترف – باجماع علمائه – بأى تدخل للتعاليم الخلقية فى رسم مناهجه.

وقد بدأنا بالدعامة الأولى فى اى تنظيم اقتصادى – وهي دعامة المال – وعرضنا ما تفرضه تعاليم الاسلام الخلقية فى سياسة المال من تكاليف متصلة بملكية المال.

اما مدى قيام ولى الأمر بتنفيذ هذه التعاليم فهذا ما سوف نعالجه فيما بعد:

اما مقال اليوم فاننا نعرض فيه تعاليم خلقية لا تتصل اتصالا مباشرا بملكية المال، وانما تتصل « بالعمل » باعتباره مصدرا من أهم مصادر ملكية المال، نعرضها هنا فى ايجاز، لأن « العمل » باعتباره الدعامة الثانية فى أى تنظيم اقتصادى سنخصص له مقالا قائما بذاته.

هذه التعاليم الخلقية التي تتصل اتصالا غير مباشر بملكية المال تفرض تكاليف على سلوك المسلم الاقتصادى فى مباشرته أى عمل.

العمل واجب

من هذه التكاليف أن الاسلام يفرض على كل مسلم السعى فى طلب الرزق وفى ابتغاء المزيد منه. فكل مسلم مكلف بمباشرة عمل نافع لنفسه وللمجتمع، وكل مسلم حر فى اختيار العمل الذى يريد أن يباشره بما يتفق مع قدراته ومواهبه، ولا يرد على هذه الحرية أى قيد يستند الى عدم انتسابه لطبقة معينة، أو عدم حيازته لمركز اجتماعي معين. فالكفاية وحدها والمقدرة وحدها هما معيار أهلية الفرد. وبذلك كفل الاسلام تحقيق مبدأ مساواة الفرص بين الكافة: أساسه تحريم أى امتياز يستمده

مدعيه من حكم القانون أو من سيطرة ذوى السلطات ، وهدفه ضمان حرية العمل وتحرير السعى المشروع من كل عقبة تعوق انطلاقه .

والاسلام مع تقرير تكافؤ الفرص بين الكافة فى السعى المشروع ، لا يحتم وجوب المساواة فى ثمار هذا السعى ، فهو يعترف بالتفاوت الفطرى بين الأفراد فى الملكات والمواهب والجهود . ولكن هذا التفاوت — ما دامت الفرص متكافئة فى اتاحتها للكافة — لا يمس تماسك المجتمع .

وقد أيد الاسلام حرية العمل ، وحبذ انطلاق السعى من طريق آخر غير مباشر ، وذلك بما قرره من أن أى عمل سواء كان يدويا أو ذهنيا يقتضي الحذق أو لا يقتضيه — يتمتع باحترام المجتمع . فالبطالة فقط ، وعيش المرء عالة على سعى غيره ، هي التي تستوجب الاحتقار .

وبكفالة تكافؤ الفرص على هذا النحو ، وتقديس العمل الصالح فى أى ميدان من ميادين السعى لخير الجماعة وخير الفرد ، وضع الاسلام الأساس المتين لحرية السعى فى ابتغاء الرزق ، وأشبع غريزة الانسان فى الظفر بنصيبه من الدنيا .

ولكن الاسلام فى الوقت ذاته أحاط هذه الغريزة الفطرية بسياج من دستور سلوكه الاقتصادى يحمى المسلم من تجاوز الحد المرسوم فى ابتغاء الرزق ، ويضبط من غلواء الحافز الذاتى نحو المزيد من الكسب ، مشروعا كان أو غير مشروع . حقق الاسلام هذه الغاية بتقريره أن كل عمل « عبادة » وأضفى على كل « عمل » صبغة تعبدية ، وكيف يتقبل الله عبادة المسلم فى عمله اذا اتجه به الى الحاق الضرر بغيره ، أو بالمجتمع ، ولم يتجه به الى تغليب الخير العام على الحافز الذاتي نحو الكسب بأى ثمن ، بل ان القرآن الكريم كلما ذكر الايمان قرنه بأداء العمل الصالح ، فجعل دأب المسلم على انجاز العمل واجادته وتوجيهه الى الخير العام شرطا لاكتمال ايمان المسلم .

أما الايمان وحده — بغير أن يقترن بعمل صالح يهتدى بضوء هذا الايمان — فليس الا موقفا سلبيا لا فضل فيه .

وقد يشك البعض فى قدرة هذا الوازع الدينى على الحد من جشع الانسان فى طلب الدنيا ، واندفاعه نحو كسب المال بأى ثمن ، ويتساءل : ما تكون قيمة هذا الوازع ازاء قوة الانانية القاهرة ؟ .

ونجيب على هذا التساؤل برأى علماء الاجتماع الغربيين أنفسهم : فهم يسلمون بأن الناس فى الوضع الذى أصبحوا فيه وهيئوا له منذ طفولتهم انما يحفزهم الى السعى والكدح حافز واحد ، هو مصلحتهم الذاتية بغير وزن لأى اعتبار آخر . ألفوا هذا الوضع ودرجوا عليه واصطبغ به وجدانهم . ولكن هذا الوضع نشأ من تأثير البيئة التي درجوا فيها من البداية ، بيئة ترفع من شأن خدمة المصلحة الذاتية ، والنجاح فى مجالاتها ، وتخفض من شأن المصلحة العامة اذا مست المصلحة الذاتية بأى نقص ، فلو انعكس هذا الوضع ، وساد فى البيئة شعور بوجوب توازن المصلحتين ، ودرب الناس على التمسك بتحقيق هذا التوازن من البداية ، لاستجاب الناس اليه ، واتجه حافزهم فى السعى من الأنانية المطلقة من كل قيد الى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع .

وهذا هو بالذات نهج الاسلام التدريبي فيما فرضه من عبادات ، وغرسه من توجيهات ، تخلق فى البيئة هذه الاستجابة السيكولوجية وتنميتها تنمية مستمرة .

المنافسة الشريفة

أما فى المنافسة فيدعو الاسلام الى التنافس فى الخير ، والتسابق فى اجادة العمل مع التزام التعاون المثمر : أهم أركان الاقتصاد الاسلامي . فالأمر القرآنى الصادر الى المسلم بالعمل الصالح ، هو الأمر المكرر فى ثنايا الآيات القرآنية ، « والعمل الصالح » تعبير شامل يشمل البر المباشر من جانب ،

ويشمل من جانب آخر البر غير المباشر ، وهو الذى يتمثل فى كل عمل يدخل فى نطاق أوضاع النشاط الاقتصادى ، ويؤدى التنافس فى اجادته الى خفض تكاليف الانتاج مما يمكن المستهلك من الحصول على مطالبه من السلع أو أو الخدمات بثمن أقل . فهذه حسنة يؤديها المسلم الى بيئته ، والتنافس فيها بين المسلمين محمود ومطلوب ، بعكس الاحتكار وما يفضى اليه من غلاء فمكروه ومنهى عنه .

غير ان هذا التنافس ، ان كان الاسلام قد دعا اليه وحبذه ، فانه يدعو أيضا الى مباشرته فى رفق وبر ، ويحيطه بنواة خلقية تنأى به عن الكيد للغير ، أو تعمد ايذائه ، فهذا الاتجاه اذا فشا فى مجتمع أساء الى تعاونه اساءة بالغة وزعزع تماسك كيانه . ومن تعاليم الاسلام فى هذا الصدد ، الموجزة فى تعبيرها كل الايجاز (الدين النصيحة ــ الدين المعاملة) . فمسلك المسلم فى التعامل مع أخيه المسلم وفى اسدائه النصح له ، ركن من أركان اسلامه .

ونستطيع أن نتصور مقتضيات هذا الركن فى مجال التنافس . فمثلا يجب على المسلم اذا رأى خسارة لا مرد لها ستحيق بمنافسه من جراء سبق أحرزه فى ميدان الانتاج المشترك بينهما ، أن يبرىء ذمته باسداء النصح له بأن يغير من طريقة انتاجه،أو يدعوه الى مشاركته فى مشروع تعاونى ، أو يرشده الى مباشرة عمل آخر يكون أكثر انسجاما مع ملكاته ، وهلم جرا . أما أن يكيد له فى السر والعلن ليخرجه من السوق ، ويستأثر وحده بمغانمها ، فهذا ما لا تجيزه روح التنافس الاسلامي .

عيوب الاقتصاد الغربى

اما فى الاقتصاد الغربي الذى يطلق حق الملكية ويحرره من أية تكاليف خلقية أو اجتماعية . فنجده يقرر أن الحافز الاقتصادى ــ أى الكسب المادى البحت ــ هو التبرير الكافى لكل أنواع النشاط الانساني ، بصرف النظر عن أى اعتبار خلقى أو اجتماعي ، وطالما لم تفرض الدولة قيدا على اتجاهات هذا النشاط فحرية العمل فى رأى الاقتصاد الغربي تعتبر كاملة .

هذا التفسير الذى ينحى جميع الاعتبارات الخلقية ، هو التفسير السائد فى الاقتصاد الغربي . وقد حمل عليه فى السنوات الأخيرة كثير من الاقتصاديين والمفكرين فى الغرب .

ان الفساد الذى نشأ عن هذا التفسير الغربي للحافز الاقتصادى وحرية العمل ليضيق مقال اليوم عن الاسهاب فيه ، وسنعود الى تفصيله فى المقارنة التي التي سوف نعقدها بين اقتصاديات الاسلام فى « العمل » وما يقابلها فى الاقتصاد المعاصر ، ونكتفى هنا بما يقرره اثنان من علماء الاقتصاد الغربي :

قال الأستاذ (وارنر سومبارت) ملخصا هذا الفساد عندهم فى كلمات قليلة : « ان المثل العليا عن قيمة الذات الآدمية قد فقدت سيطرتها على عقل الانسان ، والجهود التي يجب أن تبذل لتنمية الرخاء الانساني واسعاد البشرية لم تعد لها أية قيمةأو تقدير . انالوسيلة أصبحت غاية » . ويقول الأستاذ (جون آيز) أستاذ الاقتصاد فى جامعة (كانساس) الامريكية « لقد أصبح رجال الأعمال عندنا تائهين فى مطاردة المال الذى يجب أن يكون وسيلة الى الحياة الطيبة ، لا غاية فى ذاته ، حتى نسوا الغاية ، وأمعنوا فى التعلق بالوسيلة » .

رجوع لرأى الاسلام

وقد يهم المسلم أن يطلع على العلاج الذى يقترحه الآن علماء الاجتماع فى الغرب لاصلاح الفساد الذى تغلغل فى مجتمعهم : فصاروا يناشدون مجتمعهم

أن يأخذ بعلاجهم المقترح ، فيقولون : « ان الناس اذا سلمنا بأنهم أنانيون فى هذا العصر ، ومسرفون فى هذه الأنانية ، فان مرجع ذلك ، فى كله أو بعضه ، الى تأثير البيئة التي اكتنفتهم والى التقاليد التي درجوا عليها ، فهم من المهد الىاللحد يشعرون بالتوكيد الجازم على تقديس المال باعتباره معيار كل احترام ، ومبعث كل كرامة فى المجتمع . ويرى هؤلاء العلماء أن الناس لو كانت بيئتهم تقدس مثلا عليا أخرى غير عبادة المال . ودربوا تدريبا متصلا على الايمان بهذه المثل والتمسك بها ، لتحققت استجابتهم لها بنفس القوة التي يبذلونها فى طلب المال .

وظاهر أن هذا الرأى الذى ينادى به علماء الاجتماعفىالعصر الحاضر هو أقرب ما يكون أتساقا مع موقف الاسلام من مشكلة الحافز الاقتصادى . ولكنه من حيث قوة نفاذه يعوزه الكثير من فاعلية التدريب النفسي الذى امتاز به التوجيه الاسلامي . ذلك لأن تربية الانسان على مقاومة نزعات النفس البشرية ، فى جموحها الى طلب المال بأى ثمن ومن أى وجه ، يتطلب ايقاظ قوة باطنية فى وجدانه تستند الى وعى دينى حى .

أما المنافسة فى المجال الضيق الذى لا زال باقيا لها فى الاقتصاد الغربي ، فقد تجردت من كل القيود الخلقية وانحدرت الى صراع قتال ، كما أن انعدام تكافؤ الفرص قد أحالها الى سباق مزيف لا يكتب السبق فيه لأجدر المتنافسين .

وهذا تأكيد اضافى ـ ان احتاج الأمر لمزيد من التأكيد ـ بأفضلية التصوير الاسلامي لنظام المنافسة فى انعكاسه على كيان المجتمع .

كذلك اتجه الاقتصاد الغربي الى خلق تكتلات احتكارية ، نجحت فى الانطلاق من شباك التشريع المحرم للاحتكار ، واحتكارها الفعلي هذا ، بتقييده للعرض وفرضه لاسعار مدبرة ، وسيطرته على الاسواق الداخلية والخارجية ، قد أفسد السريان التلقائي لقانون العرض والطلب ، وقضى على حرية العمل ، وساعد على قيام كتل جبارة قليلة امتد نفوذها الى القبض على زمام كل نشاط اقتصادى فى المجال الداخلي والعالمي ،حتى استطاع أن يعرقل كل نشاط اقتصادى منافس .

وبعد ، فهذه جوانب التعاليم الخلقية الاسلامية فيما تفرضه من تكاليف غير مباشرة تتصل بالعمل ، المصدر الأول للملكية الفردية ، رأينا الاشارة اليها مع المقارنة بما يقابلها فى الاقتصاد الغربي ـ استكمالا لبيان موقف الاسلام من ملكية المال .

بقى علينا لاستكمال نظرة الاسلام الى المال وملكيته ، وما فرضه على هذه الملكية من تكاليف ايجابية وسلبية ، أن نتساءل : هل الاسلام ـ بالاضافة الى هذه التكاليف ـ فرض علىمالك المال اتجاها معينا فى استثمار هذا المال ؟ .

هل ترك له الحرية المطلقة فى أن يبقى ما يتملك من مال معطلا عن الاستثمار ما دام لديه من الثروة ما يغنيه عن متاعب الاستثمار ؟ .

واذا مضى فى استثمار ماله هل له الحرية المطلقة فى أن ينتهج اسوأ أساليب الاستثمار وأقلها نتاجا اذا كشف العلم يوما من الأيام عن أساليب أخرى أجزل استثمارا ؟ .

وأخيرا ـ وهذا سؤال نوجهه الى كل مجتمع اسلامي ـ هل ملاك المال فى أى مجتمع اسلامي لهم الحرية المطلقة فى أن يركزوا استثمار أموالهم فى مسلك واحد كالزراعة مثلا ، معرضين عن المسالك الأخرى التي قد تمليها ضرورات المجتمع ؟ ..

ذلك ما سوف نعالجه فى المقال القادم ، الى جانب محاولة تحديد سلطة ولي الأمر فى مجتمع اسلامي فىتنفيذ التكاليف المباشرة المفروضة على ملكية المال ، من ايجابية وسلبية ...

الإســلام ورســوله وتعاليمــه بلغــة العصــر

٧

الجنة والنار

فأما وقد بينا ان الموت لا يعدو ان يكون مجرد تغير وانتقال مــن صــورة لاخرى ، وان تجدد الحياة وبعثها هو احد سنن الطبيعة الجارية ، فان السؤال الآن : وماذا عن الجنة والنار ، أيقر بنا العلم الحديث التجريبى من تصورهما وفهمهما ، كما فعل بالنســبة للبعث والحياة الثانية ؟

احق ما تقوله الاديان من أن أعمال الانسان مسجلة ومحصاة عليه ، وانــه سوف يواجه بها يوم القيامة ، فيؤاخــذ بما قدمت يداه ، فاما الى الجنة وامــا الى النار ؟

ان هذا الســجل لاعمــال الانســان واقواله وتصرفاته ، ومجابهته بها ، قد اصبح احد الاجراءات التى يواجه بها المتهمون فى هذه الحياة الدنيا ، بعد ان تكشف للانســان من حقائــق الطبيعة واسرارها ما تكشف ، وصنع من الآلات ما صنع .

وقد اصبح من المألوف ان نطالع فى الصحف والمجلات ، او نســمع فيما نسمع من اخبار ما يجرى فى الدنيا ، ان بعض المتهمين الخطرين ، يواجهــون بسجل كامل لكل ما تلفظوا بــه خلال العديد من السنوات ، حتى همساتهم ، وتأوهاتهم فى مباذلهم ، وتردد الانفاس ووقع الخطا وحفيف القلم وهو يجرى على القرطاس ، ورنين التليفون ، ودقة الساعة ، وفتح باب أو غلقه ، كل ذلك يجابهون به، ويسمعونه مكبرا ، فيكادون يقعون مغشيا عليهم من فرط الذهول ، بل انه ليغشى عليهم بالفعل .

ولقد كانت هذه التسجيلات تتــم حتى وقت قريب بوضع اجهزة فى داخل بيت الانسان المقصــود او فى مكتبــه وسيارته ، ولكن الاجهزة الاحدث صنعا اصبحت فى غنى عن ان توضع فىالبيوت ، ويكفيها ان توضع عن بعد امام النوافذ من الخارج ، لكى يتكفل الزجاج بنقل كل ما يجرى داخل البيت ، اذا كانت

بقلم / أحمد حسين المحامى

أو الثواب والعقاب

النافذة مغلقة ، والهواء الخارج من النافذة اذا كانت مفتوحة .

فحق اذن ما توعدت به الاديان ، من ان كل لفظ يخرج من فم الانسان ، مسجل على صفحة هذا الكون ، ومن الميسور استعادته بنصه وحرفه .

ويكون العلم (والتكنيك (الحديث ، قد قربا الى تصورنا هذا الكتاب الذى سيلقاه كل منا يوم القيامة منشورا .

الثواب والعقاب

ونمضى فى بحثنا خطوة اخرى ، فنتساءل « وما الجنة والنار » ؟ وليس ايسر لاستيعاب فكرة الجنة والنار ، فى هذه المرحلة من حديثنا ، أن نستبدل بهذين اللفظين مترادفين لهما وهما الثواب والعقاب .

وعندنا انه يجب النظر الى اللجنة والنار دائما، على ضوء هذا المعنى الاوسع والاعم ، وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة او النار ، والتى يجب أن تفهم على ضوء اساليب اللغة وما تنطوى عليه البلاغة من كناية واستعارة وتشبيه .

وعندنا ان رد مفهوم الجنة والنار ، الى جوهرهما ومعناهما الاصيل ، وهو فكرة العقاب والثواب ، يجعلهما من سنن الوجود الانسانى، الذى لا يقوم بغيرهما . فاذا كان الوجود الانسانى يقوم على المشاعر والاحاسيس الوجدانية من ناحية ، وعلى العقل والفكر من ناحية اخرى ، فان جوهر العقل ، هو التمييز بين الخطأ والصواب ، والصواب فى تقدير العقل هو الخير ، والخطأ هو الشر ، ولا خير الا ما يعود على الانسان بالنفع أى المكافأة ، ولا شر الا ما يعود على الانسان بالضر أى العقاب .

وكذلك الشأن بالنسبة لإحاسيس الانسان ومشاعره ، فهذه الأحاسيس والمشاعر ، تنقل الى الانسان فى كل لحظة

الجنة والنار
أو الثواب والعقاب

وما دون اللحظة ، ما يسر ويبهج ، وما يؤلم ويحزن ، وفى تقدير المشاعر ان ما يسر ويبهج هو الخير ، وما يؤلم ويحزن هو الشر .

ومعنى ذلك انه ما من حركة يتحركها الانسان ، أو قولة يتلفظ بها ، او فكر يمر فى خاطره ، الا وله رد فعل سار ومبهج ، او مؤلم ومحزن ، نافع او ضار ، او بالاحرى ثواب وعقاب .

قوانين الطبيعة

وكل مخالفة لقوانين الطبيعة لا يمكن الا ان تؤدى بالانسان المخالف الى الحسرة والالم ، بما فى ذلك فقد الحيلة نفسها ، كمن يقذف بنفسه من حالق أو يرتمى تحت عجلات قطار ، او يشرب سما ، او يحرق نفسه بالنار ، وتظل العقوبات تدق وتدق وتصغر تبعا لدرجة المخالفة ، حتى تصبح زكاما لمجرد التعرض للبرد ، او تخمة لمجرد الافراط فى الاكل .

وذلك فى الوقت الذى يؤدى التوافق مع سنن الحياة ، وقواعد الصحة ، الى الغبطة والمسرة ، وطول العمر .

قوانين المجتمع

والانسان باعتباره عضوا فى جماعة ، لا يمكن ان يهنأ او يسعد ، الا بمقدار ما يتوافق مع عادات الجماعة وتقاليدها ، والعرف الشائع بينها ، والا اذا التزم بالقوانين التى وضعتها الجماعة وفرضت العقاب على مخالفتها ، وهو يشقى ويتألم ، وقد ينفى او يسجن او يجلد ، وقد يخسر حياته كلها جزاء مخالفة هذه القوانين .

الضمير الانسانى

ولكل انسان قبل ذلك وبعد ذلك ، قانونه الخاص به ، وقاضيه وحاكمه ، وهو هذا الصوت الخفى فى اعماق نفسه ، والذى لا يفتأ يعلق على تصرفاتنا ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، ما يرضى عنه وما لا يرضى ، وقد يصل تأنيب الضمير عند بعض الناس الى حد ازهاق حياتهم للتخلص من وخز الضمير .

ونخلص من ذلك كله : ان كل فعل لا يمكن الا ان يكون له رد فعل يحسه الانسان فى نفسه ، وبالنسبة للاخرين .

جرائم تمضى بغير عقاب ، واعمال صالحة بغير مكافأة ..

هذا الناموس الطبيعى من وقوع رد فعل لكل فعل او تصرف ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، يتوقف عن العمل فى الظاهر ، فيرى الناس جزاء سيئا ، حيث كانوا ينتظرون مكافأة ، ويجدون اقواما يكافأون حيث كان يجب أن يعاقبوا .

وطالما وقف الانسان حائرا امام هذه الظاهرة ، وسيظل تحيره ، كيف يمكن للقاتل ان يقتل والسارق ان يسرق ، والظالم ان يظلم ، والمعتدى ان يعتدى ، دون ان يجد رادعا من الطبيعة او المجتمع او من نفسه ، أيكون هذا الوجود كله وهما وخداعا ، فلا صواب ولا خطأ ، ولا حق ولا باطل ، ولا خير ولا شر ، ولا لذة أو ألم ؟ أيكون من يقتل كمن لا يقتل ، ومن يزنى كمن يعف ، ومن يظلم كمن يعدل ، ومن يعمل ويصلح كمن يفسد ويكسل .

لقد قال بالفعل هذا القول بضع نفر أظلمت نفوسهم ، وفسدت عقولهم ، أما كل من فى نفسه ذرة من ايمان ، او قبس

من عقل ، فهو يعلم ان هذا الوجود حق ، ونواميسه حق ، وان هذه النواميس لا يمكن ان تتوقف ... وعلى رأس هذه النواميس ، ما قدمناه من ان كل فعل لا يمكن الا ان يكون له رد فعل ، ان لم يكن عاجلا فآجلا .

والمؤمنون بالله العادل الرحيم ، لا يتزعزع يقينهم فى أن الثواب والعقاب آتيان لا ريب فيهما ، ان لم يكن فى حياة الانسان فبعد وفاته .

محكمة التاريخ ولعنة الاجيال

وليس ادل على ان العقل يستحيل عليه تصور أمور على غير هذا الوجه ، من ان الماديين الذين لا يؤمنون بالله ، والذين ينكرون ما تقول به الاديان من حقيقة الحساب يوم القيامة ، لا يلبثون ان يخلقوا (الها) من اوهامهم ، ليتولى الحساب والثواب والعقاب ، ويطلقوا على هذا الاله اسم التاريخ ، فيحدثوننا عن التاريخ الذى يقف بالمرصاد ، وعن محكمة التاريخ التى تنصف المظلومين ، وتعاقب الظالمين ، ويتحدثون عن ثناء الاجيال على من يستحقون الثناء ، ولعنتها على الطغاة والمستبدين وكافة المعتدين ، وينسون ان حكاية التاريخ هذه لا تحل المشكلة وان التمسح بها لا يعدو ان يكون سفسطة ومجرد شقشقة، لان التاريخ لا يسجل بين دفتيه الا اعمال المشاهير من الناس ، وهم لا يكادون يعدون على الاصابع فى كل جيل من الاجيال ، حيث تمضى البقية الباقية من البشر ، والتى تعد بآلاف الملايين يلفها الصمت ويطويها النسيان ، مع انه ليس من هذه الملايين من لم يعش حياته ، ويؤدى دوره فى الوجود ، بالاحسان او الاساءة ، بالخير أو الشر ، فما هو مصير هذه الملايين التى يغفلها التاريخ ؟

ويبقى ان نسائل هؤلاء الذين يحدثوننا عن محاكم التاريخ ، وعن لعنة الاجيال او شكرها وثنائها ، هل يحس الظالمون والطغاة والمعتدون ، والمسيئون بهذه اللعنات ، وبنتيجة هذه المحاكمة ؟ وهل يفرح المظلومون والصالحون بأحكام التاريخ والاجيال المقبلة بانصافهم ، فان قال الماديون : انهم يحسون ويشعرون ، فقد هدموا نظريتهم المادية من اساسها والتى لا تعترف بخلود الروح بعد فناء الجسد ، ويكونون قد التقوا مع المؤمنين فى حقيقة الثواب والعقاب بعد الموت .

وان قالوا ان الموتى لا يحسون او يشعرون ، فما جدوى التخويف اذن بمحاكم التاريخ ولعنات الاجيال المقبلة او ثنائها ، الحق ان التمسح بحكاية محاكم التاريخ وحكم البشرية ، لا يحل الاشكال ، ولا يشفى النفس مما تجد وتعانى من ظلم لا تستطيع له دفعا ، او خير تعمله ولا تجد عليه جزاء .

وليس سوى الايمان باله عادل رحيم ، يعيد التوازن المفقود فى عالم آخر ، يقول للمحسن أحسنت ، وللمسىء أسأت ، مما يسبغ على نواميس الحياة معنى ، ويبقى الاحساس بالخير والشر ، والصواب والخطأ قائما حيا فى النفوس ، مؤثرا فى تصرفات الناس .

الجنة والنار عند مختلف الشعوب

ومن هنا كانت فكرة الثواب والعقاب، او الجنة والنار ، هى لب سائر العقائد والاديان الانسانية على مر العصور واختلاف البقاع ، يجدها عند قبائل الهنود الحمر وعند الزنوج ، وعند الاسكيمو ، وعند الشعوب المتبربرة والمتحضرة على السواء ، فتراها بأكمل معانيها عند المصريين القدماء وعند السومريين والبابليين والاشوريين ، كما نراها عند اتباع زرادشت وعند الهندوكيين والبوذيين والصينيين والاغريق والرومان على صورة او

الجنة والنار
او الثواب والعقاب

اخرى ، «١» وتحدثنا الاناجيل عن مملكة السماء ، وعن النار ، اما القرآن الكريم فيحدثنا عن الجحيم والسعير وجنة عرضها السموات والارض ، أعدت للمتقين مما سنتعرض له بالتفصيل عند دراسة الدين الاسلامى .

وبحسبنا الان ان نقرر ، ان الجنة باعتبارها خاتمة المطاف لمن عمل صالحا فى هذه الدنيا ، فكرة تضمنتها عقائد واديان كل الامم والشعوب .

جنة الماديين على الارض

حتى الماديين الذين اتخذوا من المادة الها ، لم يستطيعوا ان ينفكوا من هذا التصور ، فحدثونا عن الجنة الارضية ، التى يعيش الناس فيها خالدين ابدا ، بعد أن ينجح العلم فى التغلب على الامراض والموت ، وحيث يزول القهر والاعنات والحقد فى معاملات البشر ، ولا يكون بينهم سوى المحبة والاخوة والسلام ، وحيث ينعمون بالخير الوفير العميم .

وهذه الجنة الارضية الموعودة، ليست سوى شقشقة كالتحدث عن محكمة التاريخ ، فما جدوى التحدث عنها ، اذا لم تكن الاجيال المتحدث بها اليهم هى التى ستستمتع بها وتنعم ؟ !

والمهم أن فكرة الجنة تلح على عقول البشر ايا كانت عقائدهم واديانهم ، سواء آمنوا بالله او لم يؤمنوا ، ولقد اكدنا من قبل ان استقرار اى فكرة بهذا الاجماع فى نفوس البشر قاطبة ، هو اقوى دليل على حقيقتها الثابتة ، والا لما عرفت طريقها الى عقول البشر .

العلم التجريبى وموضوع الجنة والنار

ونتسائل كما تساءلنا من قبل ، ما هو موقف العلم التطبيقى الحديث ، من موضوع الجنة والنار ، هل ما تكشف لنا منه يقضى على هذه الفكرة او يعززها ، وهل يرجح ما يقول به الماديون من ان الجنة ستكون على الارض ، ام انها فى السماء ، وهل تحوى السماء نارا وسعيرا كهذا الذى تتحدث عنه الاديان .

فأما ان فى السماء جحيما وسعيرا ضعف ضعف ما وصفته العقائدوالاديان، فقد اصبح ذلك احدى الحقائق العلمية التى لا تحتمل جدلا او شكا ، فما الشمس التى تشرق علينا الا مخيط من النار والسعير ، وبحسب الارض ان تقترب منها بعض الشىء لكى يحترق كل من عليها ، وبحسبها أن تقترب أكثر ، لكى تحترق هى نفسها وتتحول الى غازات ، وما الشمس الا احد هذه النجوم التى لا يكاد يحصيها العد ، والتي يكون أى واحد منها ابعادا من النيران التي لا نتخيلها وسعيرا يرتجف الفؤاد من تصوره .

الفضاء الكونـى والجنة

واليوم وقد بدأ الانسان يضع اقدامه على عتبة الفضاء ، بدأنا نسمع عجبا ونشهد ما هو أعجب ، بدأنا نرى عالما يختلف كل الاختلاف عن عالمنا الارضى ، وعن نواميس غير نواميسنا ، فالانسان فى الفضاء يطفو ولا يسقط ، يمشى على جنبه او على رأسه أو على قدميه فى أى اتجاه شاء ، لا يعرف له فوقا او تحتا او يمينا او شمالا ، ولا يحس بالسرعة ولا

البقية على ص ٨٣

(١) أقرأ للمؤلف « كتاب الطاقة الانسانية » تفاصيل الجنة عند مختلف الشعوب .

زورق الأحلام

«الانسان مخير لا مسير ، ولكنه لا يستطيع أن يسير الا فى الطريق الذى رسمه القدر» .

للأستاذ : على الطنطاوى

ـ زرت صديقا لى ، من رفاق الصغر ، فرأيت ولده منكبا على أوراق له ، يفكر ويكتب ، ثم يمزق ما كتب ، ثم يعود الى التفكر . فقلت لأبيه : ما له ؟

قال : انه مستغرق فى (الانشاء)

قلت : فيم يكتب ؟

قال : فى الموضوع الازلى الذى لا يمل منه مدرسو الانشاء ، ولا يسأمون من ترديده .

قلت : ما هو ؟

فضحك وقال : السؤال الذى يلقى فى كل بلد ، و فى كل وقت ، لا يتبدل بتبدل الامكنة ولا الأزمان . وهو : « ماذا تريد أن تكون فى المستقبل ؟ » .. وسكت لحظة . كأنه يتذكر . ثم قال لى :

ـ تذكر كم مرة سئلنا هذا السؤال فى المدرسة ؟

قلت : أذكر ، لقد كتبت فيه مرات لست أحصيها . عشرين مرة ؟ ثلاثين ، أكثر من ذلك ! وكنت فى كل مرة أنطلق مع أحلامى أتخيل دروب الحياة وقد فرشت لى بالسجاد الذى تغوص فيه من لينه الاقدام . ثم رشت عليها العطور ، ونثرت فوقها الأوراد والزهور .

لقد طالما تخيلت نفسى هائما فى رياض هذا المستقبل ، انشق ريا عطره ، واجتلى جمال زهره ، وارتع فى خيره المرجى وبره .

تصورت نفسى طبيبا له العيادة الكبيرة ، والزبائن الكثر ، وعشت فى هذا الحلم حتى تخيلت نفسى أرى « اللوحة » على بابى ، وأمد يدى لألمس « السماعة » فى عنقى .

وتصورت نفسى ضابطا كبيرا ، قد هبطت النجوم من سمائها حتى استقرت

زورق الاحلام

على كتفيه ، ونزل البرق حتى صار يخرج من قرع مهمازيه .

وتصورت نفسي صاحب المزارع الواسعة الشاسعة . والحقول المرعة المزهرة ، أفيق فيها مع العصافير لأتطلع اليها ، أكحل العين في الأصباح بمرآها .

وتصورت وتصورت ، فأين منى الآن تلك التصورات ؟

لقد أردت لنفسى ، وأراد الله لى ، فكان ما أراد الله لى ، لا ما أردت لنفسى .

كنت من شهور أقلب أوراقا لى قديمة ، أفتش فيها عن وثيقة أطلبها ، فوجدت (ايصالا) هذا نص ما فيه :

المملكة المصرية
دار العلوم العليا
نادى التمثيل والموسيقى

نمرة متسلسلة (٧٠)

وصل من حضرة العضو محمد على الطنطاوى الطالب فى دار العلوم العليا مبلغ ١٠ فقط (عشرة قروش صاغ) قيمة اشتراكه عن شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ .

تحريرا فى ١٥ أكتوبر ١٩٢٩
الخاتم الرسمى
أمين الصندوق
الامضاء (محمد على الضبع)

على الطنطاوى عضو نادى التمثيل والموسيقى ؟!

وتصورت ماذا تكون خاتمة القصة التى بدأت بهذا الايصال لو قدر لها أن تكتمل فصولا .

الى أين كان يصل بى ذلك الطريق الذى وضعت قدمى عليه ، يوم صرت عضوا فى هذا النادى لو أنى تابعت السير فيه حتى بلغت آخره ؟

كنت ابدأ ممثلا فى الكلية ، ثم أعتلى خشبة المسرح ، ثم أدخل فرقة من الفرق ثم يسجل اسمى فى القائمة التى تبدأ باسم (يوسف وهبى) وتنتهى باسم (اسماعيل ياسين) .

فيكون (على الطنطاوى) اليوم ممثلا عجوزا (١) متقاعدا ، يتسكع على أبواب الحانات ، ويعاشر القينات ، ويسهر الليالى ، وينام الايام (٢) ، ويعود بلا صحة ولا مال ، وربما عاد بلا دنيا ولا دين .

ولم يكن يحول بينى وبين هذه الغاية شيء . فالاستعداد لذلك فى نفسى كبير والرغبة فيه شديدة، وكان يزين لى فأراه يومئذ حسنا ، ولكن الله صرفنى عنه . وما كان ذلك بعمل منى . ولكن بصنع الله لى .

وفى أوراقى التي وجدت فيها هذا (الايصال) شهادة مكتوبة بالخط الديوانى ولها اطار مذهب الحواشى ، وفى رأسها اسم وزارة الاوقاف ، فيها قرار تعيينى اماما فى جامع رستم فى حى العقيبة فى دمشق .

اى والله ، وتاريخها سنة ١٩٢٤ . أى من ثنتين واربعين سنة شمسية .

انى لانظر الى هذه الشهادة ، وأرجع البصر الى ذلك (الايصال) الذى اصفر لونه ، وبلى ورقه ، وتمزقت طياته ، فارى عجبا . دونه والله ما يشطح اليه خيال القصاص .

من امام جامع ، الى ممثل فى (التياترو)

---

(١) كلمة عجوز فى الاصل للمرأة ولكنها عمت فى الاستعمال .
(٢) اليوم فى الاصل النهار .

ولكن كيف دخلت نادى التمثيل والموسيقى ؟

انى لاتأمل هذا (الايصال) ، فأعود الى أيامى الماضيات الى سنة ١٣٤٧ ،وقد نلت شهادة البكالوريا كما كنا نسميها يومئذ ، أو التوجيهية كما تسمى اليوم وكان الفرنسيون قد أنشأؤها تلك السنة فحملتها وسافرت الى مصر ،فدخلت دار العلوم العليا ، وانتسبت الى الجامعة المصرية وكنت أول سورى يؤم مصر للدراسة العالية فى غير الازهر ، وكنت أحرر فى مجلتى خالى وأستاذى محب الدين الخطيب : المجلة الادبية الاولى فى العالم العربى ــ وهى (الزهراء) والمجلة الدينية الأولى فى العالم الاسلامى . وهى (الفتح)

وأعلنت عمادة الكلية (أو مديرية المدرسة كما كانت تسمى) عن تأليف ناد للتمثيل والموسيقى ، ودعوا من يريد الاشتراك فيه الى طلب الانتساب ،فكنت فيمن أراد .

وجاؤونا برجل (ممثل) يعلمنا التمثيل قصير متحذلق لا أدرى ما صنع الله به ، بعد هذه السنين ، التى قاربت الاربعين ولاأزال أذكر اسمه حفظته لغرابته ــ وان كان مكان الاسماء من ذاكرتى قد كثرت فيه الخروق التى لا ترقع .

واختبرنا بجمل نلقيها القاء مسرحيا على أن نعبر عن معانيها بخلجات وجوهنا ، ولهجات حروفنا واشارات أيدينا ــ فلما جاءت النوبة الى ــ وألقيت تلك الجمل دهش هو ومن كان معنا من الطلاب ورأوا شيئا ما كانوا يتوقعونه وشهدوا بأن هذا الشامى .. (ممثل جامد) أى ماهر ، ونعوذ بالله من الجمود ..

ما كانوا يتوقعونه منى ، أما أنا فكنت أتوقعه من نفسى ، لانى كنت قد ألفت من تلاميذى فى المدرسة الابتدائية التى كنت أعلم فيها فى دمشق فرقة للتمثيل ، وكنت اكتب لهم القصة ، وأعلمهم تمثيلها ، وكنت بارعا فى التمثيل .

وما أريد أن أفيض فى سرد القصة ، فلذلك كتاب عنوانه (ذكريات نصف قرن) كتبت منه كثيرا . وبقى على منه كثير .

ولكن اريد بيان العبرة من هذه القصة .

لقد اشتغلت بالتمثيل ، واحترفت الصحافة ، وغصت فى السياسة ، ولكن الله كان يوجه طريق سيرى ، فلم يختر لى من ذلك كله شيئا .

لا ، لا أقول (ان الانسان مسير) ، فانها أضل مقالة قالها الانسان والانسان مخير ، أعطاه الله اليدين ، فهو يستطيع أن يحركهما ليتصدق على السائل ، وأن يحركهما ليضرب البرىء ، ومنحه الرجلين فهو يقدر أن يمشى بهما الى المسجد ليصلى والى الماخور ليفسق .

(جول سيمون) يرد على من يدعى أنه مسير . فيقول له : سأرفع يدى بعد ثلاث دقائق . فهل تراهننى على أننى لا أستطيع أن أرفع يدى ؟ .

ولكن ليس معنى هذا أن الانسان يستطيع أن يتحكم فى الكون ، ولا أن يقرر لنفسه المصير .

الصخرة لا تتحرك ، والسيارة تتحرك، فنحن لا ننكر حركة السيارة ، ولا (حرية) سائقها فى التوجه بها ، ولكن ليس معنى هذا أن يخترق بها الجبل ، ولا أن يمشى بها على وجه الماء ، ان السيارة تمشى (بحرية) سائقها واختياره ، ولكنها لا تمشى الا على الطريق .

وكذلك الانسان ، ان له حرية واختيارا ، ولكنه لا يستطيع أن يسلك الا الطريق التى تشقها له الاقدار .

انه كراكب الزورق فى البحر ، يوجهه حيث شاء ، ولكن قد تضربه موجة عاتية فتحول وجهته من اليمين الى الشمال ، وكذلك تصنع الايام ، بزوارق الاحلام .

كنت فى مصر ، وقد رسمت طريقى ، وحددت وجهتى : أن أكمل الدراسة

فى دار العلوم ، وأعمل فى الصحافة ، واذا بموجة تلطم صدر زورقى، فتعيدني الى دمشق ، فأدخل فيها كلية الحقوق وأغامر فى السياسة ، وأقود الطلاب جميعا فى ساح النضال ، وأحترف الصحافة ، فأكتب فى (فتى العرب) عند مؤلف (سيد قريش) وفى (ألف باء) عند باقعة الصحافة فى الشام . ثم أتولى التحرير الداخلى فى الجريدة الوطنية الكبرى ، التى أصدرتها الكتلة الوطنية رافعة لواء النضال للاستقلال .

وكان آخر ما أفكر أن أكون موظفا .

أنا أكون موظفا فى ظل الانتداب ؟ واذا فرض ما لا يكون وقبلت التوظيف (١) فلن أكون معلما ، أنا أصير معلم صبيان .

ولكن هذا الذى كان :

فقد كانت فى سنة ١٩٣١ نكسة وطنية ، بعد انتخابات (٢٠ كانون) أى ديسمبر ، التى قاطعناها ، وسيطر الفرنسيون . وعطلوا الجريدة التى كنت أعمل فيها . فقبلت أن أكون معلما ، لئلا أدع اخوتى بلا طعام .

وضربت موجة أخرى زورقى ، حين اذانى الحاكمون فنقلونى فى أقل من ثلاث سنوات ، بين خمس من القرى ، وآذيتهم بقلمى ولسانى ، فتركت الشام وسافرت الى العراق .

وكان لى فى العراق اخوان ، وكان لى تلاميذ ، منهم من صار رئيس جمهورية (رحمه الله وأبقى فى الرئاسة أخاه) ومنهم من لست أحصى ممن صاروا وزراء ، وصار منهم كبار القضاة ، والقادة والضباط ما كان أحلى أيامى فى العراق ، وسلام منى لا ينقضى على اخوانى وتلاميذى فى العراق .

وصرفتنى موجة الى لبنان ، فعملت فى بيروت سنة ١٩٣٧ وصار من تلاميذى فيها أساتذة فى الجامعة ، وناس من كبار الناشرين وأصحاب المجلات ، وصار منهم رئيس القضاء الشرعى ، ومنهم الشاب العالم الصالح الذى سرنى وفرح قلبى ، أن سمعت من أيام نبأ انتخابه بالاجماع مفتيا للبنان .

وموجة أخرى ، حولتنى الى القضاء ، وما كنت أظن يوما أن سألى القضاء ، ثم عدت بعد أكثر من ربع قرن فى القضاء ، أمضيت نصفها فى (محكمة النقض) ، عدت بعد التقاعد ، مدرسا فى مكة المكرمة بجوار حرم الله .

جرنى الى هذا الكلام كله ، موضوع الانشاء .

فليفكر اخواننا المعلمون ، حين يلقون هذا السؤال ، فيما كانوا يجيبون عليه وهم طلاب .

هل كانوا يريدون أن يكونوا معلمين ، أم كانت لهم غايات ، طالما تطلعوا اليها ، وحاولوا بلوغها ؟

وأحلام كبار طالما كانوا يناجونها فى خلواتهم ، ويسامرونها فى لياليهم ويحلمون بها فى يقظاتهم .

وجهوا اليها زوارق حياتهم ، وكل همهم أن يصلوا اليها ، فجاءت موجة فضربت الزورق فحولت طريقه ؟

أما أنا فقد رث زورقى وبلى من طول ما توجه يمينا وتوجه شمالا ، فمر بي على كل بلد فرأيته ، وأطال بى الرحلة فذقت الحلو والمر ، وعرفت المتع واللذاذات ، والمتاعب والالام ، عرفت لذة المال ، ومتعة الشهرة وحلاوة المنصب ، واعجاب الجماهير ، ولو عدت تلميذا الان وسئلت هذا السؤال ، لقلت انه لم يبق لى من الامال الا أمل واحد ، هو أن يرزقنى الله حسن الخاتمة . وان يخلفنى فى أهلي وبناتي ، وأن يرينى قبل موتى بياض النصر للاسلام وأهله ، بعد هذا الليل الذى امتد سواده وعم ، اللهم آمين .

---

(١) الوظيفة فى الاصل بمعنى الراتب .

فيقول الحجر أو الشجر يامسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرقد فانه شجر اليهود » . ومن الاحاديث ما يدل على انتشار المخترعات التى تنطق بكل شىء حتى يخيل للانسان أن كل شىء يحيط به يتحدث اليه ،فقد روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده » ومن الاحاديث ما يشير الى أن الدنيا تنتهى على شرار الناس بعد أن يقبض الله اليه خيارهم،فقد روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيبعث الله ريحا من اليمن الين من الحرير فلا تدع احدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته « وروى الشيخان البخارى ومسلم : « لا تقوم الساعة الا على شرار الناس » وروى مسلم والترمذى عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض : الله . الله » ويدل بعض الاحاديث على أن الدين سيتقلص من اطراف الارض ويستقر بالحجاز . روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من الجبل . ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » ومن الاحاديث ما يدل على عظم أجر المتمسكين بدينهم فى هذه الأوقات التى أشير اليها آنفا ، هذا غيض من فيض وقليل من كثير مما ورد عن سيد الخلق فى أحوال آخر الزمان وقد أدركنا بعضه ونعوذ بالله أن ندرك ما بقى منه .

وأما العلامات المباشرة لقيام الساعة فنوردها فى ايجاز كما وردت عن المحققين من علماء الملة وهى على الترتيب :

١ ـ ظهور المسيح الدجال .

٢ ـ نزول سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقتله للدجال .

٣ ـ ظهور يأجوج ومأجوج وفى التنزيل الكريم من سورة الانبياء الآية (٩٦) « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » .

٤ ـ ظهور الدابة قال الله تعالى : « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (الآية ٨٢ من سورة النمل) أما أوصافها وتفاصيل الحديث عنها فعلم ذلك عند علام الغيوب .

٥ ـ خروج الشمس من مغربها ، وقال بعض العلماء انها المرادة بقول الله تعالى « ... يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » (الآية ١٥٨ من سورة الانعام) والله أعلم بمراده .

وهذه الاشراط تكلم فيها طويلا ولكن نرى الوقوف عندها كما ورد ، فهى من الغيب الذى لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى ، نسأله سبحانه السلامة من شرور الدنيا وأن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشدا .

هل للماضي المجيد

دها فيلق الإسلام غُلْبَ الفَيَالــق ... ببدرٍ ، فعمَّ النورُ أُفْقَ المَشَارِق

وحطّم صَرْح الكفْرِ في عُنْفُوانِه ... وألقى به من حالقٍ بعد حَالِـــق

وكَرَّ عليهم كَرَةً لَم تَــدَعْ لَهُمْ ... سوى أروس مطمورةٍ في الخنــادق

وإلا أديماً خَضَّب الدمُ ساحَــهُ ... كأن روضة حُفَّت بأزهى الشقائــق

تلاقي به دمعانِ : دمع مُســارِعٍ ... يفر ، ودمعٌ من طريح مُفَــارق

والا طيورا قد أَدَبْــنَ موائــداً ... مطاعمهــا فيها لحومُ الخـلائِق !

وأفْقــاً تسامَى النَّقْعُ فيه مَوَاكِباً ... حَدَاها أنينٌ من نفوسٍ زواهــق

***

وفَرَّتْ فلُول الكفر تَسْحَبُ رُعْبَها ... كما ارتعب العصفورُ خيفة بَاشِــق

وما حمل الأرماح إلا قلوبهــــم ... تجيش بإيمــانٍ على الهَوْلِ صــادق

وما هى حربٌ بل جدال يَشُبُّــه ... وقوفُ أباطيلٍ بوجهِ حقائــق

عَوْدٌ لأهله؟

للاستاذ
العوضي الوكيل

به انطلقت في الشرق أجنادُ خالـدٍ وكَرَّتْ به في الغربِ أجنادُ طارق

★★★

قفَا نبكِ من ذكرى الليالى السوابقِ ونقرنُ ما أفنى الزمانُ بما بَقِى

ليالىَ كان المسلمونَ أعـزَّةً عواتقهم بالمجد أعلى العواتق

بأيديهم حكمُ الزمـانِ ، وإنّما طرائقهم في الحكم أسْمى الطرائق

ألا يارعاةَ الشاءِ في فلَوَاتِهَا ومُنْتَجِعِي فَيْضَ الغيوث الغوادق

غَدَوْتُمْ بما آتاكمُ وحيُ احمدٍ ، من الدين والدنيا ، رُعاةَ خلائِق

★★★

ألا هل لماضى المجد عودٌ لأهلـه ورُجْعَى إلى العزّ القديم المُفَارق

وما المجدُ بالنائِي إذا صدقت لـه عزيمـةُ دفّاعٍ إلى الهول صـادق

تيقظت الأحداث فاستَيْقِظُوا لهـا بهمة صوَّالٍ ، وغضبـةِ حَانِق

من أسس قضية المرأة

الاستاذ
البهى الخولى

١ مع الماضي

- ١ -

مما يدعو للاعتزاز والفخر أن نرى الاحكام والحقوق التى جاء بها الاسلام لتقرير مكان المرأة فى الحياة وانصاف انسانيتها وأهليتها تتأيد على ضوء ثقافة عصرنا وأوضاعه ، وما تسفر عنه – كل آن – تجاربه فى حلو الحياة ومرها، ورشدها وغيها ، حتى أنها لتقابل اليوم من المنصفين ذوى التقدير العميق والثقافة العالية بأصدق التأييد والرضا .. ولكن مما يجلو فضل تلك الاحكام والحقوق ، ويضيف الى الاعتزاز والفخر بها وجدان العجب بتقدميتها وأصالتها أن ننظر اليها على ضوء الحقبة التي ظهرت فيها

بين يدى هذه السلسلة

كنا قد كتبنا للاستاذ الفاضل أن يوافينا ببعض بحوثه التى يمنع بها قراءة الكثيرين فأرسل الينا - مشكورا - بواكير هذا البحث الذى سنقدمه لك مسلسلا حتى تتم جوانبه وأرسل لى معه رسالة رأيت أن أشركك معى فى قراءتها لتعيش مع الكاتب وفى جوه الذى آثر من أجله أن يجعل هذه الناحية المهمة موضوعا لبحثه .

قال الأستاذ فى رسالته :

« جاء خطابك وأنا فى شغل بازمة وجدانية أتألم فيها لحال الفتاة المسلمة فى كل مكان ، فان مصاريع التحول أو التطور تنفتح أمامها حيث كانت للانطلاق الى ما تشاء من الآفاق ، بلا قيد ولا شرط ، مع توتر يضيق أو يتطير بأقل معارضة ، ولا يرى فى أقوال الناصحين المشفقين الا الجمود والرجعية ، ومعارضة سنن التطور .. الخ .. وقد نظرت فيما درست أو تدرس من مناهج الدين فلم أجد الا أشياء سطحية ، لا تملأ فكرا ، ولا تستولى على عاطفة ، علاوة على بعدها كل البعد عن القضايا التى تتعلق بتطورها ، ووجدت أن مرجعها أو مصدرها الذى تتلقى منه التوجيه فى تلك القضايا هو المجلات الاسبوعية ، وملحقات الصحف اليومية التى تخصصها للمرأة ، والمعروف أن رائد محررى تلك الصحف هو تقليد المرأة الغربية ، اذ هى مثلهم الاعلى الذى يتلقون عنه مقتضيات التطور .. وأحسست أن محنة تلك الفتاة تقتضى تقديم لون من الادب النسوى ، لا هو بالفقه البحت الذى تتولاه الدراسة المنهجية ، ولا هو بالاجتماع المدنى الصرف الذى لا يتقيد فيه كاتبه بغير تقديره الشخصى .. والدين هو معيار العقل ، والحكم الصادق فى كل ما تعرض له .. وللفتاة عقلها وضميرها ، فلعلها أن تجد فى هذا اللون الذى يعالج قضاياها ما يرضى عقلها وضميرها ، ويصلها بدينها ويخفف من غلواء التطور المندفع .. ودعانى ذلك أن أقرأ .. وأن أبحث وأن أحضر مادة الموضوع ، وساعدنى القرآن الكريم كلام الله الثمين ، عباب المعارف ، وكنز دقائق المعانى ، وخفى الاشارات والسنن .. وفيما انا فى جهد التجميع وأسى الوجدان الملتهب جاء خطابك ، فلم تكن هناك فرجة لخيار أتردد فيه بين ما أكتب وما لا أكتب .. وقلت : انا ما زلنا فى مفتتح عام دراسى، فلعل أساتذة مدارس البنات فى الكويت وغير الكويت يجدون فى بعض ما نكتب شيئا يصلح تقديمه لفتياتهم على سبيل أن شيئا خير من لا شىء .

ورأيت أن أقسم قضايا المرأة الى قضايا تتعلق بوصفها العام الذى تشترك فيه مع الرجل ، وهو وصف الانسانية .. وقضايا تتعلق بوصفها الخاص الذى تنفرد به عن الرجل وهو وصف الأنوثة .. وقضايا لم يكن لها مجال الا أن رغبة المرأة الجامحة فى منازعة الرجل كل شاراته فرضتها على البحث ، كعمل التكسب فى الخارج بمختلف المهن ، والمؤسسات والدواوين ونحوها .. وهى قضايا يجب أن تقرر سنن الله فيها ، « معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون » .

منذ أربعة عشر قرنا ، اذ تفاجىء الناس حدثا عجيبا يهز تقاليدهم وأوضاعهم ، ويثير دهشتهم وحيرتهم لمخالفة ما ألفوا من وضع المرأة بينهم وتقديرهم لشأنها ، فانه اذا كان النظر لاحكام تلك القضية على ضوء ثقافة عصرنا وأوضاعه تؤكد صلاحيتها ، فان النظر الى ظهورها حدثا عجيبا فذا فى مخالفة مشاعر الناس وتقاليدهم وطبيعة نظرتهم للحياة عامة فى العالم كله لا فى جزيرة العرب وحدها ، هو نظر يؤكد أصالة تلك الأحكام ، وأنها من حكيم حميد ، فان نظر المصلح من البشر - المحدود بأوضاع قومه ، ومن ورائها أوضاع عصره كافة - لا يبلغ فى حكم الطبيعة البشرية من عمق التغيير والرؤية حد المخالفة الكلية فضلا عن

اصابة الحقيقة الخالدة التى لا تتغير بتغير العصور والبيئات .. ولذا رأينا أن نبدأ تلك السلسلة عن قضايا المرأة بنظرة عاجلة الى الماضى . ترسم اطارا موجزا يجمع من الملامح ما يكفى للحكم على صورته .

— ٢ —

وحين نقرأ تاريخ الانسان أو قصة حضارته، نراها تجارب قاسية متواصلة، فيها عناصر من البداوة ، والجهل ، والقلق ، والخوف ، والأنانية ، والرغبة فى العدوان والعلو .. تجارب اذا انتهى فيها من مصارعة الوحوش ومنازلة السباع ، فرغ لمنازلة أخيه الانسان ، وفتح لذلك صفحة بل صفحات آسية دامية من الحروب والغارات للسلب والغصب والنهب ، واسترقاق الرقيق وسبى الذرارى ، ليكونوا فى خدمة الغالب. خدمة بيئته، وأرضه ،وسائمته، وسائر علمه .

ولسنا بصدد استيفاء ملامح هذه الأطوار البعيدة وما كان فيها من تجارب مرة قاسية ، ولكنا نسأل . أيلام الانسان اذا هو رتب حياته — يوم ذاك — وأقام أوضاعه الاجتماعية على ما يلائم تلك الظروف ، ويقتضيه ما هو مفروض من احتمالات الغزو ، أو مفاجأة غارات السلب والنهب والسبى والاسترقاق ؟

أيلام — مثلا — اذا خرج لغارة أو مدافعة عدو ، أن يعفى منها الحامل والمرضع ومن فى حكمهن من ضعيفات النساء ؟ .. أو يلام اذا اجتمع من شهد المعركة لتقسيم الأسلاب والغنائم دون استدعاء النساء ؟ وهل يلام اذا جمع المقاتلين من أبناء القبيلة ليتداولوا الرأى فى تدبير ما يريدون من غزو ، أو احباط ما يتوقعون من غارة دون أن يشرك المرأة فى هذا التدبير ؟ .. ولأى المولدين يفرح ذلك الانسان البعيد ، مولد الولد الذى يركب الفرس ، ويحمل السلاح ، وينازل العدو ، أو مولد الأنثى التى لا غناء لها فى شىء من ذلك ، فضلا عن أنها عبء فى المعركة وحرمة تستوجب الدفاع ؟

ان عاملين خطيرين حددا للمرأة مكانها فى العصور القديمة . أحدهما انها انثى أعدتها الطبيعة القاهرة لأداء مهمة معينة .. والآخر مقتضيات الحياة التى دعت اليها مواريث البداوة والتوحش التى كانت لا تفتأ تثير فى الرجل مختلف الأطماع ، وتحضه على دوام الغارة ، وفخر الغلبة ، ونشوة الظفر والاستعلاء.

لقد كان لهذين العاملين أثرهما الحاسم فى رسم الوضع الاجتماعى للمرأة ابان العصور الأولى لحضارة الانسان . . فلما قطع من مراحله الحضارية ما قطع ، وصار له فى كثير من الجهات دول ذات قوانين ونظم فى الحرب والسلم ، كانت مقتضيات الحياة القديمة — حياة الغزو والسلب والنهب — قد استحالت تقاليد راسخة ، ومواضعات تخطط آداب الشعوب والقبائل ، وتعين معاقد مجدها وفخرها ومنعتها .. أى صارت عنصرا أصيلا من العناصر التى تكون الاطار العام لحضارته .. وفى نطاق هذا الاطار عاشت المرأة واتخذت وضعها الاجتماعى الذى نعرض فيما يأتى بعض معالمه .

— ٣ —

أ — ففى الصين كانت المرأة تحتل فى المجتمع مكانة هينة ، ولقد كتبت احدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة ، فكان مما جاء فيها . « نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال ، » .

ومن أغانيهم . « ألا ما أتعس حظ

المرأة . ليس فى العالم كله شىء أقل قيمة منها ، ان الاولاد يقصد الذكور — يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء ، أما البنت فان أحدا لا يسر بمولدها ... واذا كبرت أختبأت فى حجرتها تخشى أن تنظر فى وجه انسان ، ولا يبكيها أحد اذا اختفت من منزلها (١) .

ب — وفى الهند نجد فى أساطير مانو أن مانو « عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش ، والمقاعد ، والزينة ، والشهوات الدنسة ،والغضب، والتجرد من الشرف ، وسوء السلوك .. فالنساء دنسات كالباطل نفسه وهذه قاعدة ثابتة » (٢) ... وفى تشريع مانو . « أن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها — زوجها — كما لو كان ألها ، وألا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه حتى ان خلا من الفضائل ... وكانت المرأة بناء على ذلك كله تخاطب زوجها فى خشوع قائلة . يا مولاى .. وأحيانا . يا الهى ... وتمشى خلفه بمسافة ، وقلما يوجه اليها هو كلمة واحدة .. وكانت لا تأكل معه بل تأكل مما يتبقى منه » (٣) .

جـ — أما فى اليونان القديمة ، فيكفى أن المرأة فى العصر الذهبى لم يكن لها أى دور فى حضارته ، اذ كانت معزولة عن المجتمع ، تعيش فى أعماق البيوت على أنها سقط المتاع ، حتى كان من مفكريهم ومؤرخيهم الكبار من ينادى . « يجب أن يحبس « اسم » المرأة فى البيت ، كما يحبس جسمها » (٤) ... وكان ينظر الى الزوجية على أنها « وظيفة » لاستيلاد الأطفال ، لا تعلو كثيرا عن « وظيفة » الخدمة فى البيوت ... ولم يكن من الأوضاع المألوفة أن تكون الزوجة موضع حب أو معاطفة ، فان لتلك المشاعر مجالا آخر يصوره ديموستين خطيبهم المشهور بقوله . « اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الابناء الشرعيين » .. وعلى هذا كانت الزوجة تنتقل من بيت آهلها لا لتكون سيدة البيت فى بيت زوجها ، بل لتؤدى فيه — الى جانب الخدم — وظيفتها فى استيلاد الاطفال وحضانتهم ..

د — وفى الحضارة الرومانية — فى عهد الجمهورية الأول — كان رب الأسرة هو رئيسها الدينى ، وحاكمها السياسى ، ومديرها الاقتصادى ، فاليه ترجع الحقوق كلها ، فهو الذى يملك ، وهو الذى يبيع ويشترى ، ويتعاقد ويتصرف فى كافة شئون أسرته .. أما المرأة فلم يكن لها الى جانبه شىء ، اذ لم يكن لها أهلية أو شخصية قانونية ، فقد كان القانون يعتبر « الأنوثة » سببا أساسيا من أسباب انعدام الأهلية ، كحداثة السن ، والجنون (٥) ... ولقد

---

(١) ٢٧٣/ حضارة الصين — ول ديو رانت ترجمة محمد بدران

(٢) ٣٩٤/ تاريخ العالم « ترجمة الادارة الثقافية بوزارة المعارف سابقا

(٣) ١٧٩ ؟ حضارة الهند — ول ديورانت/ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود

(٤) ١١٤ ، ١١٧ حياة اليونان — ول ديورانت ترجمة محمد بدران .

(٥) ١٩٧ ، ٢٤١/مبادىء القانون الرومانى للدكتور محمد عبد المنعم بدر ، والدكتور عبد المنعم البدراوى

بلغ من ذلك أن البائنة المالية « الدوطة » التى كانت تنتقل بها المرأة من بيت أهلها تصير ملكا خالصا لزوجها بمجرد تحولها اليه .. ولم يكن لها أن تظهر فى المحكمة، ولو شاهدة ..

ولقد عرف الرومان نوعا من الزواج اسمه « الزواج مع السيادة »، وبه تدخل المرأة فى سيادة زوجها، وتصير فى حكم ابنته، وتنقطع صلتها بأسرتها الأولى، ولقد بلغ من سيادة زوجها عليها أنها كانت تحال اليه اذا ما اتهمت بجريمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه، وكان له أن يحكم عليها بالاعدام فى بعض التهم كالخيانة مثلا ... وكان اذا توفى عنها زوجها، دخلت فى وصاية أبنائها الذكور، أو اخوة زوجها، أو اعمامه » .

هـ ـ والعرب كانوا لا يرحبون بميلاد الأنثى، وذلك من الأمور الطبيعية فى مجتمع قبلى لا تهدأ فيه الغارات، ولا تسكن خصومة الثأر، وكان الرجل هو صاحب الغناء والبلاء فى تلك الحروب التى يعلو بها شأن القبيلة أو يخفت، أما الأنثى فلا غناء لها فى هذا المجال، علاوة على أنها فى نظر العدو غنيمة مطلوبة للخدمة أو للاستمتاع، فيضاعف ذلك على رجال قبيلتها عبء الصيانة والمدافعة خوف ما يلحقهم من عار اذا وقعت سبيا ذليلا فى يد العدو .. وكان الرجل فى بعض القبائل اذا ولدت له الأنثى عراه الغم الشديد، وأخذ يعالج الأمور فى نفسه . أيبقيها على مضض ومهانة أم يتخلص من عبئها وعارها فيقتلها أو يدفنها حية فى التراب ؟ . ، وكثيرا ما كان يلجأ الى التصرف الأخير، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله . « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » (١) .. وكان الرجل من العرب اذا مات عن زوجته، قام أكبر أبنائه، فاذا كانت له بها حاجة طرح عليها ثوبه فصارت حقا له بدون اذنها (٢) .

و ـ ومع أن اليهودية دين سماوى فان مواريث البداءة دعت بعض طوائفهم الى أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها، وهبطوا بها حتى سووها بالخدم، وكانت لا ترث مع أخوتها الذكور .. وكان لابيها أن يبيعها وهى طفلة أو دون البلوغ ..

ز ـ أما المسيحية فقد غلا رجال الكنيسة فى اهدار شأن المرأة، وهم دعاة شريعة الحب والرحمة، فكانوا يقولون للنساء قولا له وزن الشرع المقدس . « انه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء، وأن يعشن فى ندم متصل جزاء ما جلبن على الارض من لعنات، فكانت تعاد بهذا نفس العبارات التى قالها « مانو » فيهن، وهى أن النساء

---

(١) الايتان/٥٨، ٥٩ من سورة النحل .
(٢) جـ٢ ص٥٢ من بلوغ الارب للألوسى، جـ٣ ص٤٢وما بعدها من المرجع نفسه، ويراجع أيضا تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشرى فى الآيتين السابقتين من سورة النحل .

باب للجحيم ، وأنهن الخطيئة مجسمة ، وقد ذهب البعض الى أبعد من هذا ، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان .. وأنه يجب أن يلعن النساء لأنهن سبب الغواية ، وكان يقال . ان الشيطان مولع بالظهور فى شكل انثى «(١)» ... غلا رجال الكنيسة الى هذا الحد حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها :

هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟

هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟ .

هل هى انسان له روح يسرى عليه الخلود ؟ أو هى نسمة فانية لا خلود لها ؟

— ٤ —

تلك ملامح أو معالم موجزة تعطينا حكما صادقا عن الوضع الاجتماعى للمرأة فى البيئات القديمة المتحضرة متدينة وغير متدينة .. ويمكن مما تقدم أن نلخص الأخطاء القديمة فيما يأتى .

١ — أن انسانيتها لم تكن موضع اعتبار لدى الرجل ، فلم يكن لها جهد معلوم أو دور مقرر تسهم به فى تنظيم المجتمع .. وما كان يجوز أن يستصحب الانسان تقاليد بداءته ، ويدع لها أن تسهم فى تخطيط حضارته حتى يكون من تأثيرها أن تفرض للمرأة الوضع الذى قدمنا ، وقد رأينا كيف هبط بها بعضهم حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم . هل المرأة انسان له روح ، أو هى حيوان نجس لا روح له .

٢ — انها لم تكن لدى كثيرين أهلا للتدين والتخلق بالفضيلة ، وقد رأينا « مانو » يجردها من شرف السلوك ، ورأينا غيره يتابعه على ذلك ، ويتشكك فى أهليتها لعبادة الله ...

٣ — انعدام المساواة بين الابن والبنت فى نطاق الأسرة ، كما رأينا لدى العرب وقدامى الصين .. وانعدامها بين الزوج والزوجة كما رأينا لدى الهنود .

٤ — اهدار شخصيتها القانونية ، أو أهليتها للتصرف الاقتصادى ، اذ كانت غالبا لا تملك ، ولا ترث ، ولم يكن لها دور فى بيع أو شراء أو شركة أو نحوها من الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، وقد رأينا كيف كان القانون الرومانى يعتبر « الأنوثة » سببا أساسيا من أسباب انعدام الأهلية ..

وقد نستطيع أن نجمل تلك الأخطاء فى خطأ واحد ، هو أن « انسانيتها » لم تكن محل اعتبار لدى الرجل ، اما لجحود تلك الانسانية وتجريدها منها بتة ، واما لأحساسهم بأن مهمات الحياة لا تقتضيها دورا أساسيا تسهم به فى المحيط العام . والمقرر أن أنوثة المرأة — مع مقتضيات الحياة البدائية التى أشرنا اليها — كانت السبب المباشر فى تسلسل تلك الأخطاء وتطورها الى الوضع الذى عرضنا بعض ملامحه .. ولهذا كان من حكمة الاسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكان المرأة فى الحياة عرض له على أساس الواقع من تقويمها ، أو تكوينها الفطرى الجامع لخصائصها الروحية والحسية ... فأعلن انسانيتها التى تستوى فيها مع الرجل ، وأعلن وصفها الخاص الذى تنفرد به عنه باعتبارها انثى .. وفى تشريعه لكل من هذين الوصفين لم يقصر بها عن الوضع الذى قررته الفطرة لانسان ، ولم يجاوز بها المدى الذى رسمته الطبيعة لانثى .. على النحو الذى سنوجزه فيما يأتى ان شاء الله .

---

(١) تاريخ العالم ترجمة وزارة المعارف المصرية .

مشكلة القضاء والقدر أو مسألة الجبر

تتضمن المشكلة دراسة وتحديد :

أ ـ الصلة بين ارادة الله العامة الشاملة ، والارادة الانسانية .

ب ـ الصلة بين القدرة الالهية العامة الشاملة والقدرة الانسانية ، أو بعبارة أخرى بين قدرة الله وأفعال العباد ، فهل أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أو هى من خلقهم واختراعهم .

ان التفكير فى مشكلة الجبر والاختيار ظاهرة نفسية عامة ، تميز حياة الجماعات المتدينة فهما ظاهرتان متلازمتان لكل جماعة ذات عقيدة دينية ، فاذا عثر المؤرخ الدينى على احداها فى جماعة متدينة فلا بد أن يعثر عند التفتيش فى اعتقاداتها على الظاهرة الاخرى .

والواقع أن هذه المشكلة من أعقد المشاكل التى عرضت للعقل الانسانى ، وحار فيها الفلاسفة وعلماء الكلام قديما وحديثا ، فقد أثارها الفلاسفة اليونان فكان بعضهم (كالأبيقوريين) يرى أنه « لا يوجد هناك قدر ولا قدرة تضمر للانسان شرا ولا خيرا ، وارادة الانسان لا ترتبط بقدر يسيرها فى جبرية لا تقبل تغييرا » وبعضهم (كالرواقيين) كان يرى « أن الاحداث تجرى على أساس خطة لا يمكن للانسان أن يغيرها ، وانما عليه أن يتبع ارادة القدر » ، وكذلك كان الامر فى اليهودية ، فقد دار النقاش العقلى فيها حول القدر والجبر والاختيار ، فمال (القرائيون) منهم الى القول بالجبر أو القدر ، وصار (الربائيون) الى القول بالاختيار . أما فى المسيحية الشرقية فكانت النزعة الغالبة على أهلها القول بحرية الارادة الانسانية ، فكان يوحنا الدمشقى من أوائل الفلاسفة الدينيين الذين ميزوا بين الافعال الاختيارية التى يأتيها الانسان بمحض ارادته واختياره وبعد التفكير والتروى ، وبين الأفعال الاضطرارية الجبرية التى يأتيها الانسان مكرها وبتأثير قوة خارجية ، ومع ذلك فان (اليعاقبة) من المسيحيين الشرقيين مالوا الى الجبر ونفى الارادة الانسانية والحرية .

أما فى الاسلام ، فقد أثيرت المشكلة أيضا واختلف الناس حولها ، والذى دعاهم الى الاختلاف ـ كما يقول ابن رشد ـ أن الأدلة العقلية متباينة ، وظواهر نصوص القرآن تبدو وكأنها متعارضة .

فاذا قلنا ان ارادة الله ومشيئته شاملة لكل ما يحدث فكيف يشاء الشر ، واذا قلنا ان ارادته لا تتوجه الا الى الخير ، وجب القول بأن هناك أفعالا تجرى على غير مشيئته ولا اختياره ، فكيف يكون الها .

ومثل هذا الخلاف فى ارادة الله ، الخلاف فى قدرته .

فمن ناحية نرى أن الله تعالى يطالب الناس بالعمل ويدعوهم اليه ويأمر وينهى ويثيب على

١

الدكتور / عرفان عبد الحميد
كلية الشريعة / بغداد

والاختيار في الإسلام

فعل ما أمر ويعاقب على الاتيان عما نهى ، فكيف يعقل بعد ذلك أن نقول أن الانسان مجبور مسير لا أثر لقدرته أصلا ، اذ لو لم تكن له قدرة لما كان معنى للطلب ولما كان معنى للثواب والعقاب ، ولكان التكليف تكليفا بالمحال ، ولحق اعتراض المعترض بأنه لم يفعل ما فعل من شر حتى يستحق اللوم والعقاب .

ومن ناحية أخرى ، اذا قلنا ان العبد خالق أعماله ترتب عليه ونتج عنه تحديد قدرة اللـه وانها غير شاملة ، وان العبد شريك لله تعالى في ايجاد هذا العالم ، في حين أن العقل يقضي أن الشيء الواحد لا تتعاون عليه قدرتان ، فاذا كانت قدرة الله هي التي خلقت الفعل ، فلا شأن للانسان فيه ، وان كانت قدرة الانسان هي التي خلقت فلا شأن فيه لقدرة الله تعالى ، ولا يمكن ان يكون بعض الفعل بقدرة الله وبعضه بقدرة العبد ، لأن الشيء الواحد لا يتبعض .

اما ظواهر نصوص الكتاب والسنة ، فمنها ما يستخلص منها أن الانسان حر في اختيار افعاله مسئول عنها ، من ذلك قوله تعالى .

١ — « كل نفس بما كسبت رهينة » وقوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

٢ — « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها »

٣ — « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

٤ — « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

٥ — « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها » .

اما الآيات التي يفهم من ظاهرها الجبر ، ومن أن الأمور تجري بقدر من الله تعالى فمنها .

١ — « انا كل شيء خلقناه بقدر » وقوله تعالى « وكل شيء عنده بمقدار » .

٢ — « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » .

٣ — « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا » .

٤ — « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » .

٥ — « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين » .

٦ — « قل فلله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم اجمعين » .

٧ — « قال صلى الله عليه وسلم . لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » .

٨ ــ وقال أيضا ((الشقى من كان شقيا فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره)) .

٩ ــ ((ان الله خلق للجنة أهلا ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم وهم فى أصلاب آبائهم)) .

تاريخ تطور المشكلة فى الاسلام

مر النقاش العقلى لمشكلة الجبر والاختيار بمرحلتين .

المرحلة الاولى

وهى الفترة التى اتخذ التفكير فيها صورة شبه عارضة ، كانت تساور نفوس البعض من الصحابة ولدتها ظواهر النصوص المتعارضة ، وما يلاحظ من تناقض بين قدرة الله المطلقة وبين حرية الانسان فى أعماله ومسؤوليته عنها . فقد أورد البخارى فى صحيحه ((كتاب التفسير)) ، أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع جمعا من الصحابة يتباحثون فى القدر فخرج مغضبا يعرف الغضب فى وجهه ، حتى وقف عليهم فقال . ((أى قوم . بهذا ضلت الامم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعلموا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به)) . ويروى أيضا أن شيخا من أتباع على رضى الله عنه سأله عند انصرافه عن وقعة ((صفين)) أكان المسير بقضاء الله وقدره . فقال عليه الصلاة والسلام ((والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ، ما هبطنا واديا ولا علونا قلعة الا بقضاء وقدر . فقال الشيخ ، عند الله أحتسب عنائي ، مالى من الاجر من شىء . فقال على . بل عظم الله لكم الأجر فى مسيرتكم وأنتم سائرون ، وفى منقلبكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطربين . فقال الشيخ . فكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال على . لعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تاتى من الله لائمة لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ، ولما كان المحسن بثواب الاحسان أولى من المسىء ، ولا المسىء بعقوبة المذنب أولى من المحسن ، تلك مقالة اخوان الشياطين ، وعبدة الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور ، وأهل العماء عن الصواب فى الأمور ، هم قدرية هذه الامة ومجوسها . ان الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، ولم يكلف جبرا ، ولا بعث الأنبياء عبثا ((ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)) . فقال الشيخ . وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا فقال . امر الله بذلك وارادته .

ويروى أن رجلا قال لابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ ((ظهر فى زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التى حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون كان ذلك فى علم الله ، فغضب ابن عمر وقال . سبحان الله ، كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه ليحملهم على المعاصى .

من هذا يظهر أن النقاش فى مرحلته الاولى ، كان يتميز مظاهر منها .

أ ــ اثبات قدر الله ، بمعنى علمه الأزلى بما سيكون من شؤون خلقه .

ب ــ ان علمه الأزلى لا يتضمن الاجبار ولا يعنى الاكراه والاضطرار ، فلا يصح أن يكون تبريرا للشر والقائه على الله سبحانه وتعالى .

جـ ــ ان التفكير فى الجبر والاختيار ــ بهذا الاعتبار ــ تولد عن أسباب داخلية من ذات الاسلام ، ونشأ من جراء التعمق فى التصور الدينى ، أى نشأ ــ كما يقول كولدزيهر ــ عن التقوى لا عن حرية التفكير .

د ــ ان التفكير فى المشكلة بهذا الاعتبار ليس وقفا على بيئة دينية معينة ولا جماعة انسانية خاصة ، بل ذلك من القدر الانسانى العام ، الذى يوجد فى كل جماعة متدينة .

المرحلة الثانية

وفيها اتخذ النقاش العقلى فى الموضوع صورة مذاهب ، له ناس يعتنقونه ويدعون اليه ويوضحونه للناس . والمشكلة بهذا الاعتبار قد اختلف الباحثون فى سبب ظهورها الى فئتين .

١ — فئة ترى أن النقاش الفكرى حول القضاء والاختيار تولد عن سبب خارجي ، وتربط ذلك السبب بالمسيحية الشرقية . ومن أوائل من قال بهذا الرأى المستشرق الالمانى فون كريمر الذى يقول « ان حركة القول بالقدرة الانسانية فى خلق الافعال نشأت بتأثير من تعاليم الكنيسة الاغريقيه وآراء أساتذتها وخاصة يوحنا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قره » . ويقول ماكس هورتن «كانت العقيدة المسيحية فى الشرق تؤكد قبل كل شىء الاختيار الانسانى ومسئولية الانسان الكاملة فى تصرفاته .. ولما كانت أدلة هذا الرأى مقنعة للمسلمين الأحرار « رجال المعتزلة » رأوا من أنفسهم لا محالة اتباعه ووجوب الاخذ به ، لأجل هذا نشأت فكرة الاختيار فى المدرسة العقلية من مدارس علم العقيدة الاسلامية » ويؤيدهم فى هذا جمع كبير من المستشرقين أمثال . نللينو الايطالى ، دى بوير الهولندى ، بيكر الالمانى ، ونيكلسون الانجليزى .

ويؤيد هذا الرأى بعض كتاب الفرق الاسلاميين. فيذكر المقريزى فى كتابه « الخطط » أن أول من تكلم بالقدر فى الاسلام هو معبد الجهنى الذى أخذه عن نصرانى يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالأسوارى » . ويروى ابن نباتة فى كتابه « سرح العيون » «أن أول من تكلم بالقدر فى الاسلام رجل من أهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر وعنه أخذ معبد الجهنى « ويقول ابن قتيبة » غيلان الدمشقى كان نبطيا قدريا لم يتكلم احد قبله فى القدر ودعا اليه الا معبد الجهنى » .

٢ — فئة ثانية ترى أن النقاش فى القضاء والقدر تولد عن أسباب داخلية من ذات الاسلام نفسه وكنتيجة للتطور الديني والسياسي فى الاسلام ، وان كان ثمة تأثير أجنبى فانه كان تاليا لظهور المشكلة وأعان على تطويرها وتعميقها أكثر من خلقها وايجادها ، وممن ذهب الى هذا الرأى فنسك ،ترتون ، واط ، اوبرمان . ويعتبر الاستاذ واط من أشد المؤمنين بهذا الرأى ، فهو يرى أن المشكلة نتجت عن بحث الخوارج فى مشكلة مرتكب الكبيرة التى دفعتهم الى البحث فى مسألة القدرة الانسانية ، وهل هى نفس الانسان ، أم أن القدرة عرض تحل فيه ، وهل القدرة تسبق الفعل أم هى مع الفعل وتنتهى بانتهائه ، وهل هى صالحة لفعل واحد أم للفعل وضده .

ان النقاش فى الموضوع فى مرحلته الثانية يرتبط بفرقتين ، هما فرقة القدرية وفرقة الجبرية .

١ — فريق الجبرية الخالصة

اتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبى الذى ثار على الدولة الاموية فقتله «سلم بن أحوز » والى الأمويين بخراسان .

نفى الجهم القدرة الانسانية والاستطاعة ، فليس للانسان فى نظره قدرة ولا ارادة ولا اختيار بل هو مجبر فى أفعاله ، والله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها فى الحيوان والجمادات ونسبتها الى الانسان على سبيل المجاز ، كما تنسب الى الجمادات والنبات ، فنقول تغذى النبات وتحرك الحجر ، والثواب والعقاب جبر والتكاليف الشرعية أيضا جبر .

يذهب بعض الباحثين (كولد زيهر — العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٩٧ الدكتور عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٢٠١ وما بعدها) الى أن معاوية رضى الله عنه حين استقر له الامر « أراد أن يثبت فى أذهان الناس أن امرته على المسلمين انما كانت بقضاء الله وقدره فأشاع الفكرة وشجع مذهب الجبر ، وأخذ هو وخلفاء بنى أمية من بعده يبثون الفكرة بمختلف الوسائل ، اذ رأوا أن القول بالجبر يبرر كل ما يأتون به من مظالم ، فعملوا على أن يفسر الناس كل ظلم بقضاء الله وقدره . فيروى أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد أمر أن ينادى فى الناس « بأن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ » .

وفى الوقت الذى يمكن القول فيه بأن الأمويين استغلوا فكرة الجبر وكان من صالحهم سريانها وانتشارها ، فانه من المؤكد أن القول بالجبر لم يكن دافعه الاصيل سياسيا ، بل نتج عن التصور الدينى والورع الزائد والشعور الطاغى بعظمة الله وقدرته لدرجة تتضاءل بجانبها قدرة الانسان المخلوق وتنتفى ، ولو كان الجبر من متولدات السياسة الاموية ، لما أقدم الجهم بن صفوان على الثورة ضد السلطات الاموية ، الأمر الذى انتهى بقتله .

للحديث بقية

خواطر

بقلم : عبد المنعم النمر

الدراسات الاسلامية

العناية التي تأخذها الدراسات الاسلامية الآن من المسئولين وغير المسئولين فى الدول الاسلامية أمر يبعث على الارتياح ، والثقة فى مستقبل أحسن لهذه الدراسات ، وما يتبعها من لفت الأنظار للاسلام وقيمه ومبادئه ، بعد أن طغت علينا التيارات الخارجية ، وطال اهمالنا لتراثنا ومبادئنا .

والذى يدعونى لأن أحدثك هذا الحديث الآن هو ما سمعته من الدكتورين محمد عبد الله العربى وكمال الباقر عن هذه الدراسات حين قاما بزيارة المسئولين فى وزارة الأوقاف وزيارة المجلة بعد أن اشتركا فى الاحتفال بافتتاح جامعة الكويت فى أواخر نوفمبر الماضى .

والدكتور العربى الذى يعرفه قراء المجلة هو الآن عميد لمعهد الدراسات الاسلامية فى القاهرة ، الذى قام من عدة سنين حين أحس الغيورون على هذه الدراسات الحاجة الى قيامه بجانب الأزهر الجامعة الاسلامية العتيدة ، واختطوا له منهجا حافلا جذب اليه حاملى الشهادات العليا من الأزهر والجامعات الأخرى ، حتى بلغ المنتسبون اليه الآن قرابة الألف ، مع أنه بدأ بعدد لم يبلغ المائة . والذى يبعث على الغبطة هو ان هذا العدد الضخم المنتسب اليه قد أقبل على هذه الدراسات العليا دون أن يدفعه اليها مادة يحصلها أو ترقية يرقبها .. بل كانت الرغبة المخلصة فى التزود من هذه الدراسات التي يقدمها صفوة مختارة من العلماء هي التي جعلته يعود طالبا من جديد .

أما الدكتور الباقر فهو عميد جامعة أم درمان الاسلامية .. وهي جامعة وليدة انشأتها حكومة السودان هذا العام ــ كما يقول السيد اسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة فى السودان فى كلمته التي قدم بها دليل الجامعة : .. « لتلعب دورها فى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وبعث التراث العربى الاسلامي فى بلد يقع فى قلب القارة الافريقية ، وعلى ملتقى الحضارتين العربية والافريقية ، وعليه بهذه الصفة أن يقوم بواجبه كاملا فى رفع راية الاسلام ، وبعث الثقافة العربية والفكر الاسلامي ، لا فى داخل القطر فحسب ، بل على مستوى القارة ، وفى ربوع العالم الاسلامي بأسره » .

ولقد سرنى وأنا أتصفح هذا الدليل أن أرى الذين خططوا لهذه الجامعة قد استفادوا من تجارب الذين سبقوهم ، فأقاموا جامعتهم على أساس أن تعد لمعترك الحياة شبانا يؤمنون بدينهم ووطنهم الصغير والكبير ، ويعملون فى مختلف الميادين لا فى المجال الديني فحسب .. وذلك حسب الدراسات المتنوعة التي تقدمها لهم كليات هذه الجامعة ..

وقدبدأت هذه الجامعة فى أول عام لها بانشاء كليات : الشريعة والقانون ، والآداب ، والبنات ، وبجوار هذه الكليات الثلاث دراسات عليا فى معهدى الدعوة الاسلامية ، والدراسات الافريقية .. وندبت للتدريس فيها صفوة من الأساتذة المتخصصين من السودان والأقطار الاسلامية . وهذه بداية قوية نرجو أن تزيدها الايام قوة ونموا ..

ان شعورى بالغبطة لم يكن مصدره فقط قيام جامعة اسلامية تنضم الى زميلاتها فى البلاد الاسلامية ، بل لأن للسودان وضعا خاصا أو « استراتيجية » هامة للدعوة الاسلامية وسط القارة الافريقية حيث يمكن للراغبين فى الدراسات الاسلامية من البلاد المجاورة للسودان تحقيق رغباتهم دون مشقة كبيرة ، وحيث يسهل للدعاة من هناك الانطلاق للقيام بواجبهم فى السودان وفيما حوله من بلاد تعتبر من أخصب الحقول التي تثمر فيها الدعوة الاسلامية ..

ومن هنا آمل أن تتآزر الدول الاسلامية كلها مع السودان لشد أزر هذه الجامعة وتدعيمها بما تستطيع دعمها به من مال وأساتذة لتنهض سريعا وتؤدى دورها المرجو منها ..

فلنقل رأينا اذن

كنا نود أن تستمر المناقشة العلمية حول موضوع الرسم العثماني للمصحف ، ولكن الرسائل الكثيرة التي وردت الينا ، وبعض ما وصل الى سمعنا من تعليقات خرجت بالموضوع عن ميدان المناقشة العلمية البريئة الى ميدان لا نحبه ، ولهذا آثرنا أن يغلق الباب ، ونقول كلمتنا التي كنا ننتظر بها الى أن تتم هذه المناقشة ..

لقد تعجبت كثيرا من الذين انزعجوا من الكتابة حول هذا الموضوع ، واتخذوا منه مادة للتعليق عليه بما يشتهون ، وما دروا أنه موضوع أثير من زمن قديم حتى سئل فى شأنه الامام مالك .. واختلفت آراء العلماء الأعلام فيه منذ ذلك الوقت . جماعة يمنعون كتابته بغير الرسم العثمانى ، وجماعة يجوزون ، ولكل من الجماعتين حججهما وأدلتهما التي يمكن الرجوع اليها فى الكتب المطولة التى تعنى بالقرآن وعلومه .. فالخلاف اذن فى هذا الأمر قديم ، ويثار بين حين وآخر لما يحسه بعض العلماء من حاجة لتيسير قراءة القرآن على من لم يتلقوه عن القراء ، « ولئلا يوقع فى تغيير من الجهال » كما يقول الامام الشيخ العز بن عبدالسلام اذا قراوه بالرسم العثماني ..

ونحن نرى ـ تقديرا منا لوجهة نظر الفريقين ، وتحقيقا لما يهدفان اليه من خير ـ أن تظل كتابة المصحف كما هى بالرسم العثمانى ، على أن تكتب الكلمات التي تكون موضع اشتباه لدى القراء على هامش كل صفحة بالرسم الاملائي الحديث الذى ألفه القراء فكلمة « يصلح » التى كتبت هكذا فى الرسم العثمانى نضع عليها رقما ثم نكتبها فى الهامش هكذا « يا صالح » وبهذا نحافظ على الرسم العثماني ، وفى الوقت نفسه نكون قد أرشدنا القارىء العادى الى كيفية القراءة الصحيحة .

ولعل أول من اتبع هذه الطريقة ـ كما نعلم ـ هو فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسيره القيم المبسط الذى أخرجه منذ نحو ست سنوات وسماه « تيسير التفسير » فحازت هذه التجربة اعجاب كل من اطلع عليها ، وكانت موضع الرضا من الجميع ..

وأننى اعتقد أن هذه الطريقة أكثر احتياطا مما ذهب اليه الشيخ العز بن عبد السلام حين قال : « لا تجوز كتابة المصحف على الرسم الأول باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغى اجراء هذا على اطلاقه ، لئلا يؤدى الى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين » ا هـ. يراجع كتاب البرهان للزركشي وكتاب « مناهل العرفان فى علوم القرآن » للزرقانى .

فما رأى السادة الذين اختلفت وجهات نظرهم فى الطريقة التي نستحسنها ، والتي سبقنا الى تنفيذها فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ؟ .

لا أظن أنها تكون موضع خلاف ، ولهذا أستحث كل معنى بهذا الموضوع أن يعمل على تنفيذها وأتنبأ من الآن برواج كل مصحف يطبع على هذه الطريقة رواجا لم يسبق له نظير .

فكرة أقدمها للذين يعنون بطبع القرآن الكريم ، ولا أطالبهم بشيء من أرباحها ..

« ان أجرى الا على الله » ..

كيف نعيش؟

للشيخ سيد سابق

اختلاف مفهوم الكمال والسعادة

كل فرد من افراد النوع الانسانى ينشد الكمال ويحرص على السعادة ، ويحاول الوصول اليهما بكل سبيل ، ولكن فهمهم لهما يختلف اختلافا بينا .

فمنهم من يرى ان السعادة المنشودة محصورة فى التمتع باللذائذالمادية والنعم الظاهرة .

ومنهم من يرى حقارة هذه اللذائذ ، وان السعادة هى الخروج عن دائرة الفطرة البشرية بتحريم الطيبات والانقطاع عن الدنيا .

وكل فريق من الفريقين مخطىء فى فهمه ، ومجانب للحق والصواب ، اذ انه فهم لا ينسجم مع الحياة ، ولا يتسق مع ما خلق له الانسان من تحقيق الخلافة فى الارض . فالفريق الاول الذى يؤثر الدنيا ، ويحرص على لذائذها يفسد خلقه ، وتضعف ارادته ، ويضطرب امره ولهذا مقت الله هذا السلوك ، ووصفه بالكفر والضلال ، وشبهه بسلوك الانعام التى لا تعقل معنى الوجود ، ولا تفهم قيمة الحياة .

(والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (١))

واما الفريق الاخر فانه فريق انعزالى يقف من الحياة والوجود موقفا سلبيا .

وسلوك هذا الفريق من شأنه ان ينقل قياد الحياة الى الاشرار،فيوجهوها حسب أهوائهم وتبع رغباتهم ، وفى ذلك فساد الدين ، وضياع الدنيا ، والله يوجه الخطاب لهذا الصنف من الناس فيقول « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٢)

---

(١) سورة القتال آية (١٢) . (٢) سورة المائدة (٨٧) .

فكرة الاسلام عن مفهوم السعادة والكمال

واذا كان كل من الفريقين مخطئا فى فهمه للسعادة ، وفى نظرته الى الكمال فى نظر الاسلام فما رأيه اذن ـ؟ هل وضح لنا صورتهما ، ورسم معالمهما ؟

نعم ، فهو يرى أن الانسان خليفة عن الله فى الارض ، وان عليه القيام بواجبات هذه الخلافة . وانه جسد وروح ، وان الجسد ليس عدوا للروح ولا سجنا لها . وانما هو أداة لها من أجل القيام بهذه الواجبات والتبعات . وأن الدنيا دار عمل ، وميدان كفاح ، وليست دار تعذيب أو شقاء ، وان على الانسان ان يظهر مواهبه بالجد والسعى ، والكدح والكفاح فى كل ميدان من ميادين النشاط الانسانى .

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (١) .

واحسان العمل يتلخص فى أن يحسن الانسان صلته بالله عن طريق العقيدة والعبادة ، ويحسن صلته بالناس عن طريق الخلق والبر ، ليحقق بذلك كماله الروحى والانسانى .

يضاف الى ذلك استخراج كنوز الارض ، والانتفاع بقوى الكون ، واصلاح النظام المعيشى لتحقيق الكمال المادى .

اهتمام الاسلام بضرورات الانسان وحاجاته المادية

لهذا نجد الاسلام عنى بكسب المال وتحصيله باعتباره عصب الحياة وقوامها ، وجعل ذلك فريضة من فرائضه :

(طلب الحلال فريضة على كل مسلم)

واوجب المحافظة عليه سواء كان عقارا أم ذهبا أم فضة « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما (٢) واهتم بتوفير الحاجات الاستهلاكية من الغذاء والكساء والمسكن وما لا غنى للانسان عنه ليكون على مستوى كريم من الحياة :

« من ولى لنا عملا وليس له منزلا فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ له دابة » رواه احمد .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حد الكفاية للفرد فقال . « ما سد جوعتك . ووارى عورتك . وان كان لك بيت يظلك فذاك . وان كان لك دابة فبخ بخ » رواه الطبرانى

وأمر بالاكل من الطيبات ونهى عن تحريمها واعتبر ذلك اعتداء « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون» (٣)

وامتن على الناس بالملابس (يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٤) والمراد أنه خلق لنا الملابس نوارى بها عوراتنا ونتزين بها كما امتن عليهم بالسكن فقال . « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها واوبارها واشعارها أثاثا ومتاعا الى حين (٥) .

وأمر بالزواج واعتبره آية من آياته .

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٦) .

وفى الحديث « تزوجوا الودود الولود » .

والمراة الحسناء لا يزهد فيها مهما غلا مهرها ، لما فى الزواج بها من تكميل للدين على أن تكون صالحة كى تسر العين بجمالها والقلب بكمالها . ويرغب

---

(١) سورة الملك آية (٢) . (٢) النساء (٥) (٣) المائدة ٨٧ ، ٨٨

(٤) الاعراف آية (٢٦) . (٥) سورة النحل آية (٨٠) . (٦) الروم آية (٢١) .

فى اقامة الدور والمساكن التى تحوى جميع المرافق والاثاث ما دام لم يقصد المباهاة والمفاخرة ، وبذلك تتسع دائرة العمران . وقد فعل ذلك الزبير بن العوام وابن المبارك ومحمد بن الحسن وكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراشدين .

الجمال والزينة

ولا بأس بتزيينها وتجميلها فان طلب الزينة والجمال مقصود حسن فى ذاته ، والنفس التي لم تفسد فطرتها تعشق الجمال وتتلذذ بـه .

والله سبحانه يقول « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » (١) . وأى فرق بين التلذذ بالجمال فى الانعام والجمال فى الدور ويقول « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » (٢) .

أى أن الله خلق هذه الدواب للركوب وللزينة ، وان لم يحتج الى ركوبها

واما الآثار التى وردت فى كراهية رفع البنيان وزخرفته فليست على اطلاقها ، وانما المقصود بها كراهية ذلك اذا قصد بها المفاخرة والمباهاة ، والتطاول على الناس ، لا مجرد التلذذ بالجمال والزينة ، فانهما مطلوبان فى كل حال . « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » (٣)

ان الحرص على الجمال ابتغاء الحصول عليه مما يحبب فيه الاسلام ، ويدعو اليه حتى يشعر الانسان براحة نفسية من جانب ، ويحتفظ بكرامته فلا يستخف به ولا ينزل عن مكانته التى هو أهل لها من جانب آخر .

وكثيرا ما يلفت القرآن نظر الانسان الى الجمال فى الكون والطبيعة والاشياء المحيطة به .

« ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » (٤) (أم من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) (٥) .

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » « ٦ »

والله سبحانه يحب الجمال فى كل شيء جمال الاقوال وجمال الافعال وجمال الصفات ، وجمال الأسماء حتى جمال الثياب . فعن مالك بن عوف قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قشف الهيئة قال : « هل لك من مال ؟ قلت . نعم قال اذا اتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » . وفى حديث آخر « اذا أتاك الله مالا فلير عليك فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا . ولا يحب البؤس ولا التباؤس » وصح عن رسول الله قوله « احسنوا لباسكم وأصلحوا رواحلكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس » .

والحديث يشير الى أن المسلم شخصية فذة ممتازة ، فكما طلب منه أن يطهر باطنه بالايمان بالله والارتباط به ، طلب منه ان يكون فى مظهره كاملا أنيقا ، بحيث يسترعى انتباه الناس فى ملبسه ومركبه وأثاث بيته وحتى يكون فيهم كأنه شامة بينهم . أى بارزا ظاهرا .

فعن ابى يعفور قال . سمعت ابن عمر يقول . وقد سأله رجل عما يلبس من الثياب قال : مالا يزدريك فيه

---

(١) سورة النحل آية (٦) .

(٢) سورة النحل آية (٨) .

(٣) سورة الاعراف آية (٣١ ــ ٣٢) .

(٤) سورة الحجر آية (١٦) .

(٥) سورة النحل آية (٦٠) .

(٦) سورة ق آية (٦ ــ ٧)

السفهاء ومالا يعيبك فيه الحكماء (١)

وكان الحسن البصرى يلبس ثوبا بأربعمائة ، وفرقد يلبس المسح ، فلقى الحسن ، فقال ما ألين ثوبك ؟ قال « يا فرقد ليس لين ثيابى يبعدنى عن الله ولا خشونة ثوبك تقربك من الله) وقد انكر أحد المتزمتين على أبى الحسن الشاذلى جمال هيئته وكان هذا الرجل ذا رثاثة فقال له أبو الحسن : يا هذا هيئتى هذه تقول . الحمد لله ، وهيئتكم تقول اعطونى من دنياكم .

ولا يدخل هذا الاستمتاع فى الدنيا التى ذمها الاسلام فى قوله صلى الله عليه وسلم . « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (٢) .

فان المراد بالدنيا التى هى رأس كل خطيئة هي حب الشرف والرئاسة ، وحب المال رغبة فى التفاخر والتكاثر والترؤس والعلو على الناس دون كفاية أو ارادة نصر الحق .

يقول الله تعالى «تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (٣) وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٤) لانه لم يرد بالمال والشرف الا العلو والفساد فى الارض .

أما اذا أراد بالمال والشرف نصرة الحق أو الوجاهة ليأخذ مكانته التي تليق به ، أو كانت له كفاية يريد أن يجعلها فى خدمة أمته فان حب الشرف والمال وطلبهما حسن ، فقد قال يوسف عليه السلام للملك : « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » (٥) .

وطلب احد المسلمين من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون أمام قومه فقال الرسول « انت امام قومك » .

ومع هذا ينبغى الحذر والتوقى عما يلهى النفس ، ويصرفها عن غايتها المثلى من الطهارة والنظافة وينحرف بها عن معانى الخير الى رذائل الاخلاق ومساوىء الصفات .

« يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون « ٦ » » .

حقيقة الزهد

وطلب الدنيا على هذا النحو لا يتنافى مع الزهد ، لان الزهد ليس فى تحريم زينة الله التى أخرج لعباده ولا فى ترك الطيبات من الرزق ، وانما الزهد الذى أراده الاسلام هو الزهد فى الحرام ، والزهد فى الشبهات ، والزهد فى التوسع فى اللذائذ والشهوات التى تصرف الانسان عن واجباته الشخصية والاجتماعية ، وينسى المرء واجبه نحو ربه ، ونحو نفسه ، ونحو أسرته ، ونحو بنى جنسه .

وقد وضع الاسلام تحديدا للزهد فيما رواه الترمذى وابن ماجة من حديث أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يدى الله أوثق منك بما فى يديك وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب منك فيها لو أنها بقيت لك » .

والزهد بهذا المعنى يريح القلب والبدن ويكسب محبة الله ويجلب مودة الناس .

« ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » (٧) .

---

(١) رواه الطبرانى . (٢) رواه البيهقى فى الشعب عن الحسن مرسلا .
(٣) سورة القصص (٨٣) . (٤) رواه الترمذى .
(٥) سورة يوسف (٥٥) . (٦) سورة المنافقين آية (٩) .
(٧) رواه ابن ماجة عن سهل بن سعد قال « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته احبنى الله واحبنى الناس فقال له الحديث » .

مائدة القارئ

من معجزات النبوة

روى أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : اتقـوا الغبار فان فيه النسمة. وهذه احـدى معجـزات النبـوة ، والنسمـة كـل ذى روح ، والمراد بها الميكروبات .

من تاريخ النساء

قام منصور بن عمار يحض على القتال ، وكان بين السامعين امرأة ، فطرحت رقعة كتبت فيها : رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد ، وقد ألقيت ذؤابتي ــ ضفائر شعرها ــ فلست أملك والله غيرها ، فبالله اجعلها قيد فرس غاز فى سبيل الله ، فعسى الله ان يرحمنى ،فارتج المجلس بعد قراءة هذه الرقعة بالبكاء تأثرا وثارت الحماسة فى نفوسهم .

مواساة بليغة

روى ان عبد الملك بن مروان بنى بابا فى بيت المقدس باسمه ، وبنى الحجاج بابا باسمه ، وحدث ان صاعقة نزلت فأحرقت باب عبد الملك فقط فعظم ذلك عليه ، وتشاءم منه ، فكتب الحجاج اليه « بلغنى ان نـارا نزلت مـن السماء ، فأحرقت باب امير المؤمنين ، ولم تحرق باب الحجاج ، وما مثلنا فى ذلك الا كمثل ابنـى آدم اذ قربـا قربانا فتقبل مـن احدهما ، ولم يتقبل من الآخر » فسرى عن عبد الملك بذلك .

اشارة أصرح من عبارة

يحكى أن المأمون غضب على عبد الله ابن طاهر، وشاور أصحابه فى الايقاع به، وكان قد حضر المجلس صديق له، فكتب اليه كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى » فلما فضه، ووجد ذلك تعجب، وما زال يطيل النظر فيه ، حتى أدرك أنه يريد « يا موسى ان الملأ يأتمرون بـك ليقتلوك » .

اعتزاز

يروى أن كلبا حاول مـرة قتال أسد فامتنع عليه الاسد أنفة منه ، فقال الكلب سأمضى، فأخبر السباع بضعفك ، فقال الاسـد : لان تعيرنى السباع بذلك أحب الى من أن الـوث شاربى بدمك .

واحدة بواحدة

روى أن رجلا جاء الى ابى حنيفة يشكو اليه أن جاره حفر بئرا فى داره بجوار جداره، وأن استمرار البئر يؤثر فى الجدار، فقال له : حدث جارك ، فقال : حدثته ، وامتنع ظالما ، فقـال له : أحفر فى دارك بالوعة فى مقابل بئره ، ففعل ، فاندفـع ماء البالوعة القذر الى البئر ، فاضطر صاحبها الى ان يردمها.

الى بيت مال المسلمين

تفقد عمر بن الخطاب يوما ابل الصدقة، فوجد بينها ابلا سمينة ، فقال : لمن هذه الابل الجيدة ؟ قيل : لابنك عبد الله ، فاستدعاه ، وقال له : بكم اشتريت هذه الابل ؟ قال بكذا . قال عمر : لك ما اشتريت به . أما الابل فهى لبيت المال . قال عبد الله : وكيف ذلك ؟ فقال عمر : انهم يقولون هذه ابل ابن أمير المؤمنين فارعوها . هذه ابل ابن أمير المؤمنين فاسقوها . هذه ابل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها . لك ما اشتريت به ، ثم هى لبيت مال المسلمين .

اشترى لسانه

كان الخليفة المعتصم بالله فى مجلسه، فدخل عليه رجل ، وفى يده نعل فى منديل ، وقدمها الى الخليفة قائلا : هذا نعل رسول الله !

فأخذها الخليفة، ووضعها بين عينيه، وقبلها ، وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فلما انصرف الرجل تعجب جلساء الخليفة فابتسم وقال لهم : انى أعلم أنها ليست نعل رسول الله ، ولكنى خشيت ان رددته أن يخرج بين الناس ويقول :أتيت بنعل رسول الله لخليفة رسول الله ، فنهرني،فيكون الناس أميل الى تصديقه منهم الى تكذيبه ؛ فأردت أن أشترى لسانه وأصون عرضى .

بلاغة معاوية

كتب ربيعة بن عسل اليربوعى الى معاوية كتابا يسأله فيه أن يعينه فى بناء داره بالبصرة ، وطلب منه أن يمده باثنى عشر ألف جذع نخل ، فرد اليه معاوية الكتاب بعد أن كتب فى أسفله ((أدارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ؟)) .

سبب السيادة

مر رجل بأهل البصرة ، فقال : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن ، قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس الى عمله، واستغنى هو عن دنياهم .

ما رأى الطب الحديث

اجتمع الجاحظ ، وابن بختشيوع على طعام ، وكان من ألوان الطعام سمك ولبن ، فأراد الجاحظ أن يأكل منهما ، فنهاه ابن بختشيوع عن ذلك فقال الجاحظ :

ان كان السمك مضاد للبن فانى آكلهما ، وأدفع بكل منهما ضرر الآخر ، وان كانا متساويين فكأنى أكلت شيئا واحدا .

فقال ابن بختشيوع : أنا لا أحسن الكلام مثلك ، ولكن ان شئت فجرب وكل .

فأكل الجاحظ ، فأصيب بالفالج والنقرس ، ودخل عليه بعض أصدقائه يعوده فقال له : كيف حالك ؟

فقال الجاحظ : اصطلحت علي الاعلال لو خرج شقى الايمن ما أحسست به من الفالج ، ولو مرت على شقى الايسر ذبابة اوجعتنى من النقرس ، وأشد ما أشكو منه التسعون !!

الثلاثة

نظرات تحليلية في القصة القرآنية

عبر ودروس

وردت هذه القصة فى آيات ثلاث من اواخر سورة التوبة ، وذلك فى قوله تعالى ((لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) .

((ان مجرد ورود قصة المخلفين ــ على قصرها ــ فى سورة التوبة يفرغ عليها لونا مميزا ترتقى فيه العبرة الى قمتها . ذلك لأن السورة كلها معرض رهيب للجهاد والقتال والصراع النفسى ، تمر خلاله مواكب الناس مكشوفى القلوب والسرائر ، فيهم أهل النفاق الذين عجزوا عن مواجهة الاسلام بصراحة مشركى قريش ، فعمدوا للتسلل الى ايذاء النبى والمسلمين من سراديب الدسائس والتآمر والتمثيل المضلل .. وفيهم الاعراب الذين عجزوا أيضا عن مقاومة القوة الاسلامية ، فأعطوا طاعتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، متربصين بالاسلام الفرصة المواتية ، ليقلبوا طاعتهم تمردا يحرق الاخضر واليابس .. ثم فيهم الجماعة الجديدة التى فتحت قلوبها ومشاعرها لنور الله ، فهى تتلقى أشعة الوحى تربية نبوية ، تزكو بها النفوس ، وتصفو بها الضمائر ، ويستقيم بها الفكر ، فتنمو على هذا الهدى ((كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)) .

وفى هذا الجو الرهيب الحبيب تكثر النذر والقوارع ، والأنباء الكاشفة لأحداث المستقبل ، والبشريات التى تعين للمترددين طريق النجاة ، وللمؤمنين المتقين عواقب الهداة ، بعد أن سلطت الأضواء على أوضاع الجميع ، فعلى

المخلفون

الاستاذ محمد المجذوب
المدرس بالجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة

الميامن كتائب الايمان مرصوصة الصفوف، قد عرفت طريقها فى ضوء الوحى ، فهى تبذل كل شىء للعبور الى ضفة السعادة. وعلى الشمائل أوزاع الكفر والنفاق والانتهاز ، تغامر بكل وجودها ومصيرها ومواهبها لصد انطلاقة النور .. ولاستبقاء الحياة مغلفة بأسداف الظلام ..

وقد جلت السورة الكريمة كل هذا وذاك ، ليكون الناس على بصيرة مما هم فيه ، وما هم مقبلون عليه ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » ..

وخلاصة الآيات الثلاث اخبار ربانى سعيد يعلن قبوله تعالى جهاد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وثناءه عليهم بتحملهم أعباء السفر والقتال فى أشق غزوة صاحبوا فيها قائدهم الأعظم ..

وفى أثناء هذا الاخبار يأتي ذكر التردد الذى راود بعضهم عند تلقيهم دعوة الرسول من أجل الاعداد والتأهب لهذه الغزوة ، فاستكبروا السفر فى ذلك الحر المهلك ، وقارب التردد أن يثبطهم ، لو لم تتداركهم رحمة الله بتغليب ايمانهم على حب الراحة ، وتثبيتهم على سنن الطاعة ، فاستحقوا بذلك رضوان ربهم واطمئنان قلوبهم ، وهم الذين أشار اليهم بقوله « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » .

ثم يعقب ذلك مشهد الثلاثة ، الذين تخلفوا عن تلك الغزوة ، وحرموا أنفسهم مرافقة الرسول وجنوده ، ومشاركتهم فى الخير الجزيل الذى انتهوا اليه . وتغوص الآية الى مكنون صدورهم، فاذا هم فى غمرة حادة من الندم اللاذع ، يضيق فى أعينهم رحب الأرض ، ويضغط على صدورهم بأثقاله الفادحة ، وقد سد دونهم المنافذ ، فأيقنوا أن لا مهرب من قبضة العدالة الالهية ، الا بنفحة من الرحمة تهب عليهم من حيث لا يحتسبون ... ولكن هذا الحرج العميق سرعان ما يتلاشى عندما تأتى الخاتمة المحببة ببشرى المغفرة ، تنبئهم بأن الله قبل توبتهم ، وشملهم بعفوه ، بعد أن طهر الأسى كيانهم من امكان العودة الى مثل تلك الزلة الخطيرة .

وهكذا ختمت المأساة أبهج ختام ..

ثم تأتى الآية الثالثة ، وكأنها تقرير مستقل ، يوجه النداء الى المؤمنين كافة بأكرم أوصافهم ، ثم يعقب النداء بتوجيهين لا أحب منهما الى قلوبهم :

أمر بتقوى الله ، وأمر بالتزام صف الصادقين من عباده .

وبقليل من التأمل ندرك قوة العلاقة بين هذه الآية وسابقتها ، فهى تجىء كتعليل عميق للسر الذى من أجله استحق هؤلاء الثلاثة قرار العفو الاعلى .. انه التقوى ، التى تخلص القلوب لله وحده ، فتعصمها من اضمار مالا يرضاه، ايمانا بعلمه الذى لا يعزب عنه شىء . ثم الوقوف فى خط الصدق ، الذى يخلص اللسان من الباطل ، فلا يتحرك الا بالحق ، توقيرا لله الذى لا يرضى عن الكاذبين ..

فكأنه تعالى يقول للمؤمنين : هؤلاء زلت بهم قدمهم الى المعصية ، وكان فى وسعهم أن يدافعوا عن أنفسهم بغير الحق ، كما فعل المنافقون ، ولكنهم لم يفعلوا ؛ لأنهم آثروا متاعب الصادقين ، على مصير المنافقين .. فاجتهدوا أن تلتزموا صفاتهم التى بها استحقوا المغفرة .

هذه المعانى وحدها كافية لتجعل من الآيات الثلاث منهجا توجيهيا بعيد الاثر فى تكوين الضمير المسلم .. اذ تعطينا الخطوط الكبرى للشخصية المسلمة ، التى قد تزل ، ولكنها سرعان ما تعود الى الاستقامة ، فاذا هى مبصرة ، نادمة، تائبة ...

فاذا ما أنعمنا النظر فى بنائها التعبيرى شاهدنا التساوق العجيب بين اللفظ والمعنى ، بين القالب والمحتوى ، وذلك بعض مواطن الاعجاز .

ان لألفاظ الآيات أشعة خاصة ،تضىء ساحة المعانى بما تبرزه من صور الأحداث التى هى موضوع الآيات ، ومن خلجات النفوس التى حركتها هذه الأحداث ، فاذا القارىء يرى ويسمع ويعتبر فى آن واحد .

لننظر الى تكرار مشتقات التوبة خمس مرات . (تاب الله . تاب عليهم . تاب عليهم . ليتوبوا . التواب الرحيم ..)

فهنا ايحاء ملح بجلال التوبة ، وجمال استعجالها ، من شأنه أن يدفع القارىء المؤمن الى التوبة دفعا ..

ثم لننظر الى هذه التعابير المفزعة . (ساعة العسرة . كاد يزيغ قلوب فريق منهم . ضاقت عليهم الأرض . ضاقت عليهم أنفسهم . لا ملجأ من الله الا اليه ...) .

فأنت لا تستطيع التصور النهائي لحدود العسرة التى احتوتها تلك الساعة .. ولا تستطيع كذلك ادراك نوع الزيغ الذى راود قلوب ذلك الفريق .. ولا يمكن لمفكر أن يحدد الصورة التى انكمشت اليها الأرض فى حسهم ، ولا الضيق الذى صارت اليه نفوسهم .. ولكنك تستشعر الواقع النفسى الذى عاشه أولئك الثلاثة ، والجو الخانق الذى عانوا ضغطه .. وجاهدوا للتخلص منه بكل طاقاتهم ، فلم يجدوا منفذا ولا ملاذا الا الاستسلام لأمر الله ، والضراعة اليه ..

فاذا قرأت بعد هذا . (يا أيها الذين آمنوا ..) فوجئت بمثل النسمة الناعمةتداعب وجهك بعد لذع السموم .. فتتنفس ، وتفتح للنفحة رئتيك .. وبذلك تتأهب لاستقبال الأمر الالهي الحبيب . (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين .) فالسبيل الوحيدة اذن للنجاة من كل هاتيك الأهوال محصورة فى نطاق التقوى ، والصدق .. وهما مجمع الفضائل ، ونهاية الشمائل التى يحبها الله .

على أنك مع ذلك كله لا تعرف من هؤلاء الثلاثة .. ولا موضوع التخلف أو الذنب الذى اقترفوه ، فجوزوا عليه بكل هذا البلاء .. فكأن القضية ليست قضية اشخاص أخطأوا فأنابوا بمقدار ما هى قضية نظام الهى يستهدف مجرد الردع عن مثل تلك الخطيئة ، وفتح أبواب التطهر من آثارها ، ـ للذين امتحنوا بنظير ذلك الموقف ...

غزوة تبوك

فاذا ما رجعنا الى الصحيح من أسباب النزول ، نستوضحها من تفاصيل الحدث وهوية أصحابه ، وجدنا أنفسنا أمام الخلاصة التالية .

تخلف كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن مرة عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، لغير عذر مشروع سوى ايثار الراحة ، والفرار من الحر الهائل الذى كانت تغلى به الصحراء حينذاك .. وكان المتخلفون سواهم فى المدينة غير قليل ، الا أنه ليس منهم الا مشبوه العقيدة ، معروف بالنفاق والرياء .. أما أشباههم من جنود الايمان وأهل السابقة ، فقد انتظموا فى الركب الغازى ، هاجرين الظل والماء والثمار ، ليتحملوا مع قائدهم المفدى أعباء الحر والجوع ، وأصناف العناء ، ايثارا لما عند الله من ثواب .

وبلغ الجهد بالغزاة المحتسبين أشده ، حتى كان الاثنان يقتسمان التمرة ، والثلاثة يتداولون البعير .. وقد أرهقهم العطش ، حتى أحسوا رقابهم ستنقطع ، وحتى لينحر الرجل بعيره ليعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى من فرثه على صدره ليبرد من وقدة الحر ...

ولكن الله يسر لرسوله وللمؤمنين بهذه الغزوة العسرة أفضل النتائج .. فجاسوا خلال ديار العدو من الروم ، دون أن يجرؤ على مواجهتهم ، وخضدوا شوكته بما عقدوه من مصالحات مع أشياعه من متنصرة العرب ، فى (أيلة وأذرح وتيماء ودومة الجندل) .. وحقق الله لرسوله الغاية العليا من هذه الغزوة ، اذ أشعر الروم ومن معهم من الطواغيت أن لا سبيل الى منع أشعة الاسلام من التدفق عبر الحدود ، التى يحبسون وراءها عقول الناس ، وأفهم المنافقين ومن وراءهم من اليهود أن الاسلام قد جاء ليبقى ، فلا طاقة لأية قوة بمقاومته ، حتى ولو كانت هذه القوة دولة الروم ، التى تبسط سلطان بغيها وارهابها على القارات الثلاث ...

وهكذا عاد رسول الله ومعه الألوف الثلاثون من جنوده الى عاصمة الاسلام، تقدمهم البشريات ، وتستقبلهم الولائد بالنشيد الخالد .

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

وهنا أقبل مرضى القلوب الى رسول الله ، يعتذرون عن تخلفهم ، ويختلقون له المسوغات ، ويحلفون على ذلك .. فيقبل منهم علانيتهم ، ويكل الى الله سرائرهم ..

عزلهم عن المجتمع

ولم يكن بد للثلاثة من مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم والادلاء بما لديهم من الأسباب التى قسرتهم على التخلف، فجاءوا يتعثرون ، فلما كانوا بين يديه أعلنوا افلاسهم من كل عذر ، بل لقد أكدوا له أنهم لم يكونوا يوما أقدر منهم على السفر فى ذلك اليوم ... فشهد لهم صلى الله عليه وسلم بالصدق، وأخر البت بأمرهم حتى ينزل فيهم قضاء الله .. وقد اكتفى بعزلهم عن المجتمع

البقية على ص ٦٤ ، ٦٥

الله

نورك في روحنا .. نحس به ... في فلك بالضمير .. دوّار

يلمس أغوارنا .. فيجعلنا ... مثل عباب للشرق هدّار

ما أعجب الكون . في تألقه ... بين شموس به وأقمار

يعجزُ عنه ، ولا يحيط به ... ركْضُ خيالٍ ، أو وثبُ أفكار

نورك فيه ، حقيقة أخذت ... أطراف آفاقه ، بمقدار

يامبدعا خلْقه بقُدْرته ... وجلّ ربي المصور البارى

النور سرٌّ الوجود .. منطلق ... بلا حدود .. بغير أغوار

في الزهر تعطيه روضة أنف ... واللحن يلقيه سرب أطيار

في الليل .. في النجم .. في الكواكب .. في ... الأفلاك منها .. في النور والنار

في دمع باكٍ .. ونوح باكية ... وشدو شادٍ .. وشوق سُمّار

في كل شئ نراه .. يكشف عن ... بطش حليم .. وحِلْم جبّار

نورُ السمواتِ والأرضِ

للأستاذ عبد العليم عيسى
مديرية التربية والتعليم - كفر الشيخ

النور يَهْدى .. والنور يفْتِنُ .. وال ـــنور عليه .. حجاب أســـرار
طوبَى لمن يشهدون صَحْوَتَـــه عند التجلى بغـير أبصـــار
شهود روح بغـير جارحـــة وعلم نفس بغير أفكـــار
في سدرة المنتهى .. وقد وقفـــوا على فجاج . غريبـة الـــدار
تلفتوا .. واستعادَ هائمهـــم دعاءَ ليلٍ ، وذكـرَ أسحـــار
وأمسياتٍ للشوق ، .. ما حملـت إلا نسيما ، وعطـرَ أزهـــار
وأغنياتٍ ، لم يُدْرَ قائلهـــا ولم يلِنْ لحنُهـا ازمـّــار
كانت به للقـــاء سالكــةً أنوار ليـلٍ ، وليل أنـــوار
نازعةً عنه ما يحسُّ بـــه من حجُبٍ دونـه وأســوار
حتى إذا ما دنا لغايتـــه في صحبةٍ للطريق أبـــرار
صاح .. فصاحوا .. وأنت مُلْهِمُهُم فرحـة صيفٍ .. وبشْـرَ زُوّار

الاسلامى ، فنهى عن مخالطتهم وكلامهم، وفصل بينهم وبين أزواجهم ، الا زوجة هلال التى جاءت تستأذن رسول الله فى خدمته ، لأنه شيخ ضائع لا معين له ، فأذن لها على ألا يقربها ..

وتتابعت الأيام ثقيلة مخيفة على هؤلاء المنفيين فى أهلهم ، لا يجدون من يرد عليهم تحية ، أو يؤنسهم باشارة ..وقد بلغ بهم الخوف ذروته أن يموتوا على هذه الحال ، فلا يصلى عليهم رسول الله ، أو يستأثر الله بنبيه ، فيستمر المسلمون على مقاطعتهم تنفيذا لأمره صلى الله عليه وسلم ..

وفى غمرة هذه المحنة .. يفاجأ كعب بمحنة من نوع آخر ما كان ليتوقع مثلها قط ، ذلك أن تاجرا من انباط الشام ، جاء المدينة ببضاعته ، فجعل يسأل عن كعب حتى قيض له من يدله عليه ، فمد يده اليه برسالة ملفوفة فى حرير ،يقول له فيها ملك غسان النصرانى . (.. أما بعد ، فقد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ..).

وآلم كعبا ما فى هذه المراودة من اهانة له ، اذ طمع به أعداء الاسلام ، فهم يساومونه على مفارقة رسول الله والارتداد عن دين الله ... فبكى وناح على نفسه ، ثم قذف بالحرير وما فيه الى التنور ..

وتمت على هذا الوضع خمسون ليلة ، ما انقطع الثلاثة فيها عن بكاء ، ولم يستروحوا فيها نفحة عزاء .. (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ...) فنزلت رحمة الله ببشريات المغفرة لهم ، واندفع الصحابة يركضون ليؤذنوهم بالفرج : وليقرأوا عليهم ما أنزل الله فيهم من آيات ((التوبة)) .. فكان ذلك اليوم عليهم خير أيامهم منذ ولدتهم أمهاتهم ...

ويقرأ المؤمن اليوم قصة المخلفين فى الكتاب الحكيم ، وفى كتب السنة الصحيحة ، فيحس بالقشعريرة تهزه ، وبالانفعال يهيجه ، حتى يفجر دموعه .. ولعله يتساءل عن السبب فى كل ذلك الذى يشعر به فلا يجد له تعليلا ،سوى تلك الوشائج من قرابة الروح ، تصل بينه وبين ذلك الرعيل الاثير ، فتجعله متجاوبا مع حركاته وسكناته ، يبكى لبكائه ، ويضحك لضحكه ، وينفعل بتجاربه، رغم ما يفصل بينهما من أبعاد القرون ..ولكن.. ومع ذلك قليلون الذين يفطنون الى عبر القصة ، ويحاولون أن يستخلصوا منها الخطوط التى يجب أن تحدد لهم معالم الطريق .

نحن أمام عبر وعظات

انالعبر فى القصة لعديدة ، ولا سبيل الى استيفائها كلها ، الا اذا أمكن تجميد الأحداث ، بحيث لا يقع منها غدا الا ما وقع حتى اليوم ... ولذلك لا مندوحة من الاقتصار على القليل ، الذى من حقه أن يعلمنا الكثير ..

فأولى هذه العبر : تنبثق من موضوع غزوة تبوك نفسها ، اذ كانت مناورة لا بد منها لردع العدو الرومى عن حدود الدولة النبوية ، بعد أن أثبتت محاولاته الكثيرة أنه يتربص بها الدوائر ، فلا ينفع فيه غير القوة .

وتأتى من بعد ثانية العبر متصلة بسابقتها اتصال المقدمة بالنتيجة : ذلك أن فكرة الردع تقتضى اعداد القوة الروحية ، التى تستهين بأشد المشاق لصيانة الوجود الاسلامى ، الذى لا يحترمه المخالفون له الا بمقدار ما يخافونه . ومن هنا كان توقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعد الغزوة فى أعسر الظروف .. حر فى الصحراء يلهب الجو ، ويشقق الارض ، ويجفف

الأعصاب ، وضيق فى التموين يفرض على الغزاة تقنينا لا يكاد يعيش عليه الانسان ، وشدة فى الزمن الذى تستكين فيه الطبيعة البشرية الى طلب الظل وانتظار الجنى ، والاستمتاع بثمرات الجهود ... وكان من معهود شأنه صلى الله عليه وسلم الا يصرح بالوجهة التى يريد أن يجعلها مغزاه ، الا فى غزوة تبوك هذه ، فقد أعلنها للناس ، ليتخذوا الأهبة التى تتلائم مع بعد الشقة وشدة الزمان ، ولتكون محكا حاسما للنفوس ، فلا يستجيب لها الا من كانت مرضاة الله ورسوله أحب اليه من كل شىء ..

ثم تأتى الثالثة ، وتتجلى فى خروج المؤمنين جميعا ، على الرغم من تثبيط المنافقين ومؤامرات اليهود ، لم يتخلف منهم الا ضعيف لا يجد ما ينفقه ، ولا يملك ظهرا يحمله ، فعاد فائض العينين من الدمع حزنا ألا يجد الى مرافقة رسول الله سبيلا ... ثم هؤلاء الثلاثة الذين قدر الله أن يحرموا تلك النعمة ، ليكونوا فى النتيجة موضوع درس الهى تتناقله أجيال المؤمنين ، فيتعلمون منه كيف يؤثرون أمر الله ورسوله على راحتهم وأهليهم وأموالهم ..

وتأتينا رابعة العبر ماثلة فى وحدة الصف الاسلامى ، وتماسكه حول القيادة النبوية ، اذ ما كاد المسلمون يسمعون أمر رسول الله بمقاطعة المخلفين الثلاثة حتى عمدوا الى تنفيذه بدقة ، حتى الزوجة فارقت زوجها طواعية ، وحتى ليجد المخلف القطيعة من أقرب الناس اليه ، فلا يرد عليه سلاما ، ولا يستمع منه كلاما ... وحتى لنجد المحكوم نفسه مقيدا نفسه بالتزام الحكم ، فلا يرضى باستئذان رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته بخدمته ، بل يأمرها بمفارقته حتى يقضى الله قضاءه فيه ..

ونستطلع العبرة الخامسة فنشهدها فى عدالتها العليا ، اذ كان المحكومون بها من ذوى السابقة والفضل ، ومنهم كعب بن مالك .. شهد بيعة العقبة ، ولم يتخلف عن غزاة الا بدرا ، التى لم يخرج فيها رسول الله بغية القتال ، ولم تكن المشاركة فيها عزيمة قاطعة ، بل رخصة مخيرة ... وقد حارب فى سبيل الله بسلاحى السيف واللسان ، اذ كان الى كونه فارسا باسلا ، شاعرا مفلقا ،أرسل الكثير من الشوارد مدحا للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، واعزازا لدين الله ، ورغما لأعدائه .. ومع ذلك لم يعمل شيئا من بيانه البارع فى تزوير عذر ، أو تزويق وزر ، بل آثر الصدق فى الاقرار ، فكرمه الله بجعله مع رفيقيه من أئمة المتقين الأخيار .

ومجرد أخذ هؤلاء الصفوة بالعقوبة ، ثم تداركهم بالصفح والتوبة ، آية أخرى على أن الاستمرار على صالح العمل من خصائص الايمان الصحيح ، فلا تخفف سابقة التضحية من عواقب المعصية .. الا أن تتطهر القلوب من أوضار الذنوب ، بتوبة نصوح ، تؤكدها حرقة الندم على ما فات ، والتصميم القاطع على الاقلاع فيما هو آت ...

وأخيرا لعل أهم عبر القصة أنها درس من أيام النبوة ، فيه عبير الوحى ، ورحيق التربية المحمدية ، التى قدمت للتاريخ الانسانى النموذج الاكمل لخير أمة أخرجت للناس .. ومن أجل ذلك كان لزاما على المسلمين أن ينتفعوا بايحاءاتها الربانية ، ليعرفوا كيف يصبرون على التزام المنهج .. الذى لا سبيل غيره الى استعادة القيادة العالمية.

والقارىء المفتوح القلب حين يتتبع هاتيك العبر لا يفوته أن يستبين بعض جوانب الحكمة فى تتويج هذه السورة العظيمة بهذا الاسم ((**سورة التوبة**)) .

ابن رشد

أحوال المغرب والاندلس في عصره •
نشأته ومنصبه • طبه وفلسفته •
تشويهه بسبب صلته باليهود •
دفاعه عن الفلاسفة • أزماته ونهايته •

ابن رشد : هذه شهرته • وهو القاضي ابو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (١) احد قضاة الاسلام له مؤلفات اسلامية، وهو طبيب • وبعد هذا وذاك فيلسوف ، فمن يرد الكتابة عنه يجب أن يكون دارسا لعلوم الدين الاسلامي ،والا فان كتابته تسير على رجل واحدة • وهو رجل مركب ينبغي أن يلم الكاتب بجميع نواحيه ، لا سيما السياسية لانه كان احد رجال الدولة ، ومن المقربين للخليفة ، فمن يكتب عنه يجب ان يكون واقفا على تاريخ بلاده في ذلك العصر ، والا فلا يجوز له أن يكتب •

والمؤسف ان بعض الكتاب يكتبون متأثرين الى حد كبير بأساتذتهم من الأوروبيين والمستشرقين ، فيزيدون الطين بلة ، بدلا من أن ينقوا هذه الكتابات من الاخطاء والأغلاط والدسائس التي ترد في كتابة أولئك الغربيين الذين لا يبالون بما يكتبون ، لأنهم لا يتعمقون في دراسة كتب الاسلام ، ولا يهمهم الانصاف عامدين •

خلاصة تاريخ الأندلس من الفتح الى عهد ابن رشد

معلوم أن الأندلس فتحها طارق وسيده موسى ابن نصير سنة ٩٢ هـ وتوالى عليها ولاة الخلفاء الى أن كان الانقلاب العباسي ، فدخلها من الامويين عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٣٩ هـ هاربا من العباسيين ، وما زال يعمل حتى رسخ أقدامه ، وهابه العباسيون ، فتركوه وشأنه • وتعاقب الأمراء على الأندلس من ذريته يلقبون بالأمير فقط لا يدعون الخلافة ، الى أن تقلب الأتراك على الخلفاء العباسيين ، فتجاسر عبد الرحمن الناصر على

---

(١) ويلقب بابن رشد الحفيد تمييزا له عن جده المتوفى ٥٢٠ هـ بقرطبة • وقد توفى الحفيد بمراكش في منفاه ونقلت جثته الى قرطبة • « الوعى »

• أبعد فلاسفة العرب صيتاً وأعظمهم تأثيراً في أوربا

جوستاف لوبون

• عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد فتأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة الغربية .

دكتورة هونكة

للأستاذ : احسان النمر ــ نابلس

التلقب بلقب أمير المؤمنين ، وقد بلغت الاندلس ذروة المجد فى عهده الذى دام خمسين سنة ، وكان يتولى قيادة الجيوش بنفسه ، ولم تقتصر حروبه على اخضاع الثوار فى الداخل ، واخضاع المناوئين فى الخارج ، بل اجتاز الحدود الى افريقيا ، فاستولى على المغرب ، ليصلح ما أفسدته دعوة الفواطم ، وقد استولوا على مصر ، وانتقلت أسرة الملك اليها .

وعلى أثر موت عبد الرحمن الناصر تولى ابنه الحكم ، وكان ضعيفا ، وقد بدأ انهيار عظمة الأندلس بعاملين داخلى وخارجى .

لقد مات (الحكم) عن ولده (هشام) الطفل فاستوصت عليه أمه ، وتولى الأمور وزيرهم الملقب بالحاجب المنصور بن أبى عامر ، وعظم شأن ولده حتى طمعوا فى الخلافة والحلول محل البيت الأموى ، وكان هذا هو الأصلح ، لأن تربية البيت الأموى ضعفت ، الا أن البيت الأموى والشعب أطاحوا بالعامريين ، ولكن الأمويين اختلفوا بعد ذلك فيما بينهم ، وما زالوا فى تناحر حتى انقرضوا ، فاستقل ولاة المقاطعات كل فى مقاطعته ، فشكلوا ما يعرف بملوك الطوائف ، ولم يكتفوا بهذا ، بل انهم غفلوا عن الامارات الاسبانية التي كانت تنمو فى الشمال ، فصاروا يتحاربون ، ولم يكتفوا بهذا ، بل صاروا يستعينون بهم ضد بعضهم البعض ، فاغتنم أمير الاسبان ذلك ، وأرسل اثنى عشر ألفا من رجاله نزلوا فى قلب الأندلس ليكونوا جاهزين للنجدة .

وهنا انتبه كبار ملوك الأندلس لا سيما ابن عباد صاحب اشبيلية ، فاستنجدوا بملك الملثمين يوسف بن تاشفين فاجتاز الحدود الى الأندلس ثم أتى بعد الملثمين الموحدين ، وفى عهدهم نشأ ابن رشــد .

الملثمون والموحدون

لما شغل أمراء الأندلس ببعضهم البعض ، وبالاسبان سادت شمال افريقيا الفوضى ، واستقل الأمراء كذلك فى المقاطعات ، فنمت امارة بربرية عرفت بالملثمين ، لأنهم كانوا دائما يتلثمون ، وجعلوا ذلك رمزا لهم ، وقد بلغت من القوة شأوا كبيرا حينما استنجدت بهم الأندلس ، وكان على رأس الملثمين أمير شديد وهو يوسف بن تاشفين ، فلما دخل بجيشه الى الأندلس قام بطرد الاسبان بعد أن اصطدم بجيشهم المتحالف فى واقعة الزلاقة وكسره شر كسرة ، ولكنهم استسلموا بعد ذلك لترف الاندلس فانحلت روحهم الحربية .

وقد أهملوا افريقيا فنشأت فيها أسرة علوية عرفت بالموحدين ، كان أولهم ((ابن تومرت)) الملقب بالمهدى ، ثم جاء بعده ولده ثم خلف هذا ولده عبد المؤمن ، ثم تولى بعده يوسف الذى فتح

الأندلس ، وجعلها ولاية تابعة لافريقيا ، ثم جاء بعده ابنه يعقوب أبو يوسف المنصور الذى بلغت الدولة المغربية أوج القوة فى جيشها وأسطولها الذى كان أقوى أساطيل العالم ، وفى عهده ظهر ابن رشد وكان الأميران يوسف وولده يعقوب يقلدان الرشيد والمأمون ، فقربا الفلاسفة وأهملا الفقهاء ، فأثار هؤلاء العامة فاضطر الأمير يعقوب الى التراجع . ونكبة الحكماء كما سيأتي .

ابن رشد بين العزة والنكبة

ابن رشد سليل بيت قرطبي عرفوا بهذه الكنية ، اشتغلوا بالفقه ، فتوالى قضاء قرطبة فيهم ، الى أن وصل الى المترجم الذى اشتهر بأبى الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد وقد ولد عام ٥٢٠ هـ الموافق ١١٢٦ م .

نشأ ابو الوليد فى قرطبة ، وتخرج على والده ، وعلى فقهاء قرطبة ومذهبهم المالكى ، وتولى القضاء فى اشبيلية ثم فى قرطبة ، ثم درس الطريقة الأشعرية ، ثم لم يكتف بهذا بل درس علم الطب ، ثم أكب على دراسة الفلسفة من كتب فلاسفة الاسلام الشرقيين ، ثم ابن ماجة وابن طفيل الذى صار يعترف له بالسبق لتفوقه ، وقد عرف فيه هذا فقربه الخليفة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ، ثم ولده يعقوب . الا أنه قرب بعض شبان اليهود ، ومنهم موسى بن ميمون يتلقون عنه الفلسفة ويشيعونها بين الناس ، فهب حساد ابن رشد ، يوغرون صدر الخليفة المنصور ، فانقلب عليه وأبعده عن بلاطه ، فتجاسر عليه العامة حتى طردوه وولده من المسجد مع الشتائم والاهانات . فنزل فى « أليسا » وكان يسكنها وهي ضاحية قرب قرطبة ، ثم رحل الى مراكش حيث توفى يوم الخميس التاسع من شهر صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة هجرية . هذه خطوط حياته فى سطور ..

حقيقة ابن رشد وحال المسلمين فى المغرب والأندلس

استولى العرب على الأندلس وسكانها من المسيحيين واليهود يملأونها ، ولم يدخل الاسلام منهم الا القليل لأنهم لا يعرفون اللغة العربية أو ما يقاربها ، فظلوا على دينهم ، وكانوا على جانب من النقمة على المسلمين ، لانهم أزالوا ملكهم ، اذ كانوا قبل مستقلين أصحاب ملك وسلطان ، فلم يكونوا رعايا لدولة أخرى كما كانت الحال فى العراق ومصر والشام وشمال افريقيا . وظهر أن الذين دخلوا الاسلام من نصارى ويهود الأندلس لم يكونوا مخلصين فى ذلك ، فكانوا هم واخوانهم يتطاولون ويتهجمون على الاسلام ونبيه عليه السلام ، فأفتى الفقهاء باعدام كل من يتجاسر على ذلك ، وما كتاب الشفاء للقاضى عياض اليحصبى الأندلسي الا رد فعل وفتاوى ضد هذا التهجم على النبى صلى الله عليه وسلم .

ان العقاب الشديد الذى نزل بالمتهجمين أعقب انفجارا تمثل فى ثورة عمر بن حفصون التي دامت ربع قرن حول قرطبة بالذات ، ولم يقض عليها الا بمشقة زائدة ، وقد اضر هذا بمسلمي الأندلس وافريقيا ، بطريقة غير مباشرة ، اذ نشأ عنه رد فعل قوى لا يطاق ، وأصبح الفقهاء يسيطرون سيطرة عظيمة على الرأى العام وعلى الملوك والخلفاء ، وبالرغم من عدم ظهور فرق مبتدعة فى الأندلس ، فانهم رأوا فى حفنة من العقليين (الفلاسفة) خطرا على الدين ، فضغطوا على الخليفة ، وحملوه على ابعادهم ، ولما نزلوا بين العامة أهانوهم بنسبة عقليتهم وتعصبهم الشديد ، فأهانوا ابن رشد وقد بلغ عمرا تهدمت معه أعصابه .

ولم تقتصر النكبة عليه بل نكبوا بضعة أشخاص معه ممن يشبهونه ، ارضاء للفقهاء الذين أثاروا العامة ، ومن هؤلاء المنكوبين أبو جعفر الذهبي ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضى بجاية ، وأبو الربيع الكفيف ، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرانى ، وبقوا مدة فى حالة نقمة الى أن اتصل جماعة من أعيان اشبيلية بالخليفة المنصور يعقوب أبو يوسف المذكور ، فرضى عنهم سنة ٥٩٥ هـ فعين أبا جعفر الذهبى مزورا للطلبة ومزورا للأطباء ، وكان يقول عنه ان ابا جعفر الذهبي

كالذهب الابريز الذى لم يزدد فى السبك الاجودة. وقد أصدر منشورا ألغى منشور النكبة وأعاد ابن رشد الى منزلته ، ولكن أمره لم يطل فمات . وقد عطف المنصور على أولاد ابن رشد وكانوا فقهاء فعينهم قضاة فى الأقضية .

ابن رشد الفقيه المجتهد الكبير

نشأ ابن رشد وعاش ومات فى القرن السادس الذى تواردت (١) فيه على المغرب والأندلس ثمار النهضة العلمية العباسية ، وفيه وصلت اليهم ثمار الاجتهاد ونتائج النزاع بين الكلاميين والفرق . وكذا نتائج اجتهاد الأئمة المجتهدين . فى جميع شؤون الحياة .

وكان ابن رشد يلتهم هذه الثمار التهاما عجيبا ، فقد كان من أفذاذ العالم فى الذكاء ، وما زال يدرس وينضج الى أن شعر بأنه من الراسخين فى العلم ، وكان قد درس الى جانب هذا الفلسفة ، ووجد فى نفسه الكفاءة للرد على المتهجمين عليها ، كما سيتبين فى البحوث الآتية ، فالى جانب رده على تهافت الغزالى بكتابه الذى سماه تهافت التهافت الآتى الكلام عليه ، قام بكتابة رسالة سماها « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حاول فيها التوفيق بين آراء علماء الاسلام والفلاسفة فيما هو معروف بالمتشابه فى القرآن فى قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » . فهومن الفريق الذى يقول ان حرف الواو قبل الراسخين فى العلم هو للعطف لا للاستئناف ، أى أن العلماء يقدرون على تأويل المتشابه ، فخاض فى التأويل بين الشريعة والفلسفة ، فدلت بحوثه على قدرة عظيمة وفهم ونضوج . وهو فى كل خطوة ينصح بعدم اطلاع الجمهور على مثل هذه الأمور لأنه يرى فى ذلك ضررا وأى ضرر لهم . ومع أنه يصيب فى هذا كل الاصابة الا أنه بهذا حامت حوله شبه العامة ، فتطاولوا عليه ، ولو لم يكن مترفعا عن الجمهور لكانوا معه فى نكبته بدلا من أن يكونوا عليه كما هي العادة ، فطالما ثار العامة لعالم يثقون به ، واضطروا السلطان لرفع الضغط عنه كما حصل فى بدعة خلق القرآن .

ولابن رشد كتبه فى الفقه وهى : كتاب المقدمات ، ومختصر المستصفى فى أصول الفقه ، وكتاب فى التنبيه الى أغلاط المتون ، وكتاب الدعاوى فى ثلاثة مجلدات . ودروس فى الفقه ، وكتابات فى الذبيحة ، وكتاب فى الخراج ، وكتاب فى الكسب الحلال ، وكتاب فى التحصيل الذى جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ونصر مذاهبهم وبين الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف مما دل على سعة اطلاعه .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

وهو أجل كتبه فى الفقه ويبحث فى العبادات والمعاملات عند المذاهب الأربعة ، وهى الحنفى والشافعى والمالكي والظاهرى (١) وقل ان ذكر شيئا عن المذهب الحنبلى لاعتباره الحنبلى من أئمة الحديث . والراجح أنه انما قصد من هذا المؤلف الكبير الفات نظر الأندلسيين الى المذاهب الأخرى ، وهى خدمة للسلطان يعقوب الذى جاهر بما كان يخفيه أبوه وجده ، وهو هدم ونسف المذهب المالكى . لأنه مذهب بنى أمية .

والكتاب شامل لتحقيقات المذاهب الأربعة لا سيما المذهب الظاهرى الذى كان يزاحم مذهبى مالك والأوزاعى وأصبح اذ ذاك على وشك الانقراض . وهذا جميعه يدل على سعة اطلاع ابن رشد على المذاهب الفقهية جميعها .

كما أن وقوفه على الأصول وقدرته فى فهم المتشابه ومهاجمته الأشعرية وغيرهم تدل دلالة واضحة على قدرته ووقوفه على جميع نواحي وسائل الشريعة الاسلامية .

---

(١) كانت الأندلس فى تقاطع مع الشرق منذ استقل بها الأمويون فكانت نتائج العلوم فى المشرق تصل الى الأندلس بعد قرن من الزمن وانما تصلهم كتب مشروحة ومنقحة .

(٢) نسبة لأبى داود الظاهر وهو مذهب منقرض .

والذى ينبغى التنبيه اليه هو اتهامه بالزيغ ، فان جميع كتاباته تدل على صحة عقيدته واخلاصه للاسلام .. والورقة التي وجد فيها ما يوهم الكفر بين ورقاته المزعومة ، هى دس من خصومه لا يؤبه له ، كما يفعل اليوم فيمن يريدون توريطه ، وقد تكون لأحد تلاميذه اليهود كما سيأتى ، وقد كان رحمه الله شديد الغيرة على الشريعة ، واليك ما جاء من أقواله عن ذلك فى كتاب فصل المقال المذكور : ((فان النفس مما تخللالشريعة منالأهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة فى غاية الحزن والتألم)) .

((وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان أنسأ الله فى العمر فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى أن يكون ذلك مبدأ لمن يأتى بعد)) .
فمن كانت هذه نفسيته وعقيدته فلا يجوز الطعن فيه ولا يقبل أصلا .

معالجته أدلة آراء الفرق لا سيما الأشعرية

ولم يقف عند الأمور الفقهية المارة الذكر ، بل انه اشتغل أيضا فى بحوث الفرق وأدلتها وخوضها بالمتشابه ، فتوصل الى حلول قيمة،وقد نعى عليهم اشتغالهم بذلك ، لانه لا فائدة فيه ، وقد ألف كتابا أسماه ((الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة)) .

وقد صدر هذا الكتاب بقوله : ((فقد رأيت أن أفحص هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها ، وأتحرى منذلك كله مقصد الشارع بحسب الجهد والاستطاعة ، فان الناس قد اضطربوا فى هذا المعنى كل الاضطراب فى هذه الشريعة ، حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة . كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة ، وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال ، وهذا كله عدول عن مقصد الشرع ،وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة وأشهر هذه الطوائف فى زماننا هذا أربعة .

الطائفة التى تسمى الأشعرية وهم الذين يرى الناس اليوم أنهم أهل السنة، والتى تسمى المعتزلة، والطائفة التي تسمى بالباطنية ، والطائفة التي تسمى الحشوية .

وكل هذه الطوائف قد اعتقدت فى الله اعتقادات مختلفة ، وحرفت كثيرا من ألفاظ الشرع عن ظاهرها تأويلا نزلوها على تلك الاعتقادات ، وزعموا أنها الشريعة الأولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وان من زاغ عنها فهو اما كافر واما مبتدع . واذا تؤملت جميعها وتؤمل مقصد الشرع ظهر أن جلها أقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة .

ابن رشد الفيلسوف الشارح

أخذ ابن رشد الفلسفة عن أشهر رجال الأندلس منهم ابن ماجة وابن طفيل وأبو بكر بن العربى وأبناء زهر ، وهو فوق هذا أحد عباقرة العالم ، فقد درس كتب الفلسفة التي ترجمت فى المشرق ونقلت ناضجة الى الأندلس بعد أن هذبها فلاسفة المشرق . الكندى والفارابى وابن سينا ، وقد أعجب به ابن طفيل الفيلسوف الأندلسي فقدمه الى الخليفة يعقوب أبو يوسف الذى كان يقلد المأمون فأشار عليه بشرح كتب ورسائل أرسطو فولع به وبذل جهدا عظيما فى شروحه حتى اشتهر بالشارح ، وقد تفوق بشروحه على أرسطو كما قرر غوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب حيث يقول ((وأبعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذى كان له أعظم تأثير فى أوروبة ، أجل يعد ابن رشد عادة شارحا لفلسفة أرسطو فقط ، ولكن أرى أن هذا الشارح سبق أستاذه فى بعض الأحيان ، سبقا يثير العجب ، وان فلسفته مقبولة فى كثير من الأمور أكثر من تلك .

ولو عرف ابن رشد حقيقة أرسطو لما غالى فى تقدير أرسطو على أنه موحد وأن له الهيات عالية . مع أنه كان مشركا يعدد الالهة ويستوحى الصخور مثل قومه ، وانما دست الالهيات فى

فلســفته من اشراقية افلوطين الاســكندرى ، وهذا أخذ بآراء الصابئة واليهــود والنصــارى والزرادشتية ، وقد ترجمها المترجمون من الصابئة على أنها لأرسطو .

ابن رشد يدافع عن الفلسفة يهاجم الأشعرية والغزالي

عج المشرق بالزنادقة وأهـل البدع ولما كانت الخلافة قوية فانهم قتلوا الزنادقة وتتبعوهـم . قتلوا الجعد ابن درهم ثم الجهم بن صـفوان فى العهد الأموى ، وقضى أبو جعفر المنصـور على الراوندية ، وقتل ولده المهدى تسعة من الزنادقة وعين عبد الجبار أحد رجاله المعروفين لتعقبهم ، فعرف بصاحب الزنادقة ، الا أنهم كثروا واعتدلوا فأتوا عن طريق المحاجة بالمنطق والسفسطة ، فأمر المهدى العلماء باستعمال المنطق ، فكان أول من تسلح به المعتزلة فكانوا سيوفا على الدهريـــة والجهمية والشيعة والمرجئة والخوارج وغيرهم ، الا أنهم تطرفوا فى ارجاع الأحاديث الى العقل ، فرجع عن الاعتزال أبو الحسن الأشعرى ، وانقلب يجادلهم ويجادل غيرهم فسمى مذهبه واتباعــه بالأشعرية ، وقد كثروا وقووا حتى أخفتوا أهل البدع جميعا ومعهم المعتزلة ، واعتبروا أعــلام الاسلام وحماته ، وقد ظهر بعد الأشعرى أبو بكر الباقلانى ، ثم تلاه امام الحرمين أبو عبد الملك الجويني وعليه تخرج أبو حامد الغزالي حجـة الاسلام ، واذ ظهر له ولأستاذه أن الفلسفة هي أساس كل ما حصل من النسخ فى عقائد المسلمين ، فقد ألف كتابا فى مهاجمتها سماه تهافت الفلاسفة قدمه بكتاب سماه مقاصد الفلاســفة شرح فيه أقسام الفلسفة ، ثم ألف كتابه فى الفقه والأخلاق وقد أطلق عليه اسم احياء علوم الدين ، ولما وصلت كتبه الأندلس واطلع عليها ابن رشد ثار ثورةعظيمة فالف كتابا سماه تهافت التهافت رد فيــه على الغزالي فى مسائله . على أنه لم يكتف بهذا بل قام يهاجم الأشعرية جميعا ليتوصـل الى هدم الغزالي الذى يذكره بكنيته أبى حامد .

ابن رشد الطبيب العالم بالطب

وكعادة الفلاسفة فى ذلك العهد درس ابن رشد الطب وتفوق فيه ، وقد درسه على أبىجعفر هارون وقد لازم أبناء زهر لا سيما أبو بكر بن زهر طبيب الخليفة وأبو مروان بنزهر مؤلف كتاب التيسير . وقد تقدم فى الطب حتى أصبح أحد أعلامه فىعصره، وقد ألف فيه بعض المؤلفات والرسائل التي فيها شرح الأرجوزة المنسوبة الى ابن سينا فى الطب ، وكتاب الحيــوان ، وتلخيص كتاب الحميـات لجالينوس ، وتلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس وتلخيص النصــف الثانى من كتاب حيلة البراء لجالينوس ، ومراجعات ومباحث بينه وبين أبى بكر بن الطفيل فى رسمه للدواء فى كتابه الموسوم بالكليات ، وكتاب فى نوائب الحمى ، ومقالة فى حميات العفن ومقالة فى الترياق.وقد ظهر اسمه فى الطب ومشاكله وصار الناس يســتفتونه فى الطب كما يستفتونه فى مسائل الفقه ، ولما مات ابن الطفيل طبيب الخليفة عين مكانه الى أن نكب . ومن المأثور عنه قوله : « ان من اشــتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى » .

ابن رشد الفلكى

وكذا فان ابن رشد درس علم الهيئة وتقدم فيه وألف فيه بعض المؤلفات التي منها مقالة فى حركة الفلك . وشرح السماء والعالم وكتاب الطبيعـة والسماء ، الى غير ذلك من المؤلفات التي وضعته فى مصاف علماء الفلك .

خفوت اسم ابن رشد فى المشرق وظهوره فى الغرب

ومع أن ابن رشد أكبر دماغ اسلامي بعد ابن عباس الا انه كان خافت الذكــر فى المشرق ، لأن كتبه لم تصل المشرق ، كما أنه لم يزره ولم يحج . وقد انهارت الأندلس واستولى الاســبان على اماراتها ، والتهموها الواحدة بعد الأخرى ، ولم تبق الا امارة غرناطة خاضعة لملك الاسبان تدفع له الجزية السنوية ، وقد دامت هذه الحال مدة قرنين أداروا فيها وجههم الى الاسبان ولم يكترثوا

للعالم الاسلامي ، فلما استنجدوا به لم يكترث بهم لأنه كان يجهلهم ولا يعرف عنهم شيئا .

أما ظهور امر ابن رشد فى الغرب فلأن كتبه وكتب غيره أسرت فى سفينة مشحونة الى المغرب فوقعت بيد أسطول صليبي فدخلت فرنسا وايطاليا ، فكانت هي بذور نهضة أوربا . كما يعترف بذلك أحرارهم اليوم قال غوستاف لوبون : « وأبعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذى كان له أعظم تأثير فى أوروبا » . والمعلوم أن أكثر كتب ابن رشد لا سيما شروحه لآثار أرسطو قد وصلت لأيدى الأوروبيين ، وهي أساس دراساتهم مع غيرها من كتب نوابغ الأندلس . وقد ظهر مؤخرا مؤلف ضخم يزيد على خمسمائة صفحة للدكتورة الألمانية سيغريد هونكة اسمته « شمس العرب تسطع على الغرب » أثبتت فيه بكل دقة أن كل علم فى الغرب أساسه كتب العرب . ومما قالته : « وما أن عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد حتى تأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي ، فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة الغربية » .

اليهود يشوهون ابن رشد

لقد ترجم متفلسفة اليهود كتب ابن رشد الى العبرانية بعد أن أضافوا اليها ما شاءوا ، لا سيما تلميذه موسى ابن ميمون وعن العبرانية ترجمت الى اللاتينية ، وقد دسوا فيها نكران ابن رشد للبعث والخلود ، ومن يطالع كتابيه الموجودين بالعربية والتي لم تصل اليهما أيدى اليهود وهما : فصل المقال ، وكشف مناهج الأدلة ، يتحقق أنهم كاذبون ، لأنه يعترف بايمان صادق بالمعاد ، الا أنه يقول ان الأجساد هى من نوع آخر خلاف هذا الجسم الدنيوى الفاني ، وكتبه العربية لم تترجم للغرب ، فظلت عندهم كتبه المزيفة ، وظلوا يعتقدون به الالحاد فينسبون له القول بأزلية العالم ، وبنكران البعث والخلود الأخروى ، واليك ما قاله الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب : « وينكر ابن رشد الخلود والبعث ويصرح بأن على المرء ألا ينتظر ثوابا غير ما يلاقى فى الحياة الدنيا بكماله الخاص » وقال أيضا : « يرى ابن رشد أن العقل العام المطلق باق على الدهر قابل للانفصال عن الجسم ، وأن العقل الفردى فان مع البدن » وهذا القول يفيد الحلول أيضا مما يتنزه ابن رشد عنه ، وهذا وذاك هو رأى أكثر الغربيين ، قال أ. وولف أستاذ المنطق فى جامعة لندن فى كتابه عرض تاريخي للفلسفة والعلم على لسان ابن رشد : « ونفس الانسان لا تنفصل عن مخه وهي تهلك معه » .

والمؤسف أن يأخذ به عامة كتاب العرب اليوم ، واليك ما قاله الأستاذ أسعد داغر فى كتابه : « حضارة العرب » وأعتقد أنه نقله عن الدكتور غوستاف لوبون : « ومذهب ابن رشد فى الفلسفة أن مادة العالم أزلية ، وأن الخلق حركة اضطرارية فى تلك المادة تنشأ عنه الكائنات ويتولد بعضها من بعض اما الخالق فهو الحركة أو المحرك كما أن المادة أزلية فكذلك المخلوقات . فالنفوس تموت مع الأجساد » .

على أن العلامة الألمانية الدكتورة « سيغريد هونكة » استدركت هذا الأمر وأنصفت ابن رشد حيث قالت : « هل كان ابن رشد كافرا لا يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ ألم يعترف ابن رشد بوجود حقيقتين ، حقيقة نابعة من المعرفة ، وحقيقة صادرة عن العقيدة الدينية ؟ ان من يدعى هذا لم يقرأ قطعيا بتروٍ ما كتب ابن رشد ، انه يؤكد انه برغم كل تباين مادى بين الفرديات فثمت دائما جوهر روحى موحد يجمع بينهما . فالجزء السلبى من الروح هو جزء من الجسد يفنى بموته ، لأن كل ما هو فردى زائل . اما الجزء الايجابى الذى هو من الله وغير الذاتى فهو الخالد . لأنه كالشمس التى تضيء كل الأنحاء والتي هى واحدة دائما وفى كل مكان . وهذا الجزء الايجابى هو طريق اتصالنا بالله وهو خالد لا يموت ، خلود العالم نفسه ، ان من لم يقرأ ابن رشد فانه لم يتعرف على الفلسفة الأصيلة » .

على أى حال فان هذا التشويه يتحمله هو ، لأنه قرب اليهود لا سيما موسى بن ميمون ، اذ ترك لهم تبييض مؤلفاته على ما يظهر ، وترجمتها الى العبرانية دون أن يجد من يقرأها له عن العبرانية.

الإسلام والطبيب

٢

للدكتور / وجيه زين العابدين
بغداد

الطبيب وزملاؤه

ذكرت فى كلمتي الأولى عن الطبيب المسلم وعلاقته بالمريض، واليوم أبين ما يجب أن يكون عليه تجاه زملائه الأطباء، أو أى فرد من ذوى المهنة الطبية. وقد وضعت النقابات الطبية آدابا لسلوك الأطباء فيما بينهم، مسترشدين بما تعارف عليه الناس فيما سموه الخلق الحسن، ومسترشدين بالعرف والتقاليد والتجارب التي مرت عليهم وعلى اسلافهم.

ومن هذه التعليمات ما يتعلق بالمهنة نفسها فى زيارة الطبيب لزميله ومعالجته وذويه، وكيفية استشارة احدهم الآخر، واسلوب المراسلة بينهم، واحالة المريض الى ذوى الاختصاص أو المحللين، وكل ذلك مدون فى تعاليم النقابات .. بل قد أوجبت بعض النقابات لحماية المهنة ومنع الاساءة أن يخبر الطبيب عن زميله الغاش للمرضى أو المسيء للمهنة (بأى شكل من أشكال الاساءة) كما جاء ذلك فى المادة الرابعة من الآداب الطبية لنقابة الأطباء الامريكان (١).

والطبيب المسلم قد جاءه (من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من أتبع رضوانه) .. فهو غنى عن أن يتكفف

* سبق أن نشرنا المقال الأول فى العدد الرابع.

(١) (A.M.A Code) السلوك الطبي لنقابة ذوى المهن الطبية الامريكية.

القوانين الوضعية ، اذ جاءته الشريعة الاسلامية باحسن أدب ورد فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة .. فهو ان فتح عيادته يزور زملاءه وجيرانه ، ويعاملهم أفضل معاملة ، يزورهم فيستفيد من خبرتهم فى المنطقة ، ويسترشد بنصحهم وفى الوقت نفسه يكون قد أظهر حسن نيته تجاههم . وهو يعلم أن نبيه الكريم قد أوصى بالجار حتى قال عليه السلام (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (١) .

ولعل من المشاكل التي تعترض العلاقة بين الأطباء ، المنافسة على المرضى ، والسعى للحصول على المال .. فاذا كانت الجاهلية قد جعلته غاية ، وبررت الوسيلة اليه ، فالاسلام قد حل المشكلة من أساسها ، فمع اعتراف الاسلام بغريزة التملك الا أنه هذبها ، كما فعل بكل الغرائز فى البشر ... فالمال فى الاسلام هو مال الله ، وانما يكون الانسان مستخلفا فيه ، ومحاسبا عليه من أين أكتسبه وفيم أنفقه . ولذلك فلن يكون المال عند المسلم غاية أبدا ، بل وسيلة لحياة طيبة للمسلم ولبذله أرضاء لله ، ونشرا لعقيدته ، واذا لا يكون المسلم حسودا شرها فى جمع المال . والله تبارك وتعالى يقول (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله (٢) والله تعالى يقول أيضا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٣) فالسعادة عند المسلم لا بالمال وكثرة العرض بل بالعمل لرضاء الله .. وهكذا يعيش المسلم مع زملائه فى اخوة صادقة ، وقد أقر الله فى القرآن الكريم ثلاثة أنواع من الاخوة فلا بد أن يكون زميله مهما كان دينه وجنسيته أحد هؤلاء الاخوة .. فالاخوة الأولى هي اخوة الدين وشروطها ثلاثة التوبة من الشرك واقام الصلاة وايتاء الزكاة . قال تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) (٤) والاخوة الثانية هي اخوة القبيلة والجنسية واللغة ولا يشترط فيها نفس الدين قال تعالى (والى عاد اخاهم هودا .. والى ثمود اخاهم صالحا .. الآية) (٥) وفى عاد وثمود وغيرهم المؤمن والكافر . واما الاخوة الثالثة فهي اخوة الانسانية قال تعالى (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وأن تخالطوهم فاخوانكم) فاليتيم مثل من امثلة الاخوة الانسانية ولم يشترط فيه جنسية ولا دين متشابه ..

ويكفى فخرا أن يسمع الطبيب المسلم قول نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٦) .

ولا بد من كلمة حول الشركة بين الأطباء فارى أن يدون كل شيء بصورة مفصلة : الأمور المالية والفنية والادارية ولا يعتمد الاطباء على الذاكرة أو الصداقة أو المودة بينهم فقد قال الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) (٧) . واذكر الطبيب المسلم بأن الله مع الشريك الأمين المخلص ، قال النبى صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخارى وفى الباب عشرات الاحاديث كما ورد فى القرآن الكريم آيات توصي بالجار ،
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة الحشر .
(٤) سورة التوبة .
(٥) سورة هود .
(٦) أخرجه البخارى ومسلم .
(٧) سورة البقرة .

وسلم (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما) أخرجه ابو داود عن ابى هريرة .

ومثل الطبيب الصيدلى وغيره من ذوى المهن الطبية يجب أن يلتزم الطبيب المسلم معهم الآداب الطبية والاخلاق العامة فمثلا لا يجوز أن يكون هناك أى اتفاق بين طبيب وصيدلى بصورة سرية على حساب المريض أو على حساب الأدب المهنى .. (١) .

سر المهنة

لعل من أهم ما يجب أن يتصف به الطبيب المحافظة على أسرار مرضاه ، وربما كانت هذه الصفة من أبرز الصفات التي يجب أن تتوفر بين الطبيب ومريضه .. ولكن هناك حالات يجوز للطبيب أن يذيع فيها هذا السر ، أو ربما يكون ملزما ، كالاخبار عن الامراض المعدية ، وحالات الولادة والوفاة ، والاخبار عن المواد المخدرة التي تصرف لمريض ما ، والشهادة امام المحاكم ، والتقارير التي تعطى لدوائر التأمين وللشركات والدوائر الرسمية ، وكذلك الأخبار عن الجرائم ، والاخبار عن المرضى لحماية الناس ، ولا سبيل هنا لتفصيل كل منها . ولكن أبين ما أعتقده الرأى الاسلامي فيها .

فأى قانون او تعليمات تصدرها الدولة وترى فيها مصلحة الأمة ، تعتبر مقبولة فى الشرع الاسلامي ، ما لم تعارض النص من الكتاب والسنة . فالطبيب اذاً يخبر عن المريض المعدى بقدر ما يمنع خطره ، ويحفظ صحة الآخرين ، ولا يزيد على ذلك أى أن القاعدة حفظ السر ، وخرقها يكون بقدر ما تقتضيه الضرورة ، فاذا جاوز ذلك صار مسيئا — على ما أرى — اذ قد يظن به التشهير بالمريض والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالستر فقال (ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (٢) .

وأمام المحاكم يذكر الاسلام الطبيب بقول الله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (٣) فاذاً لا تتكلم أيها الطبيب بكلمة الا أن تكون واثقا تمام الوثوق من صحتها ، فان نجوت من المحاكم فلن تنجو من الله القائل (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (٤) .

وعلى الطبيب أن لا يتكلم امام المحاكم والمحقق بأكثر مما يسأل ، ويختار الكلمات اللائقة التي تفي بالغرض (كناية أو مجازا) وهذا هو أدب القرآن الذى يجب أن يكون خلق كل مسلم . وعلى الطبيب أن يختار الكلمات السهلة المفهومة ، ولا يلجأ الى الكلمات المبهمة والمصطلحات الطبية التي لا يفهمها الا الطبيب .

ومن حق الطبيب أن يخبر عن الجرائم ، وأرى أن الاسلام يعتبر ذلك واجبا . فمثلا اذا أصيب شخص بجرح وجيء به الى الطبيب فعليه أن يعالجه فورا ، ويخبر الشرطة بذلك . فلعل أن يكون هذا المجروح قد قتل نفسا وهو يريد اخفاء جريمته .. والله تبارك وتعالى يقول (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) (٥) وقد يغرى الطبيب بالمال

---

(١) من اراد المفصل عن ذلك فعليه مراجعة 1) Hadfied Lau & Ethics For doctors.
2) Remington - Praetice of Farmact.

(٢) اخرجه مسلم ، لا اعتقد أن ذكر كلمة مسلم تعنى جواز فضح او التشهير بغير المسلم فى مثل هذه الاحوال .

(٣) سورة الاسراء .

(٤) سورة النور وفى هذا المعنى احاديث كثيرة منها (وهل يكب الناس على وجوههم الا حصائد السنتهم) .

(٥) سورة البقرة .

لاخفاء الجريمة او يهدد . فليتصرف تصرف حكمة ولا يضيع حق الناس أو الحق العام ..

وقد يضطر الطبيب الى افشاء السر للمصلحة العامة . ومثال ذلك اذا عرف مصابا بالصرع يقود سيارة اذ قد تصيبه النوبة (اثناء قيادته فيسبب ضررا للآخرين) والفقهاء والمسلمون قد قرروا تفضيل درء المفسدة على جلب المنفعة .

وقد يطلع الطبيب على مرض معد فى خادم أو مربية فهل يخبر الذين تعيش معهم هذه المربية ليحفظ الطفل ؟ .. أرى أن يلجأ للمريض (١) نفسه فيقنعه بالمعالجة ، ويخبره بصراحة عن مرضه ، وعما يجب أن يفعله لوقاية من حوله ، فان لم يقتنع لجأ الى افهام العائلةبصورة غير مباشرة مثلا باجراء الفحص الطبى عليهم جميعا مع المربية حتى يكشف الامر من قبلهم (! !) ، أو اذا اطلع الطبيبعلىمريض يمتنعالزواج معمرضه فليقنعه أولا بالعدول والمعالجة قبل أن يلجأ الى ذوى الفتاة ، واذا اضطر الى ذلك فلا أرى أن الاسلام يجيز له أن يخبر ذوى الفتاة مباشرة بافشاء سر المريض بل عليه أن يصرف ذوى الفتاة بصورة غير مباشرة وعن طريق شخص ثالث ، فالقاعدة الفقهية (لا ضرر ولا ضرار) (٢) ، والواجب على المسلم أن يستر على أخيه كما ذكرت قبلا على أساس الا يكون فى الستر ضرر على الآخرين وقد سألت بعض العلماء فى العالم الاسلامي والبلاد العربية فكان جواب معظمهم أنه لا يحق للطبيب المسلم افشاء سر المريض تبرعا فاذا سئل فليحاول أن يؤدى المطلوب بحكمة ويبتعد عن الافشاء بقدر المستطاع .

وأرى أن الرأى الاسلامي يوجب على الطبيب افشاء سر المريض اذا كان فى كتمان ذلكادانة برىء أو افلات مجرم..

أجرة الطبيب

لا أرى ان الاسلام يتدخل كثيرا فى اجرة الطبيب فالامر عرفى ، على أن الانصاف مطلوب من المسلم ، كما أنه لا بد من مراعاة الفقير ومعالجته مجانا ، ولعل هذه المعالجة المجانية قد ادخلها الاسلام فيما يمكن أن نسميه زكاة النفس ، اذ أرى أن على المسلم زكاة فى علمه يعلمه للناس متمثلا أمر الله عز وجل القائل (واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) (٣) ومقتديا بالرسل الكرام حيث قال الله على لسانهم (وما أسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين) (٤) .

فأرى أن على الطبيب المسلم زكاة فى علمه وجسمه ومن الواجب عليه ان يعالج الفقراء مجانا وهذا حقهم عليه ، وليس لهذه الزكاة نصاب كزكاة المال . وبقدر ما ينفق الطبيب المسلم من وقته وعلمه وماله وجاهه للفقراء فان الله يخلفه اضعافا مضاعفة فلا يمن على أحد بذلك ابدا .. قال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (٥) .

الاسلام وبعض اعمال الطبيب

١) الاجهاض :

الاجهاض أو الاسقاط وهو عملية تفريغ محتويات الرحم .. وهو نوعان :

---

(١) نخالف الدكتور فى رأيه اذ يجب على الطبيب أن يعمل على عزل المربية فى الحال وعلاجها وقاية للأسرة كلها . «الوعى» .

(٢) ورد ذلك بحديث اخرجه ابن ماجة عن ابى سعيد الخدرى وغيره من طرق اخرى يقوى بعضها بعضا .

(٣) سورة آل عمران .

(٤) سورة الشعراء .

(٥) سورة سبأ .

الاسـعافي والجنائـي . فالاسـقاط الاسـعافي لانقاذ حيـاة الأم ، أو لأيـة ضرورة طبية يقررها الأطباء المختصون مقبـول في الاسـلام ، على قاعدة اتباع أهون الضررين ، أو قاعدة ارتكاب مفسدة لدرء مفسدة أكبر .

وأما الاسقاط الجنائي فلأسـباب لا تتعلق بصحة الأم كحالة حمل السفاح ، أو لتحديد النسل ، أو لقضايا اقتصادية فهذا غير جائز أبدا ، ولا يجوز للطبيب المسلم أن يجرى هذه العملية فان فعل فقد ارتكب جريمـة قتـل الوليد ... قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحـق) (١) وقد اجـاز بعض العلماء الاجهاض قبل الشـهر الرابـع وحجتهم الحديث الشريف الذى أخرجه مسلم (ان احدكم يخلق في بطـن أمـه أربعون يوما نطفة .. الى قوله ثم ينفخ فيه الروح) اذ يقولون أن الجنين لـم ينفخ الروح بعد فيه . لكن الحقيقة أن الروح توجد فيه من أول دقيقة . ولكن الروح التي يقصدها النبي صلى اللـه عليه وسلم هي الحركة التي تشعر بها الأم (٢) .

التلقيح الصناعي

هو عملية ادخال مادة الذكر (المنى) في رحـم الانثى ، وهو اما أن يكون بادخال مادة الـزوج نفسه الى زوجته بصورة صناعية ، لتعذر الحمل بصورة طبيعية وذلك امر لا يعارض فيه الاسلام .

والنوع الثاني : هو ادخال مادة رجل معين الى امرأة غير زوجتـه ، وذلك حرام . ويكون الطبيب مجرما ان اجرى مثل هذه العملية .

اما النوع الثالث فهو جمع (المنى) من مختلف الرجال في مصرف ويعطى للمـرأة التي تريد أن تحمل (بطريقة صناعية) فهذا النوع حرام أيضا في الاسلام ، اذ يكون في النوعين الآخرين اختلاط الانساب مع انـه مسـموح به عند الـرومان الكاثوليك (٣) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم (من انتسب الى غير ابيه او انتسب الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (٤) .

التجميل الصناعي

لا أرى أن الاسلام يمنع الطبيب من اجراء أية عملية لتجميل المرأة أو حتى الرجل ان لم يكن في تلك العملية خرق لصفات المرأة الانثوية أو صفات الرجل .. ولا أعني أن الاسلام يحرم العمليات التي فيها ينقلب الرجل الى امرأة ، كما نقرأ ونسمع ظاهرا ، فمثل هذه العمليات ليست عملية تحويل كما يظنها البعض ، بل ان الرجل الذى اجريت له العمليـة فصار انثى هو في الحقيقـة انثـى ، وقد تشوهت بعض الاعضاء فاقتضى لها شيء من التدخل الجراحي .

وفي الأحاديث الشريفة ما يمنع القيام ببعض اعمال التجميل للمرأة مما لا يكون من عمـل الطبيب في الغالب كالواصـلة والواشمة .. الخ .. حيث نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك (١) .

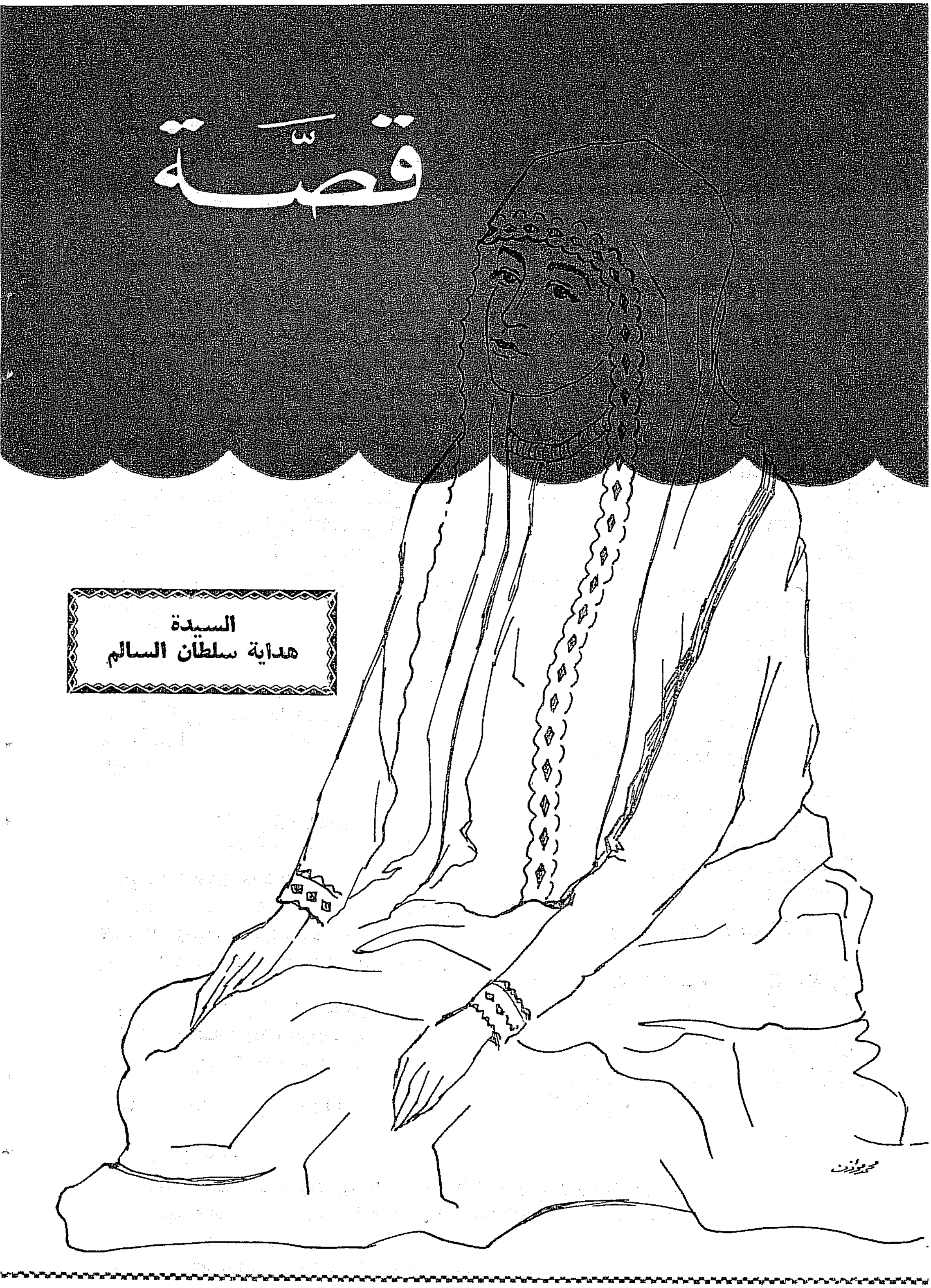
أما عمليات ترقيـع القرنية ونقـل الكلية من انسان لآخر وغير ذلك فهى من العمليات التي فيها انقاذ الانسـان من العمى أو الموت فلا يمكن أن يعارض فيها الاسلام .

---

(١) سورة الاسراء .
(٢) راجع كتاب الاسلام والتربية الجنسية (الدكتور وجيه زين العابدين) .
(٣) راجع كتاب (Hadfield Ethics for Doctors). من ١٩٩ ــ ٢٠١ .
(٤) اخرجه ابن حيان .
(٥) وردبذلك عدة أحاديث اخرجها البخاري ومسلم وغيرهما .

قصة

السيدة
هداية سلطان السالم



ضاربة العُود

المكان .. سوق الرقيق فى بغداد ....

والزمان .. يوم كانت بغداد حاضرة الدنيا ومحط أنظار العالم كله .. يوم بلغ فيها الترف أقصى مداه والفن ارقى مستوياته ، وفتن معظم الناس بالدنيا فأقبلوا عليها يغترفون من ملذاتها ، ويعبون من متعها ، وقد نسوا آخرتهم ، وظنوا أن الحياة الدنيا هى الحياة ، ولا حياة لهم بعدها .

والبطلة .. جارية بارعة الجمال ، فاتنة الملامح ، عذبة الصوت ، خارقة الذكاء ، بالغة الحياء ، وديعة هادئة تقف مستسلمة للامر الواقع الذى أراده لها القدر ، والتجار يروحون ويجيئون من حولها ، يتفحصونها بنظراتهم ، ويسألون عن ثمنها ، فاذا ما عرفوه شهقوا فى دهشة ، وتراجعوا فى عجز ، وتقدم غيرهم ليسال من جديد ...

ويتقدم اسماعيل البصرى تاجر الرقيق الثرى .. يتأمل الجارية بعين الخبير المتمكن من فنه ، ثم يطلب أن يسمع صوتها ، ويسأل عما خفى من صفاتها .. ثم يدفع العشرين ألفا التى حددت ثمنا لها ويعود بها الى بيته ...

حقا أنه لم يدفع نصف هذا المبلغ ثمنا لجارية من قبل ، ولكنه ــ وهو الخبير المحنك ــ قد أدرك من اللحظة الاولى أن هذه الجارية ستكون أنفس درة فى عقد جواهره وأنه سيبيعها بأغلى ثمن لذوى الجاه والسلطان .

ويطلق عليها اسماعيل اسم تحفة ، ثم يستقدم لها أساتذة العزف والغناء والشعر والادب فى ذلك الحين ، ولا يدخر وسعا أو جهدا فى سبيل تعليمها واعدادها ، حتى تبرع تحفة فى الغناءوحفظ الاشعار ورواية النوادر والفكاهات والطرف ، وتتقن ضرب العود ويصبح لها فى هذا الفن مكانة خاصة يشهد بها الجميع ، وينتهى الأمر بهم الى تسميتها بضاربة العود ..

ويسر التاجر بهذا النضج السريع فى مجال الفنون كلها ، ويزداد سروره عندما يجد أنها لا تميل الى الخلاعة والتبرج ، كغيرها من الجوارى ، ولا تحاول اتخاذ الأحبة من الرجال كما يفعلن ، ولا يلبث أن يقوم بحملة واسعة من الدعاية

لهذه السلعة الفريدة النادرة المثال ، ويتوافد على بابه طلاب المتعة ، وكل منهم يتوق الى شرائها ، ويطمع فى حيازتها ، وكلما زاد عددهم كلما رفع التاجر الثمن أكثر فأكثر ...

وبينما هو يمنى النفس بالآلاف المؤلفة التي سيربحها من ورائها ، اذ فوجىء بها تعتكف فى حجرتها ، وترفض أن تعرض على المشترين صباح مساء ... ويدهش الرجل لهذا التصرف منها ، ويسرع اليها ليعلم سر هذا التصرف ، فاذا به يسمعها تغنى من نظمها ...

وحقك لا نقضت الدهـــر عهـــدا ولا كـــدرت بعـــد الصـــفو ودا
ملأت جـوانحـى والقلـب وجــــدا فكيـــف الذ ، أو أســـلو وأهدا ؟؟
فيا من ليس لــى مولـى ســـواه أراك تركتنــى فى النــاس عبـــدا

فرح الرجل بهذه الموهبة الجديدة ــ موهبة نظم الشعر ــ التى ستضاف الى مجموعة مواهبها الأخرى ، والتى ستزيد من ثمنها بطبيعة الحال ، ودفع باب حجرتها ، ودخل اليها مهنئا ، ولكنه فوجىء بها تقذف بالعود بعيدا ، ثم تنفجر باكية فى حرارة .. وظن الرجل أنها قد وقعت فى الحب ، وأنها تبكى لذلك ، وتمنى لو أن هذا الذى أحبته كان من أصحاب الشأن والثراء ، ليستطيع أن يساومه مستغلا عاطفته ، ويحصل منه على أكبر قدر من المال ..

وتقدم اسماعيل منها ، وسألها عن اسم الحبيب الذى كانت تغنى له، ولكنها لم تجب ، فكرر السؤال دون جدوى ، فخرج من حجرتها ، واختلى بنفسه يفكر فى الأمر ، وهداه التفكير الى ضرورة مراقبتها مراقبة دقيقة ليعرف من هو ذلـك الحبيب ..

واستمرت المراقبة شهورا دون أن يعرف شيئا .. بل أنها لم تتصل خلال هذه الفترة باحد من الرجال ولا النساء وكانت تلازم حجرتها ليل نهار ، وكلماأطل عليها من خلال الخصاص وجدها تصلى وتتعبد وتنشد الاشعار ولاحظ الرجل أن وجهها قد بدأ يشحب وأن جسدها قد أخذ يذبل ، ففزع لذلك أشد الفزع وصمم على انقاذ ما يمكن انقاذه من هذه الصفقة التى بذل فيها الكثير وتوشك الآن على الخسارة الفادحة .. ودخل اليها ، وطلب اليها فى حزم أن تخبره عن سر شحوبها ونحولها وتغيرها، وعن اسم ذلك الذى خلب لبها وصيرها الى هذه الحال فنظرت اليه نظرة مليئة بالسخرية العميقة وقالت ..

خـاطبنى الحق مـــن جنانـــى فكـــان وعظـى عـــلى لســـانى
قــربنى مـــنه بعـــد بعـــد وخصنـــى اللـــه واصطفانـــى
أجبت لـــا دعيـــت طـوعـــا ملبيـــا للـذى دعانـــــى
وخفـت ممـــا جنيـــت قدمـــا فـــاوقـع الحب بالايمـــــان

وكان طبيعيا الا يفهم التاجر من القول شيئا .. فأين هو وأين هى ؟ انه فى عالم وهى فى عالم آخر وشتان ما بين العالمين ...

وظن أن بها مسا من الجنون أو الاختلال العقلى ، فراح يستقدم لها الاطباء والمعالجين .. وحاول هؤلاء أن يعرفوا شيئا عن سبب علتها وما تعانيه دون جدوى ، فأشاروا على الرجل أن ينقلها الى مصحة عقلية لعلها تشفى ، فيعود اليه ماله الذى أنفقه فى شرائها وتعليمها ..

ونقلها الرجل على الفور الى المصحة الموجودة حينذاك وجاء المرضون يقيدونها بالسلاسل الحديدية ـ كما كانت العادة فى ذلك الحين ـ فنظرت الى السلاسل ، والى القساة الواقفين من حولها ، ثم رفعت رأسها الى السماء وقالت .

أعيذك أن تغل يـدى — بغير جريمة سبقت
تغل يـدى الى عنقى — وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد — أحس بها قد احترقت
فلو قطعتها قطعـا — وحقك عنك ما رجعت

وكان التاجر يزورها كل يوم وفى نفسه أمل .. ولكن أمله بدأ يذبل ويذوى، كلما تقدمت الايام ، فقد ظلت على حالها ، واستمرأت حياة الحبس والسلاسل الحديدية ...

وزار المستشفى يوما رجل من أهل التصوف هو « السرى السقطى » ورآها وسط المجانين ، فشك فى أمر جنونها ، واقترب منها يريد أن يحدثها فأستقبلته قائلة ...

معشر الناس ما جننت ولكن — انا سكرانة وقلبى صاح
أغللتم يـدى ولم آت ذنبا — غير جهدى فى حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب — لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى — وفسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى — وارتضاه لنفسه من جناح

هنا تأكد لدى السرى أنها ليست مجنونة وانما هى اسيرة الحب الاعظم .. الحب الطهور .. حب العلى القدير جل جلاله .. فاهتزت نفسه روعة ،وانحدرت الدموع فى صمت على وجهه ، فعجبت هى لبكائه وسألته عن سببه فقال ..

ـ أهجت شجنى وحركت حزنى ولا يعرف الشوق الا من يكابده ...

ـ (فهتفت) يا هذا لقد بكيت من الصفة ، فيكف لو عرفته حق المعرفة (ثم انشدت) .

البستنى ثوب وصل طاب ملبسه — فأنت مولى الورى ومولائى
كانت بقلبى أهواء مفرقة — فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته — فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على ما فات من زللى — والنفس فى جسدى من أعظم الداء
والشوق فى خاطرى منى وفى كبدى — والحب منى مصون فى سويداء
اليك منك قصدت الباب معتذرا — وانت تعلم ما ضمنته احشائى

وما أتمت هذه الابيات حتى دخل سيدها ، فلما رأى السرى ـ وكان يعرف مكانته ـ عظمه وقدره وأضفى عليه الكثير من عبارات الاحترام فقال له السرى :

ـ هى والله أولى بهذا التعظيم منى ...

فاستبعد صاحبها ذلك وراح يعدد للسرى ما عاناه منها فقال له السرى :

ـ على الثمن يا هذا وأزيدك أن شئت عليه ...

ـ (فصاح الرجل) هى على بعشرين ألفا وانفقت عليها مثلها ...



ــ (فقال السرى) قبلت .. ابق هنا حتى أرجع اليك بالمبلغ ...

ــ فصرخ الرجل وافقراه ان كان السرى يملك مثل هذا المبلغ ...

وانطلق السرى الى أحمد بن المثنى دامع العين فروى له القصة ، وطلب منه المبلغ فدفعه له على الفور فعاد الى التاجر ودفـعه له بـدوره وأعتقها .. فأنشدت ...

هربت مـــنه اليـــــه	**بكيـت منـــه عليـــه**
وحقـــه هـــو مـــولـــى	**مـــا زلت بـين يديـــه**
حتـى أنـــال وأحظـــى	**بمـــا رجـوت لديـــه**

وانطلقت تحفة هائمة فى رحاب الله وحتى وصلت مكة فعاشت الى جوار الكعبة ، وكانت تتعجل المنية بأشعار فى منتهى الصدق والرقة ...

محب اللـــه فى الـــدنيا سقيـم	**تطـاول سـقمه فـــدواه داه (١)**
سقاه مـــن محبته بكـــأس	**فـــأرواه المهيمـــن اذ سقـــاه**
فـهام بحبـه وســـما اليـــه	**فليس يريـــد محبوبا ســـواه**
كذاك من ادعـى شـــوقا اليـــه	**يهيـم بحبـــه حتـــى يــــراه**

وقد ظلت هذه حالها ، حتى توفاها الله فى جوار بيته الحرام ، وحقق لها الله سبحانه ما كانت تتمناه وتهتف به أنها هربت منه اليه مشـوقة الى نيل ما كانت ترجوه لديه .

---

(١) دواؤه هو داؤه . تشير الى أن حبها فى الله أسقمها ومن الله تستمد الدواء والشفاء .

بقية : الجنة والنار
أو الثواب والعقاب

يتأثر بها ، حتى ليسير بسرعة تفوق سرعة الصوت مرات ومرات ، فلا يكاد يحس أنه يتحرك ، وليس ذلك كله سوى المقدمة ، لما سوف يتكشف عنه عصر الفضاء ، بعد أن يهبط الانسان على القمر ، ثم يثب من القمر الى الكواكب الاخرى ، ويرى نفسه من جديد وقد تحول هو وكوكبه الارضى الى مجرد ذرة .... ذرة فى هذا الوجود اللانهائي .

وآخر ما وافتنا به الانباء ، ان مؤتمرا انعقد من علماء الروس والامريكان ، للبحث فى شئون الحياة والحضارات الاخرى التى لا بد موجودة فى الفضاء الخارجي ، وكيف يمكن الاتصال بها ، ويعنينا من ذلك كله ، ان المعتقدات الانسانية ، والاديان السماوية ، لم تكن وهى تنظر الى السماء ، وهى تحدثنا عن حياة اكمل وافضل فى السماء ، وهى تدعو الانسان ابدا للتطلع صوب السماء ، لم تكن واهمة ولا هي مخرفة ، كما تخرص المتخرصون ، وانما كانت تنطق بالحق ، وتكشف عن اسرار الوجود .

ويكون العلم الحديث التجريبى التطبيقي ، قد قربنا من مفهومات الاديان ولم يبعدها عنا ، وقد قوى العقيدة فى الجنة والنار ولم يضعفها .

الخلاصة

وهكذا يخلص لنا من كل ما قدمناه من مقالاتنا حتى الآن .

ـ ان هذا الكون لا يمكن الا ان يكون من خلق اله قديم حكيم مدبر حى قيوم .

ـ وانه قد اوحى لنفر من البشر ، ليشهدوا بوجوده ، ويدلوا على طريقه ، ويعرفوا الناس بالخير والشر والخطأ من الصواب .

ـ وأن هؤلاء الرسل الصادقين الامناء، قد قالوا لنا ان سيكون بعث وستكون جنة ونار ، فأصبح لا مناص من تصديقهم ، والايمان بهذه الحقائق الغيبية التى لا يتوصل اليها عن طريق الحواس .

ـ وان ليس فى كل ما دعا له الرسل من الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ، ما يتصادم فى جوهره مع منطق العقل ، او حقائق العلم .

ويصبح السؤال الآن ، اى هؤلاء الرسل نتبع ، فالعالم يغص بعشرات بل مئات من الاديان والمعتقدات ، وعلى رأسها ثلاثة أو اربعة ممن يتجاوز عدد معتنقيها مئات الملايين ؟

والرد على هذا السؤال يحتاج الى مقال آخر بل عدة مقالات .

حكمة

قال ابو عمرو بن العلاء « كن من الكريم على حذر اذا أهنته ، ومن اللئيم اذا اكرمته ، ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا رحمته » .

● ● ●

● سئلت رابعة العدوية :

كيف بلغت هذه المرتبة العالية فى الحياة الروحية ؟

فأجابت : بقولي دائما .

« اللهم اني اعوذ بك من كل ما يشغلني عنك ، ومن كل حال يحول بيني وبينك » .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

اجارة الوقف

السؤال :

أولا : أوقف رجل بيتا لعمل خيرات تصرف فى أضحية ونوافل يعنى عشاء للفقراء فى المناسبات الدينية صدقة له ولوالديه ولابنه .

ثم توفى الواقف ، وخلفه ابنه ، واتفق مع شخص وأجره البيت وتوابعه مائة وعشرين سنة بمبلغ عشرة ريالات فرنسية سنويا تدفع نقدا أول كل سنة .

ثانيا : أوقفت امرأة بيتا لنفس الغرض وبعد وفاتها استأجره شخص لمدة ثلاثين سنة كل سنة بريالين ، وانتهت المدة واستأجره لمدة أربعين سنة بمائة ريال سنويا وقد مضى منها احدى عشرة سنة . وبعد عشرات السنين استملك البنيان للصالح العام . فهل يشـــترى بمال بدل كل منهما عين تكون وقفا وتســـلم للمستأجرين على أن يقوم كل منهما بدفع الايجار المتفق عليه حتى تنتهي المدة أم ماذا يفعل معهما وما هي الطريقة الأنفع لمصلحة الوقف . أرجو بيان الحكم الشرعي فى ذلك ..

(ح . م ـ الكويت)

الاجابة :

بعد الاطلاع على ورقةعرفيةصادرةمن الواقف مصدرة بالكلمات الآتية (صورة وصية ..)تضمنت أن البيت الموقوف بشمال بريده ضحية الدوام له ولوالديه ولابنه وان البيت والجو وقف الخ .. ما جاء بالورقة ، وبعد الاطلاع على ورقة صادرة من الواقفة مصدرة بما يأتى (صورة وصية) تضمنت أن الدار الشمالية التي انتقلت الى الواقفة من أبيها وقف لله تصرف فى أعمال بر وضحايا وعشاء الخ . وقد تبين من الاطلاع على هاتين الورقتين أنه لم يذكر فيهما شيء عن مدة التأجير ، وبالرجوع الى ما كتبه الفقهاء فى المسائل التي تتعلق بمدة الاجارة نجد أنه :

ورد فى مجلة الاحكام العدلية : « لا يجوز اجارة مال الوقف واليتيم وأراضى بيت المال لاكثر من ثلاث سنين فى الضياع ولأكثر من سنة فى غيرها كالدار والحانوت صيانة للوقف ومال اليتيم من دعوى الملكية بطول المدة وهو المختار للفتوى ـ فلو أجر المتولى أو الوصى الى أكثر من ذلك لم تصح الاجارة وتفسخ فى كل المدة لأن العقد اذا فسد فى بعضه فسد فى كله ولا فرق فى مال اليتيم ان اجره أبوه أو وصيه . أما فى الوقف فيفرق بين الواقف والمتولى لأن للأول التأجير لأية مدة أراد ، ولو شرط الواقف اجارة مدة معينة روعى شرطه لأن شرط الواقف كنص الشارع وان لم يشترط الاجارة مدة معينة وكانت عمارة الوقف لا تحصل الا بالاجارة المدة الطويلة فيرفع الأمر الى الحاكم ليصرح بما فيه المصلحة .

وورد فى الفتاوى الانقروية : وانما لم تجز أجارة الوقف المدة الطويلة كيلا يؤدى ذلك الى ابطال الوقف لأن المستأجر يتصرف فى العين تصرف الملاك ومتى أنكر الوقف يشهد له الناس بالملك . قال الصدر الشهيد فى واقعاته : والمختار انه يفتى فى الضياع بالجواز فى ثـلاث سنين الا اذا كانت المصلحـة فى عدمه وفى غير الضياع بعدم الجواز فيما زاد على السنة .

وورد فى الفتاوى الخانية : اذا كان الواقف لم يشرط مدة لاجارة وقفه وأجرت عين الوقف لأكثر من ثلاث سنين . قال مشايخ بلخ لا يجوز اجارة الوقف أكثر من ثلاث سنين وقال الفقيه أبو الليث يرفع الأمر الى القاضى حتى يبطله وذهب المالكية الى أنه فى الوقف لا يصح تأجير الدور ونحوها أكثر من سنة واذا تهدم الوقف وليس له ريع يبنى منه فانه يصح للناظر أن يؤجر مدة طويلة ويأخذ الأجرة ليبنى بها ولو طال الزمن كأربعين عاما ، وذهب الحنابلة الى أن الواقف اذا لم يشترط ناظرا للوقف يكون المستحق هو الناظر .

ولو أجر الوقف تبطل بموته واذا كان المستأجر يدفع مقدما فان دفعه يؤخذ من تركة المؤجر . أما اذاكان المؤجر ناظرا بشرط الواقف فان الاجارة لا تفسخ بموته ويشترط ان تكون مدة الاجارة معلومة وان طالت كما يشترط أن يغلب على الظن بقاء العين سليمة مدة الاجارة وان طالت .

وبما أن الواقفين لم يشرطا فى وقفهما مدة معينة للاجارة وان المستأجرين لم يدفعا الأجرة عن مدة الاجارة الباقية بل عقد الايجار يدل على أن تدفع الأجرة مقدما سنويا . وقد استملك الوقفان للصالح العام وخرجا من يد المتولى عليهما .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا حق للمستأجرين فى المطالبة بشيء ما دامت العين الموقوفة غير باقية واستملكت للصالح العام ولم يدفعا أجرة مقدما فضلا عن ان الاجارة فاسدة من أصلها على المفتى به ، ويطالبان بالفرق عما مضى ان كان التأجير بأقل من أجر المثل ، ويشترى عين للوقف بمال البدل لتنفيذ شروط الواقفين على أن تؤجر بأجر المثل فى حدود المدة الجائزة شرعا .

أرث المحرض على القتل

السؤال :

شخص قتل والدة زوجته وهى عمته بتحريض من والده شقيقها . وتركت القتيلة بنتا وأخوين شقيقين أحدهما والد القاتل المحرض لابنه على قتلها فكيف توزع التركة ؟ . وهل تبقى زوجته بنت عمته المقتولة فى بيته ؟ .

(ابراهيم أ . أ ـ الشارقة)

الاجابة :

اتفق الأئمة الأربعة وجمهور المجتهدين من المسلمين على أن القتل من موانع الارث لقوله عليه الصلاة والسلام « ليس للقاتل ميراث » ولكنهم اختلفوا فى نوع القتل المانع من الارث فعند أبى حنيفة ليس كل قتل مانعا ، ويقسم القتل الى خمسة أنواع عمد . وشبه عمد . وخطأ . وشبه خطأ . وقتل بتسبب ويرى أن القتل الذى يمنع من الارث هو الذى يتعلق به حكم القصاص أو الكفارة وهي الأربعة الأول . أما الأخير وهو القتل بتسبب كما اذا حفر بئرا فوقع مورثه فيها فمات وموجبه الدية فلا يحرم من الارث لأنه جعل علة المنع هى مباشرته القتل عمدا أو خطأ دون التسبب فيه .

وعند الامام مالك ينقسم القتل الى عمد ، وخطأ ، ولاواسطة بينهما لأن الوارث اذا قصد قتل مورثه فهو العامد وان لم يقصده فهو المخطىء .

وسوى بين المباشرة للقتل والمتسبب فيه ويرى أن القتل العمد هو الذى يحرم من الارث دون الخطأ مستندا الى أن لفظ القاتل فى الحديث مطلق فينصرف الى العامد ، وحكمة المنع رد القصد السيء على قاصده والخاطىء لم يقصد سوءا بمورثه ـ والذى نختاره وهو ما ذهب اليه الامام مالك ، والراجح من الشافعي وأحمد : انه اذا ثبت أن الوارث كان قصده بما ارتكبه ازهاق روح مورثه سواء أكان فعله مباشرا للقتل أم متسببا فيه وسواء أكان فاعلا أصليا أو شريكا أو متسببا انه يحرم من الارث .

وبناء على ما سبق يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

للبنت النصف فرضا والباقي وهو النصف للأخ الشقيق تعصيبا وهو الأخ الذى لم يكن سببا فى القتل اما الأخ الذى حرض ابنه على القتل اذا ثبت ذلك فانه يكون محروما من ارثها .

اما الاجابة على الجزء الثانى : ببقاء زوجة القاتل وبنت المقتولة فى المنزل فالأمر هذا مفوض لرأيها فان كانت تستريح فى بقائها فى منزله فليس لأحد أن يجبرها على خلاف ذلك ـ أما اذا ـ كانت تتضرر من ذلك فلها الحق فى أن ترفع أمرها الى الحاكم للتصرف بما يراه ولها حق طلب التطليق للضرر .

حداد الزوجة

السؤال :

اعتاد مسلمو الخليج العربى وعمان منع المتوفي عنها زوجها من الخروج أثناء العدة من منزل المتوفي عنها نهائيا ، ويحرمون عليها التزين باى نوع من أنواع الزينة كالطيب والكحل ولبس غير الأسود والنظر الى أى شخص زاد عن العشر سنوات الا المحارم .

فما حكم الشريعة الاسلامية فى ذلك ؟ .

(محمد عبد الله محمد ــ الكويت)

الاجابة :

لما كان الزواج من أعظم النعم التي يجب أن يستشعر قلب الانسان الحزن لذهابها وجب شرعا أن تحد المرأة على زوجها بالاتفاق ، والاحداد هو ترك الزينة وعدم لبس الحلى والثوب المعطر والملفت للنظر وهذا هو ما يوجبه الخلق الكريم والوفاء للزوج الراحل والحياة الزوجية التي ذهبت ، فالمعتدة من عدة طلاق أو وفاة لا تخرج من بيتها حتى تتم العدة .

وجوز الفقهاء لمعتدة الوفاة الخروج لقضاء حوائجها نهارا بخلاف المعتدة من طلاق سواء كان رجعيا أو بائنا فان عليها أن تلزم بيت الزوجية أثناء العدة ، والسبب فى التفرقة بين العدتين أن المتوفى عنها زوجها تحتاج الى الخروج لقضاء حوائجها بالنهار وتحصيل ما تنفق منه على نفسها ، أو أن الضرورات تبيح المحظورات بخلاف المعتدة من الطلاق ، فان نفقتها على زوجها فلا حاجة بها الى الخروج .

وقد روى الامامان البخارى ومسلم فى وجوب الاحداد على المتوفي عنها زوجها وفى جوازه لمدة ثلاثة أيام فقط ، لوفاة قريب للمرأة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ، الا على زوج فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا » .

والمقرر شرعا أن عدة المتوفى عنها زوجها صغيرة أو كبيرة من ذوات الحيض أو غيره اذا لم تكن حاملا أربعة أشهر وعشرا ، لقوله تعالى : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» أما اذا كانت حاملا : فقد ذهب بعض الفقهاء الى أن عدتها تنقضى بوضع الحمل ولو بعد وفاته بلحظة ، لقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » ، وهذا هو رأى ابن مسعود ومن تبعه من الأئمة الأربعة ، وخالف علي وابن عباس ومن تبعهما فقالوا : ان المتوفى عنها زوجها وهي حامل اذا وضعت حملا قبل انقضاء أربعة أشهر وعشرة أيام ، فان عدتها لا تنقضى بوضع الحمل بل لا بد من انتظار مضى المدة بتمامها ، أما اذا انقضت من أربعة أشهر وعشرة أيام قبل الوضع فان عدتها لا تنقضى الا بوضع الحمل ودليلهم قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » .

ولذلك نفتى بأن المتوفى عنها زوجها يلزمها الاحداد على زوجها لمدة العدة ولا مانع من خروجها نهارا لقضاء حوائجها الضرورية على أن تعود الى البيت فى منزل العدة ، والنظر الى الأجنبى دون قصد لا شيء فيه .

حرمان البنت من الميراث

السؤال :

فوجئت بعد وفاة والدى بأنه باع كل ما يملك بيعا صوريا لاخوتى الذكور ولم يكتب لى شيئا ، ومعنى هذا أنه احتال حتى حرمنى من الميراث ، فماذا أفعل وهل هذا التصرف من والدى تجيزه الشريعة الاسلامية .

(ع . خ ــ الاردن)

الاجابة :

هذا التصرف من والدك حرام شرعا وكبيرة من الكبائر ، وعليه أثمه ووزره فى الآخرة هذا فضلا عن أن هذا الحرمان الذى قصده والدك أمر يوغر الصدور ، ويمزق الرحم التي أمر الله أن توصل ويفرق بين الأخ وأخته كما حدث فى قصتك .

أما ماذا تفعلين فهذا يرجع الى اخوتك الذين انتقلت اليهم تركة والدك عن طريق البيع الصورى فهذا البيع الصورى فى نظر الشريعة لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا ولا أثر له فى رفع المسئولية أمام الله تعالى ، فان أرادوا أن يبرئوا ذمتهم ويصلوا رحمهم ، ويرضوا الله تعالى فعليهم أن يعطوك نصيبك كاملا من ميراث أبيك ، واذا لم يفعلوا فقد أكلوا فى بطونهم نارا .

واننا نناشد الآباء أن يتقوا الله فى أبنائهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، وأن ينزلوا على حكم الله الذى يقول : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

رسول الله وفرسان ذى قار

تحت هذا العنوان أرسل الأستاذ أحمد عبيد الدعاس المدرس بمدرسة خالد بن الوليد الاعدادية بحمص كلمة ، نقتطف منها ما يلى :

روى عن عبد الله بن كعب بن مالك رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام ثلاث سنين متخفيا ثم أعلن فى الرابعة فدعا عشر سنين يوافى الموسم يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز . وكذلك طلب النبى صلى الله عليه وسلم من عمه العباس لما اشتد أذى المشركين أن يمضى به الى عكاظ ليريه منازل العرب ليدعوهم الى الله تعالى فمضى به الى عكاظ يبشر بدين الله فيتبعه عبد العزى بن عبد المطلب « أبو لهب » فينفر الناس منه .

وانتهى سيد الدعاة يوما الى مجلس عليه السكينة والوقار ، وكان بصحبته ابو بكر وعلى رضى الله عنهما ، وفى المجلس مشايخ لهم أقدار وهيبات، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه وسألهم ، ممن القوم ؟ قالوا : نحن بنو شيبان بن ثعلبة . فالتفت الى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم ، وكان فى القوم مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، ومفروق أقرب الناس مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال : انا لنزيد على الالف وما غلب الف من قلة . قال : وكيف المنعة فيكم ؟ قال : علينا الجهد . ولكل قوم جد . ثم سأله أبو بكر عن الحرب بينهم وبين عدوهم فقال : انا أشد ما نكون لقاء اذا غضبنا انا نؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله . ثم قدم أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم ثم قام يظلله بردائه .

قال مفروق الى ما تدعو يا أخا قريش ؟ قال : أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وأن تؤوونى وتمنعونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله ما أمرنى به .. قال : وما تدعو أيضا فتلا عليهم (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) (الآية) قال : وما تدعو أيضا فتلا عليهم (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) (الآية) فقال مفروق : دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال . وتكلم هانىء بن قبيصة فذكر أنه سمع مقالة النبى صلى الله عليه وسلم وصدق بقوله وان من ورائهم قوما لا يحب أن يعقد عليهم عقدا . وانه يعنى فارسا وهى تهيمن على ربوعهم العربية فلا يقطعون أمرا دون مشورتها .

ثم تكلم المثنى بن حارثة الشيبانى ، وكان صاحب المشورة الحربية فى قومه فاثنى على كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، واستحسن ما جاء به لكنه ذكر جواب هانىء صاحب المشورة الدينية فيهم ، فلم يخرج على رأيه ثم عرض على النبى صلى الله عليه وسلم أن يحمى الدعوة الاسلامية مما يلى العرب ، ويقف على الحياد فيما يلى الفرس ، فهل يقبل الرسول عليه الصلاة والسلام عرضه .. كلا وألف كلا .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى واقع عرب العراق فرأى الاستعمار الفارسى البغيض الجاثم

على صدورهم ، فأراد تحريرهم من نيره الاسود ،وذلك بايمانهم بالله وتوحيده والبيعة على تحطيم الطواغيت . وكان كسرى أخذ عليهم عهدا ألا يحدثوا حدثا ولا يؤووا محدثا ، ولقد اهتم النبى عليه الصلاة والسلام ببنى شيبان لانه أراد أن يرد اليهم حريتهم المسلوبة وخيراتهم المنهوبة فكان له ما أراد .

ولقد كان جواب الرسول العظيم درسا للمسلمين كافة ، فقد انطلق من مبدأ كمال الاسلام ووحدته حين رفض عرضهم لحمايته مما يلى العرب وعدم حمايته مما يلى الفرس ، فقال لهم (انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه) فهو يعرض عليهم الاسلام نظاما وشريعة ودستور حياة فى السلم والحرب، وكأنه صلى الله عليه وسلم يوجه هذا النداء العظيم الى شعوب المسلمين كافة ودولهم عامة أن خذوا الاسلام جملة أو دعوه جملة .

فى ذكرى صاحب المنار

وكتب الينا الاستاذ عبد المنعم البحقيرى المدرس بمدرسة نوسا الغيط ج.ع.م تحت هذا العنوان يقول :

ولد السيد محمد رشيد رضا عام ١٨٥٥ فى القلمون من أعمال طرابلس الشام ، ونشأ نشأة دينية فتعلم فى مدارس البلدة التى ولد بها فى طرابلس ، وقد نظم الشعر وكتب فى بعض الصحف وهو ما زال فى سن الصبا . ولقد رحل الى القاهرة عام ١٣١٥ هجرية واتصل بالاستاذ الامام محمد عبده وكان تلميذا وفيا له ، وأصدر مجلة المنار لنشر آرائه فى الاصلاح الدينى والاجتماعى وكان مرجع الفتوى فى التوفيق بين الشريعة الغراء والاراء العصرية الحديثة ،ولقد زار بلاد الشام عام ١٣٢٦ هجرية بعد اعلان الدستور العثمانى ثم رجع الى مصر حيث أنشأ مدرسة الدعوة والارشاد ، ثم رحل الى سوريا وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى ، وبعد دخول الفرنسيين دمشق عاد الى مصر ، وقام بجولة فى الهند والحجاز وأوربا عاد بعدها الى مصر ثانية .

ويعد رشيد رضا بحق من قادة الاصلاح الدينى والاجتماعى الذين أدوا خدمات جليلة للاسلام والمسلمين ..

وتحدث الشيخ مصطفى عبد الرزاق عن رشيد رضا فقال :

أول من ترجم للشيخ محمد عبده وعنى بنشر آثاره هو السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . والسيد رشيد رضا هو أول من لقب الشيخ محمد عبده بالاستاذ الامام ، وهذا اللقب ينبىء بالصورة التى أراد ان يرسمها السيد رشيد لشيخه فيما كتب عنه ، وينبىء بالفكرة السائدة فى وجهة نظر التلميذ الى أستاذه الشيخ محمد عبده عند السيد محمد رشيد رضا امام من أئمة الاسلام له فى الدين مذهب ، يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبى حنيفة والشافعى وغيرهما على ما لأولئك الائمة من مذاهب . واذا كان الشيخ محمد عبده اماما فى الدين ، فالسيد محمد رشيد رضا صاحبه ومفسر مذهبه ومكمله ، وقد بذل منشىء المنار رحمه الله مجهودا فى هذه الناحية ضخما حافلا بالمباحث الدينية والمناقشات الفقهية ، وكان لهذا المجهود أثر غير ضئيل فى طلاب العلوم الدينية ومن اليهم ، وفى توجيه الدراسات الشرعية فى بلاد الاسلام المختلفة .

ويقول الامير شكيب أرسلان أن السيد محمد رشيد رضا قد رغب منذ حداثته فى الجد ، وراقب نفسه فى حياته الخاصة فغذاها بالعلم وحلاها بالاخلاق ، وأدرك بصدق فراسته ان العصر الذى يستقبله عصر اصلاح وايقاظ ، وأن الاسلام بحاجة الى من يقوم بهذا الدور ، وكان يعلم أن بطلى هذا المضمار هما

السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه الاستاذ الامام محمد عبده ، فتطلعت نفسه الى ترسم خطاهما وخصوصا بعد أن قرأ مجلة « العروة الوثقى » التى كانا يصدرانها فى باريس سنة ١٨٨٤ . ولقد وقع الاجماع على أن السيد رشيد رضا فى كل ما يتصل بالنضال عن الاسلام وحل مشكلات العصر وتطبيقها على قواعد الشرع كان العالم الفذ المنقطع النظير .

رحمه الله رحمة واسعة وكتب للاسلام النصر والتوفيق .

خرافة مزمنــة

وتلقينا من الشيخ محمد بن سالم البيحانى امام وخطيب جامع العسقــلانى بعدن كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

تحت هذا العنوان قرأت كلمة طيبة فى الكلمة الافتتاحية لمجلة « الوعى الاسلامى » الكويتية فى عددها العشرين ، والكلمة حول خرافة مزمنة عفنة نتنة فى منشور مكذوب به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطالما ظهر هذا المنشور الخبيث المكذوب وعلى لسان الشيخ احمد المزعوم بأنه خادم الحجرة الشريفة ، ولا وجود له فى الخارج ، وانما هو شخصية خيالية ، ولقد اطلعت على محتويات المنشور عدة مرات وهو بألفاظ مختلفة ، وصورته لاول ما ظهر مخالفة لصوره فيما بعد ، وأول ما سمعته وأنا فى الثامنة من عمرى عام ١٣٣٤ هـ وكان ذلك فى بيحان احــدى امارات الجنوب العربي ، وسمعت للناس ضجيجا بالبكاء ، ومن أدعياء العلم من يقرأه على العامة فى المساجد والمجتمعات ، ويخاف منه الرجل والمرأة والكبير والصغير ، ومن لا يصدقه يعدونه كافرا ، ثم ما زال يظهر ويختفى ويجىء كل مرة بأسلوب مغاير لما قبله ، وبقيت أنا مترددا فى أمره ، وبحكم أنى صغير وناشىء فى بيئة متدينة أعد هذا من الايمان بالغيب ، وأصدق ما فيه كما يصدق غيرى من الجهلة والمغفلين ، وكلما تقدم بي السن وعرفت أصول الدين وقواعــده تيقنت أن هذا المنشور دسيسة على الاسلام ، وانه فى الدجل والتضليل لبمكان عظيم من قلوب الجهال والاغبياء والمغفلين ، وشرحت للناس كذبه وان صاحبه مستحق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ولقوله عليه الصلاة والسلام « من أرى عينيه مالم‌تريا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وما هو بعاقد » .

نحل بلا شهــد !! ؟

والاستاذ مأمون فــريز جرار المدرس بمدرسة جنين الثانوية للبنين بالاردن يستثير همم العرب والمسلمين فى قصيدة بهذا العنوان يقول فيها:

يا قــوم أنتــم رجــال ليــس مثلكــم ... قــوم اذا سرتــم فــي المسلــك المجــدى
انتــم هــداة لهـــذا الكــون فانطلقــوا ... ولتنشــروا دعــوة الاسـلام والرشــد
اذا اســـتقمتم فــلا يغــدو كقوتكــم ... قــوى . فقوتكــم كبــرى بــلا حــد
القادسيــــة تنبينـــا حوادثهـــــا ... عــن قــوة الكفــر مهما عز هــل تجــدى
وبــدر يا اخوتــى فــي الدهــر معجــزة ... تنــم عــن نصــرة الرحمــن للجنــــد
فهــل تــرى سيعــود الدهــر ثانيـــة ... لكــى نحطــم كيــد الغاصب الوغــد
تلكــم فلسطـــين يا قــومى تناشدكــم ... دم الشهيــد .. وقبــر الأب .. والجــد
دنسهـــا بنعـــال الســوء شرذمــــة ... وكبلوهـــا .. فيــا للسجــن والقيــد
متـــى سننهـــض مــن نــوم يخدرنـــا ... متــى نحطــم قيــد الــذل والسهــد
هــى الحــوادث تنبينـــا بــذا ولنـــا ... فــي قــادم العهــد اثبــات لمــا أسـدى
هبــوا بنــى وطنــى مــن طــول خلفكــم ... فاننــى كــدت أنســى ماضــى المجـد ..

بريد الوعي الإسلامي

لا نصوم تكفيراً عن مخالفة أبينا آدم .

الشجرة التي أكل منها آدم شجرة مثمرة

هل خلقت حواء من ضلع آدم ؟

قرأت فى مجلة اسلامية مقالا بعنوان « عبرة من رمضان الكريم » بقلم محام مسلم معروف جاء فيه : أن يهوديا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذى من أجله فرض الله على الأمة الاسلامية صيام ثلاثين يوما كل عام ، فأجابه الرسول الكريم : بأن ذلك يعود الى أن آدم أبا البشر عليه السلام تناول من ثمرات الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها ما بقى فى جوفه ثلاثين يوما ، ولهذا فرض الله تعالى الجوع على الأمةالاسلامية هذه المدة كل عام ، وتفضل عليهم سبحانه فأباح لهم تناول الطعام أثناء الليل فى هذه الفترة .. فما نصيب هذا الحديث من الصحة ؟

كما أنني قرأت مقالا للسيد ع.ج.خ جاء فيه أن الشجرة التي أكل منها آدم ليست شجرة من النوع المعروف يعنى شجرة لها ثمر يؤكل ـ وانما هى (شجرة السلالة البشرية) وأورد فى مقاله شرحا مستفيضا حول هذا الموضوع ، وقد دعم مقاله بكثير من الآيات القرآنية .

فأى الكاتبين نصدق ؟ صاحب المقال الاول الذى يرى أن الشجرة من الشجر المعروف المثمر ، أو صاحب المقال الثانى الذى يذهب الى أن الشجرة ليست من نوع الشجر المعروف وانما هى شجرة السلالة البشرية .

أرجو جلاء الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك .

« مطلق الاسمر ـ الكويت ص.ب . ١٤٧ »

لا تصدق الا كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والا السنة الصحيحةللرسول

الكريم الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا تقبل الا أقوال العلماء الاعلام الذين يستندون فى آرائهم الى فهم صائب ، او استنباط سديد . مرجعه الى هذين المصدرين العلويين .

والقرآن الكريم جمع الآيات الكريمة التى تتحدث عن الصوم المكتوب على المسلمين فى سورة واحدة ، وهى الآيات ١٨٣،١٨٤،١٨٥، من سورة البقرة ، وليس فيها ما يدل على أن عدة الصوم المفروض ثلاثون يوما ، بل فيها ما يقطع بان المفروض صوم شهر رمضان الذى يحدد بدءا بهلال رمضان ونهاية بهلال شوال ، وقد تكون عدته ثلاثين يوما وقد تكون تسعا وعشرين ، وكذلك الشأن فى السنة الصحيحة المروية عن سيد المرسلين وقد فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، وانتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى فى السنة العاشرة ، ومعنى هذا أن رسول الله صام تسع رمضانات وصح أن أكثرها كان ناقصا (تسعا وعشرين يوما) . فالزعم بأن الصوم المفروض ثلاثون يوما قول غير صحيح او فيه تساهل وعدم دقة فى التعبير ، وهذا لا يقبل فى صدد الكلام على الاحكام الشرعية .

بقى الزعم بأن السبب فى تحديد الصوم بهذه الايام هو أن الثمرة أو الثمرات التى أكلها آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عن الاكل منها بقيت فى جوفه ثلاثين يوما ، ومعنى هذا فيما نفهم أننانكفرعن خطيئة آدم بالصيام هذه المدة ، ونسبة هذا الزعم الى حديث اليهودى الذى نقل الكاتب روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاننا لم نطلع على هذا الحديث فى كتاب من كتب السنة الصحيحة ، ولم نجد فى آيات الصوم ما يشير الى هذا . بل كل ماورد فيها يبين أن الحكمة من الصوم هى تزكيةنفس الصائم، وتنمية خلق المراقبة لله فيه وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة (لعلكم تتقون) فلا علاقة للصوم بأكل آدم من الشجرة ، ولا بالمدة التى هضمت فيها معدة أبينا ما أكله من الثمرات . ولماذا نلزم نحن الامةالاسلامية وحدنا دون أبناء آدم كلهم بالصوم هذه المدة تكفيرا عما أكل ؟ أو أن الامم مثلنا كلفت بصوم هذه العدة من الايام وأن صومها كان مماثلا لصومنا وهذا مالم يقل به مسلم ولا كتابى ولم يرد فى كتاب سماوى صحيح أو محرف ؟ !!

واعتقد أن فى هذا البيان ما يقنع صاحب الرسالة عما أراد الاستفسار عنه فى المقال الذى طالعه عن العبرة من رمضان .

أما ماطلب الاستفسار عنه من أمر الشجرة وهل هى من الشجر المعروف الذى له ثمر يؤكل ، أو ليس منه ، بل هى من نوع آخر هو شجر السلالة البشرية — كما ذكر الكاتب!! — فثابت أن هذهالشجرةمن أشجار الجنة ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) ولا سبيل الى تحديد نوعها أو تسمية ثمرتها الا وحى الله المنزل على رسله اواخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ذكر هذه الشجر فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ولم يبين لنا فى آية من هذه الآيات نوع هذه الشجرة ، بل صريح القرآن قاطع بأنها شجرة لها ثمر وأن آدم وحواء أكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، ولعل ذلك كان ابتلاء وامتحانا منه تعالى ليظهر به ما فىاستعداد الانسان من الميل الى الاشراف على كل شيء واختباره ، او لعله كان فى خاصية هذه الشجر ما هو سبب خروجهما من حال الى حال وكل ماورد عن هذه الشجرة فى بعض كتب التفسير من انها شجرة السنبلةأو الكرم أو التين أو الكافور — لم يستند الى مصدر موثوق به .

وكذلك ما نقل عن بعض المفسرين من أن المراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة وليست شجرة حقيقية ، وان هذا من قبيل التمثيل كما عبر القرآن الكريم عن حكمة التوحيد بالشجرة الطيبة وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة هذا التأويل صرف للقرآن عن ظاهره دون مبرر ولا سند .

* * *

الفكرة التي تملأ عقولنا وقلوبنا عن خلقة أم البشر حواء أنها خلقت من ضلع من أضلاع أبينا آدم عليه السلام ، فهل لهذه الفكرة ما يؤيدها من الكتاب والسنة ؟ .

(سعدون الشاغورى — حمص)

ليس فى القرآن الكريم نص قاطع بأن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم وأما قوله سبحانه فى فاتحة سورة النساء « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » وقوله تعالى فى سورة الأعراف : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » فقد قال غير واحد من المفسرين الذين يعتد بقولهم ان المعنى أن الله خلقها من جنس النفس يعنى من البشر ، وليس المعنى أنه خلقها من جزء منها كما قال تعالى فى سورة الروم « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا » فان المعنى أن الله خلق لنا أزواجا من جنسنا ، ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها .

ويبدو أن فكرة خلق المرأة من ضلع تبادرت الى أذهان بعض الناس من فهم الحديث الذى رواه أبو هريرة (استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) وهذا فهم بعيد عن الصواب بدليل قوله فان ذهبت تقيمها كسرته . أى لا تحاولوا تقويم النساء بالشدة . ولهذا مثيل فى الكتاب الكريم قال تعالى : « خلق الانســان من عجل » فليس فى القرآن الكريم ولا فى الســنة النبوية الصحيحة ما يؤيد هذه الفكرة السائدة التي ساعد على رواجها وانتشارها الاسرائيليات التي ابتلى بها المسلمون وما ورد فى التوراة من أن الله تعالى ألقى على آدم سباتا انتزع فى أثنائه ضلعا من أضلاعه ، فخلق له منه حواء امرأته ، وانها سميت امرأة لأنها من امرىء أخذت .

جهد مشكور

الأستاذ الفاضل احسان النمر من نابلس يعطى هذه المجلة من اعجابه وعنايته وتشجيعه وجهده ما يحمد عليه . فهو لاعجابه بها يعمل على شراء كميات كبيرة منها على نفقته ويوزعها على من لم يطلع عليها ، ويكتب الى وزارة التربية الأردنية لتشترك فيها ، وتتيح للطلاب فرصة الاطلاع عليها .

وفى الحق أن نشاطه من أجل هذه المجلة شيء يستحق عليه كل الشكر ، وهو أمر قد يبدو غريبا ولكنه يقول فى رسالته لنا : ربما تستغربون قيامى بهذا العمل ولكن اذا علمتم أننى كنت أقوم بنفقات جمعية الهداية الاسلامية بنابلس واننى أخصص مبلغا سنويا للخدمات والأعمال الاسلامية يزول استغرابكم . والآن رأيت أن توزيع هذه المجلة أفضل ما يمكن عمله للاسلام والمسلمين ، وعليه أرجو أن تتفهموا فكرتى وتعملوا على انجاحها ..

وفكرة الأستاذ احسان هى أن نبعث له من هنا وعلى نفقته بخمسين نسخة ابتداء ليقوم باهدائها للقراء الذين يعرفهم لأنه يجد صعوبة كبيرة فى الحصول على ما يريد من متعهدى التوزيع عنده اذ رد عليه مدير عام وكالة التوزيع الأردنية بقوله له : ليس لدينا فى الوقت الحاضر أى كمية متوفرة من مجلة « الوعى الاسلامي » تغطى طلبكم خمسين نسخة .. وتاريخ الخطاب ١٩٦٦/١٢/١٢ ثم تعهد بأن يوفر له طلبه ابتداء من العدد القادم .

ونحن نرجو أن تكون الوكالة الأردنية قد برت بوعدها للأستاذ احسان وأن توفر له ما يريد باستمرار دون أن يتعب ويرسل لها الرسل والخطابات المتكررة ، والا تولينا نحن ارسال ما يريده مهما تكن كميته ...

ونعود فنكرر الشكر للأستاذ احسان على ما بذله ويبذله فى سبيل دينه وأمته . جزاه الله خيرا وأكثر من أمثاله العاملين ...

قالت صحف العالم

تناولت مجلة دعوة الحق المغربية نظـام الاوقاف الاسلامية فى عهد الدولة العلوية فقالت :

لاجدادنا رحمهم الله ـ مبرات بالانسانية فى مختلف مظاهرها ، وفى مقدمتها انهم وقفوا اوقافا كثيرةعلىجميع شؤون الدين ـ فالمدرسون والطلبة، والخطباء والوعاظوالائمة ، والمؤذنون وقراء القرآن والاحزاب صبـاح مساء والقيمون على التنظيف والفرش ، وما الى هذا من مرافق تساعد على أداء طقوس العبادةفى سهولة ويسر كل ذلك له حظهالاوفر من ثروة الاجداد المحبسةتسندهوتمده ـ ففى كل ناحية من مدن المغرب وقراه تجدمبرة من مبرات الجدود ـ بالدين ومايرجع الى الديـنفكانوا نماذج تحتذى فى باب الاحسان الى الضعفاء والمساكين فاحباس الكسوة صيفا وشتاء ، والاطعاميوميا وأسبوعيا وافرة فى مغربنا الكريم ، أضف الـى هذا الملاجىء التى أحدثوها فى غير ما جهة من جهاتهخاصة بضعفـاء الابدان وضعفاء العقـول والعتهاء مجهزة مزودة بالأوقاف الكافية حتى لا تقف وتتعطلفائدتها فى ظرف ما .

ومثل هذا يقال ـ فى القلاع والحصون والابراجوخصوصا فى الثغور ـ فقد أسسوا معاقل لحراسـة الأراضى الاسلامية وصد كل من يرومها بسوء متكلفينبامداد القائمين بها بالاحباس المقتطعة من أموالهم الخاصة حتى أنهم تجاوزوا مبرة الاحسان بالانسانالى الاحسان بالحيوان والرفق به ـ فعندنا وقف من أسلافنا خاص بمداواة اللقلق « بلاج » ومعالجته عندما تصيبه آفة ، لتصغ الآن « جمعية الرفق بالحيوان » لهذه المزية التى سبق اليها أجدادنا قبل أن يدورذلك بخلد أبنائها بل وهى لا تزال فى العدم بعـد قرون .

ابن تيميـة

ومن صحيفة الدعوة التى تصدر بالرياض نقتطفالفقرة التالية من مقال عن شيخ الاسلام ابن تيمية :

كان ابن تيمية فى النصف من عمـره سراجا وهاجا أطفأ بعلمه وعمله شهـرة أرباب المظاهر مـن القضـاة والعلماء وعبثا حاول بعض حساده أن يسلموه للعامةعلهم يقتلوه ، فما استطاعوا أكثر من حجز حريته أشهرا فى سجن ، وكان الملوك يحمونه من تعصـبخصومه ويعرفون قـدره .

وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من مقامابن تيمية كثيرا ، وأراد أن يقتل من افتوا بخلعه من العلماء وحثه على أن يفتيه فى قتل بعضهم ، فأنكر أنينال أحدا منهم بسوء وقال له : اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم فقال له : أنهم آذوك وأرادوا قتلكمرارا فقال الشيخ من آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، أنا لا انتصر لنفسى ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

وكان قاض المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثلابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا .

رحم الله ابن تيمية فقد عمل وجاهد لنشر الدينوالقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه .

الثقافة .. وتطوير المجتمع العربى

وكتبت صحيفة الثورة العراقية تحت هذاالعنوانتقول :

اتخذ مجلس اتحاد الجامعات العربية من بـينالقرارات والتوصيات التى اتخذها فى جلستهالختامية قرارا نص على أن تستهدف الدراسة اعداد المواطنالمثقف المتخصص ، وتطوير المناهج الدراسية بحيث

تتماشى مع احتياجات المجتمع ، وتطوير محتوى موضوع المجتمع العربى ليكشف عن تكوين المجتمع العربى الحديث ومشاكله وامكاناته .. والواقع ان معاهدالدراسة العلمية والجامعات فى الوطن العربى يجبأن تكون مركزا للبحث العلمى والدراسة العلميةلمشاكلالمجتمع العربى وعلله وأوجاعه ينصب اهتمامهاأساسا على دراسة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والفنيةووضع الحلول الصائبة لها على أساس من الوعى والعلم والفهم العميق ، فلا ينبغى أنتنفصل الدراسةالعلمية فى هذه المرحلة من حياة المجتمع العربى ، عن الواقع العربى ، وحياة المجتمع . أو أن تنفصلالدراسة العلمية عن الحياة العامة وتتقوقع وتنطوى على نفسها فتصبح الدراسة العلمية لذات الدراسةفحسب ، ويصبح العلم غاية ووسيلة بينما يجب أن يكون العلم وسيلة لغاية أهم واكبر هى مهمة خلقالمجتمع العربى الجديد المتطور السليم القائم على أسس قوية ، ودعائم ثابتة راسخة ، فربط العلمبمشاكل المجتمع وتطوير حياتهوواقعه وتجديدها ينبغى أن تكون غاية كل المعاهد العلمية فى الوطن العربى ،فلاشىء أمضىمن العلم سلاحا نحاربه التخلف والتجزئة وكل العلل والادواء والمشاكل التى نعانى منها .. ولا شىء كالعلم أساسا نبنى عليه حياتنا الجديدة وندفع قافلة تطورنا ونهضتنا العربية من هنا فان هذا القرار الذى أتخذه مجلس الجامعات العربية يعتبر قرارا خطيرا ينطوى على معان كبيرة واسعة ، لها أشد الارتباط بقضايانا القومية ، وعلى المعاهد العلمية فى الوطن العربى ان تلتزم بهذا القرار وتوليه ما يستحقهمن الاهمية ، وتعمل على تطبيقه ، ليكون أساسا لتكوين المواطن العربى المثقف الواعى ، ولخلق المجتمع المتحرر الجديد القادر على الابداع والخلق والانطلاق فى دروب النهوض والتقدم .

القصة الكاملة لمسجد لندن

ونشرت صحيفة المنار الاردنية التطورات التىمر بها مشروع انشاء مسجد لندن والعقبات التى تواجهه فتقول :

تحدثت مجلة الاذاعة البريطانية ((هنا لندن))عن بناء جامع لندن ، وقالت هذه المجلة انه قد سبق وأرسى حجر الاساس لبناء هذا المسجد فى شهر شوال ١٣٧٣هـ ٣ حزيران عام ١٩٥٤ ، فى بقعة من أجملبقاع العاصمة البريطانية فى الطرف الجنوبى من منتزه ريجنت ، وقالت المجلة أما العائق فى اخراج هذا الجامع الى حيز الوجود حتى الان ، فيعود الى عدة عواملمهمة من ضمنها عدم توفر المال اللازم من جهة ، وعدم التوصل الى قرار جامع بشأن طراز البناء من جهةأخرى ، وأضافت المجلة أنه تم فى المدة الاخيرة تعيين لجنة هندسية ثلاثيةبرئاسة البرفسور ((السير روبرتماثيو)) أستاذ الهندسة بجامعة أدنبرة ، وعضوية كل من المهندسين الدوليين السنيور ((لويس بلانكوسوليير)) الاسبانى و ((ن أ أحد)) الباكستانى وذلك للاشراف على مسابقة دولية لوضع التصميمات الهندسية لهذا الجامع الذى تقدر تكاليفه بنحو مليون جنيه استرلينى جمع حتى الان منها (٢٥٠و٠٠٠) جنيه .

هذا ما ذكرته مجلة ((هنا لندن)) عن هذاالجامع ، والواقع يخالف الى حد كبير هذه الرواية ، فقد منحت حكومة لندن قطعة الارض هذه للمسلمينفى مقابل قطعة أرض فى القاهرة لاقامة كنيسة عليها ، وفعلا تم بناء الكنيسة كما خطط له فى حينه ،أما قطعة الارض التى منحت للمسلمين فلا تزال كما هى رغم ارساء حجر الاساس منذ عام ١٩٥٤ وعلى الرغممن أن المخططات جاهزة ، فمنذ ذلك الوقت وبلدية لندن تسوف وتماطل فى اعطاء رخصة البناء بحجة انهلا يلائم التنظيم الموضوع ، اما من ناحية المبلغ المرصود، فانه من السهل جمع بقية المبلغ ، لو بدرت من بلديةلندن بادرة مخلصة للترخيص بالبناء ، اما قصة اللجنة الهندسية الثلاثية ، فقد بادرت البلدية الىتاليفها بعد أن هددت الجاليات الاسلامية بالقيام بمظاهرة سلمية ضد تسويف بلدية لندن فى اعطاءالترخيص .

وتبرز ضرورة بناء هذا المسجد للجاليات الكبيرةوالوف الافراد المسلمين الذين يؤدون الفريضة الان فى العراء ، واحيانا تحت المطر من سماء لندن الذى لا تكف عن انزال المطر .

مكتبة المجلة

قاموس قرآني

كتاب من جمع وتأليف الاستاذ حسن محمد موسى وهو معجم دقيق للالفاظ وتفسير سديد للآيات وعرض شيق للصور البيانية ، وضع في مجموعات متناسقة لتيسير مآخذ القرآن وتفسير بعضه ببعض .

وقد بذل المؤلف فيه جهدا كريما فجاءت فصوله نافعة غاية النفع حتى يمكن أن تعد هذه الفصول قاموسا يرجع اليه من يتوقف في فهم كلمة أو جملة أو صورة بيانية .

والكتاب يحتوى على ثلاثة أبواب خص الاول منها لتعريف القارىء ببعض علوم القرآن والمباحث اللغوية حتى يعينه علىالفهم والثانى والثالث لبيان الآيات التى قد يلتبس فهمها وهو خلاصةلعشرات المجلدات التى وضعت في التفسير وعلوم القرآن ومعاجم اللغة (ومحاولة جديدة لتقريب معانى القرآن الكريم وتيسير مآخذه على القارىء).

وفيه غناء للكثيرين عن الموسوعات التى يشق استيعابها عليهم أو يضيق عنها وقتهم .

وهو يقع في (٥٠٠) صفحة طبع بمطبعة خليل ابراهيم في الاسكندرية .ج .ع .م وثمنه (٧٥) قرشا مصريا .

الامة الانسانية

ان صح أن هناك على ظهر هذا الكوكب الارض أمة واحدة بالمعنى الاصطلاحي فان هذه الامة هى الامة الانسانية . فهى وحدها التى يمكن أن يقال انهـا تعيش في بيئة جغرافية واحـدة هى هـذا الكوكب الارضى ، وهى وحدها المؤلفة من جنس واحد يعود الى أصل واحد . وهى وحدها التى يتكلم أبناؤها لغة انسانية واحدة هى لغة الفكر والعقل الانسانى وان اختلفت طرق التعبير . وهى وحدها التى يمكن أن توصف بأن لها تاريخا واحدا مشتركا هو تاريخ الانسانية في مجموعها . وهى وحدها التى أصبح مصيرها واحـدا فاما بقاء واما فناء ، واذا كان هذا القول يبدو عاما ومجملا فان شرحه وتفصيله العلمى هو ما جاء في كتاب « الامة الانسانية » الكتاب السابع عشر في مؤلفات الاستاذ احمد حسين الذى وضع فيه ذوب حياته وعصير تجربته وصرخة روحه لعالم مضطرب مهدد بالكوارث والفناء محاولا ان يجعل من كتابه تجربة ليعيش هذا العالم في تعاون ومحبة وسلام .

والكتاب يقع في (٤٨٠) صفحة كبيرة وقامت بطبعه المطبعة العالمية (١٧/شارع ضريح سعد في القاهرة بالجمهورية العربية المتحدة) وثمنهثمانون قرشا مصريا .

الهداية

كتاب للصفوف الثانوية في خمسـة أجزاء كل جزء مقسم الى فصول أربعة هى العقائد والسيرة والتهذيبوالعبادات مع قصصدينية مناسبة في تعبير سهـل وأسلوب بسيط يتلاءم مـع المستـوى اللغوى والعقلى للطـالب وهـذه الكتب بمطابع دار « مكتبة الحيـاة » ببيروت ـ لبنان وهي من تأليف الاستاذ محمد حمد خضر وكلكتاب يقعفي١١٢ صفحة .

الفجر الزاحف

ديوان شعر للاستاذ الشاعر عبد الله محمـد الطائى المشرف على مجلة الكويت وهو مجموعة من القصائد الوطنية التى تتعلق بالقضيةالعمانية.

وقد كتب الشاعر قصائده بمداد من ليل الالم المخيـم ، وفجر النصر المـرتقب ، ايمانا بقـدرة مواطنيه في عمان على محو الظلم والظلام .

والديوان يقع في مائة صـفحة وقامت بطبعه مطبعة الضاد بحلب ـ سوريا .

الحب والحياة

للشاعر ابراهيم محمـد نجا الفائز بجائزة الشعر الاولى من مجمع اللغـة العربية بالقاهرة والديوان يقع في ٢٢٤ صفحة ويحتوى على تسـع وعشريـن قصيدة وهو من منشورات دار الاداب بيروت ـ لبنان .

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

***قرر مجلس الوزراء تأييد سوريا والعراق فى موقفهما من شركة نفط العراق .**

***انتهت مدة مجلس الامة الكويتي وكانت آخر جلسة له يوم الثلاثاء ٣ يناير الجارى ، هذا وستجرى الانتخابات للمجلس الجديديوم ٢٥ على أنيجتمع يوم٢٨ منه .**

*** تجرى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اتصالا مع رجال الفكر الاسلامى للاشتراك فى الموسم الثقافى الثانى الذى تقيمه الوزارة فى شهر فبراير سنة ١٩٦٧ .**

* أعلن معالى وزير التربية خالد المسعود أنه تم تشكيل لجنة تحضيرية لانشاء كلية للقانون والشريعة وكلية للتجارة فى جامعة الكويت فى العام ١٩٦٧/١٩٦٨م .

* زار الكويت الحاج عبد الله ابراهيم ايناس على رأس وفد لجمع التبرعات للمسجد الكبير الذى تجرى اقامته بالسنغال .

* صرف الجزء الاول من نفقات انشاء مدينة الحجاج الكويتيين في مكة والمدينة .

* وصل الكويت السيد نور الحق الندوى عميد كلية العلوم الدينية فى جامعة بشاور فى الباكستان وسيقوم بمباحثات مع المسئولين بوزارة التربية حول المناهج الدينية التى تدرس فى مدارس الكويت .

* تم تحويل ربع مليون جنيه استرلينى لانشاء كلية العلوم بالجزائر

* كما تم تحويل القسط الثانى من منحة الكويت الى الجامعة الاردنية .

* قررت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل افتتاح بيت الشباب فى ١٩٦٧/١/١٨ الذى أعد بالفعل ليستوعب حوالى خمسين شابا حاليا على ان يتم توسيعه مستقبلا . وقد تم اعداد هـذا البيت وفـق أحدث بيوت الشباب فى العالم

القاهرة

* تقرر اتاحة الفرصة هذا العام لكبار السن وآباء وأمهات الشهداء لاداء فريضة الحج على أن تكون لهم الاولوية كما تقرر السماح بمرافقين لكبار السن .

* تقررت الموافقة على طلب الحكومة التركية ايفاد اساتذة متخصصين فى الفقه الاسلامى والتفسير والحديث وتاريخ العقائد للتدريس فى بعض المعاهد الاسلامية التركية .

* أوفدت الجمهورية العربية الى كوالمبور الشيخ محمود الحصرى والشيخ محمود عبد الحكيم ليتولوا التحكيم فى المسابقة الدولية التى اعتادت ماليزيا اقامتها كل عام لتلاوة القرآن الكريم وحفظهيومى ٣١ ديسمبر واول يناير والتى اشتركت فيها ١٢ دولة اسلامية .

* استقبل فضيلة شيخ الجامع الازهر سفير موريتانيا فى القاهرة ودار البحث حول شئون المسلمين هناك والتوسع فى المنح الدراسية .

* تقرر ايفاد ستة من القراء الى ماليزيا لتدريب الاهالى على قراءة القرآن الكريم .

* اجتمع وزير الارشاد بسعادة الشيخ جابر العلى السالم وزير الارشاد والانباء الكويتي لبحث تنسيق سياسة الاعلام المشتركة بين البلدين .

* بحث وزير الارشاد والانباء الكويتي مع السيد الامين العام للجامعة العربية العقبات التى تعرقل تنفيذ قرارات مؤتمر وزراء الاعلام العربى .

السعودية

* اكتشف فى شمال السعودية مدينة أثرية كاملة كما عثر فى خرائب المدينة على محتويات دقيقةالصنع تكثر فيها التماثيل للحيوانات المائية التى يبدو منها أن سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين .

* احتفل فى (أبيار على) بالقرب من المدينة المنورة ببدء العمل فى مشروع انشاء طريق جديد بين المدينة المنورة وجدة تيسيرا لوفود بيت الله الحرام .

* وجه وزير المعارف ورئيس جمعية الكشافة فى السعودية الدعوة الى الكويت للاشتراك فى معسكر تجمع جوالة البلاد العربية والاسلامية الذى سيقام بمدينة مكة المكرمة فى الفترة الواقعة مابين ١٣ ، ٢٨ مارس سنة ١٩٦٧ .

بغداد

* زار بغداد السيد جبرائيل شفيع رئيس مجلس الامة ورئيس مجلس الاتحاد الاسلامى فى توجو على رأس وفد ضمن جولة فى الكويت والسعودية تستهدف تدعيم العلاقات بين توجو والبلاد الاسلامية .

* تقرر مقاطعة مؤتمر المحامين الدولى الذى سيعقد فى ليبريا خلال شهر يوليو القادم بسبب تمثيل العصابات الصهيونية .

* عقد اجتماع بالموصل حضره علماء الدين لتشجيع قراءة القرآن وتجويده ، وقد تقرر انشاء رابطة للقراء فى الموصل .

* تلقى الرئيس عبد الرحمن عارف رسالة من الملا مصطفى البرزانى يجدد فيها الولاء والاخلاص لقيادة الرئيس عارف .

دمشق

= من بين القرارات التى اتخذت فى مؤتمر المعلمين الذى عقد بدمشق توحيد المناهج التعليمية فى مدارس البلدان العربية .

= اعتدت اسرائيل على الرعاة العرب فى سوريا وردت القوات السورية عليها وصدرت اليها الاوامر برد كل اعتداء عليها فى داخل الاراضى الاسرائيلية نفسها .

السودان

= تمت التحقيقات مع القائمين بالحركة الانقلابية الفاشلة فى السودان تمهيدا لمحاكمتهم .

الاردن

= يفكر المسئولون فى اقامة مدينة سكنية للحجاج الاردنيين فى مكة المكرمة .

الجزائر

= قررت الحكومة الجزائرية دمج عدة بنوك فرنسية فى بنك وطنى واحد سمته مصرف الشعب الجزائرى جريا على سياسة تدعيم الاقتصاد الجزائرى .

وقعت الحكومة مع الامم المتحدة اتفاقية خاصة بمساعدة الجزائر فى مكافحة الامية بانشاء عدة مراكز فى المدن الهامة لهذا الفرض .

الغت الجزائر المزايا الممنوحة للرعايا الفرنسيين فى سفرهم للجزائر ردا على ما اتخذته فرنسا تجاه الجزائرين المقيمين فى فرنسا .

لبنان

= أعلن السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء تأييد لبنان لسوريا فى موقفها من شركة نفط العراق وقال ان لبنان حصلت على مكتوب من الشركة بزيادة حصتها فى الارباح كما تريد سوريا .

تم انتخاب فضيلة الشيخ حسن خالد مفتيا للبنان بالتزكية بعد أن تنازل منافسه واقيمت الاحتفالات الرسمية المعتادة بذلك .

تركيا

= قدم وزير الخارجية التركية الى البرلمان مشروعا يقضى بتحريم استخدام القواعد الامريكية ضد دول المنطقة

= بدأت دار النشر (سوتمز) فى تركيا بكتابة ترجمة جديدة للقرآن الكريم .

= اشتركت تركيا فى المباراة الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى أقيمت فى ماليزيا

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الفيلسوف الفقيه ابن رشد كما تخيله الرسام

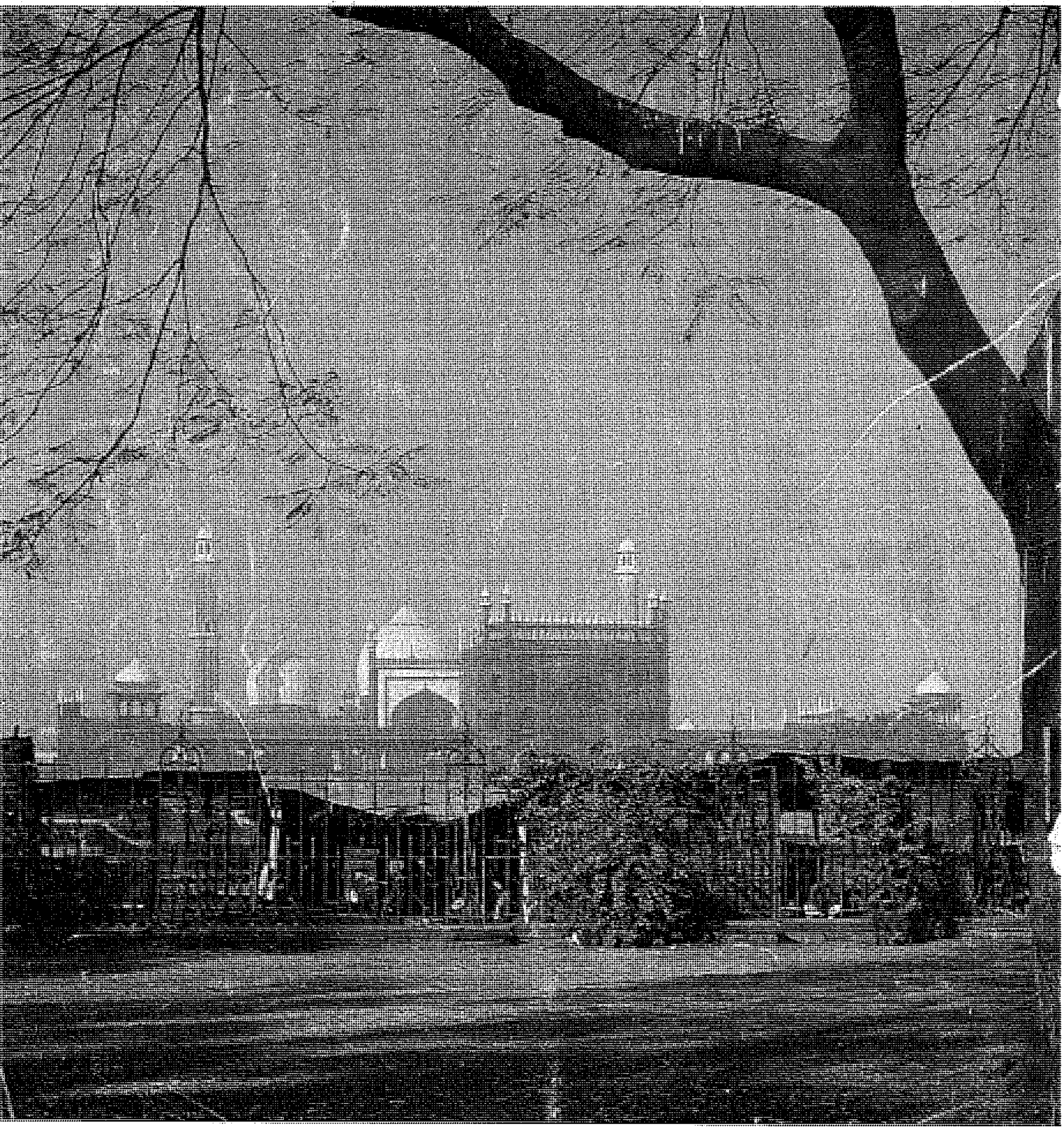
طالع مقالة المنشور فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

رسالة الحج
هدية
مع هذا العدد

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية ــ العدد الثالث والعشرون ــ غرة ذى القعدة ١٣٨٦ هـ ــ فبراير ١٩٦٧م





سمو امير البلاد المعظم فى طريقه الى مسجد السوق الكبير لصلاة عيد الفطر المبارك

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث والعشرون ـ السنة الثانية

غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٦ هـ

١٠ من فبراير (كانون الثانى) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

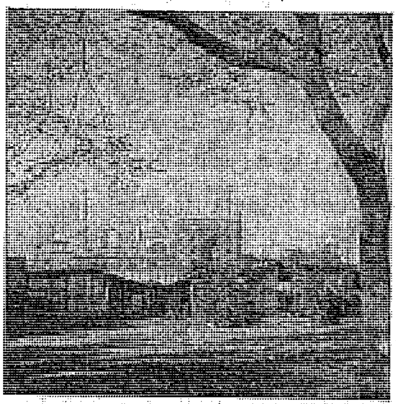
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



المسجد الجامع بدلهى شيده الامبراطور شاه جيهان ١٥٦٠ ـ ويعد هذا المسجد من أفخم المساجد وأرحبها فى الهند ويتجلى فى بنائه جمال الفن وروعته .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الى القارئ

تيار الحضارة الغربية الذى جرفنا فى طريقه حمل الينا فيما حمل تقاليد وأوضاعا غريبة على مجتمعنا أو سموما سممت أفكارنا ، ولوثت حياتنا ، وشغلتنا بمحاولات التخلص منها وعلاجها ...

فالحرية المشوهة التى أخذت المرأة الشرقية عندنا أو المسلمة بالذات تنادى بها ، وتشكل حياتها وتصرفاتها على قالبها ، والتقليد الاعمى للانطلاق الاثيم لكل من المرأة والرجل فى الغرب ، كل هذا أورثنا مخلفات ، أو جعل فى جسمنا الاجتماعى بثورا وقروحا لم نكن نعرفها على هذا الوضع من قبل ..

كنت منذ أيام أتحدث مع زائر عن بعض هذه المخلفات أو هذه البثور .. عن ظاهرة تزايد اللقطاء عندنا فى البيئات المسلمة ، وازدحام الاماكن المخصصة لهم وضيقها بهم .. وعن المحاولات التى يجب أن تبذل لتربية هؤلاء وتنشئتهم ، ثم حمايتهم من العقد الاجتماعية ، التى يمكن أن تنشأ معهم ، ولم أجد نفسى منطلقا مع الزائر فى رسم العلاج المناسب لحال هؤلاء . بل توقفت . وقلت : سبحان الله نستسلم تماما للأمر الواقع . ونترك ((الميكروب)) يتفشى فينا .. ثم نبحث عن الدواء للمريض !!

اليس من البداهة المقررة لدى الجميع ((أن الوقاية خير من العلاج))

نترك القوانين بل نضعها لتحمى الحرية الاثمة الفاجرة .. ونتهاون نحن تحت ضغط ما يسمى بالمدنية فى اتخاذ أساليب الحماية والوقاية .. حتى نجد أنفسنا فى مأزق نحاول الخروج منه !!

نترك الطوفان يجرف ويعربد ، ثم نبحث عن الضحايا الابرياء !!

لا .. ليس هذا هو المنطق ..

ان المنطق يحتم علينا أولا أن نهتم بأصل المشكلة ، بمنبع الداء .. فنحاول اجتثاثه ، أو تضييق مجراه على الاقل ..

أما أن نترك أنفسنا للتيارات تتلاعب بنا ، وتقذفنا يمينا وشمالا فهذا غير معقول ولا مقبول ..

ان علينا أن نبحث عن السبب فى تزايد هؤلاء الابرياء فى أوساطنا الاسلامية .. ونقضى على كل سبب نعرفه ونتخلص منه ..

ولنتجه أولا وقبل سن القوانين المناسبة الى التوعية والتربية .. التربية الاسلامية التى تحصن المسلم والمسلمة من الداخل .. وتحميهما من الانطلاق وراء تقليد البيئات الغربية فى أى أمر يخالف تعاليمنا ومبادئنا ..

نريد أن تقوم حملة توعية نفسية تقنع المسلم بأن التقدم والتمدن ليسا فى هذا الانطلاق الآثم الذى يخالف تعاليم الاسلام ..

نريد أن نربى المسلم على ألا يكون جهاز استقبال يلتقط كل شىء حتى ولو كان فيه دماره ..

نريد من كل جهاز اعلام أن يشدد الحملة على هذا الضعف النفسى الذى أصاب المسلم والمسلمة فجعلهما يتخليان عن أهم مبادىء الاسلام فى سبيل أن يقال : متمدن متحضر . متقدم . عصرى ..

نريد أن نوقظ فى نفس المسلم روح الاعتزاز باسلامه وتقاليده الحقة النابعة منه ،

حتى يرفض في اصرار وشدة كل ما يمس هذه التقاليد ، كما يرفض أي شيء يمس ماليتـــه ..

حينئذ يمكن أن نطمئن الى أن المسلم والمسلمة في أي مكان سيحميان نفسيهما من الانحرافات والتقليد الاعمى .. وفي هذه الحالة يمكن أن نقول اننا وضعنا أسسا متينه للحد من كثرة وجود هؤلاء الابرياء الذين جاءوا ثمرة الحرية المشوهة التــى مهدت للانحراف الآثيـم ..

وليس معنى هذا أننا سنتخلص نهائيا من وجودهم ، فالاثم لا بد أن يثبت وجوده دائمــا ..

وهنا تجابهنا مشكلة تربيتهم وتهيئة مستقبل كريم لهم ..

بعض الناس الذين لا يعنون الا بالناحية النفسية لهؤلاء ، يتجهون لعلاج مشكلتهم على هذا الاساس النفسى ، ولا يرون بأسا في أن يتبنى بعض القادرين ولا سيما الزوجان اللذان حرما نعمة الاولاد واحدا منهم ، ويتخذا منه ابنا لهما يأخذ كل حقوق البنوة الحقيقية !!

والذين يرون هذا الرأى لا يهتمون بنصوص القرآن الذى حرم التبنى في صراحة وشدة حين قال : ((ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمــدت قلوبــكم)) .

فاذا كنا نسلم بأن الله لم يجعل للرجل قلبين في جوفه ، ولم يجعل الزوجة التى تظاهر منها أما لنا ، فمن البديهى أن نسلم كذلك بحكم الله في أن الأدعياء (المتبنَّيْن) ليسوا بأبناء لنا ، ولا يمكن أن يأخذوا حكم الابناء .

انظر الى كل جملة جاءت في قول الله سبحانه ، بعد ذلك مباشرة : ((ذلكم قولكم بأفواهكم .. الآية)) ، تحس صراحة وشدة ووضوحا في نهى الله سبحانه عن التبنى بالمعنى الذى كان معروفا قبل الاسلام ، وبالمعنى الذى يدعو اليــه بعض النـــاس الآن بحجة العطف منهم على هؤلاء الأبرياء ..

نعم . انهم أبرياء .. ويستحقون العطف .. ولكن أن نتجاوز في عطفنا ، وفيما نتخذه من سبل لتحقيق هذا العطف ما حدده القرآن ورسمه لنا ، فهذا ما لا يسلم به مسلم يخشى الله ، ولا دولة تتخذ من الاسلام دينا لها .

ان قلوبنا مشحونة بالعطف عليهم ، وبالتقدير لمواقفهم حين يشبون ويعرفــون الحياة ، ويختلطون بالناس . ونعرف أنه قد يكون في هؤلاء كما في كل الأطفال العاديين نبغاء وعلماء يخدمون أمتهم ..

ولكن ينبغى علينا ونحن نفكر في تهيئة مستقبل كريم لهم ، وفي صيانتهم من العقد في حياتهم أن نفكر كذلك في تهيئة مستقبل كريم لنا عند الله يوم أن نلقاه ، ونصــون أنفسنا من غضبه .

((يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)) ((يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله))

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل "

رئيس التحريــر

الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ على عبد المنعم عبدالحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية

قال عمرو بن العاص : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط ، فوضع ثوبه فى عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فاقبل أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .
رواه البخارى

١ - الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، ولا ينتهى المتحدث فيه الى نهاية يقف عندها ويقطع الكلام ، لان حياته عليه الصلاة والسلام هى رسالته ، ورسالته فى كل أوضاعها رسم دقيق لمشاكل البشر ، وحل أدق لكل مشكلة ، وعرض شامل لمراحل الحياة ، ومنار واضح لمعالم الرحلة فى كل أحوالها وملابساتها ، وبناء قوى متماسك لمجموعة الكمالات الروحية والمادية التى تقيم صرح الوجود الانسانى سامقا شامخا لا تنال منه زوابع العصور المختلفة ، ولا تؤرجحه أعاصيرها ، واسعاف سريع حاسم لكل حائر فى ظلام الحياة أو عان فى مدارجها - لهذا كان استحضار تاريخه ودراسة جهاده ومعرفة العقبات التى بدت فى أفقه ولانت أمام عزمه القوى وثباته العبقرى ، ثم ظهور النور الهادى ، وانبلاج الصبح القاضى على الظلام ، وتوطيد اركان السمو والعزة فى أصحابه والارض التى عاشوا عليها والامة التى حكموها بتعاليم الاسلام - كل أولئك يمنحنا نحن العائشين فى هذا الجو الصاخب اللجب بالمنكرات المضطرب بالفساد الخلقى والاجتماعى، أقول : يعطينا القوة والصبر والكفاح والاستهانة بما نلاقى حتى نصل الى ما يرضى رب العالمين ورسوله ، ونعيد تخطيط مجتمعاتنا على أساس من التبصر الاسلامى مترسمين خطى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ومستمدين العون ممن أعانه ووفقه ربنا وربه رب العرش العظيم .

٢ ــ يمضي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فى طريقه الذى رسمه له قيوم السموات والارض ناشرا دين الله ، باثا دعوته ، مثبتا دعائمها ، غير عابىء بايذاء المشركين ، ولا ملق بالا لارجاف المرجفين، يناديه الروح الامين بأصدق الحديث : « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين » فهو صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أنه لا بد من مستهزئين به ، سيقفون له بالمرصاد ، ويبذلون قصارى جهدهم لتحويله عن طريقه ، ولكن من هم أولئك المعارضون ؟ أليسوا عبدة أوثان لا تنفع ولا تضر ، وهو الداعى الى التوحيد . الى عبادة من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه سبحانه وتعالى عما يشركون ، وقد أخبره بأن فريقا من قومه لن يؤمنوا مهما أيقنوا بأنه صادق ، لانهم يصمون آذانهم عن الحق ، ويتعامون عن نوره الأبلج ، ومع هذا يجب ألا ييأس ، وألا يتردد ، وانما عليه أن يستمسك بالذى أوحى اليه ، ويصمد مهما لاقى من عنت ومشقة ، وليؤمن بأن عقاب الله واقع بالمخالفين المعاندين ، يقول الله تبارك وتعالى : « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين . فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

٣ ــ ونهرع الى التاريخ لنستمع اليه وهو يقص علينا أنباء الرسول العظيم ، وكيف واجه عناد الشرك بقوة الايمان ، وجهامة الكفر بسماحة الاسلام ، وعتو المال والولد ، بعون الله شديد المحال .

افتن الكافرون ما شاءت لهم عقولهم أن يفتنوا ، وعمدوا ــ فى بعض محاولاتهم العدوانية ــ الى ما تعمد اليه الدول المعاصرة من مقاطعة الاعداء ليحصروهم ، ويحصوا عليهم أنفاسهم ، ويمنعوا عنهم القوت حتى يضطروهم الى التسليم دون قيد أو شرط .

يقول المؤرخ محمد بن اسحاق : (فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر قد أسلم بعد اسلام حمزة بن عبد المطلب وبدأ الاسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا ــ أى الكفار ــ وائتمروا فيما بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم) وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت أصابعه . وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب الى قريش فظاهرهم وكان ابو لهب يقول : يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع فى يدى ثم ينفخ يديه ويقول : تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد . فأنزل الله فيه سورة كاملة خاصة به وبزوجته الكافرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » (١) . وأبو لهب فى موقفه هذا يضربه الله مثلا للملحدين فى آيات

---

(١) روى البخارى أنها نزلت غداة قال أبو لهب للرسول الكريم حين جمعهم وبلغهم : تبا لك ألهذا جمعتنا ، وروى أنه ظل سائر يومه ينفخ يديه ويقول : تبا لك يا كذا .. الخ ...

الله فى كل زمان ومكان الذين لا يؤمنون الا بما يحسون ، ولا يلقون بالا الا للمادة البحتة لان الله تعالى طمس على بصائرهم فلا تدرك ، وختم على قلوبهم ، فــلا تسعى ، حالت المادة الكثيفة بينهم وبين معرفة مدبر الكون فأنى لهم أن يستجيبوا لداعى الحق .

٤ ــ مضت الأيام بطيئة متثاقلة ، وتعاقب جديداها ، ونقضت الصحيفة ، وعادت أمور المقاطعين وأعمالهم الــى تباب ، وأمر الدعوة ظاهر لا يستطيع أحد أن يوقف تياره الجارف . ولا بأس أن نورد طريفة حدثت أثناء المقاطعة فقد لقى أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول اللــه صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشعب فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ واللات والعزى لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البخترى بن هاشم بن الحارث فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام الى بنى هاشم . فقال أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت اليه فيه افتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الاخر ، فأخذ أبو البخترى لحى بعير ، وضربه به فشجه ، ووطئه وطئا شديدا ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب منهما يسمع ويرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وســلم وأصحابــه فيشمتون بهم . ولكن الله تبارك وتعالى مخزى الكافرين وحاشرهم الى جهنــم جميعا .

٥ ــ يستمر رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام هاديــا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجــا منيرا ، دائبا على التبليغ ليلا ونهارا سرا وجهارا ، صادعا بأمر الله لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولنورد بعض النماذج لما كان يفعله الكفار معه ليصدوه عــن سبيل الله بعد أن أخفقوا فى المقاطعة التى تحدث عنها التاريخ طويلا

أ ــ يتمثل الانمــوذج الاول فى أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما أنزل فيها وفى زوجها من القرآن الكريم، فقد جاءت الى الرسول وهو جالس عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها حجر كبير ، فلما وقفت عليهما أخذ الله بصرها فلم تر الرسول الكريم وانمــا رأت أبا بكر وحده فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ لقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو رأيته لضربت بهذا الحجر فاه ، ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟! فقال : ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .

ب ــ والانموذج الثانى يتضــح فى الاخنس بن شريق (١) الذى كان اذا رأى رسول الله همزه (٢) ، واذا غاب عــن ناظريه لمزه (٢) فأنزل الله فيه : ((ويل لكل همزة لمزة)) السورة .

---

(١) قيل فى الاخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهدهى عامة فى كل من هذا فعله

(٢) قال مجاهد وعطاء : الهمزة : الذى يطعن فى وجه الرجل ، واللمزة : الذى يغتابه من خلفه اذا غاب عنه والاصل فى الهمز : الكسر ، وفى اللمز أنه الطعن بالرمح ، ثم شاع استعمالها فى المعنــى السابق قال شاعرهم :

اذا لقيتــــك عــن شــــحط تكاشرنـــــى   وان تغيب كنــت الهــــامــز اللمـــــزه

ج ـ والمثل الثالث العاص بن وائل السهمى الذى لقى خبابا بن الارت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أليس يزعم محمد أن فى الجنة ما يريد أهلها من مال وخدم وثياب ؟ فقال : بلى ، قال : يا خباب لن تكون أنت وصاحبك آثر عند الله منى لانى فى الدنيا أعظم حظا منكما فنزل فيه قول الله تعالى : ((افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا . اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)) .

د ـ والرابع : أبو جهل بن هشام الذى قال لرسول الله يوما : لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى تعبد فنزل قول الله سبحانه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » فكف الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم .

هـ ـ ومنهم النضر بن الحارث بن علقمة الذى كان كلما جلس مجلسا فى أهل مكة يقول ان محمدا يحكى أساطير الاولين ، وما هو بأحسن حديثا منى . فنزل قول الله الكريم : « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما » ، وقال تعالى فيهم أيضا « ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » .

و ـ والمثل السادس هذه الحادثة التي يرويها عمرو بن العاص من بلوغ الحقد والغيظ بعقبة بن ابى معيط مبلغا أفقده عقله وصوابه ، فامتدت يده الاثيمة الى عنق البشير النذير يريد خنقه ، ولولا أن الله ساق اليه الصديق فى هذه اللحظة الحاسمة لتغير وجه الدنيا ولقد صدق الله حيث يقول : « والله يعصمك من الناس »

هذا : ولو ذهبت أستقصى ما حدث به التاريخ من تفنن المعاندين فى عدائهم لرسول الله وسلوكهم كل السبل لمحاولة صده عن الحق لمضى الزمان ولما نأت الا على القليل من فعالهم ، وتلك أمثلة مما صادفه وصمد هو له ليقتدى به خلفاؤه من الائمة المهديين ، والدعاة المجاهدين من العلماء المتفقهين فى دين الله ، فلا تتحقق وراثة الانبياء فى العلماء الا بجهادهم فى سبيل الدعوة ونشرها وتبليغها والصبر عليها فالانبياء لم يورثوا مالا ولا ضياعا وانما ورثوا جهادا وتبليغا ودعوة الى الله بالتى هى أحسن حتى تلين القلوب وتستجيب ، ولا يصح سلوك طرق العنف والشدة حتى لا يتولد العناد والمجابهة فى المدعوين والله يقول لموسى وأخيه عليهما السلام : ((فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)) ، ويقول : (ادفع بالتى هى أحسن) .. الاية ويقول : ((ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ..)) والاسلام فى حاجة دائما الى تكاتف أبنائه ليحملوا رايته ، وعامل واحد يطبق ما يقول على ما يفعل خير وأجدى على الامة من آلاف يقولون مالا يفعلون فالقدوة العملية هى التى تنتج وتثمر ، وللمسلمين فى رسول الله أسوة حسنة ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، نسأله جلت قدرته أن يوفق المسلمين قاطبة لفهم كتابه وسنة نبيه والعمل بهما انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

الرسول صلى الله عليه وسلم

وسنته الشريفة

للدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

يقول الله تعالى لرسوله الكريم :

((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)) .

وما كانت هذه الرسالة العامة ، لاحد من الرسل من قبله : فموسى عليه السلام أرسل لبنى اسرائيل خاصة . فاقتصرت دعوته عليهم لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون ، عليهما السلام الى فرعون قالا له ((انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل)) .

فموسى ذهب الى فرعون ليرسل معه بنى اسرائيل . ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب ، أو الامم فى سبيل دعوته .

وعيسى عليه السلام انما ارسل الى ((خراف بنى اسرائيل الضالة)) على حد تعبيرهم القديم . ولم يحاول سيدنا عيسى ان يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ويجاهد من أجلها .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ارسل الى الناس جميعا .

ارسل الى الناس جميعا من حيث المكان ، وارسل اليهم جميعا من حيث الزمان ، فهو الرسول الدائم ، زمانا ومكانا . ((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) . ولقد امتزج رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ، فكان هو هى تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : ((لقد كان خلقه القرآن)) .

وهذه الكلمة من السيدة عائشة رضوان الله عليها ، تحتاج الى تحديد وبيان ، ذلك ان الاخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم فى حده الادنى ، ثم لا تقتصر

على ذلك وانما ترسم القمم من مكارم الاخلاق ، وتوجه الى السنام منها ، وتقود الى المشارف العليا من درجات المقربين .

والقرآن يحدد الدرجة التي وصل اليها الرسول من الخلق القرآني ، فيقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

وهذه الآية القرآنية تحدد درجة الاخلاق القرآنية التي وصل اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، انه ذروتها وسنامها . ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه :

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

انه صلى الله عليه وسلم ، بعث ليتمم المكارم الاخلاقية ، ليتممها بذاته بسلوكه وليتممها بقوله ، برسالته انه لم يبعث ليبشر بالاخلاق وحسب ، وانما ليتمم مكارمها ، ومكارم الاخلاق لا يحدها — من حيث التبشير بها — مكان ، ولا يحدها زمان بل ولا يحدها عالم من عوالم الله فى الارض أو السماء ، ومن اجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين كما يقول الله تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه يمثل الاخلاق القرآنية فى ذروتها وسنامها جعل الله سبحانه وتعالى ، له مكانة خاصة بين المسلمين فهو صلوات الله وسلامه عليه — لانه تمثل القرآن وحققه ، — اصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق بعمله ، فلا ينطق عن الهوى ولا يعمل بالهوى .

ويقول الله تعالى له معبرا عن هذه الحقيقة أروع تعبير :

« وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله .... » ويقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ... » .

بل ان طريق الدعوة نفسه كان صلوات الله وسلامه عليه يسير فيه معصوما ، ودعوته وطريق دعوته يسير فيهما على هدى وعلى نور من ربه . ولذلك فان « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

ويعمم الله سبحانه الحكم تعميما ، ويطلقه اطلاقا فيقول سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » ويقول الله تعالى « وان تطيعوه تهتدوا » .

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سبب فى محبة الله تعالى ، لمن يتبعه « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... » .

ان حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجعة لذلك ، وهذه الوسيلة هي اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى فى حديث قدسى رواه الامام البخارى : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الي عبدى بشيء أحب الي مما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به .

الرسول
وسنته الشريفة

وبصره الـذى يبصر بـه . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بهـا . وان سألني لأعطيته . ولئن استعاذ بي لاعيذنه » .

وهذه النوافل التي ذكرت فى الحديث القدسي الشريف والتي اذ اكثر الانسان منها بعد اداء الفرائض احبه الله : انما هي سلوك رسول الله صلى لله عليـه وسلم ، انها طريق رسمه ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ بقوله وبعمله ، انها سنته ــ صلوات اللـه وسـلامه عليه ــ التي سنها ، لينال الانسان بهـا محبة اللـه سبحانـه .

ولقد أحب الله سبحانه رسوله وكان هذا الرسـول صلى اللـه عليه وسـلم بعبوديته لله سبحانه حبيب الله ، وبلغ الرسول صلوات اللـه عليـه وسـلامه بعبوديته التامة درجة أول المسـلمين ، وكان حبيب الله ونبيه ورسـوله ميزه الله سبحانه وتعـالى على بقيـة البشر بكونه خيرهم ، وهذا التمييز لا يخرجه ــ صلوات الله وسـلامه عليه ــ عـن البشرية فهو بشر ، وهو خير البشر ، ومن أجل انه خير البشر ، يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين : ــ

« ولا تجعلوا دعاء الرسـول بينكم ، كدعاء بعضكم بعضا » .

ان الانسان الذى خصه الله بالوحى ، واجتباه لرسالته ، واصطفاه ليكون ــ باسمه سبحانه ــ بشيرا ونذيرا ان هذا الانسان الذى فضله الله على العالمين ، يجب أن نعرف له مكانته وننزله فى الشرف الذى انزله الله فيه .

ان هذا السراج المنير والرءوف الرحيم : ينبغي الا يدعى كمـا يدعى زيـد وعمر « بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا : يـا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا : يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم ، بأن تقولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله ، يا امام المرسلين ، يا رسول رب العالمين ، يا خاتم النبيين ، وغير ذلك .. واستفيد من هذه الآية ــ كما يقول الشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين ، انـه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم ، لا فى حياته ، ولا بعد وفاته .

فبهذا يعلم ان من استخف بجنابـه صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة ويقول الله سبحانه فى أوائل سورة الحجرات :

« يا أيها الذين آمنـوا لا تقدموا بـين يدى الله ورسوله » .

أى لا تتقدموا بأمر من الامور ، قولا كان أو فعلا ، الا اذا أذن الله ورسوله ، وكل امر قولا كان او فعلا اتاه الانسان بدون اذن الله ورسوله ، فانه لا يقـع على السنن المستقيم يقول الضحاك :

« هو عام فى القتال وشرائع الدين ، أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله » . « واتقوا الله ، ان الله سميع عليم » .

« يا أيها الذيـن آمنـوا لا ترفعـوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » ــ فانكم

اذا فعلتم ذلك يخشى عليكم ـ « ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون » .

« ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم » .

« أما هؤلاء الذين اساءوا الادب ، فاخذوا ينادونك من وراء الحجرات مناداة الاعراب الاجلاف ، في غلظة وفي جفاء فانهم ناقصو العقول » .

« ان الذين ينادونك من وراءالحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » .

على ان مجرد الرغبة فى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحتاج تنفيذها الى تقديم صدقة ، يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم » .

وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة فيه شيء ، لان من لم يجد الصدقة فان موقف الله سبحانه منه ـ لعدم قدرته ـ المغفرة والرحمة ، ولا تكون المغفرة والرحمة الا على أثم اتاه الانسان ، وكان عدم توفر الاستطاعة سببا فى مغفرة الله سبحانه .

« اشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات » .

واذا حملكم خوف الفقر على الا تفعلوا واذا قادكم الضعف الانساني على الا تنفذوا ذلك ، ثم ندمتم واستغفرتم ، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم ، واثبتوا حسن نيتكم ، وصفاء سريرتكم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الاكمل وتؤتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله فى الصغير والكبير ، وما من ريب فى ان الله ، سبحانه خبير بكل ما تعملون ، يقول الله تعالى : « أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون » .

وبعد ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انا سيد ولد آدم ولا فخر » .

ويقول الله تعالى : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » .

تلك هي مكانة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الله فهل هي كذلك عند البشر ؟ .

قبول العذر

مما قيل فى قبول العذر .

أ ـ ما اذنب من اعتذر ولا اساء من استغفر .

ب ـ الاصاغر يهنون والأكابر يعفون .

ج ـ الكريم اوسع ما يكون مغفرة ، واذا ضاقت بالمسيء المعذرة .

القضاء

بين القانون والشريعة

للاستاذ احمد قطـــيع

١ ـ السلطة القضائية في مفهومها الحديث ـ

حسب نظرية فصل السلطات ، تعد السلطة القضائية احدى السلطات الثلاث ، ولهذا فهي مستقلة عن السـلطتين الاخريـين : التشريعية ، والتنفيذية . ولكن مع هذا لايمكن أن تعد السلطة القضائية من الاجهزة السياسية للدولـة . لان العمل القضائـي ما هـو الا عمـل من النـوع التنفيذى فقط . واذا كانت السلطة القضائيـة مستقلة عن غيرها من السلطات ، فبمقدورنا أن نرى أن الضمانات العملية لهذا الاستقلال نوعان : الاول : يتعلق بكيفية انتقاءممثلي السلطة القضائية ليكونوا مستقلين في عملهم القضائي ، ولئـــلا يكون للسلطة التنفيذية أى تأثير على عملهم هذا . والثاني : يتعلق ببيان الحدود الفاصلة بـــين ميدان العمل القضائي من جهة ، وبين الاعمــال التشريعية والتنفيذية من جهة أخرى .

١ ـ انتقاء القضــاة :

هناك أسلوبان لتأمين اســتقلال القضاة ، الاول انتخابهم من قبل الشعب ، والثاني أسلوب الحصانة القضائية .

أ ـ أسلوب الانتخــاب :

يتم هذا الاسلوب باجراء الانتخاب من قبل الشعب ، ولعل هذا الاسلوب يؤمن الســلطة القضائية من التنفيذية ، كما هي الحال في كثير من دويلات الولايات المتحدة الامريكية التي لا تزال تمارس هذا الاسلوب حتى اليوم ، ويشترط لهذا الاسلوب كفـاءة المرشحين ، وتقتضي هـذه الكفاءة من المرشح لعضوية المحاكم العليا مثلا أن يكون قد بلغ سن الثلاثين ، حاملا شهادة علمية ، ممارسا المحاماة أو القضاء مدة معينة من الزمن ، ولكن أكثرية الدول لا تميل للأخذ بهذا الأسلوب للمحذورين التاليين :

١ ـ عدم الكفاءة : وذلك لأن الانتخاب الشعبى لا يؤدى حتما الى نجاح أكثر المرشحين كفاءة ، وأشدهم نزاهة .

٢ ـ استرضاء الناخبين : يجب أن يجرىالعمل القضائي في جو مفعم بالحياد التام ، ولا يستطيع المرشح ذلك لأنه ربما أثرت به موجدة نفسية ،

او نعرة حزبية ، فيميل الى أنصاره ويشدد على مناوئيه وبهذا يفوت العدل ويضر بالحق .

ب ـ أسلوب الحصانة القضائية :

ان مبدأ الحصانة القضائية ينص على أن القضاة مستقلون ، ولا يعزلون الا في الأحوال التي عينها القانون، ولهذا فالحصانة تعني صيانة القضاة من العزل ومن النقل ، وبهذا الأسلوب يتم تعين القضاة :

١ ـ بمرسوم جمهوري من السلطة التنفيذية ـ شريطة أن تتوفر في المرشح الشروط القانونية .

٢ ـ القاضي المعين مصون من النقل التأديبي والعزل، الا المانع يمنعه من الاستمرار في العمل كخطيئة كبرى ، أو عجز عن العمل .

٣ ـ يتم ترفيع القاضي بموجب شروط قانونية .

والحصانة تشمل سائر القضاة الذين مضى على تعيينهم ثلاث سنوات فأكثر ما عدا قضاة النيابة لانهم يمثلون وزارة العدل لدى القضاة فلهذه الوزارة حق نقلهم ، وقد ترفع هذه الحصانة لمقتضيات سياسية ، وفترات محدودة من غير خضوع للشروط القانونية (١)

٢ ـ حدود السلطة القضائية :

لقد حددت القوانين نوع العمل القضائي ، والسلطة القضائية تمارس هذا العمل وفق القواعد الآتية :

١ ـ ليس للمجلس النيابي أن يصدر حكما في قضية معينة ، لأن هذا من شأن القضاء وحده .

٢ ـ ليس للمجلس النيابي أن يلغي بقانون حكما صادرا عن السلطة القضائية ، وليس له ايضا ان ينتقد حكما قضائيا مهما كان شانه ، أو أن يحاول توجيه القضاء في قضية ما لناحية معينة ، والعفو العام ليس خروجا على هذه المبادىء لانه يرمي الى مصلحة عامة .

٣ ـ ليس للسلطة التنفيذية أن تحاول توجيه القضاء أو انتقاده ، كما أنه ليس للقضاء أن يتجاوز حدود اختصاصه بقيامه بأعمال تشريعية او تنفيذية ، ويترتب على ذلك :

ـ أن المحاكم تنفذ القانون ولا تنشئه .

ـ ليس لهذه المحاكم أن تفرض على نفسها أو ما دونها تفسيرا عاما معينا للقانون .

ـ ليس للمحاكم أن تقضي بدستورية القوانين ، لان ذلك من اختصاص السلطة التشريعية .

ـ ليس لها أن تتدخل في أي نوع من الاعمال الادارية الخارجة عنها :

٢ ـ القضاء في الاسلام :

قال ابن خلدون « القضاء منصب الفصل بين الناس في الخصومات ، حسما للتداعي ، وقطعا للتنازع الا انه يكون بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة » وقال ابن فرعون في (تبصرة الاحكام) حقيقة القضاء الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الالزام ، ومعنى قولهم قضى القاضي أي ألزم الحق أهله ، والدليل على ذلك قوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت » أي ألزمناه وحتمناه عليه ، والحكم بمعنى المنع ومنه حكمت السفيه اذا أخذت على يده ومنعته من التصرف ، ومنه سمي حاكما لمنعه الظالم من ظلمه ، ومعنى قولهم حكم الحاكم أي وضع الحق في أهله ، ومنع من ليس له بأهل . ومن هذين التعريفين يمكن التعرف على حقيقة القضاء في الاسلام بأنه منصب الفصل في الخصومات ، والالزام بالأحكام الشرعية في الامور التي تعينت لصاحب هذا المنصب في العهد أو في العرف .

١ ـ ولاية القاضي العامة :

ان ولاية القاضي تختلف من عصر الى عصر ، ويمكن أن نذكر بأن ولاية القاضي في أواسط العهد العباسي كانت كما يلي :

١ ـ النظر في الدعاوى الحقوقية .

٢ ـ النظر في الدعاوى الجزائية التي يقدمها الافراد في الحدود المعدودة من حقوق الآدميين ، كدعاوى القذف والجرح ، والفصل فيها بحكم يتضمن ثبوت الجرم على المعتدى .

٣ ـ النظر في الحقوق التي تعد من حقوق الله ، ولو لم تقدم بذلك دعوى من رجل ما يتخذ لنفسه صفة المدعي .

٤ ـ تنفيذ الأحكام واستيفاء الحدود .

---

(١) يلاحظ أن هذه الامور قد تختلف من دولة الى دولة .

٥ ـ الحجر على السفهاء ، وتنصيب الأولياء والاوصياء والقوام .

٦ ـ النظر فى الأوقاف .

٧ ـ النظر فى الوصايا

٨ ـ تزويج الايامى اذا جاءهن من يخطبهن من أكفائهن وعضلهن اولياؤهن .

٩ ـ تصفح الشهود ، والتعويل على النزهاء منهم ، واطراح من لا يوثق بهم .

هذه هي الامور التي تعد من ولاية القاضي ، فان ولى قاض ولم يحدد له اختصاصه فيرجع فى ذلك الى العرف والعادة ، ولكن قد يخصص القضاء فى أمور معينة بذاتها فليس للقاضي حينئذ أن يتجاوز حدود اختصاصه ، كما أن من الممكن أن يخصص القضاء بزمن محدود ، فليس للقاضي أن يقضى بعد انتهاء هذا الزمن .

٢ ـ شروط القضاة :

يشترط للقضاء شروط عدة ، ومتى توفرت فى فرد كان متمتعا بأهلية القضاء ، وهذه الشروط هي :

١ ـ الذكورة : فليس للمرأة أن تكون قاضية ، مع خلاف بعض الفقهاء فى ذلك .

٢ ـ البلوغ : اذ الصبى ليس له ولاية على نفسه فكيف به على غيره

٣ ـ العقل : اذ ليس للمجنون تولى القضاء ، والقاضى العاقل هو الذى يتوصل بذكائه وعقله الى ايضاح ما أشكل وفصل ما أعضل .

٤ ـ الحرية : ليس للعبد الرقيق ان يكون قاضيا ، ولا للمبعض ، ولا المدبر .

٥ ـ الاسلام : للذمى القضاء على أهل دينه ، وغير المسلمين جميعا ليس لهم القضاء على المسلمين وسيوضح ذلك فى قواعد القضاء .

٦ ـ سلامة السمع والبصر والنطق . لان من لوازم القضاة أن يسأل القاضي ، ويرى الخصوم ويستمع الى اقوالهم .

٧ ـ العدالة : وذلك بان يكون القاضي ظاهر الاسلام ، وألا تعلم عنه جرحة ، ومن لا تجوز شهادته لا تجوز ولايته ، ويذهب الشافعي رضى الله عنه الى عدم جواز قضاء الفاسق .

٨ ـ العلم : يذهب جمهور الفقهاء الى أن العلم صفة لازمة للقاضي بل لا بد منها ، وقد اختلف بعض الفقهاء فى هذه الصفة اذ جوز بعضهم ان يكون القاضي اميا اذا كان صحيح الفهم ، ولا يوجد فى البلد أصلح منه .

٣ ـ طلب القضاء :

قلنا ان تعيين القضاة فى الأسلوب الحقوقي يتم اما بالانتخاب من قبل الشعب ، ويكون المرشح الناجح هو القاضى ، أو بالتعيين ، ولكن يتراءى لنا أن ذلك لا يستقيم فى نظام الاسلام ، وذلك لأن اكثر الفقهاء قالوا بأن طلب القضاء لا يجوز ، وذلك لما يرويه أبو موسى الاشعرى انه قال « دخلت على رسول الله أنا ورجلان من بنى عمى، فقال أحد الرجلين لرسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : انا والله لا نولى العمل أحدا يسأله . » ولقد كان الناس يتورعون عن أن يتولوا القضاء ويتهيبون من ذلك للأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من استقضى فقد ذبح من غير سكين » وقوله « قاض فى الجنة ، وقاضيان فى النار » ولهذا رفض أبو حنيفة قضاء الكوفة حين كلفه به الامير ابن هبيرة فى آخر زمن الأمويين ، وفضل أن يضرب كل يوم عشرة سياط مدة عشرة ايام على أن يقبل القضاء الذى حذر منه رسول الله . ولكن الكثيرين من المؤلفين يذهبون الى أن التخويف من القضاء والتحذير منه انما هو للقضاة الظلمة الجائرين . وقد قسم ابن فرعون القضاء من حيث طلبه وتوليه خمسة أقسام :

١ ـ واجب : وهو حين لا يوجد فى البلاد احد غيره يصلح للقضاء .

٢ ـ مباح : وهو حين يكون فقيرا وله عيال .

٣ ـ مستحب : وهو أن يكون عالما خاملا مغمورا ، وليس له عمل ، والامام يعرفه فيقلده القضاء اظهارا له وحملا للناس على الافادة من علمه .

٤ ـ مكروه : اذا كان مشهورا ، ويريد القضاء للعلو .

٥ ـ حرام : وهو أن يطلب القضاء وهو جاهل او فاسق .

ولعل هذا التقسيم الذى ذهب اليه ابن فرعون هو الذى تؤيده الادلة ويدعمه العقل (١) .

٤ ــ مجلس القاضي وآدابه :

كان الخصوم يقصدون القاضي فى داره ، وربما جلس فى السوق أو المسجد للقضاء بينهم ، ولكن الشافعية كرهوا ان يكون المسجد محلا للقضاء ، ولهذا تحول القضاة الى رحاب المساجد أو المدارس أو الى دور خصصت للقضاء ، وقد كان القضاة يحددون اياما وساعات للقضاء ، أما الأعياد الرسمية والجمع وعند تكاثر الامطار والوحول فما كان القضاة يجلسون فى تلك الأيام للقضاء ، وهناك آداب للقضاء يهتم بها الفقهاء كثيرا حرصا على سلامته وسمعته فيذكر صاحب « معين الحكام » بعض ما يلزم القاضي نفسه ، أن يعالج نفسه على آداب الشرع ، وحفظ المروءة، وعلو الهمة ، وأن يتوقى الشين فى الدين والمروءة لأنه يقتدى به ، وألا يجعل من الولاية المباهاة بالرئاسة ، وأن يكون جميل الهيئة والابهة من غير تكبر ولا اعجاب ، اذ كلاهما شين فى الدين وعيب فى المؤمنين وألا يقبل الهدية من الاجنبي قال ربيعة « اياك والهدية فانها ذريعة الرشوة » وألا يتعاطىالبيع والشراء فى مجلس القضاة ، وأن يجيب الدعوة كدعوة الختان والعرس ، وأن يجتنب بطانة السوء .

وهكذا يتبين لنا من هذا النص الذي أوردناه باختصار بأن على القاضي أن يراعى الآداب المثلى حرصا على منصب القضاء الذى هو من الخطورة بمنزلة كبيرة ، ولعلكتاب عمر بنالخطاب رضي الله عنه الى ابى موسى الأشعرى عامله بالكوفة يعد المرجع الاول للكثيرين من المؤلفين الذين يضعون بين يدى مبحث القضاء آداب القاضي ، لانه عدة القاضي ونبراس الحاكم اذ يرسم السبيل التي يجب أن تتبع فى عالم القضاء، وهذا نص الكتاب :

١ ــ الكتاب والسنة أصلا القضاء .

أما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ فيه .

٢ ــ المساواة بين الناس .

آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

٣ ــ البينة واليمين .

البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر .

٤ ــ شروط الصلح .

الصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .

٥ ــ تأجيل الجلسة .

ومن ادعى حقا غائبا او بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه فان بينه أعطيته بحقه ، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك ابلغ فى العذر وأجلى للعماء .

٦ ــ الرجوع عن الاجتهاد المخطىء .

ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم ولا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

٧ ــ شروط الشهود

والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة .

٨ ــ شروط تدخل القاضي وحكمه .

فان الله تعالى تولى من العباد السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان .

٩ ــ القياس والرأى عند سكوت القرآن والسنة .

ثم الفهم الفهم فيما ادلىاليكمما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الامثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق .

١٠ ــ واجبات القاضي أثناء القضاء .

واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصومة ، فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله .

---

(١) فلا يمكن اذن أن يطلق القول بأن طلب تولىالقضاء يخالف نظام الاسلام ،

٥ ـ قواعد القضاء فى الاسلام :

لما لم يكن الناس جميعا مسلمين ، بل منهم الذميون والحربيون والمستأمنون ، فعلينا أن نبين قواعد القضاء تجاه أصناف الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم ، ومن الرجوع الى تحقيق الفقهاء نستطيع أن نورد القواعد الثلاث التالية :

الاولى : لا يجوز بالاجماع ان يتولى غير المسلم القضاء على المسلم . وتفيد هذه القاعدة عدم خضوع المسلمين لغير قضائهم ، ولقد أجمع الفقهاء على هذه القاعدة لان القضاء فى نظرهم كالشهادة بل أشد خطرا وأعظم أثرا ومن شروط الشهادة الاسلام ولقوله تعالى ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)) والقضاء فى نظرهم أعظم سبيل .

الثانية : لا يقضى المسلم على غير المسلم الا بالترافع، والمقصود بالترافع هنا خضوع الخصمين الى القاضي وذلك لقوله تعالى ((فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)) ولقول عمر رضى الله عنه ((أمرنا بتركهم وما يدينون)) ولقد كان الخلاف بين فقهاء المذاهب على أشده فى هذه القاعدة :

١ ـ فالمالكية ـ يشترطون لجواز الحكم بين غير المسلمين ترافع كلا الخصمين ، ومع ذلك اذا ترافعا لا يتحتم على القاضي الحكم فى الدعوى بل له ألا يحكم سواء كان موضوع هذه الدعوى من حقوق الله او حقوق العباد لقوله تعالى ((فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا)) .

٢ ـ والشافعية : يفرقون بين حالين ، الحال الاولى عندما تكون الدعوى بين ذميين ، أو يكون الذمى طرفا فى هذه الدعوى لا يكون للقاضي خيار فى الحكم ، بل يجب عليه أن يحكم فى الدعوى مهما تكن ديانة الطرف الثاني ، والحال الثانية عندما تكون الدعوى بين حربيين او معاهدين أو مستأمنين فهي كرأى المالكية تماما .

٣ ـ والحنفية : يذهبون الى انه ليس للقاضي أن يمتنع عن الحكم بين غير المسلمين ، فهم على خلاف مع المالكية فى ذلك ، ومع الشافعية فى الحال الثانية لأنهم يرون أن الآية الكريمة ((فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)) منسوخة بالآية ((وأن احكم بينهم)) هذا ، ومن المتفق عليه بين الفقهاء أنه اذا كان احد الخصمين فى الدعوى مسلما وجب على القاضي أن يحكم فيها ، كما أن من المتفق عليه أيضا أنه اذا لم يترافع الخصمان كلاهما الى القاضي المسلم فلا ولاية له عليهما ، بل لا يجوز له أن يتدخل فى أمورهما أو يحكم بينهما .

الثالثة : حيثما حكم القاضى فانما يحكم بحكم الاسلام ، وذلك للآيات الكثيرة التي تضافرت والتي توجب الحكم بالاسلام ، منها قوله تعالى ((أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)) وقوله ((وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)) ولهذا يجب على القاضى أن يجرى حكم الشرع فى كل قضية ترفع اليه ، غير ناظر الى ديانة الخصوم ، أو جنسيتهم ، وهذا هو الذى عليه المذاهب الاسلامية من مالكية وشافعية وحنفية ، الا أن الاخرين اختلفوا مع بقية المذاهب فى حكم الأنكحة ونفى المهر لغير المسلمين ، وبيع الخمر والخنزير ، وليس ثمة من ضرورة لايراد الآراء فى ذلك .

وأخيرا ، فان المتأمل فيما اوردناه عن كل من القضائين يرى الفوارق الكبرى من كل وجه سواء من حيث تعيين القضاة أو من حيث القضاة أنفسهم ، وليس لنا الا أن نقول بايجاز بأن القاضى ليس له أن يطلب القضاء خلافا لما هو عليه الأمر اليوم . وأن شروطا فى الاسلام يجب أن تتوفر حتى يتمكن القاضي من القضاء ، ولسنا نرى توفر هذه الشروط جميعا اليوم ، اللهم الا الشهادة والسن وبعض الشروط الاخرى التي نصت عليها القوانين ، والقاضي فى نظر الاسلام يقضي فى الأمور الجزائية والشرعية على السواء ، بينما نرى اليوم لكل صنف من هذه الأصناف قاضيا مختصا يفصل فى الدعاوى التى هى فى حدود اختصاصه (١)

---

(١) نعتقد أن الاسلام لا يعارض هذا ان كانت فيه مصلحة وقد يكون التخصص فى ناحية اجدى وأنفع . واعتقد أن هذه اجراءات وتفصيلات تختلف حسب الظروف . وقد كانوا يذهبون الى القاضى فى بيته أو يجلسون فى السوق أو فى المسجد أو بجانبه فهل يمكن ان يجرى هذا الان)
« الوعي »

هل الانسان خليفة الله في الأرض

للاستاذ محمود مهدي الاستانبولى
دمشـــق

شاع على السنة وكتابات كثير مـن الادباء الاسلاميين أن الانسان خليفة الله فى الارض ، وحجتهم فى ذلك قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعـل فى الارض خليفة ..) الآية ..

وعلى الرغم مـن الاعتراضـات التى وجهت اليهم ، نرى بعضهم يصر على رأيه ، ويروح يستغيث باللغـة العربية للدفاع عن هذا الرأى، كأن اللغة ـ وحدها هى مصدر فهم القرآن ، لا النصـوص العامة للشريعة ،ولو كانت كافية لاقتصرنا فى صلاتنا على الدعاء ، ومـع ذلك فان اللغة العربية ليست نصيرا لهم فى هـذا الفهم ، ولا نريد أن ندخل معهم فى هذه المناسبة ، بمناقشة لغوية قد تطول ..

لقد كان يكفى هؤلاء الكتاب للرجوع عن فكرتهم ، كلمة للخليفة الراشد ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ..

قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمـه اللـه ـ فى فتاويـه (٣/٤٦١) « وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربى ، ان الخليفة هو الخليفة عن الله ، مثل نائب الله ، والله تعالى لا يجوز له خليفة . ولهذا قالوا لابى بكر يا خليفة الله ! فقال (لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . حسبى ذلك) رواه احمـد فى المسند (١/١٠/١١) بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهـل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا ..

ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه (أى من الله تعالى) ولا يقوم مقامه ، انه لاسمي له ، ولا كفء فمن جعل له خليفة فهو مشرك به !! » .

والغريب — الغريب جدا — ان هؤلاء الكتاب المصرين على رأيهم فى أن الانسان خليفة الله فى الارض ، يروحون أيضا يقحمون — كما أقحموا اللفة — بعض آى القرآن الكريم لاثبات صحة ما ذهبوا اليه ، كأن أبا بكر — رضى الله تعالى عنه وكأن الامام ابن تيمية — رحمه الله — وقد رأيناهما يرفضان نسبة خلافة الانسان لله سبحانه — لم يفهما تلك الآيات !!

وقد استشهدوا على هذه الخلافة بقوله تعالى .

١ — (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) .

وهذه الآية حجة عليهم لا لهم بدليلين:

أولا ان الله سبحانه عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فاذا كان الانسان هو خليفة الله فكيف عرض سبحانه هذه الامانة على غيره ؟!!

ثانيا — كيف يجعل الله الانسان خليفة فى الأرض ، ثم يقول عنه انه كان ظلوما جهولا ؟ ! .

٢ — ومن الآيات التي استدل بها هؤلاء الكتاب على هذه الخلافة قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ؟ ! قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم) .

وليس فى هذه الآية حجة لهم فيما ذهبوا اليه . والغريب أنهم فهموا من قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي) أى من روح الله نفسه مما جعلهم يتأكدون من هذه الخلافة ! مع أن المقصود من روحه التي خلقها ، والا كان الانسان جزءا من الله ، وهو سبحانه (ليس كمثله شيء) (ولم يكن له كفوا أحد) (وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين !) .

واذا كان لا يصح أن نقول ان الانسان خليفة الله ، فكذلك لا يصح أن نقول انه أفضل المخلوقات كما زعم هؤلاء القائلون بالخلافة ، ليدعموا حجتهم . ودليلنا على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو على سمو مكانته لم يقل انني سيد المخلوقات ، بل قال (انني سيد ولد آدم) . ان هناك الملائكة السفره ، الكرام البررة الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ . وليس لدينا نص صريح على أفضلية الانسان عليهم ولا العكس .

وليت هؤلاء الكتاب حاولوا فهم قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) .

ان هؤلاء الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة الله ، لما تجرؤوا ، ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء ، انما فهموا أن آدم وذريته من البشر سيخلفون من سبقهم من المخلوقات الذين افسدوا فى الأرض ، قاله ابن عباس والحسن كما جاء فى تفسير الامام ابن الجوزى .

ومما لا ينبغي اغفاله بهذه المناسبة أن بعض المفسرين ظنوا أن سؤال الملائكة لربهم كان على وجه الاعتراض أو الحسد ، فقال السيوطى فى تفسيره على لسانهم (فنحن أحق بالاستخلاف) .

وهذا لا يليق بالملائكة . قال الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ « وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما يتوهمه بعض المفسرين ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أى لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه . وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا ـ قال قتادة ـ وقد تقدم اليهم أنهم يفسدون فيها ، فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية . وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون : يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء ، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، فان كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، أى نصلى لك ، كما سيأتى ، أى لا يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (اني أعلم ما لا تعلمون !) اى اني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون .. ا هـ باختصار عن تفسير ابن كثير .

ومن أعظم الأدلة على بطلان دعوى القائلين بأن الانسان خليفة الله في الأرض قوله صلى الله عليه وسلم في حديث له لأحد قواده « واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم ، أهون أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدرى أتصيب حكم الله أم لا ؟ » رواه مسلم .

نعود بعد هذا كله الى الآية التي اتخذها الكتاب المشار اليهم من أعظم حججهم على اثبات دعواهم من خلافة الانسان لله تعالى .

قال الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيرها (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة) أى قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل كما قال تعالى (هو الذى جعلكم خلائف في الأرض) (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) وقال (فخلف من بعدهم خلف) .

ونقل القرطبى ما ملخصه عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه الصلاة والسلام فقط .. وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل .

ومن العجيب أن هؤلاء الكتاب لم يقتصروا على جعل آدم عليه السلام خليفة الله كما يمكن أن يفهم بعضهم من ظاهر الآية . بل ذهبوا الى خلافة البشر كلهم مؤمنهم وكافرهم وصالحهم وفاسقهم ! .

ولا شك أن فكرة خلافة الانسان لله في الأرض مأخوذة عن نظرية الحلول والاتحاد ونظرية القطب الغوث لغلاة الصوفية . فقد قال ابو الحسن الشاذلى « للقطب خمس عشرة علامة ، عدد منها أن يمد بمدد العصمة ، والخلافة ـ وهو أن يكون خليفة الله في الأرض ـ والنيابة ـ وهي أن يكون نائبا عن الحق في تصريف الأحكام (١) » . الى غير ذلك من صفات الألوهية ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! .

---

(١) معراج التشوف الى حقائق التصوف ص ٤٩ ـ ٥١ باختصار نقلا عن كتاب التصوف بين الحق والخلق للاستاذ محمد فهر الشفقه ص ١٠٠) .

الحضارة الإسلامية

حضارة انسانية عالمية

لقد شهد العالم فى تاريخه الطويل حضارات مختلفة، كان يتلو بعضها بعضا فى تسلسل تحكمه قوانين الطبيعة ، وتضبطه قواعد المنطق وتسيره حكمة الله .

ومن الطبيعى أن تتأثر الحضارة اللاحقة بالحضارات السابقة ، ومن الطبيعى كذلك أن تقضى الحضارة القوية على ما يعاصرها من محاولات ضعيفة لحضارات أخرى ، وذلك بحكم تنازع البقاء من ناحية ، وبحكم البقاء للأصلح من ناحية أخرى ، فتاريخ الحضارات أيضا يفيض بأنواع من الصراع العنيف تساقط فيه الضحايا ، وتدق فيه الطبول للحضارة الغالبة التى تسعى دائما الى توسيع دائرة نفوذها ، وتهدف فى النهاية الى أن تصبح حضارة عالمية ، وقد تنجح فى ذلك وتظل اعلامها مرفرفة على أنحاء العالم حقبة من الدهر ، ولكنها بسبب بعض العيوب التى قد تعتورها بمرور الزمن ، أو قد تكون عيوبا متأصلة فيها ـ كثيرا ما تفشل أمام الحضارة الجديدة ، اذا كانت هذه الأخيرة أقل عيوبا ، أو أكثر جنودا أو اصلح للبقاء . وهكذا دواليك . حضارة جديدة ترث حضارة قديمة ، وتقضى عليها ، أو تطردها عن مركز الصدارة الى معزل قصى تستجمع فيه قوتها ، وتضمد جراحها ، أو الى قبر تاريخى تدفن فيه نفسها، وتضع فوقه الشواهد ليتحدث الناس عن ذكراها ، وذلك حسب ما فى الحضارة المغلوبة من عناصر الخلود أو عناصر الفناء ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد ظهر فى تاريخ الانسانية كثير من الحضارات التى استطاعت أن تصل الى

• انتشرت بسرعة، وصمدت لمعارك الهدم
• على أهلها أن يبشروا بها، ليعود الأمن والسلام للبشرية في ظلها

للدكتور كامل البوهي
مراقب الشئون الدينية
بالاذاعة ـ القاهرة

المستوى العالمي ، كالحضارة المصرية القديمة ، وهى حضارة أثبتت البحوث الحديثة أنها حضارة عربية ، كما أثبتت أن الفراعنة من أصل عربي جاءت به احدى الهجرات المتتالية من شبه الجزيرة العربية (١) وكالحضارة الاغريقية والرومانية ، ثم الحضارة الاسلامية التى اشرقت على العالم بنورها من أرض العرب ، وما لبثت أضواؤها أن انتشرت فى أنحاء العالم القديم كله .

وأخيرا هذه الحضارة الاوربية الحديثة التى استخدمت كل وسيلة لتسيطر على العالم بماديتها المسعورة ، ونجحت فى ذلك الى حد بعيد ، بسبب انزواء الحضارة الانسانية التى سبقتها حضارة الاسلام الذى غلب على أمره أمام طغيان الحضارة المادية ، ومؤامرات اعدائه من مستعمرين ويهود ، وغفلة أهله عن جوهر حضارتهم ، وسر تقدمهم وسيادتهم ، « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وكل دارس لهذه الحضارات العالمية يدهشه أن الحضارة الاسلامية ليست كغيرها من الحضارات المختلفة التى شهدها العالم منذ وجوده .

فلا توجد حضارة من تلك الحضارات انتشرت فى سرعة الضوء مثل الحضارة الاسلامية .

ولا تجد حضارة من تلك الحضارات مهما اصطنعت من وسائل نجحت فى أن تصبح عالمية بالمعنى الصحيح ، بحيث

(١) مجلة الوعى الاسلامى ـ العدد الاول ص ٤٤ وما بعدها ، الدكتور معروف الدواليبي .

تستقر فى نفوس الشعوب المختلفة والقوميات العديدة التى استقبلت اضواءها، وتحل محل حضارتهم وتصبح هى كل شىء بالنسبة لهم يضحون فى سبيلها ويفتدونها بأرواحهم كالحضارة الاسلامية .

فالحضارة المصرية القديمة مثلا كانت حضارة عالمية بمعنى انها كانت أقوى الحضارات فى عصرها ، وأنها أثرت فى الحضارات التى جاءت بعدها لا بمعنى أنها انتشرت فى العالم القديم كله ، وأن الشعوب الاخرى قد اعتنقتها وأستبدلتها بحضارتها وجندت نفسها للدفاع عنها .

وكذلك الشأن فى الحضارة الاغريقية والرومانية وغيرهما ، ولكن الحضارة الاسلامية حضارة عالمية ، بمعنى أن كثيرا من شعوب العالم غير العربية قد اعتنقتها، ونبذت فى سبيلها كل ما يتعارض معها ، وأصبحت جزءا من حياتها اليومية وكيانها المادى والروحى .

ولا توجد حضارة من تلك الحضارات حوت من عناصر الخلود ما عصمها من الفناء أمام التيار الجارف للحضارة الجديدة مثلما حوت الحضارة الاسلامية، فقد احتل المستعمرون الاوربيون العالم الاسلامى كله تقريبا ، ولم يكن هدفهم من هذا الاستعمار نهب الثروات المادية ، واستنزاف الموارد الاقتصادية فى تلك البلاد فحسب ، وانما كان القضاء على الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة الاوربية مكانها من أهم أهدافهم ، كان استعمار النفوس من أكبر غاياتهم ، والغزو الفكرى من أخبث أسلحتهم .
وقد نجحوا فى استنزاف كثير من موارد العالم الاسلامى ونهب ثرواته ، ولكنهم فشلوا فى القضاء على الحضارة الاسلامية العريقة ، كما أرادوا ، واضطروا الى الخروج من معظم بلاد العالم الاسلامى الذى أخذ يكتشف نفسه ، ويعتز بتاريخه ، ويبحث عناصر الخلود فى حضارته .

لقد امتازت الحضارة الاسلامية اذن على سائر الحضارات السابقة واللاحقة ، بسرعة انتشار أضوائها ، وباستقرارها فى نفوس الشعوب المختلفة ، والقوميات العديدة التى استقبلت اضواءها ، وباحتوائها على عناصر الخلود التى عصمتها من الفناء أمام التيار الجارف للحضارة المادية المسعورة .

ان الدلائل كلها تشير الى أن الحضارة الاسلامية سوف تعود الى مكانها من جديد بعدما بدت بوادر انهيار الحضارة الاوربية التى سيطرت على العالم فى الفترة الاخيرة بأسلحة من الدمار وحرب الابادة والتخريب .

ان بحث عناصر الخلود فى الحضارة الاسلامية له مجال آخر ، غير أننا نستطيع أن نجمله فى أنها حضارة انسانية عامة ، صالحة للحياة فى كل زمان ومكان ، وهى حضارة انسانية تعمل على سعادة الانسان ، حضارة بناءة تدعو الى السلام ، وتحارب التعصب، وتقضى على التمييز العنصرى ، وتعمل على توجيه الاسرة الانسانية كلها الى هدف واحد ، هو العمل الخالص الدائب فى سبيل مرضاة الله الذى لا يرضى عن الانسان الا اذا عمل فى سبيل بناء الحياة، وتقدم البشرية ، وسعادة الانسان .

من هنا كانت عناصر الخلود فى الحضارة الاسلامية هى نفس عناصر العالمية ، بمعنى أن الاسباب التى جعلت الحضارة الاسلامية تصمد امام كل وسائل التدمير التى استعملتها الحضارة الاوربية الحديثة هي نفس الاسباب التى جعلت الحضارة الاسلامية تنتشر فى بقاع الارض ، وتعم العالم القديم كله ، وتصبح حضارة عالمية تمتاز على جميع الحضارات التى سبقتها أو لحقتها بأن الشعوب التى استقبلت أضواءها ، وعاشت فى ظلها ، تعرف فضلها ، وتتمسك بها ، وتناضل فى سبيلها ، وتعتبرها حضارتها ، ولا تنظر اليها نظرة الحضارة الدخيلة ، كما نظرت كل الشعوب التى فرضت عليها الحضارة الاوربية الحديثة بالقوة الغاشمة الى أنها حضارة دخيلة ، وأخذت تقاومها ونجحت الى حد كبير فى التخلص منها .

كما تمتاز الحضارة الاسلامية على جميع الحضارات التي سبقتها أو لحقتها بأنها لم تمت حين تعرضت للمحنة ، ولم تستطع كل القوى المعادية أن تقضى عليها ، وانما انزوت قليلا لتضمد جراحها ، ثم نهضت لتؤدى دورها ، وتحتل مكانتها العالمية من جديد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد آن لنا أن ندرس حضارتنا الاسلامية فىأنحاء العالم، نبرز مظاهرها ، ونعرض تاريخها ، ونتعرف على حاضرها فى مختلف القارات ، فان هذا هو دورنا نحن العرب والمسلمين، لا دور المستشرقين خدام الاستعمار ومروجى الأكاذيب .

كم من الشعوب المسلمة فى أنحاء الأرض تتعلق ابصارها وقلوبها بالأمة العربية مصدر تلك الحضارة ، تنظر اليها وتنتظر منها أن تقوم بدورها القيادى مؤمنة كل الايمان بأنه اذا عز العرب عز الاسلام .

كم من الشعوب المسلمة فى أنحاء الأرض تقدس اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ وتعتز بها أكثر من أعتزازها بلغاتها القومية ، وترجو للأمة العربية أن تقوم بدورها فى نشر لغة القرآن فى انحاء العالم الاسلامي كله .

بل كم من الكنوز التي خلفها علماء المسلمين فى أنحاء الأرض لا تزال تستصرخ الباحثين العرب ، وتنتظر الدراسة النزيهة والبحث العلمى الواعى (١) .

كم من المسلمين فى أنحاء الأرض ينبغى أن نعرفهم ، وندرس ماضيهم وحاضرهم ، ونتعرف على ما أسهموا ويسهمون به فى بناء الحضارةالاسلامية ، ونبحث امكانياتهم وحاجاتهم ووسائل التعاون معهم فى سبيل تحقيق أهدافنا الانسانية المشتركة ، فى سبيل الحضارة الاسلامية التي أثبتت صلاحيتها لكل زمان ومكان ، بما فيها من عناصر الخلود ، عناصر العالمية .

وسنبدأ بحثنا بالتعرف على الحضارة الاسلامية فى بلد لا يذكره الباحثون حينما يتكلمون عن الاسلام والمسلمين ، مع أن للاسلام هناك حضارة أصيلة عريقة ، وللمسلمين هناك جهادا من أنصع صفحات الجهاد ، فنبدأ البحث بالتعرف على الحضارة الاسلامية فى يوغوسلافيا ان شاء الله .

---

(١) أنظر « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمان لترى العدد الضخم من الكتب العربية التي الفت فى غير البلاد العربية ، فى الهند والباكستان والصومال وافغانستان وسنغافورة والبلقان .... الخ .

مشكلة القضاء والقدر

أو مسألة الجبر

٢ ـ مدرسة القدرية الخالصة

اتباع معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى ، ومعبد الجهنى ـ كما يقول الذهبى فى كتابه ميزان الاعتدال ـ تابعى صدوق ثقة ، وهو أول من تكلم فى القدر ، وكان يجلس الى الحسن البصرى فى مجلسه بالبصرة . يروى أن معبد الجهنى وعطاء ابن يسار أتيا الحسن البصرى وقالا له . يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون « انما تجرى أعمالنا على قدر من الله تعالى » . فقال الحسن فى جوابهما « كذب أعداء الله » . ولما عظمت فتنته . بالبصرة عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ ويروى الذهبى أن مقتله كان لأسباب سياسية ، بسبب اشتراكه فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث .

أما غيلان بن مسلم (أو مروان) القبطى الدمشقى ، فكان أبوه مولى لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ويعتبر فى رأى أكثر كتاب الفرق المبشر الحقيقى لمذهب القدر ، وقد صلبه هشام ابن عبد الملك على باب دمشق ، ويقال ان هشاما صلبه حيا .

ويرى بعض المستشرقين (وخاصة . هـ . ريتر ، جوليان أوبرمان) أن المبشر الحقيقي لفكرة القدر هو الحسن البصرى شيخ التابعين وامام أهل السنة فى زمانه دون غيره من الناس ، ويؤيدون رأيهم بما ذكره ابن قتيبة فى كتابه ـ المعارف ـ من أن الحسن كان « قد تكلم فى شىء من القدر ثم رجع عنه » ، وما ذكره ابن سعد « أن أهل القدر كانوا ينتحلون الحسن . وكان قوله مخالفا لهم » ، وما ذكره الطبرى من أن الحسن زيفه القدريون ، وغير ذلك من الشواهد التى بها يستدلون على صحة ما ذهبوا اليه ، ويرون أن محاولة ابعاد تهمة القدر عنه ، جاءت متأخرة وكوسيلة لتبرئة ساحته منها باعتبار أنه كان شيخ أهل السنة .

ولكن الذى يمكن استنتاجه مما ورد عنه من أقوال تخرجه عن دائرة القدرية الخالصة ، فهو على العكس منهم كان يثبت القدر الالهى ، بمعنى علمه بما سيقع ، فقد جاء فى رسالته التى بعث بها الى أهل البصرة قوله « من لم يؤمن بالله وقضائه فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه كفر ، أن الله لا يطاع استكراها ، ولا يعصى لغلبة ، لانه المليك لما ملكهم،والقادر على ما أقدرهم عليه». ويرى الأستاذ مونتكمرى واط بانه من غير الصحيح اعتبار الحسن البصرى مؤسسا لفكرة القدر التى كانت نتيجة منطقية لحركة فكرية واسعة .

٢

الدكتور / عرفان عبد الحميد
كلية الشريعة / بغداد

والاختيار في الإسلام

فكرتهم

ان القدرية الخالصة لم يقفوا عند اثبات القدرة والارادة للانسان فحسب بل تطرفوا فنفوا « القدر » بمعنى العلم والتقدير ، فيروى عن معبد الجهنى قوله « لا قدر والامر أنف » أى أن الانسان هو الذى يقدر أعمال نفسه بعلمه ، ويتوجه اليها بارادته ثم يوجدها بقدرته ، أى أن الله لا يقدر هذه الاعمال أزلا ، ولا دخل لارادته وقدرته فى وجودها فلايعلمها الا بعد وقوعها .

وقد أنكرت بقية الصحابة بدعة القدر أشد الانكار ونقموا على الذين ابتدعوها وذهبوا اليها حتى لقد كانوا يوصون الى أخلافهم بألا يسلموا عليهم ولا يعودوهم ان مرضوا ولا يصلوا عليهم اذا ماتوا ، لأنهم كانوا يرون أن من أصول أهل السنة ـ كما يقول الملطى ـ « وجوب الايمان بالقدر خيره وشره » وأجمعوا على أن « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

انتهت حركة الجبرية الخالصة بموت الداعي اليها ، كذلك ذابت حركة القدرية الخالصة تدريجيا ، وظهرت فى الفكر الاسلامى على أنقاضهما مدرستان حاولتا الابتعاد عن روح التطرف التى صبغت حركتى الجبرية والقدرية الخالصتين ، وانتهجتا سبيلا معتدلا وسطا كتب له الاستمرار والبقاء فى الفكر الاسلامى حتى اليوم، وهاتان المدرستان هما مدرسة المعتزلة والمدرسة الاشعرية .

مدرسة الاعتزال

الاعتزال مدرسة فكرية واسعة ، تضم اتجاهات فكرية متباينة متعاكسة ولكن المعتزلة أجمعوا على : ـ

أ ـ أن العباد خالقون لأفعالهم مخترعون لها ، وأن الله تعالى ليس له فى أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير ، لا بايجاد ولا بنفى .

ب ـ ومع ذلك فانهم لم ينكروا العلم الأزلى ، فان الله تعالى عندهم لم يزل عالما بكل ما يكون من أفعال خلقه لا تخفى عليه خافية ، فلم يزل عالما بمن سيؤمن وبمن سيكفر ، وهذا القول يخرجهم عن دائرة القدرية الخالصة التى نفت العلم الأزلى .

جـ ـ ان الانسان فاعل حر مختار ، يعمل بالقدرة الحادثة التى منحتها اياه العناية الالهية ويتصرف بها ويوجهها حسبما يريد ، وهذه القدرة تسبق الفعل ، وهى قدرة تصلح لفعل الضدين الفعل والترك .

د ـ قالوا ان أمر الله تعالى وارداته متلازمان ،

فقد أراد الله ما كان من الأعمال خيرا أن تكون وأمر بها ، فهو يريد منا اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأن نوحد الله تعالى ونؤمن برسله ويأمرنا بذلك ، ولا يريد المعاصى ، فلا يريد الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يأمر بها أى أن الله تعالى لا يشاء الشر ولا يريده ولا يأمر به ، بل هو من ارادة الانسان واختياره وفعله . وقد التزم المعتزلة هذه الأقوال لأسباب ثلاثة هى .

١ ــ اذا كان الله تعالى خالق عباده ، وكان العباد لا فعل لهم ، بطل التكليف الشرعي لأن الشرع عبارة عن أوامر ونواهى ، وهما فى مجموعهما طلب ، والطلب لا بد أن تسبقه القدرة والحرية والاختيار ، والا لأصبح الطلب تكليفا بما لا يطاق .

٢ ــ اذا لم يكن الانسان مستقلا بايجاد فعله ، لبطل العقاب والثواب الوارد بهما الوعد والوعيد ، اذ ليس الفعل مسندا اليه مطلقا حتى يمدح أو يذم .

٣ ــ اذا لم يكن للانسان حرية واختيار لم يبق لبعثة الأنبياء فائدة ، اذ البعثة دعوة والدعوة لا بد وأن تسبقها الحرية والاختيار .

٢ ــ مدرسة أهل السنة (الأشاعرة)

١ ــ أجمع أهل السنة على أن أفعال الانسان الاختيارية مخلوقة لله تعالى ، فلا أثر لقدرة العبد فى خلقها وايجادها ، وانما جرت العادة أن يخلق الله تعالى الفعل للعبد ، ويخلق فيه قدرة على اصدار ذلك الفعل للعبد ، فالفعل . ابداع واحداث لله ، وكسب للعبد . والكسب . عبارة عن الاقتران العادى بين القدرة الانسانية الحادثة والفعل ، فالله قد أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته ، لا بقدرة العبد وارادته . وأجمعوا أيضا على أنه لا يوجد أى ارتباط ضرورى بين القدرة الحادثة والمقدور المتولد عنها ، فالعلاقة الظاهرة بين القدرة الحادثة والمقدور ليست على مذهبهم سوى علاقة عرضية جائزة منشؤها العادة وهذه العادة لا تستوجب ضرورة قط ، فاذا أراد الله خرق تلك العادة لم يكن فى ذلك حرج ما دام الله قادرا على كل شيء ، فيجوز (كما يقول البغدادى ملخصا وجهة نظرهم) أن يمد الانسان وتر قوسه ويرسل السهم من يده فلا يخلق الله تعالى فى السهم ذهابا ، وأجازوا أن يجمع الانسان بين النار والحلفاء فلا تحرقها على نقيض العادة ، وقد خالف أهل السنة فى ذلك قول الفلاسفة الذين حكوا ــ كما يقول الامام الغزالى ــ « بأن الاقتران المشاهد فى الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة ، فليس فى المقدور ولا فى الامكان ايجاد السبب دون المسبب ، ولا وجود المسبب دون السبب » .

واذا قيل ان مبدأ التجويز والقول بخرق العادة يزلزل ثقتنا بمعارفنا وبما عليه الأشياء ، فكيف نثق بمعارفنا ؟ وما هى حدود المحال ؟ أجاب الغزالى (ممثلا لوجهة نظر أهل السنة) بأن من الممكنات فى مقدورات الله ما سبق فى علمه أنه لا يفعله ، ويخلق لنا العلم بأنه ليس يفعله ، أما المحال فهو الجمع بين الاثبات والنفى ، كالجمع بين الوجود والعدم ، أو كون الشيء الواحد فى مكانين فى وقت واحد من جهة واحدة ، وكل ما ليس كذلك فهو جائز ، وانما يستنكر لاطراد العادة بخلافه .

لقد صاغ الاشاعرة نظرية الجواز أو الاتفاق هذه لفرض التأكيد على قدرة الله العامة الشاملة واستقلاله بالفاعلية وسلب الاشياء وكذلك الانسان من قواه الفاعلة ، فمثلا تحريك الكاتب للقلم ، هو فى الحقيقة من فعل الله الذى يخلق عند تحرك القلم أربعة أعراض متتابعة ليس بين واحدها والآخر ارتباط سببى ، وانما هى متقارنة فى الوجود فحسب ، وهذه الاعراض هى الارادة والقدرة والحركة ــ يخلقها الله فى يد الكاتب ــ وأخيرا فعل التحريك ــ يخلقه تعالى فى القلم فيتحرك ، وهذه الاعراض يخلقها الله تعالى على التوالى طالما شاء ، اذ هى لا بقاء لها فى ذواتها ، لان العرض لا يلبث على مذهبهم آنين ، وانما يبقى ببقاء هو الآخر عرض يخلقه الله ويعدمه باستمرار . وقد ترتبت على هذه النظرية قضية دينية هامة ، وهى ان القول بفاعلية الاشياء ضرب من الكفر وانكار لفاعلية الله المطلقة ، لان الايمان الاصيل عبارة عن الاقرار بأن الله هو الفاعل الفرد الذى لا فاعل سواه .

٢ – أجمعوا على أن ارادة الله عامة تشمل كل الموجودات ، الخير والشر على حد سواء ، ولكنهم فصلوا وميزوا بين الأمر والارادة ، فارادة الشر لا تتضمن الأمر به ، وعلى هذا فارادة الله توافق علمه ، فكل ما علمه أزلا أنه سيكون فهو مراد له ، وما علم أنه لن يكون فهو غير مراد له .

أما تبريرهم لهذا المذهب فيتكون من نقاط .

١ – ان فعل العبد ممكن فى نفسه ، وكل ممكن مقدور لله تعالى ، لأن قدرته عامة شاملة ، ولا شيء مما هو مقدور لله بواقع بقدرة العبد لامتناع اجتماع المؤثرين على مقدور واحد .

٢ – لو كان العبد موجدا لأفعاله بالاختيار والاستقلال لوجب أن يعلم تفاصيلها ، ولما كان من المستحيل على الانسان الاحاطة بجميع وجوه الفعل ، اذ تصدر منه أفعال فى غفلته وذهوله وهى على الاتساق والانتظام وصفة الاتقان والاحكام والعبد غير عالم بما يصدر منه ، وجب أن يكون الصادر منه دالا على مخترعه – أى الله تعالى – .

٣ – ان العبد لو كان موجدا لفعله بقدرته واختياره استقلالا ، فلا بد أن يتمكن من فعله وتركه ، والا لم يكن قادرا عليه مستقلا فيه ، فلا بد أن يتوقف ترجيح فعله على تركه على مرجح ، اذ لو لم يتوقف عليه كان صدور الفعل عنه مع جواز طرفيه وتساويهما اتفاقا لا اختيارا ، ويلزم أيضا ألا يحتاج وقوع أحد الجائزين الى سبب ، وذلك المرجح لا يكون منه ، أى من العبد باختياره ، والا لزم التسلسل .

رأينا فى المشكلة

لا شك أن البحث فى مسألة الجبر والاختيار والتوفيق بينهما من أعقد المشاكل التي عرضت للعقل الانساني ، فهى – كما يقول المرحوم العقاد – « معضلة المعضلات فى جميع الأديان ومذاهب الحكمة والفلسفة ، لأنها مسألة الحرية الانسانية والارادة المختارة ، وهى فى الحق مسألة الانسان الكبرى فى علاقته الأبدية بالكون فلا نهاية لها الى آخر الزمان » ولذلك أيضا اختلف الناس حولها وصاروا فيها الى مذاهب شتى ، والذى دعاهم الى الاختلاف كما يقول ابن رشد « أن الأدلة العقلية حولها متباينة وظواهر النصوص فيها متعارضة ، وذلك أمر لم يأت عبثا بل كان مقصودا من الشارع لكى يوحى الى العلماء القادرين على فهم الكتاب والسنة فهما صحيحا ، بالحل الذى يجب أن يذهب الشبهة » . وبقدر ما يتعلق الموضوع بالاسلام ومعالجته للموضوع فاننا نسارع الى القول بان الدين الاسلامي فرق وميز الجانب الشرعي التكليفي من المشكلة من جانبها الفكرى الفلسفى ، فلا نزاع بين المسلمين فى أن الشرع نظر الى الانسان كفاعل حر مختار ، ومن ثم أثبت الأفعال للعباد وحاسبهم عليها بما أقام من حدود وعقوبات .

لقد وجد المستشرقون فى التعارض الظاهرى فى نصوص القرآن الكريم المتعلقة بهذه المشكلة منفذا للهجوم عليه ووصفه بانه كتاب يجمع أشد المذاهب المتعارضة ، وفسروا الأمر تفسيرا ينتهى الى انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيزعم هربرت كريمه ، وكولد زيهر ومكدونالد ، وشاخت ، ونيكلسون وغيرهم الى « أن المذاهب المتعارضة المتضادة التي عرضها محمد فى مسألة حرية الارادة والاختيار ترجع الى أزمان مختلفة من نشاطه النبوى ، وتتفق والتأثيرات التي أوحتها الظروف والأحوال المختلفة فى كل فترة من الفترات ، ففى الأزمان الأولى للعصر المكى كان يقبل تماما حرية الاختيار والمسؤولية ، ولكن فى المدينة أخذ يتوغل شيئا فشيئا فى مذهب الجبر ، والتعاليم الأكثر جبرية ترجع الى الفترة الأخيرة » . ان هؤلاء المستشرقين ينسون أو يتناسون أن من أهم الآيات التي اعتمد عليها الجبرية من مثل قوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » وقوله تعالى « وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين » . وقوله تعالى « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه » هى آيات مكية .

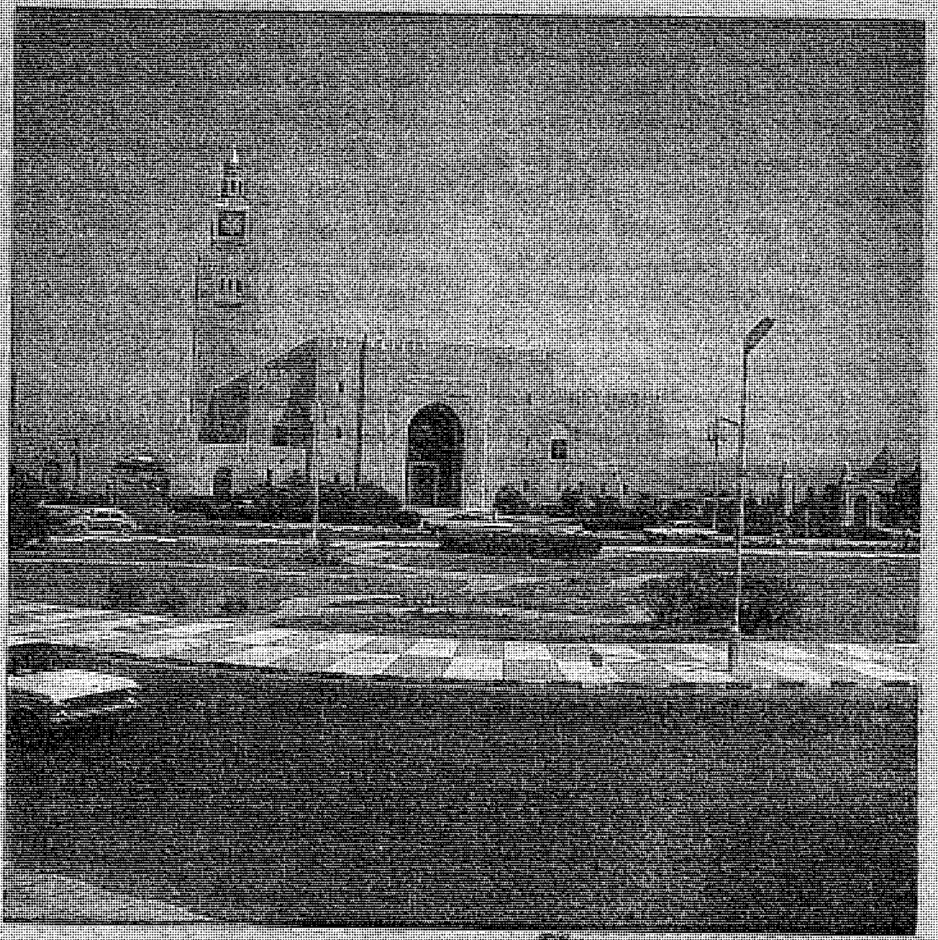
ان القرآن الكريم فى هذا الخصوص ، انما يعرض حالتين نفسيتين للروح التدينية فى موقفها من خالقها ، حالة الشعور بعظمة الله وقدرته حتى يتضاءل بجانبها شأن المخلوقات – كالانسان وغيره – فنجد آيات ظاهرها تفيد الجبر ، وحالة شعور الانسان أحيانا بقدرته الحادثة المحدودة ، ذلك الشعور الذى يجعل للقدرة التى يستشعرها فى نفسه بعض الحق فى التأثير على مقدوراتها ، ومن ثم نجد آيات يفيد ظاهرها الحرية والاختيار

البقية على ص : ٦٥

عيد

تحتفل الدولة بعيدها الوطني في الخامس والعشرين من شهر فبراير ، وبهذه المناسبة الوطنية ارسل الشاعر جاسم عبد الرحمن الجاسم بوزارة العدل هذه القصيدة يهنىء فيها الكويت اميرا وحكومة وشعبا بهذا العيد الاغر الميمون .

والوعي الاسلامي تنتهز هذه المناسبة الكريمة فترفع الى حضرة صاحب السمو الامير المعظم وسمو ولي عهده المحبوب ورجال حكومته والشعب الكويتي عامة اصدق آيات التهاني ضارعة الى الله عز وجل ان يعيد هذا العيد السعيد على البلاد بالرفاهية والعزة والسعادة .



قصر السيف العامر . على شاطىء الخليج
المقر الرسمي لصاحب السمو الامير المعظم

الكويت الأغر

للاستاذ جاسم عبد الرحمن الجاسم

حيوا الكويت وجددوا التذكارا … ما لاح بدر في السماء وسارا

واستبشروا فالكل شعب فرحة … فالشعب حاز مكارما وفخارا

عيد البلاد قدمت خير مبشر … وتضوعت منك القلوب نشارا

وشدت على هام الغصون بلابل … تتلو المديح عشية ونهارا

وتبسمت فوق الوهاد خمائل … وتفتحت أزهارها أنوارا

ياعيد قومي جئت بالذكرى لنا … والذكريات تجدد الأفكارا

هيا شباب القوم نحو فضائل … فمكارم الأخلاق لا تتوارى

شدوا العزائم للمحامد والعلا … فاز الذين تخطوا الأسوارا

ومعزة الأوطان في أبنائها … إنهم أقاموا للفخار منارا

ان حان خطب أو ألم توجع … فالكل في ساح الوغى ثوارا

إيه الكويت لنا بعيدك بهجة … ونرى بعزك دائما أحرارا

بقيادة الشهم الأبى أميرنا … ترقى البلاد وتدرك الأوطارا

يرعى مصالح قومه بعزيمة … ويقيم للدين الحنيف شعارا

ومعاهد قد أنشئت في عهده … ومساجد تدعو الجميع جهارا

فليحفظ الله الأمير وشعبه … وليبقه طول المدى مدرارا

بين الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه

١

للأستاذ أنور الجندى

ما زال الاسلام قادرا على أن يعطى الفكر الانسانى ويأخذ منه ، شأنه دائما فى مختلف أدواره وخلال أربعة عشر قرنا . وقد أعطى كل من اتصل به سواء كان اتصال اندماج أو اتصال خصومة . أعطى هذه الأمم التي امتزجت به وأخذ منها واستوعب ثقافات الأمم السابقة له من يونان ورومان وهنود وفرس وانتفع بهـا . واستطاع أن يصبغ الحياة فى أوربا بطابعه ، منذ بلغت أضواؤه الأندلس وأقام فيها جامعاته العلمية التي امتدت آثارها الى فرنسا وايطاليا . وشكلت خميرة النهضة الغربية الحديثة فى مجال : العلم والفكر والحضارة . كما استطاع أن يمد لغته على الأرض كلها ، وأن يؤثر فى لغات العالم الاسلامي تأثيرا عضويا فى تركيبها الخاص ، وفى مضمونها أيضا ، فقـد كانت ثقافة القرآن هى مصدر الثقافة العربية الاسلامية خارج نطاق الأمة العربيـة فى كل مكان وصل الاسلام اليه ، وقد استطاع فى أشد أوقات أزماته السياسية وضغط القوى المعادية له (الحروب الصليبية وغزوات التتار والاحتلال الغربى) أن يفتح آفاقا جديدة ، وقبل أن تنتزعه القوى المجتمعة عليه فى الأندلس كان قد استطاع أن ينفذ الى أعماق جنوب شرق آسيا ، وأن يكسب فيها أتباعا جددا ، وقبل أن تزول دولته فى الامبراطورية العثمانية كان قد وسع آفاقه فى شرق افريقيا ووسطها .

وهكذا لا يتوقف الاسلام عن الامتداد ، ولا يرتبط بناموس الحضارات السابقة له التي يسقط فكرها اذا سقطت ، فهو ليس رباطا سياسيا متغيرا بقدر ما هو رباط اجتماعي مستمر ، غير أن ظاهرة جديدة ارتبطت بالنفوذ الاستعمارى فى خلال قرن وربع قرن تقريبا كان لها أثرها البعيد المدى ، تلك هى ظاهرة الحملة على الاسلام والفكر العربى الاسلامي واثارة الشبهات حوله والقاء التهم والشكوك حول مفاهيمه وقيمه .

هذه الظاهـرة كانت بعيدة المدى فى

اتجاه المفكرين والكتاب الى « الدفاع عن الاسلام » ، الذى أصبح أشبه ما يكون بالمسوق الى قفص الاتهام . وفى تقدير بعض الباحثين أن هذه الحركة قد عطلت الدعوة الى الاسلام نفسه ، فأصبح المفكرون المسلمون فى شغل شاغل بالرد على الهجوم ، بدلا من الزحف للدعوة الى الاسلام ، والحق أن تحليل ما يوجه الى الاسلام من اتهام والرد عليه وازالة الشبهات المثارة وكشفها على نحو علمى عقلى دقيق ، ودون أن يطغى على ذلك طابع التعصب أو العنف أو الكتابة الحماسية أو العاطفية ، هو عمل من صميم « الدعوة الى الاسلام » ذلك أن هذه الاتهامات والشبهات لم تعد كلمات تلقى أو تذاع ، بل أصبحت نصوصا فى دوائر المعارف ومصادر الدراسات فى الجامعات ، والمدارس ، وهى مبثوثة فى المراجع الأساسية التي يلجأ اليها الأساتذة والباحثون فى العالم العربي ، فتجرى على أقلامهم دون تنبه اليها ، وهى بعد هذا كله سلاح يحمل لواءه خصوم العرب والاسلام من أجل القضاء على مقومات هذه الأمة .

ولذلك كان لا بد من تعقب هذه الشبهات ودراستها والرد عليها ، والكشف عن وجوه الخطأ والاضطراب فيها . وهو عمل ترجع أهميته الى أن النفوذ الاستعمارى يحاول اليوم أن يتخذ مكانا له عن طريق ثغرة قد يجدها فى مجال الفكر العربى ، حيث يستطيع أن يهدم عاملا أو أكثر من العوامل المكونة لمقومات هذه الأمة ايمانا منه بأن ذلك يضعف « القوة النفسية » التى تواجه نفوذه ويقضى عليه ، وليس معنى هذا أن الفكر العربى الاسلامي يغلق نفسه أبدا ، فهو لم يغلق نفسه طوال أربعة عشر قرنا ، وقد كان دائما مفتوحا على آفاق الفكر يأخذ ويعطى ، ويستوعب ويمتص ، على قاعدته الأساسية التي لا ينحرف عنها وهى أن الاسلام : دين ومدنية ، وقلب وعقل ، ودنيا وآخرة ، ودين وعلم وأن هذه العناصر تتزاوج وتتلاقى فى تكامل واضح ، وأن مصدر الاضطراب انما يجىء من انفصالها ، ذلك طابع الفكر العربى الاسلامي ، الذى بنى قاعدته الأولى على أساس « التوحيد » ، وسيادة الانسان على الكون تحت حكم الله ، قبل أن يلتقى بالفلسفات اليونانية والرومانية والهندية .

ومن هنا كان موقفه منها موقف حرية الاقتباس والتضمين ، فهو قد رفض كل ما يتعارض مع قاعدته الأساسية ، وقبل كل ما يزيده قوة على الحياة ، ويشحذ أسلحته فى سبيل الدفاع عن العقائد .

واذا كان الاسلام فى مضمونه الأصلي عصارة الأديان السماوية باعتباره خاتمها ، فانه فى مجال الفكر قد استطاع أن يذيب مختلف الثقافات الانسانية السابقة عليه فى كيانه ، دون أن يفقد مقوماته الأصلية ، ذلك أنه أساسا دين الانسانية والعالمية ، ومن هنا كانت قدرة الاسلام على الالتقاء بالثقافات والحضارات خلال عمره الممتد ، دون أن يصطدم بها . ومن هنا كانت مرونته فى مواجهة العصور والثورات والدعوات والمذاهب سواء فى داخل نطاقه أم فى خارجه ، دون أن يقضى عليه منها شىء .

والواقع أن « الاسلام » منذ ظهوره الى اليوم ، كان قادرا على الحياة والحركة مؤثرا فى مجرى التاريخ ، سواء فى أبان انتصاراته ، أو فى خلال فترة الضعف التي مرت به ، أم فى مرحلة اليقظة التي تمر به اليوم ، وحتى نقف على أساس ثابت فى هذا البحث علينا أن نواجه هذه الحقائق العشر :

أولا : ـ ان الاسلام كان مفهومه الصحيح الكامل : دينا ومدنية .

ثانيا : ـ ان وثيقة الاسلام الكبرى الخالدة « القرآن » قد حفظت من التحريف .

ثالثا : ــ ان الاســلام لم يتوقف عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى أشد أيام الصراع بين الاستعمار وبينه .

رابعا : ــ اكد الاسلام أهمية العقل ، وفضــل العلم ، وجمــع بين الاتجاهين المادى والروحى . ولــم يكــن عائقا عن التقدم .

خامسا : ــ التفسير التاريخي للاسلام يعطى مفهوما يختلف كــل الاختلاف مع مقاييس الأديان والمذاهب المختلفة .

سادسا : ــ أبرز طوابع الاسلام بعد التوحيد : ((طابع الشمول)) .

سابعا : ــ استمرار قدرة الاســلام الدائمــة المتجددة على البقــاء ومنــح الانسانية قيماً جديدة .

ثامنا : ــ ما تزال ((اللغة العربية)) هى لغة الاسلام ثقافة والأمــة العربيــة قومية ورسمية .

تاسعا : ــ ان دور العرب والمسلمين فى العلم والحضارة لا سبيل الى تجاوزه أو انكاره .

عاشرا : ــ ان الشريعة الاسلامية حية صالحة لكل زمان ومكان ، قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها .

١ ــ الاسلام دين ومدنية

ولقد واجهت الاسلام شــبهة القول بأنه دين روحى ، ينظم العلاقة بين الله والانسان ، لا صلة له بالحياة والمجتمع ، وفى هذا محاولة لانكار مفهوم الشــمول فى الاسلام على أنه دين ومدنية وقد واجه هذا كثير من الباحثين المنصفين .

تقــول العلامــة الدكتــورة الــزى لشننشاتر : الاسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه أسلوب فى الحياة . والاســـلام كدين له قيم خاصة ، وخير دليل على ذلك أن الأديان الأخرى لم يستطع أحدها أن يجد سبيله الى نفوس الأميين والفقراء من المسلمين أو الى نفوس المثقفين ثقافة عالية ، وانك لتجد علماء الذرة والحيوان والرياضة رغم بلوغهم هذه الدرجة العليا ظلوا مخلصين لدينهم الاسلامي ، وما من واحد من الطلبة المسلمين الذين يتلقون العلم فى أوربا تحول عن الاسلام الى دين آخر ، وان كان بعضهم قد استغرب فى انماط حياته ، ولم يحدث هذا عن مصادفة ، ولكن له دلالته القوية ، ذلك أن الاسلام له قيمه التى لا ترضى الجاهل فحسب ، بــل التى تكفــى حاجــات المتعلمـــين والمثقفين .

ويقول موريسون : ان الحــق الذى لا يمارى فيه أحد أن الاسلام أكثر من معتقد ودين ، وانما هو نظام اجتماعي ، تام الجهاز ، هو حضارة كاملة النسيج لها فلسفتها وتهذيبها وفنونها .

ويقول الدكتور بول ركلا : لقد آن لنا أن نعرف ويعرف العالــم جوهــر هذا الدين ، دين يجب ألا نكتفى بتســميته دينا ونقف ، بل لنعطيه اسمه الحقيقي ، ولنسميه فلسفة دينية ، فنكون قد أعطيناه مركزه بين الأديان ، ولســت بمغال اذا صرحت علنا وقلت ان الاســلام مفتوح بابه على مصراعيه ، وهو واسع الأرجاء ، لتلقى الــرقى الحديــث الذى أنتجتــه الأجيال الطويلة ، وليس كما يزعم البعض بمحدود الأطراف وضيق المدخل ، لأن تعاليمه الرفيعة ، وضعت لمرور الدهور ، وستبقى خالدة وضاءة الأنوار ، تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور ، وان الاســلام هو الديــن الوحيد بين جميع الأديان الذى أوجد بتعاليمه الســامية عقبات كثيرة تجاه ميــل الشــعوب الى الفسق والفجور ، ويكفيه فخرا أنه قدس الأنسال وعظمها ، ليرغب الرجل بالزواج ويعرض عن الزنا المحرم شرعا وتشريعا ، وأن الاسلام قد حل بعقلية عالية عادلة

أغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل مشترعي الغرب بتعقداتها ، فالاسلام هو الدين الديمقراطي الوحيد سواء بتعاليمه أم بشرائعه أم بعاداته فهو لا يعترف مطلقا بالزعامة الدينية .

ويقول الدكتور جرمانوس : ان أوربا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية بينما دعا الاسلام اليه وطبقه قبل ثورة فرنسا بنحو ألف عام ، لقد كانت فكرة المساواة والديمقراطية من ابتكار « القرآن » عرفتها أوربا في القرن السابع عشر بينما هي من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأته .

٢ - وثيقة الاسلام الخالدة : « القرآن »

أما « القرآن » فقد ظل قادرا على التأثير في الفكر العربي الاسلامي ، وفي الفكر الانساني عامة ، اذ كانت اجاباته على مختلف القضايا والمعضلات موضع تقدير الباحثين ، على أساس أنها قادرة على حل أزمة الانسان الحديث .

يقول فيليب دي طرازي : لسنا نعرف كتابا عربيا أثار هم العلماء والباحثين في أربعة أقطار المسكونة كما أثارها مصحف القرآن منذ ظهور الاسلام الى اليوم ، تلك حقيقة صادقة لا تفتقر الى برهان يسندها أو حجة تدعمها ، ومن المقرر الثابت أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى في الخافقين ، ولولا القرآن لما أقبل ألوف ألوف من البشر على قراءة تلك اللغة ، وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها ، فالقرآن عزز الجامعة العربية وصان عنصرها ، وضمن سلامتها على توالي الزمان ، ذلك أن الاسلام فرض على كل مسلم أن يدرسه(١) ويحفظه ويجود قراءته قبل أي علم من العلوم البشرية ، وهكذا حفظ التفاهم بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب ، وقد استعصت اللغة العربية بفضله على نكبات الدهر ورسخت رسوخ الجبال الرواسي خلافا لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا في العرب بعد الاسلام ، كالرومان والسريان والأقباط والأنباط والصابئة واليهود وغيرهم .

وفي تقدير العلامة « اتيان دينيه » أن القرآن قد حقق معجزة لا يستطيع أعظم المجامع العلمية أن يقوم بها ، ذلك أنه مكن اللغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول اليوم الينا لكان ميسورا أن يتفاهم تمام التفاهم مع أهل اللغة العربية ، وهكذا عكس ما يجده مثلا أحد معاصري (رابليه) من أهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة في مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيي اليوم. وان لغة القرآن وان كانت تمت في أصولها الى عصور بعيدة قديمة فهي مرنة طيعة تسع التعبير عن كل ما يجد من المكتشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئا من رونقها وسلامتها .

ويقول ادوارد جيبون : ان القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاطلانطيكي الى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الانساني وترتيب شئونه .

ويقول العلامة « فيني » : ان القرآن ليس بكتاب ديني فقط بل كتاب علم وآداب، ونجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية حتى أنه يرشد الانسان الى وظائفه اليومية والأحكام السياسية التي ان لم توجد في القرآن توجد في السنة .

ويدافع « السير ريشارد وود » عن القول بأن القرآن حائل دون النهضة فيقول : ان القرآن يتضمن أحكام الدين وفي نفس الوقت يشمل الأمور المدنية

(١) ليس على سبيل الالزام لكل فرد من المسلمين (الوعي) .

والأصول السياسية ، وأن كثـيرا من مؤلفى الافرنج يـزعمون أن المسـلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء فى معارج الحضارة ما داموا مقيديـن بنصـوص القرآن التي يقولون انها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون . وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ، ويكفى برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام وعناية علماء العرب بالمعارف والفنون ، ودرسهم كتب الحكماء والأقدمين » .

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاليري : أن المعجزة التي تفوق كـل المعجـزات والتي وصلت الينا أخبارها من مصادر غير مشـكوك صـحتها هى « القرآن » فانه كتاب لا يستطيع انسـان أن يأتي بمثله ، اذ أن كل عبارة من عباراته متزنة منسقة مشتملة على معان كثيرة سـهلة المأخذ ، فلا هى كثيرة الايجاز ، ولا هى بالغة حد الاسهاب والاطالـة ، ولما كان أسلوب القرآن فريدا فى بابه ، ولم يكن له مثيل سابق فى الأدب العربى ، فانه يقع فى النفس البشرية موقعا صحيحا لا تصنع فيه ولا افتراء ولا تمويـه ولا استكراه ، اذ أن آياته كلها على جانب عظيم من الفصاحة ، حتى ما كان منهـا خاصـا بالأوامر والنـواهى التي يجب منطقيا أن تكون فى أسلوب هادىء ، كما أن سير الأنبياء وأوصـاف بدء الخلـق ونهايته ، والأحكـام ، وخصـائص الله وصفاته ، كل ذلك يتكرر ذكره فى هذا الكتاب العجيب بأشكال وصور متعددة ، ولكـن دون أن يفقد شـيئا من روعته ومكانته ، وكذلك فان الانتقال من موضوع الى موضوع فى « القرآن » يحصل كثيرا ولكن بغير أن ينحط التعبير عن مستواه ودون أن تقل حلاوته ، كذلك فان التعمق وسلامة التعبير وهما صفتان يندر أن يجتمعا معا ، وقد ظهـرتا متجليتين فى القرآن ، وفيما عدا ذلك فان كل صور البلاغة تجد تطبيقا كاملا فى القـرآن ، فكيف اذن والحالة هذه يمكن القول بأن هذا الكتاب العجيب من صنع محمد ، الذى لم ينظم طوال حياته سوى بيت واحد من الشعر وهو « أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، ولقد تحدى النبى قومه أن يأتوا بكتاب مثـل القـرآن أو بسورة واحدة منه ، ومع أن الفصحاء من العرب كانوا أكثر من رمل الصحراء فان أعداء الاسـلام لم يسـتطيعوا أن يعارضوا القـرآن ، ولكنهـم حاربـوه بالسلاح عندما لم يجرؤوا على محاربته بالكلام » .

٣ ـ انتشار الاسلام

واصل الاسلام انتشـاره منذ فجره الى اليوم ، ولم يتوقف عن الانتشار حتى فى أشد أيام الصراع بينه وبين الاستعمار ، وقد انتشر بقوته الذاتية وبفضل مبادئه التي تحمل التوحيد والحرية .

يقول تومـاس ارنولد (١) : ان كانت دولة الاسـلام قد انقسـمت وانهارت وحدتها السياسية فان فتوح الاسـلام الروحيـة قد بقيـت لا تحـول دونهـا الحوائل ، حدث هذا برغم اغارة المغول على بغداد ، وقيام حكام الأندلس بطرد المسلمين من الأندلس ، كان ذلك يجرى والمسـلمون يضعون أقدامهـم فى أرض جديدة ، ويدخلون أهلها فى دين اللـه ، تلك هى جزيرة سومطرة ، ثم كانوا على وشك أن يبدأوا تقدمهم الموفق فى جزائر أرخبيل الملايو ، وهكذا أقام الاسـلام فى ساعات أزمته السياسـية بطائفة مـن أعظم غزواته الروحية » .

ويقول العلامة مونتيه (٢) : فى افريقيا أناس من المرابطـين هم دعـاة تبشـير

(١) كتابه : الدعوة الى الاسلام .

(٢) كتابه : حاضر الاسلام ومستقبله .

حقيقيون ،وهناك طرق دينية أخذت على نفسها نشر الاسلام ، على أن الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين أنفسهم ، لأن كل مسلم فى البلاد الوثنية داعية دين بحد ذاته ، وقد أنشأ المسلمون قرى يسكنها المهتدون الى دينهم من المحدثين فى الاسلام ، والمدرسة احدى العوامل الفعالة . فهم على الجملة عندما ينزلون ويتوطنون فى بقعة جديدة يصرفون أولى عنايتهم الى انشاء مسجد ويجعلون بجانبه مدرسة .

((والمسلم ينشر دينه وهو متوفر على تجارته أو عامل فى صناعته ، والاسلام ينتشر بواسطة القوافل التي ترحل الى البلاد الوثنية ، ودعاة الاسلام فيما عرفوا من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة ، تناسب كل حال ، بحسب الأقطار والشعوب التي يبثون دعوتهم بين أهلها)) .

٤ ـ الاسلام والعلم

وفى مجال الدفاع عن الاسلام : تبدو القضية الكبرى فى اتهام الاسلام باعاقة تقدم الثقافة والعلوم . ولسنا نحن الذين ندافع عن الاسلام ، ولكنا ندع بعض المنصفين من المفكرين الغربيين الذين فهموا الاسلام فهما صحيحا يتحدثون :

يقول اتيان دينيه : انالعقيدةالمحمدية لا تقف عقبة فى سبيل الفكر فقد يكون المرء صحيح الاسلام ، وفى الوقت نفسه حر الفكر ، ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون المرء منكرا لله . لقد رفع قدر العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب، وجعله من أول واجبات المسلم ، ويقول ((يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء ، ويرفع فضل العلم على فضل العبادة)) .

ويقول الدكتور جرمانوس : أستطيع أن أجهر بمنتهى الجرأة بعد أن قرأت كتاب المسلمين المقدس وثقافة الاسلام بأنه لا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلم أو يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة .

ويقول ليوبولد فايس : ما من دين ذهب أبعد من الاسلام فىتأكيد غلبةالعقل وبالتالى غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة .

ويرى العلامة منسمر : أن بين الاسلام والعلم رابطة قوية ، فان الاسلام لم يزدهر الا بانتشار العلوم وتقدمها .

ويقول رينيه ميليه: لقد جاء المسلمون بمبدأ فى البحث جديد ، مبدأ يتفرع عن الدين نفسه ، هو مبدأ التأمل والبحث ، وقد مالوا الى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء ، وقد وجد فيهم كبار الأطباء .

ويقول الدكتور فرنتورونتال : ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين ، حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة)) .

ويقول جوستاف لوبون : ان القرون الوسطى لم تعرف الامم القديمه الا بواسطة العرب ، وان جامعات أوربا عاشت خمسمائة سنة بكتب العرب ، وان العرب هم الذين مدنوا أوربا فى المادة والعقل والخلق ، وان الشعوب التي دانت الارض لسلطانها عفت الايام آثارهم ، ولم يبق سوى ذكريات السنتهم وأديانهم ، ولكن أهم عناصر مدنية العرب وهى الدين واللسان والفنون لا تزال حية . ولا شك أن العرب هم أول من علم العالم كيف تنفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

للبحث بقية

القرآن وعلم

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى

[illegible] العلاقة الجوية التي تحيط بالأرض [illegible] ذكرها القرآن الكريم [illegible]

١ ــ ((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق)) ــ البقرة ــ .

٢ ــ ((وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)) ــ البقرة ــ .

٣ ــ ((وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ...)) ــ الانعام ــ .

٤ ــ ((وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي)) ــ هود ــ .

٥ ــ ((وأنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها)) ــ الرعد ــ .

٦ ــ ((وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه ...)) ــ الحجر ــ .

٧ ــ ((وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) ــ البقرة ــ .

إلى غير ذلك من عديد الآيات الكريمة التي [illegible] العلاقة الجوية [illegible]

[illegible]

الفلك

للدكتور محمد جمال الدين الفندي
الأستاذ بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة

يتبين لهم أنه الحق) صدق الله العظيم

[illegible]

[illegible]

الجميلة الخلابة التى تتدلى على هيئة الستائر ، فيعطى الأوكسجين اللون الأخضر ، كما يعطى الأزوت اللون الأحمر .

وعلى أية حال قسم العلماء الغلاف الجوى الى أربعة طبقات رئيسية هي :

أولا : الطبقة الدنيا ، وهي التي تحدث فيها تقلبات الجو ، وتسمى علميا (التروبوسفير) ، وفيها تتم الدورة ما بين السماء والأرض ، اذ تتراكم فيها الابخرة الصاعدة من البحار والمحيطات حتى تكون السحب التي ينزل منها المطر ليعود ماؤه الى المحيطات والبحار من جديد عن طريق الأنهر والمياه الجوفية والمطر المباشر على البحار ... الخ .. وهكذا .

ولعل خير تعبير عن هذه الدورة التي لم يعرفها الناس الا حديثا فى عصر العلم قوله تعالى فى سورة الحجر : « **..فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » ، أى أن هذا الماء يجدد باستمرار ولا يختزن ، وهي حقيقةعلمية رائعة سبق بها القرآنالكريمالركببأكثر منألفسنة،فهلبعد ذلك مناعجازعلمي؟! نعم اننا مهما خزنا الماء فانه يعود الى البحر ليتبخر من جديد .

ثانيا : المنطقة ذات الطبقات وهي تعلو الطبقة الدنيا ، وتسمى كذلك (الطخرورية) ، وامتدادها من علو نحو ٢٠ كيلومترا الى علو نحو ٨٠ كيلومترا . وبينما نجد أن درجة الحرارة فى الطبقة الأولى تنخفض مع الارتفاع بمعدل قدره نحو ١/٢ ٦ درجة مئوية لكل كيلو متر فى المتوسط ، اذا بها ترتفع فى هذه الطبقة بسبب تراكم غاز الأوزون فى أواسطها . ويمتص الأوزون جانبا كبيرا من الأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، ويحول دون وصولها الى سطح الأرض ، وبذلك فهو يعمل على حماية الأحياء على السطح من هذه الأشعة المحرقة الفتاكة ، فسبحان المبدع الذى سخر ما فى الأرض والسماء لمنفعة البشر .

ثالثا : المنطقة المتأينة ، أى المحاللة الى عناصرها الكهربية ، وتسمى علميا باسم (الأيونوسفير) . وقد تسمى هذهالمنطقة كذلك بأسم المحيط الحرارى ، نظرا لأن درجة الحرارة ترتفع فيها الى عدة مئات من الدرجات بسببامتصاصالأوكسجين الذرى للأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس أيضا . وتمتد هذه المنطقة الى ارتفاع نحو ٦٠٠ كيلو مترا ، وفيها تتبخر الشهب أو تحترق .

رابعا : المنطقة الخارجية وهي التى تصل الى الفضاء الكونى .

ويحمينا جو الأرض من اشعاعات الشمس القاتلة ، ويدرأ عنا أهوال الفضاء . ومن أكبر الأهوال خارج نطاق جو الأرض الأشعة الكونية التي ترسلها الشمس ، وهي أشعة لا دخان فيها الا أنها تحرق الأحياء وتميتهم فى لحظة عين ، أى أنها أشد فتكا من النار التي نألفها على سطح الأرض ، ومن اللازم أن يعمل العلماء على حماية رواد الفضاء داخل مركبات خاصة لا تسمح جدرانها بنفاذ هذه الأشعة الى الداخل .

ومن أهوال الفضاء كذلك أسراب الشهب التي تهيم فى الفضاء الكونى وتهوى بلا هوادة الى جو الأرض العلوى .

ويتساقط الى جو الأرض فىاليوم الواحد آلاف الملايين من الشهب ، أغلبها حبات دقيقة من الرمال تجرى فى مسارات حول الشمس بسرعة تقارب السرعة الفلكيـة (أى من نحو ١٠ الى نحو ٥٠ كيلو مترا فى الثانية الواحدة) . وعندما تقتـرب هذه الأسراب من الأرض تقع تحت طائل جاذبيتها ، فتبدأ الدوران فى مسـارات جديدة من حولها ، وبذلك تقطع الغلاف الجوى وتحتك به مولدة حـرارة عظمى تكفى لانصهار تلـك الأتربـة والـرمال وتبخيرها فى أعالى الجو .

وما النجوم التى نراها تهوى وتنقض أثناء الليل فى كبد السماء ثم تختفيسوى مسارات تلك الغازات الملتهبة على أبعاد تتراوح بين ١٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر من سطح الأرض كما قدمنا ، وفى السـنين الأخيرة عندما تقدمت طرقرصد الشهب وتصويرها ، اتضح أنها فى الأصل أضواء من المجموعة الشمسية تسبح حباتها فى أسراب متتابعـة من حـول الشـمس ، شأنها فى ذلك شـأن سـائر الكـواكب السيارة ، الا أن مسـاراتها ضـيقة ، وتزداد مقاديرها بالاقتراب من الشمس.

ونحن عندما نحاول أن نجمل أهوال الفضـاء فى هذه الكلمـات المختصرة ، ونوضح أن الغلاف الجوى الذى جعلـه الله تعالى لنا سقفا واقيا ودرعا حاميا من هذه الأهوال التي تنتظر سبيل رواد الفضاء ، ممثلة فى الأشـعة الكونيـة ، والأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، وفى الشـهب والنيازك التي يعج بها الفضاء القريب ، نقول أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكـن عالما من علماء الفضاء ، ولا خبـيرا من خبـراء الجو ، عندمـا نطـق بالآيـات الشريفة الآتية :

١ ــ ((الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)) الحجر .

٢ ــ ((الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)) الصافات .

٣ ــ ((فمن يسـتمع الآن يجد لـه شهابا رصدا)) الجن .

٤ ــ ((وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا)) الجن .

وتبين هذه الآيات الكريمة حقيقة أن الشهب تسبح فى سماء الأرض القريبة وأن الفضاء يعج بها ويمتلىء . والمشاهد أنها تظهر لنا أثناء الليل كخطوط مضيئة عبر السماء ، وكثيرا ما تسمى (النجوم الهاوية) . وهي جسيمات صغيرة من المادة تنساب فى مجموعـات أو أسراب خلال الفضاء الكونى وتدور حولالشمس حتى تقـع تحت طائـل جذب الأرض ، وعندئذ تقبل اليها وتهوى نحوها مخترقة أعالى جوها ، فيبيض لونهـا بسـبب الحرارات العالية التي تتولد فيها عندما تخترق الغلاف الجوى وتحتك به . وما الخط الضوئي الذى يتخلـف من وراء الشهب سوى جسيمات ساخنة الىالحد الذى يجعلها تشع اللون الأبيض .

ويدخل جو الأرض العلوى كل يـوم فى المتوسط نحو ٢٠ مليون شهاب تحدث خطوطا ضوئية يمكن مشاهدتها بالعـين المجردة أثناء الليل . وعندما ندخـل فى الحساب تلك الخطوط التي تبلـغ من الاعتام الدرجة التي تستلزم استخدام المناظير الفلكيـة المكبـرة نجد أن القدر الكلى للشهب أضعاف أضعاف العشرين مليونا . ويقدر بعض العلمـاء أن كتلة الأرض تزداد فى اليوم الواحد بسـبب الشهب هذه بنحو ٤ آلاف رطل .

وأنت ليس من اليسير عليك أن تخرج من مسكنك المضىء وتتوقع رؤية الشهب فى الحال ، اذ من اللازم أن تعتاد عيناك أولا الظـلام وتألفاه . وتسـتلزم هذه

العملية نحو ٢٠ دقيقة لدى الكبار في السن وأقل من ذلك بكثير لدى الصغار .

وتنطلق الشهب في الفضاء بسرعات فلكية تجعل الطاقة التي تحملها حبة لا تزيد في حجمها عن حبة الرمل تعادل الطاقة التي يحملها رصاص البندقية ! .

ومن الطبيعي أن تكون درجة الحرارة الداخلية لجسم الشهاب الكبير وهو في الفضاء الخارجي منخفضة جدا ، الا أنه عندما يدخل جو الأرض يسبب الاحتكاك ارتفاع درجة حرارة جسيمه الخارجي ارتفاعا كبيرا ، بينما يظل الداخل باردا ، وينجم عن عدم التساوى في التسخين على هذا النحو انفجار الشهاب وتفتته بصوت مرتفع يمكن سماعه على مساحة واسعة .

وعلى الرغم من أن متوسط سرعة الشهب في الفضاء هي نحو ٢٦ ميلا ، الا أن هذه القيمة ليست هي السرعة التي تصادم بها غلاف الأرض الجوى . فالأرض تجرى في مسارها حول الشمس بسرعة متوسطها ٥و١٨ من الأميال في الثانية ، وعلى ذلك اذا صادف ودخل الشهاب جو الأرض وهى تجرى في الاتجاه المضاد تكون سرعة التصادم هي :

٥و١٨ +٢٦=٥و٤٤ ميل في الثانية .

أما اذا كان الشهاب يسير مع الأرض ولحق بها فان سرعة التصادم تعادل :

٢٦ — ٥و١٨ = ٥و٧ ميل في الثانية .

وتكون الشهب أهم العقبات في أسفار الفضاء ، والمعروف أن كل مسار من مساراتها التي تتوفر فيها هو في الأصل من حطام المذنبات القديمة التي تعرف عندنا باسم (النجوم ذات الذيول) أو بلغة العامة (النجمة أم ديل) ويظهر المذنب في العادة كجزء مخيف في السماء له رأس متوهجة يتبعها ذيل طويل من اللهب . ويقول العلماء انه عندما ينطلق المذنب بعيدا عن الشمس يبرد حتى أن معظمه يصير مجرد بلورات من الثلج داخلها مواد معدنية وصخرية مغمورة في قلب المادة المتجمدة ببرودة الفضاء الخارجي. ولكن عندما يقترب المذنب من الشمس يسخن ويزداد لمعانه ويتكون له ذيل قد يبلغ طوله عدة ملايين من الأميال، مثل ١٠٠ مليون ميل الذى هو طول أحد المذنبات التي ظهرت في عصرنا الحديث ، وقد كان في منتصف القرن الماضى طوله ٣٠٠ الفمليون ميل. وكلما اقترب المذنب من الشمس امتد الذيل متخلفا وراء الرأس على هيئة سحابة سديمية . وعندما يبتعد المذنب عن الشمس يتناقص حجم الذيل الى أن يختفى تماما في أعماق الفضاء ، هذا كما تنفصل عن رأسه حبيبات رمل وفير وجسيمات مختلفة الحجم والصفات تنطلق فيحزم كثيرا ما تعرف باسم شاطىء المذنب المتلىء بالحصى والرمال .

ونحن نكاد نجهل مصدر المذنبات ، وقديما كانت تسمى(كاسحات السماء) . ومنطقة المجموعة الشمسية تعج اليوم بملايين المذنبات (أى آلاف الملايين) ، ويحدث من حين الى آخر أن يدخل واحد منها في مسار من حول الشمس تحت تأثير جاذبيتها ، فيظهر يجوس خلال الكواكب السيارة ، فيظهر تارة ويختفى أخرى .

وآيات الذكر الحكيم التي صدرنا بها هذا المقال تشير الى ما يعترض سبيل الجن وأفراده من أهوال الفضاء عندما يحاولون مغادرة الأرض ، على غرار محاولات البشر اليوم بعد النجاح في استعمال المحركات الصاروخية كوسيلة للسفر فى الفضاء الكونى مثلا . ونحن نعرف أن لكل انسان كتلة أو ثقل ، ينبئنا القرآن الكريم أن هذا هو أيضا شأن أفراد الجن اذ يقول فى سورة الرحمن :

((سنفرغ لكم أيه الثقلان)) .

وكل جسم له ثقل يخضع للجاذبية ، أى تمسكه الأرض اليها كما تمسك سائر الأجسام لقبضة جاذبيتها .

وتتبادل هذه الجاذبية بين الأجسام وبعضها كذلك ، خصوصا فى الفضاء الكونى . والاعجاز العلمي فى هذه الآيات واضح الى حد كبير ، خصوصا بعد الذى قلناه عن الشهب ووصفناه من خواصها وسرعتها ومقاديرها فى الفضاء الذى يحيط بالأرض ويفصلنا عن مجموعات النجوم الأخرى . فعابر الفضاء لا بد أن يتعقبه شهاب أو سرب من الشهب ، أو يعترض سبيله على الأقل ، وبذلك يتعرض لهذا الخطر الداهم ، بالاضافة الى أخطار أخرى عديدة .

وفى النصف الأول من القرن الماضى انسابت الى سماء أرضنا أكداس من الشهب بلغت ٣٥ ألف شهاب فى الساعة الواحدة ، حتى ملأت الآفاق والجو العلوى بالشهب ، وظهر بعضها على هيئة كرات نارية فى حجم القمر ، وخلفت من ورائها ذيولا ملتهبة كانت تمكث من ١٥ الى ٢٠ دقيقة قبل أن تتوارى فى ظلام الليل . ونحن عندما نذكر هذه الحقائق العلمية انما نقصد من وراء ذلك ان يكون القارىء الكريم لنفسه فكرة عن أسراب الشهب التي تملأ الفضاء المحيط بنا والتي ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

وأحيانا يصادف أن تبدو الشهب فى منظرها العام كأنما هى تجيء الينا وتفد من ركن معين فى السماء . ويطلق العلماء على مثل هذا الركن اسم (منطقة التألق) وعادة تكون مسارات الشهب المرصودة بالقرب من هذه المنطقة قصيرة . أما تلك التي ترصد فيها فانها تظهر عديمة الحركة أى على هيئة ضوء ينير ثم يختفى ، نظرا لأن الشهب تكون فى خط نظر الراصد وتتحرك نحوه مباشرة فلا يلاحظ حركتها .

وبطبيعة الحال لا يفوتنا أن نذكر هنا أن ما قلناه عن الشهب فى هذا المقال انما هو الجانب العلمي فقط على حد دراستنا وأرصادنا حتى اليوم . ولكن كلما تقدم ركب العلم كلما اتسعت آفاق معرفتنا ، خصوصا بعد غزو الفضاء بواسطة الأقمار الصناعية ، وسفن الفضاء التي تحمل معها معدات الرصد المختلفة .

واليوم يعطى العلماء دراسة الشهب أهمية عظمى لزيادة معلوماتنا عنها . ولكن القرآن الكريم قد سبق ركب العلم بما ذكره من قضايا عامة عنها وما قرره من أنها تعترض سبيل رواد الفضاء من الجن ، وبقى علينا أن نعرف تركيبها ومساراتها ومصادرها وتجمعاتها وأخطارها ... فى عصر الفضاء . فسبحان القائل جل شانه :

((سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)) .

خواطر

بقلم : الاستاذ ع . ن

الصحافة والدين

كانت فكرة طيبة وعملا ناجحا ذلك الذى عملته صحيفة الاخبار القاهرية من تخصيص صفحة من صفحاتها للدين طوال شهر رمضان ، فكانت مائدة روحية شهية حرصت على ألا يفوتنى يوم دون أن اقرأها ، وأنا شديد الاعجاب بما تقدمه من معلومات متنوعة بأقلام متعددة ، كانت خطوة كريمة أهنىء عليها الاستاذ جلال الدين الحمامصى والقائمين على الاخبار والمحررين الذين قدموها ، وحبذا لو استمروا على تقديم هذه الصفحة الناجحة كل يوم طوال السنة كما يقدمون صفحات الرياضة وغيرها يوميا ..وأنا أعرف عن الاستاذ جلال عنايته بهذه الناحية فقد كان هو صاحب فكرة باب «دين وثقافة» الذى كنت أقدمه فى صحيفة « الجمهورية » حين كان يرأس تحريرها سنة ٥٨ ، ١٩٥٩، فلما انتقل للاخبار أردنا ــ أنا وهو ــ أن نقدم هذا الباب فيها بعد أن توقف فى الجمهورية، ولكن حالت ظروف دون ذلك . ولعله لا يزال يذكر حديثه معى ، والحديث الذى دار فى مجلس رؤساء تحرير صحف الأخبار حينذاك عما دلت عليه الاحصائيات من أن أكثر الابواب قراءة فى الصحف هو الباب الدينـى ...

أذكره الآن بهذا لعله به وبما لمسوه من التجربة التى قدموها خلال شهر رمضان يستمرون فى تقديم هذه الصفحة يوميا .. باعتباره عملا صحفيا ناجحا .. من جهة .. ومشاركة فى بث الوعى الدينى الذى يعتبر أقوى الحوافز على الخلق الكريم والعمل الناجح والانتاج الوفير من جهة أخرى .

ولا أنسى فى هذه المناسبة التجربة الناجحة التى قامت بها الجمهورية منذ نحـو سنة ، وهى تقديم ملحق دينى مستقل من ثمانى صفحات كل يوم جمعة ، وأرجو من القائمين على الجمهورية أن يخرجوه كما كان فى ثمانى صفحات بالحجم الاول لا بالحجم الذى أخرجوه به أخيرا ...

ان الشعب المسلم فى كل مكان بحاجة ماسة الى الوعى الاسلامى .. وقد دأبت صحفنا فى كل دولة على أن تقدم للقارىء كل شىء الا هذا الوعى مـع شـدة الحاجـة اليه ، والمجلات الاسلامية المتخصصة ــ كما نعلم ــ ليست مثل الصحف اليومية فى الانتشار والتوزيع : ومن هنا نلمس جميعا ما يجب على الصحف اليومية فى كل البلاد الاسلامية من الاضطلاع بتقديم هذا الوعى لقرائها ، خدمة منها لدينها وأوطانها .

الكوكا كــولا

صدر قرار لجنة المقاطعة التى انعقدت أخيرا بالكويت بحظر التعامل مع شركتى ((كوكاكولا وفورد)) وغيرهما لانها أقدمت على التعامل مع اسرائيل غير مبالية بشعور عشرات الملايين من العرب متخيلة أنهم لا يستطيعون التخلص من مشروبها أو مــن ركوب سياراتها ، أو أنهم لا توجــد لديهم العزيمة لمجابهة استهتارها هذا بمقاطعــة اجماعية .. ولكن صدر قرار اللجنة الذى التزمت بتنفيذه كل الدول العربية .. ومع ذلك فسيارات ((الكوكاكولا)) توزعها كما كانت من قبل .. ويقال ان لدى الشركة مخزونا يكفيها لسنين .. ومعنى هذا أنها ستظل توزع كأنه لم يحدث شىء .. وبعد هذه المدة ((يفرجها الله)) !!

وقد سمعت كثيرا من الناس يتساءلون : لم تبقى هذه الشركات تبيع منتجاتها عندنا مع أن القرار صدر ؟ !

وأحب أن أقول لهؤلاء الذين يشترونها ويستهلكونها افرضوا أن النظام يقضى بأن تبقى الشركة حتى تصرف المخزون لديها .. فما هو دوركم أنتم .. وما دور الشعب العربى المســلم المستهلك ؟

لماذا يقف موقفا ايجابيا من الشركة ويشــترى ما تنتجه ؟ لماذا لا يرفض مثلا شرب ((الكوكا كولا)) وشراءها ؟

ان فى يده وحده الحل السريع الحازم .. انه لو رفض الشراء لرجعت السيارات الى المصانع محملة بما خرجت به .. ولتوقفت المصانع الخاصة بها .. واضطرت الشركة الى التخلص من هذه المصانع حتى لا تتحمل مصاريفها ومصاريف العمال والموظفين بها .. وحينئذ تشعر بجدية المقاطعة ووقعها ..

هذا دور الشعب الذى يستهلكها ويدفع ثمنها .. وهو دور حازم وسريــع وفعال كما قلت . فلماذا لا يتقدم ويحمل دوره ؟ وهو فى غاية السهولة .. ولا يكلفه شيئا بل مجرد الامتناع عن شراء هذه السلعة والاكتفاء بغيرها .. وهو كثير ..

أمر فى غاية البساطة ولا يريد الشعب أن يقوم به .. ثم نجد الكلام هنا وهناك لماذا تبقى منتجات هذه الشركات بيننا ؟ .. لماذا تتركها الحكومة ولا تنفذ .. ؟ !! كــل شىء على الحكومات ، واللوم على الحكومات حتى ولو كان زمام الموقف فى يد الشعب !! ولو كان هذا الموقف لا يكلفه من أمره عسرا !!

لقد كان من الواجب على كل فرد حين صدر قرار اللجنة أن يصدر قراره هو الآخر بالامتناع عن معاملة هذه الشركات ودفع ماله فى منتجاتها ليذهب الى أصحاب هذه الشركات هناك .. هؤلاء الذين استهتروا بشعورنا .. بشعور عشرات الملايين من أجل اسرائيل ! !

أتدرى يا أخــى المعنى الذى يحمله شراؤك لها حتى الان ؟

فكر فيه قليلا .. فاننى لا أريد أن أشرحه لك لانه مفهوم .. مفهوم جدا ..

ولا توجه اللوم لغيرك قبل أن تلوم نفسك وتصحح موقفك ..

معنى العيد

تبادل التهانى بالعيد سواء أكان بالزيارات أم بالرسائل ، من المظاهر الكريمة التى تحيى فى النفوس الشعور بمعنى العيد وبهجته ، كما تجدد الصلات الطيبة بين الاقارب والأصدقاء ، وتقوى أواصرها ، واذا كان الاطفال يجدون فى لعبهم وملابسهم الجديدة وملاعبهم وملاهيهم بهجة العيد ولذته ، فان الزيارات والاجتماعات والرسائل هى التى تحقق معنى العيد لدى الكبار .. وتذكرهم بالقريب والبعيد ، وتفتح القلب للصديق وغير الصديق ...

وتقوى هذه المعانى حين تكون مع التعارف الشخصى صلة روحية ، ومحبة قلبية ثم تبلغ ذروتها وكمالها ، وجمالها وجلالها حين لا يكون بين الاثنين معرفة شخصية ، ولكن معرفة معنوية ، وود روحى جمع بين قلبيهما ، وحمل كلا منهما على أن يمسك القلم ليكتب الى صديقه الذى لم يره ، ولكنه أحبه ، وتلاقت روحه مع روحه ، وهدفه مع هدفه . هنا يكون حقا معنى الصفاء والوفاء . الوفاء للمعانى ، للأعمال ، لا للاشخاص ...

ولقد تلقت « الوعى الاسلامى » سيلا من التهانى أرسلها أصدقاؤها وقراؤها من جميع أنحاء العالم : الشرقى والغربى .. فكانت عيدنا فى العيد ، وفرحتنا بالاسرة الروحية الكبيرة التى تجمعت حول الوعى الاسلامى ..

فالى هؤلاء الأحباب جميعا ـ بقدر ما أحسسنا من فرحة بتهانيهم ـ اليهم وافر الشكر وأخلص الحب وأصدق الامنيات .. سائلين الله تعالى أن يجعلنا دائما عند حسن ثقتهم وتقديرهم ، وأن يجمل أعيادنا بهذه المعانى الطيبة وأن يمنحنا جميعا من توفيقه ما يجعلنا أهلا لحسن طاعته ، وحلو رضاه .. يوم نلقاه ..

أين الحياء

الصحافة التى تلجأ أحيانا كثيرة أو قليلة الى الصورة أو الكلمة الخليعة المثيرة تعلن عن افلاسها فى ارضاء القراء وجذبهم اليها بالكلمة المفيدة والتوجيه الصادق .. مثلها تماما مثل المغنية التى تلجأ الى الملابس المثيرة والحركة الخليعة لتجذب المستمعين والمشاهدين من المراهقين أو أشباه المراهقين حين تحس أنها فشلت فى كسب اعجابهم بحلاوة الصوت وحسن الاداء أليس كذلك ؟ ..

ولا زلت فى حيرة ودهشة من أمر هذه المجلات المتخصصة فى الاغراء بهذه الصور المثيرة على غلافها أو على صفحاتها الداخلية أو بالكلمة الداعرة . هذه المجلات ما رسالتها فى خدمة أوطانها ؟ ! .

هل يمكن أن يتحدث أصحابها عن هذه الرسالة ؟ !

أو يقول لنا المسئولون عن الرقابة فى البلاد العربية الاسلامية كلها شيئا عن الدور الجدى لهذه المجلات فى النهوض بأوطانها حتى يسمحوا لها بالصدور ، واستهلاك الورق والجهود أو يسمحوا لها بالتوزيع !! وهى مليئة بالسموم التى تفتك بروح الشباب وتهدم ما تبنيه الدول وما تبذله من جهود لاعدادهم رجالا صالحين يخدمون دينهم وبلادهم ...

أرسل لى قارىء من الكويت بقصاصة من مجلة الشبكة العدد ٥٧٣ بتاريخ ٦٧/١/١٦ تحت عنوان « حميديات » فيها :

يقولون : الصبر مفتاح الفرج وأنا أقول ... وكلام فى غاية الاسفاف والفجر لا يمكن أن نذكره هنا .

فأين الحياء ؟ ولمن تكتب هذه المجلة ؟ .
لكأنها تصدر وتوزع فى بلاد لا تراعى دينا ولا مقاييس خلقية ..

تعدد الزوجات

للأستاذ محمود كمال محمد
ج . ع . م

جهدت المرأة فى الآونة الأخيرة فى المطالبة بادخال تعديلات جديدة على قوانين الأحوال الشخصية ، فى بعض البلاد العربية ، وعلى الأخص فيما يتعلق « بالطلاق » و « تعدد الزوجات » ، وأعلنت مطالبها فى المجتمعات ، وفى مختلف المجالات ، وجعلت من هذه المطالب مثارا للجدل والمناقشة على صفحات الجرائد ، وفى التليفزيون ، وغيره من وسائل الاعلام ، وما تزال تثير هذا الجدل فى كل مناسبة ، بل وفى غير مناسبة ، بفكرة أن « من سار على الدرب وصل » .

وقد اطلعت على مقال فى احدى الصحف عنوانه « المرأة تعثر فى كتب الفقه على رأى يقول : تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » . وقد تضمن هذا المقال ، فيما تضمنه ، العبارات الآتية :

« بدات المراة تنقب فى كتب الشريعة وتستخرج النصوص والآراء التيتناقض القوانين الوضعية . **تبين أن بعض الفقهاء أعلنوا أن تعدد الزوجات حرام** ، وأنه من المحظورات التي لا تباح الا فى حالة الضرورة القصوى !! .

« ولكن ما هي حقيقة المشكلة التي تواجهها المرأة ، هل هي مجرد **نصوص جامدة** ، لا تتفق مع التطور الموضوعي الذى حققته المرأة . . ما هي الفكرة الرئيسية التي تشكل **جذور التخلف** الذى تعانيه المرأة ؟ .

« والاسلام أيضا يدين (هكذا) تعدد الزوجات ، أو على الأقل هذا رأى فقهاء كثيرين منهم المعتزلة قديما ، وكثير من الفقهاء المحدثين » .

« ان المرحوم عبد العزيز (باشا)

تعدد الزوجات

فهمي ، رئيس محكمة النقض الأسبق ، وأحد أساطين الفقه ، أعلن صراحة فى بحث قيم ، أن تعدد الزوجات حرام، وأن تعدده محظور فى الاسلام ، ولكن كل قاعدة لها استثناء ، وكما تبيح الضرورات المحظورات ، فان قاعدة التحريم هذه يرد عليها استثناء ، ويقدر هذا الاستثناء الحاكم .. » .

« ان القرآن استعمل كلمة (ما طاب لكم) ولم يستعمل كلمة (حل لكم) والطائب قد يكون حلالا ، وقد يكون حراما » !! .

« ان عبارة مثنى ، وثلاث ، ورباع لم يقصد به التعدد ، والا لكان التعدد يصل الى تسع زوجات أو ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو » .

★★★

وصاحبة هذه الآراء المشتمل عليها هذا المقال لم تحجم عن ابدائها استنادا الى مبدأ حرية الرأى ، الذى ندين له جميعا وننادى به .

ولكن اذا كان احترام الآراء ، فى كل المجالات العلمية، وغيرها مهما يكن لونها ، واجبا علينا ، وعلى غيرنا من الناس فانه يجب أن تكون تلك الآراء صادرة عن علم متين ، وفهم سليم ، وبصيرة نافذة ، أما أن تكون صادرة عن جهل ، أو غرض ، أو عن المام سطحي ، نتيجة الاستماع الى بعض الأقوال العابرة ، التي لا تتحرى الدقة والعمق فى البحث ، أو نتيجة الاطلاع على بعض المراجع والكتب الفقيرة فى مادتها ، والتي لا تغنى ولا تسمن من جوع ، فما من شك فى أن الناس يعذرون اذا هم ضربوا بها عرض الحائط ، بل ونددوا بها تنديدا ، واعتبروها اجتراء على العلم ، أو الشرع ، أو القانون ، بل وربما ظنوا بها الظنون خطأ أو صوابا كانت تلك الظنون !! .

ومؤدى ما اشتمل عليه هذا المقال ، المعزز برأى المرحوم الاستاذ عبد العزيز (باشا) فهمي كما تقول الكاتبة هو ما يأتي :

أ ـ ان تعدد الزوجات حرام ، كقاعدة أساسية ، وبما أن لكل قاعدة استثناء ، فاباحة التعدد استثناء من هذه القاعدة يقدره الحاكم .

وتفسير هذا القول هو أن الأصل فى التعدد الحرمة ، بحيث لا يكون لانسان الحق فى أن يعدد زوجاته الا باذن من القاضى فان رفض القاضى الاذن له بذلك كان الزواج الذى يعقده ـ رغم هذا الرفض ، زواجا باطلا ، لا تترتب عليه آثاره الشرعية فيكون الابن الذى يولد نتيجة لهذا الزواج ابنا غير شرعي ، لا ينتسب الى أبيه ، ولا يرثه .. الخ ، وهذا غير صحيح فى الاسلام ، كما سنبينه فيما بعد .

والدليل الذى تستند اليه السيدة فى تقرير هذه القاعدة يتلخص فى :

أولا ـ ان القرآن استعمل كلمة « ما طاب لكم » ولم يستعمل كلمة « حل لكم » فى آية « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء

مثنى وثلاث ورباع » والطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراما !! .

والواقـع يخالف هـذا التدليـل ، ذلك لأن كلمة « طاب » لغة كما جاء فى المصباح المنير هي « الشيء يطيب طيبا اذا كـان لذيذا أو حـلالا ، فهو طيب ، وطـابت نفســه تطيــب انشرحت وانبســطت » . وكما جـاء فى مختار الصحاح « الطيب ضد الخبيث ، وطاب يطيب طيبة بكسر الطاء وتَطْيَـابا بفتح التاء » .

واذا فهذه الكلمة لا تنطوى على أى معنى من معانى الحرمة أو الحرام والا كان الله آمرا بالنكاح المحرم الخبيث .

ثانيا — تقـول « ان عبارات مثنى ، وثلاث ، ورباع ، لم يقصد بها التعدد ، والا لكان التعدد يصل الى تسع زوجات أو ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو » .

ونقول ان مختـار الصـحاح يذكـر « وجاءوا مثنى مثنى أى اثنين اثنين » — وفى المصـباح المنـير « وثنيت الشـيء بالتثقيل جعته اثنين » .

واذا فكلمة مثنى معناها جعل الشيء اثنـين ، وهكذا ثـلاث ورباع . ويكون المعنى أن الرجل له أن يجعل زوجاتـه اثنتين ، وله ان يجعلهن ثلاثة ، وله ان يجعلهن أربعا ، كحد أقصى .

ودليل ذلك هو ما ورد ان غيلان اسلم وتحته عشر نسوة ، فقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم « امسـك اربعا وفارق باقيهن » ، وروى ان نوفل بن معاويـة أسلم وتحته خمس نسوة فقال عليـه الصلاة والسلام : أمسك أربعا وفارق واحدة » .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اقر كثيرا من الصحابة على زواجهم بأكثر من واحدة ، وطلب الى من يجمع منهم اكثر من أربع زوجات أن يختار منهن أربعا .

ويروى الطبرى عن قتادة فى تفسير الآية الكريمة قوله : كما خفتم الجور فى اليتامى ، وهمكم ذلك ، فكذلك خافوا جمع النساء أى الزوجات ، وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشر من النساء فما دون ذلك .. فأحل الله جـل ثناؤه ، أربعا بقوله .. مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلـوا فواحدة .. يقول ان خفت ألا تعدل فى أربع ، فثـلاث ، والا فاثنتين ، والا فواحدة .

وما كان الله سبحانه وتعالى ليزيد العدد الذى يبيحه فى التشريع الاسلامي ، على العدد الذى كان أهـل الجاهليـة يبيحونه لأنفسهم من قبل ، بل لقد قصد التقليل الى الحد الذى يطيقه البشر ، ويتفق مع طبيعتهم ، فى المستوى العادى لهم ، كما يتفق مع صـالح الانسـانية والجماعات ، فى كل الأمـم ، وفى كـل الأزمان .

ويقول المرحوم الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى كتابه (علم أصول الفقه) انه يفهم من عبارة الآيه الكريمـه المذكورة « ثلاثة معان : اباحة زواج ما طاب لكم من النســاء ، وتحديد عدد الـزوجات بأربع ، وايجاب الاقتصار على واحدة اذا خيف الجور حال تعدد الزوجات .. » والله سبحانه وتعالى نبه الى أن خـوف

تعدد الزوجات

الجور يجب أن يحول أيضا بينكم وبين تعدد الزوجات الى غير حد ، وبغير قيد ، فاقتصروا على اثنتين أو ثلاث أو أربع ، وان خفتم أن لا تعدلوا حين التعدد فاقتصروا على واحدة فهذا الاقتصار على اثنتين أو ثلاث أو أربع أو واحدة هو الواجب على من يخاف الجور .. فاباحة الزواج مقصود تبعا لا أصالة ، والمقصود اصالة قصر عدد الزوجات على اربع أو واحدة .

وواضح من هذه العبارة أن القرآن حدد العدد بأربع لا يزيد ، ونقول هنا أن خوف الجور والظلم الذى يمنع من التعدد ، مسألة نسبية ، تختلف من شخص الى آخر ، فقد استشعر فى نفسي الخوف ، ولا يستشعره آخر يأنس من نفسه القدرة على الوفاء بمستلزمات التعدد ، وعلى ذلك فالمانع شخصي متروك تقديره لكل انسان حسب ظروفه النفسية ، والمادية والصحية ، والاجتماعية ، ومع ذلك فان تدخل الحاكم لمجرد محاولة الحيلولة بين الرجل والتعدد ، لا لتحريمه فى ذاته ، لا يمنع منه مانع اذا كانت هناك ظروف تستدعي ذلك ، كما سنبينه فيما يلي من هذا المقال ، فى مناسبة القانون الصادر فى تونس بتحريم التعدد .

والاربع عدد معقول ، عند الظروف المقتضية للتعدد ، اذا ما أخذنا فى اعتبارنا مثلا زيادة عدد النساء غير المتزوجات على الرجال ، ناهيك بالأسباب الحيوية الأخرى التي توجب على الناس هذا التعدد تحت ظروف وملابسات معينة ، وذلك لأنه ليس كل رجل قادرا على الزواج بينما النساء ــ عدا القليل منهن ــ صالحات لذلك، فالرجل لا يكون قادرا على الزواج الا اذا توافرت شروط كثيرة من النواحي الجنسية والصحية والاجتماعية ، ومن أهم هذه الشروط أن يكون قادرا على نفقات المعيشة لزوجة واسرة ، ولا يتحقق ذلك ، فى كثير من الأحيان ، الا فى سن متأخرة ، أما الفتاة فتصلح للزواج ، وكثيرا ما يتم فى سن مبكرة ، ويترتب على ذلك أن يكون الصالحون للزواج من الذكور أقل من الصالحات من النساء ، فاذا اختص كل رجل بزوجة كان عدد الفتيات الراغبات فى الزواج بغير أزواج كبيرا ، مما يؤدى الى اختلال التوازن ، واضطراب الحياة الاجتماعية . بل قد يؤدى الى تردى الفتيات فى الرذيلة ، وانتشار الفسق والفجور ، وهذا هو ما حدث فى كثير من الأمم الغربية التي تسير على وحدة الزوجة ، اذ بلغت نسبة أولاد السفاح فى فرنسا ما يقرب من نصف مجموع المواليد هناك ، من أجل ذلك كان تحريم تعدد الزوجات بصفة مطلقة ، مؤديا الى عواقب اجتماعية وخيمة .

ومصداقا للقول بوجود زيادة فى عدد النساء على عدد الرجال لسبب أو لآخر ، فان السباح العالمي الأستاذ أبو هيف ، روى أنه نزل أثناء رحلته الأخيرة فى احدى الجزر ، فوجد أن كل رجل هناك تقابله خمس نساء ! ! .

وتكملة للرد على ما ورد فى أقوال السيدة الكاتبة ، نذكرها بحقيقة لا يمكن انكارها ، هي أنه لو كان لشريعة فى الوجود فضل على المرأة فهو لشريعة الاسلام ، التي رفعتها الى أقصى حد يمكن أن ترفع اليه ، اذ ساوتها بالرجل فى كل شيء ، فى العبادات ، والمعاملات ، ومختلف الحقوق والواجبات ، والحريات ، اللهم الا فى القليل الذى توجبه طبيعتها التي فطرت

عليها ، فاذا كانت المرأة المسلمة تعاني تخلفا أو كانت بعض البيوت معرضة أحيانا للانهيار ، فالذنب ليس ذنب الدين ولا الشريعة ، اذ أن الدين سياج لنا ضد مفاسد الحياة وشرورها جملة ، ولكنه ذنب المجتمع نفسه ، الذى اهمل مقوماته ... ويحق لنا أن نسأل عن نصيب المرأة ذاتها فى تلك الحال التي انحدرت اليها من هذه الوجهة بالذات ، ان صح أنها انحدرت فعلا ! ! .

والواقع أن تعاليم الاسلام لا تزال هي الحائل الأكبر بيننا وبين الهاوية التي تردت فيها أمم غيرنا ، كما يتبين لنا من الاطلاع على **هذا الخبر** الذى نشرته جريدة الاخبار فى عدد ١٩٦٥/٤/٢٤ ونصه كما يأتي :

« خرجت النساء السويديات فى مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجا على اطلاق الحريات الجنسية فى السويد ، اشتركت فى المظاهرة حوالى مائة الف امرأة ، وسوف يقدمن عريضة الى الحكومة تعلن العريضة الاحتجاج على تدهور القيم الأخلاقية » .
استوكهلم ى.ب.ا .

فما هي العبرة التي يجب أن نعتبر بها من هذا الخبر ، أليست هي ضرورة الحفاظ على الدين الاسلامي القويم ، بتعاليمه المتفقة مع صوالح البشر ، فى كل زمان ومكان ؟ .

ولنترك السيدة الكاتبة الى حديث آخر فى نفس الموضوع ، ذلك أن صيحات المرأة التي تردد صداها فى جوانب العالم الاسلامي لم تذهب كلها هباء ، فلقد أثمرت بعض الثمر ، وكان ثمرها مر المذاق ، اذ رأينا احدى الدول الاسلامية تصدر تشريعا يمنع التعدد كما يمنع الطلاق الا بطرق واجراءات خاصة :

وقد ذكر الاهرام الاقتصادى فى عدده الصادر فى ١٩٦٣/٩/١٥ ما يأتي : « بعد ان حصلت تونس على استقلالها فكر المسئولون فيها فى اصدار قانون جديد موحد للأحوال الشخصيةتسير بمقتضاه أحوال المواطنين هناك ، وذلك للقضاء على حالة التعدد فى المحاكم ، والمذاهب التي كانت تسود الأحوال الشخصية أيام الاحتلال الفرنسي ، وفعلا صدر القانون الجديد عام ١٩٥٦ بعد الاستقلال مباشرة » .

« وباستعراض هذا القانون نستطيع أن نتبين عدة ملامح مميزة :

« ــ ان القانون موحد ويطبق على كل المواطنين التونسيين المسلمين وغير المسلمين ، سواء بسواء .

« ــ انفرد القانون التونسي ببعض النقاط الهامة ــ التي تعتبر استحداثا فى التشريع ــ فيما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات ، فقد أوجب القانون ضرورة توقيع الطلاق أمام المحكمة ، ولا يجوز غير ذلك ، كما حرم القانون تعدد الزوجات تحريما قاطعا » .

واورد الاهرام الاجراءات الحتمية لطلب الطلاق ، سواء اكان بناء على طلب الزوج أو الزوجة أو بتراضيهما معاً . ونلاحظ ان المشروع التونسي قد أغفى عن أصول الأحكام الشرعية فى كثير ، فى الوقت الذى ترسم فيه خطى التشريعات الفرنسية ، يتمثل ذلك فى الاجراءات التي أوجبها لطلب الطلاق والحكمبه، مما لا يتسع مناقشته فى هذا المقال ، وفى الأخذ بتحريم تعدد الزوجات تحريما باتا .

مائدة القارئ

عمر يستدين

أرسل عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه ((٤٠٠)) درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك بيت المال ؟ ألا تأخذ منه ، ثم ترده ؟ فقال عمر : انى أتخوف أن يصيبنى قدرى — أموت — فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلفها منك لما أعلم من شحك ، فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

هذا الجندى المجهول

حاصر مسلمة حصنا ، فندب الناس الى نقب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش ، فدخله ، ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما أجابه أحد .

فنادى انى أمرت الاذن بادخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه الا جاء . فجاء رجل ، فقال : استأذن لى على الامير ، فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمة ، فأخبره عنه ، فأذن له ، فقال : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا :

ألا تسودوا — تكتبوا — اسمه فى صحيفة الى الخليفة .

ولا تأمروا له بشىء .

ولا تسألوا ممن هو .

قال : فذاك له .

قال : أنا هو .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

الحج يهدم ما قبله

عن عمرو بن العاص قال :

لما جعل الله الاسلام فى قلبى ، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

ابسط يدك فلأبايعك

قال : فبسط فقبضت يدى !

فقال : ما لك يا عمرو ؟

قلت : أشترط ..

قال : تشترط ماذا ؟

قلت : أن يغفر لى ..

قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ما قبله !

كثر خير الله وطاب

عن أنس قال : وقف النبى صلى الله عليه وسلم (بعرفات) وقد كادت الشمس أن تئوب ، فقال : يا بلال أنصت لى الناس .

فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فأنصت الناس : فقال صلى الله عليه وسلم : معشر الناس : أتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فاقرأنى السلام ، وقال : ان الله عز وجل غفر لاهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات ..

فقام عمر بن الخطاب ، فقال :

يا رسول الله : هذا لنا خاصة ؟

فقال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة

فقال عمر بن الخطاب : كثر خير الله وطاب .

كيف تركتهم

وفد رجل على عمر بن عبد العزيز فقال له : كيف تركت الناس ؟

قال : تركت غنيهم موفورا ، وفقيرهم محبورا ، وظالمهم مقهورا ، ومظلومهم منصورا .

فقال عمر : الحمد لله لو لم تتم واحدة من هذه الخصال الا بعضو من أعضائي لكان يسيرا ...

معاش أبى بكر

بعد أن بويع أبو بكر الصديق بالخلافة ذهب الى السوق كعادته ليتاجر ، ويقوت نفسه وأهله ، فلقيه عمر ، فقال له : الى أين ؟ قال : الى السوق . قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أطعم عيالى ؟ فقال عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة من بيت المال ، فانطلق الى أبى عبيدة ، فقال للخليفة انى أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف : فاذا أخلقت شيئا رددته ، وأخذت غيره !!

سنوات ثلاث

قام أعرابى بين يدى (هشام بن عبد الملك) فقال : أتت على الناس سنون ثلاث .

أما الاولى فلحت - ازالت - اللحم . وأما الثانية فأكلت الشحم . وأما الثالثة فهاضت العظم .

وعندكم فضول أموال ، فان كانت لله فقسموها بين عباده . وان كانت لهم ففيم تحظر عنهم ؟! وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين .

فأمر هشام بمال فقسم بين الناس ، وأمر للاعرابى بمال ، فقال :

أكل المسلمين له مثل هذا ، قالوا : لا ، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين !!

قال : اذن فلا حاجة لى به .

يصطادون الدنيا بالدين

يؤمر يوم القيامة بناس يؤتى بهم من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ، ونظروا الى قصورها ، وما أعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها ، فلا نصيب لهم فيها. فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها : فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا . قال : ذاك أردت بكم . كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين،تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابونى ، أجللتم الناس ولم تجلونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ، اليوم أذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب .

(حديث شريف)

مناظرة ولا تزال ..

جرى بين أبى الاسود الدؤلى وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه ، وأراد أخذه منها ، فسار الى زياد وهو والى البصرة فقالت المرأة : أصلح الله الأمير . هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه أكلأه اذا نام ، وأحفظه اذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى اذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكعت (اشتدت) أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه منى كرها . فآدنى أيها الأمير فقد رام قهرى ، وأراد قسرى .

فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى أوده ، وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله .

فقالت المرأة : صدق . أصلحك الله . حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها .

فقال له زياد : أردد على المرأة ولدها . فهى أحق به من حقك. ودعنى من سجعك)).

من أمجاد تاريخنا الماضي

صقلية الإسلامية

١

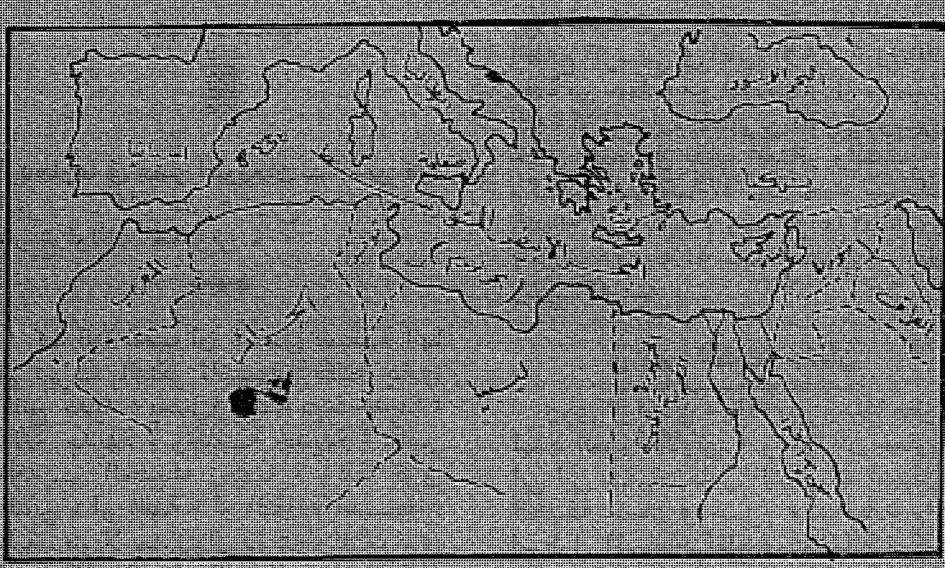
للدكتور زكى محمد غيث
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الشريعة
جامعة بغداد

سنقتصر فى حديثنا عن : ((صقلية الاسلامية)) على الجوانب التى يهم القارىء الكريم معرفتها ، بما يجلى الصفحات المشرقة التي خطها المسلمون على أرض جزيرة صقلية زهاء ثلاثة قرون عاشوها فيها خلال العصور الوسطى ، مراعين ظروف النشر فى مجلة يفرض عليها منهجها أن تتسع صفحاتها لنشر العديد من الموضوعات ، تحقيقا لأهدافها التي أنشئت من أجلها ، واشباعا لرغبات قرائها ذوى الثقافات المتباينة ، والمشارب المختلفة ، والله ولى التوفيق .

صقلية (١) جزيرة كبيرة تأخذ شكل مثلث تقريبا ، تتوسط البحر الأبيض المتوسط ـ الذى كان بدوره يتوسط العالم القديم المعروف اذ ذاك ـ وكان لها بحكم مركزها المتوسط فى هذا البحر مكانة خاصة ، فهى تقسم حوضه الى

---

(١) صقلية بثلاث كسرات ، وتشديد اللام ، والياء أيضا مشددة ، والبعض ينطقها بالسين ، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد والقاف . وهذا الاسم أولى من (سيسليا) الذى عرفها به الفربيون ، وخصوصا لأن كثيرا من مشاهير العلماء والشعراء يعرفون بالانتساب اليها (يراجع : معجم البلدان لياقوت ج ٥ ص ٣٧٣ ، وصبح الأعشى للقلقشندى ج ٥ ص ٣٧٣ ، ومعجم الخريطة ص ٦٦ ، وقاموس الجغرافيا القديمة لأحمد زكى باشا ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦) .



قسمين : شرقى ، وغربى ، كما أنها تعتبر قنطرة تصل بين قارتين هما : أوربة ، وافريقية (١) .

★★★

وصقلية بجانب كونها جزيرة كبيرة بالنسبة لجزائر هذا البحر ، تمتاز بخصب غير مألوف فى باقى جزائره ، لذلك كانت مطمح أنظار الأمم التي كانت تتنافس على السيادة فيه .

وليس من شأننا هنا أن نتعقب أدوار تاريخها ، وانما يكفى أن نذكر أنه ما من أمة كانت لها فى حوض هذا البحر سيادة الا واتجهت أنظارها نحو صقلية فركبت البحر اليها ، ونازعت سادتها السيادة .

★★★

وكلما نزل بالجزيرة فاتح جديد طبع البلاد بطابعه الخاص ، من ثقافة ، ولغة ، ودين ، وبذلك كانت الجزيرة مسرحا لوثنية القرطاجيين ، واليونان ، حتى غلبتهم وثنية الرومان الفاتحين ، واذا بقوة جديدة تظهر فى الشرق ، فتصطدم فوق أرض الجزيرة بوثنية الرومان فتقضى عليها ، وتلك هى المسيحية ، وتظل المسيحية ممثلة فى الرومان أولا ، ثم فى البيزنطيين ثانيا . حتى ظهرت قوة الاسلام وتطلع المسلمون الى الجزيرة فملكوها ، وساد الاسلام فى الجزيرة زهاء ثلاثة قرون ، ثم ظهرت فى جنوبى ايطاليا قوة مسيحية جديدة ــ هي قوة النورمان ــ فانتزعت من المسلمين صقلية، وبذلك عادت الجزيرة الى مسيحيتها .

★★★

ومما يذكر لصقلية أنها حظيت على الدوام بعناية الفاتحين وتقديرهم ، ويكفى أن نضرب لذلك مثلا أن ازدهارها فى عصر المسلمين كان مثلا واضحا لما وصل اليه المسلمون من مجد ، كما أن

(١) أنظر الخريطة المرافقة للمقال .

ازدهارها فى عصر النورمان ــ الذين تلوا العرب ــ كان بدوره أروع صفحة فى تاريخ أولئك المغامرين .

★★★

كما أننا نحب أن نسجل لصقلية أنها لم تعرف بالتنكر لماضيها ، فكلما جاءها فاتح جديد ، يحمل فى يمينه دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وثقافة جديدة ، عاصر القديم الحديث زمنا ، وكلما قوى الدين ، أو اللغة ، أو الثقافة استطاع البقاء طويلا بعد زوال دولته ، لذلك نرى الدين الاسلامي ، واللغة العربية، والثقافة الاسلامية تعمر فى صقلية حقبا طويلة بعد زوال دولة المسلمين ، ولولا ما اجتاح أوربة بعد ذلك من تعصب اهلها ضد الاسلام أينما حاوا لبقى الاسلام الى جانب المسيحية فى الجزيرة عصرا طويلا .

★★★

وثمة ظاهرة أخرى فى تاريخ صقلية ، هى أنها ظلت على الدوام مسرحا يتعاقب عليه الشرق والغرب ، فكانت تتأرجح ما بين السيطرة الأوربية والافريقية ، بل بين السيطرة الغربية والشرقية ، فكانت بذلك ساحة الوغى بين الغرب والشرق ، ومصطدم الديانات التي يحملها كل فريق، وملتقى اللغات التي يتكلمها كل فاتح .

المحاولات الاسلامية الأولى لغزو صقلية

كانت صقلية ذات الموقع الممتاز ، والخصب الوافر ، والثراء الواسع ، والمساحة الكبيرة تجذب أنظار الغزاة ، فتقصدها الحملات البحرية الاسلامية من وقت لآخر ، وهى حملات كان ينقصها الطابع الرسمي فى أغلب الأحيان، وتتألف عادة من جماعة من المجاهدين فى سبيل الله ، أو البحارة المغامرين الذين يجوسون خلال البحر فى طلب الغنائم والكسب ، وكانت صقلية اذ ذاك تحت سيادة الدولة البيزنطية ، وقد غزاها المسلمون لأول مرة فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فى زمن الخليفة عثمان

روى الواقدى ، والمازرى وصفا مطولا لهذه الغزوة الأولى ، وذكرا أن معاوية ابن أبى سفيان عامل الشام قد أستأذن الخليفة عثمان فى غزو صقلية ، وأن أسطول المسلمين أقلع فى ثلاثمائة مركب من سواحل الشام ، حتى ألقى مراسيه بشواطىء افريقية .

ثم وصفا خروج المسلمين فى مراكبهم واغاراتهم على أطراف الجزيرة ، وضربهم حصونها بالمجانيق ، وانتصارهم على أهلها حتى « أجحروهم فى دورهم وقصورهم » ، ثم رويا نجدة ملك الروم لأهل الجزيرة ، وعلم المسلمين بذلك ، وعودتهم فى سفنهم سالمين محملين بالأسلاب والغنائم الى الشام ، فأرسل معاوية بن أبى سفيان بالخمس من الغنائم الى الخليفة عثمان بالمدينة مع البشرى بسلامة المسلمين ، « فسر عثمان بذلك سرورا عظيما ، وفرح لسلامة المسلمين ، وقسم الخمس فى أهل المدينة » (١) .

كانت هذه الغزوة سنة ٣٣ هـ (٦٥٣ ــ ٦٥٤ م) ، ذكر ذلك غير واحد من مؤرخى العرب ، كابن عذارى المراكشي فى كتابه : البيان المغرب ، والنويرى فى كتابه : نهاية الأرب ، وابن أبى دينار فى كتابه : المؤنس .. كما أن المؤرخ الايطالى

---

(١) يراجع النص الكامل فى المكتبة الصقلية (فتوح الشام ومصر للواقدى) ج ١ ص ٢٠٠ ــ ٢٠٥ ، وكتاب ذكرى ميلاد أمارى (كتاب المعلم فى فوائد صحيح مسلم للمازرى) ج ١ ص ٤٠٥ ــ ٤١٥ مقال الأستاذ جريفيني .

ميخائيل أماري – وهو عمدة في تاريخ صقلية – يذكر حدوث غزوة على صقلية سنة ٦٥٢ م (١) . كما ذكر فيليب حتى ذلك في كتابه تاريخ العرب (٢) ، والمؤرخ جريفيني ذكر في عنوان مقاله الذي أثبت فيه نص رواية المازري : « أن هذه الغزوة حدثت سنة ٣٣ هـ (أغسطس سنة ٦٥٣م – يوليو سنة ٦٥٤ م) (٣) .

وكانت هذه الغزوة بقيادة عبد الله بن قيس الفزاري أمير البحر في ذلك الحين ، وفق القول الرائج .

في عهد بني أمية

وهذا ولم تزل صقلية تغزى منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان حتى انقضاء عهد دولة بني أمية في الشرق ، فقد غزاها على عهده عبد الله بن قيس الفزاري بجماعة والى افريقية معاوية بن حديج سنة ٤٦ هـ (٦٦٦ م) ، ذكر ذلك غير واحد من مؤرخي العرب (٤) .

ثم وافاها بعد ذلك لهذا الغرض غير واحد من القواد والأمراء بافريقية ، في أوقات مختلفة منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ – ٨٦ هـ) ، حتى عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ – ١٣٢ هـ) ، وهذا ما انعقد عليه اجماع معظم المؤرخين ، وفي عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بعث عبد الرحمن بن حبيب الفهري جيشا الى صقلية سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧م) أيام ولايته على افريقية فانتصر ، وسبى وغنم (٥) ، وكانت هذه هي الغزوة العاشرة منذ أيام عبد الملك بن مروان ، كما هو ثابت من استقصاء الغزوات في تلك الحقبة .

★★★

ثم اندلعت في افريقية نيران الفتن والثورات التي أشعلها الخوارج في جميع الجهات حتى اضطربت ، وقاتل عبدالرحمن بن حبيب الفهري الخوارج ، وهزمهم في كل مكان ، وانقطع أمرهم وهدأت الأحوال نسبيا ، وفي أثناء ذلك دالت دولة بني أمية بالشرق وآل الأمر الى بني العباس ، فبعث عبد الرحمن ابن حبيب بطاعته الى أبي العباس السفاح ، ثم من بعده الى أبي جعفر المنصور ، ولم يلبث عبد الرحمن طويلا حتى قتل سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤م) (٦) فكانت تلك الاضطرابات والفتن ، وانتقال الأمر من دولة الى أخرى مما شغل ولاة افريقية عن غزو صقلية ، وأعطى اهلها فرصة لتحصينها وعمارتها ، فبنوا المعاقل والحصون ، ولم يتركوا جبلا الا وجعلوا عليه حصنا (٧) .

★★★

وبعد . فيلاحظ مما تقدم أن السرايا البحرية الاسلامية قد غزت صقلية غير مرة أيام دولة بني أمية ، ومع ذلك لم تستطع أن تقوم فيها بفتوحات ثابتة !! .

البقية على ص : ٨١

(١) تاريخ المسلمين بصقلية لاماري ، ف ٤ ، الكتاب الاول .
(٢) تاريخ العرب ، ف ٤٢
(٣) كتاب ذكرى ميلاد أماري ، ج ١ ص ٤٠٥ .
(٤) المكتبة الصقلية (فتوح البلدان للبلاذري) ٢٣٧ ، ديوان صلة السمط وسمت المرط لابن شباط) ج ١ ص ٢٠٩ – ٢١١ ، والبيان المغرب ، لابن عذاري ج ١ ص ٩ ، والاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى ، للسلاوي ، ج ١ ص ٣٦ .
(٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٤ ص ٣٤٥ ، والبيان المغرب ، لابن عذاري ج ١ ص ٥٣ ، والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٠ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الادب للنويري) ج ١ ص ٤٢٦ .
(٦) البيان المغرب ، ج ١ ص ٥٥ ، ٥٦ ، والعبر .. ج ٤ ص ١٩٠ .
(٧) المكتبة الصقلية (نهاية الأرب للنويري) ج ١ ص ٤٢٦ .

العالم الثائر في ذكرى وفاته

لقى ربه في صباح السبت ٢ من شعبان ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م ، وتجمع الملايين حول نعشه تودعه الى مقره الاخير ، واهتزت قلوب مئات الملايين ، وفاضت عيونهم بالدموع جزعا لوفاته ، وحزنا على فراقه ، وفراغ الميدان السياسى من جهوده وتوجيهه ، وارتجفت عشرات الملايين من المسلمين خوفا من المستقبل بعد أن انهار الركن الذى كانوا يستندون عليه . وقف رئيس الجمهورية فى حفل تأبينه الذى اجتمعت فيه كل أحزاب الهند على اختلاف مشاربها يقول وعيناه تفيضان بالدموع :

ان تاريخ الهند خلال خمسين سنة مضت يقترن باسم الفقيد على وجه لا يمكن فصله عنه ، ان القلم الذى ألهب الوطنية فى الملايين من أهل هذه البلاد قد وقف اليوم ، وان الصوت الذى أثار ملايين الهنود وأيقظ فى نفوسهم الحمية والحماس الوطنى قد خفت اليوم ، ان الملايين التى احتشدت من قبل حول نعشه تودعه ، والجماهير المحتشدة اليوم كشفت عن اعمق التقدير للزعيم الجبار الذى فارقنا يوم السبت الماضى والذى اقترنت حياته بحركة استقلال الهند وتعميرها اقترانا لا يمكن أن ينفصل ..

لقد أثار الشعب بكتاباته البليغة البديعة ، وبث فيه روح الكفاح والجهاد لتحرير وطنه وأرشدنا بأعماله الباهرة وتضحياته العظيمة الى تذليل العقبات وازاحة العوائق والعراقيل التى تقف فى سبيل الامة وتحريرها . كان عبقريا يكتنه الغوامض وهو بعد لم يبلغ رشده »

وقف الزعيم الهندى « نهرو » وقد غلبه التأثر والحزن واغرورقت عيناه بالدموع ليودع الراحل الكريم فقال : توفى الى رحمة الله ... وكلنا سنذوق الموت ، وقد يستطيع الزمن التخفيف من هول المصاب ، ولكن أنى لنا بمن يسد الفراغ الذى تركه الراحل الكريم ، اننى سأبقى طول حياتى أتذكر هذا المصاب

كان طرازاً وحده فى عظمته ، وسوف لا توجد مثل هذه الشخصية لا فى الهند ولا فى خارجها . (نهرو)

بقلم عبد المنعم النمر

الجال كلما واجهتنى الخطوب والمعضلات وأتساءل فى حزن وألم : أين ذلك الصديق العظيم الذى كنت ألجأ اليه دائما ألتمس منه النصيحة والمشورة

وفى عدد خاص عن الراحل الكريم أصدرته جريدة الجمعية لسان حال جمعية علماء الهند كتب الزعيم نهرو يقول فى تحليل عميق :

« الحديث عن شخصية أعرفها عن قرب أمر صعب ، وهذه الصعوبة تبلغ ذروتها حين يكون صاحب هذه الشخصية رفيقا سياسيا اشتركنا معا فى تحمل المسئولية الضخمة والمتاعب الجمة فى سبيل خدمة الوطن ولذلك أحس صعوبة بالغة فى التحدث عنه .

منذ ثلاثين سنة قابلته وجها لوجه لأول مرة ، وكنت قبل ذلك أسمع عنه وعن اهتمامه بالقضايا القومية بكل ما فيه من عزم وثبات ، وكنت أتابع مقالاته أيام الحرب العالمية الاولى قبل ذلك اللقاء ، وكنت لذلك تواقا الى مقابلته . كان حينذاك شابا ولكن علامات النضج كأنها منقوشة على جبينه ... ولم أكن حينذاك من أعضاء حزب المؤتمر حتى يتاح لى لقاؤه والتعرف عليه ، فكنت أسعى جاهدا للتعرف به من بعيد ، ثم حين أصبحت عضوا بالحزب وجدت المجال الواسع للتعرف على شخصيته الفذة .

فى كثير من قرارات الحزب وشئونه ورسم سياسته كان خير رفيق وأعز زميل لى باستمرار ، وقليل من الناس من يعرف أنه كانت له اليد الطولى فى كل ما أصدره الحزب من قرارات وآراء رشيدة ، وكانت آراؤه الحرة النيرة دائما ناضجة ذلك لأنه كان وراءها علم غزير وعقل ناضج وتدبير حكيم وفراسة نادرة .

لقد كان له أثره البعيد المدى فى تكوين الشعب تكوينا فكريا نظيفا وتكوينا علميا منظما ولا شك أن التاريخ سيشهد كيف قام بدور عظيم فى خدمة القضايا الوطنية

لبلاده ، ولكننا نحن الذين عرفناه عن قرب قلما ننتظر حكم التاريخ ، فاننا في غني عن التاريخ فقد كان لبلادنا وأمتنا قوة راسخة كالجبال . ومع أننا كنا نختلف معه أحيانا ــ وهذا أمر طبيعي ــ الا أننا نشهد بأن آراءه دائما كانت وجيهة رشيدة ما في ذلك من شك ، ولم يكن من السهل التخلي عنها لأنها كانت صادرة عن رجل أخذ بناصية الماضي والحاضر ، ولأنه كانت له تجارب واعية وعقل يقظ ، كما كان يملك فهما سليما للأمور ودراية بها .. لقد وجد العظماء في كل مكان وزمان ، **ولكنه كان طرازا وحده في عظمته ، وسوف لا توجد مثل هذه الشخصية لا في الهند ولا في خارجها .**

لقد أدى خدمة كبرى للاسلام والمسلمين حين نادى في الشعب . ان البلاد الاسلامية لا يمكن أن تحرر من الاستعمار الا اذا حصلت الهند على استقلالها ، لقد كان مجموعة محبوبة من عظمة الماضي وعظمة الحاضر ، وكان يتسم بكل الصفات الأخلاقية الحميدة التي يندر وجودها في هذا الزمان . ان الانسان يحاول الآن الصعود الى القمر ولكنه مع ذلك يفقد هذه الصفات الانسانية التي كنا نراه نموذجا حيا لها ، وكان فوق ذلك ملتقى ثقافات الغرب والشرق قل نظيره في هذه الايام . »

وفي كتاب « من السجن الى الرياسة » تحدث نهرو عن الراحل الكريم فقال :

« كان شابا ألمعيا في الرابعة والعشرين من عمره تلقى علومه الأولى في جامعة الأزهر بالقاهرة (١) واشتهر ــ وهو بعد في العقد الثاني من عمره ــ بمعرفته العميقة باللغتين العربية والفارسية الى جانب المامه بالعالم الاسلامي خارج الهند ، وبالحركات الاصلاحية التي كانت آخذة مجراها فيه وبالتطورات الاوربية . »

ومن قبل تحدث عنه الزعيم غاندى فقال :

انه لا يبارى في العلوم الاسلامية كما كان متبحرا في اللغة العربية ووطنيته متينة صادقة كايمانه بالاسلام .

واختلف معه غاندى مرة في رأى من الآراء السياسية ، وطلب منه أن يستقيل من الحزب صباح يوم من الأيام ، ولكنه لم ينقض اليوم حتى جاء غاندى الى اجتماع لأعضاء الحزب ووقف بينهم معتذرا له عما صدر عنه ، وافتتح اعتذاره بهذه الكلمة **« هاكم المذنب يعود تائبا الى مولانا »** .

ودعته « جمعية حماية الاسلام » في لاهور لالقاء محاضرة عن « الأساس العقلي للاسلام » بعد ما ذاع صيته من كتاباته ، وهو بعد لم يبلغ العشرين فذهب اليها .. وحين رآه أعضاء الجمعية والحاضرون ظنوا أنه نائب عن ذلك الرجل المشهور الذى دعوه ، ليقرأ عليهم المحاضرة .. ثم كانت دهشتهم بالغة حين عرفوا أنه ليس نائبا ، ولكنه الشخص الذى سمعوا عنه ، وقرأوا له وأعجبوا به ، ودعوه لالقاء المحاضرة ، ثم

---

(١) هكذا يقول نهرو وهو خطأ تاريخي مشهور في الهند، وتكرر هذا كثيرا عند وفاته لكن نهرو وقف في حفل تأبينه في البرلمان في ٢٥ فبراير ١٩٥٨ وصحح هو نفسه هذا الخطأ الذى وقع فيه هو وغيره ، وقال « كنا نعتقد ذلك ولكن الواقع انه ذهب الى مصر زائرا وزار الجامع الأزهر . ولكنه لم يقم فيه للتعليم » وقد لفت نظرى عناية نهرو تصحيح هذا الخطأ أمام البرلمان . ومن قبل نبه الراحل الكريم الى هذا الخطأ الشائع في حياته وأرجع شيوعه الى أنه عقب عودته من مصر تكلم في مؤتمر صحفي عن الأزهر وبرامجه حين زاره ١٩٥٨ وهو شاب فاعتقد الكثيرون أنه تعلم في الأزهر ومنهم بعض مؤرخي الهند وزعمائها .

كانت دهشتهم أبلغ ، واعجابهم أشد حين استمعوا اليه ...

دعا الى مقاطعةالحكومة وعدم التعاون معها ، ونظم حركة مقاطعة كلكتا لزيارة ولي عهد انجلترا للهند سنة ١٩٢١ ، فقبضت عليه الحكومة وقدمته الى المحاكمة بتهمة تشهيره بالحكومة ، وفى ساحة المحكمة وقف وألقى مرافعة طويلة عن وجهة نظر الاسلام فىالحكومات المستبدة ، وسرد مواقف علماء المسلمين تجاه هذه الحكومات ، واعلان رأيهم فيها وأعلن رأيه فى صراحة واضحة وجريئة تعد مثلا دائما لكل صاحب رأى وفكرة ، وتعتبر امتدادا لمواقف العلماء الأعلام تجاه الحكام الذين كانوا يرونهم ظالمين.. مرافعة كل كلمة فيها يحسن بنا أن نحفظها وندرسها لأولادنا ليعرفوا منها رأى الاسلام فى الحكم ، ويعرفوا منها دروسا ومواقف رائعة تركها لنا السابقون من رجال الاسلام الأحرار ... أنقل لك ومضات منها هنا تنير وتلمع .. قال يخاطب المحكمة .

ان كانت هذه التصريحات جناية ، فانى معترف بأن قلبى قد اشتغل بها ، ولسانى نطق بها ، وانى أنا الذى صرحت بها أمام عشرات الألوف من الناس .. ليس فى هاتين الخطبتين فقط بل فى خطب أكثر من أن تعد أو تحصى ، بل ما برحت أقول أكبر وأشد منها ، ذلك لأننى أعتقد أن التصريح بها واجب علي ، ولا أزال قائلا بها ما دام لسانى بين أسنانى ، وروحى فى جثمانى ، وان لم أفعل أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله والناس أجمعين .. نعم انى قلت أن هذه الحكومة ظالمة ، وان لم أقل هذا فماذا أقول يا ترى ؟ وأيم الله انى لأعجب كيف يطلب منى أن أسمى الأشياء بغير أسمائها وأن أدعو الاسود بالابيض !! .

ان الظالم لا يستحق أن يبدل اسمه ، ويسمى بغير اسمه ، لأنه يملك القوة والسجون والمشانق . كلا بل أقول كما قال زعيم ايطاليا وبطل حريتها ((مازيني)) قرة عينى فى هذه الجناية .

ويتحدث عن الحرية فيتحدث عنها حديث الحر المسلم فيقول :

انى أعتقد أن الحرية حق طبيعي لكل انسان وكل أمة . فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وليس لشخص ما أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خدما . وسم الاستعباد والرق بأى اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق . ومشيئة الله وناموسه يمقتانه . وأننى لأجل هذا لا أعترف بالحكومة الهندية ، بل أعدها حكومة غير شرعية ، لأنها مستبدة طاغية .. أرى واجباتى الدينية والوطنية والانسانية تطالبنى بأن أحرر بنى جلدتى من رقها وعبوديتها الشائنة .

ثم يحلل الاستعمار وما يدعيه من اصلاحات تحليلا منطقيا رائعا فيقول :

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة .. سؤال ثانوى ..

أما السؤال الأساسى فهو : هل وجودها حق وشرعى ؟ .

انى لأعتقد أن وجودها باعتبار أصل خلقتها غير شرعية لأن نفس وجودها ظلم وشر . ويكفى لقبحها وشناعتها أنها موجودة . نعم ونعترف بحسناتها ــ ان كان لها حسنات ــ ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعى ومثاله : لو تسلط أحد على بيتنا وأداره ادارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه عليه حقا شرعيا ..

ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالكم والكيف فنقول : كم هو وكيف هو ؟ ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسن والقبح .. فلا نقول . أحسن هو أم قبيح ؟ نعم يقال سرقة قبيحة وسرقة أقبح . ولكن لا يقال . سرقة حسنة ، وسرقة قبيحة . وهكذا الاستبداد ..

ثم يجابه المحكمة برأى الاسلام فى الاستبداد . فيقول :

انى مسلم ، ولأنى مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وقبحه وأشهر بمساوئه، وليعلم أن الاسلام لا يقبل الحكومة المستبدة لأنه نظام كامل للشورى وحكم الشعب ، وانه جاء ليرد للنوع الانساني حريته المغصوبة التي اغتصبها الملوك المستبدون والحكومات الأجنبية ، والرؤساء الروحانيون ذوو الأهواء والرجال الأقوياء من الجماعة ، وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط والقهر والغلبة ، ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس فى القوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق وأن ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم .

ان الاسلام أعلن حقوق الانسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، ولم يكن مجرد اعلان بل وضع نظاما عمليا للشورى بالغا فى الكمال منتهاه ..

ثم يقول :

ولعمرى ان المطالبة من مسلم بأن يسكت عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الاسلامية .

وفى أواخر مرافعته يقول :

« ان كانت محتويات هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة ، وترانى أستحق العقاب لأجلها فلم لا تعاقبنى على جميع خطبى وهى كلها مثلهما ، بل أشد وطأة على الاستبداد منهما . بل انى مضطر الى التصريح أمامكم بأنى ارتكبت مثل هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل ما عملت فى السنتين الماضيتين غير هذه الجناية » .

بهذه الروح الثائرة المؤمنة كان يجابه المحكمة والحكومة الانجليزية ، وفى وقت خرجت فيه انجلترا من الحرب العالمية الأولى منتصرة ، تزهو بقوتها ، وتفرض ارادتها ، وتتيه بما أحرزته من نصر على ألمانيا وحلفائها ..

ذلك هو مولانا أبو الكلام أزاد

ولد فى مكة سنة ١٨٨٨ م من أب هندى مهاجر ومن أم مدنية ، وان كان لم يلبث أن رحل به والده الى كلكتا بعد عامين من مولده ، واستقر بها ، ودرج الطفل ونشأ فى أحضان والديه ، يعرف العربية منهما ، ثم حين شب حرص والده التقى المؤمن أن يربيه تربية دينية شأنه شأن المحافظين من المسلمين الذين كانوا ينأون بأبنائهم عن التعلم فى المدارس التي أنشأتها قوى الاستعمار حتى يظلوا على ولائهم لدينهم ووطنهم ..

ولم يلبث الفتى أن أظهر نبوغا مبكرا .. فالتهم العلوم الدينية والعربية ، ثم اتجه الى الثقافة الغربية ينهل منها فجمع سريعا بين الثقافتين ، وقام فى نفسه عراك بين ما ورثه من علوم قديمة وما عرفه من ثقافة حديثة ، وانتهى به المطاف الى أن يتخذ لنفسه منهجا حرا فى التفكير وسمى نفسه لهذا « أزاد » أى الحر شعارا على حرية فكره ...

ولم تزده هذه الحرية الا التصاقا بدينه ، وتفانيا فى العمل له ...

وبرز فى شبابه داعيا الى أن يستعيد المسلمون فى الهند أمجاد سلفهم ، ويحرروا أنفسهم من قيود التقليد ، وينزلوا الى ميدان الجهاد من أجل تحرير بلادهم من المستعمرين ...

وطاف بالبلاد العربية ، وهو فى نهاية العقد الثانى ، ووقف على التيارات الفكرية والوطنية فيها ، واتصل برجالاتها وعقد صلات وصداقات فكرية وشخصية معهم ، ثم عاد لوطنه ليبدأ شوطا طويلا وشاقا فى سبيل غايته ، فأنشأ جريدة « الهلال » سنة ١٩١٢ لتكون لسانه فى الدعوة التي نذر نفسه لها .. فكانت ذات منهج جديد وأسلوب فريد ، وروح ثائرة ، أقضت جنوب المستعمرين فأغلقوها ، ولكنه لم يستسلم فأصدر أختها « البلاغ » ولكن الانجليز تعقبوه وتعقبوها فصادروها وصادروا مطابعها واعتقلوه وأودعوه السجن ليقضى فيه مدة الحرب ولا يفرج عنه الا فى نهايتها .

وخرج ليستأنف نشاطه ودعوته .. ويعود الى المعتقل حينا بعد حين ...

وتتقرب اليه الهيآت الوطنية فى الهند ، وتعمل على أن تستفيد من جهوده وشخصيته ، فلا يتأبى عليها ويشاركها جميعا فى جهودها ، حتى تبلور عمله وجهده فى حزب المؤتمر الوطنى ، فيختاره رئيسا له وهو بعد فى سن صغير ، لكن أهله للرياسة نشاطه وجهاده ..

فيصبح هو رأسه المفكر المدبر مع غاندى .. ويختلف أحيانا مع غاندى فى خطة الحزب ومنهجه تجاه الأحداث التى تمر بالهند ، ثم يخرج أخيرا ظافرا بتأييد وجهة نظره .. حتى اذا وضعت الحرب الثانية أوزارها ، واتجه الانجليز لمنح الهند استقلالها أفرجت عنه وعن بعض الزعماء المعتقلين ليتولى المفاوضات باسم الهند ...

وتظل المفاوضات بين الاخفاق والأمل فى النجاح ، ومولانا أزاد هو رأس المفاوضين الهنديين .. حتى تنتهى المفاوضات بالنجاح . وشيء آخر هو تقسيم الهند الذى كان مولانا أزاد يعارضه بكل قواه .. لكنه لم يكن منه مفر فكان التقسيم . وكانت دولتا . الهند وباكستان .. وبقى مولانا أزاد يقود مع غاندى ونهرو الجهود السلمية لتعمير الهند والنهوض بها بعد الاستقلال ، فيتولى رئاسة البرلمان ثم وزارة المعارف المركزية لعموم الهند حتى يوافيه أجله فى صباح السبت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م

ولعلك تدهش اذا علمت أن هذه العظمة السياسية التي بلغ ذروتها ، انما جاءت له عارضة عن طريق ايمانه بدينه وجهاده فى سبيله ، وعمله الدائب لتقرير مفاهيمه الصحيحة فى النفوس ، فقد نشأ نشأة دينية ، وكان لذلك عالما بل اماما من أئمة تجديد الفكر الدينى أو ان شئنا الدقة ، فنقول من أئمة تحرير الفكر الدينى من آثار التقليد والجمود مثله فى الهند مثل جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى البلاد العربية ، حتى اذا تابعت ما يكتبه كل من هؤلاء ويدعون اليه وجدت التشابه القوى بين دعوتهم حتى لكأنهم جميعا يسيرون على خط مرسوم .

لقد كانت له حملات صادقة وعنيفة بقوة المنطق على التقليد ، وذلك عن طريق كتاباته فى مجلتين « الهلال والبلاغ » وعن طريق خطبه وأحاديثه ، وكانت دعواته الى الحرية والجهاد فى سبيلها عن طريق اثارة الروح الدينية فى النفوس حتى نجده يقول فى مرافعته أمام المحكمة بعد أن سرد مواقف المسلمين السابقين ضد الاستبداد . « ان المسلمين أنفسهم مسئولون عن تسلط الأجانب عليهم لأنهم فقدوا خصائص الحياة الاسلامية .. وان قلبى ليذوب حزنا وكمدا على وجود أناس من المسلمين فى هذه البلاد يتخذون أربابا من دون الله ، ويعبدون الظلمة جهرا وعلنا .. ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام التي لا تبيح لهم بحال من الأحوال أن يعيشوا عبيدا للأجانب والمستبدين بل توجب عليهم أن يحيوا أحرارا أو يموتوا كراما ،

وليس بينهما سبيل ، وهذا الذى حملنى قبل اليوم باثنتى عشرة سنة على أن أذكر المسلمين فى « الهلال » بأن الجهاد فى سبيل الحرية وبيع الرءوس فى سبيل اعلاء كلمة الحق هو ارثهم الاسلامي القديم الذى ورثوه عن أسلافهم العظام ، وأن دينهم يحثهم بأن عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم فى الجهاد الوطنى .. الخ » .

وفى مكان آخر من مرافعته يقول :

وانى اصرح هنا بأن (الهلال) لم تكن الا دعوة للحرية أو الموت ، وأن ما يعمله المهاتما غاندى الآن من بث الروح الدينية فى النفوس كانت ((الهلال)) قد فرغت منه سنة ١٩١٤ وأن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية .

ولقد اتخذ مولانا أزاد من تفسيره للقرآن بعقليته الجديدة المتفتحة طريقا لايقاظ العقول الجامدة والقلوب الخامدة .. فبدأ يكتب تفسيرا للقرآن الكريم أتم منه سبعة عشر جزءا سماه « ترجمان القرآن » ونشره فى ثلاثة مجلدات ثم شغلته أحداث السياسة والجهاد عن اتمامه . وكتب له مقدمة جاء فيها :

مضى لي سبع وعشرون عاما بالتمام والقرآن الكريم كان موضوع مطالعتي ليلا ونهارا . كان يذهب بى الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها وكلماتها الى أبعد حدوده وأوسع نواحيه فدقق فكرى سورة سورة ، وحقق نظرى آية آية ، ونقبت دراستي لفظا لفظا ، حتى ليصح لي أن أقول انني قرأت من كل ما يوجد من كتب التفاسير خطية كانت أو غير خطية أكثرها ، فلم تفت فكرى ناحية من نواحى علوم القرآن فى مباحثها ومقالاتها ، واذا كانوا قد قالوا ان من العلم قديما وحديثا فانني لم أر هذا التقسيم فى نفسي ، فالذى يقال عنه قديم قد ورثته ، أما الجديد ففلقته بعصاى وجعلت لنفسي اليه سبيلا فصار عندى كالقديم علما وخبرة ..

وقد خصص المجلد الأول كله لتفسير سورة الفاتحة أم الكتاب ، ثم كان المجلدان الآخران لما أتم من تفسير ..

ولقد كانت له وقفات فاحصة ومنقبة جديرة بكل تقدير عند بعض القصص القرآنية كقصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين وسده الذى أقامه ويأجوج ومأجوج ، وفى هذه القصة الأخيرة يتجلى علم مولانا أزاد وسعة اطلاعه ودقة منطقه ، وهو يحاول الكشف عن شخصية ذى القرنين ، حتى وصل فى النهاية الى رأى فيه دعمه بالتاريخ وبالآثار مقابلا بين ذلك وبين ما جاءت به آيات القرآن فى وصفه . ووصف يأجوج ومأجوج ..

ولعل الله ينيح لي قريبا نشر ما كتبه عن هذه القصة مع ترجمة وافية لهذه الشخصية التي جمعت بين الجهاد الدينى والجهاد السياسى ، وبلغت فى ميدانهما المدى الذى لا يستطيع بلوغه الا العباقرة الموهوبون .. وفاء منا لهذا الرجل الذى شغل كل هذا التاريخ وانطوت حياته دون أن يعرف عنه قراء العربية واخوانه المسلمون ما عرفوه عن تلامذة وزملاء له فى حركة تحرير الهند ..

رحمه الله وطيب ثراه وجزاه عن دينه وأمته خير ما يجزى به العاملين .

والفاعلية ، والدين الكامل كما يقول الأســتاذ عبد الهادى أبو ريده — لا بد أن يعبر عن هذا كله . عن المطلق (الله تعالى) فى اطلاقه ، وعن المحدود (الانســان) فى محدوديته وعن العلاقــة بينهما ، وهذا التعبير يصلح أحد المقاييس لمعرفة صحة دين ما على وجه الاجمال ، ولمعرفة ما اذا كان هذا الدين يصلح دينا للانسان .

أما المطلق — فبطبيعته — أفعاله كلها اختيار محض ، وقدرته شاملة عامة ، فهو لا يتقيد بقيد ولا يمكن أن يطبق عليه اعتبــار من الاعتبارات النسبية التي هى بالاختصار وجهة نظر الانسان المحدود ، أما الانسان فهو مشدود بين أمرين ، بين شعوره بقدرته واستقلاله — وهو بهذا الاعتبار — فاعل حر مختار ، وهو من جهة أخرى مخلوق وجزء من الكون هو فيه فاعل ومنفعل ، وهو بهذا الاعتبار ليس حرا باطلاق . ولذلك لو قال أحد : ان الانسان حر حرية تامة ، لكان مصيبا من جهة ، أعنى من جهة شعور الانسان بارادته وقدرته عندما يتصور نفسه ارادة مستقلة بصرف النظر عن أنواع المقاومة الداخلية والخارجية التي يواجهها عند تنفيذ العمل ، وكذلك لو قال أحد ان الانســان مجبر ، لكان أيضا مصيبا من ناحية ، أعنى من جهة أنه مخلوق وأن أفعاله تتأثر بمؤثرات كثيرة عند تنفيذها ، ولذلك عبر الفلاسفة عن موقف الانسان الوسط هذا بأنه ((حر فى عالم من القيود)) وبأنه مواطن فى عالمين)) وبأنــه ((مجبور مختار)) وبأنه ((منزلة بين المنزلتين)) . هو حــر من حيث أن أفعاله ليست شبيهة بفعل الطبيعة التي هى جبر محض ، وهو مجبور ، من حيث أن أفعاله ليست اختيارا محضا ، كأفعال الله ، بل هو قادر من جهة ومخلوق من جهة أخرى وكونه قادرا يجعله مناطا للتكاليف الشرعيــة التي هى فى مجموعها طلب يستدعى وجود القدرة والحرية والاختيار ، وكونه مخلوقا ، يمنعه من الاستقلال التام بالفعل ، لأنه يستمد من الله وجوده (أولا) وقدرته على الفعل (ثانيا) وبهذا الاعتبار أيضا صح اسناد الفعل الى الله والانسان معا ومن غير تناقض ، فالفعل — كما يقول الامام ابن تيمية وتوما الأكويني — يقع بقدرة الله خلقا وتكوينا ، كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه ، وبقدرة العبد سببا ومباشرة .

وخلاصة القول

فان الجبر لا يكون — كما يقول ابن رشد — محضا ، وان الاختيار ، لا يجوز أن يكون مطلقا ، بل الحق التوسط بين هذين الرأيين ، وذلك بان نقرر بأن أفعال الانسان ليست اختيارية تماما ولا اضطرارية تماما ، وانما تتوقف على عاملين . ارادة حرة ترتبط فى الوقت نفسه بأسباب خارجية تجرى دائما على نمــط واحد ، والارادة هذه فى ذاتها عبارة عن شوق يحدث عن تخيل ما أو تصديق شيء ، وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا ، بــل هو شيء يعرض لنا عن الأمور التي من خارج ، مثال ذلك ، أنه اذا ورد علينا أمر مشتهى من خارج اشتهيناه بالضرورة من غير اختيار فتحركنا اليه ، ولما كانت الأسباب التي من خارج تجرى على نظام محدود وترتيب منضود لا تخل ، وبحسب ما قدرها بارئها عليه ، كانت ارادتنا وأفعالنا لا تتم ولا توجد بالجملة الا بموافقة الأسباب التي من خــارج ، فوجب أن تجرى أعمالنا على نظام محدود ، ولا نلفى هذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج فقط ، بل بينها وبين الأسباب التي خلقها الله تعالى فى داخل أبداننا ، والنظام المحدود الذى نجده فى الأسباب الداخلية والخارجية ، والتي لا تضطرب ولا تختل ، هو القضاء والقدر الذى كتبه الله تعالى على عباده ، وهذا ما يقرره العلم الحديث أيضا ، الذى لا ينفى حرية الاختيار ، والذى يعترف فى الوقت نفسه بوجود القوانين المطردة الطبيعية .

أما مسألة الشر ووجوده ، وهل هو من ارادة الله ، أم من فعل البشر واكتسابهم ، فمشــكلة وقع الارتباك فيها لعدم تفريق المتكلمة — كما يقول الامام ابن تيمية — بين ارادة التشريع ، وارادة القضاء والقدر . فالقسم الأول يتعلق بالطاعات دون المعاصى سواء وقعت أم لم تقع ، والثانى هو ارادة التقدير الشاملة لجميع الكائنات المحيطة بجميع الحوادث ، وقد أراد الله من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى دون المعنى الأول ، فمن نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا ، ومن نظر الى القدر دون الشرع ، أو الى الشرع دون القدر كان أعورا .

طفولة بلا خوف

للاستاذ حمدى رشيد حنبلي
مدرس التربية وعلم النفس
كلية المعلمين — الكويت

بين يدى الموضوع

فى الصالون الموحش الصامت انفردت به .. بينما زوجته فى الغرفة المجاورة تنتحب .. لقد مات ولدهما الوحيد ، والذى لم يأت الا بعد سنوات من العلاج ، ولم يحظ بأخ آخر يسليه ، رغم محاولات الطب الدائمة ..

قال لي بصوت منخفض « ... لقد كنت أخاف عليه من كل شيء ... كنت أحوطه بالرعاية ، فلم أتركه يخالط الاطفال الآخرين خوفا عليه من عدوانهم وسوء أخلاقهم، كنت أشفق عليه حتى من ملابسه أحسب لكل شيء ألف حساب. خفت عليه من النوافذ والشرفة — ونحن فى الدور الرابع — فمنعته بوجودى من أن يظهر عليهما .. وكنت أوصي أمه بذلك فى غيابي ، حاولت أن أهب له الحياة ، عودته على الطاعة وحسن الادب ...

ولكن لكل أجل كتاب . لقد عدت بسيارتي قبل الموعد المعتاد لانصرافي ، لمحته من بعيد متسلقا جدار الشرفة ، وفى أقل من لحظة اختل توازنه وهوى من حالق .. وكان ما قدر له أن يكون ... » .

أجل لكل اجل كتاب .. وانا لله وانا اليه راجعون ... نعم يا أخي ليس لك الآن الا أن تتجمل بالصبر . وتلجا الى الله عساه يفرج كربك ، ويذهب عنك الحزن . وتركته بعد مدة غارقا فى حزنه وفى نفسي كلام له ولأمثاله ....

★ ★ ★

أخي : —

لم أكن ساعة زرتك للعزاء بقادر على مصارحتك بشيء .. كنت مشفقا عليك من هول الفاجعة . كدت أقول لك أنك قاتل . نعم لقد كنت سببا فى قتله دون

ان تعلم ، لقد عودته الخوف من كل شيء .. ومنك بالذات ، لأنك القائم على صمام أمنه .. منعته من اللعب مع الأطفال ، مع أنه محتاج لذلك حتى يستطيع أن ينمو النمو السليم ، منعته من كل شيء .. بحجة الخوف عليه وعدم الثقة به .. وهو اما أن يطيعك الطاعة العمياء فيعطل طبيعته الانسانية كطفل نام ، أو يتبع ما تحتاجه طبيعته ، فيخرج عن ارادتك .. وعاش ابنك يعاني من الصراع ما بين المطلبين .. ولكنه استجاب لطبيعته .. لعب مع الطفل فى غيابك ، واستحل جميع ما حرمته عليه فى غفلة منك .. واضحى تصرفه متلونا بلون النفاق الذى تمقته أنت .. فهو قد اعتاد اظهار الطاعة لأنه يخاف .. فى الوقت الذى كان يضمر فيه العصيان . كان كما تقول فى الشرفة ، وتسلق الجدار . وقد اعتاد أن يفعل ذلك مرارا .. وكان الله يسلم فى كل مرة حتى شاء الله أن ترجع فى غير الموعد الذى اعتدت الرجوع فيه وكان ابنك مستغرقا فى لعبه متمتعا به وفجأة لمح السيارة وهو على حال لا ترضاها أنت .. فخاف ، وهاله صورة موقفه بين يديك وتوقع العقاب المعتاد فى مثل هذه الحالة ــ والخوف كما تعلم انفعال يربك الانسان ويعوقه عن التفكير . فيترك العقل الحرية للجسد ، لكى يهرب من هذا الموقف الذى لا تحبه عله يفوز بموقف آخر يرضيك ... فتصرف بسرعة هوجاء ، فزلت قدمه التي جذبت بقية الجسد معها ، وكانت المصيبة .

تنشئة الأطفال

مسئولية دينية ذات سمة اجتماعية

أرايت يا أخي ، أن كثيرين منا يقتلون أطفالهم كل يوم ألف قتلة بقسوتهم عليهم ، وتخويفهم اياهم .. كم من طفل أضحى نهبا للامراض النفسية ، يخاف حتى من الأطفال الآخرين .

وكم من طفل أضحى نهبا للهواجس النفسية ، فلم يقدر على التوافق الاجتماعي مع من حوله ؟

وترانا ــ مع الأسف ــ نبرر سلوكهم هذا بالأدب الجم ، والطاعة والخجل والحياء . وقليل منا من يجرؤ على مصارحة نفسه بحقيقة الأمر . انه الخوف والأزمات النفسية .

اننا كل يوم نلقى الكثير من المشاكل التي نمت معنا منذ نعومة أظفارنا ، اننا أحوج ما نكون الى أن نحيا حياة سليمة غير معقدة . ولن يتسنى هذا لأى شاب فى المستقبل الا اذا أسعدناه اليوم . لنشعر أطفالنا بالأمن فلا نروعهم . وليكن كل منا معهم أشبه بالهمس ، فلا صراخ فىوجوهم ولا سباب ، ناهيك عنالتعذيب الجسدى الذى نلحقه بهم بالضرب . ان مسئوليتنا نحوهم مسئولية دينية ذات طابع اجتماعي تتعلق بشكل المجتمع المسلم الذى نسعى لتحقيقه .

ولربما يسأل السائل ((ماذا نفعل)) ؟

أنتركهم لاهوائهم حتى يضلوا ؟ أم نلزمهم الحق حتى يرشدوا ؟ .

ان كل فرد منا يحب ان يرى ابنه خيرا منه . ويأمل أن يحقق فى شخص طفله ما فشل هو فيه . يريد أن يحول جوانب الضعف فى نفسه الى نقاط قوة فى ذات طفله . وهو يريد أن يحقق كل ذلك بغض النظر عن طبيعة هذا الطفل أو مشيئته . وقد نلجأ للاساليب التي تربينا عليها ، معتقدين بأنها خير طرق التربية ،وان الطفل يجب أن يطيعويخاف والديه ، حتى تتاح لهما فرصة تشكيله ، بالشكل الاجتماعي الذى يؤملونهمتناسين قول الرسول صلى الله عليه وسلم

(خلقوا أولادكم بأخلاق غير اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم) .

لا أنكر على الوالدين حقهما فى الايمان بمثل عليا ، اذ أن هذا واجبهما ولكن أرى أن لا يقوم أسلوبهما فى التربية على التخويف والقمع وطلب الطاعة بذاتها .

اننا اذا طلبنا الطاعة كغاية فاننا نفقدها اهميتها ، اذ هي ليست فضيلة بحد ذاتها ولكنها وسيلة لأمور أخرى اكثر منها أهمية . اننا اذا أصررنا على أن يطيعنا أطفالنا طاعة عمياء دائما ، فاننا بذلك نحطم فى نفوسهم القدرة على تحمل المسئولية ، ونغلق امامهم فرص الابداع والابتكار ، وسيكونون سلبيين ينتظرون باستمرار أن يوجهوا الى ما يجب عليهم أن يعملوه ، وسيتركون غيرهم يفكر فى مصيرهم ليساعدهم على حل مشاكلهم . مع أن بالامكان تنمية قواعد راسية فى نفسية الطفل ، فيلتزمها بنفس راضية ويطيعها عن طواعية ورضا ، مقبلا عليها بدافع ذاتي .

قواعد السلوك

تنمية مثل هذه القواعد يساعد على تنمية الطاعة . ان الطفل يتعلم منذ اللحظة التي ولد فيها ، وهو كلما تطور فى النمو ازداد اكتسابا وتعلما للكثير من الأمور المحيطة به ، ففي طفولته المبكرة ، وقبل أن تنتظم خطواته الأولى ، يستطيع أن يتعلم فعل ما يريد ضمن اطار من القواعد المتعارف عليها ، التي هي جزء من حياتنا الاسلامية ، ودليل من دلائل النضج . أهم هذه القواعد تحديد وقت لتناول الطعام ، وساعة معينة للذهاب للفراش ، ومراعاة النظافة والصحة والمحافظة على سلامة الأبدان والأرواح ، وتقديس العقيدة والشعائر الدينية ، وممارستها والاعتزاز بها ، واحترام وجهات نظر الغير وتحاشي الأخطاء فى الطرق والشرفات وكبح جماح الغضب ، وتقدير مواقف الآخرين ومراعاة مشاعرهم .

اننا اذا تقيدنا بهذه القواعد ، فان الطفل مع مرور الزمن سيمتصها ويهضمها ، ويتقبلها كأمر لازم له ينشأ معه . وليس بطارىء أو مفروض عليه بفعل الخوف ، كما لاحظنا فى حالة مثالنا فى بداية هذا المقال تصبح هذه القواعد أسسا فى بناء شخصيته وجزءا من خلقه وسلوكه مع الناس . ان الرضيع اذا ما خضع للتوقيت المحدد فى وجبات رضاعته منذ البداية ، فانه سيعتاد الشعور والاحساس بالزمن الذى سيقضيه فى شعائره الدينية طيلة حياته (مواقيت الصلاة ، مواقيت الصوم) واذا ما حبا فان الأم مسئولة عن تنظيم أمر غسل يديه المتسختين ووجهه المغبر قبل اطعامه ، وسيفيد ذلك فى الوضوء قبل الصلاة . وهي قادرة على تعويده الذهاب الى الفراش فى ساعة محددة ، وهو لن يقاوم هذه العادة اذا ما كبر ، واحتياطا للامر نسمح له بأن يصطحب العابه معه الى الفراش ، حتى يسلى نفسه ريثما ينام . المهم اعتياد الذهاب للفراش فى وقت محدد .

نعطيه الحرية ليتحسس ويتعرف على الأشياء ، على أن هناك أشياء معينة تضره وعليه أن لا يلمسها ونعلمه اجتنابها بتعليمه كلمة (لا) التي يسهل تعلمها مهما كان الطفل صغيرا .

أذكر طفلا كان يحبو فى فناء بيته ، وأمه ترقبه بعينها من بعيد فصدفته قطعة من الزجاج المكسور فتناولها وأراد أن يضعها فى فمه ، فجاءته أمه على عجل وأخذتها منه وأرجعتها مكانها وهي تقول له (لا) . ولكنه عاد وأخذها فأعادت أمه ما قالت وفعلت فى المرة الأولى ، حتى اذا كانت المرة السادسة تركها وانصرف

عنها ، وبقيت قطعة الزجاج مكانها وحبا اكثر من مرة بجوارها ، ولكنه لم يعد اليها قط .

هذا المثال الحي أعطانا فكرة عن كيفية تعليم طفلنا الطاعة لتجنب السلوك الذى نعتقد أنه خطر ، ويحسن تجنبه . فلو انالام اخذت قطعة الزجاج منه وابعدتها عنه فقط بدون أن تنبهه ، فانه حتما سيجد غيرها عندما تكونهي غير موجودة بجواره لحمايته ، ولربما يبتلعها فتسبب له ما لا يحمد عقباه . ولا ننسى هنا من أن الاسلام يحبذ مراقبة الفرد لنفسه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . .) وتنمية هذه السمة الخلقية تساعد على تثبيت تلك القاعدة . وهذا ينسحب على سلوك الطفل فى بيوت الآخرين حيث عليه أن يتعلم الا يلمس ممتلكاتهم الا اذا سمح له بذلك .

القدوة خير طرق التربية

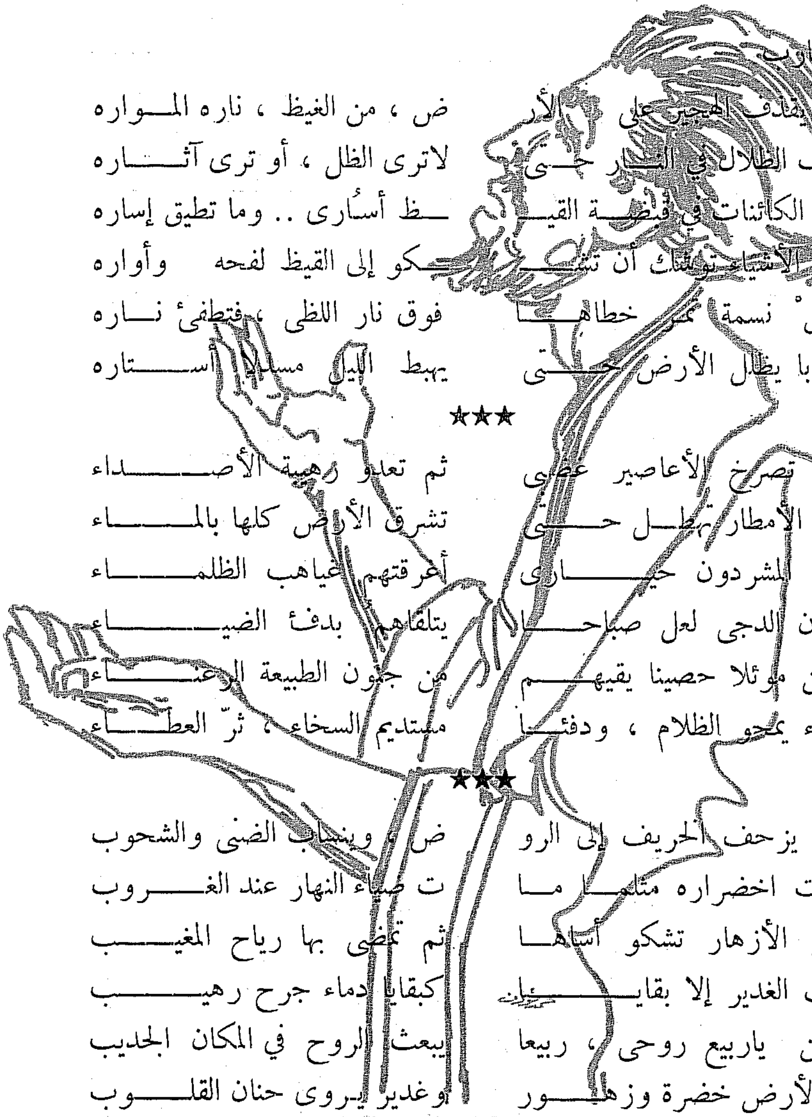
اذا تمسك الوالدان بالمثل ، وكانت اقوالهم تطابق افعالهم ، فان ذلك يعزز القيم فى نفسالطفل وخاصة وهو محتاج لتعليم القواعد الاساسية قبل الذهاب الى المدرسة فى سن الرابعة (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) . على الوالدين وهما يأخذان بيده فى سلم النمو ان يستعملا اللباقة واللطف مع الحزم فى معاملته . لين بلا ضعف ، وحزم بلا قسوة او عنف . فلا يتراجع عن القواعد الاساسية ولا يتهاون فيها ابدا . . هذا الثبات ـ والاصرار على اتباع القواعد الاساسية للسلوك ـ سيحمى الطفلداخلاطار سلوكى يتضمن الكثير من الحرية التي تدفع الى الابداع الخلاق ، وتحمل المسئولية فى الاختيار وتجربة ألوان النشاط المختلف فى شتى شئون الحياة اليومية . وعلى سبيل المثال نترك له حرية اختيار ملابسه والعابه . وعندما يتطور فى نموه نترك له الحرية فى اختيار اصدقائه ، وترتيب حوائجه مع بعض التوجيه غير المباشر ، وفى نفس الوقت يجب الاحتراس من الامور التي لها مضاعفات خطيرة على شريطة ان لا نحرجه فى مراقبتنا له . اذ علينا ان نتمسك باساس معاملته كشخص مسئول ، كما سيكون فعلا بعد قليل . وان نجاح هذهالطريقة فىالتربية يعتمد على اتجهات الام فعليها ان تلاحظ ما الذى يشغل بال طفلها قبل ان تطلب منه الالتفات اليها ، عليها ان تعرفمقدار استغراقه واهتمامه به . فان ارادت منه ان يتناول طعامه او الذهاب الى فراشه بينما هو مستغرق فى عمل ما ، عليها ان تترك له فسحه من الزمن كافية لانهاء ما هو بصدده ان امكن . عليها ان تنبهه اكثر من مرة لانهائه ، تقدر ان تقول له مثلا : هل ستنتهي الان ؟ حسنا سأرجع لك بعد عشر دقائق لآخذك للفراش .

اذا بسطنا الامور فان ذلك لا يدل على ضعفنا كما يتوهم البعض . بل هو دليل على حسن ادراكنا لها ان كثيرا من الامهات حتى المثاليات منهنينفذ صبرهن عندما يتلكأ الطفل او يرفض باصرار اوامرهن ، ونحن جميعا بشر لا نعيش دائما فى مستوى افكارنا .

ولنعلم ان الامر اللفظي لا يعني الشيء الكثير بالنسبة للطفل . فحتى السنة الرابعةاذا اردنا منالطفل ان يعمل شيئا، أو يمتنع عن عمل ما ، فعلينا ان نأخذ بيده ونعلمه ذلك عمليا وندربه عليه عمليا . . وان كانت هذه الطريقة فى التربية متبعة بالنسبة لنا نحن المربيين الا ان نتائجها سريعة ومضمونة .

والطفل بعد ان يتعلم هذه الطريقة يكون باستطاعته ان يتقبل بالاسلوب الشفهي تلقى التعليمات .

دعاء



يـــا رب

حينما يقذف الهجير على الأر ض ، من الغيظ ، ناره المـــواره

فتذوب الظلال في النار حتى لاترى الظل ، أو ترى آثـــاره

وترى الكائنات في قبضة القيـ ـظ أسارى .. وما تطيق إساره

وكأن الأشياء توشك أن تشـ ـكو إلى القيظ لفحه وأواره

فلأكنْ نسمة تمر خطاهـــا فوق نار اللظى ، فتطفئ نـاره

وسحابا يظلل الأرض حتى يهبط الليل مسدلا أستاره

***

حينما تصرخ الأعاصير غضبى ثم تعلو رهيبة الأصـــداء

وتظل الأمطار تهطل حتى تشرق الأرض كلها بالمـــاء

ويظل المشردون حيارى أغرقتهم غياهب الظلمـــاء

يعبرون الدجى لعل صباحا يتلقاهم بدفء الضيـــاء

فلأكن موئلا حصينا يقيهم من جنون الطبيعة الرعنـــاء

وضياء يمحو الظلام ، ودفئا مستديم السخاء ، ثرّ العطـــاء

***

حينما يزحف الخريف إلى الرو ض ، وينساب الضنى والشحوب

فيموت اخضراره مثلما ما ت ضياء النهار عند الغـــروب

وتظل الأزهار تشكو أساها ثم تمضى بها رياح المغيـــب

ويجف الغدير إلا بقايا كبقايا دماء جرح رهيـــب

فلأكن يا ربيع روحى ، ربيعا يبعث الروح في المكان الجديب

فإذا الأرض خضرة وزهور وغدير يروى حنان القلـــوب

***

للاستاذ ابراهيم محمد نجا
المدرس الاول ــ مدرسة كركوك الثانوية العراق

حينما أبصر الطفولة يومـــــا ... وهى تبكى في ذلة وانكســـار
فيشب الأسى بقلبى نـــارا ... تتلظى كالعاصف المـــوار
وكأنى أرى «علائى» يبكـــى ... وهو كنزى وفرحتى وفخارى
وكأنى أرى «حنانى» تبكـــى ... وهى لحن ينساب في أشـعارى
فلأكن في ظلامها المر فجـــرا ... تستقى منه بهجة الأنـــوار
ولأكن عيدها يطل عليهـــا ... بفنون تغرى قلوب الصغـــار

★★★

حينما يدلهم ليل الحيــارى ... فيسيرون دون أية غايــــة
لاشعاع يهدى .. ومن أين يأتى ... ــوالدجى مطبق ــ شعاع الهداية؟
وتثور الشكوك مثل الأفاعـــى ... نافثات فيهم سموم الغوايـــة
فيرون الوجود مسرح ظلـــم ... ويرون الحياة أقسى روايـــة
فلأكن ذلك الشعاع الذى يصـ ... ــحب خطو الحيران حتى النهاية
فيريه الحياة في كنهه معنـــا ... ها ضياء ينساب منذ البدايـــة

★★★

حينما تطلق الحروب لظاهـــا ... نحو قلب الحياة والأحيـــاء
وتثور الأحقاد في كل نفـــس ... كالأعاصير في ليالى الشـتاء
دون معنى .. إلا لسلب حقـــوق ... تحت ستر المبادئ الجوفـــاء
فلأكن في النفوس دفقه حـــب ... تتلاقى بدفقة من إخـــــاء
ولأكن في العيون سرب حمـــام ... يتغنى في الجنة الفيحـــاء
ولاكن في الحياة لحن ســلام ... عزفته ملائك في الســـماء

★★★

هكذا فلتكن حيـــاتى لخير النــــاس مثل الضياء .. مثل الهـــواء
هكذا فليكن دعائى نشـــيدا ... أرسلته روحى وراء الفضـــاء
فتقبل منى نشيدى ، وبـــارك ... ماسرى فيه من كريم الدعـــاء
يـــارب

شاعر الوفاء

ابن اللبانة

للاستاذ / محمد ابراهيم الجيوشى
المركز الاسلامى بلندن

يستوقف المرء فى أثناء مطالعاته مواقف تجذبه اليها ، بما حوته من معان انسانية نبيلة ، ومروءة فذة تمضى الأزمان وتبقى هى متلألئة كقطعة الماس بين الرمال ، لا تحيل الايام بهاءها ، ولا ينال الزمن من نفاستها ، وأية عظمة أسمى من خلق الوفاء ، وتحمل المشقات فى سبيله بعد أن تغير الزمن ، وتبدلت الحال فى زمن يجرى الناس فيه وراء أصحاب الجاه والسلطان ، وينسون من كان يملأ أسماع الدنيا بالامس حينما يذهب سلطانه، ويصبح أسير بيت لا يكاد يجد فيه الكفاف ، وهو الذى كانت تغمر عطاياه كل من حوله ، ويقصده المادحون من أقصى الارض ؟

فى هذا الجو تجد رجلا يأسره الوفاء ، وتشده المروءة ، فيعرف لصاحب الفضل السابق أياديه ، ويذكر مجده بعد الافول، ويطوى الارض وراء من كان بالامس ملء سمع الدنيا وبصرها بعد أن صار نزيل الاسر والفقر والحاجة ،فتستوقفنا عظمة نفسه ونبل وفائه ، وتستحق منا التسجيل والاشادة .

أما صاحب ذلك الموقف فهو الشاعر أبو بكر الدانى محمد بن عيسى بن محمد اللخمى المعروف بابن اللبانة الشاعر الاندلسى المشهور من أهل مدينة((دانية)) بالاندلس ،يقول عنه عبد الواحد المراكشى:

« وشعره نبيل المأخذ ، وهو فيه حسن المهيع ، جمع بين سهولة الألفاظ ورشاقتها ، وجودة المعانى ولطافتها » .

كان ابن اللبانة شاعرا صادق الحس، يستمد صوره ومعانيه من طبيعتة السمحة ، واحساسه الصادق ، وتجاربه النفسية ، ولهذا يحس القارىء لشعره أنه يترجم خوالج نفسه ، ويصور نوازع أحاسيسه ، ويبدو أن ابن اللبانة كان يملك طاقة شعرية مبدعة فلم يحتج الى تعرف علل الشعر وضروبه ، ولم ير نفسه بحاجة الى أن يضيع الوقت فى تحصيل علومه ، وأقوال الباحثين فى العروض والقافية ، كما يفهم ذلك من قوله .

من كان ينفق من سواد كتابه
فأنا الذى من نور قلبى أنفق

وهو من شعراء القرن الخامس ، وتوفى بجزيرة « ميورقة » ٥٠٧ هـ وهى التى يسميها الجغرافيون المحدثون « جزائر البليار » .

وكان ابن اللبانة من شعراء بنى عباد ، أنشد فيهم عيون قصائده وان كانت مدائحه لهم يشاركه فيها الشعراء الذين كانوا يعيشون فى أكتافهم الا أن ذلك ليس مجال بحثنا انما مجال حديثنا هو شعره فى بنى عباد بعد أن زال ملكهم وضاع سلطانهم ، وأصبح المعتمد بن عباد الملك الشاعر منفيا أسيرا ، هنا نجد ابن اللبانة قد ضرب أروع الأمثلة فى الوفاء الانسانى ، وقد ألف فى أخبار بنى عباد كتابين الاول « الاعتماد فى أخبار بنى عباد » فصل فيه تاريخهم منذ بدأت دولتهم حتى زالت ، والآخر « السلوك فى وعظ الملوك » وهو يضم قصائد ومقطعات يبكى فيها دولتهم وأيامهم .

ويبدو من دراسة القصائد التى توجه بها ابن اللبانة الى المعتمد بن عباد فى أيام محنته ورد المعتمد عليها يبدو أن الصلة بينهما كانت أكثر من صلة بين ملك وشاعر ، فقد كانت صلة يقوى أواصرها صداقة وتقدير ومعرفة كل منهما بمكانة صاحبه الادبية ، وفهمه لأغراض الشعر وسموه ، وهذه الصلة لم تتبين معالمها الا بعد محنة المعتمد ، وأول ما ظهر من ذلك حينما استولى أصحاب ابن تاشفين على ملك المعتمد ابن عباد ، وساقوه هو واهله ، ووضعوا القيود فى رجليه ويديه ، ورحلوهم الى مراكش ، والناس قد اجتمعوا على ضفتى الوادى يبكونهم ، ويشيعون مجدهم الزائل ، أهاج هذا المنظر المؤسف عاطفة ابن اللبانة فاندفع فى تأثير يرثيهم ، ويبكى مجدهم الضائع فى قصيدته المشهورة التى يقول فيها .

تبكى السماء بدمع رائح غادى
على البهاليل من آل عباد
على الجبال التى هدت قواعدها
وكانت الارض منهم ذات أوتاد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ
فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادى
نسيت الا غداة النهر كونهم
فى المنشآت كأموات بألحاد
والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حان الوداع فضجت كل صارخة
وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يتبعها
كأنها ابل يحدو بها الحادى

ولما استقر بالمعتمد المقام فى «أغمات» رحل ابن اللبانة اليه ، يدفعه الوفاء ، ويحدوه الاعتراف بالجميل لرجل أحسن اليه يوم كانت الدنيا طوع بنانه ، ثم هو اليوم أسير لا يبرح مكانه ، مغللة يداه بالقيود تذكر ابن اللبانة ما كان فيه المعتمد من مجد ، ثم ما آلت اليه حاله ، ففاضت نفسه بقصيدة باكية يقول عنها الفتح بن خاقان « ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ،ويثير فيها لوعة الحارث بن عباد، أبدع من أناشيد معبد ، وأصدع للكبد من مراثى أربد ، أو بكاء ذى الرمة بالمربد ، سلك فيها للاختفاء طريقا لاحبا ، وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا » ومنها.

لكل شىء من الأشياء ميقات
وللمنى من منائيهن غايات
والدهر فى صبغة الحرباء منغمس
ألوان حلته فيها استحالات
انفض يديك من الدنيا وساكنها
فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضى قد كتمت
سريرة العالم العلوى أغمات
من كان بين الندى والبأس أنصله
هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة
دهر مصيباته نبل مصيبات
وكان ملء عيان العين تبصره
وللأمانى فى مرآه مرآة
أنكرت الا التواءات القيود به
وكيف تنكر فى الروضات حيات
لهفى على آل عباد فانهم
أهلة مالها فى الافق هالات

ويبدو أن هذه الزيارة قد تكررت من ابن اللبانةالى المعتمدفي « أغمات » فيروى المراكشي أنه ورد عليه في أغمات ملتزما عهد الوفاء ، قاضيا ما يجب عليه من شكر النعمي ، فسر المعتمد بوروده ،فلما أزمع ابن اللبانة على السفر ، استنفذ المعتمد وسعه ، ووجه اليه بعشرين مثقالا وثوبين وكتب اليه معها .

اليك النزر من كف الاسير
فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء
وان عذرته حالات الفقير
ولا تغضب لخطب غض منه
أليس الخسف ملتزم البدور
ورج لجبرة عقبي نداه
فكم جبرت يداه من كسير
وكم أعلت علاه من حضيض
وكم حطت ظباه من أمير
وكم من منبر حنت اليه
أعالي مرتقاه ، ومن سرير
زمان تزاحفت عن جانبيه
جياد الخيل بالموت المبير
فقد نظرت اليه عيون نحس
مضت منه بمعدوم النظير
نحوس كن في عقبي سعود
كذاك تدور أقدار القدير
وكم أحظى رضاه من حظي
وكم شهرت علاه من شهير

الا أن ابن اللبانة اعتذر عن قبول ما أرسل به اليه وأعاده اليه مع القصيدة التالية

سقطت من الوفاء على خبير
فذرني والذي لك في ضميري
تركت هواك وهو شقيق ديني
لئن شقت برودي عن غدوري
ولا كنت الطليق من الرزايا
لئن أصبحت أجحف بالاسير
أسير ولا أصير الى اغتنام
معاذ الله من سوءالمصير
اذا ما الشكر كان وان تناهى
على نعمى فما فضل الشكور ؟
جذيمة أنت والايام خانت
وما أنا من يقصر عن قصير
أنا أدرى بفضلك منك أني
لبست الظل منه في الحرور
غنى النفس أنت وان ألحت
على كفيك حالات الفقير
أحدث منك عن نبع غريب
تفتح عن جنى زهر نضير
وأعجب منك أنك في ظلام
وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا
اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي
غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء
بها وأنيف ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

وأنت ترى من أبيات القصيدة أن ابن اللبانة يبرز الدافع الذى ساقه الى المخاطرة بهذه الزيارة المحفوفة بالمكارهفي هذه الظروف القاسية الى المعتمد ، وان الدافع اليها هو **الوفاء الذى يطوقعنقه** نحو ذلك الملك الاديب الذى قلب له الدهر ظهر المجن وانصرف عنه طلاب الغنائم والعطايا ، وما كان لرجل هذه دوافعه يسمح لنفسه أن يرزأ صاحبه في ماله ، وأن ياخذ ثمنا لوفائه ، ويحاول **أن يؤكد للملك الاسير أنه يحيا في ظلال** أياديه وأن الايام ان كانت قد حالت بين يديه عادتها من العطاء الجزل ، فان الامل يعمر جوانحه بانالايام ستكفر عنجنايتها حين يعود الى المعتمد مجده ، وأنه سوف يوسعه من عطاياه ، وليس ما هو فيهالا حالة طارئة قريب زوالها كالقمر حينما يعتريه الخسوف الى حين ثم يزول كابوسه ، ويعود للقمر اشراقه وضيأوه وحينئذ سيكون ابن اللبانة في محل يتيه به على الآخرين .

وما أجملما ختم بهابن اللبانةقصيدته حين بث الامل في نفس المعتمد ، وتخيل المستقبل يشرق عليه وان لم تحققالأيام ما تمنى — حين قال .

تأهب أن تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

ولكن المعتمد يرد عليه بمقطوعة يضمنها احساسه نحو ابن اللبانة وأنه احساس متداخل بين اللوم والشكر ، ولكنه يقدر لابن اللبانة وفاءه ، وان كان لسان حاله يقول « أنا الغريق فما خوفي من البلل » والحق أن هذه الابيات الخمسة زاخرة بالمعاني مشحونة بالاحساس المتدفق والعواطف المتزاحمة .

رد برى بغيا على وبرا
وجفا فاستحق لوما وشكرا
حاط نزرى اذ خاف تأكيد ضرى
فاستحق الجفاء اذ حاط نزرا
فاذا ما طويت فى البعض حمدا
عاد لومى فى البعض سرا وجهرا
يا أبا بكر الغريب وفاء
لا عدمناك فى المغارب ذخرا
أى نفع يجدى احتياط شفيق
مت ضرا فكيف أرهب ضرا ؟

فيجيب ابن اللبانة بقصيدة يؤكد فيها وفاءه، ويتمنى أن تكون له قوة يستطيع بها ان يعبر عن وفائه بأمر يدبره، لانه تعلم المروءة منه ، وهو يرى أن ظفره بأبيات المعتمد أسمى أنواع الصلات وانه الدر فكيف يطلب التبر بعد ما حصل على الدر من أبياته واليك بعضها .

أيها الماجد السميدع عذرا
صرفي البر انما كان برا
ليت لي قوة أو آوى لركن
فترى للوفاء منى سرا
أنت علمتنى السيادة حتى
ناهضت همتى الكواكب قدرا
ربحت صفقة أزيل برودا
عن اديمى بها وألبس فخرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا
كيف ألفي درا وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت
لا سقى الله بعدك الارض قطرا

ويمر ابن اللبانة بفخر الدولة ابن المعتمد وكان أبوه قد أعده ليتولى الامر من بعده ، وجعله ولى عهده ، فاعجلته الأيام عن مقصده ، وتبدل الحال بفخر الدولة بعد ضياع الملك من أبيه، فلم يجد له بابا يرتزق منه ، ويستعين به على مطالب الحياة سوى أن يبحث عن عمل **يؤديه ، او صنعه يتقنها ، فنزل الى سوق** الصناع ،وتعلم الصياغة، وأصبح كل يوم يجلس فى الحانوت ينفخ الكير ويشعل الفحم ، ويصنع الحلى ، ويراه ابن اللبانة على هذه الحالة فيشتعل قلبه من الاسى وتبتدر دموعه وتجيش خواطره وانفعالاته من هذا المنظر الذى رآه ، ويقارن بين ما هو عليه ،وما كان مؤملا له فينشد قصيدة يودعها أحاسيسه ، وهى قصيدة نابضة تحس وأنت تقرها بما كان يضطرم فى قلب ابن اللبانة من الحسرة ، وما يعتصر فؤاده من الاسى ، واليك بعض أبياتها .

أذكى القلوب أسى، أبكى العيون دما
خطب وجدناك فيه يشبه العدما
أفراد عقد المنى منا قد انتثرت
وعقد عروتنا الوثقى قد انفصما
شكاتنا فيك يافخر الهدى عظمت
والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة
ضاقت عليك ، وكم طوقتنا نعما
وعاد كونك فى دكان قارعة
من بعد ماكنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ أنملة
لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها
فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له
حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى
هول رأيناك فيه تنفخ الفحما
ما حطك الدهر لما حط من شرف
ولا تحيف من أخلاقك الكرما

وبعد فهذا موقف شاعر آثر الوفاء وعرف للمروءة قدرها فلم يأل جهدا فى القيام بحقوقهما ، ولم يبال أى مكروه يتعرض له بسببهما فاستحق منا الاشادة وحق للتاريخ أن يسجل موقفه النبيل ، وللاجيال أن تذكره فيمن تذكر من أهل الوفاء .

رحم الله ابن اللبانة وجازاه عن وفائه خير الجزاء .

الهجرة والاسلام بأمريكا

للدكتور / محمد عبد الرؤوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

جاء الاسلام الى امريكا عن طريقين ، طريق الهجرة وطريق نشر الدعوة ، ونعقد هذا الفصل للحديث عن الطريق الاول، ونخصص المقال التالى للحديث عن انتشار الاسلام فى امريكا عن طريق الدعوة وعن الحركات الاسلامية المختلفة ان شاء الله .

لقد وصل « كرستوفر كولمبوس » الى ساحل امريكا فى نهاية القرن الخامس عشر ، وان كان قد مات دون أن يدرى انه اكتشف قارة جديدة، او عالما جديدا، ولما علم الناس بحقيقة هذا العالم الجديد وسمعوا عن ثرواته العظيمة ، وامكانياته الطائلة،بدأوا يهاجرون اليه ويستعمرونه، وخاصة من بلاد غرب أوربا ، وامتدت هذه الهجرة ابان القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع

عشر والقرن الحالى . ونشأ عن هـذه الهجرات قيام دول واحداث تاريخية هامة لا يتسع المقام لتفصيلها هنا .

وكان اهم الدول التى قامت فى امريكا الشمالية دولة الولايات المتحدة التـى تتكون الان من خمسين ولاية ، لكل ولاية منها حكومة مستقلة داخليا ، ولهـا عاصمتها وميـزانيتها ، ولـكن هـذه الولايات كلها تشترك فى اتحاد عام لـه حكومة اتحادية مقرها حـاليا مدينـة « واشنطون » ، واهم الولايات ولايـة « نيويورك » ، واهم المدن جميعا مدينة « نيويورك » مركز الاقتصاد العالمى ، ومقر هيئة الامم المتحـدة .

ولقد كان للعرب والمسلمين حظ فى هذه الهجـرة ، ونصـيب من هـذه الاكتشافات ، فقد وجدت امارات تدل على ان بعض الحضـارات الإمـريكية القديمة السابقة على رحلـة كولمبـوس المشار اليها ، كانت على صلات قديمة مع العرب ، كما كتب الجغرافيون العرب عن رحلات بحرية عبر « بحر الظلمات » وهو المحيط الاطلسى ، ووصل بعضهم الـى بعض البلاد المعروفة الان على شواطىء امريكا ، قبل رحلة كولمبوس بعدد من مئات السنين ، وهذه الرحلات القديمة ، والصلات العربية بالحضارات الامريكية السابقة على اكتشاف الغرب للعالـم الجديد تكون دراسة شيقة ممتعة لعلنا نستطيع ان نعقد لها فصلا خاصا فيمـا بعد ان شاء الله . والذى يعنينا هنـا هو حظ المسلمين من الهجرة ، وصـلة الاسلام بأمريكا ابان القـرون الاربعـة والنصف الاخيرة .

لقد كان اتصال الاسلام بأمريكا منذ بدأت الهجـرة الاوربيـة اليها امـرا مستمرا ، وان لم يكن بشكل يؤدى الى قيام منظمات او هيئات اسلامية خاصة. ففى القرن السادس عشر نسمع عن مصرى اسمه « ناصر الديـن » كـان يعيش بمدينة « نيويورك » ، وكان يدعى انه من بيت ملكى ، لذا كان يلقب نفسه بالامير ناصر الدين (١) ، ويبدو انه كان ذا شخصية قوية اكسـبته الاحتـرام والتقدير ، ومما يروى ان هولنديا تحداه وراهنه على ان يدفع له الف قطعة من الذهب اذا هو استطاع ان يظفر بابنة رئيس القبيلة (من قبائل الهنود الحمر) وكانت جميلة فاتنة تسمى « لوتوانا » ؛ وقد نجح الامير ناصر الدين فى ان يكسب صداقة شيخ القبيلة ووده ، ولكنه لمـا فاتحه فى خطبة كريمته اعتذر لانها كانت قد حجزت لاحد ابناء هذه القبيلة التى كانت تسمى « قبيلة موهوك » وكان رأسها والد هذه الفتاة يسمى « شورد اكان » . فعز ذلك على ناصر الدين ، ولم يحتمل الصدمة حيث كان قلبـه قد امتلأ بحب الفتاة فبيت للقضاء على حياتها وناولها سما ليلـة زفافـها ، فقبض عليه وقتل حرقا .

وفى القرن السابع عشر نسمع عن شخصية تسمى « محمد بن غانم » الذى كـان ماهـرا فى المدفعيـة ، ثـم نسمع عـن عائلة تسمى « عائلـة وهاب » او عبد الوهاب ، ولهم قرية تبعد ٣٠ ميلا من ساحل « كارولينـا » الشمالية تسمى « قرية وهاب » ، وقد ثبت ان

---

(١) لعله كان من المماليك ، وفر عقب الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ الى هذا العالم الجديد الـذى بدأ الناس يسمعون عنه ليعيش مع هذه القبيلة المشهورة من الهنود الحمر .

اصل هذه الاسرة عربى اسلامى ، وكان مؤسسها قد حضر فى منتصف القرن السادس عشر لنشر الدين الاسلامى بأمريكا ، فتحطمت به سفينته خارج شاطىء « كارولينا » ثم استقر هناك حيث اعجبه سحر الطبيعة وجمالها .

ثم اننا لا ننسى ان الشحنات البشرية التى جلبت من افريقيا **للخدمة والعمل فى الاراضى الزراعية قد اشتملت على** عدد من المسلمين ، وان لم يتسطع اكثر هؤلاء اقامة شعائرهم ، بل اكرهوا على قبول دين سادتهم والتسمى بأسمائهم. ونقرأ فى بعض السجلات انه بين شحنات الرقيق التى جلبت عام ١٧٣٣ عدد من العرب الذين ابوا الا ان يستمسكوا بدينهم ، رغم القسوة ووسائل الاكراه والعنف . فجلب موقفهم العطف عليهم من جانب البعض فحرروهم وساعدوا على اعادتهم الى اوطانهم .

وفى القرن الثامن عشر نجد ان « مجلس النواب » فى « كارولينا » يوافق على ان يحاكم المسلمون من رعايا امير مراكش تبعا لقانون الولاية العام كسائر المواطنين الاوربيين ، لا تبعا للقانون الخاص بالزنوج ، كان هذا عام ١٧٩٠ . وقبل ذلك اى عام ١٧٧٣ كانت حكومة مراكش قد اعترفت باستقلال الولايات الامريكية الشمالية ، عقب الثورة المشهودة ضد الحكم البريطانى . وقد اعقبت هذه الثورة حركات دينية وجدل عنيف حول حق حرية العبادة للكاثوليك واليهود واتباع محمد (اى المسلمين) مما يدل على وجود عدد من المسلمين فى ذلك الوقت يبرر ذكرهم فى مثل هذا الجدل .

وفى بداية القرن التاسع عشر نسمع عن رقيق عربى يسمى «عمر بن سعيد» كان يعمل فى احد حقول القطن فى « كارولينا الشمالية » عام ١٨٠٧ اى قبل منع استيراد الرقيق بعام واحد . وقد اعجب سيده بثقافته العالية فأعتقه وعامله كعضو من اسرته . وكان يكتشف اسلام الرقيق بسماعه بعض الكلمات الاسلامية المشهورة منه كلفظ « الله و محمد » او الامتناع عن تناول المسكر او لحم الخنزير .

كما تدل الاحصاءات عن الكابين بين العامين ١٨١٩ و ١٨٦٠ على وجود عدد من الاتراك المصريين والعرب والمراكشيين.

وفى عام ١٨٤٠ حضر الى ميناء « نيويورك » شخصية عربية ممتازة احدثت ضجة واهتماما تسمى « احمد ابن نعمان » ، على ظهر سفينته المسماة « السلطانة » ، فى رحلة تجارية تهدف الى عقد معاهدات تجارية باسم سلطان ، « زنجبار » ، وقد اثار احمد هذا ومن معه من البحارة العرب اهتمام سكان « نيويورك » الذين اكرموا وفادته طوال شهور اقامته ، ورسمه احد الفنانين المواطنين اعجابا بزيه وهيبة طلعته .

وفى عام ١٨٥٦ استوردت حكومة الولايات المتحدة شحنة من الجمال العربية لاستخدامها فى الجنوب الغربى الذى تشبه أرضه ارض صحراء الجزيرة، وكانت هذه الشحنة تتكون من ٣٣ جملا

معهم ثلاثة من الجمالة على رأسهم « الحاج على » . ووصلت شحنة اخرى قدرها ٤٤ جملا فى العام التالى ، وقد صرف النظر عن فكرة استخدام الجمل بسبب قيام الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦١ ولكن بقى الحاج على ونجح فى عدد من الاعمال ، ومختلف انواع النشاط ، فلقى احتراما عظيما فى امريكا ، واطلق عليه الناس « هاى جولى » تحريفا لكلمتى « الحاج على » ولما مات فى ١٦ اكتوبر ١٩٠٢ عن عمر طوله ٧٣ عاما اقيم على قبره مقصورة حيث دفن فى ولاية « اريزونا » عليها لوحة تثنى على خدماته للولايات المتحدة، ونصب جمل على أعلى ضريحه الذى بنى على شكل هرمى ولا يزال يزار حتى الان .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع انه منذ اكتشفت بلاد امريكا فى نهاية القرن الخامس عشر ، وبدأ عمرانها عن طريق الهجرة من بلاد غرب اوربا كانت شمس الاسلام تطل دائما على « العالم الجديد » ، وان لم يكن المسلمون من الكثرة بحيث يتركون اثرا ملموسا واضحا به .

فلما انتصف القرن التاسع عشربدأت امواج الهجرة تتتابع على امريكا لا من غرب اوربا فحسب بل من بلاد شرق اوربا ومن بلاد الشرق الاوسط والشرق الاقصى ، وكانت الافواج القادمة من هذه الجهات تشتمل على اعداد كبيرة من المسلمين. وساعد على هذه الهجرات ما سمعه الناس عما بأمريكا من ثروات وخيرات ، وكان تقدم صناعة السفن التجارية مما شجع كثيرا من المغامرين ، ويسر لهم عبور البحار الى العالم الجديد

فى سبيل طلب الرزق وكسب العيش ، وكان من اهم هذه الافواج القادمون من البلاد العربية وخاصة من بلاد الشام وفلسطين ، وكان اكثر افواج الهجرة العربية فى أواخر القرن الماضى من المسيحيين (وينسب بعض الكتاب ذلك الى سوء معاملة النصارى فى بلاد الاسلام ، وهذا افتراء عجيب . أفلا تزال الملايين من الاقليات المسيحية تعيش فى ظل حكومات اسلامية لا تشكو مما يزعمه هؤلاء ؟) ولعل السبب فى ذلك هو ان الحكومة التركية التى كانت تسيطر على العالم العربى فى ذلك الوقت كانت تضع العراقيل امام الراغبين فى السفر من المسلمين ، وكانت تعتبر ذلك فرارا من الخدمة العسكرية التى لم تكن مفروضة على غير المسلمين من رعاياها . اما الافواج العربية الوافدة بعد فى بداية القرن الحالى (العشرين) فكانت تشتمل على عدد كبير من المسلمين بينهم غير قليل ممن قصد الفرار من الخدمة العسكرية اثناء الحرب العظمى . وعلى كل حال فقد تيسرت الامور للمهاجرين العرب فى وطنهم الجديد وظفر غير القليل منهم بحظ وافر من النجاح والجاه ، وقامت نهضة ادبية بديعة رائعة يطلق عليها « ادب المهجر » . وقد تواصلت هجرة العرب الى البلاد وخاصة عقب قيام اسرائيل المزعومة فولى بعض اللاجئين وجههم شطر العالم الجديد . ويقدر عدد المسلمين من العرب بنحو ثلاثين الف نسمة .

وكما ازدادت افواج الهجرة من البلاد العربية فى النصف الاخير من القرن الماضى ، وفى بداية القرن الحالى فقد قارنتها موجات من الهند واندونيسيا وايران ، ثم من الباكستان وتركيا التى

توافدت على امريكا الشمالية ، كما ان الغاء الرق فى وسط القرن الماضى حدا ببريطانيا الى جلب الايدى العاملة من الهند فى اعداد كبيرة الى مستعمراتها المعروفة بجزر الهند الغربية الواقعة بالبحر الكريبى والمواجهة لساحل امريكا الشرقى ، وذلك مثل « ترينداد » و « غيانا البريطانية » ، كما جلبت هولندا الايدى العاملة من اندونيسيا الى « غيانا الهولندية » ، وكان بين هذه الجاليات القادمة الى البحر الكريبى عدد كبير من المسلمين الذين اعتزوا بدينهم ، وحافظوا على تعاليمه وانشأوا المساجد والمدارس الاسلامية .

ويحتل بعضهم الان مناصب كبيرة من بينها مناصب وزارية ، كما ان عددا من المهاجرين العرب اتجهوا الى « فنزويلا » بأمريكا الجنوبية ، ويقدر عدد المسلمين هناك بنحو ٤٥ الف نسمة ، اما عدد المسلمين فى البحر الكريبى فيقدرون بنحو ٨٠ الف نسمة فى «غيانا الهولندية» و ٦٥ الفا فى « غيانا البريطانية » و ٦٠ ألفا فى « ترينداد » .

اما الهجرة من بلاد شرق اوربا فقد كانت الاسباب السياسية اكبر عامل ادى اليها ، فدفع ذلك المسلمين الى ان يفروا بدينهم الى حيث يمكنهم اداء شعائرهم الدينية فى حرية وامان ، وقد بدأت هجرتهم فى نهاية القرن التاسع عشر ، واستمرت فى بداية القرن الحالى ، ثم ازدادت بقيام الحركة البلشفية فى روسيا ثم ازدادت بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية والانقلابات الشيوعية فى عدد من بلاد شرق اوربا .

لذا نرى هنا جاليات اسلامية عديدة من تتار وقوقازيين وألبانيين ويوغسلافيين وسرقازبانيين ، وهكذا ادت الهجرة الى وجود خليط بشرى اسلامى عظيم فى امريكا الشمالية ، يبلغ عددهم مائة الف او يزيدون ، يتركزون فى المدن التجارية والصناعية الكبرى مثل « نيويورك » و « ودترويت » و « شيكاغو » و « لوس انجلوس » « وسان فرنسسكو » وان كان يوجد منهم عائلات متفرقة فى شتى المدن والعواصم (١) .

واكبر هذه الجاليات على الاطلاق يوجد بمدينة نيويورك . ومنذ كثر المهاجرون بدأوا يفكرون فى اقامة منظمات ونواد ، حيث يجتمعون فى جو يذكرهم بأوطانهم ، ويتيسر لهم فيه اداء شعائرهم ، والاحتفال بمناسباتهم الدينية والوطنية مما سنتحدث عنه فى فصل خاص ان شاء الله .

---

(١) قصدنا فى حديثنا عن الهجرة الى امريكا هؤلاءالوافدين بقصد الاقامة الطويلة او الدائمة ، والا فهناك ايضا الوافدون فى اقامة مؤقتة لمهامدراسية او حكومية ، ففى جامعات امريكا من الطلاب المسلمين ما يقرب من عشرين الف طالببينهم خمسمائة طالب من دولة الكويت وحدها . كما يوجد عدد من الدبلوماسيين فى سفاراتالبلاد الاسلامية لدى هيئة الامم المتحدة بنيويورك ، ولدى حكومة الولايات المتحدةالامريكية بواشنطون وكذلك بشتى القنصليات فى نيويورك . كما يوجد عدد كبير ممن يعملونفى المكاتب السياسية ومكاتب الاستعلامات والمكاتب التجارية وشركات السفر والسياحةوغيرها القادمين من البلاد الاسلامية .

ويبدو أن السبب : هو ضخامة الجزيرة ومناعة حصونها ، وقوة حاميتها ، مع صغر الحملات الاسلامية المسيرة اليها ، ثم طبيعة هذه الغزوات نفسها ، اذ أنها لم تكن فى الغالب ذات صبغة رسمية ، وانما بعث بها ولاة ، أو قامت بها جموع على مسئوليتهم الخاصة ولحسابهم ، تحفزهم روح الجهاد ضد أعداء الدين ، ويغريهم ما ترامى الى أسماعهم ، أو خبروه عن ثروة الجزيرة ، ومبلغ غناها .

يضاف الى ذلك عدم استقرار الأمر فى شمالي افريقية ، لقيام الثورات والفتن فى انحائها ، حيث أن البربر لم تهدأ ثائرتهم أبدا ، وكلما وجدوا فرصة للانقضاض انتهزوها .

غير أن هذه الغزوات قد ساعدت على تعرف معالم الجزيرة ، وحال سكانها من ضعف وقوة ، فكانت الحملات الرسمية فيما بعد بمثابة أعمال كشفية ، وان لم يكن ذلك فى حسابهم على ما نعتقد .

★★★

ومع ذلك فلم ينقض زمن طويل حتى استعد المسلمون لغزو جزيرة صقلية ، وعزموا على فتحها والاقامة فيها ، فقد بلغت الاساطيل الاسلامية فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فى افريقية والأندلس مبلغا من القوة والاستعداد لم تبلغه من قبل ، وعنيت حكومة الأغالبة فى افريقية (تونس) بالأسطول عناية كبيرة حماية لشواطئها من عدوان البيزنطيين والفرنجة (١) .

وكان الأغالبة فى الواقع يسيطرون من تونس على المياه الوسطى للبحر الأبيض المتوسط — وهى التي تضطرم اليوم بمنافسات الدول البحرية الكبرى — وكانت أساطيلهم القوية تجوس خلال هذه المياه فيما بين شواطىء افريقية ، وايطاليا ، وفرنسا ، وحتى سردانية ، وقوصرة من جزر هذا البحر ، وتثخن فى شواطئها .

وكانت صقلية عروس البحر اذ ذاك ، لمركزها الممتاز ، وضخامتها ، وغناها الوافر تبدو لهم غنيمة قيمة سهلة المنال، فكانت مطمح أنظارهم ، ومرتقب آمالهم ، يتحينون الفرص لاقتناصها وامتلاكها ، فلما حانت الفرصة المناسبة ، وأنسوا من أنفسهم القدرة ، اقتحموا عليها البحر ، وانتزعوها من أيدى أباطرة الرومان بين عشية وضحاها ، بعد أن جاهد المسلمون الأوائل فى سبيل أخذها مائة عام سويا .

أما كيف افتتحها المسلمون ؟ وما أسباب ذلك ؟ فهذا ما سنعرض له باذن الله فى مقال آخر .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧٧ — ٢٧٩ . وقد اوضح نشوء فكرة الغزو البحرى عند المسلمين ، ومبلغ عنايتهم بالأساطيل «حتى عظمت صولتهم وسلطانهم فى بحر الروم (الأبيض المتوسط) فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشىء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم » .

شيء

قصة عن فلسفة السلوك المعاصر

كنت في قطار الليل منطلقا الى الجنوب ، ورحت من خلال نافذة عربة النوم أتابع انعكاسات نور القمر الفضي على القرى ومياه الحقول ، كان الكوكب المضيء يبدو في عليائه كرقيب أمين وقور على البشرية التي تتهيأ لنعاس الليل ، ودق ناقوس عربة الأكل في القطار يدعو الراغبين الى العشاء وقمت اليها مع من قام ..

كان أكثر المسافرين من السائحين الأجانب ، وكان أكثرهم يحب أن يشرب حتى يترنح ، ان الشرب عند بعض الناس قرين المتعة وزميل الغربة ، وظل الى القرب مني شاب اوربي هادىء الطبع لم يطلب بعد العشاء الا كوبا من الشاى .

وعجبت في نفسي .. أوروبي وشاب ثم هو لا يشرب .. !! ؟ كيف يتأتى هذا .. ؟

★★★

وددت لو استطعت أن أقطع الوقت معه في بعض الحديث أو النقاش ، فالمرء تستهويه الأشياء النادرة .. وهذا انسان نادر ولا شك .

وأخذت أتحين الفرصة .. وألتمسها .. حتى جاءت .. وفي الأسفار ، وفي قطارات الليل خاصة يطيب للانسان أن يتحدث ولو قليلا الى الآخرين .. فلما اعتذر مساعد العربة عن وجود عود ثقاب معه ، قدمت الى الشاب علبة الثقاب التي كنت أحملها ، فأشعل غليونه ورد العلبة مع شكر رقيق ، فعرضت عليه أن يستبقيها لأنني لا أدخن ، فتقبل العلبة مكررا الشكر وسألني في تعجب ...

أنت لا تدخن .. !! ؟ يندر أن نرى الذين لا يدخنون .

قلت مبتسما حريصا على الفرصة : وكذلك الذين لا يشربون ...

فنظر الى كوب الشاى الذى أمامه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة .

وأردت أن أغوص وراء استخراج اجابة على سؤالى ، فقلت مستطردا :

لعل نوع الشراب المطلوب ليس حاضرا ... !!

فهز رأسه وهو ينتزع غليونه من فمه ..

لا .. عفوا .. انى لا أشرب على الاطلاق ..

قلت : ربما .. تدينا .

فاتسعت الابتسامة على شفتيه ، ولم ادرك تماما لماذا اتسعت هذه الابتسامة في هذه المرة ، ولكنه أردف :

لابد منه ..!

للأستاذ محمد لبيب البوهي

لا أشرب .. لسبب بسيط ، ذلك لأنني على وفاق مع نفسي ..

★★★

على وفاق مع نفسه .. !! ؟

تردد صدى الكلمات فى خيالى ورحت ألتمس لها تفسيرا .. ولم أسأله فليس من حقى أن أقف منه موقف الاستجواب ولما يمض على تبادلنا الحديث العابر غير لحظات ..

لا يشرب لأنه على وفاق مع نفسه .. !! ؟ أى أنه راض عن نفسه .. يحب نفسه .. يحترمها ..

لقد أخذت المترادفات تطوف فى ذهني كفراشة هائمة لم تجد لها مستقرا ..

وازدادت سرعة قطار الليل .. واطلقت القاطرة العائدة من الجنوب على الخط الحديدى المجاور صفيرها العالى ، ولمعت على التوالي فى زجاج النافذة التي الى جوارى أنوار مصابيحها ، فامتنع الحديث لحظات رحت خلالها أفكر .. ومن جوف الصمت كانت ملامح الاجابة تتراءى على أفق الخيال .. هذا الرجل لا يشرب لأنه على وفاق مع نفسه ..

★★★

أجل .. الشرب اذن هروب من الواقع .. تغطية واقع الانسان فى غلالة شفيفة من بخار الخمر .. الأمر واضح ليس فيه فلسفة .. فان هذه الغلالة تبعدنا عن أنفسنا .. عن واقعنا .. انها تباعد بيني وبين نفسي .. الخمر تقيم بين الانسان ونفسه حجابا صفيقا .. وهو يرتاح الى ذلك ، ويسعى اليه حين لا يكون على وفاق مع نفسه .. حين يكون فى خصام معها .. انها عدوة له ، وهي تساكنه فى أعماقه .. نفس قلقة غير مطمئنة .. اما النفس المطمئنة فهى شيء آخر .. انها على وفاق مع صاحبها ، كل منهما صديق للآخر ، يحبه ولا يريد الافتراق عنه .. فالذين يشربون الخمر ليسوا على وفاق مع أنفسهم .. هناك دبابيس فى أعماقهم تخزهم ، يريدون أن يخدروا أنفسهم من الم وخزها .

وقلت لنفسي ولكن هناك متعة .. شعور بنشوة .

وكان العقل فى أعماقي يتساءل ويتولى الجواب .

هناك متعة .. انها متعة غير طبيعية .. وما ليس طبيعيا فهو زائف ، وكل زائف فهو ضحك على النفس .. والانسان حين يكون على وفاق مع نفسه .. حين يحترمها .. لا يضحك عليها .. ولا يسخر منها ..

ورحت أنظر مرة أخرى الى الشاب الأوروبى الذى لا يشرب .

***

انه الشاب يعرف نفسه تماما .. يسايرها وتسايره .. يزاملها وتزامله ، انه فى صلح دائم مع عقله .. لا يريد أن يضرب هذا العقل على أم رأسه بمقرعة الخمر فيخدره .. انه صديق نفسه وصديق عقله ، ولا بد انه أوجد لهذا العقل قواعد .. وهذه القواعد تريحه وترضيه ، فلا موجب اذن للهروب من الواقع .

لا شرب اذن .. اذ لا يوجد داع ولا مبرر ..

***

ورنت ضحكات أنثوية ، وانبثق فجأة فى رحاب عربة القطار جو من العطر ، فقد دخلت العربة من الباب الآخر مجموعة من السيدات الأجنبيات ـ كن اوروبيات ـ والتفت أكثر الناس ليملأوا عيونهم .. أما هو ـ .. هذا الشاب أيضا فقد أخذ ينفض بقايا غليونه وأردت استدراج الشاب نحو حديث جديد .. موضوع آخر فقلت :

« المودة » هذا العام هى كشف الركبة .. ترى هل ستعود المودة فيما بعد الى تغطيتها .. أعنى تكون ملابس السيدات تحت الركبة ؟ .

قال فى عزم واصرار .. أعتقد ذلك .. لأن هذا هو منطق الأشياء .. أو هو دورة الزمن .. اننا أسرفنا الى أقصى حد فى الاختلاط .. وفى الاختلاط يستطيع المرء أن يحادث أو يجالس أو يزامل أو يراقص عشرات من النسوة ..

قلت نعم .. هذا يحدث .

فقال : من هنا نشأت المباراة .. كل امرأة وسط هذا التنافس تريد أن تفوز بأكبر قسط من الاعجاب .. لذلك بدأت تتفنن فى جلب الأنظار .

قلت : صدقت .

فضحك وقال : أنت تقيس كلامي وتزنه بميزانكم .

قلت وانها لمقاييس دقيقة ثابتة : فالمرأة حين كان لها وقارها كانت تجد خزيا ومعرة فى أن تكشف صدرها أو جزءا منه ، أو تشد الازار حول خصرها حتى تعتصره أو تعرى ركبتها لأنها تخرج بذلك عن دائرة الكرامة الانسانية الى عالم اللحم .

قال مؤمنا : نعم هو عالم اللحم .. Flesh

« المودة » تختلف عاما بعد عام .. لأنها تحاول عرض اللحم البشرى فى أطباق شهية ، وما الأطباق غير الأزياء من كشف الركبة الى ما سواها ، وحين يتناول الانسان طعاما واحدا فانه يسأم أو يمل ، لذلك تتغير الأطباق . اى الأزياء .. اى الوان المودة .. يظل الصدر مكشوفا ، وكذلك الابط . وسنة بعد أخرى يصبح ذلك أمرا طبيعيا ، ويصبح المنظر غير مثير ، بل قد يثير الاشمئزاز عند المبالغة فيه ، عندئذ يلجأ الطباخ ، والطباخ هنا هو مصمم الأزياء ويبتكر طرقا جديدة لتقديم نفس اللحم بتوابل أخرى ، فتصدر التعليمات الى الصدر كى يغطس نفسه ، ثم تصدر التعليمات فى ذات الوقت الى الظهر ليتعرى ، وحينما تدور دورة الزمن ، ويصبح منظر مئات الألوف من الظهور العارية مألوفا غير ملفت للأنظار ، يبتكر المبتكرون فى عالم اللحوم أشياء جديدة ، هى كشف الركبتين مثلا .. يبدأ الأمر بكشفها خمسة سنتيمترات ثم عشرة ، ثم عشرين فيعم الاشمئزاز ، ويبدأ الرجال فى أن يبصقوا على الأرض ، فتعود المـرأة فورا الى الفستان الطويل .

انها الموائد الجنسية .. هناك فى بعض بلدان الغرب ، يعوم الناس فى بحر من

الجنس والاباحية .. ان قنابل الحرب هدمت الأعصاب ، وهدمت المقاييس والقيم وولد الملايين من الشباب فى جو القرف والقلق والخوف ، فكا نلا بد من البحث عن التعويض فى دنيا الملذات .

قلت للفيلسوف الصغير : هل يصدق على الطوفان الجنسى فى بعض البلدان الأجنبية الغربية التى طغى عليها الانحلال ، هل يصدق على الجنس ما يصدق على المودة .. أعنى دورة الزمن !؟ .

قال : لا بد .. لا بد .. لا بد .. حين يصبح الجنس شائعا وسهلا ورخيصا سيبدو مبتذلا .. وبحكم الملل والقرف يبدأ الناس فى البحث عن لذة من نوع جديد .. لذة لا قرف فيها ولا ملل ..

فوقفت ورحت أنظر من النافذة عبر الحقول ، فقد بهرنى ضوء قوى انبثق فجأة من المحطة التى توقف فيها القطار وتبسمت ضاحكا .

قال : لماذا تضحك ؟ .

قلت : أضحك لأننى تذكرت .. تذكرت ان الموازيين القديمة جعلت كل شىء بمقدار ، هذا المقدار يعصمك من القرف . وحين يأتى تيار ليجرف الناس الى عالم اللذة .. يجدون سدا يقول لهم .. قفوا .

هذه الموازيين .. أو المقاييس .. أو المبادىء الثابتة . سمها كيف شئت ترفع من قدر المرأة . وتصون كرامتها ولا تهوى بها أبدا الى عالم .. اللحوم .

هذه المقاييس ، أو الموازين .. أو المبادىء الثابتة .. سمها ما شئت تعطى المرأة حق الزينة .. الزينة الى أقصى الحدود ,ولكن لرجل واحد .. هو الزوج .

حين تكون البيوت هى جنة الأزواج لن يكون هناك مبرر للانطلاق الأحمر .. لانه اذا انطلق فان هذه المقاييس أو الموازيين ، أو المبادىء سمها ما شئت لن تدع له فرصة أو مجالا الى زوجات الآخرين .

عند ذلك تنمو الأسرة ويولد الحب ، ومن الحب تزرع شجرة السلام .

وفى غضون السلام العام .. والعقل العام .. والضمير العام .. والاتزان العام .. والمبادىء العامة لن يفقد الناس اعصابهم ، ولن يجدوا داعيا للهروب من هذا القرف الى طوفان اللذة .

★★★

ومرة أخرى انبثقت فى رحاب عربة القطار ضحكات لها رنين .. وانتشر جو من العطور ، وتمايل كثيرون وكثيرات .

واستطردت أقول : ان اللحوم قد تبدو فى معرض الجزارة ملفوفة فى أثواب من حرير ، وقد يزينها الجزار ، ولكن هذا لا يمنع أن يدب اليها العفن فتصبح جيفا تعافها حتى الذئاب بعد أن تشبع ... الملل والضيق والشعور بالضياع كل ذلك وليد الاسراف فيما ليس طبيعيا ..

الراحة والسعادة . والاتزان . فى المقاييس أو الموازين التى أشرنا اليها ، وهى لن تأتى الا من فوق ، لأنها تعاليم خالدة فى أم الكتاب .. خطوط مستقيمة مرسومة بدقة فى طريق النور — فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... للسعادة . للخير . للجمال .. لتذوق طعم الحياة . هذا هو الشىء الذى لا بد منه .

★★★

وانطلق القطار بأقصى قواه ، لقد كان قد تراخى لحادث الم ببعض القضبان ، ولكنه استجمع عزمه ، وجرى فى أمان على الخط الحديدى الذى تم أصلاح عيوبه الى حيث يتمتع السائحون بدفء الجنوب وآثاره .

طوبى لمن يتفكرون .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

الوصية

السؤال : —

١ — هل يجب على الانسان أن يوصي حال حياته ببعض أمــواله ليصرف بعد وفاته في وجوه الخير ؟ وهــل يجوز له شرعا أن يعهــد الى أحد أولاده بتنفيذ وصيته ؟ .

٢ — هــل تجب الــزكاة في رواتــب الموظفين ؟ .

بركات المطيري — ميناء الدمام

الاجابة : —

١ — كان يجب على الانســـان — في صدر الاسلام — اذا أشرف على الموت ، وعنده مال أن يوصي ببعضــه للوالدين والأقربين . قال تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان تــرك خــيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعــروف حقا على المتقين » ثم نسخ الحكم بآيــة المواريث ، وبقى ندبها ، الا في جانب من عليه حق لله تعالى كزكاة أو حج ، أو حق آدمي بلا شهود ، فانه يجب عليــه ان يوصي بأداء ذلك .

ولا ينبغي لمسلم ميســور الحال أن يمكث بدون كتابة وصــيته والاشــهاد عليها ، فانه خير عاجل يفوت بالموت . عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليــه وسلم قال : (ما حق امرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده) .

والوصية المندوبة تكون في حدود ثلث مال الموصى ، ويندب النقص عنه اذا كان الورثة فقراء والا فلا ، واستقر الاجماع على عدم جــواز الــزيادة على الثلث في الوصية الا اذا أجازها الورثة .

عن سعد بن أبي وقاص قال : مرضت عام الفتح مرضا أشرفت منه على الموت ، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني ، فقلت : يا رسول الله ان لي مالا كثيرا ، ولا يرثني الا ابنتي . أفأوصي بمالي كله ؟ قال : لا . قلت : فثلثي مالي . قال : لا . قلت : فالشطر . قال : لا . قلت : فالثلث . قال : الثلث . والثلث كثير . انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس .

وللموصي أن يختار من يراه أصــلح لتنفيذ الوصية سواء أكان من أولاده أم من غيرهم ، ولا شك أنه اذا كان يوجد من ذريته من يأمنه على تنفيذ وصيته ، فهو أولى وأحق من سواه .

رواتب الموظفين

٢ ـ ولا تجب الزكاة فى رواتب الموظفين الا اذا ادخر الموظف من راتبه قدرا بلغ النصاب وحال عليه الحول ، فانه يجب عليه اخراج الزكاة عن هذا المبلغ المدخر فى نهاية الحول ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأموال المدخرة سواء أكانت من راتب أو من غيره .

فى الزواج

السؤال : ـ

اعتاد بعض الناس أن يتولى عقد زواج ابنه البالغ الرشيد من امرأة يختارها له بدون رغبته ومن غير اذنه ، فهل ينفذ هذا العقد شرعا ؟ .

سيار أحمد ـ الكويت

الاجابة : ـ

عقد الأب لابنه البالغ الرشيد عقد يتوقف نفاذه على اجازة الابن اذا كان العقد صحيحا مستوفيا شرائطه وأركانه الأخرى ، فان أجازه الابن نفذ ، وان لم يجزه لا ينفذ العقد .

فى الميراث

السؤال : ـ

رجل توفى عن زوجة وستة أولاد : ذكر وخمس بنات وأخوين نرجو تقسيم التركة على المستحقين .

خلف عبد العزيز

الاجابة : ـ

توزع التركة على الوجه الآتى :

للزوجة الثمن فرضا ، لقوله تعالى : « فان كان لكم ولد فلهن الثمن » . والباقي يوزع على الخمس بنات وشقيقهن الذكر ـ للذكر مثل حظ الأنثيين ولا شىء للاخوين لحجبهما بالابن العاصب الأقرب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

السؤال : ـ

أولا ـ توفيت امرأة عن عم وأولاد بنت .

ثانيا ـ ثم توفى العم عن ابن .

فما نصيب كل من الورثة ؟ .

ع ٠ ك ـ الكويت

الاجابة : ـ

بوفاة المرأة تكون تركتها لعمها فقط لأنه عاصب ، ولا شىء من الميراث لأولاد البنت ذكورا ، واناثا ، لأنهم من ذوى الأرحام ، ولا يرثون مع وجود عاصب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

وبوفاة المتوفى الثانى (العم) تكون تركته لابنه فقط وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

هذا وبالنسبة للمتوفاة الأولى فان أولاد البنت وان كانوا لا يرثون بمقتضى قواعد الميراث عند الأئمة الأربعة الا أن هناك قانونا نافذا فى بعض الأقطار الاسلامية يعرف (بقانون الوصية الواجبة) واستند فيه المشرعون الى بعض المذاهب الفقهية الأخرى .

وبمقتضى هذا القانون يستحق أولاد البنت من تركة المتوفاة ما كانت تستحقه والدتهم من ميراث أمها لو كانت موجودة على قيد الحياة حين وفاتها ، وذلك فى حدود الثلث وبشرط ألا يكون الميت قد أعطاهم بغير عوض من طريق آخر قدر ما يجب لهم وان كان أعطاهم أقل منه وجبت وصية بقدر ما يكمل النصيب .

وابراء للذمة وصلة للقربى نهيب بالعم الوارث أن يعطى أولاد البنت نصيبهم الذى يستحقونه بمقتضى هذا القانون .

كيف تكون دراسة الفقه الإسلامي
النص النبوي ثابت مكين
حلم الصهاينة في عقد صلح مع العرب
أثر الخلق الإسلامي

كيف تكون دراسة الفقه الاسلامى

نشرت مجلة النجف مقالا تحت عنوان « القانون المدنى » ننقل منه هذه الفقرة :

الأساس فى هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة فيدرس الفقه الاسلامى فى ضوء القانون المقارن . ويعنى فى هذه الدراسة بأمرين جوهريين . (أولهما) أن تدرس نشأة الفقه الاسلامى دراسة دقيقة ، فيبحث كيف تكون هذا الفقه على مر الزمن ، وكيف تطور وبخاصة فى العصور التى سبقت عصر المذاهب الكبرى الاربعة . (والامر الثانى) أن تدرس مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة ، السنى والشيعى والخارجي والظاهرى وغير ذلك من المذاهب ، دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة ، ولتتركز هذه الوجوه فى تيارات التفكير القانونى . ثم تتبلور فى اتجاهات عامة ، وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الاسلامية . ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربى الحديث ، حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين وقف الفقه الاسلامى لا فى قواعده الاساسية ومبادئه ، بل فى أحكامه التفصيلية وفى تفريعاته ، فتمتد يد التطور الى هذه التفصيلات على أسس تقوم على ذات الفقه الاسلامى وطرق صياغته وأساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الاسلامى الى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجارى مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير ، وهو فى الحالين فقه اسلامى خالص لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله .

ومن ثم تكون موضوعات البحث الاساسية فى دراسة الفقه الاسلامى هى (١) تاريخ الفقه الاسلامى، وبخاصة قبل عصر المذاهب . (٢) أصول الفقة الاسلامى ، على أن يعاد البحث فى النظرة التقليدية لهذه الأصول . (٣) مقارنة مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة فيما بينها . (٤) مقارنة الفقه الاسلامى بالقوانين الغربية الحديثة .

ولا بد لهذه الدراسة من معهد خاص يتوفر على الأسباب اللازمة لنجاحها من أساتذة يتخصصون لها ، ومراجع يستعان بها ، وطلاب يتفرغون لهذه الدراسة .

النص النبوى ثابت مكين

وجاء فى مقال نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامى تحت هذا العنوان :

ان امية العرب قد وجهتهم الى الاهتمام بالحفظ ، فقويت الذاكرة لديهم قوة خارقة كما ضربوا لذلك بعض الأمثلة من المشاهد الملموس ، فالاعمى أقوى حفظا من البصير اذ جعل كل اعتماده على الحفظ ، أما البصير فان ركونه الى الكتاب مما يضعف ذاكرته عن غيره ، وقد ساعد العرب على تقوية ملكة الحفظ لديهم طبيعة جوهم وبساطة معيشتهم وسعة خبرتهم بأساليب لسانهم وطرق بيانهم ، فاذا أضيف الى ذلك شدة تعلق الصحابة بآثار رسول الله كان انتباههم الى استيفاء احاديثه أقوى وأشد . ومن علم أن أبا زرعة وأحمد

ابن حنبل والبخارى كانوا يحفظون آلاف الاحاديث بأسانيدها لا يستكثر أن يحفظ أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعائشة أكثر ما سمعوه عن رسول الله دون اسناد ! فاذا وجدت الصحف المكتوبة وأسعفت الحافظة القوية ، وتفرغ الملأ الكثير لرواية الحديث ، فلن يهى منه مر السنين كما يدعون ! على أننا نعرض هذا النص الحاسم على الذين يستكثرون ورود الآلاف من الاحاديث عن رسول الله ، ويرجفون بروايتها مهولين « قال أبو زرعة الرازى ، فى جواب من قال له . أليس يقال . حديث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث ومن قال ذا غير زنديق ، ! ومن يحص حديث رسول الله لقد قبض صلى الله عليه وسلم والمسلمون مائة ألف وأربعة آلاف من الصحابة ممن روى عنه ومن سمع منه ، وهم أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما من الأعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة ، وقال الرافعى قبض رسول الله والمسلمون ستون ألفا ثلاثون ألفا بالمدينة وثلاثون ألفا فى قبائل « العرب » ننقل هذين النصين لنقول انه على افتراض كون المسلمين ستين ألفا فقط عند وفاة الرسول ، وجلهم قد حدثه وسمعه وروى عنه أفيكون ما لدينا من حديثه عنهم من الكثرة بحيث نظن به الظنون دون تدليل .

حلم الصهاينة فى عقد صلح مع العرب

وطالعتنا « فلسطين » التى تصدر عن وزارة الارشاد والانباء الكويتية بكلمة تحت هذا العنوان جاء فيها .

لا يزال بعض المسئولين الصهاينة يحلمون بامكانية عقد صلح مشترك دائم مع جيرانهم العرب ـ على حد زعمهم ـ وقد صرح أبا ايبان ، وزير خارجية دولة المعتدين ، بأنه من الممكن اقامة علاقات ودية مع العرب اذا استطاع اليهود والعصابات الصهيونية ـ عن طريق الدعايات السلمية ـ اخراج مشروعات الصلح من حيز الكلام الى حيز العمل .

وأكد هذا اليهودى أن الوقت قد حان .. لتبنى سياسة جديدة ، عن طريق التودد والتقرب الى الدول المجاورة ، بدلا من القيام بالعمليات العسكرية الانتقامية على الحدود ، ويرى ايبان أن دولة الصهاينة لم تقم ـ بعد ـ بخطوات صحيحة لنشر خطة السلام .

السلام عن طريق الاعتداء والغدر

وبينما يعيش هذا الصهيونى فى أحلامه يتحدث عن خطة السلام .. نجد العصابات الصهيونية تقوم بسياستها الطبيعية ، سياسة الاعتداء والغدر والعدوان الآثم .

ومع هذا الشعور العدائي ، يتخلى وزيرهم عن أفكار الصلح التى وعد بتطبيقها ، ويخيب أمل تلك الجماهير التى علقت الامل على تصريحاته الخيالية ، اعتقادا منها أن الوقت قد حان لينقذوا أنفسهم من العيش فى جو متكهرب بالعداء ، ومفعم بالخوف والرعب الذى بدأ يسمم الجو النفسى والفكرى .

ويعتقد المسئولون أن اجراء مباحثات الصلح تمهد لهم الطريق لانقاذ دولتهم المنهارة مما يهددها من رياح عاصفة بسبب الأزمة الاقتصادية التى توشك أن تطيح بهم معها .. وفرار المهاجرين بسبب الانكماش المالى واتساع الفرق فى مستوى المعيشة بين اسرائيل وبين الوطن الاصلى للمهاجرين الجديد يزيد من المشاكل الاقتصادية المعقدة .

أثر الخلق الاسلامى

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

فى ترجمة البخارى رحمه الله أنه كانت له تجارة يبيعها بالجملة للتجار ، فجاءه تاجر مرة عند المساء ، ورغب اليه أن يشترى منه صفقة ودفع له فيها مبلغا معينا ، فطلب البخارى أكثر من ذلك ثم افترقا ، تندم البخارى على أنه لم يبع الصفقة بما دفع له ذلك التاجر من ثمنها ، وتمنى أن يعود ليوافق على بيعها بالسعر الذى حدده التاجر ، ولكن التاجر عاد اليه فى اليوم راضيا أن يشترى الصفقة بما طلب البخارى فيها ، واذا البخارى يقول له : بل أبيعكها بالسعر الذى دفعته بالأمس « أى بانقص كثيرا مما دفعه التاجر اليوم » فعجب التاجر وقال : بالأمس رفضت أن تبيعنيها بالثمن الذى تطلبه انت اليوم ، فاجابه الامام البخارى رحمه الله . بالأمس بعد أن غادرتني ندمت على أنه لم ابعها لك بما دفعت فيها من ثمن ، ونويت فى نفسي أنك لو عدت حينئذ لبعتكها بما دفعت ثم لم تعد ، وانى لاخجل من ربى أن أنكث عهدا عزمت عليه ، وأن أنقص ما نويت فخذها بارك الله بك .

بريد الوعي الإسلامي

• الحروف في أوائل السور لا يتعلق بها أحكام
• الحديث القدسي ليس قرآناً منزلاً

١ ــ اختلف علماء تفسير القرآن الكريم في بيان معاني الأحرف التي تبدأ بها بعض سور القرآن مثل (ألم • ألر • ألمص • كهيعص • طسم • حم • ص) فقال البعض انها أسماء الله تعالى ، بينما قال الآخرون انها أسماء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذهب فريق ثالث الى أنها أحرف لا يعلم كنهها الا الله عز شأنه • فهل تتفضلون بتوضيح آراء العلماء في ذلك ، وترجيح رأي على رأي •

٢ ــ كثيرا ما نسمع عن الحديث القدسي أنه كلام الله • يستشهد به في كثير من المواقف الدينية ، فهل هو كلام الله ولفظه من عند الله ؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يجمع مع القرآن الكريم ؟ ثم ما كيفية نزوله على النبي •

((محمد سالم الدقيل ــ حضرموت/المكلا ــ ص ب ٢٨١))

افتتحت بعض سور القرآن الكريم بأحرف مقطعة من حروف المعجم ، وهذه الأحرف المقطعة التي بدئت بها هذه السور أنواع : منها ما هو ذو حرف واحد مثل (ص.ن.ق) ، ومنها ما هو ذو حرفين مثل (حم.طس) ومنها ذو ثلاثة أحرف أو أكثر مثل (ألم.المص.كهيعص.حمعسق) • وجميع السور المبدوءة بهذه الأحرف مكية ما عدا سورتي البقرة وآل عمران •

وهذا أسلوب جديد في العربية لم يألفه العرب من قبل ، ولم يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيان المراد من هذه الأحرف ، ولهذا ذهب فريق من العلماء الى أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلم يصل أحد الى معرفة المراد منها ، وأوردوا من أقوال كبار الصحابة ما يؤيد وجهة نظرهم كقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

(فى كل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السور) وقول علي كرم الله وجهه (ان لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى) .

وفريق آخر من العلماء لم يرتض هذا الرأى ، وأنكر أن يكون فى كتاب الله تعالى ما ليس مفهوما ، وان هذا يتنافى مع ما وصف به القرآن الكريم من أنه نزل بلسان عربى مبين .

وقد اختلف هذا الفريق فى بيان المعانى المرادة من هذه الأحرف ، فقيل : ان المراد بها الدلالة على أنها أسماء للسور التي بدئت بها ، وقيل : انها رموز لبعض أسماء الله تعالى وصفاته ، فقوله سبحانه : (ألم) معناه : (أنا الله أعلم) ، وقيل : انها أقسام أقسم الله بها . وقيل : انها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ألا يستمعوا لهذا القرآن وأن يلغوا فيه ، فأنزل الله تعالى هذه الأحرف فى مفتتح بعض السور حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه ، وتفكروا فيه ، واشتغلوا به .

وقد اختار كثير من العلماء القول بأنها نزلت للتنبيه على أن القرآن ليس الا من هذه الحروف التي عرفها العرب ، وألفوها فى كلامهم ، وهم قادرون عليها ، فلم يكن من حيث لغته ومادته التي يتكون منها غريبا عليهم ، فهى بمثابة اعلان التحدى الرمزى بعد أن تحداهم القرآن صراحة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ــ ولو كان ــ من عند غير الله لاستطاعوا أن ينفوا عن أنفسهم العجز بالاتيان بمثله . وهذا الرأى هو الذى نميل اليه .

واذا تتبعنا السور التي بدئت بهذه الأحرف وجدنا أنها فى الأعم الاغلب جاء فيها بعد هذه الأحرف ما يشير صراحة الى هذا الكتاب الكريم وعلو شأنه قال تعالى : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، « المص . كتاب أنزلناه اليك » ، « ألر . كتاب أحكمت آياته » ، « طسم . تلك آيات الكتاب المبين » ، « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » ، « ق . والقرآن المجيد » الخ .. مما يدل على أن هذه الأحرف لها صلة باثبات أن الكتاب الكريم من عند الله .

أما ما طلب السائل الكريم الاجابة عنه فيما يتعلق بالأحاديث القدسية ، فنبادر الى القول بأن الحديث القدسى ليس قرآنا باجماع المسلمين ، ولهذا لم يجمع معه ، ولم يضم اليه .

وقد ذهب المحققون الى أنه حديث لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من عند الله بالهام أو بمنام ، قال ابو البقاء فى كلياته ص (٢٨٨) : « أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالالهام أو بالمنام » . ورؤيا الانبياء حق .

وقد تميز عن الحديث النبوى بهذه التسمية ، فنسب الى القدس لأن الرسول الكريم يحكيه عن رب العالمين عز وجل .

والأحاديث القدسية كثيرة متفرقة فى كتب السنة الصحيحة ، وقد جمعت مع الأحاديث الصحيحة ومنها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل « يا عبادى : انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ... » .

بأقلام القراء

يعبرون فيـه عن أفـكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

بلال الحبشي المؤذن الأول في الإسلام

الأستاذ حسن الأمين من بيروت ينشر فى هذه الكلمة صفحات مطوية من تاريخ المؤذن الأول فى الاسلام فيقول :

ولادة بـلال

المرأة السوداء التي ولدت بلالا لم يكن يهمها أن تعنى بتسجيل تاريخ ولادته ، والرجل الزنجى الذى جاءه هذا الصبى لم يكن هو أيضا يهمه هذا التسجيل . ولا واحدا من أقرباء هذا الطفل كان يفكر فى أن يكتب على ورقة . اليوم والشهر والسنة التي أطل فيها المولود الجديد على الدنيا .

ولماذا يفكر واحد من هؤلاء بذلك ؟ وأى شأن لمولود افريقى اسود فى ذلك الزمن يستحق أن يؤرخ يوم مولده ؟ . وأى مستقبل ينتظره غير العبودية والاضطهاد ؟ . فلماذا اذن يؤرخون أيام ولادات مواليدهم سواء أكانوا ذكورا أم اناثا ؟ .

وأكبر الظن أن غاية ما كانت تتمناه أم بلال لوليدها الجديد هو أن يرحمه الله فلا يسلط عليه فى المستقبل سيدا قاسي القلب فظ الطباع يرهقه من أمره عسرا ، وان يزيد الله رحمته فيجعل سيده على شيء من الانسانية فيقل من تعذيبه ، ويقل من اضطهاده ، ويقل من ارهاقه . وأما فوق ذلك فلم تكن أم بلال وأبو بلال يرجوان لطفلهما أى شيء ، اذ أن هذا كان غاية ما يطمح اليه الاسود فى ذلك العصر .

وما يدرينا أية حياة كانت تحياها أم بلال وكان يحياها أبو بلال ، فقد كان كل واحد منهما عبدا عند سيد من البيض ، ولكنماذا كانت طباع كل من سيديهما ؟ او بالأحرى من ساداتهما ، اذ أن كلا منهما قد تنقل من سيد الى آخر ، وظل يتنقل حتى آل الأمر بهما الى أن تلد أم بلال ولدها بلالا . ولا شك أن كل واحد منهما قد كابد أشق الاعباء ، وعانى أشد الاضطهاد ، وتحمل شر أنواع الذل والمهانة وهو يباع من سيد الى آخر . لذلك نستطيع أن نتصور مدى أمانيهما لولدهما الجديد ، وان ندرك أن غاية ما كانا يرجوان له من الخير هو أن يكابد أقل مما كابدا ، وان يصادف فى طريقه الطويل أقل مما صادفا .

ومن هنا كان لا يعنيهما أن يؤرخا يوم ولادته فظل هذا التاريخ مجهولا لدينا لا نعرفه عنه الا بالظن والتخمين ، فكل الذين كتبوا تاريخ حياته لم يشيروا ابدا الى تاريخ اليوم الذى ولد فيه ، وانما أشاروا الى تاريخ وفاته ، فاختلفوا فى تقدير سنه عند وفاته فقال بعضهم : انه توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقال آخرون : بل توفى وهو ابن سبعين سنة (١) وهذا الاختلاف يعود الى أن كلا من الفريقين كان يقدر سنه تقديرا ، وبلغ الاختلاف فى التقدير سبع سنين .

مكان ولادته

وكما أن المؤرخين لم يشيروا الى تاريخ ولادته فهم كذلك لم يشيروا الى مكان ولادته وهذا طبيعي ايضا ، فلم يكن أحد ليعنى بالمكان الذى ولد فيه أسود ابن أسودين وعبد ابن عبدين ، ولم يكن امره فى هذا الا أمر ملايين السود الذين كانوا يولودون فى كل يوم ، فلا تثير ولادة أحد منهم أقل انتباه ! .

أصـــل بلال

بلال هو أفريقي الأصل ، حبشي الأب ، أسود العنصر ، ويفهم مما ذكره المؤرخ ابن الأثير فى كتابه (الكامل) ان أباه هو الذى اختطف من الحبشة وكذلك أمه اختطفت من هناك وان بلالا ولد بعد ذلك فى بلاد العرب من أبوين عبدين ، فكان مثلهما عبدا .

ولم يذكر ابن الأثير تفاصيل اختطاف أبويه وانما اكتفى بأن قال : « كان أبوه من سبى الحبشة وأمه سبية أيضا » .

واستعمال كلمة (السبى) يدل على أن أباه اختطف صغيرا لأن كلمة السبى تستعمل فى أخذ النساء والأطفال . أما أخذ الرجال فتستعمل له كلمة (أسر) . والأصل فى الكلمتين أن تستعملا حال الحرب . وقد استعملنا هنا فى (الخطف) لأنه ليس من المعقول أن يكون الاستيلاء على والد بلال وعلى أمه نتيجة حرب بين أحد وبين الاحباش ، بل أن الامر كان يجرى على ما عرف من استعمال الحيل ومختلف الاساليب فى اختطاف السود من أفريقيا وسوقهم الى بلاد البيض وبيعهم عبيدا أرقاء . وهذا ما جرى على والد بلال وأمه ، اذ اختطفا صغيرين ، وظلت الأرض تتقاذفهما حتى وصلا الى جزيرة العرب ويبدو كذلك من عبارة ابن الأثير أن مولده كان فى السراة ، كما ورد فى غيره أنه ولد فى غيرها ، وايا كان مولده فقد ظل يباع حتى وصل الى أمية بن خلف الجمحى فأستقر عنده فى العبودية ، وظل هكذا حتى ظهر الاسلام .

على أن المؤرخ ابن عساكر ذكر ما يفهم منه أن بلالا كان عبدا لعبد الله بن جدعان لا لأمية بن خلف ، فقد روى أن بلالا بعد اسلامه دخل يوما الكعبة فالتفت فلم ير أحدا فأتى الاصنام ، وجعل يبصق عليها ويقول : « خاب وخسر من عبدكن » ، فطلبته قريش فهرب حتى دخل دار سيده عبد الله بن جدعان فاختفى فيها . فلحقه القرشيون الى الدار فسلمه عبد الله لابى جهل وأمية بن خلف فخرجا به الـى البطحاء ، وجعلا يبسطانه على الرمال الحامية ويعذبانه .

الحـــريـــة

ويتحدث فضيلة الشيخ محمد عبد الرحمن الخطيب مفتى محافظـة الكـرك بالأردن عن الحرية فيقول :

الحرية ثمرة الحياة وتاج السعادة وزهرة هذا الوجود ، بها يكون الانسان انسانا فاذا فقدها فهو والحيوان سواء ، تسخره القوة ، وتلعب به الأهواء ــ ولا يعرف الله غير حر .

---

(١) الاستيعاب

فالموحدون هم الأحرار ، وان شئت فقل ان الأحرار هم الموحدون فالحرية هى التحلل من قيود الرق البشرى وتمزيق لفائف العبودية لغير الله الواحد الأحد .

على ضوء هذا يجب أن تفهم الحرية البريئة الصحيحة ، ولكن بعض الناس أخطأوا فهم الحريـة واختلط عليهم الامر ، فناقضوا الحق مناقضة صريحة . فهموا الحرية على أنها تحلل من قيود الأدب وتجاوز لحدود الفضيلة و ...

فهذه امرأة سافرة كشفت عن ساقيها وذراعيها وتبرعت للناس بعرض جمالها ، وغشيت محافل الرقص طروبة خليعة رغم أنف الآباء والازواج لأنها تتحصن بالحرية المكفولة للأفراد والجماعات فى ظل القوانين الوضعية ، وهذا شاب مائع يقامر بماله ، ويقامر بدينه ، فالحرية عنده يحدها شمالا هتك الأعراض واباحة الفساد ، وجنوبا الاستهتار بالدين والاعتقاد بأن التمسك به تأخر وجمود ، وشرقا بالخنوثة والالحاد والطيش وغربا تقليد الغرب فيما يضر من اباحية واستهتار وترك ما ينفع من حب الوطن واعداد السواعد القوية السليمة والعدة الدفاعية .

وهذا شيخ جرب بالتجارب فخرج من مدرسة الحياة الطويلة بارعا فى النفاق والغش يستطيع أن يحيك الاجرام محبوك الطرفين بخيوط الدهاء مدهونة بصبغة الكذب واللؤم ، وذاك عالم قعد به الكسل ، واستمرأ الدعة فقال عليك نفسك والزم بيتك فترك الجهاد وأهمل واجبه نحو المجتمع ، وقل ذلك عن التاجر الجشع والصانع الغشاش والسياسي المتلون والفنى البطر والفقير المتلصص .

بل قل ذلك فيما تقوم به بعض الجماعات من أعمال تحت ستار الحرية الزائفة والحرية بريئة من كل هذا ، وهى كما قلنا تحلل من قيود العبودية لغير الله ـ والعبودية المطلقة لله تعالى ، ولا تتحقق هذه العبودية الا بالتزام ما سن القرآن من آداب ، وما شرع من حدود فى المال والعرض والدم والمعاملة ـ وبذلك فقط تسعد البشرية وتسمو الأمة وينتظم تشريعها وتحقق العدالة الصحيحة للفرد والجماعة ، وكان القرآن الكريم حين قال ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) كأنه يشير الى دستور الحياة الصحيحة النافعة ، الا فليفهم ذلك رجل الدين ورجل المال ورجل السياسة ورجل الاصلاح ، والسلام على من اتبع الهدى واستظل براية الاسلام .

الإسلام والرياضة البدنية

وأرسل الاستاذ محمد الهادى السيد اسماعيل المدرس بمدرسة الدعية الثانوية بالكويت قصيدة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ابنى الشـــباب رياضـــة الأبـــدان ... ان الشـــباب ذخـــيرة الأوطـــان
ابنى ســـواعد للكويـــت قويـــة ... فلكم تحـــن لذلـــك البنيـــان
ولئن فعلـت فقـد بنيـت عقولهـم ... والعقـل فى الأجســام كالميـزان
ما أنـت بنت اليـوم محدثـة لنـا ... انـى أراك وليـدة الأزمـان
لـولا دواء فيـك للولـدان مـا ... حـث النبـى عليـك للولـدان
مـا أنـت بنـت حضـارة وتمدن ... بـل أنت بنـت شـريعة الرحمـن

★★★

أحيـوا الرياضة يا شـباب فانهـا ... تحييكمـو فى عالـم الوجـدان
ان طاف شـيطان بوقـت فراغكـم ... فهى الرياضـة قاهـر الشـيطان
انـى لأكبـر فيكمـو ايحاءهـا ... وأجـل مـا تحـوى من الألـوان

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

افتتح سمو أمير البلاد المعظم مجلس الامة الجديد فى السابع من فبراير والقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميرى .

زار جلالة الملك الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية البلاد بدعوة من أخيه حضرة صاحب السمو الامير المعظم ، وقد استغرقت الزيارة أربعة أيام تفقد فيها جلالة الزائر الكريم معالم النهضة فى البلاد .

أدلى سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بتصريح لاحدى المجلات اللبنانية جاء فيه :

أن القيادة العربية الموحدة هى من المنجزات الكبيرة التي استطاعت مؤتمرات القمة تحقيقها ونرجو مخلصين ألا تؤثر عليها الخلافات الطارئة لتكون لهـا فعاليتها المطلوبة .

تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية عدة كتب من جمعيات اسلامية فى لبنـان والاردن للمساهمة فى اقامة بعض المساجد والمنشآت الخيرية .

سيبدأ هذا الشهر الموسم الثقافي الذى تعده وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وتدعو اليه كبار المحاضرين الاسلاميين كعادتها كل عام ...

قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ ألف دولار سنويا للبيت العربى الاسبانى لتمكينه من تعزيز العلاقات بين اسبانيا والعالم العربى .

حولت الجهات المختصة مبلغ (٤٠) ألف دينار للمشاركة فى تعمير قرية السموع التي خربها العدوان الصهيوني فى شهر نوفمبر ١٩٦٦

سينعقد مؤتمر منظمة المدن العربية فى الكويت فى الفترة ما بين ١١ و ١٥ من مارس القادم .

وصل من المغرب مهندسان من ذوى الخبرة الواسعة فى بناء المساجد على الطراز الاندلسي للاشراف على بناء مسجد الدولة الكبير .

الجمهورية العربية المتحدة

يقوم وفد اسلامى بزيارة البلاد الاسلامية فى منطقة جنوب شرق آسيا : الفلبين ، تايلاند ، ماليزيا ، اندونيسيا . للتعرف على أحوال المسلمين هناك وأهدى للمراكز الاسلامية عشرات الآلاف من الكتب .

طلبت حكومة ماليزيا من الوفد الاسلامي الذى زارها دراسة نظام التعليم فى المدارس الاسلامية وايفاد مدرسين مصريين للعمل بهذه المدارس .

تبدأ جمعيات المحافظة على القرآن الكريم فى اخراج مصاحف جديدة تباع بسعر التكلفة كما ستبدأ لجان من العلماء المسلمين فى تفسير مبسط للقرآن الكريم .

تقرر عقد المؤتمر الثقافى العربى السابع بمقر الامانة العامة للجامعة العربية فى القاهرة فى الفترة ما بين ٦ و ١٤ مارس القادم .

تم هذا العام انشاء واستكمال عدد كبير من المساجد والوحدات الاجتماعية والمعاهد الدينية والكليات الجامعية الازهرية وتبلغ تكاليفها (٣) ملايين ، و ٤٨٩ الف جنيه .

السعودية

سيقوم جلالة الملك فيصل بزيارة اندونيسيا خلال الاشهر القادمة بدعوة من الرئيس سوكارنو كما سيقوم جلالته بجولة فى بلدان جنوب شرق آسيا .

ويقوم الشيخ محمد عمر وزير المواصلات ووزير الحج والاوقاف بالوكالة بزيارة ايران لزيادة التعاون بين البلدين وتنظيم الاوقاف وتسهيل زيارة الحجاج الايرانيين للاماكن المقدسة .

وجهت جامعة الملك عبد العزيز الاهلية بجدة الدعوة الى البروفيسور ابو بكر حليم للاطلاع على المراحل التي مرت بها الجامعة والبروفيسور من كبار خبراء التعليم الجامعي وهو مؤسس جامعة السند وكان مديرا لجامعة كراتشى .

تجرى الاستعدادات على قدم وساق لوضع برنامج صحى شامل لموسم الحج .

الجمهورية العراقية

قام الرئيس عارف بزيارة للجمهورية العربية المتحدة فى السابع من شهر فبراير بدعوة من أخيه الرئيس جمال عبد الناصر واستغرقت الزيارة خمسة أيام .

وصل الى بغداد فى أواخر يناير الماضى وفد عسكرى كويتي برئاسة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع .

الاردن

وضعت الترتيبات اللازمة لسفر الحجاج الاردنيين وستتخذ الحكومة كفالات مالية على الشركات التي ترغب فى نقل الحجاج ضمانا لراحتهم .

لبنـــان

قدمت الى لبنان وفود اسلامية لتهنئة الشيخ حسن خالد المفتى الجديد بمنصبه الجديد من بينها وفد من كبار علماء الازهر ومن سوريا وقد أشاد سماحته وفخامة رئيس الوزراء بدور الازهر فى رعايـة الرسالة الاسلامية .

وصل وفد طلابى من ابناء الجالية العربية فى شيلى الى لبنان فى جولته التي يقوم فيها بزيارة البلاد العربية : زار حتى الآن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا .

السودان

أعلن الامام الهادى المهدى زعيم طائفة الانصار وراعى حزب الامة السودانى انه سينفذ الدستور الاسلامى اذا فشل نواب الجمعية التأسيسية فى اقراره عند عرضه عليها .

انعقد فى الخرطوم المؤتمر الطبي العربى السادس وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات وتوصيات . منها انشاء كلية للدراسة الطبية العليا وعمل دستور عربى موحد للادوية وتنظيم تداولها فى البلاد العربية .

الهند

طرح المعهد الهندى للدراسات الاسلامية بنيودلهـى مسـابقة لتأليـف كتاب عـن فلسفة الاســلام الاقتصاديــة .

ليبيـا

احتفلت ليبيا بعيد استقلالها الخامس عشر .

باكســتان

يقوم معهد البحوث الاسلامية بالباكستان بعمل مرجع رئيسى فى الشريعة الاسلامية .

تركيـا

صرح رئيس الفرفة التجارية التركية بأن (٣٥) شركـة تجاريـة قطعت كل علاقاتها مع اسرائيل وان تركيا رفضت اقامة غرفة تجارية مشتركة بين تركيا واسرائيل فى أزمير .

أوغندا : طردت اوغندا عشرة من الكهان لايوائهم بعض المتمردين من جنوب السودان .

مكتبة المجلة

طريق النصر فى معركة الثأر

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب . ويحتوى الكتاب على « ٤٩٥ » صفحة مزودة بالخرائط الملونة . وهو دراسة عملية واعية لايضاح الطريق السوى الذى يقود العرب الى النصر ، ويستثير الهمم لاستعادة الحق المغتصب فى أرض فلسطين .

وطبع الكتاب فى مطابع دار لبنان للطباعة والنشر ص.ب (٥٦٢٠) بيروت ، وثمنه « ٦٠٠ » ق.ل .

دراسة فى فكر منحل

كتاب يقع فى (٢٢٠) صفحة وهو من تأليف الأستاذ محمد جلال كشك ، ويتعرض لنماذج من الفكر المنحل الذى يروجه أعداء العروبة والاسلام. والكتاب طبع فى مطبعة الجبل بلبنان وقامت بنشره مكتبة الأمل بالسالمية ـ الكويت .

فوائد قرآنية

للأستاذ أحمد خيرى وهو الكتاب الخامس عشر من سلسلة المطبوعات التي تصدرها دار نشر الثقافة بالاسكندرية للمؤلف ويقع الكتاب فى (١٢٢) صفحة ويتناول سور القرآن وبيان ترتيب نزولها وتقسيمها وما ورد فى القرآن من أعلام وأسماء وتراجم القراء الأربعة عشر ورواتهم الثمانية والعشرين ، وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بالقرآن الكريم .

من وحى الكويت فى عشرين عاماً

ديوان للشاعر أحمد عنبر أصدرته مطبعة مقهوى بالكويت فى كتاب يحتوى على (٣٢٠) صفحة ، وقد قسمه مؤلفه الى ثلاثة أقسام خص القسم الأول منها بالقصائد ورتبها ترتيبا زمنيا تصاعديا من القديم الى الحديث أى من أول عهده بالكويت حتى الآن .

والقسم الثانى خصه للجد والهزل ورتبه مثل الأول .

والقسم الثالث والأخير خاص بالأناشيد والتمثيليات .

ومعظم ما ورد فى هذا الديوان كان قد نشره مؤلفه فى الصحف أو ألقاه فى مناسبات عامة أو خاصة .

قادة فتح المغرب العربى

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب وهو من سلسلة كتب (قادة الفتح الاسلامي) ويحتوى على قصص القادة الذين فتحوا (المغرب العربى) أمثال ابن أبى السرح وعقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار وموسى بن نصير وغيرهم ..

ومن خلال سير هؤلاء الأبطال يظهر لنا بوضوح كيف انتشرت العربية لغة والاسلام دينا فى المغرب العربى ... والكتاب يقع فى (٣٥٢) صفحة وقامت بطبعه ونشره (دار الفتح للطباعة والنشر) ص.ب (٤٢٩٥) بيروت / وثمنه « ٦٠٠ ق.ل » .

الآثار الاسلامية التاريخية فى حلب

كتاب فى « ٤٠٠ » صفحة من تأليف الدكتور محمد أسعد طلس ، وهذا الكتاب معرب عن كتاب المؤرخ المستشرق الفرنسي الدكتور جان سوفاجة مضاف اليه معلومات جديدة ومعلقا عليه تعاليق مفيدة ، وهو مزود بأربعين لوحة تصويرية تبين وتوضح المعالم الأثرية الواردة فى الكتاب ، وقامت بطبعه مطبعة الترقى بدمشق لصالح مديرية الآثار العامة فى سوريا .

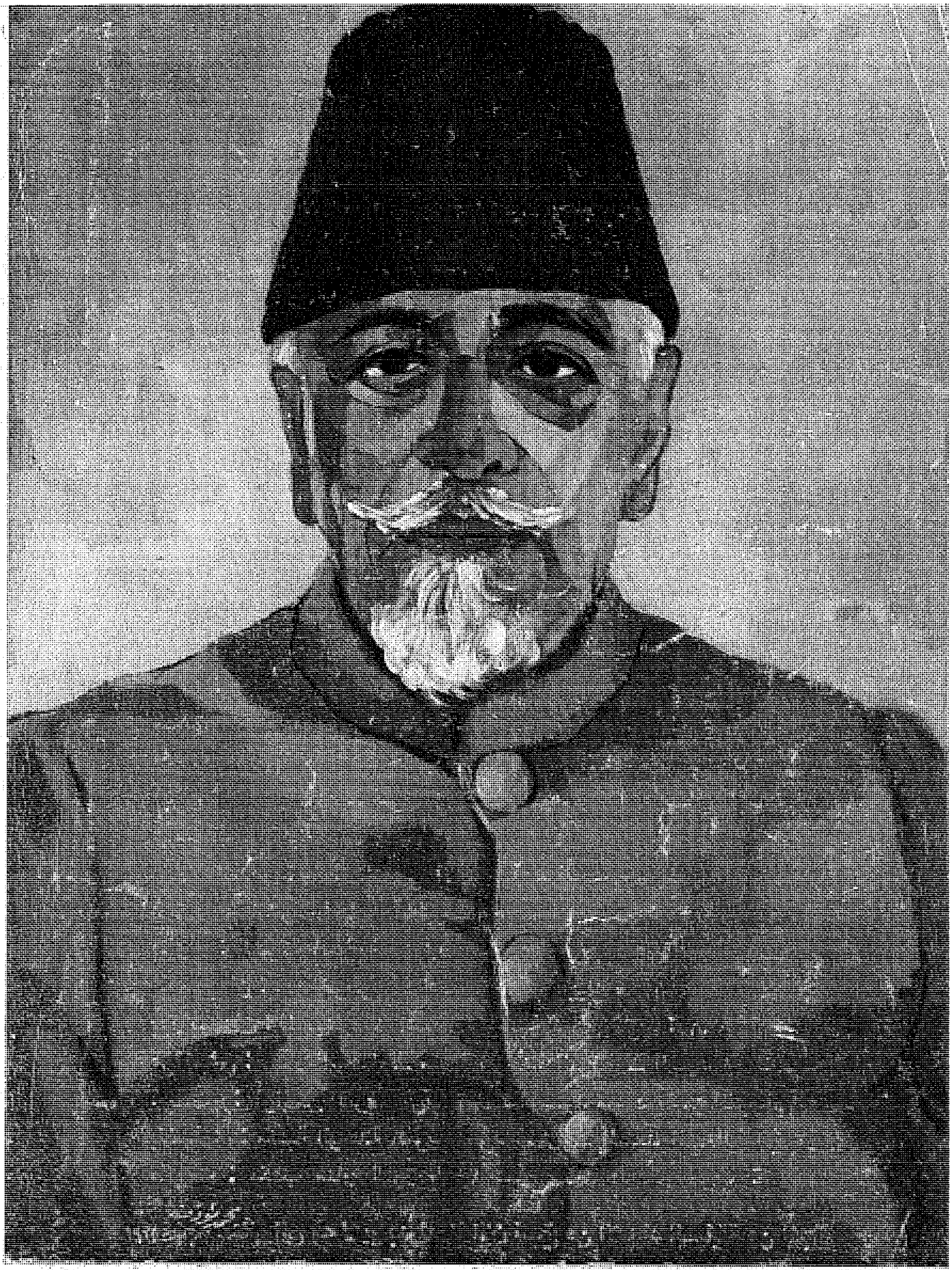
اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢
جده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى ص ب : ٣٠٣
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مولانا أبو الكلام ازاد

((طالع مقال : العالم الثائر))

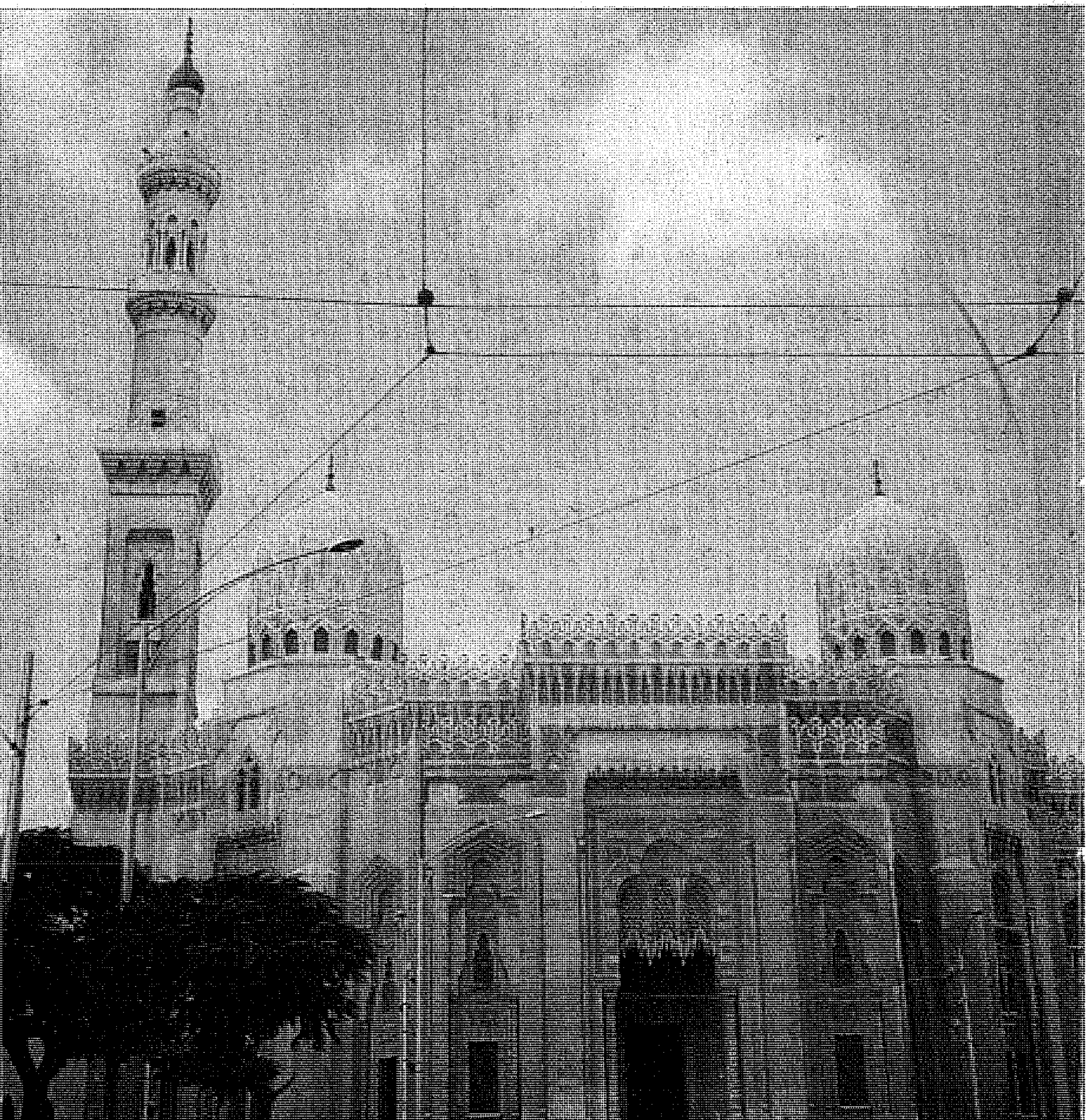
لوحة زيتية

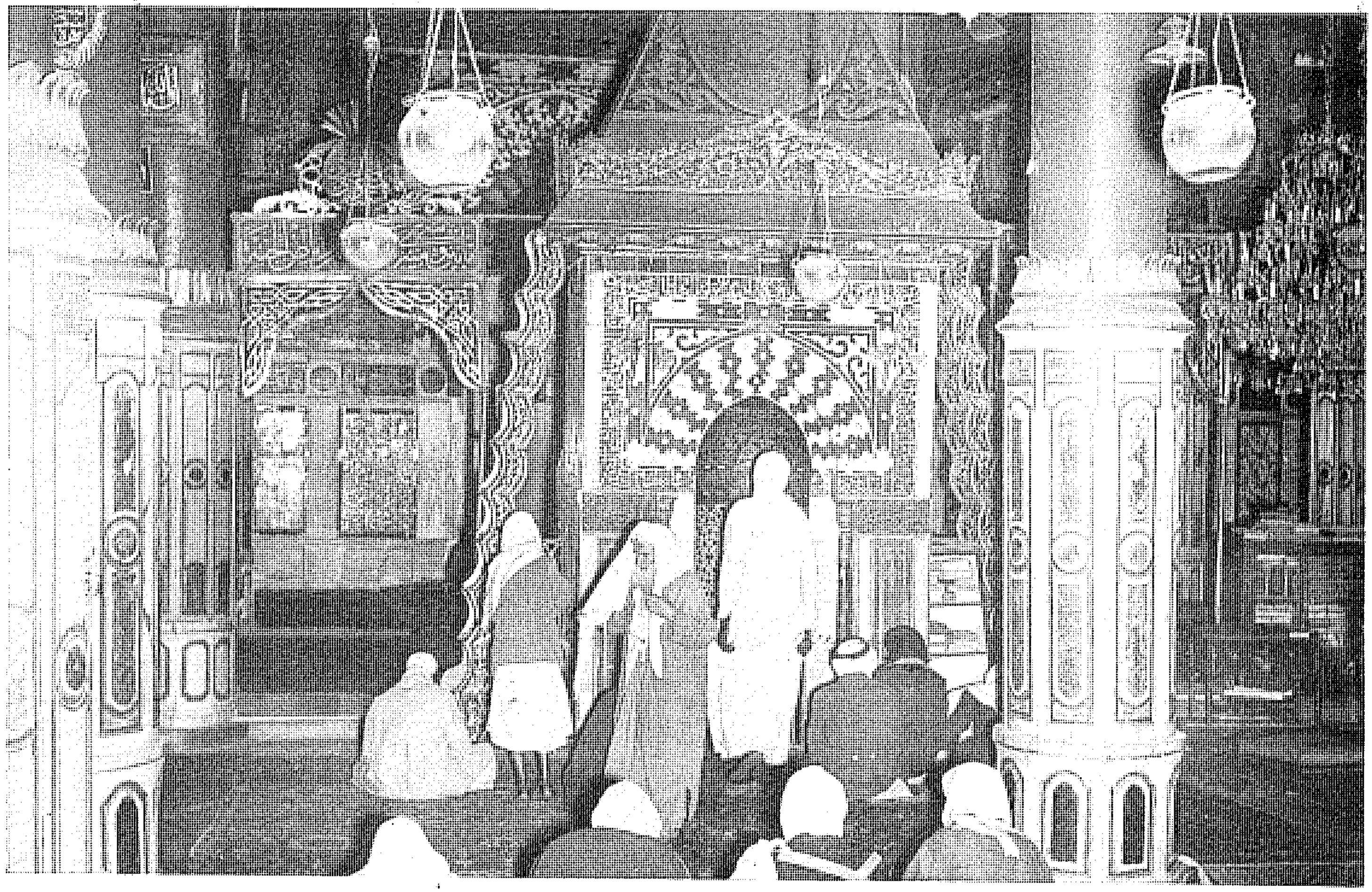
بريشة : محمد مؤذن

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية ـ العدد الرابع والعشرون ـ ذو الحجة ١٣٨٦ هـ مارس ١٩٦٧ م





« مـا بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة »

اللهم ارزقنا وقفة خاشعة فى الروضة الشريفةحيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته يقفون أمام الله خاشعين مخلصين له الدين

« لعلك أن تنال بحرِّ وجهٍ : مكانا مسّهُ قدم النبىِّ »

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والعشرون ـ السنة الثانية

غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٦ هـ

١٢ من مارس (آذار) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ
الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية
والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

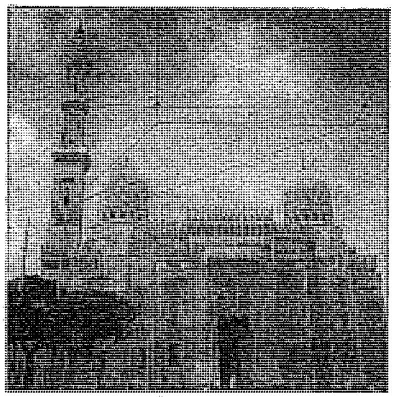
مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد العارف بالله أبو العباس المرسي بمدينة الاسكندرية . بعد أن جدد بناؤه منذ عشرين سـنة ويعتبر آية في فن المعمـار .
اقرأ مقالا عن ((أبى العباس))

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

نشر الوعي الديني

من أهم واجباتنا

في يوم الثلاثاء ٢٨ شوال ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧/٢/٧م) افتتح سمو الامير المعظم الفصل التشريعي الثاني لدور الانعقاد الاول لمجلس الامة ، وألقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الاميري ، الذي يرسم سياسة الدولة في الداخل والخارج . وتحدث فيه عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، وعناية الحكومة بالناحية الروحية ، وبث الوعي الاسلامي في النفوس .

وانه مما يسرنا ، ويسر كل مسلم ، أن يلقى هذا الجانب الهام في حياة الامة هذه العناية من جانب القادة ، وولاة الامور هنا ، وفي كل بلد اسلامي ، فانه لا نهضة لنا ولا قوة الا بالارتكاز على تعاليم ديننا الحنيف .

وفيما يلي حديث الخطاب الاميري عن هذا الجانب :

وتؤمن الحكومة بأن نشر الوعي الديني وتبصير المواطنين في تعاليم دينهم الحنيف من أخص واجباتها ، وهو بالنسبة للشباب خاصة عامل قوي لبناء شخصيتهم ورفع مستواهم الخلقي وتزويدهم بسلاح منيع يصونهم من التردي فيما تردى فيه شباب هذا الجيل في أقطار أخرى ، فالعلم والاخلاق رفيقان متلازمان ، وتحرص وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على فتح المزيد من المكتبات في المساجد .

هذا الى جانب تعمير المساجد القائمة وانشاء الجديد منها بشتى المناطق لاسيما في الاحياء المحرومة منها .

وقد دخل مشروع مسجد الدولة الكبير الذي أشير اليه في الخطب الاميرية السابقة في مرحلة الاعداد للتنفيذ ، كما تم دعم ادارة الدعوة والارشاد التابعة للوزارة المذكورة ، تمشيا مع الظاهرة التي تسود العالم الاسلامي اليوم ، وهي نمو الوعي الديني عند كافة فئات المسلمين .

أحس فى هذه الأيام أن جسمى هنا ، وقلبى هناك ، يحوم مع الحجاج حول بيت الله الحـرام ... ويتنقل مع خطواتهـم فى أرض المجد والذكريات . أرض الوحى والقرآن ..

وفى سبحات التفكير والتخيل أرى معي جميع المسلمين من كل مكان ، تتجه قلوبهم الى حيث يتجمع ضيوف الله جميعا فى ساحة ((عرفات)) وكأنهم فى استعراض أمام خالقهم ، عدتهم فيه سلاح الايمان ، وطهارة القلوب ، يتنافسون فى القرب من الله ، والفوز برضاه ، وترتفع أصواتهم ، بالنشيد الرباني العلوى : ((لبيك اللهم لبيك ..)) ويلحون على الله فى الرجاء والسؤال : اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلي ومالى . اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى .. اللهم لك صـلاتى ونسـكى ومحياى ومماتى .. واليك مآبى ..

وفى هذا الاستعراض الربانى استعراض القلوب والنيات .. يكرم الله ضيوفه ، ويفرح بتوبتهم ويباهى ملائكته بهم ، ويتجلى بمغفرته ورضوانه عليهم .

((وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات .. وقد كادت الشمس أن تئوب فقال : يا بلال أنصتْ لى الناس . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنصتَ الناس . فقال : يا معشر الناس أتانى جبريل آنفا فاقرأنى من ربى السلام ، وقال : ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات . فقام عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله هذا لنا خاصة ؟ فقال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة .. فقال عمر رضى الله عنه : كثر خير الله وطاب)) .

نعم ولا حرج ، فان ربـك واسـع المغفرة .. والذين أقبلوا على هذا الاستعراض طاهرة قلوبهم خالصة نياتهم ، حسنة أعمالهم هم الذين يظفرون من الله بهذه الجائزة ((والله عنده حسن الثواب)) ولعلنا بهذا نفهم السر فى قوله صلى الله عليه وسلم ((الحج عرفة)) .

أخى

من الجدير بنا هنا ، وبكل حاج يغمره الأمن ، ويحفزه الرجاء فى عفو الله ، وهو يخطو فى بلد الأمن والرجاء ، أن نتذكر ـ كلما جاء يوم عرفات ـ أول حج حجه المسلمون بشكل جماعى بعد فتح مكة ، وأبو بكر رضى الله عنه أمير عليهم .. حيث أعلن هو وعلي رضى الله عنهما رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه : ((ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان)) وكان فى ذلك اعلان لسيادة الاسلام التامة فى مكـة .

حتى اذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، فى السنة التى تليها ، لم تقع عينه فيها الا على مؤمن بالله ، ولم تسمع أذنه صوتا يرتفع لسواه ..

وكانت نعمة على الرسول وعلى المؤمنين سجلها الله فى آية من كتابه الكريم نزلت فى يوم عرفات ((اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)) .

فكان نزولها تتويجا من الله لجهاد مرير حمل الرسول وصحابته أعباءه منذ بعث ..
وكان تسجيلا ربانيا لوثيقة النصر ، يطمئن بها الرسول وأصحابه لما بلغه الاسلام من قوة ومجد وكمال ، بفضل ما بذلوه من النفس والجهد والمال .

وان اعلان النصر ، واتمام النعمة والرضا من الله ، بعد سنين طويلة من الجهاد والعناء لمن أثمن ما يعتز به المجاهدون ، ومن يأتي بعدهم ، ممن يجنى ثمرة جهادهم وكفاحهم . واليوم الذى يتم فيه هذا الاعلان يجب أن يتميز عند أصحابه من بين الايام ، وتظل ذكراه حية فى النفوس ، تعتز به اعتزازها بأعظم الذكريات فى تاريخها ..

قال يهودى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين : آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا يوم نزولها عيدا ـ يريد هذه الآية ((اليوم أكملت لكم دينكم)) ـ فقال له عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذى انزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر)) .

وكأن عمر رضى الله عنه فى رده على اليهودى يقول له لقد عرفنا فضل هذه الآية ، ولدينا عيد فى صبيحة نزولها هو عيد النحر ..

لكن هل نذكر مع عرفات والعيد ذكرى اعلان هذه الوثيقة ؟ .

اننا اذا كنا ندعو الى احياء ذكراها فى النفوس ، فاننا لا نريدها مجرد ذكرى عابرة ، نقيم لها معالم الزينات ، ونردد فيها بعض القصائد والكلمات ، بل نريدها ذكرى تجدد فينا الامل ، وتحملنا على حسن القدوة والعمل ، فان الاسلام لم يبلغ ما بلغ من السيادة ، ولم يرفع المسلمون علم التوحيد على مكة وربوعها ، وينتزعوا من المشركين فيها السيادة والسلطان الا بفضل ايمانهم وتضحياتهم بأموالهم وأنفسهم فى سبيل كلمة الحق كلمة الله ..

ولو قعد المسلمون عن البذل والفداء ، واكتفوا من ايمانهم بتنميق الكلام والخطب الحماسية ، ورفع العقائر بالهتاف ، ما استطاعوا حتى الدفاع عن أنفسهم .. ولنهشتهم الذئاب التى كانت تتربص الفرص لافتراسهم والقضاء عليهم ..

لقد عبّد لنا الرسول وصحابته الطريق ، وترك وديعة الله أمانة فى أعناقنا ، لنحافظ عليها بدمائنا ، ونجعلها حقيقة واقعنا ، لا لنضيعها ونضيع أنفسنا ، ونصبح آثارا ممسوخة لاسلافنا الامجاد .

ماذا يقال عن أمة يقول الله لها : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)) فتقول هى : لا .. وتعرض عن نعمة الله ، وما رضى لها من دين ، وتبحث عن سلامتها فى غير ما رضيه الله لها ، وقد علمها رسولها أن ((من التمس الهدى فى غيره أضله الله)) ؟ !

لقد كان احساس أسلافنا الامجاد بفرحة العيد متسقا مع واقعهم العظيم .

أما نحن فكيف نشعر ببهجته وهذا واقعنا : قطع ممزقة يلهو بها الاعداء ، وتتلاعب بمصيرها الاغراض والأهواء !!! .

كلما جاء العيد أهاج شجونى ، وكأنه يثير فى نفسى الاسى لذكرى حبيب فقدناه .

ان عيدنا ـ يا أخى ـ هناك يوم تلتقى قلوبنا جميعا على كلمة الله ، يوم نحس فعلا أننا نعيش فى رحابه ، وفى ظل الدين الذى أكمله وارتضاه .

يوم نرى نفوسنا تغمرها حلاوة الايمان ، وسلطان المسلمين يقصم ظهر كل سلطان

رئيس التحرير

جرائم بني إسرائيل

٤

للشيخ / عبد الجليل عيسى
عميد كلية أصول الدين بالازهر ـ سابقا

كما يقصها القرآن الكريم

ذكرنا فيما تقدم (١٤) جريمة من جرائمهم ، واليوم نعرض الجريمة الخامسة عشرة ، وهي جريمة دلت على خبث كمين في طباع اليهود ، مكنهم من التسلل لعصيان الله سبحانه من وراء ستر يظنونه يخفي ما وراءه ، وغفلوا عن أنه في الواقع لا يمكن أن يخفى على من يعلم ما تخفي الصدور ، الذي يعلم السر وأخفى من السر ، من خطرات النفوس وهواجسها .

هذه الجريمة التي جرت ذيولها على الأمم بعد أن ابتدعها بنو اسرائيل الى يومنا هذا ولم يسلم من شرها حتى خير الأمم ، كما ستعلم ذلك بعد ، وبذلك تراكم على **اليهود من الذنوب مثل ذنوب كل من وقعوا فيها ، وهذا وحده يكفي** لغضب الله وملائكته والناس أجمعين .

ألم يجعله الله سبحانه ناقوس **تحذير** وتخويف لكل من يأتى بعدهم من ذريتهم من أن يصيبهم مثل ما أصاب أصحاب هذه الجريمة من أجدادهم الأولين من اللعنة الخالدة ، اقرأ في ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها

فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) الآية ٤٧ من سورة النساء وسترى فيما بعد صورا شوهاء من آثار هذه الجريمة.

واليك تفاصيل هذه الجريمة التي كرر الله سبحانه ذكرها فى القرآن بأساليب مختلفة نحو خمس مرات ، أولها فى آية ٦٥ من سورة البقرة و ٤٧ المتقدمة فيما سبق و ١٥٤ النساء أيضا و ١٦٣ من سورة الأعراف و ١٢٤ من سورة النحل.

جاء الحديث عن جريمة نقض هذا العهد المشدد الغليظ فى آية ١٥٤ المتقدمة حيث قال سبحانه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ..) الى أن قال (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) .

فما هو هذا السبت ؟ وكيف كان تعديهم فيه ؟ وما حكمة أخذ هذا العهد عليهم ؟ وما هى السنّة السيئة التي فتحوا بابها ، يلجه كل من يأتي بعدهم ممن يريدون التلاعب بدين الله ؟ .

ستجد جواب هذه الاسئلة الأربعة فيما يلي :

وقبل الكلام على تفسير هذه الآيات يحسن أن نشير الى أن الله جرت سنته فى ارشاد خلقه بأن يبتليهم بتكاليف متنوعة لحكم عالية :

منها أن بها يتميز الخبيث من الطيب ، ومن حكم عقله فى نفسه وشهواتها أفلح ، ومن جعل عقله عبدا لشهواته أفسده وخسر الخير كله ، وفى ذلك يقول سبحانه (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) آيتى ٢ و ٣ من سورة العنكبوت ، ومنها مع هذه الشرذمة بخصوصها (اليهود) أن الله سبحانه سلك معهم ذلك لعل من فيه بقية استعداد للاصلاح منهم أن يتمرن على الطاعة ، فيتغلب على ما يحيط به من طباع شرسة ، فتستقيم أحواله وينجو كما نجت الطائفة التي نجاها الله سبحانه كما سيأتي فى الآية .

أما كيف كان هذا الامتحان فبيانه : أنه سبحانه شرع لهم عدم العمل يوم السبت ليتفرغوا لعبادته فيه ، وجعل من تمام هذا الامتحان أن السمك يكثر ظهوره فى هذا اليوم بالذات قريبا من شاطىء البحر المجاور للقرية التي يقيمون بها ، كما سيأتى بيانها ، وفى غير هذا اليوم من أيام الاسبوع لا يرونه ، ولما تكررت هذه الظاهرة أمام أعينهم تدخل شيطان شهوة العصيان حتى لعب بعقول فريق منهم ، فانقسموا الى ثلاث طوائف .

طائفة ملكت زمام أمرها ، وخافت مقام ربها ، وهذه انقسمت الى طائفتين كما سيأتى .

وطائفة سال لعابها ولم تكبح جماح شهواتها ، فتظاهرت بالامتثال حتى لا تجابه الآخرين بعصيان الله سافرا . فماذا ألهمها شيطانها ؟ ألهمها حيلة ، تستر بها جريمتها ، تلك أنها عندما ترى السمك قريبا من الشاطىء يوم السبت المحرم عليهم الصيد فيه ، تأتى بشباك (مثلا) وتضعها وراء السمك من جهة البحر ، حتى اذا أقبل الليل وأراد السمك الرجوع الى جوف البحر منعته تلك الحواجز التي وضعوها ، وبذلك يمكن صيده بقية أيام الاسبوع التي يحل لهم الصيد فيها ، وأوهموا غيرهم أنهم بذلك أطاعوا ربهم فى عدم الصيد يوم السبت .

ولما كانت هذه مجرد حيلة واضحة الاستخفاف بأوامر الله سبحانه ، قامت جماعة من الطائفة الأولى فى وجهها ناهية لها عن مخالفة أوامر الله . وجماعة آخرون من هذه الطائفة سكتوا عن نهيهم وارشادهم يأسا من اصلاحهم مكتفين بأنهم لم يباشروا هذه الحيلة الشيطانية

وبذلك صار أهل هذه القرية ثلاث طوائف . طائفة تعدت وعصت ، وطائفة صالحة نهتهم واستمرت تنهى وتحذر سوء العاقبة ، وطائفة أخرى صالحة لم تجد فائدة فى نصحهم لاعتقادها أنهم بلغوا حدا من الفجور جعلهم غير قابلين للنصح . وذكر القرآن أن هذه الطائفة الثالثة لامت الطائفة الثانية على الاستمرار فى عمل لا نتيجة ترجى منه ، وردت عليهم الطائفة الثانية بأنها استمرت خوفا من الله أن ينسب التقصير اليهم ، وأيضا لأنه قد يكون بين الطائفة الأولى من فيه بقية استعداد لتقوى الله فينقذه الاستمرار فى النصح .

وذكر القرآن أن الله سبحانه عذب العاصين ، ونجى الناصحين المداومين ، وسكت عن الطائفة الثالثة .

وجمهور العلماء على أنها مستقبحة لعمل العاصين ، وأنها كانت مؤمنة بأن الله سبحانه سيعذب هؤلاء المعتدين ، ولذا قال عكرمة لما سمع من يقول : انها غير ناجية : كيف هذا ونحن نرى أنهم أنكروا وكرهوا ما عمله العاصون ؟ فاذا قلتم ان الله سبحانه لم يقل ونجيناهم جميعا . نقول : انه سبحانه لم يقل أيضا : وأهلكنا هذه الطائفة الثالثة مع الطائفة الأولى .

ولعله سبحانه انما خص بالذكر الذين استمروا على النهى لأنهم أعلى درجة عنده سبحانه حيث حماهم الخوف منه تعالى على مداومة النهى عن المنكر . واذا كان الساكتون عن النهى عن المنكر قد نجوا من الهلاك الذى اصاب الفئة العاصية المعتدية فانهم بلا شك سيؤاخذون بسكوتهم عن النصح والتوجيه مؤاخذة تتناسب وذنبهم وسلبيتهم .

ولعلك أدركت مما سبق أن القرآن ينصف المستقيم من الأمم التي ينحرف أكثرها فيسجل له استقامته كما هنا ، وكما فى قوله فيهم وفى أمثالهم (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) آية ٦٦ من سورة المائدة .

قص علينا سبحانه كل ما تقدم فى آيات ١٦٣ الى ١٦٦ من سورة الأعراف فقال عز من قائل (واسألهم عن القرية) أى اسأل أيها النبى اليهود المعاصرين لك تقريعا لهم على سيرهم على آثار أجدادهم ، وتحذيرا لهم من أن يحل بهم ما حصل لهم من العذاب اذا هم استمروا على ما هم عليه . اسألهم عما حصل لأهل القرية ، قال ابن عباس . هى قرية (أيلة) وكانت بين مدين والطور ، (كانت حاضرة البحر) أى مشرفة على شاطىء البحر ، وكان سكانها من بنى اسرائيل (اذ يعدون فى السبت) أى حين يتجاوزون حدود الله بصيد السمك فى يوم السبت ، وكان ذلك محرما عليهم كما تقدم (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم) .

(سبتهم) قال الراغب . أصل معنى السبت القطع ، تقول العرب . سبت على الجلد يسبته ، بكسر الباء ، وضمها ، سبتا ، بسكون الباء ، أى قطعه قطعا ، وسمى اليوم الذى يقع بين يوم الجمعة ويوم الأحد باسم المصدر وهو (السبت)

لأن الله شرع لبنى اسرائيل قطع العمل فيه ، والتفرغ للعبادة ، فهذا الاسم (سبت) مما أخذه العرب من بنى اسرائيل الذين كانوا محيطين بالمدينة وما جاورها ، والا فاسم هذا اليوم عند العرب قبل ذلك (شيان) بكسر الشين . فالمراد من (يوم سبتهم) يوم قطعهم العمل للعبادة . (شرّعا) جمع شارع ، أى ظاهر ، والمعنى ظاهرة تلك الحيتان على وجه الماء ، قريبة من الشاطىء (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) أى يوم لا يقطعون العمل لا يرونه ، والمراد باليوم جنس اليوم ، فالمعنى أى يوم لا يقطعون العمل فيه فيشمل كل أيام الاسبوع غير يوم السبت .

(نبلوهم بما كانوا يفسقون) (نبلو) أى نمتحن ، والمراد نعاملهم معاملة الممتحن بالتكاليف الشاقة ، لعل ذلك يخفف من قسوة قلوبهم المستمرة على الفسوق ، وليتميز للناس من قد يكون فيه بقية صلاح ومن غلب عليه الخبث ، وهذه سنته تعالى مع جميع خلقه كما تقدم ، وعليها امتحن المسلمين بعدم صيد الحرم ، قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليعلم علم ظهور وتحقق (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) آية ٩٤ من سورة المائدة .

والحمد لله . فقد نهانا سبحانه عن صيد الحرم وهو فى متناول أيدينا ، فانتهينا ، ولم نجرؤ على ما جرؤ عليه هؤلاء المجرمون . وقال سبحانه بعد هذه الآية ما يوضحها (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أى موجودون فى أرض الحرم بمكة .

وكذا امتحن الله قبل كل هؤلاء قوم صالح بالناقة . فقال سبحانه (انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) آيتى ٢٧ ، ٢٨ من سورة القمر ، وبين ما به الفتنة فى آية أخرى فقال (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) آيتى ١٥٥ ، ١٥٦ من سورة الشعراء .

وتقدم أن يهود هذه القرية كانوا بعد هذا النهى ثلاث طوائف . طائفة حذرت المعتدين واستمرت فى التحذير ، وطائفة كفت ، وأشار القرآن هنا الى ما حصل بين هاتين الطائفتين من الحوار فقال (واذ قالت أمة منهم) هى الطائفة التي يئست فسكتت ، قالت موجهة الخطاب للطائفة الأولى المستمرة فى النصح (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) أى لا فائدة ترجى من نصحهم ، فردت الطائفة الأولى (قالوا معذرة الى ربكم) أى اننا فعلنا ذلك ليكون عذرا لنا نعتذر به لربكم اذا سألنا يوم القيامة : هل نهينا عن هذا المنكر ؟ . (ولعلهم يتقون) وفعلنا ذلك راجين انتفاعهم بتكرار الموعظة فيتقون غضب الله وعذابه (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما ترك العاصون الاصغاء لنصيحة الناصحين وأهملوها (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) أى أنجينا الناهين عن العمل السىء ، وعاقبنا الذين ظلموا بعذاب شديد بسبب خروجهم عن طاعة ربهم . وبما أن هذه قصة من قصص القرآن الذى قال الله سبحانه فيه (لقد كان فى قصصهم عبرة) فما هى العبرة هنا ؟ نقول ان فى هذه القصة جملة عبر لا عبرة واحدة نوافيك بها فى عدد قادم ان شاء الله .

من هَدي السّنّة

الظلم العظيم

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

روى البخارى عن ابن مسعود قال : لما نزل قول الله تبارك وتعالى :
« والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون » .
شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا :
أينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليس بذلك ، ألا تسمعون لقول لقمان :
« يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » .

كان لقمان نجارا من السودان آتاه الله الحكمة ، وقيل انه كان نبيا ، والنبى هو من أمر من الله بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه ، والصحيح أنه كان حكيما فقط ، وقد عزيت الى لقمان المقالات الكثيرة المشتملة على الحكم البالغة . ومما روى من حكمه التى لم ترد فى القرآن الكريم قوله : (أى بنى : ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثيرون فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو ، ولا أراك ناجيا .

وقوله : من كان له من نفسه واعظ ، كان له من الله حافظ ، ومن أنصف الناس من نفسه ، زاده الله بذلك عزا ، والذل فى طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية ، يا بنى : لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ ، يا بنى : اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه قبل ذلك ، فان انصفك عند غضبه فآخه ، والا فاحذره .

وقد أفرد الذكر الحكيم للقمان سورة خاصة جعل عنوانها « سورة لقمان » تحدثت عنه وأن الله تبارك وتعالى آتاه الحكمة وكان شاكرا لله مثنيا عليه بما هو أهله ، محبا لخير الناس موجها نفسه لما خلق لأجله من الطاعة والعبادة

واخلاص كل شيء لله وحده ، قال تعالى : «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد » ... ثم تلتها الآيات توضح ما وصى به لقمان ابنه وهو أشفق الناس عليه وأحبهم لديه، أمره أن يعبد الله وحده ونهاه عن الشرك، وأوضح أن الشرك ظلم عظيم لان فيه وضعا للشيء فى غير موضعه ، وتسوية بين من لا نعمة الا منه سبحانه ومن لا يستطيع جلب خير ودفع ضر وهى الأصنام . روى البخارى عن ابن مسعود قال : لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون » شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليس بذلك الا تسمعون لقول لقمان : « يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » .

ولقد كان المحور الذى دارت عليه الرسالات جميعا هو التوحيد ، وافراد العلى الكبير بالعبادة واطراح عبادة غيره، ووضح ذلك فى القرآن الكريم وضوحا كاملا « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد» . .. « والهكم اله واحد لا اله الا هو » ، ولما كان الشرك ظلما عظيما كان الذنب الذى لا يغفر والخطيئة التى لا يقبل معها عدل ولا شفاعة ، « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فمن آمن بالله ثم اكتسب خطيئة أو اثما ولم يصر على ما ارتكب فالله يغفر له اذا تاب : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » ثم تمضى الآية الكريمة ذاكرة وصايا لقمان لابنه : « يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير »، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (الاعراف) ، فالله تبارك وتعالى لا يعجزه شيء فى السموات ولا فى الارض ، فمهما فعل العبد من صالح الاعمال أو طالحها فالله محصيها ومحيط بها علما ومحضرها يوم القيامة حيث ما كانت وأنى وجدت فى جوف صخرة أو فى أسفل باطن الارض ، ومجز عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فالله سبحانه لطيف يصل علمه الى كل خفى ، خبير بظواهر الامور وخوافيها يسجل على الانسان أعماله ويحصيها فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » ولن يؤاخذ شخص بجريرة غيره ولن يحاسب على عمل سواه « ولا تزر وازرة وزر أخرى» .

ومن مقتضيات توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه عن الشركاء والأنداد — اخلاص الوجه له ، وابتغاء المثوبة عنده وحده ، وتطهير النفس من جراثيم الرياء والنفاق ، وحين تتلوث النوايا بالمراءاة وحب الظهور والشهرة . حين تفتقد الأعمال الصدق والاخلاص لم يجد صاحبها مثوبة تنتظره ، ولا عاقبة تسره، روى أبو أمامة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله . أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر . ما له ؟ فقال الرسول : لا شيء له، ثم قال عليه الصلاة والسلام : ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا ، وابتغى به وجهه .

فدون الشرك بالله الواحد القهار ألوان أخرى خفية من الشرك تتصل بالنوايا ودخائل النفوس . سماها الرسول « الشرك الأصغر » ، وحذر منها ، ودعانا الى تحرير النفوس من آثارها . قال صلى الله عليه وسلم « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال : الرياء . يقول الله عز وجل اذا

جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء !! »

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف ذات يوم خطيبا في أصحابه فقال : (يأيها الناس : اتقوا هذا الشرك ، فانه أخفى من دبيب النمل . قالوا : وكيف نتقيه يا رسول الله وهو أخفى من دبيب النمل ؟ ! قال : قولوا : اللهم انا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) .

وهذا النوع من الشرك يقتحم على النفوس أسوارها ، فيدخل على المجاهد فى جهاده وعلى العالم فى علمه ، وعلى الغنى فى ثروته ، وعلى الواعظ فى وعظه ، وعلى العابد فى عبادته ، والمعصوم من عصم الله ، ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يسوق لنا نماذج من أصحاب النفوس المريضة والنوايا المدخولة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به ، فعرفه الله نعمته ، فعرفها قال الله له : فما عملت فيها .. ؟ قال : قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لان يقال : هو جرىء، فقد قيل..! ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم ، وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها — قال : فما عملت فيها .. ! ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء ، فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ... !!

ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ثم يحث لقمان ابنه على عبادة الله واقامة الصلاة وأدائها كاملة مستوفية لشروطها وأركانها ، ففيها رضا الله والانابة اليه ، وفيها النهى عن الفحشاء والمنكر ، ومتى ضعفت النفس واستكانت الى بارئها سبحانه وعبدت ربها حق العبادة وراقبته فى سرها وعلانيتها ، استعدت لان تتحمل رسالة الانبياء وترث الرسل وتجاهد فى سبيل الله فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فالكامل يفيض الكمال على غيره وأما من فقد شيئا فمحال عليه أن يمنحه سواه .

وبهذا يوجه لقمان ابنه — بعد أمره بالعبادة — الى أن يهدى الناس ويعلمهم ويأمرهم بالمعروف ويهذبهم قدر استطاعته ومبلغ قوته و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .. ثم ينهى عن المنكر، عن معصية الله ومحرماته التى تهوى بمن قارفها فى جحيم يشوى الوجوه ويذيب الابدان ويأتى على الاخضر واليابس .

ولما كانت الدعوة الى الله شاقة ومجابهة الناس مضنية عسيرة كان لا بد لها من التذرع بالصبر وقوة العزيمة والثبات على الحق والاعتماد على الله ، وهذا من الامور التى أوجبها الله على أوليائه وكلفهم بها وسيحاسبهم ان قصروا فى تحملها ، لأنها جليلة الفوائد عظيمة المنافع فى الدنيا والآخرة ، حكى ذلك التنزيل الحكيم عن لقمان فقال الله تبارك وتعالى :

« يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » .

ثم شرع يحذر ابنه من أشياء لو فعلها لتعرض للهلاك وباء بالفشل وحل به الخسران المبين فناداه لينهاه : « ولا تصعر خدك للناس » أى لا تعرض عنهم بوجهك تكبرا واستهانة بهم . بل اقبل عليهم من غير كبر ولا عتو ، وفى هذا المعنى يروى الامام مالك عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » .

« ولا تمش فى الأرض مرحا » أى لا تسر مختالا متبخترا لان هذا فعل الجبارين المتغطرسين الباغين فى الأرض بغير الحق ، يقول الله تعالى : « ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » . روى أن غضيف بن الحارث قال : « جلست الى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : ان القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ما غرك بي ؟ ألم تعلم أنى بيت الوحدة ؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة ؟ ألم تعلم أنى بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرك بى ؟ لقد كنت تمشى حولى ذا خيلاء وكبر » وفى الحديث الشريف : « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة » « ان الله لا يحب كل مختال فخور » أى لا يحب المعجب بنفسه الفخور على غيره .

« واقصد فى مشيك » أى امش هونا لا سريعا مفرطا ولا بطيئا متثبطا ولا ترائي الناس بل راقب مولاك وحده .. رأى عمر رضى الله عنه رجلا متماوتا فقال له : « لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله » ، ورأى آخر مطأطئا رأسه فقال له : « ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض » .

« واغضض من صوتك » أى لا ترفعه حيث لا يكون الى رفعه حاجة لانه أكثر وقارا للمتحدث وأكثر راحة لنفس المستمع .

« ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » تعليل لسابقه فأبشع الأصوات وأقبحها ما رفع فوق العادة بلا داع وهو صوت الحمير ، وفى هذا من الذم والتنفير من فعله ما لا يخفى ، وهو أدب من الله تعالى لعباده حتى يتركوا الصياح فى وجوه الناس تهاونا بهم أو اعتداء عليهم .

هذا مجمل وصايا لقمان لابنه كما وردت بالقرآن الكريم ، وقد جمع بعض العلماء من وصاياه الشيء الكثير وأفرد لها الجاحظ أبوابا فى بعض كتبه .

فاقامتنا فى الدنيا اقامة مؤقتة والرحيل عنها آت ميعاده لا ريب فيه ، فالعاقل من اتعظ وسمع وأعد العدة ليوم يلقى به الله ويعاتبه فيه رسول الله ويحاسب فيه على كل ما عمل من خير أو شر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، قال رجل لسيدنا على كرم الله وجهه : صف لنا الدنيا . قال : (وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر حزن ومن استغنى افتتن ، فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب)، دخل رجل على معاوية رضى الله عنه قد أسن وجاوز المائة : فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال : سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد ولد ، ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل ما شئت ، قال : عمر مضى فترده ، أو أجل حضر فتدفعه ، قال : لا أملك ذلك ، قال: لا حاجة بى اليك .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

نسأل الله جلت قدرته أن يبصرنا بوصايا الرسل والأنبياء والحكماء ، ويسلك بنا طريقهم القويم ، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

اللهم بصرنا بعيوبنا ، واكفف شر خلقك عنا ، واهدنا سواء السبيل . اللهم اهدنا فيمن هديت ..

الأشهر الحرم ومداها

للاستاذ : محمد عزة دروزة دمشق

— ١ —

قال الله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شــهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلــك الدين القيــم فــلا تظلموا فيهن أنفسكم » (سورة التوبة — ٣٦) .

والنص صريح بأن الأشــهر الحــرم أربعة . وليس فى القرآن نص بأسمائها . وهذا ما تكفــل به حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى بكر عن النبى صلى الله عليه وســلم جاء فيه : (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . الســنة اثنا عشر شهرا . منها أربعة حرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

وهناك من قال ان كلمة : (الحرم) من معنى الحرمة والاحترام . ومن قال انها من معنى الحرام والتحريم . والمعنيان واردان حقا بالنســبة للأشهر الحــرم حيث انها كانت محترمة ، وكان القتال وسفك الدماء فيها محرما . وفى آية فى سورة البقرة قرينة على ورود المعنيين معا وهى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصــاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثــل ما اعتدى عليكم) (١٩٣) وان كان المعنى الثــانى أكثــر تبادرا بناء على التواتر اليقيني من جهة وعلى روح هذه الآية من جهة أخرى .

وهذه الآية من سلسلة فيها أمر للمسلمين بمقاتلة الذين يقاتلونهم تبدأ بهذه الآية : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان اللــه لا يحب المعتدين » (١٩١) وقد أباحت الآية ١٩٣ للمسلمين مقابلة العدوان الذى يقع عليهــم بمثله اذا وقع فى الاشهر الحرم وقتال الذين يقاتلونهــم فيه . وينطوى فى هذا كون القتال فى الشهر الحرام فى أصله محرما .

وهناك آية أخرى فى سورة البقرة تدعم ذلك وهى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عــن سبيل الله وكفــر به .. » (٢١٦) وقد نزلت فى مناســبة وقوع حادث قتال اشتبه فى كونه من أيام أحد الأشهر الحرم وشــغب المشركــون وقالــوا ان محمدا وأصحابه يستحلون القتال فى الشــهر الحرام حتى لقد شعر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحــرج على ما ذكرته الروايات الوثيقة ، فأنزل اللــه الآية برفع هذا الحرج حيث انطوى فيها

١

قبل الإسلام وفي الإسلام

رد بمعنى أن الحادث اذا كان وقع فى الشهر الحرام فان المشركين هم الذين أول من خرق حرمة هذا الشهر،بما سبق منهم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين والاسلام من صد وتعطيل وأذى وعدوان . فليس على المسلمين حرج اذا فعلوا فيه ما فعله المشركون قبل لأن ذلك من قبيل المقابلة المشروعة .

– ٢ –

وأحد منسكي الحج الرئيسيين وهو الوقوف فى عرفة يقع فى التاسع من شهر ذى الحجة على ما هو معلوم يقينا (١) وتسمية ذى الحجة باسمه بسبب ذلك على ما هو المتبادر . فيصح أن يقال ان الأشهر الثلاثة المتوالية هى أشهر موسم الحج التى ذكرت فى القرآن بهذا النص : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » (البقرة ١٩٧) .

وهذا النص يزيد على تحريم القتال الذى تلهمه آيتا البقرة (١٩٣) (٢١٦) اللتان أوردناهما قبل تحريم الرفث والفسوق والجدال . وليس هنا ما يساعد على القول بجزم أن ذلك كان جاريا قبل الاسلام . ونحن نرجح أنه تشريع اسلامي حيث اقتضت حكمة الله زيادة فى اسباغ الأهمية والحرمة على الحج والأشهر الحرم . ولقد أول بعض المؤولين (الرفث) بالجماع كما أوله

(١) والمنسك الثانى هو العمرة على ما تعينه آية سورةالبقرة هذه : « وأتموا الحج والعمرة لله .. » (١٩٦) وقد سمى يوم الوقوف في عرفة باسمالحج الاكبر على ما تفيده آية سورة التوبة هذه : « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحجالاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله .. (٣) وهناك حديث رواه أصحاب السنن عن عبد الرحمنبن يعمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « أمر مناديا ينادى فى حجة وداعه : الحج . الحج . يوم عرفة » والعمرة هى الطواف حول الكعبة ثم السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط سبعة اشواط . وننبه فى هذه المناسبة على أن هناك عمرة تطوعية يمكن أن تكون فى غير موسم الحج على ما تفيده آية سورة البقرة هذه : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما .. » وحج البيت يعنى منسك العمرة الواجب فى موسم الحج كما هوالمتبادر .

بعضهم بكل فحش فى قول وعمل . والجماع غير ممنوع الا على المحرم . فاذا حل المحرم احرامه وعاد الى حالة الحل ساغ له الجماع أثناء موسم الحج كما هو مشهور استنادا الى السنة النبوية . بحيث يجعل هذا القول الثاني فى معنى (الرفث) الأرجح والأكثر ورودا . وهذا متساوق أكثر مع مدى الفعلين الآخرين المنهى عنهما وهما الفسوق والجدال . واذا صح ما رجحناه من أن هذه الزيادة تشريع اسلامي ، ففي ذلك ما فيه من روعة وجلال حيث يعنى أن الاسلام لم يقف عند تحريم القتال فى أشهر الحرم الذى كان محرما قبله ، بل فرض على من يعتزم الحج أن يمتنع أيضا عن مقارفة كل ما يمكن أن يكون فيه اثم وفحش ومخالفة للآداب والأخلاق والأوامر النبوية فعلا وقولا . ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان نهى الآية عن اقتراف ذنب ما من سفك دم وفسق وعصيان وفحش فى الأشهر الحرم لمن فرض على نفسه الحج لا يعنى أن ذلك جائز فى غير الأشهر الحرم ، وانما هو على سبيل تعظيم ذلك فيها بالدرجة الأولى .

ولقد روى عن بعض المؤولين أن أشهر الحج تبدأ من شوال . غير أن كون أشهر الحج هى الأشهر الحرم الثلاثة المتوالية هو ما عليه الجمهور وهو الأصح . وجملة « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » الواردة فى آية سورة التوبة التي تعنى النهى عن ارتكاب ما يمكن أن يكون فيه ذنب يظلم المرء نفسه به خلال الأشهر الحرم الأربعة تتساوق مع النهى الوارد فى الآية ١٩٧ وتؤيد كون أشهر الحج هى الأشهر الحرم المتوالية الثلاثة . وتسمية شهر ذى القعدة باسمه عللت من القائلين بالقول الثانى انها للدلالة على أن الحجاج يتعدون فيه على رواحلهم للاتجاه الى مكة . ووجاهة ذلك ظاهرة . وقد قالوا : ان تسمية (المحرم) فيها توكيد بحرمته لأنه الشهر الذى ينصرف الناس فيه الى منازلهم بعد مناسك الحج . وهذا ما يجعل حكمة توكيد حرمته ظاهرة أيضا .

أما شهر رجب فالروايات تذكر أنه كان لأهل الحجاز فيه موسم دينى . والحديث المروى عن أبى بكر يدعم ذلك لأنه ينعت رجب برجب مضر . وقبائل مضر عدنانية حجازية . وليس هناك ما يساعد على معرفة كنه هذا الموسم وهناك تقليد اسلامي يسمي (الزيارة الرجبية) وهى أداء العمرة فى شهر رجب ، وهى من نوع العمرة التطوعية التي ذكرناها آنفا . فقد يكون ذلك الموسم الدينى فى رجب هو موسم أداء عمرة فى غير موسم الحج الأكبر كان يؤديها المضريون الحجازيون . والله تعالى أعلم .

وهكذا يكون شهر رجب المحرم لموسم دينى خاص كان يشهده أهل الحجاز ، فى حين كانت الأشهر الثلاثة الحرم المتوالية لموسم دينى عام يفد اليه العرب من كل صوب . وهو موسم الحج على ما هو المأثور المشهور . وقد يكون فى آية سورة الحج هذه : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ... » (٢٧ — ٢٨) .

— ٣ —

وفى سورة المائدة آيتان ذكر فيهما الشهر الحرام .

أولاهما : الآية الثانية من السورة : وهى « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. » حيث تنهى المسلمين

عن خرق حرمة الأشهر الحرم واستحلال ما يحرم فعله فيها .

وثانيتهما : هى هذه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد (١) ... » (٩٧) حيث تقرر أن الشهر الحرام من جملة ما جعل الله فيه مصلحة عظمى للناس عبر عنها بجملة (قوام للناس) أى ما فيه قوام أمرهم ومصالحهم وشئونهم .

وهذا القوام ماثل فيما تلهم روح الآيات أنه كان جاريا قبل الاسلام ، واستمر فيه من تحريم القتال وفيما شرعه الاسلام من تحريم الرفث والفسوق والجدال على من فرض على نفسه الحج . ومن الجائز أن تسمى الأشهر الحرم والحالة هذه هدنة مقدسة كانت تقوم بمجرد حلولها حيث يصبح الناس اذا ما حلت فى أمن شامل فلا نزاع ولا قتال ولا خوف . ويتلاقى الاعداء وأصحاب الثارات فى أثنائها فلا يكون بينهم شر ولا قتال . وقد وصل الأمر فى تأثم العرب قبل الاسلام من سفك الدم حتى أنهم حرموا الصيد أثناءها أيضا لما فى الصيد من معنى التحرش بذى حياة ، والعدوان عليه وسفك دمه وما فى ذلك من انتهاك لحرمة الأشهر الحرم . وفى بعض آيات سورة المائدة قرينة ما على حرمة الصيد منها آيتها الأولى وهى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد » ومنها هذه الآيات : « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (٩٤ — ٩٦) . والآيات وان كانت توجه الى المسلمين كتشريع قرآنى ، فان المشهور المتواتر أن الصيد كان محرما أيضا قبل الاسلام كما قلنا قبل قليل . ولقد تعددت تأويلات المؤولين لجملة « وأنتم حرم » فهناك من قال : انها تعنى « وأنتم فى منطقة المسجد الحرام » تبعا لحرمة القتال فى هذه المنطقة التي كانت قبل الاسلام ، وأقرها الاسلام على ما تفيده آية سورة البقرة هذه : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » (١٩١) . وهناك من قال انها بمعنى « وأنتم فى الأشهر الحرم » وهذا معنى حرمة الصيد خلال هذه الأشهر فى منطقة الحرم وخارجها . تبعا لحرمة القتال فيها . وهناك من قال انها بمعنى : « وأنتم فى لباس الاحرام » وهو لباس معين للرجال والنساء حين يأتون من خارج مكة يكتسونه قبل أن يدخلوا منطقة المسجد الحرام ويؤدون به منسك العمرة ثم يذهبون به الى عرفة حيث

البقية على ص : ٥٨

(١) الهدى : هو الحيوان الذى يهدى الى الكعبة ليقرب قربانا لله ، والقلائد تعنى قلائد من لحاء الشجر أو الخيطان كانت توضع فى رقاب الهدى أو كان يضعها الحجاج فى رقابهم علامة على انها مهداة الى الله ، أو على أنهم اعتزموا الحج بقصد تحاشى العدوان عليهم واستحلال ذلك .

دراسات قرآنية

تكرار القصص في القرآن

للاستاذ كامل شاهين

« ١ »

عرض القرآن الكريم أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومواقفهم من أقوامهم ومواقف أقوامهم منهم فى صور مختلفات منها المبسوط ومنها الموجز ، ومنها الذى يناله التفصيل فى ناحية منه ، ثم تجمل سائر النواحى اجمالا ، أو تطوى طيا .

والتكرار فى ذاته غير مستحب ولا متقبل لانه يدل على الجدب ويورث الملالة .. ومن ثم اتخذ ذريعة الى الطعن فى الكتاب العزيز ، منذ أول تنزيله ، وهجم الكفار على ذلك ، بقولهم ــ فيما يحكى القرآن عنهم (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) وبادرهم الله تعالى بالرد : (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) .

فالكفار كانوا يريدون أن ينزل القرآن جملة ، كما نزلت التوراة جملة .. أحكامه وقصصه ومواعظه وعبره .. ومن البين أن القصص حينذاك لا تتكرر ، والاحكام لا تتغير ، والمواعظ تتحدد .. فرد الله عليهم بأن فى تنزيله شيئا فى اثر شىء تعهدا لقلب الرسول صلوات الله عليه بالتثبيت والتمكين ، وبأن تفريقه يمكن معه أجابتهم عما يسالون ، والرد عليهم فيما يدعون .

ابن قتيبة والتكرار

وقد تصدى ابن قتيبة للرد على من يتخذ من التكرار مطعنا على القرآن فقال:

كان رسول الله ــ صلوات الله عليه ــ يبعث الى القبائل المتطرفة بالسور المختلفة فلو لم تكن الانباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى الى قوم ، وقصة عيسى الى قوم ، وقصة نوح الى قوم ، وقصة لوط الى قوم .. فاراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص فى أطراف الارض ، ويلقيها فى كل سمع ، ويثبتها فى كل قلب ، ويزيد الحاضرين فى فى الافهام والتحذير .

وليس شأن القصص شأن الفروض التى كان ينفذها رسول الله الى كل قوم فلم تكن تنفذ رسله بقصة موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء (١)

وكلام ابن قتيبة يفيد أن الهدف من التكرار أن يجتمع لكل قوم سائر قصص الانبياء فلو نزلت كل قصة مرة واحدة وبصورة واحدة لوقعت لقوم احدى هذه القصص ، ولآخرين غيرها ، فلا تشتهر .

وكأنه ــ رحمه الله ــ يظن أن سائر القبائل العربية قد بلغها قصة كل نبى فى صورة من الصور موجزات أو مفصلة ، وليس هذا من حقيقة الامر فى شىء ، فالصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٨١/٢٨٢ باختصار

متوفرين على حفظ القرآن ، قال أنس ابن مالك (كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، أى جل فى عيوننا وعظم فى صدورنا) .

وكان كبار الصحابة ووزراء النبى ومستشاروه لا يستوعبون القرآن حفظا ، قال الشعبى : توفى أبو بكر وعمر وعلى رحمهم الله — ولم يحفظوا القرآن . (٢)

واذا كان هذا شأن الاعم الاشيع من الصحابة ، وكانوا هم السفراء المرسلين الى القبائل ، فانه لا يبلغ كل قبيلة الا ما وعاه واليها الذى أرسله صلوات الله عليه اليهم فيحفظون بعض مايحفظ ، ويتعلمون منه بعض ماعلم ، وقد يكون ما حفظه من قرآن خاليا من بعض القصص ، بل قد يكون خاليا من القصص كله .

أفيمكن مع هذا أن ندعى أن الغرض من تنجيم القرآن هو اشهار القصص فى القبائل ، وان تقع كل قصة لكل قبيلة ؟

وقد تحدث غير ابن قتيبة فى تخريج التكرار فلم يأتوا بطائل .

لكل حالة هدف

ونحن اذا أمعنا النظر ألفينا أن كل قصة تعنى بجانب معين ، فهى تقصر هنا لداعية ، وتطول هناك لداعية ، وهي تلح على جانب من الجوانب لانه يناسب الغرض الذى سيقت السورة له ، وتطوى جانبا من الجوانب لانه بمعزل عن الغرض الذى تضمنته السورة ، فالتكرار فى حقيقة الامر غير واقع لان لكل قصة منزعا ، وجوا عاما يجرى مع السورة ، ويندمج مع عزفها اندماجا لا يصلح له ما جاء فى غيرها من السور .

مع قصة نوح

فاذا نحن اتخذنا من قصة نوح — عليه السلام — مثلا ، ألفيناها تطالعنا فى سورة يونس ، وفى سورة هود ، والمؤمنون والشعراء والصافات ، والقمر ، ونوح .

ونحن بحاجة الى تتبع القصة فى كل من هذه السور لنرى مناسبة الجو ، والانسياب مع مجرى السورة ووقوعها الموقع المناسب بل الواجب .

فى سورة يونس

أ — فقصة نوح عليه السلام فى سورة (يونس) ، تطوى طيا سريعا ، وتخلص الى ما كان ، من نتيجة دعوته الملحة ، وتكذيبهم الوقح ، وعاقبة ذلك التكذيب من نصرة الله نوحا ومن معه ، وانجائهم فى الفلك واغراق المكذبين .

فليس هناك تفصيل للمرادة بين نوح وقومه ، وليس هناك حديث من بناء الفلك وحشد المؤمنين والطير والحيوان من كل زوجين ، ولا حديث عن فورة الطوفان وتراكب الموج ، ونداء نوح لولده الى آخر ما هنالك . لان الغرض هو تسلية النبى صلوات الله عليه والتسرية عنه وتنفيس ما كان يناله من هم وكد لامعان المشركين فى الاغراض والتكذيب والتعذيب ، وليس فى عرض هذه التفصيلات غناء فى هذا المجال .

وجملة الامر أنها تبين للناس أن الله ينصر أنبياءه ومن اتبعهم من المؤمنين ويحيق العذاب بالكافرين .

والذى يشهد لنا أنه قد جاء قبل القصة خطابا للنبى : (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم) وجاء فى آخرها خطابا للنبى كذلك (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ؟!) .

فى سورة هود

ب — فاذا نحن انتهينا الى قصة نوح فى سورة هود ألفينا عرضا مبسوطا مفصلا ، اذ يعلن لهم أنه نذير من الله ، وينهاهم أن يعبدوا غير الله ، لأنه يخاف عليهم عذاب يوم أليم ، ويجيبه المكذبون من قومه بأنه بشر مثلهم ، ولا يغره أن اتبعه بعض الناس ، فما اتبعه الا الأرذلون ، ويتحنن نوح اليهم ، ويوجههم الى ما آتاه الله من بينة ، وانه لا يسألهم

---

(١) الاتقان ج ١ ص ١٢٢

على الاستجابة مالا ، وأنه لا يملك أن يطرد الذين آمنوا به ممن يستذلونهم ، فاذا طردهم فانه جدير ألا يجد من الله نصيرا . ويرد عليهم بأنه لم يزعم لهم أنه يعلم الغيب ، ولا يزعم لهم أنه ملك .. فاذا هو يجد ضيقا به وتحديا له واعلانا من الكفار أنهم لن يستجيبوا له فيلفعل ما هو فاعل .

وألفينا بعد ذلك أمرا بصنع الفلك ، وسخرية من الملأ المكذبين ، وردا فيه تهديد ووعيد من نوح ويجيىء أمر الله فيحمل نوح فى السفينة من يحمل ، وتسير باسم الله فى موج كالجبال ، وينادى نوح ابنه ليعتصم بالسفينة ، فيجيبه بأنه معتصم بجبل من الجبال .. وتبلع الارض ماءها ، وتمسك السماء ويغيض الماء ، وتكون نهاية الظالمين ، وتكون هناك مرادّة بين نوح وربه ، نوح يقول ان ابنى من أهلى ، والله تعالى يقول : ليس من أهلك المؤمنون المصدقون ثم يزجر الله نوحا فيزدجر ويستعيذ بالله ويطلب غفرانه ورحمته ، ثم يبارك الله نوحا وطائفته ممن معه ، وطائفة أخرى تتمتع بالحياة ثم ينالهم العذاب الأليم .

لماذا هذا التفصيل والامعان فيه ؟ الغرض ههنا — والله اعلم — مزدوج ، فهناك التسلية وتثبيت الرسول وهناك أخبار جديدة لم يكن يعلمها الرسول ولا قومه ، فهى برهان على نبوة الرسول ، ويشهد لهذا قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) فهذا هوالغرض الثانى ، فأما قوله تعالى (فاصبر ان العاقبة للمتقين) فيتضمن الغرض الاول وهو تثبيت الرسول ونفى الحزن عنه .

فى سورة المؤمنون

ج — فاذانحن قرأنا قصةنوحفى سورة (المؤمنون) بان لنا أن الغرض من ذكرها بيان استمراء الكفار فى زعمهم أن الأنبياء لا يكونون بشرا ، ويتخذون من ذلك ذريعة لتكذيبهم ، وكأن المشركين من قريش قد واجهوا النبي بمثل هذا التكذيب .

والذى يدل لما ذهبنا اليه ، أنه قدجاء فى قصة نوح من سورة المؤمنون (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولوشاء الله لأنزل ملائكة) .

وجاء فى قصة الرسول الذى أرسل بعده (وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) .

وجاء فى قصة موسى وهارون بعدذلك على لسان فرعون وملئه (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟) .

فى سورة الشعراء

د — أما فى سورة الشعراء فقد حدث عنها الدكتور طه حسين فى مرآةالاسلام فقال:وقصة نوح هنا موجزة أشدالايجاز لا يذكر فيها تفصيل العذاب الذى أخذ الله به الظالمين من قوم نوح ، وانما يكتفى بذكر اغراق الله لهم ، ولا يذكر فيهاصنع الفلك ، وحمل منحمل نوح فيه ، ولا وصف الموج ولا ما أصاب ابن نوح من الهلاك ..

وانما تقص السورة الحوار بين نوح وقومه ، واعراض قومه عن دعوته ، وانذارهم نوحا بالرجم ان لم ينته عن دعوته ، ودعاء نوح ربه أن ينجيه ، ثم ما كان من نجاته واغراق الظالمين .

فقد اقتصرت القصة هنا لأن ما قصد اليه من القصص كلها فى هذه السورة انما أريد به الى تذكير المشركين بآيات الله فيمن سبقهم من الأمم ، وتخويفهم أن يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم واظهارهم على بطش الله بالظالمين ..

فى سورة الصافات

هـ — فاذا تلونا قصة نوح فى سورة الصافات ، ألفينا قصة نوح وسائر

قصص الأنبياء المذكورة فيها مسوقة لبيان الفوز والنصرة، التى لقيها الأنبياء وللتنويه بهؤلاء الأنبياء، ورفع شأنهم ولذلك اقتصر فى قصة نوح على هذه الآيات (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على نوح فى العالمين . أنا كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين) .

والذى يدل على مذهبنا هذا أن خاتمة القصص (سلام على نوح .. سلام على ابراهيم .. سلام على موسى وهارون . سلام على الياسين) .

فى سورة القمر

و ــ فأما سورة القمر فهى تبين لنا أن الساعة آتية قريبا، وان قريشا ترى الآيات فلا تستجيب، وتسمع من أنباء الأمم ما فيه مزدجر فلاتزدجر .. ثم تعرض هذه النذر سريعة متلاحقة فلا تكاد تبدأ فى السورة حتى تندفع فى القراءة وحتى تبهرك أحداثها المتصلة المنفصلة التي تنتهي وتترابط معا بهذه الخاتمة اللازمة، التى تتضمن هذا السؤال الذى يقرع القلب وينبه العقل (فكيف كان عذابى ونذر ؟) ومن بعد هذا التقرير الجميل مختوما بهذا السؤال الذى يهدأ به القلب، ويستجيب العقل (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) .

وتأتى قصة نوح فلا تذكر دعوة نوح لقومه، ولا تحننه اليهم، ولا محاورتهم له، ولا تطلعنا على تهديدهم له، ولا على تفويضه لربه .. وانما تشهدنا نوحا عليه السلام مكذبا متهما بالجنون منتهرا بالشتم وسائر الوان الاذى . واذا هو يعلن لربه أنه يائس، ويدعوه الى أن ينتقم ثم نرى السماء فاتحة ابوابها بالماء المنهمر والأرض تتفجر عيونها فيلتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر، ثم نجد نوحا محمولا على سفينته التى تجرى بامر الله تعالى .

أين سخرية قوم نوح منه ؟ وأين اجتهادهم فى النفور منه والاعراض عنه وأين محاورة نوح لولده، وأين مناقشة نوح لربه، وكيف غاض الماء بعد انتهاء الطوفان .. كل هذا ليس غرضا من أغراض السورة ولو تناولت شيئا منه لانصرفنا عن الغاية التى يراد الوصول اليها .

فان الغاية المرادة هى بيان ألوان التعذيب التى تنال المكذبين .. فهناك أسلوب الاغراق لقوم نوح، يتبعه قوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر ؟) ، وهناك أسلوب الأخذ بالريح الصرصر فى يوم نحس مستمر .. فاذا قوم عاد كأنهم أعجاز نخل منقعر .. يتبعه (فكيف كان عذابى ونذر ؟) وهناك الأخذ بالصيحة التي جعلت ثمود كهشيم المحتظر .. وهناك أسلوب الحصب وطمس الأعين لقوم لوط وهناك أسلوب الأخذ الجبار لقوم فرعون ..

فالغاية التعريف بأساليب العذاب وطرق النقمة التي ينزلها الله بالمكذبين، ثم مساءلة كفار قريش آخر الأمر على سبيل التهكم (أكفاركم خير من أولئكم، أم لكم براءة فى الزبر) .

أفترانا لو قرأنا تفصيلا لأحوال دعوة نوح، وتفصيلا لاغراق قومه كنا متصلين بالغاية المنشودة وهي سرد أساليب العذاب .. أو كنا متصلين بهذه النتيجة وهي أن كفار قريش ليسوا خيرا من أولئك المكذبين ..

نعم ان هناك تشابها بين المسافات فى سورة الشعراء، وفى سورة القمر، غير أن الختام مختلف، فبينما تختم كل قصص الأنبياء فى سورة الشعراء بقوله تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وأن ربك لهو العزيز الرحيم)، نجدها فى سورة القمر تختم بقوله سبحانه (فكيف كان عذابى ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) .

هذا الختام المختلف بين السورتين يبين لنا اختلاف الغرض من القصة فى كل منهما، فالغرض من القصة فى سورة الشعراء هو تذكير المشركين بما كان من اهلاك الله لمن سبقهم من الأمم، أما

الغرض من القصة في سورة القمر هو بيان أسلوب العذاب وافتنان الله تعالى فيه بين أمة وأمة كما أسلفنا .

في سورة نوح

ز ـ وبقيت سورة نوح التي تدور من أولها الى آخرها على قصة نوح ، وهي تدور حول شكوى نوح الى ربه ، وبيان اجتهاده عليه السلام في دعوته ، واستفراغه الجهد وتلوينه الأساليب ، واحتماله الأذى والسخرية والتهديد واصرار قومه بعد ذلك على العناد والاستكبار ، ومعاندة نوح ورب نوح بعبادة آلهة غير الله .. لتصل بعد ذلك الى حق نوح عليه السلام في دعائه عليهم بالابادة والبوار .

ولنا في هذه القصة وقفات

الأولى : عند قوله تعالى (ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) .

فهو يقول انى دعوتهم مجاهرة استعلانا بالدعوة . واظهارا للثقة بالنفس ، واطمئنانا الى ما أعرضه عليهم من رأى .

وهو يقول انى . دعوتهم مسارة تأكيدا للمودة ، واختصاصا بالنصيحة ، وليكون هناك مجال للمناقشة الهادئة ، والبعد عن الاحراج الذى يفضى الى متابعة الجماعة والتورط في خطئها .

والثانية : انه مزج بين الترغيب المادى وبين الاحتكام الى العقل . فهو يدعوهم الى الايمان لتطول أعمارهم ، وتدر السماء عليهم ، ويمدون بالأموال والبنين ، وتكون لهم الجنات والأنهار ..

ثم هو يدعوهم الى النظر في ملكوت السموات والأرض ، فهذا القمر يمدهم بالنور ، وهذه الشمس تمنحهم الضوء والحرارة ، وهذه السموات طبقات ، وهذه الأرض بساط ذات سبل فجاج ، ووجههم للنظر في انفسهم حيث خلقهم الله طورا بعد طور .

والثالثة : اننا نقرأ سرد نوح عليه السلام لاجتهاده في الدعوة (ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم أنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا) .

فنرى أنفاسا متلاحقة ، يجذب بعضها بعضا ، أو يدفع بعضها في اثر بعض ، فلا نكاد ننتهى من آية حتى نندفع الى الآية التالية لها ، كأنها موج متلاحق .

فاذا نحن جئنا الى آيات النظر والتعقل ألفينا أنفاسا هادئة تدعو الى الريث والتأمل والفكر (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا .. الآيات) ، وألفيناها تجىء في صورة التساؤل الذى يدعو الى الاناة في الاجابة .

وهكذا نجد البيان القرآنى يساير الغرض ، ويساوق الجو النفسي للموضوع .

والرابعة : اننا نقرأ دعوة نوح الى اهلاك المكذبين من قومه (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) فنظن في بدء الأمر أنها صادرة من غيظ نوح من قومه ، وعن غيرة نوح على ربه حيث آثر هؤلاء الكفار على عبادته عز وجل عبادة ود وسواع وغيرهما من الآلهة المدعاة .

وما أظن أن الأمر كذلك ، فقد دعا نوح على قومه بالهلاك ليكون هلاكهم أجراء وقائيا لأن في بقائهم اضلالا للمؤمنين ، واستكثارا بذريتهم التي تكفر كما كفروا ، وتفجر كما فجروا . (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) .

وبعد : فلعل النظر المتصل في أمر تكرار القصص يجد العناية الواجبة من المفسرين وخدمة القرآن لنجد تحديدا أكثر واضاءة لجوانب هذا الموضوع الجليل .

(وأملنا أن نلقى بعض النظر على تكرار الآيات في مقال مقبل اذا شاء الله) .

٨ لماذا الإسلام؟

الإسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر

للاستاذ أحمد حسين ــ المحامى

أما وقد أنتهينا من تغليب المثالية على المادية ، والايمان بالله على الجحد به وانكاره ، فقد حان الوقت لننتقل خطوة جديدة للتحدث عن الاديان التى تدعو الىالايمان بالله،وتضع القواعد والمبادىء لعبادة الله ، وبناء المجتمع الانسانى على أساس من هذه العبادة .

وفى العالم على ما أشرنا فى مطلع هذه المقالات عديد من الاديان الساذجة البدائية التى تعبد الله فى مخلوقاته على شتى الصور والاشكال ، ابتداء من عبادة العناصر والظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والمطر والنار أو الأفلاك والبروج والشمس والقمر والنجوم ، حتى عبادة مختلف النبات والحيوان والانسان حيا وميتا .

وغنى عن البيان أن هذه الأفكار والتصورات الساذجة ، فى طريقها الى الانقراض بازدياد معارف الانسان ، واحاطته بأسرار الطبيعة ، وادراكه أن كل مظاهر الطبيعة ابتداء من أصغر وحداتها ، حتى أضخم مجراتها وسدمها، مسببات وعلل لسبب واحد أول ، وعلة كبرى تعلو فوق العلل كلها وتسبقها .

ولذلك فلست أرانا فى حاجة لاستعراض هذه الاديان المنقرضة أو السائرة فى الطريق نحو الانقراض ، والتى لا تخرج فى حقيقتها أن تكون أديانا قبلية فى أفريقيا أو استراليا وأجزاء من آسيا ، وهذا النوع من المعتقدات هو ما يتدرج تحت عنوان ما يسمى « بالمعتقدات الوثنية » .

على أن بعض هذه الأديان الوثنية ، يمكن أن يقارن بالاديان السماوية ، لكثرة عدد معتنقيه أو عالميته من ناحية ، أو لانطواء تعاليمه على طراز رفيع من الانسانية ومكارم الاخلاق ، كالبوذية أو الكونفشيوسية أو الهندوكية . فقد بلغ عدد معتنقى الديانة البوذية على ما يقرر تقويم العالم لسنة ١٩٦٦ The World Almanac ١٦١ مليونا،والكونفشيوسية ٣٥٠ مليونا ، والهندوكية ٣٩٥ مليونا ،

أما الاسلام فقد بلغ عدد معتنقيه فى آسيا وأفريقيا وحدهما ٤٥٥ مليونا ، بينما يبلغ عدد المسيحيين ٩٥٠ مليونا (١) لا يوجد منهم فى آسيا وأفريقيا سوى أقل من مائة مليون .

الاسلام واليهودية

وعلى الرغم من أننا لم نذكر الديانة اليهودية فى هذا الاحصاء ، على أساس أن معتنقيها لا يزيدون على ثلاثة عشر مليونا ، بعد أن كانوا خمسة عشر مليونا عام ١٩٤٧ ، أى أنهم فى خلال تسعة عشر عاما من الامن والاستقرار والازدهار ، وانشاء دولة خاصة بهم ، قد تناقصوا بنسبة تزيد على ١٥ ٪ ، مما يدل على أنهم سائرون فى طريق الانقراض ، ومع ذلك فان أى مقارنة بين الاسلام وبقية الاديان فى وقتنا الحاضر ، لا يمكن الا أن تبدأ بالديانة اليهودية وذلك لسببين .

الاول : أن ذلك هو منهج القرآن الكريم الذى احتفل أشد الاحتفال بمناقشة اليهود ، والتنديد بانحرافاتهم ، ذلك أن ابراهيم أب الانبياء هو الجد الاعلى لسيدنا اسماعيل عليه السلام جد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسائر العرب المستعربة ، واسماعيل هو أخ لاسحق الذى أنجب يعقوب الذى أنجب أسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر .

ونحن المسلمين مأمورون بالايمان بأنبياء بنى اسرائيل الصادقين منهم ، والتصديق بكتاب اليهود المقدس المنزل على موسى عليه السلام ، والمسمى « بالتوراة » أى الشريعة ، وأن تعاليم الكتب المقدسة كلها واحدة من حيث الجوهر ، وهى الايمان بالله الواحد الأحد خالق الكون ، وأن ما يرى عليه معتنقو هذه الديانات ، من زيغ وانحرافات ، انما هى اضافات من صنع الانسان بعيدة عن هذا الجوهر .

أما السبب الثانى الذى يجعل دراسة الديانة اليهودية فرضا لازما ، فهو قيام دولة اسرائيل على الأرض العربية والاسلامية باسم هذه الديانة ، وادعاء أن فلسطين أرض تخصهم بموجب العقد المبرم بينهم وبين الههم . وعلى هذا الأساس نبدأ بحثنا المقارن بين الاسلام واليهودية .

الديانة اليهودية كما يدل عليها كتابهم

ونحن اذ نشرع فى دراسة الدين اليهودى، فلن نتخذ القرآن الكريم مرجعا فى هذه المرحلة من بحثنا ، لأن هذا هو ما سوف نعود اليه بعد أن ننتهى من دراستنا الحالية باثبات تفوق الدين الاسلامى ، وبذلك نرد على السؤال الذى جعلناه عنوانا لهذا القسم من دراستنا . « لماذا الاسلام ؟ » وسنجعل كل عمدتنا فى التعريف بالدين اليهودى على كتبهم المقدسة ، وما قاله فيها علماء الأديان المقارنة المتخصصون .

ولليهود كتابان مقدسان أولهما « التوراة » أى الشريعة ، وهو ما يطلق عليه المسيحيون اسم العهد القديم ، وسوف نستعمل نحن هذا الاسم الأخير، لان للتوراة عند المسلمين قداسة باعتبارها كتابا منزلا من السماء . وسنرى بعد قليل أنه لا يمكن أن يكون بين هذا العهد القديم الموجود بين يدى اليهود وبين التوراة (بالمفهوم الاسلامى) أى صلة .

أما المصدر الثانى للديانة اليهودية فهو « التلمود » ، وهو الروايات الشفوية التى تناقلها الحاخامات من جيل الى

---

(١) فى تصورنا أن هذا الرقم مبالغ فيه ، اذ هو يشمل عشرات الملايين فى الاتحاد السوفييتى ، وأوروبا الشرقية والغربية وأمريكا ، ممن انسلخوا من كان دين . « الوعي »

جيل حتى شرع فى جمعها فى كتاب واحد عام ١٥٠ ميلادية ، وأضيفت عليها على مر الاجيال شروح وزيادات ، اعتبرت كلها مقدسة قداسة العهد القديم أو التوراة . ولكننا سنجعل جل اعتمادنا على الكتاب المقدس وهو العهد القديم على أساس أن لا خلاف على ما جاء فيه .

العهد القديم

يتألف العهد القديم من ٣٩ سفرا ، على اختلاف فى بعض الاسفار المتأخرة ، حيث لا يعترف بها اليهود كجزء من كتابهم — والاجماع على أن الاسفار الخمسة الاولى هى وحدها التى تعتبر عند اليهود « التوراة » أى الشريعة التى جاء بها موسى ، ولقد كتبت الأسفار التالية على مر القرون ، ولكنها لم تلبث أن اعتبرت كلها كتابا واحدا فى درجة واحدة من القداسة .

وهذه الاسفار التسعة والثلاثون هى تاريخ اليهود خلال ألفى سنة قبل الميلاد ، مذ هاجر ابراهيم من أور — مدينة الكلدانيين — الى أرض كنعان (فلسطين) واستيطانه نهائيا بها بعد عودته من رحلة الى مصر ، حيث أهداه فرعونها هاجر المصرية التى أنجبت له اسماعيل (أبو العرب المستعربة) . ولم تلبث زوجته سارة أن أنجبت له اسحق ، واسحق انجب يعقوب الذى سمى لاول مرة باسرائيل ، وأنجب اثنى عشر ولدا ، هم أصل اسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر أو قبائل بنى اسرائيل .

ويمضى التاريخ يحدثنا عن تآمر أولاد يعقوب على أخيهم يوسف وكيف انجاه الله وحمله الى مصر ، حيث أصبح وزيرا بها ، ولم يلبث أن استدعى أباه واخوته وأقطعهم أرضا فى مصر ، فاستوطنوا بها وكثر عددهم حتى خاف المصريون منهم ، فبدأوا يضطهدونهم ، فبعث الله موسى وأخاه هارون ليخلصهم من الاضطهاد ، ويخرج بهم من مصر ، وبعد الحوادث المعروفة والمشهورة ، خرج بنو اسرائيل من مصر ، وعاشوا أربعين سنة فى التيه، ثم وصلوا الى مشارف فلسطين — وفى خلال هذه الفترة ، كان موسى عليه السلام قد تلقى الشريعة من الله وأبلغها لبنى اسرائيل . ومات موسى قبل أن يدخل بنو اسرائيل الى أرض فلسطين .

وتولى تابعه يوشع من بعده مهمة غزو فلسطين وانتزاعها من أهلها ، وظل بنو اسرائيل وليست لهم دولة موحدة يحكمهم قضاة ، ثم انتهوا الى تأليف مملكة وصلت الى ذروة ازدهارها أيام داود وسليمان من بعده ، والذى بنى بيتا للرب (هيكلا) فى مدينة أورشليم .

ثم انقسمت دولة سليمان بعد موته الى دولتين عام ٩٢٢ق . م . **دولة فى الشمال** تؤلف الجزء الاكبر من أسباط بنى اسرائيل (عشرة أسباط) وكانت عاصمتها مدينة شكيم وتدعى اسرائيل . **ودولة أخرى صغيرة** تعتمد على أورشليم وسميت دولة يهوذا . وقد سقطت دولة اسرائيل الشمالية على يد الاشوريين فى عهد ملكهم سرجون الثانى عام ٧٢١ق.م. حيث خربت وأبيدت نهائيا .

ولكن دولة يهوذا ظلت فى الجنوب ، الى أن حاصرها نبوخذ ناصر (بختنصر) ملك بابل،واستولى عليها عام ٥٨٦ق.م. وقاد اليهود اسرى الى بابل ، فعاشوا فى الاسر الى أن انتصر قورش ملك الفرس على بابل واستولى عليها ، فأعاد اليهود تحت رعايته وسيادته الى اورشليم ، وسمح لهم باعادة بناء هيكلهم فى القرن الرابع قبل الميلاد ، ولكن مملكة اليهود لم تعد الى الوجود ، فقد كانوا محكومين اما بالفرس أو بالاغريق بعد ذلك ، أو بالرومان ، وقد انتهى الرومان فى عهد الامبراطور هادريان بالتخلص نهائيا من اليهود عام ١٣٥م فخربوا مدينة اورشليم وحرقوها وحرثوا أرضها ، وأبادوا اليهود ، ومن نجا من الابادة تفرق فى طول الدنيا وعرضها ، ولم يعد يربط اليهود فى مشارق الدنيا ومغاربها الا هذا الكتاب الذى سجلوا فيه تاريخهم ، وكل

ما ارتكبوه من شرور ومفاسد ، وكل ما أوقعوه على الشعوب وأوقعته الشعوب بهم من اضطهادات .

وعاش اليهود ألفين من السنين يتعبدون بهذا الكتاب ، الذى يمكن اعتباره موسوعة مآس وانحرافات وانتكاسات ، وكان يمكن أن نعتبر هذا الكتاب شيئا يمت الى الماضى البعيد ، وقد فقد كل قيمة وأهمية ، لولا أن المسيحيين عمموا نشره ، ليستغلوا بعض ما ورد فى نصوصه من نبوءات عن المسيح — واليهود اتخذوه فى القرن العشرين ، كما قدمنا أساسا لانشاء دولة اسرائيل ، حيث يقوم الكتاب والدين اليهودى كله على الزعم بأن الله قد وهبهم أرض فلسطين ثمنا لعبادتهم له ومن هنا نجد أنه قد حان الوقت لنتحدث عن هذا العقد المزعوم .

عقد الاتفاق

جاء فى سفر التكوين — الاصحاح السابع عشر ما يلى :

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وكلمه وقال له : لا يكون اسمك ابرام بعد ، بل اسمك ابراهيم ، لانى جعلتك أب جمهور أمم — وسأنميك جدا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون — وأقيم عهدى بينى وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لاكون لك الها ولنسلك من بعدك — وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم الها » .

هذا هو العهد الذى ابرمه اله اسرائيل مع ابراهيم ، والذى لا يكاد يخلو سفر من أسفار العهد القديم دون أن تتكرر الاشارة اليه ، من أن يكون بنو اسرائيل شعبا لله . ويكون هو اله لهم ، وفى مقابل هذه الصفقة فهو يقطعهم أرض كنعان ملكا خاصا لهم ، ويجعلها تفيض لبنا وعسلا ، ويكثر عددهم حتى يجعلهم يفوقون نجوم السماء ، ورمل الصحراء عدا ، ويصف بعض أحبار اليهود وكتابهم هذا الاتفاق أحيانا بأنه عقد زواج ، حيث تكثر الاشارات فى العهد القديم ، الى زنا اسرائيل ، وأن اله اسرائيل قد أعطاها كتاب الطلاق ، وانه سيعود لزواجها بعد أن يرضى عنها .

وفكرة اختصاص اله بشعب من الشعوب أو قبيلة من القبائل ، ليس بدعا عند اليهود ، بل هو طابع كل المعتقدات الوثنية والقبلية فى العصور القديمة ، حيث كان لكل مجتمع وكل مدينة الهها الخاص ، الذى يحميها ويرعاها ، ولا تدين لغيره بالعبودية ، وهذا الاله القبلى يغار من الآلهة الاخرى ، ويدخل معها فى حروب وهكذا .

ولكن هذه الفكرة الساذجة تطورت مع الزمن واتساع تجارب الانسان ، حتى وصلت وحدانية الله الى ذروتها فى الاسلام كما سوف نرى ، فالله رب الناس جميعا ، وقد جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا — وجعل الكرامة والعزة والسؤدد من أجل أتقاهم — ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، والناس سواسية كأسنان المشط فكلهم لآدم وآدم من تراب .

ولكن اليهود ظلوا طول حياتهم يتعلقون بفكرتهم الوثنية من أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أحباب الله وأصفياؤه من دون العالمين ، فعاشوا حيث وجدوا فى عزلة عن بقية الاجناس ، وتوجوا ذلك كله فى منتصف القرن العشرين بالاستيلاء على جزء من أرض فلسطين ، بمعاونة القوى الاستعمارية الصليبية ، مؤكدين بذلك أن هذا التصور الوثنى ، من ابرام الله عقد زواج أو اتفاق معهم لا يزال سارى المفعول فى زعمهم .

هل نفذ اليهود الاتفاق ؟

والحق أن لليهود حسنة واحدة يجب أن يعترف الانسان بها ، هى أن لم يخفوا حقيقة موقفهم من هذا الاتفاق ، وانهم قد أخلوا به على مر العصور والاجيال ، فلم يعبدوا ربهم ، ولم يحترموا وصاياه وتنكبوا طريقه ، وسجدوا للأوثـان ، وعبدوا الآلهة الاخرى ، فاستحقوا غضب الله عليهم ، ولأدع الان عبارات العهد القديم تتكلم .

« أسمعوا كلمة الرب يا آل يعقوب ، ويا جميع عشائر آل أسرائيل ــ هكذا قال الرب ، ماذا وجد فى آباؤكم من الظلم حتى ابتعدوا عنى واقتفوا الباطل ، وصاروا باطلا ــ لقد أدخلكم أرض كرمل (كنعان) لتأكلوا ثمارها وطيباتها ،ولكنكم دخلتم ونجستم أرضى ، وجعلتم ميراثي رجسا ــ الكهنة لم يقولوا ابن الرب ، ودارسوا الشريعة لم يعرفونى ــ والرعاة عصونى ــ والانبياء تنبأوا بالبعل (أى اله الكنعانيين الوثنى) وذهبوا وراء ما لا فائدة فيه ــ فلذلك أخاصم بنى بنيكم (أرميا الاصحاح الثالث) .

ويمضى نبى اسرائيل أرميا قائلا .

« وقال لى الرب ، هل رأيت ما فعلت المرتدة اسرائيل ، قد سرحتها ودفعت اليها كتاب الطلاق ، فلم تخش الغادرة يهوذا ما حل بأختها ، بل ذهبت وزنت هى أيضا ــ ولاستسهالها الزنى نجست الارض وزنت مع الحجر ومع الخشب (أرميا ــ الاصحاح الثالث) .

« أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزور وتقتربون (أى تقدمون القرابين) للبعل،وتتبعون آلهة أخرى لم تعرفوهاــ لقد أصرتم هذا البيت الذى دعى باسمى، مغارة للصوص أمام أعينكم (أرميا ــ الاصحاح الرابع) .

ومن قبل أرميا وجه أشعيا نفس هذه الاتهامـات بنفس العبارات والالفـاظ القاسية حيث يقول :

« كيف صارت المدينة الامينة زانية ، وقد كانت مملوءة انصافا ، وفيها مبيت العدل أما الان فانما فيها قتلة ــ رؤساؤك عصـاة وشركـاء للسراق . كل يحب الرشوة ، لا ينصفون اليتيم ودعـوى الارملة لا تبلغ اليهم . (أشعيا الاصحاح الاول)

والحق أن شعب اسرائيل لم يعبد الله وحده ويستقيم على الطريق أبدا ، كما تنطلق بذلك كل صفحات العهـد القديم ، فحتى فى أيام موسـى الـذى أخرجهم من مصر بقوة الله ، وشاهدوا معجزات الله الباهرة كما يصـفونها فى كتابهم ، فان موسى لا يكاد يذهب لمناجاة الرب على جبل سيناء حتى يصنع بنـو اسرائيل لانفسهمعجلا من ذهبيسجدون له ، ولا يكادون يصـلون الـى الأرض الموعودة حتى ينسوا الههم ويسـجدوا للأصنام ويفسدوا فى الارض .

« وأقام بنوا اسرائيل بشطيم ، فأخذ الشعب يفجرون مع بنات مؤاب اللواتى دعون الشعب الى أن يذبح لآلهتهن ــ وتعلق بنو اسرائيل بالاله بعل ، فاشتد غضب الرب على اسرائيل . (العدد ــ الاصحاح ٢٥)

ويضيق بنا المجال لو رحنا نقتبس من العهد القديم اللعنات التى يصبونها على أنفسهم لانصرافهم عن عبادة الههم وعبادة الاوثان وآلهة الشعوب المحيطة بهم ، واستغراقهم فى الدنس وكل ما يعـرف المجتمع الانسانى من آثام .

والحق أن هذا الذى غرق فيه اليهود طـوال تاريـخ حياتهـم هـو النتيجة الطبيعية :

ــ لصورة الله فى عقيدتهم .

ــ لمسـلك قـادتهم وأنبيائهم كـما يصورونهم .

ــ لخلو عقيدتهم من الايمان بالبعث والحساب والثواب فى عالم آخر .

ــ لاهدارهم آدمية من عداهم مـن الشعوب .

وتفصيل هذه العناصر الاربعة يوضح الديانة اليهودية بكل جلاء .

صورة الله عند اليهود

يطلق العهد القديم على الرب اسم يهوه ويرى البعض أنها تعنى السيد (١).

والمطالع لنصوص العهد القديم لا يعثر على جملة واحدة تفيد أن يهوه هذا هو الاله الذى لا اله غيره ، فكل الذى يطلبه من شعبه هو أن يختصه بالعبادة دون غيره من الآلهة .

« أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من دار العبودية لا يكن لك آلهة أخرى تجاهك . (سفر الخروج — الاصحاح العشرون)

أما صورة هذا الرب الذى أخرج بنى اسرائيل من مصر وقادهم بنفسه على شكل عمود من السحاب فى النهار وعمود من النار بالليل ، فأدع الى عالم أمريكى من أكبر علماء الديانات والفلاسفة والحضارات فى العصر الحديث ، وأعنى به « ول دورانت » صاحب قصة الحضارة ، ومباهج الفلسفة ، أن يصفه لنا .

« ويبدو ان اليهود الفاتحين (لفلسطين) عمدوا الى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى هم عليها ، وجعلوا منه الها صارما ذا نزعة حربية صعب المراس ... وهذا الاله لا يطلب من الناس أن يعتقدوا أنه عالم بكل شىء، وشاهد ذلك أنه يطلب الى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدم الكباش المضحاة ، لئلا يهلك أبناؤهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين » .

كذلك لا يعتبر نفسه معصوما من الخطأ ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الاخطاء هو خلق الانسان — لذلك نراه يندم بعد فوات الوقت على خلق آدم ، وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا . وتراه من حين لآخر شرها غضوبا متعطشا للدماء ، متقلب الاطوار نزقا نكدا ، وهو يرضى عما استخدمه يعقوب من ختل وخداع فى الانتقام من لابان — وضميره لا يقل مرونة عن ضمير الاسقف الذى يندفع فى السياسة » .

وقصارى القول أنه لم يكن للامم القديمة اله آدمى فى كل شىء كاله اليهود هذا . (٢)

وقد أطلنا النقل عن ول دورانت ، حتى لا نتهم بعدم الفهم من النصوص وما توحى به من معانى ، والا فهى ناطقة بهذا الذى قاله دورانت وأكثر منه واليك بعضها .

« فبقى يعقوب وحده وصارعه (انسان) حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق يعقوب فى مصارعته معه . وقال أطلقنى لانه قد طلع الفجر — فقال لا أطلقك ان لم تباركنى فقال له ما اسمك فقال يعقوب — فقال لا يدعى اسمك بعد الان يعقوب بل اسرائيل ، لانك صارعت مع الله وقدرت » .

« وسأله يعقوب وقال عرفنى اسمك فقال لم سؤالك عن اسمى ، وباركه هناك ، فسمى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا انى رأيت الله وجها لوجه ، ونجت نفسى »

« ولذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذى مع حق الورك الى هذا اليوم لانه لمس حق ورك يعقوب على عرق النسا » (سفر التكوين — الاصحاح ٣٢) .

ويطلب يهوه من بنى اسرائيل قبل خروجهم من مصر أن يسلبوا المصريين .

« حينما تمضون، لا تمضون فارغين— بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا ، وتضعوها على بنيكم وبناتكم

---

(١) اليهودية — للدكتور أحمد شلبى

(٢) ول دورانت — قصة الحضارة — الجزء الثانى— ص ٣٣٩

فتسلبون المصريين ، وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا — وأتى الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين » (سفر الخروج — الاصحاح الثانى عشر)

وما أكثر ما تصادفك عبارات يزجر فيها موسى يهوه من أمثال « أرجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك — فندم الرب على الشر الذى قال انه ينزله بشعبه » (سفر الخروج — ٣٣)

أما عن تعطش يهوه للدماء ، فيتجلى أكثر ما يتجلى فى الضحايا البشرية التى يجب أن تقدم له ، وفى الاوامر التى يصدرها لشعبه لابادة الشعوب الاخرى .

« واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولا الى الصلح ، فاذا أجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك — وان لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها وأسلمها الرب الهك الى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف — وأما النساء والاطفال وذوات الاربع وجميع ما فى المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاكها الرب الهك .
أما مدن أولئك الامم التى يعطيها لك الرب ميراثا فلا تستبق منها نسمة بل أبسلهم ابسالا (أى أقتلهم) الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب . (تثنية الاصحاح العشرون)

ولعل بنى اسرائيل لم يصدعوا بأمر من أوامر الاله كما صدعوا بهذا الامر فى كل عصورهم ، حيث تغص أسفار يوشع وصمويل والملوك بمئات الالوف من الرجال والنساء والاطفال الذين ذبحوا ، والمدن التى خربت وحرقت ، والحيوانات التى لم تسلم من غضب اليهود ولم يكن بأس اليهود على غير اليهود فقط ، بل أنهم فعلوا بأنفسهم الافاعيل ، وعندما انقسم اليهود الى دولتين ، جرت بينهما الدماء أنهارا .

تلك هى صورة (يهوه) اله اسرائيل ووصاياه لشعبه فى اراقة الدماء .

أين الوحدانية والتنزيه

وقد حاول علماء اليهود وكتابهم فى العصر الحديث ، بعد انتشار نور العلم والعرفان ، وسيادة التعاليم المسيحية العالمية ، وانتصار الاسلام دين الوحدانية الصافى ، وما فى هذين الدينين (المسيحية والاسلام) من تصوير لله على أنه رحمة كله وحب كله ، أن يدّعو أن اله اسرائيل قد تطور مع الزمن حتى أصبح اله العالمين على لسان أشعيا وأرميا وأصبح يفيض بالرحمة والسلام .

والذى لا شك فيه أن اليهود قد تأثروا بالتعاليم والمبادىء الحضارية الراقية التى عاشوا فى ظلها خلال الاسر فى بابل ، وتأثروا فى عهد مخلصهم قورش ملك الفرس بالديانة الزرادشتية ، وهى ديانة تتحدث عن مزدا اله النور بأسنى عبارات التوحيد .

والرأى على أن كتاب العهد القديم أخذ صورته التى هو عليها الان عام ٢٠٠ ق.م ومن هنا فقد تسربت الى أقوال أشعيا فى السفر المسمى (نبوءة أشعيا) عبارات متناثرة تتحدث عن اله الكون كله ، ورب السموات والارض ، وتتحدث عن سيادة السلام على الارض ومجىء المسيح الذى يملأ الدنيا أمنا وعدلا .

ولكن ذلك لا يعنى الا أن اله اسرائيل قد أصبح الها يعلو البشر كلهم لحساب اسرائيل ، فالحديث عنه هو دائما بذات الاسم القديم وهو « رب الجنود » وبنو اسرائيل هم شعبه الحبيب المختار الذى من أجلهم سيفنى جميع الأمم ، ولذلك فنحن نطالع فى أشعيا بالذات أن بنى اسرائيل سينقضون على الفلسطينيين نحو الغرب ، وينهبون بنى المشرق جميعا ، ويلقون أيديهم على آدوم ومؤاب ويطيعهم بنو عمون—ويضرب الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بريحه العاصفة ويشقه سبعة جداول فيعبر

بالأحذية (أشعيا ١١) أما مدن بابل ودمشق وسائر مدن الارض فانها تصبح يبابا وترابا وخرابا وتنضب مياهها وتنتن أنهارها .

« اقتربوا أيها الأمم للاستماع واصغوا ايها الشعوب. فان سخط الرب على جميع الامم وغضبه على كل جندهم، وقد ضربهم وأسلمهم للذبح — فتطرح قتلاهم وينبعث النتن من جيفهم ، وتسيل الجبال من دمائهم » . (أشعيا — ٣٤)

بل أن سفر أشعيا الذى يزعم الزاعمون أنه قد تطور بيهوه اله اليهود القديم الى الله رب العالمين الرحمن الرحيم ينتهى بهذه الصورة العجيبة المعنة فى الوثنية والوحشية والتى يتعالى الله عنها علوا كبيرا .

« لأن هوذا الرب يأتى ومعه النار وعجلاته كالزوبعة ليبلغ غضبه بحنق ، وانتهاره بلهب النار — لأن الرب بالنار والسيف يخاصم كل البشر ويكون قتلى الرب كثيرين » (أشعيا — ٦٦)

غير صحيح اذن ما يزعمه اليهود على لسان مؤلفيهم وكتابهم المحدثين من أن دينهم قد تطور على لسان أشعيا وأرميا ، فأصبح توحيدا صرفا ، ورحمة ومحبة ، فها هى نصوص الكتاب طافحة من أول صفحة حتى آخر صفحة بالعداء للأمم والشعوب والدعوة الى اراقة الدماء .

والحق أنه ليس هناك ما يؤسفنى انا شخصيا ، وأنا الذى أدعو للحب والتسامح والغفران والتآخى بين الشعوب والمذاهب والمعتقدات ، (١) أن ينتهى بى البحث العلمى المجرد الى هذه الحقيقة المؤسفة . ولن استطيع بالرغم من حبى للسلام ، ودعوتى لنسيان الماضى — والا كنت خائنا للامانة العلمية المجرد التى ألتزمها — ألا أسجل باعتبارى معاصرا لمأساة فلسطين ، كيف ذهلت فى وقتها وأصبت بصدمة عنيفة، لا عندما انقض نفر من محاربى اسرائيل على قرية ديريس العربية فقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها ، ولم يرحموا حتى الحبالى منهن فكانوا يبقرون بطونهم ، ويذبحون الاطفال فى حجور امهاتهن ، أقول أن ذلك على فرط وحشيته لم يكن هو الذى أذهلنى وأصابنى بصدمة عنيفة ، بقدر تباهى مختلف الجماعات اليهودية بأنهم صانعو هذا العمل ، فقد صدرت بلاغات رسمية تتحدث عن تفاصيل هذه الواقعة ، فصدرت بيانات اخرى من جماعات منافسة تدحض نسبة هذه الأعمال الى من قالوا أنهم أصحابها ، وتأخذ الفخر كله لنفسها !!

لقد دل ذلك على أن القوم يتعبدون بهذه الاعمال ، ويتقربون الى الههم بها .

وعندما تشكك أقوام طيبون فى العالم أن يكون ذلك هو سبيل اليهود ، أقدموا على قتل الكونت برنادوت رسول السلام الذى بعثت به هيئة الأمم ليكون وسيط رحمة وسلام ، لتعلم الدنيا كلها ، أن الموت والتنكيل والتمثيل هو نصيب كل من يقف فى وجه اسرائيل .

فالتصور الوثنى للألوهية ، وتعطشها للدماء ، وانعكاس ذلك على تعاليم الدين اليهودى هو أحد عناصر هذا الدين الرئيسية . وسنرى عندما نعرض لتعاليم الاسلام كيف سجل على اليهود ذلك كله ودمغهم به ، وكيف حاول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم فرصة جديدة للعيش فى سلام ومحبة مع بقية الموحدين بالله ، فأبوا الا أن يمضوا على ما اعتادوا المضى عليه .

ولننتقل الآن الى العنصر الثانى من مقومات العقيدة اليهودية ، وهى الصورة التى يتصورون بها قادتهم وزعماءهم وأنبياءهم ، فالى المقال التالى .

---

(١) اقرأ للمؤلف « الامة الانسانية » الذى صدر أخيرا

من مزاعم الروحيّة الحديثة

للشيخ محمد الغزالى

٢

تتضافر الجماعات المشتغلة بتحضير الأرواح على الترويج لديانة جديدة تحل محل الديانات القديمة ، وتنسخ تعاليم الأنبياء الأولين ، وترسم للعالم طريقا أخرى تصلح لطوره المعاصر ، وتلتقى فيها شتى الاجناس والنحل ..

ولا يحتاج المرء الى عميق ذكاء ليرى أن الروحية الحديثة بما وفدت به من تعاليم تقوم على وحدة الوجود ، فالله والعالم شىء واحد ..

وعلى تناسخ الأرواح وخلود الحياة المأنوسة لنا الآن . فلا فناء للدنيا ، وليس هناك يوم للبعث والحساب العام ..

وعلىأن الشرائعالقديمة قد استنفدت أغراضها ، والروحية الحديثة هي التى ستهدى العالمين بوحيها العصرى المتقدم ..

ويبلغ هذا الخبل الروحى مداه عندما يكذب رسالة محمد ، ويؤكد الاشاعات حول عيسى وصلبه .. بل هنا ينكشف القناع عن الأهداف التى تعمل لها الروحية الحديثة ، والنيات الاستعمارية التى تختبىء خلفها ..

ومن الذى يختلق هذه الترهات ويروج لها ؟ عالم الأرواح الذى اتصل بالبشر فجاة لينير لهم الطريق .. ونريد أن نقف القراء وجها لوجه أمام النصوص التىتشرح هذه الروحية الحديثة منقولة عن الصحائف التى ينشرها أتباعها ، ويتحمسون لها أشد الحماس ..

فى كتاب للجمعية الاسلامية الروحية اسمه « التوحيد والتعديد » . يقول الروح الرائد لهذه الجمعية « انى صوت منبعث من السماء ينادى أهل الأرض أن آمنوا بالله .. انى أحمل رسالة هداية من السماء أعد خطواتها بدقة عباد

من مزاعم الروحية الحديثة

مخلصون لله تجمعوا فى ملكوته الاعلى.. ان دورى هو دور رسول يبلغ الرسالة ، ولقد جاهدت لاكون أمينا فى ايصال ما حملته » ص ٤٥ ، ص ٤٨ .

ثم يقول مسيلمة الجديد ، نبى الروحية الحديثة « تذكروا دائما أنكم فى الله ، وأن الله فيكم .. » واسم هذا الروح الرائد للجمعية الاسلامية الروحية « سلفربرش » . ويقول «سلفربرش» هذا فى كتابه الحكمة الذى تلقاه عنه أتباعه « نحن جميعا جزء من الروح الأعظم ، وأنتم فى مجموعكم مع بقايا الحياة الأخرى تكونون الروح الاعظم ، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة ، ولو أن هذا القول لا يمكننى البرهنة عليه الا أنه يحسن قبول كلمتى فى هذا الصدد » ص ٥٢ ..

وهناك روح آخر اسمه «هوايت هوك» يهيب بالناس قائلا . « يجب أن نتحد فى هذه الحركة ، فى هذا الدين الجديد (!) وأن تسودنا المحبة وأن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم .. رسالتى ـ أى دعوة « هوايت هوك زميل سلفربرش » ـ أن أواسى المحروم ، وأساعد الانسان على تحققه فى نفسه من الله سبحانه . الانسان اله مكسو بعناصر الارض (!) وهو لن يدرك ما فى مقدوره حتى يحس بجزئه الملائكى الالهى .. » العدد ١٢٧ من مجلة عالم الروح ، وفى كتاب التوحيد والتعديد الذى أوحى به « سلفربرش » يقول . « ان اليوم الذى تنتشر فيه التعاليم الروحية فى عالمكم سيكون فجرا ليوم سعيد .. اذ ستزول الفوارق بين الشعوب وتهدم الحواجز بين الاجناس ، وتذوب الفوارق بين الطبقات ، وتتلاقى الاديان حول حقيقة واحدة كما نبعث من حقيقة واحدة » ص ٥٧ .

وهذا المعنى تؤكده مجلة « عالم الروح » فى العدد ١٢٦ اذ تقول « ان هذه المنظمة ستكون لكل البشرية ، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحى طريقة جديدة للحياة ، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته ، وسوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد ، وبين العقائد والاديان » .

وفى كتاب التوحيد والتعديد ـ تعاليم « سلفربرش » ـ يقول « اذا كان التعصب للاديان فى وهم اقامة المناسك معطلا عن التلاقى فى صعيد واحد ، وهو معطل فعلا (!) فان الأديان ليست فى المناسك ، فلتترك البشرية هذا جانبا ، ولنتلاق فى مقابلة هذا الأمر الجديد من الاتصال الروحى » ص ١٨٣ .

وهذا الكلام المنطوى على استهجان المناسك الدينية واعتبارها مثار اختلاف البشر هو هو ما يقوله الروح الآخر « هوايت هوك » اذ يصرح بأن « الروحية تحتضن الجميع ولا تستثنى أحدا ، يقول الناس فى زمانكم ان الطقوس والفرائض عديمة النفع ولكن طقوسى وفرائضى تنحصر فى تدريب الناس على تركيز القوة الروحية » .

وظاهر من هذا التوافق أن مروجى الروحية يعملون لغاية مشتركة ، وأن العبادات المقررة لا وزن لها عندهم .. وتبدو قيمة النصوص الدينية فيما جاء بكتاب التوحيد والتعديد اذ يقول الكاتب دون حياء « ان القصص الدينى عن آدم ونشأته وزوجه وولده ليس تاريخا من وجهة النظر العلمى كما يتوهم بعض المتعصبين للأديان .. » اذن ما هو يا مسيلمة الجديد ؟

يقول « انه تكييف تقريبي للعقل البشرى عن النشأة بدءا من الفرد ذكرا

كان أم أنثى ، وعن تكرار هذه النشأة فى عوالمها ، سواء على هذه الارض ، ومنها كانت النشأة ابتداء ، ومظهرا ، أو بالارتداد من عالم الروح بعثا .. فآدم الحقيقة عليها وآدم الخليقة منها أمران تصويريان للعقول لا يدرك لهما أول ولا يعلم لهما كنه ولا ينقطع لهما فعل أو وجود » ص ١٠١

وهذا كلام ساقط مفترى من أوله الى آخره وهو ترديد لفكرة تناسخ الارواح . وخلود الدنيا وانكار الجزاء ، وهو الغاء لرسالات السماء كلها ، وطعن خبيث فى قواعدها ومناهجها وأخبارها ووصاياها ..

والغريب أن هذا الهدم الدينى العام الوافد من أوربا يتلقاه ناس منا على أنه فجر روحى جديد ، ويقول عنه مستشار قانونى يرأس جمعية اسلامية روحية . « اذا كان الاتصال الروحى فى هذا العصر يأتينا ممن أسميناه الغرب فان الله اليوم يأتى بالشمس من المغرب كما جاء بها قديما من المشرق .. »

وهذا كلام هزل ، فان هذه الروحية المزعومة حرب على الله والمرسلين ، ولا نشك فى أن الحاقدين على الاسلام الكارهين لأمته ، المعوقين ليقظته ، هم الذين يدبرون مؤامرتها وينسجون حبالتها .

وللاستعمار الثقافى أساليب ماكرة خفية لتدويخ الفكر الاسلامى ، وبث الفوضى فى جنباته والدعوة الى الروحية الحديثة بعض هذا الهجوم على حقائق الاسلام وتعاليم نبيه ، واسمع الى ما يقول الدجال « سلفربرش » — وهو الروح المرشد لبعض الجمعيات عندنا —

فى كتابه « الحكمة العالية » « لا زال المسيح فى عالمنا هو أعظم من نعرف ، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أن ينزل الالهام الالهى الى الارض بالقدر الذى نزل عليه » .

ثم يستتبع هذا الدجال تكذيبه لنبوة محمد فيقول . كان عيسى آخر الانبياء والمعلمين ، ذاك الذى ولد من أبوين يهوديين » ص ٥٣ .

ثم يزعم أنه صلب لأنه بشر بتعاليم تخالف كنيسة عهده ص ٤٦ .

ومن غرائب الروحية الحديثة أنها توافق أخس المذاهب المادية فى مهاجمة الأديان السماوية والطعن عليها ، خصوصا الاسلام ، فيقول « سلفربرش » لا توجد جنة ذهبية ولا جهنم نارية . انما هذا هو تصور هؤلاء المحدودى النظر .. لا تقيدوا أنفسكم بكتاب واحد ولا معلم واحد ولا مرشد واحد .

فولاؤنا لا لكتاب ولا لدين ولا لعقيدة، ولكن للروح الاعظم وحده .

ولكى يزين للناس التحلل من عقيدة الايمان بالله يقول :

حيثما ينتقل الانسان للعالم الآخر فلا عبرة بما كان يظنه أو يعتقده . وانما العبرة بما أداه من خدمات للعالم ، فحينما يهوى الجسم المادى الى الأرض، فكل عقائد الجنس البشرى التى قاتل وجاهد من أجلها طويلا وتفرق شيعا وأحزابا تبدو جوفاء وعبثا لا معنى له ولا هدف .

لأن هذه العقائد لم تساعد على تزكية الروح ذرة واحدة ص ٢٨، ١٢٤، ١٤٩ « كتاب الحكمة العالية » . وينكر « سلفربرش » فكرة بدء الخليقة ، كما ينكر أيضا فكرة نهاية الخليقة فيقول : لا أستطيع القول أنه يوما ما لم يكن هناك ضوء ، ثم وجد فى اليوم التالى ، ان عالمكم لا زال يحتفظ بفكرة أن الخليقة

من مزاعم الروحية الحديثة

بدأت على مثال ما ورد فى قصة جنة عدن ، هذا ليس صحيحا .

لقد كان هناك دواما تطور فى عمل مستمر ، ليس حقا أن الكون كان معدوما ثم بدأ فجأة ، الكون كان دائما موجودا نحن نعرف أن الكون لا بداية له ولا نهاية ص ١١٠ كتاب الحكمة العالية .

وهكذا يتضح لنا أن كل ما يقوله دعاة هذه النحلة الخبيثة من أن دعوتهم تؤيد العقيدة الدينية وتدعمها انما هو ضرب من الخداع والدجل .

ويعلنها « سلفربرش » هكذا بصراحة وجلاء فيقول . لا يهم اذا كان الرجل مسيحيا أو كافرا . المهم هو ما يفعله فى حياته .

أعطنى الرجل الذى لا يعتنق أى دين، الذى لا يركع لذكر اسم الله ، ولكنه أمين ، ويحاول أن يخدم ، ويمد يده للضعيف ، ويساعد الكلب الأعرج . الرجل المملوء شفقة للمنكوبين ، والذى يعاون من هم فى ضائقة بحرارة . ذلكم أكثر تدينا ممن ينتسب الى أى دين . ص ١٠١ « كتاب الحكمة العالية » وهكذا يروج الالحاد تحت ستار التنويه بمكارم الأخلاق ..

كأن الدين عد الفضائل نافلة ، أو كأنه لم يتوعد بأشد النكال طوائف الكذبة والخونة ، ومانعى الخير ، وكارهى الناس ...

ولكن الروحية الحديثة تحتال للقضاء على الدين كله ، وخصوصا الاسلام ، بوضع مبادئها فى اطار براق من حب الانسانية والعطف عليها ، ومن المتاجرة ببعض الكلمات المطاطة فى هذا المجال المفتعل . مع أن الانسانية حين تكذب الوحى ، وتتنكر للمرسلين ، وتهمل أوامر الله ونواهيه تنسلخ من فطرتها ،وتهوى الى أسفل سافلين .

وما قيمة العالم كله يوم يجهل ربه ، ويهمل هداه ؟

ونتساءل . أرواح من من الموتى هى التى تبنت ابلاغ هذه الرسالة الخسيسة لأهل الأرض ؟

أرواح الصالحين من المؤمنين ؟ كلا ، فهؤلاء عرفوا الله عن طريق موسى وعيسى ومحمد ، فيستحيل أن يخرجوا على كتبهم ، ويتنكبوا طريقهم ، ولو اتيحت لهم ــ جدلا ــ فرصة العودة الى الارض ؛ والعودة اليها بعد الموت مستحيلة ، لما دعوا الناس فى هذا الزمان الا الى اتباع محمد ، والاخذ من قرآنه وحسب ..

اهى أرواح الفجرة من العصاة ؟ كلا ، فهؤلاء بعد ما غادروا الحياة ملكتهم حسرة قاتلة على زيفهم أيام الدنيا ، ثم هم فى أيدى حراس غلاظ شداد ، قد أمسكوا بخناقهم توطئة لحساب شاق ..

فكيف يتصور أنهم عادوا الى الحياة الدنيا عن طريق الاتصال الروحى يستأنفون التزوير والتضليل ؟

اننا لا نشك فى أن مبادىء هذه الروحية الحديثة هى من عبث مردة الجن ، الذين استغفلوا نفرا من أبناء آدم، واصطادوهم الى هذه المجالس ، مجالس الأشباح والأوهام ، أو مجالس تحضير الارواح ، كما يقال ليملوا عليهم هذا المنكر من القول .

وما أكثر عبث الجن بالانس ، واوسع طرقه ، ولذلك يندد القرآن الكريم بأطراف هذه الفتنة فيقول « ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم » .

ولا غرو فان الشيطان يستحلى اغواء أبناء آدم ، كما يستحلى أبناء آدم أكل السحت وارتكاب الزنا .. وعقبى هذه المتع كلها جهنم ..

وفى عصرنا هذا اخذت سخرية الشياطين من البشر هذه الطريقة التى لم تؤلف من بدء الخليقة . فطلع علينا من يزعم أن أرواح الموتى اتصلت به لكتابة ونشر دين جديد للناس واستمعنا الىأبواق الظلام فاذا هى تجدد الوثنيات القديمة ، وتحارب هدايات الله ، وتصد عن قرآنه العظيم ، الكتاب الذىاستوعب الوحى كله ، والاثر الفريد الباقى الذى يقدم لعباده الحق الخالص النقى .

ولئن كنا نستنكر التعلق بما يسمى مجالس تحضير الأرواح على الاجانب الجهلة بالاسلام ، اننا لنستغرب من بعض المسلمين عدم مبالاتهم بالموضوع ونتائجه ، فربما سمح أحدهم لنفسه — طمعا فى استكشاف غيب أو ابراء مريض — أن يحضر هذه المجالس ،وربما وضع الجن له طعما فى كلمة تصدق أو حاجة تقضى فيلقى لها زمامه كله ، فاذا هو بعد حين ناكب عن الصراط المستقيم .

وللجن قدرة أبعد مدى من قدرة البشر ، انهم يغزون الفضاء بطاقاتهم العادية من زمان قديم ، ولكنهم لا يعلمون الغيب .

وما يكون غيبا أحيانا بالنسبة لنا قد يكون عيانا بالنسبة لهم ، والحدأة لا تعلم الغيب اذا كانت ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا ..

فاذا استطاع شيطان أن يعرف بعض ما نجهل ، عن الاشخاص أو الأشياء — وهى معرفة محدودة ، وقد تكون مغلوطة — فليس هذا علما بالغيب .. وبالتالى فان ما يثرثر به فى مجالس التحضير لا يدل على شىء ذى بال ، ولا يسوغ أبدا أن يكون ذريعة لترك ما نعلم من شرائع الاسلام .. لكن هذه المجالس للأسف ولدت لنا فى هذا العصر مسيلمة آخر ،وسجاحا أخرى ،والجنون فنون ...

اننا نحن المسلمين نؤمن بالمادة وبما وراء المادة ، نؤمن بالحياة الحاضرة وبالحياة المقبلة ، ولايماننا مصادر وثيقة من كتاب معصوم وسنة مضبوطة ، ولا يليق بنا أن نأذن للأوهام بأن تتسرب الى هذا الايمان .. ثم ان الأحكام الشرعية عندنا تفرق تفريقا حاسما بين اليقين العلمى ، والظن العلمى ، والرأى العلمى .. وهى تستبعد ابتداء الرؤى ، والالهامات ، من مصادر المعرفة الشرعية العامة .. والعيب المأخوذ على بعض المتدينين ، والذى قد يصيب الدين نفسه اصابة جسيمة ، أنهم يخلطون فى سلوكهم وفهمهم بين الرأى واليقين ، أو بين الأحلام والحقائق ..

ونحن ننصح المسلمين أن يحذروا على أنفسهم من هذا الخلط ، والله ولى التوفيق »

فى أفياء البيت الحرام

أتى لـــك مشتاقـــا يجوب الفيافيـــا ويستعذب الأهوال بالليل ساريـــا
أتى لـــك لا يـــدرى وقد زاد شوقه ألاقى صعابا في السُّرى أم أمانيـــا ؟ .
تحمل آلام الرحيـــــــل منعمـــــا وودع أحبـــابا هناك غواليـــــــا
يؤم مكـــانا أشرق الـــكون بعدمـــا أقـــيم به البيت الذى ظـــــل عاليـــا
وأضحى بـــه القفر اليبـــاب مواردا وأمسى به الخير العمـــيم مواتيـــا
فيأيهـــا الســـارى هنا ماء زمـــــزم يروِّى الذى قد بات بالاثم صاديـــا
ويأيهـــا الـــداعى هنا خير بُقعـــــة أرجِّى بهـــا أن يستجـــاب دعائيـــا

★★★

تذكرت تاريخا قديمـــا حبا هنـــــا لـــه الفلك الدوّار ما زال واعيـــا
تذكرت إبراهيم إذ قـــام وابنـــــه يســـاعده كى يرفعا البيت عاليـــا

للاستاذ احمد ابو المجد عيسى

فأنشأ بالتقوى بناء مكرما   وأذن في الدنيا إلى الحج داعيا

فلباه من أقصى البلاد ركائب   تسابق ركبانا إليه نواجيا

يخف إليه الناس من كل بلدة   وقد نحلوا من دعوة الله حاديا

★★★

وأبرهة يزجي إلى البيت جحفلا   كجنح الدجى في هدأة الليل غازيا

ليهدم بيتا قوّم الله ركنه   وبات له رب الخلائق حاميا

فأرسل طيرا كالجراد أتتهمُ   وكان بها رب البرية راميا

★★★

ويوم أراد الناس أول قادم   فكان لهم خير النبيين آتيا

فمد لهم طرف الرداء ليرفعوا   به حجرا كالمسك يعبق ذاكيا

فأصلح أمرا كاد يودي بقومه   وجمّع شملا كان من قبل واهيا

القرآن والعرب

للشيخ عبد الله النورى

العرب هم العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام ، ولكن شتان بينهم فى الزمنين من قبل ومن بعد .

والله جل شأنه بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فيهم ، وأنزل عليه كتابه بلسانهم ليعلمهم ويزكيهم .

وكانوا قبل نزول القرآن فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، قد يعمد أحدهم الى ابنته فيدفنها وهي حية . خوفا من عار ربما يلحق به .

وكانوا قبل نزول القرآن فى فوضى ، فلا وفاق يؤلف بين القلوب ولا جامعة تجمع بين القبائل ، فهم دائما فى حرب وعداء ، وسفك دماء .

وكان الناس طبقات سيدا ومسودا وشريفا ووضيعا وحرا وعبدا .

وكان القوى منهم يأكل الضعيف ، وكان عزيزهم يتمرغ على تراب الأوثان يطلب منها العون ، ويسجد عند اقدام الأصنام يطلب منها المدد .

ذكر القرآن كل ذلك فى مواضع عدة ، فذكرهم بنعمة الله عليهم حيث ألف بين قلوبهم بالاسلام بعد أن كانوا أعداء ، وأحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث والميتة والدم ولحم الخنزير ، وحرم عليهم عبادة الأوثان ، وعبادة من لا يسمع دعاء ونداء ، وعاب من اذا « بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب » .

ونزل القرآن والناس فى ضلالهم منهمكون ، والحرب بين القبائل مستعرة .

ودعا الرسول بأمر الله الى توحيد الله وافراده بالعبادة ، والى توحيد الوجهة ، وتحرير الانسان من الذلة لغير الله .

كانت دعوة الاسلام هى لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ومعنى ذلك أن الله هو المعبود فلا معبود سواه ، والانسان كريم كرامة تجله عن أن يذل لغير المعبود

الخالق البارىء المصور ، وأن الانسان أخو الانسان ، وهو عزيز لا يهون لمثله من بنى الانسان ، والناس كلهم اخوة فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى .

وبدأت عزة النفس تجد طريقها عند من سمعوا صوت الحق وآمنوا به ، وقرأوا شيئا مما نزل على رسوله ، فنهض بهم ايمانهم من الجهالة،وأخرجهم من سراديب الضلالة ، فظهروا على مسرح الوجود ليكونوا النواة الأولى لأمة القرآن .

وظهرت الأمة العربية على وجه البسيطة بعد الاسلام . ولم تكن شيئا مذكورا قبله . أخرجها الاسلام من زوايا النسيان لتكون ملء سمع الدنيا وبصرها ، وكانت به خير أمة أخرجت للناس (يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ، ويعلمون الناس الحق،ويأمرون بالعدل والاحسان، ويتواصون بالحق وبالصبر ، ليصلوا بذلك كله الى خير يعم العالمين .

وبالاسلام دخل العرب باب التاريخ .

فكان كتاب الله دستور دولتهم وقانون قضائهم ، ورائد مجتمعهم ، ومربى صغارهم وكبارهم ، وكان كتاب الله هو الآمر الناهى فى جميع مراحل الحياة فى المسجد ، والمدرسة ، وفى البيت ، والمتجر ، والمعمل ، وفى جميع الأدوار التي تمر بالانسان منهم أو يمر بها ، وهذه حقيقة أثبتها التاريخ ، ولا يستطيع أن يجحدها الا مكابر .

من هذا نفهم أن الاسلام هو الذى علم العرب معنى الكرامة ، وهداهم الى الألفة ، وأذاقهم حلاوة المجد ، وعزة السؤدد .

آمنوا بأن القرآن كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن ما فيه من تشريع هو من عند الله وحده ، وأنهم ان تمسكوا به فلن يضلوا الطريق ، لأنهم فى حماية الله سبحانه وتعالى الذى اختارهم لهذا الدين جنودا ، وأختار لهم هذا الدين هداية وعزة ، وجعلهم به خير أمة تهدى الناس وتبشر بالخير ، ومن كان فى حماية الله فان يغلب ، ومن يتخل الله عنه فهو من الهالكين .

وكانت الأمة العربية قبل نزول القرآن محصورة فى جزيرة العرب ، لا تتعدى حدودها ، وجاء القرآن وعرب أمما لم يكونوا من العرب ، فأخرجهم من قائمة الشعوب الغير العربية وأثبتهم فى قائمة الشعوب العربية الاسلامية .

كانت هذه الأمم تتكلم لغات مختلفة وتدين بأديان متباينة ، فنطقت بلغة القرآن ودانت بدين القرآن .

واذا كانت هذه الأمم اليوم تتكلم لهجات مختلفة ، وقد لا يفهم المشرقي منهم لهجة المغربي ، لكن اذا اجتمعا تفاهما بلغة القرآن الخالدة خلود الدهر ، وهى اللغة الكريمة التي حفظها الله بالقرآن ، والتي اكتسبت الخلود بالقرآن فاللغة العربية لن تبلى حتى يبلى الدهر . بها نتعارف وبها نتفاهم وعليها نجتمع وبها يتصل بعضنا ببعض ، لا أقول ذلك للعرب وحدهم ولكن للعرب والمسلمين .

وانه من العقوق ونكران الجميل أن نتنكر للقرآن الذى رفع الله به العرب من ذلة فأعزهم . وعلمهم به من جهل فكرمهم ، وهداهم به الى رشاد فبصرهم وبنى لهم مجدا خالدا باقيا ذكره بقاء التاريخ .

لغة القرآن

ماذا

التهاون في اللغة

التندر بمعلمي

للشيخ / أحمد الشرباصى

منذ حين تلاقى فريق من أساتذة الجامعات فى بعض البلاد العربية، وأخذوا يشكون من ضعف أكثر طلابها فى اللغة العربية ، فهذا رئيس قسم فى كلية يقول : ان طلابه لا يستحقون النجاح ، لانعدام شخصيتهم ، وضعف اطلاعهم ، ولانهم يجيبون على الاسئلة بلغة سقيمة تدل على جهلهم التام باللغة العربية الصحيحة . وهذا أستاذ ثان يقول : اننا نحاول أن نعلم الطلاب الثقافة واللغة ، ولكن يبدو أنهم لا يريدون ذلك .

وهذا أستاذ ثالث يقول : ان الطلاب يخطئون أخطاء لغوية ونحوية واملائية فاضحة ، وكثير منهم لا يفرق بين الفاعل والمفعول ، ولا بين المثنى والجمع ، ويقول أستاذ رابع : ان ضعف مستوى الطلبة فى اللغة العربية امر واضح ، وهو موضع شكوى من جميع الاساتذة ، كما أنه مظهر خطير لتدهور اللغة العربية ، ومن الواجب معالجة هذه الحال بالعلاج الحاسم ، حتى لا ننتهى الى وخيم العواقب .

هذه نماذج مختصرة من ألوان الشكوى التى أبداها الاساتذة ، ومن الواضح أن مستوى التعليم بين شبابنا قد هبط بصفة عامة ، وهبط ونزل فى علوم اللغة العربية بصفة خاصة ، وأصبح لا يقام كبير ميزان لهذه العلوم ، من نحو وصرف وبلاغة ، وأدب، وانصرف جزء كبير من العناية والاهتمام الى مواد أخرى موروثة أو مستحدثة ، وهذا من غير شك خطأ كبير ، وتفريط واضح لا يليق أبدا بما نحن فيه من اعتزاز بالعروبة

ماذا وراء التهاون فى لغتنا ؟

بل ان التهاون في أمر اللغة العربية يفتح الباب للتهاون في العقيدة والعروبة معا، لان اللغة العربية تمثل العروبة والعقيدة معا، فهى لغة قومية لانها لغتنا الوطنية ،

وراء الدعوة للعامية

تهاون في العقيدة والعروبة معا

اللغة والدين امتهان للغة والدين معا

وشعار وحدتنا العربية ، وباب ادراكنا لمفاخرنا الموروثة ، وأمجادنا المأثورة ، ووسيلة لمطالعة الصفحات المزهرة من تاريخنا المؤمن . ولها صلتنا الوثيقة بالعقيدة الدينية ، لأنها لغة الاسلام ، ولغة رسول الاسلام ، ولغة القرآن الكريم ، والله تبارك وتعالى يقول . « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

ولقد أشار القرآن الكريم الى « عربية القرآن » فى أكثر من عشرة مواضع ، ففى سورة الشعراء يقول تعالى . « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » وفى سورة الاحقاف يقول تعالى . « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » وفى سورة طه يقول تعالى . « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » . وفى سورة الزمر يقول تعالى . « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » .

وفى سورة فصلت يقول تعالى . « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » . وفى سورة الزخرف يقول تعالى . « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » . وفى سورة الشورى يقول تعالى . « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق فى السعير » . وفى سورة الرعد يقول تعالى . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » . وفى سورة النحل يقول تعالى . « وهذا لسان عربى مبين » .

وفى سورة فصلت يقول تعالى . « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » .

أرأينا معا هذا التكرار العميق المدلول لعربية القرآن وبيانه ؟ . ان هذا من غير شك تنبيه للابصار والبصائر الى أن فهم القرآن الكريم على وجهه يتوقف على معرفة اللغة العربية وفقهها ، ولذلك كان من واجب المعتز بالاسلام أن يحث على تعلم اللغة العربية ، وأن يغضب اذا رأى تهاونا بها ، أو اجحافا بحقها .

والعجيب أن الرسول عليه الصلاة والسلام سبق المتحدثين عن العروبة بقرون وقرون ، حين قرر أنعماد العروبة هو اللغة العربية واللسان العربى ، فقد خطب النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال . « يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » .

أرشدوا أخاكم

ولقد كان سيد الخلق محمد خير داع للعربية ومحرض عليها ، ببيانه العربى المشرق ، وترديده لآيات ربه البينات ، وحثه على تعلم العربية ، وتجنب الخطأ فيها ، فقد روى أن رجلا لحن أمام النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى لمن حوله من صحابته . « أرشدوا أخاكم فقد ضل » ، فجعل الخطأ فى اللغة ضلالا ، يحتاج الى الارشاد والتقويم ، ومعنى هذا أن الذين يعلمون العربية ، ويحضون عليها ، يقومون عوجا ، ويحاربون ضلالا ، ويحققون للناس رشادا .

ولقد صرح الامام الشافعى رضى الله عنه فى كتابه المشهور « الام » بوجوب تعلم اللغة العربية على المسلم ، فقال : « على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده » . وذكر أنه كلما ازداد الانسان علما باللسان العربى كان خيرا له ، وقد ذكر السيد محمد رشيد رضا فى الجزء التاسع من « تفسير المنار » وفى كتاب الوحى المحمدى أنه لم يخالف الشافعى أحد فى هذا الحكم ، فكان ذلك كالاجماع .

وهذا هو الامام الثعالبى يقول فى مقدمة كتابه « فقه اللغة » عبارة نحفظها منذ الحداثة « من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الرسول العربى أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عنى بها وثابر عليها ، وصرف همته اليها » .

عناية السابقين بها

ونحن نراجع تاريخ هذه الأمة العربية المسلمة فنجد لها عناية عجيبة غريبة بلغتها ، وحرصا بليغا منها على تقويم ألسنتها ، فنجد منها البيان المشرق ، والمنطق السليم . « عند الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، والمخدومين والخدم . ولقد كان من أكبر العيوب فى الانسان عندهم الا يحسن لغته ، أو لا يضبط منطقه ، وكانوا يعيرون من يصاب بذلك أوجع التعيير ، وكانوا من حرصهم على لغتهم يجعلون اتقانها هدفا من أهدافهم ، وأمنية لهم فى حياتهم ، ولقد كان للحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نفس تواقة ، وكان من أوائل الاشياء التى تاقت اليها نفسه العلم بالعربية ، والفقه لها ، حتى نال من ذلك حاجته وبغيته ، كما أخبر هو عن نفسه ، ثم اتجه الى غير ذلك من الشئون .

يقول خامس الراشدين فيما يقول : « **لقد كانت لى نفس تواقة ، ولقد تاقت نفسى الى العلم بالعربية ، فأصبت منها حاجتى** » .

وهذا هو الخليفة الاموى عبد الملك ابن مروان يقول : « تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض » .

ويقول : « الاعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة للشريف » .

وهو أيضا الذى يعبر عن حرصه على البيان السليم فيقول : « شيبنى ارتقاء المنابر ، وتوقع اللحن » .

هكذا كانت أمتنا فى عصور نهضتها ، وعهود قوتها ، وأيام اعتزازها الصحيح السليم بعقيدتها وعروبتها ، وأدبهـا ولغتها ، ثم صار كثير من الأخلاف الى غير خطة الاسلاف ، فجاءت العجمة بدلا للافصاح، واحتلت العامية مكان الفصحى، ورأينا فى كثير من بلاد العروبة من يدعو الـى العامية ، أو اللهجـات المحلية ، متسترا وراء دراسة الادب الشعبى ، أو صيانة التراث الفنى ، أو تصويـر المجتمع على ما هو عليه ، الى آخر مـا هناك من أستار .

وانه لمن الممكن جدا أن نحفظ حـق الادب الشعبى فى نطاقه ومجاله ، مـع الابقاء على اللغة العربية . لغة القومية ، ولغة العقيدة ، ولغة القرآن ، ولغـة الاسلام ، ولغة رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، ولغة الغر الميامين من الآباء والاجداد ، حيث تبقى الجامع الاساسى الذى يجمع كل ناطق بها ، غيور عليها ، معتز بأدبها وتراثها .

سر الدعوة للعامية

أما أن تكون هناك دعوة لاحلال العامية محل الفصحى ، فذلك كيد يدبره أهلوه بليل ، وهم فى الواقع يكيدون أول ما يكيدون ليهدموا ذلك الصرح الشامخ ، والبنيان السامق ، بنيان الاســلام ، متوهمين أنهم يستطيعون بث العامية فى ديار العروبـة والاســلام ، فتسـتبهم الفصحى ، وتستعجم الالسنة ، وتتكاثر اللهجات ، ويصبح البيان العربى الناصع مهجورا غريبا ، لا يعكف عليه العاكفون ، ولا يفهمه الدارسون ، وتكون النتيجة أن ينشأ حجاب صفيق بين الاجيال وبين القرآن الكريم الذى يعد أسمى بيـان عربى فى الوجود .

وبينما توجد تلك الحالة السـيئة لشبابنا فى جهلهم بلغة قرآنهم وعروبتهم، نجد من بعض وسائل الاعلام فى بعـض بلاد العروبة تندرا على اللغة الفصحى ومدرسيها ، وعلى النحو وقواعده ، وعلى الذين يمثلون الغيرة والحرص على هذه اللغة .

لماذا يتندرون ؟

نعم يتندرون على معلم اللغة العربية الجندى المجهول المظلوم المهضوم ، وعلى اللغة الفصحى معقد فخر العرب ومجمع عزهم ، وعلى معلم الدين وملابس رجال الدين ، والتندر بعالم الدين وسـيلة للاستخفاف بالدين ، وهذا هو المقصود الخبيث اللئيـم لهـؤلاء (١) ، والتنـدر بمدرس اللغة العربية لا يتناسب مع مـا يجب علينا من تكريـم للغتنا ، وتثبيت لدعائمها بكل وسيلة .

واذا كان هناك فى تدريس اللغة العربية ما يحتاج الى تهذيب أو اصلاح ، فليتم ذلك دون تندر أو سخرية ، والا ساءت الظنون والتأويلات والتفســيرات لهـذا التندر المتكرر على رجال اللغة العربية الذين هم فى الوقت نفسه علماء الاسلام .

ولنتذكر أن اللغة العربية تقـوى وتستقيم فى بيئة الدراسات الدينية ، وتضعف وتسـقم فى بيئة الدراسـات المدنية ، والسر فى ذلك هو أن البيئـة الدينية تعتمد فى تقويم ألسنتها وتصحيح لغتها على القاموس الاكبر ، والمنبع الاعظم ، والمثقف الاقوم للسان والجنان : كتاب الله العظيم : القرآن الكريم .

---

(١) مما يلاحظ أن ذلك التندر واقع على رجال الدين المسلمين وحدهم [illegible]

هكذا الحج

للشيخ محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية الدينى

أصدرنا « رسالة الحج » ووزعناها ملحقا للعدد الماضى لتدرك كل من يريد الحج . وحرصا على اتمام الفائدة ننشر هذا الموضوع الذى حرص كاتبه على أن يذيله بجدول مبين حكم كل عمل الحج والعمرة فى المذاهب الاربعة وهو جدير بأن يحتفظ به كل قارىء .

يحيط بالبيت الحرام من كل اقطاره .. ثلاث دوائر متداخلة .. بعضها أفسح من بعض .. فصغراهن .. دائرة المسجد الحرام ، ووسطاهن .. دائرة الحرم .. وقد نصبت عليه أعلام ومعالم تحدد جهاته الاربع .. وأول من اقامها ابراهيم الخليل بارشاد من جبريل عليهما السلام تعظيما وتشريفا ، ونصبها النبى صلى الله عليه وسلم مرتين ... مرة قبل ان يهاجر ... ومرة عام الفتح .

أما الدائرة الكبرى المحيطة بالبيت الحرام احاطة السوار بالمعصم .. فهى دائرة المواقيت المكانية التى لا يجوز لمن قصد دخول مكة حاجا أو معتمرا أن يتجاوزها الا اذا أحرم أى تجرد من المخيط ، ولبس ازارا ورداء وأهل بالتلبية ناويا حجا او عمرة أو هما معا .

وتلك الدائرة محددة على النحو التالي :

لاهل الجمهورية العربية المتحدة ولكل من جاء حاجا أو معتمرا عن طريق السويس والبحر الاحمر .. بلدة « رابغ » الواقعة على ساحل البحر الاحمر فيما بين المدينة وجدة ، على بعد ٢٢٠ كيلومترا من مكة .

ولاهل اليمن والهند ومن ماثلهم « يلملم » على بعد ٩٤ كيلومترا من مكة . واما اهل نجد ومن سلك مسلكهم فيحرمون من «قرن المنازل» على مسافة ٩٤ كيلو مترا ايضا من ام القرى .

ويحرم اهل المدينة وكل من جاء عن طريقهم من « آبار على » على مسيرة ٤٢٠ كيلو مترا من البلد الامين .

ولاهل العراق والكويت والصين وبلاد ايران وما ماثلها « ذات عرق » على بعد ٩٤ كيلو مترا من البلد الحرام فكل من اراد الحج والعمرة ومر بميقات من هذه المواقيت برا أو بحرا أو جوا .. عليه ان يحرم ناويا النسك .

ولما كانت المواصلات الجوية لا تتلبث فى مرورها ... ويضيق وقت ركابها عن محاذاة المواقيت محرمين : فان من الاحوط لهم ان يحرموا قبل ان يستقلوا طائراتهم ... او من منازلهم .

كيف يدخل مكة

ومن أراد دخول مكة على نحو ما دخلها الرسول صلى الله عليه وسلم — وان كان هذا ليس بضرورى — فليغتسل اولا من بئر «ذى طوى» المعروف بآبار الزاهر ... ثم يسلك اليها طريق «الحجون» شمالى مكة . ومن هذا الطريق يمر المرء بمقبرة مكة « المعلاة » وبها قبور كثير من الصحابة ولا سيما السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .. فاذا ما انتهى الى المسجد الحرام .. دخله من باب بنى شيبة المعروف « بباب السلام » فى الجهة الشرقية الشمالية .. رافعا يديه بالدعاء : « اللهم انت السلام ومنك السلام .. فحينا ربنا بالسلام .. اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة ... وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا » .

وباب بنى شيبة هذا يقع حاليا بداخل المسجد .. وهو الباب الاصلى للمسجد على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . ومنه دخل فى حجة الوداع قائلا : « رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ثم يأخذ طريقه الى الكعبة المكرمة من ناحيتها الجنوبية التى فى ركنها الحجر الاسود ، ويتخذ من هذا الحجر علامة البداية لكل شوط من أشواط الطواف السبعة ونهايته .

ويلاحظ ان هذه هى الحكمة الظاهرة لوضع ابراهيم الخليل عليه السلام لهذا الحجر فى هذا الركن ... واما تقبيل الحجر او لمسه لمن لم يستطع التقبيل او الاشارة اليه لمن لم يقدر عليهما .. فلا يعنى أكثر من كونه ترجمانا عن الطاعة العمياء .. والامتثال المطلق .. بدون تحفظ فى هذا المقام الذى لا نعترف فيه لغير الله بنفع او ضر او تأثير .. وقد عبر عن هذا عمر بن الخطاب فى استلامه وتقبيله للحجر الاسود بقوله « انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » وقد نسب هذا القول الى أبى بكر ، ومن قبله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الطبرى : « وانما قال عمر ذلك لان الناس كانوا : حديثى عهد بعبادة الاصنام فخشى ان يظن الجهال ان استلام الحجر الاسود من باب تعظيم

الاحجار ، فأراد تعليمهم انه مجرد اتباع لفعل الرسول » .

ويجعل طوافه من وراء الحطيم ، ويرمل فى الثلاثة الاشواط الاولى أى يسرع قليلا ، بينما يسير فى بقية الاشواط سيرا معتادا .

وحكمة هذا الاسراع فى الثلاثة الاشواط الاولى ــ اظهار القوة والنشاط .. اسوة بما فعله الرسول وصحبه فى عمرة القضاء ردا على زعم المشركين بأن حمى المدينة قد اضعفت محمدا وصحبه عقب هجرتهم .. ثم اعاد الرسول ومن معه ذلك الرمل مرة اخرى فى حجة الوداع وبذا أصبح سنة متبعة على المدى الطويل .

وبعد الطواف يأتى « الملتزم » وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود فى الجهة الشرقية ويضع عليه صدره ، ويتعلق بأستار الكعبة داعيا بما شاء .. ثم يصلى ركعتين فى مقام ابراهيم عملا بقوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .. ثم يذهب الى زمزم فيشرب من مائها .

ثم يتوجه من باب « الصفا » الى جبل الصفا وهو مرتفع قليلا ويصعد عليه ويستقبل بوجهه القبلة مهللا مكبرا داعيا بما يشاء .. ثم يهبط الى طريق المسعى ميمما «المروة»، وطريق المسعى يبلغ ٣٨٩ مترا فى اثنائه الميلان الاخضران ، الى نهايتهما ثم يسير سيرا عاديا الى المروة ، ثم يصعد عليها ، ويفعل ما فعله على الصفا ، ثم يهبط منها الى الصفا ، وهكذا سبع مرات بادئا بالصفا ومنتهيا بالمروة .. فاذا ما انتهى حلق راسه .. أى قصر من شعره ولو قدر أنملة .. وبذلك يحل من احرامه ويجوز له حينئذ ان يلبس المخيط ويتمتع بكل شىء بلا استثناء اذا كان قد نوى بعمرة فقط حتى يحين موعد الحج .. ومثل هذا يقال عنه « متمتع » وهذا الاسلوب أسلس نظاما ، وأيسر تكليفا لمن اراد ان يتم الحج والعمرة لله .

ثم يبقى بمكة حلالا .. حتى يحين اليوم الثامن من ذى الحجة « يوم التروية » فيخلع ملابسه مرة اخرى ، ويلبس ملابس الاحرام « ازارا ورداء » ويحرم ناويا الحج ويلبى قائلا : **« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك »** ويأخذ طريقه الى عرفات وفى الطريق تستحب له الاقامة بمنى والمبيت فيها ، ويصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء من اليوم الثامن والفجر من اليوم التاسع ، ويتريث حتى تطلع الشمس ثم يرتحل منها الى عرفة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .. ولكنه لو اكتفى بالمرور على « منى » ولم يبت أجزاه ..

الوقوف بعرفة

ثم يقيم بوادى عرفة ويتحاشى وادى عرنة ، والعبرة بشهود وقت فى عرفة بعد زوال اليوم التاسع من ذى الحجة ، وتمتد صلاحية هذا الوقوف الى فجر اليوم العاشر ، والمقصود من

الوقوف هو الشهود بجسمه على اى حال كان ، ويجمع مع الامام الظهر والعصر جمع تقديم ، ويدعو بما يشاء ، ويتمثل فى هذا الموقف الجامع وحدة المسلمين ، وكيف نظمها الحج من تلك الاشتات المختلفة الالوان والعناصر .

وبعد الغروب يفيض الناس الى «المزدلفة» مؤخرين صلاة المغرب الى وقت العشاء فى جمع تأخير مع الامام ،ويبيت بمزدلفة ، وفى الصباح يقف عند المشعر الحرام بعد الفجر « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام» والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة .. كانت تشعر عنده العرب هداياها ، أى تضرب سنام ابلها حتى يسيل دمها ، ليكون دمها شعارا على اهدائها للبيت الحرام . وهو من اراضى الحرم ولذا سمى حراما .

ثم يدخل الحاج «منى» ويتوجه لرمى جمرة العقبة بسبع حصيات مكبرا مع كل واحدة ولا يرمى غيرها فى هذا اليوم ، ثم ينحر الهدى ... ويحلق من يحلق .. ويقصر من يقصر .. وبذلك حل له كل شىء كان محظورا عليه من ملبس وغيره الا النساء ، ثم يذهب ـ اذا شاء ـ الى مكة فى نفس اليوم ، ويطوف طواف الافاضة او طواف الزيارة وهو اهم طواف فى الحج ثم يسعى بين الصفا والمروة . وبعد ذلك يحل له كل شىء حتى النساء .

ثم يرجع مرة ثانية الى «منى» فيبيت فيها ليلة الحادى عشر من ذى الحجة ، وبعد الزوال من صباحه يرمى الجمرات الثلاث : كل واحدة بسبع حصيات بادئا بالجمرة الصغرى من جهة مسجد « الخيف » ، ومنتهيا بالجمرة الكبرى ، والرامى يقف عقب رمى الجمرتين الاوليين ليدعو بما يتيسر له .. ولا يقف بعد الثالثة لضيق مكانها ... ثم يبيت ليلة الثانى عشر بمنى ايضا ويفعل بعد زواله ما فعله فى سابقه .. ثم هو بالخيار بعد ذلك : ان شاء اكتفى بتلك الاعمال فى منى ورحل الى مكة قبل الغروب .. وان شاء بات ليلة الثالث عشر ورمى الجمرات اما قبل الزوال واما بعده ،وهو المراد بقوله تعالى : « فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى » .

واذا عاد الحاج الى مكة من منى لم يبق من اعمال الحج الا طواف الوداع حين يغادر مكة وهو آخر طواف فى الحج كما أنه خاتمة المطاف فى هذا النسك المبرور . ويلاحظ : ان النساء كالرجال فى كل ما ذكر الا انهن لا يرفعن اصواتهن بالتلبية ، ويحل لهن لبس المخيط ولا يرملن فى الطواف ، ولا يهرولن فى السعى ... ولا يحلقن ، شعورهن بل يقصرن ، ولو قدر انملة ، ولا يدخلن المسجد وقت التلبس بالأعذار الطبيعية ، ولا تزاحم المرأة الرجال فى استلام الحجر ،وتكشف وجهها ، ولا تكشف رأسها .

* * *

وتيسيرا للحاج أضع بين يديه ذلك الجدول المرافق ليلقى بعض الاضواء فى سرعة ويسر على أهم اعمال الحج ورأى المذاهب الاربعة فى كل عمل منها :

جدول باحكام أهم اعمال الحج في ضوء المذاهب الاربعة

العمـــل	حكم الحنفيـــة	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الحـج	فرض فورا على الصحيح	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا
العمـرة	سنة مؤكدة	فرض تراخيا	سنة مؤكدة	فرض فورا
الاحرام بالحج	شرط	ركـن	ركن	ركن
الاحرام بالعمرة	شرط على الصحيح	ركـن	ركن	ركن
اقتران الاحرام بالتلبية	سـنة	سـنة	سنة وقيل واجب	سـنة
الاحرام من الميقات	واجب يلزم بتركه دم	واجـب	واجب	واجب
الغسل للاحرام	سـنة	سـنة	سـنة	مستحب
التطيب للاحرام لا بعده	سـنة	سـنة	مكروه	مستحب
التلبية	سـنة	سـنة	واجبـة	سـنة
طواف القدوم	سـنة	سـنة	واجب	سـنة
نية الطواف	شرط	شرط	واجب	شرط
بدء الطواف من الحجـر الاسـود	واجب	شرط	واجب	شرط
المشى فى الطواف للقادر عليه	واجب	سـنة	واجب	شرط
الطهارة من الحدثـين فى الطواف	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف من وراء الحطيم	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف فى المسجد	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف سبعة اشواط	(الاربعة الاولى ركـن والثلاثة الاخيرة واجب من طواف الزيـارة) وسـنة فى الطـواف الواجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة بين اشواط الطواف	سـنة	سـنة	واجب	شرط
ركعتا الطواف	واجب ولكن يعادان ولا يجبران بالدم	سنة وقيل واجب	واجب	سـنة
السعى بين الصفا والمروة	واجب	ركـن	ركن	ركن
الطواف للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقوع السعى بعد الطواف	واجب	شرط	واجب	شرط
نية السعى	واجب	شرط	شرط	شرط
بدء السعى بالصفا وختمه بالمروة	واجب	شرط	شرط	شرط
المشى فيه مع القدرة	واجب	سـنة	واجب	شرط
كون السعى سبعة أشواط	واجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة بين اشواط السعى	سـنة	سـنة	واجب	شرط
الموالاة بين السعى والطواف	سـنة	سـنة	سنة	سنة
الحلق أو التقصير فى العمرة	واجب	واجب	واجب	واجب
المبيت بمنى ليلة عرفـة	واجب	سنة	واجب	مستحب
الوقوف بعرفة	ركـن	ركن	ركن	ركن
وقت الوقوف بعرفة	من بعد الزوال من يوم عرفة الى طلوع فجر يوم النحر بالاجماع			

جدول باحكام أهم أعمال الحج في ضوء المذاهب الاربعة

العمـل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
مد الوقوف بعرفة الى ما بعد الغروب ان وقف نهارا	واجب	واجب وقيل سنة	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الامام او نائبه	واجب	سنة	واجب	سنة
الجمع بمزدلفة بين صلاتى المغرب والعشاء	واجب	سنة	سنة	سنة
المبيت بمزدلفة	واجب ويكفى لحظة بعد منتصف الليل	واجب ويكفى لحظة فى النصف الثانى من الليل	واجب ويكفى مقدار حط الرحال وصلاة المغرب والعشاء وتناول شيء من الطعام والشراب ولو قبل منتصف الليل	واجب
الوقوف عند المشعر الحرام من طلوع الفجر الى شروق الشمس	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رمى الجمرة الكبرى (جمرة العقبة يوم النحر)	واجب ولا يجوز رميها قبل الفجر ويستحب فيما بين طلوع الشمس والزوال ويكره بعد الزوال أو فى الليل	واجب ويجوز رميها قبل الفجروتستحب فيما بين طلوع الشمس الىالزوال وتكره بعد ذلك	واجب ولا يجوز رميها قبل الفجر وتستحب فيما بين طلوع الشمس والزوال وتكره بعد ذلك	واجب ولا يجوز رميها قبلالفجر وتستحب فيما بين طلوع الشمسوالزوال وتكره بعد ذلك
الحلق أو التقصير فى الحج	واجب	سنة	سنة	سنة
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	واجب	سنة	سنة	سنة
كون الحلق فى الحرم وايام النحر	واجب	سنة	سنة	سنة
طواف الافاضة	أكثره ركن	ركن	ركن	ركن
كونه فى ايام النحر	واجب	ركن	واجب فى ذىالحجة	سنة يوم العيد
تأخير طواف الافاضة عن اول رمى	سنة	سنة	واجب	سنة
رمى الحجار الثلاث فى ايام التشريق فى يومين لمن تعجل وفى ثلاثة لغيره	واجب	واجب	واجب	واجب
عدم تأخير الرمى الى الليل	سنة	سنة	واجب	سنة
المبيت بمنى ليالى ايام التشريق	سنة	واجب	واجب	واجب
طواف الوداع	واجب	واجب	مستحب	واجب

خواطر

بقلم عبد المنعم النمــر

هل يغــفر اللــه ؟

هل يغفر الله لمسلم ذليل أو يرضى عنه ، ولو صلى وصام ، وتمتم بالقرآن ؟ لا أظــن .

فالذلة لا يمكن أن تجتمع مع الايمان فى قلب واحد ، وهذا المسلم الخنوع الذليل يمزق بخنوعه وذلته وثيقة الله التى سجلها فى كتابه « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويطمس فى نفسه الوصف الذى خلعه الله عليه « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » وليس معنى الذلة والعزة هنا الا ما بينه الله فى آية اخرى : « أشداء على الكفار رحماء بينهــم » .

ما كانت مهمة المسلم فى الحياة قاصرة على أن يوفر لنفسه متاعه .. فان ذلك قد يغتفر حين يتوفر للدين سطوته ، وللوطــن عزته ، ويحصــل على متاعه من طريق شريف ، أما حين يهاض الدين ، أو يخفت صوته ، أو تجرح للوطن كرامته ، أو حين يجد ان متعته تتعارض مع الخلق الكريم فان المسلم حينئذ يجب أن ينتفض ، ويضحى بمتعته ، ويحمل ــ فى سبيل كرامته ــ روحه على كفه ، لانقاذ وجوده ، وأداء واجبه ، ولا يهدأ حتى يفرض هيبة الدين على النفوس ، ويدعم سلطانه على الوجود .

وهنا لا نجد فى حياة المسلم ــ كما أرادها الله ــ مكانا لذلة ، أو ثقبا يتسرب منه الى نفسه الخنوع ولو كان متاع الدنيا كلها .

فالله هو واهب الحياة والدين دينه ، والمسلمون حزبه وحاملو أعلامه وهدايته .

فكيف يكون حزب الله أذلاء ؟ وكيف يكون حاملو العلم جبناء ؟

ذلك وضع يتنافى مع حقيقة الاسلام فى نفس المسلم ، ومع طبيعة الايمان فيه ، واقرأ معى : « ان الذين توفاهم الملائكــة ظالمــى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنــا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين ... الآية .

ذاك هو مصير الاذلاء الخانعين لغير سلطان الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

وقفة وعبرة

قال لي : أى شىء تطرب له نفسك ؟ قلت : الوفاء ... ذلك الخلق النادر بين الناس . فاذا عثرت عليه عند احد اهتزت له نفسى وطربت . ويظهر أن ندرته تلك ليست بجديدة ، ولكنها قديمة منذ كان الانسان ، حتى حفظنا فيما حفظناه تصويرا صادقا لهذه الندرة فى قول المتنبى :

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم : ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا ؟!
بل حفظنا فى هذا ما يحذرنا من الانسان الذى نسدى اليه معروفا : « اتق شر من أحسنت اليه » .

وكثير من الناس من يقفون عند هذا يستجلون مغزاه ومرماه . ولعل معناه — فيما أفهم — أن من عادة الذى يحسن الى شخص ما أن يركن اليه ، ويأمن جانبه ، ولا ينتظر منه أو لا يظن فيه الا أنه سيحفظ الود ، ويقابل الاحسان بالاحسان ، فيترك نفسه حينئذ مكشوفا من ناحيته ، فتكون اصابته من مأمنه سهلة ونافذة . ومن هنا كان لا بد أن يحذر ويحترس .

ولعل هذا المعنى يتلاقى مع ما عبر عنه الشاعر العربى الحكيم حين قال :

احذر عدوك مـرة ... واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصد ... يـق فكان أعلم بالمضرة

ولا ننسى مع هذا قولا آخر يقرب الينا هذا المعنى : « اللهم اكفنى شر أصدقائي ، أما أعدائي فأنا كفيل بهم » . ذلك لانك دائما على حذر من عدوك ، تتخذ وسائل الاحتياط من شره وأذاه . أما الصديق فيدخل عليك من باب الصداقة الواسع ، وتقبل عليه أنت كذلك من هذا الباب ، فيتمكن من منحرك وأنت آمن جانبه ، وتصبح له فريسة سهلة ، فلا ينجيك من شره الا الله ، ومن أجل هذا كان خطر المنافقين على الافراد والجماعات ، وعلى مصالح المجتمع أشد وأنكى .

ولكن علينا أن نقف طويلا عند هذا الذى نشعر به جميعا ، ونأخذ منه عبرة لانفسنا ، وردعا لها ، فاذا كنا ننعى على غيرنا عدم الوفاء ، ويحز فى نفوسنا كثيرا ما نحسه من الجحود والنكران للمعروف ، أفلا يجدر بنا جميعا أن نتنبه لموقفنا تجاه نعم الله علينا ، ونخجل من معصيته ، وهو يغدق علينا نعمه ظاهرة وباطنة ؟! ونخشى غضبه ، ونحن ننعم بخيراته وأفضاله ، ونتمادى فى عصيانه ؟

أم نقول : « ان الله غفور رحيم » ، وننسى : « والله عزيز ذو انتقام » ؟ .

صـورة كريمـة

فى الشهر الماضى زارنا الاستاذ الكبير الاديب الخطاط المعروف سيد ابراهيم ، وكانت فرصة حدثنا فيها عن ذكرياته مع المرحومين أحمد شوقي أمير الشعراء وأحمد أبو شادى حين ألفوا جماعة « أبولو » للشعر .. وتطرق بنا الحديث الى السلوك فى الحياة وما ينبغى أن يكون عليه ، لا سيما لمن تحلوا بالعلم ، وحملوا رسالته فقال تعجبنى كثيرا هذه الابيات التى تحدث بها القاضى عبد العزيز الجرجانى عن نفسه حين قال :

يقولـون لى فيـك انقبـاض وانمـا ... رأوا رجـلا عن موقف الـذل أحجمـا
أرى النـاس مـن داناهـم هان عندهم ... ومن أكرمتـه عـزة النفس أكْرِمـا
ولم أقـض حـق العلم ان كـان كلمـا ... بـدا طمـع صيرتـه لـى سلمـا
ومـا كـل بـرق لاح لـى يستفزنـى ... ولا كـل مـن لا قيتـه أرضاه منعمـا
اذا قيـل هـذا منهـل قلت : قـد أرى ... ولكـن نفس الحـر تحتمـل الظمـا
أنهنههـا عـن بعـض ما لا يشينهـا ... مخافـة اقـوال العـدا : فيم أو لمـا ؟
ولم أبتـذل فى خدمـة العـلم مهجتى ... لاخـدم من لاقيت لكـن لأُخْدَمـا
أأشقـى بـه غرسـا وأجنيـه ذلـة ... اذا فاتباع الجهـل قـد كان أحزمـا
ولو أن أهـل العـلم صانـوه صانهـم ... ولـو عظمـوه فى النفـوس لعظمـا
ولكـن أهانـوه فهـان ودنسـوا ... محيـاه بالاطمـاع حـتى تجهمـا

صورة كريمة ورائعة لرجل العلم الذى يعرف لنفسه ولرسالته قدرها ، أليس كذلك ؟ .

العارف بالله أبو

طريقتنا المداومة على الذكر، وترك الغيبة وسوء الظن بعباد الله، فمن واظب

« الوعى الاسلامى » ترحب بالقاء الأضواء العلمية الموثوق بها عن أبى العباس وأمثاله ممن يشغلون فى قلوب الناس مكانة دينية أحاطوها ـ مع الأسف ـ بكثير من الخرافات والبدع التي يبرأ منها الدين، كما يبرأ منها هؤلاء الأعلام، فمن كان يحبهم أو يتمسح بسيرتهم فعليه أن يسلك مسلكهم فى التقوى والصلاح، والعمل لخيرى الدنيا والآخرة .. وان الدين ليبرأ من كل متمسح بقبورهم، متسكع حولها، طالب « المدد » منهم .

واذا كانت الاحتفالات تقام فى ذكرى ميلاد هؤلاء الصالحين فان من الواجب ـ دينا وعقلا ـ أن تكون هذه الاحتفالات متناسقة مع الذكرى الطيبة لهم، وأن تكون فرصة لتوعية الناس توعية دينية تنأى بهم عن البدع والخرافات، وتعطيهم القدوة الطيبة من حياة الذين يحتفل بهم . فى الوقت الذى يجب أن تمتد فيه يد السلطات للقضاء على كل انحراف عن تعاليم الدين القويم فى هذه « الموالد » .

تراثنا الاسلامي، لا تزال بعض الأوشاب عالقة به الى يومنا هذا، تخفي بريق جوهره الأصيل وتتيح الفرصة للحاقدين بالنقد والقدح، اشباعا لأحقاد دفينة ورثوها جهالة وضلالة، وما أجدرنا اليوم بالعمل على رد كيدهم الى نحورهم، بكشف الحقائق للناس سواء الأعداء والأصدقاء، لا لشيء الا لتكون الحقيقة بيضاء من غير سوء.

ولقد أصيب تاريخنا الاسلامي فى فجره الأول بخصوم ألداء كعبد الله بن سبأ وغيره ممن دخلوا الاسلام، لا حبا فيه، ولكن للنيل منه، فكانت هذه الاسرائيليات التي أدخلوها فى الدين، وما هى من الدين فى شيء.

كذلك أصيب تاريخنا الاسلامي بانشقاق داخلي بين مفكرى الاسلام أنفسهم، فمنهم من انحاز الى التفقه فى علوم الشريعة لاستنباط الأحكام، ومنهم من انصرف الى صقل النفس وتخليتها من مطالب الدنيا، وتحليتها بمكارم الأخلاق، وعرف الأولون بأهل العلم الظاهر، وسمى الآخرون بأهل التصوف أو العلم الباطن.

أبو العباس المرسي

للاستاذ محمد محمود زيتون
مدير الصحافة والشئون الثقافية بالاسكندرية

على ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب . (أبو العباس المرسي)

وعلق بالمتصوفة ــ خلال العصور المترامية ــ كثير من الغبار الذى أثاره خصومهم ، وجرت فتن عارمية ، راح ضحيتها الغلاة ، ولم يسلم منها المعتدلون منهم ، وقد آثروا انتهاج السنة المحمدية فى شعارها المعروف « خير الأمور الوسط » و « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

والامام أبو العباس المرسى ــ دفين الاسكندرية ــ نموذج طيب لأهل الاعتدال فى أخذه الدين الحنيف ثقافة وعبادة ، وفى الوقت نفسه مصدرا للتوعية والتهذيب ، فقد ولد سنة ٦١٦ للهجرة بمرسية الأندلسية من أب ينتمى الى أعرق الأسر العربية النازحة الى الأندلس قبل القرن السابع الهجرى بقرنين على الأقل ، فهو من ولد سعد بن عبادة زعيم الخزرج أنصار رسول الله بالمدينة المنورة ، وعرفوا فى مختلف مدن الأندلس بالعلم والرياسة . ونشأ نشأة دينية خالصة ، وغرق والداه وهما فى الطريق الى الحج ، أما هو فقد نجا من الغرق ، حيث نزل بساحل (بونة) من تونس ، وكان قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره ، فآثر البقاء بها ، حيث لم ترقه العودة الى ديار فقد فيها هو وأخوه الأكبر أعز مخلوقين عليهما . ولم تطل اقامة أبى العباس بتونس ، حتى التقى بالشيخ المبارك أبى الحسن الشاذلى . وداوم على اللقاء به ، فأحبه وآثره ، وصار من أتباعه ، فتفتق ذهن الشاب الصالح ، على هدى شيخه ، ورحل معه الى الاسكندرية سنة ٦٤٠ هـ وكان له بها مكان عظيم ، ولا سيما بعد وفاة أبى الحسن سنة ٦٥٦ والاذن لأبى العباس بالدرس ، وظل على ذلك نحو ثلاثة وأربعين عاما حتى توفاه الله فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٦٨٦ هـ ودفن بها حيث مسجده القائم الآن .

كانت حصيلة المعرفة الدينية لدى أبى العباس موفورة من فقه وتفسير وحديث وكلام ولغة وأدب ؛ قرأ للأوائل والأواخر من أفاضل علماء الاسلام ، واستمر يقرأ ويدرس ، ويقر لهم بالسبق فيما كتبوه ، كما أنه اطلع على كتابات الغزالى والجنيد والحلاج وابن أدهم والمكى وغيرهم . فأدرك من التصوف حظا لا يقل عن حظه من علوم الفقه ، ان لم يزد بكثير .

ونود هنا أن نلقى الأضواء على الجانب التصوفى فى تراث أبى العباس المرسى ، والتعرف على مدى التوفيق الذى أحرزه فى هذا المجال ، وكيف استطاع هذا العارف بالله ــ بايجابيته فى الدعوة ــ أن

يطوع الدين لخدمة الحياة واصلاح المجتمع .

ان من حق الامام أبى العباس علينا أن نعترف مقدما بأنه خليفة شيخه أبى الحسن الشاذلى ، ووارث طريقته ، والعامل الأول على توسيع نطاقها فى الأوساط المختلفة ، وما كان ذلك ليحدث لولا عدة عوامل رئيسية منها . الاعتدال فى طلب العلم ونشره ، والاعتدال فى العبادة والدعوة والاتزان والحيطة فى العلاقات مع أصحاب الطرق الصوفية الأخرى أو العلماء والفقهاء ، وعدم التهوين من شأن السلف ، وقوام هذا كله الصدور فى كل شيء عن الكتاب والسنة ، نصا وروحا ، فهما وذوقا ، علما وعملا .

واذا كان أبو الحسن لم يترك كتابا يشتمل على آرائه ، فقد سئل فى ذلك فقال : « كتبى أصحابى » وهكذا فعل تلميذه أبو العباس ، وهو القائل .

« جميع ما فى كتب القوم عبرات من سواحل بحر التحقيق » .

ويؤكد هذا المعنى تلميذه ومؤلف سيرته ابن عطاء الله السكندرى ، اذ يفسر عدم تأليف كل منهما للكتب بقوله « والسبب فى ذلك أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق ، وهى لا تحتملها عقول عموم الخلق » .

نحن اذن ازاء علوم لا تناسب عقول العامة ، تسمى علوم التحقيق ، أو هى علوم الباطن أو علوم الحقيقة . التي يهبها الله من يشاء من أوليائه ، وليس يعنى هذا أن أبا العباس ترك طلب العلم أو توقف عنه ، أو حض على التهوين من شأنه ، بل العكس هو الصحيح ، ذلك أنه كان يمسك بزمام المعرفة بالحكمة والاتزان ، مصداق ذلك أنه دعا لأحد تلاميذه أن يكون التوفيق حليفه فى الافتاء فى المذهبين معا ، وهما مذهب أهل الشريعة أو العلم الظاهر ، ومذهب أهل الحقيقة أو العلم الباطن ، كما أنه يعطينا من مصطلحاته الخاصة تعريفا جديدا للفقيه فيقول : « الفقيه من انفقأ الحجاب عن عينى قلبه » ، وكانوا يقولون : « ما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلس أبى العباس » .

كان أبو العباس عارفا بالله ، تقيا ورعا ، وكان من كبار الأولياء الذين بلغوا الدرجات العليا فى الولاية ، وكان « حجة الصوفية وعلم أهل الخصوصية » كما يقول ابن عطاء الله (١) ، وقال عنه شكيب أرسلان وقد زار ضريحه بالاسكندرية سنة ١٣٠٨ من الهجرة .

« ومن مفاخر مرسية ، ومفاخر الأندلس بأجمعه السيد العارف الشهير أبو العباس المرسى دفين الاسكندرية ، وهو من أكابر الأولياء (٢) » .

ولعل الشكوك قد ساورت بعض تلاميذ أبى العباس فيما يروى عنه من مكاشفات استغربها الشيخ مكين الدين الأسمر ، كلما كان يتحدث ابن عطاء الله عن كراماته تلك ، فلما ثبتت لديه ثبوتا قاطعا قال فى اقرار وتسليم .

« لك الحق ، ما عرفنا الشيخ أبا العباس » .

لقد كان أبو العباس زاهدا عابدا ورعا تقيا ، يتحرز أشد التحرز فقضى عمره كله ــ سبعين سنة ــ لم يدخل جوفه

(١) لطائف المنن (٢) الحلل السندسية ج ٣

حرام قط ، ولم يحرم نفسه من الطيبات التي أخرج الله لعباده ، ولم ينقطع الانقطاع المعروف للعبادة ، بل كان يمنع تلاميذه وأصحابه من التجرد ، ويحول بينهم وبين ترك أسباب الرزق ، لأن العمل جهاد فى سبيل الله ، والجهاد عين العبادة ، ومشاركة ايجابية فى المجتمع ، والاسلام برىء من السلبية والانعزالية بشتى صورها .

شغل الناس بأبى العباس ، وتوقف العلماء عن الاجابة على الأسئلة التي توجه اليهم ، حتى لقد قالوا انه يتكلم « بالعلم الغريب » على حد قول صاحبه أبى الحسن البجائي ، واذا كان بعضهم قد أصابه ببعض الأذى ، فما كان ذلك ليحجب الحق عن أقلام المنصفين ، اذ يقول ابن عطاء الله انه صحبه اثنى عشر عاما ، فما سمع منه شيئا ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الأذى » .

لقد كان المرسى عارفا بأبعاد المعرفة الدينية كاملة ، ولا سيما التفسير والحديث حتى كان السامع له يقول انه لا يحسن غير هذا العلم ، فاذا به كالبحر الزاخر ، فى كل ما يقول .

لقد التزم أبو العباس مع ربه حد الأدب ، فاتبع السنة المحمدية الرشيدة ، ولم يلبس المرقعة للدلالة بالزى الخارجى على ورع وزهد ، بل كان يكره ذلك أشد الكره ، ويلبس النظيف من الثياب ، ويأكل الشهى من الطعام من لحم وعسل وحلوى ، وليس الورع عنده — وهو مطلوب — كل شيء ، وانما العرفان بالله فوق الورع ، يقول أبو العباس .

« العارف وسعته المعرفة ، والورع ضيق عليه الورع » .

كان عالي الهمة ، لا يقف بباب الحاكم ليطلب حاجة لنفسه أو لغيره ، وان كانوا يزورونه فيكرمهم ويبش فى وجوههم ، فى حدود الآداب الاجتماعية ، وبلا تنطع أو تزمت وكان يقول : « والله ما رأيت العز الا فى رفع الهمة عن الخلق » .
ويقول أيضا : « للناس أسباب ، وسببنا نحن الايمان والتقوى » .

ويحدد أبو العباس اطار طريقته فى كلمات بليغة فيقول : « طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة ، بل واحد عن واحد الى الحسن بن علي بن أبى طالب » ويرمز بذلك الى مصدر « الفتوة فى الاسلام » التي تقوم بدورها على « هدى النبوة » من لدن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسالات السماوية .

وللتوحيد فى مذهب أبى العباس مكانة بارزة ، فهو أولا من المتمذهبين بمذهب مالك ، والمعتقدين بالأشاعرة ، والدعاة الى السلوك على نهج الغزالى ، وجمع بين التعلق بذكر الله ، والتخلق بأسمائه الحسنى ، يقول « جميع أسماء الله للتخلق ، الا اسمه (الله) فانه للتعلق » .

ويربط أبو العباس بين التوحيد وبين المنفعة الدنيوية والأخروية ، على نحو فريد قلما فطن اليه الفلاسفة وعلماء الأخلاق النظرية ، ويقول : « أفرد الله بفردك ، ووحد الله يوحدك ، والزم فرد بابه تفتح لك الأبواب ، واخضع لربك وحده ، تخضع لك الرقاب ، وعليك بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، تكف أمر الدنيا والآخرة » .

أما مكاشفات أبى العباس فقد تجلت منذ صباه ، حتى توفاه الله ، وفيما يلي هذه الواقعة التي رواها عنه تلميذه وصفيه ابن عطاء الله ، قال الشيخ أبو العباس :

« كنت مع الشيخ أبي الحسن (الشاذلى) بالقيروان ، وكان شهر رمضان ، وكانت ليلة جمعة وكانت ليلة سبعة وعشرين ، فذهب الشيخ الى الجامع ، وذهبت معه ، فلما دخل الجامع وأحرم ، رأيت الأولياء يتساقطون عليه ، كما يتساقط الذباب على العسل ، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع ، قال الشيخ : ما كانت البارحة الا ليلة عظيمة ، وكانت ليلة القدر ، ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يا على (الشاذلى) ، طهر ثيابك من الدنس ، تحظ بمدد الله فى كل نفس . قلت : يا رسول الله ، وما ثيابى ؟ قال : اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع . خلعة المحبة . وخلعة المعرفة ، وخلعةالتوحيد ، وخلعة الايمان ، فمن أحب الله هان عليه كل شيء ، ومن عرف الله صغر لديه كل شيء ، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ، ومن آمن بالله أمن من كل شيء ، ومن أسلم لله قلما يعصيه ، وان عصاه اعتذر اليه ، وان اعتذر اليه قبل عذره ، ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل « وثيابك فطهر » .

وشهد له شيخه بهذه الدرجة الرفيعة من العبادةوالثقافة اذ قال « يا أبا العباس فيك ما فى الأولياء ، وليس فى الأولياء ما فيك » ، ذلك أن نور الحقيقة كان على الدوام يتجلى لبصيرته ، فما كان يخطر بباله سؤال ، ويغفل لحظة فى ظل منار الاسكندرية ، حتى يرى الجواب من عند الله وهو نائم ، واذا تكلم فى الناس ، كان كالمأذون له بالكلام من الله .

وكان لأبى العباس أدعيته وأذكاره وأحزابه كما كان لشيخه مثلها من قبل ، تنم كلها عن قوة اليقين بالله ، وشدة التعلق به ، وصفاء سريرته ، ونقاء ضميره ، وما كانت مداومته على الذكر لتحول بينه وبين الاندماج فى الناس لدفع الشرور والأباطيل ، وجلب الخيرات واحقاق الحق واقامة العدل ، ومن هنا كان السر فى قوة تأثيره فى الناس اذ يقول : « والله ما بيني وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة ، وقد أغنيته » (أى بالنظرة عن الكلام) .

وذاع صيت أبيالعباسفيالاسكندرية، وامتد الى القاهرة بالمدارس والمجالس ، حتى قوص من أقصى الصعيد ، وقصده من بلاد العجم من أطلع الله عليه عباده الصالحين ، فصحبوه ولزموه وأجله العلماء والمتكلمون والأمراء والسلاطين ، وتاقوا لرؤيته ، فكان يتحرج من لقائهم أحيانا ، حياء وخجلا وتواضعا لله ، وحسبه ــ كما يقول ابن عطاء الله ــ أنه هو « الذى بث علوم الشيخ أبى الحسن ونشر أنوارها ، وأبدى أسرارها ، وسار الناس اليه من أقاصي البلاد ، وأقبلوا مسرعين اليه من كل ناد ، فنشأت على يديه الرجال ، وبصرها وأظهرها بالمقال والفعال ، حتى انتشرت فى الآفاق الأصحاب ، وأصحاب الأصحاب ، وظهرت علوم الشيخ فى مظهرى لسان وكتاب » .

هذه عجالة عن الجانب الروحى فى حياة أبى العباس المرسى ، نعرضها كنموذج للحياة الصوفية النقية النابعة من أصولها الاسلامية ، والمتكاملة فى أبعادها وأهدافها ، المشروعة ، فى مختلف اتجاهاتها العلمية والخلقية والعملية ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

الإسلام وحده يعالج مشكلات البشرية

ولكن هل ينهض به أتباعه؟

للأستاذ احمد العناني ـ الأردن

تكلمت فى مقال سابق عن مناعة الفرد المسلم فى ذاته ، بما يقوم بينه وبين خالقه جل وعلا من علاقة مباشرة يكون الله فيها الرقيب الرحيم، ويكون الفرد مطلق الحركة والابداع فى حدود ما أنزل الله من أجل دعم الفرد فى كفاحه وشد أزره ، واليوم فى هذا المقال أحاول ـ فى ظل الاسلام ـ الكشف عن عناصر الوضع الجماعي للفرد فى علاقته مع الأفراد الآخرين حيث تلاحظ المبادىء الهامة التالية :

أولا : ـ يتمتع الفرد المسلم بكافة حقوق العمل والكسب ما لم يضار الآخرين غاشا لهم أو محتكرا لمال الله عنده ، أو متخطيا مدى الربح التجارى المحدد ، أو مكتسبا من حرام كائنا ما كان مصدره غير المشروع كالسرقة والرشوة واستغلال القاصرين ، أو أنواع الاحتراف الحرام الذى تضار به أخلاق الناس ، أولا ينجم عن انتاج يزيد فى مال الأمة أو اعداد أفرادها للتمكن من الصيرورة منتجين أفضل ، وكذلك يحق للفرد المسلم أن يمارس حرية الانفاق ما لم يكن ذلك فى ترف أو تبذير (لأن ضررهما عائد على المجتمع) أو فى أمر يخالف خلق الاسلام .

ثانيا : ـ يجب على الفرد العمل ، كما يحق له تملك ما يستطيع من المال ، يستغله بغير وسائل الربا ودون السماح بتكديسه أو حبسه عن العمل ، مما يفوت فرص الحياة على الآخرين ، وفى استغلاله لماله لا يعتبر الربح مشروعا اذا قام على المخالفة عن روح النزاهة والرأفة بالعمال والعزوف عن أشكال الانتفاع غير المشروع بجهادهم .

ثالثا : ـ يكون الفرد وماله فى خدمة الأمة وجهادها فى ساعات الروع والجدب والطوارىء الملزمة ، وبالنسبة التى تستلزمها الطوارىء .

رابعا : ـ فى نطاق الحياة الاجتماعية يعتبر الأفراد المسلمون جميعا متساوين سواسية كأسنان المشط يتراحمون ويتوادون دون أى جنوح من الموهوبين

والأقوياء للزراية بغيرهم ، أو التكبر عليهم ، أو الاستهزاء بهم . والمساواة المعنوية المطلقة والامتياز للكفاية على أساس التقوى والعمل ، لا على أساس القدرة المادية أو الاحساب كائنة ما كانت ، وهذه المساواة مضمونةبالضوابط المحكمة ، وهي هيمنة الشريعة فوق جميع الناس ، وارتفاعها فوق هامات الحكام ، واستحالة فقدان التوازن المادى بين الأفراد ، بسبب نوعية المشروعية فى التملك والانفاق ، وكذلك بالروح العامة التي يوجدها التطبيق الاسلامي فى مختلف نشاطات الحياة .

مجتمع أمثل

وهكذا نلاحظ ما يلي : ـ

أ ـ ان الاسلام يعول على قيام الانتاجية المثلى فى الاقتصاد ، مع مراعاة الفروق فى الكفاءات ، بما يتيح مجرد الحرية الاقتصادية الايجابية التي تخدم الانتاج ، ولا تعطل ذرة من جهده الممكن .

ب ـ ان حيلولة الاسلام دون نشوء طبقة من العاطلين عن العمل ، او سفهاء المترفين ، وكذلك حيلولته دون السخرة والغبن والغش والربا والاحتكار ،وتعطيل عمل المال والأرض ، فى الوقت الذى يحتم كفالة الدولة للعاجزين والمحاويج يهيىء مع الروح العامة التي يجريها فى المجتمع ، ومع العدل الذى يجعله عبادة ، ومع علم الرجل والمرأة الذى يجعله فرضا ، ومع الزكاة التي تلاقي الدولة فيها تأييد الفرد الذى يعبد ربه بها ، ومع التحفظات وهيمنة الدولة فى أوقات الجهاد والعسر والبأساء ومع قدسية الطاعة للحاكم وهو فى خدمة الشريعة ، أقول انه يهيىء بذلك كله المجتمع الأمثل الذى تحلم به البشرية .

صور من الفساد

لقد كانت البشرية دائما تترنح تحت مصائب واحدة من حالين ، فاما دولة متعسفة متحكمة تعنف بأفراد المجتمع ، بحجة ضمان الخبز وصيانة السلام ، واما دولة ترخي قبضتها ،وتساير رغبات جماهيرها ، فتصبح مباءة للفوضى والاستغلال والتناقضات الرهيبة التي تؤدى الى تدهور الانسانية من مكانة السمو الى بهيمية الشهوات ، وسيطرة الظلم .

فى الماضي

ولست مستشهدا بالواقع الراهن فحسب ، ولكنني سأروى قصة مجملة عن ملامح المجتمعات الغابرة ، فى الماضي ففي أثينا التي بلغت قمة الوعي السياسي القديم عند الغربيين ، بما جعلها مصدر الهام واعتزاز لهم حتى اليوم . كان هناك عدد محصور من العائلات ، يطفو على بحر من دموع العبيد من اصحاب الأرض التي فتحها اليونان الظافرون ، وعلى دماء اولئك العبيد . وكانت حقوق التصويت وقفا على ما يبلغ العشرة آلاف انسان ، بينما يقف ثمانية أضعافهم من الرقيق المسمين بـ (الهلوتس) موقف الأيتام على موائد اللئام ..

وحتى الأقلية الظافرة فى عهد بركليس نفسه لم تكن سواء فى الحقوق والواجبات، وحسبك أن تعلم أن نفس الجريمة كان يحكم فيها باحكام مختلفة ، وفق سجل الغلة السنوية للأرض . فمن كان له خمسمئة كيل فى العام من أرض يحكم عليه بكذا . ومن كان له اقل من ذلك يحكم بكيت هبوطا وصعودا على قدر الثروة او الفقر !! .

وأما روما فلم تشهد أمة فى الأرض ما شهدته امة العوام فى ايطاليا وحوض البحر المتوسط من احتقار كان ينتهي بالثورات المتلاحقة ، وحسبك ان مجلس الشيوخ والوظائف والامتيازات كانت

وقفا على ابناء العائلات المحدودة التي تؤلف مجلس الشيوخ ، وكانت حقوق المواطنين مقسومة الى درجات وسلالم ، تجعل اقدار الناس موقوفة عند درجات لا تتعداها ، كأنها القدر المقدور ، وذلك حسب اعتبارات من العنصرية والتمييز والانانية وقصر النظر .. ولا حاجة الى الحديث عن الاكاسرة الذين كان يسجد لهم ، ويعم فى الأرض طغيانهم .

والحاضر

فأما فى عصرنا الراهن فالانموذجان المتناحران : احدهما من انصار قيام جهاز جبار للدولة يسحق كل ارادات الأفراد تحت جبروته ، ويتخذ الكفر بالله والقسوة بعباده ذرائعه لتأمين الانتاج ، وتوفير الخبز والتخلص من شوائب الاستغلال والفوضى والانحلال .

وأما ثانيهما فقد شاد حياته كلها على النفاق من الفها الى يائها . فهناك حرية مطلقة ، ومساواة لا متناهية ، ولكن وجودها فى الكتب والتماثيل فاذا بحثت عنها فى الواقع وجدتها مظهرا كرتونيا مفرغا من كل معنى .. بل هناك حرية الصهاينة فى تحريف الكلم والامساك بأزمة الصحف ، وخناق المجلات والأفلام ، وأشكال الدعاية العامة ، وحريتهم فى التخفى وراء شركاتهم فى الاستغلال والاستغفال ، وتجدهم احرارا فى التذرع بكل صنوف النذالة ، لافساد ضمائر الأفراد والمتاجرة بها ، وفى التلاعب بالعلاقات الدولية ، واذكاء نار الحرب وغير الحرب وفق مخططات المنظمات الصهيونية الخفية ، وأساليبها فى تكديس الأموال ، وتفريق قلوب البشر ، والتلاعب بعقائدهم وشرف انسانيتهم .

الاسلام يتحدى

ان الاسلام ينادى بأعلى صوته هل غيرى أبطل الطائفية ابطالا مطلقا فى المجتمعات البشرية ؟ هل غيرى حافظ على الاقليات حرة العقائد موفورة الكرامة متساوية مع الأكثرية فى واجباتها نحو الدولة وحقوقها منها ؟ .

ان الاسلام يتحدى بأبلغ عبارات الحق هل غيره أبطل مختلف اشكال التفرقة بين الناس على أسس الاجناس والألوان والاقاليم ؟ .

ان الاسلام يتحدى بكل صراحة وحق وقوة هل غيره اباح البحوث الفكرية والعلمية ــ الا فيما يتعلق بالتشكيك فى اله واحد له المثل الاعلى ، هل غيره حتى هذا العصر جعل العلم فريضة،ومحاسبة الحاكم الظالم شريعة وأعظم جهاد ؟ .

ان الاسلام يتحدى العالم هل غيره جعل الحرب الدفاعية مقتصرة على ميدان المعركة لا يضاربها وليد ولا امرأة ولا شيخ ولا موادع ولا شجرة ؟ .

ان الاسلام يتحدى العالم هل غيره جعل الأمة اسرة متراحمة ، وحل عقد الظلم والاستغلال والاستغفال وحرر الانسان من عبوديات الشهوات ودواعي الانحلال ؟ .

ان الاسلام يتحدى الحياة ان كان غير حضارته هي التي نقلت العلم من هلوسة الأوهام ودجل المنجمين وسفسطات اليونان الى حقائق تطبيقية تجريبية ومختبرية ، ليكون علما نافعا يخدم السلام والتقدم فى الأرض .

ويحل المشاكل

ان عقدة العقد فى الميدان الدولي فيما يتعلق بمشكلات نزع السلاح ، وتحريم الانفجارات الذرية هي فقدان الثقة بين المعسكرات القوية ، ولكن الاسلام الذى يجعل الحفاظ على العهود والوفاء بالعقود جزءا مقدسا من عبادته يستطيع حل هذه العقدة .

وعقدة عقد الحرية وهي الفوضى التي تسفر عن الاستغلال مكفول زوالها فى الاسلام ، وهيمنة البشر على رقاب العباد باسم الدولة مكفول زوالها فى ظل الاسلام ...

ولكن

لكن المسلمين يعانون أزمة الثقة بأنفسهم ..

وهي أزمة أسفرت عنها كوارث التفرقة التي جرت عليهم الهزيمة والفقر والضياع . وحينما يتفرق المسلمون شيعا فان القانون الذى يتحدث عنه الاسلام ، والحكم الذى يقضي به هو الضياع والفقر والذل ..

ان سر الاسلام هو ضمان الوحدة بين مادة الحياة وروحها ، والوحدة بين الفرد ونفسه ، والفرد وأسرته والفرد وعالم المسلمين ثم بين هذا العالم وكل العوالم التي سواه ، هذه الوحدة تقوم بقيام توازن معين داخل الاسلام توفره الشريعة ونظمها فى العبادة والمعاملة والاقتصاد والاجتماع .

ولما كانت العروبة والاسلام شيئا واحدا فى الأصل ، ولما كانت نهضة الأمة العربية تعني بالبداهة قدراتها المتجددة على نشر الوية الثقافة التي يقف القرآن العربي اللسان فى صميم محورها .

ولما كانت الفروق السخيفة والعنعنات العرقية ، والمجادلات السقيمة التى أودت بالمسلمين وأورثتهم الذل قد أكل عليها الدهر وشرب حتى تهرأت مع عصور الضعف الغابرة ، بحيث أصبح لا مناص من العودة الى منابع الحياة الاسلامية وهي القرآن والسنة والقياس والاجتهاد المرتقب قيامه .

ولما كانت عبقرية الاسلام قادرة على شمول محتويات العزة والتقدم والانتاج الغزير ، والأخذ بأسباب القوة فى مختلف مجالاتها ، ونسف قواعد الاستغلال والاستغفال فان نهضة الأمة العربية اصبحت تعنى بالضرورة الحتمية نهضة الاسلام من جديد ليؤدى رسالته الخالدة فى انقاذ البشرية الضائعة وهي على شفا الهاوية .

وليس يروع المسلمين الصادقين الواعين ــ على قلتهم النسبية التي سوف تستحيل باذن الله الى كثرة كاثرة ــ كل هذا الزبد والرشاش الذى يتساقط علينا من نجاسات الأمم المتفوقة علينا مؤقتا فى ميادين القوى المادية .

لقد بقي القرآن ولله الحمد سليما خاليا من التحوير والتحريف ، كما استطاعت المقومات الاساسية للعقيدة الاسلامية ان تخرج سليمة من كل ما سلط عليها من حقد وعداء وحروب ظاهرة وخفية .

وحينما نأخذ بأسباب القوة المادية والعلوم التطبيقية من كل مكان نستطيعه تحت الشمس ثم نضع ذلك فى اطار وجهة النظر الإسلامية عن الحياة وسبل تحقيق السعادة فيها .

فان العالم الظمآن بحتمية أوضاعه الراهنة لن يجد غير معين الاسلام منهلا للسلام والتآخي النابعين من أعماق النوايا الحسنة .

أما ان تكون هناك ظواهر مثبطة كثيرة ومحزنة .

وأما ان يكون الطريق طويلا وشاقا .

وأما أن يكون واقع المسلمين ما يزال مؤلما متعثرا .

فان هذه الأمور كلها لا تحكم النتائج الأخيرة للمعركة الدائرة بأقصى حدتها فى الحياة ، لأن الحق غالب حين يتقيض له الأنصار الخلص كائنا ما كان عدوهم أو ظروفهم ..

ولقد يرونه بعيدا ونراه بنور الله قريبا .

ذلك الزمان الذى تسعد الارض فيه بانتصار الاسلام المحتوم بقدرة الله .

الحاكم في الإسلام

قائد للمسلمين في دينهم ودنياهم

للشيخ ابراهيم علي أبو الخشب
الاستاذ بجامعة الازهر

الحاكم فى الاسلام هو الراعى المعنى بقول النبى صلى الله عليه وسلم والامام راع «ومسئول عن رعيته» وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين حاكما وقاضيا ومفتيا واماما وهاديا ومرشدا وأستاذا معلما فى الوقت الذى كان يعلن فيه كلمة السماء، ونداء الوحى، وصوت القرآن ، ولم يكن من جماعة الملوك ، وذوى السلطان، وأرباب الجاه ، أو الثروة والمال ، واليسار والغنى ، أو ما شئت مما يجعله الناس من المرشحات لمن تحدثه نفسه بالتسلط والنفوذ ، والرياسة والحكم ، والقيادة والسيادة .

وقد تحدث علماء الفقه الاسلامى أحاديث متناثرة عن القاضى وما لابد فيه من العلم والفهم ، والرأى والاجتهاد ، والبصر والذوق ، والعدل والانصاف والورع والتقوى ، والزهد والعفة ، والاناة والحلم ، والعفو والتسامح ، والفطانة والذكاء ، والالمعية والفقه .. كما تحدثوا كذلك عمن يلون الوظائف العامة فى الدولة من جباية الخراج .

وجمع أموال الصدقات ، وولاية الثغور ، وقيادة الجيوش، وغير ذلك وذلك ، ولم يخرجوا فى حديثهم عنهم ، ووصفهم لهم، وشروطهم فيهم ، عن الكفاية التامة فى العلم والرأى، والورع والزهد،والانصاف والعدل ، والدين والخلق ، والادب والحلم ، واليقظة والبصر ، والسياسة والحزم ، والكياسة والرشد .

والخليفة

كما تحدث الماوردى من علماء الشافعية عن خليفة المسلمين حديثا مستفيضا انتهى فيه الى أنه يجب أن يكون فى القمة العالية من العلم والحلم ، والزهد والورع ، والخشية والخوف ، والفقه والمعرفة ، والحدب على الرعية ، والسهر على مصالح المسلمين ، والاشتغال بشئونهم ، والتفكير — دائما أبدا — فى النهوض بمستواهم ، والدفاع عن حوزتهم ،واعلاء رايتهم ، والتمكين لدولتهم ، والعمل على أن يبسط الاسلام أجنحته فى الارض، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وتحدث — أيضا — ابن طباطبا الطقطقى فى كتابه « الفخرى » عن الملوك وما يجب أن يتوفر فيهم من الاداب والطباع ، والاخلاق والسلوك ، ولم يخرج عن حديث الفقهاء عن القاضى والخليفة ، وما شاكل ذلك من أصحاب الجاه والنفوذ فى الدولة انتهى منه الى قوله « ولو نظر أصحاب الآراء والمذاهب حق النظر وتركوا الهوى لكانت هذه الشرائط هي المعتبرة فى استحقاق الامامة . . وما عداها فغير طائل » . .

القاعدة

والحقيقة التى لا محيد عنها أن المسلمين رسموا لانفسهم الصورة الواضحة للحاكم من قول الله جل جلاله « الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وهي على ما بها من اجمال تطوى كل فضيلة ، وتحوى كل جليلة ، وترشد الى كل خير ، وتوجه الى كل عدل وانصاف ، ونهوض وعمران، ورقى وتقدم ، واصلاح ونفع .

وتفصيلها الواضح، أو شرحها الوافي، يتلمسه الناس في رسالة الحسن البصرى لعمر بن عبد العزيز — رضى الله عنهما — وقد سأله أن يصف له الامام العادل، ثم قبل ذلك وذلك فى تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وقيامه على أمر المسلمين، وقيادته لهم ، وتحمله لتلك المسئولية العظمى التي كلفه الله بها ، واخذ ابى بكر الراية بعده هو وعمر وبقية الخلفاء الراشدين ، وهو تاريخ لم يترك مجالا لنقص، ولا موضعا لنقد ، ولا مكانا يبحث فيه الباحثون عن شرط تائه ، أو وصف مفقود ، بل كانت هذه كلها بمثابة السوابق التي يقدمها علماء القانون على الدستور المدون ، والفقه المتوارث،ونحن لا نجهل ما الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاهتمام — كل الاهتمام — بشأن المسلمين، ودأبه المضني لحثهم على الخير ، ودفعهم الى الأمام ، وتكوينه منهم الجماعة القوية التي هزت الدنيا ، وزلزلت الأرض ، ولفتت أنظار الزمن .

كما لا نجهل ، ما الذى كان عليه ابو بكر رضى الله عنه من قضائه على فتنة الردة ، واقراره للأمن ، ورفعه لراية

الاسلام ، وتمكينه لسلطان العدل بين الناس ، كما لا نجهل أن عمر مع كفايته وفضله ، وصرامته وحزمه ، وصلابته وبأسه ، ومهابته واقتداره ، واحترام المسلمين له ، وحبهم اياه ، واعتزازهم به، لم ينازع أبا بكر الخلافة ، ولم يزاحمه عليها ، أو يحاربه من أجلها ، ولكنه كان تحت رايته، يعاونه وينصره، ويذود عنه ويشد أزره ، وكان كلما أشار على أبى بكر برأى فشرح الله صدره به ، أو أثلج فؤاده له ، أو أطمأن قلبه اليه ، قال له أبو بكر « لقد كنت أولى بها منى يا عمر » فلم يأخذه الزهو ، أو يثن عطفه الكبر ، أو يتسرب الى روحه معنى من الخيلاء ، أو يستغل نفوذه عنده ــ كما يفعل بطانة الوزير أو الامير ، وظل كالجندى المجهول لا يعلن عن مكانته ، ولا يتاجر بكفايته . .

كيف يولى الحاكم

أما كيف يظفر الحاكم فى الاسلام بكرسي الحكم ، أو يثب الى مكان الرياسة فى الشعب أو الأمة ، وهل يكون ذلك بالانتخاب أو ولاية العهد ــ مثلا ــ فان ما بأيدينا من مصادر ، وما برؤوسنا من علم ، وما بتاريخنا من حوادث ، وما فى ماضينا من عظات وعبر ، تدل على أنه كان بالانتخاب تارة ، وكان بولاية العهد أخرى ، وكان بالقسر والغلبة فى بعض الأحايين ، وكان كل حال من هذه مناسبة لتلك الظروف التي لابست وجودها ، وصاحبت مجيئها ، فأبو بكر رضى الله عنه كان بالشورى والانتخاب ، وعثمان رضى الله عنه كان بالانتخاب ، وكلا الانتخابين يخالف الآخر . . اذ أن انتخاب الخليفة الأول كان من سواد العامة والدهماء ، وانتخاب عثمان كان من طبقة الخواص والسادة ، وهم النفر الذين عينهم عمر بن الخطاب لمن جاءه يسأله أن يجعل الولاية لابنه عبد الله ــ كما جعل أبو بكر ولاية العهد له من قبل ، فأبى عليه ذلك قائلا بحسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحدا منهم عن هذه الأمة ، ثم قال له ولكنى أدلك على نفر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، ليختار المسلمون الخليفة منهم ، وكان فيهم عثمان الذى انتهت اليه الخلافة فيما بعد .

هل حدد الاسلام طريقة اختيار الحاكم

ومن هذا الفرض السريع ندرك الى حد ما أنه لم يكن لاختيار الحاكم أسلوب محدود ، ولا طريقة خاصة، وأن الانتخاب الذى وصل به الى خلافة المسلمين أبو بكر وعثمان لم يكن دستورا ملتزما ، وأن ولاية العهد التى تلقى بمقتضاها الراية عمر عن صاحبه لم تكن أسلوبا دائما جرى عليه المسلمون . . . الا أننا نلحظ من فرق ما بين الظروف المتفاوتة التي وافقت خلافة ابى بكر وعثمان أن الانتخاب الذى كان فى خلافة أبى بكر كان من الضرورى أن يعم الدهماء والسوقة ، من الأنصار والمهاجرين ، والشيب والشبان من المسلمين، والاقارب والاباعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ينتهى ذلك الى القضاء على العصبيات ، والرجوع الى الكفاية الصادقة ، التي تمثلت فى رجل كان له من ماضي جهاده وجلاده، وايمانه وصحبته ، واختيار الرسول له ــ فى مرض موته ــ أن يصلى بالناس ما يشفع له بالجدارة بالخلافة ، والاستحقاق للفضل . .

أما انتخاب عثمان ــ هكذا ــ فى أضيق الحدود من النفر الثمانية أو السبعة

فذلك لأن عمر رأى بثاقب نظره أن رؤوسا كثيرة تشرئب للخلافة ، وأن ذلك قد يعمل عمله في تفريق الصفوف ، وصدع الشمل ، واستفحال الشر ، أو اندلاع نيران الفتنة ، وأن القضاء على ذلك كله لا يكون الا بصنيعه الذى صنعه ، وأسلوبه الذىجرىعليه .

كما كان أبو بكر ـ كذلك ـ بعيد النظر ، صائب الرأى ، سليم التفكير ، حكيم العقل ، واسع الأفق ، حينما جعل ولاية العهد بعده لعمر ، لأنه أمثل شخصية على وجه الأرض فى هذه الآونة ، وقد صدقت فراسته فى هذا الاختيار ، لأن علماء الاجتماع ، ودهاقين السياسة ، وأساتذة التاريخ ، مجمعون على أن عمر ابن الخطاب لا يمكن أن يجود الزمن بمثله على الدنيا ..

منزلة الحاكم فى أمته

والذى نخلص منه من تلك الدراسات عن الحاكم فى الاسلام الذى هو فى نظر علماء الفقه الاسلامي «ظل الله فى أرضه» أن الحاكم ـ من غير شك ـ مثال من أمثلة الريادة العامة ، والقيادة الصادقة ، والخدمات الانسانية العظمى ، والجهود التي لا يقوم بها الا الصفوة المختارة فى الأمم والجماعات ، وأن وصوله الى كرسي الحكم يتكيفا بالظروفوالملابسات التي تمليها الأحوال الطارئة،وأن تسميته ملكا أو زعيما أو « أمبراطورا » أو ما شاكل ذلك من أسماء يسميها الناس لا حساب لها فى نظر الاسلام ، ولا هو يعطيها من الرعاية والاهتمام شيئا يزيد فى تقديرها واحترامها .. وكل ما يعنى الاسلام بعد ذلك كله من الحاكم أن يكون صورة طيبة للعدل والانصاف ، والعفة والطهر ، والاستقامة والنزاهة ، وحب الخير للناس ، والتسوية بين رعيته فى الحقوق والمعاملات والا تحيط به شبهة ، أو تلاحقه تهمة ، أو تلصق به ريبة ، أو يجعل من سلطانه ذريعة الى منكر ، أو وسيلة الى معصية ، أو طريقا الى غضب اللهعليه ، أو كراهية الشعب له ... وهكذا يكون الحاكم الاسلامى خاليا من **الكبر بعيدا عن الغطرسة ، مجافيا لأساليب العنف ، الا اذا اعتدى أحد على حرمات الله ، أو جاهر زنديق بمعصية ، أو أعلن مجرم الافساد فى الأرض ، ولم يفهم الحاكم الاسلامي الا أنه الأخ الكبير فى الأسرة ، أو الأب الشفيق فى البيت ، أو الأستاذ المربى فى المدرسة ، أو الناصح المخلص للجماعة ، أو الصديق الصدوق للبيئة ، أو الراعى الأمين فى الرعية ، أو الهادى المرشد للقافلة ، ولذلك تحيطه الأمة بقلوبها وتحفظه فىأفئدتها ، وتصونه فى محاجرها وتفديه بما تملك من أموالها اذ يشعر دائما أبدا أنه فى نفوسها على عرش من الود والحب ، والوفاء والمودة وأن أرواحها ترفرف حوله ، وآمالها تترامى عنده ، وأمانيها تتعلق به ، ورجاءها منوط الى أبعد حد بسلامته وبقائه ... ولم نر شريعة من الشرائع ، ولا دينا من الأديان ، جعل للحاكم هذه المنزلة ، ولا بوأه تلك المكانة ، ولا مكن له فى الدولة ذلك التمكين ، الا الاسلام الذى كان دستوره العدل ، وقانونه الرحمة ، وشريعته الانصاف ، وهديه الأدب ، وارشاده البر والمعروف ، وتربيته لم تظفر الانسانية بمثلها ، الا فى أوهام الفلاسفة ، وخيال الشعراء .**

من وحي الحج

للاستاذ ضياء الدين الصابوني

الشوق يحفزني لرؤية أحمد — والوجد يحدوني لأكرم مسجد
أنسى همومي ما هممت بذكرها — وتردّ لي روحي فيا نفس اسعدي
ها أنت في أرض السلام فرفرفي — ما شئت في جنباتها أو غرّدي
تالله ما سحر الفؤادَ ولذّه — مثل الجمال يشعّ وسط المسجد
وتمتعَنْ بشميم مسك أذفر — نفحاته تغشاك في الجو الندي
ولكم يهيج الشوق في عواطفا — ويثيرني وهج الهوى المتوقد
عرّج على تلك الديار وقف بها — واقض حقوق الدار والنور واشهد
واخشع بها واذرف دموع صبابة — واسأل لعلك أن ترى من مسعد
يدعوك صوت الحق من عليائه — إني أنا الله المرجى فاقصد
فلقد وعدت فما أخيّب راجيا — من مذنب رام الهدى أو ملحد
واسأل تجب ما دمت تهوى أحمدا — فهو الشفيع لكل راج في غد
أحباب قلبي لو شهدتم أدمعي — عند العقيق لما جهلتم مشهدي
يتجرّد الإنسان عن أهوائه — والروح تسمو للمقام الأمجد
يارب دعوة مؤمن متبتل — فامنن علينا بالقبول وأيّد
نال السعادة في الحياة وذاقها — من هام في حب الحبيب محمد
طوبى لمن قد هام في حب الهدى — من فاز في نيل الشفاعة يسعد

مائدة القارئ

«وأذن فى النـاس بالحـج
يأتوك رجالا وعلى كل ضامـر
يأتين من كل فج عميق»

تأمين الهـى

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا البيت دعامة الاسـلام ، فمن خـرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ، أن قبضـه أن يدخله الجنـة ، وان رده رده بأجر وغنيمة»

حدود الحـرم

للحرم حدود تحيط بمكة من جميع جهاتها لا يتجاوزها الا مسلم ، وقد نصبت عليها أعـلام مبنية فى خمس جهات .

* التنعيم ـ وتقع شمالى مكة ، وبينهمـا ٦ كيلومترات

* أحناء ـ من جهة الجنوب ، وبينها وبين مكة ١٢ كيلومترا

* الجعرانة ـ من جهة الشرق ، وبينها وبـين مكة ١٦ كيلومترا

* وادى نخلة ـ من جهة الشمال الشرقى ، وبينه وبين مكة ١٤ كيلومترا

* الشميس ـ وهى مكان الحديبية التـى تمت عندها بيعة الرضوان على الطريق من جدة الى مكة

لا افتراض للحج

عن عبد الله بن أبـى أوفى قال :
سألت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج ، أيستقرض للحج ؟ قال لا .

لا حـــرج

قال أسامة بن شريك :
خرجت مع النبى صلى الله عليـه وسلم حاجا ، وكان الناس يأتونه ، فمن قائل : يا رسول الله . سـعيت قبـل أن أطوف ، أو أخرت شيئا وقدمت . فكان يقول . لا حرج ، لا حرج ، الا عـلى رجل اغترض عرض رجل مسلم وهـو ظالم ، فذلك الذى حرج وهلك .

عودا .. يا رب

اللهم انى عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك . حملتنى ما سخرت لى من خلقك ، وسيرتنى فى بلادك حتى بلغتنى ـ بنعمتك الى بيتك ، وأعنتنى على أداء نسكى ، فان كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا ، والا فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى ، فهذا أوان انصرافى ، ان اذنت لى ، غير مستبدل بك ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك .

اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى ، والصحة فى جسمى ، والعصمة فى دينى ، واحسن منقلبى ، وارزقنى طاعتك ـ ما أبقيتنى ، واجمع لى بين خيرى الدنيا والاخرة ، انك على كل شيء قدير .

التكسب فى الحج

عن أمامة التيمى أنه قال لابن عمـر رضى الله عنهما .
انى رجل أكرى فى هذا الوجه ـ أؤجر دابتى فى هذه الجهة ـ وان ناسا يقولون لى أنه ليس لك حج . فقال ابن عمر . أليس تحرم ، وتلبى ، وتطوف بالبيت ، وتفيض من عرفات ، وترمى الجمار ؟

قال : قلت بلى . قال : فان لك حجا .

كنــوز الكعبــة

قال أبو الوليد الازرقى فى كتابه أخبار مكة :ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة ٧٠٠٠٠ أوقية من ذهب مما كان يهدى الى البيت . قيمتها ألف ألف وتسع مئة ألف وتسعون ألف دينار . فقال على كرم الله وجهه . يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك . فلم يحركه ، ثم ذكر لابى بكر فى ولايته ، فلم يحركه ، ثم نهبت هذه الكنوز بعد ذلك فى أخريات القرن الاول الهجرى .

ماء زمــزم

جاء رجل الى ابن عباس ، فقال .
من أين جئت ؟
قال : شربت من ماء زمزم .
قال : أشربت منها كما ينبغى ؟
قال : وكيف ذلك يا بن عباس ؟
قال : اذا شربت منها فاستقبل القبلة ، واذكر الله ، وتنفس ثلاثا ؟ وتضلع منها ــ اشرب حتى ترتوى ــ فاذا فرغت فاحمد الله ، فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم .

عاقبة النعمــة

قال أعرابى : العاقل حقيق أن يسخى نفسه عن الدنيا ، لعلمه أنه لا ينال أحد فيها شيئا الا قل امتاعه به ، أو كثــر عناؤه فيه ، واشتدت مرزئته عليه عند فراقه ، وعظمت التبعة فيه بعده .

عدل وثقة

قال رجل لعمر بن الخطاب فى كلام دار بينهما .
ــ اتق الله .
فاستنكر ذلك أحد الحاضرين وقال له .
ــ اتقول لأمير المؤمنين اتق الله .
فرد عمر .
ــ دعها فليقلها فنعم ما قال . لا خير فيكم اذا لم تقولوها . ولا خير فينا اذا لم نقبلها .

نحن وأولادنــا

دخل الأحنف بن قيس على معاوية ويزيد بين يديه ، وهو ينظر اليه اعجابا به ، فقال له : يــا أبا بحر ما تقول فى الولد . فعلم ما أراد . فقال يا أمير المؤمنين . هم عماد ظهورنا ، وثمر قلوبنا ، وقرة أعيننا . بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف منا لمن بعدنا . فكن لهم أرضا ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فاعتبهم . لا تمنعهم رفدك (عطاءك) فيملــوا قربك ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطئوا وفاتك .

فقال : لله درك يا أبا بحر . هم كما وصفت ».

الحجر الأسود

الحجــر الأســود قبلتــه بشفتى قلبى ، وكله ولَه:
لا لاعتقادى أنــه نافــع ، بــل لهيامــى بالذى قبلَه:
محمد أطهــر أنفاســـه ، كانت على صفحته مرسلَه:
قبلــه ، والنــور من ثغره يشرق آيات هــدى منزلَه:

ضيوف الرحمن

للشيخ : احمد حمدى الطاهر
عمـان ـ الاردن

اذا أهلت الاشهر الحرم ـ شوال وذو القعدة وذو الحجة ـ سرت بين المسلمين لواعج الشوق الى ارض الحجاز مهبط الوحي والالهام ، واصبحت حديث الناس في مجالسهم تجدد ذكراها في القلوب ، وتقربها بينهم حنين اولئك الذين اصابوا منها حظا سابقا ، فيتذكرون تلك المواقف العظيمة ، والتجليات الخالدة ، وما تبع ذلك من انتشار الاسلام ومد رواقه على اكثر المعمورة وسلطان عدله على الامم جميعا ، فيتذكرون رسولهم العظيم ومواقفه الغراء التي اطاحت بعروش الظلم وهدمت اركان الباطل ، وقادت العالم الى حياة اسعد مقتبسة من تعاليم القرآن العالية ، وانظمته الخالدة ، واوجدت فيهم عدالة اجتماعية طالما تطلع اليها المصلحون في كل زمن وجيل .

ضيوف الرحمن

هم حجاج بيت الله الحرام الذيـن حلوا مكة ـ الوادى المقدس ـ ملبين دعوة ربهم ليقيموا ركنا عظيما مـن أركـان الاسلام ، ويؤدوا فرضا مقدسا يرون فيه مشاهد النبـوة ومنازل الوحى ، وليقيموا فى حرم الله الامين مستقـر الرحمة وموطن الهداية وليملأوا عيونهم من تلك المشاهد التى كان فيها الرسول هاديا وداعيا صابرا على الاذى شكورا ، يدعو ربه آناء الليل وأطراف النهار ، حتى أظهر دين اللـه ، فانبثـق ضياؤه هاديا فى دياجير الظلام ، يسعى الى ضوئه كل طالب للحقيقة والنور .

ويذكرون كيف جاء جند الله الـى البيت الحرام ، وعليهم الشكة والسلاح والقوة والايمان ومعهم العزم والرحمة ، فجهروا بكلمة الله عالية فى بطحاء مكة ، وأزالوا الشرك منها الى يوم القيامة . ثم ساروا الى الآفاق نورا ساطعا ، حاملين

بأيديهم اليمنى كتاب الله يدعون اليه ويهتدون بهديه . وفى شمائلهم سيف الله يشقون به ظلمات الطاغوت ويفلون به جبروت ذوى السلطان ، ويكشفون به الظلم عن المظلومين ليخرجوهم من نير العبودية الى نور الحرية والمساواة ، ويقدمون لهم أغلى هدية يقدمها فاتح الى بلاد مفتوحة وهى العدالة ، وتحرير العقول من عنت الارهاق والتقليد والخمول فتتجلى لهم الحقيقة ، وبذلك يكون الدين كله لله ، ولا عدوان الا على الظالمين .

وفى الحج تظهر أعظم ظاهرة اجتماعية قررها الاسلام ودعا اليها وهى المساواة بين سائر المسلمين ، الكل أمام الله سواء ، لا فرق بين غنى وفقير ، وأمير وحقير ، وصاحب سلطان وجاه ووضيع لا يملك شروى نقير ، عراة من زخارف الحياة الدنيا وزينتها ، لا يستر أجسامهم الا قليل من ثياب بيضاء رخيصة الثمن ، مكشوفى الرؤوس حفاة الا من نعل بسيط ، وتراهم فى ذلة وخشوع بين يدى الله العزيز الجبار ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، وهنا يتجلى مظهر المساواة : قال عليه الصلاة والسلام (المسلمون سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

تثير تلك المشاهد فى مكة والمشعر الحرام الذكريات العذبة ، فتمتلىء نفس المؤمن عزة وايمانا بالله ودينه القويم ، ثم تعلو نفسه الحسرة عندما يوازن بين الغابر والحاضر ، فنرى الاول رحمة ونورا ووحدة شاملة وعزة مانعة ، ويرى فى الثانى ذلة وخضوعا واستبدادا وخنوعا ، وتنابذا وانقساما .

والحج فى حد ذاته فرصة سانحة للتعارف بين المسلمين يلتقى فيه المسلم باخوانه من أبناء العروبة والاسلام ، يلتقى فيه المصرى بالهندى والشامى بالمغربى والفارسى بالاندونيسى والباكستانى بالفلبينى والصينى بالافريقي تجمعهم وحدة شاملة وتضمهم مبادىء جامعة هى الاسلام الحنيف . فيشعرون بأنهم أمة واحدة تجمعهم أخوة الدين مهما تباعدت الديار ، واختلفت الامصار ، وتباينت الاقطار . يتفاوتون فى مراتب الدنيا فى بلادهم ، ولكنهم فى بلد الله الحرام التى جعلها الله للناس أمنا لا تتفاوت المراتب فيه الا بالتقوى . وكان الحج بذلك المعنى اجابة لنداء الله الخالد — « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فعلى بساط المساواة يلتقى الحجاج ، وعلى تلك المائدة الروحية يتعارف وفد الله وضيوفه ، ويعلم بعضهم حال بعض فيتذكرون الآمال والآلام ويتبادلون الاستبصار والاعتبار . وفى هذا السمر الروحى تتآلف القلوب ، وتشترك المصالح ويعم النفع الجميع ، وتتحقق بهذه الاهداف السامية حكمة الحج الاكبر .

« لبيك اللهم لبيك » ..

يكثر الحجاج من التلبية على جبل عرفات بشكل ظاهر يلفت النظر ، فترى مئات ألوف الحناجر تجهر بهذا النداء الروحى ضارعة الى الله تعالى ، طالبة الرحمة والمغفرة : يا له من منظر خلاب يأخذ بالألباب !

لبيك : نداء الروح يتجاوب صداه فى قلوب عامرة بالرضا ، وصدور يختلج فى جوانبها الامل ، وعيون تقرأ فيها التطلع الى المستقبل البعيد ، عندئذ تبتسم القلوب ثم لا تلبث أن تتردد فى جوانب الارض تلك الاصوات ، فترتج لها الجبال الراسيات اجلالا ، وتقف لها احتراما وأكبارا .

لبيك اللهم لبيك : يرددها الصغير والكبير ، ويتذوقها الجميع العربى منهم والعجمى . وقد ارتسمت على وجوههم آيات الخلود ومثلت أمام أعينهم أشباح السعادة : لبيك : ما أجمل أن يجيب

العبد دعاء ربه ! وما أروع أن يقصده في بيته ! ويحل ضيفا على مائدته ! .

لبيك نداء ابراهيم الخليل بلسان الوحي ينطق وبأمره ينادى ، وبجلال القدرة يسمع — وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق — نعم ! أجبنا دعاء ربنا . وها نحن أولاء نشد الرحال من أقصى المعمورة عبر الصحارى والقفار ، ونهبط من فوق الجبال الشماء الى واد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، وطاعة لك ، وابتغاء رضوانك الذى يشع من جوانب هذا الوادى الامين .

وها نحن ! نقبل شعثا غبرا مستجدين عطفك ورضاك ، وما أعظم أن تجاب الدعوة ! تصدر من القلوب نقية بالايمان مخلصة بالطاعة ، وقد ترك كل حاج أهله وولده وماله ، وأعرض عن ملذات الدنيا ، يجر أذياله ، وقد أضناه الجهد ، وأخذ منه التعب والكلال كل مأخذ . ها هو قد وصل الى ساحة الكرم الالهى . فيالها من سعادة ! اذا قوبل بالبشر والترحاب ، وطرقت أذنيه نبرات الالهام الربانى « اذهبوا فقد غفرت لكم » فوالذى نفسي بيده انها لحصاد الآخرة ، تمر تلك الساعات على جبل عرفات سراعا دون شعور . واذا أنت تكبر الله وتقول « لبيك اللهم لبيك » .

أثر الحج في النفوس

ان الرحلة الى الحج تقتضى أن يفارق الحاج وطنه ، ويغادر مسقط رأسه ، وان لهذا الفراق أثرا في النفس المؤمنة يسمو بها من عالم المادة الى عالم الروح ، وينتزعها من غواشى الغفلة الى صفاء اليقظة والشعور . ذلك أن الحاج يذكر بفراق الوطن فراق الحياة ، وبترك العشيرة الموقوت ترك الاحبة الابدى ، ويستعيض عن الانس بالاهل الانس بالله والتفكير في ملكه والنظر في ملكوته .

فاذا نظر الناظر الى زمر الحجاج فوق الخضم الهائج ، وعلى متن الهواء العاصف ورمال الصحراء المحرقة خيل اليه انهم من كتائب الغزاة الفاتحين ، وجنود الاسلام المجاهدين ، ولا غرابة في ذلك فانهم يجاهدون النفس وهواها ، وينازلون القلب ونزواته ويكافحون الشيطان وغوايته .. فما أشبه الجهاد بالجهاد ! وما أقرب الكفاح من الكفاح ! وان هذه الحالة : حالة التجرد من الثياب المعهود واللباس المألوف ليذكر الحاج بحالته يوم البعث والنشور . والحشر ومغادرة القبور حيث يقوم الناس حفاة عراة ينتظرون رحمة الله ويرجون فضله ، ويأملون كرمه . ومما لا شك فيه أنه اذا تذكر حالة البعث ، واستحضر ساعة الحشر صدف عن الغواية وهجر السوء والضلالة ، وترك الدنيا وزخارفها ، والحياة الدنيا وزينتها ، وعمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

واذا وقف تجاه الكعبة المشرفة فسرعان ما تطوف بعقله الذكريات الغالية التى مرت بذلك البيت الكريم . وما لقيه المسلمون الاولون في دفاعهم عن هذا الدين واعزازه ، وكفاحهم في تمكينه واعلائه ، بهمم لا تعرف الوهن ، وعزائم لا يعتريها الكلل ، وقلوب لا يجد الخوف اليها سبيلا .

بئر زمزم

ثم اذا انعطف الحاج من تجاه بيت الله الحرام الى بئر زمزم المباركة ، عاش في ذكرى ذلك الحادث الرهيب حين ترك الخليل ابراهيم عليه السلام زوجته وولده اسماعيل في مكان البيت حيث لا زاد ولا ماء ولا أنيس ولا معين الا رب العالمين . وكيف جعل الله له من أمره يسرا .

وهنا يتعلم المؤمن ما يجنيه المرء من

التوكل على الله أثناء اضطراره والاعتزاز به ابان شدته ، والانحياز اليه أوقات كربته ، يتعلم منه كيف يفزع الى الله وحده اذا أخذت الحوادث بخناقه . فيجده معه يعينه ويفرج كروبه .

درس بليغ

انه لدرس بليغ يتلقاه المسلم فى الحج بما يشاهده من المظاهر الواحدة ، والدعوات الواحدة ، والاذكار الواحدة ، تلك المظاهر المتشابهة التى تشعر الناظر بأن هذه الكثرة قد استحالت الى جسم واحد وقلب واحد وعقل واحد ولسان واحد .

عند ذلك يتذكر ما لهذا الاجتماع العالمى من أثر بالغ فى وحدة القلوب وجمع الكلمة وبناء الصفوف ويدرك ادراكا لا ريب فيه : ان الله جلت قدرته ما جمع الناس فى هذه البقعة المباركة الا لحكمة سامية ، بها عز الاسلام ومجد المسلمين الخالد ، وخيرهم الدائم .

تلك الحكمة هى الوحدة والتآزر ، والتآخى والتآلف ، ونزع الفرقة والخلاف والخصام والشقاق : ولقد حدثنا التاريخ بما فتح الله على المسلمين الاولين من أجدادنا السالفين ، يوم كانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فدانت لهم الرقاب ، وخضعت لهم الحياة ، فثلوا العروش ، وملكوا ناصية الدنيا ، وفاخروا أهل الارض وطاولوا السماء . ولكنهم عندما حلت الفرقة فى قلوبهم ، وانصدمت الوحدة فى نفوسهم خسروا تراث الآباء والاجداد ، وصاروا وراء الامم حظا ومجدا ، فهل آن لقادة الامة العربية والاسلامية وساستها وزعمائها ان يستجيبوا لكلمة الله ، فيرأبوا الصدع ويوحدوا الصفوف والجهود ، ويهبوا فى وجه الدخيل المستعمر فى بلاد الاسلام هبوب العاصفة، فيقتلعوا بناءه ويحطموا وجوده . ويكونوا عند حسن الظن بهم فى العمل لواجب الاوطان واعلاء كلمة الله .

قادة فتح البحار

عبد الله بن قيس الحارثي أمير البحر الأول في صدر الإسلام وأول من غزا جزيرة صقلية

للواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

اسلامه

أدرك عبد الله بن قيس الحارثي النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم فى أيامه ، ولم تكن له صحبة ولا جهاد تحت لواء الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه .

جهاده

استأذن معاوية بن أبى سفيان عمر بن الخطاب فى غزو البحر ، فلم يأذن له ، فلما ولى عثمان بن عفان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك ، وقال : « لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ...

خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعا ، فاحمله وأعنه ، ففعل معاوية ، واستعمل عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة على البحر ، فغزا المسلمون (قبرس) سنة سبع وعشرين هجرية ، وفتحوها .

وكان عبدالله أول من غزا البحر سنة سبع وعشرين الهجرية ، وكان معاوية بن أبي سفيان يرسله في غزو البحر ، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده وألا يبتليه بمصاب أحد من رجاله .

وفي سنة ست وثلاثين الهجرية بعث معاوية بن حديج السكوني . عبد الله بن قيس لغزو (صقلية) ، فأصاب أصناما من ذهب وفضة مكللة بجوهر ، وقد وجه معاوية بن حديج جيش عبد الله بن قيس في مائتي مركب ، فكان عبد الله بن قيس أول من غزا (صقلية) من العرب المسلمين ، فسبوا وغنموا وأقاموا شهرا ثم انصرفوا .

وأخيرا استشهد عبد الله في احدى جزر الروم ، فقد خرج طليعة في قارب ، فانتهى الى المرفأ من أرض الروم وعليه مساكين يسألون ، فتصدق عليهم ، فرجعت امرأة منهم الى قريتها ، فقالت للرجال « هذا عبد الله بن قيس في المرفأ » ، فثاروا اليه وهجموا عليه ، فقتلوه بعد أن قاتلهم ، فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه ، فأعلمهم باستشهاد عبد الله بن قيس .

الانسان

استشهد عبد الله بن قيس سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٣ م) أو سنة أربع وخمسين الهجرية فطويت باستشهاده أروع صفحات البطولة والرجولة والفداء .

قيل للمرأة التي استثارت رجال الروم على عبد الله بن قيس . « كيف عرفته ؟ . » فقالت : « كان كالتاجر ، فلما سألته أعطاني كالملك ، فعرفت أنه عبد الله بن قيس » . وقالت : « عرفته بصدقته . أعطى كما يعطي الملوك ، ولم يقبض قبض التجار » (٢) .

لقد كان كريما سخيا ، صادقا وفيا ، نقيا تقيا ، وكان مفخرة من مفاخر العرب المسلمين ولا يزال ، وسيبقى مفخرة من مفاخرهم الى الأبد .

القائد

البطولات الفذة النادرة التي أظهرها المسلمون الأولون في معارك الفتح الاسلامي العظيم ، كانت ولا تزال وستبقى مثار اعجاب العالم كله على اختلاف أممه وأديانه وأجناسه .

واذا كان العرب المسلمون الذين استهانوا بالموت لاعلاء كلمة الله في (البر) مثار اعجاب الناس كلهم ، فان البطولات التي أبدوها في (البحر) تبهر العقول والقلوب معا ، لأن العرب أمة برية ، ومجال اقدامهم البر لا البحر .

أما أن يبدوا بطولات في البحر ، لا تقل روعة وجلالا ، وتضحية وفداء ، عن بطولاتهم في البر ، فهذا هو موطن دهشة الأمم كافة واعجابها .

واذا كان كثير من العرب المسلمين قد بذلوا أرواحهم رخيصة في البحر ، وهو مجال غير مجالهم الطبيعي ، فان على رأس أبطالهم دون شك ولا منازع ، هو عبد الله بن قيس الحارثي .

لقد قضى عبد الله حياته كلها مجاهدا في البحر غازيا جزر البحر الأبيض المتوسط وسواحل أرض الروم صيفا وشتاء بدون انقطاع . غزا خمسين غزوة بحرية ، فاذا غزا كل صيف وكل شتاء من كل عام بعد سنة سبع وعشرين الهجرية ، وهي السنة التي بدأ فيها غزو البحر ، فقد غزا تلك الغزوات خلال خمس وعشرين سنة ، أي أنه لم يسترح عاما واحدا ولا فصلا واحدا من عام واحد ، ، حتى استشهد مجاهدا في البحر ، وهذا منتهى الحرص على الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

ان مجرد اقدام عبد الله على غزو

البحر ـ وهو ابن الصحراء ـ دليل قاطع على شجاعته النادرة واقدامه الفذ .

كما أن دراسة معاركه البحرية ، تكشف عن صبره الجميل على شدائد البحر ومخاطره وأهواله الحربية .

حين استشهد عبد الله وعاد الملاح الذى كان برفقته الى أصحابه بالنعى ، جاء رجاله حتى نزلوا المرفأ وعليهم سفيان بن عوف الأزدى خليفة عبد الله ، فخرج سفيان على الروم وقاتلهم ، ولكنه ضجر وجعل يشتم أصحابه ، فقالت جارية عبد الله لسفيان . « ما هكذا كان يقول عبد الله يقاتل » فقال سفيان : « وكيف كان يقول ؟ » . فقالت : « الغمرات ثم ينجلينا » فترك سفيان ما كان يقول ، ولزم . « الغمرات ثم ينجلينا » . وقد أصيب من المسلمين يومئذ ، وقتل سفيان ، وقتل معه جماعة .

« والغمرات ثم ينجلينا » ، مثل يضرب فى الصبر على احتمال الشدائد أملا فى انفراجها .

وعلى الرغم من عظم خطورة البحر وشدته ، وعلى الرغم من كثرة غزوات عبد الله فى البحر ، فانه لم يغرق أحد من رجاله ولم ينكب ، وهذا دليل على شدة حرص عبد الله على الأرواح ، اذ كان يستأثر بالأخطار دون أصحابه ، ويستطلع أخبار العدو ونياته ومسالكه بنفسه ، كان دائما فى الأمام قريبا من الأخطار حماية لرجاله ووقاية لهم ، وقد دفع فى آخر محاولاته الاستطلاعية روحه الغالية ثمنا لاستئثاره بالأخطار دون رجاله حماية لهم وحرصا على أرواحهم .

لقد بذل ابن قيس كل ما يمكن أن يبذله القائد القوى الأمين من جهود للحفاظ على سلامة جنوده ، فكان عمله هذا مثالا رائعا فى تاريخ الحرب كله للقائد الذى يضحى حتى بنفسه فداء لرجاله .

من الطبيعي ـ بعد كل ذلك ، أن يكون عبد الله ، موضع ثقة أصحابه وتقديرهم ، وموضع حبهم واعجابهم .

وكان شجاعا مقداما الى حد المغامرة ، ذكيا ألمعيا . يخطط لمعاركه بدقة واتقان ، ويهيء كل الأسباب لنجاحه فى القتال ، باستطلاعاته المستمرة وخططه الصائبة وقراراته الموفقة .

وكان ذا شخصية قوية مسيطرة ، وبذلك انتصر فى كل معركة خاضها ، اذ أن طبيعة المعارك البحرية بما فيها من أخطار جسيمة ، تقتضى من القائد الناجح أن يكون مسيطرا على رجاله، ومن رجاله أن يكونوا متحلين بالضبط المتين .

وكان يطبق مبادىء الحرب فى معاركه ، معاركه كلها ـ (تعرضية) ، وهو (يباغت) عدوه فى وقت ومكان وبأسلوب لا يتوقعها ، وخططه (مرنة) ، لا يتخلى عن (الأمن) فيها ، ولا ينسى تأمين (القضايا الادارية) ولا (أدامة المعنويات) قبل المعركة وفى أثنائها وبعدها .

لقد كان عبد الله بن قيس قائدا فذا .

ابن قيس فى التاريخ

يذكر التاريخ لابن قيس أنه من المؤسسين الاولين للاسطول العربى الاسلامى .

ويذكر له ، أنه أول أمير للبحر فى صدر الاسلام من العرب المسلمين .

ويذكر له ، أنه من أكثر قادة المسلمين فى الأيام الذهبية للفتح الاسلامي غزوا للبحر .

ويذكر له ، أنه أول من وطىء أرض (صقلية) من المسلمين ، وأول من هاجم أكثر جزر البحر الأبيض المتوسط وسواحل أرض الروم .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل من نشر الاسلام دينا والعربية لغة فى جزر البحر وفى سواحل بلاد الروم .

ويذكر له ، أنه قدم حياته رخيصة فى سبيل اعلاء كلمة الحق .

ويذكر له ، أن الفتح الاسلامي - من بعده - فى البحر تعثر بعقبات كأداء ، استطاع هو بمقدرته وشجاعته وتضحيته اجتيازها بسهولة ويسر .

ويذكر له ، أن استشهاده كان خسارة كبرى للمسلمين عامة ، ولم يكن خسارة خاصة به وبأهله وذويه .

رضى الله عن البطل البحرى ، أمير البحر الأول ، ورائد الاسطول الاسلامي الأول ، القائد الفاتح ، البطل الشهيد عبد الله بن قيس الحارثي .

جنادة بن أبي امية الأزدي فاتح رودس وجزيرة أرواد وأول من غزا أقريطش

الصحابى

كانت لأبى عبد الله جنادة بن أمية الازدى صحبة وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه مما يدل على صحة صحبته ، ولكن ابن سعد في طبقاته ذكره فى الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام .

والظاهر أنه صحابى ، وأن الذين ذكروا أنه تابعى خلطوا بينه وبين جنادة بن أمية آخر ، وهذا الأخير هو مخضرم ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وسكن الشام ومات بها سنة سبع وستين هجرية ، وهو الذى قالوا فيه : انه من كبار التابعين لا تصح له صحبة .

ولا نعلم متى أسلم صاحبنا ولا جهاده فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن الواضح أنه كان صغيراً فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه توفى سنة ثمانين للهجرة ، لذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

المجاهد

شهد جنادة فتح مصر ، وولى البحر لمعاوية بن ابى سفيان ، ففتح جزيرة (رودس) سنة ثلاث وخمسين هجرية (٦٧٢م) ، فنزلها المسلمون وزرعوا واتخذوا بها أموالا ومواشى يرعونها ، فاذا أمسوا أدخلوها الحصن ولهم ناطور يحذرهم ممن يريدهم بكيد ، فكانوا على حذر من أعدائهم ، وكانوا أشد شيء على الروم ، يعترضونهم فى البحر فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية ابن أبى سفيان يدر لهم الأرزاق والعطاء ، فلما مات معاوية أعاد يزيد المسلمين من هذه الجزيرة .

٢ - وفى سنة أربع وخمسين هجرية (٦٧٣ م) ، فتح جنادة جزيرة (أرواد) ، وهى جزيرة قريبة من (القسطنطينية) ، فأقام بها المسلمون . ولما مات معاوية بن أبى سفيان جاء كتاب ابنه يزيد الى من فيها من المسلمين بالعودة الى ديارهم كذلك ، فخربت الجزيرة وأمن الروم .

٣ - وغزا جنادة اقريطش (كريت) فلم يتيسر له فتحها ، فلما كان زمن الوليد بن عبد الملك فتح بعضها وقد دأب جنادة على غزو البحر طيلة حياة

البقية على ص : ٨٦

أبطال فلسطين

مسرحية في فصل واحد

الحاج حسن :ــ « يختم صلاته بالسلام ويرفع صوته بهذا الدعاء « اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين، اللهم أنقذ ارضك المقدسة من شر اعدائك الصهيونيين ، اللهم مزق شملهم ، وفرق جمعهم ، واجعل الدائرة عليهم ، وعلى من والاهم من المستعمرين ، اللهم كما انقذت هذه الارض المباركة قديما من الصليبيين فأنقذها الان من شر الصهيونيين ، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين » .

علية :ــ « تدخل صارخة » أبى « لقد سقطت حيفا فى يد الباغين المعتدين .. وا أسفاه عليك يا مدينتنا الحبيبة لقد خان الانكليز العهود ، وأسلموك الى اليهود .. ويلاه .. ضاع الامل وخاب الرجاء ...

الحاج حسن :ــ ما هذا يا بنيتى؟ ان علية بنت الحاج حسن المناضل القديم ، وشقيقة حامد البطل الفدائي لا تستسلم للهلع والقنوط ، ان النكبات هى التى توقظ العزمات ، فمن الفشل ينبعث النجاح ، ومن الهزيمة يتولد النصر ومن الشدائد يتكون الابطال . والعبرة دائما بالخواتيم ، والعاقبة للمتقين .

علية :ــ اننى أفكر في أن أحمل مدفعا رشاشا ، وأنضم الى زمرة اخوانى الفدائيين، لأشفى غليلى من هؤلاء الملاعين

الحاج حسن :ــ لا تثيرى يا بنيتي شجونى ، ولا تهيجى دائى الدفين لقد فقدت بصرى فى احدى الملاحم التى اشتبكنا فيها مع الانكليز ، واقسم بالله العلى المجيد والوطن الشهيد ، لئن نجح الاطباء فى اعادة بصرى الى ، لأعودن الى الجهاد لافقده مرة ثانية وثالثة ورابعة فى سبيل وطننا الحبيب . لقد سقطت من علو شاهق ، ففقدت نور بصرى ، والاطباء يمنوننى بعودته ، وما أتمنى الشفاء الا لأستأنف الجهاد من جديد ، واذا فقدت بصرى فأنت وأخوك نور قلبى ، وربيع عمرى وشبابي الذى لا يزول .

المنظر : حجرة فسيحة ذات بابين ونافذة عليها ستار مسدول وفى الحجرة أريكة يجلس عليها شيخ كهل ضرير ، وبها منضدة وبعض المقاعد .

المكان والزمان : ـ مدينة يافا بفلسطين فى اوائل مايو سنة ١٩٤٨

الشخصيات : الحاج حسن النابلسى : ـ كهل ضرير من قدماء المجاهدين .

الآنسة علية : ـ بنت الحاج حسن ((في العشرين من عمرها)) .

حامد : ـ ابن الحاج حسن ((من الفدائيين فى الثلاثين)) .

ضابط اسرائيلي : ـ ومعه اربعة جنود اسرائيليين .

ضابط عربى فدائي : ـ ومعه ثلاثة من الفدائيين العرب .

الاستاذ على عبد العظيم

((مهداة الى ابطال العودة))

علية : ـ وهل لدينا امل فى كسب المعركة يا ابتاه ؟

الحاج حسن : ـ لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، وصدق الله العظيم ((ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون))

علية : ـ ولكن الدول العالمية الكبرى تساند الصهيونيين .

الحاج حسن : ـ ((وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)) .

علية : ـ ولكننا ضعفاء محرومون من المال والسلاح ... و ..

الحاج حسن : ـ ((مقاطعا)) لا تقولى هذا يا بنيتى ، ان اجدادنا وقفوا وحدهم ضد أوربا الصليبية ، فهزموها بايمانهم واخلاصهم ، وثقتهم بربهم وبانفسهم ، وطهروا منهم بلادنا المقدسة تحت قيادة البطل صلاح الدين .. ((صوت طلقات نارية)) .

علية : ـ أحس الخوف على أخى فاننا لم نره منذ اسبوع .

الحاج حسن : ـ فيم الخوف يا بنيتى ؟ وعلام الهلع ؟ لقد وهبت اخاك للكفاح والنضال ، ولا بد له من الفوز باحدى الحسنيين نصر الابطال او أستشهاد الاشراف .

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر .

((تزداد الطلقات ، ويسمع قرع شديد على الباب . ترفع الستار قليلا ، وتطل من النافذة ، ثم تعود الى ابيها فى هلع))

علية : ـ ابى . انها ثلة من الصهيونيين مؤلفة من ضابط واربعة جنود .

الحاج حسن : ـ اذهبى سريعا من الباب الخلفى فانهم لا يحفظون عرضا ، ولا يرعون شرفا ، اهربى سريعا بحقى عليك ..

علية : ـ وكيف اتركك وحيدا ؟ هذا مستحيل .. هذا مستحيل ..

الحاج حسن : ـ بحق أبوتى عليك ، وبحق أمك العزيزة التي ماتت ضحية غدرهم وخستهم ان تهربى سريعا ، ولا تجمعى على بين مصيبتي فى امك الشهيدة ومصابى فيك يا بنيتي العزيزة ، وثقى انهم لا يأبهون بكهل ضرير مثلى . اذهبى اذهبى .. « ويدفعها بيديه دفعا فما تكاد تتوارى حتى يدخل الضابط والجنود » .

الضابط : ـ (يتلفت حوله فيرى الشيخ فيخاطبه « معذرة أيها الشيخ العجوز » أين ابنك حامد ؟ اننا فى اشد الحاجة اليه الان .

الحاج حسن : ـ وماذا تريدون من حامد ؟ ان كنتم تريدون قتله فاقتلوني انا بدلا منه .

الضابط مقهقها : ـ نقتلك أنت بدلا منه ؟ ! « انك لا تفهمنا ايها الشيخ العجوز ان ابنك أكبر معاون لنا ضد اخوانه العرب ، وسنجزل مكافأتكم عند القضاء على هؤلاء الرعاع الثائرين .

الشيخ حسن : ـ فى دهشة وأنفة : ابنى أكبر معاون لكم ؟! ابني أكبر معاون لكم ؟ ! حاشا لله .. انت كذاب أثيم ، ان حامدا لا يخون أبوته ولا وطنه ولا دينه ، فلا تلوثوا الابطال الشرفاء .

الضابط : ـ « مقهقها » انك تعيش فى ضلالك القديم . ان ابنك ابعد منك نظرا ، واكثر منك معرفة بحقائق الامور ، وليس كاخوانه الحالمين المخدوعين . لقد اصبحت اسرائيل حقيقة واقعة. والعاقل الحكيم هو الذى يعترف بحقائق الامور ، لا بالاباطيل والاوهام .

جندى صهيوني : ـ « للضابط » : ألا نقتله ونستريح منه ؟ .

الضابط : ـ « هامسا له » : اغلق فمك ايها الاحمق . اننا فى اشد الحاجة الى ابنه حامد . وبعد ان نستنفد ما عنده من خدمات لا يفوتنا قتله ، وقتل ابيه ، وقتل العرب اجمعين اذا ظلوا متمردين .

احد الجنود : ـ اذا استسلم العرب دون قتال ، فاننا سنرعاهم ونحكمهم طبقا لعدالة اله اسرائيل ، وسنمنحهم شرف خدمة صهيون ، أما اذا ظلوا ثائرين فسنقضى عليهم اجمعين .

جندى آخر : ـ ما هذا التواضع ؟ اننا سنقضى على الدول العربية كلها اذا لم تدن لنا بالولاء .

جندى ثالث : ـ ان الله وعدنا بالسيادة على العالم . فنحن أبناء الله وأحباؤه . وسيحقق اله اسرائيل النصر لاسرائيل فى بضع سنين .

الاول : ـ ولماذا فى بضع سنين ؟ لماذا لا يتحقق في هذا العام ؟ .

الضابط : ـ لقد تحققت السيادة الفعلية لنا لأننا شعب الله المختار ، ونحن أحق بالسيادة على العالمين من جميع الامم والشعوب ، أليست بيدنا الان السيطرة التامة على الاسواق الدولية ، والمصارف المالية ، والشركات الكبرى ، ودور الصحف ، والاذاعة والتليفزيون ألسنا الموجهين للسياسة العالمية من وراء ستار ؟ ! .

جندى : ـ « فى حماس » لقد آن ان يتمزق الستار وان نحكم العالم سافرين .

الضابط : ـ ماذا ينقصنا من حكم العالم الآن ؟ ألا تتسابق الدول العظمى لامدادنا بالمال والسلاح ، وكبار الخبراء من حربيين ومدنيين ؟ ألم يأمروا أتباعهم من زعماء العرب بموالاتنا سرا على الرغم

من شعوبهم المتحمسة لفلسطين ؟ اننا نحكم العالم الآن رغم أنف الجميع .

جندى ثان : ــ لعلهم يريدون تسخيرنا لخدمة مطامعهم الاستعمارية .

الضابط : ــ وماذا يضير ؟ ان مصالحهم الاستعمارية هى فى الواقع مصالحنا فى الصميم ، فهم وحدهم المسخرون ، وان كانوا يدركون او لا يدركون ، فاهتفوا معي : المجد لصهيون . . المجد لصهيون . . « يرددون النداء » .

الحاج حسن : ــ « لنفسه » ابنى يخون وطنه ؟ ! ابنى يبيع دينه ؟ ! ابنى يجحد عروبته ؟ ! ابنى يمزق شرفه ؟ ! ابنى يدنس مجد آبائه واجداده ؟ ! واأسفاه . . الآن طاب الموت ، وهانت الحياة . . . ولكنى سأطهر منه الحياة قبل أن القى الله . ان روح أمه الشهيدة تلعنه من فوق السموات .

جندى : ــ بم يتحدث هذا الكهل المخبول ؟ .

ثان : ــ انه يهذى كالمحموم .

ثالث : ــ تعجبنى عباءته فانها من الصوف الثمين « ثم ينتزعها منه » .

رابع : ــ ويعجبنى حذاؤه فانه جديد « ويخلعه من رجليه » .

الاول : ــ ان فى فمه أسنانا ذهبية ومن الخير أن أنتزعها منه « ويتجه اليه فينهره الضابط » .

الضابط : ــ « فى حزم » ردوا كل شيء الى الشيخ ، فاننا فى أشد الحاجة الى ابنه ، وليس من الحكمة اغضابه الآن . ثم يتحدث هامسا الى نفسه : « وبعد ايام اعود اليه وحدى لانتزع الاسنان الذهبية من فكى هذا الكلب اللعين » .

احد الجنود : ــ الا ننصرف الآن لنهب بعض الدور العربية قبل ان ينهبها اخواننا .

الضابط : ــ واجبنا انتظار حامد ، لأنه وعدنا بأنباء هامة عن الخطط العربية لمقاومة اسرائيل .

جندى : ــ لقد ظفر بعض اخواننا الصهيونيين بالكثير . أما أنا فلم اظفر الا بقرط ذهبي صغير نزعته من اذن طفلة عربية قتلتها قبل الحصول عليه .

جندى ثان : ــ وهل قاومتك هذه الطفلة لتقتلها بشجاعتك النادرة ؟ ! « يقهقه الجميع » .

الاول : ــ لا تسخر مني ايها الصديق، فما قتلت هذه الطفلة الا لأريحها من البكاء والصراخ ، وانت تعلم مدى شفقتي على الأطفال ، وانني لأشفق على أطفال العرب المساكين ، ولو استطعت لقتلتهم اجمعين لاريحهم من الشقاء الذى ينتظرهم بعد حين من مرض وجوع وتشريد .

ثالث : ــ انك أسعد منى حظا . فقد قتلت شيخة عربية مسنة ، لأحصل على منظارها الذهبي ، ثم اتضح لي انه من معدن خسيس .

رابع : ــ أف لهؤلاء العرب الغشاشين النصابين . كم أتمنى أن احرقهم فى أتون الجحيم .

ثالث : ــ حينما تبينت غش هذا الكهل لم أسترح حتى قتلت عشرة من اخوانه الكهول ! .

الاول : ــ اما انا فتدركني الشفقة على اطفال العرب ونسائهم ، وأرحمهم من مصيرهم الرهيب ، فأتخذهم أهدافا لتجربة الاسلحة الحربية الحديثة التي نتلقاها من أصدقائنا الغربيين .

الثاني : ــ انكم تعلمون اني مولــــع بالتشريح ، ولهذا أفتح بطون النســـــاء العربيات الحوامل ، لأرى كيف يتكون الجنين ، وبهذا اقــوم بابحاث علمية ، ستحدث دويا بين العلماء الباحثين .

الضابط : ــ يحس حركة ، فيلتفت ، فــيرى حامدا فيهتــف به « لقد طــال انتظارك ، ولعلك جئتنا بصيد ثمين تنال عليه احسن الثواب .

حامد : ــ وهل كنتم تظنونني أقضي وقتى فى اللعب واللهو أيها الأخوان ؟ ان جزءا من حامية اسدود العربية اتجهت الى بئر سبع ، وباقي الجنود يسمرون الليلة فى حفلة زواج ، فاجمعوا مائة من خيرة جنودكم ، واكمنوا فى التل المشرف على المدينة ، وسأقودكم الى المدينة فى الوقت المناسب . ومــا هي الا بضــع طلقات حتى تقع فى أيديكم ثمــرة مــن اطيب الثمرات .

الضابط : ــ « ســــأرتب كــل شيء وسأرفع الى الرياسة تقريرا بما قدمته الينا من خدمات ، لتجزل لك الهبات » « ثم يهمس فى اذنه » ولا تنس نصيبي فيما تنال من المكافآت . .

حامد : ــ انصرفوا الآن أيها الاخوان ، وهيئوا شــهيتكم للغنيمــة المنتظــرة ، وسألحق بكم بعد قليل .

« ينصرف الجميع ويبقى حامد وابوه يلتفت حامد فيرى أباه . . » .

حامد : ــ انت هنا يا ابى لعلك سمعت الحديث . .

الحاج حسن : ــ اى حديث يا بنى ؟ لقد كنت نائما « ثم يســعل بشــدة » « ناولنى كوبا من الماء » يقترب منه حامد ليناوله الكوب ، فيخرج الأب خنجــرا ويغمده فى صـــدر حامد صــائحا : هذا جزاؤك أيها اللعين . . اذهب الى الجحيم مشيعا بلعنة الارض والسماء . . وغضب الله والملائكة والوطــن الجــريح . الآن انتقمت لك يا فلسطين . الآن غســلت عارى ، وانتقمت لدينى ووطنى وشرفى . الآن ألقى الله ، وأنا قرير العين مثلوج الفؤاد ، ولكن اين انت يا بنيتي الحبيبة؟؟

علية : ــ « تدخل فى هــذه اللحظــة متهللة ، غافلــة عن المــوقف الرهيــب مندفعة الى احضان ابيها هاتفة به «قبلنى يا ابى وهنئنى فقــد شــفيت غليلــي وانتقمت لوطني من هؤلاء الملاعين .

الحاج حسن : ــ « يتحسس البندقية فى يدها » من اين هذه البندقية يا علية ، وكيف حصلت عليها ؟ انها ســلاح غير مألوف عندنا .

علية : ــ انتزعتها يا ابى من جندى صهيوني بعد ان مزقت جسده بخنجرى، وعجلت به الى الجحيم .

الحاج حسن : ــ هل حاول الاعتداء عليك ؟ وكيف تغلبت عليه ؟ وهل رآك احد من هؤلاء الملاعين ؟ .

علية : ــ اطمئن ياأبتاه ، لم يرنى احد من هؤلاء القتلة المجرمين ، لقد رأيت هذا الخسيس يجذب عجوزا عربية محاولا انتزاع سوارها ، فلما استعصى عليه هم بقطع ذراعها بخنجره ، فغلى الدم العربى فى شراييني ، فاندفعت اليــه كالوحش الكــاسر وأغمدت خنجــرى فى صــدره الاثيم . وانتزعت بندقيته لأهديهــا الى اخى البطل حينما يعود .

الحاج حسن : ــ اخوك البطل ؟ اخوك البطل ؟ اخوك لن يعود يا بنيتي ، فلا تنتظريه ...

علية : ــ « في رعب » ماذا تقول اخى لن يعود ؟ هل قتله السفلة المجرمون ؟ ثم تنظر فترى جثة أخيها ، فتصرخ فى ألم وترتمى عليه صائحة يا اخى العزيز : قتلك السفاكون . سأنتقم لك فورا » « وتحس حركة من يد اخيها فتصرخ » اخى لم يمت ، ما زالت فيه بقية من الحياة .. سأقوم باسعافه » . ضجة ويدخل ضابط عربى يلبس العقال ، ومعه ثلاثة من العرب الفدائيين ، ينظر الضابط فيرى حامدا ملقى على الارض ، وأخته تحاول تضميد جراحه فيتقدم اليه ويفحص جراحه ثم يهتف :

الضابط : ــ الحمد لله الاصابة سطحية ، وان كان قد نزف كثيرا من الدماء ، ولا يلبث ان يعود الى صوابه بعد قليل دعونى أتولى تضميد هذه الطعنة بما أعرفه من فنون الاسعاف علىَّ بماء ساخن وقطن ونسيج .

الحاج حسن : ــ « ثائرا » : سأعاود قتل هذا الخائن مرة ثانية ، اذا عاد الى الحياة . أنا الذى قتلته ، وسأعاود قتله وقتل كل خائن أثيم مثله ، دعوني أجهز عليه « ويندفع ثائرا فيقع على الارض وتصطدم رأسه بالكرسى ، فيصرخ ثم يتماسك وينهض صائحا « ارونى هذا المجرم لا بد من قتله لا بد من قتله .. ها هوذا .. ها هوذا .. ماذا أرى ؟ الضوء .. ابنتى .. هؤلاء أنتم أيها الابطال المجاهدون .. لقد أعادت الصدمة بصرى الى .. الحمد لله .. شكرا لله .. ان الله اعاد اليَّ بصرى لأقتل هذا الخائن الأثيم .

« يحيط به الجنود العرب ، ويكون الضابط وعلية قد فرغا من تضميد جراح حامد » .

الضابط : ــ « للحاج حسن » الحمد لله لقد نجا ابنك البطل من خطر عظيم ، لقد انحرفت الطعنة بمدى يسير عن قلبه . وحفظ الله لنا هذا البطل الكبير .

الحاج حسن : ــ الحمد لله الذى اعاد اليَّ بصرى لاقتل هذا الخائن الاثيم، ولن يفلت منى بعد الان .

الضابط : ــ يظهر يا عماه انك لا تعرف الموقف على حقيقته .

الحاج حسن : ــ لقد عرفت كل شيء ، وسمعت كل شيء وتلطخ شرفي بالخيانة ، وتجلل شيبى بالعار ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، « يتحرك حامد ويستوى جالسا فتقبل عليه اخته متهللة » .

الضابط للأب : ــ ألم يحدثك حامد بالخطة المرسومة ؟ .

الحاج حسن : ــ « ثائرا » لم أسمع منه الا الغدر والخيانة والعار ، عليه لعنة الله .. عليه لعنة الله .

الضابط : ــ « ملتفتا الى الجنود » استوثقوا من اغلاق الباب واحترسوا من ان يتسلل الينا من يسمع حديثنا فللجدران آذان « ثم يتجه الى الشيخ » يا عماه ان ابنك زينة الابطال ، وفخر المجاهدين ، وبطل فلسطين« يعود الجنود ليطمئنوا قائدهم على الحالة فيأمر احدهم ان يبقى بالخارج للمراقبة » .

الحاج حسن : ــ بل هو عار العروبة ، وخزى الوطنية ، ووصمة فلسطين .

الضابط : ــ يا عماه اعرنى اذنيك لتعلم ما كتمه عنك ابنك البطل العظيم .

حامد : ــ « صائحا » لا تخبره الآن حتى يتم تنفيذ ما اتفقنا عليه ، ويرى النتيجة بعينيه .

الضابط : ــ لا بد له من معرفة الحقيقة ، والا ساءت النتيجة ، وقد رأيت كيف كدنا أن نفقدك،ونحن في أشد الحاجة اليك .

الحاج حسن : ــ لقد سمعت باذني خيانته وتواطؤه مع الغدارين السفاكين .

الضابط : ــ ان الخطة المرسومة هي ان يتظاهر بمودتهم ، ويعمل على كسب ثقتهم ليوقعهم فيما نعده لهم من شباك ولقد نسف بالامس وحده مخزن ذخيرة الهاجاناه .

أحد الجنود : ــ وهل نسيت الدورية اليهودية التي استدرجها منذ يومين الى الكمين الذى أعددناه، وكانت النتيجة أن ابدناها عن آخرها .

جندى ثان : ــ وهل نسيت ..

حامد : ــ « صائحا » ارجوكم يا اخواني كتمان هذه الاسرار ، فليس من الحكمة اذاعتها الآن .

الضابط « لحامد » هل اتفقت معهم على المرابطة فى تل اسدود ؟ .

حامد : ــ نعم ايها الاخوان . وستظفرون غدا بمائة من هؤلاء الملاعين ، ومن الحكمة ان تضعوا الالغام فى التل وتصلوها بالاسلاك ، وحينما أعطيكم الاشارة تشعلون الفتيل حتى لا يفلت أحد من هؤلاء المجرمين ...

الضابط : ــ أى اشارة يا حامد ؟ ان معنى هذا ان تنسف مع الجميع لا لا يا صديقي العزيز ..

حامد : ــ وماذا يضير ؟ الا يكفيكم ان تضحوا بفدائي واحد نظير مائة من الصهيونيين ؟

الحاج حسن : ــ « صائحا » الحمد لله شكرا لله » ثم يخر ساجدا ، ويرفع رأسه هاتفا « ابنى العزيز حامد دعنى أقبلك يا بنى ، الا شلت يدى حينما طعنتك .. يا فخر الابطال ويا زينة الشبان « ثم ينفجر باكيا فيبكى حامد واخته ويتعانق الجميع » .

الضابط : ــ « يخرج منديلا يمسح به قطرات الدموع » ثم يلتفت اليهم « ايها الابطال لا مجال الآن للبكاء . ان الوقت يمر سريعا ، ووراءنا واجبات عاجلة » ثم يلتفت الى حامد « هل تسمح لك اصابتك بانجاز الخطة مع هؤلاء الملاعين ؟ » .

حامد : ــ نعم ايها الصديق العزيز فلا شيء يعوقنى عن الجهاد فى سبيل فلسطين .

الحاج حسن : ــ أيها الابطال ان الله أعاد الى ابنى ، وأعاد الى بصرى فلا تحرمونى شرف الجهاد معكم ، لعلى أنال شرف الاستشهاد فى سبيل العروبة والاسلام .

الضابط : ــ لك هذا يا عماه .

الحاج حسن : ــ « لابنته » هاتى مدفعى الرشاش يا بنيتى العزيزة فقد طال شوقي اليه « تناوله المدفع فيقبله صائحا بهم » هيا بنا الى ساحات الشرف والخلود ..

« ستار »

يقفون فيها لأداء المنسك الرئيسي الثاني للحج (١) .

ونحن نرجح التأويل الأول. استئناسا بآية المائدة (٩٦) التي أوردناها آنفا . وصيد البحر انما يكون كما لا يخفى خارج منطقة الحرم وقبل اكتساء لباس الاحرام . فتكرار ذكر تحريم صيد البر معه يفيد أن التحريم هو في الأشهر الحرم والله أعلم . ويتبادر لنا والله أعلم أن العرب كانوا يحرمون صيد البحر والبر معا قبل الاسلام ، فخفف الله عن المسلمين وأحل لهم صيد البحر وأكله في الأشهر الحرم وأبقى حرمة صيد البر فيها . ثم خفف رسول الله عنهم فأحل لهم صيد البر اذا لم يكونوا في حالة الاحرام ولو كانوا في منطقة الحرم وفي الشهر الحرام على ما يفيده حديث رواه البخاري والنسائي عن ابى قتادة « أنه أصاب حمارا وحشيا وهو حلال ــ أي غير محرم ــ فأتى به أصحابه وهم محرمون فأكلوا منه فقال بعضهم لو سألنا النبى صلى الله عليه وسلم فسألناه فقال قد أحسنتم . هل معكم منه شيء قلنا نعم . قال : فاهدوا لنا فاتيناه منه فأكل وهو محرم » وهناك حديث آخر رواه أصحاب السنن فيه قاعدة عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم » والمقصود حل أكله . وقد أذن رسول الله للمسلمين أن يقتلوا الضار المؤذى من الحيوان في حالة الحل والحرم حيث روى الخمسة عن حفصة « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن : الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور . وفي رواية خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة » وفي هذا تخفيف نبوى آخر .

---

(١) حددت السنة النبوية هذا اللباس بالنسبة للرجال والنساء فروى الخمسة عن ابن عمر (أن رجلا قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب قال : لا يلبس القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل الكعبين . ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه زعفران أو ورس)وفي رواية (من لم يجد نعلين فليلبس خفين ومن لم يجد ازارا فليلبس سراويل) والحديث الاول يعنى عدم جواز الثياب المخيطة وعدم جواز ستر الرأس . وروى الخمسة عن يعلى بن أمية : (انرجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قد أهل بالعمرة وهو مصفر لحيته ورأسه وعليه جبة فقال : يا رسول الله انى أحرمت بعمرة وأنا كما ترى فقال : انزع عنك الجبة واغسل عنك الصفرة وما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك) وروى أصحاب السنن وأحمد عن ابن عمر قال : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم نهى النساء في احرامهن عن القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب . ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب معصفرا أو خزا أو حليا أو سراويل أو قميصا أو خفا) ويستفاد من الروايات التي لا خلاف فيها التى يرويها المفسرون في سياق آية الاعراف : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد .. » ان العرب قبل الاسلام كانوا يتحرجون من الطواف والحج بثيابهم ، فكانوا يستأجرون مآزر من سدنة الكعبة تعرف بالمآزر الاحمسية ، ومن لم يستطع أن يستأجر أو لم يجد مآزرا . طاف بثيابه ثم ألقاها لأنها تحرم عليه بعد ذلك ، ومن ضمن بثيابه أن يلقيها طاف في حالة العرى سواء أكان رجلا أم امرأة . حيث يفيد هذا أن للاحرام الاسلامي أصل ما قبل الاسلام . والله تعالى أعلم .

معاوية بن أبى سفيان ، وكان يغزو الروم برا أيضا ، فكان يقض مضاجعهم برا وبحرا .

الانسان

كان جنادة صحابيا جليلا ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث ، وقد لقى أبا بكر الصديق وعمر الفاروق ومعاذ بن جبل وحفظ عنهم ، وكان ثقة صاحب غزو ، فقيها من أصحاب الفتيا من الصحابة .

نزل مصر وسكن الشام ومات بها سنة ثمانين هجرية (٦٩٩ م) ، وكان شهما غيورا ، صادقا وفيا ، كريما مضيافا ورعا ، فقد أراد معاوية بن أبى سفيان أن يدّعيه (أى ينسبه اليه) فقال له : « انما أنا سهم من كنانتك ، فأرم بى حيث شئت » ، وقد أبى أن يدعيه معاوية لقول النبي صلى الله عليه وسلم . « من دعا الى غير أبيه ، لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد مسيرة سبعين عاما » .

لقد كان معاوية بن أبى سفيان يثق بجنادة ويقربه ، فكانت لجنادة آثار جليلة فى أيام معاوية . أما بعده فلا نعرف عن نشاطه فى الجهاد شيئا مما يدل على أن يزيد بن معاوية لم يول جنادة شيئا من عمله .

القائد

لم يأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمسلمين فى ركوب البحر ، أما عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد أذن لمعاوية بن أبى سفيان بركوبه بعد تمنع ، والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا ماهرين فى ثقافته وركوبه بعكس الروم والأفرنجة ، لممارستهم أحواله ، ومرباهم فى التقلب على سفنه ، فمرنوا عليه وأحكموا الدراية بأموره ، لذلك كان اقدام جنادة على قيادة أساطيل العرب المسلمين فى البحر شجاعة خارقة ، لأن العرب لم يسبق لهم ركوب البحر لأغراض الفتح على نطاق واسع من قبل ، ولأنهم أمة ميدانها البر لا البحر ، وقد أظهروا شجاعة فائقة فى ميدان البر ، ففتحوا كثيرا من بلاد كسرى وقيصر برا دون أن يكون لهم شأن يذكر فى البحر ، قبل أيام عثمان بن عفان وأميره على الشام معاوية ابن أبى سفيان ، وقائده البحرى جنادة الأزدى .

ولكن جنادة لم يقتصر على معاركه البحرية ضد الروم ، بل كانت له معارك برية مشهورة ضدهم ايضا ، لذلك كان جنادة من ألد أعداء الروم فى البر والبحر على حد سواء .

لقد كان سريع القرار صحيحه ، قوى الشخصية، شديد السيطرة والضبط(٢) حازم الارادة ، موضع ثقة رجاله وحبهم ، له ماض ناصع مجيد .

وكان يتحمل المسئولية الى أبعد الحدود ، ذلك لأن العمليات البحرية تحتاج الي قرارات فورية لمعالجة المواقف الحربية التي تتبدل بسرعة ، تلك القرارات التي ترتكز على الابداع الشخصي وحبالمسئولية وعدم التردد .

لقد كان جنادة قائدا ممتازا .

جنادة فى التاريخ

يذكر التاريخ لجنادة جهاده المشرف بحرا ، ووضعه أسس البحرية العربية الاسلامية وتقاليدها على هدى وبصيرة .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل من جرأ العرب المسلمين على ركوبالبحر لأغراض الفتح ونشر الاسلام .

ويذكر له جهاده البطولي ضد الروم برا ، وتحمله تقلبات الجو القاسية شتاء فى أرضهم ، وهو العربي ابن الصحراء الذى تعود حرارة الطقس ، ولم يألف البرد القارس،والامطار الغزيرةوالثلوج .

رضى الله عن الصحابى الجليل ، الفارس البطل ، المحدث الفقيه ، القائد الفاتح ، أمير البر والبحر ، جنادة بن أبى أمية الأزدى .

قرأت لك

أمثال العرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى (مما هو أجل منها وأعلى) ((للثعالبى)) .

قال علي رضي اللـه تعالى عنه « القتل أنفى للقتل » .

وفى القـــرآن « ولكـم فى القصــــاص حيـــاة يـا أولى الألباب » .

والعرب تقول لمن يعير غيره بما هو فيه « عيَّر بُجَير بجره ، ونسى بُجَير خبره » .

وفى ألقرآن « وضرب لنا مثــلا ونسى خلقه » .

وفى معـــاودة العقوبـــة عند معـــاودة الـــذنب « ان عـــادت العقرب عدنا لها » .

وفى القـــرآن « وان عدتـــم عدنا » . « وأن تعودوا نعد » .

وفى قرب الغد من اليوم قال الشاعر : « وان غدا لناظـــره قريب » .

وفى القرآن « أليس الصبح بقريب » .

وفى ظهور الأمور « قد وضح الأمر لذى عينين » .

وفى القرآن « الآن حصحص الحق » .

وفى الاساءة الى من لا يقبل الاحسان . « اعط أخاك تمرة فان أبى فجمرة » .

وفى القرآن « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

وفى فوات الأمـــر « ســـبق السيف العذل » .

وفى القرآن العظيم « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

وفى الوصول الى المراد ببذل الرغائب « من ينكح الحسناء يعط مهرها » .

وفى القرآن « لن تنالوا البر حتى تنفقـــوا مما تحبون » .

وفى منع الرجل مراده « وقد حيل بين العير والنَّزوان » .

وفى القرآن « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » .

ومن أمثلة العامـــة : « من حفر لأخيه بئرا وقع فيها » .

وفى القرآن « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » .

الاستاذ محمد أحمد فرج
كفر الشيخ ـ المتحدة

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

حول بنك العيون

سبق أن نشرنا فى العدد الأول من المجلة ص (٧٤) فتوى بعنوان : (بنك العيون) اجابة على سؤال ورد لنا من وزارة الصحة العامة بالكويت ، وقد سبق أن وجه مثل هذا السؤال الى فضيلة الاستاذ مصطفى الزرقا خبير موسوعة الفقه الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، بالكويت ، وأجاب فضيلته عليه ، وانتهى الى ما انتهينا اليه من الجواز والاباحة . وقد أرسل لنا فضيلته نص اجابته فى هذا الموضوع وننشره فيما يلى لما فيه من زيادة الايضاح وللرد على ما ورد لنا من أسئلة بعد أن نشرنا تلك الفتوى .

(الوعى الاسلامى)

ان هذا الموضوع قد كثر عنه السؤال فى العصر الحاضر ، وخاصة من أطباء العيون الجراحين بعد أن وصل الطب اليوم الى امكان ترقيع عيون الاحياء بعيون من يموتون حديثا اذا أخذت عيون الميت اثر الوفاة فورا ، فقد أصبح من الممكن بذلك أن يرتد الاعمى بصيرا فى بعض حالات العمى ، كما كثر السؤال فى هذا الموضوع نفسه حول انشاء مصرف للعيون على نحو مصارف الدم لتحفظ فيه عيون الموتى بصورة فنية تصون خصائصها الحيوية ، حتى اذا احتيج اليها تكون موجودة جاهزة لترقيع عيون المكفوفين بها ، كما تحفظ اليوم الدماء فى مصارف الدم مصنفة فيها تلك الدماء المحفوظة بحسب الزمر الدموية الاربع المعروفة ، ليؤخذ الدم جاهزا معروف النوع عند الحاجة الى الاسعاف السريع للمرضى أو المنزوفين انقاذا لحياتهم .

وقد كان فقهاء العصر بين متردد ومانع فى جواز الاستفادة من عيون الموتى لهذه الغاية ، وكل منهم ينظر الى الموضوع منزاوية شرعية معينة : فمنهم من ينظر من الناحية الانسانية فى الاسلام ، ونصوصها العامة المعروفة فى الكتاب والسنة ، فيترجح لديه الجواز شرعا . ومنهم من ينظر الى أن هذا انتفاع بجزء من ميت ، فيترجح لديه المنع ، ومنهم من يرى أنه قد يجوز هذا بين المسلمين ، ولكن لا يجوز ان يؤخذ عضو من مسلم متوفى لترقيع جسم غير المسلم .

وقد صدر أخيرا فى موضوع ترقيع العيون فتوى من المفتى العام السابق فى الجمهورية العربية السورية الأستاذ الطبيب الشيخ محمد أبى اليسر عابدين بجواز ذلك .. والذى أرى أن قاعدة الضرورات فى الشريعة الاسلامية تقتضى الجواز فى جميع أنواع هذا الترقيع ، ذلك لان ترقيع العين لاعادة البصر (وهى محل التردد والاشتباه) يمكن قياسه على الحاجة الى استنقاذ الحياة بدفع الهلاك ، أو الى منع اتلاف العضو عندما يتوقف ذلك على تناول بعض المحرمات ، حيث يصرح الفقهاء أنه يجب تناوله لدفع الهلاك ، فهنا لو قيل أيضا يجوز أخذ العين مثلا من الميت لاحياء حاسة البصر لكان ذلك مقبولا شرعا .

واذا كان يجوز بل يجب وجوبا تشريح الميت لتعلم الطب ، أو لكشف جريمة ، ويجوز كشف عورة الرجل والمرأة لاجل ضرورة التطبيب ودفع الاذى مع أن كل ذلك من المحرمات القطعية فى الاصل ، فأبيحت أو وجبت بحسب درجة الضرورة اليها ، بمقتضى أن الضرورات تبيح المحظورات ، وهى قاعدة نص عليها القرآن نصا قطعيا ، أفلا تكون الاستفادة من عيون الموتى لاستعادة بصر شخص أعمى هى أولى بالجواز ؟

ومما يلحظ فى هـذا الصدد أنه لم يتردد أحد من فقهاء العصر فى جواز نقل الدم من جسـم الى جسم آخر شرعا عند الحاجة الى الاسعاف، كما لم يتردد أحد فى جواز ترقيع الجلد بالجلد ، فمـا الفرق بين ذلـك وبين ترقيع العـين مع العلم أن الدم عضو من جملة أعضاء البدن فى نظـر الطب كالعيون والجلد ، ومعالعلم أيضا أن النظـر الشرعى يعتبر العضو بعد انفصاله من الحى كجزء من ميت ، ولـذا ينص الفقهاء على أنه لو قطع عضو من شاة وهى حية كان كجزء من الميتة لا يحل أكله ،الامنالسمك فان النص قد ورد بأن ميتته حلال فلم يوجب الشرع ذبحه لاجل حله .

فالذى يظهر أن الذى يقال شرعا فى حكم نقل الدم والترقيع بالجلد يقال فى شأن الترقيـع بالعين ، وكون الدم والجلد يؤخذان من حى والعين تؤخذ من ميت لا تأثير له فى الحكم ، لان حرمة الحـى أعظم من حرمة الميت ، ولأن العضو بانفصالـه من الحى يعتبر شرعا كالمنفصل من ميت كما بينا .

على أن الجواز ينبغى أن يقيد باذن الشخص نفسه فى حياته أو اذن أوليائه بعد وفاته ان لم يـكن هو قـد نهى قبل وفاته عن أخذ عينيه ، وبشرط أن يكون ذلك تبرعا انسانيا ليس لقاء عوض ، لان دخول العوض فى هذا الموضـوع له محاذيره ، فيتنافى مع القواعد الشرعية فى الموضوع .

وقد صدر منذ سنوات قانون فى سورية جوز أخذ عيون الموتى للترقيع بها بشرط الاذن من أولياء الميت ، أو بوصيته أو اذن من الميت قبل وفاته ، ولكنه لم يتعـرض لامر العوض لانـه لم يـكن محـل تفكير أو تساؤل ..

هذا ما أرى فى هذا الموضوع والله سبحانه وتعالى أعلم ..

***

فى الطلاق

السؤال : ـ

حصل نزاع بينى وبين زوجتى فقلت لها أثناء غضبى روحى طالق ، ولم يسبق لي طلاقها قبل ذلك . فما حكم الشريعة الأسلامية ؟

(العاص جاعد عجيل ـ الجهراء/الكويت)

الاجابـة : ـ

بقولك لزوجتك أثناء النزاع بينكما روحـى طالق تكون زوجتك طالقة رجعية ، لك مراجعتها بالقول أو الفعل ما دامت فى أثناء عدة الطلاق ، أما اذا كانت العدة قد انتهت فيجوز لك العودة اليها بعقد ومهر جديدين ، ويعتبر الطلاق المذكور من الطلقات المقررة شرعا .

وقولك ان الطلاق كان فى أثناء الغضب لا يجعل الطلاق غير واقع ما دمت تعقل ما حدث منك ، وعليك التريث فى مثل هذا حتى تحافظ عـلـى أولادك وسعادتك وان أبغض الحلال الى اللـه الطـلاق .

السؤال : ـ

« حصل نزاع بينى وبين أهل زوجتى وحلفت عليها بألا تذهب اليهـم ، ولـو خالفت أمرى وذهبت تكون طالقـة ، وأقصد بذلك منعها ، وبعد أن سافرت ذهبت الى بيت أهلها لمرض أمها ، فمـا حكم الشريعة فى ذلك » .

(م . ى . أ /الكويت)

الاجابـة : ـ

اذا قصد السائل بيمينه هذا الطلاق عنـد ذهاب زوجته الى منزل أهلها يكون الطلاق واقعا وله مراجعتها بالقول أو بالفعل اذا كانت فى العدة ، وكان هذا هو الطلاق الاول أو الثانى . أما اذا قصد بيمينه التهديد والتخويف والمنع فقط فـلا يقع طلاقا بناء على ما ذهب اليه المتاخرون مـن العلماء .

وبناء على ما قرره الزوج من أنه لا يقصـد بيمينه هذا وقوع الطلاق ، وانما يقصد المنـع من الذهاب فقط فانا نفتيه بعدم وقوع هذا الطلاق وننصح له بعدم العودة الى مثل هذا حفاظا على كيان الاسرة .

فى الرضاع

السؤال : ـ

أنا وأخى تزوجنا من اختين ، وأنجب كل منا أولادا ، وأراد ابن احدنا أن يتزوج من ابنة عمه ولكن أخا الابن رضع مع

أخت البنت كما أرضعت الجدة لام هذه البنت فما حكم الشرع فى ذلك . ؟
(ع . س)

الاجابـة : ـ

المقرر شرعا أنه يحرم بالرضاع ما يحرم من النسب ، وفى هذه الحالة تعتبر هذه البنت التى رضعت من الجدة خالة للابن من الرضاع . ويحرم الزواج منها اذا ثبت أنها رضعت مـن الجدة رضاعا محرما بان يكون خمس رضعات مشبعات فى سن الرضاع وهو ما دون الحولين .

ولذلك نفتى بأن الرضاع الذى تم بين أخى الابن وأخت البنت وان كان لا يحرم زواج الابن الذىلم يرضع منالبنت لانهما لم يجتمعا على ثدى واحد الا أن رضاع البنت المراد الزواج بها مـن الجدة جعلها تحرم عليه لانها صارت أختا لامه من الرضاع أى خالة له .

السؤال : ـ

ادعت امرأة بأن زوجة (ص.د) المتوفاة أرضعت بنتا اسمها « هيا » ، وعند التحقق من صـحة الخبر منها تراجعت ، وقالت أنا لم أرها بنفسى ترضعها ، وانما سمعت ذلك من فلانة المتوفاة وغير متأكدة من صحة هذا السماع ولا أشهد لكم بشىء لم تره عينى .

وقد تحرينا عن ذلك فسألنا كل من له صـلة بالعائلة من النساء المسنات من الجيران والاقارب الذين لهم معرفة فى ذلك الأمر ، فقالوا : انهم لا يعرفون شيئا عن هذا الارضاع ، وشهد الكثير بأن زوجة « ص » الآنفة الذكر المنسوب اليها الارضاع كانت لا تدر لبنا ، وكان أولادها يرضعون مـن أجنبيات فكيف ترضع غير أولادها ، وقد شـهد بهذا المرأة التى ادعت الارضاع حيث اعترفت بأن الزوجة المذكورة لم يكن لها لبن وأنها (أى المدعية) للرضاع هى التى أرضعت أولاد المرأة التى نسب لها ذلك الرضاع على حد قولها .

ثم انجبت « هيا » بنتا ، ويريد (ناصر ابن الزوجة التى قيل انها ارضعت « هيا » الزواج بها ، فما حكم الشريعة ؟ .
(ن . ص . د ـ الفيحاء / الكويت)

الاجابـة : ـ

الرضاع الذى يثبت به التحريم انما يكـون باقرار المرضعة أو الشهادة ، وحيث لا اقرار فى هذه المسألة فانه لم يبق الا الشهادة . والشهادة التى يثبت بها التحريم هى التى تثبت بها الحقوق المالية . وهى شهادة رجلين من أهل الشهادة ، أو رجل وامرأتين كذلك لان الحكم بثبوت الرضاع يقتضى زوال ملك النكاح ان كان موجودا أو حرمة الزواج ان لم يكن موجودا ، وهذا هـو مذهب الاحناف وقال الشافعى : يثبت بشهادة امرأتين بناء على أن الرضاع مما لا يطلع عليه الا النساء . ويروى ذلك عن مالك وأحمد أيضا ، وذهب بعض المالكية أنه يكفى فى ثبوت الرضاع امرأة معروفة بالعدالـة .

وبما أن السيدة الشاهدة الوحيدة فى هذه المسألة لم تر بعينها ، وانما سمعت ثم تراجعت عن سماعها ، وبناء على ما قرره الجيران المتصلون عن قرب بالسيدة زوجة ص.د من أنها كانت لا تدر لبنا وكان أولادها يرضعون من أجنبيات ، فالحرمة المترتبة على الرضاع غير ثابتة بالشهادة أيضا .

لذلك نفتى أن لا مانع شرعا من هذا الزواج حيث لم يثبت رضاع مطلقا .

فى المـــيراث

السؤال : ـ

مات رجل عن : أختين لاب ، وأخوين لام ، وعمين .

فمن الوارث وغير الوارث منهم .

(حمود القعدى ـ الكويت)

الاجابـة : ـ

بوفاة المتوفى المذكور عن الورثة المذكورين توزع تركته على الوجه الآتى :

الثلثان فرضا للاختين لاب مناصفة بينهما .

والثلث فرضا للاخوين لام بالتساوى بينهما لا فرق بين الذكر والانثى .

ولا شىء للعمين لانهما من العصبات ولا يوجد باق من التركة بعد نصيب أصحاب الفروض .

قال عليه الصلاة والسلام (الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر) .

أسماء النبي صلى الله عليه وسلم
آراء العلماء في : طه ويس
المظهر الحقيقي لحب الرسول وتوقيره

وصلتنا الرسالة الآتية من الدكتور / يحيى عبد المجيد / مستشفى الناصرية . بالعراق يقول فيها :

من المعروف أن للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم عدة أسماء وألقاب وكنى خاطبه بها سبحانه وتعالى ، ودعاه بها المسلمون . ومن الاسماء التى تشتهر بين الناس على أنها من أسمائه (طه) و (يس) . حيث يقال انه قد خوطب بهما فى السورتين المعروفتين بنفس الاسم . (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (يس . والقرآن الحكيم) .

ورغم اطلاعى المحدود على السيرة النبوية الشريفة ، وعلى تاريخ الاسلام فى فجره فاننى أشك أن يكون هذان الاسمان (ان صح تعريفهما بالاسمين) من اسمائه صلى الله عليه وسلم .

واننى أرى ، وهذا رأى شخصي خاص أطرحه للمناقشة والتمحيص — أن كلمتى طه ويس — آيتان من جملة الآيات القرآنية الواردة فى أوائل بعض السور القرآنية مثل (ألم . ألر . يس . كهيعص) .

هذا رأيى وارجو منكم أن ترشدوني الى مواطن الزلل فيه وأن تعلمونى عن صواب الرأى فى أمر هذين اللفظين .

ونقول للدكتور الفاضل ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء ونعوتا كثيرة ، وكلها تدل على علو قدره ، وسمو خلقه ، وعظيم جهاده . وقد ورد بعضها فى الكتاب الكريم ، وجاء ذكر طائفة منها فى السنة الصحيحة ، وتناقل العلماء العديد منها مستندين الى بعض الروايات والآثار ، فبلغ بها فريق منهم المائة وفريق آخر المائتين ، ونيف بها بعضهم على الالف .

ومما ورد فى القرآن الكريم من ذلك باتفاق العلماء : محمد ، وأحمد ، والشاهد ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والمدثر ، والمزمل .

ومما جاء فى السنة الصحيحة ما رواه الشيخان عن جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب . وروى مسلم أن أبا موسى الاشعرى قال : كان رسول الله يسمى لنا نفسه ، فقال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة ونبى الرحمة .

ومما تناقله العلماء من ذلك : الطاهر ، الطيب ، الامين ، الكريم ، نبى الملاحم ،

ونقل القاضي عياض عن أبي محمد المكي أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لي عند ربي عشرة أسماء : ذكر منها : طه ويس .

وقد تعرضت كتب التفسير للكلام عن هاتين الكلمتين في فاتحة السورتين ، وتناول البحث أمرين : المراد بهما ، وأصلهما اللغوي ، ونقل عن جماعة من أهل اللغة أنهما من اللغة السريانية ، كما نقل أنهما منقولتان عن الحبشية ، وقيل من النبطية ومعناهما : يا رجل أويا انسان ، والصحيح أنهما وان وجدتا في لغة أخرى ، فانهما من اللغة العربية ، وهي لغة يمنية في علك وطيء وعكل ، ومعناهما : يا رجل . قال الكلبي : لو قلت في ((علك)) يا رجل لم يجب حتى تقول طه ، وأنشد الطبري في ذلك قول متمم ابن نويـرة :

دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون موائــلا

ونقل القرطبي في تفسيره عن مقاتل والضحاك : لما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ــ قام فصلى هو وأصحابه ، فقال كفار قريش : ما أنزل الله هذا القرآن على محمد الا ليشقى ــ وذلك على سبيل التهكم والانكار ، فأنزل الله تعالى ((طه)) يقول يا رجل ((ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)) .

وذهبت جمهرة من المفسرين الى أن طه ويس شأنهما شأن (ألم المص وكهيعص وطس وحم ون) وغيرها من الحروف التي افتتحت بها بعض السور للفت أنظــار العرب وتنبيههم وتحديهم واظهار عجزهم عن معارضة القرآن ، وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع في هذا الباب من العدد السابق من المجلة .

وهذا الرأي يتفق مع ما ارتضاه كاتب هذه الرسالة غير أن ما ذهب اليه من أن هذين اللفظين لا معنى لهما عند العرب ، وأنه لا يوجد أثر مشهور أو خبر معروف يفيد أن النبي صلى اللهعليه وسلم خوطب بأحد هذين اللفظين لا يتفق مع ماسقناه نقلا عن أمهات الكتب .

ويحسن بنا ألا نقف في ختام هذا الحديث عند الناحية العلمية النظرية ، بل يجب أن نتعداها الى الجانب السلوكي العملي ، فان كثيرا من صفات الرسول الكريم ــ كما أسلفنا هي مظهر من مظاهر أخلاقــه العالية وشمائله الشريفة التــي يجب أن يستوحيها المسلمون من ألفاظها ليجسدوا معانيها سلوكا ينتهجونه في حياتهم الواقعية ، وماذا يفيد المسلم اذا حفظ ووعى الكثير من هذه الاسماء والصفات وكان حظه منها واقفا عند حدود العلم والمعرفة ، ولم يتجاوزه الى ممارستها والتخلق بها .

ان المظهر الحقيقي لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره هو الاقتداء به ، والاخلاق التي يهتدي اليها المسلم بهدى أسماء الرسول وصفاته كثيرة وافية بخير الانسانية منها الشجاعة والعزة والسماحة والاحسان والرحمة والود والصبر والعفو والعدل والصدق والحكمة والرشد والحلم ((لقد كان لكم في رسول الله أســوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)) .

★★★

والاخ كمال يوسف سليم من بديا بالاردن يسأل عن معنى قوله تعالى (يايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) .

ومعنى الآية واضح كل الوضوح ، فهو أمر من الله لرسوله ، وأمر لجميع المؤمنين على جميع المستويات ، بتكريم المرأة عن أن تلتهمها الاعين الضارية ، أو تنال منهــا الظنون والشائعات وذلك لا يكون الا باسباغ ثيابها ، وعدم تبرجها ، وابداء زينتها وفي ذلك طهارة المجتمع وسد منافذ الفتنة ، وقطع الطريق على الشياطين ، وما قيل في سبب نزولها لايتحكم في معناها العام المستفاد منها .

قالت صحف العالم

الإنسان في القرآن

نشرت مجلة الهدى الاسلامى التى تصدر عن الجامعة الاسلامية بليبيا مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلـي :

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بـين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم .

تأمل كيف حصر الخلاف بين اتباع النبيين وكيف جعل سره البغى من أثرة وحقد . واستعلاء وظلم ، وحروب ومآثم : وفساد الحكم على القيمة الحقيقية للانسان وعلى الوظيفة الطبيعية له فى الحياة كانذلكأهم سبب لتأخر المتدينين على ظهر هذه الارض .

ففي الوقت الذى بذل الملحدون فيه جهودهم لعبادة الوجود والافادة من فرصة حياتهم فيه ، واستثارة قواه الظاهرة والباطنة لمصلحتهم ، كان المتدينون يقبعون فى كسل ، ويفكرون فى ذهول وغفلة .

كانت فى أوروبا جماهير تبغض الغسل وتتعبد ببقاء الاوساخ على الجسم ، وكانت هنا وهناك أمم تحسب الجوع والعرى والغربة فى هذا الكون الكبير بعض أسباب القربى الى الله .

والتأمل اليسير فى آيات القرآن الكريم يميط اللثام عن وجه الحق فى قيمة الانسان ووظيفته ومنزلته ورســـالته .

فالانسان فى القرآن الكريم خليفة الله فى أرضه . وقد تكررت قصة خلافته فى كثير من السور متضمنة : ان الله جعله سيدا يطاع ويكرم ومتضمنه به ان من يتجرأ على اهانته ، ويتمرد على مكانته ، فليسبأهل لرحمة الله وبره .

ومن هنا حكم على ابليس بالطرد والهوان ، وما نزلت هذه العقوبة به الا بسبب مخاصمته لآدم وذريتـه ...

الإيمان أغلى من الحياة

وتتناول مجلة رابطة العالم الاسلامى بمكة هذا الموضوع فتقول :

عندما يجرى الاسلام دما فى شرايين الانسان .. ويسيطر على مشاعره وأحاسيسه .. يقهر كل عاطفة تحاول أن ترضى غريزته .. تهون عليه صلات الدم والاسرة والقرابة اذا تعارضت هذه الصلات مع عقيدته وايمانه .. كان للرعيل الأول من شباب الاسلام فى هذا الشأن من المواقف الخالدة ما يجعلنا نستعيدها لتكون هديا لشبابنا .. وقدوة حسنة يحتذونها .. ونبراسا ينهجون على منواله .. فهذا سعد بن أبى وقاص أسلم وهو فى السابعة عشرة من عمره .. وعلمت أمه فغضبت وثارت وهددته أنه ان لم يدع هذا الدين فانها لن تأكل أو تشرب حتى تموت .. وعندئذ يعيره قومه .. ويشيرون اليه باصابعهم وهو يمشى بينهم فى احتقار ويقولون : « يا قاتل أمك » .. لكن ســعدا رغم أنه أحســن النـاس وأبرهم بأمه قال لها فى عزم واصرار « انى لا أدع دينـى هذا لشــىء » .. وركبت أمه رأســها .. فصامت عن الطعام والشراب .. ومضت بها الايام وهى تذوى بين عينيه حتى قاربت الهلاك .. فحاول سعد أن يثنيها

عن المضى فى عنادها .. لكنها أبت واستكبرت .. فقال لها فى عناد واصرار : « والله لو كان لك ألف ألف .. وفى كل يوم يخرج منك نفس بعد نفس ما تركت دينى .. ان شئت فكلى أو لا تأكلى .. » ولما أحست الام بتمسك ولدها بدينه .. والاعتزاز .. أكلت وشربت .. وخلد القرآن هذا الموقف الجليل .. فجاء فى محكم آياته : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك بــه علم .. فلا تطعهما.. وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

وهذا الفتى عبد الله بن عبد الله بن سلول عندما حاول أبوه سيد الخزرج أن يفتن المسلمين عن دينهم ويؤلبهم على رسول الله .. وأنزل الله فيه قوله : « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا .. ولله خزائن السموات والأرض .. ولكن المنافقين لا يفقهون .. يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل .. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون » .. وحسب المسلمون أن النبى سيأمر بقتل هذا المنافق .. عندئذ ذهب الفتى الى النبى وقال له : « يا رسول الله .. انه بلغنى أنك تريد قتل أبى فيما بلغك عنه .. فان كنت فاعلا فمرنى به .. فأنا أحمل اليك رأسه .. فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى .. وانى لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله .. فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فاقتله .. فاقتل رجلا مؤمنا بكافر .. فأدخل النار » .. لقد عبر الفتى بهذه العبارة الموجزة عما يضطرب فى قلبه من عوامل البر بأبيه وحبه له .. وصدق اسلامه وقوة ايمانه .. انه يؤمن بأن رسول الله عندما يأمر بقتل أبيه .. انما يصدع لأمر الله .. ويخشى أن يكلف مسلما بذلك .. فتدفعه النخوة والكرامة الى أن يثأر من قاتل أبيه .. ومن ثم تتوالى الثارات .. وتقوم الفتنة بين المسلمين فى الوقت الذى هم فيه فى أمس الحاجة الى الوحدة والتضامن .. لهذا آثر الفتى أن يحمل بنفسه رأس أبيه الى النبى رغم بره به .. وحبه له ..

الإسلام دين البحث والعقل

وفى هذه الفترة التي تيقظ فيها العالم الاسلامي لاعادة النظر فى القوانين الوضعية التى تحكمه نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان . نقتطف منه هذه الفقرة :

ومن مستلزمات القول بأن الاسلام والعقل صنوان متلازمان أن نبين أن تشريعات الشارع الحكيم ليس فيها على الاطلاق ما ينبو عن الذوق السليم أو العقل الصحيح ، أو يكون فوق تصور الانسان والفكر أو يكون مستحيلا فى العادة أو تكليفا فوق الطاقة أو غير مقدور عليه أو مناهضا للفطرة الانسانية ، وانما الدين والعقل أمران لا يفترقان ، وكل ما أدى اليه العلم الصحيح فهو لا يمكن أن يعارض أمرا جاء به شرع الاسلام ، والاسلام يطالب العلماء بالمزيد من البحث والابداع والله سبحانه يسخر الملائكة لمساعدة أولى العلم والنهى والرشد ويعتبر اهمال استعمال العقل سببا للعذاب فى الآخرة « وقالوا لو كنا نسمع .. » وهكذا نجد التوازن والتقارب بين العقل والدين فى آى القرآن الحكيم . قال تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » « انا كل شىء خلقناه بقدر » « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » .

وان فى التناقضات التي نجدها فى سلوك غير المسلمين ، وفى الثغرات التي نلاحظها فى القوانين الوضعية لأكبر دليل على أن العقل البشرى اذا لم يستمد نظمه من دستور سماوى وعلى هدى من وحى الله المتنزل بالحكمة والعقل فسيظل فى حيرة واضطراب وقلق ، وفى تغير وتبدل دائمين ، وفى هذا جناية على فطرة الانسان الطبيعية وعلى العقل والفكر والقلب التي امتاز بها البشر لتكون رائد الانسان المؤتمن فى هذه الحياة ، فليس فى شرع الله ما يعيق التقدم الحضارى أو يعارض العقول السليمة ، وانما ينبغي اذن الاسترشاد بهدى الله وادامة النظر والبحث والانطلاق ، كما أكد القرآن فى آفاق الكون من أجل العمار والبناء والانتاج وصدق الله العظيم حيث يقول :

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » .

باب أقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

التصور الإسلامي للوجود

في هذه الكلمة يتحدث الأستاذ عدنان سعد الدين من — دبي — عن المجتمع العربي الاسلامي وأنه سيظل ديني التفكير في تصوير الوجود وغايته . وخلقي النزعة في حل كل مشكلاته الاجتماعية ، فيقول :

لقد تعرض الاسلام شأنه شأن الأديان التي سبقته ، والنظريات التي لحقته للهجوم والنقد والدحض بمختلف الطرق والأساليب ، ومع ذلك ظل ثابتا كالطود ، شامخا كالشم الراسيات قادرا على قبول جميع التحديات الحضارية والمذهبية ، مدللا على أنه وحده محط آمال شعوب الأرض قاطبة ، وقد حاول خصومه دحضه بالأسلوب نفسه الذى اتخذه خصوم المسيحية فى أوربا مستهدفين عزله عن شئون الحياة وحصره بعيدا عن كل التحولات الاجتماعية وحياة الناس ، ولكن جميع البراهين والأدلة التي حشدها هؤلاء كانت تأتي بنتائج عكسية وعلى غير ما يروم أصحابها .

فالقياس الذى استندوا اليه فى تشبيه التاريخ العقائدى فى أوربا بمثله فى البلاد العربية والاسلامية قياس خاطىء يفتقر الى التجانس والتقابل بين وجهى الشبه .

فاذا كان تاريخ أوربا العقائدى وتطوره الحضارى قد سار الى طريق الفصل بين كل ما هو زمنى وما هو دينى أو ما هو مادى وما هو روحى ، واذا كانت غاية ذلك اغتصاب فكرة التنظيم الاجتماعي من الدين ، فان هذه النتيجة لا تتواءم مطلقا وطبيعة كياننا الحضارى فى اندماجه مع الاسلام من ناحية ، ومن التوافق المتين ما بين التنظيم الاجتماعي والاعتبارات الروحية من جهة أخـرى .

وبمعنى آخر اذا كان الدين قد انفصل عن الدولة فى الحضارة الأوربية ، وتأكد هذا الانفصال فى كثير من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية ، كما دعم تاريخيا فى الثورتين الفرنسية والبلشفية ، فليس لهذا الانفصال محل فى الحضارة العربية التي ما كانت لترى الوجود لو لم تعرف الاسلام ، ولسنا فى حاجة الى الاستشهاد بالنصوص والتفاسير فهذا أكبر من التدليل عليه ، وانما نعرض لرأى أحد كبار المفكرين الغربيين السيد (ك. سميث) فى كتابه الاسلام فى العالم الحديث حيث يقول :

لا ينظر الاسلام الى التصرفات الفردية على أنها تصرفات وقتية ، وانما هو يعلم أن لكل حركة يتحركها الانسان دلالتين فى آن واحد احداهما عارضة فى هذا العالم الدنيوى الزائل ، والأخرى خالدة فى العالم الباقى حيث يسأل كل فرد يوم الحساب عن نصيبه الشخصى فيها ، أما التصرفات الجماعية فانها تمثل أكثر المحاولات الجدية اصرارا فى سبيل تحقيق عدالة اجتماعية فى الأرض .

ولئن اعتقد المسلمون أن الحياة الآخرة أهم من الحياة الدنيا ، الا أنهم اعتقدوا فى ذات الوقت أنه لا يجوز أن يجرفهم مجرى التاريخ الى غير غاية ، وأنه لا يكون لهذا التاريخ معنى الا بقدر ما يتحقق فيه من

الكمال الانسانى فى هذا العالم ، ولهذا السبب يصر المسلمون على التسامى فى كل خطوة يخطوها المسلمون فى العملية التاريخية ، وفى هذا ضمان ألا ينحرف الانسان خلال سيره فى التاريخ أمام ما يحققه من تقدم ، وهذا ما طبع التاريخ الاسلامي بسمات خاصة ومميزة ، لقد سعى المسلمون داخل هذا التاريخ الى نوع من المجتمع يكون مناسبا للفرد وللجماعة فى حياتهم الزمنية ، وأن يكون صالحا فى نفس الوقت لأن يهيئهم لحياة الخلد فى العالم الآخر ، وذلك بالتزام الحق وطريق الاستقامة .

واذن فالحضارة العربية ترتكز أساسا على دعائم دينية لأن الشعب العربى متدين بطبعه ، بمعنى أن غايته فى الوجود يحددها الدين ، كما ترتكز حضارتنا على دعائم من الخلق والمثل وتؤمن بالروحانيات والقيم ، فالخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله ، وأمتنا بهذا الوصف تستمد قيمتها من الايمان بالله جل وعلا ، ومن الثقة بذاتها ، ومن هذا التقويم المثالى تناهض أى اتجاه يتعارض وهذا الايمان .

هذا قبس من نور الاسلام لا يستطيع كل ظلام الدنيا أن يطمس نوره ، فالى التائهين الذين ينشدون الحق ولا يجدونه ، الى الحيارى الذين سلخوا معظم أعمارهم راكضين خلف السراب يظنونه الماء الفرات ، الى الذين يبحثون عن شاطىء الأمان فى تيه الضلال ، الى كل هؤلاء نقدم محض النصح أن يفتحوا أعينهم على نور الاسلام ، فالحياة بدونه ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

الحج ووحدة المسلمين

وتلقينا من الأستاذ مكرم السيد البرزنجي المحامي من ـ كفرى ـ العراق ـ كلمة عن الحج المبرور عرض فيها لأحكام الحج وفضائله وآثاره الدينية والدنيوية ، فيقول :

الحج فريضة الله على كل مسلم ومسلمة بشرط القدرة والاستطاعة ، وتهدف كسائر الفرائض الى الكثير من الخير للانسان فردا وجماعة ، وفيها كثير من العبر والعناء ورياضة الـروح . وفى الحج يقف الحاجون حفاة عراة متساوين لا ميزة لكبير على صغير ولا لغنى على فقير ولا لعظيم على وضيع ، بل انهم اخوة لا فرق بين عربيهم وأعجميهم الا بالتقوى فهم سواسية كأسنان المشط أمام خالقهم سبحانه وتعالى .

وللحج منافع دينية ودنيوية معا ، والدين والدنيا فى نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد ، فاذا كان الدين يمد الروح بالايمان الصحيح والآداب فان أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعى الارتقاء ، وفى هذا المؤتمر الاسلامي العام يتدارس المسلمون مشاكلهم على ضوء تعاليم الاسلام وليعملوا على رفع منار الاسلام والمسلمين ، لا سيما وأن المسلمين يواجهون أخطارا عديدة كخطر المستعمر الكافر الذى يريد أن ينهب خيرات المسلمين وينشر الفساد والمنكرات فى بلاد المسلمين . وخطر الالحاد الذى انتشر فى جميع البلاد الاسلامية ، وخطر ثالث هو خطر الصهاينة الذين اغتصبوا أقدس بقعة فى بقاع المسلمين ، وأن الغربيين فقهوا وعرفوا هذه الحكمة الجليلة وحسبوا لها ألف حساب فتخوفوا من اجتماع كلمة المسلمين كثيرا ، وهذه مقالة لأحد عظمائهم فى هذا الشأن وهو « الدكتور فيليب » فيقول فى الحج عجبا .« ولا يزال الحج على كر العصور نظاما لا يبارى فى تشديد عرى التفاهم الاسلامي والتاليف بين مختلف طبقات المسلمين ، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة فى حياته على الأقل ، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعا أخويا ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من أطراف الأرض ، وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر والصينيين والترك والفرس والعرب وغيرهم ، أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أو صعاليك أن يتآلفوا ألفة وايمانا وعقيدة ، وقد أدرك الاسلام نجاحا لم يتحقق لدين آخر من أديان العالم فى القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية خاصة بين أبنائه ، فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشر الا الذى يقوم بين المؤمنين وبين غيرهم . ولا شك أن الاجتماع فى مواسم الحج أدى خدمة كبرى فى هذا السبيل .. » هذا حديث لرجل غربى لم يؤمن بالحج ، فلله ما أعظم دين الاسلام وأجله .

أخبار العالم الإسلامي

الكـويت

❊ في الخامس والعشرين من فبراير احتفلت الحكومة والشعب بالعيد الوطني السادس وأقامت وزارة التربية مهرجانا رياضيا كبيرا بهذه المناسبة تحت رعايـة سمو أمير البـلاد كما أقيم استعراض كبير للجيش الكويتي بهذه المناسبة الكريمة .

❊ زار الكويت صاحب الفخامة الرئيـس اللبناني لمـدة أربعة أيام بدأت في ١١ فبراير ١٩٦٧ وقد بحث مع سمو أمير البلاد وسائل تنقية الجو العربي وتدعيم التعاون العربي وخاصة بين البلدين .

❊ أعلن صاحب السمو أمير البلاد المعظم لمدير اليونسكو أن الكويت تؤيد كل خطوة تتخذها المنظمة في طريق العلم والسلام وخير الانسانية جمعاء .

❊ من المنتظر أن يبدأ العمل قريبا في مدينتي الحجاج الكويتيين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، والمعروف ان ثمن الارض كان من أموال حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظـم .

❊ زف حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى الشـعب الكويتي بـشرى اكتشاف ينابيع الماء العذب بغزارة بحيث يكفي السكان مدة لا تقل عن مائة عام .

❊ اشتركت الكويت في اجتماعات الدورة الثامنة للهيئة الفنية لرعاية الشباب التي عقدت في طرابلس ليبيا في أواخر فبراير ٦٧ .

❊ بدأ الموسم الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية في السادس من شهر مارس الحالي . حيث ألقى الدكتور أديب صالح محاضرتين ، وسيشترك في هذا الموسم الشيخ علي الخفيف والدكتور عبد العزيز كامل والاستاذ يوسف العظم ....

الجمهورية العربية المتحدة

❊ أصدر الرئيس عبد الناصر توجيها الى السيد وزير الاوقاف باقامة مسجد في كل ناد رياضي حتى يتوفر للشباب الرياضة الروحية بجانب الرياضة البدنية وقد خصص السيد الوزير خمسة آلاف جنيه لهذا الفـرض .

❊ اتفق المجمع اللغوى بالقاهرة مع المجمع العلمى العراقي في مؤتمرهما اللغوى السنوى على استخدام اللغة العربية الفصحى وعدم اللجوء الى العامية الا في أضيق الحدود .

❊ تلقت المحاكم التعليمات الخاصة بالقرار الجديد الذى ينص على عدم تنفيذ احكام الطاعة بواسطة الشرطة لأن الاسلام لايبنى الاسر على القوة وانما على الرغبة والمحبة .

❊ عقدت اللجنة الثقافية الدائمة للجامعة العربية دورتها العشرين لتنسيق النشاط الثقافي العربي في الدول الآسيوية والافريقية واستخدام العربية الفصحى كلفة عمل بمكتب التربيةبجنيفوالترشيح لجائزة نوبـل .

❊ أرسل المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية برقية الى البطل محمد علي (كلاى) بعد فوزه الاخير لزيارة القاهرة .

❊ بعثت الجمهورية العربية المتحدة الى الجامعة ووزارة العدل بالكويت بدعوة للاشتراك في أسبوع الفقـه الاسلامى الثالث بالقاهـرة .

المملكة العربية السعوديـة

❊ يقوم البطل محمد علي (كلاى) بأداء فريضة الحج تلبية لدعوة تلقاها من جلالة الملك فيصل .

* تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ خمسين ألف جنيه استرليني للاجئين الصوماليين القادمين من الصومال الفرنسي .
* قدمت المملكة العربية السعودية منحة قيمتها عشرة آلاف جنيه استرليني لمؤسسة الدراسات الفلسطينية .
* بدأت الادارة العامة للكليات والمعاهد العلمية موسمها الثقافي السنوى هذا العام وقد أعدت لذلك مجموعة من المحاضرات في التشريع والاقتصاد الاسلامي والتربية والتاريخ وشؤون الاسرة .
* قام وزير الشؤون الاجتماعية بجولة الى المغرب وتونس والنيجر لتنمية التعاون الثقافي والاجتماعي .

الجمهورية العراقية

* قام الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف بزيارة تركيا يوم ١٩ فبراير ١٩٦٧ .
* في رسالة أرسلها الملا مصطفى البرزاني مع ولده للمسئولين العراقيين انه سيسير وراء قيادة الرئيس عارف .
* سيقوم الرئيس عبد الرحمن عارف بزيارة الى ايران تستمر ستة أيام ابتداء من ١٤ مارس المقبل .
* قام السيد ناجي طالب رئيس وزراء العراق بزيارة لسوريا استغرقت يومين .

الاردن

* قام جلالة الملك حسين في مطلع فبراير ١٩٦٧ بجولة في منطقة الخليج العربي ، زار خلالها الكويت وأبو ظبي والبحرين ودبي ، والمملكة العربية السعودية .
* أصدر وزير الجمارك قرارا باعفاء مستوردات المساجد من الجمارك بعد تقديم توصية من قاضي القضاة .
* تبرع الشيخ زايد حاكم أبو ظبي بثلاثة ملايين ونصف جنيه استرليني لتقوية الدفاع الاردني .

لبنان

* يزور فضيلة الشيخ حسن خالد مفتي لبنان الجمهورية العربية المتحدة لمدة اثني عشرة يوما بدعوة من الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر .

الجزائر

* أدان الرئيس بومدين (الميني جوب) وهي الملابس فوق الركبة وقال انها عار القرن العشرين، وجرثومة خطيرة للمجتمع وتقاليده الاسلامية .

المغرب

* قام جلالة الملك الحسن بزيارة للولايات المتحدة الامريكية تباحث خلالها مع الرئيس جونسون والمستر ثانت سكرتير عام الامم المتحدة .

تركيا

* صرح السيد جودت سوناى رئيس الجمهورية التركية بأن سياسة تركيا تتقارب مع الدول العربية وأنه يؤيد حقوق شعب فلسطين .

أندونيسيا

* أعلن زعماء اندونيسيا للوفد الاسلامي الذى يزورها من الجمهورية العربية المتحدة انهم يؤيدون حق الشعب الفلسطيني المغتصب .

أخبار متفرقة

باريس : وافقت منظمة اليونسكو على جعل اللغة العربية لغة رسمية في المنظمة .

نيويورك : ستقام مؤسسة تضم مسجدا ومدرسة ومكتبة تتكلف (٦ ملايين دولار) في منطقة المتروبوليتان التي يسكنها حوالي (٧٠ ألف) مسلم . وسيقوم وفد من ممثلي الدول الاسلامية في نيويورك بجولة في البلاد الاسلامية لجمع التبرعات .

الهند : يدعو رئيس الاوقاف الاسلامية الى جمع تبرعات ورصد اوقاف تكفي لتمويل معهد ديني يتبع الازهر الشريف ويتولى التدريس فيه علماء أزهريون .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صوب ٢٢

جـــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامةــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كردى صب : ٣٠٣

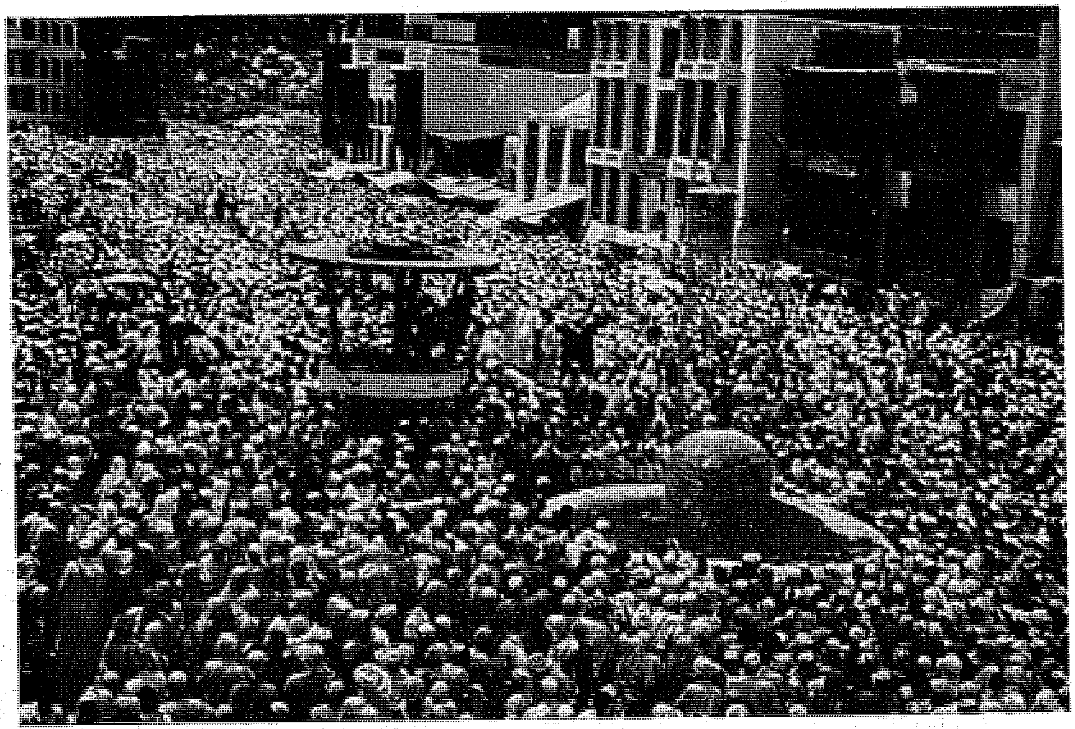
مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ سورة البقرة آية ٢٠٤.

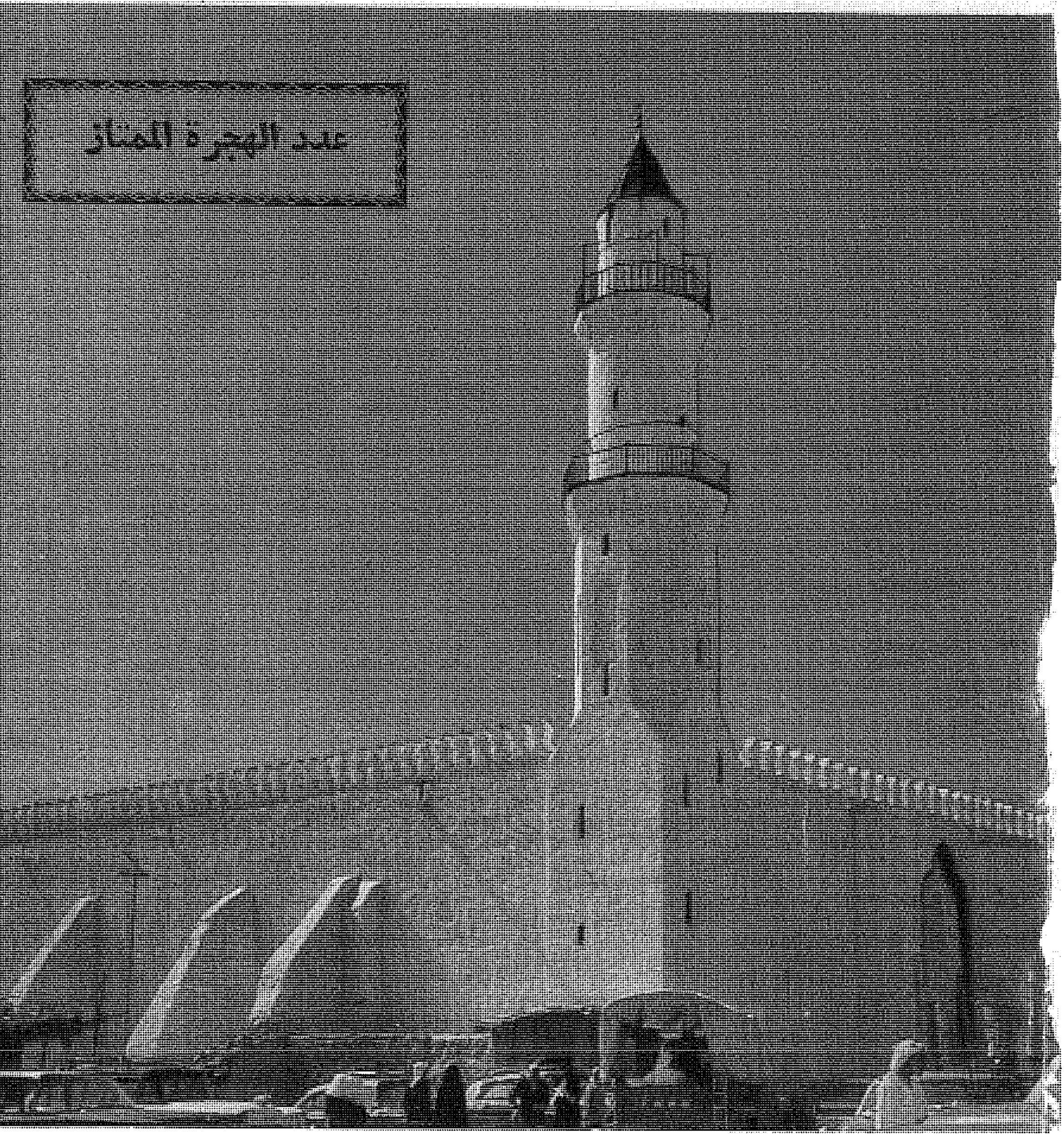
مطبعة حكومة الكويت

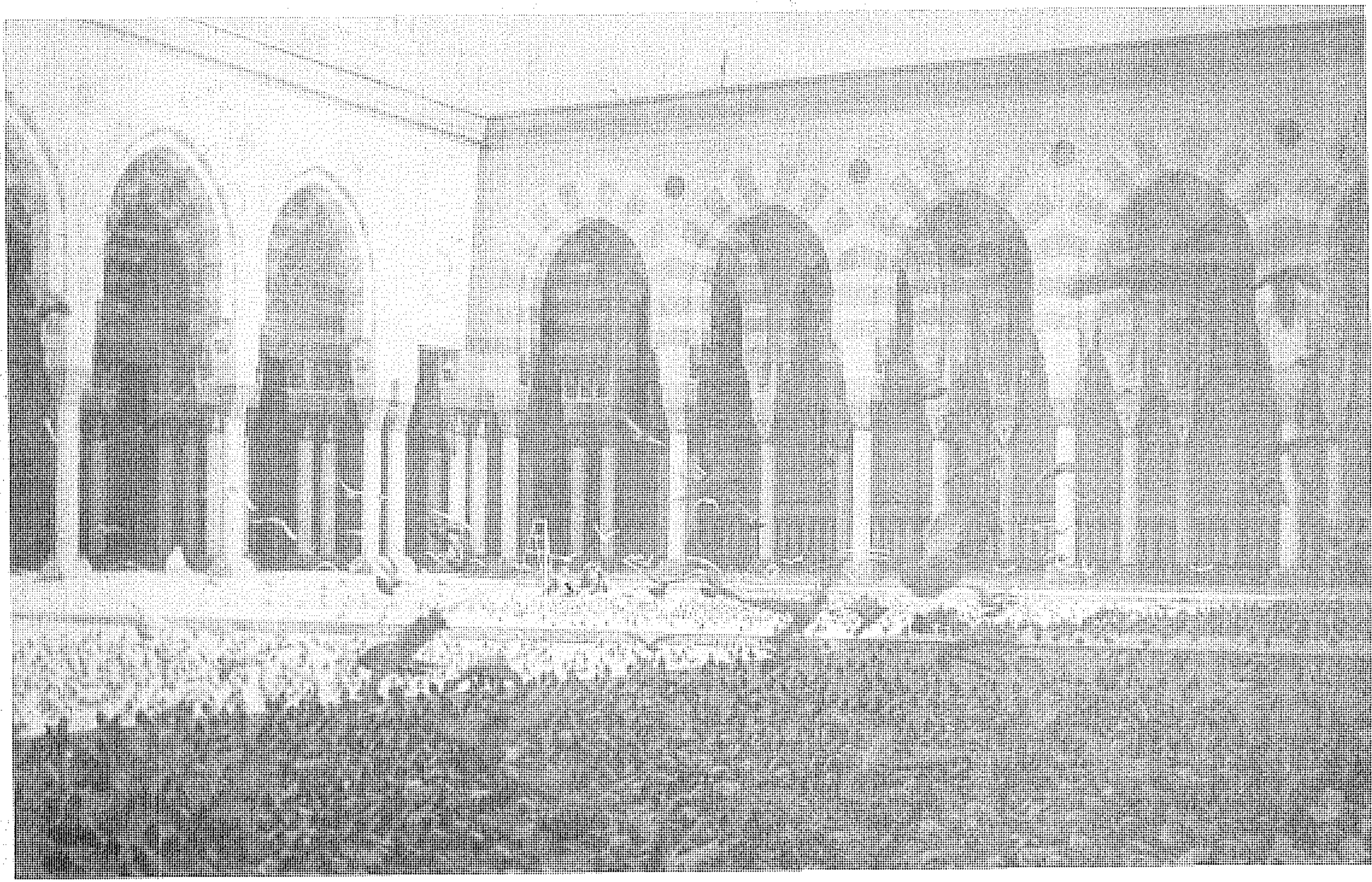
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة * العدد الخامس والعشرون * غرة المحرم ١٣٨٧هـ — ١١ ابريل ١٩٦٧م

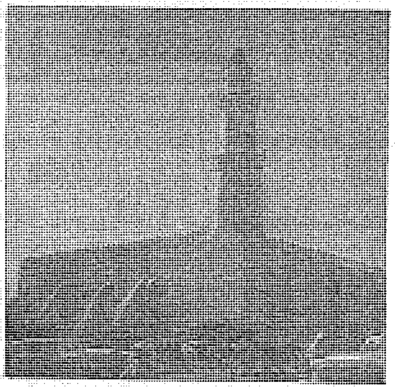
عدد الهجرة الممتاز





روعة الهندسة العربية تتمثل فى هذا المنظر للحرم النبوي من الداخل ، واسراب الحمام تغطي ساحة الحرم

صورة الغلاف



مسجد قباء

أول مسجد أسس على التقوى . بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قباء عند وصوله الى مشارف المدينة المنورة واستراحته هناك وقد جدد على مر الايام حتى أصبح كما تراه .

يقول الله سبحانه عنه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين) .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس والعشرون ــ السنة الثالثة

غرة المحرم سنة ١٣٨٧ هـ

١١ من ابريل (نيسان) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

اقرأ فى هذا العدد



معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يتحدث عن

جهود الوزارة فى نشر الدعوة الإسلامية

بمناسبة بدء العام الهجرى الجديدتوجهت المجلة الى معالى الوزير عبد الله المشارى الروضان ليحدث القراء فى بدءعامها الثالث عما تضطلع به الوزارة من أعباء ، وخاصة فى نشر الدعوة الاسلاميةعلى المستوى المحلى والعالمى ، فأفضى سيادته مشكورا بالحديث التالى :

يطيب لى فى هذا العدد الذى تبدأ به المجلة سنتها الثالثة أن أتوجه بخالص الحمد والثناء لله سبحانه وتعالى الذى شرح صدورنا لحمل أمانة الدعوة للاسلام العظيم ، ونشر الوعى الاسلامى على كل صعيد.. يدفعنا الى ذلك ايماننا العميق الواعى بعظمة الاسلام ، وكونه السبيل الوحيد لانقاذ البشريةمن التخبط فى دياجير المادية المعاصرة التى حملت فى طياتها من ألوان الشقاء والاضطراب والقلق ، ما لا يمكن كشفه والتخلص منه الا بالعودة الى الاسلام عقيدة ونظام حياة وسلوك. ليعيد البشرية الى الجادة القويمة المثلى ، ويبدلها أمنا بعد خوف ، واستقرارا بعد اضطراب ، وسلاما بعد قلق، وسعادة بعد شقاء ..

وانطلاقا من هذا الايمان العميق ، والشعور بالمسئولية خطتوزارةالاوقاف والشؤون الاسلامية خطوات ايجابية فعالة نحو تحقيق رسالتها الاسلامية

على كل صعيد .. مستعينة بالله جلت قدرته ، ومسترشدة بتوجيهات صاحب السمو أميرنا المفدى ، أيده الله وحماه .

فعلى صعيد الدعوة والتوجيه الروحي والخلقي تبذل الوزارة جهداً كبيراً لبناء المساجد في كل مكان وتعميمها خاصة في المناطق الجديدة والقاصية . واتماما لرسالة المساجد أنشأت الوزارة معهد الامامة والخطابة ، ولا تدخر وسعا في تدعيمه وتطويره، ليتمكن من تخريج عدد كاف من الخطباء والائمة والموجهين على مستوى لائق يمكنهم من أداء رسالتهم على أكمل وجه .

ويأتي في مقدمة المشاريع التي تعمل الوزارة لانجازها من حيث أهميتها للمواطن الكويتي، مشروع مدينة الحجيج الكويتية ، والقصد من اقامة هذه المدينة في الديار المقدسة هو توفير جميع أسباب الراحة للحجاج خلال اقامتهم فيها وتأمين سلامتهم وراحتهم ان شاء الله .

وتيسيرا على اخواننا المواطنين الذين يتعرضون في أمور حياتهم الى مشاكل يلتبس عليهم فيها الحلال من الحرام ، فقد شكلنا لجنة للفتوى في الوزارة مهمتها اصدار الفتاوى لمن يطلبها .

وأما شؤون الوقف فان الوزارة تهتم بأمره بما يكفل حسن الاشراف عليه وحسن استثماره وسلامة توزيع عائداته على مستحقيها ..

وفي مجال الدعوة وايقاظ الروح الاسلامية خارج الكويت فان الوزارة تعنى بنشر الدعوة الاسلامية في جميع أنحاء العالم وخاصة في قارتي افريقيا وآسيا اللتين تتعرضان للحملات المعادية للاسلام التي تنظمها المؤسسات الصهيونية والصليبية ، بالاضافة الى ما تتعرض له من موجات الاباحية والالحاد .. فمن أجل مقاومة هذه الحملات وصد هجماتهم وحماية المسلمين في كل مكان من اخطارها، تعمل الوزارة بشكل دائم للاتصال بسائر الجمعيات والمراكز الاسلامية في أنحاء العالم لدعم نشاطها والتعاون معها ، والتعرف منها على أحوال المسلمين وحاجاتهم في كل مكان وتزويدها بكل ما تحتاجه من دعم مادي ومعنوي ، كتزويدها بالكتب الاسلامية المتنوعة بمختلف اللغات من عربية وأجنبية ، وتوزيع كميات كبيرة من المصاحف الشريفة بعضها مترجم الى أهم اللغات الحية .. والى جانب هذا تهتم الوزارة بالمؤتمرات الاسلامية وتساهم فيها وتعمل لتدعيمها وتشجيعها لتكون أكثر جدية وايجابية لتحقيق نفع أعم وأكمل .

وأما على الصعيد الفكري والثقافي فتعمل الوزارة على نشر الثقافة الاسلامية النيرة الاصيلة ، وزيادة الوعي الاسلامي تلبية لحاجة المثقفين من أبنائنا وشبابنا المتعطش لفهم الاسلام ، والتزود بثقافته وعلومه من منابعه الصافية ، ولهذا أصدرت مجلة « الوعي الاسلامي » التي تعرض الاسلام بأقلام رصينة متمكنة، وأسلوب مشوق جذاب، وتعالج المشكلات على ضوء الدين والعقل ، وتقدم ذلك كله للقراء في ثوب أنيق لم يعهد من قبل في المجلات الاسلامية .

واننا لنحمد الله على أن ذلك قد أثمر ثمرته في النجاح الكبير الذي حققته المجلة في زمن وجيز من عمرها ، لمسنا ذلك في زياراتنا لبعض البلاد الاسلامية الشقيقة، وفيما نتلقاه من رسائل القراء ، ومن الطلب المتزايد عليها ، مما حدا بنا الى أن نرفع كمية المطبوع منها في سنتها الثانية ثلاثة أضعاف الكمية التي بدأنا بها في عددها الاول . وان شاء الله سنحقق للقراء الكرام رغباتهم ، ونزيد كمية المطبوع منها في سنتها الثالثة .

وان هذا النجاح سيحملنا بلا شك على مضاعفة الجهد والعناية بها لتظل جديرة بثقة القراء فيها ، وتحقق في كل عدد تقدما جديدا في مستواها من حيث الشكل والموضوع . لتؤدي رسالتها الفكرية والروحية على خير وجه .

كما تقوم الوزارة بترجمة عدد من أهم الكتب الاسلامية وطبعها وتوزيعها على جميع المراكز الاسلامية فى العالم .. وقد تم ترجمة كتاب ((شبهات حول الاسلام)) الى اللغة الانجليزية ، وسيتم عما قريب ترجمته الى الفرنسية .

وفى مجال نشر الثقافة والوعى تقيم الوزارة كل عام موسما ثقافيا تستقدم للمشاركة فيه نخبة من قادة الفكر والرأى والعلم فى العالم الاسلامى . وقد كان لهذه المواسم أثرها المحمود الذى لمسناه من اقبال جمهور المثقفين على سماع محاضرات هذه المواسم بشكل يؤكد التجاوب الكبير الدال على الحاجة القائمة لمثل هذه المواسم النافعة .

وعلى ذكر المثقفين فان الوزارة تهتم برعاية أبنائنا الذين يدرسون فى ديار الغرب وتزويدهم بالكتب والمجلات والنشرات الاسلامية التى تحفظ عليهم عقيدتهم ، وتغنيهم برصيد طيب من الثقافة الاصيلة كما تجيب على كل ما يرد منهم من استفسارات تتعلق بشؤون دينهم الحنيف .

وعلى صعيد العلوم الفقهية والشرعية ، فقد أخذت الوزارة على عاتقها تحقيق مشروع هام جدا كان ولا يزال أملا وحلما يراود الغيورين من فقهاء الاسلام وعلمائه ، ألا وهو مشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي بدأ العمل فيه بعون الله . والوزارة بهذا العمل العظيم الجليل تسدى للفقه الاسلامى أجل خدمة من نوعها فى التاريخ الاسلامى .. اذ تهدف الموسوعة الى جمع الفقه من أشهر مذاهبه ومن آراء الصحابة والتابعين والفقهاء .. وعرضه عرضا جديدا على نسق أشهر الموسوعات القانونية والعلمية العالمية الحديثة ، مما يسهل على الباحثين فى الفقه من رجاله ومن علماء القانون والتشريع أمر الرجوع الى هذا الكنز العظيم الخالد الذى نفاخر به الدنيا فى كل زمان ومكان .. ومن حقنا أن نفخر بهذا المشروع الجليل الذى سيفتح للكويت أوسع ابواب المجد والخلود على مدى الزمن ، كما سيسجل التاريخ لها هذه المكرمة بأحرف من نور .. واننا لنشكر الله تعالى أن شرح صدورنا لهذا العمل العظيم ، ونسأله سبحانه أن يباركه ويعين على انجازه فى اقرب وقت ..

والى جانب هذا العمل العظيم تقوم الوزارة باحياء التراث الاسلامى عن طريق تحقيق وطبع أهم المخطوطات الاسلامية ونشرها اتماما للفائدة وخدمة للشريعة الاسلامية الخالدة .

هذه هى أهم المشروعات التى تضطلع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بعبء تحقيقها والسير بها ، وهى لن تألو جهدا بعون الله من أجل عمل كل ما من شأنه اعلاء كلمة الله ورفع لواء الاسلام عاليا شامخا عزيزا .

ولا يفوتنى في ختام كلمتى أن أشكر جميع الذين أسهموا بالعمل الجدى في سائر هذه الجوانب . منتهزا هذه المناسبة الكريمة . مناسبة العام الهجرى الجديد لارفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح وسمو ولي العهد الشيخ جابر الاحمد وجميع اخوانى المسلمين في أنحاء العالم أصدق التهاني بالعام الهجرى الجديد مبتهلا الى الله العلى القدير أن يلهمنا جميعا الرشد والتوفيق للانتفاع بدروس الهجرة فى توحيد صفوفنا وجمع شملنا لنستعيد أمجادنا ونحقق العزة التى كتبها الله لنا .

والله ولى التوفيق

أخي القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه باقات من زهور اقتطفتها من مئات الرسائل التى وافانا بها القراء من كل مكان لتكون بدلا من حديثي معك عن المجلة ، وقد أتمت من حياتها الحافلة عامين ، وبدأت بهذا العدد عامها الثالث .

باقات أعتز بها ، ويعتز كل سائر معنا على هذا الدرب الذى نسير فيه ، وينشرح لها صدور المؤمنين في كل مكان .. اننى لاعتز بباقة الطالب الصغير اعتزازى بباقة العالم الكبير .. بل أصارحك بأن احتفالي بالباقة التي يقدمها الطالب أو الشاب ، أو القارىء العادى أكثر وأعمق .. ذلك لاحساسى بأن رسالة المجلة تتجه الى هؤلاء أكثر من أن تتجه الى غيرهم .. وأن هؤلاء هم موضع العناية والرعاية منا ومن العالم وغيره على سواء ..

وما أصدق رسالة تأتينا من بعيد ، لم يحمل صاحبها على كتابتها الا فيض من الشعور الصادق الذى لا يخالطه تزويق ولا ملق .

انها الرسائل أو الباقات التى أعتز بها حقا .. تلك التى أضع أمامك نماذج منها لتعيش معى قليلا فى روضة من روضات الاخلاص : ـ

***

من هنا على شواطىء الخليج العربى انطلقت مجلتكم الى جميع الاقطار العربية والاسلامية ، فأثلج ذلك صدور المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وأصبح الجميع يتطلعون نحو هذا المكان الذى صدرت منه مجلتكم الغراء ، لتنير الطريق أمام السائرين في طريق الخير ، ولتضيف الى ما في أفكارنا أفكارا جديدة علينا ، عزيزة على نفوسنا .

انني فى الوقت الذي اتمنى لمجلتكم فيه اضطراد التقدم والانطلاق آمل أن تستمر فى سيرها على طريق الاصلاح والعمل المثمر .

محمد أحمد ـ الكويت

***

أبعث اليكم بتحياتى وبتقديرى العميق على جهودكم الموفقة فى مجلة «الوعى الاسلامى» ، أنه ليهمنى كثيرا نجاح المجلة ، بل يهمنى كثيرا امتيازها بالنجاح ، لانها مجلة تحمل صبغة اسلامية ، وقد تعثرت المجلات الاسلامية من قبل ، فقضى على أكثرها فى المهد . وبقى قسم منها يعانى الضعف والهزال مادة وروحا .

حوربت تلك المجلات بشتى الوسائل ، وحاربها قادة الفكر الاسلامى أيضا من حيث لا يشعرون بالسكوت عن معاونتها بالمادة اللائقة بها .

واليوم تبرز هذه المجلة قوية أمينة ، وستعيش طويلا بما يتوفر لها من عون قوى من قادة الفكر الاسلامي وجنوده .

اللواء الركن : محمود شيت خطاب ـ بغداد

***

والحق أن مجلتكم هذه تحفة التحف من حيث الطبع والاخراج والروح التى تضفونها عليها ، ان هذه المجلة كان يمكن ألا تزيد عن عشرات من المجلات (النصف ميتة)

ولكـن هــذه الروح المتوثبـة ، وهــذا الافق الواســع ، والعلـم الغزير هـو الذى يضفى على المجلة هذا الشمول ..

سأظل أكتب لك عن مدى نجاح المجلة الذى يتجلى فى اختفائها من الاسواق بمجرد صدورها. ان الباعة يعتبرونها سلعة يؤثرون بها من يحبون ويعتزون، وأصحابى يحدثوننى : اما عن العناء الذى يلاقونه للعثور على نسخة ، واما عن وسائل الاعزاز التى هم محل لها ، حيث يحتفظ لهم البائع بنسخة يخفيها عن الانظار ، وهى لا تباع بأربعة قروش الا فى النادر جدا ..

ان مجلتكم فى طريقها الى أن تصبح مجلة العالم الاسلامى الاولى .. فيجب أن ينظر لها بهذا المنظار ، وأن توضع الخطط لتضطلع برسالتها على هذا الوجه الشامل.

أحمد حسين ــ المحامى ــ القاهرة

***

اطلعت على مجلة ((الوعي الاسلامي)) . وما كان أعظم شوقي الى نبع المعرفة الدينية من خلالها . وما أشد اعجابى بموضوعاتها الاسلامية الحية التى تسهم بقدر كبير في ابراز معالم ديننا الحنيف وتصد كيد أعداء الدين الاسلامى الى نحورهم ، وتعمل على دحض الشبهات التى يثيرها حوله المغرضون الذين لا هم لهم الا تشويه قيمه . ان مجلة ((الوعى الاسلامى)) شمعة مضيئة فى ظلام عصر تتصدى فيه المادة للقيم الروحية ، وتعمل جاهدة على بلبلة الافكار وابعادها عن القيم الروحية .

رزق جاد همام ــ المانيا الغربية

***

باطلاعى على محتويات هذه المجلة ادركت الجهد الكبير الطيب المبذول فى اعدادها للمشاركة البناءة فى خدمة الفكرة الاسلامية ، وبعث التراث العربي ، الامر الذي يجعلها فى مقدمة الركب الداعى الى طريق الحق ، والسائر نحو الهدف الامثل .

انني أبارك جهودكم وأرجو لكم ــ من كل قلبي ــ توفيقا مطردا وتقدما متواصلا.

مصطفى عبد السلام التريكي

عميد كلية أصول الدين ــ الجامعة الاسلامية ــ ليبيا

***

يسرني أن أخبرك أن مجلة « الوعي الاسلامي » تصل الى أقاصي المعمورة وتؤدي عرضها الجليل . أنا طالب سعودى فى جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقـد تعرفت على المجلة صدفة عند صديق مسلم هنا لا يتكلم العربية ، ولكنه مشترك فى المجلة . ناسبتنى فيها المقالات التحليلية والموضوعات التعليمية ، وأعجبت خاصـة بروحها . أعانكم الله على خدمة دينه ونشر الاسلام على الطريقة السليمة البعيدة عن مصطلحات السجع والقافية التى سئمها الناس .

عادل أحمد بشناق ــ كاليفورنيا

***

بارك الله جهودكم وأيدكم بروح من عنده .. والحق يقال ان مجلة الوعى قد سدت ثغرة فى مجال الصراع الفكرى لم تسدها غيرها حتى اليوم ، وذلك من فضل

الله تعالى وبتوفيق العاملين فيها والمشرفين عليها .. سدد الله خطاكم وقواكم لنصرة دينه واعزاز شرعته وقرآنه ــ والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

فتحي يكن ــ طرابلس ــ لبنان

***

لقد سنحت لى الفرصة وأطلعت على مجلتكم الفراء ، وقد احتلت مكانا عاليا في نفسي لما فيها من موضوعات اسلامية ، ولحسن تبويبهـا ، وانهـا ان دلت عـلى شيء فانها تدل على جهود قيمة مخلصة .

بياض الدروبى ــ لندن

* * *

لا داعى هنا أن أسطر اعجابى الشديد بمجلتكم الفراء ، فرسالتى هذه تؤكد ذلك ، كما أن حرصي الشديد على قراءتها ومطالعتها يثبت ذلك .. وقد سرني تأكيدكم المستمر بأن المجلة لن تكون نسخة مكررة من المجلات الاسلامية الاخرى ، بل ستحاول أن تتفاعل مع مشاكل الحياة المتجددة والتطور الدائم ، وتقيس لك الامور بمقاييس الاسلام .

أبو عبد الله ــ كريتر ــ عــدن

* * *

يسرنى أن أهنئكم بهذا المجهود الكبير ، وهذا العمل الشامخ الذى تقومون به خدمة للاسلام والمسلمين على صفحات ((الوعي الاسلامى)) التى قرأتها هنا ، فقرت عينى وسر قلبى ، وقمت بتسطير هذه الرسالة اليكم داعيا لكم بالتوفيق والســداد والعون على أداء هذه الرسالة العظمى .

سليمان محمود عطا ــ سيراليون

* * *

مجلتنا ــ الوعى الاسلامى ــ خطوة فى طريق نير طويل ، وشمعة متقدة تضيء الطريق لاولى الالباب والابصار .

فالله أكبر .. وضح الحق ، وانبلج الصبح ، وبدأ الظلام وأنصاره يلملمون مؤخرتهم الى غير ما عودة .

فحمدا لله على نعمائه أن قيض لنا هذه المجلة ، نافذتنا على الحياة الاســلامية الصحيحة ، ومستندها فى بيان الحق عندما يعز المستند .

محمد سعيد ــ جامعة دمشق

* * *

من بلاد الامير عبد القادر الجزائري العربية المسلمة ، ومــن عاصمتــه بالذات ((معسكر)) يسرنى أن أكاتبكم مهنئا اياكم بصدور مجلتنا ((الوعى الاسلامى)) التى أضفتم بها الى جيش الاسلام والعروبة ، كتيبة أخرى لتساهم بدورها في ايضــاح وجه الحقيقة الذى طالما عملت على طمسه أغراض مسمومة ..

فباسمى وباسم جماعة ((معسكر)) المثقفين أهنىء العروبة والاسلام بهذه المجلة، وبهذا الكوكب الوضاء الذى طلع من بلاد عربية اسلامية عريقة ، لها مواقف حميدة

فى مجالات العلم والمعرفة ، فتحياتنا الى الكويت الشقيقة أميرا وحكومة وشعبا ، من الجزائر العربية المسلمة المجاهدة .

محمد عبد الوهاب ـ الجزائر

***

لقد كان لبروز مجلة الوعي الاسلامي الى حيز الوجود أعظم الاثر فى نفسي ونفس كل شاب مسلم يتطلع الى الغد الاسلامى ويعمل لمستقبل الاسلام .

ان اشراقة هذه المجلة الاسلامية الواعية سيكون لها ولا شك أثر كبير فى تبديد الظلام . وستكون كذلك ولا شك مصباحا يستضىء به الداعية الاسلامى فى دروب الحياة وفى دروب الدعوة.

نرجو من الله أن يوفق مجلتكم لما تصبو اليه ، وأن ييسر لها شرف الاخذ بيد أمتنا الاسلامية التائهة في حاضرها . وأن تكون صوتا للاسلام ينبعث من الكويت الى كل الآفاق ليملأها شذا وعطرا . ونرجو من الله أن يجد فيها الشباب المسلم بغيته ومنفعته .

قارىء من قطر

***

مرحى لهذه المجلة وبالقائمين عليها والمساهمين على نشرها بين الامة الاسلامية .

ولا يسعنا فى هذه المناسبة الا أن نرفع أكف الضراعة الى الله جل وعلا أن يجعل لهذه المجلة مستقبلا باسما ونجاحا دائما . آمين

محمد بلى الفوتى المشرف على شئون المسلمين
توجو غرب أفريقيا

***

أكرر لكم التهنئة على مجلة الوعى الاسلامى موضوعا واخراجا ، فان ما يلف اطارها كله ـ من سماحة الاسلام والتجديد فيه ـ فى اتزان ، وتوفيق حكيم بين المحافظة ومجاراة التقدم لما يؤكد البشرى دائما فى نجاح دعوتها واتساع رسالتها .

وبهذه المناسبة أرجو زيادة ما يرسل منها الى مصر كل شهر ، فلا تزال أعدادها قليلة مع باعة الصحف ، وما يرد من النسخ شهريا يتخطفه السابقون من المشترين ، على حين لا يحظى المتخلفون يوما واحدا بما يريدون .. وقد عاينت هذه الظاهرة وعانيتها بنفسي ، وسمعتها من اخواني الحريصين على اقتنائها ، فلا يجدونها الا بشق الانفس ، وقد تفوتهم بعض أعدادها .

محمد عبد الغنى حسن ـ القاهرة

***

لقد كان لظهور مجلتكم القيمة أثر فعال فى كل مجتمع كان ولا يزال يتخبط فى مشاكل دينية ، والكل يؤمن بانها هي الوحيدة القادرة على اخماد هذه التيارات ، وعلى تمزيق الحجب عن مشاكل غمضت على أي واحد ، ولم يجد السبيل الى حلها حلا صحيحا ، ولذا فاني كقارىء عربي ، أرفع الى أسرة المجلة التهاني الحارة . وأملي الوحيد هو أن يطول عمرها لتخدم الشريعة الاسلامية وتعمل على توطيد ركائزها .

وانني آسف كثيرا لعدم وجود مجلة ((الوعي الاسلامي)) ، بكثرة هنا ، فمدينة الدار البيضاء أهم المدن المغربية قاطبة ، فمجلتكم ليست موجودة فى جميع المكتبات

ك ((العربي)) مثلا ، فيتعذر علينا اقتناء المجلة . ويرجع السبب الى قلة اعـدادها المرسلة من الكويت على ما أظن .

مصطفى قبال ــ الدار البيضاء

***

ومن متعهدي التوزيع .

الخرطوم . لامرتجع . نرجو زيادة كمياتنا . برقية
بورسودان . زيدوا الكمية المرسلة لنا . كتاب
القاهرة . نفد عدد رمضان من الاسواق فى الساعات الاولى ، نرجو زيادة كمياتنا.
(برقية) شركة توزيع الاخبار .
وكان قد نزل السوق بعد ٢٠ من رمضان .
نرجو مضاعفة الكمية المرسلة لنا (كتاب) شركة توزيع الاخبار .

***

وهكذا يفرض العمل الجاد المتقن وجوده ، ويثمر الاخلاص ثمرته ، ويتجاوب معه المخلصون من كل مكان وتشرئب اليه أرواح عطشى وجدت فيه ريا طال انتظاره ، وأملا كان يراود نفوسهم ويتمنون تحقيقه ولقاءه . وغرسا نما وأثمر قبل أوانه ، ومولودا تكلم في مهده ، فأحاطوه برعايتهم ، وتعهدوه بعنايتهم ، وأمدونا بطاقة قوية من روحهم، فضاعفنا الجهد ، واستعذبنا الجهد،وحاولنا أن يكون كل عدد جديد خطوة الى الامام، وحمل معنا هذا العبء ، زملاء القلم والفكرة من كل مكان ، فقدموا ثمار أفكارهم ، وخلاصة تجاربهم ، وعصارة بحوثهم ، مشكورين .

وها نحن أولاء نقف على عتبة العام الثالث مغتبطين بمـا حققنا ، متطلعين الى أفق أوسع ، وغد أرحب نستزيد من عزمك عزما ، ومن تقديرك قوة وحزما ، ومـن اخلاصك حماسا وتفانيا ، ومن اقبالك دأبا ومثابرة ، سائلين الله العلي الكريم ــ بقدر اخلاصنا له وتفانينا في كسب رضاه ــ أن يسدد خطانا ، ويمنحنا الجلد والصبر على مشاق الطريق ، ويلهمنا بفضله الرشد والتوفيق ، ويعفو عن العثرات ، ويتجاوز عن الهفوات ، فما قصدنا الا وجهه ، وما هدفنا الا الى رضاه .

أخـــي :

لا زلت أقول وأرجو ــ ونحن فى ذكرى الهجرة وبدء العـام الثالث ــ أن تكون مجلتكم هذه هي مجلة الشباب المسلم ، الذي تخطفته الاقوال المعسولة والاغراءات المجنونة والبهارج الزائفة ، والاغاليط المحبوكة ، واستغلت فيه أحيانا غريزته ، واحيانا قلة بضاعته ، وأحيانا نزوعه للانطلاق والتحرر ، بل وللتمرد على موروثاته وتقاليده لتفصله عن دينه ، وتعزله عن أمته ، وتصنع منه انسانا بلا أصول ولا جذور ، ولا روح، ليسهل عليها بعد ذلك أن تقطعه عن ماضيه . وتلقى به في ظلمات التيه .

هذا الشباب الذي تتساقط عليه هذه المعاول ، نريد أن نخاطبه بلغته ، ونعيش معه فى مشاكله ، وننظر ، اليه على أنه فى حاجة الى رعاية وعناية وحماية . هو ابننا تريد الذئاب أن تتخطفه . ولا نحتمل أن نتركه لهؤلاء الذئاب ..

ان جانبا كبيرا من حمايته يتوقف علينا نحن الذين ندعوه ليحتمي بدينه ، ويدرع

بعقيدته . انه في المدرسة لا يأخذ المصل الواقي الكافي ، وهو في قراءته الحـرة أكثر اقبالا منه على قراءته المقررة .. فماذا علينا أن نفعله ؟ ..

انه يجابه مشاكل ، وتتوارد على أفكاره تيارات وشبهات ، ولا بد لنا كأطبـاء الكلمة والروح أن نطب له ، ونختار أحسن الدواء وأنجحه ، ونقدم له ما يحل مشاكله، ويقضي على ((التلبك)) النفسي والفكري الذي يصاب به ونحصنه ضد النزلات التي يصاب بها من التيارات العاصفة ..

ومن أجل ذلك ، وشعورا بالمسئولية أكرر ندائي لارباب القلم ، وأطباء النفس والروح ، أن يؤثروا الاتجاه الى هذا الميدان بالاسلحة الحديثة التي ينازلنا بها أعداؤنا ، والا يجعلوا كل همهم أن يكتبوا مقالا ، بل يجعلوا هدفهم أن يصيبوا مرمى الاعداء ، أو يبددوا ظلاما يحيط بأبنائهم ، ليتضح لهم الطريق، أو يقتلوا جرثومة تلعب بافكارهم، وتصيبها ((بالانيميا)) وتفقدهم التوازن .

كم أحس الخطر .. اذا تركنا شبابنا بدون حصانة روحية حتى يشبوا ويتسلموا مقاليد الامور في بلادهم . وكم أحس المسئولية .. مسئوليتنا نحن حكاما ومحكومين تجاه مستقبل هذا الدين وهذه الامة .

ان كل تهاون منا الآن ــ مهما يكن صغيرا ــ ربما يحول مجرى المعركة ، ويحول بالتالي مجرى التاريخ ، تاريخ هذه الامة .. ومن هنا أقول : ((خذوا حذركم)) .

أقولها لكل من يستطيع أن يتحدث بكلمة الله . كلمة الخير والدين والحق ..

أقولها لكل من يستطيع أن يخط سطرا يرسم به طريق الهداية ..

أقولها لكل من يضع أو ينفذ منهجا يربي على أساسه الجيل الناشيء الجديد .

أقولها لكل من يستطيع أن يضع توقيعـه على أمر فتسخر قوى الدولـة كلها لتنفيذه ..

أقولها لهؤلاء جميعا ونحن نحتفل بذكرى الهجرة ونردد دروسها وعبرها،ونسجل مواقف البطولة والتضحية والاخلاص فيها .

أقولها ونحن نذكر اسلافا كراما ضحوا بكل ما يملكون من مادةوجاه،واسترخصوا في سبيل العقيدة الحياة ..

أقولها وأمامنا تجربة . نعم كانت مريرة وقاسية ، ولكنها كانت ناجحةومظفرة..

واذا كان هؤلاء الكرام على الله وعلى الناس قد تركوا أوطانهم ، وعرضوا حياتهم للاخطار نجاة بعقيدتهم وكرامتهم فالقد أصبحت الهجرة معنى يرتبط بهجر الانسان لشهواته وأهوائه حين تقف في سبيل اعزازه لدينه وأمته ..

وما أشد حاجتنا الآن الى هذا المعنى من الهجرة نحققه في نفوسنا ونجعله سلاحنا للنصر في هذه الحياة وفي كل مجال ...

وتهنئة مخلصة لاخواننا المسلمين بذكرى الهجرة ورجاء من الاعماق أن يسدد الله الخطى ، ويجمع الصفوف ، ويوحد القلوب ، حتى نرى في هذا العام الجديد الصورة الكريمة التي نبتغيها لامتنا الاسلامية ..

المنعم النمر

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

رسالة رسل الله رحمة وحجة

« عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل » .

رواه مسلم

اقتضت حكمة الله العلى الكبير ألا يعذب أحدا بأى نوع من العذاب الدنيوى أو الاخروى مجازاة له على فعل شيء أو تركه الا اذا أرسل رسولا يهدى الى الحق ، ويردع عن الضلال ، ويقيم الحجج ، ويمهد الشرائع ، ويبلغ الدعوة ، قال سبحانه . (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى . (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) وقال عز من قائل (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) ...

فقد أرسل الله المبشرين والمنذرين الى العباد منذ بدء الخليقة ، فما من بقعة عمرت على ظهر الارض الا وجاء أهلها رسول من عند الله داعيا الى الحق باذنه وسراجا منيرا .

قال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) . وما ذهب اليه بعض أهل التأويل من أن هذه الآية الكريمة لا تدل

على أن الله سبحانه أرسل رسله الى جميع الاقوام والامم ، اذ المراد أن الله عز وجل لم يستأصل أمة بالعذاب الا بعد ان قطع أعذارها بارسال رسول اليها يحذرها عاقبة كفرها وانحرافها . هذا التأويل يأباه قوله تعالى . (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

وهؤلاء المرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منهم من ورد ذكره وذكر أمته فى الكتاب الكريم ، ومنهم من لم يرد فيه خبره ولا خبر قومه . قال سبحانهوتعالى . (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) كالذين أرسلوا الى الامم المجهول تاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك .

جاء فى تفسير المنار فى الجزء السادس منه ص « ٧٠ » عند تفسير قول الله تعالى (ورسلا قد قصصنا هم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) الآية ١٦٣ من سورة النساء — ما نصه . « ورسلا لم نقصصهم عليك » أى كالمرسلين الى الامم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك ، كأمم الشرق . الصين واليابان والهند ، وأمم بلاد الشمال ، أوربة ، وأمم القسم الآخر من الارض (أمريكا) .

وانما لم يقص الله تعالى عليه خبر الرسل الذين أرسلهم الى أولئك الاقوام لان حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم له صلى الله عليه وسلم لاتتحقق بقصص أولئك المجهول حالهم وحال أممهم عند قومه وجيران بلاده من أهل الكتاب ، وهذه الحكم والفوائد هى المشار اليهافى مثل قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب) سورة يوسف : ١١١ وقوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبتبه فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) سورة هود : ١٢٠ وقوله (وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) سورة القصص . ٤٤ — ٤٦ .

فالعبرة والتثبيت والذكرى والاحتجاج على نبوته صلى الله عليه وسلم كل ذلك يظهر فى قصص من ذكرهم من الرسل دون حاجة الى من لم يذكرهم ، وحسبنا العلم بأن الله تعالى أرسل الرسل فى كل الامم ، فكانت رحمته بهم عامة لا محصورة فى شعب معين احتكرها لنفسه كما كان يزعم أهل الكتاب . غير مبالين بكونه لا يليق بحكمة الله ، ولا ينطبق على سعة رحمته قال تعالى . (سورة النحل ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيهانذير) سورة فاطر : ٢٥ .

وهذه حقيقة من حقائق العلم الالهى والدين السماوى لم يكن يعلمها أهل الكتاب الذين يزعم مشاغبوهم ان القرآن مقتبس من كتبهم ، وكم فيه من هذه الحقائق ولكن طبع على قلوبهم فهم لا يعقلون . ولا نخوض فى احصاء

الانبياء والرسل فانه لا يعلم الا بوحى من الله تعالى ، ولم يبين الله ذلك فى كتابه ، ولا رسوله فيما صح من الخبر عنه .

وكل هذا الكلام واضح بيّن صريح فان الله تبارك وتعالى لم يحرم أمة نصيبها فى هداية الرسل فأرسل رسله تترى ليعلموا الناس ما يجب عليهم فعله ، وما يجب عليهم تركه ، حتى يثابوا أو يعاقبوا (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ..) (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فالدين تشريع الهى لا يستقل العقل بالوصول اليه ، ولا يعرف الا بالوحى ، وهو موافق لسنة الفطرةفى تزكيته للنفوس واعدادها للحياة الأبدية فى الدار الباقية ، ويترتب على العمل به أو تركه جزاء حدده الله فى الدنيا والآخرة ..

ولن يكون هذا الجزاء الا لمن بلغته الدعوة على الوجه الأكمل الصحيح الذى يريده الله ، ويبلغه رسله عليهم السلام، والله تبارك وتعالى لم يقصص علينا سير جميع الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، والحكمة فى هذا جد واضحة كل الوضوح ، فان عدد الذين بعثوا منذ أن استقر الانسان على الأرض من الكثرة بحيث لا تتسع عدة أسفار حتى لمجرد سرد أسمائهم عليهم السلام ، وقد ورد الكلام عنهم مجملا فى كثير من آيات الذكر الحكيم قال تعالى . (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون) .. وهذا يفيد كثرة المرسلين وان من أرسلوا اليهم كذبوهم واتبعوا أهواءهم .

ولئن كانت معظم الأخبار المنقولة عن الأمم السابقة تدل على أن تلك الجماعات عولت فى عقائدها على الأوهام فلا يصح بناء على ما قرره القرآن الكريم ... أن يقال انها لم تنل حظها من الرسل فضلت هذا الضلال البعيد وانما المقطوع به والذى لا يتسرب اليه الشك لدى المؤمن أنها حادت عن جادة المبعوثين ، فهوت فيما تردت فيه من البعد عن الحق واتباع الهوى (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين . وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون) وقد اقتصر القرآن العظيم فى حديثه عن الرسل عليهم السلام على المعروفين لاتباع موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، لأن فى ذكر غيرهم اطالة لا مبرر لها يغني عنها الاجمال الذى أورد فى هذه الآية الكريمة التي سبقت الاشارة اليها ، وهذا من معجزات القرآن الكريم ، فالله سبحانه عالم بأنه سيأتى زمان تترابط فيه الأمم ترابطا قويا باكتشاف وسائل الانتقال السريعة ، وحينئذ يتساءل الناس هل أرسل الله رسلا الى الأمم التي لم يكن بيننا وبينها اتصال قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ واذا لم يكن فلماذا حرموا ذلك ؟

وربما بدت شبهة أخرى على القرآن المعجز وقد جاء فيه . (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فالالمام بالقضية على

هـذا الوجه المجمل الكافى يعد آية تثير الاعجاب لدى المفكرين الذين يعلمون أن من عاصروا نزول القرآن كانوا يظنون أن حدود العالم لا تمتد الى أكثر مما وصل الى علمهم حينذاك .

ولقد قرر القرآن العظيم أن الله تبارك وتعالى كان يرسل الرسل الى تلك الأمم، فلا يرفعون بهدايتهم رأسا ، ولا يقبلون هدى اللـه الذى أرسلوا به ، بل كانوا يسخـرون منهم ، ويسـفهونهم قـال تعالى . (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون. قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون). وقال سبحانه . (يا حسرة على العباد ما يأتيهم مـن رسـول الا كانـوا به يستهزئون) وصـدق اللـه القائل . (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) والقائل سبحانه . (.. وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ..).

فتلكم الآيات الكريمة وكثير غيرها مما اشتمل عليه الكتاب العزيز تدفع ما قد يقال . ان الديانات التي عمت الجماعات البشرية فى جميع أطوارها التاريخية انما كانت مجموعة من الأباطيل والأضاليل . فلو أنهم حظوا برسل يهدونهم سـواء السبيل لكانوا أفضل مما وجدوا عليه ، فلهذا كان فى تأكيد القرآن أن الله سوى بين البشر جميعا فى ارسال رسله بهداية السماء اليهم ، ولكنهم آثروا أن يقيموا على أساطيرهم وان يطرحوا ما جـاء به الوحى من عند العلى الكبير دافع قوى لهذا الالتباس .

ويؤيد ذلك تأييدا لا يقبل النقض ما هو مشاهد من أحوال الأمم التي دخلها الفاتحون من أوروبا وأمريكا ، ولا يزال معظمها على حاله يوم دخلوها رغم محاولة تغيير عقائدهم التي ورثوها بأسـاليب شتى لكنهم لم يظفروا الا بالنجاح القليل رغم الجهود الجبارة التي لا حدود لها .

ولقد حدثنى سيد فاضل منذ أيام جاب كثيرا من البلاد المتأخرة فى عقائدها ، وأقام بين أهلها طويلا قال . ان المثقفين مـن بعض الطوائف التي تعج بها تلـك البلاد يعودون بعد أن نهلوا مـن أرقى جامعات أوروبا فيرتدون رداء العقيـدة التي شبوا فى نطاقها ، مع أنه لا يمكن لها أن تنسجم مع العقل ، ولا تتفاعـل مع الواقع وكأن لسـان حالهم يردد الآية الكريمة . (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) .

أعتقد أنه بعد هـذه الآيات الكريمة ، وبعد هذا البيان الواضح لا يصح بحال أن يقال . ان الله لم يرسل رسلا الا فى رقعة ضيقة من الأرض هى ما بين الفرات والراين ، وما بين قزوين والنيل وانما الواقع أن الله أرسل رسله لكل البشر ولكن من أقوامهم من آمن ومنهم من كفر.

- اسوأ حاكم من لم يستطع أن يحكم نفسـه .
- عير شريف رجلا بأنه ليس ذا نسـب عـريق فقـال الثاني : ان اسرتي ابتدأت بي واسرتك انتهت بك .
- العبيد يحكمون بسادتهم ، وضعاف النـاس يحكمون بأهوائهم .

من ملامح النبوة

الارهاص قبل الوحي

لم تكن نبوة الانبياء ، ولا رسالات الرسل ـ عليهم جميعا صلاة الله وسلامه ـ من قبيل الوحي المفاجيء كما يتوهم البعض .

بل كانت بعد مقدمات من جانب الله ـ تعالى ـ تتعلق بالانسان الذى سيختاره الله لنبوته ، أو لرسالته .

فتكون هذه المقدمات امارات سابقة ، تدل الناس ـ فى حينها ـ على ما سيكون لهذا الانسان من شأن خاص .. ثم يحقق الله تلك الامارات بالوحي من عنده ، الى عبده الذى اختاره وأرهص له .

وليكن حديثنا ـ أولا ـ عن الارهاص حتى نفرغ منه ـ بعد ـ ثم يكون الحديث عن الوحي .

(أ) الارهاص

١ ـ قال فى القاموس المحيط : أرهص الله عبده : جعله معدنا للخير .. وقد اصطلح العلماء قديما على تسمية الملامح التى تبدو فى جانب هذا العبد ـ ارهاصات ـ .

والمعنى المقصود : أنها أمارات من الله على أن هذا الانسان معدن الخير ، كما هو المدلول اللغوى ..

وقد حدثنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية والتاريخ عن جملة ـ من الارهاصات بالنسبة لفريق من الانبياء والرسل ، من غير استيعاب للجميع .

ولم يتوسع القرآن الكريم ، ولا السنة فى هذا الشأن عن الجميع لانه شيء يطول .. والله ـ تعالى ـ يريد أن يبين لنا فى تخفيف عنا : دون ان يشق علينا ما لا نطيقه « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وأما التاريخ فلم نجعله عمد تنافى هذا، لما عسى أن يقال فيه .

هذا وقد ذكر الامام القرطبي ـ فى تفسيره ـ ما روى عن أبى ذر الغفارى ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : «قلت يا رسول الله .. كم كانت الانبياء .. وكم كان المرسلون ؟؟ قال صلى الله عليه وسلم ـ كانت الانبياء مائة ألف ، وأربعة وعشرين ألف نبي .. وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا » .

ثم قال القرطبي : هذا أصح ما روى فى ذلك .. وهذا كلام بين ، وفيه الكفاية لان ما روى فى ذلك كثير ، وليس كله راجحا ، كما صرح الامام القرطبي .

والقرآن الكريم لم يتعرض لهذا العدد كله ، كما نوهنا : تخفيفا ، وتيسيرا .

والرسالة

للشيخ محمد عبد اللطيف السبكي

وحينما نستعرض ما ورد موجزا فى القرآن الكريم ، والسنة من تلك الارهاصات ، او الملامح : سنراها تأخذ فى القلب نصيبها من الروعة ، وتثير فى النفس مباهج الاعجاب ، وتنبه الانسان : رويدا ، رويدا من غفلة الى يقظة .. ومن جهالة الى معرفة .. ومن انكار الى ايمان يوم كانت تلك الارهاصات فى عصرها ، او بعد عصرها لمن لا يزالون فى شقاق عن بعض الانبياء ، والرسل .

وحينما يفقه الانسان ، ويصيب الحق يتأكد أن تلك الارهاصات كانت وسيلة رحيمة بالانسان الذى تعلقت به اذ جعله الله معدنا للخير لانها تمهيد له ، وتوجيه للانظار نحوه .. فلا يكون ظهوره بالوحي فيهم بعد ذلك : بعيدا كل البعد عن مألوفهم ، وما عهدوا فيه من الخير ولا يستوحشون منه كما يستوحشون من غريب دخيل عليهم ، فيتجهمون له جميعا ، أو يتهجمون عليه .

وكذلك يتأكد من يفقه ، ويصيب الحق: أن تلك الارهاصات كانت وسيلة رحيمة بالقوم .. لانها تخلق فيهم وعيا سابقا وتثير بينهم تفكيرا فى شأنه، ومناجاة فيما عهدوا من ملامحه التي لم تكن لغيره من جمهرة الناس فى محيطهم .

وذلك التمهيد يقرب الساعة العقلية بينهم وبينه ، ويدنيهم أو يدنى فريقا منهم الى الاستئناس به ، ويكون هذا التمهيد سبيل التجاوب بين الداعى ، والمدعوين ، وأيسر على الجانبين كثيرا مما لو فاجأهم بالوحى من الله ، دون ارهاصات تتقدمه، توقظهم من غفلاتهم .

ويوضح قولنا هذا أن الله — تعالى — جرت سنته على أن يختار نبيه أو رسوله من بين قومه ، ليكونوا على معرفة بشخصيته ، وعلى علم بسيرته ، وعلى خبرة بأصوله ، وبكل ما يدور حوله فيهم .

فلا يكون مريبا .. ولا مسترابا فيه .. ولا يكون مغمورا فى نفسه ، ولا مغموزا فيه .

واذا سفهوا فى شأنه كان مردودا عليهم بالواقع الذى يعلمونه حقا دون أن ينزل قدره عن مكانته التي هيأها له ربه ، ولا عن كرامته التي أقامه الله عليها ..

وان تناولوه من ناحية تمسه من هذا القبيل أو من قبيل دعوته : فالله كفيل بحمايته ، ويظل بتكريم الله من المصطفين الأخيار ، لم يمسسه سوء القالة .

وان ازهقوا روحه وسفكوا دمه : فانما هو الاستشهاد فى سبيل الله : يذهب

ضحيته الأخيار من عبـاد الرحمن .. ويبوء باثمهم الأشرار منجنود الشيطان.

وكان المفـروض بعد أن تحصــل الارهاصات لمن جعلهم الله معدن الخير أن يكون للعقول رشاد ، وللقلوب تبصر ، فـلا تتخلف الاسـتجابة المرموقـة عن المقدمات المشـهودة بما أرهص الله به لعبده ..

ولكن الناس يختلفون فى فطرتهم ، وفى ميولهـم .. فمن حسـنت فطرتهـم واسـتقامت ميولهـم كانـوا مهتدين ، وقليل ما هم ، ومن عميت بصـائرهم وانحرفت ميولهم ضـلوا عن الرشـد ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله « ولو شاء ربك لجعـل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك .. » .

الارهاص لآدم « عليه السلام »

١ ــ كان الارهـاص من فجر الحياة الدنيـا .. فحينما أراد اللـه أن يلقى الأضواء حول عبده آدم قبل أن يكون له شـأن معروف أخبر الملائكـة بقولـه ــ سبحانه ــ « انى جاعـل فى الأرض خليفة » فأدرك الملائكة من هذا ، أو من امارات بجانب هذا النبأ : أن ذلك تنويه بما سيكون لآدم فى هذا العالـم من قدر خطـير .. لأن آدم هو الوافد عليهم ، فليس لديهم من مخلوق يتجه اليه الفكر سوى هذا الانسان الأرضي الذى كرمه ربه ، فذلك ارهاص مبكر ، تنبه لـه الملائكة ، وعلقوا عليه بالاسـتفهامات ، والتعاجب ، وسبق الى ذهنهم أنهم خير وأولى بالخلافة فى الأرض من هذاالانسان الذى لم يكن مستخلصا مثلهم من عالم النور ، ولا مطبوعا مثلهم على تسـبيح الله ، والتقديس .. ولكن الله رجع بهم الى حكمته ، وعلمه الـرباني فقال لهـم « انى أعلم ما لا تعلمون » .

٢ ــ ثم كان ارهاص آخر : بما أفاض الله على آدم من علم لم تتهيأ له طبيعة الملائكة « وعلم آدم الأسماء كلها » اسماء المخلوقات من بحار ، وأشجار ، وجبال ، ونجـوم ، وكائنات أخـرى .. مما له ارتبـاط بحيـاة آدم فى الأرض ، التي سيكون خليفة فيها .. هو وذريته الى يـوم القيامـة ، يعبدون اللـه فيهـا ، ويستثمرونها بجهودهم .

٣ ــ وكان ارهـاص ثالث : بتلـك المناظرة التي امتحن الله فيها الملائكـة اذ عـرض عليهم أن يجيبـوا عن تلـك المسميات ، فلم يكن لهـم الأمداد الذى ظفر به آدم . وهذا لعدم الأهلية لذلك العلم .. ولكن كان بطبيعته متأهـلا ، وكان بامداد اللـه له عالما ، ومجيبا عما سئل ..

٤ ــ ثم كان ارهاص رابـع : بتكليف الله للملائكـة أن يعظمـوا آدم تعظيمـا يناسب مقامه بعد أن تبين لهم ما كان خافيا عليهم من حكمة الله فى صـنعه ، واختياره للانسـان دون الملائكة ...

٥ ــ ويكون الارهاص الخامس بتوبيخ الله لابليس على امتناعه من تعظيم آدم تعظيما أشاد الله به، حتى سماهسجودا ، وأن لم يكن سجودا على الجبهة كما نعهد .. فان هذا النوع لم يشرع لغير الله .

٦ ــ وينتهى ذلـك الارهاص فى هذه القضية بطرد ابليس من الجنة ، رجيما مسخوطا بلعنة الله الى يوم الدين بسبب عصيانه لله فيما أمره من تعظيم آدم ، ويلعنه الناس على وجه الأرض دائما .

لم يكن آدم أثناءهذا نبيا ، ولا رسولا، وانما هى تمهيدات لما يصادفه بعد ذلك من الوحى .. فأى ارهاص يكون أبلغ من هذا فى مطلع التاريخ البشرى ؟ .

ثم يقال : هـل كان هذا الارهـاص تمهيدا لنبوة آدم ، أو لرسالته كذلك ؟ .

ويختلف العلمـاء فى تحقيق هذا .. ففريق يقرر أنه نبى فقط ، لعدم وجود قوم يحتاجون الى رسـول فيهـم .. وآخرون يعتبرونه رسـولا الى ذريتـه الذين عاش فيهـم أزمانا وعلمهـم مما أوحى اليه ربه .. وكيفما كان الـرأى الأرجح .. فآدم نبى على أقرب الوجوه ، ورسول على قول راجح .

وتلك ارهاصات له ــ عليه السلام ــ وهذا ما أثبتناه من نصـوص القـرآن الكريم ــ وكفى .

الارهاص لاسماعيل عليه السلام

١ ــ قدم ابراهيم ــ عليه السلام ــ على مكة وهى خلاء من السكان ، ومعه زوجته هاجر المصرية وولده اسماعيل ، ثم تركها فى رعاية الله حيث لا أنيس ، ولا جليس ، ولا زرع ، ولا ضرع ، وانما هو تنفيذه لأمر الله ، واستئناس منه برعاية الله وقال « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعـل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمـرات لعلهـم يشكرون » (٣٧ ــ سورة ابراهيم) .

فهذه الدعوات التي جرت على لسان ابراهيم حين مباركته لتلك البقعة الجرداء التي اختارها الله مقاما لزوجته ، ولولده الوحيد الذى رزق به على كبر من السن ، وبعد تشوق ورجاء ــ تعتبر ارهاصـة لاسماعيل ، وفى طيها أسرار علوية ستبدو على الأيام .

ثم يخلق الله المـاء ــ بعد ذلـك ــ بجانب اسماعيل ، ويجمع حوله السكان ، ويعمر الوادى بأهله الذين اسـتوطنوه من العرب ، ويشـب اسـماعيل فيهم ، ويترعرع جسمه على خير ما كان يرجو أبوه ، وعلى خير ما كان يطمع ابراهيـم فى تأهيل المكان بأفئدة من الناس تهوى اليه .

٢ ــ وبعد ذلك أذن الله بارهاصة ثانية لاسماعيل ، وهي موقفه من أبيه حينما أخبره ابراهيم بما أوحى اليه من ذبحه قربانا الى الله « فلما بلغ معه السـعى (يعنى شـب ، وتهيأت قدرته لمزاولـة الاعمال) قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » .

وكان ابراهيـم لا بد منفذا لرؤياه ، لأنها وحى كما هـو الشـأن فى منامات الأنبياء .

وهذا موقف ليس هينا على والد مع ولده : وخاصة ابراهيم فى شيخوخته مع وحيده اسماعيل الفتى .. ولكنها عزيمة الرسالة ، وصدق العهد مـع اللـه من أنبيائه فوق عاطفة الأبوة والرفق بالبنوة .

بل كانت عاطفة ابراهيـم برؤياه الى ولده ، حتى لا يكون التنفيذ على غرة من اسماعيل . مع التصميم على التنفيذ فان الغرة ليست من صنائع المؤمنين فضلا عن النبيين ثم كان بالاستفهام ، ولم يكن بالأسـلوب الخبرى ، لأن ابـراهيم كما يشهد الله له رقيق القلب ، كثير الضراعة والاسترحام ، « ان ابراهيم لحليم أواه منيب » فهو يترفق بولده فيما يسـوق اليه من تنفيذ ذبحه : طاعة لربه ، ويكل الأمر ظاهرا الى رأيه بهذه الاستشارة .

وكان اسماعيل يدرك أن أباه فاعل ولا محالة ، فماذا أجاب فى طاعة أبيه ؟ ؟ قال : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » وكان هذا وعدا صادقا حقا ، واستسلاما طيعا .

ثم ما كاد ابراهيم يتناول سكينه ، ويلقى ولده على وجهه ليذبحه من الخلف ، ويتفادى النظر الى وجهـه ، لتخفيف

الهول عن نفسه : حتى كانت رعاية الله أرفق من أبوة ابراهيم ، وأسرع من وضع السكين على مقتل اسماعيل .. اذ هتف هاتف السماء برحمة الله : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » ــ أى كبش كان ضحية اسماعيل ــ فهذه ارهاصة ثانية غير هينة الشأن ، وقعت لاسماعيل وكانت مقرونة بالثناء من الله على ابراهيم وولده بما أثنى من الخير حتى كرر وصفهما بالمحسنين فى القصة بسورة الصافات (آية ١٠٢ ــ ١١٠) كما تحدث القرآن بعد ذلك عن صدق اسماعيل فى قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » . (آية ٥٥ سورة مريم) .

٣ ــ ثم كانت ارهاصة ثالثة مذكورة فى قوله تعالى « .. وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » (١٢٥ ــ سورة البقرة) .

فتطهير مكان الكعبة داخل المسجد الحرام مما يكون به من أقذار وآثار تراكمت على طول الزمن ، واعداده لما تهيأ له من طواف الطائفين ، وعبادة العاكفين والقائمين والركع السجود لا يعتبر هذا كله شأنا عاديا يعهد الله به الى مطلق انسان ، وانما هو قضاء رباني يعهد الله به الى رسوله ابراهيم ليقوم بتنفيذه مع ولده اسماعيل .

وقد كان ذلك التعاون، وتحقق العهد ، وأقيم بناء البيت فى البقعة المطهرة على يد رسول الله ابراهيم، وولده اسماعيل، وهما يجأران الى الله بأطيب الدعوات « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » (١٢٧ ــ ١٢٨) سورة البقرة .

وعلى ذلك تم البناء ، وتحقق الدعاء ، وشرع الحج ، وصار البيت ملتقى جامعا للمسلمين من كل فج ، ومناطا لهديهم ، وجمعا بين قلوبهم على توحيد الله ، وعصمة لهم بدين الله وتنظيما لصفوفهم حول من يصطفيه الله لدعوته « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » تقويما لهم آية (٩٧ ــ المائدة) .

فان يكن تطهير مكان البيت الحرام ، واقامة بنائه عهدا من الله تعالى الى ابراهيم ، وهو نبى مبعوث : فان هذا بالنسبة لاسماعيل ارهاص واضح من جانب الله بما سيكون له من شأن بعد ذلك .. وقد كان ، وتحققت رسالته بعد تلك الملامح السالفة .

وهى باكورة الرسالات فى العرب ، من نسل اسماعيل بصفة أخص .. ثم لم تعقبها رسالة فيهم : الا أخيرا ، برسالة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وانما تحولت الرسالة من بعد اسماعيل الى اسحاق أخيه لأبيه ثم استرسلت فى يعقوب وبنيه من أنبياء بنى اسرائيل ــ يعقوب ــ وعلى أى حال فقد ظلت فى ذرية ابراهيم : مبدأ ، ونهاية « وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب » .

رأي للمناقشة

ما هي السماء

للأستاذ : على الطنطاوى

(الوعى الاسلامى) يكتب فيها بحمد الله فريق من جلة العلماء ــ ويقرأها جمهرة من خيرة القراء .. لذلك رأيت أن أعرض فيها رأيا فى السماء ، لتقيم من أوده تعليقات العلماء .

ولقد ذكرته فى بعض ما كتبت استطرادا أو تلميحا . وأذكره اليوم تفصيلا وتصريحا بعد أن كثر الكلام عن وصول الانسان الى القمر . وكثر السؤال عن القمر ، وكيف يمكن الوصول اليه وهو فى السماء ؟

وموضوع المقال (ما هى السماء) ؟

عندنا نصوص ثابتة فى الدين ، وعندنا أقوال مقررة فى العلم .

أما الثابت فى الدين فهو أن السماء ليست حدودا وهمية ، ولا مدارات كواكب ، كما ذهب الى ذلك بعض العصريين من المفسرين ، ولكن السماء (جرم) حقيقي ، لان الله سماها (بناء)، وقال (بنيناها) ، (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) (والسماء وما بناها) ووصفها بأنها سقف لهذا العالم ، فقال (وجعلنا السماء سقفا) وقال (والسقف المرفوع) وجعل لها أبوابا تفتح وتغلق ، فقال (ففتحنا أبواب السماء) (لا تفتح لهم أبواب السماء) ونفى أن يكون فيها منافذ غير هذه الابواب ، فقال (ومالها من خروج) . وأن السماء تفتح يوم القيامة (وفتحت السماء) وانها (تشقق) (فاذا انشقت السماء) ، وتنفطر وتكشط ،ولها بروج (والسماء ذات البروج) (جعل فى السماء بروجا) .

وأما المقرر فى العلم فهو أن الشمس والقمر ، يسبحان فى الفضاء (وهذا شىء صرح به القرآن فقال : « وكل فى فلك يسبحون » ، وان الشمس على بعدها عنا ، وكبرها بالنسبة الى أرضنا يصل نورها الينا فى نحو ثمان دقائق ، لان

النور يقطع فى مسيره ثلاثمئة ألف كيلومتر فى الثانية ، أى أنها تبعد عـنا بالزمن الضوئي (٨ دقائق) .

وان من هذه الكواكب التى تظهر لنا نقطة فى الفضاء ، فى الليلة السوداء ، وقد لا تظهر لنا أبدا ، منها ما يبعد عنا ألف ألف (أى مليونا) من السنين بالزمـن الضوئي ، ومنها ما يبعد عنا ألف مليون سنة وأكثر ...

فاحسبوا كم (ثمان دقائق) فى هذه المدة التى تبلغ (ألف مليـون سـنة) لتتصوروا كم هى أبعد من الشمس !

أما كبرها . فنحن نعلم أن القمر أصغر من أرضنا ، والارض لا تعد شيئا الـى جنب الشمس . والشمس وما يتبعها من سيارات ، لو ألقيت هى وسياراتها فى كوكب من هذه الكـواكب ، لكانـت بالنسبة اليه كحبة رمل ألقيت فى وادى نجد ، أو كقطرة ماء قطرت فى البحـر المحيط .

وهذه الكواكب ، على ضـخامتها ، كثيرة لا تحصى ، يزيد عددها على ملايين الملايين ، وتسير بسرعة مهولة ، ومع ذلك لا تصطدم الا اذا اصطدمت ست نحلات تطير وحدها حول الارض ، لان هـذا الفضاء واسع واسع كسعة جو الارض بالنسبة الى النحـلات .

هذا ما يقوله علماء الفلك .

فأين مكان السماء من هذا الفضاء ؟

ان الله عز وجل بعد أن وصف السماء بأنها بناء ، وأنها سقف مرفوع ، أكمـل الصورة فجعل لهذا السقف مصابيح ، فقال : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وصرح بأن هذه المصابيح هى الكواكب ، فقال (بزينة الكواكب) ،فدل ذلك على أن الكواكب تحـت السـماء الدنيا ، لان المصابيح لا تكون الا تحت السقف .

أما آية (وجعل القمر فيهن ـ أى فى السموات ـ نورا) فلا يدل على غير ما قلت ، لأن القمر اذا كان فى السماء الدنيا ، فهو فى السماوات كما لو كانت جوهرة فى علبة ، وهذه العلبة فى علبـة أخـرى ، والثانية فى ثالثة ، فقلت ان فى هـذه العلب جوهرة . والآيتان الاوليان أصرح . ولا يتـرك الدليـل القطعـى لدليـل (محتمل) (١) .

★ ★ ★

والذى تبين لى من هذا كله ، مـن نصوص الدين .. ومن مقررات علماء الفلك .

أن الشمس وتوابعها (وهن الأرض وأخواتها) وهذه الكواكب التى لا يحصى عددها تسبح فى فضاء عظيم ، وهـذا الفضاء تحيط به كله (كرة) هائلة . وهذه الكرة هى (السماء الدنيا) وهذا العالم بأرضـه وشمسـه وكواكبـه فى وسطها .

ولهذه الكرة سمك الله أعلم بمقداره ، قال تعالى (رفع سمكها) وهى فى فضاء لعله مثل هذا الفضاء ، أو أصغر أو أكبر ، وحوله كرة أخرى ـ لها سمك ـ هى السماء الثانية) ثم فضاء ثم كرة ـ وهكذا الى السماء السابعة .

---

(١) قالوا : الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال امتنـع به الاستدلال .

وبغير هذه الصورة لا تكون السماوات (طباقا) .

وخارج الكرة الكبرى التى هى السماء السابعة ، أجرام أكبر ، أجرام لا يستطيع العقل مهما جهد وكد ، أن يتصور مدى كبرها ، هى (الكرسى والعرش) و (سدرة المنتهى) .

هذه كلها عظمة المخلوق . فما بالك بعظمة الخالق !

* * *

واذا نحن وصلنا الى القمر والمريخ بل والشمس فأين القمر والمشترى والشمس من السماء ؟

اذا كان بعد الشمس عنا ، كبعد ابهامك عن خنصرك ، تكون السماء أبعد عنك من أمريكا ، بملايين الملايين من المرات .

واذا كان علماء الفلك يقولون ، بأن من الكواكب ما يسير ضوؤه فى الفضاء من أول الزمان ولم يصل الينا الى الان . فمعنى ذلك ، أننا لو اخترعنا مركبة فضائية ، تسير بسرعة الضوء ، أى أنها تقطع ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة ، وأننا لو ركبنا فيها يوم ولد نوح ، وسرنا من ذلك الوقت الى اليوم لا نكون قد قطعنا من طريق السماء (الدنيا ..) الا كما تقطع النملة التى تمشى دقيقة واحدة ، من طريق (الكويت ـ أميركا) !

وأنا حين انتهى الى هذه الصورة ، وأرى أن عالمنا كله ، بكواكبه وفضائه ، (محبوس) فى وسط الكرة الصغرى التى هى (السماء الدنيا) ، أجد ذهنى ينتقل الى الجنين (المحبوس) فى بطن أمه .

هذا الجنين ، لو استطعت أن تسأله ، واستطاع أن يجيبك ، وقلت له ، ما هى الدنيا ؟

لقال لك : الدنيا هى هذا البطن ، وهذه الأغشية .

فلو خبرته ، ان ها هنا (دنيا) أكبر. عالما فيه بر وبحر ، وسهل وجبل ، ومدن كبار ، وان دارا واحدا من دور هذه المدن ، أكبر من دنياه هو بملايين المرات ،

لم يستطع أن يفهم ما تقول أو أن يتصوره ، وكذلك نحن حين نسمع أن الجنة عرضها السماوات والأرض ، وأن قصرا واحدا من قصورها ، أكبر من هذه الارض كلها .

ان نسبة ملك الله ، الى هذا (الفضاء) الذى فيه الكواكب والنجوم ، كنسبة هذا الفضاء الى بطن الام .

وهذا العالم البالغ الضخامة ، موجود مثله على صورة بالغة الصغر . موجود فى (الذرة) ، الذرة التى لا تراها عين الانسان ولا بالمجهر (الالكترونى) فيها فضاء كهذا الفضاء ، وكواكب مثل هذى الكواكب ، تسبح فيه ، ويدور بعضها على بعض ، بنظام مقرر وقدر معلوم .

فسبحان الله ، لا اله الا هو .

وما أحمق من لا يؤمن بالله !

- كل عقلاء الناس على دين واحد .
- قد يصح للانسان أن يغير رأيه ولكن لا يصح له أن يغير مبدأه .
- انما يعتذر عما لا يمكن تغييره .

الحلقة الرابعة

مدى سلطة الإسلام

الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ بالقاهرة

رأينا كيف جرت سنة الاسلام فى تنظيم المجتمع فى كل جانب من جوانبه على البدء بفرض تعاليمه الخلقية على أفراد المجتمع ، لكى يذعن الافراد لهذه التعاليم عن اقتناع ، وعن طواعية واختيار ، فاذا صدع بها الافراد خفت مؤونة الدولة ، واذا أحجموا عن تنفيذها بدأ تدخل الدولة .

ذلك لأن الاسلام هو دين الفطرة ، والله سبحانه هو العليم بفطرة الانسان الذى خلقه ، وهداه النجدين ، وترك له حرية الاختيار بين الفجور والتقوى ، وبين الخير والشر ، فكان لا بد لضمان نفاذ تعاليمه الهادية من أن تقوم فى كل مجتمع دولة تسهر على نفاذ هذه التعاليم .

فاذا سار أفراد المجتمع فى سلوكهم الفردى على ضوء هذه التعاليم قلت حاجة ولى الامر الى التدخل لالزامهم بتنفيذها ، وبالعكس اذا هبط مستوى التمسك بالتعاليم الخلقية التى فرضها الاسلام كبر دور ولى الامر فى التدخل لحمل الافراد على تنفيذها .

الدولة في تنفيذ تعاليم ... في ملكية المال

ذلك مقياس تدخل ولى الامر ، ينقبض وينبسط تبعا لمستوى السلوك الخلقى السائد فى المجتمع، بالاضافة الى الظروف الاستثنائية التى قد تعرض للمجتمع وتهدد كيانه .

واذن لا توجد قاعدة جامدة يتقيد بها ولى الامر فى تحديد مدى تدخله لتنفيذ تعاليم الاسلام الخلقية فى تنظيم المجتمع ، بما فى ذلك ملكية المال .

فمثلا اذا كان أفراد المجتمع يؤدون فريضة الزكاة ، ويزيدون عليها بانفاق العفو فى سبيل الله ، فقد لا يحتاج ولى الامر الى اتخاذ اجراءات الجباية القهرية للزكاة ، ولا الى فرض ضرائب اضافية لتكملة الوفاء بنفقات المجتمع ، بل يقتصر دوره على توجيه هذه الحصيلة كلها الى الوفاء بحاجات المجتمع ، وفاء يحقق مشيئة الاسلام فى أن يكون مجتمعه كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبالعكس اذا ضعف الوازع الايمانى، وهبط المستوى الأخلاقى لدى بعض قطاعات المجتمع ، فأحجموا عن أداء فريضة الزكاة ، وعن الانفاق الاختيارى فى سبيل الله للوفاء بحاجات المجتمع ، لم يكن مناص من أن يتدخل ولى الامر ، وأن يتخذ الاجراءات القهرية التى تكفل نفاذ هذه الفريضة ، ولو باعلان الحرب على هؤلاء المحجمين كما فعل أبوبكر رضى الله عنه .

هذه سنة الاسلام فى تنظيمه للمجتمع الاسلامى ، وقد رأينا التكاليف التى فرضها الاسلام على ملكية المال ، وصاغها فى البداية فى صيغة تعاليم خلقية ، فلننظر الآن فى مدى حق ولى الامر فى التدخل لضمان نفاذ هذه التكاليف من ايجابية وسلبية ، تكاليف ترد على ملكية المال ، بعد أن عرفنا أن المال كله مال الله، وأنه وديعة بين يدى حائزه من البشر يؤدى عنها الحساب يوم الحساب .

قلنا أن أول تكليف ايجابى على مالك المال هو شكر الله على نعمائه ، اذ أتاح له الانتفاع بهذا المال ، وأودعه بين يديه ليستثمره ويتصرف فيه . والشكر انما يكون بأن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار هذا المال ــ مهما كانت طبيعته ــ فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار ، على نحو يفى بحاجاته وحاجات من يعولهم وفاء طيبا ، وبغير عدوان على مصلحة المجتمع .

فاذا أبقى مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا

من المالك وطال أمده ، واذا كان تعطيل استثمار المال يؤدى الى فقر المجتمع ألا يجوز لولى الامر أن يتدخل ليحمل مالك المال على مداومة استثماره استنادا الى أن الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، لا سيما اذا كان المجتمع الاسلامى فى عصر معين ينوء كاهله تحت أعباء الفقر وأوزاره ؟

نعتقد أن هذا التكليف أجازه الصدر الاول من الاسلام لولى الامر . فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام . « ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين » والاحتجار كما هو معلوم هو وضع اليد على الارض الموات لمحاولة احيائها وتعميرها ،والارض الموات هى التى لم تربط ملكيتها لأحد من الناس ، فهى كما قال الرسول . « لله وللرسول ثم لكم من بعد » أى للمجتمع كله . وقد ثبت أن عمر رضى الله عنه قد طبق هذا التكليف عندما قال على المنبر . « من أحيا أرضا ميتة فهى له ،وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » ثم عمم تطبيقه عندما قال . « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى بلال بن الحارث جميع أرض العقيق ، فلما كان زمن عمر قال لبلال . « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجرها عن الناس ، انما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى » .

وحكمة هذا التطبيق ظاهرة فى كل عصر ، لا سيما فى عصرنا هذا الذى عطلنا فيه استثمار أكثر مواردنا الطبيعية ، تلك الموارد التى أغدقها الله على العالم الاسلامى ، فأهملنا استثمارها حتى جاء الاستعمار ، فأطبق على أراضينا ، ومضى يحاربنا بما يستخرجه منها .

فالشارع الاسلامىيحرص كل الحرص على مداومة استثمار المالك للمال الذى بين يديه ، لأنه أصلا مال الله ومال الجماعة . ومداومة استثمار المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا ، وعلى المجتمع ثانيا ، باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى وفى الثروة القومية ، وباعتبار ما يخرجه المالك من ماله فى أداء الفرائض الاسلامية الموجهة الى خدمة المجتمع .

ولما كان ولى الامر هو المسئول عن تنفيذ التكاليف الاسلامية ، فيكون له اذن حق التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف .

أما كيف يكون تنفيذ ولى الامر هذا التكليف ، فهذا أمر تعالجه السياسة الشرعية فى كل بلد اسلامى على ضوء ظروف هذا البلد ، وطبيعة الموارد المعطلة ، وتحديد مدة التعطيل التى تجيز تدخل ولى الامر اذ لا بد أن تتفاوت هذه المدة بحسب طبيعة المورد من أرض قابلة للزراعة ، أو منجم أو مصنع أو متجر ، وعلى ضوء الاسباب التى أدت الى التعطيل . هل كانت مجرد عناد واستكبار من المالك ، أو كانت لاسباب قهرية لا قبل له وحده بالتغلب عليها .
واذا سلمنا بشرعية التكليف الاول ، بالاضافة الى ضرورته الحتمية فى ظروف العالم الاسلامى المعاصر ، ألا يجوز لنا أن نبنى عليه — قياسا — تكليفا آخر بحكم اشتراك العلة فيهما ؟

العلة فى مداومة استثمار المالك لماله هى السعى الى رفع أوزار الفقر عن المجتمع بالامتناع عن تعطيل تدفق الخيرات التى تنبع من استثمار المال الذى سخره الله لنا . وهى ذات العلة الملحوظة فى وجوب اتباع أرشد السبل فى الاستثمار .

لقد كشف العلم الحديث عن أساليب جديدة فى استثمار المال ، سواء كان فى ميدان الزراعة أو الصناعة أو التعدين

أو التجارة ، وواجب المسلم أن يتزود بهذا العلم فى كل ما يباشره من عمل وسعى وراء الرزق الكريم الذى أنعم الله به عليه . بذلك أمره الله ، وفضل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون درجات (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وهذه الأساليب ليست الا نتيجة استنباط أسرار الكون الذى سخره الله للانسان ، وأمره بالكشف عنها ، والتدبر فيها ، حتى يحقق معنى استخلافه فى عمارة الارض . ومن الاصول الشرعية المقررة أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وكلنا نعلم كيف عنى الاسلام أكبر عناية بالحث على التدبرّ فى معالم الكون ، والتدبر فى آيات قدرة الخالق . والتدبر معناه الدرس والتمحيص، وهما السبيل الى المعرفة والكشف والابتكار ، واستغلال مكنون القوى التى أودعها الخالق العظيم فى هذا الكون الذى سخر لنا كل ما فيه . وعندما كنا نهتدى بهذه التعاليم كانت الاكتشافات العلمية ، والابتكارات الفنية التى زخرت بها حضارة الاندلس وسائر الحضارات الاسلامية ، وتناقلتها الجامعات الاوربية يومئذ ، وأسست عليها العلم الحديث والحضارة المادية التى أذهلنا بريقها .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر نرى ان تعاليم الاسلام كما تكررت فى الآيات والاحاديث تفرض على المسلم عندما يباشر عملا ان يتقنه ويحسنه ، فهذا سبيله الى ابتغاء رضاء الله وحب الله . واستثمار مالك المال لماله لم يخرج عن كونه عملا له وزنه فى سجل العمل الصالح ، ومن هنا كان عليه واجب مباشر فى اقتباس كل أسلوب فى الاستثمار يفضل الاسلوب الذى درج عليه ، ويؤدى به الى اتقان هذا الاستثمار واحسانه وتنمية ثماره ومضاعفة انتاجه .

واذن فاذا عمد مالك المال الى أسلوب فى استثمار ماله يؤدى ،الى ضآلة الانتاج أو يؤدى الى تلف رأس المال ، كان لولى الامر فى كل مجتمع اسلامى ان يرده عن الاسلوب العقيم الذى درج عليه الى الاسلوب الرشيد طالما كانت ظروف المجتمع ومستويات المعيشة فيه تقتضى اتباع أرشد الاساليب فى الاستثمار .

واذا تضخمت الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية ، وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع ، ثم ثبت عجز هذه الفئة عن استثمارها استثمارا رشيدا ، وأدى هذا العجز الى حرمان المجتمع من منافع هذا الاستثمار الرشيد ، كان لولى الامر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام . تطبيقا للقواعد الشرعية التى تقرر أن « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » و « يتحمل الضرر الادنى لدفع الاعلى » .

أما كيف يكون تدخل ولى الامر فى دفع هذه المفسدة ، فهذا تتولاه السياسة الشرعية فى كل بلد اسلامى على ضوء الواقع فيه . بحيث لا يؤدى الى ضرر أكبر من الضرر الذى تعالجه .

فقد يكون هذا التدخل اما بالزام هؤلاء الملاك باتباع الاساليب الرشيدة فى استثمار مصادر الانتاج التى بين أيديهم، أو بابقاء بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم فى الاستثمار ، والاستيلاء على باقيها على النحو الذى يفى بمطالب الجماعة وفاء طيبا ، بعد تعويضهم عنها نقدا بما يعادل قيمة رأس المال .

وانى لأرى من أسباب السياسة الاقتصادية التى انتهجها الفاروق عمر رضى الله عنه فى شأن أرض السواد ، وامتناعه عن تمليكها للجند الفاتحين ، أنه فطن الى عجزهم عن استثمارها استثمارا طيبا يعادل استثمار زراعها المحترفين ، بالاضافة الى الاسباب الاخرى المعروفة .

وأخيرا المجتمع الاسـلامى يجب أن يكون مجتمعا متوازنا فى كيانه الاقتصادى كما هـو متوازن فى جميـع مقوماته وخصائصـه .

واذن يجب أن يتـوازن فى كيانـه الاقتصادى بقدر ما تتيـح له مـوارده وامكانياته اقامة هذا التوازن . وما أكثر هذه الموارد والامكانيات ، فقد تجمعت فى أرجاء العالم الاسلامى من خيرات الله فى ظاهر الارض وباطنها ما لم يتوافر على هذا النحو من التجمع فى أية أمـة فى الارض .

هذه الموارد وهذه الامكانيات يجب أن تتوزع بينها القوى الاستثمارية فى توازن قويم ، فلا تقتصر مثـلا عـلى توظيف الاموال فى زرع الارض ورعى الاغنـام ، وتترك الصناعة والتجـارة والتعـدين وغيرها من مصادر الانتاج المختلفة !!

ان مباشرة كل منها يدخل فى فروض الكفاية التى يأثم ولى الامر – ويأثم معه المجتمع – اذا لم يقم بين الناس مـن ينهض بها ، ويتوافر عليها . فاذا عمـد الناس الى تركيز استثمار أموالهم فـى تملك الارض الزراعيـة وفلاحتها دون المصادر الاخرى لتوظيف المال كالصناعة والتجارة ، كان لولى الامر ان يتـدخل بالاجراءات التى تكفل توزيع القـوى الاستثمارية بين هذه المصادر جميعا ، لأن ولى الامر هو المسئول عن صـلاح أحوال رعيته ، ودرء المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم .

والآيات القرآنية وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام صريحة وحاسمة فى توجيه المجتمع الاسـلامى فى هـذا الاتجاه المتوازن .

يقول المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت فى هذا المعنى .

« الاسـلام حينمـا طلب تحصيـل الاموال بالزراعة ، والصناعة والتجارة نظر الى ان حاجة المجتمع المادية تتوقف عليها كلها ، فانه كما يحتاج الى الزراعة فى الحصول على المواد الغذائية التـى تنبتها الارض ، يحتاج الى الصناعـات المختلفة فى شئونه المتعددة . فى ملابسه ومساكنه ، فى آلات الزراعـة وتنظيـم الطرق ، فى حفر الانهار ومد السـكك الحديدية ، فى حفظ الكيان والدولة ، وما الـى ذلـك ممـا لا سبيـل اليـه الا بالصناعات » .

« ويحتاج ايضا الى تبادل الاعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الاقاليم التى ليست فيها زراعة ولا صناعة . ولا تسعد أمة لا تسـد حاجتها بنفسـها ، واذن لابـد مـن الاحتفـاظ بالزراعـة والتجارة والصناعة » .

« ومن هنا قرر علماء الاسلام ان كل ما لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ، فتعلمه ووجوده من فروض الكفـاية قالوا . « ومن ذلك ، أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والخياطة وما اليها مما هو ضـرورى ، أو كالضـرورى فى المعاملات ويسر الحياة ودفع الحرج عن الناس » ومعنى أنه من فروض الكفاية ، أنه اذا لم يتحقق فى الامة أثمت الامـة كلها ، وأن الاثم لا يرتفـع عنها الا اذا

قامت كل طائفة بنوع من هذه الانواع .
وليس من ريب فى ان أساس هذه الفرضية ، هو العمل على تحقيق المبدأ الاسلامى الذى يوجبه الاسلام على أهله ، وهو مبدأ استقلال الجماعة الاسلامية فى تحقيق ما تحتاج اليه من الضروريات والحاجات ، فيما بينها ، وبيد أبنائها دون أن تمد يدها الى غيرها من الامم » .

« وبذلك لا تجد الامم الاخرى ذات الصناعات والتجارات ، سبيلا الى التدخل فى شئونها ، فتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها وتقاليدها ، وخيرات بلادها . وكثيرا ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدول الاجنبية فى ادارة البلاد وتنظيمها واستعمارها استغلالا لحاجتها فى الصناعات والتجارات » .

« ولا ريب أن هذه الطرق الثلاثة . الزراعة والتجارة والصناعة ، وهى الطرق الطبيعية لتحصيل الاموال — عمد الاقتصاد القومى لكل أمة تريد ان تحيا حياة استقلالية ، رشيدة عزيزة . ومن الضرورى عملا على تركيزها فى البلاد ، حتمية العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للامة هدفها الذى يوجبه الاسلام عليها ، والذى يجب أن تحصل عليه وتحتفظ به وتنميه ، صونا لكيانها واستقلالها فى سلطانها وادارتها . وقد أرشدنا تاريخ الاستعمار أن أهم أسبابه وأول نافذة ينبعث منها الى الامة تياره الكريه ، وريحه الثقيل ، هو نقص الاجهزة التى تحقق للامة كفايتها من هذه العمد الثلاثة » .

« واذا كان من قضايا العقل والدين ، أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الاسلامية ، أول ما يوجبه الاسلام على أهله ، وكانت متوقفة على هذه العمد الثلاثة ، كانت هذه العمد الثلاثة واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خيرها واجبا » .

« ومن هنا كان على ولى الامر فى الجماعة الاسلامية ، المهيمن على مصالحها وتوجيهها أن يعمل جهده بما يحقق للامة الانتفاع بها كلها . وأن يعمل على تنسيقها بحيث لا يترك الاموال تتكدس فى تركيز عنصر واحد منها دون سواه . فلا عليه أن يحول بعضا من الاراضى الزراعية الى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد المبنية على تقدير مصالحها ، ويتم بذلك تنسيقها على الوجه الذى يجعلها غنية بنفسها عن غيرها » .

« فلا يجد الاجنبى بابا للتدخل فى شئونها الا بقدر ما يحتاج اليه من طرق التبادل العام الذى يقع بين الناس بعضهم مع بعض . وهذا نوع من التنظيم فيما ينفع البلاد ، ويقيها شر تدخل الاجنبى بما يركز فيها قدمه ، ويكون سيدا عليها ومستعمرا لها » .

« وليس هذا التنسيق من باب تقييد حرية الملكية ، وانما هو توجيه تستدعيه حالة البلاد ، ويمكنها من حريتها الحقة الكاملة » .

« وهو بهذه الاعتبارات واجب على ولى الامر اذا قصر فيه أو أهمله كان آثما ، وكانت أمته معه آثمة . واذا ما قام به ووفر به مصالح البلاد واستقلالها، وعاونته الامة عليه ، كان سائرا بها فى

طريق الخير والسعادة ، وكانت معه فى مكانة الامن والاطمئنان » (١) .

التخطيط نظام الاسلام

اذن نخلص من هذا الى وجوب تحقيق التوازن بين القوى الاستثمارية فى كل مجتمع اسلامى . وهذا التوازن لا سبيل اليه الا بتخطيط شامل لمصادر الانتاج فى كل مجتمع اسلامى . والاسلام كما رأينا ينوط بالدولة هذه المهمة ، مهمة تخطيط الاقتصاد القومى ، ويكلف ولى الامر وذوى الرأى فى المجتمع أن يتشاوروا ويتناصحوا فى توجيه نشاط الامة فى اتجاه اقتصادى معين ، يرون فيه خيرا أعظم من اتجاه آخر قلت الحاجة اليه ، ونضب الخير منه . فهذا التخطيط من قبيل (اعداد العدة) الذى أمرنا به ، ومن قبيل (الامر بالمعروف) الذى ندب له خيار الامة .

وأول ما يجب أن يتجه اليه التخطيط فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة هو التصنيع، بالعمل على توفير الاستثمارات المالية اللازمة له . ذلك لان الصناعة ــ الخفيفة والثقيلة على السواء ــ أصبحت فى عصرنا هذا ضرورة حتمية لكل مجتمع ليس فقط لمالها من نصيب كبير فى تنمية الاقتصاد القومى ، ورفع مستوى المعيشة بين المواطنين ، بل أيضا لأنها أصبحت خير سند للاستعداد الحربى الحديث . والاستعداد الحربى هو أقوى ضمان لاستقلال الاوطان الاسلامية ، وصد أى عدوان عليها .

ان الحرب الحديثة لم تعد صراعا بدنيا أو نضالا يدويا بين طائفتين بل أصبحت حربا ميكانيكية يعتمد التفوق فيها على أمرين . توافر المواد الخام اللازمة لهذه الاجهزة الآلية ، والكفاية الصناعية التى تستطيع تحويل هذه المواد الخام الى أسلحة الحرب الحديثة . وليس من المصادفات أن أقوى دولتين اليوم ــ الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ــ هما الدولتان اللتان تتمتعان بما يقارب الاكتفاء الذاتى فى المواد الخام اللازمة للانتاج الصناعى الحديث ، وما ليس لديهما منها تسيطران على مصادره ، وتتمتعان فى الوقت نفسه بالكفاية الصناعية العالية .

وبغير الكفاية الصناعية لا يكون للمواد الخام من قيمة فى قوة أية دولة الا أن تكون سلعة فى السوق تشتريها الدول الصناعية بأبخس الاثمان وتتحكم فى الدول المنتجة لها . وأمامنا المثل المعاصر . روسيا حطمتها ألمانيا فى الحرب العالمية الاولى ، عندما كانت أمة بدائية فى اقتصادها الزراعى المتخلف ، ثم عجزت عن قهرها فى الحرب العالمية الثانية بعد أن كان التخطيط قد أدى رسالته ، والتصنيع قد آتى ثماره .

ومثل آخر سابق على المثل الروسى . أمة اليابان كانت أمة هاجعة فى غياهب الزمن ففزتها السفن الحربية الامريكية ، فأذهلها هذا الصنيع، وأيقظها من سباتها

---

(١) منهج القرآن فى بناء المجتمع ص : ٩٣ ــ ٩٦

فأرسلت البعثات ، لا لاستيعاب فلسفة الغرب وآدابه ، بل على الاخص لدراسة العلوم الطبيعية ، واقتباس الاساليب الصناعيةالتى بهرتها ثم دأبت علىتصنيع بلادها ، وتوجيه استثمارها المالى الى هذا الميدان حتى بلغت تلك المكانة الرفيعة فى الصناعة الحديثة ، وحتى غزت سلعها ، أسواق الارض ، واكتسحت فى طريقها مصنوعات أوروبا وأمريكا ، وحتى بلغت من القوة الحربية ما مكنها من أن تطاول أمريكا وروسيا وبريطانيا مجتمعة ، حتى قهرتها القنبلة الذرية ، ولكن الاجماع الآن عند ساسة الغرب أنها بفضل ما كسبته من كفاية صناعية ستعود سيرتها الاولى .

ونحن شعوب العالم الاسلامى قد وهبنا الخالق فى أراضينا من الموارد الطبيعية والمواد الخام ما ميزنا به على أمم كثيرة ، ولكننا عكفنا فى القرون الاخيرة ــ فى جمود بليد ــ على استثمار جزئى للظاهر منها على سطح الارض ، وقصرت همتنا عن استغلال ما فى باطنها من معادن مخبوءة ومن قوى كامنة ، وعن استثمار هذه الموارد وهذه القوى فى مجالات التصنيع الحديث .

يتضح مما تقدم أن اضطلاع كل مجتمع اسلامى بهذا التكليف الثالث فيما يقضى به من توجيه استثمار المال الى جميع المسالك التى تقتضيها ضروريات المجتمع ، واجبحتمى تفرضه ضرورة البقاء فى هذا العصر ازاء القوى العدوانية التى تحدق بالعالم الاسلامى من كل جانب .

والتصنيع أهم هذه المسالك ، والصناعة عمل صالح ينعكس نفعه على المجتمع برمته ، والاسلام يعتبر كل عمل صالح عبادة وقربى الى الله ، والله يحب المؤمن المحترف ، ويحب العبد اذا عمل عملا ان يتقنه .

والكفاية الصناعية تفتح مغاليق الرزق ، وتحارب الفقر ، والفقر ألد عدو يكافحه الاسلام ، ويعمل دائما على ابراء المجتمع من آثامه .

والكفاية الصناعية تغنينا عن أن نكون عالة على خصومنا فى استيراد أو استجداء ما نفتقر اليه من سلع مصنوعة ، وتعصمنا من أذى موالاتهم فى الحق وفى الباطل ، وتعصمنا من اضطرار البعض الى اتخاذهم أولياء .

وأخيرا الكفاية الصناعية أصبحت أشد وجوبا على كل مسلم فى عصرنا هذا، بعد ان اصبحت ضرورية للاستعداد الحربى ، فدخلت بذلك فى نطاق التكليف الموجه الى الكافة . ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)) .

ولا أرى علاجا عمليا للنقص الذى تعانيه الشعوب الاسلامية فى الكفاية الصناعية الا أن تتكاتف وتتعاون جميعا ــ بمواردها الفنية والمالية والطبيعية المتباينة ــ على وضع برنامج شامل للتصنيع ، يخططون مراحله ويتعاونون فى اعداد وسائله ، واقتباس أساليبه من مراكز الصناعة العالمية فى كل مكان يتيح لنا هذا الاقتباس بغير تقيد بشرق أو غرب .

وبعد فهذا تفصيل التكليف الاول من التكاليف المفروضة على ملكية المال واستثماره وفى المقال القادم نعالج سائر التكاليف .. وأولها الزكاة .

وَجَدتُها وَجَدتُها

حجة الشريعة على العقل

في حديث عابر مع أحد الاصدقاء من الشباب المؤمن الواعي ، وهو شاب طلعة يحب أن يزداد علما كل يوم ، وأن يتفهم وأن يسأل عما لا يعلم ، وأن يعلم عن دليل ، وأن يناقش ليفهم ، ونحن زمرة من الاصدقاء في بيته منذ ثلاث ليالي نودعه ليلة سفره الى الحج ، ولم يترك السؤال والبحث والنقاش في شئون من الشريعة وأحكامها - استطرد الى الحديث عن صاحب له زميل في الوظيفة من رواد الحقيقة المتطلعين الى المعرفة ، مولع بالجدل صعب الانقياد ، فيه شيء من العناد ، ولكنه ليس من الذين يحبون الجدل للجدل ، بل يريد أن يعرف الحقيقة وأن يقع عليها .

في غمرة تلك الأحاديث ونحن مع صديقنا في وداع الحجة الى موطن حجة الوداع ، عندما وصل به الحديث الى صاحبه هذا الزميل في الوظيفة ، ووصفه بما ذكرنا قال لنا . انه على جدله الذي يجاوز به أحيانا حدود الاعتدال قد سمعت منه بالأمس جملة عبر بها عن ملاحظة من ملاحظاته ملكت على اعجابي كله ، وحضرت في ذهني فنزلت منه في مستقر ومستودع وأصبحت عندي احدى ذخائر الفكر التي اختزنها .

قلنا فما هي تلك الجملة الحكيمة التي نزلت من اعجابك هذه المنزلة الرفيعة ، أشركنا معك فيها يا رعاك الله، وهذا ثمنها نقدمه اليك سلفا . دعوات صالحات نرفعها الى رب البيت المعمور الذي أنت اليه قاصد ، أن يكتبك في المقبولين الأبرار ، ويجعل حجك مثمرا

للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا
خبير موسوعة الفقه الاسلامي بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

لديه ، وفى نفســـك ثمرته التي شرع لأجلها ، ويجعل متعتــك الروحية فيه أعظم مما تؤمل .

تهللت أسارير صديقنا لهذه الدعوات، وانبرى يتابع حديثه ويروى لنا تلــك الجملة التي سمعها من صاحبه الجدل .

فقال :

قال لي صاحبى هذا الذى حدثتكـم عنه . ان من أعجبـما هو جدير بالملاحظة والاعتبار من غرائب الواقــع فى حيــاة الانسـان أن كل جـزء فى جســـمه من الأجزاء التي لا تفهم ولا تعقل ، يعمــل بانتظام واتقان دون خطأ . فالمعدة مثلا لا تخطىء فى عملهـا وافرازها وســائر نواحى وظائفها ، ومثل ذلك الأمعـاء ، والكبــد ، والغدد المختلفــة ، والكلى ، والعروق ، والأعصاب بمختلف شعبها ومناطق نفوذها ، الى غير ذلك من آلاف أو ملايين الأجهزة وأجزائها وجزيئاتها فى اداء وظائفها الحيوية التي تقوم بها حياة الانسـان ، والتي تحير عقول علماء الطب والتشريح وعلم الغريزة (الفيزيولوجيا) ، وان كان كثير من هذه الأجهزة والأجزاء قد يعجز ، وقد يصاب بآفــة مرضـيــة فيختل عمله أو يقصر فيه . فهذا ليس بخطأ فى عمله ، فالمهم أنه لا يخطىء أبدا ، وأن كان قد يعجز أو يمرض أو يصاب بآفة .

أما العقل وهـــو الجانب المدرك ، أو مجموع القوى المدركة فى الانسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان ، ويمثــل الفكـر والذكاء وقدرة الابتكار التي لا حدود لها، والتدبير والتخطيط للمقاصد المستقبلة ، والحيلة البارعة للتغلب على جميع العقبات والصعوبات التي تواجهها حياة الانسان ، الى غير ذلك من المواهب التي تضافرت على تزويد الانسان بالعلم فى كل مجال وميدان بكل ما فى كلمة العلم من معنى وما تشمله من آفاق وأعماق ، هذا العقــل الذى هــو الجانب المدرك الواعى ، أو هو أداة الفهــم والتعقــل والبصيرة لا يعمل دون خطأ ، وخطؤه أكثر من صــوابه !! أليس ذلــك مثار عجب ، ومدار اعتبار ؟ .

قال صديقى الذى كنا فى زيارتــه . فأنا لا أزال أتدبر هذه الجملة من صاحبى هذا ، فقد نــزلت فى قــرارة نفســي ، وأصبـحت لدى فى جملــة المــلاحظات الهامة التي اكتسبتها فى حياتي .

قلت له . حقا انها ملاحظــة قيمة ، وقد وجــدت بها أنا أيضــا ضــالتي المنشودة ، كما وجد الحكيــم اليوناني أرخميدس ضالته عندما لحظ ، وهو فى حوض الحمام أن وزن الأجسام وهى فى الماء ينقص عن وزنهــا وهى خارجــه ، فصاح وجدتها وجدتها Eureka Eureka واســتنبط القانون الطبيعي فى نســبة نقصــان الوزن فى هذه الحــال ، ذلــك القانون الذى اســتخدم بعد ذلــك فى مجالات علمية وصناعية ذات شـــأن كبير .

ذلك اننى تعهدت لمجلة الوعى الاسلامي بكتابــة كلمة للعدد الممتاز منها ، وقد قرب موعد تسليم الكلمة ، وأنا لا أزال محتارا فى اختيار موضــوع مناســب

جديد . فقد وجدته الآن ملاحظة صاحبك جزاه الله تعالى خيرا .

قال صديقى : فما هو الموضوع الصالح الذى وجدته فى ملاحظة صاحبي هذه ؟ قلت انه حجة الشريعة على العقل ، هذا الموضوع الخطير فى ميزان الايمان ، حيث يقوم به الدليل على أن العقل مهما سما شأنه ، وعظمت قدرته على المعرفة والاكتشاف والفهم ، فان صاحبه الانسان هو فى حاجة دائمة مع عقله هذا الى النور السماوى الذى يهدى الى الصواب وينير له سبيل الرشاد ، ويجنبه كثيرا من الوقوع فى المآزق ، والتردى فى الهاويات . أفتدرى أيها الأخ لماذا كان كل جزء غير ذى فهم فى الانسان يعمل بانتظام دون خطأ ، وكان العقل الذى هو أداة الفهم والادراك يخطىء أكثر مما يصيب ؟ قال : لماذا كان ذلك ؟ قلت : اليك التعليل والبيان .

ان كل جهاز من أجهزة جسم الانسان أو جسم أى حيوان ، وكل جزء أو غدة أو خلية حية من خلاياه انما يعمل بحكم الغريزة ، وانما يعمل عملا نمطيا رتيبا فى وقت ثابت أو عند منبه معين ، وانما يعمل عمله هذا فى طريق معبدة ووسيلة وظرف مهيأين ، ففى هذه الشرائط يقوم الجزء الحى بعمله النمطى بحكم الغريزة فيصبح عمله ووظيفته أشبه بانحدار الماء الذى صب فى طريق محصورة منحدرة . فالماء فى هذه الحال لا يخطىء فى الانحدار ، ولا فى سلوك المجرى الذى يراد انحداره فيه حتى يصل الى مقره بحكم الجاذبية الأرضية فيحجز فيه ويستقر .

فالمعدة اذا نزلها الطعام قامت بعملها فيه بانتظام من الحركة والافراز ، وكذلك اذا رأت عين الجائع طعاما شهيا أو شم رائحته ، أو ذكر اسمه له كان ذلك منبها عصبيا يشبه نزول الطعام الى المعدة ، فتبدأ أيضا بالافراز اللازم . وهذا منها عمل نمطى رتيب فى ظروف وشرائط متماثلة ، فكلما توافرت وتكررت هذه الشرائط والظروف نبهت المعدة فعاودت عملها نفسه ، وكررت قيامها بوظيفتها ذاتها بصورة لا تختلف عما عملته فى مرة سابقة وعما ستعمله فى مرة لاحقة . وهذا ما نعنيه بنمطية العمل .

ومثل ذلك يقال فى الكلية أو الكبد أو العين الخ ... بل فى الكريات الحمراء أو البيضاء ، وكل خلية من خلايا الجسم الحى ، مما هو معروف فى علم الغريزة (الفيزيولوجيا) .

واذا رأيت فارقا فى التمثيل لهذا النوع من العمل الوظيفي الغريزي النمطى بين عمل أجزاء الجسم الحى وانحدار الماء فى المجرى المحصور المنحدر من حيث أن الماء مادة غير حية ، فينحدر كما يسقط الحجر بحكم قانون الجاذبية فى اتجاه معين نحو مركز الأرض اذا قطع الخيط الذى يحمله فى حين أن الجزء العامل فى الجسم الحى هو جزء حى يعمل عن احساس وتنبه هو مظنة الخطأ ، ولكنه لا يخطىء فانى عندئذ أنقلك الى مثال آخر أقرب الى مطاوبك وأوضح . مثال العامل الواقف أمام آلة واحدة فى معمل كبير عظيم فيه آلات كثيرة لكل واحدة منها وظيفة ، وأمامها عامل يقدم لها المادة أو القطعة التي تعمل فيها . فلا أشبه لك الجزء الحى العامل فى الجسم بالآلة التي تعمل فى هذا المعمل ، بل أشبهه لك بالعامل الواقف أمامها ، ووظيفته كلما وصلت اليه القطعة محمولة على حاملة آلية أن يتناولها ويقدمها الى الآلة التي أمامه لتعمل فيها عملها وتدفعها الى حاملة آلية أخرى بجانبها فتحملها الى عامل آخر ، وهكذا ...... ولا بد أن تكون قد رأيت طريقة صناعة الأجزاء فى المعامل فهذا الشخص العامل الواقف أمام الآلة ليتلقى القطعة القادمة اليه ،

ويقدمها الى الآلة التي أمامه هو انسان حي كامل مفكر فاهـم واع ، ولكنـه في عمله هذا النمطي الرتيب بتقديم القطعة الى الآلة كلما وصلت اليه قد أصبح أشبه بالآلة يقوم بهذا العمـل الواحد بصورة تلقائيةعفويةتعتمدعلى الاحساس الغريزي دون اعمال الفكـر وتجميـع المعلومات واستنباط النتائج منها . وهو في عمله هذا لا يخطىء أو قلما يخطىء كما لا يخطىء العضو أو الجزء من الأجهزة العاملة في جسم الانسان الحي .

وكلما خرجت المهمـة في العمـل عن النطاق الضـيق المحصـور والنمطيـة الرتيبة ، فاتسـع النطـاق ، وتنوعت الوظيفة ، وأصبحت عرضـة لمواجهات جديدة ومفاجآت فانهـا عندئذ تحتاج الى تفكير وتدبـير ومعالجات مختلفـة باختلاف نوعية الطوارىء وما يصحبها من ملابسات معقدة،فتجعل المهمة معقدة وتستوجب من الفكر عمـلا يعتمد على التشـخيص والتمحيص والتحليـل والتركيب ، فان الخطأ عندئذ يتسـع مجاله فيقوى احتماله ، ويكثر وقوعه .

ولنأخذ مثالا على ذلك عمل الطبيب الذي عليه تشـخيص الداء ووصـف الدواء النوعي له ، فانه كثيرا ما يواجه في المرضى بمرض واحد لدى كل مريض حالة جديدة تحتاج الى ترتيب مختلف ، فانه ان لم يختلف عليـه المـرض فقد اختلف المريض ، وما يحمله مع المرض الرئيسـي من ملابسـات ومضـاعفات وحساسية المريض واختـلاف درجـة المريض وحدته أو أزمانه ، مما يستدعي ترتيبا وتدبيرا خاصا بهذا المريض دون آخر ، فان العـلاج النوعي الواحد قد يفيد مريضا ولكنه يؤذي مريضا آخـر بالمرض نفسه . ومن ثـم يكثـر خطأ الطبيب ، لأنه يجب أن يكشـف حالـة غامضـة مبهمة ، وأن يعـرف الطريق الصحيح الموصل فيوسط متاهة مظلمة . وهذا بخلاف الصـيدلي ، فانـه قلما يخطىء في تقديم العلاج أو تركيبه وفقا لوصفة الطبيب .

بعد هذا أيها الأخ أصـل بـك الى الناحية المقصـودة كثرة خطأ العقـل ، وسببها وعلاجها .

نعم ان العقل كما لاحظ صـاحبك وقال هو ذلك الجـزء المدرك في تكوين الانسان ، هو الجانب المختص بالفهـم والفكر ومعرفة الحقائـق والـوعي في السلوك ، هو ذلك المصباح الكهربائي العظيم القوة البعيد المـدى في الانارة ، ينير للانسان ما حوله فيستطيع بذلك أن يبصـر وأن يتبصـر ، ولكـن مهمـة العقل ليست نمطية رتيبـة كعمل جزء من جهاز في جسم الانسان أو خليةمنخلاياه .ان مهمةالعقلمتنوعة معقدة ، بل هي أكثر ما في الحياة تنوعا وأشدها تعقدا . انها أصـعب بملايين المـرات من مهمة الطبيب الصـعبة في تشخيص الأمراض الباطنة ومعالجتها في كل مريض .

ان العقـل لكي لا يخطىء يجـب أن يستطيع معرفة كـل ما يحيط به من الأشياء المادية والاعتبارات المعنوية في كل ما هو حاضر أو غائب ، قـريب منه أو بعيد عنه وأن يعرف الملابسـات التي تتصل بكل شيء من ذلك ، ويبقى بعد كل هذه المعرفة لو اسـتطاعها عرضـة للخطأ بما يطـرأ من تحولات ومفاجآت على الأوضـاع والحالات في الظـروف والأشياء التي تغير منها ما كان يعهده ويبني عليه . وأنى للعقل الانساني كل هذه المعـارف ، وهـو انمـا يعيش في متاهات ، في وسط مجاهـل من هذا الكون العظيـم الـرهيب وموجـوداته ونواميسه . ومهما ملك الانسان وعقله الجبار من معارف وبصـائر ، فانه لن يبلغ علمه وبصيرته أكثر مما يصل اليه نظر واقف على سـاحل البحر المحيط الهادي مثلا بالنسبة الى ما وراء الحدود التي يقف عندها امتداد بصره ، وما في أعماق ذلك المحيط ، وغيره من البحار

الكبرى ، وما فى أجواز الفضاء وأغوار الكون كله ، مما يقف عقل الانسان تجاهه وتجاه ما يسمع عن بعضه فى موقف حقارة وصغار ، كحقارة الترابة الواحدة بالنسبة الى الكرة الأرضية كلها ، ولا سيما اذا تصورنا مدى ما يعنيه قول العلماء اليوم . ان بين الكرة الأرضية وبعض النجوم التيتراها أعيننا مسافة مائة سنة ضوئية أو أكثر (وأنت تعلم معنى السنة الضوئية فى تقدير مسافات الفضاء الكونى) (١) .

فما مبلغ علم الانسان وقدرة عقله بالنسبة الى ما فى الحياة البشرية ونواميس الكون من حقائق وخفايا وملابسات وتعقيدات ، بالنسبة الى الفرد والى الجماعة والى الحاضر والمستقبل اذا أراد أن يعرف كيف يبنى حياته وسلوكه فى طريق قويمة حكيمة رشيدة بين أمواج هذا الخضم العظيم الهائل ؟ .

صدق الله العظيم بقوله فى قرآنه الكريم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

فعقل الانسان فى هذه المتاهة الهائلة والمجاهل المذهلة أشبه ما يكون بالطفل الصغير الذى كان يحبو فقويت رجلاه بعض الشيء فنهض يمشى وفرح بما وصل اليه من قدرة ، وهو لا يعرف شيئا عما يعرض له من مزالق ونواتيء يتعثر بها ، ولا يعرف ضعف ساقيه وعدم مرونته ، فهو تارة تخونه قدرته فيهوى على شيء يؤذيه ، وتارة يصطدم فيشج ويقع ، وتارة يتعثر بذيله ، انه يقع ويقوم ويصل الى الجدار مرة ويسقط دونه أخرى ، وهكذا . ولكن الفرق بين عقل الانسان وبين الطفل الذى بدأ يتعلم المشى هو أن الطفل سوف يتغلب على صعوبة المشى ، بما يزداد من قوة ومن خبرة ومن مرونة ، فيستطيع بعد مدة أن يمشي فلا يقع وأن يركض ويقفز . أما عقل الانسان فيبقى ما بقيت الحياة طفلا يترعرع فى بداية تعلم المشى ، يقع ويقوم ويتعثر وينزلق فى مجالات سلوكه فى مسالك الحياة ، مهما بلغ من علم ومعرفة ، ومهما انكشف له من آفاق ، لأن مدى علمه لا يعد شيئا يذكر بالنسبة الى مدى جهله بما وراءه وأمامه من أمور مغلقة ومخاطر محجبة .

ذلك أن وظيفة العقل البشرى هى أعظم شيء تنوعا وتعقدا . فهى ليست مهمة بسيطة نمطيةفيمجال محدود ممهد معبد يستطيع أداءها غريزيا بصورة آلية ، أن وظيفته كوظيفة الطبيب المكلف بتشخيص داء باطن مستخف فى الجسم بين مئات العلل التي لها أعراض مشابهة وعليه وصف الدواء الصحيح . وهذا تشبيه تصغير وتقريب . فمهمة العقل البشرى فى الواقع أعظم تعقيدا من مهمة هذا الطبيب بما لا يمكن معه قياس . ان مهمته هى اختيار السلوك الصحيح المستقيم الموصل الى أحسن النتائج فى حياة الأفراد والجماعات ، والمتنكب للمزالق المتوقى من العثرات والهاويات المغطاة بالأعشاب الفشاشة كمزارع الألغام فى أرض العدو . بل ان التشبيه الادق الاقربلمهمةالعقلالبشري،وموقفه بين مصاعبها التي لا تغلب ، هو أنه كشخص ملقى فى مفازات ومتاهات غير متناهية الأبعاد ، وهى مليئة بالحيوانات المفترسة ، والحشرات القتالة ، والمزالق المردية ، وتغمره فيها ظلمة حالكة دائمة لا تنجلى ، ومعه مصباح يضيء له ما حوله الى مسافة أمتار محدودة ، وعليه

---

(١) سرعة الشعاع الضوئي يقدرها علماءالفيزياء بأكثر من ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة . ومسافة السنة الضوئية هي المسافةالتي يحتاج الشعاع الضوئي أن يستمر سائرا بهذه السرعة مدة سنة كاملة حتى يقطعها !!! المجلة .

أن يسلك طريقا آمنة الى رزقه وقوام حياته ، يصل فيها الى مطلوبه ويتوقى المخاطر المهلكة .

ذلك لأن مدى العلم الذى يمكن أن يبلغه الانسان بعقله بالنسبة الى ما فى هذا الكون الشاسع الزاخر بالعجائب والمتاهات والمجاهل هو أقل كثيرا كثيرا من مدى نور هذا المصباح فى هذه المفازات المظلمة . هذا اذا اقتصرنا فى التصوير والتشبيه على مدى كل من أفق العلم وآفاق الجهل بما فى الكون من حقائق وواقع ، وأسقطنا من الحساب ما يحول بين العقل والتقدير الصحيح وحسن الاختيار من شهوات الانسان وعوامله النفسية والمغريات التي تجذبه وتطغى على علمه وعقله ، والمطامع المتسلطة على العقول والنفوس البشرية ، وحب الأثرة والحظوظ ، مما يدعو الانسان الى ايثار اللذائذ على الواجبات المتعبة ، وما ينشأ عن كل ذلك من تغشية على الأبصار والبصائر ، ودفع للأفراد والجماعات الى أرض الألغام المكسوة بالأعشاب الغشاشة بدلا من طريق الأمان .

ففى هذا الواقع من طريق الانسان ووعورتها وظلمتها ومن مهمة عقله ذلك المصباح المنير المحدود المدى ، كان لا بد لهذا الانسان من قائد ودليل بصير خبير الى جانب المصباح الذى بيده ، والا كان أمام مفاجآت حتمية من المخاطر وضلال الطريق ، ان هذا القائد هو الشريعة الالهية (والشريعة فى أصل اللغة هى الطريق) ، وان الدليل هو أحكامها وتوجيهاتها وأوامرها ونواهيها . انها ترسم له طريق الهدى البعيد المدى الذى يجهله ولا يعلم منه الا القليل ، بمقدار ما يمتد اليه نور مصباحه القاصر من أمتار يرسم له هذه الطريق الأقوم الأسلم ، خالق الكون العالم بخوافيه وبكل ما فيه من مسالك ومهالك ، والخبير بما ركبه هو فى الانسان من طبائع وغرائز ودوافع خير ونوازع شر ، وما حف طريقه من مخاوف ومخاطر . فخالق الكون أعلم بما فيه ، جعل للانسان شريعته تعبيدا لطريق العقل . نعم ان الانسان لا يستغني عن هذا المصباح مع الشريعة . ولكنه لا ينبغي له أن يغتر بمسافة النور القصيرة التي يبلغها ضوء هذا المصباح ، فيظن فى نفسه القدرة على الاستقلال عن الشريعة والانفصال عن الطريق الذي خططه له خالقه ومهده كى يجنبه المفاجآت الخطرة والمهالك . بل عليه أن يتلمس بمصباحه المتواضع معالم هذه الطريق فى حدود الشريعة الالهية ، لأن خالقه أدرى بما يصلحه وبما يفسده ، لأنه أدرى بما يحيط به من مجاهل لا يستطيع هو معرفة ما فيها من آفات . فما حسنته له الشريعة بنصوصها الثابتة فهو حسن ، ولو لم يستطع عقله ادراك حسنه ، وما قبحته له فهو قبيح خطر وخيم العواقب على الفرد أو على الجماعة عاجلا أو آجلا .

هذه حجة الشريعة على العقل تقوم على أساس هذا الواقع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فليس للانسان المؤمن أن يناقش الشريعة بعقله القاصر مناقشة الند للند ، فيقول : ما قبله عقلى قبلته ، وما لم يقبله رفضته !! فما هو عقله ؟ وما مدى الثقة به ؟ ! .

انما عليه أن يتفحص بعقله أوامر الشريعة ونصوصها ، ويناقشها مناقشة المتفهم المطيع المستسلم الذى يريد أن يعرف ماذا يريد الشارع ليعرف كيف يطيع ، هذا هو شأن العالم البصير وما سواه فشأن الجاهل المغرور .

نعم ان هذه الحجة تقنع المؤمن . أما الملحد المادى الذى لا يؤمن بالخالق ورسالاته الهادية بل يجحد الحقائق ويكابر فى المحسوس مغرورا بعقله القاصر ، فذلك لا ينفع معه الاحتجاج ، بل يجب التأسيس معه أولا ، والبدء بمناقشته من مبدأ آخر .

الهجرة بين التفسير

١ — لماذا هاجروا ؟

يستقبل المسلمون هذه الايام غرة عام هجرى جديد ، هو العام السابع والثمانون بعد الثلاثمائة والألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه من مكة الى المدينة .... ويحتفل المسلمون فى مطلع كل عام بذكرى تلك الهجرة ، فيذكرون ما يذكرون من آثارها ، ويفيضون فى تفصيل حوادثها ، كأنك ترى أصحابها ، وتنتقل معهم من مكة ، حيث الجو المخنوق الموبوء ، الى مدينة الانصار ، حيث ترى من سماحة الاستقبال ، وفرحة اللقاء ، وكرم الايثار ما لم يسجل التاريخ مثله لجيل من الاجيال ، أو لامة من الامم .

وتسأل نفسك . لماذا هاجر هؤلاء المهاجرون هجرتهم تلك العجيبة الرائعة ؟ .. هل كانت الشقة يسيرة فأغراهم قرب المسافة برحلة لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب ؟

لم تكن تلك الرحلة يومئذ بالامر الهين فى عصر كانت الاسفار فيه تقاس بالايام والليالى .. وكان المسافر من مكة الى المدينة يستغرق فى سفره عشرة أيام وعشر ليال ، وهى مدة اذا مثلت لخيال البدوى من أهل تلك الحقبة ، وثب له معها بعد الشقة ووعورة الطريق، ووحشة الغربة السحيقة النائية .

وتسأل سؤالا ، أو أسئلة أخرى .

هل كانوا من ذلك الطراز الذى يهون لديهم مفارقة الاوطان ، وما فيها من أهل وأصدقاء وذكريات عزيزة حبيبة ؟

ويجيبك واقع هؤلاء أنهم هاجروا من بلدتهم العزيزة الحبيبة ، وهى أحب أرض الله اليهم ، وقلوبهم تتلفت اليها ، ولما استقروا بدار هجرتهم الكريمة لم تستقر مشاعرهم ، فكان الحنين لا يفتأ ينازعهم اليها . الى ربوعها ، وبطاحها ، وهضابها

« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

سورة الحشر

المادي والروحي

للاستاذ البهى الخولى

وشجرها ونبتها ، وكان بلال رضى الله عنه كثيرا ما يرفع عقيرته متنهدا أسيفا بقوله .

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بوج (١) ، وحولى أذخر (٢) وجليل (٣)
وهل أردن يوما مياه مجنة (٤)
وهل يبدون لى شامة (٥) وطفيل (٦)

فليست الشقة — اذا — يسيرة ، وليس القوم ممن يهون لديهم مفارقة الاهل والوطن .. فماذا نزع بهم الى تلك الهجرة النائية الشاقة على النفس والبدن ؟

هل كانت لهم هناك مغانم منظورة أو كنوز مذخورة ، أو أموال موعودة ، أو أرض طيبة مأنوسة بما شاءوا من الدور والاهل والاصدقاء ؟ ... ويجيبك التاريخ على سبيل اليقين . انه لم يكن لهم بدار هجرتهم أى عرض منظور أو مذخور ، ولا أى غرض مما يثير الناس ، ويبعث هممهم اليه فى كل أفق .

واذا لم يكن هذا ولا ذاك ، فهل كانوا يقيمون بمكة على هوان وضيم ، أو على عيش جاف خشن ، فحملهم ذلك على أن يفتجعوا على عادة البدو — منازل ذات رفاهة وسعة ؟ ... وهذا السؤال أبعد الاحتمالات عن أن يكون سببا لتلك الرحلة الفذة المعنة فى الغرابة والاغتراب ، فقد كان المهاجرون أغلبهم من ذؤابة قريش شرفا ومنعة ، ورفعة بيت ، ورخاء حال ، وكل قارىء للسيرة وتاريخ العرب يعرف شرف البيت الذى ينتمى اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، والبيوت التى ينتمى اليها أمثال أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ... ولم يكونوا على عيش خشن جاف ، فكان بواديهم بيت مبارك تهوى اليه أفئدة من الناس ، وتجبى اليه ثمرات كل

---

(١) وج . واد بالطائف لا يبعد كثيرا عن مكة
(٢ ، ٣) الادخر والجليل . نوعان من النبات .
(٤) مجنة . موضع باسفل مكة على أميال
(٥ ، ٦) شامة وطفيل . جبلان بمكة ...

شيء .. وكانت لهم رحلتا الشتاء والصيف ، فآمنهم الله بذلك كله من خوف ، وأطعمهم من جوع .. ولم يكن المهاجرون أقل أهل هذا الوادى مالا ، بل كانوا من أوسطهم حالا ، وأيسرهم غنى وسعة ، وتذكر كتب السيرة أن أبا بكر رضى الله عنه ـ أخذ معه يوم هاجر خمسة آلاف ، هى بقية عشرات ألوف كان يملكها فأنفقها كلها على الدعوة ، ولا سيما فى شراء العبيد الذين كان سادتهم يعذبونهم على ايمانهم .

٢ ـ بين المادة والروح ..

هذه أسئلة أوردناها وأجبنا عليها من واقع التاريخ ، ولا يستطيع أشد الناس جدلا أو مكابرة أن يزعم أن الهجرة تمت تحت اغراء أو ضغط أى ظرف من الظروف التى جعلناها موضوعا لأسئلتنا .

وبيننا الآن فلسفة تفسر أحداث التاريخ علي ضوء العوامل المادية أو الاقتصادية وحدها ، فكل أحداث التاريخ وتطورات البشر ونظم الحضارة التي تنقل فيها الناس الى اليوم ،انما صنعتها ـ فى رأيهم ـ عوامل اقتصادية حسية، وكان الانسان فيها مستجيبا أو متأثرا بأملاء الاقتصاد ، ونداء حاجاته ، وتوجيه ضروراته .. وهى فلسفة مستفيضة ينتهون منها الى مقررات معينة ، منها : الايمان بالمادة المحسة وحدها ، وفعل العوامل الاقتصادية فى تطوير الانسان ومنحه ما يكون له من مقومات الضمير من الآداب والمثل ونحوها ... مع انكار ما عدا ذلك من العوامل الروحية وآثارها ، وادعاء أنها خرافة .

ونحن نسلم بأثر المادة وفعل العوامل الاقتصادية فى حياة الانسان ، وليس من كرامة العقل أن نجادل فى واقع يلابسنا ونلابسه ، ونلمس آثاره فى أنفسنا ومجتمعنا .. ولكنا مع ذلك نسأل باسم كرامة العقل أيضا . هل العوامل الاقتصادية وحدها هى التى تصنع للانسان تاريخه ، وترسم له طريق تطوره ، وتملى على أفراده وجماعاته ما يجب أن يكون ؟

ان حادث الهجرة يتولى الاجابة عن ذلك ، فقد سقناه وحاولنا أن نجد له تفسيرا على ضوء أوضاع المادة وعوامل الاقتصاد ، فلم نجد فيما عرفنا من كتب السيرة ومراجع التاريخ سببا واحدا يرده الى منطق هذا المذهب ومقرراته .

ومن المسلم به أن الهجرة من حوادث التاريخ التى لا حيلة فى انكارها ، أو التشكيك فى حدوثها ، فليس لها من تعليل ـ اذاً ـ سوى عوامل أخرى غير حسية ، هى العوامل التى اقترنت بظروف الهجرة وملابساتها بدءا وختاما، وكانت هى الباعث وهى الغاية ... ولسنا نجد شيئا اقترن بتلك الظروف ولابسها سوى المبادىء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وآمن بها هؤلاء فغيرت ما بأنفسهم وعقولهم وقلوبهم ، ونقلتهم من حال الى حال .

كان التفكير الحسى يطغى على وجود أهل البيئة كله ، فأفسد عقولهم وأذواقهم ، وعطل ما لهم من مواهب وملكات روحية ... كان هذا التفكير هو الذى يتولى لهم تصوير الحقائق الروحية ، والكائنات الغيبية ، فالملائكة اناث .. والآلهة حجارة .. ولله شريك أو شركاء ... وتعدد المعبودات هو الامر الذى لا تسيغ العقول سواه « أجعل الآلهة الها واحدا ؟ ... ان هذا لشى عجاب .. » ... واذ تعطل فى الناس وعيهم الروحى ، فقد أسرع ذلك التفكير الحسى الجاهل ، فملأ فى النفوس فراغها الروحى ، حتى سادت الخرافات والاوهام ، واتخذت فيهم مكان التقاليد والعقائد .

فللجن أثر فى حياة الانسان يجب أن يحسب حسابه .. وللطير اذا أيمنت أو أشملت علاقة بما سيكون من أحداث تسر أو تسوء .. وللأزلام اذا استقسموا بها حكمها الذى تعنو العقول لفصله ، وتتقرر مصائر الارواح والاموال بأمره ونهيه .. وللكهان والعرافين حكومتهم التي تشد اليها الرحال ، فينتهى بها الاشكال ، وينزل المتخاصمون على حكمها .. ولا شىء وراء ذلك الكون الحسى ، وليس للانسان من حياة أخرى يحياها فى عالم غيبى على نمط تسمو فيه أذواق الروح على أذواق البدن وأحكام المادة . (ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد .. » ... واذ كان الموت هو الخاتمة التى تنهى حياة كل منهم الى غير رجعة — على زعمهم — فقد أقبلوا على شهوات الحس يبادرونها بما ملكت أيديهم ، وكانت المادة هى وسيلتهم الى ذلك ، أو هدفهم الوحيد اليه .

جاء الاسلام وتلك حالهم من مادية الفكر ، والعقيدة ، والذوق ، والاهداف فعالج ذلك كله ، وأزال عن العقل والقلب ما يغشيهما منه ، وبدل الناس وجودا بوجود .

حرر العقل وجعله عماد الاستدلال فيما يؤيد العقيدة ، وجعل له الهيمنة على الحياة كلها ، وتنقيتها من شوائب الوهم والخرافة ... وأيقظ كرامة الانسان اذ لفته الى ما له من ملكات باطنة هى معقد انسانيته ، وأنه لم يوهب تلك المواهب عبثا أو جزافا ، انما وهبها على قدر ليؤدى بها لنفسه وللحياة رسالة فى عمل الخير ، وتحقيق الحق ، واقامة سلطان الله فى الارض ، وبأنه مسئول عن رعاية تلك الملكات واقامة منطقها فيما يأخذ أو يدع « **ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » .

ولقد نبهه أنه — بتلك الملكات الباطنية — حقيقة روحية انسانية باقية ، وليس مجرد هيكل فان مصنوع من المادة ، وأن الموت بالنسبة لتلك الحقيقة انما هو انتقال بها من طور الى طور ... وأن من رسالة الانسان أن يعد نفسه لطورها المقبل ، فمن رعى لها حظها من التفكير فى آيات الله ، وغمر آفاقها بوجدان ذلك التفكر ، وزكى ذلك وأيده بالعمل الصالح ، فقد أعدها لسعادة علوية رافهة ... ومن جعل حظها شهوة الحس ، وعماية الهوى ، وحرص الانانية ، فقد طمس على مواهبه ، وأعد نفسه اعدادا ممسوخا يذوق به الخزى فى طوره المنتظر ..

بهذه المعارف السليمة ، والتوجيهات النفسية الدقيقة تحرر العقل ، وتنبهت الملكات الروحية الباطنة ، وأبصرت فى الكون نفائس ودقائق غير المادة ، وبدأ الادراك الروحى يقدر زاده من الخير والتقوى ، ويفاضل بينه وبين ما هنالك من أزواد حسية ، ويحدد بهذه المقارنة القيم الجديدة بأن يجعلها معقد همته ومناط كرامته .

وبدأ العمل لصلاح النفس يدخل عنصرا جديدا ، بل عنصرا أصيلا فى اقامة حياته على سمتها الحق الى جانب اهتمامه لصلاح بدنه ودنياه .. وبدأ للانسان تعامل مع أفق غير أفق المادة ... بدأت له أشواق الى ما يلوح للبصيرة من اهداف قدسية فى أفق المعنويات .. وبدأت تلك الاشواق تهب له عزائم منهضة نحو تلك الاهداف ، وبدأ الاهتمام بأعراض الدنيا يفقد حدته ، أو تنكسر ثورته فى نفوسهم .. وبعبارة أخرى دخلت العوامل الروحية فى حياة هؤلاء المؤمنين ، لتفعل ما تفعله العوامل الاقتصادية فى نفوس الاخرين . ترسم وجهتهم ، وتقرر مناهجهم ، وتبعث عزائمهم وتثير وجدانهم ... وتصنع لهم تاريخهم واخلاقهم ومعاملاتهم ، وسائر روابطهم الاجتماعية ..

البقية على ص ٤٦

في ذكرى الهجرة المختارة

سيدنا محمد

هل غير هديك للمؤمل بـاب ... ياخير من تسمو به الألقاب ؟
شعَّتْ بنورِكَ في البرية آيـةٌ ... هى في الخلائق سنَّةٌ ، وكتابُ
الكوكبُ الدرىُّ في أُفُقِ الورى ... هذا النبىُّ ، تبارك الوهَّابُ
نزلَ الأمينُ عليه يحملُ معجزًا ... للمرتجين به هُدًى ، وثوابُ
آىٌ من الكلِم الجوامع لم يزَلْ ... للعقلِ فيها مَنْطِقٌ ، وخطابُ
بُعِثَ النبىُّ ، وقومُهُ في غَمْرةٍ ... وحديثُهم في المرسلين كِذابُ
قد كذَّبوه ، وناهضوه ، وأنَّه ... فيهم لينبوعٌ جرى ، وسحابُ
يدعو الى التوحيدِ ، وهو جبلَّةٌ ... دانتْ بها ، وبنورها الألبابُ
بُرْهانه نور الكتاب مُفَصَّلاً ... ولهم حِجَاجٌ خاسرٌ ، وسِبَابُ
نفث الغوى ضلالَهُمْ في رَوْعِهِم ... فغَدَوْا وهم ظُفْرٌ يَصولُ ، ونابُ
يتوثبون ، ودون ما قد قدَّروا ... لقتالِ أحمدَ حاصبٌ ، وشهابُ
داروا ببيتِ المصطفى ، وحيالهم ... دون النبىِّ مسالكٌ ، وشعابُ
واستمكنوا كى يقتلوه ، وما غفَا ... في البيت إلاَّ الفارسُ الوثَّابُ
يتنَظَّرون مع الصَّباح غُدوَّه ... وصباحُ ليلِ المشركين ضبابُ
يا نائمًا ، والرُّوحُ حارسُ مهدِهِ ... وسيوفُ مكةَ من فراشكَ قابُ
خفُّوا إليك يُناوشونك بالأذى ... يا بئسَ ما خفَّتْ له الأعرابُ
بكروا على ما بيَّتوا من أمْرهم ... وبِهِم هديرٌ صاخِبٌ ، ووثابُ
ويتمتمون بحسرةٍ ، وفجيعةٍ ... هذا علىٌّ دثَّرته ثيابُ

للاستاذ محمد هارون الحلو

صلى الله عليه وسلم

وافَوْا على أملٍ يُقِرّ عيونَهم ... وغَدَوْا بخِزْي الخاسرين، وآبوا

ومضى رسولُ الله يطلبُ غايةً ... يَرعاه من ظِلّ الإله جَنابُ

وطوى الرسولُ البيدَ، وهو على خُطا ... من غار ثَوْرٍ، والطريقُ يَبابُ

قِفْ بي حيالَ الغار، وقفةَ خاشعٍ ... فالغار في بطحائه محرابُ

حَشَدَ الملائكُ حولَه مستلئمين ... وهُمْ لدين المصطفَين غِضابُ

هذا هو الغارُ المحجَّبُ سِرُّه ... رفَّ الظلامُ به، فما ينجابُ

فعَشاشُه فيها الحمائمُ فرَّخت ... وعليه من نسج العناكب بابُ

الله أكبر ذاكَ نَصْرُ محمدٍ ... ما فيه شكٌّ أو به مُرتابُ

منعته كفُّ الله من أعدائه ... فمضى على التوفيق، وهو مهابُ

لله درُّك يا أبا بكرٍ، فقد ... شُدَّتْ بك الأوتادُ، والأطنابُ

في الغار كنت المفتدى خير الورى ... والقلبُ ظامٍ، والنفوس جدابُ

هذى مشارفُ يثربَ ائتلقت وأشرق ... بينها للصاحبين رحابُ

وغدا النبيُّ ووجهُه متهللٌ ... جذلٌ، فغمرةُ ليلِه تنجابُ

ومواكبُ البُشرى تحفُّ ركابَه ... وبها قلوبٌ بالنشيد طِرابُ

وترى الكتائبَ والجحافل بالسيوف ... تشابكتْ منها عليه قِبابُ

ويرف حولَ المصطفى نسمٌ وظلٌّ ... فيه من مِسْكِ الربى أطيابُ

عُرْسٌ به غدت المدينة مشهدًا ... عجبًا تهيم بسحره الألبابُ

يا قدسَ هذا اليوم يوم محمدٍ ... فيه تجلّى الواحدُ التوّابُ

هي هجرةٌ ميمونةٌ بجلالها ... ذلّت جباهٌ في الورى، ورقابُ

٣ ـ لا مجال للتفسيرات الاقتصادية

ذلك هو التطور الخطير أو التغير الرائع الذى أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم بمبادئه فى نفوس هؤلاء .. ولسنا بذلك نجحد أنهم يتأثرون كسائر البشر بالعوامل الاقتصادية ، ولكنا نقرر ما يجحده أنصار المادية الجدلية ، اذ وصفوا العوامل الروحية بأنها وهم لا وجود لها ، ورتبوا على ذلك ما رتبوا من نتائج ومقررات ، فان أيسر ما يفهم من تصرفات هؤلاء المؤمنين ، ومن واقع تاريخ الحقبة النبوية عامة ، أن العوامل الروحية كانت أهم عنصر له أثره البارز فى توجيههم الى جانب العوامل الاقتصادية ، بل كانت هى العنصر الوحيد ذا الهيمنةعلى ما عداه لاستيلائها على مشاعرهم وأفكارهم وانطباع تصرفاتهم بطابعها .

واذا ذهبت تفسر حوادث الهجرة على ضوء مقررات المذهب الاقتصادى أعياك أن توجه حادثا واحدا هذا التوجيه فى نسق مؤتلف مقبول (١) ، وأحسست أن كل شيء يأخذ بزمام ذهنك الى اتجاه روحى صرف ، وأن تلك الاحداث انما تأتلف متناسقة تمام التناسق مع مبادئها التى أوحت بها ومهدت سبيلها الى دنيا الناس وواقع التاريخ ..

لقد عرض خصوم محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يعطوه المال الوفير ، وأن يقيموه ملكا عليهم ، وأن يزوجوه من أجمل فتياتهم من أراد ، على أن يدع أويكف عن مبادئه التى يذيعها ، وهو عرض ينبثق من أذهان قوم آمنوا بالحس وحده ، ولا يعجزنا أن نرى فى صبغتها المادية الصارخة تفسيرها الاقتصادى الذى تتناسق به مع مالهم فى ذلك من توجيه .

ولكن ماذا كان رد محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك العرض ؟

لو أنه كان منبعثا الى دعوته بمؤثرات حسية ، أو اهداف مادية لوجد فيما يعرضون عليه ما يختصر له الزمن ويوفر عليه الجهد ، ويرضى رغبته فيما يريد ، ولكنه أجابهم تلك الاجابة الرائعة الحاسمة « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .. ولا يعجز له أن تتبين فى تلك الاجابة الخالدة أنها تنبثق من ذهن غير أذهانهم ، وتقدير غير تقديراتهم ، وانها تتجه الى اتجاه غير اتجاههم .. وأن نرى فيها الاعتزاز بملكوت القيم الروحية الى الحد الذى يزرى بملك الشمس والقمر ... وانك لو وكلت الى أشد المتعصبين للمادية الجدلية أن يفسر لك الاجابة على ضوء ما له من أصول التفسير الاقتصادى لكان من أعجز العاجزين عن ذلك .

لعله كان يقول . ان محمدا كان يبغى مالا أوفر يأتيه من اتساع دعوته ، فرفض ما عرضوا عليه انتظارا لما سيأتى به نجاح الدعوة من الحظوظ المرموقة .. فهل ذلك من الحق ؟

هل من الحق ان نسند اليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك الفرض الجدلى ، وهو الذىأتته الاموال فيما بعد،وانصبت بين يديه على حصير المسجد فكان يفرقها لساعتها حَثْوا بيديه فى حجور الناس

(١) واقع الحوادث والظروف التى أحاطت بالهجرة تهدم فكرة العامل الاقتصادى التى يقول بها الماديون رأسا على عقب . فقد ضحى الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون معه بكل النواحى المادية والمؤثرات الاقتصادية فى سبيل الفكرة الروحية « الوعى »

ثم يقوم والحجر مربوط على بطنه ؟ ... وكلنا يعلم انه لحق بالرفيق الاعلى ودرعه مرهونة عند يهودى على حفنات من شعير !!

ولعله يقول ان محمدا رفض ما عرضوا عليه من الملك ، لانه كان يبغى أن تأتيه دعوته بملك لا منة فيه لاحد عليه .. فهل ذلك من الحق وهو الذى صار فيما بعد سيد الجزيرة غير منازع فرفض أن يقوم له أتباعه وأن يعظموه تعظيم الملوك ، وكان حظه من تلك الرياسة أن قال . انما أنا عبد ، أجلس كما يجلس العبد ،وآكل كما يأكل العبد ؟

ولندع صاحب الرسالة ـ عليهالصلاة والسلام ـ لنقرأ فى سير اتباعه أن أهليهم كانوا يلينون لهم القول ، ويبذلون لهم الرجاء ، ويعرضون عليهم العروض لكى يدعوا ما دعاهم اليه محمد صلى عليه وسلم والسلطان فى أيديهم ولا سلطان معه ... والعافية فيما يدعونهم ولا عافية معه .. فلماذا رفضوا ، ولماذا هاجروا ؟ ... لماذا رفض الاشراف ، وأبناء الاشراف أن يبقوا على العافية فى أهليهم ودورهم وأموالهم ، وآثروا الخروج من ذلك كله الى نقيضه ؟

أيقال انهم فروا من العذاب ؟ .. انهم انما كانوا يعذبون ليعودوا عن مبادئهم الجديدة الى ما كان عليه الآباء الاولون ولو أنهم فعلوا لما كان عذاب ، ولما كان الا العافية والسعة .. على أنه ما كان يعذب ـ غالبا ـ الا من لا عشيرة له كالعبيد والغرباء ، فقد عذب بلال العبد ، وعمار العبد ، ومن على شاكلتهما من المستضعفين ، عذبوا لا بغضا لهم ولا ضيقا بهم بل ليعودا الى دين السادة الاعلين ، ولهم على ذلك ما شاءوا من سعة وعافية ، ولكن العبيد كانوا يحيون من مبادئهم سيادة أخرى تنبذ كل ما عرف القوم من عرض وجاه .

ولندع هؤلاء المهاجرين لما يشغلهم من أمر هجرتهم لنسأل دعاة الجدل والاقتصاد . ما بال أنصار المدينة يبذلون أموالهم ، وأمتهم ، ويهدفون نحورهم لرماح أعدائهم فى سبيل تلك الدعوة ؟ .. هل وعدهم النبى على ذلك ملكا أو عرضا كثيرا أو قليلا من عرض الدنيا ؟ .

لقد التقى به فريق منهم فى موسم الحج على موعد عند العقبة ، ودعوه الى أن يتحول الى مدينتهم فماذا وعدهم ، أو بماذا مناهم ؟ .. لقد شرط عليهم أن يحموا دعوته مما يحمون منه نساءهم وأبناءهم ، فقالوا له . « وماذا لنا يا رسول الله اذا نحن وفينا لك بما شرطت » ... فلم يقل لهم . لكم ملك العرب ، أو أموال الجزيرة ، أو لكم من المناصب كيت وكيت ، بل قال لهم . « لكم الجنة » . فقالوا فى فرح وبشر . « ربح البيع يا رسول الله ، والله لا نقيل ولا نستقيل » ... وهى اجابة تصور ما كان يحيا فيه القوم من أهداف وغايات، وتحتمل كل تفسير وتأويل الا أن تفسر ببواعث المادة ورغبات الاقتصاد .

ولقد صدرنا هذه الكلمة بقوله تعالى . « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » « الآية » . فهل يستطيع أحد أن يدلنا على سر ذلك الحب فى قوله تعالى « يحبون من هاجر اليهم » .. أن الانصارى لم يرتبط بأخيه المهاجر بأى رباط حسى سابق من نسب ، أو معاملة ، أو نحوها مما يظن به انه سببذلك الحب ... ومن المسلم به أن المهاجر هاجر تاركا وراءه ماله وولده وداره ، وأقبل على المدينة معدما ليس معه من عرض الدنيا ما يفرح به أنصارها ، أو يفتح له قلوبهم ببسمة واحدة .

٤ – بين الوهم والحقيقة

هذه أحداث معروفة ، وكائنات تاريخية مقررة لا يسيغ الذهن اطلاقا أن يكون المرء فيها مستجيبا لضغط حاجاته المادية ، ولا يقر المنطق الا أنها من فعل عوامل روحية خالصة .. **وليس لذلك من معنى سوى أن العوامل الروحية حقيقة واقعة ذات أثر فى توجيه المرء ، وبناء المجتمع ، وتطور البشر ، وصنع حوادث التاريخ** ، وان كانت شيئا لا يدركه الحس ، ولا يصل اليه تصور الاذهان .

فهل يمكن – ارضاء لدعاة المادية الجدلية – أن يكون هؤلاء المهاجرون قد تركوا أوطانهم ، ودورهم ، وأموالهم ، وأهليهم ، الى بلد غريب – بلا شىء ؟ وهل يمكن أن يكون هؤلاء الأنصار أحبوا هؤلاء المهاجرين وآثروهم على أنفسهم ، بلا شىء .. ! .

.. أى بدون سبب ما ؟ .. فكيف يتأثر الانسان بلاشىء .. وكيف يصنع اللاشىء تاريخا وتطورا فى حياة البشر ؟ .. وما هذا « اللاشىء » الذى يدخل حياة المرء فيغير آراءه ، ويبدل أفكاره ووجدانه ، وينتزعه انتزاعا من جوانبه الحسية والاقتصادية ويدفعه الى اتجاه آخر يغير به مجرى حياته ؟

اذاً ، فلسنا بازاء وهم غير موجود ، بل بازاء عوامل عتيدة، ذات آثار واضحة مقررة فى التاريخ... ولولا هذه العوامل ما جاءت تلك الآثار والاحداث على مثالها الفريد الذى تميزت به بين عبر الماضى وكائناته ... ولا مفر من التسليم بهذه العوامل الروحية ، فهى عوامل لها أصالتها فى ضمير الوجود ، كما للعوامل الحسية أصالتها فى ظاهر المادة .

وحين يهتدى المرء الى حقيقة انسانيته ، ولب وجوده ، تنبثق تلك العوامل فى ضميره ، وتنشأ له أهداف غير أهدافه السابقة ، ويتخلص من تحكم العوامل المادية فى مصيره ، فاذا هو يأخذ ويدع ، ويقول ويفعل ، وينظر الى الحياة على مثال غير الذى كان له بالامس ، وبهذا المثال الجديد يجب أن يفسر تاريخه ، وما عرض له من تطور ، وما تقلب فيه من أحوال .. ولن يستقيم فى الذهن تفسير الهجرة ، وتأويل أحداثها الا على ضوء هذه النظرة الصافية والمثل الجديدة .. واذ تقرر ذلك فلا حيلة للعقل بازائه الا أن يرى بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم ، وجهلا بأسرار الحياة ، وأقدار الانسان .. والحمد لله رب العالمين .

- من العسير أن تجعل المعدة تصغى الى العقل .
- الشر حلو أوله ، مر آخره .
- احرص على الموت توهب لك الحياة .
- أناة فى عواقبها فوت خير من عجلة فى عواقبها درك .
- كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر ، والا تحفظ برأس المال .
- ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت ، فأف للجبناء .

مؤرخو الفتوح الاسلامية في القديم والحديث

الاستاذ : محمد عبد الغنى حسن

لم تجىء حركة التأليف فى الفتوح الاسلامية فى أعقاب هذه الحركات الكبرى مباشرة ، ولكنها ظلت بعض الوقت حتى استقرت حركة التدوين التاريخى ، وخاصة فى المغازى الاولى التى صنف فيها جماعة من أمثال وهب بن منبه ، وعروة بن الزبير ، والزهرى ، وابن اسحاق ، ومعمر بن راشد ، والواقدى وغيرهم .

الواقدى

ولعل الواقدى المؤرخ القديم فى المغازى هو أقدم من وصلت الينا كتبهم فى الفتوح الاسلامية ، التى جاءت عقب غزوات الرسول فى عصر الخلفاء الراشدين ، وما جاء بعده من عصور . وقد عاش الرجل فى عصر الخليفة العباسى هارون الرشيد وعصر المأمون ، حيث توفى فى العقد الاول من القرن الثالث الهجرى .

وقد اعانت الرجل على التصنيف التاريخى ثقافة واسعة ومكتبة حافلة بالكتب التى كانت معروفة فى عصره ، والتى استطاع أن يحصل على نسخ منها ، حتى ليروى ابن النديم صاحب «الفهرست» أنه خلف بعد وفاته ستمائة قمطر من الكتب ، نسخها له غلامان مملوكان كان يستأجرهما لهذا الغرض ، ويكتبان له الليل والنهار .. وذلك قدر كبير من الكتب بالنسبة الى ذلك العصر البعيد الذى كان قريبا جدا من عصر التدوين فى الفكر الاسلامى .

واذا تركنا جانبا كتب الواقدى التاريخية الكثيرة لانها ليست من سبيل بحثنا ، فانه لا يجوز أن نغفل هنا الاشارة

الى كتابيه فى « فتوح الشام »و« فتوح العراق » . بل لقد نسبت اليه كتب أخرى فى الفتوح مثل كتاب « فتح منف والاسكندرية »المطبوع بليدن سنة ١٨٢٥م و « فتوح العجم » المطبوع بالهند سنة ١٢٩٧هـ ، و « فتوح الجزيرة » الذى نشر مرتين احداهما بعناية الاستاذ أيوالد سنة ١٨٢٧م ، وثانيتهما باشراف الاستاذ نيبوهر فى هامبرج سنة ١٨٤٧م و« فتح افريقية » الذى طبع فى تونس سنة ١٣١٥هـ .

وعلى الرغم مما فى مؤلفات الواقدى فى الفتح الاسلامى من مبالغات وحشو وقصص كثير ، فان لها قيمة تاريخية لان بها من الاخبار والتواريخ مالا يوجد بغيرها ، ويستطيع المؤرخ البصير الناقد اليوم أن يخرج منها مادة تاريخية جيدة تتصل باخبار الفتوح الاسلامية فى الشرق ، ومصر وافريقية بعد غربلتها ونخلها نخلا دقيقا ، ومقابلته رواياتها بعضها ببعض وتصحيح ما فيها من تناقضات ...

البلاذرى

وهذه النظرة الواسعة الى حركات الفتوح الاسلامية فى رسائل ومصنفات مستقلة بكل قطر مفتوح تقابلها نظرة جامعة شاملة عند مؤرخ اسلامى آخر متأخر بضعة عقود من السنين عن « الواقدى » وهو الامام ابو العباس أحمد بن يحيى البلاذرى البغدادى المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، والذى صنف فى حركات الفتح الاسلامى كتابه المشهور « فتوح البلدان »وقد تحدث فيه عن الفتوح الاولى فى أيام النبى عليه الصلاة والسلام فى اطار شبه جزيرة العرب ، كفتح مكة، واليمن ، وعمان ، والبحرين واليمامة . ثم انتقل بعد ذلك الى فتوحات ما بعد عهد النبى ، كفتوح الشام ، والجزيرة وارمينية ، ومصر ، والمغرب ، والمدئن ، والعراق ، وفارس ، وخراسان ، وكابل، والسند من بلاد الهند التى فتحها البطل العربى الشاب محمد بن القاسم الثقفى وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، حتى لقد قال فيه الشاعر حمزة بن بيض الحنفى يمدحه :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لبضع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

مميزاته

ويمتاز « فتوح البلدان » للبلاذرى بالدقة العلمية على الرغم من وجازته ، وتجنب التفصيل فيه . كما يمتاز بذكر سلوك المسلمين فى الفتوح ، ومعاملتهم لاهل البلاد ، وتشريعاتهم وأنظمتهم التى استنوها فى كل قطر تبعا لظروفه ، مما أتاح لمؤرخى التشريع الاسلامى بعدذلك أن يجدوا فى هذا الكتاب - على الخصوص ، مستندات مهمة فى معاملة أهل الذمة ، وفى تحديد الخراج والجزية .

وحين يذكر البلاذرى فى الحادثة الواحدة روايات مختلفة فانه لا يقف منها موقف العارض ، بل يعلق عليها برأيه ، ويرجح بعضها على بعض بما يؤكده له وجه الصواب . وقد يروى الروايتين

فيصف احداهما «بأنها أثبت» من أختها ، ويميل دائما الى ذكر الاسناد فى روايته التاريخية ، كما كان يفعل أهل الحديث فاذا عز عليه ان يحفظ سلسلة السند لم يجد غضاضة فى ذلك قائلا مثلا :
« وحدثنى هشام بن عمار فى اسناد له لم أحفظه ... » وحين تجتمع له روايتان احداهما أقوى من أختها — فى نظره — فانه يذكر الاولى بصيغة الفعل المبنى للمعلوم ، ويذكر الثانية بصيغة المبنى للمجهول ، فيقول مثلا : « قالوا » فى الموضع القوى و « يقال » فى الموطن الضعيف ...

ولم يفت مؤرخنا البلاذرى وهو يتحدث عن الفتوح الاسلامية أن يحدثنا عن أحكام الارض الخراجية ، والعطاء فى خلافة عمر ابن الخطاب ، وتدوين الدواوين ، وأمر الخاتم الذى كانت تختم به الكتب والرسائل الى الملوك ، وأولها الخاتم الذى اتخذه محمد عليه الصلاة والسلام من فضة وختم به رسالته الى ملك الروم ، وقد ذكره أنس بن مالك رضى الله عنه قائلا : (فكأنى أنظر الى بياضه فى يده .) وكان فصه حبشيا ، كما لم يفته أن يحدثنا عن أمر النقود الاسلامية وبدايتها بعد الدراهم التي كانت من ضرب الأعاجم وعن أمر الخط العربى فى الجاهلية والكتاب الذين كانوا يكتبون للنبى عليه الصلاة والسلام .

وعلى الرغم من وجازة الاخبار والاحداث فى فتوح البلدان للبلاذرى فان فيه من الحقائق التاريخية ما يعد ذا قيمة كبيرة ، فمنه نعرف أن « حفصة » زوج النبى كانت تكتب ، وأن زوجه « أم سلمة » كانت تقرأ ولا تكتب .. وكذلك كانت عائشة تقرأ المصحف ولا تكتب ..

ابن عبد الحكم

واذا كان البلاذرى قد تناول فتوح مصر والمغرب بالايجاز الذى تقتضيه طبيعة كتابه الجامع فى الفتوح عامة ، فان مؤرخا عربيا مصريا فى القرن الثالث الهجرى ايضا قد خص « فتوح مصر والمغرب » بكتاب مستقل يحمل هذا العنوان . وهذا المؤرخ هو ابن عبدالحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ . وهو أقدم من وصلت الينا مؤلفاته من تاريخ مصر الاسلامية ومن هنا جاءت قيمة الكتاب ، وقد جمع مؤرخنا المصرى مادة كتابه من بعض ما كتبه مؤرخو المغازى والفتوح والطبقات قبله ، ومن الروايات الشفوية التى كان الرواة يتناقلونها على طريقة الأسناد الكامل .

ميزته

ومزية كتاب ابن عبد الحكم فى فتوح مصر والمغرب أنه نقل لنا نصوصا عن كتب ضاعت ، ولا نعرف الا أسماء أصحابها مثل عبد الله بن المبارك ، وسعيد ابن مريم ، وابن عفير ، وعبدالله بن وهيب من رجال القرنين الثانى والثالث .

وقد ظل كتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم المصدر القديم الوثيق فى تاريخ مصر الاسلامية ، الذى اعتمد عليه كل من جاء بعده من المؤرخين ، من أمثال الكندى صاحب « القضاة والولاة » و « ابن زولاق » و « القضاعى » و « ابن دقماق » و « المقريزى » و « ابن تغرى بردى » و « السيوطى » و « ابن اياس » مؤرخ مصر فى الفتح العثمانى .

ولا ينسى ابن عبد الحكم وهو يؤرخ لفتح العرب لمصر أن يتحدث فى اول الكتاب

عن فضائلها ، ووصية رسول الله بأهلها القبط ، وتاريخها القديم . وهو تاريخ كان يعتمد بالطبع على كثير مما جاء فى الاسرائيليات والاساطير ، لان الكشوف التاريخية الهامة ــ وخاصة الكتابة الهيروغليفية ــ كانت لا تزال فى بطون الغيب السحيق .

وفى « فتوح مصر » لابن عبد الحكم كثير من الاخبار التي لم تأت فى كتاب غيره ،وهو أقدم كتاب فى الفتوح الاسلامية يذكر عادة القاء عروس فى النيل حتى يفيض ماؤه كل عام . وقد ذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص قد أبطل هذه العادة قائلا : « ان هذا لا يكون فى الاسلام ، وان الاسلام يهدم ما قبله » ، وقد أقر الخليفة عمر بن الخطاب الفاتح عمرو بن العاص على هذه الخطوة الحكيمة . وقد نقل كثير من المؤرخين المسلمين حكاية عروس النيل عن «ابن عبد الحكم » ومنهم المقريزى ، وابن كثير ، والمقدسى ، والقلقشندى ، والسيوطى ، والسبكى . وان كان يميل بعض المؤرخين والادباء المحدثين الى تكذيبها ، ومنهم الاثرى المؤرخ سليم حسن ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور أحمد بدوى المؤرخ ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد . ولعلهم يتابعون فى ذلك « بتلر » المؤرخ الانجليزى المعروف ، وصاحب كتاب « فتح العرب لمصر » .

ابن القوطية فى الاندلس

وقد كانت بلاد الاندلس مجالا جديدا اتجه اليه مؤرخو الفتوح الاسلامية . فيصادفنا من أقدم المؤلفين فى هذا ــ المؤرخ « ابن القوطية » القرطبى من رجال القرن الرابع الهجرى . وأهمية كتابه فى الغرب تعادل أهمية كتب الواقدى والبلاذرى وابن عبد الحكم فى الشرق . فقد حفظ لنا كثيرا من أخبار الفتح الاسلامي للاندلس ، ومن عجب أن مؤلفه العربى المسلم هو من احفاد سارة القوطية حفيدة « غيطشة » المشهور فى خلال الفتح العربى للاندلس ..

واذا كانت قد وجهت بعض الملاحظات والمؤخذات على المنهج التاريخي الذى اتبعه ابن القوطية فى تاريخه لفتح الاندلس ، فانه بلاشك مجموعة من الاخبار التى قد لا ترتفع لتعطينا فكرة واضحة عن المجتمع الاندلسى فى سنوات الفتح وما أعقبها . وقد لاحظ المستشرق الاسبانى المعاصر « يوليان ريفيرا » أن أخبار هذا الكتاب متناقضة ، وأنه ليس ببعيد أن يكون جمعا غير دقيق ولا منظم ، من عمل أحد تلاميذ ابن القوطية ..

وقد نشر كتاب ابن القوطية لاول مرة فى مدريد سنة ١٨٦٨ باعتناء « جايانجوس » الذى لم يفهم النص العربى ولم يخرجه على أقرب الوجوه الى أصله . وبلغ من أهمية هذا الكتاب أن ترجمه المستشرق الاسبانى ريفيرا سنة ١٩٢٦ الى الاسبانية وأن علق عليه تعليقات تاريخية قيمة . وقد أتيح له أن ينشر أخيرا فى احدى دور النشر ببيروت .

الاصفهاني

وقد كان فتح بيت المقدس ــ او استرداده ــ من يد الصليبيين على يد البطل صلاح الدين الايوبى موضوعا لكتاب هام فى تاريخ الفتوح الاسلامية ، كتبه الاديب المنشىء المؤرخ عماد الدين الاصبهانى بعنوان « الفتح القسِّى ، فى

البقية على ص ٧٣

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

عبــرة :

من أخبار حيدر أباد بالهند أن نظام حيدر أبادالسابق قد توفي عن (٨١) عاما فى أواخر فبراير،واشترك أكثر من نصف مليون شخص فى تشييع جنازته .. فأثار هذا الخبر فى نفسي كثيرا من الخواطر والعبر .. وقد كتبت عن قيام هذه الاسرة المالكة فى حيدر أباد فى كتاب « تاريخ الاسلام فى الهند » ثم كتبت عن نهاية حكم هذه الاسرة والقضاء نهائيا على سلطتها عندما دخلها الجيش الهندى عند استقلال الهند سنة ١٩٤٧ م ، وذلك فى كتابي « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » .

ومن خلال ذلك عرفت كيف تأسست هذه الاسرة،وكيف حكمت هذه الولاية قرونا..وكانت نموذجاطيبا فى التعليم والتقدمالعمراني والعنايةبالثقافة الاسلامية منبين ولايات الهند كلها .. وحين زرتها فى ٧ ديسمبر ١٩٥٧ م .. شاهدت بنفسي الآثار الطيبة التى خلفتها هذه الاسرة ممثلة فى الجامعة العثمانية والمدرسة النظامية الدينية التى كانت تحتضر حين زرتها .. وفى دائرة المعارف العثمانية التى تعنى بطبع أمهـات الكتب العربية والمكتبات الضخمة الاخرى التى تضم عشرات الآلاف من الكتب الاسلامية باللغات المختلفة ومنها مخطوطات نادرة .. وكنت وأنا أسير بين هذا التراث الذى خلفه حكام حيدر أباد المسلمون أشعر كأننى أعيش فى تاريخ مضى وأمشي فى جنازة صانعيه .. حتى الحاكم الاخير الذى نتحدث عن وفاته كان يعيش فى قصره وكأنه يعيش فى قبره ..

لقد رثيته فى نفسي حينذاك ورثيت أسرته معه .. كان أغنى رجل فى العالم يملك من المال والمتاع ما لا يملكه انسان ، وما كان أى واحد بنظرته القصيرةللحياة يعتقد أن كل ذلكسيتخلى عنه ، وأنه سيعيش حتى يحتاج الى من يساعده ، وتنشر الصحف قبل وفاته أن نظام حيدر أباد السابق يحتاج الى من يمد له يد المعونة ليعيش ..

يا سبحان الله .. ولد والدنيا كلها تحت قدمه ، وتحيط بسريره ، وعاش حتى حكم ورأى الدنيا ومتاعها وبهجتها ، وعرف وقرأ عن نفسه أنه أغنى رجل فى العالم ، ثم يمتد به العمر حتى يرى حكمه يزول عنه ، وماله يؤخذ منه ، حتى يحتاج فى أواخر حياته الى تبرعات المحسنين ، وتكون الفصول الاخيرة من حياته مأساة .

وما أظن مئات الالوف الذين أحاطوا بنعشه يودعونه الوداع الاخير بقلوبهم الدامية ، وعيونهم الباكية الا أنهم كانوا ماخوذين بهول الفصل الاخير من المأساة حين أسدلت الستارة على بطلها .. وبكى المسلمون فيه آخر رمز لايامهم المجيدة فى هذه الامارة . بعد أن بكوا الحقيقة التى زالت وضاعت يوم أن زال ملكه ، وملكهم معه فيها

فى سنــة ١٩٥٧ وبعـــد عشر سنــوات من القضــاء على سلطانــه ، كنت بينهـــم أرى المأســـاة مرتسمة فى كل وجه ، ناطقة على كل لسان ، وهالني أن أرى هذا الخور وأسمع هذه النغمة بعدما مضى من سنين ،وخفت عليهم أن يعيشوا طويلا فيها ، وتقضى على تطلعاتهم ، وتسدل ستارا من الظلام واليأس على مستقبلهم ، فوقفت على منبر مسجد مكة الكبير ، أفتح لهم طاقات الامل على طريق المستقبل الطويل .. وأذكر أننى قلت لهم يومها ان المسلمين فى أى مكان ليسوا بملوكهم ولا رؤسائهم ، ولكن بعملهم وخلقهم وتعاونهم ومشاركتهم القويـة في بناء المجتمع الذي يعيشون فيه .. وبقدر تضامنهم تكون قوتهم ، بقدر ما يبذلون من جهد يكون وضعهم فى مجتمعهم .. ولكنى مع ذلك لم أستطع أن أغالب تيار عاطفتى التي انحنت هى الاخرى أمام التاريخ الذى مضى ..

وبعد ذلك كله نجد العبرة ماثلة أمامنا فى حياة هذا الرجل .. وكم من عبر مرت ، عاصرناها ، أو

قرأناها في بطون الكتب .. ما أحوجنا الى الاستفادة منها .. حتى لا يغتر انسان بجاهه أو بماله .. ويكرس حياته ليكون انسانا نافعا لنفسه ولمن يعيشون معه ، ويعمل على أن يخلف ثروة من الذكرى والاعمال الحسنة يذكرها الناس ، ويجزى عليها علام الغيوب « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا » .

مشاكل التبنى أيضا :

لعل القراء يذكرون ما كتبته في افتتاحية العدد الاسبق « ذي القعدة » عن مشكلة تزايد اللقطاء كأثر من آثار الحرية المشوهة التي جرفت مجتمعاتنا في تيارها ، والانحلال الخلقي الذى كان أحد آثارها ، وما نراه من ارتفاع بعض الاصوات باباحة التبنى ، كحل من حلول هذه المشكلة دون التفات الى تعاليم القرآن القاطعة في تحريم التبنى .. مندفعين بالعاطفة ومتأثرين بما يجرى في الامم الغربية ، ونحن ــ مع الاسف الشديد ــ نجد الكثيرين منا مشدودين بأفكارهم الى ما يجرى عند غيرنا ، مستحسنين كل ما عنده ، داعين الى السير على طريقه مهما يكن في دعوتهم من مجافاة لتعاليم دينهم ، وانكار لتشريع شرعه ربهم العليم الخبير .. المهم عندهم أن ينقلوا الى أممهم ما في الغرب مهما يكن ..

والى هؤلاء بالذات أسوق لهم هذا الحديث الذى سمعته من الاخ الدكتور عثمان خليل عثمان الخبير الدستورى لمجلس الامة الكويتى ، وعميد حقوق جامعة عين شمس سابقا ..

لقد قال لي الدكتور الفاضل عند لقائنا بعد أن قرأ ما كتبته عن اللقطاء : لقد ذكرني ما قرأته ببحث استمعت اليه في انجلترا ، ألقته أستاذة متخصصة في شئون الأسرة ومشكلة التبني .. وكانت تستعرض المشاكل التى تلاقيها بعض الاسر التى تتبنى بعض الاطفال حين يكبرون ذكورا أم اناثا ، والحوادث الخلقية التى تحدث في الاسرة بسبب هذا التبنى ... وانتهت من عرض هذه المشاكل الى طريقة واحدة للتخلص منها ، والقضاء عليها ، وهو منع التبنى الذى يأخذ فيه الطفل لقب الاسرة التى تتبناه ، حتى يكون هناك حاجز يمنع التصاقه بالاسرة .

ويقول الدكتور : وهنا تذكرت قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. » .

وأقول : نعم .. وسيبقى العالم تائها فيما يضعه لنفسه من تقنين وعلاج لمشاكله ، وهو يداوى بالتى كانت هى الداء .. ولو أراد اختصار الطريق لرجع الى المختص بحل المشاكل وعلاجها الى تقنين الحكيم الخبير ، كما يرجع في أمراضه ومشاكله الاخرى الى المختصين في دراستها ويأخذ بآرائهم ..

ومن أمريكا :

ومن نيويورك جاءنى تعليق من الصديق الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى هناك يقول فيه : لقد أحسنت اذ علقت على مشكلة اللقطاء بأن الافضل علاج الداء لا الانشغال بالدواء ، ثم وصف الحالة هناك نتيجة الانحلال الخلقي وانصراف الناس عن علاج المشكلة الى اتخاذ أساليب تزيد من تفاقمها ، حتى أنهم يدفعون مرتبا شهريا للام عن كل طفل غير شرعى من ميزانية الاعمال الخيرية ، وهنا لا نعجب حين نجد نسبة المواليد غير الشرعيين بين الزنوج ٧٠٪ سبعين في المائة ، وبين بعض الطبقات الاخرى أربعين في المائة !!

وهذه معلومات أقدمها للمفتونين بالنظم الغربية والحرية الشوهاء التى تولد مثل هذه المشكلات وأقول لهم : ماذا تريدون بعد هذا ؟ .. فالى شرع الله اذن « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

المركز الاسلامي :

وبمناسبة حديث الدكتور عبد الرءوف والمركز الاسلامى في نيويورك ، أحب أن أسجل هنا ما جعله في خطاب بيني وبينه خاصا بالاخ السيد راشد عبد العزيز الراشد مندوب الكويت الدائم لدى الامم المتحدة ، والخدمات التي كان يقدمها بحماس للمركز الاسلامي واغراضه ، وذلك بمناسبة نقله وكيلا للخارجية .

وأسف الدكتور عبد الرءوف لحرمان المركز من خدماته المباشرة ، وأمله الكبير في خلفه ، وانه ليسرنا أن نسجل هنا مثل هذا النشاط ، وهذا التحمس تقديرا للعاملين في هذا المجال الذي يحتاج حقا الى كثير من العناية والاهتمام .

كما يسرنا كذلك أن نشيد بما تحدث الدكتور به من نشاط السفراء المسلمين ، وكبار المسلمين في نيويورك ، من اجل اقامة بنيان لائق بالمركز الاسلامي هناك ، يضم مسجدا ، ومدرسة ، وقاعة للمحاضرات وغير ذلك من المرافق اللازمة .. بحيث يكون مركزا عاملا ومنتجا ، في الوقت الذي يكون فيه مظهرا لائقا للاسلام والمسلمين في وسط يعج بالمظاهر والامكانيات .. واذا كان هذا هو الذي حمل المعنيين بشئون المركز هناك الى تأليف وفد من السفراء يطوف بالدول الاسلامية في هذه الايام لجمع التبرعات اللازمة لانشاء هذا المركز . فاننا من هنا نحيي هؤلاء العاملين ونرجو أن يجدوا ما يحقق أملهم وأملنا في الدول الاسلامية ورجال الاسلام الاثرياء في كل مكان ..

أريتريا :

من أخبار السودان الشقيق أن اللاجئين تدفقوا بالآلاف من أريتريا الى مديرية (كسلا) نتيجة صدام عنيف بين الاريتريين والجنود الاثيوبيين تدخلت فيه الطائرات الاثيوبية بقصف المنطقة ..

ونحن لا نريد هنا أن ندخل غمار السياسة او نضع أنفسنا بين فكيها المزعجين أو في مهب تياراتها الوبائية .. ولكن بقدر ما نحمل من رسالة الاخوة الاسلامية ، والواجب الاسلامي والانساني معا نتحدث ..

فكثير من البلاد تطالب بحريتها وتجد من يساعدها او يتدخل وديا مع الدولة المعنية لايجاد الحلول المنصفة التي يمكن ان تحد من تفاقم المشكلة ، وتضع حدا للدماء المراقة والارواح المزهقة .. وفي هذا النطاق يجب ان تحمل الدول الاسلامية عبئها ، وتقوم بواجبها نحو اخوان لهم مستضعفين يعانون ألوانا من الاضطهاد والاعنات . كل دولة على قدر طاقتها ، وحسب أساليبها التي ترتضيها . المهم أن يشعر الملايين من اخواننا هؤلاء بأن الاخوة الاسلامية لا تزال حية نابضة في قلوب المسلمين ، وأنهم لا يزالون كما تحدث عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما يجب أن يكونوا : كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله ..

ان اللاجئين الى السودان الذين قدرتهم الاخبار المذاعة بسبعة آلاف ، ومن المقطوع به أنهم سيزيدون بعد كتابة هذه الكلمة .. هؤلاء لم يتدفقوا على السودان هذا التدفق الا بسبب الجحيم الذي يعيشون فيه ، والا لما تركوا أوطانهم ، كما أن رفضهم العودة الى وطنهم بعد أن طلبت حكومة أثيوبيا من السودان اعادتهم دليل قاطع على ما يتوقعون اذا عادوا من مصير رهيب .. وهذا وحده كاف لان تتيقظ الحكومات والهيئات الاسلامية لتعمل في حدود طاقتها وبأساليبها المتنوعة لضمان عيشة كريمة وأمن وانصاف لهؤلاء المستضعفين ..

ان الذي حدث لا يجوز أن يمر بسهولة أو أن نتغاضى عنه كأنه لم يحدث لاخوان لنا كرام علينا ، واذا كانت هناك اعتبارات لدى هذه الدولة أو تلك ربما تحد من انطلاقتها التامة للعمل ، فان للاخوة الاسلامية اعتبارا يجب ألا يتناسى أو يهمل .

في الفلبين :

فلقد كان لهذه الاخوة أثرها الذي أشادت به صحفنا جميعا واذاعاتنا ، وذلك في المقابلة السيئة التي قوبل بها وزير خارجية الافاكين السفاكين حين وصوله الى المطار في الفلبين ، فلقد ألفت جمعية الطلاب المسلمين التي تضم أربعة آلاف عضو مظاهرة عنيفة ضد هذا الوزير حين وصوله للمطار ، حتى اضطر البوليس لاخراجه من باب جانبي للمطار ، ووجه بعض أعضاء البرلمان من المسلمين انتقادات عنيفة للحكومة لاستقبالها هذا الوزير .

وهذا الذي حدث في الفلبين على بعد ما بيننا وبينها من مسافات ، لم يكن الا أثرا من آثار الاخوة الاسلامية التي قربت ما بيننا وجعلتهم هناك يشعرون بآلامنا هنا ..

نعم : ان هذه الاخوة كنز فلا تهملوه حتى تفقدوه ...

فضل القرآن على اللغة

لغتنا سجل لمفاخرنا .

بين كل أمة روابط وصلات ، وعرى وأسباب،ومن أهم هذه الصلات وآكدها، وأقواها وأوثقها ، لغتهم التى هى سمة لهم وخاصية فيهم ، يعبرون بهـا عـن خواطرهم وآمالهم وآلامهم ، وتسجل لهم أصول دينهم وأحكام شريعتهم .

واللغة العربية رابطة قوية بين العرب، بها يلتقون ، وعليها يجتمعـون ، فهـى مثار الحس ، ومناط الالف ، بها يحن **الغريب ، ويهفو العربى الى أخيه ولو** بعدت الديار ، وشط المزار .

ولغتنا التـي حملت ديننا ومكـارم العرب وآثارهم ، ووسعت كتاب اللـه لفظا وغاية، أصلب اللغات عودا ،وأكثرها مع أعتى الخصوم عنادا ،صمدت لطغيان التتار ، وقهرت محـاولات الفـرس ، وطفت على حكم الترك ، وأفسح علماؤها صدورهم لكل وافد من الحضارة ، ولكل طارىء من المعرفة ، فما ضاق لها أفق ، وما كل لها جهـد ، ونهضت بالتعـريب والقياس والاشتقاق وما سوى ذلك من عوامل النمو والتطويع بكل مقتضيـات الحيـاة .

فما كان للغة عيب الا من انقبـاض أهلها عن الحرص عليها والضن بها ، ولو أنهم غاروا – عليها ، ونحوا عن أنفسهم وصمة التقليد ، وعار المحاكاة ، لظلت **نقية الصفحة** ، بريئة من كل ما شابها بالمداخلة المسرفة من تحريف أو تصحيف، أو عجمة أو دخيل .

واذا كانت اللغة العربية قد صمـدت للفتن والأحداث ، وصبرت على الكيد من خصوم وعتاة ، وخرجت من هـذه المكاره ، دون أن يمسها سوء الا مـن تفريط العرب أنفسهم ، فان هذا الذى مسها من مكروه ، دون ما تعانيه اليوم من عامية مسخت جميع الالسنة، وغزت العام والخاص ، وتسللت الى المعاهـد والجامعات ، ولقيت أنصارا – من العرب أنفسهم – يتحمسون لها ، ويحرصون أشد الحرص عليها ، كأنهـم أعداؤهـا وخصومها ، ولولا كتاب الله لا نمحت معالمها وطمست آثارها ،وكان بينها وبين العرب أضعف الاسباب وأوهى الصلات،

ليس من شك فى أن الأغيار على لغة العرب يفزعهم ويقض مضاجعهم ما آل اليه أمر التخاطب الذى يرتضخ عجمة، ويفيض لكنة ، ويغرق فى العامية ، واذا كانت العربية ابان الأحداث الجسـام التى كابدها المسلمون هى لغة العرب بدا الفساد فى وجهها كلفا ، فان لغتنا اليوم فى كثير من الأمصار عامية قلمـا تمت الى الفصحى بسبب ، واذا جـاز للدهماء أن يتفاهموا بالعاميـة وأن – يعبروا بأساليبها عن خوالجهم ، ومظاهر معايشهم، فلا يجوز فى عرف عربى مسلم

العربية

الدكتور محمد كامل الفقي
الاستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الازهر

مسئولية المثقفين عن انتشار العامية

غيور على لغته ودينه أن يجعل هذه العامية النكراء ظاهر أمره وسمة لسانه.

ان الاسى كل الاسى أن تجد المثقفين فى بعض الاقطار العربية لا يكاد لسانهم يستقيم بالفصحى ــ ولو قصدوا فى مجال علمى عربى ــ الاعلى جهد وتمام اعياء ، حتى كأنهم أعاجم يقلدون العربية فتتعثر بها شفاههم .

ولقد سرى داء العامية فى كل فم ، وتدسس الى مظاهر مختلفة من حياة الناس ، حتى وجدنا من بعض خطباء المنابر من يضيف الى سقم الاعراب والجهل بالنحو كلمات يبين بهاعن مراده، وقد عيى عن الافصاح بالفصحى .

وفى كثير من كلام كثير من الاساتذه والمعلمين حديث بالعامية ، رغم أن لغة العلم والتأليف عربية ، وحينما يخاو التلامذة اليها سيجدونها بالعربية ، فشرحها بالعامية يوهن الأسباب بينها وبين الطلاب ، ويجرىء الطلاب على أن يقلدوا أساتذتهم فى التعبير بالعامية . وما يزيدهم ذلك الا عجزا عن معالجتها فى كل مقام .

ووسائل الاعلام يدور أكثرها على الحديث بالعامية ، ويتحرى الذى يناط به هذا الامر ألا يخطىء الىالعامية فيضع موضع كلمة منها كلمة واحدة فصيحة .

حتى الندوات الادبية التى يتولاها فى وسائل الاعلام دكتور أو شيخ أو أستاذ تجدها تقرر مبادىء وأهدافا فى الآداب بلغة عامية نازلة .

واذا كنا استهنا بلغتنا الى هذا الحد وفرطنا فىصيانتها ذلك التفريط ، فنحن المسئولون عن بعد الشقة بين حالها الدامية التى انتهت اليه ، وعما صار بينها وبيناللغة الفصحىمنبعد وتضاد . مسئولون عن تضارب الألسنة فىالامصار العربية ، وتباعد اللهجات بين أبناء الوطن العربى ، بل بين أبناء الوطن الواحد ،فى الوقت الذى تلح فيه الحاجة الى تعاون العرب واتحاد كلمتهم لينقى الجو العربى من المستعمر البغيض الذى يمتص دماءنا ، وينتهك حرماتها ويعبث بمقدساتنا ، وينفث سموم الفرقة بيننا.

ونحن مسئولون عن هذه الدولة التي تأثل مجدها للعامية ، حتى أصبحت لغة كتابة وتأليف وشعر يصفع أسماعنا ، ويقذى عيوننا ، فى مصبحنا وممسانا . .

ان عمل المستعمر ، وسفه الجاهل ، حول بعض التافهين من العرب الى ساخر ممن يتكلم بالعربية ومستهتر به، حتى لتقرن صورة الذين يتحدثون بها فىبعض المقامات بتهكم وأضحاك ومجون، ولو جرىعلى لسانك بعض معالم العربية

واتصل بها ألفاظ من كتاب الله لرأيت هؤلاء المجان يفتحون أشداقهم عجبا لك وهوانا بك ، وما يطربون الا لعامية نازلة تتمثل فى أغنية أو زجل أو نكتة أو قصة أو مسرحية ، والعزاء فى بعض الامصار التى لا تزال متأبية على هذا الاسفاف ،

وقصة التقليد الجاهل أعانت على تفاقم هذا الداء ، ففى بعض البيئات من بعض بلاد العرب من يترك لفظ الأب والأم والجدة والجد وتحية الصبح والمساء ، وكلمة الشكر والوداع ، وغير ذلك من وسائل التعبير الى كلمات أجنبية يظن أن فيها معالم حضارة ، وسمات مدنية ، وما رأينا أجنبيا واحدا يهجر لغته الى تقليد العرب ، حتى ـ بعدت الشقة بين الناس وبين لغتهم ، وصارت كل كلمة غريبة عليهم يظنونها محتاجة الى قاموس يشرح معناها. وبدت كلمات الله وكلمات نبيه والشعر الجاهلى بوجه أخص كأنها ألغاز ومعميات .

ان اللغة العربية تختنق أنفاسها ، وتعانى ما تعانيه من مظاهر الذبول ، وتتكاثر عليها العلل بيد أبنائها قبل أيدى أعدائها ، وهى أس أمجادنا ، وأسمى مقوماتنا ، ولا يطمع أولو الالباب فى أن نطب لها دفعة ، أو أن تذهب أدواؤها فجأة ، وقد خف كيد المستعمر لها ـ ، وكيده لأهلها بتحرر الكثير من أوطانها ، وانتفاضة من لم يتحرر منها بالعمل على الحرية والاستقلال وان ذلك لآت ان شاء الله .

لكن الذى يقلق العقلاء والايقاظ هو هذه الجراح التى تثخنها بجسم اللغة أيدى العرب ـ أنفسهم ، وهذا التفلت من اسارها بل من مجدها الذى يفعله الشعب العربى ذاته . وقد يرى الدارس أن أسباب هذه المحنة متعددة ، ومظاهر التخاذل متكاثرة . وهو حين يطب لها يضع لكل داء دواء ولكل علة علاجا ، والامر بهذه المثابة يطول شرحه ويقتضى البحث والصبر عليه ، وما يتسع له صدر مقالات ولو كثرت : انما الذى يغنى فيه كتب وأسفار ، لجلالة شأن ، وعظم الجدوى الناشئة منه .

والذى أريد أن أركز بحثى فيه ، وأدير دراستى عليه ، وأخصه بالشرح والبيان ، هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك الكتاب الذى كان المعجزة الباهرة الخالدة ، الذى تنزلت آياته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتن أرباب البلاغة والفصاحة ، وخروا له ساجدين وتحداهم رسول الله كافة أن يأتوا بأقصر سورة منه فتقاصرت دونها أعناقهم ، ذلك الكتاب ، صاحب اليد الطولى على لغة الضاد ، بل هو النعمة الكبرى عليها ، وهو الحارس لها من غير الزمان ، بل هو الذى كفل لها البقاء مهما ارتصد لها من كيد ، أو دبرلها من سوء ، ومهما فرط أهلها فى الاعتزاز بها، ونأوا مهملين أو متجاهلين عن جلال شأنها . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

انه كلما قويت صلتنا بالقرآن . فحفظنا نصه الكريم ، واكتنهنا من سره العظيم ، وملأنا عيوننا من اشراقه ، وقلوبنا من شفائه ، وروحنا من سموه ، ورطبنا بمائه شفاهنا ، وبددنا بنوره غياهب حياتنا وفرقنا به حجب غفلاتنا ، ووصلنا بأسباب سعادته ما بيننا وبين الله . كلما قويت صلتنا بالقرآن كذلك كان لنا نشيدا سحريا ، ونغما علويا . فأدمنا تلاوته ، واستحلينا التعبد به . ورأيناه مع انتظام المبادىء الكريمة والمعانى القيمة ضبطا لأصول اللغة وقواعدها ، وسجلا لذروة البلاغة وقمتها ، فأمدنا أو أمد أساليبنا بروائع، وأهدى الى كل كاتب أو أديب أو شاعر

ما يسمو به الى سماوات وآفاق . وانما يؤخذ الشيء من مصادره .

لقد تفتحت عيوننا وعقولنا ونحن أيفاع على نصح الأساتذة لنا ، وتوجيههم لمداركنا ، اذ رأوا فينا تعلقا بالآداب العربية ، ورغبة فى أن نكون أزهارا فى رياضها ، وقطرات فى عيونها ، أن نقرأ أمهات الكتب ، وأن نتخرج فى مدارس دواوين الفحول، وأن نعكف على المقامات، ونعيش شبابنا مع الأمالى لأبى على القالى ، والأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ، والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وزهر الآداب لأبى اسحاق الحصرى ، ويتيمة الدهر للثعالبى وغيرهذه الروافد التى تمد الناشيء بالرى والنماء ، وقد احسنوا صنعا بهذا الذى أسدوه الينا من نصح ، وبذلوه لنا من توجيه ، فهم بذلك يؤكدون الصلات بين شباب العرب وبين آداب العرب ، ويمرسونهم بأساليب لها من البيان حظ مرموق ، وكانت هذه الأمهات قد دبجتها يراعات لم توهنها عجمة ، ولم يفسدها دخل ، ولم تدرك أعصر انحلال اللغة وغزو الأجنبى .

ثم نمت فينا بممارسة هذه الاساليب ومتابعة منابع البلاغة فى شتى مظاهرها، وادمان الاطلاع على كل طارف وتليد ، وشرقى وغربى ،وعربى ومترجم ، موهبة النقد وتمييز الخبيث من الطيب ، واستقامت لنا أوكادت أن تستقيم ملكة التفطن لما هو شحم أو ورم ، فاذا عصارة ذلك كله فتون بالقرآن وبلاغته ، ونهم فى رياضه نتنشق من أريجها ما نتنشق ، وصبابةلا تفيق بهذه الروائع التى نسجد لها أشد ما نكون اغراقا وتأملا .

فأول فضل لهذه البلاغة العلوية التى يشف عنها كتاب الله أنها دائمة الاشراق فى لغة العرب ، دائمة اللألاء والوضاءة فى تراكيبها وأساليبها . ولو أن الذين عكفوا على دراسة البلاغة العربية ، من الفحول الأولين خف ثقلهم عن الخلافات اللفظية ، والتحاسد العلمى ، وحلوا الغاز تعبيرهم ، وفضوا الاصداف عن مرادهم ، وجلوا مقصودهم فى أساليب تؤلف ، وتراكيب لا تعيى ولا تستغلق لكان درس ما توفروا عليه أكثر نفعا وأتم فائدة ، ولأقبل كل متقدم ومتأخر على هذه المناهل ينهل منها ويعل .

وطبيعي أن تذوق هذه البلاغات القرآنية ، وملء النفس والعين من ريحانها واشراقها ، لا يتأتى لمن يهمل حفظه ، وينأى عن استظهاره ، ومن لا يجيد قراءته الا فى بضع آيات .

ذلك الداء الوبيل الذى استشرى فى البيئات العلمية ، حتى لتجد المثقفين المدنيين لا عهد للكثرة الكثيرة فيهم بالقرآن الا ما يسمعونه مجرد سماع ، فهم معذورون بمناهجهم المدنية التى تعرض وتطول، ولا تبقى لهم فرصة لوصل ما بينهم وبين كتاب الله الا آيات يؤدون بها الفرائض وحسبنا أن تستقيم فى لهواتهم .

وأكاد أذوى خجلا اذا نوهت بالبيئات الدينية التي تفلتت من قلائد القرآن فاعتبرتها أو ظنتها أغلالا ، فما الأغلبية المطلقة فيها استظهار الا لقصار السور ، وربما يزعجك أن تسمع الامام والخطيب يخطيء ويتعثر فيما يصلى ، أو يعظ الناس به ، ولا أكاد أرد التبعة أشد التبعة فى ذلك الا على المفرطين ممن يملكون أمر الالزام ، وبيدهم تشريع يجبر النش ء على سعادته بالقرآن لو أنه أكره على حفظه ، يوم أن كان الحفظ منه كالنقش على الحجر ، يثبت ولا يعفي الزمان على آثاره .

ان يوما نعود فيه الى كتاب الله فنجد المثقفين على صلة به ، واهل المعاهد والجامعات الدينية لا يفرطون فيه لهو يوم يبشر بأن نظل موصولى الحياة بالكتاب الذى كفل مجد العربية ، بل كفل لها البقاء والخلود .

الشورى في الإسلام

للشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف ــ الاردن

هل للأخذ برأى الأكثرية أساس فى الاسلام ؟

من المعروف ان الشورى من القواعد التى بنى عليها نظام الحكم فى الاسلام ، وتقررت هذه القواعد بآيات قرآنية منها قوله تعالى « وشاورهم فى الأمر » (آية ١٥٩ من سورة آل عمران) ، وقوله تعالى فى وصف المؤمنين «وأمرهم شورى بينهم » (آية ٣٨ من سورة الشورى .

وقد شاور النبي أصحابه يوم أحد فى أن يقيم بالمدينة او يخرج الى المشركين ، وشاور عليا وأسامة فيما رمى به أهل الافك عائشة رضى الله عنها .

وكانت الائمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فاذا وضح الكتاب او السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وكان الرسول يستشير السواد الاعظم ، ويخص أهل الرأى والمكانة من الراسخين بالامور التي يضر افشاؤها ، وكان يستشيرهم فى كل امر الا ما ينزل عليه الوحي بيانه فيتبع . وكان أصحاب الرسول والائمة يجمعون من حضر من أهل العلم والرأى ورؤوس الناس فيأخذون رأيهم فيما لا نص فيه (٢) .

ولكن الاسلام مع ذلك لم يضع للشورى نظاما معينا ولا كيفية محددة ،

---

(١) البخارى مع فتح البارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جزء ١٣ صفحة ٢٤٠ .
(٢)تفسير القرآن الحكيم جزء ٢ صفحة ٢٠٢ وجزء ٥ صفحة ١٩٥ .

لان الشريعة الاسلامية هي خاتمة الشرائع وصالحة لكل زمان ومكان .

فترك الرسول لكل أمة أن تضع لها الطريق الانسب والكيفية التي تحقق اغراض الشورى وأهدافها .

ولو وضع الرسول قواعد معينة لاعتبرها المسلمون دينا لا تجوز مخالفته، ولذلك فان ما فعله الرسول هو الأحكم والأعدل .

والاندلسيون اول من كونوا مجلسا للشورى يعين اعضاؤه من قبل الخليفة (١) .

وموضع الشورى هو الامور الدنيوية التي يتولاها الحكام ، لتأمين مصالح الناس ، ولا يدخل فى ذلك عقائد المسلمين وعباداتهم ، ولا الحلال والحرام المنصوص عليهما ، لان ذلك انما يعتمد على الوحي والتشريع الالهى .

وطريق الانتخاب التي تسير عليها كثير من الامم فى العصر الحاضر لا يعارض الاسلام فيها ، اذا عرفت الامة حقها فى الانتخاب والغرض منه ، وكان لها حرية الاختيار ، بدون ضغط ، ولا اكراه من أية جهة (٢) .

ويجب عليهم ان ينتخبوا من يكون ذا خبرة وأمانة وجرأة فى الحق ، وقدرة على تحمل المسئولية . ومن هذا يتبين ان الاسلام فى عصوره الزاهرة جعل الشورى قاعدة هامة يستند اليها .

العمل برأى الاكثرية

أما العمل برأى الاكثرية فانه يحتاج الى استقصاء وتتبع ، وانى أوضح فيما يلي بعض الحوادث والقواعد التي يعتمد عليها فى ذلك :

١ ــ كان الرسول يرى الاقامة فى المدينة يوم أحد ، حتى يرد المشركين اذا قدموا عليها ، ولكنه عمل برأى الاكثرية فى الخروج منها ، اقامة لقاعدة الشورى ، وكان عبد الله بن ابى يرى الاقامة فى المدينة أيضا فلما خرج الرسول غضب عبد الله ، وقال : اطاعهم وعصانى، فرجع بمن اطاعه ، وكانوا ثلث الناس .

وكانت خطة الرسول فى الحرب ارتكاب أخف الضررين ، ولم يخالف هذه القاعدة حين خروجه ، بل جرى عليها ، لان مخالفة رأى الجمهور ولو الى خير الامرين هضم لحق الجماعة ، واخلال بأمر الشورى (٣) .

٢ ــ لما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، اختلف الانصار والمهاجرون فيمن يتولى الامر بعده ، وألقى كل فريق بيانه وحججه ، حتى سلم الانصار بحق المهاجرين تسليما أيدته الاكثرية ، وبايعوا ابا بكر .

وتخلف عن البيعة بعض كبار الصحابة ، قال الزهرى : بقي على وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا ابا بكر ، حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها فبايعوه (٤) .

---

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين صفحة ٢٤٠ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم جزء ٥ صفحة ١٩٩ ، والمودودى فى نظرية الاسلام وهدية فى السياسة والقانون صفحة ٥٨ .

(٣) فتح البارى جزء ١٢ صفحة ٢٦٢ وتفسير القرآن الحكيم جزء ٤ صفحة ٩٨ .

(٤) تاريخ ابن الأثير جزء ٢ صفحة ١٢٣ وما بعدها ، والمسلمون سنة ٥ صفحة ٦٩٢ ــ ٦٩٩ .

ومع هذا فقد كانت البيعة صحيحة ، ومارس ابو بكر مسئولياته ، منذ بايعته الاكثرية .

٣ ــ استشـــار ابو بـكر رؤوس المسلمين فيمن يخلف الامر بعده ، فكان رأى الاكثر ان عمر أمثلهم فعهد اليـه وتولى الخلافة بعده .

٤ ــ لما أصيب أمير المؤمنين عمر الح الناس عليه ان يستخلف فقال : عليكم هؤلاء الرهط الذين قال الرسول صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة ، وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير بن العوام وطلحة بـن عبد الله ، فليختاروا واحدا منهم .

وقال اذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شيء له من الامر .

وأوصى عددا من الصحابة بمراقبـة اجتماع أهل الشورى ، والنتيجة التي يسفر عنها اجتماعهم .

وقال لصهيب ادخل هؤلاء الرهط بيتا ، وقم على رؤوسهم ، فان اجتمع خمسة وأبى واحـد فاشـدخ رأسـه بالسيف ، وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، وان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بحكم عبد اللـه بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف (١) .

٥ ــ كانت خطة الائمة بعد الرسول أنهم اذا لم يجدوا فى كتاب الله افرغوا جهدهم فى تتبع عمل الرسول وأحاديثه ، فان لم يجدوا أخذوا بقـول جماعـة الصحابة والتابعين ، وان اتفق جمهورهم على شيء فهو المقنع (٢) .

٦ ــ عن علي رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : الامر ينزل بنا لـم ينزل فيه القرآن ، ولم تمض فيه منك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين او قال العابدين من المؤمنين ، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد (٣) .

٧ ــ عندما خرج عمر الى الشام ، لقيه فى الطريق بعض أصحابه ، وأخبروه أن الوباء حل فى الشام ، واسـتشار المهاجرين والانصار فاختلفوا ، ثم دعـا من كان هناك من شيوخ قريش مـن مهاجرى الفتح ، فلم يختلف عليه رجلان، وقالوا نرى أن ترجـع بالنـاس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء .

فأخذ عمر برأيهم وكان هذا سبيلا لترجيح رأى على رأى ، ثم جاء عبـد الرحمن بن عوف وكان متغيبا وقال : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض

---

(١) ابن الاثير جزء ٣ صفحة ٢٥ .
(٢) حجة الله البالغة جزء ١ صفحة ١١٩ .
(٣) فجر الاسلام صفحة ٢٤٠ .

فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » (١) .

٨ ــ الاكثرية مدار الحكم عند فقدان دليل آخر (٢) .

٩ ــ يؤمر عليهم من كان بصيرا فى أمور الحرب وتدبيرها ، وعليهم طاعته لان مخالفة الامير حرام ، الا اذا اتفق الاكثر فيتبع (٣) .

١٠ ــ اذا اختلط موتى المسلمين بموتى الكفار ، وأريد الدفن والصلاة ، اعتبر الاكثر (٤) .

يتضح من البنود العشرة السابقة ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكبار الصحابة رضى الله عنهم وفقهاء المسلمين أخذوا بقول الاكثرية، واعتبروه طريقا للترجيح .

ومع أنى أعتقد انه ليس من الضرورى ان يكون رأى الاكثرية هو الصواب ، بل قد يكون رأى الاقلية هو الصواب ، الا أن العمل برأى الأكثرية هو الطريق الأسلم تجنبا للفتن ، وحسما لبعض الخلافات التي قد تنشأ .

واذا حدث فى المسلمين أمر لا نص فيه ، ينبغى ان يجتهد العلماء ذوو الدراية والخبرة به ، ويستخرجوا له الحكم الشرعي الأقرب الى النظائر والأشباه .

ومنذ سنتين حينما انعقد مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة ، وبحث موضوع الاجتهاد ، واستقر الرأى على أن باب الاجتهاد مفتوح لمن تتوفر فيه الشروط ، وأن يكون اجتهادا جماعيا ، يضم خيرة علماء المسلمين ، ولا سبيل فى مثل هذه الحال بعد النقاش واستعراض الحجج الا الجنوح لرأى الأكثر .

ولا يعتمد على رأى فرد واحد مهما كانت شهرته وخبرته ، ولذلك فانالعمل سار فى جميع التشكيلات النيابية والقضائية والادارية على أن يؤخذ برأى الأكثر وهو ما تقتضيه قواعد الاسلام وأصوله .

واذا ساغ للعالم ان يخالف ما يراه الأكثر فى بعض الشؤون سيرا وراء قوة الدليل ، او تورعا واحتياطا ، فلا سبيل الى ذلك فى الشؤون العامة وفى التشريعات ، التي تقترن بأمر ولى الامر، لان ذلك يكسبها صفة الالزام .

وقبل أن أختم هذا البحث لا بد لى من الاشارة الى أن اعطاء الرأى فى المجالس النيابية او التشكيلاتالقضائية او فى البحوث العلمية وغيرها هو من الامانة ، التى لا يجوز التساهل فيها ، ولا الاقلال من شأنها ، ولا يسوغ تكوين الرأى قبل البحث والتمحيص ، وتبين وجه الحق ، وتوفر المصلحة بما يتفق وقواعد الاسلام وأصوله .

والله هو الهادى لاقوم سبيل .

---

(١) انظر الصحيحين .
(٢) رد المختار جزء ٢ صفحة ١٦٢ وفهرس ابن عابدين صفحة ٢٥٦ .
(٣) رد المختار جزء ٣ صفحة ٢٣٤ .
(٤) رد المختار جزء ١ صفحة .

مذهب الرازى فى إعجاز القرآن

كان ايمان من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فى مبدأ الدعوة اقرارا بأن القرآن الكريم من عند الله تعالى ، وأنه حجة صادقة حاسمة على صدق رسالته ، وأنه غير مقدور على الآتيان بمثله ، ولا على أقصر سورة من سوره لأحد من البشر ، وكذلك اعتقد من جاء بعدهم ممن آمنوا بالرسالة المحمدية .

وكان من أقوى الأدلة على أن العرب ــ وهم أرباب الفصاحة ، وذوو اللسن ــ عجزوا عن معارضة القرآن هو لجوءهم الى السيف فى مناضلة الدعوة الجديدة ، وقد كان يقيهم ويلات هذه الحرب التي لا يدرون على من تدور الدائرة فيها أن يجيبوا النبى الى ما تحداهم به ، فيعارضوا القرآن ، ولو بالاتيان بمثل أقصر سورة ، وهذا ــ لو كان ممكنا لهم ــ أيسر عليهم ، وأخف على نفوسهم ، ولو فعلوا لفقدت دعوة النبى أقوى دعامة ترتكز عليها ، ولتضاءلت قدسيتها وجلالها فى أعين المؤمنين بها .

ولما لم يعارضوا ثبت أنهم عجزوا . . . وبذلك تفتحت القلوب للدعوة الجديدة .

ومع أن عجزهم أصبح حقيقة ثابتة لا خلاف عليها الا أن العلماء ــ بعد ذلك ــ اختلفوا فى الوجه الذى أعجز العرب من القرآن ، وذهبوا فى تحديده مذاهب شتى ، وطال النقاش والجدل ، وألفت الكتب حول الاجابة على هذا السؤال :

ما وجه اعجاز القرآن

أهو اخباره بالغيوب الماضية التي ثبت أنها وقعت ، وبالغيوب المستقبلة التي تحقق بعد الاخبار وقوعها ؟ .

أهو تفرده بأسلوب جديد مغاير لأساليب العرب فى شعرها ونثرها ؟ .

أهو الفصاحة والبلاغة اللذان بلغا حدا لا يقدر على مثله العباد ؟ .

أهو صرف العرب عن معارضته ، وقد كانت المعارضة فى مقدورهم لولا الصرف ؟ .

بكل وجه من هذه الوجوه قيل ، كما قيل بابطال كل وجه من هذه الوجوه .

وقد طال الجدل قديما وحديثا حول المذهبين الأخيرين . الفصاحة ، والصرفة ، وجاوز العلماء النقاش العلمى المتزن الى الكلمات الخطابية ، فقال ابن حزم الظاهرى : ان القرآن ليس فى أعلى درج البلاغة ومعاذ الله أن يكون ذلك ،، وقال مصطفى صادق الرافعى عن مذهب الصرفة الذى قال به النظام ، وابن سنان

هل تناقض الرازي في بيان الوجه المعجز

وهل يمكن أن نقول إنه اختار رأياً ودافع عنه

للأستاذ علي محمد حسن
المدرس بكلية البنات الاسلامية – جامعة الأزهر

الخفاجى ، وابن حزم وغيرهم من كبار العلماء : « وهو مذهب لو قال به صبية المكاتب لكان نوعا من تخاليطهم » .

هل الرازى متناقض ؟

وقد قرأت أخيرا فى بعض المجلات الدينية أن الامام فخر الدين الرازى صاحب التفسير المشهور من القائلين بمذهب (الصرفة) ، وأنه ناقض نفسه ، فقال فى بعض كتبه بأن فصاحة القرآن هى الوجه فى اعجازه .

ولما كان الرازى اماما من أئمة المسلمين ، بل من أكبر أئمتهم ، رأيت أن أنشر على الناس رأيه فى الاعجاز .

وأول ما يتجه اليه نظر الباحث هو كتاب الرازى فى اعجاز القرآن المسمى : (نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز) .

يبطل القول بالصرفة

وقد عرض الرازى فى صفحاته الأولى لمذاهب الاعجاز ، وأبطاها جميعا ما عدا مذهبا واحدا ، فهو يذكر مذهب (الصرفة) وينسبه الى النظام ، ثم يبطله من ثلاثة وجوه .

الأول : – أن عجز العرب عن المعارضة لو كان لأن الله أعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن ، بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم ، بعد أن كان مقدورا عليه لهم .

الثاني : – لو كان كلامهم مقاربا فى الفصاحة – قبل التحدى – لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك .

الثالث : – أن نسيان الصيغ المعلومة فى مدة يسيرة يدل على زوال العقل ، ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى . فبطل ما قاله النظام .

ويذكر مذهب القائلين (بابتداء الأسلوب) ، ويبطله من خمسة أوجه ، وكذلك يبطل مذهب من جعل الاعجاز فى أن القرآن ليس فيه اختلاف وتناقض ، ثم يقول : (ولما بطلت هذه المذاهب ، ولا بد من أمر معقول حتى يصح التحدى به ، ويعجز الغير عنه ، ولم يبق وجه معقول

فى الاعجاز سوى الفصاحة علمنا أن الوجه فى كون القرآن معجزا هو الفصاحة) .

وهذا كلام واضح لا لبس فيه ولا غموض ، وهو يثبت بما لا يحتمل شكا ولا تأويلا أن الرازى كان يرى أن وجه اعجاز القرآن هو فصاحته التي عجز عنها العرب ، ويرى كذلك أن ما عدا هذا الرأى باطل .

غير أن الرازى ذكر فى تفسيره ما يعد رجوعا عن هذا الرأى ، وكتاب نهاية الايجاز سابق لكتاب التفسير ، يدلنا على ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فقد قال (**ومن تأمل كتابنا فى دلائل الاعجاز علم أن القرآن قد بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الى النهاية القصوى**) .

وقد تتبعت الرازى فى أكثر من موضع من تفسيره ، وهأنذا أفصل القول فيما أرجح أنه انتهى اليه رأى الرازى فى وجه اعجاز القرآن .

جاء فى تفسيره لقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) قوله : « ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو — أيضا — معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته) ، وهو يجعل — هنا — النظم غير الفصاحة ، بل يقول عن هذا النظم . « ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك) .

والحقيقة أن الذين قالوا بأن القرآن معجز لابتدائه بأسلوب جديد ، لم يريدوا مجرد التناسب بين ألفاظ القرآن ، وبين آياته ، بعضها مع بعض ، هذه الامور التي يراها الرازى « لطائف وأسرارا)

وانما أرادوا الصورة العامة التي جاء عليها نظم القرآن مما لا نظير له فى نظم العرب ونثرها ، ولا يعتبر قول الرازى هذا اعترافا بالأسلوب وجها من وجوه الاعجاز ، فانه انما أراد به الترتيب والنظم ، وهما أهم أركان الفصاحة التي يقول بها .

وربما كان هذا الموضع هو متعلق الشيخ السيوطي فى قوله الذى أورده فى الاتقان فى فصل اعجاز القرآن . « وقال الامام فخر الدين . وجه الاعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب) ، فاذا كان الأمر كذلك — أعنى أن السيوطى اعتمد على هذا الموضع — كان لنا أن نقول ان الوجه الذى اعتمده الرازى لا يزال هو (الفصاحة) لأن غرابة الأسلوب ما هى الا النظم الذى ذكر فى هذا الموضع ، أما السلامة من جميع العيوب فهى لازمة من لوازم الفصاحة .

ويؤيد ذلك ما ذكره الرازى عند تفسيره لقوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) من سورة هود . فقد قال بعد أن ذكر اختلاف الناس فى الوجه الذى كان القرآن به معجزا ، وهل هو الفصاحة أو الأسلوب أو عدم التناقض ، أو اشتماله على العلوم الكثيرة ، او الصرف ، أو اشتماله على الاخبار عن الغيوب ، قال : « والمختار عندى وعند الأكثرين أنه معجز بسبب الفصاحة ، واحتجوا على صحة قولهم بهذه الآية ، لأنه لو كان وجه الاعجاز هو كثرة العلوم أو الاخبار عن الغيوب أو عدم التناقض لم يكن لقوله « مفتريات) معنى ، أما اذا كان وجه الاعجاز هو الفصاحة صح ذلك ، لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا ، وأيضا لو كان الوجه فى كونه معجزا هو الصرف لكان دلالة الكلام الركيك النازل فى الفصاحة على هذا المطلوب أوكد من دلالة الكلام العالى فى الفصاحة) .

وفى هذا الموضع زاد ذكر وجه من وجوه الاعجاز وهو « العلوم الكثيرة » كما زاد دليلا على بطلان مذهب الصرفة .

وهو هنا يرد القول بالعلوم الكثيرة لكنه فى تفسيره لقوله تعالى : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه » من سورة يونس . يقول : « واعلم أن الناس اختلفوا فى أن القرآن معجز من أى الوجوه ؟ » .

فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة ، وهذا هو المراد من قوله « وتصديق الذى بين يديه » .

ومنهم من قال : انه معجز لاشتماله على العلوم الكثيرة، واليه الاشارة بقوله : « وتفصيل كل شىء » .

قال : وتحقيق الكلام فى هذا الباب — ثم قسم العلوم الى دينية ، وغير دينية ، وقال ان الأولى أرفع شأنا ، ثم قسم الدينية الى علم عقائد ، وعلم أديان ، وعلى أعمال ، وذكر أن القرآن اشتمل على كل ذلك — ثم قال : « فثبت أن القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة ، عقليها ونقليها اشتمالا يمتنع حصوله فى سائر الكتب ، فكان ذلك معجزا ، واليه الاشارة بقوله : وتفصيل الكتاب » .

فيعتد اشتمال القرآن على « العلوم الكثيرة » وجها من وجوه الاعجاز ، وكل ما يمكن أن يعتذر به عن هذا التناقض أن آية هود لا دلالة لها على هذا الوجه « العلوم الكثيرة » بل هى نافية له (١) !! .

ثم يقول بالصرفة

ثم تأتى شبهة قول الرازى «بالصرفة» ، وذلك فى مواضع من تفسيره .

١ — جاء فى تفسيره لآية الاعجاز من سورة البقرة . « وان كنتم فى ريب ... الآية » أن اعجاز القرآن يمكن بيانه من طريقين .

الأول : — أن القرآن مساو لكلام الفصحاء ، أو زائد زيادة لا تنقض العادة ، أو زيادة تنقضها ، والأولان باطلان لأنه لو كان كذلك لوجب أن يأتوا بمثله ، ولما لم يأتوا بالمعارضة علمنا أن القرآن لا يماثل كلامهم ، وأن التفاوت بينه وبين قولهم ليس معتادا ، بل هو ناقض للعادة ، فوجب أن يكون معجزا .

الطريق الثانى : — القرآن لا يخلو اما أن يكون بالغا فى الفصاحة الى حد الاعجاز ، أو لم يكن كذلك ، فان كان الأول ثبت أنه معجز ، وان كان الثاني **كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة ، فعدم اتيانهم بالمعارضة — مع كون المعارضة ممكنة ، ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها — أمر خارق للعادة ، فكان ذلك معجزا ، فثبت أن القرآن معجز من جميع الوجوه .**

قال الرازى — بعد أن أوضح الطريقين عن الطريق الثانى . « وهذا الطريق عندنا أقرب الى الصواب » .

وهذا كلام ظاهره أن الرازى يميل الى القول بأن الله صرف العرب عن معارضة القرآن ، وأن هذا هو الوجه الذى من أجله كان الاعجاز ، وهو الذى غر من ادعى على الرازى ذلك .

ثم هو يؤكد هذا بعد أسطر ، فيورد اعتراضا،ثم يجيب عليه.(فان قيل . قوله تعالى . « فأتوا بسورة من مثله » يتناول سورة الكوثر ، وسورة العصر ، وسورة . قل يأيها الكافرون. **ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن .** فان قلتم : ان الاتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة ،

---

(١) وكان هناك يفسر الآية ملتزما بالفرض الذى فرضته « مفتريات » الذى يتنافى مع العلوم فالمفترى لا يكون علما ، ومع ذلك فالاعتذار ضعيف . « الوعى »

والاقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة الى الدين . قلنا . **فلهذا السبب اخترنا الطريق الثانى ، وقلنا ان بلغت هذه السورة فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود ، وان لم يكن الأمر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا .**

ثم يعيد هذا المعنى فى هذا الموضع مرة ثالثة .

وخلاصة هذا الكلام ــ على ما يبدو فى بديهة الرأى ــ أن الرازى لا يرفض القول بالصرفة ، ولا يرفض جواز أن يكون فى بعض سور القرآن ما لم يبلغ حد الاعجاز فى الفصاحة ، وكان فى مقدور العرب أن يجيئوا بمثله .

٢ : ــ ولا يفتأ الرازى يكرر هذا القول ، فيشير عند تفسيره لقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الى ما نقلناه آنفا من قوله فى تفسير سورة البقرة ، ويقول انه بالغ هناك فى بيان اعجاز القرآن ، وأن للناس فيه مذهبين . أن القرآن معجز فى نفسه ، وأنه ليس معجزا فى نفسه الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته ، مع أن تلك الدواعى كانت قوية كانت هذه الصرفة معجزة .

ثم قال : (**والمختار عندنا فى هذا الباب أن نقول : القرآن فى نفسه اما أن يكون معجزا أو لا يكون ، فان كان معجزا فقد حصل المطلوب ، وان لم يكن معجزا بل كانوا قادرين بمعارضته ، وكانت الدواعى متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة ، وما كان لهم عنها صارف ومانع . وعلى هذا التقدير كان الاتيان بمعارضته واجبا لازما ، فعدم الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا ، فهذا هو الطريق الذى نختاره فى هذا الباب**) .

وهو هنا يكرر ما قاله فى تفسير سورة البقرة ، غير أنه ــ هنا ــ يصرح بالصرفة ، ولم يذكر هناك لفظها ، وهو فى الوقت الذى يحكى فيه أن الصرفة سبب من أسباب الاعجاز يثبت هذه العبارة . (وما كان لهم صارف ولا مانع) أى ليس صارف عن دواعى المعارضة كان للعرب ، مع أنه فى الفقرة السابقة : يقول : (الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم) . فلعله يريد . ما كان لهم صارف ظاهر .

بعد هذا نقول : ربما كان الباحث الذى نسب الى الرازى التناقض فى رأيه ، ونسب اليه القول بالصرفة معذورا ، ولكن كيف نقر هذا والرازى يرد مذهب الصرفة ، ولا يفتأ يتحدث عن فصاحة القرآن .

فيقول مرة عن القرآن انه (بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الى النهاية القصوى) ويقول فى أخرى . (انه فى الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها) ومرة ثالثة يقول : (انه جاء فصيحا فى كل الفنون على غاية الفصاحة) .

وقد كان يمكن أن نحمل رأى الرازى فى الصرفة على أن الصرف كان مع عجز العرب عن معارضة القرآن لفصاحته ، وأنه لا تنافى بين القول بهذا المذهب ، والقول بأن القرآن بلغ النهاية فى الفصاحة ، لولا أن الرازى يكاد يسلم فى بعض ما نقلنا عنه أن بعض السور لم تكن بالغة حد الاعجاز ، وأنه فى كل موضع أشار فيه الى هذا المذهب قرنه بأن القرآن كان فى مقدور العرب .

ولما يكن ذلك عندنا ممكنا ، وكان ادعاء التناقض فى رأى الرازى فى أمر كهذا تنقصا من قدر هذا الامام ، كان من الانصاف أن نمعن النظر فى كلام الرازى لعلنا نجد وجها مقبولا نحمله عليه .

دفاع عن الرازى !

وأقرب ما يمكن حمل كلام الرازى عليه أن ((اختياره)) ليس اختيارا لمذهب ، ولكنه اختيار لطريقة فى الاستدلال ، فهو فى كل مرة يردد القول بين الاعتراف بأن القرآن بلغ الغاية فى الفصاحة ، وبين عدم الاعتراف بذلك ، ثم يقول اننا مع الخصم نقول له : ان كان القرآن معجزا فى ذاته فقد ثبت المطلوب ، وان لم يكن فهو معجز أيضا ، لأن العجز عن المعارضة مع امكانها أمر ناقض للعادة ، وكأن الرازى يريد أن يلزم الخصم بثبوت اعجاز القرآن . فهذا هو الاهم عند الرازى ، ومجاراة الخصم تنتهي الى هذه النتيجة على كل حال .

والرازى عالم متفلسف ، دارس للمنطق ، وقد ذكر أنه فسر سورة البقرة على الوجه العقلى ، لا النقلى ، فهو يختار من طرق الاستدلال ما يرى أنه أقوى الزاما للخصم ، وقد رأى ذلك فى ((الطريق الثاني)) الذى ذكره فى تفسير سورة البقرة .

نعم ان الرازى ربما تخلى عن رأيه فى بعض المواضع ، ولكن ذلك حين يكون الأمر أشد احتفالا باعجاز القرآن .

فقد رأيناه ينكر أن يكون الأسلوب وجها من وجوه الاعجاز ، كما ينكر أن يكون الاخبار عن المغيبات وجها كذلك .

لكنه فى تفسيره لقوله تعالى : ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)) يعلل تسمية كتاب الله (قرآنا) فيقول : ((أو لأن ما فيه من الدلائل الدالة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض ، أعنى اشتماله على جهات الفصاحة ، وعلى الأسلوب الغريب ، وعلى الاخبار عن المغيبات ، وعلى العلوم الكثيرة)) .

وقد يقال ان الرازى يفرق بين دلالة الأمر على كون القرآن من عند الله ، وبين دلالته على أنه معجز .

فمثلا (الاخبار عن المغيبات) يدل على أن القرآن من عند الله ، ولكنه لا يقع به التحدى ، وذلك لأنه أمر غريب ما دام المداول عليه مجهولا ، فاذا علم زالت غرابته ، وأصبح أمرا مألوفا ، وليس كذلك شأن المعجز ، الذى أيدت به خاتمة الرسالات ، لأنه ينبغي أن يكون دائم الاعجاز .

وبذلك نفسر هذا الكلام الأخير للرازى .

وأيا ما كان فانه من المستبعد أن يتسامح الرازى فى القول (بالصرفة) ، كما يتسامح فى سرد هذه الأمور ، التي وردت فى عبارته الأخيرة .

وربما كان من القريب للصواب أن يفهم فاهم أن الرازى يقول بفصاحة القرآن فى السور التي تثبت فصاحتها وبذلك يكون عجز العرب ، أما السور التي يكون من المكابرة القول بفصاحتها مثل سورة الكوثر فان الاعجاز فيها بصرف العرب عن معارضتها وأمثالها .

ولكن يرد ذلك أن الرازى عقد فصلا فى كتابه (نهاية الايجاز) عنوانه (اعجاز سورة الكوثر) كما أنه فى كتابه ((التفسير)) يطيل اطالة ملحوظة فى بيان الفوائد التي تؤخذ من هذه السورة ، وهذا الصنيع يشعر بأنه يحاول الرد على من يتوهم أن هذه السورة غير معجزة (١) .

والله أعلم بالصواب

---

(١) حاول الكاتب الفاضل جهده أن يدافع عن الرازى وما بدا فى كلامه من تأرجح — فى بيان وجه الاعجاز — بين القول بالفصاحة والقول بالصرفة . وقد كان موقفه الدفاعي صعبا — كما ترى — أمام صراحة الرازى فيما ذهب اليه من هذا الرأى حينا أو ذاك الرأى حينا آخر .. فاذا كان يعتمد القول — وقد قال — بالفصاحة المعجزة فى كل آيات القرآن فلا يصح حينئذ القول بالصرفة . فكيف يقول بعد ذلك عنها أنها الرأى الذى يختاره ويكرر ذلك فالواقع أن الدفاع عن الرازى حمل ثقيل أمام هذا التناقض الظاهر .. ولا يزال الأمر فى حاجة الى تمحيص ممن يريدون أن يدفعوا عنه هذا التناقض .. ونحن نرحب بكل من يريد أن يدلى بدلوه حول هذا الموضوع .

« الوعى الاسلامى »

إنها هجرة إلى الله زلفى

محمد يونس

روّعَ الأرض ما ارتوت من دماء ... واستذلتْ من أنفس عصماء
واستبيحت في العالمين هَوانا ... من معان كريمة زهراء
فهفت للسماء تدعو الها ... راحما بالعباد جم السخاء
رب . ان الشرور عمت وأربت ... وتدجت غوائل الظلماء
وتبدى الانسان أغلظ قلبا ... من وحوش الفلاة والصحراء
عاث في الكون مفسدا همجيا ... يزدهيه الطغيان شر ازدهاء

★★★

ها همو عصبة الهوى من قريش ... اجمعوا أمرهم على نكراء
والرسول الأمين يدعو البرايا ... للسبيل القويمة الغراء
نقموا منه أنه لا يولى ... وجهه للحجارة الصماء
ليس يثنيه مصلت من حسام ... جردته البغاة للايذاء
عن كفاح لكل طاغ عصى ... محرق قلبه لظى البغضاء
انه الحق ساطعا مستنيرا ... ليس يخفيه باطل الادعياء

★★★

قيل . يأيها النبي اطّرِحْهم ... أنهم أمة أولو شحناء
اثخنوا المسلمين جُرحا وبَرْحا ... ثم ساموهمو هوان الشقاء
وبلال يشفى أمية منه ... حقده باطراحه في العراء
والفتى المؤمن الكريم صبور ... رغم سوء العذاب في الرمضاء

★★★

للاستاذ حسن فتح الباب

قيل . يأيها النبي ترحل ... عن ديار تغص بالأدواء

عن ديار لمفسدين غواة ... ظلمهم بالغ عنان السماء

كم تداعوا لينصروا مستبدا ... وأصاخوا الى نذير العداء

ومضوا يضرمون نار الخطايا ... وتنادوا بالشر شر نداء

تآوءوا الهادى الأمين وراحوا ... يملئون الطريق بالأقذاء

وعموا عن ضيائه لم يروه ... وهو منهم دان كضوء ذكاء

★★★

هاجر المرسل العظيم بليل ... ليس يرعاه غير رب السماء

يشترى دينه بأهل وجاه ... تلك عليا مراتب الأنبياء

وأبو بكر صفوة الصحب طرا ... انه المرتجى لدى البأساء

يفتديه بنفسه وبنيه ... وبمال له على السراء

★★★

تلك أسماء بنته وهى غر ... طفلة لا تضيع حق الوفاء

تحمل الزاد للرسول المفدى ... وأبيها الصديق في البيداء

تزدرى بالعناء ليس تبالى ... شرة منه أو نذير بلاء

خضب الشوك في السرى قدميها ... بجراح زكية ودماء

وعلى الغار للحمائم شدو ... وعشاش ظليلة الأفياء

معجزات أعمت عيون بغاة ... ورمتهم صرعى بلا إرداء

★★★

بلغ الصاحبـان بعد عنــــاء ... في ليـال شديـدة الاسـراء
يشـرب الحرة الكريـمةَ أهـلا ... فزهـت في المـدائن الزهـراء
وتلقاهمـا من الأوس وفـد ... بالثنيـات والربى والفضـاء
ومـن الخزرج الكمـاة رجـال ... صدقوا العهـد في دجى الضـراء

***

انها هجـرة الى الله زلفـى ... في سبيـل العقيـدة السمحـاء
فيصـل بين ضلـة ويقـين ... ومنـار لعـزة قعسـاء
اليتـيم الفقـير أنقـذ كونـا ... سادرا في ظـلالة عميـاء
اليتـيم الفقير أرسى صروحـا ... من معـاني الاعظـام والاعلاء

***

أشرق العـام أنعُمـا وسُعـودا ... عبقـرى السنـا أغـرَّ الـرداء
عيد حريـة وعدل وهـدى ... وسلام على الثـرى والسمـاء
عيد خير عـلى الأنام تجـلى ... وصلاح ونهضـة وعـلاء
هلْ في غيهـب الحياة شعاعـا ... ألمعيـا من قوة ومضـاء

***

أمـة الصالحـين دمت منـارا ... وأظلتك وارفـات الرجـاء
في أمـان من الهـوان وعيـش ... قدسى الأفيـاء والأضـواء

الفتح القدسى » . ونحن نعلم أن بيت المقدس قدأخذها الصليبيون من المسلمين فى العصر الفاطمى فى سنة ٤٩٢هـ ،وكان الجيش المصرى المدافع عنها تحت قيادة الافضل بن بدر الدين الجمالى . وقد قتل من المسلمين فى هذه الموقعة نحو سبعين الف مسلم ، وارتكب المعتدون من المنكرات مالا ينساه التاريخ . وظلت بيت المقدس فى أيدى الصليبيين ما يزيد على تسعين عاما ، الى أن جاء صلاح الدين فاستنقذها من يد الصليبيين ، وضرب من الامثلة فى السماحة والعفو وحسن الخلق ما يعد نموذجا للخلق الاسلامى الكريم .

وقد عد المؤرخ العماد الاصفهانى فتح صلاح الدين لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ فتحا ثانيا جديدا للاسلام ، فألف كتابه هذا فى وصف معركة فتح القدس ، ووازن فى المقدمة بين فتح الشام فى عهد عمر بن الخطاب ، وفتحه فى عهد صلاح الدين قائلا : « وهذه الهجرة أبقى الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين . فان العرب كانت اذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن نقول : ان أطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نشر . والعيان يشهد ان أمنع السورين ما عمر بعد أن ثغر ... » .

وقد جرى العماد الاصبهانى فى كتابه عن فتح القدس على طريقة عصره وطريقته هو بالذات من التزام السجع ، وحلية اللفظ . ويمثل لنا كتاب « الفتح القدس » الكتابة المسجوعة فى تدوين التاريخ ، وهى الطريقة التي كتب بها أبو النصر العتبى سيرة السلطان المسلم الفاتح محمود الغزنوى ، وكتبها ابن عربشاه فى كتابه « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » وهو فى سيرة السلطان التترى المسلم تيمورلنك . وقد تأثر بعض كتاب السير والتراجم بطريقة السجع هذه ، كما فعل الثعالبى فى « يتيمة الدهر » وابن خاقان فى كتابه « مطمح الانفس » .

اهمية الفتح القدسى

ولم يكن العماد الاصبهانى فى تدوينه لفتح القدس واستردادها من أيدى الصليبيين ناقلا من كتب ، ولا راويا عن رواة ، ولكنه كان شاهد عيان ، حضر خطوات المعارك من أولها الى آخرها ، ودونها مشهدا مشهدا ، وكان على مقربة من البطل صلاح الدين يسجل الوقائع ويدون الحوادث . فحديثه عن فتح بيت المقدس حديث الكاشفة والبيان ، والمشاهدة والعيان . ومن هنا كان كتاب « الفتح القدسى » مما لا يليق بعربى أن يغفله ، لانه يصور اروع صفحة من صفحات النضال ، كما لا يجوز لمؤرخ شرقى أو غربى أن يهمله ، لانه ألم من اطراف المعركة بما قد لا يجده الباحث فى كتاب آخر .

دحلان

ولا نظن أيها القارىء الكريم أن كتب الفتوح الاسلامية الجامعة قد انتهت بعد كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، فقد وجد على مسار التاريخ أكثر من مؤلف فى مثل هذا النوع من الكتب . وأقربهم من زماننا العالم الفقيه المؤرخ أحمد زيني

دحلان المكى المولد ، والمدنى الوفاة والمتوفى سنة ١٨٨٦م . وقد اشتهر الرجل بكتابه « الفتوحات الاسلامية ، بعد مضي الفتوحات النبوية » الذى طبع بالقاهرة فى جزءين كبيرين . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب الضخم يغطى مدى متطاولا من تاريخ الفتح الاسلامى حتى العصور المتأخرة ، فقد استطاع مؤلفه فى دقة وايجاز ، وحسن اهتداء للمصادر ، وتنظيم للحوادث ، وعبارة مرسلة دالة على المعنى المراد بأوضح أسلوب أن يجمع لنا أخبار الفتوحات الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، دولة فدولة ، وجيلا فجيلا . كما استطاع أن يحدثنا فى وعى تام عن دخول الاسلام فى البلاد حتى عهده فى القرن الماضى . ثم رأى أن يستطرد بذكر دخول النصرانية فى أكثر بلاد آسيا واوربا . ومن استطراداته المفيدة ما ذكره عن استيلاء الفرنسيس على مصر وترتيب ديوانهم واضطرارهم الى الخروج منها ، وذكر احتلال فرنسا للجزائر وتألب الدول الاوروبية على الدولة العثمانية التى كانت تمثل الاسلام بضعة قرون .

بتلر

واذا كان الفتح الاسلامى لمصر قد ظفر من المؤرخ العربى القديم ابن عبد الحكم بكتاب مستقل ، فان العصر الحديث قد حظى بتاريخ لهذا الفتح كتبه مؤرخ انجليزى بالانجليزية ، وترجمه مؤرخ عربى مصرى الى العربية ، أما الكتاب فهو « فتح العرب لمصر » ، وأما مؤلفه فهو الدكتور الفرد بتلر ، وأما معربه فهو الاستاذ محمد فريد أبو حديد . ويمتاز هذا الكتاب بدقته وتحريه للحقائق وحيدة مؤلفه وحسن استغلاله للمصادر وانصافه الذى اقتضاه الدفاع عن بعض مفتريات شائعة ، كاتهام العرب المسلمين بأنهم احرقوا مكتبة الاسكندرية مما يتنافى مع ما عرف عن العرب والمسلمين من اتساع الافق والترحيب بالعلم وحرية الفكر . فابان الرجل المؤرخ المنصف أن العرب عندما دخلوا الاسكندرية بعد الفسطاط فاتحين ، لم يجدوا فيها مكتبة جامعة ، لانها كانت قد أحرقت على يد غيرهم من برابرة الفكر بزمن طويل ..

شكرى فيصل

وهناك كتاب جامع عن « حركة الفتح الاسلامى » فى القرن الاول كتبه الدكتور شكرى فيصل . وهو يعالج قضايا المجتمع الاسلامى الناشىء فى ذلك العهد البعيد معالجة واعية ، فيكشف عن موقف أهل البلاد المفتوحة وموقف الطبقات فيها من الامة الفاتحة الجديدة . كموقف أهل السواد عن موقف العرب او الفرس فى فتح العراق . ويتفطن الى مسائل دقيقة فى حركة مقاومة المسلمين الفاتحين تبعا لاعتبارات خاصة .. ففى فارس وما وراء النهر والسند لم تكن هناك لغة عربية تعطف أهل البلاد على الحركة الاسلامية وتقربهم منها .. على حين كان فى العراق وسورية ومصر احيانا هذا التشابك والتواصل بين الدماء .

حسين مؤنس

أما كتاب « فتح العرب للمغرب » الذى كتبه الدكتور حسين مؤنس فهو تنظيم لطائفة من المعارف المبعثرة فى كتب التاريخ والفتوح ، على منهج علمى سليم ، حيث التقى العرب الفاتحون بأهل الشمال الافريقى التقاء الفاتح ضد المكافح ، فانقاد الاثنان — بعد أن فتح الله على المغاربة بالاسلام — الى اجتياز البحر الى الاندلس حيث قام للاسلام هناك ملك كبير ، لم يدم الا بضعة عصور ، حيث ألوت به الصبا والدبور .

ولله عاقبة الامور ..

في غار حراء

الاستاذ : عمر بهاء الدين

ـ يا أم المؤمنين ، حدثينا عن طلائع الوحي ؟ .
ـ قالت عائشة رضي الله عنها : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى ، الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، يتحنث فيه الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ..

غار حـراء ، فى أعالى الجبـل ، على مشارف أم القرى ...

جبل النور ، صاعد ، مقطوع الانحدار ، كأنه جدار مائـل ، تلفه صـخور نهداء جرداء ، يدور بمرتقيـه نحو « قمة » ذات بسطة ...

كان رفيقي اليه ، صديق من كـرام أبناء مكة ... وكادت أنفاسنا تتقطع اعياء ... أول صعودنا ... وكنا ، مرة بعد مـرة ، نبحث عن سـطح صـخرة ملسـاء ، تتسـع لنا متجاورين أو متقاربين ، نسترد أناة صدرنا ، ونتنفس الصعداء ، وقد ننادى بالدليـل الذى يتقدمنا ، فيعود الينا بحافظة الماء البارد نتروى جرعا ، قبل أن نتابع الصعود ..

... واصفرت الشمس ، وامتدت المشـارف ... وسـمونا عن الأرض ، أكثـر مما علونا .. وبدل أن يـزداد اعياؤنا ، كان يتناقص !! قلت لصاحبي وكان يشكو الربو : أما زلت فى ضيق ؟ قال : بل ذهب عنى كل ما كان ، يضر بى !! وجلسنا جلسة المستريح ، هذه

المرة ، نتأمل غروب الشمس فى صمت بليغ ، زاخر بالمشاعر والأحاسيس ، وفى جوانحنا قوة دافعة تحلق بنا فوق ذرى التاريخ ...

كان الصمت يذوب ، وتتسامع خفقات القلوب .. وارتقينا حتى بلغنا القمة ، مع آخر ذرة من شعاع ذكاء .. وأخذنا بهر ، فلم نملك أنفسنا أن نؤذن بأعلى الصوت ، مشبوبين مجذوبين والأصداء تتجاوب وتعيد : الله أكبر الله أكبر ، أشهد ألا اله الا الله ... أشهد أن محمدا رسول الله .

غار حراء ، تجويف تعلوه الصخور ، يرتفع عن قامة الرجل الطويل ولا يكاد ، ويتسع لتمدده ولا يزيد ، ينحدر اليه تدرجا ،اعتمادا على جوانب مدخله ، أرضه تراب ناعم ، وعرضه صلاة اثنين متلاصقين ...

وكانت فريضة المغرب ، وكأنما أقمناها فى السماء فى الملأ الأعلى : تجرد وخشوع ، واشراق ودموع :

هنا سجد المصطفى والدموع
تخط أخاديد فوق الخدود
سجود تجلى على الاله
باشراقة ، يا له من سجود
سجود تلبس من روحه
شذى ملؤه نفحات وجود
يدور مع الدهر فى كل قلب
تقى ، وفى كل عود يعود

***

وهام الهوى بجنانى بعيدا
بعيدا ، وراء الرؤى والحدود
فطالعت ، والوجد يحدو خيالى
صحائف من سفر مجد الجدود
وقد كتب « الدهر » عنوانه ،
بنور الجهاد : « صراط الخلود »
فأومض فى نور عيني بريق
الفتوح ، وخفق القنا والبنود
وقام المكان ، وغاب الزمان
وعشت بروحى تلك العهود

ــ يا خديجة ، انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء !! فقد والله خشيت أن يكون هذا امرا ؟ ! ! .

ــ معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، فوالله انك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث ...

« جاءنى وأنا نائم ، بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ! فقلت: ما اقرأ ، فغتنى حتى ظننت أنه الموت ،ثم أرسلنى فقال : اقرأ ! فقلت : ماذا اقرأ ؟ ! وما أقول ذلك الا افتداء من أن يعود الى بمثل ما صنع بى . فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ... فقرأته ، ثم انتهى ، ثم انصرف عنى ، وهببت من نومى ، وكأنما كتب فى قلبى كتابا .. » .

« رواية عبد الله بن الزبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم » .

يا لروعة الرؤيا ، ورهبة الموقف ! ! تحار الحلوم وتضعف الجسوم ..

وعمد محمد الى حالق ، وجعل يعلو الشواهق ..

« يا خديجة ، حتى اذا كنت فى وسط الجبل ، سمعت صوتا من السماء يقول : ــ يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسي الى السماء فاذا جبريل .. فوقفت أنظر اليه .. فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته ! ! » .

وتابعت عائشة رضى الله عنها روايتها ... حتى جاء الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ! قال : ما أنا بقارىء ــ قال فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ! فقلت : ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني ! فقال : اقرأ ! فقلت ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ الجهد ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

ورجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترتجف بوادره .

ـ يا خديجة !! زملوني زملوني ، دثروني وصبوا علي ماء باردا ، يا خديجة !! مالي ؟! لقد خشيت على نفسي ؟ وتقبل خديجة الرءوم ، تحنو عليه ، وتشد أزره :

ـ كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق !! .

وانطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وقد شاخ وعمى ، وكان نصرانيا عنده علم من الكتاب .

قال : ابن اخى ، ما ترى ؟! ـ فأخبره محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى ـ فأردف :

ـ هذا ، الناموس ، (جبريل صاحب خبر الخير) الذى أنزل على موسى .. أن أدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ..

اقرأ باسم ربك .. خمس آيات ، طليعة القرآن ، ولكنها بركة العمر حتى آخر الدهر ... وفتر بعدها الوحى حتى حزن الرسول حزنا شديدا وتطلع .. وتضرع ...

ولنتأمل معا : أول القرآن : « اقرأ » .. و « بالقلم » القراءة والكتابة والأساس : « الله » ، باسم ربك ، خلق ، وعلم .

والحكمة والنور كل الحدث وأجواؤه، من قبل ومن بعد ، آيات بينات لأولى الأبصار فيتحنث ، يقاطع لغو الحياة ، يتوحد ، ويتعبد .

وفى النوم غتنى : غمني وخنقنى ، وفى اليقظة غطنى شدنى اليه ، كبسنى وعصرنى ... !! ففي النوم تحريك لحياة اللاشعور ، مكرور ، ليتفاعل في أعماق النفس وذراتها الخفية ، وبعدها للأمر الجلل !! وفى اليقظة كبس وعصر ، أولا وثانيا وثالثا ، استحواذ على الشعور ، تركيز للانتباه ، تعميق للأثر ، صرف عن أي شيء آخر ، حصر للكيان كله ، في يقظة وترقب ، وانقطاع للأمر الجلل .

وجنان محمد ثابت ، لا يغمى عليه ، ولا يبدل قوله الانساني ما أنا بقارىء ، حتى يأتي الأمر الالهى (اقرأ باسم ربك) .

والتوافق ، صدق الرؤيا كفلق الصبح : أرهاصات للنبوة ...

شده جبريل اليه ، شد للعضد ، وتثبيت .. ملك يضم انسانا . عناق مرموز بين السماء والأرض ، لقاء بين السفيرين الالهيين سفيرى رب العالمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، لتنفيذ أمر الله الحكيم العليم ! .

وعلى مراحل ، رؤيا ، ثم هاتف ، ثم مواجهة .... : تدرج ، وأعداد ، حكمة الله وارادته ، أن يجرى كونه الذى خلقه، وفق قوانين رسمها له ، ودعا عباده اليها ، فهو لا يخالفها بنفسه ، مع قدرته على كل شيء ، ولو شاء لجعل ما أنزل على رسوله دفعة واحدة ، وحباه العزم الكافى للتحمل ، **ولكن : من الفطرة ترك** الطفرة ! « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » ! .

وان يفتر الوحى ، ثم يعود ، ولو أحزن النبى ـ وهوحبيب الى ربه ، وهو بأعينه ـ فذلك تأكيد بالغ في لفت الرسول الى الرسالة ، **ليتطلع اليها** ويقبل عليها ، في تعبد وتوجد ، وتأله وتوله ، وليس البر دائما فيما يسر ، ولكن الأمور بخواتيمها .

وتقول خديجة رضى الله عنها : لا تخف مكروها يا محمد ، وأنت على ما أنت من حميد الفعال ، وخصال الخير ، فان مكارم الأخلاق تقى مصارع السوء ..

اقرأ باسم ربك ، بقدرته ـ وان كنت لا تعلم القراءة ـ فالله الذى خلق الانسان كله من علق ، والله الذى علم ، قد جعل من طرائق التعليم والتوصل الى المعرفة ، الفتح من لدنه ، فمن قرأ باسم الله ، قرأ وان لم يكن بقارىء فهو

يخلق فى سجية عبده الجديرة ، القدرة على القراءة ، وعلى كـل شـيء فهو الأكرم ، وما من كرم كريم يخطر على قلـب بشر ، الا وربـك ، الـذى رباك وتعهدك برسالته يا محمد ، هو الأكرم .

علم بالقلم ، والعلـم بيان ، يكون فى الأذهان ، ويكون فى اللسان ويكون بالبنان ، فكرا ، ولفظا ، وكتابة ...

ومن بديع خلق الله ، وعظيم سره ، انه علم بالقلم ، وليس القلم بذى روح ، فاما شجر واما حجر ! أما أنت ، يا محمد البشر ، فباسم الله تقرأ ، وبقدرته وسره ، وهذا أولى وأجلى ، لأنـك خلقـت من علقة ، والعلقة مادة الدم ، والدم نسغ (١) الحياة .

قال ابن عمر : يا رسول الله ، أكتب ما أسمع منك من الحديث ؟ ! قال : نعم فاكتب فان الله علم بالقلم .

وعن النبى صلى الله عليه وسـلم : أول ما خلق الله القلم ، فقال : أكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة ...

قال العلماء : الأقلام فى الأصل ثلاثة : القلم الأول الذى خلقه الله بيده وأمره أن يكتب . وأقلام الملائكـة : (ان عليكـم لحافظين . كراما كاتبين) . وأقـلام الناس ، يسجلون بها كلامهم ، ويصلون مآربهم .

والكتابة ، عين من العيون ، يبصر بها الشاهد الغائب ، والخط ، آثـار يده ، وفيه تعبير عن الضمير ، بما لا ينطق به اللسـان ، فهو أبلغ .

قال بعضهم : الكلام ريـح لا تبقى ، وقيده الكتابة قلت : بـل هى أنفـاس مرددة ، والبيان للانسان ، كيانه المرسل ، والكتابة جنانه المسجل .

علم الانسـان ما لم يعلم ، خلقـه من علق ... وجعله فى الأرض خليفة .. واستعمره فيها .. وعلم آدم الأسماء كلها .. وفى الأثر « اذا عمل الانسان بما يعلم ، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم » .

فى « غار حراء » ، تم الحدث الأعظم ، الحدث الأعظـم فى الأرض ، منذ كانت الأرض ، وفى تاريخ الانسان ، منذ كان الانسـان . فرقان فى حياة البشرية كلها ، لا فى حياة أمة ولا جيل تحول فى خـط الضمير الانساني ، لم يكن من قبل ولا من بعد قامت المعالم واضحة عاليـة ، لا يطمسها الزمان ولا الحدثان ، تخطيط الهى ، ومنهج رباني .. قـل ان هدى الله هو الهدى ..

يتراءى لى ، أننا لو درسـنا بعمق ، وضع العرب فى تلك الحقبة ، وانعزالهم فى الجزيرة الجافية ، والطبيعة الصافية ، بعيدا عن المدنية المترفـة الهلـوك ، فى امبراطـــوريتى الأكاسرة والقياصرة ، ودرسنا توحد محمد فى الغار ، لوجدنا توحده ذاك تألقا فى جو تلـك البيئـة ، ولساغ أن تشبه عزلة العرب عن محيط العالـم الفاسـد . بعزلـة محمد عن انحرافات قومه ، وانقطاعه فى شظف وزهد ، الى التفكر والتدبر ، وهـو فى غار حراء بين الأرض والسماء ! قاعدة ، وذورة ، فكما كانت عزلتـه المعطاء ، تصفى روحـه ، وتعد نفسـه للحدث الالهى الانسانى الهائل ، كانت تلـك العزلة الصحراوية للعرب فى جزيرتهم ، حفاظ خصائصـهم ، وادخـار معدن رجولتهم ، ليكونوا بعد ـ بالاسـلام ـ شعلة الهداية ، وطليعة الفتح ، والكاهل القوى ، الذى سيحمل العبء العظيم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ...

صلى الله عليك وسـلم ، وصـلينا وسلمنا تسليما ، أيها النبي العربى ، يا رسول الله بالاسلام يا رحمة للعالمين ..

وتحية غار حراء ، فبمحمد من الغار ، أضاء المنار ...

« انـا أنزلناه فى ليلـة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر » ....

---

(١) النسْغ : ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت ، والنسيغ : العرق « المعجم الوسيط » مادة نسَغَ

كارليل

يرد أكاذيب المستشرقين

للاستاذ / احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى ـ بمكة

بعثني الى كتابة هذا الفصل من كتاب أعده للطبع ـ أمران .

الاول : البحث القيم الذى نشرته (الوعى) بقلم الدكتور عرفان عبدالحميد تحت عنوان « المستشرقون والاسلام »

الثاني : اشارة خاطفة جاءت فى الدراسة القيمة التي نشرتها (الوعى) ايضا للاستاذ احمد حسين عن (الرسل) الى رأى الكاتب الانجليزي توماس كارليل فى الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

فقد رأيت أن اورد فى هذا الفصل بعض افتراءات المستشرقين على الاسلام دينا ورسولا ، وادع كارليل يدحضها برأيه وحجته.. فهو واحد منهم جنسا ، وشاهد من اهلهم ملة . ويستحيل أن يتهم بالتعصب للاسلام ، أو بالعاطفة الدينية التي تعطف المتدين نحو دينه . فدفاعه ـ اذن ـ ابلغ تأثيرا من دفاع المسلمين عن الاسلام ، وحجته ـ كذلك أقوى .

اربعة افتراءات على الاسلام ونبيه

ان مؤلفات المستشرقين ـ من الغربيين ـ تفيض بالحقد على الاسلام ، وبالافتراء المفضوح على نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام . وبين ايدينا ـ فى هذا الفصل ـ أربعة افتراءات .. نعرضها ثم ندحضها .

فمن المستشرقين من يزعم ان دين الاسلام اكذوبة ، وان محمدا ـ وحاشاه ـ خداع مزور .

ومنهم من يقول مفتريا أى ان ما اقام

محمدا وأثاره لنشر دعوته المسماة (الاسلام) هو حبه للشهرة الشخصية، وطمعه فى الجاه والسلطان .

وزعم بعضهم . ان محمدا انما استطاع نشر دينه وبسط سلطانه بقوة السلاح، وبالحروب والغزوات التي شنها على معارضيه .

ومنهم من يزعم . ان الاسلام دين الشهوات والملاذ، وأن محمدا — وخلاه ذم — كان أخا شهوة جامحة .

ونكتفى بهذه الاتهامات الاربعة الرخيصة، التي أملاها الحقد والحسد فى صدور المستشرقين .. على الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم . ثم ندع واحدا منهم — كما اسلفنا — ولكنه منصف دونهم .. يتولى تأنيبهم وتكذيبهم وفضح أباطيلهم ومفترياتهم .

يقول توماس كارليل — فى كتابه الابطال — : « اصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من ابناء هذا العصر أن يصغى الى الدعوى بأن دين الاسلام كذب .. وان محمدا خداع مزور .. وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة . فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير، مدة اثني عشر قرنا لنحو مئتى مليون من الناس » (١) .

ثم يضيف كارليل « واأسفاه . ما أسوأ مثل هذا الزعم . وما أضعف أهله، وما أحقهم بالرثاء والمرحمة » .

ولا يكتفي بالأسف لهذه الفرية على الاسلام ونبيه، وبالرثاء لمن أطلقها . وانما يرميه بالسفه والخبث فيقول بعد ذلك : « وعلينا الا نصدق أقوال هؤلاء السفهاء فانها نتائج جيل من الالحاد والكفر، وهي دليل على خبث قلوبهم وفساد ضمائرهم » .

وبعد تأسف كارليل لتلك الفرية المنكرة على الاسلام ونبيه، واتهامه لقائليها بالضعف والسخف .. يأتى دور تعجبه واستنكاره، ويضرب مثلا، ويقدم حجته على بطلانها حين يقول :

« عجبا والله . كيف يستطيع رجل كاذب ان يوجد دينا وينشره ؟ ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب . فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وبقية أدوات البناء ومواده .. فما هذا الذى يبنيه ببيت . وانما هو تل من الانقاض، وكثيب من اخلاط المواد . وليس جديرا ان يبقى اثنى عشر قرنا يسكنه مئتا مليون من الأنفس . ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم كأن لم يكن » .

ولو عاش كارليل الى اليوم لرأى أن الكيان الاسلامي يعيش الآن أربعة عشر قرنا، وان هذا الكيان الكبير يضم خمسمائة مليون مسلم .

ثم يحمل كارليل على أولئك المفترين والحاقدين حملة شعواء، ويصفهم بأنهم « كفار » مهما زخرفوا « كذبهم » وصوروه حقا . ومهما زوروا « باطلهم » حتى أوهموه صدقا . ويعد انخداع الناس فى أوروبا بهذه الأباطيل المفتراة على الاسلام . محنة كبرى ..

الرجل الكبير لا يكون كاذبا

ويبني كارليل اعتقاده فى صدق محمد — عليه الصلاة والسلام — على نظرية

---

(١) نحمد لكارليل كلمة الحق التى قالها ولا يعنى ذلك أننا أو الكاتب الفاضل يوافقه فى كل ما كتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم (الوعى) .

« ان الرجل الكبير من المحال أن يكون كاذبا ، وأن الصدق هو أساس كل ما لديه من فضل ومحمدة » فيقول :

« .. وعلى ذلك فلن نعد محمدا هذا رجلا كاذبا ، متصنعا يتذرع بالوسائل والحيل الى بغية له .. من ملك او سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر . وليست الرسالة التي أداها الا حقا صراحا ، ولا كلامه الا صوتا صادرا من العالم المجهول » .

ويؤكد اعتقاده بصدق الرسول ، بما عرف من سيرته عليه الصلاة والسلام منذ صباه ونشأته ، فيشير الى . « ما لوحظ عليه منذ فتائه .. انه كان شابا مفكرا . وقد سماه رفقاؤه (الأمين) أى رجل الصدق والوفاء فى أقواله وافعاله وافكاره . فما من كلمة تخرج من فمه الا وفيها حكمة بليغة » .

حب الشهرة والسلطان

اما الفرية الثانية التي اطلقها المستشرقون وزعموا فيها . ان نبى الاسلام انما قام بدعوته ابتغاء الشهرة والجاه والسلطان فان كارليل يصف قائليها بأنهم (كاذبون) ثم يضيف :

« لقد كان فى فؤاد محمد الرسول ، العظيم النفس، المملوء رحمة وبرا وخيرا، وحنانا وحكمة وحجى . كان فى فؤاده افكار غير الطمع الدنيوى ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . لقد كان منفردا بنفسه العظيمة يتأمل فى حقائق الكائنات » .

ويزيد كارليل اصحاب هذه الفرية على ما رماهم به من الكذب — فيصفهم بالحماقة والسخافة والهوس ، ويضاعف لهم تأنيبه ونكيره متسائلا . « أى فائدة لهذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج كسرى وصولجان قيصر وجميع ما فى الأرض من تيجان وصولجانات ؟ .. أفى مشيخة مكة ؟ أم فى ملك كسرى منجاة ومظفرة ؟ كلا . اذن فلنضرب صفحا عن زعم الجائرين القائلين بأن محمدا كاذب ، وأن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره .

نشر الاسلام بالسيف

يرد كارليل هذه الفرية .. ردا تاريخيا واقعيا ، ومنطقيا عقليا أيضا فيقول :

ان نية محمد كانت فى البداية ان ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط . فلما رأى ان القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية ، وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه .. حتى أرادوا أن يسكتوه لئلا ينطق برسالته ، عندئذ عزم على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ، دفاع عربى رأى القوم قد أغلقوا آذانهم دون كلمة الحق ، وشريعة الصواب ، وأبوا الا تماديا فى ضلالهم ، يستبيحون الحرمات ، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، ويأتون كل اثم ومنكر . وقد جاءهم محمد عن طريق الرفق والأناة فأبوا الا عتوا وطغيانا » .

فماذا بعد هذا ؟ — فى نظر كارليل انه يرى أن « يجعل محمد الأمر اذن الى الحسام المهند ، الى حرب لنشر تعاليم الاسلام ورد كيد المعتدين » .

وبعد ان يتهم كارليل الذين يزعمون ان الاسلام انما انتشر بقوة السلاح — بالخطأ والجور .. يفلسف لنا ضرورة انتشار الحق وانتصار الخير .. بالوسائل السلمية أو بالحديد والنار — اذا لزم الأمر — لأن الحق والخير يجب أن يسودا البشرية جمعاء ..

البقية على ص ١٠٠

(١) وقد عرضوا عليه المال والملك فأبى وقال قولته المشهورة «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى .. الخ .. « الوعى » .

جمال الدين الأفغاني

سبعون عاما على وفاته

للأستاذ محمد صبيح

فى شهر مارس سنة ١٩٦٧ تكون قد مضت سبعون سنة على وفاة جمال الدين الأفغاني . ومن حق هذا الحكيم العظيم ، والثائر الفذ فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، أن تنتهز الأمم التي تعرفه ، وتقدره ، هذه الذكرى ، لتحتفل به احتفالا يذكر الأجيال الحاضرة ، بكفاح الجيل الماضى ، والذى قبله ، حتى نستطيع أن نربط أيامنا بعضها ببعض ، ونرسم لمستقبلنا خط سيره مهتديا بهدى الجهاد الفذ الصادق الذى جاهده الأفغاني ومدرسته .

***

وعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي ظهرت عن الأفغانى وأيامه وأفكاره ، فما تزال سيرته فى حاجة الى جهد متصل من علمائنا . ولا سيما أن جديدا يظهر عنه كل فترة ، يغير النظر الى أعماله .

ويمد أبعاد هذا الجهاد الى جهات عديدة ..

وقد ظهر أخيرا فى ايران كتاب ضمنه ناشروه مجموعة ضخمة من الرسائل والوثائق ، كانت موجودة لدى الأسرة التي وصل اليها صندوق « السيد » .. وهو الصندوق الشهير الذى خلفه وراءه فى مصر عندما نفاه منها توفيق ، ثم سافر وراءه ، فلم يدركه فى الهند ، ولا فى ايران ، فاستقر ثلاثة أرباع قرن ، أمانة لدى صديق للأفغانى ، حتي وجد ورثته ان ما فى الصندوق لم يصبح أمانة شخصية ولكنه أصبح ملكا عاما للتاريخ ، وللعلم والعلماء ، فنشروا الأوراق مصورة ، ومعلقا عليها باللغة الايرانية ..

وقد ظهرت من الدراسات السريعة لهذه الوثائق مسائل فى حياة الأفغانى جديرة بالنظرة . فمثلا ، كانت جوازات سفر جمال كلها ايرانية ، وتشير هذه الجوازات الى أن مولده كان فى ايران . وأنه عاش فيها فجر حياته وشبابه .



السيد جمال الدين الافغانى
موقظ الشرق

وقد فضل حمل لقب « الأفغانى » حتى لا يظن انه من شيعة ايران ، فى حين أنه التزم مذهب السنة .

ولقد حرصت الأفغان على أن تسترد جثمانه من الآستانة ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٤) ، فسار اليها فى موكب عظيم ، خصصت له القطارات ، وسار فى ركابه الفكر الاسلامي كله فى تركيا والعراق وايران والأفغان ، والحق ان حفاوة العراق بجثمان « الحكيم » اثناء مروره بها ، كانت آية فى الجلال ، وسجلت كلمات الشعراء والأدباء بهذه المناسبة فى كتاب ، يعد مرجعا من مراجع تاريخه .

★★★

وقد روى لنا المرحوم الأستاذ / أحمد أمين ، كيف زار مع صديقه الدكتور عبد الحميد العبادى ، الآستانة عام ١٩٢٨ وكيف تعذر عليهما الاهتداء الى مثوى الرجل الذى أطلق شرارة التحرر فى أمم كثيرة ، وأوقد نيران بعثها ... فلما بلغ منهما الجهد فى البحث مبلغه ، وصلا الى قبر متهدم وعر المسلك ... وجدا أن مستشرقا أمريكيا سبقهما الى هذا المكان أسمه شارل كرين ، وأنفق من ماله مبلغا ، لكى يضع على القبر شواهد من الرخام تدل على صاحبه .

ولم يكن غريبا على السلطان عبدالحميد أن يهمل تكريم حكيم الشرق فى مثواه الأخير ، وقد عاش سنوات ، لا يقلقه شيء قدر ما يقلقه دأب الأفغانى على ايقاظ النائمين الغافلين من أبناء الأمة المحمدية ... فلما استدرجه السلطان أواخر حياته الى الآستانة ، عاش فيها ، وكأنه أسد فى قفص . ولما هم الأفغانى بمغادرة القفص الحميدى ، تنبه له السلطان ، وحال دون خروجه من بلاده .. ولما مرض الأفغانى — وكان فى التاسعة والخمسين من عمره بمرض مفاجىء فى فمه ، أضطر الأطباء الى اجراء جراحة له

انتزعت جزءا من فكه ولسانه ، فصمت الفم الذى كان يطلق شواظا من نار على الخمود والخمول أينما وجده ... وظل على صمته ثلاثة أيام لا يعبر الا بعينيه ، ولا يزوره الا صاحبه جورج كوتجى ، وأطباء السلطان . فلما أذنت رحلة الحياة بانتهاء ، أبلغ جورج قصر السلطان (المابين) وكل من أدركه من أصدقائه ، فلم يهتم غير شخص واحد بالسير فى جنازته من هؤلاء الكبراء اسمه سهل باشا .. ولعل خواطر كثيرة طافت بذهنه قبل هذه الرحلة بوقت قصير ، عندما سار هو وحده تقريبا ، يودع تلميذه عبد الله النديم فى رحلته الى لقاء ربه ، متخذا نفس الطريق ، متجها نفس الجهة ... وماذا يهم موكب المودعين ، ولا رثاء الراثين ، فكما قال شوقي ، فى رثاء المنفلوطى « ليس الفرور لميت بمتاع » .

واذا كان قد فات عبد الحميد ـ خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وسلطان البرين والبحرين وخاقانهما ـ أن يحسن وداع الأفغانى ، يوم الثلاثاء ٩ من مارس سنة ١٨٩٧ ، فانه حرص على أن يبعث شرطته ، كى يفتشوا بيته ، وأوراقه ، ويحملوا الى عبد الحميد كل ما يريب فيها . وبذا ضاعت أوراق خمسة أعوام قضاها الحكيم فى الآستانة ... وربما عوضنا عنها صندوق أوراقه الذى أشرنا اليه ، والذى يسجل فكره ونشاطه مدة مقامه بمصر ، وقد استمرت ثمانية أعوام .

ومما يستحق التأمل فى موضوع ضياع الأوراق التاريخية ، أن جورج كوتجى ، الذى كان وثيق الصلة به فى أواخر أيام حياته ، كتب بالفرنسية رسالة من عشرين أو ثلاثين ورقة ، طبعت منها نسخ محدودة ، ودون فيها خواطره ومشاهداته أثناء الصحبة .

وقد وقعت نسخة من هذه الرسالة فى يد المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقدر أهميتها ، فترجمها الى العربية .. وقد بحثنا فى مخلفات الشيخ مصطفى عن أصل الرسالة أو ترجمتها ، فلم نعثر عليها ، مع أنها تلقى ضوءا كاشفا ، من قريب ، على فترة هامة من حياة رجل الشرق الكبير .

* * *

والحقيقة ان فضلا كبيرا فى تسجيل آراء الأفغانى وكفاحه ، يرجع الى تلميذه الشيخ محمد عبده ، وفضلا لا يقل قيمة فى نقل هذه الآراء لنا يرجع الى دأب ونشاط السيد رشيد رضا .

وعلى الرغم من الجفوة التي حدثت بين السيد مدة مقامه فى الآستانة ، ومريده الأول الشيخ محمد عبده ، فانه لم يقصر فى املاء ما يعرفه عنه ، فخلف لنا ذخيرة ممتازة ... الا أن الأستاذ الامام حرص على أن يجنب سيرة صاحبه ما قد يكون موضوع تساؤل أو بحث ، مثل علاقة الأفغانى بالمجامع الماسونية فى مصر ، فقد ذكر أنه قطع صلاته بها ، فى حين أن كتاب الوثائق الايرانى يدل على أن هذه الصلة ظلت مستمرة فى أثناء وجوده فى باريس بعد نفيه من أرض النيل .

والواقع أن شخصية قوية مثل الأفغانى ، ما كان هو الذى تستغله الماسونية ، ولكنه هو الذى يسيرها فى سياسته ، ويوجهها حيث شاء ... فهى عنده أداة ، وهو عندها موجه ومحرك .. ولهذا فالأمر لم يكن بحاجة الى الاعتذار بذكر أشياء لم تصح .

* * *

واذا كان نضال الأفغانى للحكم الاستبدادى أينما وجد المسلمون ، قد بغضه لدى الرؤوس المتوجة ، فان تيجان القرن الماضى لم تدخر وسعا فى ابداء رأيها فيه .

من ذلـك ما أذاعته ادارة المطبوعات « **البهيـة** » **فى عهد خديو مصر توفيق** تبرر به نفى الافغانى من مصر قالت أن حكومة الخديو « استشعرت بأن هناك **جمعية سرية من الشبان ذوى البطش** ، مجتمعة على افســاد الدين والدنيا ، المضرة بالبرية، رئيسها يدعى**جمال الدين الأفغانى** ، مطـرود من بـلاده ، ثم من الآستانة العلية ، لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة ، فى ديارنا المصرية .. » .

وعندما لفت كبير من حاشية السلطان عبد الحميد ، نظـر الأفغانى ، الى أنه لا يجوز له أن يحرك مسبحته وهو جالس مع السلطان ، قال له فى سخرية مرة أن السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الأمة أفلا يحق لجمال أن يلعب بمسبحته كما يشاء » .

ولم يمـض الا أقـل الوقت حـتى اقتنع جمال بأنه لا فائدة من اصـلاح تركيا العثمانية ، وفيها كل هذا القدر من الاســتبداد الحميدى . فقال عن السلطان . « عيب الكبير كبير .. والجبن من أكبر عيوبه » ووصفه بأنه سرطان فى جسم هذه الأمة .

وكذلك دارت مناقشات طويلـة بينه وبين قيصر روسيا فى بطرسبرج ، وقد أقام هناك ثلاث سنوات ، اقتنع القيصر بعدهـا أنه لا مكان لجمال فى بـلاده ، فتلطف فى اخراجه منها ، بعد أن سـمع منه أن الحكم النيابى ، واشراك الشعب فى ادارة أموره هو الضمانالوحيد لصلاح الحكم . وفى هذه الفترة درس الأفغانى أحوال المسلمين فى أمبراطورية القيصر ، وأذاع فيهم قرآنا وتفسيرا طبعه هناك ، وكان عددهـم يزيد عن سـتين مليون نسمة .

وكان حلم الأفغانى ، أن يسعى الثوار من حوله ، الى تحرير شـعب اسلامي واحد ، من الاســتعمار الخارجى ، والتخلف الداخلى فى شتى صـوره . وهذا الشعب يمكن أن يكون منارة هادية لبقية الشعوب الاســلامية عن طريق القدوة والأسوة الحسنة .

وقد عمل فى مصـر لكى تكون هى التجربة الرائدة الأولى ، فلما انتكست الثـورة العرابية ، وقامت الى جنوبهـا الثورة المهدية ، سـارع الأفغانى الى محاولة تبنى حركة السودان التحررية وأوفد الشـيخ محمد عبده الذى كان منفيا خارج مصر ، لمحاولة الاتصـال بالمهدى ، وتنظيم طاقته الثورية ، وقد وصل الشيخ متنكرا حتى أسوان ، ولكن وفاة المهدىالمبكرة لم تحققهذاالمشروع .

ولم تغب مشروعات ولا دفعات جمال عن ذهن المهدى ، فقد حـاول أن يأخذ الانجليزى « غـردون » أسيرا ، لكـى يفادى به عرابى المنفى فى سيلان ، ويوجد التلاحم الواجب بين ثوار الشمال وثوار الجنوب . ولكن الزمام أفلت منه ، فقتل جنوده غردون ، وبهذا ــ أيضا ــ أخفق ما رتبه المهدى فى هذا الشأن ...

* * *

هذه خواطر سريعة ، عن الأفغــانى ، الثائـر الحكيم الذى جمع فى فكره بين طاقة عظماء الفقهاء من أمثال أبى حنيفة والشافعى ، وطاقة كبار فلاسـفتنا من أمثال الغزالى وابن رشـــد ، وطاقة المناضلين المشهورين من أمثال ابن تيمية واقبال .

وأملنا كبـــير أن نهيـــب بمجامعنا الاسلامية فى كافة حواضر المسـلمين أن تنظم فى شـــهر مارس القادم احتفالات فكرية كبيرة مليئة بالدراســـة والعلم والتوجيه ، تحية وتكريما لحكيم الشرق ومحرك نهضته ، وباعث أمله . بعد أن أثمرت دعوته هذا الثمـر المبـارك من التحرر السـياسي والفكرى الذى نرى آياته فى كثير من البلاد الاسلامية .

في عيد الهجرة

من هداها علمت سر وجودي والطريق السوي عبر السدود

ذكريات الإسلام والحق يجتاح ظلاما طغى كليل العبيد

ذكريات الفداء والنضال الخالد يوم انتفاضة التوحيد

إيه يا هجرة النبي أعيدي كل عام رياحنا من جديد . .

علمتني الأحداث فيك دروسا خالدات خلود كل مجيد

علمتني والليل يعتصر الكون صمودا إلى الصباح السعيد

كلما تعصر النوائب عزمي جددته رواسيا من حديد

وأرتني بلال يعصره الظالم أبيا يغيظه بالصمود . . .

وأرتني إياه في يوم بدر جن في قلبه انتصار العبيد

وعلى الكعبة المجيدة يختال مضيئا أذانه في الوجود . .

شهدته ربوع مكة عبدا ألجمته الجراح بين القيود

وهو اليوم قاهر أسياده حكمة الصبر في الزمان الجحود

***

علمتني والنار تلتهم الناس فداء لا يرتضي بالقعود

وأرتني الحياة فيها عليا وهو ما زال في نضارة عود

وإذا جنت النوازل والنبل أراه مقلقلا في البرود . .

مطمئن الجنان يغمره الحق ضياء من الرضاء الحميد

يفتديني بالحياة خير نبي وربيع الشباب المحمود

فاهبطي يا جنود من قبل العرش وذودي عن النبي المجيد

واشتهى البغي أن يطوف بعيد باع لله روحه بالخلود

***

وأرى الغار والسيوف عليه كسوار ملمس معقود

للاستاذ محمد بدر الدين

ودموع الصديق يذرفها الحب ... حنانا على النبي الشريد
وابتسامات أحمد عزمات ... وأمان يرف رغم الحشود
ونداء من اليقين يناجي ... صاحب الغار في ابتسام الوليد
انما الله ثالث الركب يحمي ... راية الحق من لئيم حقود
أيه يا نفس فاهدئي ان قلبا ... ينصر الله في أمان وطيد

***

كلما ثارت الجراح بقلبي ... طاف بي الفكر في الزمان البعيد
فأرى أحمداً على الشعاب مطلا ... دامع الروح في حنين شريد
رغم هذا الفرار في كل شعب ... لم يزل حبه لتلك النجود
ويناجي مع الدموع ديارا ... طاردته منابها في جحود
أنت أغلى البلاد مكة مهما ... طاردوني وأمعنوا في صدودي
حرم للبيت قبلة وتغني ... وأطال السجود ثم السجود . .
ويفيض الحنين في الحرم روحا ... لطواف وعمرة وتشهد . .
فاذا ذلت الرقاب وأتت ... مكة من شبابها المحصود
أطلق الغالب الرحيم رقابا ... قاتلته وأمعنت في الوعيد
ان للأهل والبلاد مكانا ... فوق كيد الوغى وحقد الحقود

***

عادني والحب يخفق في الروح ... ويدعو الى الرضا بالورود
كلما أرهق الزمان جناني ... رغم حبي كرهت ذل العبيد
ولئن كان في لقانا الأهل عيد ... فلقاء الأحرار أكرم عيد
كل حر يرى التحرر أهلا ... وبلادا تضم كل شريد

مائدة القارئ

اعدها ابو نزار

في الجنة نور

قال رجل . يا رسول الله . هل في الجنة من ليل) قال : ((وما هيجك على هذا))) قال : سمعت الله تعالى يذكر في الكتاب ((ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)) والليل بين البكرة والعشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ليس هناك ليل . انما هو ضوء ونور . يرد الغدو على الرواح ، والرواح على الغدو ، وتأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلونها في الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة)) .

بزر كل شيء

يروى أن قيصر الروم كتب الى معاوية بن أبي سفيان رسالة مع سفير يقول فيها :

اخبرني عما لا قبلة له ، وعمن لا أب له ، وعمن لا عشيرة له ، وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في الرحم ، وعن شيء ، وعن نصف شيء ، وعن لا شيء .. وابعث الي في هذه القارورة ببزر كل شيء ؟ ؟ .

فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس أعظم الفقهاء المسلمين في ذلك الوقت ، ليجيب على الاسئلة .

ورد ابن عباس قائلا :

أما ما لا قبلة له فالكعبة ، وأما من لا أب له فعيسى ، وأما من لا عشيرة له فآدم ، وأما من سار به قبره فيونس (النبي الذى ابتلعه الحوت) وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في الرحم . فكبش ابراهيم وناقة صالح ، وحية موسى ، وأما ((شيء)) فالرجل له عقل يعمل به ، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ، ويعمل برأى ذوى العقول ، وأما لا شيء فالذى ليس له عقل يعمل به ، ولا يستعين بعقل غيره .

ثم ملأ ابن عباس القاروة ماء ، وقال : هذا بزر كل شيء .

وبعث معاوية بتلك القارورة الى قيصر الروم فاعجب بها اعجابا شديدا .

يحتال في الاجابة

لما نزل خالد بن الوليد على الحيرة مثل بين يديه عبد المسيح بن بقيلة فقال له : أنعم صباحا ، فقال خالد : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ب (سلام عليكم) ثم قال له : من أين أقصى أثرك (مبدؤك) قال : من ظهر أبى . قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابى . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال خالد : ما رأيت كاليوم قط . أنا أسأله عن الشيء ، وهو ينحو في غيره .

منافذ الفتنة

روى في الأثر . أن الله عز وجل قال : يا ابن آدم . ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك ، فقد أعنتك بطبقين (فكين) فاطبق عليه ، وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين (جفنين) فاطبق عليه ، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك ، فقد أعنتك عليه بطبقين (فخذين) فاطبق .

المؤمن قوى

رأى عمر بن الخطاب رجلا مطأطئا رأسه ، فقال له : ارفع رأسك ، فان الاسلام ليس بمريض .

ونظر يوما الى رجل مظهر للنسك متماوت ، فخفقه بالدرة ، وقال : لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

ونظرت السيدة عائشة الى رجل كاد يموت تخافتا ، فقالت : ما لهذا ؟ فقالوا : أحد القراء فقالت : قد كان عمر بن الخطاب سيد القراء ، فكان اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع .

وقال صلى الله عليه وسلم . ان الله بعثنى بالحنيفية السمحة ، ولم يبعثني بالرهبانية فمن رغب عن سنتي فليس منى .

اللسان

فى اللسان تسع خصال . أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل بين الخطاب،وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ، وواعظ يعرف به القبيح، ومغرد ترد به الأحزان ، وملهى يونق الاسماع .

عنوان نعم الله

وفد على معاوية سفير بيزنطة ، وكان السفير وسيما جسيما يملأ العين، فأحب معاوية أن يداعب السفير الضخم الهيئة ، فقال له : ما هذه الفدامة فيكم ؟ (الغلظة والجفاء) فأجاب السفير : انها عنوان نعم الله عندنا . فاستحسن معاوية هذا القول الذى جاء غاية فى السداد والادب لأن السفير اعتد بنفسه ، واعتبر بسطة الجسم عنوانا على نعم الله على الانسان.

بين القاضى شريح وعدى

دخل عدى بن أرطاة على شريح قاضى الكوفة ، وجرى بينهما الحديث الآتى :

ع ــ أين أنت أصلحك الله ؟

ش ــ بينك وبين الحائط .

ع ــ استمع منى

ش ــ قل أسمع

ع ــ انى رجل من أهل الشام

ش ــ من مكان سحيق

ع ــ تزوجت عندكم

ش ــ بالرفاء والبنين

ع ــ وأردت أن أرحلها

ش ــ الرجل أحق بأهله

ع ــ وشرطت لها دارها

ش ــ الشرط أملك

ع ــ فاحكم الآن بيننا

ش ــ قد فعلت

ع ــ على من حكمت ؟

ش ــ على ابن امك

ع ــ بشهادة من

ش ــ بشهادة ابن أخت خالتك .

انا لعائدون

قال عبد الله بن الزبير : ليس الناس بشىء من أقسامهم (حظوظهم) أقنع منهم بأوطانهم .

وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد أن أنزلهم من الشام منزلا خصبا ، وفرض لهم فى شئون العطاء ــ يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم ..

وقال الله ــ عز وجل ــ « ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » فقرن سبحانه الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس .

صورة من الدبلوماسية

حديث الدبلوماسية في الأندلس ـ خاصة في الفترة الأموية ـ شيق ممتع في مطالعته وتدبره ، غير سهل في تجميع مادته او الكتابة فيه ، وذلك لأسباب منها :

ا ـ فقدان كثير من المصادر الأصلية القيمة التي لا نعرف غير اسمائها أو بعض المنقولات عنها .

ب ـ جدته على البحث المنهجي ، وتشتت مادته التي تحتاج ـ مما تحتاج اليه ـ الى الالمام بلغات عدة .

ولقد ظهرت عنه مؤخرا بعض الأبحاث ، كما تعرض له البعض بصورة جزئية . لكنه لا يزال بحاجة الى أبحاث تكرس له ، لتسلط عليه الأضواء الكافية لتجلية الجوانب المجهولة منه .

ولا بد لدارس الدبلوماسية ـ عموما والأندلسية على وجه الخصوص ـ أن يتناول هذا الموضوع من الناحية التاريخية والفنية بالاضافة الى العلاقات العلمية (الفكرية) ، والتبادل الثقافي أو الدبلوماسية الثقافية التي تتأثر الى حد كبير بالوضع السياسي .

فالتاريخية . تقوم على ما وصلنا من النصوص ـ وكثير منها عام ، مبهم أحيانا ـ لمحاولة فهمها على ضوء الاحداث التاريخية ، وما دونه مؤرخو الأمم المعاصرون لها ، من جانبهم ، والاطلاع على ما كتبه الباحثون منهم فيما بعد ، وتمحيص كل ذلك ، ثم ايجاد العلاقة فيما بين هذه النصوص من ناحية ، وبين الأحداث التاريخية التي ترتبط بها من ناحية أخرى ، للوصول الى استنتاج معقول جهد الامكان . ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار والدوافع التي دعت الى هذه المناشط الدبلوماسية لكلا الطرفين ، والمبادىء التي قامت عليها وأثرت فيها ، والأهداف التي عملت لها ، والخط الخلقي الذى واكبها وتحكم فيها ، ومقدار الالتزام بقيمها وعهودها ثم النتائج التي أثمرتها .

أما الناحية الفنية فتتناول :

١ ـ الطريقة التي كانت تتم فيها هذه الدبلوماسية ، والتقاليد التي تبنتها وحافظت عليها مراسيم استقبال السفراء الوافدين الى بلاط قرطبة ، من مختلف الأقطار ، طريقة استقبال الأمير أو الخليفة لهذه السفارات ، الأبهاء التي كانت هذه الاستقبالات تتم فيها .

٢ ـ طريقة اختيار السلطات الأندلسية لسفرائها ، دراسة شخصية السفير ومرافقيه .

٣ ـ لغة الدبلوماسية ، وطريقة التفاهم من والى الحاكم ، بالنسبة لسفراء الأندلس الى الأقطار الأخرى ـ اسلامية أو غير اسلامية ـ أو العكس .

وهذه النقاط الثلاث ترسم لنا صورة عن التقاليد الدبلوماسية لذلك العصر .

٤ ـ محاولة المقارنة بين هذه التقاليد ،

...سية الأندلسية

للدكتور
عبد الرحمن علي الحجى
مدرس التاريخ الأندلسى
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

وبين بعض مظاهر الدبلوماسية الحديثة من ناحية وجود « الفنية » فى قواعد الدبلوماسية الأندلسية « البرتوكول Protocol » والحصانة الدبلوماسية والتمثيل الدائم (١) ، وكم أثرت فى الدبلوماسية الحديثة .

٥ ـ تأثر الدبلوماسية وتأثيرها بالوضع الحضارى ، ومستوى التقدم العلمي الذى تعيشه الدولة ، مع التركيز على ما يتعلق بالاندلس .

وقد يقود هذا الموضوع الى دراسة البعثات « السفارات » العلمية التي وفدت الى الأندلس ، لتنهل من منابع المعرفة فيه ، والتزود من حضارته .

ان الدبلوماسية تزدهر بازدهار الحضارة ، وتمكن الاستقرار والتقدم مما يجعل ذلك البلد خاصة فى تلك القرون ـ مقصدا للسفارات القادمة اليه من الأقطار الأخرى ، طالبة صداقته ، والاستفادة مما عنده ، يتلو ذلك توجه السفراء منه الى تلك الأقطار أو بعضها .

ولقد ازدهرت الدبلوماسية فى الأندلس ، وماج بلاط قرطبة ـ فى فترات كثيرة ـ بالسفراء من الشرق والغرب ، خاصة فى عصر قرطبة الذهبى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى (٢) ، خلال حكم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر .

ويوجز لنا ابن حيان القرطبى ، مؤرخ الأندلس ، ذلك ـ حين الحديث عن الناصر ـ بقوله : « ان ملك الناصر بالأندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادنته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر . ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية (٣) » .

ومن الأمثلة التي تصور لنا بعض جوانب الدبلوماسية الأندلسية هى حضور السفارة الألمانية التي أرسلها الأمبراطور أوتو الأول (العظيم) ، Otto I The Great الذى تسميه الرواية الاسلامية « هوتو » ـ الى بلاط الخليفة الناصر .

ولا تمدنا المصادر الاسلامية عن هذه السفارة الا بمعلومات موجزة ، وهى تسمي الألمان ب « الصقالبة (٤) » لكن المصادر الأوروبية تقدم ـ بهذا الصدد ـ تفصيلات أكثر ، وان كانت تنظر الى الموضوع من وجهة خاصة قد تقودها أحيانا الى بعض الأحكام غير الدقيقة القائمة على توهمات ليس من الصعب تعرف بعدها عن الواقع . وأغنى مصدر

(١) نلفت النظر الى أن كل الهوامش مذكورة في آخر المقال .

عن هذه السفارة هو تاريخ حياة السفير الألمانى ، الذى كتبه أحد تلامذة السفير باللاتينية (٥) .

والسبب المباشر ـ وربما الوحيد ـ لهذه السفارة ، هو محاولة رجاء قرطبة فى استعمال سلطتها لايقاف خطر أندلسى نشأ فيما وراء جبال البرنات Pirenees

ففي حوالى ٨٩٠ م رست سفينة صغيرة الى الشاطئ الجنوبي الشرقي من فرنسا قرب مرسيليا تحمل حفنة من المغامرين الأندلسيين ، الذين ازداد عددهم فيما بعد واستطاعوا أن يؤسسوا هناك دويلة فى منطقة البروفانس Provence ، شمال طولون Toulon متخذين من قلعة فراكسنيتوم Fraxinetum الحصينة عاصمة لهم ـ والراجح أن قرية كارد فرينيه Garde-Frainete الحالية تمثل مكان هذه القلعة (٦) والتي يسميها الجغرافيون المسلمون بـ « جبل القلال (٧) » .

واستمرت هذه الدويلة قائمة حوالي ٩٠ سنة ، لا نعرف عنها الا اليسير ، بل من العجب أننا لا نعرف اسم أحد من قادتها أو أفرادها ، ولا تفصيلات عن نظام الحياة فيها ، وهل استعمل سكانها لغات أخرى الى جانب العربية ، ان كانت بقيت العربية لغة لهم ؟ ولعل حياتهم الحربية لم تسمح للآخرين بالتعرف عليها ، وبالتالي لم يكن من بينهم مؤرخ يسجل لنا مجريات الأمور فيها .

ولقد اتسعت رقعة الأرض التي سيطروا عليها حتى أمتدت الى أكى Acqui شمال جنوة فى ايطاليا وسنت غالن St. Gallen وخور Chur فى شمال شرق سويسرا (٨) . واعتقد الأمبراطور الألمانى ، أوتو الأول ، تبعيتهم للخلافة القرطبية ، فأراد التوسط لدى الخليفة الناصر بايقاف هجماتهم على تلك المناطق ، فبعث بسفرائه الى قرطبة لهذا الغرض .

تركت رسل الأمبراطور أوتو ألمانيا برا عبر فرنسا حتى مرسيليا ، حيث ركبوا البحر الى برشلونة ، ومنهـا كتبوا الى والى طرطوشة ـ أقرب مدينة أندلسية اليهم ـ يخبرونه بقدومهم ، فأجابهم الوالى مرحبا بهم ، وأكرم وفادتهم لدى وصولهم ، وأخبر الخليفة بذلك فأصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر (المتوفي ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) أوامره بتسهيل سفرهم ، وأن يستقبلوا أحسن استقبال فى كافة المدن التي فى طريقهم الى قرطبة . ووصلت السفارة الألمانية العاصمة الألمانية الأندلسية ـ للتفاوض فى أمر الدويلة فى جبل القلال ـ حوالى ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م برئاسة الحبر المتبحر « يوحنا الغورزيني John de Gorze » يحمل رسالة الأمبراطور وهداياه الى الخليفة ، واستقبلهم الناصر كريم الاستقبال ، وأنزلهم قصرا مجهزا بكل أسباب الراحة ، أعد خصيصا لهم وهو « منية الناعورة » فى جنوب غربى قرطبة (٩) .

مشكلة دبلوماسية

وبعد أن أخذ الوفد الضيف راحته من عناء تلك الرحلة الطويلة الشاقة بدأت الترتيبات اللازمة والمراسيم التقليدية لتعيين يوم مقابلة الوفد الألماني للخليفة الناصر ، وعرف المكلفون باعداد التمهيدات الخاصة بالمقابلة فحوى رسالة الامبراطور وهدف سفارته ، التي ترمى كما قلنا ـ الى استعمال سلطة الخلافة الأندلسية لايقاف هجمات المغامرين فى فراكسنيتوم .

ونظرا لشدة لهجة رسالة الامبراطور الألمانى ، وانتقادها لبعض الآراء السياسية للخلافة القرطبية (١٠) ، قرر الناصر بأن مقابلة السفارة الألمانية له يمكن أن تتم فقط بدون تلك الرسالة ، لكن رئيس السفارة ـ يوحنا ـ رفض ، باصرار مقابلة الخليفة دون الرسالة . ولم

يستطيع المكلفون بهذا الامر اقناع السفير الألماني بالتخلى عن رأيه . فما هى يا ترى الخطوة التالية ؟ .

سفارة الى المانيا

استقر رأى الخليفة ــ بعد المشاورات، ومع السفير الألماني أيضا ــ على أرسال سفارة أندلسية الى الامبراطور الألماني لشرح الموقف واقناعه بتبديل الرسالة بأخرى مناسبة . وكان لا بد من اختيار سفير يقوم بهذه المهمة خير قيام، ويتحمل تبعات الرحلة الطويلة . وفى ربيع سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م رحل الوفد الأندلسى من قرطبة لهذا الغرض قاصدا ألمانيا ، برئاسة الأسقف القرطبي ريثموندو Recemundo ، الذى تسميه الرواية الأندلسية « ربيع بن زيد (١١) » . وكان ربيع هذا أحد المستعربين Mozarabes الذين يجيدون العربية واللاتينية على السواء ، وكان ممن عملوا فى بلاط الناصر وابنه الحكم المستنصر (١٢) ، وعينه الناصر أسقفا لمدينة البيرة Eluira ، مكافأة على قيامه بهذه السفارة .

سافر الوفد الأندلسى ، عبر الشمال الأسبانى وبلاد الغال (فرنسا) ، الى فرانكفورت ، حيث كان يقيم الامبراطور الألمانى . فاستقبل أوتو العظيم السفارة الأندلسية بجميل الاستقبال وكريم الوفادة ، ووافق على كتابة رسالة جديدة رقيقة اللهجة تحل محل الأولى .

مقابلة الخليفة

نجحت مهمة السفارة الأندلسية ، وعاد ريثموندو وصحبه الى قرطبة ، بعد غيبة استمرت حوالي خمسة عشر شهرا . ثم جرت التمهيدات ليوم استقبال الخليفة للسفارة الألمانية . وتعين يوم ٢١ حزيران (يونيو) ٩٥٦ م موعدا لذلك ، واتخذت الاستعدادات اللازمة وأقيمت الزينات وأصطف الجند بمراتبهم المختلفة وأسلحتهم المتنوعة على جوانب الطريق . وبينما يسير الوفد الألماني كانت فرق من الجند تعرض الأفانين من ألعاب الفروسية الرشيقة ، احتفالا بهذه المناسبة .

وخرج الناس ليشهدوا ــ الاحتفال بهذا اليوم ، وسار الموكب من مدينة قرطبة الى القصر الخليفي بمدينة الزهراء، التي كانت ــ ولا تزال بقايا آثارها ــ تقوم عند أقدام « جبل العروس (١٣) » ، على بعد خمسة أميال تقريبا شمال غربى قرطبة . ولدى وصول الوفد الألماني مدينة الزهراء كان كبار رجال الدولة فى استقباله .

وتقدم الموكب الى القصر الذى كانت مداخله مفروشة بالسجاد الجميل ، فوصلوا الى حيث كان يجلس الخليفة الناصر ــ متربعا على سريره ، ومتكأ على الوساد ــ فى الجناح الشرقي من القصر ، فى بهفو السفراء المسمى ب « المجلس المؤنس » ، الذى تم العثور عليه خلال التنقيبات فى ١٩٤٤ (١٤) . فرحب الخليفة بالوفد أجمل الترحيب ، وبدأ الحديث بعبارات المجاملة والثناء على الامبراطور الألمانى .

ولم يتناول الحديث فى هذه المقابلة الهدف الرئيسي بالتفصيل ، فكان أشبه بلقاء التعارف ، ثم تلت لقاءات أخرى بين الخليفة والوفد الألماني ، اقتنع الوفد خلالها بوجهة نظر قرطبة ، وأنها لا سلطة لها على أولئك المغامرين فى فراكسنيتوم (جبل القلال) ولا هم تابعون لها ، وبذلك أعطيت للسلطات الألمانية مطلق الحرية فى اختيار طريقها لعلاج هذه المشكلة .

وفى أواسط صيف ٩٥٦ م ترك الوفد الألماني قرطبة ، بعد توديع الخليفة له شخصيا ــ عائدا الى بلده ، بعد ثلاث سنوات أقامها فى قرطبة ، قيل ان يوحنا رئيس الوفد ــ تعلم خلالها العربية وحمل معه الى ألمانيا بعض المخطوطات العربية (١٥) .

ان هذه السفارة وأمثالها تلقى الضوء على التقاليد الدبلوماسية التي كانت فى ذلك العصر ، وليس فى الأندلس وحده

البقية على ص ١١٣

نشرنا للأستاذ أحمد حسين فى سلسلة بحثه (الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر) مقالا عن « الجنة والنار أو الثواب والعقاب » وذلك فى العدد الثانى والعشرين (شوال ١٣٨٦ هـ) .

وقد ورد لنا تعقيب عليه من الأستاذ محمود سليم دوعر بوزارة العدل فى الكويت .

والتزاما منا بالخطة التي وضعناها للمجلة وهى فسح المجال لأصحاب الآراء فى ابداء وجهات نظرهم حول ما ينشر ، وكذلك اتاحة الفرصة لصاحب المقال فى الرد عليهم ، أرسلنا تعقيب الأستاذ دوعر للأستاذ أحمد حسين ليرسل لنا بوجهة نظره فيه .. وفى خلال ذلك جاءنا تعقيب آخر من الأستاذ صلاح الدين مجيد من الموصل بالعراق ، فيه نقد لبعض ما جاء فى المقال يكاد يتفق مع الأول ، ثم جاءنا من الأستاذ خلف محمد الحسيني مدير التعليم الثانوى السابق بأسيوط تعليق ثالث يدور حول اثبات الجزاء المادى من آيات القرآن الكريم ومن السنة المطهرة . وقد كنا نود أن ننشره لولا أن الأستاذ أحمد حسين انتهى فى رده وتوضيحه الى النتيجة التي نؤمن بها جميعا وهى الجزاء المادى فى الجنة والنار فاصبحت قضية لا خلاف عليها .

وننشر فيما يلي التعقيبين والرد الذى جاءنا من الأستاذ أحمد حسين .

مناقشة حول

يقول الاستاذ محمود دوعر :ـ

استغربت وأنا أطالع عنوان مقال السيد المحامى ، بل استغربت موضوعه ، مما جعلنى أمعن فى قراءة الموضوع ، فزادت دهشتى لهذه الأسباب :ـ

١ ـ بدأ السيد الكاتب / احمد حسين المحامى ، سطوره (وماذا عن الجنة والنار ؟ أيقربنا العلم الحديث التجريبي من تصورهما وفهمهما ؟) .

وانى لا أفهم لماذا هذا الاتجاه العكسى الذى يصر بعض المسلمين على السير به ؟ ان طريق الايمان بالله الخالق المدبر ، والايمان بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وبأن محمدا رسول الله وخاتم الرسل .. لا يحتاج الى علم تجريبي حديث ولا قديم ، لأن الايمان مسألة تفكير عميق لدى الانسان يعمل به عقله بصفاء وروية ..

وليس الايمان مادة محسوسة كالماء والحديد والنحاس .. نخضعها للتجربة ونضعها تحت المجهر لتتفاعل ثم نستنتج من ذلك مواد جديدة أو اكتشافات أخرى .. فكيف يريد الكاتب أن يخضع فكرة معينة جاءت بالكتاب العظيم متواترة لفظا ومعنى .. الى تجربتها بالمختبر .. أليس هذا خروجا عن طريق التفكير السليم ؟ .

٢ ـ ان أخطر ما قاله الكاتب : « وليس أيسر لاستيعاب فكرة الجنة والنار فى المرحلة من حديثنا أن نستبدل بهذين اللفظين مترادفين لهما وهما : العقاب والثواب) .

لعمرى أن الكاتب ـ فى سبيل الاستيعاب المراد ـ قد خرج عن الحق خروجا لا حق فيه ولا صواب ، فان فكرة الجنة والنار تدل على أن الله سبحانه وتعالى أعدهما كشيئين ماديين يدلان على انشغال حيز ، لا مجرد ثواب وعقاب . بل ان الثواب والعقاب هما ما يحكم بهما

مقال

الجنة والنار

على العمل أو هما المكافأة والعقوبة .. ولكن ذلك طريق يوصل الى الجنة أو الى النـار ، فعندما يستبدل الكاتب معنيين بمعنيين آخرين لا يدلان عليهما مباشرة أو بالتطابق يكون قد أخرج معنى الجنة والنار لدى أذهان المسلمين .

وأما مسألة الاستيعاب ، فليس هذا ذنب المعنى الذى يدل عليه « الجنة والنار » بل ذنب الكاتب وأمثاله ممن يعجزون عن الاستيعاب . . .

٣ — ثم يسترسل الكاتب فى الخروج عن الحق (وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة والنار .. التي يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة من بلاغة .. وغيرها) . فكان واجبا على الكاتب أن يعمل عقله بالايمان العقلى بفكر مستنير يضىء له الطريق الصحيح فيكون ايمانه بالله وبالرسول وبالقرآن عقليا يقينيا .. فتكون فكرة الجنة والنار أمرا ميسورا يستوعبه كل مفكر فطين .. وأما أساليب اللغة .. فلا أظن أن محمدا عليه الصلاة والسلام أرسل للناس « نحويا أو لغويا » يعلم البشرية فنون اللغة العربية .. وانما أرسل رسولا يحمل رسالة وتشريعا للبشر .. ولكن هذه الرسالة أنزلت باللغة العربية التي لا يجوز فصلها عن الاسلام حيث لا يفهم الانسان دقائق القرآن المعجز الا بها . ولكن اللغة لها ألفاظ تدل على معان معينة وجاء الاسلام وأعطاها معانى غيرها .. لهذا أوجب الفقهاء أنه اذا وجدنا كلمة لها معنى شرعى وآخر لغوى أن نأخذ المعنى الشرعى ونهمل المعنى اللغوى واذا لم يكن لها معنى شرعى خاص يؤخذ المعنى اللغوى على أنه شرعى . كما أن علماء الأحاديث حينما كانوا ينظرون فى قوة الدليل .. كانوا يأخذون بالحديث الذى يدل على المعنى صراحة ويهملون الحديث الذى يدل على معنى بطريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غيرها .. وذلك عندما يتعارض الحديثان .

٤ ـ ثم يقول الكاتب : (ان العقل يعرف الخطأ من الصواب ويعرف الخير من الشر ويعرف بالتالى الثواب والعقاب) ... صحيح أن الله ميز الانسان بعقله ، وصحيح أن الشرع الاسلامي جعل العقل مناط التكليف ، وان هذا العقل ان أحسن استعماله يعرف وجود الخالق من آثار خلقه .. ولكن هل عقول البشر واحدة ؟ . كلا . اذن من الحكم ؟ هو الشرع وليس غيره .. فكان واجبا أن نسلم بما جاء به الشرع وأن الخير والشر ما يدل عليهما من أدلة شرعية لا ما يدل عليهما عقلا .. لأن الشر الذى يحسبه المسلم شرا قد يحسبه الشيوعى وغيره خيرا .. وهلم جرا ..

٥ ـ نقطة أخرى لا أرى كيف أصفها .. وهي حين (جمع) الكاتب جميع الأمم والشعوب وجميع الأقطار والأمصار بل جميع العصور والأزمنة ... ووحد رأيهم (**كلهم**) !!! على معنى الجنة والنار ، كلام غريب مستهجن لا يقبله العقل . كيف ترى الهنود الحمر والبوذيين والهندوس واليهود والنصارى والمجوس وكل البشر يتساوون بمعنى الجنة والنار مع المسلمين ؟ .. بل كيف وحد آراء هؤلاء منذ العصر الحجرى حتى القرن العشرين ؟ .

لهذا كان لزاما على الكاتب المحترم وهو يتكلم عن فكرة من أفكار الاسلام أن يجعل طريق الايمان الى ذلك هو الطريق العقلي اليقيني لا طريق العلم التجريبي .

وهذا هو تعقيب الأستاذ صلاح الدين مجيد :

قرأت مقالا للأستاذ أحمد حسين المحامي بعنوان : (الجنة والنار أو الثواب والعقاب) ، وبالرغم من اعجابي بأسلوب الأستاذ وبطريقته فى الاعتماد على العلم التجريبي الحديث فى تأصيل وتأكيد عقائد الاسلام ، وهو جهد مشكور ومبرور ان شاء الله تعالى ، الا أنى أريد أن ابدى ملاحظة جديرة بالاهتمام . ان الاستفادة من العلم الحديث لدعم وتأييد قضايا الايمان كتفسير آية مثلا تفسيرا علميا اذا تم فى حدود ومع التحفظ فانى أراه أمرا حسنا .

أما ان نسترسل مع اعجابنا بالعلم التجريبي الحديث ، وحماس الشباب المثقف ، فنجعل من هذا العلم (قيما) و (حكما) تعرض عليه عقائد الاسلام ومبادؤه فما وافقه منها أخذناه وما خالفه تركناه ـ أو على الأقل ترددنا فى قبوله ـ فهذا يخالف أبسط معانى الاسلام الذى يعنى الاستسلام . والانقياد لأمر البارى عز وجل بلا اعتراض !! حتى ولو لم نجد لذلك سندا من العلم الحديث ، بل وحتى لو خالفت العلم الحديث ـ وان كنا نعتقد أنه فى حكم المتعذر أن يتعارض نص قطعى مع حقيقة علمية قطعية .

ان الذى دفعنى الى كتابة هذا التعقيب فقرة وردت فى المقال المذكور وهى : (وعندنا انه يجب النظر الى الجنة والنار دائما على ضوء هذا المعنى الأوسع والأعم ، وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة أو النار ، والتي يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة وما تنطوى عليه البلاغة من كناية واستعارة وتشبيه) .

أن وصف الثواب **المادى** لأهل الجنة ، والعقاب **المادى** لأهل النار قد ورد فى القرآن الكريم ، وكذلك السنة المطهرة ـ لا ورودا عابرا بل ان سور القرآن

الكريم وخاصة السور المكية مليئة بهذه (الصور المادية) ، ولا أدرى كيف يطلب الكاتب المحترم مع علمه بكل هذا ان نحرر أذهاننا من هذه الصور المادية ؟ .

وهذا هو رد الأستاذ أحمد حسين

تفضل الاخ الكريم الاستاذ محمود سليم دوعر فعقب على مقالنا « الجنة والنار » المنشور فى عدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ . وانى أذ أشكره على عنايته واهتمامه ، أبادر فأطمئنه الى أننا لسنا مختلفين فيما قاله من أن طريق « **الايمان بالله الخالق المدبر ، والايمان بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبأن محمدا رسول الله وخاتم الرسل ، لا يحتاج الى علم تجريبى حديث ولا قديم ، فالايمان ليس مادة محسوسة كالماء والحديد والنحاس، بحيث يمكن ان يخضع للتجربة ويوضع تحت المجهر » ويدهشنى كيف لم يلحظ الاستاذ انا قلنا فى أول المقال « أيقربنا العلم الحديث من تصورهما » ولم نقل هل يقرهما العلم الحديث . وكيف لم يلحظ اتفاقنا مما جاء فى خاتمة مقالنا ، حيث لخصنا أغراضنا من هذه السلسلة من المقالات فى العبارات التالية :**

١ – أن هذا الكون لا يمكن الا أن يكون من خلق اله قديم حكيم مدبر حى قيوم .

٢ – أنه أوحى لنفر من عباده ليشهدوا بوجوده ، ويدلوا على طريقه ، ويعرفوا الناس طريق الخير والشر ، والخطأ والصواب .

٣ – ان هؤلاء الرسل الصادقين الأمناء ، قد قالوا لنا أن سيكون بعث ، وستكون جنة ونار فأصبح لا مناص من تصديقهم ، والايمان بهذه الحقائق الغيبية ، التى لا يتوصل اليها عن طريق الحواس .

ولعل هذا الذى قلناه هو عين ما يقول به الاستاذ الفاضل .

لبس

بقى أن حضرته قد تصور فيما يبدو أننا نتحدث عن الجنة والنار كما يصورهما القرآن الكريم والاسلام ، مع أننا فى سلسلة هذه المقالات التى نشر منها حتى الآن سبع فى مجلة « الوعى الاسلامى » ، لم نشرع بعد فى التحدث عن الاسلام كدين ، ولم نخصه بحديث ، وانما قصرنا كلامنا على الافكار المشتركة فى الاديان والمعتقدات الانسانية كلها ، وذلك تمهيدا لاثبات أن الاسلام هو الحاكم والمهيمن على هذه الاديان ، وهو الاولى بالاتباع .

ولعل هذا المنهاج هو الذى لا يعجب الكاتب الفاضل ، فهو لا يريد منا (فيما يبدو) أن نصل عن طريق البحث والتحليل بالاساليب العلمية الحديثة الى هذه النتيجة التى يراها قضية مسلما بها ، لا تحتمل جدلا أو نقاشا ، وربما يرى التحدث فيها تحصيل حاصل ، او جهدا يبذل فى غير نفع .

وهنا ينسى الكاتب الفاضل أن ما يتمتع به وقليل من أمثاله من نعمة الايمان الصادق الذى لا يحتاج الى دليل او برهان ، هو نعمة اختصوا بها ، ولم تعد تتوفر للكثير من أبناء الجيل الجديد فى طول العالم الاسلامى وعرضه، حيث يتلقى ملايين الطلاب فى المدارس والجامعات ، الداروينية والماركسية والوضعية ، وغيرها من المذاهب المادية ، التى ترى أن هذا الكون قد وجد بمحض الصدفة ، وأن الاديان هى أفيون الشعوب ، ومن جهالات الانسان البدائى، الامر الذى يجعل من أوجب واجبات مفكرى الاديان بعامة ، والاسلام بخاصة، أن يتحدثوا عن اثبات وجود الله ، وعن

حقيقة الدين بأسلوب علمى لا يقوم على التقرير ، والامر والنهى ، بقدر ما يقوم على الاقناع ، مستخدما آخر معطيات العلم ، ومستعينا بالمنطق والادلة التى يتقبلها العقل .

الاسلام دين العقل والمنطق

والسؤال الذى يصح أن يطرح فى هذه المناسبة ، أينكر الاسلام هذا الاسلوب والمنهاج ، أسلوب البحث العقلى ، والاخذ بالاساليب العلمية لاثبات وجود الله الحى ، والبعث والحساب والجنة والنار ، أم أن ذلك هو الاسلوب الذى جاء فى القرآن الكريم ومنهاجه لاقناع المخالفين ، ان الكاتب الفاضل يعرف أنه ما من رسول من الرسل الا وقد أرسل الى قومه مزودا بمعجزة خارقة تصدع عقولهم ، وتحملهم بالتجربة والمشاهدة والعيان على الايمان والتصديق ، الا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء ومعجزته الكبرى ، معجزة عقلية ، تخاطب العقول بالدليل والبرهان ، ولذلك نرى أنه بينما أصبحت معجزات باقى الرسل تروى وتحكي ، نرى أن معجزة الاسلام باقية خالدة ، خلود العقل الانسانى .

وآيات القرآن حافلة بالتوجه الى العقل والاهابة به ان يتأمل ، وان يتفكر وأن يتدبر « أفلا تعقلون ــ لعلكم تتفكرون ــ أفلا يتدبرون » .

ونص القرآن الكريم على وجوب تقديم الدليل على كل قضية « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » .

والقرآن يقدم الدليل العقلى على وجود الله ووحدانيته « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

« وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » .

بل ان القرآن ليذهب الى أبعد من ذلك كله فى تعليمنا التماس الدليل والبرهان الحسى اذا أتيحت الفرصة للحصول عليه ، وذلك فى حكاية سيدنا ابراهيم عندما قال لله عز وجل « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » فدل ذلك على أن التماس الدليل الحسى فيه زيادة لاطمئنان القلب . فلا لوم علينا أو تثريب ، اذا انتهجنا نهج القرآن ، خصوصا ونحن ننتهى الى النتائج ذاتها التى جاء بها القرآن ونؤمن ويؤمن بها الاستاذ الفاضل .

اشتمال القرآن على المجاز والتشبيه والكناية

وقد تعقب الكاتب الفاضل بعض عبارات وردت فى مقالنا كطلبنا تحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة والنار التى يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة من بلاغة وبيان وتشبيه ، ونحن كما قدمنا انما نتكلم بصفة عامة عن حديث الجنة والنار فى تصورات مختلف الشعوب ، ولكن الكاتب الفاضل زج بالقرآن الكريم وأنه لم ينزل لتعليم

اللغة العربية . ونحن لم نقل شيئا من ذلك ، ولا بأس من أن نذكر الاستاذ الفاضل بما يعرفه جيدا من غير شك من أن الشرط الاساسى قبل الاقدام على فهم ألفاظ القرآن فضلا عن محاولة تفسيره واستنباط الاحكام منه ، هو معرفة قواعد اللغة العربية معرفة تامة على سبيل الاحاطة ومعرفة أساليبها ومناهجها ، وما اعتاد العرب استعماله من المجاز والتشبيه والكناية .

وانما كان الذى يمكن أن يؤخذ علينا بحق ، لو أننا أنكرنا أن يكون للجنة أو النار وجود مادى متحيز كما تصور حضرة الكاتب الفاضل ، مع أن المقال كله قد كتب لاثبات هذا الوجود المادى المتحيز على ضوء العلم الحديث .

الثواب والعقاب فى كل دين من الاديان

بقى أن الكاتب الفاضل لم يعجبه قولنا « أن جميع الشعوب فى جميع العصور والازمنة ، قد اتفقوا على فكرة العقاب والثواب والجنة والنار وان اختلفوا فى تصورهم الجنة والنار » . وقد أدهشنا أن يصف الكاتب الفاضل هذا القول بأنه مستهجن وليس مما يقبله العقل البشرى وقد لا يستغرب أن يكون الكاتب الفاضل لم يطلع على ديانات ومعتقدات مختلف الشعوب ، ولكن الذى استوقف النظر أنه حشر اليهود والنصارى بين من يستبعد العقل معرفتهم شيئا عن الجنة والنار .

ويظهر أن الكاتب الفاضل قد نسى أن جوهر الدين اليهودى والمسيحى هو جوهر الدين الاسلامى الذى هو دين ابراهيم ... دين الفطرة .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

فاليهود والنصارى من المفروض أن يعرفوا عن الثواب والعقاب والجنة والنار مثل ما يعرف المسلمون .

وبالنسبة لاى دين من الاديان وثنيا كان او سماويا ، لا يمكن أن يقوم أساسا الا على فكرة من العقاب والثواب ، وبالتالى جنة للمحسنين ، ونار للمذنبين .

وقد فات الاستاذ الفاضل أن الله سبحانه وتعالى لم يدع البشر مذ كانوا على هذه الارض بدون نبى أو رسول .

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ؟ ان اعبدوا الله » .

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » .

فما الذى يجعل وجود فكرة الجنة والنار عند مختلف الشعوب مما يستهجن ولا يقبله العقل .

ونلفت نظر الاستاذ الفاضل أننا نقول « فكرة » ولا نقول صورة محددة .

« وبعد » فانى أؤكد للاستاذ الفاضل أننى استمتعت بمقاله ، وأننى أشكره عليه لانه أتاح لي فرصة توضيح بعض المفاهيم ، ورفع كل لبس .

ولعله قد وجد الآن أننا متفقان فى الجوهر والهدف ، وان اختلفنا حول بعض التفاصيل والجزئيات ، وهو خلاف لا يفسد للود قضية .

يعلن كارليل فلسفته هذه عن نشر الحقائق والفضائل بأية طريقة ، وفى أى اسلوب — بقوله : « انا لا احفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة اخرى .. فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار . لندعها تكافح وتجاهد بايديها وأرجلها واظافرها أيضا » .

وكأنى به يؤمن بالنظرية الاسلامية التى تقول : « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وذلك لاختلاف النفوس والطبائع الانسانية بين القبول واللين ، والاستجابة بالشدة ، كما أكدت ذلك تجارب علم النفس وعلم الاخلاق .

شهوانية الدين الاسلامي

أما ما قيل عن شهوانية الاسلام فان توماس كارليل يراه جورا وظلما .. لأن ما اباحه محمد مما حرمته المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه ، وانما كان جاريا متبعا عند العرب من قديم الازل (١) (!!!) وقد قلل محمد هذه الأشياء جهده ، وجعل عليها قيودا وحدودا .

ثم يقول كارليل : « ان الدين الاسلامي — بعد ذلك — ليس سهلا ولا هينا . وكيف ؟ ومعه — كما تعلم — الصوم ، والوضوء ، والصلاة خمس مرات فى اليوم ، والحرمان من الخمر » .

وهنا يفلسف كارليل اعتناق الناس لدين ما . فهو يرى أنهم لا يعتنقون دينا من الأديان ، رجاء ما فيه من لذة ومتعة ، بل لما يثيره فى نفوسهم من بواعث الشرف والعظمة .

ويأتى دور دفاعه عن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام فيقول فى صراحة وقوة حجة . « ما كان محمد اخا شهوات ، كما اتهم ظلما وعدوانا . وشد ما نجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ .. كلا . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت . لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله وملبسه ، وسائر احواله وأموره. وكان طعامه الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ، ولم توقد فى بيته نار . كما كان يصلح نعله ، ويرفو ثوبه بيده . وهل بعد ذلك من مكرمة ومفخرة ؟ الا حبذا محمد من انسان خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد فى الله ، قائم نهارا ، ساهر ليلا ، واثب فى نشر دينه .. غير طامع فى دولة او سلطان أو ذكر أو شهرة » .

وبعد . فهكذا قيض الله توماس كارليل — من المفكرين الغربيين المنصفين — مدافعا عن دين الاسلام ونبيه ... دفاعا مجيدا حميدا قال عنه (ريتشارد جازيت) : « انه كان بعيد الاثر كبير التأثير فيما كتبه المستشرقون الغربيون قبله من أباطيل وافتراءات عن الاسلام ، فسكت الهجاءون الفحاشون الذين كانوا يطلقون السنتهم وأقلامهم القذرة فى محمد عليه الصلاة والسلام بالأكاذيب والاضاليل ، وانتشرت الحقائق والوثائق والأنوار الكاشفة عن عبقرية الاسلام وعظمة نبيه الكريم » .

---

(١) هذا التعليل يحتاج الى نظر وضبط . فصحيح أن الرسول لم يبح شيئا من تلقاء نفسه كما أنه لم يكن تابعا لما كان يجرى عليه العرب منذ قديم الازل.. فكل ما حرمه أو اباحه هو من عند الله . ثم ما هذه الاشياء التي يشير اليها ؟ تعدد الزواج والطلاق ؟ ان كان الامر كذلك فالذى نعرفه أن حكم الشارع الاسلامي فى هذا هى التي يمكن على هديها علاج امراض البشرية وحالاتها الاجتماعية ، على ان المعروف أن منع التعدد والطلاق انما حصلا مؤخرا فى المسيحية .

> « من سره أن ينظر الى عتيق من النار ، فلينظر الى أبى بكر »
>
> ــ حديث شريف ــ

الصحابي الأول

« تحية إليه فى عيد الهجرة »

للاستاذ / عبد الحميد محمد المشهدى

حلقات متتابعة من البخور ، وموجات متصلة من العطور ، ومعبد شامخ البناء ، مهيب الرواء ، وشيخ (١) يجر نصف عباءته ، ويأخذ بمعصم فلذته . يجتاز به عتبة المعبد فى بطء وخشوع ، وتأمل وخضوع ، يطوف بفتاه على الانصاب وأماكن الأزلام ، والهياكل والاصنام ، يتنقل بينها بأصبعه لأنه حرم قدرة الكلام ، ويقرأ على وجه وليده ما ينتظره من تفاعل أو الهام ، ثم يشتد حنينه ووجده ، وتذوب شجاعته وجلده ، فيطلق ولده من عقاله ، ويتركه فى المعبد بين مخاوفه وآماله ، ويلقى فى روعه بما يريده عليه ويقول .

هذه يا بنى آلهتك الشم العوالى .

وتلفت أبو بكر حوله ، فلم يجد الا أضواء مربدة ، ووجوها جامدة ، وكأن صوتا من داخل نفسه يناديه : أمثل هذه الاحجار تحيى وتصرع ، وتعطى وتمنع ، وتضر وتنفع ؟ . انه للعجب العاجب ، والبلاء الواصب ، ثم راح يتحسس معالمها بأصابعه ، ويزرع أبعادها بناظره ، ثم يسخر من عجزها العميق ، وجهلها العريق ، ثم دنا من كبيرها وسأله ساخرا .

انى جائع يا هذا فأطعمنى !!

انى عار يا هذا فاكسنى !!

انى ضعيف يا هذا فقونى !!

ولكن كان صدى الصمت ــ هو الجواب المنتظر .

فثار أبو بكر تحديا لهذا الصمت ، ورفع بين يديه حجرا ، وهوى به على أحدهم ، فانكفأ على وجهه .. ثم ساد المعبد صمت رهيب لم يكن يسمع فيه الا دقات قلبه السريعة ، ترددها أنفاس مبهورة ، ولم يقطع عليه صمته الا صوت خفى شجى يقول .

---

(١) عثمان بن عامر الشهير بأبى قحافة والد الصديق رضى الله عنه

أربا واحـــدا أم ألـــف رب
أديـــن اذا تعقــدت الأمـــور
هجرت اللات والعـــزى جميعا
كذلك يفعل الرجـل البصـــير

فتلفت أبو بكر حوله فلم يجد حيا ولا ديارا ، فعجب لهاتف يتحـدى تعـدد الآلهة فى مستودع الآلهة . ثم راح يفتل ذؤابته (١) النحيلة مستغرقا فى مدى ما وصل اليه عقل الانسان ، يسوى حجارة ثـم يعبدهـا ، ولم يفقه مـن تفكـيره الا صخب يزحـف حـوله ، وضـوضـاء وقهقهـــة ، وعربـــدة وضجيج ، فأرسل بصره ليتبين الامر ، فاذا هو بالقرب من مخمور مهلهل الثياب يتمايـل ويترنح ، ويبـكى ويفـرح ، وينكمش ويمـرح ، والاطفـال حـوله بالضحك يضجون ، والشبان يتمازحون ويسخـرون ، والشيـوخ يضجـرون ويعبثون ، وكلما وقعت عين المخمور على روث أو عذرة (٢) حمل منها وأدناها من أنفه ، ثم ألقى بهما فى وجه من حوله ، فيفرون ثم يعودون . فيهـدر عليهـم غاضبا لاعنا دين الاولين والآخرين .

خرج أبوبكر مـن المعبـد مستغرقا بذهنه فى مدى ما وصل اليه الحال فى البلد الحرام ، من تفشى الظلم والظلام والجهل والعداء ، وانتشار الخمـور والفسـوق ، بين الســادة والدهماء (٣) وسيطرة الربا والاستبداد والكبرياء .. وكان السـائر بالقرب من أبى بكر يسمعه وهو يردد قول زيد بن عمر وابن نفيل (٤) .

كل دين يـوم القيامــة الا
ما قضى اللـه والحنيفة بور

« ٢ »

« ان صدق الله رؤياك يابنى فانـه يبعث نبى من بنى قومك تكون وزيره فى حياته . وخليفته بعد وفاته » .

ــ بحيرا الراهب ــ

رجل أبيض الوجه كث الشعر ، أجنأ الظهر (٥) خفيـف العارضـين ، غائـر العينين ، دقيق الحـدقتين . نحيـل الجسم ، بارز الجبهة ، ضامر الحقويين (٦) يسير فى شوارع بصرى (٧) الواسـعة تفيض بالسكارى ، وتغص بالسيـدات والعذارى ، وتمتلىء بحانات الخمـر والمرابين وتحتشـــد بالشـــطار (٨) والمقامرين ، وتسبح بمواكب عيد الميلاد والمهرجـين ، تتشابك فيها الزهـور والاغصـان ، وتتناثر فيها أحـواض الغثيان (٩) فلا يكاد يطالع التماثيـل الفارعة ، والاشجار اليانعة ، حتى تقع عينه على الكنائس الفخمة والنواقيس الضخمة ، ولايكاد يشهد المبانى الشارعة ، والملاعب الواسعة ، حتى يقف شاردا أمام القمم السـامية ، والمروج الزاهيـة ، والجداول الصافية ، والاسواق المترامية ، والنزل العالية ، ولا يكاد يرى صريعا للثيران ، أو ضحية كبوة بين الفرسان ، أو مغمى عليه بين السقاة والندمان ، أو لصا يدعه رجال القوة والصولجان ــ حتى يتحسس دراهمه ودنانيره ، وينطوى على نفسه ، متجعدة أساريره ، ثم راح يقلب وجهه فى السماء . ويضرب كفا بأخرى ... وكان السائر بالقرب منه يسمعه يتمتم ويقول : تزاحم الاصنام ، وانتشار الفسق والخمر والميسر ، واستشـراء

---

(١) ما ينبت من شعر فى أسفل الذقن . (٢) فضلات الانسان (٣) عامة الناس
(٤) زيد بن عمر وابن نفيل العزى القرشى العدوى كان يتعبد على دين ابراهيم ولا يأكل الدم والميتة ولحم الخنزير ولا يذبح للاصنام . (٥) منحن قليلا . (٦) مفرده حقو .
(٧) هى غير البصرة بالعراق وهى مدينة من مدن الشام (٨) الفتوات .
(٩) كان من عادة الرومان أن يأكلوا ليتقيأوا ثم يأكلوا ليتقيأوا استمتاعا بمضغ الطعام ولذائذه . لهذا كانت المنازل والشوارع مزودة بأحواض الغثيان .

الجحود والظلم والربا ، وتفشى الصلف والاستعباد والجهل والظلام ، والحمق والحروب والضلال . انه فى الشام كما هو فى البلد الحرام .. ولكن .. لا بد لهذا الليل من آخر .

ثم سار نحو مخيمه مهموما يجر قدميه ، ويرفع ازاره الى ما فوق حقويه، ثم آوى الى مضجعه لا يحدث أحدا بما يجول بخاطره .

وما انتصف الليل حتى استيقظ على صوت هاتف يقول :

يا عبد الله ... ياعتيق ... يا أبابكر الرحيل .. الرحيل . فقام من نومه يمر بيده على جفونه ، ثم يفرك يدا بأخرى . ثم يضغط على صدره بذراعيه ، وقد تبدل صمته ابتساما ، وخوفه اطمئنانا ، وهواجسه ثقة وايمانا ، ولم يكن هذا التبدل فرحا بنفاذ بضاعته ، أو نجاح تجارته ، أو حنينا الى الاهل والوطن ، أو فرارا مما يرى من تفشى التحلل والاستهتار والوهن . بل لرؤيا رآها بين النوم والوسن .

صحراء خرساء ، ناعسة لعساء ، تلفعت بأفواف السماء ، وقامت على حراستها جبال شماء . وتعهدتها بالسقى سحب الشمال بصافى الماء . وقبة عالية تنبض بدقات النواقيس ، وتزفر كواتها بأنفاس الفراديس ويتحدث سكانها بلغة النواميس ، وتحتل فى الصحراء مكان الثدى من صدر العذراء ، وتسترد ابل القوافل أنفاسها فى ظلها ، وتطفىء ظمأها من مائها ، ويداعب النوم جفون المسافرين فى أمنها ، وراهب شاحب الوجه فاره البناء ، ناصع الشعر ، طويل اللحية وضيء الرداء ينصت الى محدثه مغمض الجفون ، جياش الشجون ... ثم شخص الى محدثه وقال له .

ما اسمك يا بنى .

ابو بكر — عبد الله بن عثمان الشهير بأبى بكر .

الراهب بحيرا — من أى القبائل ؟

أبوبكر — من قريش .

الراهب بحيرا — من أيها ؟

أبوبكر — من تيم بن مرة (١) .

الراهب بحيرا — ماذا تزاول من أعمال ؟

أبو بكر — التجارة بين مكة والشام وبين مكة واليمن .

بحيرا الراهب — اسمع يا بنى ان صدق الله رؤياك . فانه يبعث نبى من قومك تكون وزيره فى حياته ، وخليفته بعد وفاته .

أبوبكر — ينحنى على نفسه فرحا — ويقول لبحيرا لقد حدثنى بمثل ذلك شيخ بنى أزد وعالم اليمن الكبير .

بحيرا الراهب — يابنى احفظ عنى ما سمعت ، واكتم عن الناس ما علمت،حتى يحين هذا الزمان ، ويبعث هذا النبى فى الارض الحرام ، وسيلقى من قومه شدة وعنتا . وسيبتلى أصحابه فى أموالهم وأنفسهم . وسيهاجرون الى بلد آخر . وهناك يبسم لهم النصر . وسيكون لك فى كل هذا دور خطير .

(٣)

« ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت منه عنده كبوة وتردد . الا ما كان من أبى بكر ، ما عكم (٢) عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » . حديث شريف .

شاب وسيم مسجى فى شبه غيبوبة فوق ثوب تسير بأطرافه الرجال الى حى بنى جمح (٣) ووجوه الرجال على جانبى الطريق بين جازعة وشامتة ، وعيون النساء بين باكية وصامتة ، وأصداء الولولة والنحيب ، تستقبل المشهد الاليم ، وسيوف غاضبة تسارع الى بيت أبى بكر فى بيد بنى تيم ، وهمهمة وغضبات ، وتمتمة وتهديدات ، وغبار

---

(١) بفتح وسكون — بطن من قريش (٢) تباطأ

(٣) حيث نزل أبو بكر رغم أنه من تيم

يسبــح فى الدروب والطرقــات . وأم (١) تنكفىء بوجهها على ولدها ناشجــة وهى تقول :

بأبى أنت وأمى يا بنياه . ما الــذى دهاك يا فلذتاه ؟ .

زيد بن قيس ــ ان أبابكر ــ يا عمتاه ــ قد عرض أمر الجهر بالدعوة الاسلامية على رسول الله . فقال له الرســول . ان عدد المسلمين لا يزيد اليوم عن تسعة وثلاثين . ومثل هذا العدد لا يقع موقع القوة من قريش . فلنصبر قليلا حتى يؤيد الله الاسلام بأحد العمرين . ولكن أبابكر ما زال برسول الله يرجو ويلــح حتى استجاب له ، فثار المشركون عليه وعلى من فى المسجد مــن المسلمــين ، وضربوهم ضربا موجعا ، ودنا عتبة بن ربيعة من أبى بكر وجعل يضربه بنعلين مخصوفين ، حتى لم يعد يعرف مكان أنفه من وجهه .

فنحيناهم عنه ، وحملنا أبابكر الى فراشه كما ترين .

أم جميل (٢) تنكب عليه باكية ــ وهى تقول .

ــ ان قوما نالوا منك . لأهل فسق . وانى لأرجو أن ينتقم الله لك .

لؤى بن زيد ــ والله لئن مات أبوبكر لنقتلن به عتبة بن ربيعة ، وسنعلنها على الناس فى المسجد ودار الندوة ، وفى كل مكان حتى يعلم الكل اننا نحن الناس .

زيد بن قيس ــ لم تحتمل قريــش أن يفجعها أبو بكر باسلامه . حتى فاجأها بشراء الموالى واعتاقهم . فأصيبت أعمال قريش بالبوار . ثم باغتهم وتحداهــم بعلانية الدعوة فى المسجد ، فكان الذى حدث .

لؤى بن زيد ــ لقد ظنت قريش أن **الدعوة الجديدة** ستظل محصورة بــين الاحداث ، (٣) مثل على بن أبى طالب (٤) والزبير بن العوام ، (٥) أو بــين مــن لا عصبية لهم ولا مال ، كياسر وعمــار وسمية وصهيب وزنيرة وأم عيسى ولكن اسلام أبى بكر ، ثم اسلام عثمــان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله وعامر **بن عبد الله بن الجراح**(٦)، وعثمان ابن مظعون ، والارقم بن أبى الارقم . . . اسلام هؤلاء جميعا على يد أبى بكر وهم فى مكان الذروة من قريش ــ قد أحنقهم على أبى بكر فبيتوا له بليل .

فهــر بن صفوان ــ أن قريشا لــم يحنقها شىء بقدر ما أحنقها أن محمدا يسوى بدعوته بين العرب والعجم . وبين **العبيد والســادة** ، وبين الســـوقة **والأشــــراف** ، ويدنى حقــــوق النساء من حقوق الرجال حتى كادت تتم التسويــة بينهما ، ويكــره الميسر ويعافه ، وهو ملهاة قريش وسلوتهــا . وقد يحــرم الخمر غــدا وهــو مرحها ونشـوتها . ويعلن أن عباد الاصنام منها فى النار وفيهم آباؤها وأمهاتها .

ــ لم يقطع حبل الحديث ــ الا تأوهات موجعة من سرير المصاب تلتها غمغمة . فتبعتها صحوة وتساؤل من أبى بكر .

ــ مافعل رسول الله ؟

سلمى ــ سالم . . . صالح .

أبو بكر ــ أنى هو الآن ؟

فاطمة بنت الخطاب ــ فى دار الارقم ابن أبى الارقم .

سلمى ــ وفى يدها قعب فيه لبن ــ بنفسى أنت يابنى . أرفع هذا الى فمك شرابا خالصا سائغا يبل أوامك ، ويطفى ظمأك .

---

(١) هى سلمى بنت صخر أم أبى بكر　　(٢) كنية فاطمة بنت الخطاب

(٣) صغار السن　　(٤) أسلم وسنه ٩ سنين　　(٥) أسلم وسنه ١٢ سنة

(٦) الشهير بأبى عبيدة بن الجراح

أبو بكر : ان لله على آلية ألا اذوق طعاما ولا شرابا أو آتى رسول الله .

أبو قحافة : بنفسى أنت يا بنى — غير أنى اراك تعتق رقابا ضعافا . فلو أنك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك .

أبو بكر : يا أبت انى أريد ما عند الله (١) .

أبو قحافة — ولماذا رغبت عن دين الاولين يابنى (٢) .

أبو بكر : بينا أنا جالس — يا أبت — فى فىء شجرة فى الجاهلية ، اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى . فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا . فسمعت صوتا من الشجرة ، يقول : هذا النبى يخرج . فقم وآوه . تكن من أسعد الناس . فقلت ما أسم هذا النبى ؟ قال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . فطار قلبى فرحا بالنبأ ، ثم سمعت بعد ذلك من ينادى : يا بن أبى قحافة .. جد وشمر .. قد جاء الوحى ورب موسى . لا يسبقك الى الاسلام أحد ، ثم رأيت رؤيا فى بصرى بالشام ، وأولها الراهب بحيرا بما يطابق ما سمعت من داخل الشجرة ثم رأيت مثلها فى رحلة اليمن . ثم سكت أبو بكر ليسترد أنفاسه ثم عاد يقول :

ولما علمت بدعوة رسول الله طرقت عليه بابه ، فلما ظهر لى ، قلت له : ما الذى بلغنى عنك فقال (ان ربى جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعوة ابراهيم ، وأرسلنى الى الناس أجمعين ، فقلت له : والله ما جربت عليك كذبا . وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك، وحسن فعالك . ولكن هل أطمع فى مزيد من دليل جديد) . فقال : (الرؤيا التى رأيت فى الشام) فعانقته وقبلته بين عينيه . وأعلنت شهادتى بين يديه ثم بهرت أنفاسه وسكت عن الكلام .

فاطمة بنت الخطاب — دعوه حتى يستعيد راحته وهدوءه ، حتى اذا هجع الليل ذهبنا به الى رسول الله حيث يكون .

ابتلعت الضوضاء أجواف المنازل ، ولاذ الليل بأستار الصمت ، وأطل القمر على صفحة الكون يضىء ظلمته ، ويؤنس وحشته ، وأخذت النجوم أماكن القيادة فى السماء ، لهداية الناس فى مسالك الارض ، وفوق أمواج الماء .

وطافت بمكة نسمات ندية وئيدة تمسح العرق عن المتعبين ، وتبعث الانتعاش فى نفوس المحرورين ، وتوقظ الاوراق الناعسة فوق الغصون ، وتحسست الانامل الرقيقة باب الارقم بن أبى الارقم، ثم دقت عليه برفق فأز ثم انفرج . وكان اللقاء الحار بين الحبيبين : محمد بن عبد الله ، وأبى بكر الصديق . فيهوى على رسول الله تقبيلا ، ويتحسس جسده اطمئنانا عليه ، والتف المسلمون حولهما مهنئين .

وكان السائر بالقرب من باب الارقم يسمع أبا بكر وهو يقول :

بأبى أنت وأمى يارسول الله ... ليس بى الا ما نال الفاسق من وجهى .. وهذه أمى برة بوالديها وأنت مبارك فادعها الى الله ، وأدع لها عسى أن يستنقذها بكمن النار، فرفع رسول الله وجهه الى السماء ودعالها ، ثم ناداها ودعاها الى الله ورسوله ، فابتسمت ومدت يدها اليه فبايعته ، وأسلمت بين يديه ... فانحنى أبو بكر عليها يقبل يدها ، ويبكى من شدة الفرح ، ثم اعتدل رافعا يده فى الفضاء وأقسم : ليبنين فى فناء بيته مسجدا يعلن فيه بالدعوة ، ويجهر بالقرآن ، والقرآن كفيل بتخضيد شوكة المعاندين ، وتقوية ظهر المستضعفين ، ولتفعلن قريش ما تشاء .

---

(١) وقد نزلت فيه « فأما من أعطى وأتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى » .

(٢) كان اسلام أبى قحافة والد الصديق أبى بكر يوم الفتح .

نظرات تحليلية في القصة القرآنية

صور

ترد قصة هذا البطل في سورة واحدة من القرآن العظيم ، وقد خلدت ذكره مرتين ، مرة في عنوانها الذي حمل وصفه الجامع المانع : (المؤمن) وأخرى في عرض موضوعه الذي استوعب ما بين الآيتين السابعة والعشرين والخامسة والاربعين .

وقصة هذا المؤمن تنزل في سياق السورة منزل الرئتين من الجسد ، ذلك لان السورة باجمعها معرض مدهش للمعركة الخالدة بين الحق والباطل ، ودعاة كل من الفريقين وجنودهما ... تشتد وتعنف على المفسدين المكذبين ، وتلطف وترق على المؤمنين المصدقين ، وفيما بين هذا وذاك تفتح الجوارح كلها على مصاير هؤلاء وهؤلاء ... فهنا الفئة المؤمنة تنعم بالقربى التي ربط الله بها بينهم وبين حملة عرشه (يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) .

وهناك الذين كذبوا برسالات الله وردوا دعوة أنبيائه ، بارزين تكاد العين تقتحمهم (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار يسجرون ..) سورة غافر .

وقبل أن ننتهي الى موقف البطل المؤمن نجتاز بعض المشاهد الممهدة المثيرة ، تقرعنا قرعا بذكريات العواقب التي لقيها المكذبون بآيات الله ، وتدفعنا دفعا الى مشاهدة آثارهم التي لا تزال تتحدث بفواجعهم .. ثم تواجهنا ببعض مواقف نبي الله موسى عليه السلام ، اذ يعرض بينات رسالته على فرعون وكبار المجرمين من أعوانه .. فيجمعون على القول بانه (ساحر كذاب) .. ثم لا يجدون وسيلة لمواجهة الحق سوى البطش والفتك ، فنسمعهم يصدرون أوامرهم الرهيبة بتصفية الجماعة التي استجابت لدعوة الله ((اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ..)) وينفرد فرعون باقتراحه قتل موسى ، الذين يرى فيه وحده ذريعة الخلاص من تلك الدعوة ، التي جاء بها فأوشكت أن

من بطولة الإيمان

للاستاذ محمد المجذوب
المدرس في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

تزلزل الارض تحت عرشه ، وتهدد بالاخطار مصالح هؤلاء الطغاة ، اذا ترك لها سبيل الاتصال بعقول الناس ! .. وهو لا يكتم غرضه من وراء ذلك ،فيذكر حاشيته الباغية : انه انما يدعوهم الى قتل موسى لوأد دعوته المحررة ، ولحماية النظام الذي يمهد لهم سبيل التسلط على رقاب الملايين ، وبذلك يأمنون على منافعهم المشتركة ، فلا يفلت من أيديهم الزمام ، ولا يفاجئهم ما يعتبرونه افسادا لهذه المنافع : (اني أخاف أن يبدل دينكم، أو أن يظهر فى الارض الفساد ..) ! .

ومن هنا نخلص الى قصة البطل ...

لقد كان — كما نتصور — فى حاشية فرعون الذين اجتمعوا للتداول فى شأن موسى ، وسمع ما أفضى به المتآمرون من اقتراحات مجرمة ..ويظهر أنه استطاع ضبط أعصابه حتى ذكر فرعون اعتزامه قتل رسول الله عليه الصلاة والسلام فخشي أن تحصل الموافقة على رأيه ، فتفوت فرصة الاعتراض والمناقشة ، لذلك رأيناه ينطلق فى خطابه البليغ مجادلا محاجا محذرا :

(أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ! ..) .

وكانت الحجة صريحة صراحة الحق، وقوية الى حد الاخراس ، فهو يذكرهم بموقف موسى — كما هو — بريئا من كل سوء ، وفوق كل تهمة ، بل ذنبه فى نظرهم رفضه العبودية لغير الله ربه وربهم ورب كل شيء .. وهو لم يسلك سبيله هذه جريا مع الهوى ،بل استجابة للحق الذي جاءكم ببراهينه من ربكم .. فأبيتم الا تكذيبها عنادا ، واستكبارا ، مخالفين بذلك قلوبكم التي استيقنت ما أنكرتم .. ومع ذلك فتعالوا نتحاكم الى العقل .. انكم تتهمون موسى بالكذب، والكذب أعجز من أن يواجه الحقيقة ، فدعوا له حرية القول ، واقرعوا دعواه بالحجة الصادقة ، فذلك أسرع الوسائل فى هزيمة الكاذبين .. أما اذا كان صادق الدعوة بخلاف ما زعمتم ، فتذكروا ما وراء تكذيب الحق من المثلات التي طالما ضرب الله بهما مكذبي أنبيائه ! .. ومهما يكن من أمر فالكاذب من الفريقين: أنتم وموسى ، منته حتما الى السقوط

والفضيحة على مشهد الملأ ، لان سنة الله فى هذا الكون ألا تستمر شعوذة المسرفين الكذابين ! ..

ويحاول أن يحرك ضمائرهم فيذكرهم بقدرة الله التي لا يعجزها شيء ، والتي هي القانون الذي لا يفلت من عدالته شيء : يا قوم ! .. انكم مخدوعون اليوم بقوتكم التي تدفعكم الى هذا الاستخفاف بالحق وأهله ! .. فتذكروا أننا لسنا أحرار فى تصرفاتنا ، فالملك لله وحده ، ونحن جميعا مستعملون فيه لتحقيق أمر مالكه ، فاذا ما زغنا عن الطريق الذي يريد كنا جديرين بانتقامه الذي لا يدفع ، وليس منه محيد ! .

وكأن فرعون قد خاف أن يعمل هذا المنطق عمله فى ضمائر المستمعين ، فيتهيبوا الاقدام على تنفيذ مقترحه ، فيكون ذلك سببا لاضعاف هيبته ، وانتقاص سلطته ، لذلك لم يدع للبطل أن يواصل خطابه ، فقاطعه بقوله لأولئك المؤتمرين :

ان هذا الذي تسمعونه كلام يقبل النقد والنقض ، فلا يصرفكم عن كلامي الذي لا يحمل الا الواقع الذي أحسه وأوقن به .. وليس لي من أرب فيه سوى الحفاظ على مصالحكم ، وحياطة مناصبكم .. وهما لكم منفعة محققة لا يشك عاقل فى صحتها أبدا ! . : « قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » .

ولكن الرجل المؤمن لم يدع كذلك للقوم مجالا للانصراف عن ملاحظة حججه ، فتابع بيانه دون أن يعير كلمة فرعون أي اهتمام مباشر : « .. يا قوم .. اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم .. وما الله يريد ظلما للعباد .. ويا قوم .. اني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد . ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » .

يناديهم بشعار المودة والقربى (يا قوم ..) ليشعرهم بتخوفه عليهم .. وما هذا الذي يخافه ؟ .. انه العبر الماضية التي تجلت فى عواقب المتآمرين مثلهم على أهل الحق ، من أقوام نوح وهود وصالح وأشياعهم ، ممن استحقوا نكال الله ، ولا تزال أخبارهم ملء الاسماع والصدور .. ثم ماذا ؟ .. ثم أهوال (يوم التناد) الذي يساق فيه الناس الى ساحة الحشر ، ليتلقوا جزاء أعمالهم ، فترتفع النداءات من كل صوب ، نداء باسماء المذنبين والابرياء ، ونداء الاستغاثة من هول ذلك البلاء ، ونداء الخصوم بعضهم على بعض فى جدال لا جدوى منه ولا شفاء .. الى آخر ما توحى به كلمة (التناد) من أهوال ذلك اليوم ! .. ولا ينسى أن يصور لهم مصيرهم أثناء ذلك ، وهم يحاولون الفرار فلا يجدون اليه سبيلا .

ثم يعود الى تذكيرهم باقرب الاحداث اليهم ، أيام جاء يوسف آباءهم بدعوة الحق ، مؤيدة بالبينات القاطعة لكل شك ، فاستكبروا عن تصديقه ، حتى استوفى أجله ، وانتزعه الموت من بين ظهرانيهم ، فاذا هم يستيقظون بعد فوات الفرصة ، ولكنهم بدلا من أن يثوبوا الى الرشد ، وطنوا أنفسهم على رفض الحق ، بانكار الرسالات المستقبلة جميعا ! .. وليس لهم من حجة فى ذلك سوى العناد الاحمق .. وطبيعي أن من كان هذا شأنه مع الله ورسوله لا يستطيع أن يفتح قلبه للحق ، وأعدل عقوبة له فى الدنيا أن يكافأ على كبريائه بحرمانه نعمة الهداية الى نور الحق ! ..

ومرة أخرى يتهيب فرعون مغبة هذا المنطق العجيب ، فيحاول صرف الاذهان عن متابعته .. ولكنه بدلا من مواجهة الخطيب بالاعتراض المباشر عمد الى أسلوب الشعوذة ، فوجه الكلام الى مساعده الاكبر هامان يقول له : ان هذه الدعوى التي يطلع علينا بها موسى غريبة، لا يجوز الاهتمام بها الا بعد التحقيق المناسب فيها ، فعليك أن تكلف المهندسين وضع تصميم لبناء شامخ ، يمكنني من رصد ما يدعيه ، واستطلاع أمر هذا الاله الذي يتكلم باسمه .. وان كنت أقرب الى اليقين بانه لا وجود له البتة ! ..

ومع أن فرعون على يقين من أن مثل هذا التهويل لا مكان لقبوله فى العقول السليمة ، فهو لم يستح من الاستعانة به ، لانه معتاد ألا يجد لكلامه ، مهما بلغ من السخف والتفاهة ، معارضا بين هؤلاء الذين ألفوا عقولهم وعودوا أنفسم الانحناء لكل بادرة منه .. حتى أصبح لا يشعر بأية مسئولية على قوله أو عمله ! .

ومن أجل ذلك رأينا الرجل يسلك بأفكاره طريقا آخر ، طريق المجابهة لاضاليل فرعون ، اذ يكشف الستار عن ايمانه المكتوم ، فيفاتحهم بكلمة الحق صريحة دامغة مدوية : (.. يا قوم .. اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم .. انما هذه الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . ويا قوم .. مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ! . لا جرم أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وان مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله أن الله بصير بالعباد ...) .

ويبدأ موعظته الحارة بالشعار الرقيق نفسه : (يا قوم ! ..) ثم يعلن المجابهة فيؤكد لهم رغبته فى انقاذهم من الشر الذي يجرهم فرعون اليه ، فلقد وقفوا بين دعوتين : احداهما للضلال المتلف ــ اذا استجابوا لهذا المضل المتكبر، والثانية الى الهدى والرشاد ، وهي التي يمثلها الرجل المؤمن فى هذا المجلس ! ...
ولا جرم أن كلا من الاتجاهين منته بصاحبه الى غاية معاكسة لغاية الآخر تماما ، فالاتجاه الفرعوني شهواني محض، هدفه المتاع الزائل من جاه مزيف ، ونعيم مزور لا بقاء له الا ببقاء هذه الحياة القصيرة الزائلة ، أما طريقه هو فهو الجادة الموصلة الى دار المقامة ، التي هي وحدها دار القرار .. ولكن سلوك هذا الطريق يقتضي الاستعداد لتحمل المسئولية أمام مالك الملك ، فلا مثوبة الا بعمل ، ولا عقوبة الا بذنب ، والناس كلهم، أبيضهم وأحمرهم وأنثاهم وذكرهم، سواء فى هذه المسئولية ، لا نصيب لهم من الجنة الا بقدر مجهودهم فى نطاق العمل الصالح ..

وهنا يلتفت لمناقشة مقترح فرعون القاضي بقتل موسى ، والذي ينتظر موافقة المؤتمر عليه ، فيطلق عليه هذه الحزمة من سهام السخرية : يا قوم !.. ان أمري وأمركم لعجيب ! . أنا أدعوكم الى العدالة والانصاف فى معاملة هذا الرجل الذي يدعوكم الى ربكم ، بينما أنتم تدعونني الى قتله ! .. ولو فكرتم قليلا لادركتم أن قتله حرب لله الذي أرسله ، وأن توقيره وتكريم دعوته انما هما تعظيم لذى العزة التي لا تسلب ، والمغفرة التي لا سعادة الا بها .. انكم تدعونني لتسخير عقلي ومشاعري الى شيء وهمي لا قوة له ولا حجة ، بل هو كأي مخلوق مسئول مثلي عن كل ما يدع وما يذر .. ولا شك أن أسوأ المخلوقات مصيرا يوم الحساب هم أولئك

الذين أسرفوا فى ادعائهم ما ليس لهم من حق ، حتى فرضوا ضلالهم على عباد الله ، وأحلوا قومهم ببغيهم دار البوار ..

وكأن البطل قد استشعر هول الخطر الذى عرض نفسه له بهذه المكاشفة البالغة ، فختم موعظته الآسرة بهذه التذكرة الباهرة :

لقد أبلغتكم الحق الذى أومن به ، تبرئة للذمة وأداء للأمانة ، والحق سر من الحق لا بد تارك آثاره فى أعماق الفطر الانسانية ، فلئن تنكرتم له الآن ، وتجاهلتموه تحت ضغط المنافع والمصالح ، ليأتينكم يوم تستعيدونه وتندمون على مخالفته ..

أما ما وراء ذلك من ردود الفعل التي قد ينزلها الحمق بدعاة الحق ، فأقل ما يتوقعه المؤمنون ، ويستعد لتحمله المجاهدون ، الذين يعلمون أن أمرهم الى الله ، الذى لا مرد لقضائه .. والذى لا يخفى عليه شيء من أسرار عباده وعلانيتهم ..

والى هنا تنتهى صولة البطل المؤمن .. فينقطع عن الحديث ، وقد تركنا نتطلع فى قلق الى مصيره ! ..

ولكن الله تبارك وتعالى لا يسمح لهذا القلق بالاستمرار الى غير نهاية، فيطالعنا بهذه البشرى التي يسكن بها كل اضطراب : لقد جزى الله عبده المؤمن على موقفه العظيم ، بأن منحه الوقاية ضد كل مكروه كان متوقعا أن يتعرض له ! .

ولم تقف البشرى عند هذا الحد المطمئن ، فاذا هى تنقلنا بلمحة خاطفة الى منظر أعدائه وقد انتهوا الى عذاب مستمر .. يحتضنهم منذ فراقهم الدنيا ، ثم لا يفلتهم حتى تقوم الساعة ، فيحتلوا منازلهم من جهنم فى أشد العذاب ! ... « فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .. » .

دروس وعبر :

فى قصة هذا المؤمن آيات من البيان المعجز .. ودروس من العبر البالغة ، ان تعذر استيفاؤها كلها ، فلا ينبغي أن يفوتنا الكلام على بعضها ..

ففي الناحية البيانية نلاحظ دقة العبارة فى تصوير الحالات النفسية المختلفة ، التي عاشها هذا الرجل ، أثناء ذلك المؤتمر الرهيب ..

فهناك الفكر المنطقي الذى يعرف كيف يعالج مغاليق القلوب بمفاتيح الفطرة ، فلا يزال بها حتى يشعرها جلال الحق ومهابة الفضيلة ، حتى اذا أعجزها الخوف عن الصدع بهما ، لجأت الى الصمت ، تستتر به صراعها الداخلي ، فينمى فى جوانحها شيئا فشيئا بذور الحقد ضد الطغيان وأهله ، لتكون معدة للانفجار عند أول فرصة ! .

ثم هناك الثورة الوجدانية تغلي فى أعماقه شفقة على نبى الله موسى ، وغيرة على دعوة الحق التي يحملها من ناحية ، ونقمة على فرعون الذى يبارز الله بجهله وبطره ، فيجرؤ على التفكير بقتل أولياء الله وحملة هدايته الى عباده من ناحية أخرى ! . ثم احتقارا لاذعا لأولئك الأذناب الذين باعوا آخرتهم بدنياهم ودنياه ، فهم يتسابقون الى مرضاته باختراع الحيل لمحاربة الحق ، وبالانحناء لكل اشارة يصدرها ، مهما أسرفت فى السوء ، وبالغت فى التفاهة ! .

والنقاط التي تلفت نظر الباحث البياني فى اسلوب كلامه ، وأشكال عباراتها كثيرة ، سيفوتنا كثير من الخير اذا لم ننتفع باستجلائها والوقوف عند بعضها .

فنحن نستغرب جد الاستغراب تماسك فرعون وعدم ثورته ، وهو الأخرق الأحمق على ذلك البطل المؤمن الجرىء يعلن كلمة التوحيد ، ويصدع بحكم الحق على مسمع منه ، وعلى مشهد من كبار أعوانه ! ....

فهناك أكثر من تأويل لهذه الجرأة ، ولذلك التماسك .. من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير

فى تفسيره ، اذ قال فى تعريف هذا المؤمن : (انه كان قبطيا من آل فرعون) .. بل يقول : (كان ابن عم فرعون) اذ لو كان اسرائيليا لأسكت وعوجل بالعقوبة ..

ومثل هذا التعليل مقبول الى حد ، لأن الفرد من الأسرة المالكة لا يعدم أنصارا يجعلون لكلمته وزنا ، ويكسبونه حماية .. ولكن هذا وحده لا يسوغ للأمير مثل هذا التحدى ، الذى يشكل هجوما على النظام الاجتماعي ، الذى تتحصن به الأسرة المالكة كلها ! .

ولكن التعليل المعقول والأقوى هو أن اللـه سبحانه قد أحاط الرجل بمهابة ألجمت أفواه الطغاة ، وزلزلت قلوبهم ، فنسوا ما يملكون من القوة ، ووجدوا لكلمة الحق سلطانا يطغى على كل سلطان ! . ثم يأتينا موضوع النكتة البلاغية فى توجيه البطل المؤمن سؤاله التعجبى الى مجموع المؤتمرين (يا قوم .. ما لى أدعوكم .. وتدعونني .. ! ..) بدلا من أن يخص به فرعون صاحب الاقتراح وحده ! ..

وفى ظني أن هناك تعليلين ، أما الأول فيرجع الى حكمة المؤمن فى تجنب الاصطدام المباشر مع فرعون ، لما قد يجره ذلك من فتنة من شأنها أن تزيد فى محنة المؤمنين ، ومن يدرى فقد يكون بين أنصاره أفراد آخرون يكتمون مثله ايمانهم ، فيتعرضون بذلك الى ما لا تحمد عقباه العاجلة ..

وأما الثاني فهو اعتباره جميع المؤتمرين مشتركين فى التحضير لهذه الجريمة ، اما بالاتفاق المسبق ، واما بالتأييد المطلق ، الذى عودوه الطاغية ! .. ولعله كان يرجو أن يؤثر فىضمائرهم فيدفع بعضهم على الأقل الى الوقوف فى صفه !..

وهنا نصل الى التذييلات العجيبة الكثيرة فى هذه الآيات ، لنستبين الحقائق الخالدة التي تشير اليها وتعالجها من قريب ومن بعيد . اقرأ معي مرة أخرى :

(وما كيد الكافرين الا فى ضلال ..)
(ان اللـه لا يهدى من هـو مسرف كذاب ..)

(وما الله يريد ظلما للعباد ..)

(ومن يضلل الله فما له من هاد ..)

(كذلك يضل الله من هـو مسرف مرتاب ..)

(كذلك يطبع اللـه على كـل قلب متكبر جبار ..)

(ان الله بصير بالعباد ..)

اننا هنا تلقاء قوانين اجتماعية، لا تقل دقة وواقعية عن القوانين الكونية فى الكهرباء والمغناطيس ، والتفاعلات الكيماوية .. فالكافرون يكيدون أبدا للمؤمنين ، ولكن كيدهم وتدبيرهم وتصرفاتهم فى مقاومة النظم الالهية الثابتة منتهية الى الاخفاق الحتمى ، لأنها مخالفة للفطرة ومجافية للأسس الكونية العامة .

وهؤلاء المسرفون فى الظلم والادعاء ومحاولة تغيير الحقائق ، كأولئك الكافرين صائرون حتما الى الاخفاق الفاضح ، بقوة الحق الذى لا يهادن الباطل أبدا .

وهذه المثلات التي يضرب بها القدر رؤوس الظالمين والمتعاونين معهم على نصرة الباطل ، وخذلان الحق ، لا موضع فيها لظلم أو غبن ، بل هى أحكام عادلة ، صدرت عن الحكم العدل ، الذى لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

والانسان — فردا أو جماعة — لكي يستقيم لهم طريق الخير ، لا بد لهم من التزام التوجيهات الالهية ، فاذا أبوا الا الانحراف عن الجادة فقد أسلموا أنفسهم الى مهاوى الضلال ، وبذلك يحرمون أنفسهم نعمة الهداية ، لأنهم عرضوا انفسهم باختيارهم الى غضب الله .

وكما استحق هؤلاء السقوط فى ظلمات الضلال ، استحق المسرفون فى عداء الحق المستسلمون للارتياب فى حقائق الوحي، مثل ذلكالمصير الخطير .

والتكبر نفخة من الشيطان تحجب عن صاحبها ضياء الهداية ، وبالتالي

تؤدى به الى التجبر والبغي على عباد الله ، فيستبيح الدماء البريئة ، وينتهك الحرمات المصونة .. ومن كان كذلك فقد أغلق قلبه دون نفحات السماء ، وبذلك يستحق الحرمان الأبدى من نور الله ..

وعندما نمعن نحن البشر الفكر فى هذه القوانين الالهية نستشعر الاطمئنان الأتم الى عدالتها ، لأن الذى قدرها وقضى بها هو الذى لا يعزب عن علمه شيء من أحوال عباده ، فاذا أشقى بعضهم فبعدله ، واذا أسعد بعضهم فبفضله ... فله الحمد على كل حال ، وفى كل مآل ..

أسلوب معجز ، يأتلف فيه اللفظ والمعنى ، والشكل والمضمون ، ائتلاف العطر والماء فى عنقود الفاغية ، فلا تدرى من أين يطالعك الجمال ، ومن أين يغمرك بالجلال ! .. ولكنك تحس بكل جوارحك أنك مندمج فى جو العرض ، تشهد وتسمع وتلمس ، فتستغرب كيف يظل بين هؤلاء المخاطبين من يستهويه العناد ، فيؤثر الضلالة على الرشاد ! .

ولعل أروع ما يهزنا نحن مسلمي اليوم ، ونحن نمعن الفكر بهذه الآيات المعجزات ، عمق تصويرها لنماذج من البشر لا نزال نشهد مثلهم فى غدونا ورواحنا .. ولا عجب فى شيء من ذلك كله ..

انه القرآن العظيم ، الذي يتغير كل شيء من حوله وهو ثابت فى قمة الحياة ، منارا يهدى الى شاطىء السلامة ، كما تفعل الابرة المغناطيسية ، حين تثبت باتجاه القطب ، وقد اضطرب فى رؤوس الناس كل مقياس ..

انه المعجزة الخالدة ، التي أنزلت لتحكم تصرفات الانسان ، فتنقذه من شر نفسه وتنقذ من شره بني جنسه ، لتتجه بالحياة البشرية دائما الى الأعلى ..

فما أحوج الجيل المسلم، وقد أحاطت به الظلمات ، وتنازعته من كل صوب مخالب المفسدين والمفسدات ، أن يفتح قلبه لهذه الأشعة الربانية ، التي لامست من قبل صدور المجهولين ، فجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس ، ولا تزال صالحة لاحداث المعجزة ، التي تجعل من هذا الجيل المضلل الحائر هادى البشرية ومنقذ الانسانية ..

(وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) .

شكر وتهنئة

هيئة تحرير المجلة ـ وقد غمرها القراء الكرام بفيض من رسائل التهنئة والتمنيات الكريمة بعيد الأضحى المبارك ، وبدخول المجلة فى عامها الثالث ـ تقف أمام هذا الوفاء وهذا التقدير عاجزة عن شكرهم ، وتتقدم اليهم باصدق التهاني ببدء العام الهجري الجديد ، راجية من الله تعالى أن يشد أزرنا ، ويأخذ بيد المسلمين جميعا الى ما فيه عزهم ومجدهم .

ولكن فى تلك الدول التي تبادلت واياه النشاط الدبلوماسي ، الأمر الذى يحتاج الى جهود كبيرة من الدارسين لهذا الحقل الذى لا يزال بكرا . والأمل الآن أن تظهر عنه ـ قريبا ـ الى عالم التأليف من البحوث ما تتناسب وأهميته وجماله البالغين .

المصادر والتعليقات

١ ـ عثرت على مثال للتمثيل الدبلوماسى الدائم بين الأندلس والشمال الأسبانى . فقد ذكر ابن حيان القرطبى أن الخليفة الحكم المستنصر عين كلا من أحمد بن عمروس العريف وسعيد سفيرين دائمين لدى مملكة ليون Léon (جليقية Galicia) .

انظر ابن حيان ، المقتبس ، مخطوط الأكاديمية التاريخية بمدريد ، مجموعة كوديرا Codera رقم ٢ ، الأوراق ٤٢ أ ـ ب ، ٨٨ أ . وقد نشر هذا الجزء من المقتبس أخيرا ، فى بيروت ، ١٩٦٥ . وقصة التمثيل الدائم المذكورة آنفا تقع فى ص . ٧٦ ، ١٤٧ .

٢ ـ وصفت الشاعرة الألمانية Hroswitha (القرن العاشر الميلادى) قرطبة بأنها « جوهرة العالم » أنظر E. Léui - Prouencal La civilisation Arabe en Espagne,Paris,1945,p.114

٣ ـ المقرى . نفح الطيب (طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة، ١٩٤٩) ، ٣٤٣/١ .

٤ ـ ابن خلدون ، العبر (بيروت ، ١٩٥٨) ، ٣١٠/٢/٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب (طبعة كولان وليفى بروفنسال ، ليدن ، ١٩٥١) ، ٢١٨/٢ .

٥ ـ أنظر P.h. Hitti, History of the Arabs. ondon,1960,p.590.

٦ ـ شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب (القاهرة ، ١٣٥٢ هـ) ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ . ويحتوى هذا الكتاب على تعليقات كثيرة قيمة ، وأكثره مترجم عن الأصل الفرنسى لكتاب رينو الذى ترجم الى الانجليزية .

J. Reinaud. Muslim Colonies in France, Northern: Italy and Switzerland (E.N.G, 7 R. H.K. Sherwani) Lahore,1964.

وقد نشر تقريظا لكتاب رينو هذا بقلم محمود السمرة فى مجلة « العربى » « العدد ٢٤ » (١٩٦٠) ، ص ١٤١ ـ ١٤٤ ـ كما اعتمد أرسلان فى كتابه على كتاب آخر ألمانى .

٧ ـ ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض طبعة J.H. Kramers ، ليدن ، ١٩٣٨) ، ٢٠٤/١ ، شكيب أرسلان ، نفس المصدر ، ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

٨ ـ Liudprand (BP, of Cremona) The Work of liudprand of Cremona G.M,TR.

٩ ـ عن هذه المنية راجع . ابن حيان، المقتبس (طبعة Melchor M. Ant una, Paris,1937 ص. ٣٨ .

١٠ ـ قارن شكيب أرسلان ، نفس المصدر ، ص. ١٧٧ ، عنان (محمد عبد الله) دولة الاسلام فى الاندلس (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ٤١٥/٢ .

١١ ـ ابن خلدون ، نفس المصدر والصفحة .

١٢ ـ انظر . عنان ، نفس المصدر ، ص ٤١٦ .

١٣ ـ المقرى ، النفح ، ٦٥/٢ .

١٤ ـ عنان، نفس المصدر ، ٤٠٣/٢ .

١٥ ـ حتى ، نفس المصدر والصفحة .



الأسير

للأستاذ علي أحمد باكثير

— ١ —

[في بيت من بيوت سراة مكة] .

[الصبي عامر يقبل مسرعا الى امه الجالسة في الحجرة] .

عامر : [صوته قبل ظهوره في الحجرة] يا امه . يا امه .

جليلة : عامر . ما خطبك ؟ .

عامر : [يدخل لاهثا] ان خالي عقبة قد جاء بأسير معه .

جليلة : اين يا عامر ؟ .

عامر : ادخله المربد فحبسه فيه . يقولون انه من اصحاب محمد .

جليلة : من اصحاب محمد ! ما الذي جاء به الى خالك ؟ .

عامر : لا ادري . [ينظر الى جهة الباب] ها هو ذا خالي عقبة فاسأليه .

[يدخل عقبة بن الحارث] .

جليلة : من هذا الذي جئت به يا عقبة ؟ .

عقبة : هذا قاتل ابينا يا جليلة . قاتل الحارث ببدر .

جليلة : خبيب بن عدي ؟ .

عقبة : اجل .. انك تعرفين اسمه يا اخية .

جليلة : كيف لا وما من امرأة في قريش اصيب لها أحد في بدر الا اجتهدت ان تعرف اسم قاتله فحفظته عسى ان تنتقم يوما منه .

عقبة : فها هو ذا قد جئت به اليك فانتقمي منه وعذبيه .

جليلة : اي والله لاشفين صدري منه . امكني منه يا عقبة فلاقطعنه بهذا المشقص فلذة فلذة .

عقبة : كلا يا اختاه لا يحل لنا قتله الان حتى تنقضي الاشهر الحرم . ولكن عذبيه عذابا لا يقضي عليه .

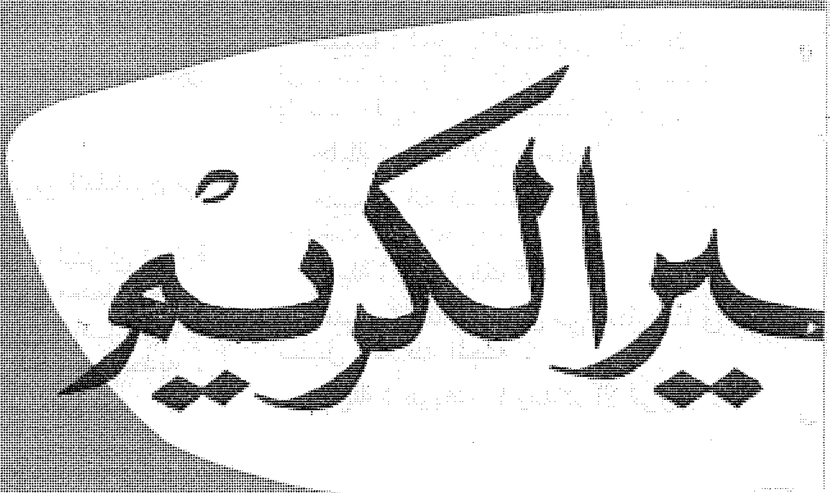
جليلة : ألك جئت به لتحبسه عندنا حتى ينقضي هذا الشهر المحرم ؟ .

عقبة : هو ذاك .

جليلة : خيرا سيتاح لنا بذلك ان نفتن في تعذيبه .

عقبة : اجل .. افتني في تعذيبه ما شئت . أريني براعتك يا جليلة ووفاءك لابيك .

جليلة : ثق يا اخي انني ساريه الويل الوانا . ولكن كيف تمكنت منه يا عقبة ؟ .



عقبة : كان محمد قد بعثه فيمن بعث الى بنى هذيل ، ليعلموهم الاسلام فوثب بهم الهذليون وباعوهم الينا .

جليلة : واشتريته انت منهم ؟ .

عقبة : بخمسين من الابل .

جليلة : خمسين من الابل ؟ .

عقبة : استكثرتيها ؟ والله لو طلبوا به مائة بعير لأعطيت . انه دم أبينا الحارث يا جليلة .

جليلة : صدقت ، كل مال يشترى به دم أبينا فهو قليل .

عقبة : هاتى له شيئا من الطعام يا جليلة .

جليلة : تريد أن تطعمه ؟ أتطعم قاتل أبينا يا عقبة ؟ .

عقبة : لا بد من اطعامه حتى لا يموت قبل أن ننزل به العقاب الأشد . قد اتفقت أنا وصفوان بن أمية على ذلك .

جليلة : وما شأن صفوان بن أمية ؟ .

عقبة : انه هو أيضا اشترى منهم قاتل أبيه لينتقم منه .

جليلة : قاتل أمية بن خلف ؟ .

عقبة : نعم .

جليلة : وما اسم هذا القاتل ؟ .

عقبة : زيد بن الدثنة .

جليلة : ودفع فيه صفوان خمسين من الابل ؟ .

عقبة : نعم .

جليلة : اذن والله ليثرين الهذليون من ذلك .

عقبة : (يضحك أجل . ليتركن تجارة الانعام ، ويتجرن في اتباع محمد ! .

جليلة : (لابنها الصبى) انزل بنا يا عامر الى هذا الأسير لنضربه ونعذبه . خذ تلك العصا معك .

عامر : لكن يا امه . .

جليلة : أليس برجليه القيد ؟ .

عامر : بلى يا أمه .

جليلة : فأى شيء تخشى منه ؟ .

عامر : لست أخشى شيئا منه ولكنه لا يستحق الضرب . انه رجل طيب .

جليلة : ويلك هذا قاتل جدك الحارث يا لكع .

عامر : ماأحسب مثل هذا الرجل يقتل أحدا يا أماه . لقد نظرت اليه من الباب فلما رآنى حيانى وابتسم .

جليلة : اسكت . لو سمعك خالك عقبة تقول هذا لأدبك فأوجعك .

هيا خذ تلك العصا وانزل معى الى المربد .

(يأخذ عامر العصا وهو كاره ويخرج خلف والدته) .

— ٣ —

« فى المربد .. مكان ضيق مظلم له باب محكم . خبيب جالس على الأرض وفى رجليه القيد الثقيل وجليلة وابنها عامر يضربانه بالعصى » .

خبيب : (يردد كلما ضرب ضربة) الحمد لله . الحمد لله .

جليلة : (فى غيظ) . ويلك . تضرب وتقول الحمد لله ؟ أهكذا أمركم صاحبكم محمد ؟ .

خبيب : أجل يا أخت بنى الحارث . ان نبينا صلى الله عليه وسلم أوصانا بالصبر على ما نلقى فى ديننا من مكروه .

جليلة : فدعه الآن ينفعك ! .

خبيب : انه قد نفعنا وسينفعنا دائما يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كيف ويلك ؟ .

خبيب : لقد وعدنا أن من يقتل منا فى سبيل الله فله الجنة .

جليلة : هيهات ما وعدكم الا غرورا .

خبيب : يا أخت بني الحارث لو قد سمعت من محمد كما سمعنا ما قلت هذا . أتحبين أن أسمعك شيئا مما جاء به من عند الله ؟ .

جليلة : (تضربه) كلا لا أريد أن أسمع شيئا .

خبيب : اذن يفوتك خير كثير .

جليلة : اسكت والله لأضربنك حتى تكفر بصاحبك .

خبيب : هيهات . انك لن تجني من ضربي غير أن تكل يدك .

جليلة : (تضربه بقوة) اضرب يا عامر .

خبيب : .. وتكل يد صبيك هذا .

جليلة : لا شأن لك . اضرب يا عامر .

عامر : هأنذا أضربه يا أمه (يضربه على كره) .

جليلة : اضربه بشدة .. بكل قوتك .. (تمضي في ضربه) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله . الحمد لله .

جليلة : امسك عن هذا القول ويلك .

خبيب : لو أمسكت عنه لأوجعني ضربك . انه هو الذي يدرأ عني الوجع . ما بالك وقفت عن الضرب ؟ أو قد كلت يدك ؟ أريحيها قليلا ثم عاودي ما أنت فيه .

جليلة : (في غيظ) الساعة يأتي عقبة أخي فيضربك ويوجعك .

خبيب : أجل يا أم عامر .. دعي أخاك يفعل ذلك فهو أقوى منك ومن هذا الصبي الذي دفعته الى ضربي فأرهقتيه .

— ٤ —

عامر : (يجيء الى المربد متلصصا ويدخل رأسه من الباب) . هل لي أن أدخل عندك أيها الأسير ؟ .

خبيب : (في حنان) عامر . ادخل يا بني .

عامر : ولا تؤذيني أو تبطش بي ؟ .

خبيب : معاذ الله يا بني . اني لأعلم أن أمك هي التي دفعتك الى ضربي وأنت كاره .

عامر : أجل انها هي التي أكرهتني . وقد قلت لها انك رجل طيب فلم تصدقني . خبرني أحقا قتلت أنت جدي الحارث بن عامر ؟ .

خبيب : نعم يا بني . جدك أراد قتلي فقتلته .

عامر : وكنت تعرف أنه جدي ؟

خبيب : لا يا بني . ما كنت أعرف أنه جدك .

(يدخل عامر حتى يقف قريبا من خبيب) .

عامر : ما دمت لا تعرف أنه جدي فليس بيني وبينك شيء .

خبيب : أجل ليس بيني وبينك غير المودة والمعروف .

عامر : أنت تحبني ؟ .

خبيب: اي والله يا عامر .

عامر : ان كنت تحبني حقا فاحك لي قصة الرجل الذي حمته الزنابير .

خبيب : أو قد سمعت أنت عنها ؟ .

عامر : سمعت طرفا منها وأريدها كاملة منك . ألست كنت معه ؟ .

خبيب : بلى يا بني . ذاك رئيسنا عاصم بن ثابت الأنصاري ما زال يقاتل بني هذيل الذين غدروا بنا حتى قتل ، فأرادوا أن يجتزوا رأسه، ليقدموه لامرأة في مكة كان قد قتل لها ابنين في بدر ، فجعلت لمن يأتيها برأسه مائة ناقة .

عامر : أنا أعرفها يا عم . اعرف تلك المرأة . هي سلافة من آل عبد الدار التي نذرت ان قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر . لكن ما قصة الزنابير ؟ أحقا كانت كبيرة جدا كل واحد منها في حجم الحدأة ؟ .

خبيب : لا تصدقهم . انها زنابير في الحجم المعتاد . طفقت تذب عن جسد عاصم وتلسع كل من يقترب منه الى أن

جاء السيل فاحتمله ، وذهب به حيث أراد الله .

عامر : يقولون انه ساحر .

خبيب : لا تصدقهم يا عامر . بل هو رجل مؤمن شجاع دعا ربه دعوة فاستجابها له .

عامر : ماذا دعا ؟ .

خبيب : كان قد قاتلهم طول النهار فلما أيقن بالموت وخشي أن يمثلوا بجثته دعا ربه فقال : اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم جسدى آخره .

عامر : ما دام ربه يستجيب له فلماذا لم يدعه أن ينقذه من القتل ؟ .

خبيب : انه آثر أن يموت شهيدا فى سبيل الله ليدخله الله الجنة .

عامر : خبرنى ماذا فى الجنة يا عم ؟ .

خبيب : فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عامر : هل أستطيع أنا أن أدخلها ؟ .

خبيب : نعم اذا آمنت بالله وبرسوله وعملت عملا صالحا .

عامر : (بعد صمت يسير) اسمع يا عم .. ليس فى البيت أحد فهل لك فى شيء أحضره لك ؟ .

خبيب : نعم احضر لي شفرة يابنى .

عامر : شفرة .. ماذا تصنع بها ؟ .

خبيب : انهم سيقتلوننى غدا فأريد ان استحد بها وأتطهر حتى ألقى ربى وأنا فى هيئة حسنة .

عامر : وأين تلقى ربك ؟ .

خبيب : فى الجنة ان شاء الله .

عامر : انتظر قليلا .. سأحضرها لك (يخرج) .

ـ ٥ ـ

« نفس المنظر السابق . خبيب يسوى شعر لحيته وشاربه بشفرة فى يده ، وبجانبه عامر يصغى الى قصة يقصها عليه » .

عامر : أجميل هو ؟ .

خبيب : جميل جدا وطيب جدا وشجاع جدا . آه لو رأيته صلى الله عليه وسلم لاحببته يا عامر ولو رآك هو لأحبك .

(يسمع صوت جارية من الخارج وهى تصيح فى رعب) .

الصوت : سيدتى . سيدتى . ابنك عامر قاعد عند الأسير وفى يده شفرة ماضية .

جليلة : (صوتها) فى يد من ؟ .

الجارية : (صوتها) فى يد الرجل .

جليلة : (صوتها) يا ويلتا سيثكلنى الولد كما اثكلنى الوالد . انطلقى الى سيدك عقبة فادعيه (تدخل جليلة وهى مرعوبة) .

جليلة : ويلك ماذا تصنع بولدى ؟ .

خبيب : (يجذب عامرا اليه) قد أمكننى الله منكم مرة أخرى يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كلا لا تفعل . حنانك انه صبى صغير وليس لى غيره . أليس فى قلبك رحمة ؟ .

عامر : لا تخافى يا أمه . انه انما يمزح معك .

جليلة : أيمزح وفى يده الحديدة ؟ .

خبيب : لا تراعى يا أم عامر . انما أردت أن أريك أننى قادر عليه لو شئت . ولكن دينى ينهانى عن ذلك ، وما كنت لأفعله ، ولو لم ينهنى دينى . اذهب يا بنى الى أمك .

عامر : لا .. حتى أسمع بقية القصة .

جليلة : ويلك تعال يا شقى .

خبيب : اذهب اليها يا بنى وسأتم لك قصتى فيما بعد .

(يدنو الصبى من أمه فتحتضنه فى فرح وهى لا تكاد تصدق أنه حى بعد) .

— ٦ —

« فى العراء خارج مكة وقد نصبت خشبة من جذوع النخل ليصلبوا خبيبا عليها فى نشز مرتفع من الأرض . خبيب يسوقه عقبة واثنان آخران . خلفهم جليلة وعامر الصبى . ومن خارج المشهد تسمع أصوات الجمهور من الخلق الذين خرجوا ليشهدوا صلب خبيب وقتله » .

خبيب : ان كنتم تريدون قتلى الساعة ، فدعونى أصلى ركعتين قبل أن تقتلونى .

أصوات : كلا لا تجيبوه الى طلبه ! اقتله يا عقبة ! اقتله يا عقبة ! .

جليلة : مهلا يا عقبة . أجب هذا الرجل الى طلبه . فمن حقه أن يجاب

(همهمة استنكار من الجميع) .

عقبة : ما خطبك يا أم عامر .

جليلة : ان له يدا عندى يا عقبة . كان فى وسعه أن يقتل عامرا ابنى فلم يفعل .

عامر : أجل يا خالى أجبه الى طلبه .

عقبة : صل يا هذا ما شئت وأسرع .

خبيب : (يكبر للصلاة) الله أكبر .

— ٧ —

خبيب : (يسلم من صلاته) السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله . (ينهض قائما) .

عقبة : هلم ارق هذه الخشبة .

خبيب : ويلكم أتريدون أن تصلبونى ؟

عقبة : نعم . هل جزعت ؟ .

خبيب : يا هذا ان المسلم لا يجزع من الشهادة .

(عقبة وصاحباه يشدونه الى الخشبة بالحبال) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله .

(يهم عقبة بقتله) .

أصوات : مهلا يا عقبة . دعنا نسأله أولا . أتحب يا هذا أن محمدا يكون مكانك ؟ .

خبيب : لا والله ما أحب أن يؤذى محمد بشوكة فى قدمه .

أصوات : ارجع عن الاسلام لنخلى سبيلك ولا نقتلك .

خبيب : ساء ما قلتم يا جند الباطل . (يدعو) اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا .

عقبة : سمعتم ما يقول كيف يدعو عليكم ؟ انى لن أقتله وحدى .. هلموا كل من بيده رمح فليطعنه معى .

أصوات : أجل دعونا نتعاوره برماحنا من كل جانب .

خبيب : اللهم انه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه انت عنى السلام ! .

عامر : ذبى عنه يا امه ! لا تتركيهم يقتلونه ! .

جليلة : ليتنى أستطيع يا عامر ! .

خبيب : (يعلو صوته من خلال الضوضاء والرماح تتعاوره) بلغه أنت يا ربى عنى السلام .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

نقل الدم لا يحرم الزواج

السؤال :

هل تثبت بنقل الدم من رجل الى امرأة ، أو من امرأة الى رجل حرمة الزواج بينهما ــ كما هو الشأن فى الرضاع .

(عبد الكريم محمد ــ كميلة شاكر)

الاجابة :

من المقرر شرعا : أن الأصل فى الأشياء الحل ما لم يرد دليل بالتحريم . فكل مسكوت عنه حلال . وكل ما ورد دليل بمنعه فهو حرام ، ويجب اجتنابه وهذا من فضل الله ورحمته بعباده وهو من يسر الشريعة الاسلامية وسماحتها .

وقد نص الكتاب الكريم على أن الرضاع (بشروطه) سبب من الأسباب المحرمة للزواج .

أما نقل الدم من انسان لآخر فهو مسكوت عنه ولم يرد دليل على أنه سبب من الأسباب المحرمة للزواج .

فضلا عن انه عمل انساني جليل يدعو اليه ديننا الحنيف لما فيه من انقاذ حياة المريض ، فلا يترتب عليه تحريم كما يترتب على الرضاع المنصوص عليه ، وعلى ذلك يحل لكل من المنقول اليه والمنقول منه الزواج من الآخر . فلا تحريم الا بنص ولا يجوز قياسه على الرضاع .

* * *

فى الميراث

السؤال :

توفي أخوان لأب فى حادث سيارة ، ولم يعرف أيهما توفي أولا ، ومات أحدهما عن : زوجة وبنت وأم .

ومات الآخر عن : زوجتين وبنتين وأخ لأم وأم وأخت لأب .

(حسين علي ــ العراق)

الاجابة :

بوفاة الأخوين لأب فى حادث سيارة وعدم معرفة أيهما توفي أولا يكون لا ارث لأحدهما من الآخر ــ لأنه يشترط لاستحقاق الارث تحقق حياة الوارث وقت موت المورث .

وبوفاة احدهما عن زوجة وبنت وأم يكون تقسيم التركة على الوجه التالي :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، وللأم السدس فرضا ، والباقي

يرد على البنت والأم بنسبة سهام كل واحدة منهما ، ولا يرد على الزوجة شيء ، بل تأخذ فرضها فقط .

وبوفاة الآخر عن : زوجتين ، وبنتين ، وأخ لأم ، وأم وأخت لأب يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

الثلثان للبنتين فرضا مناصفة . والثمن للزوجتين فرضا مناصفة ، والسدس للأم فرضا والباقي للأخت لأب تعصيبا لصيرورتها عصبة مع البنين ، ولا شيء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث وهو البنتان .

السؤال :

توفيت امرأة عن : زوج وأم وخنثى شقيق . فما نصيب كل وارث ؟ .

(محمد علي ـ البصرة)

الاجابة :

الخنثى المشكل هو انسان لا يعرف أذكر هو أم أنثى أى لا توجد فيه علامة تدل على الذكورة الكاملة أو الأنوثة الكاملة فينظر فى نصيبه على أنه مذكر وعلى أنه مؤنث ويعطى أقلهما ، وعلى ذلك يكون توزيع تركة المتوفاة على ورثتها المذكورين على الوجه التالي :

للزوج النصف فرضا $\frac{1}{2}$ لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأم الثلث $\frac{1}{3}$ لعدم وجود الفرع الوارث أو جمع من الأخوة ، وللخنثى الباقي وهو السدس $\frac{1}{6}$ على اعتبار انه عصبة (أخ شقيق) اذ لو فرض انثى لورثت النصف ، والمقرر شرعا أن الخنثى يعطى أقل النصيبين وهو هنا السدس .

★ ★ ★

فى الرضاع

السؤال :

أرضعت زوجة جارى بنتا لي لم تبلغ الحولين رضعات كثيرة ، ولهذه السيدة ولد كبير لم يرضع مع ابنتي ، فهل يحل شرعا أن يتزوج هذا الولد ابنتي .

(عبد الكريم أسعد ـ الكويت)

الاجابة :

كل من أرضعت طفلا ذكرا أو أنثى فى مدة الارضاع وهى حولان خمس رضعات متفرقات مشبعات كما عليه الفتوى من مذهب الشافعى تثبت امومتها لمن أرضعته ، وبالتالي تثبت أخوة الراضع لأولاد المرأة المرضعة الذين ولدتهم جميعا سواء كانوا أولاد الرجل الذى كان سببا فى ادرار اللبن أم من رجل آخر قبله أو بعده ـ ومن ثم فلا يحل للولد كما لا يحل لأى ذكر من أولاد المرضعة أن يتزوج هذه البنت قال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة » .

لذلك نفتيك انه برضاع هذه البنت من المرأة المذكورة يكون أولادها جميعا ذكورا واناثا تقدمت ولادتهم على الرضيع أو تأخرت اخوات لها من الرضاعة ولا يحل للولد الأكبر الزواج منها .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلي

الصخرة المشرفة مكانها لم تتحرك .

آثار أقدام الأنبياء على الأحجار لم تثبت

تلقينا من الأخ فرحان القاعى بالخبر الرسالة التالية .

هل صحيح ما يقال من أن الصخرة المقدسة فى بيت المقدس قد لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما عرج الى السماء ، فقال لها . اهدئى فهدأت ، وبقيت معلقة بين السماء والأرض ، وأن قدم رسول الله الشريفة لها أثر فى أعلى الصخرة .

الصخرة المشرفة ــ يا سيدى ــ من الآثار المعروفة المشهورة لدى المسلمين وغير المسلمين من قديم الزمان ، ومكانها معلوم مشهود ، والطريق اليها سهل معبد ، وقد زارها الملايين من الناس ، ورأوها وعاينوها ، فوجدوها ثابتة فى مكانها . لم تتحرك ، ولم ترتفع بين السماء والأرض . كما يزعم الدجالون ، ويتخرص المتخرصون ، وأى دجل وتخرص أقبح وأجرأ من التجنى على الحقيقة ، وانكار الواقع المحسوس ، ولم يرد فى الكتاب الكريم ، ولا فى السنة الصحيحة ما يشير تصريحا أو تلميحا الى أن هذه الصخرة تحركت ، أو ارتفعت لحظة واحدة ليلة الاسراء والمعراج ... وانا لا نقول ذلك استعظاما لهذا على قدرة الله عز وجل ، فالله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ، قادر على كل شيء ، ولا نقول ذلك ضنا بالرسول الكريم عن أن يؤيده ربه بالمعجزات الحسية ، كما أيد من سبقه من اخوانه النبيين والمرسلين ، فقد أيده ربه بالكثير منها ، كما أيده بما هو أعظم وأنفع ، وأبقى وأخلد على الزمن من المعجزات الحسية وهو القرآن الكريم معجزة المعجزات ، وآية الآيات .

وانما نقرر هذا انصافا للحقيقة ، وتطبيقا لتعاليم ديننا الذى قام على المنطق والصدق واتباعا لهدى الرسول الكريم فى محاربة الظنون ورد الشائعات والأوهام ، فقد صحح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبق الى ذهن بعض أصحابه حين انكسفت الشمس ، وصادف ذلك موت ابنه ابراهيم عليه السلام ، فظن بعض أصحابه أن ذلك مشاركة من السماء للرسول فى حزنه وفى فجيعته فى ولده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » .

فهذا الافتراء على الله ورسوله والتاريخ والواقع ما أظنه الا من أساليب الدس الرخيص الذى حاول أعداء الاسلام أن يشوهوا به جمال هذا الدين ، ولم يفت كبار

الصحابة أن يفطنوا لهذا ، وأن يسدوا منافذ الفتنة على المفترين ، فقد روى الامام احمد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس قال . قال أبو سلمة . فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال . سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب . أين ترى ان اصلى ، فقال . ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر . ضاهيت اليهودية ، ولكنى أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة . فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسةفى ردائه ، وكنس الناس ، فلم يعظم عمر الصخرة بالصلاة وراءها وهى بين يديه كما أشار عليه كعب الاحبار لانه من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم .

هذا يا سيد فرحان هو الرد على ما جاء في رسالتك عن الصخرة المشرفة ... أما ما يقال عن أثر القدم الشريفة فى أعلى الصخرة فهو أيضا لم يثبت ولم يصح ، وقد كان للآثار النبوية نصيب كبير مـن جهود العلماء المسلمين ــ كدأبهم فى كل ما يتصل بالرسول الكريم ، فقد عكف المؤرخون منهم على دراسة هذه الآثار وتتبعها على ممر العصور ، وفى مختلف الاقطار ، وأفردوها برسائل ومؤلفات تكلموا فيها على عددها ووصفها والاماكن التى توجد فيها ، وانبرى المحققون منهم ببيان ما صحت نسبته للرسول منها وما لم يصح ، واستأثر بعنايتهم البالغة ما يقال عن آثار القدم النبوية على الاحجار ، فقد أحصوا هذه الاحجار ، والمعروف منها سبعة : أربعة فى مصر . الاول فى مسجد أثر النبى المطل على النيل فى مصر القديمة ، والثانى بجوار قبر السلطـان الاشرف قايتباى بقرافة المجاورين ، والثالث فى ركن من أركان القبة المقامة على ضريح السيد البدوى بطنطا ، والرابع بجوار قبر أويس القرنى بقرية البرنبل بمحافظـة الجيزة ، أما الخامس فهو محفوظ بالقسطنطينية فى قصر ((طوبقبو)) والسادس فى الطائف والسابع حجر قبة الصرة المشرفة ، وكل هذه الاحجار سـوداء تضرب الى الزرقة . عليها آثار أقدام متباينة فى الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر ، ولهذا قطع المحققون بعدم صحة ما يقال عن هذه الاحجار وأنه لا سند لما يروى عنها ، ونقل عن الامام ابن تيمية أنها من اختراع الجهال ، وأن ما يروى من تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم اذا وطىء عليه من الكذب المختلق .

وعلى الرغم من وضوح هذا الاختلاق والكذب ، فقد خدع كثير من المسلمين ولا يزالون يخدعون بما ينشره ويروجه الجهلة والمغرضون ، فأقاموا القباب على هذه الاحجار ، وأحكموا لها الابواب وصفحوها بصفائح الذهب والفضة ، وأطلقوا عندها البخور والعطور ، وازدحم عليها العامـة معظمـين متبركين ، ولـم يفت الشعـراء والقصاصين ان ينظموا فيها القصائد ، وينسجو احولها من خيالهم ما يستهوي السذج من الناس .

وهذا الافتعال من الروائيين والقصاصين فيما يتصل برسل الله وأنبيائه داء قديم استثاروا به عواطف الدهماء على اختلاف عصورهم وبلادهم وأديانهم .

فقد زعم هؤلاء المتزيدون أنه توجد فى بعض البلاد آثار أقدام منسوبة الى الرسل الكرام . كأثر آدم عليه السلام فى جزيرة سرنديب ، وأثر قـدم الخليل عليه السلام بالحرم المكى ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطور زيتا فى بيت المقدس ، وأثر قدم ادريس عليه السلام ببيت المقدس ، وأثر قدم أيوب عليه السلام بقرية قرب ((نوى)) بالشام .

وكم وددنا ان يستيقظ وعي المسلمين الدينى ، وأن يعرضوا عليه ما يسمعون وما يقرأون ويميزوا به بين الصحيح والزائف والحق والباطل . هذا ــ وحده ــ هو الكفيل برد افتراء المفترين والحائل دون رواج الاباطيل والخرافات .

قالت صحف العالم

عيدنا الوطني .. منطلق جديد للسير

وسط مظاهر الفرح والبهجة التي عمت البلاد في عيدها الوطني السادس كتبت مجلة الكويت تقول :

تحتفل الكويت يوم ٢٥ فبراير بعيدها الوطني السادس الذى كان وما يزال مجمع انجازاتنا الوطنية ومنطلق سيرها نحو غد أفضل ورمز الألفة والوفاء بين أفراد الأسرة الواحدة التي تجمع الأمير وشعبه للسير قدما نحو بناء البلاد والوصول بها الى أوج التقدم والمجد .

وفي هذا اليوم الخالد ـ يوم العيد الوطني ـ يسعد كل مواطن أن يتوجه الى الله العلي القدير بالدعاء الخالص أن يحفظ للكويت أميره ورائد نهضته ، ليبلغ بهذه البلاد الخيرة ما يصبو اليه شعبها من ازدهار وسؤدد . وأن يمد العاملين المخلصين بقوة متجددة من عنده ، ليواصلوا قيادة المسيرة الهادفة الى ارساء قواعد النهضة الصاعدة على أسس ثابتة من الايمان بحق الوطن ومصلحة الشعب ، وعلى رأس هؤلاء جميعا حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المفدى وقائدها الأعلى الى كل ما فيه خيرها وازدهارها وسعادتها .

نماذج من التفسير النبوى

وطالعتنا مجلة رابطة العالم الاسلامي المكية بمقال تحت هذا العنوان : نقتطف منه ما يلي :ـ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا الى تصحيح ما يتوهمه المسلمون من الخطأ في تفسير بعض آيات الله ، وان كان في صيغة سؤال ؟ فما يكاد يصل الى سمعه بعض ما جاء في غير موضعه من القول ، حتى يبادر الى احقاق الحق ، فقد قرأت عائشة رضى الله عنها ذات مرة قول الله عز وجل « والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون » فسألت رسول الله . أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون فقال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم ! فكأن عائشة قد ظنت الوجل لدى هؤلاء من حدوث الذنب ! وغفلت عن سياق الآيات ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لا يبتر قطعة من نص ليستشهد بها دون النظر الى جميع الكلام فهو يعلم أن الآية سيقت في مجال الحديث عن المؤمنين التقاة اذ يقول الله عنهم في سورة (المؤمنون) « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .

وواضح أن الذين يسرقون ويشربون الخمر ليسوا هم الذين من خشية ربهم يشفقون ، وليسوا ممن يسارعون في الخيرات ، ولو تدبرت عائشة النص الكامل للآية ما سألت سؤالها البعيد ، أما الخوف والوجل مع هذه الأعمال الصالحة فخشية الا يتقبلها الله ! وهذا ما عبر عنه القرآن بالاشفاق في مجال آخر حيث قال عن المؤمنين في الجنة « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . واقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين . فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم . انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » .

الاسلام فى تايوان

وتتحدث مجلة نداء الاسلام العراقية عن النشاط الاسلامي فى جزيرة فرموزا ، فتقول :

على طريق سن شنغ الجنوبية فى مدينة تايبى ، ترتفع المآذن الرشيقة للمسجد الجديد الذى تم بناؤه عام ١٩٦٠ ليشهد على الجهد المخلص وروح التضحية عند المسلمين الذين قدموا الى تايوان منذ عشر سنوات خلت لكى يحتفظوا بحريتهم فى عبادة الله .

ولقد كانت (جمعية المسلمين الصينية) هى القوة الموجهة لهم فى هذا السبيل،وقد دأبت هذه الجمعية وتابعت أوجه نشاطها فى تايوان ولقد انجزت هذه الجمعية عملا آخر مرموقا وهاما . الا وهو ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الصينية . ولقد انكبت على انجاز هذا المشروع هيئة خاصة للترجمة كرست لها الجهود مدة سبع سنوات وتم بعدها طبعه ونشره فى سفر يشتمل على ٤٠٠،٠٠٠ كلمة .

وتقوم الجمعية أيضا بتحرير مجلة باللغة الصينية واسمها (مجلة الجمعية الاسلامية الصينية الشهرية) ولقد حصرت هذه المجلة نطاق رسالتها فى تكريس الجهود على المقالات المتعلقة بالدين والعقيدة وتقصى الأخبار من الأقطار الاسلامية وكذلك المعلومات حول نشاط الجمعيات الخاصة .

وبالاضافة الى ذلك فالجمعية تشرف على برنامج اذاعى اسبوعي توجيهى ديني لشرح مبادىء الاسلام وأخلاقه .

وهناك مدارس صينية لأبناء المسلمين الذين يتجاوزون الثانية عشرة من العمر تشرف عليها دائرة رعاية الشباب التابعة للجمعية . وتقوم هذه الدوائر بتزويد الكتب والمجلات للمسلمين العاملين .

ولقد قام المسلمون بارسال خمس ارساليات للحج الى مكة المكرمة فى السنوات الستة الماضية وبعد الزيارة يقوم الحجاج بزيارة الأمم الاسلامية الأخرى التي يمرون فيها فى طريق عودتهم الى تايبى ... وهناك مجموعات عديدة من حجاج تايوان زاروا مثل هذه الأمم الاسلامية فى ليبيا . والسودان . وتركيا . والأردن ولبنان . والباكستان . وسنغافورة . والملايو .

الزكاة على الأموال المدخرة

وجه الى الملحق الدينى الذى تصدره صحيفة الجمهورية القاهرية هذا السؤال : (اذا وفرت فى بنك الادخار جنيها واحدا فى الشهر لمدة سنة فسيصبح المجموع (١٢) جنيها ، فهل ينطبق على هذا المبلغ فريضة الزكاة ؟) .

وقد أجاب فضيلة الشيخ زكريا البرديسي أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة فقال :

ان النبى صلى الله عليه وسلم قدر النصاب الذى تجب فيه الزكاة بمائتى درهم على أساس قيمتها فى عصره صلى الله عليه وسلم وقد بين الصحابة رضوان الله عليهم هذه القيمة بعشرين مثقالا من الذهب فينبغي جعل هذه القيمة أساس التقدير فى كل العصور ، وبذلك يتوحد النصاب فى كل الأقطار الاسلامية ، ولا يعد هذا تركا لتقدير النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو اعمال له فى أوسع مدى ، وجعلنا الذهب هو الاساس فى نصاب الزكاة لانه العملة التى بها تقاس قيم الاشياء ومنها الفضة .

والأوراق النقدية الآن تعد نقودا حالة محل الذهب ، وقيمتها فيما تدل عليه من قيمة ذهبية فى أسواق الذهب العامة .

فالعبرة فى وجوب الزكاة بالنسبة للأوراق النقدية قيمتها بالنسبة للذهب ، وبما أن العشرين مثقالا من الذهب تساوى ٣٠ درهما من الذهب ، لان المثقال درهم ونصف فلا تجب الزكاة فى الاوراق النقدية الا اذا وصلت قيمتها الى ما يساوى ثلاثين درهما من الذهب ، والدرهم الآن يساوى ثلاثة جنيهات وكسور ، فلا تجب الزكاة الا فيما يزيد على ٩٥ جنيها مصريا ويجب فى هذا القدر ربع العشر أى ٢و٥٪ اذا مضت سنة كاملة على هذا القدر دون أن ينقص ، ويكفى فى ذلك النماء التقديرى ، فالنقود المدخرة فى المصارف والخزائن تجب فيها الزكاة اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول اذ هي معتبرة نامية بقوتها النقدية .

وعلى ذلك فهذا السائل الذى تجمع لديه فى بنك الادخار بعد مضي سنة مبلغ (١٢) جنيها لا تطبق عليه شروط فريضة الزكاة لان هذا المبلغ لم يصل الى النصاب ولم تمض على جميعه سنة كاملة .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

يوم الهجرة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ احمد عبد اللطيف حسب الله المدرس بمدرسة كفر الدوار الصناعية ــ ج ٠ع٠م يقول :

ان يوم الهجرة ليوم مشهود ، وذكر باق على وجه الخلود ، لا ينطمس أبدا ، ولا تضيع معالمه ، هو دائما جديد فى ثوب أربعة عشر قرنا ، وما أدركه البلى ، وما أثرت فيه المحن ، وما أخافته النوازل، بل كان القوى الشامخ ، العزيز الكامل .

كان يوما فاصلا بين الحق والباطل ، يشعر فيه الانسان بظلال الرهبة تجرى فى أوصاله ، ويحس فيه خطر الموقف يسرى فى أعصابه ، حيث تقابلت فيه قوتان . قوة الايمان الذى يبغى الانطلاق ، وقوة الشرك الذى يأبى الا العناد .

وحيث تلاقت فيه ليلة لها ما بعدها ، وأمر الوجود متوقف عليها ، فالبدر يرنو بعين القلق ، والانجم حيرى من الخوف والوجل ، والتلال الشوامخ أصابها الهول فارتعدت ، والسكون شامل فلا ذئاب تعوى ، ولا ريح تصرصر ، فاليوم يكتب التاريخ فاما حياة ليس بعدها موت ، واما ممات ليس بعده حياة ...

هى ليلة أمر فيها الله ولله جنده ، وكاد فيها الشيطان وللشيطان كيده . اجتمع فيها النور والهداية ، واجتمع فيها الظلام والغواية ، فاما أن ينفذ النور من خلال الظلمات فيعم الحياة باشعاعه ، ويملأ الدنيا باضوائه ، وتسرى الهداية من جنبات الغواية تحت الخطا صوب من غفل فنام ، وتدعو الى الله ، وترغب فى الآمان ، وتنشر السلام ، وتنشر لواء الحب ، وترفع علم الاخاء ، واما أن يقضى على هذا النور فى مهده ، ويحين عليه الحين قبل نفاذه ، وتكشف الهداية للغواية فتنال منها منالا ، فلا يعبد الله فى الارض ولا يرفع له فى الكون ذكر . ولكن مكروا ومكر الله ، ودبروا ودبر الله وقدروا وقدر الله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

أهل الواجب

ويتحدث السيد محمد صالح بربندى بالادارة القانونية بوزارة المعارف السعودية عن حاجة الامة الماسة الى طراز خاص من الرجال يجددون شبابها ، ويردون عليها امجادها فيقول :

هم البررة المخلصون لامتهم وأوطانهم ، وعليهم يرتكز عماد الوطن وتقدمه وازدهاره ، ولاغرو فهم الصفوة المختارة من الناس التى تقوم بواجبها دون كلل أو ملل ، أو تذمر أو استياء فالاخلاص يبدو فى أفعالهم ، والصدق يظهر فى أقوالهم ، انهم يحاسبون انفسهم أمام الله ، فى كل خطوة يخطونها وفى كل عمل يقومــون بـه .

قلوبهم كبيرة ونفوسهم عظيمة ، لانهم يضعون الواجب أسمى هدف مقدس لهم فى أعمالهم ، فاذا سول هاجس السوء لهم فعلا منكرا قال ضميرهم الحى فى قرارة نفسه (انى اخاف الله رب العالمين) ، واذا توانوا عن القيام بفعل الواجب نبههم وازع الخير المتيقظ فى أعماق نفوسهم الى وجوب بذل المزيد من من الاعمال النبيلة لاوطانهم ، انهم يفخرون بجراحهم لا بأوسمتهم ، وبجهودهم لا بالقابهم ، وبايثارهم لا بزينتهم والبستهم ، هم جنود مجهولون تلمس أعمالهم دون بروز شخصياتهم .

ولم تتقدم أمة من الامم ، ولم يعل شأنها فى مضمار المجد والرقى الا باعمال هؤلاء الذين دأبوا على حب الواجب فى كل أفعالهم ، والتاريخ يسجل آثار هؤلاء المخلصين بفخر واعتزاز ويعطى أبلغ مثال على ايثارهم وتضحيتهم وتفانيهم فى خدمة أمتهم وبلادهم .

ان تاريخنا الاسلامى العربى حافل بأمثلة من هؤلاء الذين هم عاملون دائبون ، يضحون بانفسهم وأبنائهم ، ويبذلون ما يملكون فى سبيل القيام بواجبهم التمثل بنصرة دينهم واعلاء شأن أمتهم .

ان كل انسان اذا أخلص فى عمله وجعل دأبه خدمة الصالح العام قبل مصالحه الخاصة ، وحاسب نفسه فى كل كبيرة وصغيرة يخطوها فى حياته فهو من أهل الواجب الذين هم نبلاء فى أفعالهم ، كرماء فى أقوالهم ، والذين لا يهتمون بما يأكلون من الطعام ، ولا بما يلبسون من الثياب ، ولكنهم يهتمون بما يقدمونه لأمتهم من خدمات وتضحيات عامة خالدة .

هؤلاء هم المؤمنون حقا برسالتهم فى الحياة الدنيا يصفهم الله تعالى فيقول . (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ويقول تعالى . (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، لأن نفوســهم قد ملئت تقوى واخلاقا وعلما وتضحية ، وهم يعنون بعظائم الامور وجلائلها ، ويقضون حياتهم جميعها فى الكفاح والنضال . ولم تخل أمة من الامم من هؤلاء ولكن تقدمها وازدهارها فى بناء المعالم والمكارم ، يقاس بكثرتهم وازدياد عددهم .

مآسي الإنسان المعاصر

ويستعرض الاخ عماد الدين خليل بجامعة الموصل بالعراق الآراء العلمانية والالحادية التى شقى بها الانسان فى العصر الحاضر ويخلص من ذلك كله الى أن سعادة الانسانية فى اتباع المنهج الذى ارتضاه الله لعباده فيقول .

تفتح الوعى المفكر فى القرن العشرين فجاة ، وبعد حربين طاحنتين ، وأخرى تدق لها الاجراس ، تفتح على حقيقة صارخة وهى ان البشرية فقدت جوهرها ... فقدت مثلها ومبادئها وأهدافها العليا ، وتاهت فى غمرة الصراع الذى أوقدته الانانية ، لقد ردمت قنبلة (هيروشيما) منابع الخير الانسانى أخيرا ... فلم يعد هنالك خير ، بل سحقته الشهوة ، شهوة الانتصار المادى والتحكم العرقى .. قنبلة (هيروشيما) هى الرمز الاكبر لبشاعة الحقد البشرى ، ... لقد طغت أصوات الرصاص على نداءات الروح ، حتى لقد انكمشت هذه ، تضاءلت ، وجرفها التيار ، وغدت تماثيل وأنصاب ... كل المبادىء التى تذكر البشرية (بانسانيتها) ، والاصوات التى تنادى بالعودة الى طريق الله ، أرغمت على ان تسكت

والا اسكتتها القوة الطاغية . الخير .. الايمان .. الحب .. العدالة ... المساواة ... وحدة الاصل ... دفقات الروح ... صعدات الفكر .. انسانية الفن ... كلها تاهت .

ما معنى هذا ؟ ما معنى ضياع المثل الانسانية ؟ وما نتيجته ؟ ضياع المثل الانسانية يعنى ان البشرية بابتعادها عن منهج الله انحرفت عن الطريق ، وانحدرت من القمة لتتخطفها الطير أو تهوى بها الريح الى قرار سحيق .. ومن ثم فقدت جوهرها وهدمت كيانها الانسانى .

ونتيجة هذا هو هذا الانسان المشتت المبعثر الذى حطمه القلق انسان القرن العشرين .

دعـــوات

ويجيش صدر الاستاذ حسن التل بوزارة الاعلام الاردنية ـ عمان ـ بهـذه الدعوات الحارة فيقول :

يا رب كما تهزم عتمة الليل باشراقة الفجر بدد من صدورنا حب الدنيا والنزوع اليها واغسـل قلوبنا بفيض نورك الذى أشرقت به الظلمات ، واجعلها دائما تنزع الى أعلى مترفعة عن الدنايا مترفعة عمن سواك متفانية فى ذاتـك .

يا رب : اننا نستشعر الغربة ونحن بين ذوينا وأهلينا ، فلقد ضجت المادية من حولنا واستحوذت حتى على أزواجنا وبنينا ، فافتح اللهم بيننا وبين قومنا بالحق ، واجمعنا على أمرك واهدنا سبيلك ..

يا رب : لقد همز الناس ولمزوا ، وتقاطعوا وتنابذوا ، وعضوا على الدنايا بالنواجذ ، ونسوا العدو الرابض على كلاكلهم ، وتركوا أسباب الوحدة الى دواعى الفرقة ، وارتدوا عن طريق المجد الى دروب الهوان فاكشف اللهم عن قلوبهم وأبصارهم وخذ بأيديهم الى المعالى ، وألهمهم أن العمل الصالح أخلد من المال وأنفع ، وأن الذى يفـنى عمره فى جمع المال لا يسأل عن مصدره حلالا كان أو حراما سيمضي الى عالم غير هذا العالم ، وسيبقى ماله هنا يبدده من لم يتعب بجمعه بينمـا ينتظر الكانزون مكاوى مـن نـار تكوى بها جباههم وجنوبهم « هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

يا رب : أذقهم حلاوة البذل ولذة العطاء ومتعة الكرم كما جرعهم الشيطان غصة البخل وغلظة السحت .

وهذه المواكب من الشباب والشابات تقذف بها الحياة كل يوم فى هذا التيه الذى لا يرون فيـه معالم توحي الى الدرب ولا شموعا تبدد غياب الظلام ، الى متى يبقون سائرين فى هذا الظلام وهم عيالك خلقتهم ليعبدوك فاختلطت عليهم السبل فضاعوا فى التيه وراء سراب حتى اذا جاءوه لم يجدوه شيئا انك تراهم وقد وصلوا الى هذه النهاية المؤسفة يقلب كل منهم كفيه أسفا على الايام التى أهدرها فى سبيل طواغيت منوه بحياة أفضل فانحرفوا بقدمه عن الجادة وسلموه الى هذا اليأس القاتل واستحالت أحلامه عدما مريعـا .

يا رب : ان فى كل نفس خلقتها نزوعا اليك لو أحسن توجيهها لأعطت عطاء خيرا فاصفح اللهم عن سقطاتهم ، ويسر لهم الرجال الذين يحسنون توجيههم ليعودوا الى الجادة التى أردتها لهـم عبـادا لك يسبحون بحمدك ، ويفنون فى سبيلك ، وأنت القائل « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

* قضى صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبى أربعة أيام فى زيارة الكويت بدعوة من أخيه صاحب السمو أمير البلاد .

* أجرى وفد الكويت برئاسة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التجارة والصناعة مباحثات هامة فى العراق لتوثيق الروابط الاقتصادية بين الكويت والعراق .

* وافق مجلس الوزراء على انشـــاء كليتين جديدتين فى جامعة الكويت كلية الحقوق وكلية التجارة . وبذلك يصبح فى جامعة الكويت أربع كليات .

* تلقى معالى وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كتاب شكر من رئيس جمعية النجاة الأهلية بالزبير ــ العراق على تبرع لجنة المعونات الاسلامية بمبلغ عشرة آلاف دينار للجمعية ..

* عقد فى مارس ١٩٦٧ مؤتمر منظمـــة المدن العربية فى الكويت وقد اتخذت لجانه التوصيات والقرارات اللازمة لمعالجة مشاكل المدن العربية ..

* تلقت الجهات المختصة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة تطلب فيها اعلامها بما تم تنفيذه من توصيات مؤتمر التعريب الذى عقد فى المغرب خلال ابريل ١٩٦١ لتنسيق التعريب فى الدول العربية .

* القى فضيلة الشيخ علي الخفيف محاضرتين موضوعهما (الاسلام عقيدة وشريعة) ، (المجتمع الاسلامي وروابطه) وذلك بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ومن قبل ألقى الأستاذ يوسف العظم محاضرتين موضوعهما : (الاسلام عقيدة أمة ونظام حياة) ، (وأين محاضن الجيل المسلم) .

* بعثت جامعة الدول العربية مذكرة تتضمن قرار الجامعة فى دورته السادسة عشرة بشأن تعليم المكفوفين كما تطلب موافاتها بقبولهم فى الدراسات الثانوية والعالية .

* طلبت الجامعة العربية من الكويت تزويدها بالمطبوعات والافلام والاسطوانات الثقافية والدينية والاسلامية بناء على طلب مكتب الجامعة فى داكار ــ السنغال ــ .

* مر وفد السفراء المسلمين لجمع التبرعات لبناء مسجد ومركز اسلامي فى الولايات المتحدة الامريكية وقابل المسئولين لهذه المهمة .

* أفادت سفارة الكويت فى الهند أن رئيسة وزراء الهند قد أمرت بحذف الفقرات الماسة بالدين الاسلامي من كتاب الأبطال لتوماس كارليل اســـتجابة لطلب الحكومات والهيئات الاسلامية العالمية .

الجمهورية العربية المتحدة

* زار رئيس جمهورية موريتانيا مختار ولد داده القاهرة بدعوة من السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وموريتانيا دولة اسلامية ١٠٠ ٪ .

* يجرى الآن اعداد تنظيم جديد لنشر الدعوة الاسلامية وتقويتها في الداخل والخارج وتزويد العالم الاسلامى باحتياجاته من العلماء والمدرسين لنشر الاســـلام واللغة العربية ..

* منحت جامعة الأزهر فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الدكتوراه الفخرية تقديرا لخدماته للمسلمين فى لبنان . فضيلته متخرج من كلية أصول الدين بالازهر .. كما منحت الدكتوراه الفخرية لرئيس جمهورية موريتانيا في حفل حضره الرئيس جمال عبد الناصر .
تلقت مشيخة الأزهر اخطارا من رئيس الاوقاف الهندية أنه بدىء فعلا فى وقف العقارات والاراضي اللازمة لتمويل معهد دينى ومركز اسلامي يتولى التدريس فيه علماء أزهريون .
* صادرت مشيخة الأزهر ثلاث طبعات من مصحف محرف من خارج العربية المتحدة .
* فرغ الامام الأكبر شيخ الأزهر من دراسة تقرير لمجمع البحوث الاسلامية، يتضمن قيام الأزهر بتصدير واهداء عدد كبير من المصاحف والكتب الاسلامية الى مختلف أنحاء العالم الاسلامي .
* طلبت مشيخة الأزهر مصادرة قصتين سينمائيتين ووافقت على (١٢) سيناريو وموضوع اسلامي .

المملكة العربية السعودية

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ١٠٫٠٠٠ جنيه استرليني لبناء مدارس اسلامية في توجو .
افتتح جلالة الملك فيصل الطريق الجديد (المسلفت) من الدمام الى مكة مارا بالرياض .
* اقترح السفير السعودى بنيجيريا اقامة مراكز اسلامية قدر المستطاع فى شرق أفريقيا وغربها ووسطها .
* زار الرياض معالي وزير الاشغال الكويتي ومعالي وزير المالية للمباحثات فى كل ما يهم الدولتين الشقيقتين .
بغداد : قام الرئيس العراقى عبد الرحمن محمد عارف بزيارة لايران استغرقت عدة أيام بحث أثناءها كل ما يهم البلدين .
* علم أن الرئيس اللبنانى شارل حلو سيزور العراق في أواخر ابريل القادل تلبية لدعوة من الرئيس عارف .
عمان : تجرى الاتصالات الآن لدمج لجنة شئون الحج الاردنية بدائرة القضاة .
* أصدرت الهيئة العلمية الاسلامية بيانا تذكر الأمة فيه بواجباتها الدينية وتدعوهم الى المواظبة على صلاة الجمعة .
بيروت : استقبل الشيخ حسن خالد مفتى لبنان عند عودته من القاهرة استقبالا رسميا وشعبيا ..
* اشترك فى أواخر مارس الماضي حوالي (٧٠) دولة فى المؤتمر الثالث للكتاب الآسيويين والافريقيين . الذى افتتحه دولة رئيس الوزراء .
* يبحث المسئولون زيادة عائدات مرور النفط مع شركة النفط العراقية على غرار سوريا .
الجزائر : قرر مجلس تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية عقد مؤتمره الخامس فى مدينة الجزائر في وقت لاحق من هذا العام بدلا من بكين كما كان مقررا في الاصل .
صنعاء : تقرر انشاء جامعة سبأ وهى أول جامعة تقام فى تاريخ اليمن وستوزع كلياتها وهى الطب والهندسة والزراعة وكليات أخرى على مدن اليمن .
الفلبين : قامت مظاهرة عنيفة فى مطار مانيلا بمناسبة مرور أبا ايبان وزير خارجية (اسرائيل) مما اضطره للفرار من باب جانبى للمطار .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢
جـــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥
بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامةــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السـودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كردى صب : ٣٠٣
مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

صدر بالإنكليزيّة عن

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت

ISLAM THE MISUNDERSTOOD RELIGION

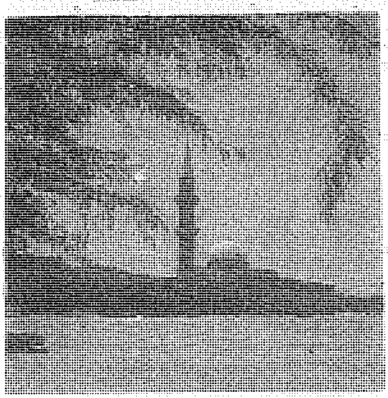
- أوّل ترجمة أمينة إلى اللّغة الإنكليزيّة لكتاب شبهات حول الإسلام
- طبع باللّغة العربيّة ستّ طبعات في القاهرة، وثلاث طبعات في بيروت
- ترجم إلى أكثر من أربع لغات أجنبيّة بعد أن ذاع صيته في العالم كلّه ولقي إقبالاً عظيماً من قرّاء العربيّة في كل مكان ...
- ... لأنّه كتاب يغني عن كثير من الكتب والمؤلّفات ولا يغني عنه غيره ...
- كتاب لابدّ من قراءته لكلّ متطلّع إلى الحقيقة النّاصعة والحجّة القاطعة ..
- وهو الكتاب الذي لابدّ لكلّ مثقف عربيّ أو غير عربيّ، مسلم أو غير مسلم أن يقرأه ويحبّه ويكرّر قراءته مرّات. لأنّه واجد فيه ضالّته المنشودة ...
- من قرأه بوعي وإنصاف وقف على طريق النّور والهداية ثم لا يضلّ أبداً بإذن الله ...

PUBLISHED BY MINISTRY OF AWQAF & ISLAMIC AFFAIRS

STATE OF KUWAIT

مطبعة حكومة الكويت

صورة الغلاف



مسجد ثانوية الشويخ

من أكبر مساجد الكويت . أنشيء سنة ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م بجانب مدرسة الشويخ الثانوية ويمتاز بجمال الموقع وروعة البناء وهو مزود بمكيفات الهواء ومزود بالسجاد الفاخر .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة صفر سنة ١٣٨٧ هـ
١٠ مايو (أيار) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

كلمة معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية

في

عيد الهجرة النبوية

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية كعادتها كل عام بذكرى رأس السنة الهجرية وذلك في مسجد السوق الكبير مساء يوم الاثنين ٣٠ من ذى الحجة ١٣٨٦ هـ الموافق ١٠ ابريل ١٩٦٧ م ، وقد ألقيت عدة كلمات مناسبة في هذا الحفل الديني الكبير كان في مقدمتها هذه الكلمة التي ألقاها معالي عبد الله المشارى الروضـان وزير الأوقاف والشـئون الاسلامية : ـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد .

ان وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ليسعدها أن تحتفل بهذه الذكـرى الطيبة قياما بواجبها في تذكير المسلمين بأمجادهم حتى يصلوا حاضرهم بماضيهم فان تاريخنا الاسلامي مزدحم بالمناسبات السعيدة والأيام الخالدة والأمجاد الكبرى ، وأجل هذه المناسبات قدرا وأبقاها على الزمن يوم هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، فليس يوما من أيام التاريخ فحسب ، ولكنه أبو التاريخ وأساس قاعدة انطلاقه ، ونقطة تحوله ، وأصل تقدمه وامتداده عبر القرون والأجيال .

والا فمن كان يصدق أن هذه الدعوة الجديدة التى حاول المشركون كتم أنفاسها في مكة ، تملأ الدنيا نورا وعلما ، وهداية وفهما .

من كان يصدق أن حامل هذه الدعوة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذى ضيقوا عليه الخناق ، وأحكموا حوله الحصار ، وحاولوا أن يظهروه أمام القبائل الوافدة بصورة الرجل المنحرف المخرب . من كان يصدق أن هذا الرجل يستطيع أن يبطل كيدهم وينتصر عليهم ، ويصنع أكبر حضارة عرفها التاريخ ، وينشىء خير أمة أخرجت للناس .



اولا الهجــرة

من كان يصدق أن أصحاب رسول الله الذين تجرعوا العذاب وصبروا للمحنة بلا ذنب ولا خطيئة ، من كان يصدق أن هؤلاء الفقراء والمستضعفين يصبحون بعد الهجرة سادة الدنيا ، وقادة العالم ، وحملة المشاعل ، وأساتذة البشر .

قوة الايمــان

لقد حاول المشركون فى مكة بشتى أنواع الطرق أن يطفئوا نور الله بأفواههم ((ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)) . حاولوا القضاء على هذا الدين وأهله مرة بالقطيعة ، وأخرى بالتآمر . فما لانت للمسلمين قناة ، ولا هانت لهم نفوس ، ولكنهم زادوا ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاذا بجبار السموات والأرض يحميهم وينصرهم ويكون معهم ، واذا برسوله الأمين ينطلق بهم من أرض غير ذى زرع ، ومن بين الجبال الجرداء ، الى أرض ذات نخيل متجردين لله ، مجردين من الأهل والمال والولد ، مهاجرين فى سبيل الله لا من أجل دنيا ، ولا من أجل جاه، ولكن لله وفى سبيله ولا عزاز دينه ، وينصرون الله ورسوله .

ان الهجرة من بلد الى بلد ، ــ مهما كان سببها ــ أمر شاق وصعب ، وليست بالأمر الهين .

أما الهجرة فى سبيل الله دون أمل فى العودة ، ودون غرض مادى فهذا أمــر لا يقدر عليه الا الصادقون ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وختاما أسأل الله تعالى أن يرد المسلمين الى دينهم . وأن ينفعهم بذكريات رسولهم وأمجاد آبائهم . وأن يحفظ لبلادنا العزيزة نعمة الامن والحب والصفاء . فى ظل حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم الشيخ صباح السالم الصباح وولى عهده والشعب الكويتى الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »»»

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

أتدرى ماذا كنا ــ ولا زلنا ــ نفعل عندما تطل علينا ذكرى وعد بلفور الغادر فى الثانى من نوفمبر كل عام ؟

كنا نخطب ونسير المظاهرات ، وتخرج علينا الصحف بسيل من المقالات ، للتنديد بهذا الوعد ، وكيل السباب والشتائم لمن أعطوه .. ونفرغ فى ذلك طاقاتنا ، وربما كنا نظن أننا قمنا بواجباتنا ! ! !

بينما كان غيرنا يعمل ليجعل من هذا الوعد حقيقة واقعة على أرضنا وفى قلبنا !. هل تذكر ذلك ؟

ان عملنا هذا قد أسلمنا الى واقع أشد فتكا وضراوة وأورثنا ذكرى أخرى أشد قسوة ومرارة ، فأصبحنا كلما هب علينا شهر مايو بذكرياته اللافحة نكرر الظاهرة نفسها التى كنا نصنعها مع ذكرى وعد بلفور .. بل ان هذه الذكرى وهذا الواقع قد أتاحا فرصة أكبر للمزايدات والادعاءات طول العام ، وفى كل المناسبات ، حين يحلو لبعض الناس أن ينتزعوا الاعجاب ، ويستدروا التصفيق على حساب المشردين والجياع والمنكوبين ! .. لقد ترددت طويلا فى أن أكتب اليك فى هذه الذكرى ، لا لشىء الا لأنى سئمت الكلام ، وسئمت كذلك الاستماع للمزايدات بعد هذه السنين التي مرت على فجيعتنا ، أو بالأحرى على ((خيبتنا)) .. وكأن شيئا لم يكن ..

أرجع بذاكرتى الى أيام المخاض ((الأغبر)) لهذه الدولة اللقيطة .. يوم دفعتنى ثورة الشباب وحماسه وآماله الى أن أتطوع مع المجاهدين .. ثم لم يتم لي ما أردت لأن الجيوش السبعة قد تحملت عبء الانقاذ ! !

وأرجع بذاكرتى كذلك الى أيام كنت مع الكثيرين نحسن الظن بما يلقى من خطب ، وما يُعْلَنُ من تصريحات ، وأنتظر ــ كما كان الكثيرون أيضا ينتظرون ــ أن هذه الخطب والتصريحات ستتحول سريعا الى الواقع الذى نأمله ونبتغيه ! !

ولا زلت أذكر يوما امتلأ فيه الجامع الأزهر من كل طبقات الشعب ، وعلى اختلاف مراكزهم وأديانهم ، وصعدت الى منبره أتحدث بقوة الشباب وآماله ثم أقدم المتحدثين .. اللواء صالح حرب ، وبعض الزعماء وكبار القساوسة ليتحدثوا عن الجهاد المقدس ، ويعبئوا النفوس للزحف .. وكأنى أرى الآن ((صالح حرب)) يمسك بمسدسه وهو يخطب ، وأنا آخذ بيده لأرفعها أكثر ، حتى يراه هذا الحشد ، فيلتهب الحماس ، ولكن مع الاسف كان ينطفىء فى حمرة الاكف بالتصفيق ، ويتلاشى فى بحة الحناجر بالهتاف !!

صدقني اذا قلت انني أتذكر الآن هذا وأمثاله ، مما كان يجرى حينذاك ، وكنت أعتقد أنه جد لا هزل فيه ، أتذكره بعد ما مر من سنين وأحداث وكأنني أتذكر ملاعب صباى .. يوم كنت مع رفاقى نلهو بما يلهو به الصبيان .. ولكنها ذكرى مع الفارق . فانى أذكر ملاعب الصبا بالحنان والراحة النفسية .. أما هذه فأذكرها بكل مرارة وسخرية ! .

هكذا مرت أيام المخاض ، وولد الولد الشقى ، وشب ومضى عليه نحو عشرين عاما ، ولا زال المسرح هو المسرح .

سنون ولد فيها على أرضنا السليبة ونشأ شباب لا يعرفون الا أن هذه

الارض أرضهم ، وطنهم ، ملاعب صباهم .. مهد ذكرياتهم .. ليسوا في حاجة الى من يقول لهم : الوطن الموعود لاثارتهم ، لأن الذى يعيشون فيه وطنهم .. لم يعد موعودا ، ولكنه حقيقة واقعة ارتبطت بحواسهم ، بأفكارهم بكل شيء فيهم ..

هذه السنون .. ولد فيها كذلك للمهاجرين واللاجئين جيل صار اليوم شبابا وشابات ، قد لا يذكر كثير منهم الا البلد التى نشأوا وعاشوا فيها .. وان ذكروا أرض آبائهم ، بيتهم ، مصنعهم ، محل تجارتهم هناك في الارض السليبة ، فكما يذكرون ما يمر عليهم من تاريخ مضى وانقضى ! !

قد يحن الواحد منهم اليه ، ولكن ليس كحنين الآباء الذين صنعوه ، وعاشـوا فيه ، وقاسوا مرارة الرحيل عنه ، والحرمان منه .

قد يتحمس له ، ولكن ليس كحماس الذى أصيب فيه بالرزء ، وبات الليالى مسهدا ينتظر الاخذ بالثأر ..

جيل عندنا هنا قد يتخيل وطنه القديم الذى يصفه له آباؤه وهم يسيرون نحو الفناء ! .

وجيل هناك يرتبط بأرضه ووطنه ! .

جيل هنا يعيش على الخيال .. وقد يضيع هذا الخيال في استقرار الحياة التى ربما عثر عليها في فجاج الأرض ، أو يعيش على الامل الذى طال الزمان به ، وقد ينقلب هذا الأمل الى يأس وسخط مدمر .

وجيل هناك يعيش على الواقع .. ويشتد يوما بعد يوم ارتباطه بواقعه ، بوطنه الذى شب في أحضانه .

فالى متى نترك الزمان يفعل فعله فينا ، ويهيىء الفرص لعدونا ؟

كانت تجلس ولربما كانت سارحة في بيتها هناك ، ذلك الذى قضت فيه شبابها ، أو نَشَأَتْ في رحابه بعض أولادها ، ثم تركته هاربة مذعورة .. وقطع عليها تفكيرها صوت ابنتها الكبيرة تقول : متى أعود مع طفلي الى بلدنا ؟

وأهاج فيها هذا القول كل شجونها ، ففاضت الدموع من عينيها .. وهى تقول بصوت مختنق : متى يا بنتى نعود .. ونرى بلدنا .. ويضمنا بيتنا الحبيب الذى غادرناه لنعود اليه بعد ساعات ، فاذا بها سنوات طوال ، وتنطلق في البكاء ..

ونظرت اليها بنتها في ذهول واستغراب وهى تقول لها بصوت متلجلج يبدو فيه عدم المبالاة : لا يا أمي أريد .. بلدنا .. في .. الاردن .

ودقت الام صدرها ، وهى تكاد تتمزق من الغيظ وكأنما أفاقت من حلمها .. بلدنا .. في .. الأردن ؟ ! نسيت ــ يا بنتى ــ بلدنا الأصلى ؟ ! يا للضـياع !! .. ليس في الأردن بلدنا يا بنيتي .. انما بلدنا هناك .. يافا .. يافا الحبيبة . بلدنا .. ألا تعرفينها ؟ ! وتعود للبكاء وصوتها المختنق يردد بعض ذكرياتها .. ثم تسكت لتقول :

نعم .. فقد خرجنا منها في الظلام وأنت طفلة أحملك وبعض الامتعة على كتفى ، لم تحسي آلام نكبتنا ، ولذلك لا يشغلك شيء مما يؤرق جفوننا ، وينغص علينا حياتنا ؟! يا رب رحماك .. وماذا يكون حال أطفالها اذا كبروا ؟ هل يمكن أن يتصوروا فجيعتنا ؟ ، أو يشغلهم أمر عودتنا ؟ .. كارثة .. والله كارثة .. تزداد كل يوم هولا ..

يجرى هذا وتفعل الأيام فعلها .. ونحن العرب ماذا أقول عنا ؟ .. وهل أنت في حاجة لأن أحدثك عن واقعنا ؟ . وهل تجهله ؟

يكفينا بعد هذه السنين التى مرت بنا أن تعلن اسرائيل ـ كلما هاجمتنا واعتدت علينا ـ أنها أرادت أن تؤدبنا !! أى والله ، كما يفعل الكبير بالصغير ، والقوى بالضعيف ، والعزيز بالذليل !! فهل بعد ذلك من هوان ؟! .

ومع ذلك فنحن نحن .. واقعنا كما ترى . لا عظة ، ولا عبرة ، ولا نخوة !! .

وأهل النكبة الذين أصابتهم الجراح ؟ انهم يعيشون ـ كأن لم تصبهم جراح ـ مختلفين ، وأكثر بضاعتهم كلام ، ونهش فى فلان وفلان ..

الكثير منهم استمرأ الراحة حيث طابت له الحياة ، وضن حتى بالمال من أجل استرداد شرفه ، وغسل العار الذى لحق به !! .

ماذا قدموا من تضحيات بالأموال والأنفس للأخذ بثأرهم ـ ثأرهم هم أولا ـ قبل أن يدعوا غيرهم للأخذ به ؟! .

وماذا فعلت الكثرة منهم لهؤلاء البواسل الشجعان الذين باعوا أنفسهم ، واقتحموا على العدو داره ينسفون ويدمرون ويَقتلون ويُقتلون ؟ .

لا أريد أن أذكر بتاريخ اسلاف كرام لنا باعوا أنفسهم ، وضحوا بها ، وحطموا بقوة ايمانهم أقوى الدول التي عاصروها . فلربما كانت العظة من الماضى أقل تأثيرا على النفوس ..

ولكنى أقول : هؤلاء هم ثوار فيتنام ، يدوخون أقوى دولة فى العالم ، ويجعلونها تركع أمام شجاعتهم ، وبسالتهم ، وتلتمس الحلول بعد الحلول لتنجو من شر وطأتهم .. أليس هذا مثلا حيا أمامنا نقرأ عنه .. ونرى صوره .. أناس آمنوا بحقهم .. فكانت لهم وقفة للدفاع عنه .. وقفة فيها تضحية .. ليست كلاما ولا تجارة ولا مزايدة ..

فهل أنتم مؤمنون بحقكم ؟ .

وهل لكم عبرة من ماضيكم أو حاضركم ؟ .

ألستم رجالا وهم رجال ؟ .

ماذا أقول لكم وأنتم أصحاب الحق الاصيل الذين مستهم النار واكتووا بها ، وعاشوا يجترون الآلام ، ويتجرعون الغصص ؟

هل تظنون أن غيركم يحس ما تحسونه ؟ .

اذن فالى متى تنتظرون ؟ .

أليس الاستشهاد هناك على أرضكم خير لكم من الحياة التى تحيونها ؟ .

أليس تطاير رءوسكم هناك على أرضكم أشرف لكم من أن تعيشوا منكسي الرءوس ، تحملون عاركم معكم الى قبوركم ؟ .

فعلام الانتظار ؟ والى متى ؟ .

لا .. يا أصحاب الارض ، ويا أهل الثأر .. أرضكم .. ثأركم .. والجنة .. فخوضوها بأنفسكم لأنفسكم ، واكتسحوا كل من يقف أمامكم ، ودعوا الدنيا كلها تتحدث عن بطولاتكم ، بدلا من أن تتحدث عن هوانكم ، وتشريدكم .

دعوا التاريخ يكتب عنكم بالخط العريض :

كانوا رجالا .. ولم يصبروا طويلا على الهوان .

والله معكم

عبد المنعم النمر

من هدي السنّة

بين القول والعمل

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى مسلم فى صحيحه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار فتندلق (١) أقتاب بطنه ، (٢) فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان ، مالك . ألم تكن تامر بالمعروف (٣) وتنهى عن المنكر ؟ فيقول . بلى . قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه (٤) وأنهى عن المنكر وآتيه » . (٥)

الدار الآخرة أمر لا ريب فيه « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » . والدنيا تحمل فى حوادثها دلائل فنائها ، وبراهين زوالها . وقد أجمع العقلاء منذ القدم على أنه لا بد من حياة تتلو هذه الحياة ، فيها يجد المرء جزاء ما قدم من خير ، وما اكتسب من اثم . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . وما أنكر ذلك الا من كانت أفكاره فجة ، ومعلوماته بدائية ، ما رقت فى سلم المعرفة الحقة درجة واحدة . والقرآن الكريم يهزأ من العقول المظلمة ويحكى لنا انكارهم للحقيقة الناصعة ، فيقول الله سبحانه على لسانهم «هيهات هيهات لما توعدون . ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » .

والله سبحانه وتعالى هو الخبير بخلقه ، العالم بالجزئيات والتفصيلات ، اذا وصف العلة فقد أوفى على القصد ،

---

(١) اندلق الشيء . خرج من مكانه ، والسيل . اندفع ، والسيف . انسل بلاسل أو شق جفنه فخرج منه . والمراد هنا . أن أمعاءه تخرج بسرعة .

(٢) (الأقتاب) . الأمعاء واحدها قتب (بكسر القاف) ويطلق أيضا على ما استدار من البطن .

(٣) المعروف . كل ما أمر الشارع باتباعه ورغب فيه ،والمنكر . كل ما نهى الشارع عنه وحذر منه .

(٤) أى لا أفعله (٥) أى أفعله .

واذا دل على الدواء فهو العليم الحكيم . جعل ذلك الرب البصير ، الحياة التى نحياها على ظهر البسيطة مجازا ومسلكا الى الدار الباقية ، كما جعلها مزرعة ، ووكل الى كل صنف من الناس نوعا من المزروعات يقومون عليه ، ويعملون جاهدين على تنميته ، والمحافظة عليه وأخبر أن لكل عامل أجرا يقل ويجل حسب العمل وكفاءة العامل ، واختار قوما يتولون مراقبة التنفيذ لاوامره ، ومعهم موازين دقيقة يعرفون بها المجيد ذا الهمة الوثابة ، من المهمل المتكاسل المتوانى ، وأمرهم بتوجيه الزراع على اختلافهم ، كما أمرهم بمراقبتهم .

هؤلاء الهداة هم الرسل والانبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، وأتباع الرسل والأنبياء . فالاولون يؤدون مهمة التأسيس ، مهمة البناة القادة ، وأتباعهم المتلاحقون يتولون حراسة الفكرة ، ويتعهدونها حتى تنمو وتزدهر ، وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، فلو أن وارثى مجد الاسلام حافظوا على ما ورثوا ، وحفظوا وصايا قائدهم الاول صلى الله عليه وسلم ، ونشروا راية الهداية خفاقة عالية على ربوع الكون وفى جميع أصقاعه لسموا وعزوا ، وأراحوا العالم من حروبه المتلاحقة ، وبغضائه المستمرة ، ولأناروا دياجيره ، وأضاءوا حنادسه .

وكأنى بالرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه كان يعرف ما سيصير اليه أمر المسلمين بعد أن يفتح الله عليهم الدنيا ، وبعد أن تفرغ لهم الارض كنوزها ، من اهمال وتقصير فى أمر الدعوة ، واخماد الشعلة المضيئة فى أيديهم ، كأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذلك ، فحذر عاقبته وأنذر خلفاءه على خلق الله بالعذاب الشديد والعقاب الاليم ان اهملوا أو توانوا ، وأوصى بمطابقة العمل للقول ، وموافقة فعل الناصح لنصحه ، ووضع أسس ذلك فى سيرته بين أصحابه المعاصرين له . فقد كان يقول لهم دائما . « اعملوا كما ترونى أعمل » . وأخذ عنه ذلك صحابته ، فكانوا يحاسبون أمراءهم اذا رأوا منهم حيدة فى عملهم عن قولهم ولو ظاهرا ، حتى ان رجلا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال له . لا نسمع لك . وقد وقف يخطبهم ، فقال عمر . لماذا لا تسمع ؟ فأجاب الرجل . لانك ميزت نفسك عنا ولبست قميصين، وقد أعطيت كل واحد منا قميصا واحدا مما أفاء الله عليك من الخراج فقال عمر رضوان الله عليه . قم يا عبد الله بن عمر ، فقام فسأله . لمن هذا القميص الذى أرتدى ؟ فأجابه عبد الله . هو لى يا أمير المؤمنين ، وقد سمحت لك بارتدائه لخروق أصابت قميصك . فقال عمر لصاحبه . أسمعت مقالة عبد الله ؟ قال نعم . الان قل نسمع لك .

وفى احتكام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، واليهودى الى القاضى شريح ، مثل أعلى لنزاهة الحاكم وقوة ايمانه بقوانين العدالة ، وشدة يقينه بمراقبة أحكم الحاكمين ، فهو لا يخشى الا الله ، ويخشى أن يقال له اذا جار . أين أنت يا شريح من قول الله تبارك وتعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

مضى هؤلاء وخلف من بعدهم خلق انفصل سلوكهم عن علمهم ، وعملهم عن فعلهم فهم كالمريض بعلة خاصة يصف دواءها لمريض آخر بها ، ولا يداوى نفسه منها ، فغيره سينجو ، وهو سيهلك لا محالة ، هذا ان صدق الاخر قوله ، أما لو كذبه بشاهد من عمله فقد قضى على نفسه ، وعلى غيره ، فهو

جان جنايتين ، ومرتكب اثمين، ولا عجب أن يجىء يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه ويطرح فى النار ، وتفعل به الافاعيل ،ولا عجب أن يتساءل أهل النار ويسألونه عن سوء منقلبه وقبح مصيره ، وهو الداعى الى الخير فى الدنيا والحاث على الفضيلة فى الدار العاجلة ، واذا عرف أهل النار علة قدومه اليهم ووفوده عليهم ، ومشاركته لهم فى جحيمهم — وهو اهماله العمل بما علم — حينئذ يزول عجبهم ، وينقطع تساؤلهم ، وينقضي استنكارهم لمآله وسوء منقلبه .

هذا ، ونظرة فيما نحن فيه الان من احن ومحن ، وبلاء وعذاب ، وتقهقر وتدهور ، مع كثرة المرشدين الى طريق الاصلاح ، ووفرة الداعين الى الرشاد — ترينا صدق ما كان يخافه الرسول العظيم على أمته من ترك العمل والاكتفاء بالقول ...

فما نراه ونشاهده من تأخر فى أحوال المسلمين خاصة والشرق عامة ، ناشىء من أنهم منوا بقوم يقولون ما لا يفعلون ، يرشدون الىالنافع ويتجنبونه، ويهدون الى الصالح ويتركونه كثر علمهم . وخبث عملهم .

وهذا — لا شك — يربى الابناء أبناء الامة الاسلامية على روح الاستهتار بما يسمعون ، ويجعلهم كلما رأوا ناصحا أو سمعوا وعدا ولم يجدوا تنفيذا قالوا . تلك شنشنة نعرفها من أخزم . ورددوا قول القائل .

وغير ذى تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوى والطبيب مريض

وقالوا مع أبى العتاهية .

وصفت التقى كأنك ذو تقى
وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقد قلنا ان السابقين كانوا يحافظون على أن تكون أفعالهم طبق أقوالهم ، ويرون فى مخالفة ذلك الفساد الظاهر ، والخطر الداهم على كيان الامة ، خلقيا واجتماعيا وعمرانيا ، .

فأما خلقيا فبانتشار الكذب بين الناس ، وتعودهم على النفاق ومخالفة ما يفعلون لما يقولون ، وهذا يودى بالمجتمع العام ، حيث لا يثق شخص بآخر ، بل ويستريب فى كل حديثه ، ولا يصدق مقاله أبدا ، وبذلك تتعطل مصالح العباد ، ويعم الفساد .

من أجل ذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير غاية التشديد على الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، وأوعدهم بعذاب الله لهم فى الدار الاخرة ، فقال عليه افضل الصلاة وأزكى السلام « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » . وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ليلة أسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت . يا جبريل من هؤلاء ؟ . قال . هؤلاء الخطباء من أهل الدنيا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » .

فاللهم اجعلنا ممن اذا قالوا فعلوا ، واذا علموا عملوا ، واذا سمعوا القول اتبعوا أحسنه ، وألق اللهم الهداية فى قلوب ولاة الامة الاسلامية ، وحب العمل لما يرفع عن المسلمين اصرهم ، ويزيل احنهم وبلاءهم ، ويوائم بين مختلف طبقاتهم وهيآتهم ، فقد قلت وقولك الحق « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

٢ لماذا اختلف الأئمة

هل عمل صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور التي اختلف

ولماذا يكون الشئ فرضاً عند إمام مكروهاً مثلاً عند إمام آخر

وما الحكم فيما لو قلد إماماً في نقطة وقلد غيره

وهل يمكن تقليد غير الأربعة أو الاعتماد على الكتاب والسنة

سبق أن بينا فى مقال شهر شوال أن الخلاف الذى وقع بين علماء المسلمين نوعان : خلاف محرم قطعا باتفاق الجميع ، وخلاف غير ذلك . وبينا ما هو الخلاف المحرم ، وذكرنا أدلة تحريمه من الكتاب والسنة . ثم ذكرنا فى المقال السابق أيضا أنواع الخلاف الثانى ، وأن من أسبابه ما تقتضيه طبيعة البشر ، كما يحصل فى القوانين الوضعية ، ما دام لفظ الدليل غير قطعى الدلالة ، وأن منه ما حصل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما سمعه أقر بعضه دون بعض ، الى غير ذلك كما تقدم . وقلنا أن هناك اختلافا حصل بين العلماء بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وهو كثير جدا .

والآن ، نقول ان هذا الخلاف نوعان : اختلاف حصل فى العقائد ، وهذا أشدها خطرا ، كما حصل بين أهل السنة والشيعة ، وغيرهما ، وليس المجال هنا محلا للخوض فيه ، نسأل الله سبحانه أن يقى المسلمين شر هذا الخلاف ، وأن يجمع بينهم على كلمة سواء ، حتى يغلقوا أبواب تلك الفرقة التي مزقتهم ، وجعلتهم طعمة سائغة لأعدائهم ، ينفذون من خلالها ، ليقطعوا ما بينهم من وشائج .

وما الحكم في تقليدهم ؟

فيها الفقهاء ؟

في أمور العبادات ؟

في غيرها ؟

دون التقيد بمذهب الآن ؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

عميد كليتى اصول الدين واللغة العربية سابقا

جامعة الازهر

والذى يهمنا الآن لأنه موضع السؤال هو هذا الخلاف الواسع الذى حصل بين أئمة الفقه من علماء المسلمين بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وأنه اذا سلك فيه مسلك سلفنا الصالح من علماء الصدر الأول فانه ان لم يكن رحمة كما قيل ، فانه لا يتسبب فى ايغار الصدور كما هو حاصل الآن من قصار النظر .

ونظرا لأن الاجابة عن هذا السؤال قد تطول لاختلاف أسبابها، وتشعب أدلتها ، وكل هذا يعوق تلهف المستفتى للاجابة على السؤالين : الثالث والرابع ليخرج من حيرته ، رأينا أنه يحسن الاجابة اجمالا على هذين السؤالين قبل كل شىء ، ليطمئن المسلم فى عبادته لربه أنها على وجه يعتقد أنه صحيح ، ثم نتفرغ بعد ذلك للاجابة على أسباب هذا الخلاف الواسع وبواعثه ، فنقول :

الجواب عن السؤال الثالث أنه يجوز للمسلم غير المجتهد المطلق أن يقلد اماما فى مسألة ، ويقلد غيره فى غيرها على ما سيأتى بيانه بأدلته .

وعن السؤال الرابع أنه يجوز على ما اختاره محققو العلماء أن يقلد المسلم غير الأئمة الأربعة كما سيأتى بيانه أيضا .

وأما الاعتماد على الكتاب والسنة فانه لا يجوز الا للعالم باللغة وقواعد الاجتهاد ، وهذا طبعا فى غير الأحكام التي جاءت فيهما بصريح النص ، لا تحتمل تأويلا ، كحرمة قتل النفس بغير حق ، وكحرمة الزنا والكذب والغيبة ...الخ مما سيأتى بيانه أيضا ، فان هذا النوع من الأحكام يجوز للمسلم أن يأخذه من الكتاب والسنة مباشرة ، كما كان الحال فى الصدر الأول ، حيث كان يدخل الرجل الأمى الاسلام ، فيفهم من القرآن والسنة ما جاء نصا ، ولا يحتاج الى غيره ، وانما

يحتاج الى غيره فى الأمور التي أدلتهـا محتملة لأوجه متعددة ، فانه كان يرجع فيها الى أولى الأمر الذين رزقهم اللـه الفقه فى الدين ، حتى علموا من القرآن والسـنة دقائق اشـاراتهما ، وأسرار أحكامهما ، فاصبحت عندهم القدرة على ارجاع مطلقهما الى مقيدهما ، وعامهما الى ما يخصصه ، الى غير ذلك مما هو معروف فى كتب أصول الفقه .

ولنبدأ الآن فى بيـان هذا الخـلاف الواسع الذى حصل بعد الصدر الأول من السلف الصالح فنقول : هذا الخلاف نشأ من ثلاثة عوامل :ـ

العامل الأول : (ومـا كان ينبغى أن يحصل) ما كان منشؤه اهمال محاربة ما دخل على الدين من مبتدعات ليست منه فى شيء ، فصـارت كل بدعة تتركز وتثبت ثم تتلوها أخرى ، وهكذا تتابعت البدع ، وكثرت حتى أثرت على صـفاء تعاليم الاسـلام الصحيحة ، كما تؤثر الحشائش الضارة اذا اهمـل اقتلاعها على الزرع المقصود سلامته لصـاحبه ، فتتلفـه ، وتفقده آثاره المرجـوة منه . حصـل كل هذا الاهمال رغـم تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من مغبة عواقبه ، كما سيأتى بيانه بأوضـح من ذلك .

والعامل الثانى : (وما كان ينبغى أن يحصل أيضا) وهو التشدد والتزمت فى الدين مما أخرجه عن طبيعته السـمحة غافلين عن شدة تحذيره صلى الله عليه وسلم من التشدد فى الدين ، وعن الظرف الذى قال فيه صلى الله عليه وسـلم الحديث ، الذى اعتمدوا عليه فى أخذهم الأحكام .

والعامل الثالث : أسباب كثيرة سنبين منها جملة صالحة فيما بعد .

ونقف قليـلا عند **العامل الثانى** وهو التشـدد والتزمت وعدم اليقظة لتحذيره صلوات الله عليه من التشدد فى الدين ، فنبين كيف أن الاسلام سمح سهل وأن القـرآن والحديث جاءا بالتيسـير على الناس فالله سبحانه يقول (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) آية (١٨٥) من سورة البقرة ، ويقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملتـه على الذين من قبلنا ، ربنـا **ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** آية (٢٨٦) من سورة البقرة ، ويقول (ما جعل عليكم فى الدين من حـرج) الآيـة (٧٨) من سورة الحج .

وقال صلى الله عليه وسلم فى ذلك « بعثت بالحنيفية السمحة » ، وجاء فى البخارى فى باب قول النبي صلى اللـه عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا)، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس) عن أبي موسى الأشعرى قال : لما بعثني النبى صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ بن جبل الى اليمن قال : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا » ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان أعرابيا بال فى المسجد ، فثار عليه الناس ليضربوه ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم « دعوه وصبوا على بوله دلوا من ماء ، فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » واذا نظرنا الى ما فعله النبى صلى الله عليـه وسـلم مع هذا الاعرابى الغريب عن آداب الاسلام ، نرى انه فضلا عما فيه من الرفق برجل لا زالت تغلب عليه البداوة ، فانه أيضا أحفـظ للمسـجد من أن تنتشر فيـه النجاسة لو أزعجوه وهو لا يزال يبول .

وروى البخـارى أيضـا فى (باب الاسـتعانة فى الصـلاة) عن أبى بـرزة الأسلمى رضى الله عنه أنه صلى يوما وكان

مع أصحابه في غزوة ، وكان لجام فرسه في يده ، فجعلت الفرس تجذبه الى الأمام، وجعل هو يتبعها ، فلما فرغ من صلاته سألوه عن عمله هذا فقال : اني غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وشهدت تيسيره ، واني ان كنت أن أرجع مع دابتي أحب الي من أن أتركها ترجع الى مكانها الذى ألفته ، فيشق علي رجوعي بدونها .

ومعنى قول أبي برزة . « واني ان كنت أن أرجع ... الخ » أي وان رجوعي الى منزلي مع دابتي أحب الي من أن أتركها ترجع وحدها ، وأرجع أنا بدونها فيشق علي ذلك . قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث ان أبا برزة كان وهو يصلي ممسكا بزمام فرسه فنازعته متجهة الى جهة القبلة ببطء ، فكان يلاحقها ، فمشيه معها لم يكن كثيرا ، بل عمل يسير ليس فيه استدبار للقبلة ، فلا يضر .

ويوضح هذا أن الحسن بن علي رضى الله عنهما سئل عن رجل يصلي ودابته بجواره ، فرآها بدأت تتحرك ، فخاف أن تذهب ، فقال الحسن : يتوجه اليها ليحفظها ، فقيل له : أفيتم صلاته ولا يعيد ما مضى ؟ فقال : اذا ولى ظهره للقبلة استأنف صلاة جديدة ، أي واذا لم يستدبر القبلة فانه يتم صلاته على ما مضى منها . قال قتادة : اذا كان رجل يصلي ، ورأى رجلا يأخذ ثوبه ، فانه يترك الصلاة ، ويتبع السارق .

يريد قتادة أنه يقطع الصلاة ويستأنفها ابتداء ، اذا لم يستطع استرجاع حاجته ، وهو متجه الى القبلة كقول الحسن السابق .

فماذا كانت نتيجة الغفلة عن هذا الهدى النبوى ؟ .

لقد كانت النتيجة أن بعض العلماء ذهب بعيدا عن هذه الروح فأفتى بأقوال في الشريعة تنفر الناس عن دينهم فضلا عن أنها تبعد عن اطار الهدى السمح الذى أرشد اليه القرآن الكريم والحديث الشريف والمقام قد لا يتسع هنا لضرب الامثلة .. ولكن يمكن أن نأخذ هذه الحادثة مثالا يبين عاقبة التشدد .

اذا أرسل الامام عالما الى بلد تريد الدخول في الاسلام ، وكان شعبها متأصلة فيه عادات تحمله على تناول بعض المحرمات ، كادمانه الخمر ، أو الاتجار فيها ، فانه اذا كلفهم بشرائع الاسلام كلها دفعة واحدة باسم الغيرة على الاسلام فقد يكون في ذلك تنفير لهم ، وصد عن هذا الدين الذى فيه انقاذهم من جميع الشرور ، فمن يفعل ذلك الفعل الأخير يكن غير بصير بسياسة الاسلام في الدعوة اليه .

ترى مثلا من هذه السياسة عندما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمعاذ الى اليمن، ففي البخاري . عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا الى اليمن وقال له : ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك ، وفي رواية ان أقروا بوجوبها وفعلوها ، وفي رواية **فاذا صلوا** فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فاذا فعلوا فأعلمهم أن الله فرض عليهم صوم رمضان .

ومن ذلك ما رواه البخاري أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة ، قال : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان . قال : والذى نفسي بيده لا أزيد على هذا ، فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا . أي أن داوم على ما أمرته . قال الحافظ ابن حجر : ولم يذكر الحج مع أنه ركن

لأن الرجل كان حاجا . قال الحافظ : ولم يذكر صلى الله عليه وسلم صلاة التطوع مع أن تركها نقص فى الدين لأن هذا الرجل وأمثاله **كانوا حديثى عهد بالاسلام ، فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم فى هذه الحالة لئلا يثقل عليهم فيملوا** ، فاذا انشرحت صدورهم للحرص على ثواب المندوبات ، سهلت عليهم ، ورغبوا فيها .

ومما هو على طرفى نقيض من هذا ما فعله بعض المتزمتين عندما سأله رجل من رجال الشرطة فى أول يوم من رمضان عن الصلاة المطلوبة منه فى اليوم والليلة مع العلم بأن عمله يستغرق منه وقتا طويلا يقضيه وهو خارج بيته ، فكان جوابه : المطلوب منك أن تصلى قبل الصبح ركعتين ، وتجلس فى مجلسك تذكر الله حتى ترتفع الشمس قدر رمح ، ثم تصلى صلاة الضحى ، ست ركعات ، ثم تصلى قبل الظهر أربع ركعات ، ثم تصلى الظهر أربعا ، وتصلى بعدها أربعا ، ثم تصلى قبل العصر أربعا ، ثم تصلى العصر أربعا ، وبعد صلاة المغرب عشرين ركعة ، ثم تصلى قبل صلاة العشاء أربع ركعات ، ثم تصلى بعدها احدى عشرة ركعة (1) فلما يئس الرجل من ذلك كاد أن يترك العبادة ولكنه لجأ الى عالم آخر يسأله فقال له انما فرض عليك ربك خمس صلوات اذا أديتهن على وجههن أجزأتك وهى ركعتا الصبح ، وأربع ركعات فى كل من الظهر ، والعصر ، والعشاء ، وثلاث ركعات فى المغرب .

وفى النهاية نسوق لك مثالا على ما ينبغى ان يراعيه العالم من الظرف الذى قيل فيه الحديث . روى البخارى فى كتاب الصلاة (باب لا يبزق الرجل عن يمينه وهو فى الصلاة) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى القبلة ، فشق ذلك عليه حتى رئى فى وجهه ، وفى رواية النسائي فغضب حتى أحمر وجهه ، وفى رواية أخرى للبخارى (فى كتاب الأدب) فتغيظ على أهل المسجد فقام صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة فحك البصاق بحصاة وقال : ((**أيها الناس ان أحدكم اذا قام فى صلاته فانه انما يناجى ربه ، فلا يبزقن أحدكم جهة قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه** ، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض وقال أو يفعل هكذا)) . وسبب قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا أنهم ما كانوا يحملون (المناديل) ، وكانت أرض المسجد متربة ، أما الآن بعد أن أصبحت المساجد مفروشة فهل يمكن أن نأخذ بلفظ الحديث ونبيح البصق فى المسجد تحت الاقدام الشمال . أم نقول بوجوب استعمال « المناديل » أو أى شيء نخرجه من جيوبنا حال الصلاة ، اذا اضطر المصلى لشيء من ذلك ، أو يستعمل طرف ثوبه ، ولا يضره ذلك شيئا فى صلاته ، ولهذا البحث بعينه بقية نذكرها عند مناسبتها فى محاربة المتزمتين الذين أوقعوا كثيرا من المسلمين فى الحرج وهم يقرأون قوله تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

((للبحث بقية))

---

(1) مغترا بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) آية ٥٦ من سورة الذاريات ، وغفل عن قوله تعالى (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) سورة الجمعة .

موسوعة الفقه الإسلامي

فكرتها . الغاية منها . كيف يمضي العمل فيها

((أخذت فكرة وضع موسوعة للفقه الاسلامى تشغل منذ سنين بال المهتمين بدراسة الشريعة والقانون ، وكل من له غيرة على هذا التراث الضخم ، ورغبة صادقة فى الاستفادة منه بسهولة ، ولا أدل على هذا من تعدد العاملين لاخراج هذه الفكرة الى حيز العمل فى سوريا ثم فى مصر ، وأخيرا فى الكويت ، حيث احتضنت وزارة الاوقاف هذا المشروع . وبدأت أولى الخطوات فيه باستقدام الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا خبيرا لهذه الموسوعة ، لينظم - بما له من خبرة ودراية سابقة - العمل فى هذا المشروع العظيم ..

واذا كان لنا من أمل يحدو هذا المشروع الجدير بالعناية حقا فهو أن تتوحد الجهود وتتجمع الامكانيات فى كل أقطار العالم الاسلامى فى سبيل اتمامه ، ويد الله مع الجماعة .

ونترك الاستاذ مصطفى الزرقا خبير الموسوعة يعطى القارىء صورة عن هذا المشروع : أصل فكرته وغايته وطريقة العمل فيه)) .

((الوعي الاسلامي))

منشأ فكرة الموسوعة

لما عقد مؤتمر « أسبوع الفقه الاسلامى » فى باريس فى بهو كلية الحقوق من جامعة السوربون أول شهر تموز ١٩٥١م ، بدعوة من لجنة الحقوق الشرقية فى المجمع الدولي للقانون المقارن ، وظهر - من المحاضرات التى ألقيت فى موضوعات شتى من مختلف شعب الحقوق والقانون فى الفقه الاسلامى - ما فى هذا الفقه الأصيل المؤثل من ثروة حقوقية ونظريات قانونية خالدة القيمة ، اتخذ المؤتمر قراره التاريخى الذى من جملة ما جاء فيه ما ترجمته الحرفية كما يلي : -

أ ــ ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة « حقوقية تشريعية » لا يمارى فيها .

ب ــ وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، وان الاصول الحقوقية هى مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامى ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

ويأمل المؤتمرون فى أسبوع الفقه الاسلامى أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامى يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه . فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقا للاساليب الحديثة (١) . فهذا الامل الذى دعا الى تحقيقه مؤتمر « أسبوع الفقه الاسلامى » الاول فى باريس كان هو النواة الاولى لفكرة « موسوعة الفقه الاسلامى » التى أنشئت لها لاول مرة لجنة خاصة فى كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥ .

غاية الموسوعة :

ان دراسة الحقوق وعلم القانون اليوم تتجه الى المقارنة بين الشرائع والنظم ليستفيد الاتجاه التشريعي والاجتهاد القضائي من أحسن النظريات الحقوقية وأقربها الى العدل .

ولا شك ان الفقه الاسلامى الذى هو أغنى فقه عرفه التاريخ البشرى فى أمة من الامم هو أولى بالاطلاع عليه والمقارنة به ، ولا سيما فى البيئات العربية التى تربطها به وشيجة النسب ، لانه تراثها الاصيل المجيد ، العربى الاصول والمنابع، فضلا عن غناه الواسع ، وذلك لكي يمكن اتخاذه أساسا للتشريع والاجتهاد القضائي فى البلاد العربية والاسلامية .

ولكن باختلاف الزمن وتطور الاساليب والحاجات الثقافية أصبح فقهنا هذا وما فيه من جوهر نفيس ، ونظريات حقوقية محكمة ، ومبادىء قانونية سامية ذات قيمة خالدة ، كل ذلك فيه أصبح محجوبا عن أنظار الحقوقيين والمشرعين بغلاف من أسلوبه وترتيبه القديم ، وعباراته المعقدة فى كثير من كتبه ، وبمراجعه الصعبة المسالك على غير المختصين ، ولكن تطور الحياة وحاجاتها وتشعب الثقافة العامة جعلت الزمن أضيق من أن يسمح للباحث ببذل الجزء الكبير منه فى المراجعة ، وهذا ما يوجب على أبناء العربية اليوم تعبيد الطريق الى هذا الفقه العالمي الضخم الذى أقام نظام العدل فى مشارق الارض ومغاربها نحو أربعة عشر قرنا ، وواجه ألوان الحضارات ، وحل جميع مشكلات الحياة بأحسن الحلول ، وأعدل الاحكام ، وأمرن القواعد فى معالجة مشكلات اختلاف الزمان والمكان والاعراف والحاجات ، بمذاهبه الاجتهادية المتعددة .

فغاية الموسوعة صياغة الفقه الاسلامى كما هو فى مراجعه الاصلية بأسلوب

(١) انظر المجلة الدولية للحقوق المقارنة ــ العدد ٤ من السنة (٣) الصادر فى تشرين الاول سنة ١٩٥١م .

سهل ، وتبسيط العبارات المعقدة التى تصادف فيه ، دون ان يدخل الكتاب شيئا من اجتهاداتهم الشخصية ، مع الاشارة الى اختلاف المذاهب والاجتهادات فى كل موطن يكون فيه ذلك هاما ومفيدا ، ثم ترتيب هذه الاحكام الفقهية الشرعية فى الموسوعة ترتيبا أبجديا على حروف المعجم بحسب الحرف الاول ، وما يليه من الكلمة العنوانية الدالة على الموضوع الفقهي .

فأحكام التقادم مثلا تذكر تحت كلمة (تقادم) التى تأتى فى حرف التاء المثناة مع القاف ، وأحكام عدة المرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها تذكر تحت كلمة (عدة) التى تأتى فى حرف العين المهملة مع الدال وما يليها .

والاحكام المتعلقة بالاجير العام والاجير الخاص مثلا تذكر تحت كلمة (أجير) التى تأتى فى حرف الهمزة مع الجيم وما يليهما .. وهكذا فى كل موضوع فقهي .. فكل باحث ولو غير فقيه مختص يستطيع أن يراجع فى الموسوعة عن حكم الشريعة وآراء الفقهاء فى كل موضوع بالنظر الى ترتيب حروف كلمته ، كما يراجع عن أى كلمة شاء فى قاموس لغوى ، لكنه فى القاموس يراجع عن الكلمة ليرى معناها فى اللغة ، أما فى الموسوعة الفقهية فيراجع عنها ليرى ما تحتها من أحكام الشريعة وفقهها فى الموضوع ، واختلاف المذاهب والآراء الفقهية فى ذلك ، مع الاحالة على مواطن البحث فى مراجعه الفقهية الاصلية من كتب المذاهب بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة واسم المطبعة وتاريخ الطبع ليرجع اليها من يشاء .

وهذه الموسوعة يقدر لها لتكون وافية كافية ان تبلغ ثلاثين مجلدا فأكثر ، ولا سيما أنها ستشتمل على جميع أقسام الفقه من عبادات ومعاملات وجنايات وعقوبات وقضاء وبينات وسياسة شرعية وأحكام الاسرة المعروفة اليوم باسم « الاحوال الشخصية » من النكاح الى الميراث ومابينهما .

من هذا التعريف الموجز يتضح ما لفكرة الموسوعة الفقهية من شأن عظيم وما سيكون لتنفيذها من أثر عالمي فى عالم التشريع والقانون يجعلها من الاعمال المخلدة .

وان دولة الكويت التى تبنى اليوم نهضتها بجد وسرعة ونشاط هي الجديرة بأن تجعل من هذا المشروع العلمى الجليل عنوانا مشرقا ومشرفا لنهضتها المباركة .

لذلك رأت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ان تتبنى هذا المشروع ، وتجند له الكفاءات ، وهى تأمل بفضل معونة فقهاء العالم الاسلامى الذين سيطلب اليهم ان يكتبوا فيما سيوزع عليهم من بحوث الموسوعة ، وبفضل ادراكهم لهذا الواجب الاسلامى العام ، أن تبرز هذه الموسوعة كاملة فى أقصر زمن ممكن بالنسبة الى طبيعة هذا المشروع العظيم .

● قال رجل لبعض الحكماء عظني .

قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

الإسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر

لماذا الإسلام؟

للاستاذ احمد حسين المحامى

٩

كيف يصور العهد القديم ، أخلاق زعماء اليهود وأنبيائهم ؟

* * *

معروف ومشهور أن عناصر أى عقيدة من العقائد تستمد من حياة قادة هذه العقيدة ، وحملة أمانتها ، ولا نحسب أن فى الدنيا كتابا يتعبد به قد امتلأ بمثل هذه الصور من السلوك والتصرفات التى تنسب الى قادة بني اسرائيل وأنبيائهم، ولسنا نريد أن نبادر بوصف هذه التصرفات ، لنترك للقارىء الكريم أن يصدر حكمه بنفسه .

ولكنا من ناحية أخرى ننبه القارىء المسلم الذى اعتاد ألا يذكر أسماء لوط واسحق ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان الا بكل تبجيل وتكريم ، أن يهيىء نفسه لقراءة ما سوف يجرح شعوره ويؤذى نفسه ، وهو يطالع هذه المنكرات المنسوبة الى أنبياء الله ، ألا يجعل صورتهم الكريمة تهتز فى نفسه ، فقد براهم القرآن الكريم من كل هذا اللغو والافتراء ، ونزههم عن أن يكونوا بهذا الذى يزعمه اليهود ، ولا مناص لنا — فى معرض المقارنة بين سمو تعاليم الاسلام وعلوه على اليهودية كما يتعبد بها — أن ننقل هذه العبارات من كتب القوم ، ليكون الطريق واضحا أمام الشباب والقراء والباحثين ، متبعين فى ذلك أسلوب القرآن نفسه ، والذى طالما سجل افك المشركين والمعارضين وبهتانهم ثم رد عليهم وأفحمهم .

لوط وبنتاه :

« وصعد لوط من صوغر وأقام فى الجبل هو وابنتاه معه ، اذ خاف أن يقيم فى صوغر فأقام فى المغارة هو وابنتاه — فقالت الكبرى للصغرى أن أبانا قد شاخ، وليس فى الارض رجل يدخل علينا على عادة الارض كلها ، تعالي نسقى أبانا خمرا ونضاجعه ، ونقيم من أبينا نسلا — فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ، ولم يعلم بقيامها ولا منامها ، فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى ها أنذا ضاجعت أمس أبى ، فلنسقه خمرا أيضا الليلة ، وتعالى انت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة أيضا . وقامت الصغرى فضاجعته ، ولم يعلم بمنامها ولا قيامها — فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، وولدت الكبرى ابنا وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين الى اليوم — والصغرى أيضا ولدت ابنا وسمته بنعمى وهو أبو بنى عمون الى اليوم (!!!) .

(سفر التكوين — الاصحاح التاسع عشر)

واذا كان هذا ما يقوله بنو اسرائيل على نبى الله لوط — فحاشا لله أن يكون هذا هو مسلك عبد من عباد الله الصالحين .

يعقوب وعيسو :

ويعقوب هو من أطلق الله اسرائيل عليه اسم اسرائيل ، وبنو اسرائيل هم المنحدرون مباشرة من أولاده الاثنى عشر، ولامر ما يصوره العهد القديم ، متآمرا على أخيه عيسو محتالا عليه ، كاذبا على أبيه (اسحق) ليأخذ منه البركة التى وعد بها اسحق عيسو .

(سفر التكوين — الاصحاح السابع والعشرون)

وتجرى فى بيت يعقوب هذا حوادث شائنة فابنته دينا بنت لية تخرج لتنظر بنات البلد (فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس البلد فأخذها وضاجعها وأذلها) .

(تكوين الاصحاح الرابع والثلاثين)

وراءوبين بن يعقوب البكر يضاجع بلهة زوجة أبيه أو سريته ، والمحقق أنها أم أخويه دان ونفتالى .

(التكوين — الاصحاح الخامس والثلاثون)

ونمر على حادث تآمر أبناء يعقوب على قتل أخيهم يوسف فهي معروفة ومشهورة .

هارون

ولنصل الى ما يسجله العهد القديم على هارون من أنه كان هو صانع عجل الذهب حيث طلب من اليهود حليهم من الذهب ثم صنعها عجلا مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر — فلما رأى ذلك هارون بنى أمامه مذبحا ونادى هارون وقال غدا عيد للرب .

(خروج . الاصحاح الثاني والثلاثون)

ومرة أخرى حاشا لهارون أن يفعل ذلك ، على ما سوف يقص علينا القرآن .

لندع ذلك كله ، فقد يكون ذلك يرجع الى تاريخ بنى اسرائيل القديم الذى ضاعت معالمه واختلطت عليهم فيه الامور — ولنسرع الى العهد الذى وصل فيه اليهود الى ذروة مجدهم وحضارتهم وأصبح لهم دولة وأعلنوا أنفسهم شعبا لله فماذا نرى . . . ؟ ومرة أخرى لندع النصوص تتكلم ، نصوص العهد القديم الذى به يتعبدون .

داود

بلغ مجد اليهود ذروته فى عهد داود وابنه سليمان من بعده وقد كان داود ملكا لبني اسرائيل وكان هو الذى بنى

مدينة أورشليم ، ويروى لنا عنه العهد القديم هذه القصة .

« وكان عند المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا — فأرسل داود وسأل عنها فقيل له هذه بتشابع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى — فأرسل داود رسلا اليها وأخذها ودخل بها . وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها — وعندما جاء موعد الطمث لم تحض ، فأدركت أنها حملت من داود ، اذ كان زوجها بعيدا في المعركة فأرسلت الى داود وقالت اني حامل .

فكيف تتصور تصرف داود ؟ لقد أحضر زوج المرأة من ميدان المعركة ، وراح يطعمه بين يديه ويسقيه ويسكره ، ثم بعثه بخطاب في اليوم التالي الى بؤاب قائد الجيش وطلب من القائد أن يرسل أوريا الى مواضع القتال الشديد ليهلك ويموت .

واليك نص ما جاء في الكتاب .

« وجهوا أوريا الى حيث يكون القتال الشديد وارجعوا من ورائه حتى يضرب ويموت » !!

(الملوك الثاني — الاصحاح الحادى عشر)

ونفذ أمر داود وقتل أوريا الحثى واستولى داود على زوجة الرجل . !

ابن داود

ويمضي العهد القديم في قصصه فيقول لنا عن ابن لداود يسمى آمنون .

« وكان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها تامارا ، فكان بعد ذلك أن آمنون بن داود كلف بها وتدله آمنون حتى سقم في تامارا أخته ، لانها كانت عذراء فكان يعسر عليه أن يصنع بها شيئا ».

واستشار صديقا له فاقترح عليه أن يتمارض ويطلب من أبيه أخته لتمرضه ، ونفذ آمنون النصيحة وجاءت أخته تمرضه وتحمل له كعكا . ولندع الآن العهد القديم يحدثنا :

« فأخذت تامارا الكعك الذى عملته ، وأتت به آمنون — أخاها — الى المخدع — وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعي معي يا أخته — فقالت له لا تذلني يا أخي لانه لا يفعل هكذا في اسرائيل فلا تفعل هذه الفاحشة — فأما أنا فأين أذهب بعارى ، وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في اسرائيل .والآن فكلم الملك فانه لا يمنعنى منك — فأبى أن يسمع لكلامها ولكن تمكن منها وغصبها وضاجعها » !!

ويقول لنا بعد ذلك هذا الكتاب العجيب (وناقل الكفر ليس بكافر) .

« وسمع داود الملك بجميع هذه الامور فاغتاظ جدا ، ولكنه لم يحزن نفس آمنون ابنه لانه كان يحبه اذ كان بكره » !! — (سفر الملوك الثاني — الاصحاح الثالث عشر) .

سليمان وعبادة الاصنام

وما عليك أيها القارىء المسلم الا أن تستحضر هذه الصورة العلوية الكريمة التي صور بها القرآن سليمان بن داود ، وما عرف به من حكمة وايمان بالله رب العالمين ، لترى الى أى حد يأبى اليهود الا أن يشوهوا كل قادتهم وكل زعمائهم وأنبيائهم . ففى سفر الملوك الثالث في الاصحاح الحادى عشر ، نجد الحديث المنكر التالي .

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنه فرعون ، من المؤابيين والعمونيين والادوبيين والصيدونيين والحيثيين ، ومن الامم التى قال الرب لبنى اسرائيل لا تختلطوا بهم وهم لا يختلطوا بكم لئلا يميلون (هكذا) بقلوبكم الى اتباع آلهتكم . فتعلق بهن سليمان حبا لهن ، وكان له سبعمائة زوجة وثلثمائة سرية . فأزاغت نساؤه قلبه — وكان في زمن شيخوخة سليمان أن أزواجه ملن بقلبه الى اتباع آلهة غريبة ، فلم

يكن قلبه مخلصا للرب الهه كما كان قلب داود أبيه . وتبع سليمان عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وصنع سليمان الشر فى عيني الرب ، وبنى مرتفعا لكموش رجس المؤابيين على الجبل المواجه لاورشليم ، وكذلك مرتفعا لملكوم رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان » !! .

لعن الأنبياء بالجملة

وأخيرا يصل كتاب العهد القديم فيلعن الانبياء بالجملة، وبدون تمييز بين الصادق منهم والكاذب . « لان النبي والكاهن كافران ، وفى بيتى وجدت شرهما يقول الرب — فى أنبياء السامرة رأيت حماقة . قد تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي اسرائيل — وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه الفسق والسلوك فى الكذب » — (أرميا — الاصحاح الثالث والعشرون)

ويمضي هذا الفصل وهو يعدد آثام أنبياء بنى اسرائيل وكفرهم .

وحسبنا الآن هذا القدر من الاقتباس من كتاب العهد القديم واحسب أن الصورة الآن قد اكتملت أمام أى قارىء .... من أنه لا يوجد كتاب دين آخر فى العالم يضم هذه الصور من المخازى والآثام والرجس والدنس ، وأن يكون ذلك منسوبا الى القادة والزعماء والملوك والانبياء .

ولعل هذا العرض ضرورى لكل من يريد أن يعرف السر فى ترخص اليهود — من دون البشر — فى مسائل الاخلاق والسلوك والمعاملات ، ما دام هذا هو سلوك قادتهم فى نظرهم .

خلو عقيدة اليهود من الايمان بالبعث والحساب والجنة

ننتقل بعد ذلك الى عنصر ثالث لا يقل أهمية فى تحديد مكان العقيدة اليهودية ، بين العقائد البشرية ، فالمطالع لنصوص العهد القديم من الجلدة للجلدة كما يقولون ، لا يجد حديثا عن خلود الروح بعد الموت فضلا عن القول بالبعث والحساب والعقاب فاما الى الجنة أو النار ، وهو ما تراه فى كافة الاديان — والعقائد الانسانية وان اختلفت صورها ..

والقول كله يدور حول المكافأة فى هذه الدنيا أو العقاب ، فاذا عبد بنو اسرائيل الرب ونفذوا وصاياه وحفظوا سبوته التى هي مظهر العهد بينه وبينهم فهو يجعل الارض تدر عليهم لبنا وعسلا ، ويمكنهم من بقية الشعوب المجاورة يذلونهم ويسخرونهم ، أو يبيدونهم ، أو حسب مشيئتهم ، أما عندما يعصى بنو اسرائيل الرب آلهتهم فهو يسلط عليهم الشعوب المجاورة تقتلهم وتستعبدهم ، وتهدم مدنهم ، فاذا عادوا للرب أعادهم وهكذا دواليك . وأمل اليهود والجنة التى يحلمون بها ستكون على هذه الارض ، وفى بيت المقدس بالذات ، مما سنعود الى تفصيله عند الكلام على المسيح المنتظر .

وحقا قد نجد اشارة هنا أو هناك من مثل القول بأن الذى ينزل الى الهاوية لا يصعد — وحديث عن وجود حب فى الارض السفلية ونار يهوى اليها العصاة ولا يرجعون منها ، ولكن هذه اشارات عابرة تسربت الى الكتابات اليهودية من المعتقدات البابلية ، ولكنا لن نجد حديثا عن البعث وعن الحساب والثواب والعقاب مفصلا كهذا الذى نجده فى الاديان قديمها وحديثها ، بل انه ليصادفنا فى سفر الجامعة(١) ، هذه العبارة التى تقطع

(١) لا يعد بعض اليهود هذا السفر من كتابهم المقدس ، ولكن الذى لا شك فيه انه لا يحوى شيئا لا نجده فى بقية الاسفار .

بأن اليهود لا يعرفون جنة أو نارا ولا خلودا بعد الموت .

« لان ما يحدث لبنى البشر يحدث للبهيمة ، وحادثة واحدة لهم ، موت هذا كموت ذاك ، ونسمة واحدة للكل ،فليس للانسان مزية على البهيمة لان كليهما باطل . يذهب كلاهما الى مكان واحد .

كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما ، فرأيت أن لا شيء خير من أن يفرح الانسان بأعماله لان ذلك نصيبه ، لانه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده ؟

كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لانه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب اليها »

واذا كان اليهود لا يؤمنون ببعث وعقاب فان هذا يفسر لنا لماذا كانوا على الصورة التى يصفهم بها كتابهم المقدس ، من عصيانهم الدائم لله ، وانكبابهم دائما أبدا على الشهوات ، واحتفالهم الذى فاقوا فيه جميع الامم والشعوب بجمع المال .

ولنصل الآن الى التعاليم اليهودية التى قدر للبشرية كلها أن تعمل بها الا اليهود أنفسهم .

الوصايا العشر

تشتهر الديانة اليهودية بما يسمى الوصايا العشر ، وهي الوصايا التى جاء بها موسى عليه السلام الى بني اسرائيل والتى تؤلف جوهر التوراة المنزلة من رب العالمين ، فلا عجب اذا رأينا فيها الجوهر السليم لكل الاديان وهي :

١ ــ انا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من دار العبودية فلا يكن لك آلهة أخرى تجاهي .

٢ ــ لا تصنع لك منحوتا ولا صورة شيء مما فى السماء من فوق ولا مما فى الارض من أسفل ولا مما فى المياه من تحت الارض .

٣ ــ لا تحلف باسم الرب الهك باطلا ، لان الرب لا يزكى من يحلف باسمه باطلا .

٤ ــ اذكر يوم السبت لتقدسه .

٥ ــ أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك فى الارض التى يعطيك الرب الهك .

٦ ــ لا تقتل .

٧ ــ لا تزن .

٨ ــ لا تسرق .

٩ ــ لا تشهد على قريبك شهادة الزور .

١٠ ــ لا تشته بنت قريبك ولا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك .

ولا جدال أن هذه الوصايا العشر تلخص الفضائل الانسانية التى مجدها البشر دائما ، وهي قبل ذلك تحارب الاصنام فى الوصية الثانية ، وهي تدعو الى الاستقامة وكف الاذى عن الناس ، وقد أخذت بها البشرية على مر العصور ، وخاصة من خلال المسيحية والاسلام وبقية أديان الارض ، وليس سوى اليهود ــ الذين أنزلت أول ما أنزلت عليهم ــ الذين لم يتبعوها وضربوا بها عرض الحائط كأفراد من ناحية ، وكجماعة من ناحية أخرى .

واذا وجد فى اليهود من يلتزمها فى معاملاته مع أبناء جنسه من اليهود ، فهو يتحلل منها فى

معاملاته مع غير اليهود ، على أساس أن الشريعة انما هي خاصة لهم ، والههم لا يحاسبهم على ما يفعلون فى غيرهم من الشعوب ، وليس أدل على ذلك من أن التوراة تنهاهم عن الربا ، ومع ذلك فقد أحتكر اليهود الاقراض بالربا فى العالم . وقد حوى التلمود كتاب اليهود الثاني ، على ما نقله الاستاذ الفاضل الدكتور أحمد شلبي فى كتابه عن اليهودية ما تعففنا عن نقله ، وحسبنا القدر الذى قدمناه ، حتى لا نؤذى مشاعر القراء ، بأكثر مما فعلناه . ولما كانت الفضيلة لا تتجزأ ، والاستقامة لا تتجزأ ، والخير لا يتجزأ ، فقد كان محالا على اليهود ، أن يتعاملوا بغير استقامة مع غير اليهود ويلزموا الاستقامة مع اليهود فكان هذا الذى نقلناه من صور المجتمع اليهودى على مر العصور كما وصفه أنبياؤهم ، وكما يسجله كتابهم .

الاستغراق فى الطقوس

ومن يطالع العهد القديم يشم رائحة الوثنية التي أبى اليهود الا أن يحرفوا اليها دينهم الكريم ... فجعلوا محور عبادتهم تابوتا يطلقون عليه تابوت العهد ، ويخصصون فصولا طوالا فى وصف هذا التابوت ، ومن الذى يقترب منه ،وكيف أنمن يلمسه يموت . وهيئة المذبح ، وخيمة الاجتماع ، ويخصصون قبيلة معينة من قبائلهم وهم اللاويون ليكونوا هم الكهنة حراس التابوت والعهد والمتحدثون باسم الله .

وأحاديث كثيرة عن تقديم الذبائح للرب ، وكيف يتصرف فى دمائها ، وما يؤكل منها ، وما لا يؤكل ، ومن الذى يأكل ومن لا يأكل .

وما من حركة الا والهيكل هدفها وتقديم الذبائح والقرابين أسلوبها .

واحتفالات بعد ذلك تلو احتفالات ، تفيض بالطقوس والاجراءات ، وعلى رأسها عيد الفصح وهو ذكرى خروج بنى اسرائيل من مصر ، حيث قادهم رب الجنود بنفسه ليخلصهم من فرعون ، وكان يسير أمامهم على هيئة عمود من الدخان بالنهار ، وعمود من النار بالليل ... ويخصص اليهود أسبوعا لهذه الاحتفالات يأكلون فيه خبزا غير مختمر ، وذلك لأنهم عندما خرجوا كانوا فى عجلة من أمرهم ، فأكلوا عجينهم ولما يختمر !!.

تقديس يوم السبت

ويحتل تقديس يوم السبت حجر الزاوية فى العقيدة اليهودية ، حيث يقول اليهود ان الله قد بنى الدنيا فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وكان هو يوم السبت — ولذلك فقد جعل اله بنى اسرائيل هذا اليوم وعدم العمل فيه مظهر العهد بينه وبين شعبه ، فليس عند اليهود خطيئة تعلو خطيئة عدم حفظ يوم السبت ، حتى لتصل فيه العقوبة الى حد الاعدام ، ومع ذلك فقد تحلل اليهود من هذا العهد كسائر العهود ، وتغص ديانة اليهود بعشرات من الاحتفالات التي تتصل كلها بتاريخهم الخاص والتي لو دخل أى انسان غير يهودى فى دينهم ، لما كان لهذه الاحتفالات أى معنى بالنسبة اليه .

الجنة على الأرض والمسيح المنتظر

ولا تكتمل صورة الديانة اليهودية ، كما يؤمن بها اليهود ويمارسونها ، الا اذا تحدثنا عن مسيحهم المنتظر ، فاليهود كما قدمنا لا يؤمنون ببعث بعد الموت ، وحساب وثواب فى الحياة الآخرة ، ولا يرون ميدانا لمكافأة الانسان الا فى هذه الدنيا ، فلما أن توالت عليهم المحن والمصائب ، ودالت دولتهم ، وضرب

هيكلهم ، وأزيلت مدينتهم ، وتفرقوا فى الأرض أيدى سبأ ، بدأوا يحلمون بمسيح ، أى ملك ممسوح بالزيت ، يعيد اليهم مجدهم ، ويجمع شتاتهم ، وينصرهم على باقى الأمم والشعوب ، ويحمل كل من فى الأرض بالايمان والسجود لاله اسرائيل .

فيقول لنا العهد القديم فى الفصل الحادى عشر من سفر أشعيا .

« ويخرج قضيب من جذر يسّى وينمى فرع من أصله، ويستقر عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة ، روح العلم وتقوى الرب — ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي بحسب رؤية عينيه ، ولا يحكم بحسب سماع أذنيه — بل يقضي للمساكين بعدل ، ويحكم لبائس الأرض بانصاف . فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدى ، ويكون العجل والشبل المعلوف معا وصبى صغير يسوقهما — ترعى البقرة والدب معا ، ويربض أولافهما معا ، والأسد يأكل التبن كالثور — ويلعب المرضع على جحر الأفعى ويضع الفطيم يده فى فم الأرقم — لا يسيئون ولا يفسدون فى كل جبل قدسي لأن الارض تمتلىء من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر .

وكما هو شأن بنى اسرائيل دائما ، فان هذه الجنة الارضية خاصة بهم من دون شعوب الأرض وأورشليم هى مركزها — حيث ستعيد جميع الأمم والشعوب بناءها وترضى بالعبودية لبنى اسرائيل .

« وبنو الغرباء يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ، لأنى فى غضبى ضربتك ، وفى رضاى رحمتك ، وتنفتح أبوابك دائما لا تغلق نهارا ولا ليلا ، ليؤتى اليك بغنى الأمم وتحضر اليك ملوكهم — لأن الأمة والمملكة التي لا تتعبد لك (تستعبد) تهلك ، والأمم تخرب خرابا — آتى بالذهب بدل النحاس وآتى بالفضة بدل الحديد وبالحديد بدل الحجارة » .

وتصل قمة الصورة فى الفصل الخامس والستين من هذه الرؤيا الطويلة لأشعيا حيث يقول لنا : « وابتهج بأورشليم وأسر بشعبي ، ولا يسمع فيها من بعد صوت بكاء ولا صوت صراخ — لا يكون هناك من بعد طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه ، لأن الصبى يموت وهو ابن مائة سنة ، والخاطىء يلعن وهو ابن مائة سنة — قبل أن يدعو أجيب ، وفيما هم يتكلمون أستجيب — الذئب والحمل يرعيان معا والأسد كبقر يأكل التبن — أما الحية فالتراب يكون طعامها . لا يضرون ولا يفسدون فى جبل قدسى كله للرب .

لا يزالون ينتظرون

ويهود العالم فى انتظار هذا المسيح الذى يخضع الدنيا لحكمهم ، ويجعل الصبى يعيش مائة سنة والخاطىء يلعن وهو ابن مائة سنة .

وسوف نرى أن الديانة المسيحية تقوم على فكرة أن هذا المسيح المنتظر قد جاء بالفعل وانه اقام مملكة الروح على هذه الأرض ، ولكن اليهود لا يرون فى المسيح عيسى بن مريم ، الا انه دعى ، ويقولون على أمه قولا كبيرا ، وما زالوا فى انتظار مسيحهم،

وقد وجد على مر عصورهم دجالون زعموا أنهم هذا المسيح ثم اتضح كذبهم وافكهم – والدنيا تشهد اليوم آخر صور هذا الافك ، فقادة دولة اسرائيل هذه الأيام يصورون أنفسهم أنهم هم هذا المسيح ولذلك فهم يعلنون أن من لا يأتى الى اسرائيل لا يكون يهوديا وانما يكون كافرا ، وهو ما يعارضهم فيه فريق من يهود العالم ، الذين ينعمون بالحياة حيث هم .

وعندما احتلت اسرائيل فى عدوانها الغادر بمساعدة دول الاستعمار شبه جزيرة سينا راح كبيرهم يتلو عبارات من هذا العهد القديم تثبيتا لادعاء حلول الرب وسطهم وانتصاره لهم .

ونحن نعلم اليوم ، كيف اندحر العدوان الصهيوني عن مصر ، وكيف خزى كبيرهم ، وكانوا شؤما على معاونيهم من كبار الدول فدالت دولتهم وزالت امبراطورياتهم جزاء على مناصرة البغى والعدوان .

عقيدة وثنية وشريعة منسوخة

هذا هو الدين اليهودى فى ماضيه وحاضره ، كما يصوره كتابه المقدس ، وكما تشهد عليه أعمال اليهود المعاصرين – عدوان كله ، ووثنية كله ، واجتراء على الله وافتراء عليه ، ورميه بمحاباة فئة مسحوقة من البشر ، لم تشتهر باستقامة أو طهارة أو حسن عبادة ، بشهادتهم على أنفسهم فى كتابهم المقدس .

وسنرى كيف وصف القرآن اليهود بما لا يخرج عن الصورة التي صوروها لأنفسهم ، وكيف سجل عليهم الزيغ والانحراف وتشويه العقيدة . وأحصى عليهم جرائمهم ضد البشرية والانسانية . وكيف نقى قبل ذلك وبعد ذلك العقيدة والشريعة من افكهم وضلالهم ، وأعاد لأنبياء بنى اسرائيل الصادقين منهم ، وكل عبد صالح من عباد الله الطهارة والاستقامة والأمانة . فلا محل للمقارنة بين الاسلام واليهودية كما يدعو اليها ويطبقها اليهود ، فحيث يهوى اليهود بصورة الألوهية الى حضيض الوثنية ، يرتفع بها الاسلام الى ذروة التوحيد الصافى المنزه عن التشبيه والحلول والتجسيد .

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير – هو الأول والآخر والظاهر والباطن – الرحمن الرحيم » .

وحيث يهوى اليهود بالنبوة والرسالة الى حضيض التمرغ فى الرذائل والفواحش والاشراك بالله ، يؤكد الاسلام أن النبى والرسول لا يمكن الا أن يكون معصوما وهو يبلغ رسالته ويؤدى أمانته .

وحيث لا تحمل اليهودية لمن لم يكن يهوديا من سلالة اسرائيل الا السيف والعبودية والنقمة ، لا يحمل الاسلام سوى المحبة والاخوة البشرية والرحمة . فيقول لرسوله « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، مما سنذكره بالتفصيل عندما نعرض لتعاليم الاسلام ، فالاسلام يعلو على اليهودية علوه على أى دين آخر ، ولكن لا نستعجل بهذا الحكم حتى نختم مقارنتنا ببقية الأديان – مبتدئين بالمسيحية ، باعتبارها الفرع الذى تفرع من اليهودية ، فقضى عليها وتحول الى دين عالمى ، واذا كان يهوه اله بنى اسرائيل كما يصورونه الها دمويا متعطشا للدماء يحقد على بنى الانسان ، فقد جاءت المسيحية على النقيض تجعل من الله رب العالمين ، حبا كله ورحمة كله ، مما سنفصله فى مقالنا التالى ان شاء الله .

ماتم إنجازه من موسوعة الفقه

رأي الدين في : فوائد البنوك . فوائد السلف الصناعية . التأمين على

مشروع جمع الأحاديث الصحيحة

حديث مع فضيلة الشيخ علي الخفيف

فضيلة الشيخ علي الخفيف من كبار العلماء وأحد أفراد قلائل حملوا لواء الفقه الاسلامي أكثر من نصف قرن فى مدرسة القضاء الشرعي وكلية الحقوق والمؤتمرات الفقهية والمجلات والكتب والندوات الاسلامية ..

دعته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ليشارك فى موسمها الثقافى الثانى ، وألقى محاضرتين قيمتين : الاسلام عقيدة ومعاملة ، والمجتمع الاسلامي روابطه وأهدافه . وذلك فى أواخر مارس وأوائل أبريل سنة ١٩٦٧ .

وقد تخرج فضيلته من مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة ، سنة ١٩١٥ ، ثم عين مدرسا بها لتفوقه ، وظل مدرسا فيها حتى سنة ١٩٢١ ، حيث عين قاضيا فى المحاكم الشرعية حتى سنة١٩٢٩ ، ثم مديرا للمساجد الى سنة ١٩٣٩ ثم انتقل الى كلية الحقوق بالجامعة ، فعمل بها أستاذا للشريعة الاسلامية ورئيسا لقسم الشريعة ، وما يزال يلقى محاضراته بها فى قسم الدكتوراه ، وهو رئيس وعضو فى لجان اسلامية عديدة . فهو عضو مجمع البحوث بالازهر ورئيس رواق التفسير والحديث به . وعضو لجنة الأحوال الشخصية ، وعضو لجنة الموسوعة الفقهية برئاسة شيخ الأزهر ، وأستاذ بمعهد البحوث والدراسات العربية ــ الجامعة العربية .

وقد انتهزت المجلة فرصة زيارته للكويت فأوفدت اليه مندوبها ليستطلع رأيه فيما يشغل المسلمين فى وقتنا المعاصر من مشاكل ، وما يجد من تطورات . فكتب مندوبنا يقول : ــ

نهض من مقعده عندما سلمت عليه وكأنما رأيت وراءه ــ وهو ينهض ــ اثنين وخمسين عاما طويلة خصبة منذ اعتلى مقعد الاستاذية بمدرسة القضاء حتى هذه الأيام .



فضيلة الشيخ علي الخفيف أثنا[ء]
القائه محاضرته بدار الثقافة والتوجي[ه]
بالشامية ـ كويت .

[...] الإسلامى بالقاهرة .

العقارات والمنقولات . التأمين على الحياة

(موسوعة الحديث)

موسوعة الفقه الاسلامى

قلت لفضيلته :

باسم المجلة وباسم المسلمين عامة والكويت خاصة أرحب بكم ، وأحيى جهادكم المثمر فى خدمة الاسلام ، ويسر المجلة أن تحدثوا قراءها عن بعض جهودكم وآرائكم ، ولنبدأ بالحديث عما تم انجازه من موسوعة الفقه الاسلامي التيتشتركون فى اصدارها ؟

قال : ما تم انجازه من الموسوعة هو الجزء الأول ويتكون من ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير وقد صدر فى يوليو ١٩٦٦ وهو يشتمل على مقدمة طويلة شرح فيها أطوار الفقه الاسلامي منذ نشأته الى أن تبلور وأغلق باب الاجتهاد ثم ما تلا ذلك من محاولات أريد بها التجديد عن طريق التلفيق بين المذاهب الأربعة قصدا الى بيان ما فيه المصلحة واشتمل بعد ذلك الكلام عن عشرين مصطلحا تقريبا من حرف الألف ولم تتجاوز المصطلحات التي ذكرت فيه حرف الألف مع الباء . وسيصدر الجزء الثاني ـ الذى يعد للطبع الآن ـ فى يوليو القادم فى نحو ٣٥٠ صحيفة من القطع الكبير أيضا ولن يتجاوز الكلام فيه حرف الألف حيث وصلنا الى حرف الألف مع الجيم دون تجاوزها .

قلت : وما هى المذاهب الممثلة فى الموسوعة ؟ .

أجاب سيادته : انها تتضمن تفصيل أحكام المذاهب الأربعة فى كل مصطلح الى جانب مذاهب الزيدية ، والظاهرية ، والشيعة الامامية ، والاباضية .

سألت : كم من الزمن ـ فى تقديركم ـ يكفى لهذا العمل ؟ .

أجاب : ظنى أن اتمامه يحتاج الى عمل مستمر خمس عشرة سنة على الأقل من الآن .

قلت : كيف تتكون لجان الموسوعة ؟ وما خطة سير العمل فيها ؟ .

قال : انها تتكون من لجنتين : اللجنة العامة وهى تتكون من أربعة عشر عضوا من أفاضل العلماء ورجال الفقه والقانون ويتفرع من هذه اللجنة لجنة فنية أخرى مكونة من سبعة أعضاء لمراجعة جميع ما يقوم الكاتبون بكتابته من موضوعات وتنسيقه، وتعديل ما يظهر فيه من خطأ ، واتمام ما يظهر فيه من نقص وحذف ما ترى اللجنة أنه زيادة لا يحتاج اليها .

الاحوال الشخصية

سألت أستاذنا الجليل : اشتركتم فضيلتكم فى وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية بالجمهورية العربية المتحدة فماذا تم فى هذا المشروع وما هى الأسس التي أقمتموه عليها ؟ .

قال : أتمت لجنة قانون الأحوال الشخصية وضع مشروع هذا القانون ومراجعته وقدمته للجهة المختصة به،وقدوضعهذا المشروع على أساسمن أقوال الفقهاء فىالمذاهب الأربعة دون أن تخرج عنها ، ودون أن يكون لاجتهادنا أثر فيه ، غير أننا لم نتقيد بالرأى الذى يعد رأى المذهب بل كنا أحيانا نستحسن الأخذ ببعض الآراء فى المذهب ما دمنا نرى فى الأخذ بغير الرأى الراجح مصلحة للمجتمع .

قلت : وهل جاء فى المشروع شىء بصدد تقييد الطلاق أو تعدد الزوجات ؟ .

قال : لم يقيد مشروع القانون اصدار الطلاق من الزوج بأى قيد من القيود ، سوى أنه اشترط أن يصدر الطلاق أمام شاهدين حتى يكون فى ذلك حيلولة دون نزوات النفوس الوقتية ، وذلك أخذا برأى بعض الفقهاء كما لم يتعرض مشروع القانون بتقييد تعدد الزوجات بأى قيد مطلقا .

سألت : اذن ماذا جاء فيه بخصوص بيت الطاعة ؟ .

أجاب : أما بيت الطاعة فالمشروع يقر حكم الطاعة ، ولكنه فقط يمنع تنفيذه بواسطة رجال الشرطة لما فى ذلك من عنف يحول دون قيام بيت الزوجية كما يراد منه كما أن المشروع يجعل للزوج عند ثبوت امتناع الزوجة عن التنفيذ حق طلب الفسخ الذى يؤدى الى تعيين القاضي لحكمين يفصلان فى الموضوع .

فوائد البنوك

وهناك انتقل بنا الحديث الى تلك المشاكل الاقتصادية التي تثقل كاهل المسلمين فى هذه الأيام .

فسألت فضيلته : ما الرأى عند فضيلتكم فى فوائد الأموال المودعة فى البنك وفوائد السلف الصناعية .

أجاب : أما عن فوائد الأموال المودعة فى البنك فقد قرر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية أن أخذها حرام ، أما فوائد السلف الصناعية فلم يتعرض لها المجمع لعدم عرضها عليه والأمر فيها واضح وهو الحرمة ما دامت قرضا .

قلت لفضيلته : قلتم سيادتكم ان أخذ فوائد الأموال المودعة فى البنك حرام فهل يتركها المودع للبنك اذن ؟ .

قال : رأيى أنه اذا كان ترك هذه الفوائد سيؤدى الى أن تتخذ وسيلة لزيادة قوة أعداء المسلمين واستغلالهم والضغط عليهم فانه فى هذه الحالة يجوز أخذها من البنك لا ليستملكها الآخذ ، بل ليصرفها فى وجوه الخير لأن ذلك يعتبر حيلولة دون الاضرار بالمسلمين . والا فلا يجوز .

التأمين

سألت : وما رأى الدين فى التأمين ؟ .

أجاب : قرر المجمع فى مؤتمره الثانى أن التأمين الاجتماعي ــ الذى تقوم به الحكومات والتأمين التضامنى ــ الذى يقوم به المستأمنون أنفسهم لأنفسهم ــ حلال لا شبهة فيه أما ما عدا ذلك من أنواع التأمينات ــ ومنها التأمين على الحياة ــ فتحت النظر الى الآن .

قلت : وهل لكم رأى خاص فى أنواع التأمين المختلفة ؟ .

قال : لقد أبديت للمؤتمر رأيى فى أنواع التأمين المختلفة فى بحث قدمته الى المجمع ، وهو يقضى بجواز التأمين شرعا ما عدا التأمين على الحياة المصحوب بالادخار القائم على الفوائد ، وأعتقد أن مجال الحديث الآن ضيق لا يتسع لاستيعاب البحث فى هذا الموضوع وذكر الحكم فى صوره المختلفة .

جمع السنة

قلت : (وقد شعرت أن الحديث قد طال) سيدى نعرف أن فضيلتكم تتولون رئاسة رواق الحديث والتفسير بمجمع البحوث . فما رأيكم فى شبهات بعض المغرضين حول مكانة السنة .

قال فضيلته : أثير هذا الموضوع أمام المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية وقد قدمت فيه بحثا بينت فيه أن السنة الصحيحة واجبة التطبيق وأنها ضرورية لفهم القرآن والعمل به وأن العمل بالقرآن دون السنة لا يعد عملا بالقرآن .

سألت أستاذنا الجليل : هل هناك جديد من المشروعات فى مجال السنة .

قال : نعم . قرر مؤتمر مجمع البحوث اصدار موسوعة مفهرسة للسنة تكون جامعة لما صح من السنة كما قرر جمع الأحاديث التي يرى أن ظاهرها غير مراد لبحثها سندا ومتنا وتأويلا وشرحا مع ابداء الرأى فيها بعد هذه البحوث . والمجمع جاد فى اعداد العدة لاصدار الموسوعة والكتاب المذكورين .

قلت : (وفى نفسى أشياء كثيرة تنتظر الجواب القاطع من عالم ثقة كالأستاذ الجليل ولكن حبسها فى نفسى طول ما أخذنا من حديث) .

مؤلفات

سيدى سؤال أخير .. ما مؤلفاتكم التي طبعت حتى الآن .

على الفور لمحت على وجهه سحابة من خجل الشيخوخة الوقور . وابتسم ابتسامة طيبة وهو يقول . لا داعى .

قلت : لست أعتبر ذلك حديثا عن النفس بقدر ما هو بيان وثيق وأمين لثمرات عمر حافل هى فى نفس الوقت مصادر فياضة من مصادر التشريع الخالد يمكن أن ندل المتعطشين للشريعة عليها حتى ينتفعوا بها .

قال : فى الحقيقة أنا فى هذه اللحظة لا أذكرها جميعها انما أذكر منها (أحكام المعاملات الشرعية) ثم (مختصر لهذا الكتاب) و (أحكام البيع فى الكتاب والسنة) و (أثر الموت فى حقوق الانسان والتزاماته) و (تعلق الديون بالتركات) و (نظرية النيابة عن الغير) و (الوصية) و (أسباب اختلاف الفقهاء) و (فرق الزواج) و (الشركات فى الفقه الاسلامي) و (الملكية فى الفقه الاسلامي) على أن كثيرا من هذه الكتب قد نفدت طبعاتها .

قلت : (وأنا أطوى أوراقى) شكرا أستاذنا الجليل . وودعته وأنا أرجو له مزيدا من العمر مع الصحة والعافية حتى يتابع رسالته فى خدمة الشريعة الاسلامية .

عبد المعطى محمد بيومى

من أجل

قل للذي عن ظلال الأهل يبتعدُ ... باب العروبة مفتوح لمن يفدُ

ومنهلُ الحبِّ في أعتابه مُحتشِدُ ... سل عنه ، سل عن مياه الألى وردوا

تألّق العروبة روحاً منهم جسدا ... فأشرقت بالحياة الروحُ والجسد

وصاح بالعرب فيهم صوتُ مُنقذهم ... فأوقظوا فأحسوا الحب فاتحدوا

***

هذي العروبة فينا سر وحدتنا ... ورايةُ العُرْب منا أينما وُجدوا

لو هزها في أقاصي الغرب مغترب ... فالشرق من شوقه المشبوب يرتعد

أقدارنا هذه ، لو رام من جحدوا ... منها فرارا لما استطاعوا ، وإن جهدوا

بنو العروبة ما طال الزمان بهم ... فغايةُ الدهر أنَّ الشمل ينعقد

وفي غد تتذكّر الأجيال مَن صدقوا ... ومن تنادَوْا بها دهرا ، ومَن صمدوا

***

لو يشعرون بما جرّته فرقتهم ... لو يشعرون ، لما قرّت لهم كبد

لو يذكرون ، فلسطين ، إلى ذهبت ... لو يذكرون ، لولّى الصبر والجلد

فلسطين

الاستاذ محمد التهامي

الأهل في دارهم باتوا على دعة ... وأصبح اليوم لا أهل ولا بلد

الموت والقتل والحرمان طاردهم ... سيان من مات منهم والأُلى طُردوا

السادة الكُثْر ذاقوا في مهاجرهم ... ذلّ الحياة ، وودوا أنهم فُقدوا

بعد النعيم وعز العيش قد طلبوا ... مدّ الكفاف ، وحتى ذاك ما وجدوا

عاشوا على أملٍ فينا لنجدتهم ... ومن سوى الأهل يُرتجى للأُلى قصدوا

والشر يزحف مجنونا ، ويطعمه ... أنّا فرادى وأن البعض قد شُردوا

قال اليهود ، ويا بئس الذى زعموا ... أن اليهود بأرض العُرْب قد وُعِدوا

شلّ اللسان الذى يهذى بباطلهم ... شل اللسان ، وشلت لِلّئام يد

إن كان أغراضهُم ما كان ، ويلهُمُ ... عند النفير إذا ما استيقظ الأسد

أقدامه في « الخليج » الحر راسخة ... وفي ذُرا « النيل » منه النابُ واللبد

وفي الزئير حُداء الزحف مكتسح ... زيفَ اليهود فلا حبل ولا وتد

في يومها لا تقوم الحرب يقصدهم ... منا ولا عُدد تُحصى ولا عَدد

في الحق والوحدة الشماء تدفعه ... بأس اليقين وعقبى الزيف والرشد

من قادة فتح المغرب

رويفع بن ثابت الأنصاري

محمد يوزن

فاتح جزيرة جربة (١) من تونس الخضراء .

بقلم اللواء : محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

الصحابي :

كان رويفع بن ثابت بن سكن بن عدى ابن حارثة الأنصارى من بنى مالك بن النجار صحابيا (٢) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من التابعين (٣) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم ولا عن جهاده تحت لواء الرسول القائد .

لقد نال رويفع شرف الصحبة ، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبى صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

كانت أرض الشام ميدان جهاد رويفع ، فلما أنجز المسلمون فتحها سار رويفع تحت لواء عمرو بن العاص لفتح مصر وليبيا والنوبة ، كما شهد معارك الفتح التي خاضها عبد الله بن سعد ابن أبى السرح لفتح افريقية ومعاوية ابن حُدَيج السكونى لفتح المغرب .

وفى سنة خمس وأربعين الهجرية (٤) غزا معاوية بن حديج السكونى المغرب فاستعاد فتح طرابلس الغرب وترك فيها رويفع بن ثابت واليا عليها سنة ست وأربعين من الهجرة(٥) فغزا منها افريقية

---

(١) جربة : جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية (تونس) قرب قابس ، كان يسكنها البربر . أنظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٧٣ – ٧٤) .

(٢) أسد الغابة (٢/١٩١) والاصابة (٢/٢١٤) والاستيعاب (٢/٥٠٤) وفى تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) : انه رويفع بن ثابت بن سكن بن حارثة بن عمرو بن زيد مناه بن عدى بن عمرو بن مالك ابن النجار الأنصارى النجارى .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) والاصابة (٢/٢١٤) وأسد الغابة (٢/١٩١) .

(٤) رياض النفوس (١/١٧) والبيان المغرب (١/١٧) والاستقصا (١/٦٩) والخلاصة النقية (٤) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) والاصابة (٢/٢١٤) وأسد الغابة (٢/١٩١) .

(تونس) ودخلها سنة سبع وأربعين من الهجرة (١) وفتح جزيرة (جربة) التي كان يسكنها البربر (٢) ثم انصرف من عامه (٣) الى طرابلس مقر عمله .

الانسان :

كان رويفع صحابيا جليلا ، لا يعلم أنه شارك في الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان بقلبه أو بلسانه أو بسيفه ، بل بقي مستقرا في مصر حتى انكشفت الغمة وعادت الوحدة الشاملة الى المسلمين .

سكن مصر واختط بها دارا ، وقد ولاه معاوية بن حديج في أيام معاوية بن أبي سفيان طرابلس الغرب سنة ست وأربعين من الهجرة ، وتولى (برقة) (٤) لمسلمة بن مخلد حتى مات بها وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد سنة ست وخمسين هجرية (٥) (٦٧٦ م) وقبره بها (٦) وقبره مشهور في الجبل الأخضر بـ (برقة) (٧) في مدينة (البيضاء) (٨) . وهو آخر من توفي من الصحابة هناك (٩) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث (١٠) وكان فقيها من أصحاب الفتيا من الصحابة (١١) ، وكان خطيبا مفوها . لقد كان رويفع اداريا حازما ، قويا أمينا ، تقيا نقيا ، صادقا وفيا ، كريما سخيا .

ولا نعرف أنه أثرى من الغنائم أو من منصبه ، فعاش فقيرا ومات فقيرا دون أن يخلف دينارا أو دارا . لقد كان رويفع رجلا .

القائد :

بذل رويفع قصارى جهده مجاهدا في سبيل الله في ميادين أرض الشام ومصر والمغرب العربي .

وقد شهد معارك كثيرة برية وبحرية ، فقد سار بجيشه بحرا الى جزيرة (جربة) وفتحها (١٢) وقضى على فساد أهلها الذين كانوا يفسدون في البر والبحر (١٣) فنشر فيهم الدين الحنيف وضمهم الى البربر المسلمين (١٤) .

---

(١) الاستيعاب (٥٠٤/٢) وأسد الغابة (١٩١/٢) والعبر (٥٤/١) وشذرات الذهب (١/٥٥) .
(٢) معجم البلدان (٧٣/٣ – ٧٤) وانظر الاصابة (٢١٤/٢) وتاريخ المغرب الكبير (٢٢/٢) .
(٣) الاستيعاب (٥٠٤/٢) .
(٤) برقة : اسم صقيع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية (تونس) ، واسم مدينتها انطابلس . انظر معجم البلدان (١٣٣/٢ – ١٣٥) وهذا الصقع باسم مدينة برقة تقع في مرج واسع انظر الاعلاق النفيسة (٣٤٣) والمسالك والممالك للاصطخري (٣٣) والمشترك وضعا (٥٢) تقويم البلدان (١٤٨) .
(٥) الاصابة (٢١٤/٢) .
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١٩٢/١١) وأسد الغابة (١٩١/٢) .
(٧) الاعلام للزركلي (٦٥/٣) الطبعة الثانية .
(٨) البيضاء : مدينة في ليبيا تقع بين بنغازي ودرنة ، المسافة بينها وبين بنغازي (٢٠٠) كلم ، والمسافة بينها وبين درنة (١٠٠) كلم اتخذتها المملكة الليبية عاصمة جديدة لها فدبت فيها الحياة والنشاط واتسع فيها العمران وفيها الجامعة الاسلامية التي انشئت حديثا وتنتسب الى السيد محمد علي السنوسي تخليدا لذكراه .
(٩) تهذيب الأسماء واللغات (١٩٢/١) .
(١٠) أسماء الصحابة الرواة – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم – (٢٨٦) .
(١١) أصحاب الفتيا من الصحابة – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم – (٣٢١) .
(١٢) تاريخ المغرب الكبير (٢٢/٢) .
(١٣) معجم البلدان (٧٤/٣) .
(١٤) تاريخ المغرب الكبير (٢٢/٢) .

لقد كان رأس سلاح رويفع في حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه والفزع اليه ومسألته النصر والتأييد والسلامة والظفر .

وكان يسوس رجاله سياسة حكيمة قوامها المحبة المتبادلة والهيبة منهم له والمحبة من بعضهم لبعض : يتفقد من أمور أصحابه جميع ما يعود نفعه عليهم ، ويستزيد محسنهم بالتكرمة ، ويجعل عامة أصحابه في لين الكلمة بمنزلة الخاصة من غير أن ينقص أحدا من ذوى البلاء حقه وثوابه .

وكان شجاعا مقداما كامل العقل طويل التجربة ، بعيد الصوت مأمون النقيبة، بصيرا بتدبير الحرب ومواضعها، حسن التعبئة لأصحابه فيأحوال التعبئة، يدخل الأمن عليهم والخوف على عدوهم مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو ، حسن السيرة عفيفا صارما حذرا متيقظا سخيا .. (لقد كان قائدا ممتازا) .

رويفع في التاريخ :

يذكر التاريخ لرويفع أنه قضى حياته كلها مجاهدا واداريا ، ورافق أعلام الفتح الاسلامي من مبدأ سيرها الى أرض الشام ، من المدينة المنورة الى نهاية مستقرها في المغرب العربي .

ويذكر له أنه من الدعاة الأوائل الذين نشروا الاسلام في أرض الشام ومصر والمغرب عامة وفى البربر خاصة .

ويذكر له أنه فتح جزيرة (جربة) ومات بعيدا عن أهله ، فاستقرت نفسه مطمئنة في سفوح الجبل الأخضر الأشم من أرض ليبيا العربية في (برقة) حيث لا يزال أهلها يذكرونه بالتقدير والاكبار .

انه نسي نفسه من أجل عقيدته والمصلحة العامة العليا ، فذكره الناس في أيامه ولا يزالون .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الادارى الحازم ، التقي النقي ، الفارس البطل ، القائد الفاتح رويفع بن ثابت الأنصارى النجارى .

الى الشباب

« من قصيدة لحافظ ابراهيم »

يا ابن العروبة أنت حر فاستعد ... مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمر وكافح في الحياة فهذه ... دنياك دار تناحر وكفاح
وانهل مع النهال من عذب الحيا ... فاذا رقا فامتح مع المتاح
واذا ألح عليك خطب لا تهن ... واضرب على الالحاح بالالحاح
وخض الحياة وان تلاطم موجها ... خوض البحار رياضة السباح

بين الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه

٢

للاستاذ انور الجندي

فى الحلقة الاولى من هذا البحث قدم الكاتب عشر حقائق فيما يتعلق بالدعوة الى الاسلام والدفاع عنه هى :

١ ــ الاسلام دين ومدنية (٢) وثيقة الاسلام الخالدة (القرآن) قد حفظت من التحريف (٣) الاسلام لم يتوقف عن الانتشار (٤) أكد الاسلام أهمية العقل والعلم وجمع بين الاتجاهين المادى والروحى .

وهذه هى التى تناولها البحث فى الحلقة الاولى ، أما الحقائق الباقيةموضع هذا البحث فهى (٥) التفسير التاريخى للاسلام يعطى مفهوما مختلفا كل الاختلاف مع مقاييس الاديان الاخرى (٦) أبرز طوابع الاسلام بعد التوحيد (طابع الشمول) (٧) قدرة الاسلام الدائمة على البقاء والاستمرار (٨) اللغة العربية لغة الاسلام والعرب (٩) دور العرب والمسلمين فى الحضارة لاسبيل الى تجاوزه أو انكاره (١٠) الشريعة الاسلامية حية صالحة لكل زمان ومكان .

خامسا : التفسير التاريخى للاسلام

وفى مجال التفسير التاريخى للاسلام يبدو مدى الفرق بين فهم المسلم للتاريخ واحساسه وتأثره به وبين غيره .

فالمسلم (١) يحس احساسا جادا بالتاريخ ، لانه يؤمن بتحقيق ملكوت الله فى الارض ، يؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعا يسير البشر فى الارض على مقتضاه ، ويحاولون أن يصوغوا واقع

---

(١) ولفرد كانتول سميث « الاسلام فى العصر الحديث »

✻ يهم «الوعى الاسلامى» أن توجه نظر القراء الى ماجاء فى هذا البحث ولا سيما الشباب منهم والذين يولون ظهورهم للاسلام من المبلمين

الارض فى اطاره ، ومن ثم فالمسلم يعيش دائما كل عمل فردى أو اجتماعى وكل شعور فردى واجتماعى بمقدار قربه أو بعده من ذلك النظام الذى وضعه الله. والذى ينبغى تحقيقه فى واقع الارض لأنه قابل للتحقيق ، والتاريخ فى نظر المسلم سجل المحاولة الدائمة لتحقيق ملكوت الله فى الارض ، ومن ثم فكل عمل وكل شعور فرديا كان أو اجتماعيا ذو أهمية بالغة ، لأن الحاضر هو نتيجة الماضى ، والمستقبل متوقف على الحاضر.

اما الماركسى فيؤمن بحتمية التاريخ بمعنى أن كل خطوة تؤدى الى الخطوة التالية بطريقة حتمية ، ولكنه لايؤمن الا بهذا العالم المحسوس ، بل لايؤمن فى هذا العالم الا بالمذهب الماركسى وحده ، وكل شيء عداه باطل ، والماركسى يتبع عجلة التاريخ ، ولكنه لا يوجهها ، ولا يعيشها بأية مقاييس خارجة عنها .

وما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع وان اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة وان الغربى لا يفهم الاسلام حق فهمه الا اذا ادرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا أو باطنا .

٢ — فاذا أردنا أن نطبق نظرية التفسير المادى للتاريخ على الاسلام لم نستطع ان نحصل على نتائج واضحة ، يقول العلامة تريتون : اذا صح فى العقول أن التفسير المادى للتاريخ يمكن أن يكون صالحا فى تعليل بعض أو معظم الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فان هذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب فى أن يعلل وحدة العرب ، وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم ، واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم ، فلم يبق امام المؤرخين الا أن ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة ، انها تقع فى هذا الشيء الجديد الا وهو « الاسلام » .

رأوا أن الاسلام قوة هائلة فيه حقيقة واقعة ، وديناميكية حية ، وهو يحث على العمران سبيل الحضارة ، وهو الطريق الى جمع الكلمة ونشر السلام ، وتحقيق العدل بما يؤلف بين القلوب ، ويربط بين الشعوب ، وقد انشأ المسلمون مذهبا فى الفقه جديدا بالموازنة مع القانون الرومانى ، وأقاموا حضارة لا تقل عن اى حضارة معاصرة فى أوربا ، والدين عند المسلمين حقيقة واقعة ، وجزء متمم لحياتهم اليومية ، وهو ليس رداء يرتديه الاحبار والعلماء ، ومن ثم فهو يجعل المسلمين اذا وقعت الواقعة وادلهم ليل الخطوب ثابتى الايمان لا تزعزعهم العواصف والانواء ، والاسلام يكبر من شأن العلم اكبارا لا شائبة فيه فهو فريضة على كل مسلم وينظر الى أتباع الاديان الاخرى نظرة تسامح ورفق .

* * *

سادسا : طابع الشمول

وأبرز ما يتسم به الاسلام فى نظر الدعاة الى الاسلام والمدافعين عنه على السواء طابع « الشمول » : يقول ليوبولد فايس « أن أهم مآتى الاسلام ، تلك المآتى التى تميزه عن سائر النظم ، هى التوفيق العام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الناحية الانسانية وهذا سبب من الاسباب التى عملت على ظفر الاسلام فى ابان قوته اينما حل ، لقد أتى الاسلام بالرسالة الجديدة التى لا **تجعل احتقار الدنيا شرطا للنجاة فى الآخرة** ، هذه الخاصة الظاهرة فى الاسلام تجلو الحقيقة الدالة على أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم كان شديد الاهتمام بالحياة الانسانية فى كلا اتجاهيها : فى المظهر الروحى والمظهر المادى. ونحن نعد

الاسلام أسمى من سائر النظم المدنية لانه يشمل الحياة بأسرها ، انه يهتم اهتماما واحدا بالدنيا والآخرة ، والنفس والجسد ، والفرد والمجتمع ، ونجد الاسلام وحده من بين سائر الاديان ، يتيح للانسان ان يتمتع بحياته الدنيا الى اقصى حد من غير تضييع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة ، فليس فى الاسلام خطيئة أصلية موروثة ، وليس من أجل ذلك ثمة غفران شامل للانسانية ، ان كل مسلم رهين بما كسب ، والاسلام ينظر الى الحياة بهدوء واحترام . ولكنه لايعبدها ، ان النجاح المادى مرغوب فيه ولكن ليس غاية فى نفسه ، بل يقود الانسان نحو الشعور بالتبعية الادبية فى كل ما يعمل ، والغاية من جميع نشاطنا العملى يجب ان تكون خلقية .

ويرى الدكتور جرمانوس : ان الاسلام يبسط امام معتنقيه طريقا وسطا لا يتجرد فيه الروح من البدن ، ولا البدن من الروح ، بل يكون وسطا بين الروح والمادة .

ويقول أميل درمنجم : لقد وفق الاسلام بين الاتجاهين المتقابلين : المادى والروحى ، وقال الرسول : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا [1] ، وفى القرآن (وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

ويرى العلامة « هورتن » الحقيقة حين يقول : فى الاسلام وحده تجد (اتحاد الدين والعلم) فهو الدين الوحيد الذى يوحد بينهما ، فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا فى دائرة العلم ، وترى وجهة الفلسفة ووجهة الفقه متعانقتين فهما واحدة لا اثنتان .

ويقول رينيه ميليه : ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وما وراء المادة قد تنبه له المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ، وانه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس .

* * *

سابعا : قدرة الاسلام على الاستمرار

١ ــ وفى مجال الدعوة الى الاسلام نجد أن الباحثين المنصفين من الغربيين قد توصلوا منذ وقت بعيد الى أهمية الاسلام بالنسبة للبشرية والحضارة الانسانية . فالاسلام [2] سيشكل نفسه حسب حاجات العصر الحديث ولكنه لن يدع الحضارة الغربية تغلبه وتسلبه أبناءه الذين كسبهم منذ مئات الاجيال ، بعد أن طبعوا بطابعه وصاروا جزءا منه ، وهم يمثلونه فى سائر بقاع الارض ، والمسلمون يستمرون فى دينهم مهما اتخذوا من الثقافة والمدنية الغربيتين ، وفى الجامعات الكبرى نجد كثيرا من المسلمين ، ولا يزال مجرى عقولهم اسلاميا ، وفيهم ميل قوى الى التمسك بدين آبائهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة .

٢ ــ والاسلام يتفق مع مدنية زماننا الحاضر تمام الاتفاق ، والتقدم الذى نشاهده منذ قرن دليل على ان الاسلام يسير مع المدنية جنبا الى جنب ، والاسلام سيظل موجودا دائما .

ويعترف ليون روش [3] انه وجد فى الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم : الاولى قول القرآن « انما المؤمنون اخوة » فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية ، والثانى : فرض الزكاة على كل ذى مال وأخذها غصبا اذا امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا .

ويرى « هاملتون جيب » ان الاسلام ما يزال فى قدرته أن يقدم للانسانية

---

(١) ليس هذا حديثا ، ومع ذلك فهو يمثل توجيها اسلاميا حقيقيا . (الوعى)

(٢) كريستيان ستوك هير خرونجه (٣) ثلاثون عاما فى الاسلاك : ليون روش .

خدمة سامية جليلة ، فليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الاجناس المتنافرة في جبهة واحدة أساسها ((المساواة)) . فاذا وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس فلا بد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع .

وما يزال الاسلام يسلك سبيلا وسطا بين المتناقضات الشديدة فهو يقف في مكان وسط بين الرأسمالية والبلشفية .

ويرى الدكتور جرمانوس : ((ان مستقبل العالم وخلاصه من خطر الاصطدام الاجتماعى الذى يهدده ، لن يكون الا فى المزاوجة بين الحضارة الاوروبية بدرسها وعلمها ، وبين الروح السامية التى تنطوى عليها عقائد الدين الاسلامى وانى أؤمل ان يكون الاسلام قادرا مرة أخرى على تحقيق هذه المعجزة فى سبيل وحدة الجماعة الانسانية)) .

ويقول العلامة رينيه ميليه : يهمنى هنا أن أقول اننا لا نستطيع أن نحكم على تلك الامة بالسقوط ،لان الامة التي أمكنها أن تنهض فى وقت ما ، يمكنها أن تعيد نهضتها فى المستقبل ، لقد أفل نجم المدنية الاسلامية بعدما أثمرت وأينعت فترة طويلة من الزمن ، ويكفى هذه المدنية نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها . ان تلك الصبغة العامة اللينة التى اتصفت بها مبادىء الاسلام هى التى جعلته يقبل بضروب المدنية ولا ينافيها ، بل يقابلها بصدر رحب .

ويقول بعضهم : اذا كنا نفرض ان المسلمين يسيرون فى طريق المدنية الغربية سيرا حثيثا فلماذا نعتبر ان هناك مدنيتين ، ولماذا لا تفنى المدنية الاسلامية العربية فى جسم المدنية الغربية ما دام المسلمون يأخذون العلوم والعلوم أساس كل مدنية ؟

على أنى لا أشارك أصحاب هذا الرأى فى رأيهم ، لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات ، ومثل عليا وقيم لها تأثير كبير ، ان العلم مهما اتسعت آفاقه فلا يزال أمامه عالم غامض ، وانه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس ، وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الاسلام ، ذلك الدين الذى أتى بأحسن العقائد ملاءمة للفطرة ، والذى سعد حظه بأن امتد ظله على ضفاف البحر الابيض المتوسط تحت سماء صافية الاديم لم تتلبد بالغيوم ، فظل نوره متلألئا فى تلك البلاد الواسعة الاطراف ، ولم تستطع الاحداث ان تطفىء ذلك النور الربانى الساطع . ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وما وراء المادة قد تنبه المسلمون اليه فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح .

* * *

ثامنا : اللغة العربية لغة الاسلام والعرب

لقد كانت اللغة العربية لغة الاسلام ثقافة والامة العربيةقومية ، وقد وصفها جورج سارطون بالعبقرية فقال : اتحدث عن عبقرية اللغة العربية ، ففى المرتبة الاولى لم يكن الرسول يعرف لغة سوى لغته ، ثم ان الاسلام نزل على الرسول باللغة العربية ، وهكذا كانت ((العربية)) لغة القرآن ، ولغة الوحى ، ولغة أهل الجنة ، ومن ثم أصبحت اللغة العربية من اللغات البارزة فى العالم ، واحدى الوسائل الاساسية للثقافة فى العصور الوسطى ، وهى الى اليوم لم تزل لغة أمة موزعة فى جميع بقاع الارض .

وان اللغة الوحيدة التى عرفها رسول

الله كانت من أجمل اللغات فى الوجود ، وان خزائن المفردات فى اللغة العربية غنية جدا ، ويمكن لتلك المفردات ان تزاد بلا نهاية ، ذلك لان الاشتقاق المتشابك والانيق ، يسهل ايجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة .

ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب، كانت بهذا التحديد كاملة، وها نحن أيضا هنا امام اتفاق عجيب ، فان الرسول مع أنه أمى كان يملك ناصية اللغة ، اذ آتاه الله بيانا، ووهب اللغة العربية مرونة جعلتها **قادرة على أن تدون الوحى** الالهى أحسن تدوين ، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى فى التعبير عن المقاصد ، وقد جعل القرآن الكريم « من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة » .

ويقول هنرى لاوس : ان اللغة العربية عندى من أهم دواعى وحدة الثقافة بين المسلمين ، وأهم أسباب تفوق هذه اللغة انها اللغة الرسمية ، ولغة الدين ، ولا بد لأجل فهم القرآن والحديث النبوى من معرفة اللغة معرفة دقيقة ، وقد قام اللغويون والنحاة بمجهود عظيم فى البصرة والكوفة لخدمة هذه اللغة مع ما بين علماء هاتين المدينتين من التباين .

تاسعا : دور العرب والمسلمين فى العلم والحضارة

وهذا دور قد أنكره الغربيون طويلا ، ثم عادوا فاعترفوا به تحت ضغط المنصفين من الباحثين الغربيين المتقدمين أمثال : توماس كارليل وجوستاف لوبون ، وأقربها الينا (كتاب شمس الله تسطع على الغرب) للكاتبة الدكتورة سجريد هونكه التى تقول : لقد نادى النبى العربى بالطموح الى المعرفة فى كل مكان وزمان ، لان المعرفة تيسر سبيل الايمان ، وهكذا لم ينصرم القرن الاسلامى الاول حتى ازدهر العالم العربى فى مثل محيط من الزهور ، وحين كانت أوربا غارقة فى ظلمات العصور الوسطى وجهالتها وقف العرب على أبوابها يرفعون مشعل الحضارة طوال سبعة قرون ، لشد ما يغبن حقهم من يكتفى بالقول انهم نقلوا التراث القديم الى العالم الغربى بعد ما حفظوه من الدمار ، فذلك يعنى فى الواقع التقليل من قيمتهم، والسكوت عن الامور الجوهرية فى عملهم الحضارى وجعلهم مجرد وسطاء لا غير ، والحقيقة ان سائر مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الغرب مدموغة بآثارهم ، ان قواميس اللغات الاوربية تنضح بالكلمات العربية سواء ما يتعلق منها بالحاجات اليومية أو الاطعمة او الالبسة او العقاقير ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالملاحة، وفنونها، واصطلاحاتها ، وقد أخذ الغرب عن العرب فكرة البريد ، كما نقلوا كثيرا من فنون الزراعة ، وقد أخذ العرب الارقام الهندية فى أواخر القرن الحادى عشر ، ويعود الفضل الاكبر فى تعريف الغرب على الارقام العربية الى الخوارزمى الذى نقلت كتبه جميعا الى اللغة اللاتينية وكانت مرجعا هاما للعلماء الغربيين .

ويقول جورج سارطون : لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم العربى ، وقد أوردت كلمة « معجزة » لترمز الى تفسير ما يبلغ اليه المسلمون والعرب من الثقافة والعلم ، مما يخرج تقريبا عن نطاق التصديق ، وليس لذلك شبه فى تاريخ العالم كله ، ويجب أن ندرك أن ذلك التطور الذى لا يكاد يصدق فى العالم العربى ، لم يبدأ الا منذ القرن الثانى للهجرة ، ويحاول نفر من المؤرخين أن يبخسوا قدر هذا الانتاج العظيم بادعائهم أنه لم يكن فيه ابتكار ما ، وبأن العرب لم يكونوا سوى مقلدين، ان هذا الحكم يكشف عن خطأ فادح ، فمن بعض الوجوه ليس ثمة شىء يمكن

أن يعد ابتكارا صحيحا أكثر من ذلك الظمأ الذى تملك على القادة العرب حواسهم فى سبيل المعرفة ، على أننا لا نشك أن قسما من هذه المعرفة احتاج اليه الغرب حاجة مباشرة للادارة والحكم . وأعظم الابتكارات العربية فى الرياضيات والفلك شيئان : علم الحساب الجديد وعلم المثلث الجديد .

* * *

عاشرا : الشريعة الاسلامية

أما الشريعة الاسلامية فقد استطاعت أن تحصل على اعترافات بتقدير العلماء لها فيقول سانتيلانا فى كتابه عن الاسلام الصادر فى سنة ١٨٩٩ : ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل ان فيه ما يكفى الانسانية كلها .

ويرى العلامة « فمبرى » ان فقه الاسلام واسع الى درجة أننى أعجب كل العجب كل ما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الانظمة والاحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم .

ويقول العلامة الالمانى : « كهلر » على أثر ظهور رسالة الدكتور محمود فتحى فى مذهب « الاعتساف » فى استعمال الحق والخروج عن حدود الحق فى غير ما شرع له الحق قال : ان الالمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم فى ابتكار نظرية « الاعتساف » والتشريع لها فى القانون المدنى الالمانى الذى وضع ١٧٨٧ ، أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى وأفاض فى شرح هذا المبدأ عند رجال التشريع الاسلامى وأبان لها أن رجال الفقه الاسلامى تكلموا فيه طويلا ابتداء من القرن الثامن للميلاد فانه يجدر بالعلم القانونى الالمانى أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لاهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الالمان بعدة قرون ، وأهله هم حملة الشريعة الاسلامية . ويقول العلامة ليفى أولمان فى مقدمة رسالة الاثبات للدكتور محمد صادق فهمى : ان فى هذه الرسالة ما يكفى للاعتقاد بأن التشريع الاسلامى كاف (وحده) لان يكون تشريعا عاما ، وعلى ضوء كتاب الدكتور صادق فهمى يجب اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا حيا للقانون العصرى ومناطا للحق فى أدواره المختلفة .

ويقول الدكتور هوكنج أستاذ الفلسفة فى جامعة هارفارد فى كتابه روح السياسة العالمية : ان سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس فى اتخاذ الاساليب الغربية التى تدعى ان الدين ليس له أن يقول شيئا فى حياة الفرد اليومية ، وانما يجب أن يجد المرء فى الدين مصدرا للنمو والتقدم وأحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة ، واصدار احكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ، فالجواب عن هذه المسألة هو أن فى نظام الاسلام كل استعداد داخلى للنمو،لا ، بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ،والصعوبة لم تكن فى انعدام وسائل النمو والنهضة فى الشرع الاسلامى ، وانما فى انعدام الميل الى استخدامها ، وانى أشعر بكونى على حق حين أقرر ان الشريعة الاسلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض .

ويقول العلامة هوتنر ندرون وريفى : انه يوجد فى الفقه الاسلامى جميع

القواعد الجوهرية التى تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنيمة، بل تجاوزتها الى فرض الضرائب ، وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرها مما لايختلف الا فى اسماء تستعمل فى يوم الناس هذا .

ويقول العلامة الكاثوليكى شبرل عميد كلية الحقوق فى فينا : ان محمدا الذى تفخر البشرية بانتسابه اليها استطاع ان يأتى قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى عام .

* * *

بعد هذا الاستعراض السريع للحقائق العشر نقول :

لقد حرص النفوذ الغربى ان يحول دون الدعوة الى الاسلام بأمرين :

الاول : عزل اللغة العربية فى مختلف الاقطار التى احتلها وتجميدها واحلال لغته بدلا منها ، واعطاؤها فرصة النمو .

الثاني : اثارة عديد من الشبهات والشكوك حول الاسلام حتى يظل الاسلام دائما فى قفص الاتهام وفى موضع الابهام ، وحتى يظل كتابه ومفكروه مشغولين دائما بالذود عنه ، والرد على ما يثار حوله ، وفى موقف الدفاع لا موقف المبادأة ، وبذلك لا تتاح الفرصة له لأن يشق طريق الدعوة والتعريف وكسب مناطق جديدة وعقول جديدة ، ولا يصدر ذلك عن تعصب، ولكنه يصدر عن ايمان أكيد بأن الانسانية لو عرفت الاسلام حق المعرفة لما اختارت لها سبيلا غير سبيله .

ولكن هذا العمل من أجل الدفاع عن الاسلام ، أتاح فرصا لا حد لها للكشف عن جوهر الاسلام ، ولابراز خصائصه ، ولاتاحة الفرصة للذين قرأوا ما وجه اليه اليه من شبهات أن يجدوا ردودا حاسمة عن كل ما عرض لهم ، وقد اتاحت هذه الفرصة تحقق أمرين :

الأول : ان الاسلام قد كشف عن منهج فى البحث غاية فى الدقة والسماحة، بعيدا عن الغموض وبعيدا عن التعصب وخاليا من عبارات القدح ، أو كلمات الهجاء مع السماحة والأخوة الانسانية .

الثاني : انه هز عقول المفكرين المسلمين فأزال عنهم طابع الجمود ، وحثهم على البحث والتقصى وابراز جوهر الاسلام فى أسلوب جديد ومنهج عصرى ، وكشف فى نفس الوقت عن طابع الاجتهاد والتجديد والحركة وقدرة الاسلام التي لا تختلف عن الالتقاء بالحضارات والثقافات ، والامتزاج بها ، وامتصاص خير ما تقدمه . ومن هنا استطاع « جوهر الفكر الاسلامي العربى » أن يبرز على حقيقته ، بعد أن أزيحت عنه أغشية الجمود والتقليد التي فرضتها ظروف مرحلة « الضعف » التي مر بها الاسلام خلال القرون الأخيرة . وقد كان ابراز هذه القيم على وجهها الصحيح ، قادرا أن يرد بعض خصوم الاسلام عن خطئهم ، وان يكسب الى صفه كثيرا من طلاب المعرفة الخالصة لوجه الحق، ومن هنا التقت الدعوة الى الاسلام مع الدفاع عنه ، وما زال سبيل الدفاع عن الاسلام فى حاجة الى مزيد من الجهد ، بوصفه أحد سبل التعريف بالاسلام والدعوة اليه . ذلك أن النفوذ الأجنبي وحركات التغريب والشعوبية النابعة من هذا

البقية على ص ٦٦

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

سبحانك ربى

ماذا لو أعطى الله كل انسان قوة الكشف عما فى نفوس الآخرين، واستطاع الواحد منا التعرف على ما فى صدور الناس حينما يلقاهم كأنما يقرأ من كتاب ؟

حقيقة كان يختفي من دنيانا الملق والنفاق والمكر والخداع ... ويقضى على المؤامرات والدسائس ويستريح الناس من كثير مما يعانون فى حياتهم ..

ولكن هل تظن أنهم يكونون سعداء بذلك ؟ لا أعتقد .

ان البسمة الكاذبة التى تراها على الشفاه وتريح الكثيرين ستختفي . وكثيرا ما تكون البسمة الكاذبة .

ان الترحيب الذى تلقاه عند المقابلة فى الطريق أو المجالس سيزول ..

ان الكلمة الحلوة التى تسمعها كثيرا ــ وكثيرا ما تكون ملقا ــ ستموت ..

ان زوجتك التى تقول لك انني أحبك ــ وهى تخادعك ــ وتجد انت سعادة فى هذه النغمة سوف لا تستطيع ذلك ..

ان مدرسك الذى يقابلك بالثناء سيلقاك عابس الوجه كل صباح ..

رئيسك الذى يتعطف أحيانا فيثني عليك تشجيعا ستجده يصفعك ولو بالكلمات القاسية ، كلمات الذكاء والعبقرية التي يضفيها عليك بعض المتملقين ــ وكثير ما هم ــ ستسمع بدلها كلمات الغباء او البلادة !! سيختفى الكثير من الكلمات الحلوة المشجعة . ستصطدم بالصخور دائما ..

ستكون الحياة باطنها كظاهرها . نرى فيها المآسى والجيف باستمرار .

سيختفى كثير من الاصدقاء المصطنعين . سوف لا يجد كثير من الرؤساء كلمات الملق والانحناءات التى ينتفشون لها ويتعاظمون .

ستتحول الحياة الى خريف دائم لا ربيع فيه ، وستفوح منك وممن حولك الروائح الكريهة الخانقة .. ستكون الحياة بلا ربيع ولا أزهار ، ولا ضحكات ولا بسمات . ستكون عبوسا مستمرا .

ستفر من الناس .. ويفر الناس منك . ستصرخ مما تلاقيه وستجد الناس مثلك يصرخون . وتتحول الحياة كلها الى صراخ وعويل وكراهية ونفور .

وتصبح الحياة جحيما لا يطاق .

اليست الحياة على ما فيها وعلى كثرة ما نشتكى منها وكما جعلها الله وبكل ما فيها من خداع . حلوة ؟

أليس من رحمة الله بنا ان حجب الغيب وجعله له وحده لنتمتع فى هذه الحياة ولو بالخداع . ونحن مهما كنا كبارا أطفال نفرح بالخداع فى هذه الحياة ونعيش عليه . وعلى الخيال .. تلك طبيعة الانسان والحياة . وسبحانك ربى ..

الخير والشر .. أيهما أصل فى هذه الحياة وأيهما الشاذ فيها ؟

لا أريد أن أدخل بهذا فى بحث علمي ولكنها خاطرة تمر بي من تأملاتي فى الحياة وفى التاريخ .. فلا تقرأه على أنه بحث ولكن اقرأه على أنه نفثة تسجل بعض مظاهر الحياة المؤلمة .

كم فى التاريخ وفى حياتنا من أصحاب المثل والقيم والدين الصحيح السليم ؟

وكم من هؤلاء سلموا فى حياتهم ووجدوا الاعزاز والتكريم ممن عاصروهم؟

على مر التاريخ ـ ولا يسجل التاريخ الا حياة أشخاص قليلين جداً ـ ستقرأ عن رجال بارزين .. فكم من هؤلاء . سجل التاريخ أنهم كانوا أصحاب مثل وقيم واستقامة ؟

واذا وجدت منهم ((عينات)) أو نماذج نادرة بين هؤلاء الذين عنى التاريخ بهم .. فهل تجد أنهم عاشوا بعيدين عن الايذاء والدسائس والتعذيب؟

واذا كنت تعرف رجلا يلتزم فى حياته آداب السلوك ، ويتعلق بالقيم الخلقية ، ويحرص على الواجب يؤديه .. فهل تعرف أن المجتمع يتحمله ويتجاوب معه ويقدر سلوكه ومبادئه أو أنه يعتبره رجلا شاذا وربما مجنونا ... وينبذه من الحياة ويضع فى طريقه العراقيل ، ويحول بينه وبين الحياة الكريمة وربما مجرد الحياة نفسها ؟ .

أليس هذا هو واقع التاريخ .. وواقع الحياة التي نحياها ؟ . نعم هذا هو الواقع الذى لا فرار منه أو لا سبيل للمجادلة فيه ..

خذ رجلا ترى أنه نموذج للأخلاق والدين والتمسك بالواجب من الماضي أو من الحاضر .. واستعرض بعد ذلك حياته .. وما حدث له من مجتمعه .. وقل لى : هل تجاوب المجتمع معه . هل أكرمه أو حتى تسامح معه لتمسكه بواجبه وخلقه ؟ أو أنه عزله ، وعذبه وطارده وشرده ؟ قد يقال عنه بعد موته انه كان وانه كان .. وقد يذكره بعض الناس فى حياته بأنه كذا .. وكذا .. ولكن ما قيمة هذا كله .. وقد طارده مجتمعه وعاش غريبا فيه .. وماذا يفيده ولسان حاله يقول .

لا ألفينك بعد الموت تندبني
وفى حياتى ما زودتنى زادا

الشريرون والمفسدون يجدون الطريق مفتوحا أمامهم ، والمتملقون والمائعون والماجنون يركبون أكتاف المجتمع بسرعة ، وينبخ لهم ظهره ، ويحنى لهم هامته !!

وأهل الحق .. أصحاب المثل .. يسيرون فى طريق مسدود ، ويرمون بالحجارة !!

صاحب المال قوله حق ، ونطقه حكمة ولو كان هراء ، واشارته نافذة ولو كانت جائرة !!

وصاحب الحق عيى لا يبين . ولو كان فصيحا مبينا ، وكلامه جنون ولو كان عين الصواب !!

وقديما قال فرعون لقومه عن موسى عليه السلام . ((ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون))

وصاحب الجاه والمنصب مكرم ولو كان ماجنا فاسدا ..

صورة مريرة من الواقع .. قاساها الأنبياء والمرسلون وقاساها من سار على طريقتهم ، وكل من دعا الى تطهير المجتمع من الشر والفساد الذى يحيق به ..

هل يعني ذلك كله أن الشر والنزوع اليه هو الاصل فى هذه الحياة ، وأن الخير والتمسك به هو الطارىء الشاذ الخارج على الاصل ؟ ! !

ان الشر انطلاق طبيعي من الغرائز المركبة فى الانسان ، والشريرون لا يجدون صعوبة فى السير مع هذه الغرائز ..

والخير . حد لهذه الغرائز وكبت لها وحرب معها ، والخيرون دائما في حالة حرب مع هواهم وغرائزهم ، ويتحملون ما يتحمله المجاهد من عناء وأهوال ، ولذلك كان لهم أجر المجاهدين وكان قوله صلى الله عليه وسلم ((رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر)) .

وقوله ، ((حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات)) .

فهل ذلك كله يؤكد أن الشر أصل في هذه الحياة وفي الأحياء والخير طارىء يحتاج في اقراره الى جهاد وعناء ؟

ولكن مهما يكن فلا قيمة للذين يستسلمون للتيار كأنهم جيفة محمولة . وانما لذة الحياة وقيمتها في تحويل التيار . في تبديد الظلام ، في تحطيم قوى الشر والطغيان لا حلال الخير مكان الشر ، في أن يعرف الانسان نفسه ، ويشعر بكيانه ، ويذوق لذة نضاله .

لذة الحياة وقيمتها ألا يكون الانسان امعة . ألا يكون مسحة تنتقل من يد الى يد أو خفا ينتقل من رجل الى رجل .. أو سيارة ((تاكسى)) يركبها كل من يدفع الاجر ، ألا يكون الانسان عبدا للمال أو للمنصب والجاه .

لذة الحياة .. في أن يكون الانسان سيد نفسه عبدا لمولاه لا لأحد ولا لشىء سواه .. جرب .. وكن واحدا من كتائب الخير والحق .. ولو عشت فقيرا معذبا فما عند الله خير وأبقى ..

باب جديد

يتيح لى بعض الفراغ الذى أجده أن أطلع على بعض المجلات النسائية وغيرها وقد خصصت بابا للرد على المشكلات العاطفية والأسرية التي يبعث بها اليها بعض القراء والقارئات ..

ويفزعني أحيانا أن أجد الرد على هذه المشكلات لا يلقي بالا للناحية الدينية التي أعتقد أن انسانا ما له مشكلة لا يمكنه أن يغفلها ، فهى مستقرة في نفسه ولا يجد راحة ــ مهما يفتنه المفتون ــ اذا كان حل مشكلته على أنقاض هذه العاطفة الدينية .. ومع ذلك فان هذه الردود التي تغفل الجانب الروحى الدينى في حل المشاكل انما تهيىء الشباب والشابات وبالتالى الأسر والمجتمع الصغير ثم الكبير الى التخلى نهائيا عن رأى الدين في الحياة..

وكثير ممن يتولون الرد لا أظن أنه يعنيهم هذا الجانب ، فالمهم عندهم أن يردوا . كل حسب مزاجه ونظرته للحياة . والدين قد يكون في نظرهم عامل تعويق لأنهم لا يفهمونه فهما صحيحا وليس عندهم خبرة بتعاليمه ولا بأهدافه ولذلك يحلو لهم الانطلاق منه والرد على المشكلة..حسب رأيهم الشخصي.. منساقين وراء بعض الافكار التي اعتنقوها وقد تكون دخيلة على مجتمعنا .. غريبة على تقاليدنا ..

وصاحب المشكلة قد يتأثر بهذه الردود والحلول المعروضة عليه ويأخذ بها وهو في غمرة الحيرة التي يتلمس مخرجا منها والمجلات الاسلامية تركت هذا الفراغ دون أن تملأه وتحاول فتح الباب لمعالجة مشكلات القراء العاطفية والأسرية وامدادهم بالرأى الصائب الذى يتفق مع وجهة نظر الدين ...

لهذا أجد من الضرورى أن تقوم ((الوعى الاسلامى)) بواجبها في هذه الناحية وأن ترتاد هذا الطريق وتفتح صدرها لمشكلات القراء وتبدى رأيها في علاجها بما يتفق ومنهجها مستعينة بالله مستهدة منه سبحانه الهدى والتوفيق .

والموعد العدد القادم ان شاء الله .

والا .. فاسمحوا لى ! !

الضجة التى أثارها فى الصحف والمجلات المصرية بعض الكتاب والكاتبات حول مشروع قانون الأحوال الشخصية أصبحت مجال الحديث فى كل مكان تصل اليه هذه الصحف والمجلات .. ونحن هنا من بعيد لا نستطيع أن ندعى الصمت وعدم المبالاة بما يكتب ويقال .. لا سيما والبلاد الاسلامية عامة شديدة التأثر بكل ما يجرى ويقرر فى مصر بلد الأزهر ،وخاصة فى مشروع كمشروع الاحوال الشخصية.

ان أى مشروع تضعه لجنة من اللجان من المفروض فيه أن يكون مجالا للاخذ والرد لا سيما اذا كانت فيه نواح للرأى والاجتهاد فيها مجال . فمن المؤكد حينئذ أن وجهات النظر اليه تتعدد وتختلف .

واختلاف وجهات النظر أمر طبيعى ، ونهوض كل انسان للدفاع عن وجهة نظره أمر طبيعى كذلك ، ولكن فى حدود لا تخرج بالمناقشة والدفاع الى مهاترة ورمى بالتهم ، والاعتداء على كرامة المخالفين ، حتى يمكن للمناقشة أن تكون مجدية ومؤدية الى النتيجة السليمة والمصلحة العامة التى ينشدها الجميع .

هذه قضايا بدهية لا أعتقد أن أحدا يعارض فيها ، وعلى ضوئها يمكن أن نقول شيئا فى هدوء وسط هذا الصراخ الذى ملأت به الجو بعض الكاتبات و .. الكاتبين .. وكادت تضيع فى ضجته الحقائق ..

بعض المجلات ذكرت أن مشروع القانون لم تطلع عليه ومع ذلك كتبت بالخط الأسود والبنط الكبير تهاجم المشروع ، وتتهم واضعيه بشتى التهم . فهل يعقل هذا أو يقبل ؟

أكثر الذين هاجموا المشروع لم يتجهوا الى الموضوع ، وانما أخذوا يهاجمون الأشخاص بانهم جيل السبعين وأنهم رجعيون تعاونوا مع عهد ما قبل الثورة الخ ..

وانى لأسأل هؤلاء جميعا . ومن منكم لم يكن موجودا ومشاركا بجهوده أيا كانت هذه الجهود فى عهد ما قبل الثورة . ولعلكم تعرفون قول سيدنا عيسى ((من لم يكن منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر)) .

بل ان بعضهم أو بعضهن كتب يقول ان القضية أصبحت قضية سياسية ! ! نعم ؟ .

وما دخل السياسة فى هذا ؟ ولماذا تجرون الموضوع الى السياسة ولا تناقشون مناقشة موضوعية ان كانت لكم قدرة على المناقشة ؟

ولم هذا الاستعداء الرخيص الذى لا يلجأ اليه انسان الا اذا أفلس وانفلتت منه أعصابه ؟ .

اننا أمام مشروع أتفق الجميع على أنه مستمد من الشريعة الاسلامية فالمناقشة التى يمكن أن تدور حول هذا المشروع وتكون مقبولة انما هى التى تقوم على أساس الشريعة لا على أساس التشبع بأفكار وتقاليد غريبة قد يكون أصحابها قد تخلوا عنها ، أو يعيشون متبرمين بها . وقد تكون هناك أقوال أو وجهات نظر لأئمة الشريعة والعلماء المتخصصين فى موضوع من هذه الموضوعات التى يتناولها المشروع . ومن الممكن أن نأخذ برأى ونترك آخر .. أما أن نخرج على الشريعة وروحها وتعاليمها بحجة أو بأخرى فهذا يخرج بالمشروع عن استمداده من الشريعة الاسلامية الى رأى فلانة أو فلان ممن لا يعتمد عليهم فى مثل هذا التقنين .

والشريعة نعم لا تنافى التطور ولا التقدم ولكن على أساس ألا يخرجنا هذا التطور وهذا التقدم عن روح الاسلام وتعاليمه وتقاليده الى تقاليد أمم غريبة لها ثقافتها الخاصة ونظرتها للحياة التى تخالف نظرة الاسلام ..

ان الشطط فى الكلام الذى يلازم الأقلام الثائرة ، والنفوس المحنقة لا يسىء الى أصحابها بقدر ما يسىء الى المجتمع الذى ينتسبون اليه ، ويدعون الغيرة والحرص عليه .

فلتقتصد الأقلام ــ اذن ــ فيما تكتب ، فان الصراخ والتهريج لا يجديان .

واذا كانت تهدف الى المصلحة حقيقة فعليها أن تأتى بمواد المشروع ، وتبدى رأيها موضوعيا وعلميا فى كل مادة ، وتبين مدى موافقتها للشريعة أو خروجها عليها ومدى ما يترتب على ذلك من أضرار بالمجتمع وتقترح ما تراه بديلا عن هذا النص أو ذاك ..

حينئذ تكون المناقشة مجدية وذات هدف ، ويمكن أن نقول اننا جميعا نخدم ديننا ومجتمعنا والا .. فاسمحوا لى ! ! ""

تراثنا بين الأصالة والتبعية

للشيخ أبو بكر ذكرى
الاستاذ بالجامعة الاسلامية ـ ليبيا

اقــرأ باسم ربك الذى خلق ..خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الاكرم .. الذى علم بالقلم .. علم الانسان مالم يعلم ، وكذلـك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشــاء من عبادنا وانك لتهدى الــى صراط مستقيم . صراط الله الذى لــه ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور .

كانت رسالته العظمى عليه الصــلاة والسلام خاتمة الرسالات ، وماحيــة الظلمات ، وكاشفة الضلالات ، ومنقذة الانسانية من هلاك الابد ، ومســددة خطاها على واضح الرشد .

وانا لنشعر بابلغ الاســى اذ نــرى الانسانية مع ما آتاها الله سبحانه من انوار الهدى وأقام فى طريقها من علائــم الرشد وأبان لها عن مسالك الحق ، لا تزال حتى اليوم ، بوحى من عمايــات الغرائز وما ابتليت به من دوافع البهيمية تحاول بين آن وآن أن تتقصى عــن أواصر الحق ، وتتخذ هــذا القــرآن مهجورا ، وتدع سنة خير المرســلين نسيا منسيا ، كأنما طال عليها الامــد فقســت منها قلــوب وعميت افئــدة وطمست بصائر واضلها الله على علم وشارفت حافة الهاوية ، وقاربت خطر القاضية ، انخداعا بما يزيفه اعــداء الحق ويذيعه شياطين الفتنة وانصار العاجلة ودعاة المنفعة من دعايات يحاولون بها تزويق الباطل وتزيين الضلال وقهــر الحق ومحو آياته البينات ، فى كل مــا يقولون ويكتبون وينشرون عن مبــادىء الاسلام وتعاليمها السمحة الخالــدة . يوغلون فيها تجريحا وتنقيصا وغمــطا وظلما اما ليبلغوا غاية ما كان يرمى اليه الاستعمار من قهر العالم الاســلامــى واستغلاله والثأر منه واعادته الى الربقة التى كان اسلافهم الظالمون قد غلوا بها الايدى والاعناق فى أعظم اقاليم الجزيرة

العربية ، وأغناها وأوفرها ثروة، وأكثرها سكانا عصر ما قبل الاسلام ، أو ليهدروا كل ما حققه هدى الاسلام لهذه الاقطار وللانسانية كلها من حرية وعدالة واخاء ومساواة وسعادة للمجتمعات الانسانية لم يسمع بمثلها التاريخ .

ولقد نسى أو تناسى أولئك الغواة الضالون عن سبيل الحق ما كان لتعاليم الاسلام من قيم حققت للعالم بالفعل ما حاولت الثورة الفرنسية الكبرى أن تحققه بصياغة الالفاظ والكلمات فذهبت وذهب نورها قبل أن تحول مفاهيمها المثالية الى الروح الانسانى ، وقبل أن تحققها بالفعل حتى فى نفس الوطن الاصلى للثورة .

ولقد انحسر مدها عن رأسماليةطاغية لا تحترم سوى النجاح المادى والقوة المستمدة من سلطانه،ولا تستطيع التجرد من الميول العنصرية المسرفة . ثم لم يكن لها فى عالم الغرب سوى ما نراه اليوم فى أوربا وامريكا من مادية جارفة تعبد ثالوثا من ثلاثة لا رابع لها : الدولار والمرأة والخمر . صراع بلا غاية وحرب بلا نهاية ، ومع كل ذلك نرى المفتونين بحضارة الغرب السامة الوبيلة لا يزالون يعقدون المقارنات الصارخة بين تعاليم الاسلام وبين ما ورثوه عن اسلافهم الاغريق . يرمون الاسلام فيها بالجهل والتأخر والقصور عن الاستفادة من الفرص التى سنحت المسلمين عصورا طويلة لم يفيدوا فيها من حضارة الاغريق سوى قشور ضررها اكبر من نفعها .

بل يمتد همزهم ولمزهم الى حد الادعاء بأن تعاليم الاسلام لم تستغن حتى منذ نشأتها الاولى عن الاستمداد من ديانة المجوس ، وذلك هو بلا حياء ولا خجل رأى المستشرق اليهودى (جولد سيهر) . الذى لا ندرى أكان دافعه الجهل أم الحقد ؟ أما الجهل فما نظن أن يبلغ بجاهل الى هذا الحد ، مهما تكن عراقته فيه . واذن فهو الحقد والحقد المجنون بعينه .

وفيم ــ اذن ــ هذه الدعوى الطويلة العريضةالتي يدعيها اولئك المستشرقون، اذ يزعمون ويزعم لهم ضعاف الايمان من شبابنا المولع بكل جديد ، ولو كان كفرا صريحا ، انهم ابطال الفلسفة والعلم والتحقيق والتدقيق والحرص على صميم الحق بلا هوى ولا تحيز . انهم يكادون يجمعون على أن حضارة الاسلام ما هى الا ظل باهت لحضارة اليونان . (وكم وكم غير هذا الفيلسوف اليهودى من الطاعنين والحاقدين) . . من أجل ذلك عزمت بعونه تعالى أن اسجل هنا على صفحات (الوعى الاسلامى) الغراء كلما نستطيع الوصول الى صميم الحق فيه ، طوال عصور الفكر الاسلامى ، من المشكلات الهامة غير متعصب ولا متحيز .

وأوثر أن تكون مراحل البحث كما يلى : ــ

١ ــ العرب قبل الاسلام .

٢ ــ ظهور الاسلام والصدر الاول .

٣ ــ العصر الاموى فى الشرق (دمشق) وما اليها .

٤ ــ العصر العباسى فى الشرق (بغداد) وما اليها .

٥ ــ العصر الاموى فى الغرب : (الاندلس) وما اليها .

ولن نحاول ان شاء الله ستر الحق أو تعمية طرقه جريا وراء الهوى كما يفعل المشغوفون بفلسفة اليونان وعلم اليونان فيخلقون من اشباه الاساطير

والخيالات البدائية فلسفة وعلما يستحقان التهليل والتمجيد،لا اعتقادا فى سمو التراث اليوناني على تراث الاسلام بحق ، ولكن لحاجة فى نفس يعقوب : لانهم رأوا تيار الحضارة الاسلامية قد بدأ يستعيد امجادا كان حماتها قد غفلوا عنها وتهاونوا فى حراستها وحياطتها وتنميتها فلما دهمهم الاستعمار الغربى وجدهم عزلا أو أشباه عزل فجاس خلال ديارهم فانتبهوا من رقدة كادت تنقلب موتا حقيقيا لا بعث بعده .

نعم رأى (أذناب اليونان واشباه اذنابهم) كما يقول الدكتور محمد غلاب فى كتابه (الفلسفة الشرقية) أن زجرة البعث العربى الاسلامى قد دوت صرختها فى انحاء العالم الاسلامى التى نمت فيها تعاليم الازهر تحت عوامل خفية ما كانت فى حساب أحد الا أن تكون حفظا من الله للاسلام وللازهر قلعة الاسلام الخالدة .

رأوا ضيغم الاسلام جمال الدين الافغانى الذى نبت عوده تحت أضواء الاسلام المرسلة يقبل من أبعد الاقطار ليأرز الى قلعة الازهر ، ويتخذ من مناراتها اجهزة ارسال لتعاليمه وابواق بعث لصوت رسالته . ورأوا عباقرة من الازهر غرًا ميامين يهرعون اليه وكلهم آذان واعية وقلوب صاغية تؤثر الفداء وتبذل الدماء وتستعد للقاء كأنما لقنت نفوسهم جميعا قول عمرو بن معد يكرب بطل العروبة والاسلام .

كـل امـرى يجـرى الـى
يـوم اللقـاء بمـا اسـتعدا

رأوا كل ذلك وتلفتوا من حولهم مذعورين من بعث الاسلام وذكرى قوة الاسلام الغامرة التى غيرت وجه التاريخ فى أقل من قرن من الزمان ، ولم يجدوا ملجأ ولا مدخلا سوى قوة الاستعمار ونفوذ الاستعمار وأموال الاستعمار فخالوا انهم ظفروا بالحظ الاوفر ولكى يساندوا هم أيضا الاستعمار الذى بدأ يرتجف من خوف الراجفة راحوا يحاولون الاستناد الى مبدأ اخترعوه وسموه : (التجديد) وسرعان ما رأينا حربا شديدة القتام طويلة الايام يشب لظاها بين (القديم والجديد) تؤسس لها الصحف والمجلات ودور النشر ، لبعث كل ما هو فى صالح التجديد ، وكل مافيه تدمير القديم ، ومسح ذكراه من صفحة الوجود .

ولقد كان لنا عجبا ان نرى حضارة الاسلام التي بدأت وازدهرت فى القرن السابع الميلادى تعتبر فى نظرهم من القديم الذى بليت جدته ولم يعد لها فى مجال الحياة من مكان ولا مكانة . . اما التراث اليوناني الذى بدأ تباشيره فى القرن السابع قبل الميلاد فهو عندهم الطريف الجديد والاشتغال به هو التجديد .

لن نكون بحمد الله هنا من مطايا الاغراض ولا من هواة التعصب والعنصرية سنقول ان الاسلام بحكم الواقع التاريخي جاء بعد اليونان وبعد أن قامت حضارة اليونان فليس لنا حق الادعاء بأن حضارة الاسلام قد أصمت آذانها واغلقت عيونها عن حضارة اليونان وعن فلسفاتهم ولم تعبأ بها ولم تفد منها .

كيف ندعى ذلك وسنة الحياة وواقع التاريخ يقرران انه ما من أمة تم وعيها على الارض الا اقتبست من ثقافات الامم التي سبقتها .

كما يحق لنا أن ننبه الى أن هذا السبق الذى هو من واقع القدر وخارج

عن نطاق الارادة الانسانية ليس جديرا بأن يعد من مفاخر اليونان على من تلاهم من الامم .. ولو كان فى ذلك فخر لكان الاجدر به قدماء المصريين الذين سبقوا بحضارتهم على أمة اليونان بمئات السنين، واليهم لجأ كثير من فلاسفة اليونان واستمدوا من علمهم وفلسفتهم وتجاربهم .

لقد شاء القدر ان تقوم حضارة الاسلام فى الزمان المناسب والمكان المناسب وان تستقل بمبادئها وبنائها الاول باعتبار تعاليمها الاساسية تعاليم المعلم الاعظم سبحانه (الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) . وبعد اكثر من قرنين من الزمان ومن بلوغها حد الرشد لم تر بأسا فى أن تستزيد علما بالحياة وواقع الحياة . ونظرت الى الانسانية كوحدة حسب القواعد الاساسية لها فلم تر بأسا بعلوم الاوائل هنودهم وفرسهم ويونانهم وسريانهم وكلدانهم .

وكما كانت الانسانية فى نظرها وحدة كان الخير وحدة ولو صدر من غير مسلم والشر وحدة فى جميع صوره ولو صدر من مسلم . سأل عبد الله بن جدعان يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اعمال من الخير قدمها وهو لا يزال على شركه اتكتب له عند الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أسلمت على ما أسلفت من خير) . هذا حديث صحيح .

ولكن كأنى بعمى البصائر أذناب اليونان وأذناب أذنابهم لو مروا به وتلوه وسمعوه لشمخوا بأنوفهم واستكبروا وعلوا علوا كبيرا وقالوا : مجرد مناقشة بين طالب فتوى وآخر يفتيه فى مسألة شخصية لا أثر فيها لفكر ولا لفلسفة .

ولو كانوا بحيث يفقهون تمام حد الفكر والفلسفة لوجدوا فى الحديث على قصره أعمق وأوسع قاعدة فى تعاليم الخير والاخلاق تقرران الخير فى ذاته وحدة لا يخرجها عن طبيعتها ان يكون صاحبها من يكون . وأن الشر كذلك وحده لا يخرجها عن طبيعتها أن يكون صاحبها من يكون . ولعل ايضاح ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .

ولعل الفلاسفة كانوا يرقصون طربا لو انكشف لهم بوضوح مثل هذه القاعدة . فكم نجد لهم خلافات وتخبطات وعمايات حول تحديد الخير والشر . وكان من فلاسفة اليونان من انكر نفس حقيقة الخير والشر وجعلها حسب رأى الرائى . ومن أسف ان هؤلاء المجانين قد دخلت اسماؤهم الخلود لانهم مفكرون وفلاسفة ومن صانعى التراث اليوناني ولهم اذناب واذناب أذناب والامر لله من قبل ومن بعد .

الا فليعلم القاصى والدانى وكل من لم يرن على قلبه رين الهوى وعبادة المنافع والشهوات أن فى تراث الاسلام وحضارته أعمق فلسفة وأخصب فكر يمكن ان يلقنهما العالم لو تفرغ لذلك الاساطين من علماء الاسلام ووجدوا الفرص السانحة والتشجيع الكافى . وان فى كتاب الله وسنة رسوله ما يصغر أمامه أعظم الفلاسفة لو كانوا يعقلون ومن الهوى يخلصون .. غير أنا نضن بهذا التراث القيم ان نقرنه الى تخليطات الفلاسفة وتلزيقاتها ونسميه فلسفة . انه اكبر من كل فكر ارضي ومن كل فلسفة .

((وللبحث بقية ان شاء الله)) .

٢

صقلية الإسلامية

أسباب الفتح الإسلامي لصقلية

للدكتور زكي محمد غيث
أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة بغداد

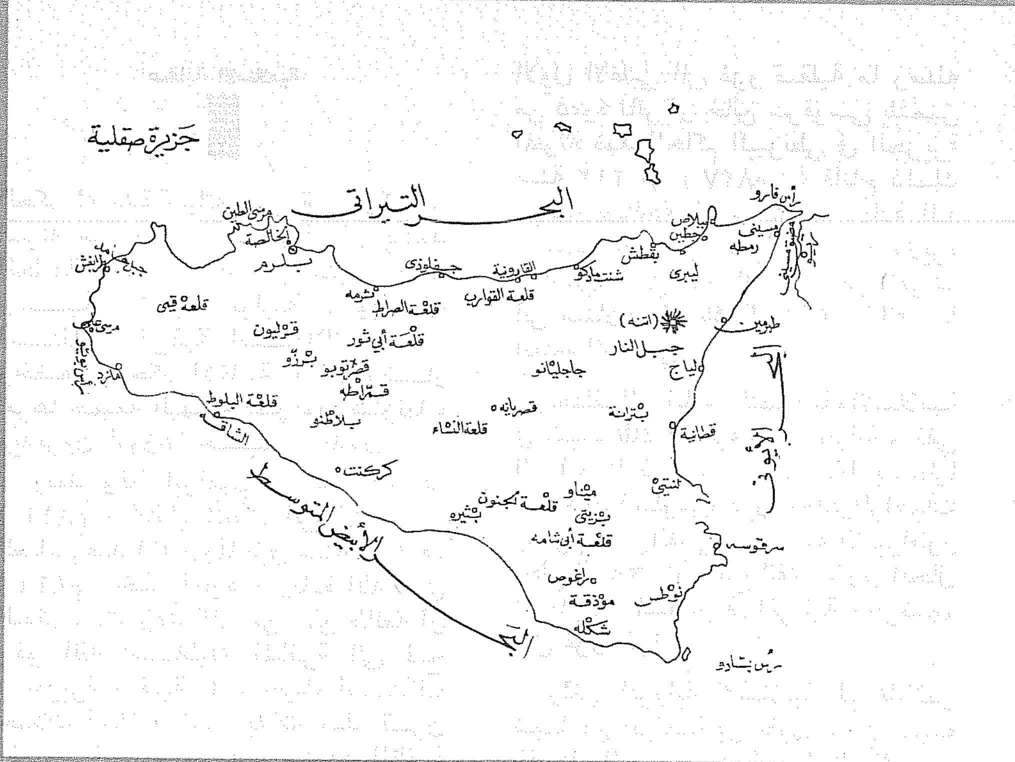
نرى من المستحسن قبل الحديث عن « الفتح الاسلامي لصقلية » أن نقدم عرضا سريعا نوضح فيه الظروف التى أدت الى قيام دولة الأغالبة التى فتحت الجزيرة على عهدها ، وبقواتها ، ثم نذكر الاسباب التى أدت الى فتح الجزيرة .

ظلت الحملات البحرية الاسلامية تفد على جزيرة صقلية للغزو منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وخلفاء بنى أمية من بعد ، فلما شبت الثورات فى افريقية وسائر بلاد المغرب ، وانتفض الخوارج فى كل مكان فى أوائل أيام الدولة العباسية ، وقفت الحملات ريثما يلم المسلمون شعثهم ، ويستتب الأمر للدولة الجديدة فى افريقية وسائر بلاد المغرب التي تعتبر مفتاح الفتح الحقيقي لصقلية .

وفى أيام الخليفة الرشيد العباسى (١٧٠ - ١٩٣ هـ) كانت ريح الثورة لا تزال تعصف بالبلاد ، وغدت افريقية مصدر اضطراب من الوجهتين السياسية والاقتصادية لدولة الخلافة العباسية ، اذ كانت تكلفها سنويا مائة ألف دينار تدفع لسد نفقاتها من ايرادات الديار المصرية ، (١) وعجز الولاة عن ضبطها حتى استعفى «هَرْثَمة بن أعْيَن» الخليفة الرشيد ، فأعفاه سنة ١٨١هـ

---

(١) العبر ، لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٦ .



(٧٩٧م) . (١) وولى مكانه « محمد ابن مقاتل العكى » فأساء السيرة ، واختلف عليه الجند (٢) ، وآل أمره الى فساد ، وعجز عن حكم البلاد وكرهه أهلها ، فداخل الناس « ابراهيم بن الاغلب » (٣) على أن يطلب الأمر لنفسه ، فعرض على الرشيد أن يوليه أمرها ، وتعهد باعادة الامن الى نصابه ، والقضاء على الثورات والفتن ، وأن يدفع الى بيت مال المسلمين ببغداد أربعين ألف دينار سنويا ، معلنا فى الوقت نفسه استغناءه عن المائة ألف دينار التى كانت تدفعها الدولة العباسية اعانة لحكومة افريقية من مصر ، فاستشار الرشيد أصحابه فأشار عليه « هرثمة » بولايته وذكر له ما يعرفه عن كفايته ، فبعث اليه الرشيد بعهده سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠م) (٤) .

أصبح ابراهيم بن الأغلب حاكما على افريقية منذ ذلك التاريخ على أن يظل

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٥ ص ٩٦ ، والبيان المغرب ، لابن عذارى ج ١ ص ٨٠ والعبر ، لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٥ .

(٢) الكامل ج ٥ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٨٠ – ٨٣ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٥ .

(٣) ينتسب الأغالبة الى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمى الذى دخل افريقية مع محمد بن الأشعث سنة ١٤٤ هـ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٨٣ وما بعدها ، والعبر ج ٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

الحكم له مدة حياته، ويبقى وراثيا فى أسرته من بعد على شرط أن يعتمد الخليفة ببغداد ولاية كل متول بصفة رسمية عند بدء توليته . وبذلك استقلت افريقية استقلالا ذاتيا، وخضعت لحكم الاغالبة، (١) وصار أمرها جميعه اليهم، يصرفون شئونها، ويدبرون أمورها حسبما يريدون .

وبعد وفاة ابراهيم سنة ١٩٦ هـ (٨١١م) انتقل الحكم الى ابنه ابى العباس عبد الله، ولما توفى سنة ٢٠١ هـ (٨١٦م) خلفه أخوه « زيادة الله » فى الحكم، (٢) وقد كان من يمن طالعه أن وفق الله أساطيله المظفرة الى فتح « جزيرة صقلية »، حيث أستأنف حملات أسلافه التى بدأت منذ قرن ونصف قرن، ووقفت جنوده المظفرة على أبواب صقلية تقرعها قرعا عنيفا، ولم يطل قرعها حتى اقتحمتها على أصحابها، وأزالت سلطان امبراطوريتهم العتيقة عنها، وأقامت على أنقاضها أساس دولة اسلامية فتية، ازدهرت جينا من الدهر، وساهمت بقسط وافر فى بناء الحضارة الأوربية الحديثة بغراسها الأول الذى نما وأثمر حتى أظل ربوع ايطاليا، فأوربة الوسطى، والذى لا تزال ثماره الشهية غذاء العالم حتى اليوم .

أما أسباب الفتح فيكاد ينعقد الاجماع بين المؤرخين من عرب وأوربيين على أن السبب الحقيقى الذى دفع بزيادة الله الأول الأغلبى الى غزو صقلية ما وصله من دعوة ثائر أو خائن سرقوسى يلتمس المعونة ضد الحاكم البيزنطى فى الجزيرة سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م)، فأتاح ذلك فرصة صالحة للغزو انتهزها زيادة الله فسير حملته البحرية بقيادة وزيره القاضى « أبى عبد الله أسد بن الفرات ابن سنان » فى تلك السنة، وبذلك بدأ الفتح الحقيقي .

وتختلف الروايات النصرانية والاسلامية فى سبب تلك الدعوة، أو الخيانة، ففي الرواية النصرانية . أن شابا بيزنطيا اسمه (يوفميلوس) غرر باحدى الراهبات وأخرجها من الدير فحكم عليه الامبراطور بقطع لسانه (أو جدع أنفه)، وفى الحال التجأ الى المسلمين فى افريقية وحرضهم على غزو الجزيرة . (٣)

ولكن الرواية الاسلامية لم تذكر شيئا عن الراهبة بل تقول . أن سبب انفاذ الجيش هو أن ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه (قسطنطين) سنة ٢١١ هـ (٨٢٦م) فلما وصل اليها عين روميا اسمه (فيمى) قائدا على الاسطول، وكان فيمي مغامرا، وحازما شجاعا، فغزا افريقية وأعمل فيها يد النهب والتخريب، ولكن ملك الروم لم يرضه ذلك، فما لبث حتى كتب الى قسطنطين حاكم الجزيرة يأمره بالقبض على فيمى وتعذيبه، فلما انتهى هذا الخبر الى مسامعه شق عصا الطاعة، وفى الحال سار اليه قسطنطين واقتتل الفريقان حتى حلت الهزيمة بقسطنطين الذى فر الى مدينة (قسطانية)، (٤) وعندئذ

---

(١) مختصر تاريخ العرب، والتمدن الاسلامي لسيد امير علي (معرب) ص ٢٠٦ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٠٤، ١٠٥، ١٨٤، والبيان المغرب ج ١ ص ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨ .

(٣) تاريخ المسلمين بصقلية لأمارى (الكتاب الثاني ــ الفصل الاول) ص ٢٣٩ ــ ٢٥٠، وجبون، ف ٥٢ ص ٩٥٨، وصقلية لجاكسون، ف ٣، والبحر الزاخر ج ٣ ص ٣٦ .

(٤) قسطانية . بتخفيف الياء، ويقال . قسطانة، وقسطالية، وهى ثغر على الساحل الشرقي، نزهة المشتاق للادريسي ص ٢٨، ومعجم ياقوت ج ٧ ص ١٢٠، والمكتبة الصقلية ــ (المراصد)ــ ج ١ ص ١٣١، ومعجم الخريطة لأمين واصف ص ٦٧ .

زحف نحوه فيمى بجيش كبير وطفق يقاتله حتى هزمه ، وقبض عليه وفتك به ، ثم نادى بنفسه ملكا على الجزيرة ، واستعمل على أحد اقسامها رجلا اسمه (بلاطة) لم يلبث هو الاخر أن طمع فى الملك وشق عصا الطاعة مع ابن عم له اسمه (ميخائيل) حاكم مدينة (بلرم) . (١) وجمع الأثنان جيشا لجبا وقاتلا فيمى وألحقا به هزيمة منكرة ، واستولى بلاطة على مدينة (سرقوسة) . (٢) غير أنه لم تمض مدة وجيزة حتى أرسل (فيمى) الى الأمير . زيادة الله الأول يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية ، فسير معه جيشا فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (١٥ يونيو سنة ٨٢٧م) فوصل الى مدينة (مازر) (٣) حيث نشب قتال مع جمع حاشد من الروم ، ودارت بين الفريقين معركة هائلة اسفرت عن هزيمة الروم ، واستيلاء المسلمين على أموالهم ودوابهم . (٤)

وفى رأينا أن هذه الروايات كثيرة الشبه بما يذكره المؤرخون الأجانب للحط من قيمة الفتوح الاسلامية ونسبة نجاحها الى خيانة من جانب أحد أبناء الدولة المفتوحة ، على حين أن المؤرخين العرب كانوا يوردون هذه القصص بما فيها من خيال خصب كأسباب للفتوح الاسلامية حينما يعوزهم تعرف الأسباب الحقيقية من سياسية واقتصادية ، محلية ودولية مما أدى الى ذلك الفتح ، أو عبد طريقه .

ومهما يكن من أمر فاننا لا نريد التعرض هنا لنفى هذه القصة أو اثباتها ، لأنا نعتقد أننا لو أسقطناها من حسابنا لانتحلت لهذا الفتح أتفه الاسباب ، واذا أقررناها فانها لا تعدو أن تكون سببا مباشرا للغزو فحسب ، ذلك لأنه كانت هناك أسباب أعمق وأبعد غورا لهذا الغزو ، فلقد كانت الدولة البيزنطية تعاني يومئذ نوعا من الانحلال والضعف ، وذلك أن الامبراطور ميخائيل الثاني (التمتام) الذى بدأ فى عهده الفتح لم يصل الى العرش الا على جثة سلفه ،

---

(١) بلرم . بفتح أوله وثانيه ، وسكون الراء ، وميم ، **ويقال . بلزم (بالراء المعجمة) ،** وبالرم ، وبالرمة ، وبالرمو ، وهى من الثغور الهامة على الساحل الشمالى الغربى وقد فتحها المسلمون سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) واتخذوها عاصمة للجزيرة . (الادريسي ص ٢١ ، وياقوت ج ٢ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والقلقشندى ــ صبح الاعشى ــ ج ٥ ص ٣٧٤ وامين واصف ــ معجم الخريطة ــ ص ٦٧ ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

(٢) سرقوسة . بفتح أوله وثانيه ، ثم قاف ، وبعد الواو سين أخرى ، كما ضبطت ايضا بالضم ثم السكون ، وهى من أشهر مدن صقلية على الساحل الشرقي ، وثغر مهم ، وكانت عاصمة الجزيرة قبل الفتح الاسلامي (المراجع السابقة ، مادة سرقوسة) .

(٣) مازر ، ماذر بالزاى ، والذال . بفتح المعجمة ، وآخره راء ، ثغر جليل يقع الى الغرب من الجزيرة ، وهو أقرب الثغور الى افريقية ، وأول بلد نزلت به الحملة الاسلامية سنة ٢١٢ هـ بقيادة أسد ابن الفرات ، وقد امتلكه المسلمون يومئذ . (الادريسي ص ٣٢ ، ياقوت ج ٢ ص ٢٨١ والمكتبة الصقلية الصقلية ــ (المراصد) ــ ج ١ ص ١٢٨ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ ، ١٣٨ ، ولويجي رينالدى ــ (المدنية العربية) ص ٦ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية ــ (نهاية الأرب) ــ ج ١ ص ٤٧٧ ومعجم ياقوت ج ٥ ص ٣٧٤ والعبر ج ٤ ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

ليو الخامس (٨١٣ – ٨٢٠م) ، اذ ذبحه أنصار ميخائيل بأسفل منبر الكنيسة في يوم عيد الميلاد سنة ٨٢٠ م وأتوا بصاحبهم من محبسه وأجلسوه على العرش بقيوده الحديدية » (٥)

يدل ذلك على ما كانت تعانيه الامبراطورية في شئونها الداخلية من فوضى واضطراب مما صرفها عن العناية بالشئون الخارجية بما في ذلك ادارة أملاكها البعيدة عن مركز حكومتها ، فلم تكن لتعنى بها الا بالقدر الذي تسمح به مشاغلها الداخلية ، وحروبها مع جيرانها ، فأصبحت تعالج شئون هذه الاملاك البعيدة في ايطاليا ، وجزيرة صقلية كما لو كانت في مرتبة ثانوية ، فلم تحطها بقوات ثابتة ، ولم ترسم خطة معلومة للمحافظة عليها ، والدفاع عنها تاركة أمرها للنواب المقيمين فيها .

وكانت دولة الأغالبة اذ ذاك في عنفوان الشباب ، وميعة الصبا قد استكملت قوتها ، وسيطرت على المياه الوسطى والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ، وكانت المياه الايطالية والبيزنطية بخاصة مقصد حملاتهم ، وكانت واقفة على ما يدور في العالم حولها ، وعالمة بحالة الانحلال والضعف في الامبراطورية البيزنطية ، فبدا لهذه الدولة القوية الفتية أن (صقلية) ضرورية لها ، لعلها تنفذ منها الى قلب أوربة فتحقق أملا طالما جاهد المسلمون الاول في سبيله من قبل ، ولكنهم ردوا عنه يوم انتصر (شارل مارتل) على الامير (عبد الرحمن الغافقي) في موقعة بلاط الشهداء سنة ١١٤ هـ (٧٣٢م) ، وهي موقعة (بواتييه تور) التي جرت على أرض فرنسا .

هذا الأمل كان يبدو ممكنا اذ ذاك ، ذكر (المقري ، وابن خلدون) (١) في صدد الكلام عن الفتوحات الاسلامية في الأندلس وفرنسا . « أنه قد كان مقصد موسى بن نصير المَعَاد الى دمشق حاضرة الخلافة الأموية – عن طريق ألمانيا ، مارا بالقسطنطينية ، وبآسيا الصغرى بحيث يصبح البحر الأبيض المتوسط كله عبارة عن بحر متوسط للمملكة الاسلامية يربط مواصلات بعضها مع بعض ، ويجعل مخترقه لتلك الأرض طريقا يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من الشرق واليه على البر لا يركبون بحرا ، وقد ثنى الخليفة الوليد – ٨٦ هـ – ٩٦ هـ – موسى عن مقصده فلم يتم مشروعه الخطير بسبب خوفه على المسلمين الهلكة والضياع في هذه الديار البعيدة المنقطعة ، « فلعل الأغالبة قد جال بأذهانهم فكرة احياء هذا المشروع من جديد فيتحقق على أيديهم اليوم ما فات أسلافهم بالأمس .

هذا احتمال فرضي ، لكن يبدو لنا أن أهم الأسباب هو الرغبة في القضاء على قوة الامبراطورية البيزنطية في هذه النواحي من مياه البحر الأبيض المتوسط

(١) تاريخ المسلمين بصقلية ، لأماري ، ف ١ ، الكتاب الثاني ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، والبحر الزاخر ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٢) نفح الطيب للمقري ج ١ ص ١٢٩ – ١٣١ ، والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١١٧ ، ١١٨ .

حتى تأمن الدولة الناشـئة من غارات الاسـاطيل الصـقلية البيزنطيـة على سواحلها وثغورها بافريقيـة ، وحتى تتفرغ لتنظيم شئون اماراتها الداخلية ، وتستخدم جهود قواتها فى تأمين بلادها الأصلية .

وهناك سبب يأتى كذلـك فى المرتبة الأولى وهو : أن دولة الأغالبة كانت فى حاجة الى موارد جديدة تسد بها بعض النقص فى انتاجهـا المحلي ، وفى حاجة أيضا الى تبادل المتاجر والسلع ، وانشاء علاقات تجارية مع بلد آخر لتحسـين حالة التجارة والانتاج فى البلاد ، وانعاش الحالة الاقتصادية بوجه عام ، فلم يجدوا فى نظرهم — وهو طبيعي — غير صقلية لتحقيق هذا الأمل ، تلك الجزيرة الكبيرة الغنية بمواردهـا وغلاتهـا ، والممتازة بموقعها القريب من أوربة وافريقية مما يسـهل معه تبادل التجارة مع أوربـة الوسـطى وثغورها الجنوبيـة ، فكانوا ينتظرون هذا اليـوم الموعـود للوثوب نحوها ، وكانوا قد بدأوا يتحرشون بها منذ عهد أمـيرهم الأول (ابراهيـم بن الأغلب) ، وقد شعر حاكـم الجزيرة اذ ذاك بالخطـر الذى يهدد جزيرته مـن ناحية الدولة الجديدة الطموحة فعقد معاهدة مع الأمير ابراهيم سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) لمدة عشر سنوات ، وتجددت هذه المعاهدة على عهد ابنه أبى العباس عبد الله سـنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) لمدة عشر سـنوات أيضا ، ولكن زيادة اللـه الأول الذى تولى سـنة ٢٠٤ هـ ٨١٩ لم يقرها وغزاها ابن عمه الأمـير محمد ، ثم تجدد السلم مرة أخرى (١) .

ومهما يكـن مـن شيء فقد وقعـت الحرب الأهلية فى الجزيرة ووثب الثوار حوالي سنة ٢١٠ (٨٢٥ م) على حاكم الجزيرة « جريجوراس » وهزموه ثـم قتلوه (٢) ، وفى سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م) جاء الحاكم الجديد (قسطنطين) على رأس قوة جديدة ، وكان مصيره كسلفه حيث أسر وقتل ، ومع ذلك فقد نجحت حركة مقاومة كان زعيمها رجل أرمنى يدعى (بلاطـة) كانت نتيجتها هـرب قائد الاسطول الثائر (فيمى) الى افريقية لا ليجد ملجأ هناك ، ولكن ليطلب العون من أميرها العربى (٣) .

وموعدنا المقال القادم للحـديث عن « الحملة الاسلامية على صقلية » باذن الله تعالى .

- كـل شـيء الى زوال الا الشرف .
- يجب أن يأخذ العدل مجراه ولو هلك العالم .
- السـكينة أول واجبـات المواطن .
- معنى أن لنا أذنين ولسـانا واحدا أن نسمع أكثر مما نتكلم .

(١) المعارف البريطانيـة م ٢٠ ص ٦٠٩ ، والمكتبةالصقلية ج ١ ص ١٨٢ .
(٢) مجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٤ .
(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الارب) ج ١ ص ٤٢٦ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ فمجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٤ ، ودائرة ١ ٥ ص ١٣٥ .

نظام الولاة في الإسلام

كيف يختارون وكيف يحاسبون

صور من التطبيق العمري

للاستاذ صلاح عزام

لم تكن ولاية الحكم فى عهد عمر بن الخطاب نظاما أوجده هو فى المجتمع الاسلامي وأدخله على نظم الحكم .. وانما كل شىء فعله عمر .. قد وجد له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا .. أو كان من فهمه لروح التشريع الذى تعلمه من المدرسة المحمدية .. ولذلك كان نظام الولاة فى الاسلام نموذجا وحده ، لم يعرفه التاريخ من قبل ولن يصلح لتطبيقه غير عمريين تشربوا المنهج المحمدى فى صدق وايمان واخلاص .

وأول مرحلة فى نظام الولاة .. كانت تبدأ من الاختيار الرئيسى .. واختيار الوالي الصالح للولاية ليس بالامر السهل .. لأن مهمته ليست هينة .. وكان الشرط الرئيسي .. ألا يختار للولاية الا الكفء لها الذى لا يطلبها حرصا على هالتها وجاهها .. فرسول الله يقسم « انا والله لا نولى هذا الأمر أحدا يسأله أو يحرص عليه » .

لذلك فكر عمر ذات يوم فى تولية أحد المسلمين المشهود لهم بالتقوى والعدل وقبل أن يستدعيه ليعلنه بقراره أتاه هذا الصحابى يسأله أن يوليه امارة كانت هى ذاتها التى فكر فيها عمر فابتسم وقال له : « قد كنا أردناك لذلك ولكن من يطلب هذا الأمر لا يعان عليه ولا يجاب اليه » .

وكان رضى الله عنه لايقتصر على رأيه فيمن يريد أن يوليه ، بل يسأل فيه الصحابة وأهل المعرفة ، ويشترط فيه أن يكون « رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا كأنه أميرهم ، واذا كان فيهم وهو أميرهم بدا كأنه واحد منهم » . وأن يكون ممن يرضى الله عنهم ، ويحرصون على مصلحة المسلمين أولا وقبل كل شىء .. وأن تكون مهمتهم الاولى الدعوة الى الاسلام وتعليمه وبذلك يسود الضمير الاسلامى فى الجميع فيشيع الامن ويسود العدل ، ويختفى كل مظهر للظلم .. (وما أرسلتكم جباة ... بل دعاة الى دين الله) .

والا يكون سبب الاختيار المودة أو القرابة فقط فان « من استعمل رجلا لمودة او قرابة لا يحمله على استعماله الا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الثانية ،وهى النصائح والتوجيهات الاولية اى القواعد التىيسير عليها التى نسميها فى المصطلح الحديث برنامج الحكم ، حتى يكون بعد ذلك الحساب .. ولكل وال نصائح حتمهاظروف ولايته .. وان كان لجميع الولاة عند عمر توجيهات عامة .. يلتزمون بها جميعا .. منها « انى لم أستعملك على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم ، ولكنى أستعملك لتقيم فيهم الصلاة ، وتقسم بينهم وتحكم بالعدل » .

ومنها « ألا تركب دابة مطهمة ، ولا تلبس ثوبا رقيقا ، ولا تأكل طعاما رافها ، ولا تغلق بابك دون حوائج الناس » اعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس .. افتح لهم بابك ، وباشر أمورهم ، فانما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .

مراقبة الولاة

ولم تكن مهمة عمر الحاكم تنتهى عند حد اختيار الوالى ، وتبيان العمل له .. بل كان يتابعهم ويراقبهم فقد قال يوما لاصحابه « أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ، ثم أمرته بالعدل أيبرىء ذلك ذمتى » ؟ .

فقال أصحابه : نعم .

فيقول لهم « كلا حتى أنظر فى عمله . أعمل بما أمرته أم لا .. » .

ومن أجل هذا كان يقول . « ايما عامل لى ظلم أحدا ، وبلغتنى مظلمته ، فلم أغيرها ، فأنا الذى ظلمته » .

ومن أجل هذا كان عمر يرسل الى الولاة دائما بنصائحه . حتى لا تشغلهم الدنيا فيذكرهم بأمر الله ... لكيلا يدعوا عند الحساب أنهم لم يكونوا يعرفون ، أو أنهم فعلوا ذلك مظنة ارضاء عمر أو بحسن نية .. من ذلك أنه كتب يوما لعامل له أن يعطى الناس أعطياتهم فرد عليه يقول « أنا قد أعطيناهم وبقى شىء كثير » فكتب اليه عمر يقول « ان هذا الفضل الذى بقى عندك انما هو فيئهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر فاقسمه بينهم » .

أما المرحلة الثالثة .. فانه كان يعلم جماهير المسلمين حق مناقشة ولاتهم .. ...ومحاسبتهم ، ونصحهم ، ولم يكن أمامه من وسيلة للاتصال بجماهير المسلمين غير مواسم الحج ، والالتقاء بكل وفد يزور المدينة ، أو يمر بها فى طريق سفره .. فلم يكن يسألهم عن الولاة وأفعالهم معهم فحسب .. بل يخطب فيهم كما حدث فى حجاج أحد المواسم « أيها الناس انى والله لا أبعث عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم اليكم ليعلموكم دينكم ، وسنة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لامكننه من القصاص » .

وكان كثيرا ما يردد على مسمع جماهير المسلمين (أيما رجل مسه عامله بأذى فيرفع ذلك الى أقصصه من واليه) .

ولم يكتف بذلك بل كان يرسل من ينوب عنه الى مناطق الولاة ، ليروا ما يفعلون ، ويقفوا على رأى الناس فيهم ، حتى يكون على بينة من أمرهم دائما . وكان يختار هؤلاء الرسل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليضمن ولاءهم المطلق للحق والعدل كما علمهم النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر صادقا فيما يقول .. اذ كانت المرحلة الرابعة فى نظم الولاة .. ان يحاسبهم فىأعمالهم .. ويمكن للمسلمين القصاص ممن ظلم . أو من استغل صلته بالوالى .... والتاريخ ملىء بالأمثلة الواضحة الصريحة فى هذا المجال ..

والي حمص

فيسأل عمر وفدا زاره من أهل حمص عن عبد الله بن قرط واليهم ، فيقولون : خير أمير يا أمير المؤمنين ، لولا أنه قد بنى لنفسه دارا فارهة .. فيتمتم عمر « دارا فارهة .. يتشامخ بها على الناس؟ بخ . بخ . لابن قرط » .. ويرسل اليه رسولا على عجل ، ويأمره أمر أمير المؤمنين: « ابدأ بالدار فاحرق بابها .. ثم ائت به الى » .

وينفذ رسول عمر أمره .. ويعود مع والى حمص فيمتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام ثم يأذن له باللقاء فى اليوم الرابع ، فى الحرة ، حيث تعيش ابل الصدقة .. وقبل أن يتبادلا الحديث يأمر عمر — الحاكم — عبد الله بن قرط — الوالى — أن يخلع حلته ، ويرتدى لباس الرعاة ، ويقول له « هذا خير مما كان يلبس أبوك »، ويناوله عصا ، ويقول له : « هذه خير من العصا التى كان أبوك يهش بها على غنمه ، » ثم يشير عمر الى الابل ويقول : « اتبعها وارعها يا عبد الله » ... وبعد أن ينفذ عبد الله أمر عمر ، ويعود من الرعى .. يبدأ الحساب ، فيقول له عمر « هل أرسلتك لتشيد وتبنى ؟ ارجع الى عملك ، ولا تعد لما فعلت أبدا » .

مع سعد بن أبي وقاص

وكذلك فعل مع سعد بن أبي وقاص عندما علم أنه اتخذ لدار الامارة بابا يريحه من ضوضاء السوق ، فأرسل اليه محمد بن مسلمة ليتأكد من الامر فان تحقق منه حرق هذا الباب قبل أن يتكلم سعد أو يسمع منه ، وفعل ذلك ابن مسلمة (١) .

مع سعيد الجمحي

وكان عمر فى مناقشته الولاة لا يستمع فيهم .. وانما يواجههم مع الذين يشكونهم .. فذات يوم شكى اليه بعض نفر من المسلمين واليا يحبه ويثق فيه ، ويؤمن أنه يتبع سنة رسول الله فى عمله ... وهو سعيد بن عامر الجمحى وقالوا انه « لا يخرج الى الناس — حتى يتعالى النهار — وأنه لا يجيب أحدا بليل — وأنه يغيب عن الناس كل شهر يوما لا يرى أحدا ولا يراه أحد » .

فاستدعاه عمر وواجهه بالشكاة .. وطلب منه أن يجيب فقال « والله يا أمير المؤمنين ان كنت لاكره ذكر السبب . أما عن الاولى . فليس لاهلى خادم ، فأنا أعجن معهم عجينى ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزى ، ثم أتوضأ وأخرج اليهم .

وعن الثانية : انى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل .

وعن الثالثة : ليس لى خادم يغسل ثيابى ففى هذا اليوم أغسلها ، وأنتظرها حتى تجف، ثم أخرج اليهم آخر النهار » .

وفرح عمر ، وأثنى على واليه ودعا له وشكره .. وقال « الحمد لله الذى لم يخيب فراستي »

القصاص من الولاة

ورواية أخرى وليست أخيرة .. عن القصاص من الولاة التي يرويها انس بن مالك والتي صارت بين الناس مثالا عن المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص محمدا .. فيقول انس رضى الله عنه : « .. فوالله أنا لجلوس عند عمر ،

« ١ » وكان ذلك من الخليفة رضى الله عنه مراعاة لزمنه وخوفا من ترف الولاة وترفعهم على الرعية .

واذا عمرو بن العاص يقبل فى أزرأ رداء ، فجعل عمر يلتفت باحثا عن ابنه محمد فاذا هو خلف أبيه فقال : أين المصرى ؟ . قال ها أنذا يا أمير المؤمنين قال عمر : خذ الدرة واضرب بها ابن الاكرمين . فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول له اضرب ابن الاكرمين . ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمرو . فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه . فقال الرجل . يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت ، وضربت من ضربنى . قال عمر . « أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه ، حتى تكون أنت الذى تدعه ، ثم التفت الى عمرو وقال : « يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

والتفت الى المصري وقال له «انصرف راشدا فان رابك ريب فاكتب الى » .

وخامسة قواعد الولاة الاسلامية التي أتبعها عمر هي .

ان يمكن للولادة كل الظروف التي تهيء لهم العمل دون حاجة الى الناس ، من غير أسراف ، تطبيقا لتعاليم رسول الله « من ولى عملا ولم يكن له بيت فليتخذ لنفسه بيتا ... الخ » لذا كان يفرض للولاة دون تقتير ومن غير اسراف .. فقدر لعمار بن ياسر حين ولاه للكوفة ستمائة درهم فى الشهر له ولمساعديه يزاد عليه عطاؤه الذي يوزع عليه ، كما توزع الاعطية على أمثاله .. وكان يحاسبهم أيضا على كل ثراء يحصلون عليه .. ومن أجل هذا .. كان يحصى أموال الولاة قبل أن يذهبوا الى عملهم ... ويحصيها بعد أن يعودوا ، ولا يقبل فى أسباب الزيادة الغير المقبولة أية حجة، حتى ولو كان قيامهم بالتجارة لانه كما يقول لبعضهم « انما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا » فان كان فى ثروة الولاة زيادة غير مقبولة ردها الى بيت المسلمين .

وأخيرا فان سادسة القواعد .. ألا يطيل لهم مدة الولاية ليحفظ على الولاة أصالتهم .. وكما يقول لهم « انما عزلتكم لكيلا أحمل على الناس فضل عقولكم ، ولكيلا تفتتنوا بالناس كما افتتن الناس بكم » .

وبين هذا المنهج الطويل للولاة في عهد عمر .. كان اللقاء المستمر بين الحاكم وولاته .. وكان الحساب المستمر .. وكان النصح الدائم .. وكان الحكم الصالح . وبذلك كان حكم الولاة .

وبهذا النظام يروى التاريخ أن خالد ابن عرفطة من العراق قدم على عمر في المدينة فسأله عمن وراءه فقال « يا أمير المؤمنين تركت من ورائى يسألون الله أن يزيد فى عمرك من أعمارهم ما وطىء أحد القادسية الا عطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة ، وما من مولود يولد الا ألحق على مائة وجريبين كل شهر . ذكرا كان أم انثى ، وما يبلغ لنا ذكر الا ألحق على خمسمائة أو ستمائة ، فاذا خرج هذا لاهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام فما ظنك به فانه لينفقه فيما ينبغي وفيما لا ينبغى » .

قال عمر « فالله المستعان انما هو حقهم أعطوه ، وأنا أسعد بأدائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدنى عليه ، فانه لو كان من مال الخطاب ما أعطوه ، ولكنى قد علمت أن فيه فضلا ، فلا ينبغى أن أحبسه عنهم ، فلو أنه اذا خرج عطاء أحد هؤلاء العرب ابتاع منه غنما فجعلها لسوادهم ، ثم اذا خرج العطاء الثانى ابتاع الرأس ، فجعله فيها ، فانى ويحك يا خالد بن عرفطة أخاف عليكم أن يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء في زمانهم مالا فان بقى أحد منهم أو أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه فيتكئون عليه ، فان نصيحتى لك وأنت عندى جالس كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين ، وذلك لما طوقنى الله من أمرهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة) .

مائدة القارىء

اعدها أبو نزار

كل الحروف الهجائية في هذه الآية الكريمة

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » . آية ٣٠ / الفتح

قرآنيات

- ※ أطول سورة فى القرآن الكريم سورة البقرة ، وعدد آياتها ٢٨٦ .
- ※ وأقصر سورة فيه سورة الكوثر وعدد آياتها ثلاث .
- ※ وأطول آية فيه آية الدين ٢٨٢ من سورة البقرة .
- ※ وأقصر آية فيه طه .
- ※ وأطول كلمة فيه لفظا وكتابة « فأسقيناكموه » من الآية ٢٢ من سورة الحجر .
- ※ السورة التي ذكر اسم الله تعالى فى كل آية من آياتها سورة المجادلة .

من أدب النساء فى القرآن الكريم

فى الحديث . قال تعالى « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » . آية ٣٢ / الأحزاب

فى النظر . قال تعالى . « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ... » آية ٣١ / النور

فى الاختلاط . قال تعالى . « واذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب » . آية ٥٣ / الأحزاب

فى الملبس . قال تعالى . (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) . آية ٥٩ / الأحزاب

فى الزينة . قال تعالى . « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » آية ٣١ / الأحزاب

الأمة

تطلق كلمة « أمة » ويراد بها معنى من المعانى الآتية :

الجماعة . قال تعالى (وجد عليه أمة من الناس يسقون) آية ٢٣/ القصص .

الدين . قال تعالى (انا وجدنا آباءنا على أمة) آية ٢٣/ الزخرف .

الزمان . قال تعالى . (وادكر بعد أمة) آية ٤٥ / يوسف .

الرجل القدوة . قال تعالى . . (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا) آية ١٢٠ / النحل

أمجادنا العلمية

الثابت أن علماء المسلمين أحدثوا ثورة علمية عظمى ، واكتشفوا « الكحول » و « حامض النتريك » و « البوتاس » و « ملح الطعام » وهم أول من استخدموا الطرق الجديدة فى عمليات الكيمياء كالتقطير والترسيب والتصعيد والتذويب والبلورة والتحويل .

وقد صنعوا أول مكبر وأول بوصلة وأول ساعة دقاقة .

الجاذبية

الفكرة الشائعة أن أول من تكلم على الجاذبية ، واكتشفها هو « اسحاق نيوتن » حين علل سقوط التفاحة من الشجرة بجاذبية الأرض لها .

ولكن سبقه الى هذا « الرازى » بمئات السنين ، فقد عاش فى القرن السادس الهجرى ، وعلل « المدرة » التي رماها وسقطت بعد ارتفاعها ، وانتهى تفكيره الى القول بأن فى الأرض قوة قاهرة تحكم على الأشياء بالانجذاب اليها .

دوران الأرض حول الشمس

المعروف أن أول من تكلم على دوران الأرض حول الشمس هم (غاليليو) و (برنو) و (كوبرنيكوس) لكن الواقع أن السابق لهم جميعا فى الكلام حول دوران الأرض هو (عضد الدولة عبد الرحمن بن أحمد) الذى عاش قبل هؤلاء بمائتى سنة .

الرخـــاء
فى عهد أبى جعفر المنصور

روى الخطيب البغدادى فى تاريخه عن رجل عاش فى عهد المنصور قال : رأيت فى زمن أبى جعفر كبشا بدرهم ، وحملا بأربعة دوانق والتمر ستين رطلا بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية أرطال بدرهم .

احفظوا القرآن

مر عمر بن الخطاب بقوم يتناضلون ، فقال لهم : انتسئوا ـ تأخروا ـ عن البيوت ، فان للنضال كلاما لا يصلح أن يسمعه النساء . ورمى أحدهم فأخطأ ، فقال له عمر أخطأت فقال يا أمير المؤمنين (نحن متعلمين) ! فقال : والله لخطؤك فى كلامك أشد علي من خطئك فى نضالك . احفظوا القرآن وتفقهوا فى الدين ، وتعلموا اللحن ـ النحو ـ .

حيلة زاهد

دخل بعض الزهاد على ملك جبار ، فأحضر له اللهو والمغنين ، فجعل الزاهد يقول للمغنى كلما فـرغ من غنائه أحسنت ، ليدفع عنه جبروت الملك ، فلما خرج الزاهد عاتبه أصحابه فى ثنائـه على المغنـى واستحسانه لغنائه ، فقال لهم . انما كنت أقول له أحسنت اذا سكت .

حيلة مظلوم

أراد رجل الوصول الى المأمون فى ظلامة ، فلم يصل اليه ، فقال للحاجب . قل للخليفة . أنا أحمد النبى المبعوث ، فدخل الحاجب وقال للمأمون أن بالباب رجلا يدعي النبوة ، فأدخل عليه ، فقال له : ما تقول . فذكر ظلامته ، فقال له انك تزعم أنك نبى . قال . معاذ الله . انما قلت أنا أحمد النبى المبعوث . أفلست يا أمير المؤمنين ممن يحمده ، قال . نعم فاستظرفه المأمون ، ونظر فى ظلامته .

((زه))

لزم بعض الحكماء باب ملك من ملوك العجم دهرا ، فلم يصل اليه ، فتلطف للحاجب فى ايصال رقعة كتب فيها أربعة أسطر .

السطر الأول : الأمل والضرورة أقدمانى عليك .

السطر الثاني : والعدم لا يكون معه صبر على المطالبة .

السطر الثالث : والانصراف بلا فائدة شماتة للأعداء .

السطر الرابع : فأما نعم مثمرة ، واما لا مريحة .

فلما قرأها وقع فى كل سطر « زه » فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة ، وزه معناها فى لغة الفرس أحسنت .

الافــراد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اياكم والاقراد . قالوا . يا رسول الله . وما الاقــراد ؟ قال . الرجل يكون منكم أميرا أو عاملا فيأتيه المسكين والأرملة ، فيقول لهم . مكانكم ، ويأتيه الشريف والغنى ، فيدنيه ، ويقول . عجلوا قضاء حاجته ، ويترك الآخرين مقردين ـ ساكنين أذلاء ـ .

طغيان

ضقت ذرعا بالزور والبهتان — وظهور الفساد والطغيان
(كلما أنبت الزمان قناة) — ركّب المرء رمحها بالسنان
وإذا العلم نال كسبا ونصرا — جره المرء للردى والطعان
فكأن الانسان يحيا لشر — لا لخير وبهجة وحنان
باسم الثغر والجنان ظلام — كتداعي البناء خلف الدهان
فتيممت عالم الروض علّي — أتلقى النبات كالاخوان
فاذا الجو بهجة وابتسام — من وداد وألفة وافتنان
رفت الارض في بدائعها الخضر — وغنت الاغصان للافنان
وشدت كل زهرة بنشيد — ونسيم الانفاس كالزعفران
كل أخت تميس تيها بأخت — وتشيع الوفاء في كل آن
يتعاونّ بينهن فتلقى — دوحة الغاب بينها غصن بان
وترى الطير راقصات عليها — بانيات أعشاشها بأمان
شاقها صدقها وأمن حماها — وجوار الازهار والاغصان

وِئام

للاستاذ احمد مظهر العظمة
رئيس مكتب تفتيش الدولة ــ دمشق

أين سود الوجوه من نضرة الرو ض وأين القلاع من بستان

★★★

أيها الناس خففوا من عناء وعناد ومطمع وتفاني
أنتمُ أخوة فكونوا سلاما ووئاما يطيب كالريحان
وعصيٌّ الآمال بالرفق يُعطَى حين يصفو الانسان للانسان

★★★

ليت شعرى أغفوة من خيالى في ليالى الآلام والاحزان
آفة المرء مطمع يتنزى خلف اهوائه وهوج الأمانى
وقديما دعا (الكتاب) لسلم وتجافٍ عن خطة الشيطان (١)
ودعاهم إلى القتال اذا ما كان بغى من جانب العدوان
فاذا فاء معتد لصواب فالى الصلح مقسط الميزان (٢)
وَلَوَ أن القرآن حُكِّم دوما لغدونا ملائك الرحمن
وغدا مجدنا رفيعا منيعا بجنود السلام والفرقان

(١) قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » البقرة : ٢٠٨ .

(٢) قال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » الحجرات : ٩ .

النفوذ ، ما زالت تواصل عملها فى اثارة الشبهات واعادة ترديدها على نحو أو آخر .

ولا يكفي أن نواجه هذه الشبهات بالرد عليها ودحضها على أسلوبنا ومنهجنا العربي الاسلامى فحسب ، بل انه كلما وجدت اجابات كتبها مفكرون منصفون من غير المسلمين كان ذلك أبعد أثرا فى النفوس وذلك لعدة أسباب :

أولا : ان يكون قد شهد بالحق شاهد من اهل أولئك الخصوم .

ثانيا : ان كلمة الباحث المسلم قد تكون كلمة « الضرورة » بينما كلمة الباحث غير المسلم هى كلمة «الانصاف» .

ثالثا : تتميز كلمة الباحث الأجنبي عن الاسلام بأنه خروج من النفس والعقائد الأصلية ، اذ لا يمكن أن يدافع أحد عن غير دينه الا بعد أن يكون قد قطع مرحلة طويلة فى الدرس والتأمل حتى يبلغ مرحلة اليقين بما يقول .

رابعا : ان الكاتب الأجنبي الذى ولد فى غير بيئة الاسلام ، وارتبطت مفاهيمه بدين آخر وبيئة غير بيئة العرب ، مع ما هو معروف من ارتضاع لبان كراهية الاسلام فى أغلب ثقافات الأمم الغربية ، يجعل للكلمة أهميتها .

خامسا : من أهم ميزات كلمة الكاتب الغربي أنه عاش حياة دينه ومجتمعه ، ولذلك فان مقارنته انما تصدر عن تجربة أصيلة ، وعن مقارنة أكيدة ، وعن تطلع صادق الى مفهوم الاسلام وما وراءه .

سادسا : ان الاسلام لم يكن بالقدرة التي تجعله قادرا على شراء أقلام كتاب الغرب ، حتى يمكن أن يكون ذلك دافعا من دوافع كتاباتهم ، وبذلك يمكن القول بأن الكتابات المنصفة عن الاسلام انما جاءت تلقائية وبغير دافع مادى على الاطلاق .

سابعا : ومن أجل هذا نجد كثيرا من الباحثين يطمئنون الى كلمة الكاتب الغربي ، ويرونها حجة فى البحث، ودليلا أكيدا على الحقيقة ، وقد جر هؤلاء المنصفون بعض كتابنا العرب الى اكتشاف الحقيقة التي كانت بين أيديهم أصلا .

ثامنا : ان وجهة النظر الأخرى اذا كانت منصفة ربما تكون أكثر جرأة وحيوية من كلمة صاحب القضية ، وفى الكلمات المعروضة تقدير لا حد له لجوانب من الفكر العربي الاسلامي ما نزال نحن نتحاماها ، ولا يكاد البعض يؤمن بها كل الايمان ، بينما يؤمن بها هؤلاء الكتاب .

هذا ، ولا يمنع ذلك من الاشارة الى أن هذا التيار الجديد فى الفكر الغربي لانصاف الاسلام ما زال ضعيفا ازاء كتابات خصوم الاسلام من المبشرين وبعض المستشرقين وكتاب الاستعمار والتغريب ، ولكن من المعتقد أن يصبح يوما ما مصدرا للضوء فى مجال الحيرة التي تمر بها الانسانية اليوم وتتطلع الى نور جديد .

ولا يستبعد أن يصل الفكر الغربى عن طريق هذا التيار الى تحول فى طريقه .

وعلى المسلمين أن يهبوا لخدمة دينهم .

من تأثير القرآن في اللغة العربية

المقصورة الشعرية

للدكتور طه عبد الحميد طه
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

لقد ظل القرآن الكريم منذ نزوله ، المصدر الأول للثقافة العربية بكافة أشكالها وأنواعها ، فهو قطب الرحى الذى تدور حوله الدراسات العربية جميعا ، وأثره واضح جلى ، أحاول أن أتتبعه فى هذا المقال وفى غيره من المقالات ، بل كان أثره خالدا فى توجيه أساليب الكتاب والشعراء ، فان المتتبع للأسلوب العربى ، سيجد المحاولة الجادة فى انتهاج أساليبه ، والسير فى طريق بلاغته ، والكلام فى هذا الموضوع يطول ، ولكنى أود أن احصر كلامى هنا عن نظرية الاستاذ الدكتور مهدى علام ، وأتناول الخيط منه ، لأقدمه الى قراء العربية جميعا فى مجلة سيارة فى جميع البلدان العربية.

هذه النظرية هى خلق المقصورة الشعرية ، ولهذا أجد أنه من الواجب أن أتتبع نشأة هذا النوع من الشعر العربى.

فمن المعلوم أنه فى الأدب العربى عدة مجموعات من القصائد ، تنتمى كل مجموعة منها الى ما يمكن أن يسميه أسرة أو عشيرة ، واصطلح العلماء على جمعها تحت اسم واحد ، واثباتها فى كتاب واحد ، وقد راعوا فى ذلك تشابهها فى ناحية أو نواح خاصة ، اما من حيث أغراضها التى تعالجها ، واما من حيث أسلوبها ، واما من حيث الأمرين جميعا .

من هذا النوع (المعلقات) التى مهما تعددت الآراء فى سبب تسميتها فانها من غير شك تنتمى الى طائفة من الشعر ذات خصائص تجعلها متشابهة بعضها مع بعض ، مختلفة عن غيرها من القصائد.

ومن هذا النوع أيضا (الأراجيز) ، وقد جمعت منها عدة مجموعات ، وهى تمتاز بتشابهها فى بحرها وفى ديباجتها البدوية ، وألفاظها التى تجنح فى الغالب نحو الغريب ، وأحيانا نحو المهجور .

ثم هناك (اللاميات) التى اكتسبت اسمها من حرف رويها مع تحقق مميزات أخرى ، أهمها اشتمالها على قدر من الحكم والامثال السائرة ، وهذه الطائفة لم تلق عناية كافية من الباحثين من حيث دراستها بصفتها مجموعة متشاكلة ،

---

(١) يراد بها ما كانت القافية فيها مقصورة .

فليس معروفا منها سوى (لامية العرب) للشنفرى و (لامية العجم) للطغرائي .

أما النوع الذى يعنينا ، وهى (المقصورات) التى تمثل مجموعة من هذه المجموعات ، ولكنها بقيت مشتتة الأفراد لا يعترف أحد بوجودها من حيث هى أسرة متشاكلة . وكل ما حدث هو أنأحد أفراد هذه الاسرة نالنصيبا وافرا من العناية على أيدى الشراح والناشرين، تلك هى مقصورة ابن دريد المحظوظة ، لأن علماء الادب قد أشبعوا رغبتهم فى البحث بالكتابة عن هذه المقصورة ، ولم يخطر ببالهم أن يربطوها بمقصورة أخرى سابقة أو لاحقة لها ، فبقى بذلك معظم المقصورات مخطوطا مجهولا ، ولم يهتم أحد قبل الدكتور مهدى علام بنشأة (القافية المقصورة) فقد تعقب فى خلال مدة طويلة من الاستقصاء خمس عشرة مقصورة منذ نشأتها فى الشعر العربى ، مع ملاحظة أنها ليست مجرد روى ، وانما لها خصائص أخرى فى الأغراض التى تعالجها ، والاسلوب الذى يعالج هذه الاغراض .

ولسنا بصدد تبيان هذه الخصائص العامة للمقصورة ، وانما يعنينا فى هذا البحث أولى خصائص المقصورات من حيث أنها تأتى على القافية المقصورة ، ونريد أن نتتبع هنا أصل هذه القافية لربطها بالمنبع الاصلى وهو القرآن الكريم .

لقد كان الرأى السائد أن ابن دريد هو أول من دبج فى فن المقصورة ، بقصيدته التى تربو على الخمسين بعد المائة من الأبيات ، ومطلعها :

يا ظبية أشبه شىء بالمها
ترعى الخزامى بين أشجار القنا

ولكن المسعودى فى مروج الذهب يصحح هذه الفكرة الشائعة ، ويرشدنا الى بعض أصحاب المقصورات ممن اندثرت مقصوراتهم ، فبعد كلام له عن ابن دريد ، وأن من جيد شعره قصيدته المقصورة التى يمدح بها ابن ميكال يقول : « وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء ، منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فهم التنوخى الأنطاكى وهو فى وقتنا هذا (وذلك سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) بالبصرة ، وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة :

لولا انتهائى لم أطع نهى النهى
أى مدى يطلب من جاز المدى
ان كنت أقصرت فما أقصر قلـ
ـب داميا تدميه الحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهل الغضا
أغضت وفى أجفانها جمر الغضا

وفيها يقول :

وكم ظباء رعتها الحاظها
أسرع فى النفس من حد الظبى
أسرع من خوف الى جوف ومن
حب الى حبة قلب وحشى
قضاعة بن ملك بن حمير
ما بعد ذا للمرتقين مرتقى

ثم يقول المسعودى : « وقد سبق الى المقصورة ، أبو المقاتل نصر بن نصير الحلوانى فى محمد بن زيدالداعىالحسنى بطبرستان بقوله :

قفا خليلى على تلك الربى
وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتى ربعت ربوعها
عليك باستخبارها تشفى الجوى

وعبارة المسعودى صريحة فى أن الحلوانى سابق لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ ، وبذلك نعرف أن ابن دريد ليس المبتكر لفن المقصورة وانما هو مقلد فيه . وذكر المسعودى مقصوريا آخر ، ولكنه لم يوضح لنا على سبيل القطع ، زمنه بالنسبة الى ابن دريد ، فقد قال (عقب كلامه عن الحلوانى المذكور) : « وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل . .

الحلواني .. ولابن ورقاء في المقصورة أيضا :

ما شئت قل هي المها هي القنى
جواهر بكين أعطاف الدمى

ولكن يفهم من السياق أن المسعودي يريد أن يذكره مع من سبقوا الى المقصورة. ويفهم أيضا أن هذا الفن عرف في العصر الاسلامي . غير أنه وجدت بعض المقطوعات الشعرية التي تنسب الى العصر الجاهلي ، فأبو الفرج الأصفهاني يذكر البيتين التاليين :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثني عليك وان من
أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ثم يقول : « الشعر لغريض اليهودي ، وهو السموءل بن عادياء ، وقيل انه لابنه سعية بن غريض ، وقيل انه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل انه لورقة بن نوفل ، وقيل انه لزهير بن جناب ، وقيل انه لعامر بن المجنون الجرمي ، الذي يقال له : مدرج الريح ، والصحيح أنه لغريض أو لابنه » الأغاني ج٣ ص١١٤ ، ثم يعود أبو الفرج ، فيروي عشرة أبيات من قافية المقصور ، وتنتهي هذه الأبيات بالبيتين السابقين وينسب القطعة كلها الى ورقة بن نوفل ، ومطلع القطعة :

رحلت قتيلة وعيرها قبل الضحى
وأخال ان شحطت بجارتك النوى

وسواء أكان الشعر لغريض أو لابنه أو لورقة بن نوفل ، فانه على أي حال شعر جاهلي . كذلك نجد القطعة الآتية :

لحنظلة بن أبي عفراء

ومهما يكن ديب الزمان فانني
أرى قمر الليل المغرب كالفتى
تقارب يخبو ضوءه وشعاعه
ويمصح (١) حتى يستسر فلا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه
وتكراره في دهره بعد ما مضى
تصبح أهل الدار والدار زينة
وتأتي الجبال من شماريخها (٢) العلا
فلا ذا غنى يرجئن عن فضل ماله
وان قال أخرني وخذ رشوة أبى
ولا عن فقير يأتخرن لفقره
فتنفعه الشكوى اليهن ان شكا

ثم نضيف القصيدة التي رواها الأب شيخو في (شعراء النصرانية) وهي تروى لليلى العفيفة المتوفاة ٤٨٣ م :

ليت للبراق عينا فترى
ما ألاقي من بلاء وعنا

من هذا كله نستطيع أن نفترض أن (القافية المقصورة) كانت مستعملة في الشعر العربي قبل الاسلام ، غير أنه يبدو من العدد القليل الذي وصلنا من القطع الشعرية التي على هذا الروي ، ومن قلة الأبيات في كل مقطوعة أن هذا النوع من القافية لم يكن كثير الذيوع بين شعراء الجاهلية ، فما الذي حدث بعد ظهور الاسلام ، فجعل هذا الطراز من القافية ذائعا ذيوعا كبيرا تألفه الآذان ؟ . وأنها في جملتها من المطولات في الشعر العربي ، فمعظمها أطول من معظم القصائد العربية ، وواحدة منها (هي مقصورة القرطاجني) تبلغ ألف بيت وبيتين ومطلعها :

لله ما قد هجت يا يوم النوى
على فؤادي من تباريح الجوى

تأثير القرآن

ان موسيقى الروى المقصور تتردد في أذهان قراء القرآن الكريم ، لأنها متوفرة في فواصله ، وعلينا أن نرجع

البقية على ص ٨٣

(١) يمصح : يقل ويضعف حتى يتلاشى وهي قريبة مبنى ومعنى من مسح حيث يمكن أن يبدل حرف بآخر.
(٢) شماريخ الجبال : رؤوسها .

الإسلام والمسلمون في أمريكا

صور من

للدكتور محمد عبد الرءوف
مدير المركز الاسلامي فى نيويورك

لما سمعت أوربا عن نصف العالم الغربي عام ١٤٩٢م بادرت أسبانيا باستعمار أمريكا الجنوبية ، وشجعت مواطنيها على الهجرة ، وذلك لاستغلال ما بها من ذهب ومعادن غنية . ولكن حكومة أسبانيا فى نفس الوقت سنت تشريعات مشددة ضد هجرة رعاياها من سلالة العرب والمسلمين ، رغم قبولهم دين المسيحية الكاثوليكية نتيجة للاضطهاد والتعذيب ، وذلك خشية أن يتنفسوا عبيق الحرية بالعالم الجديد ، فيعودوا الى دين أسلافهم ، ويطرحوا دين الكاثوليكية الذى أكرهوا عليه .

أما أمريكا الشمالية فلم يبدأ استعمار الأوروبيين لها من هولندا وانجلترا وغيرهما الا حوالي عام ١٦٢٠م ، ومع ذلك فقد وصل هؤلاء الى أمريكا يحملون معهم دين المسيحية ، وفى طياتها معلومات خاطئة وظالمة عن الاسلام ونبى الاسلام لذلك مضت القرون الأولى من استعمار العالم الجديد دون أن يكون للاسلام به شأن يذكر (١) .

---

(١) لا يعنى ذلك عدم وجود عدد من المسلمين متفرقين هنا وهناك أثناء هذه الحقبة ، فقد تمكن عدد من أحفاد العرب بأسبانيا أن يفلتوا من الاحتياطات المشددة وهاجروا الى أمريكا الجنوبية واستمتعوا بشىء من الحرية فى العالم الجديد ، كما أنبأنا فى مقال سابق وجود أفراد متفرقين من المسلمين فى أمريكا الشمالية خلال هذه الفترة المبكرة ، بل أنه ليقال ان التجار والبحارة من العرب والمسلمين وصلوا الى سواحل أمريكا قبل أن يصلها الاوربيون بعدد من القرون ، ويثبت بعض الباحثين وجود صلات قديمة بين العرب وسكان أمريكا الاصليين المعروفين باسم « الهنود الحمر » ، حتى يقال ان اسم « أمريكا » ذو صلة بكلمة « أمير » العربية وأن أسم ولاية « كلفورنيا » فى غرب الولايات المتحدة مأخوذ من وصف العرب لها لما وصلوا اليها بأنها « كالفنارة » .

١

بحث واف ، وعرض شامل لحركة الاسلام فى أمريكـا يسرنا تقديمه للقراء ، مقدرين للكاتب الفاضل عنايته بهذا الموضوع . وسننشر الجزء الثانى من البحث فى العدد القادم

« الوعـي »

النشـــاط الإسْـــلامى هـنـــاك

وأول أمريكي نسمع أن الله شرح صدره للاسلام هو السيد « الكسندر رسل ويب Alexander Russel Webb » وكان شخصية دبلوماسية صحافية عين فى عام ١٨٨٧م قنصلا عاما لبلاده فى « مانيلا » عاصمة « الفلبين » ، وهناك تيسـر له الاتصـال بالمسلمين من أهل البـلاد ، فأعجبه دينهم وسـلامته وبساطته ، وفى العام التالى (١٨٨٨م) أصدر كتيبا أعلن فيه اسلامه ، وذكـر فيه أسباب اختياره لهذا الدين ، كمـا أعلن أنه سمى نفسه « محمد هربرت رسـل » ومما ورد فى هـذا الكتاب قوله . « اننى أقرر صادقا وغير متردد أننى قد أخترت هذا الدين بعد دراسة طويلة وعميقة ، فوجدته النظام الوحيد الذى لا يعدله نظام آخر فى صلاحيته وتحقيقه لحاجات الانسان الروحية ... وما كان اعتناقي للاسلام نتيجة لعاطفة ضالة أو تصديق أعمى أو أفكار شاردة ، أو مشاعر خاطفة ، وانما كان ذلك نتيجة دراسة طويلة أمينة وصادقة ، وثمرة رغبة عميقة فى الوصول الى الحقيقة « ثم يقول . « ان دين الاسلام قائم علـى أساس الحقيقة الخالدة التى بعث الله بها أنبياءه حتى ختمهم بمحمد صلى اللـه عليه وسلم ، والدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذى يتلاءم مع المنطق ويتمشى مع العلم والعقل من بين سائر الأنظمة التي عرفها الانسان » . ولما استقال من وظيفته عام ١٨٩٢م عاد الى بلاده عن طريق الهند ، حيث ألقى عدة محاضرات عن الاسلام لقيت تقديرا عظيما وجعلت المسلمين هناك يتحدثون عنه بأنه « جاء الى الشرق ممثلا لدولة عظيمة ، ثم عاد الى بلاده ليبشر بدين عظيم » . وفى عام ١٨٩٣م بدأ دارا للنشر بمدينة نيويورك سماها «شركة النشر الشرقية » وأصدر مجلة سماها « العالم الاسلامي » صدر العدد الاول منها فى شهر مايو من نفس السنة ، وعاش يكتب عن الاسلام ويدعو له حتى مات فى اكتوبر عام ١٩١٦ م ، وقـد تـرك خلفه عددا من الكتب فى موضوعات اسلامية .

وممن أعجب بدين الاســلام من المفكـرين الأمريكيين فاهتــدى بهديـه الكلونيل دونالد روكويل col-Donald Rockwell » وكان شاعرا ومؤلفا بارعا، ومنهم السيد « نورمان لويس Norman Lewis » الكاتب الاســلامي المعاصر

المعروف ، ومنهم الدكتور « توم ارفنج tom Irvnig » المحاضر باحدى الجامعات فى كندا ، وصاحب ترجمة للقرآن الكريم بالانجليزية تحت الطبع ، ثم غير هؤلاء وهؤلاء ممن أداهم سعيهم واطلاعهم أو اختلاطهم بالمسلمين خارج بلادهم الى معرفة مزايا هذا الدين وترجيح اعتناقه فى شجاعة وحزم ، ولكل من هؤلاء قصص خلابة يروونها عن أسباب اسلامه ، وكلها تشهد بما اختص الله به هذا الدين الكريم من فضل ومزايا عظيمة .

والى جانب هؤلاء الافراد من المثقفين من ذوى النظر الثاقب ، قامت حركات ترمى الى جمع الجهود وتنظيمها للدعوة للاسلام والدفاع عنه ، واقامة المنشآت لتيسير أداء الشعائر أو القيام بأنواع النشاط الاسلامي المختلفة .

وسوف نتوخى فى شرح هذه الحركات سبيل الاختصار والايجاز مع الاشارة عند الحاجة الى آراء بعض هذه الحركات وأفكار أصحابها ، ولكننا لاسباب خاصة سوف لا نتعرض للحكم على هذه الآراء بالخطأ أو الصواب ، لذلك نستميح القارىء الكريم العذر اذا وجد بين هذه الحركات التى قامت بأمريكا باسم الاسلام ما قد يرى فيها انحرافا عن الدين الصحيح ، أو أن بعضها فى رأيه لا يستحق أن يسمى حركة اسلامية ، وانما يهمنا هنا بيان الواقع دون الحكم له أو عليه .

جمعيات اسلامية

وقد بدأت الحركات الاسلامية فى بداية القرن الحالي بقيام منظمات وجمعيات ونواد أسسها المهاجرون من البلدان الاسلامية لاغراض اجتماعية أو ترفيهية أو سياسية على أسس جغرافية أو قومية أو عنصرية ، فأنشأ التتار جمعيتهم ، وأسس الالبانيون ناديهم ، وأقام العرب جمعياتهم ، وصنع مثل ذلك الاندونيسيون والملايويون ثم اليوغسلافيون والباكستانيون وغيرهم ، فتنظم هذه النوادى نشاط مواطنيها وتعاونهم فيما بينهم ، وتقيم الأفراح وتحتفل بالمناسبات والمواسم الوطنية ، وتتبع أبناء البلاد التى وفدوا منها ، وتؤيد حركاتها السياسية ، وتقوم بجمع التبرعات اذا دعت الحاجة وهكذا .

ولم يكن لهذه النوادى أول الأمر أهداف دينية واضحة ، ولكن بمضى الزمن شعرت هذه الهيئات بالحاجة الى تنظيم خاص للخدمات الدينية الهامة كتجهيز موتاهم ، واجراء عقود نكاحهم بمقتضى الشريعة الاسلامية ، كما فكروا فى الحاجة الى وجود دار يجتمعون بها لاقامة الصلاة ، وخاصة أيام الجمع والاعياد .

بدأ هذا النشاط ونهضت هذه الجمعيات فى المدن الكبرى مثل نيويورك وديترويت وفيلاديلفيا وشيكاغو وسان فرانسيسكو وتليدو وغيرها ،حيث توجد التجمعات ، ويكثر عدد الأسرات الاسلامية . ولكن كان نجاح هذه المنظمات محدودا وذلك لما يسودها من عجز مالى ، ولاشتغال الجميع بمطالب الحياة والسعى فى الرزق ، ثم الخصومات التى كانت تنشأ حول الرئاسة والمناصب .



الدكتور عبدالرءوف فى قاعـة الدرس والمكتبـة بالمركـز الاسـلامي فى نيويورك .

الحركة البهائية

ومن الحركات التى وصلت الى أمريكا مبكرة باسم الاسلام « الحركة البهائية »، ويبدو أنها كانت قوية فى بدايتها حيث بلغ عدد أتباعها عام ١٩١٦ نحو ثلاثـة آلاف ، ولكن عددهم أخـذ يتضاءل بسرعة فهبط فى عشر سنوات الى ثلث هذا العدد ، ويقال انهم الان أقل من ذلك بكثير .

القاديانية

وقد شهدت الفترة ما بين الحربين العالميتين قيام حركات اسـلامية عدة كان لها أهميتها وخطرها ، وقد كـان لجماعـة القديانيين نصيب ملحوظ فى هذا الميدان ، لقد بدأ هؤلاء نشاطهم بمدينة « شيكاغو » على يد « الدكتور مفتى صادق » الذى قدم من الهند ، وأصـدر مجلة بالانجليزيـة عنوانهـا « شمس الاسلام الطالعة » بدأ صدورها عام ١٩٢١ . ويقال انها كانت ذات أثر فى التعريف بالاسلام بأمريكا ، ثم خلفه السيد « صوفى بنغالى » عـام ١٩٢٩ الـذى قضـى عشرين عاما بذل فيها جهودا خالصة ، ثم جاء بعده « الدكتور خليل ناصر » الذى نقل المقر الرئيسى للحركة الى مدينة « واشنطون » مقر حكومة الولايات المتحدة . ويقال ان أكثر أتباع هذه الحركة مهاجرون من الهنـد والباكستان . ويقدرون ببضع مئات ، ولكن الحركة اكتسبت بضع مئات أخرى من الامريكيين ، أكثرهم من الملونين .

الملونون وحركتهم

وأهم ما يلفت النظر تلك الحركـات التى قامت للتبليغ ونشر الدعوة الاسلامية على يد مواطنين أمريكيين من الملونين ، وقد ارتبطت هذه الحركات فى الغالب بما يسمى بحركة المطالبة « بالحقوق

المدنية » . ولا يخفى على القارىء صلة هذه الحركة بوضع الملونين فى أمريكا وماضيهم . فقد جلب أسلاف هؤلاء كعبيد مغتصبين من بلاد غرب أفريقيا بطريقة وحشية غاشمة ، وقد وصلت أولى هذه الشحنات البشرية الى أمريكا للخدمة بالزراعة كعبيد للارض عام ١٦١٩م ثم أعقبتها شحنات أخرى كثيرة أكسبت تجارة الرقيق رواجا كبيرا ، وأصبح الرقيق أهمية اقتصادية عظيمة لم يكن حظه منها الا التعاسة والذل ، وأقسى أنواع التعذيب اذا هو ارتكب أدنى خطأ .

ولقد عمل الرجل الابيض على الاكثار من الانتاج والتناسل بين العبيد عن طريق الاختلاط الجنسى ، دون مراعاة للقيود الخلقية بحال ، كما عمل على أن ينسى الرقيق ماضيه ، ولا يعلق بذهنه أدنى شعور بالكرامة أو القيم التى تتدخل فى طاعته العمياء لسيده ، فكان صغار الرقيق المولدون يبعدون عن الكبار قبل أن يدركوا ، بل كان يتخلص من الكبار أحيانا بذبحهم ، وذلك حتى لا يسمع الصغار من الكبار شيئا عن أصلهم أو لغتهم .

فلما ألغى نظام الرق فى وسط القرن التاسع عشر لم يكن باستطاعة هؤلاء الذين عتقوا بالجملة أن يألفوا حياة الحرية والتعويل على النفس بسهولة ، فلا غرو أن نجد الكثير منهم حتى اليوم يعانون من طباع الكسل والقذارة وحب البطالة وارتكاب الجرائم وتعاطى المسكر والمخدرات ، مما جعل الكثير من البيض — رغم التساوى فى الحقوق الدستورية — يحتقرونهم ويأنفون الاختلاط بهم ، مما أثر على فرصهم فى العمل والخدمات العامة ، فنهض زعماؤهم يطالبون بتشريعات تعمل على التساوى التام فى الحقوق المدنية والزام المسئولين بمراعاتها ، وقد اختلفت مشارب هؤلاء الزعماء وقامت بينهم أحزاب مختلفة ، ويقدر عدد الملونين بالولايات المتحدة بعشرين مليونا .

نقول ان بعض الحركات الاسلامية التى قامت بين الملونين — ويطلق عليهم « الزنوج » رغم كراهية الكثيرين منهم لهذه التسمية — كانت ذات صلة بحركة المطالبة بالحقوق المدنية والعمل على جمع كلمتهم نحو تحقيق أهدافهم السياسية .

وكان أول من استخدم اسم الاسلام فى ضم الملونين للعمل على صالحهم شخصية أسمت نفسها « النبيل درو على » يقال أنه قضى ردحا من الزمن فى بعض البلاد الاسلامية ، ثم عاد يدعو لاتباع أفكاره بين الزنوج تلك الافكار التى زعم أنها دين الاسلام ، وادعى لنفسه النبوة وأخرج كتابا سماه « القرآن » فى شكل آيات مرقمة تختلط فيها المفاهيم الاسلامية بأفكار غريبة عن الاسلام ، ولا حاجة لاطالة البحث فى شرح ما كان يقوله ، فقد انتهت هذه الحركة تقريبا بموته حيث تفرق أتباعه وأقاموا على أنقاض مذهبه جمعيات اسلامية تهدف الى اتباع مبادىء الاسلام الصحيحة .

أعلام الطب في الإسلام

ابن النفيس

الدكتور محمد أبو شوك

رئيس الوحدة الباطنية ـ المستشفى الاميري

الكويت

من قرابة عامين قام أحد الأساتذة الانجليز فى محاضرة عامة يمجد فيها « هارفى » قائلا بأنه أول مكتشف للدورة الدموية ، فاذا بأحد الحاضرين ينبرى له قائلا . يجب علينا ألا ـ ننسى أن العالم العربى « ابن النفيس »هو الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى وأن اكتشافه كان حدثا فى تاريخ الطب .

وكأنى بهذا الناقد قد اطلع على ما سطره الطبيب المصرى محيى الدين القطاوى فى رسالته التى قدمها لنيل الدكتوراه من جامعة « فرايبورج ـ بألمانيا » ، حينما عثر على مخطوط قديم فى مكتبة برلين يحوى بين طياته أن أول من تعرض لاخطاء « جالينوس » ونقدها ، وأظهر الى الوجود الدورة الدموية الصغرى هو ابن النفيس . فليس سارفيتوس الاسبانى ، ولا هارفى الانجليزى اذن هما اللذان اكتشافاها . وقد عاش ابن النفيس قبل هارفى بأربعمائة عام ،وقبل سارفيتوس بثلثمائة عام .

مولده ونشأته

ولد ابن النفيس حوالى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) وذلك فى دمشق ابان حكم الأيوبيين لها ، وكانت كعبة للعلم والعلماء آنذاك بها بيمارستان أى مستشفى يضم أعظم الأطباء ، وعلى رأسهم مهذب الدين عبد الرحيم على المسمى « بالدخوار » أستاذ ابن النفيس ونظرة الى ما وصف به « الدخوار » ، وما كتب عنه تعطينا ضوءا عن نشأة ابن النفيس وثقافته .

« ففى كتاب » مسالك الابصار فى أخبار ملوك الامصار« كتب صاحبه عن » « الدخوار » يقول : كان فى الحكماء علما، وفى اثبات الحكم قلما،وكان لفروع الطب شجرة يكاد زيتها يضىء . وكأنه جالس أرسطاطاليس .

وقال عنه ابن أبى أصيبعه . كان رحمه الله أوحد عصره ، وفريد دهره ، وعلامة زمانه ، فاق أهل زمانه فى صناعة الطب ، وحظى عند الملوك ، ونال من جهتهم من المال والجاه مالم ينله غيره من الأطباء ، وولاه السلطان الكبير رئاسة أطباء ديار مصر بأسرها وأطباء الشام .

وقد أوصى الدخوار بأن يحول بيته ومكتبته بعد مماته الى مدرسة للطب لقبت بالدخوارية .

وتتلمذ ابن النفيس كذلك على عمران الاسرائيلى ، وكان طبيبا ذائع الشهرة ، زامل الدخوار فى البيمارستان الكبير .

وكانت طريقة تعليم الطب تمتاز بالتدقيق فى فحص المرضى ، وبمتابعة مظاهر المرض فى تطورها ، واستجابتها للعلاج ، وابداء الرأى سواء من الاساتذة أو الطلبة ، كل حسب ما يرى ، وما يمليه عليه فكره وعقله . وتلك هى الطريقة « الاكلينيكية » الصحيحة التى ابتدعها العرب لفترة طويلة قبل أن يأخذها عنهم الغرب .

وفى هذا الجو العلمى الصحيح المبنى على الخبرة ، والاصالةفى التفكير والبحث والتنقيب ، وابداء الرأى بحرية تامة ، نشأ ابن النفيس .

ابن النفيس فى مصر

عمل ابن النفيس فى المستشفى الذى أقام صرحه الناصر صلاح الدين الايوبي، والمسمى « بالناصرى » ، وتدرج فى مناصبه الى أن أصبح رئيسا لاطبائة ، وفتح باب داره على مصراعيه لطلاب العلم والعلماء ، وكان يحضر مجلسه الخيرة من أهل العلم .

ولقد درس ابن النفيس كتب جالينوس وابن سينا ، ولكنه كان يمحصها ،ويحكم فيها عقله ، ويبعد عن تلاميذه الاقوال التى يشك فى صحتها ، ولا ادل على ذلك من قوله « وأما منافع الاعضاء فانما يعتمد فى تعريفها على ما يقتضيه النظر المحقق ، والبحث المستقيم ، ولا علينا أوافق ذلك الرأى من تقدمنا أو خالفه » .

كلمات رائعة ، وتوصيات نابعة من عقل مجرب حكيم ، وما أجدرنا لو اهتدينا بها نحن الأطباء ، فليس كل ما قيل صحيحا ، وما زال كل باحث فى علم الطب يجد أن ما توصل اليه الآخرون فى زمن مضى ليس من الجائز أن يكون كله صحيحا ، بل يحتاج الى تمحيص واستقصاء وعلى هذا الأساس المتين كان ابن النفيس دائم الدرس والتجربة ، لا يقتنع برأى الا بعد التأكد منه . فأوصى بدرس التشريح المقارن ، تشريح الحيوانات المختلفة ، لكي يكون هناك ألمام بالاختلافات والتباين بين هذه الحيوانات . وكان من نتائج هذا البحث والتنقيب أن توصل الى الاكتشافات الآتية :

١ ــ كان ابن النفيس أول من اكتشف أن القلب يتغذى بواسطة شرايين منتشرة فى أجزاء القلب المختلفة . وبذلك يكون أول من اكتشف الدورة الدموية فى الشرايين التاجية أو الاكليلية للقلب .

٢ ــ أن هناك اتصالا بين أوردة الرئتين وشرايينها يتمم الدورة الدموية ضمن الرئة . وقد ادعى كولومبو الايطالي أنه أول من توصل الى هذا ، علما بأنه نشر هذا البحث بعد وفاة ابن النفيس بما يقرب من ٢٧٢ عاما .

٣ ـ اكتشف قبل « سارفيتوس » الذى نسب اليه هذا الاكتشاف ، أن جدران أوردة الرئة أسمك بكثير من جدران شرايينها .

٤ ـ وبكل تأدب واحترام لجالينوس نقد نظريته ، وقال لعلها تكون منقولة خطأ ، وقال فى أدب العالم الجايل : « ليس بين البطينين منفذ ، فان جرم القلب هناك سميك ليس به منفذ ظاهر ـ كما ظنه جماعة ـ ، ولا منفذغير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم ـ كما ظنه جالينوس ـ فان مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ .

٥ ـ بعد أن توصل لهذا الكشف هداه ذلك الى الكشف الخالد للدورة الرئوية « بعد أن يلطف الدم فى التجويف الايمن من القلب ينفذ الى الرئة ، وهناك يخالط الهواء ، ويرشح ألطف ما فيه ، وينفذ الى الشريان الرئوى (كما سماه) والمسمى الآن بالوريد الرئوى ، ليوصله الى التجويف الايسر ، وقد خالط الهواء، وصلح لأن يتولد منه الروح ، وما بقى منه أقل لطافة تستعمله الرئة فى غذائها.

وقد أكد كشفه هذا فى مواضع أخرى من كتابه « شرح تشريح القانون » حين قال « ان نفوذ الدم الى البطين الايسر انما هو من الرئة بعد تسخنه وتصعده من البطين الأيمن » .

مؤلفات ابن النفيس

الف ابن النفيس مؤلفات عدة . انتقد فيها جالينوس ، وشرح كتب ابقراط ، وشرح كتاب « القانون » لابن سينا ، وكان سريع التأليف ـ يروى أنه كان ذات مرة يستحم فى حمام ، وبينما هو كذلك اذ واتته حماسة التأليف فأمر بقلم وورق وأخذ يسطر ما جادت به قريحته ووضع مقاله المشهور عن « النبض » .

وهذه بعض مؤلفاته فى الطب

١ ـ كتاب الشامل فى الطب يقال أنه كان فى ٣٠٠ سفر بيض منها ثمانين سفرا وهى الآن بالبيمارستان المنصورى بالقاهرة ، وهو موسوعة كبيرة تضاهى كتاب الحاوى للرازى .

٢ ـ كتاب المهذب فى الكحل موجود فى مكتبة الفاتيكان .

٣ ـ كتاب المختار من الاغذية موجود فى مكتبة برلين ، يعنى بأنواع الغذاء فى الامراض الحادة .

٤ ـ شرح فصول أبقراط موجود فى مكتبات برلين ، واكسفورد ، وباريس ، وأياصوفيا .

٥ ـ تعليق على كتاب لأبقراط موجود فى أياصوفيا .

٦ ـ شرح تشريح جالينوس .

٧ ـ شرح كتاب القانون ، لابن سينا .

٨ ـ شرح مفردات « القانون » .

٩ ـ كتاب موجز القانون موجود منه نسخ فى باريس واكسفورد وفلورنسا وميونخ وكثرت ترجمته الى اللغات الأجنبية منها الهندية والتركية والعبرية والانجليزية .

١٠ ـ تفاسير العلل وأسباب الامراض .

١١ ـ شرح الهداية فى الطب .

١٢ ـ شرح تشريح القانون ، جمع ابن النفيس فيه الاجزاء الخاصة بالتشريح فى الكتابين الاول والثالث من القانون وعلق عليها من علمه وبحثه وما مارسه من تشريح ، وخلص من ذلك الى خمسة أبحاث فياضة بالعلم والمعرفة .

١ ـ البحث الاول . فى اختلاف الحيوانات فى الاعضاء .

٢ ـ البحث الثاني . فى فوائد علم التشريح .

٣ ـ البحث الثالث . فى اثبات منافع علم التشريح .

البقية على ص ٨٤

(يسمع عن بعد صوت حوافر حصان قادم ثم يقترب الصوت شيئا فشيئا)

صوت جندي : قف من أنت ؟

ـــ رسول أريد مقابلة الملك .

ـــ رسول من أيها الاعرابي حتى تقابل الملك ؟

ـــ أخبر قائد الحرس أنني أحمل رسالة من يثرب الى هرقل عظيم الروم . انتظر أدن حتى أعود اليك .

(يمضي عنه ويسمع صوته وهو ذاهب ثم يسمع صوت عودته)

جندي آخر : أين صاحب الرسالة ؟

الجندي الاول : ها هو ذا ينتظر .

الجندي الثاني : أقبل أيها الرجل وامض معي .

(يبتعدان)

(ثم يسمع قرع خفيف على باب) .

صوت من الداخل : أدخل

(يفتح الباب ويدخلان)

هل جئت بحامل الرسالة يا أريوس .

الجندي : ها هو يا سيدي .

الرسول : السلام عليك أيها القائد .

قصــــة العــــدد للاستاذ / عزت العزيزى

ــ لست القائد وانما أنا حاجبه ، فاجلس ها هنا ريثما يفرغ قائد الحرس القائد (ينصرف الرجل وينفرد الرسول بنفسه) .

الرسول هامسا لنفسه : يالله ما أعظم بناءهم ، وما أمتع أسوارهم ، وما أعجب رياشهم ، وتماثيل الاسود التى تخرج المياه من أفواهها .

الحاجب : (يدخل) هيا قم معى لتقابل القائد .

الرسول : هيا بنا .

(يسيران على فرش وثير ، ثم يفتح باب يدخلان منه ثم يتوقف مشيهما ويقرع الحاجب الارض بقدميه)

الحاجب : ها هو ذا الرجل الذى يزعم أنه يحمل رسالة من جزيرة العرب .

الرسول : الســلام عليك ايها القائد .

ــ الســلام عليك

(ينصرف الحاجب بعد أن يقرع الارض بقدميه)

القائد : من انت وما هى هذه الرسالة ؟

الرسول : انى . . . . وقد جئت برسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله الى هرقل عظيم الروم .

القائد : وهل صاحبك هذا ملك حتى يراسل الملوك ؟

الرسول : بل انه مرسل من عند الله بالدين الحق فهو يدعو كل انسان كبير أو صغير ليؤمن بهذا الدين .

القائد : لقد فهمنا أنه يطلب مساعدتنا كما يفعل الكثير من رجالاتكم ورؤسائكم . ولكن لم لا يأتي بنفسه كما فعل الكثيرون غيره ليطلب العون من ملكنا العظيم ؟ ان هرقل العظيم لا يرد من يأتيه أبدا ..

الرسول : أيها القائد الشجاع انني لا ألومك على ما قلت ، فقد اعتدتم معشر الروم ان تروا رجال العرب وزعماءهم جاثين عند أقدامكم يطلبون منكم العون أو النصر على بعضهم بعضا ، ولكنني ما جئت اليوم لمثل هذا ؟

القائد : اذن ما الذى تريد اذا لم تكن طالبا العون لصاحبك .

الرسول : أريد أن أقابل الملك العظيم هرقل .

القائد : أما زلت مصرا على أن تلقاه بنفسك ؟

الرسول : هكذا أمرني رسول الله عليه الصلاة والسلام ولن أخالف أمره . ومن أجل ذلك جئت الى ايلياء عندما لم أجده فى دمشق .

القائد : اذن سأعرض عليه أمرك فلعله يراك وما أظنه يفعل : اذ أنه ما قدم ايلياء الا طلبا لراحة نفسه من عناء العمل . فانتظر ريثما اعود .

الرسول : (متحدثا الى نفسه) أتراه يسلمنى الى حاجب جديد قبل أن أصل الى الملك ؟ . أين هذه الابواب والاسوار والحراس والحجاب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نلقاه فيه أنى نريد ، فلا أسوار ولا حجاب . ما أعظم شوقي لأرضه المفروشة بالحصى فهي أحب الى من هذه الرياش وناعم البسط .

(يعود القائد)

القائد : من حسن حظك أن مليكنا العظيم قد أهتم لأمر رسالتك ، وقبل أن يراك اليوم بل وفى هذه الساعة ، ولعلك لا تجهل أصول مقابلة الملوك ؟

الرسول : انني لا أجهل ذلك فقد علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم كيف نقابل الملوك وكيف نقابل السوقة كذلك .

القائد : اذن هلم معي ولا تنس أنك ستكون فى حضرة ملك عظيم تنحني له الملوك فافعل كما ترانى أفعل .

(يسمع صوت مسيرهما ثم يفتح باب ويدخلان منه)

القائد : سيدى ومولاى هذا هو الرجل الذى يحمل الرسالة ـ ثم هامسا للرسول ـ انحن ويحك ..

الرسول : السلام عليك أيها الملك العظيم ورحمة الله

الملك : وعليك السلام . أذن يا أخا العرب واجلس ههنا (صمت) وأين الرسالة ؟

الرسول : ها هي

(يأخذ هرقل الرسالة ويفتحها ويقرأ)

الملك : من(١) محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الروم ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، والسلام .

ملتفتا للرسول .

وما هو الاسلام الذى يدعو اليه صاحبك فى هذه الرسالة أيها الرجل ؟ وأنى لي أن أعرفه ؟

الرسول : لذلك أرسلني اليك أيها الملك .

---

(١) هذا نص الرسالة كما رواه الامام البخارى فى صحيحه

أفتأذن لي ؟
الملك : نعم أخبرني ما هو الدين الذى يدعو اليه ؟
الرسول : انه الاسلام وأول مبادئه الايمان بالله وحده خالقا ومبدعا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وأن محمدا عبد الله ورسوله أرسله الله بالدين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور .
الملك : ماذا أمركم غير هذا ؟
الرسول : أمرنا أن نصلي لله خمس صلوات فى اليوم ، وأن نصوم لله شهرا فى السنة . وأمرنا أن نحج لبيته الحرام بمكة . كما أمرنا بأن نخرج من أموال أغنيائنا ما نسد به عوز فقرائنا وحاجتهم وأمرنا بالصدق والبر ومكارم الاخلاق ، ونهانا عن الكذب والاثم والظلم وقطيعة الرحم وسوء الاخلاق .
الملك : وماذا قال لكم عن عيسى ابن مريم وأمه ؟ .
الرسول : قال انه عبد الله ورسوله وان جميع الانبياء والرسل اخوة لا نفرق بين أحد منهم .
الملك : أخبرنى كيف يكون محمد فيكم ؟
الرسول : انه كواحد منا لا يميز نفسه عنا بشيء مع انه لا يستطيع احدنا أن يمد البصر اليه من هيبته .
الملك : انني فى عجب من أمرك أنت فاني لا أراك مبهورا ولا خائفا وعهدى بقومك غير ذلك فان أحدهم يقف أياما على باب تابع من اتباعي كملوك غسان لينال منحة من أبل أو عرضا من ذهب وفضة .
الرسول : صدقت ايها الملك فقد كنا لكم ولغيركم تبعا ، وكنا نقف على ابوابكم وأبواب سواكم ، وكنا متفرقين مختلفين نقطع الطريق ونظلم الضعيف ، ويقتل بعضنا بعضا ، ثم جاءنا هذا الرسول الكريم بكتاب من عند الله فأخرجنا من الظلمات الى النور ، وأبدلنا بالفرقة وحدة ، وبالذل عزا فما عاد العرب اتباعا لاحد ، بل هم بالاسلام هداة للبشر .
الملك : أبلغ صاحبك ورسولك خيرا فاني سائل عنه ، ومتحر أمره ، وعسى الله أن يأتي بالخير .
صوت نسائي : انك لست كعادتك اليوم يا مليكي أفلا تحدثني بما أشغلك ؟ كأنك لا تسمعني هل ساءك مني شيء ؟ أنسيت أن الليلة ليلة العيد ؟
الملك : العيد ؟ أى عيد .. نعم انه العيد .
المرأة : أنسيت كذلك أننا سنخرج غدا بالموكب الكبير ، وأن الناس وفدوا الى ايلياء من كل صوب ليشهدوا العيد والموكب ؟ وأنت تتقدم الجموع حتى الكنيسة الكبرى ؟
الملك : مارتينا . أصدقيني ولا تخفي على هل تشكين بايماني وديني ؟
مارتينا : ما هذا الذى تقول ؟ ومن ذا يشك بايمانك ودينك وأنت حامي الكنيسة وراعي الدين .
الملك : اني لأعلم يا مارتينا صدق حبك لي واخلاصك .
مارتينا : أو تشك فى ذلك أيضا ؟
الملك : مهلا ولا تتعجلى يا مارتينا . أن أمرا خطيرا هو الذى يهزنى ويقلقنى ، ويثير فى نفسي شكوكا ظننتها زالت وتلاشت ، فاذا رسالة تحرك ما كان ساكنا وتبعث ما كان راقدا .
مارتينا : أهي من القسطنطينية ؟ هل حدث فى غيبتنا عنها شيء ؟
الملك : لا . انها أبعد من ذلك انها من جزيرة العرب ، من رجل يزعم أنه رسول من عند الله جاء بدين جديد وهو يدعوني وسائر شعوب مملكتي لدينه .

مارتينا : أهذا ما أقلقك ؟ ومتى بلغت الجرأة بعربي مثل هذا المبلغ ؟ ومتى كان لهؤلاء العرب دين وأنبياء ؟ مر ملك الغساسنة يؤدب لك هذا النبي فجميع العرب تدين له وهو تابع لك لا يخالف لك أمرا .

الملك : ألم أقل تمهلي ولا تتسرعي فما جئت أنشدك الرأى فى السياسة أو المشورة فى الحرب فما انا بالعاجز أو الجبان لو كان الامر للسيف أو الحيلة السياسية .

مارتينا : معاذ الله أن أشك أو يشك أحد فى جرأتك وحكمتك وانت الذى اعاد للامبراطورية وحدتها وهيبتها ، ولكني لم اتمالك نفسي وأنا أراك مهموما حائرا وأنت الذى لم تبال بأعظم الاخطار .

الملك : ألا تذكرين يا مارتينا حديث أبيك قبل عشرين سنة فى مجمع القسطنطينية .

مارتينا : اني لأذكر أنه قال قولا غضب له أكثر المجتمعين ، وطالبوا بخلعه عن رئاسة الكنيسة فى القسطنطينية ، ولكني لا أذكر تفصيل قوله ، فأنت تعلم أني ما كنت معنية كثيرا بأمور الدين رغم منزلة أبي فى الكنيسة .

الملك : لقد قال انه يوشك أن يبعث رسول ان لم يكن قد بعث فعلا ، وان ما يبعث به سيفض كل نزاع ، ويحسم كل خلاف .

مارتينا : آه لقد فهمت ، أو تظن أن هذا العربي هو من عناه أبي ؟ أولا يجد الله غير رعاة الابل والغنم يبعث بهم ؟

الملك : لو غيرك قال هذا يا مارتينا كأنك لم تكوني بنت قديس القسطنطينية وحبر الكنيسة العظيم . ومن هم رسل الله فى كل عصر ؟ ألم يرع موسى الغنم أجيرا لشعيب ، أو لم يرب عيسى فى بيت نجار فقير .

مارتينا : اني لأذكر حقا أن أبي حدثني يوما بحديث النبي المنتظر فلو كان حيا رحمه الله لانبأنا اليقين .

الملك : ولكنا لن نعدم رأيه حتى بعد موته ، فأنت تعلمين كم كنت أجله وأقدر علمه . ولقد أعطاني رحمه الله كتابا فيه تفصيل هذا الامر ، ووصف للنبي المنتظر ، كما أخبر عنه الانبياء والرسل من قبل .

مارتينا : ترى هل كان هذا العربي كما وصف النبى فى ذلك الكتاب .

الملك : هذا ما أريد أن أعرفه ولا أدرى كيف أصل اليه ؟ أأرسل من يأتيني بحقيقة أمره ؟ ومن يصلح لمثل هذا الامر من الرجال ؟

مارتينا : أليس فى الاعراب والتجار الذين يفدون من جزيرة العرب من يمكنك أن تركن اليه وتعرف منه الحقيقة .

الملك : لعمرى ان هذا هو الرأى ، فعلنا نجد من هؤلاء من ليس على دينه فلا يزيد فى أمره ، ولا يصفه بما ليس فيه تعصبا . سآمر منذ اليوم أن يأتوني بكل من يقدم من بلد هذا الرجل .

(ومرت أيام)

زخرياس : مولاى الملك عمت صباحا .

الملك : ما وراءك يا زخرياس

زخرياس : لقد نفذت أمر مولاى وأحضرت عددا من عرب مكة قدموا فى قافلة كبيرة من جزيرة العرب ، كما أرسلت لجميع أنحاء ولاية ايلياء بأن يرسلوا كل قادم من جزيرة العرب يمر بهم .

الملك : لعلنا لا نحتاج لغير هؤلاء ، فهل سألتهم ان كانوا يعرفون ذلك الذى يدعى النبـوة ؟

((البقية فى العدد القادم))

الى جميع الموضوعات التى استعمل فيها القرآن الكريم هذا الطراز من النهايات المقصورة ، لندرك تلك الوفرة الغزيرة التى تعج بها سور القرآن الكريم ، وهنا اطمأن الدكتور مهدى علام على نظريته ، وارتحنا معه لصحة هذه النظرية ، وأصبح الاعتقاد جازما من أن هذه الوفرة هى التى مهدت للقافية المقصورة ذيوعها بين شعراء المسلمين .

اذا قرأت معى هذا الروى ، لا بد أن تقتنع بتأثيره فى القرآن الكريم على الشعر العربى . استمع الى قوله تعالى فى سورة الأعلى « سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى . سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى . فذكر ان نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى . قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . ان هذا لفى الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى » .

وردد معى قوله تعالى فى سورة الليل : « والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى . ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . فأنذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الأشقى . الذى كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى » .

ثم نستطيع بعد ذلك تتبع هذا الروى فى القرآن الكريم ، وهاك ثبت بأرقام جميع الآيات القرآنية التي جاءت مسجوعة بروى المقصور :

(١) سورة طه : الآيات ١ — ٢٤ ، ٣٦ — ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ — ٧٧ ، ٧٩ — ٨٤ ، ١١٦ — ١٢٤ ، ١٢٦ — ١٣٥ .
(٢) سورة النجم : الآيات ١ — ٢٧ ، ٢٩ — ٥٦ .
(٣) سورة المعارج : الآيات ١٥ — ١٨ .
(٤) سورة القيامة : الآيات ٣١ — ٤٠ .
(٥) سورة النازعات : الآيات ١٥ — ٢٦ ، ٣٤ — ٤١ .
(٦) سورة عبس : الآيات ١ — ١٠ .
(٧) سورة الاعلى : الآيات ١ — ١٩ (جميع السورة) .
(٨) سورة الليل : الآيات ١ — ٢١ (جميع السورة)
(٩) سورة الضحى : الآيات ١ — ٨ .
(١٠) سورة العلق : الآيات ٦ — ١٤ .

ويمكننا أن نخرج اخيرا من هذا البحث فيما يأتى : —

عرفت القافية المقصورة فى العصر الجاهلى ، فى صورة أقرب الى التجربة ، فقد ظهر منها القليل ، وفى أبيات قليلة ثم جاء القرآن بوفرة ما فيه من هذا الروى الذى على نسق القافية ، وأثار هذا انتباه الشعراء ، ثم جاء أحدهم مثل (الحلوانى) فاتخذ هذه القافية لقصيدة طويلة ، سماها هو أو معاصروه (المقصورة) . وجاء ابن دريد وهو الأستاذ المتعمق فى اللغة والشاعر البارع ، فحاكى شعراء المقصورة المتقدمين عليه ، وانشأ مقصورته التي أصبحت النموذج المعروف للمقصورات ، واسترعى هذا الفن نظر الشعراء ، فحاكوا ابن دريد ، وقد بلغوا فيه درجات مختلفة من الاجادة ، ثم كانت مقصورة القرطاجنى التي تعد من أروع المقصورات وأطولها . والفضل بعد هذا كله فى نشأة هذا الفن يرجع الى ترديد هذا الروى بكثرة ووفرة فى القرآن الكريم ، وهذا واحد من تأثير القرآن الكريم فى الشعر العربى .

٤ ــ البحث الرابع . فى المبادىء التى بها يستخرج العلم لمنافع الاعضاء بطريقة التشريح .

٥ ــ البحث الخامس . فى ماهية التشريح وآلامه .

مؤلفاته الدينية

ولم يقتصر ابن النفيس على تأليفه فى الطب بل تعداها الى علوم كثيرة شأنه فى ذلك شأن غيره من علماء عصره ومن سبقه أمثال الرازى وابن سيناء ، فنراه وقد ألف كتبا دينية منها .

١ ــ الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية .

٢ ــ مختصر فى علم أصول الحديث .

٣ ــ فاضل بن ناطق ، وهو جدال فقهى يرد فيه على مؤلف ابن سينا « حى بن يقظان » .

من هذه المؤلفات تظهر شخصية ابن النفيس جلية واضحة ، ولا غرو فقد لقب بابن سينا الثاني . فلقد كان العالم الفذ الذى جادت بـه الامة العربية الاسلامية على عالمنا ، فشع نور معرفته، ومهد الطريق لمن سلكه من بعده من العلماء أمثال سرفيتوس الايطالى وهارفى الانجليزى الى أن توصلنا الى ما وصلنا اليه من معرفة فى الدورة الدموية .

ومما يلحظه الباحث لابن النفيس ثقته التامة بنفسه ، واعتداده بعلمه وخبرته وبما قدمه للانسانية فى هذا المجال وتلك احدى مميزات العالم الخبير ،ولعل ذلك يظهر جليا من قوله . « لو لم أكن واثقا يوما من أن كتبى ستعيش بعدى مدة عشرة آلاف سنة لما كتبتها » .

وفى « مسالك الابصار لأخبار ملوك الامصار » كتب على بن أبى الحزم عن ابن النفيس « هو الامام الفاضل الحكيم العلامة علاء الدين بن النفيس القرشي الدمشقي فرد الدهر وواحده ، وأخو كل علم ووالده ، امام الفضائل ، وتمام الاوائل ، والجبل الذى لا يرقى علاه بالسلالم ، لم يبق الا من اغترف منه غرفة بيده ،وأخذ منه حلية لمقلده ، حل مصر فى محل ملكها ، ونسخت لياليها باشراقه صبغة حلكها ، ولم يكن على علم واحد بمقتصر ، ولا شبهه بالبحر الا مختصر »

وفاته

مرض ابن النفيس ستة أيام أولها يوم الاحد ، وتوفى فى سحر يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) . ولقد أشير عليه قبل موته بأن يتناول شيئا من الخمر فقال . « لا ألقى الله تعالى وفى باطنى شيء من الخمر » فكان يجمع مع علمه تقاه وخشيته من خالقه .

ولم يفته قبل وفاته أن يوقف داره الفخمة ، وكتبه ومؤلفاته العديدة على البيمارستان المنصورى فخدم العلم فى حياته وبعد مماته .

هذه صورة رائعة لعالم عاش فى كنف الاسلام ، نبغ فى علمه ، وكرس حياته فى خدمته .. ولا غرو فى ذلك ، فهذا شأن العلماء العرب الذين خدموا الانسانية ، وقدموا لها من دمهم وعرقهم وجهدهم أجل الاعمال ، ورفعوا من شأن العلم صرحا باقيا على مر الاجيال . وسبقوا غيرهم فى كل مضمار ، وعلى مائدتهم تعلمت أوربا ، ونهضت نهضتها التى منها نأخذ الآن .

فالى جيلنا الحاضر أقدم ابن النفيس أحد بناة هذا الصرح ليبنى شبابنا كما بنى الاوائل ، وينهضوا كما نهضوا ، ويعيدوا لامتهم مجدا كان لها فى سالف العصور .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

زوجة المفقود

السؤال : ـ

زوجة ذهب زوجها الى الحرب ثم أشيع أنه قتل ومضت فترة طويلة لم يعد فيها وانقطعت أخباره مما جعل أهله وزوجه يقطعون بوفاته ، ولهذا عقدوا لزوجته على أخيه ودخل بها وانجبت منه ولدا ثم عاد زوجها الأول . وتبين أنه كان أسيرا لدى الأعداء .

فما حكم زواجها من أخيه وما حكم الولد الذى جاء نتيجة لهذا الزواج ؟ .

آدم سوار الذهب ـ الأبيض / السودان

الاجابة : ـ

هذا الزوج الذى ظهر أنه حى بعد اشاعة قتله يعتبر فى المدة التي غابفيها مفقودا ، اذ المفقود هو غائب لا يدرى مكانه ولا يعلم موته أو حياته وللزوجة ان غلب على ظنها وفاته أن تلجأ الى القضاء للحكم بموته بناء على قرائن أو بينة ، فاذا حكم القضاء كان عليها أن تعتد ثم تتزوج بمن تشاء بعد انقضاء العدة فاذا ما ظهر أن الغائب على قيد الحياة اعتبر عقد الزواج باطلا لذلك ويفسخ عقد زواجها الثانى ، اذ الحقيقة لا يغيرها الحكم لكن الحكم يسقط الحد .

وبما أن هذه الزوجة نعى اليها زوجها بناء على اشاعة وغلبة ظن ، ولم تتوجه الى القضاء لاجراء تحقيق حتى يحكم بوفاته ، بل تزوجت بأخيه بناء على الاشاعة ، وقد تحقق فيما بعد خلافها بوجود زوجها **فعلا على قيد الحياة فيكون زواجها بالثاني باطلا ، اذ المقرر شرعا عند جميع الفقهاء أن من شروط عقد** الزواج أن تكون الزوجة محلا للعقد وهى هنا ليست كذلك .

أما بالنسبة لنسب الولد فانه ينسب الى الثاني اذا علم يقينا أنه منه ولا يجوز ان ينسب الى الأول ، اذ المقرر شرعا أن الولد يثبت نسبه من نكاح فاسد أو وطء بشبهة اذا جاءت به لتمام ستة أشهر من حين الوقاع .

وبما أن الثاني تزوجها بناء على غلبة الظن لوفاة زوجها (أخيه) فيكون وطؤه لها بشبهة ومن ثم فيسقط عنه الحد ويفسخ العقد وتعود لزوجها الاول ويكون نسب الولد للثاني بالشروط السابقة .

عدة المتوفى عنها زوجها واحدادها

السؤال : ـ

امرأة توفى عنها زوجها ولم تعلم وفاته الا بعد أيام فمن أى تاريخ تبدأ عدتها وماذا يحرم عليها اثناء العدة ؟ وهل يحرم عليها الخروج ، ونظر الأجانب اليها .

(س . ك . ع)

الاجابة : ـ

المقرر شرعا أن عدة المتوفى عنها زوجها تبدأ من تاريخ وفاته ـ لأن سبب العدة هو الوفاة فيكون ابتداؤها عقب وفاته مباشرة ولو لم تعلم الزوجة بوفاته الا بعد مدة فلو كان الزوج غائبا مثلا أو هى غائبة

وتوفى ولم تعلم بوفاته وكانت المدة بين الوفاة وعلمها كافية لانقضاء العدة فتعتبر العدة منقضية ، وعدة المتوفى عنها زوجها وضع حملها أن كانت حاملا أو أربعة أشهر وعشرا ان لم تكن حاملا .

ويحرم عليها اثناء العدة الزينة المعتادة ولبس كل ما يلفت النظر اليها ، والخروج بدون عذر ، ويجوز لها الخروج لقضاء مصالحها أثناء العدة مطلقة أو متوفى عنها زوجها لما روى عن جابر قال : طُلِّقت خالتى ثلاثا فخرجت تجذ نخلها فلقيها رجل فنهاها فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخرجي فجذى نخلك لعلك أن تتصدقى أو تفعلى خيرا . رواه النسائي وأبو داود (ص ٥٢٤ المغنى لابن قدامه) . وهو رأى الحنابلة .

ونأخذ من قوله تعالى بعد أن ذكر عدة المتوفى عنها زوجها . « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خِطْبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » (الآية ٢٣٦ من سورة البقرة) .
نأخذ من هذه الآية ان للأجانب النظر الى المعتدة عدة الوفاة والتحدث معها الى حد التعريض لها بالرغبة فى خطبتها لا التصريح ..

كما أن الحديث السابق يفيد ذلك بالنسبة للمطلقة اذ لم ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم عليها محادثة الرجل لها ولا خروجها لجذ نخلها . لذلك نفتيك .

١ ـ بأن عدة المتوفى عنها زوجها تبدأ من تاريخ الوفاة ولو لم تعلم الزوجة بوفاته .
٢ ـ وأنه يحرم على المعتدة التزين ولبس كل ما يلفت النظر اليها .
٣ ـ وأنه لا يحرم عليها الخروج لقضاء مصالحها .
٤ ـ ولا مانع من نظر الأجانب اليها والتحدث معها ما دام ذلك يتم فى الحدود المشروعة من حيث الملبس والنظر بدون قصد سيء ، لا فرق فى ذلك بين معتدة وغير معتدة .

فى الوصية

السؤال : ـ

أوصى شخص حال صحته من ثلث ماله الى من تجوز لهم الوصية ثم أصيب بجنون قبل الوفاة .
فما حكم الشريعة فى هذه الوصية .

ع ـ خ / الكويت

الاجابة : ـ

الوصية شرعا تصرف فى التركة مضاف الى ما بعد الموت بطـريق التبرع ـ والمـراد بالتركة ما يخلف فيه الوارث المورث مالا كان أو منفعة أو حقا من الحقوق الأخرى المتعلقة بالمال التي تنتقل من المورث الى الوارث كحقوق الارتفاق ونحوها .

ويشترط فى الموصى أن يكون أهلا للتبرع حرا بالغا عاقلا مختارا ـ فلا تصح وصية المجنون حال جنونه حتى لو أفاق ومات بعد افاقته لانعدام الأهلية وقت الوصية ، واذا أوصى حال افاقته ثم جن فقد ذهب بعض الفقهاء الى بطلان وصيته ان كان جنونه مطبقا اتصل بالموت اذ الأصل فى صحة الوصية أن يبقى الموصى أهلا حتى الوفاة،ويمكنه الرجوع عنها أو المضى فيها لانها شرعت لتكون وسيلة الى القربة بعد الموت وليصل الانسان بها من يحب فاذا طرأ على الموصى ما يلغى أهليته للوصية وما يمنعه من استعمال حقه فى الرجوع عنها كالجنون مثلا ـ كانت باطلة كما تبطل الوصية أيضا اذا مات الموصى له قبل موت الموصى .

وذهب البعض الآخر من الفقهاء الى أن الشخص اذا أوصى وهو كامل الأهلية صحت وصيته ، ولو أصابه جنون بعدها استمر الى وفاته ـ لأن الوصية متى نشأت والموصى كامل الأهلية لا تبطل بزوال الأهلية حتى لو اتصل زوالها بالموت استنادا الى أن الجنون الطارىء لا يبطل التصرفات السابقة عليه .
والذى نراه أن الوصية متى نشأت . والموصى كامل الأهلية لا تبطل بزوالها حتى لو اتصل زوالها بالموت .

اشراف رضوان البيلي

السُّنَّة النبويّة مبينة للكتاب الكريم .

البِرّ خط الدفاع الأوّل عن الانسانية .

أرسل الشاب أحمد المختار محمد حسين الطالب بمدرسة أبو كبير الثانوية – ج٠ع٠م – رسالة جاء فيها .

أتوقف أثناء مطالعاتي فى السنة النبوية عند أحاديث لا أستطيع التوفيق بينها وبين بعض الآيات . من ذلك قول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – : لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر . فكيف يستقيم معنى هذا الحديث الصحيح مع معنى الآية الكريمة « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » فالحديث يفيد أن البر يطيل العمر ، ويزيد فى الأجل ، والآية الكريمة صريحة كل الصراحة فى أن الأجل اذا حان حينه لن يمتد ، أو يزيد .

السنة النبوية – يا سيدى – وهى مجموع ما صح اسناده للرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقرير – مصدقة للقرآن الكريم ، مبينة له ، مفصلة لمجمله ، موضحة لمقاصده ، كاشفة عن حلاله وحرامه هادية الى أخلاقه وآدابه ، ومحال أن يوجد فيها ما يخالفه ، أو يعارضه ((وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)) .

وهذا الحديث الذى وقفت عنده ، وبدا لك أنه يتعارض مع الآية الكريمة واحد من عدة أحاديث يبدو عند النظرة العابرة أنها لا تتسق فى المعنى مع بعض الآيات . نذكر منها الحديث الشريف ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله)) مع قوله تعالى ((ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) وقوله عليه الصلاة والسلام ((انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)) مع قوله عز وجل حكاية عن زكريا عليه السلام ((وانى خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب)) . وقوله سبحانه ((وورث سليمان داود)) . وكذلك ما جاء فى الحديث من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه مع قوله عز من قائل ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) .

وقد تتبع السلف الصالح هذه الأحاديث ، ووضعوها بجانب الآيات ، وناقشوا معطيات الأحاديث ومعطيات الآيات ، فلم يجدوا بينهما بينية . لم يجدوا الا كمال التوافق والتأييد ، وماذا يمكن أن يكون غير ذلك ، وكلاهما وحى الله . هذا وحيه المنزل فى آياته ، وهذا وحيه المجلو فى أحاديث رسوله ((ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)) .

والزيادة التى تضمنها الحديث موضوع هذه الرسالة ورد معناها فى موضع آخر من كتب السنة بلفظ . من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ – يؤخر – له فى أجله فليصل رحمه)) .

والزيادة فى الروايتين لا تمت بصلة الى الزيادة الزمنية التى تقدر بالدقائق والساعات – كما يسبق الى الفهم – لأن القرآن الكريم قد حسم الأمر فى هذا ((فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) ومن أجل هذا تعين أن يكون للزيادة فى الحديث معنى آخر أبقى وأخلد غير الاعتبار الزمنى الذى يفقد قيمته الحقيقية – مهما امتد وتطاول – اذا تجرد من النفع ، وعرا من الثمر ، ومما يشير الى هذه الحقيقة ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أن من علامات الساعة أن يتقاصر الزمان حتى تصبح السنة كالشهر والشهر كأسبوع والأسبوع كيوم .

واذا كانت القيمة الجوهرية للزمن أو للعمر تقوم بحصيلة المبرات والصالحات التي تكتسب فيه تعين أن يكون المراد بالزيادة ضخامة هذه الحصيلة وكثرة المبرات والاعمال الباقيات ، فتعمر حياة الانسان البار بجلائل المحامد وخوالد المآثر حتى تكون الليلة الواحدة من عمره خيرا من ألف شهر .

والرسول الكريم حين يقول . ((ولا يزيد فى العمر الا البر لا يحبسه فى حدود اللقمة واللقيمات والفلس والدرهم ، ولا فى نطاق الجنس واللون والعصبية والمذهبية ، وانما يعنى البر الذى يتسع ويمتد ، فيشمل جميع صور العون الذى يسد حاجة البشرية حسبما تقتضيه ظروفها المتطورة عبر القرون والأجيال . العون المادى . نقدا كان أو عينا . بالمال بالكساء بالمواد الغذائية ، والعون العلمى . بالخبرات والمهارات . بالأطباء بالمهندسين بالعلمين باقامة الجسور ، بانشاء السدود . باستصلاح الأراضي . باكتشاف ينابيع الثروة لتحرير الشعوب المتخلفة من الجوع والجهل والمرض .

وما من شك فى أن البر الفردى والجماعى – هو خط الدفاع الأول الذى يهىء للانسانية حياة عريضة هادئة مطمئنة ، ويقيها شرور موجات السخط الناجمة عن الحرمان ويحميها من الأوبئة الخطرة المجتاحة التى تنمو وتتكاثر فى محاض الفاقة وسوء التغذية .

ومن هذا يتبين أن الزيادة الحقيقية فى العمر هى الزيادة فى الأعمال المثمرة المنتجة . الزيادة فى الكيف لا فى الكم . اذ ليس الانسان أثرا من الآثار يقدر عمره بما مر عليه من القرون والأجيال ، والذاهلون عن وجودهم هم الذين يحسبون حياتهم بدءا بلحظة ميلادهم ونهاية بلحظة وفاتهم ، ويقومونها عرضا بما أفادوه فى هذه الفترة من متع لا تتجاوز ذواتهم وكيانهم المادى ، وأنانيتهم المسعورة ، وما عليهم بعد ذلك

أن يشيعوا الى مقرهم الأخير باللعنات ، أو يصبحوا نسيا منسيا ، ليس لهم ذكر باق ولا أثر خالد ، ولا عمل مبرور ((فما بكت عليهم السماء والارض)) وأمثال هؤلاء لا يفرح المجتمع بحياتهم ، ولا يأسى على فقدهم . يستوى عنده وجودهم وعدمهم ، وطول أعمارهم وقصرها ، لأنهم عاشوا لأنفسهم لا يحسون للمعروف طعما ، ولا يجدون للبر لذة .

بقى أن نشير الى سر التعبير فى الحديث بالزيادة فى العمر دون البركة فيه مثلا ذلك أن الانسان مطبوع على الحرص على المال والحرص على العمر كما جاء فى الحديث ((يشب ابن آدم وتشب فيه خصلتان . الحرص على المال والحرص على العمر)) والمال أبرز وسائل البر ، ولن يسخو به الانسان الا اذا وجد عوضا ومكافاة تعد له أو تفوقه ، وأعز أمانى الانسان أن تمتد حياته ، ويطول عمره .

لعلك ــ يا سيدى ــ بعد هذا البيان قد وضح لك أنه ليس فى السنة النبوية ما يتعارض مع الكتاب الكريم ، وأن المقصود بالزيادة فى العمر أن تحفل حياة البار بالباقيات الصالحات وأن الناس لا تطيب حياتهم الا اذا بر غنيهم فقيرهم ، وأعان قويهم ضعيفهم ، وثقف عالمهم جاهلهم ، وتعاونوا على البر والتقوى .

الحديث المتواتر وحكم منكره

ما هو الحديث المتواتر ، وما حكم المسلم اذا أنكره

سعيد ماجو ــ موريتانيا

الحديث المتواتر حديث صحيح رواه جمع يحيل العقل والعادة اتفاقهم على الكذب عن جمع مماثل لهم فى هذه الصفة من ابتداء الرواية الى من أخبروا بقول النبى صلى الله عليه وسلم أوفعله، أو حال من أحواله .

واذا كان الحديث الذى يرويه كل واحد من هذا الجمع طبقة عن طبقة مطابقا لما يرويه الآخر فى لفظه سمى هذا الحديث متواترا لفظا ، ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم ((من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) فقد رواه العدد الجم من الصحابة رضوان الله عليهم وحكى النووى فى شرح مسلم أنه ورد عن مائتى صحابى منهم العشرة .

أما اذا كان الحديث المروى عن هذا الجمع مختلفا فى اللفظ فقط دون المعنى بأن اتفقت الروايات كلها على معنى مشترك بينها مع اختلافها فى الألفاظ الدالة على هذا المعنى ــ سمى متواترا معنويا ، ومن أمثلته حديث رفع اليدين فى الدعاء ، فقد ورد فيه مائة حديث ، ولكنها فى مناسبات ووقائع مختلفة ، وكل مناسبة منها لم تتواتر الا أن القدر المشترك بينها وهو الرفع متواتر بالنظر الى مجموع الروايات .

ومنكر الحديث الذى انعقد الاجماع على تواتره كافر ، وهذا هو الحكم فى انكار كل ما أجمع المسلمون على اسناده للرسول صلوات الله وسلامه عليه كعدد الصلوات الخمس وركعاتها ، ومناسك الحج من طواف ووقوف بعرفة .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

لتاريخ الهجري

يتحدث الشيخ أحمد حمدى الطاهر من جبل عمان بالأردن عن الهجرة النبوية أسبابها ونتائجها . ويتناول بالتفصيل سبب اعتبار الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي فيقول :

أما سبب وضع التاريخ الهجرى ما رواه الحاكم من طريق الشعبي أن أبا موسى الأشعرى كتب الى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ــ انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس يستشيرهم فقال بعضهم : ارخ ببعثة الرسول الأعظم . وقال بعضهم : أرخ بمولده الشريف . وقال البعض الآخر : أرخ بالهجرة .

فاستصوب عمر هذا الرأى وقال مقالته المشهورة : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها .

وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة . فلما اتفقوا . قال بعضهم ابدأوا برمضان فقال عمر بل بالمحرم فانه بعد منصرف الناس من حجهم ، ولأنه يتفق مع أول السنة القمرية فاتفقوا عليه .

وبذلك اختار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه المحرم ليكون مبدأ التاريخ الاسلامي لأنه كان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة . وقال كلمته الخالدة : الهجرة فرقت بين الحق والباطل . فقد ورد عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال ــ ما عدوا من مبعث النبى ولا من وفاته ، ما عدوا الا من مقدمه المدينة ــ رواه البخارى .

اختار عمر الفاروق بثاقب رأيه وبالغ حكمته الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي ليذكر المسلمون فى مفتتح كل عام هجرة البطولة والمجد والتضحية والفداء والايمان والايثار . ليذكر المسلمون أسباب الهجرة ونتائجها وآثارها وعبرها . فيمسكوا بأسباب العزة والقوة من منابعها الاصلية .

وما أحرانا أن نحيى التاريخ الهجرى فى تأريخنا ومعاملاتنا وأحكامنا ومراسلاتنا وبذلك نحيى تراثنا ونستشعر كرامتنا . وكم من المؤسف أن كثيرا من البلاد الاسلامية والعربية التي ابتليت بالاستعمار الغربي ردحا من الزمن ، وقد من الله عليها بالاستقلال والحرية ما زالت تابعة للاستعمار فى كثير من أشكاله ومفاهيمه ومنها التاريخ الغربي .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن كلية الفقه بالنجف الأشرف أرسل الينا الشيخ فاضل الحسيني الميلانى كلمة يتحدث فيها عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وصلة الحسبة بهما ، وينبه المسلمين الى ضرورة تطبيق وتنفيذ هذا المبدأ الذى صلح به أمر المجتمع الاسلامي فى عصوره الزهرة فيقول :

ان ايقاظ الوعى الاسلامي الذى يتلخص فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان عند المسلمين السابقين بمكان ، فاحتل جانبا مهما من الكتب الاسلامية . فبينما نجد الفقهاء يبحثون عنه فى الكتب الفقهية بصورة مفصلة ، نجد علماء الكلام يبحثون ويطيلون الحديث عنه ، ولم يقف الأمر عند هؤلاء ، بل اننا نجد علماء الأخلاق يدرجونه ضمن المسائل الأخلاقية الأساسية . فلقد تطرق الغزالي فى الجزء الثاني من كتابه (احياء العلوم) الى مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى ٥٠ صفحة من القطع الحجرى الكبير ، وتناولها باسهاب .

ونستنتج مما تقدم أن هذا الموضوع الحساس هو من أهم مسائلنا الاجتماعية . وهو بحاجة الى توعية شاملة للأخذ به وتطبيقه من قبل المسلمين .

ويشير التاريخ الاسلامي الى وجود دائرة مستقلة عن جهاز الخلافة والقضاء باسم (دائرة الحسبة) .

وكانت قائمة على أساس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ويرجح أن نشوء هذه الدائرة كان فى القرن الرابع الهجرى .

وقد أدرج الفقهاء أحكام الحسبة تحت عنوان باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واذا راجعنا التاريخ نجد أن الحسبة كانت تفعل ما لا يفعله القضاء أحيانا . فهي مضافا الى أعمال البلديات كانت تقوم بأعمال الشرطة ، والرقابة على التوجيهات الدينية كالرقابة على المنابر لئلا يروى الخطيب حديثا كاذبا ، أو يموه على الناس أحكاما ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن هنا نعرف أن نشاط دائرة الحسبة كان واسعا الى درجة كبيرة ، مما يمكننا من أن نعدها وجها للتنظيم الادارى فى أبسط صوره عند المسلمين .

ان المجتمع الاسلامي ما قام الا على أساس تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ولن تصلح المفاسد المنتشرة فى مجتمعنا الحاضر الا بالأخذ بنفس المبدأ عملا بقوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

السلطان المظلوم

وهذه كلمة حق يسطرها الأستاذ عبد الرحمن صديق المدرس بمدرسة وهران بكركوك ــ ينصف بها السلطان عبد الحميد من أعدائه أعداء الاسلام فيقول :

كثيرون مظلومون فى تاريخنا الاسلامي نتيجة انحياز المؤرخين الأجانب والمستشرقين ، ومن بين الذين كتب تاريخهم بدافع من حقدهم الدفين وأنصب عليه افكهم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذى شوه تاريخه الشخصي وتاريخ الدولة العثمانية أيام حكمه ليظهروه بمظهر المفرط فى حق امبراطوريته ، كتبوا عنه أنه كان رجلا شهوانيا يتخذ الجوارى والنساء العديدات ، ويقتل الأبرياء بغير حق الى آخر الافتراءات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

بينما يشهد كل مؤرخ ذى ضمير حى بأن السلطان عبد الحميد كان رجلا تقيا ورعا بذل كل ما يملك من جهود لتثبيت أركان امبراطوريته المنهارة ، والعمل على تقويتها وأنه لما جاء الى السلطنة كانت الامبراطورية منهارة القوى مفككة الاطراف وخزينتها خاوية على عروشها ، والدول الأوربية متربصة بها يحيكون المؤامرات لتقسيم تركة (الرجل المريض) كما كانوا يسمونها .

أجل جاء السلطان عبد الحميد وهذه حقيقة الأمبراطورية العثمانية فجاهد جهاد الأبطال للم شملها وتثبيت أركانها ورد كيد أعدائها فى الخارج وصنائعهم فى الداخل .

ويكفى أن نذكر قضية واحدة على سبيل المثال لا الحصر تدل على مدى تمسكه بأجزاء امبراطوريته وهى رد قاطع على المفترين عليه .

دخل عليه الثرى الماسوني الكبير (قره صو) بواسطة مرافق السلطان عارف بك ، وقال له بالحرف الواحد (انى قادم مندوبا عن الجمعية الماسونية رجاء جلالتكم بأن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية هدية لخزينتكم الخاصة ومئة مليون كقرض لخزينة الدولة بلا فائدة على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات فى فلسطين) .

فما هو الا أن اربد وجه السلطان والتفت الى مرافقه قائلا له (أفما كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير).

ثم نظر الى (قره صو) وصاح فى وجهه أغرب عني يا سافل .

فقصد قره صو ايطاليا ومن هناك كتب اليه هذه البرقية التي لا تزال صورها الزنكوغرافية محفوظة فى كثير من كتب التاريخ التركية .

(أنت رفضت عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيا ويكلف مملكتك كثيرا) .

وفى هذه الأثناء قابله زعيم صهيوني آخر هو (هرتزل) برفقة الحاخام (موسى ليفي) وراح يرجوه فى تزلف أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذى يريد فقال له السلطان رحمه الله بالنص .

(ان هذه الأراضى قد امتلكها المسلمون بالدماء وهى لا تباع الا بنفس الثمن) .

ومن هنا نعلم سبب حقد اليهود عليه وسعيهم للاطاحة به حتى خلعوه بواسطة بعض المخدوعين والمغرر بهم .

قالت صحف العالم

فلسطين والامة العربية

طالعتنا نشرة « فلسطين » التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية بالمقال التالى .

هل يمكن سلخ قضية فلسطين عن قضية الوطن العربى ؟ وفصل شعب فلسطين العربى عن شعب الأمة العربية ؟

من خلال هذا الاستفهام ، يبرز السؤال العربى . هل فى بقاء دولة العصابات الصهيونية خطر على الوطن العربى .. والصهيونية تتبجح بمطالبها .. وأطماعها التوسعية ؟

ومن هنا نتساءل . هل يتم تصحيح الوضع فى فلسطين العربية بمعزل عن الأمة العربية فيكون شعب فلسطين وحده فى الميدان ؟

ونجيب على كل هذه التساؤلات بكلمة . لا .. فمن المستحيل عزل أقطار الدول العربية عن معركة التحرير ، لأننا نشكل قوة واحدة لاعادة تعربة الجزء السليب من جهة ، ثم هناك وحدة الهدف والايمان .. والمصير الذى يجمع بين الدول العربية .

ونتساءل مرة ثانية . ما هى (التكتيكات) العسكرية والخطوات السياسية التى ستتخذ لتصبح خططا مدروسة نسير على هداها بحكمة وتعاون ليوم الانطلاق .. ومتى نطبق ما نتحدث عنه من خطط ، وكيف يبدأ الفلسطيني العربى مسيرته المصيرية ؟ ثم متى تنطلق الشرارة الأولى تعلن معركة الشعب الفلسطيني ليكون فى طليعة الجهاد ؟

قد يقال . ان الاستعمار الغربى يقف للعرب بالمرصاد .. وانه يراقب تحركات العرب العسكرية بحذر وترقب .. بل انه لن يسمح لأى قوة عربية أن تنفرد باتخاذ اجراءات عسكرية ضد العدو المغتصب ؟

لقد فقدنا الأمل فى قوانين مجلس الأمن ، ولم يعد لنا بارقة رجاء فى ديمقراطية الامم المتحدة .. والقرارات العديدة التى اتخذت فى مجلس الامن لا تزال مجمدة تمر عليها السنوات فيضحك القدر ساخرا .. والصهيونية تتمادى فى انتهاك القوانين الدولية ، دون رادع يوقف هذه الفئة المعتدية عند حدها ... بل ليس هناك أى قرار يضع الحق فى نصابه .

ما يسمعه الشعب الفلسطيني .. (الادانة) ومجلس الأمن يوجه لوما شديدا ضد الفئة المعتدية الصهيونية .. ولا شيء غير ذلك .. بل ليس لنا الحق فى مناقشة هذه القرارات السلبية .. لقد جاء اليوم الذى أصبح من حقنا أن نتساءل فيه .

ما هو دور شعب فلسطين العربى فى معركة التحرير ؟ وما هى الالتزامات الايجابية فى الدور النضالى لاعادة الكيان الفلسطيني فوق الأرض الطيبة ؟ وما هى الوسيلة التى يحقق فيها الشعب كيانه ووجوده فى وطنه السليب ؟ ومتى نوقف الطوابير فى نهاية كل شهر ، أمام مخازن وكالة الاغاثة والتشغيل التموينية ، لتتسلم مخصصات الاعاشة .. متى ؟

لقد آن الأوان بعد انبثاق وحدة الشعب الفلسطيني فى جبهته الجديدة أن يثبت وجوده بالانطلاق النضالى لاستعادة مقومات الحياة .. وتحرير الوطن .. وايجاد الكيان الحقيقي .

ان الدور الطلائعى للتحرير يقع على عاتق شعب فلسطين وهو اليوم أعاد تنظيم صفوفه فى جيش تحرير من الفدائيين .

ان هذا اليوم غير يوم الأمس ، والتضامن العربى سيدفعنا للانطلاق فى زحف عربى مقدس ، فقد مرت سنوات عشنا فيها خلف أسوار فى قوقعة تخرج منها الخطب رنانة ، والأحاديث منمقة ، والوعود براقة ، والتهديدات كلامية ..

أما اليوم .. فقد بدأ العربى يتطلع الى العمل الايجابى .. الى التنظيم الجماعى .. الى الجهاد المقدس ..

لقد أصبح التضامن الجماعى نضالا يشكل قوة حقيقية لخوض معركة الحرية ، لنزيل عار سنوات عشنا فيها نتسول من اعانات دولية ، حيث نقف فى طوابير منتظمة لنتسلم مخصصات تضمن لنا البقاء أحياء خارج الأسوار ..

والأيام تمر ... ونحن فى ترقب ثائر لوثبة فلسطينية جماعية ليوم النصر ...

وانّا لعائدون ؟؟؟

الى الاسلام .. دين الحياة

نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

ان العقل البشرى فى أرشد حالاته لا يعرف الى آخر الزمان دينا كالاسلام يأتلف مع الحياة ولا يختلف ، ويفى بحاجات الانسان المنطلق الى ما أراد الله له من السيطرة على ما خلق فى طهر وشرف وكرامة اختصه بها منذ قال سبحانه . « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) .

والتفاعل الأصيل بين الاسلام وطبيعة الكون وموافقته لسنن الحياة تكشف لنا ضرورة وساطته بين الأحياء وبين الحياة التى بين حقيقتها حتى لا نفتتن بها متجاوزين دور السيادة الرشيدة التى تتأدى بنا الى سيادة أرفع وأمنع وأبقى وأخلد فى جوار الله « وان الدار الآخرة لهى الحيوان لوكانوا يعلمون » (٢) .

ان التفاعل الاصيل بين الاسلام وطبيعة الكون وائتلافه مع الحياة الحقة ليس دعوى ينقصها البرهان ولا هو قضية يعوزها الدليل ، وخذ ان شئت أى شيء مما حولك من قريب أو بعيد انسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا ، أى شيء مادى أو معنوى منذ كانت الدنيا والى أن يرث الله الارض ومن عليها فستجد الاسلام وكتابه وسنة رسوله وعمل صحابته وآثارهم - وهم بعد رسول الله صلوات الله عليه أهل قدوة واتباع .

والاسلام يسد بذلك منافذ الهوى ويوصد دوننا مآرب الشهوات وهو يجعل لكل شيء حكما ، ويحدد لكل أمر من أمور الحياة اتجاها لا يخالف عنه الا باغ متجاوز حدود الله « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

ولهذا كانت مسئولية المسلم بعد أن فصل الله الاحكام وبين الحلال والحرام ، وميز الخبيث والطيب مسئولية كاملة امتاز بها عما سواه من مخلوقات الله ، فهو مسئول عن عقيدته وعبادته . مسئول عن صحته وأسرته ، مسئول الى حد كبير عن المجتمع المحدود الذى يشكل فيه عنصرا بارزا ، مسئول عن الانسانية التى هو أحد أفرادها ، مسئول عن كل ما يقول ويعمل فى ليل أو نهار وفى سر أو جهار منذ قال المعصوم صلوات الله عليه . « أنت على ثغر من ثغور الاسلام فلا يؤتين من قبلك » .

هكذا يفعلون بالاسلام والمسلمين !!

ونشرت صحيفة « تن بات باو » فى هونغ كونغ فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر الماضي منشورا وجهه الحرس الاحمر فى الصين للمسلمين جاء فيه ...

---

(١) سورة الاسراء - ٧٠ (٢) العنكبوت - ٦٤

يا رجال الحرس الاحمر المقاتلون انكم تقومون بعمل حسن . واصلوا عملكم . أنتم تكافحون ضد البرجوازية والاقطاعيين الذين مصوا دماءنا وأكلوا لحمنا وعظمنا ، والآن جاء دورنا لامتصاص دمهم وأكل لحمهم ، يا رجال الحرس الاحمر لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب ، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الاعداء تخفيا ــ المسلمين ــ الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم ويختبىء أولئك المسلمون في الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين كما تسيطر عليهم الدول الاجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس ماو .

استمعوا أيها المسلمون .

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم ، سنطردكم وندمركم ومن اليوم فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الابقار لان الابقار تخدم الشعب يجب أن تأكلوا لحم خنازير .. ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم في الصلاة يجب الا تتكلموا اللغة العربية التى هي ضد اللغة الصينية ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس « القرآن » اسمعوا أيها المسلمون . دمروا جوامعكم !! حلوا المنظمات الاسلامية ، احرقوا القرآن ... ! الغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك .. كفوا عن الصلاة . الغوا الختان ، ادرسوا أفكار ماو .. اذا لم تندموا سنطردكم وندمركم . يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية ، وندمرها معكم فلتحى الثورة الثقافية الكبرى . فليحى طويلا طويلا طويلا الرئيس ماو .

شعب اريتريا الشقيق

تناولت مجلة الرسالة الكويتية ما يتعرض له شعب اريتريا المسلم من وسائل القمع والتعذيب والتشريد على يد السلطات الحبشية وتحدثت عن حالة اللاجئين الارتيريين عند اطراف كسلا ، فهي أفظع من ان يحتملها ضمير الانسانية ، كما تحدثت عن التعاون الوثيق بين الحبشة واسرائيل وعما يلاقيه المسلمون في اريتريا على ايدى الصهاينة كذلك ثم استعرضت في مقالها بيان جبهة التحرير الاريترية الذى يقول .

أثناء الحكم البريطاني تحولت مطامع الحبشة نحو ارتيريا بحجة السيطرة على موانىء أرتيريا في البحر الاحمر . ومن أجل الوصول الى أطماعها التوسعية بعثت بعصابات مسلحة تنشر الذعر والارهاب تساعدها في ذلك الادارة البريطانية الاستعمارية . وفي عام ١٩٤٨ أحيلت قضية أرتيريا الى هيئة الامم المتحدة ضمن قضايا المستعمرات الايطالية السابقة (ليبيا والصومال وأرتيريا) . وبعد ثلاثة أعوام من المداولات والمناورات الاستعمارية في أروقة الامم المتحدة تمكنت الحبشة من غايتها باستصدار قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة يقضي بربط أرتيريا في اتحاد فدرالي مع الحبشة . وكان هذا القرار ينص على اعتبار أرتيريا وحدة مستقلة استقلالا ذاتيا واسع النطاق وأن تتمتع أرتيريا بنظام حكم ديمقراطي وأن تكون اللغة العربية لغتها الرسمية وأن ترتبط بالحبشة في الشئون الخارجية والدفاع .

غير أن الحبشة تجاهلت قرار الامم المتحدة وأقامت بالتواطؤ مع الادارة الاستعمارية البريطانية حكومة صورية من عملائها . وأخيرا أنهت الاتحاد الفدرالي من جانب واحد واحتلت أرتيريا عسكريا في ١٩٦٢/١١/١٤ وعاملت الارتيريين معاملة قاسية ، فملأت السجون بآلاف المعتقلين ولجأت الى أساليب بربرية كالتعذيب الوحشي ، وصادرت الصحف العربية وكممت الافواه ، مما دفع الشعب الارتيرى الى اللجوء للعنف ، وخاصة أن جبهة التحرير الارتيرية كانت قد بدأت في ١٩٦١/٩/١ بثورة مسلحة دعت الشعب للانضمام اليها لحماية البلاد من الغزو الحبشي الاستعمارى .

وناشدت العرب والمسلمين أن يتبينوا عدوهم من صديقهم في أفريقيا . ومقياس ذلك هو الالتزام الصادق بمبادىء حق تقرير المصير والحرية للشعوب الطامحة الى الاستقلال ، ثم الموقف من قضيتنا الكبرى . قضية فلسطين .

اخبار العالم الاسلامي

الكويت

※ من أجل توثيق الروابط الأخوية زار البلاد فى الشهر الماضي أصحاب السمو أمراء الشارقة ودبى وعجمان وأم القيوين ردا على الزيارة التي قام بها صاحب السمو أمير البلاد المعظم لهذه الامارات فى العام الماضي .

※ اجتمعت لجنة المعونات الاسلامية برئاسة معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، وبحثت الطلبات المقدمة اليها من مختلف الهيئات الاسلامية ، وأكدت اللجنة اهتمامها بنشر الاسلام فى دول افريقيا خاصة .

※ احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة ذكرى الهجرة ، وقد تحدث فى الاحتفال معالي وزير الأوقاف وأصحاب الفضيلة العلماء .

※ توجه الى السعودية السيد عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون لاسلامية للاشراف على تصاميم المنشآت التي ستقام على أرض مدينتي الحجاج الكويتيين فى كل من مكة والمدينة .

※ بعثت الكويت بمعونة من المواد الغذائية والطبية الى اللاجئين الأريتريين الذين بلغوا عشرين ألفا بعد أن انتشرت بينهم عدة أوبئة .

※ زار الكويت وفد من القيادة القومية لنشر الدعوة الاسلامية فى أندونيسيا .

※ زار البلاد السيد محمد علي تشاجلا وزير خارجية الهند حيث أجرى عدة مباحثات هامة مع المسؤولين .

الجمهورية العربية المتحدة

※ استقبل فضيلة شيخ الأزهر السيد أحمد هاشم كبير وزراء ولاية بيرليس بماليزيا الذى حضر الى المتحدة من أجل تزويد الكلية العربية الإسلامية بالكتب والأساتذة الأزهريين ، وقد وجه دعوة الى كبار رجال الأزهر لحضور حفل الافتتاح .

※ تقرر أن يكون لجمعيات الشبان المسلمين فروع فى كافة المصانع والمؤسسات العمالية والمعاهد التعليمية حتى ينشأ من فيها على تحمل مسئولياتهم وهم مدعمون بالروح الدينية والمثل العليا للاسلام .

※ وافق مجلس الأمة على تعميم قراءة القرآن المرتل فى جميع المساجد عدا يوم الجمعة .

※ أذاعت محطة البرنامج العام برنامجا طويلا يكشف الجوانب المختلفة لعبقرية الشاعر المسلم محمد اقبال ، وقد أذيع البرنامج فى وقت واحد من القاهرة وكراتشي وذلك بمناسبة ذكرى وفاته .

※ بدأ تسجيل المصحف المعلم حيث يقرأ القارىء ويردد من ورائه سبعة مقرئين كأحسن وسيلة لتحفيظ القرآن الكريم وتعلم نطقه الصحيح تستغرق اذاعته ٩٠ ساعة ويتكون من ١٢٠ اسطوانة .

※ وافقت وزارة الأوقاف على انشاء مسجد كبير على الطراز الاسلامي فى مطار القاهرة بحيث يكون أول مبنى يشاهده القادم الى القاهرة . كما تعد وزارة الاوقاف مشروعا يقضى بانشاء مساجد فخمة فى الموانى وعلى ضفاف القناة لتكون أول ما يشاهده الزائر للبلاد .

※ وزع فضيلة شيخ الأزهر جوائز المتفوقين من طلبة الأزهر فى حفظ القرآن والثقافة والاجتماع .

※ أقام المجلس الأعلى للفنون والآداب احتفالا بذكرى مرور ٥٧٨ سنة على وفاة الفيلسوف المسلم السهروردى .

السعودية

* زار البلاد سمو الشيخ زايد بن سلطان حاكم أبي ظبي بدعوة من جلالة الملك فيصل .
* ستفتح هذا الشهر كلية التربية التي أنشأتها المملكة بالتعاون مع منظمة اليونسكو .
* زار البلاد وفد ثقافي ايراني لتدعيم الروابط الثقافية بين البلدين ، وقد ألقى جلالة الملك فيصل كلمة في الوفد ، وقد عقدت بين البلدين اتفاقية ثقافية .

العــراق

* احتفل في يوم ١٧ ابريل الماضي بذكرى وفاة الزعيم العربي المغفور له عبد السلام عارف ، وقد أقيمت حفلات التأبين في بغداد ومختلف ألوية العراق .
* صدرت موسوعة عراقية تشمل جميع المصطلحات العسكرية في القرآن من اعداد اللواء محمود شيت خطاب .

لبنــان

* استجابت الدولة لرغبة سماحة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد بتعطيل جميع أعمال الدولة في يوم عاشوراء كعيد عام للمسلمين في سبيل ضم الشمل وتوحيد المشاعر .

السودان

* زار الهند السيد اسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة ، وقد زار مدينتى حيدر آباد وبومبى .
* أعلن رئيس وزراء السودان أنه سيعمل بكل ما في وسعه لاقرار الدستور الاســـلامي متجاوبا مع الأحزاب السودانية كما صرح بأنه سيتخذ الاجراءات اللازمة لحماية البلاد من النشاط الشيوعي .
* صرح وزير الداخلية السوداني أنه سيعاد اسكان اللاجئين الارتيريين في منطقة تبعد قليلا عن ارتيريا ، ومما يذكر أن عددهم زاد عن عشرين ألفا .
* صرح مسئول في السودان بأن الحبشة قطعت كل طرقها البرية المتصلة بالسودان .

الجزائر

* بدأ وزراء التعليم في المغرب العربي اجتماعهم في الجزائر ، وسيدرس المؤتمر تدريب المعلمين وتنسيق تعليم اللغة العربية في المغرب العربي .
* بدأت الاتصالات لعقد المؤتمر الخامس لتضامن شعوب القارتين في العاصمة الجزائرية ، والمنتظر أن يعقد المؤتمر الخامس لتضامن شعوب القارتين في العاصمة الجزائرية ، في أواخر هذا العام .
* اعرب الرئيس الجزائرى هوارى بومدين للسيد أحمد الشقيري عن تأييد ودعم المنظمة والشعب الفلسطيني رغم كل الظروف ، وقد دفعت الجزائر حصتها في ميزانية المنظمة .

المغــرب

* قررت حكومة المغرب الاستيلاء على مناجم الحديد في المغرب والتى تشرف عليها أسبانيا .

باكستان

* نفت وزارة الخارجية الباكستانية أن تكون بين باكستان والعصابات الصهيونية أية علاقة تجارية أو سياسية ، وأكدت أن موقف الباكستان من اسرائيل معروف .
* أعلنت الحكومة عن عزمها على تأسيس جامعة اسلامية في اسلام آباد .
* بدأ العمل في كتابة القرآن الكريم بخيوط من الذهب الخالص وسوف يستغرق هذا المشروع الفني الرائع سنة كاملة .

آخر خبر من أمريكا : نحيي فيه موقف محمد علي كلاى بطل العالم لموقفه من أمر التجنيد واعلانه أنه يضحي بكل شيء في سبيل مبدئه ومن أجل دينه . وقد أرسلت احتجاجات من الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية على موقف امريكا من البطل المسلم . والبقية تأتي من البلاد الاسلامية .

مكتبة المجلة

الاسلام والمسلمون فى ألمانيا بين الأمس واليوم

عرض سريع لتطور الاستشراق فى ألمانيا مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها بقلم الشيخ طه الولى أمين سر جمعية المكتبات اللبنانية . وقد طبعت الكتاب ونشرته دار الفتح للطباعة والنشر ص ب (٤٢٩٥) بيروت ــ لبنان ويحتوى على مائتي صفحة، وهو يشتمل على أبحاث تتناول تطور الدراسات الاسلامية فى ألمانيا بما يكفي لاعطاء القارىء فكرة عن الاستشراق الألماني .

وفى الكتاب فكرة واضحة عن الأطوار التي مرت بها ترجمات القرآن الكريم الى جانب دراسة واقعية موضوعية للنشاط الاسلامي الراهن فى ألمانيا ، وكذلك يقدم الكتاب فكرة كاملة عن المساجد الموجودة فى المدن الألمانية .

النظم القانونية الافريقية وتطورها

للدكتور محمد سلام زناتي الأستاذ بكلية الحقوق ــ جامعة عين شمس ، وهو كتاب يهتم بدراسة النظم الخاصة بالزواج والأسرة وما يتصل بهما والقانون الافريقي الخاص بأهلية الزواج وتعدد الزوجات والمهر وآثار الزواج والطلاق والخلافة على الأرامل والميراث ، وقد أفرد المؤلف لكل منها فصلا مستقلا .

والكتاب يقع فى « ٥٠٠ » صفحة وقامت بطبعه المطبعة العالمية ونشرته دار النهضة العربية (٣٢ ــ شارع عبد الخالق ثروت ــ القاهرة) .

بحوث فى تفسير القرآن الكريم

دراسة جديدة فى تفسير القرآن الكريم أعدها الأستاذ جمال الدين عياد رئيس قسم آسيا بمصلحة الاستعلامات بالقاهرة وقد اتبع فيها البحوث والرسالات الجامعية ، والى جانب التفسير العلمي سوف يجد القارىء فى هذه البحوث دراسة أدبية تصور ألوانا من البلاغة والجمال الفني فى القرآن ، وأخرى لغوية تبحث المدلول اللغوى لبعض الكلمات ، وتاريخية تتجاوب مع الأحداث والمناسبات التي نزلت فيها الآيات بالاضافة الى الدراسات التشريعية والفلسفية ، وزود التفسير بالرسوم التي تعين على الفهم .

والكتاب الأول الذى يفسر لنا سورة العلق يقع فى (١٦٧) صفحة ، والثاني الذى يفسر لنا سورة المدثر يقع فى (١٧٥) صفحة ، وثمن كل منهما (٢٥) قرشا مصريا .

من القصص الاسلامي

كتاب يحتوى على مجموعة من القصص التاريخية الاسلامية كتبها الأستاذ حسين الطوخى وتوقى فيها رسم كثير من الصور المشرفة المشرقة لنواح من تاريخنا العربى الاسلامي العريق فى أسلوب جاذب وتصوير شائق ، وعناية بأحداث وقعت وأهملها التاريخ .

ومن اليسير على قارىء هذا الكتاب أن يستخلص من كل قصة عدة صور وعدة مفاخر وعدة عبر ، فهى امتاع وتسلية ونفع للناس ، ويقع الكتاب فى ١٤٥ صفحة مزود باللوحات الجميلة وقامت بطبعه دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة .

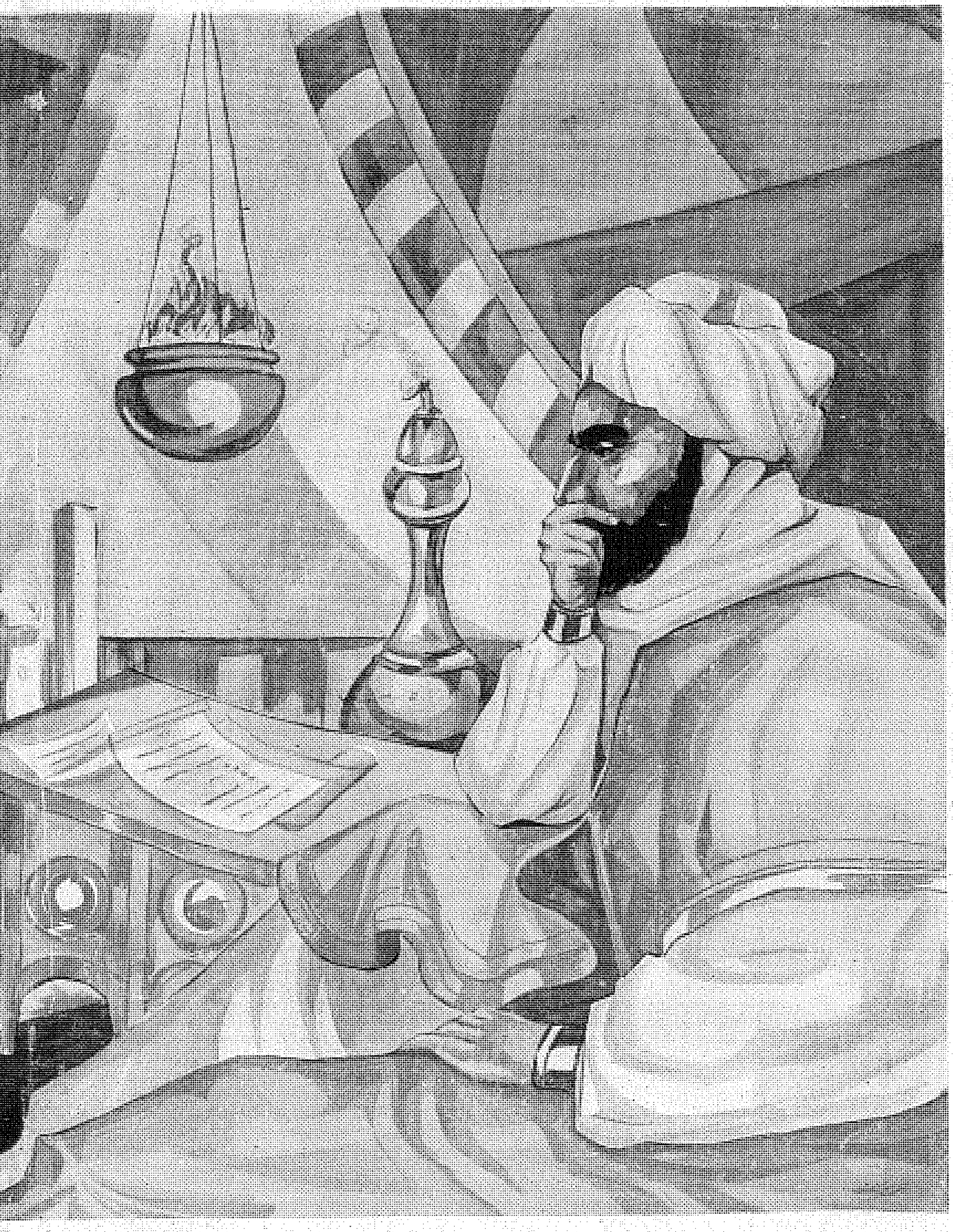
اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢
جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥
بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى صب : ٣٠٣
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

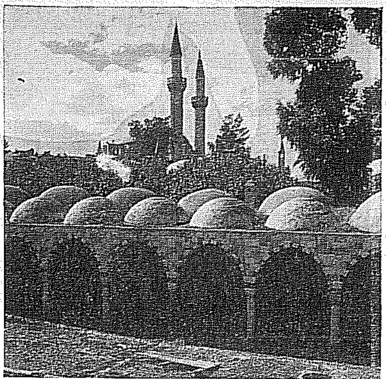


الطبيب العربي المشهور ((ابن النفيس))

اقرأ بحثا عنه فى هذا العدد

مطبعة حكومة الكويت

صورة الغلاف



واجهة التكية السليمانية
في دمشق

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ
٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

في سبيل الله والعزة

قال الله تعالى

* « فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (سورة النساء)

* « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (سورة الانفال)

* « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » (سورة الانفال)

* « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (سورة التوبة)

* « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ . وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » . (سورة التوبة)

* « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » . (سورة الحشر)

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

مرحى بيقظة الامة العربية العملاقة . مرحى بهدير المدافع ودمدمة القنابل ، وزمجرة الطائرات . مرحى بباب الجنة يستقبل كل مؤمن شهيد فى سبيل حقه وكرامته .. مرحى بالفرصة المتاحة لطلاب المجد والخلود .

ما كنت أظن أن حديث المنى التى كنا نعيش نحلم بها ونرقبها ستصبح واقعا نلمسه ونعيش فيه هكذا سريعا ، فمنذ أن أصدر القائد العربي المظفر جمال عبد الناصر أمره بالاستعداد لردع اسرائيل ، وزحف الجيش العربي ليأخذ مكانه على الحدود ، وما تبع ذلك من رحيل القوات الدولية ، واسترداد السيطرة على ((خليج العقبة)) منذ ذلك الوقت وأنفاس العالم مبهورة تلاحق الحوادث فلا تلحقها ، والدنيا كلها تركز اهتمامها على هذه المنطقة على المارد العربي الذي انطلق من القمقم ، وعلى الابطال الذين قرروا ، وكانوا فى قراراتهم حازمين وحاسمين ..

ما كنا نظن أن ساعة المجد قريبة جدا الى هذا الحد ، وما كنا نظن أن ساحة الخلود التى فتحها عبد الناصر للعرب لكل العرب في كل مكان قد اقتربنا منها ، وفتحت مصاريعها لطلاب الخلود ، ما كنا نظن أن التاريخ الذى طوى صفحات المجد لهذه المنطقة منذ انطوت صفحة صلاح الدين وبيبرس سيصحو فجأة ، ويفتح سجلا جديدا للابطال والبطولة ، فى أرض البطولات والامجاد .

لكن ذلك كله قد حدث ، وسرى ماء الحياة فى جسم العملاق العربي ، وغلت فيه دماء المجد والحقد معا : دماء المجد المتوارثة التى تسرى فيه من قديم ، دماء العزة التى طال تعطشه لها .. ودماء الحقد على ظالميه ومستغليه وقاهريه ، وعلى هؤلاء الذين سلبوه أرضه ، والذين عاونوهم على السلب ، ولا زالوا يعاونونهم .

وويل لأعدائنا من دماء المجد فينا اذا غلت ، ودماء الحقد اذا فارت وثارت .. ويل للذى غلب وتحكم واستبد يوما من الايام ، ويل له من المغلوب اذا دار الزمان دورته ، واسترد أنفاسه وقوته ..

ان كل عربي الآن كتلة لهب تتحرك ، قذيفة ضاربة تصب النار والدمار على اعدائهم وعلى كل مكان يأوون اليه ، ودنسوه بظلمهم وتجبرهم .

ان العربي الذى كانت ((برنيطة)) الجندى الاجنبى ترهبه فينكمش ، أصبحت هذه ((البرنيطة)) تغريه بالانقضاض عليه ليمحو أثره ، ويطهر أرضه منه ..

طالما نادينا بحقنا ، ورفعنا شكوانا ، وشرحنا ، وتحدثنا ، ولكن ذهب كل ذلك مع الريح ، فما كان للمستبد الظالم ضمير يردعه فى يوم من الايام ..

طالما بكينا ولم نكن نجد حتى من يرثي لحالنا .. لأننا كنا ضعفاء ، وليس للضعيف مكان على هذه الارض الا حيث يشاء القوى ، ولأننا كنا جبناء ، وليس للجبان حياة كالتي يحياها الانسان العزيز !

ومن قال ان للضعيف مكانا مع القوى ؟ وللجبان حياة مع الشجاع ؟ وهل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ؟

كلا لا يمكن .. انها الحياة لا تدين الا للاقوياء ، ولا تخضع الا للبواسل .. انه الحديد لا يفله الا الحديد .. انه المجد لا ينال الا بالقوة ، انها العزة لا تتوفر الا بالدم والتضحية ..

يا مسلمون .. يا عرب ..

انها ساعة الجد . ولا هزل فيها .. انه يوم الفصل ، وما أدراكم ما يوم الفصل ؟ يوم تكسبون فيه مجدكم بأيديكم ، بدمائكم .. يوم تبعثون فيه أحياء أعزاء كرماء ، بعد أن تدفعوا الثمن غاليا من الارواح والدماء ..

طالما تعطشتم للعزة ، وهذه هي تناديكم

طالما تشوقتم للمجد ، وهذا هو يدق عليكم أبوابكم

طالما تناديتم بالثأر ، وهذه هي ساحاته ، وغريمكم أمامكم لا يزال يقبض على أرضكم ودياركم ، وأيديه ملطخة بدماء آبائكم وأبنائكم وأهليكم ..

ألا تذكرون يا أهل الارض السليبة ما فعل هؤلاء الاوغاد بكم ؟

ألا تنتفضون من الغيظ والحقد عليهم ؟

ألا تنتهزون الفرصة ؟

ها هم أولاء أصبحوا قريبين من الشرك ، ها هم أولاء يستعدون للاقائكم ، فأين أنتم الآن ؟ فى دوركم ؟ على فراشكم ؟ فى نواديكم ؟ فى متعكم ؟

فأين الثأر — اذن — يا طلاب الثأر ؟ وأين الذكريات المرة يا من اكتويتم بها ؟

ان مكانكم — حيث توجدون — فى المقدمة بذلا للاموال والارواح .. واياكم ان تكونوا كمن قال الله فى شأنهم ودعا للتعجب من حالهم : ((ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا . أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)) .

أو تكونوا كهؤلاء الذين نعى الله عليهم موقفهم وتخاذلهم حين قال ((الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)) .

يا مسلمون يا عرب :

جزى الله الشدائد كل خير   عرفت بها عدوى من صديقي

وعرفنا بها المغاوير الامجاد من قومنا وكشف عن أصالة معدننا ٠

ان جسمي لينتفض ، وان عيني لتدمع كلما هزني نبأ سار فى هذه المعمعة فى هذه المعركة الحاسمة ٠٠

هذه الدول والشعوب العربية التي أحست مسئوليتها ، وسارعت لتضطلع بها ، وهذه الدول والشعوب الصديقة للعرب التي وقفت معها تشد أزرها ، وتقف معها ساعة العسرة فى وجه الطغيان ، كل ذلك لن ينسى حين تأتي ساعة الحساب ، أو يحين الوقت لرد الجميل ٠٠

يا مسلمون يا عرب ٠

هل عرفتم أعداءكم وأصدقاءكم ؟ هل عرفتم المتقدمين منكم والمتخلفين ؟ لا تزال هناك فرصة لمعرفة المزيد ٠٠

وماذا عن أعدائكم الذين يضعون كل ثقلهم ضدكم ، ولا يبالون بكم ٠ ولا بمصالحهم التى فى أيديكم ؟

هل يظنون أنكم تهزلون ؟ أو يظنون أنكم ستغفرون للهازلين ؟ !

لم يعد فينا مكان للهزل أو للهازلين ، ولم نعد نعرف ــ نحن العرب ــ مكانا وسطا اما فى صفنا بالميدان ، واما هناك تحت الاقدام ٠٠ اننا نعرف قول الله العلي الحكيم : ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)) ونعرف قوله ((ومن يتولهم منكم فانه منهم)) ٠ فأروهم من الآن آثار غضبتكم ٠

أخي ٠٠ ألم أقل لك من قبل ان الاحداث تتتابع ، والتاريخ يلهث هنا وهناك على الارض العربية ليسجل أمجادك ؟

الآن وأنا أكتب اليك هذا أستمع الى أخبار الكويت فيهزني النبأ ، وأضع القلم لأصفق وحدى وتفيض عيناى بالدمع فرحا بما يفعله رجال الكويت الدولة الصغيرة حجما الكبيرة عملا وفعلا ٠٠ فباسم الحكومة يجمع وزير الخارجية سفراء الدول الكبرى ويبلغهم أن الكويت ستوقف لديها مصالح أية دولة تمد اسرائيل بأية معونة ٠٠ ويبلغ السفير الروسي شكر حكومته لموقف الاتحاد السوفيتي ومؤازرته للعرب ٠٠ فى الوقت الذى يتحرك فيه الجيش الكويتي ليأخذ مكانه هناك على الجبهة مع جيش الجمهورية العربية المتحدة ويتحرك الشعب المسلم العربي الاصيل ليضيف الى صفحته الكريمة فى حرب السويس صفحة أكرم وأعز ٠

مرحى بالرجال الاحرار ، ومرحى بالحوادث والازمات ٠

ودقى يا طبول الحرب لينطلق فجر الصباح المشرق الجديد على أمة العرب ٠٠

عبد المنعم النمر

من هدي السنة

منهج الحياة المثالي

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

((أتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)) . رواه الترمذي

١ – الاسلام دين عام للبشرية جمعاء ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، عربها وعجمها ، شرقيها وغربيها ، ختم الله به رسالات السماء ، واختار لتبليغه وبثه خير الرسل والأنبياء ، خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، لا يختص به زمان ولا مكان ، فيه التشريع لكل حوادث الحياة الانسانية جلت أو قلت ، عظمت أو حقرت ، له مجال فى كل مجال ، فى السلم والحرب ، فى القوة والضعف ، فى الأخلاق والأعراف ، فى التجارة والزراعة ، فى الحكومات والشعوب ، قيادة عامة ، وقوامة كاملة ، تعم ولا تخص تجمع لتسعد ، تحث على السلم وتمنع الحرب، تبعث على القوة ، وتمنع الخور ، لا تعرف اليأس، لأن بارئها ومشرعها بيده مقاليد كل شيء وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، عالم بما جل وما دق ، مدرك للماضي والحاضر ، خبير بالمستقبل القريب والبعيد ، لأنه لا زمان معه ولا مكان ، فالزمان والمكان للناس فقط ليعلموا عدد السنين والحساب ، والسماء والأرض والشرق والغرب والشمال والجنوب ، كل هذا فى تقدير المخلوقين ، ولا مدلول له عند الخالق بالمعنى الذى يفهمه البشر .

٢ – ولو أقام المرء فى مكان واحد ، يقضي حياته فيه ما يبرحه ، ما فقه الا قليلا من مرامي وحي السماء الذى لا يدرك تماما الا بالتفرس فى وجوه الأشياء والانتقال من مكان الى مكان ، ومن فكر الى فكر ، ومن واد الى آخر ، ومن جاب الدنيا علم الكثير ومن خالط الناس ودرس أحوالهم ووقف على أعمالهم ، ووعى حوادثهم ، وأدرك مقاصدهم ، ورام شئونهم ، استبان له كثير من أسرار كلام خير خلق الله ، وأدرك المزيد من مغزاه ومرماه ، وثبت لديه عموم التعاليم ،

وشمول التوجيهات ووضحله أمر الحياة ونفذ الى لب الوجود بالقدر الذى يدخل تحت مقدور البشر ، وحينئذ يقف مشدوها أمام كلمة صغيرةتجمعها أحرف قليلة ، تضيق بمدلولها الدنيا على اتساعها ، فاللفظ له معنى لا تحده أقطار دائما ، لأنه قد يستوعب حكمة الوجود وما سيوجد ، ويقضي فى أمر المدلج الحائر ومن ستطلع عليه شمس الحقيقة، ويسلك مع الدارجفىعمياء مجهل ليقوده ببصيرة ، ويعين السارى على ضوء الحقيقة فى كل الحقب والأعصر ، ويصاحب العائش فى قنن النيق ، والدارج فى سهول الحياة ووديانها .

٣ ــ فى بلد نزل فيه كتاب الله تعالى ، ومجتمع تولى قيادته رسول الله ، وانتشرت فيه تعاليم السماء وطبقت بين أبنائه أحكامها . قد يختفي الداعى الى البحث العميق والدرس الدقيق ، وقد يعيى الفكر الثاقب باكتناه السر المصون الموجه ، ولكن اخرج الى الوجود الواسع العريض ، واحمل هذه الجملة النقية الطاهرة الصادرة ممن لا يكذب ولا يمين ، ولا يخدع ولا يداجى ، ولا يهن أمام القوة ، احمل قوله صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت) واعكس على ضوئها معاملة الاسرة وسير المجتمع ، وحوادث التاريخ وعبر الليالي تجد الحصن الذى تلوذ به ، والسلاح الذى يدافع عنك ، والقوة التي تعصمك ، والوسيلة التي تشق لك الطريق ، وتذلل لك الصعاب ، وتدفعك الى السير قدما فى كل سبيل مهما غاب نجمه ، وطال ليله ، وادلهمت خطوبه ، وعز فيه الصديق ، وانقطع أثر الحبيب ، تجد العياذ واللياذ فى تقوى الله ، حين يتملك من قلبك سر وجوده تعالى فى كل مكان وحين تدرك أنه سبحانه يعلم خفيات الأمور ، وأنه يحرسك ان حرست دينه ويحفظك ان حافظت علىتعاليمه (احفظ الله يحفظك ، احفظالله تجده تجاهك) .

وقد وجهك الراعى الأمين الى الاستعانة بمن لا يضل ولا ينسى ، بمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . بمن برأك وبرأ غيرك . بمن حاك قلبك وقلب سواك . بمن أعربك وأعجم من دونك ، فعون العباد يعز ويختفي ويتلاشيويضيع اما مع القدرة أو فى حال انعدامها ، ولكن عون الله باق دائم ، فاذا سألته وأنت محتاج الى سؤاله دائما فاتجه اليه وحده واذا طلبت العون وأنت طالبه ولا شك فاطلبه منه وحده ، وما وراء ذلك فكله اليه واثقا به متوكلا عليه ، واعلم أن اليه مرجع كل شيء ، فالمخلوقات فى مختلف أشكالها ومتفرق أجناسها ومتباين أنواعها بيد الرحمن القادر ، فلا تجديك نفعا الا بتقديره هو ، ولا تدفع عنك ضرا الا بتيسيره هو ، ولا تؤذيك الا اذا صدرت أوامره هو ، فقد سبق السيف العزل ، وقر فى الازل ما هو قار وانتفى ما هو منتف ، فحيثما كنت فأنت فى رعاية الله ، فى ملكه وكونه ، هو معك دائما (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) (١) .

٤ ــ (حيثماكنت) . ستجدمنالبشر ألوانا ، ومن أخلاقهم أشجانا ، ومن قلوبهم صنوفا رحيمة وأخرى قاسية ، ولكن لا عليك فتقوى الله ستعصمك من الناس ، فمن استقام استقامت له أمور الحياة (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهحياة طيبةولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٢) .

الناس فى بيداء الوجود يظنون الظنون لأنهم يجهلون ، يحددون أعمال غيرهم وهم عن أعمالهم غافلون ، ولكن تقوى الله ستذلل الصعاب ، وستخفى من

(١) المجادلة / آية ٧ .

(٢) النحل / ٩٧ .

طريقك العقبات ، وتهدم كل الحواجز المعوقة ، واعلم . انـك مهما فعلت من الخير فلن يرضى عنك الناس ، ولكل موجود أشجان ، وقلما يتبلور الجميع فى بوتقة واحدة ، اللهم الا اذا اعتمدوا الاسلام طريقا ، وشرعة محمد منهاجا ، وهداية الله نبراسـا وضـياء ، ولكن هيهات ! ويردنا عن هيهات نداء السماء (انه لا ييأس من روح اللـه الا القـوم الكافرون) (١) .

٥ ـ يعلم من أرسل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن البشر سيلاقون الأمرين من البشر ، وأن السماء لا تستمر جلواء ، وأن الأرض لا تقيم صلعاء ، وأن الماء يأسن ، وأن الصـحارى تعمر وأن الوجود ما دام مخلوقا فهو فى تغير دائم وأن مدلول الصيرورة لا بد وأن يتحقق ، والعجيب أن لها فى كل لغة فعل يرسم طريقها ويعفى غـيره ، فاتبع السـيئة الحسنة تمحها ، وقد لا تمحها فى نظرك أو فى مسـالك غـيرك ، ولا تعجب فأنت تعلـم أن البعض قد يتذوق الشراب المختلف الألوان وهو شفاء مهما كذبت البطون ، ويصدر حكما بأنه مر المذاق ، وذلك لمرض أصيل أو عارض .

ومن يـك ذا فـم مـر مـريض
يجـد مـرا بـه المـاء الـزلالا

ودع ذا ـ وتأمل الذى يرى الشيء شيئين أو أشياء لمرض فى عينه حوله عن الحقيقة الواقعة ، ولكن هـل يضـير الشمس ان أنكرها من به رمد فلا تلق لهؤلاء بالا وادفع السيئة بالحسنة فهذا طب رب السماء ، ارسم لغيرك طريـق الخير فى سلوكك أنت معه ، واصبر وما صبرك الا بالله ، وسـتأتى النتيجة أو سـتنتج القضية المسـتوفية المقدمات حسبما وصفها العليم الخبير ، ويثبت فعل الصيرورة والتحـول (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (٢) ولكن والاستدراك دائما أو ليس دائما متعب منهك فاسأل الله التوفيق والسداد حتى يتحقق لـك ما تحقق لغـيرك من الأزل . صـبروا وجاهدوا لتجد أنت الانتصار الذى وجدوا فالاقامة موقوتة ، والاحوال قلب حول ، وكن من القليـل ولا تهتم كثيرا بالكثير (وما يلقاهـا الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حـظ عظيم) (٣) .

٦ ـ خرجت ـ يا أخي ـ الى الساحة الواسـعة ووقفت على نهر الوجـود ، وانغمست أو غمست برغمى فى ميـاه عذبة وأخـرى أجاج ولبثت طويـلا او قصيرا فى الطقس المعتدل الناعم الهادىء فالريح رخـاء والهـواء منعش والأرج العطر يفوح ، والهوج نائمة والأعاصير فى غيبوبة ، ورأيت ومـا أدراك ما رأيت ، رأيت أجناسا من كل الأجناس ، وأنواعا فاقت أنواع المعلم الاول ، وتعيى المعلم الثاني لو عاد ، وتذهـل السـائر على دربهما ، اذا لا بد أن تتبع السيئة الحسنة مع بنى جلدتك وأبناء جنسك وأنسـال أبويك البعيدين ، ونم بعد ذلك خاليا من التفكير فى شرهم واحمل مصباح ديوجين ـ لا ـ واستغفر الله العظيم بل احمل مصباح السماء فتنعـم بالهدوء وتقـر نفسك ، فالمحو سيعفى آثار السـيئة ، آثار خطوات الشر ، خطوات الشيطان ، شيطان الهوى والنفس .

٧ ـ التقيت به لأول مرة وعرفته عن كثب ويشهد اللـه أنى فتحت له قلبي وبثثته ذات نفسـي ، وماذا بعد تكرار الحديث وطول اللقاء ، كنت أؤمل الخير وأرجوه ، واذا باذا الفجائية تبدو على صفحة وجهه ، وتجثـم على لسـانه ، وتحرك جوارحه فيثب دون مقدمات ،

(١) يوسف / ٨٧ .
(٢) فصلت / ٣٥ .
(٣) فصلت / ٣٤ .

ويثور ، ويا ليته لحق يثــور ويخور ، ولكنه ثور جريح ماتت فيه النفس الكريمة لأنه بعيد عن ماء الحياة ، قلت : قــل وافعل ، وزد أو أقلل ، فالبقاء قليــل ، وأطنب أو أوجز فالأمر عندى سيان — وتأمل معي قايــلا أليس ماء (اللوار) وصنوه (شير) كماء النيل وشــقيقه دجلة ، وهل ماء التايمز غير ماء سيحون وبردى ، لا واللــه وانما الخــلاف على الضفاف ، يتقاتلون على الحياة ، وهم فى الواقع يقتلون الحياة ، يقولون نريد أن نعيش وهم يحفرون قبورهم بأيديهم ، يطلبون الحرية لكن فى الصــورة التــي يفهمونها ، وهي معكوسة لا عكسا منطقيا وانما عكسا واقعيا ، يرون أنهم يحملون الفضائل ويدافعون عنها ، فكيف تلتقى بمن تلتقى بهم فى هذا الجو الصاخب اللجب . لا تفر وانماحاول أن تردهم الى الوجود الذى يريده بارىء الوجــود . لا تخش مخالبهــم البادية فى نعومــة الحرير ، والمنطوية على ما يملك الأسود ، وادافعهم بسلاح هين بسيط ولكنه فعول نافذ اسمه فى قول الحبيب (وخالــق الناس بخلق حسن) اجلس الى رعاة الآداب وأساتذة الأخلاق ، واســتمع لنصائح أولئك ومحاضرات هــؤلاء فلن تجد كنا تأوى اليه فى زوايا أحاديثهم يقيك مطر السوء ، وانمــا تجد الهدوء والطمأنينة فى ظل هذا الأمــر الكريــم (خالـــق النــــاس) عاشر النــــاس — عاملهم — اسلك سبيل الحياة الكريمة معهم — ادرج فى مسالكهم ولكن (بخلق حسـن) وأى خلق وكيف تجده وتعثر عليه هو بين يديك فلا تعجل ، وقريب منك فــلا ترحل فى طلبــه — استمــع بقلبك ، بفطرتك الطيبــة الى قــول أم المؤمنين عائشة تصف ســـيد الخلــق (... كان خلقه القرآن) ، ويا عجبا هل كــان خلق محمد لمحمد عليــه افضل الصلاة وأزكى الســـلام ، وما محمد الا رسول، هو نور الدنيا ورائد الخير فيها ، نور يقشع الظلام ويبدد الغيوم ، ويجلو الصفحة الكريمة للأفئدة المستعدة التي وان ران عليها ما فعلت فهي على استعداد للجلاء ان وجد الحكيم الهادى فيا ليتنا نتلاقى هنا فى ظل الخلق الحسن .

٨ — قلت لصاحبي لقد عصبت عيناى وأغمضت برغمى فلم أعد أر شــيئا ، فأجاب قيل قديما ولا قديم ولا حديث بل هى تقلبات جو . مرة حر وأخرى برد . سكون واضــطراب ، قيــل له ، عميت فقال حسـنا لعلى لا أرى ما يضيرني وما يعكر صفو قلبي ، ولكن غمضتي الى أجل ، وقد مضى الأجل ، وعادت الحياة الى انسانيهما ليريا الوجود لا فى المادة وحدها ، بل فى الضياء الروحي المشرق العجيب الذى يحمله الخلق الحســن خلق القرآن فيأوى اليك النافر الأسود والضال الابيض والمعادى الآخر ، ويعود الجميع أحبة متشاكلين كما تشــابهت امور الحياة وموادها يجمعهم دم آدم وحواء ، وهدايــة الأنبيــاء وتشريعات الرسل ...

٩ — فى هذا المكان تذكرت وما كنت ناسيا الرجل الذى هزمه أحبابه، وخذله أعوانه (عبد الرحمن) (١) فقتل فجر ليل كان منتصرا فى أمسه ، وما قتلته الا خيانة أتباعه لواجبهم فياليته يعود ولكن فى عزم خالد وأمانة أبى عبيدة وحزم عمر وسماحة أبي بكر وفقه علي وسماحة عثمان وغيرة صلاح الدين رضى الله عنهم جميعا وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) وعبد الرحمن ذاك — هو الذى قال فيه زعيم معاصرمات حديثا . آه لو انتصر عبد الرحمن اذا لتغير وجه الدنيا ولكن هيهات .. ولعل القارىء الكريم وعى الآن من هو القائد الذى تخلى عنه أعوانه فهزمت الانسانية يوم قتل . رحم الله القائد البطل عبد الرحمن الفافقي .

القرآن

منذ أن أشرقت على الانسانية شمس الهداية الاسلامية ببعثة خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . تدفقت ينابيع الارشاد بيانا عربيا ممثلة فى ثلاثة أنواع من الوحى : القرآن ، والأحاديث القدسـية ، والاحاديث النبوية .

ولكل من القرآن والحديث عامة القدسى والنبوى سمات مشرقة مميزة من حيث كيفية نزول الوحى به ومن حيث الخصائص الذاتية ، ومن حيث الاسناد ، كما أن لكل من الحديث القدسى والنبوى سمات مميزة له عن الآخر .

كلام الله قسمان

وفى الفرق بين نزول الوحى بالقرآن ونزوله بالسنة عامة يقول الامام الجوينى امام الحرمين : كلام الله قسمان : قسم قال الله لجبريل : قل للنبى الذى أنت مرسل اليه ان الله يقول لك افعل كذا وأمر بكذا ، ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على ذلك النبى ، وقال له ما قاله ربه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة . كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد فى الخدمة واجمع جندك للقتال ، فان قال الرسول يقول الملك لا تتهاون فى خدمتى ولا تترك الجند تتفرق وحدتهم وحثهم على القتال ، لا ينسب الى كذب ولا تقصير فى آداء الرسالة » .

وقسم آخر قال الله لجبريل عليه السلام اقرأ على النبى هذا الكتاب ، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير ، كما يكتب الملك كتابا يسلمه الى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا »

ويعلق الامام السيوطى فى الاتقان على كلام الجوينى بقوله . قلت القرآن هو القسم الثاني بالنسبة لكلام الجويني ، والقسم الأول هو السنة . كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما كان ينزل بالقرآن . ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ، لأن جبريل اداه بالمعنى ، ولم تجز قراءة القرآن بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ ولم يبح ايحاءه بالمعنى .

والسر فى ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه ، والاعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتى بلفظ يقوم مقامه . وأن تحت كل حرف منه معانى لا يحاط بها كثرة .

والأحاديث القدسية والنبوية

للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم
الجامعة الاسلامية ـ أم درمان

فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه . والتخفيف على الامة حيث جعل المنزل اليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظ الموحى به ، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق . أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف ، وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجويني (١) .

رأى ابن حجر

ويزيدنا بيانا وتفصيلا العلامةالشهاب ابن حجر الهيثمي فقد فصل القول فى الفرق بين القرآن والأحاديث القدسية . فذكر أن الكلام المضاف اليه تعالى أول قسم منه وأشرفه (القرآن الكريم) لتميزه عن البقية باعجازه من أوجه كثيرة ، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر محفوظة من التغيير والتبديل . وبحرمة مسه لمحدث ، وتلاوته لنحو جنب وروايته بالمعنى . وبتعيينه فى الصلاة ، وبتسميته قرآنا ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات . وبتسمية الجملة منه آية وسورة ، وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك ، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر وروايته بالمعنى ، ولا يجزىء فى الصلاة بل يبطلها ، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقا » .

« وأما الأحاديث القدسية وهى ما نقل الينا آحادا عنه صلى الله عليه وسلم مع اسناده لها عن ربه ، فهى من كلامه تعالى ، فتضاف اليه وهو الأغلب ، ونسبتها اليه حينئذ نسبة انشاء لأنه المتكلم بها أولا ، وقد تضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم لأنه المخبر بها عن الله بخلاف القرآن فانه لا يضاف الا اليه تعالى ، فيقال فيه قال الله تعالى . وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى » .

« أما بقية السنة وهى الأحاديث النبوية فاختلف فيها هل هى كلها بوحى أم لا ؟ وآية « وما ينطق عن الهوى » تؤيد الأول ، أى أنها بوحى ؛ لأنه سواء أكانت بوحى ابتداء أو باجتهاد النبى عليه الصلاة والسلام ثم أقره الله لأن الله لا يقره على خطأ فتصبح فى حكم الوحى على كل حال ، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم « ألا انى أوتيت الكتاب

---

(١) الاتقان للسيوطي جـ ١ ص ٤٤

ومثله معه » من رواية أبى داود فى سننه وفى رواية الترمذى . « وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

« ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية فى كيفية من كيفيات الوحى ، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته كرؤيا النوم . والالقاء فى الروع . وعلى لسان الملك » .

« ولروايتها صيغتان : احداهما أن يقول « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه » وهى عبارة السلف ومن ثم آثرها النووى . » . وثانيتهما أن يقول قال الله تعالى . فيما رواه عنه صلى الله عليه وسلم والمعنى واحد » (١) .

ورأى الدباغ

وفى كتاب الذهب الابريز يقول السيد عبد العزيز الدباغ :

« أو لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ما يشبه الأحاديث القدسية لما آمن الناس » ثم يبين أن السيطرة على النفوس انما كانت بسلطان عظمة القرآن . يقول رضى الله عنه : « كل من استمع القرآن ، وأجرى معانيه على قلبه علم علما ضروريا أنه كلام الرب سبحانه ، فان العظمة التى فيه والسيطرة التى عليه ليست الا عظمة الربوبية وسطوة الألوهية ، والعاقل الكيس اذا استمع لكلام السلطان الحادث ثم استمع لكلام رعيته وجد لكلام السلطان نفسا به يعرف . حتى لو فرضناه أعمى ، وجاء الى جماعة يتكلمون والسلطان مغمور فيهم . وهم يتناوبون الكلام لميز كلام السلطان من غيره ، بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة . هذا فى الحادث مع الحادث فكيف بالكلام القديم ، وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربهم ، وعرفوا صفته وما يستحقه من ربوبية ، وكان لهم سماع القرآن فى افادة العلم القطعى مقام المعاينة والمشاهدة حتى صار الحق سبحانه وتعالى عندهم بمنزلة الجليس معهم ، ولا يخفى على أحد جليسه .

خصائص الاحاديث القدسية

ثم يفرق الدباغ بين الأحاديث القدسية والنبوية من حيث الهدف العام لكل منهما بصفة عامة فيقول : ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق سبحانه وتعالى ، وتبيين عظمته أو اظهار رحمته أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه .

ويمثل بما جاء لتبيين العظمة بالحديث القدسى « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا » الحديث رواية أبي ذر رواه مسلم .

ويمثل لاظهار الرحمة بالحديث القدسى المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى . « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرأوا ان شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » رواه الشيخان .

ويمثل بالتنبيه على كثرة عطائه بالحديث القدسى المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يد الله ملأى سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار » رواه الشيخان .

وغير القدسية

أما الأحاديث التى ليست بقدسية فهدفها العام أنها تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام ، والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد .

---

(١) قواعد التحديث للقاسمى . وشرح الاربعين النووية .

عدد القدسية

ويقول الأستاذ القاسمى صاحب قواعد التحديث فى مصطلح الحديث « والأحاديث القدسية أكثر من مائة ، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير . لعله يقصد بذلك الكتاب المشهور . « الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية » .

ونرى أن كلام الدباغ المتقدم يمكن أن يقبل على اجماله بأن المقصد الأول أو الصفة السائدة لكل منهما تتسم بذلك المجال الذى بينه .

رأى الدكتور عبد الله دراز

وقد فصل استاذنا الكبير المرحوم الدكتور عبد الله دراز فى كتابه القيم « النبأ العظيم » القول فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى . ووضح الأمر بالنسبة للفرق بين الحديث النبوى والقدسى وبينه بيانا شافيا .

فذكر أن العلماء فرقوا بين القرآن وما عداه . فقالوا (القرآن كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته . و أفاد وصفه المتعبد بتلاوته أى المأمور بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة . اخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك كالأحاديث القدسية وهى المسندة الى الله عز وجل ، ان قلنا انها منزلة من عند الله بلفظها .

الحديث النبوى توفيقى وتوقيفى

ثم قسم الدكتور دراز الأحاديث النبوية بحسب ما حوته من المعانى الى قسمين : قسم توفيقى استنبطه النبى عليه السلام بفهمه من كلام الله . وبتأمله فى حقائق الكون ، وهذا القسم ليس كلام الله مطلقا .

والقسم الثانى توقيفى نطق الرسول مضمونه من الوحى فبينه للناس بكلامه ، وهذا القسم وان كان ما فيه من العلوم منسوبا الى معلمه وملهمه سبحانه وتعالى . ولكنه من حيث هو كلام حرى أن ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الكلام انما ينسب الى واضعه وقائله الذى ألفه على نحو خاص ، ولو كان ما فيه من المعنى قد تواردت عليه عليه الخواطر ، وتلقاه الآخر عن الأول .

فالحديث النبوى اذا خارج بقسميه (التوفيقى والتوقيفى) عن كونه كلام الله . وكذا الحديث القدسى ان قلنا انه نزل بمعناه فقط . وهذا أظهر القولين فيه عندنا لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية فى نظر الشارع ما للنظم القرآنى ، اذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله . فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه ، وعدم جواز روايته بالمعنى اجماعا ، وحرمة مس المحدث لصحيفته ولا قائل بذلك كله . وأيضا فان القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شىء آخر وهو التحدى بأسلوبه والتعبد بتلاوته احتيج لانزاله بلفظه والحديث القدسى لم ينزل للتحدى ولا للتعبد بل لمجرد العمل بما فيه ، وهذه الفائدة تحصل بانزال معناه ، فالقول بانزال لفظه قول شىء لا داعى للنظر اليه ، ولا دليل فى الشرع عليه اللهم الا ما قد يلوح من اسناد الحديث القدسى الى الله بصيغة « يقول الله تبارك وتعالى كذا » .

لكن يمكن على ضوء القرائن التى ذكرناها افساح المجال لتأويله . بأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه . وهذا تأويل شائع فى العربية فأنك تقول حينما تنثر بيتا من الشعر « يقول الشاعر كذا » وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأساوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك اليهم .

فاذا زعمت أنه لو لم يكن فى الحديث القدسى شىء آخر مقدس وراء المعنى لصح أن تسمى بعض الحديث النبوى قدسيا أيضا لوجود ذلك المعنى فيه .

البقية على ص ٦٦

٢

للاستاذ البهى الخولى

تقدير الاسلام لانسانية المرأة

قدمنا أن « انسانية » المرأة لم يكن لهـا اعتبـار فى المجتمعـات القديمـة المتحضرة ، متدينة وغير متـدينة ... وقد رأينا أنه كان من موضوعات بعضهم التى يتدارسونها . هل للمرأة ان تعبد الله كما يعبـده الرجـل ؟ .. وهـل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟ .. وهل هى انسان له روح يسرى عليه الخلود ، أو هى حيوان نجس أعد للخدمة ؟ .. وبينما كانت هذه المجتمعات تعانى ذلك ظهر الاسلام فى جزيرة العرب يقرر لها من الحقوق والواجبات ، والخصائص النفسية ، والاستعدادات العليا ما كان مثار عجب ودهشة بين بعض أتباع النبى أنفسهم ، فضلا عن غيرهم ، لانه كان يقتضى تغيـيرا أساسيا فى أوضاعهـم الراسية ، وتقاليـد فروسيتهم التـى درجوا عليها منذ قرون كثيرة .. فقد قررلها اهليتها الاقتصادية وجعلها فيها صنـو الرجـل ، وقـرر لها أهليتهـا الاجتماعية .. كما قرر أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية .. وأبرز لها وجودا اجتماعيا عاما اذ جعل لها دورا فى اصلاح المجتمع ، يقـوم على حراسـة قيمه ، وتقويم انحرافاته وتزكية عقائده ومبادئه للسمو بها الى أفضل ما يستطاع ، لا تتخلف فى ذلك عن الرجل ، ولا تقل عنه مسؤولية فيه ، وهو سبحانه يقول . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعـض يأمرون بالمعروف وينهون عـن المنكـر ويقيمون الصـلاة ، ويؤتـون الزكـاة ويطيعون الله ورسوله » .. (١)

وقد جعل الاسلام اساس ذلك كله تقرير حقيقة « الوصف العام » للمرأة .. وهو الوصف الذى تشترك فيه مع الرجل ، ويتألف من عنصرين أساسيين يمتزج كل منهما بالآخـر حتى يكـونا حقيقة واحدة هى ما سميناه « الوصف العام » وهما . اخوة النسب البشرى .. ووحـدة المعنى الانسانى ، وهـى تتساوى فى كل منهما مع الرجل كـل المساواة ، وقد جاء تقريرهما فى الاسلام على النحو الآتى .

أ — فهى أخت الرجل ، اذ تنسب واياه الى أب واحد وأم واحدة ، وذلك قوله تعالى . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله علـيم خبير » (٢) .. فهـو ينادى

(١) التوبـة / ٧١

(٢) الحجرات / ١٣

الجميع بكلمة « الناس » معلنا أنه خلقهم من أب واحد وأم واحدة « انا خلقناكم من ذكر وأنثى » .. ولفظ « الناس » فى اللغة يشمل أفراد الانسان كافة رجالا ونساء ، فهو على هذا يقرر الاخوة – أخوة النسب – بين الرجل والمرأة اذ خلقهما من « ذكر وأنثى » ، فكل منهما شقيق الآخر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة بقوله . « انما النساء شقائق الرجال » (١) .. وأخوة النسب على هذا النحو تقتضى المساواة فيه ، اذ لا يكون احد الشقيقين اوفر حظا فى النسبة الى أبويه من الآخر ، فالمرأة على هذا مساوية للرجل فى النسبة الى الابوين ، لا تزيد فيها عنه ولا تنقص ..

ب – وهى انسان مثله ، مساوية له فى الانسانية ، وذلك قوله تعالى « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (١) .. وشاهدنا يتعلق من هذه الآية الكريمة بثلاث جمل .

الاولى . قوله تعالى . « يأيها الناس اتقوا ربكم » ، فهو اذ ينادى الجميع بكلمة « الناس » يختلف عن سابقه فى المراد بالنداء ، فهو هنا يطلب اليهم ان يتقوا ربهم ، وهناك يخبرهم انه خلقهم من ذكر وأنثى .. وتقوى الله تعالى انما تتعلق بخصائص روحية فى النفس ولا صلة لها بتة بما بين الافراد من روابط النسب وعلائق اللحم والدم .. فاذا نودى « الناس » ان يتقوا ربهم ، فالنداء متوجه اليهم باعتبار خصوصية الانسانية فيهم . تلك الخصوصية التى تجعلهم نوعا قائما بذاته بين « أنواع » كائنات هذه الارض .. وبما ان المرأة داخلة مع الرجل فى مفهوم كلمة الناس – على ما قدمنا – فهى مخاطبة معه بتكاليف التقوى ، أى ان الخطاب متوجه اليها باعتبار « خصوصية الانسانية فيها » . فهى – اذا – انسان ، كما هو انسان .

والجملة الثانية مما يتعلق به مرادنا . قوله تعالى . « خلقكم من نفس واحدة » فان دلالة هذا القول على النسبة الروحية أوضح وأوكد من دلالتها على أخوة النسب الحسى الذى لابد فيه من نفسين اثنتين ، لا « نفس واحدة » ولا سيما ان النفس فى اللغة تدل على الروح وعلى الصفات المعنوية للمرء ، ولا تقتصر دلالتها على شخص الانسان الظاهر للحس ..

والجملة الثالثة . قوله تعالى . « وخلق منها زوجها » فانها مع سابقتيها تسهم فى توكيد الدلالة على وحدة المعنى الانسانى ، ذلك ان الجملة السابقة ترد الجميع الى « نفس واحدة » هى نفس آدم عليه السلام اما هذه الجملة فتنفرد بتقرير نسبة الزوجة – أم الجميع – حواء عليها السلام الى نفس المصدر الروحى الذى نسب اليه بنوها .. فالأبناء – اذا – وأمهم معهم داخلون فى التقويم الانسانى المستمد من خصائص تلك النفس الواحدة .

ونعتقد ان ليس ثمة نص فى قديم او حديث عالج – فى ايجاز واعجاز – تقرير انسانية المرأة من جميع النواحي ، وبأبعد الاعماق اصالة ، وبمختلف طرق التقرير والتعبير ، على مثل ما نجد فى ذلك النظم القدسى الكريم « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها » ..

ولما كان التقويم الانسانى الذى قدر لآدم عليه السلام معنى علويا من أمر الله، وليس مادة قابلة للتجزئة والتبعيض ، فان ما استمد منه لانسانية زوجه ، وانسانية أولاده جميعا رجالا ونساء لا يمتاز بعضه من بعض ، ولا أعتبار فيه لذكورة أو أنوثة ، وذلك أمر له دلالة على

(١) رواه الامام احمد وأبو داود والترمذى

(٢) النساء / ١

وحدة المعنى الانسانى لدى الرجل والمرأة ، ومساواة المرأة للرجل فيه ، هذا فى الوقت الذى كانت تنعقد فيه مؤتمرات بعض الاديان لتبحث فى أمر المرأة . هل هى انسان أو غير انسان !!

بتقرير هذين العنصرين ، وامتزاج أحدهما بالآخر ، يتألف الوصف العام الذى يشترك فيه كل من الرجل والمرأة على نحو من المماثلة التامة لا يفترق فيه أحدهما من الآخر .. وعلى أساس هذا الوصف وتلك المماثلة قرر الاسلام للمرأة نفس ما قرر للرجل من أهلية دينية « واقتصادية .. واجتماعية .. ونحوها .. على ما سنورده فيما يأتى . »

أ — ففى أهليتها للتدين وتلقى التكاليف الشرعية قدمنا أنها اذ نوديت بتكاليف تقوى الله كان الخطاب متوجها اليها باعتبار « خصوصية الانسانية » فيها ، أى ان انسانيتها هى التأهيل الروحى والعقلى لهذا التكليف .. وهى فى ذلك مثل الرجل على ما قدمنا .

ومما له مغزاه فى هذا المقام ان الله تعالى أشرك حواء مع آدم — عليهما السلام — فيما خاطبه به وأمره ونهاه .. فحين أمره ان يسكن الجنة ، ونهاه ان يأكل من الشجرة ، وجه اليهما الخطاب معا . « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما . ولا تقربا هذه الشجرة .. الآية (١) .. وحين أنكر سبحانه ما كان من مخالفة أمره ، وجه الانكار اليهما معا . « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ؟ ... » الخ (٢)

وتأكيدا لمساواتها للرجل فى تلك الاهلية جعلت مستقلة عنه فيها كل الاستقلال ، لكل منهما مسؤوليته الخاصة عن نفسه عند الله ، حيث لا تغنى نفس عن نفس شيئا ، ولامر ما كان للنساء بيعة خاصة بهن فى الاسلام دون بيعة الرجال ، لتدخل كل منهن الاسلام من باب غير بابزوجها أو أبيها . « يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا » الى ان قال : « فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » (٣) ، قال فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت — رحمه الله — فى رسالة القرآن والمرأة « ولعلك تأخذ من مبايعة النبى — صلى الله عليه وسلم — للنساء مبايعة مستقلة عن الرجال ان الاسلام يعتبرهن مسئولات عن أنفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن مسئولية الرجل » .

وتأسيسا على تلك المسئولية كانت مع الرجل فى ميزان الثواب والعقاب الاخروى على درجة سواء ، على حسب ما قدم كل منهما لنفسه من احسان او سوء . « ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (٤) .. « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم » الآية (٥) .

ب — وأما أهليتها الاقتصادية ، فنعنى بها أهليتها لتملك القيم الاقتصادية والتصرف فيها .. وقد قدمنا أن ما أهلت به المرأة من عقل ومواهب روحية جعلها أهلا لتلقى شرف التكليف الالهى بعبادة الله تعالى وفعل الخير ، فأولى ان تكون أهلا لما دون ذلك من القيم الاقتصادية على اختلاف أنواعها .. وقد كانت الانوثة لدى الرومان — على ما سبق فى المقال الاول — من أسباب انعدام أهلية المرأة ، وأنها لم تكن لدى العرب وغيرهم بأحسن حالا من حيث التملك والتصرف، فجاء الاسلام وجعل لها كالرجل حق

---

(١) سورة البقرة ٣٤ (٢) سورة الاعراف ٢٠ (٣) الممتحنة ١١

(٤) سورة النساء ١٢٤ (٥) سورة التوبة ٦٨

مباشرة عقود التصرفات بجميع انواعها ، وجعلها صاحبة الحق المطلق على ملكها ، ولم يجعل للرجل أيا كانت صفتـه أو قرابته منها ـ اى سلطان عليها ..

فقد قرر لها حق التملك بالميراث بعد ان كانت محرومة منه فى الجاهلية ، ونزل بذلك المبدأ قوله تعالـى . « للرجـال نصيب مما تـرك الوالدان والاقـربون وللنســاء نصيب مما تـرك الوالـدان والاقربون مما قل منه او كثـر نصيبا مفروضا » (١) .. وغدت بذلك تـرث أباها ، وأخاها وابنها ، وزوجها وغـير هؤلاء من أقاربها .

ولم يكن لها فى الجاهلية حق فى المهر الذى يدفعه زوجها ، بل هو حق لابيها ، او أخيها ، أو نحوه مـن الاوليـاء .. وقدمنا ان الدوطة لدى الرومان كانت تصير حقا للزوج بمجرد تحول الزوجـة الى بيته .. وكان ذلك منطق الوضع الذى لا يعترف لها بتملك او مـيراث ، فقرر الاسلام ان المهر حقها وحدها ، ولها تملكه ، ولم يجعل لزوجها أو وليها أى سلطان عليه ، أو أى حق فيه يقول الله تعالى . « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » (٢) قال ابن حزم . « لا يجوز ان تجبر المرأة على ان تتجهـز الى الزوج بشىء أصلا ، لا مـن ما لها ، ولا مـن صداقها ، والصداق كله لها تفعل فيه ما شاءت ، لا اذن للزوج فى ذلـك ولا اعتراض .. الى ان يقول . ولا يحل لابى البكر صغيرة كانت أم كبيرة ، او الثيب ، ولا لغيره من سائرة القرابة أو غيرهـم حكم فى شىء مـن صداق الابنـة او القريبة ، ولا لاحد ممن ذكرنا أن يهبه ولا شيئا منه لا للزوج ، ولا لغيره ، فان فعلوا شيئا من ذلك فهو منسوخ باطل مردود أبدا ، ولها ان تهب صداقها او بعضه لمن شاءت ، ولا اعتراض لاب ولا لزوج فى ذلك » (٣) .

ولها ان تملك الضيـاع ، والدور ، وسائر أصنـاف المال بكافـة أسباب التملك ، ولها ان تمارس التجارة، وسائر تصرفات الكسب المباح ، ولها ان تضمن غيرها وأن يضمنها غـيرها ، وأن تهب الهبات ، وأن توصى لمن تشاء مـن غـير ورثتها ، وان تخاصم غيرها الى القضاء .. لها ان تفعل ذلك ونحوه بنفسها ، او بمن توكله عنها باختيارها .. ويعلق الامام محمد عبـده على ذلـك بقوله :

((هذه الدرجة التى رفع الله النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها أمة مـن الامم قبل الاسلام ولا بعده .. وهـذه الامم الأوربية التى كان من تقدمها فـى الحضارة ان بالغت فى احترام النســاء وتكريمهـن وعنيت بتربيتهن وتعليمهـن الفنون والعلـوم ، لا تزال دون هـذه الدرجة التى رفع الاسلام النساء اليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة منحق التصرف فى مالها بدون اذن زوجهـا ، وغير ذلك من الحقوق التى منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، وقد كان النساء فى أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء فى كل شىء ، كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب بل أسوا حالا ... الى أن قال : وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهـم عـن شـريعتنا فى اعـلاء شـأن النســاء يفخـرون علينـا بـل يرموننا بالجهل فى معاملة النساء ، ويزعم الجاهلون منهم ان ما نحن عليه هو أثر ديننا)) (٤) .

ولعل شبابنا ونساءنا بما قدمنا من بيان ، وما جاء بقلم الاستاذ الامام ـ يدركون فضل دينهم على كافة الشرائع فى تقرير معالم الحضارة ، فيعتزون بـه ويجعلونه مناط هممهم فيما ينشـدون لمجتمعنا الجديد من أقوم الاسس وأفضل الدعامـات .

---

(١) النسـاء / ٧

(٢) النساء ٣

(٣) المحلى ج ٩ ص ٥٠٧ ، ٥١١

(٤) تفسير المنار ج ٢ ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

١٤٠٠ سنة مضت على البعثة المحمدية

ان رحلة الانسان فوق كوكب الارض مرت بمراحل عديدة ، ما تزال الكشوف والدراسات العلمية تجد فيها جديدا ينسخ ما قبله ، حتى وصلت أخيرا الى مليون سنة أو تزيد .

ونمو الوعى الانساني ، ويقظة ضميره، وخضوعه لقواعد تجعل الحياة أكثر أمنا واستقرارا هو البحث الذى تعد كتب السماء أهم مراجعه ، وأوثقها .

ولعل ظهور سيدنا ابراهيم برسالة التوحيد ، كان علامة كبرى فى البناء الحضارى للبشرية كلها .. فوجود الاله الخالق للأحياء والأشياء ، المسيطر على الكون ونواميسه ، المعبود وحده من كل الكائنات ، كان نقطة الابتداء ، التي ترتكز عليها كل فضيلة ، وبها يصبح الانسان انسانا مميزا عاقلا مدركا قادرا على الصعود فى درجات الرقى .

ومن خلال أسرة واحدة ، جربت رسالات السماء ، ايجاد شعب ، اذا استمع لكلمات الله ، وسار سيرة الصالحين ، أمكن لشعوب أخرى أن تحذو حذوه وتمضي فى طريقه .

وكان صاحب التكليف فى هداية هذا الشعب المختار ، شاب اسمه موسى ، عاش فى مصر ، فى عصر من أزهى عصورها الحضارية ، تعلم الرياضيات والفلك والطب وشتى الفنون .. وحتى يتم تدريبه على تبليغ رسالة السماء ، أوحى اليه ، أن يصحب رجلا صالحا هو الخضر ، لكي يضرب له الأمثال ، على أن العقل الانساني ، بمنطقه العادى ، مهما تعلم ، فهناك ما هو أعلم منه ، وأزكى .. هناك الحكمة .. هناك الرشد الذى لا تقاس به علوم الدنيا مهما ارتقت ... وقد فصلت لنا سورة الكهف ، فى عرضها الرائع ، هذا التدريب الروحي الذى تلقاه موسى من الرجل الصالح ..

ومضى موسى عليه السلام ، يقود شعبه من مصر ، ويحمل لهم كلمات ربه .. فبدأوا بسرقة حلى المصريين وأموالهم وهم راحلون .. ثم أمعنوا فى الكفر وعبادة الأوثان والتمرد ، فى برية سيناء ، فمنعوا من الخروج منها أربعين سنة ، حتى يبيد منهم جيل ، ويظهر جيل آخر ، لعله يكون أكثر استجابة وأهدى سبيلا .

وتوالى من بعد موسى رسل وأنبياء ، عسى أن تتحقق فكرة الشعب المختار ، ولكن هذا الشعب كان بيئة فساد مكتملة يقتل أنبياءه ، ويعصى كلمات ربه ، ولا يثوب الى رشده مهما حلت به من نكبات ..

ونزول سورة اقرأ

للأستاذ / محمد صبيح

وجاءهم عيسى عليه السلام بعد ذلك، نبيا ورسولا ، وفى ثلاث سنوات وجه لهم أعنف الملام ، وأشد التخويف ، فقوبل بالعقوق والانكار الشديد ، ولم يسمع له الا القليل من فقراء الصيادين.

لقد كثر سكان الكرة الأرضية ، وظهرت فيهم فلسفات وآراء،وحضارات فكانت حكمة الله ، أن يكون أهل الأرض جميعا ، هم شعب الله المختار ، وأن تبلغ لهم كلمة الله أينما كانوا فى مشارق الأرض ومغاربها .

وما كان يمكن ، أن يظهر الرسول المنتظر من بين اليهود ، أهل الكتاب ـ التوراة ـ بعد ما سلف من تجربتهم ، والصبر على كفرهم وعنادهم .. فكان الرسول الجديد من الأميين ، أى الأمم الأخرى غير اليهود ، وعن طريقه تبلغ كلمات الله ..

ورحمة من الله بالناس ، وقع اختيار السماء ووحيها على واحد من نسل ابراهيم .. ومن هذا الفرع الذى سكن الحجاز منذ قدمه ابنه اسماعيل .

وهكذا خرجت دعوة التوحيد ، الى الأفق الرحب الفسيح ، فضلا من الله على الناس ..

ولسنا ندرى هل كان اليهود وحدهم هم الذين جرت بينهم تجربة الشعب المختار واختصوا لفترة برسل الله ، بل ربما كانت هناك فئات أخرى من البشر ، حدثت فيها هذه المحاولات ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة غافر . « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .

وزادت الفترة بين رسالة المسيح عليه السلام ورسالة الختام أكثر من خمسة قرون .. وفى هذه الفترة شهد العالم نهاية الحضارة المصرية ، باستسلام مصر لحكم الرومان ، ثم هذه المعاناة الهائلة التي تكبدها دعاة المسيحية الأول فى نشر دعوتهم ، والتي وجدت صداها بين شعوب البحر المتوسط ، بعد أن عجزت آلهة المصريين واليونان والرومان عن أن تقدم للناس طاقة روحية تقنعهم وترضيهم .. وما لبثت روما أن انهارت وهوت كعاصمة للعالم ، لتخلفها القسطنطينية التي اشتبكت فى صراع رهيب مع أكاسرة فارس ، أغرق مده وجزره منطقة الشرق الأوسط فى بحار من الدماء .

وفى هذه الفترة أيضا ـ القرون الخمسة التالية لقيام المسيحية ـ انتشر فى الشرق الأقصى ـ الهند والصين ـ ديانة بوذا وكونفشيوس ، ووسط هذه الجموع الآسيوية سرت دعوتان ، أولاهما رهبانية وزهد ، والثانية فكر وتأمل .

والنظرة الشاملة فى نهاية القرن

الخامس وبداية السادس الميلادى ، تعطينا صورة للتمزق الشديد ، الروحى والمادى ، الذى كانت تعانيه البشرية فى ذلك الوقت . فعلى الرغم من أن الرومان دانوا بالمسيحية ، الا أنه ظهر أن المذاهب التي انقسمت اليها هذه الديانة ، عادت بألوان من الاضطهاد يصبه فريق على فريق . أصحاب السلطة على الشعوب المحكومة . وقد شهدت مصر وبلاد الشام فظائع هائلة أذاقها الرومان للناس ، حتى خربت المدن ، وأقفرت الدور ، وهجرت المزارع والمتاجر ، ونسى الجميع أن كلمة المسيحية الأولى هي المحبة والرحمة .

ولم يكن الحجاز ، قطعة منعزلة فى الصحراء عما يحيط بها من صراع ، فقد سكنتها قبائل قريش ، وهم قوم يعيشون على التجارة ، يرحلون من أجلها الى بلاد كثيرة ، منها الشام ومصر والحبشة وبلاد الفرس والهند .. والى بلادهم كان يفد أيضا التجار ، والرقيق من كل لون ونوع ، يقصون أنباء ما يحدث فى الدنيا من حولهم . وكان الحجاز أحد الطرق الرئيسية لتجارة الشرق الأقصى ، مع البلاد الأوروبية ، يحرسون قوافلها مقابل أجر أو يشترون حمولة هذه القوافل ويسافرون بها الى أماكن تسويقها .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن رحلات الشتاء والصيف شمالا وجنوبا ، وحدثتنا السير عن رحلات لعمرو بن العاص وغيره الى الاسكندرية ، وروت لنا أيضا عن قافلة أبى سفيان وصفوان ابن أمية ، بعد بدر بأسابيع ، تحمل الفضة الى أسواق العراق من طرق تجتاز نجد الى الشمال .

وكان أهم ما تعيش عليه مكة ، وتعيش به ، هو « الأمن » تقدمه للناس جميعا من كل ملة وجنس .. فمهما تكن عداوات الناس وخصوماتهم ، فانهم ما ان يدخلوا حدود المنطقة الحرام ، حتى يضعوا سلاحهم ، ويتناسوا العنف بكل أنواعه ..

وما كان أحوج الناس الى واحة آمنة ، ينسون فيها مآسيهم ، سواء فى ذلك القبائل العربية بعصبياتها ، أو الديانات المسيحية واليهودية بقتالها ومذابحها ، أو حروب السيادة والعنصرية بين الفرس والرومان ، أو الاضطهادات الدينية بين المذاهب المختلفة .. كل هؤلاء كانوا يعلمون من أمر مكة ، وما يسودها من « أمن » وتهفو نفوسهم الى أيام وأسابيع فى جوار بيتها العتيق يقصون فيه أنباءهم ، ويفضون لمن حولهم بآلامهم ..

وفى وسط هذا الطنين والأنين ، والألم والأمل ، عاش محمد بن عبد الله ، يرى ويسمع ، ويسافر ويعود .. فلما بلغ الخامسة والعشرين ، استقر به الزواج فى بيت خديجة ، وبعد ذلك اتجه الى مكان سمع أن بعض أجداده كانوا يلجأون اليه ، وهو غار حراء .. وكان ينقطع فى هذا الغار عن مكة وأحاديثها وزوارها ولهوها وجدها ، أسابيع من كل عام .

ماذا كان يصنع — عليه الصلاة والسلام — وحده فى هذا المكان البعيد المنعزل من الجبل . لا شيء الا التفكير ، والتأمل .. لا أنيس الا نجوم الليل ، وهذه الصحراء الممتدة أمامه الى غير نهاية .. لا صوت الا صرير الريح اذا زمجرت ، وهبات النسيم اذا ترفقت .. ولكن حديث النفس كان يتصل ، ويتصل فى كل لحظة وكل وقت .. يستعرض ما مر بالبشرية من أطوار ، منذ عهد آدم ومن جاء بعده .. منذ عهد ابراهيم ودعوة التوحيد التي نادى بها وأنقذه ربه من نيران أوقدت حوله .. منذ عهد يوسف وموسى عليهما السلام ، وما كان من عصيان بنى اسرائيل ، وعنادهم الذى لا يشبهه عناد .. منذ عهد المسيح عليه السلام ، الذى

تحولت دعوة السلام والسماحة بين اتباعه الى آلام وآلام .. !! .

وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اكثر ما يعود بحديث نفسه ، الى بساطة الدعوة التي جاء بها جده الكبير ابراهيم الخليل .. انها أولى وأجدر الدعوات بالتعزيز ، وأصلحها لكي تجتمع عندها البشرية كلها .

ترى كيف ، ومتى يكون ذلك وينطلق بين الناس صوت يوحد كلمتهم المزقة ، ويروى ظمأهم الى المعرفة الحقة ، ويقودهم الى ما فيه خير معاشهم ومعادهم ؟ ..

أجل ان ما تحتاجه البشرية ، من بلاد كنفشيوس وبوذا ، الى بلاد عبدة النار فى فارس ، وأتباع المسيح من الحبشة الى بلاد الرومان .. ما يحتاجه الجميع ، هو دين عام شامل ، يعترف بما هو حق من كل ما سبقه من أديان ، ويضع لكل وقت وزمان قادم ما يلبى حاجاته ، من أصول العبادات ، والتعامل بين الانسان والانسان والجماعات بعضها مع بعض .

أجل .. هذا هو الحلم الجميل ، والرؤيا الصادقة ، التي انتهت اليها تأملات زائر الغار ، المنقطع لذكر الله الواحد الأحد ، فى ذلك الجبل من جبال الحجاز ..

وما كان يدرى صاحب هذا التصور المثالى لما تصلح عليه الجماعة الانسانية أن الله سبحانه وتعالى ، اختاره منذ الأزل ، لكى يكون خاتم رسله .. وان رحلاته الى الغار ، كانت بدافع من العناية الالهية وتوجيه .. بل هي تدريب واعداد .. تماما كما كانت رحلة موسى عليه السلام وصحبته مع الرجل الصالح الخضر ..

ثم أذن الله لزائر الغار المتحنف المتحنث ، أن يتجه الى المهمة الكبرى ، وأن يحمله كلمة السماء ، الى قومه ، ثم الى البشرية كلها ..

حدث ذلك فى الليل ، وكان الفجر قد اقترب ، والسكون شامل ، والكون كله غاف ...

حدث أن شيئا ما ، نبه حواس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكأنه صوت عريض عميق قادم من بعيد ، يحيط بالجبل وبالغار ، وبساكن الغار ..

ان هذا الصوت حقيقة ، وليس وهما أو خيالا .. انه يسمع كلمات ، نافذة ، واضحة ، فيها هدوء وتصميم .. ان الصوت يقول :

— اقرأ ..

وكان على ساكن الغار أن يقول أو يعمل شيئا .. فوجد نفسه يجيب بصوت متردد خافت .

— ما أنا بقارىء .

ويتكرر الأمر بالقراءة والاعتذار عنها ثلاث مرات ، واذا الصوت يردد .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .. » .

وهكذا بدأ نزول القرآن الكريم .

وكان أول نزول الوحى فى يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، وقيل لسبع ، وقيل لأربع وعشرين .

وكان سن رسول الله عليه الصلاة والسلام أربعين سنة .

كم مضى بعامنا الهجري هذا على نزول الوحى ، وابتداء البعثة النبوية المباركة ١٤٠٠ سنة هجرية ..

وفى شهر رمضان القادم ، نرى واجبا على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يحتفلوا بهذه الذكرى احتفالات تليق بجلالها . احتفالات نرجو أنْ تجمع قلوبهم جميعا على الخير ، وتوجه أنظارهم الى قرون أخرى قادمة ، فيها اليسر والرخاء ، وفيها قبل ذلك المحبة والاخاء ، وفيها بعد ذلك وقبله ، العمل الجاد فى سبيل نشر كلمة الحق ، بين شعوب تحس الحاجة الى معين صاف من الطاقة الروحية والمادية تعينهم على حياتهم ومعادهم ..

سيد الخلق

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ احسان النمر
– نابلس –

حاجة العالم الى كتابة السيرة النبوية كتابة صحيحة

لم يبق شك عند عقلاء العالم بأن العالم فى أزمة أخلاقية سلوكية ، وقد اتفق علماء الأخلاق بأن الاقتداء بعظيم وتتبع تصرفاته وسلوكه يسهل تنمية الاخلاق والسلوك . ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو أسمى من يقتدى به ، وجب كتابة سيرته كتابة صحيحة نقية من التناقض والمبالغات التقليدية التى شوهتها ، ومن الجدل المقوت الذى يضيع فائدتها . فأصحاب السير فى الماضى كتبوها كتابة تقليدية ، فأدخلوا فيها مبالغات لا سيما فى حمله صلى الله عليه وسلم وميلاده ، وكذا اضافوا مدعيات بعيدة التصديق كخلق الكون من أجل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن نوره سابق للمخلوقات جميعا ، الى غير ذلك من الامور التى لا تمت الى العظمة الحقيقية بصلة ، (١) وهى بالعكس تنفر المتنورين ومع ذلك فهى ضعيفة السند أو لا سند لها . وجل ما أنتجت تسلح أعداء الاسلام بها واتخاذها دعاية ضد الاسلام ورسوله .

وكان آخر ما وصل ليدى قصة المولد (٢) بعنوان « مولد العروس »

---

(١) كتب العلامة الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدى كتابا أسماه « أصول السيرة المحمدية » حقق فيه جميع هذه المدعيات وأثبت بطلانها وسأعرض لبعضها فى سياق بحثى هذا .

(٢) النبوى .

ينسبونه الى الامام الجوزى ظلما ، اذ لا أعتقد أن اماما كالجوزى تبلغ بـه الجرأة لايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا العنوان ، فيؤنثه ويجعله عروسا ، وهو المثل الاعلى للرجولـة ويذكر جماله ومحاسنه كأنه يصـف ملكة جمال ، واليك ما قال فى الصحيفة الخامسة من قصته. « فلما ولد صاحب الناموس ، بدأ فى الحضرة كالعروس . بوجه يحكى القمر ظهورا ، وشعر يشبه

ايجاد الاستقرار بعد السفسطة . واعتبر أستاذ الفلاسفة .

أما السير الاخرى قديمها وحديثها فانهـا مغمورة بالردود علـى الطاعنين بالاســلام ونبيه مما قد يشغل ذهن القارىء عن تســلسل الحوادث فـلا يستفيد من السيرة الفائدة المرجوة (١).

ان كتابة السيرة النبوية تحتاج الى بصـيرة نيرة تكشف حقائقها ، وجرأة

فى سواده ديجورا ، وجبين أطلع منه ضياء ونورا ، وقد أمسى الجمال به قريرا . وأنف أحسن من حد الحســام مشهورا وشفتين كالعقيق ، وثغر حكى لؤلؤا منثورا ، وجبين كالفضة أبدت بهاء ونورا » . ثم يتلو هذا أبيات مـن الشعر على هذا النمط يتغنـون بهـا ويتمايلون .

وانى لأتساءل : ما هو النفع الذى يعود على المسلم من هذا ؟ وما عسى غير المسلم يقول فى هذا التغزل بنبى ؟ وماذا يكون التغزل بغيره ومن دونـه) وأى باب يفتحه علينا هذا البلاء ! ! ؟ ثم هــو ينهـون السـيرة بعـد مولده بقليل ولا يذكـرون من صفاتـه العالية وثماره الخالدة شيئا يذكر .

مثل هذه القصة ينبغى أن تحـرق وأن يفرض الجزاء على من يرتزقون بها.

لقد كتب اليونان عن سقراط أنه كان دميما قصيرا رث الهيئة فلم ينقص هذا من قيمته بل ظل صاحب الفضـل فى

أدبية تقوى الكاتب على نبذ ما لا لزوم له ، وما لا يليق بحقه صلى الله عليه وسلم ، ثم شرح صفاته ومواقفه شرحا مفيدا ، وكذا النقاط التى قد تكـون موردالطعن والعتاب مع تصحيحها دون ذكر التهم التى ترتبت عليها . ثم رفع التناقضات التى دست تحاملا على هذا او ذاك .

ينبغى الكتابة عنه كبشر لا كشبه اله ، وأن سر خلود رسالته تمشيها مع السنن البشرية .

ينبغى أن تكتب الردود منفصلة لمن يريدها أما السيرة السائرة للجمهور (٢) فتكتب كما ذكرت .

أجل يجب أن تكتب السيرة كتابة جوهرية عالية تشرح حقيقة أعظم رجل عرفه التاريخ وبهذا يستفيد البشر عامة ممن أرسل لهم . ويستفيد المسلمون من سيرة من آمنوا برسالته والعـرب عموما كسيرة أعظم عظمائهم .

---

(١) لا يمكن انكار أهمية هذا النوع من الكتابة ولاسيما فى هذا العصر الذى تناوشتنا فيه الذئاب من كل مكان . « الوعي »

(٢) للجمهور . نعم ولكن للدارسين والمثقفين منهج آخر فى الكتابة يتفق مع اتساع عقولهم ومداركهم « الوعي »

سر اختيار الرسول الأعظم من العرب ثم من قريش

كان العالم فى القرن السادس الميلادى فى غاية الفساد والانحلال لم ينج منه الا من كانوا خارج نطاق الدول الحاكمة ، الروم وفارس والحبشة وهم الجرمان والعرب ، قال المؤرخ والوزير العثمانى جودت باشا . « أن الحضارة الرومانية قد أفسدت العالم المتمدن جميعه الا جزيرة العرب وجرمانيا ، فاضمحل العالم ، واحتفظت جرمانيا وجزيرة العرب بقواهما وأخلاقهما وطباعهما ، فانقضتا بعد ذلك على الامبراطورية الرومانية من الشمال والجنوب » .

وقال اللورد هدلى عن فساد الاحوال فى الامبراطورية الرومانية ما يلي . « انها كانت فى أسوأ حال فقد اضطرب الامن فأطمع ذلك العرب والجرمان وانتشرت الخزعبلات والفساد والرشوة والرذائل حتى بين رجال الكنيسة ورجال الشعب » . هذا ولم تكن فارس والحبشة تقلان عن الرومان فسادا .

وبالمقارنة بين العرب والجرمان نجد أن هؤلاء كانوا فى حالة بربرية فى هذا العهد فلم يعرف لهم شيء من التقدم . واذ كانت أطراف الجزيرة جميعها قد تلوثت بمفاسد الحضارة والاستعمار ولم يسلم منها الا تهامة (أى الحجاز فيما بعد) فهذه كانت أفضلها وأسماها ، ولذا كانت قريش التى نزلت فى مكة وأحاطت بها هى محور النهضة ، وفى جوارها كان يقام سوق عكاظ سنويا ، حيث تلقى الخطب والقصائد حاضة على النهوض . ونظرا لارتداد الأحباش عنها فان أنظار العرب قد اتجهت اليها ، وقد حافظت على كيانها من عامة الوجوه . وقد سيطر عليها التشريع العرفى القبلى . وسادت بين قبائلها تنشئة الفتوة وروح الفروسية وصفاتها كالنجدة والمروءة والشجاعة والكرم والوفاء للصديق ، وحفظ العهد ، وحماية المستجير ، وعزة النفس واباء الضيم وغيرها من الصفات التى كانت عامة شاملة جميع الطبقات ، مما لم يكن متوفرا عند غيرهم من الاقوام والشعوب والقبائل .

مكارم قريش ونقائصها

كانت قريش على جانب عظيم من الصفات الطيبة ، نسب صريح ومروءة وانشاد المحمدة وحيوية الضمير ، وكرم واسع فى اطعام الحجاج ، ومواقف مشرفة من عدم التواطؤ على هضم الحقوق الى غير ذلك من الأمور العالية التى سأعرض لها فى حينها ، والتى لا شك أنها بلغت بهم الذروة من السمو الخلقى . الا أنهم كانوا على جانب من النقائص في العادات والتقاليد والامور السخيفة كعبادة الاوثان ، وتقديس الاحجار .

وكانوا مترفين بالنسبة للأعراب فأطلق عليهم « السخيفة » وكانوا جامدين لا طموح عندهم الى أكثر من شهود موسم الحج وضيافة الحجاج ، فلم يفكروا باقامة ملك ودولة . وكان فيهم مرابون ومقامرون ومدمنون الى غير ذلك من النقائص . وكانوا يرون أنهم أعقل الناس وأشرف الناس فكانت أحوالهم متناقضة بين ظاهرهم الوثنى وبين غرورهم واستكبارهم . والى جانب هذا مكارم أخلاقهم وحرية ضميرهم وهم مع هذا أفضل من جميع معاصريهم بشهادة العرب كافة ، وشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ورد فى حديثه . « ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فرقا فجعلنى فى خير فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خير بيت ، فأنا من خيركم بيتا ومن خيركم

نسبا » . وورد أيضا . « ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

بنو هاشم قوم النبى صلى الله عليه وسلم

لما نقل ابراهيم الخليل عليه السلام ولده اسماعيل وأمه هاجر الى الحجاز ، وبنى البيت الحرام أصهر لولده فى قبيلة جرهم المسيطرة على تلك الديار ، ثم فسدت جرهم فاستولت على البيت قبيلة خزاعة وطردت جرهم واصهارها بنى اسماعيل الذين عرفوا بقريش وظل هؤلاء متفرقين الى أن ظهر فيهم فتى نابه هو قصى الذى استعان باخوته لأمه وعشيرتهم فتغلب على خزاعة ، واسترد مكة منهم . وبعد موته اقتسم أبناؤه وظائف سدانة البيت ، فكان لعبد مناف الرفادة والسقاية ، وبعد عبد مناف تولاها ابنه هاشم ، ثم بعد هذا تولاها ابنه عبد المطلب فأبو طالب .

واذ كانت الرفادة تعنى اطعام الحجاج بمساعدة قريش الا أن هؤلاء فى زمن الجدب كانوا يقصرون ، فيقوم بها هاشم وأبناؤه على حسابهم ، فاكتسبوا شهرة لكرمهم ولكنهم فقدوا ثروتهم ، فكانوا أشهر قريش وأسماهم وأشجعهم وفى نفس الوقت أضيقهم يدا .

نشأة محمد صلى الله عليه وسلم وظروفه

ولد لعبد المطلب عشرة أولاد كان آخرهم وأحبهم اليه عبد الله فزوجه فور بلوغه باحدى عقيلات قريش ومن أشرف بطونها وهم بنو زهرة ، وهى آمنة بنت وهب فحملت وقبل وضعها مات عبد الله فتولى عبد المطلب كفالة حفيده محمد الذى ولد بعد موت أبيه بقليل ، وقد انتقل حبه لعبد الله الى ولده محمد الذى تضاعف العطف عليه بسبب موت أبيه فى غرة شبابه .

وقد توسم الكل فيه الخير لولادته فى عام الفيل (١) أى ارتداد الاحباش ونجاة الحجاز قلب البلاد العربية من السيطرة الأجنبية ، وبقاء الكعبة قائمة يحج اليها الناس . وقد أوصى به الملك سيف بن ذى يزن اليمانى الحميرى حين وفد عليه عبد المطلب حيث سأل عن المولود الذى ولد لسيد قريش فى ذلك العام .

ثم مات عبد المطلب فأوصى بمحمد شقيق أبيه أبا طالب . واذ كان أبو طالب فقيرا لا ثروة له فقد أرعى محمدا أغنام بنى هاشم ، ثم صار أهل مكة يكلون اليه رعاية أغنامهم ثم أبلهم اذ كان الرعى **يحتاج الى حماية العشيرة ، ومحمد هاشمى لا يعتدى عليه أحد اذ كان لبنى هاشم** هيبة شديدة فى قلوب القرشيين ومن حولهم .

ولقد ترك محمد الرعى ولازم أعمامه فى سفراتهم مع قوافل مكة — التى أصبحت أهم مركز تجارى فى بلاد العرب فى ذلك العهد — فتعرف على أساليب التجارة وشارك بعض تجار مكة فاشتهر بالأمانة والاستقامة .

وكانت السيدة خديجة قد تأيمت مرتين وورثت ثروة طائلة صارت تشتغل بها فى التجارة على أيدى من تأتمنهم من الرجال فسعى أبو طالب لديها لمحمد فاعتمدته . واذ أعجبها نشاطه وأمانته فقد تزوجته وسلمته أموالها ، وبذلك

---

(١) هذا رأى الكاتب واظن أن مجرد ولادته فى عام الفيل لا يكفى لان يتوسم الكل فيه الخير . فانه لم يولد وحده فى هذا العام بل ولد مثله أطفال كثيرون فلم خص وحده بتوسم الخير فيه ؟ ومع هذا فنحن مع الكاتب فى نبذنا للاضافات الكثيرة التى اضافها المتخيلون دون أن يكون لها سند . « الوعي »

امن محمد – بأمانته واستقامته – مستقبله المالي فأغناه الله بعد فقر وآواه الى بيت حصين اذ كانت خديجة عاقلة شريفة تهافت عليها وجهاء قريش فلم تقبل الى أن تحققت اخلاص محمد واستقامته وأمانته فقبلته بلا تردد بل بسعيها وقد ولدت أولاده (١) وكانت خير زوجة أعانته بعقلها كما أعانته بمالها رضى الله عنها .

بلوغ محمد درجة السيادة حسب عرف قريش بتفوق

كانت قريش تتطلب فى فتيانها الصلابة وتحمل تقلبات الطقس ليقووا على مصاحبة القوافل فى رحلتى الشتاء والصيف الى اليمن والشام ، وقد نشأ صلى الله عليه وسلم فى البادية عند بنى سعد بن بكر من هوازن ، ورعى الغنم فى أرياف مكة ، فنشأ كأقوى الفتيان جسما وتحملا وقد صحب عمه أبا طالب الى الشام ، وهو دون العاشرة ، وصحب عمه الزبير الى اليمن وهو فى الثانية عشرة واستمر فى تنقله .

وكانت قريش تتطلب فى الفتى الصدق والامانة وقد تفوق فيهما محمد حتى لقب بالصادق الامين .

وكانوا يتطلبون فى الفتى ممارسة السلاح والاستعداد للقتال كى يقاتل من قد يتعرضون للقافلة من قبائل البدو ، وقد شهد حرب الفجار فكان من النشاط فى مساعدة أعمامه وقومه بحيث كانت جبهتهم صامدة ظافرة .

وكانوا يتطلبون من الفتى الجرأة فى شهود المواسم ومجالس الرجال ، وقد كان محمد يشهد مواسم عكاظ فسمع قس بن ساعدة وهو يخطب ، وقد كان يتحدث عن ذلك . وشهد مجلس قومه فى حلف الفضول الذى دعا اليه عمه الزبير وهو التحالف على نصرة الحق .

وكان صلى الله عليه وسلم هاشميا من بيت سيادة يتطلب من رجاله حل المشاكل والخلافات ، فلما بلغ الخامسة والثلاثين قامت قريش بهدم الكعبة وبنائها فلما بلغوا موضع الركن (الحجر الأسود) اختلفوا ، وكل قبيلة ترى لرئيسها الحق فى وضعه وتشادوا حتى أنهم استعدوا للقتال الا أنهم كانوا عقلاء (٢) يتقيدون بقدسية الحرم ، وقدروا ما عساه ينتج عن قتالهم وهو ضياع الامر منهم فاتفقوا على تحكيم أول آت عليهم فصادف مجيء محمد بن عبد الله فقالوا بصوت واحد : رضينا هذا الأمين فقال هلموا الى (اعطونى) ثوبا فوضع الحجر عليه ثم قال لهم : كل واحد يأخذ بطرف فحملوه عليه الى أن أوصلوه الى مكانه فحمله ووضعه بيده الشريفة فى مكانه وبنى عليه . ويجدر بنا أن نلاحظ أنهم كانوا حكماء وكانت سريرتهم نقية ، اذ لو كانوا يريدون الشقاق والخلاف لقالوا ان محمدا هو الذى وضعه لانهم انما حملوه فقط .

والملاحظة الاخرى أن محمدا نال بهذا شرفا كبيرا وقد تناقلت الناس ما فعل فى كل موسم حج . ولا شك أنهم كانوا يشيرون بالبنان الى الذى حل خلاف قريش وأعاد الركن (الحجر الأسود) الى مكانه .

« للحديث بقية »

---

(١) ما عدا ابراهيم فهو من مارية القبطية هدية المقوقس لرسول الله .

(٢) ومما هو جدير بالذكر أنهم جمعوا المال من الكسب الحلال فرفضوا مال المرابين والمقامرين وأصحاب البغايا (القوادين) مما يدل على أنهم يفرقون بين الحلال والحرام وأنهم اختاروا الله فى هدم الكعبة ولما بدأ الوليد بالهدم قال . « الله لانريد الا الخير » .

مكانة الشباب في الإسلام

للدكتور أحمد الشرباصي

عهد الشباب ربيع الحياة ، والشباب فى الامة هم معقد الامل وموطن الرجاء ، وبسواعدهم وعلى أكتافهم تقوم النهضات، وتتم الوثبات ، وتكمل جلائل الاعمال ، ومن واجب الامة أن تعنى أكبر عناية بتربية الشباب ، وتهيئة الفرص أمامهم ، وأن تحسن توجيههم ، وتوفيهم حقوقهم ، وتمكنهم من واجباتهم ، حتى لا يخضعوا لتلك الازمات الكثيرة التى تنالهم ، بسبب الاعراض عنهم ، والفجوة بينهم وبين الشيوخ ، وعدم التفاهم الصحيح بينهم وبين من سبقوهم فى ميادين الحياة ..

والشاب تبدأ شبيبته من قرابة الخامسة عشرة ، ويكمل الشباب فى الاربعين ، «١» وكلمة الشباب تفيد معنى القوة والفتوة ، ولذلك قالت اللغة ان الفتوة من الفتاء ، وهو الشباب ، وأن الفتى هو الشاب ، وكثير من الناس يلحظون فى كلمتى الفتيان والشبان معنى حداثة السن وطراوة العمر ، دون معنى العزم والاقدام والتوثب ، مع أنه قد قيل .

ان الفتى حمّال كل ملمة
ليس الفتى بمنعّم الصبيان

ويقول ابن عربى :

ان الفتوة ما ينفك صاحبها
مقدما عند رب الناس والناس
ان الفتى من له الايثار تحلية
فحيث كان فمحمول على الراس
ما ان تزلزله الاهوا بقوتها
لكونه ثابتا كالراسخ الراسى
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله
عن المكارم حال الحرب والباس

يسرنا ان نهنىء الاساتذة احمد الشرباصي ومحمد خليفة ورجب البيومى من كتاب المجلة بشهادة الدكتوراه التى حصلوا عليها بامتياز مع مرتبة الشرف الاولى من جامعة الازهر فى الشهر الماضى .

(١) يقول ابن عربى فى الفتوحات المكية . « الفتى ما بين الثامنة عشرة والاربعين من العمر ، ويتصف بالقوة والاخلاق الحميدة ، ويستخدم قوته فى خدمة الله ونصرة الضعيف وليس له عدو ، ولكن له حساد ومنافسون » .

مكانة الشباب فى الاسلام

وللشباب فى الاسلام مكانة ملحوظة يغبطون عليها ، ولو راجعنا تاريخ الدعوة الاسلامية فى أول أمرها، لوجدناها نضالا ومصاولة بين الشباب الذين تفتحت قلوبهم وعقولهم لدين الهدى والعدل ، وبين الشيوخ الذين أخذتهم العزة بالاثم، واستكبروا عن الاستجابة للحق، ووصفهم القرآن بقوله . « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » ...

واذا استعرضنا أسماء الكتيبة الاولى التى حملت دعوة الايمان الى الناس ، نجد أن أكثرها قد دخلوا فى الاسلام وهم فى أول الشباب أو قبيله ، فعلى بن أبى طالب ، والارقم بن أبى الارقم ، وطلحة ابن عبيد الله ، وعبد الله بن مسعود ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، قد أسلموا وهم فى نحو العاشرة من أعمارهم .. وسعد بن أبى وقاص ، وجعفر بن أبى طالب ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن مظعون ، ومسعود بن ربيعة ، قد أسلموا وهم فى نحو السابعة عشرة من أعمارهم ...

وعثمان بن عفان ، وخباب بن الارت وزيد بن حارثة ، وصهيب الرومى ، وقدامة بن مظعون ، قد أسلموا وهم فى حدود العشرين من أعمارهم ...

وقد تلتهم كتائب ازدانت ايضا بكثير من شباب الاسلام وفتية الايمان ...
ولم يقتصر الامر فى هذا على الذكور ، بل كان للنساء فيه نصيب ، فأسماء بنت عميس ، وفاطمة بنت الخطاب ، وأم سلمة بنت حذيفة ، وأسماء بنت سلامة، وأمينة بنت خلف ، وفاطمة بنت صفوان ، قد أسلمن فى حدود العشرين أو دونها .

ولذلك قيل انه جاء فى حديث مرفوع . « أوصيكم بالشبان خيرا ، فانهم أرق أفئدة ... ان الله بعثنى بشيرا ونذيرا، فحالفنى الشبان ، وخالفنى الشيوخ »، ثم قرأ . « فطال عليهم الامد فقست قلوبهم » .

وتتضوأ صفحات الشباب خلال السجل التاريخي الضخم للجماعة الاسلامية الكبرى ، فترى للشباب فى كل جيل كفاحهم ونضالهم ومآثرهم ، وها هو ذا أبو حمزة يحيى بن المختار الخطيب الناسك الذى خرج على مروان ابن محمد سنة تسع وعشرين ومئة يخطب فيقول :

« يا أهل الحجاز ... أتعيرونني بأصحابي ، وتزعمون أنهم شباب ؟ .

وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا ؟ . أما والله انى لعالم بتتابعكم (أى تهافتكم ووقوعكم) فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم ....

شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح (1) سهر ، ينظر الله اليهم فى جوف الليل محنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها ، واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم . كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم ، وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة

(1) جمع طلح .

لوعد الله ، ومضى الشباب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت اليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ، فكم من عين فى منقار طائر ، طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها ، طالما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله (١) .

ولم يكن سبق الشباب الى الاسلام وجهادهم فى سبيله بدعا فى تاريخ الدعوات الدينية والرسالات السماوية ، فالقرآن الكريم يحدثنا عن موسى عليه السلام ، فيقول . « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين » . والذريةهي الأولاد ، أى لم يؤمن بموسى الا أولاد قومه وهم الشباب ، وأما الشيوخ فقد علوا علوا كبيرا ، وقالوا مثلما قال غيرهم من الكافرين . « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

ومما يثير التفكير أن القرآن ذكر الفتيان ــ وهم الشبان ــ فى مواطن مشرفة لهم ، وذلك مما يدل على مكانة الشباب العالية ، ففي سورة الأنبياء . « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » . وابراهيم ذلك الفتى هو خليل الرحمن عليه السلام ، وحسبك به من مثل رفيع للانسان الكامل ..

وفى سورة الكهف . « واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين او امضي حقبا » . وهذا الفتىهو يوشع ابن نون ، وقد كان خير معين لموسى ، وفى بعض الروايات أنه يرتبط مع كليم الله سبحانه بصلات القربى .

وفى سورة الكهف أيضا . « اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمةوهيىء لنا منأمرنا رشدا » ، وهؤلاء الفتية هم الذين كانوا يمثلون عصبة الاستمساك بالحق والايمان أمام الكفران والطغيان ، وهم الذين قال فيهم القرآن بعد ذلك . « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا » .

وفى سورة يوسف . « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » . وهذا الفتى هو يوسف عليه السلام ، الذى ضرب أروع مثل فى كمال العفة وتمام الفضيلة والاستعصام بالله أمام الشهوات المزلزلة ...

ويوسف هذا هو الذى أوتى الحكمة والعلم وهو فى سن الشباب . قال تعالى « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين » .

روى أن سن الأشد الذى أوتى فيه الحكمة والعلم نحو العشرين ، وروى أن ريان بن الوليد ملك مصر على عهد يوسف استوزر يوسف وهو فى سن الثلاثين .

وفى سورة يوسف ايضا . « وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم » والفتيان هنا هم المساعدون ليوسف عليه السلام وحسبهم بذلك شرفا ...

وفى سورة مريم . « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » . قال البيضاوى . « يعنى الحكمة وفهم التوراة ، وقيل . النبوة . أحكم الله عقله فى صباه واستنبأه » ...

لعله لا يكون غريبا بعد هذا أن نجد من المنسوب الى ابن عباس قوله . « ما آتى الله عز وجل عبده علما الا شابا ، والخير كله فى الشباب » ....

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢٤ ــ ١٢٥ .

نعم ان هناك طائفة تقدم الشيوخ على الشباب ، وتفضل رأى الشيخ على جلد الغلام ، ولكن ماذا نقول اذا جمع الشباب بين الجلد والرأى ؟ . . .

وهناك أيضا امام الطائفة السابقة طائفة مثلها تفضل الشباب . . .

يقول شهاب الدين النويرى بعد أن ذكر رأى الذين يفضلون الشيوخ . « وقد عدل قوم عن ذلك ، وسلكوا فى خلافه أوضح وأنهج المسالك ، وقالوا . بل رأى الشباب هو الرأى الصائب ، وفهمهم الفهم الثاقب ، ونجم سعدهم الطالع ، وسحاب جدهم الهامع وان لهم من الفطنة أوفر نصيب ، وان سهم رأيهم الرائش (١) المصيب ، وان عقولهم سليمة من العوارض ، واذهانهم آخذة بحظ وافر من الفوامض ، ولذلك قال الحكماء . عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان، فان لهم أذهانا تفل القواصل(٢) وتحطم الذوابل .

وقالوا . آراء الشباب خضرة نضرة ، لم يهتصر (٣) غصنها هرم ، ولا أذوى زهرتها قدم ، ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم . وقال الشاعر :

عليكم بآراء الشباب فانها
نتائج ما لم يبله قدم العهد

فروع ذكاء تستمد من النهى
بأنور فى اللأواء (٤) من قمر السعد

وقال آخر :

رايت العقل لم يكن انتهابا
ولم يقسم على عدد السنينا
ولو ان السنين تقسمته
حوى الآباء انصبة البنينا

وقال آخر :

ادركت ما فات الكهول من الحجا
فى عنفوان شبابك المستقبل
فاذا أمرت فلا يقال لك . اتئد
واذ قضيت فلا يقال لك اعدل (٥)

★ ★ ★

وحسب الشباب مجدا وشرفا أن يرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو سيد الفتيان وزينة الشبان فى سن الأربعين حيث يكتمل الشباب ، ولقد بدأ محمد دعوته العالمية الخالدة ، وبدا أمام قومه وليس بجانبه الا غلام شاب ، ومن خلفهما سيدة وقور . . . روى عفيف بن عيسى الكندى قال : « جئت فى الجاهلية الى مكة ، وأنا أريد أن أبتاع لأهلى من ثيابها وعطرها ، فأتيت العباس بن عبد المطلب » ، وكان رجلا تاجرا ، فأنا عنده جالس حيث أنظر الى الكعبة ، وقد حلقت الشمس فى السماء ، فارتفعت وذهبت ، اذ جاء شاب فرمى ببصره الى السماء ، ثم قام مستقبل الكعبة ، ثم لم ألبث الا يسيرا حتى جاء غلام ، فقام على يمنيه ، ثم لم ألبث الا يسيرا حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة . . . فقلت. يا عباس ، أمر عظيم . . . فقال

---

(١) الرائش . السهم ذو الريش .
(٢) جمع قاصل ، وهو السيف القاطع .
(٣) يهتصر الغصن . يعطفه ويكسره من غير انفصال .
(٤) اللأواء . الشدة .
(٥) نهاية الأرب ج ٦ ص ٧٥ .

العباس . امر عظيم ، اتدرى من هذا الشاب ؟ .. قلت . لا . قال . هذا محمد بن عبد الله أخي ... أتدرى من هذا الغلام ؟ . قلت . لا . قال هذا علي ابن أخي . أتدرى من هذه المرأة ؟ . قلت . لا . قال . هذه خديجة بنت خويلد زوجته .. ان ابن أخي هذا أخبرني أن ربه رب السماء والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه ، ولا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة ..

والعجيب أن أكثر الذين تخفوا مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى فترة الكتمان وتلقوا عنه فى أول الدعوة كانوا من الشباب ، وهم الذين حققوا بعد ذلك بجهادهم مفاخر الاسلام وأمجاده ، ونشروا الدعوة فى الأرجاء ، وسقط اكثرهم شهداء ، ولم يمت على فراشه منهم الا القليل ، فاستشهد عمر ابن الخطاب ، وعلي بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وهم قائمون فى المسجد يصلون ، واستشهد عثمان بن عفان وهو يتلو القرآن ، واستشهد عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر ، واستشهد حمزة بن عبد المطلب وأبو سلمة بن عبد الاسد ومصعب بن عمير وعبد الله ابن جحش فى غزوة أحد ، واستشهد عامر بن فهيرة عند بئر معونة ، واستشهد مسعود بن ربيعة فى غزوة خيبر ، واستشهد السائب بن عثمان بن مظعون وأبو حذيفة بن عتيبة وعياش بن أبي ربيعة فى حرب اليمامة ، واستشهد طليب ابن عمير ونعيم بن عبد الله فى أجنادين ، واستشهد خالد بن سعيد وأخوه عمرو ابن سعيد فى فتح الشام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد جاهدوا فى الاسلام حق الجهاد ...

ولقد جاهد فريق من شباب الاسلام على عهد الرسول وهم فى أول الشباب ، ففي غزوة أحد كان رافع بن خديج غلاما فى الخامسة عشرة ، وأراد الخروج الى الجهاد ، ولما بدأ الرسول فى استعراض الجنود وقف على أطراف أصابعه حتى يظهر طويل القامة ، خشية أن يستصغره النبي صلوات الله وسلامه عليه ويرده ، ولما رآه النبي سأله عما يحسن من أنواع القتال فأجابه . الرمى . فقبله النبى .

وجاء سمرة بن جندب ليخرج مجاهدا وهو فى مثل سن رافع فرده النبى ، فقال سمرة وهو يبكي يا رسول الله ، كيف تقبل رافعا وتردنى ، ولو صارعني لصرعته ؟ .. وأذن النبي لهما بأن يتصارعا فتغلب سمرة على رافع ، فقبلهما النبى معهما .

يقول ابن سيد الناس فى كتابه « عيون الأثر » وهو يتحدث عن غزوة أحد . « وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزارى ورافع ابن خديج أحد بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له . ان رافعا رام .. فأجازه ، فلما أجاز رافعا قيل له . يا رسول الله ، فان سمرة يصرع رافعا ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكذلك أجاز الرسول فى غزوة الخندق أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد ابن ثابت وأسيد بن ظهير ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

ولكن كيف ربى الاسلام هؤلاء الشباب وخرجهم ؟ .. ذلك حديث يحتاج الى الاستقلال بالتفصيل .

مع المؤرخ العالمي "توينبي"

الأيدولوجيات والدين

للأستاذ محمد همام الهاشمي
الخبير الاجتماعي بمجلس التخطيط ــ الكويت

كتاب « العادة والتغيير » للمؤرخ العالمي الكبير « توينبى » Toynbei Change and Habit وجد فيه الأستاذ الهاشمي حقائق ولمحات تستحق الوقوف عندها ، وعرضها على الشباب المسلم وعلى كل مثقف لا تتاح له فرصة الاطلاع على هذا الكتــاب . ونقدم للقارىء الآن بعض هـذه الحقائق . شاكرين للأستاذ الهاشمي عنايته بهذه الناحية استجابة للمجلـة فى ندائها المتوالى باعطاء هذا الجانب الاهتمام الأول من عناية كتابنا الأفاضل .

« الوعى »

فى هذا العصر الحديث الذى يظـن فيه الانسان أنه قد بلغ شأوا من التقدم والرفاهية لم يبلغه أسلافه ــ تتخبط البشرية فى دياجير المذاهب والنظريات لا تكاد تتبين طـريقها الى بر الأمان .. فلقد استطاعت الحضارة الغربيـة أن تسيطر على مقدرات العالم ــ ان لم يكن بالقوة الماديـة والاسـتعمار المباشر ــ فبالأفكـار والمعتقـدات والمذاهــب والاتجاهات الفكرية التي أوقعت العالم فى بلبلة وحيرة فكرية لم يسبق لها مثيل فيما عرفناه عن المجتمعات البشرية منذ كان لها تاريخ ..

ان الحرب الباردة التي تستعر منذ الســنوات الأولى فى هذا القرن بين الايدولوجيات (١) ، والتي تحـاول أن تجتذب اليهــا المعتنقين من البشر فى أنحاء العالــم .. أفرادا وجماعــات

(١) يراد بهذا الاصطلاح الغربى : البناء والتكوين الفكرى الذى يشمل الجوانب الاجتماعية والحضارية والثقافية والمادية والروحية للانسان فى علاقته بالأفراد وبالمجتمع . ويختلف بالطبع من مجتمع الى مجتمع حسب التكوين الفكرى السائد فيه . والمراد بها هنا البناء الفكرى الذى يتكون فى غير نطاق الأديان السماوية العليا .

ومجتمعات ــ مستعينة بوسائل الاعلام الحديثة ، وبما استطاعته العلوم التكنولوجية الحديثة من الغاء للمسافات ، ومن تعريض الانسان للتأثر أينما كان موضعه فى هذا العالم ــ نقول أن هذه الأيدولوجيات قد أعادت الانسان الى عصور بدائيته الأولى ..

واذا كان صوت الأديان السماوية قد خفت ... حتى لقد أصبحت تتوارى خوفا من الاتهام بالجمود والتخلف .. واذا كانت الأديان السماوية قد تراجعت لتشغل حيزا فرديا فى حياة القلة من أفراد المجتمعات الحديثة المتقدمة ، بحيث لا تتدخل فى مجالات حياتهم وتعاملهم ، واذا كان الدين المسيحي قد أصبح يخص الانسان فقط مفصولا عما يخص المجتمع ــ فهل يعتبر هذا تقدما فى عصر التقدم العلمي ؟ ! . وهل تستطيع الأيدولوجيات والمذاهب السياسية والفكرية ــ وهى جميعا من نتاج الغرب وحضارته المادية الطاغية ــ أن تنهى علاقة الأديان بالبشر ، وأن تجرد النفوس البشرية مما طبعت عليه ؟ .

ان قراء العربية المتأثرين بالحضارة الغربية لا يأبهون بقول يصدر عن رجل دين ــ فما بالهم اذا حدثهم فى هذا الموضوع أكبر مؤرخى العالم شهرة وذيوع صيت .. الرجل الذى استطاع فى مؤلفاته الكثيرة أن يخرج بتفسير مبتكر لمسار التاريخ .. ولأسباب قيام وانهيار الحضارات الانسانية .. هل يؤمنون بهذه العقلية التي أجمع الناس على أنها من أرجح العقليات المعاصرة التي استطاعت بنظرياتها أن تؤثر فى الجيل المعاصر لها .. ان بعض قراء العربية يؤمنون ويهتمون بالحديث اذا كان قائله من الأسماء الأجنبية .. من مدعى الفلسفة والعلم .. فما بالهم بمن يعتبره الغرب فيلسوف التاريخ وأستاذ العصر .. المؤرخ العالمى « أرنولد توينبى » الذى اشتهر بين العرب بدفاعه المجيد عن حقوقهم فى فلسطين ، والذى فند حجج الصهيونيين حينما واجهوه مناظرين فى معقل الصهيونية .

سنستعرض مع القارىء العربي كتابا حديثا لهذا الرجل لنرى رأيه فى هذه الموضوعات ... لا لنستدل برأيه فقط على أن عودة البشرية الى الأديان هو سبيل خلاصها من التحلل والانهيار والدمار الروحي والمادى ــ ولكن لنزداد ايمانا ويقينا على أننا على طريق الحق ، واننا بقدر ما نعود الى ديننا نستوحى منه ما ينظم مجتمعاتنا ، ويقوم أسرنا وأفرادنا ، بقدر ما تكتب لنا السلامة فى خضم الفوضى التي تسود العالم ، وبقدر ما نتقدم الى أهدافنا فى حياة حرة عزيزة تستمد جذورها من تراثنا وذاتيتنا ... هذا التراث الذى يحمل نورا من الماضى نسير فى ضوئه الى المستقبل .

ان هذا التراث ليس هو الوهم الحضارى كما سماه بعض أساتذتنا الفضلاء .. انه النور الذى يلقى أشعته على ماضينا فنتبين على ضوئه حاضرنا ، ونتجه بعزم وعزة الى المستقبل المخبوء .. ان تاريخنا هو خبراتنا وتجاربنا الماضية .. وخبراتنا الماضية مفعمة بالأدلة على أن ديننا قد قادنا الى الوحدة والعزة .. والمجتمعات اذا فقدت ذاتيتها وعزتها فقدت نفسها وأصبحت تابعا ذليلا لغيرها .

يقول أرنولد توينبي ــ ومنه نتلقى عبرة الحاضر فى كتابه « العادة والتغيير » ــ ان من الخصائص الأساسية للانسان الادراك .. ادراك وجوده .. وادراك العالم المحيط به .. سواء من البشر أو العالم المادى وغير المادى .. هذا الادراك هو ما جعل الانسان مختارا فى تصرفاته ، ذا ارادة فيما يتخذ من قرارات .. فقد قاده هذا الادراك الى اكتشاف أنه لا يعلم عن العالم الذى يعيش فيه الا

البقية على ص ٣٨

مشى بمواكب التاريخ

لمولد (أحمد) شرف الوجود ... فيا نعم الطوالع والجدود
طوالع حكمة هلت فكانت ... منى جَدٍّ تطالعه السعود
وبان الغيب يكشف عن سلام ... يرادفه من النعمى جديد
وجدد على عهود الناس عهد ... يهيم بحسن جدته العهود
وطاف على الوجود منار أمن ... مجيدُ العطف وضاءٌ حميد
كأجنحة الملائكة استقلت ... بساق العرش ركنا لا يميد
بساحل سنته في العز بيت ... عليه الروح طواف عتيد
فأطوار الملائك في ذراه ... قيام حول كعبته سجود
تضيق بوصفه سعة المعاني ... وليس لحصرها أبدا حدود
به من (مولد المختار) شمس ... يشع بنورها الدين الوحيد

***

ويوم في الحوادث جمته ... من الرحمات آيات شهود
شهدنا قدس مطلعه شهابا ... تلألأ فوق ايته العقود
مشى بمواكب التاريخ صفا ... تطالعه من التقوى بنود
رفيع طالب الدنيا بدين ... أساس بناء حكمته وطيد

***

فمنا لهم وعرش مستقر ... وملك في الفضائل لا يبيد
بناه (محمد) وحمى بناه ... بجهد لا تنازعه الجهود
يشد العزم بين يد وعين ... ونفس لا تميل ولا تحيد
وقلب لا يساوره افتتان ... وطرف لا يلم به هجود
تكرمه البصيرة مطمئنا ... بنفس جنة يهنئها سعيد

صفاً

للاستاذ مرسي شاكر الطنطاوي

لقد حسدوه من حنق عليها ... فماذا يبلغ الرجل الحسود

وظنوها مطالب هينات ... فجد الجد (عتبة والوليد)

ولكن النبوة خير عبء ... ينوء بحمله الجيش العديد

فلا تعطى بميراث فتقضي ... إلى من خاطها أملا يسود

فكيف بهم لدى أحكام داع ... أعز جموعهم . وهو الفريد

له من صحبه الأخيار جند ... كرام مواقع الهمات صيد

شداد كم تحداهم خطوب ... يضاعف هولها الخصم اللدود

تلقوها وقائع مضنيات ... وألقوها عوادي لا تعود

فكانوا في يقينهم جبالا ... تنوء بها العواصف والرعود

***

أدالوا (الفرس والرومان) ملكا ... به لم يبق جبار عنيد

وقد هموا (بأوربا) شمالا ... كما همت بغيتها الأسود

مضى يتساءل (البلقان) عنهم ... بأية وثبة قرب البعيد

بأية قوة هموا . فطالوا ... بأية حكمة فليخبروا فزيدوا

بإيمان تأصل في قلوب ... ترى أن الشهيد هو السعيد

فما مالوا عن الحسنات قيدا ... ولا دلاهم بالعجز قيد

فهل تلقى منافسهم بعين ... تفيض الدمع والآمال سود

وتلمح في (فلسطين) انقيادا ... تحسس لهيب جنوده المحدود

وقينا قوة . وإنا شباب ... ينادينه إلى العليا صعود

وما العلياء إلا بذل نفس ... إلى الهيجاء يعقبها الخلود

إلى هيجاء تدعو كل حر ... هلم . هلم . فالمرمى بعيد

القليل من القشور .. وأن هذا القليل الذى يعرفه لا يستطيع أن يفسر له سر الحياة والكون .. ولقد أدرك أن الكلمة الأخيرة فى مصيره ليست فى متناوله .. ولكنها ملك قوى قاهرة ، عليه أن يتعرف عليها وأن يعيش متوافقا معها متصلا بهـا .

أديان بديلة ؟ !

وحيث أن التدين جزء من الطبيعة البشرية .. وحيث أن الانسان لا يستطيع أن يعيش دون دين من نوع ما .. فلقد ترتب على تراجع الدين عن موقعه فى أوروبا أن قامت ديانات بديلة تسمى : المذاهب الفكرية ، أو الأيدولوجيات الفردية أو الرأسمالية ، والجماعية أو الشيوعية ، والوطنية أو القومية .

أن الحرب الباردة التي يستعر أوارها بين الأيدولوجيات المعاصرة من جانب ، والأديان العليا (السماوية) من جانب آخر هي أخطر بالنسبة لمستقبل البشرية من المشادة بين الشيوعية والرأسمالية بالرغم مما يلقاه الحوار بينهما من اهتمام عالمي .

فهل هذه الأيدولوجيات أديان جديدة

أم انتكاسات

فى الحق انها ليست أمرا جديدا .. انها انتكاسة للحرية التي أكتسبها الانسان عبر العصور .. انها تأخر ورجعة الى فجر الحضارة حينما كان الانسان يعبد ما لا يستطيع أن يسيطر عليه من قوى غامضة ، وهو حينما تقدم واستطاع أن يكون له دور هام فى البيئة الطبيعية .. ترك عبادة قوى الطبيعة ، وعبد قوته الجماعية كما تتمثل فى الحاكم ..

ان الشيوعية قد أخطأت السبيل ــ لا فى اصرارها على العدالة الاجتماعية ، ولكن فى تضحيتها بالحرية من أجل العدالة .

والرأسمالية أيضا قد أخطأت السبيل ــ لا فى اصرارها على احترام فردية الانسان وحريته ، ولكن فى تضحيتها بالعدالة فى سبيل الفردية .

تفسيرات خاطئة

ان كلا منهما يؤيد جانبا على حساب الجانب الآخر .. وكلتا النظريتين مادية .. ولما كان الانسان لا يستطيع أن يحيا بالخبز وحده .. فان هذين التفسيرين الماديين للعدالة والحرية تفسيران خاطئان ، على أنه يبدو أن كلتا العقيدتين ستستمران فى الحياة ، ولن تستطيع احداهما التغلب نهائيا على الأخرى .. والاثنان فى صراع مع الوطنية أو القومية .. ولو أن هذا الصراع لا يحظى باهتمام كبير .. ولكنه ما أن تصطدم احداهما مع الوطنية حتى تنتصر الوطنية .. وحينئذ يصبح الشيوعي والرأسمالي وطنيا أولا وتتبعها صفته الثانية : الشيوعية أو الرأسمالية .

نقطة الصدام

ان جميع الأيدولوجيات تشترك فى نقطة ضعف واحدة قد تؤدى بها جميعا وذلك فى منافستها للأديان العليا على اكتساب ولاء الجماهير .. وهذا معناه العودة الى عبادة الانسان .. فبعد أن حررته الأديان من عبودية المجتمع وعبودية الفرد لينتجه الى الله وحده .. عاد الانسان الى سجن المجتمع ، وبعد أن كان فى علاقة مباشرة مع الحقيقة الخالدة .. عاد الى ديكتاتورية العصور البائدة

.. فتضاءل ليصبح مجرد نملة اجتماعية فى مجتمع النمل ..

منحة الأديان للانسان

لقد استطاعت الأديان أن تعلم الانسان أنه ليس حشرة اجتماعية .. ولكنه انسان ذو كرامة وادراك واختيار .. ولن تستطيع الأيدولوجيات أن تنسيه هذه الحقيقة .. لأنها لا تستطيع أن تحقق له الانعتاق الروحى الذى منحته له الأديان .

صحيح أن بعض الأديان قد أقامت سجونا من صنعها .. حينما خلقت من الأجهزة والنظم ما أصبح حاجزا بين الانسان وخالقه .. كما كان يصنع المجتمع القديم من قبل .. وهذا التحكم والتسلط من جانب بعض الأجهزة الدينية يتناقض أساسا مع سبب وجودها .. فانها وجدت لتحرر الانسان من أسار المجتمع ، وتضعه مباشرة أمام مسئولياته فى علاقة مباشرة مع الحقيقة السرمدية الخالدة .. ومع ذلك فبالرغم من هذا التسلط والتحكم من جانب بعض الأديان الا أنها استطاعت أن تمنح معتنقيها هدية لا تستطيع أن تجاريها فيها الأيدولوجيات الحديثة .. لقد منحته الاطمئنان والمساعدة والتوجيه والمثل الأعلى الخليق بالطموح .. لقد منحته الراحة الروحية وحررته من سجون المجتمع .

ان كل انسان يخطىء ويفشل .. ويزل ويشقى .. وفى النهاية ينتهى الى الموت .. ومن هنا جاءت حاجته العميقة الى العون الروحى الذى لا تستطيع أن تقدمه له الأيدولوجيات .

الواجب فى هذه المعركة

ومع هذا فان الأيدولوجيات ستستمر فى اجتذاب الناس الى حظيرتها ما لم تعمل الأديان على أن تستعيد سلطانها على قلوب البشر .. وهى لن تستطيع ذلك الا اذا صدقت مع نفسها واستطاعت :ـ

١ ـ أن تتعاون بدلا من الصراع والعداوة .

٢ ـ وأن تهتم اهتماما جديا بحقائق العصر الحديث .

٣ ـ وأن تنفض عنها الطقوس التي طغت على جوهرها .. مما تراكم من الخزعبلات عبر العصور .

فالدين هو قلب الحياة للانسان .. وهو جوهر الحياة الانسانية .. هو النور الذى يغمر القلوب ، فلا غنى للانسان عن الدين .. ولن تستطيع الأيدولوجيات أن تحل محل الدين لأنها تمنحنا التعصب والتباغض .. بدلا من أن تمنحنا المحبة والتعاون ، انها قد تمنحنا لقمة الخبز ، ولكنها تسلبنا الطمأنينة النفسية والتحرر الروحى .

ونكتفي الآن بهذا القدر راجين أن يوفق علماؤنا الى ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية فهو مفعم بالتحليل التاريخي والحضارى والاجتماعي لأمراض العصر الحديث .. والتمعن فى قراءته يوضح لمعاصرينا أننا قد نستطيع أن نقفز الى حضارة القرن العشرين ولكن لا بد حينئذ أن يصيبنا ما أصاب غيرنا من تفكك وانحلال وانهيار خلقى واجتماعي .. وندفع ثمن هذه الحضارة تضحية غالية من قيمنا ومثلنا العليا التي غرسها فينا ديننا الحنيف ولعل فى بعض ما نراه ، وما نشكو منه فى مجتمعاتنا نتيجة غزو هذه الحضارة لنا ما يوضح لنا هذه الحقيقة .

فتمسكنا بديننا يمنحنا الطاقة الروحية على تحقيق المعجزات اذا استطعنا أن نخلصه من شوائب التعصب وتشويه البدع والضلالات .. سنستطيع حينئذ أن نتقدم فى ظل علم يوحد اتجاهاتنا .. ويقود صفوفنا .. ليس فقط الى تقدمنا .. ولكن أيضا الى انقاذ العالم من دمار محقق بدأت طلائعه ...

١

عائشة

سنة النبى صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني من مصادر الدين ، لها فيه مكانتها الرفيعة ، ومنزلتها الخطيرة ، وهى الروضة الانف لرواد الادب ، وطلاب الفصاحة بعد كتاب الله عز وجل، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على روايتها ونقلها من جيل الى جيل ، ليبقى علم الدين محفوظا . روى خالد الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رحم الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه ، ثم بلغ من هو أوعى منه » . رواه ابن عساكر .

وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لرواة الحديث بالنضرة فى وجوههم ، كما روى أحمد والترمذى وابن حبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع» . والاحاديث فى هذا المعنى عديدة وروى ابن النجار بسند صحيح « من حفظ على أمتي أربعين حديثا من سنتي أدخله يوم القيامة فى شفاعتى » .

ولهذا حرص العلماء على الا ربعينيات وكتبوا فيها كثيرا من المؤلفات ، ولقد

كان الحث من النبى صلى الله عليه وسلم على نقل السنة من الحوافز لكثير من الصحابة على ان يتنافسوا فى رواية الحديث النبوى الكريم ، ولا سيما من توافر له وقته ، ومن جاد حفظه ، وغلب عليه جانب الامل والرجاء فى تحقق ما وعد به سيد الانبياء .

ورب جماعة منهم رضوان الله عليهم لم يتوافر لهم الوقت الكافي للاتصال بالرسول صلوات الله وسلامه عليه كغيرهم ، لكثرة الشواغل او بعد المسافة فلم يتيسر لهم ذلك ، ومنهم من غلب عليه الخوف من الوعيد النبوى على من حرف أو غير فخشي ان ينسى شيئا ، فيلحق روايته بعض التغيير ، فأحجم عن الرواية ، أو آثر عدم الاكثار الا فيما يتيقن من أمره ، ودعت اليه حاجة دينية ملحة .

روى الجماعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وهو حديث متواتر ، وروى احمد والترمذى عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتقوا الحديث عني الا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن كثرة الرواية ، ويحذر أبا

للشيخ محمود النواوى
المراقب العام للتعليم الثانوى بالازهر

بنت الصديق

هريرة منها ، مع أن أبا هريرة كان على ثقة من أمره فى الرواية ، وكان يقول : انكم تقولون أكثَرَ أبو هريرة ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتكم : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا » الآية ، و « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » الآية ، وان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، واخواننا من الانصار كانت تشغلهم مزارعهم ، وكنت ملازما النبى صلى الله عليه وسلم بشبع بطني .

وفى ضوء هذا الاتجاه ، ومع تيسر الرواية لطائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت رواياتهم للحديث ونقل السنة ، واشتهر من هؤلاء المكثرين ستة لم يزاحمهم غيرهم فى الكثرة كما سيرى القارىء الكريم فى وصف رواياتهم وعدد مروياتهم ، وهاهم اولاء بترتيب وفياتهم .

أم المؤمنين عائشة المتوفاة (٥٧) هـ أبو هريرة بن صخر (٥٨) هـ عبد الله ابن عباس (٦٨) هـ عبد الله بن عمر (٧٤) هـ .

جابر بن عبد الله (٧٨) هـ أنس بن مالك (٩٢) هـ .

فلنبدأ الحديث عنهم على هذا الترتيب ، ونتكلم على السيدة عائشة بنت الصديق رضى الله عنها وأرضاها آمين .

السيدة عائشة بنت الصديق أبى بكر الذى ما طلعت شمس بعد النبيين على أفضل منه . ولدت فى السنة الرابعة من النبوة بعد السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بثماني سنين ، وأسلمت مع اختها أسماء بمجرد أن عرفت معنى الاسلام ، فأبوها شريك النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته الكبرى دعوة الحق .

وقالوا أن أبا بكر عهد بتربيتها فى الطفولة الى قوم من بني مخزوم على عادة العرب ، فنشأت تروى الادب ، وتحفظ الشعر ، وتتمثل به فى المناسبات ، روى أنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله يوما وهي تغزل ، فرأت العرق على جبينه يتولد منه النور فبهتت ، وصارت تنظر فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم مالك ياعائشة ؟ قالت : نظرت الى عرقك يتولد نورا ، فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره اذ يقول :

واذا نظرت الى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل
فقام اليها وقبل بين عينيها

ومن ذلك ماروى أنها رأت الصديق رضى الله عنه وهو يجود بنفسه ، فتمثلت بقول حاتم :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما ، وضاق بها الصدر

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف عائشة منذ طفولتها فقد كان يتردد على صديقه الصديق في منزله ، فيرى عائشة ، ويلمح بها جمال الطفولة والذكاء المحبب ، فيقبل عليها ، ويداعبها . ويوصي بها أم رومان أمها ويألم اذا أساءت اليها .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لما توفيت خديجة حزن عليها حزنا شديدا أهتم له المسلمون ، وكان فيهم سابقة من سابقات النساء هي خولة بنت حكيم ، فقدمت عليه وقالت له : يارسول الله الا أخطب عليك ؟ قال : بلى فانكن معشر النساء أرفق بذلك ، فخطبت عليه سودة من بني عامر بن لؤي ، فتزوجها وهي ثيب ، ثم خطبت له عائشة . أوفدها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت أبى بكر الصديق ، فلما دخلت على السيدة ام رومان راحت تزف اليها البشرى وهي تقول أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، وجاء أبو بكر ، فاستأنفت معه خولة الحديث ، فقال يا خولة : أنها ابنة أخيه ، فلا تحل له ظنا منه أن أخوة الاسلام بينه وبين أبي بكر تمنع صحة المصاهرة ، فلما رجعت خولة الى النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته بذلك ، فقال أنه أخي في الاسلام ، وهي تصلح لي ، فقال : **أن المطعم بن عدى كان ذكر عائشة لابنه جبير ، فلا بد أن أتحلل منه ، فخرج أبو بكر الى المطعم ومعه زوجه فقال : ماتقولان في شأن عائشة فقالا : يا أبا بكر لعلنا ان أنكحنا هذا الصبي اليك تدخله في دينك الذى أنت عليه ، فلا حاجة لنا في عائشة ،** فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم مرتاح الضمير ، وهو يقول لخولة ادعى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضت اليه فجاء بيت صديقه ابي بكر ، فرحب بخطوبته الكريمة .

وههنا وقفة تبعث على التأمل في تصرف أبي بكر ووفائه بالذمة كشأن الاسلام والفطرة ، فأنه لم يسارع الى قبول هذه الخطوبة التى يسعد كل العالم لو ظفر بمثلها ، وابو بكر يقدر ذلك حق قدره ، ثم انظر الى دقته في التصرف ، فما كان أحراه أن يذهب بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم ينس ان للخطوبة كرامة تقتضي ان يسير الخاطب الى منزل الخطوبة فصلوات الله على الرسول وعلى صاحبه الصديق .

ولقد استقبل رسول الله ذلك القبول بالغبطة ، فان عائشة رضية عنده ، وقد تمت الخطبة والعقد في شوال من السنة العاشرة من الدعوة وقبل الهجرة بثلاث سوات، وقدم النبي صلىالله عليه وسلم لاخيه ابي بكر اربعمائة درهم وهو ما يساوى عشرة جنيهات وهو مسلك أقرب الى يسر الدين وتحقيق معنى الزوجية المبنى على الاختيار وحده ، وكانت سنها ست سنين فيما اشتهر في كثير من الكتب وعلى السنة الناس،ولكنا وجدنا برواية تدل على ان سنها كانت نحو اثنتى عشرة سنة ، وذلك في مرويات ابن سعد في الطبقات ونحن نميل اليها من عدة نواح : منها صلاحية الزوجة لتحمل أعباء الزواج وهو لا يناسب سن التاسعة على ما تقضي به رواية الست والتسع ، ومنها انها كانت مخطوبة قبل ذلك

لجبير بن مطعم فى الجاهلية ، فلا بد ان تكون مخطوبة قبل البعثة ، وأن تكون صالحة للخطوبة فى الجاهلية ، وهـذا يقتضى أن تكون يوم زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم اكبر من اثنتى عشـرة سنـة (١) .

ومنها ان خولة حين اقترحتها لا بد ان تكون عالمة بأنها تصلح للزواج برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعوض عليه ما فقد وان كانت قد خطبت عليـه امرأة أخرى ، ولكنها قالت له : ان شئت ثيبا وان شئت بكرا ، وهذا الوصف من شأنه ان يكون لفتاة لا لطفلة ، واختلاف الروايات يسمح باختيار الاصلح منها ، بل انه روى أنها كانت يوم الخطوبة فى سن الثانية عشرة وهو أقرب الى المعقول لما ذكرناه ، ومع ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج سودة ، وترك عائشة حتى تصلح للاضطلاع بأعباء الحيـاة الزوجية ، وقد حان موعد الهجرة ، وأن عائشة لتندمج فى جو الكفاح المرير الذى **تحمله ابوها وزوجها صلوات الله عليه** ، فكانت ترى ، وتسمع ما يسنح لها من ظـروف الصاحبين ومـواقف القـوم الظالمين من دعوة الحق وسوء معاملتهم للصديق ، وكانت اسماء تسعى بالطعام الى الغار على مرآى من عائشة ، وكان اخوها يرقب أخبار قريش ليبلغها كذلك الى السيد الرسول وصاحبه بالغار ، وهي على اتصال بذلك كله . وبعد وصول النبى الى يثرب واستقرار المقام به وبمن معه أرسل ابو بكر رسالة الى ابنـه عبد الله بأمره ان يحضر بزوجه ام رومان وابنتيه عائشة واسماء ، ثم وصـل الركب الى المدينة ، ونزلوا بالسفح فى بنى الحارث بن الخزرج ، وفى شوال من السنة الاولى من الهجرة تحدث ابو بكر مع رسول الله فى شأن العقد الذى تم منذ ثلاث سنوات حتى تزف العروس الى زوجها ، فأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجه مع طائفة من الانصار من رجال ونساء الى بيت ابى بكر ، فلما وصلوا كانت عائشة تلعب مع صواحبها فى أرجوحة ، فانزلتها امها أم رومان ، واصلحتها ، ثم اسلمتها الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له هؤلاء أهلـك فبارك الله لـك فيهـا ، وبـارك لهـا فيك ، وبنى رسول الله بها فى بيت ابى بكر ، ثم انتقل بها الى بيت النبوة فـى حجرة من حجراته التى بناها رسول الله حول المسجد النبوى الكريم ، وكان باب الحجـرة مطلا على المسجـد كسـائر الحجرات وهى مفروشة بفراش من أدم حشوه ليف ، ليس بينه وبين الارض الا الحصير .

هذا وقد ترك لها رسول الله صلى الله عليه وسلم باب الحرية لتلعب مع من تشاء من صواحبها فى البيت ، وكـان يدخل وهن يلاعبنها ، فلا ينكر شيئا لانه كان يريد ان يشعرها انها فى بيت الابوة الرحيمة،حتى لا يكبت غرائزها ولا يحول دون اكتمالها ونضجها ، فكان يدخـل ومعها صواحبها ، فيقول لهم مكانكن بل كان أحيانا يقف بنفسه ويقيمها وراءه ، **فتتفرج على رقص الحبشة كما ورد فى** الصحيح .

---

(١) ان جواب المطعم بن عدى لأبى بكر بأنه يخشى على ابنه جبير ان تزوج بعائشة أن يدخله أبو بكر الاسلام يكاد يقطع بأن الخطوبة تمت قبل الاسلام وقبل أن يسلم ابو بكر . وقد كان اول من أسلم من الرجال .. ولاشك ان الخطوبة كانت على أقل تقدير حين كانت عائشة وجبير صبيان حتى **لو فرضنا ان الخطوبة تمت قبل الجهر بالدعوة وقبل ان يشتهر أمر الاسلام فى أوساط مكة فتكون** عائشة حين الدخول بها قد تجاوزت الاثنتى عشرة سنة قطعا « الوعى الاسلامى »

مكانتها عند النبي

كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب عائشة أكثر من حبه لسائر نسائه ، من غير أن يكون له أثر فى معاملة بقية نسائه الكريمات ، فكان يعدل كل العدل ، ولا يقصر فى حق واحدة منهن ما لم تتنازل احداهن عن بعض حقها ، ولم يكن الحب مما يخضع للاختيار ، وينزل على حكم التقسيم ، ولذا كان النبي حين يرى أنه قد حقق العدالة المقدورة يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » ولقد سأله عمرو بن العاص يوما فقال : من أحب الناس اليك ؟ قال : عائشة ، قال : من الرجال يارسول الله فقال : أبوها .

ولما اشتد مرضه اجمعن على التنازل له عن المبيت عندهن لأم المؤمنين عائشة ، على أن عائشة كانت شديدة الغيرة على رسول الله حتى من خديجة التي لقيت ربها ، وبقيت فى ذمة التاريخ كما فصله التاريخ ، وهناك مظاهر وصور عديدة لغيرتها من اخواتها امهات المؤمنين ، فهي تغار من ام سلمة وتقول له : أما تشبع من ام سلمة ؟ وقد غارت من صفية بنت حيى لجمال وجهها وقالت للرسول مرة انها يهودية فقال : لها انها اسلمت وحسن اسلامها .

وقد كان يزيد فى مكانة السيدة عائشة عند النبى صلى الله عليه وسلم ذكاؤها وحسن تصرفها ، وكرم يدها وسخاؤها الذى لم يفارقها طيلة حياتها . قال عروة ابن الزبير : رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفا ، وأنها لترفع جانبا من درعها ، وذكر ان الزبير بن العوام بعث اليها بغرارتين من مال فيهما ما يبلغ مائة ألف درهم ، فقسمتها حتى أنفذتها ، وكانت صائمة فلما حان موعد الافطار قالت لجاريتها : هاتي فطرى فقالت لها : أما استطعت فيما انفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لها : لو كنت أذكرتني لفعلت .

معارفها وعلمها

كان فى عائشة رضى الله عنها من اصالة البيت وكرم العنصر وخصوبة الاستعداد والذكاء واليقظة والحرص البالغ على العلم والتماسه من المعلم الاكبر صلى الله عليه وسلم ما كون لها شخصية ممتازة فى العلم والفقه والاستقلال بالفهم حتى استطاعت أن تنقل كثرة كاثرة من أمهات الدين ومسائله الى جميع المسلمين فى جميع البقاع وعلى مدى الازمان ، وأن تعلن آراءها ، وتصدع بحجتها فيما تؤيده من المذاهب والعقائد .

وقد كان فى حب النبي صلى الله عليه وسلم لها ، وافساح صدره الشريف لافهامها ، وحرصه على ان يجعل منها مثلا أعلى فى صفات الاسلام وآدابه ما جعلها من أعلم الصحابة بالقرآن والحديث والفقه ان لم تكن اعلمهم ، ولقد كانت راوية للشعر بكثرة . قال عروة بن الزبير : وكان كثير السؤال لها والاخذ عنها : كانت عائشة اعلم الناس بالقرآن والحديث والشعر ، وقال ابو موسى الاشعرى : ما أشكل على أصحاب رسول الله شيء فسألنا عائشة عنه الا وجدنا عندها منه علما ، وقال عنها ابن أخيها القاسم بن محمد اشتغلت عائشة بالفتوى ، زمن أبي بكر وعمر وعثمان فمن بعدهم رضى الله عنهم .

وفى الحق لقد كانت اكثر الناس اتصالا برسول الله ، وكان الوحي ينزل عليه وهو فى فراشها ، وكان الرسول لا يحب أن يفارقها فى سفر ولا حضر ، وكان

كثير من نسائه ينزلن عن بعض لياليهن لها ، ثم تركن جميعا حقهن فى آخر حياة النبي حتى مات بين سحرها ونحرها ، كما قالت ذلك مفاخرة به ، ولهذا كانت من الستة المكثرين من الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قالوا : انها روت عشرة أحاديث ومائتين وألفين، أتفق البخارى ومسلم منها على أربعة وسبعين ومائة وانفرد البخارى « ب ٥٤ » ومسلم بثمانية وخمسين ، وقد روت عن خلق من الصحابة ، وروى عنها كثير من الصحابيين والتابعين رضى الله عنهم أجمعين .

واذا فقد عاشت دهرها راوية فقيهة تعلم وتتعلم ، على انها كانت تمتاز بمسائل النساء وأحكامها وكل ما يتصل بها ، مع ما كانت عليه من علم ومعرفة بالطب العربي الذى تعلمته من النبي ومن الوفود التى كانت تفد عليه فى مرضه ، فتصف له الادوية .

ومما كان له اكبر الاثر فى ثقافتها ان النبي كان يشركها فى دروس العلم والتعليم ولا سيما مع النساء ، فكانت تحضر معهن اذا بايعنه أو سألنه ، وكان يعهد اليها أحيانا بالتفسير اذا صعب الفهم على واحدة منهن او كان فيه حروجة .

سألت اسماء النبي صلى الله عليه وسلم عن التطهر من المحيض فقال : خذى فرصة ممسكة ، فتطهرى ثلاثا ، قالت : وكيف أتطهر ؟ فأعرض عنها حياء ، وقال تطهرى بها ، وأخذتها السيدة عائشة فى جانب وأفهمتها .

وقد صحبته فى بعض مغازيه كأحد ، وبني المصطلق التى نزلت فيها آية التيمم من أجلها ، لانها حبست المسلمين على التماس عقدها ، وليسوا على ماء فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركتكم يا آل ابي بكر . قال ابن عبد البرفى الاستيعاب : وكان مسروق الامام التابعي الجليل يحدث عنها فيقول: حدثتني الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة ، بكذا وكذا ، ويقول : رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض ، وقال عطاء بن ابي رباح : كانت عائشة أفقه الناس واحسن الناس وأعلم الناس رأيا فى العامة .

وعن عبد الرحمن ابن ابى الزناد عن أبيه قال : ما رأيت احدا أروى لشعر من عروة ، فقيل له ما أرواك يا أبا عبد الله قال وما روايتي من رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء الا روت فيه شعرا .

قال الزهرى : لو جمع علم عائشة الى علم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل ، ومثل ذلك فى الاصابة لابن حجر ، وزاد على ذلك عن أبي موسى الاشعرى : ما أشكل علينا أمر فسألنا عائشة الا وجدنا عندها فيه علما .

نماذج

وما دام اساس الحديث عنها هنا انها من المكثرين فى الروايات فان من أهم مانعنى به ان نشير الى بعض مروياتها عرضا لبعض بضاعتها التي فقهتها فاستخرجت منها كنوز العلم والمعرفة ، واذا كانت رواية الحديث من أجل المزايا فما بالك اذا كان الراوى فقيها متصرفا كعائشة .

وأمامي الآن كتاب ذخائر المواريث للشيخ النابلسي اورد فيه من روايات السيدة عائشة تسعا وتسعين وثمانمائة حديث من بينها هذه الاحاديث .

١ ــ صلى النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فى مرضه وصلى وراءه قوم

قياما . ذكر أنه من رواية البخارى فى عدة ابواب ومسلم وأبي داود وابن ماجه.

٢ ـ وحديث فى السواك . للبخارى ومسلم وابي داود وابن ماجه .

٣ ـ وحديث فى الوتر ، للبخارى ومسلم وابي داود والترمذى والنسائي وابن ماجه والطبراني .

٤ ـ وحديث فى ليلة القدر للبخارى ومسلم والترمذى .

٥ ـ وحديث فى النوم مع الجنابة فى الكتب الستة وفى الطبراني .

٦ ـ وحديث فى صوم الاثنين والخميس فى الترمذى والنسائي وابن ماجه .

٧ ـ وحديث فى صوم شعبان في البخارى ومسلم وابي داود والترمذى والنسائي .

٨ ـ وحديث فى الحيض وفى المباشرة فيه فى الكتب الستة .

٩ ـ وحديث أى الصلاة كان أحب الى النبي ان يواظب عليه لابن ماجه .

١٠ ـ وحديث كنت أبيت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعار الواحد وانا حائض . لابي داود .

١١ ـ وحديث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل امرأة على زوجها قبل ان يعطيها شيئا . لابي داود وابن ماجه .

١٢ ـ وحديث ماحسدتكم اليهود على شيء ماحسدتكم على السلام والتأمين فى ابن ماجه .

١٣ ـ وحديث كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ فى النسائي.

١٤ ـ وحديث من شيع جنازة فصلى عليها فله قيراط . للترمذى .

١٥ ـ وحديث انه كان النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم وكان اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك فى وجهه ، للبخارى ومسلم وابي داود .

١٦ ـ وحديث اذا تصدقت المرأة من بيت زوجها ، للترمذى والنسائي .

١٧ ـ وحديث ما رأيت الوجع على أحد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من رواية الترمذى .

١٨ ـ وحديث الخال وارث من لا وارث له .

والمقصود من هذه النماذج التى سقناها أن نفتح عين القارىء الكريم على هذه الرياض المونقة من السنة النبوية الكريمة التى هى مفتاح السعادة . وان نشرح صدره لطلبها ودراستها .

((وبعد)) فان للسيدة عائشة نواحي كثيرة يطيب الحديث عنها وقد ذكرت بعض جوانبها ومواقفها فى كتابي تاريخ الصحابة والتراجم الاسلامية ولكنني اكتفي هنا بذلك القدر لشدة مناسبته وبالله التوفيق .

خواطر

من هنا .... وهناك

يكتبها : عبد المنعم النمر

صفحات مجهولة من تاريخ مجيد

الدكتور زاكر حسين

رأيت أن تكون خواطرى هذه المرة عن هذه الصفحات المجهولة ، وذلك بمناسبة انتخاب الدكتور زاكر حسين لرئاسة جمهورية الهند فى الشهر الماضى .

وهو أول مسلم يتولى هذا المنصب منذ استقلت الهند ١٩٤٧ . وقد كان تقدير الهند له باختياره لهذا المنصب تتويجا لماض زاخر بالجهاد فى سبيل وطنه .. ولمواقف له كريمة سباقة فى وجه الاستعمار ، اخذ ميدان العلم والتربية الحظ الوافر منها قبل ان يختار ــ للمناصب السياسية ــ حاكما لولاية بيهار ثم نائبا لرئيس الجمهورية حتى منحته الدولة ارفع وسام فيها تقديرا لخدماته .. وميدان التربية والتعليم وان كان هاما فى كل بلد الا أنه كان يمثل فى الهند ناحية حساسة فى وقت من الاوقات التى مرت بها خلال جهادها ، ومن الزاوية التى كان يرابط فيها المسلمون لمحاربة الاستعمار فى وقت سيطر فيه على كل شىء فى الهند .

فى مايو ١٩٦٥ زار الكويت زيارة رسمية .. وبعد صلاة الجمعة بمسجد الاحمدى كان لقائى له ، واستعدنا ذكرى لقاء آخر على أرض الهند ، وفى رحاب جامعة عليكرة فى السابع والعشرين من يناير ١٩٥٧ حيث تلقيت دعوة من الجامعة لحضور حفلها السنوى لتوزيع الشهادات على المتخرجين فيها ، ولاهداء الدكتوراه الفخرية له تقديرا لخدماته العلمية لها ولغيرها ، ودار حديث بيننا عن الذين تحدثوا بالعربية فى الحفل ، كما جرت بذلك تقاليد الجامعة والاعتذار عما يكونون قد وقعوا فيه أحيانا من خطأ نتيجة لعدم اتقانهم لها ..

والصحف التى نشرت خبر اختياره رئيسا للجمهورية ذكر بعضها انه ساعد على انشاء الجامعة الملية الاسلامية ، وقد أثار هذا الخبر فى نفسى شهية الكشف عن تاريخ عظيم ، ومواقف خالدة للدكتور واخوانه المجاهدين المسلمين ضد الاستعمار ،

وحملهم لواء مقاطعته ، او عدم الولاء له ، كما كان يسميه المسلمون ، او العصيان المدنى كما اشتهر اخيرا وذلك قبل أن ينادى به غاندى فى الهند ..

وارجع الآن الى ما كتبته فى كتابى ((كفاح المسلمين فى تحرير الهند)) والى مذكراتى التى لم تطبع بعد عن بعض الزعماء المسلمين فى الهند . لأجلو بعض الحقائق المجهولة ، واقدم لك صفحات مجد سجلها هؤلاء الزعماء المسلمون ومعهم الدكتور زاكـــر ..

شـيـخ الهنـد

نحن فى يوم ٨ يونيو ١٩٢٠ حيث وصل الى ((بومباى)) شيخ الهند مولانا محمود الحسن ورفاقه قادمين من مالطا بعد ان قضوا فيها سنوات معتقلين ، والشعب يخف لاستقباله ، وفى مقدمته غاندى ، ولم يكن نجمه قد سطع .. اذ كان قد قضى سنوات الحرب يحث الشعب على مساعدة الانجليز ، ويطوف البلاد من أجل هذا الغرض .

ولم يهدأ مولانا محمود الحسن بعد وصوله للهند ، بل استأنف جهاده ومواقفه العدائية ضد المستعمر ، وتلاقت جهوده مع جهود جمعية الخلافة وجمعية علماء الهند وكلها كانت تدعو الى عدم الولاء للمستعمر ، ومقاطعته فى مصنوعاته ومدارسه مع رد الالقاب الحكومية .. الخ ..

جامعة عليكـــرة

كانت ((كلية عليكره(١)الاسلامية)) التى أنشأها سير سيد أحمد خان سنة ١٢٩٣هـ سنة ١٨٧٦م والتى نمت وترعرعت حتى صارت جامعة سنة ١٩١٢ م بمساعدة الانجليز وبعض المسلمين المتفقين مع سيد احمد خان فى اتجاهه ، كانت هذه الجامعة قد اسفرت عن وجهها كوكر للدعايـــة والمآرب الاستعمارية ، وكـــان مديروها باستمرار واكثر أساتذتها الانجليز لا يكفون عن التدخل فى الامور السياسية ، ورئاسة الجماعات التى تضم الموالين للاستعمار .. حتى تأكد لدى الوطنيين المسلمين ما أثاروه حولها منذ انشائها ، وحول منشئها أحمد خان من ان لها مآرب استعمارية ، وأن التعليم فيها يهدف الى زعزعة العقيدة الاسلامية والروح الوطنية فى نفوس المتعلمين بها ، حـــتى يضمنوا ولاءهم بعد تخرجهم للاستعمار ..

كانت الجامعة فى ذلك الوقت تمثل جبهة من المسلمين تنادى بالتعاون مع الانجليز فى الوقت الذى كانت فيه جبهة اسلامية قوية تنادى بمقاطعة الانجليز فى كل المجالات وفى مقدمتها المدارس الحكومية او التى للحكومة نفوذ عليها .. وكانت الحرب الفكرية على أشدها بين الجبهتين ..

فى هذا الوقت رأى بعض المسلمين الذين ينادون بمقاطعة الانجليز ان جامعة عليكرة التى تحمل الصفة الاسلامية والتى جذبت اليها ــ من أجل ذلك ــ كثيرا من أبناء المسلمين لم تعد الا وكرا للاستعمار وأن من الخطر على هؤلاء الابناء ان ينشأوا فيها ، وليس فى مناهجها ما يغذى روحهم الاسلامية بل على العكس يهدم فيها هذه الروح ويسلبهم الحصانة الاسلامية ، ويجعلهم صنائع للمستعمر ، ودمى يحركها كما يشاء ..

ولكن ماذا يعمل هؤلاء الزعماء ؟ هل يكتفون بالخطب والتحذير من هذه الجامعة ؟

(١) الكلمة مركبة من كلمتين ((على)) ، ((كَرْه)) بالقاف الفارسية التي تشبه نطق اهل القاهرة بالجيم . ومعناها مدينة أو قرية . أو حصن .

وأين ـ اذن ـ يتعلم ابناء المسلمين ؟ انهم يريدون التعليم الذى يجمع بين العلـوم الحديثة والعلوم الدينية التى تغرس فيهم روح المحافظة على عقيدتهم ، وتحصنهم ضد التيارات الالحادية والاستعمارية التى أصبحت ((عليكرة)) مهدا لها .

ميـلاد جامعـة

واتجهت الاذهان الى انشاء جامعة اسلامية يتحقق فيها الهدف الكريم الذى ينشدونه فتقوم على تبرعات المسلمين حتى تكون بعيدة عن نفوذ الحكومة ، واتفقوا على ان يعقدوا اجتماعا عاما لهذا الغرض تحت رئاسة الاسير العائد من مالطا محمـود الحسن شيخ الهند ، حتى يكون للاجتماع قوته وآثاره .. وكان الشيخ قد استبد به المرض ونصحه الاطباء بعدم الحركة ، ولكنه حين طلب منه أن يتولى رياسة الاجتماع لم يلق بالا لاوامر طبيبه ورفيق جهاده الدكتور أنصارى وقال له . ((ما دام فيها ضرر للانجليز وسياستهم فاننى لا بد أن أحضر ، ولو كان فى الحضور مخاطرة بحياتى)) .

ولكن اين يكون الاجتماع ؟

هنا يبلغ التحدى مداه ، ويقرر الزعماء أن الاجتماع لا بد ان يكون فى بلـدة ((عليكرة)) مقر الجامعة وقريبا منها .. هناك فى فم الاسد ـ كما يقولون .

وكيف ؟ ألا يكون هذا الاجتماع معرضا لخطر التهجم عليه من أساتذة الجامعة وطلابها ، لا سيما والجامعة تساندها الاجهزة الحكومية الاستعمارية ، والحديث فى هذا الاجتماع سيتركز على الطعن فى الجامعة ، وأنها لم تؤد الغرض منها ، بل انقلبت آيتها وأصبحت وكرا للاستعمار .. الخ ، ويكون ذلك مدعاة لاثارة النفوس تعصبا للجامعة ، وبالتالى لفشل الاجتماع والمجتمعين ؟

ذلك اول ما يعرض على الخاطر ، ويتوقعه المتوقعون ..

ولكن ما حدث كان أمرا عجيبا وجديرا بأن يقف عنده المؤرخ كثيرا ، وينحنى أمام هذه العظمة النفسية ، وهذه القوة العقدية والوطنية التى كان يحمل لواءها هؤلاء الزعماء ، والتى سرى لهيبها فى نفوس الكثيرين ..

نعم . فلقد كان أشد المتحمسين للفكرة بعض أساتذة الجامعة وطلابها ، بعد ما لمسوه فيها من الجو الانجليزى الخانق .. وفى مقدمتهم الدكتور زاكر حسين ..

وفى ١٦ صفر سنة ١٣٣٩ هـ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٠ م انعقد الاجتماع ، ولـم يستطع شيخ الهند ان يقف ويلقى خطبته ، فألقاها بدلا منه تلميذه مولانا شبير احمد عثمانى . وكانت خطبة طويلة جامعة ، جديرة بأن يقرأها كل مسلم بامعان ، لـيرى فيها التفتح واللهب والمنطق والدين والوطنية . يرى اناسا وهبوا نفوسهم لله والوطن .. ويتعلم ان كان يريد .. ولا أستطيع هنا فى هذه العجالة ان أقدم لك كثيرا من هذه الخطبة ، ولكن يكفينى ان أقدم لك منها هذه الفقرات .

((ان مما لا يناسب قوميتنا العظيمة الشأن ان تكون مدارسها وكلياتها مصانع لتخريج عبيد للغرب والاجانب ، بل الواجب ان نجعلها على غرار كليات بغداد وقرطبة والمدارس الاخرى التى تعلمت فيها أوربا وتخرجت حين كنا أساتذة لهم)) .

* ((ان نجاح المسلمين متوقف على تعلم العلوم الحديثة ، بل انه لا بد ان يكون مفتاح هذه العلوم بأيديهم ، ولكن لا بد ان يكون حرا من أية سيطرة للاجانب ، مطهرا من نجاسة الغرب فى كل ناحية من نواحى العقائد والآراء والاخلاق والتقاليد)) ..

* ((اننى أحمد الله ان وفق شبابنا الى التمييز بين ما ينفعهم وما يضرهم ، بين الغث والثمين ، وعملوا على تأسيس جامعة ملية اسلامية تدرس العلوم الحديثة وبجانبها العلوم الاسلامية التى تحمى الشباب من الزيغ)) .

* ((اننى أقول لكم وأطلب منكم الا تمدوا أيديكم بمساعدة للحكام المستعمرين أعداء الدين والوطن ولا تقووهم بمعاونة ، بل قاطعوهم ، واعملوا ما تستطيعون لاضعاف شأنهم ، وتمسكوا بأحكام دينكم فى اخلاص واستقامة ، والله تعالى يقول لكم (لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) .

* ((أيها الاخوان توكلوا على الله ، واعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا ، واتركوا موالاة اعدائكم ، ولا تتأخروا فى خدمة الاسلام والوطن .. ومن حسن حظنا أن الهندوس بدأوا يوافقوننا فى هذه الحركة ويؤيدوننا ، لانهم يئسوا من الحكومة بعد وقائع البنجاب ، فاغتنموا الفرصة ، واستعينوا بالله ، وهو حسبكم . نعم المولى ونعم النصـــير)) .

وانتهت الخطبة وانفض الاجتماع .. والحماس بالغ منتهاه .. وكثيرا ما عهدنا مثل هذه الخطبة ، وعهدنا كذلك مثل هذا الحماس ، وشهدنا كذلك كيف ان الكثير منها أو كلها يذهب مع الريح .. ولكن الذى حدث كان أمرا عجبا .

والذى حدثنى به واحد ممن اشتركوا فيه ، وكان مدرسا فى عليكرة فى ذلــك الوقت . حدثنى به حينما كنت فى الهند ، وروى لى ما لا يزال يشدنى الى هؤلاء الاماجد .. الى أصحاب النفوس الكبيرة والعزائم الصادقة .

أتدرى ما حدث ؟ وكيف بدءوا انشاء الجامعة الملية الاسلامية ؟

انها قصة شباب ورجال آمنوا بربهم ووطنهم ، فهان أمامهم كل صعب ، وأصبح يسيرا أمامهم كل عسير .

ومن تكن العلياء همة نفسه * فكل الذى يلقـاه فيهـا محبب

قال لي الرجل الاستاذ الذى شارك فى هذا الموقف :

لقد بدأنا الجامعة الملية الاسلامية فى خيام .. وبجانب جامعة عليكره .

واستقلت من جامعة عليكره لادرس فى الجامعة الوليدة تحت ظل الخيام .

واستقال معى كثير من الاساتذة المسلمين المؤمنين بالفكرة .

وترك كثير من الطلاب المسلمين أماكنهم المهيأة فى جامعة عليكره ليواصلوا دراستهم تحت الخيـــام .

وكنا نتقاضى مرتبات طيبة من جامعة عليكره فتركناها وتطوعنا بالدراسة فى الجامعة الوليدة .. ثم عينت لنا بعد ذلك مرتبات ضئيلة كنا بها أشد فرحا من المرتبات الكبيرة التى كنا نتقاضاها من ((جامعة عليكره)) .

وهكذا أصبحت الفكرة عملا تحوطه القلوب وتقويه العزائم ، ويغذيه الايمان بكل مقومات الحياة ..

ولم تلبث الجامعة ان انتقلت من عليكره الى العاصمة . وفي أول سبتمبر ١٩٥٦ كانت السيارة تسير بي مسرعة الى هذه الجامعة ، وتركنا وراءنا نيودلهى لنرى على قرب منا مبانى قائمة على مساحة واسعة ، ومبانى اخرى كانت فى طريقها الى التمام .. وقال صاحبى هذه هى الجامعة الملية ، وهذا المبنى الجديد يعد لكلية المعلمين ..

وفى رحابها قضيت ساعات ورأيت كيف تستقبل الابناء مسلمين وغيرهم من صغرهم لتسير بهم فى التعليم حتى نهايته ..

ان هذه الجامعة واسمها سيظلان رمزا باقيا لفكرة وعمل ورجال مؤمنين مجاهدين كان منهم الدكتور زاكر حسين الذى رعاها فكرة وواقعا ، ووقف وراءها بعد ذلك بجهده ونماها بعلمه وتجاربه واخلاصه وادارته نحو عشرين عاما .

تحية للرجل المجاهد الذى يحمل معه الى كرسى رئاسة الجمهورية ارفع وسام قدمته الحكومة ، وأنصع صفحات كتبها التاريخ ، وأجمل تقدير يقدمه شعب يعرف قيمة الرجال ..

وتحية للابرار المجاهدين هناك وفى كل مكان من أجل دينهم ووطنهم . من لقى ربه منهم ، ومن لايزال يرفع اللــواء .

عودة الــروح

كادت ذكرى النكبة تمر بما اعتدنا كل عام من كلام وخطب وتصريحات تترك الحسرة واليأس فى النفوس .. لولا الخطوة الجبارة الحازمة التى خطتها المتحدة وسوريا وشقيقاتهما العربيات ، لولا الجيوش التى أخذت أماكنها على الحدود ، لولا الاوامر التى صدرت الى قوة الطوارىء الدولية لترحل عن مواقعها وتخلى الطريق . لولا هذا الاستعداد لخوض المعركة وتأديب الافاكين ..

نعم . ذاك هو منطق القوة الذى طال حنيننا اليه ، تلك هي الغضبة للشرف التى طال انتظارنا لها .. انها الشرارة التى الهبت النفوس ، وأعادت اليها الثقة والــروح ..

ومن الخليج العربي الى المحيط الاطلسي خفقت القلوب ، وغلت الدماء ، وتنادت الارواح :

حي على الفلاح . حى على الجهاد .. على الثأر . على استرداد الكرامة وغسل العــار ..

انها معركة الشرف لكم يا عرب ، معركــة الحياة . معركــة الكيان والوجود فاستعدوا لها ، وخوضوها أعزاء كرماء .. فلا حياة بعد اليوم لمتخاذل جبان ، ولا لمتلاعب خئون .. والله معكم .

مواقف فاصلة ومعارك حاسمة في تاريخ الإسلام

حصار المسلمين

المواقف الفاصلة والمعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام عديدة وكثيرة لا نستطيع بسطها وايضاحها فى هذه العجالة العاجلة التى نقدمها كنموذج للتراث الاسلامي الزاخر بالمعاني الكريمة والمواقف الرائعة والبطولة النادرة

وحسبنا اليوم أن نشير للفرق بين المواقف الفاصلة وبين المعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام ثم نقدم من كل منهما نموذجا له ومثالا عليه .

بين المواقف الفاصلة والمعارك الحاسمة

المواقف الفاصلة نعنى بها المواقف التى فصلت بين امر سابق وامر لاحق ولولاها لطغى السابق ولما أصبح هناك لاحق متميز .

هذه المواقف الفاصلة كثيرة فى تاريخ الاسلام وكان لها الفصل بين ما سبق وما لحق حتى سميت فاصلة . شأنها فى ذلك شأن المعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام مثل بدر وفتح مكة وحروب الردة ومعركة القادسية ...

ولكن فى المواقف الفاصلة توجد مواقف غيرت من تاريخ الدعوة الاسلامية وأثرت تأثيرا كبيرا فى هذا التاريخ رغم عدم وجود أرض وميدان للمعركة ورغم انه لا يوجد سلاح استخدم ولا فريقان واجه كل منهما الاخر بالسلاح .

ولم يعن المؤرخون على ما اعتقد بتدوين هذه المواقف يفردونها بمميزاتها وخصائصها ونتائجها وان كان الكثير منهم ان لم يكن كلهم سردوها سردا ضمن التاريخ ومروا عليها سريعا ضمن ما مروا عليه من معلومات .

ولهذا آثرنا نحن أن نفرد هذا النوع من المواقف بالتفصيل والشرح لما لهذه المواقف من تأثير فى التاريخ مثل تأثير المعارك ان لم يزد بكثير .

حصار المسلمين فى شعب ابى طالب

ومن هذه المواقف الفاصلة فى الاسلام موقف الرسول وصحبه المسلمين فى حصارهم من المشركين فى شعب أبى طالب حيث يتجلى الايمان فى روعته والصبر فى صلابته يوم ان حاصرهم المشركون ثلاث سنوات لا يبيعون لهم

للشيخ / عبد الرحمن الصوالحى

فى شعب أبى طالب

شيئا ولا يشترون منهم شيئا ولا يمدونهم بمال أو طعام أو شراب .

أسباب الحصار

١ ــ كان ذلك فى السنة السابعة من دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وقبل هجرته من مكة الى المدينة حينما غاظ المشركين تمسك محمد بدعوته وشدة ايمانه وثقته بالله يوم ان جاءهم أبو طالب يبلغهم اصرار محمد على أن يسير فى دعوة الله حتى تنتصر واصراره على رفض عروض قريش وقولته المشهورة لعمه ابى طالب (واللّه يا عم لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر الى أن يتمه الله أو أهلك دونه ما تركته) .

٢ ــ ثم اعقب ذلك اسلام عمر واسلام حمزة وهم من هم فى صفوف المشركين مركزا وجاها وشبابا وبأسا وقوة .

كانت هذه المواقف مواقف مشرفة فى تاريخ الاسلام . فالرسول يرفض ما عرضته عليه قريش من المال والنساء والزعامة بل هو يرفض أكثر من ذلك . يرفض ما لو وضع فى يد انسان لتَحكَّم فى الدنيا بأسرها يرفض أن يملكوه الشمس التى جعل الله حياة الكون مقرونة بسطوعها وبزوغها يرفض القمر ذا النور الهادى والمنافع الكبيرة .

فزع قريش

ثم يجىء بعد ذلك اسلام عمر واسلام حمزة أصغر اعمام الرسول فاعتز الاسلام بهما كل الاعتزاز .

لقد اهتزت قريش لاسلام عمر وحمزة ودخل فى قلوب عبدة الاصنام الخوف خصوصا بعد أن فشل وفدها الذى ارسلت به الى الحبشة يطالب النجاشى بتسليم المسلمين الذين هاجروا اليها .

اهتزت قريش بكل هذه المكاسب التى تحققت لمحمد وازدياد عدد المسلمين فى مكة فى ذلك زيادة ملحوظة لها آثارها واخطارها على قريش .

ففكرت فى طريقة تكبح بها جماح تقدم الاسلام وانطلاقه وترهب من يظاهر الرسول من غير المسلمين كأبى طالب

ومن يتعصبون للنبى لعنصر القرابة ورابطة الدم .

فاتفقت على مقاطعة الرسول ومعه بنو هاشم من غير المسلمين فلا يتزوجون من نسائهم ولا يزوجونهم احدا من نسائهم ولا يبيعون لهم شيئا ولا يشترون منهم شيئا ولا يتعاملون معهم أى نوع من المعاملات .

تعليق الحلف فى جوف الكعبة

وكتبوا الحلف على هذه الصورة فى رقعة وختموها بثلاثة اختام وعلقوها فى جوف الكعبة توكيدا على انفسهم .

أبو لهب يشذ عن بنى هاشم

وفى أول ليلة من السنة السابعة لبعثة الرسول عليه السلام سنة ٦١٦ وتنفيذا لتلك المقاطعة ونتيجة لها تجمع بنو هاشم كلهم ولم يتخلف منهم احد الا أبا لهب الذى طغى على قلبه الحقد على الرسول عليه السلام وغلبت عليه عصبيته للاصنام وكراهيته للاسلام تجمعوا كلهم فى شعب أبى طالب ومعهم الرسول عليه السلام وهو المقصود الوحيد من هذه المقاطعة لتستعد الى نوع جديد من قسوة قريش واسلوب من اساليبها فى التنكيل والتعذيب لم يسبق للفريقين أن حارب أو حورب بمثل هذا النوع الدنىء من الحرب .

ولقد لاقى المسلمون ومعهم اقاربهم من بنى هاشم المشركين لاقوا فى صبر وصمت ما أنزل بهم من قسوة هذه المقاطعة وتحملوها ، منهم الصابر طواعية واختيارا ومنهم الصابر كراهية واجبارا عليها ، تحملوها مدة تقرب من ثلاث سنوات لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم — وهذا امر ممكن الاستغناء عنه — ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يتعاملون معهم أى نوع من المعاملة ، وهذا هو الأمر القاسى .

قريش تحكم الحصار وتحرسه

ولقد بلغ حصار المسلمين ومعهم المشركون من بنى هاشم بلغ هذا الحصار اشده وجاوز منتهى القسوة حيث كانت قريش مترصدة لكل من يدخل مكة من بنى هاشم او يترك شعب ابى طالب فكان المسلمون اشبه ما يكونون بالمسجونين المحصورين حصارا شديدا.

رحمة الله بالمسلمين

لم يخفف عنهم آثاره الا الاشهر الحرم الاربعة التى كان العرب يحترمونها ويحرمون فيها قتال بعضهم بعضا ، فكانت هذه الأشهر بمثابة متنفس للمحاصرين كى يخرجوا الى مكة يشترون ويبيعون ما يريدون لغير صناديد قريش وزعمائها . حيث كانت قسوة هؤلاء وعصبيتهم تمنع الواحد منهم عن معاملة المسلمين ولكن على كل حال كانت هذه الأشهر رحمة من الله للمسلمين .

امداد المسلمين سرا

كما كان للمسلمين متنفس آخر فى العقلاء من قريش امثال حكيم بن عدى ابن اخى خديجة بنت خويلد حيث كان يمد المسلمين بالمساعدات هو وغيره سرا .

وطبيعى أن يكون ايصال المساعدات سرا للمسلمين من حكيم وأمثاله يجعلها فى حدود ضيقة مخافة أن تراها قريش او تسمع بها .

الدعوة الى الله

كما كان فى احترام الأشهر الحرم متنفس للدعوة الاسلامية بعد أن كانت متنفسا للمسلمين فى شراء ما يحتاجون .

فكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يخرج هو والمسلمون فى هذه الأشهر وينشر دعوته ان سرا وان جهرا فى الحدود الضيقة كما كان عليه السلام يخرج الى عكاظ والى قوافل الحج بين مكة ومنى ويدعو للدين القويم .

أبو لهب يعترض الحجاج

ولكن كان هذا المتنفس يعترضه ويسده أبو لهب الحقود المتعصب فكان يتتبع النبى صلى الله عليه وسلم ويتعقب المسلمين عند نشر هذه الدعوة وكذلك كان يفعل غير ابى لهب وان كان ابو لهب اكثرهم نشاطا لانه اكثرهم حقدا وتعصبا للاصنام وكراهية للاسلام .

ولهذا لم يكن يمر به أحد وهو على افواه الطرق وابوابها الا حذره من محمد واصحابه واخذ عليه العهد بألا يستمع الى الاسلام .

لهذا كانت النتيجة غير مشجعة والفائدة محدودة فى دخول الناس فى الاسلام .

فشل الحصار

الا أن ذلك لم يكن يمنع العرب الذين جاءوا الى مكة من معرفتهم بخبر النبى وخبر دعوته ومحاربة قريش له وللمسلمين وما يلاقيه المسلمون من قريش بتعذيبهم ومقاطعتهم .

فكان لهذا نتيجته السيئة على قريش وفائدته العكسية بالنسبة لها حيث كان بعض العرب يعطف على المسلمين ثم يدعوه هذا العطف الى الدخول فى الاسلام أو على الاقل كان يجعله يفكر فى الاسلام .

وأول درجات الايمان هو الشك كما يقول ديكارت الفيلسوف فكان ذلك دافعا لبعض هؤلاء على اعتناق الاسلام ثم دافعا على التبشير به .

وجاءت السنة العاشرة من بعثة الرسول عليه السلام وكان قد بلغ الخمسين من العمر وقريش ما زالت سادرة فى غيها مستمرة فى طغيانها ، والنبى والمسلمون وبنو هاشم محصورون فى شعب ابى طالب صابرون على المقاومة مؤمنون بالله اشد الايمان واثقون كل الثقة بأن الله سينصرهم على أعدائهم .

واعظم شيء يتجلى فى هذه المحنة هى انها جمعت بين قلوب المسلمين ووحدت آراءهم وكتلت جمعهم وجعلتهم يلتفون اكثر حول النبى صلى الله عليه وسلم ويحمونه من أذى المشركين فلم يستطع المشركون أن يتمكنوا منه بأى نوع من الأذى .

فرق الله جمعهم

امتدت حركة المقاطعة الى سنة ٦١٩ أى الى اكثر من سنتين حتى بدأ رجال من قريش من قربى بنى هاشم ينتقدون علنا تعميم المقاطعة على بني هاشم فى حين أن موضع كراهة قريش هو الرسول عليه السلام واتفقوا على نقض حلف المقاطعة ومن هؤلاء هشام بن عمر وزهير بن ابى امية ومطعم بن عدى وابى البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود ، وقد يكون الداعى لاحتجاج هؤلاء مجرد العاطفة وقد يكون خوفهم من دخول بنى هاشم كلها فى الاسلام أى أن احتجاجهم كان سياسة منهم .

الأرضة تأكل الحلف

وحوالى ذلك الوقت توصل احد اصدقاء الرسول الى الكشف عن وثيقة حلف المقاطعة فى الكعبة فوجد الارضة (النمل الأبيض) قد اكلت كلماتها فأخبر بذلك النبى وفى رواية ابن هشام انه أوحى اليه عليه السلام بخبر اكل كلمات الوثيقة .

ابو طالب يستغل هذه المعجزة

ولما نمى الخبر الى ابى طالب عزم على الانتفاع بما حدث للوثيقة وعقد النية

البقية على ص ٧٧

السامريون أو

أغرب شعوب العالم وأقلها عددا

لمحة تاريخية

تقيم فى مدينة (نابلس) فى الاردن ، طائفة لا نظير لها فى العالم . تلك هى طائفة السامريين الذين يسميهم مؤرخو الاسلام (السمرة) . وهم فعلا من أقل الطوائف على وجه الارض عددا ، اذ يبلغ مجموع أفرادهم ٣٥٠ شخصا بين ذكور واناث ، وثلث هذا العدد من الاطفال . وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يكن يزيد عددهم فيه عن مئة نفس متفرقين فى قرى مختلفة . وقبل ٣٥٠ سنة لم يكن قد بقى منهم سوى خمسة ذكور وخمس نساء لاغير . فجمعهم الكاهن فى نابلس بعد ان كانوا يعيشون متفرقين فى دمشق وغزة وصرفند ومصر . وفى نابلس انضم هؤلاء الى عائلة من سلالة الكهنة حيث كان لهم كنيس يتعبدون فيه . ومنذ ذلك الحين شكلوا جماعة واحدة أخذت تنمو ببطء الى ان اصبحوا على ما هم عليه اليوم .

كهنة السامريين

يرى السامريون أنهم ورثة اسرائيل جميعا ، وحماة التوراة العاملين بتعاليمها ووصاياها العشر وأن الله قد اختارهم لذلك . وهم البقية الباقية من الاسباط العشرة ، أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام . فقد انفصلوا عن اليهود زمن الملك رحبعام بن سليمان بن داود ، ونصبوا عليهم ملكا يدعى يربعام . ومنذ ذلك العهد وهم على خصومة شديدة مع اليهود ، وقد جرت بين الطرفين حروب ومعارك فى العهد القديم ، حتى كان السامريون يحولون أحيانا بين اتصال اليهود المقيمين فى الجليل واليهود المقيمين فى القدس ، فيضطر أولئك الى السير عن طريق ما وراء نهر الاردن شرقا للاتصال ببعضهم البعض .

وعندما غزا سرجون الثانى ملك آشور هذه البلاد ، تمكن من التغلب على السامريين وفتح عاصمتهم ، وسبى معظمهم الى بابل حوالى ٧٢١ ق . م وجاء من العراق باناس آخرين أسكنهم مكانهم . وبقى السامريون فى بابل يعانون ذل الاسر وهوان المنفى حتى تولى (سوردى) ملك آشور فسمح برجوع قسم كبير منهم مع كهنتهم فسكنوا نابلس (شكيم) وما جاورها من القرى ، واختلطوا بالسكان المستوطنين ونشروا ديانتهم بينهم . ولكنهم ظلوا على عداوتهم لليهود واتخذوا من جبل جرزيم مذبحا ومعبدا يقدسونه ويتجهون اليه ، ويعتبرونه جبل الطور بدلا من القدس

"السمرة" في الأردن

وأشدها عداوة لليهود

للاستاذ / لطفى ملحس

التى تناسوها وألفوا قدسيتها من توراتهم . وهم بهذا يخالفون التقاليد المتعارف عليها عموما عند أصحاب الديانات السماوية الاخرى من أن الطور هو القدس .

سبب تسميتهم بالسامريين

أما تسميتهم (سامريين) فهى تسمية ادارية للتفريق بين مقاطعتهم والمقاطعات الاخرى وكانت (سبسطية) تدعى السامرة ، وقد اتخذها اليونان عاصمة للمقاطعة فسمى سكان المقاطعة (سامريون) وقسر اليونان سكان المقاطعة على قبول هذه التسمية لتسهيل المعاملات والتنقل .

السامريون فى عهد الرومان

وفى فترة تراخى حكم الفرس واليونان تقوى السامريون وحصنوا البلاد التي يقيمون فيها . وعندما دخل الرومان سوريا بقيادة (فسبسيانوس) وجه فرقتين من جيشه الى فلسطين . الأولى بقيادة (تيطس) لتدمير القدس واخضاع اليهود فيها ، والثانية بقيادة (سيرياليس) لاخضاع السامريين وتدمير عاصمتهم (شكيم) — نابلس — وكان ذلك عام ٦٦ ب.م وقد اعتصم السامريون فىجبل جرزيم فحاصرهم الرومان فيه حصارا شديدا حتى كاد الجوع والعطش يفتكان بهم ، ثم قهرهم وقتل أكثر من عشرين ألفا منهم وأسر كثيرين ، والذين نجوا من السيف والأسر ظلوا مشتتين فى الجبال الى أن رحل (فسبسيانوس) الى روما كى يصير أمبراطورا خلفا لنيرون . وقد فرض على السامريين قبل رحيله جزية ضخمة ظلوا يرزحون تحت أعبائها ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

على أن الامبراطور فسبسيانوس أمر باعادة بناء مدينة فى الجهة الشرقية من الوادى باسم (فيلاميانيابوليس) ومعنى العبارة . مدينة فيلاميا الجديدة . وسمح لليهود ببناء القسم القديم من المدينة فأطلقوا عليه اسم الياسمينة نسبة لشجرة ياسمين كانت مزروعة فى ساحة الحى . وهذا الحى لا سيما الشامل للكنيسة السامرية وما حولها — هو حى أثرى يجدر بكل من يزور نابلس أن يزوره .

ولقد استعمل الرومان مع السامريين جميع أصناف الشدة ، فدمروا معبدهم على جبل جرزيم ، ومنعوهم من أظهار طقوسهم ، بل منعوهم من الختان . وحتى يومنا هذا ما تزال فى ترتيلة الختان عندهم

جملة تشير الى ذلك العهد . وتفرق السامريون منذ ذلك الحين فى جميع أرجاء العالم ــ كما تفرق اليهود ــ ووجدت لهم آثار فى روما وبلاد اليونان ومصر وسوريا ولبنان ، ولم يبق منهم فى نابلس الا عدد محدود يعيش تحت الضغط والاضطهاد .

السامريون فى عهد المسلمين

وعندما استولى المسلمون على هذه البلاد ، تنفس السامريون الصعداء وعادوا يقيمون طقوسهم بحرية كاملة ، وأخذوا يعودون الى نابلس وقراها ليقيموا بين ربوعها ، وظلوا فى رغد وازدهار الى أن وقعت الحروب الصليبية فأصابهم شيء كثير من أضرارها ، وتشتت شملهم مرة أخرى فلم يبق فى جبل نابلس منهم الا عائلة الكهان التي تسكن فى قرية عورتا (على طريق القدس ــ نابلس) حيث مقام العزير عليه السلام . وظلوا كذلك الى أن قام الكاهن سنة ١٠٣٠ هجرية فلم شملهم فى نابلس حيث ما يزالون يقيمون .

أحوالهم بعد الرجوع

كان أحد رجال السامريين يجيد اللغة التركية والمحاسبة ، فاستخدمه المتسلم (الحاكم) ترجمانا وكاتبا للسراى فى نابلس ، واستمر ذلك فى ذرية السامرى الى آخر عهد الاقطاع ، وكان من ذريته ترجمان السراى فى جنين أيضا . وبهذه الواسطة ظل السامريون على اتصال بحكام جبل نابلس وأمرائه ، فلم يكن أحد يعرض لهم بسوء . وكان تجار نابلس الى عهد قريب يستخدمون بعضهم كتابا فى متاجرهم وكون بعض السامريين ثروات لا بأس بها ، وصار منهم تجار يعتبرون من تجار الدرجة الثانية والثالثة وقد ظلوا كذلك الى عهد قريب حيث فقدوا ثرواتهم فى المداينات للقرويين ، كما حصل للكثيرين من تجار وأثرياء نابلس .

وعندما فرضت دول أوروبا على الدولة العثمانية ادخال النظم الأوروبية ، ومنح بعض المناصب للأقليات ــ قررت تعيين عضو طبيعي من كل طائفة فى مجلس ادارة اللواء ، وهنا كلف السامريون اثبات أنهم طائفة لها كتاب مقدس ، فأرجف المرجفون بأنهم ليسوا أهل كتاب وأنهم يعبدون العجل وراء الستارة ، فتخوفوا ولكن شهد الحاخام بأن كتابهم هو توراة باللغة العبرية القديمة ، وقد ساعدهم الشيخ يوسف أفندى زيد لدى متصرف اللواء ، فاعتبروا طائفة وأصبح منهم عضو طبيعي فى مجلس الادارة والمجلس البلدى . ومما يدعو الى الفخر ويبرهن على العدل والتسامح ، أن هذه الطائفة تمتعت بحريتها وبمكانة محترمة بعد رجوعها وخلال عهد الاقطاع الأخير الذى استمتعت نابلس أثناءه بالاستقلال الذاتي ، وليس أدل على ذلك من أنهم يقضون كل سنة ثلاثة أسابيع على جبل الطور . وكان كهانهم وأذكياؤهم كبنى الشلبى ، يتربعون فى أهم مجالس نابلس ولا يزالون ، حتى أطلق على بعضها اسم مجلس الكهان ، وحدث قبل قرن من الزمن بعض الشغب على السامريين بسبب بيع الخمور ، فسارع أمراء نابلس وشيوخها الى تأديب المشاغبين ، والمحافظة على حقوق السامريين . وطبيعي أن تحوم شكوك العامة حول أناس لا يندمجون بهم ولا يأكلون من مأكلهم ، ويحتفظون لأنفسهم بأزياء خاصة .

معتقدات السامريين

يقسم السامريون الى قسمين رئيسيين : (١) اللاويون وهم الكهنة المتحدرون من سلالة (لاوى) أحد أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام . (٢) العامة

وهم من سلالة (منسى) و (افرايم) أولاد سيدنا يوسف عليه السلام . وهم يعتبرون أنفسهم موسويين تقوم عقيدتهم على خمسة أركان :

١ ــ وحدانية الله سبحانه وتعالى الحى القيوم القادر على كل شيء وأن لا اله سواه .

٢ ــ نبوة المشترع سيدنا موسى عليه السلام .

٣ ــ التوارة (الخمسة أسفار الأولى من العهد القديم) وأنها توراة منزلة .

٤ ــ قداسة جبل جرزيم وأنه باب النعيم والسماء ، وهم يعتبرونه قبلتهم .

٥ ــ يوم الدينونة والبعث ، وهو يوم الحساب والعقاب، وأنه آت لا ريب فيه.

هذا بالاضافة الى محافظتهم على يوم السبت من كل أسبوع عطلة . عن كل عمل دنيوى،ينقطعون فيه للصلاة وقراءة التوراة ، ولا يخرجون من بيوتهم من الغروب الى الغروب .

أعيادهم

أعياد السامريين المنصوص عليها فى التوراة هي :

١ ، ٢ ــ عيد الفطر ، وقربان الفصح ، وهما من أكبر الأعياد ، ويجب الاحتفال بهما على قمة جبل جرزيم ، حيث يجتمعون هناك مدة سبعة ايام ، وهذه هي مدة العيد فقط ، ويتناولون خلالها الفطير (الخبز المويص غير المختمر) وفى ليلة اليوم الأول من العيد ينحرون سبعة أكباش ، وبعد تنظيفها باطنا وظاهرا ، يملحونها ويربطونها وقوفا بأعمدة ويدلونها فى حفرة مملوءة بالجمر . وبعد وقت معين يستخرجونها ويوزعونها على الطائفة جميعا ، وهذا العيد يقع عادة فيَ شهر نيسان . ويشهد هذا الاحتفال أناس كثيرون من مختلف المذاهب والجنسيات على رأسهم الحكام الاداريون للمنطقة .

٣ ــ عيد الحصاد (الخماسين) وهو نهاية الخمسين يوما بعد عيد الفطر . ويعطلون فيه عن أعمالهم الدنيوية ، ويقدمون صلوات الشكر على بركة غلات العام .

٤ ــ عيد رأس السنة . وهو تذكار لبدء السنة العبرية .

٥ ــ عيد التكفير عن الذنوب (الصوم) حيث يصومون فيه مدة أربع وعشرين ساعة أو أكثر صغارا وكبارا ، نساء ورجالا ، شيبا وشبانا وأطفالا . يصلون فيه طوال المدة المذكورة ، ولا يكاد ينقطع أحدهم عن الصلاة الا لقضاء حاجة ضرورية كالوضوء أو ما شابه، ولا يجوز مطلقا أن يتناول فيه أحدهم ــ حتى الأطفال الرضع أى طعام أو شراب .

٦ ــ عيد المظال (العرش) وهو تذكار خروج بنى اسرائيل من مصر . ويستمر هذا العيد سبعة أيام .

٧ ــ اليوم الثامن بعد الأيام السبعة المار ذكرها (ختام الأعياد) وهو يوم عظيم عندهم يقدمون فيه النذور والأعشار .

طقوسهم وعاداتهم

للسامريين طقوس وعادات خاصة بهم ، منها أنهم يختنون كل ذكر فى اليوم الثامن من عمره ، وهم يقدسون (العزير) ، ويعتبرون داود وسليمان ملكين لا رسولين،وعندهم زكاة منصوص عليها فى التوراة ، وعندهم صلاة مرتان فى اليوم . عند الفجر وعند الغروب ، وهى بركوع وسجود وقيام يسبقها وضوء خاص ينقص عن وضوء الاسلام بأنهم يغسلون الأيدى دون الأذرع ولا يمسحون رؤوسهم ، ويسبق الوضوء استنجاء اى طهارة . وفى صلاتهم يتلون الأدعية والشكر والمدح لله ويلبسون أثناءها لباسا أبيض ناصعا ، وهم يغتسلون من الجنابة ، ولا يجوز عندهم تأجيلها قطعيا حتى لو كان ولد المرأة يبكى فلا يجوز لها ارضاعه ما لم تغتسل، ويكون بصب الماء . أما الحائض والنفساء فلا بد لها من الغطس فى مغطس عند

الغروب . وفي مدة الحيض والنفاس تحفظ المرأة في زاوية من البيت ، وتخصص لها أواني خاصة ، ولا تمس شيئا في المنزل ، الى أن تطهر . واذا توفي شخص منهم غسلوه وكفنوه وألبسوه أنظف ثيابه ، ويستأجرون من يقوم بهذا ، وان لم يجدوا قاموا هم بذلك ، ولهم قاعدة في المأكل فلا يجمعون بين روحين أي لا يجمعون بين اللحم وسمن الحيوان عملا بآية التوراة القائلة (ولا تطبخ جديا بلبن أمه) ولهذا السبب يمتنعون عن أكل طعام غيرهم من الشعوب وقد قيدوا أكلهم اللحم بالمجتر ذى الظلف المشقوق ، ولذا فانهم لا يأكلون لحم الجمل لأنه غير مشقوق الظلف ، ولا الخنزير لأنه لا يجتر .

ويقوم بطقوسهم الدينية ثلاث كهان . الصلاة والمناكحات والذبح والختان . والكهان هم من سبط لاوى . ويمتازون بشعور رؤوسهم المضفورة بشكل خاص تحت العمائم الحمراء ، وبلحاهم الطويلة التي يطلقونها منذ الصغر . ويشترط في الكاهن السلامة من العيوب الجسمانية وأن يحفظ التوراة ويدرسها ، وأن يتفقه في الدين والحساب الفلكي . وعلى الكهان حراسة التوراة الخاصة بالكنيس . وهى أقدم نسخة خطية على وجه البسيطة لأى كتاب ، وتتألف من الخمسة أسفار الأولى فقط . ويرجع عهد كتابتها الى ما قبل ثلاثة آلاف وستمئة سنة . وهي بخط أبي شوع بن فنحاس بن العزيز بن هارون شقيق موسى عليه السلام . وقد كتبت على قمة جبل جرزيم لثلاث عشرة سنة بعد موت سيدنا موسى ، وهي النسخة الوحيدة الباقية من أصل ثلاث عشرة نسخة طبق الاصل ، اذ أن النسخ الأخرى فقدت عندما انفصل السامريون عن اليهود . ولديهم عدة نسخ قديمة أخرى كتب بعضها على جلد غنم (رق) وهي محفوظة في قالب فضي داخل خزانة من الحديد . ولكنيستهم ثلاثة مفاتيح بيد كل كاهن مفتاح ، والكنيس مفروش بحصير وبسط على الأرض ، وليس فيه شيء من الزخرف والزينة وفي جهة القبلة (أى الشرق) ستار وراءه التوراة على كرسي ، ويقيمون الصلاة على الأرض وليس على المقاعد . وكان كنيسهم في الحى القديم المنسوب اليهم ، ثم تداعى بعد زلزال ١٩٢٧ فباعوه وابتنوا غيره في حيهم الجديد المعروف بالفروز .

وكتب السامرين قليلة ، جلها قديم من حيث التأليف ومعظمها دينية . وهى لا تزيد على خمسة وعشرين كتابا . وأهمها كتاب (شرح التوراة) أو (الميمر) تأليف حبرهم الأعظم وشاعرهم الكبير (مارقة) ثم كتاب (شرح الفاتحة) وكتاب (التوطئة) ويبحث في قواعد اللغة العبرية . وكتاب (الأساطير) و (الطباخ) و (الفتاوى) و (الميراث) .

عادات السامريين في الزواج

تشبه عادات الاحتفالات بالزواج عند السامريين العادات الاسلامية من بعض الوجوه . وعندهم عادة المهر المتقدم والمتأخر ، ولكن مقدار المهر يكون رمزيا في معظم الحالات . ويجرى الاتفاق على الشروط بين والد العروس والعريس نفسه ، في حفل خاص ، ثم يعين يوم الاحتفال بعقد القران .

وفي يوم القران تسأل البنت التي تكون بالغة أمام شاهدين عمن تشاء أن توكل في زواجها . وبعدها يحضرون الشهود ويقسمون اليمين أمام الكاهن المسؤول بأنها قبلت أن تتزوج الشخص المعين . وأنها وكلت أباها أو عمها أو أخاها أو أقرب الناس اليها . وأما البنت غير البالغ فليس لأحد أن يسألها سوى أبيها الذى له الحق في تزويجها الى من يشاء .

ويحرم على السامري أن يتزوج بامرأة العم وامرأة الأخ ، وأخت الزوجة ، والربيبة ، وبنت الزنا والمستحل أي المطلقة المكشوفة على غير زوجها الذي طلقها . وما عدا ذلك فالسامريون كالمسلمين تماما .

ويحق للسامري أن يطلق زوجته اذا كانت عاقرا أو عاهرا أو ذات مرض معد . كما يحق للسامري أن يتزوج من غير دينه شرط أن تعتنق الفتاة المذهب السامري قبل زواجها .

بئر يعقوب

يقع هذا البئر التاريخي في أطراف مدينة نابلس في وسط السهل الذي يفصل جبل عيبال عن جرزيم . والمعروف أن سيدنا يعقوب هو الذي حفره عندما جاء الى شكيم ، وعمقه خمسة وسبعون قدما . وعند هذا البئر التقى السيد المسيح بالمرأة السامرية . وكان قد غادر القدس الى الجليل عن طريق السامرة ، واذ كان متعبا فقد جلس الى جانب البئر ، وعندئذ جاءت امرأة سامرية لتستقي ، فطلب منها أن تعطيه ماء ليشرب ، فقالت له . كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية ؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين ، ولهذا يدعى هذا البئر ب (بئر السامرية) .

وقد بنت الملكة هيلانة كنيسة كبيرة فخمة (٤٣ مترا عرضا و ٢٥ مترا طولا) فوق هذا البئر في القرن الرابع للميلاد ، وزاد الملك جوستنيان في زخارف هذه الكنيسة التي كانت محل اعتبار العرب فلم يتعرضوا لها ، كما لم يتعرض الفرس لها عام ٦١٤ ب.م وبقيت على حالتها حتى هدمت عام ١٠٠٩ في عهد الفاطميين .

أعاد الصليبيون تعمير الكنيسة عام ١١٥٤ ثم هدمت عام ١١٨٧ بعد أن خرجوا من البلاد . وفي عام ١٥٥٥ أخذت الكنيسة الأرثوذكسية أمرا من السلطان العثماني بحراسة هذا المكان ، ثم بنيت كنيسة على آثار الكنيسة القديمة قبل عهد غير بعيد .

أحوالهم الاجتماعية

يتكلم السامريون العبرية والعربية ، وليس لهم مدرسة خاصة بهم الا أنهم يستطيعون الانضمام الى مدارس الحكومة ، وهو ما يحدث في الوقت الحالي ، وكانوا يجنبون أولادهم دخول المدارس الحديثة الى عهد قريب ، ولذلك تجد أن عدد المتعلمين بينهم قليل . يعمل بعضهم في مهن مختلفة كالتجارة والدهان والتجارة البسيطة ، كما يوجد بينهم عدد قليل من الموظفين وبعض الكتبة الذين يتقنون فن المحاسبة ، وليست لهم أية أملاك سوى دور السكن ، وهي تقع حول كنيسهم في الجانب الغربي من نابلس . تبدو بيوتهم نظيفة مرتبة ، ونساؤهم محجبات مثال الطهر والعفاف لم يسمع عنهن ما يشين قط ، وهم بهذا أشرف من اليهود ، ويعود الفضل في هذا الى الوسط الاجتماعي الذي يحيط بهم ويساعدهم عليه . والسامريون متشبثون بشخصيتهم الى حد مدهش وهم لا يتحولون عن عاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم . ورغم ذلك فان لهم صلات بجيرانهم المسلمين فيحضرون مجتمعاتهم ويشاركونهم الزيارات في الأفراح والمآتم والحوادث ، وقد استطاعوا رغم قلتهم وفقرهم أن يحتلوا مكانا بين وجهاء وتجار نابلس . وهم يستفيدون كثيرا من الموسم السياحي الى حد ما . وقد أصبحوا اليوم أكثر تجانسا واقبالا على شؤون الحياة ، وهم يشبهون جيرانهم الى حد كبير في الكلام واللهجة والملبس وطرق الطبخ وتأثيث البيوت .

وسبب قلة عددهم أنهم لا يتزاوجون مع الشعوب الأخرى ، وأن عدد الذكور فيهم يزيد عن عدد الاناث ، ولكن في المدة الأخيرة أخذ عددهم ينمو بسبب ازدياد عدد النساء بينهم .

هؤلاء هم السامريون ، الشعب الذي يعيش في الأردن ، والذي يستمتع بكل ما كفل الدستور لجميع المواطنين من حرية وحقوق وواجبات .

فضل الاسلام على أوروبا

في حرية الرأى والعقيدة

للاستاذ الغزالى حرب

١ ــ كانت الكهانة فى أوربا باسم الدين لا تطيق سماع كلمة فلسفة فضلا عن أن تأذن فى حرية البحث الفلسفى ، ولا تعتبر الفلاسفة ولا سيما أرسطو الا الد اعدائها، حتى مارتن لوثر الرائد البروتستنتى الحر كان يعادى ارسطو ويلقبه بالحمار. بينما جاءت المدنية الاسلامية داعية الى احترام العقل الذى ذكره القرآن الكريم تسعا واربعين مرة ، ولا معنى لاحترام العقل الا بالنظر الفلسفي الحر ، داخل النفس وخارج النفس ، فى حدود الطبيعة وفيما وراء الطبيعة ــ كما صنع أرسطو الذى لقب بالمعلم الاول لا بالحمار ولقب الفارابى بالمعلم الثانى ، واتاحت لابن رشد أن يوفق بين فلسفة ارسطو وبين الاسلام والمسيحية توفيقا فصله فى شروحه الفلسفية التى ترجمت الى اللاتينية وكانت تدرس بعناية فى جامعات ايطاليا وأسبانيا وفرنسا وغيرها .. كما كانت دراسات الفيلسوف ابن سينا فى الطبيعة والميتافيزيقيا مادة أساسية فى جامعة السوربون الى عهد ليس ببعيد .

٢ ــ وكانت الكهانة فى أوربا باسم الدين لا تنظر بارتياح الى التماس الدليل عن طريق التجربة العلمية ، لان ذلك يتنافى ومبدأ الايمان الأعمى والتسليم المطلق ، الذى تريد الناس جميعا عليه ، حتى لا يفلتوا من قبضتها الملوثة بالدماء والدموع بينما جاءت المدنية الاسلامية بالدعوة الى جعل التجربة والمشاهدة والاستقراء التام أساسا للمباحث العلمية ، وذلك ما يعرف بالاسلوب العلمى التجريبى الذى رفع لواءه فرنسيس بيكون فى القرن السابع عشر .. وسبقه اليه من عباقرة المدنية الاسلامية اثنان : أولهما الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ الذى عاب على ارسطو فى كتابه (الحيوان) انه لا يعتمد على التجربة والمشاهدة والامتحان ، وثانيهما الحسن بن الهيثم الذى جاء بعد الجاحظ بمائة سنة تقريبا ، وهو رائد علم الضوء فى القرن الرابع الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وقد دعا الى الأسلوب العلمى التجريبى فقال فى كتابه (المناظر) :

(نبتدىء فى البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص

البصر في حال الابصار ، وما لا يتغير بظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس ، ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات ، والتحفظ من الغلط في النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننقده طلبا للحق لا الميل مع الآراء) .

وفي موضع آخر من كتابه يقول (ونصل بالتدرج والتلطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف ، وينحسم بها مواد الشبهات) .

٣ ــ وكانت الكهانة في أوربا باسم الدين لا تقر البحث في النفس بحثا علميا فلسفيا ، ولا ترى مثل هذا البحث الا سفسطة ، لا طائل من ورائها ، ثم جاءت المدنية الاسلامية داعية الى حرية البحث الفلسفي في النفس وقواها ومداركها وكل ما له صلة بها ، وفي ظل هذه الحرية نمت البذرة الأولى التي بذرها ابن سينا في حقل (علم النفس) ، وسبق علماء أوربا الحديثة بعدة قرون الى تقرير نظريات نفسية علمية ، ومن ذلك ما قرره مثلا من اختلاف الاشخاص في قوة التخيل المستعيد ، وفي المقدرة على (١) استعادة أنواع معينة من الصور ، وذلك ما انتهى اليه في العصر الأوربي الحديث العالمان الجليلان : جالتون وشاركتون .

٤ ــ وكانت الكهانة في أوربا لا ترى الحيوانات والنباتات شيئا يستحق الدراسة والبحث ، حتى لا يشتغل الناس بمثل هذه البحوث (التافهة) عن تقديم فروض الطاعة والولاء للكهانة .. بينما جاءت المدنية الاسلامية بالدعوة الى البحث العلمي في الحيوانات والنباتات وكان لابي عثمان الجاحظ فضل السبق الى كثير من الآراء في علم الحيوان ، ومنها الرأى القائل بان للحيوان ذكاء يدنو من ذكاء الانسان بل قد يساويه ، وذلك ما قرره بعد ذلك بمئات السنين العلامة « أندره ميزون » بعد أن صحبها في الغابات زمنا ليس بالقصير . وخرج من الغابات بدراسات علمية لها قيمتها .. كما كان لابن البيطار المتوفى عام ١٢٤٨ والعالم النباتي المشهور فضل السبق الى وصف مائتين من أنواع النباتات لم يسبقه أحد الى وصفها ، وذلك في كتابه « الأدوية المفردة » .

٥ ــ وكانت الكهانة لا تأذن لغير الكهنة في الحرية التامة في مزاولة الطب ، وما كان الطب عندهم الا أوهاما وخرافات . لها صلتها الوثيقة بالجن والشياطين والرقى والتعاويذ .. فلما زحفت المدنية الاسلامية الى أوربا ابعدت الكهنة عن الطب ، واعتبرت الطب علما لا خرافة ، وحقائق لا أوهاما وداء ودواء ، لامسا من الجن ، ولا صدعا من الشياطين ، ولا انتقاما من الله ، ورأت أوربا في ظلال المدنية الإسلامية خلقا جديدا من الأطباء جعلها تردد مع التاريخ في أعجاب واجلال **(كان الطب معدوما فأحياه جالينوس وكان متفرقا فجمعه الرازي ، وكان ناقصا فكمله ابن سينا (٢))** كما رأت للمرة الاولى في تاريخها مدرسة علمية للطب في (سالرن) من بلاد ايطاليا ، وسمعت كلمات طبية عربية ما تزال محتفظة بعروبتها حتى اليوم في اللغات الأجنبية مثل السودا والشراب والقلي والكحول والاكسير .. ويلاحظ أن هذه الكلمة الاخيرة لا تكتب في اللغات الاوربية على اختلافها الا معرفة بالالف واللام ــ وهي أداة التعريف في اللغة العربية ــ على حين انها في الاصل ليست الا كلمة يونانية معناها : يابس أو جاف وهي كلمة (اكسيروس) XeROS .

(١) انظر القانون لابن سينا ج ٣ ص ٢٨٤

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ٢ ص ٢١٦

ورأت أوربا وسمعت للمرة الاولى أبا بكر الرازى أول من فرق بين الحصبة والجدرى ، وابن سينا أول من كشف الستار عن عدوى السل ، وأول من زاول العلاج النفسى مستعينا بالايحاء ، قبل أن يستعين به جوان فيف عام ١٥٢٥م معلنا أن هنالك أسبابا غير عضوية تسبب بعض الامراض العصبية أو النفسية التى لا تعالج بما تعالج به الامراض الجسمية.

ورأت أوربا وسمعت كتاب ابن سينا ((قانون الطب)) مرجعا علميا لاطبائها حتى أوائل القرن الثامن عشر، وأساسا لبرامج الدراسات الطبية فى أسبانيا وفرنسا وايطاليا حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر ... ورأت أوربا وسمعت طبيبا عربيا مسلما آخر هو ابن الخطيب المتوفى عام ١٣٥٠م والذى كان أول من كشف عن السر الحقيقى لانتشار وباء الطاعون فى أوروبا خلال القرن الرابع عشر .. ولم يكن هذا السر الذى اكتشفه ابن الخطيب للمرة الاولى فى التاريخ الا عدوى الطاعون .. كما رأت أوربا وسمعت الطبيب الجراح الاول فى العصور الوسطى وهو أبو القاسم الزهراوى القرطبى (١) المتوفى عام ١٠١٣ فترجمت كتابه فى الجراحة الى اللغة اللاتينية واعتمدت عليه فى تدريس الجراحة بجامعاتها — ومنها جامعة أكسفورد — حتى عام ١٧٧٨م .

٦ — وكانت الكهانة — فى أوربا باسم الدين — لا تأذن لاحد فى النظر الى السماء ونجومها الا على سبيل الدعاء والاستغفار والصلاة ، فجاءت المدنية الاسلامية وأنشأت أول مرصد فلكى فى أوربا باشبيلية تحت اشراف جابر بن حيان عام ١١٩٦ م . ولما جاء محمد بن موسى الخوارزمى ابتكر ما يعرف باسم ((الزيج الفلكى العربى)) وهو أساس ما عرفته أوربا بعد ذلك باسم ((الزيج الفلكى الفرنسى)) وفى اللغات الاوربية حتى اليوم كثير من أسماء النجوم محتفظة بالفاظها العربية مثل عقرب — جدى — ذنب .. ولاحمد الفرغانى الفلكى العظيم كتاب فى الفلك ترجمته أوربا الى اللاتينية ، وكانت تعتبره أهم المراجع الفلكية فى العصور الوسطى ..

٧ — وكانت الكهانة فى أوربا باسم الدين تحجر على العقول ، ولا تعترف بما عرف بعد ذلك باسم الرياضيات مكتفية بالرياضة الروحية الكهنوتية التي تستبقى بها اخلاص الناس لها وحفاوتهم بها .. فجاءت المدنية الاسلامية بالرياضة العقلية ، رياضة الحساب والجبر والهندسة وأول من صنف كتابا فى الرياضيات هو محمد بن موسى الخوارزمى وسماه ((الجبر)) وترجمته أوربا الى لغتها فى اواخر القرن الثامن عشر ، وما يزال الاوربيون حتى اليوم ينطقون باسم هذا العلم بلفظه العربى الجميل ((الجبرا)) وظل كتاب الخوارزمى هذا هو المرجع الرياضى الوحيد لاوربا وجامعاتها حتى عصر النهضة .

ومن أساتذة الاوربيين فى الرياضة ايضا ((ثابت بن قره)) الذى أضاف الى بحوثه فى نظرية الارقام أبحاثا جليلة أخرى فى الطب والفلسفة ، وأضاف الى الارقام

---

(١) نشرنا ترجمات وافية عن أبي بكر الرازى وابن سينا والزهراوي للدكتور محمد ابو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى بالكويت وذلك فى الاعداد ٨، ١١، ١٧ .

الهندية التى أخذها عن الهنود أرقاما عربية ابتكرها هو منها رقم الصفر وكلمة (الصفر) فى اللغات الاوروبية مأخوذةعن الكلمة العربية ـ كما حقق ذلك العلامة الدكتور فيليب حتى .

ومن أبرع الرياضيين الذين تفخر بهم الدولة الاسلامية ، وتدين لهم أوروبا بالفضل العالم الرياضي المشهور ابن موسى الذى استطاع فى القرن التاسع عشر أن يستبدل الأوتار بالمستقيمات فى علم حساب المثلثات ، وأن يكتشف المعادلات ذات الدرجة الثابتة .

٨ ـ وكانت الكهانة فى أوروبا باسم الدين لا ترى فيما يعرف اليوم باسم ((الكيمياء) الا مسلاة أو ملهاة أو عبثا .. فجاءت المدنية الاسلامية « مركزة » الى أوروبا ، والقت الدرس الاول فى الكيمياء بلسان أبى الكيمياء جابر بن حيان ، ثم كشفت لاوروبا عن بعض الاحماض الكيماوية ، مثل حامض الكبريتيك الذى اكتشفه الرازى ، وحامض الازوتيك المعروف بالماء الملكى الذى يذيب الذهب ، وهو مزيج حامض الازوتيك والكلورايدريك ..

ولم يفت المدنية الاسلامية أن تعرف صناعة الثاج التى لم تعرفها أوروبا حتى النصف الاخير من القرن السادس عشر ، كما انها لم تعرف كلمة الكيمياء الا عن العرب ، وما أظرف ابن الرومى اذ يقول مشيدا بقوة الكيمياء :

ان للحظ كيمياء اذا ما
مس كلبا أحاله انسانا

وقد شهد بأستاذية المسلمين والعرب لاوروبا ، ولا سيما فى الكيمياء والصيدلة كثير من الاوروبيين المنصفين أنفسهم ، وحسبنا منهم الآن الاستاذ (هلمياراد) القائل : استنبط العرب من المعلومات الاولية التى كان يطلق عليها اسم «الكيمياء» فى مدرسة الاسكندرية علما باصول أبانوا فيها للمرة الاولى العلاقة الصحيحة بين الحقائق التجريبية ، والحقائق النظرية ، فاعترف الناس بفائدة التطبيق العملى لعلم الكيمياء ، وابتدأت أوروبا ابحاثها الكيميائية على أساس سليم من الحقائق والنظريات ، **وكان اتباع النبى العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هم أصحاب الفضل على أجدادنا ، فلنبادر الى الاعتراف لهم بالجميل .**

« وفى الكلمات العربية الكيماوية التى تسربت الى اللغات الأوروبية عن العربية كالكحول والاثمد والانبيق والقلى دليل ساطع على ما تدين به أوربا وجامعاتها للمدنية الاسلامية العربية » **التى ازدهرت وتألقت فى وقت كانت أوربا فيه تتخبط فى الظلمات . ولا تكاد ترى الضوء الا من سم الخياط** ((على حد تعبير العالم الفرنسى المنصف)) (دروى) .

هذه بعض الكفايات العلمية التى احتضنتها الدولة الاسلامية بوجه عام ووسعتها بمساحتها قولا وعملا دون ما نظر الى اديانها وعقائدها ، واتاحت لها من حرية الرأى والعقيدة وحرية البحث العلمى ما لم ينحه اى مجتمع تقدمى آخر لعلمائه وباحثيه حتى اليوم .

فما اعظم أفضال الحضارة الاسلامية على اوربا ونهضة أوربا ، وما اجدرنا نحن وارثى هذه الحضارة الرائدة بالارتفاع الى مستوى مسئوليتنا الكبرى ووراثتنا الخالدة .

فجوابه أننا لما قطعنا فى الحديث القدسى بنزول معناه لورود النص الشرعى على نسبته الى الله بقوله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى كذا سميناه قدسيا لذلك . بخلاف الأحاديث النبوية ، فانها لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز فى كل واحد منها أن يكون مضمونه معلما بالوحى ، وأن يكون مستنبطا بالاجتهاد والرأى نسمى الكل نبويا وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به . ولو كانت لدينا علامة تميز لنا قسم الوحى لسميناه قدسيا كذلك .

قيمة الخلاف العملية بين الحديث القدسى والنبوى

وفى دقة بين الدكتور أن هذا الامتياز لا يؤدى الى نتيجة عملية ، فسواء علينا عند العمل بالحديث أن يكون من هذا القسم أو من ذاك . اذ النبى صلى الله عليه وسلم فى تبليغه صادق مأمون . وفى اجتهاده فطن موفق . وروح القدس يؤيده فلا يقره على خطأ ان أخطأ فى أمر من أمور الشريعة .

فكان مرد الأمر فى الحقيقة الى الوحى فى كلتا الحالتين . اما بالتعليم ابتداء وأما بالاقرار أو النسخ أنهاء . ولذلك وجب أن نتلقى كل سنته بالقبول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

والخلاصة

وفى ضوء هذه الآراء العلمية النيرة وجدنا الفرق جليا بين وحى القرآن الكريم ووحى السنة قدسية ونبوية ، والفرق بين الحديث القدسى والنبوى . فقد اختص القرآن بطريق واحد من طرق الوحى ، وهو الوحى الجلى باللفظ، ولا كذلك الأحاديث قدسية أو نبوية ، فكما تكون عن طريق جبريل عليه السلام تكون بطرق الوحى الاخرى ، كالالقاء فى الروع والرؤيا الصادقة .

ووجدنا الفرق بين خصائص النظم القرآنى ، فهو المعجز المتحدى به وله أحكامه « لا يمسه الا المطهرون » ولا كذلك السنة . كما فرقوا بين القرآن الكريم والحديث القدسى والنبوى من حيث الاسناد ، فالقرآن قد نقل الينا كله بالتواتر كتابة وحفظا ، جميعه ليس منه ما هو بطريق الآحاد . وبعد كل هذه الفروق التى ذكرت نرى أن الأمر قد حدد منذ النزول فان الله سبحانه وتعالى كان يأمر جبريل بالنزول بالآيات، ولم يترك حتى ترتيبها لجبريل أو النبى عليه السلام ، بل كان ينزل جبريل مزودا مأمورا بأن يبين للنبى عليه السلام بأن ما نزل عليه هو آيات بينات ، وأن يضع آية كذا عند آية كذا من سورة كذا ، وعلى ذلك فلم تختلط آيات القرآن بعضها ببعض ، فلم توضع آية مكان آية أخرى ، فنسقه من عند الله توقيفيا لم يختلط ببعضه فضلا عن أن يختلط بالحديث القدسى ، وقد خصص النبى عليه الصلاة والسلام كتبة للوحى القرآنى يملى عليهم ما أملاه جبريل عليه فى دقة فريدة ، ويرشدهم الى وضع الآيات فى مواضعها ، وبلغت الدقة أنه عليه الصلاة والسلام حرم كتابة القرآن مع غيره ، بل حرم على كتاب الوحى كتابة السنة حتى لا يختلط الامر . وأصبح القرآن بالتواتر الذى لا يقبل الشك معلوما بأنه الان ما بين دفتى المصحف من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس وله خصائصه المعلومة .

والأحاديث القدسية معلومة بأسنادها الى الله برواية النبى عليه الصلاة والسلام الذى يميزها عن الأحاديث النبوية ، والأحاديث النبوية معلومة بأسنادها الى النبى مباشرة ، وقد علمنا السمات لكل من وحى القرآن والحديث القدسى والنبوى وبالله التوفيق .

ذكرى المولد النبوي الشريف

للشاعر الكويتي جاسم عبد الرحمن الجاسم
وزارة العدل ـ الكويت

حسب القلوب صبابة وغـــرام ... وجوى الفؤاد تحكـم وهيــام
مال للمتيم لا يفيق فـــؤاده ... أبدا يُفند في الهــوى ويـــلام
وهوى الحسان نعيمـه وجحيمـه ... عشق الحسان مذلة وسقـــام
يصبو إلى سود العيون تأوهـــا ... ويـــذيبه من لحظهـن غـــرام
يهفو إلى نور الهداية والتقـــى ... وتميلــه الأشـــواقُ والأحـــلام
يغفو على ذكر الرســول وهديــه ... وإذا استفــاق ، تمثل الإلهـــام
بأبي رسول الله شرعك بـــين ... كالصبـــح لا شـــرك ولا أزلام
ما للفلا سفة الذين تقدمــــوا ... لولاك لا ذكــر ولا اعظـــام
وإذا تباهى العارفــون بعلمـهـم ... أنت الخــبير وكلهــم أقـــزام
أنت الذى ســار الزمــان بنــوره ... وانجاب عن دنيا الأنام ظـــلام
وتنفس الصعداءَ كلُّ مقيـــد ... وتواصلت في صلبهـــا الأرحــام
وأزلت دنيا المشركين ومن غـــدا ... يجثو على حجر لديــه يقـــام
وتطهر البيت الحرام ونكســـت ... من حـــوله الأرجاس والاصنـــام
ومشت جنود الله تستبق الخطـــى ... لا الوهنُ يثنيها ولا الاحجـــام
فتحوا البلاد وأسسوا بنيانهـــا ... بالعدل لا ظلم ولا اســـتخدام
ساسوا الممالك بالنزاهة والهـــدى ... والحق نور والكتاب امـــام
حتى إذا قلب الزمـــان مجنـــه ... وتبدلت عن حالهـــا الأيـــام
نبذوا التعاليم التى علمتهـــا ... وجرت بهم في غيها الأعـــوام
فادرك رسولَ الله قومك انهـــم ... تاهوا ببيداء الخـــلاف وهامـــوا
فعليك من رب العباد صلاتـــه ... وإليك منا كل حين ســـلام

مائدة القارئ

اعدها ابو نزار

بائع الحكمة

كان رجل على عهد كسرى أنو شروان يقول : من يشترى ثلاث كلمات بألف دينار ؟ فسمع به كسرى ، فأحضره ، وسأله عنها . فقال ليس فى الناس كلهم خير . قال كسرى : هذا صحيح ، ثم ماذا ؟ فقال : ولا بد منهم . قال : صدقت ثم ماذا ؟ قال : فألبسهم على قدر ذلك .

قال كسرى : قد استوجبت المال فخذه . فقال : لا حاجة لي به وانما أردت أن أدرى من يشترى الحكمة بالمال .

اعتذار لطيف

هجا أبو نواس اسماعيل بن سهل هجاء مقذعا ، ثم أتى اليه بعد ذلك راغبا فى مودته ، فقال له اسماعيل : بأى وجه تأتينى ، وكنت بالأمس تهجونى ؟

فقال أبو نواس : بالوجه الذى ألقى به ربى .. فان ذنوبى عنده أكثر من ذنوبى عندك .

فأعجب اسماعيل من حسن جوابه ولطف اعتذاره وعفا عنه .

طاقة نرجس

جاءت خاطبة رجل ، فقالت له : عندى امرأة كأنها طاقة نرجس ، فتزوجها ، فاذا هي عجوز قبيحة ، فقال للخاطبة : غششتنى ، فقالت : لا والله . انما شبهتها لك بطاقة النرجس لأن شعرها أبيض ، ووجهها أصفر ، وساقها خضراء .

فانون المطبوعات

هتك بشار ستر الحشمة ، فنقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا للعذارى وغيرة على الاعراض ، وانتهى به المجون الى أن أمر به الخليفة المهدى ، فضرب بالسياط حتى هلك .

واستهتر « أبو نواس » فى الغزل ، واسترسل فى الفجور حتى حبسه الخليفة الامين ، ولم يكد يخرج من ظلام الحبس ، حتى دخل ظلام الرمس .

وألف « أوفيد » الشاعر الرومانى كتابه « فن الحب » الذى أفسد شباب روما ، فنفاه القيصر أغسطس فى سرماسيا وبقى فى سجنه حتى مات .

ونظم (بودلير) الشاعر الفرنسي ديوانه « أزهار البشر » فثار على جرأته أهل الحفاظ والنخوة وساقوه الى القضاء ، فحكم عليه بغرامة وأعدام ست قصائد من مطولاته .

دعوة الاسلام

دعاكم الى خير الامور محمد	وليس العوالى في القنا كالسوافل
حداكم على تعظيم من خلق الضحى	وشهب الدجى من طالعات وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله	أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس	وعاقب فى قذف النساء الغوافل
وحرم خمرا خلت ألباب شربها	من الطيش ألباب النعام الجوافل

أبو العلاء

((يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا))

(قــرآن كـريم)

جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكــرون :

فقال بعضهم : عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه ابراهيم خليــلا .

وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى . كلمه ربه تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه

وقال آخر : آدم اصطفاه الله

فخرج عليهم فسلم وقال :

قد سمعت كلامكم وعجبكم : ان ابراهيم خليل الله ، وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله ، وهو كذلك .

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأنا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .

(حديث شريف)

من شمائل الرسول

سيد ضحكه التبسم والمشي الهويني ونومه الاغفــاء

ما سوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء

(البوصيرى)

القبــرة الواعظـة

صاد رجل قبرة فقالت له : ماذا تريد ان تصنع بى ؟ فقال : أذبحك وآكلك . قالت : والله ما أشفى من نهم ، ولا أغنى من جوع ، ولكنى أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلي :

أما الاولى فاعلمكها وأنا فى يدك ، والثانية اذا صرت على هذه الشجرة ، والثالثة اذا صرت على الجبل .

فقال : هاتي .

قالت : لا تتحسر على ما فاتك ، فخلى عنها . فلما صارت فوق الشجرة قال : هاتي الثانية : قالت : لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت ، فصارت فوق الجبل ، فقالت : ياشقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى جوهرة زنتها عشرون مثقالا .

فعض الرجل شفتيه وتحسر على اطلاق سراحها ، ثم قال : هاتي الثالثة :

فقالت له : أنت قد نسيت الاثنتين ، فكيف أعلمك الثالثة ؟ .

ألم أقل لك : لا تتحسر على ما فاتك ، فقد تحسرت على ، وقلت لك لا تصدق بما لا يكون أنــه يكون . فصدقت أن فى حوصلتى جوهرة زنتها عشرون مثقالا ، وأنا وعظمى ولحمى وريشي لا يبلــغ بعــض ذلــك !

من علامات الساعة

من علامات السـاعة أن يتشجع اليهودى ، فيحمل سلاحا ، ويشهد حربا ، ويحرز نصرا ويقيم دولــة .

ومن علامات السـاعة أن يخرج اليهودى من البنك الى الثكنة ، ومن الدكان الى الميدان ، ليحتل أرض فلسطين ، ويثأر للفرنج من صلاح الدين .

رسالة من إفريقيا

توجولاند التي أصبحت توجو

للاستاذ طلعت غنام – توجو

لماذا يحرم المسلمون لعب الكرة فى توجو ؟ لماذا كان الذهاب الى دور التعليم من المحرمات ؟ ما هى ثقافة المسلمين فى توجو ؟ كيف يختار المسلمون نوابا عنهم غير مسلمين ؟ .

موقعها

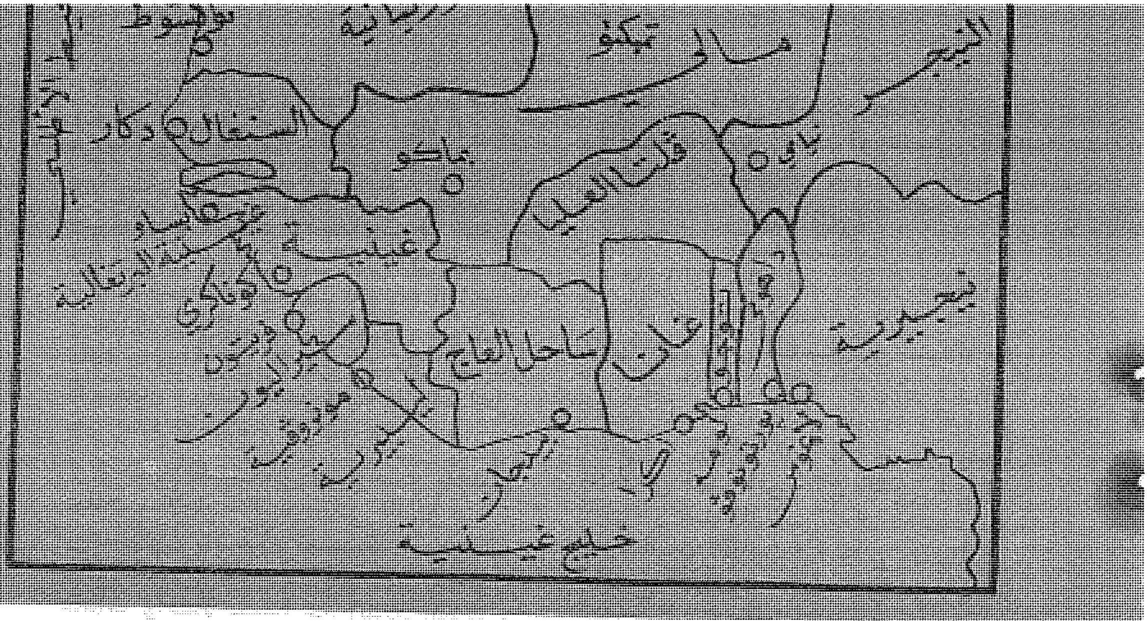
يحسن بنا قبل الحديث عن جمهورية التوجو ، وأحوالها الداخلية ، أن نأخذ فكرة عابرة عن موقع هذه الجمهورية المغمورة . فجمهورية التوجو تقع فى غرب أفريقيا على ساحل المحيط الأطلنطي جنوبا ، مما يجعل مناخها فى غاية الجمال والاعتدال ، الأمر الذى تنفرد به عن سائر الدول المجاورة لها الشديدة الحرارة .

ومما يزيد فى أهمية موقعها توسطها لمجموعة من الدول الأفريقية الأخرى الحديثة الاستقلال . مما يجعل تمركز الدعوة الاسلامية فيها على جانب كبير من الأهمية ، خاصة اذا علمنا أن الحدود هناك مفتوحة بين تلك البلدان ، مما يسهل مهمة الداعى فى التنقل لنشر دعوته ، أو ذهاب طلاب العلم اليه من كل فج ومكان .

فهى تقع بين جمهورية غانا غربا ، وجمهورية الداهومى شرقا ، وجمهورية فولتا العليا شمالا ، ومع ذلك فهى على قرب واتصال دائم مع جمهوريات النيجر ، وساحل العاج ونيجيريا ، حيث المواصلات متوفرة وسهلة لكل شخص . ولهذا نجد التجارة تروج بها لما يفد اليها من البلدان المجاورة سابقة الذكر .

وقد ابتليت هذه الجمهورية بالاستعمار منذ زمن بعيد ، وتداولها فترة بعد فترة فقد كانت التوجو قبل الحرب العالمية الأولى خاضعة للاستعمار الألمانى ، وتعرف بمستعمرة « توجولاند » .

ومعنى توجو فى لغة « الايفية » السائدة



بها : « المستنقع المتصل بالبحر » نظرا لوقوعها على المحيط ، ومعنى « لاند » الأرض ، فمعنى أسمها الآن هو « أرض المستنقع » . وظلت تعرف بهذا الاسم حتى انتهت الحرب العالمية الأولى ، وانتهى الاحتلال الألماني ، فاقتسمها الانجليز والفرنسيون ، ووضعت المنطقة الأولى تحت الحماية الانجليزية ، وتعتبر الجزء الأصغر منها حيث يبلغ سكانها حوالى نصف مليون نسمة تقريبا ، ومساحتها حوالى ١٣٠٤١ ميلا مربعا ، أما المنطقة الكبرى فقد وضعت تحت الوصاية الفرنسية ، ويبلغ عدد سكانها حوالى مليون ونصف مليون نسمة ، وتبلغ مساحتها حوالي خمسة وخمسين ألف ميل مربع .

وهذا القسم هو ما يعرف الآن « بجمهورية التوجو » ومن أشهر المدن المعروفة فيها « لومى » العاصمة ، وتقع على المحيط الأطلنطى مباشرة ، وتمتاز بجو جميل معتدل ، ومدينة « بالمية » وهى العاصمة الثانية فى الحيوية التجارية والعمرانية ثم مدينة « سكودى » ذلك أن بها تركزا كبيرا من المسلمين ومدينة « أتكابميه » وبليدا وأنيشو .

وقد حصلت هذه الجمهورية على استقلالها من الاستعمار الفرنسي فى السابع والعشرين من ابريل سنة ١٩٦٠م بعد صراع مرير مع الاستعمار دام حوالي ثلاثة عشر عاما — ومن عادة الاستعمار — التي أصبحت قاعدة له — انه لا يكاد يحتل بلدا حتى يصبغها بطابعه الفكرى والثقافى .

اللغة

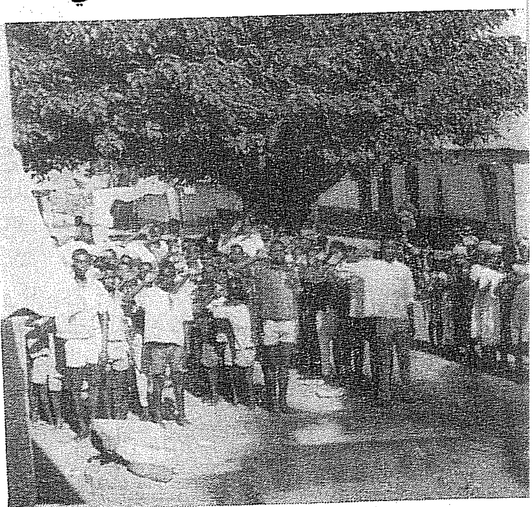
ويبلغ العجب بالمرء أقصاه عندما يرى فى توجو أكثر من سبع وعشرين لغة . هذا عدا اللهجات المختلفة لكل مدينة وقبيلة ، ونجد منها حوالى ست لغات أكثر شهرة هي : الايفيه ، وكتوكولى ، وكابرى ، وبسارى ، وموبا فى الشمال ، ثم لغتى الهوسا واليوريا المنتشرة فى الشمال والجنوب بين المسلمين . وقد جاءتا من نيجيريا المجاورة للتوجو ، فليس بينهما الا حدود داهومى — وانك لتجد أحيانا أخوين ، كل واحد منهما يعيش فى مدينة أخرى — فاذا تقابلا لم يستطيعا التفاهم بغير مترجم !! ، هكذا أراد لهم الاستعمار ، وهكذا فرض اللغة الفرنسية لغة عامة فى جميع البلاد وأعمال الحكومة ودور التعليم .

حالة المسلمين

يبلغ عدد المسلمين حوالى **الثلث** أو

٣٠٪ من مجموع السكان ، ويتركزون غالبا فى الشمال حيث هم من أبناء التوجو أصلا ، خاصة فى أشهر مدنهم «سكودى» كما يوجد كثير من المسلمين المستوطنين ، حيث نزح آباؤهم واجدادهم فى الماضى من الدول المجاورة ، وأقاموا فى التوجو وكونوا أحياء خاصة بهم تعرف «بالزنجو» ومعناها بلغة الهوسا : « المنازل » وتكون عادة منعزلة قليلا عن سكان المدينة الأصليين ، وقلما تجد مدينة على الساحل بغير هذه الأحياء « الزنجو » .

وجميع المسلمين فى توجو يدينون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، ويتمسكون بالاسلام تمسكا شديدا ، ولكن الجهل للأسف يجعلهم يدخاون عادات وأفعالا بعيدة عن الدين القويم ، ذلك أن الاستعمار كان قد فرض عليهم عزلة حتى يبعدهم عن شئون الحياة ويخلو له الطريق . هذا بالاضافة الى جهود المبشرين التابعين له ، الذين ينشرون الاشاعات والعادات التي لا تمت



(تلاميذ وتلميذات معهد الثقافة الاسلامية فى باليه وقد اصطفوا فى طابور الصباح امام المعهد)

أحيانا كثيرة الى الاسلام بصلة ، وأحيانا ينادون بتحريم أشياء أو تحليل أشياء لا يقرها الاسلام .

لعب الكرة

قالوا لهم : ان لعب الكرة حرام ، بل ان كل أنواع الرياضة حرام ، وذلك أن الكرة هى رأس الحسين بن سيدنا علي ابن أبى طالب ، هكذا أفهموهم ، وهكذا اقتنع المسلمون الذين هم ما زالوا على الفطرة ، وقالوا (١) لهم ان من يدخل المدارس فهو كافر : لأن الذين يديرونها كفار ، وكانت المدارس آنذاك تحت سيطرة الارساليات الكاثوليكية والبروتستانت ، فاقتنع المسلمون ، وامتنعوا عن ارسال أبنائهم الى تلك المدارس ، خوفا على دينهم . وبهذا تأخر المسلمون تأخرا ثقافيا وفكريا الى حد بعيد ، وانعزلوا عن الحياة العامة وادارتها ، وأصبحوا شبه مهملين فى تلك البلاد ، ولم تتجاوز نسبة المثقفين ١١/٢ فى المائة من المسلمين .

ولهذا كان النواب المسلمون فى البرلمان لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة ، اذ أن المسلمين يختارون نوابا عنهم من غير المسلمين . بلغ عددهم ثلث أعضاء المجلس الذى يبلغ عدده حوالى ٥١ عضوا .

أما فى مجلس الوزراء فالوزير المسلم الوحيد هو السيد / محمد حسين الذى كان وزيرا للداخلية ، ويشغل الآن وزارة التربية والتعليم ، ويبذل قصارى جهده فى مساعدة المسلمين ، ورفعة شأنهم ، وجلب المساعدات الخارجية لهم ماديا وأدبيا . وكان آخرها زيارته للجمهورية العربية المتحدة واحضار بعثة اسلامية أوفدتها وزارة الأوقاف من خريجى الأزهر ، وتتكون من خمسة أعضاء .

أما الرجل المسلم الثانى فهو الحاج

---

(١) أعتقد أن الذين قالوا لهم ذلك هم المتسلطون عليهم باسم الدين . لا المستعمرون . فان مقاطعة المدارس الاجنبية والدعوة اليها كانت فكرة شائعة لدى المسلمين عندما دخل عليهم الاستعمار عمل لها رجال الدين خوفا من سموم المستعمر التي يبثها فى مدارسه حصل هذا فى الهند وغيرها شرقا كما حصل فى هذه البلاد وما حولها غربا .
(الوعى)

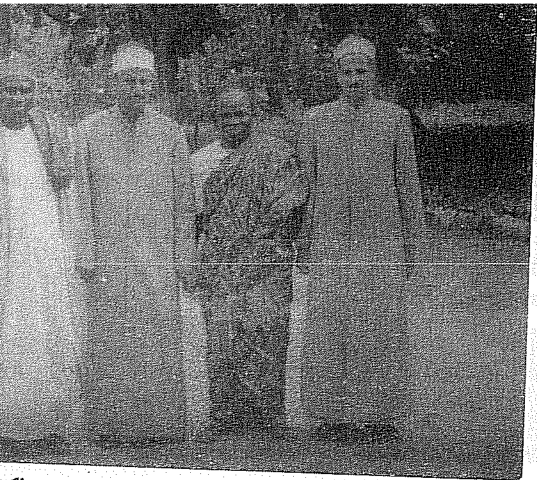
جبريــل شـــفيع نائب رئيس مجلس البرلمان ، وهو رئيس اتحاد المسـلمين وآخر محاولاته كانت رحلته الى البلاد العربية (١) لجمع المعونات والمساعدات لبناء المدارس العربية العصرية والمساجد، ومن الجدير بالذكر أنــه لم يكن يوجد حتى مدرسة واحدة للغة العربية على الطريقة العصرية قبل وصول البعثـة الأزهرية الى هنـاك ، اللهـم الا بعض الكتاتيب الصـغيرة ، لتحفيظ القرآن الكريم .

اللغة العربية

والمسلمون لهم اقبال شديد على تعلم اللغة العربيــة باعتبارها لغة القــرآن الكريم ، ويطلبون بالحاح تدريس اللغــة العربية فى المدارس الحكومية عندهم ، بعد أن نالت البلاد استقلالها ، وتضمن الدستور حرية الأديان للجميع ، خاصة وأن هناك لغـات تدرس اجباريا مثـل الانجليزية والأســبانية واللاتينية بدون مبرر .

وبدأ أبناء المسلمين الآن يتوافدون على مدارس الحكومة بعد أن اطمأن المسلمون قليلا على أبنائهـم ، وفى المســاء يذهب الأبناء الى المدارس العربيــة الحديثــة التي انشأتها البعثة فى كثـير من المدن وفى الصباح تستقبل المدارس العربية أبناء المسلمين الذين فاتهم دور التعليم واذا عرفنا الاعداد الهائلة التي تتزاحم على المدارس العربية صـباح مسـاء ، عرفنا مدى شدة الاقبال على تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف ، حيث لا تقل كل فترة عن استيعاب أكثر من مائتي تلميذ فى كل مدرسة ، يقسمون لعدة فصول ، مما يجعل المهمة شـاقة وصعبة .

هذا ولقد كان تأخر المسلمين الثقافى فى أنهم تركزوا فى أعمال الزراعة والتجارة ولهم فيها باع طويل ، كما يزاولون بعض



مبعوثا الازهر مع رئيس اتحاد المسلمين وحـاكم
المدينة يوم افتتاح معهد الثقافة الاسلامية فى باليه

الحرف المحلية الصغيرة ، ويستعملون طرقا بدائية فى ممارستها .

أمــل

وللمسلمين آمال عراض فى مساعدة اخوانهم المسلمين العرب مساعدة فعالة ، فهم يريدون منحا دراسية للعلوم الدينية والدنيوية الحديثــة ، حتى يمكن لهـم مسايرة الآخرين — كما يريدون المزيد من ارسال البعثات الاسلامية والعلمية اليهم لمحو الجهالات الكثـيرة التي بثها المبشرون بمساعدة الاستعمار ، ويرجون موافاتهم بالمجلات العربية التي تصـدر فى العالم العربى ، وحبذا لو كانت هناك مجـلات مترجمة الى لغـات أجنبيــة كالفرنسية والانجليزية السائدة فى تلك البلاد ، ذلك أن الدين الاسلامي فى القارة الافريقية لا يحتاج الا الى مساعدات طفيفة وهو ينتشر تلقائيا بارادة الله ، ويدخله الآلاف بالرغم من قلـة امكانيات دعاته ، ويتفوق على الأديان الأخـرى فى جذب الناس اليه ، بالرغم من ضخامة امكانياتهم لانه سهل ميسر بعيد عن التكلف والتعقيد، تستجيب له القلوب والعقول ، وتتجاوب معه مصالح الأفــراد والجماعات فى كل تعاليمه .

---

(١) وقد زار « الوعى الاسلامي » ومعه السيد محمدبللى الفوتى أثناء هذه الجولة وذلك منذ شهرين تقريبا .

صحوة العرب

للدكتور / محمد محمد خليفة

أذن الفجر الجديد فصحت أرواح ملايين العرب تلبى نداءه ، وترجع أصداءه ، وانتفضت فنفضت عنها أغلال الماضي ، وخرجت من قيوده المصطنعة الى حاضر تصنعه وتعبد فيه الطريق الى المستقبل الذى ينشده كل مؤمن .

والماضي القريب الذى قضاه العرب فى سجنهم الكبير من المحيط الى الخليج ، وعانوا فيه من سياط سجانيهم ما عانوا ، ولمسوا فيه من ألوان الختل والغدر ما لمسوا ، وفطنوا فيه الى أساليب الاستعمار فى نهب الحريات ، وشاهدوا فيه نشوة أعدائهم حين يسوقونهم الى المذابح ، يجزرونهم فيها ضحية بعد ضحية ، ذلك الماضي هو الذى استصرخ ايستنفر العزمات فألهب صوته نفوس العرب ، ونفث فى أرواحهم ثورة التحرر، فانطلقوا أعاصير تجتاح الأسوار ، وتدمر أمامها بطش كل جبار .

ولن ينسى ذلك الماضى أبدا لأن فى مرجله فارت الهمم ، وثارت العزائم ، وخرجت منه النفوس الثائرة تنفث فى الحاضر الحرارة التي تولد الحياة .

ولن يضيع صوت الماضي من الاسماع فهو ينذر ويحذر من يشق الطريق من العثرات التي قد تسلمه (لا قدر الله) الى ذل الأبد .

ومن هنا آمن العرب (والعرب الأباة) بضرورة حرصهم على مكاسبهم ، وصيانة حاضرهم الذى حررهم وأطلقهم من السجون ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد العبودية سيادة ، ومن بعد اليأس أملا مشرقا .

وان ذلك الحاضر يستفزهم جميعا الى ميادين العمل قوى متعاونة متواصية بالحق متواصية بالصبر ينير لهم اسلامهم معالم طريقهم ، حتى يقفوا على أبواب (الغد) شامخين فخورين بكفاح الحاضر الجبار ، فلا يلبث ذلك (الغد) أن يحنى الهام حين تطالعه مواكب الزاحفين يحدوهم الايمان الذى ينسيهم ظلمات الأهوال التي اجتازوها . ولقد صحت العزائم العربية بعد فتور طال حتى ظنت بهن الظنون ، ولكنه كان الفتور الذى سبق عصف العزائم ، فانطلقت تحطم كبرياء الاستعمار على كل شبر من أراضيها .

ولن تهدأ ثورة العزائم حتى يجر الاستعمار ذيله من الشرق العربي كله ، ويعود ــ ان بقيت فيه حياة تحمله ــ الى عقر داره يلهث مما عاناه من صراع العرب .

ومع أذان الفجر صحا الوعى العربي الذى جمدته دهرا سياسة الاستعمار ، وحاربت بشتى وسائلها كل الثورات وهي فى المهد ، خيفة اندلاعها وامتدادها فأفسحت للأحزاب فى كل بلد مجالا لتجعل بأس أبنائها بينهم حتى لا يتعداهم الى أعدائهم ، وأشعلت نيران الخلافات السياسية أو المذهبية أو العنصرية بين الدول العربية حتى لا تجتمع كلمتها وتلتئم صفوفها .

وحين صحا وعي العرب الاحرارمحوا من نفوس المستضعفين هيبة الاستعمار ، وخلقوا فى قلب العربي الأعزل ايمانا فيه القوة التي تنسف وتدمر كل من استطال أو غره شيطان الغرور .

وزحف الوعى العربى من الحواضر الى البوادى يذكى الدم فى العروق ، ويوقظ فى الأرواح القوة التي توهم المتوهمون أنها دفنت مع الأجداد الذين طواهم الزمن .

وان البدوى الذى يعيش فى صحارى أفريقية وآسيا ، والريفي الذى يعيش فى سهولهما لهما وعيهما العميق بكيانهما وبماضيهما وحاضرهما ، وبآمال مستقبلهما ، وهما يرقبان ــ فى يقظة وثبات ــ الشعوب العربية ونهضاتها ، ويتابعان الأحداث السياسية التي تجرى فى دنياهما فلا تنأى بهما دنيا الخيام أو الأكواخ أو الكهوف أو الوديان أو السهول أو النجاد عن صخب التيارات التي تتجاذب العالم ، وعن موقف الشعوب العربية من تلك التيارات .

وحين صحا احساس العرب بكيانهم صحا فى النفوس الكبيرة الاحساس بالمسئوليات ، ووقفت الضمائر موقف الرقباء تحاسب أصحاب النفوس (الانسانية) على كل ما تعمل وما تقدم وما تبذل ، وما أعظم النفوس التي تصيخ الى نداء الايمان وترضى بحساب الضمير ، وتذعن لحكم الله ، وتضع بين يدى أعمالها قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

فالرئيس والملك والامير والوزير والقائد والمدرس والواعظ والعامل والصانع وكل انسان راع وهو مسئول عن رعيته ، وكل مسلم راع لعقيدته وهو مسئول عنها أمام أسرته وشعبه وأمام التاريخ وأمام الله . وليس المسئول عن صيانتها وأمنها ، ودعم كيانها ، واقامة سلطانها هم المرابطين على الحدود ، أو الساهرين فى المطارات أو المتحفزين فى الدبابات والمدرعات ، أو المتربصين فى الغواصات ليس هؤلاء وحدهم يسأاون ، وانما كل من جرى فى عروقه الدم العربي حيثما كان مسئول عن الأمة ، ولن تنجيه من الحساب المعاذير .

ومع كل هذه الصحوات صحا العقل العربي الذى نام فى زوايا التاريخ منذ قرون ، صحا ليسترد الصدارة التي كانت للعقول العربية فى بغداد وقرطبة ودمشق ومصر ، صحا ليخرج للوجود عقلية خلاقة تبرز فى سباق الأرض والفضاء مؤمنة بوجودها ، واثقة

صحوة العرب

بجهودها ، ولن يثنيها عن الصدارة يأس، أو ينكص بها عن المضاء قنوط .

ان العرب الذين أقاموا الجامعات ، وشيدوا المدارس ، وأسسوا المكتبات في قرطبة وأشبيلية وغرناطة وطليطلة وفي بغداد والبصرة والكوفة وفي دمشق وحلب وفي القاهرة والاسكندرية حين كانت أوروبا عدا الأندلس يضرب عليها الجهل أروقته ، أولئك العرب هم أجداد الذين صحت عقولهم بعد أن نفضوا عنها كابوس الاستعمار ، وهم أجداد العرب الذين صحا كل شيء فيهم : شعورهم وعزيمتهم وأرواحهم ، ولن يناموا بعد صحوتهم أبدا ، وكيف ينامون في عصر لا حياة فيه لغير القوة ، ولا حق الا بالقوة ، ولا منطق الا للسلاح ولا أمل الا بالكفاح .

ان الدم العربي ليصرخ في عروق كل عربي . لا نوم بعد اليوم ، ولا رقاد فوق رحى الأحداث وان العرب جميعا ليؤمنون بأن الحقوق لا يمنحها مغتصبها، وانما تسترد بالقوة وترخص في سبيل استردادها الدماء والأرواح .

ولن تستمرىء النفوس الهوان بعد أن ذاقت طعم العزة ، ولن يرن في أسماع الأباة صليل القيود بعد أن استمتعوا بأناشيد الكرامة والقوة .

ولن تخدعهم حبائل الأعداء بعد أن أفلتوا منها ، وانهم ليصيخون الى نداء الحق حين ينادى . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) .

وعما قريب (ان شاء الله) سيملون التاريخ بأنضر صفحات عرفها تاريخ البطولات ، لأنهم آمنوا بالفدائية التي صنعت الأمة الاسلامية الأولى ، وآمنوا بالوحدة التي كانت حصنا وأقامت سلطانا للأمة الاسلامية الأولى .

واذا كانت المرأة العربية في الماضي البعيد عجزت عن أن تلد مثل خالد بن الوليد الذي مات وفي جسمه أثر لمئة طعنة وضربة من الحروب التي خاضها ، فان المرأة العربية الحاضرة لن تعجز عن أن تلد للعروبة مليون خالد وخالد ، يتحرقون شوقا الى المعارك الطاحنة الدامية التي يستردون فيها أمجادا ويضيفون اليها أمجادا .

وسيؤمن العالم غدا بتلك القوة حين تمضي الى غايتها زاحفة مزمجرة تلبى صيحة الانطلاق ، يحثها ايمانها بالله وبوجودها وجهودها .

وستشهد الدنيا ان شاء الله عما قليل أولئك العرب ، وقد ظفروا بما كانوا يؤملون ، (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

- كلما عظمت الحقيقة عظم نقدها .
- الشعب لا يتخلى عن حريته الا بضرب من الخداع .
- أساس النجاح المثابرة على السير نحو الغرض .
- عندما ينتهي القانون يبدأ الاستبداد .
- **يبقى الأمل ما بقيت الحياة .**
- **أكسب قلوب الناس تكسب** ما لهم .

بقية حصار المسلمين

على محاولة تفريق المتحالفين على المقاطعة ، وكان ابو طالب ينيف على الثمانين ، لكن لم تمنعه شيخوخته من محاولة تخليص بنى هاشم من ضيقها ، فقام من الشعب على رأس ثلة من الهواشم وسار بهم الى الكعبة وهناك خاطب الحاضرين من رؤساء قريش قائلا « قد وصلنى أن وثيقتكم قد أكلتها الحشرات فاكشفوا عنها حتى اذا تحقق قولى كان عليكم ان تكفوا عن مقاطعتكم وان لم يتحقق فأنى اعدكم بتسليم ابن اخي اليكم تفعلون به ما تريدون » ، فوافقه الحاضرون من رؤساء قريش على اقتراحه وكشفوا عن الوثيقة فوجدوها كما قال ابو طالب قد انمحت كل الكتابة التى كانت عليها . عند ذلك اختلط الامر على رؤساء قريش وتشجع ابو طالب فدخل بمن معه الكعبة وصلى فيها راجيا رب الكعبة ان يخلص اهله من شر قريش وعنادها ثم قفل راجعا الى الشعب .

تشجع الباقون بهذه المعجزة

تقوى بهذه الحادثة هؤلاء الذين كانوا قد عقدوا النية على نقد حلف المقاطعة وتقدمهم زهير بن ابى أمية وخاطب الحاضرين فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم . والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة . فقال ابو لهب : كذبت والله لا تشق . فقال زمعة بن الاسود . أنت أكذب فأنا ما رضينا كتابتها حين كتبت ثم تبعه ابو البخترى وقال صدق زمعة نحن لا نرضى بما قد كان كتب فيها ، ولا نقر به ، وتلاه المطعم بن عدى بقوله صدقتما وكذب من قال غير ذلك . نحن نبرأ الى الله منها ومما قد كان كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحو ذلك .

قريش تطأطىء رأسها

فطأطأ أبو لهب رأسه لتلك الهجمة العنيفة ووافقه بقية رؤساء قريش لاعتقادهم ان فى مجىء ابى طالب واخباره بزوال سطور الصحيفة ، واختفائه بعد ذلك فجأة ، وقيام الخمسة الذين تقدم ذكرهم بهجوم اجماعى على شروط الوثيقة دليل على أن هناك حركة قوية عددا وحماسا غرضها كسر المقاطعة رغم أنف قريش ففضلوا أن يوافقوا على حل حلف المقاطعة من أن يرغموا عليه ارغاما .

انتهاء المقاطعة

ثم ذهب الخمسة الذين تقدم ذكرهم فورا الى الدرب المؤدى لشعب ابى طالب وطلبوا الى بنى هاشم ان يرجع كل منهم الى بيته فى انحاء مكة آمنا وساد السلام حينا فى انحاء قريش .

خاتمة

ان حصار المسلمين فى شعب أبى طالب وفشل هذا الحصار رغم دوامه مدة تقرب من الثلاث السنوات لاقى فيها المسلمون الكثير من العذاب والقسوة والشدة ومع ذلك لم يكلوا ولم يملوا ولم يلينوا امام بطش قريش وجبروتها .

ان هذا الحصار والصمود له يعتبر من المواقف الفاصلة فى تاريخ الاسلام وهو مثل الكثير من هذه المواقف نمر عليها مرا ونقرؤها قراءة دون أن نعتبر بفضل الله فيها ورحمته بالمسلمين .

ولهذا آثرنا نحن ابراز هذه المواقف فى تاريخ الاسلام حتى نكون معشر المسلمين على بينة من تاريخنا الزاهر وسيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم هو وصحبه ليكون لنا فى ذلك العظة والعبرة .

والله الموفق والمعين

زخرباس : ان احدهم يقول انه من عشيرته واقرب الرجال اليه .

الملك : وهل هم من اتباعه وعلى دينه ؟

زخرباس : بل من خصومه واعدائه .

الملك : واين هم ؟ الي بهم ادن .

زخرباس : امر مولاي . .

(ويخرج ثم يعود) .

زخرباس : ها هم الرجال بين يدى مولاى

الملك : من اى بلاد العرب انتم

صوت : من مكة ايها الملك

الملك : افيكم ظهر ذلك الذى يزعم انه نبي ؟

صوت : نعم ايها الملك ؛ ولكنه لم يستطع البقاء بين اظهرنا ؛ وهو يدعو لبدعته الجديدة فولى مع بعض من صدقوه ، ولجأ الى بلد بعيد عنا اسمه يثرب .

الملك : ايكم اقرب نسبا به واعلم بأمره ؟

صوت : كلنا يعلم عنه ولكني اقربهم اليه نسبا

٢

قصـــة العـــدد

للاستاذ / عزت العزيزى

الملك : فما اسمك اذن ؟

الصوت : ابو سفيان صخر بن حرب

الملك : (موجها الكلام الى زخرياس) ليقترب هذا الرجل من مجلسى وليجلس اصحابه من خلفه بحيث يسمعون ما يقال دون ان يراهم .

الملك : انصتوا الى ايها القوم الى ما سائل هذا الرجل عن ذلك الذى يزعم انه نبى فان كذب او زاد على الحقيقة او نقص فأخبرونى وكذبوه .

أصوات : سمعا وطاعة ايها الملك .

الملك : وانت يا ابن حرب اصدقنى فيما انا سائلك عنه .

ابو سفيان : ايب اللعن ايها الملك انا معشر العرب قوم صدق فسل ما بدا لك .

الملك : قل لى كيف نسبه فيكم .

ابو سفيان : انه فينا ذو نسب لا ينكر .

الملك : فهل قال مثل مقالته احد منكم قبله .

ابو سفيان : لا واللات والعزى ما جاء احد من قومه بمثل ما جاء به .

الملك : هل كان احد من آبائه واجداده ملكا ؟

ابو سفيان : ما كان فى بلده ملك قط . لا من آبائه ولا من سواهم .

الملك : اخبرنى من هم الذين اتبعوه وصدقوه : اشراف الناس ام ضعفاؤهم ؟

أبو سفيان : بل ضعاف الناس وفقراؤهم وبعض الفتية ممن لم تعركهم الايام أو يجربوا الحياة .

الملك : أيزيدون أم ينقصون ؟

أبو سفيان : بل هم يزيدون .

الملك : فهل يرتد أحد منهم عن دينه ساخطا عليه بعد أن يدخل فيه ؟ .

أبو سفيان : لم يفعل ذلك بعد أحد منهم

الملك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

أبو سفيان : لم نعرف عليه قبل الذى جاء به كذبا .

الملك : فهل يغدر أو يخون العهد اذا عاهد ؟

أبو سفيان : لم يفعل بعد . الا أننا الآن معه فى عهد الى أجل معلوم ولا ندرى ان كان سيفي بعهده وميثاقه أم أنهٔ يغدر وينكث ؟

الملك : أو قاتلتموه ودخلتم معه فى حرب ؟

أبو سفيان : لقد كان بيننا حرب وقتال .

الملك : فكيف كان قتالكم اياه ؟

أبو سفيان : الحرب بيننا سجال ينال منا وننال منه .

الملك : وما الذى يأمركم به ؟ .

أبو سفيان : انه يأمرنا أن نترك كل ما كان يعبد آباؤنا ونعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا .

الملك : وبم يأمر غير هذا ؟

أبو سفيان : انه يأمر بالصلاة والصدق وصلة الارحام وينهي عن القتل والسرقة والزنى وشرب الخمر .

الملك : (موجها الحديث للرجال الآخرين)

ماذا تقولون بما أجاب به صاحبكم ؟

أصوات : انه لم يتعد الحقيقة فما زاد ولا نقص شيئا .

الملك : الا تسمعون أيها الركب العربي ما سأقوله لكم ؟

أصوات : أبيت اللعن ايها الملك العظيم قل نسمع اليك

الملك : لقد قلتم انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل يختارهم الله من أحسن قومهم نسبا وذكرتم أنه لم يقل أحد من قومه من قبلٌ بمثل ما قال به ، اذ لو كان ذلك لقلت انه رجل يتأسى بقول قيل قبله .

وقلتم انه ما كان من آبائه من ملك ، فلو كان من آبائه ملك لقلت انه رجل يطلب ملك أبيه أو جده . وسألتكم ان كان يكذب عليكم قبل ما جاء به ، فذكرتم أن لا ، فلا يعقل أن يدع فعل الكذب على الناس ثم يكذب على الله .

وقلتم ان أتباعه من ضعفاء الناس وفقرائهم وكذلك أتباع الرسل دائما .

وقلتم انهم يزيدون ، وكذلك أمر الايمان حتى يتم . وقلتم انه لا يرجع منهم أحد عن دينه وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

واعترفتم انه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر ، وقلتم انه يأمركم أن تعبدوا الله وحده وينهاكم عن عبادة الاوثان وانه يأمركم بالصدق والبر وينهاكم عن السرقة والزنى وشرب الخمر فان كان ما ذكرتم عنه حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .

« تسمع أصوات شديدة وضجة عظيمة » .

زخرياس : أخرجوا هؤلاء الاعراب .

« يخرج أبو سفيان وجماعته » .

أبوسفيان : « وقد خرج مع أصحابه » لقد بلغ من أمر محمد أن يخافه ملك بنى الاصفر ..

صوت : ان أمر محمد لامر عجيب .

صوت آخر : بل ان أمرنا مع محمد لاشد عجبا .

الملك : ما الذى تراه فى هذا الامر يا زخرياس ؟

زخرياس : أى أمر يا مـولاى .

الملك : أمر هذا النبى الذى ظهر فى جزيرة العرب .

زخرياس : ان أذن لي مولاى فان لي رأيا قد أخالف فيه مولاى الملك .

الملك : قل ولا تخف عنى صوابا تراه أو حقا تعلمه ، فأنت تعلم أنى أصطفيك وأثق بك وأطلعك على ما لا أطلع عليه سواك من الولاة والقادة .

زخرياس : أبقاك الرب يا مولاى ونصرك حاميا للكنيسة وناصرا لدين المسيح .

الملك : ما الذى كنت تود ان تقوله ؟

زخرياس : اننى يامولاى أراك قد تعجلت ومضيت اكثر مما ينبغى فى الثناء على ذلك العربى الذى يزعم أنه نبى .

الملك : ويحك يا زخرياس أتجهل مقدار علمى ومعرفتى بالدين ؟

زخرياس : انني أعرف يا مولاى أنك ثانى اثنين فى معرفة الدين وأنك تفرغت عشر سنين قبل توليك الملك لدراسته ومعرفة أسراره .

الملك : او تظننى اذن قد قلت ما قلت دون روية وامعان فكر ؟ لقد نظرت فى كتبنا فعلمت انه قد أظل زمان نبى يبعث بعد السيد المسيح وأن صفات هذا الرجل توافق ما ذكر عن هذا النبى .

زخرياس : ولكنك اليوم يا مولاى ملك ، ولست برجل دين وقد تدعو ضرورة الملك الى غير ما توجبه حقائق الدين .

الملك : ويحك يا زخرياس كأنك تريدنى أن أبيع دينى وعلمى بملك لا أراه باقيا .

زخرياس : مولاى اترانا نخشى حفاة العرب ، ان اشارة منك يا مولاى لغساسنة الشـام تكفيك مؤونة جزيرة العرب ومن فيها .

الملك : انك لتجهل يا زخرياس ما يستطيع الايمان أن يصنعه فلو استطاع هذا النبى أن يوحد جزيرة العرب على دينه فلن تقف فى طريقهم قوة مهما عظمت .

زخرياس : اننا نعطى هؤلاء القوم اكثر مما يستحقون يا مولاى .

الملك : ما أسرع ما ينسى الانسان ، ألم ينتصر دين المسيح باثنى عشر من تلاميذ السيد المسيح على فرسان روما وانهزم أبطال الحرب أمام العزل الا من سلاح الايمان .

زخرياس : ها أنت يا مولاى تعود للتقدير الصحيح فكيف تخاف اليوم ونحن نملك القوتين قوة الايمان وقوة السلاح .

الملك : لقد قتل الايمان منذ قتل اريوس وشرد نسطور ومزقت الامة خلافات الكنيسـة .

« مناجيا نفسه » ليتنى أستطيع أن أصل اليك يا محمد اذن لغسلت عن قدميك .
زخرياس : عد لنفسك يا مولاى ان ملوك الارض ليشرفها أن تغسل عن قدميك .
الملك : لو علمت يا زخرياس ما أعلم لكنت أسرع الى جزيرة العرب لتحظى بلقائه اكثر مما تسرع فى خدمة ملك مثلى . يكاد ان يأفل نجمه .
زخرياس : أعوذ بالرب وبالقديسين مما تقول . ان ملكك يا مولاى لارسخ من جبال ايليـــاء .
الملك : لقد رأيت النهاية يا زخرياس رأيتها أمس انها رؤيا حق لا تكذب لقد رأيت نفسى أقف على جبال أنطاكية ومن أمامى مدن الشام وسهول حوران فاذا نور قوى يسقط من السماء يضىء ما بين المشرق والمغرب فدخلنى منه خوف شديد فوليت هاربا منه وهو يلحقنى واستيقظت وجسمى ينضح عرقا . وما أرى النور الا دعوة هذا النبى .
زخرياس : أو تؤمن يا مولاى بالرؤى انها أضغاث أحلام .
الملك : بل اننى أومن أن أحلك الظلمات لا تقوى على اخفاء أضعف الشموع نورا .
زخرياس : أستحلفك يا مولاى بكل مقدس لديك ألا تحدث غيرى بمثل هـــذا الحديث .
الملك : لن أفعل يا زخرياس ولكن لابد أن أضع حدا لكل هذا الخداع الذى نخدع بــه أنفسنا .
أرسل منذ الساعة لكل أرجاء المملكة ليجتمع رجال الكنيسة وأحبار الدين جميعــا .
وليكن موعدهم يوم عيد الفصح وفى قلعة حمص .
(وتمضى أيام)
صوت : سيدى لقد أعددت كل شىء .
الملك : وهل حضر الجميع يا تشارلس ؟
تشارلس : نعم يا مولاى وكلهم ينتظر تشريفكم .
الملك : وهل أحكمت اغلاق الابواب كما أفهمتك ؟
تشارلس : ان الطير يا مولاى لا تستطيع أن تغادر القلعة لو أرادت الا أن نأذن لها .
الملك : حسنا شدد الحراسة ولا تدع أحدا يخرج من القلعة مهما حدث الا أن آذن له ولا تنس أن تحيط قاعة الاجتماع بحراسك الخلص تحسبا لما قد يحدث .
تشارلس : اطمئن يا مولاى فلن يكون الا ما يرضيك .
الملك : اذن هيا بنا (يتجهان ويدخلان قاعة غاصة بالرجال) .
تشارلس : (بصوت عال آمر) . الملك العظيم هرقل .
الملك : أيها الآباء المبجلون ليبارككم الرب ويوفقكم الى الحق والهدى .
لعلكم تتساءلون عن السبب الذى دعوتكم من أجله وجمعتكم من بلادكم البعيدة المتفرقة .
صوت : اننا رهن اشارتك فى كل وقت وفى أية حال .
الملك : شكرا لك أيها القديس المبجل وراعى كنيسة القسطنطينية لقد دعوتكم وجمعتكم لاستشيركم فى أمر خطير وحدث عظيم يهم الكنيسة ويمس الدين بقدر ما يهم الدولة والسلطان . فقد نمى الينا نبأ مبعث نبى جديد يقول انه مرسل من عند الله .

الجمع : « أصوات مختلفة وهمهمة غير واضحة »
صوت : ومن هو هذا المتنبى واين ظهر ؟
الملك : لقد بعث فى بلاد العرب .
الجمع : « أصوات وهمهمة . ينبعث من بينها صوت » عند رعاة الابل والغنم .
صوت : وهل يكون الانبياء من غيرنا ؟
صوت : لننصت قليلا حتى نعلم حقيقة الامر كله .
صوت : وماذا نفعل به وبيننا وبينه صحراء كالبحر .
الملك : لقد أرسل الينا رسالة .
صوت : لعله يريد منا أن نساعده ونؤيده .
آخر : لعله يسألنا أن نعلمه .
الملك : انه يدعونا برسالته لنؤمن به وندخل فى دينه .
« صمت ثم همهمات »
صوت : وبم أجبته أيها الملك العظيم ؟
صوت : أرى أن يكون جوابنا أن نرسل اليه من يأتينا برأسه على هذه الجرأة .
الملك : ان عليكم واجبا باعتباركم رجال الكنيسة ومعلمى الدين أن تنظروا بهذا الامر وفق ما أمر به الدين .
صوت : اذن ليتكلم أعلمنا واكبرنا برنابا بطريرك القسطنطينية .
الملك : نعم تكلم أيها الاب برنابا فأنت أعلم الجمع بدين المسيح .
برنابا : اذا سمح لى سيدى الملك واخوانى فانى قبل أن أقول ما أعرف عن هذا الامر أريد أن أذكر الجميع أن مولانا الملك العظيم لا يقل عن أعلمنا علما وفهما فى كتب الدين وقد تعلم الكثير عن سلفى بطريرك القسطنطينية السابق والذى أصهر اليه بابنته .
الملك : اننى لاشكرك أيها الاب المبجل ولكننى ما دعوتكم الا لنتفق على رأى واحد ونجمع كل علمنا وتجربتنا فى بحث هذا الامر .
برنابا : انكم تعلمون جميعا أيها الجمع المبارك أن السيد المسيح بَشَّر قبل أن يغادر الارض برسول يأتى من بعده ينصر الحق ويمحو الباطل .
صوت : وانى لنا أن نعرف صدق هذا المدعى ؟
برنابا : ان صفات هذا الرسول مذكورة عندنا فى الكتب .
صوت : فما هى هذه الصفات التى ذكرتها الكتب .
آخر : لننظر اذا كانت تصدق على هذا الرجل .
برنابا : ان البشارة تقول انه يبعث فى بلاد الاميين .
صوت : ان البشارة تذكر صفات أخرى .
برنابا : لتحدثنا عن البشارة أيضا ايها المبجل صفرونيوس .
الملك : حدثنا يا صفرونيوس فان بطريرك ايلياء له فى كل أمر الرأى الاول .
صفرونيوس : البشارة تقول أيضا انه يبعث فى أهل الختان .
صوت : ان بطريرك الحبشة يريد أن يتحدث .
الملك : لنستمع الى الاب يوحنا بطريرك الحبشة .
يوحنا : ان البشارة تذكر أنه يبعث فى مدينة الحجارة السود والبئر الذى لا ينضب .
صوت : وهل تصدق هذه الصفات على هذا الرجل .
صوت : لنستمع الى الملك فهو أعلم منا بالبلاد وبالناس .
الملك : لقد سألت أيها الجمع وتحريت فعلمت أن هذا الرجل ـ ويسمى محمدا ـ قد بعث فى مدينة تسمى مكة ، وأن قومه أميون لا يقرءون ولا يكتبون ، وأنه كذلك أمي

مثلهم ، وأنهم قوم يختتنون وأن مدينتهم تحيط بها الجبال ذات الحجارة السود ، وفيها بئر يستقى منه الالوف ولا ينضب . يسمونه زمزم .

« أصوات استنكار وهمهمات » .

صوت : لنسمع رأى الملك .

الملك : انى أنتظر الرأى منكم يا آباء الكنيسة .

صوت : الرأى لك أيها الملك ورأينا تبع لك .

الملك : ماذا تقول يا برنابا .

برنابا : أرى أن نرسل له كتابا لا نكذبه به ثم ننتظر حتى ينجلى الامــر وتظهر الحقيقــة .

الملك : وأنت يا صفرونيوس ماذا ترى ؟ .

صفرونيوس : أرى أنه ما دامت الحقيقة أمامنا واضحة والامر جلى أن نبادر الى الايمان به وتأييده .

« أصوات استنكار عالية »

الملك : وأنت يا يوحنا .

يوحنا : اننى على رأى صفرونيوس .

الجمع : « بشكل جماعى » نريد رأى الملك .

الملك : اننى أرى أن نحقن الدماء ، وألا نكابر بالحق ، وأن نسرع الى الايمان طائعين فنرضى الرب ونحفظ بلادنا من التمزق والضياع .

« استنكار شديد وجلبة وهرج مختلط وهتاف ضد الملك » .

صفرونيوس : أنهم يندفعون الى الابواب يريدون الخروج .

برنابا : انهم يدعون للثورة على الملك وخلع بيعته .

يوحنا : ما أضيع الحق بين من يزعمون أنهم دعاة الحق .

الملك : أنهم لن يأخذوا من الدين الا ما يحقق لهم مصلحة وغرضا .

تشارلس : مولاى الملك ماذا أفعل بهم انهم يتشبثون بالابواب يريدون الخروج .

الملك : ردهم لي قل لهم أني أريدهم يا تشارلس .

تشارلس : « بصوت عال » عودوا الى العظيم هرقل ان الملك يريدكم انــه لم يحدثكم عن حقيقة ما يريد بعد . يعود الجميع ويهدءون قليلا .

الملك : أيها الجمع أو تظنونى جاد فى كل ما قلت ؟ لقد أردت أن أختبر اخلاصكم وايمانكم فهل جننت حتى أسلم المملكة وقد أخذتها بحد السيف وحررتها من عبودية الفرس لاعرابى من رعاة الغنم ؟ .

ان هرقل الذى هزم كسرى وأعاد الصليب المقدس لكنيسة المسيح لن يستسلم للاميين رعاة الابــل .

« الجميع يهتفون بحياة هرقل ويمجدونه »

(وتمر أيــام)

صوت نسائي : الى أين يا مولاى تزمع الرحلة فانى أراك تعد لرحلة طويلة .

الملك : سنغادر سورية الى غير رجعة يا مارتينا لقد أردت لقومى الخير والصلاح فأبوا الا العناد والضلال .

مارتينا : أو نترك جنات دمشق وأنهار الشام بهذه السهولة .

الملك : انها النهاية يا مارتينا ان سورية والشام قد انتهى أمرها وانى لاخشى منذ اليوم على القسطنطينية ، بل وأخشى على روما . فوداعا يا سورية وداعا لا لقاء بعده .

اعداد الاستاذ محمد أحمد فرج

الخلة والصداقة والأخوة

قال الله عز وجل « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخليل مرآة خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وقال داود النبى عليه السلام لابنه سليمان عليه السلام « يا بنى لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك ، ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق » .

وفى الحديث المرفوع « المرء كثير باخوانه » .

وانشد ابن الاعرابى (١) :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة
ولكن اخوان الثقات الذخائر

قال ايوب السختياني (٢) :

اذا بلغني موت أخ فكأنما سقط عضو مني .

وقال اخر :

أخاك أخاك ان من لا أخا له
كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازى بغير جناح

وقال آخر :

ان أخاك الصدق من لا يخدعك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه ليجمعك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ـ يا رسول الله . ؟ قال . خذوا على يديه حتى يكف عن ظلمه فانذلك نصر له .

وقال الشاعر :

اذا كان اخوان الرجال حرارة
فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه دميت (٣) وجانب
اذا رامه الأعداء مركبه صعب
وتأخذ عند المكاره هزة
كما اهتزت تحت البارح(٤) الغصن الرطب

وقال رجل فى أخ له :

وكنت اذا الشدائد أرهقتني
يقوم لها ، وأقعد لا أقوم

قال علقمة بن تبيد العطاردى لابنه . يا بنى اذا نزعتك (٥) الى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب منهم من ان صحبته زانك ، وان أصابتك خصاصة مانك (٦) ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت (٧) شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات (٨) آساك ، ومن لا يأتيك منه البوائق (٩) ، ولا تختلف عليك منه الطرائق (١٠) ولا يخذلك عند الحقائق . وان حاول حويلا (١) امرك (٢) ، وان تنازعتما منفسا (٣) اثرك .

وقال سعيد بن حميد يعاتب بعض اخوانه :

اقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه
الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة الم مدة
ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة
ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث المنية والردى
يوما ستصدع بيننا وتحول
ولعل أيام الحياة قليلة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

---

(١) محمد بن زياد راوية عالم باللغة ، توفى ٢٣١ هـ .
(٢) هو ايوب بن ابى تميمة البصرى ، سيد فقهاء عصره توفى ١٣١ هـ .
(٣) دميت . لين سهل . (٤) البارح . الريح الحارة . (٥) نزغ . اغرى .
(٦) الخصاصة الفقر والحاجة ، مانه . قدم اليه مؤونته وقام بكفايته .
(٧) صلت . وثبت . (٨) الملمات جمع الملمة . النازلة الشديدة .
(٩) البوائق جمع البائقة وهى الداهية والشر . (١٠)الطرائق جمع طريقة .
(١١) حاول الشيء اراده والحويل . الاسم منه . (١٢) آمره . شاوره . (١٣) المنفس . النفيس .

مع "برنامج" شخصيات إسلامية مصادر دخل الرسول ونفقته ..

في حلقة من حلقات ((برنامج)) شخصيات اسلامية التي شاهدناها على شاشة ((تليفزيون)) الكويت في هذه الأيام قال الأستاذ المتحدث : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك نخيلا وبساتين وقرى كثيرة ، وبعد وفاته ذهبت ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، وزوجها الامام علي ــ عليهما السلام ــ ومعهما العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ــ الى أبي بكر الصديق يطالبونه بميراث رسول الله ، فلم يعطهم منه شيئا .

وهذا الذي ذكره ضيف الحلقة لا يتفق مع ما نعلمه من أنه عليه الصلاة والسلام رحل عن الدنيا ودرعه مرهونة ، وأنه لم يرث عن أبويه نخيلا وبساتين ، ولا شيئا من هذا ، وكانت معيشته في مأكله ومشربه وملبسه وسكنه وفراشه ليس فيها قليل ولا كثير من زخرف الحياة ورفاهيتها .

والذي أريده أولا أن أستوثق من معلوماتي عن حالة الرسول المعيشية وثانيا معرفة مصادر دخله ونفقته وثالثا نصيب ما قاله المتحدث عن تركة الرسول بعد وفاته من الصحة .

محمد عبد المالك ــ كويت

قبل الاجابة على ما ورد في هذه الرسالة من اسئلة ــ أبادر فأطمئن السيد السائل على أن كل ما ورد في رسالته من وصف لمعيشة رسول الله صحيح ، وأؤكد له أن كل ما تحدث به ضيف الحلقة عما تركه رسول الله بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى من قرى ونخل وبساتين صحيح أيضا .. وليس في هذا ما يدعو الى العجب والغرابة ، ولا ما يثير الحيرة ، أو يبعث على التساؤل ــ ما دام الموصوف والمتحدث عنه هو رسول الله الذي أغناه ربه فقال ((ووجدك عائلا فأغنى)) وأدبه

فقال « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » وارتضى هذا الأدب لنفسه مسلكا ، ولبيته منهجا فقال لنسائه « ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وأن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » .

وقد أفاضت كتب السيرة فى تباعده صلى الله عليه وسلم الى أقصى حدود التباعد عن عرض الدنيا ، وعزوفه الشديد عن زينتها ، فقد روى أنه لم يجمع بين صنفين من الطعام فى أكلة واحدة ، فاذا أكل اللحم لم يأكل من التمر ، واذا أكل من التمر لم يأكل معه من اللحم ، وكان يؤثر اللبن لجمعه بين الرى والشبع ، وكثيرا ما كان الشهر يتلو الشهر دون أن توقد نار فى بيوته لخبز أو طبخ ، ولا طعام له ولا لأهله ولا شراب خلالها الا التمر والماء ، وقد فارق الدنيا دون أن يشبع من خبز الشعير وكان ينأى بنفسه ـ مع طيب رائحته ، ووضاءة ملبسه ووفرة نظافته ـ عن الترف ، فكان ينام غالبا على حصير خشنة كثيرا ما ترى آثارها الفائرة على جسده ووسادته حشية من ليف ، وعلى سريره عباءة تطوى طيتين ، وما كان يستعين بأحد فى شئونه الخاصة ، فكان يحلب شاته بنفسه ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويطعم ابله وينصب خيمته ،ويحمل حاجته من السوق .

هذا كله كان عن وجدان لا عن فقدان، عن قدرة واستطاعة ، لا عن عجز وفاقة. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى عرض على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت لا يا رب . أجوع يوما ، وأشبع يوما ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأضرع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك . ما لى والدنيا . انما أنا فى الدنيا كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفىء ، فتركها ولم يرجع اليها .

هذا يا سيدى ما يتعلق بما أردته ـ أولا ـ من الاستيثاق من معلوماتك عن حياة الرسول المعيشية .

★★★

أما عن مصادر دخل الرسول ونفقته ـ فما من أحد يجهل أن أسرته عليه الصلاة والسلام كانت فى يسر قليل رغم مكانتها المرموقة بين سادة قريش ، وأنه ولد يتيما لم يرث عن والده شيئا له قيمة تذكر ، وأن المرضعاتأعرضت عنه ليتمه وعدم ثرائه ، وأن جده عبد المطلب كان ينفق عليه فى طفولته ، ثم كفله عمه أبو طالب ـ على رقة حاله ـ بناء على وصية أبيه لأنه كان من بين أعمامه شقيق والده الوحيد ، ولما بلغ رسول الله السعى اشتغل برعى الغنم والتجارة وكان ينفق من كسبه منهما ، وبعد زواجه بالسيدة خديجة وبعثته شغل بالدعوة الى الله فتفرغ لها ، وسد حاجته من مال أهله ، ولما هاجر الى المدينة ، واستقر أمر الاسلام فيها وأصبح للمسلمين قوة وأذن لهم فى القتال دخلوا مع أعداء الله فى معارك وانتصروا عليهم ، وغنموا منهم فكان للرسول القائد جزء محدد من هذه الغنائم ينفق منه على نفسه وأهله . بوحى من الله ، فالله سبحانه هو الذى تولى بأمره تحديد مصدر دخل الرسول وتحديد نصيبه من هذا المصدر ، وكان هذا فى أول غزوة غزاها المسلمون وغنموا منها وهى غزوة بدر ، وكان تشريع الغنائم أول تشريع قرآنى مفصل قال

تعالى . (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) أما أخماس الغنيمة الأربعة الباقية فكانت توزع على المجاهدين لأنه لم يكن لهم رواتب ولا معاشات وكانوا يتجهزون ويتمونون للجهاد من أموالهم الخاصة ، والخمس الذى كان لرسول الله كان يقسمه الى أسهم متساوية يأخذ منها سهما واحدا لنفسه ، ويرد الباقي على بعض قرابته وعلى الطبقات المعوزة التى تتمثل فى اليتامى والمساكين وابن السبيل ، ومما يروى فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ وبرة من جنب بعير من أبعرة المغنم ثم قال . « لا يحل لى من غنائمكم مثل هذا الا الخمس ، والخمس مردود فيكم » .

وبعد تشريع الغنائم الحربية نزل تشريع الفيء ، والفيء هو ما حصل عليه المسلمون من أموال الكفار بغير قتال ويضم جميعه لبيت المسلمين يأخذ الرسول منه سهما يكفيه وينفق الباقى على مصالح المسلمين العامة وعلى قرابته والمحتاجين من المؤمنين خاصة قال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

هذا هو الأمر الثانى الذى يوضح مصادر دخل الرسول ونفقته .

وأموال الفيء التى استولى عليها رسول الله كثيرة ، منها فدك وهى قرية على ميلين من المدينة فيها نخيل وعين فوارة ، وأملاك وبساتين قريظة وبنى النضير وعرينة وهى أملاك يسرها الله لرسوله باجلاء اليهود عنها ، ولم يكن للمسلمين فى احرازها مشقة ولا كلفة من حرب واعداد خيل ، وقد ردها الرسول كلها على بيت المسلمين .

ولما استخلف أبو بكر بعد الرسول جاءت السيدة فاطمة الزهراء والعباس رضى الله عنهما يطالبانه بميراثهما عن الرسول من تلك الأراضى والبساتين . تطلب السيدة فاطمة النصف والعباس النصف الآخر فأسمعهما أبو بكر رضى الله عنه الحديث الذى لم يسمعاه من قبل وهو « انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .

فالرسول عند وفاته لم يترك من ماله الخاص شيئا . عن عمر بن الحارث قال . ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا امة ولا شاة الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة .

وكل ما تركه من بساتين ونخيل وعيون وأرض أصبح ملكا للدولة ، وحسب أهله وقرابته وأمته من بعده هذا الميراث الضخم الباقى الخالد من كتاب الله تعالى وسنته عليه أفضل الصلاة والسلام .

وانا لنشكر للأستاذ الكبير ضيف برنامج شخصيات اسلامية والسيد السائل على اتاحة هذه الفرصة لهذا الباب للحديث عن خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فى شهر مولده الشريف .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

عيد ميلاد نبي البشرية

فى هذه المناسبة الكريمة يتحدث الدكتور عبد الله عبد القادر المدير العام لمعهد دار الحديث ، ومدرسة المعلمين الاسلامية العليا « مالانج ـ أندونيسيا » فيقول .

لا يكاد يطل على الدنيا عيد صاحب المبعث الاكبر وامام الوجود الابر ، الا ويترقب الناس قاطبة ظهور هلال هذا الشهر « ربيع الاول » الاغر فتشرئب له الاعناق وتتجه نحوه بتلهف شديد وشغف أكيد ليس له مزيد وهو يسمو فى عليائه ويزهو فى سمائه ، ويتبختر نحوهم بحلله وكبريائه .

وكيف لا يكون هذا الشهر له شأنه وخطره وهو شهر الميلاد النبوى الميمون الغدوات ، الفياض بالذكريات والخيرات ، ولا غرو اذا هل هلال هذا الشهر المبارك أن يمخر الفضاء بالجموع الحاشدة ، والوفود الوافدة ، فى مرح وابتهاج تسمع خطب الخطباء المعبرة ، والاشعار الرنانة تشيد بفضائل « سيدنا محمد » صلى الله عليه واله وسلم النبيلة وشمائله الكريمة ، وتعج أصواتهم بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه واله وسلم .

وقد درجت الامم والجماعات على أن تقف عند بعض أيامها لتتخذ منها أعيادا تراجع فيها سير عظمائها التى استطاعت أن تحققها فى لحظات من تاريخ وجودها ، وتشيد بمآثرهم الغراء فى الكفاح فى خدمة أوطانهم ، وما وفقوا اليه من النجاح الذي حققوه فى شتى مناحي الحياة لأممهم مما جعل لهم ذكرا فى العالمين.

ففى كل عام تحتفل البلاد الاسلامية بيوم ميلاد نبيها الذى أخرجها من الظلمات الى النور احتفالا تتفاوت فى مظهره ومرماه ولكن هذا الاحتفال وان اختلفت مظاهره وتباينت مراميه لا يعدو الصور والاشكال ، ولا يتعمق الحقائق الجديرة بالتعمق فى هذا اليوم الاغر .

واحتفال المسلمين بيوم عيد الذكرى لمولد نبيهم العظيم « محمد » صلى الله عليه وسلم يحق أن يقوم على أساس من البحث والتمحيص ليقدموا الثمرة الى الذين لا يعلمون ، فهو عيد العبرة يستخلصونها من عظمة هذا النبى العظيم عيد البعث للعزائم الكليلة والهمم الخائرة وتسوية الصفوف المتفرقة .

لقد كان مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونشأته وحياته كما كانت رسالته دروسا وافيـة وعبرا رائعة يقتبس منها المتشبثون بأذيال الكمال ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله وفى رسالته وفى كل ما يصدر عنه من قول وعمل صورة متجلية يتعلق بها كل من ينشد عظمة النفوس التى ركبت فى الاجسـاد .

أنظر ـ عهد يتمه صلى الله عليه وآله وسلم فانه ولد مولد اليتامى الذين وسد آباؤهم الثرى قبل أن يطالعوا وجه الحياة بوجوههم ـ كان صغيرا لا يلهو لهو الصبيان ، ولا تعبث به شرة الحداثة وكان شابا يافعا من ذوي المروءات ، يرعى الامانات ، ولا يقارف ما يقارف شباب بيئته من عبيد الاهواء المنتفخين غرورا واعجابا بنزواتهم حتى بلغ مبلغ الرجال فكان اماما ومعلما للانسانية ، فعلمها كيف تحيا ، وكيف تسمو ، وكيف تناضل ، وتكافح ، وكيف تصبر ، وتصابر وكيف ترى الحق حقا فتتبعه والباطل باطلا فتتحاشاه .

هذه الشخصية الكبيرة جديرة بالدرس والتأمل لأنها فيض درس لا ينضب معينه وكنز لا تنفد ذخائره .

المولد النبوى

ومن كلمة بعث بها السيد / محمد بلى الفوتى مدرس العلوم الاسلامية فى لومى عاصمة الطوغو حقق فيها تاريخ ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسرد آراء العلماء فى حكم الاحتفال بالمولد الشريف :

لا نعرف اختلافا بين المؤرخين فى أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت فى شهر ربيع الاول ، ولكن الاختلاف بينهم فى تعيين ما مضى من الايام فى ذلك الشهر قبل ولادته صلى الله عليه وسلم . وقد حقق العلماء العصريون انه ولد فى فجر يوم الاثنين التاسع من ربيع الاول الموافق لعشرين من ابريل عام (٥٧١) ميلادية ، وبعد قدوم أصحاب الفيل مكة المكرمة بخمسين يوما ، وكان قدومهم يوم الاحد لثمانية عشرة ليلة خلت من المحرم لسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان بن قباذ . وأول سنة مولده صلى الله عليه وسلم كان يوم الخميس ، كما كان أول ربيع يوم الاحد ، فيكون يوم الاثنين تاسعه لا غير .

وقد حدث الاحتفال بالمولد النبوى بعد القرن الثالث الهجرى . وأول من احتفل به من الملوك احتفالا فخما هو صاحب الاربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين وكان يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار .

قال ابن كثير فى تاريخه . كان ــ الملك المظفر ــ يعمل المولد الشريف فى ربيع الاول ، ويحتفل به احتفالا هائلا ، وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا . رحمه الله ، وأكرم مثواه . وقد طالت مدته فى الملك الى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة (٦٣٠) هـ أى سنة (١٣٣٢) م .

وأول كتاب ألف فى عمل المولد هو الكتاب الذى ألفه الشيخ أبو الخطاب ابن دحية للملك المظفر المذكور ، وسماه (التنوير ، فى مولد البشير النذير) فأجازه الملك بألف دينار .

وقد استحسن كثير من العلماء الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم قال الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) فى كتابه (الحاوى للفتاوى) ان أصل عمل المولد الذى هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما وقع فى مولده من الآيات ، ثم يمد لهم سماط يأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك ــ هو من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها ، لما فيه من تعظيم قدر النبى صلى الله عليه وسلم واظهار الفرح والاستبشار لمولده الشريف .

وقال شيخ الاسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر . ان أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن احد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على المحاسن وضدها ، فمن تحرى فى عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ، والافلا ثم قال . وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت ، وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم ، فقالوا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ، فنحن نصومه شكرا لله تعالى .

فيستفاد منه استحباب شكر الله تعالى على ما من به فى يوم معين من أسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة الى أن قال . وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى ــ نبى الرحمة ــ فى ذلك اليوم ؟

وقال السيوطى فى تخريج عمل المولد على أصل آخر . وهو ما اخرجه البيهقى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة ، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه فى سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على ايجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته ، كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات واظهار المسرات .

ان تعظيم بعض الايام والشهور لما حصل فيها من الامور العظيمة مألوف شرعا وعقلا .

وقد أمرنا الله بالاحتفال فى يوم الاضحى لما حصل فيه من حادث ضحية اسماعيل عليه السلام .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم للسائل الذى سأله عن صوم يوم الاثنين (ذلك يوم ولدت فيه) فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه صلى الله عليه وسلم ولد فيه وقد أمرنا الشرع بالعقيقة فى اليوم السابع للولادة ، فالاحتفال بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم يزيد المؤمنين ايمانا وشكرا بمنه تعالى لهم .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

فى الطلاق

السؤال : ــ

١ ــ وقع شجار بيني وبين زوجتي ــ وحلفت قائلا : علي الطلاق ما تبقين فى هذا البيت وخرجت وتدخل الناس وفى نيتي ان تذهب الى بيت اهلها حتى تهدأ أعصابي .

٢ ــ حدث ما أثار أعصابي من الناس فقلت « علي الحرام ما بتعود على هذا أو سواه » وأشك انني قلت (علي الحرام ما بتعود على ذمتي فى هذا البيت أو سواه) علما بأنه لم يسبق لي الحلف بالطلاق قبل ذلك .

س . ك . س

قسم الصيانة ، بوزارة الاوقاف

الاجابة : ــ

أولا ــ بالنسبة لليمين الاول فانه لا يقع به شيء لأنك حلفت عليها بنية عدم البقاء فى المنزل وخروجها حتى تهدأ أعصابك ــ وفعلا قد خرجت وعادت بعد هدوء أعصابك .

ثانيا ــ بالنسبة لحلفك الثاني بقولك علي الحرام ما بتعود على ذمتي فى هذا البيت أو سواه فان المتعارف عليه اطلاق لفظ الحرام على الطلاق والعرف فى الشرع له اعتبار تبني عليه الاحكام فبقولك لزوجتك علي الحرام وقع الطلاق ولو لم تنوه لان العرف قاض بذلك والمقرر شرعا أن مثل هذا الطلاق يقع رجعيا ــ لأنه لم يسبق لك طلاق قبل ذلك فيجوز لك شرعا مراجعتها بالقول أو بالفعل بدون اذنها ورضاها ما دامت فى العدة المقررة شرعا . وهي ثلاث حيضات لمن تكون من ذوات الحيض وثلاثة أشهر لمن ليست كذلك ووضع الحمل للحامل واذا كانت العدة قد انتهت فينقلب الطلاق الرجعي الى بائن ببينونة صغرى وتحل لك بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها على ما بقى لك من الطلقات .

الطلاق المعلق

السؤال :

رجل حلف على زوجته قائلا اذا دخلت أى منزل تكوني طالقة ويقصد بذلك تهديدها ومكثت ثلاث سنوات ثم دخلت في الامكنة الممنوعة منها علما بأنها دخلت المنزل وهي حامل ولم تضع حملها لغاية الآن . مع ملاحظة أنه لم يسبق له أن أوقع عليها طلاقا قبل ذلك .

فما حكم الشريعة ؟

جمعة سليم ــ عمان

الاجابة : ــ

هذا اليمين من قبيل الطلاق المعلق ــ والمقرر شرعا أنه متى حدث المعلق عليه

وقع اليمين ، وبما أن الزوجة دخلت المنزل الممنوعة من دخوله فيكون الطلاق واقعا طلقة واحدة رجعية ما دام لم يطلقها قبل ذلك وهي لا زالت فى العدة الآن باعتبار وقوع اليمين وهي حامل ولم تضع حملها اذ أن عدة الحامل وضع حملها فله مراجعتها بالقول أو بالفعل على ما بقى لها من الطلقات .

الطلاق بالثلاث

السؤال : —

غضبت زوجتي عندما تزوجت أخرى عليها وامتنعت من الرجوع الى بيت الزوجية فحلفت قائلا (طلقت زوجتي فلانة بنت فلان بالثلاث) وهذا أول طلاق وكان اليمين فى مجلس واحد — وقد انتهت عدتها وأريد الرجوع اليها .

فما حكم الشريعة ؟

س . ج . م

الاجابة : —

اتفق الفقهاء الاربعة على أن الزوج اذا طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحدة ينفذ الطلاق الثلاث وتكون بائنة منه بينونة كبرى كما لو طلقها ثلاث طلقات متفرقات لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ، ولكن بعض الفقهاء غير الأئمة الاربعة — يرى أن الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة أو فى مجلس واحد لا يقع الا واحدة رجعية، استنادا الى ما كان عليه الامر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبي بكر وصدرا من خلافة عمر — وأخذت بعض البلاد الاسلامية بهذا الرأى وصارت الفتوى عليه لما فيه من يسر على العباد .

وبما أن المطلق قرر أنه لم يسبق له طلاقها وأن عدتها انقضت فعلا — فيكون طلاقه المذكور طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لانقضاء عدتها — وتحل له بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها وتحتسب هذه من الطلقات المقررة شرعا .

فى الميراث

توفيت امرأة عن . بنت ، وأخت من الام وبنت أخت من الاب .

فما نصيب كل منهم .

زايد سعد — الكويت .

الاجابة : —

بوفاة المرأة المذكورة عن بنت وأخت من الأم وبنت أخت من الاب يكون توزيع تركتها كالآتي .

للبنت النصف فرضا ولها الباقي ردا ولا شيء للأخت من الأم لحجبها بالفرع الوارث وهو البنت ، كما أنه لا شيء لبنت الاخت من الأب لانه لا ارث لها لكونها من ذوي الارحام ولا ترث مع وجود صاحبة فرض وهي البنت .

السؤال : —

توفيت امرأة عن :

بنتين ، ابن بنت ، وأولاد اخواتها الذكور والاناث الاشقاء .

فما نصيب كل وارث ؟ .

منصور علي — الكويت

الاجابة : —

بوفاة المتوفاة المذكورة عن ورثتها هؤلاء يكون توزيع تركتها كالآتي :

الثلثان للبنتين فرضا مناصفة — ولا شيء لابن البنت ولا لاولاد اخواتها الاناث سواء أكان الاولاد ذكورا أم اناثا لأنهم جميعا من ذوى الارحام .

أما أولاد الاخوة الذكور فلا يرث منهم الا الابن الذكر لان القاعدة الشرعية أن ابن الاخ لا يعصب أخته ، ويقدم في الارث أبناء الاخ الشقيق على أبناء الاخ لاب وفي هذه الحالة التى معنا يرث أبناء الأخ الثلث الباقي تعصيبا ويقسم بينهم بالتساوي .

قالت صحف العالم

فلتكن حربا تزيل اسرائيل

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

للجمهورية العربية المتحدة بالغ تقديرنا واعزازنا ، ولرئيسها البطل بالغ اعجابنا .. فلقد كان ما اتخذته خلال اليومين الفائتين تجسيدا للحلم بالثأر الذىعاشته أمتنا العربيةمنذ كانتالنكبةوكان العار ، ومنذ هزمت عصابات الصهاينة بالخديعة والغدر جيوشا عربية سبعة أرسلت الى القتل لا الى القتال ..

ان التحركات التى قام بها جيش الجمهورية العربية المتحدة ، وما أعقب هذه التحركات من اجراءات ، كوضع القوات المسلحة فى حالة استعداد للقتال ، وتحركها الى مواقع القتال ، ثم الطلب الى الامم المتحدة ان تسحب قوات الطوارىء الدولية من مناطق الحدود . كل ذلك يجعل شعبنا العربى من محيطه الـى خليجه يعيش جو المعركة ويحس بها ..

وليس أشهى على قلب شعبنا من ان تتاح له الفرصة حتى يخوض معركة الشرف والكرامة ..

واذ نحيى الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة وقائدها ، واذ نعتز بمواقفها التي كنا ننتظرها دائما فاننا نقول . كل العرب سيكونون مع المتحدة حين يدق النفير ، فحين تبدأ المعركة تزول الخلافات وتنتهى المعارك .. لان كل الخلافات وكل المعارك ما كانت لتكون .. لولا أن معركة فلسطين لم تقم بعد ..

واليوم نريدها معركة ، تلتقى فيها القوى العربية كلها وتتسابق على مذابح البطولة والثأر ..

نريدها معركة تزيل العار ، وتقضى على السرطان الصهيونى قضاء كاملا .... ونريدها حربا نسترد بها الارض والكرامة وتبرىء فى قلوبنا جراحا قديمة قدم النكبة ، والتآمر الذى سلب من وطننا العربي أغلى بقاعــه ...

بالحرب قامت اسرائيل ، وبالحرب تزول ..

فلتكن حربا ضروسا لاهبة تسجل نهاية اسرائيل .

سلاح البترول في المعركة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة الطليعة الكويتية تقول :

في هذه اللحظات تقف القوات العربية الضاربة وجها لوجه مع قوات العدو اليهودي في كلا الجبهتين الشمالية والجنوبية .. ففي الشمال تقف القوات العربية السورية على حدود الارض المحتلة تأهبا لضرب أي تحرك يبدر من قوات العدو ، وفي الجنوب تحركت قوات الجمهورية العربية المتحدة عبر سيناء لتحتل مواقعها على حدود الارض المحتلة ، واستلمت مراكزها على خط النار المباشر مع العدو على طول مسافة ١١٧ ميلا من غزة شمالا الى شرم الشيخ جنوبا بعد ان انسحبت قوات الطوارىء الدولية من مواقعها على الحدود بين الجمهورية العربية المتحدة ودولة الاحتلال .. وبهذا أصبحت القوات العربية وجها لوجه مع قوات العدو لا يفصل بينهما شيئا .

وبذلك فان الموقف اصبح قابلا للانفجار في أي لحظة ، واذا ما انفجر فانها قد تكون معركة الثأر لتطهير الارض المحتلة من رجس الاحتلال اليهودي .

ولقد اصبح واضحا للعالم أجمع أن سوريا والجمهورية العربية المتحدة عازمتان على خوض المعركة بعزم لا يعرف التردد اذا ما بدر أي تحرك من قوات العدو ، ووراء الجمهورية العربية المتحدة وسوريا يقف العرب ، كل العرب على أهبة الاستعداد لمساندة سوريا والجمهورية العربية المتحدة لسحق العدو المغتصب .

وقد اعلنت حالة الانذار في معظم الدول العربية تأهبا للمعركة ووضعت القوات المسلحة في بعضها في حالة الطوارىء ، واستنفار الاحتياطي والتعبئة العامة وفتح باب التطوع .

وكان الكويت من ضمن الاقطار العربية التي أعلنت تأييدها بلا تحفظ لموقف الجمهورية العربية المتحدة واستعدادها لخوض المعركة جنبا الى جنب مع الجيوش العربية اذا ما تعرضت سوريا أو أي بلد عربي آخر لهجوم اسرائيلي .

ولا شك ان المعركة اذا ما بدأت فانها ستكون معركة شاملة يحتاج فيها العرب لاستعمال كل مالديهم من قوة وتعبئة كل طاقة ممكنة لخدمة أهداف المعركة . وهذا يعني ان المعركة لن تكون محصورة في ميدان القتال فقط ، ولكنها ستشمل ما يسمى بالخطوط الخلفية ، وهذا يعني اننا سنضطر لاستعمال الاسلحة الاقتصادية والاستراتيجية والنفسية .

وما من شك ان البترول سيكون من أقوى الاسلحة التي في يد العرب عند خوضهم لمعركة واسعة . فقد أصبح مؤكدا ان اسرئيل لا تخوض المعركة وحدها وانما هي تنفذ مخططا رسمه ودبره الاستعمار الامريكي بمساعدة بريطانيا ، ولا يمكن لاسرائيل ان تقدم على عمل حربي دون أن تضمن تدخل أمريكا وبريطانيا لمساندتها .

لذلك فان العرب مدعوون لاستعمال البترول للضغط على أمريكا وبريطانيا والدول الاوربية .

أخبار العالم الإسلامي

استمرأت (اسرائيل) خطتها فى العدوان على الدول العربية ، وزاد تبجحها الى حد التهديد باحتلال دمشق مما جعل العربية المتحدة تستنفر جيوشها الى الحدود ، وتطلب سحب القوات الدولية ، فتنسحب ، وتأخذ القوات المصرية اماكنها ، وتستعيد سيطرتها على خليج العقبة ، وتستعمل حقها فى اغلاقه فى وجه السفن الاسرائيلية المعادية ، ويهب العالم العربى كله ومعه كل الدول الحرة فى العالم لتأييد هذه الخطوة ، وتستنفر الدول العربية جيوشها استعدادا لدخول المعركة الفاصلة ، ومحو العار الذى ظل عالقا بها ، بينما تقف أمريكا ومن ورائها بعض الدول الاستعمارية تؤيد اسرائيل ضد حقوق العرب .

((و الوعي الاسلامي)) تقدم أخبارها متضمنة تطورات الازمة وأبعادها ، وردود الفعل التي أحدثتها فى دول العالم حتى مثول المجلة للطبع .

الكويت

تقف الكويت أميرا وحكومة وشعبا الموقف الذى يسر كل مسلم ، منذ أول لحظة فى هذه الازمة ، مما تناقلته أنباء الصحف اليومية ، وكان آخر هذه المواقف العظيمة حين اعداد المجلة للطبع ، هذا الموقف الذى وقفته الحكومة ومجلس الامة ، حيث عقد مجلس الوزراء جلسة استثنائية برياسة سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فى قاعة مجلس الامة حيث استمع المجلس الى البيان التاريخي الذى سيلقيه سموه فى مجلس الامة ، والذي تناول الاوضاع العربية الراهنة ، والترتيبات المتعلقة بارسال وحدات الجيش الباسل ، للاسهام فى معركة الشرف ، وتكليف سعادة وزير الخارجية باستدعاء سفراء الدول الكبرى وابلاغهم موقف الكويت الحازم ، وقرارها وقف جميع مصالح الدول التى تشترك مع العصابات الصهيونية فى الاعتداء على أية دولة عربية ، وبعد انهاء الاجتماع عقد مجلس الامة جلسة استثنائية ، استمع فيها الى بيان سمو ولي العهد ثم اتخذ المجلس القرارات التالية :

١ ـ أرسال برقيات شكر الى برلمانات الدول المساندة للحق العربي .
٢ ـ ارسال برقيات استنكار الى برلمانات الدول المساندة للباطل الصهيوني .
٣ ـ ارسال برقية استنكار واحتجاج على تصريحات الرئيس جونسون .
٤ ـ مناشدة ايران أن تقف الى جوار الدول العربية الاسلامية وتوقف تزويد العصابات بالبترول .

وقد استدعى فى نفس اليوم الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية سفراء كل من روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا ، وأبلغهم بأن أية دولة تقف عسكريا بجانب اسرائيل ستوقف حكومة الكويت جميع مصالحها ، بينما قدم شكر الكويت للاتحاد السوفيتى على موقفه فى مساندة حق العرب .

وبينما الجهات الرسمية تتخذ هذه المواقف الحازمة المشرفة تسري فى الشعب روح الحماس المنقطعة النظير فقد هب للتطوع فى معركة التحرير ، وتكونت لجان لجمع التبرعات الى أقصى حد مستطاع لصالح القوات العربية المحاربة ، بينما ترتفع الاصوات الشعبية وتكتب الصحف لمقاطعة بضائع الدول المساندة لاسرائيل .

الجمهورية العربية المتحدة

تتركز أنظار العالم الآن على الخطوات التى اتخذتها المتحدة لمعركة الشرف والموقف الصامد الذى تقفه من كل الجهات المعادية ، حيث عبأت الجيش والامة لحالة الحرب التى أصبحت محتملة الوقوع فى أية لحظة .

وقد كشف الرئيس عبد الناصر فى خطبه وفى المؤتمر الصحفي عن أن أمريكا لا تعنى بالسلام الا أمن اسرائيل فقط وأن الكلام عن السلام لا يكون الا عندما تتعرض اسرائيل للخطر ، أما اذا ضاعت حقوق العرب فان أمريكا لاتتكلم عن السلام ..

وقد رفضت المتحدة خمسة اقتراحات تقدمت بها أمريكا لانها منحازة انحيازا كاملا فى جانب اسرائيل .

وقد وزع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة تقريره بعد زيارته للقاهرة على اعضاء مجلس الامن .

قال السيد فتحى الديب أمين الشئون العربية ان مصر تنفق (١٦) مليونا من الجنيهات لنشر الثقافة العربية فى الخارج كما قال السيد أمين هويدى أن مصر للاسلام لا تحيا الا به ، ولا تنهض الا فى رحابه ، ولا تتقدم الاعلى هديه .

عقد بالأزهر مؤتمر حاشد للجهاد فى سبيل الله وقد تعاهد الجميع على بذل النفس والنفيس من أجل استعادة فلسطين .

العـــراق

بعثت العراق بوحدات من جيشها العربى الذى وضع فى حالة استعداد تام الى سوريا والى الجمهورية العربية المتحدة كما بعثت بقوة من الطيران العراقى اشتراكا فى معركة المصـير .

صرح وزير الدفاع العراقي ان العراق مستعد لتوجيه الضربة القاضية لاسرائيل اذا ما حاولت العدوان على أى قطر عربى .

وأعلن وزير الدولة العراقي بأن العراق ستقطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع أية دولة تقف ضد العرب .

ارسل الرئيس عارف الى جلالة شاه ايران يطلب منه ان يوقف مـد اسرائيل بالبترول .

المملكة العربية السعودية

أعلنت التعبئة العامة فى القوات المسلحة السعودية وقد سافر رئيس الاركان وكبار الضباط الى منطقة تبوك حيث يجرى توزيع القوات السعودية على خليـج العقبــة .

صرح جلالة الملك فيصل أن المملكة العربية السعودية لن تبيع البترول لاى دولة تقف موقفا معاديا من العرب فى نزاعهم مع اسرائيل . وقد زار جلالته بلجيكا بعد زيارته لبريطانيا .

الأردن

وقع كل من الرئيس جمال عبدالناصر وجلالة الملك حسين اتفاقية الدفاع المشترك بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة أثناء زيارة عاهل الاردن للقاهرة وقد صحب جلالة الملك حسين السيد احمد الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين أثناء عودته .

ســوريا

تقف القوات السورية على الحدود بينها وبين اسرائيل فى حالة ترقب ردا على أى عدوان صهيونى بعد ان فشل التهديد الاسرائيلي بغزوها .

قرر الاتحاد الدولى للعمال الذى عقد فى دمشق وقوف العمال فى جميع انحاء العالم العربى صفا واحدا لكسب المعركة .

لبنــان

دعا فضيلة الشيخ حسن خالد وكذلك مفتي الشيعة جميع المسلمين الى الاستعداد العام للمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله من أجل فلسطين .

الجــزائر

أصدر مجلس الثورة الجزائرى بيانا ذكر فيه أن الجزائر بزعمائها وجيشــها وشعبها يقفون فى المعركة الفاصلة حتى آخر جزائري وقد جرت مباحثات عــدة وتم لتنسيق الجهود الحربية والسياسية بين الجزائر وأخواتها العربيات ، وأعلن الجيش حالة التعبئة وتحركة وحدات منه الى الجمهورية العربية .

تونس

صرح السيد الحبيب بورقيبة الابن أن تونس مستعدة لارسال قوات من الجيش التونسى الى المعركة مع اسرائيل اذا نشبت الحرب .

اليمــن

بعث الرئيس عبد الله السلال برسالة الى الرئيس عبد الناصر يؤيده تأييدا تاما وشاملا فى غلق خليج العقبة قائلا ان اليمن تراقب الموقف باهتمام وانهــا تساند قضية العرب مساندة كاملــة .

السودان

اعلنت التعبئة العامة ، وارسلت قوة من الجيش للاشتراك مع قوات الجمهورية العربية المتحدة . بينما احتشدت الجيوش الاثيوبية على حدود السودان للتحرش بهــا !!! .

باكستان : تراقب باكستان الموقف باهتمام وقد أرسلت لسفرائها فى الــدول العربية بموافاتها بالموقف أولا بأول وقد أصدرت بيانا ذكرت فيه مساندتها للامــة العربية الاسلامية وتأييدها التام لاستعادة حقوق شعب فلسطين .

الهند : اختير لاول مرة رئيس جمهورية مسلم هو الدكتور ذاكر حسين .

صرح وزير خارجية الهند السيد محمد علي تشاجلا أن الهند تساند العرب فى موقفهم ازاء اسرائيل

ماليزيا وسنغافورة : تلقت السفارة العربية طلبا من المتطوعين الذين رغبوا فى الجهاد من أجل استعادة فلسطين .

صرح نائب رئيس وزراء ماليزيا انه تم اعداد الوسائل الكفيلة بنقل المتطوعين الى خطوط الجبهة مع اسرائيل .

غينيا : أرسل الرئيس أحمد سيكوتورى رسالة الى الرئيس عبد الناصر يبلغه فيها باسم الشعب الغيني وحكومته التضامن المطلق مع الشعوب العربية من أجــل استعادة حقوق فلسطين

موريتانيا الاسلامية : أيد المختار ولد دادة رئيس موريتانيا الاسلامية جميــع الخطوات التى اتخذت لحماية حقوق الشعب العربى .

أفغانستان : أرسل جلالة الملك ظاهر شاه للرئيس عبد الناصر يؤيده فى موقفه .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهـذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن اللوح ــ ص ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى ص ب : ٣٠٣

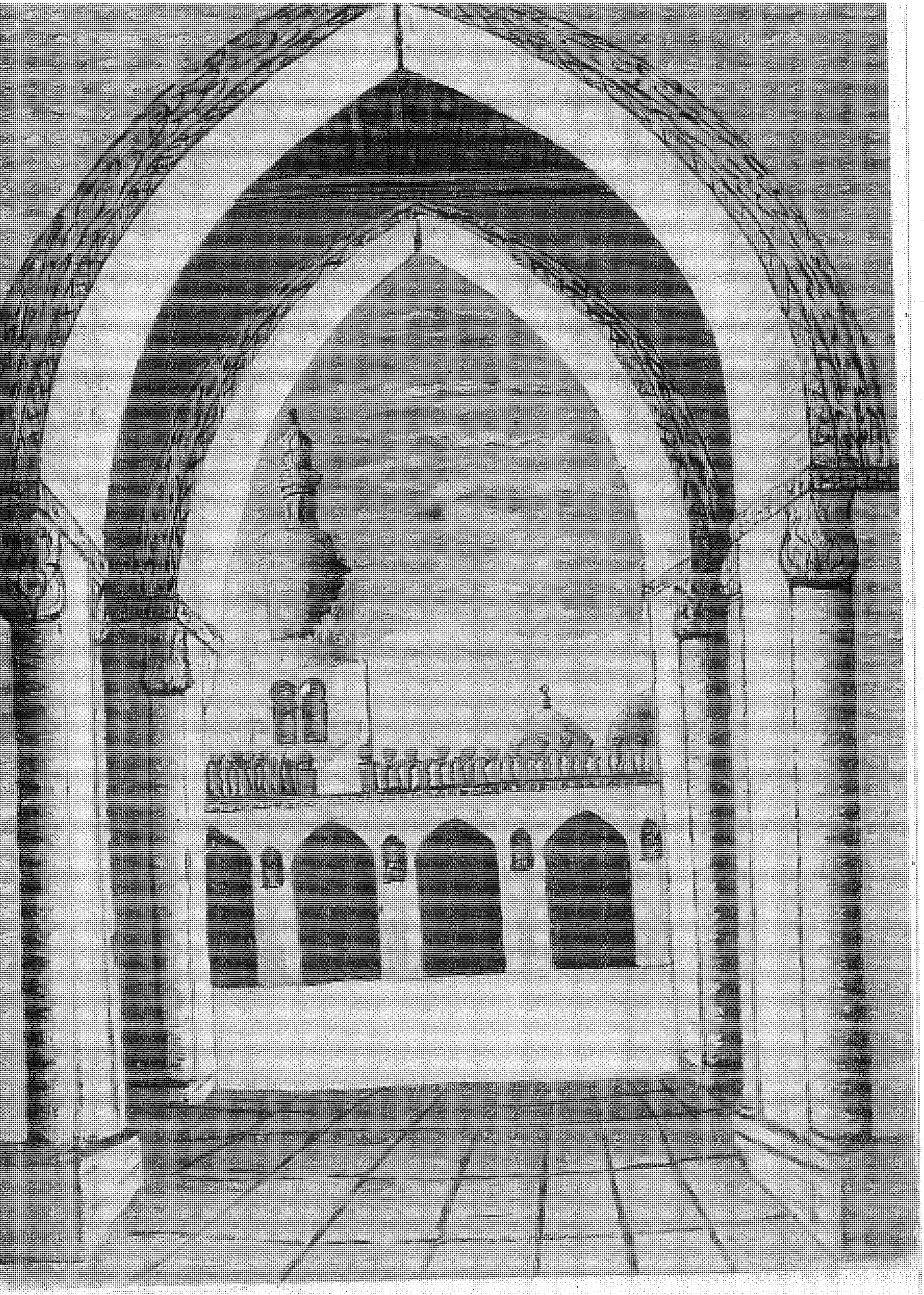
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة ـ بريشة بدر القطامي

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ■ العدد الثامن والعشرون ■ غرة ربيع الثاني ١٣٨٧هـ — ٨ يوليو ١٩٦٧م

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص

صدق الله العظيم



مؤتمر وزراء خارجية العرب الذى عقد بالكويت فى قصر السلام وذلك فى يوم السبت
٩ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ — ١٧ يونيو ١٩٦٧ م .

صورة الغلاف



إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفاً كأنهم بنيان مرصوص .
آية ٤ سورة الصف

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ هـ
٨ يوليو « تموز » ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

على الآخرين أن يختاروا

إمّا صداقة الأمّة العربيّة ومصالحهم وإمّا مجاملة الصهاينة

تصريح هام لسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

أعلن سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ان الامم الصامدة تقابل الظروف العصيبة بمزيد من الايمان بنصر من الله وبالعزم والتصميم على مواصلة الطريق وبالاعداد الروحي والاقتصادى والعسكرى .

وقد أجاب سموه بذلك على سؤال لمندوب الاذاعة والتلفزيون حول الخطوات التى ستتخذها الحكومة لمواجهة الظروف العصيبة التى تواجه أمتنا العربية . وقال سموه : **ان التصميم على مواصلة الطريق هو ماحدا بحضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى ان يأمر بأن ترسل الحكومة مذكرة الى الدول العربية بغية عقد اجتماع عاجل لوزراء الخارجية العرب لتدارس الاوضاع الحالية وللتمهيد لعقد اجتماع عربى على أعلى المستويات لتقرير الخطة المدروسة التى ستواجه بها الامة ما يخطط لها من جانب أعدائها .**

وأضاف سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء مجيبا على سؤال حول ما اذا كان يعتقد بأن المعركة العربية قد أشرفت على نهايتها ــ أجاب قائلا .

انني أعتقد العكس تماما ، وأن الحرب مستمرة ، ولهذه الامة من طاقاتها ما تستطيع ان تساند حربا طويلة الامد تحفظ لها شرفها ومقدساتها ، وتسترد بها حقوقها السليبة ، واذا كانت بعض هذه الطاقات قد ظهرت فيما استعملته الكويت وشقيقاتها من بعض أسلحتها الاقتصادية فلتعلم أية دولة ان لدى الامة العربية مزيدا من الاسلحة الاقتصادية والنفسية تستطيع ان تلقى بها فى المعركة حتى يكتب لها النصر .

ومضى سموه قائلا : اننا على ثقة من ان كثيرا من الدول يمكن ان يتفهم حقيقة معركتنا . لأنه يحاول ان يقف الى جانب الحق ، او لانه يشاركنا الشعور نحو مقدساتنا السليبـــة .

أما الآخرون فليعلموا ان عليهم ان يفاضلوا بين صداقة الامة العربية ومصالحهم فى المنطقة وبين مجاملة الصهاينة المعتدين .

وأعلن سموه ردا على سؤال حول الدور الذى ستؤديه الكويت فى معركة البناء فى الدول التى تضررت من العدوان الصهيونى :

ان كلا منا يعلم فداحة ما أصاب بعض الدول العربية من جراء العدوان الفاشم ، وانه لواجب على كل الدول العربية ان تتساند وتتعاون فى معركة البناء المقبلة ، ولا شك ان الكويت تقوم بواجبها فى هذا المضمار ، وستواصل عملها فيه بكل ما يمكنها من النواحى المادية والفنية والبشرية ، وسيقتضينا ذلك كثيرا من التضحيـــة وتغليب المصلحة العامة ، ولذلك تبحث الحكومة فرض بعض الضرائب غير المباشرة ليساهم الجميع فى هذا الواجب .

وقال سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ردا على سؤال آخر حول واجب المواطن الكويتى فى هذه الآونة :

ان الشعب الكويتى جزء من الامة العربية ، وقد شاء الله ان يمتحن هذه الامة فى الظروف العصيبة التى تمر بها ، فأصبح فرضا على كل واحد منا أن يشعر بالمعركة ويعيش فيها ، ويشارك فى حمل أعبائها ، وعلى كل واحد منا أيضا ان يطور حياته ليصبح مرابطا فى سبيل الله ، ينحى عنها الترف ، ويسعى الى التقشف ، ويصهر روحه فى معانى التضحية والمشاركة ، ويتقبل التكاليف والاعباء ، ويبذل مزيدا مـن الجهد والعمل المتواصلين ليحفظ لبلاده مستوى اقتصادياتها ، ليسند هو والدولة اقتصاديات الدول الشقيقة ، وبهذه الروح من الفرد الكويتي وبمثلها من المواطنين المقيمين يشارك كل فرد من هذه الامة باخلاص وايمان مشاركة حقيقية فى المعركـــة القائمـــة .

وليعلم العالم ان هذه الامة قد آلت على نفسها وعاهدت الله على ان تبذل كل شيء لتحفظ كرامتها وعزتها وحقوقها .

بعد الجولة جولة والنصر لنا في النهاية

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف كعادتها فى كل عام بمسجد السوق الكبير وقد افتتح سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاحتفال بالكلمة التالية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فيقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم : ((هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)).

أيها الحفل الكريم :

أرسل الله محمدا رحمة للعالمين ، ونورا وهداية للناس أجمعين ، أرسله ليهدى البشرية بعد ضلال ، ويضيء القلوب بنور الله ، ويربى نوعا جديدا من الانسانية التي تؤمن بالله ..

أرسله الله ليبين للناس أن الاسلام عقيدة أمة . ونظام حياة .. وأنه رسالة تربية قبل أن يكون رسالة تشريع .

أرسله الله ليبين للناس أن العقيدة أصل وفطرة .. وان العبادة صلة وتربية . وان الشريعة أمن ونظام .

فبذلك وصل الرسول أصحابه بربهم ، وربي فيهم الضمير المرهف الحساس ، وزكي فيهم شرف العبودية لله وحده .

وبهذه الروح انطلق المسلمون الاولون يجاهدون فى سبيل الله فى كل مكان ويرفعون اسمه العظيم فى جميع بقاع الارض . وحدد الله لهم غاية الجهاد . وانه ليس للقهر والبغي . وليس للتسلط والاستعلاء وانما هو لاخراج الانسانية من ضيق الدنيا الى سعتها . وصدق الله العظيم ((الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)) .

كتب الله لهم النصر .. والنصر فى أول الامر وآخره من عنده . لا شأن لأحد به . ولا سلطان لمخلوق عليه . وصدق الله العظيم : ((وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)) .



معالي عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية يلقى كلمة الافتتاح فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

كتب الله لهم النصر لانهم كانوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت .. لانهم كانوا على الحق . وأعداؤهم كانوا على الباطل ، ومهما علا الباطل ومهما ارتفع البغى فلا بد له أن يهوى خاسئا وهو حسير .

أيها السادة :

بالامس القريب بدأنا جهادنا المقدس .. ودخلنا معركة الحق والشرف .. ووقفنا على خط النار متحدين متعاونين .. جيش واحد . ارادة واحدة .. تصميم أكيد على استئصال قوى البغي والعدوان لان العدوان فى حد ذاته ليس موجها لشعب دون شعب ، وانما هو موجه الى كل عربي . موجه الى كل مسلم يردد لا اله الا الله محمد رسـول الله .

موجه الى كل حر يريد أن يسترد أرضه المسلوبة .

وشعر أعداؤنا بضعفهم وحشدوا لنا الجيوش بمكر وخداع . وظنوا أن ذلك يرهبنا ولكنهم واهمون ، فلئن كانت معهم قوة الارض فمعنا قوة السماء .. معنا قوة الله التي لا تغلب .. معنا النصر الذى وعدنا به فى قوله الكريم :

((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) .

فبعد الجولة جولة . وبعد المعركة معركة . والحرب كر وفر . واقبال وادبار . والنصر لنا فى النهاية ما دمنا مستقيمين على أمر الله : ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين))

فلننتهز هذه الفرصة التى نحتفل فيها بذكرى ميلاد رسولنا الاعظم لنجدد صلتنا بالله ونبدأ معه عهدا جديدا حتى نكون أهلا للنصر الذى وعدنا به فى كتابه العظيم :

((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

ولا يسعنى فى هذه الذكرى العطرة الا ان ارفع اسمى آيات التقدير والاحترام الى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم وولي عهده وشعبه الكريم الذى يسهم الآن فى احراز النصر .. ويعمل على تحقيق الآمال الغالية للعرب والمسلمين فى كل مكان .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

كانت الصدمة التى تلقيناها مفاجأة لم نكن نتوقعها ، وما كنا نظن أن قوى الشر والبغى المتربصة بنا وراء اسرائيل ستسفر عن وجهها الكالح الى هذا الحد .. ولم يكن سوء الظن بهذه القوى يصل الى ما وصلت اليه ، وكان لا يزال لدى البعض منا شيء من الأمل فى أن تحسب هذه القوى - ولو قليلا - حسابا للضمير الحى ، أو للوجه الذى تظهر به أمام العالم ، أو لمصالحها وارتباطاتها بالبلاد العربية .

ولكنها أضاعت ما تبقى من أمل عند بعض الناس ، وقطعت آخر خيط كانوا يتعلقون به ، وظهر وجهها الكالح على حقيقته يقطر بالشر ، ويفيض بالبغض ، وينطق بالحقد ، ولم تكن هذه القوى الشريرة أقل حرصا من الأفاكين على اذلالنا ، وقتلنا والتمثيل بنا وبأطفالنا وحرماتنا ؛ فقد أسكنتهم من قبل أرضنا الطيبة ، وطردتنا منها ، وشردتنا يمينا وشمالا .

وكان من طبيعة الدور الأثيم الذى قامت به أنها تركت شعبا مشردا نحو عشرين عاما دون أن يتحرك لمأساتهم الضمير العالمى ، ثم مدت لهؤلاء الشريرين فى الغى ، وحرضتهم على الظلم والبغى ، وقدمت لهم كل سلاح صوبوه الى صدورنا . وسفكوا به دماءنا ، وهدموا به دورنا ، وتركونا نتلوى من المرارة ، ونتنفض من الألم ، وهم هناك يشمتون ، ويتحدثون عنا بما يشاءون ، ويخيل لهم غرورهم أن يفرضوا علينا من الحلول ما يريدون .. وكذبوا .. أو أننا سنتركهم يفلتون من قبضتنا ، ويمرحون بما كسبوه من نصر خاطف علينا .

ولعل الكثير قد تساءلوا : لماذا يقف الغرب هذا الموقف منا ، ويسخر كل قواه ضدنا ، ويدلل هذه الفئة الافاكة ، ويمد لها فى الشر والفساد ، ويقدم لها ما تشاء من مال وعتاد ؟ !!

ونحن العرب المسلمين قوم قد ننسى ، أو نتناسى ، ونهمل دروس الماضي وعبر التاريخ ، ونحسن الظن أحيانا بهذه القوى الشريرة وننخدع بما تعلنه أحيانا من كلمات معسولة ، أو معاملة مصنوعة ، ولكن هل ننسى أو نهمل واقعنا المر القاسى الذى نعيش فيه ، وقد سقونا المرارة كلها ؟ !

نسينا أو تناسينا الأحقاد القديمة على الشرق المسلم حين خرجت جحافل الغرب من قرون مدفوعة بسموم الحقد ، لتهاجمنا فى بلادنا ، وتنزعها من أيدينا ، وتقتل فى واقعة القدس وحدها سبعين ألفا منا .. وتمرح فى أرضنا ، حتى قيض الله لنا صلاح الدين وأترابه العظماء ، فطهروا أرضنا منهم ، وردوهم مدحورين الى ديارهم .

ربما نسينا هذا .. حتى ذكرنا به أخيرا أحد القواد الانجليز ، حين دخل مدينة القدس فى الحرب العالمية الاولى ، ونزعها من أيدى العثمانيين ، ووقف شامخا ــ وهو يتذكر ما حل بأجداده من هزيمة فى هذه الأرض الطيبة ، وما ضاع منهم من أمل ــ فيقول : ((اليوم انتهت الحروب الصليبية)) لأنه عاد ودخل القدس ، وفرض نفوذه عليها ، وقد كان ذلك حلما راود أجداده منذ مئات السنين ، وبدده المسلمون الأبطال .

ويدخل قائد آخر فرنسى، ليس من جنس القائد الأول ،ولكنه غربى،وسليل المنهزمين أمام صلاح الدين ، والمأسورين بيد الجيش المصرى فى (المنصورة) ، يدخل هذا القائد مدينة دمشق ، ويمشى الى حيث يرقد البطل الانسان ، الذى ارتفع بدينه وانسانيته الى الذروة ، فلم ينتقم منهم ، ولم يمثل بهم كما مثلوا بنا ، ويقف هذا الحقد المتحرك المتجسم فى شكل قائد منتصر على أهل دمشق ، يقف على القبر ، وليس أمامه الا حجارة تغطيه ، فيقول فى نذالة الجبان الحاقد : ها نحن عدنا يا صلاح الدين . ولم يذكر القائد الجبان أنه أمام قبر ، ولم يستح أن يتحدث بما تحدث به ، ولو كان صلاح الدين حيا لكان مصير القائد وجنوده كمصير أجدادهم من قبل .

انه فى الحقيقة لم يكن يتحدى صلاح الدين ، بل يتحدى الأحياء من أحفاد صلاح الدين وجنوده البواسل .

ومر هذا التحدى وذاك علينا ، ولم نفطن اليه ، أو فطن البعض منا ، ولكنا لم نستطع الرد عليه .

ثم وجدنا الحقد الكامن يظهر فى صورة جديـدة كالحـة متبجحة ، فيمزق قلبنا ، ويزرع اسرائيل ، لتظل السهم الذى ينزف به الدم من القلب . فلا تكون حياة كتلك التى يحياها الأصحاء ..

وقامت دولة الأشرار فى قلبنا ، تمثل كلبا عقورا يسلطه صـاحبه الاقطاعـى (البلطجى) على الجيران ، يروعهم ويعتدى عليهم ، ولم يكن لقوى الشر الاستعمارية من هدف الا أن تشفى حقدها ، وتشغلنا نحن العرب عن النهوض ببلادنا وتنميتها بعد استقلالنا ، لنعيش كما يعيش كل شعب حر .

نعم .. لو لم يضع الغرب الاستعمارى الحاقد بذرة الشر والفساد والاعتداء فى أرضنا ، لانصرفنا بكل قوانا الى تعمير بلادنا ، والنهوض بمرافقنا ، ورفع مسـتوى معيشتنا بتلك الأموال والجهود الضخمة التى نوجهها الان لاعداد جيوشنا وتسليحها للدفاع عن كياننا . وما كنا بحاجة الى جيوش جرارة وكلنا اخوة لا يخشى أحدنا غدرا من جاره ..

ولكن هل تتركنا قوى الشر الاستعمارية الحاقدة لننهض بسهولة ؟ هل تتيح لنا فرصة لنستعيد أمجادنا الاسلامية العربية ، ونصبح قوة لها وزنها وخطرها فى العالم ؟.

ان هؤلاء الذين يحركهم الحقد الكامن على أمة العرب والاسلام يعرفون أكثر مما نعرف ، أو كما نعرف ، أننا أمـة أصيلة لها مقوماتها الاسلامية العربية المكينة ، ولها ميراثها وحضارتها وأمجادها التليدة ، وأننا أمة يهيب بها كتابها ورسولها وميراثها فى كل وقت أن تهب لتسترجع أمجادها ، وتستعيد قوتها ، وتتخلص من آثار الضعف التى علقت بها . أمة تقرأ فى كتابها أو تسمعه يصب فى قلوبها وآذانها : أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأن المستضعفين الذين يرضون بالذل لهم جهنم وبئس المصير .

فوضع الحاقدون خططهم الخبيثة من قديم ليحولوا بين المسلم وبين كتابه ودينه ، ويقطعوا الصلة بينه وبين منابت العزة والقوة فيه ، ليجعلوا منه قطيعا يسهل اقتياده والسيطرة عليه وعلى كنوز ثرواته .

وهكذا فعلوا وسلطوا على قوانا الاسلامية كل معاول الهدم ، حتى ضعفت فى نفوسنا الروح الاسلامية الاصيلة ، وكدنا نكون أشباحا اسلامية لا روح فيها .. وجرؤ بعضنا على أن يرمى الاسلام بالعقم والتأخر ، ويهاجم كل المعانى الاسلامية علنا .. ودون خوف أو حياء .. كما عمد آخرون منا على اشاعة الانحلال الخلقى بكل صوره فيما يكتبه أو ينشره من سموم فتاكة أو صور خليعة ماجنة موهما القراء ، والجيل الجديد من الشباب والشابات بخاصة أن هذا هو التقدم والتمدن !!

وهكذا أصبح كثير منا شركاء لاعدائنا فى تحطيم روحنا من حيث يدرون أو لا يدرون .. وأصاب العدو الحاقد على المسلمين كثيرا من النجاح فى ابعادهم عن منابت عزتهم ، ودوافع قواهم ، ومع هذا لم يغفل . فلا زال يسير على الطريق الى غايته ، وكلما لاح له أن الصيد المهيض الجناح يكاد يسترد قواه ، وجه اليه طاقة جديدة فأدماه .

تلك خطة عرفناها ، وعرفنا معها الاسبيل لتمزيق شبكة الصائد ، والقضاء على خططه الا باتحاد الطير ، واستجماع قوته ليهب دفعة واحدة ، تمزق شباكه ، وتقضى على حبائله ، وأصبح من الواجب الحتمى على أمة العرب ــ ان كانت جادة فى معركتها ــ أن تقضى على كل مخلفات الاستعمار الخبيثة فى وسطنا ، وتحارب كل نزعات الانحلال والفساد فى شتى صورها بيننا .

ويقول كثيرون ويتساءلون أيضا : كيف تستمر قوى الحقد فى عداوتها لنا وتصر على احتضانها لفئة صغيرة من الصهيونيين دون أن تحسب حسابا لكثرة عددنا . أو لمصالحها التى فى أيدينا ، أو لموقفنا الحساس فى خريطة العالم ؟ أما كانت كل هذه العوامل تحملها على مصادقتنا أو مجاملتنا أو على الاقل ترغمها على الوقوف موقف المحايد ؟ !

نعم .. كان هذا أو ذاك ممكنا لو أنها رأتنا قوة متحدة ، وأحست فينا روح الجـد والعزم فى مواقفنا ، وفيما نطلقه من تصريحات ، أو نصدره من قرارات ، ولكنها كانت ترانا مفككين مبعثرين ، نقول ولا نفعل ، ونهزل ولا نجد ، ونعادى ولا نصر ،

ونهدد ولا نضر . بينما الفئة الصهيونيه الصغيرة فئة متحدة متماسكة ، تخطط وتعمل ، وتعد وتتوعد ، وتنفذ وعدها ووعيدها . ذاك فرق يجب أن نقف عنده ونعيه تماما . لا أقول المسئولين وحدهم ، ولكن كل فرد منا ، ولا سيما فى هذه الفترة الحرجة التى نمر بها ..

ان العار الذى لحق بنا لا يمكن أن ينجو منه فـرد عربـى فى أى مكان .. كلنا أحسسناه وتجرعناه ، نحن وقادتنا على السواء .. وبقدر ما أحسسنا من عار ، وتجرعنا من مرارة يجب أن نعمل .

ليس من السهل علينا أن تضربنا هذه القلة يمينا وشمالا ، وتشردنا رجالا ونساء وأطفالا ، ونحن بهذه الكثرة !!

ليس من السهل علينا أن نرى ما يفعله هذا العدو الفاجر بنا ، ونحن عاجزون عن ردعه .

ليس من السهل على نفوسنا أن نرى قوى الشر الغربية تتكتل ضدنا وتتحدانا ، وتصر على اذلالنا ، وكبت أنفاسنا ، والحاق المهانة بنا وبتاريخنا من أجل تدليل هذه الفئة الشريرة ولا نتكتل نحن جميعا ضدها ، ونستهين بكل تضحية فى سبيل ردعها .

ولو أنه لا يوجد لدينا وفى امكانياتنا ما ندفع به عن أنفسنا ، وننتصف به لكرامتنا وعرضنا وشرفنا ، لكان لنا بعض العذر .. أما وفى أيدينا أسلحة متنوعة وحاسمة ندفع بها العار ، ونمسك بها زمام النصر ، فان من عار الابد ، وذل الدنيا والآخرة أن نسكت أو نتهاون أو نتردد فى التضحية بكل ما نملك ؛ فان الحرة تجوع ولا تأكل بثديها

اننا الآن فى موقف فاصل وجد فاصل .. لا مجال فيه لتلاعب ، أو مهاترات ، أو اختلافات ، أو انصراف الى المتع واللذات .. بعد ما أحسسنا أنه لا قيمة للمناصب أو المال والمتع ، أمام لحظة من اللحظات القاسية التى مررنا بها ..

اننا صدمنا حقا صدمة عنيفة ، ولكنها ـ كما أعتقد ـ صدمة علاجية ، أفاقتنا من غفوتنا ، وفتحت عيوننا على عيوبنا ، وعلى أعدائنا ، عرفنا مواضع النقص فينا ، كما عرفنا عدونا من صديقنا وجمعتنا فى وحدة كنا نتمناها من زمن ، وبعثت فينا العزم والتصميم على النصر ، والاخذ بالثأر .

فاذا نحن وعينا هذا الدرس وتعلمنا منه ـ ولا سيما قادتنا ـ أن نعمل جبهة واحدة فى كل المجالات عملا مدروسا ، ونكرس له كل طاقاتنا المادية والمعنوية من أجل هدفنا ، فما أحبه من درس مع ما فيه من قسـوة وتضحية « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

والأمر فى ذلك معلق كله برقاب القادة . والامة كلها حولهم ترقبهم وتشـد أزرهم ، والله يرعاهم ويسدد خطاهم ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعـوة

النصح الإيمان والصّبر

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى رقية تميم بن اوس الدارى رضى الله عنـه .
قال صلى الله عليه وسلم . « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .
رواه مسلم

١ ـ يعيش العالم الاسلامى فى هذه الآونة من الزمان أياما عصيبة ، لما يرون ويلمسون من ضعف معنوى وتخلف فى مضمار الحياة الروحية ، وانعكاس ذلك على وجودهـم المادى ، تخلفا ادى الى تهاويهم امام أعدائهم بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخهم الحافـل بالعظائم ، والملىء بالمكرمات فى كل ميدان ، وقـد ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، واعتقد ان هذه الحالة الواقعة سحابة صيف لا تلبث ان تقشع اذا عولجت اسبابها على ضوء اصول الاسلام ، واذا ادركوا السر الكامن وراءها وهو انحسار العمل بمـا اوحى الى سيد الخلق عـن سلوكهم ، وتجاوزهم الحد المالوف فى ذلك الـى درجة انـك لا تستطيع التمييز بـين سلوكهم وسلوك من لا يعرف الاسلام ولا يفقه عنه شيئا ، والذى يدفع الطمأنينة الى القلوب ، ويشع النور فى النفوس هو ان باب الله مفتوح للعائدين اليه وأنه لا يوصد ابدا ، فلعل هذه الهزة العنيفة توقظهم ، وتدفع بهم الى الامـام ، ورب ضارة نافعة ، وما بعد الليل البهيم الا نور الفجر الوضىء .

٢ ـ لدى تأمل احوالنا واحوال من سبقونا من المجاهدين الاولين ، نجـد البون شاسعا والاختلاف واضحا بـين سلفنا الصالح الـذى فهـم الرسـالة المحمـدية ووعـاها ، وحملها واداهـا باخلاص فسعدت اجيال عاشوا فيهـا وبلاد شبوا على ارضها ، وبين الخـلف العاجز الذى فرط فى دينه فضعفت قوته ووهنت عزيمته وانفرط عقده فهان على الله والناس .

الايام هى الايام فى مرورها والفلك هو الفلك فى سيره ، ولكن الاولين آمنوا ودخل الايمان قلوبهم فعمرها وجرى دما عبيطا فى عروقهم ، وظهرت آثاره فى اخلاقهم وعباداتهم وهيمن على معاملاتهم، فصاروا مثلا عليا فى جميع نواحى الحياة الخيرة ، عدلوا ، وتراحموا ، وضربوا فى سبيل الله يحملون نور التوحيد يبددون به ظلمات الشرك يعبدون الواحد الاحد وينبذون عبادة الاصنام حجارة كانت او اموالا او اولادا ، ويبثون العقيدة النقية السمحاء آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، لا يتفاضل الناس عندهم بلون او جنس او مال وانما مقياسهم التقوى والعمل لصالح الانسانية أينما وجدت وحيثما حلت فى المدن والقرى فى الوهاد والنجاد فى الصحارى وفى الغابات فى الادغال وعلى ضفاف الانهار وشواطىء البحار فى كل مكان معمور يعلمون ان آدميا يسكنه ويعيش فيه ، وما عدتهم وعتادهم الاكتاب الله وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ، والخلق الفاضل والعمل المتواصل ، كل ذلك بعد ان طبقوا ما يقولون على ما يفعلون ، فلم يأمروا بشىء لا شاهد له من فعالهم ، فهم المثل العليا فى اسمى الصور الاسلامية الحقة ، فهل آن لورثتهم ان يسيروا على الدرب الذى سلكه آباؤهم ، فالاجيال الصاعدة فى حاجة ماسة الى من يوجهها ويرشدها الى ما ينفعها من مرامى الاسلام ومقاصده ، الى من يسلك بها سبيل العزة والقوة ، الى من يحميها من سموم الغرب والشرق التي تقدم اليهم فى صور نصائح ودراسات وهى فى الحقيقة سم ناقع ان لم يقتل خلف وراءه داء عياء يعيى نطس الاطباء ، ويغالب حكمة الحكماء .

٣ ــ وانى اليوم فى هذه الآونة من حياة المسلمين أهيب بكل قادر على تفهم القرآن وافهامه لغيره ان يطرح التواكل ويعمل فى حقل الدعوة الكريمة ، كما آمل فى الله العلى الكبير ان يوجه دعاة الكتاب والسنة فى عصرنا الى ان يجعلوا التبليغ الصحيح هدفهم ، وهداية الناس غايتهم وان يتلمسوا الاجر من الله وحده ، وان لم يفعلوا ، فسيفلت منهم الزمام الى الابد ان لم يكن قد فلت فعلا ،وسيجنون ثمرة تقصيرهم لعنات من الاجيال الحاضرة والقادمة والامل فى الله قوى فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ولنعلم جميعا ان الانبياء لم يورثوا مالا ، ولم يتركوا ضياعا ولا كراعا، وانما ورثونا تركة روحية اصلاحية هادفة تثقل الكواهل ولا يؤديها حق الاداء الا أولوا العزم ، فلنستعن بالصبر والصلاة ولنتوكل على الله ليؤيدنا بنصره ويمدنا بعونه ، ولنسلك ما سلكه سلفنا الصالح من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فى غير عنف ولا تهاون ، ولتكن نصائحنا الى العامة والخاصة وسأورد طرفا من أقوال السابقين وتوصياتهم الكريمة عسانا نستضىء بنورها وننسج على منوالها والله وحده هو الهادى الى أقوم طريق (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ..) .

٤ ــ جمع سيدنا على كرم الله وجهه بنيه يوما وقال لهم . (يا بنى . أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب . والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل مع الصديق والعدو ، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء ، يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده عافية النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون

النار عافية ، يا بنى من أبصر عيب نفسه شغله عن عيب غيره ، ومن رضى بما قسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع هو فيه ، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عوراته ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله ذل ، ومن تكبر على الناس أذله الله ، ومن خالط الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن يصحب قرين السوء لايسلم ، ومن يصحب صالحا يغنم ، ومن دخل مداخل السوء يتهم ، ومن لا يملك نفسه يندم ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار ، يا بنى . الادب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، يا بنى . العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى والواحد فى ترك مجالسة السفهاء ، يا بنى . لا شرف أعلى من الاسلام ، ولا كرم أفضل من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجع من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب ، التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ، بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد ، فطوبى لمن أخلص لله عمله ، وحبه وبغضه ، وأخذه وتركه وكلامه وفعله .

٥ — وهذا عالم سلفى هو الحسن البصرى يخاطب ابن آدم ، وكلنا من آدم وآدم من تراب يقول الحسن رضى الله عنه . « يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما معا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما معا ، يا ابن آدم . اذا رأيت الناس فى خير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم فى شر فلا تغبطهم عليه ، الثواء ها هنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الامم ، وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون ؟ هيهات ، هيهات ، ذهبت الدنيا ببلائها ، وبقيت الاعمال قلائد أصحابها ، أما انه لا نبى بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم .. يا ابن آدم . طأ الارض بقدميك فانها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، يا ابن آدم . اذكر قول الله عز وجل (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ... عدل والله من جعلك حسيب نفسك » .

وقدم هشام بن عبد الملك مكة حاجا أيام خلافته فقال . أيتونى برجل من الصحابة ، فقيل له . قد تفانوا ، فقال . فمن التابعين ، فأتى بطاووس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ، ولم يسلم عليه بأمرة المؤمنين ، بل قال . السلام عليك ، ولم يكنه ، وجلس بازائه ، وقال . كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام وقال . يا طاووس ما الذى حملك على ما صنعت ، قال . وما صنعت ؟ فازداد عليه غضبا . وقال . خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى . فأجابه . أما خلع نعلى فانى أخلعهما كل يوم خمس مرات بين يدى رب العزة فلا يغضب على لذلك ، ولم أسلم عليك بامرة المؤمنين لان كل الناس ليسوا راضين بامرتك فكرهت أن أكذب ، وان كنت لم أكنك ، فان الله سبحانه سمى أولياءه فقال . يا داود يا يحى ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : (تبت يدا أبى لهب وتب) وجلست بازائك لأنى سمعت عليا رضى الله عنه يقول . اذا أردت ان تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل

جالس وحوله قوم قيام . فقال هشام . عظنى يا طاووس فقال . ان فى جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ من لا يعدل فى رعيته ثم قام عنه وانصرف .

٦ ــ هذا غيض من فيض مما نصح به أولياء الله عباد الله ، والعالم الاسلامى فى لحظته الحاضرة فى حاجة ملحة الى الاستماع الى مزيد من توجيهات القرآن الكريم والانصياع لها ، والعمل بما جاء فيها من أى وقت مضى، ولما كان الحديث هنا حديث الاسلام ولا شىء غير الاسلام كان لا بد من التعريج على الشروط الاساسية التى اشترطها رب السموات والارض العزيز الحكيم ليصل الناس الى النصر فى كل شىء ، ذلك الشرط هو الايمان بالله والتوكل على الله والثقة به وحده والفناء فيه وحده فناء كاملا ، وقد ضرب الله الامثلة الواقعية المادية تصديقا لذلك ، فنظرة سريعة ولا أقول فاحصة على التاريخ الاسلامى والغزوات التى اشترك فيها القائد الاول رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده والتابعون لهم باحسان ، تظهر لنا بما لا يقبل الجدل ولا المناقشة أنهم لم ينصروا أبدا ــ وأقول أبدا وأؤكدها ــ بالعَدد والعُدد وها هى ذى بدر وما أدراك ما بدر ، تكفى مثالا ، وها هو القرآن يقول فى نفس الموضوع (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) والمعنى واضح جلى ، قال لهم المنافقون او المثبطون او المتقاعسون او المتهالكون على الحياة الدنيا ، لا تذهبوا الى القتال فكيف لكم بالعدد الوفير والجحافل المتراصة والاسلحة والذخائر (ولكل عصر أسلحته المناسبة) ، فما كان جوابهم الا ان قالوا . نحن لا نبالى الكثرة ولا نهابها لسبب واحد بسيط هو ان ربنا حامينا وراعينا وهادينا وهو على كل شىء قدير ، فهو حسبنا وملاذنا وكافينا والمدافع عنا ، وزادتهم كثرة عدوهم ايمانا بالله ، وكرروا . حسبنا الله ونعم الوكيل ، فجاءهم النصر والفوز والغلبة وتحدثت بذلك الآية الكريمة التالية للآية السابقة . (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) . واستمروا فى طريقهم القويم ونهجهم المستقيم فى ايمانهم فى عملهم المطابق لاقوالهم (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) . وعقبت الآية الثالثة على هذا أيضا لتزيدهم قوة وتماسكا وترابطا واحتقارا للموت واقداما على القتال دائما فقال عز من قائل . (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) . وكل هذا لان المؤمن يثق بما عند الله وهو متأكد من عون الله لأنه يعلم علم اليقين علما لا يداخله ريب ولا يعذبه شك ان النصر اذا لم يكن من الله فلا نصر (من كان يظن أن لن ينصره الله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) .

٧ ــ والمسلم ايجابى دائما خصوصا فى الحروب شعاره قول القائل :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
ولو رام أسباب السماء بسلم

واستمع لآخر :

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الاسباب والموت واحد

البقية : على ص ٣٠

لماذا اختلف الأئمة

التقليد . الاتباع . التلفيق

سبق أن بينا اختلاف العلماء فى عهده صلى الله عليه وسلم وسببه كما بينا يسر الاسلام وما ادخله بعض الناس عليه من عسر وتشدد واليوم نعجل بالاجابة على النقطتين ٣ و ٤ من السؤال وهما . ما الحكم فيما لو قلد العامى اماما فى موضع وقلد غيره فى غيره ؟ وهل يمكن تقليد غير الاربعة ؟

فنقـــول :

التقليـــد

فى لغة العرب مأخوذ مــن القـــلادة ، والقلادة هى ما يوضع فى العنق ، ومنه فى القرآن (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد) (آية ٢ من سورة المائدة)، فالقلائد هنا جمــع قـــلادة وهى شىء يوضع فى عنق الناقة مثلا للدلالة عـــلى أنها مهداة الى الحرم المكى ، فلا يمسهـــا أحد بسوء ، ومنه قلادة السيف ، وهى حمالته التى توضع فى العنق ، وقـــلادة المرأة ، وهى ما تضعه فى عنقها للزينة ، يقال قلدت المرأة قلادة أى جعلت القلادة فى عنقهـــا .

فالتقليد أصله وضع القلادة فى العنق، ثم استعمله العرب مجازا فى معان أخرى، بينها وبين المعنى الحقيقى مناسبة ، منها تقليد الحكام أمر الاقاليم لاحد عمالهم ، فيقال قلد الامير فلانا على اقليم كـــذا مثلا ، أى فوضه اليه ، وجعله مسئولا عنه ، كأن الولاية على هذا العمل حمالة سيف وضعها فى عنقه .

ومن هذا المجاز أيضا التقليد فى الدين، يقال قلد فلان الامام فلان ، أى تبعه من غير تأمل ولا بحث عن مصدر رأيه ، فكأنه جعـــل مسئوليته فيما يعمـــل قـــلادة ووضعها فى عنق الامام الذى قلده فيما

وما الحكم فى تقليدهم ؟!

٣

للشيخ عبد الجليل عيسى
عميد كليتي اللغة العربية ـ واصول الدين سابقا ـ جامعة الازهر

يعمل ، ولهذا كان بعض الائمة ينفر من تبعة ذلك ويقول : لا تقلدوني قلادة سوء بل انظروا الى دليل ما قلت .

الاتباع

يطلق فى لغة العرب على معان منها :

حصول شيء عقب شيء كما قال تعالى (يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة) آيتى ٦ و ٧ من سورة النازعات ، وقوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) آية ٢٦٣ من سورة البقرة ، وقوله (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) آية ١٠ من سورة الصافات .

ومنها أن يسلك المكلف طريق غيره خيرا كان أو شرا ، فمن الاول قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) آية ١٠٠ من سورة التوبة . ومن الثانى قوله تعالى فى الكفار (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) آية ٢١ من سورة لقمان ومنها أن يطيع أمر غيره خيرا كان أو شرا كذلك ، فمن الاول قوله تعالى (واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) آية ٩٥ من سورة آل عمران ومن الثاني قوله تعالى (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) آية ٥٩ من سورة هود .

وقد يطلق الفقهاء الاتباع على التقليد، فيقولون اتبع فلان مالكا ، او الشافعى مثلا ، لكن اطلاقه كثيرا عندهم على اطاعة أمر الله ورسوله وما أجمع عليه الخلفاء . قال الامام أحمد : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه كما سيأتى توضيح ذلك فى كلام ابن تيمية .

التلفيق

فى عرف الفقهاء هو أن يجمع المكلف فى عمل واحد بين مذهبين من مذاهب المجتهدين كما ستراه فيما بعد .

وينبغى ان تعلم ان من أسباب بلبلة الافكار فى التقليد **وفى هذا التعصب** البغيض لبعض الأئمة دون بعض ما

أشاعه المرحوم الشيخ ابراهيم اللقانى (١) فى كتابه (جوهرة التوحيد) من قوله (وواجب تقليد واحد من أئمة الفقه الاربعة ، أبى حنيفة ، ومالك بن أنس ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، عليهم جميعا رضوان الله) وستعلم فيما يأتى رد المرحوم شيخ الاسلام بدمشق تقى الدين أحمد بن تيمية (٢) ، والمرحوم شيخ الاسلام بمصر محمد مصطفى المراغى (٣) .

والآن نعرض ما قاله بعض المفسرين والفقهاء فى هذا الموضوع فنقول .

قال الالوسى فى تفسير قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) آية ٤٣ من سورة النحل : وفى الاكليل للجلال السيوطي أنه استدل بهذه الآية على أن العامى يقلد المجتهد فى الفروع ، أى لا فى العقائد . وقال الجلال المحلى . انه يلزم غير المجتهد عاميا كان أو غيره أن يقلد المجتهد ، ويريد بغير العامى هؤلاء المؤلفين الذين لا قدرة لهم على استخراج الاحكام من أدلتها ، أو ترجيح بعض الادلة على بعض .

ثم قال الالوسى : ومقتضى كلام العلماء أنه لا فرق بين تقليد أحد أئمة المذاهب الاربعة المشهورين أو تقليد غيرهم من المجتهدين ، وسيأتى بعض أسماء هؤلاء المجتهدين غير الائمة المعروفين .

وجاء فى كتب المالكية نقلا عن سيدى محمد الصغير من كبار علماء المذهب أنه قال : يجوز للمقلد أن يلفق فى عمله المطلوب منه شرعا ، فيجوز له أن يمسح بعض رأسه فى الوضوء مقلدا الشافعى ، وأن يترك البسملة فى الصلاة مقلدا مالكا ، ثم قال . وفى هذا سعة ، ودين الله يسر ، ثم قال الناقل لهذا الكلام من مؤلفى المالكية . وما قاله سيدى محمد الصغير هو الارجح .

نقول . وأولى من هذا بالجواز ما قاله المرحوم الشيخ الباجورى فى كتابه على جوهرة التوحيد بعد أن ذكر أن الجمهور وافق اللقانى على قوله بوجوب تقليد الائمة الاربعة :

« وقال بعضهم . لا يجب على العامى أن يقلد واحدا بعينه ، بل له أن يعمل برأى واحد من هذه المذاهب تارة ، وبغيره تارة أخرى ، فيجوز له صلاة الظهر على مذهب الامام الشافعى ، وصلاة العصر على مذهب الامام مالك مثلا » .

ثم قال الشيخ الباجورى أيضا فى مكان آخر من كتابه هذا المتقدم ذكره « هل يجوز للعامى الانتقال من مذهب الى مذهب » ؟ قلت . للعلماء فيه آراء ثلاثة :

قيل يمتنع مطلقا ، وقيل يجوز مطلقا، وقيل يجوز بشرط ألا يجمع فى المسألة الواحدة بين مذهبين بحيث تكون على صفة لا يقول بها واحد منهم ، كمن يتزوج بلاصداق ، ولا ولى ، ولا شهود ، فأبو حنيفة وان لم يشترط الولى فانه يشترط الشهود ، ومالك لم يشترط ذكر الصداق فى العقد ويكتفى بوجوب مهر المثل على الزوج ، ولكنه يشترط الولى والشهود ، والشافعى يشترط الثلاثة .

وكمن يصلى صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، ويكتفى بقراءة ما تيسر من

---

(١) المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (٢) المتوفى سنة ٧٢٨ هـ (٣) المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ

القرآن غيرها ، ولم يجلس فى التشهد الاخير الا بمقدار السلام ، فهذه الصلاة باطلة عند الشافعى ، ومالك وأحمد لأن قراءة الفاتحة فرض عندهم ، دون أبى حنيفة لأن الفرض عنده قراءة ما تيسر من القرآن فقط ، وباطلة عند الجميع غير مالك ، لان الجلوس الاخير بقدر التشهد واجب عند الجميع دون مالك ، فان الواجب عنده هو الجلوس بمقدار السلام فقط ، فصورة هذه الصلاة باطلة على الرأى الاول والثالث من الآراء الثلاثة المتقدمة ، وصحيحة على الرأى الثانى منها .

مسألة مهمة

ويجب أن نلاحظ هنا مسألة مهمة ، تلك هى ان هذا التقليد الذى أجازه العلماء للعامى اشترطوا فيه ان يكون العامى مقلدا لمجتهد يقدر على استنباط الحكم من دليله ، كما تقدم ، وعلى ذلك يكون ما شاع وذاع فى الازمنة الاخيرة من تقليد العوام لكل من يؤلف كتابا فى الفقه ، وهو غير مجتهد طبعا ، فهذا ليس هو التقليد الذى أجازه العلماء ، بل هو تقليد تجب الحيطة منه ، لان كثيرا مما كتبه المتأخرون قالوه من عند أنفسهم ، متوهمين أنهم أهل للاجتهاد ، وهم ليسوا في الواقع كذلك ، لذا نرى فى هذه الكتب من مخالفات صارخة للقرآن ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما هو محرم شرعا ، ومنها ما هو مبتدع ليس من دين الله فى شىء .

ومن تتبع هذه الكتب يرى العجب ، ففى بعضها جواز اسقاط الصلاة بدفع دراهم معدودات للفقراء (١) ، وفى بعضها شرح طريقة اسقاط الزكاة ، والحج الى بيت الله الحرام ، والجهاد فى سبيل الله ، قال الشيخ الصفتى (٢) المالكى فى حاشيته على ابن تركى فى اول باب زكاة الفطر ، قال الأجهورى . زكاة العافية المشي في الطاعات ، ومن زار وليا فان التراب الذى يضع قدمه عليه ، ينقل الى بلاد الكفار ، فكل كافر يمشي عليه فان الله سبحانه يهديه للاسلام ، ثم قال الصفتى . وهذه فائدة حسنة !!!

وبهذا كفى الله المؤمنين القتال !!! وهل يريد اليهود ، وخصوم الاسلام أحسن من ذلك !!

وفى هذه الكتب أن الميت العاصي مهما كان مرتكبا من الجرائم كترك الصلاة ، والقتل ، والنهب ، اذا جمع له ورثته عددا من حفظة القرآن يقرءون له الصمدية (سورة التوحيد) مائة ألف مرة عتقه الله من النار ، ويسمونها (عتاقة) !! فطوبى لكل ثرى يسهل على ورثته بذل نحو مائة جنيه بعد موته لتوزيعها على عدد من الفقراء ، وبذلك يكون قد أعطى نفسه حظها من الشهوات فى الدنيا ، ونجا من عقاب الآخرة ، والويل للفقير الذى يرتكب ذنبا !! هذا ما كان من تحريف احكام الله ، أما المهازل فى الامور الاخرى فكثيرة ، من أعجبها قول بعضهم ان الصراط شعرة من جفن مالك خازن النار !!

ألم يقل عالم كبير منهم فى مؤلفه الكبير أيضا لما سئل عما يفعل أمام الجنائز من رفع الاصوات بالذكر ، ودلائل الخيرات ، وغير ذلك ، وأن هذا مخالف للحديث الصحيح الذى يأمر بالصمت عند تشييع الجنازة ، ليتفرغ القلب للعبرة بالموت ، قال رحمه الله .

---

(١) ومن العجب أن ترى لهذا عنوانا خاصا فى كتب فقه الحنفية وتجد الشراح يطيلون الكلام فى هذا بل ويجوزون الحيل التى يعمد اليها بعض الجهال . ويلقن ذلك للطلاب الصغار وكأنه أمر دينى كالصلاة والصيام الخ . الوعى .

(٢) وهو من علماء القرن الثانى عشر .

هذا صحيح ، ولكن لو شيعت الجنائز بدون ذلك يكون فيه احتقار للميت . فلو قيل بأن ما يفعل مما ذكر من رفع الصوت هو السنة المشروعة لما كان بعيداً، فيا لله للمسلمين ، صارت البدعة سنة ، والسنة بدعة ، وفي المحافظة عليها احتقار لموتى المسلمين ، نسأل الله العافية .

ولا تعجب أيها القارى الكريم فكتب المتأخرين مشحونة بمثل هذه المخازى ، وتحت يدى منها مالا يدخل تحت حصر ، ولو أراد قراء الوعى الاسلامى أن أذكر لهم المئات منها لفعلت .

مع ابن تيمية

واليك بعد ذلك ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه (مجموعة الرسائل الكبرى) ففيه ، سئل رحمه الله تعالى فى عمل رجل حنفى صلى بجماعة رفع يديه عند كل تكبيرة من تكبيرات الصلاة ، فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له : ان هذا لا يجوز فى مذهبك (الحنفى) فأنت مبتدع فيه . فهل ما فعله هذا الامام مخالف للسنة وللامامة أم لا ؟

ويحسن قبل ذكر جواب السؤال أن نوضح آراء العلماء في المواضع التى شرع فيها رفع اليدين عند تكبيرات الصلاة فنقول :

ان الشافعى يرى رفع اليدين فى أربعة مواضع . عند تكبيرة الاحرام ، وعند الركوع وعند الرفع منه ، وعند القيام للركعة الثالثة . والامام أحمد يوافق الشافعى الا فى القيام للركعة الثالثة . فانه لا يقول بالرفع فيها . والامامان أبو حنيفة ومالك لا يريان الرفع الا عند تكبيرة الاحرام فقط . فترى الائمة الاربعة هنا متفقين فى موضعين . الاول الرفع عند تكبيرة الاحرام ، والثانى عدم رفع اليدين عند رفع الرأس من السجود ، واختلفوا فى الباقى .

واليك الجواب . أجاب رحمه الله .

أما رفع اليدين فى كل تكبيرة **حتى فى السجود** ، فليست هى السنة التى كان صلى الله عليه وسلم يفعلها ، ولكن الامة متفقة على ان المصلى يرفع اليدين عند تكبيرة الاحرام أول الصلاة ، أما رفعهما عند الركوع والرفع منه فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كابراهيم النخعى ، وأبى حنيفة ، والثورى ، وغيرهم .

أما أكثر فقهاء الأمصار ، وعلماء الحديث ، فانهم عرفوا ذلك ، كما أنه استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم . عند الأوزاعي، والشافعي ، واسحاق ، وأحمد بن حنبل ، وأبى عبيد ، وهى احدى الروايتين عن مالك ابن أنس ، فانه قد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا افتتح الصلاة ، واذا ركع ، واذا رفع رأسه من الركوع ، ولا كذلك بين السجدتين ، وثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الصحيح من حديث مالك بن الحويرث ، ووائل بن حجر ، وأبى حميد الساعدى فى عشرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أحدهم أبو قتادة ، وهو معروف من حديث علي بن أبى طالب وعدد كثير من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ابن عمر اذا رأى من يصلي ، ولا يرفع يديه فى الصلاة فى تلك المواضع حصبه بحصاة (أى رماه بحصاة) والكوفيون حجتهم أن عبد الله بن مسعود لم يكن يرفع يديه، وهم معذورون ، فهذا قبل أن تبلغهم السنة الصحيحة ، فان عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذى بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلم أهل الكوفة

السنة ، لكن قد حفظ الرفع عن النبي صلى الله عليه وسلم خلق كثير من الصحابة .

وابن مسعود لم يصرح بأن النبى صلوات الله عليه لم يرفع الا أول مرة ، لأنه رآه يصلي ولا يرفع الا عند تكبيرة الاحرام ، وقد يكون رآه رفع يديه ولكنه نسى ، لأن الانسان قد ينسى ، وقد خفى على ابن مسعود هذا نسخ التطبيق فى الصلاة (١) ، فكان ابن مسعود اذا ركع طبق بين يديه كما كانوا يفعلون أول الاسلام ، ثم أن التطبيق نسخ بعد ذلك ، وأمروا بوضع أيديهم على الركب .

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن مصعب بن سعد قال : صليت الى جنب أبى بن خلف فطبقت بين كفى ثم وضعتهما بين فخذى فى الركوع . فنهاني عن ذلك ، وقال : كنا نفعل هذا فأمرنا أن نضع أيدينا على الركب . وهذا لم يحفظه ابن مسعود ، فالرفع المتنازع فيه ليس من نواقض الصلاة ، بل يجوز أن يصلى الانسان بلا رفع ، واذا رفع كان أفضل وأحسن . ولو أن رجلا كان متبعا لأبى حنيفة ، أو مالك ، أو الشافعي ، أو أحمد ، ورأى فى بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن فى ذلك ، ولم يقدح هذا فى عدالته ، ولا دينه ، بلا نزاع ، بل هذا أولى بالحق ، وأحب الى الله ورسوله ، فمن يتعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كأن يتعصب لمالك ، أو الشافعي ، أو أحمد ، أو أبي حنيفة ، ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذى ينبغي اتباعه دون قول الامام الذى خالفه ، من يفعل هذا كان جاهلا ضالا ، **لأنه خالف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون** من عدم الزامهم العامى باتباع شخص معين ممن لهم اطلاع على سنة النبى (٢) صلى الله عليه وسلم .

أما أن يقول قائل انه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان ، فهذا لا يقوله مسلم . ومن كان مواليا للأئمة محبا لهم ويقلد واحدا منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة ، فهو محسن فى ذلك ، وأحسن حالا من غيره . والصحابة رضوان الله عليهم كانوا مجمعين على مسائل ، فاجماعهم حجة قاطعة لا يجوز مخالفتها ، وكانوا مختلفين فى بعض فروع الشريعة التي لم تثبت بدليل قطعي ، لا فى القرآن ولا فى سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان اختلافهم هذا رحمة واسعة .

ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين ، فهو بمنزلة من يتعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين ، كالذين يتعصبون لعلي رضي الله عنه دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة ، رضي الله عن الجميع ، وهذا طريق أهل البدعة والأهواء ، فمن يتعصب لواحد بعينه من أئمة الفقه الأربعة فقد تشبه بهؤلاء الروافض ، سواء تعصب لمالك أو لأبي حنيفة أو الشافعي أو أحمد أو غيرهم .

صاحبا أبي حنيفة

وهذا أبو يوسف ، ومحمد ، وهما صاحبا أبي حنيفة ، وأشد الناس اتباعا له ، وأعلمهم بقوله ، لما تبين لهما من السنة والحجة ما أوجب عليهما عدم اتباعه ومخالفته فى مسألة ما خالفاه ، ومع ذلك فهما يعظمان امامهما لأن أبا حنيفة نفسه وغيره من الأئمة كان يقول كل منهم القول ثم يتبين له من الحجة خلافه ، فيرجع عنه ويتبع الحجة . فعلى المأمومين أن يتبعوا امامهم الذى يصلى بهم اذا فعل ما هو جائز ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما

البقية : على ص ٢٨

---

(١) التطبيق هو أن يطبق المصلى بين كفيه ثم يضعهما بين فخذيه فى الركوع .
(٢) وسيأتى توضيح ذلك فى كلمة المرحوم الشيخ المراغى .

لماذا الإسلام.. وليست

— ١ —

تعتبر الديانة المسيحية التي تقوم على القول بأن المسيح هو ابن الله وقد ظهر وتجسد على الأرض ، وصلب ومات ليكون موته كفارة عن ذنوب البشر والتي تقول بالتثليث ، من أوسع الأديان انتشارا على ظهر الكرة الأرضية حيث يبلغ عدد معتنقيها (٩٥٠) مليون نسمة كما تقول الاحصاءات . وأخطر من كثرة العدد ، أن القسم الأكبر منهم يعيش فى أوربا وأمريكا ، حيث القوة المادية والفنى والعلم التكنولوجى ، ومن هنا يثور السؤال ، ألا تكون المسيحية الغربية هي الأولى بالاتباع لمن يقارن بين العقائد والأديان ؟ .

وندع الآن مؤقتا البحث فيما اذا كان هذا التفوق المادى الملحوظ والكثرة العددية الهائلة ، هي من أثر التعاليم المسيحية ، أم نتيجة الخروج عليها ، ريثما نحدد هذه المبادىء والتعاليم ونتعرف اليها ، من مصادرها المسيحية .

الاناجيل

الخطوة الأولى لدراسة أى دين هي بمطالعة الكتب المقدسة التي يعتبرها معتنقو الدين هي أصول دينهم . وكتاب العهد الجديد هو أصل الأصول بالنسبة للديانة المسيحية بطبيعة الحال ، ومن حسن الحظ أن الاصلاح البروتستنتي قد جعل هذا العهد الجديد ، موجودا ومنشورا فى كل مكان بشتى اللغات ، سهل التداول غير مستعص على الافهام . والعهد الجديد لا يشبه القرآن الكريم من حيث كونه كتابا واحدا أنزل على نبى المسلمين ، ولكنه حشد من الكتب والرسائل والأسفار التي كتبها أشخاص مختلفون فى أوقات متباعدة ، بعضهم كان من تلاميذ المسيح ، وبعضهم لم يكن كذلك ، ولكنها كلها على درجة واحدة عند المسيحيين من القداسة ، فكلها قد كتبت كما يقولون بوحي من روح القدس .

وأول ما نلاحظه أن أقدم نسخ موجودة بين يدى البشر من هذا العهد الجديد بأسفاره المختلفة ، مكتوبة باللغة اليونانية ، ولما كانت لغة السيد المسيح هي العبرانية أو الآرامية وكذلك لغة تلامذته وحوارييه ، فان ذلك معناه ان ما يوجد بين أيدينا هي ترجمات لأصل غير موجود .

وهناك أربعة أناجيل ، ويقول لنا التاريخ ان هذه الأربعة قد اختيرت من سبعين انجيلا كانت متداولة فى العالم المسيحي فى القرن الرابع الميلادى ، ولكن مجمع نيقية الذي اجتمع عام ٣٢٥م قد اختار هذه الأناجيل الأربعة ، وحرق كل ما عداها ، واعتبر كل من وجدت فى حوزته كافرا مرتدا . فلا عجب اذا اختفت الأناجيل الأخرى عندما كانت الكنيسة فى أوج سلطانها . ولكن بمجرد أن زال عن الكنيسة سلطانها الرهيب بدأت تظهر بعض أناجيل غير هذه الأربعة

٣

المسيحية

للأستاذ : احمد حسين ـ المحامي

السابقة ، وقد أشارت دائرة معارف لاروس الفرنسية الى بعض هذه الأناجيل ونقله عنها المرحوم العلامة محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه (١) . على أننا سنقصر بحثنا على هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة والمعترف بها .

ول دورانت والأناجيل

يقول لنا ول دورانت العالم الأمريكي المسيحي ومؤلف أعظم موسوعة فى تاريخ الحضارة الانسانية عن الأناجيل ما يلي :

« ان أقدم النسخ الموجودة فى أيدينا من الأناجيل الأربعة ترجع الى القرن الثالث ، وهذه بدورها قد نقلت عن أناجيل كتبت بين عامي ٦٠ ، ١٢٠ م وتعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، **ولعلها أيضا تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتسب اليها الناسخ وأغراضها (٢)** .

وهذه الاناجيل الاربعة هي بطبيعة الحال غير انجيل المسيح الذى بشر به ولذلك فهي لا تنسب اليه وانما تنسب الى أصحابها متى ومرقص ولوقا ويوحنا .

ومتى ويوحنا من أصحاب المسيح أو بالأحرى حوارييه ، أما مرقص فصاحب بطرس ويقال أنه نقل انجيله عن بطرس ، أما لوقا فقد نقل أنجيله عن بولس الذى لم يكن من تلامذة المسيح بل لم يره فى حياته .

---

(١) أشهر الأناجيل التي كشف عنها أخيرا هو انجيل برنابا الذى يحتوى اشارات واضحة الى سيدنا محمد ، ويتفق فى تصوير شخصية السيد المسيح مع ما يقول به القرآن الكريم ـ وقد طبعه ونشره المرحوم الشيخ رشيد رضا ـ ويقول المسيحيون عنه انه من وضع بعض المسلمين .

(٢) قيصر والمسيح جزء ١١ ص ٢٠٧ .

وكلمة « الانجيل » تعني في اللغة اليونانية « الأخبار » ولكنها تحولت بالتدريج الى معنى البشارة ، وهي ترد على ألسنة تلامذة المسيح وعلى لسان بولس الرسول بصفة خاصة بهذا المعنى ، أي بمعنى التبشير بمقدم المخلص يسوع المسيح ، ولا يرد ذكر الانجيل باعتباره كتابا الا في عهود متأخرة .

وليس هناك ما يوضح محتويات هذه الأناجيل وكيف وضعت خيرا من أن نثبت العبارات التي صدر بها لوقا انجيله حيث يقول :

« اذا كان الكثيرون قد أخذوا في ترتيب القصص المتبقية عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة . رأيت أنا أيضا بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها أيها العزيز تاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به » .

والقول الذى يجرى عليه العمل وقد رتبت الأناجيل على أساسه في هذا الكتاب المتداول بين أيدينا ، أن انجيل متى هو أقدم الأناجيل ثم يليه انجيل مرقص فلوقا فيوحنا . ولكن الباحثين اللاهوتيين يعتبرون أن انجيل مرقص لا بد أن يكون هو — وليس انجيل متى — أقدم الأناجيل الأربعة . فالأناجيل الأخرى تأخذ منه حيث لا يأخذ هو منها . فمن بين آياته الـ (٦٦١) نجد منها ٦٠٠ آية بنصها أو بتعديل طفيف في انجيل متى . كما نجد (٣٥٠) آية منها في انجيل لوقا وليس الا (٣١) آية فقط من آياته ما لا نجد لها مثيلا في الانجيلين الآخرين .

وتضيف دائرة المعارف البريطانية حججا أخرى لاثبات أسبقية انجيل مرقص .

وتبدو أهمية هذا الترتيب في أنه اذا كان التاريخ المتفق عليه لوضع انجيل مرقص بين عامي ٦٥ — ٧٠ ميلادية ، فان معنى ذلك أن الأناجيل الأخرى قد وضعت بعد هذا التاريخ ، أي بعد ظهور بولس الرسول وما أحدثه في المسيحية من تطور سنعرض له عما قريب ، حيث نقل المسيحية من دين يهودى الى دين عالمى ، وليس أدل على ذلك من أن لوقا صاحب الانجيل الثالث ، هو نفسه مؤلف سفر أعمال الرسل ، الذى خصص القسم الأكبر منه لنشاط بولس الرسول ومبادئه وأفكاره . وسفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا يعتبر مقدسا كالأناجيل بل هو جزء منها .

ذلك أن مجمع نيقية الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، لم يختر هذه الأناجيل الأربعة باعتبارها الكتب الوحيدة المقدسة ، بل لقد ضم اليها كتابات وأسفارا أخرى اعتبرت بدورها مقدسة ، ولها حجية الأناجيل الأربعة ، اعتمادا على أن كل ما نطق به أصحاب المسيح وأتباعه هو من وحي روح القدس .

وعلى ذلك فان ما يطلق عليه اسم العهد الجديد باعتباره كتاب المسيحيين ، في مقابل العهد القديم «التوراة» باعتباره كتاب اليهود يتألف من الأقسام التالية :

١ — الأناجيل الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا وهي تروي حياة المسيح وصلبه وقيامته .

٢ — أعمال الرسل وهو سفر من وضع لوقا يؤرخ للفترة التي أعقبت قيامة المسيح من القبر وتجليه لتلامذته، وما فعله التلاميذ لنشر الدعوة .

٣ — أربع عشرة رسالة منسوبة الى بولس الرسول أولها رسالته الى أهل رومية وآخرها رسالته الى العبرانيين .

وثمة رسائل أخرى يجرى الخلاف حولها بين طوائف المسيحيين الكاثوليك منهم والبروتستانت والكنيسة الشرقية والغربية حول ما يعد من الأسفار المقدسة

وما لا يعد ، وهما : رسالتان للقديس بطرس ، وثلاث رسائل للقديس يوحنا ، ورسالة للقديس يهوذا ورسالة للقديس يعقوب ، وأخيرا رؤيا ليوحنا .

وسنبدأ الآن بحثنا عن تعاليم المسيح وطبيعته من هذه المصادر الأساسية والمعترف بها بين المسيحيين .

انسانية المسيح :

ان الذى يطالع انجيل متى ومرقص ولوقا ، لا يمكن أن يتسرب اليه ذرة من الشك فى انسانية المسيح وبشريته (١) ، وانه انسان وجد وعاش على أرض فلسطين من أصل يهودى (من ناحية أمه) وقد ختن فى اليوم الثامن جريا على سنة اليهود ، وشب بعد ذلك وكبر وخالط الناس وأكل وشرب ، ووعظ وأرشد ، وفرح وحزن ، وخاصم وغضب ، وتألم وعذب ، وأحس بمرارة الظلم وتضرع الى الله فى حرارة ولهفة لا تخلو من عتاب :

« أبى .. أبى .. لماذا تركتنى » .

والذى يعنينا من ذلك كله أن الأناجيل الثلاثة ترسم لنا صورة انسانية كاملة ليسوع المسيح ، لا تدع مجالا لما قيل بعد ذلك من أنه اله .

والسيرة التي تعرضها الأناجيل للمسيح ، هي كسيرة أى رسول أو نبى مبعوث من الله لهداية قومه ، وحثهم على السير فى طريق الله طريق الاستقامة . ولعل تعاليم السيد المسيح تصل فى ذروة كمالها ، وهي تدعو بني الانسان للحب والايمان بالله على أنه محبة كاملة ، وتدعو للتسامح والصبر وعدم الايذاء أو التفكير فى الانتقام ، واطفاء نيران الشر من خلال العفو والتسليم . ولعله من الخير أن ننقل عبارات السيد المسيح بنصها كما وردت فى انجيل متى :

« طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات . طوبى للودعاء فانهم يرثون الأرض . طوبى للحزانى فانهم يعزون . طوبى للجياع والعطاشى الى البر فانهم يشبعون . طوبى للرحماء فانهم يرحمون . قد سمعتم أنه قيل العين بالعين . والسن بالسن . أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضا . ومن سخرك ميلا فامش معه اثنين . قد سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وابغض عدوك . أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم » .

والاتفاق على أن هذه الدعوة الروحية الشفافة ، جاءت كرد فعل على ما كان عليه المجتمع اليهودى والروماني بصفة عامة ، من حياة وحشية مغرقة فى المادية والقسوة والشهوانية والجشع .

والذى يهمنا الآن أن نثبته أن الصورة العامة التي يخلص بها المطالع للانجيل أن المسيح — عيسى بن مريم — هو انسان نبى جاء لهداية البشر .

ولننقل الآن اليك النصوص التي تقطع بانسانيته ، ثم بنبوته ورسالته وهي توحيد الله والدعوة الى سبيله ، على خلاف ما يقول به المسيحيون :

الدعوة الى الله ووحدانيته

جاء فى الاصحاح الرابع من انجيل متى : —

قال ابليس ليسوع بعد أن أراه جميع ممالك العالم ومجدها : أعطيك هذه كلها ان خررت لي ساجدا .

حينئذ قال يسوع ، اذهب يا شيطان فانه قد كتب للرب الهك أن تسجد وأياه وحده تعبد .

---

(١) ان ميلاد المسيح المعجز فى القرآن من غير أب ، لا ينفي عنه الصفة الانسانية « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » (آل عمران ٥٩) .

وفى الاصحاح التاسع عشر من انجيل متى : —

دنا منه رجل وقال له : يا أيها المعلم الصالح ماذا أعمل من الصلاح لأرث الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعوني صالحا ، انما الصالح واحد هو الله .

وفى الاصحاح الثاني عشر من انجيل مرقص : —

دنا منه أحد الكتبة وسأله أى الوصايا هي أول الكل ؟

فأجابه يسوع : ان أول الوصايا كلها : اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا رب واحد . فأحبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك هذه هي الوصية الاولى .

بل اننا نجد فى رسائل بولس الذى سنرى فيما بعد أنه هو ناشر المسيحية والمسئول عن تعاليمها الحديثة . ما يؤكد وحدانية الله وبشرية المسيح .

« وللجميع رب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة . واله واحد وأب واحد هو فوق الجميع ومع الجميع وفى جميعكم » (الاصحاح الرابع — رسالة بولس الى أفس) .

ثم نطالع لبولس نصا صريحا قاطعا فى وحدانية الله وانسانية عيسى :

« لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الانسان يسوع المسيح » .

(رسالة بولس الى تيموتاوس — الاصحاح الثاني) .

يسوع نبى

واشتملت الأناجيل على وصف يسوع بأنه نبي . ففي انجيل متى الاصحاح الواحد والعشرين :

« فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » .

وفى انجيل لوقا الاصحاح السابع : (فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين لقد قام فينا نبى عظيم) .

وقد يقول لنا معترض هذا تصور المعاصرين له ولا يدل على حقيقته . ولكنا سنجد أن المسيح نفسه يصف نفسه بأنه نبى .

فقد حذره البعض من دخول أورشليم حتى لا يقتله هيرودس ، ولكنه اذا كان يذهب الى مصيره المحتوم فقد رد عليهم بقوله :

« ينبغى أن أسير اليوم أو غدا والذى بعده لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارج أورشليم . يا أورشليم . يا أورشليم . يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين » . (انجيل لوقا — الاصحاح الثالث عشر) .

والأناجيل تغص بعشرات من هذه العبارات وأمثالها التي يشير فيها المسيح الى نفسه أنه نبي الله لهداية البشر (١) .

الأب والابن

بقي أن المطالع للاناجيل يصادف كلمة الأب وصفا لله عز وجل ، كما يصادف وصفا للمسيح من أنه ابن الله . ولكن القارىء لا يجد جهدا أو مشقة فى أن وصف الله بالأبوة والمسيح بالبنوة هو وصف مجازى ، والله ليس أبا للمسيح

---

(١) وصدق القرآن العظيم اذ يقول على لسان عيسى بن مريم :

« **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس** اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسي ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم »

(المائدة ١١٦) .

وحده بل هو أب لجميع البشر ، وبنوة المسيح لله ليست خصوصية له ، انما هي كبنوه بني الانسان جميعا لله باعتباره خالقهم الرءوف بهم .

نرى دليل ذلك في موعظة الجبل ، حيث يقول لسامعيه بعد أن حضهم على التسامح والرفق بأعدائهم :

« **لكي تكونوا أبناء أبيكم** الذى في السماوات لانه يطلع شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » .

بل أن الصلاة التي يصليها المسيحيون كما لقنهم اياها المسيح شاهدة على أن البشر جميعا هم أبناء الله وعياله على سبيل المجاز طبعا :

« واذا صليتم فصلوا هكذا **أبانا الذي في السموات** ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن أساء الينا . ولا تدخلنا في التجربة لكن نجنا من الشرير . آمين » .

فوصف المسيح في الأناجيل بأنه ابن الله لا يستفاد منه الا أنه كبقية خلق الله ، انفرد عنهم بالتكريم بالرسالة التي حملها .

مخاطبة المسيح بيا رب

أما كلمة يا رب التي يخاطب بها المسيح أحيانا في الانجيل فهي من قبيل قولنا حتى الآن « رب البيت » يعنى سيده .

وليس هذا استنتاجا من لدنا بل هو عين ما قرره يوحنا في انجيله ، بالرغم من أنه الانجيل الذى لعب دورا خطيرا في تأليه المسيح كما سوف نرى ، فقد جاء في هذا الانجيل أن اثنين تبعا المسيح فقال لهما ماذا تطلبان فقالا : ربي ــ الذى تفسيره يا معلم ــ أين تمكث فقال لهما تعاليا وانظرا . (يوحنا ــ الاصحاح الأول) .

ويؤكد المسيح هذا المعنى من أن كلمة الرب لا تعنى الله .

« ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذى يفعل ارادة أبي الذى في السماوات » . (متى الاصحاح السابع) .

وأكثر من ذلك كله دلالة على أن كلمة يا رب في الأناجيل لا تعنى « الله » .

ان بطرس حوارى المسيح الأول جذب المسيح نحوه وشرع يزجره قائلا : **حاشاي لك يا رب** لا يكون لك هذا . (متى الاصحاح السادس عشر) .

وليس هناك ما هو قاطع في الدلالة أن كلمة رب لا تعنى تأليه المسيح من هذا النص ، فكيف يتصور بطرس أن المسيح اله ثم يزجره ويقول له ان هذا الشيء أو ذاك ليس له . فقول بطرس للمسيح يا رب لا تعنى الا أنه السيد أو المعلم كما قدمنا .

لا ألوهية ولا تثليث

وهكذا يخرج المطالع للأناجيل (متى ومرقص ولوقا) بأن الله واحد هو خالق الكل والمهيمن على الكل ، وأن المسيح بشر سوى ، ومبعوث الهي جاء يبشر بالرحمة والمحبة وطهارة النفس والجسد .

وقبل ذلك كله وبعد ذلك ، لن يجد أى اشارة عن قرب أو بعد لهذا التثليث الذى هو رمز مسيحية اليوم وشعارها وجوهر عقيدتها . فمن أين جاءت اذن هذه الفكرة ومتى تقررت ، هي والفكرة الأخرى التي تقول ان المسيح هو ابن الله الحبيب الذى أنزله على الأرض ليتعذب ويصلب ويموت ليكون موته كفارة عن ذنوب البشر ، وتتم بذلك المصالحة بين الله وبين البشر ، هذا هو ما سنفصله في مقالنا التالي .

جعل الامام ليؤتم به » وسواء أرفع يديه عند تكبيرات الصلاة أو لم يرفعهما ، فان ذلك لا يقدح فى صلاته ، ولا يبطلها ، لا عند أبى حنيفة ، ولا مالك ، ولا غيرهما . ولو رفع الامام دون المأموم أو المأموم دون الامام ، لم يقدح ذلك في صلاة واحدمنهما . ولو رفع الرجل بعض الأوقات دون بعض لم يقدح ذلك فى صلاته .

وليس لأحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارا يوجب اتباعه ، وينهى عن غيره مما جاءت به السنة ، بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع ، مثل الأذان والاقامة ، فقد ثبت فى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أيضا أنه علم أبا محذورة الاقامة ، شفعا شفعا كالاذان ، كما ثبت في السنة أيضا وتر الأذان ، فمن شفع الاقامة فقد أحسن ، ومن أفردها فقد أحسن . ومن أوجب هذا دون هذا فهو مخطىء ضال .

ومن أسباب شقاء بلاد الشرق ، وتسلط التتر عليها ، كثرة التفرق والخلاف بينهم فى المذاهب ، حتى كان بعضهم يغرى التتر بمن خالفه من المسلمين كأنهم أتباع دين آخر .

والجمهور لا يعرفون من الكتاب والسنة الا قليلا ، وقد يتمسكون بأحاديث تكون صحيحة وقد تكون باطلة . (انتهى) وسترى بيان هذه الجملة الأخيرة فيما بعد .

مع الشيخ المراغى

قال رحمه الله تعالى فى رسالته (فى التشريع الاسلامي) بعدما نقل قول المرحوم الشيخ اللقاني فى كتابه (جوهرة التوحيد) من أنه يجب على غير المجتهد أن يقلد واحدا من الأئمة الأربعة المشهورين :

« يطلق التقليد على الأخذ بقول الغير وان لم يعرف دليله ، ويطلق على اتباع قول الغير فى حكم عرف دليله ، فان أراد الشيخ اللقاني بهذا التقليد الواجب المعنى الأول فلا يعرف له سلف في وجوب تقليد امام معين فى كل الأحكام التي قال بها ذلك الامام . والانصاف أن يقال ان هناك عامة لا يستطيعون النظر فى الأدلة ، فهؤلاء مذهبهم مذهب مفتيهم أيا كان ذلك المفتى باجماع العلماء وهناك خاصة يستطيعون أخذ الحكم من مصدره ، ولو بمعونة الغير ، في الوسائل ، واعداد الأدلة ، واثبات صحتها ، وسلامتها من الطعن ، أو المعارض ، وكل هذه أمور قلما يستغنى عن بعضها المجتهد المطلق ، فقد أخذ بعضهم عن غيره معاني كثير من الألفاظ العربية ، وطرق استعمال العرب لها ، وبيان حقيقتها ومجازها ، وأخذ عن علماء الصحابة تاريخ نزول الآيات ، أو ورود الحديث ، فعلموا منه السابق واللاحق ، ورتبوا على ذلك الناسخ والمنسوخ من الأحكام ، وسترى فيما نقله الربيع عن الامام الشافعي مصداق ذلك حيث عول على قول العلماء الذين نقلوا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، نقول . هؤلاء الخاصة يجب عليهم أن يتحروا الراجح فيعملوا به . وكيف يقول اللقاني ذلك بعد العلم بأن الأئمة الأربعة أنكروا التقليد على هذا النحو ، وأوجبوا على كل واحد من تابعيهم ، أو ممن يأتى بعدهم ، أن ينظر فى آرائهم ، فما وافق الكتاب والسنة منه أخذوا به ، وما لم يوافقهما ردوه ، كما اتفقوا على أنه اذا صح حديث يخالف مذهبهم ، فان ما جاء الحديث به يصير هو مذهبهم ، ويضربون بقولهم الأول عرض الحائط » .

نقل ابن عابدين فى حاشيته على « رد المختار على الدر المختار » ما نصه : « اذا صح الحديث وكان على خلاف

المذهب عمل بالحديث ، ويكون ذلك هو المذهب ، ولا يخرجه مقلده عن كونه حنفيا بالعمل به ، فقد صح عن الامام أبي حنيفة أنه قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي . وقد حكى ذلك ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة)) .

ونقل الأجهوري والخرشي من علماء المالكية فى شرحيهما على (مختصر خليل) عن معن بن عيسى قال : سمعت مالكا يقول : ((انما أنا بشر أخطى وأصيب ، فانظروا فى رأيي ، ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لا يوافقهما فاتركوه)) . ونقل ذلك ابن عبد البر فى كتابه (جامع بيان العلم وفضله) .

وحكى ابن القيم فى كتابه (أعلام الموقعين) أن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول . كل مسألة يصح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها فى حياتي وبعد مماتي .

ونقل امام الحرمين فى كتابه (النهاية) عن الامام الشافعي أنه قال : اذا صح حديث يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي . وروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل قد يحمل أفعى تلدغه وهو لا يدرى .

وقال المزني في أول كتابه (المختصر) . اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله ، لأقربه على من أراده ، مع اعلامي له نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه .

وقد فرق الامام أحمد بن حنبل بين التقليد والاتباع ، فقال أبو داود : سمعت أحمد يقول : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن كبار أصحابه ، ثم هو بعد ذلك فى التابعين مخير . وقال أحمد أيضا : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكا ، ولا الثوري ، ولا الأوزاعي ، وخذوا الأحكام من حيث أخذوا . ومن قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه رجلا آخر .

وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وان أراد الشيخ ابراهيم اللقاني بالتقليد الواجب ، التقليد بالمعنى الثاني ، وهو الاتباع المتقدم ، بمعنى أنه لا يصح لأحد أن يخرج فى الأحكام الفرعية عن المذاهب الأربعة ، تابعا فى ذلك ما ذكره المتأخرون،فان رأيه هذا لا يستقيم، لأن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعوا قبل ظهور المذاهب على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء من غير حجر دون أن يقول أحد منهم أن اتباع واحد فقط واجب عليه ، كما أجمعوا على أن من استفتى أبا بكر ، وعمر ، وعليا ، رضي الله عنهم ، فله أن يستفتى غيرهم من كبار الصحابة الذين برزوا فى العلم بالكتاب والسنة ، كمعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم . فماذا يقول اللقاني فى هذين الاجماعين ؟ .

وقال الشيخ عبد السلام فى شرحه على (جوهرة التوحيد) المتقدم ذكرها . ان من لا قدرة له على النظر فى الدليل ، له أن يتبع من شاء من الأئمة المشهورين فى الفقه ، مثل الأربعة الذين ذكرهم المؤلف ، والثورى ، والأوزاعي ، وامام أهل السنة أبو الحسن الأشعرى ، وأبو المنصور الماتريدى ، وعد كثيرا من أمثال هؤلاء ، وممن يصح اتباعهم الامام البخارى وقالوا ان فقهه يظهر فى تراجمه لصحيحه ، كما عدوا منهم ابن حزم فى كتابه (المحلى) ، وكل هؤلاء ذكروا على سبيل المثال لا الحصر ، لأن كثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم آراء خاصة خالفوا فيها كثيرا من غيرهم .

((للبحث بقية))

بقية : من هدى السنة

واصغ الى الثالث :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

هذه هى القوة الايمانية بالله ، هذه هى الجندية الحقة لله (ولله جنود السموات والارض) ، تلك هى التى انتجت خالدا ونصرته بعون الله فى كل مواقعه وأجرت على لسانه ساعة النزع الاخير وهو على فراش الموت . (لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسمى موضع شبر او فتر الا وفيه طعنة بسيف او رمية برمح ، وها نذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) ولو ذهبنا لضرب الامثال لطال المقام وامتد الكلام وما بلغنا عشر معشار ما نريد ، وما يعلم الناس من اخبار المسلمين واحوالهم فى حروبهم وانتصاراتهم .

٨ ـ فى الحادث الجديد الفذ فى تاريخ الاسلام عامة والعرب خاصة يجب ان يترك ما مضى لما مضى ويجب ان نذكره للعبرة فقط ، ويجب ان لا نبدىء فيه ولا نعيد انما يجب ان نتجه اتجاها شاملا وكاملا للبناء ، فلا نقول ان فلانا أخطأ ولا فلانا اصاب وانما نقول ، قدر الله وما شاء فعل ونشرع مسرعين فى العمل الجاد لاعادة البناء على أسس مستقيمة ونذكر الماضى للعبرة ونعد لمستقبل قريب كريم على الله وعلى المسلمين عامة والعرب خاصة ، فالمعدن الكريم كريم ، ولا تزال الدنيا بخير ، والمطلوب الآن دينا واسلاما وعقلا هو تكاتف جميع القوى وتحرك جميع العقول للعمل على راب الصدع وسد الثغرة ورتق الفتق واعادة البناء قويا عزيزا شاملا كاملا فى ظل الاخوة والمحبة والسلام وكل ذلك بعد الايمان بالله وبان النصر من عند الله ، والثقة فى المسلمين جميعا ، والله مع العاملين ولن يترهم أعمالهم .

٩ ـ المسلم فى دينه القوة على العدو والرحمة للقريب (أشداء على الكفار رحماء بينهم) . والعربى فى دمه الشمم والاباء فاذا اجتمعا انتجا نجاحا مع امتزاجها بالايمان بالله والتوكل عليه ، واعتقد اعتقادا جازما ان الاوضاع لا تستمر هكذا فهذا محال عقلا وواقعا وانما سحابة صيف ، ولن يقيم على الذل حر أبى كريم ابدا .

ولن يقيم على خسف يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

فهيا معشر المسلمين ازدادوا ايمانا الى ايمانكم وعودوا الى الله وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، فانتم لم تكونوا ولن تكونوا حمرا مستنفرة تهاج لخسف ، ولا أوتادا تدق لتشدخ ، وانما انتم بماضيكم العزيز وواقعكم القوى لن تؤثر فى قوتكم الاحداث والحرب دائما سجال ، كر وفر اقبال وادبار والنصر مع الايمان والصبر .

ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . وصدق الله العظيم القائل (والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

الجهاد في الإسلام

للدكتور محمد ابو شهبه
جامعة ام درمان الاسلامية

تشريع الجهاد فى الاسلام

لقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما بمكة ، وهو يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد حارب أهل مكة الدعوة الاسلامية حربا لا هوادة فيها ، وآذوا النبي وأصحابه ايذاء تجاوز كل معاني الانسانية ومع هذا كان المسلمون يزدادون عددا وقوة ، وصلابة فى التمسك بدينهم ، وكان الله سبحانه ينزل على نبيه من الآيات ما يقوى عزيمته وعزائم اصحابه ، ويثبتهم على الصبر والتحمل ، وذلك مثل قوله سبحانه « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (١) » وقوله « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور (٢) » وقوله « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (٣) » وقوله « واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون (٤) » .

وكان المسلمون كثيرا ما يأتون الى النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج ومعذب ، شاكين اليه ، فيثبتهم ويضرب لهم الأمثال والعظات ، ويقول لهم « اصبروا فاني لم أومر بقتال » ويقول « لقد كان الرجل من قبلكم يضرب بالسيف من مفرق رأسه الى أخمص قدميه ما يصرفه ذلك عن دينه ، وكان يمشط بامشاط الحديد دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر — يعني الاسلام — حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله ، والذئب على غنمه » رواه البخارى وأحمد .

وقد تحمل المسلمون بفضل التربية المحمدية ولا سيما الفقراء والأعبد ومن لا عصبية له منهم من صنوف العذاب والبلاء ألوانا ، فما صرفهم ذلك عن دينهم ، وما تزعزعت عقائدهم ، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقر الكثير منهم وما سمعنا أن احدا منهم ارتد سخطة عن دينه ، أو أغرته مغريات المشركين فى النكوص عنه ، وانما كانوا كالذهب الابريز ، لا تزيده النار الا صفاء ونقاوة ، وكالحديد لا يزيده الصهر الا قوة وصلابة ، بل بلغ من بعضهم أنهم وجدوا فى العذاب عذوبة ، وفى المرارة حلاوة ، وفى الآلام آمالا .

ثم كان ان هاجر بعضهم الى بلاد الحبشة هجرتين ، ثم هاجروا جميعا الى المدينة تاركين الاهل والولد ، والمال والوطن ، متحملين آلام الاغتراب، ومرارة الفاقة والحرمان ، وان كانوا قد وجدوا فى أهل المدينة أهلا بأهل ، وجيرانا بجيران ، ووطنا بوطن ، ولا سيما بعد أن

---

(١) المدثر ١٠ . (٢) الشورى ٤٣ . (٣) الاحقاف ٣٥ . (٤) النحل .

عقد النبي بينهم وبين اخوانهم الأنصار عقد التآخي والتحاب في الله ، هذاالعمل البارع الذى أقام الاخوة فى الله مقام الأخوة النسبية ، بل وأفضل منها ، وقد أصبح للمسلمين بعد الهجرة كيان وسلطان ، وأضحوا ذوى عدد وقوة ، واستمر المشركون فى التضييق عليهم ، ومحاولة فتنتهم عن دينهم ووقفوا للدعوة الاسلامية بالمرصاد ، فلم يكن بد من أن يأذن الله لهم فى القتال .

متى شرع الجهاد ؟

والذى يترجح عندى بعد البحث والنظر ان تشريع الجهاد كان فى اوائل السنة الثانية للهجرة ، وذلك لأن المسلمين كانوا مشتغلين بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية كبنائهم المسجد النبوى ، وأمور معايشهم وطرق اكتسابهم ، وتنظيم احوالهم السياسية كعقد التآخي بينهم ، وموادعة اليهود الساكنين لهم فى المدينة كي يأمنوا شرورهم ، ولا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سرايا فى السنة الأولى ، لأنها كانت للاستطلاع والمناوشات،والتضييق عليهم اقتصاديا، وارغامهم على ان يفكروا جديا فى تغيير خطتهم تجاه المسلمين ، وتركهم يبلغون دين الله ، وهم آمنون الى الناس كافة .

أول ما أنزل فى الجهاد

وكانت أول آية نزلت فىتشريع الجهاد فى الاسلام هي قوله سبحانه « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (١) » .

والاذن لا يكون الا بعد منع ، فأسلوب الآيات يشعر بأنها أول ما نزل ، وأيضا فقد روى الحاكم فى المستدرك عن حبر القرآن عبد الله بن العباس — رضي الله عنهما — أنها أول ما نزل فى القتال ، ورواه عبد الرزاق وابن المنذر عن الامام الزهرى عالم الحجاز والشام .

وروى ابن جرير عن ابي العالية — وهو من التابعين ان اول آية نزلت فيه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين (٢) » .

ويرى بعض العلماء ان اول ما نزل هو قوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (٣) » .

والذى نرجحه هو الأول وهو الذى يؤيده العقل والنقل ، وأما الآية الثانية فهي الى تنظيم شؤون القتال ، وتحديد حدوده — أقرب ، والتنظيم انما يكون بعد الاذن ، واما الآية الثالثة ، فهي الى الحث والترغيب فى الجهاد أقرب .

لم شرع الجهاد فى الاسلام ؟

لقد تضمنت آيات سورةالحجالمذكورة آنفا الأسباب والأغراض والحكم التي لأجلها شرع الجهاد ، ولن أخرج فى بيان

---

(١) الحج ٣٩ — ٤١ . (٢) البقرة (١٩٠) . (٣) التوبة ١١١ .

ذلك عن منطوق الآيات وفحواها ، حتى يكون فى هذا المقام الحجر لمن يتقول على الاسلام ، ومن هذه الآيات نستخلص الأسباب والحكم الآتية : —

١ — تأمين دعوة الاسلام ، الدين العام الخالد ، الذى ارتضاه الله سبحانه للبشرية جمعاء ، ومساندة هذه الدعوة التحريرية الكبرى التي لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل،ولن يشهد لها مثيلا من بعد ، حتى يتمكن النبي صلوات الله وسلامه عليه من تبليغ رسالة ربه حسبما صدع به الوحي فى قوله سبحانه « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (١) » وقوله عز شأنه « قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون (٢) » .

وتأمين المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام عن رضى واختيار واطمئنان ، وحمايتهم من أذى المشركين ومنحهم حقهم فى الاعلان عن عقيدتهم وهم آمنون ، وليس من الحق والعدل ان يدافع أصحاب المذاهب الباطلة عن باطلهم بالقوة ، وأن يترك أصحاب العقائد الصحيحة ، والشريعة السمحة من غير أن يؤذن لهم فى الدفاع عن عقيدتهم وشريعتهم ، وقد أشار الله الى ذلك بقوله « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . . » وأى ظلم أظلم من أن لا يجد الهداة والمصلحون متنفسا لدعواتهم الخيرة فى أرض الله الواسعة ؟ ومن أن يحجر عليهم فلا يستطيعون الاعلان عن عقيدتهم ، ولا اظهار شعائرهم ؟ والمظلوم ان لم يجد النصر من اهل الأرض ، فسيجده لا محالة من السماء وصدق الله « وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

٢ — الانتصار للنفس ، والانتصاف للمظلوم من الظالم فها هم المشركون قد آذوا المسلمين وحاولوا ما وسعهم الجهد ان يفتنوهم عن دينهم ، فلما لم يفلحوا أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم ، والانتصار للنفس أمر فطرى وحق من حقوق الانسان ، قررته الشرائع السماوية ، والقوانين الأرضية ، وقد قرر الله سبحانه هذا الحق الانساني فى قوله سبحانه وتعالى « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٣) » وقد أمر الله المسلمين بالصبر والعفو والتسامح طوال العهد المكي ، وأوائل العهد المدنى عسى أن يرعووا ، ولكنهم لم يزدادوا الا بطرا وأشرا ، وظلما واستعلاء فى الأرض ، فأما اذا لم تفلح معهم سياسة المهادنة والتسامح ، فلتقابل القوة بالقوة ، والسلاح بالسلاح ، والا صار السكوت والاغضاء عند القدرة على الانتصار — عجزا وضعفا ومهانة .

وليس من العدل والحق والانصاف ان يترك المشركون يمرحون فى الأرض ، ويجوبون الجزيرة من الجنوب الى الشمال، ولا يؤذن للمسلمين ان يحاربوهم من جنس ما حاربوهم به وان يقطعوا عليهم تجارتهم ، ويأخذوا منها ما تصل اليه أيديهم نظير ما اغتصبوا من أموالهم ، وأن يضيقوا عليهم مثل ما ضيق المشركون عليهم وصدق الله حيث قرر هذا المبدأ الحق فقال « والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (٤) » .

٣ — ان فى تشريع الجهاد نشر السلام

(١) المائدة ٦٧ . (٢) الأنعام ١٩ .
(٣) الشورى ٤١ — ٤٢ . (٤) الشورى ٣٩ — ٤٠ .

والأمان فى الأرض ، وتأمين كل ذى دين على دينه ، واحترام مقدسات الأديان بين الناس ، والاسلام هو الدين الذى الزم معتنقيه بالايمان بجميع الرسل ، وجميع الكتب السماوية المنزلة من عند الله ، وكتابه – وهو القرآن – هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية كلها لأنه هو الكتاب الذى سلم من التحريف والتبديل ، فقد نقل بأقوى طرق النقل والاثبات وهو التواتر المفيد للقطع واليقين ، والمسلمون حينما تكون لهم السلطة والغلبة فى الأرض ، لا خشية على أهل الأديان الأخرى منهم ، لأن لهم من وصايا دينهم ما يعصمهم من الظلم والجور والتعنت ، وطالما أوصى النبي بالمعاهدين وأهل الذمة خيرا ، وهذا ما صدقه الواقع التاريخي فحينما كان السلطان للمسلمين فى الأرض لم يضار أحد من أهل الذمة فى دينه ، ولا فى دنياه ، ولا فى نفس أو عرض أو مال ، فلما ذهبت ريحهم ، وغلبوا على أمرهم ذاقوا من أعدائهم ألوان العذاب من تقتيل ، وتخريب ، وانتهاك للحرمات .

وليس أدل على ذلك من ان الاسلام قبل من أهل الكتاب ، اما ان يسلموا ، واما ان يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية ، وهي ليست للاكراه على الدخول فى الاسلام ، أو المضايقة، ولكنها نظير ما تقوم به الدولة الاسلامية من رعاية ، وحماية لغير المسلمين ، وما تؤديه لهم من خدمات اجتماعية ، واقتصادية ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا الغرض النبيل فى قوله سبحانه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز (١) » .

٤ – ان الاسلام بما خصه الله به من عموم الدعوة للناس أجمعين ، وبما جاء به من عقائد وتشريعات وآداب اكسبته الصلاحية لكل زمان ومكان ، وهو الحقيق بأن يسود فى الأرض ، والمسلمون المتمسكون به عقيدة ، وعلما وعملا ، وأخلاقا وسلوكا ، هو الأحق بالسيادة، والاستخلاف فى الارض ، لانهم هم الذين ينشرون فيها الهدى والرحمة ، والحق والعدل والبر والخير ، وهم الذين يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، وهما أساس كل خير واصلاح ، وليس من شك فى ان هذا يتطلب الجهاد والكفاح ، وبذل النفس والمال فى سبيل هذه الغاية الشريفة ، وقد ذكر الله سبحانه هذا الغرض فى قوله « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » وقد أشار الله سبحانه بهذه الأصول التي ذكرها فى هذه الآية الى ما عداها ويجرى فى فلكها ، فالصلاة رأس العبادات البدنية التي تزكي النفس ، وتحسن علاقة المخلوق بالخالق ، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان. والزكاة رأس العبادات المالية التي تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكافل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أساس كل خير ديني أو دنيوى ، وهما دعامتا كل اصلاح والقضاء على كل شر ، وبهما يصلح المجتمع ويتطهر من الفساد .

- الحب فى الاسرة أساس للحكومة الطيبة .
- عصيان الظالم طاعة لله .
- ست ساعات نوم كافية للرجل ، وسبع للمرأة ، وثمان للمغفل .
- بعض الناس لهم مال كثير ولا عقل ، وبعضهم له عقل كبير ولا مال ، ولا شك أن الأولين خلقوا للآخرين .

(١) الصوامع : متعبدات الرهبان ، البيع : متعبدات اليهود والنصارى ، وهى الكنائس ، والصلوات : متعبدات للنصارى أيضا ، والمساجد : متعبدات للمسلين .

وعيد الله وعقوباته لبني اسرائيل

للدكتور : محمد سيد طنطاوى
البصرة - العراق

ان القارىء لكتاب الله الكريم يجده قد قص علينا ألوانا من العقوبات التى حلت ببني اسرائيل جزاء فسوقهم عن أمر ربهم . ومن بين هذه العقوبات ، تسليط الله عليهم من يمزق شملهم ، ومن يذيقهم العذاب المهين الى يوم القيامة .

قال تعالى : ((واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم . وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)) (١) . لقد جاءت هاتان الآيتان ضمن سلسلة طويلة من الحديث عن رذائل بنى اسرائيل ودعاواهم الباطلة ، كتحايلهم على استحلال محارم الله ، وتشبعهم من الحرام ، بدعوى أن ذنوبهم مغفورة لهم .

ومعنى الآيتين الكريمتين بايجاز : واذكر - يا محمد - اذ أعلم ربك اليهود علما مؤكدا بقضائه فيهم ، وهو أنه - سبحانه - ليسلطن عليهم الى يوم القيامة من ينزل بهم صنوف العذاب ، وأنواع الهوان والازدراء ، وذلك بسبب عتوهم عن أمره ، وانتهاكهم لمحارمه .

وكون اليهود محل كراهية الأمم واحتقارهم - حتى التى تدافع عنهم - أمر مشاهد فى كل مكان حلوا به ، ودفاع المدافعين عنهم تحكمه ظروف خاصة ، وتمليه منافع معينة ، وتشجعه أحقاد قديمة على الاسلام والمسلمين ..

« ان ربك لسريع العقاب » لمن أقام على الكفر والعناد .. « وانه لغفور رحيم » لمن آمن وعمل صالحا ، وتاب اليه توبة نصوحا .

ثم أخبر - سبحانه - عن تمزيقهم فى الأرض شر ممزق فقال تعالى :

« وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك » .

---

(١) سورة الاعراف : الآيتان ١٦٧ ، ١٦٨ .

أي صيرناهم ـ بسبب ظلمهم ومعاصيهم ـ جماعات متقطعة الاوصال، متباينة المشاعر والمسالك والاتجاهات . « منهم الصالحون » وهم قلة آمنت بالله ورسله « ومنهم دون ذلك » أي : ومنهم طوائف أخرى لم يصلحوا شأن أنفسهم، بل استحبوا العمى على الهدى ، فكفروا بالله ، وقتلوا أنبياءه ، وسعوا فى الأرض فسادا . .

ثم بين سبحانه سنته الكونية فى خلقه فقال : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » . أي : اختبرناهم بالنعم الوفيرة ، وبالعقوبات الرادعة ، لعلهم يرجعون الى طاعة ربهم ، ولكنهم لم يثوبوا الى رشدهم ، بل ظلوا فى طغيانهم يعمهون ، وفى باطلهم يخوضون ، وما آمن منهم الا قليل .

هذا الذى أخبرت به هاتان الآيتان الكريمتان عن جانب من تاريخ الاسرائيليين، قد صدقته الأيام ، وأيدته الحوادث ، وهاك طرفا من عقاب الله لهم فى مختلف العهود .

١ ـ بعد وفاة سليمان ـ عليه السلام ـ انقسمت مملكته الى قسمين :

مملكة « اسرائيل » فى الشمال ومقرها « السامرة » (١) وتتكون من الأسباط العشرة .

ومملكة « يهوذا » فى الجنوب ومقرها « أورشليم » (٢) وتتكون من سبطى يهوذا وبنيامين .

وقد استمرت المنازعات بين المملكتين مدة طويلة ، انتهت بانقضاض (سرجون) الآشورى على مملكة الشمال سنة ٧٢١ ق م فقتل الآلاف من رجالها ، وقضى عليها قضاء لم تقم لها بعده قائمة .

أما مملكة (يهوذا) فقد حاولت أن تتشبث بالبقاء ، ولكن معاول الهدم غزتها من الشرق والجنوب ، وكان الذى حمل المعول الاخير لهدمها «بختنصر» البابلي، فقد أغار عليها حوالى سنة ٥٨٦ ق.م ، فدك « أورشليم » دكا ، ونهب ما فيها من أموال ، وهدم المعبد ، وساق من بقى حيا من اليهود أسارى الى بابل . .

وبذلك زالت دولة « يهوذا » من الوجود ، كما زالت أختها اسرائيل من قبل .

٢ ـ وفى سنة ٧٠ م حاول اليهود القيام بثورة ضد الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين فى ذلك الوقت ، فسار اليهم « تيطس » الرومانى بجيش كبير ، وحاصر (أورشليم) حصارا شديدا . . ثم دخلها فدمرها تدميرا ، وقتل مئات الآلاف من اليهود . . ولم يسمح لاحد منهم بسكنى (أورشليم) . .

ولقد كانت هذه الضربة القاصمة ، من أشد الضربات التى نزلت بهم فى تاريخهم الطويل ، الطافح بالمآسي والكوارث ، اذ تفرقوا بعدها فى مشارق الأرض ومغاربها . ويصف (صاحب تاريخ الاسرائيليين) أثر ضربة (تيطس) لليهود فيقول :

(الى هنا ينتهى تاريخ الاسرائيليين كأمة ، فانهم بعد خراب (أورشليم) على يد الرومان تفرقوا في جميع بلاد الله ، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التى توطنوها أو نزلوا فيها ،وقد قاسوا فى غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء . .) أهـ (٣) .

٣ ـ وحقا لقد لقى اليهود بعد ذلك عقوبات صارمة ، تناولت الطرد ، والسجن ، والقتل ، ومصادرة الأموال ،

---

(١) السامرة هى (نابلس) الآن (٢) (أورشليم) هي القدس الآن

(٣) تاريخ الاسرائيليين . ص ٧٧ لشاهين مكاريوس : مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ .

ويقرر أحد الكتاب المسيحيين (بأن كل الأمم المسيحية اشتركت فى اضطهاد اليهود ، وانزال مختلف التنكيلات بهم ، وكانت القسوة على اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضا عليها .. (١)

٤ ــ ويطول بنا الحديث ويتشعب لو أننا توسعنا فى سرد ما حل باليهود من عقوبات عادلة ، على أيدى المسلمين ، وعلى أيدى غيرهم من الامم الاخرى ، كبريطانيا ، وفرنسا ،وايطاليا ، وروسيا، وألمانيا .. وحسبنا نموذجا واحدا لما أوقعه الاسبان عليهم فى فترة من الفترات .

ففي ٣١ مارس ١٩٤٢ م صدر المرسوم التالى من الملك (فردينانــد) وزوجته (ازابيلا) .

« يعيش فى مملكتنا عدد غير قليل من اليهود .. وبناء على التقارير التي رفعت الينا ، ثبت لنا بأن الصدام الذى يقع بين المسيحيين واليهود يؤدى الى خطر عظيم ، وضرر كبير ، ويؤدى بالتالى الى القضاء علىالمذهبالكاثوليكي، ولذا قررنا نفى اليهود ذكورا واناثا والى الأبد ــ خارج حدود مملكتنا ، وعلى اليهود جميعا أن يغادروا البلاد فى غضون فترة أقصاها نهاية شهر ــ يوليو ــ من نفس العام ، وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أى ظرف أو سبب ..) .

وبمقتضى هذا القرار طرد اليهود من اسبانيا ، بعد أنأرغموا على ترك أموالهم، وبعد أن نفثوا سمومهم فيها زهاء سبعة قرون ، وكان عددهم عندما أخرجوا منها أكثر من نصف مليون نسمة .

وقد يقول قائل ــ بعد سرد هذه النماذج القليلة لما حل باليهود من نكبات ــ ، وما السر فى أن اليهود كانوا ــ وما زالوا ــ موضع كراهية العالم ونقمته ؟

وللاجابة على ذلك نقول : ان اليهود هم المسئولون عن كل اضطهاد وقع عليهم ، وهم المستحقون لكل نكالأصابهم لاسباب من أهمها :

أ : أنانيتهم : تلك الأنانية التى زرعتها فيهم كتبهم وسوغت لهم أن آلعالم ملك أيديهم ، وأن عليهم متى توطنوا فى أية دولة أن ينهبوا خيراتها ، وأن يستأثروا بأموالها .. « فالمال ــ كما يقول كارل ماركس ــ هو اله اسرائيل المطاع ،وأمامه لا ينبغى لأى الـه أن يعيش .. لقد أصبح اله اليهود الها دنيويا ، وهذا هو الاله الحقيقي لليهود .. » (٢)

رأى فرانكلين : ولقد فطن العقلاء من الناس الى أنانية اليهود ، فحذروا العالم منها ، ومن بين الذين تنبهوا الى ذلك « بنيامين فرانكلين » أحد الرؤساء السابقين للولايات المتحدة الامريكية ، فقد ألقى خطابا فى المؤتمر الذى انعقد لاعلان الدستور سنة ١٧٨٩ قال فيه :

« أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد أمريكا ، وذلك الخطر هو (اليهودى) . حيثما استقر اليهود تجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ، ويزعزعون الخلق التجارى الشريف ، انهم لا يندمجون بالشعب ، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فانهم يعملون على خنق الامة ماليا كما حدث للبرتغال واسبانيا .

ومنذ أكثر من ألف وسبعمائة سنة ، وهم يندبون مصيرهم المحزن) . أيها السادة : ان اليهود كالطفيليات التى لا تستطيع أن تعتمد على نفسها ، واذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور ، ففى أقل من مائة سنة ، سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى بذلنا من أجل اقامتها دماءنا وأموالنا) ..

---

(١) اليهودية . ص ٧٣ للدكتور احمد شلبى .

(٢) المسألة اليهودية . لكارل ماركس . ترجمة محمدعيتاني ص ٥٩

وعيد الله وعقوباته لبني اسرائيل

« اذا لم يستثن اليهود من الهجرة ، فانه لن يمضي أكثر من مائتي سنة ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول لتأمين الغذاء لليهود الذين يجلسون فى بيوتهم المالية مرفهين يفركون أيديهم بغبطة » .

اني أحذركم ـ أيها السادة ـ اذا لم تستثنوا اليهود من الهجرة الى الابد ، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم ، ان عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال ، والنمر لا يستطيع تغيير لونه ، اليهود خطر على هذه البلاد ، واذا سمح لهم بالدخول والاستيطان فى بلادنا فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا يجب استثناؤهم من الهجرة بموجب الدستور ... » (١) .

بهذا الخطاب الحكيم حذر (فرانكلين) أمته الامريكية من خطر (اليهودى) ولكنها عمت وصمت أذنها عن هذه النصائح ، فتحقق ما حذرها منه ، اذ أصبحت أمريكا فى أقل من المدة التى قدرها (فرانكلين) أشبه ما تكون بمستعمرة يهودية ، وأضحى اليهود هم المحركين لسياستها ، وهم المستفيدون بمعظم خيراتها ، المستغلون المسيطرون على مقدراتها ، صحافتها وصناعتها ، زراعتها ، وأسلحتها ...

ونحن نكتب هذه الكلمات فى وقت نرى فيه أمريكا تؤازر دولة العصابات الاسرائيلية مؤازرة صريحة ، وتحاول بكل وسيلة أن تفتح لها خليج العقبة ، بعد أن أغلقته مصر فى وجهها .

ب : غرورهم وتعاليهم : فهم يعتبرون أنفسهم أبناء الله وأحباءه ، وشعبه المختار من بين خلقه ، وقد أدى بهم هذا الغرور الى اهدار كل حق لغيرهم ، واستباحة ما يملكه سواهم ، وقد أشار القرآن الكريم الى تمكن تلك الرذيلة من نفوسهم بقوله : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٢) .

ونتيجة لهذا الغرور الذى حملهم على أكل أموال غيرهم بالباطل ، هب هذا الغير من الناس ليدافع عن حقه المغتصب وليوقع بهم العقوبات العادلة ، التى تناسب تعاليهم الكاذب ، وتفاخرهم الباطل .

ج : عصبيتهم وخياناتهم للامم التى آوتهم : فهم متعصبون متحزبون ، وقد أضحت هذه العصبية والانعزالية طابعهم الذى لا انفكاك لهم عنه .

يقول (سلامون سختر) أحد زعماء اليهود البارزين : (ان معنى الاندماج فى الامم فقدان الذاتية ، وهذا النوع من الاندماج هو الذى أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات) .

وقد ترتب على هذه العصبية المقيتة ، أمور خطيرة ، من أهمها عدم ولائهم للاوطان التى يعيشون فيها ، بل هم يحاولون بكل وسيلة أن يشيعوا فيها الخراب والدمار ، خصوصا متى أمنوا العقاب .

تقول (جولدا مايير) : (ان اليهود المقيمين خارج اسرائيل طوائف متفرقة ، تعيش فى المنفى ، وهم مواطنون اسرائيليون قبل كل شيء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة ، مهما تكن جنسيتهم الرسمية .. وان اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن فى نفس الوقت الا أن يكون صهيونيا) (٣) .

---

(١) (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية)ص (٢١٠) للاستاذ عبد الله التل . وقد حدث فعلا ما توقعه هذا القائد البعيد النظر .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٧٥) .

(٣) عن كتاب (اسرائيليات) لاحمد بهاء الدين

وما أكثر الحوادث التي قام فيها اليهود بدور العيون والجواسيس على الاوطان التي آوتهم لحساب أعدائها ، وعندما عدد (هتلر) خيانات اليهود الالمان ، ذكر منها استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح ، وافساد التعليم ، والسيطرة على رأس مال الدولة .. والتجسس لحساب دول أخرى ضد ألمانيا .. ثم ختم حديثه الطويل عنهم بقوله :

« واذا قيض لليهودي أن يتغلب على شعوب هذا العالم ، فسيكون اكليله جنازة البشرية .. لهذا أعتقد أني تصرفت معهم حسبما شاء الخالق ، لاني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي ، أكون قد ناضلت في سبيل الدفاع عن عمل الخالق » (١) .

د : اضطهادهم الشنيع لغيرهم :

وتاريخ اليهود طافح بالمجازر التي قاموا بها ضد سواهم من البشر ، ونصوص كتبهم تبيح لهم هذا العمل المنكر .

ففي سفر الخروج : (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح ، فان أجابتك فكل الشعب مسخر لك .. واذا دفعها الرب اليك بعد حربها فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ..)

وقد طبق اليهود هذه التعاليم أسوأ تطبيق ، وحسبنا ما قاموا به من جرائم في (دير ياسين) و (كفر قاسم) وغيرهما من قرى ومدن (فلسطين) .

وبذلك نرى أن مفاهيم اليهود الفاسدة ، وأنانيتهم الطاغية ، وطباعهم الذميمة .. هي التي جعلتهم محل نقمة العالم وبغضه .

ويعجبني في هذا المقام قول المؤرخ اليهودي (يوسيفوس) : (لا توجد أمة في الارض منذ بدء الخليقة الى الآن تحملت من النكبات والكوارث ما تحملت اسرائيل ، على ان تلك الكوارث او النكبات لم تكن الا من صنع اسرائيل) .

أما بعد : فهذه نماذج قليلة للعقوبات العادلة التي أنزلت باليهود في مختلف العصور ، مصداقا لقضاء الله النافذ فيهم (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) بسبب فسوقهم عن أمره ، واقترافهم لمحارمه .
وان الضربة القاصمة لهم ، ستكون بأيدينا — نحن المسلمين — متى استجبنا لاوامر الله ، واستقمنا على طريقه .

فقد أخرج الشيخان عن ابن عمر — رضي الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبيء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله : هذا يهودي ورائي فاقتله » (٢) .

وأخرجا عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال :

(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ،حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي . فتعال فاقتله . الا الفرقد . فانه من شجر اليهود) (٣) .

---

(١) من كتاب كفاحي لهتلر .

(٢) أخرجه البخاري . واللفظ له — في كتاب الجهاد — باب قتال اليهود .
ج ٤ ص ٥١ . وأخرجه مسلم في كتاب الفتن .ج٤ ص ٢٢٣٩ طبعه الحلبي .

(٣) أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد) ج٤ ص٥٠طبعة صبيح . وأخرجه مسلم واللفظ له .
في كتاب الفتن ج٤ ص٢٢٣٨ (والفرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد فلسطين .

دراسات في المدرسة

عندما تقرر القتال في الاسلام قامت المدرسة العسكرية الاسلامية ، وظلت تباشر مهمتها في خدمة الاسلام والمسلمين على أسس صحيحة ، ودعائم سليمة ، حتى انها بقيت بعد وفاة الرسول الكريم قوية راسخة ، بدليل ان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم استطاعوا ان يخرجوا من جزيرتهم ، وان يواجهوا اعظم دولتين وجدتا في عصرهم وهما : دولة الفرس ودولة الروم ، وأن ينشروا في ربوع الدولتين دينا وعقيدة ونظاما .

ولقد تميزت المدرسة العسكرية الاسلامية بميزات جعلتها تحتل مكانة مرموقة بين المدارس العسكرية الاخرى قديمها وحديثها ، رغم ما بذله ويبذله حتى الآن اعداء الاسلام من جهود متصلة للاساءة اليه كيلا تظهر للناس عظمته في كل مجالاته وميادينه،وحتى يطمسوا أمجاده خدمة لاغراضهم المتعددة استعمارية أو دينية ..

لقد كان من اهم ما تميزت به المدرسة العسكرية الاسلامية .

أولا : طورت نظرية الحرب. وعدالتها بما يناسب طبيعة القتال .

ثانيا ... هذبت فكرةالحرب وسمت باسبابها ودوافعها واغراضها .

ثالثا ... وضعت أسس الاعداد للمعركة اعدادا سليما يضمن كسبها .

رابعا ... قررت للحرب مبادىء واصولا تقود المحاربين الى النصر .

خامسا ... اخرجت جيلا من العسكريين الميامين كان لهم قصب السبق والقدح المعلى .

وان هذه الدعائم التي وضعتها المدرسة العسكرية الاسلامية تبدو واضحة جلية في الغزوات الكثيرة التي خاض المسلمون غمارها سواء في عهد الرسول أو في عهد ما بعد الرسول وان العبقرية العسكرية التي وضحت في التكتيك العسكري للغزوات لم ولن تظهر في التاريخ .

ونحن لا نلقى القول جزافا ولكنها الحقيقة الماثلة امام اعيننا على صفحات التاريخ الحربي فقادة المدرسة العسكرية الاسلامية كانت لديهم القدرة على رسم الخطط العسكرية بحيث لو طبقت هذه الخطط في حروب اليوم لأتت بالمعجزات وبحيث لو بذل النقادالعسكريون جهدهم وتفكيرهم لنقدها أو لاظهار عيب منها ما استطاعوا .

كما أن هذه المدرسة ابتكرت من وسائل الحرب ما لم يتنبه القادة الى

بقلم العميد محمد فرج

العسكرية الإسلامية

فاعليتها وآثارها الا بعد مرور فترة طويلة ، ومن هذه الوسائل على سبيل المثال اتخاذ الجانب الاقتصادي وسيلة حربية تمهد طريق النصر وتقصم ظهر العدو .

ولا يفوتنا ان نقول ان جيوش هذه المدرسة كانت تحارب دولا بلغت امكانياتها المادية قدر امكانياتها مئات المرات ، سواء فى داخل الجزيرة أو فى خارجها ، فمما لا يختلف فيه اثنان ان المسلمين تمكنوا بقدرات مادية ضئيلة ، وامكانيات محدودة من التغلب على اعداء يحيطون بهم من كل جانب ، وأن يؤسسوا داخل الجزيرة دولة قوية ، استطاعت بعد ذلك أن تدحر قوى امبراطوريتين ، كانتا تملكان العدد والعدة والامكانيات الضخمة ، والقدرات الهائلة ، وكانت لهما فى التاريخ الحربي جولات وصولات ، لم يكن للمسلمين وقتها مثقال ذرة منها .

هذا فوق ان هذه المدرسة كانت فى اول امرها تضم عددا قليلا من الافراد ، والاعداء يحيطون بها من كل جانب .. ففي مكة حيث بدأت الدعوة لم يكن عدد المسلمين كبيرا ،، وانما كان عددا بسيطا تحيط به اعداد ضخمة من القرشيين .

وفى المدينة حيث هاجر الرسول واتخذها مركزا لنشر دعوته كانت تحيط بالمسلمين اعداد ضخمة من الاعداء — قرشيين وقبائل متفرقة هنا وهناك ويهود . وحتى بعد ان اتم الله نصره الكبير ، وعاد المسلمون الى مكة منتصرين فائزين ، كانت تحيط بهم اعداد ضخمة من الاعداء خارج الجزيرة .. ومن عجب ان المدرسة الاسلامية استطاعت ان تحول خصومها من اعداء ألداء الى اتباع مخلصين ، وان توطد الاسس الصالحة لبناء اعظم دولة تؤمن بالله الواحد القهار ربا ، وبمحمد النبي الامي رسولا ، وبالقرآن الكريم كتابا منزلا ..

مقارنة

وقد يتساءل البعض : كيف لنا ان نقارن بين المدرسة العسكرية الاسلامية وبين المدارس العسكرية الاخرى وخاصة الحديثة منها .. والرد على هذا السؤال واضح ويسير ، فالعبرة هنا ليست باشكال المعركة واحجامها وظواهرها ، وانما بأسسها ونظمها وافكار قادتها .. فلا يهمنا الاختلاف الكبير بين العدد الذي يحشد للمعركة ، والسلاح الذي يعد لها ، والوسائل التي تستخدم لخدمة المعركة ، وانما المهم فى هذا المجال هو : كيف تقاد المعركة ، وكيف كانت توضع

الخطط ، وكيف كانت تعالـج مشاكلها واحداثها ؟ .

والمقطوع به ان حروب اليوم تعتمد على الاعداد الضخمة التي لـم يكن في قدرة المدرسة العسكريـة الاسلاميـة تجهيزها ، وعلى السـلاح الحـديث كالدبابات والطائرات ، والقنابل الذرية والغواصات ، وغيرها مما تعتبر دون شك امضى من السيف والسهم والرمح التي تمثل الجانب الاساسي في سلاح المسلمين ، وعلى وسائل الاتصال والنقل الحديثـة ، فحـرب تدار باللاسلكي ، وتستخدم فيهاالطائرات وناقلاتالجنود والمظلات أعجب دون ريب من حرب تدار بالفم أو الاشارة أو النداء لا يستخدم فيها أكثر من الخيل والابل كوسيلـة لنقل المحاربين .. **ان العبرة في هـذه المقارنة هي كما قلنـا بأسس الحـرب ونظمها وأفكارها التي استطاعت فيالعهد الاسلامي ان توجه جيوشا قليلة العدد والعدة الى انتصارات قد تعجـز عنها جيوش اليوم ، كثيفـة العـدد ، كثيرة السلاح ، حديثـة العـدة ، لنقص في الاسس أو الخلل في النظم أو لسـوء في التفكير .**

وفي حـدود هـذه المعاني سنتناول ما تميـزت به المدرسـة العسكريـة الاسلامية .

أولا : تطوير فكرة الحرب

ان المتعمق في دراسة تاريخ الحروب وفنونها وتطورها ، يدرك أن الحـرب قامت منذ بدأت حتى يومنا هـذا على نظريتين .. سادت احداهما في الفترة التي سبقت ظهور الاسـلام ، حتى اذا ما حمل المسلمون سيوفهم تبدلت نظرية الحرب بنظرية اخرى قامت على انقاض النظرية الاولى ، وظلت مسيطرة على روح الحرب حتى جاءت فتـرة عادت فيها النظريـة الاولى الى مكانتها على المسرح الحربي ، وسادت افكار مـن يخوضون غمـار المعارك ، حتى قامت المدرسة العسكرية النابليونية ، فقضت عليها نهائيا ، وعادت النظرية الاخرى التي ظهرت بظهور الاسلام تأخذ مكانها مـن جديد ، وبقيت حتى يومنا هـذا مسيطرة على فكرة الحرب .

والفرق بين النظريتين واضح ملموس .. فالنظرية التي سادت قبل الاسلام تقوم اساسا على الكم اما الأخرى التي جاء بها الاسلام فهي تهمل الكـم الى حد ما وتعتني اساسا والى حـد كبير بالكيف .. يعني هذا أن النظرية الاولى تهتم بعدد الرجال ، وكمية السلاح ، أما النظريـة الاسلاميـة فلا تهتـم بالعدد من حيث الرجال أو العتاد ، وانما تضع في المرتبة الاولى من عنايتها الرجال من حيث هم مقاتلون ، ومـن زاويـة قدراتهم وامكانياتهم على مزاولة مهنـة الحرب .

المدرسة القديمة والكم

والمتتبع للحروب الكثيرة التي قامت قبل الاسلام يلمس ان النصر في المعركة كان دائما في الجانب الاكثر عددا ، الأوفر سلاحا ، وتاريخ معارك مجدو وقادش وغيرهما من المعارك الكبيرة التي احتوتها كتب التاريخ الحربي تؤكد هذه الحقيقة، فقد كان هم القادة جمع الرجال في عدد كبير ، وجمع السلاح بكميات موفورة ، وخوض المعركة اعتمـادا على الكثـرة العددية التي كانت تعطيهم ضمانا كافيا لكسب المعركـة ، ويحضرني في هـذه المناسبـة تشبيه ذكره مؤرخ عسكري تعرض للحديث في هذا الموضوع : فقد شبه الجيش بالحائط المرتفع الذي يكثر فيه عدد الاحجـار ، وقال : ان هـذا

الحائط يصمد كثيرا امام معاول الهدم التي تنال منه ، بعكس الحائط القليل الاحجار فانه يتهدم سريعا وفى وقت قصير .

المدرسة الاسلامية والكيف

ولما قامت المدرسة العسكرية الاسلاميةنظرت الى الحرب نظرةجديدة، ووضعت لها اسسا تختلف عن اسس الماضي ، وسلطت الاضواء على الفرد كمحارب ، ووجهت الاهتمام الى الكيف دون الكم . ومن هنا قامت نظرية جديدة فى الحرب تعتمد على الرجال ، لا على عددهم وكثرتهم،وانما على قدراتهم وامكانياتهم ومشاعرهم ومعنوياتهم (١) فاصبح الاهتمام موجها الى المقاتل بشخصه وذاته وقدراته .. أى الى اليد القوية التي تحمل السلاح ، والقلب المؤمن الذي يخفق من خلف السلاح ، والعقل المفكر الذي يدير وسائل استخدام هذا السلاح .

واعتمادا على هذه النظريةالجديدة ــ نظرية الكيف ــ خرج اتباع محمد من الجزيرة العربية ، وخاضوا غمار معارك تاريخية هامة ضد الفرس وضد الروم، وانتصروا عليهم ، وازالوا ملكهم رغم ما اكدته كتب التاريخ الحربي من تفوق الروم والفرس فى العدد والسلاح .. **ومعركة اليرموك دليل واضح على ما نذهب اليه فقد جاء جندي من المسلمين الى خالد بن الوليد قبل المعركة وقد افزعته كثرة الروم وقال له ((يا خالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين)) فأجابه خالد وهو واحد من خريجي المدرسة العسكرية الاسلامية التي آمنت ايمانا بعيد المدى بنظرية الكيف ((بل قل: ما أقل الروم وأكثر المسلمين !! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالهزيمة)) .**

نظرية الكم مرة أخرى

وقلنا ان نظرية الكيف التي جاء بها الاسلام مرت فترة اهملتها فيهاالقيادات التي جاءت بعد الاسلام اذ عادت الى الأخذ بنظرية الكم ، واعتمدتمرة اخرى على عدد الرجال،وخاضت هذه القيادات معارك كثيرة معتمدة على الكم دون الكيف ، ومن اوضح الامثلة على ذلك اعتماد الدولة العثمانية فى بدء حياتها على الكم . فقد خاض السلطان سليم المعارك ضد الدولة الصفوية ، والدولة المملوكية ، اعتمادا على كثرة الرجال ، ووفرة السلاح واستطاع ان يحرز النصر فى مرج دابق والريدانية .

الا ان هذه النظرية سادت فترة ما حتى قامت الثورة الفرنسية ، وتألق نجم نابليون كقائد عسكرى ، وكصاحب مدرسة لها تعاليمها من فنالاستراتيجية والتكتيك . وخاض نابليون معاركه الكثيرة التى اشتهر بها ، واشتهرت به ، اعتمادا على نظرية الكيف دون نظرية الكم .. اى اعتمادا على نظرية الحرب التي جاء بها الاسلام ، والتي ما زالت تسود معارك اليوم . والحرب العالمية الثانية دليل واضح . فالمعارك التي دارت فى الصحراء الغربية تؤكد ان مونتجمرى انتصر فى موقعة العلمين لا اعتمادا على الكثرة من السلاح او الرجال ، وانما اعتمادا على قدرات المحاربين ومعنوياتهم ، فقد جعل كل مقاتل تحت قيادته يؤمن بضرورة النصر فى المعركة لان انتصاره يعنى شرف الامبراطورية .

صاحب الفضل الاول

اذن فالاسلام هو صاحب الفضل الأول فى تطوير فكرة الحرب وفى وضع

---

(١) وكان ذلك يتمثل فى قوله تعالى « ان يكنمنكم عشرونصابرونيغلبوا مائتين» ثم فى قولهتعالى « الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فانيكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين .. » ويقررها القرآن فى شبه قاعدة عامة « كم من فئة قليلةغلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » وكان القرآن الكريم بذلك هو واضع هذه الاسس . (الوعي)

الاسس الصحيحة السليمة لضمان كسب المعركة .. ولقد التقطت المدارس العسكرية الحديثة الخيط من المدرسة الاسلامية . فنابليون وهو رأس المدرسة العسكرية الفرنسية قال « ان نسبة القوى المعنوية الى القوى المادية في الميدان كنسبة ٣ : ١ . وكلاوزنتز رأس المدرسة العسكرية الالمانية قال « ان القوى المعنويه في الميدان هى التي تحدد نتيجة المعركه » .. وبمراجعة احداث بدر نجد أن النسبة العددية بين القوتين كانت ١ : ٣ وبمراجعة احداث الخندق نجد ان النسبة كانت ١ : ٣١/٢ (عدد المسلمين ٣٠٠٠ وعدد المشركين ١١٠٠٠) ويلاحظ ان النسبة لم تتغير كثيرا فى المعركتين . وان هذه النسبة هي التي أصر نابليون على وجودها لضمان الكسب فى المعركة ، ولا يستبعد ابدا أن يكون نابليون قد استلهم قوله هذا من احداث هاتين المعركتين فقد عرف عنه انه كان قارئا ممتازا للتاريخ الحربي ، وانه كان ينصح ضباطه دائما « عليكم بقراءة تاريخ الحروب » . ! !

وتاريخ الحروب الاسلامية يحمل بين سطوره امثلة كثيرة لا نهاية لها ، تبرز مدى القوى المعنوية لدى المقاتلين العرب .. فالمسلمون — منذ اللحظة التي اندمجوا فيها فى الدين وآمنوا به — زودوا بقوى معنوية جعلتهم يصمدون امام تعذيب قريش وتهديدها وقسوتها ، ولولا هذه القوى لعادوا ادراجهم الى دين آبائهم وأجدادهم . ولكنهم تمسكوا بالدين وصبروا ، وكانت قواهم المعنوية سلاحهم الذى انتصروا به فى غزواتهم كلها .. وكان الرسول الكريم وخلفاؤه رضي الله عنهم يثيرون الجانب الروحي المعنوى عند الجند ، حتى ان خيثمة بن سعد قال للرسول **« يا رسول الله لقد اخطأتني واقعة بدر وكنت حريصا عليها حتى بلغ من حرصي ان ساهمت ابني من الخروج فخرج سهمه ورزق الشهادة ، وقد رأيت ابني البارحة فى النوم وهو يقول الحق بنا ترافقنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقا وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا الى مرافقته فى الجنة وقد كبر سني ورقت عظمي واحببت لقاء ربى »** .

وخاطب خالد بن الوليد قادة الفرس **« لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »** .

ودخل ابو سفيان على ابنته ام حبيبة زوج رسول الله ، واراد ان يجلس على فراش الرسول فطوته ، فسألها **« يا بنية ما ادرى ارغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ » فقالت له « بل هو فراش رسول الله ، وانت رجل نجس مشرك ولا احب ان تجلس عليه »** .

وقابل عمرو بن العاص قرة بن **هبيرة ، فقال له قرة « ان العرب لا تطيع لكم نفسا بالاتاوة ، فان اعفيتموها فستسمع لكم وتطيع ، وان ابيتم فلا تجتمع عليكم » فرد عليه عمرو « اتخوفنا بردة العرب ؟ فوالله لا وطئن عليك الخيل فى حفش (١) امك »** .

وعمرو بن الجموح كان يشكو عرجا **شديدا وأراد أن يخرج للقتال فمنعه ابناؤه الذين خرجوا للقتال وقالوا له « ان الله قد جعل لك رخصة . فلو قعدت ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد » فأبى ان يستمع الى منطق اولاده ، وتوجه الى الرسول يشكوهم له « يا رسول الله ان بني هؤلاء يمنعونني ان اخرج معك ، ووالله اني لأرجو أن استشهد »** .

(١) الحفش : البيت الصغير .

ويناشد عبد الله بن جحش ربه قائلا « اللهم لقني من المشركين رجلا عظيما كفره ، شديدا حرده ، فاقاتله فيقتلني فيك ، ويسلبني ، ثم يجدع انفي وأذني ، فاذا لقيتك فقلت يا عبد الله بن جحش فيم جدعت ؟ قلت فيك يا رب » .

وصور تيود مير قائد الاسبان جيوش المسلمين « لقد نزل بأرضنا قوم لا ندرى اهبطوا من السماء ام نبعوا من الارض » .

وقال رسل المقوقس عن المسلمين « رأينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة ، والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ، ليس لاحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب ، واكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد » .

وترك حنظلة بن ابي عامر عروسه ليلة الزفاف وخرج للمعركة ، وقتل شهيدا ، فقال الرسول لأصحابه « اني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن ابي عامر بين السماء والارض بماء المزن فى صحاف الفضة » .

بهذا الاسلوب الذى يبدو فيه الايمان المطلق فى اروع صوره حمل المسلمون سيوفهم، وخاضوا غمار المعارك وانتصروا . لقد كانوا يسعون الى احد أمرين : اما انتصار يسعد به الاسلام ، واما استشهاد يفتح امامهم ابواب الجنة .. كانوا فى قتالهم يحرصون على الموت اشد من حرص اعدائهم على حياتهم ووجودهم . كانوا يقدمون انفسهم قربانا لكي يسعد البشر بانتشار المبادىء الانسانية العالمية التي جاء بها الاسلام ، وفى هذا المعنى قال مالك بن سنان « نحن والله بين احدى الحسنيين اما ان يظفرنا الله بهم فلا يبقى منهم الا الشريد ، والأخرى يرزقنا الشهادة . والله ما ابالي ايهما كان ان كلا لفيه الخير » .

وكان المسلمون حريصين على الموت لينعموا فى جنات الخلد بالرعاية الالهية والعناية السماوية فرحين بما آتاهم الله من فضله .. من اجل هذا كان الواحد منهم يخوض المعركة ساعيا الى عدوه ، باحثا عنه ، لا يهرب ولا يفر . مهما اشتد وطيس القتال ، ومهما قويت حدة النزال ، ومن وراء هذا المسعى كان يأتيهم النصر عزيزا كريما .

وكان مرجع حرصهم على الموت ما وعد الله به المجاهدين الشهداء فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله عليه الصلوات والتسليم .

وبهذا يكون الاسلام قد الغى ما يسمى بالجنود المرتزقة الذين كانت القيادات تجمعهم لتضمن الكثرة العددية فى المعركة التى تؤهلها بالتالي للنصر .. وهؤلاء كانوا يؤجرون للقتال مقابل اجر معين . فهم دون ريب كانوا لا يتخذون الحرب الا وسيلة للكسب والعيش فقط . ولهذا كانوا حريصين على الحياة، وكان همهم الاول هو ان يخرجوا من المعركة سالمين معافين ، وبذلك كانوا فاقدي الاحساس بالمسئولية ، فوق انهم كانوا لا يحاربون عن عقيدة أو ايمان ، او لهدف ينبع من داخل انفسهم ، ويدفعهم الى بذل الجهد فى المعركة من اجل كسبها .

وهكذا تكون المدرسة العسكرية الاسلامية قد طورت نظرية الحرب ، ووضعت للحرب أسسا تقود الى النصر، واثارت فى المحاربين الشعور بالمسئولية الملقاة على عاتقهم .

ونرجو من لقاءاتنا القادمة ان نتناول بالحديث المدرسة العسكرية الاسلامية من الزوايا الاخرى التى تميزت بها ، والتي اوضحناها فى التمهيد لهذه السلسلة من المقالات والله الموفق .

كلكم راع ومسؤول عن

لقد غزانا دعاة الالحاد بضلالهم ووجدوا فى شبابنا قبولا لتضليلهم لأن هذا الشباب جاهل فى الدين لا يعرف قيمه ولا تعاليمه ، والدعاة يحاولون تدمير هذه القيم واقتلاعها من صدور الناشئة والشباب حتى يصبح الجيل الذى يكون فيه هؤلاء الشباب رجالا هدفا لكل ناهب ومكسبا لكل محارب ، ومن أجل هذا فتح الغرب المجند لهؤلاء الدعاة أبواب ثقافته ودعا الأمة المسلمة فى المشرق والمغرب ليتبادلوا معه الثقافة ، والمسلمون الجاهلون بدينهم فرحوا بهذه المنة وفتحوا لوفده الصدور لبث سمومه فى القلوب والعقول .

الاسلام الحنيف أولى هذه الناحية أمرها ووجه عناية المسلمين لها وحث على تربية الصغار وجعل كل فرد فى الأمة راعيا وكلف كل راع بالعناية برعيته فقال المبعوث بهذا الدين صلى الله عليه وسلم مبلغا ومعلما : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

واذا أهمل المسؤولون هذا الأمر ضاع النشء وضاع بضياعه مستقبل الأمة ، اذا فليكن المسؤول والدا كان أو أخا أو معلما مثلا صالحا لمن هم تحت مسؤوليته ، يأمرهم بالخير ويفعله أمامهم ولا يفعل ما يخالفه ولا سيما اذا كانوا أطفالا ، لأن الأطفال أكثر خضوعا واستجابة للنداء بنين كانوا أو بنات . وللأطفال مرونة قابلة للتكيف يتقبلون التوجيه ويرتاحون له متى كان الموجه صالحا يعرف كيف يستخدم عناصر التشويق استخداما طبيعيا لا تصنع فيه ولا افتعال . فاذا أمر المربى طفله بالصدق فلا يكذب واذا أمره بالعدل فلا يظلم ، واذا نهى عن شيء فلا يفعله امام طفله لأن الطفل كالمرآة تنعكس عليها أفعال من هو أكبر منه ، فيفعلها تقليدا له من حيث لا يعلم ، لأن الطفل يعتقد الكمال بمربيه ويفخر على أقرانه بأنه يقلد أباه أو عمه أو خاله أو أخاه الأكبر ، وكثيرا ما تنفرس أفعال الأب فى فكر ابنه الناشيء حتى اذا كبر فعل ما كان فعله أبوه من قبل دون ضابط أو رابط لا يعبأ بالنتائج ولا يبالي بالعواقب . وكثيرا ما انحرف شباب وشابات وفسد فتيان وفتيات من جراء هذا التقليد لأنهم لم يجدوا من يقومهم من اعوجاج أو يهديهم الى صواب . الأب منهمك فى ملذاته منكب على شهواته ساع الى اشباع رغباته ، لا يهمه من أمر البنين والبنات الا أن يقدم لهم ولهن الطعام والكساء ظنا منه أن ذلك هو كل شيء فى الحياة ، فترك لهم الحبل على الغارب فنشأوا على ما كان تركهم عليه وكانت العاقبة سيئة فى الأسرة وشرا فى المجتمع .

رعيّة

للشيخ عبد الله النورى ـ الكويت

من أين للناشىء أن يعرف دينه اذا كان المربي لا دين له ومن أين له أن يحتفظ بالآداب اذا كان المسؤول لا أدب عنده ، ومن أين له أن يتمسك بتقاليده اذا كان وليه قد ضرب بالتقاليد عرض الحائط . ومن أين للناشىء الغض أن يجد فى دينه ما يستهويه ويثير انتباهه وتحمسه ويحظى باعجابه ورضاه اذا كان المسؤول عنه جاهلا بكل شيىء من ذلك .

ان الحال لا يختلف فى مكان عنه فى مكان آخر فهو فى البيت كما هو فى المدرسة . وهو عند الأب كما هو عند المدرس فلا آمر بمعروف يأمر أو يأتمر ، ولا ناهي عن منكر ينهى أو ينتهى ، ولا شعائر للدين تقام هنا أو هناك ، ولا يعنيهم أمرها عند أولاء واولئك وهكذا ضاع الشباب بين البيت والمدرسة ، وظل أثر الدين يتضاءل عندهم شيئا فشيئا ودعاة الالحاد ساهرون يترقبون الفرص لبث سمومهم . وقد حانت وكان لهم ما أراد ـ جهل واهمال ـ وهكذا ذوى غصن الدين حتى تلاشى فى القلوب وحل محله الالحاد .

اذا فماذا قدمنا لناشئتنا من نماذج طيبة لأعمالنا تكون لهم أسوة يقتدون بها ويفخرون بالاقتداء بها ولقد تعود شبابنا مع الأسف أن يرى النور ظلاما ، والرشد غيا حتى أبدل أسماء الفضائل باقبح الأسماء فسمى الدين رجعية ، والتمسك به جمودا ، ولا لوم عليه ، انما اللوم على المسؤولين الذين أعرضوا عن الدين أو جهلوا قيمته أو تمسكوا بتقاليد بعيدة عن الدين ، مع ما فيها من اساءة اليه .

وديننا ولله الحمد وضاء مشرق ، وهو فى كل وقت وكل مكان وضاء مشرق ، ولكن جهلنا به جعلنا ندخل فيه ما ليس منه عنادا منا وتقليدا لأئمة جهال ادخلوا فى الدين ما ليس منه فضلوا وأضلوا .

والاسلام والحمد لله عقل كله ، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله لقوم يعقلون ، وهو اليسر لا عسر فيه وهو السهل لا صعب فيه ، وهو الهدى لا ضلال فيه ، وهو كما وصفه سيد المرسلين محجة بيضاء ليلها كنهارها .

فيا أخي فى الاسلام تعال الى الاسلام ففيه النجاة ، وتعال معى نجيل الطرف فى جميع جهاتنا وكافة أحوالنا حتى نحدد موقفنا على ضوء ما نجده فى ديننا لنرى هل نحن حقا مسلمون .. ؟ وهل نحن جديرون بهذا النداء الكريم . ؟

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

نشيد القوة في الإسلام

للشاعر محمد عبد الغنى حسن

مهداة للشاعر المسلم القوى محمد اقبال صاحب حديث الروح

أيها المسلم القوى النضـــــالِ ... أيها المسلم الرفيع المثــــــــــال

يا أخا الفضل . يا أبــا الاقبـــال ... لك منا تحيـــة الاســـــــلام

لك صوفية القـــوى العـــــامل ... هل رأيت الحياة يومـــا لغافــل ؟

أو لدرويش قومــــه المتواكل ؟ ... لم تسخر حياتنا للنيــــــــــام ..

انما العيش قـــــــوة وإرادة ... لم يمكن رب العباد عبــــــاده

من حيــــاة مملوءة بالبـــــلادة ... لذة العيش في اقتحام الزحــــام ..

***

يا مثالا للمسلم المتفــــــــوق ... في بيـــان ومنطق متــــــدفق

عـرَفَ الحقَّ بالخيال المحلـــق ... ما وراء الذرا ، وخلف الغمــام ..

كنت صوتا للمسلمين قويّــــــا ... ملأ الأرض ضجة ودويــــــا

وبيانـــا عذبا، وشعـــرا وضيـــا ... سائغـــا في العقول والأفهـــام

***

صوتك العذب لا يزال يـــــرن ... تتملى بــــه على الحـــق أذْن

وبه كـــل حائـــر يطمئن ... في الطريق المحفوف بالآلام ...

شعرك العـــذب نفحة من نبوة ... فائض ماؤه بـــكل فتـــــوة

وهو يدعو إلى الحياة بقــوة ... لم يهن مرة إلى استســـلام

لثم الشعر ُ قبلك النــــــوارا ... يرشف الراح من ثغور العذارى .

خالعـــا في رحابهن العــذارا ... معرضا عن ملامــــة اللوام ...

تجد العيش في رنين الــكؤوس ... وافتداء الهوى بكل نفيس

من مِلاحٍ يُضِئْنَ مثل الشموس ... فيحان الظلام غـــــير ظلام ...

***

ذاك شعــر الأزهار والأقــــداح ... وخدود كالورد والتفــــــاح ..

وعيون كالنرجس الفضـــــاح ... وثغور كالزنبـــق البسام .....

أين تلك الأشعار من روح شعركْ ؟ ... أين أزهارها بجانب زَهْــــرِكِ ؟.

أين خمر الكؤوس من طهر خمرك؟ ... يا نقى الشعور والالهام .

***

ما عرفنا في الشعر منك ضــلالة ... أو عهدنا عليــــه غير النبــالة

فهو في شرعك المتـــين رسالة ... لمرام أعظِـمْ بـــه من مـــرام .

هو شعر الحيـــاة ينبض عزمـــا ... هو شعر الاشراق ينطق حـكما .

***

هو شعر الاسلام يقطر سِلمـــــا ... هو شعر على المـــدى المـــترامى

قد سكبناه في المسامع لحنـــــا ... وسمعنا به مع الشعر فنــــا

وانتشينا به فُؤادا وأذْنـــا ... وشربنـــا الايمان في أنغـــام..

مائدة القارئ

أعدها أبو نزار

العقــل

أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فقال . كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله . ان من عبادته .. ان من خلقه .. ان من فضله .. ان من أدبه .. فقال كيف عقله ؟ قالوا . يا رسول الله نثنى عليه بالعبادة ، وتسألنا عن عقله ، فقال . ان الاحمق يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم .

قــادة العــرب

قادة العرب هــذه فرصــة العمر
وحدوا العرب بالذى وحد العرب

وهــذا نــداء مجــد الجــدود
قديمـــا مــن شرعــة التوحيــد

صفقــة خاســرة

أسر الافرنج الشيخ سعد الشيرازى، وسخروه مع الاسرى فى بناء ســـور طرابلس الشام ، ثم فداه رجل مـن حلب بمائة دينار ، وزوجه ابنته على عشرة دنانير ، فكانت تسىء معاملته ، فقالت له يوما . ان ابى اشتراك بمائة دينار فأجابها . نعم وباعنى بعشرة .

حب البقــاء

دخل سليمان بن عبد الملك مسجــد دمشــق ، فرأى شيخا ، فقال . باشيخ . أيسرك أن تموت ؟ فقال . لا والله ، قال ولم وقد بلغت من السن ما أرى ؟ . قال . مضى الشباب وشــره ، وبقــى الشيب وخيره ، فانا اذا قعدت ذكــرت الله ، واذا قمت حمدت الله ، فأحسب أن تدوم لى هاتان الحالتان .

حيلة

ابق أحد العبيد ، فقبض عليه الحراس وأوقفوه بين يدى الملك ، وكان فى جلسائه نديم له حاقد على ذلك العبد ، فأشار على الملك باعدامه ، وزعم له أن هذه العقوبة ستكون عبرة لغيره ، فوقــع العبــد على قدمى الملك ، وقال انى راض بكل ما تحكم به يا مولاى ، ولكن حذار أن تقضى بموتى قبل أن تجد له عذرا بينا ، ومسوغا عادلا ، فتجد لنفسك منفذا من تبعته ومخرجا من عهدته يبرئك من الحساب العسير فى اليوم الاخير .

فسأله الملك وكيف أستطيع ان أجعل موتك مشروعا .

فقال العبد . مر باطلاق سراحى حتى أغتال هذا النديم واذ ذاك يحق لك الاقتصاص منى .

فالتفت الملك الى النديم وسأله ما رأيك ؟

فأجاب . أرى بعد التروية ان تحلم عنه ، وتجعل ذنبه تحت قدميك ، وتتلقى بعفوك جريمته تخليدا للعدل الذى اشتهر به آباؤك .

دعوة مظلوم

قال جعفر لابيه خالد بن برمك ــ وهم فى القيود والحبس .

يا أبت . بعد الامر والنهى والعز والسلطان أصارنا الدهر الى القيود ولبس الصوف والحبس ؟ .

فقال له أبوه . يابنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول .

رب قوم قد غدوا فى نعمة
زمنا والعيش ريّانُ غدقْ
سكت الدهرُ زمانا عنهم
ثم أبكاهم دماً حين نطقْ

من أعمالكم

سمع « تيمور لنك » وهو بخراسان ــ عن ولى من أولياء الله . اسمه زين الدين أبوبكر الخوافي، فقصده تيمورلنك، ونزل عن فرسه وانحنى للشيخ ، فوضع يده على ظهره ، ثم رفعها ، فقال ــ تيمور لنك . لو لم يرفع الشيخ يده لقضى على ، فقد تصورت أن السماء تقع على الارض وأنا بينهما ، ثم جلس فى أدب بين يدى الشيخ وقال له . لم لا تأمرون ملوككم بالعدل بين الرعية ؟ فقال له . أمرناهم فلم يأتمروا ، فسلطناك عليهم ، ففرح تيمور لنك بهذا ، وقال . ملكت الدنيا ورب الكعبة .

التاريخ

التاريخ ثروة هائلة من كذب الانسان ، فاقرأه كما تقرأ الياذة « هوميروس » وأنياذة « فرجيل » وشهنامة «الفردوسي» ولا تلتمس الحق فى أحداث الارض واعمال الناس الا فى الكتاب الذى يخرجه الله يوم القيامة لكل امرىء ، فيقرأ فيه ما قدمت يداه، ثم يحاسبه أحكم الحاكمين على مقتضاه .

شهيد الفأرة

قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه . ما أخرك عنا ؟ قال . موت أخى . قال . بأى علة ؟

قال : عضت اصبعه فأرة ، فضربته الحمرة . فقال محمد . ما يرد يوم القيامة شهيد أخس سببا . ولا أنزل قاتلا ، ولا أضيع ميتة ، ولا أظرف قتلة من أخيك ....

من الشهيد ؟

لما فتح تيمور لنك حلب ، دعا علماءها وقضاتها ، وطلب من امامه عبد الجبار المعتزلى أن يناقشهم فقال لهم .

سلطاننا يقول . انه بالامس قتل منا ، وقتل منكم ، فمن الشهيد ؟ قتيلنا أم قتيلكم ، فوجم الجميع . أيقولون قتيلكم فيكذبون على الله ، أم يقولون قتيلنا ، فيغضبون تيمور ، فوقف منهم الشيخ ابن الشحنة ، وكان ملهما فقال :

هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه فبهت الحاضرون ، فقال تيمور .

كيف سئل وكيف أجاب ؟

قال . جاء أعرابى الى رسول الله ، وقال يا رسول . ان الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأينا فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله . من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد .

خرافة

خرافة فيما زعموا : رجل من أعراب جهينة . اختطفته الجن فلبث فيهم زمنا ، ثم رجع الى قومه ، وأخذ يحدثهم أعجب الاحاديث مما رأى ، ويصنع الاساطير ، ويبتدع النوادر ، ويختلق العجائب ، فكذبوه ، ثم صار الناس يسمون كل حديث مستملح من الكذب خرافة .

ومن طبيعة اكثر الناس تزيين الكلام والزيادة فيه ، فلا تجد انسانا ينقل حادثا او يروى حديثا الا دخل فيه برأيه وذوقه ومنفعته وهواه ، فيغير ، ويزور ، ويموه وينمق وقديما قالوا ما آفة الاخبار الا رواتها .

التصوف الذي نريده

للشيخ محمد الغزالي ـ مراقب الدعوة
بوزارة الاوقاف القاهرة

مع قيام الاسلام على العقل، وترحابه بالفكر الجيد والبحث الاصيل، وحضه على الارتباط المادى والمعنوى بالكون عملا وتأملا، مع ذلك كله فهو دين يعقد أوثق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة، ويجعل الايمان عاطفة دافقة بالحب والبر الى جانب أنه نظر يتسم بالسداد والصواب ..

والاسلام المكتمل ليس (نظرية) علمية، أو اقتصادية، وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والاستدلال .

انه قلب انفتحت أقفاله، وانفسحت أرجاؤه، وأشرق معنى الحب فى جوانبه، فهو متعلق بربه، متتبع لآثاره فى كونه، عاشق للخير، مبغض للشر، يمتد مع كل شىء حسن، وينكمش مع كل شىء قبيح .

وقد خاطب الله المؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال : (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة) (١) . ومن المتعذر الفصل بين الاستنارة الفكرية والهداية النفسية . نعم يوجد ناس لهم عقول ذكية وسير هابطة، ولا نشك فى ان هؤلاء مرضى، والادواء التى أصيبوا بها متفاوتة الشناعة والسوء، والمفروض أن من يعرف خصائص النار يتحاشى ملامستها، غير أننا نلحظ أن بعض الناس قد يعرف شيئا ما معرفة حسنة، ثم يجىء تصرفه وكأنه جاهل كل الجهل . وهذا التناقض ضرب من الجنون الذى يرى فى كل مكان، ولا يودع أصحابه مستشفيات المجانين !!

ان الأمراض التى تعترى الشخصية الانسانية كثيرة جدا، وهذا الجنون الجزئي هو ما أشار اليه القرآن الكريم فى تقريعه للاشرار من العلماء : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (٢) .

نعم فالمفروض أن صحة التفكير تستتبع صحة التصرف !

لكن هذه البديهية عندما تنتقل الى عالم التطبيق يعترضها من العوائق، ما يعترض التيار الكهربائي عندما ينقطع السلك الحامل له، أو عندما توجد مواد عازلة تمنعه من الانطلاق الى مداه .

---

(١) الحجرات /٧، ٨

(٢) البقرة /٤٤ .

والدين الحق شفاء من هذه العلل جمعاء ، فهو عقل مستقيم وضمير حى .

أما الثروة الطائلة من النظريات والفقر المدقع فى المشاعر النبيلة والاتجاهات الكريمة فليس تدينا مقبولا ..

والسؤال الذى نريد الاجابة عليه . كيف نحقق هذا التدين ؟

وكيف نربى فى القلوب الاحساس بجلال الله والخشوع لعظمته ؟

كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق ؟

كيف نحول معرفة الله الى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة ، ويصفى السرائر من كدرها ؟

كيف نجعل المرء مشتاقا الى ربه ، فهو ببواعث من أشواقه يطيعه ويسارع الى مرضاته ؟ .

وكيف نجعله هيابا لذاته فهو بدوافع القلق ينفر من معصيته ، ويفزع من مساخطه ..

كيف يشهد المرء ربه فى مجالى السموات والأرض ، ويشهد أسماءه الحسنى فيما يقع من حركة وسكون على امتداد الزمان والمكان ؟

انه لا يتم ايمان ، ولا يثمر دين الا اذا أحسنا الاجابة على هذا السؤال ؟ ..

ونحن نعرف أن العلوم الشرعية تعاونت على شرح رسالةالاسلام وتوقيف الناس على حدوده وحقائقه ، فأى العلوم أكثرت بهذه الاسئلة وطال نفسه فى الحديث عنها ؟

اننى لست متصوفا ، وما أحب أن أنتسب الى فرقة من فرق المسلمين .. بيد أن الانصاف يدفعنى الى القول بأن هذا الجانب المهم من الثقافة الاسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء والمتكلمين ، وأن المتصوفة ـ برغم شطحاتهم وغلطاتهم ـ هم الذين أفاضوا فى هذا الحديث ..

ان فقهاءنا الذين كتبوا المجلدات فى غسل الاطراف ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم الفقهية . وان المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة فى الشئون الالهية المغيبة ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس فى الله ويرفعوهم الى حضرته بأسلوب علمى محكم .

لقد كان ذلك والله أجدى على الاسلام وأهله ، من بحوثهم العقيمة فى الذات والصفات ! !

ان العناوين لا تهمنى ، وانما يهمنى الموضوع ، يهمنى أن أرسم الطريق لبناء النفوس على التقوى ، وايناسها فى هذه الدنيا بذكر الله ، والهامها كيف تستعد للقياه ، ببصيرة مجلوة ، ورغبة عميقة ، وثغر باسم .

ولنسأل أنفسنا أولا ، ما هى مصادر ثقافتنا الخاصة ؟

تعتمد الثقافة الذاتية ، أو الثقافة التقليدية للمسلمين على كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، على هذين الاصلين تقوم علوم الدين ، واليهما كذلكتستند علوم الحياة وفنونها .

وفى عصرنا الاول استطاعت شعب الثقافة المختلفة أن تقيم حضارة متوازنة الجوانب متكاملة الغايات .

وعندما ننظر الى عالمنا المعاصر نجد أن شجرة العلوم والفنون تتفرع فى أرجائه المختلفة ، وتظلل أنحاءه البعيدة فى أتساق يستحق التنويه .

هناك العلوم الآلية والرياضة ، وهناك الفلسفات والآداب ، هناك علوم التربية والاخلاق ، وهناك أبحاث القانون وشرائعه الخاصة والعامة ، ولكل ميدان أسلوبه فى صوغ حقائقه وتقرير أدلته .

ومع الانصاف وبعد النظر لا يزعم رجل فى هذه الميادين أنه أحق بغيره من الحياة ، وأنه يغنى كل الغناء عندما يزول سواه .

نعم ، للقوانين مثلا مكانها الوطيد فى المجتمع ، ولكن هل معنى ذلك أن الدنيا تستغنى عن الوعظ والتربية ؟

وفى ميدان القانون قد يشتجر عالمان على صياغة عبارة ، وقد يختلفان فى بقاء أو حذف حرف من حروف الجر .. وذلك بديهى فى ميدان تضبط فيه الحقوق ، وتحرس الدماء ، ويفصل فى الخصومات .

فهل معنى ذلك أن المجالات القائمة على المعنويات المحضة وملاحظة النفس الانسانية تفقد قيمتها ؟

كلا .. ! ان عالمنا الحاضر تجاور فيه الباحثون عن أسرار الفضاء الى الباحثين عن المعادن فى أغوار الارض ، وتجاور فيه قول الشعر الى تفتيت الذرة .. والحياة تسع الجهاد الأدبى والعلمى لتلك الفئات كلها ! (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ..) (١) .

والدراسات العلمية عندنا يجب أن تنسق ذات بينها حتى تستأنف كفاحها النبيل لخدمة الاسلام وابلاغ رسالته، ولا معنى لخصوصة بين فرع وفرع وميدان وميدان .

غير أننا لحظنا آسفين أن الفقهاء والمفتين قديما اشتبكوا فى منازعات حادة مع المتصوفة والعباد ، وأن كلا الفريقين تجهم للآخر ، ولم يستفد مما عنده .

وكانت نهاية القطيعة بين الفريقين أن وجدنا فقها لا روح فيه ، وفقهاء لهم سمت الدين وليس لهم قلبه الحانى الطيب .

وأن وجدنا تصوفا لا دراية له ، ومتعبدين تحفل سيرتهم بالخرافات والبدع .. وفى العصر الأخير كادت علوم الدين تنقطع علائقها بالكتاب والسنة الا بقايا من النظر الكليل والتطبيق القليل والأمر يتطلب عودا سريعا الى هذه الأصول واستمدادا مباشرا منها ..

قد تقول : ان هذا التصوير غير دقيق ، وانك واهم حين تتهم علماء الكلام والفقه بأنهم قصروا فى ميدان التربية وغرس التقوى والانس بالله فى نفوس الناس وأن هذا الفراغ المتروك هو الذى ملأه المتصوفة ..

وأرى أن الموضوع يحتاج الى مزيد ايضاح .

ان علماءنا الأوائل كانوا يجمعون بين سعة العلم وصدق الصلة بالله،والأجيال التى استمعت اليهم كانت تفيد منهم الأمرين معا . نضارة القلب المتجه الى الله ، واشراق الفقه الذى يضىء الطريق اليه ..

فهم علماء ومربون فى وقت واحد ..

وانى لأرمق باجلال وحب رجلا مثل البخارى بدأ كتابه الصحيح بحديث (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) .

وختمه بحديث (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمان ، سبحان الله وبحمده ،سبحان الله العظيم) .

كان وجه الله هدفه أول سطر خطه ، وكان وجه الله أمله ، وحمده وتنزيهه شغله آخر سطر خطه ، وبين البداية والنهاية أودع الرجل علمه الغزير وحفظه الكثير ..

والبخارى معروف بأنه من علماء السنة ، بيد أنى أظلم الرجل وأشباهه من الأئمة حين أجعلهم علماء متخصصين فى فرع واحد من علوم الشريعة على النحو الذى اصطلح عليه الأخلاف .

---

(١) البقرة /١٤٨ .

فالبخارى — فى نظرى — عالم بالاسلام كله : من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وسيرة .. ألخ .

والميزة التى غلبت عليه وشهر بها لا تدل الا على تفوق فقط فى هذه الوجهة من الدراسة او على عناية بها فرضتها الظروف المحيطة .

ومثل ذلك يقال فى الخلفاء الأربعة ، والأئمة الاربعة ، ونظائرهم .

فعمر حاكم وواعظ ومرب وفقيه وليس رجلا سياسيا فحسب ..

وأبو حنيفة فقيه وسياسى وداعية الى الله ، وليس رجل دراسة فقهية فقط .. والاستقاء المباشر لهؤلاء من الكتاب والسنة جعلهم يتركون فيمن حولهم جملة المعارف والانطباعات التى يتكون منها المجتمع الاسلامى الناضج الوعى ، الراشد السلوك ..

ان اتصال أرواحهم بالوحى الالهى ، واستضاءة ضمائرهم بصاحب الرسالة جعلهم على اختلاف وظائفهم العلمية والعملية رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، جنّاً فى القدرة على الحياة ، ملائكة فى قيادها باسم الله .

وهذا الضرب من الناس أسمى من أن يصاغ أو يقاس بالمصطلحات العلمية الحديثة .

وجهد علوم الدين بعد أن تفرعت أنهارا شتى من الينابيع الاولى كجهد علوم الطب التى تستهدف — مع كثرتها — صيانة البدن الانسانى .. أن هذه العلوم المشتقة من الكتاب والسنة تلتقى جميعا عند تكوين الايمان ومطالبه .

ولا بد أن يكون من بين هذه العلوم ، علم يقوم على رفع الانسان الى مقام الاحسان ، علم يعالج العلل العقلية والنفسية التى تحجب المرء عن ربه ، وتلصقه بالتراب ، أو التى تهتم بأشكال العبادات ولا ترتبط بمعناها وحكمتها ..

ما يكون اسم هذا العلم ؟ لا يهمنى ذلك ، لنسمه التصوف ، أو لنتخير له ما نستحب من عناوين .. فالامر سواء .

ان شر ما يصيب المتدينين هو تحول الطاعات الى عادات تؤدى فى غيبة العقل وغفلة الشعور .

والمراسم الدينية — والحالة هذه — معطوبة الثمار ، وربما بقيت وبقى الى جوارها طبع لم يهذب ، وخلق لم يقوم .

ما الذى يوقظ القلب الغافى ، ويعيد اليه حرارة الحياة ونشاطها ؟

ان تعهد الناشئة والكبار بما يوجه عواطفهم وآمالهم الى الله جل جلاله ، شىء خطير ، ولا بد من اقامته على أسس فنية محترمة .

وفى عصرنا هذا لا بد من الاستعانة بمقررات علم النفس ، والاستعانة بما فى الآداب الانسانية الصادقة من تجارب وصور ولا أحسب أحدا يمارى فى حاجة الناس الى هذا اللون من المعرفة والتربية .

والنزاع الذى نشب قديما بين خصوم التصوف وأصدقائه لا يتصل بما نحن فيه ، انه كان نزاعا على قيمة بعض التصرفات والأقوال التى يجب أن تخضع للمقررات الاسلامية .

وانى أعترف بأنى حسنت صلتى بالله كثيرا على أثر كلمات قرأتها للغزالى وابن الجوزى ، وابن تيمية وابن القيم ، وابن عطاء الله السكندرى مع ما بين أولئك جميعا من تفاوت المشرب واختلاف النظرة ..

وقد نستطيع التعرض لما تفاوتت فيه أحكامهم ، لكن ما أؤكده هنا هو أن المعنى الذى شرحناه آنفا قدر مشترك لدى الجميع ، وأننا فى هذه الايام بحاجة الى تجديده وتجليته ..

انه معنى يشع من الكتاب والسنة أولا وآخرا ويجعل عالم الايمان براقا بالحب ، مزدانا بمعية الله فى الغدو والآصال .

« للحديث بقية »

خواطر

من هنا ... وهناك

يكتبها : عبد المنعم النمر

معركة كرامة

كرامتنا كلنا نحن أمة العرب معلقة بشيء واحد الآن هو : النصر وغسل العار . كل شيء يهون فى سبيله .. كل شيء يجب أن يكرس من أجله .. ليس فى حياتنا كلها مهما غلا ما يساوى أغلى هدف وأسمى غرض : النصر وغسل العار .

قلوبنا كلها متجهة الى هذا الهدف تحرسه وتفديه ، عيوننا كلنا مشدودة اليه .. أنفاسنا . خطواتنا . أعمالنا . راحتنا . جدنا . لهونا . صحونا . نومنا . كلها في سبيل المعركة المقدسة ..

اذا رجعت الى بيتك فاذكر الذين لم يعد لهم بيت ..

اذا رأيت أولادك فاذكر الذين فقدوا أولادهم .

اذا رأيت زوجتك وبناتك فاذكر ما فعل الصهيونيون بزوجات الآخرين وبناتهم ..

اذا كنت تلعق المرارة هنا ، فهناك يتيهون بالنصر عليك ، ويملئون الدنيا شماتة بك ..

اذا رأيت خلافا فسارع بالقضاء عليه ، وحارب بواعثه ونوازعه ، وادع اللـه للمختلفين بالهداية .

اذا رأيت مجلة تقدم لك سموم الانحلال والميوعة فحاربها ، واعمل بكل ما تستطيع على كسادها ، لأنها حرب عليك وعلى هدفك ، ولأنك تدفع فى شرائها ثمن السم الذى تقتل به نفسك وأمتك .

اذا رأيت كتابا أو صحيفة تغريك بالفساد ، وتشكك فى دينك وقيمك فقاطعها ، وقاطع هذا الكاتب ((العميل)) الذى يحاربك مع عدوك ، وينتزع منك روحك الأصيلة التي تخوض بها معركة النصر على أعدائك ..

اذا رأيت مترفا ماجنا فقل له . اننا على خط النار ، نأخذ بالثأر ، فأين أنت ؟ .

اذا رأيت « فيلما » ماجنا فحاربه . لا تشاهده ، وادع الناس الى مقاطعته .

اذا رأيت مسئولا صغيرا أو كبيرا مهملا فى أداء واجبه فقل له . انك تؤخر يوم النصر وتجنى على أمتك .

قل لنفسك ولكل من حولك ومن تعاملهم جميعا اننا فى معركة الشرف فاعملوا جادين من أجلها ان كان لكم شرف تحرصون على حمايته .

ضالة المؤمن

تلك هي الحكمـة يلتقطها المؤمن أنى وجدها ، وقد عثـرت على حكمة فى مجلة الحوادث اللبنانية أحب أن أقدمها لكل محارب من أمة العرب ، وكلهم محاربون .

وصاحب هذه الحكمة ـ مع الأسف ـ صهيوني طيار سقط بطائرته على أرض لبنان . تجمع عليه الأهالى وأمسكوا به ، وتقدم له مدرس فلسطيني يقول له : أنا فدائي .. فنظر اليه الطيار وحدق فيه طويلا ثم قال له : أنت فلسطيني ؟ ! فلسطيني وتلبس رباط الرقبة « الكرافتة » ؟ !!! .

ماذا يعني ؟ انه يتحدث بروح المحارب الذى يكرس كل شيء فى سبيل الحرب والنصر . هل تفيدنا هذه الحكمة ؟ .

ماذا يقولون ؟

تحدث عائد من لندن ابان هذه الازمة فقال : انهم هناك يتحدثون عن أثر المقاطعة عليهم وعلينا أيضا .. وكان مما قالوه عنا نحن العرب اننا نستورد من الغرب أدوات زينة للنساء بمبلغ ١٣٥ مائة وخمسة وثلاثين مليونا من الجنيهات ! ! .

ترى هل هذا الرقم أو حتى نصفه صحيح ؟ ثم ألا يمكن الاستغناء عن أدوات الزينة هذه وتوفير المبالغ التي تخرج من جيوبنا الى الغرب ليحولها الى قنابل النابالم التي يحرقنا بها ؟ !! .

ان المرأة غالبا ماتظل فى بيتها دون زينة ، وزوجها يعرفها على حقيقتها دون زينة ، وهو مقتنع وراض بها . فلمن الزينة يا رجل اذن ؟ ! . لغيرك فى الشارع قطعا وأنت راض ، وتدفع من جيبك الثمن !! والمرأة أليس لها دور وعليها واجب ؟ ما رأيها فى هذا ؟ ألا تستغني عن هذه الزينة وترضى بما رضى به زوجها منها ، وتوفر له وللأمة كل هذه المبالغ ؟ .

* * *

وشيء آخر سمعته من اذاعة بغداد من قادم من الولايات المتحدة حديثا يروى ما كان يجرى فى الاذاعة والتليفزيون والصحف بنفوذ الصهيونيين هناك ضد العرب ، لنعرف كيف يفعل الصهيونيون ، وكيف أثروا على أهل البلاد حتى صاروا أكثر منهم عداء لنا ..

قال المتحدث : أنهم فى التليفزيون هناك يحرصون على أن يضعوا أمام المسئول . كلمتى العرب والمسلمين ، وقد سألوا أيزنهاور الرئيس السابق عن الحرب ورأيه فيها فكان مما قاله .. لو انتصر المسلمون العرب فانهم سيجتمعون حول عبد الناصر وسيحولون البحر الأبيض الى بحيرة عربية يمكن أن يغلقوها فى وجهنا وحينئذ يصبحون أكثر خطورة علينا من روسيا !! .

ونذكر بهذه المناسبة كيف كانت صحف واذاعة فرنسا أثناء حرب التحرير الجزائرية تؤثر على أن تذكر الجزائريين باسم المسلمين لا باسم الجزائريين . وغرضها واضح وهو استثارة الحقد الكامن فى النفوس على الاسلام والمسلمين لتشديد قبضة فرنسا على الجزائر ..

تلك نظرتهم هناك وهذه هي خطتهم .. فماذا نفعل نحن هنا ؟ .

اننا فعلا مسلمون ويشرفنا ويشد من عضدنا أن نقابلهم بهذه الروح الاسلامية التي تأبى الذل والخنوع ، وبسلاح الايمان بديننا وعروبتنا سنهوى عليهم بالضربة القاضية .

المؤمنون والشدائد

فى هذه الايام تمتحن الامة الاسلامية امتحانا شديدا فى ايمانها بربها ، وتمتحن فى قوة شخصيتها وصلابتها وتماسكها .. ولقد سمعت كما سمع غيرى كثيرا من الناس يقولون كيف يصيبنا ما أصابنا ونحن مسلمون ؟ . وكيف ينتصر أعداء الله علينا ؟ .

ومع أن هؤلاء القائلين فى حاجة الى أن يراجعوا أنفسهم ، وحظهم من الاسلام

واتباع تعاليمه ، قبل أن يقولوا هذا .. الا أنني أقول لهم : وكيف انتصر المشركون في غزوة أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته ؟ ونالوا منه وجرحوه ، وقتلوا من اجلاء صحابته سبعين ومثلوا بعمه حمزة شر تمثيل ؟ .

هل يمكن أن يتسرب أي شك في ايمان الرسول وصحابته ، هل يمكن أن يقال ان الله حابى المشركين على حساب الرسول والمؤمنين ، هل يمكن أن يقال ان الله يحب المشركين ولا يحب رسوله والمؤمنين ؟

ان الذي يمكن أن يقال فيسمع هو أن الحرب تحتاج الى الايمان مع اعداد الخطط والالتزام التام بكل ما تقتضيه الحرب .. وقد كانت الهزيمة بسبب أن بعض المؤمنين خالفوا النظام الذي وضعه الرسول لهم ، فانتهز العدو الفرصة . فعلينا اذن أن نسأل أنفسنا قبل أن نقول كيف ينتصر أعداء الله علينا ؟

نسأل : هل أعددنا لهذه الحرب عدتها ؟ هل كنا جميعا على مستواها ؟ . هل جابهنا عدونا صفا واحدا ؟ هل اتبعنا توجيه الله حين قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ان الخسارة في معركة حربية ليست خسارة بالمعنى الصحيح .. ومن يضحك أخيرا يضحك كثيرا . والمهم أننا لا ننهزم في داخل نفوسنا .. المهم أن تلهب هذه الخسارة فينا العزائم .. وتقوى فينا التصميم .. وتعطينا دروسا نستفيد منها لمستقبلنا .

المهم أن يعتقد كل منا أنه في معركة .. لا بد فيها من النصر .. ولا بد أن يجهز للنصر عدته .. لا فرقة لا ميوعة لا ترف لا بذخ .. لا لهو ..

بمقدار المرارة التي تجرعناها جميعا نصمم على النصر ونضع في رقاب قادتنا وزعمائنا أن يضعوا تخطيطا جديا محكما يلتزمون به معنا .

لم نعد نحن الذين شربنا المرارة نطيق أن نسمع خلافا بين القادة ، لا نحب مهاترات صحفية ولا اذاعية .. لا نريد أن نسمع أن أحدا متخلفا عن الصف الواحد ..

اننا في حالة حرب ضارية تجمع فيها علينا الأعداء الأقوياء ولن تخيفنا قوتهم . ما دامت فينا ارادة ، وعندنا عزم وتصميم . وما دمنا مؤمنين بحقنا كأمة لها تاريخها ولها رسالتها .

لا نريد أحدا يدافع عنا بل نريد نحن أن نأخذ بثأرنا ونسترد كرامتنا . الذي نريده فقط أن نفرض احترامنا على العالم بوحدتنا وعزمنا وجدنا واتجاهنا الى الهدف ووضع كل شيء في سبيل تحقيقه والله مع العاملين .

المنافقون

شدد القرآن الكريم النكير على فئة ممن حول الرسول صلى الله عليه وسلم سماهم « المنافقين » . هذه الفئة كانت تعيش بين أصحاب الرسول بما أعلنته من اسلام وبما كانت تقوم به من العبادات المفروضة كالصلاة والصيام بل والمشاركة أحيانا في الحروب في صف المسلمين .. أعني أنها كانت تأخذ صفة المسلمين صفة أصحاب الرسول .. لكنهم لم تنطو قلوبهم على اخلاص للاسلام ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بمثابة الجراثيم الخفية في صفوف المسلمين .. تتخفى وراء الاسلام وما تقوم به من مظاهر اسلامية ، ومن اظهار الغيرة على الدين وعلى الرسول .. ولكنهم كانوا ينكشفون بما كان يصدر عنهم أحيانا من أقوال وأعمال حتى كان يهم بعض المخلصين بقتلهم فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمنعهم ويقول لهم : حتى لا يقال ان محمدا يقتل أصحابه . الى هذا الحد كانوا يأخذون وضعهم الظاهري في صفوف المسلمين وعند غير المسلمين .. أصحاب محمد !!! .

هؤلاء برغم ما كانوا يعلنونه من اسلام وما يؤدونه من فرائض وما يظهرونه من طاعة يقول الله عنهم « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » « ان المنافقين في الدرك

الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)) ، لم تنفعهم عباداتهم لأنها كانت مصطنعة ولم ينفعهم نطقهم بالشهادة لأنه كان من ورائها قلب أسود يفيض بغضا ونقمة ..

كان هؤلاء خطرا أى خطر فى صفوف المسلمين . وكان الوحى ينزل على الرسول فى شأنهم لكنه لا يعين واحدا منهم باسمه ، وانما يذكر أوصافهم ليعلمهم ويحذرهم ، وليكون هذا الوصف الخالد فى القرآن أمام كل المسلمين من بعد الرسول يعرفونهم به ، ويتقون خطرهم ان أرادوا سلامة لمجتمعهم ووصولا لأهدافهم .. ولعل من الخير أعظم الخير فى أيامنا أن نستعيد هنا بعض أوصافهم كما ذكرها القرآن الكريم ليحذرها المسلمون المخلصون ، ولتكون اصبعا يشير اليهم فى معركتنا الخطيرة التي نعيشها حتى نأخذ حذرنا منهم . يقول الله تعالى : ((واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون)) (سورة البقرة) .

ويقول : ((وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)) .

ويقول : ((واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)) .

ويقول : ((الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ...)) .

ويقول فى الذين فضحتهم شدائد الحرب ، وكشفت عن خباياهم وحقيقتهم ، فلم يخرجوا للقتال مع الرسول : ((لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون)) .

ثم يقول : ((ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)) .

ويقول : ((ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون))

ويقول : ((ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون)) .

ويقول : ((فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ، فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)) .

ويقول : ((واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)) .

وبعد : فهذه بعض صفات المنافقين . أكبر خطار على كل مجتمع يعيشون فيه . ولعل أبرز هؤلاء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول . وربما كان من الخير أن أقدمه لك فيما بعد ، كنموذج لهؤلاء الأشرار الذين يعيشون فى كل عهد ،وفى كل مجتمع ، كالجراثيم الفتاكة ، التي تنتهز فرص الأزمات التي يمر بها المسلمون ، فتبدأ فى أداء دورها ، وينكشف للناس حقيقتها وخطرها ...

ألأنِّيَ الإنسان؟

للأستاذ : محمد التهامي
المستشار بالجامعة العربية

ألأنَّنِـــيَ الانسان ثـــارت عـــزة الانســـان فـــيّ
ألأنَّنِـــيَ الانســـان قـــد أدركـــت أنـــى اليـــوم حي
ألأنَّنِـــيَ الانســـان قـــد مُـــدت إلى حقـــى يـــدى
يتحـــرك الوحـــش الـــكبـــير بـــكل قوتـــه الـــيّ
ويـــروح يرعـــد بالســـلاح وبالنبـــاح وبالـــدَّوِى
ويظـــن أن جيـــوشه ستمد باطله بشـــيّ
لا أيهـــا الوحش الـــكبـــير ، أنـــا الـــكبـــير ، أنـــا القـــوى

***

لا تحسبن صراخـــك المحمـــوم يعـــدو مسمعَـــيّ
أو تحســـبن مهـــازل الأذنـــاب قـــد جـــازت علـــيّ
أو تحســـبن ضخامـــة الأصنـــام تخـــدع مقلتَـــيّ
أو تحســـبن النـــاب والأظفـــار تثـــنى قبضتَـــيّ
انـــى لويـــت ذراعـــك الجبـــار – يـــا جبـــار – لـــيّ
ومـــلأت من دمـــاك الأثـــيم وقـــد تدفـــق راحـــتيّ
سأعبـــه عبـــا ولن ألقـــى مـــدى الأيـــام رى
حـــتى أراك وقـــد مضيـــت ولا رجعـــت من المُضـــيّ

اني تنسمـــت الحيـــاة وذقـــت معنـــاهـــا الشهـــــي
وتمـــردت في كل أعضـــائي دمـــاء اليعـــــــــربي
فـأنـــا الأبـــي وقـــد تلقيـــت الحيـــاة عن الأبـــي
أرضي بها ظـــل السماء ومهبـــط النـــور السنـــــي
كم أنبتـــت من مهتديـــن وكم حبـــا فيهـــا نبـــــــي

✵✵✵

ان كان قد أخـــنى عـــلى وسـاقـــك الزمـــن الـــــــردي
وسرقـــت من فمـــي الحيـــاة ولقمـــة العيش الهـــني
وتركتـــني نهـــب الضياع أغـــط في نـــوم شقـــــي
فلقـــد صحـــوت من السبـــات وهـــزني الفجـــر النـدي

✵✵✵

الله أنقـــذني ومد لـــي النـــــداء العبقـــــــري
وأتـــاح لي القـــدر العظـــيم منـــابع الطـاقـــات في
فاذا العصـــي أمـــام عزمـــي لم يعـــد أبـــدا عصـــي
وعرفـــت أنـــي سيـــد وجميـــع ما أبغـــي لـــدي
حـــتى الطريق الصعـــب أضحـــى في مســـيرتنا ســـوي

✵✵✵

فتفـــزع الوحش الـــكبير وصـــب نقمتـــه عـــلي
وأدار من حـــولي المعـــارك في الصبـــاح وفي العشـــي
من كل معركة شـــوت من حرهـــا الأكبـــاد شـــي
الحـــق فيهـــا لا يهـــون ولا يجـــور عليـــه شـــي
والصـامـــدون يقـــدمـــون حيـــاة بـــذال سخـــي
وحقـــوقهم فـــوق الضيـــاع يصـــونها الدم الزكـــي

شخصيّات إسلاميّة

الإمام مسلم وصحيحه

للاستاذ محمد أمين توفيق

> قال له اسحاق بن منصور . لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين .
> وامتدح ابو على الحسين بن على النيسابورى صحيحه فقال .
> ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث .
> وذكر مسلم عند اسحاق بن راهويه فقال بالعجمية ما معناه :
> أى رجل كان هذا ؟ ..

يشاء الله سبحانه وتعالى أن يولد ويموت فى عام واحد عالمان جليلان تربط بينهما قربى العلم ، وتصل ما بينهما مدرسة الفكر الاسلامى ، أما الذى مات فهو الامام الشافعي مؤلف كتاب الأم وصاحب المدرسة المعروفة فى التشريع .. وأما الذى ولد فهو الامام مسلم صاحب هذه السيرة العطرة ، وقد كانت الوفاة وكان الميلاد فى عام ٢٠٤ هـ .

ولد مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري بنيسابور ، وكان أبوه الحجاج صاحب تجارة بموضع يقال له (خان بخمس) ، فلما اشتد عود ابنه أشركه معه فى التجارة ، فكان مسلم يوزع وقته ما بينها وبين الدرس والتحصيل وقد نبغ نبوغا ظاهرا فى دراسته وتلمذته على مشايخ عصره .. يشهد بذلك له شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء فيقول ..

« كان مسلم من علماء الناس ، وأوعية العلم .. ما علمته الا خيرا » .

وحينما يبلغ مسلم من العلم مبلغا يمكنه من وضوح الرؤية واختيار ما يناسبه من العلوم يشتغل به .. ويوجه اليه طاقاته .. يتخصص فى علم الحديث ، وهو يعلم أنه انما سلك طريقا وعرا ، واختار علما تتجمع فيه علوم شتى كتاريخ الفتوح ، والسيرة والفقه والطبقات والتفسير .

وبسرعة بديهته وملكة حفظه يفرغ من دراسته النيسابورية ، ويشعر أنهبحاجة الى المزيد ، فيشد الرحال حاجا الى الحجاز ، وهو فى نحو السابعة عشرة من عمره .. يقول ابن العماد فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » انه حج عام ٢٢٠ هـ فلقى القعنبى وطبقته .

ثم انه يطلب المزيد فيرحل الى مصر والشام والعراق .. وهو فى كل هذه الأسفار يتعلم ويعلم .. هذا خبر عنه نجده فى الجزء الثاني عشر من « معجم المؤلفين » : (... وسمع يحيى بن يحيى النيسابورى ، وأحمد بن حنبلواسحاق ابن راهويه وعبد الله بن مسلمة وغيرهم وقدم بغداد غير مرة .. فروى عنه أهلها .. وروى عنه الترمذى ..) .

ويحدثنا التاريخ عن صداقته لتوأم الدراسة والمنهج .. الامام البخارى .. وهذه واحدة من القصص التي تبين مدى تقدير مسلم لعلم البخارى ومكانته، يرويها أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ فيقول « لما استوطن البخارى نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف اليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخارى ما وقع فى مسألة اللفظ ، منع الناس من الاختلاف اليه حتى هجر ... وخرج من نيسابور فى تلك المحنة ، وقطعه أكثر الناس غير مسلم فانه لم يتخلف عن زيارته ..

فأنهى الى محمد بن يحيى أن مسلم ابن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا ، وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ، ولم يرجع عنه ، فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال فى آخر مجلسه . الا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا ، فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رءوس الناس ، وخرج عن مجلسه ، وجمع كل ما كتب عنه ، وبعث به على ظهر حمال الى باب محمد ابن يحيى ، فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته) ..

يقول الخطيب البغدادى مؤكدا هذه القصة (كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش ما بينه وبينمحمد بن يحيى الذهلى بسببه) .

شروط مسلم

ويشعر مسلم فى يوم من الأيام بأن زاده من الأحاديث التي جمعها يحتاج الى كتاب يضمه ، فشرع فى تأليف « الجامع الصحيح» واشترط للأحاديث التي يصححها شروطا أهمها :

أولا — أن يكون الاسناد متصلا .

ثانيا — أن يكون راوى الحديث من الدرجة الأولى أو الثانية، وراوىالدرجة الأولى — كما يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ضحى الاسلام — هو من كان يزامل المروى عنه فى سفر أو يلازمه فى

البقية : على ص ٧٠

الاسلام والمسلمون في أمريكا

صور من

للدكتور محمد عبد الرءوف

مدير المركز الاسلامي فى نيويورك

حركة المسلمين السود

وأهم تلك الحركات وأخطرها تلك التى تسمى حاليا بحركة « المسلمين السود » ويعتبرها البعض امتدادا لحركة « النبيل درو على » ، وأصل تلك الحركة أن بائعا متجولا من أصل غير مؤكد يسمى « مستر والاس فارد محمد » ظهر بمدينة « ديترويت » بولاية « متشجن » عام ١٩٣٠ وكان يذهب الى بيوت الزنوج ليعرض عليهم بضاعته من المنسوجات ، وكان يحدثهم فى نفس الوقت عن أولاد عمومتهم فى أفريقيا ، ويقول لهم انهم يلبسون مثل هذه المنسوجات ، ثم كان يذكر لهم الكثير عن مجد هؤلاء فى بلادهم ، فأثار ذلك حماسهم والتفوا حوله ، وسرعان ما وجد نفسه زعيما مطاعا بينهم (١) . ولكنه اختفى فجأة ولا يعلم أحد حتى الان كيف حدث ذلك .

اليجه محمد

فقام بالزعامة مكانه شاب نشيط منهم كان يسمى « اليجه بول » ، واسم « اليجه » هو الصيغة الانجليزية لاسم « اليسع » ، وأما اسم « بول » فكان لقب العائلة التى كانت تملك أسلافه ، فتخلى عن هذا اللقب وجعل لقبه « محمدا » فأصبح اسمه الكامل « اليجه محمد » او « مستر محمد » على عادة الأوربيين فى الاقتصار على اللقب، وكذلك أصبح سميا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند اختفاء « مستر والاس

---

(١) جاء فى كتاب «المسلمون الزنوج فى أمريكا» : انه بنى مسجدا وحدد أصول العبادة فيه وأسس جامعة اسلامية ابتدائية وثانوية ومدارس لتعليم البنات أصول التدبير كما أنشأ فيهم نوعا من التنظيم العسكرى .. الخ « الوعى »

٢

الجزء الثانى من البحث الوافي والعرض الشامل لحركة الاسلام فى امريكا يسرنا تقديمه للقراء ، مقدرين للكاتب الفاضل عنايته بهذا الموضوع .

« الوعـي »

النشاط الإسلامى هناك

فارد محمد » أعلن « اليجه محمد » أن « والاس » هو الله تعالى نزل اليه فى صورة رجل ليبلغه الرسالة النهائية ليبشر بها بين السود ، وكذلك أعلن أنه رسول الله وأنه سيد المرسلين وخاتمهم . وأما رسالته فتتلخص فى أن الانسان كان أسود وظل كذلك طوال الدهور حتى قام شرير منذ ستة آلاف سنة يدعى « ياقوب » بتجارب ــ جنسية نتج عنها الجنس الأبيض الذى يسميه أيضا « الجنس القوقازى » كما يسميه جنس الشياطين ، فكل أبيض شيطان وقد اغتصب الجنس الأبيض هذه السيادة من سيده الجنس الأسود الذى يعتبره أفضل الشعوب ، وأكثرها ذكاء ، وأقواها بدنا وأحسنها جمالا ، ولكن هذا الاغتصاب للسيادة كان محددا بستة آلاف سنة ــ فيما يقول ــ وأنها قد أوشكت أن تنتهى ، ويحدد نهايتها أحيانا بعام ١٩٧٠ .

ويقول : ان الرجل الأبيض سوف يحطم نفسه بما اخترع من مدمرات ومخربات كما سيقضى عليه بعوامل أخرى كالطوفان والزلزال والصواعق ، وعندئذ تكون القيامة والبعث ــ وذلك بنهاية سيادة الرجل الأبيض وبعث الرجل الأسود من غفلته وعودة المجد والسيادة اليه ، والبعث ــ كما يقول ــ لا يعنى حياة بعد موت ، فهو ينكر هذا المعنى ويقول أنه من خلق المسيحية التى هى دين الرجل الأبيض لخداع الرجل الأسود ، وانما البعث ــ كما يرى ــ بعث الرجل الأسود فى هذه الحياة وعلى هذه الأرض ليكون سيدها ووارثها . ويسمى حركته باسم « أمة الاسلام » وأتباعه بالمسلمين ، ويطالب بأن تمنح « أمة الاسلام » قطعة خاصة من الأرض ليقيموا عليها دولتهم .

وقد استطاع السيد « اليجه محمد » بفضل ما يزرعه فى قلوب أتباعه من حقد وكراهية عميقة للرجل الأبيض أن يجذب اليه العديد من الزنوج ، ويبلغ عددهم الآن ــ فيما يقال ــ ما لا يقل عن ربع المليون ، وقد نقل مركزه الأساسى مبكرا الى مدينة « شيكاغو » وافتتح فروعا فى شتى كبار المدن تزيد الآن عن العشرين ، ويسمونها « معابد » لا مساجد ، ويقال انهم لا يعرفون الصلاة ولا يقيمون الشعائر الاسلامية المعروفة ، وتقتصر تجمعاتهم فى عطلة الأسبوع فى معابدهم على دراسة مبادىء زعيمهم وتعاليمه على يد المشرف على المعبد الذى

يطلق عليه ما يطلق على القسيس فى المسيحية .

ولا يسمح للرجل الأبيض بدخول معابدهم ، ويفتش كل داخل أيا كان على يد أعضاء تشكيلهم العسكرى للتأكد من أنه لا يحمل سلاحا أو سكينا، ويحرم « اليجه محمد » على أتباعه حمل السلاح تجنبا للاخطار ، ويتبع فى تنظيمهم قواعد مشددة ، ولا بد من مراعاتها ، ويعمل بنجاح على رفع مستواهم الاقتصادى ، وذلك بانشاء الجمعيات التعاونية وفتح المطاعم والمحلات التجارية التى لا توظف أحدا الا من بينهم ، ويفرض على كل منهم دفع حصة معينة من دخله لجماعته ، ويتشدد فى ضرورة المحافظة على النظافة فى البدن والثوب والمنزل ، حتى يقال : انه يحرم عليهم اطلاق اللحى والشوارب .

ويقال ان أتباعه أنظف الناس بين الملونين وأحسنهم مظهرا ، كما يحرم عليهم — فى شدة — تعاطى المخدرات والمسكرات والزنا ، وقد نجح فى ذلك نجاحا واضحا ، ومن أبرز أتباع هذه الحركة « كاسياس كلاى » بطل الملاكمة العالمى المعروف الذى تسمى عند انضمامه الى الطائفة باسم « محمد على » ومنهم الزعيم « مالكولم اكس » الذى انشق على رئيسه عام ١٩٦٣ وأعلن على يد الدكتور محمود الشورابى الأستاذ بجامعة القاهرة والذى كان يشرف على المؤسسة الاسلامية بنيويورك فى ذلك الوقت أنه تخلى عن أفكار رئيسه وأنه يؤثر مبادىء الاسلام الصحيحة ، ولما سافر لأداء فريضة الحج فى عام ١٩٦٤ أدهشه ما لقي من معاملة كريمة، وما رأى من « ديمقراطية » الاسلام البالغة ، فكتب مذكرات نشرت فى العام الماضى كان لها أثر طيب فى تعريف الناس بمبادىء الاسلام الانسانية وتعاليمه الشريفة وقد قتل فى فبراير عام ١٩٦٥ وأنكرت جماعة « المسلمين السود » أن لهم يدا فى قتله . وتحترم هذه الجماعة رئيسها للغاية ولا يذكرونه الا هكذا « السيد المحترم اليجه محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الى الأبد » (١) .

جمعيات اسلامية

وعدا هاتين الحركتين اللتين قامت كل منهما باسم الاسلام لتدعو الى مجد الرجل الاسود ، وتستخدم الاسلام فى دعواتها قام عدد غير قليل من هؤلاء الملونين بالدعوة لدين الاسلام من أجل الدين دون خلط ذلك بأغراض سياسية أو عنصرية ، كان من بين هؤلاء رجل يسمى « صوفى عبد الحميد » الذى قضى بعض الوقت بشمال أفريقيا ثم عاد ليبشر بالدين فى منطقة « هارليم » بمدينة نيويورك ، والتى تضم الآن أكبر مجموعة من الملونين ، وقد استطاع أن يسلم على يده منهم بضع مئات قبل أن يقتل فى حادث طائرة عام ١٩٣٧م ، كما أن عددا من أتباع « النبيل درو على » لما تخلوا عن تعاليمه اتجهوا للتعاليم الصحيحة وبشروا بها وأقاموا على انقاضها عددا من المنظمات الاسلامية مثل « جمعية دين الله » و « الجمعية الاسلامية العالمية » و « معهد الدعوة الاسلامية » .

ومن خير الجمعيات التي قامت فى ذلك الحين تلك الهيئة التي اختارت

---

(١) عمل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى القاهرةعلى استقدام عدد من شباب هذه الحركة اتباع « اليجة محمد » ليتلقوا تعليمهم فى الازهروالمدارس المصرية ولا شك ان هؤلاء سيعرفون مبادىء الاسلام الصحيحة ولعلهم يستطيعون بعدعودتهم تعديل التعاليم التى لا تتفق مع الاسلام .



مسجد لندن الاسلامي بمدينة لندن (مقاطعة اونتاريو بكندا) .

لنفسها اسم « الأكاديمية الاسلامية العالمية » ، وقد أعلن تأسيسها في أغسطس عام ١٩٣٩ ، ومن أهم مظاهرها أنه يشترك فيها الملونون وغيرهم وبخاصة من العرب ، فكان ذلك بداية لتعاون العناصر الاسلامية المختلفة وكان لذلك خطره وأهميته فى التطورات الاسلامية فى المستقبل .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية اتخذت الحركات الاسلامية اتجاهات مشجعة ، وحدثت تطورات بعيدة المدى ، فقد ظهر فى الميدان أئمة أعلام تفرغوا لخدمة دين الله تعالى بين جماعاتهم ، وكان حظ مدينة «ديترويت» منهم نصيب الأسد ، فقد ظفرت بالأستاذ « وهبى اسماعيل » الألباني الأصل ومن خريجى كلية أصول الدين بالأزهر ، فعمل اماما للجالية الألبانية منذ عام ١٩٤٨ ، ومن حسناته أنه ألف بالانجليزية كتابا مبسط الأسلوب عن السيرة النبوية الشريفة ، ومنهم « الشيخ حسين خروب » الذى يصدر مجلة عربية تحت عنوان « الرسالة » ، ومنهم الأستاذ « محمد جواد سرى » الذى يؤم جماعة الشيعة بالمدينة المذكورة ، وقد أصدر كتابا مفيدا تحت عنوان « استعلامات عن الاسلام » ، كما أن له جهادا مشكورا ونشاطا ملحوظا ، ويعمل بنجاح فى التقريب والتعاون بين جماعة السنة والشيعة بالمدينة . وقد عنى الأزهر بتدعيم هذا النشاط الاسلامي فأرسل « الأستاذ أحمد مهنا » حيث قضى فى « ديترويت » حقبة من الزمن شاركهم فيها فى الكفاح الاسلامي حتى عاد الى وطنه عام ١٩٦٥ م .

عناية الحكومات الاسلامية

ومن أخص مظاهر هذه الحقبة بدء الاهتمام من جانب الحكومات الاسلامية بالنشاط الاسلامي عن طريق ممثليها فى واشنطون ، ثم فى مدينة نيويورك ، فكان من نتيجة ذلك انشاء المركز الاسلامي بمدينة واشنطون الذى تبنت مشروعه الحكومات الاسلامية ممثلة فى سفرائها ، وتولت الانفاق على بنائه كما تتولى الآن الانفاق على صيانته ، وقد كان افتتاح المركز عام ١٩٥٧ بعد تمام بنائه الذى بدأ عام ١٩٤٩ — حدثا هاما تحدث فيه الرئيس الأمريكي السابق « ايزنهاور » وكان مدير المركز فى ذلك الوقت « الدكتور محمد بيصار » الاستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر وقد تولى منصبه كخلف للدكتور « محمود حب الله المدير الأول للمركز والامين العام الحالي لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، ولما أنهى الدكتور محمد بيصار مهمته ، عاد الدكتور محمود حب الله الى منصبه مرة أخرى ، ثم خلفه المرحوم « الدكتور عبد الحليم النجار » الذى لم يمهله القدر طويلا ، ثم شغل المنصب مديره الحالي « الدكتور علي عبد القادر عميد كلية الشريعة بجامعةالازهر والمدير الأسبق للمركز الثقافي الاسلامي بلندن. ويعتبر المسجد الملحق بالمركز آية فى الجمال والفن الاسلامي مما يجعله قبلة للمئات من الزوار والمعجبين يوميا .

وقد أدى هذا الاتجاه الكريم من جانب البلاد الاسلامية الى ما يحدث الآن من تطورات بالمركز الاسلامي فى نيويورك وعزم حكومات هذه الدول على بناء مركز اسلامي كبير بالمدينة يقوم على خدمة الاسلام والمسلمين بها وهم يعتبرون أكبر جالية اسلامية بأمريكا .

التعاون بين الهيئات الاسلامية

ومن أهم التطورات التي صاحبت انشاء المركز الاسلامي بواشنطون الاتجاه نحو التحالف بين الهيئات الاسلامية المختلفة والتعاون بين مختلف العناصر ، رأينا ذلك حال انشاء « الاكاديمية الاسلامية العالمية » كما حدث ذلك أيضا فى قيام «المجلس الاسلامي» بمدينة نيويورك الذى يضم عشر جمعيات اسلامية بالمدينة ، ولكن الأهم من ذلك كله قيام ما يسمى الآن « باتحاد الجمعيات والهيئات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا » ، وكانت فكرة هذا الاتحاد كثيرا ما تدور بخاطر زعماء المسلمين ، ولكنها لم تتحقق الا عام ١٩٥٢ حيث اجتمع مئات من ممثلى المسلمين فى شتى البلاد الأمريكية فى مدينة « سيدرابيدز » بدعوة من جاليتها الاسلامية ، واجتمعت كلمتهم على تكوين هذا الاتحاد .

ومنذ ذلك التاريخ يعقد الاتحاد مهرجانا عاما للمسلمين فى صيف كل عام ، ليكون فرصة للقاء والتعاون فيما بينهم ، كما يعمل الاتحاد الآن على انشاء معسكر صيفي للشباب المسلم . ومن أهم ما حققه هذا الاتحاد — بتعاون مع المركز الاسلامي والسفارة العربية فى واشنطون — أنه استطاع أن يحصل على مبعوثين من الأزهر للعمل كأئمة بين الجاليات الاسلامية ابتداء من عام ١٩٦٠، كان من بينهم « الأستاذ أحمد مهنا » الذى ورد ذكره من قبل ، والأستاذ « محمد نور الدين شريبة » الذى عين مديرا للمؤسسة الاسلامية بمدينة نيويورك (المركز الاسلامي حاليا) ، حتى عاد الى وطنه فى بداية عام ١٩٦٦ م . أما كندا فكان من نصيبها الأستاذ حموده عبد العاطي صاحب كتاب « الاسلام تحت المجهر » بالانجليزية،وقد أدى خدمات جليلة للمسلمين فى كندا حتى تخلى عن العمل ليتفرغ للدراسة بجامعة « برنستون » الشهيرة ، فخلفه

« الأستاذ عبد المنعم خطاب » للأشراف على المركز الاسلامي في « ادمنتون » بكندا ، ثم لحق به « الاستاذ عبد الفتاح بركة » ليؤم جماعة المسلمين في مقاطعة « كالجرى » بكندا أيضا .

وقد شهدت السنوات الأخيرة تجمعا آخر اذ تألف اتحاد الطلاب المسلمين بجامعات الولايات المتحدة وكندا وللطلاب المسلمين نشاط كبير ومفيد ، ويبذلون جهودهم في التأليف في موضوعات اسلامية شتى ويوزعون ما ينشرون على أوسع نطاق .

وبالرغم من الضعف الذى يسود أكثر هذه الهيئات والجمعيات والمؤسسات بسبب العجز المالى وتقاعس الكثيرين عن التعاون ، والأصابع التي تلعب في الخفاء فان هذه المنظمات قد استطاعت أن تقوم بخدمات جليلة . وأصبح المسلمون المغتربون لا يعانون من الشعور بالحرمان والغربة التامة عن النشاط الاسلامي ، وأصبح لدين الاسلام مراكز ومؤسسات تتحدث عنه ، وتخدم من يرد اليها ، وترد على الأسئلة ومختلف الاستفسارات ، وتنظم الدروس الدينية للكبار والصغار ، وتعقد الصلاة وبخاصة أيام الجمع والأعياد ، وتنظم الاحتفالات بالمواسم الدينية ، كما أن الراغبين في اعتناق الاسلام أصبح في امكانهم أن يجدوا من يعينهم ويأخذ بناصرهم ، وبذلك أمكن زيادة عدد من يعتنقون الاسلام ، يجذبهم اليه بساطة عقيدته ، وسلامة مبادئه ، ودعوته الى العدالة الاجتماعية والحرية الفردية ، والمشورة بين الناس .

كما أن ما يجرى من جدل بين رجال الدين ، وتكشف الايام عن مفاسد لما غاير الاسلام من عقائد ومذاهب ، ثم تلك المادية الطاغية الملة ، والسعى وراء عقيدة تخاطب العقل ، ونظام يغذى الروح كل ذلك جعل الاسلام ضالة الباحث عن الحقيقة ، وحاجة من ينشد غذاء روحيا يطمئن له الخاطر ، ويقتنع به الضمير ، ويستريح اليه الفؤاد .

ثم أن دعوة الاسلام الى المساواة دون مراعاة فوارق الجنس أو اللون أو غيرهما تغرى به الزنوج ، وتجعلهم يقبلون عليه ، ويجدون فيه خلاصا وملاذا ، بل يشعر الكثير منهم أنهم باسلامهم يستردون مجدا قد افتقدوه ، ويستعيدون ماضيا قد غاب عنهم فنسوا أصلهم ، لا أصل الدين فحسب ، بل أصل الجنس والتبعية العنصرية ، وانه ليسود بينهم الاعتقاد بأنهم عرب ، بل العرب الحقيقيون ، « حاميون » من ذرية ابراهيم عليه السلام من طريق « زوجته هاجر » بل لا تعجب اذا سمعت بعضهم يؤكد أن عروبتهم أشد أصالة من عروبة العرب بالشرق الأوسط ، وأن اسلامهم هو الاسلام الحقيقي ، لذلك تجدهم يقبلون على تعلم اللغة العربية ، ويحاولون التحدث بما يعرفون من كلماتها ، وأن أساءوا استعمالها ، بل قد ترى بعضهم يتزيا بالزى العربى ، فيضع على رأسه الطربوش أو الغطرة والعقال ، ليؤكدوا عروبتهم حسا « ومعنى » .

ولا حاجة بنا الى ما وراء ذلك من عناصر معادية للعروبة ، ترى انتصارات الاسلام انتصارات للعروبة نفسها ، وفي رأيي أنه لا بد من معالجة الأمور بالحكمة والصبر واللين والتسامح ، وقبول القليل ممن يتقبل الاسلام تأليفا لقلوبهم، مع عدم الاصرار على الأخذ بالكثير من التفاصيل والدقائق التي تبدو لنا سهلة لالفنا اياها ، ولكنها صعبة عسيرة على من لم يألفها ، وحسبنا قدوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قبل الاسلام من أعراب ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، ولكنه ـ صلوات الله عليه ـ كان يرجو « أن يحسن اسلامهم ويخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .

الحضر ، وراوى الدرجة الثانية ... من لم يلازم المروى عنه الا مدة قصيرة .

ثالثا – أن تتوافر فى الراوى هذه الصفات . صدق الاسلام ، سلامة الذهن والاعتقاد ، قلة الوهم ، العدالة ، عدم التدليس ، التحفظ .

وقد دقق مسلم فى اختيار الأحاديث التي أوردها فى صحيحه ، وانني رتبها ترتيبا فقهيا وجمع طرق كل حديث فى موضع واحد ، ليسهل معرفة ما بين متن الحديث وسنده من فرق ، كما انه فى مواضع كثيرة من جامعه « يبين صفة الراوى ونسبه .. » .

منزلة صحيحه

ورغم هذه الدقة ، وتلك اليقظة العلمية التي تناولها منهجه فى تصحيح الحديث ، الا أنه يؤخذ عليه أنه خرج لمائة وستين من ضعفاء الرجال أكثر مسلم من الرواية لهم ، وفى هذا الصدد نجد مفاضلة بينه وبين البخارى فى « البداية والنهاية فى التاريخ » لأبى الفداء حيث يقول :

ذهبت المغاربة وأبو علي النيسابورى من المشارقة الى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فان أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شيء من التعليقات الا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد ، ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى الأبواب ، فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى ، واختياره فى الصحيح لها ما أورده فى جامعه معاصرة الراوى لشيخه وسماعه منه .

ويسجل أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني فى مؤلفه « تهذيب التهذيب » مكانة كتاب مسلم ، وما حدث له بسببه من حظ عظيم لم يحصل لأحد مثله ، ويذكر تفضيل بعض الناس لصحيحه على صحيح محمد بن اسماعيل البخارى لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق ، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى من غير تقطيع ولا رواية بمعنى .

ويشير ابن حجر الى أن خلقا من النيسابوريين قد نسجوا على منوال مسلم ، فلم يبلغوا شأوه .. وأن عشرين من أئمة عصره قد انبروا لتصنيف مؤلفاته ، وأن مسلما قد روى عن القعنبى وأحمد بن يونس ، واسماعيل ابن أبى أويس ، وداود بن عمرو الضبى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى ، والهيثم بن خارجة ، وسعيد بن منصور ، وشيبان بن فروخ ، وغيرهم من الأعلام .

ويقول ابن عقده فى نقده للصحيح « قلما يقع الغلط لمسلم فى الرجال لأنه كتب الحديث على وجهه » .

ويقول ابن الأخرم « انما أخرجت مدينتنا هذه من رجال الحديث ثلاثة : محمد بن يحيى ، وابراهيم بن أبى طالب ، ومسلم » .

وكان أبو زرعة وأبو حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح

على مشايخ عصرهما . وفى تاريخ بغداد نجد رواية مؤداها أن أبا سعيد بن يعقوب قال : رأيت فيما يرى النائم كأن أبا على الزغورى يمضي فى شارع الحيرة، وبيده جزء من كتاب مسلم فقلت له :

ما فعل الله بك ؟ .

قال : نجوت بهذا . وأشار الى ذلك الجزء .

عدد أحاديثه

وأيا ما كان الأمر فلقد بذل مسلم جهدا كبيرا فى تصنيف هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة ..

ويروى أن عدد أحاديثه بلغ سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا بالمكرر ، ومن غير المكرر نحو أربعة آلاف ...

ويذكر الزركلى فى (الأعلام) أنه جمع فى صحيحه اثنى عشر ألف حديث كتبها فى خمس عشرة سنة .

مؤلفاته الأخرى

والى جانب هذا التراث العظيم لمسلم نجد له مؤلفات ومصنفات أخرى :

ـ « المسند الكبير » وقد رتبه على الرجال .

ـ « الجامع » مرتب على الأبواب .

ـ « الأسماء والكنى » وهو فى أربعة أجزاء .

ـ « كتاب المخضرمين » ، وكتاب أولاد الصحابة ، وكتاب أوهام المحدثين وكتاب الانتفاع بجلود السباع ، وكتاب مشايخ الثورى وكتاب أفراد الشاميين ، وكتاب التمييز . والعلل .. الى غير ذلك من المؤلفات .

ولقد كان آخر قدوم مسلم ـ قبل وفاته بعامين ـ الى بغداد سنة ٢٥٩ هـ .. ويصفه الحاكم فى أخريات حياته فيقول :

كان تام القامة أبيض الرأس واللحية .. يرخى طرف عمامته بين كتفيه .

وفاته

ويذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله فيقول : انه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوما عن حديث فلم يعرفه ، فانصرف الى منزله فأوقد السراج ، وقال لأهله لا يدخل أحد الليلة علي ، وقد أهديت له سلة من تمر فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ، ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة ، وهو لا يشعر فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الأثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١ هـ ، فى مسقط رأسه بنيسابور ، وقد كان قبره يزار .

تلك هي جوانب من سيرة هذا الامام الذى طبقت شهرته الآفاق ، والذى عاش سبعا وخمسين عاما .. جلها كفاح فى سبيل العلم والاسلام . رحمه الله تعالى .

خطاب مفتوح إلى مسلمي العرب والعالم

للاستاذ / عاصم الأدفوى

أخي المسلم :

فى كل البلدان العربية .. فى الحجاز ارض النبى .. فى الكويت .. فى لبنان .. فى الأردن .. فى سوريا .. فى المغرب .. فى الجزائر .. فى تونس .. فى مصر .. فى السودان .. وفى اليمن .

أخي المسلم :

فى كل البلاد الاسلامية ، وحيثما يوجد مسلم .. فى الباكستان .. فى الهند .. فى ايران .. فى الصين .. فى الاتحاد السوفيتى .. فى أندونيسيا .. فى ماليزيا .. فى نيجيريا .. فى غينيا .. فى مالى .. فى اليابان ..

وأخي المسلم :

الصحفى .. والمدرس .. والفلاح .. والجندى .. والعامل .. والطبيب .. والمهندس .. والفنان .. والمجاهد فى سبيل الله أينما كان جهادك وأيا كان نوعه .. فى كل بلاد العرب والعالم .

أكتب اليك هذا الخطاب .. راجيا ان تفكر معى فى هذه الازمة وفى هذه القضية التى تفرض وجودها على وعليك وعلى العالم أجمع .

ألا يدفعك العدوان الســافر المستمر على أرض فلسطين الى أن تقول كلمتك فى وجه العدوان والظلم والطغيان .. انها جريمة ضد دينك .. وضد انسانيتك وضد اسلامك .. وضد وجودك .. وضد حريتك .. وضد أمنك .. وضد سلامك الروحي والنفسي والجسدى .

أيها الأخ المسلم :

أينما كنت .. من أجل الا تعيش هذه المحنة أكثر مما عاشت ، ومن أجل ألا تستمر هذه الأكذوبة الحقيرة أكثر من هذا ، ومن أجل الا تمتد الى بلد مسلم آخــر يربطك الاسلام والعروبة بمواطنيه ، ومن أجل أن تساهم فى القضاء على هذه الجريمة المستمرة عشرات الاعوام ، يجب أن تفكر جديا ، بل أن تسهم جديا فى القضاء على هذه العصابات .

يا أخي المسلم :

يجب عليك أن تتسلح بالحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان)) .

أخي المسلم :
لا يكمل اسلامك وأنت دون رأى أو موقف فى هذه القضية .. لتتخذ أى موقع من مواقع الفكر والعمل .. ولكن ليكن لك موقف ، مهما كان من درجات قوته أو ضعفه ضد هذه الجريمة الواقعة على بلد عربي مقدس ... وانها لتصبح نقطة ضعف خطيرة عندك لو أنك دون رأى أو دون موقف فى مثل هذه القضية .

لتكن مشغولا بصراعك اليومى من أجل القوت ..

لتكن مشغولا بمعاركك المستمرة فى ميدان العمل ..

لتكن غارقا حتى أذنيك .. فى كفاح ارضك الطيبة أو المجدبة ..

ولكن .. الأحداث الاخيرة التى وقعت خلال شهر يونيو ، والتى تكتلت فيها عصابات الغدر الاسرائيلية والاستعمارية .. ألا تدفعك الى أن تقول شيئا .

هل تظل غارقا من أظافر قدميك الى مفرق شعرك .. داخل قوقعتك الذاتية ؟ .
أما آن لك أن تنطلق وتدرك وتتعرف على القضية التي تؤرق النفوس الحرة الشريفة .

أخي المسلم :
حلل كلمة المسلم لتعرف أى نوع من أنواع البشر هو ؟؟ .
ما هى الصورة المترجمة لشخصية المسلم ؟ .

وآه من عبارة المسلم وما تحويه من معان وصفات وسمات وشخصية وكمال .

المسلم الحق هو الذى يدفع روحه وحياته ثمنا للدفاع عن المظلوم ، والمسلم الحق هو ذلك الانسان المتوازن فى حياته بين الفردية بما تعنيه من حب للنفس والذات وبين الجماعية بما تتضمنه من ايثار وفناء فى المجموع .

والمسلم الحق هو الذى لا ينام عن حقه وقضيته ، بل يثيرها حربا عوانا ، حتى ينال حقه وينتصر لقضيته .

يا أخي المسلم :
فى كل البلاد ، وفى كل الاقطار
كيف تنام الليل قريرا .. ولا توخزك الآلام والاشواك وانت تعرف وتعلم أن هناك اخوة لك يبيتون فى المخيمات وفى العراء ، وفيما يطلق عليه خطأ بيوت تتكدس فيها عشرات الأنفس .

يا أخى المسلم :
كيف تستطعم الطعام وأنت تقرأ فى جريدتك صباح مساء أخبار القتل والعدوان على اخوتك المسلمين ..

يا أخي المسلم :
رفقا باسلامك
رفقا بانسانيتك
رفقا بشخصيتك المتزنة
ورفقا بدينك واسلامك ..

البقية : على ص ٨٤

أمير شعراء الاس...

رأيه في العرب وأدبهم وتأثيره في ...

للدكتور/أحمد شوكت الشطي ـ دمشق

يقول لبيب الرياشي في كتابه عن نفسية الرسول العربي :

((يفخر بالرسول العربي وبالانتماء اليه مثقفو الأمير كيات اللاتينية الاسبانيو الاصل ، ويتباهون باسلافهم العرب وجمال عيونهم العربية وفراستهم العربية ، ومجد أجدادهم العرب ويحنون لمعرفة الحقيقة عن نبي اجدادهم ونفسيته، ذلك الرجل الفذ الذي استطاع أن ينشيء مدنية انسانية في عصور الظلمة العالمية ، تفضل في معظم نواحيها مدنية القرن العشرين ، قرن النور ، مدنية عربية تطهرت من الاحتكار وسلطان المتمولين وفتنة المرأة والاضطهادات العنصرية والرق السياسي والمالي والربح الحرام والمقامرة والمسكر .

((مدنية يفاخر بها من شعراء الأسبان المعاصرين أميرهم فيلاسباسا فيقول متباهيا بانتمائه الى العرب .

((اننا رغم لباسنا الحديث ، واهمالنا لغة اسلافنا العرب ، ما نزال أحفاد أولئك البدو الذين تعودوا في وحشة الصحراء أن يخاطبوا الله وهم قعود ، أمام مضاربهم المنسوجة بوبر الأبل ، ولو نزعنا بعض الكلس عن جدران كنائسنا لألفينا تحتها لمعا مذهبة لاسم الله الاكبر، محفورة بحروف كوفية ، ولو خدشنا بالأظافر بشرتنا الاوروبية الصفراء ، لبرز لنا من تحتها لون بشرة العرب السمراء .

أن روح الفروسية التي سادت القرون الوسطى ، واحالت همجية الحروب الى مداعبات على ظهور الخيل في ميادين الألعاب ، وانتجت من الحب أدبا عاليا لهي روح خلفها الشعر العربي وحملها الى العالم على أجنحة موشحاته فعم الأدب المنمق العالم كله)) .

لقد كان من أسمى غاياته انشاء جامعة عربية كبرى في غرناطة يدرس فيها كل ما هو عربي من لغة وأدب وتاريخ . يعبر شاعرنا عن أثر العرب في الادب الاسباني بقوله .

« ...سبان فيلاسباسا »

محمد يوسف

الأدب العربي عامة ، والأدب الاسباني خاصة

« ان جميع القصائد المجموعة فى كتب الاغانى الاسبانية لمختلف الشعراء مستوحاة مما فى الدواوين العربية من شعر . فانك ترى ناظميها يوافقون فى أناشيدهم الايقاع المتكرر فى ألحان الرباب .

وينتهى الى القول بأن التأثر بالأدب العربى البادى فى آداب اللغة الأسبانية ظاهر فى أناشيدهم الشعبية ، وقال عن الموشحات العربية : أنه لم يتهيأ للشعر العربى فى عامة الاقطار التى فتحها العرب تربة أصلح من تربة الأندلس ، ولازها فى بلد من البلدان زهوته فى بلادنا الأسبانية .

لك بعد هذا أن تتساءل عمن هو « فلاسباسا » وأن تعجب من شاعر أسبانى يفاخر بنسبه العربى ، شاعر اسبانى نابغة ، يتغنى بمجد العرب ، ويبكيهم فى شعره وخطبه واحاديثه ، متفاخرا بالتحدر من صلبهم ، والانتماء الى صميمهم ، ولك أن تردد التساؤل عن أكبر شعراء أسبانيا واكثرهم انتاجا ورئيس ندوة الشعر فيها .

انه نابغة لا يقاس نبوغه فى الادب بوفرة الانتاج فحسب ، وانما يضاف اليها الاجادة فى المبنى ، والتحليق فى المعنى » .

أول كتاب طبعه هو ديوان شعر بعنوان « خصوصيات » والشاعر لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة من سنيه ، وبين مؤلفاته جانب كبير موضوعه عربى ، فمن رواياته التمثيلية الشعرية « قصر اللؤلؤ » وهى رواية جرت حوادثها فى غرناطة على عهد ابن الاحمر ، ورواية « ابن أمية » تناول فيها ما حدث لبقايا العرب بعد سبعين عاما من سقوط غرناطة ، ورواية « فى البادية » وهى رواية حدثت وقائعها فى الصحراء . وصف بها اباء العرب ، وما للضيافة عندهم من حقوق . وله أخرى هى « زفرة المغربى » عنى بها زفرة أبى عبد الله آخر سلاطين العرب فى الأندلس ، وبكاءه يوم ودع غرناطة من أعالى جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه . وقد قالت له أمه عائشة .

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال

ومن دواوينه الشعرية ذات الموضوعات العربية ديوان « فتون الحمراء » و « ليالى جنة العريف »

و « الأندلس » و « دفوف اشبيلية » و « باحة الريحان » و « عاشق ليندا راخا » .

ومن رواياته القصصية النثرية « انتقام عائشة » و « وعبد الرحمن الأخير » و « نخيل الواحات » و « مخالب الفهد » و « برج الأسيرة » . فاذا عددت مؤلفاته بلغت مائة وثمانية وخمسين مؤلفا بين مطوى ومنشور ، ومنظوم ومنثور ، وهى لعمرى مكتبة كبيرة خلفها دماغ واحد ، لو حسبت ساعاتها ، لكادت تكون كل ساعة فيها صفحة من النثر أو قصيدة من الشعر .

يتلاعب بعواطفك على هواه ، فتشعر بروحه سرت فى روحك ، تحبه باسما وباكيا ، حزينا وراضيا ، هازجا ونادبا ، مغتبطا وغاضبا . يحدثك عن عواطفه فتكاد تلمسها بيدك ، ويصور لك منظرا فتكاد تراه بعينك ، ويصف لك خريرا فتكاد تسمعه باذنك ، بينا تماشيه على ضفة جدول هادىء ، اذا بك معه على شاطىء بحر ثائر ، وبينما أنت بقربه على أديم الارض ، اذا به يثب بك الى قلب الفضاء ، والشاعر سامى الخيال ، بعيد غور التصور ،تلاحظ ذلك فى شعره، وتلاحظه أيضا فى وصفه ، وهو سريع الخاطر طويل النفس ، وانه لمعجب شديد الاعجاب بالشعر العربى ، فى قصائده روح عربية اليك ترجمة واحدة منها بقلم المرحوم فوزى المعلوف .

غرناطة ، أواه غرناطة
لم يبق شىء من صولتك
هل نهرك الجارى سوى أدمع
تجرى على ما دال من دولتك
والنسمة الغادية الرائحة
هل هى الازفرة نائحة
لله حمرراؤك ، تحسو الأسى
وحيدة فى الروضة الخالية
لم يبق لها زهوة ندمانها
ولا صدى أعيادها الماضية
ولم يعد للحب فيها أنين
ينقله العود عن العاشقين
غرناطة ، أواه غرناطة
ما أنت الا خرب قابعة
تحمل أسراب السنونو الى
أفريقيا أنباءك الفاجعة
هناك أبناؤك من لبأسهم
باكون ، لا باكون من يأسهم
غرناطة ، أواه غرناطة
ضعت فيا للعظم الضائعة
فيزفر الموج ويبكى لهم
حين يرى أعينهم دامعة

أفلا تشعر وأنت تقرأها أو تسمعها انك امام عربى صميم ، يغلى الدم العربى فى عروقه،فيثور متأوها على عز اجداده؟، أولا تتخيل آخر بنى سراج بطل رواية شاتوبريان ، ساجدا بين جدران الحمراء يقبل احجارها ، ويبللها بدموعه ،يحدثك بلهجته الهادئة الشعرية فى شتى الموضوعات ، ولكنه عندما يذكر العرب وامجادها يتغير فجأة فتحس بالحماسة تملأ جوارحه ، وتملك مشاعره .

ولا يتبادرن الى الأذهان أن الشاعر يتكلم عن العرب بهذه الحماسة أمام أبناء الضاد فحسب ، كلا فهو فى مجالسه ومحاضراته وقصائده يشيد بذكرهم ، ويتغنى بحضارتهم ، غير موجس من لومة لائم ، أو تهجم مكابر ، ومن رافق حياته تحقق ذلك بنفسه .

نسبه

يرجع شاعرنا فى نسبه الى نبيل عربى ، متحدر من السلالة الاموية يدعى محمد بن أمية ، وقد دعى بعد تنصره « الدن انطونيو مولاى دى قرطبة وفالوار » ، كان أبا لثلاثة أولاد ورث منهم الدون فرنندو لقب الاسرة ، وكان فتى حرا محبوبا ، وقد انتخب فىمجلس نبلاء غرناطة الاربعة والعشرين .

وفى عام ١٥٦٥ أى بعد سبعين عاما من سقوط غرناطة ، دخل فرنندو وهو فى الثانية والعشرين من سنيه الى مجلس النبلاء وخنجره فى منطقته ، وكانت العادة أن يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس ، وقد ترك الدن فرنندو حسامه هناك ولكنه أبقى خنجره ، فلم يرق ذلك فى عين الدن بدور داسالا رئيس المجلس فوبخه بلهجة قاسية غلى لها الدم العربى فى عروقه فاجابه .

« انني لادخلن الى المجلس كما أشاء، فانا سليل ملوك أمية ، وقد كان لاجدادى فى هذه الديار سلطة الامر والنهى ، عزة العرش والتاج » ، فما كان من رئيس المجلس الا أن أغلظ القول ، ونسبه الى أمة البرابرة ، فكبر ذلك على الدن فرنندو ، وهجم كالنمر الهائج فصفعه ، حتى اذا ثارت ثائرة النبلاء وقاموا عليه ، جرد خنجره في وجوههم ، وأخذ يتقهقر وهم لا يجسرون على التقدم منه، حتى بلغ الباب فتناول حسامه وسار توا الى حى « البيازين » (١) الآهل اذ ذاك بالاسر العربية ، وما هى ليلة وضحاها حتى أنضم الى فرنندو فريق كبير من الناقمين على الأسبانيين ، فجرد منهم حملة سار بها الى جبال البشرات الواقعة بين غرناطة ومرسيه ، وفوق هذه الجبال الآهلة ببقايا العرب ، وجلهم ممن هربوا من الاضطهاد ، واعتصموا بالكهوف فوق قنن الصخور ، أعلن الدن فرناندو الثورة على الدولةالاسبانية ونادى بنفسه ملكا ، فمشى تحت لوائه جيش عربى لا يستهان به ، تتأجج فى صدور أفرادهنار الحقد علىنازعىملكهم ، ومقوضى مجدهم ، الذين بالغوا فى النكاية بهم بكل نوع من أنواع العسف والارهاب، فجردت السلطة أول حملة عليهم بقيادة المركيز دى لوس فيلبس فدحروها ، وتتها حملة ثانية بقيادة المركيز دى موند يخار فلم تقو عليهم .

ولما رأى الملك فيليب الثاني استفحال الامر استدعى الجيش الاسباني المقيم فى نابولى وسلم قيادته الى أخيه الدون خوان دى اوستريا ، فزحف هذا عليهم بجيش جرار كان الفشل نصيبه أيضا ، وكان من قواد هذه الحملة الضابط فيلاسباسا (جد الشاعر لابيه) ولكن الأقدار شاءت أن تقع الفتنة بين صفوف العرب .

لقد كان لألدن فرنندو العربى القائم بشؤون العرب فى بلاد الأسبان ابن عم يدعى « ابن أمية » ما زال طامحا الى أن يكون هو القابض على صولجان العرب ، والمجدد للخلافة المروانية ، حتى حدثت بينه وبين الدن فرنندو منافرة أدت الى تفرق كلمة العرب ، وضعفت شوكتهم ، فلحقت الهزائم بهم من عمل أنفسهم (٢) .

ومن غرائب الصدف أن يقترن بعد أربعة قرون سليلا عدوين لدودين : سباسا الضابط الأول فى حملة القضاء على العرب ، وامرأة من حفيدات الأمويين ، فينتج من هذه المصاهرة ظهور شاعرنا الكبير الذى تفاخر به بلاده ، ويفاخر هو بنسبة العربى ، ويبكى على أمجاد العرب الضائعة .

أما ولادة الشاعر فكانتفى « الأوجار » فى نفس المنزل الذى قتل فيه الدن فرنندو جده الأكبر لأمه العربية .

لقد أوحت حادثة الدون فرنندو الى الشاعر مأساته التمثيلية الخالدة « ابن امية » وهى تحفة من تحف الأدب الأسبانى ، وصف بها تلك الوقائع باسلوبه الشعرى العالى ، وبكى بها مآثر العرب ما شاء له البكاء ، ندب بها غرناطة فتناولت السن الرواة كلماتها فى كل بقعة ينطق أهلها بلغة الاسبان .

---

(١) حى فى غرناطة بقى المدجنون من العرب يسكنونه . والمدجنون هم العرب الذين ظلوا تحت الحكم الاسبانى بعد اقصاء العرب عن بلاد الاسبان .

(٢) ومن يتعظ بحوادث التاريخ وبكلمة الحق العلى الأعلى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » نعم ليتنا نتعظ . « الوعى »

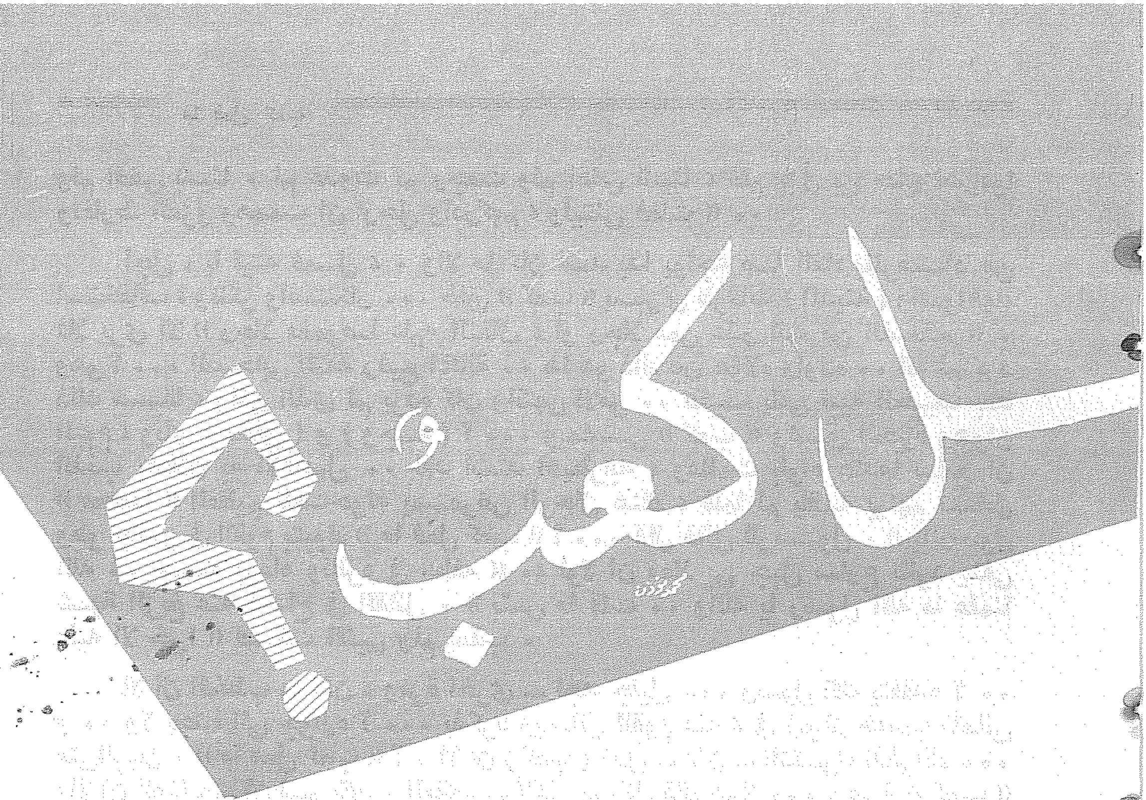
قصة

بقلم : محمد الخضرى عبد الحميد

النفس أحيانا ـ طيبة زاكية ، أو خائرة متهافتة ـ عوارض دخيلة ومثبطات ، من تقاعس بليد وخمول . تركن بتلك النفس عن النهوض الى كسب مغنم ، معنوى أو مادى ، فتقعد عن طلب تلك المغانم والمكاسب .. حتى اذا ما انجاب الغمام وتبخر العارض وعادللنفس صفاؤها ، انقلبت كاسفة حيرى تلسعها حسرات الندم ، وتود ان لم يك ذاك التخاذل والقعود .

يصدق ذلك على سلوك البشر عامة فى معترك حياتهم العادية ، لكن .. كيف الحال لو ان كانت تلك . نفس صحابى مجاهد أسلم عن يقين ، وأسهم طواعية فى كثير من مهام الاسلام ، عن حب ملؤه التعمق فالاقتناع ؟ وكيف لو ان كان الكسب والمغنم ليسا عاديين من مغانم الحياة الدنيا ومكاسبها الوقتية الزائلة الرخيصة .. وانما هو الشرف الاسمى والانتصار الاكرم فى سبيل نصرة الدين الاعظم ، دين الاسلام ، ومؤازرة نبيه خاتم الرسل ((محمد)) بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ . الا أن الخطب لجليل ....

تلك هى الاحاسيس التى كانت تعذب ((كعب بن مالك الانصارى)) احـد المجاهدين فى الاسلام واحد المنافحين عن النبى بشعره ، ومن ثم فانه كان فى عداد البارزين من رجال المعسكر الاسلامى الذين لهم قدرهم ومكانتهم بعد اذ ثبت للنبى وللصحب رسوخ ايمانهم وصدق تعضيدهم .. وكانت الغزوة التى تخلف فيها عن



اللحاق بجند ((محمد)) صلى الله عليه وسلم هي ((غزوة تبوك)) ، غزاها الرسول فى قيظ الحر ووقدة الهجير وبعد ان طابت الثمار واستحب الفىء الى ظـلال الدور والاشجار .

و ((كعب)) ليس بالمسلم ((العادى)) الذى قد تلتمس له الاعذار ان هو تخلف فى غزوة كهذى تحتاج الرجال الاقوياء عقيدة وحماسا لنصرة المبادىء واحقاق الحق .. بل انه ((الصحابى)) المقرب الذى له عند النبي مكانة الكريم وقدره الرفيع. فيا لهول ((الموقف)) الذى وضعه فيه تقاعسه غير المقصود وتخلفه الذى لا مبرر له ، لقـد استبدت به آلام الحيرة فلا يدرى ماذا يفعل ولا ماذا يقول .. هل هناك عذر يستطيع أن يستند اليه فى تبرير تخاذله المعيب ؟؟ .. وينثنى ((كعب)) الى نفسه محنقا يوجه اليها هذا السؤال وهو يكاد ينشب فى تلك الامارة بالخنوع والدعة أظفار الثأر ومخالب الانتقام ، فلا يجد عندها العذر ولا أدنى مبرر .. وانما يجد الجواب الصريح الذى لا يزيد من تبكيته لذاته الا تبكيتا آخر جديدا .... فيقول وهو يزفر بالم ملتاع . ((تجهز رسول الله ، صلوات الله عليه ، والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئا)) . ويعود فيضرب كفا بكف ويواصل فى خلواته بالنفس الجانية بلا سبق اصرار ، استرجاع الامر من البدء وكيف كانت الظروف والملابسات ((قلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد ان فصلوا لاتجهز ، فرجعت

ولم أقض شيئا . ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان أرحل وأدركهم ، وليتنى فعلت)) ..

أجل ، يا ليته فعل ، . والا ما كان قد بدأ يواجه ما ألفاه بالمرصاد من استخفاف ، وتنكر واستنكار ... طفق ((كعب)) يسير فى طرقات (المدينة) وأسواقها، فلا يرى الا ((رجلا مغموصا عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء)) . وهو ؟ ... الصحابى الثقة رفيع المكانة .. ها هو ذاك بين هؤلاء وأولاء .. انه لم يرد ذلك مسبقا ، ولكن الذى لم يرده كان وانتهى الامر .. فكيف يلقى نبيه الحبيب بعد اليوم ، وبأى (منطق) و (وجه) ؟ ... ويمضى ((كعب)) وضيق الحيرة وهوان الذنب يفعلان به الافاعيل .. لقد أشتد اضطرابه ، وعظمت بلواه عندما سمع أن ((محمدا)) العظيم تلفتحوله يستعرض الرجال هناك ، فلما لم يلقه بينهم تساءل وهو جالس فى القوم بتبوك ((ما فعل كعب)) ؟ ... قال قائل للرسول . ((يا رسول الله .. حبسه برداه ونظره فى عطفه)) .، لولا أن معاذ بن جبل سارع بالرد ينفى شبهة الزيغ عنه فصاح فى القائل . ((بئس ما قلت .. والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا)) فسكت النبى ولم يعقب .

ألا أن الخطب ـ اذن ، ومرة أخرى ـ لجد جليل ... رسول الله يتفقده ؟ .. و .. ولا يجده الى جواره ؟ ... يذكره ويسائل القوم عنه ، فى ايجاز خصب المعانى غنىالبيان . ((ما فعل كعب)) ؟ . ألا أن (كعب) فعل ـ اذن ـ النكراء الخرقاء ... وألا ان العتاب ـ ان لم يكن . العقاب ـ لاكثر من كل ذاك هولا ... وصرخ ((كعب)) وهو لا يفتأ يدور ، حول ((المدينة)) مع الدروب والجسور ، وحيدا الا من حسرات الندم ، يفرى كبده الألم الكبير . بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ .

وأقبل ((محمد)) رسول الله ، والنصر ـ كعادته ـ حليف ركبه ... وكان من عادة النبى اذا قدم من سفر . بدأ بالمسجد يركع فيه ركعتين ثم جلس للناس .. فلما فعل هذا أقبل ((المخلفون)) اليه يعتذرون له ويتوسلون عنده بشتى التعلات .. و .. والنبى كريم وانه لرسول التيسير ، فيكتفى بأن يترك المرء منهم لضميره وسريرته متقبلا من كل عذره ، فلعل من تخلف له ـ حقا ـ ما شغله عن اللحاق . لكن .. لكن كعب كيف به مع الخلص الأوفياء ؟ .. كيف شأنه مع ((كعب)) مثلا ؟ .. لقد علم (كعب بن مالك) أن كثيرين زعموا ـ كاذبين ـ شواغل عاقتهم ، وأعذارا منعتهم ، وعفا نبى الرحمة عنهم ، مدركا أن لا موجب للتضييق عليهم .. و .. هل ينحو ((كعب)) نحوهم ؟ .. هل يفعل فعلهم ، لينجو من العتبى نجاتهم ؟ ... لا .. والا ف .. وتتوقف الخواطر بغتة فى ذهن ((كعب)) وهو فى أواخر الصفوف بالمسجد ، يضنيه التردد ما بين اقدام واحجام ، عندما سمع نداء النبى موجها اليه .. نداء فيه عتاب الصفى الحليم لصفى له ، قصر فى تحقيق حسن الظن به ، ناداه النبى ((تعال)).. فلما مشى حتى جلس بين يديه ، قال محمد :

ـ ((ما خلفك ؟ .. أو لم تكن قد ابتعت ظهرك)) ؟

ـ ((بلى .. انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر . ولقد أعطيت جدلا . ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ، ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث

صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله .. لا والله ، ما كان لى من عذر .. والله ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك)) ..

وهكذا يجدر بمسلم صحيح الاسلام قوى الايمان أن يجيب . الحق الصراح ــ يا كعب ــ وما شاء الله سيكون .. وتبسم النبى ((محمد)) وقال . ــ ((أما هذا فقد صدق)) .

وخرج ((كعب)) من الحضرة الطاهرة وقد انزاح عن صدره ((جزء)) من همومه الثقال ... ولم يعبأ بمن لحقوا به خارج المسجد يعنفونه . كيف لم يجد عذرا ــ أى عذر . ــ يتقى بــه غضب النبى أو استياءه ، لكنه لم يسمع ولم يحفل .. وقوى اصراره على الاستمساك بنهجه والاكتفاء بما قال ، وخاصة عندما سمع منهم أن اثنين كريمى المنزلة فعلا ما فعل وقالا بمثل ما قال .. انهما رجلان صالحان شهدا بدرا هما : ((الربيع العمرى)) و ((وهلال بن أمية الواقفى)) ، و .. وسر عنه ــ بعض الشىء ــ أن قد صار له فى المحنة وحسن الدفاع بازائها . ((زميلان)) ــ .. اذن فالمتخلفون فى غير موجب للتخلف . ثلاثة .. فليكن عتاب ــ أو عقاب ــ (الحبيب) ما يكون .. فانهم به ــ منذ الان ــ راضون .

أما صاحباه فقد عكفا فى داريهما يبكيان من فرط الحزن الثقيل لكن ((كعبا)) كان رجل تجارة لم يألف الاستكانة بعقر الدار فطفق من جديد يدور في طرقات ودروب المدينة ، ويشهد الصلاة ، ويطوف فى الاسواق ، لكن أحدا لا يكلمه .. كان يأتى المسجد ويجلس قريبا من النبى يصلى على كثب منه ، ثم ينصرف قائلا لنفسه والدموع تطفر من عينيه فى حمية اليأس العصيب . ((لا أدرى هل حرك شفتيه يرد السلام على أم لا)) ..

ولما اشتدت على ((كعب)) جفوة الناس له ونبذهم اياه ، وصمتهم الواجم فى وجهه .. سعى الى حائط ابن عمه (أبي قتادة) يتسوره ويلقى عليه السلام فلا يرد له ابن العم سلاما ... عند ذاك كاد فؤاد (كعب) أن ينخلع من المرارة القاصمة ، فأخذ يهدر صائحا .

يا أبا قتادة .. أنشدك بالله .. هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟

وابو قتادة يعلم ــ علم يقين ــ أن ((كعبا)) الأنصارى ، من أقوى المؤمنين حبا لله ورسوله ، لكنه ــ ومع أنه (ابن عم) له ــ لم يعد يرضى لنفسه على أن تجزم بذلك ... اذ بعد التخلف عن الاشتراك فى احدى غزوات الجهاد لم يعد ثمة ((مسوغ)) للمسارعة فى توكيد ما صار ــ من وجهة نظره ــ محل ريب وشكوك ... فيصمت ولا يجيب ، فيعود ((كعب)) الى ترديد السؤال على مسمع أبى قتادة الصامت ، مرارا ، وهو يتفجع على ما آل اليه حاله ،محدقا ــ بذهول ــ فى ذلك الفم المطبق، غير مصدق.

تكلم .. أجب . هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ .. أخيرا يفجؤه ابن عمه أبو قتادة ، باجابة . كان صـمته المريب القاسـى خيرا منها ألف مرة .. أجابه قائلا فى بساطة قاتلة . ((ــ الله ورسوله أعلم)) ..

جرى ((كعب)) فزعا . انطلق كالمذهوب بعقله بضرب فى الخلاء بلا مقصد هائما على وجهه ... هل ثمة لفعلته الجسيمة من عفو ، أو أمل فى غفران ؟ .. ألا ليته لم

يتهاون طرفة عين فى أداء الواجب .. ألا تبا للنفس البشرية ونوازعها ، وسحقا لكل حافز خفى خبيث يزين ـ أمام الواجب وضرورة النهوض المعجل به ـ مزية التريث ، والتباطؤ ، والارجاء .

لكن آلام (كعب) لم يكن قد آن لها أن تنتهى بعد ..اذ بينما هو يسير علىغير هدى بسوق المدينة ، سمع نبطيا من أنباط أهل الشام ، واحدا من أولئك الذين يبيعون بالأسواق الطعام ، ينادى . ((من يدل على كعب بن مالك ؟)) ولما أشاروا له ـ بغير كلام . ـ عليه .. جاءه فدفع اليه ـ سرا ـ بكتاب مطوى ومختوم ، فضه .. فاذا هو من ملك غسان ، يقول فيه . ((.. ثم بلغنى أن صاحبك جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا ، نواسك)) ... هنالك صرخ ((كعب)) من أعماقه المعذبة ، وقد بلغت تعاسته ذروتها . ((وهذا أيضا من البلاء)) .. وقذف بالرسالة ـ خبيثة المضمون ـ فى أتون تنور .

مضت أربعون ليلة ، ثقيلة كلها ورهيبة ، على ((كعب بن مالك الأنصارى)) ، وهو لا يلقى بين الناس ـ كل الناس ـ الا جفاء واعراضا .. من زم الشفاه ، وانطباق الأفواه ، وتقحم الاعين ، وازورار الاسماع ..

ثم جاءه وافد عن رسول الله يأمره أن يعتزل زوجته .. سأل : (وأطلقها ؟ . أم ماذا أفعل) ؟ .. قال الموفد بالامر . (لا ، بل اعتزلها ولا تقربها) . وصدع كعب بالأمر ، وبعث بزوجته الى أهلها حتى يقضى الله فى شأنه .. كان قد عرف أن امرأة هلال بن أميه ـ زميله فى الثلاثة الذين خلفوا . ـ استأذنت النبى فى أن يتركها تخدم زوجها المسن ، فأذن لها .. وعبثا حاول بعض أهله أن يقسرونه على أن يقتدى بها . ((لو استأذنت النبى .. لاذن لك)) .. لكنه رفض كل ما عدا الامتثال المطلق .

ومضى ((كعب)) يرفع الى السماء وجها شاحبا مغرقا بقطرات دموع سخية الينبوع .. راح يبتهل الى الله العلى القدير أن يرفع عنه الضائقة ، ويجنبه هوان المحنة ، فلقد امتحن امتحانا عظيما ، لكن شفيعه ايمان قوى لا تنال منه الاحن ـ مهما ثقلت ـ ولا الخطوب ..ولقد ازداد الان معرفة وادراكا أن لا اسلام لمسلم الا بارضاء الضمير ، واجتناب نوازع الشيطان ، والوقوف الحاسم وبلا تردد الى جانب دواعى الدين الحنيف ، من مسارعة الى نصرة الحق ، واعلاء كلمة الله .. بلا تخاذل ، وبغير تأجيل وبدون أدنى تسويف أو ابطاء .

وكملت لياليه خمسين ليلة . ، مرت ثقالا على ((كعب)) فكانت الجزاء الأوفى لذنب هو ـ فى مستوى الخلص الاوفياء ـ جد عظيم ، وان كان يبدو غير ذلك خطرا ، فيمن هم دون الصفوة .

وبينما هو يصلى الفجر على سطح بيته صبيحة اليوم الخمسين ، والنفس ضائعة بعد أن بطؤ الغفران ، وبعد الامل فى العفو وصدور التوبة .. اذ رأى من عل فارسا يركض اليه وهو يصيح فوق فرسه من على جبل سلع . ((ـ يا كعب بن مالك .. أبشر)) ..

فخر « كعب » ساجدا لله ، يشكر الرءوف الرحيم وقد أيقن أنه الفرج جاءه من لدن العليم بما تخفى الصدور .. وما كاد يقف لينزل مستقبلا بشير الخير ، حتى أدركه الفارس السعيد وأنباه بالبشرى فى ايجاز يضج سعادة بانفراج الكربة ، وهنا نزع « كعب » ثوبيه ـ وهو لا يملك غيرهما ـ وخلعهما على الفارس ، واستعار ثوبا هرول به ، وهو يخب جبورا ، الى رحاب الرسول ، والناس يعترضون طريقه باسمين هاتفين فاتحى الاذرع يضمونه بالعناق والتقبيل ، صائحين بملء الحناجر . « بشراك يا كعب ، بشراك ، اهنأ بتوبة الله عليك » .. حتى أولئك الذين نصحوه ـ ذات يوم ـ بالتماس أية معاذير ، ها هم اولاء يهنئونه ، وفى شىء من بقايا خجل ، على ما جنى من ثمار ثباته ، وصموده وصبره وصدقه .

ودخل « كعب » المسجد ، فاذا هناك « زميلاه » ، المتخلفان الاخران ، هلال والربيع ، قد سبقاه الى الحضرة الكريمة ، عندئذ اكتمل بين يدى النبى عقد ثلاثة الذين تخلفوا .. واذا ب « محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستقبله طلق المحيا ، باسم الثغر ، مشرق الجبين بمعهود النور عندما يكون لديه أنباء خير أو دواعى سرور .. وقال عليه أزكى السلام .

أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك .

ومع هذا .. فان « كعب » الصادى لا تكفيه من عطش مثل تلك النهلة العذبة ، بعد كل ما كان من طول تحرق ومرير ظمأ ، فهتف على الاثر وكل نبضة من نبضات قلبه المفعم ايمانا تشكر الله وتصلى على نبيه الهادى الامين .

أمن عندك يا رسول الله .. أم من عند الله ؟ . أجاب النبى .

لا ، بل من عند الله .

وفى ومضة سريعة مثلما يشق كسف الظلمات شعاع فجر باهر السناء ، مر فى ذهن « كعب » رسم تلخيصى لماح لكل ما حدث فى ايجاز وتركيز ، فتنهد بارتياح عارم ضاف ، وعاد يقول .

يا رسول الله .. ان الله انما نجانى بالصدق .. وان من توبتى ألا أحدث الا صدقا ما حييت .

وبينما القوم يحفون بالرسول العظيم ، والصحب الكرام ، فرحين بما آتاهم ربهم من فضل ، سعداء بما أفاء به سبحانه ـ جل وعلا ـ من توبة وغفران على عباده المؤمنين .. راح « محمد » صلوات الله وسلامه عليه يعيد ـ مرة أخرى ـ تلاوة قول العزيز الحكيم . « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » . ـ وصدق الغفور التواب .

وقل رأيك .. واتخذ موقفك .. وطالب زعماءك وحكام بلادك .
قل لهم ماذا ستفعل ؟
يا أخي المسلم :
أينما كنت .. تحلب ناقتك فى جوف الصحراء الليبية .
أو ترعى ماشيتك فى جنوب السودان
أو تركب طائرتك فى مهمة دبلوماسية
أو تسرع بدراجتك فى شارع فى الباكستان ..
أو تذاكر الواجبات والدروس مع أبنائك وبناتك فى بيتك ووسط أسرتك أينما كنت .. وأينما تتواجد ، أود أن أقول لك .
ليس المسلم بالجبان .
وليس المسلم بالظالم .
وليس المسلم بالكذاب .
وليس المسلم من ينام عن حقه .
فلتتذكر أن معك أقوى سلاح فى العالم ، لم يخترعه الا المسلمون .. ((الوعد الحق)) الذى وعدنا الله به .. اما النصر على الأعداء .. واما الاستشهاد فى سبيل الله والفوز المؤكد بالجنة .. اما فلاح فى الدنيا .. أو فوز بالآخرة ..
أيها المسلم :
تذكر من أنت ..
واعرف الى من تنتمي .
أنت أبن للاسلام ، أعظم رسالة فى الوجود جاء بها رسولك العربي (محمد بن عبد الله)) عليه الصلاة والسلام .. رسالة حررت الانسان والانسانية والى الابد ..
وأنت أيها المسلم :
حفيد لهؤلاء الرجال العظام . أبو بكر الصديق .. وعمر بن الخطاب .. وعثمان ابن عفان .. وعلي بن أبي طالب .. وعمر بن عبد العزيز .. وخالد بن الوليد .. وطارق بن زياد .. وكل الصناديد من الرجال .
وأنت أيها المسلم :
وارث أعظم ارث فى هذه الدنيا .. ارث كله مفاخر وانتصارات .. فى الدين .. فى الشجاعة .. فى الحرب .. فى السلم .. فى العلم .. فى التمدين .. فى الحضارة .. فى التاريخ .. فى الأخلاق ..
أخي المسلم :
رحمك الله يا أخي المسلم .
ورحمنا الله جميعا ..
ونصرنا فى كل قضايا الشرف والتحرر والجهاد
وقل كلمتك فى هذه الحياة الدنيا .
وامض .. وأنت شجاع ..
وأنت مسـلم ..
والسلام عليك أينما كنت .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

الطلاق بالكتابة

السؤال :

كتبت كتابا لوالد زوجتي بخط يدى قلت فيه ((اننى طلقت ابنتك فلانة بالثلاث وارسلت زوجتى الى والدها مع الكتاب المذكور وهى الان حامل فى الشهر الثالث وامتنع والدها من ارجاعها الى الا بعد معرفة الحكم الشرعى — علما بانى سلمتها الكتاب وابلغتها انها طالقة . فما حكم الشريعة .

س . ع . الكويت

الاجابة :

المقرر شرعا : انه لايشترط اللفظ فى وقوع الطلاق بل كما يكون باللفظ يكون بالكتابة ، والكتابة على نوعين مرسومة وغير مرسومة ، والمرسومة ما يكتب الى الغائب بان تكون مصدرة ومعنونة على جهة الرسالة وفى هذه الحالة يقع الطلاق نوى او لم ينو ، فلو قال لم اقصد الطلاق وانما اقصد تجربة القلم لم يصدق قضاء ، لان الارسال اليها دليل على قصده الطلاق، والطلاق فى هذه الحالة اما ان يكون منجزا او معلقا على وصول الجواب فان كان منجزا كما اذا قال فى الجواب اما بعد : فانت طالق ، وقع الطلاق بمجرد الكتابة فتعتد من هذا الوقت . وان كان معلقا بوصول الجواب اليها كما اذا قال فاذا وصلك جوابى هذا فانت طالق فان الطلاق فى هذه الحالة لا يقع الا اذا وصل الكتاب ، فان وصل الى ابيها فمزقه ولم يدفعه اليها فان كان متصرفا فى امورها وقع الطلاق وان لم يكن كذلك فلا يقع سواء اخبرها بذلك او لم يخبرها ، لان الطلاق معلق على اتيان الجواب فلا يقع الطلاق ما لم يدفع اليها الكتاب الممزق . اما الكتابة غير المرسومة ان كان يمكن تبينها كالكتابة على الرمل على وجه يمكن فهمه وقراءته فانه يقع الطلاق اذا نواه وقيل يقع وان لم ينوه كالكتابة على الورق وان كان لا يمكن تبينها كالكتابة على الهواء او الماء فانه لا يقع الطلاق وان نواه .

كما ان المقرر : ان الطلاق بالثلاث بلفظ واحد على ما عليه الفتوى يقع واحدة رجعية اذ كل طلاق بعد الدخول يقع رجعيا الا المكمل للثلاث وما كان نظير عوض .

والكتابة مثل اللفظ

وبما ان السائل كتب الى والدها وابلغ زوجته بالطلاق فيعتبر ذلك طلاقا من تاريخ علمها لان الخطاب كانه وصل اليها وعلمت ما به وبذلك تكون طلقت طلقة واحدة رجعية وما دامت حاملا فتكون فى العدة له مراجعتها اما اذا كانت قد وضعت حملها فانها لا تحل له الا بعقد ومهر جديدين وان كانت هذه هى الطلقة الثالثة وانقضت عدتها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

لذلك : نفتيك بانه لا مانع للزوج من مراجعة زوجته ان كانت فى العدة اما اذا كانت قد انتهت عدتها فلا تحل له الا بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها بشرط ان لا تكون هذه هى الطلقة الثالثة .

نقل المسجد

السؤال :

يوجد مسجد صغير فى بلد غير اسلامية اصبح لا يتسع للمصلين ويراد بيعه والانتفاع بثمنه فى اقامة مسجد كبير فى منطقة اخرى مجاورة حيث لا يمكن توسيع المسجد الصغير الحالى . فما حكم الشريعة فى ذلك .

م . ع . الكويت

الاجابة :

لا مانع شرعا من بيع المسجد الصغير والحال ما ذكر ، والانتفاع بقيمته فى اقامة مسجد كبير اخر بدله فى المنطقة المجاورة لان التصرف فى الاوقاف يكون باعتبار الانفع ومما لا شك فيه ان بناء مسجد اكبر فى منطقة مجاورة فيه المنفعة والمصلحة العامة للمسلمين.

وقد ورد فى الفتاوى الهندية نقلا عن الحلوانى ما نصه « يجوز ان يباع المسجد ويشترى بثمنه آخر » لذلك نفتيك بانه يجوز بيع المسجد المذكور واقامة مسجد آخر بدلا منه كما جاء فى السؤال .

الطلاق المعلق

السؤال :

حلف شخص وقال لزوجته « على الطلاق بالثلاث منك ما تدخلى بيت أختك لست اشهر واذا دخلت تكونين طالقة . وقد دخلته فعلا قبل انقضاء المدة علما بانه يقول انا اريد منعها من دخول بيت أختها ولا أريد طلاقها .

فما حكم الشريعة .

ح . ص . الكويت

الاجـابة :

قوله اذا دخلت بيت اختك فى مدة ستة اشهر تكونى طالقة ــ هذا القول من قبيل الطلاق المعلق ــ وطبقا لما عليه الفتوى فان كان قصده مجرد حملها على عدم الذهاب الى بيت اختها وتهديدها بالطلاق كيلا تذهب ، لا يقع بدخولها البيت طلاق اذا ذهبت ، وان كان قصده وقوع الطلاق اذا ذهبت يقع عند حصول الدخول ــ ويعتبر طلقة واحدة رجعية وله مراجعتها ما دامت فى العدة ــ هذا اذا لم يكن مسبوقابطلقتين قبلــه .

فى الميراث

السـؤال :

توفيت امرأة عن بنت وام واخ لأم وعم شقيق .
فمن يرث ومن لا يرث وما نصيب كل وارث ؟

سيد احمد ــ دبى

الاجـابة :

بوفاة المتوفاة المذكورة عن بنت وام واخ لام وعم شقيق يكون توزيع تركتها على الوجه الاتى .
للبنت النصف فرضا وللام السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وللعم الشقيق الباقى تعصيبا وهو الثلث ولا شىء للاخ لام لحجبه بالفرع الوارث وهو البنت .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلي

اليهود أخطر عدو للاسلام والمسلمين
كيف تم اجلاؤهم عن المدينة

اليهود مصدر شقاء وبلاء على العالم من قديم الزمان . لم يسلم من شرهم ومكرهم عصر من العصور ولا جيل من الاجيال ، وقد نكلت بهم النازية شر تنكيل ، وجعلتهم وقودا للنيران ، ولم تكد تمضى على الحرب العالمية الثانية بضع سنوات حتى كان عدوانهم الغاشم على فلسطين وهذه مؤامراتهم الأخيرة ضد العرب والمسلمين تكاد تؤذن بخراب الدنيا وفناء البشرية . ومعروف أن كثيرا منهم عاش فى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف اتقى الرسول الكريم شرهم ، وحمى الاسلام والمسلمين من خطرهم .

مسلم

اليهود اخطر عدو للاسلام والمسلمين على ممر التاريخ ، وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا بشهادة القرآن ، وقد عانى منهم النبى الكثير .. دسوا بين المسلمين ، وتآمروا مع المنافقين ،وحالفوا المشركين وظاهروهم ، وطعنوا المسلمين فى المدينة أكثر من مرة ، وكانت لهم تكتلات كبيرة فى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أكبرها بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ويهود خيبر ، ولم يجد الرسول خطة لوقاية الاسلام من خطرهم الا باجلائهم عن أرض المدينة ، وقد تم هذا الاجلاء على دفعات تنفيذا لخطة سياسية نبوية محكمة .

* * *

كان اليهود يساكنون المسلمين فى المدينة – على دخن – رغم العهود والمواثيق التى عقدت بينهم وبين الرسول، والتى كانوا يتمتعون بموجبها بحريتهم الدينية ، وبالامن على أنفسهم وأموالهم .. ولما كانت موقعة بدر التى انتصر فيها المسلمون على مشركى مكة امتلأت قلوب اليهود بالغل والحقد ، وخافوا على أنفسهم وعلى مستقبلهم من ازدياد قوة المسلمين وامتداد سلطانهم، فبدأ تذمرهم

وبدأت مناوشاتهم ومؤامراتهم ، وفاضت نفوسهم فلم تطق صبرا على محمد وأصحابه ، وحدث أن قدمت امرأة من العرب الى سوق اليهود من بنى قينقاع ومعها حلية من الذهب ، فجلست الى صائغ منهم وعرضتها عليه ، وكانت المرأة مستورة الوجه ، فاجتمع حوالها اليهود يريدونها على كشف وجهها فامتنعت ، فجاء يهودى من خلفها — فى سر — فرفع طرف ثوبها بابرة شكها فى أعلاه ، فلما قامت المرأة انكشفت عورتها ، فضحكوا منها ، وهاج دم الغيرة على العرض فى عروقها فاستغاثت بالمسلمين ، فوثب مسلم على الصائغ فقتله واجتمعت اليهود على المسلم فقتلوه ،ونشبت معركة حامية بين عدد من المسلمين وبين يهود بنى قينقاع ، فأسرع رسول الله ليهدىء ثائرة الفتنة ، وطلب من اليهود أن يحافظوا على العهد الذى بينهم وبينه ، وأنذرهم ، وهددهم ان لم يكفوا عن القتال أن يقاتلهم ويهزمهم كما قاتل وهزم مشركى مكة فى بدر فكان هذا الانذار والتهديد من رسول الله الشرارة التى فجرت ما فى نفوسهم من حقد وغيظ ، فقالوا له . لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

وبهذه المقالة أفصحوا عن دخيلة نفوسهم ،وعما يبيتون للمسلمين من غدر وخيانة وأصبح الابقاء عليهم ومواداعتهم من الخطر بمكان على الدعوة الاسلامية ، فلم يكن للمسلمين مفر من مقاتلتهم والتخلص منهم .

وخرج المسلمون ، فحاصروا بنى قينقاع فى دورهم خمسة عشر يوما . لا يخرج منهم أحد ، ولا يدخل عليهم أحد بطعام ، ولما اشتد الحصار عليهم أذعنوا ، وسلموا ، فأمرهم رسول الله بالجلاء عن المدينة ، فخرجوا منها تاركين سلاحهم ، وذهبوا الى وادى القرى حيث أقاموا فترة من الزمن ، ثم تركوا الوادى ، واتجهوا صوب الشمال حتى بلغوا أذرعات على حدود الشام . فكان اجلاء هذه الكتلة اليهودية اضعافا لسائر تجمعاتهم فى المدينة وما وراءها .

* * *

وبعد هزيمة المسلمين فى أحد شمت اليهود بهم ، وطمعوا فيهم ، وظنوا أن الفرصة مواتية لهم للنيل منهم والاجهاز عليهم ، وفكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر هؤلاء الخونة الغادرين الشامتين ، فذهب بنفسه الى يهود بنى النضير على مقربة من قباء ، وكان معه عشرة من كبار الصحابة من بينهم أبو بكر وعمر وعلى ، فاستقبلهم بنو النضير بالابتسامة الماكرة والبشاشة الخادعة ، وأوجس رسول الله فى نفسه شرا منهم لما رأى من حركاتهم وحديثهم المريب . رأى أحدهم وهو عمرو بن جحاش بن كعب يدخل البيت الذى كان رسول الله مستندا الى جداره فارتاب فى أمره، وأدرك أنه لا بد من مؤامرة تدبر له ، فترك الرسول المجلس ، ولم يخبر أصحابه بمقصده ، فظنوا أنه خرج لبعض أمره ، ولما استبطأوه قاموا يبحثون عنه ، فلقيهم قادم من المدينة وأخبرهم بأن رسول الله فى مسجده، فذهبوا اليه فذكر لهم ما رابه من أمر اليهود ، وأنهم اعتزموا الغدر به وقتله غيلة ، وعلى أثر هذا

استدعى رسول الله محمد بن مسلمة ، وقال له . اذهب الى يهود بنى النضير ، وقل لهم . ان رسول الله أرسلنى اليكم ان اخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى . لقد أجلتكم عشرا فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه . وانقضت الايام العشر ، ولم يغادروا ديارهم ، فأخذ المسلمون السلاح ، وساروا اليهم ، وقاتلوهم عشرين ليلة ، وأمر رسول الله أصحابه أن يقطعوا أمل الاعداء فى البقاء فى ديارهم بقطع نخيلهم واحراقه ، وجزع اليهود لذلك ، ونادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال أصحابك يقطعون النخيل ويحرقونها ، فنزل قول الله تعالى « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله وليخزى الفاسقين » .

وخرج بنو النضير من ديارهم بعد أن خربوها بأيديهم وأيدى المؤمنين . تاركين وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من مؤن وسلاح .

وكان جلاء بنى النضير ضربة قاصمة لحلفائهم من المنافقين الذين واعدوهم على نصرتهم ، وبهذا الجلاء اطمأن المسلمون فى المدينة بعض الاطمئنان وفى هذا يقول الله عز وجل « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » .

* * *

وكشفت غزوة الاحزاب التى تألبت فيها جموع الكفر على المسلمين فى المدينة عن طبيعة الخيانة المتغلغلة فى البقية الباقية من اليهود ، وثارت فى نفوسهم عوامل الغل الدفين ودوافع الثأر لبنى جنسهم من بنى قينقاع وبنى النضير ، وفزع المسلمون للمؤامرة المحكمة التى دبرها بنو قريظة مع المشركين للاطاحة بهم وابادتهم ، وبينما كانت أحزاب الكفر تطوق المدينة كان بنو قريظة فى داخلها على أهبة النزول من حصونهم وطعن المسلمين من الخلف بعد أن قطعوا عنهم المؤونة ، وفتحوا الطريق أمام الأحزاب المهاجمين ولولا أن حماية الله أدركت رسوله ومن معه بعد أن زاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، فعصفت الريح ، وقصف الرعد ولمع البرق وهطل المطر ، واشتدت العاصفة فاقتلعت خيام العدو ، وكفأت قدورهم لولا هذه الحماية الالهية لنفذ اليهود مخططهم بطعن المسلمين فى ظهورهم . ولهذا صمم رسول الله بعد رحيل الأحزاب على القضاء على بنى قريظة ، واستئصال شأفتهم ، فأمر مؤذنا فأذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببنى قريظة ، فخف المسلمون حتى أتوا حصون عدو الله وعدوهم ، فضربوا حولها الحصار خمسا وعشرين ليلة ، ولما أيقن الأعداء أن حصونهم لن تغنى عنهم من الله شيئا ، وانهم لا محالة واقعون فى قبضة المسلمين — بعثوا الى رسول الله يطلبون منه أن يسمح لهم بالخروج الى أذرعات تاركين كل ما يملكون ، فأبى عليهم ذلك ،

فطلبوا منه أن يحكم بينهم وبينه سعد ابن معاذ ، فقبل رسول الله حكم سعد فيهم ، فتقدم سعد وأخذ المواثيق على الفريقين أن يرتضوا قضاءه،ويستسلموا لحكمه ، فلما أعطوه المواثيق أمر بنى قريظة أن ينزلوا من حصونهم ، وان يضعوا السلاح ففعلوا ، فحكم سعد فيهم أن تقتل جنودهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم ، وتقسم اموالهم ، فلما سمع رسول الله هذا الحكم قال . والذى نفسى بيده لقد رضى بحكمك هذا الله ورسوله والمؤمنون . ثم خرج الى سوق المدينة ، فحفرت الخنادق ، ثم جيء باليهود فضربت أعناقهم ، وفى هذه الخنادق أهيل عليهم التراب .. وهكذا كان حكم سعد جزاء عادلا اذ لو تم النصر للأحزاب على المسلمين بخيانة اليهود لما تركوا مسلما الا قتلوه ، ومثلوا به ، فجازاهم الله بمثل ما كانوا يريدون .

* * *

بعد القضاء على التكتل اليهودى باجلاء بنى قينقاع عن محلتهم ، وبنى النضير عن حصونهم ، وبالتنكيل ببنى قريظة بقى أمام المسلمين تكتل يهودى آخر لا بد من القضاء عليه حتى لا تقوم لهم ببلاد العرب قائمة ، ولا بد من الاسراع فى تنفيذ هذا حتى لا يكون عنصر الزمن عائقا ، ولهذا بعد عودة الرسول من الحديبية لم يمكث فى المدينة الا قرابة شهر ثم أمر المسلمين بالتجهز لغزو خيبر ، وانطلق فى ألف وستمائة مجاهد ، وقطعوا مراحل الطريق ما بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام ، وباغت المسلمون جموع اليهود فى خيبر ، وكانت من أشد الطوائف الاسرائيلية عداوة وبأسا ، وأوفرها مالا ، وأكثرها سلاحا ، ووقعت المعركة ، واستمات اليهود فى القتال ، ولم يفرطوا فى شبر من الارض الا بعد قتال مرير ، ولم تغنهم قوتهم ولا كثرتهم من الله شيئا ، فسقطت حصونهم حصنا بعد حصن فى أيدى المسلمين ، وكانت منعة هذه الحصون تزيد الحرب ضراوة وشدة .

وهكذا ذل اليهود فى بلاد العرب ، واضطروا الى مغادرتها ، وتم جلاؤهم عنها فى حياة الرسول القائد العظيم .

من هذا العرض التاريخي السريع ومن الواقع المؤلم يتضح أن اليهود شر الدواب عند الله وأنهم جنس يتميز فى خسته ، ولؤمه وغدره ، وأنهم أعداء لكل المبادىء والمثل . أعداء للانسانية كلها ، بل أعداء الملائكة الله الذين ليسوا من جنسهم ، ولقد شهد القرآن بهذا ــ فقد روى أن نفرا من اليهود سألوا رسول الله . من يأتيك بالوحى . فقال جبريل. قالوا هذا عدونا ، فنزل قول الله عز وجل ((قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين)) .

ومن النظر فى القرآن الكريم يتبين أن الجنس اليهودى القذر لا تجدى معه الملاينة أو المهادنة وأنه لا يخضع الا للقوة والقهر ، وحسبك أن الله عز وجل هددهم برفع الجبل فوقهم قال تعالى ((واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا)) وقال ((واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة)) .

وليس أمام المسلمين الا طريق واحد لاستنقاذ بلادهم وحقوقهم من اليهود المجرمين . ليس أمامهم الا القوة والقوة وحدها .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

ذكريات في شهر ربيع الأول

بعث الاستاذ عبد المنعم البحقيرى المدرس بمدرسة نوسا الغيط ج . ع . م بكلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

عندما يقبل شهر ربيع الاول تقبل ذكريات معه طيبة الى نفوسنا عزيزة على المسلمين جميعا ولها أثرها فى تاريخهم وحياتهم .. هذه الحوادث غيرت وجه التاريخ وقررت حقوق الانسان وخلصت الانسانية من الاغلال والقيود وبنت صرح الحضارة الاسلامية الزاهرة وشاركت مشاركة بناءة فى حضارة العالم أجمع .

ففى مثل هذا الشهر من عام الفيل سنة ٥٧٠ من ميلاد السيد المسيح وفى يوم الاثنين الثانى عشر ولد محمد صلى الله عليه وسلم ... وبمولده تحررت العقول والقلوب من دعاوى الجهل والفساد والوثنية .

وفى مثل هذا الشهر كانت دعوته الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ومؤذنا بعهد جديد وثورة على الشرك ودعوة الى التوحيد ونشر مبادىء الاخلاق الفاضلة وتنظيما لعلاقة الحاكم بالمحكومين وعلاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض فى ظل الحرية والمساواة والاخاء والتراحم والبر والتعاون والحب والاتحاد والالفة والتكافل والتضامن .

واذا تتبعنا الحوادث التى اختص الله بها هذا الشهر العظيم نجد حادث الهجرة ، وكان الجهاد من أجل نشر الدعوة ، وكانت الرسالة بأجل معانيها ، وكان الايثار والتضحية . لقد كانت الهجرة أيذانا بانتشار الدعوة ورحمة للناس وتخليصا لهم من القيود العتيقة فلولا الهجرة لظل الاسلام غريبا فى وطنه يتيما بين أهله ولظل العالم على وثنيته الضارية والجاهلية الجهلاء والفساد الشامل ومن هنا انتشر الاسلام وارتفعت رايته فوق البشرية ، **ومن هنا نعلم أن الصبر والكفاح والجهاد أسلحة لازمة للمؤمن كى يحقق أهدافه .. فأصبح الاسلام الذى كان يؤمن به قلة دين العالم ويصيح عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الاطلسى ويقول (اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل اعلاء كلمتك اللهم اشهد) . ويصيح قتيبة الباهلى وهو يشد أزر جنوده فى مواصلة الفتح (بثقتى بنصر الله أوغلت واذا انقضت المدة — لم تنفع العدة) قال قتيبة هذا الكلام عندما نصحه أحد جنوده قائلا . لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر ثم نجد نفس السائل المشفق يقول بعد اجابة قتيبة على اشفاقه . اسلك سبيلك يا أخى حيث شئت فهذا عزم لا يفله الا الله .**

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر

ربيع الاول للسنة الحادية عشرة للجهرة لحق محمد بالرفيق الاعلى . توفى الرسول بعد ان ترك لنا ميراثا عظيما انها الديانة السمحة والشريعة الاسلامية الغراء .. والدستور الخالد كتاب الله الكريم خير زاد وأعظم هدى .

الإسلام رسالة عالمية

وتحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمد التقى من العراق يقول :

الاسلام رسالة عالمية تتسع لكل الافاق فى كل العصور لا تحددها العنصريات - والقوميات . ولا تقيدها الظروف والبيئات .

وليس هناك أى رسالة تتوفر فيها شروط العالمية بمقدار ما تتوفر فى هذا الدين العظيم - الذى يجمع الانسانية على صعيد واحد ويسيرها الى غايات واحدة - واهداف مشتركة ... ثم يقول :

وههنا سؤال يعرض لنا . من المسئول عن هذه الرسالة العالمية ان يبلغها الى الدنيا العريضة - وينجز أهدافها الكبيرة - من ذا الذى يجب عليه أن ينشر تعاليم هذه الرسالة فى أرجاء هذا الكون الفسيح الصاخب بشتى اللغات والعادات - ومختلف العناصر والعصبيات - من ذا الذى يلزم . ان يحمل النور الى تلك الكهوف الحالكة التى تحجرت على ابوابها قذارات اجيال وعادات قرون من ذا الذى يبعث هذا الضياء الهادى البهى - فى الافاق الملبدة بسحب تراكمت بعضها فوق بعض - آفاق مليئة بالضلال والظلام .

ان مسئولية الدعوة الى رسالة عالمية كالاسلام - أضخم واجل مسئولية يعرفها الفكر البشرى - منذ ان كان والى ان يكون - ذلك لان الاسلام ليس رسالة روحية - تعنى بشئون النفس البشرية فقط - ولا مبدءا سياسيا يرضى من انصاره وتابعيه مجرد الانتماء اليه فحسب - ولا هو مجرد تعاليم فلسفية - تصوغ فكر الفرد طبقا لاتجاهاتها ثم تدعه لشأنه - ولا هو مناهج ادارية - تطبق على الحياة الاجتماعية - لا غير - بل هو دين شامل لجميع مناحى الحياة - وجميع احوالها .

فلذلك تكون مسئولية الدعوة اليها عظيمة بالنظر الى تلك الشمولية التى يمتاز بها هذا الدين .

فمن هذا الذى يفرض عليه القيام - بهذه المسئولية الهائلة الضخمة ؟

انى ادعك الآن تستمع الى اى من الكتاب يقول لك بارئك الجواب المبين .

« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف - وتنهون عن المنكر - وتؤمنون بالله » .

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ان مسئولية الدعوة ليست محدودة بأفراد أو طوائف معدودين او ظروف أو بيئات خاصة . انها تثقل كاهل اى فرد مؤمن يصدق بالله ورسوله من كان وأنى كان .. ان الامة الاسلامية أخرجت الى الوجود لكى تكون - « خيرا للناس » يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

يا يوم مولده

ومن قصيدة للاستاذ احمد عبد اللطيف حسب الله المدرس بمدرسة كفر الدوار الصناعية - ج . ع . م نقتطف هذه الفقرات .

صونوا حماه فهذا يوم مولده
وكرموا هذه الدنيا بمشهده
ما أجمل الحق اذ يزهى بطلعته
ويا سنى الفجر اذ يهفو لموعده
محمد .. والدجى يرنو ويرقبه
يبغى صفاء الهدى من عذب مورده
تلك البلابل فى الآفاق تنشده
حلو الاغانى بأنغام على يده
وصادقت نجمة تهوى الخلود وقد
طاب الخلود على ذكرى محمده

***

يا يوم مولده انا على القدر
نسعى بعزم كريم صادق الخبر
فاعطف وجمع على الازمان أمته
فكم طغى من عداها راكب الخطر
فأنت نور الضحايا حسن مشرقه
نمشى اليه بأقدام من البصر
وسوف نحيى على ذكراك عزتنا
وسوف نمضى بوجه عاقد الظفر
أرض العروبة ارض المجد غايتها
« طه » ومن يهو فليتبع على الاثر

قالت صحف العالم

متى الجولة الثانية ؟

*** هل انتهى كل شيء ؟**
*** هل هدأت نيران الحرب ؟**
*** هل يتراجع اليهود الى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ؟**
*** كيف تكون نتائج مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة ؟**
*** متى موعد الجولة الثانية مع اليهود**

هذه المجموعة من الاسئلة طرحتها مجلة السياسة الاسبوعية الكويتية وناقشتها وأجابت عليها وفيما يلي نقتطف الفقرة التالية من المقال .

مهما كانت عليه نتائج مناقشات الجمعية العامة . ومهما ستكون عليه نتائج لقاء الدول الكبرى فى نيويورك فان على العرب أن يخططوا لمستقبل واحد ، ولنتيجة واحدة . الحرب مع العدو الصهيوني .

فقد توفر لدى الدوائر العربية معلومات تقول انه من الافضل مئة مرة للعرب أن يقبلوا بواقع الحال الى حين من أن يقبلوا بتسويات قد تطيل فى عمر ضياع النكبة ، وتطيل فى عمر ضياع فلسطين .

كيف هذا ؟ .

بعض الدوائر العربية تقول أن حربنا مع اليهود قائمة ، ولا يعني أن احتلال اليهود لقسم من أراضينا أن الحرب انتهت . فالمعروف أن الحرب جولات ومعارك وكر وفر ، والمهم هو النتيجة النهائية اذ أن من يضحك كثيرا يضحك أخيرا .

يعني هذا الكلام أيضا أنه أمام العرب الآن مهمات عاجلة بدأوا يتحركون لتنفيذها، ولعل أهم هذه المهمات هى تدعيم الجهد العسكرى العربي وتوحيده ، ودراسة كافة الاسباب التي أدت الى خسارة معركتنا السابقة .

فلقد تبين للدوائر العربية أن العمل العسكرى وحده هو القادر على حسم الموقف، وهو القادر على انهاء أسطورة اليهود ، وأسطورة بقائهم .

ومن هنا جاء التركيز على أن شيئا ما لا يجب أن نلهث وراءه الآن فى خارج النطاق العسكرى اذ أن الجلاء اليهودى عن الآراضى العربية ليس هاما بالقدر الذى نخطط له نحن ونبني ، وهو ازالة كل الوجود الاسرائيلي المزعوم من فلسطين العربية .

فمهما كانت عليه مناقشات الامم المتحدة ، ومهما كانت نتائجها فان شيئا ما لم يتغير بالنسبة للعرب ، وأن أى تسوية مع اليهود ستكون مرفوضة من الآن ، ولن يكون بين العرب واليهود قضية سوى الحرب حتى نهايتها ولتكن النتائج بعدها ما تكون .

استمرار المعركة

ليس في مصلحة الاستعمار

وتحت هذا العنوان كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تقول :

أبرزت تجربة الجولة الاولى لحربنا الشاملة ضد العدوان الاستعماري الصهيوني طبيعة النضال الذى نخوضه اليوم .. فالمعركة سياسية شعبية طويلة الاجل وليست موقعة حربية قصيرة الامد ، قواها ــ الرئيسية هي قوى الشعب العامل فى الوطن العربي من الخليج الى المحيط ، تلك القوى التي تزداد تماسكا وتلا حما وتصميما على مواصلة القتال وتسخير كل سلاح تملكه فى خدمة قضية التحرير العربي .

أن الاستعمار وحده وبعض أبواقه هم الذين يصورون المعركة منتهية ، وان كسب قطعة من الارض أو جولة حرب أو خسارة بعض العتاد الحربي يعني نهاية المطاف للامة العربية وحركة التحرر العربي ، وهم يهدفون من ذلك الى اشاعة روح التخاذل واليأس. حتى يبدأوا المساومة من موقع يتصورونه موقع قوة ، الا أنهم يدركون أنه موقع قوة وقتي وزائل ، فيعملون على التعجيل بالاستفادة منه ، لانهم أيضا يعلمون أن استمرار المعركة سيقلب الوضع رأسا على عقب ، ويفزعهم أشد الفزع ذلك الاجماع العربي ــ الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ العربي ــ على مواصلة النضال حتى النصر ، والاستعمار يدرك اننا نملك من الاسلحة الفعالة ما يكفل لنا تحقيق أهدافنا ويضمن القضاء على نفوذه وقواعده العسكرية وفى مقدمتها أسرائيل ، وكذلك فهو يحشد كل جهوده ، ويسخر كل طاقاته لوقف المعركة فى حدودها الحالية ، ليمنعنا من استخدام ما نملكه من أسلحة متعددة جبارة فى مواجهة مخططه وعدوانه الصارخ .

ومن هنا يجب أن ننتبه الى أبعاد المؤامرة الاستعمارية فى شكلها الجديد وأن نعمل على افسادها ودحرها ، بالا نسمح بأى حال من الاحوال بهبوط المستوى الحالى لحرارة المعركة وشمول التعبئة بل أن نرفعها الى مستويات جديدة تتمشى مع متطلبات الموقف .

نريد وحدة

تبني على العقل

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الآن عاد حديث الوحدة العربية من جديد ، وهو حديث يتنسم العربى منذ ولادته أنفاسه الطاهرة المقدسة . فالعربى ، من المحيط الى الخليج ، يفتح عينيه ليقرأ كلمة الوحدة وينصت باذنيه ليسمع كلمة الوحدة ، حتى باتت الوحدة العربية حقيقة من حقائق حياتنا وأمرا بدهيا من أمور تفكيرنا وخطا عميقا فى ضمائرنا .

ولان الوحدة على هذه الدرجة المتازة من القداسة والايمان والضرورة فانها تتطلب من الانسان العربى مسئولا أو مواطنا ، أن يدرك أبعادها ويتلمس طريقها تلمسا واعيا يقفز فوق الانفعال ويتعداه .

ومنذ ثلاثين سنة ونيف انطلقت الدعوة لتحقيق الوحدة ، حتى اذا قطفت أول

ثمارها ، كانت الآلام وكان الإعتراف بأن المخاض لم يكن كاملا وبذلك لم يكن الوليد صحيح البنية مكتمل العنفوان والعافية .

واليوم تنطلق الدعوة للوحدة مجللة بالجراح النازفة فتلقى صدى الايمان بضرورتها ، ولكنها مع الاسف تكاد توحى لنا بأن انطلاقها بالقواعد المقترحة وهى كثيرة ، لم يفد من تجارب الماضى ، ولا زادته المحن ادراكا علميا لمعالم طريقها .

ان الوحدة لا تقوم بموجب طلب أو ميثاق . ان الوحدة يجب أن تعتمد التجربة طريقا لاكتشاف الخطأ والصواب ، وأن تعتمد العقل الواعى المدرك الصادق حكما وحيدا فى اختيار طريق الوحدة وشروط قيامها قياما دائما لا يسقط أمام النكسات مهما كبرت ولا يقع تحت الضربات مهما قست وتعاظمت .

الوحدة الوحدة، هذا نداء ضميرى لا يجوز تعريضه للتسرع والارتجال حتى لا نسجل بذلك على أنفسنا أننا قد أجهضنا هدفا آخر من أهداف الانسان العربى فى بناء حياته الجديدة .

الثرثارون

ونشرت صحيفة الشعب البيروتية تحت هذا العنوان الكلمة التالية :

اذا كان للعدو مصلحة فى اطلاق الشائعات ، فأية مصلحة لنا فى حملها ونشرها وترديدها ..

نأسف جدا أن نجد بعض الثرثارين ينقلون أخبار العدو من حيث لا يدرون أنها صادرة عنه .. ثم يبنون عليها احكاما خاطئة وينتهون الى نتائج مؤسفة ..

ان الظرف الدقيق الذى تمر به البلاد العربية بعد النكسة يتطلب من كل فرد عربى أن يكون واعيا لمكائد العدو ودسائسه ، فالقيادة العربية لن تترك الاخطاء التى وقعت تمر بدون عقاب ، ولا هى بمتساهلة مع أى اهمال صدر .

ولكن المؤامرة التى دبرت فى ليل حالك السواد ، على صعيد دولة ، كانت فوق طاقة القدرة التى يتمتع بها العالم العربى .

فالضربة الغادرة وقعت تحت سمع المستعمرين الكبار وبصرهم ، بل وتحت قيادتهم المتآمرة المتأمركة .

وتلقى العالم العربى الضربة بصدر مؤمن ، ضحى بالكسب العسكرى ، مؤثرا أن يصاب بنكسة عسكرية على أن يصاب بكلمة الشرف التى قطعها أمام الدنيا .

لقد كسب العالم العربى احترام الدنيا ، دنيا الاخلاق والمبادىء والمثل .

وخسرت أميركا سمعتها ، وأصبحت دولة لصوص وعصابات وقطاع طرق ..

ان الربح المعنوى الذى كسبه العالم العربى من هذه النكسة قد بلغ شأوا بعيدا من المكاسب الانسانية ، ذات المزايا الرفيعة .

أما الخسارة العسكرية فهى خسارة معركة جانبية وهى ليست بخسارة اذا قيست بنتائجها التى تعدها الايام المقبلة .

ان الامم لا تقاس حياتها بالسنين والايام بل بالقرون والاجيال .

لقد خسرت أميركا فى هذه الايام كل ما بنت من أمجاد فى غابر السنين والقرون ، بينما ارتفعت سمعة العالم العربى الى السماء ..

عندما يقيم العالم غدا وزن الدول بأخلاقياتها تأتى أميركا فى أسفل سافلين ..

وترتفع مكانة العالم العربى لتصبح أكبر من أن تنال منها نكسة عابرة غادرة ..

ولا بد للعدو أن يجلو عن أرضنا المقدسة .

اخبار العالم الاسلامي

اعـداد
عبد المعطى بيومى

ظهر العدد الماضى بينما كانت قضية فلسطين ـ أو أزمة الشرق الأوسـط كما يسميها الغـرب تمويها ـ على وشك الانفجار .

ولكن بدأ عدوان اسرائيل على المتحدة والاردن وسوريا فى الخامس من يونيو وكشفت اللحـظات الأولى عن مؤامرة غربية واسعة النطاق مع اسرائيل ضد الدول العربية .

وفى يوم الخميس ٨ يونيو قرر مجلس الأمن وقف اطلاق النار بعد فشله فى ادانة اسرائيل ، وانتقل الأمر الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث قدم الرئيس السوفيتى مشروعا يقضى بادانة العـدوان الصهيوني والانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ودفع تعويضات للدول العربية . ولا تزال جلسات الأمم المتحدة مستمرة لمناقشة هذه القضية حين كتابة هذه الاخبار .

الكويت

ما أن وصل نبأ العدوان حتى دعى مجلس الامة فورا للانعقاد وأعلن صاحب السمو أمير البـلاد المعظم قيام الحرب الدفاعية ضد العصابات الصهيونية واعلان الاحكام العرفية كما صدرت الأوامر بتوقف ضخ النفط نهائيا ، وحرمان بريطانيا وامريكا منه بعد تواطئهما مع دولة العدوان .

دعت الكويت الى عقد مؤتمر عاجل لوزراء الخارجية العرب حيث عقدت منه جلسة واحدة فى مساء ١٧ يونية ، ثم انتقل الاجتماع الى نيويورك ليتسنى لهم الاشتراك فى مناقشات الأمم المتحدة .

بعثت الكويت بامدادات ضخمة من المواد الغذائية والطبية الى الأردن .

خصصت حكومة الكويت مبلغ (٢٥) مليون جنيه استرلينى لمساعدة الدول العربية المعتدى عليها .

تبرع أعضاء مجلس الوزراء ومجلس الامة كل منهم براتب شهر كامل للمجهود الحربى العربـى كما تكونت لجان شعبية لجمع التبرعات وقامت كل وزارة بتكوين لجنة يراسها الوزير لهذا الغرض .

الجمهورية العربية المتحدة

أدلى الرئيس جمال عبد الناصر ببيان تفصيلي عن العدوان ثم عدل عن استقالته بناء على رغبة الشعب . وقد شكل سيادته وزارة جديدة برياسته .

زار القاهرة رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتي لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر حـول الوضع الراهن كما زار القاهرة رئيس أركان الحرب السوفيتي مع وفد عسكرى .

أصدر شيخ الأزهر بيانا يحث فيه المسلمين على الجهاد فى سبيل الله وانقاذ المقدسـات الاسلامية من يد الصهاينة كما أصدر المجمع الأعلى للبحوث الاسلامية برئاسة فضيلة شيخ الأزهر نداء الى جميع مسلمي العالم بمعارضة فكرة تدويل القدس أو ضمها لاسرائيل . وارسل برقية بهذا المعنى الى يوثانت

العـــراق

قطعت العراق نهائيا النفط عن امريكا وبريطانيا كما قطعت علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية بين هاتين الدولتين . كما سحبت أرصدتها بالاسترليني من بنوك امريكا وبريطانيا .

صدر فى العراق ميثاق وطنى وقعته كل الفئات الوطنية ، وقد افرج عن المسجونين السياسيين

ســـوريا

فى بدء العدوان دمر الجيش السورى كثيرا من المستعمرات الاسرائيلية الشمالية حتى صفد ردا على العدوان الاسرائيلي وقد استمر القتال فى الجبهة السورية حتى يوم الاثنين ١٢ يونيو حيث استخفت اسرائيل بقرار وقف اطلاق النار .

اكد الدكتور يوسف زعين ان موضوع المحادثات المباشرة او غير المباشرة مع اسرائيل مرفوض شكلا وموضوعا والى الأبد .

زار الرئيس السوفيتى بودجورنى سوريا والعراق واجرى مباحثات هامة

الأردن

دعا الملك حسين الى عقد مؤتمر عاجل للقمة العربية وقد وافقت غالبية الدول العربية الا أنه لم يحدد موعده بعد والمنتظر انعقاده بعد انتهاء مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

سافر الملك حسين الى نيويورك والقى خطابا فى الجمعية العامة تحدث فيه عن مدى وحشية العدوان الصهيوني . وقد اجتمع بالرئيس جونسون كما اجتمع بهارولد ويلسون .

الجزائـــر

بعثت الجزائر بقوات جوية وبرية للاشتراك الى جانب شقيقاتها العربيات فى تحرير فلسطين .

سافر الرئيس هوارى بومدين الى حيث اجرى مباحثات هامة مع الزعماء السوفييت .

قطعت الجزائر علاقاتها مع امريكا وبريطانيا كما قطعت النفط والغاز عنهما .

دعا السيد بوتفليقة وزير الخارجية الى استمرار قطع النفط عن امريكا وبريطانيا لمدة عام .

السعوديــة

قدمت السعودية مواد غذائية وطبية للاجئين فى الأردن ..

اوقفت السعودية اثناء المعركة ضخ النفط

الســـودان

اعتقلت سلطان الأمن السودانى عددا من الجواسيس حيث ضبط معهم بعض اجهزة اللاسلكى وخرائط لجميع مطارات السودان . كما سحبت السودان ارصدتها من انجلترا .

تـــونس

بعثت الحكومة التونسية بقوة لتشترك فى الحرب ثم عادت فور وقف القتال قبل وصولها للميدان .

ينتظر بدء العلاقات الدبلوماسية رسميا بين المتحدة وتونس قريبا وكذلك مع الدول العربية الاخرى .

ليبيا : قدم رئيس الوزراء استقالته ! ! وكانت ليبيا قد اوقفت ضخ النفط .

عدن : اشتدت الثورة العربية ضد بريطانيا فى عدن والجنوب وقتل عدد كبير من الجنود البريطانيين لم يسبق له مثيل .

باكستان : وقفت الباكستان موقفا مشرفا بالنسبة للقضية الفلسطينية وقد عرض الرئيس أيوب خان المساعدات المادية على العرب ابان القتال كما صرح وزير الخارجية السيد شريف بير زاده فى الجمعية العامة ان باكستان مرتبطة بالعرب بتراث خالد هو الاسلام ، وانها تدخل طرفا فى النزاع فى قضية فلسطين ، وقد أعلن المسلمون فى الهند والدول الشرقية شعورهم الفياض نحو الدول العربية ..

اقرا فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى صب : ٣٠٣

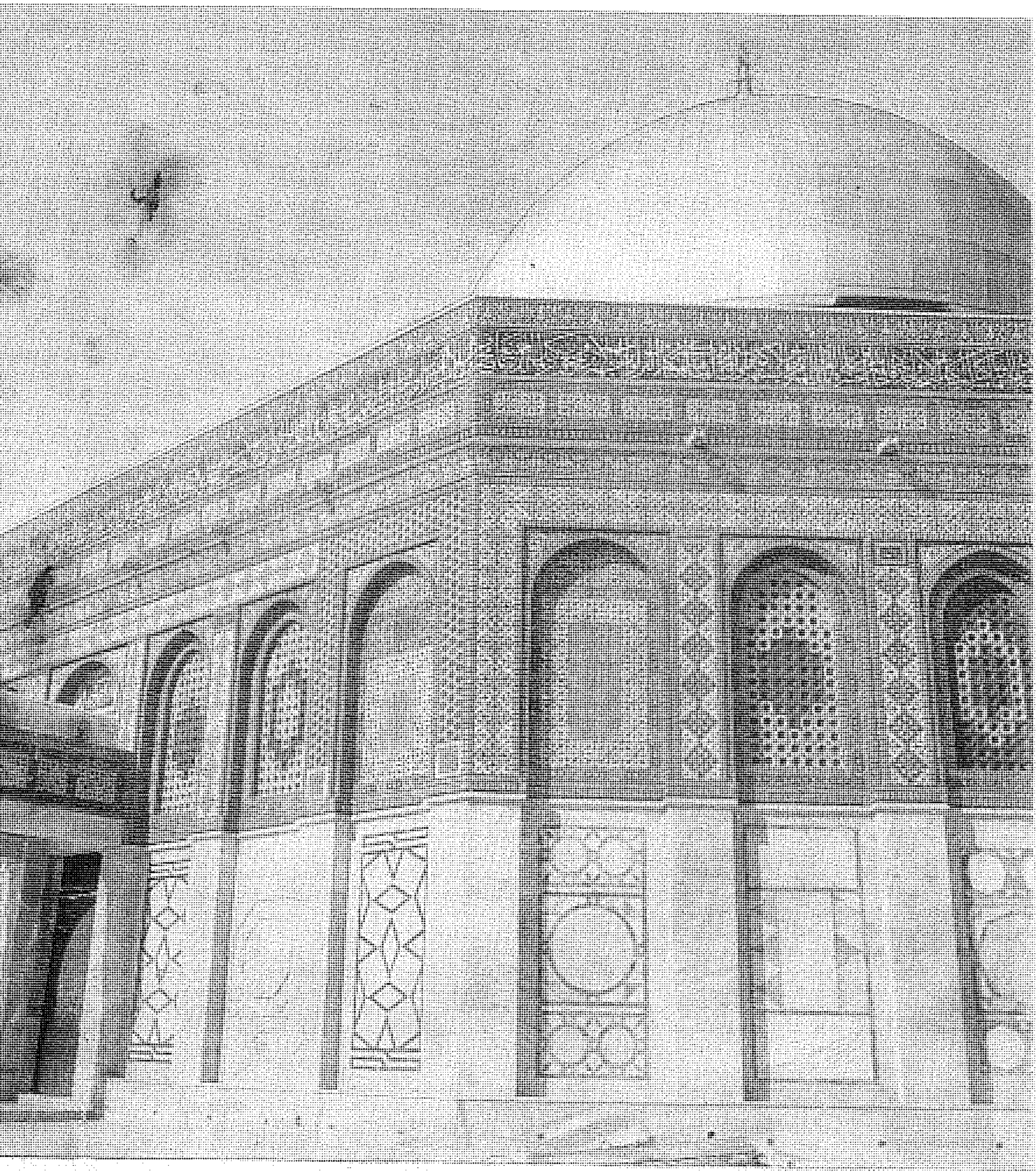
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الصخرة المشرفة

وا اسلاماه !

نداء يهدر به قلب كل مسلم ، ويبذل تحت لوائه الاموال والا
والارض العربية كلها من دنس العدو الغ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ■ العدد التاسع والعشرون ■ غرة جمادى الاولى ١٣٨٧ هـ ــ ٧ أغسطس ١٩٦٧ م

وأطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم
واصبروا إن الله مع
الصابرين

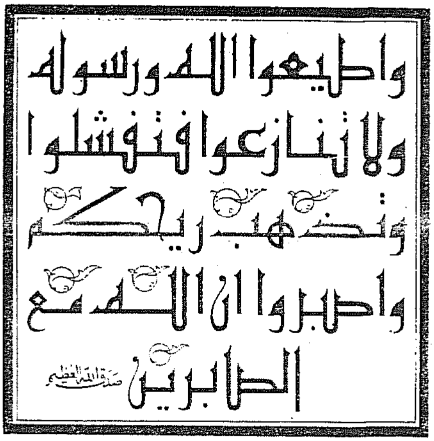
صدق الله العظيم



الحرم الابراهيمي الشريف بمدينة الخليل

يعتبر الحرم الابراهيمي الشريف من الآثار الاسلامية العظيمة ، وقد بني فوق مغارة تشتمل على قبور طائفة من الانبياء . ويحيط بالحرم سور مبنى بالحجر الضخم بناء هندسيا يثير الدهشة ويبلغ طول بعض الحجارة من ٥ ـ ٧ أمتار طولا فى متر ونصف عرضا ، وفوق السور منارتان .

صورة الغلاف



وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشــلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ٭

سورة الانفال آية « ٤٦ »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع والعشرون ــ السنة الثالثة

غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٧ هـ
٧ أغسطس (آب) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيــا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعــوة والارشــاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

الحق
المغتصب
بالمدفع
يستعاد

تصريح لسعادة وزير الإرشاد والأنباء

في تصريح لصاحب السعادة الشيخ جابر العلي السالم وزير الارشاد والانباء لشركة الانباء الاقليمية . قال سعادته :

ان حرب الشرق الاوسط الاخيرة اعادت الى اذهان دول العالم وخاصة الدول الكبرى خطورة مغبة تكريس العدوان واضفاء صفة الشرعية عليه ، وقال ان الحق الذى يغتصب بالمدفع يستعاد ولو طال الزمن .

وأضاف سعادته قائلا : ان على جميع المسلمين أن يجمعوا صفوفهم ، ويوحدوا كلمتهم ويهبوا هبة رجل واحد لانقاذ مدينة القدس من الصهيونيين المعتدين .

وقال ان الوقت قد حان لكي تنادى الدول الاسلامية لاتخاذ موقف موحد وحازم يرغم الصهيونيين ومن وراءهم على التراجع عن أية خطط ترمي الى تدويل القدس ، أو تعديل وضعها السابق .

ودعا سعادة وزير الارشاد والانباء جميع الدول العربية الى اعادة النظر في أجهزتها الاعلامية وانتهاج سياسة اعلامية واقعية وواضحة . وأكد أن اجهزة الاعلام في الكويت مقبلة على مخططات موضوعية ، وستنتهج نهجا علميا يقوم على أساس ايصال الحقائق للذهن العربي بصدق وأمانة ووضوح .

واختتم سعادة الشيخ جابر العلي السالم تصريحه قائلا :

((انه بات من واجب المسئولين عن اجهزة الاعلام العربية العمل بجدية وسرعة لوضع سياسة اعلامية سليمة من شوائب الماضي ، تكون عاملا جوهريا في توحيـد الجهد العربي أينما كان)) .

وسعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلاميّة يتحدّث عن

دور الكويت في المعركة

وقد وجه مندوب صحيفة الرأى العام الى سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية هذا السؤال :

ما هو الدور الذى تقترحونه سعادتكم كى تقوم به دولة الكويت مشاركة بذلك الدول العربية الشقيقة والاسلامية حيال ما تمخض عنه العدوان الاخير من انتهاك للمقدسات والحرمات فى القدس الشريف ، وضم هذا البلد المقدس لدويلة العصابات الصهيونية ولانقاذها من براثنها ؟

فقال سعادة الوزير :

لقد اعلنت دولة الكويت على لسان أميرها المعظم وسمو ولي العهد انها فى مقدمة البلدان العاملة من أجل تحرير الوطن السليب باذلة أقصى جهدها ومرخصة الاموال والارواح فى سبيل الذود عن مقدسات المسلمين ، وقد ترجم هذا القول الى فعل تمثل فى الكتائب التى جهزت والاموال التى جمعت والاجراءات التى اتخذت . وهى لن تكتفى بما قدمت بل لا زالت على استعداد لبذل المزيد من التضحيات ، وتقديم الكثير من المعونات التى تفرضها عليها طبيعة المعركة وتمليها عليها روابط العقيدة والاخوة .

والدور الذى يجب أن تؤديه الكويت مع شقيقاتها العربيات هو اذكاء روح الحماس الدينى ، وبعث معانى الرجولة وحب الفداء والاخذ باسباب المادية والمعنوية التى من شأنها ايجاد الامة المكافحة . والارتفاع بالقضية الى مستوى العمل المثمر الى الافق الاسلامى الواسع ، واشراك العالم الاسلامى فيها باعتبارها قضية المسلمين جميعا .

وقد برهنت الاحداث الاخيرة عن تجاوب مشاعر المسلمين ، وتلبيتهم دعوة الجهاد فى سبيل تحرير مقدساتهم الاسلامية ، واسترداد حقوقهم المساوبة .. والله نسأل أن يسدد خطى المسلمين الى ما فيه عزهم وسؤددهم .

جاء يسألني : لقد سمعتك تتحدث عن قول الله تعالى : ((وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)) وقوله تعالى : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) فهل اليهود مؤمنون ؟

قلت له : انهم مؤمنون بفكرتهم كما يرونها ، وحقهم كما يتصورونه ، وعملوا بما يمليه عليهم ايمانهم ، سواء أكانوا فى داخل اسرائيل أم فى خارجها .. أما نحن فايماننا في حاجة الى تساؤل ؟ ..

أن النصر مع الايمان أو عدته الاولى الايمان .. هذه قضية لا شك في أن أحدا من الناس يجادل فيها .. النصر والنجاح في أى ميدان من ميادين العمل أساسه الايمان بالعمل الذى تقوم به . الفلاح في حقله يكد ويكدح لانه يؤمن أنه بدون الكد والتعب لا يستطيع أن يعيش .. وكذلك العامل في مصنعه ، والعالم في معمله أو مكتبه .. وكل انسان يباشر عملا من الاعمال لا ينجح فيه الا اذا كان مقتنعا به ، ومؤمنا بجدواه .. فالايمان بمعنى الاقتناع بالفكرة وبالعمل شرط من شروط النجاح .

وكلما عظم العمل ، واشتد خطره ، وتكاثرت صعوباته ، كان في حاجة الى ذخيرة قوية من الايمان به تكافىء خطورته أو تزيد ، حتى يستطيع الانسان بها التغلب على الصعوبات ، واقتحام الاخطار ، وينجح أخيرا في عمله ..

فايمان الانسان بالفكرة أو المبدأ هو ((الدينمو)) الذى يحركه ويدفعه . وبقدر قوة هذا ((الدينمو)) فيه تكون حركته واندفاعه الى غايته التى يسعى اليها .. وبقدر خطورة الفكرة وعظمتها ، أو خطورة العمل الذى يقدم عليه ، يجب أن تكون قوة هذا ((الدينمو)) . فليس من المعقول أن تضع محرك دراجة بخارية مثلا في سيارة كبيرة ، أو شاحنة من الشاحنات ، ثم تنتظر أن تسير السيارة أو الشاحنة بالسرعة التى اعتدناها منها ..

فالايمان الذى نتحدث عنه اذن ونريده أساسا للنجاح أو النصر ليس هو مجرد اعتناق الفكرة أو المبدأ ، أو الاعلان باعتناقها ، واطلاق الكلام الحماسي حولها .. فمثل هذا لا يولد الحرارة التى تدفع وتحرك .. وانما الايمان الذى نريده هو الذى يسيطر على روح الانسان وحواسه ، ويجعله منساقا تلقائيا الى كل ما يقتضيه من حركة وسكون .

وليس من الضرورى أن تكون العقيدة أو الفكرة التى يعتنقها الانسان ويعمل في سبيلها ، ويدافع عنها ، سليمة فى الواقع وصحيحة .. فقد رأينا ونرى كثير من أصحاب العقائد الباطلة ، والافكار السقيمة ، والقيم الفاسدة ، يتفانون في العمل لها ، ويشرعون من أجلها السلاح ، ويضحون بالاموال والارواح ، لانهم يؤمنون بها ، ويخلصون لها ..

وقد يتغلبون على أصحاب العقائد الصحيحة ، والافكار السليمة ، والقيم السامية ، لأن أهل الحق كان ايمانهم به ضعيفا ، وكان عملهم من أجله واهنا ، ومن ثم لم تكن لديهم القوة المحركة للدفاع عنه وحمايته .. أو كان ايمانهم به قويا ، ولكنهم

لم يتخذوا الأهبة للدفاع عنه ، أو اتخذوا اهبتهم ، ولكنهم لم يحكموا خططهم ، او أحكموا خططهم ، ولكنهم عند التنفيذ لم يلتزموا بها .. ومن هذا أو ذاك تغلب عليهم أهل الباطل ، لأنهم آمنوا بباطلهم ، وخططوا له ، وأحكموا عملهم ، ونفذوا خططهم .

تلك سنة الله في عباده ، لم يعف منها سيد رسله وأنبيائه .. فقد تغلب عليه المشركون في أحد بعد انتصاره عليهم ، لأن بعض أصحابه تهاونوا في تنفيذ الخطة التى رسمها لهم ، وسجل عليهم القرآن الكريم ذلك حين قال ((ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)) .

ثم تغلبوا عليه مرة أخرى في حنين لسبب كشف الله عنه حين قال : ((ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)) كانوا مؤمنين حق الايمان ، ويدافعون عن الحق ، وكانوا كثرة .. ولكنهم داخلهم الغرور بكثرتهم . فتهاونوا ولم يحزموا أمرهم .. فكانت هزيمتهم .. ودعاهم الرسول ، فشعروا بالخطأ وتماسكوا ، وشدوا على عدوهم ، فكان لهم النصر .. وكان ما جرى درسا وعبرة ..

نعم كان درسا .. يعلمنا الايمان أولا .. ولكنه لا يكفي بدون عمل .. بدون خطط ، بدون تنفيذ .

وأمامنا الآن دروس في الحياة لا بد أن نتعلم منها ..

شعب فيتنام لا يتجاوز الخمسة عشر مليونا . رجالا ونساء ، وأطفالا .. يقف عدة سنين صامدا أمام الولايات المتحدة وحلفائها .. وآخر أحصاء نشرته الصحف عن الجيش الذى يقف أمامه هذا الشعب الصغير يقول أنه بلغ مليون جندى .. نعم مليون جندى بقوة الولايات المتحدة وبطشها وعنادها وجبروتها ، يدوخهم هذا الشعب الصغير ، ويمرغ سمعة اقوى دولة في التراب ، ويرفض كل محاولة لها للمفاوضات حتى تسحب جيوشها أولا وتعود الى بلادها .. بينما تستأسد هذه الدولة على مائة مليون عربى وثلاث عشرة دولة عربية !!

ما السر في هذه البطولة الخارقة لهذا الشعب الصغير ؟ .

السر يكمن في أن لهم فكرة أو عقيدة آمنوا بها أيمانا ملكعليهم أرواحهم وحواسهم وجعلهم يستهينون بكل شيء في سبيل ايمانهم بفكرتهم . الرجال والنساء والاطفال .. فسطروا العجائب فى تاريخ البطولات .. أليس كذلك ؟! لا تسلنى بعد ذلك عن الفكرة أو العقيدة التى آمنوا بها .. المهم أنهم آمنوا بفكرة وتفانوا في سبيلها ، ودعنى أسألك أنت وأسأل معك المائة مليون من المسلمين العرب ، ومئات الملايين من المسلمين غير العرب أصحاب العقيدة السليمة المتصلة بالله المحصنة بكتابه .

أسأل هؤلاء جميعا .. أين ايمانكم بعقيدتكم ، وما مدى فاعليته في حياتكم ؟

تحتجون ــ في أزمتكم أو نكستكم أو هزيمتكم ــ بايمانكم .. ومن قبل قال أناس مثل قولكم فقال الله عنهم : ((قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا

أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)) . فما مدى صدقنا في ايماننا ؟ وما مدى عملنا حسب ما يقتضيه هذا الايمان ؟

نريد أن نتصارح حسب ما رأيت عليه صحافتنا في هذه الايام ..

نقرأ القرآن ؟ .. نعم .. ونسمعه كثيرا من الاذاعات ..

وننشىء المساجد ؟ . نعم .. ونضع لها الميزانيات ، وتمتلىء كذلك بالمصلين ..

نفسح المجال للاحاديث الدينية في الاذاعات ؟ . نعم .. ونحتفل بالمناسبات الدينية ..

ننفق على المعاهد والدراسات الدينية .. نعم كل ذلك وربما كثير غيره من أمثاله صحيح ..

ولكن أليس من الحق أيضا .

أننا نقرأ القرآن للبركة ، ولا نتخذه أساسا للعمل .. ونسمعه للطرب لا للعظة !!

وننشيء المساجد للصلاة .. ونتعهد معها الكثير من ادوات التخريب للدين والخلق !!

وننفق على المعاهد والدراسات الدينية ونسمح للصحف والكتاب بالتهجم على الدين ومبادئه ، وزعزعة قيمه في النفوس !!

ونذيع الاحاديث الدينية ونترك بعض الصحف والمجلات تهدم معنويات الشباب بالصور العارية والقصص الجنسية المثيرة الشاغلة !!

أليس من الحق أن مجتمعنا يعتبر الخروج على الدين تمدنا وتقدما ؟! . ألم نقرأ حديثا في بعض المجلات .. أن الدين أصبح دمية من الدمى كالاستعمار والاستغلال ؟! ألم تقل كاتبة في مجلة : ان الدين فاشل ؟! وشرقت هذه المجلات وغربت ، وسمحت بها الرقابات في البلاد العربية .. بينما لا تسمح الرقابات بكلمة تمس شخصا من المسئولين في أى بلد من البلاد ؟!! وبينما تمنع بعض الرقابات دخول المجلات الدينية في بلادها ، أو على الاقل تلاحقها بالقص والشطب ؟

أليس ؟ وأليس ؟ .. والحديث ذو شجون ..

فما قيمة الجهود والاموال التى ننفقها في سبيل المحافظة على الدين في الوقت الذى تنفق فيه الجهود والاموال التى تغض من شأن الدين وتزعزع قيمه في النفوس ..

ولن يبلغ البنيان يوما تمامه ان كنت تبنيه وغيرك يهدم

اننا مسلمون .. وهذا شرف أنعم الله به علينا ، وجعله صلة بينه وبيننا ..

وعلى أساس عقيدتنا ، قام تاريخنا ، وسمت أمجادنا ، وازدهرت حضارتنا .

فعلى آى أساس نبنى مجدنا الحديث ؟ . هل يمكن لنا أن نبحث عن جذور غير جذورنا ، أو عقيدة غير عقيدتنا ، أو كتاب غير كتابنا ؟

هل يمكن أن ننسلخ عن ماضينا ، ونتنكر لاسلافنا ، ونزرع في أرض غير أرضنا ؟

لقد قال الله لنا : ((لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)) .

وقال لنبيه عليهالصلاة والسلام : ((وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)) .

فهل نغيب عن رشدنا وعقلنا فنظل بعيدا عن هذا الكتاب ؟ وهل تصبح الامة أمة اذا أهملت كتابا فيه ذكرها وشرفها ومجدها ؟

اننا في أزمتنا ونكستنا نبحث عن الايمان ونبحث عن القوة ..

وليس الايمان مجرد قول نردده ... وليست القوة في كلام نرسله ..

انما الايمان قول وعمل .. قول ينبعث من القلب ، وتسخر له الاحاسيس والجوارح ، وعمل يتسق في كلياته وجزئياته مع هذا الايمان ..

فأين نحن من هذا الايمان ؟ وأين مظاهره الحقيقية فينا وفي مجتمعاتنا ؟

ابحث معي وستجد أننا لم نحسن صلتنا بالله ، ولم نتخذ من هديه وسيلة الى بناء قوتنا ، كما أننا لم نحسن صلتنا بأوطاننا ، ولم نعمل ما يعمله كل مخلص لارضه وشرفه وكيانه .

وقل لي بعد ذلك : هل نحن أمة جادة في الوصول الى هدفها ؟ هل سخرنا كل قوانا ومواردنا من أجله ، هل أفادنا درس النكسة ، وبدأنا نتخلص من أسبابها ؟ وماذا بعد أن فعل بنا بنو اسرائيل ما فعلوا ، وانتزعوا منا المسجد الاقصى ـ أولى القبلتين وثالث الحرمين ـ ودنسوه ، وبدأوا ينفذون خططهم علىأنقاضه ، وأنقاض مقدساتنا الاخرى ؟

وماذا بعد أن سمعناهم ـ يوم دخلوا بيت المقدس ـ ينفثون أحقادهم على الاسلام ورسوله ويقولون : الآن انتقمنا لاسلافنا في خيبر ؟ .

هل تغير شيء حولك ؟ وهل كان لهذا كله صدى جدى في نفوس الملايين من المسلمين ؟ ان الامور تسير وكأن هذه الضربة لأمة أخرى غيرنا !!

ان اليهود مؤمنون بدينهم ، متمسكون به ، وأمام كل عضو من أعضاء البرلمان عندهم نسخة من التوراة ، وهم يسيرون في مخططهم حسب ما يرسمه لهم دينهم ، وحسب ما يمليه عليهم اخلاصهم لفكرتهم ودفاعهم عنها ... جهودهم كلها مسخرة لخدمة هدفهم ، والحفاظ على كيانهم الذى اختطفوه منا ..

فماذا فعلنا نحن في سائر اوطاننا ، ونحن اصحاب ثأر،وأصحاب الثأر لا ينامون.

ونحن اصحاب دين لا يرضي لأصحابه الذلة والخنوع ؟

المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

من وصايا النبوة

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
بادروا بالاعمال سبعا . هل تنتظرون . الا فقرا منسيا .. أو غني مطغيا .. أو مرضا مفسدا .. أو هرما مفندا .. أو موتا مجهزا .. أو الدجال . والدجال شر غائب ينتظر .. أو الساعة فالساعة أدهى وأمر .. ! !

رواه الترمذى

— ١ —

من الحقائق التى لا تحتمل الشك أن الحياة الدنيا بكل ما فيها ومن فيها فانية، وأن مقام الانسان فيها ــ طال او قصر ــ محدود بموعد لا يعلمه الا علام الغيوب، وأن حال الانسان فى هذه الحياة لا تثبت على لون واحد ، فهي دائمة التغير والتحول ، فمن شدة الى رخاء ومن فقر الى غنى ، ومن مرض الى صحة ، ومن شباب الى هرم ، وكل ذلك غيب مجهول للانسان « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .

ومن عجيب أمر هذه الحياة أن تمامها ايذان بنقصانها ، وصفوها مقدمة لكدرها ، وفرحها يسلم لحزنها « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » .

اذا تم أمر بدا نقصه
توقع زوالا اذا قيل تم

ومما يصور هذه الحقيقة أبلغ تصوير قول الشاعر :

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقيل للحسن البصرى كيف أصبحت؟ فقال . كيف يصبح من هو غرض لثلاثة أسهم . سهم رزية ، وسهم بلية ، وسهم منية . وقالوا من أخطأه سهم المنية لم يخطئه سهم الرزية .

ومن الكلمات النيرة المشرقة التي تجلو الغشاوة عن الابصار ، وتفتح مغاليق القلوب ، وتصور حقيقة الانسان فى هذه

الحياة قول الإمام الحكيم على كرم الله وجهه . انما المرء فى الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، ونهب للمصائب ، وفى كل أكلة غصص ، ومع كل جرعة شرق ، ولا ينال العبد فيها نعمة الا بفراق أخرى ، ولا يستقبل يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله ، فنحن أعوان الحتوف وأنفسنا تسوقنا الى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء ؟ . وهذان الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا أسرعا الكرة فى هدم ما بنيا ، وتفريق ما جمعا ...

ومن هذا التصوير الواضح لحقيقة الحياة الدنيا ، ومقام الانسان فيها ـ كان من مقتضيات العقل ومستلزمات الحكمة الا يضيع الانسان لحظة تمر به دون المبادرة الى التزود من العمل الصالح . حتى يؤمن الانسان مستقبله الابدى فى جوار ربه العدل الذى يجازى كل امرىء بعمله أن خيرا فخير وان شرا فشر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره » .

يقول الامام على كرم الله وجهه . ان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وان الآخرة قد اقتربت وأشرفت باطلاع . ألا وان المضمار اليوم والسباق غدا .. ألا فلا تائب من خطيئته قبل منيته ؟ . ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ؟ . الا وانكم فى أيام أمل من ورائه أجل . فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ، ولم يضره أجله ، ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله ، وختره أجله .. ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة .. ألا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها .. ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يسوقه الضلال الى الردى ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد .. وان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل ، فتزودوا فى الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا .

وفى هذا الحديث الشريف يذكر لنا الاب الرءوف الرحيم والناصح الامين سيد الخلق صلى الله عليه وسلم سبعة أخطار يتعرض لها الانسان فى حياته ، ويطلب منه أن يؤمن نفسه ومستقبله ضد هذه الاخطار حتى يضمن لنفسه حياة أبدية راضية مرضية فى دار الخلد والسلام .

أما هذه الاخطار فهى الفقر المنسى ، والغنى المطغى ، والمرض المفسد ، والهرم المفند ، والموت المجهز ، والدجال ، والساعة ، وأما التأمين ضد هذه الأخطار فهو بالمبادرة الى الاعمال الصالحة ـ قبل فوات الوقت وضياع الفرصة .

ـ ٢ ـ

والفقر أعدى أعداء الانسان ، وأشدها خطرا على دينه وخلقه ، وهو اذا اشتد بصاحبه وضغط عليه ، أضل عقله ، وأفقده صوابه ، وسدفى وجهه منافذ الامل والرجاء ، وأنساه المبادىء والقيم فاستهان بكل فضيلة ، وتجرأ على كل رذيلة ، واستباح لنفسه السرقة والغصب وأحل لها السلب والنهب ، وسول لها العدوان على النفس والمال دون وازع من خلق ، أو ضمير يردع ، واذا ضل عقل الانسان ، ومات ضميره أظلم قلبه فنسى ربه ، وخسر دنياه وآخرته ، وقد استعاذ رسول الله من الفقر وفى الاثر كاد الفقر أن يكون كفرا وقال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

والغنى المطغى هو الذى يحمل الانسان على الطغيان ومجاوزة الحدود ، واهمال الحقوق والواجبات « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى . » وفى القرآن الكريم صور ناطقة ، وما قصة قارون وصاحب الجنة وأهل سبأ الا أمثلة واضحة لما يفعله المال بنفوس المغرورين الذاهلين عن حقيقتهم وحقيقة دنياهم .

والمرض المفسد هو الداء العضال ، وكل ذرة من جسد الانسان منفذ مفتوح

لجرثومة من جراثيم الامراض الفتاكة التى تشل حركته ، وتهدم كيانه ، وتقعد به عن النهوض للواجبات والمكرمات .

٤ ــ والهرم المفند هو تقدم السن وطول العمر الذى يذهب بعقل صاحبه ويوقعه فى الفند وهو الكذب دون أن يحس فى ذلك نقصا وذلك لفساد تصوره وضعف تفكيره ، والانسان اذا بلغ هذه المرحلة من العمر خرف ، وضعفت قوته وانحل عزمه ، والتصق بالارض لا يقوى على عمل ولا يستطيع حراكا ، وعندئذ يصبح عالة على أقرب الناس اليه ، لا هو حى فيرجى ولا ميت فيستريح ويريح ، وقد تعتريه نوبة افاقة وهو فى هذه الحالة فيرى ما صار اليه أمره ، فيتحسر على ما مضى من شبابه وقوته ، ويتألم لما يعانيه من عجز وألم وفى هذا يقول الشاعر الجاهلى القديم عمرو بن قميئة :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة
خلعت بها عنى عذار لجامى
على الراحتين مرة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنها نبل اذن لاتقيتها
ولكننى أرمى بغير سهام

والانسان قد يغره شبابه ، ويخدعه طول أمله ، فيسوف فى التوبة ، ويتقاعس عن الطاعة والعبادة حتى يصير الى هذه السن المخرفة العاجزة ، فتفوته الفرصة ولهذا لفت الرسول الكريم نظر الانسان ليدخر من شبابه الى هرمه .

٥ ــ والموت المجهز هو الموت السريع . الذى ينزل بالانسان بغتة دون تنبيه سابق من شيخوخة أو مرض عضال ، فلا يدع لمن نزل به فرصة يتدارك فيها ما فاته ، أو يوصى بخير . والانسان ــ أى انسان ــ معرض لهذه النازلة الفادحة التي تخترم عمره فجأة فتضع حدا ونهاية لآماله وأطماعه . وما من انسان الا وقد رأى هذه الحقيقة نازلة فى قريب من أقربائه أو صديق من أصدقائه ، كان يقدر له ــ فى ظنه ــ فسحة من العمر وطول الاجل ، لصغر سنه ، أو لصحته وقوته .. ولهذا نبه الحديث الشريف الناس الى أن يتوقوا هذا الخطر الداهم الذى قد ينزل بهم فجأة وذلك بالتزود من العمل الصالح والباقيات الصالحات عن أبى هريرة . قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم . يا رسول الله ، أى الصدقة أفضل ؟ قال . ان تصدق وأنت صحيح حريص . تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا . وقال صلى الله عليه وسلم . بادروا بالاعمال مرضا حابسا أو موتا خالسا . وقال الحسن البصرى فى دعائه . اللهم أجرنى من أن أكون مختلسا ــ أى يختلسه الموت على غفلة . وقال الشاعر :

وربما غوفص ذو غرة
أصح ما كان ولم يسلم

وكان أحد الصالحين اذا خوف من الموت يقول للشيوخ . الزرع اذا بلغ ما يصنع به ؟

قالوا . يحصد ، ويقول للشبان ، يا معشر الشبان كم من زرع لم يبلغ ادركته الآفة .

وقال أبو العتاهية :

الناس فى غفلاتهم
ورحى المنية تطحن

ومر شيخ من العرب بغلام فقال له الغلام . أحصدت يا عماه . يعنى آن لك أن تحصد ــ تموت ــ فقال له . يا بني وتختضرون . يعنى تموتون خضرا .

والدجال علامة من علامات الساعة الكبرى . وهو رجل أعور يخرج فى آخر

الزمان ويدعى الالوهية ، ويظهر الله على يديه من خوارق العادات ما يفتتن به بعض الناس عن دينهم . أما المؤمنون الراسخون ، فيعرفونه ولا يخدعون بأضاليله ، وبعد أن تستشرى فتنته التى تميز المؤمنين الثابتين على الحق من غيرهم يقضي عليها ، ويقتله المسلمون .

وأمر هذا الرجل المفتون معروف لدى الانبياء والمرسلين السابقين وقد حذروا أممهم من غوايته وفتنته ، وفى هذا الحديث الشريف أخبار صريح بمجيئه ، وتحذير واضح من شره وفتنته ، وحث على استباق الخيرات والمسارعة فى المبرات قبل أن يظل الناس زمنه . روى البخارى ومسلم عن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم استنصت الناس — طلب سكوتهم والاستماع اليه — يوم حجة الوداع ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال ، فأطنب فى ذكره ، وقال . ما بعث الله من نبى الا أنذره أمته ، وانه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه فلا يخفى عليكم . ان ربكم ليس بأعور ، وانه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية .

وقد وردت عدة أحاديث يستفاد من مجموعها أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل فى آخر الزمان أثناء وجود الدجال ، فيحكم بالقسط ، ويقضى بشريعة الاسلام ، ويقتل الدجال .

عن عروة بن مسعود الثقفى رضي الله عنه قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يخرج الدجال فى أمتي فيمكث أربعين ، قال لا أدرى أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما . . ، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه ، فيهلكه .

وقد استعاذ رسول الله بالله من شره ، كما ذكر لنا بعض ما يكون من فجره وكفره .

روى مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . يخرج الدجال فيوجه قبله رجل من المؤمنين ، فيتلقاه المسالح . مسالح الدجال — طلائعه وجنوده — فيقولون له الى أين تعمد ؟ فيقول . ما بربنا خفاء ، فيقولون . اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض — أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه ؟ فينطلقون به الى الدجال ، فاذا رآه المؤمن قال . يا أيها الناس ان هذا الدجال الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر الدجال به ، فيشج ، فيقول خذوه ، وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول . أوما تؤمن بى ؟ فيقول أنت المسيح الكذاب ، فيؤمر به ، فينشر بالمنشار من مفرقة حتى يفرق بين رجليه ، ثم يمشى الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له . قم فيستوى قائما ، ثم يقول له . أتؤمن بي ، فيقول . ما ازددت فيك الا بصيرة ثم يقول . يا أيها الناس انه لا يفعل بعدى بأحد من الناس ، فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، فيأخذه بيديه ورجليه ، فيقذف به ، فيحسب الناس أنه قذفه الى النار ، وانما القى فى الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين .

ويستنتج الشيخ رشيد رضا من جملة الاحاديث الصحيحة الواردة فى خبر هذا الداهية انه يهودى ، فيقول رحمه الله . ويدل القدر المشترك من الاحاديث الواردة فى الدجال أنه من اليهود ، وان المسلمين يقاتلونه ، ويقاتلون اليهود فى البلاد المقدسة ، وينتصرون .

والساعة ، والمراد بها القيامة واليوم الآخر ، وهي مما استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه لا نبيا مرسلا ، ولا ملكا مقربا « ان الله عنده علم الساعة » وكان الناس يسألون رسول الله عنها ، ويلحفون فى المسألة ، فأمره الله أن يرد علمها اليه وحده « اليه يرد علم الساعة »

البقية على ص ٢٩

حول إعجاز

نشرنا في العدد الخامس والعشرين بحثا للاستاذ علي محمد حسن عن « مذهب الرازي في اعجاز القرآن » وأورد الكاتب بعض ما قاله الرازي مما يوهم منه التناقض بين القول بالاعجاز لذاته وبين القول بالصرفة ، وحاول الدفاع عن الرازي وابعاد القول بالصرفة عنه وعلقنا على هذه المحاولة قلنا ان الدفاع تنقصه ادلة ما جاء عن الرازي [illegible] بالصرفة في بعض المواضع .. وأن الامر لا يزال في حاجة الى تمحيص ، ونحن نرحب [illegible] بحوث حول هذا الموضوع .

وقد أرسل لنا الاستاذ الشيخ محمد [illegible] بهذا البحث الذي يحمل فيه على القائلين بالصرفة ، وأخذ يدافع عن الرازي ويثبت أنه لم يقل بالصرفة مما ستراه في هذا البحث القيم .

« الوعي »

من عجيب الأمر فيما يتعلق بالقرآن الكريم اختلاف قدامى علماء المسلمين في القدر المعجز منه ، وفي وجوه الاعجاز . وأغرب ما ذكر من وجوه أعجازه القول بالصرفة ، فهو قول خرج به قائله على الاجماع ـ اجماع الصدر الاول ـ بل على نص القرآن . واذا صح أن ابراهيم النظام كان أول من قاله ، ولم يكن مدسوسا عليه أو راجعا الى نشره فيهم أو نقل لقول قاله ، كان ذلك دليل غرور أصابه لفصاحته ابتلاه الله به فخيل اليه الشيطان أنه قادر على سورة مثل القرآن . ولم يكن عند نفسه أفصح من العرب الذين نزل القرآن فيهم فاتقى الكفر الذي يستلزمه انكار الاعجاز ، بأن قال : ان القرآن معجز بالصرفة : أى بصرف الله العرب عن معارضته مع قدرتهم عليها .

وكما لبس الشيطان على مثل ابراهيم النظام ، لبس أيضا على بعض علماء الكلام ، فزين لهم ـ بدلا من تسخيف القول بالصرفة وتزييفه ـ أن يلزموا من ضل به الحجة من نفس دعواهم ، بأن يقولوا أن التعجيز بالمنع من المقدور كالتعجيز بغير المقدور ، ما دام العجز عاما لكل الناس ، فهو في الحالين لا يقدر عليه الا الله ، واذن فقد ثبت في الحالين أن

القرآن الكريم

والاعجاز الذاتي

للاستاذ محمد احمد الغمراوي

القرآن من عند الله ، وقد فاتهم مكر ابليس بهم ، اذ زين هذا القول لهم ، فان هذا الالزام متوقف على تسليم الخصم بعموم عجز الناس . ولن يسلم الخصم به بل سيأتيهم من ناحية تسليمهم جدلا بدعواه ، ويقول : قد سلمتم معي بأن القرآن فى مقدور الفصحاء ، فلا بد أن يكون منهم من عارضه ، اذ غير معقول أن يتركوا معارضته وهي فى مقدورهم ، ويؤثروا عليها الحرب والتعرض للهلكة . فلا بد أن تكون الحرب قد ثارت لاسباب سياسية واقتصادية ، كما يقول المستشرقون ، ومن ضل بهم من رجال الادب فى العصر الحديث . وغير هذا كثير يمكن ان يقال للقائل بالصرفة ولو جدلا ، ما دام قد ألقى سلاحه ، ووافق الخصم على دعواه ! أن القرآن غير معجز فى ذاته وأنه فى مقدور واحد او جماعة من الناس .

لشد ما استزل الشيطان بعض العلماء المسلمين بقبولهم الفلسفة اليونانية بعجرها وبجرها باسم الحكمة ، فزين لهم معالجة القضايا الدينية ودرء الشبه عن طريقها ــ طريق العقل فيما زعموا ــ بدلا من طريق الكتاب والسنة الذى سموه طريق النقل خدعة اخرى من الشيطان لهم ، ليوهمهم عن طريق الايحاء أنه غير طريق العقل ، كأن الكتاب والسنة لم يكونا قد ثبت عقلا أنهما حق من عند الله .. واذن فما ثبت أو يثبت عن طريقهما يكون قد ثبت أيضا عن طريق العقل ، كما تثبت النتائج الرياضية من نظرياتها ، أو النتائج الطبيعية من قوانين الفطرة التي كشف عنها العلم التجريبي الحديث .

والذى يقابل فى الدين النظريات الرياضية ، أو قوانين العلوم التجريبية فى الثبوت اليقيني هو الآيات القرآنية ثم الحديث الصحيح . وكل ما يلزم للوثوق من صحة النتيجة هو التزام

الاسس التي تضمن صحة الاستنتاج من آيات الكتاب وأحاديث السنة .

وقد رددت ذكر الشيطان في هذا الصدد لأذكر المسلمين بتحذير الله اياهم منه مرارا وتكرارا فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ، فانهم يكادون ينسون أنه موجود ، وأنه واقف لهم بالمرصاد ، يكيد ويفتن ، ويضل من حيث لا يعلمون .

امام الحرمين

والا فكيف يمكن تفسير انكار احد من علماء المسلمين اعجاز القرآن فى ذاته ، والقول بالصرفة لاثبات أن القرآن لا يزال معجزا بصرف الله الناس من معارضته ؟! أم كيف يمكن تفسير قول امام من أئمة المسلمين وكبير من علماء الكلام بأن الاعجاز بالصرفة ابلغ من قلب العصا حية ونحوه كما قال عبد الملك الجويني الملقب بامام الحرمين فى « العقيدة النظامية (١) » بعد أن كان قد قرر فى « كتاب الارشاد الى قواطع الادلة فى أصول الاعتقاد (٢) » أنه معجز بالنظم والبلاغة والانباء عن قصص الاولين ، والاخبار عن كثير من الغيوب ؟ كيف يمكن أن يعدل مثله عن صوابه هذا الى خطئه ذلك الا أن يكون الشيطان قد زين له أن الاعجاز بالصرفة دليل قاطع على ان القرآن من عند الله ؛ اذ لا يقدر على صرف جميع الناس عن معارضة هي فى مقدورهم الا الله ، أما الاعجاز بالبلاغة وما اليها فانه « موقف تاه فيه الاولون والآخرون ونبح فيه الطاعنون » ! !

هذه جناية الفلسفة والمنطق على الشيخ الامام رحمه الله . حيث ترك الواضح الظاهر الذى عليه جميع الاولين ، والكثرة الغالبة من الآخرين ، وقال بما لم يقل به الا الأقلون . **ومع ذلك فهو الذى يقول فى نفس « العقيدة النظامية » « والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا ، اتباع سلف الامة . فالأولى الاتباع وترك الابتداع . والدليل السمعى القاطع فى ذلك أن اجماع الأمة حجة متبعة ، وهو مستند معظم الشريعة . وقد درج صحب النبى صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها (٣) ودرك ما فيها ، وهم صفوة الاسلام والمستقلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون جهدا فى ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها . فلو كان تأويل هذه الآى والظواهر مسوغا أو محتوما لاوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . واذا تصرم عصرهم وعصر التابعين — رضى الله عنهم — على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع بحق . فعلى ذى الدين أن يعتقد تنزيه الرب عن صفات المحدثين ، ولا يخوض فى تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب تعالى ».**

فليت الامام الجوينى عمل فى أمر القرآن بقوله هذا ، وسكت عن وجه اعجازه كما سكت السلف الصالح ما دام قد التبس عليه الأمر فيه . وليته ألحق آيات التحدى من ناحية وجه الاعجاز بالمتشابه من الآى ، فوكل الامر فيها الى الله ، فهذا كان أليق به ، وبتنزيه القرآن كلام الله من قول يلحق النقص بالقرآن كالقول بالصرفة ، ما دام غفر الله له ، كان قد عرض له الشك فى الوجه الذى كان عليه أكثر الناس باعترافه ، وقرره هو فى كتاب الارشاد .

---

(١) طبعة ١٩٤٨ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الآستانة سابقا .

(٢) مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٠ بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى والاستاذ علي عبد المنعم عبد الحميد.

(٣) معانى المتشابه من الآيات .

الفخر الرازى

أما الامام فخر الدين الرازى الذى عاش بعد الجوينى بنحو قرن فلا بد أن يكون قد قرأ ما كتب الجوينى وألف، بخاصة أن كلا كان شافعى المذهب . ولا بد أن يكون قد تأثر بما قرأ له تأثر التلميذ بالأستاذ ، لكنه بعد أن شب عن التقليد ، واستقل بالنظر خالف أستاذه، فلم يقل ان الاعجاز الاكبر هو الاعجاز بالصرفة ، واختار فى اثبات الاعجاز الطريق الذى ذكر الفاضل صاحب مقال « مذهب الرازى فى اعجاز القرآن (١) » طريق : أما ، واما ، الذى أوحت به اليه الفلسفة ، وظن أن به يلزم الخصم أن القرآن معجز على حالى : اقراره بالاعجاز الذاتى ، أو بانكاره والقول بالصرفة . لكن سلوكه هذا الطريق لا يقتضى أن يكون هو قد قال بالصرفة . وليس فيما أورده الفاضل صاحب المقال شيء يدل على أن الرازى تردد بين القول بها ، والقول بما قالت به الكثرة الغالبة من علماء المسلمين ، وان اختلف كما اختلفوا فى وجوه الاعجاز .

والشبهات التى أوردها الفاضل كاتب المقال عن الرازى ليس أكثرها منتزعا من كلامه ، ولكن مما حكاه من كلام الخصوم . ولا ينبغى أن يحسب عليه حكايته لشبه ذكرها ليجيب عليها ، أخطأ فى الجواب أم أصاب . وهو يوردها كما كان أصحابها يوردونها ، غير مخفف من قبح قولهم شيئا ، كما تقضى به قواعد المناظرة فيما يبدو . ومن عادته فى التفسير أن يقدم للشبهة بقوله (فان قيل) وللجواب بجملة (قلنا) . فما بين ذلك اذن هو من قول الخصم . فمن قول الخصم صاحب الشبهة فيما يتعلق بسورة الكوثر وأمثالها من السور القصيرة ما نقل المقال من (ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن) ومن (فان قلتم ان الاتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة) . والعبارتان متصلتان فى المنقول من تفسير الرازى ، لكنا فصلنا بينهما هنا لأنهما حسبا على الرازى فى موطنين متفرقين من المقال . حسبت أولاهما عليه فى النص المنقول ، بابرازها فى الطبع بالحرف الغليظ ، وحسبت ثانيتهما فىأواخر المقال حين ظن الكاتب الفاضل أنه ربما كان قريبا من الصواب أن الرازى يرد الاعجاز الى الفصاحة فى السور التى تثبت فصاحتها (أما السور التى يكون من المكابرة القول بفصاحتها مثل سورة الكوثر) فان الرازى يرد اعجازها الى الصرفة .

ولا محل للتشكك فى قول الرازى باعجاز سورة الكوثر فى نفسها . فقد جاء ذلك صريحا فى تفسيره فيما ختم به القول الرابع عشر فى المراد من الكوثر اذ يقول .

(ثم لها — (أى لسورة الكوثر) — خاصية ليست لغيرها وهي أنها ثلاث آيات ، وقد بينا أن كل واحدة منها معجزة . فهي بكل واحدة من آياتها معجز ، وبمجموعها معجز . وهذه الخاصة لا توجد فى سائر السور) .

واعجاز كل من آياتها عنده أنها خبر عن غيب تحقق . فصحح بذلك ما كان قد استنبط خطأ من كلمة (مفتريات) فى آية التحدى (١٣) من سورة هود ، ولم يترك موضعا لظن الفاضل صاحب المقال فى دفاعه عن الرازى أن الرازى ربما كان يفرق بين ما يدل فى القرآن على أنه من عند الله وما يدل على اعجازه . فهذا قاطع فى تبرئته عن القول فى سورة الكوثر بالصرفة ، ومن باب أولى من القول بالصرفة فى سائر القرآن .

وغرابة الاخبار عن مغيب ليست شيئا حتى يتحقق الخبر ، فيصبح دليلا على أنه من عند الله ، ويصبح أيضا معجزا

(١) مقال الاستاذ علي حسن المنشور فى العدد الخامس والعشرين المحرم ٨٧

من هذه الناحية ، ومن ناحية صيغته اذا عجز البشر عن ايراده فى صيغة مثلها أو خير منها . ومن يفصل بين الصيغة والمعنى فى قضية الاعجاز ، فهو كمن يفصل بين الجسم وروحه . وليس معنى ذلك أنه يميت أو يذهب بالاعجاز دائما أو يذهب به كله ، ولكن يذهب بشطره ويبقى اعجاز الشطر الباقى . كالجسم الحى تماما . الحياة فيه معجزة للبشر ، لا يستطيعون خلقها ،وطبعا لا يستطيعون ردها . ويعجزون قاطبة عن مثل الجسم ولو ميتا .. فاعجاز الآية أو الآيات القرآنية كامن فى معناها وفى صيغتها المعبر بها عن المعنى . فالخبر القرآنى عن مغيب ، معجز بصيغته قبل تحققه ، معناه معروف من عبارته ، ومن الممكن محاولة محاكاته بالتعبير عن معناه بصيغة أخرى ، وحينئذ فقط يمكن المفاضلة بين الصيغتين . فاذا تحقق الخبر ووقع المغيب اكتسب الخبر اعجازا آخر هو اعجاز المعنى الى اعجاز التعبير . وهو أعجاز دائم لان الخبر القرآنى محفوظ باق يتلى ، وتحققه الماضى ثابت تاريخيا لا شك فيه ، وتحققه فى المستقبل — اذا كان لا يزال ينتظر التحقق — هو تجديد للاعجاز . هو معجزة جديدة تظهر فى العصر الذى يتحقق فيه الخبر .

وقد ذكر الله الخبر عن مغيب فى آية واحدة مع المعجزات التى لاشك فيها لسيدنا عيسى فى الآية (٤٩) من سورة آل عمران . « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » . فالأنباء عما كانوا يأكلون ، وما كانوا يدخرون فى بيوتهم كان فيه آية لهم أنه عليه السلام كان رسول الله اليهم ، أى كان معجزة أجراها الله على يديه ، كما أجرى الآيات الكبرى المذكورة قبل فى الآية الكريمة .. وكل نبأ من ذلك كان غيبا بالنسبة له عليه السلام . فقياسا على ذلك يكون كل نبأ قرآنى عن مغيب تحقق أو يتحقق معجزة قرآنية أيضا . وكذلك كل قصص قرآنى وصفه الله بأنه من أنباء الغيب .

ولحكمة كبرى سمى الله ما سمى من جمل كتابه آيات ، ليشعر أهل القرآن الحافظين الدارسين له أن فى كل آية قرآنية اعجازا أو معجزة ، عليهم أن يتطلبوه أو يتطلبوها .

ثم هم مع ذلك يختلفون فى وجوه الاعجاز ، وفى القدر المعجز من القرآن . صحيح أن الله لم يتحد العرب الا بأقصر سورة كحد أدنى . أو ما هو فى قدرها قياسا عليها . لكن ليس معنى ذلك أن ما دونها فى الطول لا يمكن أن يكون معجزا . ولكن معناه أن الاعجاز فيما دونها لا يمكن أن يتبينه العدد الذى يثبت به الاعجاز من أولى البلاغة ، وأولى العلم من الناس . والا فقد يتبين من هم دون هذا العدد اعجاز آية دون سورة الكوثر فى المقدار ، أو حتى اعجاز بعض آية كما فى (رب العالمين) من قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) وكما هو الواقع فى كثير من الآيات القرآنية الكونية . لكن هذا ليس بحجة الا على من يتبينه من أولى العلم ، والمطلوب أن يكون القدر القرآنى المعجز حجة على جميع الناس .

دفاع عن الرازى

فهذه اشارة عابرة الى موضوع جليل قد يوفق الله الى العودة اليه . ولنعد الآن الى ما كنا فيه من اماطة الشبهة عن الامام الرازى وذلك بالمقارنة بين ما قال وما حكاه من قول .

انه حكى قول أصحاب مذهب الصرفة في موقف واحد من مواقف ثلاثة نقل فيها المقال أقواله في الطريق الذي اختاره، لاثبات أن القرآن ان لم يبلغ حد الاعجاز في الفصاحة ، فهو معجز لخرقه ونقضه العادة من ناحية أخرى . فلنقارن الآن بين ما حكى من قولهم في موقف ، وما ذكر من قول نفسه في كل موقف .

حكايته مذهب الصرفة .. (انه - اى القرآن - ليس في نفسه معجزا الا انه تعالى **لماصرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته مع ان تلك الدواعي كانت قوية** كانت هذه **الصرفة معجزة) وواضح ان** ليس على الرازى شيء من تبعة التصريح بالصرفة ولا بالنص على صرف الدواعي لانه يحكى قول غيره .

ذكر اقواله هو . في الموقف الاول في تفسير آية التحدى في سورة البقرة جاء قوله . **(فعدم اتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة** (أ) **ومع توفر دواعيهم** على الاتيان بها (ب) **امر خارق للعادة** فكان ذلك معجزا) .

في الموقف الثالث في تفسير آية التحدى في سورة الاسراء (قل لئن أجتمعت الانس والجن) الآية (٨٨) جاء قوله .

(ان ... كانوا **قادرين على الاتيان بمعارضته (أ) وكانت الدواعي متوفرة على** الاتيان بهذه المعارضة (ب) **وما كان لهم عنها صارف ولا مانع** (جـ) ... فعدم الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة **يكون نقضا للعادة** فيكون معجزا)

اما **الموقف الثاني** فقد اكتفى فيه بانه ان لم تكن سورة الكوثر بالغة في الفصاحة الى حد الاعجاز (كان امتناعهم عن المعارضة **مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا**) .

فقد خالف الرازى اصحاب مذهب الصرفة في كل من اقواله الثلاثة في **امر الدواعي** فاكد هو الدواعي وتوفرها وشدتها **ونفى عنها الصارف والمانع(١)** . اما هم فنسبوا الى الله صرف الدواعي اجتراءمنهم عليه سبحانه اذ قالوا على الله مالا يعلمون . ولذا صرحوا بالصرفة في قولهم ، فصارت اصل مذهبهم ولم ترد قط في اقواله الثلاثة كلها . فالتناقض الذى لاحظه الفاضل صاحب المقال بين ذكر الصرفة واغفالها ، ثم بين صرف الدواعي ونفى صرفها لم يكن تناقضا بين اقوال للرازى ولكن بين قول له اكده بالتكرار وبين قولهم . فالرازى لم يتناقض مع نفسه ، ولكن ناقض القائلين بالصرفة وزلته هي في انه جاراهم جدلا في قولهم عقيدة بان القرآن غير معجز في نفسه ليقول لهم ، **بعد** ان نفى زعمهم صرف الدواعي ليحقق شرط خرق العادة ،انه حتى ان لم يكن معجزا في نفسه ، فهو معجز بخرق عدم معارضته للعادة والمعجزة هي الامر الخارق للعادة عند علماء الكلام .

اما وقد تبين ان شبهة قول الرازى بالصرفة لااسباب لها ، اذ كانت نتيجة تحميله تبعة قول غيره ، فلنورد له من اقواله الواردة في تفسيره الكبير ما يؤكد الاقوال الثلاثة التى جاءت في المقال دفاعا عن عقيدة الرازى ان القرآن الكريم معجز في نفسه .

والاقوال التى سنوردها زيادة قسمان: قسم يقرر ان القرآن فوق قدرة البشر مقتبس من تفسير آية التحدى وماليها في سورة يونس ، وقسم يقرر ان وجه الاعجاز الفصاحة البالغة ، مقتبس من تفسيره آية التحدى في سورة البقرة .

ان القرآن فوق قوى البشر . انه عليه الصلاة والسلام :

---

(١) لكن يبقى أمام الاستاذ الفاضل ما ذكره الرازى في الموقف الاول من « كون المعارضة ممكنة » فاذا كانت المعارضة ممكنة لهم والدواعي متوفرة عندهم فما الذى منعهم عن المعارضة الممكنة لهم ؟ فقول الرازى هذا يؤدى الى قوله بالصرفة « الوعي »

١ ــ (لا يجوز ان يبدل من تلقاءنفسه لانه ــ اى القرآن وارد من الله تعالى **ولا يقدر (اى النبى) على مثله كما لا يقدر سائر العرب على مثله)** .

(من تفسير قوله تعالى قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى) الآية (١٥) من يونس .

٢ ــ (ما ينبغى لهذا القرآن ان يفترى اى ليس وصفه وصف شيء يمكن ان يفترى على الله ، لان المفترى هو الذى ياتى به البشر **والقرآن معجز لايقدر عليه البشر** .... فصار حاصل هذا الكلام **أن هذا القرآن لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل)** .

(من تفسير قوله تعالى : وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) من الآية (٣٧) من يونس .

٣ ــ (فكأنه تعالى يقول هب انعقل الواحد والاثنين منكم لا يفى باستخراج معارضة القرآن فاجتمعوا وليعن بعضكم بعضا فىهذه المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حالة الاجتماع وحالة الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذ يظهر ان تعذر هذه المعارضة انما كان لان قدرة البشر غير وافية بها) .

من تفسير قوله تعالى (وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) من الآية (٣٨) من يونس . ويلا حظ انه هنا يعبر بصيغة الحصر . ولو كان للقول بالصرفة موضع عنده او احتمال ما عبر بصيغة الحصر .

انالقرآن معجز بفصاحته. مقتبسات من تفسير آية التحدى فى البقرة .

٤ ــ (ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى البيت والبيتين والباقى لا يكون كذلك . وليس كذلك القرآن لانه **فصيح بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته)** .

٥ ــ (فى القرآن التكرار الكثير ، ومع ذلك كل **واحد منها فى نهاية الفصاحة** ولم يظهر تفاوت اصلا) .

قال هذا بناء على قوله ان الشعر المكرر فى وصف شيء لا يكون بدرجة واحدة من الفصاحة .

٦ ــ (انا لو صرفنا الضمير الىالقرآن (فى قوله تعالى : **من مثله) فكونه معجزا انما يحصل لكمال** حاله فى الفصاحة)

وتامل أيضا صيغة الحصر هنا . ودلالتها . فلو كان الامام الرازى يرى الصرفة وجها آخر للاعجاز او احتمالا ممكنا لجاء بها بديلا للفصاحة الكاملة ،او لجمع بينهما كما فعل الاصبهانى فيما ذكر صاحب الاتقان فكان كمن جمع بين النقيضين .

٧ ــ (وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن بفصاحته غاية التهكم بهم) .

من تفسير (وادعوا شهداءكم من دون الله) على أن شهداءهم هى آلهتهم من الاوثان . معنى من معنيين ، ثانيهما أولياؤهم من الناس .

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفقنا الىابراز موقف الامام الفخر الرازى من اعجاز القرآن الى الحد الذى يبرئه تماما من شبهة القول بالصرفة ، ويحفظه على جماعة المسلمين .

والله يغفر للجوينى خروجه عنها فى هذا الامر الخطير . ولو كان ظن اوخطر بباله انه خرج بما قال ما قاله ، ولكنه ظن انه جاء بجديد قاطع فى الاعجاز ولم يفطن الى اللغم الدفين فى ذلك الجديد .

وصدق رسول الله ان (كل بدعة ضلالة) لا سيما فيما يتصل بكتاب الله العزيز .

اما آية التحدى فى سورة هود ودلالة كلمة (مفتريات) فيها فسنتناولها وما يتصل بها من شئون الاعجاز فى مقال قريب ان شاء الله .

علم الفلك والقرآن

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

رئيس قسم الفلك بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة

سنقصر حديثنا هذه المرة على موضوع الفضاء وأجرام السماء ، واحتمالات وجود الحياة على كواكب غير الأرض ، الى غير ذلك من المسائل العلمية الهامة التي أثارها عصر الفضاء وأمكن حل بعضها والوصول فيها الى حقائق ثابتة ، كما بقى بعضها معلقا بما سيتم من كشوف ، أو يجد من جديد .

ولكن القرآن الكريم سبق ركب العلم فى كافة نواحي هذا الميدان الخطير الذى فتح أمام البشر آفاقا واسعة فى الأرض وفى السماء تظهر آيات الخالق ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة فصلت « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ــ ٥٣ ــ .

وأول ما يلفت النظر فى هذا الموضوع أن القرآن الكريم تنبأ بهذا العصر وبمحاولات البشر لغزو الفضاء على النحو الذى نسمع به ونراه اليوم ، وذلك فى وقت لم يكن فيه العرب يستخدمون أية وسيلة للسفر سوى الدواب التي أمدتهم بها الطبيعة . وانها لروعة حقا أن نجد فى سورة الرحمن خطاب الله تعالى للناس بلغة هذا العصر اذ يقول .

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ٣٣ــ٣٥ .

ففي هذه الآيات الكريمة اشارات واضحة الى أن الانسان سوف يستخدم سلطان العلم للتخلص من قبضة جذب الارض وسائر أجرام السماء ، وعندها سوف يحاول السبح فى الفضاء الخارجي، ولكنه يواجه أهوال الفضاء ممثلة قبل كل شيء فى رياح الشمس المحرقة ، وفى الأشعة القاتلة للخلايا الحية التي على غرار الأشعة الكونية ، والأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ويعج بها الفضاء الذى تسبح فيه الكواكب ، وهذه كلها انما تمثل النار المحرقة التي

لا دخان لها ، ولعل هذا هو المقصود من (شواظ من نار ونحاس ..) (١) .

فالقرآن الكريم يذكر كثيرا من الحقائق العلمية كقضايا عامة يترك تفاصيلها لاجتهاد البشر وعلماء المسلمين ، ولكن للأسف الشديد ترك المسلمون هذه الميادين الحيوية لغيرهم من الناس وقصروا اجتهادهم على مسائل الفقه والعبادات ، وشرح خصائص بيت الخلاء ، وأصول بيت الطاعة ، وجعلوا لكل شيء ملاكا حتى المد والجزر من عمل ملاك البحر الذى اذا وضع ابهامه فى أقصى بحر الصين يفور له الماء فيكون المد ، واذا رفعه يطلب الماء موضعه ويكون الجزر ! ! ! وهكذا ظلوا حتى جاءهم سلطان العلم من الخارج ، رغم أن القرآن فيه من تفاصيل الكون ما يحفز العلماء على العمل ويوصلهم الى الحقيقة دون كبير جهد أو عظيم عناء ، ولكن الله فى خلقه شئون (٢) .

---

(١) مع احترامنا لرأى الدكتور ومن ذهب مذهبه نرى أنه من المجازفة أن نحمل الآيات ما لا تحتمل طمعا فى اضافة مجد أو سبق علمي للقرآن .. فهذه الآيات نرى من سياقها أنها لتهديد الخارجين على طاعة الله ، وقد بدأ هذا التهديد بهذا التعبير القوى « سنفرغ لكم أيها الثقلان .. » وسواء أكان من الممكن القول بأن هذا التهديد فى الدنيا أو الآخرة فلا يمكن — فيما أرى — أن نقول : الا بسلطان العلم .. اذ أن التفسير يفقد التهديد جدواه . والسياق يفيد أنه لا مفر من وقوع الثقلين فى قبضة الله ، وأنه لا نصير لهم ، ولا ملجأ من الله الا اليه ، وليس هناك سلطان يقف أمام سلطان الله وينجيهم من حسابه وعذابه ، فهو كقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية » أى فافعل ، ولست بمستطيع ذلك . اذن فاصبر لحكم الله ..

وعندنا آيات كريمة تعتبر نصا فيما يريد علماؤنا من أمثال الدكتور أن يتحدثوا فيه عن الاعجاز العلمي مثل قوله تعالى « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله .. الآية » ونحن نطالب العلماء كل منهم فى اختصاصه أن يعمدوا لهذه الحقائق تاركين الفرضيات والاحتمالات البعيدة . « الوعى » .

(٢) اذا كان علماؤنا السابقون وقفوا فى اجتهادهم عند مسائل الفقه وكل ما يخدم القرآن والسنة ثم تطرق بعضهم الى ذكر تعليلات للظاهر التي لم يكن فى امكانيات العلم — فى الدور الذى كان يمر به فى جميع أنحاء العالم — أن يصل الى ما وصل اليه العلم الآن ، فاننا نحمد للسابقين اجتهادهم فيما أصابوا فيه ، ونلتمس لهم العذر فيما اخطئوا فيه ، ولا شك ان الدكتور يعرف مدى الجهد الذى بذله علماؤنا لا فى المسائل الشرعية فقط ولكن فى مجالات العلم المختلفة ، وكانوا بذلك أساتذة للغرب تعلم على أيديهم شتى فروع العلم .. ويعرف كذلك أن أحد علمائنا كان يطالع كتاب المجسطى فلما سأله سائل ماذا تقرأ ؟ قال انني أحاول تفسير قوله تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) فهم قد حاولوا واجتهدوا .. ولكن هكذا كان جهد العلم وحده فى زمنهم .. والا فهل يمكن أن نعيب على علماء القرن التاسع عشر ونسفههم لعدم وصولهم الى ما وصل اليه علماء القرن العشرين مثلا ؟ ! .

أما الآن وقد وجد علماؤنا من أمثال الدكتور طريق البحث والتعمق قد ذلله العلماء والمخترعون الغربيون لهم ، فان التبعة تكون عليهم كبيرة ، وقد أصبح من حق جمهرة المسلمين أن يسألوهم : ماذا قدموا من علم أو اختراع أو نظرية ؟ ، ماذا سبقوا به غيرهم ؟ ذلك كان جهد السابقين وخدماتهم العلمية ونتاجهم الفكرى فى الجو العلمي الذى عاشوا فيه .. فما جهد الحاضرين ؟ وحتى اذا أعطينا أنفسنا حق لوم السابقين فما الفتح العلمي للحاضرين حتى ينجو من لوم اللاحقين ؟ وقد تهيأت لهم السبل أكثر مما تهيأت لمن سبقوهم . ثم ألم يجد الدكتور لعلماء المسلمين السابقين جهودا غير جهودهم التي « قصوروها على مسائل الفقه وخصائص بيت الخلاء وأصول بيت الطاعة الخ » ؟ ! ! .

ومن أهوال الفضاء كذلك الشهب والنيازك التي تنساب في الفضاء القريب سابحة في أسراب قد تعترض مسار الأرض والكواكب من آنلآخر . والمعروف علميا أن هذه الاسراب من مخلفات المذنبات القديمة بعد تفتتها .

والغالب أن للمذنبات حلقة تنشأ فيها تعرف بحلقة الكويكبات التي تضرب نطاقا حول المجموعة الشمسية بأسرها على بعد نحو سنة ضوئية من الشمس . وعندما يضطرب مسار أية كويكبة بسبب جذب النجوم الأخرى لها تهوى تلك الكويكبة نحو الشمس ، وتصبح مذنبا قادما من الفضاء الخارجي . وتحتوى تلك الحلقة على آلاف ملايين الكويكبات . وعلى ذكر الشهب يقول الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الجن . « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » — ٨ — .

والمفروض على أية حال ان الجن سبقونا نحن البشر في دراسات ومحاولات لغزو الفضاء والاتصال بالعوالم الأخرى .

ومما يلفت النظر في هذا الموضوع ان العلم لم يصل بعد الى الجزم بوجود كائن حى مفكر خارج نطاق الارض عن طريق الاتصال المباشر بسفن الفضاء ، أو الاتصال غير المباشر على أمواج الأثير . رغم أن حساب الاحتمال الرياضي يجزم بوجود شبيه الانسان حيثما توفرت الظروف الملائمة على كوكب آخر وحيثما يتوفر الوقت الكافي . وليس معنى ذلك الا أننا اذا ما رحنا (فرضا) نجوب أركان السماء ونحط رحالنا على كوكب سوف نجد دون شك بين الفينة والفينة كواكب عليها شبيه الانسان . ولقد وجد الفلكيون بالحساب أن طريق التبانة أو الطريق اللبنى وحده يحتوى على أكثر من مليونين من الكواكب التي تسكنها كائنات حية مفكرة ، وانا على ذلك لسنا وحدنا في هذا الوجود المترامى الأطراف .

وفي واقع الأمر نجد أنه من الحماقة أن نحد ملكوت الله العظيم بما هو كائن على الأرض وحدها ، كما تفعل بعض الجماعات تبعا لتعاليم دينية خاصة أو اتجاهات معينة . فملكوت الله تعالى لا يحده مكان معين ولا زمان بالذات .

والقرآن الكريم يسبق ركب العلم في تقرير حقيقة أن السماوات تعج بالأحياء ، وذلك في سلسلة من الآيات الكريمة التي تنقل الينا العديد من المعلومات الخاصة لتلك العوالم التي نجهلها ، والتي منها ما سبق الانسان الذى على الأرض في تعمير كوكبه الذى يسكنه ، ومنها ما يعاصره .

ولما كانت الملائكة لا تعرف الغيب ، شأنها في ذلك شأن سائر المخلوقات ، بدليل قوله تعالى . « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » — ٦٥ — .

وقوله تعالى في سورة آل عمران . « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » — ١٧٩ — ، فمن الطبيعي أنها كانت ترى ما يفعله شبيه البشر على كل كوكب مسكون قبل ظهور آدم وتعمير الأرض ، من سفكه للدماء وخرقه لقواعد الأخلاق والدين ، وهو ما يشير اليه القرآن الكريم اذ يقرر في سورة البقرة

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » — ٣٠ — .

والمكتبات تزخر بالكتب التي تكشف عن بعض جهود علمائنا السابقين في كل ميدان ، وفضلهم على حضارة الغرب كابن رشد وابن حيان والرازى وابن النفيس وغيرهم وغيرهم ؟ ! ! وهو يعرف كل هذا .. وعلى كل حال أرجو أن يعوض علماؤنا المعاصرون كل في دائرة اختصاصه ما لم يستطعه السابقون حتى لا يكون الحكم عليهم قاسيا من الأجيال الآتية . « الوعى »

والمراد أن أذكر يا محمد للناس فضلى عليهم حين قلت للملائكة انى سأتخذ على الأرض خليفة يعمل على تعميرها وازدهارها ، فقالوا ان من شأن الانسان (الذى يمنح العقل والوعى ليتصرف كيف يشاء) الافساد وسفك الدماء ، فرد الله تعالى عليهم بأنه يعلم ما لا يعلمون . فقد علم أن سيكون من بنى آدم من يفوق الملائكة ويفضلهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء .. وعلى رأسهم جميعا سيد البشر محمد ابن عبد الله .

ولهذا السبب أيضا استحق النوع كله أن يوجد ، ولهذا السبب كذلك نقول ان الله تعالى خلق الناس من نور محمد، وتتعدد المعانى وتتشعب الاحاديث فى هذا المعنى وان اختلف اللفظ .

ويقدر علماء الفلك والطبيعة عمر الأرض بنحو ثلاثة آلاف مليون سنة ، انقضى أغلبها والأرض كوكب ميت لا حياة تدب عليه . ولم تعمر الأرض بالحياة والاحياء الا في أواخر عهدها بالوجود ، والحديث هنا يطول ويتشعب تبعا لقوله تعالى فى سورة العنكبوت .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » ــ ٢٠ ــ .

ولكن عمر الانسان على الأرض لا يزيد على ١٠٠ ألف سنة . أما حضارته فهي كما تعلم لا يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة ، فهو اذا زائر أو ضيف حديث العهد بالأرض ، رغم ما حققه بسلطان العلم من كشوف وما أحرزه من تقدم سريع .

ومن الآيات الواضحة الدالة على وجود شبيه الانسان على غير الأرض قوله تعالى فى سورة النحل . « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » ــ ٤٩ ــ .

وقوله فى « سورة المؤمنون » :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض » ــ ٧١ ــ .

وقوله فى سورة الرحمن :

« يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن » ــ ٢٩ ــ .

وقوله فى سورة النمل :

« ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض » ــ ٨٧ ــ .

وثالث ما يلفت النظر تقرير القرآن الكريم ان العقل البشرى ليس فريدا فى هذا الكون ، فنجده مثلا يورد فى سورة الانبياء الآية الكريمة « قال ربي يعلم القول فى السماء والارض » . ــ ٤ ــ

والكلام (أو اللغة) هو الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل والكائن الذى لا يعقل ، لأن اللغة وليدة العقل ، وعلى أية حال فان فى السماوات قولا لا يكون الا من كائن عاقل مفكر . وهنا قد يقول فريق من الناس . اذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يعثروا علينا ؟ والاجابة على هذا السؤال فى غاية البساطة ، انها الصدفة فهناك احتمال الصدفة ، أى أنهم لم يصلوا الينا بعد لمجرد الصدفة لأن السماوات تعج بالكواكب والانسان حديث العهد نسبيا بالأرض ، وربما عثر علينا سكان السماوات ولكنهم أهملوا أمرنا وراحوا يراقبوننا عن كثب ما دمنا قاصرين غير قادرين على اللحاق بهم .

ورابع ما يلفت النظر تلك الآية الكريمة من سورة الشورى التي تقرر امكان اتصال أهل الأرض بسكان الكواكب الأخرى عندما يحين الوقت ، وهو عين ما يوجه اليه العلماء الاهتمام اليوم . وقد يكون الجمع والاتصال (فى هذه الدنيا بطبيعة الحال) بواسطة سفن الفضاء أو على متن أمواج الاثير ، وهو الأكثر احتمالا . وتقول الآية الكريمة .

« ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » — ٢٩ — وتفسير الآية كما يذهب البعض بأن الجمع هنا يعني يوم الجمع (أو القيامة) غير ملزم .

وخامس ما يلفت النظر ، وهو أهم ما فى هذا الموضوع كله ، من حيث التسليم بالاعجاز العلمي للقرآن الكريم لما اتضح من حقائق الكون بما يطابق نص الآيات ، ذكره تعالى الصعود فى السماء أو السبح فى السماء والاشارة اليه بكلمة (معراج) أو (يعرج) ، يعني انعطاف أو يسير فى خطوط منعطفة أو مسارات منحنية ، ذلك لأن الفضاءالكوني لا يعرف الخط المستقيم . فكيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة ؟ ؟ لقد مر المفسرون منذ راحوا يحاولون التدبر فى كلام الله مر الكرام على آيات المعراج والخروج الى الفضاء حتى أظهر العلم حقيقة أن السبح بعيدا عن الأرض يتم فى مسارات منحنية ، بعضها بيضاوى الشكل (أى على هيئة القطع الناقص) وبعضها ينفرج الى ما لا نهاية وبعضها حاد الانعطاف مثل مسارات المذنبات التي تسبح حول الشمس ، فان المذنبات تبدو كأنما تظهر لنا فجأة مقبلة من مكان خفى فى السماء كلما اقتربت فى مسارها من الشمس ، ثم تختفى ثانية كلما ابتعدت عن الشمس فى خضم الفضاء الفسيح .

أما آيات المعراج أو العروج فهي . فى سورة المعارج .

« تعرج الملائكه والروح اليه » — ٤ — .

وفى سورة السجدة .

« ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » — ٥ — .

وفى سورة سبأ :

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور » — ٢ — .

وفى سورة الحديد :

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » — ٤ — .

فهل بعد هذا الذى قدمناه أيها القارىء الكريم يدعى أحد أن كتاب الله ليس معجزة خالدة ، لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات ؟ .

ان أهل الغرب لا يعرفون شيئا عن هذا ، ولم ينقل لهم أحد مثل هذه الحقيقة واضحة ليخاطبهم بلغة العصر ولغة العلم التي يفهمونها ويقتنعون بها . وكل ما عرفوه عن الاسلام للأسف الشديد وعن كتاب الله العزيز أنه مجرد تعاليم وترانيم انصب أغلبها على طرق العبادات وأحكام الزواج والطلاق والميراث والنجاسة والطهارة والمحرمات والمحللات ..

ولكن هذه ليست هي الحياة كلها ، وانما من الحياة والدين كذلك الكد والعمل وتحصيل العلم والكشف عن أسرار الكون وتوفير القوة واستخدام طاقات الطبيعة .. مما خص الله تعالى به العقل البشرى ليميزه على سائر المخلوقات (١) .

---

(١) وهذا هو واجب الدكتور وأمثاله ممن لهم فهم مستقيم فى القرآن ويستطيعون أن يكتبوا عنه بلغات الغرب ليبينوا له عظمة ديننا ، وليتهم يكتبون للمجلات العلمية أو غيرها بعض البحوث التي يكتبونها لقراء العربية المسلمين ، فذلك أهم من كتابتهم باللغة العربية فى نظرنا وأعظم فائدة للاسلام . « الوعى »

وتخونه هيبتنا ؟!

للشيخ/نديم الجسر
مفتى طرابلس — لبنان

قرأت فى مجلة (الوعي) مقال (١) الأخ العالم الجليل الاستاذ أحمد الشرباصي عن لغة القرآن والتهاون الجادث فى اتقانها ،فرأيت فيه أمورا عظيمة تستحق أن يكتب فيها أكثر من مقال ، ولا سيما ذلك التنادر بالمشايخ علماء الدين ، الذى أشار اليه الاستاذ فى نهاية مقاله بكلمة عابرة غير زاجرة .

ان التنادر والتفكه بذكر تفاصح النحاة وتفيهقهم وتمطظهم هو أمر قديم . وقد لا يكون مضرا ومحرما الا عندما يدخل فى باب الغيبة واللمز والسخرية من رجل معين . بل قد يكون — اذا برىء من هذه الآثام — نافعا فى رد كثير من النحاة عن تباردهم وتسامجهم ، فمن كمال العالم أن يكون كيسا ، ومن نقص العقل أن يكون متسامجا من حيث لا يدرى ...

أما التنادر والتفكه بذكر علماء الدين، والسخرية من تقواهم وتورعهم و فقرهم (٢) فانها فتنة جديدة استشرى خطرها فى العصر الحديث ، حتى أصبحت من الكبائر المهلكات الموبقات ، التى لا يقف ضررها عند حدود التباغض بين الناس، كما هو الحال فى الغيبة واللمز ، بل تتعدى هذا كله حتى يصل الى زعزعة الدين والايمان فى القلوب ...

نحن فى غفلة :

وقد لا يكون جميع المتنادرين والمتفكهين من ضعيفى الايمان ، ولكنهم فى غفلة عن أن هذا التسخر من حملة العلم والقرآن هو تسخر من الذين والقرآن ،وتهاون فى احترام الله ورسوله. واخطر ما فى هذه الغفلة أن الواقعين فيها لا يقعون فى مثلها أبدا اذا كان الرجل الذى أثار سخريتهم خويدما لعظيم من الامراء أو الوزراء ...

توقير العلماء :

ان مقام علماء الدين عند الله عظيم . وقد عظم الله مقامهم فى القرآن بآيات كثيرة أعظمها قوله تعالى « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم .. » فقرن

---

(١) فى العدد الرابع والعشرين

(٢) كما نرى صورا من ذلك فى الافلام والمسرحيات واظهارهم بمظهر غير كريم على عكس ما نراهم يفعلون مع غير علماء الدين المسلمين مع الاسف : الوعى

سبحانه اسم العلماء الى اسمه الاعظم ، وجعلهم فى العلم كالملائكة ، وصيرهم من ناحية الادراك لوحدانية الله فى صف الرسل والانبياء ، فاكتفى بوصف العلم عن تخصيص الرسل والانبياء بالذكر لأنهم سادة العلماء ... فهل بعد هذا المقام مقام فى التعظيم ... ؟

بل لو خلا كتاب الله من هذه الآية لكان واجبا علينا ــ بحكم العقل ــ ان نوقرهم ، أن كنا مسلمين ومؤمنين حق الايمان ، لأن هؤلاء العلماء الفقهاء هم الذين انتدبهم الله لتعليمنا وارشادنا وانذارنا وتحذيرنا بقوله « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

فاذا قل احترام العلماء بين الناس ، قل بالضرورة الاصغاء اليهم ، والاخذ بارشادهم وانذارهم وتحذيرهم وكفى بهذا فتنة فى الدين ...

بل نقول لهؤلاء المستهزئين بعلماء الدين . انكم لو تركتم الاخذ بمواعظهم ، واقدمتهم على ارتكاب المعاصي ، لكان ذلك عند الله أهون ، وأقرب الى الغفران ، من ذلك الاستهزاء ، لأن ضرر معاصيكم ينحصر بكم ، أما الاستهزاء بالعلماء فانه يؤدى الى قتل العلم ، وتنفير الناس من الدين ، وحملهم على الاستهزاء بالدين نفسه .. بل قد يؤدى الى الكفر اخيرا ...

أسباب هذه الفتنة .

ان فتنة التنادر والتفكه بذكر علماء الدين التي استشري أمرها واستفحل فى العصر الحديث ، لها أسباب كثيرة منها القديم ومنها الحديث ، ومنها ما يقع وزره على الأمراء ، ومنها ما يقع وزره على الأدباء ومنها ما يقع اللوم فيه على العلماء أنفسهم ..

لقد بدأت هذه الفتنة بسفه الامراء والحكام ، وتعاليهم على علماء الدين ، بعد أن كانوا فى الصدر الاول من الاسلام موضع التوقير والتعظيم . ومن هذه الثغرة أخذت فتنة التنادر والتفكه تذر قرنها بسفه الأدباء والرواة والقصاصين ، الذين يسامرون الأمراء ، ويتعمدون اضحاكهم بالحكايات والنكات المروية أو المخترعة ، فبدأوا ــ أول ما بدأوا ــ بذكر حماقات معلمى الصبيان ، ثم تجاسروا على التفكه بذكر القراء . وتنوقلت هذه النكات بين الناس ، حتى تجاسر بعض كبار الادباء كالاصمعى والجاحظ وغيرهما على تدوينها فى الكتب . أما علما الدين فقد بقى احترامهم فى القلوب ، على الرغم مما بدر من بعض الامراء من أذيتهم ، لاسباب سياسية أو اجتهادية كلامية ظالمة . بل زاد هذا العدوان فى احترام العلماء عند الناس جميعا .

ثم جاءت عصور التأخر الاسلامي فأنصرف الأمراء والحكام عن توفير أسباب الرزق الكريم لعلماء الدين ، كما انصرف الناس عما جرت به العادة من اعانتهم . وأصبح رزق أكثر المشايخ محصورا فيما يتناوله المحظوظون منهم من أجور زهيدة على وظائف الامامة والخطابة والتدريس . ومن لم يسعده الحظ منهم بوظيفة لجأ الى طلب الرزق من أبواب لا تليق بكرامة العلم والعلماء.

وزاد الطين بلة أن طائفة من العلماء الفقراء أرادوا أن يستروا فقرهم بما يسمونه « الدروشة » ولكن هذه الدروشة زادت عن حدها ، حتى كادت تصبح طابعا للفقراء وغير الفقراء ، وانتقلت من الزهد الى لون من التبذل فى الملبس والنظافة والاكل فى السوق ، فاستقرت فى أذهان الجيل الطالع المولع بالجمال والتجمل ، صورة عن العلماء هى أبعد مايكون عما يأمر به الدين من الجمال والتجمل .

وهكذا تضافرت الاسباب والدواعى للتقليل من احترام العلماء وتوقيرهم واستشرت الفتنة ...

ولست أجد لهذه الفتنة علاجا الا اذا حزم حكام المسلمين فى كل قطر اسلامي أمرهم على تنفيذ التوصيات الآتية !

١ ــ حصر لبس الزى الديني فى علماء الدين دون سواهم .

٢ ــ الاتفاق على وضع زى ديني واحد موحد ، واذا تعسر ذلك ، فوضع علامة خاصة يتميز بها علماء الدين عن سواهم .

٣ ــ أغناء علماء الدين بالرواتب الكافية .

٤ ــ أخذ علماء الدين بنظام مسلكى صارم يحملون به على ترك التبذل والدروشة والتزام دقائق آداب الدين فى الوقار والنظافة والكياسة والظرف فى الملبس .

٥ ــ ان يمنع رجال الدين من قبول أى أجر من الناس على أى عمل من الاعمال اسوة بباقى الموظفين فان اليد العليا خير من اليد السفلى .

وانى لأرجو أن يكون هذا الموضوع الخطير موضع عناية مجلة (الوعى) وعناية المفكرين ، لعله يجتمع لنا من التوصيات الأخرى ما يكتمل به العلاج، وان يكتب فى هذا الامر أكثر من مرة ، لكى تستجيب الحكومات الاسلامية لهذه الدعوة المباركة للاصلاح الديني الذى نحن بأشد الحاجة اليه .

((الوعي الاسلامي)) هذا الموضوع الذى علق عليه فضيلة العلامة الاستاذ الكبير الشيخ نديم وقدم بشأنه هذه الاقتراحات انما هو ظاهرة لرياح عاتية هبت على النفسية المسلمة فاقتلعت منها أو من معظمها بذور التدين السليم ، ومن البدهى أن الانسان المسلم السليم الايمان يجد نفسه مدفوعا الى احترام كل ما يمت للدين بصلة قريبة أو بعيدة . وفى المقدمة العلماء المسلمون الذين وهبوا حياتهم لترسيخ دعائم الايمان فى النفوس ، وجعلوا انفسهم شموعا تضىء الطريق للسالكين .. ومن الطبيعي أن كل انسان يعتنق فكرة أو مبدأ ترف نفسه لكل من يشاركه هذا المبدأ ، وعلى الاخص أولئك الذين يمثلون الطليعة الهادية لهذا المبدأ .. ويقوى حبه واحترامه لزملائه وقادته فى المبدأ على قدر تفانيه فى مبدئه واخلاصه له .. فاذا ضعف تمسكه بفكرته ومبدئه كان تهاونه وعدم عنايته بمن يشاركونه مبداه .. حتى اصحاب الحرف والمهن تجدهم يعظمون ((معلميهم)) ويعتبرونهم هداتهم ويتعصبون لهم ويحيطونهم بمظاهر التكريم .

فالداء الكمين لهذه الظاهرة التى نشكو منها يكمن فى ضعف الوازع الدينى فى النفوس ، كما يرجع الى عدم عناية المجتمع ممثلا أولا فى المسئولين باظهار صوت الدين عمليا . فان الدولة مثلا حين تتجه للهندسة وتعنى باصحابها تجد المجتمع بالتالى يعظم من شأنهم ، وهكذا فى كل مجال تعنى به الدولة ..

ان اكبر وصمة لهذه الامة الاسلامية العربية ، التى تتنادى بالاسلام والعروبة الا يلقى ممثلو الاسلام أو المتخصصون فيه وفى العربية ما يتسق مع ادعائنا الاعتزاز باسلامنا وعروبتنا

وكم يحز فى النفس ويفتت القلب حزنا وأسفا أن نلاحظ أن الطوائف الغير الاسلامية تحيط هداتها الدينيين بالاحترام والتكريم فى الوقت الذى يتظرف فيه بعض الكتاب والرسامين والمتحدثين المسلمين بالغض من مكانة هداتهم الدينيين ، والذين يعلمونهم لغتهم القومية .

لقد رأينا صورا ورأى غيرنا على الطبيعة ملك دولة غير مسلمة يطأطىء على يد أحد رجال دينه ويقبلها فى المطار ونحن لا نريد عندنا مثل هذا ولكنا نريد ما يدل عليه هذا التقبيل لليد وسط كبار رجال الدولة والسفراء وجموع المستقبلين . نريد أن يتوفر للعلماء المسلمين ما يجب نحوهم من تكريم كرمز حي على تكريمنا لديننا وعنايتنا بكل ما يتصل به وليكون لهم الصوت النافذ حين يجد الجد وتحتاج الامة لهذا الصوت يجند قواها ويعبئها لحفظ كيانها والحفاظ على كرامتها .

بقية : من هدى السنة

« ويسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو » وهى وان خفى علمها على الناس فقد جعل الله لها امارات تدل على قربها « فهل ينتظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها » .

وتبدأ الساعة ببعث الناس واحيائهم وحشرهم من قبورهم ، ثم يكون الحساب والجنة او النار .

- ٣ -

والاعمال التى أمرنا بالمبادرة بهــا والمسارعة اليها هي الاعمــال الخيرة الصالحة ، وفى مقدمتها ما افترضه الله علــى عبــاده من فرائض وفى الحــديث القدسى يقول رب العزة تبارك وتعالى . ما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء ما افترضته عليه ، وقد ذكر الامام السيوطى فى كتاب شرح الصدور حديثا أخرجه الطبرانى والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول والاصبهانى فى الترغيب - وهذا الحديث يجمع صنوفا مختلفة من أعمال البر والخير نقدمها للقــارىء الكريم ليعيها ويأخذ نفسه بها .

عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال . خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . انى رأيت البارحة عجبا . رأيت رجلا من أمتي قد بســط عليه عذاب القبــر ، فجاءه وضــوؤه ، فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين ، فجــاءه ذكر الله ، فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشــته ملائكــة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من بين أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشا كلما ورد حوضا منع منه ، فجاءه صيامه ، فسقاه ، وأرواه . ورأيت رجلا من أمتى ، والنبيون قعود حلقا حلقا . كلما دنا لحلقة طرد ، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده الى جنبى ، ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ، وخلفه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومــن تحته ظلمة ، فهو متحير فيها ، فجــاءه حجه وعمرته ، واستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتــي يكلم المؤمنين ، ولا يكلمونه ، فجاءته صلة الرحم ، فقالت يا معشر المؤمنين كلموه ، فكلموه ، ورأيت رجلا من أمتى يتقــى وهج النار وشررها بيده عــن وجهــه ، فجاءته صدقته ، فصارت سترا علــى وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتي أخذته الزبانيــة من كل مكــان ، فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكــر ، فاستنقذاه من أيديهم ، وأدخلاه مــع ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمتــي جاثيا على ركبتيه،بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه ، فأخذ بيده ، ورأيت رجلا من أمتي قد هوت به صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من اللــه ، فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ، ورأيت رجلا من أمتي قد خفت موازينه فجاءته أفراطه ، فثقلت موازينه ، ورأيت رجلا قائما علــى الصراط يرعــد كما ترعــد السعفة ، فجاءه حسن ظنه بالله ، فسكن رعده .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لصالح الاعمال ، وأن يجعل خير اعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائه ، وأن يجمعنا على رسوله الكريم فى روضــات الجنات انه سميع مجيب .

بحث مقارن

بين الاقتصاد الاسلامي

المصانع والأسهم

نريد فى مقال اليوم أن نستكمل الكلام على ما تفرضه تعاليم الاسلام من تكاليف على ملكية المال باعتباره الدعامة الأولى لاى بنيان اقتصادى ، لننتقل الى الدعامة الثانية : ((العمل)) . وبذلك نكون قد وفينا الكلام على دعامتي الاقتصاد الاسلامى ثم نمضى الى عرض ما يقابلهما فى الاقتصاد المعاصر .

وفى المقال السابق تحدثنا عن التكليف الأول وهو هدى الاسلام فى استثمار المال على نحو يحقق المزيد من الخير لصاحبه ، ويكفل تنمية الرخاء فى المجتمع .

أما التكليف الثانى فهو الزكاة :

الزكاة : ــ كما هو معلوم ــ ركن من أركان الاسلام التعبدية الخمسة ، فاذا امتنع المسلم عن أدائها فقد هدم ركنا أساسيا من أركان الاسلام . وقد ذكر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها أخذت منه قهرا ، اما من أنكر وجوبها فهو مرتد تجرى عليه أحكام المرتدين . وقد اتفق الصحابة على قتال مانع الزكاة ، ومحاربة أبى بكر لمانعى الزكاة ثابتة اخبارها فى التاريخ الاسلامى ، وقوله : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » .

وقد كنت أعجب عندما أقرأ تعليق كل من يعتنق الاسلام من الغربيين المعاصرين ، وكيف أنه يقف طويلا عند فريضة الزكاة ، ويقرر أنها البلسم الشافى للعلل والسموم التى فشت فى مجتمعاتهم . وقد انقطع هذا العجب (أولا) بعد أن درست أحوال هذه المجتمعات والتفكك الشنيع والصراع الطبقى السائدين فيها وما ترتب عليها من أحداث وثورات دامية . (وثانيا) : بعد أن رأيت أن الشرائع السماوية جميعها قد حثت على الزكاة ولكن الشرع الاسلامى ــ خاتم الرسالات الالهية ــ هو وحده الذى رفع الزكاة من مرتبة الفرائض التعبدية الخلقية ــ التى يتطوع الفرد الى أدائها بقدر الوازع الديني الذى استقر فى وجدانه ــ الى مرتبة الفريضة « الحكومية » التى تلتزم الدولة بحمل رعيتها على أدائها ، ضمانا لبرء المجتمع الاسلامى من العلل التى أصبحت تضج منها المجتمعات المعاصرة .

فالشرع الاسلامى يقرر حق ولي

والعمارات . هل عليها زكاة ؟

للدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

الأمر في جباية الزكاة ، وواجبه في تخصيص حصيلتها لمصارفها الشرعية ، وواجبه في تجنيب هذه الحصيلة عما سواها من موارد بيت المال ، وهذا كله ثابت لا جدال فيه .

ولكن الأمر الذى يعترض ولى الأمر في هذا العصر ، ويعرقل واجبه في انفاذ هذا التكليف ، هو اختلاف صنوف المال في هذا العصر عما كانت عليه منذ أربعة عشر قرنا ، ثم اختلاف أئمة الفقه الاسلامى في أمر الزكاة ـ وهم الذين يهتدى برأيهم ولي الأمر ـ اختلافا بعيد المدى ، حتى قال فقيد الاسلام الشيخ محمود شلتوت (كم يضيق صدرى حينما أرى أن مجال الخلاف بين الأئمة في تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذى نراه في كتب الفقه والاحكام .. هذا يزكى مال الصبى والمجنون وذاك لا يزكيه ، وهذا يزكى كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، وذلك لا يزكى الا نوعا خاصا ، وهذا يزكى عروض التجارة وهذا لا يزكيها ، وهذا يزكى حلى النساء وذاك لا يزكيه . وهذا يشترط النصاب وذاك لا يشترط ، .... الى آخر ما تناولته الآراء فيما تجب زكاته وما لا تجب ، وفيما تصرف فيه الزكاة وما لا تصرف)) .

ثم يقول ((هذه الفريضة يجب أن يكون شأن المسلمين فيها كشأنهم في الصلاة ، وشأن الصلاة فيهم تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف : خمس صلوات في اليوم والليلة ، ثم ينبه الى ضرورة توحيد سياسة المسلمين في واجباتهم الدينية والاجتماعية التى أخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، ثم يقول : وهذه الوحدة تقضى على علمائهم وأولياء

الأمر فيهم بالمسارعة الى اعادة النظر فيما أثر عن الأئمة من موضوعات الخلاف التى أخشى أن تمس أصل هذه الفريضة، ويكون ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذى قصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا ، تكون نسبة المسلمين فيه وفى جميع نواحيه على حد سواء . ثم يضرب المثل على الاتجاه الذى يجب أن تسير فيه الجهود لازالة مواطن الخلاف وتوحيد الأحكام فيقول : ((ولا يخفى على أحد معنى كلمة (أموال) ، ولا معنى كلمة (فقراء ومساكين) ولا معنى كلمة (فى سبيل الله) . فالذهب والفضة ، أو النقد التعاملى كيفما يكون ، والزروع والثمار ، والمواشى ، وعروض التجارة ، وكل ما يتموله الانسان فى هذه الحياة أموال . وكل من ليس عنده ما يكفيه ويسد حاجته . أو من ليس عنده قدرة على العمل ، فقير ومسكين ، وكل ما ينتفع به المسلمون كافة ، ولا تخص منفعته شخصا بعينه (سبيل الله)))(١) .

ومرجع الخلاف فى أكثره يدور حول الكلمة التى كثر تعبير القرآن بها عما يجب اخراج الزكاة منه ، هي الكلمة العامة التى تشمل كل ما يتملكه الانسان وهي كلمة « أموال » كقوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» (التوبة ١٠٣) ، « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله » (البقرة ٢٦١) ، « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (المعارج ٢٤) كما جاء فى بعض الآيات ذكر الذهب والفضة وذكر الثمار التى تخرج من الأرض .

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام فى التطبيق العملي أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة ، كما بين المقادير التى تخرج من هذه الأموال . فأخذ الزكاة فى ثلاثة أنواع من الأموال وهي : (الأول) : الذهب والفضة وعروض التجارة بنسبة ٢ر٥ ٪ (والثانى) : النعم وهى الابل والبقر والغنم وهذه هي السوائم التى كانت موجودة فى البلاد العربية بنسبة كتلك النسبة تقريبا . والثالث : الزروع والثمار بنسبة العشر فى الأراضى المروية من غير كلفة كالتى تروى بمياه الأمطار والينابيع ونصف العشر فى الأراضى التى تروى بآلة ونحوها .

ويقول الشيخ شلتوت : (وبقى ما وراء ذلك من الأنواع والمقادير محل اجتهاد ونظر) (٢) .

ويشترط فى هذه الأنواع من المال أن يكون قد حال عليه الحول وهو زائد عن حاجات الانسان الأصلية التى يحتاج اليها لمعيشته ، فلا يدخل فى نصاب الزكاة دار السكن، والثياب الخاصة للاستعمال، والقوت المدخر لطعام العائلة !! وآلة العمل اليدوية التى يحتاج اليها المتكسب بيده .

فهل يجب فى عصرنا التقليد بهذه الأنواع الثلاثة من الأموال وقصر وعاء الزكاة عليها دون سواها من صنوف المال التى ظهرت فى العصور التالية وازدادت أهميتها بصفة خاصة فى العصر الحاضر ؟ انى أفضل أن تكون الاجابة على هذا

---

(١) العقيدة والشريعة الاسلامية للاستاذ الشيخ محمود شلتوت (٩٠ ، ٩١)

(٢) العقيدة والشريعة (ص ٨٩) .

السؤال من التقرير الذى قدمه بعض علمائنا الأعلام الى حلقة الدراسات الاجتماعيةالتىعقدتها الجامعة العربية(٢) وقالوا ان الزكاة تستحق الآن فى أموال لم تكن معروفة فىعهد الرسول والصحابة وفى أيام الاستنباط الفقهي ، واقترحوا أن الزكاة يطلب اداؤها فيها ، ووافقت على ذلك الحلقة وأوصت به فى مؤتمرها. وهذه الأموال هي : الالآت الصناعية ، الأوراق المالية ، كسب العمل والمهن الحرة ، والدور والاماكن المستغلة .

وقالوا فى اسناد رأيهم : « وقد اتفق الفقهاء على أن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها معللة ، وليست أمورا تعبدية ، ولم يقم دليل على أنها تعبدية ، الا أن التقديرات ليست محل قياس على ما هو مقرر فى موضعه من الأحكام الفقهية . ولقد اتفق الفقهاء على أن العلة فى فرضية الزكاة فى الأموال هو نماؤها بالفعل أو بالقوة . ان الزكاة ثبتت فى الزروع والثمار لان نماء الأرض غلاتها وثمارها . فالأرض اذن مال قام بالفعل . والاستغلال والنقل من مكان الى مكان ، وان كان النماء فيها غير طبيعي كالزراعة والماشية فهو نماء صناعى يشبه الطبيعى واعتبره الاسلام نماء شرعيا حلالا .

والنقود لا تثمر بذاتها ، ولكنها تنمو باستخدامها فى التجارة والصناعة وهي قد خلقت لذلك ، فهي لا تشبع الحاجات بنفسها ولكنها تشبعها بما تتخذ وسيلة فى جلبه . وهي مقياس لقيم الأشياء ، فوزن الأموال بها لتعرف ماليتها ولهذا عدت مالا ناميا بالقوة وان بقيت فى الخزائن لا تخرج منها ، لأنه كان ينبغى أن تخرج ، وتمد العمران بحاجاته ، وتشبع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والشخصية ، ولا تصير كالماء الآسن الراكد الذى يفسده الركود ، ويغيره الاختزان ، فاذا كانت النقود عدت مالا ناميا بالقوة فلأن الشارع الاسلامى حريص على أن تبرز النقود الى الوجود عاملة مستغلة مقيمة وسائل الاستغلال على دعائم من العمل .

واستطرد التقرير بعد ذلك فقال : « ولقد أعفى الصحابة والتابعون والفقهاء من بعض الأموال التى تعد من الحاجات الأصلية كأدوات الصناعة الاولية مثل آلة النجار والحداد ، ومثل الدور المخصصة للسكن ، لأن هذه أموال لا تعد نامية بذاتها ولا بالقوة . والاستغلال بأدوات الصناعة هذه لمهارة الصانع ويده لا للآلة نفسها .

ثم عرج التقرير على تقسيم الفقهاء للأموال من حيث نمائها ، من ان الأموال قسم منها يقتنى لاشباع الحاجات الشخصية كالدور المخصصة لسكنى أصحابها ، فهذه لا زكاة فيها ، وقسم ثان يقتنى للنماء والاستغلال فهذا يجب زكاته ، وقسم ثالث يتردد بين اشباع الحاجات الشخصية والنماء كالماشية والحلى ، واختلف العلماء فى زكاته فمن رأى أن فيه نماء أوجب الزكاة ومن رأى أن لا نماء فيه أعفاه .

---

(١) قام بوضع هذا التقرير اصحاب الفضيلة الشيخ محمد ابو زهره والشيخ عبد الوهاب خلاف استاذى الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة والشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الازهر يومئذ ، وانعقد مؤتمر هذه الحلقة فى دمشق فى ديسمبر ١٩٥٢ مطبوعات جامعة الدول العربية عن وسائل التكافل الاجتماعى فى الدول العربية .

الزكاة على المصانع

ثم مضى التقرير يطبق هذا التقسيم على الأموال فى عصرنا فقال :

« ان تطبيق هذا التقسيم فى عصرنا ينتهى بنا لا محالة الى أن ندخل فى أموال الزكاة أموالا فى عصرنا مغلة نامية بالفعل . لم تكن معروفة بالماء والاستغلال فى عصر الاستنباط الفقهي . وهي وسيلة استغلال بالنسبة لصاحبها ،مثل صاحب مصنع كبير يستأجر العمال لادارته فان رأس ماله للاستغلال هو تلك الادوات الصناعية فهي بهذا الاعتبار تعد مالا ناميا، اذ الغلة التى تجيء اليه هي من هذه الآلات ، فلا تعد كأدوات الحداد أو أدوات النجار الذى يعمل بيده . ولهذا نرى أن الزكاة تجب فى هذه الأدوات باعتبارها مالا ناميا وليس من الحاجات التى تعد لاشباع الحاجات الشخصية بذاتها .

« واذا كان الفقهاء لم يفرضوا زكاة فى أدوات الصناعة فى عصورهم فلأنها كانت أدوات أولية فلم تعتبر مالا ناميا منتجا بذاتها ، انما الانتاج فيها للعامل ، أما الآن فان المصانع تعد أدوات الصناعة نفسها مالها النامي . ولذلك نقول ان أدوات الصناعة التى يملكها صانع يعمل بنفسه كأدوات الحلاق الذى يعمل بيده ونحوه تعفى من الزكاة لأنها تعد بالنسبة اليه من الحاجات الأصلية ، أما المصانع فان الزكاة تفرض فيها . ولا نستطيع أن نقول ان تلك مخالفة لاقوال الفقهاء لأنهم لم يحكموا عليها اذ لم يروها ، ولو رأوها لقالوا مثل مقالتنا ، فنحن فى الحقيقة نطبق المنطق الذى استنبطوه فى فقههم » .

وجاء فى التقرير عن النسبة التى تؤخذ فى زكاة الآلات الصناعية أنها تكون من غلتها بنسبة العشر قياسا على زكاة الزروع والثمار . « ان أدوات الصناعة الثابتة تؤخذ الزكاة من غلاتها ولا تؤخذ من رأس المال ، وتؤخذ من صافى الغلات بعد التكليفات . لان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة بالعشر من الزرع الذى سقى بالمطر أو العيون » .

ولنا ملاحظة على هذا الرأى فى تحديده النسبة بالعشر من صافى غلة الآلات الصناعية قياسا على غلة الارض ، فهنا قياس مع الفارق لان الارض لا تفنى والاستهلاك معدوم فيها تقريبا ، بعكس الآلات فهى محدودة الاجل والاستهلاك فيها له شأن كبير . وقد يكون الاصح أن يطرح من صافى غلة الآلات قسط الاستهلاك قبل تطبيق نسبة العشر .

والاسهم

ثم انتقل التقرير الى بحث زكاة الاوراق المالية كالاسهم والسندات التى لم تعرف الا فى العصر الحديث ، فجاء عنها فى التقرير : « والاسهم والسندات اذا كانت قد اتخذت للاتجار والكسب من تجارتها فتعتبر من عروض التجارة فتؤخذ منها الزكاة بتقدير قيمتها فى أول العام وقيمتها فى آخره ، وتؤخذ الزكاة من الكل عند جمهور الفقهاء » .

وملاحظتنا على هذا الرأى أنه جمع بين الاسهم والسندات فى اطار واحد فى حين أن الاسهم تؤتى ربحا مشروعا لانه غير ثابت المقدار يختلف ازديادا ونقصا من سنة الى سنة . اما السندات فتربط لها من البداية فائدة ثابتة هي أقرب ما تكون الى الربا المنهى عنه .

« وأما نسبة الزكاة فى الاسهم فنرى أن تكون فى حالة الاتجار بها ٢/١٢٪ من قيمة الاسهم وقيمة ربحها كرأى مالك ، أو من قيمة الاسم فقط كرأى جمهور الفقهاء ، وذلك قياسا على النسبة فى عروض التجارة . اما فى حالة اقتناء الاسهم للكسب لا للاتجار فتكون ٢/١٢٪ من قيمة الاسهم أسوة بنسبة الزكاة فى المال المدخر » .

وكسب العمل

ثم انتقل التقرير الى بحث الزكاة على كسب العمل وايراد المهن الحرة فقال :
« لا شك أنه اذا جمع منها ما يساوى نصاب الزكاة واستمر حولا كاملا — ولو نقص فى أثناء العام — فانه تجب فيه الزكاة ما دام كاملا فى طرف العام أوله وآخره . وذلك لانه ان استمر طول العام من غير أن ينفق كله يكون ذلك دليلا على أنه لم يكن من حاجته الاصلية . وهو نام بالقوة باعتبار أن النقود يعتبرها الاسلام من المال النامى لانها خلقت للاستعمال والاستغلال لا للاكتناز » .

والعمارات

وجاء فى التقرير عن زكاة الايراد الناتج من الدور والاماكن المستغلة : أن المعروف عن جمهور الفقهاء انهم لم يقروا أخذ زكاة عن الدور ، لان الدور فى عهودهم لم تكن مستغلة بل كانت من الحاجات الاصلية . وكان ذلك عدلا اجتماعيا فى عهد الاستنباط الفقهى . أما فى عصرنا الحاضر فقد استبحر العمران وشيدت العمائر والقصور للاستغلال ، وصارت تدر أحيانا أضعاف ما تدره الارض، فكان من المصلحة وقد صارت كذلك أن تؤخذ منها زكاة كالاراضى الزراعية . اذ لا فرق بين مالك تجبى اليه غلات أرض زراعية كل عام ومالك تجبى اليه غلات عمارته كل شهر . فلو أوجبنا الزكاة بايجاب الله فى الاراضى الزراعية ورفعناها عن المستغلات العقارية الاخرى لكان تفريقا بين متماثلين ، ولكان ذلك ظلما على ملاك الاراضى الزراعية ، ولادى ذلك الى أن يفر الملاك من الاراضى الى اقتناء العمائر، ومعاذ الله أن يكون شرعه تفريقا فى الحكم بين أمرين متماثلين . والاختلاف بيننا وبين السادة الفقهاء الاولين هو اختلاف عصر ، فما كانت الدور عندهم مستغلة كعصرنا » .

وبعد ، فهذه خلاصة لاجتهاد ثلاثة من فقهائنا المبرزين ، فى تطبيق فريضة الزكاة على أنواع من الاموال استحدثت فى عصرنا ، على أساس اشتراك العلة فيها مع الاموال التى فرضت عليها فى البداية ، وعلى أساس ما أجمع عليه الفقهاء وأشرنا اليه من قبل من « أن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها هى نصوص معللة ، وليست من الامور التعبدية وان كانت التقديرات ليست محل قياس » .

وحيث اننا هنا نعالج حق ولى الامر فى جباية الزكاة ، وتكليفه بحمل هذه الامانة ، فان واجب المجتمع الاسلامى يقضى بتذليل مهمة ولى الامر فى تنفيذه أحكام هذه الفريضة التى أراد الله أن تكون ركنا أساسيا فى تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الاسلام على أحكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا فى كل ما يتصل بها اختلافا بعيد المدى ثم اعلان الاحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضع التكليف .

ذلك لان هذه الفريضة التى أجاز عثمان رضى الله عنه أن يتولى المكلفون بها أداءها فى مصارفها الشرعية باعتبارهم وكلاء عن الامام ، قد أصبحت فى عصرنا — بعد « فساد الزمان » وضعف الوازع الدينى — لا مناص من تحميل أمانة جبايتها لولى الامر ، وأن لا يترك أداؤها لتطوع الافراد .

الزواج
وآثاره في حياة الفرد والجماعة

بقلم : فضيلة الشيخ احمد الخميس
المستشار بمحكمة الاستئناف العليا ـ الكويت

اذا ألقينا نظرة فاحصة على واقعنا الاجتماعي ، وجدنا أن الفتنة قد ذرت قرونها فى كل ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية ، منذرة بأفدح الأخطار وأوخم العواقب ، ووجدنا أن مظاهر الفساد والانحلال آخذة بالازدياد والانتشار بترويج المروجين من دعاة الفتنة والضلال الذين لا يتقون الله ولا يبالون بغير شهواتهم وغرائزهم وأنانياتهم الدنيئة، غير عابئين ولا مكترثين بما يجرونه على مجتمعهم من مفاسد وشرور وفضائح وخراب .

ومن الصعب أن نتلمس فى هذا المقال جميع مظاهر الفساد وأسبابه فى حياتنا الاجتماعية ، ولذا سأقصر الحديث على أهم جانب من جوانب حياتنا الاجتماعية، والذى تكمن فيه أسباب كثيرة من المشاكل والمفاسد ، كما تكمن بنفس الوقت طريقة العلاج والحلول السليمة .. هذا الجانب هو الجانب الذى يتعلق بالحياة الزوجية وبناء الأسر ، وما ينتج عنه من آثار فى حياة الفرد والجماعة .

فالزواج من الناحية الاجتماعية واجب تدفع اليه غريزة حب الاجتماع وغريزة البقاء ، والحفاظ على الجنس البشرى ، وهو السبيل الطبيعي المشروع لقيام الصلة بين الرجل والمرأة ، هذه الصلة التي تعتبر من أقوى الدعائم الاجتماعية، والتي تنشأ بسببها أمتن الروابط والصلاة بين أفراد المجتمع .

والزواج من الناحية الشخصية سبيل للسكن النفسي والاطمئنان الروحي والعاطفي وطهارة للقلب والنفس ، وحماية للمروءات ووقاية من الانحراف والانزلاق الى المحرمات .. كما هو سبيل لتنمية المودة والألفة والرحمة وجميع معاني الخير بين الجنسين .

ولما كان للزواج كل هذه الأهمية من الناحيتين الاجتماعية والفردية ، فقد رسم الله سبحانه وتعالى له منهجا واضحا مفصلا ، وحد له حدودا ووضع له قواعد وأصولا ، وأوجب فيه التزامات على الطرفين وحذر من التهاون فيها ،

وأنذر العابثين بقواعده وحدوده أشد العقاب للحفاظ على قدسيته وضمان اداء وظيفته على خير وجه ، فالزواج عهد وميثاق قال تعالى . « وأخذن منكم ميثاقا غليظا » وفي ذلك اشارة الى أن النساء أخذن من الرجال ميثاقا عظيما هو ميثاق الزواج ، وعهد الاخلاص والوفاء يلتزم بهما كل من الطرفين ، ويؤدى كل طرف منهما ما يجب عليه نحو الآخر من المعاشرة بالمعروف على أساس المشاركة الفعلية بينهما ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر . « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وأى ميثاق وأى عهد أعظم من العهد الذى أخذه الله على الرجال للنساء عندما يوثق هذا الميثاق بقول . « والله على ما نقول وكيل » ..
وقد جعل الله تعالى الزواج من آياته العظيمة فقال تعالى . « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وقال « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » فلا غرابة بعد ذلك أن نعرف حرص الاسلام على سلامة الحياة الزوجية وترغيبه بالزواج والحض عليه، لأن الزواج سبيل الاعفاف وصيانة الرجال والنساء من حياة الفوضى والعبث والرذيلة ، وخلاص من القلق والاضطراب، وسبيل للاستقرار النفسي والاجتماعي .

ولكن الزواج قد يكون أو قد يصبح من أهم أسباب الفساد والفوضى الاجتماعية وعدم الاستقرار وخلق كثير من المشاكل الاجتماعية والخلقية والمفاسد الخطيرة ، وذلك عندما يساء استعماله ، اما عن جهل أو عن سوء نية .. فالرجل الذى يرى الزواج وسيلة لمتعة الجسد وقضاء الشهوة فقط دون اعتبار للمعانى الروحية والعاطفية والنفسية والاجتماعية والخلقية الكريمة يسىء الى هذا النظام الكريم باساءة استعماله ، فالذى يتخذ الزواج ستارا لمآرب شيطانية فيقدم على الزواج ممن يشتهيها قلبه ، وهو يضمر فى نفسه نية التوقيت والعزم على الطلاق بعد أن ينال غايته الدنيئة ، فحكمه حكم الزاني بل ان عمله هذا لهو أشد من الزنا فظاعة وخبثا وسوء عاقبة ، لانه يكون قد غرر بفتاة بريئة خدعها بعقد الزواج ثم رمى بها بعد أن ملت نفسه منها ، وتاقت لاخرى دون حساب لمصير هذه الفتاة ومستقبلها وسمعتها ، وسواء كان المقدم على الزواج قد أسر فى نفسه العزم على الطلاق بعد مدة معينة أم لم ينو ذلك ، فان التسرع بالطلاق واللجوء اليه لأتفه الاسباب يعتبر اخلالا بالميثاق الذى قطعه على نفسه بالوفاء والصدق والاخلاص وعبثا بنظام الزواج ، فالطلاق أبغض الحلال الى الله ولا يجوز اللجوء اليه الا عند الضرورة القصوى ، وعند تعذر أو عدم جدوى وسائل التفاهم وطرق التوفيق وازالة الخلاف .. فكم من أسرة تهدمت بتسرع الرجل بايقاع الطلاق على زوجته لاتفه الاسباب دون تقوى من الله أو حساب للنتائج الخطيرة التي تترتب على الطلاق فى مجال الفرد والاسرة والمجتمع والاخلاق ... فالطلاق انما شرعه الله للناس ليكون الحل المناسب عندما لايوجد حل سواه ، ولكن بعض الناس يسيئون استعمال هذا الحق فيستعملونه بغير حق اضرارا بالآخرين أو تحقيقا لشهوات حيوانية لا تعرف القناعة ولا المروءة ، فالرجل الشهواني الذى لاهم له الا التنقل من امرأة الى أخرى يسىء الى نفسه بتحطيم قواه وماله ، ويسيء الى المجتمع الذى يعيش فيه ويفسد على كثير من الاسر نظام حياتهم ، وأى انسان هذا المزواج المطلاق الذى لا تصفو عشرته ولا يأمنه صاحب ولا يحفظ عهدا ولا ميثاقا .

وان الاسلام الذى أباح الطلاق للضرورة أباح التعدد للضرورة كذلك ، وكم من الرجال وخاصة ممن أعطاهم الله بسطة

في الجسم والمال يسيئون استعمال التعدد، فيتخذونه وسيلة لاهوائهم دون مراعاة لنظام التعدد من شرط العدل وحسن المعاملة، فالظلم والطغيان والاعتداء على حقوق الغير حرام، وغير جائز وقوعه على أبعد الناس، فكيف يصح أن تعامل به الزوجة وهي أقرب الناس الى الرجل وفى الحديث الشريف « من كان له زوجتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » . فتعدد الزوجات انما أباحه الله لغايات اجتماعية واخلاقية سامية وقيده بقيود كفيلة بتحقيق المنافع الشخصية والاجتماعية الذى أبيح لاجلها.

فالتعدد مثلا هو الحل الوحيد المناسب عند وقوع الحروب الطاحنة والكوارث التى تقضي على كبير من الرجال، بحيث لو كان التعدد ممنوعا لادى الى حرمان كثير من النساء من الزوج والمعيل لعدم كفاية الرجال فى مثل هذه الحالات، كما أن هناك حالات عديدة تستوجب التعدد وتجعل اللجوء اليه افضل الحلول، وسبيلا للحيلولة دون حدوث كثير من المآسي والجرائم والحوادث الاخلاقية المؤسفة، وهذه أوروبا بعد الحربين العالميتين خير شاهد على ما حصل من فجور وفوضى أخلاقية لنقص الرجال وبقاء كثير من النساء بلا أزواج عرضة للرذائل وحبائل الشيطان.. واذا ظهرت بعض النتائج السيئة لنظام التعدد فى مجتمعنا، فهذه النتائج ليست من مساوىء النظام بل هي مساوىء الذين انحرفوا عن النظام، والذين أساءوا فهم واستعمال هذا الحق، فظلموا وقد أمروا بالعدل وجاروا وقد أمروا بالانصاف وحسن المعاملة، وفى مثل هذه الحالات يكون العيب من الناس المنحرفين لا من نظام التعدد نفسه .. فقد ورد أنه يأتي على الناس زمان يكون للخمسين القيم الواحد من الرجال، فما هو الحل غير التعدد فى مثل هذه الحالة ؟ . . .

وبعد هذا الاستعراض نخلص الى القول أن اساءة استعمال حق الزواج والطلاق والتعدد والانحراف عن المنهج الذى رسمه الله تعالى للناس فى أمور الزواج والطلاق والتعدد .. هو السبب فى حدوث كثير من المفاسد الاخلاقية والاجتماعية، وأن الدواء الوحيد هو العودة الى الدين الحق الى المنهج الرباني الذى شرعه لعباده . فيا أيها المسلمون رجوعا الى كتاب الله وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، ورجوعا الى دين الاسلام، دين الرحمة والخير والبر، دين العدالة والحرية والكرامة دين العقل والسلامة للبشرية دين المدنية الفاضلة الكريمة، فالاسلام مصباح الحياة وكوكب السعادة ومبعث الاطمئنان والاستقرار للبشرية، فبالاسلام نسعد ونبني حياتنا على أمتن القواعد وأفضل الاسس، وبالاسلام تستقر حياتنا وتستقيم أمورنا، ونحفظ أسرنا وأعراضنا وكرامتنا ومروءتنا، وبالاسلام نزدهر ونتقدم ونحقق الخير لانفسنا ولمجتمعنا وللبشرية جمعاء، فالاسلام ــ والاسلام وحده ــ دستور للحياة الحرة الكريمة المستقرة السعيدة .

فاللهم ردنا والمسلمين جميعا الى دينك ردا جميلا حميدا والحمد الله رب العالمين

هجرة & هجرة

كيف أصبحت الهجرة حراماً؟

لفضيلة مفتي الأردن
الشيخ عبد الله القلقيلي

رأينا فى العدد الثالث والعشرين من مجلة (الوعي الاسلامي) من السنة الثانية مقالا بعنوان (الهجرة والاسلام فى أميركا) ذكرنا بفتوى لنا سابقة بينا فيها حكم هجرة الفلسطينيين الذين شردهم عدوان اليهود عن فلسطين الى أميركا واستراليا وغيرهما من البلاد النائية التي ينقطعون فيها عن بلادهم ، ولا ترجى عودتهم اليها ، وذلك كما يهوى يهود اسرائيل ولذلك أنكرنا هذه الهجرة ، والسعي لتسهيلها الى تلك الأقطار النائية الشاسعة لأن تلك الهجرة اليها قاطعة لهم عن وطنهم بلا ريب .

وقد أرسلت فتوانا هذه اذ ذاك الى المسئولين كما نشرت فى الصحف ورأينا أنه ينبغي ألا يفتر الكتاب وعلماء الدين عن بيان ما فى الهجرة الى أميركا وغيرها من الأقطار المترامية من العار والاثم على الفلسطينيين وان عليهم أن يبقوا فى وطنهم أو حوله مرابطين وانهم اذا ما بقوا لأعدائهم فى وطنهم صامدين فانهم يكونون عند الله من المجاهدين ، وقد ذكر العلماء المتقدمون ان المرابطة التي تقوم على حفظ البلاد من استيلاء العدو المتربص بها ابتغاء مرضاة الله وإعلاء كلمة الله أفضل من المجاورة فى بيت الله الحرام ، وان هجرة هؤلاء الى البلاد النائية مثل أميركا واستراليا وانقطاعهم عن وطنهم حرام ومن أكبر الذنوب وأعظم الآثام من جهتين :

الأولى : ترك البلاد فريسة سائغة للأعداء الذين استولوا عليها معتدين غاصبين مع ان الدفاع عنها واخراج العدو منها انما يلزم أهل تلك البلاد أولا في حكم الشرع ، فاذا عجز أهل البلاد لزم غيرهم من المسلمين ، وذلك من حكم الجهاد . فان الجهاد لدفع الأعداء واعلاء كلمة الله فرض كفاية على كافة المسلمين، لكنه يتعين على أهل الوطن الذى يهاجمه العدو للاستيلاء عليه ، فاذا عجز أهله فعلى الذين يلونهم ولا يزال على هذا حتى يلزم المسلمين عامة . فمهاجرة أهل فلسطين الى حيث لا يكون في امكانهم دفع العدو عن أوطانهم ، والاعانة على ذلك انما هو بمنزلة الفرار من الزحف ، وافراغ البلاد للعدو والمعتدى . وقد جاء في الحديث الصحيح أن الفرار من الزحف هو (من السبع الموبقات) والموبقات هي المهلكات ، فتكون من الكبائر ، وقد يقال أين الزحف ؟ فنقول اننا ما نزال الآن في حرب مع اسرائيل ، وان من خطط الحرب الزحف ، فهو واقع لا محالة ، فمن يهاجر الى بلاد بعيدة لا يرجع منها فهو فار من الزحف .

والجهة الثانية : التي تجعل تلك الهجرة من الآثام ومن الذنوب العظام أن هؤلاء الذين يهاجرون الى مثل بلاد أميركا القاصية أو كندا أو استراليا يصيرون الى مواطن هناك لا أثر فيها للاسلام ، فلا يستطيعون أن يقيموا دينهم ، حيث لا تتيسر لهم فيها مساجد تقام فيها الجماعات والجمعات ولا الأعياد ، ولا يصلى على الجنازات ولا يجرى عليهم الضرورى الذى لا بد منه من أحكام الدين وليس من مقابر يدفنون فيها ولا امامة دينية يرجعون اليها ، أضف الى هذا اندماجهم في البيئات التي يعيشون فيها فينسون دينهم ويغلب عليهم أن يتركوا تعاليمه كما علمنا ، ولا سيما اذا تزوجوا من أهل تلك البلاد ، فلا يكون زواجهم حسب الشريعة الاسلامية ، ثم ان نسلهم غالبا لا يعرف دينا الا دين أهل البلاد التي هم فيها ، فينشأ أولادهم والعياذ بالله على الكفر والالحاد ، وتتزوج بناتهم غير المسلمين ، وحسب أولئك الذين ينتشرون في تلك البلاد أفرادا لا يجدون للاسلام فيها هاديا ولا منارا — حسب هؤلاء اثما أنهم يتركون في غير أمتهم عقبا وذرارى يتناسلون الى يوم القيامة على غير ملتهم يحملون أوزارهم واثمهم وعارهم ، وقد يكون منهم من يكون عدوا للاسلام يسعى لاستئصاله وقلع جذوره وتقطيع أوصاله وانهم لا يستطيعون أن يقولوا انهم ليسوا عن ذلك مسئولين ولا بآثامهم مأخوذون لأنهم غرسوا غرسا وأقاموا عقبا ونسلا يوقنون بأن ذلك مصيرهم قطعا اما من لا يكون مسئولا عن عقبه اذا تردى في الكفر واقترف الأثم فهو من يترك عقبه في بلد لا يقطع بأن نسله صائر فيه الى الكفر والاثم حتما ، ومثلهم في ذلك كمثل من يحبس انسانا في مكان يقطع بأنه ليس في ذلك المكان ما يمسك حياته فيه حتى يموت أفلا يكون مسئولا عنه دنيا وأخرى ؟ .

ونحن لا نرى أن الضرورة تبلغ بأحد أن يهاجر الى بلاد يضيع بهجرته اليها وطنه ودينه ، ويترك فيها ذرية بعيدة عن الاسلام الى يوم القيامة ، وكثير من هؤلاء الذين يهاجرون الى مثل تلك البلاد القاصية لا يبغون الا السعة والبسطة ، والمزيد من المال والثروة ، وما ذلك بالذى يسوغ أن يذهب المسلم الى بلاد يضيع فيها دينه ووطنه ، وينشأ على غير الاسلام نسله وعقبه ، ولا نرى الا أن مثل هذا ممن يؤثر الحياة الدنيا على

الأخرى ، ويستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير ، وما نرى الا أن هؤلاء مأواهم جهنم وبئس المصير .

وهذا ما جاء فى كتاب الله عز وجل مما يستبين منه حكم الهجرة من بلاد لا يستطيع المسلم أن يقيم دينه فيها قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (٩٧ ـ النساء) وهذه الآية نزلت فيمن كان فى مكة وقد تأخر عن اللحاق بالمسلمين الذين هاجروا الى المدينة امتثالا لأمر الله ، واستجابة لدعوة رسول الله ، وقد هاجر صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الهجرة اذ ذاك تحقيق للغرضين اللذين بيناهما آنفا ، وهما :

فرار المسلم بدينه اذا لم يكن قادرا على اقامته ، ولتعرضه للفتنة عن دينه بما كان يتعرض له من أذى المشركين وتعذيبهم حتى يؤدى ذلك اما الى القتل (١) أو الخروج عن الاسلام .

والغرض الآخر أن يكونوا عونا لأخوانهم الذين هاجروا الى المدينة فى قتال الكفار كما بينا .

وهذان الفرضان ما يزال تحقيقهما مطلوبا ، فان على الفلسطينيين ان كانوا مهاجرين فى بلاد بعيدة ان يهاجروا منها عائدين الى فلسطين ليساهموا فى القتال لخلاصها ، ويكونوا فى ذلك عونا لاخوانهم الذين يقاتلون ثم على كل مسلم مقيم فى بلاد لا يستطيع أن يقيم فيها دينه ويخشى أن يفقده أو يترك عقبا وذرية لا تعرف الاسلام وتدين بغير الاسلام ، عليه ان يهاجر فارا بدينه ، وهذا يفهم صريحا من الآية التي أوردناها آنفا ومن الأحاديث حديث السنن (انا برىء من مسلم بين مشركين) والمقصود أن يكون بين من لا يستطيع أن يقيم دينه بينهم ، فمن كان مقيما بين من لا يستطيع أن يقيم دينه بينهم فالنبى صلى الله عليه وسلم برىء منه .

ومما يؤيد رأينا فى الهجرة أى انها ما تزال واجبة فى بعض الأحيان ما جاء فى السنن من رواية معاوية (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » (٢) ومما يدل على أن الهجرة من فروض الاسلام وان من يقيم فى بلاد غير بلاد الاسلام ولا يستطيع أن يقيم دينه ليس من الاسلام فى شيء قوله تعالى « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (٣) .

وذلك ان المؤمنين كما جاء فى غير ما آية من الكتاب (٤) بعضهم أولياء بعض ، ينصر بعضهم بعضا ، وينصح بعضهم بعضا ، ويتآمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر . ففي الآية فى قوله تعالى : « ما لكم من ولايتهم من شيء » اسقاط هذه الولاية والغاؤها ، وهذه الولاية هي جماع حق الايمان فيكون ايمان الذين آمنوا ولم يهاجروا كأنه لم يعتد به ، فتكون الهجرة فرضا لازما وحقا محتوما .

وقد يقال ان فى مطلع هذا الكلام الحكم بتحريم الهجرة ، وههنا القول بأن الهجرة حق واجب ، وهذا تضارب فى الكلام ؟ فنقول اننا بينا من قبل أن الهجرة فى بدء الاسلام انما فرضت لفرضين ، وقصد بها الى غايتين احداهما : أن يتمكن المسلمون من اقامة دينهم ، والدعوة اليه ، وعبادة

البقية على ص ٨٦

---

(١) كمثل آل ياسر . (٢) الى آخر الزمان . (٣) ٧٢ الأنفال .

(٤) كما فى قوله عز وجل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (٧١ الأنفال) .

ما حكم

رسالة من مجمع البحوث بالأزهر

إلى السادة العلماء والباحثين في البلاد الإسلامية

التأمين بأنواعه المتعددة من النظم الوافدة الينا مع الاستعمار الغربي ، ولم يكن له وجود قبل ذلك في عصور ازدهار الفقه الاسلامي ، ولذلك لم يجد له المشتغلون بالفقه الاسلامي في عصورنا الحديثة احكاما تركها السابقون ، فالحقوه ببعض العقود التي تحدث عنها أئمتنا وحرموه . ونظرا لأن التأمين أصبح حقيقة واقعة تتوقف عليها كثير من المعاملات التجارية وغيرها فقد كثر التساؤل : ولماذا يكون حراما وليس فيه نص صريح كالربا مثلا ؟ . وكان من الضروري أن يعاد بحثه من جديد ، وتطلع المسلمون في كافة أقطارهم الى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ـ وهو يضم نخبة من خيرة العلماء في العالم الاسلامي ـ ليصدر فيه الحكم المناسب . وقد طرح الموضوع فعلا في المؤتمرات العلمية التي عقدها المجمع ، وتقدم بعض العلماء ببحوث يرون في نهايتها جواز التأمين بينما تمسك آخرون بحرمته .. ونظرا لخطورة الموضوع ولادراك القائمين على المجمع للامانة العلمية الملقاة على عاتقهم فقد رأوا ألا يقتصر البحث على دائرة العلماء في المجمع وقرروا « أن يتعرفوا على آراء المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية ـ بالقدر المستطاع ـ في الحكم الشرعي لانواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات تمهيدا لاصدار حكمه في هذا الموضوع »

ومن أجل هذا وجه الدكتور محمود حب الله الامين العام لمجمع البحوث رسالة الى علماء المسلمين بهذا الشأن . وبعث لنا بصورة من هذه الرسالة « لننشرها في صورة خطاب للسادة العلماء والمشتغلين بالبحث في مثل هذه المسائل ليفيدوا المجمع برأيهم في أقرب وقت مستطاع »

وادراكا منا لأهمية هذا الموضوع ، وبالتالي لهذه الرسالة ، نسارع بنشرها راجين ـ مع الامين العام للمجمع ـ أن تجد ما هي جديرة به من عناية لدى المهتمين بهذه الدراسات ،حتى يتمكن المجمع من اصدار حكم ينتظره المسلمون جميعا في هذا الموضوع .

ونرحب من جانبنا بفتح باب المناقشة العلمية على صفحات الوعي الاسلامي

السيد /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

فان التأمين الذى تقوم به الشركات التجارية نشأ بين الأمم الاوربية من زمن بعيد ، وظهرت بعض أنواع منه في بعض الاقطار الاسلامية في أواخر النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري ، ثم تكاثرت أنواعه وانتشرت شركاته في الاقطار الاسلامية .

التأمين؟

والتأمين الذى تقوم به الشركات هو الذي يطلق عليه رجال القانون ورجال الاقتصاد اسم التأمين الخاص فى مقابلة التأمين التعاوني والاجتماعي ، وأنواع التأمين الخاص كثيرة جدا .

ونظرا لكثرة أنواعه واختلاف المخاطر التي يواجهها كالموت والشيخوخة والعجز والحوادث الجسمية والمادية والحريق والاختلاس والسرقة وغيرها وقع اختلاف فى تعريفه .

فرجال القانون يقولون أنه عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى المستأمن ، أو الى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال ، أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالي آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المستأمن للمؤمن .

ورغبة من رجال الاقتصاد فى بيان أن المخاطرة فيه ليست ذات شأن ارتضوا القول بأنه عملية يحصل بها المستأمن على تعهد لصالحه أو لصالح غيره ، بأن يدفع له المؤمن عوضا ماليا فى حالة تحقق خطر معين ، وذلك فى نظير مقابل مالي هو القسط ، وتنبنى هذه العملية على تحمل المؤمن تبعة مجموعة من المخاطر باجراء المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء .

والجميع يقسمون هذا التأمين الخاص الى الاقسام الآتية :

أولا : التأمين على الاشخاص

والتأمين على الاشخاص عقد يتعلق بشخص المستأمن هدفه منه تأمين نفسه ، أو تأمين المستفيد من نتائج الاخطار التي تهدد حياته أو سلامة جسمه أو صحته أو قدرته على العمل .

وهو تأمين لا يقوم على تعويض الضرر ، بل يستولي المستأمن ، أو المستفيد على مقدار التأمين المتفق عليه بأكمله اذا تحقق الخطر الذى كان التأمين من أجله من غير نظر الى قيمة الضرر الذى أصابه ولا الى حصول ضرر أو عدم حصوله . وهو تأمين من الاصابات ، وتأمين على الحياة .

أ ـ التأمين من الاصابات

هو تأمين مما يصيب الانسان لسبب خارجي مفاجىء فيؤدى بحياته أو يصيبه فى جسمه ، كأن يموت فى حادث مفاجىء أو يصاب بما يسبب عجزه عن العمل . ويستحق المستفيد أو المستأمن مبلغ التأمين متى تحقق هذا الخطر .

ب ـ التأمين على الحياة :

عقد يلتزم به المؤمن ـ مقابل أقساط ـ بأن يدفع للمستأمن أو لشخص ثالث مقدارا من المال اذا مات المستأمن ، أو اذا بقى حيا بعد مضي مدة معينة ، والتأمين

قد يكون مقدارا من المال يدفع لمستحقه دفعة واحدة ، وقد يكون ايرادا مرتبا مدى حياة المستحق ، طبقا لما يقع عليه الاتفاق .

واذا كان التأمين ، على الحياة مؤقتا بمدة معينة ولم يمت المستأمن خلال هذه المدة برئت ذمة المؤمن وضاعت على المستأمن الاقساط التي أداها اليه .

واذا كان التأمين على الحياة غير مؤقت بمدة وكان لمصلحة ثالث ومات هذا المستفيد قبل المستأمن برئت ذمة المؤمن وضاع على المستأمن ما دفعه من الاقساط غير أنه لا يطالب بشيء من الاقساط الباقية ان وجدت .

واذا كان التأمين واردا على أن يدفع مقداره في وقت معين وبقي حيا الى هذا الوقت استحق المستفيد مقدار هذا التأمين ، واذا مات قبل هذا الوقت انتهى عقد التأمين وبرئت ذمة المؤمن وضاعت الاقساط .

وللتأمين على الحياة صور أخرى يمكن الوقوف عليها من المؤلفات القانونية والمؤلفات الاقتصادية .

ثانيا ـ التأمين على الاشياء

التأمين على الاشياء هدفه تأمين المستأمن من ضرر يصيب ماله بطريق مباشرة وقد يكون محل التأمين عينا معينة بذاتها ، وقد تكون العين نوع محل التأمين لا ذاته ، كالتأمين على أي بضاعة أو أية أمتعة توجد في مكان بعينه ، وكالتأمين من السرقة أو الضياع على ما يحصل الصيارفة من النقود .

وعقد التأمين على الاشياء لا يظهر فيه سوى شخصين ، هما المؤمن والمستأمن ، وهو في هذا كالتأمين على الاشخاص ، وفي هذا العقد يعين عادة حد أقصى من النقود يقع عليه التأمين .

وهذا العقد ليس مصدرا لاثراء المستأمن ، ويقتصر أثره على تعويضه في حدود الضرر الذي لحقه ، وهو لا يستحق الا أقل القيمتين ، مبلغ التأمين ، وقيمة الضرر . حتى لو فرض أنه تعدد منه التأمين على هذه الاشياء لدى جهات تأمين مختلفة . وهذا التأمين قد يكون تأمينا من السرقة ، أو التبديد ، أو الخيانة ، وقد يكون تأمينا لكفالة الوفاء بدين المستأمن على غيره ، أو لوقايته من أعسار مدينه ، وقد يكون تأمينا من تلف المزروعات أو هلاك الماشية ، وقد يكون تأمينا من الحريق ، وهو أهم أنواع التأمين على الاشياء ، وله أحكامه الكثيرة المفصلة في المؤلفات والموجزة في عقود التأمين ، وهي في العادة تسري في سائر أنواع التأمين على الاشياء .

ثالثا ـ التأمين على المسئولية

هو عقد يلتزم به المؤمن للمستأمن بتحمل الضرر الذي يلحقه من جراء رجوع الغير عليه بالمسئولية المالية » فهو عقد يظهر ثلاثة أشخاص ، هم المؤمن والمستأمن وصاحب المسئولية ، ولهذا التأمين صفة الضرر كالتأمين على الاشياء ، والتأمين من المسئولية قد يكون تأمينا من خطر معين ، وهو تأمين على قيمة مقدرة ، أو قابلة للتقدير ، ويكون ذلك في التأمين من المسئولية عن شيء معين في يد غير مالكه الذي يكون مسئولا أمام مالكه عن قيمته ، كمسئولية المستأجر عن حريق العين المستأجرة ، ومسئولية أمين النقل عن البضائع التي ينقلها .

وقد يكون تأمينا من خطر غير معين ، كمسئولية حوادث العمل ، وحوادث النقل ، وحوادث السيارات .

واذا كان التأمين قد حدد بمبلغ معين لا يكون المؤمن ضامنا للمسئولية الا في حدود هذا المبلغ ، واذا كان غير محدد بمبلغ معين يكون المؤمن ضامنا للمسئولية أيا كان مقدارها .

هذه هى أهم أنواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات التجارية ، وهـذه هى طبيعتها التى تكفى لابداء وجهة النظر الاسلامية فيها . ومن اراد التوسع والوقوف على التفصيلات أمكنه الرجوع الى ما ألف فى موضوع التأمين باللغة العربية وغيرها .

ومنذ أن ظهر التأمين فى الاقطار الاسلامية تناوله بعض المؤلفين ورجال الفقـه الاسلامى ، وكلما ازداد انتشار شركاته واتسعت الدعاية له كثر الخوض فيه فتناوله العلماء وغيرهم فرادى وفى بعض الهيئات ، واختلفت آراؤهم فيه اختلافا بينا .

فمنهم من لم يجزه أصلا،محاولا تطبيق أحكام العقود المعروفة فى الفقه الاسلامى، ومنهم من : أجاز التأمين بجميع أنواعه ، ومنهم من أجاز بعض انواعـه دون البعض الآخر .

وقد أثيرت فى بحوث الباحثين على اختلافهم المسائل الفقهية الآتية :

*** جواز احداث عقود غير العقود المعروفة فى صدر الاسلام أو عدم جوازه .**

*** تطبيق احكام الضمان والكفالة على التأمين أو عدم تطبيقها .**

*** احكام الجهالة والغرور والقمار والمراهنة .**

*** هل فى التأمين أكل لاموال الناس بالباطل أم لا ؟**

*** هل فى بعض انواعها ربا أو شبهة الربا أو هو خلو من ذلك ؟**

*** هل يمكن أن يطبق على التأمين احكام عقد العرف أو لا ؟**

*** هل فيه اعانة للشركات على الاستغلال المحرم أو لا ؟ واذا كانت فيه هذه الاعانة هل تبطله شرعا أو لا ؟**

*** هل فيه غبن مبطل أو لا ؟**

*** هل فى اباحته للمسلمين ابطال لمقوماتهم وخصائصهم الدينية بدون حـاجة اليه أو ليس فيها شيء من ذلك ؟**

*** هل يصح الاستناد فى اباحته الى العرف والضرورة الاجتماعية أو لا يصح ؟**

الى غير ذلك من المسائل الفقهية التى دعا اليها التوسع فى البحث .

وقد عرض بحث فى موضوع التأمين بجميع انواعه فى المؤتمر الثانى لمجمـــع البحوث الاسلامية بالازهر ، فقرر المؤتمر الاستمرار فى دراسة أنواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات ، بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة الاسلامية والخبـراء الاقتصاديين والقانونيين والاجتماعيين .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، اذ تضع أمامكم هذه الخلاصة لمسائل التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات ، ترجو موافاتها برأيكم — فى أقـرب فرصة ممكنة — فى المشكلات التى يثيرها هذا النوع من التأمين ، وفى الحكم الشرعى الخاص بهـا .

وذلك تنفيذا منها لقرار مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، الذى يقضى بالوقوف على آراء علماء المسلمين فى جميع الأقطار الاسلامية بالقدر المستطاع قبل اصدار الحكم فى هذا النوع من التأمين .

والله الموفق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الامين العام

لمجمع البحوث الاسلامية

دكتور محمود حب الله

هذا بلاغ

مالكم لا تناصرون؟

تقدمت الدنيا ولم تتقدموا ولا عذر الا أنكم لم تصمموا
اليكم بنى الاسلام أهدى نصيحتى وقلبي عليكم بالأسى يتضرم
أفيقوا ، أفيقوا ، لا مجال لخامل ولا سبق الا للذى يتقحم
أفيقوا فقد لاح الصباح لناظر وهبوا اليه طالما قد رقدتمو
سواكم علا فوق الصواريخ للسها ومعظمكم فوق الأسرة يحلم
إذا قسم الذرات قوم فانني أراكم قسمتم جمعكم واختصمتمو
وان جد في نيل المعارف باحث بحثتم عن اللذات ثم انغمستم
أليس لكم قلب يفيء لربه ؟ أليس لكم عين ؟ أليس لكم فم ؟
حياة الورى جد ، وأما حياتكم فهانت على أندادكم حين هنتم

***

عجبت لقوم آمنوا ثم بدلوا ولاح الهدى فيهم ، ولكنهم عموا
اباحية عمت وعجمة ألسن تفشت ، والحاد كريه مذمم
وحق مضاع بين راش ومرتش وتمزيق أعراض ، وفحش ، ومأثم
وتقبيح معروف ، وتزيين منكر وشح مطاع ، وابتداع محكم
وتقديس غرب ، وازدراء عروبة وحجتكم فيه الأذى والتهجم
فأما اتباع الغي فهو محلل !! وأما اتباع الرشد فهو محرم

« نفثات شاعر مسلم أصيل ، فيها قسوة ، ولكنها مع الأسف بعض الحقيقة وما أشد حاجتنا الى ان نقسو على انفسنا ، ونفتش على عيوبنا لنتخلص منها » .

« الوعي »

للاستاذ علي عبد العظيم

وأما حضارات الأوالــى فخدعــة ... فما مَجدهم الا رفات وأعظم

تخلى عن الدين القويم حماتُه ... فناوشه أعداؤه وتهضموا

كأن لم يعد في الشرق قلب موحد ... ولم يبق في ظهر البسيطة مسلم

***

فيا معشر الاسلام جد خصومكم ... وأنتم على الأحلام واللهو حُوَّم

أرى الجمر من تحت الرماد ، فأطفئوا ... لظاه وشيكا قبلما يتضرم

ظفرتم بالاستقلال بعد جهادكم ... ولكن الاستغراب يطغى عليكم

يدب اليكم في الدجى متسللا ... كما انساب في جنح الدجنة أرقم

عصفتم بالاستعمار فارتد خاسئا ... وتأثيره فيكم مقيم مخيم

فهل وثبة أخرى تطهر رجسه ... وهل نهضة أخرى إلى المجد تسلم ؟

أيهدأ بال المسلمين وينعم ... وفي كل بيت من فلسطين مأتم ؟ !

تشرد أهلوها وزال حماتها ... فما خلفهم الا يتيم وأيِّم

أنبصر أقدام الطغاة تدوسها ... ونصفح عن رجس الطغاة ونحلم ؟ ؟

أنسلمها للجوع يمحو كيانها ... ومعظمنا من وفرة الزاد مُتُخَم ؟

أنترك ذؤبان اليهود تنوشها ... ونحن بلذات المنى نتنعم ؟ ؟

أنسمعها تشكو المذلة والأسى ... ونحن بألحان الهوى نترنم ؟ ؟

إذا سألت عونا سخونا ببـــذلـــه — وما عوننا الا الأسى والتنـــــدم

ومؤتمرات حافلات نقيمهـــــــا — ونشرب فيها ما يلــذ ونَطعَـــم

ونحتج حينا ثم نسخط تـــــــارة — وننشر آيات الوعيد ونظـــــم

ونمضى ويمضى المعتدون لشـأنهـم — سواء لديهم من رضُوا أو تبرمـــوا

فما ردهم عن افكهـم متبســـم — ولا صدهم عن بغيهـم متجهـــم

وما أنقذ القول المنمقُ أمـــة — وحررها ، لكن يحررها الـــدم

***

أننعم بالسلم الرخيص وقد دهـــا — فلسطين مايدمى القلوب ويؤلـــم ؟

أليس بآفاق العروبــة باشــــق ؟ — أليس بغابات المشارق ضيغـــم ؟ ؟

ألم يبق أوس آخرون وخـــزرج ؟؟ — ألم يبق للاسلام جيش عرمـــــرم

ألم يبق حـــر مرهف العزم صادق ؟؟ — ألم يبق شرقي ؟ ألم يبق مسلـــم ؟

أحشد من الأوغاد يفرض نفســـه — على مائتي ضعف ويطغى عليهـمو ؟

فأين صلاح الدين ؟ أين كماتــــه ؟ — وأين ظباه ؟ والوشيج المقـــوّم ؟

وأين حماة بايعوا ثم جاهــــدوا — وأين أباة عاهدوا ثم أبرمـــــوا

فهل أصبحوا مثل الأساطير بيننـــا — وبادوا كما بادت ثمود وجرهـــم ؟

***

أتقضى فلسطين الأسيفة نحبهـــا ؟ ؟ — وما انهار رضوى أو تهاوى المقطـم

أغاية ما نبدى من الجهـد أننـــا — نسب طواغيت اليهود ونشـــتم ؟

إذا اتسموا باللؤم والغدر فالــــذى — يهاذنهم منا اخـس وألأم ! !

وما يفنون الشتم نهزم خصمنـــا — ولكننا بالبأس والعزم نهـــزم

وبالهول — لابالقول — يبصر أكـمه — ويشعر جلمود ، وينطــق أبكـــم

إذا القول لم يحسم قضية أمـــة — فان الصواريخ الرهيبة تحســـم

فيا أمــة الاســلام ان شئت عـــزة — فان كتـــاب الله هـــاد مقـــــوم

وليس لكم وال ســـواه يعـزكم — ويحفظـــكم من كل ســـوء ويعصم

ففيـــه صفاء للقلـــوب ورحمـــة … وفيـــه شفاء للصـــدور وبلسـم
فما هــو أنغام ولا هــو أحـــرف … ولـكنـــه وحي الالــه المترجـــم
وليس بـــأوراد ولا بتمـــائـم … ولـكنـــه عهـــد من الله محـــكم
كأن قلـــوب المؤمنـــين حيــاله … سماء ، وآيات التـــلاوة أنجـــم

***

عجبت له أعيــا الورى وهو واضـح … وهزت معانيــه النهى وهو مفحـــم
تحـــداه أعلام الكـــلام فأخفقـــوا … وحاولـــــه أهل البيـــان فأعجمـــوا
وكم شاء قوم نقضــه فتناقضـــوا … وكم رام قـــوم هدمـــه فتهدموا
وكم أزمـــع الفجـــار طمس بيانــه … وآلـــوا على تحطيمـــه فتحطمــــوا
سواء لديـــه حاكـــم ورعيـــة … وسيان فيـــه ذو ثـــراء ومعــــدم
فما زكـــت الانسان فيـــه أصولـــه … ولـــكن يزكيـــه التقى والتأثــــم
صحائـــف دستور جــلاه (محمد) … لأمتـــه ، والله نعـــم المنظـــم
قوانينـــه شـــورى وسلطـــانه هـــدى … وغايتـــه فضـــل مشاع مقســـم
فـــي كل عصـــر من معانيه نفحــة … وفي كل اقلـــيم من الخلـــد ميسم
تزول الرواســـى وهو باق مخلـــد … وتنصـــرم الدنيا . ولا يتصــــرم
يظـــل شبابا خالـــدا متألقـــا … وكل الـــذى فوق البسيطـــة يهـــرم

***

فيا قـــوم عودوا للكفـــاح وصمموا … فلن يبلـــغ الغايـــات الا المصمـــم
اعيدوا مقاليـــد العـــلا لنصابهـــا … وهبـــوا لادراك الذرى وتسنموا
قسوت عليـــكم في النصيحـــة عامدا … واني لأحـــنى ما أكـــون وأرحـــم
ولى أمل فيـــكم كبير لعلـــه … بفضـــل تساميـــكم له يتجســـم
لقد بدأ الاســـلاف تأسيس مجدكـم … وحق عليـــكم بعدهـــم أن تتمموا
حبوكم باثـــآر عظام جليلـــة … واني لأرجـــوكم لما هو أعظـــم

حاجتنا إلى الإيمان

للشيخ يوسف القرضاوى
شيخ معهد قطر الديني

ان قضية الايمان ليست أمرا على هامش الوجود ، يجوز لنا أن نغفله او نستخف به ، أو ندعه فى زوايا النسيان. كيف وهي أمر يتعلق بوجود الانسان ومصيره ؟ وانها سعادة الابد او شقوته . انها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا .

فكان لزاما على كل ذى عقل أن يفكر فيها ويطمئن الى حقيقتها .

وقد فكر الكثيرون من أولى الالباب ، وانتهى كل منهم الى اثبات العقيدة فى الله بطريقه الخاص . فمنهم من استند الى صوت الفطرة فى أعماقه « أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ » « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

ومنهم من اعتمد على مبدأ «السببية» الذى يقرر ان كل صنعة لا بد لها من صانع ، وكل حادث لا بد له من محدث ، وكل حركة لا بد لها من محرك ، وكل نظام لا بد ان يكون وراءه منظم ، وهذا المبدأ ثابت ثبوت الاوليات البديهية فى العقول .

ومنهم من ناقش المسألة مناقشة حسابية رياضية ، فانتهى الى ان الاضمن والآمن لحياته وما بعد حياته ان يؤمن بالله وبالآخرة والبعث والجزاء ، وفى مثل هذا يقول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تبعث الاموات،قلت : اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما

وقال الفيلسوف الرياضي « باسكال » :

« اما أن تعتقد أن الله موجود أولا تعتقد ذلك ، فماذا تختار ؟ ان عقلك لعاجز كل العجز عن أن يختار . وانها للعبة جارية بينك وبين الطبيعة ، رمى فيها كل منكما بسهمه ، ولا بد أن يربح أحد السهمين . فوازن كل ما يمكن ان تربح ، وما يمكن أن تخسر . اذا راهنت بكل ما تملك على ظهور السهم الاول (أى على وجود الله) فاذا كسبت الرهان فقد حصلت على سعادة أبدية ، واذا أخفقت فسوف لا تفقد شيئا مهما . فلست تخاطر الا بشيء فان ؛ وكل غرم فان ــ ولو كان محقق الوقوع ــ متحمل ومعقول » .

ونحن نقول ــ تنزلا مع هذا المنطق : ان الذى يؤمن بالله والدار الآخــرة ، لا يخاطر بدنياه الفانية ليربح آخرتــه الباقية . كلا ، انه بايمانه يربح الحياتين معا ، ويفوز بالحسنيين فى الدنيا والآخرة جميعا ، « مــن كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » « للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنــة ولدار الآخرة خير » .

ان العبادات التى فرضها الدين انما هي وسائل لتزكية نفس المؤمن ، وترقية روحه ، وما أقل ما يبذل فيها من جهد ، الى جنب ما يكسب وراءها من خير .

وان المحرمات التــى حظرها عليــه الدين ، انما صان بتحريمها عقله وخلقه ، ونفســه وماله ، وعرضه ونسله ، فهو انما « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحــرم عليهــم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » .

والدين اذا حرم على الناس شيئــا عوضهم ما هو خير منه ، مما لا يشتمل على مفسدة الشيء المحرم .

ان المؤمن لم يخسر شيئا بعبادته لله سبحانه ، واتقائه ما حرم الله عليــه ، وانما ربح الهدى والاستقامة على الحق ، والثبات على الخير ، والاستعلاء عــلى الشهوات ، وربح بعد ذلك هدوء النفس، وطمأنينة الحياة .

وفى عصرنا هذا أصبح الناس يجرون وراء المنفعة لاهثين ، حتى ان كثيرا منهم ليرون الحق فيما ينفعهم ، لا فيما يطابق الواقــع . أو ما تقوم البراهين عــلى صحته .

وقد قام مذهب برأسه ينادى بــأن المنفعة مقياس الحقيقة ، ويصر على أن المهم من كل شيء هو نتائجه ، وما يترتب عليه من آثار فى حياتنا العملية . وعلى أن الصدق ليس هــو مطابقة الخــبر للواقع ، بل انسجامه مع ما سيقع . وهكــذا ، فكــل شيء يحكم عليه بمــا يتبعه من نتائج ، فان كانت هذه النتائج متناسبة مع أغراضنا ، ومع ما نريد من مقدماتها كانت خيرا وصدقا وحقا . وان كانت غير ذلك كانت شرا وكذبا وباطلا . ولا يوصف الفعل بحسن ولا قبح ، ولا يوصف القول بالصدق والكذب ، حتى تعرف ثمرته .

هــذا هــو مذهب البراجماتزم ، أو مذهب المنفعة ، الذى يدعو اليه « وليم جيمس » وغيره .

ونحــن لا نخشى هــذا المذهب عــلى عقيدتنا وان كنا لا نوافق عليه فى الجملة ــ فاننا نوقن أن أنفع شيء للناس هو الحق ، وأضر شيء بالناس هو الباطل ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للحــق بالماء السائل ، والمعدن النافع ، وللباطل بالزبد الرابى على وجه الماء حين يسيل به الوادى ، أو بالرغوة المتنفخة على وجــه المعدن ، حين يوقد عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع . ثم قال تعالى معقبا على هذا التمثيل « كذلك يضرب الله الحق والباطل فأمــا الزبــد فيذهب جفــاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال » .

والذى يمكث فى الارض هو « الحق »، وهو الذى عبر عنه القرآن بـ « ما ينفع الناس » لأنه ينفعهم ماديا ومعنــويا ، ينفعهم أجساما وعقولا وقلوبا ، وينفعهم أفرادا وجماعات، وينفعهم دنيا وآخرة .

اننا اذا وافقنا على اعتبار المنفعة فى الجملة ، فاننا نختلف مع الماديين فى قياس المنفعة ، وتحديد نوعها ومداها . نحن لا نقيس المنفعة بالكــم وبالمادة فحسب ، ولا نعتبر المنفعة الفردية وحدها ، بــل ندخل فى اعتبارنا الكم والكيف ، والمادة والروح ، والفرد والمجتمع جميعا .

بل نحن لا نقصر المنفعة على الحياة العاجلة هنا ، بل نضع فى حسابنا دائما الحياة الآخرة ، حياة الخلود التى أعدت للانسان ، وأعد لها الانسان .

أجل . لو أننا احتكمنا الى مقياس المنفعة وحدها ، ورضينا منطق الذين لا يعتقدون فكرة الا المصلحة ، لوجدنا الدين – مع هذا – ثقيل الميزان ، مبين السلطان .

فقد أثبت التاريخ والاستقراء لحياة البشر ان الدين ضرورة لا غنى عنها .. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك .

والفرد بغير دين ولا ايمان ، ريشة فى مهب الريح ، لا تستقر على وضع ولا تثبت على حال ، انسان ليس له قيمة ولا جذور ولا أعماق ، انسان حائر قلق ، لا يعرف حقيقة نفسه ، ولا سر وجوده ، لا يدرى من جاء به الى هذه الحياة ولا لماذا جيء به اليها :

والمجتمع بغير دين ولا ايمان ، مجتمع غابة – وان لمعت فيه بوارق الحضارة – الحياة والبقاء فيه للأشد والاقوى ، لا للأفضل ولا للأتقى .. مجتمع تعاسة وشقاء ، وان زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم ، مجتمع تافه رخيص لأن غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج ، فهم « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام » .

ماذا حقق التقدم المادى

و « العلم » المادى – وان امتد رواقه ، وانفسحت ميادينه – ليس بمستطيع أن يحقق الطمأنينة والسعادة للناس ، لأن العلم انما يرقى بالجانب المادى للحياة ، فيختصر الشقة البعيدة ، والزمن الطويل الى مدة أقصر ، ولهذا سموا عصرنا هذا « عصر السرعة » أو « عصر التغلب على المسافات » .

ولكن هل يستطيع أحد ان يسميه عصر « الفضيلة » أو « عصر الطمأنينة » أو « عصر السعادة » للبشر ؟

ان العلم هيأ للانسان الحديث وسائل الحياة ، ولكنه لم يهده الى غاياتها ، انه زين له ظاهرها ،ولكنه لم يصله بأعماقها، وما أتعس الانسان اذا أغرقته الوسائل ، فذهل عن الغايات . واذا شغل بالسطح عن القاع ، وبالقشر عن اللباب !!

العلم المادى أعطى الانسان أدوات كثيرة ، ولكنه لم يعطه « قيمة » كبيرة ، أو « هدفا » رفيعا ، يحيا له ، ويموت عليه .

ذلك ان هذه ليست من وظيفة العلم ، وليست من اختصاصه . وانما ذلك من اختصاص الدين .

ولقد رأينا من المفكرين والفلاسفة من لا يؤمنون بالله ، ولكنهم يؤمنون بالايمان بالله ، أى يعتقدون فى نفع هذا الايمان ، باعتباره قوة هادية موجهة ، وقوة مؤثرة دافعة ، وقوة منشئة خلاقة .

لم يستطع هؤلاء أن يجحدوا ما للايمان بالله من طيب الاثر فى نفس الفرد ، وفى حياة المجتمع ، فقال بعضهم: « لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا ان نخلقه !! » أى نخترع للناس الها يؤمنون به ، ويلتمسون رضاه ، ويخافون حسابه حتى ترتدع الانفس الشريرة ، وتستقيم أخلاق الجماهير .

وقال آخر : لم تشككون فى الله ؟ ولولاه لخانتنى زوجتى ، وسرقني خادمي .

ونحن لا نوافق على منطق هؤلاء فى عمومه ، فان الحق أحق أن يتبع مهما تكن نتيجته ، والاباطيل يجب ان تطارد كيفما كانت العاقبة ، ولكن الذى يعنينا من قول هؤلاء ــ وهم خصوم الدين وأعداء الايمان ــ أن أثر الدين والايمان فى النفس والحياة لا يمكن أن يكابر فيه انسان .

ان الحقيقة يجب أن تحترم لذاتها ، وان لم تجلب نفعا ، أو تدفع ضررا ، فكيف اذا كان من ورائها أعظم المنافع وأطيب الثمرات ؟ .

ووجود الله تعالى وتفرده بالسلطان والتدبير واستحقاق العبادة . وبعثة النبيين وصدق ما أخبروا به عن الحياة الآخرة ــ كل هذا حق قامت الادلة على صدقه وثبوته ، والايمان به واجب ، لأنه حق . ومع أنه حق ، فقد نيط به صلاح الظاهر والباطن ، ورقى الفرد والمجتمع ، وسعادة الدنيا والآخرة .

ونحن حين نتحدث عن ثمرات الايمان، انما نعنى الايمان القوى الدافق . الايمان حين يبلغ مداه ، ويشرق على القلوب سناه ، ويخطر فى أعماق النفوس مجراه .. لا نتحدث عن الايمان الضعيف المزعزع ، الايمان المخدر النائم انما نتحدث عن الايمان الحي اليقظ ، القادر على التوجيه والتأثير .

ولا يضيرنا أن أصحاب هذا الايمان قليلون . فاننا نناقش هنا الماديين الذين يشككون فى قيمة الايمان . وحسبنا أن يعلم الشاكون والمشككون أن الايمان الذى يحاربونه كلما زاد عمقه فى القلوب ، وسلطانه على النفوس، ازداد أثره المبارك فى حياة الافراد والجماعات .

مفتاح الشخصية الاسلامية

واذا كان هذا أثر الايمان عموما ، فان الايمان الاسلامي ــ خصوصا ــ أكثر نفعا ، وأطيب ثمرا ، فان الايمان فى الاديان الاخرى قد علق به ما شابه ، وكدر صفاءه ، وربما أمكن أن يؤخذ من تعاليم بعض الاديان او من سلوك رجالها : أنها عدو للحياة أو أفيون للشعوب . كما زعم كارل ماركس اليهودى ، وتلقفها تلامذته ، فرددوها دون بصر ولا تمييز فان الدين هنا غير الدين هناك، والمجتمع هنا غير المجتمع هناك .

ان عقيدة الاسلام عقيدة تتسع للروح والمادة ، والحق والقوة ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة . انها عقيدة التوحيد التى تفرس فى الناس الكرامة والحرية ، وتجعل الخضوع لغير الله كفرا وفسقا وظلما ، وتأبى على الناس ان يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

واذا كان للدين وللايمان هذا الاثر فى كل بلاد الدنيا ، فان أثره أعمق ، وضرورته أعظم فى بلادنا الاسلامية والعربية خاصة .

ان لكل قفل محكم أصيل مفتاحا معينا ، مهما تحاول فتحه بغيره ، كانت محاولاتك عبثا لا فائدة منه ، ولا طائل تحته الا اضاعة الوقت والجهد فى تجارب فاشلة .

ومفتاح الشخصية الاسلامية والعربية على وجه خاص هو الدين ، هو الايمان هو عقيدة الاسلام .

ومهما نحاول أن نذكى هذه الشخصية ، وأن نفجر طاقاتها المكنونة ، بغير مفتاحها الاصيل - وهو الدين - فاننا نحاول عبثا ، كمن يبنى على الماء ، او يكتب فى الهواء .

بعقيدة الاسلام انطلق العرب من جزيرتهم ، يخرجون العالم من الظلمات الى النور ، ويؤدبون بسيوفهم الاكاسرة والقياصرة ، وكل من صعر خده من الجبابرة .

وبعقيدة الاسلام انتصرت امتنا العربية على أوربا ، وقد جاءت بقضها وقضيضها فى تسع حملات صليبية ، تريد ان تلتهم الاخضر واليابس ، فى هذا الشرق المسلم .

وبعقيدة الاسلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق ((كالريح العقيم ، ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)) وكادوا يدمرون الحضارة الانسانية كلها ، لولا ان قيض الله لهم من مسلمي مصر والشام من ردهم على أعقابهم ، وهزموهم باذن الله فى ((عين جالوت)) وكان مفتاح النصر صيحة أطلقها القائد المملوكي ((قطز)) فهزت المشاعر واستثارت العزائم ، وأيقظت الهمم ، وهبت بها على المقاتلين نسمات الجنة . تلك هي الصيحة التاريخية ((وا اسلاماه))، الا أن كل عمل أو قول يزعزع الدين والايمان فى نفوسنا انما هو عمل يؤدى الى اضعاف كياننا ، ومقومات حياتنا ، وجذور نهضتنا .

((نحن قوم مؤمنون)) وهذا الايمان هو أساس شخصيتنا ، وسر قوتنا ، ورافع رايتنا . هو سر مجدنا فى الماضي ، وباعث انتفاضتنا فى الحاضر . ومناط آمالنا فى المستقبل .

((نحن قوم مؤمنون)) وهذه قضية بدهية ، يجب أن يلتقى على حمايتها وتثبيتها واشاعتها: قلم الكاتب، ولسان الخطيب ، وفكر الفيلسوف ، ووجدان الشاعر ، وريشة المصور ، وتقنين المشرع ، وسلطان الحاكم ، وقوة الجيش ، ورقابة الشعب .

يجب أن يرعاها الأب فى البيت ، والمعلم فى المدرسة ، والاستاذ فى المحاضرة ، والاديب فى القصة ، والصحفى فى الخبر ، والمؤلف فى الكتاب ، وكل ذى فن فى فنه .

ان كل ثغرة تفتح فى أى جانب من جوانب حياتنا الثقافية والفنية والعملية، لتصوب منها سهام الشك أو الجحود الى صدر الايمان ، تعد خيانة عظمى لأمتنا ، وخروجا سافرا على مبادئها ، ومروقا من صفوفها ، وانضماما الى ألد أعدائها ، وتعويقا لما يبذل من جهد ايجابي بناء فى سبيل النهوض السليم بها .

((وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) .

الإسلام والفن

للأستاذ محمد رجب البيلى

ان الله جميل يحب الجمال ، اختار سبحانه أجمل المخلوقات الا وهو الانسان ، واصطفاه ، وجبله على حب كل شيء جميل ،وأحاطه بمظاهر الطبيعة من نبات وحيوان ، فأعجب بها ، وعكف على دراستها منذ وجد على ظهر البسيطة .. عكف على دراستها فى كهفه يتأمل ما تضفيه الشمس على الكون من أضواء بالنهار ، وما يسود الليل من ظلام تبدده أضواء النجوم المتلألئة ، وأشعة القمر الفضية ، وتتعاقب على الارض صور شتى نتيجة تعاقب هذه الاضواء والظلام ،فتبدو فى كل لحظة منها لوحة فنية رائعة ، تأثر بها الانسان الاول ، وأخذ يرسم ما يمر أمامه من تلك المناظر على جدران كهفه وآلات صيده فى وقت فراغه، ليجملها ،ويزينها، ويشبع ميله نحو الفن الجميل .

وساعدت العوامل المختلفة ــ منفردة أو مجتمعة ــ على تفوقه فى هذا الميدان سواء لاشباع نشاطه الحيوى أو غريزته التى أوحت اليه ، ليحاكي بالرسم ما يراه فى محيطه أو اعتقادا منه فى أن رسم الحيوان يقيده ، أو تكرار رسمه يكثره ، أو رسمه وقد اخترق السهم أحشاءه يسهل عليه صيده .

وقد خاف من الظواهر الطبيعية العنيفة كالبراكين الثائرة ، والعواصف المدمرة ، والبرق الذى يخطف الابصار ، وفكر فى استرضاء هذه الظواهر ، فلجأ الى الفن الجميل يستعين به على بلوغ مآربه ، فنحت التماثيل ، ورسم الصور والزخارف ، وتوارث هذا الفن جيلا بعد جيل حتى أصبح خلفه فنانا بطبعه.

الفن فى الديانات السابقة للاسلام

أ ــ الديانة المصرية القديمة والفن : ــ

انتفع الدين المصرى بآلهته ومعابده بالفنون الجميلة الى أبعد حد . فاعتقد المصرى بعودة الروح الى الجسد، فحافظ عليه من التلف والسرقة ، فحنط الاجسام ، وبنى لها أهراما ، كما نحت التماثيل حتى تهتدى الروح الى أصحابها فى الحياة الثانية ، بل أمد الروح بجميع رسوم ما كانت تحبه فى الحياة الدنيا .

ب ـ الفن عند اليونان : ـ

ولم يختلف الحال فى بلاد اليونـان القديمة عنه فى مصر الفرعونية ،وابتدعوا لأنفسهم آلهة تشرف على شؤونهم ، وترمز الى مثلهم العليا ، وتخيلوا هذه الآلهة على صـورة انسـان ، وأفرغوا جهدهم فى نحت تماثيل لها كانت أجمل وأروع ما أخرجته يد البشر .

ج ـ اليهودية والفن : ـ

جاءت الديانة اليهودية لتخرج الناس من ظلام الوثنية الى النور ، فحرمت الفنون الجميلة تحريما صريحا ، اذ جاء فى التوراة فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق ولا ما فى الأرض من تحت الأرض . ولا تسجد لهن ولا تعبدهن . لانى أنا الرب الهك اله غيور » .

د ـ المسيحية والفن : ـ

ظهر الدين المسيحى ، واعتنقه كثير من بنى اسرائيل ، ونفذوا تعاليم الدين الجديد ، وهو ترك الدنيا والتجـرد منها ، والانقطاع الى الآخرة والاقبال عليها . لعل خير ما يترجم عن دعوته قول السيد المسيح فى الاصحاح السادس من انجيل متى « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لانه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ، ويحتقر الآخر . لا يقدرون أن يخدموا الله والمال . لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولأجسادكم بما تلبسون » .

ومثل هذه المبادىء ليس فيها مـا يشجع على ازدهار الفنون الجميلة لأنها تنكر جمال الدنيا ، وتطالب بكبت ما فى الانسان من ميول وغرائز . وتدعو الى التقشف والزهد وكلاهما والفن الجميل على طرفى نقيض .

الاسـلام والفن

ثم جاء الاسلام ووجد الفنون فىالبلاد المفتوحة ، فتأثر بها ، كما أثر فيها ، ولكنه لم يستخدم هذه الفنون فى شرح عقائده كما فعلت المسيحية بعد ، ولـم ينكرها كما فعلت اليهودية وانما وقف موقفا يتضمن توجيهات مختلفة كان لها أبعد الاثر فى تكوين الفن الاسلامي .

نشأة الفن الاسلامى

نشـأ الفن الاسـلامى فى الجزيـرة العربية ، فوجد عبادة الاوثان منتشرة فى أرجائها فركز النبي صلى الله عليه وسلم دعوته فى محاربتها ، والدعوة لله تعالى وحده ، ومحاربة من يضاهى خلقه ، وينحت الاصنام ، أو يرسـم صـور الأحياء ، ووعدهم بالعذاب الاليم يوم القيامة ، كما يقول الحديث الشريـف « ان أشد الناس عذابا عند الله يـوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » .

وفى حديث ثان « من يصور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها » .

ولقد أدت تعاليم الدين وهى الخضوع لله ، والخوف من يوم الحساب ،والعمل بما جـاء به القرآن الكريم والحديث

الشريف ، والنظر الى النبى كبشر الى طبع الاسلام بروح التواضع ، فساعة تقضى فى الاعمال الصالحة ، أفضل من كنوز الارض وزخارفها . ولم تدع حياة النبي البسيطة أى احتمال لتطور الشعائر الدينية لتسير موازية لنظيرها فى الفن المسيحى فى العالم الغربى ، الذى اعتمد فى تصوير حياة المسيح وما فيها من عواطف ، وحياة العائلة المقدسة والقديسين على توجيهات الكنيسة . ولكن عدم وجود مثل هذه المظاهر فى الدين الاسلامى دعت الفنانين المسلمين الى توجيه الفن الاسلامي بعيدا عن النحت والتصوير ، وهما ميدانان عظيمان من ميادين العبقرية الفنية التى امتازت بها الفنون الاخرى .

وحدا الخوف من الله ، ومن يوم الحساب ، وبساطة حياة النبي بالفنان المسلم الى البحث عن ميادين أخرى ، فعنى برسم كلما ليس به روح كالرسوم النباتية والهندسية والخط وغيرها حتى بز فى هذه الرسوم وانفرد بمميزاتها عن غيره من الفنانين .

نشأة التصوير الاسلامى

يرى بعض الفقهاء أنه لا بأس بتصوير كل ما ليس له ظل ؛ كرسم الاشكال الآدمية والحيوانية واستخدامها فى المواضع التى يطؤها الانسان بقدميه كالسجاد ، أو حيث يجلس عليها كالوسائد والفرش ، أو ما تمتهن منزلتها بوضعها فى أماكن منعزلة أو مظلمة حتى لا تسترعى الانتباه اليها . والغرض من ذلك ابعادها عن مناطق التبجيل والاحترام ، لكيلا تثير شعور الناس لتقديسها كما كانوا يفعلون فى الجاهلية .

ونحن لا ننكر وجود التصوير فى الاسلام ، فقد ظهرت بواكيره فى القرن الثالث الهجري ، بل أبعد من ذلك فى عهد الخلافة الأموية ، عندما بعد الزمن عن صدر الاسلام ، وعندما تحلل بعض الحكام من قيود تعاليم الدين،واستباحوا لأنفسهم شرب الخمر ، وكيف لا يستخدمون التصوير وهم ورثة الحضارة البيزنطية فى الشام والساسانية فى ايران . فاستخدموا الرسوم الآدمية على الجدران فى بادية الشام . كما استخدموا العملة البيزنطية وعليها رسم الامبراطور متقلدا سيفه ، ثم استبدلت صورة الامبراطور بصور ترمز الى بعض الحكام كعبد الملك بن مروان ، كالعملة التى سكها عام ٦٩٦ م . ونقش عليها اسمه بالخط الكوفى ورسم عليها صورته لابسا سروالا الى ركبتيه وقابضا على سيفه . ومن ثم سار على منواله خلفاء الدولة الأموية والعباسية من بعده وحتى الآن .

المصورون المسلمون

نلاحظ أن أغلبهم كان من أصل مسيحى ثم أسلم ، أو من عناصر غير سامية من الشعوب التى كان لها تراث فنى فى التصوير مثل بيزنطة وايران والهند ، أو حيث اختلط العرب بهذه الشعوب .

وأقدم الصور الدينية علىالمخطوطات التى ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادى ، حيث رأى تاجر عربى (اسمه ابن هبار) فى الصين صورا للرسل أطلعه عليها ملك الصين . منها صور تمثل نوحا فى السفينة ينجو بمن معه ، وأخرى لموسى وعصاه وبنى اسرائيل ، وثالثةلعيسىوقد ركبحمارا والحواريون من حوله ، ورابعة لمحمد وقد ركب جملا وأصحابه حوله وفى أرجلهم نعال عدنية من جلود الابل ، وفى أوساطهم حبال الليف وقد علقت فيها المساويك .

ولسنا نعرف هل كانت هذه الصور من صناعة لفنانين صينيين أو مسلمين ، أو من المسيحيين النساطرة الذين كانت منهم جالية كبيرة فى الصين منذ القرن السابع الميلادى .

ومن هذه الصـــور أيضا ما جاء فى كتاب جامـــع التواريـــخ لرشـــيد الدين مؤرخ البلاط فى عصر الشاه غازان فى أواخر القرن الثالث عشر ، حفظ جزء منه فى المكتبة الآسيوية الملكية بلندن . والآخر بمكتبة جامعة أدنبره . ويغلب على هذه الصور تأثير الاساليب الفنية الصينية والمغولية والمسيحية والهندية ، وتمثل احدى صور هذا المخطوط :

١ ـ ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام، وفى أخرى الراهب بحيرا أمام النبي يرى فيه امارات النبوة . وفى ثالثة صـــورة الرسول يرفع الحجر الاسود ليضعه فى جدار الكعبة ، وفى رابعة صورته جالسا فى غار حراء وأخرى فى غزواته . كمـــا نلاحظ أن معظم صور وجه الرسول غير واضحة المعالم ، بل ترى عليها أحيانا عمامة يحجبها أو تخرج منها أشعة من النور ، أو الاكتفاء برسم مجموعة من الأشعة بدون جسم أو رأس .

ومن تجرأ من الفنانين ورسم صورة وجهه الكريم ، فانه أحاطها بهالة من نور على النحو المعروف فى صور المســـيح والقديسين . على أن هذه الهالة فقدت معناها فى الفنون الاسلامية ، ولم تعـــد تدل على قدسية ما ، وانما استخدمها الفنانون لتعيين أخطر الأشخاص شأنا فى الصورة من سلطان أو أمير أو ما الى ذلك .

ولم تتخذ هذه الصور كوسيلة لشرح عقائد الدين الاسلامى ، كما لم تضف على المصـــورين المســـلمين ما كان للفنانـــين المسيحيين من شعور بأنهم دعامة من دعائم الكنيسة ، وبأن منتجاتهم تساعد على بعث روح الصلاح والتقوى فى بنى دينهم ، والمعروف أن بعض الفنانـــين والكنيسة توطدت الصلة بينهما لدرجة ان بعض النقاد شكوا من هذا الاتصال الوثيق بينهما حتى غلب على منتجاتهم الطابع الدينى الى عصر غير بعيد .

أما فى الاسلام فان العكس صحيح اذ كـــان رجال الفن منبوذيـــن من رجـــال الدين . لذلك جاءت صورهم غير ممثل فيها الابعـــاد الثلاثة فى الصور الغربيـــة حتى تبعدها عن تجسيم الصور الشبيهة بالنحت .

أما بعد أن توطدت دعائم الاسلام ، وبعد العهد عن الجاهلية ، فان العلماء المحدثين وعلى رأسهمالأستاذ عبد العزيز جاويش يرى ألا خوف من ممارســـة التصـــوير لان العبادة والتقديس للـــه وحده وسيظل له وحـــده . والعبرة بالغاية وليست الوسيلة . وخاصة بعد أن أصبح التصوير فى العصر الحديث من مســـتلزمات الحيـــاة . فبه يمكن المحافظة على حقوقنا القانونية ومعرفة الغرقى والموتى المجهولي الشخصية . وبه نتجنب اللصوص والمجرمين من نشر صورهم على صفحات الجرائـــد ومراكز الشرطة . كما أنه وسيلة ضرورية لنشر التعليم لمعرفة حياة الناس فى الاصقاع والبيئات البعيدة التى يتعذر الوصـــول اليها .. كما أنه يبين لنا سر قوة الخالق وحكمته فى مخلوقاته بتصوير الكائنات الحية . وأجزائها كما في التاريخ الطبيعي وعلم التشريح .وأنه أيضا أصبح ضروريا لمعالجة المرضى بعد تصوير ما خفى عن نظـــر الانســـان فى داخـــل الاجســـام بتصويرها ،، بالأشعة السينية وغيرها .

ولكن اذا قدست واعتبرت مصـــدر بركة وتبجيل ، فانها تكون بذلك محرمة تماما ، ويستحق من صنعها ومن يملكها أشد أنواع العقاب .

ماهية البطولة النبوية

للاستاذ احمد العناني

لو تيسر احصاء لسير الرجال ، أو لو كان ذلك ممكنا لتبين أن الانسانية لم تشغل برجل قدر شغلها بمحمد عليه السلام ، فما زالت سيرته العطرة تثير من عواطف الحب ، وأمواج الحقد مالم تشهد له الحياة مثيلا . وفي هذه الظاهرة بحد ذاتها آية من آيات النبوة ، ذلك بأنه لم يستطع انسان من الناس بعد انقضاء بضعة عقود من السنين على وفاته ، أن يحمل الناس الذين انقطعت صلاته الحياتية بهم أن يتخشعوا عند ذكره ، أو أن يذهبوا مذاهب صريحة وخفية في محاولة الكيد له ، والترغيب عنه ، بينما هو عليه السلام كأنه ما يزال حيا متكلما في صحابته تلاحقه القلوب والعيون بأعظم ما يسع الانسان من الحب والاعزاز والاكبار ..

ولقد أتى على الزمان حين من الدهر ، تنبه فيه بعض الاذكياء من أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام في الغرب الى أن من الغباء الضار ، وسوء التصرف في العداوة أن يواصلوا الطعن في نبي الاسلام بالأساليب الهمجية ، البذيئة التي كان يسلكها الناس في القرون الوسطى ، وأنه من غير المعقول أن تستديم بلاهة البلهاء بما يجعلهم يستطيعون أن يصدقوا أن رجلا واحدا عاش يتيما ، ولم يخط على طرس حرفا / استطاع أمورا لم تقتصر على هدم الامبراطوريات في القرن السابع للميلاد ، ولكن الاخطر من ذلك والاجل شأنا ، أنه بنى حضارة متكاملة ملأت أنوارها الارض .

بل ان هؤلاء الاذكياء من الناس، وعلى رأسهم الانجليزى توماس كارلايل ، كانوا من أوائل المكذبين لتلك الاساطير السخيفة المفعمة بأوقح المزاعم والشتائم ، ولعلهم حاولوا مع أنفسهم ، وعلى قدر ما استطاعوا من التهذيب الذاتي للعواطف الجائحة ، أن يصلوا الى فكرة يستريحون اليها في أمر محمد والاسلام ، فانطلقوا ينادون أن محمدا كان بطلا ، بل كان بعبارة كارلايل بطل الابطال .. ومضى الكثيرون منهم على هذا النهج ، يعللون هذه الظاهرة الخارقة . وتمضي الايام وقصة الرسول تحمل ذلك التحدى لطوائف كثيرة من نابهة الناس في كل أنحاء أوربا ، فالشاعر الانجليزى المتمرد شالي يكتب عن « ثورة الاسلام » وكبير الشعراء الالمان « جيته » مشغول بالرسول ، تبدهه الى حد الانشغال هذه الظاهرة الجبارة التى فردت جناحي النسر العربي شرقا وغربا في بضع عشرات من السنين ، ثم غرست رسالته الى أبد الآبدين ، والقصاص الروسي تولستوى يدفعه البهر والعجب الى أن يحاول قراءة القرآن ، الى آخر ما هنالك من هؤلاء الناس ، ولا سيما الفيلسوف الايرلندى الاشهر جورج برنارد شو

الذى انتهى مع نفسه وهو لا يستطيع فكاكا من الالحاد الذى ألقت به فى حفرته شقاوة طفولة معذبة ، و ثورة نفس عانت من الضياع الرهيب ردحا من الزمن الى أن محمدا عليه السلام قد قدم تحديدا انسانيا جديدا للبطولة ، وجعل عناصرها البهاء والنضال والنجاح .

وآخرون وجدوا من الشجاعة والصفاء ما حزموا معه أمرهم ، فأعلنوا اسلامهم ، وانتهوا الى يقين مسعد أخلصوا له كما يخلص المؤمنون الطيبون، وان ظلوا عمرهم على غيظ مرير ، وحزن مقيم لما انتهى اليه مسلمو اليوم من الانحراف والتضييع والاستكانة ، وما فى ذلك كله من بعد بعيد عن حقائق الدين .

وانه لمن أسف بالغ أن الحضارة الاوروبية المنتصرة طوال بضعة القرون الماضية ، قد حملت ذلك التيار الذى وصفته موجزا فى صدر هذا المقال — الى الارض التى سعدت برسالة الاسلام قبل سواها ، وخالطت عقولا نفخ فيها الغرور من أسباب التقليد ، وضخم فيها من عقد المهانة ما جعلها تكرر بغباء وسخف لا مثيل لهما أن محمدا بطل مجرد بطل .. هكذا وبأقصى صفاقة .. لكن السؤال يطرح نفسه لجميع الفطرات السليمة شامخا رائعا كما لو كانت الرسالة جاءت أمس ، فلم يمض عليها الف وثلاثمائة وسبع وثمانون سنة . كيف يجوز لعقل منصف أو فطرة سليمة أن تشك فى أن القصة شيء غير البطولة الارضية التى لا صلة لها بالسماء وتعالوا ننظر فى سير الابطال .

كان الاسكندر بطلا فى أنظار بعض اليونانيين ، واعتبار جميع أصحابه، ولكنه كان مجرما سافك دماء فى أعراف كل الشعوب التى عاصرت نهضة المكدونيين العسكرية ، ثم ما لبث أن أصبح كذلك وزيادة فى نظر أصدقائه .. أصبح سكيرا متعجرفا قاتلا يخون صداقاته ، ويتلون ألوانا كالصبيان بين لحظة وأخرى ، وقد انطلق بالقوة القاهرة المدربة ففاجأ الغافلين عن أوطانهم وحقوقها بهزيمة منكرة .. لكن أحدا من هؤلاء لم يتخل عن كراهيته حيا وميتا ، ولا تنازل له عن لغته ولا مفهوم واحد من مفاهيمه لما هو حسن وقبيح فى الحياة .. وعلى مستويات مماثلة تجرى الاحكام سريعة واضحة فى أمور قيصر وهانيبال وأغسطس ونابليون الى الاسكندر الاول وبسمارك وهتلر .. بطولات قامت على القوى الباطشة ، وعناصر الدهاء أو المفاجأة والخيانة ، ثم عفا عليها الزمان ، وذرتها الرياح ، وغشيها النسيان لولا آهات تستعاد خافتة من أصداء المآسي التى سببوها ، والكوارث الجسام التى اكتسبتها أيديهم ..

كانت انتصاراتهم وقتية وشيطانية مؤلمة .. لم تأسر روحا ، ولم يتقدم لها ضعيف بالولاء الا قسرا ، وما مشى فى ركابها قوى الا رياء أو طمعا .. وكان لنكولن فى أمريكا رجلا شريف المقاصد ، وانسانا مفعم القلب بجميل الاحاسيس ، لكن من ذا الذى يسفه فكره فيزعم أن لنكولن ساوى فى أمريكا أو غيرها بين أسود وأبيض ، أو عبد وسيد . ومن الذى يستطيع أن يزعم أن الرجل لم يكن فى واد ونصراؤه فى سواه .. تجمعوا عليه من الشمال ليحققوا مصالح لهم ، فلما خابت ظنونهم ، وضاق به الصبر فى مجاراتهم تخلوا عنه واحدا بعد واحد ، حتى عصفت به الوحشة ، وذاق طعم الفشل ومرارة الخذلان ، وتداركته رصاصة ممثل أرعن فيما يقال ، فعجلت بخلاصه من تلك المشاعر السوداء ..

لم يكن نسيج محمد عليه الصلاة والسلام من نسيج هذه البطولات الارضية ..

ولم يكن بطل أبطال من دون النبوة .

حقيقة أن محمدا الرسول عليه الصلاة والسلام هو أجمل وأبهى وأنجح انسان عرفته الدنيا ، ولكن ذلك غير منفصل عن وجود رسالته ..

ان وجود البطولة فيه صنو ملتحم بوجود الرسالة ...

وأية علاقة لمحمد الشخص فى معرفة أن السماء والارض كانتا رتقا حتى فتقتا بقدرة تصنع السنن للكون والحياة ؟ ومن هو الشخص اليتيم الفقير الذى يملك أن يهدم بحوله البشرى حائط الفرقة بين الابيض والاسود ، والقوى والضعيف ، وينشر العدل ويقيم صرح التكافل ، وينشىء دولة فى القرن السابع ترفع الناس الى مستوى الحرب والموت فى الله ، فتلجم القوة بلجام الحق والانتصاف له ، وتجذب الشعوب الى التخلى عن أساطيرها ، وعنجهياتها ولفاتها وتقاليدها لتندغم فى دولة الحضارة والعلم والنور والسلام ..

أم أى كتاب قدمه بطل للناس فاجتاز بهم دهر الداهرين رفيق سعادة يمزجون بآيه دموعهم ، ويصحبونه صحبة ولاء واستماتة اذا جاعوا وان شبعوا ، واذا سالموا أو حاربوا ، وفى الحل والترحال وفى طلب العلم وشد أزر الروح فى ساعات البأس ، وكفكفة نوازع الكبرياء مع النجاح والنصر ؟

أما بعد ، فقد أشرق للاسلام فجر جديد بعد ليل .

وانجاب عن الذين تاهوا ضباب ، وطلع ضياء ...

وما محمد الا رسول جعلت له الرسالة بطولة ليست من نوع أى البطولات فتقاس بها ..

ومع الايمان بالرسالة ايمان بالقرآن .. والقرآن صريحواضح لم تمسسه يد بسوء ، ولا ناله جان بتحريف ..

وعزة هذا الاسلام غاية تنتظم الحياة والممات ..

وان فى غد لخبرا ، ومن يعش ير ، وصلى الله على محمد صلاة لا تنقطع ولا تزول .

مائدة القارئ

أعدها أبو نزار

طريق واحد

يوما بعد يوم يتبين أن هنالك طريقا معينا للشعوب الاسلامية كلها في هذه الارض . يمحو عنها العار ، ويؤدى بها الى العزة والتخلص من الفساد .. طريقا وحيدا لا ثاني له ، ولا شك فيه ، ولا مناص منه .. طريق الاسلام وطريق التكتل على أساسه .

حامل تقاتل !!

في غزوة هوازن تفرق عشرة آلاف بطل ،وثبت رسول الله وصحابته الاقربون ، ووقفت أم سليم مع زوجها أبي طلحة ـ وهي حازمة وسطها ببرد لها ـ وانها لحامل ـ وقد أدخلت يدها في خزام جملها ، فالتفت اليها رسول الله ، وقال : أم سليم ؟ قالت . نعم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله . اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك ، كما تقتل الذين يقاتلونك ، فانهم أهل لذلك .

قال . أو يكفى الله يا أم سليم ؟!!

وكان معها خنجر ، فقال لها أبو طلحة . ما هذا الخنجر ؟ قالت . خنجر ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به . قال أبو طلحة مفتخرا . مداعبا . الا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرميصاء ؟ .

الهلال الاحمر

نصبت رفيدة بنت سعد الاسلمية خيمة بالمسجد النبوى في غزوة الخندق وكانت تأتي بجرحى المسلمين الى خيمتها ،فتعالجهم ،وتخدمهم .

حكمة

ان أحلك الظلمات لا تقوى على اخفاء أضعف الشموع .

هل تذكرهم ؟

أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من ما لهم بغير رحمة ، وقضى في مصيرهم بغير عدل . يعيشون في المضارب عيش الحرمان . يقتاتون الاماني . يكابدون الجوع والخوف . ينظرون الى رياضهم الجنية تعبث فيها الذئاب ، والى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لانفسهم الا عبرات تتحدر ، وزفرات تتصعد !! فهل تعرفهم ؟ وماذا صنعت لهم ؟

وزير البريد

كان متولى شئون البريد في العصور الاولى ـ عين الخليفة الباصرة ، وأذنه السامعة . ينقل اليه أخبار عماله وأسرار أعدائه ، وكان الخلفاء لا يولون البريد الا من يثقون به من أهل الدين والعقل .

وكان أبو جعفر المنصور يقول . ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون أعف منهم ،وهم أركان الدولة، ولا يصلح الامر الا بهم . أما أحدهم نقاض لا تأخذه في الله لومة لائم

وأما الثاني فصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى .

والثالث صاحب خراج يستقصى . ولا يظلم الرعية .

ثم عض اصبعه السبابة ثلاث مرات، وهو يقول في كل مرة ، « آه .. آه » قيل ما هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : صاحب بريد يكتب لى خبر هؤلاء على الصحة

ايـاك نعبـد

وأنت الـه الخـلق ربـى وخالقـى بذلك ما عُمّرتُ فـى الناس أشهـد
تعاليتَ ربَّ الناس عن قول من دعـا سواك الهـا أنت أعـلى وأمجـد
لك الخلقُ والنعمـاء والامر كلـه فاياك نستهـدى واياك نعبـد

حسـان

من عجائب التصحيف

قرأ رجل على الاصمعى من شعر النابغة فقـال . « كلينى لهم يا أميمـة (باضت) » بدل « ناصب » فقال الاصمعى . أما علمت ـ ويلك ـ ان كل ناجمة الاذنين تحيض ، وكل سكاء الاذنين تبيض ، فكان تصحيف الكلمة سببا فى هذه الفائدة .

من غريب الأسماء

قال رجل لأعرابى : ما اسمك ؟ قال : فرات بن البحر بن الفياض . قال : فما كنيتك ؟ قال : ابو الغيث . فقال للرجل : ينبغى أن نلقى فيكزورقا والا غرقنا .

الملائكة لم تضع أسلحتها

بعد أن كفى الله المؤمنين القتال فى غزوة الاحزاب ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، دخل رسول الله بيت أم سلمة يغتسل من وعثاء المرابطة ، فتبدى له جبريل عليه السلام ، وقال . أوضعت السلاح يا رسول الله . قال : نعم قال . ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها . ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض الى يهود بني قريظة . فقال رسول الله لاصحابه لا يصلين أحدكم العصر الا فىبنى قريظة ، فنهضوا وحاصروهم ، وكانتالنتيجة كما قالالله « وأنزلالذينظاهروهم من أهلالكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا » .

اساطيل المسلمين

قال ابن خلدون

ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم ـ البحر الابيض المتوسط ـ وان أساطيلهم سارت فيـه جائية وذاهبة من صقلية الى تونس .. والرومان الصقالبة والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية ، ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضربت عليهم كضراء الاسد على فريسته .

عزْل لا عزّل

يتردد على الالسنة فى هذه الايـام « اعتـدى الصهيونيون على العـزل الآمنين » بتشديد الزاى وهو خطأ ، وصوابه العزل بسكون الزاى لأن أفعل فعلاء ومؤنثه مثل أحمر وحمراء يجمع على فعل بسكون العين .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

أين كنا من هذه الاخطاء ؟

كثر الكلام عن أخطائنا التي كنا نعيش فيها نحن العرب حتى كانت هذه النكسة أو الهزيمة أو العار أو ما شئت فسمه ... ولا تكاد تفتح صحيفة من صحف العالم العربي حتى تقع عيناك على عديد من الاخطاء يسردها كتاب كبار وصغار ، ولا تكاد كذلك تجلس فى مجلس حتى يبدأ الحديث عن هذه الاخطاء ، ولا يقف الحديث على ناحية واحدة ، بل يتعداها الى كل ناحية من نواحي حياتنا ، كأننا كنا نعيش جميعا فى بحر من الخطأ ، وكأنه لم يكن هناك صواب نسير عليه .

ان من طبيعة النفوس أن تهاجم المغلوب ، وتنتقص منه الى حد أنها تعتبر الصواب منه أحيانا خطأ أدى الى هزيمته حتى قيل قديما :

والناس من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

ومع أن الحديث عن الاخطاء والكشف عنها ينير الطريق أمامنا حتى نتفاداها ، ولا نعاود الوقوع فيها مرة أخرى ، الا أن التركيز فى مجالسنا وصحفنا على هذه الاخطاء ، وترددادها صباح مساء ، بحسن نية أو بقصد الشماتة والتشفي ، قد يؤدى الى تربية عقدة الخطأ أو النقص أو الذنب فى النفوس ، وهذه تؤدى بالتالي الى تعظيم شأن العدو وغرس هيبته فى القلوب .. وفى هذا من الخطر المزدوج ما فيه ، ولا سيما ونحن مقبلون على معركة غسل العار ... لا بد أن نعرف قوة عدونا حتى نعد له من القوة ما يفوق قوته ، هذا أمر بدهي ... لكن المبالغة دائما ضارة سواء أكانت فى قوتنا ، أم فى قوة العدو ..

وبقي لي بعد ذلك سؤال أو تساؤل يلازمني دائما كلما قرأت أو سمعت كلاما عن هذه الاخطاء ...

هل من الممكن أن تكون هذه الاخطاء كلها قد انكشفت لنا فجأة ولم يكن هناك من يعرفها ؟

ان قلنا اننا لم نعرفها الا بعد النكسة كان ذلك أكبر دليل على غباوتنا وقصر نظرنا كبارا وصغارا . وهذا أمر لا نقبله على أنفسنا فوق أنه غير معقول ..

لم يبق اذن الا شيء واحد وهو أن الكثير منا على الاقل كان يعرف هذه الاخطاء .

وهنا يأتي سؤال آخر يفرض نفسه فرضا ... وهو لماذا لم نجد فى صحفنا أو فى الكلام الذى أجدناه هذه المدة الطويلة من يتحدث عن هذه الاخطاء وينبه اليها ويحذر منها ؟!

لقد سمعنا من يقول اننا نحن العرب قابلنا العلم بالجهل والنظام بالفوضى .

فهل هذه الحقيقة المرة لم نعرفها الا بعد النكسة ؟ وسمعنا وقرأنا كثيرا عن عيوبنا . فهل كانت هذه العيوب غائبة عنا ، أو كنا نعرفها ونعيش بها كالمريض الذى يحمل أخبث الامراض ولا يحاول أن يبحث عن علاج ؟!

ماذا أقول ؟ لا أجد مسعفا لي الا هذا البيت من الشعر :

ان كنت لا تـــدري فتلـك مصيبـــة
أو كنت تـــدرى فالمصيبـــة أعظـــم

ومع ذلك هل نستفيد ؟

حقيقة يجب الايمان بها :

عبارة وقفت عندها كثيرا فى الخطاب الذى ألقاه سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فى جلسة اختتام دورة مجلس الامة ، وان كان الخطاب كله يستحق الوقوف عنده ، لكن هذه العبارة استوقفتني أكثر من غيرها وهي قوله « ان الجرح العميق الذى أصاب كرامتنا نحن العرب لا تعادله أية خسارة مادية مهما عظمت »

فهذه هي الحقيقة التي ما زلنا فى حاجة الى معرفتها والايمان بها ، فقد شعرت كما شعر الكثيرون غيرى فى خلال الايام الماضية أن الكثيرين منا يحرصون على أموالهم أكثر من حرصهم على كرامتهم وكرامة أمتهم .. وان بعضنا أخذ يتوجع من خسارة طفيفة تعرض لها !!

واننا جميعا ـ وهذا شيء لا بد أن نتصارح به ـ نعيش بعيدا عن الجو الحقيقي لمعركتنا مع عدو كاسر متضامن ... فان الذين تبرعوا بالكثير كان فى امكانهم أن يتبرعوا بالاكثر .. ويتنازلوا عن شيء من رفاهيتهم فى سبيل الحفاظ على كرامتهم وسمعة أمتهم ... وكان فى امكان الجمهرة من الشعب العربي أن يعتبروا أنفسهم على خط النار شهرا ، ويلتزموا بشيء من مظاهر التقشف فى هذا الشهر،ويقدروا نعمة وجودهم بين أهليهم بعيدين عن قذائف النار ..

وكان من الممكن أيضا أن نغار من نشاط اليهود فى العالم ، وسخائهم فى التبرع لاسرائيل ، وأمامنا أخبار هذا النشاط وقيمة المبالغ الضخمة التي جمعوها فى فترة وجيزة . وهم قلة ، وفينا ولله الحمد من هم أكثر منهم أموالا .. وحتى لو كانوا جميعا أغنياء فان كثرتنا يمكن أن تجابه غناهم لو أننا كنا جميعا على مستوى احساس واحد بهذا الجرح العميق الذى أصابنا ، واستهنا بكل ما نبذله مـن مال ، فى سبيل تضميد هذا الجرح ، واسترداد الكرامة الجريحة .. ان يهود بريطانيا وحدها مثلا جمعوا لاسرائيل أضعاف أضعاف ما جمع من الشعب العربي كله ، وهو مائة مليون عربي .. فهل هذا منطق أمة تحس جرحها ؟ .

انني والله فى غاية الاسى لأمتنا ، ولولا ثقتي بالله لاصابني اليأس من حاضرها ومستقبلها ..

أمة يناديها دينها بالبذل ، وينذرها بالهلاك ان هي ضنت به فى سبيل الحفاظ عليها فيقول لها : « وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ثـم يعدها بالثواب الجزيل ، ثواب المجاهدين بأموالهم فيقول لها : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله » ويبين لها أن الجهاد بالنفس والمال هو الخير لها فى دنياها وآخرتها فيقول : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل

الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » . وكتابها مليء بالوعيد على الشـح ، والوعـود الكريمة للمنفقين في سبيل الله .. ومع ذلك لا نجد الاستجابة التي تتفق مع منطق ايمانها بكتاب ربها ...

وحتى لو كان ايمانها ضعيفا .. أفلا يكون لها احساس الوطنيين الغيارى على أوطانهم وكراماتهم وسمعتهم ؟!

وماذا تنتظر لامة اذا لم يكن لها مع الله رباط ، ولم يشدها الى وطنها وثاق ؟!

ألسنا جميعا فى حاجة الى أن نراجع أنفسنا ، وأن نشعر جميعا شعورا عميقا بهذه الحقيقة التي ساقها سمو ولي العهد « ان الجرح العميق الذى أصاب كرامتنا نحن العرب لا تعادله أية خسارة مادية مهما عظمت » .

ماذا تريد الحبشة :

لا يزال لكلمة « الحبشة » وقع طيب فى نفوس المسلمين ، يرتبط بتاريخ رسولهم الكريم ، وصحابته الابرار بسبب هجرة الرعيل الاول من المؤمنين اليها ، باشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم .. وما من مسلم يقرأ سيرة رسوله الا ويخفق قلبـه لموقف ملك الحبشة فى ذلك الوقت .. ثم سارت الدول الاسلامية مع الحبشة سيرة مشبعة بالود ولا سيما فى السنين الاخيرة ... وكان لامبراطور الحبشة جولة زيارات ودية فى الدول الاسلامية ، استقبل فيها استقبالا كريما .. ثم كان للدول العربية موقف الصمت الطويل أزاء ما يعانيه الشعب المسلم فى اريتريا على يد الحكم الحبشي ... وهو موقف لم تنج فيه من لوم شعوبها ، ولا سيما فى المجزرة الاخيرة التي تعـرض لها المسلمون فى الحبشة واريتريا علـى يد الجيش الاثيوبي والخبـراء الصهيونيين المتبثين فيه ، وفى كل الدوائر الحكوميـة وغيرها ، حتى أضطر عشرات الالوف مـن المسلمين الى أن ينجوا بأنفسهم بالفرار الى أرض السودان .. ولم يكن للسودان بد من استقبالهم ، وهذا أضعف الايمان .

ومع هذا الموقف الودى المجامل الذى وقفته الدول العربية من الحبشة علـى حساب المسلمين ، رأيناها حين تحرك الجيش السوداني ليلحق بالجيوش العربية فى معركتها مع اسرائيل ، تحرك جيوشها نحو حدود السودان لتهددها !! ثم رأينا مندوب الحبشة يمتنع عن التصويت مع الدول العربية فى ادانة اسرائيل باعتداءاتها .. ولا يعترف بأن اسرائيل اعتدت على الدول العربية ، ويشارك اسرائيل فى منطقها !! ثـم تطالعنا الاخبار أخيرا بتعزيز أثيوبيا لحشودها على حدود السودان .

فماذا تريد الحبشة من هذه المواقف ؟ ! !

وماذا بعد حركتها الابادية ضد المسلمين الذين يعيشون تحت سلطانها ؟

وهل تظل الدول والشعوب الاسلامية على صمتها ازاء ما يجرى هناك ؟ !!

استفتاء :

من الحقائق التي أومن بها ايمانا يعادل ايماني بديني ان الامة الاسلامية التـي عاشت بروح الاسلام ، واجتازت تاريخها الطويل ــ بحلوه ومره ، ورخائه وشدته ــ بفضل روحها الدينية ، لا يمكن أن تنهض وتتقدم ، وتستعيد قوتها ، وتجتاز صعوباتها الا بالروح الدينية نفسها ، وأن أسهل طريق وأقصره وأضمنه هو البناء على أساس هذه الروح ، واستغلال طاقتها فى النفوس . ولقد وجدت هذه الحقيقة فى كل المجالات التى اختلطت بها ، كما وجدت التعبير البليغ عنها فى التصفيق الحار المتواصل الذى

عبر به المستمعون للرئيس جمال عبد الناصر عن رأيهم عند ما قال : ((لا بد من التمسك بقيم الدين والاعتصام بها)) وكان هذا الاستقبال الحماسى بمثابة استفتاء على مستوى رفيع .

هذه الحقيقة يجب أن ينزل عندها الجميع ، لا لشيء الا لانها هى الطريق الطبيعى الممهد للنهوض السريع ، والبناء على الاساس المتين الذى صنعه الله العليم الحكيم : ((صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)) .

فهذه الروح هى التى جعلت الأمم الاسلامية وفى مقدمتها باكستان تقف معنا فى محنتنا ..

ان باكستان تستحق من كل مسلم فى العالم التقدير والتكريم ، فلقد كانت تلبيتها لرابطة الاسلام التى تربطنا بها أسرع وأقوى من بعض الدول التى كنا نظنها صديقة فاظهرتها الحوادث على غير ما كنا نتوقع منها ! !

انه الاسلام ــ ولا شيء غيره ــ طريقنا الصحيح الى ما نرجوه فى حياتنا من مجد وقوة ، وهو الذى حرس بناء هذه الأمة برغم النكبات التى نزلت بها .

انه القرآن هادينا الربانى الى الطريق القويم ، وفى اتبــاع هديه عزنا وشرفنا وكرامتنا .

((ومن التمس الهدى فى غيره أضله الله))

فتنـــة :

وأحب أن يفهمنى القارىء على أننى لا أريد باتباع الاسلام وهديه مجرد اطلاق الشعارات أو اتقان المظاهر الاسلامية . بل أريد الالتزام بالروح الاسلامية تربية وتقنينا وسلوكا ، وأن يكون القائمون على أمره هم أول الناس التزاما به .. والا كانوا هــم السبب فى عزوف الناس عنه ، ونفورهم منه .. فليس أضر على الاسلام من أناس يدعون القوامة عليه وهم يبتعدون فى الوقت نفسه عن الزام أنفسهم بتعاليمه .
يأمرون الناس بالصلاة ولا يصلون .

ويأمرون الناس بالاستقامة وهم معوجون .

ويحرمون على الناس الصغائر وهم يرتكبون الكبائر .

ويتمسكون بالمظاهر ، ويأكلون أموال الناس بالباطل .

ويدعون الحفاظ على الدين وهم غارقون فى الترف وعامة المسلمين لا يجدون ما يأكلون .

ويرفعون الشعارات الاسلامية ، ونفوسهم مشحونة بالحقد على اخوانهم .

هؤلاء جميعا فتنة ونكبة على الاسلام ، نسأل الله أن يطهر المسلمين منهم .

الى المغرمين بتقليد الغرب :

من أخبار لندن . أن مجلس العموم هناك وافق على قانون اباحـة الشـذوذ الجنسى وأن الموافقة عليه قوبلت بتصفيق حار من كثير من أعضاء المجلس ! !

الى هذا الحد يصل الانحراف الجنسى فى الشعب البريطانى صاحب التقاليد العريقة ! !

ونحن لا يهمنا ما يختاره هذا الشعب لنفسه من سلوك فى الحياة ــ ولكن يهمنا أن يعرف المغرمون بتقليد الغرب بدون وعى الى أى حد وصل الشذوذ بهؤلاء الناس وأن من العمى الفكرى أن تظل روح التقليد للغرب سارية فى أوساطنا مع أن السـمو الانسانى لا تجده دائما الا فى الاسلام .

دعوة للناس أجمعين

للأستاذ عبد الرزاق نوفل

لا يعرف التاريخ عدد من أرسلهم الله سبحانه وتعالى من الرسل والأنبياء لهداية البشر ، فقد بدأت رسالات الله للانسان منذ أن خلق آدم وزوجه ، وأسكنهما الجنة حيث أمرهما بما يحفظ لهما البقاء فى الجنة ، ونهاهما عما يفسد عليهما حالهما فيها ، وكانت هذه هى الرسالة الاولى اذ تقول آيات القرآن الكريم (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) . وأضلهما الشيطان واستجابا لما زينه لهما وعصيا بذلك ربهما ، فأنزلهما الله جل شأنه من الجنة الى الارض ومعهما الشيطان ، ولما أحس آدم بالندم كانت الرسالة الثانية من الله له بأن علمه فيها كلمات هى طريق التوبة والمغفرة ، فتاب الله عليه بالنص الشريف (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) . ووعده سبحانه وتعالى بأن يرسل له ولذريته من بعده من يهديهم كلما احتاج الامر الى ذلك ، وأنه من استجاب لدعوتهم فانه يفوز فى

الدنيا والآخرة ، وأما من كذب وكفر بما جاءوا من آيات فمصيرهم النار وبئس المصير ، وذلك بنص الآيات الكريمة (قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وانتشرت ذرية آدم فى بقاع الارض ومختلف البلاد ، وضل من أبنائه وحاد عن الطريق السوى بعض أحفاده .. وكان لا بد أن يتحقق وعد الله ، فأرسل الرسل والأنبياء لهداية الأقوام التى انتشر فيها الضلال ، وظهر بين أفرادها الكفر ودب فيها الانحلال ، وحتى لا تكون لهم حجة اذا ما رأوا العذاب كما تقرر الآيات الشريفة (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) . (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ولذلك وعد الله سبحانه وتعالى الا يعذب العباد حتى يبعث فيهم رسولا بالنص الكريم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

وشاءت ارادة الله جل شأنه أن يكون رسوله للناس من بينهم، حتى يستطيعوا فهمه ويطمئنوا اليه ، وحتى يناقشوه فيقنعهم ويسألوه فيجيبهم ، اذ لو أرسل لهم رسولا من الملائكة ، فلا بد أن يكون على صورة انسان حتى يعرفوه ويسمعوه ، وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) اذ لا يمكن أن تمشى على الأرض ملائكة كما تمشى الناس ، كما تقول الآية الشريفة (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) .

والانسان خطاء بطبعه يسهل انقياده الى الشر ، ويصعب توجيهه الى الخير ، وهو متشكك فى كل شأنه ، كثير الجدل فى كل أمره ، ويكفى أن يقول عنه خالقه جل شأنه (وكان الانسان أكثر شىء جدلا) ولذلك فان الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه أن الرسل لا بد أنها ستجد التكذيب والاعراض من القوم اذ ان دعوتهم هى لتوجيه البشر الى الخير ، وما أصعبه من طريق كثيرا ما يشق على الانسان ان يسير فيه راغبا مختارا ، فأيدهم الله سبحانه بالمعجزات التى تجعل أقوامهم يطمئنون اليهم،ويعتقدون أنهم حتما رسل الله اليهم ، اذ أنهم بمعجزاتهم تجاوزوا ما يستطيعه الرجل فيهم ، وفاقوا كل ما يمكنه الفرد منهم .

وتوالت رسالات الله للبشر ،وتعاقب الرسل والأنبياء لهداية الناس ، ووجدنا من يقول أن عدد الرسل والنبيين يبلغ عشرات الآلاف ، والبعض يقول بل عدة مئات ، ولكن الثابت أنهم كثرة تناسب عدد الاجيال التى مرت بالبشرية ، والأقوام التى ضلت فى الحياة الدنيا ، وان كان القرآن الكريم قد أورد بعض هؤلاء الرسل ، فانه يقرر أن غيرهم لم تتعرض لهم آياته الكريمة ، وذلك بالنص الشريف (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) . وكان لكل أمة رسولها الذى يدعو أهلها الى عبادة الله العزيز الحكيم ، ولكل قوم هاديهم الذى يرشدهم الى الصراط المستقيم ، فما أرسل رسولا الا لقومه وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم .

(وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) .

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) .

(والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله) .

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) .

(والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله) .

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه) .

(واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم) .

الى أن نضج الفكر الانسانى ، واتسعت مدارك الانسان ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يجمع البشر على دين واحد ، فأرسل خاتم الرسل والنبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخالدة لتكون خاتمة الرسالات السماوية، بعد أن أصبح من السهل الميسور على العقل البشرى تمييز الصدق ، ومعرفة الحق ، فأرسله سبحانه وتعالى للبشر جميعا ، وليس كغيره من الرسل والنبيين لقومه فقط ، اذ تقول عنه الآيات الشريفة (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) ، (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) وذلك ليجمع الناس على الاسلام ، وهو آخر الأديان وأتمها ، ونهاية الرسالات وأكملها ،ولهذا نجد أن المعجزة التى أيد الله سبحانه وتعالى بها رسول الاسلام تختلف عن باقى معجزات الرسل والأنبياء فى أنها معجزة خالدة ، وليست وقتية كالمعجزات السابقة ، وانها معجزة للبشر كافة وليست لقوم بعينهم ولا لافراد فى زمانهم . فمثلا كانت معجزة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فى عصاه ، فقد كان الشائع فى زمان بعثته مهارة السحرة الذين كانوا يلقون حبالهم على الأرض ، فيخيل للناس من سحرهم أنها تهتز ، فكان ان ألقى سيدنا موسى عصاه ولقفت حبال السحرة فيؤمن بموسى السحرة ثم يتبعهم قومهم ، وذلك بنص الآيات الكريمة (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون . فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون . فألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون) . وأرسل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فى زمن كان الطب قد تقدم ونجح فى علاج كثير من الامراض ، فكانت معجزته التى أيده الله بها ابراء الأكمه والأبرص حيث لم يتمكن الطب من ذلك ، بل وأحيا الموتى وخلق الطير من الطين باذن الله بنص الآيات الشريفة (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى) .

وقد يوجد من لا يستجيب لدعوة هؤلاء الرسل بعد أيامهم اذ انتهت معجزاتهم بانتهاء زمان رسالاتهم ، ولا يستند فى الدعوة لما أرسلوا به بعد زمانهم الا على ما يتواتر من جيل لآخر ، وقد لا يجد التصديق لعدم وجود الدليل بينما معجزة سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم التى أيده الله سبحانه وتعالى بها وهى القرآن الكريم قد أراد الله لها الخلود لتناقشها الاجيال وتتدارسها الأقوام فى أى زمان وكل مكان لتجد فيها الدليل الذى ليس بعده من دليل على حق رسالته وصدق نبوته ، وما أروع ما تقوله الآيات الشريفة عن القرآن الكريم (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) وتستمر الآيات لتعلن التحدى المطلق وتقرر النتيجة القاطعة (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) .

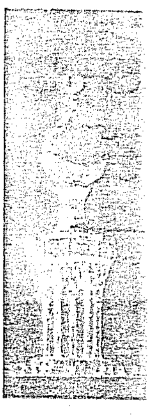
واذا كان الاسلام قد انتشر فى مشارق الأرض ومغاربها ، وارتفعت تكبيراته فى أقاصى الشمال وأعماق الجنوب، وأصبح عدد المسلمين نحوا من خمسمائة مليون مسلم ، أى حوالى سدس عدد سكان العالم فى أربعة عشر قرنا ، فان باقى سكان العالم وقد أرسلت رسالة الاسلام لهم أيضا فى حاجة ماسة الى تبليغهم هذه الرسالة وتعريفهم بها ، لا سيما هؤلاء الذين لم تصلهم بعد أية رسالات وما زالوا يعيشون بلا أديان ، وقد بدأوا يتحرقون شوقا ويتصايحون لهفة على الهداية .

ولا شك أن أكثر من نصف باقى العالم من غير المسلمين لم تصلهم رسالته اطلاقا ، ولا يعرفون عنها شيئا ، وأما الباقى فقد وصلتهم عنه الأكاذيب عن طريق من يحاربون الأديان عامة ويعادون الاسلام خاصة ، والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن معظم آياته تخاطب الناس جميعا فى مثل (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) أو يخاطب الانسان فى مثل (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) وما ذلك الا تأكيدا بأن دعوة الاسلام هى دعوة الناس أجمعين .

وتبليغ الدعوة الاسلامية أمر يجب على كل مسلم أن يقوم به ، فقد أمرنا الله سبحانه بالدعوة الى سبيله فى النص الكريم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وطالبنا بتبليغ رسالته بالنص الكريم (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا) بل أمرنا الله بالجهاد فى سبيله . والجهاد انما هو أقصى درجات البذل فى كافة نواحيه المالية والمادية ، وجعله طريق الجنة بالنص الشريف (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) . وليس أمر تبليغ الدعوة الاسلامية بالأمر الشاق أو العسير كما قد يتبادر الى الذهن ، بل انه لمن أسهل الأمور وأيسرها طالما صفت النية وصحت العزيمة .

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

صدق الله العظيم



أختاه

محمود مؤمن

أختاه هاتي كفكِ اليمنى . . فقد جنَّ المساء
واستيقظ الإعصارُ مجنونًا وعربد في الفضاء
هاتي يمينكِ فالظلامُ الجهمُ يلتهم السماء
والدربُ مختنق النشيد هناك موصولُ البكاء
لكنْ إذا طلع الصباح . ورشَّ في الأفق الضياء
لا تنكرى أنّى هديْتُ خطاكِ في ليل الشقاء

***

أختاه هاتي كفكِ اليمنى . . ضعيها في يدى
وعلى دروب مشاعلي البيضاء لا تتمردى
فإذا أبيْتِ . وجرَّحتْ قدميْك أشواكُ الغد
ورجعْتِ ظامئةَ الحنين إلى بقايا موردى
سأريقُ أدمع كبريائكِ في رجاء سرمدى
ليظل قلبُكِ أنثويَّ النبض يهتف . سيدى .

***

أنا لستُ صلدَ الروح . صخريَّ العواطف . قاسيا
أرتاح للألم الذى يطوى شبابكِ لا هيا
لكنّنى عذّبْتُ فيك يفاعتي . . وشبابيا
وملأْتُ فيكِ الكوْنَ شعرًا وامضاً . وأغانيا
وحملْتُ فوق جبينيَ المخضوبِ جرْحكِ راضيا

للاستاذ محمد احمد العزب

وأتيتِ أنتِ . فقلتِ . يا عبدى . . فهجتِ إبائيـــا

★★★

عودى إلى آفاقك الأولى حمـامـا تائبـــا
عودى إلى العش الذى أنسى صباكِ الهاربا
البيتُ يا حـواء أمسى بعد هجرك شاحبا
بكت الستائرُ فيه فجرك والضيـاءَ الغاربا
وحبـا الصغيرُ إليك حين صحا . . فراشاً لاعبا
ورأى سريرك خالياً . فبكى . وثار مغاضبا

★★★

أنا لا أريدكِ دمية خرساء جاهلة المصير
أو طفلة العينين تحترقين في ليـلٍ ضرير
فأنا . وأنت هنا . فراش هائم حول العبير
لكننى أخشى عليك هناك من لفح الهجير
أخشى إذا جمحت خطاكِ عليك من ذئبٍ حقير
فالذئب في بلدى يعيش على دم الحملِ الصغير

★★★

كونى كما شاءت لك الأقدار سوسنة حييه
يلتف برعمها الغرير وراء أوراق شذيه
لُفى مطارفكِ الجميلة حول قدكِ يا صبيه
وتخطرى في البيت أنغاما . وأنساما رخيه

اليهود ودعوة الحق

آخر الطوروين

للاستاذ : محمد صبيح

ناقة الرسول تأتي ..

المنظر فى خارج يثرب ، وقد أصبح اسمها المدينة المنورة ، والنخيل يمد ظلا طويلا يوحى بأن الشمس توشك أن تغيب ، ونرى رجلين ينظران الى الافق البعيد ، أحدهما عربى خزرجى من أهل يثرب ، والثانى يهودى من بنى قينقاع طالت لحيته حتى كادت تبلغ وسطه .

قال اليهودي : موسى بن ثعلبة : اسمع يا أبا الوليد .. هل تظن محمدا وجماعته ينتصرون اليوم على قريش ؟ والله انك لواهم .

أبو الوليد : ويك يا موسى بن ثعلبة .. ولماذا تنقم علينا نحن المسلمين ان ننتصر على قريش . وأى حقد هذا الذى تحمله فى قلبك على رسول الله وأتباعه ، وهو يدعو الى اله واحد ، مثلما تدعون ، ويعترف بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى وكل من سبقه من الرسل والانبياء ..

موسى بن ثعلبة : لا أكتمك الحق يا أبا الوليد ، فأنت وقومك الخزرج حلفاؤنا ، وأسرارنا مصونة لديكم .. لقد كنا نرجو أن يظهر النبى الجديد من بيننا نحن بنى اسحق . فاذا هو يظهر من ولد اسماعيل ، وبهذا ينهى وجودنا كشعب مختار ، مفضل على العالمين .

أبو الوليد : ولكن اليس بقية البشر من خلق الله . أو لم يأتكم رسل يدعونكم الى الصلاح والتقوى ، فكذبتموهم ، وآذيتموهم ، وقتلتموهم ، حتى ورد فى الوصايا العشر نهى لكم عن قتل أنبيائكم .. ان تاريخكم كله عصيان لله ، وخروج على كلمته .. وقد بلغت البشرية بعد الفين من السنين نضجا ، يستحق أن توجه لهم كلمة الله عامة ، ولا تقتصر على فريق من الناس دون فريق .

موسى بن ثعلبة : انك يا أبا الوليد تتكلم بمثل ما يتكلم به محمد ويتلوه فى قرآنه .. آه من هذا القرآن الذى قضى

على عقيدتنا في الشعب المختار ، وكم يحيرنا أن نرد عليه ، وكنا نحسب أن توراتنا هي آخر كلمات الله .

ابو الوليد : ولهذا قاومتم دعوة سيدنا عيسى ، وانجيله ، .. وجاء القرآن الكريم يرد عليكم ويقول :

« ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللـه .. ان اللـه عزيز حكيم » .

موسى بن ثعلبة : اسكت يا أبا الوليد .. فقرآنكم يمزق نفوسنا .. وانا سنقف له بكل طريق .

أبو الوليد : (صائحا) هذا قادم من الشرق ، يعلوه الغبار .. عساه يكون البشير بنصر بدر .

موسى بن ثعلبة : اجننت يا رجل .. أو تظن ألفا من صناديد قريش يهزمهم ثلاثمائة منكم ..

أبو الوليد : (غير مصغ له .. ومندفع الى الامام) .. أقسم انها القصواء ناقة رسول الله (صائحا ملوحا بيديه .. ايه يا راكب القصواء ، هات ما عندك ..

موسى بن ثعلبة : وهل تريد بيانا أكثر من هذا البيان . لو أن محمدا انتصر لما جاءت ناقته مع غيره .

أبو الوليد : واها لك يا ابن الخبيثة (صائحا ..) تكلم أيها الرجل .

الرسول : (من بعيد ..) انتصرنا .. انتصرنا ورب الكعبة ..

أبو الوليد : (صائحا ..) الحمد لله .. الحمد لله القوى العزيز .

موسى بن ثعلبة : (ممسكا بذقنه) .. وهل صدقته ؟ . هل تكذب مجيء الناقة من غير صاحبها ، وتصدق هذا الرجل ؟

الرسول : (يقترب ..) قتلناهم .. وأسرناهم .. والله

ابو الوليد : (صائحا ..) اهبط اعانقك .. بل عجل نخبر قومنا النبأ العظيم .

ابن ثعلبة : ولماذا تعجل بفرحة ، يعقبها حزن عظيم .. الناقة يا رجل .. القصواء لا تأتي من غير صاحبها .

أبو الوليد : (هائجا) اسكت يا غراب الشؤم .. أخبره لماذا جئت بالقصواء .

الرسول : لقد فضلها رسول اللـه ، حتى تطير اليكم على جناح الريح ..

أبو الوليد : صدقت يا أخي صدقت .. وأنت يا أخبث الثعالب ، لولا حلف بين قومي وقومك، لاطحت بعنقك والقيت برأسك بين قدميك .. هيا بنا .. هيا .

الحصار

المنظر في حي بني قينقاع اليهودي وسط المدينة المنورة ، وفي ساحة تشبه السوق ومتاجر صغيرة جلس أمامها بعض الناس ، وأمام واحد منها جماعة تتحدث :

موسى بن ثعلبة : أسمعتم يا آل أبي الحقيق ما بعث به محمد لنا هذا الصباح ؟

النضر : نعم لقد كنت في السوق هذا الصباح ، عندما جاءنا بنفسه وقال لجمعنا : يا معشر يهود : احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة .

موسى : وهل رددتم عليه ؟

النضر : نعم .. قلت له : يا محمد اننا اكفاؤك .. لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة . وانا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس ..

موسى بن ثعلبة : وهل استوثقتم من حلفائنا الخزرج ، اذا ما حاربنا المسلمون

النضر : اجل .. فان كبيرهم عبدالله ابن أبي بن سلول ، أكد لنا أنه لن يخذلنا .

موسى : والله انى لاخاف أن يعصاه قومه . فقد كنت مع صاحب لى منهم ووجدت أن محمدا أحب اليهم من كبيرهم ابن سلول ، ولا تسل عن فرحته واعتزازه وهو يتلقى أنباء بدر ونصرها .. هذا صاحبى أبو الوليد يقبل (مناديا) .. يا أبا الوليد .. أقبل ..

أبو الوليد : (فى ريبة وغضب هادىء ..) وماذا تريد منى يا ابن ثعلبة ، بعد ما رأيت منك ساعة جاء البشير بالنصر .

النضير : اجلس نبادلك الحديث .. ان صاحبكم توعدنا بهزيمة مثل هزيمة قريش فى بدر .. ورددنا عليه رد أكفاء قادرين ، معتزين بحلفكم يا معشر الخزرج .

أبو الوليد : (صائحا ..) حلفنا .. ؟ أو تتوهم أحلاف الجاهلية مثاد الاسلام .. ألم يبلغكم ما نزل من القرآن فيكم ردا على تحديكم للاسلام والمسلمين .

موسى بن ثعلبة : متلهفا : وما ذاك يا صاحبى .

أبو الوليد : قال تعالى « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

يهودى ثالث : أيتوعدنا محمد وقرآنه بجهنم .. والله سيرى منا ويرى .

أبو الوليد : وأنت يا ابن أبى الحقيق ، مالك وللحرب والنزال .. وأنت صائغ حلى لا تحسن الا الحديث مع النساء ؟

الصائغ : وأى عيب فى أن نبيع لنسائكم حلينا ، ونشتر أموالكم ؟ اسمع ، هذه واحدة منكم أقبلت .. افسح لها الطريق .

واحدة : بئس ما تشترون يا صاحبى .. بعت لواحد منكم شاتين فبخس الثمن . وأريد عقدا فعساك لا تغلو فى الثمن .

الصائغ : يا أخت العرب ، سترين أنى سأعوضك الشاتين بأجمل الحلى .. جربى هذا .

أبو الوليد : انى لا احب بيعكم وشراءكم يا آل ابى الحقيق . سأمضى لسبيلى (ينهض ..) .

الصائغ : لماذا يا جميلة لا تكشفين عن وجهك ، لنرى العقد على جيدك ؟

السيدة : خسئت يا يهودى .. ومالك ولوجهى ؟ .. أنت تبيع ، ولا شىء أكثر من هذا .

النضير : (يشير الى موسى بن ثعلبة اشارة فيدور حول السيدة ، ويرفع ذيل ثوبها فى خفة ويشبكه فى وسطها) اذا لم تكشفى وجهك ، فلن نبيعك شيئا .

السيدة : وأنا والله لا أشترى .. (ثم تقف فتجد ذيل ثوبها يرتفع الى أعلى وتسمع اليهود يضحكون) .. تبا لكم .. (صائحة) وا اسلاماه ..

أبو الوليد : (يسمع صوتها ويقبل من بعيد) لبيك يا أمة الله .. لبيك (ويرى ثوبها ، فيرخى ذيله .. ثم يسحب سيفه ويطعن به موسى بن ثعلبة طعنة نجلاء) خذها يا ابن اللئيمة .

موسى بن ثعلبة : (يسقط على الأرض .. محتضرا) ألم أقل .. لكن .. الخزرج بعد اسلامهم .. لا حلف لهم معنا (يموت) .

النضير وآخرون : (يثبون على المسلم أبى الوليد .. ويطعنونه بسيوفهم) .

أبو الوليد : (محتضرا ..) عجلت اليك ربى لترضى .. ابلغوا رسول الله تحيتى .. اذهبى أنت يا أمة الله ، فقد سترك الله .

(تسمع ضجة كبيرة ، وقوم يروحون .. وآخرون يجيئون .. ويبدأ السوق يظلم قليلا .. قليلا) .

يهودي (١) : انها والله آخرتنا .. لقد أحاط جنود محمد بحينا ، لا يخرج منه أحد ولا يقدم اليه أحد .

يهودي (٢) : ويلي .. ان لي مالا كثيرا في أحياء يثرب ، كيف أحصل عليه .. هل وصلت رسالتنا لابن سلول عسى أن ينجدنا ؟

يهودي (٣) : مضى اسبوع على الحصار ولم نسمع شيئا .. وأقواتنا قلت ، بل بدأنا نجوع وبقية أحياء يهود تكرهنا لحلفنا مع الخزرج .. ماذا نحن صانعون ؟ .

* * *

في الطريق الى المدينة المنورة ، يرى راكبا جملين قادمين من مكة وقد اختفت ملامحهم ، تحت عمائم كبيرة ، وأثواب مرسلة ، وهما يتحدثان همسا :

عمير بن وهب : (همسا) قل لي يا فنحاص .. ألا ترى أن نفترق هنا ، فتذهب أنت الى بيتك ، ثم تخابر قومك بما اتفقنا عليه ، واتلبث أنا خارج المدينة ، واظهر لهم عند مسجدهم في الصباح ؟

فنحاص : (همسا) ما على هذا اتفقنا مع ابن عمك يا عمير بن وهب .. الليل أقبل ونجومه لا تبين ، تذهب معي الى بيتي تريح بقية الليل ، وأسقى لك خنجرك سما ناقعا ، هذه الساعات ، حتى يكون أقل جرح منه قاضيا على صاحبهم .. وسوف أبعث ولدي يحضر لنا من يعينك على الفرار مع ولدك الاسير ..

عمير : (بصوت خفيض) والله ان قلبي لا يطيب لدخول المدينة في صحبتك مهما استترنا . فلو أن أحدا عثر بنا لانكشفت خطتنا . اما اذا عثروا بي وحدي فسأقول : جئت أفدي ولدي الاسير منذ بدر .

فنحاص : وهل تذهب لمحمد بخنجر لا يقتل ، وتخون عهدك لابن عمك صفوان ابن امية ، وقد وعدته بالثأر لابيه واخيه اللذين قتلا في بدر ؟

عمير : هو ما تقول .. هيا بنا .. هذه بلدتكم ، وأنت أدرى بها ..

(يسيران فوق جمليهما في دروب يثرب) .

فنحاص : هذا بيتي .. لعل كل من فيه نيام ..

عمير : اطرق الباب بهدوء .. أو ناد ولدك .

فنحاص : (يطرق الباب .. تسمع خطوات ..) .

صوت : (من الداخل) من الطارق

فنحاص : (متعجبا ..) هذا ليس صوت ولدي .. من يكون ؟

(الباب يفتح بصرير ..)

محمد بن مسلمة : (بصوت ضخم ..) من الطارق ؟

فنحاص : (مذعورا) من تكون ؟

محمد بن مسلمة : من تكون أنت ؟ الينا بسراج

(يحضر شخص سراجا من الداخل)

فنحاص : (متعجبا ..) محمد بن مسلمة قائد حرس محمد .. ماذا تعمل في بيتي يا رجل ؟

محمد بن مسلمة : آه .. فنحاص .. وأين كنت ؟ .. وهذا واحد وراءك يستتر بالظلام .

فنحاص : (غاضبا ..) اني أسألك ما تعمل في بيتي يا ابن مسلمة ؟ .

محمد بن مسلمة : (لرجال من حوله) انزلوه من على ناقته وأحكموا وثاقه .

فنحاص : يحكمون وثاقي ؟ . أجننت يا رجل ؟ .

محمد بن مسلمة : وأدركوا هذا الذي جاء معه يريد أن يتسلل بناقته .. أحضروه أيضا .

فنحاص : (متذللا) هلا أفصحت يابن مسلمة . انى اعلم أن بيتى هو بيتك، فلا تغضب ، واعذرنى اذا كنت اسأت اليك .

محمد بن مسلمة : (لرجاله) فليدن منى هذا الراكب مع فنحاص بليل .. (يعرض على وجهه السراج .. وينتزع عمامته) آه .. هذا عمير بن وهب ، عدو الله .. اذن كان فنحاص فى مكة يتآمر مع قريش وجاء بك لامر دبرتموه بليل .

الرجال : (فى أصوات متعارضة) فلنضرب عنقيهما .

فنحاص : (متذللا) وحرمة جيرتنا ، وحق أخوتنا الاما أخبرنى أحد منكم ماذا حدث ، وأين أهلى ، ولماذا لم يظهر أحد منهم ؟

محمد بن مسلمة : انا أخبرك يا فنحاص .. لقد حاصرناكم خمسة عشر يوما ولولا شفاعة حلفاء لكم لضربنا أعناق سبعمائة محارب منكم وأخذنا باقيكم اماء وعبيدا ..

فنحاص : واها لقومى .. وماذا صنعوا ؟

محمد بن مسلمة : تآمروا .. وهل تعيشون الا بالدس والوقيعة .. كان نصر بدر غصة فى حلقكم ، فاسرعت يا فنحاص تؤلب علينا قريشا مرة أخرى ، وتعرض حلفكم لهم هذه المرة ، ولكن أمر الله أدرككم قبل ذلك .

فنحاص : ومن الذى شفع فى قومى ، حتى يشفع لى ، فألحق بهم ..

محمد بن مسلمة : انهم فى طريقهم الى اذرعات بالشام . وسأجردك من سلاحك، وكل ما معك ، وابعث بك محروسا الى خارج المدينة ، حتى تلحق بقومك .

فنحاص : أهو عبادة بن الصامت ، أم كبير الخزرج ابن سلول الذى شفع بنا .

محمد بن مسلمة : هما معا

فنحاص : ولماذا لم يشفعا فى مالنا ايضا .

محمد بن مسلمة : اقفل فمك ، والا أقفلته لك بغير لسانك فى داخله .

فنحاص : انى لن أتكلم بعد الآن .. وانت يا عمير أوصيك بأن تحيى لى ولدك الاسير ..

محمد بن مسلمة : ابقوا عميرا فى وثاقه حتى الصباح ليرى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام رأيه ..

فنحاص : (فى ذعر ..) كلمة واحدة يا ابن مسلمة

ابن مسلمة : قل .. ماذا تريد ؟

فنحاص : هل تعطينى التوراة التى فى بيتى

ابن مسلمة : اسمع قول الله تعالى أيها اليهودى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » .

فنحاص : اننا أولياء الله .. فاعطنى التوراة

ابن مسلمة : واسمع قول الله أيضا أيها الكذوب : « قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » .

فهل تتمنى الموت يا فنحاص ؟

(يسحب سيفه)

فنحاص : (فى ذعر) لا .. لا .. لا اريد التوراة .. ولا أريد أن أكون وليا .. ولا أى شىء .. اعف عنى ، وسأرد لسانى الى حلقى .. لن تسمع صوتى .

ابن مسلمة : (ضاحكا ..) هيا أيها الجبان اجر .. حتى تتقطع أنفاسك فرارا وخوفا وجبنا . ولا تقف الا فى اذرعات من أعمال الشام .

دراسة في فكر منحل

في ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط

نشرته مكتبة الامل بالكويت

تاليف / محمد جلال كشك

عرض ونقد/الاستاذ عبد المعطي بيومي

((في هذه الدراسة تعرضت لنماذج من الفكر المنحل .. الفكر الذى يروجه أعداء العروبة ـ أعداء الاسلام ، وفي هذهالدراسة ستجد نماذج من أذناب الغرب وأذناب الشرق ونماذج يصعب عليك أن تحدد . أبلسان الشرق تنطق أم لمصلحة الغرب تعمل ؟ ولكنك لن تشك فى غربتها عن أرضنا ، وعدائها لمصالحنا ، وتآمرها على وجودنا .. وفى هذه الدراسة ستجد بداية لبحوث اضطررنا اليها فى الرد على من تناولهم القلم بالتحليل ، وتناول آراءهم المنحلة بالتفنيد .. وبعضها ما زال للقول فيه بقية ..)) .

بهذه الفقرات من مقدمة هذا الكتاب الذى تولت نشره مكتبة الامل بالكويت حدد الكاتب اتجاهه فى الموضوعات التى تناولها وهى مقالات معظمها مما كان قد نشر فى (الرسالة) ابان عام ١٩٦٥ ثم توقفت الرسالة فلم يتم الحديث .

والكاتب الاسلامى المتوثب الفكر والكلمة قد أخرج لنا من قبل كتابيه (الغزو الفكرى) و (الماركسية والغزو الفكرى) وهما يسيران فى الخط الذى اختاره الكاتب لقلمه منذ عاد بوعى وفهم وايمان الى قيمه الدينية ينافح عنها بعد ما تكشفت له ضلالات الافكار الغريبة المنحرفة التى عاش فى جوها زمنا أتاح له أن يقف بضميره ـ الذى كان متيقظا فيه ـ على ما يدبره الغرب والشرق

وعملاؤهما في بلادنا من خطط للقضاء على معنويات الامة الاسلامية وقيمها ، ليختم التاريخ سجلها المفتوح منذ جاء محمد صلى الله عليه وسلم الى هذا الوجود بدين بعث أمة وأسس حضارة .

وقد تحدث الكاتب في خطبة الكتاب عن المؤامرات التي يحيكها الغرب والشرق ضد الاسلام وقيمته ، وتسخيرهما بعض الاقلام العربية والاسلامية مع الاسف لتنفيذ مآربهم ، حتى بات من الضروري القاء الاضواء على هؤلاء اللصوص — لصوص القيم والتراث والامم وفضحهم وكشف مخططاتهم هم وعملائهم ، حتى تكون الامة على حذر منهم ومما يكتبونه باسم العلم والبحث ، أو يلقونه على مسامع الطلاب ، ولعل القراء لا يزالون يذكرون تلك المعركة العربية الاسلامية التي دارت بين (الرسالة) ممثلة للثقافة العربية الاسلامية وبين كتاب ومجلات أخرى حملوا وحملت معاول الهدم لتقضي على الرسالة حتى أغلقت أبوابها وتوقفت عن مسيرتها .

وكان المؤلف أحد فرسان الرسالة الذين تصدوا للدفاع عن القيم الاسلامية ضد الافكار المسمومة فكتب فيها مقالات وبحوثا كان فيها كطليعة الفارس ، يدافع ويهاجم ، ويتحرك هنا وهناك ، حسب ما تمليه عليه ظروف المعركة التي كان يراها معركة مقدسة في سبيل الله والامة وتاريخها الماضي والحاضر والمستقبل .

واذا كنت وأنت تشاهد معركة على الطبيعة تجد نفسك مشدودا اليها ، متتبعا لحوادثها ، حتى لتغيب عن كل ما حولك فانك ستجد نفسك كذلك ، حين تمسك بالكتاب ، وتبدأ بقراءة أولى صفحاته فانك تحس أن الكلمات تتحرك وتقفز ، وتصفع وتجرح أو تضمد . وتحس بفكرك يتابع في حركة كذلك كل كلمة وكل نقطة وعلامة استفهام وعلامة تعجب .

وقد صنف الكاتب دراساته أو معاركه الى أربع فئات : فئة أسماها ((باللويسيات)) يرد فيها على بعض أفكار للدكتور ((لويس عوض)) ، وفئة أخرى سماها ((بالشيوعات)) وفيها يصارع بعض الاتجاهات ويفضح بعض المواقف والمخازي الشيوعية في بلادنا ، والفئة الثالثة من دراساته خصصها للكشف عن الزيف الذي أحاط بسلامة موسى وأشياعه الذين أطلق عليهم المؤلف اسما جديدا وهو ((السلامة)) ، ثم خصص الدراسة الأخيرة لعرض بعض النماذج من الفكر المنحل لمجلات عارضت الرسالة وهاجمتها بالزور والبهتان .

مع لويس عوض

وأعنف هذه المعارك وأطول هذه الدراسات هي الاولى — اللويسيات — وفيها يتصدى الكاتب للدكتور لويس عوض .

ذلك أنه ذكر في كتابه ((المؤثرات الاجنبية في الأدب العربي الحديث)) أن الاصل في كلمة الحرية في اللغة العربية أن تستعمل في مقابل العبودية — وهذا هو معناها القانوني — وقد تستعمل بالمعنى السياسي والمدني — أي الحرية السياسية والمدنية قليلا على سبيل المجاز بل انها استعملت بهذا المعنى المدني في بعض آثار الادب العربي القديم ، ولكن على سبيل الشذوذ . ولم يشع هذا الاستعمال لكلمة الحرية بالمعنى السياسي والمدني الا نتيجة اتصال العرب بالحضارة الاوروبية لان كلمة ليبرتة أو الحرية في اللغة اللاتينية يراد بها اصالة حرية الحر لا العبد ، أي الحرية السياسية والمدنية .

وقد استدل الدكتور على ذلك بتعليق رفاعة الطهطاوى على قصة عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص التى قال له فيها متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا حيث قال الطهطاوى فمنه يفهم أن الحرية من طباع العرب من قديم . وقد خلص الدكتور من ذلك كله الى هدفه حيث قال . وقد كان منطق الطهطاوى في ذلك منطقا سليما لان فكرة الحرية بمعناها السياسي والمدنى فكرة لا تقاليد لها في المجتمعات العربية .

وهنا أمسك بخناقه جلال كشك مبينا أن المسلمين لم يكونوا بحاجة الى معرفة معنى « ليبرتيه » ليدركوا معنى الحرية ، لانهم أدركوها وباشروها وأقاموا مجتمعهم على أساسها من قديم ولكى يبرهن الاستاذ جلال على ما يقوله رجع الى الاصول التى قام عليها المجتمع المسلم وقسم الحرية الى .

أ — حرية فردية وحرية اجتماعية .

ب — ثم قسم الحرية الاجتماعية الى .

١ — الحرية فى الاسرة

٢ — الحرية فى المجتمع العام .

وفى كل من هذه النواحى أفاض فى ذكر الشواهد التى توضح فى قوة أن الحرية عند العرب والمسلمين متأصلة فيهم قبل اتصالهم بأوربا من زمن بعيد .

الحرية الفردية

فالحرية الفردية تتجلى فى حرية الضمير أو حرية الفكر وهى تعنى رفع القدسية عن العقل البشرى واعطاءه حرية الخطأ والصواب ثم عاد المؤلف الى موقف العرب والمسلمين من هذه الحرية فأبان كيف أن الاسلام رفع العصمة عن كل عقل لانه ليس غير الله حق مطلق فالخطأ جائز من كل انسان ولا حرج متى توافرت النية المخلصة فحتى الرسول صلى الله عليه وسلم يخطىء ويعاتبه الوحى مرات كثيرة « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » ويراجعه فى رأيه الحباب بن المنذر حين اختار عليه الصلاة والسلام فى معركة بدر موضعا ينزل فيه المؤمنون « يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل » لما تبين أنه رأى الرسول الشخصى فى ذلك الموضع لا الوحى ويقول الرسول موافقا (لقد أشرت بالرأى) بل ان القرآن أعلنها صريحة واضحة « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فمن اجتهد فأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران فالباب مفتوح ولا سلطان على الضمير بل الكل سواء .

الحرية في الاسرة

ثم انتقل المؤلف الى توضيح موقف الاسلام من الحرية الاجتماعية — وفى الاسرة خاصة باعتبارها الخلية الاولى للمجتمع وحيث كثر حولها اللغط وهنا اشتدت صولات المؤلف وجولاته وطالت وقفته حيث رأيناه يضرب ويضرب بحكمة وعنف فيسدد ضرباته الىمواضع الضعف فى الحضارة الغربية ويكشف عناصر القوة والروعة فى حضارتنا الاسلامية مبرزا أصالة الحرية وعمقها بأوسع مدلولاتها فى الاسلام ، ولقد برهن الاستاذ جلال كشك على أن الحضارة الاوربية التى يحسبها الكثيرون قد اكتمل نموها ما زالت فى الحقيقة تتعثر وتحبو بجانب حضارة الاسلام .

فالاسرة الاسلامية تقوم أول ما تقوم على الاختيار الحر من الطرفين « فزواجنا من الارض يعقد وبارادتنا يبقى أو ينفصم » بينما نرى ملك انجلترا نفسه قد حرم حقه فى اختيار زوجته واضطر أن يدفع عرشه ثمنا لحرية اختياره وتحدثنا المصادر الاسلامية الاولى انه ثبت فى الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيبا فأتت رسول الله فرد نكاحها .

كذلك نرى الزوجة فى أوربا حتى اليوم تلحق بزوجها ، وتفقد كل حقوقها فى ملكية ثروتها حتى أنه فى مارس ١٩٦٥ فقط يجرى وزير العدل الفرنسى تعديلا على القانون لغرض هو كسب مزيد من الاصوات النسائية فى الانتخابات فينص على أن للمرأة الحق فى ممارسة العمل والشراء وحدها بالتقسيط ، وفتح حساب خاص بها فى البنك . هذا فى فرنسا منبع حضارتهم .. وفى مارس ١٩٦٥ !!

ولكن المرأة المسلمة تتمتع بكل شىء .. من أربعة عشر قرنا مضت فلا يمحى اسمها أو يذوب في اسم زوجها ولا تفقد حقا لها قبل الزواج أو بعده فلها أن تشترى وتبيع ما تريد وليس لزوجها أخذ شىء من ملكها الا برضاها وأتفه حقوقها المصانة ان تحتفظ بحساب خاص لها فى البنك .

ويمعن المؤلف في هذه المقارنة الجميلة فيتتبع الحضارة الغربية من يونانها الى يومنا هذا والحضارة الاسلامية من محمدها حتى يومها الحاضر فيورد سؤال أم سلمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله .. نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ، قال . بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهاره على البطانة » بينما أن الحضارة الاوربية التى أعطتنا فى مفهوم الدكتور لويس معنى الحرية بالمعنى السياسي والمدنى مفعمة بالاحتقار للمرأة فى مختلف مراحل أزمانها فهذا أفلاطون يشكر الآلهة على أنها خلقته حرا لا عبدا ورجلا لا امرأة ، والقديس أوغسطين يرى أن المرأة دابة أو مخلوق لا حزم فيه ولا ثبات على رأى ، الى سيمون دى بوفوار التى تعلن كشفا مذهلا قائلة . ما من شك فى أن المرأة بشر كالرجال .

ويحلل المؤلف أسباب انحطاط مركز المرأة فى الحضارة الاوربية الى درجة تحتاج لها الى « حرب تحرير المرأة » ، وسموها فى الاسلام الى مرتبة افضل من الحور العين، ويرجعذلكالىعاملين: فكرة الخطيئة الاولى ، والنظرة الى الجنس .

اما فيما يتعلق بفكرة الخطيئة الاولى ففى الحضارة الاوربية — فى عهدها القديم والجديد — فان المرأة — حواء — هى التى تعاونت مع الشيطان فى اغراء آدم بالاكل من الشجرة المحرمة وقد أورثت هذا الخطأ لبنات جنسها . أما فى الاسلام فان المسئولية مشتركة وقد غفر الله لآدم وزوجه وانتهى الامر فالخطايا لا تورث « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما » . « وان ليس للانسان الا ما سعى » .

فكرة الجنس

أما فيما يختص بفكرة الجنس فانهم فى أوربا يعتقدون ان الجنس عيب ..! اثم ... لحظة ضعف ومعروف ما يقرره علم النفس أن السلوك الانسانى ازاء ما نؤمن أنه اثم يتخذ أحد شكلين . اما التطهير بالتعفف منه واما الاغراق فيه ، فالاغراق والانحلال الجنسى أو التحرر الجنسى كما يسمونه هناك ليس الا مظهرا من مظاهر الاحساس بالاثم هذا الاثم الذى تغريه به المرأة فهى شر .. شيطان .

ولكن الاسلام يحترم الجنس كوسيلة لحفظ النوع الانسانى لا انحطاط فيه ولا ضعف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي بضع احدكم صدقة) ، وقد أحاطه الاسلام بسياج من الصيانة والوقار وعالج مشاكله ووضع كثيرا من آدابه فى شجاعة ورقة وصراحة .

ومن أجل صيانته حرم الله الزنا وجعل جزاءه الرجم للمحصن والجلد لغيره كما أحل الطلاق تكريما للحياة الزوجية اذا تعذرت هذه الحياة على أنه مع ذلك أبغض الحلال الى الله لا ينبغى ان يلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى ((لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)) .

وهنا يطول موقف المؤلف ليحلل شرعية الطلاق وضرورته وأهميته ثم يستغرب ــ ونحن معه ــ اذ أنه فى الوقت الذى تضطر فيه مجتمعات متحضرة الى تعديل موقفها من الطلاق لتقترب من اباحته ينادى بعض الذين اعلنوا بأنهم ينادون بما ينادون على سبيل (الهنكرة) في مجتمعاتنا الاسلامية بتقييده أو الغائه والغاء بعض الاسس الاخرى معه كنظام الطاعة وتعدد الزوجات ولكنه العقل المشوه لبعض ما نسميهم كتابا ويعلنون عن أنهم (متهنكرون) يريدون حرمان المسلمين من أهم عناصر التفوق فيه وتشكيكهم في هذا الدين .

ثم يعرض الاستاذ كشك الى عدالة نظام الاسلام بغض النظر عن وسائل تنفيذه مبينا ان الذوق السليم يفرضه ، اذ ما ذنب رجل يدفع النفقة لزوجه وهى ناشز ترفض الاقامة معه ، ثم يبرهن بالاحصاءات المعتمدة الدقيقة والاخيرة فى بابها على ان نسبة الطلاق وتعدد الزوجات فى المجتمع الاسلامى لا تتجاوز ٣ فى الالف للطلاق ، ونصف بالمئة للتعدد ، وهى نسبة لا تذكر بجانب نسبة الازواج الذين يتخذون لهم العشيقات فى أوربا كبديل للطلاق او التعدد ولكنها عقول جماعة ترى ــ لسخفها ــ أن المرأة في حرب مع الرجل، كأنها حرب تحرير فى الحضارة الاوربية ، وهم يسعون فى الحقيقة لتكبيل المرأة وتمزيق شعورها وبث القلق في نفسها ، وأى تمزيق وأى قلق لمن لا تدرى كم هن عشيقات زوجها فى الخارج ويقصر بنا المجال المحدد لهذه الصفحات ان نعرض شيئا من نماذج (الهنكرة) التى عرض لها المؤلف مكتفين بجوهر ما أبرزه من اعجاز الدين فى تقرير الحرية التامة للاسرة المسلمة تاركين كثيرا من تفاصيل المعارك وسراديبها لقارىء الكتاب .

الحرية فى المجتمع العام

على أن المؤلف يخرج بالبحث فى حرية الاسلام الى الحياة الاجتماعية متعرضا لاهم قضيتين ثار حولهما كثير من الجدل وهما قضية الحجاب وعمل المرأة .

وفى القضية الاولى يبدد هذا الضباب الذى نشروه حول الحجاب فى الاسلام مدعين أنه يحصر المرأة المسلمة فى زنزانة ضيقة لا فكاك منها موردا موقفا رواه الطبرى من مواقف عمر وهو من نعرفه غيرة وتحفظا حين زاره احد ضيوفه فدعا زوجته اليه لمشاركته الطعام أمام الضيف فلا يمنعها الا ثيابها التى تراها هى أقل من أن تظهر بها أمام أحد ، فلم يعرف الاسلام الاغلال او القيود انما عرف واقر النظر المهذب البرىء لداعى الخطبة او لداعى الحاجة من حاجات المجتمع فأباح للمرأة الخروج الى الاسواق والبيع والشراء والتمريض والذهاب الى المسجد والدراسة والاجتماع .

عمل المرأة

أما عمل المرأة فقد أوضح المؤلف أن الرأسمالية هي التى رغبت منذ البدء فى تشغيل المرأة لانها تأخذ أجرا أقل كما تقلل من أجور الرجال ، فليست مدنية ولا حضارة أن تعمل المرأة ، ولا هو

بالظاهرة السارة ، على أن الاسلام يعطيها حقها فى أن تعمل بحكم الصالح العام ، لا بحكم التشنجات الجاهلة والهستيرية الرعناء . واذا كان الاسلام يسوى بينها وبين الرجل الامر الذى قصرت دونه أية حضارة . فلها حقوقها وواجباتها كانسانة ومن هنا يجبأن تشغل وظيفتها الطبيعية وليس من المنطق أن نربط بين التعلم والتوظف على أنه من الطبيعى أن تعيش المرأة فى كنف زوجها ومن ماله فان ٧٠٪ من نساء العالم يعشن منه فهى تؤدى وظيفة اجتماعية طبيعية أسمى من أية وظيفة أخرى تقوم بها .

وهكذا يوضح المؤلف فى جلاء مدى أصالة الحرية فى المجتمع الاسلامي قانونا ومدنية منذ أربعة عشر قرنا .

دفاع عن الطهطاوى

واذا كان « لويس عوض » « يفتات » على الشيخ الطهطاوى متهما اياه أو مستخلصا من كلامه ــ كما يدعى ــ أن الحرية لم توجد بالمعنى السياسى والقانونى الا بعد اتصال العرب بالحضارة الاوربية فقد أخذ المؤلف بعد ذلك يدافع عن الطهطاوى وهو حين يدافع عنه يعتمد على كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ذلك الكتاب الذى استخلص لويس عوض منه ــ دون وجه حق ــ أن فكرة الحرية لا تقاليد لها فى المجتمعات العربية قبل أن تقتبسها هذه المجتمعات من كلمة « ليبرتيه » اللاتينية وقد أوضح المؤلف فى عرضه لكتاب الشيخ كيف أعجب هذا الشيخ بالحضارة الاوربية ومع ذلك فلم تفتنه عن تراث دينه وتقاليد أمته العربية .

وأورد نصا من كتابه يدحض «تحامل» الدكتور لويس عليه اذ يقول الطهطاوى ما نصه . « وما يسمونه ــ أى اللاتين ــ الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف » فكيف يدعى اذن الدكتور أن الشيخ يقول ان الحرية لم توجد عند العرب الا اقتباسا من « ليبرتيه » .

مع الشيوعيين

ومن الدفاع عن الطهطاوى ينتقل الكاتب الى الهجوم على الشيوعيين فى ثلاث مقالات نشرت بالرسالة وجعلها فى كتابه تحت عنوان « شيوعيات » وفى المقالة الاولى يستغرب الكاتب من مقال نشرته مجلة آخر ساعة فحواه أن الجيش المصرى والجيوش العربية جميعا كانت واهمة فى دخولها حرب فلسطين وكان الاولى بهذه الجيوش أن تحارب الاستعمار لانه هو الذى سخر اليهود لاقامة اسرائيل واشعال نار الحرب بين اليهود والعرب ، أى أنه ــ كما يقول المؤلف ــ بناء على زعم آخر ساعة أن العرب واليهود كانوا معا ضحايا الاستعمار ، ثم يفصل الحقيقة فى هذا الموضوع على لسان الاستاذ أحمد بهاء الدين وخلاصتها أن الجريمة فى فلسطين تماما كجريمة الزنا يجب فيها رجم الصهيونية والاستعمار معا اذ أن الصهيونية بوسائل ضغطها على الرأى العام والحكومة والكونجرس استطاعت أن تكسب الاستعمار الى جانبها بمثل ما فعلت ، فعدونا المباشر اذن هو الصهيونية ثم ينتقل الحديث الى تمجيد روز اليوسف لسارتر بوصفه انسانا مناضلا فى سبيل الحرية والسلام مع مواقفه المعروفة من الصهيونية وينادى المؤلف بأعلى صوته « أما آن أن تشغلنا قضايانا القومية فنعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا » .

معركة جانبية

وفي المقالة الثانية يدخل المؤلف طرفا ثالثا

في معركة أثارها الاستاذ سعد كامل على كتاب الاستاذ أحمد بهاء الدين عن (العدوان الصهيوني وأبعاد التحدى الاسرائيلي) ومع أن الكتاب يبلغ (٢٥٧) صفحة الا أن سعد كامل ينتزع منه سطرين يؤنب جميع الكتاب من أجلها ، ويتساءل لماذا هذا الخلط في التفرقة بين اليهودى والصهيوني ثم يعيب هذا التساهل الفكرى والحماسي والتشويش من أجل كبت العواطف الرخيصة لكراهية كل اليهود ، ويبين الاستاذ جلال أن الالفاظ التى استعملها سعد كامل ان هى الا شعارات شيوعية تبودلت في مناسبات شيوعية ، ثم يوضح أننا رغم التحدى الصهيوني ورغم اضطهاد كل دولة تقريبا للجنس المعادى لها ، كما اعتقلت أمريكا كل اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية مثلا الا أننا أرقى من ذلك فلم نضطهد كل يهودى من أجل الصهيونية حتى في أدق المواقف في العدوان الصهيوني مثلا — الا أن زعماء الصهيونية أنفسهم هم الذين يربطون بين اليهود جميعا وبين الصهيونية ويخلطون بينهما فهذه « جولدا مائير » تقول — كما في كتاب بهاء الدين — (انني كلما سمعت أغاني اسرائيل يرددها اليهود في نيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو رقص قلبي طربا ولكن ترديد الاغاني عن النقب في نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب) ثم أليست الصهيونية هى التى تستثير عقيدة كل يهودى في أن أرض اسرائيل لا بد أن تكون هى المأوى لكل يهودى!. اذن « فلماذا يكون البعض ملكيا أكثر من الملك » .

وفي المقالة الثالثة يتحدث عن تواطؤ الشيوعيين ومساومتهم على فلسطين ومساعدتهم وعطفهم على الصهيونية من قبل بقصد اقامة دولة شيوعية لهم في الوطن العربي وان كان في ذلك تشريد وافناء كيانهم القومي لانهم لا يؤمنون بالقومية ولا بالوطن بقدر ايمانهم بالمبادىء الشيوعية .

مع السلامسة

وفي معركة رابعة مع من سماهم المؤلف « السلامسة » تلاميذ سلامة موسى الذى كان يحلم ومن ورائه أتباعه في تمييع اللغة العربية وتلتينها (تحويلها الى اللاتينية) ومحو معالم تراثنا الاسلامى كما فعلت بعض الدول لتغلق أبواب الماضي المجيد ولتفتحها على مستقبل يرتبط باتجاهات ونزعات معينة ثم ألقى الاضواء على أطماع الغزو الفكرى من الشرق والغرب وخاصة في مجلة حوار التى شكك فيها من قبل أن ينكشف أمر المخابرات الامريكية التى تصدرها .

مع روز اليوسف

ثم يختم الكاتب معاركه بهجوم شامل وأخير على مجلة روز اليوسف وكتابها الذين انتقدوا مجلة الرسالة وشوهوا صورتها وعللوا اغلاقها بعلل لا تمت الى الحقيقة ، وراح يفضح مجلة روز اليوسف بالذات ومواقفها الجنسية وقصصها اللا أخلاقية ورسومها الداعرة التى تشوه صورة مجتمعنا العربي موردا نماذج من كل ذلك حتى تتضح الحقيقة للقارىء بلا ادعاء ولا تشويش .

والى هنا يصل المؤلف الى الصحيفة السادسة عشرة بعد المائتين ويسكت ، ونغلق الكتاب في بطء وفي رؤوسنا صليل معركة جادة دارت ، وغبار فكر منحل تطاير ، وازدهار قيم عربية اسلامية وفق الله الكاتب وأمثاله من المؤمنين بالاسلام وقيمه ، والفاهمين لقضاياه ، أن يتولوا ازالة الغبار عنها وتعهدها لتبقى مضيئة لامعة وسط الضباب الكثيف ، والغبار الخانق الذى يحاول بعض ذوى الاقلام المغرضة أن يثيروه حولها كلما أتيحت لهم فرصة ، أو أتيح لهم أن يوجدوها ..

الله وحده لا شريك له ويأمنوا الفتنة والاكراه على ترك الدين ، اذ لم يكن شيء من ذلك ميسوراً لهم فى مكة لغلبة الكفار عليها ، وضعف المسلمين فيها الى حد العجز عن اقامة دينهم .. الخ .

وثانيتهما : ان يكثر سواد المسلمين بالمهاجرين من مكة ممن اسلموا ، ويزداد عددهم ، ويكون لهم بأس وقوة وكثرة ووفرة يستطيعون بذلك أن يذودوا جيوش الكفار عن حماهم ، وان ينصروا رسول الله ويمنعوه ، حتى يبلغ دعوة ربه ، وينشر دينه فى خلقه .

واذا كان تحقيق هذين الفرضين علة فى ايجاب الهجرة فانما يكونان العلة فى عكس ذلك ، وهو منع الهجرة وتحريمها اذا كانت الهجرة تؤدى الى عدم توافر القوة واشتداد البأس للذود عن الوطن وفك يد العدو عما اغتصبه من ذلك الوطن ، وكانت فتوانا التي قلنا فيها بتحريم الهجرة الى كندا واستراليا وأقاصي أميركا خاصة بأهل فلسطين حين أخذ العدو ينشد تشتيت أهل فلسطين فى الآفاق ، وخاصة حيث لا تمكنهم العودة ، لتبقى فلسطين فى يده فريسة باردة ، وفى بلعومه لقمة سائغة ، وقد سعى اذ ذاك لدى حكومات أميركا وكندا واستراليا لتيسير هجرة الفلسطينيين اليها ، وذلك على أثر استيلائه على ما بيده من فلسطين .

وكان صدور هذه الفتوى فور وقوع تلك النكبة اذ رأينا فريقا من أهل فلسطين قد أقبل على الهجرة ، وكانت اذاعة تلك الفتوى منذ أكثر من عشر سنين ، وقد أرسلنا منها الى الجامعة ، ونشرت فى الصحف كما قلنا آنفا ، كما نشرت فى العدد الأول من السنة الثانية من مجلة (هدى الاسلام) .

وهذه نبذة تؤيد ما قلنا آنفا جاءت فى مستهل تلك الفتوى (لقد صرنا نرى اقبالا من فريق من المسلمين على الهجرة الى أميركا وكندا وبعض الاقطار النائية ، وأتتنا أخبار من بعض المهاجرين الذين قذفت بهم وكالة الاغاثة الى بعض أقطار أميركا أنهم هنالك لم يلقوا غير الجوع والمذلة والهوان ، وبما علمناه من هذه الأقطار ، ومن كتب خاصة وردتنا من اضمحلال الدين فى نفوس كثير من المهاجرين ، وارتداد بعضهم عن الاسلام ، ونشأة أولادهم على غير دينهم ولغتهم) الخ ..

ثم قلنا فى هذه الفتوى (وقبل ذلك لا يسعنا الا أن نبدى عجبنا من موافقة الدول العربية على اقتراح بعض الدول الموالية للصهيونية أن يوطن عدد من احداث اللاجئين فى بعض مجاهل أميركا ، اذ كان من الواضح أن هذا النوع من اللاجئين سيكون مآله ضياع دينه ولغته وقوميته ، واندماجه فى أهل تلك الديار ، ولا يخفى أن تلك الدول لم تقترح هذا الاقتراح شفقة ورحمة ، بل مساهمة فعلية فى تبديد اللاجئين ، وتشتيت شملهم ، وتفريق جمعهم ، وحل مشكلتهم على ما يروم اليهود من اسكان اللاجئين فى غير بلادهم ابطالا لمقررات هيئة الأمم) .

ومما قلناه فى هذه الفتوى ما كان ختاما لها وهو ما يزيد وضوحا قولنا بتحريم هجرة أهل فلسطين منها ، أو مما حولها من البلاد العربية هذا (ومما يزيد فى أثم هجرة المسلم الفلسطيني الى تلك البلاد (كندا واستراليا وأميركا) ان هذه الهجرة تخل عن الوطن للعدو ، ونزول عنه ، وترك الجهاد والمرابطة لاسترداده ، فان الجهاد والمرابطة واجبان على الفلسطينيين قبل كل مسلم) وبهذا الختام جلاء المراد لذوى الافهام ، وبالله التوفيق .

ما هى قصة البكا والمبكى عند اليهود فى المدينة المقدسة ؟ ولماذا يتقربون عنده ، ويقدسونه ، كما يعظم المسلمون المسجد الأقصى ؟.

توفيق محمد حسين الشعبان
عمان ــ الاردن

أى مبكى يا سيدى هذا الذى يقدسون ؟ ، وأى بكاء هذا الذى يبكون ؟ ان بكاء العبادة فرط احساس الانسان بالحسرة والشعور بالندم على ما فرط فى جنب الله ، فأى ندم هذا الذى يستشعره هؤلاء الملوثون الغارقون الى أذقانهم فى الاثم والخطيئة . أليسوا هم الذين تعرت نفوسهم من كل معانى الشرف والكرامة ، نباعوا أجساد أمهاتهم ونسائهم وبناتهم فى سوق الدعارة !! أليسوا هم الذين يسطون على أموال السفهاء ــ والمراهقين ، فى المراقص و (الكباريهات) فى العالم !! أليسوا هم الذين أتخمت جيوبهم ، وتضخم رصيدهم من ميادين السباق وموائد القمار !! أليسواهم أكلة السحت وأخطبوط الربا فى كل مكان !!

ان بكاء العبادة انفعال نفسى بالغ نتيجة الشعور العميق بالرهبة والخوف من الله تبارك وتعالى ، وما لسلالات ــ القرده الخاسئين ، وعبدة العجل » وقتلة الانبياء والمرسلين ومصاصى الدماء . ما لهم وهذه الشفافية الروحية والتسامى الوجدانى . أليسوا هم الذين يحلون الآن المسجد الاقصى لكل نقيصة ، ويرتكبون فيه كل رذيلة ، ويعيشون فى حرمه ورحابه فسادا وفسقا ، ويأتون فيه كل منكر !!

فلا يوجد فى نفوسهم حافز دينى أصيل من احساس بندم على خطيئة ، أو شعور بالخوف والرهبة من الله ــ يثير فيهم انفعال البكاء ، أو يقرح جفونهم بدموع الحسرة أو الخشية .

ولا يعقل أن تسيل دموعهم ، أو تفرق مآقيهم نتيجة رقة قلبية أو عاطفة انسانية رحيمة . . ومتى خالطت الرحمة هذه القلوب المتحجرة التى ختم الله عليها ، وندد بأصحابها فقال : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون . . » !!

ان الجرائم الوحشية التى ارتكبوها ضد العزل الآمنين فى الارض المباركة

لاكبر شاهد على أن الرحمة لا تعرف طريقها الى قلوب هؤلاء المجرمين السفاحين .

انك يا سيدى من عمان ــ على مقربة من الايدى الملوثة بدماء الاطفال الابرياء والفتيات البريئات والعجائز والمحصوارت ولقد سمعت بأذنيك وشاهدت بعينيك قنابل النابالم المحرمة شرعا ووضعا وسماء وارضا وهى تلتهم الاجساد الغضة ، وتحرق الجلود الرطبة ، وتذر كل شيء أتت عليه كالرميم .

انك في أرض المعركة . ألم تر البنايات الشاهقة وهى تنهار على من فيها بقنابل طياراتهم وقذائف مدافعهم التى لا تفرق بين محارب ومسالم وشاب وشيخ .

الم تر عشرات الالوف من السكان وقد فروا مذعورين مذهولين عن كل شيء الى الصحراء من بطشهم وغدرهم؟!!

ان بكاءهم المزعوم وليد شعور كاذب واحساس خادع ، وما أكثر ما يكذب الشعور ويخدع الاحساس من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة .

انها قطرات دموع الظالم الذى يقف أمام القاضى يتباكى ليعمى عليه الحقيقة ويستميله الى جانبه ، ليقره على ظلمه . كما يقول المثل : ضربنى وبكى ، وسبقنى واشتكى .

انها أشبه بدموع المتسول الثرى الصحيح الذى يربط ساقه ، ويتوكأ على عكازه ، ويدور يستجدى الناس ، ويسلبهم أموالهم .

ان الاحساس الذى يسيطر عليهم وهم يتباكون احساس خادع كاذب كاحساس المتخم بالجوع .

انهم لفرط غفلتهم ، وقسوة قلوبهم ، وشدة جحودهم كما قال الله :« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » .

والانسان اذا التوت فطرته ، وخبثت نفسه كان أقدر الكائنات على التلون ، وأبعدها امعانا في المكر والخديعة .

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت اطير

والدمع أحد الاسلحة التي استخدمها الانسان من قديم الزمان للتضليل والتغرير . وفى قصة يوسف مع اخوته التي أفردها القرآن الكريم بسورة كاملة ــ آية واضحة على مقدرة الانسان على التستر ، واخفاء دخيلة نفسه وحقيقة أمره وراء قطرات الدمع الزائفة « وجاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

وقد افتضح أمر هذا السلاح ، وكشف الناس سره من كثرة ما لاقوا ــ على مر العصور والاجيال ــ من زيفه وخديعته فأطلقوا على الدموع المسفوحة كذبا وزورا : دموع التماسيح .

الا ويل لهم مما قست قلوبهم ، وويل لهم مما سكبت عيونهم .. وويل لهم من الله الذى لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .

أما عن قصة المبكى الذى ذهبوا اليه غداة انقضاضهم على بيت المقدس ، واجتمع عنده سفاؤهم وشياطينهم ، وقلوبهم تنزف غلا وحقدا ، وقاب قوسين أو أدنى منهم الارواح التى أزهقوها ظلما ، والدماء التى أراقوها بغيا ، والدور التى هدموها عدوانا ، والمتاجر التى عاثوا فيها سلبا ونهبا ... أما قصة هذا المبكى فانها أسطورة من أساطيرهم التى اختلقوها ، واسرائيلية من اسرائيلياتهم التى ابتدعوها .. ما

البقية على ص ٩٣

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

فى الميراث

السؤال : ــ

توفيت امرأة عن .

أم ، وبنت ، وأخت لأب ، واخوة لأم ذكورا واناثا .

فما نصيب كل وارث ؟

سعيد القطان ــ الكويت .

الاجابة : ــ

بوفاة المتوفاة المذكورة عن أم ، وبنت، وأخت لأب ، واخوة لأم ذكورا واناثا . يكون توزيع تركتها على الوجه الآتى .

للأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لانفرادها وعدم وجود من يعصبها وللأخت لأب الباقى تعصيبا لأن الأخوات مع البنات عصبات . ولا شىء للأخوة لأم لحجبهم بالفرع الوارث وهو البنت .

السؤال : ــ

توفى شخص عن بنت ، وبنت ابن ، وبنت بنت ، وأولاد أخيه الشقيق ، ثلاثة ذكور وأربع اناث .

فما نصيب كل وارث ؟

أحمد ــ ح ــ حولى الكويت .

الاجابة : ــ

بوفاة المتوفى المذكور عن الورثة المذكورين يكون توزيع تركته على الوجه الآتى .

للبنت النصف فرضا ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين ولأولاد أخيه الشقيق الثلاثة الذكور الباقى وهو الثلث بالتساوى بينهم ولا شىء لبنات الأخ الشقيق ولا لبنت البنت .

فى الصداق

السؤال : ــ

كثيرا ما يحدث أن يتم عقد زواج بين رجل وامرأة فى بعض قرى جنوب المغرب ويدخل الزوج بزوجته دون أن يسلمها المهر ويكتفى بتسجيل قيمته فى العقد ولا يسلمه لها الا عند الطلاق .

فهل يجوز ذلك شرعا ؟

السيد ــ س ــ م الدار البيضاء ــ المملكة المغربية .

الاجابة : ــ

المقرر شرعا . أن المهر ملك للمرأة تتصرف فيه كيف شاءت ان كانت رشيدة فلها الحق فى أن تقبضه بدون تأجيل ، ولها أن تؤجله حسب اتفاقها ، ومن ثم فلا مانع شرعا من دخوله بها ويبقى المهر حقا ثابتا لها فى ذمته الى الأجل الذى رضيته اذ أن رضاها هو المرجع الأساسى فى طلب المهر وتأجيل استلامه بل وفى هبته لزوجها ، ويستحب اعطاء الزوجة المهر كله أو بعضه قبل الدخول بها تكريما لها ولأهلها .

فلا مانع شرعا من دخول زوجها بها قبل أن تتسلم المهر ما دام ذلك برضاها وكانت رشيدة بالغة .

فى الرضاع

السؤال : ــ

تزوجت ابنة عم لى وبعد مدة حصل خلاف بيننا ولم يحصل طلاق فتزوجت ابنة عم لى ــ ثانية ــ ثم حاولت استرجاع الاولى ومصالحتها فقالت جدة زوجتى الثانية أنها أرضعت الاثنتين : الاولى والثانية معا ، ولا أدرى عدد الرضعات واعتقد أنها لجأت الى هذا القول رغبة منها فى عدم استرجاع الاولى .

فما حكم الشريعة ؟

ن . م . ب
الشويخ ــ الكويت

الاجابة : ــ

لا يجوز الجمع بين الاختين نسبا أو رضاعا كما أن الرضاع المحرم على ما

ذهب اليه الامام الشافعي — وعليه الفتوى — هو خمس رضعات مشبعات .

واختلف الفقهاء في كيفية اثبات الرضاع فذهب الاحناف الى أن الرضاع المحرم يثبت بشهادة رجلين من أهل الشهادة أو رجل وامرأتين — وقيل يكفي في ثبوته شهادة امرأة معروفة بالعدالة .

وقال الشافعي يثبت بشهادة امرأتين بناء على أن الرضاع مما لا يطلع عليه الا النساء غالبا ، ويروى ذلك عن مالك وأحمد أيضا . وبما أنه لم يقل بالرضاع سوى امرأة واحدة ومطعون في قولها فانه لا يعول عليه شرعا ، خصوصا وأنها لم تذكر عدد الرضعات . ولم تقل ذلك عند زواجه بالثانية ، وكان ضروريا أن تصرح به حينئذ . ولكن يمكن من باب الاحتياط الاخذ بقولها ورعا وذلك هو ما رآه الامام الشافعي في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن الكبرى : أن عقبة بن الحارث قال : تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت انى أرضعتكما فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : انى تزوجت فلانة بنت فلان ، فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت انى أرضعتكما ، وهي كاذبة ، فأعرض عني الرسول ، فجئته من قبل وجهه فقلت: انها كاذبة فقال : وكيف قد زعمت أنها أرضعتكما ؟ دعها عنك .

فقد رأى الشافعي أن أعراضه صلى الله عليه وسلم لا يلزمه بمفارقة زوجته ، وقوله (كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما) يشبه أن يكون قد كره له أن يقيم معها ، وقد قيل انها اخته من الرضاع — وتأسيسا على ما تقدم فلا مانع من مصالحة الاولى مع بقاء الثانية لعدم الاخذ بقول الجدة المرضعة ، على أنه اذا تأكد صحة قول الجدة بالرضاع وأخذنا به فان عقد الثانية يكون فاسدا لانه يكون قد أقدم على الجمع بين أختين من الرضاع فيفسخ العقد الثاني ، ويلزم التفريق بينه وبين الثانية . وتبقى الاولى زوجة له .

في الميراث

السؤال : —

توفي شخص عن جد وزوجة ، وبنت ، وجدة لأب وأخ شقيق .

ثم توفيت الزوجة عن :

زوج وأم وأب .

فما نصيب كل وارث .

(م — ن ع — الكويت)

الاجابة : —

بوفاة المتوفى الأول يكون توزيع التركة على الوجه الاتى :

للجد السدس فرضا وللزوجة الثمن فرضا وللبنت النصف فرضا وللجدة للأب السدس فرضا والباقي للأخ الشقيق تعصيبا وهو $\frac{1}{24}$ من التركة .

وبوفاة المتوفاة الثانية (الزوجة) يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأم ثلث النصف الباقي وهو السدس من التركة وللأب الباقي وهو ثلث التركة .

والله أعلم

السؤال : —

تركت المتوفاة ست بنات وابن أخ شقيق وقد أوصت بالثلث ، وتركت (شيكا) بمبلغ (٤٥٠٠) دينار وأخرجت مبلغ (١٥٠) لبنتها لولوة ، ومبلغ (١٥٠) لبنتها مصاريف نثرية لها . وأوصت بالثلث للخيرات فكيف توزع التركة ؟ .

(م . ع . — الكويت)

الاجابة : —

في هذه الحالة يخصم من مبلغ الشيك الذى هو « ٤٥٠٠ » المبلغ الذى صرفته على بنتها والمصاريف النثرية والمقدر ب « ٣٠٠ » ثلثمائة دينار ، فيكون الباقي « ٤٢٠٠ » دينار يخصم منها الثلث وهو « ١٤٠٠ » دينار فتكون التركة هى : « ٢٨٠٠ » دينار توزع كالاتى :

للبنات الستة الثلثان وقدره ١٨٦٦/٢ يوزع بينهن بالتساوى .

وللعاصب وهو ابن الاخ الشقيق الثلث الباقي وقدره (٩٣٣/١) دينار .

[illegible]

طالعتنا صحيفة الرأى العام الكويتية بكلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الدول العربية مدعوة الآن أن تدرك الكثير من الحقائق وقد تكشفت معظمها الى حد صار يسمح بمواجهة واعية لهـا .

ومن مستلزمات كل مواجهة خلاقة أن ننطلق من أطار السلبية والانفعال الى أطار الايجابية والفعل .

يجب أن نقول للعالم انطلاقا من تكرار الحوادث العدوانية ان المسألة ليست محصورة فى نطاق حرب حزيران ، بل هى واسعة طويلة و (اسرائيل) هى التى اختارت الحرب .

يجب أن نؤكد للعالم أن بقاء القوات المعتدية خارج حدود الهدنة سوف يظل عامل الصدام المسلح اليومى الذى تفرضه على اسرائيل طبيعة حياتها ومفاهيمها ، وتفرضه على العرب طبيعة الرد على الاعتداء وازالة قوى الاحتلال .

ان الدول العربية التى لم تقبل الوجود الصهيونى العدوانى فى جزء من فلسطين لن تقف مكتوفة عاجزة وقد قفز هذا العدوان فوق حدود ثلاثة من دولها القائمة .

واذا كانت (اسرائيل) وعملاؤها من الدول الكبرى يتصورون أن تكرار الاعتداءات سوف يدفع بنا الى القبول بالصلح فانهم هنا يرتكبون الخطأ الجسيم .

لقد قاومنا الاحتلال مئات السنين وقاومنا العدوان العسكرى فى كل منطقة عربية ولم يدفعنا الاحتلال والعدوان مهما بلغ من الجبروت الى الرضوخ والاستسلام .

شيطان أعور

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة الحوادث البيروتية تقول :

ان فى اسرائيل اليوم (شيطانا أعور) يجب أن يدرس ، فى معزل عن عاطفة العداء التى كانت تحول فى الماضى بيننا وبين رؤية الحقائق الا بعد أن تستهلكها اسرائيل .

كما لا يجوز أن نقع فى العقلية الانهزامية التى تضخم قدرة العدو وامكاناته وحقائقه .. كذلك لا يجوز أن نقلل من قدرة العدو ، فى تصور تفاؤلى ساذج حول الخلافات القائمة بين موشيه دايان وليفى أشكول .

ان الدعاية الصهيونية تحاول اليوم التركيز على خلاف قائم بين دايان واشكول ، على اعتبار أنه خلاف بين التطرف والاعتدال ... ولكن الحقيقة أن ما يبدو تناقضا بين عقلية (المقامر الدموى) وبين عقلية (الحكيم الاوكرانى) هو فى الاستراتيجية الصهيونية تكامل وتناسق وتكتيك .

ان قصة الحركة الصهيونية ، منذ أن وضع قواعدها (هرتسل) ، هى قصة . (دكتور جيكل ومستر هايـد) .

أيام الانتداب البريطانى على فلسطين ، كان الارهابيون من جماعات (الارغون) و (شتيرن) ينسفون المؤسسات الانكليزية ، فيذهب زعماء الوكالة اليهودية الى السلطات المنتدبة ، ليقدموا الاعتذارات ، ويصدروا البيانات بشجب أعمال الارهاب .. علما بأن هذه الاعمال الارهابية لم تكن تنفذ فى الاساس الا بعد أخذ موافقة مسبقة من زعماء الوكالة اليهودية .

هذه العقلية ، أو هذا الاسلوب لا يزال مستمرا باشكال مختلفة وجديدة ، فايبا ايبان كان يقول في مجلس الامن . (أوقفنا القتال) في الوقت الذى كان اسحق رابين يستمر في الهجوم على سوريا . وأشكول يقول اليوم . (نريد السلام) في الوقت الذى يهدد دايان باستئناف الحرب .

ان ازدواجية العقل والجنون هي أحد أسرار الحركة الصهيونية التي آن لنا أن نكتشفها .. والدليل أن اشكول لم يتردد في أول اجتماع عقده مجلس الوزراء الاسرائيلي ، بعد انتهاء العمليات العسكرية في سيناء والاردن والقنيطرة ، عن أن يوجه تحية للشيطان الاعور أمام الوزراء فيقول . (لقد كان دايان مدهشا عندما وضعنا أمام الامر الواقع ، وقرر الهجوم في وقت كنا نؤثر فيه خطة الانتظار) .

وجاء تحت هذا العنوان رأى للجنرال ديجول عن مسئولية اسرائيل قال فيه :

« ان اعجابنا بها يجب أن لا يمنعنا عن القول بأنها هي التي بدأت بالعدوان . ان عقلية الحرب تنتشر من جديد في العالم . ازمة تساعد على اثارة أزمة أخرى . ازمة الشرق الاوسط لا يمكن ان تحل دوليا الا اذا مرت عبر الخط ١٧ في فيتنام . أما حلها اقليميا فمتوقف على اسرائيل . اذا بقيت محافظة على هدوء أعصابها ، ولم يسكرها النصر العسكرى الذى احرزته ، وانتظرت حتى يتبدد الغضب العربي ، وتعود الخلافات بين زعماء العرب ، وقبلت أن تسحب قواتها من الاراضي التي احتلتها ، عندئذ يمكنها الوصول لتسوية » .

المؤسسات الأجنبية أوكار للتجسس والاستخبارات

ونشرت مجلة الرسالة الكويتية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه .

لعل أهم الدروس التي ينبغي أن يتعلمها شعبنا من المعركة الاخيرة ، هي الحذر واليقظة من عملاء العدو وجواسيسه الكثر ، المنتشرين في قطاعات متعددة من حياتنا الاقتصادية والفنية والادارية .

فمن جملة الاشياء الخطيرة التي كشفتها المعركة ، ان أوكار المخربين والجواسيس كثيرة ، وأن هؤلاء يتمتعون بأنواع (الحصانات) التي تهيأت لهم مسبقا ، أما عن طريق الوظيفة في المؤسسات الاجنبية والسفارات ، أو عن طريق الوساطات والدالات على شخصيات نافذة ومرموقة .

ان جميع المؤسسات الاجنبية المنتشرة في عواصم البلاد العربية توظف مثل هؤلاء الجواسيس والمخربين وترعاهم وتؤمن لهم الحماية على أوسع نطاق ، كي يعيثوا في الارض فسادا ، ويجمعوا المعلومات السرية عن بلادنا ، ويشاركوا في الحرب النفسية التي يشنها العدو لتكون ظهيرا لحربه العسكرية .

في فترة السنوات العشر الماضية نشطت المخابرات الاميركية نشاطا كبيرا في عدد من عواصم بلادنا . أقامت الشبكات في كل قطاع وراحت تحصى كل شاردة وواردة حتى تتمكن من توجيه الضربات المجرمة ساعة يحلو لها ذلك .

ومن الجواسيس من يعمل في أكثر من شبكة ولحساب أكثر من جهاز أجنبي كالمخابرات البريطانية والمخابرات الالمانية الغربية التي تقيم أوثق تعاون مع المخابرات الاميركية . ومنهم من يعملون لحساب المخابرات الاسرائيلية الى جانب الاجهزة الاستعمارية الغربية .

ويتوزع عمل الجواسيس والمخربين في أشكال متعددة . فهم في المصارف يجمعون المعلومات عن الحياة المالية والاقتصادية ، وفي الشركات الاهلية وبعض القطاعات التابعة للحكومات ينشطون أيضا ، وفي الصحافة لهم وجود مهم .

الحرب النفسية

ومن كلمة تحت هذا العنوان نشرتها صحيفة أخبار اليوم القاهرية .

أخطر من أسلحة العدوان المسلح .. أسلحة الحرب النفسية .. فهذه تقتل الجيوش ، ولكن تلك تشيع اليأس وتدفع الى الاستسلام .. فتقتل الشعوب .

والحرب النفسية سلاح من أهم أسلحة الحرب الحديثة ، ومنذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، والحرب النفسية تحتل مكانا هاما فى تخطيط القوى الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا .

ويقول تقرير لاحدى لجان الكونجرس الامريكى أن الاحداث منذ عام ١٩٥٤ حتى اليوم اثبتت بوضوح « أن الادوات التقليدية للسياسة الخارجية وهى .. الدبلوماسية .. والقوة العسكرية .. والسياسة الاقتصادية .. لم تعد كافية لتحقيق الاهداف الشرعية ، وأن الاسلحة التكنولوجية جعلت من الحرب النفسية ، احدى أدوات السياسة .

ومنذ عام ١٩٥١ والامبرياليون الامريكيون يتابعون الاهتمام بتصعيد الحرب النفسية حتى أصبحوا يطلقون عليها (الاداة الرابعة) للسياسة الخارجية .. بعد الادوات الثلاث السابقة .

ودول العالم الثالث هى أكثر الدول تعرضا للحرب النفسية بحكم ظروف التخلف وتعقد مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى بذر الاستعماريون بذور الشك واليأس ، والتخبط الفكرى ، والفرقة للتأثير على السياسة الخارجية والداخلية للشعوب .

وفى أخطر المعارك التى تخوضها أمتنا العربية فان وقف اطلاق النار قد يكون انهى القتال الى حين ، ولكنه لم يوقف الشراسة التى يشن بها الامبرياليون علينا الحرب العسكرية والدبلوماسية فانهم يصوبون أسلحتهم النفسية الى صدورنا فى ضراوة وحقد لارهابنا وابتزازنا وتصفية أمانينا ....

وان على شعوبنا العربية أن تفطن الى هذه الحقائق ، فان ايمانها ووعيها وتضامنها فى مواجهة العدوان هى وحدها الكفيلة باحباط خطط التآمر والعدوان .

بقية بريد الوعي

أنزل الله بها من سلطان ، وما تنزل بها وحى فى توراة ولا انجيل ولا قرآن .

وحائط المبكى الذى يقدسه اليهود بقية من سور أورشليم القديم ، وهو جزء من الحائط الخارجي للهيكل الذى بناه سليمان عليه السلام . يقف عنده اليهود فيذكرون ويبكون مجدهم المزعوم .

ويقول عارف باشا العارف فى كتابه تاريخ القدس ، وأما حائط المبكى فالاعتقاد السائد أنه جزء من حائط الهيكل الخارجي ، وقد رممه هيردوس (١١ ق . م) ودمره تيطس (٧٠ م) وكثيرا ما حدث اختلاف بين اليهود والمسلمين من أجله . ذلك أن المسلمين يعتقدون أنه المكان الذى ربط عنده جبريل براق النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ومن هنا جاء اسمه الاسلامي (البراق) وقد كان ، ولا يزال الى يومنا هذا يؤلف جزءا من الحرم المقدس .

ويقول : وليس لليهود فى القدس سوى هذا الحائط ، وأما المقبرة التي يدفنون فيها موتاهم فانها وقف اسلامي ، وهي واقعة فى الوادى المعروف بوادى قدرون ، ويسميه المقدسيون وادى جهنم ، وقد أذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء جعل معين يدفعونه فى كل سنة لاصحاب الوقف ، ودفعوا فعلا — كما هو ثابت فى الصفحة ٥٧٤ من السجل ٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس — دفعوا مئتى دينار ذهب عن سنتى ٩٦٨، ٩٦٩ هجرية .

فلا يوجد لليهود أى أثر أو مجد تاريخي أو عمرانى فى بيت المقدس . اللهم الا الكذب وما مرنوا عليه من تضليل العالم عن تاريخهم وأمجادهم الزائفة .

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

أغنياء العقل وأغنياء المال

تناول الاستاذ سيف الدولة عباس الجميعابي بوزارة المواصلات بالخرطوم هذا الموضوع فدعا الى تعاون علماء المسلمين وأغنيائهم فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية فقال :

ان العالم الاسلامي جميعه ما زال بخير — وأن الروح الاسلامية متمكنة منيعة — برغم الالغام التي يضعها أعداء اسلام — فهم انما يضعونها لا آملين أن يحظوا بأن تحدث ضعفا فى عقول المسلمين تجاه دينهم ، لانهم يعلمون أن الدين يجرى فى شراييننا — ولكن فقط لانهم مصابون بعقدة الشعور بالذنب تجاه أنفسهم — ويعتبرون أن فى هذا ترويحا لنفوسهم المتعبة المكدودة من افرازات الشرور .

اننا أصحاب شريعة نشطة ، مليئة بالحركة ، شريعة تملك حياتها وما دامت هي على هذه الحال — فنحن المسلمين مطالبون باليقظة التامة وتحمل المسئولية .

وفى العالم الاسلامي اليوم صنفان من الناس ، هما أحق بأن تتوفر فيهم اليقظة والمسؤولية :

أولهما — أغنياء العقل • ترى كم عدد العلماء الذين يستطيعون أن يغيروا مجرى الحياة العامة والخاصة لامة المسلمين . لا شك أن عددهم هائل — كفاءات هائلة ومستويات فى العلم تضارع مستوى علماء العالم — ولكن هل حقا انهم قد قاموا بواجبهم لوجــه الله !! نقول : ان القليلين منهم هم الذين أدوا واجبهم برغم عوائــق الزمن — وركن الكثيرون منهم الى الدعة والتحلل من روح المسئولية .

هذا ما كان من أغنياء المال وأصحاب الثروات من الامة الاسلامية فى بقاع الارض فيجب أن تقوم بينهم وبين أغنياء العقل روابط متينة . فان الاسلام محاصر من كل جــانب بعدو يحمل صنفا من الســلاح ولكن سنقفل الطريق أمام أعدائه — والشرط الاساسي هو تنازلنا عن أطماع النفس والترفع عن زيف الحياة .

انها فكرة لو قدر لها أن تقوم وترى النور ، فأول خطوة فى تنفيذها هي أن يلتقي كل من الطرفين — أغنياء المال وأغنياء العقل فى كل بلد مسلمة — بتنفيذ الفكرة وتسخيرها لخدمة الاسلام — واني أناشد علماء الكويت بأن يتبنوا الفكرة ويكونوا نواتها — ويطوفوا بالبلاد المسلمة — فالحياة الدنيا مزرعة الآخرة — وهي فانية — والسعداء من يتركون أثرا حميدا باقيا للاجيال المسلمة — فى زمن قلت فيه زراعة الخير — وبعد ذلك تنتقل الفكرة لتلتقي كل وحدة بالوحدات الموجودة فى العالم الاسلامي — فتوسع القاعدة فيتقوى البناء وتعم بلاد المسلمين وحدة منيعة .

الصبر ضياء

ويعرض الاستاذ مكرم السيد أحمد البرزنجي المحامي — كفرى — العراق — لبعض المحن والتجارب التي تعرض لها الانبياء والمرسلون فى دنياهم مؤكدا أن هذا الابتلاء يقوى الارادة ويشحذ العزم ويثبت الايمان ، ويضرب المثل بأيوب عليه السلام ، ويخلص من هذا العرض فيقول .

أكد الله سبحانه وتعالى أن ابتلاء الناس لا محيص عنه حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة فلا تذهلهم المفاجآت ويضرعوا اليها وصدق الله العظيم اذ يقول « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .. وامتحان الحياة ليس كلاما يكتب أو أقوالا توجه . انها الآلام التي قد تقتحم النفس وتفتح اليها طريقا من الرعب والحرج وأن الله لم يجعل الحياة الدنيا دار جزاء وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل فى امتحان آخر وليس أمام الفرد الا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر والتسليم .. والصبر من معالم

العظمة وشارات الكمال ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها ولذلك كان ((الصبور)) من أسماء الله الحسنى .. والصبر من عناصر الرجولة الناجحة والبطولة الفارعة وما رأيناه في سير الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يؤكد أن عظم المنزلة مع ثقل الاحمال ومعاناة الصعاب .

نعم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه تجربة وخبرة لهم .

ومن قصص القرآن الكريم نستلهم العبرة ففيه درس لنا ولمن سبقنا ومن يخلفنا . فخيرات الدنيا وسعادة الآخرة لا تنال الا بالصبر فالصبر مفتاح الخير وقائد النجاح .. فالمؤمن السارب في الحياة هدف لمشاكلها الجمة أما العاجز الهارب من الميدان فماذا يصيبه ؟ فكأن تكاثر المصائب اشارة الى ما يرشح له المرء من خير وما يراد له من كرامة ، وكثيرا ما تكون الآلام طهورا يسوقه القدر الى المؤمنين ليصادر ما يستهوى البابهم من متع الدنيا فلا تطول خدعتهم بها أو ركونهم اليهم ، وكم من محنة في طيها منح ورحمات .

الاســـلام عقيدة وعمل

كتب الاستاذ منصور نسيم المحرر بجريدة الجمهورية بالقاهرة ـ كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

الاسلام كعقيدة وعمل سلك بأتباعه منهجا قويما تحددت فيه الغايات واستبانت الاهداف .. حياة يكتنفها الوئام . لحمتها الابوة ودعائمها الصفاء والاخلاص .. وآخرة نحظي فيهـا بمـا أعده الله لعباده المؤمنين من جنات عرضها السماوات والارض .. ولن يتأتى كل ذلك بالتمنيات أو الانعزال ثم الالقاء بالتهم والوصف بالتقصير لكل من لا يتجاوب أو يتفاعل .. لكنها بوتقة الدوحة الاسلامية بتعاليمها وتوجيهاتها تصهر المؤمن في اطار الايجابية الفعالة والاندماج المثمر ، وتوحيد خطة الهدف في مسلك تعاوني ، تتآزر فيه الجهود وتتوحد من اجله الخطط .. (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) ..

والاسلام لا يعني بالعمل ، العمل الانفرادى فحسب . انه يقصد الى العمل بالمشاركة في دعم وسائل الحياة الكريمة وتوفير سبل الرخاء في صورة ملموسة تضع المؤمنين في المكان اللائق بهم ، وترفع عن أعينهم غطاء الاستسلام أو الرضـا بالامر الواقع مع جمود ورضوخ .. ولن يتأتي هذا الوضع الا بالتحرى الصادق ـ والفهم الواعي لمبادىء الاسلام ومثله .. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله .. والاقتصار على أداء ـ شعائر الدين مهما كانت عميقة الجذور أو واسعة الافق فصاحبها في حاجة ملحة الى مقومات الحياة ليواصل العبادة ..

ان فهم الاسلام كما أراده الله هو المدخل الاول لفهم معنى الاسلام في حقيقته كعقيدة وعمل .. وهذا الفهم هو المسلك الذى يبني عليه معنى الحياة الدنيا والآخرة كما أرشدنا الدين وكما علمنا رسول الدعوة ، كما أنه المنهج القويم لرسم الخطة الكفيلة براحة المؤمن وهدوء نفسه واطمئنان قلبه . وعن هذا الطريق يمكن تأمين النفس حيال ما يكتنف الحيـاة من نوازع وميول ، ويحول دون الوقوع أن عمدا أو خطأ في كل ما نهى اللـه عنه .

قسـمـا

وتلقينا من الاستاذ محمد جميل الطحان بكلية الحقوق ـ جامعة دمشق القصيدة التالية :

قسـما بربـك يا أخـي لا لـن اسـاوم	فقضيتـي كالشمـس واضحـة المعالـم
قسـما لأبطـش بالعـدو ، بتـل ظالـم	وليحـكم التاريخ انـي لـن اسـاوم
قسـما لاهـزأ بالسـلام ولـن اسالـم	سأطهـر القـدس الشـريف مـن البهائـم
قسما لأحرقهـم بحقدى ، (بالقنابلم) (١)	وليحـكم التاريـخ انـي لـن اسـاوم

***

قسـما لأضـرب ضـربتي واكـون حـازم	واسـوم بالاعـداء انـواع الجرائـم
قسـما لترتفـع الدمـاء الـى العمائـم	وليحـكم التاريـخ انـي لـن اسـاوم
قسـما لتخفـق رايتـي فـي عـين كـارم	وتعـود حيفـا للحمـى واكـون حاكـم
قسـما ليزحف جيشـنا فـوق الجماجـم	وليحكـم التاريـخ انـي لـن اسـاوم

(١) نوع من القنابل المحرقة

أخبار العالم الإسلامي

إعداد
ع . ب

الكويت

صرح صاحب السمو أمير البلاد المعظم بأن الأمة العربية بامكانياتها المادية والمعنوية قادرة على مواجهة التحديات أيا كانت .

ألقى سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس الوزراء كلمة فى الجلسة الختامية لمجلس الامة قال فيها : ان أمتنا العربية لن يتطرق اليها اليأس وستظل تواصل كفاحها مهما كلفها من ثمن .

صرح معالي وزير الخارجية عقب عودته من هيئة الامم المتحدة أن الطريق الوحيد لانتصار العرب فى توحيد الدول العربية وتضامن حكوماتها وشعوبها .

بعث معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ببرقية الى وزير الدولة التركى للشئون الاسلامية يناشده بذل المساعي لتظل القدس تحت الحكم الاسلامي العربي .

زار الاتحاد السوفيتي وفد كويتي برئاسة السيد عبد الرحمن العتيقي وزير المالية والنفط وقد سلم الوفد لرئيس الوزراء السوفيتي رسالة من سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس الوزراء .

صرحت بعض المصادر الوثيقة بأن الكويت ستزيد حجم التبادل التجارى بينها وبين فرنسا تقديرا لموقفها من العرب .

زار الكويت السيد احمد زكي اليماني وزير البترول السعودى ، وقد صرح بأن المملكة لم تقرر بعد استئناف ضخ النفط الى كل من أمريكا وبريطانيا .

الجمهورية العربية المتحدة

ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا فى الاحتفال الذى أقيم بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورة ٢٣ يوليو قال فيه : مهما تكن ارادة الله عز وجل فاننا نقبل امتحانه باعتباره قدرنا ونثق ثقة مطلقة فى أنه معنا يرعى جهادنا ، وقد أكد سيادته ضرورة التمسك بالقيم الدينية .

أصدر فضيلة شيخ الأزهر والبابا كيرلس بيانا ينددان فيه بضم اسرائيل لمدينة القدس ويدعوان لانقاذ المدينة من عبث اليهود .

أصدر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كتابا عن التلمود الذى تسير عليه الصهيونية نحو هدفها فى تحطيم الأديان وقيمها الروحية ويوضح خطة الصهيونية للسيطرة على العالم ، سيترجم الى الانجليزية والفرنسية وسيوزع على جميع المراكز والهيئات الدينية المختلفة فى العالم .

العراق

ألغت العراق احتفالات ذكرى ثورة ١٤ يوليو (تموز) بسبب الظروف الراهنة وخصصت مبلغ الاحتفال لتصفية آثار العدوان .

وضعت الحكومة ضريبة تتراوح بين ٢ و ٢٥٪ كما وضعت ضرائب أخرى لتدعيم المجهود الحربي لمواجهة العدوان .

رفض العراق قرضا قيمته مليونا دينار كان البنك الصناعي العراقى سيحصل عليه من أحد البنوك الامريكية .

أصدر أمين المؤتمر الاسلامى بالعراق بيانا يناشد فيه حكومات وشعوب العالمين العربى والاسلامى العمل على انقاذ القدس من أيدى الصهاينة .

السعودية

وجه جلالة الملك فيصل نداء الى جميع مسلمي العالم يحثهم فيه على مواجهة العدوان الاسرائيلي وانقاذ المقدسات الاسلامية . وكذلك أصدرت الرابطة الاسلامية بمكة بيانا بهذا المعنى .

صرح الفريق عبد الله المطلق رئيس الاركان أن القوات السعودية ستشترك فى القتال لتحرير فلسطين مهما تكن النتائج وقال : ان الوحدة العربية والاسلامية ستضع قريبا حدا لنهاية العدوان .

الأردن

بعثت الحكومة الأردنية الى يوثانت تطلب منع سرائيل من اعاقة عودة اللاجئين الى ديارهم .

وجه فضيلة الشيخ عبد الله القلقيلي مفتى الأردن نداء الى أهالى الضفة الغربية أن واجبهم الديني أن يتحملوا أقصى الظروف فى سبيل المحافظة على وطنهم وعدم مغادرته .

بعث الزعماء الدينيون فى القدس بمذكرة للحاكم العسكرى الاسرائيلي يحتجون فيها على تدخل اسرائيل فى الشئون الاسلامية والتعرض للمقدسات الاخرى ويرفضون بشدة التعاون مع اسرائيل .

سوريا

أرسل علماء الدين الاسلامي والمسيحي برقية الى يوثانت يناشدون فيها الضمير العالمي العمل على صون المقدسات من عبث اسرائيل .

عرضت منظمة اليونسكو مشروعا على سوريا لحماية الممتلكات الثقافية العربية فى بانياس بعد أن قامت اسرائيل بالحفر فى هذه المنطقة وتشويه المعالم الحضارية العربية فيها .

أعلنت وزارة الخارجية أن السفارة السورية بانقرة تتلقى برقيات تأييد من المنظمات الدينية التركية وأن ألف شاب تركي مدربين يطلبون السفر الى جبهة القتال .

لبنان : صرح الشيخ حسن خالد مفتى لبنان أن جميع المسلمين مستعدون للدفاع عن مقدساتهم وان مساعدة المعتدين هي مساعدة للبغى والعدوان . وكذلك اصدر سماحه الشيخ موسى الصدر زعيم الشيعة بيانا بهذا المعنى .

الجزائر : أعلنت الجزائر التعبئة العامة وبدأت التدريب الجدى للشبان والشابات .

وضعت الجزائر شروطا لحضورها مؤتمر القمة .

المغرب : وجهت رابطة علماء المسلمين بيانا الى جميع الشعوب والحكومات الاسلامية تناشدهم العمل على تخليص القدس ومقاطعة كل من شارك بالعدوان وتقديم السلاح والتسهيلات للمتطوعين .

تونس : عادت تونس الى الاشتراك فى أعمال الجامعة العربية بعد مقاطعتها مدة طويلة .

ليبيا : دعت الصحف الليبية لانشاء بنك عربى موحد تجمع فيه أرصدة الدول العربية لتمويل مشاريع التنمية بدلا من الاقتراض من البنك الدولي .

بلغت المساعدات الليبية لمتضررى العدوان الاسرائيلي حوالي اربعة ملايين من الجنيهات .

السودان : أعلنت وزارة التجارة السودانية انها تقوم بتحويل تجارتها الى أوروبا الشرقية لموقفها مع العرب .

انعقد فى السودان مؤتمر وزراء الخارجية أول أغسطس للتمهيد لمؤتمر القمة .

وصل المرشدون العرب الى ميناء بور سودان بدل المرشدين الانجليز والامريكان الذين استغنت عنهم السودان .

باكستان : دعا الرئيس أيوب خان الى تعاون أوثق بين دول العالم الاسلامى فى المجالات المختلفة لمواجهة التحديات الراهنة .

صرح متحدث بوزارة الخارجية الباكستانية أنها ستقوم بارسال معونة للأردن وسوريا والمتحدة منها أغذية وأدوية وملابس كما صرح أيضا بأن باكستان لن تعترف نهائيا باسرائيل كدولة تستحق البقاء على حساب شعب فلسطين .

ايران : زار طهران المشير أيوب خان الرئيس الباكستانى والرئيس التركى جودت سوناى وقد أجريا مباحثات مع شاه ايران لصالح قضية فلسطين .

اندونسيا : أصدر المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى الشهر الماضى بحضور ممثلين من الدول الاسلامية بيانا يندد فيه بالعدوان الصهيونى كما قرر المؤتمر انشاء هيئة اقتصادية اسلامية ومعهد للدعوة .

أخبار متفرقة :

أمريكا : تتعرض الولايات المتحدة وخاصة فى دوتريت وعدد كبير من المدن الامريكية لأعنف أزمة منذ الحرب الأهلية بسبب مقاومة الزنوج للاضطهاد العنصرى الذى يتعرضون له .

لندن : وافق مجلس العموم على قانون باباحة الشذوذ الجنسى وقد بلغ المصابون به هناك نصف مليون

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢
جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كرى ص‌ب : ٣٠٣
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ

صدق الله العظيم

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ● العدد الثلاثون ● غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧ هـ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٧ م

من مات ولم يغز
ولم يحدث نفسه
بالغزو مات على
شعبة من النفاق

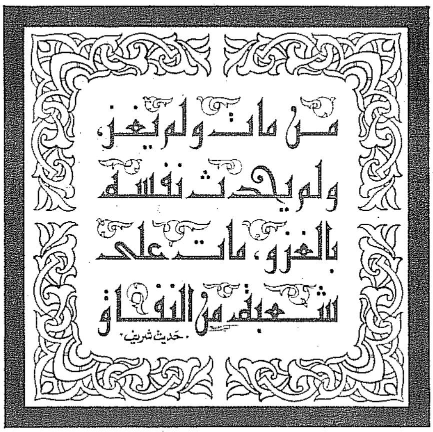
«حديث شريف»



في سبيل دعم الجبهة العربية

الزعيمان العربيان الرئيس العراقي عبد الرحمن محمد عارف وسمو أمير البلاد المعظم لدى وصولهما الى قصر السلام قادمين من المطار بعيد وصول الضيف الكبير لزيارة الكويت في ٢٢ أغسطس ١٩٦٧ .

صورة الغلاف



من مات ولم يغز
ولم يحدث نفسه بالغزو
مات على شعبة من النفاق
« حديث شريف »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثلاثون — السنة الثالثة

غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧ هـ
٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الأردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ

بعض الآباء يحرصون على تجنيب أولادهم الاختلاط بأمثالهم ، ويصحبونهم معهم دائما ، خوفا من عدوى هذا الاختلاط ، وهذا الاتجاه فى التربية قد تكون له بعض الفوائد ، لكنه فى النهاية يعزل الأولاد عزلا تاما عن مجتمعهم الذى خلقوا له ، ويحول بينهم وبين معرفة الحياة ، حلوها ومرها ، صحيحها وسقيمها ، فيشبون جاهلين بتيار الحياة الذى يعيشون فيه ، ويقعون فى كثير من «المطبات» والمشاكل ، نتيجة جهلهم ، وعدم المامهم بأحوال مجتمعهم ، وهذا قد يؤدى فى النهاية الى أن يعيشوا معقدين انعزاليين ، لشعورهم بالهزيمة أمام خضم الحياة حولهم ..

وليس معنى هذا أننا نترك لأولادنا حبلهم على غاربهم ، يمارسون تجارب الحياة ، وهم لم يستعدوا تماما لها ، وليس لديهم القدرة على تجنب التيارات المؤذية منها .. لأنهم فى هذه الحالة يمرضون كذلك ، والخير دائما فى التوسط. فلا نعزل الأولاد عزلا تاما عن مجتمعهم .. ولا نلقى بهم فى تياره دون احتياط .. هذا أمر ندركه كلنا من واقع الحياة التى نشأنا فيها ، ومن ملاحظاتنا التى تكونت لدينا من التجارب التى مر بها غيرنا .

وأريد أن أنتقل معك من هذا الى أمر آخر ، أعتقد أن الدول العربية قد تلبست به ، وعاملت شعوبها كما يعامل الآباء الحريصون على تجنيب أولادهم عدوى الاختلاط ، ومعرفة الحياة !!

عاشت البلاد العربية عشرين عاما حتى الآن لم تعرف عن عدوها الرابض على قلبها شيئا ، اللهم الا ما تحبه بعض الصحف والاذاعات أحيانا من نشر أنباء أزمة اقتصادية ، أو وجود خلاف مزعوم بين الزعماء ، وأمثال هذا مما يقصد به تهوين أمره فى نظرنا .. حتى أنامت الصحف والاذاعات شعوبها ، كما ينام الأطفال على أحاديث الأمهات والجدات الخيالية ..

ثم صحونا جميعا على الواقع الذى أطاح بنا ، وتسربت الينا معلومات ، عرفنا منها كيف يعيش هذا الشعب الصغير ، وكيف يعمل وينتج ، وكيف يكرس كل وقت ، وكل فلس فى سبيل هدفه الذى نعرفه جميعا .. عشرون عاما قضوها مجندين كل طاقاتهم للعمل الجدى والانتاج ، فى كل مجال من مجالات الحياة ، وقد حرموا على أنفسهم كثيرا من مترف الحياة وكمالياتها ، فى سبيل ساعة يصطدمون فيها بالعرب من حولهم ..

وكان عجيبا من عجائب الحياة : أن يعمل اللصوص جادين ، ويسهروا ويكدحوا من أجل الاحتفاظ بما سرقوه ، واعادة الكرة ثانية ينهبون مايستطيعون.. وأصحاب الحق ، أصحاب الأرض .. أصحاب المال المسروق .. أصحاب الشرف المثلوم ، ينامون عما سرق منهم ، ويلهون ويترفون ، كأن شيئا لم يكن ؟..

لقد استفدنا كثيرا من الأنباء التى تسربت الينا مع الخارجين من الضفة الغربية ومن غزة ، عرفنا منهم كيف استولت الدهشة على الصهاينة وهم يرون السيارات الفاخرة موديل ٦٦ ، ٦٧ تملأ شوارع القدس !! وكيف كانت المجندة الاسرائيلية تقف مذهولة أمام ما تملكه المرأة العربية فى بيتها من الملابس والحلى وأدوات الزينة !! وكيف كان العجب يستولى عليهم ، وهم يرون الأثاث الفاخر الحديث يملأ البيوت ..

حرموا أنفسهم كل هذا الذى رأوه من أجل ساعة الصفر ، وما قيمة كل ذلك الذى حرصنا عليه ، وملأنا بيوتنا به ، بجانب لحظة من لحظات المرارة التى قاسيناها ؟. وما قيمة كل ذلك الذى حرموا أنفسهم المتعة به بجانب لحظة من لحظات الفرح والنشوة التى شعروا بها ؟.

لقد عرفنا أن هناك شعبا جادا ومسئولين يخططون وينفـــذون .. حتى حققوا لأنفسهم ما يريدون .

وها نحن .. نحن المسلمين العرب ، نملك الكثير .. ولكننا نبعثره .. وكل فرد منصرف الى متعه ولذائذه وأهوائه الشخصية ..

نحن المسلمين العرب .. نفقد التخطيط والعمل .. ونفقد كذلك القدوة الحسنة ..

ثلاث عشرة دولة عربية .. كل دولة قادرة على أن تعمل ما تعمله اسرائيل واكثر .. ولكن عنصر العمل الأساسى فيها مفقود مع الأسف . الشعور بالجدية والعمل المدروس الهادف ..

وبعد .. فهل نظل على جهلنا بعدونا ؟ ولمصلحة من هذا الجهل ؟ أؤكد أنه ليس للمصلحة العامة ، والا ، فهل يضر هذه المصلحة أن نعرف أن عدونا يجد ولا يهزل ، ويحرم نفسه الكماليات ، بل وبعض الضرورات الثانوية فى سبيل النصر ؟

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن الضابط لا يرقى الى رتبة ملازم أول حتى يكون مظليا ؟.

هل يضر المصلحة العامة أن تعرف سيداتنا أن أمثالهن هناك لا يحرصن على الحلي و « الموديلات » ، والأحمر والأبيض كما يحرصن هنا ؟ وأن المرأة هناك جندية كاسرة ، لا تحتاج الى من يحميها ، ولكنها تحمى أطفالها ووطنها ؟!.

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن كبارهم هناك يلتزمون بما ألزموا به الشعب ، فصاروا قدوة طيبة لهم ؟!.

هل يضر المصلحة أن نعرف أن عدونا حريص على الاستفادة من كل فلس يصل الى يده فى سبيل هدفه ، لا فى سبيل المظاهر الجوفاء ، والمتع والأهواء ، والأعمال المرتجلة ؟.

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف كيف استطاع عدونا قهر الصحراء ، وتحويلها الى جنات فيحاء ؟

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف كيف استطاع عدونا الوصول الى هذا الانتاج الصناعى الذى وصل اليه ؟.

وهل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن كل جنــدى كان يحمل التوراة لا يفارقها ..؟

وهل .. وهل .؟
لا .. لا .. لا يضر المصلحة العامة أبدا .. فافتحوا لنا النوافذ ــ اذن ــ لنعرف عدونا على حقيقته ، بدلا من أن تتركونا نعيش فى هذا السراب الخداع .. حتى نموت .. نموت بأيدى أعدائنا .. ويا لها من نهاية .

جندوا المختصين منا فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ليقدموا لنا المعلومات الصادقة عن عدونا .. ودعونا من قص صورة موسى ديان .. وأمثال هذا مما رأينا بعض الرقابات تحرص عليه .. افتحوا كل النوافذ على عدونا ، وسلطوا عليه الأضواء ، فذلك خير لنا من أن نعيش فى المجهول . افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية ، لنعيش فى الأضواء ، ونبصر أمامنا الطريق ، دون ضباب أو خداع.

الحبشة مرة ثانية

****

نشرت بعض الصحف العربية خبرا عن المساعدات التى تقدمها الحبشة لاسرائيل ١٥٠٠٠ رأس من البقر ، مع نشاط ملحوظ في جمع التبرعات لها .. الخ ..

وقد علقت على ذلك جريدة الصباح التونسية منتقدة هذا الموقف من الحبشة وتساءلت : ((ما هى علاقة هــذا التأييد الظاهر لحكومة تقوم على أســاس الاستعمار بميثاق الوحدة الافريقية الذى نشر للمرة الأولى فى البلد ذاته الذى يقدم مساعدات مادية لاسرائيل ..؟))

وقد كتبنا فى العدد الماضى عن حشد الحبشة لجيشها على حدود السودان ، وما يحمــله هذا الحشد من مغــزى فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية مشتبكة فيه مع الجيش الاسرائيلى ، والذى تحركت فيه قوة سودانية الى ميدان القتال لنجدة أخوتها العرب .. بينما وقف مندوب الحبشة فى صف اسرائيل فى هيئة الأمم .. ليكشف العرب عن أعينهم الغطاء أو المنظار الملون ، ليروا الناس على حقيقتهم ، ولا ينخدعوا بمظاهرهم ، وليعلموا أن للمجاملة حدا تقف عنده ، وأنه لا يصح أن ننخدع حتى نجامل على حساب كياننا ، وكيان اخواننا المسلمين المضطهدين تحت حراب الحكم الحبشى ..

ذلك كلام أقوله لكل حكومة اسلامية ، ولكل صحيفة وهيئة اسلامية أينما تكون .. وضعيف وغير محترم ذلك الذى ينماع حتى لا يعرف للمجاملة حدا يقف عنده .. ولم نعد بعد الذى حدث نقبل التغاضى عما قدمته أو تقدمه بعض الدول لعدونا ، من عون مادى أو معنوى ، ليزداد شراسة علينا ، ويثبت أقدامه فى أرضنا ، ويتمادى فى العبث بمقدساتنا ..

نعم لم تعد الشعوب تقبل ذلك ، ولا تستسيغه ، والحكومات هى الناطقة بضمير الشعوب أو هكذا يجب أن تكون ..

المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

من هدى السنة

الدعوة إلى الإيمان

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها .

(رواه الترمذى)

١ ـ العمد الاساسية فى حفظ الشريعة الاسلامية ، وصيانتها من التبديل والتحريف : الكتاب والسنة (١) : فهما المعينان اللذان لا ينضبان أبدا ، والركنان اللذان لا يسمو الى مكانتهما ولا يحل محلهما شيء آخر ، فاذا ورد النص في القرآن ، حاكما في قضية من القضايا فلا مجال لقول بعده ، وما أروع النص القرآني تفسره وتشرحه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوتيت القرآن ومثله معه) .

ومما انعم الله به على المسلمين (وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أن حفظ القرآن الكريم من الضياع ، وصانه من التبديل والتحريف اللذين حدثا للكتب السماوية السابقة فاستمر وسيستمر كما أنزل على خير خلق الله هدى ونورا لقوم يعلمون ، وقد دلت على ذلك آيات قرآنية محكمة واضحة المعنى ، بينة الدلالة ، لا تحتاج الى تأويل . منها : قول الله تبارك وتعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقوله جلت حكمته : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . وقد شرح (بالبناء للمجهول) هذا الكتاب العزيز وفسر في أغلب القرون التى مرت به ومر

---

(١) ويأتى بعد ذلك الاجماع والقياس .. الخ وباب الاجتهاد مفتوح لمن فتح الله عليه وبصره بعلوم الشريعة واللغة واستوفى الشرائط المتفق عليها عند جهابذة الفقهاء والباحثين وهي معروفة بتفاصيلها في بحوث قام بها متقدمون ومعاصرون ولا تكاد تختلف عند الفريقين .

هو بها ، وجال شراحه ومفسروه كل مجال ، ولا يزال .. فيما أعتقد — بحرا خضما زاخرا بالخير فى حاجة ماسة الى غواصين مهرة يستخرجون لآلئه ويعرضون للعالمين درره لينقشع ظلام الجهل عن عقول ران عليها مافعلت وماجترحت من سيئات، واعتقد أن هذا العمل لا يقف عند حد ولا ينتهى لدى نقطة يوقف أمامها ، وما دامت الشمس تشرق وتغرب ، والقمر يبدو ويختفي والفلك يدور ويضطرب فى مجاله ، فلن يأتى يوم يقول عالم الى هنا يقف البحث فى القرآن ومدلولاته ، بل ان فيه من الآيات ذات الدلائل الخافية ما لا يصل الى فقه مرماها بشر (وما يعلم تأويله الا الله) وان كنت أعلم وقرأت طويلا وعالجت كثيرا ما أورده المتأخرون من بحوث ، وما داروا فيه من منطق حول معنى آية سورة آل عمران (١) الا أنى قوى الايمان بأن لله علما لا يصل اليه مخلوق : وما استأثر الله بعلمه ليس من صالح البشر ان يعلموه او على الاقل ليس مما تتوقف عليه أمور حياتهم فى مختلف مجالاتها فكل ما يفيدهم فى العاجل والآجل قد فسر وجاء واضحا لا لبس فيه ، ولا يحتاج الى اطالة فكر واعمال نظر .

٢ — ونعود إلى السنة الشريفة — والقول اليوم فيها — واقصد منها هنا أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله — وتقريراته وهي التي عبر عنها القرآن الكريم بالحكمة في آيات كثيرة منها قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة : من دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب **والحكمة** ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) (٢) والسنة تأتى فى المرتبة التالية للقرآن ذى الذكر ، وكثير من الأحكام أجمل فيه وفصل فيها ، بل منها ما لم يرد ذكره صريحا في القرآن ، ولولا السنة الشريفة ، ما عرف ولا فقهه الأولون ولا من جاء بعدهم . ولهذا كان لزاما على عقلاء المسلمين ، في كل عصر ومصر ، أن يديموا الحفاظ على السنة ، وقد قيض الله لها رجالا وعوها تمام الوعى ، متنا وسندا ، نصا وتأويلا ، وأدوها أمانة للأجيال التى تمر بالحياة من بعدهم وكان عملهم خالدا خلود السماوات والأرض ، وسيكون في موازينهم يوم القيامة نورا يقودهم الى دار الخلود في فراديس الجنان ، وفي القمة منهم الامام البخارى وهو أشهر من أن يدل عليه بقول وكذلك تلميذه الامام مسلم الذي كان كلما دخل عليه يسلم ويقول : (دعنى أقبل يديك يا طبيب الحديث ، ويا أستاذ الأستاذين ويا سيد المحدثين) . وكثير من الفقهاء حفظ لنا التاريخ ما جمعوا من أحاديث شريفة ومن هؤلاء الامام الصابر أحمد ابن حنبل ، ومن قبله فقيه المدينة الامام مالك رضى الله عنهم جميعا ، ولم يعد هناك جديد من نصوص الأحاديث زيادة على ما وعى السابقون ، وقد حث العلماء على اتقان قراءة الحديث خوفا من الدخول في قوله صلى الله عليه وسلم (من

---

(١) قوله تبارك وتعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) (الآية رقم ٧) .

(٢) الآية رقم (١٢٩) .

كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقد قال الأصمعي عند شرح هذا الحديث : (أخوف ما أخافه على طالب العلم أن يلحن فيدخل تحت طائلة هذا الحديث) وهذا ورع من الأصمعي عظيم وفي الحديث الذي معنا (فوعاها فأداها كما سمعها) لأن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، واقتصرت مهمة علماء الشريعة الآن على التبليغ ، على الوعي والأداء ، وليس التبليغ سهلا ، بل هو مهمة قاسية شاقة بالغة المشقة والاهمية وقد حث عليها القرآن في قول الله العليم الحكيم : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) (١) وقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٢) وقال سيد الخلق (ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع) (٣) .

٣ — والعصور التى مرت الى الآن منذ بروز ذكاء الدعوة الاسلامية برز فيها مبلغون على اختلاف درجاتهم وأحوالهم ، ولا أظن أن عصرا يحتاج الى التبليغ كما هي حاجة عصرنا . فالناس عامة في كل مكان من البسيطة لا يعلمون الاسلام على حقيقته أبدا . اللهم الا الخواص وخواص الخواص.

ونظرة عجلى أو فاحصة على بلاد المسلمين نفسها التي بثت فيها تعاليم الاسلام وقامت في رحابها الدعوة أول ما قامت تظهر لك بما لا يقبل المزيد من القول أن عامة الناس ، وما الشعوب الا العامة ، لا يفقهون من الاسلام الا ما يتردد من أصداء الآذان كل يوم ، والا صلاة لا روح فيها ، وصياما تركه الاكثرون ، وزكاة أهملت ، وحجا لم يحقق المنافع المقصودة .. الخ . وهناك أقوام يطربون للترنم بالآيات دون سبر معناها وما تهدف اليه ، ومضحك جدا وشر المصائب ما يضحك — من أمر المسلمين أن تسمع القرآن يتلى طول يوم وفاة شخصية معروفة ، أما الدراسة المنظمة الواعية فقد عدا عليها الزمان فيما عدا عليه من أمور المسلمين (٤) اللهم الا ظلالا تتراءى هنا وهناك في شخصيات وعت قلوبها آيات الله والحكمة وهؤلاء — وحمدا لله — لا يخلو منهم زمان ولا مكان وان كانوا قلة نادرة اذا أحصوا .

وأكرر القول — بعدما لمست من قوة التنظيم ضد الاسلام خاصة والعرب عامة لدى بعض الاعداء وما أكثرهم اذا عدوا .. فارتباط العالم الآن بسرعة الصوت لم يدع شيئا خافيا على العالمين في كل مكان. فالمسافات مهما بعدت قد طويت ، وسلطت الأضواء على كل بقعة في المعمورة وعرف القاصي أحوال ما

---

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت (حم) .

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) هذا حديث مؤلم لنفسى غاية الايلام ولن أتركه دون مزيد من القول ان كان فى الأجل بقية وهيأ الله المقام .

بعد عنه ، حتى أنه أصبح يراه رأي العين من وراء التلفاز بواسطة الاقمار الصناعية ، ويعلم الحوادث فور وقوعها ، لأنها تنقل حية تنبض بالحركات الأصيلة ، وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم ، وهنا ، بات العالم الاسلامي مكشوفا لكل راء في الدنيا سميتها جديدة أوقديمة ، والكل مجمع — ان صدقا وان كذبا — على أن الاسلام لا يحمله مسمى موجود الآن .

٤ — لقيته طبيبا يسكن مكانا قصيا عن بلاد المسلمين ولم يرها رغم انه نيف على الخمسين عاما وجاب كثيرا من البقاع فسألته هل تعرف عن الاسلام شيئا؟ قال نعم وعن المسلمين أشياء . أما الاسلام فشيء كان يتعلم قديما ولم يعد له مجال في مجال المدنية الحديثة فانزوى هنا في دور العبادة في صورة شوهاء مزرية **ودليلي — كما يقول هو — أن العالم الاسلامي كما ترى مفكك متجافٍ منطو على نفسه نافر من كل جديد حريص على الظل لئلا يتبدد في ضوء الشمس ويذوب في حمارة القيظ ، أو يتجمد في صبارة الزمهرير .. فسألته : هل قرأت عن الاسلام شيئا؟ فاجاب مالي وللقراءة وكتاب الوجود الاسلامي مفتوح لكل مريد ، وبعد لأي ومزيد صبر مع الرجل اقنعته كي يقرأ كتابا ترجم حديثا الى اللغة الفرنسية والانجليزية وعاد بعد ثلاثة ايام ليقول : لقد اضعت علي رحلتي الترفيهية التي اقتطعت وقتها من عملي ، وحملتني حملا على استيعاب الكتاب في ترجمته ، قلت ثم ماذا ؟ اجاب : اقتناع تام بان الظل لا يمثل الصورة الأصيلة بحال بل هما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، الاسلام نعم هو ان كان ما في هذا الكتاب ! وما درى صاحبي أن ما سطر في هذا الكتاب أو الكتيب لا يمثل الا ثمالة ضئيلة من حقائق الاسلام .**

هنا برز أمام عيني حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها) وتساءلت بعد طويل روية من يتحمل اثم ما غرق فيه المسلمون من البعد عن تعاليم السماء : واجاب (١) المسئولية التاريخية متجهة صوب كل مسلم فاقه لدينه ، مدرك لمراميه ، ملم باحكامه ، غائص على مزاياها ، عليه ان يبلغها — كما سمعها — بقوله وفعله حيثما وجد وأينما حل ومن استعان بالله أعانه !.

٥ — عرفت كثيرا من الدعاة فى بلادنا . وعرفت لهم أخلاقهم ، وعلمهم وواسع احاطتهم بمهمتهم ، وما بذلوا من جهود فى سبيل الله ، وهؤلاء مضافا اليهم بعض كبار الاساتيذ الذين الفوا ونشروا بحوثهم قد أدوا ما عليهم أو بعض ما عليهم حيال الاسلام رغم ما وجدوا وما يجدون من عقبات وملاحقات جاهلة ، ومتابعات عمياء ! ولكن هيهات أن يجدي هذا الجداء الكافي حيث أنه اما محصور أو مقصور وفي الأمرين ضيق وعنت وظلام وغبن ، ومطلوب الاسلام لا يتوقف عند جهد داعية موظف ، أو مدرك غيور ، فما الحيلة ؟ ما الطريق ؟ ،

---

(١) ابن أخت خالتي علي رأي القاضي العادل اياس بن معاوية .

لقد رسم الطريق أعداء الاسلام — وأعدى أعداء الاسلام في الحقيقة . ان بحثت ورمت الحق ، هو الجهل والجهل به فقط ولا تزيد . فالناس فى مجموعهم عقلاء والعاقل ضالته الحق حيثما وجده ، ومن أصر على حق واعتقده نجح فى الوصول الى هدفه ، والطريق المرسوم ، لا يقف عند مطالبة الحكومات بالدعوة ونشرها ، وانما نرجو من الحكومات التعضيد المعنوى ايضا كما تفعل سائر الدول غير المسلمة ، وأما العمل الجاد فعلى اغنياء المسلمين وفقرائهم أن يساهموا في الدعوة بأموالهم وجاههم : وأعرف جماعة فى بلد غربى نظمت (سنتا) واحدا على كل مشترٍ شيئا حقر أو جل يودع فى صندوق (الله) حسب تعبير القوم ، ونما السنت فصار ملايين الجنيهات الاسترلينية بنيت بها مشافي ومدارس في بلاد المسلمين وغير المسلمين ونجحت أو كادت هذا مع البحوث العميقة التي تظهر علاجا حاسما للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الدولية يصدر هذا من علماء مخلصين ، وأخشى ، والله ، وأستحى من الله ذى الفضل العظيم أن اقول : أين أبو حنيفة ؟ والغزالي ، وابن سينا ، وابن تيمية ومن الى هؤلاء ممن بحثوا دون أن يسألوا واذا اعطوا أبوا ، وما موقف ابن حنبل من ابنه عنا ببعيد (فقد حدث التاريخ أن عبد الله بن احمد ابن حنبل دعاه الى غداء يوما — أى دعا الابن أباه — فأبى وقال : انك تقبل هدايا السلطان وأخشى على ديني منها) وأكرر الآية الكريمة (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فلا يأس يا رب وانما هى شكوى اليك وطلب معونة منك وما ذلك على الله بعزيز .

٦ — بقى شىء أخير فى هذا الدور من القول — هو أن يحاول المسئولون الذين يشغلون وظائف في الخدمة العامة أن يجعلوا سلوكهم وفق تعاليم دينهم ، حتى لا يرى العالم الانفصام البادى بين حقيقة المكتوب وزيف العمل والقدوة العملية دائما خير من ألف كتاب (والعدد هنا لا مفهوم له) .

وقبل أن أختم هذا الحديث أقترح على وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية أن تجعل في كل عدد من مجلتها الفتية القوية الناشئة صفحتين أو ثلاثة على الأقل باللغة الفرنسية والانجليزية ، وترسلها الى كل سفارة كويتية في البلاد الناطقة بهاتين اللغتين شارحة مشكلة عويصة من مشاكل العصر على ضوء الاسلام ، وموجهة توجيها خفيفا أي سهلا في عبارته (للعامة) الى تعاليم الاسلام ، وليس ذلك على همة القائمين على الوزارة بعزيز والله الموفق والمستعان .

الإسلام والوضع الاجتماعي للمرأة

— ١ —

قدمنا من قضايا المرأة الأساسية ، مساواتها للرجل فى المعنى الانسانى ، والنسب البشرى الذى ينتمى الجميع فيه لأب واحد وأم واحدة ، وقدمنا أهليتها للتكاليف الشرعية .. وأهليتها الاقتصـــادية التى تشمل التملك بجميع ضروبه ووسائله ، والتصرف فيما تملك بكل أنواع التصرف ، مع تقرير مساواتها التامة للرجل فى كل ذلك .. وقد يرى بعض الباحثين ذلك تقدمية سبق بها الاسلام زمنها بقرون كثيرة ، وقد يراه بعض السطحيين مجرد تقريرات لم يزد فيهـــا الاسلام على أن ساير ما بلغته المرأة فى هذا العصر — ولا سيما الغربية — من الاعتراف بانسانيتها وأهليتها ، فهو مجرد « تحصيل ما حصل » ..

والحق أن الاسلام حين نزل بتلك الأحكام منذ أربعة عشر قرنا لم ينظر قط الى ما ستبلغه المرأة من تطور فعمل على أن يجىء على مثاله ليكون تقدميا أو غير تقدمى فى نظر المعجبين أو غير المعجبين ، بل نزل يقرر الوضع الحق لفطرة المرأة التى برأها الله عليها ، أو نزل يقرر — بلغة المهندسين — « التصميم » الذى سوى عليه كيان المرأة الروحى والحسى ، فلا يصلح أن يقدر مكانها فى أى شأن من شؤون الحياة فى أى عصر وأى بيئة الا عليه .. فهى انسان يجب أن يعترف لها بانسانيتها فى الأسرة .. والدين .. وفى الاقتصاد .. وفى المجتمع . وفى مقابل ذلك يجب أن تؤدى حقـــه أو واجبـــه عليهـــا ، وترعاه حق رعايته ، فليست « الانسانية » و « الأهلية » مجرد حلية سطحية عاطلة من التكاليف تتباهى بهـــا المرأة فى مجال التقدمية ، انما هى « خصائص » من تقويم الله لكيانها المعنوى ، أهلت بها لتؤدى دورا أو مهمة فى الحياة تلائمها ، فاذا قصرت فقد قصرت فى حق نفسها ، وحق مجتمعها لا فى حق الله والشريعة فقط ، ويجب أن يكون وزنها فى التفاضل الاجتماعى مقدورا بمدى فهمها لمعانى تقويمها ، وجدها فى تزكيتها ، وتحقيق دورها فى الحياة ، والله تعالى يقول : «ان أكرمكم عند الله اتقاكم» . (١)

---

(١) الحجرات : (١٣)

للأستاذ : البهي الخولي

— ٢ —

وقبل أن نعرض لمعالم ذلك الدور نقرر لها اهليتها الاجتماعية استكمالا لما بدأنا من حديث تلك الأهلية ، فمن ذلك :

أ — **انها اذا بلغت وظهرت عليها علامات الرشد وحسن التصرف ، زالت عنها ولاية وليها او الوصى عليها** سواء أكان ابا ام غيره فيكون لها التصرف الكامل فى شؤونها المالية والشخصية ، واختيار المكان الذى تقيم فيه ؛ وليس لأحد من أوليائها او اقربائها أن يجبرها على الاقامة عنده ما دامت ذات عقل وعفة . قال الشيخ احمد ابراهيم : « والأنثى اذا بلغت مبلغ النساء فان كانت بكرا شابة أو ثيبا غير مأمون عليها فلأبيها أو من يقوم مقامه من الأولياء والمحارم المأمونين عليها أن يحفظها عنده جبرا عنها ، وان كانت بكرا ودخلت فى السن واجتمع لها رأى وعفة ، أو ثيبا مأمونة على نفسها ، **فليس لأحد من أوليائها أن يجبرها على الاقامة عنده** » (١) ، فاذا تزوجت البكر أو الثيب سقط حقها فى اختيار مكان الاقامة لتعارضه مع حق الزوج الذى قدر له الشرع أن تتبعه زوجته فى السكن حيث يقيم ، وذلك لاعتبارات معلومة عادلة لا مجال لذكرها .

ب — **أن لها حقها فى قبول أو رفض من جاء يطلب يدها** ، ولا حق لوليها أن يجبرها على قبول من لا تريد ، ولا أن يمنعها أن تتزوج من رضيته من أهل الخلق والدين ، فذلك شأنها وحدها ، بل انه أخص خصائصها تتصرف فيه بالمعروف على ما ترى فيه استقرارها والفتها ، وفى هذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس للولى مع البنت أمر » (٢) وقوله : « البنت أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، واذنها صمتها » (٣) ، وقال ابن القيم فى تقرير ذلك فأبدع :

---

(١) ص ١٥٨ — الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للشيخ أحمد ابراهيم .

(٢) رواه أبو داود والنسائى .

(٣) رواه الجماعة الا البخارى .

« ان البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من مالها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون اذنها ، **فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها ؟! ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره** » (١) .

فاذا أهدر وليها هذا الحق وزوجها وهى كارهة ، فهى بالخيار — ثيبا كانت أم بكرا — ان شاءت أمضت ما فعل وليها وان شاءت ردته ، وقد روى أن «خنساء بنت جذام زوجها ابوها وهى كارهة ، وكانت ثيبا ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد زواجها » (٢) .

بل ان لها أن **تباشر عقد الزواج بنفسها** ، قال فى الأحكام الشرعية : « **يشترط لنفاذ النكاح — أى عقد الزواج — أن يكون كل من الزوجين حرا ، بالغا عاقلا اذا باشرا العقد بانفسهما ، أو بوكيليهما ، أو باشره أحدهما مع وكيل الآخر** » (٣) وقال الفقيه العلامة الشيخ محمود شلتوت فى تقرير حق المرأة فى مباشرة عقد زواجها بنفسها : « ونحن اذا رجعنا الى القرآن فى هذه المسألة وجدناه يضيف هذا التصرف الى المرأة نفسها ، انظر قوله تعالى فى سورة الأحزاب : « **وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** » ويقول فى سورة البقرة « **فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** » ويقول : « **فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليهن فيما فعلن فى أنفسهن من معروف** » وهذه الآيات ظاهرة فى أن زواج المرأة ورجوعها الى زوجها مضاف اليها صادر عنها ، من غير أن يتوقف على مباشرة وليها لهذه التصرفات .. وليس من المعقول ولا المعهود شرعا أن يستعير رضا انسان فى صحة تصرف ، ثم يحكم ببطلانه اذا ما باشره بنفسه .. ولا شك أن صحة التصرفات لا تستدعى أكثر من العقل والبلوغ وما دامت البكر كالثيب عاقلة بالغة فانا لا نكاد نفهم أنها اذا باشرت عقد الزواج يكون باطلا .. ولا شك أيضا فى أن مقاصد عقد الزواج يرجع معظمها الى المرأة ، ومن الاصول المقررة أن مثل هذا العقد يتولاه من يختص بمقاصده الأصلية » (٤) .. وهو تقرير يغنينا بروعته ووضوحه عن أى تعليق على ما بلغ الاسلام بأهلية المرأة من سمو واعتبار .

ج — ومن أبرز معالم تلك الأهلية مكانة لم تقرر للمرأة فى شريعة من الشرائع قديمة ولا حديثة ، وها هو ذا الغرب ممثل الحضارة القائمة ، وحامل لواء الدعوة لتحرير المرأة ، وتقرير حقوقها لم يبلغ بها تلك المكانة ، ذلك أن الاسلام **جعل لها أن تجير — أى تحمى — في الحرب أو السلم من أرادت من غير المسلمين** .

وقد جاء فى فتح مكة أن أم هانىء بنت أبى طالب — أخت على كرم الله وجهه — أجارت رجلا من المشركين ، فأبى على الا أن يقتله ، فأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، زعم ابن أمى على ابن

---

(١) زاد المعاد ج ٤ ص ٢ بتصرف .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) الأحكام الشرعية للشيخ أحمد ابراهيم ص ٦ .
(٤) رسالة القرآن والمرأة .

أبي طالب أنه قاتل رجلا قد أجرته ـ وسمت الرجل ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء » (١) . وقد جاء في ذلك قوله عليه السلام : «يد المسلمين على من سواهم تتكافأ دماؤهم ، ويجير عليهم أدناهم» (٢). والمسلمون وصف جامع للرجل والمرأة فهي بداخله في مفهوم قوله عليه السلام « يجير عليهم أدناهم » الى دلالة حديث أم هانيء السابق ، ودلالة قوله عليه السلام : « ان المرأة لتأخذ للقوم » (٣) قال صاحب المنتقى : « يعني تجير على المسلمين » ، ودلالة حديث عائشة رضي الله عنها : « ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز » (٤) وقولها : « فيجوز » معناه أن يحترم فعلها في تأمين أو اجارة من تريد ، ولا يخفره أحد أو ينقضه .

وذلك أمر من أخطر الامور ، بل لعله أخطرها وأولاها بالحذر والاحتياط ، فتقرير أهليتها وعدالتها فيه الى هذا المدى هو توكيد لثقة الاسلام المطلقة في كفاية الخصائص العالية التي أهل بها تقويمها ، واعلان لكرامة مكانها في الحياة بكرامة ما يناط اليها من تبعات .. واذا كان الغرب لم يبلغ ذلك المدى من الثقة بأهلية المرأة لتلك التبعات الخطيرة ، فلأنه هو نفسه لا يفترض في الانسان ـ رجلا كان أم امرأة ـ استعدادا علويا تزكيه العقائد ، فلم يمد مجتمعاته لا رجالا ولا نساء لحمل الامانات والقيم والمبادىء التي يسلح بها الاسلام ذويه . ويمدهم لها أفرادا وجماعات في نسق تتكافأ فيه الدماء ، اذ تزول فوارق النسب والمولد والمنازل الاجتماعية ، ولا يبقى الا العقيدة الصافية الصادقة قد انصهر الجميع في بوتقتها ، وصاروا ارادة واحدة في الاعتزاز بها ، والحياة لها ، والدفاع عنها بالمال والروح ، يتساوى في ذلك أدناهم في المجتمع منزلة وأعلاهم ، حتى يكون كيان كل فرد صغر أو كبر هو كيان الجماعة ، يعنيه من أمرها ما يعنيه من أمر نفسه .. وبهذه الارادة ، وبهذا الانصهار الروحي السامي تتم أهلية المرء وتكون المساواة في المجتمع أتم ما تكون ، فلا يكون أحد منهم أولى بتأمين من يريد من الآخر ، فتأمينه ماض على الجميع ، والجميع يجيزونه له حبا وكرامة ..

ـ ٣ ـ

ذلك تقويم الاسلام لانسانية المرأة وأهليتها في وصفها العام ، فهي (انسان) ولها (أهليتها) الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، ويتحتم منطقيا أن يكون لتلك المواهب أو المزايا دورها في الحياة ، فان المواهب عامة انما تمنح من الحق تعالى على قدر حكيم لتحقق في الارض مقاصد مقدرة ، ولا تمنح عبثا أو جزافا أبدا ، فأولى أن تقدر تلك المزايا العليا لمهمة لها امتيازها في شرف البواعث وربانية الغاية ، وقد فصل القرآن الكريم معالم تلك المهمة ، ولعل من أجمع نصوصه في ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (٥) ، وهو نص يتطلب التحليل لبيان أحاطته بكافة شؤون الحياة وأوضاعها .. وبعد أغواره في المامه بالحقائق

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .
(٣) رواه الترمذي .
(٤) رواه أبو داود والنسائي .
(٥) التوبة : ٧١ .

الروحية التى يقوم بها بناء كل من الفرد والمجتمع والقيم التى يجب أن يرعاها كل ، ولكن تقيدنا ببيان دور المرأة يحملنا على الاجتزاء بالعناصر الآتية لصلتها بذلك الدور وايضاحه . .

أ ـــ انه يبين « خصائص » المجتمع المثالى ـــ الذى يمثل حقيقة الاسلام ـــ وما يقوم بين افراده من علاقات ، فهو ـــ أى النص ـــ لا ينظر الى الفرد معزولا عن المجتمع ، ولا الى المجتمع ضاربا صفحا عن الفرد ، بل ينظر الى «المقومات» الروحية الحقة التى تقوم أساسا فى بناء كل منهما . وهى الايمان بالله تعالى ، فتكون مقومات أحدهما هى نفس مقومات الآخر ، ذلك أن المجتمع « علاقات » تتألف مما فى قلوب الافراد وعقولهم من المعانى الاصلية ، والقيم والعقائد ، فاذا هى رابطة واصلة بينهم فكرا وعاطفة ، واذا هم مؤتلفون بها فى تناسق كالبنيان المشدود الاسر ، فاذا كان الايمان فى الاسلام محور شخصية الفرد ، أو هو ركيزة فرديته باعتباره وحدة بشرية ذات كيان مستقل ، **ومسؤولية خاصة** امام الله والمجتمع ، فانه باعتبار آخر يتضمن روابط الحب والتناصر الاجتماعي ، اذ هو ولاء لمثل أعلى واحد يتداعى فى ضمائر الجميع بمؤازرته والاعتزاز به ، وذلك واضح فى قوله « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . . ففيه أن الايمان هو الوصف الذاتى الذى تتحدد به اولا شخصية كل فرد ـــ رجلا كان أم امرأة ـــ وأن الولاء الذى بين المؤمنين والمؤمنات هو الولاء لقيم ذلك الايمان .

ب ـــ ان المجتمع اذ ينعقد على الولاء لقيم الايمان يتقرر لأهله قاطبة منهاج عام له صفة الحق والواجب ، ينتظمهم فرادى وجماعة : « يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله » ومراعاة للمقام وتقيدا ببيان دور المرأة نكتفى بأن نبرز جانبا من معنى قوله تعالى : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فانه واضح فى ان الاسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدى كل مؤمن مستنير ، وكل مؤمنة مستنيرة ، ويجعل كلا منهما مسئولا عن ذلك ، لا يعفى المرأة ، ولا يستثنى الرجل ، لأنه ينظر الى وصف « الانسانية » لا الى ذكورة أو أنوثة . . وهو دور بالغ الخطورة يتكافأ مع خطورة ما اهلت به من مواهب ومزايا .

ج ـــ ان قوله تعالى : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » يمد مسئولية الافراد الى كل مقومات المجتمع ادارية وسياسية ، واقتصادية واجتماعية وروحية ، ولا يستثنى واحدة من هذه ، وليس من يقول فى الاسلام بالسكوت على منكرات الحكم ، أو مشكلات الفقر ، أو مظالم الاستغلال ، أو مفاسد الجهل التى تقوض الاخلاق ونحوها من دعامات المجتمع . . وعلى المرأة واجبها فى ذلك كله ما استطاعت عن طريق المنظمات النيابية ونحوها فى الميدان السياسى ، أو طريق المنظمات الشعبية فى الميدان العام المترامى الاطراف . . وهذا يقتضيها أن تكون فى ثقافتها واهتمامها بالشؤون العامة على المستوى الذى تحسن به فهم تلك الشؤون ، ومتابعتها ـــ فى بيئتها الخاصة أو العامة ـــ ونقدها بتعرف ما فيها من خطأ وصواب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل هذا الاهتمام شارة الدخول فى جماعة المسلمين بقوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » (١) .

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الايمان .

وشؤون المسلمين فى أذهان الناس تضيق وتتسع بحسب ثقافة كل منهم ، وسعة آفاقه العقلية ، واستعداده الخاص ، فمنهم من يهتم بالزراعة ، ومنهم من يهتم بالصناعة ، أو التجارة ، أو اصلاح أداة الحكم ، أو مشكلات الفقر ، والتعاون والثقافة ، والاخلاق والأسرة ، وترقية الشؤون الاجتماعية عامة .. ومنهم من يقتصر جهده فى ذلك على بيئته الخاصة ، ومنهم من يمتد الى ما وراءها .. وغنى عن البيان أن المرأة فى ذلك كله كالرجل ، وأن تعدد تلك الآفاق يرينا سعة الميدان الذى يمكن أن تؤدى فيه دورها العـــام فى رعاية المجتمع والنهوض بمقوماته المختلفة ..

وليس من قصدنا بيان منهاج المرأة ، أو مفردات عملهـــا ، فذلك يختلف باختلاف البيئات ، واختلاف العصور ، انما نقرر « طبيعة » دورها ، وتعـــدد الوان النشاط التى يمكن أن تحققه فيها .. ولكن لا بد من التنبيه الى أمر جوهرى ينجلى به كثير من الغموض ، والتساؤلات ، وأسباب الحيرة والشك ، ذلك ان المرأة المسلمة الاولى لم تفتش ميدانها على عماء ، أو ضيعة ، أو تفكك ، بل غشيته على اعداد وتخطيط واضح ، كان المجتمع يدعوها به الى أن تأخذ مكانها فى الصف المتماسك المتعاون على قيمه ومصالحه ومصيره كله المعنوى والحسى .. فلم تكن دخيلة عليه .. ولا معفاة منه .. ولا وحيدة فيه ، أو معدومة النصير .. وهذا يستحضر فى أذهاننا الفارق الكبير بين ظروف تلك المسلمة الاولى ، وظروف المسلمة المعاصرة ، وهو فارق فى الاعداد خطط لها عقائدها ، وقيمها التى تغنى بها النفس ، وتقوم لها غاية فى الحياة ، وهيأ فكرها ووجدانها لذلك فى اصالة وعمق وقصد جدى .. وبهذا التخطيط والاعداد لم تغب قط بفكرها ووجدانها عن الاهتمام بشؤون المجتمع ، ولعلها المرأة الوحيدة فى تاريخ الدنيا التى كان اهتمامها بالشؤون العامة لا يقل — ان لم يزد — عن اهتمامها بشؤونها الخاصة ، وهو اهتمام مشاركة واندماج تجاوبت به مع ما كان ينزل به الوحى من شؤون الدنيا والدين .. والاسرة والمجتمع .. والحرب والسلم .. وقيم الروح والحس .. ولا يستطيع أشد الناس جحودا أن ينكر شـــجاعتها واريحيتها فى ظروف الحرب ، اذ كانت تقدم رجلها والشباب من فلذات كبدها فى احتساب وفداء ، ومعهم ما تستطيع من حلى ومال ، وهى من وراء ذلك تخدم الجيش ، وتؤدى له مهمة الهلال الاحمر ، فى الاسعاف والتمريض والمداواة للجرحى .. فاذا كانت المرأة المسلمة اليوم فى حيرة من أمر واجبها : أين مكانه ؟ وماذا تفعل ؟ فمرجع الحيرة ذلك الفارق الذى لا تجد به ما كانت تجده السابقة من اعداد وتخطيط أصيل عميق لحقائق الايمان باعتبارها حقيقة وجود المرء ، وباعتبارها القيمـــة العليا التى تتعلق بها الهمم وتستحث اليها الجهود .

واذا كانت جادة فى تبين مكانها فى الوجود فلتدع تقليد أختها الغربية فى طلب المساواة المطلقة بالرجل ونحوها من الحقوق التى لا تتبين لها جذورا ، ولا تستشعر لها مكانا فى وجدانها ، ولتنظر فى جد لتدارك الفارق الذى بعد بها عن أهداف جدتها السابقة ، ومقوماتها الروحية ، ليكون لها مثل وجدانها واندماجها فى شؤون المجتمع العامة ، ويومئذ لا تنازل الرجل فى ميدان تقاضى الحقوق ، بل تغني عن نفسها في مسابقته الي ميدان الواجبات .

الإسلام

كان ذلك قبل أعوام ثلاثة .

الثلج يكسو باريس بحلة بيضاء مغبرة ، والبرد تصطك منه نأمات الحياة ، ويلسع بسياطه الناس فى الشوارع فيجرون جريا . .

وفى دار صديق ، جلسنا حول الموقد ، نستلذ أريج القهوة ، ونحن نتجاذب شجون السياسة . ولطائف الدعابة والشعر . .

لم ننتبه للوقت يتسرب ، فقد طوى ترسلنا الاخوى ، ساعات الليل ، فبانت أقصر مما كانت . . وفجأة ، أخذت تشق عنان السماء ، مزامير سيارات ، فى تزايد مستمر . . !! انها ليلة رأس السنة الميلادية ، وقد قاربت الانتصاف .

وخرجنا . . نشد معاطفنا بقوة ، على ما اكتنزناه من دفء ، كأننا نخاف أن تسترقه منا لفحات شتاء باريس القارس . . ولم نستطع أن نمشى طويلا ، فقد كانت السيارات تملأ مد النظر ، وتتشعب من الساحات العامة ، فى المنعطفات ، وكأنهـا قطعان ذئاب فى فلاة ، أضرّ بها الجوع والصقيع ، فأخذت ترسل فى الفضاء عواء مجنونا . .

واستطعنا بعد جهد ، أن نصل الى مقهى كبير فى ساحة « الحقول المتعاشقة » « الشانزلزيه » ، وأن نتخذ أماكننا محشورين بين الناس قبل أن تطفأ الأنوار بدقيقتين . .

فى الظلام . . ترامت الى سمعى تمتمات عربية ، فى قلب الغوغاء المشوشة ، والقهقهات السكرى الشرود . .

تبينت بين جيرانى ، مصدر التمتمات ، فى الاضواء التى فجأت عيون الناس المحمرة ، فقابلوها بصياح هائج ، رج المقهى من جديد ، بعد أن كانت السيارات قد صمتت منذ قليل .

أربعة ، أخذوا يتحدثون بالعربية ، بصوت مرتفع .

ـــ ما أجمل هذا الصخب فى باريس ، انها وقدة الحياة ، يا لبلادة الفراغ فى أوطاننا ، انهم الآن يغطون فى سبات عميق .

ـــ طبعا ، موتى ، فى أكفان التقاليد البالية .
قال الثالث مغيظا ، وماذا أيضا ؟.

فأجاب رابعهم : لا تغضب يا « عمار » ، انه « أفيون الشعوب » الدين الذى ما زلنا فى أسره . .

والحياة

الأستاذ عمر بهاء الدين الأمير
الرباط

وكنا نتحدث بالعربية أيضا ، وتبين جيراننا ذلك ، فكانت فترة ، وتلاقت العيون ، ومالت الرؤوس ، تلقائيا ، بالتحية ..

انهم طلاب من كليات عدة ، وأقطار مختلفة ، ومشارب شتى ، جمعتهم وحدة الدين واللغة — دون أن يقدروا ذلك — لتخرج بهم من ضيق الغربة الى سعة السمر المشترك .

قال « عمار » : فلنجمع طاولتينا ، ونتحاق لنشترك فى الحديث — اذا شئتم — وقرأت فى نفسه شعورا مزيجا من العزم والامل .. العزم على أن يتابع معركته الفكرية ولو منفردا ، تجاه عدد أكبر من المجادلين . والأمل فى أن يجد بيننا من يشد أزره .

قال : ما رأيكم فى الدين ، وفى الاسلام خاصة ؟ أحقا هو « أفيون الشعوب » كما يراه الزملاء ؟ . وتعجبون بما نحن فى وسطه من هرج ومرج ، يسمونه الحياة ، ويتغنون به ؟ .

واكرم الشباب « عمارا » ، فسكتوا يترقبون الجواب ؟

قال صديقى ، هذا ضجيج هادر ، وحركة دائبة .

بادر « عمار » . ضجيج هادر مهدور ، وحركة دائبة ، دائبة ... من حصيلة الخير التى تجنيها الانسانية من هذا الصخب والعربدة ؟ .

صاح رفاقه . لا تستعجل يا عمار ، تحاولا التأثير على الاساتذة لتجعلهم شاركك فى الرأى .

تابع صديقى . كلا ، فأنا مع السيد « عمار » بأن هذا ليس هو الحياة الحقة ، ولنقل بالتخصيص انه ليس بالحياة كما يفهمها الاسلام

وتمتم احد الطلبة . وهل فى الاسلام حياة ؟ أو فى أى دين آخر ؟ انها التواكل والخضوع للقضاء والقدر ، وعيش القرون الخوالى ، على البدائيه الاولى .

قلت : تعددت مواضيعكم . الحياة ، الاسلام ، أى دين آخر ، التواكل ، القضاء والقدر ، التقاليد والبدائية .. هذه عناوين ، لكل موضوعه ومجالات بحثه ، فاختاروا احدها للمناقشة .

تداخلت الاجابات والتعليقات ، واستقر الرأى . فلنتحدث عن الحياة .

قال عمار : بل الاسلام والحياة .

سكوت .. قلت . حسنا ، تحدث يا عمار ، فابتدر رفاقه . سمعنا حديثه مرارا ، نريد أن نسمع منكم .

كانت أفواج متلاحقة من الرواد تزحم المقهى أكثر فاكثر ، فتزيد جوه

اختناقا ، وتملأ ضوضاءه دخانا . . فقال صديقى : بيتى على مقربة مئة متر ، فهيا اليه ، حيث تسكن أسماعنا للحديث وقد جد ، ونستطيع الاصغاء والبحث . .

قلت ونحن نسير : الاسلام والحياة ، موضوع يحتاج الى مؤلف ، فالحياة مفاهيم واسعة ، وقد تحدث عنها القرآن فى أكثر من خمسين سورة ، وأذكر أن لفظة الحياة ومشتقاتها وردت فى كتاب الله أكثر من مئة وستين مرة . ومن أسماء الله الحسنى « الحى » وكل هذا دليل على عناية الاسلام الفائقة بالحياة .

وجلسنا ، والحديث يدور . . سألونى : فى أى المقاصد والمعانى ، استعملت الحياة فى القرآن ؟.

قلت : بالتأمل السريع ، يمكن أن نرد ذلك الى ثمانية أمهات .

أولها : ما يتعلق بالذات الالهية .

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم »

« وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما »

« وتوكل على الحى الذى لا يموت » .

« هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين » .

وثانيها : وهو اشتقاق من الأول ، ما جاء فى مجالات الاعتبار بالقدرة والعمل الالهيين . وهو :

« الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار » .

« أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى »

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

وثالثها : فى الحياة أصلا ، وانبعاثا ، ومصيرا . .

« وجعلنا من الماء كل شيء حى » . .

« وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها » .

« وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »

ورابعها : وقد يكون اشتقاقا من سابقه أيضا ، ما يتعلق بالطبيعة فى أطوارها وانتشارها .

« يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » . .

« فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها »

وخامسها : فى مجالات ضرب المثل وتقرير الحكمة .

« وما يستوى الأحياء والاموات » .

« ألم نجعل الارض كفاتا . أحياء وأمواتا »

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وكانوا يصغون الى آيات الله ، أسرد بعضها فى تذكر ، وأناة لا أتقصاها ، ولا أسلسلها ، ولا أعلق عليها بأى شرح ، قال أحدهم ، وماذا عن الانسان والحياة ؟

قلت : من ذلك فيما سلف قسط ، وقد بحث القرآن تفصيل ذلك فى الثلاثة الباقية .

فأولا . تقلب المرء بين الموت والحياة فى الدنيا والآخرة على أطوار ، تقريرا للحق ، وحكاية للمعتقدات وبيانا لأحوال الناس ، عيشا وثوابا وعقابا .

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » « فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا »

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم »

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله

ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد» «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بهـا فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » .

ثانيا : وهو ركن فى بحثنا ، حقيقة الحياة الدنيا وهداية البشر فيها ، ومد نظرهم الى الحياة الآخرة سعيا ورجاء وجزاء .

« اعلموا انمـا الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفـاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » . .

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الارض زخرفهـا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهـارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

« زين للذين كفروا الحيـاة الدنيـا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة » .

« فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيـاة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيـاة الدنيـا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

ثالثا وأخيرا . فى أولئك الذين يلقون وجه الله وهم يجاهدون فى سبيله ، استجابة لأمره ، وهو ما يتعلق بحياة الشهداء .

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

قلت للاخوة الطلاب : هذا ، وسواه كثير ، مما وردت فيه « الحياة » بلفظها أو مشتقاتها خلال آيات القرآن الكريم ، أما معانيها ومرادفاتها ومدلولاتها فتكاد تكون فى القرآن جميعا ، حتى أن الانسان ليقول . الاسلام هو الحياة والحياة هى الاسلام . .

علق أحد الطلاب : آيات مرت علينا جميعا ، نتلوها للتبرك ، ونستمعها للتلذذ ولكنها المرة الاولى بالنسبة الى ، أنظر فيها مجتمعة بتفكر وتدبر وتضيف ، وأنها لتلقى على حيرتى فى الحياة كثيرا من الاضواء .

سأل عمار : متى كان آخر عهدك بالقرآن ؟ قال : تلاوة ، منذ أربع سنين فى آخر رمضان أمضيته فى الوطن ، أما استماعا فأحيانا فى الاذاعات .

وأردف رفيقه فى تذكر وخجل . انها سبعة أعوام لم أقرأ خلالها القرآن .

علق عمار سبع عجاف ، لا بركة فيها . يا ويحنا ان الرسول ليشكونا الى ربه : يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا . . ودمعت أعين فى تحسر وندم . .

قلت : أيها الاصدقاء ، ليس الغرض من القرآن مجرد التلاوة والاستماع .

قال : بل الادراك والتفهم .

ــ لا ليس هذا فحسب . فعن أبى وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن ، وقال أبو عبد الرحمن ، حدثنا الذين كانوا يقرئوننا ، انهم كانوا يستقرئون من النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا تعلموا عشر آيات ، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

نظرت الى الساعة ، فقام صديقى الى مكتبته وعاد بكتاب ، وقال : تعالوا نختم جلستنا مع القرآن الكريم ، وناول عمـارا المصحف فأخذ يقرأ باعتزاز من أعماق قلبه : (**البقيـة** ص ٢٧)

فضل القرآن على اللغة

بينا فى بحثنا السابق أنه اذا قويت صلتنا بالقرآن ، وجدنا فيه مع انتظام المبادىء الكريمة ، والمعانى القيمة ، ضبطا لأصول اللغة العربية وقواعدها ، وسجلا لروائع البلاغة وقمتها .

وقلنا ان دراسة كتب الأدب الأمهات ، والتبصر فى دواوين الفحول من الشعراء ، ليس هو الغاية التى يتوخاها الاديب العظيم ، فوراء ذلك ما تتقاصر دونه الأعناق من بلاغة القرآن ولغته العلوية ، وأول فضل لهذه البلاغة التى تتمثل فى كتاب الله أنها دائمة الاشراق فى لغة العرب .

ونعود اليوم فى بحثنا هذا الى تجلية فضل القرآن على اللغة العربية :

لقد حفظ القرآن المجيد لغة العرب من الضياع ، وأن تذهب فى الاسماع بددا ، وكفل لها الجدة وان طال الزمن .

ذلك أن القرآن جعل العربية لغة الدين ، باحيائها احياؤه ، فهى أصداف هذه اللآلىء .

« (١) ومما هو جدير بالملاحظة أنه ليست هناك لغة واحدة من لغات الدنيا — ما عدا لغة الحجاز — يتكلم بها الآن فى الصورة التى كان عليها حين أرسل بها رسولها (٢) . حتى الكتب المقدسة الاخرى لو ظلت باقية محفوظة فى لغاتها الاصلية ، لتعذر علينا أن ندرك حق الادراك مرامى آياتها ، ومغازي تعاليمها التى كانت تقصد منها حين الوحى بها ، وبعبارة موجزة ، اننا لا نستطيع أن نقرأ مقاصد أولئك الرسل على ضوء اختلاف الاسلوب ، وتباين التعبير »،

أما القرآن الكريم فقد أنزل فى لغة لا تزال الى الآن حية . وظل هو محفوظا من كل تبديل وتغيير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بهذا كانت مقاصده مدركة حتى يومنا هذا فى هذه الصورة التى وجدت عليها حين أوحى بهذا القرآن الكريم ، الى الرسول الكريم ، قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

فانظر هل تجد أهل لغة من اللغات يحفظون من جيدها عن ظهر قلب بمقدار القرآن ، وبمقدار ما يحفظ المسلمون من اللغة العربية لأجله ؟

---

(١) انظر كتاب مقدمة لدراسة القرآن الكريم .

(٢) هذه مبالغة لا تخفى على القارىء فان الفصحى قد فسدت بمخالطة الاعاجم حتى فى البادية ، وذلك بالطبع فى لغة التخاطب ، اللهم الا اذا أراد أنها يكتب بها الآن على نحو ما كانت عليه حينئذ .

العربية [٢]

للدكتور محمد كامل الفقى

الاستاذ بكلية اللغة ــ جامعة الازهر

نقب فى البلاد وتوغل فى مجاهلها وانظر تجد القرآن محفوظا فى رءوس الجبال وبطون الاودية ، وسحيق الصحارى ، وبين الغابات ومضال الفلوات ، وكما تراه فى الاكواخ الحقيرة ، تبصره فى القصور المشيدة . وكما تجده فى لسان الصغير ، تجده فى لسان الشيخ الكبير .

لذلك عاشت بفضله اللغة العربية أيام الدول الاعجمية الاسلامية محفوظة ، بل تغلبت بما لها من السلطان على كثير من الاعاجم ، وحلت منألسنتهم محل لغاتهم الأولى، وأصبح كثير من سلاطينهم معدودا فى مصاف الشعراء والادباء)) .

وكان من تأثر العرب بأسلوب القرآن ، أن انطبعت فى لغتهم العذوبة والسلاسة ، والفصاحة والجزالة ، فانه خالط قلوبا قاسية فألانها . وطباعا جاسية فهذبها ، وأحلاما طافية فأقرها ، وعاد ذلك على اللغة العربية عذوبة لفظ ، ورقة أسلوب ، وسماحة تركيب ، وقوة حجة ، ورزانة منطق ، ودقة أداء ، وغزارة معنى .

وقد نزل القرآن بلغة قريش وهى أفصح لهجات العرب وأسلمها . بل هى ذروتها وسنامها . وكانت قبل أن يهبط القرآن على فؤاد الكون ، لغة الأدب ، يتفياها الشعراء ويتغنى على قيثارتها الادباء والخطباء .

وكان مثوى قريش أرض الحجاز ، مغدى العرب ومراحهم ، وقبلة الحجيج والتجار ، يتوافد على قريش أعلام العرب وأشرافهم ، من كل حكيم أو شاعر أو خطيب أو ذى دعوة ، فتعمر النوادى ، وتصخب الاسواق ، وتهتز المنابر ، بروائع القول وآياته ، ويرسل المحكمون حكمتهم العليا التى تتهم وتنجد ، وترفع أو تضع ، ذلك فى عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وسارت المواسم الأدبية سنة متبعة بعد الاسلام ، وفى هذه الاسواق رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالدعوة المباركة ، وشق سمع الغافلين ، وتفتحت له قلوب الأبرار ، وكان حريصا كل الحرص على أن يغشى هذه المواسم ليتخرج فى مدرستها أجناد الاسلام وحماته (١) .

وكان لهذا أثره المبين فى تقريب ما تباعد من هذه اللهجات ، وقد وقفت قريش موقف المنتخل الذى يصطفى ما استعذب من هذه اللهجات وطاب . حتى انتهت الى ألطف اللهجات . وأجود الأساليب ، وصارت لغتها قمة العربية وخلاصتها .

ولعل اقبال العرب على القرشية كان بمثابة ارهاص لنزول الكتاب الحميد بها . وليس من شك فى أن حمل القرآن للوائها آية على فضلها ، وحجة على ارتفاع شأنها . وربما كان ذلك السر في قوله تعالى : « لقد

---

(١) راجع كتب السيرة والأدب ، وبخاصة كتاب أسواق العرب لسعيد الأفغانى .

أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » ، وفي قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك» في طرف من منازع التأويل.
ولا يعز على الذكي اللبيب أن يستجلي في ذلك الحكمة ؟ فقد هيأ الله لقريش من قبل أن تتنزل آيات القرآن بلغتها ، مقام القدوة بين العرب ، فكان لها من بينهم ما أفردها بعلو الكلمة ، وسمة الزعامة ، وسعة الجاه ، ووفرة السلطان ، وتمام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب ، لما تواتي لهم من ثقافة وخبرة وحنكة ، والذي ورث من لغة الحميريين ليس كثير التميز عن لغة قريش ، سواء في التصريف أم في الاعراب أم في الأسلوب .

بل ان أكثره ظاهر في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة . فلفظ أنطي (١) في لهجة الحميريين معناه أعطي عند قريش ، والكتع عند الاولين هو الذئب عند الآخرين ، والشناتر عند حمير هي الأصابع عند قريش ، وسامدون في لغة حمير هي الغناء في لهجة قريش ، الى غير ذلك مما تجد له نظيرا في لهجات مضر ، كالسدفة فهي الظلمة عند تميم والضوء في لغة قريش (٢) .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ، ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الاخرى في لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات ، وبها نزل القرآن الكريم .

فاذا نزل القرآن بلغة قريش ولها ما لها من هذه المقومات ، كان ذلك ادعى الى أن تعنو له الجباه . .

لقد قيل — وصدقا ما قيل — : لو أن القرآن نزل بلغة غير لغة محمد ، ما استقامت الموازنة بين القرآن وبين كلام محمد ، ولا نفسح المجال للخوض فيه ، والطعن عليه ، ولوجد كل قبيل للقول فيه مذهبا ، فتنشق الكلمة ، ويتفرق الناس فيه جماعات ، ويتجهون في الحكم له أو عليه اتجاهات مشرقة ومغربة .

ومع نزوله بلسان النبي ولهجة (٣) قومه ، ائتلفت لغته على وجه يستطيع به العرب جميعا أن يقرءوه بلحونهم مع بقائه في فصاحته ، وحفاظه على مكانته ، وتلك سياسة لغوية جمعت العرب على منطق واحد ، ليكونوا أمة واحدة ، وهذا أيضا من وجوه الاعجاز فيه .

جاء القرآن مخالفا لكلام العرب في الطريقة والمذهب ، وفي المنزلة والصنعة ، وان جانس لغتهم في المادة والتركيب . ولولا ذلك لذهب في كلامهم . وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والاقاصيص وغيرها . أو لتدافعته العصور والدول

---

(١) ورد مضارع هذا الفعل في شعر أبي العلاء من سقط الزند اذ قال :

لن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا — يظللهم ما ظل ينبته الحظ

وقد سمعتها تنطق كذلك حتى الآن في العراق . « الوعي »

(٢) راجع كتاب الاتقان ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) هذا لم يمنع من أن يسأل رسول الله ربه التخفيف عن أمته — حين بدأ الاسلام ينتشر في القبائل — وألا يجبر عربي مسلم له لهجة قبيلته الخاصة على تركها والنطق بما لم يألفه من لغة قريش وهذا هو ما نفهمه من حديثه « نزل القرآن على سبعة أحرف » برواياته المتعددة ، وقد عاد الامر أخيرا الى لغة قريش حيث كانت هي المرجع حين يحدث خلاف أثناء كتابته في عهد الخلفاء بعد أن هضمت القبائل جميعها لغة قريش وعرفت منها ما لم تكن تعرفه . « الوعي »

ان لم يذهب ، وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الانسان .

ولكن أبى الله لآيته واعجازه أن يكون كذلك ، فأنزل القرآن حاويا لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتمييز . فكان سببا فى جميع ما أحدث ، وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سببا فى حفظ العربية واستخراج علومها .

وكان أصل ذلك هو التحدى بها ، الذى كان من حكمته أن ينظروا فى أساليب القرآن ووجه نظمه ليتدبروا طريقته ، ويجربوا عليها أنفسهم ، ويحملوها على الاتيان بما تحداهم اليه ان استطاعوا ، حتى اذا استيقنوا العجز من أنفسهم ، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعى وقيام الحاجة اليه ، ووجود المادة التى منها ائتلف ، كان ذلك سببا لن يخلفهم على اللغة الى استبانة وجوه الاعجاز ، فكشف لهم ذلك عن فنون البلاغة ، وتأدت بهم الى حيث بلغوا من تتبع كلام العرب والكشف عن محاسنه .

— وقد كان ذلك — ولولا ماصنعوا لخرج الناس الى العجمة ، ولذهبت هذه الآداب ، ولما بقى فى الارض الى اليوم من يقول: ان القرآن معجز (1).

ويتساءل الدكتور ستنجاس ، فيقول : (ولنسائل أنفسنا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمد ، ولو لم يكن القرآن ؟) ويقول : (ونحن لاننكر أن اللغة العربية أنتجت قبل الاسلام ألوانا عديدة من الشعر هى غاية فى الحسن والرقة ، الا أنها كانت كلها محفوظة فى أذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك أن الشعر ليس هو الأدب كله ، وكان العرب فيما بينهم منقسمين الى قبائل متفرقة ، مختلفين فيما بينهم ، وفى حروب طاحنة دائمة مما أثر على كيانهم ، وعلى ألسنتهم المختلفة ، وعلى شعرهم الذى هو أدبهم الخاص بهم ، وكان العرب بجملتهم على شفا حفرة من الدمار والخراب بسبب ما كانوا عليه من التنابذ والشقاق ، ولولا عناية من الله لحقتهم ، لذهبوا وذهب معهم لسانهم وشعرهم الملىء بالغزل والحرب ، ولكان الصائح المجازف مجال البحث والمخاطرة فى سبيل جمع ما باد من هذا الكنز ، وزال بسبب شحنائهم وتقاتلهم .

ولما جاء القرآن أبقى بطبيعته على هذا التراث ، وأوجد من مختلف اللهجات العربية لغة موحدة مكتوبة هى لغة الأدب العربى الى اليوم) .

وكان من اثر ما انتفع به المسلمون من ثقافة القرآن والدين الجديد ، ومن أسلوب الاسلام ، الذى يتجاوب مع الادراك الصحيح للحياة ، ويرسم أنجح السبل للسعادتين فى الدنيا والآخرة . أن شفت اللغة العربية عن المعانى الدقيقة ، والفكر السديد ، والفهم الرشيد ، والعمق التام ، كما انفسح المجال للغة العربية أن تعبر عما جد من مشاهد وما استحدث من صور ، وما وفد من معان ، بهذه الفتوح الاسلامية ، التى وقف العرب بها على ما لم يكن مألوفا من قبل ، من حضارات الفرس والروم والهند واليونان والمصريين وغيرهم .

واتسع أفق هذه اللغة حين حملت رسالة الاسلام ، واعتمد عليها الدين القيم فى شرح أهدافه ، وتجلية أغراضه ، وتبيين أحكامه ، واستعملت اللغة فى حفظ الملك ، ونشر الأمن ، وبث المساواة والعدل ، ونشر الوية الحق والخير ، كما انفسح صدرها للحجة والبرهان ،

(1) نص ما قاله الرافعى فى اعجاز القرآن .

فى قهر ذوى اللجاجة والنفور .

وكان هذا الحدث العظيم الذى لم تشهد البرية من قبل ولا من بعد حدثا بلغ ما بلغه من الأثر فى تحويل ركب الحياة ، رفدا عظيما أمد لغة العرب ، بخطب روائع ، وكلمات جوامع ، ووصايا حانية واعية ، يلقى بذلك الى الناس فى مجال النهضة المباركة رسول كريم ، ويدرج على سننه خلفاء راشدون ، ويسهم تباعا فى تأثيل هذا المجد كل من حمل عبء الدعوة ممن خالط الايمان قلبه ، يدعو الى دين الله ، ويدفع عن حوضه الخصوم والمكابرين .

والمقارنة بين حال اللغة قبل القرآن وحالها من بعده ، تفصح عن المدى البعيد الذى صارت اليه عقول كانت محدودة ، وأفكار عاشت فى الغواية حينا ، ثم استنارت بنور هذا الكتاب ، فاتسع لديها مجال القول ، واتكأت على دعائم ثابتات من الهدى واليقين .

على أن الباحث لا يغفل عما حملته اللغة العربية عن كتاب الله من عبر وقصص وتاريخ ، فان هذا الكتاب « حوى من أخبار الامم ما فيه . معتبر للأجيال الحاضرة والمستقبلة ، نبه على الصحيح منها ، وغادر الاباطيل التى الحقتها الاوهام بها ، ونبه على وجود العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالتهم » (١) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول عن الكتاب المنزل عليه (فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم) .

والقرآن الكريم صاحب الفضل فى أن حفظ لغة الضاد من أن تستعجم حين دخل الناس فى دين الله أفواجا . كما صانها بعد أن تقبلتها الشعوب ، وأقبلوا على تعلمها حيث اختلفت لهجاتهم بها قليلا أو كثيرا وفق استعدادهم ، وتباين أحوالهم . ولولا هذا الكتاب المبين لتقطعت الأسباب بين ألسنتهم ، ولانفصلت لغة كل شعب من هذه الشعوب عن اللغة الأخرى . وما كان غريبا أن يقع مثل ذلك — لولا القرآن — كما وقع بين الفرنسية والطليانية والأسبانية ، تلك اللغات التى هى فروع من اللاتينية .

واذا كان القرآن قد جمع العرب على هذه اللغة ، فانها — كذلك من أجل هذا القرآن — قد أشرقت بالفتح الاسلامى فى البلاد المفتوحة ، حتى أصبحت اللغة الرسمية لهذه الاقطار، لاسلام كثير من أهل هذه البلاد ، واندماجهم فى الفاتحين ، مما اضطرهم الى هجر لغاتهم الاصلية ليتفاهموا مع أوليائهم من العرب ، ويتفقهوا أحكام دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

وكان من فضل القرآن على اللغة تهذيبها من الحوشية ، والسير بها الى السهولة والمتانة ، ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق ، وأجود الأساليب ، فان المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته فى صلاتهم وعباداتهم ، واستجلوا مظاهر الادب الرفيع المعجز فى عباراته وأمثاله ، واستعاراته ومجازاته وكناياته ، وتشبيهه وتمثيله . وكل ذلك حقق لهم ارهافا فى الذوق ، ونضجا فى الموهبة ، وسموا فى الحاسة الفنية ، كما خلق فيهم الميل الشديد الى محاكاة أساليبه واقتباس الفاظه ..

---

(١) الامام الشيخ محمد عبده .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

ان الاستجابة لله وللرسول ، انما هي استجابة لدواعي الحياة ، فالرسول لا يدعو الناس الى الايمان بالله والعمل بشريعته ، تحكما فيهم ، ولا استعبادا لهم ، انما هو يدعوهم الى الحياة بكل معنى من معانى الحياة .

يدعوهم الى عقيـــدة تحيى القلوب والعقول ، وتطلقها من اســـار الجهل والخرافة ، ومن ضغط الاوهام والاساطير ، ومن رق التقليد وجمود التقاليد .

يدعوهم الى شريعة تحيي الأفراد والجماعات ، وتهيىء للجميع حياة كريمة متكافلة عادلة ، يأمن فيها كل انسان على دمه وعرضه وماله ، ويطمئن فيهـــا الى عدالة التشريع والقضاء وكفالة المجتمع والدولة ، وسعادة الدنيا والآخرة .

ويدعوهم الى القوة والعزة ، والثقة بدينهم وبربهم ، ومكافحة الظلم والبغى والفساد على ثقة بالنصر من عند الله الذى يتولى الصالحين .

ويدعوهم الى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وقد يصيبهم الموت فى هذا الجهاد ولكن في الاستشهاد حياة ، حياة عند الله للشهداء ، وحياة لأمتهم فى الأرض واستعلاء ، وهكذا دعاهم الى الموقعة التى أحيتهم وأعزتهم وأحيت الاســـلام وركزت رايته على الاجيال .

ان الاسلام دين حياة ، لا عقيدة انعزال ، دين ايجابى تنمو الحياة فى ظله وترتقى ، لأنه يسبق خطى البشرية دائما ، ويقودها فى مدارج التعمير والانشاء والتطور والارتقاء ، انه نظام كامل لحياة كاملة ، وليس مجرد عقيدة روحيـــة للتهذيب والارشاد . انه يأخذ من الحياة ويعطى ، ويدفع بالحيـــاة الى الأمام محكومة بنظامه الذى لم تعرف له البشرية نظيرا منذ كان الانسان .

والتعبير يحمل هذا كله ، ويحمل معانى أخرى كثيرة ، وصورا شتى للحياة المتجددة تكمن كلها فى كلمات قليلة « استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمـــا يحييكم » فكل صورة من صور الحياة ، وكل معنى من معانيها المتجددة سواء كانت مستترة فى الضمير أو بادية للعيان ، كلهـــا تتراءى من خلال العبارة المجمـــلة وتنبض فى الوجدان .

كانت تباشير اليوم الجديد ، من العام الميلادى الجديد ، تتسرب الينا نورا حائرا من خلال الستائر الشافة .. قلت : ألا نصلى الصبح ؟ قال الصديق : « الشاى » جاهز ، والماء الدافىء ميسور ..

أطفأت الانوار ، وسبحنا فى جو ليلى حالم ، وقرأنا فى الصلاة خاشعين .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليـــه تحشرون . واتقوا فتنـــة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصـــة واعلموا أن الله شـــديد العقاب . واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون .. » وبين الدعاء والبكاء تذكرنا أجواء غزوة بدر التى نزلت هذه الآيات بمناسبتها .

قال طالب : كنا نريد أن نستجر عمار الى ليلة حمراء مغرقة فاستجرنا هو الى ليلة بيضاء مشرقة !! قال عمار فى فرح وتواضع : بل الله سبحانه ساق الينا الأساتذة الكرام ولله جنود السموات والأرض ، وما أدرى هل أنتم نادمون ؟

قال رفاقه الطلاب : حاشا لله .. شتان بين حياة باريس وحياة الاسلام ! علينا عهد الله . أن نمضي فى صراط سديد مع العـــام الجديد ، فادع الله لنـــا بالتوفيق .. قال : ادع لنا يا أستاذ .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنـــا وهب لنا من لدنك رحمـــة انك أنت الوهاب » .. اللهم يا مقلب القلوب والابصار ، ثبت قلوبنا على الايمان ..

لماذا الإيمان ؟

بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب — بغداد

— ١ —

في هذه الايام القاسية الصعبة ، التى تجتازها الامة العربية ، بعد الحرب بين العرب واسرائيل ، لا بد للعرب من أن يعودوا الى الله بقلوب طاهرة مخلصة تائبة منيبة ، ويلتجئوا اليه سبحانه وتعالى ، ليأخذ بأيديهم الى الطريق السوى ويهديهم سواء السبيل ، وينتشلهم من الهوة التى سقطوا فيها ، نتيجة لتقصيرهم فى حق الله وفى حق أنفسهم أيضا .

ومن المعلوم ، أن للحرب نتائج معينة على المعنويات : ترتفع معنويات المنتصر وتشتد ، وتنهار معنويات المندحر وتتضعضع .

ولكن معنويات المؤمنين حقا ، هى التى تصمد فى الشدائد والملمات ، لأن المؤمن لا يقنط أبدا ولا يضعف ، وصدق الله العظيم : (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ؟! (١) .

لقد وردت كلمة (قنط) ومشتقاتها فى ست آيات من آيات الذكر الحكيم ، كلها تحث على التفاؤل وتنهى عن القنوط ، وتصف الذين يقنطون من رحمة الله بصفات تخرجهم من حظيرة المؤمنين .

وما يقال عن القنوط ، يقال عن اليأس ، قال تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٢) .

انه لا قنوط ولا يأس مع الايمان ، وهذا وحده كفيل برفع المعنويات .

— ٢ —

والعدو فى الحرب ، يستهدف تحطيم جيش عدوه ماديا ومعنويا .

وهذا التحطيم ، هو الهدف الحيوى للعدو من الحرب . (٣)

ان الأرض التى يحتلها العدو بما فيها من قرى وقصبات ومدن ، لا تؤدى الى النصر الحاسم ، ما لم تتحطم قوى الجيش المادية والمعنوية بالدرجة الأولى ، وقوى الشعب المادية والمعنوية بالدرجة الثانية .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجر (١٥ : ٥٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة يوسف (١٢ : ٨٧) .

(٣) فى الكتب العسكرية المعتمدة ، ان هدف الحرب الخطير : هو تحطيم جيش العدو ماديا ومعنويا ، لاجباره على الاستسلام دون قيد أو شرط . وليس هدف الحرب الاستيلاء على الارض أو المدن أو الاموال ، لأن كل ذلك لا يؤدي الى النصر الحاسم اذا بقي جيش العدو سليما من الناحيتين المادية والمعنوية .

فاذا استطاع العدو فى الميدان ، أن يحتل بلاد عدوه ، وأن يحطم جيشه ماديا ، ولكنه لم يستطع أن يحطم معنويات ذلك الجيش ، فان هذا العدو يكون قد انتصر فى (معركة) ولم ينتصر فى (حرب) .

والانتصار فى (معركة) يكون انتصارا (تعبويا) أى أنه يكون انتصارا (محليا) فى ظروف معينة وفى زمان معين ، ولكن قد تدور الدوائر عليه ، لأن الحرب سجال ، فيصبح الغالب مغلوبا .

أما الانتصار فى (حرب) فهو انتصار سوقى (استراتيجى) أى أنه يكون انتصارا (مصيريا) ويتم بعده الاستسلام .

لذلك يحاول العدو أن يركز على تحطيم المعنويات ، ويشن حربا نفسية على خصمه ، فاذا استطاع أن يشيع القنوط واليأس فى النفوس ، فقد تكامل نصره وأصبح نصرا مستداما .

والا فان نصره يبقى نصرا مؤقتا يزول مع الايام .

— ٣ —

ولعل شواهد تاريخ الحرب تظهر هذه الحقيقة بجلاء ووضوح .

فى أوائل القرن التاسع عشر انتصر الفرنسيون بقيادة نابليون بونبارت على الروس فى معارك كثيرة .

ولكن نتيجة الحرب ، كانت للروس على الفرنسيين ، لأن الفرنسيين لم يستطيعوا تحطيم معنويات الروس ، فكان النصر بجانب المعنويات الصامدة .

وفى الحرب العالمية الاولى ، انتصر الالمان فى معارك كثيرة ، ولكنهم اندحروا فى الاخير ، لأنهم لم يستطيعوا تحطيم معنويات أعدائهم .

وفى الحرب العالمية الثانية اكتسح الالمان جيكوسلوفاكيا فى ربيع عام ١٩٣٩ ، واكتسحوا بولندا فى خريف ذلك العام .

واكتسح الالمان فرنسا بحرب الصاعقة عام ١٩٤٠ ، كما اكتسحوا هولندا وبلجيكا وأصبحت بريطانيا مهددة بالغزو الالمانى .

وفى عام ١٩٤١ اكتسحت ألمانيا الاتحاد السوفيتى حتى هددت موسكو وستالين غراد وانحدرت جنوبا باتجاه سواستبول وشبه جزيرة القرم .

وفى شمال افريقية اندفع رومل الى حدود مصر ، واستعد موسولينى لدخول القاهرة على حصانه الابيض عام ١٩٤٢ .

بل امتدت الانتصارات الالمانية الى شمال أوروبا ، فشملت النرويج أيضا .

وبدا للعالم ، أن كل شيء يسير فى الحرب لمصلحة ألمانيا ، وأن النصر أصبح منها قاب قوسين أو أدنى .

ولكن الحرب انتهت فى شمال افريقية باندحار المحور ، وانحازت ايطاليا الى الحلفاء فى تشرين الاول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ . وبدا غزو الحلفاء لشبه جزيرة نورماندى فى فرنسا ليلة ٥/٦ حزيران عام ١٩٤٤ .

واجتاح الروس الجبهة الشرقية الالمانية فى أول كانون الثانى (يناير) عام ١٩٤٥ .

واجتاح الحلفاء الجبهة الغربية الالمانية فوصلوا الى نهر الراين فى شباط (فبراير) عام ١٩٤٥ .

وفى ٩ مارس عام ١٩٤٥ ، استسلمت ألمانيا للحلفاء .

كانت انتصارات ألمانيا على الحلفاء فى الصفحة الاولى من صفحات الحرب العالمية الثانية انتصارات (تعبوية) ، لها تأثير وقتى على الدعاية وعلى السمعة و (الهيبة) ولا شيء غير ذلك .

وكانت انتصارات الحلفاء ، في (العلمين) وفي (نورماندى) وفى الجبهة

الشرقية ، انتصارات سوقية (استراتيجية) ، لها تأثير على نتائج الحرب ، لذلك خسرت ألمانيا الحرب فى النهاية .

والمهم فى الامر ، أن ألمانيا استطاعت احتلال كثير من بلاد أعدائها ، واستطاعت تحطيم القوى المادية لجيوشهم ، ولكنها لم تستطع تحطيم معنويات أعدائها ، لذلك انتصروا عليها فى نهاية الحرب .

ولو أن ألمانيا استطاعت تحطيم أعدائها معنويا ، كما استطاعت أن تحطمهم (ماديا) ، لانهار أعداء ألمانيا ، ولاستسلموا بدون قيد أو شرط للألمان ، ولكان النصر حليف ألمانيا فى الحرب .

— ٤ —

واذا أردنا أن نذكر لمحات من تاريخ العرب والمسلمين تبرهن على أن النصر فى النهاية للمعنويات العالية ، لضاق بنا المجال .

دخل هولاكو والتتار بغداد ، فأين هم اليوم ؟

واحتل الصليبيون كثيرا من سورية ولبنان وفلسطين ، فماذا كان مصيرهم؟

واحتل الانكليز مصر والعراق ، فماذا كانت النتيجة ؟

واحتل الايطاليون ليبيا والفرنسيون تونس والجزائر والمغرب . فأين هم اليوم ؟

فى طريق عودتى الى الوطن عام ١٩٥٥ ، تعرفت فى باريس الى جماعة من الجزائريين . وفى يوم من الايام افتقدت أحدهم ، فسألت أصحابه عنه ، فقالوا : (خرج الى الندىّ مع كافر) ..

كان أولئك النفر من الجزائريين فقراء معدمين ، وكانوا يرزحون تحت نير الاستعمار الفرنسى الغاشم ، وكانوا يعيشون أجراء لذلك المستعمر ، غرباء عن بلادهم ، بعيدين عن عوامل القوة المستمدة من السيادة أو الاهل أو الاصحاب أو الثراء ، ولكنهم كانوا مؤمنين بتفوقهم عربا مسلمين ، معتزين بخصائص دينهم وأمتهم ، فكان هذا الاعتزاز ، مصدرا لكل قوتهم فى هذه الحياة .

كانوا فقراء ماديا ، ولكنهم كانوا أغنياء معنويا ..

كانت فرنسا تدعى حينذاك ، أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، وأن الشعب الجزائرى جزء لا يتجزأ من الشعب الفرنسى ، وكان الجزائريون وهم يعيشون فى فرنسا يقولون : ان الجزائر جزء لا يتجزأ من مكة المكرمة والقاهرة ودمشق وبغداد ، وأئمة الشعب الجزائرى جزء لا يتجزأ من الشعب العربى المسلم : أشقاء العرب من الخليج الى المحيط ، وأخوة المسلمين من المحيط الى المحيط .

وما كان يردده الجزائريون علنا ، كان يردده اخوان لنا فى اللغة والدين من أهل ليبيا وتونس والمغرب ، وكان يردده معهم كل العرب فى بلاد العرب وكل المسلمين فى دار الاسلام .

كان الايمان وحده مع شعب المغرب العربى ، وكانت الاساطيل والجيوش والقوة القاهرة مع الاستعمار ، فانتصر الايمان على القوة ، وانتصر الحق على الباطل ، **وأصبح المغرب العربى حرا مستقلا ، وباء المستعمرون بالخزى والعار .**

— ٥ —

ان النصر فى النهاية ، للمعنويات العالية .

لذلك يحاول العدو بعد انتصاره على القوى المادية لخصمه ، أن يشن حربا نفسية لا هوادة فيها ، ليربح معركة المعنويات لأنه يعلم أن المعنويات اذا بقيت سليمة ، فان نصره يبقى ناقصا ، والعاقبة للصابرين .

فما هى وسائل الحرب النفسية لتحطيم المعنويات ؟

من وسائلها ، اشاعة اليأس والقنوط فى النفوس لكى يجعلها ترضخ وتستسلم للأمر الواقع .

وقد مر بنا ، أن المؤمن لا ييأس ، وأنه لا يقنط ، وأن الاسلام يحارب اليأس والقنوط بشدة وعنف لا نظير لهما فى الاديان السماوية الاخرى .

ومن وسائلها التخويف من الموت قصفا بالقنابل من الجو أو قتلا بالاسلحة الارضية الفتاكة .

ومن مبادىء الاسلام ، غرس الايمان بالقضاء والقدر ، وأن الانسان لايموت الا بأجله الموعود .

قال تعالى : « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » (١) ، وقال تعالى : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (٢) .

ومن وسائلها ، التخويف من الفقر والعوز والحاجة .

ومن مبادىء الاسلام ، أن الله هو الرزاق ، وأنه يرزق الناس جميعا ، وأن الغنى والفقر من الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا ينسى النملة المنفردة فى الصخرة المنفردة فى البحر المحيط ، اذ يرسل لها رزقها رغدا ويرزقها من حيث لا تحتسب.

قال تعالى : « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٣) ، وقال تعالى : « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (٤) ، وقال : « ونرزق من نشاء بغير حساب » (٥) ، وقال : « لا نسألك رزقا نحن نرزقك » (٦) ، وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » (٧) ، وقال : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » (٨) ، وقال : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » (٩) وقال تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم » (١٠) .

لقد وردت كلمة (رزق) ومشتقاتها فى ثلاث وعشرين ومائة آية من آيات الذكر الحكيم ، كلها تنص بما لا يدع مجالا للشك ، بأن الرزق هو من عند الله .

ومن وسائلها ، بث الشكوك والاوهام فى امكان احراز النصر بعد الاندحار.

ومن مبادىء الاسلام ، أن الايام دول بين الناس ، وأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ، وأن النصر من عند الله .

قال تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » (١١) ، وقال تعالى : « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (١٢) .

ومن وسائلها : اشاعة الحزن والأسى على ما فات ، للقعود عن الاستعداد واكمال أسباب النصر .

ومن مبادىء الاسلام ، العمل الدائب وعدم الحزن على ما مضى وفات .

(البقيــة ص ٣٩)

---

(١) الآية الكريمة من سورة المنافقين .
(٢) الآية الكريمة من سورة الاعراف (٧ : ٣٤) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الذاريات (٥١ : ٥٨) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ٤٠) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٧) .
(٦) الآية الكريمة من سورة طه (٢٠ : ١٣٢) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الاسراء (١٧ : ٣١) .
(٨) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٢) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الشورى (٤٢ : ١٩ .
(١٠) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٦٠) .
(١١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .
(١٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٢٦) .

الحضارة الاسلامية فى العالم

فى يوغسلافيا

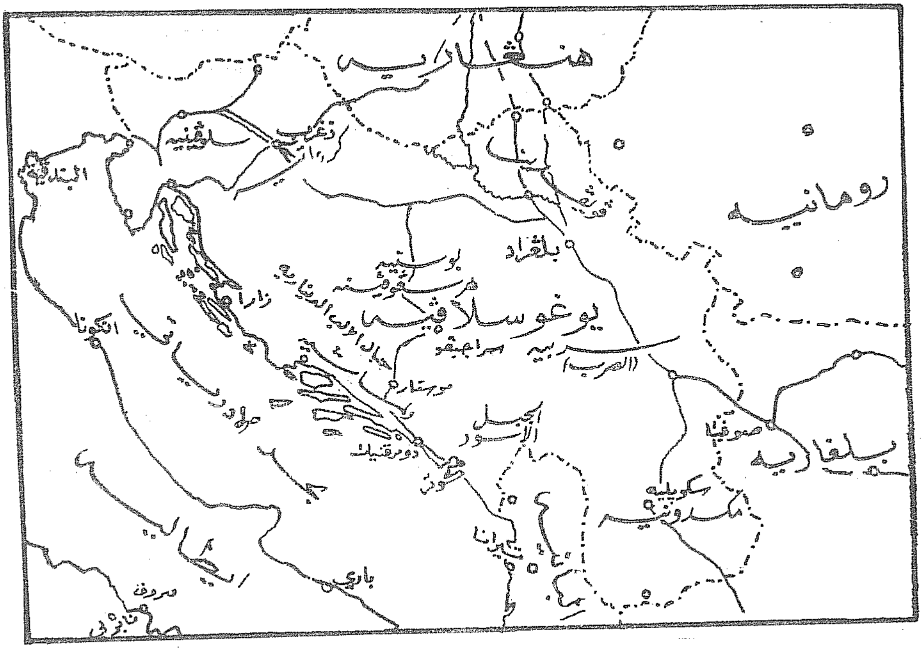
للدكتور / كامل البوهى
مراقب الشئون الدينية باذاعة القاهرة

أولا ــ فى يوغسلافيا :

ان اسم يوغسلافيا كما نعرفه الآن اسم جديد لم يعرف قبل الحرب العالمية الاولى فقد كانت الشعوب التى تسمى الآن بالشعوب اليوغسلافية تعيش على شكل قبائل متفرقة منذ وفدت مهاجرة من الشمال الى شبه جزيرة البلقان فى القرن السابع الميلادى . وقد عاشت هذه القبائل فى ظل الدولة البيزنطية ، وأخذت تتصل بالعرب الفاتحين بحكم اتصال تلك الدولة بهم ، وكثيرا ماكانت تتحالف مع العرب الذين يحملون دعوة الحرية للبشر ضد البيزنطيين الذين يفرضون العبودية على الناس، ويتحكمون فى مصير تلك القبائل ..

وقد ورد ذكر هذه القبائل كثيرا فى المراجع التاريخية العربية التى أطلقت عليهم اسم الصقالبة ، فيذكرهم « مروج الذهب » ، ويصفهم بالشجاعة والنجدة .

وصاحب « نفح الطيب » يذكر أن جماعة كبيرة منهم كانت فى خدمة الخلفاء ، وكان الخلفاء يثقون فيهم كل الثقة ، ويذكر منهم جعفر بن محمد المصحفى الصقالبى ، كما يذكر المقريزى فى « الخطط » أن الفاطميين أيضا قد استعانوا بهم ، ويرجح كثير من المؤرخين أن جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، وبانى القاهرة والازهر الشريف من هؤلاء الصقالبة .



ويذكر المسعودى فى تاريخه أن أم المستعين بالله العباسي كانت صقلبية ويسميها مخارق .

وقد استمر الاتصال بين العرب والصقالبة على مر القرون بعد أن استقر الصقالبة فى شبه جزيرة البلقان ، وكونوا هناك عدة ممالك منها مملكة الصرب والكروات وغيرها ، وبعد أن توحدت بعض هذه الممالك باسم مملكة يوغسلافيا سنة ١٩٢٩ ، اتحدت جميعها بعد الحرب العالمية الثانية باسم جمهورية يوغسلافيا سنة ١٩٤٥ ..

والمسلمون الذين لم يفتحوا القسطنطينية فى عصر الفتوحات الاسلامية الاولى . ليدخلوا الى أوروبا من بابها الشرقى ، دخلوها من بابها الغربى فى الاندلس ، وأسسوا هناك حضارة ما زال التاريخ يتحدث عنها وعن أثرها فى الحضارة الاوروبية الحديثة .

أما فى البلقان فقد كانت أنوار الاسلام تنتشر عن طريق التجار وعن طريق انبهار الناس بهذه المبادىء الاسلامية الرفيعة قبل أن يدخلها المسلمون ، ويفتحوا الباب الشرقى لأوروبا فى القرن الثامن الهجرى ، ولم ينته القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى) حتى كان الاسلام قد انتشر فى بلغاريا والبوسنة والهرسك والصرب وألبانيا وغيرها ، ثم عبر نهر الطونة ودخل المجر ، وامتدت أضواؤه حتى غزت أبواب فيينا ..

وقد وصف الرحالة الشهير «أوليا جيلبى » (١) المسلمين فى البلقان فى عصره ، فذكر عند وصفه لمدينة «بلغراد» أنه كان بها ٢١٧ مسجدا ، وثمانية مدارس ، وتسعة دور للحديث ، و٢٧٠ مكتبا لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ..

هذا والاوقاف العديدة التى لاتزال حتى الآن فى أنحاء البلاد اليوغسلافية تتحدث عن الحضارة الاسلامية فى القرون الستة الاخيرة ، منذ أوائل القرن الخامس عشر حتى اليوم ، ففى مدينة«سكوباية»(٢) عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغسلافية — كثير من المساجد والمدارس والمكتبات يرجع عهدها الى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وفى مدينة « بيتولى » — من مدن مقدونيا أيضا — وقفيات عديدة يرجع تاريخ بعضها الى القرن الخامس عشر وبعضها الآخر الى القرن السادس عشر .

أما فى مدينة سراييفو التى كانت تسمى فى العصر العثمانى « سراى بوسنة » ، وفى مدينة « موستار » عاصمة منطقة الهرسك ، وفى غيرهما من المدن العديدة ، فى البوسنة والهرسك مثل مدينة توزله ، وبانيالوكا ، وترافنيك ، فان الطابع العام فيها طابع اسلامى خالص ، المآذن تطالعك عند اشرافك على المدينة من بعيد . « والسلام عليكم » تملأ أذنيك وقلبك عند دخولك أية مدينة من تلك المدن . وأسماء مصطفى — وعمر — وحسين — وفاطمة — وأمينة — ولمياء .. تتردد فى كل بيت ومدرسة . والكلمات العربية تشكل نسبة كبيرة من اللغة اليوغسلافية ، وشهر رمضان له طابع خاص فى حياة الناس ، والاحتفالات بليلة القدر وعيد الفطر والاضحى ، والمناسبات الاسلامية تملأ القلوب بالفرحة والجلال ..

وقد برز من اليوغسلاف (٣) خلال القرون الستة الأخيرة عدد كبير من علماء الاسلام كانوا يشغلون مناصب القضاء والافتاء والتدريس فى عدد من العواصم الاسلامية ومن أشهر هؤلاء العلماء .

محمد بن موسى البوسنوى الشهير بعلامك قاضى القضاة فى حلب . وقد خلف أكثر من عشرة كتب ما زالت كلها مخطوطة متفرقة فى مكتبات العالم الاسلامى ، فى دار الكتب المصرية ، وفى مكتبة الغازى خسرو بك فى سراييفو .. وفى مكتبة جامعة بلغراد وغيرها . وأكثر هذه المؤلفات فى التفسير والبلاغة العربية والنحو العربى والمنطق ، وقد ترجم له المحبى (محمد أمين) فى كتابه « نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانة » وذكر بروكلمان كثيرا من مؤلفاته العربية ، كما ذكرها أيضا حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وقد عاش علامك فى

---

(١) أولياجلبى رحالة تركى عاش فى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى وأشهر مؤلفاته كتاب بعنوان « سياختنامه » .

(٢) لقد دمر الزلزال العنيف كثيرا من عمران هذه المدينة العريقة منذ أكثر من ثلاث سنوات فى يوليو سنة ١٩٦٣ فراح ضحيته فضلا عن آلاف الارواح مئات المخطوطات العربية التى كانت محفوظة فى مكتبات المدينة التى هدمت وفى دار محفوظاتها ..

(٣) معنى هذه الكلمة باللغة اليوغسلافية (صقالبة الجنوب) نهى مركبة من مقطعين : « يوجو » ومعناها جنوب ، و « سلاف » وهم الذين يسميهم المؤرخون العرب بالصقالبة .

نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري ..

ومنهم حسين باشا البلغرادي الذي كان بمدرسة السلطان سليم الأول بالقسطنطينية ، ثم تركها وعزم على الاقامة بالقاهرة وأنشأ بيتا متسعا مطلا على بركة الفيل جعله ناديا يستقبل فيه الواردين عليه لينهلوا من فيض علمه ، وقد ترجم له صاحب « خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر » كما ترجم له المحبي في نفحة الريحانه ، واثبت له قصيدة رائعة منها قوله .

تجود باقذاك الذنوب جوارحي
وطرفي باقطار الندامة باخل

وقد توفي حسين باشا بالقاهرة في رجب سنة ١٠٢٢ هـ .

ومنهم عبد الله البوسنوي الذي الف أحسن شرح حتى الآن لفصوص الحكم (١) حتى لقب بشارح الفصوص ، والذي الف أكثر من ستين مؤلفا ، بين مجلد ضخم في التصوف ، ورسالة صغيرة في التفسير الصوفي للقرآن الكريم . وقد قضى عبد الله البوسنوي شطرا طويلا من حياته بين القاهرة ودمشق ومكة ، وقد شرح فصوص الحكم باللغة التركية ، أولا ، واشتهر الشرح في بلاد العرب ، فطلبوا منه ان يشرحه لهم بلسانهم على ذوق الشوق ، ومن هذا الشرح العربي نسخة جميلة في دار الكتب المصرية . اما الشرح التركي فمطبوع ، وللمؤلف شرح على تائية ابن الفارض سماه « قرة عين الشهود ومرآة عرائس معاني الغيب والوجود » ومنه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق . وقد توفي عبد الله البوسنوي سنة ١٠٥٤ هـ

اما أشهر هؤلاء العلماء البوشناق على الاطلاق فهو العالم الشاعر المصلح الثائر حسن كافي الاقحصاري (٩٥١–١٠٢٥ هـ) (٢) وقد ترجم لنفسه في نهاية كتابه (نظام العلماء الى خاتم الانبياء) وتولى القضاء والتدريس في اقحصار ، ثم القضاء في الاناضول ، وطوف بالبلاد الاسلامية ، يلقى علماءها ، ويناقش ائمتها في القدس والشام ، وفي مكة والمدينة . ومؤلفاته الباقية حتى اليوم تزيد عن عشرين مؤلفا .. في الفقه والاصول ، والعقائد والوعظ ، والبيان والبديع ، والنحو والصرف ، والسياسة والاجتماع ، والتاريخ والمنطق ، وقد طبع من بين هذه المؤلفات جميعا كتاب واحد هو (اصول الحكم في نظام العالم) — وهو كتاب رائع يفحص فيه مؤلفه تحليلا بديعا للحكم ، وينتقد في صراحة وجرأة عيوب الحكم العثماني ، وما انتشر منذ ايامه من ظلم ورشوة وفساد ، ويتنبأ بما سيحل بالعالم الاسلامي من تخلف ، بسبب انصرافه عن اسباب القوة ، وبعده عن جادة الطريق ، بل عن تعاليم الاسلام وروح الاسلام . وقد ترجم الكتاب من العربية الى أكثر اللغات الحية في عصره ، ترجم الى التركية اولا ، ثم الى الفرنسية ، والمجرية والالمانية والانجليزية ..

ويلاحظ ان هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم جميعا كانوا من جيل واحد من اواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر الهجري ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يزل يناضل

---

(١) فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي .

(٢) تجد نبذة عنه وعن مدينة اقحصار بالبوسنة مسقط رأسه في « المنجد » طبعة بيروت .

في سبيل الحضارة الاسلامية ، وينشر الثقافة الاسلامية .

ومن أشهر هؤلاء مفتى الهرسك مصطفى يوسف الموستاري (١٠٦١ — ١١١٩ هـ) وقد عين أستاذا للعلوم العربية والدراسات الاسلامية بالقسطنطينية ، وهو لا يزال فى شرخ الشباب ، ثم توفى أستاذه السابق مفتى الهرسك ، فأصر الهرسكيون على اسناد المنصب الى نابغة اقليمهم مصطفى يوسف الموستارى ، فعاد الى موستار ، وعاش بها خمسة عشر عاما ، ينشر العلم والثقافة العربيــة ، وقد عثرنا على سبعة وعشرين مخطوطا من مؤلفاته ، فى العقائد وأصول الفقه ، والبلاغة والنحو ، والمنطق والوضع ، ولكن أكثر مؤلفاته كانت فى أدب البحث والمناظرة ، ولا يزال ضريحه يزار حتى الآن ، ولا يزال العلماء اليوغسلاف يكتبون عنه ، ويترجمون له ، ولاتزال الاساطير الشعبية تروى عن كراماته، حتى أن الكثيرين يعتقدون أن الطفل الغبى اذا زار ضريحه أربعين يوما بعد صلاة الصبح يصير ذكيا ويزول غباؤه . .

ومن الجيل الذى يليه نستطيع أن نذكر عبد الوهاب بن حسن البوسنوى وقد ذكره الجبرتي فى تاريخه فيمن توفى سنة خمس ومائتين وألف فقال:

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوى السرائى (١) المعروف ببشناق (٢) أفندى ، وقد عاش أكثر من خمسة وثلاثين عاما متنقلا بين القاهرة ومكة والمدينة ، يلهب حماس الجماهير بوعظه الثائر ، ويتنكر فى أزياء مختلفة ليهرب من بطش الحكام آنذاك ، وكم طارده حكام عصره بسبب تشنيعه على ظلمهم ، ولم نجد له الا مؤلفا واحدا فى مناسك الحج وحتى هذا المؤلف الواحد ينسبه بعض الباحثين الى بوسنوى آخر يحمل نفس الاسم « عبد الوهاب بن حسن البوسنوى » وعاش فى نفس الفترة .

أما الجيل الذى يليه فقد ظهر منه فى العالم الاسلامى عدد كبير من العلماء اليوغسلاف نذكر منهم على فهمى جابيتش (٣) ضحية الظلم العثمانى ، والمؤامرات السلطانية ، الذى ترك منصب الافتاء فى موستار، وهاجر الى استانبول فى سبيل دعوته لاستقلال التعليم الدينى الاسلامى عن سلطة الدولة المجرية النمسوية ، التى تنازل لها الباب العالى عن البوسنة والهرسك ، ثم نجده أستاذا للآداب العربية فى كلية الآداب باستامبول ، ولكنه يكتب مقالا فى احدى الصحف ، فيطرد من منصبه ، ثم تنتهى حياته بطريقة غامضة ، وتضيع مكتبته الخاصة ، وتختفى مؤلفاته المخطوطة ، ولكننا مع ذلك نعثر له على كتابين مطبوعين أحدهما بعنوان « حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة » وهو أول كتاب فى الادب العربى كله يجمع أشعار الصحابة —عليهم الرضوان— من أكثر من مائة مصدر ، ويترجم لهم ترجمة طويلة طريفة ، وقد زاد عدد الصحابة الذين ترجم لهم وجمع

---

(١) السرائى نسبة الى مدينة سراى وهو الاسم القديم لمدينة سراييفو الحالية .

(٢) النسبة التركية الى بوسنة (بوشنياق) وقد حرفت قليلا فأصبحت بوشناق .

(٣) يسميه اليوغسلاف « جابيتش » ويسميه الأتراك « جابى زادة » ومعناها بالعربية « ابن الجابى » .

اشعارهم في الجزء الاول وحده (١) اكثر من مائة صحابي .. وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٢٧ هـ.

والكتاب المطبوع الثاني بعنوان « طلبة الطالب في شرح لامية أبي طالب » وهو شرح ممتاز لقصيدة طويلة قالها أبو طالب بن عبد المطلب بعدما دخل الشعب عند مقاطعة قريش لبني هاشم والمطلب .

ونختم هذه الباقة من العلماء الافاضل الذين نشأوا في يوغسلافيا واسهموا في الثقافة الاسلامية على مستوى العلم الاسلامي بعالم فاضل كان أول يوغسلافي يكتب في علم الحديث ، وأول يوغسلافي يحاول كتابة دائرة معارف اسلامية وهو « محمد الخانجي البوسنوي » من علماء الازهر الشريف ، فقد وفد الى مصر في ربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ وبقى بها خمس سنوات ، وهو يذكر لنا في كتابه « الحاوي » عددا من أساتذته في الازهر ، منهم الشيخ علي محفوظ ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ سيد المرصفي وغيرهم ..

وبالرغم من أن الموت قد عاجله في زهرة الشباب (٢) — أو كما يشاع بين البوسنويين أن المستعمرين قد دسوا له السم — فقد ترك أكثر من خمسة وعشرين كتابا مطبوعا باللغة اليوغسلافية وكلها عن العلوم العربية والدراسات الاسلامية ، ومنها ما أعيد طبعه مرات .

أما باللغة العربية فلم يطبع له غير بحثين احدهما « الجوهر الاسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه» والثاني لم يجمع بعد في كتاب ، ولكنه مطبوع على شكل ابحاث مسلسلة في مجلة «جلاسنيك» (٣) في الاعداد من الاول حتى الرابع من سنة ١٩٣٤ وهي أبحاث في علم الحديث ، ونقد كتب الحديث وبيان صحيحه من زائفه ..

وقد عثرت له على اثنى عشر مخطوطا باللغة العربية من اهمها :

١ — مجمع البحار في تاريخ العلوم والاسفار (مخطوط رقم ٩٥ بمكتبة الغازي خسروبك) (٤) .

٢ — تذييل كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون (مخطوط رقم ٩٦ بمكتبة الغازي خسروبك) .

٣ — كتاب عن مصر وتاريخها .. (مخطوط رقم ٢/٦٦٢ بمكتبة الغازي خسروبك) .

أما العلماء اليوغسلاف من جيلنا هذا فيكتبون عن الاسلام والحضارة الاسلامية بشتى اللغات ، فمنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية ، واللغات الاوروبية الاخرى ولكنهم لا يكتبون باللغة العربية من أمثال : الدكتور فهيم بيرقد اروغيتش — والدكتور حازم شعبا نوفيتش .. والدكتور محمد بيجوفيتش ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغات الاوروبية ، كما يكتب باللغة العربية من مثل : الدكتور حسن قلشي — وله مؤلفات عديدة عن الاسلام والحضارة الاسلامية باللغات العربية والتركية

---

(١) وهو الجزء المطبوع .

(٢) توفي أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وهو في الثامنة والثلاثين من عمره .

(٣) مجلة الطائفة الاسلامية في يوغسلافيا .

(٤) أكبر مكتبة للكتب الشرقية في يوغسلافيا .. ومن أكبر مكتبات أوربا على الاطلاق ..

والالبانية واليوغسلافية والالمانية — كما يشترك معي في وضع أول قاموس يوغسلافي عربي ..

ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغة العربية واللغات الشرقية من مثل :

قاسم دبريشته ، ويسيم قرقط ، وعمر موشيتش ، وتوفيق مفقيتش ، وحسين جوزو ، وعبد الرحمن هوكيتش وغيرهم .. ولكل هؤلاء العلماء مجهودات مشكورة في الترجمة كذلك ..

ولعلنا في هذه النبذة المختصرة نكون قد وفقنا في رسم صورة عامة للحضارة الاسلامية في يوغسلافيا ، كما نرجو أن نوفق في العمل على توثيق العلاقات الثقافية بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وأن يعمل المسئولون عن الاجهزة الثقافية في كل من يوغسلافيا والبلاد العربية على دراسة المخطوطات العربية في يوغسلافيا ، وهي تزيد عن خمسة عشر ألف مخطوط ، وعلى تبادل الكتب والمجلات ، بل وعلى اسهام الاقلام العربية في المجلات اليوغسلافية ، والاقلام اليوغسلافية في المجلات العربية ، لا سيما وأن في يوغسلافيا ثلاث مجلات دورية تهتم بالدراسات العربية والبحوث الاسلامية وهي :

١ — مجلة « جلاسنيك » مجلة اسلامية شهرية تصدرها رئاسة العلماء في يوغسلافيا .

٢ — مجلة « بريلوزى » وهي مجلة سنوية كبيرة تصدر على المستوى العالمي .. باللغة اليوغسلافية ، ولكل بحث ملخص في نهايته بلغة من اللغات الاوروبية الحية ، وكل بحوثها ودراساتها عن الاسلام وتاريخ الاسلام في يوغسلافيا ..

٣ — مجلة « الأمل » وهي مجلة نصف سنوية يصدرها طلاب الدراسات الشرقية في جامعة بلغراد وهي ذات اتجاه أدبي فني ثقافي عام ، ولكنها خاصة بالآداب العربية والتركية ..

وهناك أيضا كما عرفنا عدد من العلماء يكتب باللغة العربية ، فلنتبادل المجلات والمطبوعات ، ولنتبادل الأفكار والابحاث ، ولنعمل على توثيق العلاقة بين الشعوب ، فهذه فيما أرى من أهم أهداف العلم والعلماء ..

والله ولي التوفيق ؟؟؟

- الاغتيال لا يغير تاريخ العالم
- الجامعة يجب أن تكون مكان الضوء ومكان الحرية ومكان العلم .
- كن عادلا وأنت لا تخشى شيئا .
- الخلاف في الدين ينتج من الخصومة اكثر مما ينتج الخلاف في السياسة .

قال تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » (١) .
وقال : « فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكـــم ولا ما أصابكـــم » (٢) .
وقال : « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمســهم السـوء ولا هم يحزنون » (٣).

ومن وسـائلها ، بعث الاحقاد والضغائن ، والعمل على تفرقة الصفوف .

ومن مبادىء الاسـلام ، رص الصفوف ، ومحاربة الفرقة ، والحث على الوحدة والتوحيد .

قال تعـــالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعـــد ما جاءهم البينات » (٤) ، وقال : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (٥) . وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٦) . وقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » (٧) .

ومن وسـائلها ، بث الاشـاعات المغرضة ، والاشـاعات من أقوى سـلاح العدو لتحطيم المعنويات .

ومن مبادىء الاسـلام ، محاربة الاشـاعات ، والحث على اخبار ذوى الامر بها فورا ، لوضع حد لعملها التخريبى .

قال تعالى : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولـــو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولـــولا فضل الله عليكم ورحمتـــه لاتبعتم الشيطان الا قليلا » (٨) ، وقال : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفـــون فى المدينة لنغرينـــك بهم ثـــم لا يجاورونك فيها الا قليلا » (٩) ، وقال : « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (١٠) .

ان العودة الى الله ، فى مثل هـــذه الايام الصعبة القاسية ، تجعل من العربـــى المسلم متفائـــلا لا يقنـــط ، قويا لا يضعـــف ، شجاعا لا يجبـــن ، ثابتا لا يتزعزع ، صامدا لا يتراجع ، متماسكا لا يتفرق ، يتحلى بارادة القتال ويثق بنصر الله .

ان العودة الى الله ، هى الدواء الناجع للنفوس المريضـــة التى تتأثر أو تأثرت بالحـــرب النفسية التى تشنها اسرائيل ومن وراء اسرائيـــل من دول الاستعمار على العرب خاصـــة وعلى المسلمين عامة ، لتنهـــار معنوياتهم ويستسلموا للأمر الواقع ..

ان العودة الى الله ، تجعل من العربى المسلم ، قوى المعنويات دوما ، وتجعله يشعر بأنه فى خير دوما ، لأن الاسلام يأمر باعداد متطلبات النصر . فما أثر الاسلام فى النصر ؟ ذلك ما ستقرأه فى المقال القادم باذن الله .

---

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٣٩) .
(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٣) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٦١) .
(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١١٢) .
(٥) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٥٣) .
(٦) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .
(٨) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ٦٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .

الاسلام دين الحرية والكرامة

للدكتور وهبه الزحيلى

جامعة دمشق

ان كرامة الانسان وحريته هما أعز مقومات وجوده فى هذه الحياة ، وأسمى شىء لديه ، بل هما مصدر قوته وعزته وفخاره ، والمفجر لطاقته ، والباعث لحيويته ونشاطه ، والسر فى تضحيته وجهاده ، فاذا أهينت الكرامة الانسانية واعتدى على الحرية الشخصية ، هانت الدنيا فى ناظرى كل مخلوق ، فلا أمل فى العيش ، ولا طعم للحياة ، ولا سعادة للفرد والجماعات .

والعرب فى عهودهم الاخيرة ، حينما صبوا حميم غضبهم ، وشديد بأسهم على المستعمرين ، وأعلنوا مقاومتهم للاستعمار ، وتحطيم قيوده وأغلاله فى كل مكان ، استقوا هذه المعانى مما عرف عن طبيعتهم التى تأبى الذل والصغار ، وتدين بالاباء والشمم ، ومما ورثوه عن أسلافهم العظام الذين أجج فيهم الاسلام عاطفة الاباء ، ونظمها لهم واعتبرهم أعز العالمين ، مقررا ذلك فى قرآنه المجيد : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ومعلنا للأجيال الحاضرة والغابرة مبدأ احترام الانسانية ، وتكريم البشرية فى قوله سبحانه : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى قوله عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

تعنى هذه الآية ان الله سبحانه ، كرم الانسان بالعقل والتفكير ، حتى سخر له كل شىء فى الكون ، كالماء والهواء والاثير ، وكل ما فى السماوات والارض ، وكرمه فى خلقه السوى ، وقامته المعتدلة ، وكرمه بالمسئولية والتكليف وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام . ومن انواع التكريم المأكل والملبس ، وفضله على كثير ممن خلق الله تفضيلا .

ومن مقتضيات هذه الكرامة أنه لا يصح عقلا ولا شرعا ولا قانونا أن يتعرض امرؤ للسب والشتم من قبل الآخرين ، أو يكون موضعا لجلد الجلادين ، وسياط الظالمين ، او توقيع العقوبات التأديبية بدون حق ولا برهان ، فكل متهم برىء حتى تثبت ادانته ، كما هو معروف فى طبائع الاشياء وأبسط المبادىء الشرعية والقانونية .

ومن حرص الشرع الحكيم على كرامة الانسان أنه يربى فيه عزة النفس والأنفة فى طلب الرزق والحوائج ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الامور تجرى بالمقادير » ويقول الرسول صلى الله

عليه وسلم أيضا : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوفى رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم ابطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصى الله تعالى ، فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته » ، ولهذا المعنى وتطمينا للنفوس البشرية ، وزجرها عن اليأس والقنوط والجزع ، قال تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والارض انه لحق مثلما أنكم تنطقون » .

ومن هنا أحب الله تعالى معالى الامور ، وكره سفاسفها ، ونبه الى أن يد المعطى أفضل من يد المستعطى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقال أيضا : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » ، وحرم الاسلام السؤال والاستجداء من غير حاجة ، واعتبره مسقطا للحياء ومزيلا للبهاء : « ما يزال الرجل يسأل حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة من لحم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع ، فيأكل ، ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية على حماية كرامة الانسان ، فقررت عقوبات مختلفة على الحط من الكرامة ، واساءة السمعة ، وخدش الاعراض ، وانتهاك الحرمات ، وقذف الاحرار . كما أن الأمة ممثلة فى الدولة محظور عليها أن تستخدم وسائل غير لائقة بكرامة الانسان فى معاقبة المتهمين والمخالفين .

والحرية من صميم الحياة الانسانية ، وقد صانها الاسلام لكل فرد ، على الا يمس حقوق الآخرين ، أو مستلزمات النظام العام ، لأن الحرية فى الواقع ليست مطلقة فى كل النظم والدساتير ، وانما هى كما يعرفها فقهاء القانون الدستورى : قدرة الفرد على ممارسة اى عمل لا يضر الآخرين : فاذن هى مقيدة بشرط عدم الاضرار بأحد من الناس ، والا اصبحت الحرية معول هدم وأداة تخريب ، ورمزا على الفوضى .

وللحرية أنواع : أهمها : حرية التملك ، والقول أو الرأى ، والاجتماع وتكوين الجمعيات ، والفكرة والعقيدة . وقد أعلن الاسلام صيانته لهذه الحريات جميعها منطلقا من مبدأ واحد : هو مبدأ تحرير الانسان من ربقة العبودية لغير الله وحده ، وتخليصه من قيود الخرافات والاوهام ، وتأليه الاشخاص ، وعبادة المادة فكل ذلك يتلاشى أمام قوة الله وجبروته وعزته وسلطانه . قال تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » .

ويهمنا أن ننوه بما قدسه الاسلام من حرية الفكر والرأى ، فقد حارب الاسلام التعصب الاعمى ، والتقليد المقوت ، وأطلق العنان للعقل البشرى ، ليفجر المواهب الكامنة فيه ، والطاقات الموفورة لديه ، فى سبيل العلم والادب والصناعة والاختراع ، والتجديد فى كل نواحى الحياة الحرة الكريمة ، فلا شىء أقتل للعقل من العيش فى سراديب الظلم والعبودية ، ولا أشد امتهانا لكرامة الانسان من الحياة فى دياجير الجهل والطغيان ، وأى حياة للحرية بين الجمود والتقليد ، وهل يمكن للمجتمع أن يشعر بالسعادة ، اذا لم ترفرف أعلام الحرية فى سمائه ؟

وكان من علائم حرية الفكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في الأقضية ؛ والمصالح الدنيوية ، وتدابير الحرب ونحوها ؛ وهذا جائز له باتفاق العلماء ؛ بل ان له في رأي اكثر الاصوليين أن يجتهد في الاحكام الشرعية والقضايا الدينية فيما لا نص فيه ، بدليل اذنه لجماعة من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ؛ فقد كان ذلك عن اجتهاد ؛ ولو كان الاذن عن وحي لم يعاتبه الله في قرآنه المجيد : « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وهناك مثل آخر ، وهو قبول الرسول عليه السلام الفداء من أسرى بدر قبل ان يتوفر له شرط الأسر المتطلب للقوة والبأس في الارض ، ثم نزل الوحي مصححا هذا الاجتهاد في قوله تعالى : « ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » .

وقد وقعت اجتهادات اخرى من الرسول صلى الله عليه وسلم في ميدان الاحكام الشرعية ليس هنا مجال تفصيلها .

كذلك اطلق الاسلام للناس حق مناقشة الرسول صلى الله عليه وسلم الرأي ، بل ومجادلته فيه ، كما في قصة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها ، وافتاء الرسول بتحريمها عليه ، ثم نزول اوائل سورة المجادلة بتشريع كفارة الظهار ، فقال سبحانه : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » الآيات .

وهناك مواقف كثيرة للصحابة مع الخلفاء الراشدين ، كانت تمثل اروع مظاهر حرية الرأي ، مثل موقف المرأة التي ناقشت عمر بن الخطاب في مسألة تحديد المهور قائلة له : « أيعطينا الله وتحرمنا أنت ؟ » لأن الله تعالى يقول : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » ، فلا يجد عمر مناصا من الاذعان لرأي المرأة ضاربا المثل في الخضوع للحق بقوله : « اصابت امرأة واخطأ عمر » .

وقد وردت احاديث كثيرة في توطين النفس على ما تراه حقا ؛ وفي الحث على حرية الرأي والجهر بها ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن احدكم امعة يقول : أنا مع الناس ، ان احسن الناس أحسنت ، وان اساءوا اسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » .

وهناك أثر عن ابن مسعود يمثل قوة الرأي العام وهو قوله : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح » . وهذا لا يكون الا في ظل حرية الرأي .

حرية العقيدة

ومن الضروري ان نشير ايضا الى ان الاسلام سبق مختلف الدساتير والنظم الحديثة في مناداته بحرية العقيدة او الحرية الدينية . فباعتبار ان الاسلام دين الفطرة كان الاكراه على الدين ممنوعا ، وهذا من ابرز مظاهر حرية الانسان ، ذلك لأن الدين امر لصيق بالقلب والعقل ، فلا مجال لأحد أن يفرض سلطانه في

الزام الناس بعقيدة معينة ، بل وان كل محاولة فى هذا السبيل تعتبر فاشلة ، ولا أثر لها فى الواقع .

وقد وردت آيات كريمة فى تقرير مبدا الحرية الدينية منها قوله سبحانه : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ومنهـا قوله عز وجل : «ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وقوله تعالى : « لست عليهم بمصيطر » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين » « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . . » .

ولكن قد يقول قائل : ان هذه الآيات منسوخة بآية القتـال : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » « واقتلوهم حيث وجدتموهم » ولكن هـذا القول بعيد عن المنطق والواقع ، وكنموذج لهذا الخلاف نعرض أقوال العلماء فى الآية الاولى « لا اكراه فى الدين » فهل هى محكمة أو منسوخة ؟

هذه الآية التى هى امر في صورة الخبر اختلف فيها العلماء على ستة أقوال : فقال بنسخها سليمان بن موسى وغيره ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم اكره العرب على دين الاسلام ، وقاتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام ، لذا فانه يجب أن يدعى جميع أمم الارض الى الدخول فى الدين الحنيف — دين الاسلام ، فان أبى أحد منهم الدخول فيه أو لم يبذل الجزية قوتل حتى يقتل ، وهذا معنى الاكراه . قال الله تعالى : « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » ، والناسخ لآية « لا اكراه » كما يرى هؤلاء هو قوله عز وجل : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » أو « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الـكفار وليجدوا فيكم غلظـة واعلموا أن الله مع المتقين » ، وفى الحـديث الصحيح : « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل » يعنى الاسارى ثم يسلمون .

وقال قتادة والضحاك : ليست آية الاكراه بمنسوخة ، بل هى خاصـة بأهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ، والذين يكرهون : هم أهل الاوثان فهم الذين نزل فيهم « يأيها النبى جاهد الكفار » ودليل هذا الرأى ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية : أسلمى أيتها العجوز تسلمى ، ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت الى قريب ، قال عمر : اللهم اشهد ، ثم تلا : « لا اكراه فى الدين » الآية .

وممن قال : انها مخصوصة ابن عباس ، قال : كانت تكون المراة مقلاتا (وهى التى لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير ، كان فيهم كثير من أبناء الانصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » الآية ، وهذا قول سعيد بن جبير والشعبى ومجاهد .

وقال أبو جعفر النحاس : قول ابن عباس فى هذه الآية أولى الاقوال لصحة اسناده ، وان مثله لا يوجد بالرأى ، فلما اخبر أن الآية نزلت فى هذا أوجب أن يكون أقوى الاقوال ، وأن تكون الآية مخصوصـة نزلت فى ذلك ، وحكم أهل

الكتاب كحكمهم . (أى كحكم بنى النضير الذين نزلت فيهم الآية) ، جاء فى كتاب الرسول الى أهل اليمن « من كره الاسلام من يهودى أو نصرانى ، فانه لا يحول عن دينه وعليه الجزية » .

وأرجح الاقوال عندى أن الآية ليست بمنسوخة ولا مخصوصة ، اذ أن الآثار التى استند اليها المخصصون ليست قاطعة الدلالة على التخصيص ، لأن النص القرآنى عام ، وافراد فرد من العام بحكم العام لا يخصصه كما يقول الاصوليون ، قال الامام الرازى فى تفسيره الكبير : « انه تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا المعذرة قال بعد ذلك : انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل عذر للكافر فى الاقامة على كفره ، الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه ، وذلك مما لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء ، اذ فى القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ، ونظير هذا قوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وقال فى سورة أخرى : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وقال فى سورة الشعراء : « لعلك باخع نفسك — أى مهلكها — أن لا يكونوا مؤمنين . ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد نزول هذه الآية : « قد تبين الرشد من الغى » يعنى ظهرت الدلائل ، ووضحت البينات ، ولم يبق بعدها الا طريق القسر والالجاء والاكراه ، وذلك غير جائز » ا هـ كلام الرازى .

وبمثل هذا قال ابن كثير والطبرى والجصاص وأبو حيان التوحيدى ويؤيدهم أنهم ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الانصار ، ولكن حكمها عام . عن ابن عباس قال : « نزلت فى رجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له : الحصينى ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية ، فأنزل الله فيه ذلك (!!) ثم ان جملة « قد تبين الرشد من الغى » كأنها كالعلة لانتفاء الاكراه فى الدين .

وقال ابن تيمية فى آية « لا اكراه » : جمهور السلف على أنها ليست منسوخة ولا مخصوصة ، وانما النص عام ، فلا نكره أحدا على الدين ، والقتال لمن حاربنا ، فان أسلم عصم ماله ودمه ، واذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره أحدا على الاسلام ، لا ممتنعا ولا مقدورا عليه ، ولا فائدة فى اسلام مثل هذا ، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الاسلام » .

وهكذا يتبين أن دعوة الاسلام ترتكز على الحرية والكرامة فهى دعوة الحرية فى أصلها ، قامت لتحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض الى عبادة الله الواحد الاحد ، وهى فى منشئها جاءت لاعطاء كل انسان حقه فى الكرامة ، بعد أن كان الناس عبيدا أذلاء تحت سلطان الغاشمين ، وقد كانت حروب الاسلام من أجل الدفاع عن حرية العقيدة لقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

العلم يؤكد الايمان ويثبت القلوب

للدكتور جمال الدين الرمادى

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض » .

هذه آية كريمة تدل على قدرة الله عز وجل كما تدل على عظمته وجبروته ، وهناك كثير من الحقائق العلمية الطريفة فى هذا المضمار نحب أن نعرضها على أنظار القراء لتكون آية ناطقة على قدرة الخلاق العظيم .

اننا لو تصورنا أن هناك خطا حديديا يمتد بين الأرض والقمر . ويجرى فوقه قطار سريع يمضى بسرعة اربعين ميلا فى الساعة ويقطع نحو الف ميل فى اليوم والليلة ، فانه سيقطع المسافة الموجودة بين القمر والأرض في نحو ٢٤٠ يوما . أو بتعبير آخر فى مدى ثمانية أشهر بالتمام والكمال ، وذلك اذا اعتبرنا أن القطار ينطلق سريعا لا يقف عند محطة من المحطات . ولا يصيبه طارىء من الطوارىء ، ولا يعوقه اصلاح فى الطريق انما يواصل سيره ليلا ونهارا ، صباحا ومساء !!

فاذا ما شرعنا فى هذه الرحلة عند افتتاح المدارس في شهر سبتمبر — كما هي العادة — فاننا ننتهى من رحلتنا فى شهر ابريل ، وعند هذا الشهر تنبقى لدينا أربعة اشهر حتى تضاف الى أعمارنا سنة حديثة !!...

ولا يسخن سطح القمر الا اذا سطعت عليه الشمس . كما انه يبدو باردا اذا ما انحسرت عنه الشمس . فضلا عن أن ضوء القمر الذى يتلألأ فى السماء فيبهر الانظار . ويسحر الالباب مستمد من الشمس ، وينعكسه القمر على سطح الارض .

والطريف أن الارض التى نعيش عليها ونأكل من رزقها تعتبر بالنسبة للقمر قمرا أيضا ، وبما أن الارض أكبر حجما من القمر فان نور الارض

على القمر يبلغ فى شدته أربع عشرة مرة مثل نور القمر على الارض .

واذا تصورنـا أننـا نركب نفس القطـار السـابق لينطلق منهـا الـى الشمس فاننـا لـن نستطيع الوصول اليها لسبب بسيط وهو اننا سوف نكون فى دنيا العدم وتكون أرواحنا قد صعدت الى الملأ الأعلى ، فان أعمارنا لا تكفى للوصول الى الشمس فى هذا القطار ، فنموت فى بداية هذه الرحلة الطويلة !

ومن هنا يجب أن نفكر فى وسيلة أخرى للسفر الى الشمس ، وغير خاف أن الطائرة لا تتمكن ايضـا من الوصول اليها على جناح السرعة !

فما رأيك اذن فى قنبلة المدفع ؟!.

انه اذا انطلقت قنبلة المدفع بسرعة تبلغ نحو العشرين أو الثلاثين ميلا فى الدقيقة دون تفاوت أو اضطراب فانها تقطع ثلاثين الف ميل فى اليوم ، وعلى هذا القياس تصل الى هناك فى أكثر من أسبوع أو فى ثمـانية أيام على وجه التحديد ! هذا اذا كانت سرعة طلقة المدفع عشرين أو ثلاثين ميلا فى الدقيقة أما اذا كانت سرعتها سرعة عادية فانها لن تصل الى الشمس الا بعد مضى عدة سنوات !

ويقول العالمـان الكبيران وليم وستيلا نيدا : ان القمر والشمس عالمان عجيبان يموجان بالعجـائب والأسرار ، وكلهـا تدل على عظمة الخالق وعلى قدرة البارىء المصور وأن حرارة الشمس تبدو رهيبة الى حد بعيد . فاذا ما كانت لديك ذراع يبلغ طولها نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل ثم جلست فى حديقـة منزلك ورفعت يدك الى الفضاء نحو الشمس فان يدك سوف تحترق لا محالة واذا كان الالم يقطع خمسة اقدام فى جزء على عشرين من الثانية فان اصبعك يحترق قبـل أن تشـعر بالالم لأنه سيصل اليك بعد جزء على مائة من الثانية بعد أن تحترق .

وفى تعبير آخر نستطيع أن نقول موضحين أن عليك أن تنتظر سنة ولا تشعر بالالم بل قد تنتظر عشر سنوات ولا تشعر بالألم لأن الامر يتطلب أن تنقضى مائة وخمسون سنة حتى يصل ألم الحريق اليك رغم ما فى عـذاب الحريق من الم مرير يصيب الجسم والنفس جميعا .

واذا عرف القـارىء أن سرعة الضوء تبلغ نحو ١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية فلا بد أن يعرف أنه يصل الينا فى نحو ثمانى دقائق وربع الدقيقة . أى أن الضوء لا بد أن يستغرق مدة من الوقت من أجل الوصول الينا . وقد لا نشعر بهذا الفرق فى الزمن بالنسبة الى ضوء الشمس ولكننـا نشعر به فى حياتنا اليومية ، فلو فرضنا أنك أضأت مصباح الغرفة فى الليل لتقوم بعمل ما فانك لا بد أن تنتظر ثمانى دقائق وربع الدقيقة من أجل أن يتوهج ضوء المصباح !

وهذا الفرق بين موقع الشمس بالنسبة الينا كما يبين قدرة الخـلاق العظيم فى خلقه فانه اذا ما منعت عنا الشمس واختفت من حياتنا اضواؤها المنعشة فسرعان ما يتحول الهـواء الجوى الذى يحيط بنا الى درجـة التجمد ، وفى هذه الحالة يتعذر علينا التنفس وتصيب العالم كارثة كبرى يكون فيها فناء البشر جميعا .

وتبعد الشمس نحو ثلاثة وتسعين

مليون ميل عن الأرض . وفى هـذا البعد وهذه المسافة حكمة الهية كبيرة فلو فرض أن هذه المسافة اختصرت الى النصف فاننا نتمكن من أن نشعل الورق بمجرد تعريضه لأشعة الشمس وفى هذا خطر داهم على هذا العالم لأنه يسبب الحرائق الجهنمية التى تحصد الناس حصدا ، وتأكل الأخضر واليابس . ولا تذر شيئا حيا على الأرض !

والعلماء يؤمنون بالجاذبية . فالارض تجذب الاشياء اليها . وقد تنبه اسحق نيوتن الى نظرية الجاذبية منذ أن كان جالسا فى الحديقة بمفرده ورأى التفاحة تسقط على الأرض . ومنذ ذلك الوقت نادى بقانون الجاذبية وتبعه العلماء فيما بعد .

ولكننا يجب أن نعلم أن الشمس تجذب الاشياء اليها بقوة تفوق قوة الارض بسبع وعشرين مرة . ولهذا السبب فان كل شيء على الشمس يزيد وزنه سبعا وعشرين مرة عن وزنه على الارض . ومن هنا سيبلغ وزن الشخص العادى على سطح الشمس اكثر من طنين !

وغير خاف أن ثقل وزنه سوف يعوقه عن الحركة ومزاولة النشاط الذى يقوم به على وجه الارض ! بل انه قد لا يستطيع المشى ويظل قابعا فى مكانه لا يقوى على الحركة !

ومن الحقائق العلمية المفيدة للانسان أن ثلاثة أرباع الارض يغطى سطحها الماء ، والربع فقط يابس . ومن المعروف أن الانهار تحمل مياه الامطار الى البحر ، وفى هذه الحالة تكون مياه الأمطار قد اذابت الملح الموجود فوق قنن الجبال وسفوحها وتشبعت به وجرفته معها الى البحر ، وحينما يتبخر ماء البحار ويرتفع فى شكل سحب فى السماء تزجيها الرياح فان الماء يتخلف عنه الملح فى البحر وعلى هذا القياس يمكن أن نقول ان نسبة الملح فى ماء البحر تكون بمعدل ثلاثة أرطال ونصف الرطل من الملح فى كل مائة رطل من ماء البحر ، ومن الامور الطريفة التى يجب أن نعرفها أن ماء البحر أثقل من الماء العذب الذى يجرى فى الانهار والبحيرات ، كما انه من السهل السباحة فى الماء الملح عن الماء العذب .

والثلج فى البحر اثقل من ثلج الماء العذب . ولذلك كان من السهل أن يطفو وأن يحمل زلاقات الأسكيمو والمكتشفين فضلا عن أن قطع الثلج الملحة يكسرها المد والجزر ثم تتجمع حتى تصبح جبلا ثلجيا هائلا . وفى بعض الاحيان قد يبلغ عرض الجبل الثلجى نحو ثلاثين ميلا . وفى هذه الحالة يشكل خطرا جسيما على الملاحة كما حدث للباخرة « تيتانك » التى تحطمت وابتلعها اليم وهى فى طريقها من سوثهمبتون الى نيويورك فى ١٤ ابريل عام ١٩١٢ وقد ذهب ضحية هذا الحادث أكثر من الف وخمسمائة راكب كانوا يمرحون ويهللون فوق ظهر الباخرة الحزينة !

ومن العجائب الموجودة فى البحر وتدل على قدرة الخلاق العظيم أن البحر يضم بين جنباته أنواعا عجيبة من الاسماك والحيوانات البحرية ، ويكفى أن نقول انه يضم بعض الحيتان التى يبلغ طولها فى بعض الاحيان نحو خمسين أو سبعين قدما أو أكثر

من ذلك . ويستطيع الحوت بضربة واحدة من ذيله أن يحطم مركبا كبيرا .

ويمكنك ملاحظة وجود الحوت اذا ما كنت على ظهر باخرة فى رحلة بحرية ولاحظت انطلاق فقاقيع مائية كبيرة تتبعثر على سطح الماء ، فان هذه الفقاقيع تكون ناجمة عن أنفاس الحوت تحت سطح الماء وحركة الزفير والشهيق !

وفى البحر أنواع من الحيوانات البحرية والاسماك ، وبعض هذه الاسماك يرسل ضوءا لونه أحمر أو ضوءا لونه أخضر من بقعة مضيئة تحت عينيه ، ويقال أن هذا النوع من السمك له القدرة على اضاءة عينيه ، أو اطفائهما ، وحين تسبح هذه الاسماك تشبه قافلة من البواخر المضيئة أو سلسلة من قاطرات السكك الحديدية المضيئة فى الليل .

وفى أعماق البحار أيضا يوجد السمك الرعاش الذى يمتاز بطاقة كهربائية عجيبة قد تحدث الشلل فى الاسماك التى تقترب منها مهما كانت أكبر منها حجما كما تستخدم هذه الطاقة الكهربائية فى اقتناص فرائسها .

ويستطيع الحيوان أن يعيش على عمق ثلاثة أميال أو يزيد عن سطح الارض والسبب فى ذلك أن أجسام الحيوانات تكون مسامها جميعا ممتلئة بالماء ، وهذا الامر ينقذها من الموت اذ أن الضغط قرب سطح المحيط عظيم للغاية ، ولبيان ذلك نقول أنك لو أمسكت بقطعة من الخشب وأدليتها الى نهاية قاع المحيط ثم أخرجتها مرة ثانية فانها تفقد فى هذه الحالة كل خواص الخشب وتبدو وكأنها استحالت الى قطعة من الحجر سرعان ما تهبط الى القاع ولا تطفو على سطح الماء لأن كل خلاياها تكون قد انفجرت وتفتحت وامتلأت بالماء !!

ولذلك كان الخشب المستخدم فى بناء السفن الفارقة بعد انتشالها لا يصلح بالمرة لاستخدامه مرة أخرى فى بناء باخرة أخرى ...!!

هذه حقائق علمية قد تبدو كأنها ضرب من الخيال .. ولكنها فى نفس الوقت تدل على قدرة الله عز وجل وعلى عظمة الخلاق العظيم .

- لا شيء يستحيل على القلب الشجاع .
- ليس النبوغ الا قدرة على الصبر .
- الممالك بلا عدل غابات ملئت باللصوص .
- من خاف من حفيف الشجر لا يدخل الغابة .
- عجبك بمنصبك دليل على انك أقل منه .

سمو الهدف ووضوحه في الإسلام

بقلم المقدم / حسن فتح الباب
مدير قسم البحوث الفنية والقانونية
وزارة الداخلية ــ القاهرة

تتعدد النظريات التى تبحث فى مقومات القيادة الناجحة ، فتعزو احدى هذه النظريات ما يمتاز به القائد من صفات الى القوة النفسية الواحدة ، وتعزو الاخرى مزاياه الى القوى النفسية العامة ، على حين تذهب النظرية الثالثة الى أن صفات القائد تصدر عن القوى النفسية الخاصة بنوع معين من القادة . ولئن تقاربت هذه النظريات الثلاث فى مضمونها النفسى ، فان ثمة نظرية رابعة تنحو منحى مغايرا فتعزو جوهر صفات القائد الى القوة الجسمية .

وفى رأينا أن أفضل نظريات القيادة وأولاها بالفهم والدراسة هى تلك التى تقدم لنا تفسيرا صحيحا قوامه التحليل النفسى والاجتماعى لما يمتاز به القادة من قدرة فذة فى تآلف الأفراد والجماعات حتى يصبح الواحد هو الكل والكل هو الواحد .

ومن ثم فقد آثرنا فى هذا البحث أن نأخذ بالنظرية الاجتماعية التى تقول ان علاقة القائد بالمجتمع هى علاقة اندماج وتكامل ، والقائد الحق هو الذى يستطيع بفضل مزاياه وأخلاصه أن يحوز تقدير أعدائه قبل أصدقائه .

وفى ضوء هذا المفهوم للقيادة الناجحة حددنا المعايير والصفات التى يمتاز بها القائد بمعناه الحقيقى ، وأولى هذه الصفات هى الانتماء الى الجماعة . أما المعيار الثانى الذى يقاس به القائد الناجح فهو سمو الهدف الذى يدعو اليه ووضوحه ، وسوف نتناول فيما يلى هذا المقوم الأساسى للرسالة السماوية التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقدم الأسانيد والحجج العقلية والنقلية التى تجعل هذا المقوم محورا تدور حوله سائر مقومات القائد والقيادة فى الاسلام .

اذا استعرضنا المجتمع البشرى فى المرحلة التى سبقت ظهور الاسلام لاحظنا أن المظالم كانت تكتنفه من كل جانب . فمن فارس كانت تنثال آلام الانسان وضيعته وتمزقه تحت وطأة الحكم المطلق المستبد ، فلا حرية ولا عدالة ولا رخاء ، حتى لقد دعا « مانى » فى القرن الثالث الميلادى الى حياة العزوبة ، فحرم النكاح استعجالا للفناء ، ثم قام بعده « مزدك » فأعلن ــ كما أورد الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل « أن الناس ولدوا سواء فينبغى أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم . ولما كان المال والنساء مما حرصت عليه النفوس فقد احل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ » .

ويقول (البروفسير / أرتهرش) « كان المجتمع الايرانى مؤسسا على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة . وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير . وكان من القواعد السياسية الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه اياه نسبه ، ولا يستشرف لما فوقه . ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا فى نسبه وظيفة من وظائفهم . وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا ولكل واحد منهم مركز محدد فى المجتمع » .

وفى الدولة الرومانية كان اذلال الشعوب ، وفرض الضرائب الباهظة عليها ، وتسلط الحكام وانغماسهم فى بؤرة الانحلال ، حتى كان الناس يضمرون الحقد والمقت لولاتهم ، ويؤثرون عليهم أية حكومة أجنبية . ويروى التاريخ أنه فى سنة ٥٣٢ ميلادية هلك ثلاثون ألف شخص فى العاصمة نتيجة الثورات والاضطرابات التى تفاقمت فى ذلك الحين . ويقول فى ذلك « سيل » : « لقد كان العدل يباع ويساوم عليه مثل السلع . وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة كل تشجيع » .

ويقول « جيبون » : « فى آخر القرن السادس وصلت الدولة الرومانية فى ترديها وهبوطها الى آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم فى حين من الاحيان تستظل بظلها الوارف ولم يبق منها الا الجذع الذى لا يزداد كل يوم الا ذبولا » .

ويقول « الفرد ج. بتلر » : « ان الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس ، وضرائب أخرى كثيرة العدد ومما لا شك فيه أن ضرائب الروم كانت فوق الطاقة ، وكانت تجرى بين الناس على غير عدل » (١) .

وقد كان الشعب فى الدولة الرومانية ينفس عن نفسه حيال هذه المظالم بالثورة ، والنزوع الى الخلافات الجدلية والمناقشات اللفظية العقيمة ، حتى أصبح الجدل المقيم فى عالم اليوم يطلق عليه الجدل البيزنطى نسبة الى بيزنطة العاصمة القديمة للدولة الرومانية الشرقية .

تلك كانت أحوال الشعوب فى ظل الدولتين الرومانية والفارسية قبيل ظهور الاسلام : وهما أعظم قوتين سياسيتين فى العالم فى ذلك الحين . ومن هنا كانت الحاجة ماسة الى رسالة اصلاحية تهز أركان القيم العتيقة الفاسدة وتقتلعها من جذورها ، ثم تستبدل بها قيما رشيدة صالحة .. وبعث محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة العظمى ، رسالة ترمى الى تحرير البشرية بأسرها من العبودية ، ثم الانطلاق بها فى عالم الحق والخير والسلام والتقدم .

جاء محمد بعقيدة صحيحة خالدة ، عقيدة تتسع فى مضمونها لتشمل الدين والعلم والحضارة والحياة جميعا ، وتعالج شئون الحياة الجسدية ، كما تعالج أمور الحياة النفسية والعقلية والروحية ، عقيدة تترامى أبعادها حتى تشمل الناس جميعا فى كل عصر وكل أوان . عقيدة تمتاز بالنقاء والوضوح وملاءمة الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية فى جانبها المشرق وهو العقل والوجدان السليم .

وتظهر أهمية تحديد الهدف ووضوحه فى الدعوة الاسلامية اذا لاحظنا أن القائد الحق لن يستطيع تحقيق رسالته ما لم تكن أهدافها محددة يسهل على

---

(١) الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة للأستاذ ابراهيم محمد اسماعيل .

الناس فهمها واستيعابها ، فيميلون الى الايمان بها والتضحية فى سبيل تثبيتها . ذلك لأن الهدف الواضح الذى ينبع من الحاجات الأساسية للانسان فى العيش الحر الكريم ، هو الذى يحرك الناس الى اللقاء ، وهو الذى يفرض على المجتمع توسيع دوائر هذا اللقاء ، حتى تندمج جميع قوى التحرر والثورة على القديم ، وتعجز القوى المعادية عن الوقوف فى طريق هذا الزحف .

ولقد كان الهدف من الرسالة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم محددا وواضحا ومستقيما ، لا عوج فيه ولا انحراف . فتحرير الانسان ، وتحريم استغلال القوى للضعيف ، وتحرير العقل البشرى من الخرافات والاباطيل ، وتحرير النفس من نزعات الشر وشهوات الحس — تلك الأهداف التى دعا اليها الاسلام — كلها أهداف طبيعية كطبيعة الوجود الانسانى نفسه . وفى ضوء هذه الاهداف المثالية التى تتفق مع واقع الفكر المتحرر المستنير حدد محمد القائد الأعظم للأمة الاسلامية طريقه هذا رغم كل الصعاب والعقبات ، وتلاحمت جهوده مع جهود أنصاره المؤمنين بالدين الحق لصنع عالم جديد وبناء غد باهر للانسان .

ان وحدة الهدف ووضوحه هى السبيل الى التوافق الفكرى والوحدة النفسية ، وهذا التوافق بدوره هو السبيل الى وحدة الجماعة ، وما تسفر عنه من قدرة خارقة على تحقيق المعجزات ، ولقد تحققت بفضل هذه الوحدة معجزة الاسلام بكسر قيود التحكم والطغيان ، والقضاء على التمييز الطبقى والعنصرى بين أبناء المجتمع فى شتى صوره وألوانه . فاسترد المغبونون والمظلومون حقوقهم ، واستعادوا حرياتهم ، وأصبح للحياة معنى جديد ، وأصبحت القوة والتجمع ووحدة الفكر والضمير أسلحة القلة من المسلمين الأوائل فى خوض معركة التغيير الكبرى بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام . فاختفت من حياتهم المعوقات ، وازدادت قدرتهم على الاندفاع بالعمل نحو آمال الانسان الكبرى فى العدل والكرامة والحرية .

وفى ظل هذا الهدف الاسلامى المحدد تمت أعظم اللقاءات وهى اللقاءات الفكرية بين النبى وصحبه ممن آمنوا برسالته ، هذه اللقاءات التى كانت الدعامة الكبرى لبناء المجتمع الاسلامى المتكامل لأن كل وحدة لا تقوم على أساس وحدة الفكر قد تصبح فى يوم وليلة عرضة للهزات والانتكاسات . وهذه اللقاءات أيضا هى المنبع الذى ازدادت منه الثروة الفكرية للجماعة الاسلامية فسارت فى طريقها — طريق العقيدة الحقة — تنيره وتعمقه حتى يصبح وصولها أعمق وأكثر رشدا . .

ولقد أنزل الله فى كتابه كثيرا من الآيات التى تحدد الهدف من دعوة الاسلام بأسلوب بين محكم ، وألفاظ واضحة رصينة ، منعا لما يجره غموض الهدف أو تعقيد العبارة من اختلاف فى التفسير والتأويل ، وما يؤدى اليه هذا الخلاف من جدل متشعب حول المحور الذى تدور عليه الرسالة وهو غايتها وهدفها . ولا شك أن اختلاف الناس مذاهب وشيعا وطوائف من شأنه أن يعرض وحدة المجتمع للمخاطر ويطمع فيه الأعداء ، فتسول لهم أنفسهم أن يسعوا — من خلال مايتكشف عنه الخلاف من ثغرات — الى تقويض بنيان المجتمع .

ولقد سبق أن أشرنا الى ما جرته المناقضات الجدلية العقيمة فى بيزنطة من تفكك اجتماعى ، وأحقاد فى النفوس . بل ان الدولة الاسلامية ظلت ردحا طويلا من الزمن تنعم بالوفاق والأمن فى ظل الهدف الواحد الواضح ، حتى اذا استشرت فيها المذاهب والنظريات أصيب الاسلام والمسلمون فى عصورهم المتأخرة بأفدح محنة تصاب بها الدول والشعوب ، وهى الانقسام فى الرأى ، نتيجة ما أثار به الجاهلون والذين فى قلوبهم مرض من ريب حول مفاهيم العقيدة وأهدافها

(البقيــة ص ٦٧)

زفرة على القدس

قومي إلى الصلاة

وعادت الطيـــــورُ في المســـــاءْ
فلم تجـــــد في القبـــــة الضياءْ
ولا صـــــدى الترتيل والدعــــــاءْ
فهزت الاوتـــــار بالنــــــداءْ :
ياقـــــدس ياحبيبـــة السمـــــاءْ
قـــــومي الى الصـــــــلاه
وبـــــاركي الحيـــــاه . .
ورددي التسبيـــــح في المـــــآذنِ
وأيقظي الأجـراس في المــــــدائنِ
وكـــبري لله . . لاتهـــــادني
قـــــومي الى الصـــــلاه . .

★★★

لاتوقِفـــــي الدعـاء للرحمـــــنِ
مهما لقيت من أذى الشيطـــــانِ
ردي اليه إثمـــــه ، وقـــومي
وواصـــــلي الحديث للنجـــــومِ
فلم تـــــزل فيك خطا الاســـــراءِ
سابحـــــة في الطهر والضيـــــاءِ
ياقـــــدس ياحبيبة السمـــــاءِ
قومي الى الصـــــلاه
وبـــــاركي الحيـــــاه

★★★

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

« مع القدس الحزينة ، وهي تذرف غضب السماء ، ويتضرم ترابها المكظوم بلعنة التاريخ ، على من أخرسوا فيها الدعاء ، ولوثوا طهر الضياء ... »

ولم تـــزل أسوارك الحزينــــة
تُصغي الى أقداسهـــا الدفينــــة
ولم تزل مناجيــــاتُ الرُّســـلِ
في أفْقِك الطاهرِ منــــذ الأزل . .

مازال صوت الله في فضائِـــك
والانبيـــاءُ في صـــدي ندائك

قـومي الى الصـــــلاه
وبــاركي الحيــــاه

***

قومي ومهما اشتدت الجــــراحُ
فكل ليــل بعـــده صباحُ
وكل هولٍ بعـــده سكـــينَة
تمحـــو ظلام البغْي والضَّغينــــة

وتَرْجِــــعُ الشفــــاهْ
للشـــدو ، والحيــــاهْ

قـــومي الى الصــلاة والتسبيـــح والدعـــاءْ
ياقـــدس ياحبيبـــةً للأرض والسمـــاءْ . .

قومي الى الصـــلاةْ

قومــــي . . . ! !

تاريخكم ... يا شباب الإسلام

الأستاذ احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى – مكة

هذا الحديث ، عن التاريخ الاسلامى ، الذى اتخذناه مهجورا ، موجه بصفة خاصة الى الشباب والطلاب ، في الوطن الاسلامى كله .

وقد اثرت موضوعه ، استجابة لرغبة كريمة ، تفضل بها الأخ ، رئيس تحرير هذه المجلة المجاهدة .

ومن جهة اخرى كان الباعث عليه ، أو الحافز اليه أمرين :

الاول : ان بعض الكتاب العرب ، يرددون القول بان تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد .. ويعنون بهذه القولة الخاطئة أن الاسلوب الذى كتب به تاريخنا .. لا يغرى بقراءته ، فلابد اذن من اعادة كتابته .

الثانى : ان أجيالنا العربية المسلمة ، التى نسميها (صاعدة) تدير ظهرها للتراث الضخم الفخم ، الذى خلفه تاريخنا العربى الاسلامى المجيد ، واورثتنا اياه حضارتنا الراشدة .

فأجيالنا هذه ، تضرب الذكر صفحا عن الافكار العربية الاسلامية ، وما تشرق به من مبادىء ومثل ونظريات .. سبقنا بها أشباهها ونظائرها من الافكار العصرية ، الواردة من غرب او من شرق ، على سواء .

انهم – أى الشباب والطلاب من عرب ومسلمين – يقولون عندما يكتبون أو يتحدثون .. قال أفلاطون. وقال شكسبير . وقال برناردشو . وقال روسو . وقال فرويد . وقال ديكارت . وقال طاغور . وقال سارتر وأمثالهم – ويعرضون عن قال الله وقال الرسول ، وقال عمر ، وقال ابن خلدون ، وقال الغزالى ، وقال أبو العلاء . مع أن العلماء والمفكرين العرب والمسلمين سبقوا غيرهم فيما اطلقوا من أمثال ، وما رسموه من نظريات ، وما سجلوه من آداب وتعاليم .

ونبدأ بالحديث عن الرأى القائل بأن تاريخنا لم يكتب بعد ..!
أن صاحب هذا الرأى يرد كل الانحرافات ، بكافة أنواعها والوانها ، التى نزلت بالعرب والمسلمين ، الى أن تاريخ حضارتهم العربية الاسلامية لم يكتب بعد ، أو انه كتب بأساليب لا تغرى احدا بقراءته أو الانتفاع به .

ويشير صاحب هذا الرأى الى تفسخ الاخلاق فى المجتمعات العربية والاسلامية ، وعدم اقبال الشباب فيها على دراسة تاريخه ، ومعرفة ماضيه ، والاقتداء بأسلافه فى المحافظة على روح العبادة وأعمالها

ويستدل بهذه المظاهر على تأثر الشباب بكون التاريخ الاسلامى لم يكتب بعد .

وقد صدق صاحب هذا الرأى ، فيما تحدث عنه من مظاهر الانحراف فى المجتمعات الاسلامية . وكان حديثه بذلك ينم عن غيرة وحسرة تشكران له ، كما كان الحديث نفسه يحمل بين كلماته الروائع استغاثة واستصراخا يدلان على احساس بالنكبة ، وشعور بالمسئولية الفكرية ، واهتمام بواجب النجدة والانقاذ .

ولكن اختلافى معه ما زال قائما ، من أجل تعليله لكل ظواهر ونتائج تخلى المسلمين عن حضارتهم المجيدة الرشيدة ، بكون تاريخهم لم يكتب بعد .

وسأشير بايجاز الى بعض الاسباب والعوامل التى تدل دلالة واضحة على عكس ذلك الرأى ، وتثبت أن تاريخنا لم يقرأ بعد ، وأنه مدون مكتوب لم يترك منه شىء ..

أولا : ان ما يقال من أن تاريخنا لا يستطيع الجيل الناشىء أو الصاعد أن يقرأه ، لقدم أساليبه ، وغرابة معانيه ، وصفرة كتبه وأوراقه التى كتب عليها ، وسوء ترتيبه .. يدحض هذا الزعم ان تاريخ العروبة المسلمة قد أعيدت كتابته بلغة العصر الحديث وأسلوبه ، منذ سنوات عديدة مضت ممثلة فى مؤلفات العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأبو الحسن الندوى ، ومحمد أبو زهرة ، ومصطفى السباعى ، ومحمد الغزالى ، ومحمد يوسف موسى .. وأمثالهم ممن وضعوا أحسن الكتب عن التفسير ، والحديث ، والتشريع ، والتاريخ السياسى ، والنظريات الاقتصادية الاسلامية ، وعن الدراسات المقارنة بين مقررات الفكر الاسلامى ومقررات الفكر الغربى الحديث . بحيث لم تعد حجة المعتذرين (بالكتب الصفراء) القديمة قائمة ..

ونضيف الى ذلك المجلات الشهرية الحديثة التى تصدر فى العالم الاسلامى ، ويعرض كتابها (تاريخنا) بكل فنونه العلمية والتشريعية والتربوية والاخلاقية والفكرية عرضا جديدا ، بأسلوب مفهوم — كالازهر — وحضارة الاسلام — والوعى الاسلامى — والبعث الاسلامى — والرابطة — ولواء الاسلام — والمجتمع — ودعوة الحق .. وغيرها مما لا تحضرنى أسماؤها الآن ، وهى كافية كل الكفاية فى اقناع الشباب الاسلامى بقيمة التراث العظيم الذى خلفه العرب والمسلمون من معارف ومبادىء وثقافات سبقت — كما أسلفنا — معارف الغرب ومبادئه وثقافاته ؛ واعتمد الغرب عليها فى سيره العلمى وتطوره الفكرى وتقدمه الحضارى .

ونذكر الى جانب الكتب والمجلات الحديثة التى عرضت التاريخ الاسلامى عرضا جديدا ، ميسور الفهم ، المقررات المدرسية فى العلوم العربية والاحاديث التاريخية .. فهى — الاخرى — قد ساهمت فى تقريب التاريخ الاسلامى ، وتيسير فهمه ، والتشويق الى مطالعته ودراسته .

ثانيا : ان تاريخنا مدون ومكتوب فى مطولات ومختصرات ولكل منهما فائدتها ونفعها ، ولها قراؤها الباحثون الدارسون على مهل وتفكير واستنباط ، أو المستعجلون المكتفون بالاعتماد على الغابرين ، الملتمسون للاستدلال بآرائهم ونظرياتهم .

ثالثا : ان احجام الشباب ، أو حتى الشيوخ والكهول عن قراءة تاريخنا ، والاتصال به ، والانفعال بوحيه وهديه ، ليس حجة على الرداءة في كتابة التاريخ أو صياغته ، أو أنه غير كامل أو غير واضح ، وأنه محتاج الى كتابة جديدة .. فقد أسلفنا أن

تاريخنا مدون ومكتوب فى المطولات والمختصرات ، من ناحية ، ومن اخرى قد عرضه الكتاب المحدثون عرضا جديدا ، مع التحقيق والتصحيح ، والطبع الانيق ، ونشرته دور الطباعة فى العالم العربى كله ، وخاصة فى القاهرة وبيروت .

رابعا : ان الاحجام عن قراءة التاريخ الاسلامى ، هو نتيجة لتصرفات مؤسفة صنعها المسلمون انفسهم ، وخلقوها بأيديهم .. اذ لم يوجه الآباء والمربون والمعلمون اهتمامهم المخلص الى توعية الطلاب تاريخيا واغرائهم بقراءة تاريخهم ، ومراجعة تراثهم الحضارى ، وحملهم تلقائيا على الانفعال بالامجاد الاسلامية السالفة .. حتى انصرفوا الى ملء فراغاتهم الطويلة العريضة بالاستماع الى الاذاعات ومشاهدة التلفازات ، ومطالعة الصحف والكتب التى تروى قصص الجنس وتنشر صوره ، وتحض على ممارسة تجاربه .

خامسا : ان وزارات التربية والتعليم ، فى البلاد العربية والاسلامية عامة ليست براء من مسئوليتها عن توجيه الشباب والطلاب الى دراسة تاريخهم والانفعال بأمجاده ، والمحافظة على تقاليده وآدابه .

سادسا : ان الآباء والامهات مسئولون بصفة خاصة عن تربية أبنائهم تربية عربية اسلامية ، تمنحهم شخصية انسانية مستقلة ، لا تذوب فى تقاليد الشعوب الاجنبية الاخرى ، ولا تنماع فى اتجاهاتها الفكرية والاجتماعية . ولعلنا لم ننس التوجيه الاسلامى الذى انطلق على لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (او ينصرانه أو يمجسانه) والتوجيه النبوى الآخر : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

فالآباء والامهات وأولياء أمور الطلاب والشباب — لا التاريخ المتهم البرىء — هم المسئولون عن اهمال الجيل الناشىء أو الصاعد — كما يسمونه تجوزا أو تفاؤلا — لكل تقاليده الدينية والقومية ، وجهله بالتراث الفكرى والحضارى الذى خلفته العروبة والاسلام .

وهم — أولئك الآباء والامهات وأولياء الامور — مطالبون ، فى نفس الوقت بان يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم وبناتهم ، فان الاطفال والاحداث ، كما هو معروف نفسيا وتربويا ، يتاثرون بالاسوة العملية فى ساداتهم وكبرائهم ، أكثر مما ينفعلون بما يقرا عليهم أو يكتب لهم ، أو ينصحون به .

سابعا : ان أوروبا ، فى عصورها المظلمة (الوسطى) قد اقتبست من تاريخنا وهو لم يكتب بعد كما هو الآن ، وانتفعت بحضارتنا العربية الاسلامية ، ونقلت علومها وفنونها وآدابها ، كما يعترف بذلك (رينان) و (جب) و (جوستاف لوبون) و (آرثر) وغيرهم من المفكرين والمؤرخين الغربيين .

فكيف يقال : ان تاريخنا لم يكتب بعد ؟

الواقع ، اننا نحن آباء ، ومعلمين ومربين ، كتابا وصحفيين واذاعيين — مسئولون عن عدم الانفعال بتاريخنا العظيم ومثلنا فى القاء التبعية على التاريخ واتهامه بالعجز والتقصير .. كما قال الشاعر الحكيم :

نعيب زماننا ، والعيب فينا
وما لزماننا عيب .. سوانا

وفى المقالات التالية ، اذا أذن الله وأعان ، نواصل الكلام عن السوابق العربية والاسلامية ، فى مختلف النظريات والعلوم ، ومناهج التفكير ، لتكون هدى وموعظة لطلابنا وشبابنا .

والله — سبحانه — هو الموفق والمستعان .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

باكستان والقائد الأعظم

فى مواقف باكستان الرائعة بجانب العرب فى هذه الأيام ، استوقفنى منها بخاصة ، ما قرأته فى احدى الصحف المصرية من تعليق موجز ، يسجل للباكستانيين الموجودين فى انجلترا وألمانيا بلاءهم الحسن فى الدفاع عن قضيتنا ، وتبديد حملة الأكاذيب التى تشنها علينا أدوات الاعلام الصهيونية والغربية .

ذلك لأن المواقف الرسمية للحكومات لا تقف عند حد الروابط القلبية التى تربطها ، بل قد تصنعها أحيانا المجاملات أو المصالح .. واذا كنا نحن العرب نشعر بالتقدير العميق لموقف باكستان بقيادة الرئيس أيوب خان .. فان موقف هؤلاء الأفراد الذين لا صلة لهم بالرسميات ، ولكنهم اندفعوا الى حدائق (هايد بارك) وغيرها من الأندية والمجتمعات ، بفيض من شعورهم الاسلامى الخاص ، ليدافعوا عن اخوانهم المسلمين ، ويبددوا الضباب الكاذب الذى صنعته الدعايات المغرضة .. هذا الموقف هو الذى هزنى كمسلم ، يعتقد أن العقيدة الاسلامية ، والرباط الاسلامى هو أقوى رباط ، وأكبر حافز لجمع القلوب ، وتوحيد الجهود ، وأن المسلم — كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله)) .

واذا كنا نحن العرب الأوفياء لا ننسى موقفا كريما لحكومة أو لفرد أيا كان جنسه أو دينه ، فان موقف اخواننا الباكستانيين يؤكد ما نعتقده من وجوب العناية باستغلال هذه الطاقة الى أبعد مدى ، والهابها فى النفوس ، لتكون لنا أمضى ذخيرة فى مجابهة الأخطار التى نتعرض لها ..

وفى الرابع عشر من أغسطس الماضى احتفلت الباكستان بعيد استقلالها بين التقدير والتكريم من كل مسلم عربى . وحين تحتفل الباكستان بعيد استقلالها ، يذكر المحتفلون جميعا معها رجلين من رجالها ، وهبا كل جهودهم من أجل قيامها : يذكرون الدكتور ((محمد اقبال)) الذى أطلق هذه الفكرة فى خطبته أثناء اجتماع الرابطة الاسلامية فى مدينة ((الله أباد)) سنة ١٩٣٠ م ، ثم سخر لها كل أفكاره وتغنى بها فى أشعاره ، حتى توفى فى ابريل سنة ١٩٣٨ م .

ويذكرون رجلا آخر وقف فى عناد واصرار ، فى سبيل غايته ، التى عاش حتى رآها واقعا يرعاه ، ولكن لم يمتد به الأجل كثيرا حيث وافاه الأجل بعد قيامها بقليل ..

ذلك الرجل الآخر هو الذى يطلق عليه فى تاريخ باكستان الحديث لقب « القائد الأعظم » . ولم يكن له هـــذا اللقب ، لأنه كان قائدا من قواد الحرب العظام ، بل لأنه قاد حركة قيام دولة للمسلمين حتى نجح فى تحقيقها . ذلك القائد الأعظم هو :

محمــــد على جنـــه (١)

ولعل من قبيل الصدف أن يكون أجداد محمد على ، مثل اجداد اقبال : من البراهمة الذين تحولوا الى الاسلام ، حيث شاء الله أن يكون من أحفاد هؤلاء الأجداد مجاهدان عظيمان ، يقيمان دولة كبيرة للاســـلام على أرض الهنـــد أو يعيدان قيام هذه الدولة .

وقد ولد محمد على فى كراتشى فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٧٦ م ، حيث تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى الهند ، ثم أرسله والده الى انجلترا ، حيث تلقى تعليمه الجامعى .. وعاد ليشتغل بالمحاماة .. وعن طريقهـــا اشتغل بالحياة السياسية ، وانضم لحزب المؤتمر الهندى وعمـــل تحت لوائه مدة ، ثم انضم للرابطة الاسلامية بعد قيامها بسنوات ، مشترطا أن يظل فى المؤتمر ، هادفا الى خدمة أغراض المسلمين ، وجمع بين عمله فى الجهتين للتوفيق بينهما قدر امكانه .. وبذل فى سبيل ذلك الكثير من جهده ووقته ..

ثم اضطر الى ترك ميدان الهند كلها ، وسافر الى انجلترا ، واقام فيها يشتغل بالمحاماة .. وذلك لأنه لم يكن موافقا على فكرة العصيان المدنى — شأنه فى ذلك شأن الفيلسوف الهندى (طاغور) — كما لم يكن مقتنعا بجهود المسلمين التى يبذلونها فى سبيل الخلافة .. ولمـــا وجد أنه بعيد بأفكاره عن تيار السياسة فى الهند ، ذهب الى انجلترا وأقام فيها ، حتى استدعاه رجال الرابطة الاسلامية للعودة الى الهند ، ليقود سفينتها فعاد سنة ١٩٣٤ وكرس كل جهوده من اجلها ..

رسول الوحدة :

ذلك هو اللقب الذى أطلقه حزب المؤتمر على محمد على جنه واقيمت له قاعة باسمه فى بومبـــاى ، تخليدا لجهوده فى سبيل الوحـــدة بين المسلمين والهندوس ، وأرسلت له الشاعرة الهندية (سروجينى نايدو) بعد أن افتتحتها سنة ١٩١٨ من الهند برقية بهذا الاختيار وهو فى فرنسا ، قالت فيها : « لقد عرفت الأمة فضل الرسول فى حياته » . ذلك لأنه كان فى بدء حياته السياسية ، وحين انضوائه تحت لواء حزب المؤتمر ، متفانيـــا فى ســـبيل الوحدة بين المسلمين والهندوس ، متعصبا لها . وكان له حينذاك موقف بارز يناقض موقفه تماما فى آخر حياته ..

---

(١) هكذا ينطق اسم القائد الأعظم (جنه) جيم مضمومة ونون مفتوحة وهاء ساكنة تشبه هاء السكت ، لا حاء كما تنطق فى العربية (جناح) ومعناها فى اللغة الكجراتية (النحيف) ولعل استعمال حرف الحاء عندنا راجع الى أن الحرفين يكتبان بحرف (H) فعربناه هاء ، وسرنا على ذلك فى كل ما كتب بالعربية .

كان ذلك فى سنة ١٩٠٥ م حين أعلن الانجليز ــ كترضية للمسلمين بعد طول اضطهادهم ــ تقسيم البنغال الى قسمين : قسم للمسلمين ، وآخر للهندوس . حسب الأغلبية فى كل جزء ، وكان هذا التقسيم يمثل انتصارا للعاطفة الاسلامية ، فى الوقت الذى رأى فيه حزب المؤتمر بادرة لتقسيم الهند ، فحاربه بكل ما استطاع .. وتولى محمد على الهجوم العنيف على هذا التقسيم مع رجال المؤتمر ، حتى تراجع الانجليز ، وكان هذا التراجع خيبة أمل للمسلمين فى ذلك الوقت .

وقد ظل على ولائه لفكرة الوحدة حتى بعد أن انضم للرابطة الاسلامية .. وحتى بعد أن صار رئيسا لها ، وبعد أن أطلق اقبال فكرته فى قيام دولة خاصة للمسلمين سنة ١٩٣٠ .. وكان يحاول دائما التوفيق بين مصالح المسلمين والهندوس على أرض الهند ــ الأم الكبيرة ــ شأنه فى ذلك شأن الأغلبية العظمى من الزعماء المسلمين مثل مولانا محمد على(١) وأخيه شوكت على والدكتور انصارى وغيرهم .. ممن كانوا يعملون بحماس من أجل الهند الكبيرة ، التى تضم المسلمين والهندوس معا ، وعلى صداقة وطيدة ، مع رجال المؤتمر وعلى رأسهم غاندى . ولكنهم اضطروا أمام ما اعتقدوه من وجود تيار داخل حزب المؤتمر ، ضد مصالح المسلمين كما كانوا يرونها .. اضطروا أمام ذلك الى التخلى عن الارتباط بالحزب والجهاد معه ، وبدءوا يحذرون اتجاهه ، ويندون ببعض تصرفاته التى تهدر مصالح المسلمين ..

وكان ذلك مما حدا باقبال الى اطلاق فكرته التى كانت تمثل أملا حلوا يغذيه دائما بأشعاره .

ومع ذلك ظل محمد على جنه مؤمنا بفكرة الوحدة ، يعمل لها ، ولا ييأس من الوصول اليها ، وكان أهم ما يجاهد من أجله هو أن يعترف حزب المؤتمر عمليا بالحقوق المشروعة لأقلية عظيمة كالمسلمين ، حتى تبقى للهند وحدتها ، ويطمئن المسلمون الى مصيرهم فى ظل الاستقلال .. وقد كان كثيرون من رجال المؤتمر يشاركونه الرغبة نفسها ، ويعملون على الاعتراف بالحقوق المشروعة للمسلمين ، لكنه كان فيه بعض المتطرفين الهندوس ، الذين كانوا يعرقلون كل سعى فى هذا السبيل . مما ربّى فى نفس محمد على جنه سوء الظن بالمؤتمر ، حين ينفرد بحكم الهند بعد الاستقلال ، كما ربّى فى كثير من زعماء المسلمين وفى مقدمتهم مولانا محمد على وأخيه شوكت ، سوء الظن نفسه ، فانعزلوا عن حزب المؤتمر ، واجتنبوه واجتنبوا زعماءه وفى مقدمتهم غاندى .. الذى كان هو ومولانا محمد على صديقين لا يفترقان وكان بيته هو المنزل المختار لغاندى فى اقامته بدلهى (٢) .

وظل محمد على جنه يبذل جهده للتوفيق بين مصالح المسلمين التى كان يرعاها ، وبين رغبات حزب المؤتمر ، ويعمل كل ما يستطيع لامكان التعايش بين المسلمين والهندوس فى وطن واحد ، وتحت ظل وحدة يرعاها الجميع ، حتى وجد كل جهوده وجهود المعتدلين من المؤتمر تذهب هباء أمام عناد المتعصبين

---

(١) رئيس جمعية الخلافة .

(٢) يمكن أن تراجع التفصيل الواسع لذلك فى كتاب (كفاح المسلمين فى تحرير الهند)

من حزب المؤتمر وغيرهم ، وهنا لم يجد بدا من اعلان مطـــالبته بما طالب به اقبال : من اقامة دولة خاصة بالمسلمين ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ م. أثناء الحرب العالمية الثانية ، أى بعد عشر سنوات من ولادة الفكرة (١) .

صـــمود :

ووقف بعد ذلك صامدا لا يتزحزح قيد شعرة عما طالب به ، وقف كالصخرة الصلبة التى تحطمت عليها كل ما عرض بعد ذلك من آراء المؤتمر والانجليز .. وفشلت المحاولات المتعددة فى زحزحته ، أو التأثير عليه ، واضطر الجميع أخيرا الى النزول عند رأيه ، وقامت دولة باكستان .. وأعتقد أنه كان من الممكن أن يتغير وجه تاريخ الهند ، لو لم يكن محمد على جنه قائدا لفكرة باكستان ..

فقد عرضت عليه عروض فى الفترة الأخيرة كان من الممكن لرجل معتدل أن يفكر فيها ، ويقبلها كحل وسط ، وتبقى الهند موحدة .. ولكن لم يكن هو من أصحاب الحل الوسط .. أو قل انه كان قد تجاوز هذه المنطقة ، ووصل الى نهاية الطرف الثانى ، فلم يكن من السهل عليه أن يقبل حلا وسطا بعد ذلك .. وبعد ما تأججت الفكرة فى نفوس المسلمين .. وبعد ما أصبح وجه باكستان الجميل وخيال الفردوس المنتظر يحجب عنه ، وعن المسلمين الذين أيدوه ، كل وجه آخر ، حتى ولو كان جميلا .. وصـــارت المكاسب المنتظرة من قيام دولة خاصة بهم ، تفوق فى نظرهم كل ما عرض أخيرا ، واشتمل على مكاسب لهم فى ظل الوحدة .

وقد كانت من صفات القائد الأعظم البارزة أنه يسير دائما وراء اقتناعه ، غير مبال كثيرا بالمعارضين ، وكان عنده من صلابة العزيمة ، وقوة الارادة ، ونزاهة القصد ، ما يؤهله لذلك ..

فعندما آمن بالوحدة فى مستهل حياته السياسية ، وقف يهاجم مشروع تقسيم البنغال ، وكان فى مصلحة المسلمين — كما سبق — وبعـــد أن انضم للعصبة الاسلامية لم يترك حزب المؤتمر ، بل ظل يعمل للتوفيق بينهما من أجل الوحدة التى آمن بها وظل سنين طويلة يعمل فى سبيلها ، مؤملا فى المعتدلين الهندوس من رجال حزب المؤتمر ، حتى فقد أمله ، فاعتنق فكرة التقسيم ، وهى ضد الفكرة التى أفنى زهرة شبابه من أجلها ..

وحين أجمعت الهند على حركة عدم التعاون ولم يكن من أنصارها ، وحين وجد المسلمين يتجهون بكل قوتهم الى حمـــاية دولة الخلافة ولم يكن ممن يرى هذا .. ترك الهند كلها وسافر الى انجلترا .. ولم يجد فى نفسه منزعا للنزول على حكم التيار الغالب للشعب .. وهكذا كان .. حين اعتنق فكرة التقسيم .. سار بها غير ملتفت يمينا أو شمالا ، حتى وصل اليها ، وتحققت ، عندما أعلن الانجليز تركهم للهند وتسليمها لدولتين : دولة (بهـــارت) أى الهنـــد ، ودولة باكستان ، وذلك فى أغسطس ١٩٤٧ م .

---

(١) راجع ص ١٩٤ من المصدر السابق .

وكان القائد الأعظم حينذاك قد تجاوز السبعين ، وأنهك جسمه النحيل الجهاد المستمر المضنى ، ومكن للمرض منه .. وعين أول حاكم عام لها ، وبدأ يشرف على بناء الدولة الجديدة ، وأعلن يوم قيامها للشعب : « ان قيام باكستان وسيلة وليست غاية » . ولكن لم يمهله القدر طويلا ، ليرعى البناء الذى وضع له حجر الأساس ، حيث توفى الى رحمة الله فى ١١ سبتمبر ١٩٤٨ .

وقد بدأت دولة باكستان قيامها وحياتها من الصفر كما يقولون ، وكانت مظاهر الدولة كلها فى دلهى ، وكان مركز الثقل فى الصناعة والموانىء وغيرهما فى المناطق التى كانت من نصيب الهند ..

فسارت الهند فى طريق الحياة العادية التى كانت تسير فيه قبل الاستقلال ..

أما باكستان فقد بدأت تضع أسس دولة جديدة بكل مستلزماتها فى كراتشى .. كانت تشبه الى حد كبير أحد أفراد الأسرة الذى أجبرته الظروف على أن يترك بيت الأسرة المؤسس المستعد ، ليستأنف حياة جديدة فى بيت جديد يحتاج الى كل شيء صغير وكبير ..

كان الموظفون فى الدولة الجديدة لا يجدون الكراسى التى يجلسون عليها ، فكانوا يجلسون على الأرض ، ولا يجدون الورق الذى يكتبون عليه .

ولولا العزائم المشبوبة ، والحوافز الدافعة ، لولا الايمان بالدولة الذى يغلى فى نفس كل فرد ، ولولا عناية الله أولا وأخيرا .. ما وصلت باكستان الى ما وصلت اليه الآن من قوة وتقدم فى جميع نواحى الحياة .

ولازلت أذكر حديثا جرى بينى وبين أحد خبراء هيئة الأمم المتحدة هناك — وكان مصريا — يوم نزلت كراتشى لساعات ، وأنا فى طريقى للهند فى التاسع من يناير سنة ١٩٥٦ .. قال لى وهو يقص على شيئا من مظاهر النهضة ومن العوائق التى تقف فى طريقها :

« كنت فى حديث مع أحد الخبراء الغربيين الذى يتردد كثيرا على باكستان ، وكان قد زارها بعد فترة من زيارته لها حين قيامها ، فقال لى (للخبير المصرى) : الآن أيقنت أن الله مع باكستان . لقد رأيتها وعرفت ظروفها حين قامت ، ولم أكن آمل مطلقا أن تنهض .. كنت أعتقد أنها ستفشل ، وتعود الى أحضان أمها الهند .. والآن حين رأيتها ، ورأيت مظاهر التقدم والحياة الجادة فيها ، أيقنت أن الله معها .. » .

مضى على ذلك الحديث الآن أكثر من عشر سنوات ..

واليوم نرى باكستان تأخذ وضعها الدولى القوى فى الداخل والخارج .. ونرى منها — نحن المسلمين — الشقيقة التى ترعى حقوق الأشقاء ، وتبادلهم السراء والضراء .. ويعلن وزير خارجيتها السيد / شريف بيرزاده ، وقد حضر جلسة الافتتاح لمؤتمر وزراء المال والبترول فى بغداد ، يعلن « ان باكستان ستلتزم بما يقترحه العرب لازالة آثار العدوان الاسرائيلى » .

حيا الله الباكستان ، ورجالها الأشقاء فى كل مكان ..

مائدة القارئ

الايمان والتمني

« ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب . وصدقه العمل ، ان قوما الهتهم أمانى المغفرة . حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا . نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

— حديث نبوي »

امتنــــــا

« ان امتنــا لــم تكن ذنبــا لاحـــــــدى « الأمبراطوريات »

« التي ظهرت فى التاريخ ، ولن تكون ذنبا لاحدى الجبهات القائمة الآن في العالم .

ان أمتنا أمة ذات رسالة ، لا يجــوز أن تتخلى عنهــا ، ولا أن تجهــل قيمتهــا ، ولا أن تتقهقر عن حملها . »

الاســـــلام كل لا يتجزأ

« ليس فى المصحف سورة تؤثــر وأخرى تهدر .

وآية نرضى حكمهــا ، وأخـــــرى نسخطه .

ان الوحى كله نظام الهى متكامــل يتسـم .

بالقداسة والعصمــة في جملتــــه وتفصيله ، فلا مكان لاطراح جانب منه واصطحاب آخر .

اعدها ابو نزار

ابنة شقيق ملك انجلترا تتلقى العلم في جامعة اسلامية

من جورج الثانى ملك انكلترا والغــــال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الاندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عـــن الرقى العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فاردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكـــون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التي يسودها الجهل من اربعــــة اركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبان » على رأس بعثة من بنات أشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن علـــى تعليمهن .

ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هديـــــة متواضعة لمقامكم الجليل . ارجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع ،

جورج م. أ.

من معانى الآية

١ — يراد بالآية طائفة من حروف القرآن الكريم — « تلك آيات الكتاب المبين »

٢ — ويراد بها العلامة — « رب اجعل لي آية »
٣ — وتطلق على المعجزة — « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات »
٤ — ويراد بها العظة والعبرة « ان في ذلك لآيات لأولى النهى »
٥ — ويراد بها البرهان — « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا »
٦ — وتطلق على حكم من أحكام الله — « تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

ايام الخليل

قال الخليل بن أحمد : أيامي أربعة .

يوم اخرج فألقى فيه من هو اعلم منى ، فأتعلم منه ، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي .

ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه ، فأعلمه ، فذلك يوم أجرى .

ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلى ، فاذاكره ، فهذا يوم درسى .

ويوم أخرج فألقى فيه من هو دونى ، وهو يرى أنه فوقى ، فلا أكلمه ، وأجعله يوم راحتى .

طردا وعكسا

هذه الكلمات يمكن أن تقراها من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين دون أن يتغير نطقها ومعناها .

☆ وربك فكبر
☆ سر فلا كبا بك الفرس
☆ ربك فكبر

بلوى ونعمى

نعما ما يبتلينا به الله اذا كان من ورائه توبة من هذا الفسوق وجمعة من هذا التفرق ، ونصرة من تلك الهزيمة .

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

رويد يهود

رويد يهود ، هل لها في حصونها
من الباس الا ما تظن السلاحف
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا
ولن يثبت البنيان ، والله ناسف
سيلقون بؤسا بعد أمن ونعمة
فلا العيش فياح ولا الظل وارف

آونة وأوان

يظن بعض الكتاب أن آونة لفظ مفرد ، ولهذا يستعملونها على هذا الاساس ، والصحيح انها جمع أوان مثل ازمنة وزمان .

الأيدي المتوضئة

رأينا في الشرق مشروعات لا ينقصها صواب الفكرة ، ولا صدق الوجهة ، ومع ذلك فقد زاغت وذابت ، لا لشيء الا لأن الأيدي غير المتوضئة هي التي باشرتها ، والقلوب الخالية من الله هي التي سيرتها .

الطيبات والمرارات

قال عبد الله بن شداد لابنه وهو يعظه .

انى ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من العافية .

وذقت المرارات كلها فلم أجد أمر من الحاجة الى الناس .

ونقلت الحديد والصخر فلم اجد أثقل من الدين .

١٢ وساما

اشتركت أم عمارة « نسيبة بنت كعب » مع المسلمين فى غزوة احد ، فشدت ثيابها على وسطها تسقى الجرحى ، ولما انهزم المسلمون وقفت تدافع عن النبي وقد أصيبت فى هذه الموقعة باثنى عشر جرحا ، واثنى عليها رسول الله فقال :

لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان . ما التفت يمينا ، ولا شمالا الا وانا اراها تقاتل دونى .

شكوى

قد كان هذا الكون قبل وجودنا ... روضا وأزهاراً بغير شميم
والورد في الأكمام مجهول الشذى ... لا يرتجى ورد بغير نسيم
بل كانت الأيام قبل وجودنا ... ليلا لظالمها وللمظلوم
لما أطل محمد زكت الربّى ... واخضر في البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذى ... فاذا الورى في نضرة ونعيم

***

قد كان في اليونان فلسفة وفي الـ ... رومان مدرسةٌ وكان الملك في ساسانِ
لم تغن عنهم قوة أو ثروة ... في المال أو في العلم والعرفان
وبكل أرض سامري ماكر ... يكفى اليهود مؤونة الشيطان
والحكمة الأولى جرت وثنية ... في الصين أو في الهند أو توران
نحن الذين بنور وحيك أو ضحوا ... نهج الهدى ومعالم الايمان

***

لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو ... نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهاراً لا اله سوى الذي ... صنع الوجود وقدّر الأقدار
ورؤوسنا يارب فوق أكفنا ... نرجو ثوابك مغنما وجوارا
كنا نري الأصنام من ذهب ... فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها ... كنزاً وصاغ الحُليْ والدينارا

***

كم زلزل الصخر الأشم فما وهى ... من بأسنا عزم ولا ايمان
لو أن آساد العرين تفزعت ... لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكأن نيران المدافع في صدو ... ر المؤمنين الروح والريحان

من قصيدة طويلة بهذا العنوان لشاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال . ترجمها الى العربية الأستاذ محمد حسن الأعظمي ونظمها شعراً الشيخ الصاوي شعلان . ولعلنا نعود فنقدم للقراء بعض ما ضاق المجال عن تقديمه الآن .

توحيدك الأعلى جعلنـــا نقشــه ... نوراً تضيء بصبحــه الأزمـــان
فغدت صدور المؤمنين مصاحفـــا ... في الكون مسطوراً بها القـــرآن

★★★

من غيرنا هـدم التماثيل الـــتي ... كانت تقدسهـا جهالات الوري ؟
حـــتى هوت صور المعابد سجّدا ... لجلال من خلق الوجود وصـــورا
ومن الألى حملوا بعـــزم أكفهم ... باب المدينة يوم غزوة خيـــبرا ؟
أم من رمى نار المجوس فأطفئـــت ... وأبان وجه الحق أبلج نـــيرا ؟
ومن الذي بذل الحيـاة رخيصـــة ... ورأى رضاك اعز شيء فاشـــترى ؟

★★★

نحـن الذين استيقظت بأذانهـــم ... دنيا الخليقة من تهاويـــل الـكرى
نحـن الذين دعـوا لصـــلاتهم ... والحرب تسقى الأرض جـاما أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكـبروا ... في مسمع الروح الأمين فـــكبرا
محمود مثل أيـــاز (١) قام كلاهما ... لك بالخشوع مصليـا مستغفـــرا
العبد والمولى على قـدم التــــقى ... سجدا لوجهك خاشعين على الثرى

★★★

بلغت نهـاية كل أرض خيلنـــا ... وكأن أبحرها رمـــال البيـــد
في محفل الأكوان كان هـــلالنا ... بالنصر أوضح من هلال العيـــد
في كل موقعة رفعنا رايـــــة ... للمجد تعلن آيـــــة التوحيد
أمم البرايا لم تـكن من قبلنـــا ... إلا عبيـدا في اســار عبيــــد
بلغت بنـا الأجيـال حـــرياتها ... من بعد أصفاد وذل قيـــود

---

(١) السلطان محمود الغزنوي واياز خادمه .

قد هبت الأصنام من بعد البلى ... واستيقظت من قبل نفخ الصور
والكعبة العليا توارى أهلها ... فكأنهم موتى لغير نشور
وقوافل الصحراء ضد حداتها ... وغدت منازلها ظلال قبور
أنا ما حسدت الكافرين وقد غدوا ... في أنعم ومواكب وقصور
بل محنتي الا ارى في امتي ... عملا تقدمه صداق الحور

***

لك في البرية حكمة ومشيئة ... أعيت مذاهبها أولى الألباب
ان شئت اجريت الصحاري انهرا ... أو شئت فالأنهار موج سراب
ماذ دهى الاسلام في ابنائه ... حتي انطووا في محنة وعذاب
فثراؤهم فقر ودولة مجدهم ... في الأرض نهب ثعالب وذئاب
عاقبتنا عدلا فهب لعدونا ... عن ذنبه في الدهر يوم عقاب

***

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم ... للموت بين الذل والاملاق
الدين يحيا في سعادة اهله ... والكأس لاتبقى بغير الساقي
اين الذين بنار حبك ارسلوا الأ ... نوار بين محافل العشاق
سكبوا الليالى في أنين دموعهم ... وتوضأوا بمدامع الأشواق
والشمس كانت من ضياء وجوههم ... تهدي الصباح طلائع الاشراق

***

كيف انطوت أيامهم وهم الألى ... نشروا الهدي وعلوا مكان الفرقد
هجروا الديار فأين أزمع ركبهم ... من يهتدي للقوم أو من يقتدي
ياقلب حسبك لم تُلِمَّ بطيفهم ... الا على مصباح وجه محمد
فازوا من الدنيا بمجدٍ خالدٍ ... ولهم خلود الفوز يوم الموعد
يارب الهمنا الرشاد فما لنا ... في الكون غيرك من ولى مرشد

***

يافرحة الأيام حين نري بها ... روض التجلى وارف الأغصان
ويعود محفلنا بحسنك مسفرا ... كالصبح في اشراقه الفينان
قد هاج حزني أن أري أعداءنا ... بين الطلا والظل والألحان
ونعالج الأنفاس نحن ونصطلى ... في الفقر حين القوم في بستان
أشرق بنورك وابعث البرق القديـ ... ـم بومضة لفراشك الظمآن

برغم وضوحها البين . وطالما أنذر المشرع الاسلامى — فى القرآن والحديث — بمغبة الخلاف حول تفسير الهدف من الدعوة اتقاء لآثارها الوخيمة على العقيدة والأمة ، ذلك لأن وحدة الصف لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون وحدة الهدف ، ووحدة الهدف بدورها لا تتأتى الا بايضاحه وتحديده .

والآيات التى تتناول الهدف من الشريعة الاسلامية تصفه وصفا واضحا لا لبس فيه ، فهو الايمان بالدين الحق القويم السمح الذى يتفق مع الجـانب المشرق فى النفس الانسانية .

« انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا »

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين »

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » .

فالدين الاسلامى يتفق مع الفطرة السليمة ولا يجافى الطبيعة البشرية . فهو يبيح كل ما ينفع الانسان ويحرم كل ما يضره ، وهو يحدد التكاليف الشرعية فى قواعد أساسية لا لبس فيها ولا غموض ، ويحدد واجبات الدولة فى هدف أساسى محدد أيضا هو الكفالة الاجتماعية بأوسع معانيها وتتلاقى جميع هذه الأحكام سواء منها ما يتعلق بالفرد أو الجماعة أو الدولة فى الحكمة من تشريعها وهى سعادة الفرد والمجتمع . فلا قيود مفروضة على الأفراد طالما أنهم ينتهجون الطريق القويم ، ولهم مطلق الحق فى الاستمتاع بالطيبات المشروعة وما أكثرها فى الحياة ، فالاسلام يدعو الى القصد فى العبادة وترك الغلو فى الدين ، لأن الملحوظ فى وضع التكاليف الانسجام مع فطرة الانسان ، وعدم اهمال نوازعه النفسية والجسدية ، وهذا الانسجام يمكن للدين فى النفس ، ويمنع أسباب ملالة التعبد ويعطى فرصة لأداء واجبات الحياة الدنيا .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

والقيم الروحية التى يدعو الاسلام الى تثبيتها فى جميع منـاحى التفكير والعمل الانسانى كلها تتفق مع المنطق والفطرة السليمة والمثل العليا للانسانية ، ولكنها تدفع الانسان الى تحقيق أحلامه المشروعة منذ أقدم الأزمان وهى : الحرية والمساواة والاخاء فى المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية ، وعلى رأس هذه القيم الايمان بالحق والعلم والعمـل والتقوى والحرية والعدل والرحمة والسلام .

ولقد جاءت الآيات محكمات فى تعريف هذه القيم وتحديدها وبيان اصولها واحكامها . كما وردت الأحاديث شرحا وتفسيرا لها فى كلمات بسيطة محددة لا تحتمل اللبس أو الغموض . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

((الحلال بيّن والحرام بيّن)) .

ونخلص مما تقدم الى أن سمو الهدف من الدعوة الاســلامية ووضوحه وملاءمته للطبيعة البشرية فى نزوعها الى الخير ، وتطلعها الى الكمال ، كانت من اهم المقومات التى خص الله بها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعلها الله سبيلا الى نجاحه فى نشر العقيدة ، حتى ارتفعت الويتها فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونشأ فى ظلها قادة وابطال اعز الله بهم الاسلام واكرم البشرية جمعاء .

صلاح الدين.. البطل

صورة نادرة من الشجاعة

يعرض الكاتب الفاضل فى هذا المقال صورا مشرقة للخلق الاسلامى الرفيع فى شخص صلاح الدين الايوبى ، ذلك البطل المسلم الذى نحتاج الآن الى من يعيد لنا ذكرى شجاعته وبطولته ، ويقوم بالدور العظيم الذى قام به فى تطهير البلاد الاسلامية والأماكن المقدسة من أيدى غاصبيها فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

الوعى الاسلامى

أمثلة من الخلق الاسلامي :

خير ما ينبغي للعرب والمسلمين ، أن يفعلوه ـ وهم في نكبتهم الجديدة التي تتمثل في العدوان اليهودي الجديد واحتلال بقاع جديدة من أرض العروبة ـ هو أن يعودوا الى الاسلام دينهم الحنيف ، وأن يستلهموا منه معاني القوة ، والشجاعة والثبات .

وخير ما ينفع العرب والمسلمين هذه الأيام ، هو ان يتمثلوا اخلاق عظمائهم القدامى ، وأن يسيروا على نهجهم في الحرب والسلام .

والتاريخ العربي الاسلامي يزخر بالعديد من الأمثلة على مبلغ ما كان يتحلى به المسلمون من نبل الأخلاق ، وكريم الطباع ، ومقدار ما كانوا يتسمون به من المروءة ، وابداء العطف حتى تجاه الاعداء ، وفي ساحات الحروب والمعارك .

ولقد كان منقذ فلسطين ومحرر بيت المقدس بطل الاسلام والعروبة صلاح الدين الأيوبي أمثولة حية للخلق الكريم الذي جاء به الاسلام ، وقدوة حسنة لغيره من القادة والحكام فيما يجب أن يكون عليه القائد والحاكم ، من الشهامة والعفة والرحمة .

ذلك أن ما اظهره هذا الحاكم المسلم المثالي من ضروب التسامح ، ومن آيات النزاهة والتعفف عن الأذى ، قد غدا مضرب الأمثال في التاريخ البشري كله ، حتى أن أوروبا المجرمة المعتدية على العروبة والاسلام ، لم تجد بدا من أن تشيد



والمروءة

الأستاذ : سليم طه التكريتي
المحامي – بغداد

بذكر فضائله ، ومواقفه المشرفة في بطون ما دونه كتابها ومؤرخوها من سير وتواريخ .

ذلك لأنه لم يحدث في تاريخ الحروب كلها منذ أن وجدت البشرية حتى الآن أن شهد العدو الخاسر المنهزم من الرعاية والتكريم على يد القائد الظافر بمثل ما أظهره صلاح الدين الأيوبي تجاه الصليبيين المغيرين على بلاد العرب والاسلام .

فكلما ذكرت الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا على الشرق العربي الاسلامي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، برزت الى الذهن صورة ذلك البطل الاسلامي الخالد صلاح الدين الأيوبي ، وصورة الفروسية الحقة التي تجلت فى مآثره الخالدة وخوالد اعماله مما لم يستطع معه أشد الغلاة في معاداة العرب والمسلمين أن يجرؤوا على نكرانه أو اهماله ، وعدم الإشادة به .

★★★

في أوائل صيف سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) كان صلاح الدين الأيوبي قد أعد كل شيء لخوض المعركة الحاسمة ضد الصليبيين الذين ظلوا رغم ما أنزله صلاح الدين وأخوه الملك العادل بهم من هزائم منكرة في معارك عديدة يحتلون القسم الأكبر من أرض فلسطين بما فيها بيت المقدس .

وكان من بين ما أعده صلاح الدين لهذه المعركة خطة عسكرية حكيمة ، استهدف من ورائها اخراج القوات الصليبية من الاراضي السهلية ، التي تتوفر المياه والأشجار فيها ، الى سلسلة الجبال الجرداء التي

تقع بين سهل (صفورية) وبحيرة طبرية ، حيث اتخذ من قرية طبرية التي تقع غربي جنوبي البحيرة مقرا له ، ومنطلقا منها الى المعركة .

وقد نجحت خطة صلاح الدين هذه نجاحا هلل له وكبر ، فقد تحرك الصليبيون من سهل صفورية باتجاه طبرية عبر سلسلة الجبال الجرداء ، ومنها جبل الطور الذي تقع (حطين) عنده حيث لقيتهم قوات صلاح الدين فأبادت القسم الأكبر منهم ، فلم يجدوا أمامهم من منفذ للنجاة سوى أن يستسلموا ، ومن يومها انفتح الطريق الى بيت المقدس أمام صلاح الدين وقواته الظافرة .

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب من تلك السنة ، كان صلاح الدين الأيوبي واخوه العادل يؤديان صلاة الجمعة في بيت المقدس، بعد أن انزل الصليب من على قبة الصخرة المشرفة ، وازيلت الصور التي نقشت في أرجاء الصحن الشريف .

يتفقد احوال الأعداء

****

وبعد يومين كان صلاح الدين وأخوه وكبار رجاله بباب قلعة القدس يشهدون رحيل الصليبيين عن المدينة بعد أن سمح لهم صلاح الدين بذلك لقاء فدية بسيطة ، وعز على صلاح الدين أن يرى أغنياء الصليبيين ، وعلى رأسهم هرقليوس بطريرك القدس ، يخرجون بأموالهم وكنوزهم من المدينة ، دون أن تأخذهم الرأفة بالفقراء من بني قومهم فيسعفوهم بمبلغ الفدية .

واذ ذاك اصدر صلاح الدين أوامره بأن يسمح لخمسمائة من فقراء الصليبيين بمغادرة المدينة من دون فداء .

والتفت اليه أخوه الملك العادل يسأله أن يسمح له بأن يطلق هو الآخر سراح ألف فقير دون فدية ابتغاء لثواب الله ، ولبى صلاح الدين طلب اخيه وامر باطلاق سراح الف صليبي جديد .

وفضلا عن ذلك أمر صلاح الدين بأن ترافق الراحلين عن المدينة فصائل من فرسان المسلمين ، تسهر عليهم خلال الطريق ، وتحول دون وقوع اى اعتداء عليهم ، الى أن يبلغوا الاماكن التي يقصدونها .

وفي اليوم التالي كان صلاح الدين وبعض رجاله أمام كنيسة القيامة فى القدس .

وبعد أن ترجل صلاح الدين ورجاله عن خيولهم ، خاطب قومه قائلا لهم : ان بعض الأمراء الذين وفدوا أرادوا هدم الكنيسة وازالة معالمها . ولكنني رفضت فهم مخطئون ذلك لأننا لم نأت للهدم والتخريب .. لو فعلنا ذلك لآتينا عملا لن يرضي الله عنه .. سيبقى هذا البناء قائما كما اراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يبقيه قائما .

وعلى أثر ذلك تقدم أربعة من الرهبان يطلبون الاذن من السلطان صلاح الدين أن يسمح لهم بالبقاء فى كنيسة القيامة ، لاقامة الطقوس الدينية فيها ، واعفاءهم من الضرائب واشباهها ، ورد صلاح الدين على طلبهم في الحال يقول : (سيكون لكم ما تريدون ، ولن ادع أحدا يقول : ان صلاح الدين رفض طلبا لواحد منكم) .

وحين كان صلاح الدين يواصل جولته في شوارع القدس تقدم منه شيخ مسن وهو يمسك بفتى ، وشرع يشرح للسلطان ظلامته ، ويقول : انه مسيحي صليبي سكن القدس منذ زمن طويل ، وان هذا الشاب عربي مسلم دخل المدينة سرا فآواه الشيخ واسكنه معه ، وقاسمه طعامه وشرابه ، ولكن الشاب تنكر للشيخ بعد أن افتتح المسلمون المدينة وطرده من بيته ، واستولى على كل ما فيه من متاع .

واذ سمع صلاح الدين ذلك قال

لأخيه العادل : (ردوا للشيخ بيته وماله واعفوه من الضريبة والفدية ، واسجنوا هذا الشاب الى أن ننظر في امره) .

واذ خطا صلاح الدين خطوة واحدة في طريقه قطع سبيله شخصان تحدث أحدهما فقال : انه يدعى محمود البصري سقط في معركة بيسان جريحا ، وكاد ان يموت ، لولا أن قيض الله له هذا الرجل الذي يرافقه ، وهو صليبي فاعتنى به وانقذ حياته ، وقد رآه الآن في القدس وهو فقير ، لا يستطيع دفع مبلغ الفدية ، وانه يطلب الي صلاح الدين أن يعفيه من هذه الفدية ويسمح له بالرحيل .

واذ انتهى محمود البصري من كلامه التفت صلاح الدين الى ذلك الصليبي فقال له : (أنت حر معفى من كل قيد ، لك ان تذهب أنى تشاء ، او تبقى في المدينة معززا مكرما) .

وحين جلس صلاح الدين ليستريح بعد طوافه بالمدينة ، سأل من كانوا معه ، عما فعلوه بشأن نساء الافرنج ، فأجابوه بأنهم قد نفذوا اوامره واحاطوهن بكل رعاية واحترام .

واذ علم ذلك قال لقومه : (اريد منكم ان تطلقوا سراح (باليان) الذي دافع عن بيت المقدس ، وتطلقوا سراح زوجته (ماري) وكذلك (سبيلا) زوجة (غوى) ملك القدس الذي أسرناه في معركة حطين ، وأن تدفعوا الفدية عنهم من بيت المال ، وأن تتألف سرايا من رجالكم تبحث عن الأسيرات والسبايا من نساء الافرنج واعادتهن الى الثغور مكرمات .

ولم يكتف صلاح الدين بذلك كله ، بل كان يقوم متنكرا بالتطواف في شوارع القدس وأزقتها الموحلة ، يطرق أبواب الصليبيين ومؤسساتهم مستطلعا احوالهم بنفسه ، واقفا على كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم .

فقد تزيا بزي حاج صليبي ودخل مستشفى القديس يوحنا ، وأمضى فيه يومين كاملين ، ليخبر أوضاعه ، وأحوال المشرفين عليه من الرهبان والراهبات ، ومدى اخلاصهم في اداء واجبهم .

***

وفي ليلة عيد الميلاد كان احد جنود الافرنج ويدعى (جرفيه) الاعرج يجتمع مع زوجه وأولاده الاربعة ، ليحتفل بعيد الميلاد رغم ما كان يعانيه من عوز وشدة فقر ، وقد انضم الى العائلة شيخان هرمان مجاوران لهما

وكان جرفيه لا يفتأ يحدث الحاضرين بأن معجزة ستقع ، وتحول حالهم من بؤس الى نعيم .

وتمت المعجزة حين سمعوا بالباب صوتا يقول (عيد سعيد يا قوم . عيد سعيد يا جرفيه) .

وحين هتف جرفيه يسأل عن صاحب الصوت هذا اجابه (أنا صلاح الدين يا جرفيه) .

وكانت لحظة سعيدة حقا للمحتفلين . فقد أمر صلاح الدين بأن تترك لعائلة جرفيه وذينك الشيخين الحرية المطلقة في بيت القدس ، وان يخصص لهم معاش يكفيهم من مال السلطان .

وعلم النصارى صباح اليوم التالي بما فعله صلاح الدين لعائلة جرفيه وامثالها ، فظلوا يذكرونه في صلواتهم وظلت الروايات عن كرمه وشهامته وعطفه حديث الأجيال والأحقاب .

حين انتصر المسلمون انتصارهم الرائع الكبير في معركة حطين ، طلب صلاح الدين أن يؤتى اليه بكبار الأسرى من الصليبيين ، وكان من بينهم (غوى) ملك القدس ، وعندما أدخل عليه هش له صلاح الدين ، وخفف من روعه ، وأجلسه على مقربة منه ، وناوله ماء مثلجا ليطفيء به ظمأه ، وعامله بكل أدب واحترام .

وقصة صلاح الدين مع خصمه اللدود « ريكاردوس » الانجليزي الملقب بقلب الأسد مشهورة شهرة صلاح الدين نفسه وسيرته العطرة .

فحين وقع ريكاردوس مريضا تنكر صلاح الدين في زي طبيب عربي ، واقتحم معسكر الاعداء ، ودخل على ريكاردوس ، وبعد ان جس نبضه ، واستفسر عما يشكوه من الم ، اعطاه دواء فسقاه اياه ، واذ انتهى من ذلك كشف عن شخصيته وقال يخاطب ريكاردوس (انا صلاح الدين يا ريكاردوس) ولو كنت اضمر لك شرا لوضعت السم في الدواء الذي سقيتك اياه .. ولكننا يا ريكاردوس لا نقتال غدرا ، ولا نقتل الا في ساحات الحروب) .

وفي احدى المعارك وقع احد فرسان الافرنج اسيرا في أيدي المسلمين ، وقد جاءوا به الى صلاح الدين ، لان ذلك الفارس اعترف بأنه قتل عددا كبيرا من ابطال المسلمين . وبعد ان حاوره صلاح الدين سأله عن امنيته قبل ان يموت ، فرد الصليبي انه يريد أن يؤتى بخنجره الذى تكسر نصله ويدفن معه .

وهنا برزت شهامة صلاح الدين فاعترف ببسالة ذلك الصليبي ، فأهداه خنجره الذهبي الذي كان يحمله ، وامر بأن يطلق سراحه ، وطلب الى بعض فرسانه أن يبحثوا عن الخنجر المحطم فيردوه الى صاحبه الاسير .

***

وحدث حين كان صلاح الدين يحاصر قلعة (الكرك) ان كانت زوجة ملكها الافرنجي تحتفل بعقد قران ولدها ، وقد بعثت بهذه المناسبة بهدايا الى صلاح الدين . وما ان علم صلاح الدين بالأمر حتى ابلغ رسل تلك الاميرة بأن القتال سيتوقف هذه الليلة وغدا وبعد غد . وعلى اثر ذلك اصدر اوامره الى قادة جيشه بأن يتوقف القتال ثلاثة ايام الى ان تنتهي الافراح في القلعة المعادية المحاصرة . وهذا الذي فعله صلاح الدين لم يفعله اي قائد قبله أو بعده ، ولم يحدث مثله في تاريخ الحروب حتى الآن .

وبعد الظفر اللامع الذي حققه المسلمون في معركة « مرجعيون » جيء بأحد الأسرى من الافرنج الى صلاح الدين ، وكان شابا حاول اغتيال صلاح الدين فى تلك المعركة ، وعرفه صلاح الدين حق المعرفة ، وذكر للشاب الحادث فلم ينكره .

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ ان صلاح الدين الأيوبي لم يقطع رقبة ذلك الشاب الذي حاول قتله ، ولم يلق به في غياهب السجون ، وانما اطلق سراحه بعد أن قطع ذلك الشاب على نفسه عهدا امام صلاح الدين بأن يبقى في البلاد الخاضعة لحكم المسلمين ، ولا يعود الى الصليبيين ثانية .

***

ذلك غيض من فيض مما خلده التاريخ الانساني عن الخلق الاسلامي الصحيح ، الذي تخلق به صلاح الدين ، وتلك بعض الأمثلة على الخلق القويم الذي جاء به الاسلام ، وجعله نبراسا للمسلمين يهتدون به في متاهات الحياة . فلقد كان صلاح الدين واحدا من اولئك المسلمين المؤمنين حقا ممن تشبعت نفوسهم بروح الاسلام ، وشبوا على ما غرسه فيهم من فضائل ومحامد .

ولقد بلغ صلاح الدين منتهى الدراية في حكمه ، ومنتهى العدل في احكامه ، ومنتهى الشجاعة في حروبه ، ومنتهى الحلم في معاملة خصومه واعداء الاسلام ، ومنتهى العطف على رعاياه ، وتلك هي خصال الاسلام ومبادؤه السامية .

ولن يستطيع المسلمون والعرب ان يطهروا ارض فلسطين من اليهود ويعيدوها عربية حرة مستقلة الا اذا عادوا الى الاسلام وتخلقوا باخلاقه ، وتمسكوا بتعاليمه ، ونظموا شؤونهم على أسس قواعده واحكامه .

خطة الكتابة في الموسوعة الفقهية

سبق أن نشرنا في العدد السادس والعشرين من المجلة كلمة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير الموسوعة الفقهية التي تقوم على اعدادها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية . وقد تحدث فيها عن منشأ فكرة الموسوعة ، والغاية منها ، وكيفية سير العمل فيها ، وقد خطت اللجنة المنوط بها انجاز هذا العمل الضخم خطوات واسعة ، فأرسلت الى شخصيات علمية من مختلف الأقطار مجموعة من البيانات المتعلقة بالموسوعة لابداء ملاحظاتهم .

وكانت اللجنة قد رأت ـ حرصا منها على سرعة انجاز الموسوعة واخراجها لمن ينتظرونها بلهفة شديدة ـ تضييق نطاق عرض اختلاف الاجتهادات الفقهية بين المذاهب ، والاقتصار من ذلك على خلافات مذاهب أهل السنة الأربعة (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) من المذاهب المدونة تدوينا كاملا ، ثم المنقول من آراء الصحابة والتابعين وتابعيهم المتفرقة في المصادر جمعا وصونا لهذا التراث المشتت من فقهم وتأخير عرض الخلاف الفقهي في المذاهب الأربعة الاخرى (الزيدى ، والجعفرى الامامى ، والاباضى ، والظاهرى) الى المراحل اللاحقة عند تجديد طبع الموسوعة . وذلك لأن اتساع نطاق الخلافات الفقهية التى تعرض في الموسوعة يستوجب زيادة الزمن اللازم لتحرير البحوث وتهيئتها للاخراج .

ولكن جاء فى أجوبة عدد من الشخصيات العلمية الموسوعية التى استطلعت اللجنة آراءهم استحسان شمول الموسوعة للآراء الفقهية فى المذاهب الأربعة الاخيرة من البداية ، ولو كان ذلك على حساب سرعة الانجاز ، تعميما للفائدة من هذا المشروع العظيم ، خشية ألا يتيسر ذلك فى المستقبل ، وقد استجابت اللجنة لهذه الرغبات فرأت عرض الخلافات الفقهية فى المذاهب الأربعة (الزيدى والجعفرى والاباضى والظاهرى) بجانب خلافات مذاهب أهل السنة الاربعة .

وقد كتبت اللجنة الى الاساتذة الذين يساهمون فى كتابة الموسوعة بمراعاة خطة موحدة فى كتابة بحوثهم ، حرصا على وحدة الأسلوب والتناسق فى كتابة

الموضوعات ، واجتنابا لاختلاف منهج الكتابة مما يوجب تعديلا وتبديلا يستهلك جهدا ووقتا ، وقد تضمنت هذه الخطة عدة أمور منها :

١ ــ عرض الموضوع بأسلوب مبسط خال من كل تعقيد ، وبعبارة نيرة تجمع بين حسن الايجاز والاستيعاب والوضوح ، دون تكرار شيء سبق بيانه سوى ما تقتضيه اقامة نقاط الارتكاز ، أو حاجة الوصل أو التفريع بين سابق ولاحق من الكلام .

٢ ــ الاحالة فى الحاشية على المرجع المأخوذ منه فى كل مرحلة من البحث .

٣ ــ المحافظة على عبارات الفقهاء فى مصادرها الاصلية كلما كانت واضحة . وما كان فيها من اصطلاحات فقهية أو أصولية لا يفهمها غير الفقيه المختص ينبغى تفسيره فى الحاشية بأقل ما يكفى لفهم معناه بصورة اجمالية .

أما العبارات المعقدة فى مصادرها ، والمشتتة بين متن وشرح وحاشية فتصاغ فيها أماكن التعقيد صياغة جديدة من قبل الكاتب ، يحافظ فيها على أداء المعنى المقصود فى الاصل دون زيادة ولا نقص ، مع المحافظة على المفردات اللفظية فى الاصل ما أمكن .

٤ ــ عدم ادخال أى رأى شخصى أو اجتهاد للكاتب فى الاحكام الفقهية المعروضة ، لأن غاية الموسوعة عرض الفقه المدون الموجود بتبسيط وترتيب جديد ، وليست غايتها عرض آراء الكتاب ــ واجتهاداتهم .

٥ ــ الحرص على تخطيط البحث المكتوب مبتدئا من الامور البسيطة والمعلومات التمهيدية والعامة كالتعاريف والتقاسيم والاركان والشرائط ، مع ملاحظة تقديم البحوث الاساسية فى كل موضوع على البحوث الفرعية ، وتقديم الأحكام العامة فيه على الأحكام الخاصة ببعض الحالات .

٦ ــ خلال كتابة البحث يفرز الكاتب كل ما يمر به من ألفاظ صالحة لأن تكون عنوانا اصطلاحيا هو مظنة لأن يراجع عنه الباحث بصورة مستقلة . فما كان من هذ ه الالفاظ صالحا لأن يكتب فيه بحث مستقل ويدخل مع الكلمات العنوانية الاساسية التى تؤلف الهيكل اللفظى الكامل للموسوعة فان الكاتب يبين لادارة الموسوعة رأيه فى لزوم افراده ببحث وعنوان ، ولا يعالجه عندئذ معالجة كاملة فى ضمن البحث الاصلى الذى يكتبه ، وذلك بانتظار الموافقة على افراد اللفظ المذكور ببحث مستقل تعرض فيه أحكامه .

٧ ــ تعليل الأحكام التى يكون فى تعليلها وذكر دليلها قيمة علمية حيث يتضمن التعليل فهما دقيقا لنص ، أو اجتهادا قياسيا أو استحسانيا يعبر عن نظرية أو قاعدة ، ومناقشة خفيفة للدليل عند ذكر المذهب المخالف ، كل ذلك فى حدود الايجاز والاجمال دون الاسهاب ، وعندما يكون الدليل أو مناقشته مما يحتاج الى مزيد بسط فانه يشار اليه ويحال على مراجعه .

٨ ــ قضايا أصول الفقه وتقاسيمه وأحكامه لا تعرض بصورة مستقلة ،

لأن علم أصول الفقه يحتـــاج الى موسوعة خاصة (وربمـــا يفرد له فى آخر الموسوعة جزء أو جزءان) . ولكن ما يأتى من القواعد الاصولية فى خلال تعليل الاحكام يذكر كمستند فى التعليل ، واذا كان مما يحتاج فيه القارىء غير المختص الى ايضاح فانه يوضح فى الحاشية ايضاحا تعريفيا فقط .

٩ ـــ أن يذكر الكاتب فى أول البحث أو فى آخره مجموع المراجع التى نقل عنها فعلا مع ذكر الطبعة فى كل منها .

١٠ ـــ بما أن الموسوعة سيعرض فيها الفقه فى مختلف مذاهبه ، وأن تلك المذاهب تختلف فى فقهها ومؤلفاتها لا فى الأحكام الاجتهـــادية فقط ، بل فى الاصطلاحات والتبويب والترتيب وطرق التعبير . وأساليب التصحيح والترجيح ، وأن مهمة الكاتب تنحصر فى عرض الفقه كما هو فى مراجعه الأصلية وليست مهمته أن يكتب فى الموضوع الذى يعطاه بحثا أو تحقيقا فقهيا بالشكل الذى يراه ويؤديه اليه اجتهاده . فهذا الاعتبار يجعل من الأفضل ان لم يكن من الواجب أن تكتب الموضوعات مبدئيا على أســـاس مذهب معين ويعرض فى كل مســـألة خلافية ما فى المذاهب الاخرى من خلاف فيها . ذلك لأنه اذا لم يتخذ أحد المذاهب أساسا لكتابة الموضوع أصبحت كتابته متموجة أشبه ببحث اجتهادى لا ينطبق على مصدر معين ، وتصعب عندئذ مراجعته النهائية التى يتوقف عليها دخوله وطبعه فى الموسوعة الفقهية .

لذلك رئى اتخاذ المذهب الحنفى أساسا لكتابة الموضوعات نظرا لسعته وكثرة فروعه وصلته بالحياة القضائية أكثر من سواه . فتكتب الموضوعات مبدئيا وفقا لمفاهيمه وأصوله واصطلاحاته وقواعده وأساليب فقهائه فى التعبير ، ويعتمد الكاتب أصح الاقوال فيه ويذكر فى كل مسألة خلافية ما فيها من خلاف جوهرى فى المذاهب الاخرى .

على أن هذا لا يمنع أن تصاغ بعض الموضوعات على أساس مذهب آخر غير الحنفى اشتهر بها أكثر من سواه كموضوع المصالح المرسلة الذى له فى المذهب المالكى قواعد وركائز أبرز مما فى غيره .

وفى القضايا الخلافية التى يوجد فيها نقاش طويل وجدل وتفصيل تلخص الأحكام المذهبية بأدلتهـــا الاجمالية ويحال بالتفصيل على مراجعـــه لمن يريد الاستقصاء .

١١ ـــ يرجى فى عرض المذاهب المخالفة فى مواطن الخلاف أن تنقل فيه خلافات كل مذهب من كتبه المذهبية نفسها ، لا مما تذكره عنها كتب مذاهب أخرى . فخلاف الشافعية مثلا ينقل من كتبهم المذهبية لا مما يرويه الحنفيـــة عنهم ، وكذا العكس . أما آراء الصحابة ومن بعدهم ممن ليس لهم مذاهب كاملة التدوين ، ولا كتب خاصة بمذاهبهم ، فتنقل آراؤهم من كتب اختلاف الفقهاء ، ومما ترويه كتب المذاهب الاخرى المدونة ، ومن جميع المصادر الموثوقة .

المسلمون في

للأستاذ محمد طه الولى
(بيروت)

سنة ١٦ هجرية ، دخلت القوات العسكرية الاسلامية مدينة بيروت ، وكان على رأس هذه القوات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه من قبل أخيه يزيد بن أبى سفيان الذى كان معينا من قبل أمير الجيوش العربية المعقودة اللواء لأبى عبيدة بن الجراح فاتح الشام مع خالد بن الوليد رضى الله عنهما .

ولم تكن بيروت فى ذلك الحين أكثر من « بليدة على ساحل بحر الروم » كما قال ياقوت فى معجم البلدان ، تتناثر بيوتها المتواضعة بين بقايا الانقاض التى تخلفت عن الزلزال المروع الذى دمرها عن آخرها سنة ٥٥٦ للميلاد .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون الى المدينة ، كان سكانها القلائل مزيجا من أبناء البلاد المحليين ، وجنود الروم الاغراب الذين يشغلونها وعائلاتهم لأغراض عسكرية وادارية. وجميع هؤلاء وأولئك كانوا من النصارى الملكيين الذين يرجعون بشئونهم الدينية الى السلطات الروحيـة البيزنطية . ثم (صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم تقل منها وقتا بعد وقت حتى صار أكثر أهلها مسلمين) كما يقول صالح ابن يحيى فى كتابه تاريخ بيروت (ص ١٥) ، وما لبثت هذه المدينة طويلا حتى غمرتها الموجة الاسلامية ، وتقلص عنها ظل النصرانية بسبب فراغها من قوات الاحتلال الرومية الذين انسحبوا منها ، وفى اثرهم غالبية الذين هم على ملتهم من السكان البيروتيين الاصليين .

وما أن استقر الامر للأمويين فى دست الخلافة بدمشق ، حتى أصبحت بيروت مدينة اسلامية صرفة بسكانها من العرب ، وغيرهم من الفرس الذين جلبهم معاوية من بلادهم ، وأسكنهم بعض المدن السورية ، ليتخذ منهم قوة تذود عن البلاد محاولات العودة التى كان يقوم بها الروم بين الحين والآخر ، طمعا فى استرداد الملك الذى فقدوه فى هذه المنطقة .

وعلى الرغم من أن بعض هذه المحاولات قد أدركت غايتها فى بعض الاحيان لمدة بسيطة ، فان المدينة لم تفقد طابعها الاسلامى الجديد ، وبقيت محتفظة بهذا الطابع بلا انقطاع حتى أوائل القرن السادس للهجرة ، وهو الزمن الذى خضعت فيه للسيطرة الصليبية (٥٠٣ هـ ١١١٠ م) .

كان الاحتلال الصليبى يستهدف ازالة التراث الاسلامى ، وازالة معالمه من جميع المناطق التى تفشى فيها ، وعلى هذا فلقد أصاب بيروت ما أصاب غيرها من القطاعات الصليبية ، وانحسر عنها سكانها المسلمون ، غير أفراد قلائل قصرت بهم ظروف حياتهم المعاشية وامكاناتهم المادية دون النزوح من البلد ، فلم يجدوا بدا من البقاء تحت ربقة عدوهم الذى حرمهم من الاحتفاظ بمساجدهم .

فلقد أزال الصليبيون حتى مقامات أوليائهم

بيروت على مر العصور

ونساكهم ، ولم يعفوا الا عن مقام الامــام الاوزاعى بشفاعة من أبناء دينهم نصارى جبل لبنان الذين ذكروا له شفاعته بهم عندما نقضوا عهد الامان أيام العباسيين .

وحينما استعاد المسلمون بلادهم على يد صلاح الدين الايوبى لم يعثروا فى بيروت على العدد اللازم من أبناء المدينة المسلمين بمـا يكمل العدد الشرعى لصلاة الجمعة (أقصاه أربعون عند الشـافعى) فضـلا عن أنهم لم يجدوا المسجد الجامع لأداء هذه الصـلاة ، مما اضطر السلطان صلاح الدين الى اتخـاذ كنيسة ماريوحنا التى حولها الصليبيون خلال دفاعهم عن المدينة الى قلعة عسكرية ، وجمع الناس للصلاة فيهـا ، واتخذها من حينـه مسجدا جامعا للصلاة . وفى عهد الصليبيين كانت جمهرة السكان فى بيروت من النصارى الاوروبيين ، ومن والاهم من نصارى جبـل لبنان ، الذين انحدروا من قراهم ودساكرهم الى المدينة ، طلبا للعمل فى المؤسسـات الصليبية من مدنية وعسكرية وانتجاعا للرزق على موائد المحتلين .

ومع الزمن المتطاول ، تكونت من هـؤلاء النصارى المحليين والوافدين ، مجموعة سكنية اكتسحت المدينة بطابعها الدينى المميز . وبعد حوالى تسعين سنة أى عام ٥٨٣هـ ــ ١١٨٧م دار الدهر دورته واستانف الاسلام وجوده فى بيروت ، اذ عاد اليها المسلمون متقاطرين من الديار الاسلامية المجـاورة بالاضافة الى الجيوش والحشود التى جاءتها فاتحة بقيـادة صلاح الدين الايوبى .

ولقد أدى وجود هذا السلطان المسلم الى تغيير الوضـع الدينى فى المدينـة حتى بين النصارى أنفسهم الذين وجدوا فى مروءتـه وانسـانيته ما حملهم على اعتنـاق دينه ، والانضواء الى جماعته تحت رايته ، ولقد بادر صلاح الدين الى انتهـاج خطة تهدف الى المحافظة على مكاسبه العسكرية ، وذلك بانزال عدد كبير من أبناء جنسه الاكراد فى منـاطق حكمه ، ومنها بيروت ، الامر الذى أدى الى مضاعفة عدد المسلمين فى هذه المدينة ، وما يزال عدد من هؤلاء موجودا فى أنحاء متفرقة من بلادنا حتى اليوم ، لا سيما فى قضـاء الكورة من شمال لبنان ويعرفون بالاكـراد الايوبية

على أن هذا الوجود الاسلامى فى بيروت لم يقيض له الاستمرار طويلا ، اذ أنه تلاشى مرة ثانية بعد أن تركز حوالى عشر سنوات ، وذلك بسبب استرجاع الصليبيين للمدينة على أثر وفاة صلاح الدين ، هذه الوفاة التى كانت كارثة بمـا أعقبهـا من اضطراب السـلطة الاسلامية فى البلاد ، لتنافس خلفاء هـذا السلطان المجاهد على الحكم ، واجتماع كلمة الصليبيين على انتهاز الفرصة ، والوثوب على القواعد الاسلامية واسترجاعها واحدة بعـد

أخرى من يد حكامها المسلمين المتفرقين . وفي هذه المرة نزل بمسلمي بيروت ما سبق أن نزل بهم من قبل ، فلووا أعناق مطاياهم تاركين مدينتهم الى غيرهـا من المدن التي توسلوا العيش فيها محافظين على مصالحهم ودينهم وطمأنينتهم .

بيد أن الخسائر العسكرية التي منى بهـا الصليبيون على يد صـــلاح الدين وقواد المسلمين الذين جاءوا من بعده تركت فيهم وهنا وضـعفا ، بحيث لم يتمكنوا من الاستقرار والتمتع بمـزايا الانتصـارات العسكرية التي أصابوها ، فبقيت قبضتهم على البلاد التي اسـتعادوها بالقوة والقهـر ، مشوبة بالاضطراب والقلق . وقد دامت هذه الفترة الصليبية الثانية مع الوجود النصراني ببيروت من سنة ٥٩٣هـ ــ ١١٩٧ م الى سنة ٦٩٠هـ ــ ١٢٩١ م ففي هذه السنة سلمت بيروت صلحا الى سـنجر الشجاعي الذي فتحهـا باسم السلطان الاشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون الالفي .

وبعودة بيروت الى حوزة الجيوش الاسلامية تحت راية المماليك الذهبية أعاد التاريخ نفسه اذ تنفس المسلمون البيروتيون الصعداء بينما تراجع الوجود النصراني عنهـا مع هزيمـة الصليبيين الذين « جهزهم سنجر الشجاعي » الى دمشق ومنها أنفذهم الى مصر بأجمعهم .. ولما وصلوا الى مصر أطلقهم السلطان وقال لهم : « أماني باق عليكم » وخيرهم بين العودة الى بيروت أو التوجه الى قبرص ، فتوجهوا الى قبرص بأجمعهم (تاريخ بيروت لصـالح ابن يحيى ص ٢٨) .

وكان في جملة من تركوا بيروت يومهـا العديد من النصـارى المحليين الذين آثروا مشاركة الصليبيين مصيرهم في قبرص تحت حراسة العمارة الاسلامية التي أقلتهم قطعها البحرية الى هذه الجزيرة حيث للصليبيين مملكة مسـتقلة بامارة اللوزينيان قوامهـا بقـايا الاوروبيين الذين خسروا سلطانهم في بـلاد الشام .

وما يزال في جزيرة قبرص حتى اليوم طائفة منحدرة من الموارنة الذين أفرد لهم الحـكم الحالي فيها مقعدا نيابيا يشغله واحد منهم في هذه الايام .

وفي أيام المماليك غدت بيـروت مدينـة اسلامية من بابها الى محرابها ــ كما يقول المثل السائر ــ وأصبح أهاليها جميعا تقريبا من المسلمين ، بينما انصرف عنهـا النصارى الذين لم يرافقوا الصليبيين الى قبرص. وآثروا الاقامة في الجبال المطلة عليها وتكتل هؤلاء في جـرود كسروان التي تقع الى الشمال من المدينة ، على أن السلطات المملوكية اضطرت فيما بعد الى مطاردتهم في هذه الجرود ، وبناء على فتوى من شيخ الاسلام ابن تيميـة الحراني قام نائب الشام تنكز والقائد جمال أقوش الافرم باجلائهم كذلك عن هذه المناطق بسبب كثرة تعدياتهم على الاملاك العامة ، وقطعهم السابلة ، وفتكهم بمن ينفردون به في بلادهم من عساكر السلطان وعامة المسلمين .

وقد عرفت بيروت في أيام المماليك غزارة ملحوظة من السكان المسلمين ، الذين تكاثروا بمن شاركهم في سكناها من العناصر الاسلامية غير العربية ، أمثال التركمان ، والاكـراد والشركس . ذلك بأن الولاة الذين كان ينيبهم السلطان المملوكي بمصر عنه في حكم بـلاد الشام ، لاحظوا أن مدينة بيروت ما زالت تستهوي مطامع الصليبيين الذين ذاقوا حلاوة احتلالها قرابة القرنين من الزمان ، ووجـد الولاة المذكورون أن سادة المدينة السابقين من الافرنج لا يفتأون يتطلعون الى معاودة النزول فيها من جديد بالتعاون مع أبناء دينهم المحليين لا سيما سكان جبل لبنان المطل عليها ، فعملوا على حشد أكبر عدد من المسلمين في أرجائها وفي الارياف المحيطة بها واختاروا لهذا الغرض عشائر شبه بدوية امتازت بقوة الشـكيمة والتقاليد الحربية المتوارثة .

وهكذا عرفت بيروت ــ ذلك الوقت ــ كثرة اسلامية ساحقة من السكان الاصليين ، وممن توافد عليهم من هذه العشائر حتى أصبح من المستحيل على الصليبيين الافادة من مغامرات قراصنتهم في البحر ، أو نشاط عملائهم في البر . وقد نتج عن الاعمال الاستفزازية التي قام بها هؤلاء وأولئك أن عمدت السـلطات

الحاكمة الى تضييق الخناق على من تبقى منهم فى بيروت نفسها حتى ضاقوا ذرعا بما آل اليه أمرهم فى المدينة ، واختاروا أماكن أخرى بعيدة عنها تاركين المجال أمام المسلمين ليبقوا وحدهم سكانا لها .

والجدير بالذكر أنه ما تزال فى ضواحى بيروت الى جهة الشمال ، أمكنة تعرف باسم ((الازواق)) أى الاسواق ((مثل زوق مكايل)) ، وزوق مصبح وقد كانت فى الاصل معسكرات ينزل فيها أفراد تلك العشائر المسلحة وعائلاتهم . وقد تحولت هذه الازواق اليوم الى قرى يسكنها النصارى على المذهب المارونى . وقد اختار الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية السابق أحدها مقرا للرياسة بسبب قربها من جونيه بلدته الاصلية .

وفى سنة ٩٢٣ هـ — ١٥٤٥ م عندما حل الاتراك العثمانيون محل سلاطين المماليك فى الشام ومصر والبلاد العربية الاخرى كانت بيروت مدينة اسلامية بمن فيها من السكان والاهالى . ولم ير هؤلاء السادة الجدد بأسا من الاستمرار بالاعتماد على العشائر التى أنزلها الحكم السابق فى المدينة وغيرها من المناطق الاستراتيجية فى الساحل ، فبقيت بيروت محافظة على مظهرها الاسلامى بصفة عامة الا أن النصارى كانوا يتسربون اليها بأعداد قليلة فى أزمان متفاوتة ، دون أن يجدوا حرجا من الدولة العثمانية التى كانت تغض الطرف عنهم ، رغبة فى استصناعهم . وفى هذه الاثناء أتيح للنصارى أن يشيدوا بعض الكنائس الصغيرة لممارسة طقوسهم الدينية لا سيما خارج أسوار المدينة القديمة .

بيد أن قبضة السلطة العثمانية الاسلامية ، كانت تضطر للتراخى فى بعض الظروف بسبب متاعبها العسكرية مع الدول الاوروبية ، الامر الذى جعل النصارى فى جبل لبنان يتوقون الى توسيع نطاق نفوذهم فى المدينة . فكانوا ينتهزون أى مناسبة عابرة تكون فيها الدولة مضطرة لمسايرة الاوروبيين أو مهادنتهم ، ويعملون على توسيع مجالات سكناهم فى بيروت وانشاء مؤسساتهم الدينية حتى استفحل أمرهم فيها أخيرا وكادوا يصبحون الكثرة الغالبة من سكانها ، حتى اذا بدأ النصف الثانى من القرن الثامن عشر للميلاد وجد البيروتيون أنفسهم وقد أصبحوا تحت حكم الامير يوسف الشهابى المتنصر الذى اتخذ من بنى ملته وجلدته بطانة له وأنصارا لحكمه ، وشرع أمامهم أبواب المدينة ليأخذوا بناصية الامر فيها ، ويتحكموا بمقدراتها ويهيمنوا على مصيرها .

وفى هذه الاثناء حدث تحول لم يكن فى حسبان أحد ، اذ عرفت سورية حاكما بشناقيا عنيدا ظهر فى ميدان السياسة المحلية تحت شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت بمختلف الوسائل والاساليب ، هذا الحاكم هو أحمد باشا المعروف بالجزار .

ومن الطريف أن هذا الحاكم المتحمس لصهر بيروت بالبوتقة الاسلامية عمرانا وسكانا ، لم يكن فى الاصل الا غلاما نصرانيا من بلاد البوسنة ، هجر بلاده على أثر اختلافه مع أخيه لأسباب عائلية كى يبيع نفسه رقيقا لنخاس يهودى من اسطمبول ، وهذا نصحه باعتناق الاسلام لترويج سوقه ، ويتضاعف ثمنه ، وهذا ما حدث بالفعل ثم تطورت الايام ، واذا بهذا الغلام النصرانى عندما بلغ أريكة الحكم على ولاية سورية يصبح أشد نكالا على النصارى من أى حاكم سبقه فى أى عهد من العهود .

فى أيام هذا الحاكم عرفت بيروت مدا اسلاميا مركزا ، كما عرفت بمقابل ذلك جزرا نصرانيا واضحا وأصبحت هذه المدينة المسورة لا تضم داخل أبوابها المصفحة بالحديد الا المسلمين تقريبا بينما ارتد عنها النصارى لائذين بأكناف الجبل متربصين للعودة اليها فى الوقت المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء فى المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء في المدينة أنهم اشتركوا — كاثوليكا وروما أورثوذكس — فى كنيسة واحدة على خلاف ما تسمح به طقوسهم المذهبية المتناقضة فى هذا الصدد .

وبقى الحال كذلك بالنسبة للمسلمين والنصارى فى المدينة حتى جاء الوقت المناسب لهؤلاء الاخيرين وذلك حينما حل الحين بالجزار نفسه ، فتنفسوا الصعداء وانطلقت قرائح شعرائهم تردد القول بشماتة لا تخفى منها ملامح الحقد الذميم .

لله درك يا منون فقد بدت
منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

★★★★★★★★★★

فاز الأنـــام وارخـوه بمقصـــد

هلك الشـقي والى جهنم قد رحـل

وأما أهل بيروت فلقـــد وقع عليهم موت الجزار كمثل الصاعقة القاتلة ، وراح شاعرهم يصور مشاعرهم في هذه المناسبة الاليمـة بقوله :

يا أيهـــا الجزار أعنـاق المـدى
يا من هـوى الســادات والامجــاد
هم أهـــل بيروت الذيـــن تزينت
منهـــم بدر عطـــائك الاجيــاد
وملـــكتهم ووداهـم لك صـــادق
ما أن لهم فيمن ســـــواك وداد
لا نقص فيـه ولست فيــه مشاركا
بل فيـــك دومـــا لم يـزل يزداد
ولقد خدمتـك مادحـا بقصــــيدة
ومديح مثلك في الانـــام رشـــــاد

وبعد موت الجزار بزمن قليل أخذ الوضع الديني في بيروت يتجه لصالح الوجـــود النصراني على حساب الوجود الاسلامي ، حتى اذا كانت سنة ١٨٣١ تطامنت أســوار المدينة تحت وطأة فاتحها ابراهيم باشا المصري ابن عزيز مصر محمد علي باشا الارناؤوطي . فقد دخلها ابراهيم بعد أن كسر بقوة جيشه أبوابها المصفحة ، ثم بادر فورا الى اباحة سكناها للنصارى ، بتشجيع من الدولـــة الفرنسية التي كانت وراء حملته على سورية ، فتدفق هؤلاء اليها منحدرين من قنن لبنـــان وسفوحه بلهفة وشوق دون أي عائق أو مانع ، متخذين من حنـــا البحري الذي استخلصـــه ابراهيم باشا لمشورته مفتاحا لقلب القـــائد وقلب المدينة في آن واحد ، وما كادت سنوات القرن الثامن عشر تشارف نهايتها وســنوات القرن التاسع عشر تواجه بدايتها حتى أصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان الاســـلامي والنصراني .

وعندما أجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن المدينة في تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والاناضول ، كانت الدول الغربية تمســك بزمام المبـــادرة في السياســـة العثمانية ، وتوجهها وفق وصية القائد الصليبي لويس التاسع الذي لاقى حتفه في تونس خلال آخر حملة صليبية ضد الاسلام والعرب . وكانت وصيته تقضي بابعاد المسلمين عن الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط الذي حولته الفتوحات الاسلامية الى « بحر العرب » بعد أن كان يسمى قبلا « بحر الروم » .

وعلى هذا فان ظاهرة تهافت النصارى على دخول بيروت وسكناها لم تكن عادية ولا عفوية بل أنها جاءت نتيجة مدروسة لمخطط غـــربي قديم ، تواضع على اعداده وتنفيذه زعمـــاء السياسة الاوروبية في حينه ، واجتهدوا في افتعال المبررات المحلية لنجاحه على الوجـــه الذي رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذي يلقبونه « بالقديس » ، بينما كان ممثلوهم القنصليون في البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنســـيق أعمالهم في هـــذا الصدد ، وستر أغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية ، ظاهرها التعاون مع السلطات العثمانية لاقرار الامن وعودة الهدوء الى البلاد المضطربة بالفتن الطائفية ، التي كانوا هم بالفعل من ورائها ، وباطنهـــا تنظيم هجرة جماعية للعائلات النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذي لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء وذلك في بعض قرى الجبل وبصورة خاصة في مدينة بيروت بالذات . وذلك تمهيدا لاقامة كيان من لون طـــائفي معين تحكمــــه بعض العائلات الاقطاعية التي استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق هذا اللون ، وقد اعتنقت هذه العائلات أو بعضها ما استدرجت اليه بالفعل مما سهل أمام الغربيين تحقيق مراميهم الى حد كبير .

ففي سنة ١٨٤٠ افتعلت في دمشق فتنـــة طائفية رعناء بين المسلمين والنصارى بدسائس الانكليز الخبيثة وأدت هذه الفتنة الى نزوح كثير من العـــائلات النصرانية من العاصـــمة الاموية باتجاه جبل لبنان وبيروت ، ثم في سنة ١٨٦٠ قامت فتنة أخرى أشد نكالا من الاولى ، ولكن في جبل لبنان هذه المرة ، حيث توزعت الادوار المؤذية بين الانكليز الذين تظـــاهروا بتأييد الدروز وبين الفرنسيين الذين تظاهروا بتأييد النصارى ، وكان من نتيجة هذه الفتنة الثانية أن نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجير الطوائف النصرانية الى

بيروت ، ليصبحوا بعد قليل أكثر عددا ونفوذا من أهاليها المسلمين ، وذلك تمهيدا لما حصل بعد الحرب العالمية الاولى من قيام دولة لبنان الكبير واتخاذ بيروت عاصمة رسمية لهذه الدولة .

ومنذ ذلك الحين أخذ ميزان القوى السكنية فى مدينة بيروت يميل لصالح النصارى الذين كان عددهم يربو يوما بعد يوم ، حتى أصبحوا يشكلون غالبية ملحوظة بالنسبة الى مواطنيهم المسلمين ، على أنه بالرغم من أن الغالبية العددية من سكان بيروت كانت نصرانية الا أن هذه المدينة بقيت محتفظة بسماتها الاسلامية على وجه العموم ، وكانت كلمة « بيروتى » تعنى المسلم البيروتى ، وكلمة « جبلى » تعنى النصرانى اللبنانى ، ولو أنه من سكان بيروت بالفعل .

فى تلك الفترة حدثت مضاعفات خارجية كان من شأنها أن تلقى بعض الظلال العارضة على توازن النسبة العددية بين السكان المسلمين والنصارى فى المدينة ، وهذه المضاعفات هى الاحداث العسكرية التى وقعت فى شمال أفريقيا وأدت الى احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٢ ثم فرضها الحماية على تونس سنة١٨٨١ فلقد أحدث نزول فرنسا المتعاقب فى أرض هاتين الدولتين الاسلاميتين موجة من الذعر والاضطراب فى نفوس كل من الجزائريين والتونسيين مما حدا بكثير منهم الى مغادرة وطنهم باتجاه الشرق ، ليكونوا فى حمى دولة الخلافة الاسلامية التى كان يمثلها آل عثمان فى اسطمبول . ولقد اختار هؤلاء بلاد الشام دار هجرة لهم ، فاستقروا بدمشق حول زعيمهم الامير عبد القادر الجزائرى الذى اختارها لمقامه ، غير أن عددا منهم اثر البقاء فى بيروت ، الى جانب اخوانهم المسلمين فيها ، وكما فعل الجزائريون فعل النازحون التونسيون من بعدهم ، وما تزال أسماء « الجزائرى والمغربى » سمة على العديد من أهل بيروت حتى اليوم . الا أن كمية هؤلاء الذين استقروا فى بيروت لم تكن بالدرجة التى تؤدى الى تجاوز عدد مسلمى البلد على نصاراها ، اذ أن هؤلاء بقوا محافظين على تفوقهم العددى على مواطنيهم المسلمين .

وكما حدث فى غضون القرن الماضى بالنسبة للجزائر وتونس فان هجرة اسلامية أخرى وصلت موجاتها البشرية الى بيروت قادمة من بلاد المغرب (مراكش) عند سقوطها بيد فرنسا سنة ١٩١٢ ومن بلاد طرابلس الغرب عند احتلالها من قبل الطليان سنة ١٩١١ ، وعلى الجملة كان عدد النازحين من شمال أفريقيا العربية الى بيروت فى تزايد مستمر باستمرار الوجود الفرنسى هنالك ، وهؤلاء النازحون كانوا يشكلون فى أواخر العهد العثمانى جالية موفورة العدد ببيروت حتى أن هذه المدينة كانت تحتوى على مقبرة خاصة بهم باسم « مقبرة المغاربة » وكان مكانها فى نفس المكان الذى تقوم عليه بناية المقاصد الخيرية الاسلامية التى فيها سينما ريفولى اليوم شمالى ساحة الشهداء .

ولقد كان من بين المهاجرين الى بيروت فضلا عن المغاربة ، مسلمون من مختلف البلدان والجنسيات وهؤلاء كانوا يتركون ديارهم التى تقع فى أيدى الاجانب فى أعقاب تخلى الدولة العثمانية عنها بالحرب أو المساومة كما حصل فى جزيرة كريت وكما حصل كذلك فى مصر التى منيت بالاحتلال الانكليزى بحجة حماية عرش الخديوى من ثورة أحمد عرابى باشا سنة ١٨٨٢ ، وكثيرا ما نجد بين العائلات البيروتية المعاصرة أسماء المصرى والفيومى والدمياطى والدسوقى نسبة الى المدن المصرية التى قدموا منها منفيين أو طائعين .

ولقد ترك لنا أحد هؤلاء المصريين وهو الشيخ محمد عبد الجواد القاياتى فى مذكراته التى دونها أثناء اقامته فى بيروت وذكر فيها أن البلد فى زمانه كانت تشتمل على نحو ثمانين ألفا من النصارى ونحو عشرين ألفا من المسلمين ، ومع ذلك فان معاملة النصارى لأهل الاسلام كانت معاملة فى غاية الادب والتزام التوقير للصغير والكبير لأمرين :

الامر الاول وهو الذى عليه المعول ، شهامة الطائفة الاسلامية ، وشدة غيرتها الدينية مع قلة عددها .

والامر الثانى ، مراعاة الحكام للجرى على مقتضى القوانين والنظام (نفحة البشام فى رحلة الشام ص ٢٦) .

وفى سنة ١٩٢٠ أعلن ممثل الاحتلال الفرنسى الجنرال غورو الكيان اللبنانى بصفة رسمية تحت اسم دولة لبنان الكبير ، وجعلت بيروت عاصمة لهذه الدولة الناشئة . ومن ذلك الوقت

المسلمون فى بيروت

★★★★★★★★★★

انفتحت هذه المدينة عمليا أمام سيل دافق من الهجرات النصرانية تألبت عليها من مختلف الجهات والاجناس ، فلقد استقدم الفرنسيون اليها جماعات بشرية كثيفة من السريان والكلدان والاشوريين والارمن الذين تركوا مواطنهم الاصلية تحت وطأة ظروف عسكرية نشأت عن حرب الاستقلال فى تركيا ، وهيأت لهم سلطات الاحتلال أسباب الاقامة الدائمة ، سواء فى قلب العاصمة اللبنانية ، أو فى ضواحيها القريبة منها .

وبمقابل ذلك ، فان الثورة الوطنية التى عمت البلاد السورية ما بين عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٦ ضد الانتداب الفرنسى دفعت عددا من مسلمى دمشق والمدن التى أصابها رشاش الاضطراب الى البحث عن أمنهم ومعاشهم فى بيروت ، ولكن هؤلاء لم يكونوا من الوفرة بحيث يتأثر بها فريق دون آخر فى المدينة ، على أن بعض السياسيين اللبنانيين كانوا يعيشون فى جو عقدة نفسية بالنسبة للتوازن الطائفى فى البلد ، ومن هؤلاء الرئيس اميل أده الذى ما أن تسلم رئاسة الجمهورية اللبنانية حتى صرف كل همه لاقناع نصارى جبل لبنان بالتوجه الى بيروت ، والاقامة الدائمة فيها ، واتخذ من المركزية الادارية فى العاصمة وسيلة غير مباشرة لاستدراجهم الى تحقيق هذه الغاية التى لم تكن فى الواقع الا استمرارا للسياسة الغربية التى تقضى بجعل بيروت مجموعة متنافرة من الطوائف والاجناس ، كيلا تتحد كلمة الشعب فى رأى عام منسجم ضد أغراضها الاستعمارية التاريخية .

واذا نحن تابعنا مجرى تطور الاحداث فى الشرق العربى خلال بداية النصف الثانى من القرن العشرين للميلاد فانه يتبين لنا أن الاحصاءات الطائفية فى مدينة بيروت خضعت لتقلبات تتراوح بين صالح النسبة الاسلامية وبين صالح النسبة النصرانية .

فعندما وقع الانقلاب العسكرى ضد النظام الملكى فى مصر سنة ١٩٥٢ بادر غالب المصريين الذين تحدروا من أصل لبنانى ، ويكادون يكونون جميعا من النصارى ، بادر هؤلاء الى مغادرة مصر الى بيروت حيث منحتهم السلطات اللبنانية الجنسية اللبنانية على أساس أنهم يستردون جنسيتهم الاصلية ، قبل أن يغادر أباؤهم لبنان الى مصر ، للعمل فى خدمة الدوائر الانكليزية التى كانت تحتاج اليهم كتراجمة وموظفين فى دوائر الاستعلامات ، أو فى الدوائر التى لا تطمئن الى وجود أبناء البلد المصريين فيها . وعدد هؤلاء المتمصرين العائدين الى بيروت يتجاوز عشرات الالوف ، وقد أصبحوا عمليا من أهالى بيروت وسكانها ، لهم نفس الحقوق التى لهؤلاء ، وعليهم نفس الواجبات ..

ثم انه عندما انتقل النظام المصرى الى سورية بسبب اندغام البلدين فى وحدة سياسية تامة تكررت نفس الظاهرة ، ولكنها هذه المرة كانت تحمل فى تضاعيفها مزيجا اسلاميا نصرانيا من الافراد الذين وجدوا فى النظام الاقتصادى اللبنانى الحر متنفسا لنشاطهم المالى الذى لم يعد يجد له متسعا فى البلاد السورية التى وضعتها الوحدة مع مصر فى اطار التجربة الاشتراكية للاقتصاد الموجه .

واذا انتهينا الى واقع بيروت فى الوقت الحاضر فاننا نلاحظ بأن السياسات الغربية المتلاحقة قد أفلحت الى حد كبير فى ابراز هذه المدينة على النحو الذى يتفق ومخططاتها القديمة ، اذ أن نسبة سكانها المسلمين الى مواطنيهم النصارى لا تكاد تتجاوز الثلث ، وهذا يبدو جليا من خلال توزيع المقاعد النيابية حسب جداول الناخبين البيروتيين .

أما من الناحية العملية فان هذه النسبة لا تمثل الواقع العملى ، لا سيما بعد الاحداث الفاجعة التى وقعت بفلسطين سنة ١٩٤٨ هذه الاحداث التى اقتلعت عشرات الالوف من أبناء البلاد المقدسة ، وجعلتهم لاجئين فى بيروت ينتظرون مصيرهم المجهول داخل مخيمات البؤس والشقاء المبثوثة فى العراء محرومين من كل وسائل الحياة الانسانية الكريمة فى المدينة التى تضاهى ببذخها وترفها أرفع المستويات الحضارية فى العالم ..

أما بعد ، فانه أيا ما كانت الارقام التى تمثل عدد المسلمين أو عدد النصارى فى بيروت فان هؤلاء وأولئك يعيشون بعضهم الى جانب بعض تحت لواء وارف من الاخوة الوطنية الصادقة التى تشدهم فى عروة وثقى من حب مدينتهم والاخلاص لرقيها وازدهارها وتطورها.

زوجتان صالحتان

تأليف : الأستاذ علي أحمد باكثير

في بيت أم حكيم وعندها ابنة عمها الفاختة

أم حكيم : اياك يا بنت عمي أن تتبعيه حتى يشهد أولا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

فاختة : لعلي أن تبعته أن أعطف قلبه الى الاسلام .

أم حكيم : كلا يا فاختة انك ان تبعتيه فسيحاول هو أن يفتنك عن دينك .

فاختة : معاذ الله أن أفتن عن ديني ولو انطبقت السماء على الأرض .

أم حكيم : فالرأي اذن أن تصري على موقفك منه حتى يفيء الى الحق ويدخل فيما دخل فيه الناس من دين الله .

فاختة : أخوف ما أخافه ان يرتحل عن البلد كما فعل عكرمة زوجك فلا يرجى له أن يفيء الى الحق .

أم حكيم : ماذا يحمل صفوان على ذلك ؟ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينذر دمه كما نذر دم عكرمة .

(يدخل صفوان بن امية دون استئذان)

أم حكيم : ماذا جاء بك يا صفوان ؟

صفوان : عجبا يا أم حكيم أهكذا تحيين زوج ابنة عمك ؟

أم حكيم : لست اليوم زوجها يا صفوان . ان الاسلام قد حال بينها وبينك .

صفوان : هبيني زائرا أفهكذا تحيين الزائر في بيتك ؟

أم حكيم : كلا ما أنت بزائر فنكرمك وانما أنت شيطان تريد أن تحملها على الكفر بعد أن أكرمها الله بالاسلام .

صفوان : هل يجمل بك يا فاختة أن تدعي بنت عمك هذه تتطاول علي ؟

أم حكيم : وما أنت يا صفوان ابن

امية ؟

صفوان : انا من المـطعمين فى قريش ان كنت تجهلين .

أم حكيم : قد أبطل اللـه مآثـر الجاهليـة وأذل كبرياءها فان كنت تروم شرفا فدونك الاسلام .

صفوان : ألا تتكلمين أنت يا فاختة فتسكتي بنت عمك ؟

أم حكيم : انها لن تكلمك أبدا .

صفوان : فاختة !

أم حكيم : لقد أقسمـت باللـه لا تكلمك ابدا حتى تؤمن بالله ورسوله

صفوان : احقا يا فاختة ؟

فاختة : (تؤمىء برأسها ان نعم دون كلام) ...؟

أم حكيم : ألم أقل لك ؟

صفوان : (محتدا) يا هذه هـلا اهتممت بزوجك خيرا لك ؟ اليـس عكرمة أحق منـي بوعظـك هـذا وارشـادك ؟

أم حكيم : واين عكرمة منى ويلك ؟

صفوان : (ساخرا) لعله نجـا بنفسه خوفا منك أن تفتنيه عن ديـن آبائه !

أم حكيم : (فى صرامة) صفوان . ليس من المروءة أن تقول هذا عـن صاحبك انك تعلم لماذا نجا عكرمـة بنفسه وهرب .

صفوان : لأن محمدا نذر دمه فيمن نذر .

أم حكيم : فلتقل في عكرمة خـيرا أو فلتصمت فأنت تعلم أنه رجل كريم .

صفوان : ان كنت تحبينه بعد فقد كان عليك ان تتبعيه حيثما ذهب .

أم حكيم : لـو أعلـم أين توجـه لاقتفيت أثره .

صفوان : انه توجه صوب اليمن

أم حكيم : وكيف عرفت ؟

صفوان : أنـا الـذى جهـزته يا أم حكيم .

أم حكيم : والله لاذهبن الساعـة الى النبي صلى الله عليـه وسلـم ليأذن لي في اللحاق به .

صفوان : ويحـك ان علم محمـد بوجهته ليرسلن فى طلبه حتى يظفر به فيقتله .

أم حكيم : يا صفوان ان محمـدا أكرم من ذلك .

صفوان : ليتني ما اخبرتك . لقد جنيت على صاحبي والله .

أم حكيم : قلت لك أن محمدا أكرم من ذلك .

صفوان : ان كنت تحبين زوجك حقا فلا تعرضيه للهوان والقتل .

أم حكيم : قد استأمنت له من محمد فأمّنه .

صفوان : أمّنه ؟ أمّن عكرمة ابن ابي جهل ؟

أم حكيم : أجل لو كان أبو جهـل نفسه حيا اليوم والتمس الامان مـن محمد لأمنه (لفاختة) أنـا ماضيـة يا فاختة (تتهيأ للخروج)

فاختة : خذيني معك الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

صفوان : ابق قليلا معي يا فاختة

فاختة : (تهم بالكلام ثم تتذكـر يمينها فتلتفت الى أم حكيم) هيا بنا يا أم حكيم (تخرج أم حكيم وفاختة)

صفوان : (يتمتم) الا أن أمرا حال بيني وبين فاختة لأمر كبير !

— ٢ —

(في مكان ما على الطريـق الـى اليمن)

(ام حكيم تنظر في وجوه أهل قافلة أناخت بذلك المكان كأنها تبحث عـن عكرمة) .

أم حكيم : (تلمح وجه عكرمـة) عكرمة !

عكرمة : (ينهض اليها) أم حكيم ! (ينتحي بها بعيدا عن بقية القـوم) ماذا جاء بك الى هذا المكان القصي ؟

أم حكيم : السعي اليك يا عكرمة . ويحك أتظن انني استطيع العيـش بغيرك ؟

عكرمة : لا حق لك أن تتجشمـي هذه المشقة من أجلي .. من اجـل

رجل قد نذر دمه فليس له الا الهرب الى أقصى البلاد .
أم حكيم : الى اليمن ؟
عكرمة : كيف علمت ؟ من ذا اخبرك ؟
أم حكيم : اخبرنى الذى اخبرنى .
عكرمة : صفوان بن أمية ؟
أم حكيم : نعم
عكرمة : تبا له .
أم حكيم : بل تبا لك أنت . هل يجمل بك يا ابن عمي ان ترحل هذا الرحيل الذي ربما لا تؤوب منه ابدا دون أن تودع زوجتك التي تحبك ؟
عكرمة : ما حيلتي يا بنت العم ؟ لقد استولى محمد على مكة ونذر دمي فيمن نذر فلم اشأ أن اشركك في مصير كنت وحدي صاحب التبعة فيه .
أم حكيم : بل كنت شريكتك في ذلك يا عكرمة . أنسيت أنني خرجت معك يوم أحد ؟
عكرمة : ذاك يا بنت عمي يوم كان لنا الحول والقوة .
أم حكيم : تبا لك . أوقد هان عليك أن تفارقني الى غير لقاء ؟
عكرمة : لا ورب هذا البلد الذي استولى عليه محمد ان فراقك علي لشديد ولكن ماذا أصنع ؟ انه قاتلي لو بقيت . ولخير لى أن أعيش بعيدا عنك عسى أن القاك يوما ما من أن أقتل بين يديك فتلبسي الحداد علي .
أم حكيم : ويحك يا عكرمة . ما كان ينبغي لك أن تيأس من عفو محمد فقد عفا عن الكثير ممن كانوا أعداءه
عكرمة : كلا ليس أحد منهم مثلي . لقد كنت أشد الناس أذية لمحمد وعداوة له وكان أبي عدوه الالد حتى لقبه محمد وأصحابه بأبى جهل .
أم حكيم : انك ما زلت تنظر فى محمد رجلا من قريش انتصر على قومه فهو يعاقب من يشاء ويعفو عمن يشاء .
عكرمة : مهما يكن من شأنه فلا يعدو أن يكون كذلك .
أم حكيم : كلا يا عكرمة انه نبي يوحى اليه وهدى للناس ورحمة .
عكرمة : قد علمت أنك صبأت يا أم حكيم .
أم حكيم : بل أسلمت وآمنت ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومصطفاه .
عكرمة : فمن الخير الا تصلى حبالك بحبال رجل لا يؤمن كما آمنت .
أم حكيم : ويلك يا ابن عمي المثلى تقول هذا القول ؟ ألم تكن تحبنى يا عكرمة ألم أكن أحبك ؟
عكرمة : بلى والله ومن أجل ذلك تركتك وما اخترت لنفسك من هذا الدين الجديد .
أم حكيم : لست والله اولى به منك يا عكرمة . أنت بما وهبت من عقل وحكمة أجدر ان تتبع الهدى وتدعوني أنا اليه . انشدك الله يا ابن عمي بما بيننا من مودة ورحمة ، ألم يلق فى روعك بعد أن محمدا على حق فيما دعا اليه وأنه يدعو الى الخير والهدى والرشاد ؟
عكرمة : اما وقد حلفتني باعز شيء عندى فوالله لأصدقنك الحديث ، انى لأعلم يا أم حكيم أن محمدا لكما وصفت .
أم حكيم : فما يمنعك أن تعلن ذلك له وتدخل فيما دخل فيه الناس ؟
عكرمة : بعد ما أهدر دمى يا أم حكيم ؟
أم حكيم : أو هذا وحده هو الذي يمنعك ؟
عكرمة : نعم .
أم حكيم : فالحمد لله أذن . انك عائد معي الى محمد يا عكرمة .
عكرمة : ماذا تعنين ؟
أم حكيم : اني جئتك يا ابن عمي من عند أفضل الناس وأبر الناس

وخير الناس قد استأمنت لك منه .
عكرمة : ورضى أن يؤمنني ؟
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع وجهه .
عكرمة : ان يكن ما تقولين حقا فوالله ما يصدر هذا الا عن نبي ؟
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع بالعودة .

— ٣ —

(في مكة . صفوان بن أمية وفاختة)

صفوان : أتدرين يا فاختة أن حبك في قلبي قد زاد فصار أضعاف ما كان ؟
فاختة : بعدما هداك الله للاسلام
صفوان : أجل
فاختة : فلتحب محمدا صلى الله عليه وسلم خيرا مني يا صفوان .
صفوان : والله اني لأحبه . لقد شهدت حنينا وما في الأرض أبغض الىّ من محمد وانصرفت من حنين وما في الأرض أحب الىّ منه .
فاختة : (ممازحة) لأنه أجزل لك العطاء من غنائم هوازن ؟
صفوان : لا والله يا فاختة . ان المال لا قيمة له عندي كما تعلمين ولكن ما شهدت من شجاعته وثباته لما حمى الوطيس وانهزم عنه الناس فبقى وحده في نفر قليل وهو يقول في صوت قوى مطمئن : الى أيها الناس الى أيها الناس انا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب . حتى فاء المسلمون اليه فكرّوا على المشركين . حينئذ أيقنت يا فاختة أنه نبي مرسل من عند الله .
فاختة : الحمد لله يا صفوان اذ جمعنا على الهدى والحق .
صفوان : لولاك يا فاختة لما قدر لي أن أشهد حنينا ولما خالط قلبي الاسلام فأنت يا حبيبتى صاحبة الفضل .
فاختة : بل الفضل لأم حكيم يا صفوان . هي التي شجعتني على ذلك الموقف الذي وقفته منك . وأكدت لي أنك لا تلبث أن تفيء الى الحق .
صفوان : لله درها من امرأة صدق
فاختة : ترى في أي صقع من الأرض هي الآن ، لقد مضى على سفرها اليوم شهران ولم نسمع عنها شيئا .
صفوان : انها شقة بعيدة يا فاختة .
فاختة : أخشى أن تكون قد ضلت الطريق أو لقيت فيه ما تكره .
صفوان : اطمئني يا فاختة فاني قد أوصيت بها رجالا أعرفهم كانوا يقصدون اليمن .
فاختة : سمعت يا صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتزم السفر قافلا الى المدينة .
صفوان : أجل .. بعد يومين أو ثلاثة فيما سمعت .. استعدى يا فاختة فسننضم نحن الى ركبه .
فاختة : الا ننتظر أم حكيم وزوجها حتى يقدما الى مكة .
صفوان : لا يا فاختة . خير لهما أن نسبقهما الى المدينة لنهيىء لهما ما يجب .

— ٤ —

(في المدينة المنورة بعد رجوع النبي اليها من فتح مكة وغزوة حنين)

صفوان : (يدخل بيته في المدينة) أبشرى يا فاختة .
فاختة : أوقد رجعت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
صفوان : نعم
فاختة : حدثني ماذا فعل عكرمة في المسجد وكيف لقيه النبي صلى الله عليه وسلم ؟
صفوان : أوجز لك أم أسهب ؟
فاختة : بل أسهب يا صفوان حتى كأنني أشهده معك .
صفوان : اني لجالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه

اذ دخل عكرمة لائذا بأم حكيم فوقف بعيدا وصاح : يا محمد هذه اخبرتني أنك أمنتنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدقت أم حكيم انك آمن . فتقدم عكرمة وهو يقول : اذن فهاكها يا نبى الله كلمة أعلنها من قلب مخلص : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله . فوثب النبي قائما وهو يتهلل فرحا واستنار وجهه كأنه القمر وقال : مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا .

فاختة : طوبى لعكرمة لقد لقى من تكرمة النبى ما لم يلقه أحد .

صفوان : انتظري .. ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : حدثنى ماذا حدث بعد ؟

صفوان : لحظ النبي أن عكرمة ظل مطأطئا رأسه من شدة الحياء فقال مطيبا خاطره يا عكرمة ما تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتك اياه .

فاختة : (في اهتمام بالغ) فماذا طلب عكرمة منه ؟

صفوان : قال عكرمة استغفر لي كل عداوة عاديتكها يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به .

فاختة : هذا حظ لعكرمة لا مزيد عليه .

صفوان : انتظري .. ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : ماذا أيضا . حدثني .

صفوان : سمعت الحاضرين يتناجون فيما بينهم : هذا تأويل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهم عنها فحدثوني أن النبي كان قد رأى فيما يرى النائم أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقا فأعجبه وسأل لمن هذا ؟ فقيل : لابى جهل وانهم تعجبوا لذلك فقال لهم : ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة فازدادوا عجبا . فلما جاء عكرمة اليوم مسلما ادركوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قد أول رؤياه باسلام عكرمة .

فاختة : (كأنها تتذكر شيئا) وأين هما الآن ؟ أين عكرمة وأم حكيم ، لماذا لم يحضرا معك ؟

صفوان : تركتهما واقفين مع أخيك خالد بن الوليد وعجلت اليك لأبشرك

فاختة : لعلك دعوت خالدا للغداء معنا اليوم ؟

صفوان : بل سبقني ابو سليمان فدعا نفسه قبل ان ادعوه .

(يقرع الباب) ها هم أولاء . قد جاءوا .

(يفتح صفوان الباب) فيدخل عكرمة وأم حكيم وخالد بن الوليد) .

(تتعانق فاختة وأم حكيم في فرح كما يتعانق صفوان وعكرمة) .

خالد : (ينظر اليهم ضاحكا) ويلكم تركتموني دون ترحيب ولا تأهيل .

صفوان : معذرة يا ابا سليمان لقد شغلنا الفرح عن ذلك .

فاختة : (تحيى أخاها) مرحبا بك يا خالد . لا شك أنك فرح بما تم اليوم لعكرمة ابن عمك .

خالد : اي والله ما شهدت كاليوم سرورا وبهجة . هذا يوم من أيام مخزوم .

صفوان : لله در نسائكم يا بني مخزوم ، يسبقن أزواجهن الى الاسلام ثم يجاهدن حتى يفيء أزواجهن الى الاسلام .

خالد : الحمد لله (يلتفت الى عكرمة) كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة ؟

عكرمة : (في تأثر شديد) ماذا أقول يا ابا سليمان ؟ أجدني كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدي في يد خير الناس وأبر الناس وأكرم الناس .

« ستار »

الفتاوى

في الرضـــاع

الســـؤال : —

رجل رضع من جدته لأبيه ويريد التزوج من ابنة عمه الشقيق ، فهل يحل له التزوج بها ، أو تحرم عليه لأن جدتها أرضعته ، وأرضعت والدها .

صهيب أسعد سويدان — سوريا

الاجابــة : —

يحرم على هذا الرجل التزوج من ابنة عمه هذه لأنه برضاعه من جدته لأبيه اصبح اخا من الرضاع لعمه والد البنت ، فصارت بهذا بنت أخيه قال عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

نقـل المحرمات

الســـؤال : —

رجل مسلم مساهم في شركة للبواخر ، ثبت له أن هذه البواخر تنقل احيانا المحرمات كالخمر والخنزير ، فما الحكم ؟

الاجابــة : —

لا يجوز لمسلم أن يعين على اثم ، أو أن يكون سببا فيه ، لقولــه تعالــى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والخمر والخنزير محرمان في الشريعة الاسلامية وكما يحرم تناولهما يحرم بيعهما وحملهما لما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم الخمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنهـا ، وحرم الخنزير وثمنه) .. وقال « لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعهـا وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحولة اليه » . رواه أبو داود والترمذى .

ومن هذا يفهم أن الوسيلة الى الحرام أو الاعانة عليه حرام .

وعلى ذلك فأجر نقل الخمر والخنزير محرم . ويجب على من أسهم فى هذه الشركة الا يقبل اجر نقلهما اذا أمكن تمييزه ، فاذا قبله كان مرتكبا للاثم ومعينا عليه . أما اذا لم يمكن تمييزه أو كان هذا الاجر تركه يضر بصالح الشركــة او اقتصاد البلاد ضررا بالغا ، فلا شيء فيه ويكون قبوله حينئذ من باب الضرورات التي تبيح المحظورات .

في الميراث

السـؤال : ـــ

توفيت امرأة عن الآتي بيانهم :

أم ، أخ لأم ، اخت لأم ، أخوين شقيقين ، ثلاث اخوات شقيقات فكيف توزع التركة ؟

ع. ع. ب

الكويت

الاجابـة : ـــ

١ ـــ الأم لها السدس فرضا لوجود جمع من الأخوة .

٢ ـــ الأخ والأخت لأم لهما الثلث بالتساوي بينهما .

٣ ـــ الباقي للأخوة الأشقاء الذكور والأناث للذكر ضعف الأنثى .

السـؤال : ـــ

ورد من السيد / م. ح. أبو الريش من ج. ع. م السؤال الآتي .

يرغب الزواج من ابنة أحد أقاربه ـــ ولكن والدته اخبرته بانها أرضعت اخا لهذه البنت وانه هو لم يرضع من أمها فما حكم الشريعة ؟

الاجابـة : ـــ

الحكم الشرعي في التحريم بسبب الرضاع ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى في آية التحريم في سورة النساء « حرمت عليكم ... وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » .

وقال صلى الله عليه وسلم « يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب » .

وبما أنك لم ترضع من أم البنت التي تريد الزواج منها ، كما أنها لم ترضع من والدتك فلا تكون أختا لك من الرضاع بل أنت أخ من الرضاع لأخيها من النسب وهذا غير مانع من زواجك بها شرعا فتزوج بها على بركة الله .

السـؤال : ـــ

توفى رجل عن أربعة أولاد ذكور ، وثلاث بنات ، وزوجة ، وأولاد ابنه المتوفى قبله (ذكر وبنتين) فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

محسن أحمد ضالعي

الجنوب العربي

الاجابـة : ـــ

توزع تركة الرجل المذكور على النحو التالى :

١ ـــ تأخذ الزوجة ثمن التركة فرضا لوجود الفرع الوارث . قال تعالى (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) .

٢ ـــ يأخذ أولاد المتوفى السبعة باقى التركة . للذكر مثل حظ الأنثيين قال تعالى . (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) .

اما أولاد الابن الذين توفى أبوهم قبل وفاة جدهم فلا يأخذون شيئا من التركة لأنهم محجوبون بأعمامهم الاعلون درجة منهم ، الا اذا أخذ بقانون الوصية الواجبة الذي مر ذكره في الفتوى السابقة .

الايمان لا يهزم

انني منذ النكسة ، وانا في حالة نفسية يرثى لها .. رؤى تفزعني بالليل ومشاهد كئيبة تتمثل لى بالنهار ، وأوهام وهواجس تزحم خيالي ووجداني واستفسارات تتوارد على عقلي وفكرى .

وقد حاولت أن أطب لنفسي . بقراءة القرآن والصلاة حينا ، وبشغل أوقات فراغي بمطالعات مختلفة حينا آخر ، ثم بالرياضة وممارسة بعض الهوايات غير أن ذلك كله لم يجد .

وأخشى ما أخشاه على ايماني وديني .. أن الاسئلة التي تفرض نفسها على لا أجد لها ردا مقنعا يطفىء نار القلق والحيرة التي أصطلى لظاها .. ألسنا من بين أصحاب الديانات المختلفة — الأمة الوحيدة التي تعبد الله على حق ، فان هلكنا فلن يعبد الله في الارض ؟. ألسنا أهل الحق وأصحاب الحق فلماذا لم ننتصر ؟

هل نحتاج الى عشرين سنة أخرى في الاعداد للمعركة الفاصلة ؟.. الى غير ذلك مما أستغفر ربي منه ، وأستحي من التصريح به ..

وقد كتبت اليكم لتعيدوا الطمأنينة الى قلبي ، والثقة الى نفسي ، والاقتناع الى عقلي .

عمر النابلسي
نزيل الكويت

هذه واحدة من عشرات الرسائل التي وردت الى هذا الباب ، وكلها تدور في هذا المعنى ، وتعكس القلق النفسي الذي تركه العدوان الصهيوني الاخير ، وهناك مئات الرسائل من هذا النوع لم ينقلها البريد لانها لم تكتب ، ولكنها موجودة . مقروءة في وجوه الناس ، ومسموعة في أحاديثهم ، ومرئية في انفعالاتهم ، ويرجع شيوع هذه الظاهرة . ظاهرة القلق والحيرة — الى أن الحرب — القائمة بيننا وبين الصهاينة يشارك فيها من قرب ومن بعد كل مسلم من الستمائة مليون مسلم الذين يعيشون على ظهر هذه الارض .. يشارك فيها بروحه وشعوره واحساسه لأنها حرب متميزة بطابعها الديني الذي يملأ قلوب المسلمين — أينما كانوا — بالثقة والرجاء في تحقق وعد الله لهم بالنصر .

ان كل مسلم كان يعلق آمالا كبارا على معركة الخامس من حزيران الماضي وكان لا يداخله شك في أن هذه هي المعركة الفاصلة بين العرب أو بين المسلمين والصهاينة ، وساعد على الجزم بهذه النتيجة مسبقا عدة عوامل . أبرزها — بعد الايمان بعدالة قضيتنا التي نخوض الحرب من أجلها — طول فترة الاعداد التي سبقت المعركة ، وهي تناهز العشرين عاما من تاريخ النكبة سنة ١٩٤٨ .. ثم التطورات الجذرية . السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في المشرق والمغرب العربيين في هذه الفترة . هذا بالاضافة الى قوة التضامن العربي في الشدائد كما تجلى ذلك بصورة رائعة في العدوان الثلاثي على بور سعيد سنة ٥٦ وفعالية هذا التضامن في حماية المنطقة العربية ، ونجاحه في مقاومة الاخطار التي تهددها ، ومما لا شك فيه أنه كان لأجهزة الاعلام العربية دور كبير في التأثير على نفوس العرب والمسلمين ، وقد نجحت هذه الوسائل

الاعلامية — عن حسن قصد — فى تضخيم قوتنا والاستخفاف بعدونا وتصويره بصورة الفار الذى وقع فى المصيدة .. كل هذه الاسباب وغيرها لم تترك عند الجماهير المسلمة أدنى شك فى أن عدونا بين فكى (الكماشة) واننا سنصبح غداة المعركة فى تل أبيب .

فلما وقعت الواقعة ، وجاءت نتيجتها بهذه السرعة مخيبة للآمال كانت الصـــــدمة لشعور المسلمين قوية ، وكان رد فعلها فى نفوسهم عنيفا وقاسيا ، وجاء فشل المنظمات الدولية فى ايقاف العدوان وردع المعتدين مضاعفا لعنف الصدمة وخيبة الآمال ، ولم يفت العدو الخبيث أن يستغل هذه الفرصة ، فشن علينا حربا نفسية ليحطم من معنوياتنا ، ويفل من عزائمنا ، ويبذر بذور اليأس فى قلوبنا حتى نستسلم ، وقد نجحت هذه الحرب النفسية — الى حد ما — فى التأثير على أعصاب قلة من المسلمين وكان من أثرها ما تحس يا سيد « عمـــر » من رؤى مفزعة ، ومشـــاهد كئيبة ، وهواجس وأوهام تزحم خيالك ، وتقتحم وجدانك .

ولو انك اســـتعرضت الوقائع والحروب القديمة والحديثـــة ، بل لو طالعت تاريخ أمتنـــا الاسلامية ، وما خاضته من غزوات وفتوحات . وخاصة تاريخ فلسطين وبيت المقدس — لـــا كان لهذه النكسة هذا الاثر على أعصابك وتفكيرك .

لقد خرج بيت المقدس من الحكم الاسلامى قرابة مائة عام ، وتوالت على سكان فلسطين أهوال ونكبات تنزف بها صفحات التاريخ دما أحمر قانيا ، ومع ذلك لم ييأس المسلمون ، ولم يقنطوا ، ولم تهتز أعصابهم هذه الهزة العنيفة التى أصابتك ، بل صبروا ، وصابروا ، وصمدوا للتحديات ، واعتصموا بايمانهم ، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى انتصروا على أعدائهم ، وأعادوا بمـــا بذلوا من تضحيات غالية أعادوا الارض المباركة الى دار الاسلام وحكم الاسلام ، وبحول الله وقوته وبتوفيقه لنا لاستكمال أسباب النصر سيعود بيت المقـدس وفلسطين الى حوزة الاسلام وسنزيل العدوان وآثار العدوان ، ويتحقق وعيد الله وانذاره لبنى اسرائيل ، وسنسىء وجوههم وندخل المســـجد الاقصى ونتبرهم تتبيرا لأنهم عادوا وعاثوا فى الارض فســـــادا والله يقول لهم « وان عدتم عدنا » .

وما أظن أن الذين أصابهم القلق والحيرة فى حاجة ماسة الى الاقتناع بعد ان كشفت لنـــا الجولة الثانية مع العدو الاسباب والاخطاء التى أدت الى هذه النتيجة فان أسباب النصر المعنوية والمـــادية لم تجتمع لنا قبل المعركة حتى تكون نتيجتها محيرة ومقلقة وغير منطقية ولا معقولة .. ان جميع القادة والمسئولين آمنوا بأنه كانت هناك أخطاء ونقص ، ومن أجل تدارك هذه الاخطاء ما نرى من النشاط بين القادة والمسئولين الذى يبدو فى تنقلاتهم واجتماعاتهم ومؤتمراتهم استعدادا للجولة الاخيرة والفاصلة مع العدو باذن الله .

وتعرض الرسالة بعد ذلك للايمان المهتز الذى ترجم عنه كاتبها فى صورة أسئلة تفرض نفسها عليه ، وهواجس يخشى منها على دينه وايمانه ، وقد غاب عنه أن الايمان يربو على الشدائد ، ولا يهتز ، ويقوى فى الازمات ولا يضعف ، وان أظهر الدلائل على صدقه رسوخه فى الاعاصير ، وثباته فى الزلازل ، وصموده فى الفتن الهوج . والايمان الذى لا يصمد فى التجربة ولا يثبت على المحن ، ولا يقوى على احتمال الشدائد — ايمان سطحى ، لم يبلغ بعد تمامه وكماله ، وقد جرت سنة الله فى خلقه أن يجعل من تعارك الخير والشر وتصارع الظلم والعدل فى الحياة الدنيا ميادين لتمحيص المؤمنين وتدريبهم « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .

ان تاريخنا الاسلامى لم يبدأ بالانتصارات والفتوحات ، ولا بالمغانم والاسلاب ، ولا بحدث من الاحداث الكبار التى حدثت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما ابتدأ تاريخنا بأقسى الشدائد وأعنف الازمات وأحرج اللحظات . بدأ بحادث بلغ فيه الاضطهاد والظلم منتهاه . بدأ بيوم ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

ان الايمان حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج الى صبر ، وجهد يحتاج الى احتمال ، وان انتصار الايمان والحق فى النهاية تكفل به وعد الله ، وما يشك مؤمن فى وعد الله ، فان أبطأ النصر فلحكمة مقدرة فيها الخير للايمان والمؤمنين .

بأقلام القراء

تلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين المكتبة العامة لوزارة الأوقات والشئون الاسلامية بالكويت الكلمة التالية تعقيبا على ما نشرناه فى العدد الماضى تحت عنوان « وتحسبونه هينا » لفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس بلبنان .

اطلعت على ما كتبه الشيخ نديم الجسر فى مقاله (وتحسبونه هينا) المنشور فى عدد جمادى الاولى من مجلة الوعى الاسلامى حول منزلة علماء الدين فى المجتمع الاسلامى ، ومقترحاته لاصلاح الوضع ، ومع اننى أوافق الشيخ كل الموافقة على أن العلماء بشريعة الله ودينه ينبغى أن نكن لهم كل الاحترام والتوقير ، وقد كان الرجل اذا تعلم سورة البقرة وأصبح بها عالما عظم فى أعين الصحابة والتابعين .

الا أن تحليل الشيخ الفاضل لأسباب الفتنة ، واقتراحاته لتلافيها ، بحاجة الى مزيد من التأمل .

وأساس البحث عندنا ينبغى أن يكون مرتكزا على الحياة التى كان يحياها النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء من صحابته فى المجتمع الاسلامى ، فما وافق تلك الحياة فهو وضع صحيح ، وما لا ، فوضع غير صحيح .

فمن الاسباب التى لا بد من اعتبارها لنشوء الوضع المنحرف ، انعزال علماء الدين عن الحياة ونشاطاتها المختلفة ، فبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء من أصحابه هم قادة المجتمع ، والمقدمين فى ميادين الادارة والسياسة والحرب والتعليم ، ليتجهوا به الوجهة الصحيحة ، اذ بنا نرى علماءنا — غالبا — ينظرون الى تلك الامور نظرة من لا صلة له بها .

وبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يمارسون بأيديهم مختلف أنواع الاعمال التى تتطلبها الحياة — فكانوا يركبون الخيل والابل ، ويستعملون آلات الحرب والقتال ، ويتدربون على السباق ، والسباحة والرماية ، ويتاجرون ويفلحون الارض ويمارسون الصناعة — أو بتعبير آخر — كانوا هم أصحاب الفعالية فى مجتمعهم ، اذ بنا نرى علماءنا يقفون موقف المراقب للحياة الناقد لها الذى لا يتدخل فيها الا بقدر ما يقول فيها بلسانه أو يكتب فيها بقلمه أو بعبارة أخرى أصبحوا سلبيين من ناحية فعاليتهم فى الحياة . وقد أصبح هذا السلوك عرفا مقررا بيننا . ودليل ذلك ، الاستهجان الذى يراه العالم من نفسه ويراه منه غيره عندما يلبس زى العلماء ويركب دراجة مثلا أو يسوق سيارة ، أو يمارس السباق أو الرياضة أو النشاطات الترفيهية .

وناحية أخرى قريبة من هذه كانت سببا فى وضع العلماء بالدين فى الوضع الذى ذكره الشيخ الفاضل ، وهو أن بعض المعاهد الدينية اقتصرت منذ مدة طويلة ، والى وقت قريب ، على التعليم الدينى واللغوى ، وأغفلت تعليم الناشئة مبادىء العلوم الكونية والتطبيقية التى تعطى نظرة صحيحة الى الواقع . وكان من نتيجة هذا أن تخرج أجيال من العلماء متبحرون فى العلم الدينى ، ولكنهم لا يعرفون أبجدية الحياة ، ونشأ عن ذلك « الدروشة » و « الفقر » و « الحاجة الى الرواتب » و « الأبواب التى لا تليق » كما ذكر الشيخ الفاضل . وأصبحوا أحوج الناس الى المساعدات والجرايات والوظائف لعجزهم عن الاكتساب من الطرق الطبيعية للكسب .

ولست أعنى جميع من ينتسب الى العلم الدينى بكلامى هذا ، فقد وجد أفراد يمثلون نسبة ضئيلة ، خرجوا على هذا الوضع ، وانما حديثى عن الصبغة الغالبة على العلماء الدينيين .

أما تعليقى على المقترحات الخمسة فينحصر فى أمرين :

١ — ما يتعلق بالزى ، فلا أرى أن يكون للعالم الدينى زى خاص يفصله عن مجتمعه ، لأنه اذا جعلنا الوضع الاجتماعى فى صدر الاسلام الاول مقياسا للخطأ والصواب فى هذه الناحية ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يتميز عن أصحابه بزى خاص ، وقد علم من سيرته صلى الله عليه وسلم أن الاعرابى كان يأتى الى المسجد النبوى فيسأل الجالسين : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن له شارة أو ميزة خاصة فى مجلسه أو ملبسه كما نرى

الآن المتميزين من عامـــائنا . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : انى أكره أن أرى متميزا عن أصحابى .

٢ ــ أرى القضاء نهائيا على فكرة انفصال العلم الدينى عن علوم الحياة ، فالدين توجيـــه للحياة وتصحيح لها ، والقضاء على السلوك الانفصالى لعلماء الدين عن واقع الحياة ، وتأهيلهم لخوض معركتها بالتعليم المهنى والادارى والعسكرى ، فهذا أقرب للعمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأشد تحقيقا لأهداف الاسلام ، وأدعى لتعزيز مكانة العالم الدينى وتوقيره ، وبالتالى لتعزيز مكانة الدين نفسه وتوقيره .

والحق أنها مشكلة عظمى فى مجتمعنا المتجافى عن الدين تجافيا مزريا ، وهى مشكلة أهل لأن توفر لها الصحافة الاسلامية جل اهتمامها . وانا لنرقب من « الوعى الاسلامى » وشقيقاتها تسليط الأضواء بقوة على هذا الركن من حياتنا ، فان تصحيح هذا الوضع هو من ترسيخ أسس النهضة .

الجهاد فى سبيل الله

وتحت هذا العنوان أرسل الينا الأخ أحمد حسن القضاة بالكلية العسكرية الملكية بالاردن كلمة نقتطف منها ما يأتى :

ما من دعوة خيرة فى الارض ، الا وتلقى فى طريقها حواجز وموانع ، تمنعها من السير قدما ، فتلجأ تلك الدعوة عندئذ الى الكفاح والنضال لتحطيم تلك الحواجز وكسر تلك الموانع التى تعترضها . ناهيك بدعوة السماء . دعوة الاسلام ــ ذلك الدين القيم الذى ارتضاه الله تعالى خاتما للأديان وهدى ورحمة للعالمين ــ أحر بدعوته أن تحطم كل الحواجز والموانع من طريقها ، وأن يكون الجهـــاد وسيلة من وسائلها لنشرها بين البشر ..

والآيات التى تحض على الجهاد كثيرة ــ قال تعالى : « يا أيهـــا النبى حرض المؤمنين على القتال » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض مذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » . وفى ذلك تأكيد لحكم الجهاد بغض النظر عن كون الحاكم عادلا أو جائرا .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المجاهدين ، منذ أن اجتباه ربه لحمل لواء الدعوة حتى قبض اليه . كما ضرب أصحابه والرعيل الاول من المؤمنين أروع الامثلة فى تلبية داعى الجهاد ، والتضحية بالنفس والمال ، فنشروا دين الله فى أرجاء الارض . وكانت أول تجربة (عملية) للجهاد بمعناه الشامل ، معركة بدر الكبرى ، يوم انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة المشركة ، ثم تلت بعدها المعارك والفتوحات والانتصارات ..

وأن الحق لا يعلو فى أى مجتمع ، كما أن الباطل لا يبطل بمجرد عرض البيان النظرى لذلك الحق أو ذلك الباطل ، بل يكون بتحطيم الباطل واعلاء الحق . قال تعالى : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وقد بين لنا القرآن الكريم والسنة الطاهرة ، كما أثبت لنا التاريخ أن الجماعة المسلمة اذا نصرت الله تعالى وانطلقت فى نشر دعوته ، ينصرها الله على أعدائها ، وييسر لها من مقومات النصر ما يعوضها عن قلة العدد والعدة . قال سبحانه : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » .

فما أحوجنا فى هذا الزمان ، بل فى هذه الايام بالذات ، الى الرجوع الى الاسلام ، والى التمعن فى آيات الله البينات والتدبر لأحكامها ومعانيها ، ثم الى التأسى برسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لنأخذ من ذلك كله دروسا وعظات ، تنفعنا غدا فى جولتنا مع العدو المشترك ، حتى يكون النصر حليفنا باذن الله .

والثبات يا أخى الثبات فى المعركة شـــهادة صادقة للمؤمن ، تدل على صدق ايمانه ، وهو يعرف أنه يقابل عدوا يألم مثله ، ولكن المؤمن يرجو من الله ما لا يرجو ذلك العدو الكافر . فالمؤمن يسعى لواحد من اثنين : اما النصر والغلبة على أعداء الله ، واما الشهادة والموت فى سبيل الله ، بينما عدوه لا يريد الا الحياة الدنيا ، ولا يؤمن بما سواها ..

نسأل الله تعالى أن يوفقنا الى الايمان ، وأن ينصرنا على أعداء الاسلام ليعود مجد أمتنـــا كما كان .. انه سميع قريب مجيب .

القدس تتحدى دولة العصابات

نشرت مجلة الهدف الكويتية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

بعد البطولات التى أخفتها النكسة ورددتها وكالات الانباء والصحف العالمية وخاصة فى القدس وفى أماكن كثيرة دارت فيها أعنف المعارك وجها لوجه .. كان الارهاب .. والقتل الجماعى .. ونسف المنازل .. وتكرار « لدير ياسين » .. ومع كل هذا وغيره مما لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه .. كانت الصفعة الشديدة التى وجهها الشعب فى القدس وفى الضفة الغربية .. وغزة .. وغير ذلك من المناطق .. هذه الصفعة التى تمثلت فى المعارضة العلنية لكل ما تقوم به دولة العصابات فى هذه المناطق — رغم قسوة الارهاب — ..

لقد انهالت الاعتراضات المكتوبة تعلن أن القدس عربية وستظل عربية مهما تآمرت قوى البغى واستمرت فى التنكيل .. وكانت هناك اعتراضات أخرى .. كانت الالغام التى تنهك قوى العدو فى مختلف الاماكن .. وكان الاضراب الاخير .. الذى أفقد العصابات الصهيونية رشدها .. ونبهها فى نفس الوقت .. أنه اذا كانت هناك لا مبالاة بقرارات الامم المتحدة الخاصة بشأن القدس .. فان على أرض القدس نفسها ستكون القرارات الحاسمة التى تقضى على وهم الصهاينة وأعداء الحرية والسلام ..

لقد حاولت العصابات الصهيونية أن تتصرف حتى فى المناهج التعليمية التى تدرس فى الضفة الغربية .. ولكن الصوت القوى جاء معبرا عن المشاعر العربية .. ومعارضا لهذا العمل الاجرامى .. فاعلن رجال التعليم فى محافظة القدس رفضهم تغيير المناهج الاردنية ووقوفهم ضد أى اجراء تتخذه سلطات الاحتلال الاسرائيلية لتعليم المواطنين العرب ما يمس قوميتهم وعروبة وطنهم .

هكذا كان صوت القدس العربية .. وهو نفس الصوت المنبعث من كل شبر احتلته العصابات الصهيونية .. ولن يخفت هذا الصوت الا بعد أن تخمد أصوات العصابات .. ومن وراء العصابات مهما اشتد ارهابهم وبطشهم .

نعمل ونبنى والله معنا

ومن مقال بهذا العنوان نشرته مجلة الشبان المسلمين القاهرية نقتطف الفقرات التالية :

نحن شعب مؤمن بالله ، الدين ركيزة من أعظم ركائز بنائه ، وهو سلاحنا اليوم فى مواجهة العدوان ، ان الدين يدعونا الى اليقظة ، والحذر من أساليب الاستعمار ومن الحرب النفسية ، على كل منا أن يكون واعيا فلا يردد الاشاعات وأن يحذر من المثبطات ولو كانت فى قالب فكاهة أو نكتة ، علينا أن نكون قادرين على احتمال مسئولياتنا كأفراد وكمجموع ، علينا الا نفقد الثقة فى أنفسنا أولا ، ولا نيأس ، ان كياننا النفسى السليم هو سلاحنا الحقيقى فى المعركة ، لسنا أول من خسر معركة أو هزم فى معركة ، ولكن الأمم كلها عانت واستبسلت وقاومت ولم تستسلم حتى كتب لها النصر ، نحن لا نعرف التواكل ، شعب صلب له قيمه الأساسية والروحية والاجتماعية القادرة على أن تشد أزره ، لن تستطيع الحرب النفسية ، أن تثبط عزيمتنا ، أو تفقدنا الثقة بأنفسنا ، ان الازمات تجلى معادن الشعوب ، هذه الازمة أظهرت معدن شعبنا الاصيل أنه شعب حضارة ممتدة متصلة لم تنقطع ، وأنه شعب قادر على التضحية فى سبيل الحرية ، وفى سبيل تحقيق النصر ، وفى سبيل البناء ، وفى مواجهة العدوان ، وهو فى هذه المرحلة يعتصم بالقيم الدينية ويتمسك بها ويجد فيها مصدرا عظيما من مصادر القوة .

كل فرد مسئول أن يعمل ضد أهداف العدو ، كل أم ، كل عائلة ، كلنا سنعمل فى ظل النقاء والطهارة متمسكين بقيم الدين ومعتصمين بها .

والله عز وجل لا يخلف وعده للصادقين والمجاهدين والعاملين ، اننا حين نستعين بالله نكون قادرين على الشجاعة والصبر والصمود ، ولن يخلف الله وعده للمعتصمين به ، ولن يسلمهم الى المحنة طويلا ، بل سيحقق لهم النصر ، سنكون مع الله ونعمل ، وما دمنـا قد عقدنا العزم على النصر ، فانه جل وعلا ، يفتح الطريق أمامنا اذا استطعنا أن نضع أنفسنا على طريقه القويم .

سنعمل ونبنى والله معنا يرعى جهادنا حتى نحقق النصر .

دور الصحافة العربية فى المرحلة الحاضرة

وطالعتنا مجلة الطليعة الكويتية بمقال تحت هذا العنوان جاء فيه :

ليس من شك أن المرحلة الراهنة التى يجتازها شعبنا العربى هى من أخطر مراحل الحياة التى قد يعرض لها شعب من الشعوب .

وبانتظار انعقاد مؤتمر الصحافيين العرب نطرح النقاط التالية :

ــ على الصحافة العربية أن تحدد بوضوح دورها فى المعركة وأن تلتزم باداء هذا الدور .

ــ واجب الصحافة العربيـــة قيادة الجماهير وتوعيتها وليس المزايدة على هــذه الجماهير فى التهويل والمبالغة بالامور .

ــ ما تكتبه الصحافة العربية يجب أن يتصف بالوضوح والتخصيص لا بالابهام والتعميم .

ــ على الصحافة العربية أن تضع بين فترة وأخرى تقييما للدور الذى تؤديه لترى أين هى من أهداف الأمة وأمانيها ، ماذا استطاعت تحقيقه وما بقى أمامها لتحققه وهذا التقييم يجب أن يكون صادقا وأمينا ولن يتم ذلك الا عن طريق ممارسة النقد والنقد الذاتى فى عملية مكاشفة صريحة للنفس.

ــ ان التنسيق بين الصحافة ووسائل الاعلام العربية الاخرى أمر هام يجب خلقه والمحافظة عليه.

ان الصهيونية العالمية تمتلك ٣٥٤ صحيفة فى الولايات المتحدة و١٨ فى كندا و١٥٨ فى البلدان الاوروبية بالاضافة الى سيطرتها على العديد من مراكز الاعلام والثقافة الامريكية والاوروبية ، وكل هذه الوسائل الاعلامية مسخرة الى أبعد الحدود لخدمة مطامع الصهيونية والاستعمار ولتحطيم قدرتنا على مقاومة العدوان واظهار العرب أمام الرأى العام العالمى بمظهر المتدين أعداء السلام .

وأمام هذا الحشد الاعلامى الهائل سوف تتساقط أجهزتنا الاعلامية وصحافتنا ان هى لم تتصد بواقعية ووضوح لهذه الحرب النفسية العنيفة الموجهه ضد شعبنا وذلك على كافة الجبهات العربية منها والخارجية ، وكذلك لا بد من أن تنتقل صحافتنا من موقع الدفاع الى مواقع الهجوم على هذه القوى وذلك لن يتحقق الا بوحدة العمل الصحفى والاعلامى العربى القائم على الدرس والتخصيص والوضوح. وان أملنا كبير أن نرى مؤتمرا للصحافيين العرب يعقد سريعا للبدء فعلا بعمل ايجابى موحد.

كلمـــة الايمان

ومن الكلمة الافتتاحية لمجلة الايمان المغربية نختار الفقرة التالية :

انه لا يكفى أن نقول اننا أمة مسلمة تنطبق علينا حقيقة الاسلام ، ولكنا سنكون أمة اسلامية اذا ما طبقنا المنهج الاسلامى فى حياتنا وسلوكنا ونظرتنا الى الانسان والكون والمجتمع والحياة .

وهذا التطبيق لحقيقة الاسلام فى حياتنا سيجعلنا وجها لوجه أمام هذه الحضارة الغربيـــة التى أخذت بتلابيبنا واستحوذت على تصوراتنا ، وصيرتنا عبيدا لها فى تفكيرنا وبنائنا وتصوراتنا ، فعشنا فى تناقض واضطراب ، نريد التقدم فى المسير ، ولكن التعثر يصيب خطواتنا فنجد انفسنا وكاننا نسير الى وراء .

فالتصور الواضح للاهداف والقيم وشكل الحياة ، هو الذى يساعد على تخطيط معالم الطريق ، وهذا التخطيط هو الذى يجمع الرأى ويوحد الصف وينير الطريق ويحقق الاهداف ويضمن السير دائما الى الامام .

وتطبيق المنهج الاسلامى فى حياتنا هو الذى سيحفظنا من غارة المغائرين ، ودس الدساسين وكيدالكائدين .

تطبيق المنهج الاسلامى هو الذى سيجعلنا أمة محترمة الجـــانب ، مهيبة الكرامة ، فارضة الوجود ، مؤدية رسالتها فى الحياة . هذه الرسالة التى لا تتنكر لكل جديد ولا ترفض أى تطور ، ولا تقف دون تطبيق أية رسالة حضارية ، ولكنها تابى التنكر للقيم العليا والانكار لرسالات السماء .

فاذا تصورنا أهدافنا واضحة ، واذا ما خططنا معالم طريقنا على أساس اسلامى صحيح ، فهناك سنكون قد قمنا ببعض الواجب علينا وصرنا لطبع اصلاحاتنابطابع فلسفتنا فنحدث ثورة اجتماعية صحيحة لا تخضع لتفكير الجامدين والمتاخرين ولا تطيش مع المنزلقين المنحرفين ، ثورة تعمل على خلق جيل جديد يتخلق بالاخلاق الاسلامية المثلى ويفهم الاسلام فهما صحيحا ، يستضىء قلبه بنور الايمان ويهتدي عقله بهدى العلم الصحيح ، يعمل لدنياه كانه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كانه يموت غدا .

أخبار العالم الإسلامي

الـكويت

● أعلن سمو ولى العهد ورئيس الوزراء « اننا لن نحيـد عن موقفنا بوقف ضخ النفط وسنفى بواجباتنا كاملة مهما بلغت التضحيات » .

● زار جلالة الملك حسين وسيادة الرئيس عبد الرحمن عارف البلاد من أجل توحيد الصف لازالة آثار العدوان الاسرائيلى وذلك فى جولة يزوران فيها بعض الدول العربية .

● خصصت وزارة التربية عددا من المنح الدراسية الجامعية والثانوية للطلاب الفلسطينيين .

● ساهمت الكويت بمبلغ (١٠٢٥٠٠) دولار لجعل اللغة العربية لغة عمل فى منظمة اليونسكو .

● قدم الصندوق الكويتى للتنمية قرضا للسودان قيمته (٥ر٠٧٠ر٠٠٠) دينارا كويتيا .

● وفد اسلامى برياسة الدكتور محمد ناصر رئيس الوزراء الاسبق فى اندونيسيا زار الكويت .

● تبدأ الدراسة فى جامعة الكويت باضافة كليتين جديدتين هما : الشريعة والقانون ، والسياسة والاقتصاد .

الجمهورية العربية المتحدة

● فى نطاق ازالة آثار العدوان الصهيونى على العرب وبحث مشكلة فلسطين زار البلاد الرئيس اليوغوسلافى تيتـو وقد زار دمشق وبغداد .

● ستعقد الجامعة العربية دورة خاصة بمحو الأمية وتعليم الكبار فى البلاد العربية فى الفترة بين ٢٣ — ٢٩ سبتمبر الحالى .

● قررت الجامعة العربية تشغيل خريجى الجامعات من أبناء فلسطين فى مختلف الدول العربية كما قررت حكومة المتحدة منح كل طالب فلسطينى مبلغ عشرة جنيهات وسكنا مناسبا ، وثلاثة جنيهات لمن يقيمون فى المدن الجامعية .

● قام سكان مدينة العريش — شمالى سيناء — باضراب عام ومظاهرات تحد للسلطات الاسرائيلية رفعوا فيها العلم العربى على بيوت المدينة ومنشآتها . وفرض منع التجول مع القبض على بعض الاشـخاص .

السعودية

● زار الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران باكستان للتباحث مع المسئولين فى أمر تطوير الجيش السعودى ومده بالخبرات الفنية والعسكرية .

● قدم السيد محمد العدسانى سفير الكويت الجديد في السعودية أوراق اعتماده الى جلالة الملك فيصـل .

● زار جلالة الملك حسين والسيد محمد أحمد محجوب البلاد وقد أجريا مع جلالة الملك فيصـل محادثات هامة بشأن قضية اليمن .

العـــراق

● عقد فى ١٥ أغسطس الماضى مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب لبحث مشروع العراق لتوجيه الاقتصاد العربى لازالة آثار العدوان وقد أصدر عدة توصيات لعرضها على مؤتمر وزراء الخارجية الثانى تمهيدا لعقد مؤتمر القمة فى الخرطوم .

● صادرت العراق جميع ممتلكات جامعة الحكمة الامريكية فى بغداد بعد أن كشفت نشاطا هداما

لعدد من الامريكيين العاملين بها .

- رفض وزير النفط العراقى الاحتجاج الذى تقدمت به شركات النفط الاجنبية على القانون الخاص بمناطق الاستثمار لشركة النفط العراقية .
- قررت العراق والمتحدة الاكتفاء بالهوية الشخصية فى التنقلات بين البلدين وذلك بعد الغـاء الجمارك بينهما ..

الســـودان

- عقد مؤتمر وزراء الخارجية الثانى فى ٢٦ أغسطس لبحث توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد .
- وافقت اللجنة القومية للدستور على اقتراح بتحريم النشاط الشيوعى فى السودان .
- أعلن السيد اسماعيل الازهرى أن العرب لا يمكن أن يتعايشوا مع اسرائيل وانهم باتحـادهم سيدحرون العدوان .
- تسلم ثلاثون خبيرا عربيـا فى شئون الطيران عملهم فى السودان بعد استـغنائها عن جميع الخبراء الانجليز .
- ذكرت الصحف أن حكومة السودان اكتشفت وجود صلة بين الملحق العسكرى الاثيوبى فى الخرطوم وبين وكالة المخابرات الامريكية فى محاولتها لقلب نظام الحكم فى السودان !!!

الأردن

- قام جلالة الملك حسين بجولة فى ثمان دول عربية واسلامية هى : الكويت ، أيران ، السعودية ، السودان ، ليبيا ، تونس ، والمغرب ، ولبنان .
- تشتد المقاومة لسلطات الاحتلال الاسرائيلية فى الضفة الغربية وقد رفض المعلمون المســاس بنظم التعليم الاردنية أو تعليم التلاميذ شيئا يمس الشخصية العربية .
- بدا النازحون من الضفة الغربية بالعودة الى ديارهم وقد قبلت اسرائيل منهم عددا ضئيلا ولم تقبل منهم الشبان .
- زار الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الاردن وقد أجرى مباحثات هامة مع جلالة الملك حسين .
- وقع العراق والاردن اتفاقا لتوسيع التبادل التجارى ورفع القيود الجمركية بين البلدين .

ســـوريا

- زار الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف سوريا ضمن اللقاءات العربية لازالة آثار العدوان .
- أعلن الدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن العرب يرفضون أى مشروع يربط بين سحب القوات الاسرائيلية وفكرة انهاء الحرب أو الصلح مع اسرائيل .

أخبـــار متفرقة

- قام الرئيس أيوب خان بزيارة الى الاتحاد السوفيتى هذا الشهر وبحث مع الزعماء السوفيت نتائج الازمة الاخيرة في قضية فلسطين كما سيزور فرنسا للغرض نفسه .
- أكد بير زاده وزير خارجية باكستان فى بيروت أن باكستان ستعمل بما يقترحه العرب لازالة آثار العدوان الاسرائيلى وقال نحن مع الوحدة العربية والتضامن الاسلامي لانقاذ القدس .
- طالب الرئيس بومدين كل البلاد العربية بتطبيق نظام التدريب الشامل وقال ان ما حدث فى ٥ يونيه يمكن أن يحدث للجزائر .
- اتفق على تجميد نشاط قاعدة هويلس الامريكية فى حالة الطوارىء فى المنطقة العربية !
- أعرب مؤتمر من ١٢ منظمة اندونيسية عن استعداده للسفر الى الجبهة وطالب باعلان الجهـاد المقدس لتحرير فلسطين .
- الصومال : حضر وزير الدفاع الصومالى — كمراقب — جزءا من اجتماعات مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى الخرطوم وقال ان الرئيس الصومالى على استعداد لحضور مؤتمر القمة .

☆☆☆

- أثيوبيـــا : تشترك أثيوبيا فى حملة التبرعات التى تجرى لصالح اسرائيل وقد شحنت ما يزيد على (١٥) الف بقرة كتبرع منها لمساعدة اسرائيل .
- الهنـــد : صرح متحدث رسمى بان أي حل لقضية فلسطين يقوم على اشتراط الاعتراف باسرائيل سيفشل لانه لن يكون واقعيا .

اقرأ في هذا العدد :

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كردى ص‌ب : ٣٠٣

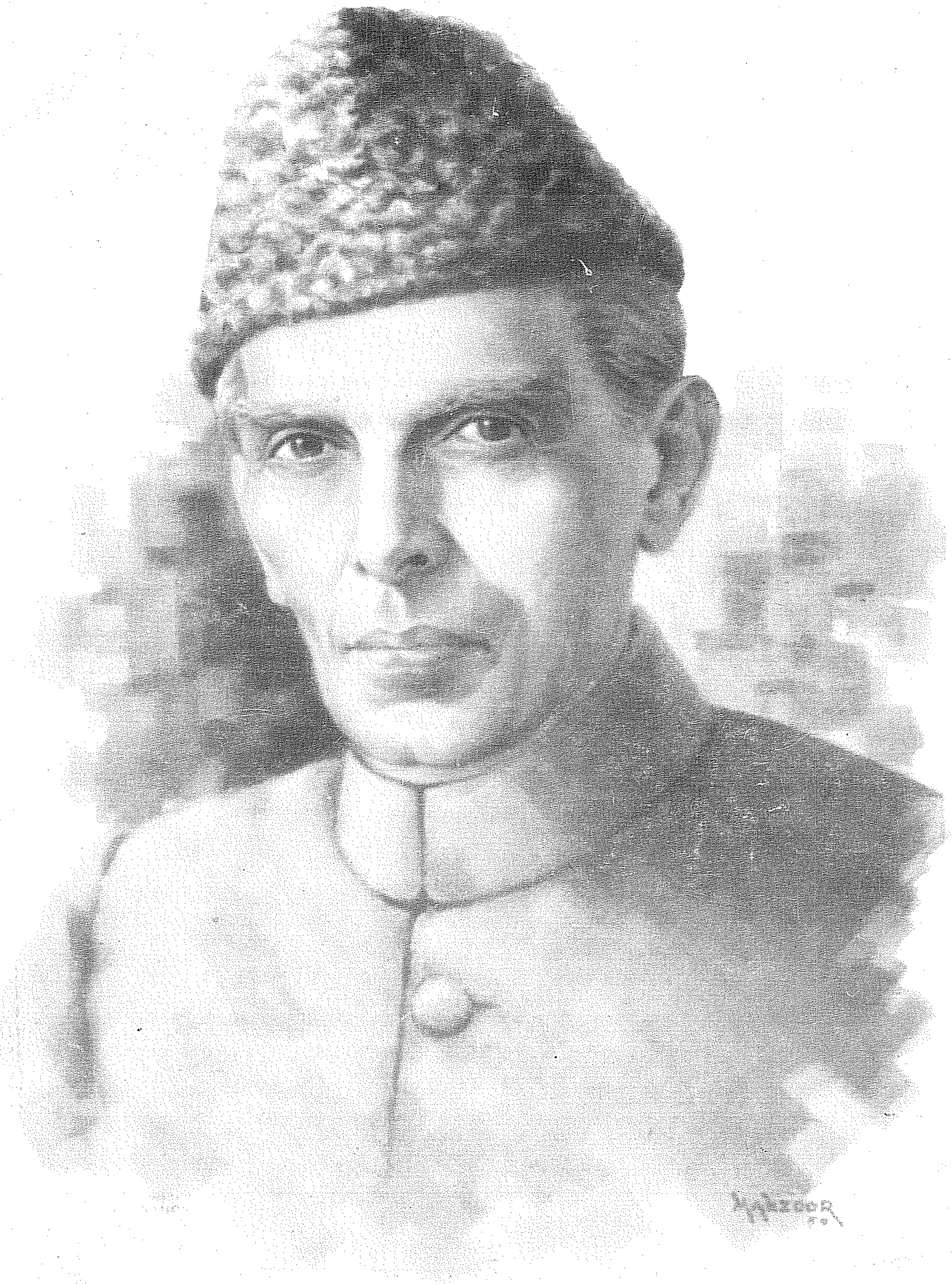
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



القائـــد الأعظم محمد على جُنَه
مؤسس باكستان
بمناسبة ذكرى استقلالها فى أغسطس المـــاضى

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ● العدد الحادى والثلاثون ● غرة رجب ١٣٨٧ هـ — ٥ أكتوبر ١٩٦٧ م

سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى الذي
باركنا حوله لنريه من
آياتنا إنه هو السميع البصير

صدق الله العظيم



الأقطاب الثلاثة

سمو الأمير المعظم ، وفخامة رئيس الجمهورية العربية المتحدة وجلالة عاهل المملكة العربية السعودية في اجتماع تاريخي باركته عناية الله وذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم.

صورة الغلاف



سبحـــان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنـــا إنه هو السميع البصير

صدق الله العظيم

سورة الاسراء آية (١)

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادي والثلاثون
ــ السنة الثالثة ــ

غرة رجب سنة ١٣٨٧ هـ
٥ اكتوبـــر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غُرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسيـــة

الثمن

الكويت	٥٠ فلســا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلســا
الأردن	٥٠ فلســا
ليبيـــا	١٠ قروش
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلســا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـــا
مصر والسودان	٤٠ مليمـــا

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينـــار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـــة
ص. ب ١٣ هاتـــف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) .
((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) .

حقيقتان من حقائق هذه الحياة ، أو سنتان من سنن الله فيها يسجلهما القرآن الكريم .

فالصراع بين أهل الحق وأهل الباطل أمر لا مفر منه ، ضرورة الصراع بين الخير والشر ، والتنازع الدائم بينهما أو بين من يمثلهما على هذه الارض .. ولو لم يكن للخير أنصار يدافعون عنه لطغى الاشرار على هذا الوجود ، وفسدت الحياة .

ولا يهولن أهل الحق ما يصيبهم من هزيمة أمام أهل الباطل .. فان الباطل له صولة وله جولة : ولكن الامر مع ذلك لا يدعو الى الياس ، ولا يحمل المدافعين عن الحق الى التخلى عن واجبهم ، فان الاحداث تتقلب تقلب الليل والنهار .

فلئن انهزم أهل الحق اليوم ، لينتصرن غدا ، ما داموا منتصرين لحقهم ، متصلين بربهم ((ولينصرن الله من ينصره)) .

تلك سنة الله فى عباده ، ان لم تجدها متحققة بصورة مطردة فى حياة الافراد ، لقصر أعمارهم ، فانها تتحقق باطراد فى حياة الامم . وحوادث التاريخ فى الماضى والحاضر واقع تطبيقى لهذه السنة ..

ولقد جرت عادة الناس كذلك أن يفتشوا عن أسباب هزيمة المغلوب ، وقد يبالغون فيها ، بل قد يعدون منها ما ليس له صلة بها .. ولكن هكذا العادة ..

والهزائم التي تصيب الامم فى حروبها هى أقسى أنواع الشدائد التى تنزل بها ، ولهذا كانت أقسى امتحان لمعدنها وايمانها . والامم تمتحن بالشدائد ، كما يمتحن الافراد ..

بل قد تكون الاصابة بالمحن للفرد أو الامة ضرورة لا بد منها ، لتفيق من غفلة ، وتتيقظ من رقدة ، وتراجع نفسها ، وتصحح طريقها ، قبل أن تنزلق الانزلاق النهائى الى الهاوية ..

والله سبحانه يقول للمؤمنين الذين انهزموا فى احد بعد انتصار ((ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)) ويقول : ((وليمحص الله الذين آمنوا)) ويقول : ((ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب)) . ثم فى آية أخرى يهز نفسية الفزعين عند الشدائد ، وينبههم الى سنته فى عباده ، فيقول : ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) أى وهم لا يمتحنون بالشدائد ، ليتبين معدنهم الاصيل والزائف : ((ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) .

تلك سنن الله في عباده .. وهذا هو امتحان لهم ..

فالشدائد امتحان ودرس مر مرارة الدواء للمريض .

ولست مبالغا أو متجنيا اذا قلت : اننا كنا ــ نحن المسلمين العرب بخاصة ــ في مسيس الحاجة الى هذا الدرس .. وهذا الامتحان .. فقد كشف لنا تماما عن واقعنا ، أو عن مرضنا الذى عشنا به طوال هذه السنين . ونحن جاهلون به ، أو متجاهلون له ، ومنصرفون ــ مع الاسف ــ الى كل ما يضاعف من شراسته ، ويمد له في خطره .. برغم بعض الاصوات المخلصة التى ارتفعت تحذر وتنذر ..

بعض الناس قد يضايقه هذا الكلام ، ولكنه الحقيقة . ونرجو ألا تضيع كما ضاع غيرها من قبل ..

وبعض الناس يخدع نفسه ، ويلقى اللوم كل اللوم على أعدائنا .. ولكن هذا الصنف من الناس ضعيف أمام نفسه وأمام الناس ، بل غير مخلص لنفسه ولا للناس .. لم يعرف أولا أن الايام دول وأن زمام النصر قد يفلت من الايدى لسبب صغير ، وأن من الخير أن يعرف أسباب مرضه ليداويه وينقض على عدوه ، بدلا من تركه المرض يفترسه ويقضى عليه ..

ان الامة الواعية هي التى تنتبه سريعا الى أمراضها ، والى مكامن الداء فيها وتستفيد من الشدائد التى تقع بها . وان من الخير أن يتحمل كل منا نصيبه من مسئولية فيما نحن فيه الآن ، دون أن يدفعنا ذلك الى اليأس . أو القاء الثقل كله على الآخرين .

ان الهزيمة اذا كانت جرحا مؤلما حقا ، فان من أوليات الاسعاف أن نسرع بمداواة الجرح ، ومن الخطر أن يروعنا منظر الدم فننهار ، ونجلس نبكى كالاطفال .. ومن الخطر كذلك أن نستهين بالجرح ، ولو كان صغيرا ، فلربما يودى بالحياة في النهاية .. وكثيرا ما ذهبت شكة الشوكة بحياة أناس لم يشعروا بها ، أو شعروا بها ولكنهم استهانوا بخطرها .. وقد يودى الطبيب بحياة من جاءوا اليه ، يلتمسون أسباب الشفاء على يديه ، لأنه لم يعرف أمراضهم ، أو عرفها ، ولكنه لم يشخص الدواء المناسب لها ..

ونحن المسلمين قد أصابنا الاستعمار بما أصابنا به ، هذا حق .. ولكن من الحق أيضا انه رحل عنا ، وترك لنا أمورنا نتحمل مسئوليتها ــ فكيف عالجنا أمراضنا ؟.

لقد مرت سنون كان من الممكن أن نقضى فيها على أمراض كثيرة ، لو أن جهودنا كلها انصرفت الى القضاء على هذه الامراض بالدواء المناسب . ولكن

مع الأسف .. انصرفنا الى مضاعفتها وتحميل الجسم المنهوك القوى امراضا واثقالا أخرى تهد كيان الجسم السليم ..

حاربت الامة العربية الاستعمار ، لتباشر أمورها بنفسها ، ويكون الامر فيها لأبنائها المسلمين ، الاخوة المخلصين لها ولمصالحها . المتكاتفين فى سبيل النهوض بها .. ومع ذلك كان ما رأينا مما لا أذكره لأنك تعرفه .

لا أريد هنا أن أغمط العاملين حقهم ، ولكنى لا أستطيع كذلك ان أغمض العين عما قاسيناه من بعضنا البعض وعما سقاه الاخ لأخيه من مرارة اشهد بالله أن الغريب لم يكن ليجرؤ عليها ..

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

هذا حق لا بد أن نقوله ، لأنه يتردد فى كل نفس ، ولأننا فى هذه الفترة فى حاجة الى تشخيص المرض والبحث عن الدواء .

واذا كانت الحكمة المشهورة تقول : ((اذا عرف الداء سهل الدواء)) فاننى أقول معها نعم سهل معرفة الدواء . ولكن يبقى ان تتقبله نفس المريض ويتجرعه. وهذا هو الفيصل فى الشفاء .

ولقد انعقد مؤتمر القمة ، واحطناه بقلوبنا ، وصدرت عنه قرارات رحبنا بها ، وفيها للجسم المريض بعض الدواء . ومع ذلك فلا نزال نمسك قلوبنا بايدينا فى انتظار مرحلة التنفيذ .. وندعو الله .. فقد صدرت من قبل قرارات طيبة .. ولكن لم يكتب لها الحياة ..

ولقد مرت علينا عشرون سنة بعد ما سميناه نكبة ، وسمعنا الكثير من الكلام الجميل ، ولكن قاسينا الكثير من العمل المعوج . ولم يكن واحد منا على مستوى الاحساس بالنكبة .. لم تاخذنا غيرة لأنفسنا . ولا للحق المضاع على أيدينا ، ولا بما أصابنا ونحن دول لها جيوش مسلحة على يد عصابات .. ومرت السنون ، ونحن نحيا بعارنا .. ولكن أية حياة ؟!

عشرات الملايين منا يمشون بين أمم أهل الارض كأن لم يصبهم شيء .. لا يشعرون بما يحملونه من أوزار ، ولا بما ينوءون به من عار ، ويتصرفون فى حياتهم كأن ليس لهم ثار !! ترف ومجون . وخلاف . وتطاحن وفساد . وهذه كلها جراثيم تقضى على الاقوياء ، وتحيلهم الى تعساء ، فكيف تفعل فعلها فى الضعفاء ؟!

حتى كانت الوصمة الاخيرة .. وكنا كالرجل العملاق ، يركب ظهره غلام صغير ، ويوسعه ضربا ولكما ، ويتركه غارقا فى دمائه ودموعه ، و .. عاره . فهل ينتظر هذا العملاق أن يلقى من الناس التقدير والاحترام ؟!

رأيت مرة رجلا يضرب ابنه الفارع الجسم فى غيظ وقسوة .. وتعجبت ، وتدخلت لأهدئه ، ثم علمت منه أنه ثار على ابنه هذا الطويل العريض ، لأن ولدا صغيرا ضربه ، ولم يستطع حتى الدفاع عن نفسه ، بل جاء اليه يبكى ويشكو !! وثارت نفسى على هذا الجسم الخائر ، وندمت لأننى خلصته من يد أبيه ..

ولا أظن أن موجة السخط التى عمت الغرب علينا حتى تصرف مع بعض الإفراد العرب هناك تصرفات مخزية وقحة سمعناها منهم الا كان من اسبابها أن مائة مليون عربى وجدوا هذا المصير على يد مليونين من الصهيونيين !!

ونحن هنا نثور ونسخط لهذا التصرف ، ولا نثور على أنفسنا ، ونسخط على تصرفاتنا .

نعيب زماننا والعيب فينـــا   وما لزماننا عيب ســـوانا

هل نريد من الناس أن يحترمونا ؟

لا بد أولا أن نحترم أنفسنا .

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقهـــا   هوانا بها كانت على الناس أهونا

هل نريد من الدول أن تقف معنا تساندنا فى حقنا ؟

لا بد أولا أن نقف نحن متساندين متعاونين ، وأخوة متكاتفين .

هل نريد من الله أن ينصرنا على أعدائنا ؟

لا بد أن نكون على صلة طيبة به وبدينه حتى يستجيب لنا ويعيننا .

فهل كنا كذلك خلال العشرين سنة التى مرت بنا ؟!

ان ما أصابنا لم يكن الا النتيجة الحتمية لأعمالنا كل هذه السنين ((وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)) ولقد كان حقا وغريبا معا أن نسمع أحـد المسئولين بعد هذا الرزء يقول : ((اننـــا دخلنا الحرب دون أن نعرف طريق النصر)) .

وهذه حقيقة ولكن ما أقساها ..

ومتى قالها ؟.. قالها بعد أن فقدنا ما فقدنا ، حتى لم تعد تمر دقيقة علينا الا ونحن نتجرع الغصص ، ولا أدرى كيف تحملنا ، ونتحمل كل هذا ؟! وأولى القبلتين وثالث الحرمين فى يد أعداء الله .. وكيف يكون حالنا وذكرى اسراء الرسول صلى الله عليه وسلم تمر بنا ؟! محنة قاسية صنعناها بايدينا !! لأننا طول هذه السنين لم نعرف طريق النصر .. وكيف غاب عنا ؟.

ان طريق النصر لم يتركنا الله نضرب فى متاهات البحث عنه ، بل ارسل رسوله به ومن أجله . ودل عليه ، ودعانا اليه ، وهو يقول : ((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)) .

فلم يكن طريق النصر مجهولا ولكنا نحن الذين تركناه . ومع ذلك فهل نرجع اليه ونسير عليه ؟

ذلك أمر يتوقف على مدى احساسنا بنكبتنا ، وعلى اخلاص نوايانا ، وعلى صدقنا مع انفسنا ومع أمتنا ، ومع الله أولا ، ونحن نستمد العون منه ، يتوقف على استعدادنا لأن نسلك هـــذا الطريق بكل التزاماته من جد ، واخلاص ، وتضحية من أجل كرامتنا وعزتنا ، من أجل شرفنا وصيانة أعراضنا ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، وكفانا ما جره علينا استهتارنا ، وبعدنا عن الله ، وتمردنا على تعاليمه .

و ((استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)) .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

من هدي السنة

المجتمع النظيف

للشيخ : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عز وجل فهو الى الله ، ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك » .

(رواه البخارى ومسلم وغيرهما)

تمهيـــد :

الاسلام عقيدة مستقرها القلب ، ودوامها بالفناء فيها ، وغذاؤها ذكر الله عز وجل والسير غير ذى العوج على الجادة التى سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضح معالمها ، ونتاجها العمل الدائب لخير المجموعة البشرية ، بل والمخلوقات جميعا حتى الجماد منها ، مع التصميم المؤكد ، والدءوب المستمر للوصول الى الغاية التى ترنو اليها ، والهدف الذى أحكمت من أجله ، والامل الذى تنشده واقعيا .

وأقوال سيد الخلق دائما تلقى ضوء التوجيه الالهى على دجنات الوجود ، ليتمكن السارى من العبور دون تعثر غير مكب على وجهه ، وانما يمضى سويا على صراط مستقيم ، والحديث الشريف موضوع البحث يعالج مشكلات مزمنة عاصرت وجود الارض منذ أن كان لآدم عليها وجود ، ويصف علة العلل فى كل داهية دهياء وملمة عميـــاء ، ثم تتعاقب فى طى الكلم الشريف اشــارات الى

تعريف موجز براوى الحديث : هو عبادة بن الصامت (بضم العين) الانصارى الخزرجى رضى الله عنه ، كان أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة ، وقد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه وجهه الى الشام قاضيا ومعلما ، فأقام فى حمص ، ثم انتقل الى فلسطين ، وهو أول من ولى القضاء بها ، وروى له مائة وواحد وثمانون حديثا ، ورد منها فى صحيح البخارى تسعة أحاديث ، ومن صفاته الخلقية (بكسر الخاء المعجمة) أنه كان طويلا جميلا ، ومن صفاته الخلقية (بضم الخاء مع اللام) أنه كان يحب الخير واسداء الجميل لكل من عرفه ومن لم يعرف ، وتوفى فى خلافة معاوية وقد ناهز الثانية والسبعين ، ودفن فى بيت المقدس .

زبالات (١) تتراءى لضعيف الادراك ، أنوارا لالاءة ، كما يتوهم الظمآن الصادي الثمالة كأسا مترعة .

خمسة أشياء (٢) لو أنها اختفت من مجتمع ما لصار مثلا طيبا يحتذى ويدار فى فلكه ، والمقيم عليها مقيم على دخن فى العقيدة بل وفي وجوده من حيث هو كائنة فى بناء عام ، يبيته القلق النفسى ، ويصبحه الالم الحسى ، ومصيره الى شفا جرف هار يهوى به في واد سحيق من الضياع والفناء ، كما يمضى الجيل المعاصر فى الغرب على غير هدى ودون تبصر ، قطعان من البشر ضلت الطريق السوى ، ونام راعيها أو بالاحرى سار نفس المسير ، ولنأت عليها الواحدة بعد الاخرى تفصيلا وايضاحا للمراد ، وتبيانا للناس ، وتبليغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الصادق المصدوق :

(بايعوني) والبائع هنا المؤمنون ، والمشترى هو الله تبارك وتعالى ، وواسطة العقد سيد الخلق ، والبائع يترك سلعته لدافع الثمن ، والربح في هذه البيعة ربحان ، بعد عن مهاوى الهلاك ، وأجر مضاعف ، والعجيب فيها أن ينأى المؤمن عن الخطر ويتقاضى خيرا فوق خير ، وهذا فضل يستوجب الشكر ، وكيف يوفى المخلوق شكر الخالق مهما طال الاجل وامتدت الاقامة فى الدنيا ، فنعم الله لا تتناهى ، ولهذا قيل :

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... له على فى طيها يجب الشكر

فكيف وفاء الشــكر الا بفضله ... وان طالت الاسباب واتصل العمر

١ ــ (**على أن لا تشركوا بالله شيئا**) : بعد بحث طال أمده ، واستقصاء استمر حقبة من الدهر ولا يزال ، واستقراء لما أمكن استقراؤه من حوادث الحياة ، وتتبع لمجتمعات بدت ثم بادت ، واخرى لا زالت فى الطريق تعبر ، تتوقى الوهج ، وتحاذر القر ، تكون (بتشديد الواو المكسورة) القافلة فى صورة مختلفة شكلا ، ومتحدة فى اللب .. أقول بعد هذا كله .. وضح لطالب الحقيقة أن الايمان بالله وتوحيده وجميع ماله سبحانه من صفات الكمال بلسم شاف ، ودرع واق من البوار الذى يحيق بالانسانية الضالة ، فمن آمن ووحد ، أحب الواحد الاحد ، ومن أحب اتبع ، ومن اتبع تابع ، وفى ظل هذا الاتباع للقيومية المطلقة ، تتلاشى الضلالات وتذوب آثارها كما يتلاشى الجليد تعرض لحمارة القيظ ، بعد أن جمعته صبارة الزمهرير ، وذلك حين يعرف الانسان قدره ، ويزن الامور بميزان الشريعة شريعة الله وحده .

وقد يحاول الفانى ، أو يتساءل وأين البرهان ؟ والجواب فى نفس تركيبه ، وصلب تكوينه ، يتحدث طويلا عن ليل صار نهارا أو كاد ، وعن مسافات تلاشت ، وبحار انكشف بعض سرها ــ ولا أقول كله ــ وفضاء اجتيحت حرماته ، ومع كل

---

(١) زبالات : جمع زبالة . وهى الضوء الخافت ، أو ما يتبقى من زيت السرج ، والمراد هنا المعنى الاول .

(٢) قال بعض العلماء الشيء عندنا هو الموجود .

هذا يقول الانسان : أين الدليل ؟ ولو تأمل المعلومات الضئيلة التى كشفت له بواسطته ، لأدرك أن العامل الاصيل فى كشفها — كما يبدو — عقله ، وما عقله الا من صنع غيره ، ولا حاجة أن نذهب الى أبعد من هذا ، فالوجود الاضطرارى والفناء اللاحق لا علة لهما ولا سبب الا أن القادر أراد فأوجد ، ووضع للنهاية حدا لا تعدوه وميقاتا لا تتخلف عنه (الذى خلق الموت والحياة) .. وطريق العلم مفتوح والمارون فيه كثر ، ومهما اتسع الكشف وحسنت النتائج أو ساءت فمـا أوتيتم من العلم الا قليلا .. أفبعد هذا يشرك عالم مستنير ؟ ولو كان عالما مستنيرا ما أشرك ، ولو ترك الجميع الشرك لسادت الانسانية الفاضلة ، وعم الوجود سلام دائم فى ظل توحيد الله وتمجيده . ولكن متى ؟ علم ذلك عند من استأثر بالغيب تعالى وتقدس : وفي قوله الشريف عليه الصلاة والسلام : لا تشركوا بالله شيئا دقة غير متناهية ، فـ (شيئا) يشمل كل شيء ، وذو الحظ العظيم من أدرك وعرف .

٢ — ولا تسرقوا : ما السرقة ؟ وما سببها ؟ كيف الخلاص منها ؟

السرقة كما ورد فى بعض تعاريفها : أخذ المال المعصوم خفية من حرز مثله ، فالمأخوذ هو حق الغير ونتاج جهده وكده ، لا حق فيه للآخذ بعد أن حصل عليه صاحبه وأحرزه وصار ملكا له بطرق مشروعة (١) ، فالآخذ ظالم معتد اثيم لأنه تعدى وضعه فى مجتمعه ، فهدد الأمن وأخاف الناس ، وآذى غيره بغير جريرة ، وهو أى الآخذ يعلم ذلك ولا ينكره فتخفيه دليل على علمه بعدم مشروعية عمله ، والعلة قد تتعدد وتتنوع ولكل شيء أسباب ودواع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم — مبلغ عن ربه — ولا يطلب الابتعاد عن السرقة الا بعد منع أسبابها الممكنة المنع ، فاذا تحقق لكل انسان مطلبه فى مجتمعه ، وصارت السرقة جبلة وعادة فلهذا علاج حاسم .

فالمجتمع الاسلامى الذى أمر الله بتحقيقه واقعيا هو الذى لا يعرف الحقد الى أهله سبيلا ، فالكل طاعم كاس ، فاقه ، واع ، مدرك لما يحيط به ، لا يشكو ألمـا ولا فقرا ولا جوعا ، ولا جهلا ، مجتمع كل أفراده يعملون ، ويتعاونون على البر والتقوى ، تلاشت فيما بينهم الخصومات ، وعقدت قلوبهم على المحبـة والوداد ، تكافل يشمل المجموع ويعم الجميع ، ويقوم به كل مواطن فى حدود قدرته ، وفى دائرة اختصاصه ، ذلكم هو المجتمع الذى تخلص من موجبات السرقة والاختلاس ، فبعد هذا كله : لا تسرقوا . وهل النهى ينهى الداء ، هو نهى وهو دواء ، والمتمادى فى الخلاف له علاج آخر مبسوط بأدلته وأسانيده عند فقهاء الاسلام .

٣ — ولا تزنوا : ثالثة الاثافى ، انتهاك للمحرمات ، واعتداء على الاعراض ، وقلب للحقائق ، ينتج اختلاط أنساب ، وعفونة أخلاق ، ودواعيه رعونة شهوات

---

(١) أقصد بالطرق المشروعة ما شرعه الله تعالى وحده .

لا تليق بمجتمع ينشد القوة ، ويمجد الفضيلة ويسعى لقيادة الدنيا الى الطريق السوى ، ولكل شهوة اكتفاء مشروع ، وحق مقرر ، وطريق مرض من رب العالمين ، فلا داعى الى الالتواء ، اللهم الا شذوذ الطباع ، واعوجاج المسالك ، والبعد عن الصواب . أين الكمال فى مجتمع جهلت فيه الانساب ، وضاعت صلاة ذوى القربى ، وعفت فيه آثار التراحم ؟ الجواب لا كمال ولا قرب منه بل انهيار وانحطاط وتلاش وفناء ، ولهذا ينادى الاسلام بحزم واصرار ان كنتم مؤمنين — بايعونى على أن لا تزنوا . والحلال بين والحرام بين .

وفى الدنيا المعاصرة مجتمعات تسمى نفسها راقية ، قد سمت الاشياء بغير أسمائها ، فقلبت الحقائق . وأصبح الفجور عند أهلها : حرية ، والتلاقى غير المشروع : انسانية ، وتغيير خلق الله : فلسفة ، وبئست تلك الفلسفات الحقيرة الخفيفة فى ميزان العقول العاقلة ، تلك لعمر الله مجتمعات تتنزى سما ، وتقطر قيحا ودما ، ولا بد أن تتهاوى وان طال الزمان ، فقد طلعت الشمس يوما على أقوام ودول قويت شوكتها وتسلطت على المعمورة فى أيامها ، وحين شاء الله لها الزوال — استدرج أهلها من حيث لا يعلمون فزين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنا وجعلوا للجمال الها عبدوه ، وللحب الجسدى الها يصمى بسهمه القلوب المستعدة ، وكانت عاقبتهم أن دمر الله عليهم ، وللسائرين فى دربهم أمثالها ، ويمر الآن أمام ناظرى نفسى (الفلم) بصور ممثليه ومشاهديه كما حدث التاريخ ، وكما قرأت ذلك ووعيته منذ زمن طال أمده وهأنذا أراه واقعيا . فالقوم صائرون الى ما صار اليه آباؤهم من قبل ، والحمى والوقاية والقوة والايد فى دعوة الاسلام القوية المدوية (لا تزنوا) فهل من مدكر — (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) .

٤ — ولا تقتلوا أولادكم : وهل يقتل الانسان ولده ؟! انه لأمر عجاب محير للألباب ولكن بعض الوقائع تؤكده والقرآن الكريم يحكيه ، وانا لنرى ونسمع أناسا من الناس قتلوا أولادهم قتلا حقيقيا ، فيه ازهاق للنفس ، ومواراة البدن تحت الصفائح والجنادل وآخرون يقتلون ولكن فى صورة أنكى وأشد فالقتل عند الوائدين لا يتعدى أثره نفسين او ثلاثة شخوص ، أب مؤاخذ وأم ثكلى ووليد مهضوم مجار عليه ، وأما القتلى الآخرون ، فلم يموتوا وحدهم ، ولكن يميتون معهم أمما ودولا ، والمتبصر يرى عقولا خربة ، ومسالك معوجة ، سيسوس أصحابها أجيالا قادمة .. واذا كان الغراب دليل قوم .. فالبيعة هذه مستمرة ولم تنته بانتهاء الوأد ، وانما هى دائمة ما دام أولو الامر غافلين عن تربية الاجيال الصاعدة ، وما دام الآباء فى غيبوبة دائمة عن ضلال الابناء .

الاسلام ينادى — لا تقتلوا أولادكم ، لا تئدوهم ، ولا تتركوا لهم الحبل على الغارب ، فيشب الولد غير عابىء بواجب الابوة وغير معترف بحق الاسرة عليه ، وغير مكترث بأمته ، ومتى ضاع الجيل الصاعد فقد ضاعت الامة وتلاشت ، ولهذا عنى الاسلام بالناشئة وحث على حسن تربية الابناء ليبنى أمة تقود الامم ، وتكون شهيدة على غيرها ، مؤدية لرسالتها الانسانية الشريفة ، كما أمر بها .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆ (البقية صفحة ١٩) ☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

حول إعجاز القـ

« أم يقولون افتراه »

ثلاث كلمات كريمة أنكر الله بها على مشركي العرب في الماضي ، ومستشرقي الغرب ومن لف لفهم في الحاضر ، نسبة القرآن الكريم الى محمد (صلى الله عليه وسلم) افتراء منه على الله فيما زعموا . والفعل المضارع في العربية يدل على التجدد كما يدل على الحاضر ، والقرآن كتاب الله مخاطب به الناس في كل عصر حتى تقوم الساعة .

وقد وردت الكلمات الكريمة الثلاث ، بما فيها من انكار وتعجيب ، في آيات خمس من القرآن الكريم ، آيتــان في سورة هود ، وآية في سورة يونس ، وآية في الاحقاف ، وآية في سورة السجدة .

فأما آيتا سورة هود ، فأولاهما هي ثانية الآيتين الكريمتين : « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انمــا أنت نذير والله على كل شيء وكيــل (١٢) . أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (١٣) » وهي آية التحدي المكي بعشر سور مثل القرآن .

وثانية آيتي سورة هود هي قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامي وأنا بريء مما تجرمون (٣٥) » .

وأما آية سورة يونس فهي ثانية الآيتين الكريمتين : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٣٧) . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثـــله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٣٨) » . وهي آية التحدي المكي بسورة مثل القرآن .

وأما آية سورة الاحقاف فهي ثانية الآيتين الكريمتين : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لمــا جاءهم هذا سحر مبين (٧) . أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيــه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) » .

وأما آية السجدة فهي ثانية الآيتين الكريمتين : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢) . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) » .

رآن الكريم

الدكتور محمد أحمد الغمراوى

هذه الآيات الكريمة قد ذكرت حسب ترتيب نزول الوحى بسورها الا فيما يتعلق بآيتى التحدى فى هود ويونس ، فأكثرية المفسرين على أن التحدى بعشر سور ، كما فى آية هود ، قد كان قبل التحدى بسورة ، كما فى آية يونس ، وان كان تاريخ النزول يقول ان سورة يونس نزلت قبل سورة هود عند الاكثرية .

فهناك اذن موقفان متناقضان بالنسبة لآيتى التحدى فى السورتين من حيث ترتيب نزول الوحى بهما : أكثرية من المفسرين تأخذ بالمعقول وتقول أنه لا معنى للتحدى بعشر سور بعد التحدى بسورة ، فان الذى يعجز عن سورة هو عن عشر سور أعجز ، واذن فترتيب نزول الوحى بالآيتين غير ترتيب نزوله بالسورتين ، وقلة من المفسرين تأخذ بالمنقول وتجعل ترتيب نزول الوحى بالآيتين هو عين ترتيب نزوله بالسورتين لأنه لم يرد بالعكس نص ، ثم تحاول ايجاد معنى للتحدى بعشر سور بعد التحدى بسورة .

هذا وضع لا يمكن السكوت عليه ، لأن أحد الفريقين لا شك مخطىء . صحيح أن الحجة العقلية هنا غالبة واضحة ، لكن النقل أيضا ينبغى أن يكون له وزنه . والتناقض بين العقل والنقل ممتنع عند صحة الاثنين ، فلنتبين مواطن الضعف فى موقف المحتجين هنا بالنقــل ، ومواطن القوة فى موقف المحتجين بالعقل ، حتى اذا تبين أن ليس فى النقل ما يضعف حجة الآخذين بالعقل ، أمكن النظر فى الآيات الكريمة الخمس على ترتيبها عند الكثرة الغالبة من المفسرين من غير أن يكون هناك موضع للتشكيك فيه .

سورة يونس نزلت قبل سورة هود عند الاكثرين . لكن هذا لا يدل على أن آية التحدى فى يونس نزلت قبل آية التحدى فى هود الا اذا تحقق أحد احتمالين : أن كلا من السورتين نزلت جملة ، أو أن سورة يونس تم نزولها قبل أن ينزل شىء من سورة هود . وليس فى النقل ما يؤيد شيئا من هذا . فالسور التى جاء النقل بنزولها جملة قليلة معدودة ، منها سورة المرسلات ، وليس من بينها يونس ولا هود . ولقد أحصوا تلك القلة من السور ، على خلاف فيها ، لأن الاصل فى نزول القرآن أن الله سبحانه قد أنزله نجوما ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يؤمر اذا نزل النجم أن يضعه فى سورة كذا بعد آية كذا أو بين آية كذا وآية كذا ، حتى لقد كان ذلك موضع تعجب واستغراب واعتراض من المشركين ، وأهــل الكتاب ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله من سورة الفرقان « وقالوا لولا نزل عليه القرآن جمــلة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » . حتى السور القصار التى هى مظنة

أن ينزل الوحي بكل منها جملة لم تنزل كلها كذلك . فسورة العلق وهى أول ما نزل لم تنزل جملة كما هو معروف ، وسورة الضحى لم تنزل جملة كما ذكر السيوطى فى الاتقان . بل من السور القصـــار ما نزل أوله بمكة وباقيه بالمدينة كسورة الماعون فيما حكاه صاحب الاتقان وكما ذكر فى ديباجة السورة فى طبعة المصحف التى أشرفت عليها اللجنة التى رأسها المرحوم الشيخ محمـــــد الشهير بخلف الحسينى شيخ المقارىء المصرية فى ذلك العهد . وكذلك الامر فى السور الطوال. كثير من مكيها يحتوى آيات مدنية ، وقليل من مدنيها يحتوى بعض آيات مكية وهو أعجب وأدل على أن أكثر السور القرآنية كان اذا نزل أولها لم تكن تستتم قبل نزول أول غيرها. بل الحكم على السورة أمكية هى أم مدنية كان تابعا لأولهاـــ اذا نزل بمكة كانت مكية واذا نزل بالمدينة كانت مدنية فيما نقل صاحب الاتقان عن ابن عباس . قال (١) « كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء » ولازم هذا أن الامر كان كذلك اذا نزلت فاتحة سورة بالمدينة . واذن فمعنى نزول سورة يونس قبل سورة هود بمكة أن فاتحة يونس نزلت قبل فاتحة هود ، لا أكثر من هذا . أما بقية كل من السورتين فقد نزلت نجوما حسب الاصل فى نزول القرآن نجوما تبعا لحكم الله وحكمته فى الحوادث التى لم يكن يعلم مواقيت وقوعها الا هو سبحانه . بل ان فى نجوم هاتين السورتين ما هو مدنى ذكره صاحب الاتقان (٢) وأشارت اليه لجنة الشيخ خلف الحسينى فى ديباجة كل من السورتين (٣) على اختلاف بينهما فى الآية (٩٦) من سورة يونس . ومن أعجب العجب أن تقع الحادثة بالمدينة ويلحق النجم الذى نزل فيها بسورة مكية ، أو العكس . لكن لله فى ذلك حكمة لا شك ، منها أن يكون فى ذلك دليل على أن القرآن من عند الله لا من عند بشر ، اذ قد نقض تأليفه بهذا عادة البشر فى التأليف مع تمـــام الانسجام فى المعنى والتعبير . وقد أقام المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز من سنة الله هذه فى القرآن دليلا (١) طريفا قاطعا على أن القرآن لا يمكن أن يكون الا من عند الله .

فمن الواضح أن السورتين الكريمتين لم تستتما كلتاهما الا فى المدينة وان استفتحتا فى مكة ، وأنه لا يلزم من نزول فاتحة يونس قبل فاتحة هود ـــ وهذا هو معنى نزول سورة يونس قبل سورة هود كما هو لازم قول ابن عباس المنقول آنفا ـــ أن جميع نجوم يونس قد نزلت قبل جميع نجوم سورة هود حتى يصح لقائل أن يقول أن آية التحدى فى سورة يونس قد نزل بها الوحى قبل نزوله بآية التحدى فى هود بالرغم من أن التحدى بسورة لا ينبغى عقلا أن يكون قد وقع قبل التحدى بعشر سور مثل القرآن .

على أن هناك رواية عن ابن عباس ذكرها صاحب الاتقان فى الفصل الذى حرر فيه السور المختلف فيها تقول ان سورة يونس مدنية . صحيح أن هذا لا يعنى ، حسب المنقول عن ابن عباس سابقا ، الا أن أول يونس نزل فى المدينة بدلا من أن يكون نزل بمكة حسب ما اختاره الاكثرون عن ابن عباس أيضا . لكن هذا الاختلاف فى سورة يونس هل هى مكية أو مدنية يذهب بأية بقية يمكن بعد كل الذى قدمناه ، أن تكون قد بقيت من الشبهة النقلية التى تمسك بها القلة من المفسرين فى معارضة الحجة العقلية التى حملت الكثرة على القول بأن التحدى

---

(١) ص ١٠ من الجزء الاول من الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة مصطفى الحلبى .
(٢) ص ١٥ الجزء الاول .
(٣) المصحف الشريف طبعة المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٥٥ هـ .
(١) كتاب النبأ العظيم ص ١٤١ ـــ ١٥٩ من الطبعة الاولى ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

بعشر سور قد كان قبل التحدى بسورة مثل القرآن . واذا كان لا بد من تكييف آخر للموقف ، فالحجة العقلية فى وضوحها وقوتها تحسم ذلك الخلاف بين الروايات النقلية ، وتكون هى الدليل على أن الرواية الصحيحة هى التى تتفق مع ما يقتضيه العقل من أن التحدى بسورة لا يمكن أن يكون قد وقع قبل التحدى بعشر .

على أنه لا داعى حتى الى مثل هذا التكييف اذا تتبعنا طبيعة ما يترتب على كل من الموقفين . فموقف الكثرة هو الترقى فى التحدى . هو الترقى من التحدى بالقرآن جملة الى التحدى بعشر سور مثله الى التحدى بسورة مثله ، ثم الى التحدى بسورة من مثله مع التنبؤ بأنهم لن يستطيعوا ولن يفعلوا ، ومع عدم تقييدهم فى السورة بطول ، فليختاروها أقصر سورة اذا شاءوا . هذا الترقى فى الالزام وقطع العذر يتمشى مع سنة الله فى الترقى بعبـــاده فى التشريع ، والتدرج بهم فى الفطام عما ألفوا الى ما يريد سبحانه أن يستقر عليه الدين ، كما هو ثابت فى تشريع الصلاة وتشريع الصوم وتحريم الخمر وتشريع القتال .

أما موقف القلة فى قولهم بالتحدى بسورة ثم بعشر سور ثم بسورة من مثل النبى فى أميته ، فهو خلط وخبط يخالف تلك السنة الالهية ، ويفتح الباب للملحد أو مستشرق أن يقول : ان المتحدى تراجع فى تحديه ــ تراجع من سورة الى عشر لــما أحس أن السورة على اطلاقها هى فى متنــاول الجميع . ثم تراجع من التحدى بعشر الى التحدى بالقرآن كله فى آية الاسراء لــما خاف أن تكون السور العشر على اطلاقها فى مقدور الفصحاء من أهل العلم والادب ان لم يكن فى عصر ما ففى ما يستقبل من العصور . ولا ينفع مع الملحد أو المستشرق أن يقال له إن سورة الاسراء نزلت قبل سورة هود لأنه عندئذ ينكر تاريخ النزول ويحتج بموقف تلك القلة من المفسرين التى قالت ان التحدى بعشر سور قد كان بعــد التحدى بسورة ، لا قبله ، ويساعده فى موقفه المتعنت هــذا من تاريخ نزول السور أن ترتيب سورتى يونس وهود فى المصحف هو عين ترتيبهما فى تاريخ النزول عند الاكثرين ومنهم تلك القلة ــ وأن سورة هود فى المصحف تسبق سورة الاسراء . فموقف كموقف تلك القلة ــ يعين الملحد والمستشرق اليهــودى أو النصرانى على موقفه الباطل من القرآن ، وعلى القاء الشبه فى طريق الناشىء المسلم ــ هو لا شك موقف باطل ، لهذا السبب وحده ان لم يكن لكل ما تقدم من الاسباب .

أما وقد انجلى الموقف وتبين أن موقف الــكثرة من المفسرين هو الحق ، بالحجة بعد الحجة لا لمجرد أنهم الكثرة ، فلنحاول أن نتأمل الآيات الكريمة وموقع الاستفهام الانكارى العجيب (أم يقولون افتراه) منها ومن الآيات التى قرنت بها ، اللهم الا ثانية آيتى سورة هود فانها جاءت أثناء قصص نوح عليه السلام لتؤكد أن ما ورد فيه لا يمكن أن يكون من عند الرسول عليه الصلاة والســلام كما كان يقول المشركون وأهل الكتاب . ولا يؤبه بقول من قال ان الخطاب فى الآية لنوح وان نسب القول لابن عباس ، فابن كثير الذى يفسر بالمأثور لم يذكر هذه النسبة ، ولو كانت صحيحة لذكرها ، ولــما قال ان الخطاب هو لمحمــد صلى الله عليه وسلم اعتراضا فى القصة لتوكيدها ، ولنفى أن تكون مفتراة ممن يعلم أن الافتراء له عقابه عند الله .

ويبقى الآن من الآيات المصدرة بتلك الكلمات الكريمة الثلاث أربع آيات كل مقرونة بسابقتها كما ذكرت قبل . فلننظر ماذا عسى أن يهدينا اليه تأمل هــذه الثنائيات الكريمة الاربع .

ثنائية سورة هود :

تتميز آية التحدى في هود والآية قبلها من بين الثنائيات الاربع بأن الآية التى قبل آية التحدى مدنية ، فى حين أن بقية الآيات كلها مكية . ومدنية الآية ذكرها السيوطى فى الاتقان وأقرتها لجنة الشيخ خلف الحسينى فى ديباجة السورة فهى من ناحية مثل للنجم المدنى فى سورة هود ، وهى من ناحية أخرى مثل للنجم ينزل فيؤمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يضعه فى سورة كذا عقب آية كذا أو بين آية كذا وآية كذا . فهذه آية مدنية بين آيتين مكيتين . واذا قرئت الآيات بدونها — ويمكن القارىء ان يرجع الى مصحفه فى ذلك — كان الكلام مستقيما وان بدت آية التحدى كأنها شبه مستأنفة . لكن الآيات فى تتاليها الذى استقرت عليه ليس فيها من شبه الاستئناف شىء . فالكافرون الذين كذبوا النبى فيما أنبأهم به من أنهم مبعوثون من بعد الموت فى الآية (٧) ، ولم يصدقوا ما أوعدهم الله به من العذاب ان هم استمروا فى عنادهم متسائلين (ما يحبسه ؟) مع أنه اذا نزل بهم فلن يرفع عنهم كما فى الآية (٨) ، الحوا هم وأمثالهم فى المدينة على النبى أن يترك ذكر آلهتهم وآبائهم بسوء ، وأن يأتيهم بآية محسوسة من كنز ينزل عليه أو ملك يأتى معه كما يفهم من الكلمات الاولى فى هذه الآية المدنية التى حذرته صلى الله عليه وسلم أن يخفف عنهم شيئا من ثقل الدعوة ، ورغبته صلوات الله عليه وسلامه الا يداخله ضيق من طلبهم منه ما لا يملك أن يجيبهم اليه ، فما هو الا نذير عليه أن يؤدى النذارة كاملة وان ثقلت ، ويكل ما وراءها من مصير الدعوة ومصيرهم الى الله الوكيل الرقيب الحسيب على كل شىء ، كما تصرح به باقى كلمات الآية . وهنا تأتى الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) استنكارا لمظهر آخر من عنادهم فى التكذيب بالوحى والقرآن ، وتمهيدا ليس فقط لدحض التهمة ، ولكن للرد على طلبهم نزول الكنز ومجىء الملك آية محسوسة بتنبيههم الى خمس آيات محسوسة بين أيديهم ، الا وهى (١) خمس عشرات من السور الطويلة والقصيرة التى نزلت قبل سورة هود يعجزون هم ومن يستعينون بهم من الجن والانس عن أن يأتوا بمثل عشرة منها يختارونها كيفما شاءوا .

والآن لا بد من وقفة عند كلمتين فى الآية الكريمة ، احداهما فيها حجة أولى تدحض التهمة لم أجد أحدا نبه الى حجيتها ، وأخراهما أدت الى اختلاف فى تفسير الآية لم يكن له داع .

أما أولى الكلمتين فهى قوله تعالى (قل !) ان المخاطب بهذا الامر الجليل ذى الحرفين هو نفس الذى اتهموه بافتراء القرآن . فهذا الامر وحده كاف فى التنبيه الى أن ما يقولونه لا يمكن أن يكون الا باطلا . اذ كيف يمكن أن يكون محمد افترى القرآن وهو مخاطب به مأمور فيه . واذا كانت الحجة فى الامر (قل) تحتاج الى شىء من التأمل لتتضح ، فمقول القول فيه حجة أخرى أوضح وأقطع : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » . وأمر التعجيز والالزام فى (فأتوا) لم

---

(١) هود هى السورة (٥٢) فى ترتيب النزول . وآية التحدى فى أوائل السورة قبل أن ينزل شىء من قصصها فلا يشملها التحدى على قول من يقول ان العشر المتحدى بها هى سور القصص الطويل وعاشرتها عنده هى سورة هود . ويبقى احدى وخمسون سورة هى التى وقع التحدى بمثل عشر منها . واطلاق حرية اختيار العشر بجعل المعجزات القرآنية المتحدى بها فى الآية أكثر فى الواقع من خمس بكثير .

يأت من محمد صلى الله عليه وسلم ولكن من الله الوكيل على كل شيء الذى وجه الى نبيه الامر (قل) . فالنبى فى هذا مبلغ أمر الله كما هو فى سائر القرآن . وما تعود المفسرون قوله من أن النبى تحدى العرب ، فيه قصور عن الواقع ، واختصار مخل بوجه الحجة. فان الحجة هى فى أنه تحدى بأمر الله ، لا استنتاجا من أنه صلى الله عليه وسلم كان من العقل والحكمة بحيث لا يمكن أن يقدم على ذلك من نفسه ، ولكن نصا صريحا فى الامر الجليل (قل) ، الجارى على نسق فى الآيات الخمس التى صدرت بذلك الاستفهام الانكارى العجيب (أم يقولون افتراه) ، ثم أيضا فى تلك الآية الكريمة التى كانت نزلت في سورة الاسراء تنبىء وتؤكد مرتين أن الجن والانس مجتمعين عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . فكلمة (قل) فى آية الاسراء هـذه ضرورية لاقامة الحجة بها ، واماطة احتمال المبالغة عنها . فالمخلوق يبالغ — من الانس كان أو من الجن أو من الملائكة — أما الخالق الحق القادر على كل شيء سبحانه فكلامه منزه عن المبالغة . انما هو القول الحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » . فاذا أخذت آية الاسراء تلك منقطعة عما قبلها وما بعدها قامت كلمة (قل) فيها تحميها ان يظن بها عاقل أنها من قول محمد . بل قامت تشهد له صلى الله عليه وسلم أولا بالنبوة فيما تنبأت به من عجز الانس والجن عن مثل القرآن ، وثانيا بالرسالة لأنه مأمور بها أن يبلغ الآية الكريمة للناس . أما اذا أخذت متصلة بما قبلها وما بعدها فعندئذ لايكون هناك محل للتساؤل عمن هوالآمر بفعل الامر(قل) ، لأن ضمير المتكلم فى الآيات قبلها والآية بعدها : « ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا » لا يمكن أن ينصرف الا الى الحق سبحانه .

والمفسرون على أن (القرآن) فى آية الاسراء هو القرآن كله ، مع أن سورة الاسراء هى الخمسون فى ترتيب نزول الوحي بالسور (١) . فالصواب اذن يقال ان التحدى كان أولا بخمسين سورة ثم بعشر ثم بسورة ، وكان الوحى قد نزل بقصار السور المكية الا الانشقاق والانفطار .

أما الكلمة الاخرى التى لا بد من وقفة عندها فهى كلمة (مفتريات) فى قوله تعالى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) . انها لم ترد فى القرآن الكريم كله الا فى هذه الآية ، أى فى أول آية وردت فيها الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) . وهذا يجعل دلالتها واضحة تماما . فهى دحض للتهمة والزام لأهلها من نفس قولهم (افتراه) . ان كان افتراء القرآن ممكنا لمحمد فى زعمكم فافتراء مثل سور القرآن ينبغى أن يكون أيسر وأمكن لكم وأنتم جميع . فافتروا ان استطعتم عشر سور مثل القرآن واستعينوا بكل معين الا الله ، فانه لا يقدر على مثل القرآن الا هو . هذا كله تؤديه كلمة مفتريات في موضعها من الآية بعد حكاية قولهم (افتراه) على ذلك الوجه الانكارى العجيب . فهو الزام ودحض للتهمة من أخصر طريق وأوضحه وأوثقه . وهو من أمثلة الايجاز المعجز فى القرآن . فالعجب أن يخطىء دلالتها مثل الزمخشرى والفخر الرازى . أما الزمخشرى فقد فهم الحجة ولكنه أفسدها بجواب له على شبهة أوردها . قال : « فان قلت كيف يكون (مثله) وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وان كان مفترى ! » . هذا مثل فريد للفكرة المتحكمة تنسى صاحبها الحجة التى أبصر من قبل . فلولا أن الزمخشرى كان متسلطا عليه

---

(١) فيما حققته لجنة الشيخ خلف الحسيني وهو يوافق بعض روايات السيوطي فى الاتقان .

فكرة أن اعجاز القرآن اعجاز بيان ونظم من غير نظر الى المعنى ، ما غفل عن قوله الذى كان قاله قبل ايراده تلك الشبهة مما يتفق بالضبط مع الحجة البالغة المنطوية فى الآية والتى ذكرناها قبل . قال :

(« مفتريات » صفة لعشر سور . لمـــا قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله تاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى ، وأن الامر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام) فهذا كلام من أصاب الحجة فى (مفتريات) وان لم ينتبه الى الحجة فى الامر الجليل (قل) . وكان مقتضاه أن يجيب على السؤال الذى أورده أن المثلية مستحيلة ، فالمفترى على الله من الكلام لا يمكن أن يكون مثل غير المفترى لا فى جلال المعنى ولا فى حسن البيان والنظم ، ومن هنا الحجة الملزمة فى (مثله مفتريات) .

اما الفخر الرازى فلم يصب من دلالة (مفتريات) فى الآية الكريمة شيئا ، واستنتج منها ما يناقض ما كان استنتجه من آيتى سورة يونس ، فانكر هنا ما كان أثبته هناك من أن العلوم الكثيرة وما اليها هى من وجوه اعجاز القرآن . وهذا وحده كان من شانه أن ينبه مثله الى انه اخطا مغزى الكلمة ، لأن التنــــاقض مستحيل على القرآن فلا يمكن أن تتناقض آياته فيمـــا ينبغى أن تؤدى اليه ، خصوصا والفخر من المفسرين الذين يقولون بأن آية هود قد نزلت قبل آية يونس. لكنه كالزمخشرى كان تحت سلطان فكرة تصرف تفكيره هى أن اعجاز القـــرآن راجع لفصاحته بصرف النظر عن المعنى ، فسارع الى استنتاج ذلك من كلمـــة (مفتريات) فى الآية الكريمة ، وعلل ذلك بقوله (لأن فصاحة الفصيح تظهـــر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا) فوقع فى خطأ أكبر حتى من ذلك التناقض، اذ يفضى الى انكار اعجاز المعنى فى القرآن . وهذا ما لا يمكن أن يكون مرادا له ، لأنه يقرر اعجاز المعنى فى مواطن كثيرة من تفسيره ان صراحة وان ضمنا ، وينزه القرآن عن الكذب والباطل كله بما نزهه الله . لكنه فيما يبدو كان متاثرا بالعرف الكاذب الذى ساد بالتدريج بعد عصر الخلافة الراشدة من ان العبرة فى الفصاحة هى بالصياغة والتعبير مهما كان المعنى . ولو انتبه وهو بصـــدد بحث اعجاز القرآن لتساءل كيف يمكن التسوية بين خبرين صادق وكاذب ، او بين حكمين حق وباطل ، بفرض تعادلهما فى الفصاحة من حيث الصيغة والتعبير ؟ أو كيف تمكن المفاضلة بلاغيا بين عبارتين من الاصابة فى الحكم ان لم تتفقا فى المعنى ، أو على الاقل فى الموضوع ؟ ان ذلك العرف الذى لا يزال سائدا ليس هو العرف كما ينبغى أن يكون حسب ما أنزل الله فى القرآن . والقرآن هو الحكم فى كل ما يمكن أن يسترشد به فيه ، حتى فى قضـــايا الادب ، لا ما يشيع بين الناس . فالمبدا الذى يهمل المعنى ويجعل الصياغة كل شىء عند تقدير الفصاحة في الموازنة بين كلامين هو مبدأ شيطانى لا قرآنى . ويكفى فى شـــيطانيته أنه استدرج علماء الادب من المسلمين الى استحسان ما جاء به مثل أبى نواس وبشار من شعر فاحش ، لاحسانهما فى التعبير ، ففتح بذلك على المسلمين فى تربية النشء باب فساد كبير . (يتبع)

٥ ــ (ولا تأتوا ببهتان (١) تفترونه (٢) بين أيديكم وأرجلكم) :

... هذا نهى يقطع دابر الفتنة ، فالمسلم الذى آمن بالله واتبع رسـول الله لا يدعى على الناس ما ليس فيهم ، ولا يرميهم بالباطل ، من القول أو العمل ، ولا يزور من عند نفسه ما يبهت غيره ويفضحه ، حتى لا تثار خصومات ، ولا تنشأ عداوات تفسد المجتمع وتهدده بالضياع والانهيار ، والاسـلام حريص كل الحرص على المقومات التي تقوى الروابط الانســانية ، وينشأ عنها تعاضد المسلمين وقوة شـوكتهم .

وهنا ــ محك الاخلاق ، والموقف الذى يبدو فيه الجيد من الزائف ويعرف الغث من السمين ، فالمتجنى على الناس ما ليس فيهم ظالم لهم ولنفسـه ، لأنه يرمى محصنا بالفجور ، وحين يصف المرء غيره بما ليس فيه ، انما يعيب نفسه ، ويفسد العلائق الطيبة ، وقد عد القرآن الكريم رمى المحصنات بهتانا فقال تعالى فى سـورة النور (.. ولولا اذ سـمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سـبحانك هذا بهتان عظيم) وفى الآية الكريمة الاخرى سـماه افكا فقال سـبحانه : (لولا اذ سـمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسـهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) وجعل سبحانه لعنته وغضبه على الذين يرمون أزواجهم بهذا الفعل الشـائن القبيح ، وجعل للذى تولى كبر الافك العذاب العظيم (... والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ... وكل هذا التشـديد للحرص على سـلامة المجتمع الاسـلامى من الانهيار .

واخيرا : يجمل سيد الخلق ما فصل سـابقا فيقول : ولا تعصوا فى معروف ، ثم أعقب كل ما مضى بما يشعر بضعف الانسـان وشدة اكرام مولاه له مهما قارف من الذنوب ، فقال ــ فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شـيئا فعوقب فى الدنيا ــ بمرض أو نازلة ، أو أقيم عليه حد فهو كفارة له ، ولهذا قال الفقهاء ان من أقيم عليه حد كان ذلك كفارة لذنبه ولا يعاقب فى الآخرة ، فالحدود جوابر ، على الرأى الصحيح المعتمد .. وليسـت زواجر فقط وان قال به آخرون ــ ولكل مجتهد نصيب ــ .

ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله ــ أى لم يعلم بفعله أحد الا الله ــ فهو الى الله ــ أى أمره بينه وبين ربه ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ــ والاحاديث الصحيحة الاخرى تؤكد أن من ستره الله فى الدنيا فلن يعاقبه فى الآخرة والامل فى رحمة الله كبير ، قال تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفــور الرحيم) .

ويقول راوى الحديث الشريف سيدنا عبادة : فبايعناه على ذلك ، ونسأل الله أن يبايع المسلمون المعاصرون رسول الله على ذلك أيضا حتى يلتئم شملهم وتتحد كلمتهم وتقوى مجتمعاتهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) البهتان : هو الكذب الذي يبهت ما معه (أى يدهشه ويوقعه فى الفضيحة) فهو أخص من مطلق الكذب لأن البهتان لا بد أن يكون معه فضيحة ، (وقد مثل له بعض السابقين بقوله : كالرمى بالزنا وقذف المحصنات) . أما الكذب فانه أعم من أن تكون معه فضيحة أو لا تكون .

(٢) الافتراء : الاختلاق : أى لا أصل له فى الواقع . وخص الايدى والارجل لأن معظم الافعال تقع بهما غالبا أو هى كناية ..

الإسلام !

المسيحية وتأليه المسيح ونظرية الفداء والتثليث

للأستاذ : أحمد حسين المحامي

قلنا ان أناجيل متى ومرقص ولوقا، لا تحوى أية اشارة عن التثليث ، ولا عن عقيدة الفداء والوهية المسيح ، وتساءلنا فمن أين جاءت — اذن — هذه الأفكار التي لم ترد في الأناجيل ؟ واليوم نرد على هذا السؤال .

انجيل يوحنا :

ذكرنا أن الأناجيل التي يعتمدها المسيحيون أربعة ، وقد أفردنا الأناجيل الثلاثة متى ومرقص ولوقا بالحديث حتى الآن ،و قد حان الوقت لنتحدث عن الانجيل الرابع ، انجيل يوحنا .

يقول ول دورانت عن هذا الانجيل:

« ولا يدعى الانجيل الرابع أنه ترجمه ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية ، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية ، وهو **يناقض الأناجيل** الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح » .

(قيصر والمسيح — ص ٢٠٩)

وغير دورانت من كبار المفكرين يشكون في نسبة هذا الانجيل الى يوحنا حوارى المسيح .

والاجماع يكاد ينعقد بين المفكرين على أنه آخر الأناجيل ، ويحددون لوضعه أواخر القرن الاول المسيحي، ويرون فيه انعكاس الآراء الفلسفية التي كانت سائدة في العالم الهلينستى في هذه الفترة ، كما يعبر عنها الفيلسوف اليهودي فيلو ، والذي كان يقول : ان الكائنات خارج الله قبل أن توجد كانت أفكارا في العقل الالهي ثم تطورت هذه الافكار الى كلمة (Logos) وكان فيلو يقول عن العقل الالهي أنه **أول ما ولد الله وهو ابن الله من الحكمة العذراء** — كما كان يقول انه عن طريق الكلمة كشف الله عن نفسه للانسان .

هذه الآراء التي قال بها الفيلسوف اليهودي فيلو محاولا فيها التوفيق بين الفلسفة الافلاطونية ، والعقيدة اليهودية .. هي التي ألفت الاصحاح

الاول من انجيل يوحنا على ما يقول ول دورانت ، حيث تجرى عبارات هذا الاصحاح على الوجه التالي :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان فى البدء عند الله » . الى أن يقول :
والكلمة صار جسدا وحل فينا وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا (١) .

وهكذا جاء انجيل يوحنا بهذه الملامح الجديدة للمسيحية ، ولم يكن انجيل يوحنا في هذا منشئا ، بل كان يعكس التطور الجديد الذي طرأ على المسيحية على يد بولس الرسول ، الذي كان بحق صاحب الفضل في تحويل المسيحية من دين خاص ببني اسرائيل الى دين عالمي ، ولكنه وهو يفعل ذلك انتقل بالمسيحية من بساطتها الاولى ونصاعة تعاليمها ، الى هذه الافكار المعقدة التي صارت اليها في ظل الكنيسة ، والتي يعتبر بولس بحق منشئها وبانيها ، وواضع أساس سلطانها الذي لم يسبق له مثيل .

ولم يكن بولس هذا الذي أحدث في المسيحية كل هذا الاثر والتطور من تلامذة المسيح ، بل لم يكن ممن رأوا المسيح في حياته ، وكان أشد الناس اضطهاداً للمسيحيين ، وكان يسمى « شاول » ولندعه الآن يقدم لنا نفسه وكيفية ايمانه بالمسيح ، كما روى عنه في سفر أعمال الرسل .

بولس الرسول :

« اني رجل يهودي ولدت في طرسوس كليكلية ، لكنى ربيت في هذه المدينة (أورشليم) وتأدبت لدى (كاهنها) على حقيقة الناموس الابوى ، وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم ، وقد اضطهدت هذه الطريقة (المسيحية) حتى بالموت مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشيوخ الذين أخذت منهم رسائل الى الاخوة وانطلقت الى دمشق لآتي بمن هناك الى أورشليم موثقين ليعاقبوا ، فاتفق وأنا سائر وقد دنوت من دمشق عند الظهر أن أبرق حولي من السماء بغتة نور عظيم ، فسقطت على الأرض ، وسمعت صوتا يقول لي : شاول شاول لماذا تضطهدني فأجبت من أنت يا رب فقال لي أنا يسوع الناصري (٢) الذي أنت تضطهده ، والذين كانوا معي رأوا النور ولكن لم يسمعوا الصوت الذي كلمني (٣) . فقلت ماذا أصنع يا رب فقال لي الرب قم وامض الى دمشق وهناك تخبر بجميع ما رسم عليك أن تفعله » .

ويمضى بولس في قصته ، وكيف أنه أصبح لا يرى ، ثم ارتد مبصرا وكيف حصل له على حد تعبيره (انجذاب) وأخذ على عاتقه أن يبشر بيسوع المسيح ابن الله الحي الذي بعثه الله ليكون فداء للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم .

ولما كانت هذه التعاليم لم يقل بها المسيح ولا واحد من أصحابه المقربين فقد كان طبيعيا ألا تلقى رواجا بين اليهود ، الذين رفضت أكثريتهم الساحقة الاعتراف بأن يسوع هو مسيحهم المنتظر ، والذي تحدثنا عنه ونحن نستعرض الديانة اليهودية ، فالمسيح في عقيدتهم سيكون ملكا يعيد

---

(١) ول دورانت ص ١٠٥ .
(٢) انظر الى الاجابة وصراحتها من أنه عيسى المولود فى الناصرة .
(٣) ذكرت هذه الواقعة عكس ذلك فى نفس هذا السفر حيث جاء فى الاصحاح التاسع : أما المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا .

سلطانهم على الارض ، وليس انسانا عاديا يرفع على الصليب وهم الذين يلعنون من يرفع على الصليب .

ومن هنا فقد اتجه بولس بدعوته الى شعوب الامبراطورية الرومانية ولما كانت الكثرة الغالبة من سكان هذه الامبراطورية ، عبيدا أرقاء يعيشون في الألم والعذاب ، فقد وجدوا في القصة التي حدثهم عنها بولس من أن الله أرسل ابنه الحبيب ليتألم ويتعذب على الأرض كفارة عن ذنوب الخاطئين ، وجدوا في هذه الفكرة عزاء لآلامهم وأحزانهم ، كما وجدوا في تبشير بولس باقتراب ملكوت السماء ، وقرب قدوم المسيح لانقاذهم ، أملا في التحرر من ربقة الاستعباد ، ونيل الحظوة في السماء .

ولكي يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته ، لم يفتأ يوصي العبيد بأن يخدموا أسيادهم في أمانة واخلاص مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعنتوهم . بل وأن يخضع الكل للسلاطين والحكام في غير تذمر او احتجاج .

« لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانه لا سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله ، فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على أنفسهم » .

« أيها العبيد أطيعوا سادتكم الجسديين بخوف ورعدة بسلامة قلوبكم كطاعتكم للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضي الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين بمشيئة الله من قلوبكم » (بولس الى افس — الاصحاح السادس) .

أما وقد جعل بولس سبيل دعوته ضرورة خضوع الناس جميعا للسلاطين باعتبارهم يمثلون مشيئة الله ، وخضوع العبيد والأرقاء لأسيادهم كما يخضعون لله ، فقد تركته السلطات يبشر بدعوته التي لا حرج فيها ولا خطر ، ما دامت تنتهي الى مضاعفة العبيد لجهدهم في خدمة أسيادهم ، وخضوع الرعايا لحكامهم .

وزاد بولس على ذلك كله أن أعفى المسيحيين الجدد من فريضة الختان التي كان اليهود يفرضونها على أنفسهم بل واعفاهم من كل الطقوس والعبادات التي يأخذ بها اليهود مما يطلق عليه اسم الناموس أو الشريعة .

ويصل في ذلك الى حد الاختلاف مع تلامذة المسيح وحوارييه وعلى رأسهم بطرس نفسه ، (فالبر اصبح بالايمان وليس بالناموس) .

بولس وألوهية المسيح

ولخص بولس المسيحية في الاعتقاد بألوهية المسيح وأنه ابن الله الحبيب ، وقد أنزله الله على الارض ليتعذب ويموت على الصليب ، فيكون في موته كفارة عن خطايا البشر التي وقعوا فيها نتيجة خطيئة آدم الأولى ، وليرفع عن البشر لعنة الموت الذي كتب عليهم بعد غضب الله على آدم ، وحسب الانسان ان يؤمن بالمسيح ابن الله لكي يتبرأ من الخطيئة بدون أي عمل آخر ولكي يسلم من الموت .

صلته بديانة الرومان

ولم تكن هذه الأفكار التي قال بها بولس غريبة عن دنيا الرومان في

ذلك الوقت ، فقد كانت عبادة الآله « مترا » من الديانات المنتشرة ، والمسيح الاله هو صورة طبق الأصل من خصائص الاله « مترا » فكلاهما كان وسيطا بين الله والبشر ، وكلاهما مات ليخلص البشر من خطاياهم ، وكلاهما دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره ، وكلاهما كان يدعى مخلصا ومنقذا ، وكلاهما يعمد أتباعهما باسمهما ، وكلاهما يقام في ذكراهما كل عام عشاء مقدس .

وديانة قدماء المصريين

أما نظرية ابن الله الاله فقد كانت تسود العالم المصرى القديم (اوزوريس وايزيس وحوريس) ، ومن مصر غمرت حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكانت صورة ايزيس الأم وهي تحمل الاله الابن هي الصورة السائدة في أنحاء العالم الروماني .

ولن يجد الانسان كبير صعوبة وهو يطالع سفر أعمال الرسل في اكتشاف كيف استغل بولس الافكار السائدة للتبشير بفكرته عن المسيح المخلص .

فتراه يخطب أهل أثينا في الاصحاح الثامن والعشرين من أعمال الرسل بقوله :

« يا رجال أثينا أني أرى أنكم في كل شيء تغلون في العبادة ، لأني في مرورى ومعاينتى لمناسككم صادفت مذبحا مكتوبا عليه « للاله المجهول » فهذا الذي تعبدونه وأنتم تجهلونه أنا أبشركم به » .

ثم يروح بولس يحدثهم عن المسيح باعتباره الفادي للبشر والمخلص وابن الله ، مستندا في ذلك الى ما يقولونه في أشعارهم من أنهم ذرية الله .

ولما كانت آراء بولس قد سادت العالم المسيحي في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي ، فقد عكس أنجيل يوحنا هذه التعاليم بعد أن مزجها بالفلسفة اليونانية .

المجامع المسيحية :

على أنه لا المسيح ، ولا تلامذته ، ولا الأناجيل ، ولا بولس نفسه ، قد صاغ العقيدة المسيحية بصورتها التي تمارس بها الآن ، وانما كانت هذه العقيدة وتعاليم المسيحية كما تطبقها الكنيسة هي من وضع المجامع المسيحية التي بدأت تنعقد ابتداء من القرن الرابع الميلادى ، بعد أن أصبحت المسيحية هي الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية ، وذلك لتحدد عناصر العقيدة ، وتصدر القرارات ضد مخالفيها .

وقد عقد تلامذة المسيح أول مجمع لهم في أورشليم سنة ٥١ ميلادية برئاسة الأسقف يعقوب الرسول للنظر في موضوع ختان الأمم ، فقد كان بعض تلامذة المسيح من اليهود يرون وجوب الختان على الأمم من غير اليهود ، بينما كان بولس يبشر بخلاف ذلك كما رأينا ، حيث كانت نظريته أنه بعد نزول المخلص فقد أصبح الختان بالقلب (وليس في القلفة) . واستقر رأى الرسل على اعفاء الشعوب غير اليهودية من سنة الختان ، وبعثوا الى الشعوب برسائل قالوا فيها : قد رأى روح القدس ونحن ، ألا نضع عليكم ثقلا فوق هذه الاشياء التي لا بد منها ، وهي أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى فاذا صنتم أنفسكم من هذا أحسنتم فيما فعلتم » (أعمال الرسل الأصحاح الخامس عشر) .

مجمع نيقية :

يعتبر هذا المجمع هو المسئول الأول عن تأليه المسيح بصفة نهائية ، فقد كانت هذه القضية مسار خلاف بين رجال الدين المسيحي ، وقد تزعم الأسقف اريوس القول بوحدانية الله ، وأن المسيح لا يمكن أن يكون من جوهر الأب وبالتالي لا يمكن ان يكون مساويا له ، وقد دعى المؤتمر للانعقاد بناء على طلب الامبراطور قسطنطين لحسم الخلافات بين طوائف المسيحيين فانعقد المجمع الذي كان مؤلفا من (٣١٨) أسقفا وذلك عام ٣٢٥ م ودار البحث حول ما أسموه « بدعة اريوس » أو هرطقة أريوس وكفره والحاده (١) .

وتم وضع الشق الأول من العقيدة المسيحية في هذا المجمع أو ما يطلق عليه دستور الايمان الذي يجب أن يحفظه كل مسيحي عن ظهر قلب وهو :

« بالحقيقة نؤمن باله واحد الله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى » .

« نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي ، تألم وقبر وقام من الأموات ، وفي اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد الى السماوات وجلس عن يمين أبيه وسيأتي أيضا في مجده ليدين الاحياء والموتى ، وليس لملكه انقضاء . نعم نؤمن بروح القدس » .

وقد ذيل هذا الدستور بالحرم الآتي نصه : ان جميع الذين يقولون عن الابن انه جاء عليه حين من الدهر لم يكن فيه موجودا ، أو انه لم يكن له أثر في الوجود قبل أن يولد ، أو انه ولد من العدم ، أو انه من غير جوهر الأب ، أو انه مخلوق ومعرض للتحول والتبدل فالكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة تعلن وقوعه تحت طائلة الحرم (٢) .

مجمع القسطنطينية :

وكما انعقد مؤتمر نيقية ليقرر الوهية المسيح ومساواته للأب معارضا بذلك تعاليم أريوس التى كانت قد انتشرت واستفحلت . فقد اجتمع مؤتمر آخر في القسطنطينية عام ٣٨١م بدعوة من الامبراطور تيودوسوس ، لتقرير الوهية روح القدس أسوة بألوهية المسيح . وكان أسقف القسطنطينية المسمى مقدونيوس لا يعترف بألوهية روح القدس (٣) .

وقد أضاف المجمع الجديد على دستور الإيمان الذي تقرر في نيقية القرار التالي :

نؤمن بروح القدس ، الرب المحيى المنبثق من الأب المسجود له والممجد مع الأب والابن الناطق في الانبياء . ثم أضافوا كذلك :

ونؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية . ونعترف بمعمودية

---

(١) ان من يطالع أقوال اريوس ومبادئه كما أثبتها الاستاذ الكبير زكى شنوده فى كتابه « تاريخ الاقباط » يراها مصدقة كل التصديق لقول القرآن الكريم في شخصية المسيح .

(٢) الحرم أى الحرمان بمعنى الطرد من الكنيسة .

(٣) روح القدس في الاسلام هو جبريل عليه السلام .

واحدة لمغفرة الخطايا وننتظر قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي .

وتعددت المجامع بعد ذلك ، ولكن الكنيسة لم تلبث أن انقسمت الى شرقية وغربية ، لا يعترف كل منهما بما يقرره الآخر ، حيث دار الخلاف حول الاله روح القدس وهل انبثق من الآب وحده كما جاء في دستور الايمان السابق ، أم من الاب والابن معا . وهل للمسيح طبيعة واحدة الهية بحتة ، أم له طبيعتان الهية وناسوتية وهل له مشيئة واحدة أو مشيئتان .. الخ .

وكان من آخر المجامع ما عقد في روما عام ١٨٦٩ حيث تقرر فيه أن البابا معصوم ولا يمكن أن يخطيء أبدا .

وآخر مجمع من هذا القبيل هو الذي دعا اليه بابا روما منذ عامين واجتمع بالفعل في روما ، وذلك للنظر في تبرئة اليهود من دم المسيح .

وليس يعنينا من هذا العرض ،الا أن نظهر كيف أن هذه المجامع الكنسية — وليس السيد المسيح أو تلاميذته — هي التي صاغت دستور الايمان المسيحي ، وهي التي قالت بالتثليث والفداء وسلطة الكنيسة ، وهي العناصر الثلاثة التي تقوم عليها الديانة المسيحية في العصر الحديث ونرى أن نعرضها بايجاز .

التثليث :

لا أثر لفكرة التثليث في الأناجيل أو أعمال الرسل ، أو رسائل الرسل المنبثة في العهد الجديد ، وإذا كنا نجد فيها اشارات لالوهية المسيح أو ربوبيته كما يقولون فلن نجد فيها أي اشارة عن قرب أو بعد لتأليه روح القدس ، بل ان انجيل لوقا أفصح عن أن روح القدس هو جبريل عليه السلام كما يقول القرآن الكريم :

« وفي الشهر السادس من الحمل بيوحنا — أرسل جبريل الملاك من الله الى مدينة الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود ، اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فقال لها لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيتيعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لوقا — الاصحاح الأول) .

وليس يعنينا الآن من هذه الرواية الا أن روح القدس الذي خاطب مريم وبشرها بيسوع هو الملاك جبريل .

فألوهية روح القدس اذن شيء غير وارد في الانجيل ، ولذلك وجد من كبار المسيحيين في القرون الأولى من قرر أن روح القدس مخلوق . وبولس الرسول الذي له أربع عشرة رسالة في العهد الجديد مقدسة كلها . لا يذكر النعمة الا مقترنة بالاب والابن فقط « النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح » (كورنتس الثانية — الاصحاح الاول) .

ولسنا نريد أن نمضي طويلا في هذه المناقشة التي استوفاها أعظم استيفاء أخونا العلامة الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه « المسيح في القرآن » .

وحسبنا أن نستعرض التثليث كما تقول به المسيحية المقررة .

تقوم عقيدةالتثليث علىالايمان باله واحد مؤلف من ثلاث أقانيم أو ثلاثة شخوص (١) « الآب والابن وروح

---

(١) يستعمل اللاتين كلمة شخص بينما يستعمل اليونانيون كلمة اقنوم للتعبير عن الحقيقة الواحدة وقد أقر اثناسيوس استعمال كلتا الكلمتين . (قصة الكنيسة القبطية — ص ٢٣٧) .

القدس » وهذه الثلاث أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة . واحد في ثلاثة ، وثلاثة في واحد ، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها ، ولكن ذلك لا يقال الا على سبيل التبسيط والا فعقيدة الثالوث شيء معقد يسلم المسيحيون جميعا أنه فوق العقل والادراك ، ذلك أن كل اقنوم من الأقانيم الثلاثة له خصائصه وذاتيته التي لا تختلط بالذاتين الأخريين .

« فالأب لا هوت بحت وهو الخالق . والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادى ، والروح القدس لاهوت محض وهو المطهر المنبثق من الأب » .

فنحن كما ترى ازاء ثلاثة شخوص أو أقانيم ، سمها كما شئت لكل منها خصيصة ، وتوجد منفصلة بعضها عن بعض فالابن مولود من الاب ، والابن يجلس الى يمين الآب . وهكذا يجد الانسان نفسه أمام ما يشبه أن يكون ثلاثة آلهة ، ولكنها في الحقيقة اله واحد ، انهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة ، وهكذا دواليك (١) .

عقيدة الخطيئة والفداء :

ننتقل الآن الى العنصر الرئيسي الثاني من عناصر المسيحية وهو فكرة الخطيئة والفداء ، والتي كان بولس الرسول هو القائل بها ولم تلبث المجامع المسيحية أن اعتبرتها جوهر الايمان المسيحي .

تقوم فكرة الخطيئة والفداء ، على ما جاء في التوراة والقرآن ، من ان آدم أبا البشر أخطأ وعصا الله عندما أكل من الشجرة ، وغني عن البيان أن ذلك قد حدث ليتحقق سابق علم الله من خلق البشر وتكاثرهم وتعميرهم لهذا الكون . ولذلك فان القرآن الكريم يقول لنا في بساطة المنطق الالهى ووضوحه ، ان الله عفا عنه : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » .

أما العقيدة المسيحية فتقول لنا ان الله لم يغفر لآدم خطيئته ، بل ان غضبه لم يقف عند حد آدم ، بل تناول كل ذريته من بعده ، فقضى عليهم أن يعيشوا في الخطيئة أبدا ، وأن يلاحقهم الموت بالتالي . ولا نتساءل الآن ما ذنب ذرية آدم وهم لم يخطئوا (٢) ، وكيف يتفق هذا الغضب مع وصف المسيح له بأنه محبة ورحمة كله ؟

لا محل لتوجيه هذه الاسئلة فردهم عليها دائما حاضر ، وهو أن الله لا يسأل عما يفعل ، وعلى كل حال فان مجيء المسيح هو آية عفو الله عن البشر وتداركهم برحمته . فقد رأى الله أن يتصالح مع البشر . فأرسل ابنه الحبيب ليتجسد على الارض بشرا سويا ، ليعيش ويتعذب ويتألم ويرفع على الصليب ويموت فيكون في موته كفارة عن خطيئة آدم وذريته . ومن هنا يطلق على المسيح اسم الفادى والمخلص .

ولا نريد ان نتساءل ألم تكن هناك وسيلة ليظهر الله بها عفوه عن بني آدم الا هذا الاسلوب ، فنحن ممن يسلمون ان الدين أي دين لا يمكن الا

---

(١) قارن هذا بنصاعة التوحيد الاسلامي وبساطته وقوته وهو ما يعترف به مفكرو المسيحيين أنفسهم وقادة الرأى فيهم حيث يقول القرآن الكريم : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

(٢) « ولا تزر وازرة وزر أخرى » صدق الله العظيم .

أن ينطوي على أمور يجب تقبلها كما هي ، ولكن السؤال الذي لا يستطيع أي انسان له عقل ان يرد نفسه عن توجيهه مهما غرق في بحار التصديق والاعتقاد ، هو السؤال التالي :

اذا كان لحادث الفداء بهذه الصورة كل هذا الخطر في حياة البشر ، واذا كان المسيح ابن الله قد نزل على الارض خصيصا ليقوم بهذا الدور ، فكيف لم يشر اليه عن قرب أو بعد ، بل كيف لم يلفت النظر اليه في وضوح وصراحة ، وهو محور العقيدة ولبها ، والمطالع للاناجيل لا يرى في المسيح وأقواله وتصرفاته الا كما يرى في تصرفات أي نبي أو رسول ، حيث يعظ ويهدي الى الطريق المستقيم ، ويقول لمن يسأله عن الطريق للوصول الى ملكوت السماء ، أن ينفذ الوصايا العشر .

أما السؤال الثاني الذي يفرض نفسه كذلك تأسيسا على الاعتقاد بنظرية الفداء : هل معنى تكفير المسيح عن أخطاء البشر ان لم يعد ثمة لوم أو تثريب عليهم ، اذا هم عصوا أو أخطأوا فقد تمت المصالحة بينهم وبين الله ، وكفر المسيح عنهم بدمه ؟!

هنا وتتولى الكنيسة الرد على هذا التساؤل بهذا القول الذي يفسر لنا سر خضوع مئات الملايين من البشر للكنيسة الغربية ولبابا روما بصفة خاصة هذا الخضوع العجيب خلال عدة قرون .

تقول الكنيسة :

ان المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر ، قد تمت لحساب الكنيسة ، فجسد المسيح ودمه الذي يكفر عن الذنوب والخطايا ، محفوظ عند الكنيسة ، وهي وحدها التي توزعه على من يعطيها ، فيصبح من الناجين ، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطه جسد المسيح أو دمه ، فانه يصبح من الهالكين ، لا في الآخرة ، وانما في هذه الدنيا ، حيث كان يحرق بالنار كل من تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان .

ولن يستطيع أي مسلم وربما أي مسيحي شرقي أن يتصور ما الذى تعنيه كلمة الكنيسة وسلطان قساوسة الكنيسة في أوربا القديمة ، فالاسلام لم يعرف الكنيسة ولا الكهنوت، وهو مايجعل مفكري الغرب يشيدون بعظمة الاسلام . والكنيسة الشرقية لم تمارس في كل تاريخها السلطة الزمنية . ولن تكمل دراسة للمسيحية الا اذا فصلنا لك الأمر عن الكنيسة وأسرارها التى تحتفظ بها لنفسها ، والتى ان عرفتها الكنيسة الشرقية عبادات روحية ، فقد طبقتها الكنيسة الغربية سلطة زمنية على ملايين البشر نفوذا وأحكاما وقصاصا وحرمانا وضرائب مالية جعلت البابا حينا من الزمان يتربع على عرش أباطرة الرومان ، ويمارس من السلطة والنفوذ ، ما لم تحلم به القياصرة في جبروتها .

فالى المقال التالي ان شاء الله

- ما فائدة التاريخ وأقوال الحكماء وتجارب السلف اذا لم تكن دليلا هاديا للخلف ؟
- لقد تعلمت من الحديث مع الناس أكثر مما تعلمت من كل ما قرأت .
- الكتب أجمل أثاث ولو لم تفتحها أو تقرأ منها كلمة .

أشرف وظائف المرأة

للشيخ محمد الغزالي
مراقب الدعوة بوزارة الأوقاف — القاهرة

التلطف مع الاناث ، والرفق بهن ، آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها . وهو أدب يبذل للنساء عامة سواء كن قريبات أم غريبات ، كبيرات أم صغيرات . ومع استقامة الفطرة الانسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالى .

وليس مرده — فيما نرى — الرقة لضعف المراة واسداء الجميل لها . بل مرده احساس الرجال بأنهم اهل الثقة وموضع الفضل ، وانهم عند حسن الظن اذا طلب الضعيف الحمى أو طلب القلق الامان . . !!

والغربيون يترجمون هذا الاحساس بتقديم المراة على الرجل فى الخطاب ، وتقديمها عليه فى الدخول والخروج والجلوس وغير ذلك . وهو ضرب من المعاملة ظاهره الايثار ، وان كان باطنه مثقلا بالاوزار . .

ونريد أن نتأمل فى أساليبنا — نحن العرب والمسلمين — مع المراة ، وأن نقابل بين ما انتهى اليه الاسلام فى هذا الشأن وبين ما وصل اليه مفكرو الغرب ، ونقدة الحضارة الحديثة . ومن الخير أن ننفى أولا زعما شاع بين الناس أن العرب فى جاهليتهم كانوا يهينون الانثى ، ويغضون من مكانتها ، نعم هناك سفهاء صنعوا ذلك وعرفوا به ، بيد أن الامم لا تؤاخذ جملة بما يقترفه رعاعها . كيف والشعراء العرب ما كانوا يفتتحون قصيدهم الا بالغزل ؟ مستعرضين شمائلهم أمام من أحببن ، أو متغنين بمآثر نسائهم خلقا وخلقا . واسمع لعمرو بن معدى كرب يقول :

لما رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدا

وبدت لميس كأنها ... بدر السماء اذا تبدى

وبدت محاسنها التى ... تخفى وكان الامر جدا

نازلت كبشهم ولم ... أر من نزال الكبش بدا

وعمرو الذى يرغب أن يبدو فى أشرف أحواله أمام حبيبته بدأ قصيدته تلك بقوله :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وأن رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

ويقول عمرو بن كلثوم ، يصف نساء قومه وموقفهن عند احتدام المعارك :

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
ظعائن من بنى جشم بن بكر خلطن بميسم حسبا ودينا
يقتن جيادنا ويقلن : لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا

وليس يزرى الامة العربية ان كان بها من واد البنات ففى عصرنا هذا ، وفى أزهى عواصم الغرب ، يظهر بين الحين والحين سفاحون مولعون بقتل النساء خاصة ، بعد ختلهن بالالفاظ المعسولة ، وبعد قضاء ما يبغونه من وطر . وهذه المآسى الفردية لا تتحمل سمة الدلالة ، ولا يعدو عارها مرتكبيها .. واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكورة ، وعرفان الانثى لوظيفتها الصحيحة ، فالمراة اما زوج حانية أو أم مربية ، أو فى طريقها الى هذا المصير النبيل .

ووظيفة (ربة البيت) من اشرف الوظائف فى الوجود ، وما يحسنها الا من استكمل لها أزكى الاخلاق وأنقى الافكار . أليست هى حضانة الاجيال الجديدة وشق الطريق أمامها حتى تنبت نباتا حسنا ؟؟ ان تصور المراة فى البيت انسانا قاعدا لا شغل له جهل شنيع بمعنى الاسرة وتصور ربة البيت انسانا يجيد الطهى والخدمة فقط ضرب من السلوك الحيوانى عرفته الأمم ابان انهيار حضارتها وسقوط مستواها العام ..

ولقد كانت المراة فى صدر الاسلام — كما سنرى — ربة بيت من طراز رفيع ، وما منعها ذلك من أن تكون فى قمة الثقافة والاستقامة الاجتماعية ، والنهوض بأمتها والانتصار لدينها ..

جاء الاسلام العظيم ، ومست رحمته حياة المراة ، فرد عنها طغيان القساة من الرجال وحرر انسانيتها روحا وجسدا حين اتاح لها أن تتزود من العلم ما تشاء . وحصن حقوقها المالية حتى لا تذهب بها اثرة الاقرباء أو الغرباء . وربطها برسالة الامة الكبيرة ودعوتها العامة فهى فى السلم أو الحرب عنصر فعال ، وظهير قوى . وفى نطاق تعاليم الاسلام لا يقل وعى المراة عن الرجل بقضايا الدين والدنيا . وما كان نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الاسلام فى أرجاء الجزيرة ضد الوثنية ، أو جاهلات بكفاحه بعد ضد الفرس والروم .

ولكن توزيع الاعباء أعطى كلا الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف . والاسلام يعرف المراة قبل كل شىء ربة بيت وزوجة بطل وأم شهيد .. ويرفض تجنيد النساء للترفيه كما فعلت أوربا فى حربها الاخيرة ، وكما تفعل فى سلمها .. والملامح النبيلة للمراة المسلمة تراها فى الخنساء ، التى جاهدت فى حرب

فارس ، وحضرت موقعة القادسية الهائلة . اشتركت بأبنائها الاربعة ، وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى ، جمعتهم وزودتهم بنار من الايمان ، ونور من اليقين فى كلماتها الخالدة المأثورة .

ان رائدات النهضة النسائية فى بلادنا أقصر باعا وأنزل رتبة من أن يفقهن هذا المثل .

فاحداهن تكره أن تكون أما لأربعة ولو فرضت عليها الاقدار أمومة أربعة ما أحسنت حضانتهم وتربيتهم وتوصيتهم حتى يبلغوا هذه الذروة .

انها تريد أن تكون (رجلة) تتولى عملا فى المجتمع من هذه الاعمال التى تليق بالجنس الخشن ، ولو أدركت ما ترجو ما نفعت نفسها ولا أمتها بشىء طائل .

وعندما يقال لها : تستطيعين صناعة المستقبل كما تبغين عندما تحسنين تبعل الرجل ، وتنشئة الذرية الوافدة ، يتورم أنفها ضيقا وغيظا . وربما قال قائل : هى فى ذلك على حق ، ويجب تذويب الفوارق المفتعلة بين الذكورة والانوثة ، وترك المرأة تلج كل ميدان وتلى كل عمل ويجب التغاضى عن ضعفها الموقوت لأنه أثر القيود التى شلت حيويتها من قديم وعندما تستوى مع الرجل على الركب وتتكافأ أمامها الفرص ، فلن تكون الانوثة عائقا عن منصب ما .

ونحن لن نرجع الى الفقهاء الاقدمين نستلهمهم الاجابة على هذه الشبهة ، وانما نقتطف نبذا من كلام العالم الفيلسوف (الكسيس كاريل) ، فيها من الحقائق المقررة ما يدحض هذه الاوهام قال : « للغدد الجنسية وظائف أخرى غير الدفع لاتيان عمل من شأنه حفظ الجنس فهى تزيد أيضا من قوة النشاط الفسيولوجى والعقلى والروحى .. فليس هناك خصى أصبح فيلسوفا عظيما . أو عالما خطير الشأن أو حتى مجرما عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الاهمية .. انها تولد الخلايا الذكرية والانوثية وهى ، فى الوقت نفسه ، تفرز فى الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية أو الانثوية المميزة على أنسجتنا واخلاطنا وشعورنا . وتعطى جميع وظائفنا صفاتها من الشدة . فالخصية تولد الجراة والقوة والوحشية وهى الصفات التى تميز الثور القاتل عن الثور الذى يجر المحراث فى الحقل .. ويؤثر المبيض فى جسم المراة بطريقة مماثلة ، ولكن عمله يستمر فقط ابان جزء من حياتها ، فحينما تبلغ المراة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشىء . وحياة المبايض القصيرة تجعل المراة المتقدمة فى السن أكثر ضعفا من الرجل الذى تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جدا .

ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمراة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم . اذ أنها طبيعيا أكثر أهمية من ذلك .. انها تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محدودة يفرزها المبيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة .. والحقيقة أن المراة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها .. الامر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شىء بالنسبة لجهازها العصبى . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى . فليس فى الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها . ومن ثم فنحن مضطرون الى تبولها كما هى . فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن من غير أن يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن أن يتخلين عن وظائفهن المحدودة .

وهذا الكلام القائم على دراسة طبية ونفسية للجنسين معا هو الشرح الدقيق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال) .

ان انسلاخ أحد الجنسين عن فطرته ليلحق بجنس ليس منه ، حرب على الطبيعة ، والتواء بالامور عن مجراها الصحيح ، ولن يفيد العالم من ذلك الا الخلل والفساد ..

ومع رفضنا للنزعات المادية الواقعة في هذا الخطأ فنحن أحسيانا نلتمس عذرا لأصحابها !!

ان هناك صورة قاتمة لأحوال المرأة فى بعض المجتمعات ، تجعل الفزع منها يغرى بالفرار الى أى وجهة .

صورة امرأة تلهث وراء رجل يمتطى دابته أو صورة امرأة تأكل ما بقى من فضلات الغذاء بعد شبع غيرها أو صورة فتاة مقهورة الارادة تتزوج ممن تكره أو محزونة فاقدة الميراث لأن أهلها بطريقة ما حرموها ارثها أو صورة بلهاء صفر العقل لا تعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا .

أو أنه لا وزن لحياتها ولا لجهدها ولا لرأيها ، لأن البيئة التى أنبتتها جعلتها كذلك شخصا كلاّ على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير !!

هذه الصور التى التبست بأوضاع المرأة فى بعض المجتمعات وحسبها المغفلون دينا وما هى بدين ، بل هى رذائل ومحرمات يسخطها رب العالمين .. هذه الصور هى التى أطاشت الالباب القاصرة ، ودفعتها الى الاخذ من الحضارة الحديثة دون تبصر .

ونحن نغار على مكانة المرأة المسلمة ، ونريد أن تسلم من لوثات عبيد الغرب كما تسلم من لوثات الجامدين المقلدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

كان يجب أن نهدى الثناء الى المدنية الحديثة لو أنها ـ حين اعترفت بانسانية المرأة ـ دعمت جانبها الضعيف وحفظت حقوقها المهدرة وردت عنها عدوان من ضنوا عليها بالعلم والمال ، والاسهام بحظ واضح فى رعاية المصالح الخاصة والعامة ..

لكن المدنية الحديثة ـ وشارتها الاولى عبادة الحياة ـ أدخلت المرأة فى المجتمع بطريقة مريبة !!

فبدلا من أن تحصن أنوثتها ضد العبث تعمدت اطلاق الجانب الحيوانى فى البشر ، وجعلت من أنوثة المرأة فتنة تبعثر الاثم فى كل مكان !! فالملابس لا بد أن تكون قصيرة تكشف ما فوق الركبة ضيقة تبرز الصدر والارداف ، مثيرة تغرى بتفصلها وتقسيمها على النظر الحرام والفكر الحرام .. والتقاليد التى أقرتها هذه المدنية الحديثة أن المرأة تظهر فى الاحفال الساهرة شبه عارية ، وأنها ينبغى أن تطعم وترقص مع شخص آخر غير زوجها !! وأقطار الغرب فى أوربا وأمريكا ترى أن المتعة الجسدية فى كل صورها حق طبيعى للفتى والفتاة .. وفرص التلاقى لارواء الغريزة الجنسية ، سواء بالزنا أو بما دونه ، متاحة لمن شاء .

واذا كانت البيئة المؤمنة تفرض القيود على الملابس ، وتباعد بين أنفاس الذكور والاناث الى أن يلتقى الرجل بالمرأة فى بيت الزوجية فان المدنية الحديثة تعمل بداب غريب على اثارة الشهية الجنسية بالليل والنهار ، فى البر والبحر .. وتستفز الغرائز الساكتة لتدفعها دفعا الى الاستمتاع الميسور ، محظورا كان أم غير محظور ..

انها مدنية تنشد اللذة وتطوع لها كل شيء ، والمسحورون بها يحق فيهم قوله تعالى (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) .

ولما كانت الطبيعة البشرية قد تسكن اذا نالت ما تشتهى او قد تهدأ اذا ألفت ما ترغب فان زبانية النشاط الجنسي يكدون قرائحهم لخلق أزياء وأوضاع جديدة تلهب الذئاب الجائعة لتنطلق فى كل فج وهى تصيح هل من مزيد ؟

ومن الحق أن نقول : ان الاديان السابقة كانت أعجز من ان تقف السيل الطام .

فقد كان الانسان بذكائه العقلى أكبر منها وأمنع ، من تصديق نقائضها ، كما أن ميوله كانت اشرس من أن تنقاد لتعاليمها الباهتة .. أما الاسلام فكان غافيا فى بلاده محتبس الضوء بين حكام الجور ، وعلماء السوء ، وعباد الغفلة !! ومن ثم انطلقت المدنية الحديثة فى طريقها لا تلوى على شيء ، تطلب اللذة على ظهر الارض من كل سبيل ، وترى المرأة أولى هذه اللذاذات التى ينبغى أن تتشبع فتتملاها كل عين .. وتلمسها كل يد .. والمدنية الحديثة الآن تفرض نفسها على القارات الخمس . ويكافح بعض المسلمين فى جو مربد لينقذوا أقطارهم من هذا الشرود الجنسى الطافح ، ولكنهم — الى يوم الناس هذا — يحاربون فى معركة انسحاب !!

اننا نرفع صوتنا عاليا بأن من حق المرأة أن تتعلم ، ولا يستطيع أحد أبدا أن يحرمها هذا الحق .. لكن من قال : ان التبرج والاختلاط ضرورات لا بد منها فى الجو العلمى ؟؟ واذا كان الاسلام يأذن باختلاط ما فى بعض المواطن فهو اختلاط مصحوب بالحشمة والحياء وغض البصر وتقوى الله .. وهو يرفض بتة كل اختلاط يسمح بأن يخلو رجل بامرأة .. وبالتالى فهو يستنكر أحفال العرى والمجون التى عرفتها وأشاعتها المدنية الحديثة .. وللمرأة أن تعمل فى وظائف مناسبة ، وفى ظروف خاصة ، لكن على أساس أن عملها الجليل المعتيد أن تكون ربة بيت وسيدة أسرة وأن يكون جو العمل غير ما تألف المدنية الحديثة .. فلا يليق حشر المرأة عارية الاذرع والسيقان فى صفوف الرجال !!

ولا يليق توظيفها لتعرض أوراقا على مدير يختلى بها اذا شاء .. ونحن نعرف أن المرأة فى أوربا وأمريكا اشتغلت بالمصانع والحقول والشركات والجامعات لكن حصاد اللقاء البعيد عن معرفة الله واتباع شرائعه كان مرا .

ان المرأة قد تعمل اذا احتاجت لعمل أو احتاج اليها المجتمع .. ما يصدها عن ذلك أحد ..

أما الزعم بأنها والرجل سواء فى القدرات المادية والمعنوية فذلك ما ننكره . كيف ، وهى تلد وترضع ؟ وحملها لولدها وحضانتها له يأخذان منها جهدا مضنيا .

ثم هى — من غير الحمل ونتائجه — تراح من العبادات المفروضة فى دورات شهرية منتظمة . فكيف تكلف بالاعمال العادية وينتظر منها أن تساوى الرجل فى الانتاج ؟

ولندع ذلك كله .

ان المشكلة ليست فى عمل المرأة أيا كان نوعه! المشكلة فى جو ذلك العمل ! ولون المجتمع العام الذى يتم فيه وهنا تبرز طبيعة الاسلام دون غضاضة .

فالاسلام دين يكلف الرجال والنساء بصلوات خمس كل يوم ، وعندما تؤدى هذه الصلوات فى جماعة — ولا بد فى كل أمة مسلمة من قيام هذه الجماعات من الفجر الى العشاء — فان الرجال يملأون الصفوف الاولى والنساء يملأن الصفوف المؤخرة .

وعلى النساء أن يخفين زينتهن وأن يرتدين ملابس سابغة . وعلا كلا الجنسين أن يغض طرفه اذا رأى الآخر ! فاذا حدث أن نظر شخص الى غيره نظرة مريبة وجب على من لاحظ ذلك أن ينهاه عن الاثم وأن يذكره بالله .. ومعنى هذا كله أن الاختلاط بمدلوله الواسع فى المدنية الحديثة يأباه الاسلام اباء تاما ويرفضه رفضا حاسما .

ان الجو الذى تعمل فيه المرأة هناك ، فى أوربا وأمريكا ، جو التكشف ، وابداء المحاسن ، واختيار الاصدقاء ، وحرية التلاقى والاختلاء ، وحرية الجسد كما يقولون ، أو جو نبذ الدين ظهريا واجتياح حدوده دون نكير .. هذا الجو يستحيل أن يقبله الاسلام أو يرضى بدفع المرأة اليه ..

ان الاسرة ذابت فى أقطار أوروبا وأمريكا تحت اللهب الجنسى المشتعل فى هذا الجو ، وبقاياها التى لا يزال بها رمق لا تدل على خير ، ولا تطمئن على غد طهور .

والمسلمون فى فترة عصيبة من تاريخهم .. لقد داس الاستعمار بلادهم وسخر من تقاليدهم وترك طابعه الخاص على أغلب شئونهم . وهناك كثيرون ينقمون على وضع المرأة القديم فى البلاد الاسلامية ، ويرون أن الاستظلال بلواء المدنية الحديثة أجدى وأفضل .. ونحن نرفض الامرين معا حبس المرأة فى سجن الجهل والقصور وذوبان الشخصية وضياع المكانة واطلاق المرأة فتنة عاتية تنشر الاثم وتبيح المحارم .. لقد رأينا المرأة فى صدر الاسلام ، لا تقل عن الرجل علما ، ولا جهدا فى خدمة دينها وأمتها وبيتها وولدها .. رأيناها فى القادسية واليرموك فى أشرف المواقف وأجدرها بالتكريم .. ولم نرها أبدا مجندة للترفيه عن الرجال ، ولا رأيناها حسرت عن صدرها وركبتيها باسم العمل فى المكاتب أو المصانع .. ويبقى أن نتساءل : لمن نكل وظيفة (ربة بيت) ؟ اذا استخرجنا المرأة من البيت لغير ضرورة ملجئة ! ان هذه الوظيفة ، من أرقى الاعمال — لو عقلنا — لأنها انشاء الحياة وصيانتها وتعهدها حتى تؤدى رسالتها كاملة ..

ونتساءل مرة أخرى : هل يقبل حكم الله فى تحريم الزنا ، وما يؤدى اليه ، وما يغرى به ، أن نجعل الزنا — كما تقول عشيقة (سارتر) — أمرا عاديا لا يستقبح ولا يستهجن ..؟؟

ان القصة هنا ليست فتوى فرعية فى مشكلة محدودة ، انما هى قصة الدين من ألفه الى يائه .. قصة الايمان بالله وتصديق المرسلين أجمعين !!

مائدة القارئ

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تفلحون »
— قرآن كريم —

أم الشهـــداء

جمعت الخنساء أولادها الاربعة ، ودفعت بهم الى ساحة الحرب ، وزودتهم بسلاح الايمان ، فقالت لهم .

يا بنى . انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله غيره . انكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غبرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا أصبحتم غدا — ان شاء الله سالمين — فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، واذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها ، واضطرمت ، فتيمموا وطيسها ، وجالــدوا رئيسها عند احتدام خميسها — تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة .

ولما كان الصباح اشتد أبناؤها على عدوهم حتى قضوا نحبهم ، ولما بلغها خبر استشهادهم قالت . الحمد لله الذي شرفنى بهم .

مجلس الحرب

أرسل عمر بن الخطاب مددا الى العراق ، وعليه أبو عبيدة بن مسعود الثقفي وعلمه كيف يستشير مجلس الحرب الذى معه ، وكيف يقدم فى موضع الاقدام ، ويتريث فى موضع التريث ، فقال له .

اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم فى الأمر ، ولا تجتهد مسرعا ، بل اتئد ، فانها الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة ، ولا يمنعنى أن أؤمر سليطا (ابن قيس) الا سرعته الى الحرب والسرعة الى الحرب — الا عن بيان — ضياع .

المعوقـــون

المعوقون والمهرجون تحفل بهم ميادين الهزيمة ، لا ميادين الشرف ، وقـــد فضحهم اللـــه فقال . ((قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلـــم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا . أشحة عليكم . فاذا جاء الخوف رأيتهـــم ينظرون اليـــك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت . فاذا ذهب الخـــوف سلقوكم بألسنة حداد . أشحة على الخير . أولئك لم يؤمنـــوا فأحبط الله أعمالهم)) .

تعليمات عمر للقضـــاة

الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينـــة العادلـــة أو اليمـــين القاطعة . وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه .
وتعهد الغريب ، فانك ان لم تتعهده ترك حقه ، ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به .
وآس بين الناس في لحظك وطرفك .
وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء .

وطننا المفقود

اجعلوا لفلسطين ما تملكون من المال ومـــا تـــرزقون مـــن مواهب ، وما تجدون من وقت وما تفاخرون به من عقيدة . هذا هو طريقكم الجديد الى وطنكم المفقود .

ظهر فى عهد أحد السلاطين رجل ادعى النبوة ، فأمر السلطان بالقبض عليه وقتله .
وبعد مدة ظهر رجل آخر ، وادعى الألوهية ، فأمر السلطان باحضاره ، وساله ؟
كيف تجرؤ على ادعاء الألوهية ؟ ألم تسمع أن رجـــلا ادعى النبـــوة فقتلناه .
فقال الرجل . حسنا فعلت أيهـــا السلطان ، فانى لم أبعثه نبيا !!

ولد الامام الشافعى بغـــزة ، وحمل الى مكة ، وارتحل الى المدينة ، وتنقل بين العراق وفارس واليمن ، واستقر به المقام فى مصر ، وممـــا نسب اليه من شعر يصور فيه حنينه الى مسقط رأسه .

وانى لمشتاق الى أرض غـــزة
وان خاننى بعد التفرق كتمانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق أجفانى

حكمة زاهـــد

رأى ملك زاهدا ، فساله . الا تذكرنى ؟
قال الزاهد . أجل . أذكرك كلما نسيت ربى .

حكمة لقمـــان

سئل لقمان : ممن تعلمت الحكمة ؟ قال : من الجهلاء فكلما رأيت عيبا تجنبتـــه .

إن يوم النضال آت قريب

أي يوم على الزمان مجيد ... نحن منه على طريق الخلود
فيه نبنى لأمة العرب مجدا ... هو أسمى من كل صرح مشيد
أمة العرب زادها الله عزا ... أبد الدهر دائما فى صعود
ما وهى عزمها ، وما قط ملت ... من قراع العدا ، ورغم الحسود
قد وعى الدهر ما وعى من ذراها ... وهى تومى الى الغد المنشود
أشرق الصبح في رباها وضيا ... لطريق من الأماني فريد
لصراط من الهدى فيه للحق نداء ، يهز سمع الوجود
ومضى شعبها فتيا أبيا ... يتسامى لكل شأو بعيد
راية العرب وحدة تجمع العر ... ب على موثق أبر رشيد
توقظ الشرق للحياة ، وتهدى ... كل غاد على طريق الخلود
ولها فى النضال حومة بأس ... تشعل النار فى فؤاد الحقود
وهى نور على السرى لزحوف ... وانتصار بظلها معقود
رفع الله في الوجود ذراها ... وحباها بعزة التأييد
كم أبى يرد كيد عداها ... يصهر القيد ، وهو غير مقود
وجليد يروع جيش المنايا ... وهى ترميه بالفتى الجليد
ومشوق الى الشهادة صب ... وهى منه على أبر شهيد
وفتى أروع الفؤاد همام ... ليس يزهى بغير نصر مجيد
يا بنى العرب سددوا من خطاكم ... ما التقيتم على كريم العهود
وأصيخوا الى العلا ، وهي فيكم ... ابد الدهر من قديم العهود
هي دعوى محمد ، وهداه ... والنبيين قبل نوح ، وهود
أشرقت فى الزمان ، وهى ضياء ... وسنا كل مطمح في الوجود
عمرها في الزمان عمر الليالي ... وهي تترى على الزمان المديد
شأوها فوق كل شأو رفيع ... وهي توحي بكل معنى شرود

للأستاذ محمد هارون الحلو

انها في النفوس سر هداها … والمناجاة للطماح البعيد
وهي صوت الأذان في كل قلب … يوقظ القلب من عميق الرقود
وهي تهديه للصراط سويا … يوم يدعى للموقف المحمود
كيف يرتاد للبطولات حر … حين يغري أطماعه بالقعود
وطريق النضال يحفل بالجد … وكم جد فيه من صنديد
نهضة العرب في رباط من الو … د حفي بكل فعل حميد
علم الله انهم قد اقاموا … منه بالأمس كل صرح مشيد
واستدار الزمان يكتب أمجا … دا لأبناء يعرب من جديد
كم ترى للسلام غصنا نديا … حف منا بزنبق، وورود
قد تخذناه للبرايا شعارا … وهي منه على طريق سديد
ورفعنا به المنارات للمجد … لنهدى سبيلهم للصعود
لنرد الذئاب عن وثبات … وهى تعوى بكل شاة ولود
اين انس النفوس بالتغريد … وهي في شقوة النضال المتيد
غابنا ذاك، وهو غاب الأسود … أرضنا تلك، وهى مهد الجدود
منزل الوحى فى رباها ظليل … فهى قط لم تكن لليهود
ليس يحيا بأرضنا غير حر … من بنى يعرب الكماة الصيد
قل لمن بات يستجيش هواها … من بنيها، وهم ليوث البيد
أن يوم النضال آت قريب … فأعدوا له دروع الحديد
سيكون الصيال صيحة عاد … ويكون البلاء يوم ثمود
سوف يغدو النزال عبر السدود … ويكون القتال خلف الحدود
ان يقيموا على بلاء شديد … أو يقروا على مهاد وطيد
فلهم يومهم، ولن يخلفوه … ولهم موعد برجع البريد
سوف نطوى مرابض الغاب طيا … ثم نغدو بها لنصر مجيد

من امجاد تاريخنا الماضي

صقلية الاسلامية

٣ — الحملة الاسلامية على صقلية

عرض زيادة الله الاغلبى امر غزو صقلية على كبار رجال دولته واهل الراى فيها ، فجمع وجوه اهل « القيروان » ، وكبار فقهائها في مؤتمر عام واستشارهم في انفاذ اسطول الى جزيرة صقلية (١) .

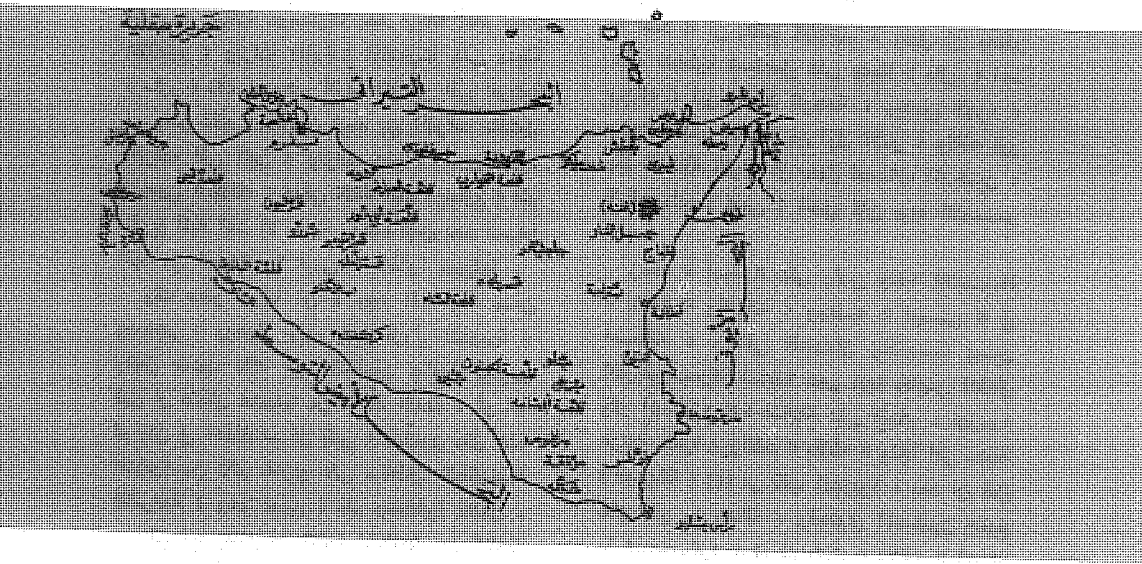
واختلفت وجهات النظر بين المؤتمرين كما هو الشأن عند النظر في الامور الخطيرة من اعلان حرب ، أو تقرير سلم ، فبعضهم قال نغزوها ولا نسكنها ، ولا نتخذها وطنا ، وبعضهم تخوف من ذلك وقال : « لو كنت طائرا ما طرت عليها » ، بعد ان سأل : كم بينها وبين بلاد الروم ؟ فقيل له : يروح الانسان مرتين وثلاثة فى النهار ويرجع ، قال : ومن ناحية افريقية ؟ فقيل له : يوم وليلة (٢) .

وكان هذا المتخوف راي انها لقربها من بلاد الروم سيكون مركز المسلمين فيها ضعيفا وحرجا ، محفوفا بالمخاوف والمخاطر ، لان الروم يكونون اقدر على حمايتها ، واكثر استعدادا لمواصلة الدفاع عنها ، والكفاح في سبيل الاحتفاظ بها ، فابدى رايه مصورا شدة الخطر هناك على المسلمين .

ولكن فريقا ثالثا اشار بغزوها ، ورغب في ذلك (٣) ، وكان هذا الفريق كان يشعر بالحاجة الملحة التي تدعو الى الاستيلاء على هذه الجزيرة ، لحيويتها من النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، ويعلم في الوقت نفسه ضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية وعجزها عن امداد الجزيرة بالقوات المحاربة بصفة دائمة ، ويشاهد كذلك آثار الثورة الاهلية والفتن الجائحة مشتملة بالجزيرة ، وعرف انها فرصة ان ضاعت الآن قد لا تعود أبدا ، فاشار بالغزو ورغب في ذلك .

غير أن هذا النقاش لم يطل ، فقد علم الأمير زيادة الله بان الروم قد قتلوا بعض أسرى المسلمين الذين عندهم ، وكان من شروط الهدنة التي عقدت بين حاكم الجزيرة والأمير ابى العباس الاغلبى سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) وجددت فيما بعد : « ان من دخل اليهم من المسلمين ، وأراد أن يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم .. » ، فما بالك اذا كانوا قد قتلوا بعض الأسرى ولم يكتفوا بحجزهم ؟ ولذا

(١) المكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .



للدكتور : زكي محمد غيث
وكيل كلية الشريعة بجامعة بغداد

اعلن المؤتمرون نقض المعاهدة ، وأعدت حملة لغزو صقلية على رأسها القاضي : أسد بن الفرات (1) .

★ ★ ★

خرج القاضي وأمير البحر الفقيه : « أسد ابن الفرات » على رأس أسطوله فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (١٥ يونيو سنة ٨٢٧م) متجها صوب جزيرة صقلية ، ومعه (فيمى) ورجاله في مراكبهم .

ولم تكن هذه الحملة من السرايا الصغيرة ، بل كانت فيما يظهر أعظم حملة بحرية وجهها المسلمون الى صقلية ، فقد كانت تضم سبعمائة فارس ، وعشرة الاف راجل غير البحارة والاتباع تحملهم ما بين سبعين ، أو مائة سفينة وكان جيشه زهرة جند افريقية من العرب ، والبربر ، وبعض المهاجرة من الاندلسيين ،

---

(1) المكتبة الصقلية (رياض النفوس ..) ج ١ ص ١٨٣ (ومعالم الايمان) ج ٢ ص ١٤ ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

وأما أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قائد هذه الحملة ، فان ما نعرفه من حياته الاولى لا ييسر لنا كيف تحول هذا الفقيه العالم الى أمير من أمراء البحار ، وقائد من قواد المسلمين ، فلقد ولد سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م) ونشأ فى مهاد العلم لا مهاد الجندية ، وتخصص فى دراسة الفقه لا دراسة الفنون الحربية ، ورحل فى طلب العلم الى المشرق سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨ م) وأخذ عن الامام مالك رضى الله عنه فى المدينة ، ورحل الى العراق ولقى من أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه : أبا يوسف ، ومحمد بن الحسن ، ثم دخل مصر ولازم ابن القاسم فكان يسأله ويجيبه ابن القاسم حتى دون ستين كتابا وسماها (الاسدية) ، وفارق ابن القاسم وعاد الى المغرب سنة ١٨١ هـ (٧٩٧ م) وأظهر أسديته وأسمعها للناس ، وانتشرت بافريقية ، وما زال أمره مشهورا وقدره معروفا حتى ولاه زيادة الله القضاء سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) ، فلما كانت سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ولاه قيادة الحملة على صقلية مع بقاء اسم القضاء له وقال له : « أنت قاض وأمير » وقد وافاه أجله بصقلية ، وهو يحاصر سرقوسة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) وقد تجاوز السبعين قليلا .

واقلعوا من مرسى (سوسه) (١) بافريقية قاصدين صقلية فوصلوها بعد أربعة أيام من اقلاعهم ، ونزلت القوات المشتركة على مدينة (مازر) (٢) — وهى أقرب الثغور الى أفريقية — وأمر قائد المسلمين أسد بن الفرات بالخيل فانزلت الى البر ، ونزلت جنوده ، وجنود « فيمى » كذلك ، وبقى ثلاثة ايام (بمازر) فلم يخرج اليه أحد الا سرية واحدة تبين بعد أسرها أنها من أصحاب « فيمى » فاخلوا سبيلها .

وقد يبدو غريبا أن لا يجد الغزاة من يصدهم ، ويحول بينهم وبين نزول الجزيرة ، ولعل سبب ذلك أن المسلمين جاءوا مبكرين قبل أن تتمكن حاميتها من اتخاذ العدة ، أو أنه لم يكن في اعتقادهم أن يلبى المسلمون مثل هذه الدعوة من ثائر خارج على سلطان الحكومة الشرعية (وهو فيمى) فلم يحتاطوا للأمر . على انه يجوز أن القوة المدافعة عن المدينة كانت تقدر كل ذلك ، وأن العرب سيلبون دعوة هذا الثائر ويشرعون بالمجيء ، فرأى المسئولون أن يستعدوا للأمر في داخل الجزيرة ، ليكون ذلك أمكن لهم ، وأدعى الى اجهاد العدو والتغلب عليه .

وقد تكون مدينة (مازر) وما حواليها موالية لفيمى فلم تتخذها القوات المدافعة مركزا لحركاتها الحربية ، مما سهل على المغيرين مهمة النزول الى البر بخيلهم ورجلهم وجميع معداتهم ، دون أن يعترضهم أحد ، وحتى أن القوة الوحيدة التي ظهرت بعد ثلاثة أيام تبين أنها تناصر « فيمى » .

☆ ☆ ☆

ومهما يكن من شيء فان القوات الرومية قد اجتمعت حول الزعيم (بلاطه) حاكم الجزيرة عند مرج (بلاطنو) (٣) ، وكانت تبلغ نحو مائة وخمسين ألف مقاتل ، ورأى « أسد » أن يتقدم لملاقاتهم ، وقبل أن يخطو هذه الخطوة استعمل على مدينة (مازر) أحد رجاله ، ليؤمن خط الرجعة ، ويحمى ظهره ، ويحافظ على الفتوح من أول الأمر ، وكأنه قرر منذ اللحظة الأولى أن يعمل لحساب المسلمين ، لا لحساب (فيمى) الذي كان يريد الأمر لنفسه .

زحف « أسد » على رأس جنده لملاقاة « بلاطه » وأتباعه ، ومعه « فيمى » في أصحابه ، والتقى الجمعان ونشبت بين الفريقين معركة شديدة حمى فيها وطيس القتال وكر المسلمون كرة صادقة على العدو ، فهزموه هزيمة منكرة ، وافلت « بلاطه » ولجأ الى مدينة (قصريانة) (٤) فى قلب الجزيرة ، بعد أن قتل خلق كثير من رجاله ، واحتوى المسلمون جميع ما في معسكره ، ثم لم يلبث « بلاطه » أن فر من مدينة قصريانة ، وغادر الجزيرة الى قلورية (جنوبي ايطاليا) حينما تغلب عليه الخوف ، وتملكه الفزع وخشى من متابعة المسلمين له ، وهناك لقى مصرعه حيث قتل في ظروف مريبة (٥) .

لم تذكر لنا المراجع التي بين أيدينا : هل كان قتل « بلاطه » حاكم صقلية من أعمال الغدر والخيانة ، أم بايعاز من حكومة القسطنطينية ، حيث ترك الجيش وفر من وجه العدو ، وأبقى الجزيرة بدون حامية تحت رحمة « فيمى » وحلفائه من المسلمين ؟.

لا يبعد أن يكون قتله بيد بعض الغيورين الذين ساءهم قهره (لفيمى) أولا ، حتى الجاه للخيانة ، ودعوة المسلمين ، ثم تعريضه اخيرا الجزيرة للضياع بتركه قيادة الجند ، وهربه حيث يبقى الحياة دون سائر جنده .

☆ ☆ ☆

(١) تنظر الخريطة الاولى التى تحدد موقع صقلية من أوربة وافريقية ، وسوسة بالبر الافريقي (العدد : ٢٣ من الوعى الاسلامى) .

(٢) تنظر الخريطة وهى على الطرف الغربى الجنوبى منها .

(٣) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

(٤) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

(٥) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٥ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٦٥ ، ٣٧٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٩ ، ج ٢ ص ٥٢٧ ، ٥٤٠ ، ومعالم الايمان ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ق ٥ ص ١٣٥ .

كان على القوات الاسلامية ... أن تستمر في حركتها ، وأن تتبع قوات الـروم المنهزمة الى « قصريانة » فواصلت الزحـف آخـذة طريق الساحل الجنوبي الى ناحيـة الشـرق ، حتى أصبحوا يشرفون عـلى ثغر « سرقوسة » بشرق الجزيرة .

ويبدو أن المسلمين سلكوا هذا الطريق ، دون أن يتوغلوا في داخل الجزيرة المجهولـة لهم ، ليكونوا قريبين من أسطولهم ، الذي كان في الغالب يسير بمحاذاتهم ، ليأمنوا شر التغرير بهم فى أرض لم يدرسوا طبيعتها بعد .

خدعة

شعر اهل « سرقوسة » والنواحي المحيطة بها بالخطر الذي يحدق بهم من ناحية المسلمين ، فبعثوا بوفد من وجوههم للاقاة قائد المسلمين : « أسد بن الفرات » لطلب الامان منه ، في نظير دفع الجزية ، وكانوا يقصدون خديعة المسلمين حتى يكفوا عن القتال ، لتتاح لهم فرصـة الاستعداد للدفاع ، فأجابهم أسد ، واقام في موضعه أياما استطاعوا خلالها أن يجمعـوا الكثير من أموال الجزيرة ، وقد أخفوهـا في قلعة حصينة ، بعيدا عن الشاطيء حتى لا تقع في أيدي المسلمين ، وفي الوقت نفسه قـد عاودت (فيمى) حمية الكفر ، وداخله الحسد من انتصار المسلمين ، وخشـى توغلهـم في الجزيرة ، وبخاصة حينما تأكد له بأن هذه الفتوح انما هي لحساب المسلمين ، وليست لحسابه كما كان يؤمـل ، فاتصـل بأهـل « سرقوسـة » سرا وحثهم عـلى الثبـات ، وأغراهم بأن لا يدفعوا للمسلمين الجزية ، وأن لا يذعنوا لهم ، فانقادوا له ، وأصلحـوا حصنهم ، وأدخلوا فيه جميع ما كان فى الربض وفي الكنائس من ذهب وفضة ، وشحنوه بالزاد والسلاح والرجال .

أحس القائد أسد بالخيانة من ناحية أهل سرقوسة ، وأدرك أنه خدع ، فلم يتردد في مهاجمتهم وقتالهم ، وأخذ يبـث السرايـا في نواحي « سرقوسة » فتذهب وتعود ظافـرة محملة بالاسلاب والغنائم الكثيرة ، ثم تأتي له محاصرة (سرقوسة) برا وبحرا ، حينما قدمت نجدات بحرية من أفريقيـة . ووفـد بعض المغامرين البحارة من أهل الاندلس . وحينما اشتد الحصار لجأ أهلها الى طلب الامان مرة ثانية ، وكاد أن يستمع أسد لضراعتهم لولا أن ثناه المسلمون عن عزمه ، وظلوا محاصرين لها وقد خف والى (بلرم) (١) لنجدة أهل سرقوسة فوجد المسلمين قد خندقوا على أنفسهـم ، واحتفروا وراء الخندق حفرا كثيرة كفخـاخ للايقاع بالقوات الـرومانية ، فتردى فيهـا كثير منهم وهلك معظمهم ، وهزمت هذه القوة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨م) وقويت نفوس المسلمين بذلك ، واشتد ضغطهم على أهل سرقوسة .

نجدة الروم

وقد حدث في هذا الوقت أن جاءت نجـدة بحرية من القسطنطينية للدفاع عن سرقوسـة والجزيرة بقيادة : تورط (تيودوتس) ، في حين أنه قد حدثت مجاعة بين جند المسلمين وتفشى فيهم وباء الطاعون وسرت بينهم روح التذمر ، ونال المسلمين بسبب ذلك شدة عظيمة ، كادت أن توهن من عزيمتهم ، وتردهم عن غايتهم ، ولكنهم رغم هذه المحنة صمدوا للعدو ، وثبتوا على حصـار المدينة ، غير أن الطـاعون قد اشتدت وطـأته ، وفتك بكثـير منهم ، حتى أفنى معظمهم ، وكان منهم أميرهم القائـد : « أسد بن الفرات » في شعبان سنة ٢١٣ هـ (نوفمبر سنة ٨٢٨م) ودفن بذلك الموضع (٢) .

---

(١) انظر خريطة جزيرة صقلية .

(٢) تراجع حركة فتوح أسد فى : الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٦ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٨١ ، ١٨٥ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، و (معالم الايمان) ج ٢ ص ١٧ ، ويقول ياقوت (معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٠) : ان قبره فى مكان بين قطانية وقصريانة ، ولا يبعد أن يكون قد وصل الى هذا المكان فى احدى حركاته الحربية ، غير أن ابن خلدون (العبر ج ٤ ص ١٩٩) يقول : « انه دفن بمدينة قصريانة » والظاهر أنه توفى على مقربة من قصريانة ودفن هناك ولم يدفن فى قصريانة لانها لم تفتح الا فى سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٩ م) فلم تكن خاضعة للمسلمين اذ ذاك .

تلك هي الخطوات الأولى التي خطتها قوات المسلمين في الجزيرة تحت قيادة الفقيه (أسد ابن الفرات) ، وهي على قلتها قد مهدت الطريق أمامهم الى الفتح الأكبر فيما بعد ، وتأسيس أمارة اسلامية بصقلية كان لها شأن بين الأمارات الاسلامية اذ ذاك .

* * *

بعد وفاة أسد بن الفرات

وولى الجند بعد موت (أسد) باختيارهم : « محمد بن أبي الجواري » والمسلمون محاصرون (لسرقوسة) والمعركة على أشدها بين المسلمين والروم ، والوباء لا يزال يفتك بالمسلمين فتكا ذريعا ، واشتد الأمر عليهم وتحرج موقفهم ، فلما رأى القائد الجديد الخطر الذي يهدد المسلمين وانقطاعهم في هذه الجزيرة النائية ، ثم وصول امدادات بحرية وبرية من القسطنطينية ، عزم على رفع الحصار عن سرقوسة ، والعودة الى أفريقية ، وأوعز الى من بالمراكب بالاستعداد للرحيل ، ولما حاول الانسحاب الى أفريقية وجد قوات الروم وأساطيلهم يعترضون طريقهم ، ويسدون المرسى الكبير للحيلولة بينهم وبين الخروج ، فلما أدرك المسلمون أن محاولتهم فاشلة وأنه لا مفر من بقائهم بالجزيرة ، أحرقوا سفنهم وعادوا الى البر ، وامتنعوا بداخل الجزيرة (١) .

لماذا أحرقوا السفن ؟

لا شك أن هذا الفعل من المسلمين صنع اليائس المغامر ، اذ أن احراق السفن مخاطرة جسيمة ، حيث كان الجائز أن يتأخر المدد ويحيط بهم العدو ، واذا لم يجدوا ملجأ في اليابسة فماذا يصنعون ؟ ليس أمامهم الا سفنهم يحاولون النجاة عليها ، ولعلهم كانوا ينجحون ، وها هي ذى قد أحرقت ، فليس هناك اذا غير البحر يلقون بأنفسهم بين أحضانه ، فاذا ضنوا بها على الغرق فانهم يستسلمون للعدو ، وهو اما أن يستأصلهم أو يسترقهم ، ولا أخاله يمن عليهم بالعفو ، فيسرحهم الى بلادهم .

وليس للحادث من تعليل معقول الا أن يكون المسلمون قد رأوا حرمان العدو منها ، حتى لا يقوى بها ، وبالتالي ليكون ذلك دافعا للمسلمين على الاستبسال في القتال بعد أن عرفوا أن لا سبيل الى العودة لبلادهم ، شأنهم في ذلك شأن المسلمين حينما أحرقوا سفنهم في الاندلس مرة ، وفى جزيرة اقريطش (كريت) مرة أخرى ، وان كان المسلمون في الأندلس واقريطش قد أحرقوا سفنهم طواعية واختيارا ، أما هنا فقد اضطروا الى احراقها بحكم الظروف القاهرة ، وكان ذلك — على أي حال — عملا سياسيا محمودا ، وكانما أراد القدر أن يظل المسلمون في صقلية ، ليكتبوا فوق أديم أرضها صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي المجيد .

* * *

استمرار المسلمين في الفتح

بعد أن أحرق المسلمون سفنهم ، وأكرهوا على البقاء في الجزيرة على ما هم فيه من شدة وعناء ، لم تذهلهم الصدمة فيقفوا جامدين ، بل تفرقوا فيها أسرابا يغزون بسائطها ويحاصرون قلاعها ومضوا فى افتتاح مدنها وثغورها تباعا ، فسارت فرقة ناحية الشمال الغربى ، وأرغمت (ميناو) (٢) على التسليم بعد ثلاثة أيام ، فملك المسلمون حصنها وسكنوه ، ثم انقسم الجيش الى فرقتين ، فرقة قصدت حصن (كركنت) (٣) في الجنوب الغربي ، فقاتلت أهله وملكته وسكنت فيه ، وقد قويت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا به .

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٩ .

(٢ و٣) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

غدر فهزيمة

ثم سارت الفرقة الثانية الى مدينة (قصريانة) في وسط الجزيرة ، وكان يرافقها (فيمى) فلما قاربوها خرج اليه أهلها ، وبذلوا له الطاعة ، وخدعوه حيث قالوا له : نكون نحن وأنت والمسلمون على كلمة واحدة ، ونخلع طاعة الملك ، وسألوه العودة من الغد حتى ينظروا في أمر شروط الصلح ، فرجع عنهم يومه ولم يقاتلهم ، وكان على المسلمين أن ينتظروا نتيجة هذه المفاوضة ، ثم جاءهم (فيمى : من غد ، وكان في قلة من الرجال ثقة منه بحسن نيتهم ، وصدق حديثهم ، فاستقبلوه مظهرين الطاعة ، والخضوع حتى تمكنوا منه ، فاخرجوا سلاحهم الذي كانوا يخفونه بمكان الاجتماع ، وثاروا به وقتلوه .

نجح أهل (قصريانة) في تمثيل قصة الغدر بفيمى ، وظهر عندئذ انهم لن يسلموا المدينة للمسلمين بسهولة ، وانهم على ولائهم لامبراطور القسطنطينية ، فصمموا على حصارها ومقاتلة أهلها ، وبينما هم يحاصرونها جاءتها نجدة من سرقوسة لتخليصها من أيدي المسلمين بقيادة تورط (تيودوتس) ، ونشب القتال خارج المدينة بين المسلمين وقوات تورط ولم يلبث القتال طويلا حتى تمت الهزيمة على الروم ، وقتل خلق كثير وهرب قائدهم تورط .

★ ★ ★

وفاة القائد المسلم

قوى المسلمون بهذا النصر ، وصمموا على الجهاد ومواصلة الفتح ، وانفرج الأمر عليهم بعد شدته ، وبينما هم في نشوة الفرح اذ قضى قائدهم نحبه في أوائل سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩م) وخلفه (زهير بن عوف) وقيل (ابن غوث) في قيادة المسلمين بالجزيرة ، وعلى عهده انقلب نصر المسلمين الى هزيمة ، وحاصرهم الروم في معسكرهم بالقرب من قصريانة حتى جهدهم الحصار ، وضاق عليهم الأمر ، فعزموا على مهاجمة الروم ليلا للايقاع بهم ، لكسر الحصار المضروب عليهم ، ولكنهم فشلوا في محاولتهم ، وأوقع بهم الروم ، وقتلوا كثيرا منهم في كمين أعدوه لهم لأنهم كانوا قد عرفوا ما بيتوه لهم ، ومن ثم عادت فلولهم الى مدينة (ميناو) ولحق بهم الروم ، وضربوا عليهم الحصار فيها ، وضيقوا عليهم الخناق حتى قلت الاقوات ، ثم انعدمت وجهدوا من الجوع . فاكلوا دوابهم ، ولما سمعت حامية (كركنت) بما نال اخوانهم في (ميناو) داخلهم الخوف ، وخشوا سوء المصير فخربوا المدينة ، ورحلوا الى ثغر (مازر) بعد أن عجزوا عن نصرة اخوانهم في (ميناو) (١) .

في هذا الوقت جاءت امدادات من افريقية ، ووصل في الوقت نفسه أسطول أندلسي من السرايا المجاهدة المغامرة ، وأغار رجاله على أطراف الجزيرة لحسابهم سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠م) فاستولوا على عدة قلاع ، وامتلأت أيديهم بالسبى والغنائم ، واتصل بهم المسلمون في (مازر) وسألوهم اغاثة اخوانهم في (ميناو) فأجابوهم الى ذلك ، وقصد الجميع (ميناو) واستطاعت قوات المسلمين المشتركة أن تهزم قوات الروم عند (ميناو) وتجليها عنها ، ويتزحزح مخنق من كان بها من المسلمين ، ويذهب (تورط) الى قصريانة ليحتمي بها ، وعندئذ دمر المسلمون (ميناو) وتركوها قاصدين متابعة (تورط) وقتاله سنة ٢١٥ هـ (أغسطس سنة ٨٣٠م) وسرعان ما التقوا به ونازلوه ، ثم كتب النصر للمسلمين وقتل (تورط) قائد الروم . (٢)

★ ★ ★

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، والبيان المغرب ، ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٦٦ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

بعد أن دمرت (ميناو) وهزمت قوات الروم عند (قصريانة) وقتل قائدهم تاهب المسلمون لحركة غزو جديدة على الرغم من انتشار وباء الطاعون بينهم ، وعودة معظم مسلمي الأندلس الى ديارهم ، وتعرض من بقي من المسلمين لشدة قتال الروم ، وضعف مقاومتهم لهم ، وذلك أنه وفد على الجزيرة في أواخر عام ٢١٥ هـ (يناير سنة ٨٣١م) وال جديد هو الأمير (محمد بن الأغلب) ليتولى القيادة ، فتنفس المسلمون الصعداء لمقدمه ، وساروا بقيادة أميرهم الجديد صوب الشمال الغربي قاصدين ثغر (بلرم) فوصلوها ، وضربوا الحصار عليها وضيقوا الخناق على من بها ، ولما لم تصل امدادات من القسطنطينية لتخليصها ، تفاوض أهلها مع المسلمين ، واتفقوا على تسليم المدينة بشرط أن يسمح لقائدها وعائلته وما يملكه ، وللمطران بمغادرتها بحرا الى القسطنطينية ، فتم ذلك ودخل المسلمون (بلرم) صلحا في رجب سنة ٢١٦ هـ سبتمبر سنة ٨٣١ م (١) .

وباستيلاء المسلمين على (بلرم) وهي أعظم ميناء في الجزيرة ، وأخصب اقاليمها أيضا ، حيث أن المنطقة المحيطة بها تعتبر أخصب بقاع صقلية ، وكان يطلق عليها : « الصدفة الذهبية » — نقول باستيلاء المسلمين على بلرم اصبح في مقدورهم أن يتخذوها قاعدة لأسطولهم ويهددون المدن والثغور الشمالية في الجزيرة ، والجزر القريبة منها ، كما كان لامتلاك (مارر) أثر واضح في نجدتهم وتخليصهم من حصار (ميناو) وتثبيت أقدامهم في الجزيرة ، وكما كان كذلك لاستيلائهم على (كركنت ، وميناو) قيمة عظيمة ، حيث ظل الطريق مفتوحا أمامهم من الغرب الى الشرق ، واستطاعوا أن يوالوا غزواتهم على الاقليم الشرقي حتى أضعفوه ، ونالوا من أهله وقلاعه ومدنه ، وأضحت (بلرم) منذ ذلك الوقت العاصمة الاسلامية للجزيرة ، وانتقلت الى الأبد عن الحكم البيزنطي (٢) ، وآذن سقوطها بالبدء الحقيقي لامتلاك الجزيرة .

☆ ☆ ☆

باستيلاء المسلمين على ثغر « بلرم » كسبوا مركزا استراتيجيا صالحا اتخذوه قاعدة حربية لمد الفتوح في داخل الجزيرة ، ومع ذلك فقد كان يسيطر على عقولهم منذ حركات الفتح الاولى الاستيلاء على مدينة (قصريانة) التي تعتبر قلب الجزيرة ، فلذا اتجهت انظارهم بعد استيلائهم على (بلرم) اليها ، ففي الفترة ما بين سنتي ٢١٩ هـ ، ٢٢٠ هـ (٨٣٤ ، ٨٣٥ م) هاجموها ثلاث مرات انتصروا في جميعها وانتسفوا زروعها ،وخربوا أرباضها ، واضطر أهلها لمصالحتهم على أموال يدفعونها ، وعاد المسلمون وقد ساقوا أمامهم كثيرا من الأسرى الذين باعوهم بأبخس الأثمان ، وحملوا معهم كثيرا من الأموال والسلاح والمتاع . (٣)

كان المنتظر وقد تغلب المسلمون على أرباض قصريانة أن يصروا على البقاء فيها ، وأن يعززوا حاميتهم بها حتى يسلم من امتنع بالحصن ، ولكن يظهر أنهم رأوا من السياسة — وقد استعصى الحصن عليهم — الرضا بهذا العرض مؤقتا حتى يتم لهم الاستعداد الكامل لفتح هذه المدينة المنيعة فتحا كاملا باخضاع حصنها .

لم يطل انتظار المسلمين فقد استأنفوا فتوحاتهم بالجزيرة ، وأرغموا عدة حصون على الخضوع ودفع الجزية فيما بين سنتي ٢٢٣هـ ،

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ق ٥ ص ١٣٦ .

(٢) فتح المسلمون (بلرم) سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) وبقيت تحت سلطانهم حتى انتزعها منهم النورمان سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١ م) .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٨ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ق ٥ ص ١٣٦ .

٢٢٥ هـ ، (٨٣٨ ، ٨٤٠ م) كحصن : « البلوط وبلاطنو ، وقرليون » وغيرها من مدن غربي الجزيرة (١) .

كان لهذه الانتصارات ، واذعان كثير من الحصون والمدن في الجزيرة للمسلمين أثر محمود في نفوسهم ، فبعثت فيهم القوة ، وشجعتهم على مواصلة الجهاد ، واستطاعوا في خلال العشر السنوات التالية من ٢٢٦ — ٢٣٦ هـ (٨٤١ — ٨٥١م) أن يغزو قصريانة ويخربوا نواحيها بقصد اضعاف حاميتها وحملها على التسليم ، وأن تذهب حملة برية ، وأخرى بحرية الى الشمال الشرقي لمحاصرة ثغر (مسينى) برا وبحرا ، وينجح المسلمون في التغلب على مقاومة حاميته الشديدة ويسقط فى أيديهم سنة ٢٢٨هـ (٨٤٣م) .

وبسقوط (مسينى) فى يد المسلمين وقفوا في الطريق بين ايطاليا وصقلية ، وصار شاطىء صقلية الشمالى من (مسينى) شرقا الى (بلرم) غربا تحت رحمتهم ، ومستهدفا لضرباتهم القوية فيما بعد (٢) .

☆ ☆ ☆

ثم جاء النصر تلو النصر واستولى المسلمون على الكثير من المدن والقلاع ، حتى كانت سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٨م) وصمموا على فتح (قصريانة) فهاجموها ، والحوا عليها بالقتال، واستطاعت القوات الاسلامية أن تدخلها من عورة في صبيحة يوم الخميس منتصف شهر شوال سنة ٢٤٤ هـ (٢٦ يناير سنة ٨٥٩م) (٣).

وبذلك سقط الحصن الذي ظل يقاوم مدة ثلاثين عاما ، واحتوى المسلمون على جميع ما فيه من أموال ونفائس ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرارى « وذل الشرك من يومئذ بصقلية ذلا عظيما » (٤) .

وبامتلاك المسلمين (لقصريانة) أصبحوا يسيطرون على معظم أرجاء الجزيرة ، ويتحكمون في طريق المواصلات الداخلية ، فكان ذلك أول الفتوح الحقيقية بعد (بلرم) التي عززت مركز المسلمين ، وشدت من عزائمهم كثيرا ، وواصلوا فتوحاتهم المظفرة مما أضعف قوى العدو المادية والمعنوية ، وقويت الروح المعنوية لدى المسلمين ، وآمنوا بقوتهم وقدرتهم على مكافحة عدوهم ، ونظروا الى المستقبل بعين الرجاء والأمل القوى ، وفى الحق كان لهذا الأثر المعنوى في النفوس من القيمة ما يعادل أثر الفتح المادي للمدن ، والقلاع والحصون ، ولذا فانا نعتبر أن الفتح الاسلامي لصقلية أصبح تاما الآن ، اذا استثنينا بعض المدن : كسرقوسة ، وطبرمين (٥) ، وبعض الأماكن الاخرى على الشاطيء الشرقي للجزيرة التي كانت لا تزال تدين بالولاء والطاعة للامبراطورية البيزنطية ، ومع ذلك فيمكن أن يقال : « بأن صقلية قد أصبحت اقليما اسلاميا » .

☆ ☆ ☆

قد يبدو غريبا نجاح المسلمين في فتوحهم الى هذا الحد ، وبخاصة أيام تجدد نشاط

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٥٣ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٣١ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٠ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ ، وانظر خريطة (جزيرة صقلية) للاستدلال على مواقع هذه المدن الثلاث .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٥٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ودائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦٠٩ .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٩٠ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٢ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٥) انظر خريطة (جزيرة صقلية) ، سقطت طبرمين سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) ، وسرقوسة سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) .

الامبراطورية البيزنطية ، وأعادة هيبتها في عصر الامبراطور : باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م) الذي هددت أساطيله (بلرم) أكثر من مرة فردتها قوات المسلمين خائبة في الوقت الذي كان المسلمون يجتازون فترة اضطراب وعدم استقرار في الداخل مما أدى الى تولى سبعة ولاة في الفترة من سنة ٢٥٧ — ٢٥٩ (٨٧٠ — ٨٧٢م) لم يمكث بعضهم أكثر من شهر واحد (١) .

غير أن هذا الاضطراب لم يلبث طويلاً حيث تغير الموقف بتولية : « ابراهيم بن أحمد » افريقية (٢٦١ — ٢٨٩ هـ — ٨٧٤ — ٩٠١ م) فأصدر أوامره المشددة الى والي صقلية وقتئذ : « جعفر بن محمد » بضرورة العمل بحزم وعزم ضد المدن الموالية للامبراطورية البيزنطية في الجزيرة ، فكان أول أثر لهذه الأوامر المشددة هو حصار ثغر « سرقوسة » الذي انتهى بسقوطه سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨م) بعد حصار استمر تسعة أشهر ، وانتقل الى أيدي المسلمين ، وخرج عن حكم البيزنطيين الى الأبد . (٢)

وبذلك وبعد نيف وخمسين عاما انكمشت المقاطعات الامبراطورية البيزنطية المسيحية في صقلية الى نقط قليلة على الساحل الشرقي ، أو على مقربة منه ، وانتقل مركز المسيحية الى قرية صغيرة بالقرب من (مسينى) تدعى (رمطة) (٣) .

ولعل العرب كانوا لا يرون استحقاق هذه الجهات لعناء ما يبذلون في سبيل أخذها لأن معظمها حصون جبلية قد لا يكون في امتلاكها مصلحة محققة للمسلمين ، ولا يضرهم بقاؤها في أيدي المسيحيين ، على أننا نرى أن ترك المسلمين لهذا الاقليم في أيدي المسيحيين جعل منه وكرا لدسائسهم ضد النفوذ الاسلامي في صقلية وقد أثبت الواقع خطأهم ، حيث بدأت من هذا الاقليم الحركات المعادية للنفوذ الاسلامي ، والتي انتهت بطرد المسلمين من الجزيرة ، وهذا الموقف أشد ما يكون شبها بما فعله المسلمون في الأندلس ، حيث تركوا الاقاليم الجبلية الشمالية ، ولم يعنوا باخضاعها تماما لنفوذهم اكتفاء بما ملكوا من باقي شبه الجزيرة ، ولجأ النصارى الى هذه النواحي فكانت هي النواة التي امتد منها نفوذ المسيحية فيما بعد وقوى حتى أدى أخيرا الى طرد المسلمين من الأندلس المسلمة بعد ثمانية قرون .

★ ★ ★

ومع ذلك فقد تم آنئذ فتح صقلية الذي بدأ منذ سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) وظلت صقلية تحت حكم المسلمين نيفا وسبعين ومائتي سنة هجرية رسخت أقدامهم فيها ، وأنشأوا امارة اسلامية جديدة تأصلت جذور الحكم الاسلامي فيها تأصلا شديدا ، وخطوا في تاريخها صفحة تعتبر من أزهى وأمجد صفحات تاريخ الاسلام والمسلمين خلال العصور الوسطى ، وعمرت حتى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) حيث تغلب (النورمان) على المسلمين ، وأصبح الكونت : (روجرين تنكريددى هوتفل) صاحب صقلية ، ووضع أساس دولة مسيحية فتية على أنقاض الدولة الاسلامية بالجزيرة .

أما الحديث عن « صقلية تحت حكم المسلمين » فموعدنا معه في المقال التالي بعون الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية ج ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ١٩ ، والبيان المغرب ج ١ ص ١١٠ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦٠٩ ، ورمطة الى المغرب من مسينى (انظر خريطة — جزيرة صقلية) .

حول اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

الأستاذ : محمود مهدي استانبولي

قام هذا الخليفة الراشد ، والحاكم العبقري بطائفة من الاجراءات الحكيمة التي ظنها بعض الناس اجتهادات منه ، جاءت خلاف نصوص الشريعة ، فأخذوا يؤولون ذلك بأن الخليفة عمر نظر الى علة النص لا الى ظاهره ، وبذلك فتحوا المجال للعبث بالشريعة والجرأة عليها تحت ستار التحري عن المصلحة ، والبحث عن علل وغايات النصوص دون ظواهرها (!!!) .

وقد سرت عدوى هؤلاء الى كثير من الشباب المثقف ، الذي أخذ يتهاون بنصوصها متخذا من صنيع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حجة له بزعمه .

وقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع الخطير ، لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهدا ، انما كان متبعا لنصوص الشريعة التي خفيت على كثير من الباحثين الذين كتبوا في هذا البحث الشائك . وسأنقل كلامهم وأرد عليه .

١ — قالوا : ان عمر منع سهم المؤلفة قلوبهم مع أن سهمهم مفروض بنصوص القرآن ، وأولوا ذلك بأنه — رضي الله تعالى عنه — نظر الى علة النص لا الى ظاهره ، فقد كانت علة اعطائهم تأليفهم واتقاء شرهم عندما كان الاسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الاسلام زال الداعي الى اعطائهم .

أقول : ان هذا الخليفة فهم معنى لفظ المؤلفة قلوبهم محدودا بطائفة معينة من الناس ، فلما زالت أوقف سهمها ، بينما هذا السهم أوسع من ذلك فيما دلت عليه نصوص الأحاديث الكثيرة التي وردت حول سهم المؤلفة قلوبهم ، والتي بينت أصنافهم ، وقد شرح ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره فقال : « وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطي ليسلم ، كما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين . وقد كان شهدها مشركا ، قال : فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس الي بعد أن كا نأبغض الناس الي : كما قال الامام أحمد : حدثنا زكريا ابن عدى ، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين ، وانه لأبغض الناس الي ، فما زال يعطيني حتى انه لأحب الناس الي . ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري » .
ومنهم من يعطي ليحسن اسلامه ويثبت قلبه كما أعطى الرسول يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الابل ، وقال : « انى لأعطي الرجل ، وغيره أحب الي منه ، خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم » . وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن عليا بعث الى النبي بذهبية في تربتها من اليمن ، فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة وزيد الخير ، وقال : « أتألفهم » ومنهم من يعطي لما يرجى من اسلام نظرائه ، ومنهم من يعطي ليجبي الصدقات مما يليه ، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم .

وهل تعطى المؤلفة قلوبهم على الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم في البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد .

وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة ، وكسر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم أ هـ .

وعلى ذلك فلا يصح أن يقال ان عمر منع المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة ، بل الصواب أنه انما منع من ليس من المؤلفة قلوبهم في فهمه هو ، ولذلك فلا يجوز ، أن يتخذ فعل عمر هذا مثالا للمنهاج الفقهي الواقعي ، والنظر الى علة النص ، لا الى ظاهره فليس في المسألة أكثر من فهم خاص لهذا النص القرآني .

ان سهم المؤلفة قلوبهم لو استخدمه المسلمون في أيام مجدهم وثرائهم لاشتروا به كثيرا من المرتزقة الذين يضللون أقوامهم أو يسكتون على ضلالهم لتتسنى لهم الحياة الرغيدة ، فلو وجدوها من المسلمين عن طريق هذا السهم لدخلوا في دين الله أفواجا وأدخلوا أقوامهم معهم !.

ولو كان لي من الأمر شيء ، لجعلت سهم المؤلفة قلوبهم لتأليف كتاب الغرب وأدبائه وأرباب صحفه ليثنوا على الاسلام ويدافعوا عنه ويحضوا أقوامهم لاعتناقه !.

ومهما كان من اجتهاد الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه ، فقد كان اجتهاده في فهم النص ، لا في تركه ، فله أجر الاجتهاد لقوله صلى الله عليه وسلم :

« اذا أصاب الحاكم فله أجران ، وان أخطأ فله أجر » ورحم الله تعالى الامام مالكا فقد قال :

« كلهم يرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

٢ ـ وقالوا : وكذا اجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين واكتفائه بتعزير السارق عن قطع اليد في عام المجاعة المسمى بعام الرمادة ، فاعتبر فيه شبهة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة .

اقول : ليس في عمل الخليفة عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين عام المجاعة اجتهاد منه ، فانه لا اجتهاد في مورد النص ، انما هو اتباع لنص قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وقوله سبحانه : (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) .

واستبعد لجوء هذا الخليفة الراشد حتى الى تعزير السارق المضطر ، ـ كما زعموا ـ وقد أعلن الله سبحانه بأنه (لا اثم عليه) .

٣ ـ وقالوا : وكذلك اجتهد عمر في منع تقسيم أراضي سواد العراق

على المجـــاهدين الفاتحين لها الذين طالبوا بتقسيمها بينهم كما تقســـم الغنائم الحربية بعد تخميسها حسب نص قوله تعالى : (واعلموا أنمـــا غنمتم من شيء فأن للـــه خمســـه وللرسـول ولذي القربى واليتامـــى والمساكين وابن السبيل ..)

وقالوا أيضا وقد ذهب عمر الـــى خلاف رأي هؤلاء المجاهدين ، فاعتبر الأراضي من الفيء الذي تتعلق بـــه حقوق المسلمين عامة حاضرهم وآتيهم رعاية لمصلحة الأجيال وحقوقها في بيت المال ، وفقا لما ينبيء به النظر السديد الـــى مجمـــوع النصـــوص القرآنية لا الى بعضها دون بعض .

فأبقى ـــ لذلك عمـــر الأرضـــين لأهلها وطرح عليها ضريبة الخراج ، لأن ذلك أصلح لاحيائها ، وأعم وأدوم لنفعها .

وقالوا أيضا :

وقد ثبت في السنة أنه عندما فتح النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ خيبر ، وقد فتحت عنوة لا صلحا ، ونزل أهلها اليهود والمحاربون علـــى حكم الجلاء ـــ عـــدت أراضيها مـــن الفيء ! وعزل النبي نصفها ، فتركه للنوائب والنوازل ، وقسم الباقي بين المسلمين : ـــ

أقول : من الغريب أن يزعم هؤلاء ، أن عمر اعتبر أراضي سواد العراق من الفيء ، كأن المسألة كيفية !! وقد فتحت عنوة بايجاف الخيل وصولة الجيش في المعارك الحربية ، وأغرب من ذلك أن يزعموا أن الرسول صلى اللـــه عليه وآله وسلم نفسه اعتبر أيضا أراضـــي خيبر من الفيء ! وقد فتحت عنوة !!

ما ابعد الفرق بين توزيع أموال الغنائـــم وأموال الفيء ، وقد ذكرنا سابقا آية توزيـــع الغنيمة ، وها نحن أولاء نذكر آية تعريف الفيء وطريقة توزيعه :

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . مـــا أفاء الله على رسوله من اهل القرى فللـــه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكـــين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنيـــاء منكم » .. (الحشر) .

فهل يتصور العقل أن يعتبر عمر أراضـــي العراق من الفيء وقد فتحت عنوة وحربا ؟!.

أم هل يتصور العقل أيضا أن يعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام أراضي خيبر فيئا ، وقد فتحها بالحرب والقتال ؟!.

ان هؤلاء لما رأوا عدم توزيـــع أراضـــي العراق وخيبر حسب آية الغنائم لجأوا الـــى هذه التأويلات ، زاعمين أنها اجتهادات مـــن عمر ! .

ومن المؤسف أن هؤلاء المدعين لجأوا الـــى تتمة آية الفيء في سورة الحشر السابقة لاثبات دعواهم وهي : « للفقراء والمهاجرين الذيـــن أخرجوا من ديارهم .. الخ « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم » الخ .. « والذين جاءوا من بعدهم .. » وزعموا بان الخليفة عمر بعد تلاوة قوله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم » قال للمجاهدين الذين طلبوا توزيع الأراضي :

« ما أرى هذه الآية الا عمت الخلق كلهم حتى الراعي بكداء .. » .

ومن الغريب أن الحشر جاءت كلها في الفيء فكيف يعقل أن يحتج بها الخليفة عمر لرد طلب المجاهدين في توزيع الأراضي التـــي فتحـــت عنوة ؟!.

والصواب أن هذا الخليفة انما استشـــار المسلمين في طريقة توزيع أموال الفـــيء ، لا أموال الغنائم .

جاء في كتاب « الدر المنثور في التفســـير بالمأثور » للسيوطي . أخرج ابن أبي شيبـــة وابن مردويه والبيهقي عن زيد بن أسلم عـــن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه . ثم قال لهم : اني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه ؟ واني قرأت آيات من كتاب اللـــه ، أقلقتني : سمعت الله ـــ تعالى ـــ يقـــول : (ما أفاء الله على رسوله ـــ الى قوله ـــ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعـــل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) والله ما هو لهؤلاء وحدهم ، « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا » ـــ الى قوله : « رحيم » ـــ والله ما أحد من المسلمـــين الا له

حق في هذا المال اعطى منه أو منع منه حتى راع بعدن .. وقسم عمر ذات يوم من المال فجعلوا يثنون عليه، فقال : ما أحمقكم ! لو كان لي ما أعطيتكم درهما ! أ هـ .

ومما سبق ندرك أن اجتهاد عمر — رضي الله تعالى عنه — كان في طريقة تقسيم الفيء لا الغنائم خلافا لما ذكره من نحن بصددهم .

نعود بعد هذه التوطئة الى الكلام على حجة الخليفة عمر في عدم توزيع أراضي العراق على المحاربين نقلا عن الامام ابن القيم رحمه الله تعالى ومنه ندرك ونتحقق أن هذا الخليفة لم يكن مجتهدا، خلافا للنص، انما كان متبعا للنص النبوي .

جاء في كتاب زاد المعاد :

« .. والامام مخير في أرض العنوة بين قسمها، ووقفها وقسم بعضها، ووقف البعض، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنواع الثلاثة : فقسم قريظة والنضير — أي على المحاربين — ولم يقسم مكة . وقسم شطر خيبر، وترك شطرها (١) .

فيكون عمر بن الخطاب — رضي الله تعالى عنه — اختار في أراضي العراق ما فعله الرسول في مكة .

وقد يعترض على هذا الكلام معترض، فيقول ان مكة لم تفتح عنوة، وهذا الاعتراض مردود ! .

قال الامام ابن القيم :

والذي يدل على أن مكة فتحت عنوة وجوه : احدها أنه لم ينقل احد قط أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهلها زمن الفتح، ولا جاءه أحد منهم صالحه عن البلد، وانما جاءه أبو سفيان، فأعطاه الأمان لمن دخل داره، أو أغلق بابه أو دخل المسجد أو القى سلاحه .

ولو كانت قد فتحت صلحا لم يقل : من دخل داره أو أغلق بابه أو دخل المسجد فهو آمن، فان الصلح يقتضي الأمان العام . والثاني ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه أذن لي فيها ساعة من نهار، وفي لفظ أنها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدى، وانما أحلت لي ساعة من نهار، وفي لفظ فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقولوا : « ان الله اذن لرسوله، ولم يأذن لكم » وانما أذن لى ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس » .

وهذا صريح في أنها فتحت عنوة، وأيضا فانه ثبت في الصحيح انه جعل يوم الفتح خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البيادقة وبطن الوادي .. وأيضا فان أم هانىء أجارت رجلا، فأراد على ابن أبي طالب قتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » وأيضا ففي السنن باسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يوم الفتح قال : أمنوا الناس الا امرأتين وأربعة نفر اقتلوهم، وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة والله أعلم (٢)

أكتفي الآن بهذا القدر، آملا ان أكون وفقت لاقناع الذين كتبوا في اجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، الى مبلغ حرص هذا الخليفة الراشد على نصوص الشريعة وتمسكه بها، وقد كان اجتهاده ينحصر في تقديم نص على آخر رأى فيه مصلحة للمسلمين .

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب، او القى السمع وهو شهيد .

---

(١) ١٣٧/٢ باختصار .

(٢) زاد المعاد ٦٩/٢ — ٧٠ باختصار

مؤتمر المستشرقين

الدكتور محمد عبد الرؤوف

مدير المؤسسة الاسلامية بنيويورك

اكتب هذا من جامعة « متشيجن ـ Michigan » الكائنة بمدينة « آن اربر ـ Annarbar » التى تبعد عن مدينة « نيويورك » نحو سبعمائة ميل ، فقد عقد بهذه الجامعة الدورة السابعة والعشرون لمؤتمر المستشرقين العالمى لمدة اسبوع بدأت يوم الاحد الثالث عشر من شهر اغسطس ١٩٦٧ .

ولأول مرة يعقد مؤتمر المستشرقين فى أمريكا ، وهذا يعكس مبلغ التطور العظيم الذى وصلت اليه الدراسات الشرقية من اسلاميات وغيرها بالولايات المتحدة الامريكية ، ولم يعقد المؤتمر خارج أوربا منذ تاسس فى القرن الماضى وعقد اجتماعه الاول فى باريس بفرنسا عام ١٨٧٣ الا ثلاث مرات ، هذه المرة حيث عقد فى حرم هذه الجامعة الامريكية ، ومرتين قبلها ، احداهما حين عقد بالجزائر عام ١٩٠٥ والاخرى حين عقد فى مدينة « نيودلهى » بالهند عام ١٩٦٤ .

وقد حضر المؤتمر فى هذه الدورة ممثلون من أكثر من خمسين دولة ، وبلغ مجموعهم اكثر من الفين وخمسمائة من شرقيين وشرقيات ، ومستشرقين ومستشرقات ، وذلك رغم تخلف عدد كبير ممن كان مزمعا الحضور وتاخر فى آخر لحظة ، من بين هؤلاء الوفد السوفيتى ووفد الصين الشيوعى ووفود بعض البلاد الاخرى .

وكان المسئول عن تنظيم هذه الدورة « جمعية المستشرقين الامريكية » The American Oriental Society و « جمعية الدراسات الاسيوية - The asso ciation for asian studies »

وتلقت الهيئة المنظمة للمؤتمر مساعدات مالية من حكومة الولايات المتحدة ومن بعض المؤسسات

المالية والاقتصادية والثقافية بأمريكا ، فأعانها ذلك على تيسير الحضور على الراغبين من العلماء من الخارج فنظمت طائرات خاصة أحضرتهم الى مقر الاجتماع من أوربا والشرق الاقصى بأجور زهيدة للغاية ، ونزل جميع القادمين من خارج أمريكا ضيوفا عليها أثناء مدة انعقاد الدورة . وقد أنزل هؤلاء وغيرهم من العلماء الامريكيين والعلماء المقيمين بامريكا ممن اشترك في المؤتمر في مساكن الجامعة ، وقدمت لهم الوجبات ، وقد اتبع في ذلك أسلوب أمريكي مبسط وعملي ، فكان اذا حان وقت الطعام دخل السادة العلماء صفوفا وجمع كل منهم اطباق طعامه وحملها الى مائدة ليجلس عليها ، فاذا فرغ اعادها بنفسه الى حوامل خاصة تجمع عليها .

وجامعة « متشيجن » التي رحبت بعقد المؤتمر في رحابها تعتبر احدى الجامعات الامريكية ذات الشهرة العالمية ، وقد مضى على تأسيسها مائة وخمسون عاما ، والمدينة التي توجد بها هادئة وتكثر بها الاشجار والزهور ، ويضفي ذلك على الجامعة ومنشآتها جوا من الهدوء الشامل مما يساعد على التركيز وصفاء الذهن ، ويمكن من التركيز والتفرغ للدراسة والبحث العلمي ، لذلك كان اختيار هذه الجامعة مقرا لعقد هذه الدورة للمؤتمر اختيارا مناسبا . ومع ذلك فقد حرصت الهيئة التي نظمت المؤتمر على أن تمكن العلماء المشتركين في هذه الدورة القادمين من اقطار خارج أمريكا من زيارة كل من واشنطون ونيويورك فنظمت لهم جميعا رحلة لمدة ثلاثة أيام في كل من المدينتين . وكان مما شرح صدرنا في جامعة « متشجين » نشاط جمعية الطلاب المسلمين بها ، فقد يسروا لنا الاجتماع لأداء فريضة الجمعة كما أقاموا حفلا شائقا للمشتركين من علماء المسلمين في المؤتمر .

ولكلمة الاستشراق في أذهاننا معشر المسلمين صدى يرتبط بمعاني التعريض بالاسلام والطعن عليه ومحاولة تشويه تعاليمه السليمة . واننا لمعذورون في ذلك ، فقد اقترنت حركة الاستشراق بحركة الاستعمار الغربي والتبشير بالدين المسيحي بين المسلمين ، واتخذت دراسة الاسلام وتاريخه وفلسفته ولغته ذريعة للوصول الى أعماق جماعات المسلمين والدخول بينهم ومحاولة التأثير على الضعاف منهم واستخدمت في نفس الوقت لتشويه سمعة الاسلام والاساءة الى كتابه المقدس والطعن على رسوله الكريم .

ولكن هناك ملاحظة يحسن أن نذكرها ، وهي أن كلمة الاستشراق لا تقتصر على تخصص الباحث في دراسة الاسلام والعربية ، ولكنها تعني التخصص في دراسة حضارة من الحضارات الشرقية ، فهناك مستشرق متخصص في حضارة الاسلام ، وآخر متخصص في دراسة حضارة الصين ، وثالث متخصص في حضارة الهند ، وغيرهم متخصص في حضارة عالم الملايو ، وهناك غيرهم وغيرهم ، لذلك اذا أنت قلبت صفحات الكتاب الذي يحتوي على برامج هذه الدورة للمؤتمر لوجدته موزعا على شعب عشرة هي كما يلي :

شعبة الحضارات القديمة بالشرق الادنى ، شعبة العالم الاسلامي والشرق الادنى ، شعبة جنوب آسيا في العصور القديمة ، شعبة جنوب آسيا في العصر الحديث ، شعبة جنوب شرقي آسيا ، ثم شعبة الصين وحضارتها في العصور القديمة ، وشعبة الدراسات الصينية في العصر الحديث ، وشعبة الدراسات اليابانية ، وشعبة الحضارات في وسط آسيا وشعبة دراسات الحضارة الكورية . وتتناول الدراسات في كل واحدة من هذه الشعب كل ما تتصوره من نواحي العلوم والدراسات تاريخية ومعمارية وفنية ولغوية ودينية وفلسفية وغيرها . فالدراسات في الشعبة

الاولى مثلا تتناول الحضارة المصرية القديمة بجميع فروعها والحضارات البابلية والآشورية والفينيقية واللغات السامية الى غير ذلك .

فالمستشرق هو الاوربى الذى يعنى بدراسة فرع من هذه الفروع أو حضارة من هذه الحضارات فالمستشرق غربى أوربى رجلا أو امرأة يتخصص فى دراسة حضارة من حضارات الشرق الاقصى أو الشرق الادنى ، ولا يطلق اللفظ عادة على من يتخصص فى دراسة احدى هذه الحضارات من أهل الشرق ، فهم شرقيون أصلا لا اكتسابا ، وان كان هناك الآن اختلاط وتعاون بين العلماء فى هذه النواحى الدراسية وتلاق بينهم فى المحافل والمؤتمرات العلمية بصرف النظر عن البلد الذى جاء منه العالم أو الجنس الذى ينتسب اليه .

وهناك ملاحظة اخرى ، هى ان المستشرق الاسلامى ، أى العالم الغربى الذى يتخصص فى دراسة علوم الاسلام والعربية ، وان كان موضع الريبة منا معشر المسلمين ، كان له جهد فى احياء التراث العربى ونصيب غير قليل فى استخدام الاسلوب العلمى وأدواته الفنية الحديثة فى دراسة الحضارة الاسلامية واللغة العربية ، فان المستشرقين هؤلاء استطاعوا بفضل ما لديهم من ثروات وصلات ووسائل وتيسيرات مادية وادبية — استطاعوا أن يبعثوا من ذخائر الكتب والبحوث التى خطها أسلافنا الامجاد ما زاد فى ثروتنا العربية الاسلامية الى حد مرموق ، كما أنه كان من بينهم من وضع الفهارس وبوبها ونظمها ، ويسر على الباحثين عملهم ، ووضع الخطة لمن جاء بعدهم ، فنسج على منوالهم ، وزاد على ما انتجوا مادة واتقانا ودقة ، وكان منهم كذلك من أبرز بعض نواحى المجد فى تاريخنا العريق وثقافتنا الشاملة . ولكننا مع ذلك نحذر من المغالاة والتورط ، ونحذر من أن تعمينا غمرة التقدير لما انتجه هؤلاء عن فضل أسلافنا أو نتجاهل يد المنتجين فى الميدان من علمائنا العرب ومحصولهم العظيم كما وكيفا وأسلوبا ، وأن هذه اليد التى أسداها بعض المستشرقين كانت فى الاعم الاغلب نتيجة لتحقيق أهداف ترجع لصالحهم أو لاشباع رغبات تتعلق بهم ، فما كان هدفهم الدفاع عن حوزة الاسلام أو بيان سلامة عقيدته وصلاح مبادئه ، وما قصدوا انماء ثروة العربية أو احياء مجد العروبة ، كما أن غير القليل من الاجيال العربية التى عاصرت حياة الاستشراق وتعاصره كان لهم ما يضارع فضل هؤلاء أو يفوقه فى مجالات البحث والتاليف والانتاج فى أسلوب علمى وذوق أدبى مع تجنب التعصب ، والسعى وراء الحق من أجل الحق .

وفى كل دورة يختار رئيس للمؤتمر وأمين عام له من بين العلماء فى البلد الذى تعقد فيه الدورة وقد اختير الاستاذ « نورمان براون » رئيسا لهذه الدورة ، والاستاذ « رسيل فايفيلد » أمينا عاما ، والاول أستاذ بجامعة « بنزلفانيا » تقدمت به السن ، وهو مستشرق عالمى معروف وذو انتاج عظيم فى حقل الدراسات الهندية ، أما الآخر فهو أستاذ بجامعة « متشجين » وله انتاج خصب فى مجال حضارة جنوب شرقى آسيا ، وللمؤتمر لجان وهيئات من أهمها اللجنة الاستشارية ، ويسرنا أن نذكر أن من بين أعضائها الاستاذ محمد خلف الله أحمد العالم الاسلامى والاديب العربى المعروف ، وكان لكل شعبة من الشعب الدراسية التى تحدثنا عنها رئيس يتولى الاشراف عليها وتنظيمها ، وكان رئيس الشعبة الاسلامية فى هذه الدورة الاستاذ ج. أ. فون جرونباوم وهو أستاذ بجامعة « كاليفورنيا » وله مؤلفات وبحوث عدة عن الاسلام منها كتاب عن الاعياد الاسلامية وآخر بعنوان « الاسلام فى القرون الوسطى » وثالث بعنوان « الاسلام الحديث » .

وقد بدأ المؤتمر بجلسة افتتاحية عقدت في اليوم الأول بالقاعة الكبرى بالجامعة التي اكتظت بالمؤتمرين ، وقد حيا فيها مدير الجامعة المؤتمر ورحب بعلمائه ، وخير ما ألقي في هذه الجلسة خطاب رئيس الدورة السابقة الاستاذ « همايون كبير » العالم الهندي المعروف ، فقد ذكر العلماء بواجبهم نحو الانسانية والعمل على التقريب بين وجهات النظر ، وذكر أن أسباب الحروب والمنازعات ترجع الى خوف الاقليات من الاكثرية وحرص الاكثرية على المميزات التي تتمتع بها وخوفها من التحلل نتيجة لتحدي الاقليات ، وأرجع عوامل الانقسام في المجتمع البشري الى اختلاف اللون أو الدم أو اللغة أو الدين أو المذاهب السياسية والاقتصادية ، ثم ناقش هذه العوامل بايجاز وبين أن عوامل الوحدة الانسانية أقوى من أسباب الاختلاف ، واستشهد بما صنع الاسلام لعدد كبير من القرون من استيعاب جميع العناصر التي قبلت هذا الدين على اختلاف لغاتها والوانها واقطارها وتجاربهـا التاريخية ، فوحد جماعاتها وسوى تماما بينها . وهيأ جوا تسوده العدالة والسلامة والامن والاستقرار .

ثم بدأت الشعب الدراسية وحلقاتها اجتماعاتها في المواعيد والاماكن التي خصصت لكل منها وكانت الحلقات تعقد جلستين كل يوم طول كل منهما ساعتان ونصف ، تبدأ الاولى في التاسعة والنصف صباحا والاخرى في الثانية والنصف بعد الظهر ، وفي المساء كان هناك انواع أخرى من النشاط والاستقبالات ، وكان من أطرف هذا النوع من النشاط المسائي أن شاهدنا شريطا سينمائيا طويلا عن حفريات أجريت في جنوب الجزيرة العربية في أوائل الخمسينيات أسفرت عن اكتشافات تاريخية علمية هامة . وسار الامر على هذا النهج حتى انتهى المؤتمر بعقد جلسة ختامية أعلن فيها فض الدورة وتليت فيها بعض القرارات وتحدث فيها بعض الاعضاء بالشكر للهيئة التي اشرفت على تنظيم المؤتمر لما بذلوا من جهد وما قدموا من ترحيب ، وقد بعث الرئيس « جونسون » رئيس حكومة الولايات المتحدة برسالة حيا فيها المؤتمر ، كما بعث « أوثانت » السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة رسولا القى خطابا باسمه في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

ولم تكن كل شعبة من الشعب التي ذكرناها تجتمع كلها معا ، وانما قسمت كل شعبة الى اقسام أو حلقات دراسية قد يكثر عددها أو يقل ، ولقد كانت الحلقات الدراسية التي قسمت اليها الشعبة الاسلامية أكثرها عددا ، فلقد اشتملت على الحلقات الآتية « الشرق الادنى في العصر الحديث ، الادب الفارسي ، اللغة العربية ، الادب العربي ، تاريخ الشرق الادنى ، التاريخ الاسلامي ، القيم الاسلامية ، الجغرافيا التاريخية ، المجتمع والادارة في عهد العثمانيين ، الفن والعمارة في الشرق الادنى ، الفقه الاسلامي ، الاقتصاد ومشكلة السكان ، الادب التركي العثماني ، روسيا والاتراك ، الدين الاسلامي ، القرنان الثامن عشر والتاسع عشر في الشرق الادنى ، تاريخ العثمانيين ، التجارة ، الدراسات الاسلامية ، تركيا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، المؤلفات في التاريخ الاسلامي » .

وقد عقدت كل واحدة من هذه الحلقات عددا من الجلسات القي في كل منها عدد من البحوث ونوقشت ، وقد تناولت الموضوعات النواحي التربوية والاقتصادية والسياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية ، ومست نظام المدنية الاسلامية والقيم الخلقية والنقد الادبي والفرق والمذاهب وموضوع الوحي وعلاقته بالتشريع والتصوف والموسيقا واللهجات العربية واللغات العامية ، واشتملت على تحقيقات تاريخية ودراسة لبعض الشخصيات الاسلامية وعلى مقالات عن اللغات التركية والكردية والفارسية . ويلاحظ أن هناك تداخلا بين الكثير من الحلقات التي قسمت اليها الشعبة الاسلامية ، ولكن يبدو أن المنظمين لهذه البرامج قسموا البحوث التي تلقوها الى مجموعات ، ثم اختاروا عنوانا

مناسبا لكل مجموعة منها فجعلوه حلقة خاصة بغض النظر عن صلاحية عنوان عام قد يندرج تحته عدد من هذه الحلقات .

ونتيجة لكثرة عدد هذه الحلقات وتعدد جلسات كل منها ، فان عددا منها كان يجتمع فى وقت واحد ، فكان عليك أن تدرس البرامج مقـدما وتتعرف على موضوعات البحوث التى ستلقى وعلى مواعيدها ومكانها ، ثم تختار لنفسك ما تشاء ، وكان يحدث طبعا أن تجد عددا من الموضوعات تغريك كلها بالحضور ولكن قد حدد لها موعد واحد ، فتكون مضطرا لاختيار ما تراه أفضل لنفسك واقرب الى هواك .

وكانت الانجليزية هى اللغة المتداولة فى المؤتمر ، ولكن ألقى قليل من البحوث باللغة الفرنسية وعدد آخر بالالمانية ، وألقى حديث أو حديثان باللغة العربية .

وقد عقدت حلقة خاصة مفيدة عن مشكلة تعليم اللغة العربية تحت رعاية « جمعية معلمى اللغة العربية بالجامعات الامريكية » نوقشت فيها الجهود التى تبـذل لتبسيط تعليم اللغة العربيـة فى الجامعات الغربية والخطط التى توصلت اليها هذه الجماعة ومنها اختيار مجموعة من المفردات الهامة لتعلم فى المرحلة الاولى ، كما نوقشت مشكلة استعمال المصطلحات العربية فى تدريس القواعد العربية ، وكان هناك اتجاه عام نحو ايثار استعمال المصطلحات العربية دون اللجوء الى مقابلهـا فى اللغات الاجنبية الا عند الحاجة .

وكان من أمتع الحلقات تلك التى دار البحث فيها حول ما يسمونه « اللغة العربية الحديثة » وحول اللغات العامية وخصائصها ، وهناك اتجاه فى أمريكا وبعض الجامعات الاوربية للمبالغة فى أهمية اللهجات العامية والعناية بتدريسها باعتبارها « اللغة المستعملة » ، فهنـاك دراسة خاصة باللغة المصرية ، وأخرى باللغة التونسية ، وثالثة باللغة المغربية .. وهكذا وهكذا . ولكن هناك حركة مقاومة لهذا الاتجاه يتولاها بعض الاساتذة من العرب الغيورين على لغتهم الفصحى والذين يتوجسون خيفة مما قد يكون وراء هذا الاتجاه من نوايا استعمارية تهدف الى توسعة الفجوة بين الفصحى والعامية من جانب ، وتمزق الوحدة العربية التى تقوم على وحدة اللغة كدعامة من دعائمها من جانب آخر .

ومن المظاهر التى شرحت الصدر كثرة عدد العلماء العرب الذين اشتركوا فى هذه الدورة للمؤتمر وكثير منهم يشغلون مناصب علمية هامة فى الجامعات الامريكية والاوربية ، على أن اهتمام العلماء العرب بالاشتراك فى هذا المحفل العلمى الكبير ليس جديدا ولا مستحدثا، وانما يسير الجيل الحاضر من علمائنا على سنة سلفهم الابرار الذين أبدوا اهتماما ظاهرا به منذ البداية ، ولو تيسر كتابة بحث مستقل يستعرض فيه اشتراك العلماء العرب فى هذا المؤتمر العلمى العالمى منذ دوراته المبكرة حتى الآن مع تلخيص لمـا أسهموا به من بحوث ودراسات لكان ذلك بحثا مفيدا وممتعا ، ولعل الوقت يسمح بذلك فى المستقبل غير البعيد ، ومع ضيق المقام لا يفوتنا أن نشير هنا بمناسبة ذكر اللهجات والخصومة نحو الاهتمام بالعامية الى بحثين تقدم بهما عالمان عربيان للمؤتمر فى القرن المـاضى منذ أكثر من ثمانين سنة .

كتب البحث الاول المرحوم « حفنى ناصف » وقدمه للدورة السابعة للمؤتمر التى عقدت بمدينة « فينا » عام ١٨٨٦ بعنوان « مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك » . وهو بحث جيد للغاية ، يتلخص فى أن اختلاف اللهجات المعاصرة تعكس الاختلاف فى لهجات القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة بعد الفتح الاسلامى واستقرت بالبلاد المفتوحة ومن ذلك قد يمكننا التعرف على كيفية تفرق القبائل العربية من قريش وغيرها بين مختلف الاقطار ، فيقارن مثلا بين أهل المنيا وأهل بني سويف من صعيد مصر في النطق بحرف القاف وبين اختلاف طريقة النطق

بهذا الحرف بين البلدين مع ما بينهما من جوار واختلاط ، فاهلى الناحيتين تنطقها قافا خالصة والاخرى مشوبة بالكاف ، وبما أن قريشا كانت تنطقها قافا خالصة وغيرها يشوبها بالكاف ، فاستنبط من ذلك أن العرب الذين استوطنوا بنى سويف كانوا من قريش ونسب اليهم أيضا الجهات التى تنطق بالقاف صريحة من الديار المصرية كأهل الفيوم وبلبيس وغيرهما من النواحى ، ونسب من ينطق بالقاف مشوبة بالكاف كسكان الشرقية وسائر أهل الصعيد الى قبائل غير قرشية ، ويشتمل البحث على ملاحظات وفوائد أخرى كثيرة ممتعة .

وأما البحث الثانى الذى نود الاشارة اليه هنا فقد تقدم به المرحوم « أمين فكرى » فى الدورة التالية للمؤتمر التى عقدت بمدينة « استكهلم » عام ١٨٨٩ م ، وكان رئيس الوفد المصرى لدى هذه الدورة والده المرحوم « عبد الله باشا فكرى » الذى قدم بحثا آخر عن شعر حسان بن ثابت ، وكان من بين أعضاء هذا الوفد المرحوم « الشيخ حمزة فتح الله » الذى قدم بحثا بعنوان « باكورة الكلام على النساء فى الاسلام » ، أما البحث الذى قدمه « محمد أمين فكرى » فكان عنوانه « نبذة فى أبطال رأى القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية فى الكتب والكتابة » وقد أشار اليه الاستاذ محمد خلف الله فى حديثه الذى ألقاه فى هذه الدورة الاخيرة للمؤتمر وقد حضر ممثلا للجامعة العربية ، كما أشار اليه أيضا فى كتابه « معالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها » وقد حاول أمين فكرى فى دراسته هذه بنجاح أن يفند زعم القائلين بأن اللهجات العامية أصبحت لغات مستقلة فى ذاتها بعيدة من العربية الفصحى الاصيلة ، وأنها أصبحت كافية ووافية ، وأن الاصرار على استعمال الفصحى فى العلوم والدراسات كان عاملا فى تأخر نهضة البلاد العربية لعجز هذه اللغة عن الوفاء بحاجة العلوم والمواد من مصطلحات وعبارات ، وقد اثبت مبلغ قرب الفصحى من آذان العرب وقلوبهم ، وأنها وحدها مفهومة وواضحة الدلالة للعربى أينما استقر سواء كان فى أقصى الغرب أو فى أدنى الارض ، أما العامية — وهى متغيرة وغير ثابتة — فليست مفهومة ولا يتاتى استخدامها فى كل مكان ، واستشهد على ذلك بالامثلة ، كالعبارات المختلفة المقابلة للعبارة الفصيحة « كيف حالك ؟ » فى مختلف البلاد العربية ، وشرح كيف أن العبارة العامية مفهومة حيث تستعمل فحسب لا خارج البلد الذى تستعمل العبارة فيه ، بينما اذا استعملت العبارة الفصيحة كنت مفهوما أينما كنت ، وساق أمثلة أخرى مماثلة ، أما الزعم بأن هنالك صعوبات فى استخدام الفصحى وحدها فى العلوم والفنون والكتابة فرد عليه بأن هنالك صعوبات أشد وأقسى اذا نحن حاولنا استخدام العامية فى ذلك ، ثم خلص من ذلك كله بأن اللغة العربية الفصيحة هى السبيل لتقدم العرب فى جميع أحوالهم .

ونختم الحديث بسياق قول المرحوم حفنى بك ناصف فى رثاء صديقه الشيخ حمزة فتح الله مشيرا الى رحلاته للاشتراك فى مؤتمر المستشرقين وكان الشيخ حمزة يحتفظ بزيه الشرقى غير المألوف فى بلاد أوربا فكان يثير بجلاله وهيبته اعجاب الناس فكانوا يبادرون الى تصويره ويستفسرون عنه يحسبونه أميرا جاء من الشرق ، فقال حفنى بك ناصف فى ذلك :

سعى من الشرق يبغى خير مؤتمر
فى الغرب محتقبا ما شاء من أهب

كم فى « فينا » وفى « استكهلم » صوره
مصور القوم عن بعد وعن كثب

وكم أحاط بنا جمع يسائلنا
من كل منجذب فى اثر منجذب

مليك أى بلاد ذاك ؟ قلت لهم
هذا الامام مليك العلم والادب

نظرات تحليلية في القصة القرآنية

فتية آمنوا بربهم

للأستاذ محمد المجذوب
المدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

روى الامامان أحمد ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث عن قتادة قوله صلى الله عليه وسلم (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وعن أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : ((من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين)) . وهناك أحاديث عدة في الموضوع ، وان لم تبلغ درجة الصحيح ، فهي مع ما صح من الأخبار تشد النظر بقوة الى أهمية هذه السورة ، وبالتالي تدفع المفكر الى التأمل طويلا في طواياها ، ليستطيع الجواب على هذه الأسئلة : لماذا خصت سورة الكهف بهذا الفضل ؟ .. لماذا كان لها هذا الأثر في عصمة المؤمن من أكبر الفتن ؟ .. ما السر في صيانتها للمؤمن من ظلمة الزيغ ما بين الجمعتين .. لماذا ؟ .. ولماذا ؟ ..

بهذه الحوافز وجدتني مدفوعا الى تلاوة السورة بروح جديدة ، وعلى صورة أكثر دقة مما ألفت ، كالذي يقع على مخطط يحدد مكانا لكنز عظيم ، فيمضي مع اشارته حتى يصل الى طلبته !.. وهاأنذا أعرض لأذن السامع ، وعين القارىء بعض ما وفقني الله اليه من هذا الخير ، الذي أرجو أن يساعدهما على أن يستكشفاه بنفسيهما ، ليقرءا ما يقرآن وهما على نور من ذلك النور ، الذي وصفه منزله الحكيم بقوله الكريم : ((كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ..))

وطبيعي أن أقتصر من السورة على الجانب القصصي ، انسجاما مع موضوع الأحاديث ، ففيه ما يكفي لاثارة شهوة المعرفة في نفس القارىء والسامع فلا يكتفيان مختارين بما اكتفيت به مضطرا ، بل يكون ذلك حافزا لهما على تتبع الجوانب الأخرى حتى يظفرا بالحظ الوفير من ذلك الكنز الالهي الكبير .

لقد ساق الله تبارك وتعالى في سورة الكهف عددا من الأمثال والقصص متفاوتة الحجم ، ولكل منها مغزاه المثير ، وايحاؤه البعيد ..

فهناك قصة أصحاب الكهف التي بها سميت السورة ، ثم قصة صاحب الجنتين ، ثم قصة موسى والخضر ، وأخيرا قصة ذي القرنين .. ونبدأ الآن بأولى هذه الأربع ، فهي تبدأ من الآية الثامنة وتستمر حتى السادسة والعشرين وهي أحد الأجوبة الثلاثة على الأسئلة التي جاء بها كفار قريش عن أحبار اليهود ، ليمتحنوا بها — في زعمهم — صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وخلاصة القصة أن فتيانا من المؤمنين قد هداهم الله الى الحق ، فخرجوا على شرك قومهم ، ثم هربوا بدينهم من الفتنة فلجأوا الى غار في أحد الجبال ، وهناك ألقى الله عليهم وعلى كلبهم معهم النوم لمدة ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية ولما شاء سبحانه وتعالى أن يظهر أمرهم ردهم الى اليقظة ، فجعلوا يتساءلون بينهم عن الزمن الذي استغرقه نومهم ، فلم يزيدوا في تقديره عن يوم أو بعض يوم .. ثم أرسلوا أحدهم الى المدينة ليأتيهم بطعام يسدون به جوعهم ، وأوصوه بالتخفي والتلطف حذرا من أن يطلع قومهم المشركون على أمرهم فيوقعوا بهم ، أو يكرهوهم على العودة الى ملتهم التي أنقذهم الله من ظلماتها .. ولكن سرعان ما تنبه الناس الى أمرهم ، وبذلك تتم العبرة التي شاءها الله من هذه الأعجوبة ، وهى توكيد وعد الله بامكان البعث بعد الموت ، ليستعد عباده لأداء الحساب على ما كسبت أيديهم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم .. ثم تنتهي القصة بموت الفتية واقامة مسجد على قبورهم ..

ولكي نلم بموحيات القصة يحسن بنا أن نرجع الى بعض التفاصيل التي أوردها ثقات المفسرين ، فقد أجمع العديد من مفسري السلف والخلف على أن هؤلاء الفتية كانوا من علية القوم جاها ونفوذا ، وقد امتازوا كما يفهم من سياق القصة بشيء غير قليل من النباهة والثقافة ، والتطلع الى الحق ، مما أفضى بهم الى التحرر من ضلالات الشرك ، الذى وجدوا عليه قومهم .. وهكذا جمعتهم وحدة الاتجاه فاتخذوا لأنفسهم مكانا يعبدون اللهفيه سرا ، ولكن أمرهم لم يلبث أن انكشف ، ووصل الى الملك الغاشم فاستقدمهم واستجوبهم ، وحاول جاهدا ثنيهم عن طريقتهم المثلى ، ولما يئس من استجابتهم خلع عنهم حلاهم وجردهم من مراتبهم ، ثم أعطاهم مهلة يراجعون خلالها عقولهم ، فاما أن يثوبوا الى دينه ، أو يستقبلوا الموت جزاء على تمردهم ! .. وفي هذه الأثناء وجدوا فرصة للفرار من الفتنة ، فلجأوا الى ذلك الكهف الذي شهد بقية أحداثهم ! ..

وسنتمتع أثناء تلاوة القصة الالهية بصور تتجاوز حدود الروعة فى عرض رعاية الله للفتية ، وموضعهم من الكهف ، وحالة كلبهم ومكانه ، وترتيب انسياب الأشعة الى مهجعهم .

لقد شاءت حكمة الله أن يكون باب الكهف من نحو الشمال ، ليتاح للشمس أن تمدهم من ضوئها وحرارتها بالقدر الضروري ، للحفاظ على عملية الحياة فى أجسامهم ، وذلك قبيل الزوال وبعده ، ولو انحرف الباب الى أى اتجاه آخر لاختل التوازن ، ولاستحال بالتالي استمرار الحياة : (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) .

وأحكم وضع أجفانهم على نحو يساعد على مرور الهواء على الأحداق ، فلا تتعرض للبلى .. (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ..) وحماهم من التآكل بتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .. فمنع بذلك الأرض من اتلاف أجسامهم .. وقد أفرغ عليهم فى هذا الوضع ستارا من المهابة يحول بينهم وبين اقتحام الناس لمضجعهم ، فلا يدنو أحد منه الا ولى فرارا وملىء رعبا !. ولعل في وضع كلبهم ، وهو باسط ذراعيه في مدخل الكهف ما ضاعف هذه المهابة قوة وايحاء ..

والى جانب هذه الصورة التجسيمية صور أخرى نفسية تبرز الأغوار البعيدة من صدور هؤلاء الفتية ، فنرى تصميمهم الصارم على التشبث بالحق ، وتحمل كل تبعة في سبيله (ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها ..) ونسمع تحديهم لضلالات الخصوم : (.. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة .. لولا يأتون عليهم بسلطان بين ..! فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) !! ونلمس ايثارهم ظلمة الكهف مع نور الحق على متاع الدنيا ورفاهيتها مع حلكة الباطل ، .. ولكنه ايثار مشحون بالثقة في رعاية الله ونصرته : (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيء لكم من أمركم مرفقا ..)

وتشدنا العبر من هنا وهناك فاذا نحن أمام طائفة من التوجيهات الربانية لا غناء للقلب المتفتح للحق عن اي منها .. فهناك التذكير بأن الحياة في حقيقتها البعيدة ليست سوى مرحلة ابتلاء ، فلا ينبغي لزينتها الزائلة أن تصرف العقلاء عن التفكير والتدبير لما وراءها من حياة هي دار القرار : (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا .. وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) .

ثم هناك العبرة التى تربط القلب بحقيقة البعث ، وهى القضية التى عجزت عن تخيلها العقول ، ويتوقف على الايمان بها سلوك الانسان بأجمعه في هذه الدنيا ، ونوع مصيره فيما بعدها .. تتجلى للقارىء في القصة كيانا ماثلا يجمع بين الروح والجسد ، وفي صورة من الحياة لا تستعصي على قدرة الله عز وجل .. وبذلك يجد القارىء المتدبر نفسه مدفوعا بكل ما وسعه من جهد الى تدارك أمره ، بالعمل الذى من شأنه أن يساعد على تحسين مصيره الآخر .. وبالاضافة الى هذا كله نتعلم من توجيهات القصة كيف نقتصد في قوانا الفكرية ، فلا نبددها في ظنون لا طائل من ورائها كما يفعل أولئك الذين يتجادلون في عدد أهل الكهف ، وفي أسمائهم ، وفي اسم كلبهم !. وما الى ذلك مما لا يعلمه الا الله ، ولا حصيلة له سوى اضاعة الوقت والانشغال بالجدل الفارغ عن عبرة الحديث وموحياته .. (قل ربي أعلم بعدتهم .. ما يعلمهم الا قليل .. فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا .. ولا تستفت فيهم منهم أحدا ..) .

وللتعبير القرآني المعجز في هذه القصة نماذج فائقة التأثير ، نتعلم منها كثيرا من الأسرار التي أودعها الله الكلمة القرآنية ، فنتدرب خلال ذلك على سننه في استعمال اللفظ كرمز تصويري لابراز المعاني البعيدة ..

أنعم (١) النظر في قوله تعالى : (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ..) ثم اسأل قلبك وعقلك : لماذا استعمل الضرب هنا مكان الانامة !.. انه يريد اخبارنا بأنه حكم في فتيان الكهف سلطان النوم ، فقطعهم به عما حولهم من الأحياء والأشياء .. ولكنه بدلا من الاداء المباشر عمد الى الكناية ، فأرانا سدا مبنيا من السنين .. قد شيد حول آذانهم فحال بينهم وبين ما وراءه !.. ثم زاد على ذلك تحديد السنين ، فهي ذات عدد معين ، قدره بحكمته ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي ، وتزيد تسعا بالحساب الهلالي ..

---

(١) أنعم النظر في الأمر : حقق النظر فيه وبالغ ، وأنعم فيه : بالغ وجود ، وأمعن في الأمر بالغ وأبعد في الاستقصاء ، فيكون أنعم في الأمر كأمعن فيه ، أما اذا عديت أنعم الى النظر مباشرة ففيه امتياز لا يتوفر في الآخرين .

ثم اصغ الى قوله الآخر : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها .. » فهل سألت نفسك قبل اليوم : كيف حدث هذا الربط ؟ ولماذا نفى الفعل بلن بدل لا !. وما الصلة بين الربط ولن هذه ..؟

ولكي تدنو من مدلول التعبير الالهى هنا تصور وعاء تربط فوهته ، فتحفظ ما فيه من النقص ، وتصون مضمونه من الاختلاط بأي شيء من خارجه .. هكذا حفظ الله للفتية ايمانهم الخالص ، فصانه من الضعف ، وأبعد عنه الشوائب التي من شأنها أن تشوه جمال التوحيد ! .. ومن هنا كان النفي بلن كحكم قاطع بتأييد هذه العزيمة ، عزيمة التحرر من كل آثار الشرك .. وهي دلالة لا تقوم بأي حرف من أحرف النفي الأخرى .. ولزيادة الايضاح تصور أنك دعيت لمواجهة أحد الناس فقلت : (لا أذهب) فهل يعني ذلك اكثر من أنك ترفض الذهاب حال الكلام ؟.. اما حين تقول (لن اذهب) فانك تؤكد تصميمك على الرفض البات أبدا ..

والآن اقرا معي هذا التعبير القرآني العجيب : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا .. » . فهنا اطار واحد ضم عددا من الصور فى تقسيم لا احكام كاحكامه ، صورة رجال يجمعون هيئة اليقظة وحقيقة النوم ، ثم صورة تقليبهم من شمال الى يمين ، ثم من يمين الى شمال ، ثم صورة كلب مفترش مدخل الغار ، كأنه يراقب حركة الخارج ، فهو يتأهب للقيام بمهمته الدفاعية عند الحاجة !

وأخيرا نظرة شاملة الى الاطار وقد تحدد في ذهنك مضمونه بجميع تفاصيله .. فماذا ترى ؟ .. وماذا تحس ؟ .. المهابة التي تملؤك بالرعب وليس بعد الرعب الا الفرار !.

وهناك طائفة من اللمحات ذات الأغوار البعيدة ، لا ينبغي أن يفوتنا ملاحظة بعضها عن كثب .

لقد شاء الله جل شأنه أن يرد الفتية الى اليقظة فأول ما خطر في بالهم أن يعرفوا حدود الزمن الذي قضوه في تلك الغفوة ، وهكذا انطلق احدهم يسأل : كم لبثتم ؟ .

انه يسأل نفسه ويسأل رفاقه عن المدة المقضية .. فيأتيه الجواب من الجميع ولعله هو أحدهم : « لبثنا يوما أو بعض يوم .. » .

لقد اختلط فى أذهانهم حساب الزمن ، فهم لا يستطيعون له تحديدا ولكنهم على أي حال لا يتصورونه فوق اليوم !..

وهذا يذكرنا بقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) .. وقوله الآخر : « كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار .. » .

والجامع بين هذه الأجوبة كلها هو الشعور بقصر الحياة ، وضيق المساحة بين مبادئها ونهاياتها .. وهو شعور طبيعي يتأتى من الانفصام بين الادراك ومجرى الاحداث ، فاذا عاد النائم أو الميت الى الوعي اقترنت في ذهنه لحظتا اليقظة فوق فجوة الزمن ، فخيل اليه أن الوقت المنقضي بين اللحظتين دون حقيقته بكثير ! .. وهو تصور لا يقتصر على ما بين اليقظتين فحسب ، بل ينسحب أيضا على تقويم زمن الحياة الأولى كله .. ذلك لأننا في العادة نتلقى أحداث حياتنا شيئا بعد شيء ، فنزنها بحركة الأحداث ، وبذلك نستشعر طولها وثقلها ، ولكننا عندما نعيد النظر في حصيلتها جميعا يتضاءل ذلك الامتداد ،

ويصبح في ادراكنا شيئا صغيرا .. تماما كما يحدث للناظر الى عداد الماء أو الكهرباء وهو يتحرك تحت جريان التيار ، فيحس بطأه ، وامتداد زمنه ، ولكن هذا البطء وذلك الامتداد سرعان ما يزولان عندما ينتهي المؤشر الى غايته ، اذ نرى حصيلة الحركة مجموعة كلها تحت أعيننا !.. ذلك هو التعليل النفسي لتفاوت الشعور بقيمة الزمن .. ولكن ثمة نتيجة روحية عليها يتوقف مفهوم التعبير القرآني في هذا المضمار ، فاذا كان زمن الحياة وما يعقبها مما يسبق يوم البعث ، لا يتجاوز في ادراكنا مقدار الساعة ، التي يراد بها الجزء الصغير من الزمن دون تحديد بعدد الدقائق ، اذن فمن الاسراف بل من الجنون أن نضيعها في الغفلة والمعصية والبعد عن سبيل الله ! ..

ومن خلال هذا التصور نطل على مضمون التعقيب الذي يرسله أولئك الفتية اثر تساؤلهم عن مدة اللبث ، اذ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) فكأنهم لاحظوا بعض التغيرات التي طرأت على ما حولهم ، فداخلتهم الحيرة من واقعهم ، واستيقنوا العجز عن تحديد الزمن المسئول عنه ، فانصرفوا عن محاولة التحديد الى التسليم ، ففوضوا العلم بهذا المجهول الى الله .. وانتقلوا فجأة الى تدبير أمر الطعام الذي يعوزهم ، والطريقة التي يجب أن يسلكها طالبه للحفاظ على سلامتهم .. بل سلامة دينهم . فان مجرد العلم بأمرهم يعرضهم للموت رجما ، أو للعودة الى ما سبق عهد الهدى من ظلمات الكفر .. وانها لعودة لا فلاح معها أبدا ..

وقبل الخاتمة نقرأ هذا الارشاد الرباني يؤدب به الله نبيه صلوات الله عليه : (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله ..) .

فقد حدث أن رسول الله عندما سمع أسئلة الكفار التي حملوها من يهود المدينة ، قال : (أخبركم غدا عما سألتم عنه ..) ولم يستثن ! .. وكانت هذه عجلة منه ، اذ كان عليه أن يذكر أن الأمر لله ، وليس لأحد أن يحدد عليه موعدا .. ولما أبطأ الوحي بالجواب ، وأرجف الكفار ما أرجفوا ضاق صدر الرسول واشتد حزنه ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرج المنشود وفيه معاتبة الله اياه ، والتوجيه الذي يصونه من مثل تلك العجلة في المستقبل .. فعليه أن يربط كل أمر بمشيئة الله ، التي لا يمكن لشيء أن يتجاوزها أبدا .. وان يعالج النسيان بذكر الله الذي بيده وحده أمر الهداية !.

وفي النهاية ما أراني بحاجة لأن أذكر المؤمن بروعة ذلك النظم المعجيب ، الذي سلسلت فيه المعاني في تساوق فائق ، فكانت كالحركة والحرارة والطاقة ، تنطلق من المادة الواحدة ، فما تدرى أيها صاحب الأثر الأول !.

ان هناك الترتيب الذي يسميه البديعيون تقسيما ، والتضاد الذي يدعونه طباقا ، والتآلف المعنوى الذى يطلقون عليه مراعاة النظير . ثم الجرس الذي يتلاحق في توقيع لا يستطيع القارىء تشويشه ، فيساعد على تثبيت الصورة العامة للمضمون في أعماق القلب ، وأغوار الذهن ، تثبيتا يخطفه من واقعه الشخصي الى واقع الفتيان النائمين في جوف الكهف !.

ولا عجب في هذا وذاك .. انه القرآن .. وانها قصصه التي لا نجد لها وصفا أوفى بها من قول منزلها : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ..) .

وليغفر الله لأبى العلاء الذي هزه من كتاب الله هذا الذي يهزنا ، فجعل يمرغ وجهه فى التراب وهو يقول فى غمرة الدموع وغصة الخشوع :

(سبحان من هذا كلامه .. سبحان من هذا كلامه) .

خواطر

من هنا وهناك

الذكرى والبيت الحزين :

كانت ذكرى الاسراء والمعراج فى السنين الماضية تثير فينا آلاما وأوجاعا لوجود اليهود أعداء الله على مقربة من المسجد الاقصى ومسجد الصخرة حيث انتهى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وابتدأ معراجه الى السماء ..

ويدخل علينا شهر رجب هذا العام ويقترب منا موعد الذكرى . وقد وضع أعداء الله يدهم على المسجد والصخرة !! وضاعت من يدنا أولى القبلتين وثالث الحرمين .. وبدأ اليهود يخططون لاعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى !!

ويصدر علماء الضفة الغربية بيانا مدعما بالادلة بحق المسلمين فى كل شبر من هذه الاماكن المقدسة ويتجاوب معهم فى بيانهم علماء الضفة الشرقية ، وبقية العلماء فى الاقطار المختلفة ، ولكن ما قيمة الادلة بدون قوة تسندها ؟ اننى أتهيب تلك الليلة ليلة ذكرى الاسراء .. ولا أدرى كيف أتحمل ذكراها المريرة هـــذه السنة وكيف يتحمل المسلمون فى كل قطر وأرض أن يتذكروا مسرى الرسول ، واليهود يجثمون على الارض التى باركها الله ويدنسونها بآثامهم . نعم انها فترة تمر بالمسلمين ليس هناك ما هو أقسى منها واذا كانت الارض العربيـــة التى استولى عليها أعداء الله ملكا لأصحابها من الدول العربية . فالمسجد الاقصى للمسلمين جميعا . لخمسمائة أو ستمائة مليون مســـلم . من أماكنهم الثلاثة المقدسة . اذا مر استيلاء اليهود عليه سهلا على نفوس المسلمين ، يقـــابلونه

بالسكوت والاستسلام ، فان أعداء الله يستمرئون هذا السكوت ، ويشجعهم على أن يكملوا خطتهم التوسعية ، حتى يصلوا الى المدينة . وهم فى حربهم هذه لم ينسوا أسـلافهم الخونة فى المدينـة الذين أخرجهم الرسول منها لخيـانتهم وغدرهم .

وقال قائلهم يوم استولى على بيت المقدس : الآن انتقمنا لأسـلافنا فى خيبر ــ فهم يذكرون خيبر وما قبلها ، ويتطلعون الى الارض التى كانت لأسلافهم ، ويرسمونها على خريطتهم التوسعية ، ودولتهم المرتقبة ..

وليس لأحد من المسلمين ان يستهين بهذا الكلام ، ويراه أمرا خياليا بعيدا . انهم رسموا لوطنهم القومى فى فلسطين وخططوا له من مائة سنة وأكثر .. وظلوا يعملون لتنفيذ مخططهم ، حتى تم لهم التركز فى الارض المسلوبة وبدءوا يتوسعون ..

فاين المسلمون الذين يغارون على أماكنهم المقدسـة ؟! كيف ينـامون ويعيشون ، ويحلو لهم العيش وقد سقط أحد الاماكن الثلاثة المقدسة فى أيدى أعداء الله ؟! هل يمر عليهم شهر رجب وليلة الاسراء والمعراج كما مرت الشهور والليالى السابقة ؟

الا انها الكارثة ، تحل بنفوس المسلمين . فلا يتحرك لهم قلب ازاء ما نزل بمسرى رسولهم عليه الصلاة والسلام .. الا انه الموت الحقيقى يصيب مئات الملايين من المسلمين .. ان بيت المقدس ليس ملكا للأردن ولا للعرب ، ولـكنه أولى القبلتين ، ومحل تقديس المسلمين جميعـا فماذا فعلوا وقد ضـاع من أيديهم ؟ وماذا سيفعلون فى تلك الليلة التى تثير الشجون ؟

انها موعد يجب أن يلتقى عليه المسلمون جميعا فى كل مكان من الارض ليعلنوها مدوية فى العالم ، ولدى كل من ساعد هؤلاء على فجورهم وعبثهم . ان المسلمين لن يسكتوا على مكانهم المقدس يعبث به أعداء الله ، ليعلنوها مقدمة لحرب دينية يشترك فيها كل مؤمن بالله ورسوله .. ويؤذنوا العالم كله بهـذه الحرب .. ويضعوا امكانياتهم فى سبيل تخليص قبلتهم الاولى وتحريرها من أيدى اليهود ..

رباه .. نتقدم نحن أم نتأخر ؟ نقوى أم نضعف ؟ كنا بالماضى نغضب لأن اليهود ينجسون بيت المقدس بجوارهم له .. والآن ينجسونه فعلا بأحذيتهم ، وعبثهم فيه ، وسيطرتهم عليه ، ويشرعون فى هدمه .
الا انه العار الذى نتحمله نحن المعـاصرين لهذا الحدث أمام الاجيـال المقبلة ..

ماذا سيقوله التاريخ عنا ، وتصبه هذه الاجيال علينا من لعنات اذا نحن لم ننهض لمحو هذا العار ؟!

اللهم لطفك وعونك .

كلمـــة أخيرة :

جاءتنا عدة تعليقات على ما نشر حول « اعجاز القرآن هل هو معجز لذاته أو بالصرفة » ورأى الامام الرازى فى هذا الموضوع ، وكنا قد نشرنا بحثا للأستاذ على محمد حسن فى العدد الخامس والعشرين ثم نشرنا بحثا واسعا للأستاذ أحمد محمد الغمراوى في العدد التاسع والعشرين . وقد رأيت من التعليقات أنها تفتح بابا واسعا للجدل والموضوع في ذاته منته منه قديما ، والنقاش الآن يدور حول رأى الامام الرازى فقط .. ولذا رأيت أن أنهى الموضوع بكلمة لعلها تريح الجميع ..

ان الذى يبدو من كلام الامام الرازى — كما أشار الاستاذ على حسن فى مقاله — أنه حين اختار لم يختر مذهبا ، ولكنه اختار طريقة الاستدلال ليفحم الذين يجادلون فى اعجاز القرآن وينكرونه .. فسلك كل دليل يؤدى فى نهايته الى أن القرآن معجز .. سواء أكان اعجازه لذاته أو بالصرفة ..

ويبدو هذا واضحا من قول الامام الرازى وهو يبحث هذا الموضوع ويناقش المنكرين للاعجاز ، فلهذا اخترنا الطريق الثانى (أى فى الاستدلال) وقلنا : ان بلغت هذه السورة فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود ، وان لم يكن كذلك كان امتناعهم عن المعارضة من شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا »

فواضح من قوله « اخترنا الطريق الثانى وقلنا » : « ان اختياره ينصب على طريقة الاستدلال ، وهى الطريقة التى تلزم الخصم فى نهايتها ، سواء أقر بأن القرآن معجز فى ذاته أو لم يقر بذلك مع اعترافه بعجز العرب عن معارضته فى نهاية الامر بحجة أن الله صرفهم عنه .. اذ لو لم يكن من عند الله لما تدخلت قدرة الله وحالت بينهم وبين الاتيان بمثله ، والنتيجة فى الحالين واحدة . وهى أن القرآن من عند الله . وهو الذى أراد القرآن اثباته فى صريح قوله « فان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » وهو ما شغل الامام الرازى بمناقشته مناقشة عقلية ليصل فى النهاية الى افحام الخصوم كما قلنا . وهذا لايتبين منه رأى الرازى صريحا . بل قد يبدو من الظاهر أنه لا مانع عنده من جواز الامرين لو أمكن هذا ..

ولذلك كان لا بد لنا اذا أردنا معرفة رأى الرازى الذى اختاره وتمسك به أن نرجع الى كتبه والى مواضع أخرى غير جو هذه المناقشة العقلية الجدلية .

ولو رجعنا الى ما ذكر فى المقال الاول لوجدنا الاستاذ الكاتب قد نقل عن كتاب « نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز » للرازى ما يدل على أنه يعتقـــد أن القرآن معجز بذاته . وبذلك ينتهى الموضوع الى أن الرازى لم يقل بالصرفة كمذهب يختاره ، ويقر الاستاذ الكبير أحمد الغمراوى عينا بتبرئة ساحة الامام من هــذا القول .. دون حاجة الى توسيع النقاش حول هــذا الموضوع لننصرف الى غيره .. والله الموفق .

عبد الله بن رواحة

نعم الرجل ابن رواحة (رسول الله ﷺ)

للأستاذ سامي مكي العاني
مدرس الأدب بكلية الشريعة — جامعة بغداد

شعر وزهد وجهاد

سكن يثرب في الأزمان الغابرة من التاريخ قوم يقال لهم (العمالقة) ثم نزل عليهم اليهود بعد أن نزحوا من الشام وما جاورها لأسباب دينية وسياسية فغلبوا العمالقة على أمرهم وصاروا سادة يثرب ، الى أن حدث سيل العرم في اليمن وتفرقت قبائلها فنزل على اليهود قوم نازحون من القحطانيين هم الأوس والخزرج .

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن استطاعوا أن ينتزعوا المال والسلطان من أيدي اليهود ، ولكن اليهود لم ييأسوا من استرجاع سلطانهم ، فعملوا ما وسعهم على الوقيعة بين الأوس والخزرج ، فعاشت يثرب في حرب دائمة ، ونزاع مستمر ، وسميت هذه الحروب بأيام الأوس والخزرج . منها يوم « سمير » وكان هذا أول يوم وقع بين الأوس والخزرج ، ويوم ربيع وفارع ، وآخر هذه الأيام هو يوم (بعاث) . وقد ساهم الشعراء في تلك الحروب بألسنتهم الى جانب سيوفهم ، فلمعت أسماء شعراء مع كل يوم من تلك الأيام .

شاعر الخزرج

وكان عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي ممن اشتهر بشعره في تلك الحروب ، فقد كان اللسان المعبر مع حسان بن ثابت عن الخزرج ، وأسهم في الدفاع عن قبيلته بما أوتي من بيان كأحسن ما يسهم شاعر . وهو القائل يوم بعاث محييا قيس ابن الخطيم الأوسي :

نحامي على أحسابنا بتلادنا
لمفتقر أو سائل الحق واجب

ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
مشينا له مشي الجمال المصاعب

برجل ترى الماذى(١) فوق جلودهم
وبيضا نقياً مثل لون الكواكب

وهم حسر لا في الدروع تخالهم
اسوداً متى تنشا الرماح تضارب

معاقلهم في كل يوم كريهة
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

(١) الماذى : واحدته الماذيّة وهي : الدرع الليّنة — المعجم الوسيط .

اسلامـــه

وعندما وصلت أنوار الاسلام الى المدينة كان عبد الله بن رواحـة في طليعة مـن تفتحت قلوبهـم لنوره ، واستنارت عقولهم بهديه ، فاستجاب لنداء الاسلام ، وآمن بدعوته ، ثـم توجه مع سبعين من قومه الى العقبة حيث واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة . وللمكانة التـي كان يتمتع بها ابن رواحة في قومـه اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون نقيبا على من معه من المؤمنين في تلك البيعة ، وحين بدأ الصـراع المسلح بين الاسلام والكفر ، كان ابن رواحة من أوائل الذين سلوا سيوفهم للدفاع عن دينهم الذي آمنـوا به ، فساهم في جميع معـارك الاسـلام الأولى ، وشهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها الا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا .

قال يحيى بن سعيد : كان عبد الله ابن رواحة أول خارج الى الغـزو وآخر قافل . وكان في جميع حروبه بطلا مقداما ، لا يهاب المـوت ، ولا يخشى السيوف المشرعة ، فحين دعا المشرك « عتبة » من يبارزه في بدر ، وتردد كثير من المسلمين ، برز له ابن رواحة من بين الصفوف . وعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشجاعة فانتدبه لقتل عـدو اللـه اللعين « أسير بن رازم اليهودي » الذي أمد اهل خيبر بعد مقتل سيدهم « ابن أبي الحقيق » فقد دعا هـذا اليهودي وجمع غطفان ومن والاهم من المشركين لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليه ابن رواحة في ثلاثين راكبـا وتمكن من قتلـه والقضاء عليه .

وفي غزوة مؤته أمَّره الرسول صلى الله عليه وسلم علـى المسلمـين ، فحمل اللواء وظل مدافعا عنه حتـى استشهد دونه في السفة الثامنة فى أرض الشام .

وقد خاطب نفسه يوم مؤتة بأبيات تنم عن ثبات جنانه ، ومغالبته لهـوى نفسه عندما حاولت التردد في أول الأمر :

اقسمـت يـا نفس لتنزلنّـه
طائعـــة أو لتكرهنـــه
ان اجلب الناس وشدوا الرنّه (١)
ما لي أراك تكرهـين الجنـه
وطالما قـد كنت مطمئنـه
هل انت الا نطفة في شنه (٢)

وقال أيضا :

هـل انـت الا اصبـع دميت
وفي سبيل اللـه مـا لقيت
يا نفس الا تقتلى تمـوتـى
هـذا حمام الموت قد صليت
ومـا تمنيت فقـد اعطيت
ان تفعلـي فعلهمـا هديـت
وان تأخـرت فقـد شقيـت

يريد صاحبيه اللذين قتلا مدافعين عن لواء المسلمين في مؤتة ، وهما : زيد وجعفر .

أما شاعريته فقد روى هشام ابن عروة عن أبيه قال: سمعت أبي يقول: ما سمعت أحدا أجرا ، ولا أسـرع شعرا من عبد الله بن رواحة .

وقد سبق الى تعريف الشعر حين سأله الرسول : ما الشعر قال : شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعرا . قـال : فهـل تستطيع أن تقول شيئا الآن ؟ فنظر فى وجه رسول الله فقال نعم :

اني توسمت فيـك الخير نافلة
والله يعـلم اني ثابت البصـر
فثبت الله ما آتاك مـن حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

---

(١) الرنّة : الصيحة الشديدة .

(٢)جاء فى المعجم الوسيط : والشن القربة الخلق الصغيرة .

يا آل هاشم ان الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير
ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فخبروني أثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر
نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا
حي من الناس ان عزوا وان كثروا

وحين قال : يثبت الله .. البيت . قال له النبي : وإياك ياسيد الشعراء، ولما قال : فخبروني أثمان العباء . عرف فى وجه رسول الله الكراهة ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال عبد الله : نجالد الناس .. البيت .

وكان رسول الله يستمع الى شعره وهو ينشد ، ويرتاح الى ذلك ، فحين دخل الرسول مكة ليطوف بالبيت كان ابن رواحة بين يديه آخذا بزمام ناقته وهو ينشد :

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
يا رب اني مؤمن بقيله

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن رواحة أفي حرم الله . وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر ؟ فقال الرسول خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

وكثيرا ما كان رسول الله يردد شعره ، ويأنس بانشاده ، بل يستعين به على العمل . روى عن البراء رضي الله عنه أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنة أبينا

وروي أن عبد الله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله : اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت . يعني : الشهادة والجنة . ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقول الرفث فقال : ان أخا لكم لا يقول الرفث يعني ابن رواحة لقوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
واعلم علما ليس بالظن أنني
الى الله محشور هناك وراجع

وأجمع المؤرخون على أن ابن رواحة كان واحدا من ثلاثة شعراء وقفوا الى جانب الاسلام في حربه مع قريش وهم : حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان عبد الله يعير قريشا بالكفر وينسبهم اليه ، في حين كان حسان وكعب يتحدثان في هجائهما عن الوقائع الحربية ، وهزيمة قريش فيها ، ويعيرانها الجبن والضعف ونحوهما من المثالب . فكانت قريش لا تهتم لقول ابن رواحة اهتمامها بقول حسان وكعب حتى أسلموا فصاروا يتألمون لقول ابن رواحة ، وهذا ما يعلل لنا قلة شعره وكثرة شعر صاحبيه في كتب التأريخ والآداب . فقد نهى رسول الله وخلفاؤه عن رواية الشعر الذى يذكر كفر قريش بعد أن أسلمت ، ابقاء على مودتها ، وتأليفا لقلوب

(البقية ص ٧١)

يا مسلمون

للأستاذ : أحمد محمد الصديق
جامعة أم درمان الاسلامية

حق الجهاد .. فليس عنه خيار — وغلت مراجل مالهن قرار
خيل المنايا أسرجت .. فتأهبي — حطين .. ان رحاك سوف تدار
فالحرب أشفى للنفوس اذا اشتكى — فيها من الغيظ الحبيس اوار
واذا اهين الحق صاح بأهله — صوت السماء وجندت أقدار

◇ ◇ ◇

يامسلمون .. ومن سواكم للحمى — ان كشرت عن نابها الأخطار ؟!
يدعوكم الوطن الذبيح ومسجد — أسرى الى ساحاته المختار
يجتر في القيد العذاب مرددا — شكواه : أين الأمة الأخيار ؟!
أين الذين هم الرجال اذا دعوا — هبوا .. وان دوى النفير أغاروا
أتفرق الشمل الحبيب وأدبرت — عنى الوجوه وفارق السمار ؟
وخلا المكان فما به الا رؤى — نكراء تعلن بؤسها ودمار ؟
وخطى جنود البغى تقرع مسمعى — رهباً ، وفيها للدماء سعار ؟!
خفت الأذان وكممت أصداؤه — وعلى المآذن روعت أطيار
وأحس احساس الغريب اذا نأت — في أحلك الأوقات عنه الدار
لولا التعلق بالرجاء وحبله — لانهد ركن أو لخر جدار
وتصدعت مما تعاني صخرة — وبكى الهلال وزلزلت أسوار

◇ ◇ ◇

يامسجدى .. شكواك تعصف في دمي — وعميق جرحك كاللظى موار
فلتنطقي يا نار .. ولتتفجري — يا أرض .. وليقتحم الأحرار

ولتنبت الأشواك في أجفاننـــــا وجنوبنـا حتي يزول العـــار

قسماً سنثأر للدماء فانهـــــا نور على درب الكفــاح ونار

هي في عروق الأرض بركان على جنباته يتحفز الاعصـــــار

الموت مفتاح البقاء . . وفي الوغي يحلو الفداء وترخص الأعمـــار

هو في سبيل الله أعذب منهـــل من حوله يتزاحـــم الأبرار

الموت أكرم من حيـــاة مرغت بالذل فيها تستباح ديـــــار

ويضيع شعب أو تمزق أمـــــة ويخوض في بحر الشقاء صغـــار

وتشيع ملء الأرض أشباح الردى ويغيب عن وجه الحياة نهـــار

خطب ألم ومحنة مكتوبـــــة بدمائنا . . زاغت لهـــا الابصار

ولعلهـــــا تجلو القذى عن أعين فتخط درباً ليس فيه عثـــــار

يا أغنيـــــات النصر لن تتعززى بالحق حتي تصدق الأخبـــار

فلينقشع عنـا الضباب فانــــه دون الحقيقـــة حائل وستار

مابال اشبال العرين ؟ ! الا فتى ورث الاباء وفارس مغوار ! !

سفر البطولة بالمآثر حافـــل يعلوه من صنع الجدود الغـــار

شهدت لهم غـر الوقائع ما انجلى الا عن الفتح المجيـــــد غبار

تلك النجوم فما لنا لا نهتـــدى وبكل نجم للخلود منـــار ! !

لايرجع الحق السليب بهيئـــة   دولية يلهـــو بهـــا الدولار

او مجلس نسبوه للأمـــن الذي   هو لعبة في شرعهم وقمـــار

ارعاة ابقـــار وساسة عالم   وهل الخلائق كلهـــا ابقار ؟ !

لاتسرفـــوا يا هؤلاء فحكمكم   من نسج اوهـــام غدت تنهار

لاتحسبوا ان الجبـــاه ستنحني   منا ويملك قهرهـــا استعمار

« الله اكبر » في الحيـاة نشيدنـا   سيظل يخفق صوتهـا الهـــدار

في ظلهـــا يتحقق النصر الذي   يعلو به للمؤمنين شعـــار

هل غير ربـــك ناصر ومؤيد   ترجى به للعـــاملين ثمار ؟ !

هي عزة الاســـلام سر فلاحنا   فيها تصان محـــارم وذمار

هي شعلة الايمـــان والروح التي   ابداً لهـــا يتطلـــع المضمار

فعلام لاتصفو النفوس ويمحى   صدأ القلوب وتستوى الافكار ؟ !

وتعز بالتوحيد رايتنـــا التي   ثوارها حقا هم الثـــوار

◇ ◇ ◇

ياويح اعداء الحياة اذا انقضى   اجل ، واوشك أن يحين الثار

ستشف عنهم في الجحور خنادق   وتشي بهم بين الشقوق حجار

وتدق سحقا بالنعـــال جماجم   وتدك فـــوق رؤوسهم اوكار

سيعود للقدس الحبيبة مجدهـــا   وتشع ملء رحابهـــا الأنوار

والوعـــد بالنصر المبين محقق   للمؤمنين قضى به الجبـــار

يامسجدي .. ويظل وجهك مشرقا   وعلى ندائك تخشع الاســـحار

رجالها . وطبيعي أن يعمد من أسلم من المهجوين الى طمس معالم الشعر الذى يذكرهم بماضيهم غير المشرف .

وكان شاعرنا الى جانب بطولته في الحرب وبلائه في فن القول من أكبر زهاد المسلمين وعبادهم . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ . وروى أبو الدرداء : لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فى اليوم الحار الشديد ، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة . وكان اذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل . فغضب الرجل فجاء النبي فقال : يا رسول الله ألا ترى أن ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة . فقال الرسول : يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة .

وكان حريصا على تنفيذ أوامر الله صادعا لقرآنه . فقد روي عن مجاهد أن قوله تعالى « لم تقولون ما لا تفعلون » الى قوله « صفا كأنهم بنيان مرصوص » نزل في نفر من الأنصار فيهم عبد الله ابن رواحة قالوا فى مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به حتى نموت . فلما نزلت فيهم هذه الآية قال ابن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيداً .

وكان يتحرى ما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن ما يرضيه يرضي الله . جاء عن السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر يوم الجمعة فقال : اجلسوا . فسمع عبد الله ابن رواحة قول النبي فجلس في مكانه ، خارجا من المسجد ، حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ، فقال له : زادك الله حرصا على طواعية الله ، وطواعية رسوله . وعرف عن شاعرنا تشدده في الحق ، والتزامه بحدود الله ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يزحزحه عن العدل حب صديق أو كره عدو .

فحين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ثم الجأهم الى حصنهم ، بعث ابن رواحة يخرص عليهم تمرهم فكان يأتيهم كل عام فيخرص عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال يا أعداء الله تطعموني السحت ، والله لقد جئتكم من أحب الناس الي وأنتم أبغض الي من عدتكم من القردة والخنازير ، لا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه ألا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

وطالما سالت دموعه غزيرة من خشية الله ، والمشهد الذي يرويه المؤرخون حين سار الى مؤتة أصدق دليل على هذه الخشية وذلك الايمان فقد روى موسى بن عقبة أنه لما خرج الى مؤتة بكى ، فبكى أهله معه . فقال : والله ما أبكي جزعا من الموت ولا صبابة بكم ، ولكن بكيت من قول الله « وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فأيقنت اني واردها ولم أدر : أأنجو منها أو لا ؟ .

وفي لفظ أنبأني ربي أني وارد النار ولم ينبئني اني صادر عنها ، فذلك الذي أبكاني .

وروت زوجته عنه أنه كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين ، لا يدع ذلك .

رحم الله ابن رواحة ، فقد كان راهبا في الليل ، فارسا في النهار ، حتى قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : نعم الرجل ابن رواحة .

المواجهة الحضاريّة

بين التراث الديني وبين القيم المستحدثة

بقلم الأستاذ محمد همام الهاشمي
الخبير الاجتماعي بمجلس التخطيط ـ الكويت

قال قائل تعليقا على موضوع الايدولوجيات والدين الذي نشر في عدد سابق (١) ان ارنولد توينبي الذي استشهدت برايه قد وقع في خطاين وجرك معه الى الوقوع فيهما ..

الخطا الأول انه في تحليله للايدولوجيات والدين قد وضعهما في كفتين متقابلتين من المساواة والتحليل .. ومع أنه قد وجد في الأديان السماوية ما يرجحها في ميزان سعادة الفرد واطمئنانه وتقدم المجتمع واستقراره ورفاهيته الا ان هذه المقارنة تعتبر افتئاتا على الأديان السماوية والدين الإسلامي على وجه الخصوص ، الذي يعلو ولا شك في المقارنة ـ باعتباره دينا منزلا من الخالق ـ على كل ما يضعه البشر من قيم ، وما يصطنعونه من نظريات تصادم الدين او تحاول أن تحل محله ... ولا يصح ان يوضع بين الخالق في منزلة المقارنة مع نظم المخلوقين .

أما الخطأ الثاني فانه قد خيل لأرنولد توينبي أن الأيدولوجيات تعارض الدين ، وأن الدين على طرف نقيض منها ، مع أن الأديان السماوية والدين الاسلامي على وجه الخصوص ، قد استطاع ببراعة ـ لا تتهيأ للمخلوق ـ أن يوفق بين المتناقضات جميعا ، دون أن يميل الى جانب فيغلبه على باقي الجوانب الأخرى .. فهو يتبنى الجماعية والملكية المشتركة فيما لا بد أن يكون ملكا للجماعة ينال منه كل انسان نصيبا دون ما عائق من ظروف اقتصادية واجتماعية .. وهو ينادي بالفردية المتعاونة حينما تكون الحوافز والتطلعات هي أساس التقدم ومنطلق البناء .. ولقد فعل الاسلام ذلك لا عن رغبة في التلفيق والتوفيق ، ولكن عن بصيرة يستمدها من الخالق الذي خلق الخلق ، ويعرف ما أودعه فيهم من دوافع وغرائز وآمال وأحلام وضعف وقوة ... ودنيوية وروحانية .. فالاسلام كامل شامل يستوعب كل ما أقامه البشر من نظريات واتجاهات وأيدولوجيات هي في حقيقتها اتجاه نحو جانب دون باقي الجوانب الأساسية في حياة الانسان ، ومن ثم فلا تناقض حقيقي بين الدين والأيدولوجيات ..

ثم ان هناك أمرا ثالثا .. لقد

(١) العدد ٢٦

أحسست من مقالك أنك تغلب الرجعية على التقدم .. فهل تريدنا أن نعيش في القرون الوسطى بينما العالم قد انتقل الى عصر الذرة ؟ ونكستنا الأخيرة خير دليل على الدور الذي يلعبه العلم في مصائر الشعوب ؟ !

قلت لمحدثي . أما أن أرنولد توينبي قد ساوى في تحليله بين الأديان والأيدولوجيات ، ثم انتهى من دراسته الى ضرورة عودة البشرية الى الأديان السماوية ، ونبذ الأيدولوجيات التي ستقود العالم الى فنائه وتدميره ، فهذا حق ، وهو في نظري معذور في هذا النهج الذى انتهجه .. فهو عالم يريد أن يتسم بحياد العلماء ، وكلما كان موضوعيا متجردا في تحليله كلما استطاع أن يقنع ... خصوصا في عصر العلم الذي يعتمد على الموضوعية والحياد العلمي .. ومن ثم فان كتابه يعتبر بصيصا من نور يضيء بعض الجوانب في مجتمعات أعماها التقدم العلمي ، والانحياز الأيدولوجي ، والتهافت المادي عن أن تعود الى حظيرة الدين ..

وبقي أنه ذو فضل لأنه أضاء شمعة في جنبات حجرة تكتنفها ظلمات بعضها فوق بعض ... والأخطر من ذلك أن تلك الظلمات تجتذب الى حظيرتها — مجتمعات أخرى كان يضيئها نور الاسلام — فدخلت ظلمات الأيدولوجيات ، ونسيت او تناست ما كانت تعيش فيه من نور وهدى .. ولما كان الفكر هو محرك القوى البشرية فاننا نتحمس لكل فكر يساعد البشرية على أن تتبين طريقها فلا تخبط خبط عشواء في دروب تقودها درجة فدرجة الى نهايتها المحتومة من الضلالة والهلاك ...

ومن ثم فان صيحة توينبي في دراسته العلمية قد ترد المجتمعات الى طريق الهداية بعدما كان من فصل بين الدين والدولة .. نتيجة لتاريخ طويل من تجبر الكنيسة التي فرضت الظلام والتخلف باسم الدين فألجأتها الى الأيدولوجيات تستمد منها الالهام .. وكان عصر العلم بعد أن نفضت أوروبا عنها سيطرة الكنيسة ورجالها .. ومن ثم اتجهت الى الأيدولوجيات واستبدلتها بالدين فكرا وقيما ...

أما الأمر الثاني فهو أن توينبي بما له من مكانة علمية مرموقة باعتباره من أكبر العلماء المعاصرين شهرة في تحليل التاريخ والحضارات قد ساعد بنظرياته وآرائه على تكوين جيل من المفكرين ، ومن ثم فهو جدير بأن نقف على رأيه في هذا الموضوع الذي أصبح من أهم ما يشغل عالمنا المعاصر وعالمنا العربي على وجه الخصوص ونحن قوم لا نتحيز في الفكر .. فقد تعلمنا منذ فجر نهضتنا أن لا نعرف الحق بالرجال .. ولكن نعرف الحق فنعرف رجاله .. وان كان توينبي يخالفنا دينا فلا يمنعنا ذلك من أن نتبين وجه الحق في كلامه .. وأن نستشهد به لعلمه وشهرته في قضية أصبحت تشغل حيزا هاما في حياتنا العربية المعاصرة .. فلعل بعض المخدوعين من بني قومنا يقتنعون بالرأي اذ يأتيهم من عالم غربي له مكانته العلمية .. وخصوصا بالنسبة لمثقفينا المولعين بآراء علماء الغرب .. ومن ثم كان الاستشهاد برأيه .. وابراز التحليل الذي اعتمد عليه لينتهي الى ما انتهى اليه ..

الأمر الثالث أن توينبي وهو ينتمي الى الحضارة الغربية الطاغية التي تفرض على العالم نظمها وقيمها بطرق متعددة .. والتي تسعى الى توحيد العالم تحت شعاراتها ومبادئها .. وان كانت قد انقسمت على نفسها بين الأيدولوجيات المتصارعة الا أنه معذور لأنه — بحكم اعتزازه بحضارته — لم يستطع أن يحسن تفهم الدين الاسلامي ليتبين كيف يوفق في روعة خلاقة — تعلو على قدرة البشر — بين مختلف الاتجاهات

الايدولوجية ، وكيف يستوعبها جميعا ويصهرها في بوتقة واحدة على أساس متين من الأخلاق والقيم الفردية والاجتماعية الثابتة التي لا يعتورها التغيير ما بقي الدين أساسا لتكوينهم الفكري ولتعاملهم الاجتماعي . .

ويجب هنا أن نفصل بين الدين وبين معتنقيه ، فالدين الاسلامي في قواعده العامة وأصوله الثابتة يتضمن من القيم والاحكام ما يصلح شأن الفرد والمجتمع ، ولكن من الضروري أن يستخرج معتنقوه من هذه الأصول والمبادىء العامة نظرية في الحياة والمجتمع تستطيع أن تقارع الحجة بالحجة .. نظرية تستطيع أن تفسر عوامل التقدم والتخلف .. فالفكر لا يقاومه الا الفكر .. لقد اسلمت الشعوب المسيحية قيادها الى الايدولوجيات لأن الدين المسيحي لم يستطع أن يمدها بالبناء الفكري الكامل الذي يستطيع أن يفسر الأوضاع الاجتماعية في المجتمع ، وان يمنحها الأمل والمثل الأعلى في مستقبلها .. وهو ما عملت الأيدولوجيات الحديثة على تقديمه على الخلاف المعروف بينها ..

والحق أن الموضوع أعمق من أن يكون مفاضلة أو مناظرة بين الأيدولوجيات من جانب والأديان السماوية من جانب آخر .. كل منها يجند الانصار ويدعو التابعين وان رجحت في ميزان التحليل بالمنطق والعقل كفة الأديان لأنها تغذي الجانب الروحي في الانسان ، وتمنحه من الراحة والأطمئنان الفردي والاستقرار الاجتماعي ما لا تمنحه له هذه الأيدولوجيات . نقول ان الموضوع أعمق من هذا وخصوصا بالنسبة لنا نحن المسلمين وعلى الأخص بالنسبة للشعوب العربية التي تعاني من مواجهة حضارية منذ بداية هذا القرن بينها وبين الأيدولوجيات الغربية (سواء كانت راسمالية أو شيوعية) فالاثنان على السواء ماديو النزعة والمنطلق .. وان هذا الذي نشهده هذه الأيام لهو الأزمة الحضارية بكل ابعادها . وكان لا بد أن نتعرض لها حتى نفيق من سباتنا .. وحتى نتبين موقفنا من العالم وموقف العالم منا .

ولقد طال علينا الأمر ونحن نجتر ذكريات تراثنا المجيد .. وأن كنا في الواقع لا نعرفه حق المعرفة .. فبينما كانت أوروبا تستيقظ كنا نحن نياما . وحينما نهضت فتحنا أعيننا .. ثم حينما بدأت تلتفت نحونا تريد أن تلتهمنا كنا قد بدأنا نستيقظ .. واذ بنا دويلات تخضع كل منها لنفوذ معسكر أو دولة أوروبية .. واذا بنا أشد ارتباطا — خصوصا من الناحية الاقتصادية — بهذه الدول من ارتباطنا بعضنا ببعض ..

وبينما نحن نمسح النوم عن عيوننا كان العملاق قد انتصب واقفا وكان لا بد أن يقع الاصطدام لنفيق ، ونعيد التفكير في حضارتنا في مواجهة الحضارة الغربية .

واجهتنا الايدولوجيات الغربية وكل منها يريد أن نندمج فيه ، ونعتنق مبادئه اعتمادا على الفراغ الفكري الذى وجدنا عليه أنفسنا .. لقد واجهونا ليس فقط بحضارة مادية متقدمة استطاعت أن ترفع مستوى معيشة الفرد ، ولكن ايضا — وهو الاهم — بنظرية متكاملة تفسر الواقع وترسم طريق المستقبل .. ولم يكن العالم الاسلامى مستعدا لهذه المواجهة ، فقد طال عليه الامد ، وهو يجتر ذكريات مبهمة من تراث مضى لم يستطع أن يستخرج منه نظرية تقف على قدم المساواة جدليا ومنطقيا مع ما واجهه من فكر ، أو تستطيع أن ترسم له بوضوح واقعى طريق المستقبل ..

يقول أحد المستشرقين ان الحضارة الاسلامية ، حين كانت هى الحضارة الغالبة — فالحضارة تفرض نفسها بقوتها — كانت تمتلك فرصة الاختيار

من تراث الحضارات المنهارة ما تدعم به حضارتها من علوم وفنون ونظم . ففى عصر الدولة العباسية نشط المسلمون للترجمة يطلون من خلالها على حضارات غيرهم من الفرس والروم والهنود .. وكان اختيارهم لما يثرى حضارتهم مبنيا على انتقاء ما لا يتصادم في أى جانب من جوانبه مع عقيدتهم ودينهم ، الذى حقق لهم هذه الغلبة .. فأخذوا مايشاءون ، وتركوا ما يريبهم ، فالاسلام لم يكن في ذلك الوقت في موقف دفاعى ، ولكنه تبنى تلك الامكانيات الاجنبية لمصلحته هو ، وفعل ذلك في ريث وأناة ، وان كان قد وقع تحت تأثير ضغط فلم يكن ذلك من الخارج ، ولكن بدافع من مرحلة التطور التى كان يمر بها .

الا أن الحضارة الاسلامية الآن (في رأى كثير من المستشرقين) ليست لها هذه الخيرة .. فهى في موقف الحضارة المغلوبة التى لا خيار لها الا أن تأخذ من الحضارة الغالبة مقومات حياتها ونهضتها .. والا ظلت متخلفة نهبا لأطماع المتخطفين من كل جانب . ومن ثم كانت دعوة المثقفين — الذين أطلوا على الحضارة الغربية فبهرتهم أضواؤها — أن نأخذ من هذه الحضارة ما يعيننا على اللحاق بهم — بحيث لا يصطدم مع عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا .. وخالفهم فى هذا الاتجاه سلفيون نادوا بالتمسك بتراثنا بكل ما فيه .. نتممه أولا قبل أن نفتح نوافذنا لرياح قد تطيح بنا ..

وقد يستدل بعض المقاومين للحضارة الغربية برأى الأرنولدتوينبى يقول : ان الأخذ بماديات حضارة ما لا بد أن يتبعه بالضرورة ، ومن خلال الزمن تبن للقيم والنظم التى تتفق مع هذه الماديات .. فنحن نسرع في اتخاذ السيارة مثلا وسيلة للانتقال .. لأنها أسرع وأترف .. ثم نأخذ بالتدريج ما يتصل باستعمال السيارة من قيم ونظم .. فنضطر الى تغيير هندسة مدننا .. فبدلا من تقارب البيوت وضيق الشوارع الذى كان الطابع الغالب لمدننا استجابة لمناخنا الحار .. اضطررنا الى اتخاذ الشوارع الواسعة ، وقوانين المرور .. وقواعد القيادة .. وهكذا .. في كل المنتجات المادية للحضارة . فالاخذ بالتكنولوجيا الحديثة « سيجلب بالضرورة تغيرات في المواقف الاجتماعية والفكرية ، وتلك التغيرات ستجر الى ألوان أخرى من الاستمدادات العلمية والفلسفية ، وربما وصلت أخيرا الى المستوى الدينى » ومن ثم كان رأى توينبى (أو تنبؤه) بامكانية توحيد العالم — مطبوعا بطابع الحضارة الغربية بالطبع — فالمنتجات جميعا تتجه الى أهداف وقيم متشابهة ، ومن هنا أيضا كانت دعوته الى نبذ الايدولوجيات والعودة الى الاديان السماوية بعد أن يسودها التعاون والتفاهم بدلا من الصراع حتى يمكن أن يتم توحيد العالم أيضا من الجانب الروحى الذى لا حياة ولا غنى ولا استقرار للبشرية الا بوجوده ، ولا يعنينا هنا أن يكون مخلصا أو غير مخلص فيما ينادى به ويدعو اليه .

لقد كان على الجانبين المتصارعين منذ البداية أن يجيبوا أولا على عدة أسئلة أساسية قبل الوصول الى ما وصلا اليه من فكر يقود ويغذى صراعهم ، الذى لم ينته حتى الآن الى اتجاه واحد يجمعهما على طريق المستقبل الذى تتطلع الى تحقيقه كل شعوب العالم الاسلامى .. وهو ما سنحاول أن نعرضه في الحلقة القادمة.

---

* فون جونباوم « تأثر الأمم الاسلامية بمدنية الغرب » . الثقافية الاسلامية والحياة المعاصرة تقديم محمد خلف الله — مكتبة النهضة ١٩٦٢

* فون جونباوم « تأثر الأمم الاسلامية بمدنية الغرب » . الثقافية الاسلامية والحياة المعاصرة — تقديم محمد خلف الله — مكتبة النهضة ١٩٦٢ ص ١٨٦ .

أوضاع الأقليات الإسلامية في العالم

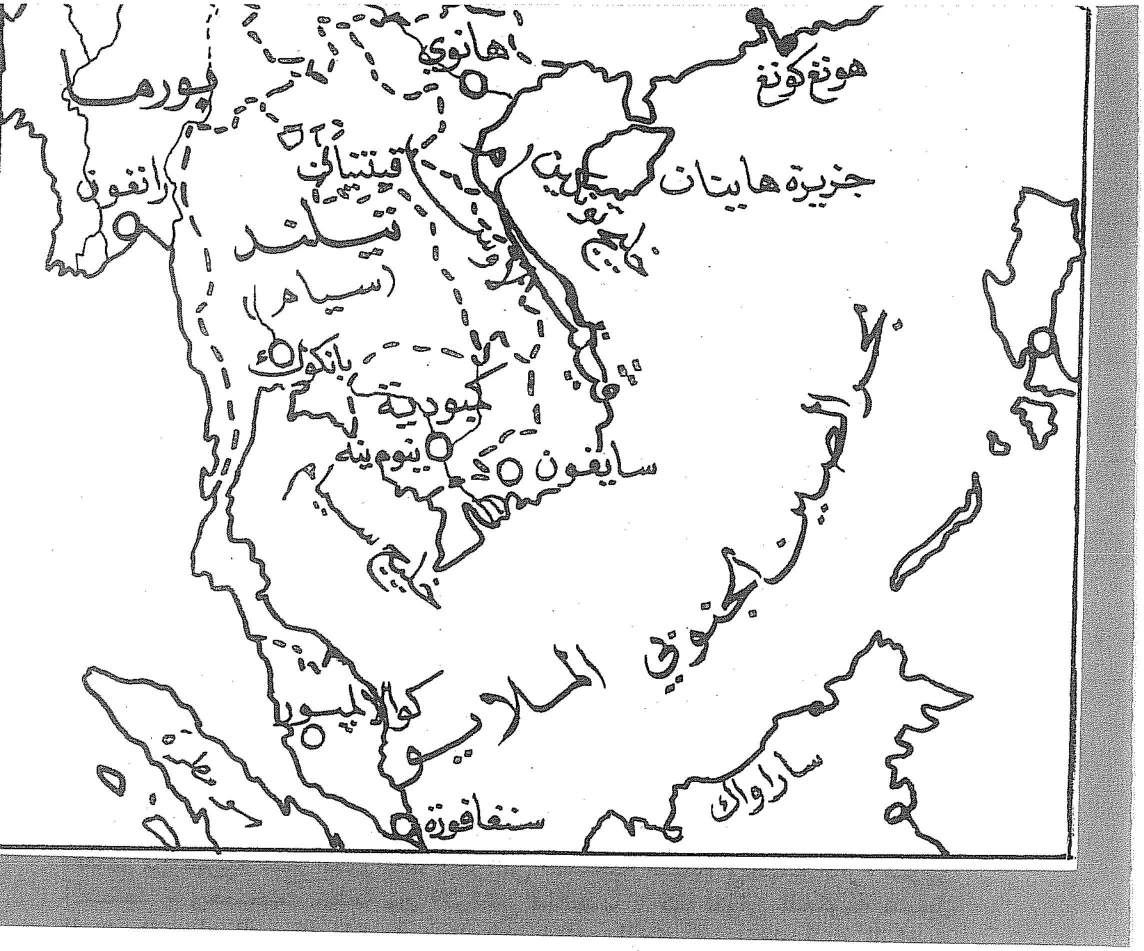
المسلمون في تايلند «سيام»

اعداد : ادارة الشؤون الاسلامية

الوضع الجغرافي :

تايلاند دولة مستقلة ، تقع فى الجنوب الشرقى من آسيا ، حدودها من الشرق والشمال الشرقى ، كمبوديا ولاوس ، ومن الغــرب والشمال الغربى بورما ، ومن الجنوب ماليزيا . مساحتها (١٩٨/٤٥٦) ميلا مربعــا ، وتغطى الغابات حوالى ٧٠٪ من مساحتها والباقى سهول ووديان خضراء خصبة وحقول أرز غنية ، ولذلك كانت الزراعة هى عصب الحياة الاقتصادية للبلاد ، فالتربة خصبة والمياه وافرة ، ويشكل الارز الغــذاء الرئيسى الذى يفيض عن الحاجة فيشكل مصدرا هاما للحصول على العملة الاجنبية ، ومن أهم صادراتها بالاضافة الى الأرز ، المطاط والصفيح وغير ذلك .

يبلغ عدد السكان (٣٠) مليون نسمة ، منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون مسلمون يعيش معظمهم فى المقاطعات الجنوبية الاربع التى تتاخم حدود ماليزيا ، أما بقية المسلمين فهم موزعون فى شتى أنحاء البلاد وعلى الاخص فى أيوديا العاصمة القديمة وفي بانكوك العاصمة الحالية ، كما يعيش بعض المسلمين فى



الشرق والشمال الشرقى ، وينتشر آخرون فى منـــاطق مختلفة ، الا أن عدد المسلمين الحقيقى غير معروف اذ ليس هناك احصاء رسمى صحيح والارقام التى تبين عددهم مشوهة وصغيرة لأسباب سياسية كما هو الحال فى تنزانيا وأثيوبيا وسيراليون ولبنان .

نظام الحكم :

تقوم الادارة فى تايلاند على أساس ديمقراطى ملكى والملك يمارس سلطته عن طريق موافقـــة المجلس الشعبى وتصديقه والملك الحالى هو « بوميبول ادرلياويج » وهو ملك دستورى يرعى كافة الأديان فى المملكة ، وتعترف الدولة بالبوذية كدين رسمى ويشكل البوذيون الاغلبية الساحقة ويعيشون بســـلام مع الأقليات الأخرى .

لمحة تاريخيـــة :

بدأ اهتمام الأسرة المالكة بالاسلام فى تايلاند منذ ثلاث مئة وستين سنة عندما حضر الى عاصمة البلاد اخوان من بلاد فارس هما الشيخ أحمد والشيخ

سعيد وكانت العاصمة ايوديا مدينة مزدهرة واشتغل الاخوان فى التجارة ، ثم التحق الأخ الاكبر الشيخ أحمد فى خدمة الملك واصبح مسؤولا عن الشؤون الاسلامية ومنحه الملك وظيفة عالية فى البلاد .

وقد تقدم الاسلام بخطا سريعة فى عهد الملك ناراى الكبير (١٦٥٦ـ١٦٨٨) فعلى الرغم من مقاومة الملك لجهود رسل الحكام المسلمين فى سومطرة والهند لدعوته الى الاسلام ، فقد سمح للسفير الهندى المسلم ببناء مسجد فى عاصمة ملكه ، ثم دفع نقودا لبناء المساجد ، واستمرت حماية الملوك للاسلام رغم انتقال العاصمة أولا من أيوديا الى ذنورى ثم الى بانكوك العاصمة الحالية ، وكانت الشؤون الاسلامية من اختصاص أحد المسؤولين فى المحكمة العليا كان يعرف بالفباخولارا جمونترى ، وفى عام ١٩٠١ أصدر الملك شمولالونج كورن قانونا يقضى بالفصل فى كافة القضايا الدينية المتعلقة بمسائل الزواج والميراث بين المسلمين على يد قضاة مسلمين ، ووضع خلفه الملك فاجيرانوذ مجموعة من القوانين تتناول علاقات حكومته برعاياها المسلمين ، كما ضمن الدستور الذى تبع الغاء الملكية المطلقة فى عام ١٩٣٢ التسامح وحماية الأديان فى تايلاند بمادة تنص على أن الملك « يساند كافة المعتقدات الدينية » .

حالة المسلمين الدينية :

يتمتع المسلمون فى تايلاند بحريتهم الدينية الكاملة وبممارسة شعائرهم الدينية واقامة الاحتفالات الاسلامية فى المناسبات وفى حالات معينة يسمح لهم بعقد احتفالاتهم فى الاماكن العامة ، فيجرى الاحتفال بالمولد النبوى فى ميدان عام دائما ويدعى لحضوره الملك والملكة وقد أكدت السلطات التشريعية منذ القرار الملكى الذى صدر فى عام ١٩٤٥ ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية فى قضايا الاحوال الشخصية ، بالنسبة لزواج المسلمين وتوارثهم وما يتصل بذلك ، كما أعفتهم من ضريبة ذبح الحيوانات لأغراض التضحية الدينية ونظمت ادارة شؤون المساجد ، وخصصت قطعا من الاراضى لبنائها ، كما تتولى الحكومة تسهيل السفر للحجاج الى مكة المكرمة ، كاعطاء موظفى الحكومة من المسلمين الراغبين بأداء فريضة الحج أجازة براتب كامل ، ويبلغ عدد الذين يؤدون فريضة الحج من التايلانديين كل سنة حوالى ألفى مسلم ، فالمسلمون التايلانديون مغرمون بأداء فريضة الحج ، وكثيرا ما يرهنون ممتلكاتهم ويبيعونها كى يتمكنوا من أدائها ، وتتكرر هذه الحوادث نظرا لجهلهم بروح الاسلام وتعاليمه ، كما يعطى للمسلمين اجازات براتب للعطل الدينية كعيدى الفطر والاضحى ويسمح لرجال القوات المسلحة والبوليس من المسلمين بوقت كاف كل يوم جمعة لأداء الصلاة فى المسجد .

ويتمتع المسلمون فى تايلاند بحرية تشكيل المنظمات الاجتماعية ، ويوجد حوالى « ٣٠ » منظمة فى البلاد ، غير ان معظمها ليس نشيطا ، وكل منها يعمل بشكل مستقل فلا تتحد كلمة الجالية الاسلامية حتى فى مناسبات الفرح والجنازة والاحتفالات ، فهناك حزبان من المسلمين فى تايلاند أولهما قديم يقوم على البدع والخرافات والثانى حديث يعرف بالوهابى أو (قوم الجديد) والذى له أتباع قلائل ، ويتبع كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد دخل النظام الاخير فى صفوف الجماهير منذ أربعين سنة خلت بفضل العالم الاندونيسى العظيم الشيخ أحمد وهاب ، وكان هذا الرجل يتعاون مع المرحوم السيد رشيد رضا ، ومما يؤسف له أن هذه الجماعة تضعف يوما بعد يوم .

المســـاجد :

يبلغ عدد المساجد الرسمية فى تايلاند (١٢٦٧) مسجدا منها (١٠٤) مساجد فى العاصـــمة (بانكوك) وتتركز أكبر مجموعة من المساجد بما فيهـــا المسجد المركزى فى المقاطعات الجنوبية الاربع وهى باتانى وبالاونا ، واثيفاز وساتول ، حيث يبلغ عدد المساجد فيها حوالى النصف من المجموع العام ، وأما المســجد المركزى الكبير فهو فى مقاطعة باتانى ، وتنتشر باقى المساجد فى أكثر من (٣٢) مقاطعة ، وبعض هذه المساجد تعمل على بناء مدارس ملحقة بها لتدريس العلوم الاسلامية لطلاب المدارس وبعـــد انتهاء دروسهم النظـــامية . هذا وتخصص الحكومة ميزانية سنوية لاصلاح المساجد وبنائها .

الحالة الثقافية :

يوجد فى تايلاند حوالى (٢٥) مدرسة عادية يديرها أصحابها من المسلمين وقليل من هذه المدارس يعلم الدين الاسلامى ، ومعظمها يوجد فى العاصمة ، كما أن هناك مدارس دينية محضة للعلوم الاسلامية فقط ، غير أنه لم يجر احصاء لعددها لأن معظمها غير مسجل رغم أن عددها كبير .. الا أن المسلمين فى تايلاند يفتقرون بشكل عام الى التعليم والوعى السياسى فهم متأخرون فى ميدان التعليم الاسلامى والتعليم العام على السواء ، وليس هناك أى مؤسسة اسلامية كاملة تضمن مستقبل الاجيال القادمة ، ولذلك يقتصر الاسلام على أداء الصلاة والصوم والحج ، ولا يتم تطبيقه كمنهج حياة ، كما أن من يهتم بالتعليم الدينى يتلقى تعليمه من مؤلفات مكتوبة بلغة غير اللغة التايلاندية أو العربيـــة ، وضعها علماء فى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ولا ترتكز على أساس النظرية الاصلية من القرآن والحديث ، وباستثناء عدد قليل من الرسائل ينعدم وجود أدب اسلامى باللغة التايلاندية ، ولذلك ينتشر الجهل بمبادىء الاسلام الصحيح وشعائره ، كما أن الحاجة ماسة الى مجلة اسلامية قوية باللغة المحلية فى سبيل نشر المعرفة الصحيحة عن الاسلام ومعالجة قضايا الانقسام والشقاق ، أما من يبحث عن تعليم عام فيذهب الى المدارس العامة المنعزلة عن الاســـلام والتى يكون فيها التعليم البوذى اجباريا ، وأما المدارس الاسلامية القليلة العدد اجمالا فقد تبنى قسم منها نظام التعليم الحكومى الذى تعترف به وزارة التربية والتعليم ، ومن ثم هناك درس للدين البوذى يحضره الطلبة المسلمون وغير المسلمين وفى تلك الحالة يثقل كاهل الطلبة المسلمين بتعليم الجانب الاسلامى خارج قاعة الدرس مدة ساعة ليست كافية ولا مؤثرة .

ويتكلم المسلمون التايلانديون اللغات المحلية الى جانب العربية بالنسبة للمتعلمين أما فى الجنوب فيتكلمون لغة خاصة بهم وهى لهجـــة ملاوية ، وهم متأخرون فى التعليم لدرجة أنهم لا يجيدون الكتابة ولا القراءة أو التحدث باللغة التـــايلاندية التى هى لغتهم الاصلية ولذلك ليس فى مقـــدورهم تولى نصيبهم الشرعى من وظائف الحكومة ولكن بعضهم يجيد العربية الى جانب الملاوية .

والجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٥٠ تم انشاء كلية اسلامية فى بانكوك وهى مؤسسة حديثة حسنة الاثاث ، يزيد عدد طلابها عن ثمانمائة طالب ، وتقـــدم المنح الدراسية الحكومية لاستئناف الدراسة فى الجامعات المحلية والمؤسسات الدينية فى الخارج .

الارتباط الادارى للمسلمين :

يسمى المسئول الاول عن المسلمين بشيخ الاسلام ويصدر قرار بتعيينه من

(البقية ص ٨٥)

الظن ..

قال محدثي وهو يقص على احداث هذه القصة الرهيبة التى هى شر ما يمكن أن يتعرض لأهوالها انسان .

توجست خيفة من ذلك الشاب الرهيب ، الذى كان يجلس الى جوارى ، وكانت الشمس تجنح للمغيب ، وقد راحت تجمع شتات أشعتها الواهنة المبعثرة فى الافق ، لتختفى خلف حاجز الامواج البعيـدة اذ كان مجلسى عند شاطىء البحر ، وكنت راغبـا فى الترويح عن النفس ، بعـد عناء يوم مفعم بعوامل الاجهاد ، وكنت قد اتخذت مجلسى عفوا فوق المقعد الرخامى من مقاعد الشاطىء، وحانت منى التفـاتة فاذا بى الى جواره ، الى جوار ذلك الشاب الذى ينضح وجهه بكل معانى القسوة ، والمرارة ، والحقد والذى يكاد البصيص المنطلق من عينيه يتحول الى شواظ من نار .

ومع ذلك فقد كان فى ريعان الشباب ، حسن البزة ، أنيق المظهر ، بل وقد كان مثقفا على طريقة شباب العصر ، اذ كان الى جواره كتاب ، من هذه الكتب التى تحوى بين صفحاتها علما من ذلك النوع الذى يعتبر حجة الله على ابن آدم .

وكان الشاب يقبض أصابعه ثم يبسطها فى عصبية ظاهرة ، ثم لا يلبث أن يقرع ركبتيه بيديه فى انفعال ، ويحدق فى صمت فى الفراغ البعيد عبر الامواج .

وكان خير ما يمكن أن يصنعه محدثى هو أن ينهض ، أن يبتعد عن مثل هذا المجال ، فقد ظن أن بعقل الشاب لوثة أو جنـة ، وأنه قد لا يلبث بعد قليل أن يؤذيه ، وهم صاحبى أن يتسلل فى هدوء ولكن الشاب تنبه اليه فقبض على يمينه وشده اليه فى عنف .

ومرت برهة صمت رهيبة مخيفة مشحونة بجميع التوجسات والاحتمالات ، ولكن صاحبى ما لبث أن رأى فى عينى الشـاب دموعا تترقرق بين جفنيـه ، وتحولت ملامح وجهه الى شىء ينضح بالرجاء ، وقال الشاب :

ألست فلانا .. ؟

قال محدثى : بلى

قال الشاب فيما يشبه التوسل الذى تعجز عن وصفه الكلمات .. وكان حديثه أشبه بالهمس المتقطع المبهور الانفاس .

أعرفك يا سيدى .. اننى من جيرانك ــ كنت أراك تتلو الآيات فى شرفة دارك .. فأجلس وأستمع ، انك من ذلك النوع الذى يستطيع أن يرشدنى .

بقلم : الاستاذ محمد لبيب البوهي

والعذاب

فوجد صاحبي نفسه الى جوار انسان بائس يستجدى المودة ، ويلتمس النصح فاقترب منه وقد فارقه الروع بل أخذ يهدىء من انفعــال الشاب الذى انفجر يقول بصوت حاد قوى مرتفع .

ماذا لو أننى أمسكت بقطعة من حجر فشججت بها رأسى حتى ينفجر منه الدم .؟

أو ماذا لو أننى جئت بثقل من حديد فشددته الى قدمى ، وألقيت بنفسى فى أغوار اليم لأكون طعاما للأسماك ..؟

ماذا يا سيدى لو أننى فعلت بنفسى شيئا من ذلك ، أو أوقعت بنفسى ما هو أشد فظاعة وهولا ، هل يمكن أن يكون ذلك التعذيب لنفسى سبيلا الى نيــل المغفرة ..؟

أخذ صاحبى يطيل النظر فى ذهول الى الشاب ، وقد أخذ ظنه يتحول الى ما يشبه اليقين بأن الشاب به جنة أو خبل ، وهم أن يتباعد الى طرف المقعد لولا أن الشاب ارتمى فى بؤس على كتفه وانفجر فى بكاء مرير .

وغمرت صاحبى موجة العطف من جديد ، وكان عليه أن يطامن من هــذا الانســان الذى يحترق لسبب لا يدريه ، والذى بدا كأن بركانا يتفجر فى أعماقه فأخذ يتلطف اليه .

هون عليك يا أخى .

فشد الشاب من قبضته على يد الصديق . وقال فى عنف وهو يتراجع ويشد من قامته فى تصلب عنيف . لا تحاول أن تهون على أو تتلطف ، اذا كانت بك ذرة من عطف فأمسك برأسى وأضرب به فى الجدار ، أو ارشدنى الى أفظع ما يمكن لانسان أن ينزله بنفسه من العقاب ، فالعذاب قصاص ، لا تحدثنى عن الحرام والحلال ، أن كل ما أبغيه هو أن أعذب نفسى جزاء وفاقا عن جرم لا أعتقد اننى أستحق عنه مغفرة فى الارض ولا فى السماء ، ذلك ظنى ولا يهمنى أن يكون حقا أو باطلا ، اننى لا أريد المغفرة ، لأننى لا أستحقها ، وسوف أفر من كل باب من أبواب الرحمة ولو مكثت الف عام فى هول الجحيم .. اننى مجرم .. مجرم .. مجرم من نوع شاذ مريع وعجيب .

يقص على صاحبى قصته فقال :

اننى أقترب من منتصف عامي الرابع والثلاثين ، ولم أتخذ لي زوجة الا من

نحو أربع سنوات فحسب ، وما أظن انسانا قضى أيام شبابه أسود مما قضيته ، أو غاص فى أعماق الوحل الى أكثر من العمق الذى غصت اليه ، وخرجت من تجارب الفسق والفجور وزمالة الابالسة وزبانية الهوى والشهوات ، خرجت من كل هذا بفكرة شيطانية هى أنه لا توجد على الارض امرأة تستعصى على الاغراء . لقد وقر فى خيالى الاحمق المريض أن كل بنات حواء مهيآت للخطيئة ، كل ما هن فى حاجة اليه هو الوقت والوسيلة ، وهى كلمات ليست من عندى وانما أنت تسمعها على أفواه أولئك الذين لهم مثل تجاربى والذين عاشوا فى الارض كما عشت ، وقد ظل أبى عشر سنوات يحاول بكل وسائله أن يدفعنى نحو الزواج ، ومات وهو عنى غير راض .. ترى هل اللعنة التى أصابتنى بعد ذلك هى لون من جزاء عقوق الوالدين والتردد عن طاعتهما ؟. يجوز .. انما ذلك ليس موضع تفكيرى الآن ، ولما مرضت أمى مرضها الاخير خشيت أن تموت هى الاخرى وهى عنى غير راضية فأسلمت الى ارادتها زمامى وتزوجت ..

نعم تزوجت من أربع سنوات ..

وما أشد ما تكشفت لى الحقائق من روعة ، لقد شعرت بالخزى والعار من ظنونى الابليسية نحو النساء فلو أن كل ما كتب أهل الفضل والمثل والقيم العليا فى فضائل النساء ، لو أن كل ما كتب عن ذلك قد تجسد فى صورة امرأة لكانت هى تلك التى دفعت بها الاقدار فى طريقى . وصمت الشاب قبل أن يسترسل وأرسل نظراته البئيسة الملتهبة فى أعماق ذكرياته النارية ومسح دمعة تحجرت فى مآقيه واستطرد .

لقد دفعت بها الاقدار فى طريقى ، وعلى حد معرفتى وتعبيرى فانى أتمنى لو رحمتها الاقدار ورحمتنى فأبعدت كلا منا عن الآخر . اننى أقول ليت .. ولكن ماذا تنفع ليت الآن ..؟

وترك الاسترسال فى الحديث وعاد الى البكاء البئيس المرير ، ولم يشأ صاحبى أن يحلف عليه ، أو يدفعه الى ما لا يريد ، بل رأى أن يتركه على سجيته حتى التفت اليه وقال :

لا أستطيع أن أصف ما جبلت عليه امرأتى من الرقة والنبل ، لقد كانت حورية هبطت الى من علياء السماء ، حتى قدر لها أن تلقى شر مصير على يدى هاتين ..

وفى غرة من صديقى استجمع الشاب قبضته ثم سدد ضربتين الى رأسه فى عنف عنيف ، وهو يود لو استطاع أن يدس أصابعه الى داخل جمجمته ليحطمها بينما استرسل يقول وهو يشير الى رأسه : هنا تكمن تلك الآلة اللعينة التى يسمونها العقل ، ذلك العقل القذر الذى لم يعصمنى من الهول ، ترى لماذا استمعت الى نصح الناصحين فتزوجت ؟ لماذا لم أدع نصحهم يذهب الى الجحيم ؟ لقد كان ذلك أهون مما صار اليه أمرى ..

وسمر نظراته النارية فى عينى صديقى وهو يقول :

لعلك ترانى شديد الانفعال ، كثير الهياج ، ذلك هو طبعى منذ البداية ، وهكذا كنت مع امرأتى .. آه .. ولكنها كانت بلسما لكل الجراح ، كانت لها قدرة ملائكية عجيبة على احتمالى ، حتى كنت فى كثير من الاحيان أهم أن أنشب يدى فى عنقها لأخنقها ، ثم أشعر بالخزى والعار أمام ابتساماتها ، وأعود بعد لحظات طالبا منها الصفح والعفو والغفران ، فكانت بطبيعتها العجيبة تزداد ابتساما ، وهى تضم رأسى الى صدرها فى حنان لم أعرف له مثيلا .. لقد كانت تعرف كيف تهدهد رغباتى وتروض ضراوتى .

ولكن أصهارى .. أهلها واخوتها .. نالهم منى الكثير من الاذى وفحش الهجاء ولم يكن لديهم ما يدعوهم الى احتمالى كما كانت تفعل ،

القطيعة بيني وبينهم ، لقد دب بيننا الخصام بل على وجه أكثر دقة رأوا في هدوء أن يتباعدوا عن انسان لا يعرف لكرامة الآخرين وقارا ، وغاظني منهم ذلك الاحتقار الصامت لانفعالاتي فاقسمت أن تعمل امرأتي على قطيعتهم ، وقلت لها في صوت عال كانت تردد صداه الجدران : اما أنا واما هم .. اذا وقع اختيارك على أهلك فاليك الباب فاخرجي منه ولا تعودي ..

فابتسمت ولم تجب .

ومرت شهور .. وشهور .. وشهور .. وأنا أتذوق حلاوة الحياة التي لم تكن ترقى اليها أحلامي في يوم من أيام عزوفي عن الزواج ، حتى حدث ذلك الحادث المذهل الرهيب ، الحادث الذي أطلق عقال ظنوني السوداء الحبيسة ، وضرب عقلي بمطرقة الجنون ، وحصد كل هنائي بمنجل قاس لا يرحم .

كنت في سفر ورحت أستعيد في وحدتي البعيدة ذكريات سعادتي الزوجية مع امرأتي ، وتذكرت دعواتها الملحة لي الى الصلاة ، وفكرت في تنفيذ هذا الرجاء ، أن أعمل على تنفيذ رغبتها كانت تقول لن تكمل سعادتي حتى أراك تتوضأ كما يفعل الصالحون وتصلي، حينئذ سأشعر أنني تزوجت انسانا أفخر به ، صممت على أن أتيح لها الفرصة ، أن أجعل من نفسي انسانا تفخر به امرأته ، انسانا يعرف ربه فقد كانت تقول : طوبى للذين يعرفون الله ..

لم أكن على وجه اليقين أدرك لماذا كانت تدعوني دائما أبدا وفي الحاح الى الصلاة ، ربما لأن الصلاة كانت ستخلصني من الهياج الانفعالي الذي كان يأخذ بخناقي فأنقاد له كوثني يعبد صنمه .

مهما يكن من أمر فقد فكرت أن أحقق لها هذه الامنية والآن .. فقد أدركت كيف ينتهز الشيطان الفرص العجيبة المؤاتية ، لقد رأى الرجيم انني أوشك أن أفلت من قبضة يده فسلط على أشد أعوانه خبثا وأفكا ، لقد فجر ينابيع الظنون السوداء في رأسي .. تلك الظنون التي كانت ثمرة تجاربي القديمة مع الفحشاء ، حين كنت أستريب في وجود العفة على الاطلاق ، انبثق في خاطري ظن أسود عن امرأتي يقول : وما يدريك أنها ليست هي الاخرى كاللواتي عرفت ..؟

كنت قد شمرت عن يدي للوضوء ولم أكن أعرف وقتذاك أن هذه وساوس ابليس ، بل انبرت لي الظنون تعربد في عقلي وتدق جدران رأسي ، وخيل الي أن شيئا ما .. ربما يدور الآن من خلفي .. هنالك في بيتي ..

وقررت أن أعود من فوري الى داري ، فأسرعت في غير روية وفعلت ، حريصا على عنصر المفاجأة ..

ويا للهول مما حدث .. مما لم يكن في حسبان .

هنالك في غبشة المساء عند وصولي تحققت أوهامي التي بعثت في كياني كله شعلة من نار لا يوصف لسعها .

رأيت رجلا لم أتبين ملامحه يتولى مسرعا من خلف أشجار حديقة داري .

وأدركت على الفور أن المجرمة اللئيمة قد رأتني قادما بسيارتي من الشرفة الشرقية المواجهة للطريق فأوعزت اليه أن يفر ..

وددت في هذه الساعة لو كنت أحمل « مسدسي » ولكني على كل حال وقبل أن تفلت مني اللحظة المؤاتية قررت أن أستعمل أصابعي وأظافري ، ان أجداد أجدادنا الذين عاشوا في الادغال منذ آلاف السنين كانوا يستعملون أظافرهم وأسنانهم كأسلحة حادة عند الضرورة ، وهذه هي فرصتي وقد انبثقت هذه الروح في أعماقي . اندفعت من سيارتي وجريت خلفه ولحقت به وأمسكت بطرف من ردائه وشددته بعنف فتمزق الرداء وبقي جزء منه في يدي وانطلق اللعين ، انطلق المجرم بعد أن قفز الى سيارتي وفر بها .. كنا في الليل — وكانت كل الاشياء تبدو كالاشباح .

رحت أجرى خلفه واصرخ وأشد شعرى وأنا ممسك بيدى بالقطعة التى انتزعتها من ردائه .

ولكن المجرم استطاع أن يفر ، بل كان فراره بسيارتى ، وما اخال منظرى فى تلك الساعة الا كان أشد فظاعة مما يتصور الناس عن اشكال الابالسة والشياطين .

وعدت الى الدار وأنا اتميز من الغيظ ، وكانت المجرمة اللئيمة عند درجات السلم العليا فى بهاء روعتها وزينتها تبتسم تلك الابتسامة التى فجرت فى صدرى بركان النار ، فلم ألبث أن شددتها من شعرها ودفعتها بكل قوة وعنف فانهارت تتدحرج على الدرجات الرخامية كأنها كرة من المطاط قذف بها طفل من عل ، لم انظر نحوها ، ولم أبال بها ، ولست أدرى اذا كانت قد ارسلت صيحة .. أم انهارت دون أن تتمكن من الصياح .. فقد قررت من فورى أن اذهب الى دار ذويها لأواجههم بالفضيحة والعار .

وهنالك عند باب دارهم طالعنى شيء غريب ، فقد وجدت سيارتى هناك ، فاخذنى من ذلك عجب شديد ، وانفجرت ضاحكا فى سخرية هستيرية امام امعان الاقدار فى السخرية منى .. اذن فعشيقها هو احد اقاربها .. هيه ..

وأخذت أصعد درجات بيتهم قفزا بغير اناة ، وفى صدر الصالة لقينى أخوها الاكبر وهو يبتسم ، كان جالسا وفى يده خيط يعالج رداءه الممزق ، ونظرت الى الرداء والى قطعة القماش التى فى يدى ..

وكأنما لحظ أخوها ما يجول بخاطرى فقال وهو يعانقنى :

اعف عني وسامحنى ، لقد خاصمتنا ولكن الشوق دفعنى الى رؤيتها .. لقد ذهبت فى غيبتك لأراها — انك تعلم أنها الاخت الوحيدة .

واعتمدت رأسى بكلتا يدى ، وأستندت الى الجدار احمى راسى من هول الدوار ، وبدت الارض كأنما تميد بى وتدور ، ورحت فى صمت قاتل مريع انظر فى الفراغ لعلى أرى الجحيم فارتمى فيه .

قال أخوها ليقطع حبل الصمت :

ستشرب معنا القهوة ، ولعلك تراجع نفسك ، فتفتح لنا صدرك .

كان لهذا الكلام السهل البسيط على نفسى وقع شواظ النار فصرخت من أعماقى :

لا .. لا استطيع .

ورحت أهرول عائدا الى الدار ، وتبعنى أخوها مأخوذا بما بدا فى تصرفى من شذوذ ، كنت أسرع وأسرع فى المسير ، أود أن اقع تحت قدميها الطاهرتين وأبللهما بالدموع والتمس عندها التوبة وأرجو الغفران .

ولكن وا أسفاه .. لقد وجدت كل شيء قد انتهى ..

كان رجال الشرطة قد جاءوا وأخذوا أقوالها قبل أن تلفظ آخر انفاسها .

لقد كتبت بخطها الذى أعرفه .. أن قدمها قد زلت فوقعت وطلبت اليهم أن يبلغونى حبها .

لم استطع ان أقف أو اجلس .. ولم اعد قادرا على مواجهة الحياة ، فان استطعت أن تدلنى على أبواب الجحيم فافعل .. اننى مجرم .. مجرم من نوع شاذ وفظيع .. اننى لا أريد الرحمة ولا استحقها .. واياك أن تنظر الى بهذه النظرات التى فيها العطف والرثاء اننى اريد العذاب .. والمزيد من العذاب .. وكل ما أبغيه أن تصبح قصتى عظة للآخرين .. والويل ثم الويل للذين لا يتذكرون .

الملك مدى الحياة بعد أن يتم ترشيحه من قبل مشايخ وجمهور المسلمين ويكون مستشارا للحكومة فى شؤون المسلمين ويتبع من الناحية الرسمية لوزارة التربية التى لها ادارة خاصة بالشؤون الدينية ويجرى له راتب شهرى محدد ، ويرأس لجنة تعرف باللجنة المركزية للمسلمين ، أما أعضاء اللجنة المركزية للمسلمين فليس لهم راتب ، ويتبعون وزارة الداخلية ، ولهم الحق فى تعويض مالى عندما يدعون لحضور اللجنة وتتألف من أربعة عشر عضوا يتم انتخابهم فى الغالب من أئمة المساجد الرسمية أو بتوصية من شيخ الاسلام .

ويلى اللجنة الاسلامية المركزية فى الاهمية والتسلسل الادارى اللجان الاقليمية التى يبلغ عددها (٢٤) لجنة ، وهى تشكل فى المناطق التى تعيش فيها مئة أسرة مسلمة على الاقل والتى فيها مسجد مسجل على الاقل ، ويرأس هذه اللجان عادة امام أحد المساجد الاقليمية ، وتتبع اللجنة المركزية بصفة مباشرة ، ولا يتقاضى أعضاء هذه اللجان مرتبات ولا مكافآت ، وهم يشغلون وظائفهم مدى الحياة ، وشيخ الاسلام الحالى هو الحاج اسماعيل ، وهو يحتل مركزا رئيسيا فى جميع الامور التى تتعلق بالاسلام وهو ممثل الملك فيما يخص حماية الحرية الدينية للمسلمين .

وبالرغم من أن للمسلمين الحق فى تولى الوظائف الادارية الحكومية ، الا أن كثيرا منهم لا تتاح لهم الفرصة لتولى الوظائف العالية كوزير او وكيل وزارة أو سكرتير وزير رغم ثقافتهم العالية ، ومؤهلاتهم الممتازة وذلك بسبب الدين حيث يفضل البوذيون على سواهم فى الوظائف العالية .

الحالة الاجتماعية والاقتصادية :

يعيش المسلمون فى الجنوب كزراعيين يزرعون المطاط او يشتغلون فى مزارع المطاط ومناجم الذهب كعمال ، وكثير منهم أصحاب أعمال ، وقليل منهم يمتلك المزارع ، وليس لدى المسلمين فى الجنوب شركات مهنية كبيرة ودائمة ولكنهم يمتلكون محلات تجارية صغيرة يديرونها بأنفسهم ، ويعيش فى بانكوك حوالى (٢٥٠) الف من المسلمين (٣٠ ٪) منهم مثقفون و (٥ ٪) وصلوا الى المرحلة الجامعية ، وقد كان معظم المسلمين فى العاصمة مزارعين وبعضهم موظفون فى الشركات المهنية ومكاتب الحكومة وقليل منهم ملاك وتجار خشب ، وقد افتتح بعضهم شركات مهنية حرة ، ولما كانت البلاد تسير فى طريق التقدم والنمو فقد شقت طرق عديدة فى المزارع فى بانكوك فارتفعت أسعار الاراضى والمزارع التى يملكها المسلمون مما ساعد كثيرا من ذوى الحظ السعيد من المسلمين أن يصبحوا من أصحاب الملايين والملاك ، وقليل جدا من هؤلاء المسلمين يفكر فى انشاء شركة مهنية كبيرة ، الا أن القاعدة العامة هى أن المسلمين فى تايلاند فقراء ويعمل كثير منهم فى الصيد ، وأما الذين يتمتعون بأوضاع اقتصادية حسنة فهم قلة وهم فى تناقص وانخفاض .

هذه نبذة عن حياة المسلمين فى تايلاند ، وأن المسلمين فيها فخورون بدينهم ومتحمسون لاتباع تعاليمه ، فهم يشتركون بانتظام فى المنافسات الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى تجرى فى كوالالمبور بماليزيا يحضرها ممثلون عن باكستان والهند والفلبين وكمبوديا والبلد المضيفة ، وفى عام ١٩٦٣ نال قراء تايلاند الجائزتين الاولى والثانية .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

مس المصحف وحمله

السؤال :

هل يجوز حمل المصحف الشريف من غير وضوء وهل يجوز وضعه فوق سجادة الصلاة ؟

خضر سليمان
السودان — الخرطوم

الاجابة :

ذهب جمهور الائمة الى أنه يحرم على المحدث حدثا أكبر أو أصغر مس المصحف وحمله استنادا الى قوله تعالى « لا يمسه الا المطهرون » والى حديث ابن عمر « الا يمس الا على طهارة » — واستثني الجمهور مسه بحائل منفصل بناء على أن المحرم هو المس مباشرة باليد بلا حائل —

وذهب بعض الفقهاء الى أنه يجوز لضرورة التعلم أو التعليم للمحدث حدثا أصغر أو أكبر ولو حائضا مس المصحف وحمله ، أما وضع المصحف فوق سجادة الصلاة فلا مانع منه شرعا اذ أنه موضوع فى مكان طاهر .

في النكاح

السؤال :

أنجبت عائشة بنتا تدعى خديجة ثم تزوجت خديجة برجل يدعى على وكان على متزوجا بامرأة أخرى له منها ولد — فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج عائشة أم زوجة أبيه ؟

راتب الشويكى
بمعهد الامامة والخطابة

الاجابة :

المحرمات بالمصاهرة أربعة أنواع :

١ — فروع زوجته المدخول بها .
٢ — أصول زوجته .
٣ — زوجة فروعه وان نزلوا .
٤ — زوجة أصوله وان علوا .

فيحرم بالاول أن يتزوج الرجل بنت زوجته التى دخل بها وبالثانى أم زوجته وجدتها مطلقا دخل بزوجته أو لم يدخل وبالثالث والرابع تحرم زوجة ابنه وزوجة أبيه وان بعد الاب والابن فتحرم الزوجة على أصول الزوج وفروعه ويحرم الزوج على أصول الزوجة وفروعها فقط وأما فروع الزوجة وأصولها فلا تحرم على أصول الزوج وفروعه ومن ثم فيجوز أن يتزوج رجل امراة ويتزوج ابنه أو أبوه أمها أو بنتها من غيره .

وبناء على هذا يجوز شرعا أن يتزوج ابن على عائشة أم زوجة أبيه المذكورة .

السؤال :

رجل تزوج امرأة وبعد مدة تزوج امرأة ثانية وطلقها ثلاث مرات بين كل مرة حوالى سنة — ثم تبين أنها رضعت مع زوجته الاولى مدة شهر ولم يكن الزوج يعرف موضوع الرضـاع وقت زواجه بالثانية — وقد توفيت زوجته الاولى وله رغبة فى اعادة زوجته الثانية المطلقة — وقد قال له أحد العلماء أن زوجته الثانية لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره لانه طلقها ثلاث طلقات متفرقات وقال له آخر انه يجوز له أن يتزوجها .

فما حكم الشريعة فى ذلك ؟

م. ص — الكويت

الاجابة :

لا يجوز شرعا الجمع بين أختين رضاعا ، كما أن المطلقة ثلاثا لا يحل لزوجها ان يعيدها الى عصمته حتى تنكح زوجا غيره — والطلاق هو رفع قيد النكاح الصحيح ولا يلحق النكاح الفاسد ، ونظرا لأن العقد على الثانية كان عقدا فاسدا لكون الاولى أختا من الرضاع للثانية فكل طلاق صدر منه عليها غير معتبر شرعا لعدم مصادفته محلا لابتنائه على عقد زواج فاسد ومن ثم فلا أثر للطلاق الذى أوقعه عليها ، ويجوز له أن يعقد عليها قبل أن تتزوج بغيره لوفاة الاولى اذ الجمع بسبب الرضاع أصبح غير قائم .

في الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأم وجد وأخ شقيق وأخ لأم .

فما نصيب كل وارث ؟

ح. ح — الكويت

الاجابة :

اذا لم يكن للمتوفى ورثة غير ما ذكر فيكون توزيع التركة على النحو الآتى :

للزوجة الربع فرضا ٦/٢٤ لعدم الفرع الوارث وللأم السدس فرضا ٤/٢٤ لوجود الاخوين الاخ الشقيق والاخ لأم لأنها حجبت بهما حجب نقصان من الثلث الى السدس ولا شىء للأخ لأم لحجبه بالاصل الذكر وهو الجد ومع كونه محجوبا حجب حرمان فقد كان سببا فى نقصان نصيب الام الى السدس — والباقى للأخ الشقيق والجد مناصفة لكل منهما ٧/٢٤ والجد ورث هنا بالمشاركة لأن نصيبه بها أكثر من فرضه السدس ويكون كل ذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين يكون على الميت .

السؤال :

توفى رجل عن أختين لأب وعمين شقيقين ، واخوين لأم وجدة لأم .

فما نصيب كل وارث ؟

محمد أحمد الكحلانى
بمعهد الامامة والخطابة — الكويت

الاجابة :

اذا لم يكن ورثة للمتوفى غير المذكورين فيكون توزيع تركته على النحو الآتى :

الثلثان فرضا ٤/٧ للأختين لأب مناصفة والثلث فرضا ٢/٧ للأخوين لأم بالتساوى بينهما والسدس فرضا ١/٧ للجدة لأم ولا شىء للعمين الشقيقين لأنهما من العصبات وقد استغرق أصحاب الفروض التركة وعالت المسألة ولم يبق شىء .

والله أعلم .

بريد الوعي الاسلامي

اشراف رضوان البيلي

الحرب خدعة

دار بيننا نقاش حاد حول تحديد مصدر هذه الحكمة « الحرب خدعة » فقال احدنا : انها حديث نبوى ، وقال ثان : كلمة مأثورة عن على بن ابى طالب ، ونفى آخر هذين القولين ، وذهب الى انها ترجمة كذا الالمانية ، وهى منقولة عن « هتلر » وانتصر احد الحاضرين لهذا الرأى الاخير ، وانكر نسبتها الى الرسول او الامام لما تنطوى عليه من معانى الغدر والخيانة التى تأباها عصمة المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وما اثر عن بطولة على كرم الله وجهه .

وقد انهينا النقاش على ان نكتب الى هذا الباب نستوضحه ما يأتى :

قائل هذه الكلمة . المناسبة التى قيلت فيها ـ ان صح انها حديث شريف . المعنى المقصود بهذه العبارة . ضبط لفظ « خدعة » . المراجع التى يمكن الرجوع اليها فى هذا الموضوع .

ع . س
مدرس ثانوى بالكويت

وردت هذه العبارة « الحرب خدعة » منسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل روى فى غزوة الخندق ، وهو مدون فى أمهات كتب التاريخ والسيرة الموثوق بها . نذكر منها : النهاية والبداية لابن كثير والسيرة النبوية لابن هشام ، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية ، واستشهد المسعودى بهذه الجملة فى الجزء الثانى من كتابه مروج الذهب على بلوغه عليه الصلاة والسلام فى البلاغة والفصاحة مبلغا يصعب ادراكه ، ويعز مناله ، لما تضمنه هذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز من مفاهيم ضخمة ومعان كثيرة .

واذا كان لفظ الخديعة يتسع لأكثر من معنى . فالمعنى المقصود منها هنا لا يمت بصلة الى الغدر ، ولا تشوبه من قريب ولا من بعيد رائحة الخيانة ، فالاسلام هو يكافح لاسمى الغايات — لا يبيح الغدر فى سبيل الفوز ، ولايستخدم الاساليب الخسيسة للوصول الى الغاية الشريفة ، اذ الوسيلة من الغاية والغاية من الوسيلة .

●●●

والمناسبة والظروف التى حدث فى جوها هذا النطق النبوى الكريم هى وحدها الاسلوب المنطقى لتحديد المراد بالخديعة فى الحديث . واذا كان أهل التأويل والتفسير يستعينون فى فهم المراد من النص القرآنى بأسباب النزول لما تلقيه من اضواء كاشفة تنير للفكر طريقه ، وتحدد للعقل مسيره فى معرفة المعنى المقصود من اللفظ الذى يتسع لأكثر من معنى — فينبغى أن يتبع هذا فى فهم السنة النبوية وشرحها .. وكثيرا ما أدى القصور عن اتباع هذا الاسلوب السديد فى الفهم والادراك لمعانى الكتاب والسنة — الى الشطط بالمقصرين فى التأويل ، أو السطحية فى الشرح والتفسير ، فان النظر المجرد الى النص الكريم مبتورا عن ظروفه وملابساته ، بعيدا عن أسبابه وموحياته قد أدى الى الخلط فى فهم تعاليم الاسلام . والاخطاء التي تورط فيها المسلمون فى العصور المتأخرة نتيجة سوء الفهم للكتاب والسنة كثيرة . ومن أجل هذا فاننا نحمد للسيد ع . س كاتب هذه الرسالة ، مسلكه الرشيد فى مطالبته بذكر المناسبة التي قيلت فيها هذه الجملة ان صح أنها حديث شريف .

ان الخدعة فى الحرب التى وردت فى الحديث تعنى تثبيط العدو ، وتخذيله وتوهين عزمه وكسر شوكته ، وتفويت غرضه عليه ، وذلك بسلوك مسلك الحيلة لايجاد ثغرة بين صفوفه ، وايقاع الفرقة بين احزابه حتى يكفوا عن القتال ، وينقلبوا خائبين وقد اشار القرآن الكريم الى هذا حيث قال سبحانه « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفي الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .

●●●

أما المناسبة التى قيل فيها هذا الحديث فهى غزوة الخندق — كما أشرنا الى ذلك — والحديث نفسه فيه بيان واضح للخديعة الحربية ، وصورة تنفيذية لها وهى خدعة اغنت المسلمين أيما غناء عن معركة لا يعلم عواقبها الا الله ، وما ظنك بمعركة يجد المسلمون فيها أنفسهم فى المدينة محاصرين بعشرة آلاف جندى من قريش وكنانه وغطفان وعرب تهامة وعرب نجد وغيرهم . فضلا عن وجود عدد كبير من يهود بنى قريظة داخل المدينة لا يوثق بعهدهم ولا يؤمن جانبهم ، لا شك ان كسب هذه المعركة يعتمد اكثر ما يعتمد على الرأى والمكيدة أو قل الخديعة أكثر مما يعتمد على الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالنبال ، وهذا هو الذى اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الحرب خدعة . اذن ما هى الخدعة وكيف تمت ونجحت ؟

كان من تدبير الله وصنعه لنبيه ان أسلم نعيم بن مسعود سيد غطفان بعد أن احاطت أحزاب الشرك بالمدينة وطوقتها من جميع الجهات . قال ابن اسحاق :

جاء نعيم ، وقال يا رسول الله اني أسلمت ، وان قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرني بما شئت .. وتستطيع أن تدرك مبلغ الخطر الذي كان يتعرض له المسلمون ، وعظم المسئولية التي كان يستشعرها الرسول في هذه الظروف من رده صلى الله عليه وسلم على نعيم حيث قال له : انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ــ ان استطعت ــ فان الحرب خدعة ، وعسى الله أن يصنع لنا .

فهم نعيم في الحال الدور الذي يجب أن يقوم به ، فخرج لفوره حتى اتى يهود بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بيني وبينكم .

قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم .

فقال : ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فأنتم البلد بلدكم . فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم ، ولا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره ، وأن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وأموالهم ونساؤهم وابناؤهم في بلادهم ، فليسوا مثلكم . فان انتصروا فلهم النصر والمغنم ، وان انهزموا لحقوا ببلادهم ، وتركوكم للمسلمين ، ولا طاقة لكم بهم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون تحت أيديكم ثقة لكم حتى تضمنوا أن يثبتوا في قتال محمد ، ولا يفروا .

فقالوا له جميعا : لقد أشرت بالرأى .

ويترك نعيم بني قريظة ، ويتوجه الى مشركي قريش ، فيقول لهم : قد عرفتم ودى وفراقي محمدا .

قالوا : نعم .

قال : وانه بلغني امر قد رأيت حقا على أن ابلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عني .

قالوا : نفعل .

قال : تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه يقولون : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن ناخذ لك من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم ، فنقتلهم حتى نستاصلهم ، فارسل اليهم ان نعم . فان يعث اليكم بنو يهود يلتمسون رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج من عندهم واتى غطفان ، وقال لهم مثل ما قال لقريش .

وهكذا اتقن نعيم دوره في تمثيل دور الصديق الوفي لكل من اليهود والمشركين ، ونجح في حيلته وخديعته .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس من الهجرة أرسل أبو سفيان ابن حرب ورؤوس غطفان بعكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان الى

بنى قريظة ليقولوا لهم : لقد طال حصارنا للمدينة ، ونفدت ميرتنا ، وهلك الخف والحافر ، فاستعدوا غدا (السبت) للقتال .

فكان رد اليهود : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولن نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون تحت أيدينا ، فانا نخشى ان ضرستم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تفروا الى بلادكم وتتركونا لمحمد وأصحابه . ولا طاقة لنا بهم .

فلما رجع عكرمة الى قومه بهذا الجواب . قالوا والله ان الذى حدثنا به نعيم بن مسعود لحق ، وأرسلوا الى بنى قريظة أنهم لن يعطوهم رجلا واحدا من رجالهم . عندئذ تحقق بنو قريظة من صدق نعيم .

وهكذا نجح نعيم فى تمزيق شمل الحلفاء ، وفعلت خديعته ما لا تفعله السيوف والرماح واتم الله صنعه لنبيه فارسل على اعدائه الريح فى ليلة شاتية باردة كفأت قدورهم وخلعت خيامهم ، وقذفت الرعب فى قلوبهم فانقلبوا خائبين .

●●●

واما ضبط لفظ ((خدعة)) فقد جاء فى محيط المحيط . وفى الحديث الحرب خدعة أى تنقضى بخدعة . قال ثعلب والحديث باللغات الثلاث — فى حركة الخاء — فالفتح على أن الحرب ينقضى امرها بخدعة واحدة ، والضم على أنها آلة الخداع والكسر لأنها تخدع أصحابها لكثرة وقوع الخداع فيها .. ثم قال والفتح أفصح .

ويقال : ان معنى كون الحرب خدعة أن الظفر بها يكون بحسن التدبير والحزم ، لا بمجرد الشجاعة والاقدام كما قال أبو الطيب المتنبى :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى الى شرف من الانسان
ولربما طعن الفتى أقرانه
بالرأى قبل تطاعن الاقران

ومن هذا القبيل ما حكى عن عنترة العبسى أنه قيل له : أنت أشجع العرب وأشدهم بطشا ، فقال : لا . فقيل له : كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس ؟ قال : انى أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل مدخلا الا اذا رأيت لى منه مخرجا .. والحرب خدعة .

فالخدعة غير الخيانة والغدر . وفرق كبير بين خدعة وخدعة .

بأقلام القراء

اليهود ... اليهود

طالعتنا مجلة لواء الاسلام القاهرية بمقال تحت هذا العنوان جاء فيه :

ألق بنظرات سريعة على أوربا وامريكا ومن وراءهما ــ هل ترى فى مواخير أوروبا وحاناتها الا أنها تدار بأموال يهودية ، ويوجهها يهود ؟ وهل ترى دور أنواع الخيالة التى تشيع الفاحشة ، وتنشر الفساد وتحل النخوة ، وتقتل العزيمة الا أنها تدار بشركات يهودية ،وهل ترى الآراء التى تحل عرا الجماعات وتقطع صلاتها ، وتفك كل رباط خلقى ، وتثير الاحقاد بين الامم الا صادرة عن رؤوس يهودية ؟ وهل ترى المذاهب التى تهدم الاديان ، وتقطع وشائج المودة ، وتهدم شكائم الاخلاق الا نابعة من الاوساط اليهودية ومن يمالئونهم أو يقاربونهم أو ينتمون الى أصول لهم ؟ انهم يريدون أن تكون الانسانية بورا دائما ، وأن تكون أمورها فرطا فى كل الاحوال ، ولا تماسك الا فى جمعهم ، ولا قوة الا فيهم .

ان اليهود هم خلفاء ابليس فى هذه الارض ، وهم اداته التى يستخدمها لاغواء البشر ، وهم الطغمة التى يتخذ منهم أعوانه ، وحزبه ، يحادون أهل الخير ودعاته .

وانهم فى كل بلد دخلاء فيه ، لا ينتمون اليه ، ولا يتخذون جنسيته ، بل لهم رباط يربطهم ، يجتمعون به على عداوة الناس أجمعين .

وان القرآن لم يخاطب الاخلاف بما كان عليه الاسلاف الا اليهود ، فما خاطب المشركين بجرائم من سبقوهم ولا خاطب النصارى بأخطاء أسلافهم ، ولكن خاطب اليهود بما كان عليه من سبقوهم فهو قد نسب عبادة العجل اليهم جميعا ، مع أن عبادة العجل كانت من السابقين ، ولم تكن من الحاضرين ، ونسب قتل النبيين اليهم جميعا مع أن القتل كان من أسلافهم ، ولكن قال سبحانه وتعالى :

« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

ولماذا اختص القرآن اليهود بذلك ؟ السبب فيما يظهر أنهم لعدم اندماجهم فى الناس ، وبعدهم ، وانحيازهم عنهم جعلهم مهما تتخالف عصورهم ، وتتباين أزمانهم يعيشون فى جو نفسى واحد ، وهم مترابطون برباط جماعى واحد ، فكل الناس تحول أحوالهم ، وتتغير تقاليدهم وبيئاتهم الا اليهود ، فان بيئتهم واحدة واجتماعهم واحد ، يتخذون الناس مطايا لأهوائهم ، ولا يعملون لنفع غيرهم الا اذا كانت العقبى لهم وكل ما فيهم من شرور وحرص على الحياة ، ومادية وحسد وأثرة لا ايثار فيها ، هو نحلة لحاضرهم ولماضيهم ، ويتشابه الماضي والحاضر فيها على سواء .

واذا كان القرآن الكريم قد نعى عليهم اكلهم الربا وقد نهوا عنـــه ، فانك واجد فيهم الربا اساسا لمعاملتهم مع الناس ، ولا يتعاملون به فيمـــا بينهم ، فاليهودى لا يأخذ الربا من اليهودى ولكن يأخذه من غير اليهودى وقد نشروه فى العالم ، وتحكموا فيه عن طريقه ، والمدنية الربوية نستطيع أن نسميها مدنيـــة يهودية والاقتصاد القائم على الربا هو اقتصاد يهودى من كل وجوهه ، وبذلك سيطروا على العالم الاقتصادى الذى يقوم على الفـــائدة ، لأنهم اربابهـــا ، وحماتها .

وان القرآن الـــكريم قد جعل اليهود موضع الدراســـة للآفات النفسية والاجتماعية التى تئوف الخلق الانسانى ، وكما أن ابليس جعل موضع دراســة لأصل الشر فى هذا الوجود ، جعل القرآن اليهود موضع الدراسة للآفات التى تعترى الجماعات وتسكن فيها مع كثرة الدعوة الى الخير من المبعوثين اليهم .

ورابطوا واتقوا الله

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى كلمتها الافتتاحية تحت هذا العنوان ، تقول :

ان على الطريق الرائدة التى تطل منها اشراقة الامانة والهـــدى صوى وأمارات كان منها قول الله القادر القاهر : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وهذا يعطى ان الصبر والمصابرة والمرابطـــة وتقوى الله عز وجل أمور وعناصر أساسية تأخذ بالامة الى طريق الفلاح والنصر ، وهى عوامل تشـــكل وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة ولا الانفصام .

والذى يبدو للناقد البصير ، على ضوء تجاربنا الرائدة ، ان هذه العوامل الاســـاسية المشرقة ، لا بد أن تنتظم كيان الامة فكرا وعملا . فالصبر فى هذا الاطار ليس استكانة ولا خضوعا ، ولكنه ايمان بأن العاقبة للحق ؛ وثقة بما عند الله من نصر للمؤمنين المجاهدين ، ومثابرة على العمل بهمة لا تعرف الكلال .

أما المصابرة فهى مغالبة ، وهى نزال ، وهى عراك وكفاح لتغيير واقع الم ، وكارثة نزلت ، واعتقاد أن العمل اذا لم ينجح اليوم فهو بذرة طيبة فى أرض طيبة ، لا بد أن تؤتى أكلها ولو بعد حين ، وانك لتشم من التعبير بالمصابرة وفيه المفاعلة والمشاركة رائحة الجد والعرق والنصب ، وتفكر وكأنك تلمح المحاولة الصادقة للتغلب مع العقبات ، وتثبيت الاقدام للصعود ، والمعاناة الجادة الواعية لتحطيم الاغلال وفك القيود .

أما المرابطة وهى شقيقة الصبر والمصابرة . فهى الوقفة العنيدة المؤمنة على الثغر أمام العدو ، واليقظة بعين ساهرة على الحدود ، وهى تعنى كل معـــانى التأهب الحقيقى ، ووعى القلب ويقظته ، والادراك العميق لأبعاد السهر والضنى فى هذا المكان أو ذاك .

ولن تجد المرابطة فى الاسلام قاصرة على الخارج ، وانما هى أيضا مرابطه للشر وعوامل الانحراف والتخلخل فى الداخل ، كيما تكون الامة بكامل طاقاتها المادية والروحية ، العملية والاخلاقيـــة والسلوكية ، معبأة تعبئـــة كاملة غير منقوصة تعمل عملها من أجل يوم لا بد أن يكون .

وملاك ذلك كله التقوى . . الامر الذى يقفنا أمام المسئولية والواجب ويعطى للعوامل السابقة معناها ، ويوجهها بأمانة نحو أهدافها ويضع كل واحد منهـــا موضعه ، بحيث يتكامل البناء ، ويأخذ العمل طريقه الى النصر .

بأقلام القرّاء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم ..

أقوال تحتاج الى أعمال

من مقال تحت هذا العنوان للأستاذ خليل الهنداوى يتحدث فيه عن شقاء الانسانية نتيجة اغراقها في المادة وحاجتها الماسة الى المعانى الروحية التى تصلها بالله ، وتسعدها في الحياة نقتطف ما يأتى :

ان الانسانية اليوم لا تشكو شيئا كفقدها « المعانى الروحية » ، واكتفائها بظواهر الأشياء دون أن تدرك البواطن منها ...

هذا هو داء العصر في كل مكان ... فالعلم — مثلا — نؤمن بتقدمه ، ولا نؤمن بفرضه النبيل لتقدم الانسان ... والحضارة نؤمن بآلاتها التى يسرت لنا الحياة ، ولا نؤمن بمعناها الروحى الذى يجب أن يكون غاية الانسان ، والدين نقوم بتعاليمه دون أن تنفذ الى أرواحنا معانيه المشرقة السامية ... والمثل العليا انما تحيا بأصحابها ، لأنها ليست معانى مجردة ، وانما هى قبل كل شىء معان مجسدة ، تتجسد بأعمال أصحابها ، وتتمثل بالذين يعيشون من أجلها ، وعندما تخلو المثل العليا من « المعنى الروحى » الذى هو غايتها تصبح تقاليد جامدة ، لا روح فيها ولا حياة . والمثل العليا التى لا تتجسد في الأعمال لا يمكنها أن تبنى الانسان ، أو ترفع المجتمع السامى ...

اننا في حاجة الى أن نعود بمعنى الدين الى غايته الحقيقة التى نزل من أجلها ، أن نرفعه من المظاهر الي البواطن ... واذا لم نفهم من الدين جانبه الروحى والانسانى فان الذنب ذنبنا ، لا ذنب الدين ، لأننا لم ندرك معناه الحقيقى ...

اننا في سبيلنا الى أن نفهم أن الصلاة ليست قياما وحده ، وانما هى انقطاع عن الأرض ، لتهبط علينا روحانية السماء السخية ، والتفات الى الجانب الروحى الذى لا تتحقق الانسانية الا به ... وما كان معنى الوقوف بخشوع امام الله الا التمرد على المادة التى تريد أن تقيدنا بأهوائها وملذاتها ... والانطلاق من قيود الانسان الذي يستمتع بتقييد الانسان .

وهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم أئمة وهداة ما كان أجدرهم بأن يذكروا قول على « من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن

تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم . »

وهنا ... يصيب القائل الحكيم الداء الذى ينخر فى نفوسنا ... فان المثل العليا لا تحيا بمعانيها المجردة ... وانما تحيا بالأمثلة الحية التى يرمز اليها اصحابها . ونحن لا تنقصنا الأقوال ، وانما تنقصنا الأمثلة الصادقة الحية التي يرمز اليها الرجال ... وما كان لدعوة مهما بلغت من التسامي — ان تجد طريقها الى الناس ، اذا لم تحمل هذه الدعوة روح صاحبها الى الناس ...

بهذه الروح بشر الأنبياء ، وعاشوا من اجلها ، وكانوا مثلا صادقا لها ، ورحمة الله ، بعد ذلك ، واسعة لمن شاء رحمته ، وروح الله شامل لمن طلبه ، والفقيه كل الفقه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤيسهم من روح الله .

وهل يطمع المسلمون في اكثر من هذه المعانى الروحية التى عللها (على) كرم الله وجهه في العبادات المفروضة اذ قال « فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك ، والصلاة تنزيها عن الكبر ، والزكاة تسببيا للرزق ، والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق ، والحج تقوية للدين ، والجهاد عزا للاسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر ردعا للسفهاء ، والقصاص حقنا للدماء ، وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ، وترك الزنا تحصينا للنسب ، وترك الكذب تشريعا للصدق ، والسلام أمانا من المخاوف ، والأمانات نظاما للأمة » .

هذا هي المعانى الروحية التي جعلت الأرض تطلبهم حين طلبوا السماء .

ليكن شعارنا القوة

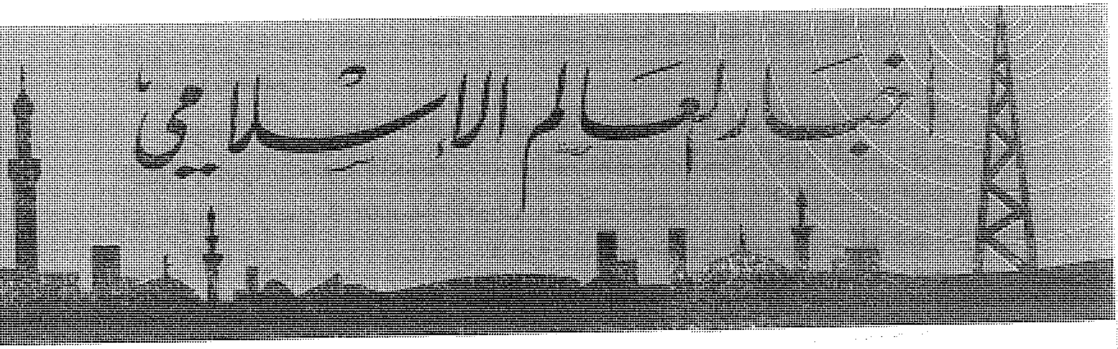
ويتحدث الدكتور سعيد محمد الخطيب — بيروت — تحت هذا العنوان فيقول .

نحن المسلمين عين ماء تجرى مياهها منذ الأزل غزيرة صافية رقراقة ... وعلى مرور الزمن تراكمت الرمال عليها ، وها نحن اليوم نزيل تلك الرمال بقوة وايمان ، وها قد بدأت المياه تنساب من جديد .. تجرى لتسقى العالم الحضارة والعلم الصادق الأصيل الذى نبع من أرضها أول ما نبع .

وهناك بقعة من أرضها .. قطعة من أكبادنا تشويها المرارة وينغصها الأسى والألم والحرمان فان تلك الأرض هى أعز بقعة من قلب الأمة العربية المسلمة اغتصبها الصهاينة من أهلها الحقيقيين .. لكن عزمنا على استرجاعها وطيد والتاريخ علمنا أن الأمة لا تقهر اذا احتمت بالله .. وأن الأمة العربية أصيبت بكدمة شديدة من جراء ما منيت به من هزيمة وعار وخذلان ، لكن العدو لن يفلت من يدها هذه المرة لأن العرب أدركوا أن القوة والنيران والضراوة هى السلاح الوحيد الفريد الناجع الذى يقنع الأعداء ويكفهم عن عوائهم وعدوانهم .. انهم ذئاب لا ينفع معها اللين بل القوة والحزم .

ها قد بدأت حجب الظلام ترتفع وترتفع رويدا رويدا — وتدريجيا عن دنيا العرب والمسلمين ، وغدا سيستعيدون مجدهم الغابر التليد ..

غدا ستعلو صيحات الشهداء والأبرياء واليتامى والمشردين .. والأرجاء ... وغدا ستتحول الأمة الاسلامية فى حربها مع الاعداء المغتصبين الى قوة .. لن تبقى ولن تذر .. وغدا سينسل سيف العدالة الحاسم ليقطع رؤوس الغاصبين .. وسندحر الصهاينة الى غير رجعة .



الكـــويـــت

● **يقضي حضرة صاحب السمو الأمير المعظم فترة للراحة والاستجمام فى مصيفه بلبنان بعد أن حضر سموه مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطـــوم ، وأجرى بعض الفحوصات الطبية فى باريس .**

● تبادل حضرة صاحب السمو الأمير المفدى وفضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر برقيات التهنئة والشكر بمناسبة جهـــود سموه حفظه الله فـــى القضايا العربية الراهنة .

● **بحث مجلس الوزراء فى جلسة استثنائية التطورات العربية الراهنـــة وتأمين مبلغ (٥٥) مليون دينار للواجب المقدس نتيجة العدوان الصهيونى .**

● رأس سعادة وزير الخارجية وفد الكويت الى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فى دورتها الحالية .

● **رأس معالى وزير الارشاد والأنباء الوفد الكويتى الـــى مؤتمر الاعـــلام العرب في تونس .**

● ألقى رئيس وفد الكويت في المؤتمر البرلمانى الدولى خطابا دعا فيه الى ادانة اسرائيل وضرورة انسحابها من الأراضي العربية .

● **تبدأ الدراسة في الكليات الجامعية الأربع في الرابع عشر من الشهـــر الحالـــى ، ويتوقع قبول عدد كبير من الطلبة هذا العام .**

القـــاهـــرة

● **قرر مجلس الجامعـــة العربية بالاجمـــاع تجديد مدة شغـــل السيـــد عبد الخالق حسونة لمنصب الأمين العام حتى ١٥ مارس القادم .**

● وجه مجلس الجامعة العربية نداء الى جبهـــة تحرير الجنوب المحتـــل والجبهة القومية وجميع الفئات الوطنية من اجل وحدة الصف في هذه المرحلـــة الحاسمة التى يمر بها شعب الجنوب من أجل الاستقلال .

● **رفعت الحراسة عن أموال وممتلكات الرعايا السعوديين ويبلغ عددهم (٨١) عائلة وشركتين وستسلم هذه الأموال والممتلكات لهم فوراً .**

● ينتظر أن يقوم الامام الأكبر بزيارة المسلمين في آسيا الوسطى تلبيـــة لدعوة وجهها اليه زعيم المسلمين هناك .

● **قرر مجلس الجامعة العربية تخصيص مبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرليني لمساعدة الطلبة الفلسطينيين من ضحايا العدوان الاسرائيلي .**

● تقرر تأجيل الدراسة فى المعاهد الأزهرية في منطقة القناة شهرا ينتهى فى الثالث والعشرين من هذا الشهر .

● **وجهت الجامعة العربية الدعوة الى الدول الأعضاء والى امارات قطر وأبى ظبى والبحرين لحضور مؤتمر وكلاء وزارات الاقتصاد العربية الذى يعقد في الجزائر فى هذا الشهر .**

الريـــــاض

● قام جلالة الملك فيصـــل بزيارة الصومال بدعوة من رئيس الجمهورية الصومالية .

● وافقت وزارة المعارف على تقديم (٨٠) منحة دراسية لطلاب الجنوب العربي في مختلف مراحل التعليم وتقديم ٨ منح للطلبة الأندونيسيين .

● يدرس المسئولون مشروعا لاقامة مدرسة ثانوية نموذجية اسلامية فى احدى مناطق لندن تقدر تكاليفها بربع مليون جنيه استرليني .

● وصل الى الرياض وفد من الخبراء لدراسة مواقـــع تقام عليها كليـــة الطب لامداد البلاد بما تحتاج اليه من الأطباء السعوديين .

بـغـــــداد

● يتوقع أن يوجه فخامة الرئيس العراقي الدعوة للملوك والرؤساء العرب لعقد مؤتمر القمة القادم فى بغداد .

● ذكرت صحيفة الجمهورية العراقية أن الرئيس العراقي أرجأ الزيارات التى كان متوقعا أن يقوم بها الى عدد من الدول العربية والصديقة .

● وافق مجلس الوزراء على فرض عقوبـــة الاعدام علـــى جميع أعمـــال التجسس سواء فى السلم أو الحرب وذلك بسبب الظروف التى تمر بها الأمـــة العربيـــة .

عمـــــان

● دعا جلالة العاهل الأردنى الصحافة الى معالجة القضايا العربية بعيدا عن الانفعال والسطحية وقال ان مؤتمر القمة العربى الأخير أكد ضرورة العمل الاعلامى لكسب أكبر عدد من الدول فى العالم .

● عقد مؤتمر اسلامى كبير شهده ممثلون من جميع أنحاء العالم الاسلامى لمناقشة وسائل انقاذ المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الأخرى من الاحتـــلال الاسرائيلى .

● نشرت وزارة الاعلام بيانا وقعه (٨٠٠) من الزعماء الدينيين وأساتذة الجامعات والمحامين والكتاب فى الولايات المتحـــدة يعلنون فيه تأييدهم للدول العربية فى موقفها ضد الصهيونية المعتدية .

● قامت السلطات المحتلة بحملة اعتقالات وقد اعتقلت الشيخ عبد الحميد السايح وأبعدته الى الضفة الشرقية .

الخـــرطـــوم

● سيقوم فخامة الرئيس السوداني بزيارة موسكو فى أوائل العام القادم بدعوة من الاتحاد السوفييتى .

● أعلن وزير المالية والاقتصاد السودانـــى أن الولايات المتحدة تمـــارس سلسلة من الضغوط الاقتصادية على البلاد بسبب موقف السودان من القضية العربيـــــة .

● ذكر وزير الداخلية أن لدى الحكومة تقارير تؤكد وجود معسكر للاجئين فى منطقة (ترفولا) الأثيوبية المتاخمة للحدود السودانية حيث يتم تزويد المتمردين بالأسلحـــة .

● تدرس الحكومة اقتراحا بالغاء جوازات وتأشيرات السفر بين القاهرة والخرطوم اكتفاء بالبطاقات الشخصية .

أخبـــار متفرقـــة :

● تبرعت الجالية اللبنانية فى نيجيريا بثلاثة آلاف كيلو من الأقمشة لضحايا العدوان الاسرائيلى.

● بدأ العمل فى طشقند لاصدار طبعة جديدة من القرآن الكريم على نسق المصحف العثمانى تلبية لحاجة المسلمين فى المنطقة .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كردى ص‌ب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صلاح الدين الأيوبى
بطل العروبة والاسلام منقذ بيت المقدس ومحرر فلسطين

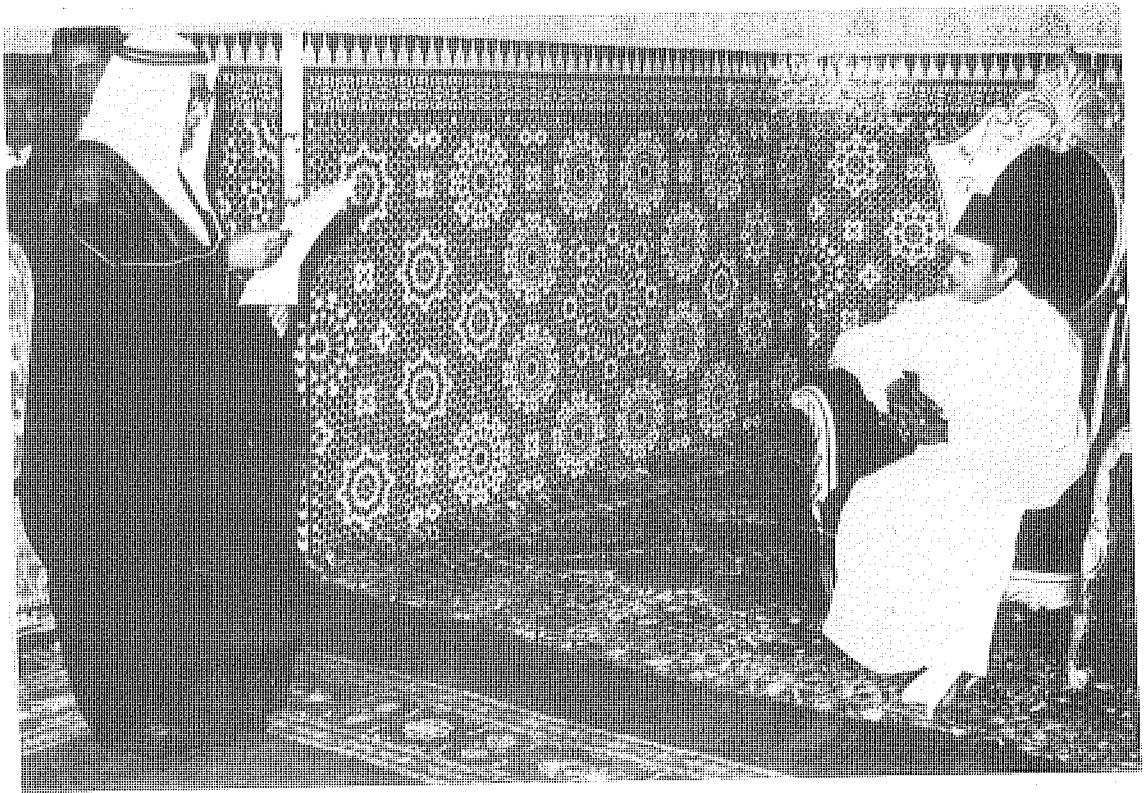
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ

الوعي الإسلامي

رسالة ثقافية شهرية

السنة الثالثة ● العدد الثاني والثلاثون ● غرة شعبان ١٣٨٧ هـ - ٤ نوفمبر ١٩٦٧



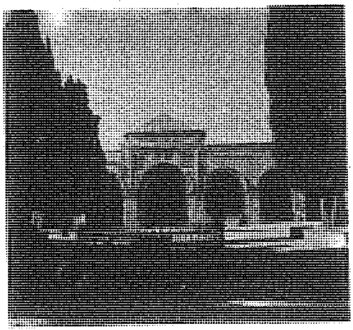


سعادة السيد عيسى العبد اللطيف العبد الجليل سفير دولة الكويت يقدم أوراق اعتماده للعاهل المغربي .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

المسجد الحزين



ينتظر قائدا وجيشا كصلاح الدين وجيوشه . في الرابع من شعبان سنة ٥٨٣ هـ أكتوبر ١١٨٧ م صلى صلاح الدين والمسلمون أول جمعة في بيت المقدس بعد تطهيره من أيدي الصليبيين . .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثاني والثلاثون

— السنة الثالثة —

غرة شعبان سنة ١٣٨٧ هـ

٢ نوفمبر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

آيات من آيات الله البينات كانت مما عالج به القرآن الكريم حالة مرت بالمسلمين كثيرة الشبه بما يمر بنا الآن ، يقول الله تعالى :

((وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)) .

صور الله فى هذه الآيات حال المؤمن بربه ، وشانه فى قتاله عدوه ، لحماية الحق الذى يؤمن به ، ويتخذه نهجا له فى حياته. ليذكر بها المسلمين الذين اصابت نفوسهم مرارة الهزيمة فى احد ، وهزتها الاشاعة التى اطلقت يومذاك ، بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ..

ومع ان هزيمة المدافعين عن الحق امام الباطل تتضاعف مرارتها على النفوس ، ومع ان تعلق الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وحبهم له ، وتفانيهم فيه ، امر طبيعي ، وممدوح من الله ، واشاعة قتله — بالتالي — لا بد ان يكون لها آثارها فى نفوس المؤمنين ، الا ان الله سبحانه — مع كل ذلك — لم يرض من المؤمنين وهم يجابهون عدوا ضاريا ان تلم بهم حالة ضعف ، بسبب ذلك ، او ان تنال منهم الحوادث ، فتفقدهم توازنهم ، وتجعل من السهل لعدوهم ان يجتاحهم ،ويضاعف هزيمته لهم ،ويستاصل الحق الممثل فى وجودهم ،المرفوع اللواء بايديهم وكواهلهم .

ومع ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى هداهم للحق ، وغرسه كالشعلة الملتهبة المضيئة فى قلوبهم ، الا ان الله سبحانه لم يرض منهم ان يكون دفاعهم عما آمنوا به ، ووهبوا حياتهم له ، معلقا على شخصيته ، ووجوده حيا بينهم .. بل وجههم الى ان يكون ثباتهم على الايمان ، وجهادهم من اجله ، نابعا من ايمانهم الخالص بالله .. ليس مرتكنا على وجود شخص ، ولو كان الرسول ، ولا متوقفا على ظروف . بل يكون اندفاعهم ذاتيا ، وجهادهم ربانيا .. ولهذا لم يرض منهم الحالة التي الت بهم حين انهزموا ، وحين اثرت الاشاعة فيهم حتى

قال قائلهم : ما نعمل بعد موت الرسول ؟ فقال لهم يعاتبهم ويوجههم « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وتابع القرآن الكريم بعد ذلك علاج هذا الضعف الذى يسرى فى بعضهم ، فقص عليهم قصة من سبقوهم ، ممن لم تؤثر الشدائد فى نفوسهم ، ولم تهز صلتهم بربهم أو تضعف من قوة ايمانهم ، فقال لهم يعلمهم ويرشدهم « وكاين من نبى قاتل — وفى قراءة قتل — معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . يقول لهم هذا ليعلموا موقفهم ، ومدى اخلاصهم لربهم ، وشجاعتهم فى دفاعهم عن قيمهم ، وثباتهم عندما تلم الشدائد بهم : كثير من الانبياء قبل نبيكم قاتلوا (او قتلوا) وقاتل معهم أصحاب لهم ، مخلصون لربهم ، متفانون فى عقيدتهم ، فما اثرت الشدائد على نفوسهم ، وما خارت لهم عزيمة ، ولا اصابهم ضعف ، ولا تسرب الى قلوبهم خوف من اعدائهم ، ولم يفكروا فى الاستسلام لهم . بل كانوا اقوياء بعقيدتهم ، ارتفعوا بها — او رفعتهم — فوق الشدائد ، واستعذبوا فى سبيل الحق الذى اعتنقوه ، ووهبوا حياتهم له كل المصائب ، فكانوا لذلك موضع الرضا من الله .. لأنهم احبوا الله فاحبهم ، وصبروا على المكاره فى سبيله فقربهم ونصرهم .

وهؤلاء المؤمنون المخلصون لربهم ، الثابتون على ايمانهم ، الصابرون على ما اصابهم ، لم يكن شانهم شان بعض الذين يفقدون صوابهم ، حين تصيبهم الهزيمة ، أو تحيط بهم الشدائد ، وتضعف صلتهم بربهم اذا لم يتحقق لهم ما يريدون ، ولم يقعدوا يتساءلون — وكانهم يحاسبون ربهم — كيف نهزم ؟ ولماذا يغلبنا أعداء الله ؟ الى غير ذلك من الاسئلة او التساؤلات التى تنبثق من النفوس المريضة ، والقلوب المزعزعة ، فتبعدهم عن رضا الله . وتزيدهم ضعفا على ضعف ، بل كان شانهم شان المؤمنين الذين تزيدهم النكبات صلة بربهم ، وتحملهم على البحث عن أسباب الهزيمة فى نفوسهم . ليصلحوا أخطاءهم ، ويرجوا الله أن يغفر لهم زلاتهم ، ويزيدهم قربا اليه ، وثباتا على الحق الذى يدافعون عنه ، ويهبهم أسباب النصر على أعدائه واعدائهم ..

ذلك المنهج الذى يعيد الثقة الى النفوس . ويضع الاصابع على موضع الالم ، ويهيىء مريض القلب ضعيف الروح الى القوة والشفاء .. منهج يرسمه الله لأوليائه واحبابه ، وليس صورة خيالية لا يستطيع البشر تحقيقها ، بل انه منهج واقعى ، سار عليه من قبلكم من المؤمنين المخلصين . وعالجوا به أسباب ضعفهم وهزيمتهم ، فتبدل ضعفهم قوة ، وضيقهم فرجا ، وذلك كله نجده حقيقة يعبر عنها العليم الخبير فى قوله عن هؤلاء الربانيين « وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

لم يشغلهم شيء عن الاتصال بربهم ، ودعائه ، ومناجاته ، والعيش فى رحابه . لم ينقلبوا على أعقابهم خاسرين دنياهم وأخراهم .. ولم يلقوا اللوم على غيرهم ، وانما فتشوا عن العيب فى نفوسهم ، واستغفروا الله منه ، وعملوا على تطهير انفسهم من أدرانه .

فكان الله معهم ..
رجعوا اليه فأحسن استقبالهم .
واستعانوا به فأعانهم .

ولم يكن كل همهم الدعاء والقول .. بل انهم فعلوا وثبتوا ، وقاتلوا ولم يهنوا ، وصبروا على الشدائد ولم ييأسوا ..

اتبعوا سنة الله فى خلقه : عمل وكد وتعب ، وبذل وتضحية ، وهم فى هذا كله على صلة بالله يدعونه ويضرعون اليه ..

ومن أجل هذا استجاب الله لهم « فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » وهبهم النصر الذى طلبوه وعملوا له ، وأعطاهم العزة التى دفعوا ثمنها اخلاصا وتضحية ، وذلك هو جزاء الدنيا لأمثالهم ، ولهم فى الآخرة عند الله أحسن الجزاء .. جزاء المجاهدين العاملين المخلصين .. الذين جملوا دنياهم بحسن أعمالهم « والله يحب المحسنين » الذين يتقنون ما يعملون ، ويتقون الله فى كل ما يأتون ويذرون ..

ذلك أخى هو منهج المؤمنين عندما تلم بهم الشدائد .

وهذا هو علاج الله للنفوس عندما تنزل بها المكاره .

علاج أخبر الله عنه — فوق أنه من عنده وهو الحكيم الخبير — أنه علاج مجرب . جربه السابقون من أصحاب الانبياء فنجح فى علاج أمراضهم ، واكسبهم عز الدنيا وسعادة الآخرة ، وأرشد الله اليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجربوه ونجح ، فكان لهم النصر بعد الهزيمة ، وهو — بعد — علاج لكل من يأتى بعدهم ، ويقتفى آثارهم ، وتمر به أحداث كأحداثهم .

افلا تجد — أخى المسلم — اننا الآن أحوج ما نكون الى هذا العلاج الربانى ، ننتصر به على محنتنا القاسية التى تمر بنا .. ونكون اهلا لعون الله وتأييده ؟

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

من هدي السنة :

نداء الاسلام

من ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا »

(رواه البخارى وغيره)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ — الاسلام هو الدين عند الله ، اراده باقيا خالدا ما بقى الكون وخلد ، وارسى اسسه على قواعد ثابتة عجيبة ، لا تقبل النقض ، ولا يتطرق اليها الخلل ، تنهض بالبشرية وتسعد الانسانية ، سهلة هينة يسيرة ، تعالج المشكلات المستعصية ، بوسائل غاية فى اليسر ، ونهاية فى اللطف ، قاطعة للداء ، وجالية للشفاء .

تامل قليلا : قول سيد الخلق : (لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ..) قال الشارحون السابقون — والفضل للسابق على اى حال — لو يدرى المسلمون ما فى الاذان من الفضيلة والاجر العظيم والثواب الجزيل .. وانتهوا الى هذا الحد .. وهذا شرح وقول لا غبار عليهما . ولكن : اتساءل ! لماذا استحق الاذان والصف الاول المهروع اليهما ؟ ولأى شىء كان اجر المؤذن المحتسب ، والواقف فى الصف الذى يلى الامام كبيرا ؟ الان المؤذن يجمع الناس للصلاة وحسب ، ولأن الوجود فى الصف الاول يعنى المبادرة الى الاستجابة لداعى الله وكفى ؟

الجواب : قد يكون الامر كذلك ! ولكن الدراسة الواعية للاذان والفهم العميق للمبادرة الى الصف الاول ، يعطى معنا دقيقا رائعا ، لو ان الناس فهموه لتكاملت انسانيتهم ، ولعمروا الدنيا كما يريد رب الاسلام رب كل شىء ! ذلك : ان الفاظ الاذان ، تحمل فى طياتها دعوة صريحة واضحة جلية الى التحرر من كل عبودية عدا الله ، واللجوء الى الواحد الاحد وحده ، **فالله اكبر : تهز** القلوب المؤمنة هزا عنيفا لتصرفها عن بهيمية عمياء ، وتنزع بها الى تحسس وجودها ، ومكانها من هذا الوجود ، **فالله اكبر** ولا كبير غيره ، لا تلجأ الى سواه ، ولا تلذ بحمى من دونه ، وبالتالى كن عبدا مخلصا خالصا له ، تنطق بالحق ، وتتحامى الكذب ، **لا يغرنك** ما جمع فلان من مال ، فالله اكبر ، وان من شىء الا عندنا خزائنه ، فالواهب هو ولا معطى غيره ، وقد يميل بك المال عن طريق الحق

لو اعطيته (بضم الهمزة) ؛ ان من عبادى من لو اغنيته لفسد حاله ؛ (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) ؛ **ولا يهولنك** عدد او عديد **فالله اكبر** له الغلبة **وان راقك** علم عالم **فالله اكبر** — ولا يحيط بشيء من علمه الا بما شاء (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) فهو واهب العلم ومن اتقى الله علمه ؛ **فالله اكبر** اليه مرجع كل شيء وهو على كل شيء قدير ؛ تفكر فيما خلق وأبدع — بل فى بعض ما أوجد لا على مثال سبق — فانك لن تستوعب الوجود بعقلك الحادث وقدرتك الضعيفة الواهية الواهنة الا بمدد من الله ؛ تأمل : هذه الارض تجد ما حوت قد تعدد أشكالا ؛ وتباين ألوانا ؛ فهذا ماء عذب ؛ وذاك ملح أجاج ؛ وتلك صحارى ورمال ؛ ووهاد ونجاد ؛ وأخرى تنبت الحب الخضير ليطعم الناس ويعيش الحيوان ؛ وسل البحار عما حوت ؛ وتحدث الى خبراء طبقات الارض عما اشتملت ؛ تسمع العجيب العجاب مما علموه ؛ فكيف بهم لو أدركوا ما لم يدركوا مما غاب عنهم ؛ مما استأثر الله بعلمه ؛ وما سيفتح به على الآتين من بعدهم — اذا — لوقفوا حيارى مشدوهين ؛ وما استطاعوا جوابا ؛ ولأدركوا أنهم لم يدركوا شيئا . وما أوتيتم من العلم الا قليلا .

بعد هذا يتناهى الى من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد — يتناهى اليه أن لا اله الا الله ؛ فلا بشر ولا حجر ؛ ولا شجر ولا مدر ؛ ولا شمس ولا قمر ؛ ولا تمثال ولا صنم ؛ولا مال ولا ولد ؛ وانما هو اله واحد يعبد ؛ وفى ظل وحدانيته تتوحد القلوب ويأتلف الناس ؛ ويتداعى بعضهم الى نصرة البعض ويعيشون اخوة متحابين ؛ فلا خصام ولا جدال ؛ ولا شقاق ولا نزاع ؛ ولا شك ولا اتهام ؛ **وهكذا** تمضى ألفاظ الاذان التى تتكرر كل يوم خمس مرات ؛ بل ان رمت الحق عشر مرات ؛ تجذب القلوب المستعدة الى واجب الوجود ؛ الذى أرسل محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ؛ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ؛ ما تعالى ؛ ولا قال انى ملك أو ملك (بفتح اللام فى الاولى وكسرها فى الثانية أو العكس) ولا طغى ولا استكبر ؛ وانما هى رسالة هادية هادفة موجهة الى الخير الى السلام الى الامن الى الطمأنينة الى الاخوة العالمية الى الاستقرار النفسى والعملى الى الركون الى الديان ؛ لا عنجهية فيها ولا التواء ولا غش ولا خداع ؛ ولا كذب ولا نفاق ؛ ولا تجبر ولا ادعاء ؛ سبحانك ربى برأت محمدا على غرار اسلاف له سبقوه : ابراهيم وموسى ونوح وعيسى ؛ وسائر اضرابهم الذين رددوا دائما ؛ قل ؛ اسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على الذى فطرنى ؛ ولم يدعوا الى عصبية ؛ ولم يرضوا بجهالة جاهلية ؛ وانما وضحوا السبيل الى الله وسبيل الله خير دائم فى الدنيا ونعيم مقيم فى الاخرة .

٢ — **حى على الصلاة حى على الفلاح :** اقبلوا ؛ تعالوا ؛ هلموا الى صلاة جامعة لتتلاقوا فى رحاب الله لتفلحوا فى مسالككم الدنيوية ؛ وتجنوا ثمارها طيبة دانية القطوف ؛ فلاح ونجاح ؛ وسعادة ورضى وهدى ورحمة ومودة ؛ وتعاطف واخاء ومحبة ؛ فيها تزكية للنفوس ؛ وتطهير للقلوب ؛ وقد أفلح من زكاها وطهرها وسما بها عن سفاسف الامور وحقارات الاهواء ؛ ونظر بعين البصيرة الى أفق الوجود الممتد عبر الماضى ؛ والسائر فى طريق الغد دون توقف ؛ فلك دائر ؛ وبشر حائر ؛ ولكن هنا الفلاح ؛ وهنا سفينة النجاة ؛ ربانها ربها ؛ وداعيها هاديها ؛ باسم الله تجرى وباسمه ترسو .

يعجب كثيرا عالم عالى عظيم القدر في الدنيا قديمها وحديثها(١) أفني عمره في

---

(١) القديم غير أمريكا والحديث هي — والمراد بالحداثة أو الحدوث هنا الاكتشاف في العالم (بفتح اللام) عالمان قديم وجديد وهكذا مسيرة الحياة بإرادة رب الحياة .

التجوال الهادف واتخذ من علم الاجتماع مرفقاته . فهو أستاذه في أرقى جامعات الدنيا ؛ لقيته وتحدثت اليه أو تحدث هو الي طويلا ، وفي الواقع كانت مناجاة لرسول الاسلام عليه افضل الصلاة وازكى السلام ؛ وليس حديثا كما يعرف الناس الحديث ، قال الرجل العلامة : انى أعجب لماذا صار الامر الى ما اليه صار ، وما الداعي لما دعي اليه الداعي الغفل الذى أوصد باب قلبه وحاول نفس الشيء مع قومه — اهله وعشيرته — آه لو تأمل المسلمون نداء الاسلام للصلاة ، ودرسوه وفلسفوه ، ولقنوه الابناء نورا ، وهدى وتجاوبا مع الخير — لو فعلوا — لانقادت اليهم تلك القطعان الضالة في دروب الحياة ، ولغدوا حديث اليوم والغد في المفاخر وحسن المآثر ولكن .. وهنا يستولي على الجميع صمت رهيب يعلم الله ما وراءه لأن كشف الحجاب عنده وحده .. وما يعلم الغيب الا الله ..

٣ — والصف الاول : يستحق الاستهام لانه نتيجة — عملية — رائعة لفهم النداء ، وهروع في هرولة وخشوع ، واستجابة الداعي ، ولياذ بجناب الله ، ولجوء الي حماه ، فالفاعل الي الفضل سباق ، والي الخير نزاع ، عظم ثوابه ، وتضخم اجره ، صار قدوة عملية ، وصورة واقعية محسة لما يجب ان يكون عليه المطيع للخالق المطاع ، يحمل قلبا عامرا بالايمان ، مليئا بالثقة بالرحمن فمن احب استجاب ومن استجاب لبى ومن لبى بادر ، قالوا : من لا يأتي في المؤخرة ، وانما يتصدر دائما في كل مسلك يوصل الي الله ، ويبادر الي تلقي رحمته في سكينة وادب ، ووقار واعتزاز .

والنداء والصف الاول جديران بالاهتمام مستحقان للاستباق ، فمالكهما قد ملك ناصية الخير ، وفاقدهما فهما وادراكا وتحصيلا وفعلا قد ظلم نفسه — وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

٤ — والاسلام يبني امة ، ويقيم دولا ، والرخاوة والميوعة واتباع الهوى تهدم المجد التليد وتودي بالقوى الي الحضيض فليس مؤمنا من تراخى وتوانى ؛ لأن التراخي والتواني ينجمان عن ضعف وخور ، يعقبان انحطاطا واسفافا ، ومن اضرته الهاجرة عن الاستباق الي الخير ، أو عاقته العتمة عن تلبية الداعي فهو من الهوان على الله بمكان لا يغبط عليه لانه اضعف الروح وانمى الجسد ، والروح بقاء ، والجسد فناء ، ومع قليل من حرية الكلمة تستطيع ان تلوى أعناق القوم الي ملاحظة التاريخ حيث يجدون اناسا قد نسوا أو تناسوا قوة الروح وعظمتها ، وركنوا الي ما مآله العفن والاندثار ، فجعلوا ارواء حيوانيتهم حياة لهم ؛ فانهاروا ومضوا تتابعهم اللعنات ، وستلاحقهم الي حيث دلفوا تحت الصفائح والجنادل ، فمن تغلب على النفس الخوارة وحاول شد ازرها ، سما بها الى النفس الواعية للحقيقة المدركة لما يفيد في العاجل والآجل ؛ فلا يستوى قاعد قابع خائف من حر الهاجرة ، أو من أقضته رهبة الظلام عن الهرولة الي المساجد لصلاة جامعة ، مع آخر راى سعادته في طاعة الله فأرهق الجسد ، وأربى الروح ، ورثت حبال مودته مع الفاني لتتجدد مع الباقي . ووراء ظاهر القول الشريف على جماله غيب اجمل واقوى اشعاعا أدركه العاقلون المحبون لله ، العالمون به ، العارفون لسلطانه ، فجاهدوا الهوى ، ولم يركنوا الى الراحة والدعة ، فما اهمتهم انفسهم ، وانما همهم رضا الله فساروا في القيلولة الي بيوت الله ، طائعين راضين آملين في رحمته سبحانه ورضوانه ؛ وهؤلاء اذا حزبهم أمر أو جابهتهم نازلة — وما اكثر نوازل الايام — استعانوا بقيوم السماوات والارض ، صاحب الحول والطول ، ومضوا يخوضون المعامع ، وينازلون في الحلبات ، ويتقدمون

الصفوف ، لا ينكصون ويتألمون ولا يتداعون (١) أمام الهول مهما كان ، ففوق كل قوة قوة الله ، ودون سلطانه كل سلطان ينصر بالتأييد أكثر مما ينصر بالعديد ، ويوهن كيد المعتدين بما لا يرى ولا يشاهد حسيا ، أقوى واشد مما يدافعهم بالجحافل ، والقنا والقنابل .

فالاسلام قواعده وتوجيهاته اشاراته وتعبيراته في أسوله الثابتة ، دعوة صريحة جلية لبناء الانسانية الحقة الواعية المنبعثة من روح الله ، المدركة لفعاليتها مع الوجود الذي يجب أن تعمره بالخير والفضائل ، حتى لا يخشى انسان حيوانية الآخر ، ولا يرهبه رهبة تمحو شخصيته ، وتعفى آثار مروره بدروب الحياة القيمة الاصيلة ، وانما يشد أزره ، ويكون عضدا له يسانده ويقويه ، وتتكامل الاجزاء في كتل تتراص ، وتتجمع اتحقق ما اعتقده الخوارون مستحيلا أو قريبا من المستحيل ، ونظرة أخرى الى فحوى هذا التوجيه النبوي الكريم تبدى للناظر الفاقه المتدبر أن عابد الفناء المستجيب للدعة لا يستحق الرضى من الله ، ولا يلتفت اليه لأنه آثر غير ذي اثير (٢) وأحب من يستحق البغض ، بل وضع يده في يد خصم عنيف عنيد لدود ليأكل روحه ، ويفنى فضائله ويلاشيه كما تلاشى ذكاء الجليد .. وفي موضعي — حيث انا الآن — رأيت توامي عمل ، وصنوى (٣) مسلك . بدا (٤) احدهما للرائي شبحا هزيلا يسير الى جوار من امتص منه الحياة ، ثم ها هو ذا يمضى عنه الى فريسة أخرى ، ويتركه هملا نادما ولات حين مندم ، واما الآخر الصنو في الفسيلة والاصل فقد بهر الرائي لألاء روحه ، وشموخ انفه ، وارتفاع هامته ، لأنه جافى مسلك صاحبه ، وكان نداء الفناء عند دبر (٥) أذنه ، اذ أدرك — قبل الوقوع — انه فناء وواصل حتى وصل الى هدفه ، وسيصبح غدا من قادة الفكر وسادة العقل في الدنيا مع رصيد ضخم من الحيوية الروحية الفعالة والخلق الهادىء الرصين ، والعلم الراسخ الاكيد المستمد في جوهره من صلته الوثيقة بالباقي الدائم ، وبمثل هذا وأضرابه تعتز الانسانية ، وتبنى المجتمعات الفاضلة ، وتنتصر الامة وتتصدى للقيادة والسيادة في كل ميدان اصلاحي هادف .

وأحسبني قد قطعت من الزمن كثيرا في فكر ، ومضى بي صاحبي رفيقا ، ولن أستقل رفقه فيما لا يجدى على الانسانية الجداء المفيد ، وانما استأذنه في العودة مرة أخرى قبل أن يطول الحديث ويتشعب ، وافارقه الى موعد لقاء بعون الله تعالى وكلاءته — وقد وعيت تماما انه لا حول ولا قوة الا بالله ، وان من أرضى الفناء فنى معه ، ومن لاذ بالباقي بقى وصمد وخلد كما يشاء الله ، والكل يسعى لصيد قد خائب يحمل في جعبته (سربانا) (٦) وموفق يقود في معيته غزلانا .. والكل ماض في الطريق .. وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر .. وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) من التداعي بمعنى الانهيار والانحلال (من قولهم تداعى البناء اذ آل الى السقوط) .

(٢) أي اهتم بما لا يستحق الاهتمام .

(٣) بفتح الميم وما قبلها في الاولى ، وفتح الواو واسكان ما قبلها في الثانية .

(٤) بدا بمعنى ظهر .

(٥) بسكون الباء وفتح ما قبلها .

(٦) سربانا : كلمة أعجمية مدلولها المطابقي في اللغة العربية الثعبان الفتاك (Le sek pent) ويعني العجمة هنا انها غير عربية وكفى .

بحث مقارن بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

الدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

التكليف الثالث

الانفاق في سبيل الله وما يتفرع عنه من حق الدولة في فرض الضرائب الحديثة

التكليف الثالث هو تقييد حق مالك المال بالزامه الانفاق فى سبيل الله .

وقد اطلعنا فى المقال السابق على أسانيد الكتاب والسنة فى الحث على الانفاق فى سبيل الله ، وانذار المجتمع بالهلاك اذا أحجم عن أداء هذه الفريضة حتى احالتها من فريضة خلقية الى فريضة الزامية لا تختلف عن الزكاة الا فى ترك الخيار لمالك المال فى تحديد مقدارها .

وقد رأينا اجماع التفسير الفقهى على أن التعبير « فى سبيل الله » ينصرف الى تحقيق كل ما تتطلبه مصلحة المجتمع على وجه الدوام والاستمرار والمجتمع الاسلامى مجتمع خير ، والدولة التى تقوم فيه دولة خيرة .

وأعباء الدولة الخيرة تتسع الى ما لا نهاية ، ومسئولية ولى الامر فى النهوض بهذه الاعبــاء مسئولية شاملة تمتد الى تحقيق مقاصد البشر جميعها . وظاهر أن نطاق هذه الاعباء ــ ومسئولية ولى الامر عنها ــ يختلف من عصر الى عصر حسب الظروف التى تجتازها الدولة المسلمة ، والاوضــاع التى آلت اليها فى وقت معين .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله فى صدر الاسلام يجرى سماحة وتطوعا ، حتى كان الغنى « كعبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان » يخرج عن أكثر من نصف ماله وأكرم ماله فى سبيل الله ، وكانت حصيلة الزكاة فى عصور أخرى تفيض عن حاجة المستحقين لها ، وقد لا تجد فى موطن جبايتها من تنطبق عليه شروط استحقاقها ، فان ظروف العصر الحاضر تختلف عن ظروف تلك العصور .

واذا كان ولي الامر يومئذ لم يجد حاجة للتدخل في ملكية الافراد لاقتطاع حصة المجتمع من أموالهم « في سبيل الله » فانه في هذا العصر يصير مفروضا عليه أن يتبع نهجا آخر ، تطبيقا لقاعدة « تغير الاحكام بتغير الازمان » .

فهذا تكليف مشروع على مال الفرد في المجتمع الاسلامي وتكليف غير محدود الا بما توجبه مصلحة المجتمع .

وأرشد نهج يتبعه ولي الامر هو وضع نظام ضريبي عادل يلتزم خطة التصاعد ، بحيث يرتفع سعر الضريبة كلما عظم دخل المكلف ، ولا تسرى الضريبة على وعائها من مال الفرد الا بعد أن تطرح منه حصة الزكاة .

واذا كان الفن المالي في الظروف العادية ينصح بقصر الضريبة دائما على وعاء الدخل الذي ينتجه رأس المال ، بحيث لا يجوز اقتطاع شيء من رأس المال ذاته ، لان الدخل هو الوعاء المتجدد الامتلاء ، فان سلامة المجتمع قد تقتضي في الظروف غير العادية — ظروف الخطر الداهم على الوطن الاسلامي — مخالفة توجيهات الفن المالي ، والالتجاء الى فرض ضريبة استثنائية وقتية على رأس المال ذاته . واذا كانت القاعدة الشرعية « الضرورات تبيح المحظورات » تسرى حتى في الشئون الدينية ، فكيف في شأن دنيوي محض كتوجيهات الفن المالي .

ولا شك أن اقتطاع جزء من رأس المال يتجاوز الدخل السنوي الناتج منه قيد ثقيل على حق الملكية الفردية ، ولكنه بالرغم من ذلك حق ثابت لولي الامر اذا قضت به مصلحة المجتمع ، وقد أشار اليه وأيده الكثير من أعلام الفقه الاسلامي .

قال القرطبي : « واتفق العلماء أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف المال اليها » . قال مالك رحمه الله : « يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم » . وهذا اجماع أيضا (١) .

وقال الغزالي : « اذا خلت الايدي (أيدي الجنود) من الاموال ولم يكن من مال المصالح (أي خزينة الدولة) ما يفي بخراجات العسكر (أى نفقات الجيش) وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الاسلام أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر (أي حدوث الفتن الداخلية) جاز للامام أن يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجند ، لانا نعلم أنه اذا تعارض شران أو ضرران دفع أشد الضررين ، وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد منهم (الاغنياء) قليل بالاضافة الى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت شوكة الاسلام (أى البلاد) من ذى شوكة (أى الجيش) يحفظ نظام الامور ويقطع مادة الشر . ومما يشهد بهذا أن لولي الطفل عمارة القنوات (قنوات الارض الخاصة بالطفل) واخراج أجرة الطبيب وثمن الادوية (أي العائدة للطفل) (٢) .

وقال الشاطبي : « أنا اذا قررنا اماما مطاعا ، مفتقرا الى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند (أى نفقات الجيش) الى ما لا يكفيهم فللامام اذا كان عدلا أن يوظف على الاغنياء ما يراه كافيا لهم (أى للجيش) في الحال ، الى أن يظهر (يوجد) مال بيت المال ثم اليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك . وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين (في العصور الاسلامية الاولى) لاتساع بيت المال في زمانهم ، بخلاف زماننا فان القضية فيها أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهرة ، فانه لو لم يفعل الامام ذلك بطلت شوكة الامام وصارت دياره عرضة لاستيلاء الكفار . وانما نظام ذلك كله شوكة الامام فالذين يحذرون

---

(١) جامع أحكام القرآن جزء ص ٢٢٣ .
(٢) المستصفى جزء أول ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

من الدواعى لو ينقطع عنهم الشوكة (أى لو ضعف الجيش عن الدفاع) يستحقون بالاضافة اليهـا أموالهم كلها فضلا عن اليسير منها فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم بأخذ البعض من أموالهم فلا يتساوى فى ترجيح الثانى عن الاول ، وهو ما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر فى الشواهد (١) .

التكليف الرابع

الامتناع عن الحاق الضرر بالغير

التكليف الرابع ، يرد على حرية مالك المال فى استعماله ماله فهو مقيد فى هذا الاستعمال بالامتناع عن الحاق الضرر بغيره أو بالمجتمع ، ذلك لأن جميع الحقوق التى أثبتها الشارع مقيدة بمنع الضرر عن الغير لأن الحقوق المطلقة لا يمكن أن تثبت فى شريعة تستمد أحكامها من شريعة السماء لأنها تنظر الى الرحمة بالناس كافة لا بآحاد الناس خاصة ، فكل الحقوق الثابتة فى الشريعة أساسها دفع المضار وجلب المصالح والموازنة بينها ، فمن أساء استعمال حقه بأن ترتب عليه الضرر بغيره ، فانه فى هذه الحالة يمنع اذا كان الضر أشد . ومن المقررات الشرعية أن الحقوق فى الاسلام تصدر عن الشارع ، فالعقود لا تنتج آثارها الا بحكم الشارع ، وهى فى اثباتها لهذه الحقوق أسباب جعلية وليست أسبابا طبيعية . فمعطى الحقوق هو الله تعالى فحق المالك والامتلاك والاختصاص والاستغلال والاستيلاء على الاشياء المباحة بأصل الخلق والتكوين — مستمد من أحكام الشرع الاسلامى ، وان الله تعالى عندما أعطى هذه الحقوق قيدها بعدم الضرر ، لأنه ان كان فيها ضرر بالغير كان فيهـا اعتداء . والاعتداء منهى عنه بقوله تعالى : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٢) وفى ذلك يقول ابن القيم :

« اذا تأملت شرائع دين الله تعالى التى وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة ، وان تزاحمت قدم أهمها وأجلها وان فات أدناها كما لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصة والراجحة بحسب الامكان وان تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها . وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه ، دالة عليه شاهدة له بكمال علمه وحكمته ، ولطفه بعباده واحسـانه اليهم (٣) .

وقد قدمنا فى أول الكلام عن القاعدة الشرعية « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » وعن القواعد الفرعية المشتقة منها . وقد أجاد الفقه الاسلامى اجادة لا يرقى اليها أى فقه وضعى فى التمييز بين الضرر الذى يلحق بالكافة وبين الضرر المقصود والضرر غير المقصود وميز بين مراتب الضرر الى ضرر مقطوع به وضرر قليل وضرر كثير غير غالب الى آخر هذه الذخائر الثمينة التى حفل بها تراثنا فى الفقه الاسلامى والتى تجرى فيها الموازنة العادلة بين جلب المصالح ودفع المفاسد .

وما دمنا بصدد الحديث عن هذا الموضوع فاننا نكتفى هنا باثبات المبادىء الثلاثة الآتية :

الاول : ان كل ضرر يلحق الكافة هو فى دائرة المنع ، ويعد مسيئا لاستعمال حقه كل من أدى

---

(١) الاعتصام — جزء ٢ ص ١٠١ .

(٢) اساءة استعمال الحق للأستاذ محمد أبو زهرة — موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامى ص ٨٥ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٣٥٠ .

استعماله لحقه الى الحاق الضرر بالكافة ، ولذلك يتجه الفقه الاسلامى الى منع أمور قد يكون منها ما يحتمل اساءة استعمال الحق . وحينئذ ينتقل الفعل من ماذون فيه الى ممنوع لأن الضرر العام ضرر كبير دائما ، ومن أجل ذلك يتحمل الضرر الخاص فى سبيل دفع الضرر العام .

الثانى : ان الاضرار العامة لا ينظر فيها الى قصد الضرر أو عدم قصده انما ينظر فيها الى المآلات . فالافعال ان كانت تنتهى الى مفاسد كثيرة تمنع ، ولو لم يقصد صاحبها . فان النظر الى المآل لا يلتفت فيه الى مقصد العامل ونيته بل الى نتيجة العمل وثمرته . فالامر الجوهرى بالنسبة للفعل الذى يكون استعمالا لحق ماذون فيه ، ثم ترتب عليه ضرر عام هو مقدار الضرر المترتب لا النية التى قوامها العمل فقط . ويضيف الشاطبى الى ذلك : « اذا كان الامر يتعلق بالعامة فان الضرر حينئذ يكون عاما ، ومهما يكن مقدار الضرر النازل بصاحب الحق فانه قليل بالنسبة لما يصيب العامة ولذا قدم حق العامة ولكن يجب تعويض صاحب الحق عما ناله من ضرر بسبب فوات جلب المنفعة الشرعية له (١) .

الثالث : انه عند النظر الى الضرر الواقع بالآحاد لا يعد الشخص مسيئا فى استعمال حقه الا اذا كان معتديا فى استعماله بأن قصد الى الاضرار بالفعل كما يدل على ذلك الامر الثابت وهو أن لا يكون ثمة مصلحة له فى الاستعمال أو لا يتعين هذا الطريق لجلب المصلحة له أو تجاوز الحد المقرر لمثله بأن كان يستعمل حقه استعمالا غير عادى كان يسقى الارض فى وقت كان يمكنه أن يؤجل وجاره أو شريكه فى المسقى لا يمكن أن يؤجل وهكذا ، أو يكون قد قصد بعمله تفويت نفع ثابت لمن يعامله وظاهر الحال يدل على ذلك القصد (٢) .

ومراجع فقهنا حافلة بتطبيقات عملية كثيرة لهذا التكليف سواء فى مجال الضرر الخاص أو مجال الضرر العام ، وكلها تفرض على القضاء وعلى ولى الامر تنفيذ هذا التكليف .

هـــذا ومن الاضرار التى تلحق بالمجتمعات احتبـــاس أكثر الثروة القومية فى أيدى قلة قليلة من أبناء المجتمع ، ووجود الكثرة الساحقة فيه على حافة المتربة . ولا شك أن هذا يتنـافى مع الهداية القرآنية التى فرضت تداول المال فى المجتمع ، ويؤدى حتما الى أضرار اقتصادية ومساوىء اجتماعية وسياسية كثيرة . لذلك نقرر أن لولى الامر فى كل بلد اسلامى ، بل يجب عليه وعلى المجتمع الذى يرعاه ، أن يحمى المجتمع من هذه الاضرار ويتخذ الاجراءات الكفيلة لتحقيق هذه الحماية مع التزام العدالة . وهذه الاجراءات لا شك تختلف من بلد الى بلد على ضوء ظروف كل بلد والملابسات الخاصة به ، وعلى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة فيه ، وعلى ضوء مدى تغلغل هــذا الداء فى كيانه الاجتماعى ، على أن يكون ذلك كله فى نطاق أحكام السياسة الشرعية .

التكليف الخامس

الامتناع عن تنمية المال بغير الوسائل المشروعة

التكليف الخامس هو منع مالك المال من تنميته بغير الوسائل التى أجازها الشارع فى تنمية المال .

وفى مقدمة الوسائل التى حرمها الاسلام . الغش والاحتكار والربا ، وهى وسائل أصبحت شائعة ومألوفة فى الاقتصاد المعاصر حتى صارت مهمة ولى الامر فى مقاومتها مهمة عسيرة .

---

(١) الشاطبى . الموافقات جزء ٢ ص ٣٦٩ .

(٢) اساءة استعمال الحق للأستاذ محمد أبو زهرة — موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى ص ٨٩ ، ٩٠ .

وقد قلنا من قبل أن من رسالة الفقه الاسلامى المعاصر العمل على تذليل مهمة ولى الامر — النائب عن الجماعة — فى اقامة حدود الله وتنفيذ أوامره ونواهيه .

أما الغش ، فمجال ولى الامر فى منعه ميسور . فالكشف عن الغش كفله نظام الحسبة الاسلامى ، وأما ردع الغاشين فلولى الامر تعزيرهم كما له تغريمهم بمثل الكسب الخبيث الذى حصلوا عليه أو باضعافه .

أما الاحتكار ، فقد بسط فقهنا لولى الامر سبيل الضرب على أيدى المحتكرين ، وذلك بفرضه بيع المال المحتكر بالسعر المعقول أو بتعزير المحتكرين حتى يبيعوا به .

صحيح أننا نجد اختلافا بين فقهائنا فى تحديد المواد التى يكون محتكرها آثما فمنهم من قصر الاحتكار المحرم الذى يسوغ لولى الامر التدخل لمنعه على أنواع من الطعام ، وهى الحنطة والشعير والتمر لأنها كانت أطعمة العرب يومئذ ، ففسروا الطعام فى قوله عليه الصلاة والسلام : « جالب الطعام مرزوق والمحتكر عاص وملعون » بأن الاحتكار الذى فيه عصيان وائم هو الذى ينصرف الى هذه الاصناف من الطعام . ومنهم من رأى أن طعام الناس لا يقتصر على الانواع السابقة فمن الناس من لا يقتات بالتمر ويقتات بالذرة أو الارز ، وكلمة الطعام تشمل كل الاقوات ، ومنهم من أضاف قوت البهائم لأن الاثم واقع على كل من يحرم حيا من الاحياء من قوته .
ولكن الرأى الراجح هو رأى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة اذ يقول :

« كل ما أضر الناس حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو فضة ، ومن احتكره يعد قد أساء استعمال حقه فيما يملك ، لأن كل ما يضر حبسه كالثياب مثلا لا يقل أذى للناس عن الاحتكار باطلاق غير مقصور على الطعام ، ولأن المقصود من منع الاحتكار هو منع الضرر عن الناس ، والضرر كما ينزل بمنعهم القوت ينزل أيضا بمنعهم الثياب وغيرها ، فللناس حاجات مختلفة والاحتكار فيها يجعل الناس فى ضيق » .

وهكذا اتسع رأى أبى يوسف لكل السلع التى يكون فى حبسها ضيق أو ضرر اجتماعى أو حبس لموارد الرزق .

وخطر الاحتكار على الاقتصاد العالمى أصبح فى غير حاجة الى مزيد من البيان فكلنا نعلم كيف تغلغل الاحتكار — الظاهر والخفى — فى أكثر ميادين الانتاج العالمى وكيف تحالف المحتكرون من أقطاب المال عبر حدودهم مع زملائهم فى بلاد أخرى ونجحوا فى تحديد الاسعار التى تؤتيهم الربح الفاحش ، وخلقوا الازمات وتآمروا على بخس أثمان المواد الخام التى تنتجها البلاد النامية اضرارا بأكثر من ثلثى سكان الارض . ولا زالت جهود الامم المتحدة — العناصر الطيبة فيها — تتوالى وتتعثر فى محاولة التخفيف من ويلات هذا الداء الوبيل .

أما الربا فهو الآفة الكبرى التى سيطرت على الاقتصاد العالمى المعاصر وامتدت حبائلها الى معاملات البشر فى أقطار الارض ، فأصبح الربا فى رأيهم ركنا أساسيا فى التنظيم الاقتصادى الحديث ، وبالرغم من ايمان أكثرهم بأوزاره ومعقباته يئسوا من أن يجدوا منه بديلا واعتبروه ضرورة حتمية لن يجدوا عنها مصرفا .

ولكن الهداية الاسلامية مهدت للبشر مخرج صدق من حيرتهم ، والبرء من هذه الآفة ونزعاتها الشيطانية ، وان على المجتمعات الاسلامية أن تأخذ بيد البشر جميعا الى صراطها المستقيم .

وان فى شريعتنا الغراء ما يهدينا الى اجراءات توفق بين تحريم الاسلام للربا — أسوة بتحريمه فى جميع الشرائع الالهية — وبين الضرورات الاقتصادية المعاصرة (١) .

---

(١) وما هذه الاجراءات ا أصبحنا في حاجة الى حل عملى سريع يخرج المسلمين من هذا التناقض بين دينهم وضرورات حياتهم . « الوعى »

التكليف السادس

قيود على كيفية التصرف في المال

التكليف السادس يقيد حرية المالك فى التصرف فى ماله — فى رأس المال أو فى الداخل الناتج عنه — فيحرم عليه التقتير والاسراف على السواء ، وقد رأينا فى تعاليم الاسلام الخلقية النهى الصريح عن الامرين .

ولكن مهمة ولى الامر فى سعيه الى تنفيذ هذا التكليف بشطريه تختلف فى أحدهما عن الآخر .

اما فى الاسراف فان تدخل ولى الامر فى منعه ظاهر لا خفاء فيه ولا جدال ، فحقه فى الحجر على السفيه مقرر بالنص . والسفه يحتمل أوسع التفسير اذا قضت بذلك ظروف المجتمع وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية فى عصر معين . فما لا يعتبر سفها فى ظروف معينة يجب أن يعتبر سفها فى ظروف اخرى ، وقد رأينا ابان الحرب العالمية الثانية دولا لا تدين بالاسلام تعتبر الامعان فى كثير من المباهات المتاعية سفها تردع رعيتها عنه ، ولا زالت تشريعات دول كثيرة تفرض قيودا على ما يجوز لمواطنيها أن ينفقوه فى سياحاتهم خارج أوطانهم . واذن فصفة السفه لا تقتصر على انعدام الرشد فى تصرف السفيه فى ماله ، وما يلحقه من الضرر بنفسه ، بل له صلة وثيقة بظروف المجتمع الذى يعيش فيه السفيه .

واما فى التقتير والاكتناز فقد يجد ولى الامر فى منعهما مشقة كبيرة تجعله يضيق بالمقترين والمكتنزين ذرعا . ولكن ما اشرنا اليه من قبل من فرض التصاعد الضريبى على الاموال قد ينجح فى اقناع المقتر بالكف عن غل يده الى عنقه اذ لن يزيده التشبث بشحه الا حرمانا من متع الحياة واما محاربة الاكتناز فلولى الامر حرية اتخاذ ما يراه من وسائل ادارية ، وقد يلجأ فى الكشف عن الاكتناز الى دراية المحتسب ويلجأ الى التعزير فى النهاية .

التكليف السابع

منع استخدام المال في حيازة نفوذ سياسي

وهنا فطنت تعاليم الاسلام الى آفة خبيثة انتشرت فى الديمقراطيات الغربية المعاصرة . بدأت هذه الديمقراطيات — طوال القرن التاسع عشر — باحتكار الحق السياسى فى الانتخاب لمن عنده نصاب معين من المال ولما اضطرت خلال القرن العشرين تحت ضغط شعوبها الى رفع هذا القيد لم يكن رفعه ليمنع أقطاب المال من حيازة نفوذ سياسى ضخم بما يملكونه من وسائل التأثير فى الناخبين طورا بالوعد وطورا بالوعيد . وبخداعهم بكل وسائل الاعلام التى يملكونها وبسيطرتهم على موارد البلاد الاقتصادية التى يقتات منها جموع الناخبين .

ومهمة ولى الامر هنا هى العمل الجاد على انفاذ هذا التكليف وذلك بأن يجمع — بما يفرضه

البقية على صفحة ٢٥

تحديد أوائل الشهور العربية

للشيخ محمد على السايس

مقدمة البحث

طال الجدل بين العلماء قديما وحديثا فى شأن الشهور القمرية ، وتحديد أوائلها وأواخرها ، واختلفت كلمتهم فى ذلك اختلافا كثيرا . وفى كل عام يتجدد النزاع ، وتحتدم المناقشة فى هذا الشأن . لا سيما فى شهرى رمضان وذى الحجة ، لارتباط الصيام والحج بهما ، وكثيرا ما تطلع الناس الى علماء الشريعة ، وراودهم الامل فى ان يطلعوا على الناس برأى يجمع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، ويوحد صفوفهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويقضى على هذا التفرق والتنازع .

ولا شك أن توحيد مبدأ الشهور العربية فى البلاد الاسلامية يعد من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الشعوب الاسلامية فى جميع اقطار الارض ، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة .

وقد تبين لى والحمد لله بعد الاطلاع على كثير من المراجع ، والرجوع الى اهل الذكر فيما ليس لنا به علم من علماء الفلك ، أن هذا المطلب ليس بعزيز المنال ، وانه أيسر مما كنت أظن ويظن كثير من الناس ، لكثرة اختلاف العلماء طوال الازمان الخالية ، دون ان تتلاقى وجهات نظرهم ، ويتفقوا على رأى واحد يريح المسلمين من هذا التنازع ، ويجمعهم على كلمة سواء .

ولا تثريب على من اختلفوا قديما من العلماء ، فلم يكن لديهم تلك الوسائل التى من الله بها على عباده فى هذا الزمان .

وأول تلك الوسائل تقدم علم الفلك وبراعة علمائه فيما يعالجونه من شئونه ، وذلك بالحساب الدقيق القطعى المبنى على قواعد هندسية مبرهنة ، والذى يضبطون به احوال القمر ومنازله ومواقفه ، ويحددون به أوائل الاشهر القمرية ونهايتها ، مما يستغنى به على رؤية الهلال رؤية عينية ، فى غاية العلم وهى عين اليقين .

وثانيها : ما اخترعه العلماء فى هذا العصر من الآلات الحديثة التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الاولى مهما كان صغيرا ، دقيقا ، من المراصد المجهزة بأحدث الوسائل العلمية مما ييسر أمر الرؤية فى هذا العصر .

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد علي السايس الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، بحث طويل حول تحديد أوائل الشهور العربية ، وما اذا كان من الجائز أن نعتمد على الحساب الفلكي في هذا التحديد أو لا . ونظرا لأن هـــذا الموضوع يشغل التفكير ولا سيما عند دخول رمضان من كل سنة فاننا نضع أمام القراء تلخيصا وافيا لهذا البحث فيما يأتي :

وثالثها : تقدم وسائل الاذاعة والاعلام فى هذا الزمان ، فالراديو والتلفزيون واللاسلكي وغير ذلك مما يسهل اعلام جميع البلاد الاسلامية بالرؤية فور ثبوتها .

ويشتمل هذا البحث على اربعة فصول وخاتمة :

الاول : فى أقوال علماء المذاهب الاربعة فيما يثبت به هلال رمضان وشوال وغيرهما فى حالتى الصحو والغيم ، مع بيان وجهة كل منهم ومناقشـــة الادلة وترجيح المختار منها .

الثانى : فى بيان آراء علماء الاسلام فى مطالع القمر ، وهل يؤثر اختلافها فى اثبات الشهور ؟ أو لا عبرة باختلافها فيمكن توحيد البلاد الاسلامية واجتماعها على مبدأ واحد ؟

الثالث : فى بيان أنواع الحساب الفلكى وما جرى عليه العمل قديما وحديثا فى التقاويم الرسمية وغيرها ، حتى يتميز ما يصح التعويل عليه وما لا يصح .

الرابع : فى بيان آراء العلماء فى الاخذ بقول اهل الحساب والفلكيين فى تحديد الشهور القمرية .

أما الخاتمة ــ فهى فى بيان ما يجب على الدول الاسلامية القيام به فى شأن اثبات الشهور القمرية ، لنصل الى هذه الغاية المنشودة من أقرب سبيل .

أقوال العلمـــاء
فيما تثبت به الشهور القمرية

مذهب الحنفية :

المقرر فى معتبرات الكتب عند الحنفية أنه يجب على المسلمين وجوب كفاية أن يلتمســوا هلال رمضان وغيره فى اليوم التاسـع والعشرين من الشـهر السـابق ، لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما ، فيجب طلبه لاقامة الواجب ، فان رأوا الهلال ثبت الشـهر الجديد ، وصاموا ان كان رمضان ؛ لقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وان غم عليهم أكملوا عدة الشهر ثلاثين يوما ، لقوله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عـــدة شعبان ثلاثين يوما » .

وبعد أن عرض البحث أقوال علماء الاحناف فى اثبات هلال رمضان وغيره . هل تثبت بخبر واحد او اثنين ، وبعد أن أتى بتحقيق المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي حول هذه الاقوال قال :

وخلاصة ما تقدم :

١ — ان الخبر الخاص برؤية الهلال من قبيل الاخبار الدينية ، فيجب وجوبا كفائيا على من رآه ، أو بلغه الخبر بطريق شرعي أن يعلنه قياما بالواجب الديني .
٢ — ان ثبوت الاهلة كلها لا يدخل تحت الحكم قصدا ، وأن حكم القاضي بالنسبة للهلال من قبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو من قبيل الفتوى .
٣ — أن أى شهر من الشهور الاثنى عشر يثبت شرعا برؤية هلاله أو بعد الشهر السابق عليه ثلاثين يوما .
٤ — أنه يكفي في ثبوت اى شهر خبر واحد عدل عدالة رواية في حالتى الغيم والصحو ، ما لم يكن تفرده مظنة الغلط او الكذب فلا بد من عدد يتحقق به غلبة الظن .
٥ — أنه لا يشترط نصاب الشهادة ، ولا لفظ أشهد ، ولا تقدم الدعوى ، ولا مجلس الحكم ، ولا قضاء قاض ، ولا أمر وال ، الا ان يكون المقصود باثبات الشهر حقا من حقوق العباد ، فيشترط فيه ما يقتضيه هذا الحق مما هو مقرر في كتب الفقه .

مذهب الشافعية

قال الامام النووى يجب صوم رمضان بأحد امرين : الاول اكمال شعبان ثلاثين يوما ، والثانى رؤية الهلال ليلة الثلاثين منه ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) .

والراجح انه يكتفى بعدل واحد في ثبوت هلال رمضان احتياطا للعبادة ، وكذلك لكل شهر اشتمل على عبادة كشوال والاضحى بالنظر الى العبادة فقط ، ولا تثبت الرؤية لأى شهر بشهادة العدل بالنسبة لغير العبادة كحلول دين مؤجل وطلاق وعتق علقا به .

والراجح عندهم على القول بالاكتفاء بعدل واحد أنه بطريق الشهادة لا الرواية ، فلا يقبل فيها قول العبد والانثى ، ويشترط فيها لفظ أشهد ، وهى شهادة حسبة لا تفتقر الى الدعوى ، ولكن لا بد في وجوب الصوم على العموم من ثبوتها عند قاض ينفذ حكمه .

مذهب المالكية

يثبت رمضان أى يتحقق في الخارج سواء حكم بثبوته حاكم ام لا بأحد امور ثلاثة :

الاول : اتمام شعبان ثلاثين يوما .
الثانى : رؤية عدلين الهلال .
الثالث : رؤية جماعة مستفيضة لا يمكن تواطؤهم عادة على الكذب .

مذهب الحنابلة

يقبل في هلال رمضان قول عدل واحد ، ولا فرق بين الغيم والصحو والمصر وخارجه .

ولا يقبل فى رؤية هلال رمضان خبر مستور ولا صبى مميز لعدم الثقة بخبره ، ولا يقبل فى بقية الشهور كشوال وغيره الا رجلان عدلان بلفظة الشهادة .

اختلاف مطالع القمر

وتحت هذا العنوان تحدث فضيلة الشيخ السايس عن اقوال الفقهاء فى اختلاف مطالع القمر حسب البلاد ، وهل تصوم كل بلد حسب رؤيتها ، أو يلزم المسلمين الصيام متى رئى الهلال فى أى بلد من بلادهم فقال :

الثابت واقعيا وعلميا والمشاهد حسيا ان الهلال يرى فى بعض البلاد بعد غروب الشمس ، ولا يرى فى بعضها الا فى الليلة التالية ، بمعنى هذا أن رؤية الهلال اول الشهر قد تكون متيسرة لبعض الاقطار دون بعض ، فاختلاف مطالع القمر امر واقعى مشاهد وظاهرة كونية لا جدال فيها ، لكن الذى اختلفت فيه انظار الفقهاء ، هو انه : هل لهذا الاختلاف فى المطالع تأثير فى ثبوت الاهلة والاحكام المتعلقة بها كالصوم والافطار والحج والاضحية ؟ او أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فاذا ثبت الهلال فى اى بلد اسلامى ثبت فى حق جميع المسلمين اذا بلغهم ثبوته بطريق موثوق بصحته .

مذهب الحنفية

ظاهر مذهب الحنفية كما قال صاحب الدر المختار انه لا عبرة باختلاف المطالع ، فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب ، وذلك لأن عموم الخطاب فى قوله « صوموا لرؤيته » معلق بمطلق الرؤية من اى مسلم .

وعلى هذا الراى اكثر المشايخ وهو الذى عليه الفتوى .

مذهب المالكية

اما المالكية فلهم ثلاثة آراء :

الاول : انه لا عبرة باختلاف المطالع قربت البلاد ، أو بعدت .

الثانى : انه يعتبر اختلاف المطالع اذا ثبتت الرؤية عند حاكم خاص ، فانه لا يعم الحكم الا من فى ولايته فقط .

الثالث : يعتبر اختلاف المطالع بالنسبة للبلاد البعيدة جدا كالاندلس من خراسان .

ثم قال ان عدم اعتبار اختلاف المطالع هو المشهور ، وهو المعتبر وما عداه لا ينهض ، ولا يقاوم ما هو المشهور ، وما عليه الفتوى .

مذهب الشافعية

وكما اختلف الحنفية والمالكية فى اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتبارها اختلف الشافعية .

فكان لعلمائهم فى هذا الموضوع آراء :

احدها ــ يلزم اهل الارض برؤيته فى موضع منها .

الثانى ــ يلزم اهل اقليم بلد الرؤية دون غيرهم .

الثالث — يلزم كل بلد يوافق بلد الرؤية فى المطلع دون غيره ، وهذا اصحها .

الرابع — يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم .
الخامس — يلزم من دون مسافة القصر دون غيرهم .
السادس — لا يلزم غير بلد الرؤية .

ثم نقل عن تقى الدين بن السبكى فى رسالته العلم المنشور فى اثبات الشهور قوله : والقول بأن لكل بلد رؤيته على اطلاقه ضعيف واعتبار مسافة القصر فى هذا المحل ضعيف ، واعتبار كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم جيد ، واعتبار الاقليم ضعيف ، والزام جميع البلاد اذا رئى فى بلد ضعيف جدا ، لأن عمر ابن الخطاب وسائر الخلفاء الراشدين لم ينقل انهم كانوا اذا راوا الهلال يكتبون الى الآفاق ، ولو كان لازما لهم لكتبوا اليهم لعنايتهم بأمور الدين ، ولاننا نقطع بأنه قد يرى فى بعض البلاد فى وقت لا يمكن رؤيته فى بلد آخر ، وبأن الله لا يخاطب قوما الا بما يعرفونه مما هو عندهم .
ثم وعد فضيلة الشيخ بمناقشة هذه الحجج الثلاث فى نهاية البحث .

مذهب الحنابلة

جاء فى المغنى والشرح الكبير ص (٧) جزء ثالث ، « واذا رأى الهلال أهل بلد لزم جميع البلاد الصوم ، وهذا قول الليث وبعض أصحاب الشافعى .

مذهب الشيعة الامامية

اختلف فقهاء الشيعة الامامية وكذلك علماء الزيدية فى اعتبار اختلاف المطالع فى ثبوت هلال رمضان ، فظاهر كلام الحلى أن اختلاف المطالع معتبر ، فلا يعم ثبوت الشهر برؤية من اختلف مطلع بلده عن بلد الرؤية ، كما ذكره العاملى فى الحبل المتين فى أحكام الدين ، وهو مذهب الهادوية والامام يحيى من الزيدية ، بل لا يعمم عنده فى الاقليم الواحد والجهة الواحدة ان اختلفت ارتفاعا وانحدارا ، كما فى البحر الزخار ، وقال الصنعانى فى سبل السلام : والاقرب لزوم بلدة الرؤية ، وما يتصل بها من الجهات التى على سمتها ، واختار المهدى وجماعة من الزيدية تعميم الحكم والشهادة بالرؤية جميع البلاد ، وقال الشوكانى وهو الذى ينبغى اعتماده ، وذهب اليه جماعة من الامامية .

الرأى المختار

وبهذا انتهى فضيلة الشيخ من عرض آراء المذاهب فى هذا الموضوع — ثم انتقل الى ابداء رأيه فيما عرضه فقال :
وبعد أن استمعنا الى آراء علماء المسلمين وحججهم ومناقشاتهم لا يسعنا الا ترجيح القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع ، لا لأن هذا هو ما تصبو اليه نفوس الكثيرين من العلماء والمصلحين ، حتى تتوحد كلمة الامة الاسلامية ، ولا لأن القائلين به هم الكثرة الغالبة وهم الجمهور ، ولكن لأن سنده من الكتاب والسنة قوى متين ، وشبه المخالفين مردودة .
ثم أخذ يفند آراء المخالفين فقال :

ما قاله السبكي من أن عمر والخلفاء الراشدين لم يكتبوا الى الآفاق بثبوت الرؤية لأنهم حريصون على أمر الدين ، مردود عليه بأنهم لم يكتبوا لصعوبة المواصلات فى زمنهم ، فقد لا يتيسر وصول المكتوب الا بعد انقضاء رمضان . بينما وصول الخبر متيسر الآن بواسطة الاذاعة واللاسلكى .

وما قاله السبكى وغيره من قياس اختلاف مطالع القمر على اختلاف مطالع الشمس ، مردود عليه بأنه انما اعتبر اختلاف مطالع الشمس لئلا يلزم الحرج ، وتؤدى العبادات قضاء ، ولا يلزم من عدم اعتبار اختلاف المطالع القمرية اى حرج . لأنه من المتيسر جدا بعد الاختراعات الحديثة تبليغ ثبوت الرؤية فى لمح البصر ، وقبل أن يطلع النهار الجديد فى اى بلد اسلامى مهما كان نائيا عن بلد الرؤية ، فقد ثبت علميا أنه ليس بين أى بلدين اسلاميين فى مشارق الارض ومغاربها اكثر من تسع ساعات فلكية ، فاذا ثبتت رؤية الهلال فى مراكش وهى اقصى بلد فى المغرب ، فانه من الممكن ان يبلغ ثبوت الهلال لأقصى بلد فى المشرق بعد مرور تسع ساعات من غروب الشمس عندهم . اى قبل طلوع الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف . لأن الليل عندهم اثنتا عشرة ساعة دائما ، لأنهم على خط الاستواء تقريبا . وهذا القدر الباقى من الليل كاف لاثبات أنهم فى أول ليلة من رمضان . وكذلك هو كاف لتبييت النية والسحور بدون حرج ولا مشقة ، هكذا قال اهل الذكر والعهدة عليهم . والله يقول « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

وما قاله السبكى أيضا من ان الله لم يخاطب قوما الا بما يعرفونه عندهم مردود عليه بأنه ما دامت رؤية كل فرد من افراد المكلفين ليست شرطا لثبوت الهلال وما يتعلق به من الاحكام فى حقه اجماعا . بل الشرط العلم بها بمعنى غلبة الظن بأى طريق يفيد ذلك ، فلا مناص من ترجيح القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع ، لأنه متى ثبتت الرؤية عند قوم عم ثبوتها جميع أهل الارض متى نقلت اليهم ، وعلموا بها بأى طريق من طرق الاعلام ، ولو أنه تيسر للخلفاء والولاة فى صدر الاسلام ما هو متيسر الآن من اذاعة الاخبار فى جميع انحاء المعمورة فى اقل من لمح البصر لما ترددوا فى ابلاغ ثبوت الاهلة الى جميع الولايات الاسلامية ، ليتوحد مظهرهم الدينى ، ويتفقوا فى بدء الصيام والافطار وسائر أعيادهم ومواسمهم الدينية .

والخلاصة

انه ما دامت مسألة اختلاف المطالع القمرية من حيث اعتبارها أو عدم اعتبارها محل اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ، فلا يكون بدعا ان يرجح احد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع لما قدمنا من اسباب الترجيح .

ولأن الامام الشافعى الذى يقول باختلاف بدء الصوم باختلاف المطالع يوافق الائمة الثلاثة فيما اذا ثبتت الرؤية عند حاكم يرى أن لا عبرة باختلاف المطالع ، فأمر به وابلغه الى أهل المطالع الاخرى ، كما حكاه عنه ابن حجر ، وارتضاه ، وبذلك يتقرر اجماع الائمة الاربعة على أن اختلاف مطالع القمر لا يعتبر شرعا ، اذا حكم الحاكم الشرعى ببدء الشهر ووجوب الصيام والافطار والحج والاعياد .

راى المختصين فى علم الفلك

ومن الخير ان ننقل هنا بعض ما كتب الاستاذ الشيخ محمد ابو العلا البنا ، مدرس الفلك بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، بصدد بيان أن العلوم الفلكية تؤيد توحيد اول الشهر الشرعى بين الحكومات الاسلامية .

قال ان جميع الحكومات الاسلامية تقع ما بين شاطىء آسيا الشرقى وشاطىء افريقيا الغربى اعنى من خط ١٢٠ شرق جرينتش الى ١٥ غرب جرينتش مقدار ٩ ساعات من ٢٤ تتم دورة اليوم بقسميه الليل والنهار حول الارض من الشرق الى الغرب .

اذا علمنا ذلك تاكدنا ان بدء الدورة اليومية الاسلامية من هذا الخط يكون طبيعيا بالنسبة لبدء حكومات الاسلام من جهة الشرق فتجتمع كلها فى يوم واحد دون تفرقة ، اذ يبدأ اليوم الاسبوعى والتاريخ للعالم الاسلامى كله من ابعد البلاد الاسلامية شرقا وهى الفلبين واندونيسيا والملايو قبل جرينتش بـ ٨ ساعات ، وقبل العراق والباكستان بـ ٥ ساعات ، وقبل مصر والسودان بـ ٦ ساعات ، وقبل تونس بـ ٧ ساعات ، وقبل مراكش التى هى ابعد البلاد الاسلامية غربا بـ ٩ ساعات .

ومعلوم أن تاخيراعلان وجوب الصيام او الافطار بقدر هذه الاجزاء من اليوم لا يقدح فى مشاركة جميع هذه الحكومات فى نفس اليوم والتاريخ ، بمعنى انه لو فرض أن الهلال لم يتكامل لصلح للرؤية الا فى مراكش آخر الحكومات الاسلامية جهة الغرب ، وفيها رئى وشهدت الشهود ، واثبت قاضيها الشهر ، وابرقت حكومتها بذلك الى جميع الحكومات شرقا ، وهى الفلبين واندونيسيا والملايو بعد المغرب فيها بنحو ٩ ساعات ، بمعنى أن اذاعة الرؤية وثبوت الشهر من مراكش عقب مغربها انما تسمع فى اندونيسيا بعد مغربها هى بتسع ساعات ، اى قبل شروق الشمس فيها بثلاث ساعات ، ضرورة أن ليلها دائما ١٢ ساعة ، لوجودها على خط الاستواء تقريبا ، اعنى قبل الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف ساعة ، ومعلوم أن هذه المدة كافية لما يلزمهم من سحور وعقد النية على صيام هذا اليوم مع مراكش ، واما غير اندونيسيا من كل حكومة شرق مراكش كالعراق ومصر والجزائر فمن باب أولى ، واما وحدة هذا اليوم فى باقى بلاد الدورة من سطح الارض كامريكا فامرها ظاهر ، اذ انهم وقت هذه الاذاعة من مراكش كانوا فى عصر اليوم السابق أو فى ظهره او فى شروقه مثلا ، وحينئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من اوله دون تغيير فى اسمه أو فى تاريخه .

واما اهل البلاد القطبية التى تتقدم فيها بعض علامات اوقات الصلوات اليومية لدوام النهار او الليل اكثر من ٢٤ ساعة فى بعض السنة ، فيقدرون بدء الشهر عندهم بزمن بدئه في العواصم المشهورة على خطوط اطوالهم كخط طول القاهرة مثلا ، فالبلاد القطبية التى عليه تجعل مبدأ الشهر عندها كاهل القاهرة .

للبحث بقية

من تنظيم اقتصادى للمجتمع — بين ما نسميه بلغة العصر : الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، لأنهما أصبحتا فى عصرنا ، جناحى الحرية الحقيقية وبدونهما أو بدون أى منهما لا تستطيع الحرية أن تحلق فى آفاق العدل المرتقب .

التكليف الثامن

قيد على المالك في توجيه ماله بعد الوفاة

فليس مالك المال فى المجتمع الاسلامى حرا فى الخروج على ما فرضه الشرع فى نظام الارث والوصية . واذا عصاها أبطل القضاء تصرفه الجائر ، ونفذ ولى الامر أحكام القضاء .

وبعد فهذه جملة القيود التى فرضها الاسلام على الملكية الفردية . بدأ بفرضها على صورة تعاليم خلقية يذعن لها المسلم طائعا مختارا بتأثير عقيدته فى ملكية الله للمال ولكل ما خلقه فى الارض والسماء ثم فرض على المجتمع الاسلامى اقامة نظام حكومى يتولى ولى الامر فيه مسئولية تنفيذ تعاليم الاسلام الخلقية على كل من لم يذعن لهذه التعاليم بمحض اختياره وأحاط هذا التنفيذ بقواعد وضوابط من شريعته تكفل جلب المصالح ودرء المفاسد واقامة موازين القسط والعدل بين الناس جميعا .

هداية الهية ، لو رعاها البشر لما ظهر الفساد فى الارض ، ولا اشتعلت فيها حروب مدمرة ولا قامت فيها شيوعية جاحدة ولا رأسمالية باغية .

والآن أريد أن انتقل الى بيان نظرية الاسلام فى الدعامة الثانية لكل تنظيم اقتصادى : « دعامة العمل » .

ولكنى أوثر أن أبدأ مباشرة فى الحلقة القادمة عن ملكية المال فى الاقتصاد الغربى وأرجىء الكلام عن الدعامة الثانية فى كل تنظيم اقتصادى : « دعامة العمل » .

ذلك لكى يبرز للقارىء الفارق الجوهرى بين الاقتصادى الاسلامى وغير الاسلامى ، وليرى أن القيود التى فرضها الاسلام على ملكية المال ليست قيودا بالمعنى الحرفى ، وليست أغلالا ينوء بحملها مالك المال ، بل هى — كلما تأملنا فيها على ضوء ما يجرى فى العالم غير الاسلامى — نعم أنعم الله بها على مالك المال ، نعم لا تقل فى شأنها عن نعمة المال ذاته الذى سخره الله لمالك المال . وأودعه بين يديه .

لقد سميناها قيودا ترد على حق الملكية ، وكان يصح أن نسميها دروعا تحمى ملكية المال أن تصير وبالا على مالك المال ووبالا على الانسانية جمعاء ، كما سيتضح لنا من عرض آثار اطلاق حق الملكية فى الاقتصاد الغربى .

ركائز التفكير الإسلامي

موقف العقل من الإيمان

وجود الله

أرجح أن الجدل بيننا الآن ، ليس عن وجود الله أو عن عدم وجوده . فأنك وأنت أستاذ الفلسفة ، لا بد أن تكون عند الحق من قول (فرنسيس باكون) « ان القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد الى الله » . والظاهر من كلامك أنك تؤمن بأن الله هو خالق الكون ، ومؤمن ــ بالتالي ، وبالبداهة ــ بأن خالق الكون هو خالق النواميس ، وبأنه خالق الحياة ، وخالق الذباب ، الذى قال عنه القرآن ، في سورة الحج (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) وقد نزل هذا قبل ان يقول (روجر باكون) و (توماس اكويناس) بقرون طوال قوليهما المشهورين « ما من عالم قد عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة » . .

وانما أنت تستصعب تصور الذهن لهذا الاله ، على طريقة القرآن الذى يقول عنه (ليس كمثله شيء) وتستشكل فى خلق الله لآدم من تراب ، وتقطع كل علاقة لله فى خلق الاجنة ، حتى تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات الى ما يكاد يكون الغاء لوجود الله . . وهذا ما يحيرنى في أمرك . . والا فقل لى : كيف نوفق بين كونك ،مؤمنا بأن الله خالق الكون ، وخالق الحياة ، وخالق الانسان ، وخالق النواميس ، وكونك تغفل ــ وأنت العالم الالمعى ــ عن تفسير آيات خلق آدم ، وخلق الجنين فى بطن أمه بأنها قد تعنى الخلق التطورى للخلية الانسانية بطريق النواميس التى خلقها الله ، مثلما قد تعنى فى الظاهر الخلق الدفعى المباشر ، مع أن كلا الخلقين داخل فى قدرة الله ، وليس احدهما بأدل على هذه القدرة والحكمة من الآخر . . ؟

كان احد اساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل — كالمنكر — عن بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يدعي ان التفكير الاسلامي المعاصر مشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب اوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد راينا - تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين ايدي القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

للشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس — لبنان

ومهما يكن الامر ، فاننا لا نسوق الحديث اليك وحدك ، بل نسوقه الى من وراءك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبأنه خالق الكون ، ويرددون في صدورهم بعض الاسئلة التي طرحتها وأمثالها . والحوار مع هؤلاء لا يدور اذا ، حول وجود الله . وانما يدور الحوار حول القرآن الكريم وما فيه من آيات متشابهات ، يبدو لك ولهم — في الظاهر — انها تتناقض مع العقل أو مع العلم ، ويدور ايضا حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر ، وزعمك انه مقيد ومشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .

فعلينا ، اذن ، أن نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الاسلامي ، لنرى ان كانت تتعارض مع العقل أم تعتمد عليه ، وتتنافى مع العلم — كما زعمت — أم تؤيده . وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك — مهما كان نوعها وموضوعها — حججه وبراهينه بدون تطويل ، ويصبح هذا الرد المركز الذي نضعه كالجعبة فيها السهام ، بل كخزانة الدواء في البيت ، تجد فيها العلاج لكل شك وزيغ .

ركائز التفكير الاسلامي

١ — القرآن والعقل :

ان القرآن يجعل للعقل السلطان الاعلى في ادراك كل معاني الحق والخير ، من اتفه الامور كاماطة الاذى عن الطريق ، الى اعظمها وهو وجود الله وصفات كماله .

وفي القرآن أكثر من (٣٠٠) آية تدعو الى تحكيم العقل ، وتزري ازراء شديدا ، بالذين لا يحكمون عقولهم . وأبلغ هذه الآيات واوجعها قوله (ان شر

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . وكل ايمان لا يبنى على العقل لا يعد من الايمان الكامل . اما (ايمان العجائز) فانما هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج من العاجزين (١) .

والقرآن يكره الجمود على تقاليد الآباء والاجداد ، اذا كانت هذه التقاليد تناهض أحكام العقل القاطعة ، ويهزأ بهؤلاء الجامدين ، ويسخر من الخرافات والاساطير ، وليس فيه أسرار يحدث تصورها تناقضا عقليا في الذهن . وكل نص في القرآن يحدث تصوره ، في الظاهر ، تناقضا عقليا في الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض .

فالاسلام ، اذن ، هو الدين السماوي الذي يجعل (الجدل العقلي) الصارم طريقا للوصول الى الحق .

هذه حقائق يقينية مقررة ، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة . ومن جهلها أو انكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والاسلام .

٢ ــ القرآن والحرية :

ان حرية الانسان ، في نظر القرآن ، هي أمر طبيعي وضروري وبديهي . وان حرية الفرد مطلقة الى آخر حدود الاطلاق ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق أو بالخير .

وهذا المفهوم الجامع ، كما انه يشمل كل أنواع الحريات ، من حرية التفكير وحرية العقيدة والقول والعمل والتملك والتصرف ، فانه يشمل ، كذلك ، كل أنواع الحق والخير ، بالنسبة للفرد ذاته ، وبالنسبة لغيره من الناس ، وبالنسبة الى المجتمع . لا فرق ، في ذلك كله ، بين أن يكون الفعل أو القول مباحا بذاته للفرد ، أو حقا من حقوقه المشروعة ، أو ضربا من القربات الى الله . فلو أسرف الفرد في أكل الطيبات اسرافا مضرا بصحته انقلب المباح حراما ، ولو أسرف في اساءة استعمال حقه وقف حقه ، ولو أسرف في الزهد والتقشف والتبتل بل في العبادة نفسها ، بل في الصدقات والمبرات ، الى الحد الذي تصطدم عنده حريته بخير نفسه أو زوجه أو ولده أو وارثه أو المجتمع ، لانقلبت قرباته هذه كلها الى محظورات يمنعها القرآن (٢) .

٣ ــ القرآن والعلم :

ان القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة ، نفس القوة التي للحقائق الرياضية القاطعة ، أي نفس السلطان الذي للعقل . لأن العلوم الطبيعية انما

---

(١) يكاد الناس جميعا يتجهون في فهم ايمان العجائز الى أنه الايمان التلقائي الذي لا يقوم على دليل او تعقل .. فلماذا لا يفهم على انه الايمان الراسخ الذي دعمته الدلائل وتجارب السنين حتى صار ثابتا لا يتزعزع وهنا يصبح رجاء لكل انسان « اللهم ايمانا كايمان العجائز » اذ لا يعقل ــ فيما ارى ــ أن يطلب المؤمن من الله أن يجعل ايمانه ايمانا غير قائم على دليل ولا تعقل ..

(الوعي الاسلامي)

(٢) تذكر في هذا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » من سورة المائدة، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه من يريد أن يتصدق بماله كله فمنعه الرسول وأجاز له أن يتصدق بالثلث وقال له « والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

(الوعي الاسلامي)

هى انكشاف للنواميس التى خلقها الله فى الكون ، فانكارها ، هو بالضرورة ، انكار للعقل الذى يدرك النواميس ، وانكار للذى خلق النواميس ، ومعارضة للقرآن الذى استدل ، فى آيات كثيرة ، بهذه النواميس على وجود الله وقدرته . وهذه الانكارات تؤلف بذاتها تناقضا عقليا صارخا بين الايمان والعقل .

وليس صحيحا قولك (ان العلم الذى حث على طلبه الاسلام هو فى جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء) . بل الحث عام يشمل علم الدين ، الذى هو اعظم العلوم وأنفعها للمجتمع ، ويشمل علم الطب ، وكل علم ينفع الناس والمجتمع . وليس ادل على ذلك من الآية ٢٨ من سورة فاطر ، التى يخلع بها القرآن وصف (الخشية الكاملة) على علماء الطبيعة ، ويكاد يحصرها فيهم حين يقول (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه أم هم علماء الطبيعة العالمين بأسرار النواميس فى الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الارض الذين يهديهم علمهم الى معرفة الله وخشيته .

٤ ــ القرآن ليس بموسوعة :

ولكن القرآن ليس بموسوعة للعلوم والفنون . وما فيه من الاشارات لبعض النوامس الطبيعية انما هو للتدليل على وجود النظام المحكم ، ثم الاستدلال الفعلى بهذا النظام على وجود الله وأما قول القرآن (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فليس معناه أنه موسوعة لعلوم الاولين والاخرين ، كما يقول بعض البلهاء . بل معناه انه لم يترك أصلا من الاصول ولا مبدأ من المبادىء التى يرتكز عليها الحق والخير الا ذكره وبينه .

٥ ــ نهج القرآن فى الخطاب :

ان اعجاز القرآن اللغوى لا يقوم على بلاغته المعروفة عند بلغاء العرب فحسب ، وانما يقوم أيضا على قدرة عجيبة فى التعبير عن الحق بشأن النواميس الطبيعية والاجتماعية ، التى لم تكن معروفة للعرب أو معروفة للبشر ، ببيان يفهمه البدوى الساذج على قدره ، ويفهم اسراره المدهشة العالم أو الفيلسوف على قدره . لأنه ما كان لله العليم الحكيم ان يخاطب الناس بأمور تفصيلية لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتسع لادراكها معارفهم .

فاذا قال لهم سبحانه (والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه) سورة الحج الآية ٦٥ ــ أو قال لهم (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) الاسراء ١٢ ــ او قال لهم (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) الزمر ٥ ــ أو قال لهم (وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) النمل ٦٠ ــ أو قال لهم (افرايتم النار التى تورون . أانتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) الواقعة ٧١ ــ أو قال لهم (الم نجعل له عينين) البلد ٨ ــ أو قال غير ذلك من مئات الآيات الدالة على قدرته ، المشيرة الى النواميس التى وضعها فى مخلوقاته ، فانه يقول لهم

البقية على صفحة ٦١

قم يامحمد جدد الاسلاما　　　فالغدر في بلد العروبة قاما

زحف اليهود بجبنهم وبغدرهم　　　وتبادروا يتقاسمون الشاما

وهناك في القدس الشريف تطاولوا　　　وتألهوا واستعبدوا الأقواما

علمتنا الدين الحنيف كرامة　　　فالله يمقت فيه الاستسلاما

يامعشر الاسلام ذلك دينكم　　　جعل الحياة مع الخضوع حراما

هذى دياركم فموتوا دونها　　　لاتتركوها للعدو مقاما

داعي الجهاد دعا الغداة جموعكم　　　فتهيأوا واستنفروا النواما

وتخيروا للموت كل وسيلة　　　ضل الذى حسب الجهاد كلاما

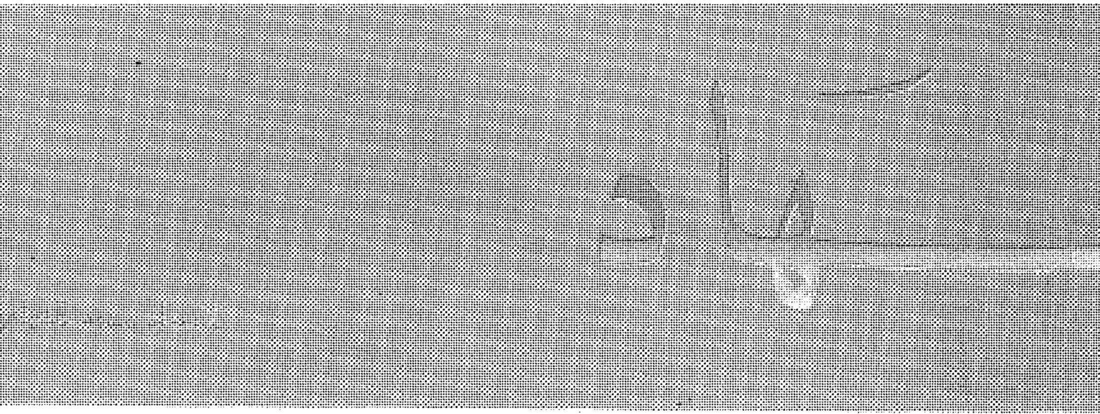
يافارس الأوهام حسبك جانيا　　　أن تحصد الأضغاث والأوهاما

ان الذى طلب المكارم نائما　　　وجد المكارم كلها أحلاما

يانائما ان الجهاد فريضة　　　فوق الفرائض كلها تتسامى

أنعيش بين مضيع ومضيع　　　وأخى العمى فينا ومن يتعامى

وحقائق الاسلام تسطع فوقنا　　　وتشد في علياتها الأفهاما



ان لم يقم للحـــق شعب مؤمن … جعل الشهادة في الجهـــاد مراما

أكلوه وهو على المذلـــة نائم … ورمـوه في عرض الطريق حطامـا

صنعوا لنـا الوهـم الـكبير خرافة … وتصايحوا واستجلبوا الأصنامـــا

لوقام ذو الايمان مزق سترهـــم … ورأي الدمى رفعت لها أعلامـــا

—

ورأى البوارج خدعـــة مكشوفة … نصبت لتوحي الخـوف والايهاما

ورأي المدافع لعبـــة يلهـو بها … ورأي العساكر كلهـم أرقامـــا

ورأي حمـــاه اذ تصـايح فوقه … يغدو عليـه الغـاب والضرغامـا

—

مس الغريب وكيف يجـرؤ فوقه … أن يستبيح له الغـداة ذمامـــا

والأرض فيـه لو تصايح أهلهـا … صارت رجوما للعدا وقتامـــا

والمـــاء فيه لو يقوم حمـــاته … صـار الصديد على العدا والجـاما

—

لله في اليوم الشـــديد عساكر … قد لاتري وتؤيد الاسلامــــا

أنسيتم ؟ والفيـل في أصحـابه … يرمون بيتا في الحجاز حرامــا

كيف ارعوي والطـير في أعقـابه … يرمى من الحجر الأصم سهامـا ؟

شيخ البيان العربي

للدكتور عبد الرحمن عثمـــان
كلية اللغة العربية ـــ جامعة الازهر

الامة العربية اليوم فى مستهل نهضة فتية ، فقد وضعت قدميها الثابتتين على الطريق الذى هداها اليه وعيها الجديد ويقظتها الكاملة ، ودفعها نحوه ما ذاقت من محن وخطوب بعد أن تنكبت عن الجادة فى ليل الاســـتبداد التركى والاستعمار الاوروبى ، واطار هذه النهضة المباركة هو الحياة العربية كلها ، وما يجد فيها من أحداث ، ونظم اجتماعية ، ومناهج اقتصادية فنحن فى عصر تقوم نهضاته على أسس علمية وفنية دقيقة يحسب فيها لكل شىء حساب ، ولا مكان للمصادفة ولا الاحلام فى دور الانشاء والبناء ، بل هو اعداد واع ، وعزم لا يتردد ، فالنهضات فى عصرنا تعنى أشد العنــاية بالمواءمة بين الفكر الحديث والبنـــاء الحضارى ، اذ لا بقاء للتقدم فى جيلنا الحاضر الا بسند من الفكر ، وحيـــاطة ذكية من النضجين العقلى والعاطفى .

والاهتمام بالنتاج الفكرى والفنى أولى درجات التقدم الاجتماعى ، لأنه يدل على حياة متطورة تتجه بالوعى الشعبى الى آفاق فسيحة من العيش الــكريم والمجد المأمول .

●●●

وما دمنا على أول الطريق فى بناء نهضتنا العربيـــة فاننا فى حاجة الى الاتجاه بأفكارنا ومشاعرنا نحو الينابيع الثقافية الثرة ، بحيث يصير ـــ منهـــا واليها ـــ غدونا ورواحنا ذلك لأن الثقـــافة تراث انسانى أسهمت فيـــه الامم والشعوب منذ أن درج الانسان على وجه الارض حتى عصرنا هذا ، فالثقافة على هذا الفهم بناء متكامل أو « كل » تداخلت أجزاؤه ، فقد اشتركت فيه عقـــول وعقول ، وأسهمت فى اقامته شعوب وأمم عبر التاريخ الطويل ، حتى كأن الثقافة حلقة مفرغة ، لا يدرى أحد من أين تبدأ ، ولا أين تنتهى .

واقبالنا على الثقافة العالمية وحده فى مرحلة نهوضنا لا يحقق الغـرض المنشود من تثبيت حياتنا الفكرية والحضارية ، فمما استقر فى العقول وتحقق بالتجارب الحسية ان الاجسام لا تستفيد بالغذاء الا بعد ان تهضمه المعدة ، ثم يتحول اثر ذلك عصارة مفيدة تمد الاعضاء بالحركة ، وتعينها على تأدية وظائفها ، والامر لا يختلف بالنظر الى الاغذية الفكرية والشعورية ، بل ربما كانت الحاجة الى هضم المعارف قبل حشدها فى الفكر وتكديسها فى الشعور اشد وامس . اذ لا بد من براعة فائقة ، وحذر شديد فى انتخاب الاغذية الثقافية المناسبة ، مع التأكد من مجانسة الوافد الجديد ، وما هو مركوز فى النفس المستقبلة من عادات وتقاليد وعقائد ، حتى يتم الامتزاج بينه وبين كل عنصر من العناصر التى تكونت منها هاتيك النفس ، وحينئذ تستطيع الامة الناهضة أن تضع طابعها « المحلى » على ما اختارته من ازاهير الثقافات المختلفة ، وبهذا تشعر أنها قدمت شيئا الى الفكر الانسانى ، بل تحس أنها اضافت جديدا الى الثقافة العالمية .

وبهذا الجهد الذكى استطاعت الامة العربية — فى العصر العباسى — أن تضع وسمها على ما لقفته من ثقافة الفرس والفراعنة والاغريق ، وعلى هذا النسق سار الرواد العرب أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من أمثال الامام محمد عبده والبارودي وحسين المرصفى وعلى مبارك ، فقد استطاعوا أن يعطفوا الشعور العربى الذى قبس من فن اوروبا الى الاضواء المتألقة فى تراثنا القديم ، تلك الاضواء التى ظلت محجوبة قرابة خمسمائة عام خلف ضباب العجمة التركية المتكاثف ، وبفضل هذه الرجعة الى القديم اعاد الشاعر الموهوب محمود سامى البارودى باشا ، الى الشعر العربى شبابه ، وتخلص الفن النثرى على يد الامام محمد عبده من قيود التكلف والاسفاف .

●●●

واذا كنا في جيل أصيب — منذ أكثر من ربع قرن — بطائفة من طـلاب الثقافة كفرت بماضيها الذى كان لها شرفا وعزة ، واستهانت بحاضرها الذى عاشت فيه قلقة مضطربة ، ويئست من مستقبلها الذى من شأنه أن يصوغ شباب الامة على مثاله .. فاننا قد نلتمس لها المعاذير بما شهدت من تخـاذل في المجال السياسى والاجتماعى افقدها ثقتها فى نفسها ، وزين لها الانسلاخ عن الماضى ، والاستخفاف بالحاضر ، والعبوس للمستقبل ، بل ربما جرها إلى أن تتنكر لكل ما هو عربى ، ظنا منها انها ستجد العوض والبديل فى رحاب الحضارة الغربية ، وعلى هدى ثقافة أوروبا ..!! ولهذا أوغلت فى تمجيد الافـكار المستوردة حتى لو كانت تهدف الى جحد عالم الشعور جحدا يقوم على منطق الايمان بالمادة وحدها دون اى اعتبار آخر !

ولهذه الطائفة القلقة صولات وجولات ، تدور كلها حول هذا المذهب الفج ، وكنا نرى لهم من خلال ما كتبوا فقدان الثقة بأمتهم وبأنفسهم ، لأنهم جهلوا كل

شيء عن ماضي الامة العربية وخصائص النفس العربية ، واكتفوا بأن وضعوا أيديهم على أبصارهم ، فما عادت ترى مطالع الفجر العربى ، الذى بدأ يرسل أضواءه على أمة أخذت تستيقظ ، لتستحدث نهضة تفسح لها مكانا فى العالم المجد الى بلوغ أسمى غايات التقدم والرقى .

وظنى أن التماس المعاذير لأمثال هؤلاء السذج سوف لا يكلفنا الكثير ، فان معالم الطريق العربى الجديد ستجذبهم اليها ، بلافتات من الضوء ، الذى يخطف أبصار الشاردين عن سواء السبيل ، وينير بصائر المهتدين الى الصراط المستقيم .

فالعرب اليوم فى أول المرحلة ينشدون غايات لا تحدها غاية ، ومن عادة العربى فى أسفاره : اختيار الرفيق قبل الطريق ، فالرفيق مؤنس فى الوحشة ، وربما كان ايناسه بمثابة الحداء الذى يحيل وعثاء السفر الى رياضة تقبل عليها النفس أيما اقبال .

●●●

وسأختار للشباب العربى المنفلت الى غاياته حداة وسمارا نعرف لهم سحر البيان ، وعذوبة المنطق ، وصواب الرأى ، وكمال الملكة ، فاذا ما لقنت أسماعهم شهى أحاديثهم التى لا تخلق جدتها جيلا اثر جيل ، اهتدى الى وجوده ، واستيقن أنه يمضى فى طريق عربى لا ميل فيه ولا عوج .

والصوت الوافد من البصرة للشباب الناشيء هو صوت أبى عثمان الجاحظ ذى الصوت الحلو على أنه أجش ، وصاحب العقل الذى يحسن كل نوع من انواع المعرفة الانسانية . ان أبا عثمان يستطيع أن يصرفك بفكره عن نفسك . ويملك أن يحلق بك فى شتى الاجواء ، ويملك كذلك أن يدفع عنك همومك بظرفه وهزله ، فكأن مفاتيح النفس الانسانية قد اجتمعت اليه كلها ، فما يكاد يغلق منها بابا حتى يفتح من أبوابها ما يريد ..!!

ويعتبر الجاحظ بحق شيخ البيان العربى غير مدافع ، اذ هو فى الكتابة الفنية صاحب طريقة خلصت له ، وامام مذهب استحدثه فيها ، وجرى على سننه الكتاب من بعده ، وهو فى الكتابة العلمية ذو نهج فريد مبتكر ، سار عليه فى جميع مصنفاته الكثيرة الممتعة ، حتى صار الاسلوب طريقة الكتاب النابهين فى عصره وفى غير عصره ، وأصبح نهجه العلمى سمة ظاهرة على كثير من أمهات الكتب التى ظهرت فى أواخر العصر العباسى .

ولا يستطيع احد أن يزعم أن الاحاطة بفن الجاحظ ميسورة فى صفحات أو بضع مقالات ، وان كان له أن يزعم فى تردد غير قليل ، أنه يستطيع القاء أضواء على بعض جوانب من عبقريته النادرة ، عسى أن تكشف عن بعض منها ، فشيخ البيان عالم فسيح الجنبات ، أو هو نسيج وحده ، وأمة فى الادب والعلم على السواء .

وتلك كلمات على ايجازها تضم لمحات خاطفة مما يتصل بهذا العالم العربى الامام :

— ١ —

من المؤسف حقا أن تجيء الروايات متضاربة فى نسب الجاحظ على نحو ما جاءت فى نسب أبى تمام الطائى الذى كان يعاصره ، فهو عند محبيه والمعجبين به عربى صميم ، وهو مولى لدى حساده ومبغضيه .. ومهما يك من امر هذا الاختلاف الذى أظنه متصورا فى نسبه ، فان العرب يذكرون لأبى عثمان مواقفه الرائعة فى الدفاع عنهم ضد الشعوبية وأحقادها ، كما يحمدون له بعثه التراث الادبى على النحو الذى تفخر به اللغة العربية ، وتعتز به فى تاريخها الطويل ، ويستوى فى هذا الجهد الكبير عندنا ، أن ينتسب الى قبيلة كنانة ، أو يكون مولى من مواليها ، ويكفيه فخرا أنه : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، وحسبه انه البحر الهادر والجدول المتدفق ، والعقل العميق ، والمزاج الرقيق ، وانما لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، ويلقب — لهذا — بالحدقى أيضا .

ولا يقدح فى نبوغ صاحبنا انه نشأ فقيرا يبيع الخبز والسمك فى سوق « سيحان » بالبصرة ، فقد استطاع بأدبه وعلمه أن يظفر بالتقدير والحب فى قصور الخلفاء ، وأن ينال المال على وجه كريم من كف : الخليفة ، والامير ، والوزير ، في عصور : المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .
ومن الخير أن نقرأ ذلك للجاحظ نفسه حين يفخر به فى كتابه : « البيان والتبيين » .

يقول ابو عثمان : « ... ولما قرأ المامون كتبى فى الامامة فوجدها على ما امر به ، وصرت اليه — وقد كان امر اليزيدى بالنظر فيها ليخبره عنها — قال لى : قد كان بعض من نرضى عقله ونصدق خبره يريد (اليزيدى) خبرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة ، وكثرة الفائدة ، فقلنا : قد تربى الصفة على العيان ، فلما رايتها ، رايت العيان قد اربى على الصفة ، وهذا كتاب لا يحتاج الى حضور صاحبه ، ولا يفتقر الى المحتجبين عنه ، قد جمع استقصاء المعانى واستيفاء جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والمخرج السهل ، فهو : سوقى ملوكى ، وعامى خاصى » .

وحينما سال الجاحظ سائل : هل لك صنيعة بالبصرة ؟ اجابه : اهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك الزيات فاعطاني خمسة آلاف دينار ، وكتاب البيان والتبيين الى ابن أبى داود فاعطاني خمسة آلاف دينـار ، وكتاب الزرع والنخل الي ابراهيم بن العباس الصولى فاعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعى صنيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وسوف نجدد صحبتنا بالجاحظ فى المقال القادم .

التربية القرآنية (١)

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

الأستاذ على عبد العظيم
كلية المعلمين العليا ــ الجامعة الليبية

مقــــــدمة :

فى أواخر القرن السادس الميلادى انحدرت الانسانية الى هوة سحيقة لم تعرف لها من قبل مثيلا ، فقد انقسم العالم المعروف فى ذلك الوقت الى دول متناحرة متدابرة والى حكام مستبدين طاغين يسوقون شعوبهم الى الحروب الطاحنة استجابة لشهوة القهر وتلبية لامتداد الحكم وسعة السلطان ، وكانت الامم مغلوبة على أمرها تساق كقطعان الاغنام الى المجازر الرهيبة لا دفاعا عن حق ، ولا نصرة لوطن ، ولا تثبيتا لعقيدة ، وانما ارضاء لشهوة حاكم مأفون ، واستجابة لأهواء حاشية منحلة ، واشباعا لجشع تجار الحروب وتلبية لغرور القادة المتجبرين وكانت كل أمة تنقسم الى طوائف عديدة يتحكم بعضها فى بعض وتستعلى طائفة منها على الآخرين .

وكانت الدولة الرومانية حاملة لواء الحضارة فى هذا الزمان أسوا مثال للأخلاق المنحلة والضمائر العفنة التى طمسها الفساد والتشويه ، فقد أحرق أحد أباطرتها روما عاصمة الدولة ليتلهى بمنظرها وهى طعمة للنيران وكان ــ وهو يشاهد هذا المنظر الرهيب ــ يوقع على قيثارته شتى الالحان ابتهاجا منه بمنظر الاجسام المحترقة والبيوت المنهارة والخراب الشامل والفزع الذى يعتصر قلوب الرومان ، وبلغ من استهانة امبراطور آخر بالكرامة الانسانية أن هم باصدار مرسوم امبراطورى بتعيين حصانه عضوا بمجلس الشيوخ وهو أعلى هيئة تشريعية فى هذه الامبراطورية العظيمة ، وكان الاباطرة والحكام يجدون اكبر تسلية لهم فى قذف العبيد أو المسجونين الى الاسود الضارية والفهود الشرسة ، ويجدون أعظم اللذة فى الاستمتاع بهذا المنظر الرهيب .

ولم تكن الامبراطورية الفارسية أحسن حالا من امبراطورية الرومان فالطبيعة الانسانية اذا انحرفت وصلت فى انحرافاتها الى مدى لا تتصوره

العقول ، والمجال لا يتسع لضرب الامثلة على مدى ما وصلت اليهـا الفطرة الانسانية في هذا المجتمع من فساد وانحلال وحسبنا ان نذكر أن احد حكام الفرس اصدر أمرا ملكيا باستباحة الاموال والاعراض بحيث تصبح أعراض الرعية وأموالها مباحة لمن يشاء بعد أن ينال منها نصيبه الموفور استجابة لدعوة «مزدك» الذي ادعى لنفسه النبوة وزعم أن هذه هي تعاليم السماء .

واذا كانت هذه الفوضى البهيمية هي مقومات أكبر دولتين متحضرتين في القرن السادس للميلاد فما بالك ببقية الدول والشعوب الغارقة في ظلمات الجهالة والضلال ؟

أما الديانات السماوية التي تهدي الى الحق وتدعو الى الرشاد فقد حرفها دعاتها من التوحيد الى الشرك ومن الحق الى الضلال ومن الاستقامة الى الانحراف . فاليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ». وزعموا أنهم « أبناء الله وأحباؤه » دون البشر أجمعين ، وجعلوا هذه العقائد السماوية مصدرا للربح وموردا للاستغلال وأداة للاستعلاء وحرفوا وبدلوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » ، « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى . تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » أما النار فقد زعموا أن الله أعدها لغيرهم من جميع الشعوب أما هم فانها لن تنالهم الا مسا خفيفا لأيام معدودة « وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون » .

ولقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة فيها هدى ونور ولكن اليهود في حياته بعدما رأوا من الآيات البينات أعرضوا عن دعوته واستجابوا لشيطان الغواية حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم وقالوا « يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون » وذهب لمناجاة ربه فاتخذوا من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » وعكفوا على عبادته ، واستمروا مع موسى في صراع رهيب ، حتى انتقل الى جوار ربه ، ففتكوا بمن أرسله الله اليهم من الانبياء ، وأصبحت طبائعهم ممسوخة كطبائع القردة والخنازير فكتموا ما أنزل الله ، واخترعوا طقوسا وثنية زعموها من عند الله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وبهذا شوهوا تعاليم التوراة ، واستحقوا أن يطبع الله على قلوبهم ، وأن يمسخ عقولهم ، وأن يضرب عليهم الذلة والهوان والخزي في الدنيا « ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » وما الله بغافل عن هؤلاء المنحرفين ، « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف .. وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » (١) .

أما ثاني الديانتين المعروفتين في ذلك الزمان فهي المسيحية ، وهي في

---

(١) سورة النساء الآيات ١٥٥ ــ ١٦١ .

اساسها دعوة الى التوحيد ، والى الاخلاق الكريمة ، سواء كانت متعلقة بالافراد او الجماعات ، ولكن اتباعها حرفوها ، ومسخوا كثيرا من تعاليمها السامية ، فحولوها من التوحيد ، الى الشرك العجيب حيث زعموا أن المسيح عليه السلام ابن الله مقلدين في هذا الزعم اليهود « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » ونادى فريق من المسيحيين بالتثليث حيث زعموا أن الآلهة ثلاثة : الاب والابن والروح القدس وبعد جهود عنيفة وأبحاث عديدة حاول فيها زعماء المسيحية تقريب هذه الدعوى الى العقول انتهوا الى القرار التالي « نعبد واحدا في ثلاثة ، وثلاثة في واحد ، من غير جمع بين الاقانيم ، ولا تفرقة بينها ، لا نقول ثلاثة ازليون ، ولكن أزلي واحد ، ولا نقول ثلاثة قادرون ، بل قادر واحد ، على أن الاب في حد ذاته اله ، والابن في حد ذاته اله ، وروح القدس في حد ذاته اله ـ ولكن لا نقول لنا آلهة ثلاثة ، بل اله واحد ، لأن الكنيسة تمنع من القول بأنهم ثلاثة ، وفي هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيما بينهم وازليون » !! (1)

وحسبنا أن نعقب على هذا التناقض العجيب بقول فولتير الفيلسوف الساخر الشهير « اني لا ايأس من انه سيكون للانسان من الفهم بقدر ما يميز أن الواحد ليس ثلاثة ، وأن الثلاثة ليست واحدا » .

ومن العجيب أن الكتاب المقدس ليس فيه نص على عقيدة البنوة وليس فيه نص على عقيدة التثليث وما اشار السيد المسيح عليه السلام انه ابن الله وكان المسيحيون في أول أمرهم يؤمنون بالوحدانية ويعتقدون ان المسيح عليه السلام بشر وأنه رسول من عند الله وأنه مجرد من العنصر الالهي وزعيم هذا المذهب هو آديوس العالم اللاهوتي الشهير ، وكانت كنيسة الاسكندرية تتبنى هذه العقيدة وظلت هذه العقيدة حتى تم عقد مؤتمر نيقيا سنة ٣٢٥ ميلادية وكان قساوسة هذا المؤتمر يدينون بعقيدة التوحيد ، ولكن القيصر قسطنطين تدخل في هذا الموضوع وفرض عقيدة « أن المسيح ابن الله » ، فسادت هذه الفكرة ، وسيطرت على المسيحيين الا قليلا ، ثم تطورت الى ان المسيح هو الله ، او ان الله ثالث ثلاثة .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا التحريف في كثير من آياته البينات قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار » وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » .

ولم يكتف رجال الكهنوت بهذا التحريف والانحراف بل زعموا لأنفسهم حق احتكار أبواب السماء فلا يلجها احد الا عن طريق وبوساطة ما يمنحونه من صكوك الغفران ، اما من يوقعون عليه الحرمان فقد أغلقوا في وجهه ملكوت السموات ، فالمغفرة لا تتم الا عن طريقهم والتوبة لا تقبل الا بعد الاعتراف لهم ، والثواب والعقاب في الآخرة مرهون بمشيئتهم ، وتفسير الكتاب المقدس وقف عليهم ، والمثل الاعلى عندهم هو الرهبانية وهي نظام انتحاري يجعل أصحابه يعيشون أمواتا وهم على قيد الحياة .

---

(1) كتاب تاريخ الديانات العامة للعلامة بيار رهم طبعة باريس ص ١٩٠ .

هذه حال اليهودية والمسيحية فى هذا الزمان ، وأسوأ منهمـا البقـايا المطموسـة لمـا سبقهما من ديانات سـماوية لم يبق من أضوائها الا ومضات خاطفة كاد يمحوها الظلام .

اما التفكير الفلسفى وهو أسمى ما استطاع الفكر البشرى أن يصل اليه فقد حام فترة من الزمان حول الحقيقة المطلقة ولم يستطع جناحاه أن يحلقا به طويلا فى هذه الآفاق ، فالعقل البشرى — مهما تطلع وتشوف ونقب وبحث — محدود محصور المجال .

واعظم المدارس الفلسفية على الاطلاق هى المدرسة الاثينية ، وزعماؤها العباقرة هم سقراط وافلاطون وارسطو » سنة ٤٦٩ — سنة ٣٢٢ قبل الميلاد وقد اهتدى سقراط بتفكيره الفلسفى الى وجود الاله وآمن بخلود الروح وسلامتها من الفساد مع الجسد بعد الموت ، ولكنه تكلم تارة عن الاله وتارة عن الالهة ، وان كان ينزهها جميعها عن آلهة الاساطير الاغريقية ، ولا يرى للانسان عبادة مقبولة عن طريق الضحايا والقرابين وانما عن طريق خلوص النية وصفاء الضمير ، وهو — فى أسمى ما وصل اليه تفكيره الفلسفى — تلتبس عنده فكرة الشرك بعقيدة التوحيد .

وقد تابع أفلاطون استاذه سقراط فردد فى كتبه اسم الاله كثيرا ونعته بأسمى أنواع العظمة والجلال ولكن تفكيره الفلسفى خلط بين وثنية الاغريق وعقيدة التوحيد ، فالوجود عنده طبقتان متقابلتان طبقة العقل المطلق وطبقة الهيولى ، وبينهما كائنات تسمو بمقدار ما تتصل بالعقل المطلق وتهبط بمقـدار ما تتصل بالهيولى ، وهذه الكائنات بعضها أرباب وبعضها انصاف آلهة ، وبعضها من البشر ، والعقل المطلق عنده كمال لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يصدر عنه الا الخير ، أما الكون فمصدره الكائنات المتوسطة لأنه حافل بالشرور .

اما الاله عند أرسطو فهو سرمدى أزلى كامل منزه عن النقص وهو عـلة العالم ، ولكنه يقرر أن العالم أزلى قديم لأنه صادر عن الاله القديم صدور العلة عن المعلول وقادته هذه الفكرة الى ان الله لا يعلم الموجودات لأنها أقل من أن يعلمها ، ولا يريد العالم لانه لا يحتاج اليه ، وقاده هذا التفكير الى نفى الارادة والتدبير عن الله ، وقد دحض القرآن الكريم فيما بعد — هذا التفكير ، قـال تعالى « الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » وقال جل شأنه « يدبر الامر يفصل الآيات » وهو سبحانه « يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه » الآية — وقد انتكس التفكير الفلسفى بعد هذه الفلسفة ، وبخاصة فى عهـد الابيقوريين الذين استغرقتهم مبادىء اللذات .

ومن جميع ما ذكرناه يتضح أن البشرية انحدرت فى القرن السادس الميلادى الى مهوى سحيق كادت تفقد فيه كرامتها الانسانية وفضائلها الروحية وتلتصق بالغرائز البهيمية وتصبح بين الانعام كالانعام او اضل سبيلا .

ان الحضارات القديمة أفلست كل الافلاس ، والديانات السماوية لحقها التحريف والتشويه وأصبحت وسيلة لشروعية طغيان الحكام والرهبان ، والافكار الفلسفية التى انحدرت من مجالها المعنوى الى مجال تبرير الشهوات والاقبال على اللذات .

فلم يبق أمام العالم كله من وسيلة للانقاذ الا قبس من السماء ينقذه من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ومن البهيمية الى الروحية ، على ان يكون هذا القبس محفوفا بما يعصمه من التحريف والتبديل .

وهذه هى رسالة الاسلام .

« البحث بقيـة »

بين أسلوب القرآن

الفرق بين الاسلوب التشريعي للقرآن الكريم .. وبين منطق القانون في فرض سلطانه على المجتمع .. هو الفرق بين روحانية الدين ، وجحود المادة .. أو بين مرونة المغزى ، وحرفية النص .. أو بين أعماق العواطف الانسانية ، وسطحية الظواهر الكونية .. وهذا ما تمليه طبائع الاشياء ، وتقرره حقائق الواقع الملموس .

فاذا كان التشريع الوضعي تعبيرا عن رغبات وافكار واضعيه ، وعاكسا ملامح الزمان والمكان الذي يعيش فيه ، وحاملا بصمات الثقافة والسياسة التي يسير في زمامها ، وطوع ارادتها .. فان القرآن الكريم في معالجته للشريعة قد استهدف سعادة الانسان أصيلة أبدية .. فهو معه في سره وعلانيته ، ودنياه وآخرته ، وفكره وارادته .. وهو يصوغ من مبادئه الخالدة دستورا للنظام والعمل ، مكيفا بحيوية متجددة ، ومزودا بطبيعة متطورة .. تكفل له النمو والاتساع في ظل الحق والعدل ومكارم الاخلاق كلما تعاقبت الازمان .

واذا كان القانون الوضعي قد اقتصر في نشاطه على علاج المفاسد داخل اطار المجتمع .. فان القرآن الكريم قد أضاف الى تشريعه بيانا مفصلا عن جوانب الخير والشر على السواء ، وعالج المفاسد بقدر ما أرشد الى المصالح .. فأمر بكل حسن وجميل ، ونهى عن كل شر وخبيث ، مراعيا حسن الافعال وقبحها مما يفيض به منطق العقل السليم والطبع المستقيم .. مع ما استأثر الله بعلمه .. مما يعز على البشر الترقي اليه ، ولذا امتدت رسالته الاصلاحية الى زوايا الفرد ، وجوانب المجتمع ، فنظم علاقة الانسان بنفسه ، ومع خالقه ، ومع أخيه الانسان .

واذا كان القانون الوضعي في عرف الفقهاء القانونيين يعني كل نظام معين يتحدد به التصرف بعد أن يقترن به جزاء مباشر .. تقوم بتوقيعه السلطة الحاكمة .. أو من يمثلها .. في صورة عقوبة أو جزاء مدني ، ويسعى الى تحقيق السلام في ظل القوة التي يمثلها الجزاء المقترن بالقاعدة القانونية ..

.. فان القرآن الكريم يعتمد في بلوغ هدفه التشريعي على قوة الدفع التلقائي في نفسية المؤمن ، ويصوغ من البواعث الذاتية للمرء .. أداته لتحقيق

الأستاذ . محمد محمد الشرقاوي
[illegible]

ولغة القانون

اهدافه .. ويخاطب الضمير والوجدان والعقل .. قبل ان يرفع فوق الجسد سياط العقوبة فى الدنيا ، وشواظا من نار يوم القيامة .

ولذا كان نطاق الحساب فى القانون الوضعى لا يتعدى الاعمال الخارجة المتصلة بالغير .. اما نطاق المسئولية القرآنية فينتظم خوالج النفس المصممة ، وظواهر الحس الواقعة .. سواء منها ما كان مقصودا بذاته ، أو كان وسيلة الى ذلك المقصود .

وفى ضوء ما تقدم نجد تباينا واضحا بين أسلوب القرآن فى توجيه أوامره ونواهيه .. وبين لغة القانون فى سوق موادها المنظمة للمجتمع .

فالقرآن الكريم قد تلونت أساليبه فى التشريع وتعددت أضواؤها البلاغية ، حتى صارت مثاليتها فى الذوق الادبى ، والجمال التعبيرى .. سر اعجاز القرآن ومناط التحدى به .. بما تشتمل عليه من ضروب القول ، وروائع المعنى ، وعمق الحكمة ، وسمو الغاية .. فلم يلتزم القرآن صيغة واحدة أو متقاربة فى التعبير عن مطالبه كما هو شأن واضعى القانون .. كما لم يتقيد بتكرار الفاظ ذات مفهوم اصطلاحى عند المشتغلين بالفقه والقضاء .. وذلك حتى لا يورث النفس مللا أو سآمة ، ويصرفها عن التأسى والقدوة والاعتبار .

.. والمتأمل فى تعبيرات القرآن المشوقة يراها متجددة متعددة ، باعثة على القبول وحب الامتثال .. تعمل على تذليل القصى ، وابانة الحق .. ومن هنا اكتست الاساليب القرآنية اثوابا قشيبة من التبشير والتذكير ، والوعد والوعيد ، والامتاع عن طريق الاقناع ، وقد أدت المواعظ دورها فى اسلاس قياد النفس الجموح .. وترويض الطبع الناشز .. حتى تأخذ الارادة طريقها فى رفق وهوادة الى شاطىء السلام والاستقامة ، وتعزف عيوفة قالية عن طريق الانحراف والغواية .. فى ظلال أطياف ترف من جنات يبشر بها الطائعون ، وأشباح مخاوف تطل من أفق الغيب على العصاة والمذنبين .

كل ذلك بأسلوب أخاذ أعجز أئمة البلاغة ، وتحداهم أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فحين صاغ القرآن تشريعه فى جانب الاوامر .. سلك فى التعبير عنه مسالك متنوعة ، وطرائق مختلفة . فمرة يستعمل صريح الامر فى تقرير وجوب العمل كما فى قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها) (وأمر أهلك بالصلاة) (قل أمر ربى بالقسط) .

.. ومرة اخرى .. يدعو الى فعل الصالحات عن طريق الاخبار بالفرضية او الكتابة . (كتب عليكم القصاص فى القتلى) (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم) .

.. واحيانا يسوق التكليف فى صورة عامة شاملة لكل مخاطب فتتناول الفرد ضمن المجموع . (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .. واحيانا اخرى .. يوجهه الى صنف اختص بوصف مثل (وعلى الوارث مثل ذلك) بعد قوله تعالى فى شأن نفقة المرضعات . (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) .

وطورا يعبر بنفس الصيغة التى وضعها اللغويون للطلب على سبيل اللزوم وذلك كفعل الامر ، والمضارع المقرون باللام . (واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة) (اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير) (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق) .

وطورا آخر يضفى على الفعل نعت الخير .. او البر .. او التوصيل الى البر . (ويسألونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير) (ولكن البر من اتقى) .. (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .. وفى بعض العبارات يستخدم اسلوب الشرط ، ويرتب الواجب على فعل الشرط . (فان احصرتم فما استيسر من الهدى) .. (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) ومعنى آية الاحصار نقلا عن الكشاف . « ان منعتم من المضى الى البيت الحرام وأنتم محرمون بحج او عمرة .. فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة أو شاة » ومعنى آية الانظار . « وان وجد غريم من غرمائكم ذو اعسار .. فالامر انظاره وامهاله الى يسار » .

وفى بعض العبارات الاخرى يذكر الفعل المطلوب عقيب ذكر المكلفين او المكلفات . (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) .

قال صاحب الكشاف فى تفسيره هذه الآية « هو خبر بمعنى الامر ، واصل الكلام وليتربص المطلقات بأنفسهن ثلاثة قروء اى حيض ، واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر ، واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله ، فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه بعد وجوده » .

فتلك نماذج من صياغة القرآن التشريعية فى قطاع أوامره ومطالبه ..

وعلى قدر ما فيها من تنوع فى الاسلوب ، وتجدد فى الاداء .. جاءت نواهيه تحمل سمات متعددة الملامح .. متنوعة المذهب .. فمنها ما استعمل فيه النهى الصريح او التحريم البواح . (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) .. (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) .. (حرمت عليكم أمهاتكم ..) .. (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) .

ومنها ما عبر عنه بصيغة الفعل المضارع المسبوقة بلا الناهية .. (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) .. (ولا تقربوا الزنا ..) .

وفى بعضها يؤتى بمادة الامر الدالة على الترك والخطر . (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) .. (ودع اذاهم) .

.. وقد ينفى الحل عن بعض الامور فيكون هذا النفى تعبيرا عن النهى عنها .. (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) . وهو نهى عن عادة جاهلية كانت تورث بها المرأة كما يورث المتاع وهى كارهة فكان الرجل اذا مات له قريب ألقى ثوبه على امراته ، وقال : أنا أحق بها من كل أحد ، ومن هذا الاسلوب (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) .

وقد يعبر بلا النافية عن تحريم الافعال . (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

وقد يرفع البر عن الفعل ، أو يلصق به وصف الشر .. فيكون فى ذلك دلالة على حظره (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) .. (لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم .. بل هو شر لهم) .

وفى بعض الاساليب يقترن العمل باستحقاق الاثم أو العذاب فينتسب العمل الى الحرمة (فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) .. (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) .

ولم يقتصر الاسلوب القرآنى بألوانه البلاغية المتعددة ، وأضوائه البيانية المشرقة .. على صوغ الاوامر والنواهى فى رسالته التشريعية .. بل ان توجيهاته الاختيارية بالنسبة لحرية العمل ايجابا او سلبا قد حملت ذلك الطابع المعجز ، وسرت فيها روح السلاسة والعذوبة .. والناظر فى تضاعيف التشريع القرآنى من تلك الزاوية .. يجد أن كلمة الحل .. قد استعملت بصراحة لتجويز بعض الاعمال .. فمن ذلك (أحلت لكم بهيمة الانعام) .. (واليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم) .. كما يجد لونا آخر للتعبير عن الاباحة .. وذلك فى رفع الجناح أو الحرج كما فى قوله تعالى . (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) .. اى اذا تخلفوا عن الجيش المحارب ، وقعدوا عن الغزو .. لمكان العذر منهم ، ومثل قوله تعالى . (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن) .. والآية الكريمة .. تأذن للنساء اللاتى بلغن من العمر حدا متقدما أن يتخففن من ملابسهن الظاهرة اذا احتجن لذلك لا بقصد الزينة

وابداء ما خفي منهن .. ومع هذا فلو آثرن التستر بالملابس والاحتشـــام في الازياء لكان خيرا لهن .. فقد عقب ذكر الجائز بالمستحب تمييزا لافضل الاحوال واحسنها (كما ذكر الزمخشرى) .

ولقد ادى تنوع الاساليب القرآنية في مجال التشريع على هـــذا النحو البلاغي الرائع .. الى انعام النظر من المجتهدين في خصائص الاسلوب لاستنباط احكام فقهية متفاوتة .. فان كانت الصيغة تحمل طابع الحتمية .. نشـأ عنها ما سماه الفقهاء فرضا .. او واجبا .. او ركنا ، وان رجحت جانب العمل على جانب الترك سموه سنة .. او مندوبا .. او مستحبا ، واذا اتجهت اتجـــاها عكسيا بالنسبة الى التحتم اطلقوا عليه .. الحرام .. وان اشعرت بتفضيـــل الترك على الفعل تولد عنها المكروه ، وان لم يستنبطوا منها امرا بفعل ولا نهيا عن ترك استخلصوا منها المباح .. او الجائز .. وهكذا تمخضت الاســـاليب القرآنية عن بلورة معينة في الاحكام .. فصارت خمسا . الفرض والســـنة والحرام والمكروه والمباح .. وما كان لتلك البلورة ان تســـتكمل عناصرها الخمسة .. لو لم تتجدد تلك الانماط البلاغية في عبارات القرآن على هـــذه الانحاء التي تحمل في تضاعيفها ايحاءات تشريعية ، تحـدد مطالب الشرع في دقة واحكام ، وترسل اضواءها على اهدافه في كل اتجاه .

واذا يممنا وجهنا قبالة تعبير القانون .. وجدناه ينحو بمواده المســـلسلة نحوا متميزا بطابع فقهي عام لا يســـتهدف الا الوضـــوح من اخصر طريق .. ويتوخى الحد الادنى من الفصاحة .. ولا اقول البلاغة .. في تحديد الفاظه ، وتســـاوق معانيه .. فهو لا يلقي بالا لتحريك الهمم ، ولا يحفـل بشـحذ العزائم ، او تحريك الدوافع الشخصية في كيان الانســـان ، وانما يجعل همه الاول والاخير في صياغته .. شحن المواد المرقومة بالفكرة القـــانونية .. في صورة يبدو فيها جمود اللفظ ، وحرفية النص ، ومن امثلة ذلك ما جاء في كتاب مرشد الحيران في المعاملات الشرعية على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه .. خاصا بحكم مرور الزمان على الحقوق .

مادة ٢٥٦ – دعوى الدين ايا كان سببه لا تسمع على منكر الدين بعـد تركها من غير عذر شرعي خمس عشرة سنة .. فان تركها المدعي بعذر بان كان غائبا مسافة القصر .. او كان صبيا او مجنونا وليس له ولي .. او وصي ، فانها تسمع .. ما لم تمض هذه المدة بعد حضور الغائب من سفره ، او بلوغ القاصر رشيدا ، او افاقة المجنون من جنونه .

مادة ٢٥٧ – الاستحقاق في الوقف من قبيل الملك المطلق فلا تسمع دعوى المستحق باســـتحقاقه على ناظر الوقف اذا تركها من غير عذر خمس عشرة سنة .

مادة ٢٥٨ – يعتبر ابتداء المدة المقررة لعدم سماع دعوى الدين المؤجل من تاريخ حلول الاجل لا من تاريخ عقد الدين ، ويعتبر مبدأ المدة المذكورة في دعوى المهر المؤجل من وقت الطلاق ، او من تاريخ موت احد الزوجين .

مادة ٢٥٩ – كما لا تسمع دعوى الدين ممن ترك المطالبة به من غير عذر خمس عشرة سنة فكذلك لا تسمع من ورثته بعد موته .

مادة ٢٦٠ – انما تعتبر المطالبة في مجلس القضـــاء لا في غيره ، فان طالب الدائن غريمه في مجلس القضاء ، ولم تفصـل الدعوى حتى مضت المدة

فانها تسمع بعدها ، وان طالبه فى غير مجلس القضاء مرارا فلا تعتبر مطالبته ، ولا تسمع دعواه بعد مضى المدة المذكورة .

مادة ٢٦١ — اذا ترك بعض الورثة الدعوى بدين مورثهم من غير عذر خمس عشرة سنة وكان لباقى الورثة عذر بأن كان قاصرا .. فبلغ رشيدا تسمع دعواه على الدين بقدر حصته التى تخصه من الدين .
وهذه نماذج من القواعد المتعلقة بالنظام العام فى القانون المدنى المعاصر .

المادة ١٣١ — يجوز أن يكون محل الالتزام شيئا مستقبلا .. غير أن التعامل فى تركة انسان على قيد الحياة باطل ، ولو كان برضاه .. الا فى الاحوال التى نص عليها القانون .

المادة ١٣٢ — اذا كان محل الالتزام مستحيلا فى ذاته كان العقد باطلا .
المادة ٤٢٧ — لا يجوز الطعن بالغبن فى بيع تم كنص القانون بطريق المزاد العلنى .
المادة ٧٨٤ — لا يجوز للوارث قبل ان تسلم اليه شهادة التوريث المنصوص عليها فى المادة ٩٠١ أن يتصرف فى مال التركة .. كما لا يجوز له أن يستولى على ما للتركة من ديون .. أو ان يجعل دينا عليه قصاصا بدين التركة .

المادة ٩١٦ — كل عمل قانونى يصدر من شخص فى مرض الموت ويكون مقصودا به التبرع يعتبر تصرفا مضافا الى ما بعد الموت وتسرى عليه أحكام الوصايا .. ايا كانت التسمية التى تعطى لهذا التصرف .

المادة ١٠٣١ — لا ينعقد الرهن الا اذا كان بورقة رسمية .
المادة ١٠٣٤ — يقع باطلا رهن المال المستقبل .

وبعد ..
فقد ظهر من المقارنة السابقة بين أسلوبى القرآن ولغة القانون فى مجال التشريع أن كلا منهما ينحو فى تخطيطه التنظيمى نحــوا متميزا بطابع خاص فالقرآن الكريم يعتمد فى طريقته الالهية .. على توليد البعث الذاتى فى نفسية الجماهير ، عن طريق التدبر .. والتعقل .. وادارة الفكر فيما خلق الله من شىء ، وتوجيه النظر المنصف الى اختيار الحق والخير فى المعركة الازلية الابدية بين الفضيلة والرذيلة وعن هذا السبيل وحده .. تبرز الافكار الى حيز الوجود ، وتوضع المعانى السامية موضع التنفيذ .. ثم ياتى تطبيق الحاكم عملا مكملا ومؤكدا .. اما القانون .. فانه لا يأبه لتحريك العواطف .. أو تنبيه الافكار .. أو اثارة عوامل الانفعال النفسى بقصد التاثير فيها ايجابا او سلبا .. وانما كل همه .. أن يفرض نظامه فرضا على الهيئة الخاضعة له .. بلغة روتينية لا تكاد تبلغ درجة الفصاحة .. ولذا يبدو فى نظر الجماهير وكأنه قدر دخيل عليها .. أو مفروض فوقها .. ولولا قوة الجزاء .. وسلطة التنفيذ لما واتته امكانية التطبيق ..

وهذا على العكس من الاعجاز البيانى .. والسحر البلاغى الذى يتميز به القرآن الكريم .. والذى يستهوى التالى والسامع الى معاودة تلاوته .. المرة تلو المرة بحيث يستشعر حلاوة مجددة .. مع كل تلاوة مرددة .. يستسيغها الصغار والكبار والشيب والشباب ، والمراة والعامة .. ويجد فيه كل منهم غايته المرتجاه ، وطلبته المنشودة .. وصدق الله تعالى حين قال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

ورقات من تاريخ النكبة

يوم الاثنين الواقع في ٧ جمادى الثانية من سنة ١٣٨٧ هـ (١١ ايلول ١٩٦٧ م) زرت الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام برفقة أخي فؤاد الولي استاذ التاريخ بكلية التربية والتعليم في المدينة المذكورة ، فتلقانا الشيخ بما فطر عليه من ادب اسلامي عريق ، مقبلا علينا مستندا الى عصاه ، يستعين بها على مساعدة كاهله لحمل السنوات التسعين التي ادركها عمره المديد ان شاء الله .

كانت هذه الزيارة بقصد الافادة من معلومات الشيخ علي شيخ العرب عن المدارس الدينية الاثرية في طرابلس الشام ، ذلك بانه كان الى امد قريب مسئولا عن هذه المدارس في دائرة الاوقاف الاسلامية في المدينة المذكورة . لذا فانه ، من غير شك ، وبالاضافة الى ثقافته الشخصية ، يعرف الشيء الكثير عن هذه المدارس ، تاريخها وبانيها وواقفها والذين تناوبوا على نظارتها والتدريس فيها .

بيد ان الشيخ بارك الله له في صحته وعمره ، بادرنا بالحديث عن ذكرياته التي علقت بذهنه الوقاد خلال خدماته السابقة في الوظائف الدينية ، والسياسية ، والعسكرية ، سواء في العهد العثماني ايام عبد الحميد الثاني ، او اثناء حكم الاتحاد والترقي ،ايام محمد رشاد الخامس ، او في العهد الفرنسي وما تلاه بعد

للشيخ طه الولى : بيروت

ذلك ، بعد زوال الانتداب عن سورية ولبنان ، على اثر الحرب العالمية الثانية .

وشيخنا الفاضل الشيخ على شيخ العرب ولد سنة ١٨٧٩ م وتدرج فى أول عمره بالوظائف الحكومية فى مختلف أجهزة الدولة العثمانية ما بين دينية وعسكرية وسياسية وادارية ، مما اتاح له التنقل عبر البلدان التى كان يظلها تاج بني عثمان فى حينه ، كما هيأ له هذا التنقل الاطلاع على الوان مختلفة من الشعوب ، بعاداتها وتقاليدها واعرافها .

ورافق حفظه الله ، تطور الحضارة من ظلمات القرون الماضية الى المركبات الفضائية فى العصر الحاضر . فركب الجمل والحصان والبغل والحمار ، كما ركب القطار والسيارة والطيارة ، وتنقل بين البحار فوق البواخر التجارية ، والعمائر الحربية والغواصات ، وانه اليوم يركن الي جهاز التليفزيون حيث تنقله الشاشة الى آخر تطورات الابداع البشرى لتتركه يربط ما بينها وبين أخيلة الماضي ، التى تزدحم فى خاطره ، بعد أن أصبحت هذه الاخيلة ملكا للتاريخ . قال :

— لقد كنت مفتش اسطول فى العهد الحميدى ، ثم مفتش اسطول قبيل الانقلاب (١٩٠٨ م) ثم مديرا للاستخبارات العربية مع دولة القائد أحمد جمال باشا ، ثم رئيس المجلس الادارى بالأوقاف الاسلامية بطرابلس . ثم ها أنذا بين يدى التسعين من عمرى تجدنى معتكفا فى بيتى ، ألملم من ذاكرتى ما أدونه من الحوادث والاحداث التى مرت بى فى مختلف مراحل حياتى ، لتكون تحت تصرف الناس ، علهم يجدون فيها عبرة أو تذكرة مما ينفع أولى الالباب .

ثم أطرق الشيخ شيخ العرب صامتا لا يتكلم ، وكأنى به قد عاد بفكره الى نصف قرن مضى وزده بضع عشرة سنة ، ثم رفع هامته واردف يقول لي :

كأني بك تريدني على التحدث فيما انتهت اليه الحال بالاسلام والمسلمين ، بعد الذى أصابهم من الذل والهوان بفلسطين . وعن مقدمات ما صرنا اليه من نتائج ؟

قلت : أجل يا فضيلة الشيخ ، فان أبناء جيلنا الذين كتب عليهم أن يعيشوا هذه الحياة ، قد غشيت أفكارهم معلومات كاذبة ، شحنها الغرب بالأضاليل ، تمهيدا لما أوقعنا به من أحابيل ، لاسيما فيما يتصل بموقف السلطان عبد الحميد الثانى ، الذى كان آخر الحصون التى دافع بها الاسلام عن وجوده العالمى ، وبعد انهياره تحت مؤامرات الغرب وربيبته الصهيونية اضطرب هذا الوجود ، وأخذ العرش الذى رفع سادنوه راية محمد صلى الله عليه وسلم ٦٠٠ سنة أخذ يترنح تحت الجالسين عليه ، ابتداء من السلطان محمد رشاد ، حتى سقط مقضيا عليه

هو والسلطان محمد وحيد الدين ، ثم زال نهائيا مع آخر سلاطين بنى عثمان والسلطان عبد المجيد خان سنة ١٩٢٣ ميلادية حين الغى مصطفى كمال باشا السلطنة ، ثم الخلافة ، ليتمكن من ابعاد شرور أوروبا عن البلاد التركية يوم ذاك .

عرض يهودى

ثم قال الشيخ شيخ العرب :

ــ كان ذلك سنة ١٩٠٢ ميلادية ، ونحن في اسطمبول عاصمة الخلافة الاسلامية ، وفي قلب قصر يلدز قصر السلطان خليفة المسلمين بالذات .

العبد الفقير ، والى جانبي الشيخ محمود الجيزاوى امام جامع العرب فى دار السعادة ، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثانى . ولما كانت مثل هذه المقابلة تخضع لاصول التشريفات المتبعة فى القصر السلطانى ، فقد استقبلهم بادىء ذى بدء تحسين باشا رئيس كتاب السلطان ، مستوضحا منهم غرضهم من هذه المقابلة ، وكان هؤلاء الثلاثة اليهود هم :

١ ــ مزراحى افندى ــ مدير احد البنوك .

٢ ــ جاك ــ لم اعد اذكر باقى اسمه .

٣ ــ ليون ــ لم اعد اذكر باقى اسمه .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الاشخاص اصروا على الانفراد بمولانا السلطان ، الا ان تحسين باشا اقنعهم باستحالة مثل هذا التصرف ، وان باستطاعتهم البوح بما يريدون اليه شخصيا ، وهو ينقله بالحرف الواحد الى صاحب الجلالة الخليفة فلم يجد اليهود الثلاثة بدا من قبول الامر الواقع ، والنزول عند رغبة تحسين باشا الذى استمع اليهم يقولون :

ان اليهود مستعدون أن يقوموا :

اولا ــ بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

ثانيا : بناء اسطول لحماية الامبراطورية العثمانية .

ثالثا : تقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لانعاش مالية الدولة ، وانماء مواردها وذلك مقابل :

اولا : اباحة دخول اليهود الى فلسطين فى اى يوم من أيام السنة للزيارة .

ثانيا : السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها ابناء جلدتهم الى قرب القدس الشريف اثناء وجودهم فى فلسطين للزيارة .

جواب الخليفة

ونقل رئيس الكتاب تحسين باشا الى سيد القصر ما سمعه من اليهود الثلاثة ، وما لبث أن سمع من الجالس على عرش الخلافة الجواب التالى :

ــ تحسين . قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

اولا : ان ديون الدولة ليست عارا عليها لأن غيرها من الدول مثل فرنسا هي الاخرى مدينة ، وذلك لا يضيرها .

ثانيا : ان بيت المقدس الشريف قد افتتحه للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولست مستعدا لأن أتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود ، وخيانة الامانة التى كلفنى المسلمون بحمايتها .

ثالثا : ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

واخيرا مرهم فليخرج هؤلاء من عندى ، ولا يحاولوا بعدها مقابلتى او الدخول الى هذا المكان ابدا .. »

وتابع الشيخ شيخ العرب كلامه معى ، وقد اخذته الحمية الدينية

وتملكته رغبة عميقة لتصحيح الوقائع التى اريد بها تشويه سمعة السلطان عبد الحميد الثانى ، تابع كلامه قائلا : ثم اني علمت بأن السلطان عبد الحميد ارسل على التوالي ناظر الداخلية فى عهده : ممدوح باشا بأن يطلب بالشيفرة الى رءوف باشا متصرف القدس ليقوم هذا بالتحري عن اليهود فى فلسطين ، ولاسيما القدس الشريف ولا يبقي فى الارض المقدسة ايا من الطائفة اليهودية غير الذين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة والا يسمح لهم بالمكوث فيها الا بمقدار هذه الزيارة ، ثم تابع شيخ العرب حديثه المتهدج برنة مثقلة الجرس بآلام الذكريات .

(وفى سنة ١٩٠٨ نجح اليهود باخراج جمعية الاتحاد والترقى الى ملعب أهوائهم السياسية ، وقد كانت هذه الجمعية القناع الخارجي الذى تقنعت به جماعة الدونما (المتظاهرين بالاسلام من يهود اسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاما لهم ، بعد فرارهم من محاكم التفتيش التى نصبها ملوك تلك البلاد لمخالفيهم فى العقيدة الدينية سواء من المسلمين او من اليهود) .

ونزل السلطان عبد الحميد الثانى عند طالبى (الحريات الدستورية) واعلن ما سمى بـ (المشروطية) .

بيد ان غاية اليهود لم تكن المشروطية بما فيها من نص على الحريات العامة ، وانما كانت غايتهم ازاحة عبد الحميد من طريقهم للوصول الى فلسطين ، بعد ان تبين لهم ان هذا السلطان سيبقى وجوده حائلا دون تحقيق اغراضهم العدوانية على الارض المقدسة ، ولهذا فانهم تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين ، واوعزوا اليهم بالخروج فى الشوارع والمناداة (بتطبيق الشريعة المحمدية) وهو ما سمى يومئذ بحركة (الارتجاع) قاصدين من وراء ذلك احراج السلطان ، ودفع الاتحاديين الى الثورة عليه ، والتخلص نهائيا منه ، تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه .

مؤامرة خلع السلطان

وقد آتت هذه الحركة (الارتجاعية) اكلها الشهية بالنسبة لليهود مع الاسف ،وتم لاعداء الاسلام ما ارادوا فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو يلدز بخيله ورجله ، طالبا ازاحة العرش من تحت سيده الذى رفض النزول عند مغريات اليهود ، لتحقيق مطامعهم في اولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وفى ٧ مارس آذار ١٩٠٩ تقدم الى رحاب القصر المنيف (يلدز) ثلاثة من اعيان البلاد العثمانية وهم :

١ ــ عارف حكمت (ياور وفريق بالبحرية) .

٢ ــ مزراحي افندى فراصوه (اياه) عضو اعيان .

٣ ــ ارستيدى باشا (رومى) وزير النافعة سابقا .

ثلاثة اعيان ، مسلم ماجور ، ويهودى حقود ، ورومى موتور .

دخل هؤلاء على السلطان الذى استقبلهم بما عرف عنه من هيبة ورجولة وكبرياء . وكانت وقفتهم بين يدي مولاهم على ابشع ما يكون من قلة الادب وجفاف ماء الوجه ، غير انهم امام عظمة عبد الحميد وقوة شخصيته لم يسعهم الا التظاهر باللياقة والاحتشام .

عارف حكمت ، اخذ لمولاه التحية الرسمية بكل ادب واحترام . عندما تذكر هذا الضابط المسلم فى ساعة من ساعات يقظة الضمير انه فى حضرة ولي امر المسلمين الذين هو احد ضباطهم .

واما اليهودى ، القذر ، فقد مد يده بكل وقاحة الى جلالة السلطان الاعظم وفيها وثيقة الخلع من الولاية الشرعية . بينما بقى ارستيدى

الرومي ساكنا في وجوم ، كأنه من غير أبناء هذه الدنيا .

رد السلطان عليهم

وهنا قطع السلطان الوقور حبل الصمت المهيب بلهجة الحاكم الواثق من نفسه موجها كلامه الى الذين وقفوا باهتين بين يديه :

— هل انتم من الاعيان ؟
فاجابوا : نعم ..
تابع السلطان كلامه التقريعي اليهم :

— ومن عينكم في الاعيان ؟
فسكتوا جميعا ولم يحيروا جوابا ..

عندها التفت السلطان كالجريح من قشاعم النسور (أي المسن منها) ووجه كلامه الى عارف حكمت قائلا :

انت ؟ الم تترب في هذا القصر يتيما (فقد كانت أم عارف المذكور احدى الخادمات بالقصر السلطاني) ثم ادخلتك المدرسة البحرية العسكرية ، ثم ارسلتك الى اوربا ، حتى تخرجت برتبة اركان حرب ؟

وتابع السلطان كلامه الى عارف بسخرية جديرة بان تقتل من يتلقاها ، لو كان عنده مثقال ذرة من كرامة .. فمهمتك التي جئت بها لا باس بها !

والتفت جلالته الى ارستيدي الرومي (النصراني) قائلا : (من جعلك مستشارا للمالية سابقا ، ثم وزيرا للنافعة ثم عضوا في الاعيان ؟) قال ذلك بلهجة كلها توبيخ وتبكيت ، وقال اخيرا لليهودي مزارحي كلاما نكره فيه يوم جاءه من سنوات ست بطلب السماح لليهود باحتلال فلسطين ، مقابل ثمن يدفعونه لامير المؤمنين .

وكان السلطان اراد افهام اليهودي الوقح بان هذه الوقفة التاريخية التي تحمل خلع امير المؤمنين في لحظاتها الحاسمة ، انما هي صدى لتلك الوقفة التاريخية السابقة ، التي انكفأ فيها اليهود على اعقابهم مذمومين مدحورين امام صلابة السلطان في الدفاع عن حرم الله وبيته المقدس في فلسطين !

ولكم كانت كلمات السلطان المظلوم قوية وبليغة وهو يتلقى خلع ولايته من امرة المؤمنين على يد اثنين : احدهما نصراني يوناني ، والآخر يهودي صهيوني ، ومعهما ذلك المسلم الذي كان الى جانبهما كالطرطور في مؤخرة بردعة الحمار .

وكان ختام حديث السلطان الجريح قوله للذين اقتحموا عليه حرمته :

(ان مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانية ، وخليفة المسلمين قرار الخلع عمل سيندم عليه من ارسلكم به ..) .

ودون أن يمد يده الى اليهودي ، ليأخذ منه ورقة التبليغ ، التفت الى ياوره (علي جودت) (الذي ظهر فيما بعد أنه من الاتحاديين) وأمره بأن يأخذ الورقة من اليهودي ، وأن يستلمها منه ، ثم يسلمها بعد ذلك لابنته عائشة سلطان (التي ما تزال تحتفظ باوراق « عبد الحميد » وهي ما تزال على قيد الحياة ، وتقيم في تركيا بعد أن تركت سويسرا حيث كانت من قبل . ولعائشة المذكورة كتاب على جانب عظيم من الاهمية عنوانه : (بايام عبد الحميد) (أي : ابي عبد الحميد) .

هذه المحاولة التي قام بها اليهود لدى الباب العالي ، في دار السعادة في اسطمبول ، لم تكن يوما سرا محجوبا عن المتتبعين للنشاط الصهيوني المسعور ، سواء في اوربا

او فى آسيا . فلقد أشارت اليه اقلام الكتاب ، وبعض الجرائد والمجلات مما كان يصدر فى اواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحالى .

ومن ذلك ما نشرته مجلة المشرق ، اذ قالت هذه المجلة الكاثوليكية الكبرى فى الصفحة ١٠٩٤ من المجلد الثانى الصادر سنة ١٨٩٩ ما يلى :

« لما كان اللورد غوش الاسرائيلي سفيرا بالأستانة عرض على الحكومة السنية ان يجعل تلك النواحى (جلعاد ومؤاب فى عبر الاردن) التى مساحتها نحو ستماية الف هكتار مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالى ، يسوسونها كما يشاءون ، بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغا عظيما من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات .

غير ان الدولة السنية لم تلب دعاء غوش واغنياء اليهود ، فذهبت آمالهم ادراج الرياح ، وكانت غايتهم ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة بالاراضى المقدسة كما كانت قبل المسيح) .

ويظهر ان محاولة غوش التى اشارت اليها « المشرق » ، وهى سابقة على محاولة اليهود الثلاثة ، الذين اشار اليهم الشيخ شيخ العرب فى مذكراته ، يظهر ان هذه المحاولة نبهت المسلمين ودار الخلافة العثمانية الى ما وراءها من الاخطار الجسام ، فبادرت جرائد الاستانة العلية الى توجيه انظار الحكومة والاهالى الى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود ، وعدم تمكين هؤلاء اللصوص من التسلل الى فلسطين ، والقدس الشريف بالذات ، فنشرت جريدة المعلومات ونقلت عنها جريدة ثمرات الفنون ، فى الصفحة ٣ من عدد صفر رقم ١٢٣٤٠/١٣١٧ و ١٢ حزيران ١٨٩٩ ما يلى تحت عنوان :

(اليهود فى سورية وفلسطين) .

لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس ، لأن تلك الاقطار كانت مهدا لاعتلاء مجدهم فى الازمنة الغابرة .. وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية الى لحد مجد اسلافهم ، فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة الى انحاء القدس ، وتوطن فريق منهم فى تلك الجهات ، وصار لهم قسم كبير من الاراضى ، وما زال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الاراضى ، وهذا مما يضر بصوالح الدولة والامة معا ، اذ تصبح القدس فى يوم من الايام وهى بيد اليهود فقط (لقد اصبحت القدس فعلا بيد اليهود فقط بعد ثمانية وستين عاما من كلام الجريدة مع الاسف الشديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فينشا من هذا مسائل جمة . ولا تخفى اهمية القدس الدينية لانها ثالث الحرمين الشريفين . وتتابع الجريدة كلامها قائلة :

(لقد سمعنا ان الدولة شعرت بالخطر ، فاصدرت امرا الى متصرف القدس ، حظرت فيه بيع الاراضى الاميرية الى اولئك المهاجرين ، كما نصحت الاهالى بان يحافظوا على اراضيهم والا يبيعوها لليهود ..) .

وانى لاخال هذه الكلمة كانها اول صيحة بانذار المسلمين مما انتهوا اليه اخيرا ، وهى صيحة تلتها الوف اكثر منها تحذيرا وتذكيرا وانذارا ، ولكن المسلمين تصاموا عن الاصغاء اليها ، واغمضوا عيونهم عن النظر الى عواقبها ، فاصبحوا اليوم ينظرون الى قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك ، وهما فى اسر اليهود ، وايديهم قاصرة عن الثار لكرامة الامة والدين .

(البحث بقية)

الفضائح

الكامنة بين دفتي التوراة

للأستاذ : عابد توفيق الهاشمي
المدرس بكلية التربية - بغداد

مقدمة البحث ..

لليهود — أشد الناس عداوة لنا — صفات ثابتة لا تتغير فى كل زمان ومكان . القرآن الكريم بين أيدينا يحدثنا عنهم الكثير ، ويثبت لهم صفات واحدة ، وذلك التاريخ قديمه وحديثه يجسد تلك الصفات واقعا واضحا للعيان ، وهذه الاحداث الاخيرة المفجعة وضحت الصورة وشفت عن نفسية اليهودى كما حدث عنه القرآن الكريم والتاريخ .

لقد حيرنى التماثل القائم بين اليهود المشتتين فى الآفاق — تماثلا فى الاخلاق والنفوس والصفات — لا يختلف يهودى المشرق عن يهودى المغرب ، ولا يهودى القرون الخالية عن يهودى القرن العشرين ، فقمت أبحث عن السر فى هذا التماثل العجيب فى نفسية اليهود ، فانطلق بى الخيال يهيم فى أجوائه ، ثم استقل بى العقل يبحث فى مجالاته فاستوقفنى اسم اسرائيل — نبيهم الاكبر يعقوب — الذى تتسمى به دولتهم الباطلة وذكرت لغتهم الحالية — العبرية — لغة كتابهم التى طمست معالمها منذ آلاف السنين فأحيوها وذكرت القدس — مكان الاسراء والمعراج — وتغيير اليهود اليوم اسمها كما فى كتابهم (أورشليم) ، وذكرت تمسك كل يهودى بيهوديته حينما كنت أسأل بعضهم فى أمريكا وأوربا — فى دراستى وجولاتى — كنت أسأله عن جنسيته ، فيجيبنى على الفور بأنه يهودى ، لا أمريكى ، ولا إنكليزى ، ولا ألمانى .

حدت بى هذه الالتفاتات الى الوقوف أمام عامل مهم جدا قد يكون هو الجواب الذى يكشف السر عن تماثل نفوس اليهود فى كل زمان ومكان . ذلك هو العامل الدينى المتمثل بتوراتهم ، لأن العقيدة — أية عقيدة كانت — من أقوى دوافع السلوك الانسانى — كما هو المقرر فى علم النفس .

ومما لا شك فيه أن هنالك عوامل أخرى الى جانب هذا العامل الرئيسى ولكنه لا شأن لى بها فى موضوعى هذا .

فاندفعت ابحث فى التوراة بلهفة لأرى الجواب . بدأت بقراءتها من سفر التكوين ، وهو أول سفر فيها ، كلمة كلمة ، حتى انتهيت منها فى سفر ملاخى — الى كلمة (واضرب الارض بلعن) وهى الكلمة التى ختمت بها التوراة !!

لقد وجدت ضالتى فى الجواب ، وكشفت لى التوراة القناع لحل هذا اللغز الذى لم يهتد الى حله الكثيرون ، لقد اقتنعت قناعة تامة أن اليهود قد طبعوا بطابع كتابهم ، والى هذا يرجع العامل الاكبر فى تماثل اليهود فى جميع بقاع الارض .

اننى اذ أتصدر الكتابة فى موضوع كهذا ، لا اتجنى على التوراة — توراة اليهود — وانما انقل نصوصا منها نقل أمانة علمية ، أنقلها بحروفها وحركاتها وسكناتها ، مع تسمية السفر والاصحاح ورقمه ورقم آياته ، من غير اعتماد على تأويل ولا تعليل ، وانما هو النقل الحرفى .

كذلك فانى لا أجد حرجا فى نفسى أن ابحث فى توراتهم ، لأننى — مسلما — مؤمن بتحريفها (يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به) . وان ما سأعرضه من نصوصها ليجعل كل انسان حتى الابله فاغرا فاه ، منكرا نسبتها الى الله العزيز الحكيم .

تقع التوراة فى ١٣٥٨ صفحة ، وحجمها يقارب اربعة أضعاف حجم القرآن الكريم . وان من يقرؤها يجد ثلاثة أرباعها حروبا ومعارك دامية ، وسفك دماء ومجازر رهيبة من حرق وابادة وتمثيل وقتل بالفؤوس ونشر الخصوم بالمناشير وهتك للأعراض — يتعرض لذلك خصومهم الغرباء واليهود انفسهم في حروب الابادة مع بعضهم البعض . ولو احصى مجموع القتلى في توراتهم لبلغت الملايين ، قتل ابادة واستئصال . أما الربع الآخر من التوراة ، فنصفه مجون واستهتار وغزل وتحدث بالزنا والدعارة ووصف لجسد المرأة والرجل وقصص أقرب الى الخيال منه الى التصديق عن الزنا بالمحارم — ودور الانبياء ورجالهم المقربين الى الله فى ذلك . اما ثمن التوراة — وهو النصف الثانى من الربع — فيحدث عن الخليقة والتكوين وقصص مقبولة عن الانبياء والملوك ووصايا خلقية ، ولكنها موجزة ومتناثرة تتضاءل وتفقد قيمتها ازاء الاباحية وحروب الابادة ومواقف أنبيائهم المخجلة كذبا عليهم وكفر بنى اسرائيل وطرد الله اياهم من رحمته .

لقد وجدت فى التوراة نصوصا سطرتها فى مسودات وصنفتها للكتابة عنها فى حلقات ، ولكنك أخى القارىء — لا تطمع أن أقرأ عليك كل ما نقلت من نصوص ، لأن فمى وشفتاى تأبى على النطق بها — وان فيها ما لو نشر فى أية صحيفة لأغلقت فى يومها ،فكيف بى أعلنها من على منبر الصحافة ! ولكنه نكفيك الاشارة والتورية .

واننى سأتناول ، نظرة التوراة الى الله فالله تعالى عند اليهود غيره عند المسلمين فى القرآن . فهو فى التوراة نار آكلة ، ومنتقم ، وهو اله الجنود . واله بنى اسرائيل وليس ربا للعالمين ، كما أنه فى نفس الوقت محطم بنى

اسرائيل وبرىء منهم ، ومبيد من لا يطلبه ، وهو فأس وأدوات حرب ، لسحق الطفل والمرأة والشيخ . وهو الآمر بتحطيم الاطفال وشق بطون الحوامل ، كما أنه يأمر بالزواج بالزانيات .

وسنظهر لك طبيعة العلاقة بين اليهود وبين الله ، من تحد له وتجرؤ عليه وابتعادهم عنه وعبادتهم العجل دونه ، وغرقهم فى الشهوات وكذبهم على الله وغضبهم عليه . أما موقف الله تعالى منهم فيظهر فى توراتهم كذلك . فهم مع كونهم شعب الله المختار ، كما تزعم التوراة ، شعب غضب الله عليه ، وطوقه بالذلة والمسكنة بطوق من حديد ، واثبت عليه النقمة ، ونزع منه الرحمة ، وحكم الله عليهم بابادتهم وقطع نسلهم ، وتوعدهم بالقتل بالسيف والجوع والوباء ، حتى تأكلهم الطيور والوحوش ، ويأكل المحاصرون منهم لحوم أبنائهم وبناتهم من الجوع ، ويأكل كل واحد لحم ذراعه ، ويعلن الله الحرب عليهم . ولا سلام معهم ، ولا تعزية على فنائهم .

وسنكشف النقاب عن وصفها لأنبيائهم — كذبا عليهم — بصفات يترفع عنها ابن الشارع من كذب صريح على الله وعلى الناس ، ومن زنا بالمحارم ، وأمر الله لهم بالزواج بالزانيات واتصافهم بحيل الثعالب فى الحرب ، وقيادة حروب ابادة ، يشيب لهولها الولدان ، لا تبقى انسانا أو حيوانا او شجرا ، ومن مصارعة اسرائيل — وهو النبى يعقوب مع الله !!

وهذا كله يكشف عن نفسية اليهودى ويثبتها عليه كتابه التوراة ، من نفاق ، وكذب على الله ، ومكر وخديعة ، ومادية ونفعية ، وكونهم رمز الخصام والنزاع لكل الارض . وهم لعنة كل انسان كما تنص عليها توراتهم ، وانهم كتبت عليهم العبودية ، كما انهم قساة القلوب خالية نفوسهم من الرحمة ، كلهم حقد وضغينة ، يأخذون الرشوة ويسفكون الدماء ويكشفون العورات ويزنون بالمحارم بالبنت والاخت . كذلك فان كتابهم يقرر أن روح الزنا متأصلة فى باطنهم ، وأنهم فطروا على كره الصلاح والتمرد على الله ، وأن غريزتهم قد جبلت بالتنكر لله والكفر به . حتى قالت فيهم التوراة (نجست بنو اسرائيل اسم الله فى الارض) و (ليسوا شعب الله ولا هو لهم) ، وشبهتهم التوراة بأنهم (أرجاس كما أحبوا أن يكونوا) .

وكذلك مكانة المرأة عندهم . ونجاسة من يلمسها بعد الولادة ، وفى الطمث ، ونجاسة البنت الولود ، وزواج الرجل الالزامى بأخت زوجته ، بعد وفاة زوجته ، وقصص غريبة فى هذا الباب ، كما سنعرج على آداب انبيائهم مع آبائهم كذبا عليهم ، من مقاتلة ابن النبى أباه النبى ومطاردته والفتك بجنوده شر فتك ، والزنا بجوارى أبيه النبى على ملأ من الأشهاد !! كذا تفترى التوراة عليهم ! وانبياء الله كلهم مبرؤون عن الدنايا (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

هذه اشارات عابرة عما فى التوراة من مخاز وآثام ،تمهيدا للاستطراد بها وبجوانب الحياة الاخرى الخلقية والتعبدية والاسرية والنفسية والتربوية والعسكرية ، تعتمد فيها على كتابهم التوراة . ومن كتابك أيها اليهودى ندينك ونفضحك ، ونزيد فى فضيحتك الواقعية فضيحتك الدينية من خلال دينك الذى أقمت له دولة دينية باطلة آثمة على هذا الاساس الحاقد الفاجر ، ولأطلع العالم

على ما بين دفتى كتابك التوراة من خزى وعار ، تندى له جباه الانسانية — الا أنت .

وانى سوف لا أزيد عن نقل صادق لنصوص صريحة من التوراة ، بحروفها وكلماتها ، من غير اعتماد على تأويل أو تعليل ، ولا أحمل النص أكثر مما يتحمل ، ليكون الموضوع حياديا خاليا من العاطفة التى لا تفتأ تقحم ارادتها فى الموضوع ، ولكن الاسلوب الموضوعى العلمى سيغلبها ، ويتحكم فيها ويعرى اليهودية وكتابها بنصوصها الصريحة الواضحة .

خلق اليهود ..

واحب أن اشير — قبل الدخول فى الموضوع — الى ان كل ما سأورده من نصوص التوراة ، انما هى تمثل وجهة نظر أتباعها والمؤمنين بها وهم اليهود ومن يقدسها معهم . والا لحذفوها من كتابهم ، أو لارتدوا عن دينهم الى دين غيره ، واننى — مسلما — لا أومن بجميع ما سأتناول من نصوص التوراة ، وانما أعتقد بصحة ما يتفق منها مع القرآن الكريم ، لأن القرآن هو الميزان فى كل أمر ، ولكننى أردت بذكر نصوص التوراة هذه أن أقيم عليهم الحجة من كتابهم فى أمور تنزل بهم الى الحضيض من البشرية .

وان ما لا يتفق مع القرآن الكريم ، سأشير اليه فى مكانه ، واثبت رأى الاسلام فيه . من ذلك أتهامهم كثيرا من الانبياء والرسل بما لا يليق من الموبقات وقساوة القلب ، مما لا يصدقه المسلم ، فالمسلم يضع جميع الانبياء فى القمة من البشرية (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) .

مكانة الامة فى كتابها ..

وانه لمن البديهى أن يسمو كل كتاب بأمته ، وينزلها المكانة المرموقة بنظر غيرها من الامم ، ويضعها بموضع اعتزاز دائم وثقة وتقدير ، لتحرص هى على البقاء فى المنزلة التى أنزلها ربها وكتابها ، ولتستلهم منها العزيمة فى الشدة ، والقوة فى الضعف ، والامل فى اليأس ، ولتحث الاجيال القادمة على الحفاظ على منزلتها السامية ، والارتقاء اليها اذا انحدروا عنها ، ولكى تكون هذه الامة فى كتابها وسيلة ايضاح ومرآة تعكس صورة جذابة للغير ، تحملهم على الاقتداء بها والنزول على قواعد أحكامها وطيب أخلاقها .

ومن الغريب بمكان أننا نجد التوراة كتابا يضع اليهود — أتباعها — فى الدرك الاسفل من البشرية ، ويجمع فيهم أرذل الصفات ، ويذهب الى أبعد من ذلك فيجعل خلقهم طبعا وفطرة فى نفوسهم ، وصفة لاصقة بهم جميعا ، وبنسلهم أبد الدهر ، وليس مجرد خلق ردىء ورذيلة عابرة .

ولو أنك — أخى القارىء — عددت الرذائل التى اتفقت البشرية على تسميتها (منكرا) ، ووضعت لها قائمة مطولة بين يديك ، ثم انتظرت ما سأتلوه عليك من قائمة الرذائل التى وصفت التوراة بها اليهود ، لما شذت رذيلة واحدة من قائمتك عما أحصاها عليهم كتابهم ، بل ستذكرك التوراة بما لم يخطر ببالك من رذائلهم وبها تستكمل قائمة بشعة ، لا تليق بانسان الا اليهودى بشهادة كتابه عليه .

نظرة الله تعالى الى خلق اليهود ..

تعسا لأمة حقرها خالقها ، واثبت عليها اللعن والشتم . (فدنست رؤساء القدس ، ودفعت يعقوب الى اللعن واسرائيل الى الشتائم) (١) ، ورفض **انتسابها** اليه (.. لانكم لستم شعبى ، وأنا لا أكون لكم) (٢) وطردهم من رحمته (.. لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعا) (٣) **واحتقرهم ورذلهم وأذلهم ونسلهم الى الابد** (فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ، ودفعهم ليد ناهبين حتى طردهم من أمامه) (٤) ، الى أن ينتهى بقوله (حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه) (٥) .

كل ذلك لاتصافهم بأرذل الصفات ، ولتجرئهم على الله واساءتهم اليه . (لذلك فقل لبيت اسرائيل . هكذا قال السيد الرب . ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت اسرائيل ، بل لأجل اسمى القدوس الذى بخستموه فى الامم حيث جئتم) . فأقدس اسمى العظيم المنجس فى الامم الذى نجستموه فى وسطهم ، فتعلم الامم انى أنا الرب) (٦) .

يا للوقاحة ! (كيف ينجس اسم الله) !! لئن أقرت توراتهم هذا التعبير فان المسلم يأباه ويرفض أن يسمعه ، لأن الله تعالى لن تبلغه اساءة مخلوق ، مهما قذر وسف كاسفاف اليهودى فى توراته ! فالله عز وجل فى عليائه لن يناله الضر والاذى ، ففى الحديث القدسى فيما يرويه النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل (.. يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ..) رواه مسلم .

ففجور الانسان وسوء خلقه لن ينقص من ملك الله شيئا ، فكيف ينتقص من اسم الله تعالى أو ينجسه !! ولكنه أسلوب اليهود فى كتابهم كأسلوبهم فى حياتهم وكخلقهم فى تعاملهم — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

بعض اخلاق اليهود : اهمال الآخرة وحرصهم على الحياة الدنيا ..

لعل ابرز صفات اليهودى حبه للحياة ، وكراهيته الموت ، ولعل اليهود لا يعتقدون بوجود الجنة والنار ولا بيوم القيامة ، اذ لم تعط التوراة — على سعتها — باليوم الآخر الا اشارة عابرة ولعلها **هى الاشارة الوحيدة فى جميع التوراة اذ يقول** (لو عقلوا لفطنوا بهذه ، وتأملوا آخرتهم) (٧) .

---

(١) سفر (أشعياء) الاصحاح (٤٣) الفقرة (٢٨) .
(٢) سفر (هوشع) الاصحاح الاول الفقرة الثامنة .
(٣) سفر (هوشع) الاصحاح الاول الفقرة السادسة .
(٤) سفر (الملوك الثانى) الاصحاح ١٧ الفقرة ٢٠ .
(٥) سفر (الملوك الثانى) الاصحاح ١٧ الفقرة ٢٠ .
(٦) سفر حزقيال الاصحاح (٣٦) الفقرة (٢٢ — ٢٤) .
(٧) سفر التثنية الاصحاح (٣٢) الفقرة (٢٩) .

ولهذا يصف القرآن الكريم حرصهم على حياة — أى حياة كانت (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) (١) .

عبادة المال والكذب على الله ..

ولما كانت الحياة الدنيا غاية همهم ، فقد صاروا ماديين نفعيين ، يسلكون كل سبيل ملتو ، ويكذبون وينافقون للحصول على المال .
تتحدث عنهم التوراة فتقول ما نصه (لأنهم — أى اليهود — من صغيرهم الى كبيرهم مولع بالربح ، ومن النبى الى الكاهن ، كل واحد يعمل بالكذب) (٢)

النفاق والتضليل وعدم الرحمة ، والجشع ..

ومن وسائل عبادة المال وجعله غاية الحياة اتخاذ شعار (الغاية تبرر الواسطة) ، ووسيلة المال غاية للحياة عندهم . خداع وتمويه ، وعدم انفاق فى وجوه الخير ، فتقول التوراة (وصار مرشدو هذا الشعب — يعنى اليهود — مضلين ، ومرشدوه مبتلعين . لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ، ولا يرحم يتاماه وأرامله ، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر ! وكل فم متكلم بالحماقة (٣) ، حتى تنتهى الى قولها (بسخط رب الجنود تحرق الارض ، ويكون الشعب كمأكل للنار . لا يشفق الانسان على أخيه . يلتهم على اليمين فيجوع ، ويأكل على الشمال فلا يشبع يأكل كل واحد لحم ذراعه) (٤) .

ولما كانت الحياة الدنيا غايتهم فلا عجب أن يكونوا كذلك . حرص قاتل ، وطمع وجشع ، لا رحمة ولا خير فيهم ، هم مصدر الشر والحماقة ، الكذب والنفاق وسيلتهم لادراك المال ، والالتواء والغموض سبيلهم فى هذه الحياة . استمع معى الى تسفيه التوراة لهم وتحقيرها اياهم (.. جيل أعوج ملتو . الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم) (٥) ؟ !!

مما مضى ، يتبين بعض ما اثبتته التوراة على أتباعها اليهود من صفات تشمئز منها الانسانية ، وتعافها الا اليهود ، فانهم لم يرتضوها صفة مجردة مكتوبة فى كتابهم ، بل تمثلوها واقعا لاصقا بهم منذ أن ظهرت اليهودية على مسرح الحياة حتى يومنا هذا . وبذا استحقوا الطرد من رحمة الله ، وأنكر الله كونهم شعبه وانتسابهم اليه ، تقول التوراة (على أمة منافقة أرسله ، وعلى شعب سخطى أوصيه ، ليغتنم غنيمة ، وينهب نهبا ، ويجعلهم مدوسين كطين الازقة) .

« وللحديث صلة »

---

(١) سورة البقرة — الآية ٩٦ .
(٢) سفر (أرميا) الاصحاح السادس/الفقرة (١٣) .
(٣) سفر (اشعياء) الفصل التاسع/الفقرة (١٦ ، ١٧) .
(٤) سفر (اشعياء) الفصل التاسع/الفقرة (١٩ ، ٢٠) .
(٥) سفر (التثنية) الاصحاح ٣٢/الفقرة الخامسة .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

احذروا رد الفعل :

ظاهرة بارزة فى هذه الايام ، تجدها فى بعض الكتب الحديثة والمقالات ، التى تكشف للقارىء عن الاعيب اليهودية قديما ، والصهيونية حديثا فى الاحداث والانقلابات التاريخية — حتى ليخيل للقارىء أن هؤلاء وراء كل حدث ، وكل جمعية ، وكل انقلاب ..

ومع أن هذا قد يكون صحيحا كله أو بعضه من الناحية التاريخية ، الا أننى اشعر بان التركيز الآن على هذه الناحية وتصوير هؤلاء بهذه الصورة ، واعطاءهم هذا الوضع ، أو الكشف عنه ، قد يؤدى فى النهاية الى صورة أو حالة ليست من صالح القارىء المسلم ، ولا الامة العربية فى حربها مع اسرائيل ، وليست فى الوقت نفسه مما يقصده هؤلاء الكتاب العرب . فهى تصور اليهود عمالقة ، وقادرين على صنع الاعاجيب ، فى أى عصر من العصور ، وهذا بالتالى قد يؤدى الى تكوين عقدة فى نفس العرب ، تضعف موقفهم تجاه أعدائهم ، وتعجزهم عن ملاقاتهم ، والانتصار عليهم ..

ولهذا أود لو أن الكتاب اقتصدوا قليلا من سيرهم فى هذا الاتجاه .. ويكفى اليهود أو الصهاينة سبة تاريخية ، ما دمغهم الله به فى كتابه الكريم ، من صفات الغدر واللؤم والخسة ، ثم ما نراه نحن المعاصرين من أفعالهم الدنيئة وتصرفاتهم المخزية ..

نعم . يكفى اثارة لحماس العرب ما فعله هؤلاء من الاستيلاء على أرضهم ، وطردهم من ديارهم ، ثم ما تبع ذلك من تصرفات حتى حاضرنا المؤلم .. هذا اذا كنا قوما نثار ، ونثار لكرامتنا وعزتنا ..

وهناك شىء آخر أود أن ألفت النظر اليه .. فقد لاحظت فى موجة السخط العارمة على الاسرائيليين ، أن هذه الموجة زادت وفاضت ، حتى لتكاد تمس أنبياء بنى اسرائيل ، الذين كرمهم القرآن الكريم ، وأمرنا بالايمان بهم « رسلا مبشرين ومنذرين » وعنواننا نحن المسلمين ما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » .

فلا يجوز — اذن — فى تيار هذه الموجة من السخط على بني اسرائيل ، ان يمتد لساننا بشيء يهز ايماننا برسلهم ، الذين علمنا قرآننا ان ايماننا لا يكون الا بالايمان بهم وتكريمهم ، وقد كان بنو اسرائيل حربا على هؤلاء الرسل فى حياتهم وبعد مماتهم ، وقتلوا كثيرا منهم كما حدثنا القرآن فى كثير من آياته الكريمة ..

فلنقتصد — اذن — فى كلامنا ، ولنفرق بين رسل كرمهم الله ، وبين أقوام لهم لعنهم الله بكفرهم وقتلهم أنبياءهم ، وذرية لهم ورثت كل صفاتهم الخبيثة .. ثم لنكن عمليين نثار لأنفسنا بالعمل لا بالكلام ..

لماذا النغمة الحزينة دائما ؟

من اجل رغبتنا السريعة فى النهضة بكل مظاهرها .. ومن اجل حماسنا للقضاء على كل ظاهرة تخلف فى أوساطنا ، يشتد نقدنا لأنفسنا ، ولكل ما نراه معوقا لنهضتنا السريعة .. حتى لتجدنا أحيانا نشتط فى النقد ، ونطلب ما هو فوق الطاقة ، وكأننا نريد مجتمعا بلا عيوب ، وتجدنا ونحن فى هـذه الموجة القاسية من نقدنا لأنفسنا ومجتمعاتنا ، نضع فى ذهننا دائما صورة براقة للأمم التى سبقتنا فى مضمار الحضارة والتقدم ، كأنها مبرأة من كل عيب !!

ونحن بلا شك فينا عيوب ، وعيوب قد لا تكون كلها موجودة عند الامم الراقية ، ولذا كنا فى حاجة لنقدها ، والتبرم بها ، حتى نتخلص منها .. ولكن يجب مع ذلك أن نضع فى حسابنا أن لهذه الامم الراقية عيوبا ليست فينا والحمد لله ..

ليس عندنا مثلا راى عام قوى يقف وراء رذيلة الشذوذ الجنسي ويحبذها ، حتى يظفر من البرلمان بقانون يبيحها ، ثم يصفق لما أقره النواب ، ويقيم له الافراح والزينات !!

ليس عندنا مثلا جنود رسميون يقفون لحماية حفلات او اجتماعات شاذة يغشاها كبار القوم ليرضوا شذوذهم ، ويختاروا من هؤلاء الجنود عمالقة ليشبعوا هذا الشذوذ !!

ليس عندنا — ولله الحمد — ما اثبتته الاحصائيات ايضا من وجود كثير من فتيات المدارس وقد غشيهن الحمل من جراء العبث المباح لهن !!

وليس عندنا هذا التفكك الاسرى الى حد أن تطلب الام من ابنتها اجر رعاية بنتها التى هى حفيدتها لبضع ساعات !!

وليس عندنا ، وليس عندنا كثير من الرذائل الاجتماعية التى ابتليت بهـا الامم المتقدمة ، وبرأنا الله منها بفضل عقيدتنا ، وتعاليم ديننا التى لا تزال لهـا السيطرة على مجتمعاتنا ، برغم ما يبدو من تمرد أحيانا عليها .

وفى هذه الامم كذلك كثير مما عندنا من عيوب .

وليس معنى هذا اننى ابرر فينا وجود هذه العيوب ، ولكنى اريد ان اقول للمتشائمين : خففوا قليلا من تشاؤمكم .. وخففوا قليلا من شدة الحملات على مجتمعاتكم ، فقد يولد ذلك عقدة النقص فيهـا ، أو يوئسها من امكان مداواة أمراضها ..

واذا كنت احيانا اقوم بهذه الحملات واشتد فيها ، فليس ذلك الا كما يضع الطبيب مشرطه المشحوذ ليزيل مرضا تعلق بموضع فى الجسم ، دون أن يغفل ما يتمتع به الجسم فى غير هذا المكان من صحة وسلامة ، يجب الحفاظ عليها وتقويتها ..

ان الضرب على النغمة الحزينة دائما ، يحيل الانسان الى كتلة من الحزن تتحرك ، دون أن يتفتح للحياة ولو بابتسامة .
كذلك الضرب على نغمة التخلف والتأخر دائما ، يجعل الانسان ، او الشعب كله يشعر بتفاهته ، فلا ينهض لعظائم الامور ، ولو كان أهلا لها ..
والامم كالاطفال فى وجوب الحذر فى تربيتها ..
ان الطفل لو ظللت تصب فى أذنه أنه بليد ، شرس الطباع ، وأن زملاءه أحسن منه ، فستكون النتيجة أن يحس نقصا فيه ، غير طبيعى ، ولكنه نتيجة لما يسمعه . فلا يجلس مع زملائه واذا جلس فانه يتهيب الكلام معهم ، ومع مدرسيه ، ويتلعثم كلما تكلم ، وقد يكون فاهما ، ولكنه لا يحسن الاجابة . فيقضى عليه ، وعلى مواهبه ، بهذا الاسلوب الخاطىء فى التربية ..
وكذلك الامم ، أو الطائفة من الامة ..
وينساب الى خاطر يلح على وأنا أكتب هذا ..
حالتنا التى نعيش فيها الآن بعدما حدث — مما لم يكن أشد الناس تشاؤما ينتظره — أصبحت حديث كل لسان ، وخاطر كل قلب ، فان ما حدث أظهرت الايام وتظهر أنه كان نتيجة نقص وعيب فينا كان من الممكن تلافيه ..
هذا صحيح .. ومن الحق أن نلوم أنفسنا ، ويتحمل المسئولية كل من ساهم فى هذا المصير .
وهذا ضرورى .. حتى لا يتكرر ما حدث مرة أخرى .
ولكن .. أن نكرس كل حديثنا على الاخطاء ، ولا نرى أمام عيوننا الا القاتم من الالوان ، ولا نسمع الا الموسيقى الحزينة ، هذا ليس من العدل فى الحديث ، وليس من مصلحة أمة تحاول النهوض من كبوتها ، ولا يزال عدوها جاثما على صدرها ..
هناك وسط الالوان القاتمة والحقائق المحزنة ، ألوان أخرى فاتحة ، وحقائق أخرى مشرقة ، تبعث الامل ، وتحيى الهمم .. ولابد من أن نفتح النوافذ عليها ..
لقد فاز العدو بمفاجاته ولغفلتنا .. هذه حقيقة ..
ولكن : ماذا لو فاجأناه نحن فى هذه المعركة أو فى معركة أخرى مقبلة ؟
ماذا لو لم تكن هناك غفلة أو خيانة أو ما شئت قسمه ؟
الاسرائيليون أنفسهم يجيبون بلسان قادتهم : بأنهم كانوا قد وضعوا خططهم للتسليم ، لو لم تنجح مفاجاتهم ، ولم يثمر غدرهم ..
رئيس الوزراء الاسرائيلى نفسه اعترف فى برلمانهم ، بانه جاء وقت على جيشهم فى الميدان كاد يسلم ، ويتحول مجرى المعركة ضدهم ، لولا حركة طيرانهم ، ونجدته لجيشهم .
وحقائق أخرى كثيرة مشجعة تبدو من خلال كل ما حدث ، وان كانت فى الوقت نفسه تضاعف حزننا وأسانا ، لأن النصر كان قريبا منا ..
اذن .. لا يأس من المستقبل ، ولا داعى لأن نهد النفوس بكثرة المعاول التى تنهال عليها ..
لقد كانت غلطة — على أقل تعبير — ندفع جميعا ثمنها الآن ..
ولكن هل نخطىء كل مرة ؟ وهل يدعو هذا الخطأ الفاحش الذى حصل ، الى أن نظل مطروحين على الارض ، نلقى على أنفسنا التراب والطوب والحجارة ؟ أو أن سنة الحياة أن نقف ، ونستعيد قوانا ، ونتقى أخطاءنا ، ونعوض ما فاتنا ؟!
هذا هو المعقول .
والا تحولنا كلنا الى ما يشبه القواعد من النساء النادبات فى المآتم !!

ما يفهمونه على ظاهره ؛ من غير أن يشوش أفهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما لا يفهمون من أسرار نواميس (الجاذبية ، والنور ، والبصريات ودوران الارض على نفسها أمام الشمس ، وقانون أرخميدس ، أو أسرار عملية المطر ، أو أسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الاوكسجين .. الخ) ولكنه سبحانه يقول لمن سيأتي من العلماء الذين يطلعون على هذه الاسرار (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وقد جاء الوقت ، وانكشفت بعض الاسرار ، وتبين الحق ... والبقية تاتي ..

٦ — قانون العلية :

من ركائز التفكير العقلية في القرآن امر الفطرة ، ومن جملتها (قانون العلية) . ذلك أن في عقولنا قوانين فطرية وهى التى سماها الفيلسوف (كانط) (قوانين العقل المنظمة (Leslois Reglatrices de La Raison ، ومن جملتها ، بل من أعظمها قانون العلية ، الذي يتطلب ، بالبداهة ، لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا . هذا مقرر وليس لنا أن نشك فيه ، كما انه ليس لنا أن نتطلب عقولا وراء عقولنا التي فطرنا الله عليها (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) الروم ٣٠ — وبهذه الفطرة من (قانون العلية) ندرك وجود الله . ومهما اختلف المتفلسفون في هذه الفطرة وكونها مكتسبة من تجارب الانسان الطويلة ، أو كونها من خلق الله ، فان قانون العليــة الذى اعتبره (ديكارت) صادقا وغير خادع ، واستدل به على الله ، وعلى صفات كماله ، هو ، على كل حال ، القانون العقلى الذى يتحكم فى ادراكنا لكل ما فى الوجود ، وعليه يقوم العلم ، وعليه تقوم المعرفة ، وعليه تقوم الحياة ، وعليه يقوم الايمان بالله .

٧ — ميزان التناقض :

ان النظر العقلى يدور في كل شيء من الماديات والمعنويات ، والمشاهدات والمغيبات ، حول احكام ثلاثة . الوجوب والامكان والاستحالة . هذا مفهوم عند أبسط الناس علما وفهما ؟ ولكن الذى يشتبه ويخفى احيانا ، على بعض أرقى المثقفين من الشباب ، هو التفريق بين نوعين من المستحيل .

المستحيل العقلى : وهو الذى يشكل تصور وجوده ، أو تصور عدمه (تناقضا عقليا) فى الذهن ، كقولنا الواحد ربع الاثنين لا نصف الاثنين ، أو قولنا جزء الشيء أكبر من الشيء ، أو قولنا ان جبل لبنان يدخل فى الفنجان . أما المستحيل المادى فهو لا يحدث تناقضا عقليا فى الذهن ، ولكننا بحكم المادة نظن انه مستحيل ، وما هو كذلك ولكننا تعودنا أن نراه مستبعدا كالمستحيل ، ثم عرفتنا الايام انه ليس بمستحيل عقلى . مثل الصعود الى السماء ، والتخاطب والتناظر من اقاصي الارض ، والوصول الى القمر .

والميزان الضابط فى تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه ، بل هو كونه يحدث تناقضا عقليا — يقول (لايبنتز) — فان أحدثه نفيناه ، وان لم يحدثه توقفنا عن التكذيب . فلا يغفلن الشاب المثقف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل اذا هو تورط فى جدل ، حول الله والدين واخبار القرآن .

(للحديث بقيـــة)

محمد بن جرير الطبري

الفقيه

فى فترة من أخصب فترات النمو الثقافى فى الدولة الاسلامية ، وأغزرها نتاجا ، وأوسعها أفقا ، وأقربها الى النضج والتكامل ، بعد القرن الثانى الهجرى ، وعلى وجه التقريب فى النصف الثانى من القرن الثالث ، وأوائل القرن الرابع الهجرى ، حيث كانت الحركة الثقافية فى أوج عنفوانها ، فعلوم العربية من لغة وأدب ، قد أرسى قواعدها ، وجمع شاردها الاصمعى وأبو عبيدة . والسير والمغازى أوضح معالمها ابن اسحق ، وأثرت علوم التفسير بأقوال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وابن جريج ، ومقاتل بن حيان ، واستقرت علوم الفقه بظهور الائمة المجتهدين : مالك بن انس ، وأبى حنيفة والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وتبلور فن الحديث بتأليف الصحاح المشهورة جمعا ، وثبوتا ، ورواية ، وبدأ فن التاريخ يخطو خطوات سريعة نحو النضوج والوضوح ، وحيث امتدت مدارس الفكر والثقافة الاسلامية بفروعها لتصبح مراكز مشعة ، فى العراق ومصر والشام والمغرب وفارس ، وخراسان ، والاندلس ، لتغطى رقعة الدولة الاسلامية ، وتهيىء ظروف النمو الخير لجميع المسلمين ، فى هذا الجزء المفعم بشتى ألوان المعرفة الانسانية ؛ نشأ عالمنا الكبير « أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى » ليجد الظروف مواتية ، والاجواء ملائمة لنمو ملكاته ومواهبه ، نموا سريعا ، ولنضج عقله ، متكشفا عن عقلية من أقدر العقليات على الفهم والهضم والاستيعاب والعطاء ، ويقوم بتأدية دور خطير ، يحمل فيه راية النور ، مبرزا فى أكثر من فن ، ومجليا فى ثلاثة من أعقد تلك الفنون ، وأوسعها مجالا ، ومضطربا : الفقه والتفسير ، والتاريخ ، فيقدم لنا ثروة ضخمة من تراث لا تزال آثاره ماثلة للعيان . ولا تزال تؤثر فى حياتنا الثقافية ، والفكرية التأثير الكبير .

مولده :

ولد « محمد بن جرير الطبرى » سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية أو سنة خمس وعشرين ومائتين ، والسبب فى حصول هذا الشك الطفيف فى تعيين السنة التى ولد فيها ، ما رواه أحد تلاميذه الذين أرخوا له : القاضى « أحمد بن كامل » قال سألت الشيخ الطبرى كيف وقع لك الشك فى تاريخ مولدك ؟ فقال : كان أهل بلدى يؤرخون بالاحداث دون السنين . فأرخ مولدى بحادث وقع فى البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون قال بعضهم كان ذلك فى آخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال آخرون . كان فى بداية سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية .

أما بلدته التى ولد فيها فهى « آمل » حاضرة اقليم « طبرستان » . و « آمل » هذه مشهورة بأنها خرجت العديد من مشاهير العلماء والاعلام ، وكلهم عرف بالطبرى ، أما طبرستان الاقليم ، فمتسع ممتد ، تشغل الجبال أكثر مساحته ، ومما يعرف عن سبب تسميته بهذا الاسم ، أن أهله يتميزون بحمل سلاح ، بشكل دائم ، ويستعملونه فى حروبهم الكثيرة ، يعرف « بالطبر » فصرف الناس فيه ، بحملة الاطبار ، وأطلق على الاقليم « طبرستان » وبه اشتهر . وهو اقليم كثير المياه ، متهدل الاشجار ، متنوع الفاكهة ، والعيش فيه موفور ، ميسور .

الاستاذ احمد محمد مصطفى اسفاريني - الطائف

المجتهد وشيخ المفسرين وعمدة المؤرخ

نشـــاته :

كان بيت الطبرى يجمع الى تقوى اهله ، اليسار ، وسعة ذات اليد ، فنشأ مكرما ، تحوطه اليد الكريمة الحانية ، وتحمله على المكارم نفوس برة ، رحيمة فعهد به أبوه الى علماء ((آمل)) يثقفونه ، ويؤدبونه ، وكانت مخايل الذكاء والفطنة مبكرة ، قد ارتسمت سماتها فى وجه الصبى . فحفظ القرآن وهو ابن سبع وصلى بالناس وهو ابن ثمان ، ولم يبلغ التاسعة حتى كتب الحديث . فما بلغ سن الرشد حتى قطع شوطا بعيدا فى الدرس والتحصيل . ويروى أن أباه رأى له رؤيا تفاءل بها ، فقد رآه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخلاة مملوءة بالاحجار ، وهو يرمى بين يديه ، وفسر المعبرون له تلك الرؤيا . بان هذا الابن سيكون ناصحا فى دينه ، ذابا عن شريعته الاسلام . فاستبشر الوالد ، وحرص على تعليمه ، والوصول به الى غاية بعيدة فى العلم ، وحثه على الرحلة فى طلب المعرفة ، ولم يبخل عليه بمال أو زاد ، وجهزه بكل ما يحتاج اليه ، فلما أن استنفد من ((آمل)) ما عند مشايخها ، تنقل بين مدن طبرستان ، والرى ، فاخذ الفقه عن ((مقاتل)) ، وعلوم العربية عن ((أحمد بن حماد الدولابى)) ، وعن ((محمد بن حميد الرازى)) الفقه ، والادب ، والتاريخ ، وأخذ عن سلمة بن الفضل المغازى والسيرة ، ثم لم يجد فى نفسه المتعطشة للمزيد من التحصيل ، رضى واكتفاء ، فعول على الرحلة الى بغداد ، وكانت المركز الاكثر ازدحاما بالعلماء ، وعلى رأسهم الامام الجليل ((أحمد بن حنبل)) وهو علم من أعلام رجال الحديث ، طار فى الآفاق ذكره ، فلم يلبث أن يمم شطر العراق الى بغداد ، وتشاء المصادفات ، والاقدار أن يتوفى ابن حنبل قبل أن يدخل الطبرى الى بغداد ، فلا يستقر بها ، بل يتركها الى البصرة المركز الثقافى الذى كان يضاهى بغداد ، فينقطع الى شيوخها كابن القزاز ، والصنعانى ، والحرشى ، وغيرهم ، عابا من مناهل علمهم ، ويذهب بعدها الى واسط ومنها الى الكوفة ليلقى علماءها فى الحديث وعلوم القرآن ((كالهناد بن السرى)) و ((اسماعيل بن موسى)) و ((ابن كريب محمد بن العلاء الهمذانى)) وهذا الاخير سمع منه البخارى أكثر من مائة ألف حديث ، والذى يبدو أن رحلته هذه الى الكوفة جعلته يقرر التخصص فى علوم القرآن والحديث والفقه دون غيرها ، فنراه يعود الى بغداد التى ازور عنها فى بداية رحلته ، ويأخذ عن أئمتها . أحمد بن يوسف التغلبى المقرىء ، والحسن بن محمد الصباح ، وابن سعيد الاصطخرى ، ولم يكتف بهذا ، بل نراه يرحل الى مصر حيث الكثيرون من أصحاب الشافعى . كالربيع بن سليمان ، واسماعيل بن ابراهيم المزنى ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم ، وكانت رحلته الى مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين هجرية ، وتنقل بين مصر والشام ، مستمعـــا ومحدثا ، ويجلس الى علماء المالكية فى مصر ، بعد أن كان منقطعا الى المذهب الشافعى ، كما انه يزيد من إهتمامه بالقراءات ، ويحن بعد ذلك الى مسقط رأسه ، وبلده فيغادر مصر الى طبرستان ، ولا يلبث أن يعود الى بغداد عازما على الاستقرار ، والتفرغ للدرس والتاليف ، فيبنى بهـــا دارا لنفسه ، ويقضى بها بقية حياته ، جادا غير مغتر بمباهج الحياة ، ولا مفتون ببهارجها ، ولا ساع للمزيد من متاعها ولا من حطامها ، وقد عاش حياته لم يتزوج ، وتؤثر عنه كلمته المشهورة ((ما حللت سروالى على حلال ولا حرام قط)) . أما مذهبه فكان فى بداية عهده شافعيا ، حتى انه أفتى به عشر سنوات فى بغداد ، الى أن اختار لنفسه ، مذهبا خاصا به ، أما موقفه من المذهب الحنبلى ، فكان

مختلفا ، ذلك انه كان يعتبر الامام « أحمد بن حنبل » رجل حديث ، وعالم أسانيد ، ذا اطلاع واسع بعلوم الحديث ولكنه لا يعتبره مجتهدا ، ولا من رجال الاختلاف فى الفقه . وكان لموقفه هذا رد فعل عنيف من جانب الحنابلة ، فسخطوا عليه ، ثم تفاقم الامر بينهم بعد أن أصبح الطبرى مجتهدا ، صاحب مذهب ، عرف « بالجريرية » نسبة اليه ، مما اضطره الى طلب حمـاية صاحب الشرطة ، وبلغ بالحنابلة الامر ، محاولة تقديمه للقضاء بتهمة المروق من الدين ، ولكنهم فشلوا ، فان علم الرجل ، وتقواه اللذين كانا مضرب الامثال ، ولا يتطرق لهما أدنى شك ، يشهدان له شهادة صادقة بالاستقامة والفضل . وظل مقيما فى بغداد حتى لاقى ربه فى يوم السبت فى الثامن والعشرين من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة هجرية .

ثقافتـــــه :

ان من الامور الملفتة للنظر عند علماء هذه الفترة فى القرنين الثالث والرابع الهجرى هو عدم الوقوف عند حد التخصص فى مجال معين ، وان كان غلب على أحدهم أن برز فى علم أو فن ، فانما هو جزء من ثقافته ، وليس كل ثقافته . فكان الالمام الواسع بمعظم فروع المعرفة عند الجميع على وجه العموم ، ولم يكن الطبرى العالم الفذ ، ليشذ عن هذه القاعدة ، بل كان الاوسع اطلاعا ، الاغزر مادة ، الاكثر فقهـا وعطاء ، حتى قيل : ان الطبرى فقط هو الاكثر تصانيف ومؤلفات من ابن هزم العالم الاندلسى الكبير . لقد جمع « ابن جرير الطبرى » ثقافة عصره ، من اسلامية ، ومترجمة الى العربية ، من فارسية ، وهندية . وكان حافظا للقرآن الكريم ، وله فى قراءته قراءة مدونة ، اختارها لنفسه ، واقرأ بها بعض تلامذته ، وناهيك بها سمة اطلاع ، وتوقد ذهن ، واعتداد بالنفس . وكان فقيها بلغ مرتبة الاجتهاد بمذهب مستقل كغيره من المجتهدين ، وكالعادة فقد وضع كتابا فى علم الاصول سماه : « اختلاف الفقهاء » أثبت فيه قواعده الاصولية ، مستقصيا آراء الائمة فى هذا الباب ، ومتتبعا اجتهاداتهم ، مناقشا اياها ، ناقدا لما لم يتفق ورايه ، ليصل بعد ذلك الى تقرير قواعده التى اختارها ثم اتبعــه باجتهاداته الفقهيــة التى بناها على قواعده الاصــولية ، وجمعهـــا فى كتـــاب « لطيف القول فى شرائع الاســلام » . وهذا الكتاب من اشهر مؤلفـاته الفقهية الكثيرة التى فقدت جميعها . وفيه تفصيل للاحكام الشرعية وادلتها ، وطريقة استنباطها ، ويصف ياقوت هذا الكتاب بقوله : « هو مجموع مذهبه الذى يعول عليه اصحابه ، وهو من انفس كتبه وكتب الفقهاء ، وافضل أمهات المذاهب ، وأسدها تصنيفا » . وأضاف فيه زيادة عن كتـاب الاختلاف السابق ثلاثة كتب وهى كتاب أمهات الاولاد ، وكتاب اللباس ، وكتاب الشرب . ولا تعنى تسمية الكتاب باللطيف ، كما يتبادر الى الذهن صغر حجمه ، كما يقول « أبو بكر بن راميك » بل أراد بتسميته تلك الاشارة الى دقة معانيه ، وكثرة ما فيه من النظر ، والتعليلات ، ومع أن تلاميذه كانوا كثيرين ، وقد نقلوا مذهبه هذا فى الفقه ، الا أنه لم يعمر أكثر من نهاية القرن الرابع ثم انقرض .

وكان من أئمة الحديث وحفاظه ، واسع المعرفة بمتونه ، وأسانيده وأحوال رجاله ، حتى أن الذهبى يعد الطبرى فى الطبقة السادسة من رجال الحديث . وتاثره الشديد بعلم الحديث يبدو بارزا فى أسلوبه الذى اتبعه فى تدوين كتابه فى التاريخ . كما أن له كتابا فى الحدبث اسمه « تهذيب الآثار » لا زال مخطوطا فى احدى مكاتب اسطمبول . وهو كتاب مشهور ، يدل على طول باع الطبرى فى مصطرع هذا الفن الدقيق.

ولعل أكثر ما اشتهر به الطبرى كتاباه فى التفسير والتاريخ ، فهما الكتابان اللذان لا يذكر التفسير ، والتاريخ ، كعلمين ، الا كان لهما ذكر عريض . فقد كان الطبرى عالما بروايات الصحابة والتابعين وباقوالهم فى تفسير القرآن ، وتاريخ رواته ، وطرقهم الى الصحابة ، وكتابه « جامع البيان فى تفسير القرآن » واحد من أمهات كتب التفسير المعتمدة . وقد جمله فى ثلاثين جزءا بعدد أجزاء القرآن الكريم . وهو تفسير ذو نهج خاص ، وسباق فى التأويل يذكر الآية وبذكر اشهر الاقوال التى اثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الامة فى تفسيرها ، ثم يورد روايات أخرى عمن جاء

بعدهم ، بناء على خلاف فى القراءة ، ويعقب بعد ذلك كله بترجيح أحد هذه التأويلات ، أو يجتهد فى ذلك رأيه ، ثم ينتقل الى غيرها ، عارضا ، فناقدا ، فمرجحا . أما المقاييس التى يعتمدها فى النقد والترجيح ، فهى اما أن تكون تاريخية من حال رجال السند ، قوة أو ضعفا ، واما أن تكون علمية فنية . من الاحتكام الى اللغة التى نزل بها الكتاب ، ومن نقد القراءة او تصحيحها ، أو بالرجوع الى أصول العقائد التى أقر بها العلماء ، وهو يستشهد كثيرا بالشعر للتدليل على الاستعمالات اللغوية » .

وقد ابتدأ تفسيره بمقدمة طويلة تعرض فيها لكل النقاط الرئيسية العامة التى يمكن أن تواجه المتصدر للتفسير ، لنستمع اليه يقدم كتابه : « ونحن فى شرحنا لتاويله ــ القرآن الكريم ــ وبيان ما فيه من معانيه منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه حاجة من علمه ، جامعا ، ومن سائر الكتب غيره فى ذلك كافيا ، ومخبرون فى كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الامة ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه ، ومبينو علل كل ما أمكن من الاختصار ، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك » . وأول الامور التى أثبتها بعد نقاش وبحث اتفاق البيان القرآنى ، ومعانى منطق من نزل القرآن بلسانه ، مع الفارق الكبير المتمثل فى الاعجاز . كما تحدث عن الكلمات غير العربية من مفردات القرآن الكريم ، وأجاد هنا اجادة الفاهم المتقن ، والبحث هنا عقلى ، اعتمد على دقة ملاحظة الطبرى ، وصدق تصوره للمشكلة فبعد أن أورد بعض الالفاظ من مثل سجيل ، وكفلين ، قال : « والصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا عجميا ، أو حبشيا عربيا ، اذ كانت الامتان له مستعملتين ، فى بيانها ومنطقها ، استعمال سائر بيانها ومنطقها ، فليس غير ذلك من كلام كل امة منهما بأولى ان يكون اليها منسوبا منه ، فكذلك سبيل كل كلمة ، أو اسم ، اتفقت الفاظ امم اخرى ، ومعناها ، ووجد ذلك مستعملا فى كل جنس منها ، استعمال لسائر منطقهم .. » . فكذلك ما قلنا فى الاحرف التى ذكرنا وما أشبهها . غير مستحيل ان يكون عربيا بعضها أعجميا ، وحبشيا بعضها عربيا ، اذ كان موجودا استعمال ذلك فى كلتا الامتين فناسب ما نسب من ذلك الى احدى الامتين او كلتيهما . محق غير مبطل . ثم اردف ذلك بمسألة اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب ، مبينا أن الالسن انما هى اللهجات المرادة فى حديث الاحرف السبعة ، وكانت خمسة منها لهوازن . وسعد بن بكر ، وخيثم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، والاثنان الباقيان هما لهجة قريش ، وخزاعة ، نافيا ان يكون معنى الحروف هنا أنواع الاحكام والتى قال بها بعض المفسرين ، أما الحديث « كان الكتاب الاول نزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف ، زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه . وأمثال ، فاحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به ، كل من عند ربنا » . فمعناه كما يقول أبو جعفر : ان ما نزل من كتب الله على من أنزل من أنبيائه ، كان خاليا من الحدود ، والاحكام ، والحرام ، كزبور داود الذى انما هو تذكير ، ومواعظ ، وانجيل عيسى ، الذى هو تمجيد ومحامد ، وحض على الصفح ، والاعراض ، دون غيرها من الاحكام والشرائع ، وما أشبه ذلك .

أما وجوه التفسير فهى عند أبى جعفر ثلاثة . فوجه لا يجوز تفسيره الا ببيان من الرسول الكريم ، ولا يتعدى فى ذلك اطلاقا ، فلا يمكن ادراك تأويله الا بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصبها ، دالة أمته على تأويله ، وذلك النوع هو تأويل جميع ما فيه من أمره ، وواجبه ، وندبه ، وارشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه ، وحدوده ، ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آيه . ووجه لا يعلم تأويله الا الله تعالى ، وذلك ما فيه الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت الساعة ، والنفخ فى الصور ، وما أشبه ذلك .

ووجه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن ، وذلك اقامة اعرابه ، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة ، غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون سواها . ولا يفوت الطبرى فى نهاية مقدمته ، أن يحدد الذين تقبل رواياتهم فى التفسير فيذكر ابن عباس ومجاهد

البقية على صفحة ٧٧

مائدة القارئ

أعدها : أبو نزار

ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا . انهم لايعجزون .

« قرآن كريم »

من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا لا يأخذه سلطان — لم يجبره حاكم — لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول : وان منكم الا واردها .

حديث شريف

جند المسلمين

وصف رسل المقوقس جند عمرو ابن العاص فقالوا :

رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، وانما جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد .. واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد ، يغسلون اطرافهم بالماء ، ويخشعون في صلاتهم .

كان ويكون

أترى منـاما ما بعيني أنظر
القدس يفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم في السجن مأسور ولم
يك قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الاله فكبروا واستبشروا

بين الاعرابى وضيفه

نزل اعرابى ضيفا على صديق له ، فاكرم وفادته وقدم له طعاما ، واخذ يسأله عن اهله فقال صاحب البيت لضيفه :

ما حال ابن عمير ؟ قال : على ما تحب قد ملا الارض والحى رجالا ونساء .

قال : فما حال ام عمير ؟ قال : صالحة .

قال : فما حال الدار ؟ قال : عامرة باهليها .

قال : وكلبنا (ابقاع) ؟ قال : قد ملا الحى نبحا .

قال : فما حال جملى زريق ؟ قال : على ما يسرك .

والتفت صاحب البيت الى خادمه ، وقال له : ارفع الطعام . فرفعه ولم يشبع الضيف ، ثم قال المضيف لضيفه :

يا مبارك الناصية . أعد على ما ذكرت .

قال : سل عما بدا لك .

قال : فما حال كلبى (ابقاع) ؟ قال : مات . اختنق بعظمة من عظام جملك زريق .

قال : أومات جملى زريق ؟ قال : نعم من كثر نقل الماء الى قبر أم عمير .

قال : أوماتت أم عمير ؟ قال : نعم من كثرة بكائها على عمير .

قال : أومات عمير ؟ قال : نعم سقطت عليه الدار .

فجرى وراءه يضربه بالعصا . فهرب منه وولى .

ابو حنيفة والمغنيات

مر أبو حنيفة على جماعة يتنزهون فى بستان ، وكان معهم مغنيات يغنين ، فلما وقف عليهن سكتت المغنيات . فقال : قد أحسنتن ، فصوتب فى ذلك كيف تستحسن غناءهن . هذا رضاء منك بمعصية الله . فقال : قلت لهن أحسنتن حين غنين أو حين سكتن ؟ فقيل : بل حين سكتن . قال الله أكبر . أردت أحسنتن فى السكوت ، لا فى الغناء .

فراسة سائل

طاف سائل ضرير بشوارع (أصفهان) يسأل الناس على عادته ، فأعطاه رجل رغيفا ، فدعا له السائل ، وقال : رد الله غربتك ، فقال المتصدق : كيف عرفت أنى غريب ، وأنت أعمى ؟ قال : لأنى أسأل الناس فى هذه المدينة ثلاثين سنة ما أعطانى احد رغيفا صحيحا .

لا أدرى

قيل للشعبى : أما تستحى من كثرة ما تسأل ، فتقول : لا أدرى ، فقال : لكن ملائكة الله المقربين لم يستحوا حين سئلوا عما لا يعلمون ان قالوا : « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » .

وصية

عاد رجل مريضا ، فقا له : ما تشتكى ؟ قال : وجع الخاصرة . قال : والله كانت علة ابى فمات منها ، فعليك بالوصية يا أخى ، فدعا المريض ولده ، وقال : يا بنى أوصيك بهذا . لا تدعه يدخل على بعد هذه .

صوت من الحرم الشريف

في كل شبر من بلادي ـ فوق الجبال .. وفي الوهاد
صوت يرن .. بمسمعي ـ ويقول : حي على الجهاد !

* * *

صوت من الماضي سرى ـ عبر القرون .. مزمجرا
ملأ الدنى حولي وأترعها .. لظى .. متفجرا

* * *

صوت من الحرم الشريف ـ وذؤابة الشرف المنيف
من منبع المجد التليد .. ومأرز الدين الحنيف

* * *

دوى صداه مع الصباح ـ فوق الربى .. وعلى البطاح
فاذا بـ (طيبة) كلها ـ نشوى بألحان الكفاح

* * *

نشوى بماض خالد ـ يزهو .. بكل .. مجاهد
وبحاضر .. متطلع ـ يهفو .. لجيل .. صامد

* * *

جيل توشح بالبطوله ـ ومشى على سنن الرجوله
يشدو ويصنع يمينه ـ لا بالعمومة .. والخؤوله

* * *

ويعيش .. ما بين الامم ـ كالنسر .. في الجبل الأشم
تطوى جناحاه الجوا ـ ء .. وتستريح .. على القمم !

صوت من الماضي البعيد دوى مع الصبح الوليد
ألقيت سمعي .. نحوه وسبحت في الأفق المديد

❊ ❊ ❊

أرنو الى دنيا العرب حيرى .. تمزقها الريب
صرعى .. بشرذوب من الأهواء.. في دمها انسكب

❊ ❊ ❊

غرقى بطوفان خبيث مسخ القديم مع الحديث
طوفان الحاد تجلب .. بالكتاب .. وبالحديث

❊ ❊ ❊

واظل أرنو .. باكتئاب لمصيرنا .. عبر الضباب
عبر الضياع الاكمه .. الممدود .. خلف خطى السراب !!

❊ ❊ ❊

ويرن في اذني الصدا مستصرخا .. مستنجدا :
القدس تنهشها الوحوش.. وتستبيح المسجدا !

❊ ❊ ❊

فتعود تعصف في دمي روح البطولة .. والفدا
واقول . يا ارض الفداء .. والشهامة .. والابا

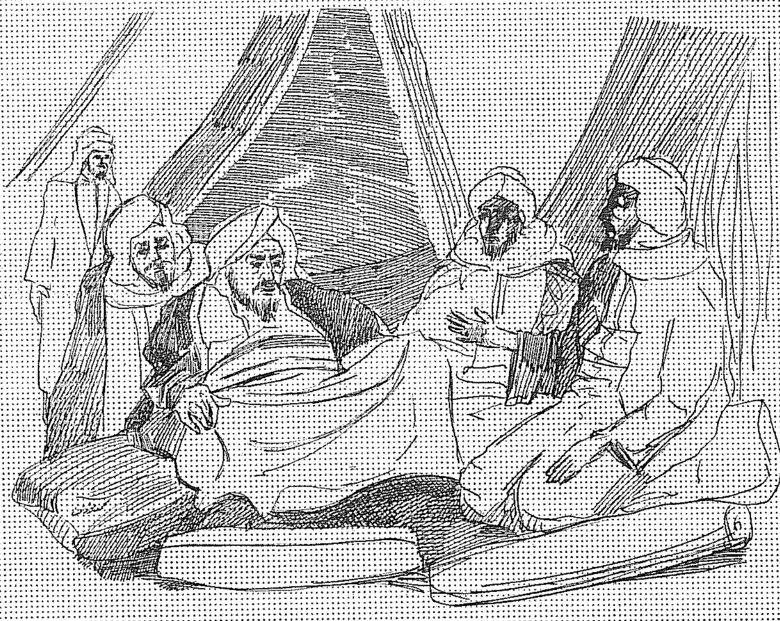
❊ ❊ ❊

سنعود رغم الغاصبين .. ورغم .. تجار الفنا
سنعود .. فانتظري مواكبنا .. فقد حان اللقاء !!

صراع

مسرحية إسلامية من وحي القرآن

بقلم عبد الحميد جودة



الشخصيات :

★ سفان بن مسعود ... مولى عمر بن الخطاب

★ مداح بن ثابت ... سيد من الخزرج

★ هلال بن امية ... من المهاجرين

★ صفوان بن مرة ... سيد من الخزرج

★ عبد الله بن ابى ... زعيم الخزرج

★ زيد بن ارقم ... فتى من المهاجرين

★ اسيد بن حضير ... سيد من المهاجرين

★ عبد الله بن عبد الله بن ابى ... ابن زعيم الخزرج .

المنظر الأول

المنظر : صحراء مترامية بها خيام متناثرة .. وفي زاوية من الزوايا عين ماء .. والمسلمون يملأون جرارهم منها وسفان بن مسعود ومداح بن ثابت يتنافسان على ملء جرارهما من العين ..

سفان : يدفع بيده مداحا بعيدا عن الماء .

مداح : (ينظر اليه في غضب) تدفعني عن الماء يا سفان بن مسعود ..

سفان : (في سخرية) هه .. لم لا .. وأنت تزاحمني يا مداح بن ثابت ؟

مداح : من حقي أن أزاحم لأملأ جرتي .. فماء العين قليل .. واخشى أن ينضب الماء ..

سفان : (مقاطعا) أن تأخذ حاجتك من الماء .. أما أنا فلا يعنيك أخذت من الماء ما أنا في حاجة اليه أم لا ؟..

مداح : ينحيه من طريقه في احتقار ويتقدم من العين وينحني لملء الجرة .

سفان : يجذبه من ثيابه) لا .. لا .. لن أدعك تملأ الجرة قبلي ..

مداح : (باحتقار) أنت .. أنت أيها العبد تمنعني عن الماء .. هه .. هذا والله أكثر مما يحتمله انسان من عبد لا يساوي ثمن بعير ..

سفان : (ملوحا بالجرة) اذا لم تتركني والله لأحطمن هذه الجرة فوق رأسك ..

مداح : (متهكما في غيظ) تحطم الجرة فوق رأسي يا عبد الشؤم .. انك أجبن من أن تفعل ذلك .. (متوعدا) واذا فقدت عقلك وجرؤت .. أتكون نهايتك على يدي أيها العبد .. القذر ..

سفان : (متحديا في سخرية) تهددني بالقتل يا هذا .. ها .. ها .. تظن أن مولاي عمر بن الخطاب يسكت .. انه والله سينتقم لي .. ولن يدعك تمشي بين الناس وأنت قاتل مولى من مواليه ..

مداح : (يدفعه الى الأرض فيسقط) تحسبني أخاف من مولاك .. انك لواهم أيها العبد .. فما يخاف مداح من أحد حتى ولو كان سيدك عمر بن الخطاب ..

سفان : (يقوم من سقطته ويندفع ناحية سفان ويمسك به) لقد جاوزت الحد يا مداح بن ثابت .. والله لأؤدبنك (ينهال عليه بالجرة فتتهشم وتتناثر) وليكن بعد ذلك ما يكون ..

مداح : (صائحا) يا معشر الأنصار .. يا معشر الأنصار ..

يهرول عدد من الانصار فيمسكون بسفان .. فيصيح هو الآخر .. يا معشر المهاجرين .. يا معشر المهاجرين .. فيسرع اليه عدد من المهاجرين .. ويتماسك المهاجرون والأنصار بالأيدى .. بينما يظل مداح ينادي يا معشر الأنصار .. وسفان ينادي يا معشر المهاجرين ..

هلال : (يفرق بين المتعاركين ويصيح فيهم) ما هذا يا قوم .. كفاكم عراكا يا قوم .. انكم والله بنداءاتكم .. وتماسككم بالأيدى .. تعودون بنا القهقرى الى ايام الجاهلية التي قضى عليها الاسلام .. وعفى عليها القرآن .. ونهانا عنها رسول الله .. هيا افيقوا الى أنفسكم قبل أن يتطور العراك الى قتال ...

(يكف المتعاركون ويلتفون بهلال بن أمية)

صفوان : لقد اعتدى مولى عمر بن الخطاب على سيد من ساداتنا يا هلال ابن أمية ..

هلال : لهذا السبب يقتتل المهاجرون والأنصار بعد ان آخى بيننا الاسلام يا صفوان بن مرة ..

صفوان : الاعتداء على واحد من الأنصار .. اعتداء على كرامتنا وعزتنا .. وشرفنا .. ولن يفصل هذه الاهانة الا السيف ..

هلال : لا تهول الأمر الى هذا الحد .. انه خلاف بين اثنين من المسلمين ..

صفوان : (في غيظ) تقول خلاف بين اثنين من المسلمين .. انك بهذا تسوى بين عبد وبين سيد من سادة الخزرج ..

هلال : لست انا الذى سوى بين العبد والسيد .. انما هو ديننا الذى سوى بين الناس جميعا لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ..

صفوان : لا يمنع هذا من تأديب هذا العبد كيلا يتمادى في اعتداءاته .. وحتى يكون عبرة لغيره من العبيد ..

هلال : لا انكر عليك ذلك يا أخا العرب .. انما الذى يؤدبه هو مولاه .. أما أن تؤدبه أنت فقد يؤدى الى التنابذ بين المسلمين .. وربما يتطور التنابذ الى امتشاق السيوف .. ونحن فى موقف حرب وجهاد مع اليهود والمشركين والكفار .. والاسلام في حاجة الى كل قطرة دم من دمائنا ..

صفوان : (مهددا وملوحا بسيفه) والله لنشعلنها حربا بيننا وبين المهاجرين اذا لم يؤدبوا عبيدهم ..

المنظر الثاني

المنظر : خيمة مؤثثة الرياش .. عبد الله بن ابى يتصدرها وحوله نفر من الخزرج يتحدثون .. ويجلس على باب الخيمة زيد بن أرقم في تكاسل واسترخاء .. بينما اذنه تتصنت الى احاديثهم ..

عبد الله : (في غيظ مكتوم) علمتم ما كان من العبد سفان بن مسعود ؟

صفوان : (يزفر في الم وغيظ) ايه .. كنت والله سأشعلها نارا بيننا وبين المهاجرين لولا هلال بن أمية ..

عبد الله : ما هكذا تساس الأمور يا صفوان .. المهاجرون كثرة ونحن

قلـــة ..

صفوان : اذا مـا الذى تراه يا عبد الله بن أبى ؟ .

عبد الله : ما ترونه يا بنى الخزرج ..

صفوان : ليس لنا أن نرى غير مـا تراه .. فأنت سيدنا .. وزعيمنا ..

عبد الله : (يضرب كفا بكف) عبد يمنع سيدا من سادة الخزرج عن الماء الذي احتفرناه بأظافرنا .. ثم لا يعاقب ..

صفوان : ومن ذا الذى يؤدبه ؟

عبد الله : سيده ومولاه ..

صفوان : تعنى عمر بن الخطاب .. (متهكما) لا أظنه يفعل ذلك ..

عبد الله : لم يا صفوان ؟

صفوان : تراه الآن فخورا بما فعله العبد مع سيد من سادة الأنصار ..

عبد الله : هذا ما فعلتم بأنفسكم .. لقد أفسحتم لمحمد واصحابه مكانا بين ظهرانيكم يوم أن طردتهم قريش وجاءوكم المدينة مهاجرين .. لا يملكون قـوت يومهم .. فتكاثروا علينا وبدأوا ينافروننا في ديارنا .. ويتجـرون بأموالنا .. ويتملكون الأرض والدور .. وها هم أولاء يتحكمون فينا .. ويعاملوننا معاملـة السيد للعبيد .. لا يقيمون لنا وزنا .. ولا لحرماتنا قدرا .. ولم يبـق الا أن يطردونا من ديارنا ..

صفوان : مـا العمل اذا يا سيد الخزرج ..

عبد الله : نجليهم عن ديارنا ..

صفوان : (غير مصدق) نحن .. لا أظننا نستطيع بعد ان اصبحت لهـم الغلبة والزعامة في المدينة ..

عبد الله : ليس هناك مستحيل تحت الشمس .. ما عليكم عندما نرجـع الى المدينة الا أن تمسكوا أيديكم عـن مساعدة محمـد وأصحابه .. تلقوهـم بوجوه مغلظة .. لا تحيوهم ولا تقبلوا منهم تحيـة .. وتمسكوا بناتكم اللاتى تزوجنهم في دوركم .. ومن أبت منهن الا أن تعود لزوجها .. اقتلوها دون رحمة أو شفقـة ..

صفوان :
ومداح :
وبقيـة : معا . نعاهدك ان نفعل ذلك وأكثر منه ..
الموجودين :

عبد الله : (حذرا) اذا تقاعستم ولم تفعلوا ما أمرت به عليكم .. فـلا تلومن الا أنفسكم فانهم والله عندما نعود الى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل ..

زيـد : (يقتحم الخيمة ويلوح بيده في وجه عبد الله) انك والله لأنت الذليل .. أما محمد فهو في عز من الرحمن .. ومنعة من المسلمين .. وقوة من الايمان .. و ..

عبد الله : (مقاطعا في غضب) من تكون يا هذا ؟

زيـد : (في تحد) زيد بن أرقم ..

عبد الله : (باحتقار) ما سمعت بهذا الاسم .. ما علينا .. الا تعرفنى يا فتى ؟

زيـد : اعرف أنك سيد الخزرج ..

عبد الله : تعرف .. ثم تبلغ بك الجرأة فتقول ما تقول ..

زيـد : ما قلت غير الحقيقة ..

عبد الله : اية حقيقة هذه التى تجعلك تتطاول على سيدك ..

زيـــد : (في سخرية) سيدى .. ها .. ها .. لا سيد لى غير الله .. اما انت فلا تعدو أن تكون انسانا مثلى .. ومثل بقية الناس ..

عبد الله : (منفعلا) اخسأ أيها الوقح ..

زيـــد : الوقح من يسب الناس .. ويرمى الأشراف بما ليس فيهم ..

عبد الله : لقد غرك والله حلمى يا هذا .. لئن تمسك عليك لسانك لقطعته اربا .. اربا ..

زيـــد : (ممعنا في سخرياته) أنت .. ها .. ها .. لا تقدر أن تصيـــب بعوضـــة .. فما بالك بزيد بن أرقم ..

عبد الله : يخرج عن وقاره ويقوم من مجلسه ويمسك بزيد .. ويحـــاول الاعتداء عليه .... فيدفعه زيد فيسقط عبد الله الي الأرض .. بينما يندفع زيد مسرعا من الخيمة وهو يصيح والله لأبلغن رسول الله بما تقولت عليه وعلـــى المسلمين .. أيها المنافق المخادع ..

عبد الله : (صائحا في انفعال ومشيرا بيده الى من معه) امسكوا الفتـــى يا قوم .. لا تدعوه يذهب الى محمد .. ائتونى به حيا أو ميتا .. هيا هيا ..

(يسرع صفوان ومداح خلف زيد بن أرقم بينما الباقون يساعدون عبد الله ابن ابى على القيام والعودة به الى مكانه) .

عبد الله : (في غضب ظاهر) لقد جاوز هذا الفتى الأحمق حده .. والله لئن عادوا به لأقتلنه حتى ولو ادى ذلك الى قتال محمد وأصحابه ..

(يعود صفوان ومداح ومن تابعهما دون زيد بن أرقم)

عبد الله : لم تقبضوا على هذا اللعين ..

مداح : ضيقنا عليه الخناق .. وطاردناه من مكان الى مكان .. فكان ينفلت منا كما تتفلت الظباء .. واصبناه بسهامنا .. فكان يتلقاها دون أن يتوقف عـــن الجرى .. ثم دخل خيمة النبى .

عبد الله : تبا لهذا الشقى .. سيثير محمدا علينا .. وانها الحرب ..

صفوان : سأذهب الى محمد لأكذب مقالة هذا الشقى .. وسأعرف كيف اخرس لسانه .. ولأجعلنه سخرية الساخر .. واضحوكة الضاحك ..

المنظر الثالث

خيام متناثرة .. هلال بن امية يجلس امام خيمته .. زيد بن ارقم وأسيد بن حضير يخرجان من خيمة النبى ..

هلال : (مناديا وملوحا بيده) يا زيد .. يا أسيد .. تعاليا ..

(يتجه زيد وأسيد ناحية هلال .. ويسلمان عليه .. ويجلســـان بجواره)

هلال : (يوجه الحديث الى زيد) ما كنت أحب يا زيد أن تنبيء النبى بما كان بينك وبين عبد الله بن أبى ..

زيـــد : (متعجبا) لا انبيء النبى بما كان بينى وبين سيد الخزرج .. لقـــد اقسمت أن ابلغ رسول الله .. وما كان لزيد أن يحنث في قسمه .. ثم لم تعاتبنى في هذا الأمر يا هلال بن أمية ؟

هلال : خشيت من الفتنة بين المسلمين .. ونحن في موقف لا نحســـد عليه .. فهاهم أولاء اليهود والمشركون والكفار يجمعون جموعهم لينقضوا علينا .. ويطفئوا كلمة الله .. ونحن أحوج ما نكون الى وحدة الصف .. ووحدة الكلمة .

زيـــد : لقد قدرت الموقف .. فوجدت أنه من صالح المسلمـــين أن يعـــرف

رسول الله ما كان من أمر عبد الله بن أبي . . حتى يرى النبي رأيه في هذا المنافق قبل أن يستفحل أمره . . ويمشي بالوقيعة بين المهاجرين والأنصار . . والأنصار هم سندنا وعضدنا . . وحماة ظهورنا وأعراضنا . . وإذا انكشفت ظهورنا . . سهل على العدو أن يأتينا من الخلف . ويناله منا ما يريد . .

أسيد : ليتك معنا . . وسمعت ما دار في مجلس رسول الله من هذا الأمر .

هلال : (في لهفة) حدثني بربك . . ولا تخف عني شيئا يا أسيد بن حضير .

أسيد : ما أن انتهى زيد بن أرقم من قص ما حدث من سيد الخزرج حتى صاح صفوان بن مرة . . لا تصدق يا رسول الله هذا الفتى الغر الأبله الذى لا يدرك مغبة افترائه وكذبه على سيدنا ومولانا .

زيـد : كذب والله أستل لسان صفوان عندما وصفني بالكذب والافتراء . . لكن رسول الله وصاحباه الصديق وعمر بن الخطاب أشاروا على بالتزام الهدوء . . فسكت على مضض وكشفت لهم عن صدرى وظهرى . . وقلت لو كنت كذبا كما يقول صفوان . . ما الذى يدعوهم لأن يرمونى بسهامهم فى مقتل ويطاردونى ليحولوا بينى وبين المثول بين يدى رسول الله . .

هلال : ما عرفنا عنك الكذب يا زيد بن أرقم . .

زيـد : وزاد غضبي وثورتي أن صفوان بن مرة لم يتورع أمام النبى وصحابته أن يمتن على المهاجرين بما فعله سيد الخزرج يوم أن جئنا المدينة مهاجرين . . وما قدمه للمسلمين من أموال ومساعدات . . وما أسهم به وقدمه في حرب اليهود والمشركين والكفار . .

هلال : (في سخرية) ها . . ها . . لم نر والله من هذا الرجل ما ينبيء عن صدق ايمانه . . وحسن اسلامه . . انه يعمد الى محاربتنا في أرزاقنا . . وفي أموالنا . . وفي أنفسنا . . واثارة الفتنة بيننا وبين الأنصار أبناء عمومتنا وأصهارنا . . ولو استطاع أن يلقى بنا الى مهاوى الصحارى لفعل دون أن يرعى حرمة الاسلام ولا حرمة القرابة أو حرمة النسب . . وموقفه في غزوة أحد خير دليل على ما أقول . .

أسيد : كان موقفه مخزيا كل الخزى . . انصرف هو وقومه عن قتال المشركين الى جمع الغنائم والأسلاب مما مكن قريشا من ظهورنا . . وكادوا يغلبوننا على أمرنا . . لولا نصر الله ورعايته . .

زيـد : لا تنسيا موقفه المجلل بالعار من مواليه اليهود عندما رفض رسول الله أن يشركهم معه في القتال الا اذا أسلموا . . حتى يأمن جانبهم . . ويطمئن اليهم . . . . وكان على هذا المنافق أن يدعو مواليه الى الاسلام . . لكنه أمرهم بالانسحاب .

هلال : ليته أمر اليهود بالانسحاب وبقى هو يقاتل معنا . . لقد انسحب هو الآخر ومعه قومه والحرب على أشدها . . أملا في أن يفت ذلك في عضدنا . . وتهزمنا قريش . . ونتفرق في الأرض وتخلو له المدينة يحكمها . . ويتحكم فيها حسب أهوائه الدنيئة . .

زيـد : (يوجه الحديث الى هلال) كنت أحب أن تكون معنا . . وترى الغضب الذى بدا في عيون المسلمين . . وهياج عمر بن الخطاب . . وثورته العارمة . . لو كان ابن أبي أمامه لحطتها . . لكان حطمه . . ومزقه قطعا . . قطعا . .

هلال : الى هذا الحد بلغت ثورة ابن الخطاب . . ترى ما الذى أثاره وأغضبه ؟

زيـــد : عندما قلت لرسول الله أن هذا الرجل قال لقومه فيما قال .. والله اننا ومحمدا وأصحابه كما قال الألون سمن كلبك يأكلك ..
هلال : (في غضب ظاهر) تبلغ القحة والنذالة بهذا الرجل هذا المبلغ .. وأمام من ؟ أمام رسول الله وسيد المرسلين .. انه والله لا يستحق أقل مــن القتـــل ..
زيـــد : هذا ما دعا اليه عمر بن الخطاب .. طلب من رسول الله أن يأمر بلالا ليقتله ..
أسيد : خشيت أن يستجيب رسول الله .. فتدخلت في الأمر .. ودعوت عمر بن الخطاب الا يثير ثائرة النبي .. وقلت له انك لتذكر يا ابن الخطاب اننا يوم أن جئنـــا المدينـــة مهاجرين .. أعـــدت الخزرج تاجا مـــن الجواهر والزمـــرد واليواقيت ليتوجوا عبد الله بن أبي ملكا عليهم .. وانه ليرى أن المهاجرين اسـتلبوا ملكه .. وانتزعوا سلطانه و ..
هلال : (مقاطعـــا في ضيـــق) كل هذا لا يبرر مـــا يفعله ضد الاســـلام والمسلمين ..
أسيد : لم أكن أبغي تبرير جريمته .. انما أردت الرفق به .. والصفـــح عنه .. عله يتوب الى الله .. ويحسن اسلامه .. ويصدق ايمانه ..
هلال : ما كان جواب رسول الله عندما طلب منه ابن الخطاب أن يأمر بلالا ليقتلـــه .
زيـــد : خفق برأسه الى الأرض طويلا .. ثم رفعها وتلا علينا ..
« هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وللـــه خزائن السموات والأرض .. ولكن المنافقين لا يفقهون .. يقولون لأن رجعنـــا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون » .
الجميع : (في ايمان) صدق الله العظيم ..
زيد : تدرى ما الذى فعله بعد أن سمع هذه الآيات البينات .. لم يتمالك نفسـه ... وصاح يا رسول الله .. ليس بعد قول الله تعالى الا أن تأمر بـــلالا ليأتينا برأسه هذا المنافق الآن ..
هلال : (متسـائلا) ووافق النبى ..
زيـــد : نظر الى ابن الخطاب طويلا .. ولم يتكلم .. فآثرنا الانصراف دون أن نعرف .. ما الذى استقر عليه رأى رسول الله ..
هلال : لا أقل من قتل أس النفاق أو ابعاده عن المدينة ..
أسيد : أرى على البعد عبد الله بن سيد الخزرج قادما نحونا .
زيـــد : ربما يكون قد علم ما كان من أمر أبيه ..
(يتقدم ابن ابن أبي من مجلسهم فيحييهم .. ثم ينتحى به أسيد بن حضير ويسر في أذنه ما نزل من القرآن في حق أبيه)
ابن ابن أبى : انى لأخجل والله من لقائه بعد ما كان من أبى .. لقد وضـعنى أبى بين شقى الرحى ..
أسيد : (يربت على كتفه) لا عليك يا بنى .. اذهب الى رسول اللـــه .. والتمس منه الصفح والمغفرة ..
ابن ابن أبى : لانى لأخجل والله من لقائه بعد ما كان من أبى ..
أسيد : (يدفعه بيده في رفق) هيا .. هيا سأكون في صحبتك .. ولن يضن

(البقية ص ٩٢)

بالخبر والفقه ، والذين لا تقبل منهم كالضحاك والسدى . ويختم مقدمته ببحث عن الحروف فى أوائل سور القرآن الكريم .

هذا هو السفر الجليل الذى قدمه الينا محمد بن جرير الطبرى ، وهو شاهد صدق على فضل هذا العالم الكبير ، ومظهر خير من مآثره الخالدة .

بقى لنا من الطبرى جهده القيم فى فن التاريخ ، وهو جهد رائع ، حقق الكثير ، مما قصر عن تحقيقه ، ورسم صورة واضحة المعالم ، لعهد مشرق للامة الاسلامية ، لولاه لضاع معظمها فى مجاهل النسيان . وكتابه تاريخ الرسل والملوك أو « تاريخ الامم والملوك » هو أيضا عمدة الابحاث التاريخية ، فقد دخل الطبرى ميدان التاريخ مفسرا ومحدثا ، طبق على جزئيات بحثه التاريخى ، وكلياته ، كل ما اتبعه من قواعد فى تفسيره ، فجاء كتابه تتمة للتفسير ، وأراد أن يوضح فى تاريخه ، مشيئة الله فى الخلق وأحوالهم ، وأن يجعل منه دليلا على فعاليات الامة التى يكتب تاريخها ، وهو قد كتب تفسيره أولا ثم اتبعه بكتابه التاريخى هذا ، وانتهى من تاليفه سنة ثلاث وثلاثمايةهجرية ، والدليل على ذلك أنه قد ضمنه من الاحداث ما وقف به عند نهاية سنة اثنتين وثلاثماية . ويروى أن كتابيه هذين كانا أكبر مما هما عليه الآن حجما ومادة ، وأن الذى بين أيدينا مختصران للاصلين الكبيرين وهو من خيرة ما كتب فى مادته حتى يومه ، فبالاضافة الى اتساعه وشموله : فقد اتبع فى تأليفه نظام السنين ، وهو نظام فى التاريخ أكثر دقة ، وأظهر للفترة التى يؤرخ لها ، أما أمانته فى النقل فانها تبرز فى طريقته فى البحث ، فهو يختص كل صاحب اختصاص بمرحلة تاريخية ، أو أمة من الامم وينقل عنه مشافهة أو كتابة متبعا طريقة الرواية بالسند الذى يوصل الى الراوى ، وهى نفس الطريقة المتبعة فى اثبات الاحاديث النبوية ، ولكنها ليست بنفس المستوى من الدقة ، فقد كان يتجوز بعض الروايات الضعيفة ، وكان أحيانا لا يصرح بأسماء رواة ، مكتفيا بحسن ظنه بهم ، أو معرفته بصدقهم ، ويمكن تقسيم الكتاب الى قسمين ، يتناول القسم الاول فترة ما قبل الاسلام ، فبعد المقدمة يبدأ بذكر آدم ، واصل الخليقة ، ويتعرض للانبياء حسب ترتيبهم فى التوراة مسجلا أخبارهم ، ثم يخصص للساسانيين فصلا ، وللرومان ، والعرب ، واليهود فصولا ، فيروى تاريخ الفرس منذ أقدم الازمنة ، حتى عهد كسرى ابرويز ، وهو الذى حدثت فى زمنه معركة « ذى قار » ثم يتابع الى عهد يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، وهو الذى انتهت به أيام الفرس على أيدى المسلمين . ويؤرخ للوك الروم منذ دخلت اليهم المسيحية ، واتخذوها دينا لهم ، الى عهد الاسلام ، وبتفصيل يكاد يكون تاما . أما العرب فهو يتحدث عن تاريخ ثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرهم ، كما يذكر غزو بختنصر ، للعرب فى زمن معد بن عدنان . وأرخ لملوك اليمن ، وعلاقتهم بالاحباش وبالفرس . ولبعض المشهورين مثل عمرو بن الظب ، والزباء . ويتناول فى القسم الثانى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخباره وغزواته ، ثم سيرة الخلفاء الراشدين وفتوحهم ، فتاريخ الدولة الاموية ، فالعباسية حتى سنة اثنتين وثلاثماية ، وقد جاء من بعد الطبرى محمد بن عبد الملك الهمذانى المتوفى سنة ٤٨٧ هجرية ، فألف ملحقا سماه « تكملة تاريخ الطبرى » تابع فيه تسجيل الاحداث التاريخية حتى سنة سبع وثمانين وأربعمائة هجرية . وذيل له أيضا عريب بن سعد القرطبى بذكر حوادث سنة ٣٦٥ هجرية . كما اختصره تلميذه أبو محمد الفرغانى بكتاب سماه « المذيل » أو « أصلة التاريخ » . وبقى ان جاء بعده مصدرا نقل عنه الكثيرون الاحداث كما أوردها كابن مسكويه ، و « ابن الاثير » .

هذه اللمحة الموجزة عن الامام الفقيه ، والمفسر الكبير ، والمؤرخ النابه ، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تعطى صورة قد لا تكون محددة المعالم الى الحد الذى تبرز فيه بكل أبعاده صورة هذا العالم الجليل ، الذى خدم الثقافة الاسلامية خدمة لا مزيد عليها .

ولعل المجال المتسع لتناول الجوانب المتعددة من حياة الطبرى ، متسع جدا ، تنتظر المنصفين ، والغيورين على سمعة الامة الاسلامية ، عسى أن تبعث أمثال تلك الدراسات الجادة الهمة فى نفوس الشباب المسلم ، وتقدم لهم نموذجا لطراز كثر أمثاله فى أمتنا .

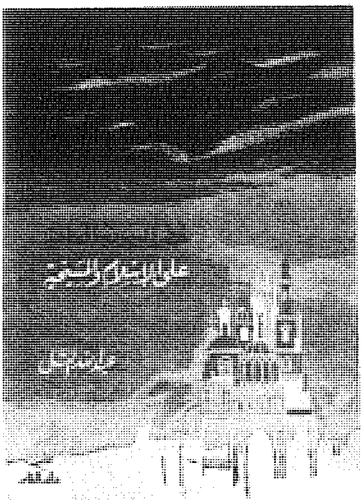
خطر اليهودية العالمية على الا...

تأليف : عبد الله التل

عرض وتلخيص الاستاذ : بسام الاسطوانى
المساعد العلمى لخبير الموسوعة الفقهية ــ الكويت

من المؤسف المؤلم حقا أن نغمض أعيننا ونتشاغل بالخلافات والمشاكل الداخلية عن الاعداد والاستعداد على كل صعيد وفى كل ميدان عن تعبئة امكانيات الامة العربية الاسلامية وجميع طاقاتها الروحية والمادية والفكرية لمواجهة خطر اقتحم علينا ارضنا ومقدساتنا ونال من كرامتنا ووجودنا منذ أكثر من عشرين عاما وما يزال .. ومن أكبر دواعى العجب ان يكون هذا الخطر الصهيونى مكشوف الخطط واضح الاهداف ثم لا نعيره الاهتمام الذى يستوجبه ويستحقه .. واغرب من كل ذلك أن نعين عدونا على انفسنا ونتيح له الفرصة الكافية ليخطط ويستعد بكل عزم وتصميم ويضع خططه بعد ذلك موضع التنفيذ .. ونحن غافلون او متشاغلون عنه ، بل معينون له بالخلافات والمظالم المتنوعة التى شتت وحدتنا الوطنية ، وصدعت قوانا الروحية ، واضعفت قوانا المادية والعسكرية حتى تمكن عدونا او حتى مكناه من انزال ضربته الثانية المفجعة ، هذه الضربة الموجعة المذهلة التى اجبرت قادة العرب على الاعتراف بأننا فى المعركة الاخيرة قد واجهنا التنظيم المحكم والعلم والتكنولوجيا بما لا يفوقه ، ولا يماثله ، فحلت بنا النكبة الفاجعة كنتيجة طبيعية لذلك ..

ان الحقيقة الاولية التى تناسيناها ولا بد من تسجيلها فى هذا الصدد للذكرى ، هى أننا نسينا الله فحق علينا العذاب ، وأهملنا تنمية القوة الروحية التى خلدت بطولات أجدادنا بأروع معانى الخلود والمجد ، واستبدلنا بها شعارات جافة فارغة وفلسفات مادية مستوردة غريبة كل الغربة عن روح أمتنا المسلمة وطبيعتها ومصالحها . وهى بمعظمها من نتاج الفكر اليهودى المكشوف المعروف .. فلا غرابة أن تفشل هذه الشعارات والافكار فى قيادة جماهيرنا المؤمنة بدينها وقيمها ، وأن تقوم العزلة الموحشة بين



ـلام والمسيحيّة

اصحاب تلك الشعارات والافكار وبين جموع الشعب العربى المسلم ، فكانت النتيجة الطبيعية أن خسرنا الجولة الثانية وتجرعنا كأسها المر وغصتها الخانقة ..

وسيكون هذا شأننا فى كل جولة مقبلة ما دمنا متنكبين لطريق الاسلام الذى فيه لا فى غيره وحدتنا وقوتنا وعزنا . ومادمنا مهملين قواانا الروحية الفعالة وهى القوة التى لا تغلب لأنها قوة من عند الله جبار السموات والارض ورحمانها .. فهل نتعظ ؟! وهل نستيقظ ؟!

وبعد هذه المقدمة اعيد القول انه لمن المؤسف المؤلم حقا أن تكون خطط عدونا مكشوفة واضحة بل معلنة منشورة منذ زمن طويل وفى الشرق والغرب وبلغات متعددة ثم لا نعيرها الاهتمام اللازم لمقاومتها قبل تمكنها من السير الى غاياتها المعروفة المرسومة ، ولقد جهد كثير من مفكرينا وعلمائنا المخلصين بتتبع خطط الصهيونية وكشفها بجهود صادقة أمينة واعية ليضعوا هذا الخطر أمام أعين القادة والمسئولين وامام أعين الشعوب عساهم يدركون ابعادها وخطورتها .. فيتحركون لاحباطها قبل فوات الاوان .. ومن هؤلاء المفكرين العاملين قائد عربى مؤمن اكتوى بنار الجولة الاولى فخاض معارك الشرف مدافعا عن القدس ومسجدها الاقصى المبارك وجميع مقدساتها ، وقدر له العيش بعد ذلك الى أيامنا هذه ، فظل أمينا على رسالة الامة العربية الاسلامية ، ومجاهدا لقضيتها ، فأشرع قلمه المؤمن الجرىء بعد ان اجبر على اغماد سيفه ليتابع جهاده المبارك ضد اليهودية المالية بفكره وقلمه ، وقد يفعل الفكر والقلم فى بعض الاحيان اكثر مما يفعله السيف والبارود .. ذلك هو عبد الله التل قائد معركة القدس عام ١٩٤٨ الذى قدم كتابه القيم للأمة العربية الاسلامية ولبنى البشر جميعا بعنوان « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » وهو الكتاب الثانى الذى اخرجه المؤلف بعد كتابه الاول عن « مذكراته فى حرب فلسطين » واذا كان هذا الكتاب العظيم الشأن ليس من كتب هذا الشهر بل هو صادر قبل ذلك ولكنه بما يتضمنه من معلومات ذات أهمية ثابتة جدير بأن يعتبر جديدا بعد الكارثة الاخيرة وأن تسلط عليه الاضواء من جديد . ولذا نقدمه اليوم لقراء هذه المجلة .

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٩٦٤ ، وهو بحق يعتبر احسن واكمل دراسة واعية عن قضيتنا الكبرى .. فلسطين .. يبدأ بهـا من أصولها وجذورها متسلسلا معها فى حلقاتها الدولية والمحلية الى حاضرها الاليم .. ومنتهيا الى مقترحات وآراء صريحة وجريئة وقيمة جديرة بالاهتمام كله لأنها اصدق تعبير عن الوعى السليم للقضية وأبعادها .. فلنسر مع المؤلف فى كتابه الخطير هذا خطوة خطوة لنتعرف على مجمل موضوعاته وأبحاثه :

يقع الكتاب فى ٤٥٠ صـفحة من القطع الكبير الابيض الصقيل ومزود بالخرائط والوثائق الهامة وهو جيد فى ترتيبه وتبويبه وفى اخراجه وطباعته ، يبدأ بمقدمة قصيرة وينقسم بعدها الى قسمين كبيرين :

فالقسم الاول :

مكون من ثلاثة عشر فصـلا تبدأ بالعـدوان اليهودى الاول القديم على فلسطين وقد أوضح المؤلف فى هـذه الفصول الصـلات الاولى بين اليهـود والمسيحية ، وبينهم وبين الاسلام ، وشرح حقيقة الدين الذى يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ومقررات حكمائهم ، موضحا كيف حرف أحبار اليهود التوراة بعد قرون من نزولها ، وحشوها بأفحش القول وابشع الحقد ضد المسيح عليه السلام والمسيحية وضد الاسلام والانسانية وما ضمنوها من التعاليم والمبادىء الخطرة الاجرامية والقيم الفاسدة التى ينكرها ويأباها كل ذى ضمير حى ووجدان سليم ، مستشهدا لكل ذلك بنصوص صريحة من التلمود والتوراة ووقائع التاريخ الغابر والحاضر وكلها تقشعر له الابدان استفظاعا ، وتتقزز النفوس من خستها وبشاعتها وهولها ، وكثير منها لولا صدق النقل وأمانته ودعمه بالارقام والتواريخ والاسماء والامكنة والازمنة والمراجع لخاله القارىء مجرد تشنيع ومبالغات من نسج الخيال ولكنه الواقع المدعوم بأصدق الادلة القاطعة الواضحة ، وقـد استعان المؤلف لذلك بذكر بعض خطط اليهودية العالمية ومبتكراتها التهديميـة وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية ولا سامية وشيوعية للسيطرة على العالم ، ويختتم المؤلف فصول القسم الاول بالحديث عن نجاح اليهودية العالمية وحكومتها المستورة فى تدمير القيم الاخلاقية فى دول الغرب الاعمى الضال ، وسيطرة اليهود على أغلب دول امريكا واوربا وعلى عصبة الامم ومن بعدها على الامم المتحدة ، ويثبت المؤلف لبيان مدى هذه السيطرة الفعلية اسماء الشخصيات اليهودية الصريحة التى شغلت وما تزال أهم المراكز والمناصب الحساسة والقيادية فى كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتى وغيرها من الدول وفى الهيئات الرئيسية فى عصبة الامم وهيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية وسائر المنظمات الدولية .

والقسم الثانى :

مكون من عشرة فصول تبدأ من العدوان اليهودى الثانى الذى بدأ منـذ الاحتلال البريطانى ١٩١٧ م وتنتهى بالعدوان اليهودى السادس لاغتصاب المياه العربية فى الايام الاخيرة ، وتضمنت هذه الفصول مراحل تنفيـذ الاعتداءات اليهودية الستة وما لازمها من غدر بريطانى ووحشية يهودية واجرام أمريكى

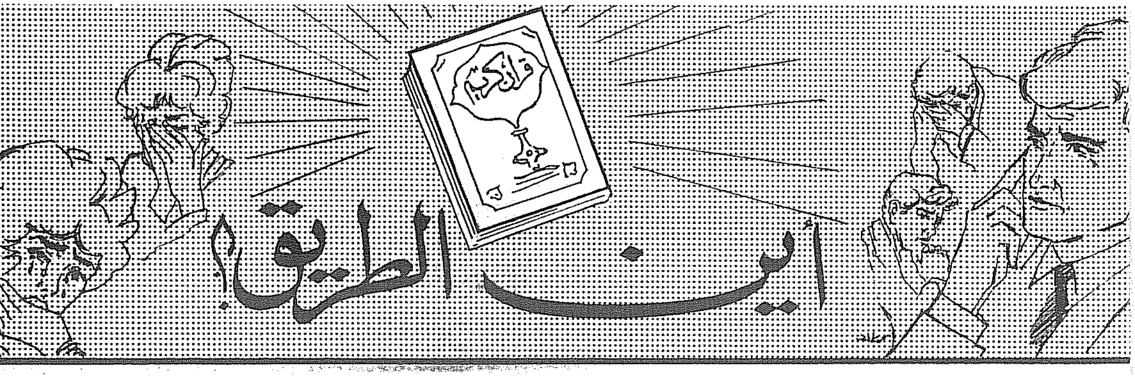
خبيث ساعد على قيام الدولة المجرمة « اسرائيل » وجاء الفصل العاشر والاخير متضمنا راى المؤلف فى الحل الصحيح للمشكلة . موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الامة العربية وتعانيه الانسانية جمعاء من ويلات وأخطار على يد اليهودية العالمية ، وهو راى كما قلت آنفا جدير بكل عناية واهتمام لأنه تعبير صادق عن وعى تام للقضية وحقيقة أبعادها وخطورتها ، كما أنه أصدق تعبير عن الادراك العميق لروح الامة العربية الاسلامية وامكانياتها وطاقاتها الجبارة الهائلة التى أهملت أشد الاهمال مع شدة الحاجة اليها ، فكانت النكبة وكانت الهزيمة .

والجدير بالذكر فى موضوع هذا الكتاب الهام القيم ما أبداه المؤلف فيه من اهتمام عميق بالجانب المقدس للقضية . . وقليل هم الكتاب والمؤلفون الذين أعطوا هذا الجانب ما يستحقه من الاهتمام ، ومرد ذلك حسب تعبيره الى ايمانه الذى لا يتزعزع بأن قضية فلسطين دينية مقدسة فى المقام الاول ، وأن أية معالجة لها لا تكون على اساس دينى جهادى ، مكتوب عليها الاخفاق لا محالة ، وأن ايمانه هذا مبنى على تجارب عسكرية عاشها وحقائق تاريخية لمسها ووعاها ، وقد استشهد لذلك بمعارك الحرية الحديثة والقديمة التى خاضها المسلمون ضد الغزاة المستعمرين وكسبوا فيها النصر المؤزر بهتاف « الله اكبر » ومن هذه المعارك الحديثة ثورة الجزائر الكبرى التى هزمت الاستعمار الفرنسى وقضت على خرافة فرنسة الجزائر ، يوم خيل للاستعمار انه استطاع القضاء على عروبة الجزائر واسلامها فجاءت الثورة ، وسلاحها الاول جهاد دينى فى سبيل الله ، مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة فى الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسى بشع دام ١٣٠ عاما كاد خلالها أن يهلك الحرث والنسل ، وأن يقضى على اللغة العربية ، بيد انه أخفق فى القضاء على الاسلام ، فحرر الاسلام الجزائر .

ويوجه المؤلف اللوم الى دعاة العلمانية (لاييك) فى الوطن العربى الذين تناسوا واسقطوا من حسابهم العامل الدينى فى قضية فلسطين ، وأنها القضية الوحيدة التى قامت فى العالم منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على اسس دينية روحية وقد أوضح المؤلف بالحجة الدامغة انه ان صحت معالجة أية مشكلة على أسس مادية ، فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الاولى ، وأسس مادية بالدرجة الثانية ، كما وجه اللوم الشديد الى قادة الاحزاب والحركات العربية العلمانية التى تناست أن جميع المعارك الحاسمة فى تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الى بور سعيد والجزائر ، كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة . . الله أكبر . .

ويختم المؤلف ذلك بقوله : ان الامة العربية تمر اليوم بمرحلة تنوير واعداد وتخطيط لمعركتها الكبرى من أجل استرداد فلسطين ، وواجب كل فرد أن يسهم بجهده فى هذا المجال ، وهو يرجو أن يكون بهذه الدراسة — الموفقة — التى قدمها فى هذا الكتاب قد أسهم ولو بجهد المقل فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة لما فيه خير أمته ووطنه .

ونحن نشهد بأن السيد عبد الله التل القائد المؤمن ومؤلف هذا الكتاب قد أسهم فعلا بجهد طيب مبارك جزاه الله عنه كل خير آملين أن يفتح كتابه هذا بصائر قادة العرب وحكامهم وشعوبهم على الحقيقة ويفريهم بكلمة الحق التى صدع بها هذا القائد المؤلف المؤمن لكى يتمكنوا من التغلب على ضعفهم وأهوائهم وانحراف بعضهم عن جادة الحق متناسين جانب الله تعالى ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وما النصر الا من عند الله القوى العزيز .



أين الطريق؟

أخى المسلم أختى المسلمة ..

نحن على موعد معك لنتلاقى هنا .. فهذا الباب الجديد لك . لمشاكلك . نتلاقى فيه معك على طريق الله الذى تحبه ونحبه ، ونحن ـ أنا وأنت ـ لا نحب أبداً أن نتخلص من مشكلة تجابهنا فى حياتنا على حساب ديننا ومستقبلنا عند الله . فاننا قوم يستقر فى أعماقنا مراقبة الله ، والحرص على رضاه ويشرح صدورنا دائما أن نكون فى ظل من رعايته ، ولو تحملنا فى ذلك الصعاب . فراحة الضمير هى الراحة الحقيقية .. وشعور الانسان بأنه مع الله يسبغ عليه دائما الرضا والاطمئنان حتى فى أحلك الساعات وأشدها قسوة .

وهؤلاء الذين يحاولون الهرب من مشكلاتهم وحلها على حساب دينهم طمعا فى الراحة انما يزيدونها تعقيدا ، لأنهم يؤثرون الراحة الظاهرة ، والعلاج المسكن المؤقت الذى يتيح للمرض أن يستفحل ، وللعذاب أن يزداد .. فكن مع الله دائما .. وتعرف اليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة . واكتب لنا بمشكلتك نتعاون معك على حلها فى هدى من نور الله ..

ولقد كنت أريد من مدة أن أقدم لك هذا الباب ، ولكن زحمة العمل والمواد كانت تؤجله من عدد الى عدد ، حتى جاءتنى رسالة من أخ فى العراق أزعجه ما كان يزعجنى دائما من جرأة بعض المجلات غير المتخصصة على الافتاء فى أمر الدين بدون علم .. فلم أجد بدا من التعجيل والتنفيذ .

التلقيح الصناعى :

يقول السيد / صبحى الراوى من بغداد فى رسالته هذه :

« لقد قرأت فى مجلة (طبيبك) الدمشقية فى العدد ١٢٧ السنة الحادية عشرة آذار (مارس) ١٩٦٧ فى الصفحة (١١٥) فى أسفل الصفحة السؤال الموجه الى المجلة المذكورة وكان السؤال هو من (س + ق) من دير الزور ، يسأل هل يعتبر الالقاح الصناعى زنا ؟

أما جواب المجلة المذكورة فكان هو :

كلا ! طالما هو جار بعلم الزوج والزوجة وبدون شهوة ... الخ »

الى هذا الحد من الاستهتار وعدم المبالاة يقذف الدكتور برأيه دون احتياط ، كأنه ليس مهما عنده الا أن تحمل المرأة وتنجب ، أما من أين حملت ؟ ولمن ينسب الولد الذى جاء عن طريق هذا التلقيح ؟ .. فهذا أمر لا يهمه .. لأنه لا يهمه ـ كما قلنا ـ الا أن تحمل الزوجة وتجىء بولد !!

ولو أن الدكتور الذى أجاب عن السؤال كان يهمه التحوط لأمر دينه ،

وللأنساب التى يحرص الاسلام على الحفاظ عليها وعدم اختلاطها ، لكان له جواب غير هذا الجواب ..

انني أعرف أن بعض البيوت تعيش فى سعادة ، ولا ينقصها لكى تكمل سعادتها الا أن يدرج فيها وليد وقد يكون السبب من الزوج ومع ذلك تظل الزوجة وفية له ، محافظة على عشرته ، وهنا تظهر المشكلة ، وتشرئب النفوس الى طريقة لملاجها ..

هناك زوجات يتحايلن ويظهرن أنهن حوامل ثم تعمل بحيلها للحصول على طفل وليد تدعى انه وليدها ، وتدخل الحيلة على الزوج .

وهناك من قد تدفعها الرغبة فى الولد الى سلوك الطريق الشائن وترتكب الوزر وتأتى بولد قد تخدع الزوج بأنه ابنه .

ولا شك أن كلا الطريقين جرم تبوء به المرأة أمام الله وعليها وزره وهناك من تتعفف عن هذا وذاك وتلجأ الى التلقيح الصناعى .. وهى الطريقة التى كانت موضع السؤال والجواب فى المجلة الطبية !!

وجواب الدكتور فى المجلة يشبه تماما ما جاء فى بعض القوانين الخاصة بارتكاب الزنا أو جاء متمشيا معها حيث أن هذه القوانين لا تعاقب الطرفين ما دام الامر قد تم برضاهما فى بعض الحالات !!

فسيادته قد أفتى فتوى فرنسية لا فتوى اسلامية !!

والا لو فكر قليلا وتروى لأمكنه أن يصل بطريق عقله الى ان التلقيح الصناعى له حالتان :

الحالة الاولى : أن يتم بمادة ليست مأخوذة من الزوج بل من رجل آخر لأن مادة الزوج غير صالحة للاخصاب وهذه الحالة لا فرق بينها وبين الاتصال الجنسى المباشر بالرجل الآخر من حيث النتيجة ، فالولد ليس له صلة ما بالزوج . فكيف يمكن عقلا أن ينسب اليه ويكون ابنه ويأخذ حكم الابناء ؟!.. ودعونا من الشهوة فهى شىء وقتى وعارض ، ومن العلم وعدم العلم فهذا لا أثر له فى الموضوع . الامر فى هذا واضح لكل من يحكم عقله . وهو الذى يحكم به الاسلام ويعلن أن هذه الطريق حرام ولا يمكن نسبة الولد الى الزوج .

الحالة الثانية : أن تكون مادة الزوج صالحة للاخصاب ولكنه لأمر ما لم تحمل الزوجة منه مع خلوها من موانع الحمل . ورأى الأطباء المختصون انه قد يتم الحمل بطريق التلقيح الصناعى بواسطة مادة تؤخذ من الزوج نفسه .. وهذه لا مانع من تجربتها فلو نجحت كان الولد شرعيا وابنا حقيقيا للزوج له حكم الابناء الشرعيين ..

هذا هو الحكم الشرعى وهو الذى يهتدى اليه العقلاء بفطرتهم السليمة البعيدة عن المؤثرات الغريبة .. ولا أدرى ماذا يكون موقف (صاحب الفتوى) لو أخذ هو دور (الزوج العاجز) عن الاخصاب . هل كان يقبل أن تحمل زوجته بمادة رجل آخر ويرى أن الولد ولده ؟!!

كنت أود أن تقتصر المجلة الطبية على الفتاوى الطبية ولا تدس انفها فى غير اختصاصها وتفتى فى الاحكام الشرعية بغير علم فتضل وتضل ..

ماذا يكون موقف المجلة الطبية لو أصدرت أنا فتوى طبية ونشرتها على الناس ؟

أما كانت تنبرى لى وتتهمنى بالدجل وتضليل الناس في الطب وتعريض حياتهم للخطر ؟!

وهذه مشكلة أخرى تحملها الينا رسالة من الاخ ط. ع من العراق وهى فى

الحقيقة ماساة تعيش فيها اسرته بسبب تصرف والده الذى يبلغ من العمر سبعين سنة وتصرفهم معه كذلك . وارجو القارىء ان يعفينا من ذكر التفاصيل اكتفاء بما يفهمه من الجواب .

ونقول للأخ ط. ع. قرانا رسالتك بامعان وتأثرنا كل التأثر للحالة النفسية التى تعيشون فيها بسبب تصرف الوالد . ومع ذلك فقد كنا نود أن تنظر أنت واخوتك واخواتك ووالدتك لتصرف الوالد على ضوء الظروف التى تلمسونها والتى ذكرتم لنا شيئا منها .. فالوالد — كما ذكرتم — يبلغ من العمر سبعين سنة ويصاب كل سنة « بحالة مرضية عقلية فى فصل الربيع ولا يشفى منها الا بذهابه للمستشفى » فهو اذن مريض مرضا عقليا وما تتصورونه أنتم أو المستشفى من شفائه التام من هذا المرض أمر مبالغ فيه .. فاذا كانت تذهب عنه بعض الاعراض بعلاجه بالصدمات الكهربائية فى المستشفى فان المرض لا يزال موجودا بصورة أخرى ولذلك يعاوده ويشتد عليه كل ربيع كما تقول .. وتصرفاته هذه التى ذكرتها هى أكبر دليل على أنه لا يزال مريضا بعقله اذ لا يقبل على مثل هذه التصرفات انسان وهو سليم العقل .

فلماذا تحاسبون الوالد على تصرفاته كما تحاسبون رجلا عاقلا ؟.. وترتبون على هذه التصرفات ما ترتبون مما ينغص عليكم حياتكم .. ويقضى على الاسرة ويشتت شملها ويسىء اليها والى سمعتها ؟ ثم تستثيرك هذه التصرفات الى حد أنك تفكر فى الاقدام على جريمة القتل .. **وقتل من ؟! قتل الوالد .. لا لشىء الا لأنه مجنون سلبه الله نعمة العقل .**

واذا كان قد حرم نعمة العقل فتصرف هذه التصرفات الشاذة فلماذا لا تتصرفون أنتم تصرف العقلاء فبدلا من أن تحملوا تصرفاته محمل الجد كنتم ترونها عارضا من عوارض الجنون فترثون لحاله ، وتسرعون لعلاجه .. وكان على أختك الكبيرة أن تسارع فتخبر والدتها بهذا العارض وتتدبروا جميعا أمركم وتسارعوا لعلاجه بدلا من أن تسكت وتخفى الأمر عنكم ويتكرر منه هذا التصرف الشاذ وتصدم هذه الاخت وتصاب هى الاخرى بحالة نفسية ..

ان الخطا خطؤكم .. خطؤكم فى اهمال علاج الوالد ثم محاسبته على تصرفاته حساب العقلاء . والوالد .. والد .. أحاطه الله بعنايته وأمر ببره وتكريمه والعناية به ولا سيما اذا كبر واحتاج الى عناية أبنائه الذين رباهم « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » .. وتعبير القرآن بقوله (عندك) له مغزاه اذ يدل على أنك أصبحت ترعاه وهو عندك وفى رعايتك فلا بد أن تحوطه بعنايتك كما كان يحوطك وأنت عنده صغير وتحت رعايته ..

فقبل أن تلوموا الوالد المريض الذى بلغ من العمر سبعين سنة . وتحاسبوه ، عليكم أن تحاسبوا أنفسكم وتلوموها على تقصيركم ، وعلى تفكيركم ومحاسبتكم الوالد على أنه فى كامل قواه العقلية ..

وقد عرضنا مشكلتك هذه على الدكتور محمد طلعت مدير مستشفى الامراض العصبية بالكويت فقرر أن ما صدر عن الوالد دليل على أنه فاقد لقواه العقلية وأن مرضه العقلى الذى يزوره كل ربيع مستمر معه ولكن على صورة أخرى وأنه يحتاج الى علاج مستمر مع اشعاره بالعطف عليه والعناية به .

يا اخ ط. ع. ابحثوا عن الوالد ، وادخلوه المستشفى وحوطوه برعايتكم فهو فى آخر أيامه . وفى أشد الحاجة للعناية والرعاية . وأنت رجل متدين تخشى الله . والله معكم ..

حول مقال

حصار المسلمين في شعب أبي طالب

سبق أن نشرنا في العدد السابع والعشرين من المجلة مقالا للشيخ عبد الرحمن الصوالحي تحت عنوان « حصار المسلمين في شعب أبي طالب » ، وقد أرسل الينا الاستاذ محمد المجذوب ملاحظات على هذا الموضوع ، بعثنا بها الى السيد كاتب المقال الذي قام بالرد على هذه الملاحظات ، وننشر فيما يلي الملاحظات والرد عليها .

الملاحظات

☆☆☆☆☆☆☆☆

قال الأستاذ محمد المجذوب :

قرأت مقالة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي في عدد ربيع الأول ١٣٨٧ من الوعي ، وهي التي جعلتم عنوانها (حصار المسلمين في شعب أبي طالب) فوقفت فيها على بعض الهفوات لعلها فاتت قلم الكاتب دون انتباه ، فرأيت أن أتداركها بهذه الأسطر التي أرجو نشرها خدمة للتاريخ الاسلامي .

١ — ذكر الكاتب في فقرة (امداد المسلمين سرا) اسم حكيم بن عدي ابن أخي خديجة .. والصحيح انه حكيم بن حزام ويكنى أبا خالد القرشي الأسدي وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين ، كما حققه صاحب المشكاة .

٢ — وقال الكاتب في الفقرة (الأرضة تأكل الحلف) « توصل أحد أصدقاء الرسول الى الكشف عن وثيقة حلف المقاطعة فوجد الأرضة قد أكلت كلماتها ! .. » وهي رواية غريبة لا تعرف عن أي من كتاب السيرة ومؤرخيها ..

ولعلها وثبت الى قلمه عن طريق أحد المستشرقين دون انتباه ، اذ المعروف بما يشبه الاجماع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك عن طريق الوحي ، فاخبر به عمه أبا طالب ، فانبأ أبو طالب به قريشا .. ولا يشفع بهذه الهفوة اشارة الكاتب الى رواية ابن هشام هذه ، بدليل ما ينسبه بعد ذلك الى أبي طالب ، اذ يجعله يقول لقريش : (قد وصلني أن وثيقتكم قد أكلتها الحشرات فاكشفوا عنها ، حتى اذا تحقق قولي كان عليكم أن تكفوا عن مقاطعتكم ، وان لم يتحقق فاني أعدكم بتسليم ابن أخي اليكم تفعلون به ما تريدون) .

وها هنا أمران « أولا أن أبا طالب لم يقل هذا الكلام قط ، بل أن الروايات متضافرة على انه قال : — كما في طبقات ابن سعد — (ان ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط ان الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي منها كل ما ذكر به الله ، فان كان ابن أخي صادقا نزعتم عن سوء رأيكم ، وان كان كاذبا دفعته اليكم ..) وقد تختلف بعض الكلمات

بين رواية وأخرى ولكنها لا تخرج عن هذا المعنى أبدا .

ثانيا « ان مجرد وصول خبر عن أي طريق غير الوحي لا يمكن أن يدفع أبا طالب الى المغامرة بمصير محمد صلى الله عليه وسلم وهو أحب اليه من نفسه ، بل المعقول فقط أن يفعل ذلك اذا اعتمد على خبر المعصوم دون غيره لما جربه من صدقه .. وكلا الأمرين كاف للقطع برد ذلك التعليل الشخصي ، وما نسب الى أبى طالب من كلام لا يدخل في عقل أنه قاله . ومع ذلك فسنكون شاكرين للسيد الكاتب اذا سمى لنا المصدر المحترم الذي أخذ عنه كلا الخبرين ، لأن الموضوع من النوع الذي لا يقبل الا معتمدا على السند

٣ — كذلك في عبارة الكاتب ما يقطع بأن الحشرة قد أكلت الصحيفة كلها أو كل كلماتها ، والمعلوم من الروايات المعتبرة أن الذي أكل أو لحس انما هو كلمات الظلم فقط دون اسم الله وهو الظاهر من قول أبي طالب الذي نقلناه آنفا ..

٤ — ويروى الكاتب في فقرة (تشجع الباقون بهذه المعجزة) ان أبا لهب هو الذي رد على زهير بن أمية دعوته الى نقض الصحيفة .. وكرر ذلك في الفقرة التالية أيضا اذ قال « فطاطأ أبو لهب رأسه .. » والقارىء الذي يتتبع الموضوع في مظانه التاريخية لا يجد ذكرا لأبى لهب في هذا الموقف وانما كان صاحب الرد هو أبا جهل كما أشار الى ذلك ابن هشام وغيره .

وهذا هو رد الشيخ الصوالحي

ننشره كما هو : —

اطلعت على ملاحظات الأستاذ محمد المجذوب بخصوص مقالي المنشور في المجلة تحت عنوان (حصار المسلمين في شعب أبي طالب) في عدد ربيع الاول سنة ١٣٨٧ والمحول الى بخطاب من ادارة المجلة الغراء .

واليكم الرد على هذه الملاحظات .

حصر الأستاذ المجذوب ملاحظاته على المقال المذكور في ثلاثة أمور :

فيما ذكر عن اسم حكيم ابن أخت خديجة بنت خويلد زوج الرسول عليه السلام .

ثانيا . في حقيقة العبارات والجمل التي جاءت في كتب السيرة عن واقعة أكل الأرضة لكل ما في الصحيفة أو بعضها .

ثالثا : عن أن أبا لهب لم يحضر شيئا من تفاصيل هذه الحوادث التي تضمنتها قصة الحصار وما يدور حولها ..

ونرد على ذلك بترتيب ما ذكره الأستاذ المجذوب فنقول :

أولا : عن اسم حكيم بن حزام أن اسمه ذكر خطأ على أنه حكيم بن عدى مع شكرنا للأستاذ المجذوب الذي نبهنا الى ذلك . وقد كان هذا الخطأ سبق قلم أو اشتباه نسب بين حكيم ابن حزام — ومطعم بن عدى الذي كان حاضرا تفاصيل واقعة الحصار .

ثانيا : عن حقيقة الجمل والعبارات التي رويت بها قصة الحصار بتفاصيلها ،

١ — فكلنا نعلم أن كتب السيرة المعتمد عليها في تفاصيل هذه الوقائع كلها معتمدة على الروايات الكثيرة المختلفة ، ولا ضير في ذلك ينقص من قيمتها ، لأن هذه الروايات مع اختلافها معتمدة في كتب الأحاديث الصحيحة ، بل ان الأستاذ المجذوب يسلم بذلك في ملاحظاته .

حول مقال حصار المسلمين

****
****
****.

على ان ذلك لا يعفينا ويبرىء ساحتنا اذا لـم نذكر المصدر الذي نقلنا عنه ، وهذا المصدر هو كتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة فؤاد (جامعـة القاهرة حاليا) طبـع دار الطباعة الحديثـة سنة ١٣٥٢ هـ ـ سنة ١٩٣٤ م .

حيث ذكر الدكتور زيادة ما قلناه بالنـص في كتابه ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ وهو ما يطالب بـه الأستاذ المجذوب لبراءة ذمتنا .

وكان علينا كناقلين لرواية تاريخية أن نلتزم بالنقل عن دكتور وأستاذ في التاريخ الاسلامي عملا بالأمانة العلمية . فضلا عن أن الدكتور زيادة أشار في ص ٥٩ من مذكراته ، ص ٦٣ بعد انتهاء قوله في الكلام عن موضوع الحصار ، أشار الى الكتب والمصادر التي نقل عنها بحثه حيث ذكر في ص ٥٩ من كتابه الى أن مرجعه في ذلك هو سيرة ابن هشام ص ٢٨٩ والواقدي من غير أن يدون رقم الصفحة عن الواقدي . كما أشار الى مصادر بحثه في ص ٦٣ الى ابن سعد ص ٢٤١ ـ والطبرى جزء أول ص ١١٧. وابن هشام ٢٣٣ .

٢ ـ أما استبعاد تسليم أبى طالب لابن اخيه عليه السلام اعتمادا على رواية شخص ـ استبعاد ذلك عقلا مردود ومع ذلك فقد ذكرنا عن رواية ابن هشام أن ذلك كان وحيا للنبى من أن الأرضة أكلت الصحيفة .

٣ ـ كما أن أبا طالب لم يكن مسلما يؤمن بالوحى حتى يكون لهذا الخبر قيمته عنده اذا نسب للوحي .

٤ ـ ما ذكره الأستاذ المجذوب من ان كلام النبي مصدق عنده لا دخل له في عدم تسليـم ابن أخيه ، وانما الذي له دخل هو محبته لابن أخيه وعصبيته له ، وهو ما دعاه لحمايتـه طول عمره .

٥ ـ على أن العبرة بالنتيجة وهو عـــدم تسليم ابن أخيه لأن تسليمه معلق على أن الأرضة لم تاكل الصحيفة أو لم تاكل بعضها على اختلاف في الروايات . وما دام أبو طالب قد تاكد من أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة فتسليم النبي لن يتم . واذا فلا داعي للافتراض والتخمين في أنه كيف يسلم ابن خيه بناء على رواية شخص لا سند لها من وحي أو من قول الرسول عليه السلام . (!!)

ثالثا : بقي أن أبا لهب حضر هذه الوقائع في قصة الحصار أم لا .

ونحن نجزم بأن أبا لهب حضر وقائع هذه القصة وننفي غيابه بدليل ما يأتي .

١ ـ ما ذكره الدكتور زيادة في كتابه نقلا عن كتب السيرة .

٢ ـ غير معقول أن يتخلف أبو لهب عـــن مجرى الأمور في موضوع يتصل بمصير الاسلام والشرك ، ومصير المسلمين والمشركين ، وكان معروفا بشدة عدائه للاسلام والمسلمين .

٣ ـ نغلب الظن أن الأستاذ المجذوب اشتبه عليه تخلف أبى لهب دون بني هاشم جميعا في مشاركتهم في حصارهم في الشعباشتبه عليه ذلك ، فنسب الى أبي لهب أنه تخلف أيضا عن حضور حوادث فك الحصار رغم ما ذكرته كتب السيرة عن حضوره .

الفتاوى

التعصيب

السؤال :

لماذا لا يعصب ابن الاخ اخته فى الميراث ــ ولماذا لا يحجبها ؟

زكى محمد

بصرة ــ سوق الدجاج

الاجابة :

التعصيب النسبى ثلاثة اقسام :

الاول : العصبة بالنفس : والعاصب بنفسه هو كل قريب للمتوفى من الذكور لا تدخل فى نسبته اليه انثى .

الثانى : العصـــبة بالغير : وهى كل انثى صاحبة فرض احتــاجت فى عصوبتها الى الغير وشاركت ذلك الغير فى تلك العصوبة وهن أربعة : البنت وبنت الابن والاخت الشقيقة والاخت لأب ، وذلك كالبنت مع الابن ، وبنت الابن مع ابن الابن والاخ الشقيق مع أخته الشقيقة والاخ لأب مع اخته لأب .

الثالث : العصبة مع الغير : وهى كل انثى صاحبة فرض احتاجت فى عصوبتها الى الغير ولم يشاركها ذلك الغير فى العصوبة . وهما اثنان فقط : الاخت الشقيقة والاخت لأب كالبنت او بنت الابن مع الاخت ، فان البنت تاخذ فرضها والاخت تاخذ ما بقى من اصحاب الفروض بالتعصيب .

ويظهر مما تقدم ان التعصيب بالغير انما يتحقق لانثى صاحبة فرض بعاصب نسبى ، فاذا لم تكن صاحبة فرض لا تعصب بمن فى درجتها وقوتها من العصبة النسبية . ولهذا لا تعصب بنت الاخ بابن الاخ لانها ليست صاحبة فرض بل هى من ذوى الارحام ، وأيضا لا يحجبها لانها فى درجته وهى غير وارثة متى وجد صاحب فرض أو عاصب .

ولذلك نجيب :

بان ابن الاخ لا يعصب أخته لكونها ليست صاحبة فرض مطلقا ، ولا يحجبها لانها غير وارثة متى وجد صاحب فرض أو عاصب .

في الرضاع

السؤال :

تزوجت من امراة كان أبوها قد رضع من والدتى ، وقالت والدتى أن عدد الرضعات مرتان أو ثلاث مرات .

فما حكم الشريعة ؟

مصباح عبد العزيز عبد القادر

الاجابة :

بما ان والد زوجتك لم يرضع من والدتك سوى ثلاث رضعات ، والذى عليه الفتوى ان الرضاع

المحرم هو خمس رضعات متفرقات مشبعات على ما ذهب اليه الامام الشافعى .
فاننا نجيبك :
بان الرضاع المذكور لا يوجب الحرمة شرعا عليك ولا يجب التفريق بينك وبين زوجتك .

في الميراث

السؤال :

اولا : مات شخص عن :
ابن وزوجة وأخت شقيقة وأخ لأب .
ثانيا : ثم ماتت الاخت الشقيقة عن :
اخ لأب وابن اخ شقيق .
فما نصيب كل وارث ؟

سالم العريمى
شركة الشريمان — الكويت

الاجابة :

اولا : بوفاة المتوفى الاول عن ابنه وزوجته واخته الشقيقة واخيه لابيه يكون توزيع تركته على الوجه التالى :

للزوجة الثمن فرضا والباقى للابن تعصيبا ولا شىء للاخت الشقيقة والاخ لاب .

ثانيا : بوفاة الثانية الاخت الشقيقة عن :

اخ لاب ، وابن اخ شقيق ، تكون تركتها جميعها لاخيها لابيها ولا شىء لابن الاخ الشقيق ، لان الاخ اقرب درجة من ابن الاخ .

في الوصية

السؤال :

أوصى ا. م. ر. اخاه ر. م. ر. على ثلث ماله من جميع مخلفاته لصرفه فى وجوه الخيرات والمبرات وعمل الاحسان ، وفى كل عمل خير يعود نفعه على الموصى بعد موته — وقد توفى الموصى .

وقد صرف الوصى بعض الثلث على اعمال الخير وشتون بعض الاقرباء المستحقين من العائلة — وفى — خلال الفترة الماضية واجه ضغطا من الورثة برغبتهم فى توزيع الثلث وهو يود القيام بتوزيع القسم الاكبر من الثلث على جميع الورثة كل بنسبة حصته مع ابقاء قسم صغير للصرف منه على أعمال الخير .
فهل يجوز ذلك شرعاً ؟

م. ع — الكويت

الاجابة :

الوصية شرعا تمليك مضاف الى ما بعد الموت — وهى من الاحكام الشرعية التى ورد بهـا القرآن الكريم قال تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) .

وبما أن الوصية تمليك مضاف الى ما بعد الموت فتكون لازمة وتامة بموت الموصى ومن ثم تنتقل ملكية الثلث الموصى به الى الموصى لهم واختيار وصى من الموصى للقيام على تنفيذ وصيته بعد موته لا يجعل له حقا فى تغيير مصرفها ، لان الموصى نفسه حدد المصرف وأصبح القدر الموصى به ملـكا للجهات الموصى اليها ، فهو ليس الا منفذا لشرط الموصى ويلزمه أن يكون أمينا فى ذلك .

ولا مانع شرعا أن يعطى الفقراء المحتاجين من الورثة حسب حاجتهم الضرورية ويفضلون على غيرهم من الفقراء ولو يستغرق ذلك الثلث ، أما اذا كانوا غير محتاجين فلا يصح اعطاؤهم شيئا من الثلث والله اعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلي

اول جمعة في الاسلام

بعث الاخ مسلم الرشيد من العراق رسالة يسـأل فيها عن أول جمعة أقيمت فى الاسلام وأين أقيمت ، ومتى ، ومن خطيب القوم وامامهم فيها ؟

واول جمعة أقيمت فى الاسلام لم تقم بالمسـجد الحرام بمكة ، ولا فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، ولم يكن خطيب المسلمين وامامهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن اقامتها بعد فرضـها مباشرة ، بل لبث المسلمون فترة طويلة لا يقيمون صلاة الجمعة مع أنها كانت مفروضة عليهم ، وذلك لعدم تمكنهم من ادائها . فقد كان فرض صلاة الجمعة مع فرض الصلوات ليلة الاسراء والمعراج ، وذلك قبل الهجرة بسنة واحدة ، ولـكن رسول الله ومعه المسلمون لم يستطيعوا أن يقيموا هذه الشعيرة الجامعة بمكة لانها تعتمد على اجتماع المسلمين ، وتذكيرهم بالله بالقاء خطبتين قبل الصلاة ، وهذا أمر يحتاج الى العلانية ، ولم تكن ميسـورة ولا مأمونة فى هـذا الوقت ، لأن المسلمين كانوا يواجهون فى هذه الفترة من ظروف الاضـطهاد والارهاب ما يحول بينهم وبين اقامة هذه الفريضة .

وحدث بعد بيعة العقبة الثانية أن أرسل رسول الله قبل هجرته اسعد بن زرارة الى المدينة مع المبايعين من أهلها ، وعقد له لواء الإمامة فيها ، فجمعهم أسعد ، وصلى بهم الجمعة بعد أن خطبهم وذكرهم بالله ، ثم ذبح لهم شـاة للغداء ، واخرى للعشاء وكانوا أربعين رجلا . وهـذه اول جمعة تقام فى الاسلام ، وقد أقيمت فى مكان يسـمى هزم النبيت وهو يبعد عن المدينة بنحو ميل .

ولما خرج رسول الله — بعد ذلك — من مكة مهاجرا ، وصل الى قباء ، ونزل فى بنى عمرو بن عوف ، واسس مسجدهم الذى يقول الله فيه « لمسجد

اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقـــوم فيه ، فيه رجال يحبـــون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » . وقد اقام فى قبـــاء ايام الاثنين والثـــلاثاء والاربعاء والخميس ، وغادرها يوم الجمعة فادركه وقتها فى وادى ســـالم بن عوف فصلاها الرســـول مع أصحابه فى بطن وادى رانوناء بعد أن قام فيهم خطيبا ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

اما بعد : أيها الناس ، فقدموا لانفسكم تعلمن ، والله ليصعقن احدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقـــولن له ربه ليس له ترجمان ، ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وافضلت عليه ، فما قدمت لنفسك . فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يتقى بوجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى ســـــبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فهذه أول جمعة صلاها رسول الله ، وهذه اول خطبة خطبها للصلاة .

لقمان الحكيم

والأخ سعدون الانصارى من الظهران يســـتفسر عن لقمان الذى سميت السورة باســـمه فى القرآن الـكريم : هل هو نبى من الانبياء ، او ولى من الاولياء ؟

ونجيب الأخ سعدون بأن المؤرخين اختلفوا فى شأن لقمان ، فمنهم من قال انه نبي ومنهم من قال انه عبد صالح ، والجمـــهور على أنه حـــكيم عرف فى الجاهلية قبل أن يعرف فى الاسلام ، وتنسب اليه حكم وأمثال شـــتى ، وفى سورة لقمان ما يشهد له بذلك ، قال سبحانه « ولقد آتينا لقمان الحـــكمة » ووصيته لابنه فى هذه السورة تشهد له بسداد الفكر وصـــواب الرأى ورجحان العقل .

ومما أثر عنه ما رواه ابن جرير قال : كان لقمان عبدا حبشـــيا نجارا ، فقال له مولاه ، اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال له : اخرج أطيب مضغتين فيها ، فاخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال له : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال له : اخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرجهما .. فسئل عن ذلك ، فقال لقمان : أنه ليس من شىء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا .

علينا رسول الله بحياة أبيك .. فالنبى أرحم الناس بالمسلمين .. وطالما عفا عن كثير .. (يتجهان الى خيمة رسول الله) .

المنظر الرابع

المنظر السابق .. زيد بن ارقم وهلال بن امية لا يزالان في موضعهما .. ابن ابن ابى واسيد بن حضير يقبلان ناحيتهما .. ويجلسان الى جوارهما ..

زيد : ترى ما كان بينكما وبين رسول الله .

ابن ابن ابى : دخلت على النبى ولم يكن معه غير صاحبه ابى بكر .. وتقدمت من مجلسه .. وفى عيني دموع لم أستطع ان احبسها .. وقلت فى كلمات صادق .. وايمان عميق يا رسول الله .. انه بلغنى أنك تريد قتل ابى فيما بلغك عنه .. فان كنت فاعلا .. فمرني به .. فأنا أحمل اليك راسه .. فوالله لقد علمت الخزرج .. ما كان بها من رجل ابر بوالده منى .. وانى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله .. فلا تدعني نفسى انظر الى قاتل أبى .. يمشى في الناس فأقتله .. فأقتل رجلا مؤمنا بكافر .. فادخل النار ..

أسيد : لم أتمالك نفسى عندما سمعت هذا الحديث الا ان اتجه الى رسول الله وصاحبه الصديق ورحت اشهد أمامهما بهذا الموقف الذى يقفه ابن هذا المنافق .. لقد اضطربت في قلبه عوامل البر بأبيه وصدق ايمانه .. والنخوة العربية والحرص على سكينة المسلمين .. حتى لا تتواتر الثارات بينهم .. انه لا يطالب الا بقتل أبيه .. لأنه يؤمن ان النبى عندما يأمر بالقتل انما يصدع لأمر ربه .. كل ما يريده أن يحمل هو راس أبيه الى النبى حتى ..

ابن ابن ابى : (مكملا الحديث) لا يدفعنى حبى لأبى والبر به الى قتل من قتله .. فأكون بذلك قد قتلت مؤمنا بكافر .. عندئذ سيكون مصيرى نار جهنم ..

زيد : يا لروعة ايمانك .. وصدق اسلامك .. انك والله لتضرب الأمثال للمسلمين أن ايمانك بالله اقوى من برك لأبيك ..وأعظم من حبك له ..

ابن ابن ابى : (في تواضع) لم أفعل غير ما يفعله اى انسان يحب الله ورسوله .. وقست عليه الظروف .. فوضعته في موقف كله صراع بين الحق والباطل .. وبين الايمان وعاطفة البر بالأب .. والحرص على واد الفتنة بين المسلمين قبل مولدها .. وقد هدانى الله للتمسك بالايمان .. وكان جزاؤه كبيرا ..

زيد : (مرددا في لهفة) جزاؤه كبيرا .. ترى ماذا كان ؟

ابن ابن ابى : ما أن انتهيت من حديثي لرسول الله حتى أطرق براسه قليلا .. ثم التفت الى وعلى فمه ابتسامة مشرقة وقال « انا لا نقتله » .. لم أصدق أذناى .. فعاودت السؤال كثيرا .. أحقا لن تقتل ابى يا رسول الله .. أحقا لن تقتل ابى يا رسول الله ..

زيد : ما كان جوابه ؟

ابن ابن ابى : (ربت بيده الشريفة على كتفى وقال) انا لن نقتله .. بل نترفق به .. ونحسن صحبته ما بقى معنا ..

« ستار ختام »

قالت صحف العالم

الدين

نشرت مجلة الشباب البيروتية مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يأتى :

لقد كان لنا مع عدونا جولات ثلاث ، تعلمنا خلالها أن عدونا لدود ، وانه يصدر فى اعتدائه علينا وتصديه لنا عن « عقيدة » ملأت نفسه وملكت عليه جوارحه ، بغض النظر عن صلاح هذه العقيدة أو فسادها . وقد أفلحت الصهيونية العالمية فى حمل يهود العالم على أن يضعوا تحت تصرفها كل ما يملكون فى سبيل أن تقيم لهم « دولة » على أرض الميعاد التى تمتد من النيل الى الفرات ، وأن تعيد بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى .

المحارب اليهودى يقاتل اذن فى سبيل عقيدة ، يهاجر من أجلها من أطراف الدنيا لينتصر بها او يموت ، وهذا النوع من المحاربين لا يستطيع الصمود له الا جنود عقيدة ، لا يحاربون فقط لنصرة جارة صديقة ، أو ازالة قاعدة للامبريالية العالمية .. وما الى ذلك ، وانما يحاربون للدفاع عن مقدسات تنتهك حرماتها ، وعن حق شعب مؤمن تربطهم به وشيجة العقيدة فى أن يعيش على أرضه عزيزا كريما .. وهنا ، اذا ما قضى الجندى فى المعركة فانما يقضى شهيدا ينتظره مقام الشهداء ، ولن يعرف الخذلان الى نفسه سبيلا .

يجب مراجعة الحساب

ومن مقال تحت هذا العنوان كتبت مجلة « السياسة » الكويتية تقول :

قد يقول قائل متسائلا : ما الفائدة من سرد الاخطاء الماضية ؟ عفا الله عما مضى ! والجواب ان هذا صحيح ، لكن اذا كان الله عفى عما مضى ، فانه لا يعفو عما سيأتى . واذن يجب مراجعة الحساب ، والاخطاء ليست حوادث مضت وانتهت . الاخطاء هى أعمال وأفعال تحمل هويتنا وطابعنا ، وانها تشكل تاريخنا الذى ننطلق منه الى مستقبلنا .

الاخطاء عثرات وحفر ، واذا كنا لا نرى الحفر جيدا فاننا لا نقدر أن نتجنبها أبدا ..

واذن لنفتح أعيننا وقلوبنا جيدا على هذه الاخطاء ، لا لتتسلط علينا عقدة الذنب والاثم ، بل لتأخذنا صحوة العظة والعبرة ، ولا لنتهم أو ندين بعضنا بعضا ، بل لنعقد مصالحة عامة شاملة تضعنا فى البداية الصحيحة للطريق الصحيح ، نتصالح مع أنفسنا مع بعضنا ومع العالم .

يجب دائما أن نذكر هذه الاخطاء ، ويجب أن نذكرها بالخير مع الاسى ، بل يجب أن نتعاطف مع هذه الاخطاء .

قلت سابقا ان الاخطاء اعمال وافعال تحمل هوية اصحابها .

اذن الاخطاء كائنات حية ، بل انها كائنات مريضة معتلة ، وازالة المرض تكون بالعناية والدراية والحكمة .

اخطاؤنا هى أعمالنا التى فرطنا فيها ، ولم ناخذ بالنا منها .

كمثل الأم التى تهمل احد ابنـــائها فيمرض ، ويعتل ويحتـــاج الامر الى الطبيب ، ويحتاج الى سهر الام ، فتتالم وتحزن وتذرف الدمع السخين .

لقد اصبنا فى الآونة الاخيرة بنكسة مصـــيرية وجودية لأن اخطاءنا هى اخطاء مصيرية وجودية .

هذه الاخطاء كان من اسبابها الاولى نقص فى العلم او انحراف فى العلم عن اهدافه ،وكان من اسبابها نقص فى الثقة أوفساد الثقة . ولو أردنا أن نعدد الاسباب لبلغت بنا القائمة امتارا ، انما يمكن ان نلخص هذه الاسباب ونضع لها عنوانا موحدا ، هو المعرفة والحرية .

الفدائيون

وتتحدث صحيفة الاخبار القاهرية عن أعمال الفدائيين فتقول :

قبل ٥ يونيو كانت اسرائيل تشكو من اعمال الفدائيين ، وكانت تزعم انهم يتسللون اليها من سوريا ، وطالما وجه زعماؤها وســـاستها التهديدات الى سوريا ، ثم بلغت هذه التهديدات قمتها بقولهم انهم سيهاجمونها . وكان ظنهم ان مهاجمة سوريا ستريحهم من اعمال الفدائيين ، وســتكفل لهم الامن داخل اسرائيل . وها هم قد هاجموا لا ســـوريا وحدها ولكنهم هاجموا معها الاردن والجمهورية العربية المتحـــدة ، واحتلت قواتهم أراضى جديدة من الاراضى العربية ، فهل كف الفدائيون عن العمل ، وهل أمنت اسرائيل ؟

الجواب نعرفه مما تذيعه وكالات الانبـــاء ومما يذيعه المســـئولون الاسرائيليون انفسهم .. لقد امتدت أعمال الفدائيين حتى بلغت قلب اسرائيل ، واشتدت حتى أصبحت أشبه بالمعارك الحربية بينهم وبين القوات الاسرائيلية ، وما من مكان سواء فى اسرائيل او فى الارض العربية التى احتلتها بعد يوم ٥ يونيو يمكن أن يعد آمنا ، ويستطيع الاسرائيليون ان يسيروا فيه او يعملوا من غير حراسة ومن غير حذر شديد .

الحرب اذن ليست ســـبيل الامن لاسرائيل ، واحتلال الارض ليس هو سبيلا للامن ، واذا ارادت اسرائيل أن تلتمس السبيل الصحيح للامن فعليها أن تسأل نفسها أولا ، لماذا يرفض العرب وجودها ؟ فاذا استطاعت أن تجيب على هذا السؤال اجابة صادقة تتفق مع الواقع ، فستعرف ان لا ســـبيل لها كى تشعر بالامن أبدا ، لانها جسم غريب أقحم على كيان لم يســتطع هضمه ولا امتصاصه طوال عشرين سنة ماضية ، ولا يمكن هضمه ولا امتصـــاصه مهما يطل الامد ، لأن الجسم الغريب بطبيعته مرفوض .

هذه حقيقة يحسن ان تعرفها اسرائيل ، فلا تذهب فى خيـــال بعيد عن الواقع ، ان الحرب لا تحل المشكلات ، والعدوان ليس ســـبيلا للســـلام ، واغتصاب أرض الآخرين وحقوقهم وديارهم جرح لن يندمل ابدا .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم ..

التراث الحافل

ويتحدث الاستاذ زيد بن فياض مدير عام المكتبات بالسعودية تحت هذا العنوان فيقول :

التراث الحـــافل

في المؤلفات التي خلفها الاقدمون ثروة هائلة ، وكنوز ثمينة ، وثقافة رصينة ، وفيها من العلوم والآداب والثقافات المتنوعة ما لا يمكن حصره ، ولا يطاق استيعابه . وما على المرء الا أن يستفيد من وقته في مطالعة تلك الكتب ، والاستزادة من مناهلها الثرة ليكون لديه حصيلة طيبة من العلم والمعرفة.

وقد توفرت الوسائل الكثيرة في العصر الحديث وسهل اقتناء الكتب والبحث والمراجعة وتنمية الثقافة . فآلات الطباعة ، وجودة الورق ، وتزيين الكتب بالترقيم والعلامات والفواصل . والتأنق في الغلاف والكتابة وسائل جذابة لتشويق القارىء وحثه على الاستزادة من المعرفة .

هذا بالاضافة الى ما وفرته الدول من مدارس ومكتبات ، وما بذلته في سبيل اعداد التلاميذ وحشد المدرسين وتهيئة الاجواء المريحة . والتسهيلات الكثيرة للوصول الى العلم من اقرب طريق ، وأحسن سبيل .

كل ذلك ينبغي ان يكون حافزا للمرء على الجد في البحث والقراءة بلا كلل ولا ملل . ومما يؤسف له أن بعض الوسائل العصرية قد استغلت استغلالا سيئا . فبعض الكتاب والصحفيين قد انصرفوا الى نواح تشتت الوقت وتبدد الجهد في غير طائل أو فيما فيه ضرر على عقلية الانسان وعواطفه .

وذلك ككتب الالحاد والمجون والآراء المخربة وكالصحف والمجلات التي يطمع منشئوها في الرواج واستثارة الغرائز للوصول الى المال عن طريق افساد الشباب وتفكك المجتمع .. وارضاء النزوات الطائشة .

والمطابع التي تشجع هذا اللون وتسهل انتشاره قد أصبحت بلاء على المجتمع وخطرا يهدد كيانه . واذا فان الانتقاء واختيار الجيد أمران لابد منهما لمن يريد أن يتثقف ثقافة رصينة . ويوسع مداركه وينمي معلوماته .. وان في الكتب القديمة التي يسميها بعض المكابرين أو الاغبياء الكتب الصفراء — من عظيم الثقافة ما لا يجحده الا منكر للحقيقة ومشبع بالهوى .

ومن المحزن صدوف كثير من الشباب عن هذه الكتب ، وركونهم الى مطالعات الصحف ذات اللون التافه والمواضيع السطحية ، والتي تقتل الوقت وتضيع العمر في غير فائدة ، وهكذا دواليك يذهب كثير من الشباب ضحية أوهام وتشككات ، وضياع بين المذاهب والنحل ، وميل الى الكسل والتبلد ، بعيدين عن الجد والعزيمة ، والبناء القوى المتماسك ..

واذا كان هناك مربون وأساتذة وغيورون ينادون بالاتجاه نحو الثقافة الصحيحة والابتعاد عن الصحف والمجلات والكتب الضارة .. فان أصواتهم غالبا تختنق وسط الضجيج والعجيج من المخدوعين والماكرين ..

ومن لازم المربين ورجال العلم ان يبينوا ما يعنيه التخبط من وبال وخسارة على الامة .. وان يرشدوا الى الكنوز القريبة ، والثقافة الجاهزة فى الكتب التى لا تكلف عناء فى طلبها ، ولـكنها تحوى الغذاء الفكرى القويم ، والتى هى امتداد لمجد عظيم يريد المفرضون أن يبعدوا النشء عنــه . حتى لا يعرف أين يتجه ، ولا كيف يسير . ومع ما أصاب المجتمعات الاسلامية من أضرار بعد أن ضاعت بها السبل ، فان الامل ما يزال قويا بأن تتضافر الجهود للسير فى الطريق السوى .
فعسى أن تفعل ..

أهلا بمعركة المصير

وتلقينا من الأستاذ احمد محمد عبد الهادى – ج٠ ع٠ م – قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

الأرض تغلــــى كالسعـــــير ... والبحــر يغمـــره الهــديــر
والجـــو تملـؤه النســور ... والشعب يدفعــه النفــير

أهـــلا بمعركـــة المصـــير

اهـــلا بمعركـــة البقــــاء ... ورجـــوع ارض الأنبيـــــاء
وزوال حلـــم الأغبيـــاء ... وابادة الخصــم الحقـــير

أهـــلا بمعركـــة المصـــير

اهـــلا بمعركـــة الخـــلاص ... ومجىء ساعـــات القصـــاص
ضربـــا وقـــذفـــا بالرصـــاص ... ونصيرنـــا المولـــى القديـــر

أهـــلا بمعركـــة المصـــير

اهـــلا بمعـــركـــة الخلـــود ... وفنـــاء احـــلام اليهـــود
مـــن دنســـوا كل الوجـــود ... ولقـــد دنا وقت المســـير

أهـــلا بمعركـــة المصـــير

اهـــلا بمعركـــة الحيـــاة ... سيخوضهـــا جنـــد الالـــه
ضـــد الخفـــافيش الشـــراه ... والمفسديـــن ومـــن يغـــير

أهـــلا بمعركـــة المصـــير

سنخوض معركـــة البقـــاء ... مهمـــا بذلنـــا مـــن دمـــاء
فالعـــرب أوفـــى الأوفيـــاء ... لعهودهم يـــــوم النفـــير

أهـــلا بمعركـــة المصـــير

اخبار العالم الاسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت

● عاد حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم فى رعاية الله وحفظه الى الوطن بعد أن قضى فترة للراحة والاستجمام فى الخارج .

● وجه سمو الامير المعظم كلمة سامية بمناسبة الاحتفال بالعيد العالمى لمحو الامية جاء فيها : ان مكافحة الامية هى المنطلق الى التربية وهى التى تفتح أبواب العلم للجميع وهى الدليل الهادى من المتاهة والضلال الى النور واكتشاف الذات .

● صرح معالى الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أن الامم المتحدة ستفقد فعاليتها ما لم تتبن قرارا يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها بعدوانها الاخير .

● تبرعت الكويت بمبلغ الفي دينار كويتي وكمية من المواد الكيماوية للجمهورية العربية اليمنية لمكافحة الجراد الصحراوى .

● عقد مجلس الامة فى العاشر من أكتوبر ٦٧ جلسة غير عادية فى دور انعقاد غير عادى وافق فيها على الدعم الاقتصادي للدول العربية المتضررة من العدوان الاسرائيلى كما وافق علـى مد العمل بالاحكام العرفية فى البلاد ثلاثة شهور أخرى . وقد قامت الكويت بتقديم القسط الاول من هذا الدعم .

● بدأت جامعة الكويت عامها الدراسى الثانى يوم ١٤ أكتوبر الماضى بافتتاح كليتين جديدتين هما : كلية الشريعة والقانون وكلية التجارة والاقتصاد فأصبح فيها أربع كليات . والبقية تأتى ان شاء الله .

الجمهورية العربية المتحدة

● تسلمت الحكومة من الكويت والسعودية وليبيا القسط الاول من المبلغ الذى قرره مؤتمر القمة العربى الرابع لمساعدة الدول العربية المتضررة بالعدوان الاسرائيلى .

● استقبل فضيلة شيخ الازهر نائب رئيس المركز الاسلامى في ولاية كلمنتان بماليزيا الذى سلمه رساله من رئيس حكومة كلمنتان يطلب فيها دعم المركز الاسلامى حتى تقوم جامعة ماليزيا على نظام جامعة الازهر .

● قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب الاحتفال بمرور ١٢٠٠ عاما على وفاة الامامين الجليلين الشافعى وأبى حنيفة بالقاء المحاضرات والبرامج فى الاذاعة والتليفزيون ، وسوف تجمع كل المعلومات عن الامامين الكبيرين كل فى كتاب .

● وجه فضيلة شيخ الازهر بيانا الى أبناء مدن قناة السويس قال فيه أن المؤمن كلما قويت عقيدته وعظم ايمانه هانت أمامه الشدائد واستبسل فى سبيل الله وفى سبيل هدفه الاعظم ، وقال فضيلته ان الاسلام يكره الاستسلام ويأباه فاياكم أن تلين لكم قناة .

المملكة العربية السعودية

● وجه جلالة الملك فيصل نداء الى الشعب والوافدين للمملكة يهيب بهم أن يتمسكوا بشعائر الاسلام وتقاليده .

● واصلت لجنة السلام الثلاثية جهودها لحل مشكلة اليمن وقد اجتمع أعضاء اللجنة مع جلالة الملك فيصل كما أجرت عدة اجتماعات مع المسئولين السعوديين واليمنيين الموجودين فى السعودية .

● نقل سمو الامير خالد بن عبد العزيز ولي العهد رسالة من جلالة الملك فيصل الى الرئيس الفرنسى شارل ديجول وقد بحث ولى العهد والرئيس الفرنسى قضية فلسطين .

الأردن

● زار جلالة الملك حسين القاهرة — كما قام جلالته بزيارة الجزائر وذلك ضمن جولة في البلاد الاوربية .

● شكل السيد بهجت التلهونى حكومة جديدة منها ٧ وزراء من الضفة الغربية بينهم الشيخ عبد الحميد السائح الذى أبعدته اسرائيل لتزعمه المقاومة العربية في الضفة الغربية .

العراق

● أصدر الرئيس العراقى عفوا عن الذين اشتركوا فى بعض الاحداث السياسية السابقة ..

● زار العراق الدكتور نور الدين الاتاسى رئيس الدولة فى سوريا وقد جرت مباحثات بين الرئيسين حول الوضع العربى الراهن .

سوريا

● أصبح الانتقال بالبطاقة الشخصية بين العراق وسوريا

● استولت الحكومة على المدارس الخاصة الاجنبية لمعارضتها اشراف الدولة عليها وتدريس المناهج الحكومية فيها .. وبذلك اقامت دليلا جديدا على خطورتها فى البلاد الاسلامية عامة .

السودان

● أعلن وزير الداخلية السودانى أن الوقائع تجمعت لديه على أن القسيس الامريكى مار كرويل يباشر نشاطا عدوانيا ضد السودان وهو فى أثيوبيا !!

لبنان

● توفى الى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ محمد علايا مفتى لبنان السابق بعد عمر طويل قضاه فى خدمة الاسلام والمسلمين . والمجلة تقدم أجمل العزاء لأسرته ، وخلفه ، والأسرة الاسلامية كلها فى لبنان .

● عقد الشيخ عبد الحميد السائح وزير الشئون الدينية والاماكن المقدسة مؤتمرا صحفيا فى بيروت صرح فيه بأن المقاومة العربية فى الضفة الغربية التى تحتلها اسرائيل نابعة من الشعب وليست من الخارج وان الشعب هناك يرفض اقامة حكومة فلسطينية فى الضفة الغربية .

الجزائر

● احتفلت البلاد يوم ٣١ أكتوبر الماضى بالذكرى الثالثة عشرة لاندلاع الثورة الجزائرية .

تونس

● وضع مؤتمر الاعلام العربى خطة اعلامية جديدة للمرحلة الراهنة وقد أوصى بتخصيص مليونى جنيه استرليني لهذه الخطة تدفع منها امارات ودول الخليج مليونا وتدفع الدول العربية الاخرى الباقى .

أخبار متفرقة

● باكستان : قام الرئيس أيوب خان بزيارة فرنسا ورومانيا وتركيا وبحث مع الرئيس ديجول قضية فلسطين وطلب شراء أسلحة فرنسية .

● ماليزيا : احتفلت ماليزيا بعيد استقلالها الوطنى وقد هنأ سمو الامير المعظم الملك ناصر الدين شاه بهذه المناسبة .

● شيكاغو : قتل فى شيكاغو السيد سام حمود صبح أحد زعماء الجالية الاسلامية هناك قرب مسجد الأمين الذى بناه .

البرازيل : انشأت الجالية الاسلامية مسجدا كبيرا ومدرسة ثانوية واعدادية ونايا رياضيا وفى سبيل انشاء مستشفى وقد قابل وفد منها فضيلة شيخ الازهر اخيرا .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة — ص ب ١٩ — السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — عمارة ابن الملوح — ص ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية — عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص ب ٧٦ — السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ — حضرموت — مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان — ص ب ٢٦١ — السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : — الخرطوم — السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كردى ص ب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة العربية — السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ — السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



جامع بيت لحم وامامه كنيسة المهد في يد اعداء الله . .

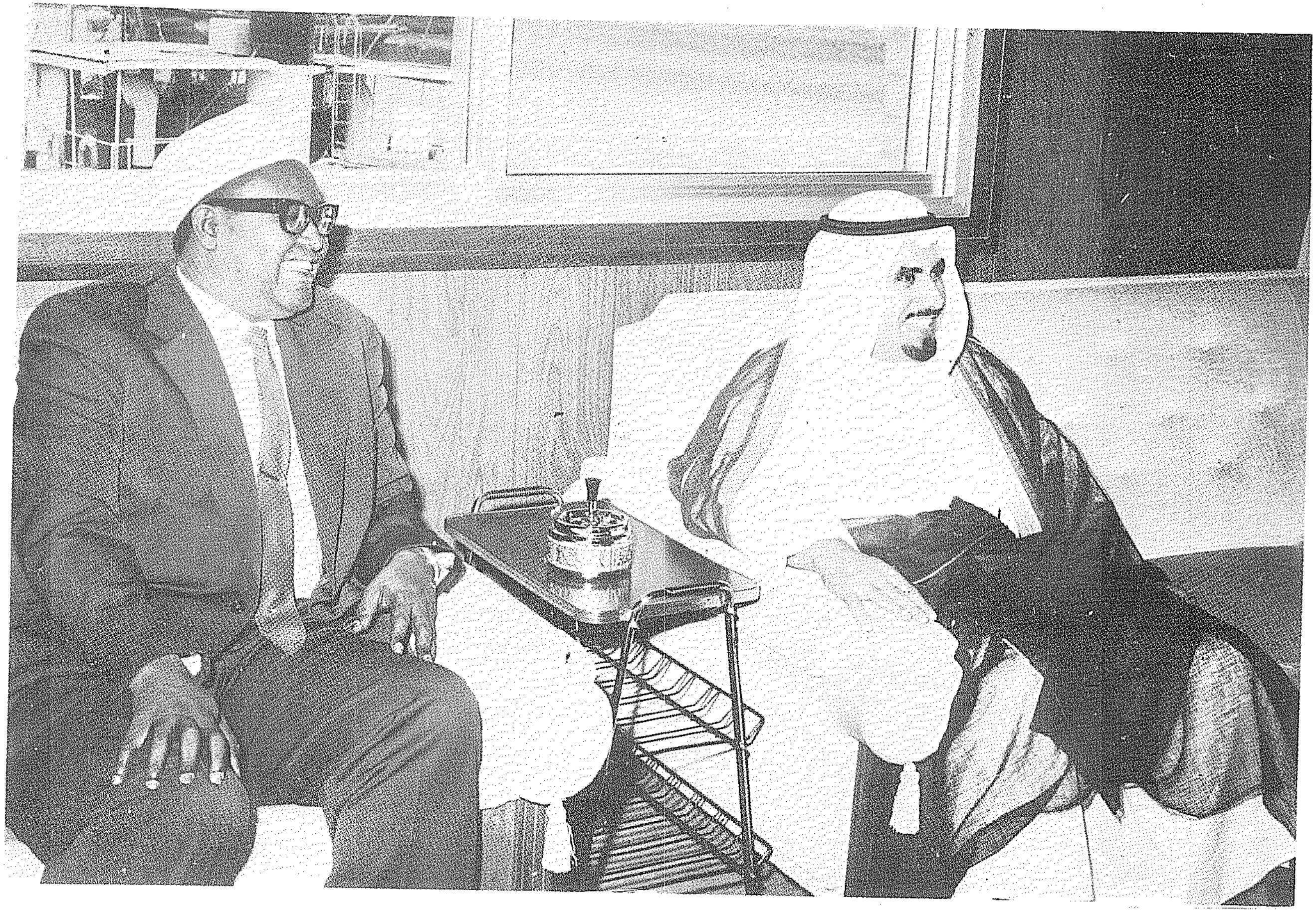
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الكوي

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة — العدد الثالث والثلاثون — غرة رمضان سنة ١٣٨٧ هـ — ٢ ديسمبر سنة ١٩٦٧





يستقبل صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء يستقبل بمكتبه سعادة السيد محمد ابراهيم عقال رئيس وزراء الصومال والوفد المرافق لسعادته اثناء زيارته للكويت .

صورة الغلاف



مسجد بـــدر

أقيم حيث كـــان العريش الـــذى نصب للرسول صلى الله عليه وسلم أثناء معركة بـــدر التى كانـــت أول معركـــة انتصر فيها الاســـلام علـــى أعدائه ، وهو يقوم الآن فى قريـــة بدر على الطريق الجديد بين مكـــة والمدينة .

تصـوير : عزمت شـيخ

الوعي الإســـلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة رمضان سنة ١٣٨٧ هـ

٢ ديسمبر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيـــة

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٥٠ فلســـا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلســـا
الاردن	٥٠ فلســـا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلســـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـــا
مصر والسودان	٤٠ مليمـــا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـــت ١ دينـــار
في الخليج ٢ دينـــاران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأســـا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـــة
ص . ب ١٣ هاتـــف ٢٢٠٨٨
الكويـــت

سنستعيد أمجادنا ونثأر لكرامتنا

صاحب السمو امير البلاد المعظم يلقى كلمته السامية فى حفل افتتاح دور الانعقاد الثانى للفصل التشريعى الثانى لمجلس الأمة الذى جرى فى الساعة التاسعة من صباح اليوم ..

تفضل حضر صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادي الثاني من الفصل التشريعي الثاني لمجلس الامة في صباح السبت ٢٤ من رجب سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٦٧ وقد القى سموه ــ حفظه الله ــ فى مستهل الجلسة هذا التوجيه الكريم ..

ابنائى اعضائى مجلس الأمة ..

حياكم الله ، وقواكم ، وانه لما يسعدنى ، اذ افتتح باسمه تعالى هذه الدورة العادية الثانية من الفصل التشريعى الثانى للهيئة النيابية ، ان المح على وجوهكم ، ووجوه من شاهدناهم من ابناء اسرتنا الكويتية الكبيرة ، التى اولتكم ثقتها ، واختارتكم لتمثيلها ، دلائل الجد والعزم . ذلك الجد الذى زادته الأحداث المتتالية الداخلية والخارجية التى عشناها فى الاشهر الأخيرة صلابة وتعبيرا .. وهذا العزم لتحمل المسؤولية الضخمة التى تفرضها علينا المرحلة الحرجة الحالية لأمتنا ، التى لم تمتحن فى تاريخها الحديث بمثل ما امتحنت به فى الحرب الأخيرة المشؤومة ، وما خلفته وراءها من آثار فى اكثر من بلد عربى شقيق .

لكن هذه الأمة التى هزتها النكسة من الخليج الى المحيط ، رفضت الاستسلام .. وقررت فى مؤتمر القمة الأخير أن تزيل آثار العدوان ، مهما كلفها ذلك من ثمن . والا تفرط فى اى حق من حقوقها ، مهما بلغت الضغوط الخارجية .. وهى قادرة بنفسها ، وبايدى بنيها على أن تعيد بناء امجادها ، وتسترد أراضيها المغتصبة وتثار لكرامتها الجريحة .. ما بقيت موحدة الارادة ، متماسكة البنيان .. واستفادت من دروس الأحداث



الأخيرة .. وجعلت منها حافزا لمزيد من التصميم ومزيد من العمل الصالح الواعي ، لتصحيح ما ظهر فساده من أوضاع . واستئصال نقاط الضعف التي سهلت العدوان . للانطلاق بعد ذلك بعقلية جديدة ، متفتحة لمتطلبات العصر الحاضر وأساليب واقعية مدروسة .. نحـو النهوض بقـواتنا وشعوبنا في كافة المجالات ، والمضي بها قدما نحو تحقيق أهدافنا ورسالتنا في العالم ..

ومن ثم فعلينا جميعا ، في كل بلد عربي ، أن نسمو . حكومة وشعبا .. الى مستوى المسؤوليات .. لا يشغلنا عن تحقيق تلك الأهداف شاغل من عارض الأمور ، ونحن هنا في بلدنا الكويت ، قد عشـنا في قلب المعركة ، متجاوبين مع الأحـداث ، غير متخلفين عن اى واجب من واجباتنا ، قبل العدوان وبعـده ، ثم في الاجتماعات والمؤتمرات التي أعقبته ..

واني باسمي واسمكم ، وكواحد منكم ، روحه من روحكم .. اعلن عن عزمنا على مواصلة السير صفا واحدا في هذا السـبيل بقـدر ما تستطيعه طاقاتنا وامكانياتنا ، واننا لن ندخر جهدا لانجاح المجهود العربي المشترك ، الذي تتعلق به الآمال ، وترنو اليه الأبصار داخل العالم العربي وخارجه ، وأتوجه الى الله سبحانه وتعالى أن يهـدينا جميعا لما يحبه ويرضاه ، ويؤيد بعونه وقدرته مسـاعينا ومقاصدنا لخير بلدنا وامتنا والمسلمين اجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

تحية رمضان

لصاحب الفضيلة
شيخ الجامع الأزهر

دار الفلك دورته ، وودع العالم الاسلامى شهرا كريما ، هو شهر شعبان المعظم ليستقبل شهرا عظيما . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وقد تعود المسلمون أن يحتفلوا بقدوم هذا الشهر ، وأجدر بهم أن يحتفلوا برؤية هلاله ، فانه حينما يهل رمضان تظل العالم كله رحمات من السماء ، فأول رمضان رحمة ، ووسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .

وحسب رمضان فضلا على سائر الشهور أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، هدية الله الى عباده ، ودستور السماء الى الأرض . من عمل به سعد ، ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم . أرسل الله فيه للبشرية رحمة من عنده ، تتمثل فى بعثة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، الذى ارسله الله رحمة للعالمين ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، احيا به موات النفوس ، وفتح به مغاليق القلوب ، فكان رحمة من الله سبحانه للناس جميعا . « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

وفى شهر رمضان ليلة من أجل الليالى ، بل هى اكرم الليالى ، ليلة شرفها الله ، ورفع قدرها بهذا الكتاب المنير الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال تعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وهكذا أعزنا الله بالاسلام ، وأكرمنا بالقرآن ، وكان ذلك كله فى شهر رمضان ، فكان حقا لرمضان أن يكرم ، وكان رمضان أهلا لأن يحتفى المسلمون به ، فقد احتفى الله به وجعله من أعظم الشهور وأولاها بهذه الفريضة الاسلامية ، بل الفريضة الانسانية ، فريضة الصوم الذى هو عبادة ورياضة ، عبادة لله ، ورياضة للروح ، وسمو بها الى مصاف الملأ الأعلى .

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وهكذا كان الصوم فريضة علينا ، كما كان فريضة على من سبقنا . وقد جمع القرآن حكمة هذه الفريضة فى هذه العبارة الموجزة « لعلكم

تتقون » فما أوجزها ، وما أشملها : انها التقوى ، جماع الفضائل كلها ، فضائل الانسان في نفسه ، وفي أسرته ، ومع مجتمعه الذى يعيش فيه .

وهكذا الشريعة الاسلامية شرعت للناس ولاسعادهم — فالاسلام دين الحياة ، دين الخلق ، دين الكمال ، يعطى الانسان دروسا عملية ليعيش سعيدا ، ويسعد من حوله من الناس .

والصوم احد أركان الاسلام ، وهو الامساك نهارا عن حاجة البطن ، ورغبة الجسد ، وليس لله حاجة فى أن يجوع الانسان ، ويحيا حياة الحرمان ، من طلوع الفجر حتى غروب الشمس ، كلا انما هو التعليم الآلهى ، والتهذيب الربانى ، انما هو الهدى المحمدى يعلمنا كيف نشارك اخواننا مشاعرهم ... وحياتهم ، كيف نحيا حياة التعاون والمحبة ، كيف نتعلم خلق التعاون والبر ، كيف ننفذ قول الله سبحانه « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

فالصوم يعلمنا المحبة ، والتعاون ، والحياة الطيبة كما يريدها الاسلام ، يعلمنا كيف نسمو على هذه الماديات ، وكيف نكبح جماح أنفسنا ، ويعلمنا ما نحن فى أمس الحاجة اليه اليوم « خلق الاقتصاد » والاقتصاد نصف المعيشة ، والاقتصاد فضيلة بين رذيلتين . الافراط والتفريط — الاسراف والتقتير ، فالصوم هو المعلم الأكبر ، الذى يهدينا الى القصد فى الحياة ، والتوسط فى الأمور ، وخير الأمور الوسط .

يعلمنا الصوم أو يجب أن نتعلم منه كيف نقتصد فى كل الأمور ، فان الله تعالى يقول . « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » وينهى القرآن الكريم عن التبذير ويجعل المبذرين اخوان الشياطين — قال تعالى . « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » . وقال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

ابنائى المسلمين :

اننى من منبر « مجلة الوعى الاسلامى » أحييكم فى مستهل رمضان المبارك ، وأذكركم بأنه شهر الجهاد . جهاد النفس لمقاومة شهواتها ، والجهاد ضد أعداء المسلمين ، ففى رمضان كانت المعركتان الفاصلتان فى حياة الدعوة الاسلامية . معركة بدر ، وفتح مكة ، ومعارك أخرى بعد ذلك كان لها أثرها الحاسم فى التاريخ الاسلامى ..

ولقد أراد الله أن يهل علينا شهر رمضان هذا العام ، ونحن فى معركة فاصلة مع أعدائنا : أعداء الانسانية ، واذا كان قد جرى ما جرى فلأننا لم نحسن التغلب على أهوائنا ، ولأننا فرطنا فى كثير من واجباتنا ، تلك الواجبات التى من شأنها أن تبنى الأمة القوية ، وتشد من عضدها ، وتبارك لها فى اهدافها ..

فلعلنا فى شهر رمضان — شهر العبادة الخالصة ، والعيش فى ظلال رعاية الله ورحمته — نحسن صلتنا به ، ونجمل أعمالنا بصلاح نوايانا وسرائرنا ونتخذ من درس الصوم دروسا نافعة لنا فى توحيد القلوب ، وجمع الصفوف حتى نسترجع ما فقدنا ، ونعوض ما خسرنا ، ويعيش المسلمون فى ديارهم اعزاء كرماء .

والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

حسن مأمون

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

في هذه الحياة المتشعبة المسالك ، المتنوعة المشاق والمتاعب ، يحتاج الانسان لكي يخوض غمارها ، ويتغلب على متاعبها ومشاقها ، أن يتسلح بأسلحة متنوعة ، تناسب ميادين الحياة التي يخوضها .. ولعل هذه السنة الكونية تنطبق كذلك على ما عدا الانسان من حيوان ونبات .. فالله سبحانه قد زود كل حيوان ونبات ، بالخواص الملائمة لجنسه وبيئته ، كي يستطيع أن يحيا وينمو ، ويتغلب على كل ما يصادفه من عقبات ، أو يقف حائلا بينه وبين أدائه لوظيفته التي خلقه الله لها ..

وعلى هذا قامت السموات والأرض ، وانتظم شأن الحياة ، وجاءت الآيات الكريمة تقرر هذه السنة الكونية ، أو الحكمة الالهية ، فتقول في صدد تعريف فرعون بالله : « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وتقول في موضع آخر : «سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى» ويقول : « انا كل شيء خلقناه بقدر » ، ويقول : « الذي أحسن كل شيء خلقه » .

واذا كان ما عدا الانسان من مخلوقات ، قد زوده الله بالخصائص المادية الطبيعية الملائمة له ، والتي يستطيع أن يحيا بها ، وينمو نموا ماديا طبيعيا .. فان الانسان الذي سخر الله له (ما في السموات وما في الأرض جميعا) كان لا بد أن يودع الله فيه من الخصائص والاستعدادات والتوجيهات المادية والروحية ما يلائم وظيفته واستخلافه .. ومكانته بين خلقه .

والانسان جسم أو مادة فيها روح ، أو روح ركبت عليها مادة .. ومن هنا كان لا بد له من عوامل تقوي جسمه وتحفظه ليؤدي وظيفته ، وعوامل تنشط روحه ، وتقويها لتؤدي وظيفتها .. وكان التوازن بين الاثنين ضروريا في دين الفطرة — الاسلام — حتى لا تقوى الروح على حساب المادة ، ولا تقوى المادة على حساب الروح . وبهذا التوازن يهيىء الله الانسان ليصل الى الغاية السامية الكريمة التي خلقه الله لها .. ولهذا جاءت التكليفات الالهية للانسان وهدفها اقامة هذا التوازن فيه وكان الاسلام بذلك هو الدين الوسط ، وكانت الأمة أمة وسطا .

حتى العبادات التي فرضها الله عليه تهذيبا لنفسه ، وتقوية لروحه ، جاءت متلائمة في غايتها وهدفها ومفعولها مع ما يحتاجه الانسان في خضم هذه الحياة من أسلحة تتيح له النصر على كل ما يعوقه عن غايته ..

فالصلاة : تصفي الروح ، وتغسلها من شوائب الأكدار المادية ، بوقفات خاشعة تصل انسان الأرض بالسماء ..
والزكاة : تعود الانســـــان على الروح الجماعية ، وتخلصه من الشح والبخل ..
والحج : يربي فيه روح الامتثال وتحمل المشاق ..
والصوم : يربي فيه روح المراقبة القوية لله ، في الوقت الذي يدربه تدريبا شاقا على اجتياز الصعوبات والتغلب على النزوات والشـــهوات ، ليجعل منه انسانا له ارادة تنتصر كلما اصطدمت ..

وهكذا نجد أهداف العبادات واتجاهاتها في تربية الانســــــان ، وتهيئته لوظيفته في الأرض تأخذ كل نواحيه ، وتحيطه بسياج من التربية النفســـــية ، تسلحه بها ، ليكون كما أراده الله ، سيد ما عداه من مخلوقات ، وعبدا مخلصا لله .. فيه صفاء الروح ، والحب للجماعة ، والســـــمو على المادة ، والامتثال للخالق ، وقوة الارادة .. وكلها صفات متلازمة ، يغذي بعضها بعضا ، وهي ضرورية لايجاد الانسان ، الذي يحبه الله ، والذي يحقق بانسانيته معنى وجوده وغايته ..

ومن اجل هذا جاءت الأديان السماوية بهذه التـــكاليف ، على اختلاف في صورها واشكالها ، مع اتحاد في الغاية والهدف منها .. كما حرصت عليهـــــا الأديان الوضعية ، كوسيلة من وسائل التهذيب والتقويم للانسان ..
والآن ونحن نستقبل شهر الصوم .. احس للصـــوم معنى ، او بالاصح احس معانيه تتجسم في نفسي ، تجسما لم يكن في الأعـــوام التي مرت بنا ، واشعر بحاجتنا الضرورية اليه . ولعل ذلك يعود الى الأحداث التي نعيش فيها ، والى الجروح التي اصبنا بها ..
ولعلك تتساءل وما علاقة هذا بذاك ؟
واقول لك : ألم تجلس وتتحدث بما نحتـــــاج اليه من قوة الارادة ، ومن التغلب على الشهوات ؟ .
ألم تناد الانسان المسلم العربي بأن يتخلص من حبه لنفسه ، وخضوعه لنزواته ؟ .

تلك هي العلاقة بين هذا وذاك ..
فان الصوم في معناه الأصلي حزم النفس ، وتجميع الارادة ، ليحــــرم الانسان نفسه ما يحبه ، وما تعود عليه ..

يأخذ نفسه بعدم التكلم .. ويمسك لسانه عن عادته التي اعتادها . وذلك يحتاج الى قوة ارادة والى صبر .. فيكون ذلك صوما عن الكلام : (فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا) (قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) .
ويأخذ نفسه بألوان خاصة من الطعام ، ويحرمها ألوانا أخرى طيبة يحبها .. وذلك يحتاج الى قوة ارادة وصبر ، وهذا هو الصوم عند المسيحيين ..
ويمتنع عن الطعام والشراب ، والشهوات الجنســــية ، فترة طويلة من اليوم ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، في الحر ، أو في البرد ..

يجوع ، ويسيل لعابه على ما أمامه من طعام ، وتلعب بخياشيمه رائحة الشواء ، ولكنه لا يستجيب لنداء الجوع ، بل يغالبه حتى يغلبه ، وهذا يحتاج الى ارادة قوية ، ان لم يكن متحليا بها .. فان خوف الله يحمله على اصطناعها ، فتتربى فيه شيئا فشيئا حتى تشب وتقوى ..

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

يجف لسانه وحلقه من الظمأ ، وأمامه الماء البارد ، وليس عليه رقيب من الناس ، ولكنه لا يستجيب لداعى الظمأ ، ويظل صابرا ، مغالبا لشهوة الشراب ، حتى يأذن الله .. وهذا تمرين على قوة الارادة ، والسمو على الشهوات .

يتعرض له أخوه أو زميله بكلام جارح ، يستفز الحليم ، فلا يندفع كعادته فى الرد عليه ، بل يكظم غيظه ، ويلجم لسانه ، ويتذكر أنه صائم ، فيتركه ، ويقول : « اللهم انى صائم .. » وهذا تدريب على قوة الارادة .. وسمو المسلم على نزواته ..

تثور فيه غريزته الجنسية ، وتناديه مغرياتها ومثيراتها .. ولكنه لا ينساق معها ، ويغالب شهوته حتى يغلبها . وهذا فى حاجة الى ارادة قوية .

شهر كله تدريب ، وتمرين ، تدريب للجسم ليتحمل الحرمان ، وتمرين للروح لكى تسمو دائما على نزوات الانسان .. وامتحان للارادة وابتلاء .. كى تقوى وتنتصر ..

هذا هو الصوم ..

أفلا تجدنا يا أخى الآن ، وفى ظلال الغيوم السود التى تظللنا ، فى أشد الحاجة الى مثل هذا التدريب والتمرين ؟ !

أن عيبنا أننا لا نتحمل الحرمان !!

تعودنا على الدعة ، وعلى أننا نجد ما نريد .. ولذلك يشق علينا أن يطلب منا التنازل عما تعودناه ، أو نطلبه فلا نجده متوفرا أمامنا ، وان كان شيئا تافها .. نعم يشق علينا هذا الحرمان ، ولو كان من أجل عزتنا وانتصارنا !! فنسخط ونتبرم ، ونتحايل للحصول عليه ، وان كان على حساب مصالحنا ، وان كان فيه خيانة أو تفريط لقضيتنا !!

وعيبنا الذى أورثنا هذه الحال ، أننا قوم ضعاف الارادة أمام نزواتنا النفسية .. نثور لما لا يثار له ، وان ثرنا فلا حد لثورتنا ، نحرق ، ونقطع الحبال .. ونجرى دون لجام وراء شهواتنا ، ويجرفنا حبنا لذاتنا . ويستهوينا التعالى على من سوانا ، ولو كان أخانا . نغضب باسم الكرامة الفردية ، ولو مزيفة ، ونضحى بالكثير من أجلها ، ولا نغضب للكرامة الجماعية : كرامة الأمة وشرفها !! ونضن بالتضحية فى سبيلها !! حتى أصبحنا أمة تقودها شهواتها ، وتسيطر عليها نزواتها ، وتفرقها أهواؤها .. وليست كذلك الأمم التى تبنى نفسها ، وتطلب النصر على أعدائها ، المتربصين بها ، الجاثمين على صدرها ، الذين يملئون الدنيا تفاخرا عليها . وشماتة بها .

ان أمة مثلنا تحتاج — قبل كل شىء — الى ارادة تتحكم فى أهوائها ، وتجمع ما تشتت منها ، الى ارادة تسمو على الصغائر والكبائر ، وتفرض

الحرمان مما تعودناه ، طلبا لحقنا الذى أضعناه .. ارادة تفتت الجبال ، وتصنع المحال .

وان فينا لقوة ، واننا لكثرة .. ولكن تنقصنا الارادة القوية ، والتحرر من الذاتية .. وهما الطريق الوحيد الى كل تجمع قوى ، يذلل الصعاب ، ويحطم الأعداء ، ويحقق الآمال .. أرأيت لو جمع الجراد أو الذباب أو البعوض أو النمل شمله ، وهاجم الناس ماذا يكون مصيرهم ؟ ..

وتقول .. وهل يحقق لنا الصوم شيئا من هذا ؟ .

وأقول : نعم . الصوم الذى أراده الله تربية وتمرينا للانسان ، جسما وروحا ، لا الصوم الذى تخذناه عادة امتناع عن مجرد الطعام والشراب ، وبذلك مسختناه ، وجردناه من روحه ، وأصبح مجرد هيكل للصيام ، ففقدنا أثره فى نفوسنا !! وماذا يفعل الهيكل الانسانى فى مختبر ، الا أن يكون مجرد تمثال لا روح فيه ، تهزه فيقع ، ويتحطم ، دون أن يتحرك أو يتكلم ..

اننا الآن فى أشد الحاجة الى الصوم نتعلم منه كيف ننتصر على شهواتنا وأهوائنا ، حتى يحقق الله لنا النصر على أعدائنا ..

فى حاجة الى الصوم عن الكلام الكثير ، وعن الغمز واللمز والمهاترات ، فى حاجة الى أن نصرف جهودنا للعمل ، لا للكلام ..

فى حاجة الى الصوم عن النزوات والأهواء ، وعن الاستجابة للشهوات ، لتندمل جراحات النفوس ، وتتجمع القلوب والصفوف ..

فى حاجة الى الصوم الذى يعلمنا التضحية بالكثير مما نحبه ونحرص عليه ..

فى حاجة — لا الى صوم شهر واحد ، بل الى صوم شهور ، حتى تتقوى ارادتنا ونفطم نفوسنا عن (البزازة) التى لا تزال ملازمة لنا فى حياتنا .. نرضع بها اللبن الفاسد ،ونعيش عليه !!

فى حاجة الى شهور نعيش فيها حياة التقشف والحرمان ، لنتعلم فيها الانتصار على أنفسنا وملذاتنا .. حتى ننتصر على أعدائنا ..

فى حاجة الى شهور نتدرب فيها على الصفاء الروحى ، وعلى القرب من الله ، والعيش فى رحابه ، ليكون ذلك طريقا الى تنظيف مجتمعاتنا ، والى مراقبة الله فى كل ما نباشره من عمل ، يتطلب الوطن والمصلحة اتقانه ..

فى حاجة الى شهور من الصوم نفطر بعدها فى يوم العيد ..
عيد تملأ بهجته كل قلب ، وكل بيت ، ويعم أرض الاسلام .
عيد الكرامة المردودة ، والحق المصان .

عيد نرفع فيه علم الاسلام الخفاق .. على الديار السليبة ، ونستعيد فيه الذكريات المجيدة ذكريات عمر بن الخطاب ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومن بعدهما صلاح الدين .
عيد النصر الكبير ..
« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

عبد المنعم النمر
مدير ادارة الدعوة

الملائكة تشهد الصلوات

> عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
> (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادى ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)
>
> — رواه البخارى —

للشيخ : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ — الله تبارك وتعالى ربنا ورب كل شىء وهو على كل شىء وكيل ، بيده وحده الحفظ والحياطة ، (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) والبشر هم أحب خلق الله الى الله ، فقد سخر سبحانه للانسان كل ما خلق (١) ، واختاره ليكون موضع رحمته ومظهر عظمته ، حيث تركز فيه واستكن سر كل شىء ، فهل يتركه هملا غفلا من رقابته ؟ حقا انه وحده يعلم السر وأخفى ، ومع هذا — لحكمة يعلمها هو سبحانه فى حقيقتها وندرك نحن البشر مظاهرها ، فمهما بحثنا ونقبنا فنحن على الشاطىء شاطىء المعرفة ، أقول مع احاطته سبحانه بكل شىء علما ، قد جعل الملائكة شهودا على أعمال عباده

---

(١) قارىء الآيات الكريمة من أول سورة النحل ، المتدبر لها السابر غورها الغائص على دررها يعرف أخبارا ، ويستطلع أسرارا لا تستجيب للعابر دون تفهم أو تبصر حيث يصل ، ولا يمكن أن يصل انما يقف على شاطىء المعرفة ، فأسرار القرآن لا تتناهى للبشر ، وكما قلت سابقا وكما أعتقد أن فى الكتاب العزيز حكما وأى حكم واعجازا وأى اعجاز ومقاصد وأى مقاصد ، لا تنجلى دفعة واحدة لواحد من الناس ، وانما تمضى مع الزمان لتضىء كل زمان ، ومن أراد مزيدا فى هذا الصدد فليطالع ما كتب الأولون حيث يجد بين علماء متعاصرين فى الادراك ادراك ما وراء اللفظ القرآنى اختلافا قد يصل الى التناقض أحيانا ولا تناقض الا فى فهم الانسان ، ولمحة يسيرة ، ومرور سريع بالآيات الكريمة من أول سورة النحل : أتى أمر الله عن ، ولماذا نزلت الملائكة ؟ وما هو الروح وهذا خلق السماوات والأرض وما فيهما والانسان داخل فى طى ذلك ، ثم ايجاد الحيوان وما هو الطريق ؟ وانزل من السماء ماء أنبت به الزروع وأنمى الضروع وسخر لكم الليل والنهار والبر والبحر ، ولمن هذه النجوم والتخوم .

وخص المؤمنين بالاسـلام (١) بتعاقب الملائكة فيهم وملاحظة أعمالهم ، يلازمونهم ويرفعون الى مولاهم (٢) — وهو أعلم — أحوالهم ، والمرء حين يشعر ويدرك ويتحقق بايمانه أنه فى حفظ الله وأن ملائكة الله معه لا يفارقونه قيد أنملة اذا ذهبت طائفة أعقبتها أخرى ، حالتئذ يعمل مطمئنا ويسير هادئا وينام آمنا .. ويسافر أو يقيم فى رعاية الله وأمان منه ، لا يعكر صفوه اضطراب الوجود ولا اختلاف الجديدين .. وقد حدثنى من لا يكذبنى حديثا واقعيا له بنفسه قال : شاء الله — ولا راد لمشيئته — لأمور خارجة عن ارادة الحاكى — فهو عبد والعبد طوع ارادة مولاه ، ان انزل بلدا لا عهد لى به ، ولا معرفة لى بلسانه ولا الفة مع سكانه ، سرت يوما فى شارع غاص بالناس من كل حدب وصوب ، ماذا آتى وماذا أدع ، كيف أتحدث والى أين أسير ؟ .. وهنا بدر الى القلب .. هؤلاء الذين ترى يمشون فى واد نشأوا فيه لهم صلة قرابة وقربة ، وأنت مع من تسير ؟! وفى رعاية من تتحرك ؟ تذكرت وما كنت ناسيا أن مسيرى فى رعاية من لا تأخذه سنة ولا نوم ، فى رحاب بارىء الكون ، وأن له ملائكة طوافين ، جعلهم حرسا دائما لعباده ، وما أنا الا عبد لرب له قدرة هى فوق كل قدرة ، وعلم دونه كل علم وعين لا يقف أمامها حجاب ، فما دمت عالما به منتهجا نهجه ، فكيف أخاف وهو ربى يسمع ويرى . وأكرر القول ولا أكذبك الحديث . هنا تبدل حالى وشملتنى قوة روحية عارمة ومضيت لطيتى هادئا آمنا ، ووصلت الى ما رمت فى يسر ورفق واستقبلنى من لا أعرف كأنى معـ[illegible] نشأت ودار الحديث صادرا من احـ[illegible] قلب بأرق الفاظ وأدق عبارة يرسـ[illegible] الطريق من سابر لها خبير بدروبها دائما صدق الله « وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » قلت : لقد ذكرتنى بقول قراته منذ سنين وسنين لرحالة مصرى (٣) جاب الصحارى واكتشف المجهول قال : لا يمكن لعابر الصحراء ان يجوس خلالها الا اذا كان مؤمنا بالله وعظمته وقيوميته واذكر دائما قوله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله » فهل فكر الخلق فى نعم بارئهم ؟! عجبا للقلوب القاسية ، و[illegible] اقول : « ويل » حتى اعدو مكار[illegible] العبودية ، فهو سبحانه الذى قال « فويل للقاسية قلوبهم » ..

٢ — يتعاقبون فيكم ملائكة (٤)

الملائكة هم الذين يتعاقبون — أى يجىء بعضهم عقب البعض — ويتعاقبون فى المؤمنين [illegible] وتدور أمام هذا التعبير معركة نحوية تحمل بعض شراح هذا الحديث الشريف على القول بأن الراوى قد أوجز الرواية ، حيث ورد الحديث بألفاظ أخرى : (ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم) و (.. الملائكة يتعاقبون فيكم) ومن الشراح من رأى اللفظ الشريف فى موضعه ، وأورد لـ[illegible]

---

(١) ان الدين عند الله الاسلام ...

(٢) ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ، لأن الذين كفروا اتبعوا ما [illegible] اسخط الله وارتدوا بعد ما تبين لهم الهدى فأضلهم الله وأحبط أعمالهم ..

(٣) المرحوم (أحمد محمد حسنين باشا) مكتشف واحة جغبوب فى صحارى مصر .

(٤) الملائكة : أجسام نورانية — من النور — تتشكل بالأشكال الحسنة ، خلافا للجن نا[illegible] أجسام نارية — من النار — تتشكل بالأشكال الحسنة والقبيحة .

حلولا لغوية (١) تجعله حيث هو فى مرتبته الكريمة من القمة اللغوية لأنه صادر من قمة البشرية ، وتعاقب

الملائكة مستمر بالليل وبالنهار ، ويستفاد من تنكير (ملائكة) أنهم مختلفون فمراقبو أعمال الليل

مراقبى أعمال النهار ، وضريب ذلك وارد بالقرآن الكريم فى قوله سبحانه (فان مع العسر يسرا . ان مع العسر

يسرا) حتى بشر المسلمون فقال قائلهم : (لا يغلب عسر يسرين ، وورد أيضا فى الآية الكريمة :

« غدوها شهر ورواحها شهر » .. ومن الملائكة من يلازم كل انسان فى كل زمان ومكان يحفظونه ويحصون أعماله ، ولهذا ورد سؤال أجاب عنه

المتقدمون فى بحث مستفيض .. هل هم الحفظة ، وهل هم المعنيون بقوله عز وجل « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » .. وسواء كانوا

متفقين فى الكيفية والوظيفة أم مختلفين ، فليس هذا هدف بحث اليوم ، اذ بكل قيل ولكل قول دليل ،

وكنه البحث هنا متجه الى ما وراء هذه الرقابة أو الرعاية الالهية للمؤمنين ، فهى تحملهم على

الاخلاص ،والدءوب والمواصلة ،فقد برأ الله العباد على نسق يجعلهم اذا شعروا بملاحظة الغير لهم أحسنوا وأجادوا واتقنوا ، واذا علمنا نحن

البشر أن ملائكة الله معنا يكتبون أخبارنا ويحصون أحوالنا ويبلغون مولانا — وهو العليم الحكيم — كل ما

يصدر عنا ، كان هذا داعيا قويا ، وسببا أصيلا موجبا للاستزادة من الخير والبعد عن الشر ، وادامة محاسبة النفس والوقوف بها عندما يرضى الله حتى تنال رضاه .

أ — **يجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر** : والتعاقب لا يمنع الاجتماع لأن التعاقب أعم من أن يكون معه اجتماع أو لا يكون ، وورود ذكر

صلاة الفجر وصلاة العصر فيه تكريم للمؤمنين ولطف بهم لتكون الشهادة مقرونة بأفضل الأعمال وأحسن الذكر ، وقيل لفضل العمل فى هذين الوقتين عند الله تبارك

وتعالى ، فمن ترك مضجعه ولبى نداء ربه وقت العصر ووقت الفجر كان فعله هذا دليلا على ايمانه القوى وعلامة رسوخ عقيدته ، وشدة استجابته

لداعى مولاه ووقوفه عند حدوده ، ومواظبته على العمل بأوامره والبعد عن نواهيه .. وقوله صلى الله عليه

وسلم : ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيه اكتفاء بتذكر أحد المتماثلين عن الآخر ، ونظير ذلك من الذكر الحكيم قوله تعالى : (سرابيل تقيكم الحر

..) أى والبرد ، وقيل : استعمل لفظ (بات) بديلا عن (أقام) استعمالا مجازيا ، وحينئذ يزول

اختصاصه بالليل أو النهار ، فكل من صعد من الملائكة يسألهم ربهم ، وقد ورد ما يرجح هذا فى رواية النسائى

.. (ثم يعرج الذين كانوا فيكم) والعروج مطلق غير مقيد بليل أو نهار ...

---

(١) قال ابن مالك : تحمل الرواية على لغة بنى الحارث المشهورة بلغة (أكلونى البراغيث) فالواو علامة الجمع وملائكة فاعل . وقال سيبويه : ملائكة خبر لمبتدأ محذوف أى هم الملائكة — سيق جوابا لسؤال مقدر — من هم ؟ فقيل : هم ملائكة .. الى آخره ، فهذا بحث يطول يرجع اليه فى أمهات الكتب اللغوية .

٤ — فيسالهم وهو اعلم بهم :
يسال الله سبحانه الملائكة — وهو أعلم بعباده — كيف تركتم عبادى ؟ ، ولم يسالهم كيف لقيتوهم ؟! ففى هذا اشعار بأن الأعمال بخواتيمها ، ولهذا ورد فى الدعاء « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها » .. فمهما احسن (بالبناء للمجهول) البدء فسينسى احسانه اذا صار الختام سيئا . والحساب لا يتجه الى الماضى بقدر ما يتجه الى النهايات ، حتى الكفر سوف يعفى عما فيه اذا آمن المرء ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم (.... الاسلام يجب ما قبله) فمن اسلم مخلصا ومات فور اسلامه لن يعذب على ما سلف منه أيام كفره ، وكذلك من تاب من جرائم ارتكبها قبله الله وغفر له يقول جل شأنه « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » (١) ، وفى حديث شريف يصور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (توبة العبد) بصورة تحببها الى النفس وتباعد بين المذنب وبين القنوط من رحمة الله ، وتجعله فى وضع كريم حين يتوب وحين يتحاشى الذنوب ، ويقبل على مولاه بقلب سليم بعد قطيعة ونكوص عن الهدى ، وأصخ سمعا ودع النور يلج الى قلبك حين تتلو هذا الحديث الشريف (فمن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع راسه فنام

نومة فاستيقظ ، وقد ذهبت راحل
حتى اشتد عليه الحر والعطش او
شاء الله قال : ارجع الى مكانى
فرجع فنام نومة ، ثم رفع راسه ف
راحلته عنده) (٢) ، فهذا الحدي
الشريف يشير بل يعلن فى وضوح
أن العبرة دائما بالخاتمة ، وب
التوبة مفتوح على مصراعيه لا يوص
الا اذا اقتربت الساعة أى صار
قاب قوسين أو أدنى ، وقال العلماء
هذا يكون فى نهاية الزمان وهو م
تشير اليه الآية الكريمة (.. ي
يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفس
ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسب
فى ايمانها خيرا) (٣) ، واشهد ال
ملائكته على أعمال بنى آدم ، اظها
لحكمته فى خلق الانسان (وما خلق
الجن والانس الا ليعبدون) . وف
هذا رد على اعتراض سابق ورد م
الملائكة حكاه القرآن الكريم فى سو
البقرة فى قوله تعالى : « واذ ق
ربك للملائكة انى جاعل فى الأر
خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد في
ويسفك الدماء) .. الآيات ٣٠ ، ا
٣٢ ، والله سبحانه أعلم بكل ش
وهو على كل شىء شهيد .

٥ — تركناهموهم يصلون واتيناه
وهم يصلون : ودائما يطول الحدي
عن هذا الركن العظيم من ارك
الاسلام (الصلاة) فهى من اه
الأركان ان لم تكن أهمها ، فيها يجتم
كثير منها ، فالركن الأول : وهو كل
التوحيد متحقق فى أعمال الص
مرات ومرات ، والثانى هو ه

(١) الآية : ٨٢ من سورة طه .
(٢) رواه البخارى وغيره .
(٣) الآية : ١٥٨ من سورة الانعام .

والثالث وهو الزكاة : تدعو اليه الصلاة وتذكر به فيما يتلى فيها من الذكر الحكيم ، والمؤمن اذا ولج المسجد وشاهد اختلاف الناس بين

غنى وفقير ، وصحيح ومريض ، ومعافى وسقيم ، حمله ذلك على بذل العون لاخوانه والبحث فى

شؤونهم ، والعمل السريع على اغاثة ملهوفهم واعطاء محتاجهم ، وبذل كل ما يستطيع على حسب مقتضيات الأحوال ، ومنها أن البعض فقير عار

جائع غير طاعم ، فالمسلم المصلى ذو الغنى والجاه يحمل ماله ليدفع جوعة ويكسو عاريا ويرحم ضعيفا ، والزكاة

مظهر كريم من مظاهر التعاون العملى فى الاسلام بين المسلمين . والرابع وهو الصيام : متحقق ممن

يعتاد المساجد ويقبل على الله فلا بد أن يكون محافظا على صيامه ، وان شذ البعض فالشذوذ لا يدوم ، لأن الصلاة المستوفية لشروطها تنهى

عن الفحشاء والمنكر ، وغالبا ما يدور الحديث حول ما يهم المسلمين فى كل احوالهم ، فاذا حل موسم الحج تحدثوا فيه وعنه وتلاقوا عليه وعملوا

على تنفيذه ، وبهذا تكون الصلاة سببا ومدعاة لتنفيذ كل أركان الاسلام ، والصلاة الحقة هى التى

تحمل صاحبها على الاستجابة لله تعالى ، وأما الصلاة التى تؤدى عادة واعتباطا فليست موضع حديث ولا ذات بال ، وقد ورد فى بعض الآثار

الشريفة (من لم تنهه صلاته فكمن لا صلاة له) وقول الله تبارك وتعالى

(واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (١) يعطى : ان من لم ينته لم يصل وان صلى ! وقد

اهتم بها كثيرا سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم فى كل احواله وأقواله ، وجعلها فيصلا بين الكفر

والايمان فى بعض احاديثه الشريفة وكان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ، واذا تجاوزت الشدة طورها قال :

أرحنا بها يا بلال ، وما دامت هناك حياة ووجود يسبح فيه الانسان ،

فهناك آمال وآلام ، ولا بد من الاستعانة على المسالك المتشعبة بمدد الله العليم الحكيم ، وقد وجهنا سبحانه الى ذلك فى قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) (٢) .. وحديث الصلاة حديث يطول ...

قالت الملائكة لرب العالمين : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم

يصلون فهذا أفضل حالات المؤمن وخير أعماله ، وأخيرا كلما ازداد

الباحث عمقا فى دراسة الاسلام ازداد ايمانا ورسوخا بأنه لا صلاح للدنيا ولا قيام لمجتمعات فاضلة فيها الا بتعاليم الاسلام تعاليم الله تبارك

وتعالى الى مبلغها سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . فاللهم وفقنا دائما لاتباعه وسلوك

طريقه واجمع كلمة المسلمين على تنفيذ وصايا الاسلام انك سميع مجيب .

---

(١) الآية الشريفة رقم ٤٥ من سورة العنكبوت : والآية بتمامها : « اتل ما أوحى اليك من كتاب ربك وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون » .

(٢) الآية : ٤٥ من سورة البقرة .

التوحيد أولاً

محمد مؤذن

الشيخ عبد الحميد السائح
وزير الشئــون الدينيــة والأماكــن المقدسة ـ الأردن ـ

في الحديث الصحيح ان رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : بنى الاسلام على خمس ، وذكر منهــا أولا الشهادتين وذلك لأن من شهــد بلسانه ، وآمن بقلبه ، أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، استولت عليه فكرة راسخة غير متقلبة وعقيدة ثابتة غير مضطربة جماعها ، انه لا يستحق العبادة في هذا الكون الا الله حتى محمد أفضل الخلق على الاطلاق ان هو الا رسول الله وسفيره ، لا يستحق شيئا من أنواع العبادة « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » (١) « ولو تقول علينا بعض الأقاويــل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكــم من احد عنــه حاجزين » (٢) .

ومن استولت عليه عقيدة التوحيد لا يلجأ في الحقيقة لغير الله ، ويعلم يقينا أنه لو اجتمع من في الأرض ، ومــن في السماء على أن ينفعوه بشــىء ، لم يمنحه الله اياه فلا يستطيعــون ، أو أرادوا أن يضروه بشىء لم يكتب عليه فلا يقدرون . وهذه العقيدة تعتبــر الأســاس الأول في قلعة الاســلام ، فاذا تركزت أمكنك أن تنشىء عليها بناء شامخا ، ولا تخشى أن يصيبه تصدع أو انهيار .

وفكرة التوحيد اذا كانت سليمــة حملت صاحبها على الا يستعين بغير الله ، فاذا كانت المعونة مما ينتظــم في سلسلة الأسباب ، كان طلبــــه بسببه طلبا من الله ، وما كان غير داخل فيها يتوجه في طلبه الى اللــه بلا واسطة ولا حجاب ، « اياك نعبد واياك نستعين » (٣) .

وقد أخرج البزار بسند صحيــح عن أبى سعيد أن الرسول صلــوات الله وسلامه عليه قال : « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » .

وليس المراد أن يردد هذا اللفظ بلسانه وحسب ، وانما المقصود ان يذكره بلسانه ، ويصدقه بجنانــه ، ويترجم هذا وذاك بأعماله .

أخرج البخارى في صحيحه انــه صلى الله عليه وسلم قال:« لن يوافى

(١) الآية / ١١٠ من سورة الكهف .
(٢) الآيات / ٤٤ ـ ٤٧ من سورة الحاقة .
(٣) الآية / ٥ من سورة الفاتحة .

عبد يوم القيامة ، يقول : لا اله الا الله ، يبتغي بها وجه الله ، الا حرم الله عليه النار » .

وواضح من هذا الحديث الشريف أن ذلك الجزاء الأوفى انما يترتب على من يقول كلمة التوحيد يبتغي بها رضا الله ، ولا يكون كذلك الا اذا حقق معناها في نفسه ، وصدقه بجوارحه وأفعاله ، فكان مثال المؤمنين الموحدين .

واخرج البخاري في صحيحه ايضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : « هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت . الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » .

ولا يمكن للمسلم أن يفي التوحيد حقه الا اذا عبد الله وادى فرائضه وتمسك بشرائعه ، وتأدب بآدابه ، ولم يشرك به أحدا .

معنى الاشراك

وليس القصد من عدم الاشراك الا يتخذ لله شريكا في الوهيته وحسب بل ان من الاشراك أن يتخذ الرؤساء أربابا من دون الله ، يشرعون ما لم يأذن به الله ويحرمون ما أحل الله او يحلون ما حرم الله .

ومن الاشراك أن يتخذ الانسان الهه هواه ، فيصده عن شرع الله ، وسلوك مسلك العدالة والانصاف ، سواء كان واليا ، أو قاضيا ، أو شاهدا أو غير ذلك . ومن الاشراك أن يخنع الانسان لسلطة انسان آخر أقوى منه ، فيذل له ويدين له بالعبودية ، في مال أو جاه أو سلطان .

ما يهدف اليه التوحيد ؟

اذن فالتوحيد الذي دعا اليه الاسلام ليس الفاظا براقة جوفاء ، ولا كلمات مجردة تردد ، وانما هو عقيدة يصدقها عمل ، « ليس الايمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل » .

فالتوحيد انقاذ للبشرية من رق العبودية، لكل أحد من البشر ، مهما سما مركزه ، وعلت سلطته ، أو لأي شيء من الأجرام السماوية او الأرضية .

والتوحيد يهدف الى أن يجعل الانسان حرا كريما ، لا يخضع خضوع عبودية ، الا لمن خضعت لسننه الكائنات ، بما أقام فيها من النظام ، وربط الأسباب بالمسببات « وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما » (١) .

ولا يعني هذا أن يتمرد الموحدون على طاعة الولاة والحكام ، ولا أن يعلنوا العصيان والخروج على النظام ، فان طاعة الحكام المؤمنين فيما يأمرون به من صلاح هو من طاعة الله ، والاذعان للنظام من مقتضى الايمان .

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٢) .

وفي الحديث الشريف . « صلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ولاة أموركم تدخلوا جنة ربكم » .

---

(١) الآية / ١١١ من سورة طه .
(٢) الآية / ٥٩ من سورة النساء .

غير أن مما يجب التنبه له أن طاعة الحكام لا تعنى تقديسا لسلطة ذاتية لهم ، ولا ذلا ولا استخذاء لأشخاصهم ولا بيعا للذمم ، وخروجا عن القيم من أجلهم ، وانما تعنى أنهم ولاة الأمور ، وحفاظ النظام ، وحراس شريعة الله فيجب أن ندعمهم في مهمتهم ، ونؤيدهم في مواقفهم ، ما استقاموا على شريعة الله وسبيله الذى ارتضاه .

فان زاغوا عن ذلك يجب أن يستعان بذوى الرأى والحكمة لتقويمهم ، حرصا على السلامة العامة ، كما قال أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انى وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان زغت فقومونى) .

فالموحدون هم الذين يدعون الى وحدة القلوب والاتجاهات ، ومقاومة الفتن والاغراءات ، وسد أبواب الشر والفساد .

والموحدون هم الذين يتجردون في أعمالهم وتصرفاتهم لتوفير المصالح العامة ، وتحقيق ارضاء الله ، ويلحظون أن الرسول قال . « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعباده » .

والموحدون هم الذين ينأون بأنفسهم عن أن يستغلوا مصالح الجماهير وأموالهم وحقوقهم ، أو يتحينوا الفرص لايقاع الظلم والعدوان عليهم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .

والموحدون لا يرتضون لأنفسهم وأمتهم أن يسودهم تشريع لا يمت الى شريعة الله بصلة ، ولا أن تظللهم راية قوانين تجافى الاسلام ، وتنافى الحق والعدل والانصاف .

والموحدون هم الذين يجردون أنفسهم ، ومجتمعاتهم من الأخلاق الفاسدة ، والتقاليد الغريبة الضارة .

والموحدون هم الذين يعملون بجد واخلاص ، ودأب واستمرار ، وبذل وتضحية على تخليص بلادهم ، أو بلاد أية فئة ، أو جماعة من المسلمين من براثن المستعمرين والدخلاء ، حتى ينعم أهلها بنعمة الحرية ، ويعملوا على استثمار ما خلق الله لهم في أرضها من خيرات وكنوز ، ويتمتعوا بما منحهم الله .

أيها القارىء الكريم .

اذا تمعنت في ما للتوحيد من آثار عظيمة ، ونتائج خيرة ، في نفسك ومجتمعك ، واذا علمت أن التضحيات العظيمة تتطلب نفوسا عظيمة ، مؤمنة تدفع لها ، واذا قلبت صفحات تاريخ أمجاد الأمة الاسلامية في القديم والحديث ، تحققت أن هذه الأمة لا ينقذها من ويلاتها ، ولا يخلصها من شرورها وآثامها ، ولا يقضى على تفكك أجزائها الا المؤمنون الموحدون ، الذين يربطون قلوبهم ونفوسهم بالله وحده العلى الكبير .

وان ما أصاب هذه الأمة الاسلامية من ذلة وضعف ومهانة وضياع لأقطارها ، واغتصاب لمقدساتها لم يكن الا حين أشركوا مع الله بعض المخلوقات من المستعمرين وغيرهم ، وحين ساروا وراء أطماعهم الشخصية وأهوائهم الذاتية ، وأنه لا سبيل لاسترداد الأرض المغتصبة وغيرها من الأقطار الاسلامية ، الا برفع علم الايمان والتوحيد ، في قلوبنا ، ونفوسنا ومجتمعاتنا وتصرفاتنا ، أفرادا وجماعات ، أشخاصا وحكومات ، وحينئذ نكون قد نصرنا الله ، وأعلينا شأنه ، فننتظر عاجلا نصر الله وتأييده لنا ، مصداق قوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) (١) .

---

(١) الآية / ٤٠ من سورة الحج .

الكبرياء الإسلامي بين الهزيمة والنصر

لا تنظروا لسلطانكم . قاتلوا على حريمكم ودين نبيكم (ابن قلاوون)

ابن تيمية يخوض المعركة مع المجاهدين

للدكتور ابراهيم على شعوط
استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الأزهر

ليس هذا اول العهد بالهزيمة ، ولا آخر العهد بالنصر :

من يوم ان امتدت يد المولى للأمة العربية بالرحمة المهـــداة ، والنعمة المزجاة ، فى شخص اصطفاه منهم ، هو محمد رســــول الله صلى الله عليه وسلم ، من يومها وعين خالقهم ترعاهم ، وعنايته لا تنســـاهم ، فاعتادوا منه بفضله أن ينصرهم كلما نصروه ، ويؤيدهم اذا أيدوه ، ويذكرهم دائما ما داموا يذكرونه ، يعلم منهم أنهم فوضوا أمرهم اليه ، واعتمـــدوا عليه ، يمدهم بالمدد الالهى ، فلا يبالون بأنهم قلة ، ولا يخشون صولة الأعداء وهم فى ضـــعف ، لأنه أكد لهم دائما أنهم ان عـــزوا به ، وذلوا له ، نصرهم بجنـــده على عدوهم وعدوه : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » .

ووعد الله لا يتخلف لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، يظهر لهم البرهان تلو البرهان ، على الصدق والوفاء فى كل زمان ومكان ، فلم يقصر نصره على رسوله فى معاركه ومغـــــازيه ، ولم يجعل وعده للصــــحابة فى عصرهم ، والفتــــوحات التى تمت على أيديهم فحسب ، بل تابع نصره دائما للجــــيوش المحاربة فى سبيله ، الواهبة نفسها له ، الذاهبة على طريق العزة والكرامة .

وأبرز مظاهر العناية الالهية بالأمة المختارة ، أنه اذا وقعت لهم هزيمة ، فانما يراد بها الاختبار والابتلاء وشحذ الهمم ، لتتخذ من الهزيمة شـحنة من الحماس والغيرة ، فتثأر لنفسها بعنف ، وتعيد كرامتها بشدة .

ولقد عود الله عباده من أمة محمد أن يهبهم النصر على عدوهم اذا تحداهم فى رمضان ، وتصدى لهم وهم جياع .

ولعل السر فى ذلك أن للصائمين نفوســا طائعة ، وقلوبا ضـــــارعة ، وأرواحا شفافة ، قد رأت من وراء الغيب أن الله يدافع عن الذين آمنوا .

ونحن هنا أمام هزيمة ساحقة قد منى بها المسلمون على أيدى جيش وثنى بربرى ، تحالف مع الصليبية العالمية ضد الاسلام ، وانحدر فى أخلاقه الى أخبث من اليهود والصهيونية ، وبلغ فى وحشيته ما بلغته اسرائيل فى عصرنا الحاضر ، وفقد كل المعايير الانسانية والخلقية فى حربه وسلمه .

موقعة وادى الخازندار :

الجيش جيش المغول الوثنيين ، الذين احتلوا رقعة الأرض الاسلامية من الصين الى الشام ، وأقاموا دولة فى بغداد باسم دولة المغول ، وكانت الخطة المرسومة أن يستولوا على كل البلاد الاسلامية ، ولكن جيش مصر حطم آمالهم كلها فى موقعة « عين جالوت » ، وبقيت العداوة مشبوبة بين الوثنيين الذين غلبوا على بغداد ، وبين القاهرة ، التى حملت لواء الدفاع عن حرمة الاسلام ، وحلت فى قلوب المسلمين محل بغداد التى لوثها عنصر المغول .

ومن يوم « عين جالوت » والضغينة تزداد ، والبغض يشتد فى قلوب حكام المغول فى العراق على مصر وحكامها ، ودارت المعارك المتتالية ، كان النصر فيها دائما للجيش المصرى على قوة المغول .

فلما ضاق المغول بالقوة الهائلة فى مصر ، وأدركوا أنهم لن ينتصروا أبدا ، ما داموا على وثنيتهم ، وهم يحكمون شعبا مسلما كانت له زعامة العالم الاسلامى ، ويحاربون أمة مسلمة ، يسكن حبها فى قلوب أهل العراق ، حب الأخوة الدينية ، والصلات الروحية بين أمة الاسلام فى كل مكان . أدرك الوثنيون حينذاك أنهم صاروا وحدهم عدوا مشتركا بين شعب يحكمونه ، وشعب يحاربونه .

العنصر الدينى وأثره فى الهزيمة والنصر ..

أراد المغول أن يستعملوا سلاحا جديدا فى المعركة ، فأعلن سلطانهم « غازان » أنه دخل فى الاسلام ، وجمع جنده ، الذى بلغ مائة ألف ، واتجه بهم الى سوريا .

وهناك فى (وادى الخازندار) الذى يقع الآن بين (حمص) و (حماة) ، ويسمى (مجمع المروج) التقى جيش « غازان » الذى خدع شعب العراق باسلام مزيف — مع جيش الناصر محمد بن قلاوون ، الذى كانت سنه اذ ذاك أربعة عشر عاما .

كان هذا اللقاء فى شهر ربيع الأول عام ٦٩٩ هـ الموافق ١٣٩٩ م .

ما أشبه الليلة بالبارحة :

حمل « غازان » على قلب الجيش المصرى فحطمه ، وفرت الخيالة المدربة ، وهرب كبار القواد ، وركب المغول أقفيتهم ، ووقف السلطان الشاب يبكى من شدة الهول ، ولم يجد حوله سوى اثنى عشر أميرا من أمرائه ، ووقعت « حمص » فى أيدى التتار ، ثم اتجهوا الى دمشق ، والذعر يسبقهم الى كل بلد .

ويصف (المقريزى) فى كتاب (السلوك) صورة المعركة ، وأثرها فى نفوس أهل الشام فيقول : « وقع الرعب ، وازداد الفزع فى نفوس الأهلين ، وخرجت النساء سافرات ، وترك التجار حوانيتهم واعمالهم ، وازدحموا على أبواب (دمشق) ، طلبا للفرار والنجاة الى جهات بعيدة ، وانقسم الناس الى طوائف : طائفة تغلب عليها الخوف ، فحملوا ما استطاعوا حمله من مال ومتاع وساروا بأهليهم الى مصر ، وطائفة بقيت ترجو حقن الدماء ، وطائفة طمعوا فى أكثر من ذلك من عدل وحسن سيرة) .

وتمخضت الأحداث عن تزييف فى اسلام « غازان » ، وظلم ووحشية فى معاملة أهل البلاد المغلوبة ، فساموهم كل ظلم ، وفرضوا عليهم ضرائب تستغرق كل أملاكهم .

ولعل السر فى هزيمة الجيش المصرى أمام جيش التتار والمغول فى هذه المعركة — وهى الأولى التى انتصر فيها المغول وانهزم فيها المسلمون — .

لعل السر فى ذلك هو شعور المحاربين المصريين انه لا داعى لحرب المسلمين ، ما دام المغول قد اعلنوا اسلامهم ، وتنقل لنا المصادر التاريخية صور استفتاء العامة لرجال الدين عن شرعية قتال المسلمين بعضهم لبعض !

وفوق ذلك : فان عدد الجيش المغولى كان خمسة امثال جيش المصريين . لكن اتضح بعد المعركة أن الاسلام لم يعرف طريقه الى قلب أحد من المغول ، بدليل أعمال صدرت من هؤلاء القوم ، لم تكن لتصدر ابدا من مسلم . أو فى طريقه الى الاسلام :

ا — فقد ظهر أن (غازان) محمود ، الذى قيل انه اسلم ، كان يريد أن ينكح زوجات أبيه ، فلما قيل له ان الاسلام يمنع ذلك اراد أن يرتد .

ب — ارتكب الجيش المغولى من ضروب الوحشية ما يجعلهم خارج نطاق الاسلام ، بل والانسانية ، حيث ارتكبوا الفاحشة ، فى مسجد بنى أمية بدمشق ، كما شربوا الخمر على أبواب المسجد ، وصاروا يلقون القاذورات داخل المسجد ، كما أعلنوا احتقار المصاحف بكافة الوسائل .

ج — فرضوا على أهل الشام غرامات حربية أعجزتهم عن الوفاء ، فكان جزاء المتخلف القتل والتعذيب ، حتى يقال : ان مجموع القتلى من العامة والفلاحين بلغ مائة الف !!

كانت هذه هى معركة (وادى الخازندار) التى انهزم فيها المسلمون ، وخرجوا من ديارهم لاجئين من الشام ، الى مصر ، وصار الشعب يتندر برجال الجيش ، ويتهمهم بالجبن والفشل . ولما اشتد الضيق بالناس ، سجل شعراؤهم معاناة الشعب فى هذه الأبيات :

رمتنا صروف الدهر حقا بسبعة	فما احد منا من السبع سالم
غلاء ، « وغازان » ، وغزو وغارة	وغدر واغبان وغم ملازم

رد الاعتبار فى الموقعة الفاصلة :

لم تمر خمسة أشهر على تلك الهزيمة المنكرة ، والكارثة المؤلمة (من ربيع الأول الى رمضان) حتى أفاق المصريون من أثر الصدمة ، وعاد اليهم صوابهم ، ووضعوا أيديهم على الجراح الدامية ، فاذا الجرح غائر ، والدماء غزيرة

متدفقة . وأيقنوا أنهم خدعوا فى اسلام التتار ، وأدركوا أن رد الاعتبار يحتاج الى تضحية ومجهود وتدبير محكم ، فبدءوا باعادة بنـــاء الدولة من جديد ، وتطهير الأرض من الألغام قبل الدخول فى المعركة الحاسمة ، فكان التدبير على هذه الصورة :

١ — تطهير أرض المعركة الجديدة من أعوان الخصوم وعيونهم .
٢ — التدريب الشامل على استعمال السلاح لكل قادر على حمله ، فصار الشباب والرجال والنساء يتدربون على استعمال السلاح ، والرمى بالنشاب ، وفى مقدمتهم الفقهاء والقضاة .
٣ — بالرغم من حملة الكتاب المسيحيين ضد الدولة المصرية أمثال (بركارو) ، (بيير دى بوا) فان المصريين استطاعوا أن يقضوا على دعايات كتاب أوربا ضد الاسلام ، حيث كان الحكام المسيحيون يدركون أن صداقة مصر خير لهم من ممالأة المغول .

سجل النصر فى رمضان ..

فى المعركة الحاسمة كانت الأفواه الباسمة ، والوجوه المشرقة بنور الايمان ، المشتغلة بالعبادة الكبرى فى الاسلام وهى الصيام فى رمضان .
كان التوقيت الربانى لهذه المعركة يحمله القدر لحكمة عرفها المسلمون منذ قديم ، حيث ظهرت نفحات رمضان فى بدر ، فى السنة الثانية ، وفى فتح مكة على مصراعيها ، والقضاء على آخر مقاومة لقريش فى رمضان ، من السنة الثامنة ، ثم تحقيق الله وعده لرسوله فى غزوة تبوك ، التى هزت كيان دولة الروم ، فى رمضان من السنة التاسعة .

ولم يعد خافيا على المسلمين سر الأسرار فى رمضان ، بعد أن تحقق نصرهم على الفرس والروم مجتمعين لأول مرة فى التاريخ ضد المسلمين على نهر الفرات عام ١٢ هـ .

وعاد رمضان ليقتحم بالمسلمين حدود آسيا وافريقيا ، ويحملهم الى أوربا نفسها ، حيث فتحت الأندلس بأنفاس الصائمين فى رمضان بقيادة طارق بن زياد عام ٩٢ هـ .

البطولة المصرية فى معركة مرج الصفر فى رمضان عام ٧٠٢ هـ — ١٤٠١ م :

وصل جيش المغول الى مرج الصفر ، فى الجنوب الشرقى لدمشق ، فى نفس الوقت الذى وصل فيه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والخليفة العباسى الى مكان القتال ، **وصار السلطان والخليفة ، يشقان صفوف الجند ، ومعهما القراء ، يتلون كتاب الله ، ويحثون على الجهاد ، ويشوقون الى الجنة ، واتجهت القلوب كلها الى الله فى خشوع وضراعة ، وصوت الخليفة يدوى بين الصفوف المجاهدة ، مرددا هذه الكلمات : « يا مجاهدون : لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا على حريمكم ، ودين نبيكم » ، والناس فى بكاء شديد لشدة الموقف .**

وكان لرجال الدين دور خطير فى هذه المعركة ، وعلى راسهم الامام تقى الدين ابن تيمية ، الذى أفتى بالفطر فى رمضان ، وأفطر هو أيضا ، ليقوى عزم المسلمين على القتال .

ولما التحم الجيشان : ثبت السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمام الجند فى ميدان المعركة ، وأمر بجواده فقيد ، حتى لا تحدثه نفسه بالهرب اذا هزم المسلمون .

وانتهى يوم السبت الثانى من شهر رمضان سنة ٧٠٢ هـ وكفة المصريين راجحة ، فلما جاء الليل ، لجأ التتار الى اقتحام التلول والآكام والجبال ، فأحاط بهم المصريون يحرسونهم من الهرب ، ويرمونهم عن قوس واحدة ، الى وقت الفجر . وجعلوا يجيئون بهم فى الحبال فتضرب أعناقهم .

ولما ضاق الأمر على التتار ، صمموا على فك الحصار ، واقتحام صفوف المسلمين طلبا للنجاة ، وعلم السلطان بعزمهم ، فأمر الجنود بأن يفسحوا لهم الطريق ، ثم يأخذوهم هم من الحلف بسيوفهم .

وقد نجحت هذه الخطة الى ابعد حد ، وركب المسلمون أقفيتهم ، حتى كانوا يتساقطون فى الأودية ، والمهالك ، وقد كلت خيلهم ، وأعياهم الجهد ، والتعب ، حتى ألقوا أسلحتهم ، واستسلموا للقتل ، وأخذ العامة يسخرون منهم ، حتى ان الأعراب كانوا يضللونهم فى الصحارى ، والفيافى ، ثم يتخلون عنهم ، فيموتون عطشا .

وبمثل هذه الهزيمة المنكرة ثأر المسلمون لأنفسهم من موقعة (وادى الخازندار) .

أفراح النصر فى مصر :

كان من ابهى مظاهر الفرح فى جميع المدن والقرى ، تلك الحفاوة التى استقبل بها السلطان حين عودته الى القاهرة ، فأقيمت الزينات ، واقواس النصر ، التى بلغت سبعين قوسا ، من باب النصر الى القلعة ، ونصبت الاعلام من قطع الحرير على جدران المنازل ، وارتفع كراء البيوت المطلة على الطريق ، التى يمر بها موكب السلطان ، وفرشت الأرض بالبسط الحريرية من باب النصر الى باب القلعة ، واصطف المغنون والمغنيات على جانبى الطريق ومر السلطان بحيث لم يطأ حافر جواده ارضا غير مفروشة بالحرير .

وكان يتقدم الفصائل المصرية الف وستمائة أسير ، مكبلين بالسلاسل والأغلال ، وفى عنق كل أسير رأس قتيل يتدلى أمامه .

هذا عدا الف رأس مشرعة على الرماح ، وأمامهم طبول الحرب المغولية مشققة ، وأعلامهم منكسة ، فكان يوما لم تشهد مصر مثله من الأيام .

خاتمة :

هذه نفحات رمضان ، وتلك شواهد قوة الايمان ، ونحن نقول لمن لم يصدق :

الله رب الأزمنة كلها ، والاسلام للناس كافة .

والوعد صادق ، ولا يزال المسلمون يمتحنون فى درجة ايمانهم بالاسلام .

والنصر فى النهاية لأمة القرآن .

واجب زوجية

للشيخ : محمد الغزالى

فى هذا العصر اختفت تقريبا المذاهب الداعية الى الانطواء على النفس والعزلة عن المجتمع ، وربما بقيت فى ميدان الرهبانية ، أو فى مجال النزعات الخاصة بعض آثار الاستيحاش من الخلق ، والابتئاس بالخلطة . لكن هذه البقايا لا تؤثر فى قيمة الاتجاه الانسانى العام الى التعاون والاختلاط ، وبناء السلوك البشرى على الايلاف والاستئناس ..

ونحن راضون عن هذا الاتجاه الجماعى الودود ، فان الانكماش عن الحياة العامة ليس شارة صلاح ، ولا طريق اصلاح بل قد يكون دليل ضعف وانهزام ، أو نشدانا للراحة مع ترك الدنيا تموج بما تموج به .

ورسل الله لم يتركوا الجماعات البشرية تسير حبلها على غاربها ، ويقبعوا فى صوامع قصية يتأملون ويتألمون . كلا ..

لقد عاركوا الشر وعالجوا أسبابه ، وتحملوا بجلادة ما تركه هذا العراك فى أنفسهم وأهليهم من أحزان وكروب ..!

ولم يكن هناك بد من هذا المسلك .. فان الافراد يعيشون غالبا وفق التقاليد والعادات الشائعة فى الامة ، ويبنون مكانتهم ووجاهتهم على الانسجام معها ..

وهذه التقاليد والعادات كثيرا ما تغلب فطرة الله فى الانفس ، وتعمى عن رؤية آياته فى الآفاق ، فتنشأ الاجيال المقبلة بعيدة عن الصلاح والاستقامة ، بحكم منابتها التى خرجت منها ..

ومن ثم فلا طريق لنصرة الحق ، وغلبة الخير الا بالجهاد المضنى ، لجعل عادة حسنة ، تغلب عادة رديئة ، وتقليدا صالحا يغلب تقليدا فاسدا ، وتيارا نقيا يغلب تيارا ملوثا ..

وتلك هى الغاية من جهاد الدعوة ..

ولعل الثواب الاعظم المرصد لخطوات المجاهدين يرجع الى عظم آثارهم فى الحياة ، وامتداد النفع بكفاحهم المادى والادبى ..

ومن ثم فان العباد العاكفين على طاعة الله فى قمة جبل ، أو جوف غابة ، يطالعون من بعد غبار المعركة بين الحق والباطل ، أو ييأسون من نتائجها ،

ويستريحون من متاعبها .. هؤلاء فى الحقيقة ناس واهنو العزم والايمان ، هابطو المكانة فى الدنيا والآخرة .

بل ربما لقى بعضهم الله باثم الفار من الزحف ، أو القاعد وراء المجاهدين..
ان الاسلام يمد أبناءه بفيض من اليقين يتجاوز أشخاصهم الى ما حولها ، فهم يتركون طابعهم كله أو بعضه على بيئتهم ..

واذا استعصت مواطن الشر على هذا الايحاء الكريم ، فهى أعجز من أن تبسط ظلمتها على القلوب المشرقة ، وهى أعجز من أن تكرهها على الفرار والتوارى عن الاعين ..

وسيبقى اهل التقى فى جنح الليل السائد منارات قائمة تومض بالحق فتهدى وتنجى .

ومع هذه المعانى التى شرحناها ، نقرر أن المرء تمر به فترات يحتاج فيها الى أن يخلو بنفسه ، وينأى عن الناس بجانبه ، ويراجع فى صمت العزلة ما له وما عليه ، ما أحسن وما أساء ، ما يفعل وما يترك ..

ان ضجيج المجتمعات أحيانا يفقد الانسان وعيه أو يكاد ..

وأظن أنه قد ثبت علميا أن مستوى الذكاء فى زحام الجماهير يهبط ، وأن التجمعات المنطلقة يحكمها رأى عام يشبه « متوسط المحصول » ..

ومتوسط المحصول يتلاشى فيه الانتاج العالى فى جوار الانتاج الردىء اذ تذهب زيادة هذا فى نقص ذاك ..

ومن ثم وجدنا كثيرا من الناس ينشدون أن يخلوا بأنفسهم ، ليستعيدوا فى خلوتهم حدة بصيرتهم ، وتألق أذهانهم ..

وما يستغنى أولو النهى عن هذه الساعات الغالية ، لا ليستجموا فيها ، بل لتثوب اليهم مواهبهم ، وترجع لهم خصائصهم ثم يواجهوا الدنيا بحقيقتهم الكاملة ..

وفى الجاهلية الاولى رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى العزلة ، فكان يهجر أم القرى الى غار منفرد فى جبل أشم ، ينقطع دونه لغو الناس وآثمهم .
وكأن النبى الكريم يحاول فى سكينة الغار ، أن يقترب من الحقيقة ، التى ضل عنها عالم غريق فى الشرك والعصيان ..

وقد طلع عليه فجر الوحى فى أيام تحنثه ، واستراحة فؤاده الشريف الى حياة التأمل العميق ، فلما حمل أعباء الرسالة ، وشرع يخلص العالم من قيود الخرافة ، وآصار البغى ، كان يستعين على جهاد الجماهير الشكسة النافرة ، بالساعات التى يخلو فيها الى ربه ، ويبصر فيها نفسه ، وما يعمل وما يلقى ..

وقد استحب لأصحابه رضوان الله عليهم ــ أن ينسحبوا بين الحين والحين من مشاغل العيش ، ومشكلات الاهل والولد ، وأن يفروا الى الله فى بيته ، ويعكفوا على ذكره وعبادته .. والاعتكاف فى المسجد اطراح موقوت لشئون الدنيا ، واقبال مضاعف على شئون الآخرة ، وانابة جادة الى الله ، يشترك فيها الشعور واللسان ، والظاهر والباطن ..

واذا كانت أيام رمضان قد اجتذبت الرسول صلى الله عليه وسلم الى غار حراء ، راغبا راهبا ذاكرا قانتا ، فان هذه الأيام نفسها قد علقت قلبه ــ بعد الوحى ــ بالمسجد ، يأوى اليه ، ويتحنث فيه ، هو وصحبه الابرار .
وقد شهد المسجد النبوى بالمدينة المنورة ليالى وضيئة ، لأولئك العابدين المنقطعين الى الله ، الآملين فيه ، المعتزين به ..

فلنطالع هذه الصورة الطريفة من مرويات البخاري ومسلم . قال أبو سعيد الخدرى : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العشر من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال له : ان الذى تطلب أمامك ، فاعتكف العشر الاوسط ، فاعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : الذى تطلب أمامك .

ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال : من كان اعتكف معى فليرجع ، فانى رأيت ليلة القدر ، وانى أنسيتها ، وانها فى العشر الاواخر فى وتر ، وانى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء .

قال أبو سعيد : وكان سقف المسجد جريدا من النخل ، وما نرى فى السماء شيئا ، فجاءت قزعة فمطرنا ، فصلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهته ، تصديق رؤياه ..

أى ليلة سمحة مباركة كانت هذه الليلة التى اتصل فيها الذكر والتسبيح ؟
وصاحب الرسالة ورجاله الاقربون عكوف على الطاعة والتلاوة يركعون ويسجدون ، حتى جاءت سحابة تصب على أكناف المسجد ما شاء الله من رحمته ، والمتهجدون دائبون على نسكهم ، لا يلفتهم عن صلاتهم المطر النازل ، فاذا سجد النبى صلى الله عليه وسلم رفع وجهه الشريف وبه آثار من الماء والطين !!

لقد كانت هذه ليلة القدر وهى كما قال الله « خير من ألف شهر » .

رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات ..
وتطيرات زمان .. ملأت كأس حياة ..

وقد مضت السنة باستحباب اعتكاف المؤمنين فى العشر الاواخر من رمضان ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل الثلث الاخير شد مئزره ، وأحيى ليله وأيقظ أهله ..

وربما قال قائل : ان الاعتكاف على هذا النحو ليس عزلة ، انه عبادة جماعية ، يؤديها المؤمن مع غيره ، وذاك شىء غير العزلة التى حدثتنا عنها آنفا !!

ونجيب بأن الاعتكاف عبادة قوامها العزلة ، فان الانسان عندما ينوى الاعتكاف يتفرغ لطاعة الله ، والاقبال عليه ، ويدع زوجته وشغله ولهوه .

وقد جعل الاسلام هذه العزلة فى اطار المسجد ، فلم يسمح بانقطاع فى غار أو غابة ، وذلك حتى لا تهى صلة المسلم بالجماعة .

والمسجد بقعة توحى بالعبادة والتبتل ، وعلى العاكف أن يلم شمل نفسه ، ويديم ذكر ربه ، ولا يأذن لقطاع الطريق أو لصوص الاوقات أن يغلبوه على أمره ..

ان المساجد قطع من هذه الارض مساوية لها فى المعدن ، ولكنها ارتفعت قدرا عند الله وعند الناس برفعة الغاية التى بنيت من أجلها ، والعباد الذين يصطفون فوقها « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » .

ورأيى أن الاعتكاف ليست له مدة معينة ، وأن الصوم حسن فيه اذا طال أمده .

وفترات الاعتكاف القصيرة فرصة متاحة لكل مسلم يريد بين الفينة والفينة أن ينعطف الى ربه ، لكن الفترات القصار تشبه التمارين الرياضية المحدودة

من سباحة وجرى ، لها بلا ريب اثرها فى الصحة العامة ، غير انها لا تدل على بطولة وتفوق ..

والاعتكاف الذى يستفرق أياما لا يطيقه الا قوم لهم مع الله معاملة ، ولهم به الف ، وهل يتفاوت أهل الايمان والعبادة الا فى ذلك المضمار ؟

ان ما يسأم منه البعض قد يستلذه آخرون .

تدبر هذا الحديث عن ربيعة بن كعب رضى الله عنه قال : كنت اخدم النبى صلى الله عليه وسلم نهارى فاذا كان الليل أويت الى باب رسول الله فبت عنده ، فلا أزال أسمعه يقول (سبحان الله . سبحان الله . سبحان ربى) ، حتى أمل ، أو تغلبنى عينى ، فأنام ، فقال يوما : يا ربيعة سلنى فأعطيك ، فقلت انظرنى حتى أنظر .. وتذكرت أن الدنيا فانية فقلت : يا رسول الله ، أسألك أن تدعو الله أن ينجينى من النار ويدخلنى الجنة ؟ وفى رواية أسألك مرافقتك فى الجنة .. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من امرك بهذا ؟ قلت : ما امرنى به أحد ، ولكنى علمت أن الدنيا منقطعة فانية ، وأنت من الله بالمكان الذى أنت منه فأحببت أن تدعو الله لى . قال : انى فاعل ، فأعنى على نفسك بكثرة السجود .. » .

لقد كان رسول الله لا يفتر من ذكر حتى يمل كعب او ينام ، فلما طلب من رسول الله أن يصحبه فى الجنة طلب منه أن يرشح نفسه لهذه المنزلة بادامة الصلاة .

والانسان الذى يكثر السجود يقبل على الله بنفس محب ، ورغبة مشتاق ، والاعتكاف على مثله يسير ، طال او قصر ..

والاعتكاف اليسير أو الطويل ليس جلوس بطالة فى المسجد كما يتوهم البعض ! فانك اذا قلت : شاطىء البحر متعة عنيت أن ذلك لمصطاف يستعين بالراحة على العمل ، وبالاستجمام على استئناف الكفاح ..

والمرء فى مكابدته للمعايش ، ومخالطته للخلائق قد يتيه فى اودية الحياة ، وينسى ما بعدها ، فاذا انتزع نفسه ليذهب الى المسجد مصليا ، فهو يذهب ليستعيد صوابه ..

فاذا بكر فى الذهاب قليلا ، وقصد أن يفتح أقطار قلبه لايحاء المسجد فهذا اعتكاف مشكور ، وفى الحديث : (فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه : اللهم اغفر له . اللهم تب عليه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة) .

اننا فى عصر ينشد الانسان فيه المتاع المادى من الف وجه ، ويظن ما ناله منه حظا جسيما ، فلنلو زمامه الى لون آخر من الكمال الانسانى الاسمى ..

ان غدوة الى ناد للقاء الزملاء متعة .. لا بأس !

ومن المتع التى لها مذاق آخر غدوة الى المسجد لمناجاة الله ، واللبث فى حضرته .

فاذا استمكنت هذه العادة فى القلب رفعت صاحبها الى السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ..

فمن هؤلاء السبعة (رجل قلبه معلق بالمساجد) ..

ان الاعتكاف سنة مهجورة ، أو لعله سنة غير مفهومة ، خصوصا هذه الايام التى دارت فيها الاهواء بالرؤوس كما تدور الخمر بشاربها ..

وهو فى حقيقته واحات روحية مزهرة على درب الحياة الطويل ..

المعنويات في مصير الجيش والأمة

بقلم اللواء الركن :
محمود شيت خطاب — بغداد

تمهيـــد

١ — قبيل معركة اليرموك الحاسمة بين العرب المسلمين والروم فى العام الثالث عشر من الهجرة (١) (٦٣٤م) ، قال رجل من المسلمين لخالد بن الوليد : (ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! ، فقال خالد : (ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان (٢)) .

ومعنى ذلك ، أن الجيش ليس بعدده وعدده بقدر ما هـــو بمعنوياتـــه ، والجيش الذى لا يتحلى بالمعنويات العالية لا قيمة له في الحرب ، والفئة القليلة ذات المعنويات الرصينة ، تغلب الفئة الكثيرة ذات المعنويات المنهارة .

وقد كان نابليون بونابارت يقول : ((قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوى ثلاثة على واحد)) ، أى أن الجيش تكون قيمته ٧٥٪ في الناحية المعنوية و ٢٥٪ في الناحية المادية .

وقد أيد نابليون في قولته هذه كبار القادة العسكريين فى الماضى . والكثير من القادة العسكريين في الوقت الحاضر .

غير أن الجنرال فوللر فى كتابه : الأسلحة والتاريخ ، يخالف هذا الرأى ، لاختراع الأسلحة النووية والهيدروجينية ، وللتحسينات الهائلة التى طرأت على وسائل قذف هذه الأسلحة وعلى أساليب استعمالها .

وليس هناك شك ، فى أن الأسلحة الحديثة ذات تأثير على الناحية المادية فى الجيوش الحديثة ، اذ جعلت نسبة هذه الناحية بالنسبة الى الناحية المعنوية ٥٠٪ لكل منهما .

أى أن الناحية المعنوية لا تزال ذات قيمة عظيمة ، حتى بعد ظهور الأسلحة الجهنمية الحديثة ، وان المعنويات كانت ولا تزال وستبقى عاملا حاسما من عوامل النصر .

لقد كان الجيش الايطالى فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥)

---

(١) ابن الأثير (٢/١٥٧)

(٢) الطبرى (٢/٥٩٤)

مجهزا بأحسن التجهيزات ، ومسلحا بأفتك الاسلحة ، ومنظما وفق أحدث أساليب التنظيم ، ومدربا وفق أحدث أساليب التدريب . الا أن معنوياته لم تكن عالية بالرغم من كل ذلك ، لهذا كان الحلفاء يعتبرون المواضع التي يحتلها الجيش الايطالي فراغا عسكريا ، وكان هذا الجيش يستسلم بسهولة ويسر للحلفاء في كل معركة يخوضها .

لقد كانت الناحية المادية في الجيش الايطالي متميزة جدا ، ولكن الناحية المعنوية فيه كانت ضعيفة ، لذلك لا يمكن اعتباره جيشا ذا قيمة عسكرية ضاربة . وما يقال عن الجيش الايطالي ، يقال عن كل جيش قديم أو حديث ، لا يتحلى بالمعنويات العالية .

٢ — وفي الحروب القديمة ، أي الحروب التي خاضتها الشعوب قبل الحرب العالمية الثانية ، كان الجيش هو المسؤول الأول والأخير عن احراز النصر .

أما في الحروب الحديثة ، ابتداء من الحرب العالمية الثانية ، فقد أصبحت الحرب اجماعية (١) ، تحشد لها الأمم كل طاقاتها المادية والمعنوية ، لذلك اصبح الشعب كله مسؤولا عن احراز النصر وليس الجيش وحده ، ولو أن الجيش النظامي والاحتياطي بقي رأس رمح في الحرب .

ان الحرب الاجماعية ، تقتضي زج كل قادر على حمل السلاح في الحرب ودعم المحاربين بكل طاقات الشعب المادية ، لذلك كان اعلان الحرب معناه ، أن يكون الشعب كله — لا قواته المسلحة وحدها — في الصفوف الامامية ، وخاصة بعد تطوير القوة الجوية ، واختراع الأسلحة النووية ، فقد أصبح كل مكان في البلاد المحاربة ساحة حرب ، لا تقل أهمية وخطرا عن الجبهة الامامية في ميدان القتال .

لذلك أصبحت أهمية المعنويات في الشعب كأهميتها للجيش سواء بسواء .

كما أن الجيش من الشعب ، فاذا كانت معنويات الشعب عالية ، كانت معنويات الجيش عالية أيضا ، والعكس صحيح .

من هنا تأتي أهمية المعنويات للشعب كله ، وتبرز ضرورة ادامة المعنويات في الشعب والجيش على حد سواء .

تعريف المعنويات :

١ — كان تعريف المعنويات قبل الحرب العالمية الثانية : بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب المنقاد الى أسس الضبط (٢) عن العصابات المسلحة ، وتتجلى بهذه الصفات الطاعة القائمة على الحب ، وتنمى الشجاعة ، وتظهر الصبر على المشاق ، وتبدى كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعا باسلا صبورا (٣) .

وهذا التعريف يشمل الجيش وحده كما نرى ، لأن الحروب كانت حروب جيوش لا حروب أمم ، كما أصبحت في الوقت الحاضر .

٢ — أما تعريف المعنويات اليوم ، فهو : القوى الكامنة في صلب الانسان ، التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به .

---

(١) تسمى الحروب الاجماعية في قسم من الجيوش العربية الشقيقة : الحرب الشاملة أو الحرب الاعتصابية .

(٢) الضبط : الطاعة العمياء . ويطلق عليه في قسم من الجيوش العربية الشقيقة : تعبير الانضباط .

(٣) الجغرافية العسكرية (١٨/١) طه الهاشمي — بغداد — ١٩٣٤ .

وهذا التعريف يشمل الشعب كله لا الجيش وحده .
واذا أردنا ايضاح هذا التعريف وتبسيطه ، فيمكن القول بأن الفرد فى الشعب
يجب أن يكون شجاعا لا يجبن ، قويا لا يضعف ، عزيزا لا يهون ، صامدا
يتراجع ، صابرا لا ينهار ، متفائلا لا يقنط ، مستعدا للتضحية بماله وروحه
أجل مثله العليا .

٣ — وكلمة : المعنويات : ترجمة لكلمة (Worale) الانكليزية
وقد ترجمت فى أول الأمر الى : القوى الأدبية ، والى : الروحيات ، ثم شـ
استعمالها فى الجيش وخارجه بتعبير : المعنويات .

عوامل القوى المعنوية :

١ — الديـن :

عامل الدين من اهم عوامل رفع المعنويات فى الشعب ، خاصة بالنسـ
للعرب يقول ابن خلدون : « ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية
نبوة أو ولاية أو أثر عظيم » (١) .

لقد غرس الاسلام فى نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبب الـ
الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد نصرا دونه كـ
نصر ، كما بعث فيهم الاعتزاز بالنفس ، والشعور بأن عليهم رسالة واجبـ
الأداء للعالم (٢) .

وحـد الاسـلام عقائـد العـرب ، ووحـد اعمالهـم ، ووحـ
صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونـ
أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا (٣) .

لقد وجد الاسلام بتعاليمه — التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس
وتدعو الى توحيد الله تعالى ، وتوحيد الصفوف — أرضا خصبة فى العـ
الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقو
الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم
وأشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا
فى توحيد الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا ، فحملوا رايـ
الاسلام شرقا وغربا الى أقصى الشرق ، وغربا الى أقصى الغرب ، وحملـ
أعباء الفتح الاسلامى وحدهم ، فكان لهم بتوفيق الله وتسديده فضل نشـ
الاسلام فى البلاد المفتوحة شرقا وغربا . (٤)

ولكن كيف رفع الاسلام معنويات العرب ؟

غرس الاسلام عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، وان النفس لن تمـوت
بأجلها ، والمرء يموت فى يومه ، سواء كان ذلك فى ساحات الوغى أو علـ
فراشه الوثير .

وأمر الاسلام بالشجاعة والثبات والاقدام : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيـ
فئة فاثبتوا) (٥) ، وقال تعالى : (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا) (٦

---

(١) انظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون (٢٦٦/١) — بيروت — ١٩٦٧ .
(٢) قادة فتح العراق والجزيرة (١٩) القاهرة ١٩٦٤ .
(٣) قادة فتح الشام ومصر (٢٧٢) — بيروت — ١٩٦٦ .
(٤) قادة فتح الشام ومصر (٢٧٤) .
(٥) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٤٥) .
(٦) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٥٠) .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (١) .

وحث الاسلام على (الطاعة) ، والطاعة هى روح الجندية : (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) (٢) .. وقال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) (٣) .

وأمر الاسلام بالصبر : (ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) (٤) . وقال تعالى : (اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله) (٥) ، وقال تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا) (٦) .

ذلك بايجاز ما أمر الاسلام به من مزايا (فردية) هى نفسها مزايا الجندى الخالدة فى كل مكان وزمان ، وهى فى نفس الوقت لها أثر على (المجموع) لأنها تبنى جيشا مقاتلا من الدرجة الأولى ، وشعبا قويا صامدا لا يقهر أبدا .

ولكن الاسلام لم يقتصر على تربية (الفرد) ليتحلى بالمعنويات العالية ، بل شملت تعاليمه الأمة كلها ، فأمر بالوحدة وهى أساس القوة ، وحث على الاستعداد الحربى ، وهو أساس النصر ، وأمر بالجهاد ــ وهو أساس القوة والنصر معا .

أمر بالوحدة : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (٧) . وقال تعالى : (ان هذه أمتكم أمة واحدة) (٨) .

وحث على الاستعداد الحربى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم) (٩) .

وأمر بالجهاد بالأموال والأنفس : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله) (١٠) ، وهو بالاضافة الى كل ذلك ، حث على اليقظة والحذر : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) (١١) ، وقال تعالى : (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) (١٢) .

ذلك هو أثر الاسلام قبل الحرب وفى أثنائها فى اعداد متطلبات النصر ، ومن أهم عوامل رفع المعنويات هو احراز النصر فى ميدان القتال .

ولكن أثر الاسلام يمتد الى ما بعد الحرب ، فلا يفسح مجالا لانهيار المعنويات ، وذلك بالعمل على احباط محاولات العدو لاحراز النصر فى مجالات الحرب النفسية ، لاكمال انتصاراته فى الحرب .

ولعل آثار الحرب النفسية ــ كما هو معلوم ــ تستهدف تحطيم المعنويات لأن الأمة التى تخسر فى الحرب وتحتفظ بمعنوياتها سليمة لا بد وأن تعيد الكرة

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ١٥ ــ ١٦) .
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٥) .
(٣) الآية الكريمة من سورة النور (٢٤ : ٤٧) .
(٤) الآية الكريمة من سورة النحل (١٦ : ١١٠) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٠٠) .
(٦) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٤٦) .
(٧) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٨) الآية الكريمة من سورة الأنبياء (٢١ : ٩٢) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٦٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٤١) .
(١١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧١) .
(١٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ١٠٢) .

على اعدائها ، وتنتصر عليهم فى المدى البعيد او القريب .

وليس هنا مجال تفصيل أهداف الحرب النفسية ، لأن ذلك يخرجنا عن الموضوع الذى نتصدى له اليوم .

ومع ذلك فان الحرب النفسية ، لكى تحقق اهدافها فى تحطيم المعنويات تستهدف بث الاشاعات المغرضة ، وتعمل على تفرقة الصفوف ، وتجعل اليأس والقنوط يدب فى نفوس أبناء الشعب ، وتضخم نتائج نصر العدو ، وتخوف من استئناف القتال على اعتبار أنه يؤدى الى الموت والدمار والفقر والفاقة .

والاسلام يحارب الاشاعات ويأمر بمكافحة مروجيها وأخبار السلطات عنهم : (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) (١) . وقال تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) (٢) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٣) .

والاسلام يعمل على رص الصفوف ، ويحارب التفرقة محاربة لا هوادة فيها : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) (٤) وقال تعالى : (فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) (٥) .

والمسلم لا ييأس ابدا ولا يقنط من رحمة الله : (لا تقنطوا من رحمة الله) (٦) ، وقال تعالى : (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) (٧) ، وقال تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٨) .

والاسلام يذكر المسلمين بأن الأيام دول بين الناس ، يوم لك ويوم عليك : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) (٩) وقال تعالى : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (١٠) وقال تعالى : (الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (١١) .

والاسلام يقرر أن الموت قدر ، وأن المرء لا يموت الا بأجله الموعود : (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) (١٢) .

وهو يقرر أن الذى يموت مجاهدا فهو شهيد ، ومقام الشهداء من اعظم المقامات فى الجنة : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون) (١٣) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٦٠) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٦) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٥٣) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الحجر آية (٥٦) .
(٨) الآية الكريمة من سورة يوسف (١٢ : ٨٧) .
(٩) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٧٢) .
(١١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٧٣) .
(١٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٥) .
(١٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٦٩) .

تلك هى معالجات الاسلام للحرب النفسية التى يريد بها العدو تحطيم المعنويات .

ولست أشك فى أن العقائد الأخرى ، لا تطمع أن تصل الى ما وصل اليه الاسلام فى رفع المعنويات قبل الحرب وفى أثنائها وبعدها .

من هنا يجب أن يحرص المسؤولون الرسميون والمسؤولون عن اهليهم ، ان يغرسوا مبادىء الدين الحنيف فى النفوس والعقول معا .

فهل نحن فاعلون أم على قلوب اقفالها ؟

٢ ــ القيادة :

القيادة المتميزة ترفع المعنويات ، والقيادة الضعيفة تحطم المعنويات . ولا تقتصر القيادة على الناحية العسكرية فحسب ، ولو أن هذه القيادة لها القدح المعلى في الحرب ، بل تشمل القيادة بالاضافة الى القيادة العسكرية ، القيادة السياسية ، والقيادة الصناعية ، والقيادة الفكرية ، والقيادة العائلية .. الخ . فاذا كان كل أولئك الرعاة موضع ثقة رعيتهم ، فان معنويات تلك الرعايا بخير ، والا فاقرأ على المعنويات الفاتحة .

لقد استيقظ الشعب العربى ، فهو يعرف قادته كل المعرفة ، واستيقظ الجنود العرب ، فهم يعرفون قادتهم أعمق المعرفة ، واستيقظ العمال العرب ، فهم يعرفون قادتهم أوثق المعرفة ، واستيقظ المثقفون العرب ، فهم يعرفون مزايا قادة الفكر العربى غاية المعرفة ...

والعائلة فى الدار ، تعرف رب العائلة ، وتضعه فى المكان الصحيح .

والقادة الذين يظنون أنهم يخفون حقيقة أمرهم ، مخطئون كل الخطأ ، أو واهمون كل الوهم ، فأمرهم مكشوف ، وحقيقتهم معروفة .

ولكن كيف يحوز القائد ثقة رجاله ؟

يجب أن ينسى نفسه لأجلهم ، ويجب أن يفعل ما يقول ، وينفذ أوامره على نفسه ، قبل أن يطالب غيره بتنفيذها ، ويجب أن يكون عالما بواجباته ، نزيها كل النزاهة ، متمسكا بأهداب الخلق الرفيع ، حريصا على أداء أعماله كل الحرص بامانة وشرف ، حريصا على مصير الذين هم تحت قيادته ، سريع القرار صائبه ، يتحمل المسؤولية ، ولا يحاول القاء تبعاتها على الآخرين ، يبادل رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، يعرف مزاياهم فيولى الرجل المناسب العمل المناسب ، دون تحيز أو انحراف ، له مبادىء معروفة سليمة ، يؤمن بها كل الايمان ، ليست له شخصية مزدوجة ، يضحى بمصالحه من أجل رجاله ، ولا يضحى برجاله من أجل مصالحه ، لا يكل ولا يمل من العمل ، يساوى نفسه برجاله فى حياته الشخصية ، ولا يستأثر دونهم بالغنم ، ويلقى بالغرم عليهم ، له شخصية قوية نافذة ، ورأى واضح سليم ، وله ماض مشرف مجيد ..

مثل هذا القائد ، يسير رجاله معه حتى الموت عن طيبة خاطر ودون تردد .

ومثل هذا القائد ، يرفع المعنويات الى عنان السماء .

ومثل هذا القائد ، يقود رجاله الى النصر بسهولة ويسر .

كان رجال خالد بن الوليد ، يفعلون الأعاجيب فى ميدان القتال تحت رايته ، ذلك لأنه كان : (لا ينام ولا ينيم) بالاضافة الى مزاياه القيادية الأخرى .
وصدق الله العظيم : (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين

ان مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) (١) .
فى هذه الآية الكريمة ، صفات القائد المنتصر ، باسلوب رائع معجز ، ولكنه شامل كامل .

واشهد أننى لم أقرأ حتى فى الكتب المعتمدة الحديثة . بحثا عن صفات القائد المنتصر فيه كل هذه الروعة والدقة والايجاز والشمول .

٣ — النصر :

النصر فى ميدان الحرب ، والنصر فى ميدان العلم ، والنصر فى ميدان العمل ، وكل نصر فى اى ميدان من المبادىء يؤدى الى رفع المعنويات .
ولكن النصر له تكاليف ، وأولها التخطيط له ، والعمل الدائب ، لوضع ذلك التخطيط فى حيز التنفيذ .
ولم يكتب النصر فى أي ميدان لأحد ، دون الاعداد الكامل السليم لكل متطلبات النصر .
ان النصر لا يتحقق مطلقا بالكلام الفارغ ، وبالادعاءات الكاذبة ، بل ان هذا الكلام وتلك الادعاءات بعد انكشاف حقيقتها ، تلحق أبلغ الضرر بالمعنويات .
الوعد بالنصر السريع مثلا ، ثم تثبت الأحداث العكس ، يؤدى الى انهيار المعنويات .
وفى القضايا العسكرية ، يجب انذار الجيش والشعب بما يمكن ان يحدث فى الحرب فعلا ، حتى لا يؤخذ الجميع على حين غرة ، فيؤدى ذلك الى زعزعة الثقة والمعنويات .
ان النصر يكون بالعرق والدموع والدماء ، ويكون بالبذل والتضحية والفداء .
أما الكلام وحده ، فلا يؤدى الا الى الهزيمة .
ان الأعمال وحدها هى التى ترفع المعنويات ، أما الأقوال بدون اعمال فتدمر المعنويات . والعرب فى هذه الظروف يحتاجون الى كثير من العمل وقليل من الكلام .
وقد سالنى صديق قبل أيام قائلا : لماذا سكت وقد ارتفعت الأصوات ؟
فقلت له : أخدم أمتي بصمت ، حين يضرها غيرى بالكلام .
وما عسى أن تفيد الأقوال ، خاصة اذا كذب الواقع الأفعال ؟
وصدق الشاعر :
السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب
ان انتصارا واحدا للعرب على اسرائيل ، كفيل أن يبدل معنوياتهم من حال الى حال . وكل ادعاء يخالف ذلك هراء وافتراء .

الخاتمة :

قرأت فى مذكرات المرحوم الهاشمى ، ان « المس بيل » فى العشرينيات من هذا القرن ، طالبت باستخدام الضباط المتقاعدين الذين خدموا فى الجيش العثمانى سابقا فى الجيش العراقي الذى كان فى ابتداء تشكيله .
وأجابها المسؤول البريطانى الذى كان يعمل فى السفارة البريطانية فى

(١) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٤٠ — ٤١) .

هيئه : كيف نستخدم هؤلاء الضباط فى الجيش العراقى الجديد ، وهم من هم وطنية واخلاصا ؟؟..

انهم سينشئون جيلا وطنيا لا غبار عليه .

وابتسمت « المس بيل » بخبث وقالت : لا تخش شيئا !. ان المستر « فلانا » فى المعارف !!!. وهو المسؤول عن تربية الجيل الجديد !!

ان العرب يمتلكون عقيدة سامية تصون معنوياتهم فى أيام السلام والحرب .

وقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق أهدافه الهدامة ، لأنه يعلم أن الأمة بدون عقيدة لا قيمة لها فى الحياة ، ولا خطر منها على الاستعمار .

وكان من المتوقع أن يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا مذكورا فى هذا المجال !

هل يبنى الشعب العربى باشاعة الفحشاء والمنكر بين أبنائه ؟.

هل يبنى هذا الشعب بالأغانى الخلاعية ، والأفلام الداعرة ، وقصص المخدع ، والاستهتار بالقيم الروحية ؟

ماذا فعلنا لغرس مبادىء الدين الحنيف فى قلوب التلاميذ والطلاب فى المدارس والجامعات ؟

ماذا فعلنا لغرس هذه المبادىء بين أبناء الشعب ؟

ماذا فعلنا لغرسها فى نفوس العسكريين ؟.

لقد كان انتصار العرب المسلمين أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لا مراء .

لم ينتصر العرب والمسلمون مطلقا بكثرة العدد ، وقد كان أعداؤهم متفوقين عليهم بالعدد والعدد فى كل معركة خاضوها ، وقد انتصرت الفئة القليلة من العرب المسلمين على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين ، ومن الفرس والروم وحلفائهم . بالعقيدة وحدها ، واتحدى من يثبت خلاف ذلك . فلماذا نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟

ان المعنويات عامل مهم من عوامل النصر ، بل هى أهم عامل من عوامل النصر على الاطلاق ، وهى التى تصون العدة وتجعل لها فاعليتها فى يد الجيش .

ولا نصر بدون عقيدة منشئة بناءة ، تصاول فى أيام السلام ، وتصمد فى أيام الحرب ، وتكافح عوامل الحرب النفسية التى يشنها الأعداء .

ان الاسلام بالنسبة للعرب ، هو السلاح السرى الذى جعلهم يقودون العالم قرونا طويلة فى ميادين السياسة والحضارة والحرب .

فهل نستعمل هذا السلاح اليوم ، كما استعمله أجدادنا من قبل ، لننتصر كما انتصروا ولنقود العالم كما قادوه ، أم نبقى فى مهب الرياح العاتية تتقاذفنا المبادىء والأفكار التى قد تنجح فى الأمم الاخرى . ولكنها لن تنجح فى الشعب العربى لأنها تنزعه من جذوره ، وقد أثبت الواقع العربى المرير هذه الحقيقة ؟

ان الوقت مع العرب على أعدائهم ، اذا سلكوا الطريق السوى ..

وانني لأبشر العرب بالنصر عاجلا أو آجلا . ولكننى اطالبهم بتكاليف النصر . وأولها البذل والتضحية والفداء .

اننى أبشر العرب بالنصر ، ولكنى لا ابشرهم بالراحة . والأيام القادمة ستكشف للعرب الحقائق الناصعة ، وكل آت قريب . وصدق الله العظيم : (يا أيها الذين آمنوا ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (١) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة محمد (٤٧ : ٧) .

طرائف

صوم الصبيان

عن الربيع بنت معوذ ، قالت : « أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — غداة عاشوراء الى قرى الأنصار من اصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، ومن أصبح صائما فليصم » .
« قالت : فكنا نصومه بعد ، ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن ، فاذا بكى أحدهم على الطعام ، اعطيناه ذلك ، حتى يكون عند الافطار »

(رواه البخاري)

قال القرطبي : وصنع اللعب من العهن (وهو الصوف الأحمر) بصوم رمضان ، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك .

ثم قال : وبعيد أن يكون أمر به ، لانه تعذيب لصغير بعبادة شاقة غير مكررة في السنة .

واختلف أصحاب الشافعي في تحديد السن التي يؤمر عندها الصبي بالصيام ، فقيل : بالسبع والعشر كالصلاة ، وبه قال أحمد .

وقيل : اثنتا عشرة سنة ، وهو قول اسحاق بن راهويه .

وقال الأوزاعي : اذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعا ، لا يضعف فيهن عن الصوم .

ويقول الغزالي : ومهما بلغ الصبي سن التمييز ، فينبغي الا يسامح في ترك الصلاة والطهارة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان .

وقال عروة : اذا أطاق الصبيان الصوم وجب عليهم !

قال عياض : وهذا غلط يرده قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (رفع القلم عن ثلاثة ..) فذكر الصبي حتى يحلم في رواية .

وفي رواية : حتى يبلغ .

وقال ابن الماجشون : اذا أطاقوا الصيام ألزموه ، فاذا أفطروا بغير عذر ولا علة ، فعليهم القضاء ! وهو قول أشد غلوا من سابقه ، والا فما الفرق بين الصبي والبالغ ؟

وذكر الهادي في (الأحكام) : انه يجب على الصبي الصوم بالاطاقة لصيام ثلاثة أيام ! وحمل المرتضى كلام الهادي على التأديب . وحمله السادة الهارونيون على أنه يؤمر

غاب الأستاذ الكبير علي الجندي عن قراء « الوعي الاسلامي » فترة طويلة ، وها هوذا يتحفهم في شهر رمضان بطرفتين مناسبتين عن صوم الصبيان وكعك العيد ..

بذلك تعويدا أو تمرينا .

والمشهور عند المالكية : أن الصوم لا يشرع في حق الصبيان .

والجمهور : على أنه لا يجب الصوم على من دون البلوغ ، ولكن استحب جماعة من السلف أمر الصبيان بالصوم للتمرين عليه اذا أطاقوه ، منهم : الحسن ، وابن سيرين ، والزهري ، وعطاء ، وعروة وقتادة ، والشافعي .

ويقول ابن بطال : اجمع العلماء انه لا تلزم العبادة والفرائض الا عند البلوغ ، ولكن أكثر العلماء استحسنوا تدريب الصبيان على العبادات ، رجاء البركة ، وأن من فعل ذلك منهم ماجور ! ولأنهم باعتيادهم عليها ، تسهل عليهم اذا لزمتهم .

راى الطب في ذلك :

وراى الطب في ذلك يوافق راى الجمهور ، يقول الدكتور محمد محفوظ : اثبت الطب قديما وحديثا : ان صيام الأطفال دون البلوغ ضار بهم ! فان اجسامهم الناشئة في حاجة الى التغذية المستمرة ، حتى تستطيع أن تنمو وتترعرع ! وان لم تتعهد بالغذاء والتغذية والا وقف نموها أو تعطل ! وفي هذا من غير شك اضرار بالصحة الجسمانية

والعقلية للطفل ! ومن اجل ذلك فاني انصح الآباء والأمهات ، الا يشجعوا اطفالهم على الصيام ، فاذا راوا اجسامهم قد نمت وترعرعت ، فلا بأس عليهم أن يشجعوهم على الصيام تدريجا حتى ينشئوا على حب الدين ، وتتربى في نفوسهم عاطفة الحدب على الفقراء والمعوزين ، فليس اجلب لرفقك بالجوعان أو العطشان من أن تحس انت ألم الجوع والعطش ، حتى تشعر بوقعه على غيرك من البائسين وقديما قال الشاعر العربي :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

وقديما أيضا قالوا : الصلاة عادة والصوم جلادة .

هذا هو الحق الذي لا ريب فيه ، والذي يطابق قوانين ملتنا السمحة البيضاء ، والدين يسر لا عسر ! ولا خلاف أنه مما لا يستحسن في التربية الخلقية ، اكراه الصبية على فعل أمر ديني يشق عليهم ! لأن ذلك يبغضهم في العبادة ، ويعمي قلوبهم ويضعف عزائمهم !

واذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الكبير : (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى) فما الظن بالصبي الصغير ؟ وأما

تمرينهم عليها باللطف واللين وحسن التأني فمطلوب ومحبوب ، فان اعتياد الشيء يذلل صعبه ، ويرقق قسوته ويمهد سبيله ، وقد جاء فى الحديث الشريف : (تعودوا الخير فان الخير عادة ، والشر لجاجة) ، ومعنى (عادة : اى دربة ، وهو أن يعوده نفسه ، حتى يصير سجية له .

ومعنى (لجاجة : أى أن النفس تلج فى ارتكابه لا تكاد تخليه .
ويقول الحكماء : العادة طبيعة ثانية .
ويقول الشاعر فى معنى ذلك :

اذا المرء اعيته المروءة ناشئا

فمطلبها كهلا عليه شديد

ويقول آخر :

وينشا ناشىء الفتيان فينا

على ما كان عوده أبوه

ويقول الآخر :
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

والعبادات اذا ووظب عليها يحسها الانسان وكأنها لون من الوان العادات ، قويت واستمرت ، وسهل اداؤها بالمواظبة عليها ، وذلك لا يحتاج الى دليل ! والله الموفق الى سواء السبيل .

٢ ــ كعك العيد

بين الأمس واليوم

فى اللغة :

جاء فى الصحاح والقاموس : الكعك : خبز ، وهو فارسى معرب .
وقال الليث اظنه معربا .

وقال الأزهرى : الكعك : الخبز اليابس .

وهذا الكعك الذى اشار اليه اللغويون لا يزال يصنع حتى يومنا هذا ، وهو نوع ساذج ليس فى تناوله ضرر للأجسام فليت الأمر وقف عنده . ولم يتطور الكعك الى هذا النوع المعقد المأدوم بالسمن والسكر ، والمحشو بالملبن والعجمية والمكسرات !

ومن السنة فى عيد الفطر ، ان يوسع أرباب الأسر على الأهل والأولاد ، بما يختارون من انواع المأكولات ، لأن الشرع الشريف أمر بالتوسعة ، ولكنه لم يامر بشىء معين .

ويجوز لهم ان يتخذوا طعاما معلوما ، بشرط الا يخرجوا فيه الى حد الاسراف أو التكلف ، فالله لا يحب المسرفين ولا المتكلفين ! .

وبشرط الا يصير ذلك سنة تتبع ، حتى لا ينسب الى الشرع ما ليس منه ! كهذه العادات التى يفعلها العامة ويظنونها امرا مشروعا وهى من البدع السيئة التى تدخل فى نطاق الحديث الشريف (.. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) .

ويرى ابن الحاج : ان الكعك المحشو بالعجوة يجوز شراؤه ، لأن ما فى باطنه تبع لظاهره ، بخلاف ما يسمى بالخشكنان (١) . والبستندود مما لا يعرف باطنه من ظاهره ، فلا يجوز شراؤه على مذهب الشافعى الا أن يكسر كل واحدة ويرى جميع ما فى

---

(١) الخشكنان ــ بضم فسكون ففتح ــ نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز أو الفستق ويعرف بالخشنان فى مصر ، والبستندود ــ بكسر فسكون ففتح فسكون ــ طعام فارسي مصنوع من دقيق وبلح .

مذهب ابن الحاج — يجوز بيعه بغير كسر ، بشرط أن يكسر واحدة ويعاين جميع ما فى باطنها ، ثم يشترى الباقى على مثل ذلك .

ثم ذكر ابن الحاج ما فى عمل هذا الكعك من البدع فقال :

البدعة الأولى : انهم يبخونه بماء الورد .

والبدعة الثانية : انهم يفعلون ذلك وهم صيام ، وحال فم الصائم كما قد علم !

ثم يقول : وكذلك فعلهم فى بخ الكعك بالشيرج — بأفواههم — يعنى زيت الشيرج — وهم صيام أيضا ، فيعرض الصائم نفسه للفطر ، ويصير بذلك مستقذرا ! وكثير من اليهود يعملونه ويبيعونه للمسلمين ، ولا يؤتمنون أن يبخوه كما يفعل المسلمون ! وهذا لا ينبغى بوجوه :

الأول : أن سؤر اليهودى مكروه ، ان لم يعلم أن فى أفواههم نجاسة وقت الفعل لذلك ، أو كانت قبله ولم يطهر فمه بعدها ، فما أصابه بريقه متنجس !

الثانى : انه مستقذر اذا كان من مسلم ، فكيف به من يهودى ؟

الثالث : انه مخالف للاقتداء بالسنة والسلف والخلف لما فيه من عدم الاحتراز من المستقذرات !

ثم يقول : ولو كان هذا المأكول على سبيل السلامة مما ذكر ، لكان بعيدا من جهة الشرع والطب !

... لم يرد فيه شيء معين .

وأما الطب ، فان الصوم يجفف الرطوبات غالبا ويعصم ، فاذا خرجوا من الصوم أفطروا على الكعك الذى يزيدهم جفافا ، وامساكا ، فيتضرر البدن ، وقد يحتاجون الى الأدوية والأشربة والأطباء ، وكانوا فى غنى عن ذلك !

سمك العيد

ثم عقب على ذلك بقوله : ثم العجب من استعمالهم السمك المشقوق فى هذا اليوم الفاضل الذى يعتق الله فيه — عز وجل — من الرقاب بقدر ما أعتق فى شهر رمضان كله ، فكان ينبغى أن يبادر المرء فى هذا اليوم الى كسب الحسنات وأفضل من كل ذلك اتقاء المحارم ! فاتخذ هؤلاء فطرهم فى هذا اليوم الشريف على شىء ممسك ، والذى ينبغى أن يعد الانسان فى هذا اليوم لافطاره شيئا حلالا من جهة يرضاها الشرع لعله يلحق بالقوم !

هذا رأى عالم جليل من علماء المالكية ، ترجم له فى كشف الظنون ، وطبقات الشعرانى ، وحسن المحاضرة ، وقيل فيه :

انه كان فاضلا عارفا يقتدى به وكان مع ذلك من كبار المتصوفة !

والشىء الذى يلفت النظر فى كلمته هذه ، ويجعلنا نعجب أشد العجب : أن أسلافنا منذ : مئات السنين ، عرفوا هذا الكعك الذي

ثم عرض لهذا السمك الذى يعنى الناس بشرائه فى يوم عيد الفطر ، وسماه السمك المشقوق ، ولا ادرى ما يريد به ؟ ولعله يريد ما يسمى بالملوحة او الفسيخ ، او سمك البكلاه مثلا .

ولا غرابة أن يذكر هذا الامام راى الشرع فى كعك العيد — فهو شىء خارج من معدنه — فيبين لنا أن صنعه على هذه الصفة التى ذكرها قد يصل به الى درجة الحرمة ، ولا سيما ان أصبح عادة يتكلف الناس لها فوق ما يطيقون !

واما الشىء الغريب حقا ، فهو رايه الطبى فى الكعك الذى يوافق أحدث آراء الأطباء فى عصرنا .

والمهم : اننا سمعنا صوتا يرجع الى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة — هـ — ينادى مع أصوات المصلحين فى عصرنا الراهن : ان هذا الكعك الذى اغرمت به نساؤنا فى أعياد الفطر ، واصبح عبئا من الأعباء الثقيلة على عواتق ارباب البيوت من فقراء الناس واوساطهم ! وكثيرا ما كان سببا للشقاق بين الزوجين ، مما يؤدى الى الطلاق ، وهدم الأسر ، وتشريد الأولاد ، ونشر العداوة والبغضاء .

ان هذا الكعك ليس له سند من شرع سماوى ، ولا شرع بشرى ، ولا قانون طبى !

« الغريبة » — وهى أشد منه فتكا بالأجسام ، واتلافا للمال ، مما عمت به البلوى ، وبات مثارا للشكوى !

وحتم من الحتم أن نتخلص منه ، ولو ادى الأمر الى حظر حكومى ، وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال الخليفة عثمان !

ويكفى أن نعلم أنه يكلف الأمة المصرية وحدها اكثر من مليون جنيه ، كما قرأت فى بعض الاحصاءات ، يذهب كله هدرا وضياعا ، بل يذهب بالصحة والمال ، وكان أولى أن يدخر لينفق فيما ينفع الناس !

ومن الغريب أن المسحراتى المصرى العامى فطن الى ضرر هذا الكعك ، فقال ينصح فى تسحيره :

جوموا تصعوا حديث عن سيد السادات

له الميان بينة والتجربة اثبات

ان كنت تسمع نصيحتى والنصيحة تفيد

قلل من الاكل ما امكن بدون ترديد

واكلك الكعك بعد الصوم نهار العيد

يجيب عيا الكبد ويضر المعدة

وكل ما يزيد دسم يكتر ضرور ويزيد .

ولقد شكا منه فيما تقدم من العهود الامام البوصيرى ، كما شكا منه فى العصر الحديث ، كثير من الشعراء . كان فى مقدمتهم المرحوم الشيخ محمد الأسمر ، والمجال يضيق عن ايراد اشعارهم فيه على ما حوت من جدة وطرافة وبداعة ، وحسبك من القلادة ما احاط بالجيد .

تحديد أوائل الشهور العربية

طرق اثبات الشهر بالحساب الفلكي

تحت هذا العنوان عرض فضيلة الكاتب آراء الفلكيين فى تحديد أوائل الشهور العربية ثم قال :

ومما لا شك فيه ان الفلكيين الشرعيين فى النهضة العلمية الاسلامية استعملوا قواعد حسابية مبرهنة ، لمعرفة كل حالة من حالات الهلال ، فى أول كل شهر ، حتى مقادير نوره ، ونسبتها الى البدر ، وفتحة قوسه نحو الشمال أو الجنوب أو الأعلى ، ومقدار مكثه وارتفاعه عن الأفق ، وغير ذلك مما يحدد كل حالة من هذه الحالات الثلاث مما يصحح الاعتماد على حساب الوضع الهلالى الحقيقى فى اثبات كل من الحالات الثلاث بشروط : الأول : ان يكون من النوع الهندسى التحديدى المبرهن . الثانى : ان ينتج احدى حالات الرؤية الثلاثة الاستحالة والامكان والوجود بحدودها وشروطها . والثالث : ان يتفق على استخراج هذه النتيجة عدد من الحاسبين يؤمن تواطؤهم على الخطأ بحيث يثق القضاء بها ولو ظنا ليتمكن من تطبيق حكمه عليها من رد الشهادة أو قبولها أو اجتهاده بثبوت الشهر .

آراء العلماء فى الاعتماد على الحساب

ثم انتقل بعد ذلك الى عرض آراء ائمة الفقه الاسلامى فى صحة الاعتماد على الحساب الفلكى أو عدم صحته ووجهة نظر كل منهم ، وخلص الى اختيار القول بالعمل بالحساب الصحيح ، ونقل عن المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى من كبار علماء الأزهر السابقين قوله :

مما يؤيد القول بالعمل بالحساب الصحيح أن أهل الشرع من الفقهاء وغيرهم يرجعون فى كل حادثة الى اهل الخبرة وذوى البصارة فيها ، فانهم

نشرنا فى العدد الماضى ملخص القسم الاول من هذا البحث الذى كتبه فضيلة الشيخ محمد على السايس حول تحديد أوائل الشهور العربية ، وما اذا كان من الجائز ان يعتمد على الحساب الفلكى فى هذا التحديد .
وننشر فيما يلى ملخصا لما بقى من هذا البحث القيم الذى نلفت اليه الأنظار ونأمل أن تأخذ به الدول الاسلامية حتى تحل تلك المشكلة المزمنة .

« الوعى »

ياخذون بقول اهل اللغة فى معانى الفاظ القرآن والحديث ، وبقول الطبيب فى افطار شهر رمضان وغير ذلك كثير . فما الذى يمنع من بناء اكمال شعبان ورمضان وغيرهما من الأشهر على الحساب والرجوع فى ذلك الى أهل الخبرة العارفين به اذا اشكل علينا الأمر فى ذلك مع كون مقدماته قطعية وموافقة لما نطقت به آيات القرآن المتقدمة ؟

الا ترى أن الحاسب اذا قال بناء على حسابه أن الخسوف أو الكسوف يقع ساعة كذا ، وقع . كما قال قطعا ، ولا يتخلف ، خصوصا وان مبنى الحساب على الأمور المحسوسة والمشاهدة بواسطة الأرصاد وغيرها ، وقد يبلغ المخبرون بوجود الهلال وامكان رؤيته عدد التواتر ، فيفيد خبرهم القطع بوجود الهلال وامكان رؤيتهلولا المانع ، اولا يبلغ المخبرون عدد التواتر ولكنهم يكثرون الى أن يفيد خبرهم غلبة الظن التى تقرب من اليقين ، فيطمئن القلب الى صدق الخبر ، ويبقى احتمال غيره كالعدم .

ـــ ومما يؤيد ذلك أيضا قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وشهود الشهر أما بمعنى الحضور فيه وعدم السفر ، وأما بمعنى العلم بوجوده ، وهذا الثانى هو الظاهر من الآية . فان الشهود بمعنى العلم هو سبب وجود الصوم .

وقوله تعالى : (فليصمه) جاء خبرا لمن او جوابا للشرط ، فيكون الظاهر من الآية أن كل من علم منكم بوجود الشهر المعهود ، وهو شهر رمضان ، وجب عليه صومه . ووجود الشهر شرعا كما هو مقتضى الأحاديث بوجود هلاله بعد غروب الشمس ، بحيث يرى للناظر . فمن علم بوجود هلال الشهر بعد الغروب بأى طريقمن طرقالعلم الشاملة لغلبة الظن ،سواء كان ذلك العلم برؤيةنفسه ، أو باخبار من يثق برؤيته ، أو بأمر القاضى بذلك وعلمه بأمره ، أو بحساب فلكى دل على وجوده ، وامكان رؤيته ، بلا عسر ، لولا المانع وجب عليه الصوم .

اجمع عليه الفقهاء من جواز الاعتماد فى الصلوات الخمس على الحساب الفلكى قـال :

ولعلك بعد هذا البيان الواضح لا تجد فى صـدرك حرجا مـن صحـة الاعتماد على الحساب الموثوق بصحته والمبنى على قواعد هندسية مبرهنة لا سيما اذا قام به من يؤمن تواطؤهم على الكذب واتفقوا عليه ، وان ذلك الحساب يفيد علما لا يفيده خبر واحد يجوز أن يكون مخطئا او كاذبا ، لحاجة فى نفسه ، وأن بناء الأمور الدينية على المتيقن الموثوق به خير من بنائها على ما هو دون ذلك بكثير مما يعتريه الوهم والغلط لا سيما وأن الاعتماد على الحساب المستوفـى للشروط التى تنتج صحته والوثوق به يجمع المسلمين على كلمة سواء ويوحـد صفوفهم ، ويؤلف بين قلوبهم ويجنبهم مغبة التنازع والاختلاف .

ثم تعرض الشيخ بعد ذلك للرد على من يذمون علم النجوم الحسابـى ويستشهد بقوله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » ويرى أن هذه الآية تحثنا على تعلـم الحساب والعمل به ، يروى عن صاحب الهداية « أن علم النجوم الحسابى هنا موافق لما نطق به الكتاب .. وأما قوله صلى الله عليه وسلم « من اتى كاهنا او منجما فقد كفر .. الحديث » فهو خاص بالتكهنات والتخرصات التى يسمونهـا طوالع ويوهمون بها السذج من الناس .

ثم ينقل عن الامام الغزالى قوله :

فأما علم النجوم الذى يعرف به سير الكواكب والشمس والقمر وكذلك علم الهيئة فلن يكذبه الشرع بل يهتدى به الى معرفة السنين والشهور واوقـات الصيام والحج ، ومواقيت الصلاة فانكار هذا قصور وجهل ، ولعل الذى حمل بعض العلماء على عدم التعويل على ما يقوله الحاسبون والمنجمون ما قدمنا من اختلاف طرائقهم مما جعله يرجع هذا الاختلاف الى أن مقدماتهم ظنية غيـر يقينية ، وانهم يخطئون ويغلطون كثيرا . وهذا ما صرح به كثير منهم فى تعليل رده لأقوالهم كما قدمنا .

وهذا ان صح بالنسبة للمنجمين والحاسبين فيما قبل عصر النهضة فى الدولة العباسية فلا يصح فى هذا العصر وما تلاه من الأعصر التى ظهرت فيها الاكتشافات العلمية الحديثة وانشئت المراصد المجهزة بأحدث أجهزة الكشـف فـى العواصم الاسلامية وغيرها ، فقد تقدم علم الفلك وعلم الهيئـة تقدمـا ملحوظا ، وتمكن العلماء من وضع قوانين هندسية مبرهنة لانتـاج مقاديـر الحركات الظاهرية للشمس والقمر وسائر الكواكب بالتحديد ، مضربين عـن القواعد الفلكية الحسابية القديمة لابتنائها على الاوساط التقريبية .

يعتريها الشكوك وتمازجها الأوهام ، فهذا انس بن مالك يرى شعرة بيضاء ساقطة من حاجبه فظنها الهلال ، فلما رفعها اياس بيده قال : لا انظره . ومن الشهود من يتعمد الكذب ليشتهر ، أو لاثبات عدالته ، أو للتقرب الى الله جهلا ، ومنهم المخطئون لضعف الحاسة او الوهم او غير ذلك فاستحسنوا الأخذ بالحساب ليتبينوا ما اذا كانت الرؤية ممكنة أو غير ممكنة ليكون ذلك حصنا يقي من غلط الحس ، أو تعمد الكذب ، ومن التنطع بالشهادة تقربا الى الله ، وغير ذلك .

وقال : واذا فلا مناص لنا بعد الذى تقدم من الاعتماد على الحساب الفلكي ان لم يكن لاثبات الشهر به بادىء ذى بدء فلاثبات أن رؤية الهلال ممكنة او غير ممكنة لنقبل الشهادة برؤيته ممن يشهد بذلك أن قرر علماء الفلك والحساب انها ممكنة مع عدم المانع من غيم ونحوه ، ولنرد هذه الشهادة ان قرروا أن الهلال يغرب قبل غروب الشمس او معها أو بعدها بقليل ، بحيث تتعذر رؤيته ، ولو بالنظارات المكبرة ، او بآلات الرصد فى أبعد البلاد نحو الغرب ، وهى مراكش كما يقولون .

حقا ان تقدم علم الفلك وبراعة علمائه ، وحسابهم الدقيق ، الذى يضبطون به احوال القمر ومنازله ، ويحددون به وقت ميلاده ، ومقدار ارتفاعه وغاية مكثه فوق الأفق ، ويعرفون به بعد ما بينه وبين نقطة مغيب الشمس ، يمينا أو شمالا ، مضافا الى ذلك ما اتيح لنا فى هذا العصر من المخترعات الحديثة ، التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الأولى ، مهما كان صغيرا ودقيقا . كل ذلك مما يساعد على اثبات الأهلة فى ضبط ويسر وبسهولة .

واذا كانت الشريعة السمحة لم تكلف الناس الا بما يطيقون ، ولم تفرض عليهم فى تحرى الهلال اكثر من التماسه بالعين المجردة ، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عنه بوسائل اخرى ، رحمة بهم ، وتخفيفا عليهم ، فان ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته ، والتثبت منه ما دامت موفورة ميسرة ، بل انى اذهب الى أبعد من ذلك فأقول : **انه يجب على الحكومات الاسلامية وجوبا كفائيا بمعنى انه اذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين — ان تلتمس الهلال بعد غروب يوم ٢٩ من كل شهر بحساب الرؤية ، مستخدمين كل الوسائل التى يسر الله بها أمر الرؤية فى هذا الزمان . فانهم ان قاموا بهذا الواجب الدينى ، مسترشدين بآراء الفلكيين السديدة الموثوق بها ، لا يمكن ان تفوتهم جميعا رؤية الهلال ، متى كان نظام دورته يسمح برؤيته . وبهذا يقضى على عوامل الاضطراب فى اثباته ، وتتوحد كلمة المسلمين فى جميع انحاء المعمورة بشأن اثبات الشهور العربية ، وتحديد اوائلها ونهاياتها ، وتنحل تلك المشكلة المزمنة وتزول اسباب التفرق والاختلاف .**

ثم قال : تبين من كل ما تقدم فى هذا البحث أن الراجح ما يأتى :

أولا : أن اثبات الشهور فى حد ذاته من غير نظر الى ما يتعلق به من حقوق العباد من باب الاخبار لا من باب الشهادة وانه لا يدخل تحت الحكم والقضاء ، فلا تلزم فيه شروط الشهادة ، ويستوى فى المخبر أن يكون ذكرا او انثى حرا أو عبدا ، ولا يشترط مجلس الحكم ، ولا تقدم الدعوى ، ولا قضاء قاض ، ولا أمر حاكم ، ولا لفظ اشهد ، ويكفى أن يكون المخبر مستورا غير ظاهر الفسق .

ثانيا : ان الشهور جميعا سواء فى حالة الصحو او الغيم يكفى فى اثباتها خبر الواحد ، متى غلب على الظن صدقه ، ولم يكذبه الحساب الموثوق به ، القاضى باستحالة الرؤية ، وانه لا تشترط الاستفاضة ، ولا العدد الجم الا عند مظنة الغلط او الخطأ أو رجحان تهمة الكذب .

ثالثا : انه لا عبرة لاختلاف المطالع ، فاذا ثبت الشهر فى أية حكومة اسلامية ، ونقل هذا الثبوت الى سائر البلاد الاسلامية بطريق موثوق به ، فانه يعم حكمه الجميع ، ما داموا مشتركين مع بلد الرؤية فى جزء ولو يسير من ليلة الرؤية .

رابعا : انه لا يصح التعويل فى اثبات الشهور على قواعد الفلكيين القدماء ، فيما قبل عصر النهضة الاسلامية فى العصر العباسى لانها قواعد تقريبية ظنية غير متقنة ، ولا منضبطة ، كما لا يصح التعويل على الجداول الفلكية التى تجعل بعض الشهور ثلاثين يوما ابدا ، وبعضها ٢٩ يوما ابدا ، فقد تبين خطؤها ، وأنه قد تتوالى اشهر كلها ثلاثون ، واشهر كلها تسع وعشرون .

كما ثبت أن الحساب الفلكى المعمول به الآن فى التقاويم الرسمية وغيرها ، لا يتفق مع الحساب الشرعى الذى يعتمد على القطع بالرؤية ، أو امكانها على الأقل ، لأن التقاويم الحالية تعتمد فى تعيين اوائل الشهور على اجتماع الشمس والقمر ، فيجعلون أول ليلة يغرب فيها القمر بعد غروب الشمس هى أول الشهر ، ولو استحالت الرؤية . ومن المقرر أنه قد يتفق الحسابان ، وذلك فيما اذا غرب القمر بعد الاجتماع قبل الشمس او معها ، فيكون أول الشهر الليلة التالية لليلة الواقعة بعد الاجتماع وقد يتقدم اول الشهر بالحساب الفلكى الاجتماعى ، على أوله بالحساب الفلكى الشرعى المبنى على امكان رؤية الهلال بيوم فى الأكثر أو بيومين فى الأقل .

ويلزم على الأخذ بهذه التقاويم تغيير أوقات العبادات عما حدده لها الشارع ، وبالتالى يلزم احلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد حرم الله صوم أيام العيدين ، وأيام التشريق ، وأحل الفطر فى شعبان ، كما يلزم عليه أن يكون الوقوف بعرفة فى غير التاسع وأن تذبح الأضاحى قبل وقتها .

خامسا : أن الحساب الفلكي الشرعي المبني على الوضع الهلالي وامكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق بحساب الرؤية يصلح مناطا مستقلا لاثبات الشهر ، كما اختاره طائفة من العلماء ممن ذكرنا كالسبكي وابن سريج وابن مقاتل وغيرهم ورجحه الشيخ بخيت المطيعي . وأن ذلك لا يتنافى مع أحاديث اثبا تالشهور بالرؤية ، أو الاكمال بناء على أن المراد العلم بالرؤية لا حقيقتها ، بدليل وجوب الصوم على الأعمى والمحبوس في المطمورة ، وسكان القطبين والبلاد التي في حكمها ، وهم محرومون من الرؤية حتما .

ويدل على ذلك أيضا ما جاء في بعض روايات الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « فان غم عليكم فاقدروا له » فقد فسر من يرى من العلماء الأخذ بالحسا بالقطعي قوله صلى الله عليه وسلم : (فاقدروا له) بمعنى فانظروه ، وتدبروا فيه ، من قولهم قدرت الأمر نظرت فيه وتدبرته ، وذلك بالحساب عند من خصهم الله بهذا العلم . قال السبكي والبحث في الحديث في موضعين : أحدهما قوله : فاقدروا له . قا لبعض من يقول باعتماد الحساب : معناه احسبوا له . ا . هـ . ويكون معناه قدروه بالحساب والمنازل كما قال تعالى « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » . قاله مطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن سريج من الشافعية ، وابن مقاتل من أصحاب محمد بن الحسن ، وطائفة من المتأخرين قالوا : ولا يلزمنا مقال المازري من أن الناس لو كلفوا بالحساب ضاق عليهم ، لأنه لا يعرفه الا أفراد قلائل ، لأنه انما يلزم ذلك لو كلف عامة الناس بالحساب ، ولم يقل بذلك أحد ، بل الذي قلناه : أن قوله صلى الله عليه وسلم (فاقدروا له بالمعنى الذي اخترناه خطاب لمن خصه الله بهذا العلم . وقوله (فأكملوا العدة ثلاثين يوما) كما في الرواية الأخرى خطاب للعامة .

فالذين خصهم الله بهذا العلم يكون نظرهم بالطريق المقدور لهم ، وهو طريق الحساب ، ويكون نظر العامة الذين لا يعرفون الحساب أولا يقلدون من يعرفه بالطريق المتيسر لهم ، وهو الرؤية ، أو اكمال العدة ، فلا تنافي بين الروايتين بل نحن ننزلهما على حالين مختلفين فنكون عاملين بهما .

سادسا : يجب وجوبا كفائيا كما قلنا أن يكون في كل حكومة اسلامية هيئة شرعية لاثبات الشهور العربية بوجوه الاثبات المعتبرة شرعا ، مع مراعاة الاتصال بالمراصد والفلكيين العدول الموثوق بهمفي دينهم وعلمهم ، ليتحققوا من جواز الرؤية او استحالتها حتى لا يقعوا في الخطا ، ويثبتوا الشهر قبل موعده ، كما حصل في بعض السنين من قاضي الرؤية المنفرد بهذا الاثبات وترتب عليه صيام المسلمين يوما من شعبان وفطرهم يومين من رمضان .

سابعا: ليتحقق الأمل المنشود وهو توحيد أوائل الشهور العربية في جميع البلاد الاسلامية ، يجب أن ينبه ناشرو التقاويم الرسمية وغيرها ، الى انه يلزمهم ان يبنوا تحديد أوائل الشهور القمرية على الوضع الهلالي الحقيقي ، فيكون اول الشهر هو اول ليلة يمكن ان يرى فيها الهلال ، بعد الاجتماع ، وأن يراعوا خط عرض مراكش ، وهو ١٥ درجة (غرب جرينتش) لتكون تقاويمهم هلالية شرعية عالمية مساعدة ومنظمة لعملية الرؤية في جميع الحكومات الاسلامية . والله الموفق للصواب .

بالعمل الصالح تطيب الحياة

للشيخ عبد الله النورى

دعت الأديان كلها للعمل الصالح .

وتتابع رسل الله يحملون رسالته الى عباده فى مختلف الأزمان ـ يبشرون الناس بأن (من عمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا)

والقرآن الكريم يحكى لنا عن قوم يونس : (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) .

ويخبرنا عن نوح أنه قال لقومه : (استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) .

ويقص قصة هود عليه السلام فيقول هود لقومه : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) .

وبفضل الصالحات استخلف الله فى الأرض أمما عمروها ، ولكنهم بعد أجل عاثوا فيها فسادا وطغوا وظلموا ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وكأنهم لم يعمروا أرضا ، ولم يبسطوا بها يدا ، ولا سلكوا فيها سبيلا .

ثم ختم الله رسالات السماء ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . يدعو الناس الى الخير فاتبعته أمة كان منها الشهداء على الناس ، وكانت خير أمة أخرجت للناس عبادة لله ، ودعوة الخير ، ونهيا عن المنكرات وعدها الله (ومن أوفى لعهده من الله ؟)

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

ووفى الله لهذه الأمة وعده واستخلفها فى الأرض ، فتكسرت من هيبتها عروش الطغاة ، وهوت رهبة منها تيجان البغاة ، ودالت أمام فتحهـا دول الظلم . وكانت الشعوب المظلومة تستقبل جيوش المسلمين الفاتحة بالترحيب .

لماذا .. ؟ والجيش الفاتح لا يرحب به .

ذلك لأن فتح المسلمين أمن وسلام ، وجيش المسلمين الفاتح لا يقتل شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا متعبدا تفرغ لعبادته ، ولا يقطع شجرا ولا يهدم دارا ، ولا يصطحب معه فى الفتح الظلم والعدوان . والشعوب المفتوحة بلادها تعلم أن جيش المسلمين جاء ليحمى الحرية لا ليعتدى عليها وليكرم الانسانية لا ليهينها ويحطم قيمتها ، وليصون الملكية والأموال لا لينهب ويغتصب ، وليصون الأعراض لا ليهتكها .

ودخل تلك البلاد مع الفاتحين كتاب الله العربى المبين . دخل باسم الله واسم رسوله وفيه الدين والدنيا . دستور دولة . وقانون حكم . ومعاملات . ونظام مجتمع . وعبادة . يهدى للتى أقوم ، كرامة تطيب للانسان بها الحياة . وعلم يعرف به الانسان قيمة الحياة .

وذاق الناس حلاوة الحياة فى ظل الاسلام . وعرفوا ما هى الكرامة التى كرم الله بها الانسان وعاش الناس فى ظل الاسلام كراما أعزة .

وطال على المسلمين الأمد كما طال على غيرهم من الأمم قبلهم . واعرضوا عن القرآن وتعاليمه وقست قلوبهم على بعضهم فتفرقوا . وكانت النتيجة فشل وذهاب ريح . وصدق الله العظيم . (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

وبعد :

فما زلنا ندين بالاسلام (والحمد لله) ولن نزال ان شاء الله مسلمين نؤمن بالله ربا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا .

والقرآن كتاب الله ما زلنا نقدسه ، ونعتنى به ، ولكنا (وأقولها بألم) أعرضنا عنه ، فلا هو دستور دولة ولا قانون حكم ولا نظام مجتمع .

بالقرآن كنا مسلمين ، هدى الله به أسلافنا ، وعلمهم ، وزكاهم ، وبه مكن لهم فى الأرض ، واستخلفهم فيها ، ومحا بهم ظلم الناس للناس .

وفى ظل القرآن أقام المسلمون دولة الاسلام بين مشرق المعمورة ومغربها .

وظل القرآن أبدا لا ينحسر . ولكن الخلف الذى اتبع دعاة الضلال وباعة الشهوات هو الذى ابتعد عن ظل القرآن وانحسر عنه .

ختاما أقول لاخوتى أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الباب ما يزال مفتوحا لمن أراد دخوله ، والظل ما يزال ممدودا لمن أراد أن يستظل به ، والله جل جلاله حى باق يستجيب لمن استجاب له .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) . .

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) .

(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه)

الصيام

محمد مؤمن

حيا الاله مواقف الاسلام ... بتحية الاجلال والاعظام

دين تكفل بالسلام . فهل ترى ... من نعمة تجزى بغير سلام

وضع النبى حدوده فى عسكر ... حكمت عقولهم على الاجسام

فاستنصروا الله القوى ، فاحرزوا ... نصرا يؤيد عزة الاسلام

وتمسكوا منه بدين قيم ... اضحى لهذا الكون خير قوام

الصوم من أركانه . فتتبعوا ... ما فيه من حكم ومن احكام

قال النبى . ولى بحكمة قوله ... عمل نجوت به من الأسقام

(صوموا تصحوا) ، فاتبعنا حكمه ... حتى لمسنا حكمة العلام

فاذا الصيام مجس عاطفة ترى ... ما بالفقير العيش من الآم

واذا الصيام طبيب علة مسرف ... تبع الهوى فى مشرب وطعام

واذا الصيام منار مشهد عصمة ... كم حال بين القلب والآثام

تصفوا الجوارح باحتمال عنائه ... صفوا يميل بها عن الأوهام

فليظهرن المسلمون بمظهر ... يزهى بعرش فى السعادة نامى

وليرجعوا التاريخ وهو محدث ... عما حوته صحائف الأيام

من مجد آثار النبى وشرعة ... ثبتت بحق ظاهر الاعلام

* * *

لاستاذ مرسي شاكر طنطاوي

يا قوم « احمد » فزتم بسعادة ما نالها قوم من الأقوام
هذا هلال الصوم فى لفتاته غيران يقتحم الدجى بحسام
مستقبلا تلك الوجوه ببسمة كتبسم الأزهار فى الأكمام
يهدى بنى الدنيا عطير تحية من كل قلب بالمحبة طامى
ويصوغ من اسنى العهود قلائدا بيد تتوج هامة الأهرام
ويتيه بالجد السعيد مكانة تسمو من العز المكان السامى
ويجوز أقطار النجوم الى مدى لا يرتقى الا بعزم همام
ويرى المحال من المطالب ممكنا بهدى السياسة . لا بضرب الهام
ويعود ما صعب اتجاه حدوده سهل المنال بريشة الرسام
فى جدة تهفو على تكوينها روحان : روح غنى وروح سلام
يتناوبان العصر معتمدا على سر الغمام يبين فى الآكام
فى صحوة تحيى الرجاء كانها عزمات كل مجاهد مقدام
متمثلا فى الروض يزهو كلما لبس الغلالة من نسيج غمام

تاريخكم يا شباب الإسلام

٢

للاستاذ احمد محمد جمال - مكة المكرمة

نعود الى الباعث الثانى الى اختيار هذا الموضوع . وهو : انصراف الجيل المسلم الناشىء (أو الصاعد) عن معرفة التأريخ الاسلامى ، بكل مجالاته ، وفنونه التشريعية ، والفكرية ، والاجتماعية ، والعلمية ، وبالتالى : اهتمامه بأفكار (الغير) وآدابه ونظرياته ، واعتناقه لها ، وتغنيه بها .. دون ادارك منه أو وعي بأن قومه العرب المسلمين هم (السابقون) الى هذه الأفكار والآداب والنظريات والى ما هو خير منها ..

وجزى الله خيرا مجلة (الوعى الاسلامى) اذ أتاحت الفرصة ، وافسحت المجال لتنبيه الشباب المسلم وتذكيره وتوجيهه الى تاريخه المجيد ، وحضارة اسلافه الراشدة .. ليستمد منهما روح الاستقلال الذاتى ، ويستقى منهما رى عقله وقلبه وجوارحه ، ويكون من التلمذة عليهما شخصيته العربية الاسلامية الفريدة المجيدة .

....

ان بين أيدينا الآن بعض الأمثلة ، وقليلا من الأدلة ، على سبقنا الحضارى فكريا واجتماعيا وعلميا . ففى الحضارة الاسلامية سوابق من العلوم والآداب والمبادىء والنظريات والشمارات الحسنة .. لا الشمارات الخادعة الزائفة والمضللة ..

لقد ظهرت في الغرب حديثا نظرية (القيم) في علم النفس . وصاحب هذه النظرية هو العالم النفسانى (بيبر) : وهى باختصار : نظرية تقوم على أساس الوعى بالقيمة التى يتأثر بها سلوك الفرد . أى أن (القيمة) هى علة السلوك عند الانسان . وليس الجنس كما ذهب الى ذلك خطأ فرويد .

وعلى هذا المفهوم لنظرية القيم يكون مصدر السلوك عند الفرد انسانيا وليس طبيعيا . ويضرب شراح هذه النظرية مثلا عليها : « المفكر » الذى يجوع ويرتدى الثياب الرديئة ، ليشترى بما معه من مال كتبا يقرؤها ، وينتفع بهـا علما وفهما . ويعلقون على ذلك : بأن قيمة العلم عند رجال الفكر اعظم من الأكل الهانىء والثوب الأنيق .

بعد فراغى من دراسة هـذه النظرية العلميـة الحديثة ، التـى ردت للانسـان كرامته ، وحقيقة نفسه العاقلة ، بعد أن أهانها فرويد حين الصـقها بالتراب ، ولوثها بالجنس الحيوانى ، ونسب اليه كـل سلوكهـا وتصرفاتهـا واطماعهـا . . . .

أقول : بعد انتهائى من مطالعة بحث مطول في نظرية القيم هذه ، تداعت المعانى في ذهنى ، وتتابعت الذكريات لما قد انسيته من اقوال وأمثـال عربيـة واسلامية ، حملت معنى نظرية القيم ، التى طلع بها الآن العالـم النفسانـى (بيير) . .

أجل حملت الأقوال والأمثال العربية والاسلامية هذا المعنى بأسلـوب تصويرى رائع ، يحمل القارىء أو السامع على التأثر والانفعال بالمبدأ الشريف ، أو الخلق الانسانى السامى الذى ينطوى عليه ، أو يدعو اليه . . .

• فالمثل العربى المعروف (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) ، يعنى في وضوح وجلاء أن قيمة الشرف عند الحرائر اسمى واولى بالطلب والحرص والحفاظ ، من قيمة المال أو الطعام الذى تحصل عليه المرضعة اجرا على ارضاعهـا اولاد غيرهـا .

• وموقف خالد بن الوليد القائد الاسلامى المعروف ، بعد عـزل عمر بـن الخطاب الخليفة الراشدى الثانى له من قيادة الجيش في موقعة اليرموك صورة مشرقة لنظم القيم . فقد جاءه أنصاره ، وغداة عزلـه ، يتحدثون اليه عـن شجاعته وبطولته وحسن بلائه ويستنكرون رضاءه بما حدث له ، ويحرضونه على عصيان أمر الخليفة ، ويعدونه بأنهم سيكونون معه . . فيأبى عقل خالـد الراشد ، وايمانه الوثيق ، واخلاصه العميق لدينه ، وادراكه السليم لقيمـة الجهاد في سبيل الله . يأبى خالد أن يشق عصا الطاعة على أمير المؤمنـين ، ويرضى بأن يبقى جنديا من عرض الناس يقاتل في جيش المسلمين تحت قيـادة أبى عبيدة عامر بن الجراح . ويقول قولته المشهورة والتى ذهبت مثلا رائعـا حقيقيا وواقعيا ، على نظرية القيم : « أنا لا أقاتل في سبيل عمر . ولكن في سبيل رب عمر . . »

• وللقاضي الجرجانى قصيدة ميمية معروفة كانت مقررة للتدريس والحفـظ على عهدنا الغابر . . وهو يتحدث فيها عن كرامة العلم ومكانة العلماء الرفيعة ، وعن عزة النفس واباء الضمير ، ومن أبياتها الروائع بيت يحمل معنى نظرية (القيم) ويصورها ويفسرها أيضا ، فهو يقول :

اذا قيل هذا منهل قلت : قد أرى ولـكن نفس الحر تحتمل الظمى

ويزيد هذا المعنى القيمى تصويرا وتفسيرا بقوله :

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتى لاخدم من لا قيـت لكن لأخـدمـا

أأشقى به غرسا واجنيه ذلـة اذا فاتباع الجهل قد كـان احزمـا

ان القاضي الجرجاني ، في قصيدته هذه يرى أن (قيمة) عـزة النفس وكرامة العلم : أكبر وأجدر بالحفاظ عليها من (قيمة) الماء يطلبه الظمآن اذا كان لا يناله الا بذلة وهوان ، أو في أى صورة أخرى من صور النفاق والتقرب الى الأمراء والكبراء . وليس (الماء) مقصودا على الحقيقة ، وانما ضربه مثلا لأهم ما يحتاجه الحي . فكيف بما دونه ضرورة واحتياجا من مطالب الدنيا واحتياجات الحياة ؟.

وكما عبر الجرجاني عن نظرية (القيم) بمسلكه في اعتزازه بنفسه ، وفي ابائه على علمه أن يبتذله فى خدمة الكبراء والأمراء وفى تصويره لهذا المعنى السلوكى الكبير باحتمال الظمأ دون التماس الماء الراوى على ذلة وهوان — كما فعل الجرجاني ذلك فعل من قبله الشاعر العربى الشنفرى فقال عن نفسه :

واستف ترب الأرض كى لا يرى له على من الطـول امرؤ متطول

وهكذا يصور الفكر العربى والاسلامى نظرية (القيم) في أروع صورها خلقية عملية . . .

- فالقائد المجاهد المخلص يقاتل في سبيل الله ، لا في سبيل الحاكم ، أو الخليفة أو امير المؤمنين .
- والمرأة الحرة تجوع ولا تأكل من تأجير ثدييها .
- والعالم الكريم يرتفع بنفسه وبعلمه الذى شغى في بذره وغرسه عن أن يجنيه ذلة وهوانا !
- ويستف العزيز الأبى تراب الأرض ، ولا يطلب طعاما يتطول به المطعم عليه .

ولحاتم الطائى قصيدة رائية ترويها الألسنة ، وتشدو بها الاذاعات بأصوات المغنين — يقول فيها :

اماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

اماوى ان يصبح صداى بقفرة من الأرض لا ماء هناك ولا زهر

ترى ان ما انفقت لم يك ضرنى وان يدى مما بخلت به صفر

في هذه الأبيات الثلاثة تتجلى نظرية القيم بأجلى واجمل صورها ومعانيها . فسلوك حاتم في طريق الكرم ، ذلك السلوك الذى يضرب به المثل ، وتروى عنه القصص — كانت نتيجة لتصويره أن المال غاد ورائح ، وأن ما يبقى ويخلد هو الذكر الحسن والسمعة الطيبة . وقد صور حاتم في البيتين الأخيرين أدق تصوير حالة الانسان بعد موته حيث لا يضره ما انفقه في سبيل البر والخير ، ولا ينفعه ما بخل به . . وقد انتهى الى حفرة من الأرض وودعه أهله وولده وذوو قرباه ، فرحين بميراثه الذى بخل به في حياته . ويصف حاتم الحفرة — أى القبر — بأنها قفراء ، لا ينبت فيها زهر ، ولا يجرى عليها ماء . . ترويعا في تمثيل المصير . .

هذه خمسة أمثلة روائع ، وصور حسان لنظرية (القيم) الحديثة في علم النفس — كان العرب المسلمون بها وبأمثالها الكثير سابقين (لبيبر) — في تقرير (قيمة) السلوك الانسانى نتيجة للعلة الباعثة الى اختيار هذا المسلك أو ذاك .

. . . .

ومن نفس الوادي .. وادى علم النفس وعلماء النفس نسوق نموذجا آخر . فقد عرف سيجمند فرويد على أنه أبو التحليل النفسى . وقد عاش المنتصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادي . أى أنه توفى منذ نصف قرن تقريبا . والتحليل النفسى هو معالجة مرضى العصبيات ، عن طريق محادثتهم وارخاء العنان لهم في هذه المحادثة واعطائهم الحرية التامة في الحديث ... من أجل استخراج أسرارهم الدفينة في أعماق نفوسهم ، حتى يتبين للمحلل النفسى سر العلة العصبية التى يشكو منها المريض : كقسوة الأب مثلا ، أو عنف الأم في تربية أو في معاملة عندما كان طفلا او حدثا ، او خيبة امل المريضة في الزواج بمن كان فتى أحلامها ، أو نكد الحياة الزوجية التى كان يعيشها الأبوان .. الى غير ذلك من أسرار نفسية يكتمها المريض في صدره حياء أو خوفا ، فتنشأ منها العلل العصبية التى تعيى معالجتها أطباء الأجسام .

ولكن سيجمند فرويد ، هذا .. الذي يعدونه ابا للتحليل النفسى ، قد سبقه الى فكرة هذا التحليل والى ممارسته عمليا الطبيب العربى (الحارث بن كلدة) الذى عاش في الجاهلية قبل الاسلام ، وهو من مدينة الطائف ، المصيف الحجازى المعروف .

فقد روى الأصمعى : انه كان فتى من ثقيف ، شديد الحياء ، كريم الأدب ، فوجىء أهله بمرضه ونحول جسمه ، فالتمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه شيئا ، ولم يعرفوا له علة . وعندما أعياهم أمره واشتد سقمه ، سلمه اهله الى الحارث بن كلدة .

ونظر الحارث الى الفتى نظرة الطبيب الفاحص ، فلم يجد به داء ينكر . فظنه عاشقا . وطلب من أهله أن يخلو به . وفي خلوته بالفتى سأله عن حقيقة أمره ، فأبى أن يعترف له بشىء . فجعل الحارث يسأله عن أسماء رجال قومه وأسماء نسائهم وهو ينظر الى وجهه .. حتى جاء اسم زوجة أخيه ، فارتاح الفتى وتنفس وأدمعت عيناه . وهنا عرف الحارث سر مرض الفتى ، واكتشف علته ، فأفضى بها الى أهله . ووافق أخوه أن يطلق زوجته ليتزوجها بعده . ولكن حياء الفتى منعه من ذلك ، ودفعه الى الهجرة عن أهله وبلده .

وهكذا عرف العرب ، منذ الجاهلية التحليل النفسى ومارسه أطباؤهم وفي مقدمتهم الحارث بن كلدة الثقفى . وانه لسبق عربى رائع في علم النفس الذى يحسبونه علما حديثا ، وهو قديم وانما الحديث فيه هو التأليف والتنظيم .

ولا يفوتنا ، ونحن نذكر قصة الفتى الثقفى الذى أحب زوجة أخيه ، وأصابه ما أصابه من مرض عصبى ونفسى ، بسبب كتمانه وحرمانه لا يفوتنا أن نشير الى الأدب الاسلامى الذى شرعه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه لحماية الأسرة من عواقب الصلات والعلاقات المحرمة المؤثمة . فقد حذر عليه الصلاة والسلام من سفور المرأة واختلاطها بغير محارمها ، واكد التحذير من أخ الزوج وقال عنه : انه هو الموت .

فكيف بالأجانب الذين تختلط بهم الزوجات ، في صورة زيارات متبادلة بين الأسر تتكشف فيها مواطن الفتنة من المرأة ومباعث الاشتهاء منها ، أو اجتماعات عامة .. على شواطىء البحر ، أو زوايا المقاهى والمنتزهات ؟!.

* * * *

ونجد سابقة فكرية أخرى ، في شعر لمتمم بن نويرة يرثي به أخاه مالكا .
ولا يعجب القارىء من استدلالنا ببعض الأشعار العربية ، على السبق الفكرى العربى .. فمعروف أن الشعر كان ديوان العرب ، أى سجل تاريخهم ، ومحتوى أخلاقهم وخواطرهم وأفكارهم ، ومناط فخرهم واعتزازهم . وكان الآباء والوعاظ والمربون يوجهون الأبناء والأحداث والفتيان الى حفظ (الشعر) وفهمه لأنه هو (التاريخ) ...

يقول متمم بن نويرة :

وقال : اتبكى كل قبر رايته لقبر ثوى بين اللوى فالد كادك
فقلت له : انالشجا يبعثالشجا فدعنى .. فهذا كله قبر مالك

وعبارة (الشجا يبعث الشجا) هى مثل عربى معروف ، وقد ضمنه الشاعر بيته ليجمع بين الفكرة والصورة في تعبير شائق مثير .

والناس في واقعهم الاجتماعى يمارسون او يتمرسون بهذه (النظرية النفسية) عمليا . ولكنهم لا يلتفتون اليها كعلم نفسى أصبحت له قواعد واصول وأسباب ونتائج .

فالنساء — بصفة خاصة — عندما يحضرن مأتما يبكين بحرارة وغزارة ، ولو لم يكن الميت قريبا اليهن ، ولا عزيزا عندهن . وربما فعل بعض الرجال مثلهن .. ممن الان الله قلوبهم ، وارهف احساسهم ، واضعف مقاومتهم للذكريات الماثلة .

وأقول : (الذكريات الماثلة) لأنها هى سر البكاء ، بغزارة وحرارة على (ميت) لا يهمنا من قريب ولا بعيد . بل هى — تلك الذكريات الماثلة — : « الشجا الذى يبعث الشجا » ، كما يقول المثل العربى ، الذى أورده متمم بن نويرة فى شعره وأوضحه أروع ايضاح فى قوله :
(فهذا كله قبر مالك) !.

فكل ميت نبكيه — وتبكيه النساء بصفة خاصة أخص ، وصورة أكبر — في مأتم ، أو جنازة ،أو مقبرة .. يذكرنا بموتانا . ونحن — فى الحقيقة — لا نبكيه ، وانما نبكى موتانا السابقين .

ولا لوم — في نظرى — على النائحات في مأتم الغير ، ولسن كواذب أو نوادب محترفات أو مجاملات (١) ، الا اذا تجاوزن الحدود المشروعة للنوح والبكاء من لطم الخدود وشق الجيوب .
فذلك هو (الشجا يبعث الشجا) أو هو الميت الحاضر يذكر بالأموات الغابرين .

هذا ما حضرنى — في تلك الحلقة — من سوابق عربية ، في مجال الفكر والنفس والسلوك . وفي المقالات القادمة — ان شاء الله — سنسوق الأمثلة والنماذج على السبق العربى الاسلامى في مجالات العلم والاقتصاد ، والعمران والاجتماع ، والصحة .

---

(١) جاء في حديث بيعة النساء ان امراة ذكرت، للرسول عليه الصلاة والسلام : ان فلانة اسعدتها — اى بكت على ميتها ، وهى تريد ان تجاملها بالبكاء على من يموت لها الخ .. فهذا نادر بالنسبة للاكثر والاعم وهو أن النساء يبكين في ماتم الغير تذكرا لموتاهن .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

مع المفتى

مع فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ حسن خالد مفتى لبنان وفى البيت الذى يقضى فيه فترة الصيف فى « بحمدون » والذى يقع بجوار المسجد الفخم الذى بناه المحسن الكويتى المرحوم الشيخ عبد الله عبد اللطيف العثمان فيما بنى من مساجد ومدارس تقرب بها الى الله ، ونرجو أن يجزيه خيرا عليها .

مع فضيلة الشيخ قضيت فترة قصيرة كنت اود أن تطول لتتسع للحديث الذى فرض نفسه علينا منذ بدأنا جلستنا . كان حديث الذى يكتب الفكر ، ويسجل الامل ، ويهيب بالناس للعمل ، الى الرجل الذى يحمل عبء الفكر وعبء العمل معا .. وما اكثر ما يحتاج اليه المسلمون من عمل — وما اكثر ما يحمله هذا الرجل من أعباء ، تحمله اياها روحه الطموح وشبابه المتوثب ، ويحمله اياها كذلك طموح المسلمين الى الوضع الذى يحبونه ويرتضونه لأنفسهم ..

ولقد حدثنى فضيلته عن الكثير مما أمامه من مشكلات تتطلب الحل .. ومن أوضاع تستدعى التصحيح ، ومن أعمال تدعو الى بذل الكثير من الجهد والمال .. وكنت قد تجمع لدى من أحاديث الناس ضخامة الآمال التى يتجهون بها اليه ويحملونه اياها .

والمفتى هناك ليس رجلا يصدر الفتاوى فقط ، ولكنه مع هذا راع لأمور المسلمين ومشكلاتهم وقائم على حقوقهم وواجباتهم ، رأيت فى يده خطابا يقرؤه بتأثر ، ثم قال لى هذا كتاب من أحد المسلمين الذين يحملون شهادة دينية عالية ، ولم يستقر فى عمل أسند اليه يقول فيه : ان لم توجد لى عملا مناسبا بمبلغ كذا فانى ... وكتب بعد ذلك تهديدا يعد عارا على هذا الشخص وعلى المسلمين جميعا .

ومن خلال حديثه وأحاديث الناس أيقنت أن الرجل — مهما أوتى من القوة ومن الحكمة والصبر — لا يمكن أن يحتمل كل هذا وحده ، وليس يكفينا أن نتحدث عن الآمال ، أو نكتب بها اليه ، أو نلقى بمطالبنا بين يديه ، ثم يقول كل واحد : قد بلغت ، وقد طلبت ..

لا . . انما على كل واحد ممن يعلقون عليه أملا . أن يكونوا بأعمالهم وبذلهم على مستوى هذا الامل . . المشروعات والاصلاحات التى حدثنى عنها ، والتى ينتظرها الناس تتطلب جهدا ومالا . . وتتطلب قبل ذلك تجميع الرأى واخلاص النية من الجميع .

فهل يمكن أن يتم عمل اذا لم يجد التضافر والبذل واخلاص النوايا ؟ المساجد الكبرى التى لا تزال مشروعات على ورق المهندسين منذ زمن ، والتى نظرت كما نظر الناس الى الاماكن المنتظرة لها ؟ لم تظل سنين عديدة مجرد مشروعات ؟

والذين يتوقون الى أن يأخذوا وضعهم الذى يأملونه فى مجتمعهم ، لم لا يبذلون بذلا مساويا لآمالهم فى سبيل انجاز مثل هذه المشروعات وغيرها ؟ واذا كان الكثيرون قد حدثونى عما ينتظرونه من مساعدات خارجية كما يتلقى غيرهم . . فانى معهم فى انتظار هذه المساعدات ، وأعتقد أن بعضها قد تقرر أو صدر به وعد ، ولكنى مع ذلك لم ينشرح صدرى للتكاسل البادى بين الصفوف ، ولا سيما من جهة البذل . . انهم كثيرون وكثيرون وفى يدهم أن يعملوا الكثير ، لو اتفقت كلمتهم على اعطاء مشروعات المساجد والمدارس والنهوض بمراكز الفتوى فى المدن الكثيرة جزءا من عنايتهم ، ومما ينفقونه فى ترتيب حياتهم العادية .

ان النهوض بالمستوى الاسلامى فى لبنان أمر يتعلق بالمسلمين فى لبنان أولا ، وباخوانهم المسلمين فى خارج لبنان ثانيا . . وأعتقد أن الخيرين هنا أو فى أى بلد اسلامى لا يضنون ببذل فى سبيل النهوض بالمستوى الاسلامى فى لبنان ، سواء على مستوى الحكومات ، أم الخيرين من الافراد ، ولكن على اخواننا الكثيرين على أرض لبنان أن يعطوا آمالهم من أنفسهم ومن أموالهم ما ينهض بها ، ويمهد الارض أمام هذا الرجل الذى يحمل أعباء العمل الاسلامى ، ومع كل هذا فان الانصاف يقتضينى أن أذكر هنا أن غيرهم يتلقى الكثير من المساعدات والمعونات من خارج بلادهم . . ولعل هذا هو الذى جعل اخواننا يتطلعون الى أن يضموا الى جهدهم جهد اخوانهم فى خارج لبنان .

ومثل واحد أذكره مما سمعته . . الارض التى تملكها الاوقاف ، وتحتاج الى المال لكى يقوم عليها بناء يدر دخلا ملموسا يضاف الى دخل الاوقاف ، ويساعد على تحقيق بعض المشروعات الاخرى . . هذه الارض يمر عليها الكثيرون ويقولون لم لا تبنى ؟ وقد سألت أنا أيضا هذا السؤال فقيل لى : ومن أين للأوقاف بالمال الكثير الذى تبنى به ؟ ودخلها الآن لا يكفى ما تنهض به على تواضعه ؟ ولا نريد أن نلقى بأنفسنا فى يد الشركات الاستغلالية التى تفرض ثمنا عاليا وفوائد باهظة مما يذهب بزهرة المبانى وعمرها . وبما أحسسته من حاجة ماسة لهذا العون أو حتى لقرض حسن . ومن أجل الآمال الكبيرة التى سمعتها ، وشاركتهم فيها ، رأيت من الضرورى أن أتحدث عن متاعب اخوان لنا وآمالهم ، وعن واجباتهم لعل ذلك يكون له صداه وآثاره والله الموفق المعين .

نعم كيف ؟

فى غير هذا المكان من المجلة تحدث الاستاذ على الجندى عن كمك العيد حديثا ممتعا ، وقد أثار هذا الحديث فى نفسى أثناء قراءته كثيرا من الشجون .

ترى كيف نستقبل رمضان ثم نستقبل العيد ؟
هل نستقبلهما كما كنا نفعل فى الماضى بما لذ وطاب من أصناف الطعام ، وبالجديد الفاخر من انواع الثياب ؟

أحس — وفى أعماق نفسى اسى يملك عليها كل جوانبها ، واعتقد انى لست فى ذلك وحدى بل يشاركنى فيه كل من قاسى مثلى مرارة الماضى القريب ، والحاضر الماثل ، والمستقبل الملبد بالظنون والاحتمالات — احس ان استمرارنا على ما كنا نستقبل به الاعياد الماضية يشبه الى حد كبير اقامة معالم الافراح والزينات فى الجو المكتئب الحزين ..

وهل فى القلب مكان ؟ وهل لدى النفوس استعداد ؟ كيف ؟
ولست فى حاجة لأن استرسل فى الكلام . فالقارىء يحس ما احسه ، ويدرك ما أريد أن اقوله ، واذا كان من حق أولادنا أن يفرحوا ويمرحوا ، فمن من واجبنا نحو تنشئتهم أن نجعلهم يشعرون وهم فى هذه السن ، بما يمر به وطنهم العربى الكبير وبما يقاسيه اخوانهم ، ونعلمهم ونغرس فيهم الحقد على العدو الذى انتهك مقدساتنا ، وعبث بحقوقنا ، وكان هذا هو السبب فى حرمانهم مما تعودوه .

وليس هناك من سبيل ناجح كما اظن — لتعليم هؤلاء الصغار ما نريد أن يتعلموه الا هذا الاسلوب الذى يتصل اتصالا وثيقا بنفسياتهم ورغباتهم .
أليس هذا هو الواجب أن يكون ؟ وهو الطبيعى لكل من يمر بالدور الذى نمر به ولكن هل أخذنا أنفسنا نحن الكبار بمثل هذا فى أسلوب حياتنا حتى أريد تطبيقه على الصغار ؟ ! هذا هو الذى صدمنى ، وجعلنى أفكر فى تمزيق ما كتبت والقائه بعيدا عن طريق الحياة . ولكنى ابقيته أخيرا ، وقلت : لعله يفيد فى توجيهنا نحو الكبار ويجعلنا نفكر كثيرا فيما لا نزال نفعله ، وكأننا نعيش فى أيامنا العادية ، وليس فى قلوبنا جروح .

ماذا يا عرب ؟

اخواننا فى الجنوب العربى الذين تزحف عليهم الايام القليلة الباقية ليتسلموا مقاليد الحكم فى بلادهم . ما لهم يستعدون للاحتفال بيوم الاستقلال فى بحر من دمائهم ، ولا يريدون لهم ولا لاخوانهمفى البلاد العربية والاسلامية كافة أن يفرحوا باستقلالهم ؟ لقد أدمى قلبى وقلب كل عربى ومحب للعرب أن يسمع فى نشرة واحدة اعلان وزير خارجية بريطانيا سعيه لتقريب يوم جلائهم عن عدن والجنوب ، ونبأ القتال الذى دار بين أنصار الجبهتين والذى ذهب ضحيته عشرات القتلى ومئات الجرحى !!

فلماذا التقاتل والتطاحن ؟!! أمن أجل السلطة والنفوذ الشخصى أو الحزبى تضيع هذه الدماء ، وتستمر الحزازات بين المسلمين وهم قادمون على فرحتهم بالاستقلال ؟! اتخضبون أرضكم بدمائكم بدلا من أن تفرشوها بالزهور يوم الفرحة بالاستقلال ؟! أتبدءون العهد السعيد بهذه الرصاصات تصوبونها الى صدوركم بعد أن كنتم تصوبونها لصدور أعدائكم ..؟ ماذا يقول عنكم اكثر الناس قربا لكم وعطفا عليكم .. لا أعداؤكم فقط ؟!

يا مسلمون .. يا عرب .. لا الدين ولا العقل ولا مصلحة البلاد ولا مصلحتكم يقر هذا الذى يجرى بينكم . فلحساب من كل هذا ؟ انه كله للشيطان ..

رمضان يشهد انتصاراً حاسماً

العروبة أو موقعة الزلاقة

اذا كان شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة قد شهد انتصار المسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى ، فان شهر رمضان من سنة ٤٧٩ هـ أو سنة ٤٨٠ هـ قد شهد أروع انتصار للعرب المسلمين على الاسبان ، أو على الروم كما يسميهم المؤرخون العرب فى الاندلس .

ومهما كان الخلاف فى اليوم الذى وقعت فيه غزوة بدر الكبرى من رمضان فان اصح الاقوال أنها كانت فى اليوم السابع عشر من هذا الشهر المبارك . وقد لقى فيها النبى من اجماع المسلمين على خوض المعركة ما يؤيده عزم الانصار على دخول الحرب ، مما يتضح من عهد (سعد بن معاذ) سيد الاوس وزعيم الانصار للنبى قبيل الموقعة قائلا : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : اجل ! قال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت . فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا) .

وقد اجتمع فى خلال غزوة بدر من صبر المسلمين على الصيام ، وعلى الجوع والظما ، وعلى حر الجهاد ، وعظم البلاء ، وشدة اللقاء ما ادخر الله به للمسلمين العزة بعد الذلة ، والكثرة بعد القلة ، حتى كانت الملائكة تمد المسلمين بالنصر بشرى لهم ، وتطمينا لقلوبهم .

ومضى خمسمائة عام — الا عشرين عاما — على معركة رمضان فى غزوة بدر الكبرى ليلتقى العرب المسلمون — فى رمضان المكرم أيضا — لقاء آخر مع أعدائهم من نصارى الاسبان والروم فى الاندلس ، فيعيد التاريخ البطولى نفسه ، ويصبر العرب والمسلمون فى الجهاد ، صبرا شهد لهم به عدوهم ، فينتقل ميزان القوى من يد الاسبان الى يد العرب ، ويجمع المسلمون والعرب فى موقعة (الزلاقة) أو فى (يوم العروبة) بين صبر الصيام ، والصبر على القتال ، وكأنهم كانوا يستلهمون غزوة بدر الكبرى اجمل معانيها ، واورع مشاهدها . وكأنهم كانوا يستعيدون — وهم فى غمرات القتال — ذكريات بدر فى شهر الصيام حيث نذر المسلمون أنفسهم لله ، ولقضية الحق التى قاموا لأجلها ، ومضوا فى سبيلها .

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

نصر المسلمين على الاسبان

ولقد كانت موقعة الزلاقة فى أحد أيام الجمع من شهر رمضان سنة ٤٧٩هـ. ولما كان يوم الجمعة من أيام الاسبوع يسمى (يوم العروبة) ، فقد اصطلح بعض المؤرخين على تسمية موقعة الزلاقة بموقعة العروبة ، والى هذا المعنى يشير الشاعر ابن حمديس الصقلى ، فى قصيدته الجزلة ، التى مدح بها الامير المعتمد ابن عباد ملك اشبيلية ، واحد أبطال العرب والمسلمين فى هذه الموقعة ، التى انتقم الله فيها من أعداء الاسلام أشد انتقام .

ولقد أبلى المعتمد بن عباد فى يوم الزلاقة بلاء حسنا حتى اثخنته الجراح من كل جانب ، ولكنه استهان بها ، وعدها يسيرة فى جنب الله ، حتى كتب الى ابنه الذى استخلفه بأشبيلية يقول له مهونا من شأن جراحه (١) : (الحمد لله على ما يسره وسناه من هزيمة اذفونس — اى الفونس — اصلاه الله نكال الجحيم ، ولا أعدمه الوبال العظيم ، بعد اتيان النهب على محلاته ، واستئصال القتل فى جميع أبطاله وأجناده ، وحماته وقواده . حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها . . فلله الحمد على جميل صنعه ! ولم يصبنى بحمد الله تعالى الا جراحات يسيرة المت ، لكنها فرحت بعد ذلك . .) .

ويقول الشاعر ابن حمديس فى تهنئة المعتمد بسلامته من تلك الجراح :

نذرت نذورا فاقتضانى قضاءها	ايابك من يوم العروبة سالما
ولما وجدت الوفر اعوز راحتى	سجدت لربى ، ثم اصبحت صائما

على أن شاعرا معاصرا آخر لهذه الموقعة الفاصلة ، هو محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز يشير الى جراحات فى يد ابن عباد قائلا :

وقالوا : كفه جرحت ، فقلنا	اعاديه توافقها الجراح
وما أثر الجراحة ما رايتم	فتوهنها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل الجود فيها	فامسى فى جوانبها انسياح

ومهما يكن من أمر ، فيبدو أن الكلوم كانت تغطى جسد ابن عباد ، ويشير المؤرخ الحميرى صاحب (الروض المعطار) الى ان جراحات ابن عباد كانت تثعب (تسيل) ، وهو يمشى فى صحبة القائد المجاهد الافريقى يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين عقب النصر وأن كلم رأسه قد تورم .

---

(١) ارسل المعتمد بن عباد هذه البشرى الى ولده الامير الرشيد عن طريق حمام الزاجل الذى قطع الرحلة بين أرض المعركة واشبيلية فى بضع دقائق كما ذكر ابن خلكان فى وفيات الاعيان .

ويقودنا ذكر الامير المرابط يوسف بن تاشفين هنا ، الى الافاضة فى الدور الذى قام به فى معركة الزلاقة ، وهو دور يعزى اليه فضل النصر الحاسم فى هذه الواقعة الفاصلة بين المسلمين وبين الاسبان والروم . فقد كان يوسف هذا أميرا على دولة المرابطين التى قامت فى المغرب الاقصى سنة ٤٤٢ هـ ، وكان يتأهب — بما أوتيه من مواهب فى الخلق والخلق — لزعامة العرب والمسلمين فى الشمال الافريقى ، وفى الاندلس ، وخاصة بعد أن اخذ سلطان المسلمين فى الاندلس يتقلص قليلا قليلا ، وبعد أن سقطت طليطلة سنة ٤٧٨ هـ فى يد الفونس السادس ، ملك قشتالة ، وأكبر زعماء الاسبان المتآمرين على العرب والمسلمين فى وقته . ووجد يوسف بن تاشفين الفرصة مواتية ، لكى يعبر من بلاد المغرب الى الاندلس ليتزعم قيادة الجيوش الاسلامية ، ويقود حركتها ضد المعسكر الاسبانى .

والحق أن موقف الاسبان اخذ يتقوى فى الاندلس ، بعد استيلاء الفونس السادس على امارة طليطلة الاسلامية . فقد كان المعتمد بن عباد يتعهد بدفع مبلغ من المال كل عام لألفونس السادس ، نظير أن يعاونه هذا ويمده بالجنود المرتزقة ليستعين بهم على محاربة خصومه من أمراء الاندلس !! وهى سياسة كان يستعملها الاسبان ، ليضربوا بها بين الاخوة من المسلمين ويذيقوا بعضهم بأس بعض . .

وقد ظل المعتمد يدفع هذه الضريبة المفروضة عليه للملك الفونس ولا يجد مهربا منها . واجترا الفونس على حليفه ابن عباد ، وأخل بالمعاهدة بينه وبينه ، وصرح للمعتمد فى جراة وقحة ، بأنه ينوى افتتاح الولايات الاسلامية كلها فى الاندلس . وأعلن الفونس الحرب على المعتمد بن عباد حليفه بالامس ، كما أعلنها على بقية ملوك المسلمين فى الاندلس . وبهذا شهد العرب والمسلمون بأعينهم نتيجة السياسة التى تورطوا فيها ، بالسماح للعدو بتفريقهم ، وبث الخلافات بينهم ، ليقوى فى النهاية سلطانه عليهم . .

ولقد تعلم الاسبان من الظروف التى أحاطت بهم ، منذ فتح العرب بلادهم ، أكثر مما تعلم العرب والمسلمون أنفسهم من ظروفهم . فحين شبت الخلافات والفرقة بين العرب أخذ الاسبان ينبذون منذ أيام الفونس السادس خصوماتهم وخلافاتهم ، فيما بين أنفسهم ، ويكونون جبهة موحدة ضد العرب والمسلمين . واتفقت كلمة الفونس السادس ملك قشتالة ، وسانشو الاول ملك اراجون ونافارا ، والكونت برنجار ريموند على طرد العرب من الاندلس .

وهنا أفاق العرب والمسلمون من غشيتهم ، ورأوا أن ينسوا ما بينهم من خصومات صغيرة ومن خلافات ، وأن يتجهوا نحو أمير المرابطين بالمغرب — وكانت قد بلغتهم أنباء بطولته وقوته وشخصيته وآماله البعيدة لتوحيد العرب والمسلمين — ويلتمسوا منه معونته ، بالعبور الى أرض الاندلس ، ليتولى قيادة الصف العربى الموحد ضد الاسبان .

وعلى الرغم من أن بعض أمراء الاندلس من المسلمين كان يخشى من طموح يوسف بن تاشفين المرابطى ، ومن احتمال سطوته عليهم بعد انتصار العرب على الاسبان ، فان المعتمد بن عباد قد أقنع — بعد جهد شديد — بعض أمراء المسلمين بالاندلس ، بضرورة الاستظهار على الاسبان بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين . وقد بلغ من خوف أمراء المسلمين بالاندلس من مطامح ابن تاشفين انهم أنذروا أخاهم المعتمد بن عباد بأن الملك عقيم ، وأن ابن تاشفين قد تتسع مطامعه الى ما لا حد لهم بايقافه ، وأن السيفين لا يجتمعان فى غمد واحد !

فاجابهم المعتمد بن عباد قائلا كلمته السائرة وجملته المشهورة : ان رعى الجمال خير من رعى الخنازير ! اى ان كون العرب المسلمين ماكولين لابن تاشفين المسلم يرعون الجمال فى الصحراء ، خير لهم من ان يكونوا ماسورين لألفونس السادس يرعون الخنازير فى قشتالة !

وصحت عزيمة العرب والمسلمين هذه المرة على نسيان خصوماتهم مرة فى سبيل قضيتهم الكبرى ، وفى سبيل كيانهم العربى الموحد ضد الاسبان .. فأرسلوا رسلهم الى يوسف بن تاشفين بالمغرب ، يجددون له دعوته الى معاونتهم .. واستجاب ابن تاشفين وعبر البحر الابيض المتوسط ، عبورا هينا ، حتى بلغ الجزيرة الخضراء من ارض الاندلس ، فاستقبله أهلها أروع استقبال ، وأثار موكب المجاهد الافريقى الحماسة فى نفوس العرب بالاندلس ، فتسابق أهل الاندلس الى التطوع فى الجيش الذاهب الى ملاقاة خصوم المسلمين . وامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين ..

والتقى الجيشان : جيش العرب والمسلمين ، وجيش الاسبان لقاء هائلا فى يوم من أيام رمضان كما يذكر بعض المؤرخين من أمثال بن الاثير وعبد الواحد المراكشى صاحب كتاب (المعجب) .

ولم يستطع حتى مؤرخو غير المسلمين أن ينكروا شجاعة العرب فى الموقعة ، وصبرهم النادر على القتال ، كما لم يستطيعوا — على الرغم مما قد يفعله التعصب — أن يهونوا من شأن المسلمين .

فقد أشاد المؤرخ الالمانى المعاصر جوزيف أشباخ بالدور العظيم الذى قام به داود بن عائشة قائد فرسان المرابطين ، كما أشاد بالدور البطولى الرائع الذى استطاع به الامير الشجاع المعتمد بن عباد مع رجاله : « أن ينقذوا شرف مسلمى الاندلس) .

أما دور الزعيم المرابطى يوسف بن تاشفين ، فقد أشاد به المؤرخ الالمانى فى نصفة نادرة ، ووصف شجاعته وجرأته ، وهو على فرس يمر بين ساقات المسلمين يحرضهم ، ويقوى نفوسهم على الجهاد والصبر قائلا : (يا معشر المسلمين . اصبروا لجهاد أعداء الله الكافرين . ومن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالاجر العظيم والغنيمة) .

وما كان أشد انصاف المؤرخ الالمانى جوزيف اشباخ وهو يشير الى غضاضة مؤرخى الاسبان من تناول أنباء هذه الموقعة التى كتب الله فيها النصر للعرب والمسلمين ، فيقول فى صراحة : « **ويبدو من الايجاز الذى يلتزمه الرواة النصارى ازاء هذا النصر العظيم للاسلام على النصرانية فى شبه الجزيرة الاندلسية مرة اخرى كيف يتناول المنهزمون سير هزائمهم فى غضاضه واحجام ..) .**

ولقد رفع انتصار العرب والمسلمين فى (يوم العروبة) ، أو فى يوم موقعة الزلاقة بالاندلس من معنويات المسلمين جميعا ، وجعلوها من أيام العرب والاسلام الكبرى ، وافاض المؤرخون فى وصفها والاشادة بها ، حتى لقد نسى الحميرى صاحب (الروض المعطار) المنهج الذى الزم به نفسه من الاختصار فى كتابه ، فاطال فى وصف هذه المعركة العربية الاسلامية الحاسمة ، وهو يتحدث فى معجمه الجغرافى عن ارض (الزلاقة) ، والتمس لنفسه العذر فى الاطالة ، قائلا — يذكر العرب والمسلمين فى عصره فى القرن التاسع الهجرى — : (قد خالفت بشرح هذه الوقيعة شرط الاختصار ، لحلاوة الظفر فى وقت نزول الهموم ، ووقوعها فى الزمن الخامل ..) .

ولقد صدق مؤرخنا الامير ، فان الذكرى تنفع المؤمنين .

فاتقوا الله في أنفسكم وفي بلادكم ولا تكونوا كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله ..

عمل مشكور :

كان حجاج بيت الله يجدون كثيرا من العنت والارهاق حين يبلغون في مطافهم حول الكعبة المكان المحاذى لمقام ابراهيم .. حيث تضيق دائرة المطاف كثيرا في هذه المنطقة ، بينما تتسع كثيرا في غيرها ، فكان يمثل عنق الزجاجة يندفع اليه الطائفون ، ويمرون به سبع مرات تكاد تحطم ضلوعهم وتذهب بأنفاسهم .. ولقد عانيت كما عانى الملايين رهبة المرور من هذا العنق حين الطواف .. ولقد عرفت من قبل أنه كان هناك مشروع لزحزحة المقام عن مكانه قليلا لتتسع الدائرة ، ولكن بعض الآراء أوقفت هذا المشروع في ذلك الوقت ..

ولقد سرني وسر كل مسلم العودة مرة ثانية لتوسيع الدائرة ، وان كان بشكل جمع بين الآراء حيث أزيح البناء القائم على الحجر الموضوع بالداخل ، والذى كان يقوم عليه خليل الله ابراهيم ومعه ابنه اسماعيل عليهما السلام ، حين بناء البيت فأعطى الدائرة شيئا من الاتساع ، في الوقت الذى اقيم فيه على الحجر غطاء بلورى يكشفه للمشاهدين ، ليروا فيه اثرا باقيا بعد أن كانوا يتمسحون بالبناء وبالشبابيك الحديدية للبركة ، ويرمون بداخله النقود والرسائل التى تحمل شكواهم مما يتنافى وتعاليم الاسلام ..

انه عمل جليل يشكره كل مسلم للحكومة السعودية وللرابطة الاسلامية ، وسيلمس كل حاج أثره الطيب وهو يطوف ببيت الله .. وأرجو أن يوفقنى الله لالمس ذلك بنفسى هذا العام ، وأعيش أياما بجوار بيت الله أجدد فيها طاقتى الروحية وأغسل نفسى بالتوبة والاستغفار ..

مع القراء والكتاب :

اخواننا الذين كتبوا الينا من الخارج يشكون من تأخر وصول المجلة اليهم ، نشاركهم نحن كذلك هذه الشكوى .. فالمجلة تخرج من المطبعة قبل هلال شهرها .. ويصبح وصولها اليك بعد ذلك رهنا بنظام الطائرات التى تحملها اليك ، والرقابات التى تسمح بتوزيعها ، وما يأخذه ذلك كله من وقت يمر علينا — كما يمر عليك — ثقيلا .

واخواننا الكتاب الذين يشاركوننا النهوض بمجلتهم أرجوهم ألا يقلقوا لتأخر نشر بحوثهم .. فنحن حريصون كحرصهم على نشرها .. ولكن ذلك رهن بنظام وظروف لا بد لنا من الخضوع لهما .. ولعل له عذرا وأنت تلوم . ولهذا أرجو ألا يقلقوا وألا ينشر كاتب مقالا أرسله الينا قبل أن يخبرنا حتى لا يتكرر نشره ..

ولقد دعوت الكتاب من قبل أن يختاروا الموضوعات الحية التى تلمس حياة الناس وتربطهم بثقافتهم وتراثهم وتعاليم دينهم .. واننى أرحب بمقالات من هذا النوع وأقدمها على غيرها ، وان لم يحمل كاتبها اسما مشهورا ، وأؤخر مقالات لكتاب كبار تكرر موضوعات شبعت المجلات من عرضها ، وشبع القراء من قراءتها ، وليس لها الهدف الذى نريده فالعبرة — اذن — بالموضوع وهذا ما أرجو أن يراعيه كتابنا الافاضل ..

شباب الإسلام في شعر أحمد محرم

"١"

للدكتور أحمد الشرباصي
المدرس بكلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر

« الخير كله فى الشباب » هكذا قال حبر الأمة المؤمنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه .

« روائح الجنة فى الشباب » هكذا قال الشاعر العلم ابو العتاهية .
ولقد أدركنا الشاعر « على الجارم » وهو يهتف :

هات عهد الشباب ان غاص فى الما ء ، وان غاب فى السماء فهاته
همسات الشباب فى النفس أحلى من حديث الهوى ، ومن همساته
ناره تطرد الهموم ، فتمسى خافقات الجنان من جمراته
ناره تصهر العزيمة سيفا تتوقى السيوف لمع شباته
الشباب الشباب ، نور من الله ، وريح تهب من جناته !

هذا بعض ما قيل عن الشباب على ألسنة السلف والخلف ، فلا عجب اذا خصصنا الشباب المسلم فى شعر أحمد محرم بحديث فى هذا المجال ، ثم من ذا الذى لا يحب الحديث عن الشبيبة والشباب ؟

لقد عاش أحمد محرم قرابة سبعين عاما ، ولكن شبيبة قلبه لم تكن تقاس بالاعوام ، فقد كان من قوم تشيب نواصيهم ولا تشيب قلوبهم ، ولذلك كان يمثل ــ حتى فى أثناء شيخوخته ــ قوة الشباب فى الذهن ، وتوثب الفتوة فى العزم . وكان يعني بالشباب ، ويحدو لهم ، ويرسم أمامهم مناهج العزة والكرامة ، وحسبنا أن الفكرة الاساسية التى دفعت بمحرم الى انشاء ديوانه « مجد الاسلام » هى نظم مفاخر التاريخ الاسلامى فى مقطوعات خالدة ، ليطالعها شباب الاسلام ، فتتوثق رابطتهم بماضيهم المزهر المجيد ، فأخذ محرم فى هذه المقطوعات يلفت هؤلاء الشباب الى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم ، ويدفع عنهم عقدة النقص التى تجعلهم ينظرون الى الأمم الأخرى نظرة الاقزام الى العمالقة .

سمرة ورافع

ونتناول ديوان « مجد الاسلام » فاذا فيه للشباب أخبار وآثار ، ومواقف ولطائف ، وها نحن أولاء مثلاء أمام الحديث عن غزوة بدر ، حيث نرى فتيانا دون الخامسة عشرة من أعمارهم ، وكل منهم حريص على أن يشهد المعركة ويسهم فيها ، ولكن الرسول يترفق بهم ، فيردهم لصغر أسنانهم ، ويستثنى منها رافع بن خديج ، فقد قيل له أنه يحسن الرماية ، فغضب من ذلك زميله سمرة ابن جندب ، وقال محتجا : أيقبل رافع وأرد ، وأنا أصرعه ؟ فبلغت مقالته رسول الله عليه صلوات الله ، فجعلهما يتصارعان ، فتغلب سمرة على صاحبه ، فقبلهما النبي معا ، وصور شاعرنا هذا الموقف فقال :

وفى الأبطال فتيان رقاق ... بأنفسهم الى الهيجا اشتياق
لهم فى الناهضين لها انطلاق ... دعا داعى الجهاد فما أطاقوا
بدار السلم مثوى أو مقيلا (١)

اعادهم النبى الى العرين ... شبولا سوف تصلب بعد لين
يضن بها الى اجل وحين ... رعاك الله من سمح ، ضنين
يسوس الامر يكره أن يعولا (٢)

وقيل لرافع : نعم الغلام ... اذا انطلقت لغايتها السهام
تقدم أيها الرامى الهمام ... اذا الهيجاء شب لها ضرام
فامطرها سهامك والنصولا (٣)

ونادى سمرة : ايرد مثلى ؟ ... ويقبل صاحبى وأنا المجلى ؟
اصارعه ، فان اغلب فسؤلى ... وكيف أذاد عن حق وعدل
وامنع ان أصول وان أجولا

وصارعه فكان اشد أسرا ... وأكثر فى المجال الضنك صبرا
وقيل له : صدقت فانت أحرى ... بأن ترد الوغى فتنال نصرا
الا اقبل فقد نلت القبولا (٤)

❊❊❊

عبد الله بن عبد الله

وننتقل الى موقف آخر :

عقب غزوة بنى المصطلق تزاحم اثنان من عامة المسلمين على الماء ، فتنازعا وصاح الأنصارى منهما : يا للانصار . وصاح المهاجرى : يا للمهاجرين ، وكادت تقع فتنة لولا حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان بين المسلمين رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، فأراد أن يثيرها فتنة ، فقال لمن معه : لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا ، والله ما أعددنا واياهم الا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، يعنى بالأعز نفسه « لعنه الله » ، وبالأذل : رسول الله عليه الصلاة والسلام والمهاجرين .

وكان لهذا المنافق ولد اسمه « عبد الله » وكان صادق الايمان شديد الحب لرسول الله ، فلما بلغه عن أبيه المنافق ما قال ، غضب لدينه ونبيه ،

---

(١) المثوى والمقيل : يراد بهما المقام .
(٢) يعول : يجوز ويميل . وعاله الأمر شق عليه .
(٣) النصول : جمع نصل وهو حديدة السهم .
(٤) ديوان مجد الاسلام ص ٧٢ .

وســـارع فوقف فى وجه أبيه على أبواب المدينة قائلا له : والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعز من الأذل .

فجعل ابن أبى المنافق يقول خوفا وجبنا : أنا أذل من الصبيان ، أنا أذل من النسـاء .

وجاء النبى الى عبد الله المؤمن وقال له : خل عن أبيك فخلى عنه .

تناول محرم هذا الموقف الرائع فصوره بشعره فقال :

هذا ابنه جاء ، غضبان يمســكه	دون المدينة للمختـــار ينتصر
يقـــول : تلك ديار لست تدخلهـا	حتى تفيء ، وحتى يعـــلم الخبر
أنت الأذل ، فقلهـــا غــير كاذبة	ان كنت حرا ، فبئس الكاذب الأشر
فقـــالها مرة حرى ، وأرســـلها	كأنها روحه من فيـــه تنحـــدر
مشى أعز بني الدنيـــا وأشرفهم	قدرا ، وأرفعهم ذكـــرا اذا ذكـــروا
حل المدينـــة منه ليث ملحـــمة	لا النصر يخطئه فيهـــا ، ولا الظفر
فليعرف الحق قوم ضـــل رائدهم	وارتد قائدهم خزيان يعتــــذر !

وهكذا عرض علينا محرم هذا الموقف الذى رأينا فيه كيف يقدم الشـباب المؤمن عقيدته على كل شـيء ، وكيف ينتصر للحق أينما كان !

* * *

أسامة بن زيد

وهذا أسـامة بن زيد ــ حبيب رسـول الله وابن حبيبه ــ يتولى قيـــادة الجيش الاسـلامى فى أخريات أيام الرسـول ، وهو شـاب صـــغير السن ، وفى الجيش كهول وشيوخ ، ولكن الرسـول أراد أن يكرم ذكرى أبيه زيد الشهيد ، فنصب ابنه قائدا ، ولم يكن ليوليه القيـــادة مع ذلك لولا كفاءته لها ، وقبل أن يتحرك القائد الشاب بجيشه ، لحق الرسـول بربه ، وتولى أبو بكر الخـــلافة ، وأراد بعض المسلمين ــ جريا على العادة المتبعة ــ تغيير القائد الشـــاب ، وتعيين قائد من أصحاب الأعمار الكبيرة ، ولكن الخليفة أبى ، وأقســـم أنه لو تخطفته الطير من كل مكان ، ما حبس جيشـا أعده رسول الله ، ولا عزل قائدا عينه ! . .

وخرج الجيش فى طليعته قائده فوق جواده ، وخرج الخليفة يودعه ماشيا على قدميه ، فقال له أسـامة : يا خليفة رســـول الله : أما أن تركب ، وأما أن أنزل ، فأجاب أبو بكر : والله لا تنزل ، ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سـبيل الله سـاعة ! . .

وأحس الشـاعر محرم ما فى قصة أسـامة من تقدير للشـــباب وتـكريم لبطولته ، فقصها علينا شـعرا ، وفيها يقول :

سار ابن زيد بالـــكتائب ، ما لوى	من عزمه الحدث الجليل العازم (١)
يمشى الخليفـــة لائــذا بركابـــه	وكأنما هو ســـائق أو خـــادم
وأبـــى الأمير ، فقال : دون مركبي	لا تمشي انـــى ان فعلـــت لغانـــم
ولئـــن أبيـــت لأنـــزلـــن كرامـــة	لـــك فاقض أمرك لأنبـــالك صارم
قال الخليفة : ما أراك بمنصـــفى	دعنى فللاســــلام حـــق لازم
أنا من جنـــودك ، لو ملكت رأيتنى	تحت اللواء ، فهالك أو ســـالم !

---

(١) العازم : الأمر المعزوم على فعله .

وندع ديوان « مجد الاسلام » الى حين ، وننتقل الى ديوان محرم لنجد فيه للشباب مكانة ملحوظة وعناية بادية ، فها هو ذا محرم يتحدث عن الشباب واصفا لهم بأنهم مناط الأمل ومعقد الرجاء ، وأنهم فى مختلف احوالهم فلذات الأكباد ومهج الصدور ، فيقول :

الا انهم لأماني البــــلاد   ترف عليهـــا بقلــب صـد
وانهم المهج الغــاليات   على الجـــد من امرهم والدد (١)

والشباب المائع

ثم يشير الى صنف من الشباب مائع خانع ، تستحى منه الفضيلة ، ويطول من آثامه الخجل ، فلا فتوة ولا رجولية ، بل خلاعة وميوعة ، فمشية متخاذلة ، والفاظ نابية ، وتشبه بذوات الحجال ، ويؤمن محرم بأن الفتى اذا كان على مثل هذا فلا خير فيه ولا نفع منه ، ولذلك يصرخ الشاعر قائلا عنه :

لبئس الفتى حـين تمسى الديار   من الحــادثات على موعـد
وبئس الفتى يوم تهفـو بهـــا   ظمـــاء الأمانى الى المـــورد
ولا نعمت نفســـه اذ يروح   لغـير المعالى ، واذ يفتـدى
واذ يرتدى من مخــازى الفعــال   وســوء الأحــاديث ما يرتدى
حيـــاة من العـــار لا تنتهى   بغـير الهــوان ، ولا تبتـدى
ونفس ترامى بهـــا القـــاذفات   فتهـــوى الى الدرك الأبعــد !

ويمضى شاعرنا فى تصوير الواقع الأليم على عهده لطوائف من شــباب مجتمعه ، ضلوا الطريق فخابوا ، وخيبوا الآمال فيهم ، وجهلوا الايمان والهدى ، فلا فضيلة عندهم ولا تقوى ، وأمامهم هدى الله العلى الاكبر ممثلا فى كتـابه الأمجد ، وهدى نبيه محمد ، ولكنهم يعرضـــون عن النور الى الظلمات ، وعن الهدى الى الضلال ، وعن الصراط الى الهاوية ، ولا نجاة لهؤلاء ولقومهم الا اذا استضاءوا بنور ربهم ، واغترفوا من منهل رسولهم ، وحفظوا العهد وصـانوا الوعد ، ومضوا على طريق الايمان صالحين مصلحين :

يقول محرم عن هؤلاء الضالين المرضين :

ايامرهم بتقـــوى الله قــوم   وما عــرفوا الاله فيتقـــوه
شـــباب العـــار ما تركوا رجاء   لنـــا فـى مصـر الا خيبـــوه !
اناس ريعت الغـــبراء منهم   وضـــج العرش مما احـــدثوه
اتى (التنزيل) بالمثـــلات تترى   وبالحـــق المبين ، فــكذبوه
الا لا يطلب الاصـــلاح قومى   ولا الانصـــاف حتى ينصـــفوه
فيا اســـفى لعهـــد الله فيهم   وعهـــد محمد اذ ضـــيعوه
عسى أن تذهب الغمـــرات عنـــا   فيصـــلح قومنا ما افســـدوه !

ويتطلع محرم الى الشباب الناشـــئين من حوله ، فيلمح ظاهرة خبيثة خطيرة ، هى ظاهرة الانتحار بين الطلاب ، بســبب الفشل فى الامتحانات ، وعدم الحصول على الشهادات، وهى جريمة تدل على ضـــعف النفس وخور العزيمة ، والفرار من تبعات الحياة ، وعدم الرضا بقضاء الله ، ولذلك يذوب قلب محرم ويتفطر ، ويعد هذه الظاهرة سبة كبرى فى جبين المدارس وابنائها ، ويطلق على التلميذ المنتحر لقب « شهيد الشهادة » وكأنه يقصد شـهيد الفشل فى نيل الشهادة (الدراسية) ، فلنستمع اليه يقول :

افى كل عـــام للمدارس حـــادث   تذوب له الأكبـــاد او تتفطـــر
نعيد الذى نبدى من اللوم عنـــده   ونعلن ما تخفى القلوب وتضـــمر !

---

(١) الدد : اللعب .

كفى سبة أن المدارس أصـــبحت | تموت بهـــا آمال مصر وتقـــبر
فكم طاح فيها من شهيد « شهادة » | رأى الموت فى العيش الذى يتصور
فاغمض جفنـــيه ، وآثر ميتـــة | لأمثـــالها من يبغض العيش يؤثر !

وإذا كان محرم فيما مضى من شواهد قد عنى بتصوير السيئات والمآثم التى يرتكبها الشباب ، فانه فى مواطن أخرى يمزج بين النقد والتوجيه ، وبين المحاسبة والتحريض ، فهو يذكر جوانب من العيوب ، ويقـابلها بوجوه من النصح والارشاد ، وها هو ذلك مثلا يتحدث الى شـــباب النيل ، فيحمل على الحكم الفاسد القائم فى عهده ، ويعرض بجهل الحاكمين والمالكين تعريضـــا موجعا ، ثم يأخذ على قومه اتباعهم للهوى الضال المضـــل ، ومع هذا يدعو الشباب الى النهوض والوثوب ، والى طلب الحرية والعلم ، والى انتهاج طريق الجد والنضال ، حتى تزول الغمرة ، وتتحقق الثمرة .

ويؤكد لهم أن طريق الجد والنضال ، هو سبيل العزة والكرامة ، ولذلك يؤكد لهم النصر الذى يؤملونه اذا سمعوا كلامه واتبعوا نصيحته ، ويعطى على نفسه عهدا بضمان النتيجة ، ولذلك يذكرهم بكلمة عتبة بن ربيعة سيد قريش وكبيرها المطاع فى الجاهلية ، حين نهى قومه عن محاربة النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، وقال لهم يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسى .. أى اسمعوا كلامى واتبعوا نصيحتى ، واجعلوا تبعة الأمر على عاتقى .

فلنصغ الى شاعرنا حين يصرخ فى شباب النيل لينهضوا الى واجباتهم نحو بلادهم ، فيقول :

يا بنى النيـــل ما عسى أن تريدوا | صـــدع الدهر ملككم فاضـــمحلا
أكثر النـــاس بالممالك جهـــلا | من يرى الجـــاهلين للملك أهلا
وأحق الشـــعوب بالمجد شـــعب | عاش حرا فى أرضه مســـتقلا
املأوا الارض ــ يا بنى النيل ــ سعيا | واغمروا العالمين علما وفضـــلا
تجعلون الهـــوى المضل دينـــا | وتعـــدون باطل الامر شـــغلا !
احســـبتم حرب الليالى ســـلاما | وظننتم ظلم الحـــوادث عـــدلا
اتبعوا الجد ، واعصـــبوها برأسى | حســـبكم ما مضى من الدهر هزلا
ان بالنيـــل غمـــرة تتمـــادى | وأرى كل غمـــرة تتجـــلى !

***

وبعد ان يستوفى محرم خط النقد والمحاســـبة للشـــباب على اخطائهم وعيوبهم ، ينتقل الى تصوير الشباب الطاهرين المؤمنين العاملين ، الذين تفخر بهم بلادهم وأقوامهم، لأنهم يعرفون أنفســـهم ، ويدركون واجبهم ، ويفقهون تاريخهم ، ويتوجون ذلك كله بالايمـــان بربهم ، والاعـــتزاز بدينهم ، والوفاء لعقائدهم ومبادئهم ، ولذلك نراه حينما يضع نشيدا للشباب يعنى فيه بتقديـم صورة كريمة لهؤلاء الشباب ، فيقول فيما يقول :

نحن للنيـــل الشـــباب المجتبى | ننصر الله ، ونـــأبى مـــا ابى
ولنا بين العـــوالي والظبـــا | نسب فى النـــاس وضـــاح الأثر
همـــة النسر اذا ما نهضـــا | من ســـجايا قومنا فيمـــا مضى
زلزلوا الدنيـــا فريعت وانقضى | صـــلف الدهر ، وطغيان الغـــير
ارأيت القـــوم مما غلبـــوا | عنـــدهم من كل عصر ســـبب
ولهـــم فى كل جيـــل ادب | عبقـــرى الذكر رنان الخـــبر
طلع الاســـلام نورا وهـــدى | وقضى الأمر حيـــاة وردى
ان فى الســـيف وان جل الفـــدى | لحيـــاة تنقضى (١) او تدخر

« الحديث بقية »

---

(١) تنقض : تستل .

مائدة القارئ

ربيــع القــلوب

اللهم أنا عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك . وفى قبضتك . ناصيتى بيدك . ماض فى حكمك . عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك . سميت به نفسك . أو أنزلته فى كتابك . أو أعلمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى مكنون الغيب عندك — أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبى ، وضياء بصرى ، وذهاب حزنى ، وجلاء همى وغمى .

◆ ◆ ◆ ◆

قال مظفر الدين الابيوردى فى تخاذل المسلمين عن محاربة الصليبيين :

فليتهم اذ لم يذودوا حمية   عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

◆ ◆ ◆ ◆

الاختبار الالهى

قال لى صديق : ان الاختبار الالهى يصل الى أن يوضع الانسان تحت السكين فى انتظار الذبح .

قلت له : اذن ينبغى ألا يزيغ اليقين ولو تحت حد السكين .

قال : وفى ثباته يكون الفرج العاجل .

قلت : وكان . اقرأ معى قول الحق فى الخليل والذبيح .. فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم .

◆ ◆ ◆ ◆

الثوب الأحمر

قال ناصح لأبى جعفر المنصور : كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين ، فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكهم بسمعه ، فبكى بكاء شديدا ، فحثه جلساؤه على الصبر ، فقال لهم : أما انى لست أبكى للبلية النازلة ولكنى أبكى لمظلوم يصرخ

بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما اذ قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب ، فنادوا فى الناس ألا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ، ثم كان يركب طرف النهار ليرى متظلما .

◇ ◇ ◇ ◇

المتاعب

المتاعب هى وحدها سبيل التفاوت والتفاضل ، ومحك المبادىء والفضائل ، وهى كذلك الأحجار التى يتعثر فيها الضعاف فيسقطون ، وينتهى عندها الأدعياء فيقفون :

لولا المشــــقة ســـاد الناس كلهم   الجـــــود يفقر والاقدام قتـــــال

◇ ◇ ◇ ◇

فى ضيافة الله

خرج الحجاج ذات يوم فبلغ الصــحراء ، وتوغل فيها ، ولما حضر غداؤه قال : اطلبوا من يتغدى معنا ، فطلبوا ، فلم يجدوا الا اعرابيا فى شملة ، فأتوه به .

فقال له : هلم .
قال : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته .
قال : ومن هو ؟
قال : الله تبارك وتعالى . دعانى الى الصيام فأنا صائم . .
قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر ؟ !
قال : صمت ليوم هو أحر منه !!
قال : فأفطر اليوم وتصوم غدا .
قال : أو يضمن الأمير لى أن أعيش الى غد ؟ !
قال : ليس ذلك الى .
قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس اليه سبيل ؟ !
قال : انه طعام طيب .
قال : والله ما طيبه خبازك ولا طباخك ، ولكن طيبته العافية .
قال الحجاج : تالله ما رأيت كاليوم . أخرجوه عنى .

◇ ◇ ◇ ◇

اقتراح

أقترح أن ترسم خريطة الوطن الاسلامى رسما موضحا بالنسب الصحيحة للسكان ، مذيلا بشروح موجزة عن العواصم والبلدان ، ثم تنشر هذه الخريطة فى حجرات الدراسة ، وأمكنة العمل ، وفى صدور الاحتفالات والمجتمعات .

◇ ◇ ◇ ◇

نكتة لاذعة

اشتهر أحد الشعوب الاسلامية بالنكتة اللاذعة ينفس بها عن نفســـه فى مأمن من عقاب الظالمين ، وفى عصر من العصور تولى الحكم فيه حاكم ظالم . اغتصب أموال الناس ، وبنى منها مسجدا فخما فكانوا كلما مروا بهذا المسجد اشاروا الى أبهته وعظمته ، وقالوا هذا هو المسجد الحرام .

ذكرى بدر

اى فجر قد شع فى الصحراء عبقرى السنا بهى الرواء ؟
اى نور عم الدنى فتغنت يوم ميلاده باحلى غناء ؟
اى بشر واى فيض من اللـه جميل لاحت طيوف الرجاء ؟
انه مولد الحبيب المفدى اكرم الرسل خاتم الأنبياء

* * *

ولد المصطفى فدكت صروح البغى دكا وغيبت فى الخفاء
وتباهت رحاب مكة بالبشرى وتاهت على ذرا الجوزاء
واذا الكون طافح البشر نشوان تهادى فى تيهة الخيلاء
« واذا الأرض والسماء شفاه تتغنى بسيد الحكماء
جاء للناس رحمة وبشيرا ونذيرا وداعيا للاخاء
فدعاهم الى العبادة والتوحيد والحق فى طريق العلاء
ركبت رأسها عنادا وولت تزرع الرعب فى ربى الصحراء
خشيت دعوة الأمين فراحت تتحدى بغارة شعواء
وابو جهل ركن قاعدة الكفر يعنيه فى صبحه والمساء
ساخرا منه داعيا لأذاه ولكم ناله من الايذاء
لم تزعزع جحافل البغى طه لا ولا أثرت بذاك المضاء

للاستاذ : ضياء الدين الصابوني

ان من صانه الاله محال ... أن تراه ضحية الجهلاء
كل شيء يهون من قصص الآلا ... م الا عماية الأشقياء
قد تهون الحياة وهي جحيم ... ويعود الصفاء رغم الشقاء
يالبدر وهل سمعت كبدر ... يوم دكت معاقل الظلماء
يوم خرت قريش صرعى امام الحـ ... ـق حيرى قتيلة الكبرياء
قضي الأمر في سحابة يوم ... واصيبت بطعنة نجلاء
والطواغيت يهرعون سكارى ... دحرتهم عزيمة الأتقياء
هكذا تخضع الجبابر للحـ ... ـق وتعنو الجباه للعظماء
كان نصر المجاهدين ببدر ... هو نصر الشريعة السمحاء
بعثت في النفوس بارقة الفـ ... ـوز واحييت مواتها بالرجاء
واتى نصره المبين وكانوا ... قبل حين بذلة وعناء
ايه يا بدر انت معجزة الدهـ ... ـر ووحي الكتاب والشعراء
انت بدر الزمان يسطع بالنو ... ر ويقضي على دجى الظلماء
انت الهمتني القريض وكم فتقـ ... ـت قبلي قرائح البلغاء
واسلت القصيد مني غناء ... عبقري الايقاع عذب الأداء
كلما عادني تذكر بدر ... طاولت عزمتي ذرا الجوزاء

زكاة الصوم

جزء من التكافل الاجتماعي في الإسلام

الأستاذ/عبد الحميد المشهدى

الزكاة فى الاسلام تكافل اجتماعى . وتعاون أخوى بين طبقات المسلمين . وقد لا تقف — فى نظر بعض التابعين — على النصاب الذى حدده الشارع . مستدلين بقول الله تبارك وتعالى (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) قائلين ان آية الزكاة لم تنسخ مثل هذه الآية . وقد سئل بعضهم . كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم . فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم . وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ، واعتبروا اخراج نصاب الزكاة أدنى درجات الواجب . وأقرب الى البخل . ورددوا قوله تعالى (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا) .

واذا كانت دورة الحول . وموسم الحصاد — ميعاداً لاحتساب الزكاة وصرفها لمستحقيها . فان شهر رمضان ميدان لاخراج زكاة الفطر ، وموسم لتقديم الفدية عن المصابين بأمراض مزمنة ، تعجزهم عن أداء فرض الصوم اداء أو قضاء . واذا كانت الصدقات سنة فى كل زمان ومكان ، وعند كل مناسبة . وصدى صوت القرآن الى نهاية الدهر .

نعم اذا كان كتاب الله قد أهاب بها فى كل وقت ، فان بذلها فى شهر رمضان أحق وأجدر ، لتكون عونا لمستحقيها على أداء الصوم ، ومستلزمات العيد ، وكانت صدقة الفطر واجبة لا يرفع صوم الصائمين الا بأدائها على الوضع الذى سنه الشارع .

والتكافل الاجتماعى فى هذه الزكاة ليس الا جانبا من جوانبها ، وزاوية من زواياها ، فاعلان الوحدانية باللسان تشهدا . لا يكفى فى اكتمال ايمان المرء . بل لا بد له من تطبيق عملى . يؤيد ما يتحرك به اللسان بالشهادتين فى كل صلاة . وهذا التطبيق العملى يتم فى صورة تنازل عن كل ما يحبه الانسان فى سبيل المحبوب الأعظم . وفى مقدمته حب المال يتنازل عنه ، ويقدمه راضيا قريرا لمستحقيه ، حبا فى الله ، وشوقا الى ثوابه وجنته ، وتطهيرا لعقيدته من شوائب الحب لما سوى الله .

وحينما أدرك أصحاب رسول الله هذا المعنى الجليل تبرع أبو بكر بكل ماله ، وتبرع عمر بنصف ماله وتبرع عثمان بمعظم أمواله ، وتبرع عبد الرحمن ابن عوف بثلث ماله . وكان رسول الله يتبرع بكل ما كانت تصل اليه يده ، وكان

فى رمضان كالريح المرسلة كرما وجودا ، وعندما وافته منيته تذكر أن لديه سبعة دنانير فأمر بها أن توزع للفقراء ، وقال لمن حوله « ما ظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده » .

أما الجانب الثانى من فضائل الزكاة ، فهو تطهير النفس من صفة البخل ، والبخل أحد المهلكات . قال الرسول الكريم (ثلاث مهلكات . شح مطاع . وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه) وقال تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ان البخل مجبنة مزرية ، تدع صاحبها بين الناس مسلاة وسخرية . وتضعه فى سجن من الحرمان مظلم الجنبات ، متماسك اللبنات ، وتحله من أولاده وأقاربه ومعارفه مكان البغض والكراهية . يستعجلون رحيله ويستبطئون حياته ، ويتمنون وفاته ، ولا أدرى لمن يعيش البخيل ؟ ! وما فائدة وجوده فى هذا الجو المشحون حوله بالذل والكراهية والضياع ، وهيهات أن يصبح شجرة مديدة الظلال مشرقة الثمر والايناع ، الا أن يصطنع الجود والسماحة والصلة والبر والتعاون بين الناس ، ولا يشده الى هذه الجداول الصافية ، والمزايا السامية ، الا اذا اعتاد تقديم الزكاة واعطاء الصدقات لاسيما فى شهر رمضان .

أما الجانب الثالث من فضائل الزكاة فهو تقديم صورة من الشكر صادقة ، وفاء لما أنعم الله به من قدرة على أداء الزكاة فى المواسم المناسبة لها ، وترجمة مادية عن احساسه بصنيع الله . وجعل يده أداة ارسال لا أداة استقبال . يد تبعث الاطمئنان والرضا ، وتمسح القلق ومضاضة الانتظار عن نفوس الجوعى والمحرومين ، فى شهر حرم الكل فى نهاره ما كان مباحا ومستساغا وشهيا .

أما الجانب الرابع . فان الوفاء بالدين قبل حلول أجله — أدب رفيع لا يستأهله الا من خصهم الله برضاه . وجملهم بتوفيقه . وزكاة الصوم من رمضان لها نهاية لا تصلح بعدها لسد باب الفريضة . قال الرسول الكريم صلوات الله عليه (فرض رسول الله زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث . وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) والمراد بالصلاة فى الحديث الشريف صلاة عيد الفطر ، ووقت اخراجها يبتدىء مع هلال رمضان . ورمضان كله وقت لها . فمن بادر باخراجها قبل نهاية الشهر ، اظهارا للرغبة فى الامتثال ، وفرحا بأداء ما عليه من دين . وتخلصا مما عساه يحدث من مفاجآت الأحداث ، وغوايات الشيطان ، وخروجا من حرج العصيان عند التأخير . وادخالا للسرور على نفوس الفقراء ، وتطهيرا لقلوبهم من الحقد على الأغنياء والمقتدرين ، ومكافحة لعوامل الخمول والكسل وتعاطفا وارتباطا بين طبقات المسلمين . وتجميعا لهم حول مائدة العيد اخوانا متحابين . لا يشغلهم فى يوم العيد الا لقاءاتهم فى مواكب التكبير وتجمعات الصلاة . وتصافحهم فى الزيارات والطرقات باسمين هانئين .

فمن تعود التبكير فى أداء الزكاة تعود التبكير فى أداء واجباته فى مختلف شئونه الدينية ، ومعاملاته الدنيوية . ومن استطاع التخلص من حب المال ، وآثر حب الله عليه . وقدم الوديعة لأصحابها قبل أوانها ، صار فى حياته مطبوعا بطابع الوفاء . ومثالا كريما لتعاليم الاسلام ، وحسبنا فى هذا المقام حديث قدسى عن رب العزة حيث يقول (الفقراء عيالى والأغنياء وكلائى . فمن بخل بمالى على عيالى أذقته النار ولا أبالى) .

ولعل بعض المتصوفين لم يرتكب شططا حين قال : ان الفقراء اصحاب فضل على الأغنياء حين يقبلون منهم الزكاة ، لأن الزكاة غسالات الذنوب ، فاذا

البقية ص ٨٠

الذهبي

ومكانته من علم الرجال

لماذا كان المؤرخون في الاسلام

لتراثنا الاسلامى روعته وجلاله ، وصدقه ورشـاقته ، لأن الباعث الاول على بنائه الشامخ هو الدين ، الذى قوامه مكارم الاخلاق ، ولقد روى عن الامام البخارى انه لوى عنان دابته بعد رحلة شاقة ، بحثا عن رجل يروى حديثا عن رسول الله ﷺ ، اذ رآه يخدع فرسه وقال : « والله لا آخذ حديثا عن رجل يكذب على البهائم » ، ومن اجل الصـدق فى الرواية قام (علم الرجال) ، فالعبرة بالسند اولا ، والى أن يصح الحديث عن رسول الله فهو خبر ، يحتمل الصدق والكذب ، و (الاخباريون) الذين مهمتهم فحص الخبر للفصـل فى صحته وبطلانه ، هم القادرون بمقاييسهم ومناهجهم على تقرير درجته من (الرفع) أو (الوضع) فى الحـديث ، ومن هنا كان المؤرخون فى الاسـلام او (الاخباريون) من الحفاظ أو المحدثين او المسندين ..

سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

« أما بعد فان أولى ما نظر فيه الطالب .. بعد كتاب الله عز وجل سـنن الرسـول ، فهى المبينة لمراد الله من مجملات كتـابه ، والدالة على حدوده ، والمفسرة له ، والهادية الى الصراط المستقيم .. ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية الى حفظها معرفة الذين نقلوها عن نبيهم .. الى الناس كافة ، وحفظوها عليه ، وبلغوها عنه ، وهم صحابته الذين وعوها وادوها ، ناصحين محتسبين ، حتى كمل بما نقلوه الدين .. (١) »

من هذه الفقرة الموجزة التى نقلناها عن (ابن عبد البر) نرى الى اى حد كان النقلة يتحرون فى علم الحديث ، وهو الاصل الثانى للدين الاسـلامى الحنيف ، واذا كان ابن عبد البر قد جمع بين دفتى كتابه ثلاثة آلاف وخمسمائة

---

(١) مقدمة ابن عبد البر (ـ ٤٦٣ هـ) لكتابه « الاستيعاب فى أسماء الاصحاب » ..

اسم ، فقد جمع الذهبي في « التجـريد » ثمانيه الاف ، وجمع ابن الاثير في « اسد الغابة » سبعة آلاف وخمسمائة واربعة وخمسين ، أما ابن حجر في « الاصابة في تمييز الصحابة » فكان غير معني بالعدد قدر عنـايته بالمفهوم الصحيح للصحابي ، والطريقة التي يتعرف بها عليه وحال الصحـابة من العدالة ، غير مشترط فيهم رؤية النبي أو زيارته أو الاجتماع به ، فقد صرح الجمهور بالقول بالتعميم انضـواء تحت قول الله عز وجل « واتبعوا النور الذي أنزل معه » ..

واذا كانت سنة النبي عليه السلام قد اشتملت على كل ما صح عنه من قول أو فعل أو اقرار ، فقد امتدت الاسرائيليات ، الى حصون السنة للدس عليها والتشكيك فيها : ولولا صحة المقاييس التي وضعها الاوفياء الامناء لكان عدد المرتدين أكثر من الذين يدخلون في دين الله افواجا ..

طبقات النقلة

وبلغ الحرص من علماء الحديث الى الحد الذي اخذ فيه السـلف عن الخلف عبء التفرغ لفحص الجواهر ممـا قد يعلق بهـا من الشوائب ، وتمييز

علماء الحديث ؟

للأستاذ
محمد محمود زيتون

الاصيل من الدخيل ، والصحيح من الزائف ، وامتدت الرسـالة عبر القرون الطوال ، ولا يزيد المسلمين تباعد الزمان ، الا قربا من مناهل الدين الصحيح ، اصفى ما تكون مصادرا وموارداً ..

وقام « علم الرجال » على أساس (الطبقات) صاعدة في علو الاسناد الى صدر الاسلام ، هابطة كلما انحدرت عن شرف « الصـحبة » على أن يكون الاجماع بالتعـديل معيار الثقة في كل من ينتمي الى طبـقات هؤلاء « النقلة » ..

وكان لا بد ان يرتبط ذلك بحفظ الانسـاب ، فكان « النسـابة » يعتمد على الحفظ ، كما كان يعتمد «القائف» على الفراسة في المشاهدة لمقارنة الملامح بغيرها ، مما سبق أن شاهده في الآباء والاجداد والاعمام والاخوال ، وعلى ذلك عنى أهل الحديث بسلامة النسب وحسن السيرة ، واقاموا لذلك موازين التجريح والتعديل ضمانا ــ كما قلنا ــ للاخذ عن الثقات ، اذ النظر في الاسناد أولى واحق من النظر في المتن خلال القرون الطوال التي حرمت من الـكتابة ، فكان المعول في المعارف كلها على الرواية والاجماع على توثيقها ، ولهـذا جاءت الوثاقة لكتاب (فتوح مصر) لابن عبد الحكم ، لأنه رواية الحافظ الاشـهر الامام السلفي ..

حافظ الديار المصرية

وكان شيخ الاسلام الحافظ الكبير الامام عبد العظيم المنذري من الاعلام الافذاذ في علم الرجال ، وضمه السيوطي في قائمة (حفاظ الحديث ونقاده) وقال عنه بعد ثلاثة قرون على وفاته مؤكدا أنه « كان عديم النظير في معرفة

علم الحديث على اختلاف فنونه متبحرا فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله ، قيما بمعرفة غريبة ، أماما حجة فى الفقه والعربية والقراءات ورعا متبحرا » (١) ، وكان ماهرا فى معرفة الرواة ، وجرحهم وتعديلهم ، ووفياتهم ، ومواليدهم ، وأخبارهم ، كما يقول الشريف عز الدين ، كما انه كان حجة ثبتا يتحرى فيما يقول ، ويتثبت مما يروى ، وشهد له ابن دقيق العيد عالم قوص (من صعيد مصر) فقال : « كان أدين منى ، وأنا أعلم به » وقال عنه الذهبى « لم يكن فى زمانه أحفظ منه » ..

ولد زكى الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذرى الشامى ، ثم المصرى الشافعي بمصر غرة شعبان سنة ٥٨١ هـ ، ومات فى الرابع من ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ عن خمسة وسبعين عاما ، وطلب العلم والادب وهو صغير وتفقه وبرع ، ومن شيوخه أبو عبد الله الارباحى ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القرشى ، وأبو الحسين بن يحيى النحوى ، وعبد المجيد بن زهير ، ومحمد بن سعيد المأمونى ، والمطهر بن أبى بكر البيهقى ، ورحل فى سبيل الحديث الى مكة ودمشق وحران والرها ، والاسكندرية والقاهرة ، وتخرج بالحافظ أبى الحسن على بن المفضل بن على المالكي المقدسى ، ثم السكندرى ، أحد حفاظ الحديث الاعلام ، وأمام المذهب وتلميذ مسند الدنيا الحافظ أبى الطاهر السلفى عالم الاسكندرية الاشهر : ودرس مدة بالجامع الظافرى بالقاهرة ..

ولما أنشأ الملك الكامل الايوبى دار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة ٦٢٢ هـ ، ولى مشيختها الامام المنذرى ، وانقطع بها عشرين عاما ، التقى فيها بأئمة العصر ، كأبى الحسن الشاذلى ، وأبى العباس المرسى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وابن الحاجب ، وابن الصلاح ، وابن عصفور ، وابن عوف ، وابن سراقة الشاطبى ، ومكين الدين الاسمر ، ويكفى أن كل واحد منهم كان أمة وحده ، فى أحد جوانب المعرفة الاسلامية ، ان لم يكن كلها ، ومع ذلك التقت مشاربهم جميعا حول علم الحديث على تعايش فكرى نادر المثال فى هذا العصر ..

مؤلفاته فى الحديث

ومن مؤلفات المنذرى « الترغيب والترهيب » فى علم الحديث و « تكملة وفيات النقلة » فى ستين جزءا . وهو فى علم الرجال ، وله شرح التنبيه و (زوال الظما فى ذكر من استغاث برسول الله من الشدة والعمى) وله ايضا مختصر لصحيح مسلم ، شرحه عثمان الكردى ومحمد الاسنوى وهما من اهل القرن الثامن ، وله كذلك (المجتبى) وهو مختصر سنن أبى داود وشرحه السيوطى بعنوان (زهر الربى على المجتبى) ثم قام بتهذيبه من بعده ابن قيم الجوزيه ..

وقد نقل ابن خلكان فى (وفيات الاعيان) كثيرا عن المنذرى ، وكان يذكره أحيانا فيقول عنه (شيخنا) وأحيانا أخرى يقول (حافظ الديار المصرية) ومع ذلك فان ابن خلكان للأسف الشديد — لم يترجم المنذرى كغيره ، مع أنه توفى سنة ٦٥٦ ، وابن خلكان قد توقف فى وفياته عند سنة ٦٥٥ أى قبل وفاة

---

(١) حسن المحاضرة ..

المنذرى بمصر ، كما أن السيوطى فى تصـــــانيفه المختلفة كان يرجع كثيرا الى وفيات المنذرى ويجله ويحترمه ، ويشرح مؤلفاته كما تبين ذلك من العبـــارات التى نقلناها عنه ، وقد ذكره الكثيرون فى التراجم كابن العماد والـــكتبى وابن تغرى بردى ، وابن كثير ، والسبكى ، وابن الوردى ..

وفى الحق أن المنذرى فى كتابه « تكملة وفيــــات النقلة » يعتبر امتدادا لمدرسة الحافظ السلفى المعروفة بالاسكندرية باســم (المدرســـة العادلية) ، والسلفى صاحب (معجم السفر) و (المشيخة البغدادية) التى تضـــم وحدها أكثر من مائة جزء ، ولهذا لم تخل ترجمة عنــــد المنذرى من ذكر الامام الحافظ السلفى ، رواية عن تلميذه المقدسى صاحب كتاب (وفيات النقلة) الذى قام المنذرى بالتذييل عليه فى ســـتين جزءا مرتبة على النمط المرســـــوم ، وهو التسلسل بسنوات الوفاة الى ٦٤٢ حيث توقف المنذرى ..

سلسلة موصولة

نقول النمط المرسوم ، ونعنى بذلك استمرار هذا النهج منذ القرن الرابع الهجرى من لدن أبى ســـليمان محمد بن عبد الله ومن بعده الـــكتانى ، ثم الاكفانى ، ثم المقدسى فالمنذرى ، ومن بعـــده تلميذه عز الدين الحلبى ، وابن أيبك الدمياطى ، ثم الزين العراقى والزركشى ، والسيوطى وغيرهم ، ممن لا يحصى لهم عد ، حتى لقد ترجم البرزالى (٧٣٨ هـ) لنحو الفى شـــيخ كما كتب ابن عســاكر (معجم النسـوان) الى آخر ما قام به كبار الحفاظ والمحدثين ..

ولقد عرف المنذرى فى (تكملة وفيات النقلة) بالايجاز والاعجاز معا فى جمع البيانات الوافية عن كل ناقل ، فيذكر الاسم والكنية واللقب والمولد والمنشأ والاقامة والوفاة والرحلة والاجازة والســـــماع والمكانة العلمية والســــــيرة الشخصية والتصنيف والتأليف والاشـــتغال كل ذلك بدقة وعن ثقة ، بحيث لا يدع زيادة لمســـــتزيد ، وكان كتابه « تكملة وفيات النقلة » نموذجا يحتذى فى التحرى والتبويب وسعة الاطلاع على سابقيه فى هذا الباب ، كما كان كتـــابه (الترغيب والترهيب) نموذجا آخر فى علم الحديث ..

وظل المنذرى خلال القرون التى تلته موضـــــع الاكبار والاجلال . ومن أشهر تلاميذه الذين صاروا من بعده أساطين العلم : الحافظ الدمياطى ، وابو الحســــين اليونينى ، وابن عســـاكر ، والعلم الداودارى ، وابن دقيق العيد وغيرهم ، بينما امتدت سهام النقد الى ما قام به ابن خلكان فى (وفيات الاعيان) فقد ذيل عليه تاج الدين عبد الباقى المخزومى المكى (٧٤٣ هـ) وعقد مقارنة بين ابن خلكان وابن الاثير فرجح كفة هذا الاخير ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تمكن المنذرى من علمه وتثبته فى نقله واحاطته الواسعة بكل ما يلزم المحـدث الذى يتصدى لخوض هذا البحر المحيط حتى صار يقال على الســـنة المنصفين « ما على وجه الارض من مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الارض مجلس فى علم الحـــديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى ، وما على وجه الارض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلس أبى العباس المرسى » ..

حقا لقد كان المنذرى من جلة الاعلام فى « علم الرجال » ..

بقية زكاة الصيام

لم تجد هذه الثمالة من يقطعها عن أصحابها شربوا من الماء الآسن ، وعاشوا فى ضباب قاتم .

لهذا لا ينبغى لمخرجى الزكاة ان ينظروا اليها بعين المبالغة والاستعظام حتى لا يكتنفهم الزهو والعجب ، والزهو مهوى الضياع ، وطريق التهلكة . فما أحقهم بالتواضع ، وأجدرهم بالخجل حين يقدمون للفقراء النصاب المحدود فى أقل مراتب البذل ، وهم يعلمون أن من المسلمين من تبرعوا بكل ما لهم ، غير تاركين لأولادهم واهليهم شيئا ، وفى مقدمتهم أبو بكر .. ويرضى الله عن عائشة . فقد جاءها يوما مئة الف درهم فوزعتها جميعها على الفقراء . وهى يومئذ صائمة ، فقالت لها أم ذرة . أما استطعت فيما أنفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فقالت لو كنت أذكرتنى لفعلت .

واذا كانت الزكاة عينية فيجب ان تكون أجود أنواعها قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال أيضا (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) ناهيا ومحذرا من التصدق بالتالف والخبيث .

ولعل تطور أساليب الكسب ، وتغيز الأنظمة الحكومية . واستخدام الآلة قد غير من صفات الاستحقاق وأسقط من الحساب بعضا آخر . وامن قسما ثالثا على عيشه ورزقه . مما جعل مخرجى الزكاة فى وضع يحملهم على الدراسة والبحث عن حالة المستحقين ، ولعل أقربها الى الرضى والقبول والثواب ، اعطاء الفقراء المستقيمين الأتقياء الصادقين فى تقواهم . المخلصين فى عبادتهم . المتفرغين لتجارة الآخرة . قال الرسول صلوات الله عليه (اطعموا طعامكم الاتقياء . وأولوا معروفكم المؤمنين) وقال أيضا (لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى) .

وكذلك اعطاء أهل العلم الفقراء . لاشتغالهم بأشرف أنواع العبادة ، وقد كان رسول الله صلوات الله عليه يتعهد اهل الصفة . ويكفلهم من ماله . ويقوم على خدمتهم بنفسه اجلالا لتقواهم .

ولعل أفضل المستحقين وأحقهم بعد ذلك من صان ماء وجهه عن ذل السؤال ، ومنعته عزة نفسه من التسول . لا يسأل الا ربه ، ولا يشكو بثه وحزنه الا لخالقه . قال تعالى فى أمثالهم (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) .. فأين هؤلاء المتعففون من هذه المخلوقات التى تتخذ السؤال وسيلة للكسب ، وطريقا للعيش ، بل جادة للادخار والاثراء ، رغم تظاهرهم بالفقر واسرافهم فى مظاهره ، وقد يصبح العطاء زكاة وصلة رحم ، وذلك عندما يعطى المزكى صدقة الفطر وغيرها لقريب فقير « والأقربون أولى بالمعروف » .

وعلى الرغم من أن الزكاة حق معلوم ، فرضه الله فى أموال الأغنياء للفقراء ، دون من أو أذى . وان اخراجها أمر لا بد منه ، لتطهير راس المال من شوائب الاستثمار وأدران حب المال .

على الرغم من كل ذلك . فانه ينبغى لمستحقى الزكاة شكر المخرجين لها ، تشجيعا وتأدبا وتوثيقا لوشيجة الأخوة ولحمية الاسلام . وعملا بحديث سيد الأنام (من أسدى اليكم معروفا فكافئوه . فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم كافأتموه) وقال أيضا (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) .

اما شكر المستحقين لربهم على ما ساقه الله اليهم على يد أغنياء المسلمين فهو فى غير حاجة الى تنبيه أو حث للقيام به . فالله الخالق الرازق . وحول وحدانيته يجب أن تتجه القلوب بالعبادة وتلهج الألسنة بالشكر على نعمائه وآلائه .

قصة

خروجا بغير رجعة

للاستاذ : محمد الخضرى عبد الحميد

(ستار ينفرج . جانب من ســـــوق بنى قينقاع بالمدينة (يثرب) محال للصـاغة) .

(على الجانبين . الصائغ اليهودى يتحدث من الوسط الى أحد صنائعه)
(دافعا اليه صرة من المال) .

الصائغ : خذ . وخذ ما هو أكثر من مال . كل ما أملك أهبه راضيا قريرا ، ليكون وقودا ، ليندلع نارا تحرق ، تبيد وتدمر ، لا تبقى ولا تذر ، ويعود الحال رخيا ! .

الرجل : سيأتيك من الأنباء ما يشــفى الغلة . ان (محمدا) وصـحبه باتوا يقاسون ويلات ما أضرمناه حولهم من نيران حرب نفسية ! .

الصائغ : ماذا ؟ ! حرب نفســـية ؟ ! يا فرحتى بحروبك النفسية ! أنا أدفع ذهبا لأجل : ضروس ماحقة ، وأنت تقول لى : نفســية ؟ ! نريد نارا . لهبا . ها نحن صاغة بنى قينقاع نذكى الاوار ، ولا أوار ! نسلب العرب هنا فى يثرب ، وهناك فى مكة ، أموالهم .. ونستنزف بكل الحيل ثرواتهم ، ونغدق منها عليكم .. و : النتيجة ؟ تقول لى : حرب نفسية ! . لم لا تقومون على (محمد) ومعســـكره بغتة ، قومة رجل واحد ؟ . أيعجبكم كل ذاكم العز وتلكم المنعة ، للمسلمين ، وللاســلام ؟ !

الرجل : لا تنس أن بيننا وبين (محمد) عهدا . وصحيفة مكتوبة ، والقتل جزاء من يخرج عليها .

الصائغ : ليكن ! انا لا نقيم كبير وزن لشيء من هذا ، طالما أن الظروف مواتية ، والريح رخاء .

الرجل : دينه قوي . الاسلام . لمحمد وصحابه عقيدة خارقة القوة . آه لو انهم ليسوا على تلك الدرجة من الحفاظ والغيرة على اسلامهم ذاك ؟ ! اذن لأريناك فيهم عجبا . ومع ذلك فانك لا تنكر اننا فعلنا بهم الكثير .. اما سمعت اصداء ما تلفظ به المجالس فى المجتمع اليثربى عن بساط (محمد) الفاخر ؟ ! .

الصائغ : لا أريد أن أسمع ! . وددت أن لو (أرى) ! . بحق موسى وهارون أي كثير هذا الذى فعلتموه ؟ .. قسما بالتوراة .. لولا أن (عبد الله ابن أبى) ، وعداوته المتأصلة لمحمد ، ووقوفه الى جانبكم طموحا الى السيادة على يثرب ، لما كنتم بقادرين على أن تفعلوا شيئا . حكاية (البساط الوثير) الذى دسسنموه على (عائشة) زوج محمد كهدية ، أعرف أن (عبد الله بن أبى) هو الذى قام بها . انه موتور لسيادة (محمد) دونه باسلامه ، وبسلطانه الروحى ، تلك السيادة المطلقة التى بددت أحلام عبد الله فى أن يزين مفرقه — يوما — تاج يثرب ! واعلم أن (محمدا) غضب ، ورد الفراش المترف ، وعاد الى (الحصيرة) تنكأ أشواكها لحم جنبيه ! .

الرجل : لكن .. كاد بعض الناس يصدقون أن محمدا نزع الى الرفاهية .. حتى عمر بن الخطاب نفسه ، لولا أن (عمر) دخل عند نبيه ، ورأى بعينيه آثار الحصيرة مسطورة على جنب صاحبه ، فبكى ، لأنه استسلم لسماع اللفظ المشاع ! أرأيت ؟ تلك هى مزية الحرب النفسية .

الصائغ : كفى . ما عدت أثق بفاعلية حربكم النفسية هذه ! . النار ذات اللهب . لا تهمنا صحائف ولا معاهدات . منذ متى كنا نقيم وزنا لكلمات الشرف كأولاء البدو الأقحاح ؟ يا بنى نحن يهود . الذهب وحده دستورنا . انظر . تأمل سوقنا .. سوق بنى قينقاع الذى كان كعبة القصاد . ها هو خاو مقفر كما ترى . نافسنا المسلمون فيه بالسوق التى أنشأوها . ما عدنا نطيق تعاليم (محمد) الذى صدع رؤوسنا وافسد القوم علينا . شرف ! مساواة ! ذمة وضمير ! تقوى ! أمانة ! بسالة . أشياء غريبة يا أخى ! و .. هكذا نفقت سوقهم ، وبارت تجارتنا ! .

الرجل : لا بأس . علينا بالدهاء . لقد أشعنا البلبلة حتى بين آل بيته . ماذا تريد أكثر من هذا ؟ . ألا تعلم كم كان تدبيرا محكما أن تنتشر شائعة (السحر) الذى جعل محمدا يعتزل نساءه ؟ كان ضبط التوقيت موفقا كالعادة فقد نفثنا النفثة وهو يستنفر رجاله الى (بدر) .

الصائغ : كفى بحق التوراة . محال أن تكون اسرائيليا قحا . أعد قراءة سفر التثنية من توراتنا (اصحاح ٣٠) وستجد الكلمات تقول لك : (اضرب جميع الذكور بحد السيف . أما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك ، وتأكل كل غنيمة أعدائك ، التى أعطاك الرب الهك) ! .

الرجل : بل أنا يهودى صميم . سلاحى الخفى . الخبث والدهاء . المكر والخديعة . نشر الشائعات ، وبذر الأراجيف . تلك وسائلنا نفت بها فى العضد ، الى أن تواتينا الريح .

الصائغ : حرب نفسية ، كما تقول هه ؟

الرجل : تماما . فلا قدرة لنا اليوم على مجابهة ـــــافرة مع (محمد) . وانا معك فى انه لا اعتبار للصحيفة المكتوبة بيننا وبينه . لكن : هاك اســـلامه ينتشر ، ويظلل اقاصى البقاع ، ثم الا تقر باننا كدنا نوقع الاضطراب فى معسكر (محمد) لولا خيانة واحد منا ؟ ثم اننا نكاتب قريشـــا سرا من وراء ظهورهم .. وسـنؤلبها عليهم . ولن تكون (بدر) هى الأخيرة .. آه لولا ذلك الخائن الذى شذ من بيننا لنجحت احبولة (بسرة) ! .

الصائغ : انكم لم تحســـنوا الحبك . اخذتم الفتـــاة الجميلة (بسرة) وعاشقها الى (محمد) وقلتم : يا محمد هذا عاشق ضبطناه مع معشوقته ومعنا شـهود ، فاقض فيهما بما يراه اسلامك . أليس كذلك ؟ . لكن ..

الرجل : هو ذاك . كنا نعلم ان اسـلامه حاسم الراى يقضى برجمهما حتى الموت . حبذا لو كان قال ! لكنه ردنا الى التوراة . رحنا نلح عليه ليقول ، ولننفر قبيلة (بسرة) منه ، وهى تميل اليه والى تعاليمه ، لولا ان الفتى اليهـــودى الخائن ، الذى أصابته عدوى (المثالية) من طول صـــحبة محمد ، صـــاح فى حضرته : (يا أبا القاسم انك لصادق ، ولكنهم يحســـدونك ويحرجونك) . وهكذا ، و .. ما هذا ؟ ما هذه الضجة ؟ .. (صيحات فتية من فتيان اليهود ، منهم ابن الصائغ ، الذى دخل يقول) :

الفتى : يا ابت . قادمة اليك امرأة عربية ، محجبة ، واحـــدة من أولات الـــ .. المسلمات .

الصائغ : أين ؟ ! .. وحق موسى ان فى قلبى غصة لكل ما فيه رائحة اسلام ! .

الرجل : انى منصرف . فالقوم هناك ينتظرون . (ينصرف) .

الصائغ : انصرف انت بذهبى ، ذوب عمرى ! .. بدده على شـــائعاتك الصبيانية ، وحربك النفسية عقيمة الجدوى ! . (يشـــمر اكمامه) .. أما انا فســأجرب مع ولدى ذكائى (الحربى) قدر المســتطاع ! . هه .. أين تلك المسلمة ذات الحجاب ؟ أين هى يا ابنى يا زين الفتيان ؟

الفتى : باعت حوائج فى السوق ، واقبلت تبغى شراء حلية . قمنا وراءها بجزمة صاخبة . ها هى ذى (تدلف فتاة عربية عليها خمارها . تهم بالرجوع ، وقد لمحت الفتى الماجن الصغير . لكنها بشجاعة تصيح فيه باحتقار) :

الفتاة : أخرج أيها الشرير القذر ، والا حطمت رأسك .

الفتى : أنا فداء ســـحر أهداب العيون ! . انزعى هذا الخمار . لماذا الاسـلام يحجب عنا هذا الجمال ؟ .

الصائغ : (متكلفا) صمتا يا هذا ! مرحبا بالفاتنة البدوية . أمســـلمة أنت ؟

الفتاة : نعم ، بحمد الله ، وهـــذا المتل الزنيم راح وأضرابه يزفوننى فى السوق ، وانشأ يسخر من الاســـلام باللغو الذى لقنتموه اياه يا معشر يهود قينقاع .

الصائغ : (بدهاء) : حاشا يا أختاه ! . كيف ؟ والاســـلام عزيز علينا ،

وبيننا وبين أهله معاهدة وصحيفة مكتوبة ؟ اذهب أيها الولد ! اذهب وسأعلمك كيف تكون الأخلاق ! .. (يغمز له بعينه موحيا . يتوارى الفتى مع أترابه جانبا خارج الدكان) .. ماذا تريد الفتـــاة ؟ . اجلسى وتفحصى الحليات هناك . تخيرى منها ما يروقك ، حتى أخرج لك غيرها من كل رائع وفريد .

(تجلس الفتاة تتأمل باســـتغراق جانبا من المعروضـــات .. بينما هو بخفة تذرة ينثنى على أطراف أصـــابعه ، ويميل فيعقد طرف ردائها الى ظهرها ، من حيث لا تشعر ، وطرف الرداء الآخر شبكه بدبوس صغير الى مقعدها من خلاف .. ولما همت فجأة بالوقوف لتلتفت الى القسم الآخر ، ارتفع الثوب بغتة عنها ، فانكشف جانب من جسدها . وارتبكت فوقعت ، وهنا هلل الفتية المختبئون ، وهم يبرزون من مخبئهم صاخبين . صرخت عاليا) :

الفتاة : واشرفاه ! . واشرفاه ! . (يدخل رجل مسلم ، مشرعا سيفه) ، هاتفا :

المسلم : لبيك يا أختاه ! أهذا هو الخلق واحترام العهد يا نفايات يهود ؟ أعطنى الآن عنقك النجس . (الفتية يفرون . الفتاة تنسل بسرعة) .

الصائغ : (مولولا نائحا) : لا ! أنا عبدك . كان مزاحا . خذ مالى . كل جواهرى . كل ذهبى . لكن .. لا تقتلنى ! .

المسلم : هـــكذا يا جبان يا ابن الجبناء . ما أصـــــدق قول الله فيكم : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) . ولكن لا حياة لمثلك . خذ . (يهوى عليه بالسيف فيخر صريعا صارخا كالنساء . ضوضاء ويتكاثر اليهود من حوله ، وهو يعمل فيهم ذؤابة السيف ، لكن أحدهم يغدره بطعنة فى الظهر ، فيســـــتشهد راضيا وهو يهتف : (أشهد أن لا اله الا الله .. وأن محمدا رســـول الله) . (يفر البعض مذعورين . يعـــود (الرجل) الذى كان قد انصرف من قبل وأخذ صرة المال ، يلطم خديه نادبا) :

الرجل : ماذا فعلتم يا مناكيد قينقاع ، ألا فاستعدوا اذن لفناء ما حق لا قومة لكم بعده . لا تنفك جبلتكم التى فطرتم فيها على الشر وحب العدوان وسوء الخلق ، تدفعكم دفعا الى هلاك ناجز . المرأة المسلمةذهبت تنبىء محمدا وصحبه وجنده ، فهلموا واستقبلوا الطوفان ! (يرتعد كل اليهود) ..

ترتعدون الآن فرقا ؟ ! . فأين الشجاعة التى بها تتشـــــدقون ؟ ! قلت لكم لا تسفروا الآن ، ودعونا نحن لحفل الكيد والدس حين تحين ساعة يسفور .. ها قد صـــــارت لكم جولة ما أهونها .. لكن أولاء قوم لا يعرفون غير (النصر والسؤدد) رفيقى طريق . واضيعتاه ! واضيعتاه !

الجميع : (يرددون وراءه نائحين) : واضيعتا لبنى قينقاع ! . واضيعتا

لبني قريظة ! واضيعتا لبني النضير ! واضيعتا لكل آل يهود . (يدخل عبد الله ابن أبي) .

عبد الله : ويحكم . بدأتم بالعدوان ونقض الصحيفة . بئس الذي ينتصر بكم أو يناصركم . واضيعتا لي أنا أيضا بكم .

الرجل : (يهب منحنيا له بذلة وضراعة) : سيدي عبد الله بن ابي ! هل يعدها الطوفان ؟ هل من طريق الى (محمد) وصحبه وجنده ؟ .

عبد الله : كاد يتدفق السيل . بعد اذ قال (محمد) أن : طفح الكيل . تشفعت لكم لدى (محمد) . قلت انهم ناصرونى فاعف عنهم ، حتى أذن لى فيكم . الا تعسا لكم . جئتم نازحين فقامت لكم هنا تجارة ، صرتم بأساليبكم سادتها . الا فاخرجوا واخلوا هذه الديار . اخلوها من فحيح أنفاسكم جزاء نقضكم الصحيفة ، وايثاركم للدس والغدر والوقيعة .. اخرجوا من كل يثرب الآن . هذا هو حكم (محمد) الحليم فيكم ، وانه وايم الحق لمن أعدل الاحكام .

الجميع : انه (التيه) ثانية ! . انه (الخروج) مرة اخرى . هلموا الى القدر المحتوم .

(يلملمون بعض الحوائج ، يولولون فى خروجهم المهين . يتساندون فى تأهب لمسيرة التيه ، وهم ينسلون مطأطىء الرءوس يستدير عبد الله بن أبي وهو يضرب كفا بكف صامتا ، ثم يرمقهم بغيظ ويقول :

عبد الله : اخرجوا . خروجا بغير رجعة . يا عباد البعليم والعشتاروت . يا من تخذلون كل من يزل فيركن اليكم بشىء من ثقة .. ضيعتم أحلامى فاذهبوا وانتم الضائعون . وحقا صدق رب محمد فى قرآنه : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) .

(ويطرق عبد الله بن أبى ، وهو يقلب كفيه فى أسى يائس)

(.. وبينما تنزل الستار تدريجيا يعلو من بعيد صوت جليل الصدى ، لقارىء يتلو الآية الكريمة :)

(واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .) صدق الله العظيم .

رسالة الصيام والزكاة

« جريا على العادة المتبعة نقدم لك مع هذا العدد هدية رسالة « الصيام والزكاة » وقد زدنا لك فى هذا العام احكام الزكاة . فاحرص على هديتك التى توزع مجانا » .

الفتاوى

فى النكاح :

رجل تزوج امراة ولم تنجب منه أولادا ، فطلقها وتزوجت بغيره وانجبت منه اولادا كما تزوج هو بغيرها وأنجب منها ، فهل يجوز لأولاد احدهما أن يتزوج من بنات الآخر .

(م.ش)

الاجابة

لا مانع شرعا من زواج أولادهما لبعضهما ، ولو فرض أن الزوجة فى عصمة زوجها ولها بنت من غيره وله ابن من غيرها فلا مانع من أن يتزوج ابنه بنتها .

القتل الخطأ

انقلبت امرأة على وليدها وهى نائمة حتى مات . .
فهل عليها دية ولمن تدفعها وهل عليها عقاب آخر دنيوى أو أخروى ؟
(ع.ا.ح)

الاجابة

اذا انقلب انسان على آخر أو وقع عليه من شجرة مثلا وترتب عليه وفاته فان هذا يعتبرمن قبيل القتل الخطأ ، لأنه لم يقصد قتله — وموجبه شرعا الدية والكفارة . قال تعالى : (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا) .

وكفارة القتل الخطأ تحرير رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، وليس فيها اطعام لعدم ورود نص بذلك .

والدية مال يجب بقتل آدمى عوضا عن دمه — وتدفع لورثة المقتول حسب الفريضة الشرعية .

وليس على المرأة عقاب آخر لأنه بالكفارة والدية قد سقط ما عليها ولا يعاقب الانسان على شىء مرتين .

فى الطلاق

حدث نزاع بينى وبين زوجتى وحلفت عليها بقولى طالق ، طالق ، طالق ، بالتوالى فى مكان واحد ، وسبق لى أن طلقتها مرة واحدة من مدة سنتين واليمين الحالى منذ يومين . فما حكم الشريعة .

(ك.ع.ر — الكويت)

الاجابة

ذهب بعض العلماء الى أن الطلاق بلفظ الثلاث أو اشارة مقترنة بالثلاث

او بالتكرار فى مكان واحد يقع واحدة وقال ابن القيم : انه رأى اكثر الصحابة ـ وقد أخرج البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال طلق ركانة امراته ثلاثا فى مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديدا ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف طلقتها ، قال طلقتها ثلاثا فى مجلس واحد ، قال نعم . فانما تلك واحدة فأرجعها ان شئت فراجعها . هذا وقد كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله عليه السلام وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر يقع واحدة . وقد جرت الفتوى الآن فى أغلب البلاد الاسلامية على أنه لا يقع الا واحدة .

وبما أن السائل طلق زوجته قبل ذلك مرة واحدة فيعتبرطلاقه فى هذه المرة طلقة ثانية رجعية ، وله مراجعتها بالقول او بالفعل ما دامت فى العدة .

فى الزكاة

رجل اشترى عقارا ثم أجره شهريا وقبل أن يحول الحول على المبالغ المحصلة من الايجار ، اشترى عقارا آخر . فهل فى هذه الحالة تجب عليه الزكاة ؟

(ف.ق.و)

الاجابة

الزكاة : احد الفروض الدينية والأركان الخمسة التى بنى عليها الاسلام قال تعالى : (وآتوا الزكاة) وقال عليه الصلاة والسلام : (بنى الاسلام على خمس) الحديث ، وعد منها الزكاة فهى ركن يؤديه المسلم بمقتضى ايمانه وتدينه ومن ثم فيجب على الانسان محاسبة نفسه عليه متى ملك النصاب ملكا تاما وحال عليه الحول القمرى ـ والمعتبر فى ذلك طرفا الحول ـ فلو اشترى انسان منزلا ونوى به الاستغلال أو الاقتناء لينتفع به ، فلا تجب زكاته الا اذا اكتمل لديه النصاب من ريعه وحال عليه الحول ، أما لو نوى التجارة فتجب الزكاة على قيمته وريعه . بعد تمام الحول على ملك النصاب ، اذ انه يشترط لوجوب الزكاة فى المال ملك النصاب وحولان الحول .

فاذا كان الشخص المذكور اشترى بريع العقار عقارا آخر قبل أن يحول عليه الحول ولم ينو التجارة فليست عليه زكاة .

فى الرضاع

أبناء عم رزق أحدهما بثلاثة أولاد ذكور ، ورزق الآخر بنتا ، وأرضعت أم الأولاد البنت مع الابن الأصغر .

فهل يحل لابنها الأكبر أن يتزوج من البنت ؟

(م.ص.ع ـ السعودية)

الاجابة

المقرر شرعا أنه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب ، فلا يجوز لانسان أن يتزوج أخته من الرضاع ، قال تعالى : فى آية المحرمات : (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) الى قوله .. (وأخواتكم من الرضاعة) .

وبما أن البنت رضعت من أم الأولاد ، فلا يحل لأحد أولادها الأصغر أو الأكبر أن يتزوج من البنت ، لأنهم جميعا إخوتها من الرضاع ، لأن المرضعة أم لهم جميعا لاجتماعهم على ثدى واحد بشرط أن يكون خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر وفى سن الرضاع .

بريد الوعي الاسلامي

اشراف رضوان البيلي

تحقيق

سبق أن نشرنا فى مائدة القارىء من العدد التاسع والعشرين ان أعزل يجمع على عزل بسكون الزاى ، وان ما يدور على الألسنة من جمعه على عزل بتشديد الزاى خطأ ، واستندنا فى هذا الى القاعدة الصرفية التى تقول : ان أفعل الذى مؤنثه فعلاء ، كأحمر حمراء يجمع على فعل بسكون العين ، وأوردنا الشاهد على ذلك من الفية ابن مالك .

وجاءنا من الأخ أبو أسامة بادارة المناهج والكتب بوزارة معارف قطر انه قد ورد سماعا جمع أعزل على عزل بالتشديد وعلى اعزال فلزم التنبيه .

أم الخبائث

والأخ م.م.ح.ع من الكويت يطالب المجلات الاسلامية وخطباء المساجد ورجال الدعوة والارشاد بالرد على ما ينشر فى الصحف من الدعوة الى رفع الحظر المفروض قانونا فى الكويت على شرب الخمر وتداولها وبيعها وشرائها .

ونقول للسيد الأخ ان الدعاة الى الله لم يألوا جهدا فى بيان أحكام الله ، وتوضيح ما أحل وما حرم ، والمطالبة بوجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتحذير المسلمين من الانحراف عن صراط الله الذى وضحه لعباده ، كما أنه لا يكاد يوجد مسلم يجهل حكم الخمر ومضارها العقلية والاجتماعية والمادية .

وان الكويت البلد المسلم قد سارعت الى مرضاة الله وحماية شعبها من أم الخبائث .

وان الذين يقتلون أنفسهم بتناول المواد الكحولية الضارة والذين يحتالون على الخروج من طائلة القانون بالتهريب ، والذين يخرجون الى ما وراء الحدود ليشربوها . على هؤلاء وهم قلة قليلة . اذا لم يرضخوا للقانون ولم يستمعوا الى الموعظة الحسنة ، ان يتحملوا عاقبة جنايتهم على أنفسهم ونتيجة طيشهم ونزواتهم .

وان المبررات التى يسوقها دعاة رفع الحظر عن الخمر لا يمكن أبدا أن تقف أمام هذه الآية الكريمة « انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » صدق الله العظيم .

وبعث الحاج (ع.ع.س) مدرس التربية الفنية باحدى مدارس الكويت ــ رسالة يقول فيها :

انه يقوم بتعليم تلاميذه كيفية رسم الأشخاص والحيوانات والنباتات والجماد ، ويتقاضى معاشه على هذا العمل ، وهو فى حيرة وشك من حل عمله وحل راتبه الذى يأخذه على هذا العمل ، ومن قبول حجه الذى أنفق عليه من هذا الراتب ، ويبدى كامل استعداده وتام رضاه لترك هذا العمل اذا كان محرما ، وهو يثق كل الثقة فى الله الذى لا يضيعه ، ويؤمن كل الايمان بأن رضوان الله عليه اغلى عنده من الدنيا وما فيها .

ونحن نحيى فى الأخ هذا الحرص على الدين وشدة الخشية من الله ، ونبادر الى طمأنته لحل عمله وحل راتبه وطيب نفقته على نفسه وأسرته وحجه من راتبه ، ولا نحب بعد هذا أن نخوض مع الأخ فى متاهات هذا الموضوع الذى قتله العلماء بحثا ودرسا ، ونكتفى بالقول بأن الاسلام انما حرم على المسلم الاشتغال بصناعة التماثيل ، ورسم الصور والأشكال التى يكون موضوعها منافيا للعقائد والآداب الاسلامية كرسم العاريات من النساء أو الأوضاع المثيرة للغرائز الدنيا .

اما مجرد رسم الحيوان فلا بأس به . يقول المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الجمهورية العربية المتحدة الأسبق : ان مصور شكل الحيوان لا يوجد صورة مجسدة له ، بل انما يرسم شكله وصورته من غير تجسيم ، والصورة على هذا الوجه قد فقدت الجرم ، فليست هى صورة الحيوان التى يكلف مصورها يوم القيامة نفخ الروح فيها ــ كما جاء فى الحديث ــ لأن الظاهر أن الصورة التى يقال فيها ما ذكر هى الصورة المجسمة ذات الظل (التمثال) التى لم تفقد عضوا لا تعيش بدونه حتى تكون قابلة بذاتها لنفخ الروح فيها ، فيكون عجز المصور عن النفخ راجعا اليه ، لا لعدم قابلية الصورة للحياة .

وكذلك لا بأس برسم اللوحات والنباتات وكل شىء لا روح فيه ، روى البخارى عن سعيد بن أبى الحسن قال : كنت عند ابن عباس ــ وهو من نعلم فقها وعلما ــ اذ جاءه رجل فقال : يا ابن عباس : انى رجل انما معيشتى من صنعة يدى ، وانى أصنع هذه التصاوير (التماثيل) فقال ابن عباس : لا أحدثك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : « من صور صورة فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبدا ، فربا الرجل ربوة ــ انتفخ من الضيق ــ فقال ابن عباس : ويحك . ان أبيت الا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شىء ليس فيه روح) .

وفى هذا التأويل من ابن عباس رضى الله عنه وفى راى المرحوم الشيخ بخيت فسحة ورخصة لصاحب الرسالة وأمثاله .

قالت صحف العالم

نهج وعمل

كتبت مجلة الرسالة الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

يمكننا القول ، والثقة تملأ النفس ، أن الخطاب الاميرى قد جاء فى مستوى المرحلة العصيبة التى تجتازها أمتنا العربية وفى مستوى المسؤوليات الكبيرة التى التزمت بها الكويت ازاءها ، أميرا وشعبا وحكومة .. هذا الخطاب ليس تقريرا عاديا يتناول انجازات الحكومة وما ستقوم بانجازه فى المجالات الداخلية والعربية .. انه وثيقة سياسية رفيعة واضحة الرؤية ، مركزة الفكر ، بينة الأهداف ..

وهو الى هذا ، وفوق هذا تعبير عما يجيش فى نفوس الكويتيين واخوانهم المقيمين وسائر أبناء العروبة من آمال عريضة بصدد دور الكويت فى معركة الأمة الواحدة ، معركة فلسطين ..

فى الخطاب الاميرى نهج عمل رائده الاخلاص والبصيرة السياسية الواعية .. وهما أبرز متطلبات المشاركة فى النضال العربى الواحد .

ولعله من حق الكويت ، على هذا الصعيد بالذات — وان كنا فى مقام التباهى — أن تتبدد من بعض الأذهان فكرة خاطئة ، وهى أن التزامها يقتصر على البذل المادى . فهذا ، والحق يقال ، أضعف الايمان . ان الالتزام شامل لا انفصام بين جوانبه وهو يتناول النفس والنفيس ويقضى بعطاء الدم قبل المال . وهو الى هذا جهد ضد الاثرة والفرقة ودعوة الى اخوة صادقة مكافحة والى وحدة صف وهدف .. وكل هذا يعبر عنه الخطاب الاميرى أبلغ تعبير . وغنى عن البيان ان الكلمة المكتوبة أو المعلنة قولا عند قادتنا لها — بحمد الله — قدسيتها وشرفها ، لها الترجمة عملا حيا .. (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

فى منطق الوعى

نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى افتتاحيتها كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الذين يعيشون أحداث الأمة فيما يعترض سبيلها من عقبات وفيما يهب عليها من نسيم الخير .. الذين يحملون بعقولهم وقلوبهم همومها وآلامها ، ويقض مضاجعهم ما يكيد لها الأعداء ، وما يجنح بها عن الطريق السوى .. الذين يكونون على هذا المستوى ، وعيا لمكمن الداء ، وشعورا بالمسؤولية ، وقلقا على الغاية والمصير .. يجدر بهم أن تتسم نظرتهم الى الحوادث بالتكامل والشمول ، بمعنى أن توضع كل حادثة موضعها الطبيعى ضمن الاطار الكلى

العام ، فهى جزئية من جزئيات ينتظمها هـــذا الكلى العام ، لا حادثة مبتورة دفعتها المصادفة لا ترتبط بأصول ، ولا تصنف كجزء من كل .
والوعى الاسلامى فى كل سماته وخصائصه يحملنا الى هذه الساحة من الاعتقاد ومعه الف دليل ودليل من التاريخ القديم والحديث ومجالات الفـــكر والعمل والسلوك .. فعندما نغلق الابواب دون ربط الحـــادثة بجـــذورها وأصولها ، يكون هذا دليل أن التفكير بعيد عن التساوق والشمول ، وأن البصر حسير كليل .
وعلى سبيل المثال : مأساتنا الحاضرة لا يصح فى ميزان المنطق الاسلامى أن ينظر اليها مقطوعة عن سلسلة من الاحداث تمتد الى عدة قرون من الزمان . هذا من الناحية الزمنية .. أما من الناحية الفكرية فهى نتيجة طبيعية لنظرات معينة ينظرها الأعداء الى فكرنا وعقيدتنا ومبادئنا ، نظرات أقل ما يقال فيهـــا انها بعيدة عن كل موازين المنطق والعلم ، وهى ظاهرة عداء كثـــيرا ما تحمل هؤلاء على مجافاة الحق وكل المثل التى يزعمون أنهم أبناؤها ودعاتها .

الاسراء الجديد

وكتبت مجلة الشبان المسلمين القاهرية تحت هذا العنوان تقول :
تمر بنا هذه الذكرى والمسجد الأقصى بين أيدى اليهود ولسنا ندرى أهى غضبة الجبار على شعب أضاع العزة وافتقد مقومات المجد يوم ابتعد عن نور الحق وكتاب مبين وراح تلهث أنفاســـه جريا وراء أضـــواء المدنية الزائفة وما اقتبس منها الا أسباب العجز والضياع وما أخذ عنها الا معان الهدم والخراب فكانت الغضبة وكانت النكسة وضاع البيت وذلت أعنـــاق الرجال وعلا فوق الرؤوس علم الهوان .
أم هى الهزة للنائم الذى رقد طويلا وتخلف عن ركب القـــوة والمنعة فلما طال به السبات لعبت به أحلام الخيـــــال وعاش يتقلب بين حلم باهت وأمل موهوم حتى أراد الله للمارد أن يصـــــحو قبل أن يفوت الأوان ونحن فى عصر السباع والذئاب ولو استمر النائم فى نومته لضاع وضاعت رسالته وصارت نهبا لكل غادر ومفترس فكان ما كان وحدثت الهزة ليفيق الغـــــافل من رقدته ويعود الى سلاحه ، وسلاحه لا اله الا الله والله اكبر ، وبذا يعود مرة ثانية ليأخذ دور المعلم فى دنيا هى أشد ما تكون اليـــوم حاجة الى ما بين أيديه من أضواء وحقائق حتى تجتاز أخطر محنة تمر بها البشرية منذ وجـــــدت محنـــة الضلال والضياع .
قد يكون الأمر هذه أو تلك ، ولكنه على كل حال حادث اليـــــوم وكارثة الساعة ، وهو على كل حال دوى النفير لكل مسلم ولكل مؤمن . ان اليوم يوم الجهاد وان الساعة ساعة العمل والفداء .
وعلى المسلمين اليوم فى كل مكان حق الجهاد . جهاد النفس بشهواتها وأهوائها وعوامل ضعفها ، حق التعاون والتكاتف أمام عدو الله وعدو المسلمين حق العمل والسهر والعرق من أجل بناء الأمة القوية فى كل مكان اســـتعدادا لمعركة طويلة مريرة فالمسألة ليست مسألة مليونين من عصابات الأفاقين ولكنها مؤامرة قديمة اجتمعت لها عقول مدمرة اعتمدت على الأســاليب العلمية أعدت عدتها منذ وقت طويل وخططت لغدرها الخطط .
وبعد هذا يأتى الواجب الكبير والجهاد المقدس يأتى يوم السلاح وضربة السلاح .

بأقلام القراء

موقفنا فى ضوء القرآن

تلقينا من الأستاذ حيدر زين العابدين المحاضر بكلية الهندسة جامعة الخرطوم كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلى :

أن كنا مؤمنين بالله تعالى وبكتابه حقا فلا بد أن يكون كتاب الله مرجعنا الأول فى الملمات وغير الملمات فلنلتمس أسباب هزيمتنا فى كتاب الله ولن يخيب من يرجع لكتاب الله فى كل صغيرة وكبيرة فقد قال الله فيه « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

فى سورة آل عمران الآية ١٢٦ يقول تعالى : « .. وما النصر الا من عند الله » ونصرة الله تعالى لنا فى الحروب مشروطة بنصرتنا لله فى الآية (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والآية (ولينصرن الله من ينصره) ونصرتنا لله ما هى الا طاعته أى فعل ما أمرنا به وترك ما نهانا عنه . ولكن المسلمين اليوم كأمة خالفوا امر الله فى ثلاثة أمور هامة :

— أولها الحكم بما انزل الله وقد أمروا به .
— وثانيها العزوف عن التبشير بالاسلام ، وقد أمروا به ..
— وثالثها الركون الى الظالمين الكاذبين . وقد نهوا عنه .

لم يبق شك فى أننا سنظل من الآن فصاعدا منهزمين ما لم نطع الله ما وسعنا فنحكم بما انزل الله ونبشر للاسلام فى ديار الكافرين ونثق نحن معشر المسلمين فى بعضنا البعض ، ونتصادق ونتعامل تجاريا وصناعيا ودفاعيا اكثر مما نثق فى الكفار ، ونعاملهم خصوصا فى اعداد القوة لأعداء الله وفى عتادنا الحربى لا بد أن يكون اعتمادنا على أنفسنا أولا وقبل كل شىء .

فلعلنا معشر المسلمين نتعظ جماعات وأفرادا ونتخذ كتاب الله وسنة رسوله نبراسا لنا فى كل مسائلنا وحينئذ وعدنا الله بالنصر المؤكد ولينصرن الله من ينصره ان الله قوى عزيز .

كن هكذا

وتلقينا من الاستاذ عبد الغفار الباز من الجمهورية العربية المتحدة كلمة تحت هذا العنوان قال فيها ،

كما أراد الله للكون ان يكون جميلا غير قبيح ، نظيفا غير ملوث ، لا يجدر

بك ان تكون وانت المسلم ، على غير ما يريد الله لهذا الاطار البديع ، فكن صالحا كأحسن ما يكون الصلاح . مؤمنا كأحسن ما يكون الايمان ، وكذلك المصلح ما دام ضميره فى تيقظ . وقلبه فى وعى . ونفسه غير عطشى لما فى الحياة من رجس وما فيها من أوهام وأباطيل ، كان جديرا بأن يعيش مع الأيام وان يحيا فى قلوب الناس . ما دام فى الحياة الدنيا أناس ينهلون من عذب الحياة ويسقون انفسهم من ينابيع الخير ، مترفعين عن سفاسف الأمور ودناياها .

وهكذا مثل المصلح العظيم لا تتغير نفسه بتغير الناس ، وانما هو (كالمعدن النفيس المطمور فى باطن الأرض) لا يعلوه الصدأ . ولا يمحو صفاءه تقادم الزمن ، وما حياة الناس الا الوان متعددة !!

كل يتلون على شاكلته . ولكنها فى النفس الكريمة عطر يفوح فى كل مكان تحل فيه ، واصحاب المثل العليا من يتلونون مع الحياة كما ينبغى لهم أن تكون الحياة . لا كما تنبغى الحياة أن تكون ، فان شخصية تسيطر عليها زخارف الحياة الدنيا أشبه بريش الطير فى مهب الريح ، اما الحياة فى الدنيا فى يد المصلحين فكالحديد فى يد نافخ الكير يشكله حسبما تكون منه حاجة الطالب . غير انها فى يد المصلح فن رفيع . خالص من كل عوج وما غاية الفن الرفيع الا ان يقدم للناس حياة ابدع كأجمل ما تكون عليه طبيعة هذا الكون .

خير الشهور

ومن قصيدة بهذا العنوان للأستاذ محمد اسماعيل الميسوى المدرس بمدرسة التجارة الثانوية للبنات بالاسكندرية نقتطف الأبيات الآتية :

رمضان اقبل مشرقا وضاحا ... يهب الوجود كرامة وصلاحا
هو درة فى العام بين شهوره ... والله أوضح قدره ايضاحا
فيه الجنان تفتحت ابوابها ... لما بدا شهر الصيام ولاحا
وتنزل القرآن نورا هاديا ... يحمى الحياة وينشر الاصلاحا
هو خير دستور ، فان نعمل به ... عم السلام روابيا وبطاحا
والله فضله باعظم ليلة ... نالت به دون الشهور وشاحا
فيها الملائكة الكرام وروحهم ... يتنزلون عشية وصباحا
فرض الصيام على العباد مطهرا ... والله يرجو للعباد فلاحا

لا تبغوا سوى الله غاية

ومن قصيدة للأستاذ : مأمون فريز جرار بالجامعة الأردنية نقتطف ما يلى :

نعم صدقت عينى لقد كنت غافلا ... وانى عن الدرب الجلى بعيد
لقد اذهلتنى يا لعقلى مصائب ... اذا نزلت بالراسيات تميد
ضياع بلاد ، ثم بعد عن الحمى ... وتشتيت شمل ان ذا لشديد
ومسجدنا الأقصى تدوس رحابه ... ومسجد جد الأنبياء ، يهود
لقد ماجت الأرض الحزينة ، والسما ... يلوح بها برق هنا ، ورعود
تضج ولكن ليس فى العرب سامع ... وتحمى البلايا والجميع رقود

مكتبة المجلة

اعداد : عبد الستار محمد فيضي

الأيام الحاسمة قبل معركة المصير

فى هذه الظروف العصيبة القاسية التى تجتازها الأمة العربيـة لا بد للعرب ان يزجوا بكل طاقاتهم المادية والمعنوية فى المعركة لنيل النصر على الاعداء . ولعل مهمة التوعية فى المجـالات المختلفة والعسكرية منها خاصة من أهم عوامل رفع المعنويات وتقويتها . وفى هذا الكتاب دراسـات وافية وبحوث عميقة تفيد المدنيين والعسكريين على حد سواء .

وقد ألفه اللواء محمود شيت خطاب وقدمته وزارة الثقافة والارشـاد ببغداد ضمن سلسلتهـا السياسية التى تقدمها الى القراء العرب فى كل مكان ، والكتاب يقع فى (١٦٧) صفحة وثمنـه (١٥٠) فلسـا .

***

قـدر ورجل

ديوان شعر للأستاذ الشـاعر محمد حسن فقى ، وهو لوحة شرف نمسكها باعتزاز وفخر ونباهى بها وبصاحبها الشاعر الكبير الذى اسـتطاع بأول مجموعة شعرية يصدرها أن يخرج بشعرنا الى الآفاق الرحبة الواسعة آفاق العالم الكبير غير المحدود والديوان يقع فى (٢٨١) صفحة ، وقامت بطبعه الدار السعودية للنشر وثمنه (٥) ريالات سعودية .

***

مباحث فى علوم القرآن

من تاليف الاستاذ مناع قطان المدرس بكلية الشريعة بالرياض وهو كتاب يبحث فى علوم القرآن بما يحتاج اليه الشاب المسلم فى ثقافته مع وضوح المعنى وسـهولة اللفظ وجودة السبك وحسن الترتيب ويشتمل الكتاب على مائتى صفحة وثمنه (١٥) ريالا سعوديا وهو الكتاب الاول من سلسلة كتب « ثقافتك الاسلامية » التى تصدرها الدار السعودية للنشر .

***

ركائز الايمان بين العقل والقلب

كتاب من تاليف فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، وضعه لخدمة الثقافة الاسلامية مستهدفا فى ذلك أمرين :

أولاهما : انارة العقل والضمير باشعة الوعى ومعالم النبوة .

ثانيهما : تبديد الغيوم التى تراكمت خلال قرون الضعف من تاريخنا .

والمؤلف غنى عن التعريف ومؤلفاته التى تبلغ ثلاثين كتابا تعتبر مكتبة اسلامية قيمة تمتاز بالفكرة النيرة والعاطفة الشبوبة والاسلوب الرصين .

وهذا الكتاب يقع فى (٢٦٤) صفحة وقامت بنشره مكتبة الامل بدولة الكويت .

***

عدى بن زيد العبادى الشاعر المبتكر

كتاب من تاليف الاستاذ محمد على الهاشمى يكشف فيه عن شخصية شاعر جاهلى كبير تميز شعره بالأصالة والطبع والصدق والانسانية ، وقد تناول المؤلف بيئة الشاعر وحياته وأغراضه وفنه بما استقطره من شعره وأخباره وما درسه من مناهج شخصيته وفنه فخرج الينا بأسلوب عذب مشرق متين يجمع بين جمال الفكرة وحسن الاداء . والكتاب يقع فى (٣٢٤) صفحة وهو من نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب ــ سوريا ، وثمنه (٥٠) قرشا سوريا .

***

تاريــــخ الكــويــت

تالفت من قبل لجنة رسمية لكتابة تاريخ الكويت برئاسة سعادة الشيخ صباح الأحمد الصباح وعضوية كل من الأستاذ عبد الحميد الصانــع . نصف اليوسف النصف . أحمد البشر . عبد العزيز الصرعاوى . بدر الخالد البدر . وسكرتيرية الأستاذ ابراهيم الشطى .. وهذا الكتاب الذى صدر فى هذه الأيام هو أول انتاجها ، وقد قام بتاليفه الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه أستاذ التاريــخ بالجامعة الأردنية على نهج علمى جديد ، وهو مكون من (٣٨١) صفحة مزودة باللوحات التاريخية ومطبوع طباعة فاخرة فى مطبعة حكومة الكويت .. وفى انتظار الجزء الثانى ..

***

الامــام عــلى

للأستاذ روكس بن زائد العزيزى وهو الكتاب الذى اشترك فى المباراة الكتابيــة عام ١٩٦٦ حول شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

وكتب مقدمة الكتاب الأستاذ جواد شبر ، والكتاب يقع فى (٢٢٧) صفحة ، وقامت بطبعه مطبعة النعمــان بالنجف ــ العراق .

***

مفكــرون وأدبـــاء

كتاب من تأليف الأديب المعروف الأستاذ أنور الجندى ، تحدث فيه عن تسعة وثلاثين مــن الأدباء العرب المعاصرين الذين لمعت أسماؤهم فى هذه الفترة من خلال آثارهم ، ويقع فى (٢٩٦) صفحة ، وقامت بطبعه ونشره دار الارشاد بيروت ــ ص. ب (٤٣٤٧) .



الكويت : تفضل صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الجديد لمجلس الامة وقد

= تفضل صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الجديد لمجلس الامة وقد القى سموه توجيها كريما ثم القى سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء البيان الاميرى .

= بعث سمو أمير البلاد المعظم برقية الى رابطة العالم الاسلامى ردا على برقيتها الى سموه ، يؤيد فيها القرار الذى اتخذه مؤتمرها فى اعلان الجهاد من أجل قضية فلسطين واعتبارها قضية عربية واسلامية .

= زار البلاد السيد محمد عقال رئيس وزراء الصومال ، وقد صدر بيان مشترك عبر فيه الجانبان الكويتى والصومالى عن العلاقات الطيبة التى تربط بين البلدين المسلمين .

= تلقى معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية مذكرة هامة من رئيس المجلس الاسلامى الأعلى بالجزائر فى نطاق الاتصالات الجارية بين الهيئات الاسلامية لتعبئة الجهود لاعلان الجهاد المقدس .

= زار الكويت وفد من الوزارة اليمنية الجديدة لشرح خطة العمل القادمة ، لاحلال السلام فى ربوع اليمن .

= تقرر تأجيل مؤتمر وزراء التربية العرب الذى كان مقررا عقده فى الكويت فى ١٩٦٦/١١/١٨ م . لبحث توحيد مناهج الدراسة فى الدول العربية .

= صرح سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع بان اسرائيل ستكون مخطئة اذا فسرت محاولات العرب للوصول الى حل سلمى بأنها تعنى أنهم عاجزون عن الدفاع عن أرضهم وحقوقهم .

= فى منتصف شعبان هطلت أمطار غزيرة لم تعهدها الكويت منذ سنين .

القاهرة : تستعد وزارة الأوقاف لاقامة احتفال اسلامى كبير فى القاهرة والاقاليم فى ليلة القدر من شهر رمضان بمناسبة مرور (١٤) قرنا على نزول القرآن الكريم .

● صرح السيد محمد عقال رئيس وزراء الصومال أثناء زيارته للقاهرة ان ملايين الصوماليين يقفون الى جوار أشقائهم العرب لا كاصدقاء أو اشقاء وانما كأصحاب قضية .

● قرر المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين تعميم هذه الجمعيات فى المدن بدلا من عواصم المحافظات وحدها .

● ستصدر جمعية المحافظة على القرآن الكريم سلسلة جديدة من الكتب الاسلامية بعنوان (كتب قرآنية) .

● تقرر الافراج عن الف من المعتقلين فى قضايا الاخوان ومئات من الذين تحددت اقامتهم بسبب قضايا الاقطاع . كما رفع العزل السياسى عن أكثر من ألف شخص .

● ستوفد وزارة الأوقاف مائة من مشاهير القراء الى البلاد الاسلامية لاحياء ليالى شهر رمضان المبارك .

الرياض : قام جلالة الملك فيصل فى احتفال كبير بازاحة الستار عن الغطاء البلورى الذى وضع على حجر سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ازالة البناء الذى كان يحيط به .

• استقبل جلالة الملك فيصل السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة للتباحث فيما يهم البلدين ، وتم الاتفاق على تشكيل لجنة وزارية بين البلدين تتولى معالجة اى موضوع يطرا بينهما .

• اجتمع المجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى ووجه نداء الى العالم الاسلامى بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج أعلن فيه الجهاد المقدس ونبه الى ان قضية فلسطين عربية اسلامية . وتلقت رابطة العالم الاسلامى برقيات تاييد من سمو امير الكويت وحاكمقطر ودبى ردا على برقياتها .

• زار البلاد الرئيس شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية وصدر بيان مشترك عقب انتهاء الزيارة .

العراق : زار العراق الرئيس اللبنانى شارل حلو. وقد اجرى مباحثات هامة مع الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف حول الوضع العربى والدولى الراهن .

× صدر قرار بالافراج عن بعض المحكوم عليهم من ابناء الشمال .

× يقيم الرئيس اليمنى السابق عبد الله السلال فى بغداد .

الأردن : افتتح الامير حسن ولى العهد الدورة الاولى لمجلس الأمة فى اول نوفمبر الماضى وقد قرر نظام التجنيد الاجبارى وأعلن انه يجرى اعادة تنظيم القوات المسلحة الاردنية وتزويدها باحدث الاسلحة .

= يوالى الفدائيون العرب مقاومتهم للاحتلال الصهيونى وقد احدثوا منذ أول أكتوبر الماضى حوالى ٢٥ غارة على المستعمرات الاسرائيلية . وقد قامت معركة بينهم وبين الجيش الاسرائيلى فى منطقة الخليل أسقطوا فيها ثلاث طائرات هليوكبتر وأعطبوا بعض الدبابات والسيارات المصفحة .

= تقوم السلطات الاسرائيلية باجبار المواطنين فى غزة على مغادرتها الى الضفة الشرقية لنهر الأردن وتلزمهم بالتوقيع على بيانات عبرية دون أن توضح لهم مضمونها .

اليمن : عزل الرئيس السلال فى انقلاب قامت به القيادة العامة للقوات المسلحة وقد كون مجلس جمهورى من ثلاثة أعضاء يتولون رئاسته بالتناوب وقد استقال السيد نعمان من عضويته وسيبدا المجلس تحقيق المصالحة الوطنية وانهاء الحرب .

• قام رئيس الوزراء محسن العينى بزيارة للقاهرة كما قام وفد يمنى بزيارة البلاد العربية .

السودان : اجتمع الرئيس الأزهرى مع رئيس جمهورية اوغندا لبحث العلاقات بين البلدين تمهيدا لاجتماع يضم رؤساء دول وسط افريقيا .

المغرب : زار البلاد الرئيس هامانى ديورى رئيس جمهورية النيجر وقد اجرى مع جلالة الملك الحسن مباحثات استهدفت تحسين العلاقات بين البلدين وقد صرحا بأن انسحاب القوات الاسرائيلية شرطضرورى للسلام .

الجنوب العربى : حصل الجنوب العربى على استقلاله يوم ٢٢ نوفمبر الماضى .

• جرت حوادث مؤسفة راح ضحيتها الكثير فى قتال بين الجبهة القومية وجبهة التحرير لاستلام السلطة وقد سلمتها بريطانيا للجبهة القومية وحدها بعد أن أيدها جيش الجنوب العربى !!

أخبار متفرقة :

لندن : أقيم فى لندن ابتداء من ١٠ نوفمبر الماضى أسبوع للثقافة العربية والقومية لشرح قضية فلسطين وخصصت حصيلة المشروع لصالح اللاجئين العرب .

الهند : أعلن الرئيس الهندى ذاكر حسين فى مؤتمر حكام الولايات الهندية أن وفد الهند فى الأمم المتحدة اتخذ موقفا يهدف الى ايجاد حل لقضية فلسطين دون المساس بالكرامة العربية .

• اجتمع فى الهند مؤتمر دولى ضم مندوبى نحو ٧٠ شعبا من أجل تأييد حقوق العرب .

قبرص : قام صدام مسلح بين القبارصة الأتراك وقوات الجيش والبوليس القبرصى .

اقرا فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص . ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كردى ص ب : ٣٠٣

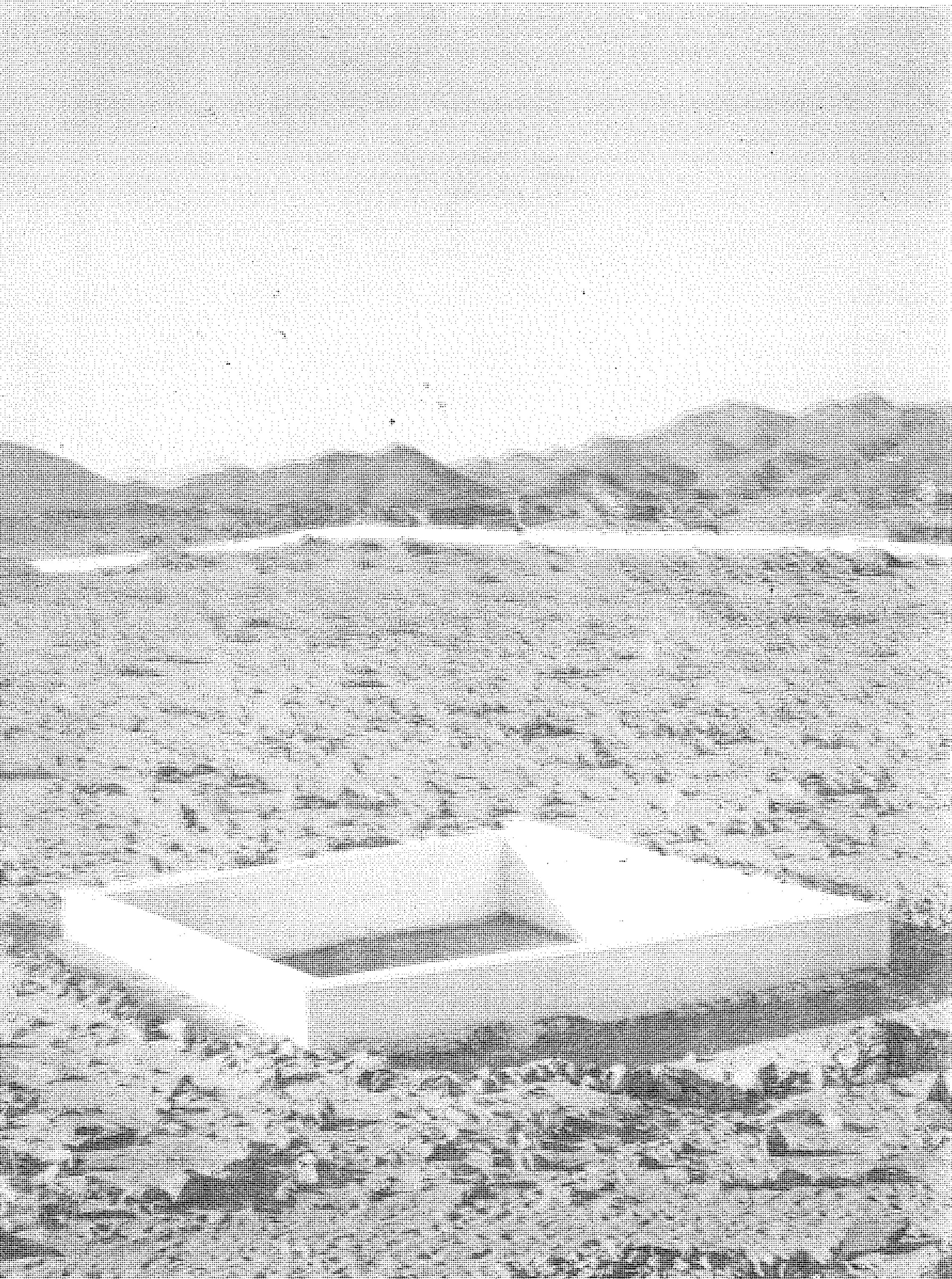
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



هنا يرقد فـي فراديس الجنـات الشهداء فى غزوة بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدان أزيلت القباب التى كانت فيها .

تصوير : عزمت شيخ

ابع مؤسسة فهد المرزوق ـ الكويت

الوعي الإسلامي

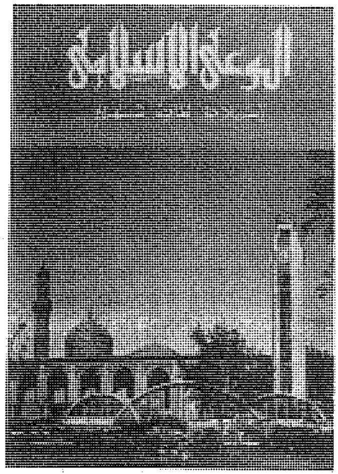
السنة الثالثة — العدد الرابع والثلاثون — غرة شوال سنة ١٣٨٧ — أول يناير سنة ١٩٦٨ م





سمو الأمير المعظم يقابل بالبشاشة وبعاطفة الأبوة جموع المواطنين الذين
وفدوا الى الديوان الأميرى لتهنئة سموه بحلول شهر رمضان المبارك .

صورة الغلاف



« صورة لمسجد الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه بمنطقة الاعظمية فى بغداد »

تصوير « عزمت شيخ »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ

اول يناير سنة ١٩٦٨

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

عيد !! باية حال عدت يا عيد ؟

وجواب السؤال نعرفه ونحسه ونعيش فيه .. والعيد يوم يعود لنا كل عام ، نستقبله بالبشر والسرور كما نستقبل المسافر الحبيب عندما يعود .. وهو كذلك في ظاهره للناس .. ولكنه قد يكون عند بعضهم مثيرا لذكريات مرة .. يلبس أهلها السواد ، ويعلوهم الاكتئاب ، وتتساقط دموعهم ، وتتفطر قلوبهم على عزيز فقدوه ، او عائل لهم لم يجدوه .. او حال طرا عليهم لم يتعودوه ..

ولقد عشنا كثيرا من الأعياد .. كنا صغارا ننتظر قدومها ، لنفرح بها ، لا يهمنا الا لبس الجديد ، ومصروف العيد .. كنا نعيش باحساسنا الذاتي القاصر ، فلا يمتد خارج نفوسنا ، ولا يعنى بامر غير امرنا .. ولربما كنا نفرح ونقفز هنا وهناك ، مزهوين بما نلبسه من جديد ، وما تعمر به جيوبنا من نقد غير معهود ، ومن حولنا من الكبار مهمومون بامورهم ، غارقون فى شجونهم !

حتى اذا كبرنا وفهمنا ، وادركنا مسئولياتنا ، ونما فينا الاحساس الجماعى ، تحول العيد في نفوسنا من مظهر الى مخبر ، ومن مادة الى معنى ، واتسعت دائرته ، فلم تعد كما كانت شخصنا ، او حتى شخص المحيطين بنا من اهلنا ، او من جيراننا وسكان قريتنا ، بل امتد قطرها وترامت اطرافها ، حتى ضمت كل انسان جمعتني به عقيدة ، او وصلني به امل أو الم ، وصرت كلما جاء العيد لا أنظر الى ما البسه من الثياب ، ولا الى ما فى جيبي من المال .. ولكنى انظر الى من حولي ، ومن اتصل بهم احساسى وقلبى ، واعيش معهم فى يوم العيد ، قريبين كانوا أم بعيدين ..

هذا معنى ادركته ، وغذاه الاسلام فى نفسى وقواه ، حين علمنى ان المسلمين جسد واحد ، اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. فما مر على عيد الا تذكرت فيه المحرومين من مباهجه ، وشعرت — وانا ارى البعض منا يمرحون ، ويتيهون بما يملكون أو بما يلبسون — ان الأمة الاسلامية فى عيدها تلبس ثوبا مرقعا ، وتمشى بين الأمم تتوكا على عصا !!

فكيف اذن تشعر بالعيد ، وتحس الفرحة به كلما عاد ؟ !

ان الأسرة فينا حين تفقد عزيزا عليها ، ويمر على فقدانه شهور ، ياتى العيد فيذكرها به ، ويوقظ مصيبتها فيه ، ويجدد حزنها عليه . فتتحاشى مظاهر العيد السارة . وربما تهيأت لاستقبال المعزين فيه من جديد ..

بينما ترى أطفالها حولها يمرحون ، لا يشعرون بشىء مما يعانيه الكبار ..

ولقد كان اجدادنا العرب قديما — اذا اصيبوا بنكبة — يحرمون على انفسهم كل انواع المتع ، ويمضون أيامهم كلها يفكرون ، ويعملون للانتقام لانفسهم ، حتى تتهيا لهم الفرصة ، فينقضوا على عدوهم ، ويأخذوا بثارهم ، ويستردوا مكانتهم .. وحينئذ يفرحون ، ويعوضون بفرحتهم فى أيام — بل فى لحظات — تلك الأيام الحزينة التى مرت بهم .

فكيف اذن نستقبل نحن العيد الآن ؟

ان طريقة استقبالنا له ، هى فى الحقيقة امتداد مضاعف لطريقة حياتنا الأيام والشهور قبله ، وكلاهما يعكس صورة تفاعلنا مع احداثنا ، ومدى

احساسنا بهذه الحوادث ، وتأثيرها على مجرى حياتنا .. ثم هي في النهاية تعبير صادق على ما وصلنا اليه من نضج ، وما حصلنا عليه من وعي ، وما نتخذه من مقاييس لتقييم حياتنا ، وما يعترضنا فيها من عقبات أو نوازل .

ان أي انسان يمكن أن نزنه وزنا دقيقا بكيفية تلقيه لأحداثه ، وتصرفاته ازاءها .

فهناك من تفقده الأحداث صوابه ، ويصاب بصدمة يختل فيها توازنه ، فلا يعود صالحا للعيش في تيار الحياة فيعزل عنها في مصح ، يسترد فيه اعصابه وتوازنه ، أو يقضي عليه فيه ..

وهناك كذلك من تفقده الفرحة توازنه ، فلا يتصرف تصرف العقلاء ، ولكنه يشتط هناك وهناك ، وقد يكون مصيره كذلك الى المصح للعلاج .

وهناك عدا هذا وذاك ، انسان يعلو بعقله واتزانه وارادته على مستوى الأحداث ، فيملكها ولا تملكه ، ويسيرها ولا تسيره ، ويظل صاحب السيطرة عليها ، لا تذهب الصدمة بلبه وعقله ، ولا تطغيه الفرحة أو تسوقه للاستهتار .

والأمم في ذلك كالأفراد ..

فاذا كان الانسان الذي ينطلق بالضحك والقهقهة ، ويعنى بزينته ومباذله في جو الحزن والكآبة . أو اذا كان الانسان الذي ينفجر بالبكاء والصراخ ، ويلتزم مظاهر الحداد في جو الفرح والسرور ، اذا كان هذا أو ذاك انسانا شاذا غير متلائم مع طبيعة الأمور ، ولا مع منطقها ، وهو الى الجنون أقرب منه الى العقل ، فان الأمة التي تقيم الأفراح وتنصرف الى الملاهي ، وتعكف على الملذات ، وهي مصابة في سمعتها وكرامتها ورجولتها هي أمة فاقدة الرشد ، مسلوبة الوعي ، وهي تمثل بموقفها هذا دور الصبي الذي فقد أباه ، وخيم على بيته جو الكآبة والحزن ، وملأه الصراخ والعويل ، فلم يدرك شيئا من ذلك ، بل انطلق الى لعبه واخذ يلعب بها ، ويجمع أقرانه كما كان يجمعهم كل يوم ، ليلهوا معا ويلعبوا ، ويجروا هنا وهناك وسط الباكين والمعزين .. دون أن يدرك الصبي ما حل به ، وبمستقبله ومصيره بعد مصيبته في أبيه !!

أخي .. هل نرضى لأنفسنا أن نكون أمة على شاكلة هذا الطفل ؟

.. ثم هل تضيق ذرعا بهذه النغمة الجادة الحزينة في يوم العيد ؟

لا يا أخي ، لا تضق .. فانت مسلم عربي لا ترضى الهون ، ولا تقعد بك همتك عن معالي الأمور ، ولا تقبل أن تظل حيا تلعق الصبر ، وتسمع من هنا وهناك شماتة الشامتين ، وتفاخر هؤلاء الأراذل الأفاكين . ولطالما تغنيت بقول شاعرنا :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم   تحت طعن القنا وخفق البنود

الا وان للكرامة ثمنها الغالي ، لا يدفعه فرد ، ولا دولة من دول المسلمين وحدها ، وانما يدفعه المسلمون جميعا ، والعرب في مقدمتهم بذلا وتضحية ، وهم ان صدقوا الله صدقهم ، وان نصروه أعزهم ..

ماذا يقول بعضنا لبعض في يوم العيد ، وقلوبنا مجروحة . واخواننا في العراء ، وأرضنا محتلة ؟ !

تذكر هذا كله وأنت تصافح أخاك ، وتذكر معه اسلافا لك كانوا رجالا مؤمنين ، أشاد الله بهم ، وهو يقول عنهم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وانتظر معي يوم عيدنا .

المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

الاختبار الإلهي

عن اسامة بن زيد (١) رضى الله عنهما قال : ارسلت ابنة (٢) النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، أن ابنا لى قد قبض (٣) ، فارسل يقرىء السلام ويقول : ان لله ما اخذ وله ما أعطى ، وكل عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب (٤) فارسلت اليه تقسم عليه لياتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال (٥) فرفع (٦) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ونفسه تتقعقع (٧) قال (٨) ، حسبت انه قال ، كانها شن (٩) ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله : ما هذا ؟ (١٠) ، قال هذه الرحمة (١١) جعلها الله فى قلوب عباده ، فانما يرحم الله من عباده الرحماء (١٢) .
(رواه البخـــارى) (١٣)

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ الحياة الدنيا ممر ، والدار الآخرة مقر ، (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) ، والأيام تمضى بنا سراعا الى نهاية محتومة ، وكل راحل غير مقيم ، وسائر الى لحده طال به الزمان أم قصر ، وهذا من البدهيات التى لا تحتاج الى طول بحث واستقصاء وقد تكلم العلماء كثيرا عن الموت ، لأن من الناس من أهمتهم الحياة الدنيا فأخذوا يعملون لها عمل الخالدين ، ويستمسكون بها كأنهم لن يفارقوها ، ومثل هؤلاء تصدر عنهم فعال شائنة يربد لها وجه الانسانية ، تراهم يتكالبون على المتاع الزائل ، ويدخلون اليه من كل باب ، ولا يضيرهم أخالفوا قوانين الاخلاق أو وافقوها ، كما لا يهتمون باجابة داعى الله أو مجاهرته العداء ، وقد لا يجدى معهم قول ولا ينفعهم توجيه ، يعادون ويصادقون ، ويتفقون ويختلفون حسب هواهم ومقتضى منفعتهم العاجلة ، أولئك الذين أصمهم الله

---

(١) هو الحب ابن الحب (هكذا كان يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى المحبوب ابن المحبوب للنبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

(٢) اختلف الرواة فى تعيين اسمها رضى الله عنهن جميعا .

(٣) قد قبض : أى فى حالة مفارقة روحه للجسد وتسمى (حالة النزع) ولها علامات ودلائل يدركها بعض الناس ممن سبروها ، وان كانت تلك العلامات غير قطعية دائما ، ولم يكن الصبى قد فارق الحياة فعلا بدليل أنه جاد بنفسه بين يدى جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) ولتحتسب : أى تطلب ثواب صبرها من الله تعالى على مفارقة ولدها ، وهذا يجعل فى ميزان عملها الصالح يوم القيامة .

(٥) رجال : لم يسمهم الراوى ، اكتفاء بمن ذكروا منعا للتطويل ، أو لم يعرف أسماءهم جميعا فاكتفى بمن عرف .

(٦) فرفع اليه : وفى رواية أنه وضع فى حجره الشريف .

←

وأعمى ابصارهم ، فلا مقال لنا معهم ولا حديث ، وانما هو الشرح والتوضيح (انما عليك البلاغ وعلينا الحساب) .

٢ — مرت بالشرق عصور اسىء فيها فهم دعوة الدين — والدين عند الله الاسلام — الى الايمان بالاخرة ، فتواكلوا ، وتوانوا وتخاذلوا حتى وهنوا وضعفوا ، وتلاشوا أو كادوا واغتنم الفرصة السانحة غيرهم فوثب عليهم فى غفلة منهم ، واستولى على مقدراتهم ، بأساليب وطرائق قددا ، ولو انهم ادركوا الحقيقة — لا اقول المستترة — وانما الواضحة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، وهى أن الايمان بما عند الله يستوجب الاهتمام بالعمل الدائب فى الأيام القصيرة التى يقضيها المرء على ظهر البسيطة ، فيجب أن يفنى فى الله ، ومعنى الفناء فى الله أن يؤمن بقضائه وقدره خيره وشره حلوه ومره ويعمل جاهدا آناء الليل وأطراف النهار لخير الانسانية ، فيبحث ويدقق ويكشف ويبدى ويعيد حتى يصل الى بعض اسرار الكون الخافية ويجاهد وان لاقى فى الجهاد عنتا والما وشدة ، فكل عمل ، يقوم به نقيرا أو قطميرا ، أو يضيع لبنة فى بناء انسانية فاضلة يحتسب له عند الله ولا يضيع سدى ابدا (ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا) .

والمؤمن بالآخرة حقا وبلقاء الله صدقا لا ينى ولا يتكاسل ولا يتقاعس عن خير أبدا ، يجعل حياته الدنيا كفاحا متواصلا وعملا جادا وسعيا حثيثا للوصول بالانسانية الى أسمى ما تصبو اليه فى الماديات والمعنويات فاولئك الكاشفون لأسرار الكون لهم عند الله اجر عظيم متى حسنت نياتهم وعملوا صالحا ، وتوضيحا لما اقصد اليه أضرب مثلا ، ولا مثل عندى ولا اسوة اعظم من المثل العليا التى رسم طريقها لنا أولوا العزم من الرسل ، فهم الصفوة والقدوة للانسانية التى يعز وجودها ، سلكوا كل دروب العمل فى ضنى والم وشدة ومشقة ولين حينا وعنف أخرى ، ليقودوا الناس قيادة حسنة صحيحة منظمة منتجة فعالة ، بتوجيه من العلى الكبير العزيز الحكيم ، يرجون ما عند الله واليوم الآخر ، ولا ننسى عقلاء البشرية والصفوة بعد الرسل ممن سلكوا طريقهم وانتهجوا نهجهم .

٣ — ويخطىء من يظن أن دعوة السماء دعوة اتكالية حين ترد عبارات متشابهة مشكلة لا يرقى الى حلها العقل القاصر الحادث المخلوق ، ولا هى دعوة متناهية بزمان أو مكان ، وانما هى دائما مستمرة ، وحامل المشعل جاد السير ، وحادى العيس لا يتوقف بابله فى صحراء الوجود ، ولا يتوانى حتى يدركه الظمأ ، ويلاحقه فناء القوت ،

---

(٧) تتقمقع : تتحرك وتضطرب ، وهى حشرجة الموت .

(٨) قال : أى الراوى عن زيد ، حسبت أنه قال ، اى أسامة .

(٩) كأنها شن : الشن يطلق عند العرب على القربة الخلقة (القديمة) اليابسة ، يحركها الريح او محرك فتحدث صوتا معروفا ومن أمثالهم المعروفة (ما هذه القعقعة بالشنان !) ، وما هذه الوعوعة باللسان !) وتتخذ القرب من جلود بعض الحيوانات .

(١٠) ما هذا ؟ : يشير الى ما رآه من الدمع يترقرق فى عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فاضت بالدمع عيناه الشريفتان .

(١١) هذه الرحمة : اى أن ما تراه أثر من آثار الرحمة وهى الرقة والقلب الحانى العطوف ، لا المعترض على قضاء الله وقدره .

(١٢) الرحماء : وفى رواية أخرى الراحمون يرحمهم الله ، والراحمون من فيهم اصل الرحمة ، لأن القساوة والفظاظة والغلظة صفات لا يحبها الله ، تبارك وتعالى .

(١٣) رواه البخارى فى باب (تعذيب الميت ببكاء أهله) .

وانما يسير حثيثا مهما لاقى من زوابع الصحراء ،وثورة رمالها وضياع معالم طريقه فيها ، والعاقل يردد دائما : ما دمت فانيا يوما ما فليكن فنائى فى صالح الانسانية وما دمت راحلا ولا مناص فليكن رحيلى فى اكمل صورة واقوى مسير ، ولهذا عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يحاولون ترك الحياة لغيرهم جبنا وضعفا ، وبين ما أعد الله لهم من السعير والنكال يوم القيامة .

هذا عالم يقضى ليله باحثا دارسا فاحصا فى الوجود حوله حتى يخرج على الملأ بأسرار من عجائب الكون مما اكنه الله فيه ، هل يستوى هو ومن يؤثر الراحة والدعة ، ومن ينام ملء جفنيه غير مبال ولا عابىء الا بمعدة امتلأت او خوت ، وشهوة ظمئت أو ارتوت ، هل يستوى من يقضى على الآلام الحسية والمعنوية بالدلالة على ادوائها الناجعة وعلاجها الحاسم مع غر جاهل غلف لا يدرك ما يدور حوله ، مدعيا أنه ما دام فانيا فلا حاجة الى مقاساة البحث عن حلول المشاكل وطول العناء فى معالجتها .

الفاقه لدعوة السماء فقها حقيقيا يجد ولا ينى ، لا يهن ولا يلين ، لا تزيده الشدة الا صبرا وجلدا ، يصقله الابتلاء صقلا عجيبا ، والرمح لا يستقيم الا بالنار .

والزاعبية لا يقيم كعوبها
الا الثقاف وجذوة تتوقد

فكلما ضاق الأمر اتسع ، وقديما قيل : (اشتدي أزمة تنفرجي) ، وكيف يميز الناس الخبيث من الطيب الا بالكوارث والنوازل ، لا يطير لهولها لب الحليم ، وانما يصمد الصنديد المؤمن الجاد الثابر ، تزيده الخطوب قوة على قوة ، والمشاهد فى العوامل الطبيعية والمظاهر الكونية البدائية أن الغبار يثور ويتطاير لأنه خفيف ضعيف لا يستطيع الصمود لكر الريح الرخاء بله الصرصر العاتية .

كريشة فى مهب الريح طائرة
لا تستقر على حال من القلق

بينما الجبال الرواسى لا تنال منها الأعاصير الهوج ولا تزحزحها العواصف ولا القواصف .

٤ — لم اذهب بعيدا عن معنى الحديث الشريف ، فالحديث فى جملته يدعو الى الصبر عند الشدة والتسليم لله عند البلاء ، وليس معنى التسليم الالتزام ، وانما الصمود والسعى الى جولة جدية جديدة والباحث فى معمله او مختبره كلما تعقدت معه بعض المواد اضاف اليها جديدا او خالف بينها حتى يصل منها الى ما يريد ، وقد لا يصل فيجىء سائر على دربه فيصل ، وهكذا الرقى فى مدارج الانسانية الكاملة ، واحيانا تضعف المواد موضع الدرس فتلين طبيعتها امام تصميم العالم الثابر ، فتبدى له من اسرارها ما لم يكن فى حسبانه ، وهذا ما كان مع كثير من العلماء المكتشفين ، بحثوا عن شىء يهدفون اليه راسا ، فانكشف القناع لهم عن ما هو اهم واجدى على الانسانية .

ولو أن من مات له ولد او فارقه حبيب ، مات غما وفنى كمدا لأضاع الموجود فى غير طائل ، واهمل ما يستحق الاهتمام فى غير نتيجة ، ولو ان الأم قضت مع وليدها لهلك من بقى لها من ولد ، ولكن لو صبرت واحتسبت لأدركت أن من مضى مضى ولن يعود ، وأن من بقى بقى الى اجل لن يطول مهما طال ، وكل بقضاء الله وتقديره .

٥ — نخلص من كل هذا الى ان المصائب من أعظم دروس الحياة اختبارا للرجال ، فالقوى المؤمن لا يطيش عقله لنازلة ولا تهن قوته لحادثة لأن الحياة اخذ واعطاء ، وكفاح ونضال (ولله ما اخذ وله ما أعطى) وتلك اختبارات يفوز فيها المتماسك الجلد الصبور ، ويرسب الخوار الضعيف الواهن

وما من مشكلة الا ولها حل ، ولا معضلة الا ولها من يزيلها ، ولو أن ريح الحياة أجرت رخاء دائما ، ما نما زرع ولا اثمر شجر ولا تفوق انسان ، ولتساوت الأقدار اقدار الرجال ولما عرف القاعد من المجاهد .

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

والتاريخ يحدث ولا احب الى من تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، يحدث تاريخه الشريف انه كلما اشتد عليه قوم صمد وبحث فى المأزق عن مخرج مستعينا بربه متوكلا عليه ، حتى أرسى قواعد الخير ووضع أسس حضارة انارت الدنيا وانتجت حضارات يقف أمامها العلماء العقلاء مشدوهين ، يأخذهم العجب لرجل لم يدرس كما درسوا ولم يسلك مسالكهم التى سلكوا ، ولكن كان هذا لا مثيل له ولا ضريب فى أبناء آدم جميعا ، ولا عجب فقد علمه الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

٦ — بعد هذا : نجد فى الحديث الشريف أشياء وأشياء ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوذ به عند الشدة ولا شدة عند الأم كفقد وليدها وفلذة كبدها ، ونرى رسول الله يسلم الأمر لله ويدعوها الى الصبر والاحتساب ، ولكنها لا ترضى الا أن يحضر اليها أبوها رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ويبر قسمها ، ويدخل عليها ومعه صفوة أصحابه رضى الله عنهم جميعا فترفع اليه وليدها وهو يجود بنفسه فى لحظة قاسية عند الأم يتأهب فيها ولدها لمفارقة دار الفناء الى دار البقاء وصوت نفسه تتقعقع كأنها تقول للحياة الدنيا وداعا كريما ، وتقول للآخرة مرحى مرحى ولقاء طيبا مباركا وينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الأم والى الوليد فتفيض عيناه الشريفتان بالدمع ، دموع الرقة والرحمة والعطف والحنان ، ويرى ذلك صحابى جليل مؤمن لكنه مدرك لظاهر من القول وهو عن الخافى غافل ، يدرك نهى رسول الله الكريم عن البكاء ادراكا فجا بدائيا لا ادراك الداعى المستنير ، فيقول : بكى رسول الله وقد نهى عن البكاء ، ويجىء الجواب ، ليس هذا بكاء من يشق الجيوب ويلطم الخدود ويدعو بدعوى الجاهلية ، وانما هى الرحمة وتلك كلمة مدلولها فاق غاية الخفاء ، وان كان باديا واضحا للنفوس الكريمة الطيبة الطاهرة الزكية المتصلة بالرحمن الرحيم سبحانه ، ويخرج الجميع الى حيث يهال التراب على احب الناس الى احب الناس الى الله تعالى ، ويخلص الباحث الواعى من هذا الدرس بنتائج طيبة تخدم الانسانية ، وتنير لها دروب الحياة المعتمة القاسية ، يخلص الى أن الحياة الدنيا حافلة بالاختبارات الالهية ، وان عدة النجاح فيها الصبر وهو صبر مأجور عليه اذا احتسب عند الله زادت آثاره الطيبة فى الدنيا والآخرة ، ويدرك أن المصائب مهما اشتدت فلا تلين لها قناة المؤمن بالله ولا يهتز أمام بلواتها عوده ، وانما يجابهها بصدر رحب ورأس عالية وفكر ثاقب ، ويبحث فى الخلاص منها والتغلب عليها ، وبهذا ينشأ جيل مكافح مناضل لا تزيده الرزايا الا قوة ، ولا تمنحه البلايا الا أيدا وعنفا فى مواجهتها ، والعود لا يظهر طيبه الا بالنار المحرقة (١) ، (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) صدق الله العظيم .

---

(١) اكتب هذا بمناسبة كارثة العرب الأخيرة مساهما — جهد المقل — مع الداعين الى البناء القوى الفعال ، وترك الخور والضعف والتثبيط والتواكل ، فعند الشدائد تظهر أقدار الرجال ، والله مع العاملين ولن يترهم اعمالهم والحرب دائما سجال . ومن ظن من يلاقى الحروب بأن لن يصاب فقد ظن جهلا .

ركائز التفكير الإسلامي

موقف العقل من الإيمان

٨) نطاق العقــل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسية على أصول القرآن ، التفريــق في الادراك ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة . وهذا نفس ما عرفته الفلسفــة ، وأوضحه (كانط) . فهنالك نوعان من الادراك للموجــودات . ادراك لكنــه الشيء بذاته . وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلــق عن ادراك كنــه ذاته . فالعقل البشرى قد يستطيع ادراك كنه الشيء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادى المحسوس (عالم الشهادة) أما في عالم الغيب غير المحسوس ، فالعقل يستطيع ادراك وجود الشيء بالاستدلال ويســتطيع ادراك بعض صفاته من آثار ، ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هذا مقرر لا يحتمل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كماله ، من آثاره ، بدون أن نستطيع ادراك كنه ذاته .

٩) التصور والتعقل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الذى ينبع من أصول القرآن أن نفرق بــين التعقل والتصور . وهكذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة . فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لأننا قد نعقل وجود الشيء بالدليل ، ولكــن لا نستطيع أن نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشيء الذى تعقلناه مبــررا للقول بعدم وجوده . أترانا نستطيع أن نتصور أن ورقة من ورق الســجايــر الرقيق ، الرقيق ، اذا قطعت بالتضعيف ٤٥ مرة (١) ثم ركمت صعودا فانها تصل القمر ..؟ ولكننا بالحساب البسيط يمكن أن نتعقله .

---

(١) أى مرتين ، فأربعة ، فثمانية ، فستة عشر ، فاثنتين وثلاثين فأربعة وستين وهكذا .

كان أحد أساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل ــ كالمنكــر ــ عن بعض آيــات القرآن الكريم ، ثم يدعى أن التفكير الاسلامى المعاصر مشدود الى الوراء شدا يمنعه مــن الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب أوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيــخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد رأينا ــ تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين أيدى القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم .

وقد قدمنا لك القسط الاول من هذا البحث فى عدد شعبان ونقدم لك الآن بقيته .

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

الشيخ نديم الجسر
مفتى طرابلس ــ لبنان

واذا ألقى الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون أفلا نستدل به على وجــود صانع ، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التى منها أنه عاقل وذكى وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجوده ، وتعقل بعض صفاته ، لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لأننا لم نشاهده ولم نحسه ، ولكن هل يصح ، في حكم العقل ، ان ننكــر وجوده ، لأننا لا نستطيع تصور كنه ذاته ، بعد أن تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلى القاطع ؟

١٠) غايات الأشيــاء .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسيــة على أصول القرآن كذلــك أننا محجوبون عن ادراك كل بدايات الأشياء ونهاياتها . هذا مقرر . وهكذا خلقت عقولنا . بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى في عالم المادة الذى نعيش فيه ، كمــا يقول (باسكال) . فالصوت اذا أفرط في الشدة يصم أسماعنا ، أو على الأصح لا نسمعه ، والنور اذا أفرط في الشدة يغشى أبصارنا ، بل يصعقنا كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا أفرط ، كما يمنعنا البعد . هذا هكذا في عالم الشهادة ، فكيف اذا كان الأمر الذى نريد معرفة أولياته وبداياته ونهاياته وغاياته من عالم الغيب ..؟

١١) الظن والحق .

ومن ركائز التفكير الاسلامى (ان الظــن لا يغنى من الحق شيئــا (١) وهذا هــو نفســه منطق العقل فى اثبــات الشىء ونفيــه . هنالك فرق كبير

(١) سورة يونس آيــة ٢٨ .

عند القطع والجزم ، بين الاثبات والنفى . فنحن نجزم بثبوت الشىء الذى يقوم الدليل العقلى أو العلمى القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا أن نجزم بنفى الشىء أو الخبر الذى لم يقم لدينا الدليل على وجوده . الا اذا كان تصور وجود هذا الشىء ، أو هذا الخبر ، يشكل تناقضا عقليا في الذهن ، كما يقول لايبنتز) . أما اذا لم يكن الأمر كذلك ، وكان الشىء أو الخبر من النوع الممكن ، فاننا نقف أمامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل ، فلا نقطع بثبوته عقلا ، ولا نقطع بنفيه عقلا .

١٢) نواميس الله لا تتخلف

(ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (١) وكذلك يقول العلم ان النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف . ولكن الانسان يستطيع أن يوقف تأثير ناموس بناموس آخر . ولا يقال هنا ان الانسان عطل فعل الله ، أو عطل خلق الله . ولكن يقال : ان ناموس الله تعطل بناموس الله ، كما في تأخير نمو الخلية الانسانية في الجنين ، أو افسادها ، أو تشويهها بالمواد الكيماوية ، أو بالأشعة ، كما ذكرت في سؤالك .

هذه أهم الركائز في التفكير الاسلامى النابع من معين القرآن ، وهى تكاد تكون كالبديهيات في منطق العقل ، ومنطق العلم ، ومنطق القرآن . وهى الكفيلة بالرد على كل التساؤلات والشكوك والصعوبات التى أثيرت ، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف في بعض آيات القرآن ، حتى يفهمها ، أو يكف عن تكذيبها على الأقل . ويكفى الشاب الثقيف اذا كان يسأل للاستفهام حقا ، لا للجدل والمراء (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) يكفى أن يعرض شكه على هذه الركائز ، وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذى يرضاه العقل السليم ، والمنطق القويم ، والقرآن الكريم .

في الرد بايجاز على تساؤلاتك

أ ــ أما تساؤلك عن موقف المسلم من الثقافة والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمى ، والثورة الصناعية ، وكتاب (داروين) في أصل الأنواع ، ومؤلف (ماركس) في (رأس المال) ، ونظرية (آنشتاين) في (النسبية) ، فانك تجد جوابه في الركائز الثلاث الأولى التى أوضحنا فيها أن القرآن يقدس العقل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات التى ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذى عقل سليم . يدركها ويفهمها ، ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على أساس مفهوم الحرية في الاسلام .

أما مذهب (داروين) فقد بينا فى كتابنا (قصة الايمان) (٢) ، نقلا عن (الرسالة الحميدية) انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن .

وأما نظرية (أنشتاين) في النسبية فقد بينا في قصة الايمان أيضا انها لا تتعارض مع القرآن في شىء ، لأن القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم .

ب ــ وأما تساؤلك عن خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب (داروين) في نفس الكتاب ...

ومثله سؤالك عن المعجزات ، فانك تجد جوابه في الركائز (٧ ، ٨، ٩ ، ١٠ ، ١١) . ــ فالمعجزات التى قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في

---

(١) سورة آية ٤٣ .

(٢) من أحسن ما كتب لهداية النفوس الى خالقها ولعنا نستطيع فى المستقبل تقديم عرض لهذا الكتاب القيم الى القراء ..

القرآن وحده ، ما هي في الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداهة العقل تحكم بأن الذى خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفى هذه القدرة هو الـذى يشكل تناقضا عقليـا .

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن ، فانك تجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات . لقد كان تصور الملائكة والجن ـ لعمرى ـ أكثر صعوبـة قبـل اكتشاف نواميس الضوء ... أما اليوم ، بعد معرفة أمواج الضوء وأنواعها من المنظورة وغير المنظورة ، وسلالمها الكثيرة التى يقع العالم المنظور في سلـم واحد منها فقط ، فقد أصبح من قبيل التعنت والمراء أن نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة أن هذه الأمور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ووجود الملائكة والجن انما يقع تصديقها أو تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذى ذكرناه في الركيزة (٧) وبما أنها من النوع الممكن ، ولا يحدث تصـور حدوثها أو وجودها (تناقضا عقليـا في الذهن) ، فـلا مجال للجزم والقطـع بتكذيبها .

جـ ـ وأما تساؤلك عن الآية الواردة في سورة (المؤمنون) التى تتعلـق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة .. وقولك عنها أن ظاهرها يفيد الخلق الدفعى المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الأجنة ، وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحيرك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشـر المتكرر للنطفـة فالعلقة فالمضغة فالجنين في أطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع أن نتحكم في نمو الخلية ، ونستطيع تأخيره أو تشويهها ، ونكون بالتالى المعطلين لعمل الله في الخلق ، فانك لتجد جوابه في الركيزة (١٢) ، وفي كـلامنا عن خلـق آدم ومذهب (دارون) ، وقولنا فيه ، ان الخلق يمكن أن يكون بالطريق التدريجـى التطورى ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون . واحسب أن علم الأجنة مما يؤيد هذا الخلق التطورى ، ويقدم عنه مثالا محسوسا ، وان كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله ، وليس أحدهما أدل على القدرة من الآخر .

وأما تعجبك مما يعطيه ظاهر الآية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه في الركيزة (٥) التى بينا فيها أن نهج القرآن في مخاطبة الناس انما يكون على قدر أفهامهم ومعارفهم وما كان لله العليم الحكيم ، الذى هو الخالـق فـى الحقيقة على كل حال ، ان يحير الناس ، في عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ، ونموها التطورى بقوة النواميس التى وضعها اللـه في الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ، ولا معنى النامـوس ، ولا معنـى التطور . وهذا ما قلنا عنه انه من اعجاز القرآن ، حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوى الأمى على ظاهرها ، ويفهمها العالـم الفيلسـوف في أعمـاق أسرارها .

وآخر الأجوبة عن أمر الخلية هذه تجده في الركيزة (١٢) التى قلنا فيها : ان نواميس الله لا تتخلف ، ولكن يمكن توقيف أثرها بتسليـط ناموس علـى ناموس . فنحن عندما نتحكم في نمو الخلية أو افسادها أو تشويهها لا يقال : اننا عطلنا عملية الخلق التى يقوم بها الله بيده ، ولكن يقال : ان أحد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما أراد الله في الناموسين أن يتفاعلا ، وطبقا لما أراد الله للانسان من التصرف في استعمال النواميس ، والانتفاع بها ، وطبقا لما قدره الله في علمه الازلى ، من خلق الجنين ، أو عدم خلقه . وهذا أظهر من أن يحتاج الى جدل .

د ـ وأما كلامك عن مخالفة الله لجميع الأشياء ، وعن قول القرآن عـن

الله (ليس كمثله شيء) وقولك أنت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم (كيف اومن بكائن يقال لى : انه فى الحقيقة لا يوصف ؟ وهل يكون ذهني خاليا من كل معنى أو تصور حينما أصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ الا يكون عندئذ وجود مثل هذا الاله أو عدم وجوده سيين بالنسبة الى) .

فاني أسألك ، في جوابه . ما لك يا دكتور . . .؟

انه ليبدو أنك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود . . . أو تكاد تطلقها (الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب) . .فاما أن تنكر وجود الله . . واما أن تقول بالتجسيد للاله . . واما أن تقول بوحدة الوجود . . وما احسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ، أم أجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما أجمع عليه كل الفلاسفة الالهيون ؟

الا تذكر ما قلناه في الركيزة (التاسعة) عن الفرق بين التعقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره ؟.. ثم ، الا تذكر ما قلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا في المحسوسات ؟ ثم . من الذى زعم ان القرآن قال عن الله بأنه لا يوصف ؟ أمثلك يقول هذا، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه ؟ ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن ألسنا نستطيع أن نعرفها من آثاره . . .؟ الم يعرفها (ديكارت) بعقله لما رجع عن شكه ، واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره أكثر صفات كماله (١) ؟

هـ — وأما قولك (انه يفترض في المسلم أن يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه) فغير صحيح . بل عكسه هو الصحيح . فليس في الاسلام ايمان قلبي روحاني يكتفى بالتخيل أو الالهام او التلقين أو التقليد ، دون أن يعتمد على أدلة العقل اذا نضج العقل ، وبدأ بالتفكير ، أما الذى يسمونه (ايمان العجائز) فانه ليس بالايمان الكامل الذي يقف على رجليه اذا عصفت زوابع الشك وأعاصير الشبهات . ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلى ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من أهم وأحكم مبادىء القرآن . بل ان هذا الايمان العجائزى ، (الذى نحسبه قلبيا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا) ينبع ، في الحقيقة ، من العقل الباطن الذى تكمن فيه — من غير شعور منا — أدلة العقل ، بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية الذى يتطلب العقل فيه لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بأن يكون من الظن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف ، في هذا عن ايمان المشركين وعبدة الأوثان !! . ان ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين ، لا ايمان الظن والخيال (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) واذا كان ايمان المسلم يقع أخيرا ، في القلب والضمير ، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل ، طاهرا من أدران الظنون والأوهام ، بعد أن يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذى يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ، ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجراثيم . . . هذا هكذا . ومن ظن أن في الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلى البرهانى اليقينى ، فانه يشوه معنى الايمان بالله ، الذى يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل أشكالها .

---

(١) فليس معنى الآية كما فهم الدكتور انه لا يوصف بالعدل ولا بالرحمة . بل انه يوصف بهما ولكن على أن نعلم أن الصفات التي يوصف بها غير صفاتنا نفسها التى نوصف بهـا .

« السـوعي »

صفات قرآنية لليهود عبر التاريخ

للأستاذ : صلاح عزام

ولنحاول ان نتعمق فى التاريخ لنتعرف على متابعة اليهود للدين الاسلامى حتى نستطيع ان نحكم على هذه الطائفة .. فى وضـــوح .. وعدل .. وعلى الدوام .. ومن خلال حياتهم عبر العصور لا من خلال فترة ما بعد البروتوكلات .. وفقط ..

لقد اثبتت الوثائق العلمية أن اليهود ترقبوا الدين الاســلامى .. ومطلع الدعوة المحمدية .. حتى انهم تركوا الأرض .. واتجهت عناصرهم المفـــكرة والرئيسية الى الصحراء القاحلة فى المدينة ، وبالقرب من مكة .. وزعموا أنهم جاءوا الى هذه المنطقة .. تاركين خلفهم الأرض الســهلة والبلاد الخصبة .. انتظارا لنبى سيظهر فى هذه الأرض .. فيتبعونه لأن كتبهم تنبئهم بذلك ..

قالوا هذا لقبائل العرب .. فتركوهم وشأنهم اذ انهم اهل ايمان بالله .. والعرب قوم وثنيون ..

ولكن اليهود .. بعد ان استقر بهم الأمر .. بدءوا يقيمون الحصون .. ويوســـــعون فى رقعة أرضهم .. ويعملون فيما لا يعمله العرب ، ويـــكونون الثروات ، ويتدربون على القتال واستعمال الأسلحة من داخلها ..

ولما اثار هذا شك العرب .. واستفسروا عنه .. خاصة وان أحـــدا لم يحتك بهم ، أو يحاول الاعتداء عليهم .. كانوا يجيبون بما لا يضمرون ..

اما الحقيقة .. فهى ملاقاة محمد ورســـــالته .. وحتى يمثلوا مع النبى دورهم مع المسيح .. يقاتلونه .. ويشرعون فى قتله ان استطاعوا .. لكيلا ينتشر دينه ، وليخلو لهم الجو مع الدين الجديد يصارعونه ويقتلون قادته ، ثم يقضون عليه تماما .. لأن الاسلام دين آخر .. يختلف عنهم .. وعن المسيحية وفى انتشاره وتعمقه فى النفوس .. قضاء على ما سواه ..

هكذا كانوا يفكرون .. ومن اجل هذا كانوا يعملون ويستعدون ..

ولم يتبع اليهود النبي .. ولم يؤمنوا بالاسلام .. وانما كانوا حربا عليه من اللحظة الأولى .. ودهش العرب لهذا الموقف .. حتى ليقول سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فوقف سلام بن مشكم احد بني النضير يرد عليه في سفسطة . وانتهى الأمر بهم من غير طائل ، حتى ليقول القرآن في ذلك « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .. »

وانتشر الاسلام ..

وقويت جماعة المسلمين ..

وتحرك اليهود يكشفون عن نياتهم .. ومؤامراتهم .. ويواجهون المسلمين في وضوح وصراحة بالعداء .. ويؤلبون عليهم العرب .. وينضمون اليهم في قتالهم للمسلمين ..

وفي القرآن الكريم .. وصف لخطى هذه المؤامرة المريضة ورصد دقيق لنفسياتهم ، تنبيها للمسلمين على مر الزمان لهذه الفئة .. وتحذيرا لهم منها .

ومن خلال المرور العاجل لوصف القرآن لهم ، تبرز بعض جوانب مؤامرة اليهود ضد المسلمين الأول وقد قضى الله سبحانه وتعالى على هؤلاء اليهود في حروب المسلمين معهم سواء مع بني قينقاع ، أو بني النضير ، أو بني قريظة ، واخيراً في خيبر .. وانتهت جميعها بنصر الله لدينه ، والقضاء على قوة اليهود .. وبتبعيتهم للمسلمين .. وبقيت لليهود صفاتهم كما قلنا تعريفا كاملا وواضحا للمسلمين بصفات خصومهم الألداء وطبائعهم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. »

ومن هذا المنطلق والوضع .. تجد صفات اليهود التي يحذر القرآن المسلمين منها ويعلمهم اياها .

فمن هذه الصفات الكثيرة التي ذكرها لنا القرآن الكريم :

مغرورون

انهم مغرورون .. فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الى حيث يتعبد اليهود ويتدارسون كتابهم ، ودعاهم النبي الى الاسلام فصمتوا ، ولم يتحدث واحد منهم ، ثم بدد الصمت النعمان بن عمرو ، والحارث بن زبير اثنان من أحبار اليهود ليسألا سؤالا غريبا : (على أي دين انت يا محمد ؟)

فيقول لهم الرسول (على ملة ابراهيم ودينه ..)

فيجيبان : (ان ابراهيم كان يهوديا . .)

فيسألهما النبى عن اى سند لهما فيما يقولان ، وعمن تعلماه ، واين وجداه ؟ فيجيبان انهما يجدانه فى كتابهما المقدس ، فيرد عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهلم الى التوراة فهى بيننا وبينكم . .) فرفضا . . لينتهي هذا اللقاء كما بدأ من غير طائل . . ولينزل قول الله تعالى « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون . . » .

و . . سفهاء

ويصفهم القرآن مرة أخرى بأنهم سفهاء اذ عندما استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه وتحولت القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام . . صعق اليهود ، وسارع وفد من أحبار اليهود الى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ليساوموه علي ان يعود الى القبلة الأولى ، وهم يدخلون فى الدين الاسلامى . . وظلوا يساومون النبى . . والنبى يقول لهم : أن هذا هو أمر الله . . ولا يملك هو الا اطاعته . . ولم يقتنعوا ولم ييأسوا ، وانصرفوا غاضبين مقهورين ، لينزل فيهم قول الله تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

واتباع شياطين

واشمل الأوصاف . . من بين أوصاف عديدة يذكرها القرآن الكريم لليهود . . انهم اتباع شياطين . . وكان هذا اثر محاورة مع النبى صلى الله عليه وسلم يذكرها عبد الله بن عبد الرحمن عن شهر بن حوشب الأشعرى فيقول : ان نفرا من أحبار اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنها ، فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني . قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بداكم .

قالوا : فاخبرنا كيف يشبه الولد امه . وانما النطفة من الرجل .
قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه .

قالوا : اللهم نعم ..

قالوا : فاخبرنا كيف نومك ؟

فقال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان .

فقالوا : اللهم نعم ..

قال : فكذلك تنام عينى وقلبى يقظان .

قالوا : فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه ..

قال : انشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل .. هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه الطعام والشراب اليه شكراً لله حرم على نفسه لحوم الابل ولبنها فقالوا اللهم نعم .

قالوا : فاخبرنا عمن يأتيك بالوحى ..

قال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى .

قالوا : اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة ويسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك .

فانصرفوا . لينزل الله قوله تعالى « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » الى قوله تعالى « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » . الآية

و .. أوصاف أخرى ..

ومع هذه الأوصاف لتحديد موقف اليهود ضد الاسلام .. والمسلمين ..
« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. »

صدق الله العظيم

لماذا الإسلام ؟

أسرار الكنيسة السبعة

للأستاذ : أحمد حسين المحامي

ليس باستطاعة أي مسلم أن يدرك ما تعنيه كلمة الكنيسة من معنى عميق ، فالكثيرون قد يتصورون أنها المكان الذي يقابل الجامع عند المسلمين ، أو مكان العبادة عند أي دين من الأديان . وليس أبعد عن الحقيقة من هذا التصور فالمسجد عند المسلمين لا يخرج عن كونه مكانا ليصلي فيه المسلمون صلاة الجماعة ، حيث يؤمهم أكثرهم حفظا للقرآن ، أو أكبرهم سنا ، أو من يختارونه لدى كل صلاة . وصلاة الجماعة تؤدى في أي مكان ، في البناء والعراء ، والأرض كلها مسجد لله حيث يقول الرسول صلوات الله عليه « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » وليس بين المسلم وربه أي وسيط ، على ما سوف نشرحه بالتفصيل فيما بعد .

أما كلمة الكنيسة فهي شيء يكاد يعز على التصور والتصديق ، فهي ليست كما يتصور الكثيرون مجرد هذا المبنى المعين الذي تقوم فيه الطقوس على سبيل التخصص والتحديد ، **ولكنها في معناها العام تشمل مجموع المسيحيين ، بل انها المسيح نفسه ، انها جسده ولحمه ودمه ، وهم يستندون في هذا على ما جاء في انجيل يوحنا : الحق اقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في أنفسكم . من ياكل جسدي ويشرب دمي هو مشرب حقيقي . من ياكل جسدى ويشرب دمي يثبت في وانا فيه (الاصحاح السادس ــ انجيل يوحنا) .**

فالمسيحيون اذن هم جسد الله الحي ، ولما كانت الكنيسة هي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه ، لأن عملية الفداء قد تمت لحسابها ، فلا عجب اذا وصلت الكنيسة الاوروبية في العصور الوسطى الى هذه الدرجة من الهيمنة على شئون المسيحيين ، فهي وحدها الحياة والجنة والنعيم ، وخارجها الموت والجحيم .

أسرار الكنيسة السبعة (١) :

وتتمثل سلطة الكنيسة في أسرارها السبعة التي لا يمكن أن توجد خارجها وهذه الأسرار السبعة هي : المعمودية ــ الميرون ــ والتناول ــ

(١) نلفت النظر الى أننا في عرض هذه الأسرار قد استعملنا نفس الألفاظ التي تستعملها كتب الأصول .

والتوبة — والاعتراف — والمسحة — والزواج — والكهنوت .

واليك تفصيل هذه الأسرار السبعة :

١ — المعمودية (او الصبغة) :

هي الولادة الجديدة التي يتطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم ، فمن لا يتعمد ، يظل حليف الخطيئة واقعا في براثن الموت . وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة في صورة منظورة ، وهي رش الماء في بعض المذاهب ، وبالتغطيس في الماء ثلاث مرات (المذاهب الشرقية) .

وقد جرى الخلاف حول وقت التعميد ، فالبعض يرون ضرورة تعميد الطفل المسيحي بمجرد ولادته حتى لا يموت قبل الحصول على هذه النعمة والبعض يرى وجوب تأخيرها لأنها كفارة من الذنوب ، وطهارة . والاتفاق على ان اي مسيحي يجب أن يعمد على الأقل مرة في حياته .

٢ — الميرون :

هو حلول روح القدس على الانسان الذي نال المعمودية المقدسة وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بمسح المؤمنين بدهن الميرون المقدس . والأصل في الميرون انه الحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه . وقد اقتسمها الرسل بعد القيامة وتوارثها الآباء عن الرسل ، ثم رتبوا شعائر خاصة يؤدونها كلما وجدوا أن ما بقي لديهم من الميرون لا يفي بحاجة الكنائس . اي أنهم يحتفظون دائما بخميرة من الموجود لديهم ويضيفون عليها حنوطا وطيبا جديدين ، لتظل البركة الأولى الناتجة عن ملاصقة الحنوط لجسد الرب باقية على مر الاجيال .

٣ — التناول :

او العشاء الرباني وهو سر الأسرار لأن المؤمن يتناول فيه جسد الرب ودمه الأقدسين . فعندما يتلو الكاهن على القربان والخمر يتحول القربان الى جسد الرب المقدس والخمر الى دمه الزكي تحويلا فعليا حقيقيا .

٤ — التوبة او الاعتراف :

وهذا السر معناه الحصول على المغفرة بعد أن يبوح المعترف للكاهن بما اقترفه من ذنوب .

٥ — المسحة :

وهي سر ينال به المؤمن الشفاء الجسدي والروحي بعد أن يتلو الكاهن صلاة القنديل ثم يدهن المريض بالزيت المقدس .

٦ — الزواج :

وهو ربط الزوجين برباط الزواج المقدس الذي لا ينفصم . وكل زواج خارج الكنيسة لا تعترف به . وبالتالي لا يكون زواجا بل علاقة آثمة .

٧ — الكهنوت :

هو السر الذي ينال به الانسان النعمة التي تؤهله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح بين اخوته من البشر — اي انه السر الذي يمكن صاحبه من اتمام الأسرار الستة الأخرى . فليس في الكنيسة من يستطيع ان يتمم شعائر المعمودية (الصبغة المقدسة) أو مراسيم الزواج ، او غيرها من الأسرار ، غير الكاهن الذي وضعت عليه اليد وتليت عليه الصلوات الخاصة برسامة الكهنة .

والكهنوت في الكنيسة خلافة رسولية اخذه الآباء الأولون عن الرسل انفسهم ، وسلموه لمن بعدهم والرسل بدورهم أخذوا هذا السر المقدس من المسيح (١) .

عصمة البابا :

وتنفرد الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن مارسته طوال تاريخ وجودها وهو عصمة البابا واستحالة ارتكابه اي خطيئة ، لأن روح القدس ينطق من خلاله ، فهو خليفة بطرس الرسول الذي أعطاه المسيح مفاتيح السماء والأرض ، فكل ما ربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما حله على الأرض يكون محلولا في السماء .

ولم تكن عصمة البابا محل أي اعتراض من المسيحيين الغربيين خلال القرون العديدة الأولى ، وليس الا عندما قامت البروتستانتية في العصور الحديثة نسبيا ، أن وجد من انكر هذه العصمة ، ولذلك فقد احتاج البابا الى مجمع مسكوني كاثوليكي انعقد في روما عام ١٨٦٩ ليؤكد هذا السر من جديد .

ولسنا نسمح لأنفسنا ان نعلق على هذه الأسرار الا بان ننقل ما يقوله عنها « ول دورانت » وهو في ذلك يلخص قول مفكري الغرب وكتابه المحدثين .

« ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ، ذلك ان العقل اليوناني المحتضر عاد الى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة اداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على أحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف . فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب ، وابدية الثواب والعقاب وخلود الانسان في هذه أو تلك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاادرية وطمس معالم العقيدة المسيحية » ويختم دورانت بحثه بقوله :

وقصارى القول ، ان المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم (قيصر والمسيح ص ٢٧٦) .»

اثر التعاليم الكنيسية على مسيحيي الشرق والغرب :

كان طبيعيا وهذه تعاليم الكنيسة المسيحية ، أو بالأحرى ما صارت اليه التعاليم المسيحية ، ان يكون لها أثر عميق في نفوس معتنقيها وظروفهم وأحوالهم المعاشية والحضارية . ولكن هذا الأثر لم يأخذ طريقا واحدا في الشرق والغرب .

فحيث ظلت الكنيسة المسيحية الشرقية ـــ وقد كان الشرق هو مهبط الديانات كلها ـــ عنوانا على أعظم ما تمثله المسيحية وهو الدعوة الدائمة الى المحبة والرحمة والوداعة

---

(١) من كتاب أسرار الكنيسة السبعة ـــ لحبيب جرجس ـــ مدير الكلية الاكليرية ـــ نقلا من كتاب قصة الكنيسة القبطية .

والزهد ، وحيث تحتفظ الكنيسة الشرقية بصفحة نقية خلت من ضروب العسف والانحراف والاضطهاد والعنف والقسوة أو محاربة العلم والتقدم ، فان الكنيسة الغربية سارت في طريق مضاد لكل ما تمثله المسيحية الأصلية من المعاني .

ويرجع سبب هذا الافتراق الى أن المسيحيين في الشرق وعلى رأسهم مسيحيو مصر ، شغلوا في القرون الأولى بنشر العقيدة المسيحية الأصلية في وجه الوثنية الرومانية ، فتعرضوا لما تعرضوا له من محن واضطهادات خلال القرون الثلاثة الأولى ، فقدموا للمسيحية شهداءها وقديسيها حتى انتصرت المسيحية على الوثنية الرومانية وأصبحت هي دين الدولة الرسمي .

على أن ذلك لم يكد يتم، حتى انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وقد ظلت الامبراطورية الشرقية تنعم بحكم مستقر حضاري في ظل الأباطرة الشرقيين ، الأمر الذي جنب الكنيسة الشرقية أو بالأحرى مسيحيي الشرق التورط في اخطبوط الحكم والادارة والسياسة ، فظلوا يلوذون بقيم المسيحية الروحية ويبشرون بل ويحيون حياة السلام والزهد والتجرد لله ، حتى لقد انتشر بين صفوفهم نظام الرهبنة والأديرة والنسك والتبتل لله (١) .

ولم يكن لذلك أثر في سير الحياة العامة التي ظلت تنطلق في طريقها في ظل السلطة الزمنية ، تعلم وتبني وتنشىء وتعمر ، ثم كان قيام الدولة الاسلامية في هذا الجزء من العالم ، وما أعقب ذلك من قيام الحضارة الاسلامية المزدهرة ، ولما كان من خصائص الاسلام التي سنعرض لها عند الكلام عنه ، اعترافه بالأديان الأخرى وخاصة بالمسيحية ، فقد استطاعت الكنيسة الشرقية أن تعيش في ظل الدولة الاسلامية ، متابعة حمل رسالتها المسيحية الأصيلة التي تتلخص في التبشير بالسلام والحب ، واضطلع المسيحيون الشرقيون بنصيبهم في بناء هذه الحضارة الجديدة ، فكان منهم المترجمون الذين نقلوا فلسفة الاغريق وعلومهم ، وكان من بينهم الأطباء والفلكيون والاداريون والماليون .

أما بالنسبة للمسيحية الغربية ، مسيحية أوربا الغربية ، حيث سقطت روما عام ٤٧٥ م في يد القبائل المتبربرة من الجرمان والقوط والوندال ، وحيث لم تستطع موجة الحضارة الاسلامية أن تنفذ الى غرب أوربا بعد موقعة بواتييه عام ٧٣٢ م فقد أصبح بابا روما هو السلطة الزمنية الوحيدة في أوربا ، وأصبحت الكنيسة هي المنظمة الوحيدة التي تستطيع أن تبث شيئا من النظام ، وتقيم حكم القانون ، وكان أن ترتب على ذلك تبدل حياة أوربا الغربية تبدلا عجيبا ، فبعد الحضارة الاغريقية والرومانية التي لا تزال تروعنا حتى الآن بآثارها الفكرية والفنية ومنشئاتها ومبانيها الاعجازية ، ترد أوربا فيما يوصف بأنه خمول تاريخي وذبول حضاري ، وغرقت أوربا فيما يسميه علماؤها ومؤرخوها بالعصور الوسطى المظلمة ، حيث توقف كل علم وكل تفكير وكل تقدم أو تطور ، وجمدت الحياة وأصيبت بالشلل .

وحسبنا أن ننقل لك فقرة واحدة من مئات وألوف الفقرات بل الكتب

(١) الاجماع على أن نظام الرهبنة قد خرج من مصر .

التي وضعها الأوربيون وصفا لحالة أوربا طوال خمسة قرون ، وهي من قول العلامة الأمريكي المؤرخ درابر :

« لقد كانت أوربا في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة بعد أن أهمل الناس الزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حول المدن ، فكانت تنتشر فيها روائح قتالة اجتاحت الناس حيث يستغيثون ولا مغيث . وكانت البيوت تبنى في باريس ولندن من الخشب والطين المعجون بالقش والبوص ، ولم يكن لها نوافذ أو أرضيات خشبية أما الأبسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش فينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون المداخن ، فكان الدخان يطوف بالبيت ثم يتسرب من ثقب صغير صنعوه له في السقف فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات الخطيرة . وكان الناس لا يعرفون النظافة ، فيلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم أكواما تتصاعد منها روائح قاتلة ولا رقيب ولا حسيب . وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال وكثيرا ما كانوا يؤون معهم حيواناتهم المنزلية » .

« وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف يستخدم كمخدة . وكانت النظافة معدومة لديهم فلا يعرفون لها رسما ، وكان الغني منهم لا يأكل اللحم الا مرة في الأسبوع . ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط أو مصابيح ، وكان من اثر الجهالة المنتشرة في أرجاء أوربا أن عمتها الخرافات والأوهام ، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة ، وماتت الطب وراجت أحاييل الدجالين ، وكان اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ، ولم يلتفتوا الى أمر النظافة فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا ، حتى أنها زارت أوربا عدة مرات فاجتاحت ملايين من أهلها في أيام معدودة (١) .

ويضيق بنا المجال لو حاولنا أن نحدثك عن الحروب الدينية التي غرقت فيها أوربا ، وعن محاكم التفتيش التي أحرقت عشرات الألوف من الأحياء بدعوى الهرطقة والكفر والالحاد . وحرق جان دارك التي أنقذت فرنسا من الاحتلال الانجليزي هو نموذج لمن كانت تحرقهم الكنيسة ، وحرق برونو وهوس ، نموذج آخر لمن كانت تحرق من دعاة الاصلاح ، وطالبي العلم .

ولا نريد أن نستطرد فنحدثك عن الحروب الصليبية ، والتي كانت وبالا على المسيحيين الشرقيين أنفسهم قبل أن يصلى بحرها المسلمون ، وليس هناك ما هو آلم على أنفسنا من أن يضطرنا البحث العلمي أو التاريخي ، لأن نشير الى ما فعله الصليبيون عندما أقسموا أن يخوضوا في بحار من دم المسلمين وأن يقيموا جبالا من الجثث والجماجم ، وكيف بروا بقسمهم فكانت النساء يقتلن طعنا بالسيوف والحراب والأطفال الرضع يختطفون من فوق أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد . وذبح السبعون الف مسلم الذين ظلوا في المدينة ، أما اليهود الذين بقوا أحياء

(١) وذلك في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الاسلامية في الاندلس الذروة (اقرا للمؤلف « تاريخ الانسانية » .

فقد سيقوا الى كنيس لهم واشعلت النار فيهم وهم أحياء .

ثم توجه المنتصرون وعيونهم تفيض بالدمع وقلوبهم تخفق بالعرفان بالجميل للمسيح المخلص الحمل الوديع رب الحب والسلام (١) .

تلك كانت حالة أوربا المسيحية الغربية ، عندما كانت الكنيسة هي صاحبة الحكم المطلق ، وهذا هو مدى تطبيقها تعاليم المسيحية وأثر هذه التعاليم في المجتمع الأوربي . ويصبح السؤال الآن :

متى وكيف نهضت أوربا المسيحية ؟

ذلك أنه اذا كان هذا هو ما انتهت اليه أوربا تحت حكم الكنيسة الغربية من جهل وتعصب وعنف وحروب وقسوة ، فمتى وكيف نهضت اوربا بعد ذلك ؟ .

يجمع المفكرون والمؤرخون الأوروبيون ، أن أول اشعاع من نور في ظلمات العصور الوسطى ، قد جاء عبر الأندلس الاسلامية وعبر صقلية ، وجاء من خلال احتكاك الأوربيين بالمسلمين من خلال الحروب الصليبية .

وجاء ثانيا نتيجة حركة الاصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر عام ١٥١٧ ، حيث أنكر مارتن لوثر حق البابا في بيع صكوك الغفران ، بل وأنكر عليه حق منح الغفران بأي وجه من الوجوه، وحطم احتكار الكنيسة لقراءة الانجيل وتفسيره ، فترجمه الى اللغة الألمانية وخول لكل مسيحي حق مطالعة الانجيل ، ومن هنا تطلق الكنائس البروتستانتية على نفسها اسم الكنائس الانجيلية ، وتتابعت حركات البروتستانت تقوض من سلطان الكنيسة وأسرارها وترفض فكرة العشاء الرباني وأن الخبز والخمر يتحولان الى جسد المسيح ودمه حقا وصدقا ، وترفض عبادة الصور والتماثيل ، وتنكر على الكنيسة غفران الذنوب .

وقد صادفت هذه الحركة هوى في نفوس بعض ملوك أوربا وأمرائها فحموا القائلين بها لأول مرة من الموت على المحرقة . واستقلت كنائس كل دولة تحت زعامة ملكها وسيدها .

ثم كانت سلسلة الثورات ضد الكنيسة ، والتي شملت العقيدة من أساسها ، ابتداء بالثورة الفرنسية وانتهاء بالثورة الشيوعية ، وأخيرا بسيادة التعاليم المادية والاغراق فيها، كما هو الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تضاد حياة الأمريكيين كل حرف من حروف المسيحية ، فبينما تدعو المسيحية للفقر والزهد فيقول السيد المسيح للرجل الغني :

« ان كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينا لأنه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم أنه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات . وايضا أقول لكم انه لأسهل ان يدخل الجمل من ثقب الابرة من أن يدخل غني في ملكوت السماوات . (متى الاصحاح التاسع عشر) .

---

(١) المؤلف — تاريخ الانسانية .

وفي مقابل هذه الصورة ، ترتفع صورة التسامح الاسلامي التي أذهلت الاوربيين عندما أعاد صلاح الدين فتح بيت المقدس وحقن دم كل من كان فيه .

نقول حيث يدعو المسيح للفقر والزهد ، فيكاد كل من في الولايات المتحدة يحارب من أجل الغنى ، وهو على استعداد أن يفعل كل شيء من اجل الحصول على هذا الغنى ، ولا يقاس أي انسان او أي أمر من الأمور الا من خلال الدولار ، حتى قيل بحق ان الدولار هو معبود الكثرة الغالبة من الأمريكان .

وحيث يطلب المسيح من اتباعه ان يحبوا أعداءهم وأن يحسنوا الى مبغضيهم فان الطائرات الأمريكية تدق بلا شفقة ورحمة شعب فيتنام الصغير الذي يبعد عنهم عشرات الألوف من الأميال ولم يعتد عليهم .

بل ان المجتمع الامريكي ليقف على النقيض من ادق تفاصيل الشريعة المسيحية ، فحيث يقول السيد المسيح : قد قيل لكم ان من طلق امراته الا لعلة الزنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنا .

فقد أصبح الطلاق في الولايات المتحدة من أيسر الأمور ، بل انه ليحصل عليه لأسباب تدعو في كثير من الاحيان الى السخرية .

ولعل هذا التباين الشديد بين ما تدعو اليه المسيحية وما أصبح يحيا عليه الأوربيون والأمريكان ، هو الذي جعل دائرة المعارف البريطانية والمفروض فيها انها أعظم كتاب معارف لدى الأوربيين والأمريكان تقول تحت عنوان كلمة « مسيحية » في المجلد الخامس « ان تاريخ المسيحية وتعدد الكنائس وشيع المسيحيين وفرقهم ، ولد الشعور لدى بعض الباحثين أن ليس **للمسيحيين شيء يشتركون فيه سوى الاسم »** .

ومما يزيد في تقوية هذا الشعور محاولة بعض الشراح تلخيص جوهر المسيحية في أنها « أبوة الله وبنوة الانسان » ومثل هذه العبارة قد تعني الكثير جدا كما قد تعني القليل جدا كذلك حسبما يستخلصه الانسان منها .

لا ارتباط بين المسيحية وبين ما عليه اوربا وأمريكا

يخلص من كل ما سبق انه لا ارتباط بين ما يمكن ان يكون عليه الاوربيون والأمريكان من قوة وتقدم مادى وبين المسيحية كدين ، فهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعد ان انسلخوا عن المسيحية كما تصورها الكنيسة الغربية ، والا بعد ان القوا تعاليم المسيح الأصلية وراء ظهورهم .

وذلك على خلاف الاسلام كما سوف نرى ، فحيث تشرب المسلمون عقيدته وجوهر تعاليمه كانت لهم هذه الحضارة الزاهرة التي فاقت كل ما سبقها من حضارة .. ولم يتدهور المسلمون الا بعد ان فقدوا الروح الاسلامية الأصيلة ، وسوف نرى كيف أن لا سبيل لاستعادتهم ارقى درجات الحضارة الا من خلال الروح الاسلامية مرة اخرى ، ولكن لا يزال علينا ان نستعرض قبل ذلك ديانة اخرى عالمية هي الديانة البوذية فالى المقال القادم ان شاء الله .

- الشكر على نعمة الماضي أمل في نعمة المستقبل .
- الأشياء العظيمة لا ترى الا على بعد .
- اذا تحققت كل رغباتنا ضاعت أكثر لذائذنا .
- الجهل لا يحسم نزاعا .

صلاة المسلمين

لماذا لا تجوز إلا بالعربيّة فقط؟

ترجمة الاستاذ مصطفى الزرقا
خبير الموسوعة الفقهية
بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

من المعلوم أن المسلمين يعتمدون اللغة العربية حتما في القيام بعمل الصلاة ، التى تشتمل أيضا فيما سوى الأقوال على حركات فيها تعبير رمزى ، وانهم يتلون مقاطع من القرآن ، ويتلفظون بصيغ كلامية ، تؤكد عظمة الله وخضوع الانسان ، يفعل ذلك العرب وغيرهم على السواء ، حتى الذين لا يفهمون كلمة من العربية ، كان ذلك من عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال كذلك ، مهما اختلفت الظروف والمواطن واللغة الوطنية الأم للمسلم .

قد يبدو لأول نظرة طبيعيا ومستحسنا أن يوجه المؤمن صلواته وادعيته من أعماق ضميره وشعوره بما يقول ، ولغة الأم هى الوسيلة الأفضل لهذه الغاية . وقد يتصور من هذه الناحية أفضلية لتأدية الصلاة باللغة التى يتكلمها المسلمون في الزوايا الأربع من العالم . ولكن اعتبارا ونظرا أعمق من ذلك ، يظهر منه أن هناك أسبابا وجيهة تناقض هذا التفكير والتصور ، أى توجب الاقتصار على اللغة العربية ، وذلك للاعتبارات التالية .

١) فهنالك أولا مبرر اعتقادى (ميتافيزيكى) أو نفسى . ذلك انه بمقتضى نص القرآن (١) (٣٣ — ٦) تعتبر زوجات الرسول امهات للمسلمين ، ونحن نعلم ان جميع زوجاته المكرمات يتكلمن العربية . فبذلك تعتبر اللغة العربية هى لغة الأم لجميع المسلمين . وحينئذ لا يبقى مجال لأية ملاحظة قائمة على أساس ضرورة أداء الصلوات بلغة الأم .

٢) واذا اعتبر هذا المبرر غير كاف للاقناع ، فاننا ننطلق بالنظر الى ابعد ، فنلاحظ أنه بمقتضى العقيدة الاسلامية يعتبر القرآن كلام الله (سبحانه) وأن تلاوته معتبرة بمقتضى نصوصه نفسها من القربات المطلوبة . فمن الناحية الروحية يسيح المؤمن سياحة الى الله (تعالى) بواسطة تلاوة كلامه المقدس . والنص الأصلى لهذا الكلام الموحى به الى رسول الاسلام هو عربى . فمهما تكن الترجمة له من الدقة بمكان فانها لا تخرج عن كونها من صنعة الانسان وكلامه . وهذا لا يمكن ابدا أن يؤدى الغاية من تلك السياحة الروحية التى تتحقق بالصلاة .

٣) وبالنسبة لمن يفتشون عن سبب مبرر اقوى نقول انه يجب التمييز الدقيق بين الصلاة بمعنى الدعاء ، والصلاة بمعناها الخاص في صورة عبادة الله ، فأما الدعاء وهو المعنى الأصلى العام للصلاة غير الصورة الخاصة بعبادة الله ، وهو ما يسمى (مناجاة الله) ، فانه لا اعتراض ابدا على حرية الانسان ، في ان يوجه حاجاته وتوسلاته الى ربه بأية لغة يختارها ، وأى وضع يكون عليه . ذلك لأن هذه صلة شخصية خاصة بعلاقة فردية بين المخلوق والخالق .

اما الصلاة (بمعناها الخاص) ، اى العبادة المفروضة في صورتها الاسلامية المشروعة ، فهى عمل عام ذو صفة جماعية ، يجب النظر فيه الى بقية الرفاق المصاحبين في صلاة الجماعة ، فصلاة المسلم هذه يجب مبدئيا أن تؤدى بصورة مشتركة مع الآخرين (جماعة) ، ذلك لأن أداء الصلاة فرديا صحيح ، ولكن المطلوب المفضل اداؤها بقيادة امام (جماعة) :

٤) لو كان الاسلام دينا اقليميا او قوميا او مرتبطا بعرق بشرى ، لكان من المحتم فيه أن تستعمل في الصلاة لغة ذلك الاقليم او العرق أو القوم . اما في ديانة عالمية فالأمر بالعكس تماما حيث يتكلم المؤمنون بها مئات اللغات المحلية ؛ ولا يفهم احدهم لغة سواه من الأجناس البشرية الاخرى .

ان حياتنا تزداد كل يوم اتساعا نحو الصفة العالمية ؛ وان كل بلد فى الأرض يستقبل فعلا ويؤوى الكثير من المسلمين من مختلف المجموعات اللغوية .

٥) في الواقع لا يوجد دين واحد على وجه الأرض سوى الاسلام يملك اليوم النص الاصلى للوحى الذى يقوم على اساسه ، والنصوص الأصلية لتعليمات مؤسسه . فالمسيحيون واليهود والمزدكيون ، وسواهم من الجماعات

---

(١) قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم ... »

الدينية ، لا يوجد لدى فئة منهم سوى ترجمة للنص الأصلي في ديانتهم ، او سوى قطع متفرقة منه على الأكثر . فأى سعادة او ثقة تعادل ما للمسلمين الذين هم الاستثناء الوحيد من هذا الواقع ، اذ يملكون النص الأصلي لوحى الاسلام وهو القرآن الكريم ؟!

٦) علاوة على ما تقدم يلحظ أن القرآن — وان كان نثرا — هو مشتمل على جميع خصائص الشعر وعذوبته من الجرس اللفظى ، وتوافق الفواصل ، وجزالة التعبير وبلاغة الأداء ... بحيث أن حذف حرف واحد من جملة ، او اضافة حرف اليها ، يورث فيها خللا واضطرابا ، كما لو حصل ذلك الحذف أو الاضافة في بيت من الشعر الموزون .

٧) يرى كاتب هذه السطور شخصيا أن اى مسلم لا يمكن ان يعطى اى ترجمة للقرآن من الاحترام الديني ما يعطيه لنص القرآن الأصلى الموحى به من الله سبحانه الى رسوله . ذلك لأن الترجمة هى صياغة شخص عادى ، وليست صياغة جهة معصومة محمية من الخطأ كما هو الشأن فى نبى .

٨) وختاما نشير الى انه يوجد فريق من الكتاب يحتجون بأن بعض المجتهدين الكبار ، كالامام أبى حنيفة ، كان يرى جواز تلاوة ترجمة القرآن فى أداء الصلاة . ولكن هؤلاء الكتاب ذكروا جانبا واغفلوا جانبا آخر . فان الامام أبا حنيفة ، وان كان قد راى هذا الراى في بداية امره ، قد رجع عنه بعد ذلك ، ووافق راى الأئمة الآخرين (وهذا هو المذكور في كتب المذهب الحنفي ، ككتاب الهداية للمرغينانى ، وكتاب الدر المختار للحصكفى ، وغيرهما ..) وان ابا حنيفة ايضا يقول بأنه في الحالات العادية الطبيعية لا يجوز في الصلاة تلاوة القرآن بغير العربية .

وفي الواقع يوجد حكم استثنائى للضرورة كما في حال الشخص الذى يسلم من جديد ولا يعرف العربية . فهذا يجب عليه أن يبدأ فورا بأداء الصلوات الخمس يوميا ، وهى تشتمل على تلاوة الزامية لقسم من القرآن حفظا عن ظهر قلب . فيرخص له بتلاوة معانى بعض الآيات باللغة التى يعرفها ، الى ان يتعلم ما يكفى للصلاة بالنص العربى . وفي هذه المسألة يوجد سابقة هامة من سلمان الفارسى الذى ترجم سورة الفاتحة الى الفارسية ، لكى ترسل الى اناس من المؤمنين الفرس ، وذلك بترخيص من الرسول نفسه (كما فى كتاب تاج الشريعة ، والنهاية حاشية الهداية : فصل الصلاة) . وهؤلاء الأعاجم استعملوا هذه الترجمة الى أن ائتلفت السنتهم ، ومرنت على النص العربى . وهكذا يمكن للمسلمين الجدد أن يستعملوا ترجمة القرآن بصورة مقبولة كأصله العربى لمدة أيام او لمدة ساعات بحسب الحاجة والحال .

يستخلص من كل ما تقدم أن كل مسلم بمقتضى الوحى القرآنى يختار دائما اللغة العربية ، اللغة الأم للرسول . وهكذا يظل الاسلام المصدر الحى الخالد للغة العربية .

مترجمة عن المجلة الفرنسية
« فرنسا والاسلام »
عدد آذار / ١٩٦٧ م

④

من قضايا المرأة

حول مبررات عمل المرأة

للأستاذ البهى الخولى

— ١ —

لقضية عمل المراة فى الغرب مشاكل اقتصادية واجتماعية لا تنتهى . فمنظمة الامم المتحدة — مثلا — عجزت الى اليوم عن تحقيق المساواة : العملية ؛ فى الاجور بين الرجل والمراة ؛ ورجال الاعمال ومؤسساتها يرفضون تلك المساواة بمنطق الانتاج الذى لا يحتمل مكابرة .. ورجال الاجتماع والادب وعلماء النفس يرون أن العمل على ضوء النتائج التى انتهى اليها — معطل لأسمى خصائص المراة ؛ ووظائفها الطبيعية والاجتماعية ، وأن المجتمع بدأ يجنى من ذلك انحلال الروابط وابتذال كثير من القيم ..

وقد بدأنا — نحن العرب والمسلمين — ندخل تجربة عن المرأة ويوشك ان يكون لنا من مشاكله ما للغرب ؛ فتركنا قضية الحجاب والسفور ، واخذنا فى قضية العمل ؛ وما له من مبررات ؛ وما تحتمل من نتائج .. وقد يكون من مفاتيح الوصول الى لب هذه القضية بالنسبة لنا أن نسأل : لماذا تعمل المراة بعد أن لم تكن تعمل ؟.. اى لماذا تترك البيت وتتكسب فى الخارج ؟.

وقد يمكن تلخيص ما يقال من المسوغات لذلك ما ياتى :

١ — ان عمل المراة يوسع آفاقها ، ويبرز وينمى مقومات شخصيتها ، ويقيها السام القاتل الذى يورثها اياه بقاؤها الطويل ، او فراغها الذى تقضيه بين اربعة جدران ..

٢ — ان مجد الامة فى كثرة الايدى العاملة ، وان المراة نصف المجتمع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد ان يكون نصف المجتمع عاطلا ..

٣ — مساعدة من يعولها .. وقد تكون لا عائل لها ، فتعول نفسها بالعمل .. وقد يتوفى زوجها ، ويترك لها اطفالا عاجزين عن العمل ، ولا شىء لهم ولا لها ، فتجد فى العمل عصمة لها ولاولادها من الضياع ، وهى مع ذلك « انسان » ومن كرامتها أن تستقل بطلب عيشها ، فلا تكون عبئا على سواها ، وانما يكفل لها تلك الكرامة ان تعمل ..

ومن الضرورى لمناقشة تلك المبررات ان نستفيد في الذهن ما قررنا لها من اهلية اقتصادية واجتماعية لا تقل عن الرجل .. وكذلك علينا ان نبين ما قرره لها الاسلام من حق فى التعليم ، هو واجب عليها فى الوقت نفسه فى قوله عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١) وهو نص يشمل الرجل والمراة باتفاق علماء الاسلام .

ولقد القى الاســلام على كل من الرجل والمراة امانة الدين ، وهى اوكد امانات الحياة بل عمادها ، وجعل كلا منهما مسؤولا مسئولية خاصة عن تصحيح عقيدته وعبادته وخلقه وعمله — كما قدمنا فى بعض المقالات — فما لم يتعلم كل منهما احكام العبادات ، وما يتضمن من روابط الصلة بالله ومناهج التهذيب .. وما لم يتعلم اصول العقائد ، وما تتضمن من فلسفة الحق ، وسنن الاجتماع ، وأمهات الاخلاق ، وغايات الحياة ، ومبادىء السلوك ، ما لم يتعلم ذلك ، وكله من لباب العلم الذى تتضح به دقائق الكون ويبرا المرء من شقوة الحس وظلمة المادية وقع فى اثم التقصير ، وعرض نفسه لمهانة التخلف فى الدنيا والآخرة ، والله تعالى يقول : « يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » وكلمة الذين شاملة للمؤمنين والمؤمنات بصفة قاطعة ، ولن يستطيع أحد منهم او منهن أن يقى نفسه واهله النار الا اذا تعلم حق ربه وحق حياته ، ولا جرم كان التأهيل لذلك من حقه وحقها قبل المجتمع .

ذلك الى أن القرآن الكريم نظم العلاقة بين الزوجين على قاعدة من قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وهى قاعدة تذهب فيها المراة بطائفة من الحقوق والواجبات ، ويذهب الرجل بمثلها ، فهل تنجح الحياة الزوجية دون معرفة تلك الحقوق والواجبات ؟

ان قانون (القوامية) وحده — مثلا — فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » أو قانون السكن فى قوله « لتسكنوا اليها » يتطلب دراسات نفسية واجتماعية دقيقة لبيان مكانه من الحياة الزوجية وضرورته لها .. فاذا كان لذلك ونحوه اثره العملى فى التقارب الفكرى والوجدانى بين الزوجين ، فهو يعنينا من ناحية أنه باب من المعرفة له أثره فى شحذ ملكات الفكر ، وتعدد جوانب النفس ، وجه الاسلام اليه كلا من الرجل والمراة لتنظيم الحقوق والواجبات .

ويقول عليه السلام : « والمراة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » وهى مهمة متعددة الجوانب ، منها الاقتصادى ومنها الطبى ، ومنها الاجتماعى ، ومنها التربوى الفلسفى ، ومنها الادارى .. فكيف تسوس — مثلا — دخل زوجها وماله ؟ وهو موضوع نجرى فيه على الارتجال ، ونعتبر من ترتب لنفسها « ميزانية » شهرية ربة بيت مثلى ، بينما التخطيط المقتضب هو كالارتجال لا يدرك خطورة العامل الاقتصادى ، وارتباطه الحسى باستقرار الاسرة ومصيرها ، اذ هو العامل الاول الفاصل فى الاستقرار والمصير ، وتخطيطه الحق يقتضى اعتبارات وثقافات لا بد من تيسيرها وتوفيرها للمراة لتسلم لها مسؤوليتها عن هذا الجانب ..

---

(١) رواه ابن ماجه .. وقال العراقى فى تخريج الاحياء : صحح بعض الائمة طرقه .

وكيف تسوس الطفل ؟.. ولا أعنى سياسته فى رضاعه . وطعامه وشرابه ، ولباسه ونومه ومرضه فحسب ، بل اعنى الى ذلك سياسة عقله وخلقه . فالطفل جهاز حى لاقط — بغير وعي — لكل ما يبدر منها من سمات الفكر والخلق ، فكيف تجعل سلوكها سياسة تربوية مرتبة للايحاء بأقوم مناهج الفكر والخلق ؟..

ان مكانها منه وهو فى دور امتصاص الايحاء بلا حساب هو اخطر موقف يقومه انسان من انسان ، فكيف توحى اليه — وهو فى هذا الطور الخطير — افضل العقائد والقيم والسلوك ؟.. ان ذلك وحده يقتضى منها دراسات جادة متعددة الجوانب فى الدين ، والفلسفة ، وعلم النفس — ولا سيما الطفولة — والاخلاق ، والفن ، والاجتماع .. على الا تكون دراسات نظرية للتكمل بالمعرفة ، بل لتزكى نفسها وخصائصها ، وتترجمها التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها ، حتى تحقق نموذج القدوة الكامل الذى يكون سلوكه صورة غير متكلفة كما يراد ايحاؤه للطفل .. ولا نطيل بمناقشة جوانب تلك المهمة ، فحسبنا ما قدمنا ، ولكنا بصدد مسئولية (ربة البيت) عن عامة أماناتها ، فان الاسلام لم يقرر تلك المسئولية الا وهو يقدر ، ما تقتضيه من الوان الثقافة والعلم ، ويفترض مسئولية المجتمع عن تيسير ذلك ، أما حقها فيه فمفروغ منه لا يحتاج الى تقرير .

هذا واعتبار المراة (ذات مسئولية) له أثره فى حياتها الفكرية والنفسية ، فان الاحساس بالمسئولية هو فى الواقع (احساس بالذات) وباعث الاستجابة الى الواجب ، ومن ثم فهو مناط الاحساس بالكرامة واهمية الوجود .. ذلك الى انه ينبه فيها جوانب غافلة أو خاملة الى التزامات فى آفاق عدة ، فتدب فى نواحى النفس الوان من النشاط والحركة ، ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر ، فهو اعتبار له اثره فى دعم الوجود واكتمال الشخصية ..

— ٣ —

على ضوء هذا يمكن أن نناقش مبررات عمل المراة بشيء من التحليل يبين ما فيها من اصالة او زيف متجردين من العصبية للقديم ، والهوى للحديث ، معتمدين العقل والفطرة ، وسنن الله .

فأما ان عمل المراة — بصفة عامة — يوسع آفاقها .. الخ ، فحق لا تنازع فيه ، بل يجب أن نوفره لها .

والذين نظروا فى هذا المبرر ، استنبطوه من جهل المراة فى الجيل الماضى والاجيال السابقة له ، وبقاياه الماثلة بيننا الآن ، اذ لم يكن لها من الالمام بعلوم الحياة والدين ، وألوان الثقافة والادب والفن ما ينير ذهنها ، ويصقل ذوقها ، ويصلها بآفاق من الحياة ، ويعرفها بقيمتها وحقها ، ورسالتها فى داخل البيت وخارجه ، فأورثها هذا الجهل ضيق المجال الحيوى ، والافق الذهنى وضمور الشخصية ، حتى لم يكن لها من قدر فى نفسها — غالبا — الا أنها كائن للحمل

والولادة ، وعمل البيت ، في اسلوب آلي محجوب عن الاستنارة التي تنظم ذلك . وتتبين اهدافه السامية التي ينطوي عليها أو تستتر خلفه .

ومن المعروف أن وراء زوجية الجنس زوجية اخرى روحية ، ثمارها السكن ، والمودة والرحمة .. وان وراء الامومة التي هي مجرد حمل وولادة ورضاعة ؛ أمومة اخرى روحية يبث الله بها في فطرة الولد — جنينا وغير جنين — استعدادا روحيا يعظم به قدر الوالدين ، وينبعث الى حبهما ؛ والمبادرة بخدمتهما وبرهما ، ويتبع ذلك في المجتمع من آثار وروابط سامية ما يتبعه .

وقررنا أيضا ان حقيقة وجودها هو انسانيتها ، التي تتضمن جوهر فضائل النفس والقيم العليا ، وان عليها رسالة في الاصلاح الاجتماعي والسياسي تحرس بها قيم المجتمع ، وتقوم سياسته في كل شأن من شئون الدولة .

وبينا ان طلب العلم ليس مجرد حق للمراة ، بل هو فريضة عليها يجب على المسئولين عنها — وليها او المجتمع ممثلا في الدولة — أن يمكنوها منه .. وان العلم المطلوب ، هو العلم بدينها وكل معرفة تنير ذهنها وتقوم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها ..

قدرنا ذلك كله باعتباره بعض الخطوط الاصيلة التي ينظم بها الاسلام وضع المراة في الحياة .. ولا شك في انه لو جنب المجتمع الاسلامي عوامل الدمار والتخلف التي اعترضته في الماضي ، واتيح له في كل عصر ان يقيم وضع المراة على تلك الاصول بقدر ما يتيسر له من ثقافة وعلم ، لكانت المراة المسلمة اليوم بين نساء العالم قاطبة مثالا فرداً لا يسامى ، ولا يدانى في كرامتها وثقافتها ، وعلو منزلتها وقيادتها ، وعمق أثرها ووضوحه في الحياة ، بما تحقق داخل البيت وخارجه من اهداف وقيم سامية ، ولكانت مضرب المثل ، ومنار القدوة في الشرق والغرب .. فاذا كنا صادقين في نشدان العلاج الحق لما تعانى المراة من ضيق الذهن وضمور الشخصية ، وعزلة عن الحياة ، وسأم من الفراغ ، فان ما قدمنا من منهج الاسلام الجامع يحقق فوق ما يدور بأحلام المصلحين من غايات وآمال ..

نعم ليس فيه ان تخرج المراة الى مصنع او بنك ، او مؤسسة أو نحوها . ولكنا ننشد علاج علة ، فاذا تيسر لنا ذلك العلاج على أوفاه وافضله مع اقامتها على شانها الطبيعي ، وواجبها نحو المجتمع فهو اولى — بلا نزاع — من أي علاج يقتضي تغييرا ما .. والا طلبنا غيره .

وهذا منهاج الاسلام يكفل لها — بل يفرض عليها — من الثقافة والعلم ما لا نجده في شريعة من الشرائع ، ونحسب ذلك ليس موضع خلاف .. وعملها الاصلاحي والسياسي في حراسته قيم المجتمع وتنميتها ، وتقويم الاتجاه العام ، ومراقبة اداة الدولة ، كتابة ، وخطابة ، ومشاركة في الاندية ، والجماعات ،

والمنظمات ، العاملة لذلك نيابية وغير نيابية .. وما تكسب فيه من خبرة ، وما تلقى من اجله من رجال ونساء من نماذج شتى ، ذوى مواهب وامزجة متباينة ، وتجارب كثيرة — ذلك كله جدير بان يملأ فراغ نفسها ووقتها بمشاغل قيمة ، تشعرها بنفسة الحياة ، وبأنها فى نفسها ذات قدر واهمية ، ويوسع آفاقها وصلتها بالحياة ، وينمى مقومات شخصيتها أبين واقوم ما تكون ، على مثال لا يبلغه — قطعا — عملها فى ديوان أو نحوه ، فضلا عن اننا لا نجد من يقول : ان قيامها بطرق الحديد فى مصنع ، أو لف البضاعة فى الورق للزبائن فى متجر ، أو عرض الملابس فى المعارض والصالات او قبض اثمان المشتريات ، او نحوه هو اجدى من ذلك — عقلا ، وروحا واحساسا بالسعادة والأهمية — فى العلاج الذي ننشده .

ذلك الى أن قيام المرأة فى بيت زوجها راعية لماله ، مدبرة لأمره ، مدركة لاهداف زوجيتها وامومتها ، عاملة لها فى ثقافة وصدق ، كاف لملء الفراغ .. فراغ قلبها ، وعقلها ، ووقتها الذى تشكوه .. وقد يكون هذا مدعاة جدل اذا انفردنا بتقريره ، ولكن اذا قررته امرأة مثقفة باملاء واقعها وتجربتها ، فهو تقرير من ذات اختصاص أدرى بمهام الأنثى وفطرتها عن وعى ، واجدر ألا ترمى بالرجعية أو عداء للمرأة ..

فهذه كاتبة امريكية — فيليس ماكنجلى — تقول فى مقال لها بعنوان : « البيت مملكة المرأة بدون منازع » « وهل نعد نحن النساء — بعد أن نلنا حرياتنا أخيرا — خائنات لجنسنا اذا ارتددنا لدورنا القديم فى البيوت ؟ » .

وتجيب على هذا السؤال بقولها : « ان لى آراء حاسمة فى هذه النقطة فاننى أصر على أن للنساء اكثر من حق فى البقاء كربات بيوت .. وانني اقدر مهنتنا واهميتها فى الحقل البشرى الى حد أدنى أراها كافية لأن تملأ الحياة والقلب (١) » .. فهذه كاتبة تتكلم باعتبارها امرأة « هل نعد نحن النساء خائنات لجنسنا » « انني أقدر مهنتنا فى الحقل البشرى » وهى مع ذلك غربية امريكية . أى من مجتمع أصبحت فيه المرأة العاملة حقيقة من حقائقه . فهى تتكلم بلسان الانوثة والتجربة ، ولهذين الاعتبارين وزنهما فى تأييد قولها اذا قالت : « ان مهمة ربة البيت فى الحقل البشرى كافية لأن تملأ فراغ الحياة والقلب » .

فاذا كان ثمة من يرى فى الاعتبار الاخير — بعد ذلك — موضع جدل له ، فاننا نعتقد انه لا جدال فى ان عمل المرأة الاصلاحى والسياسى فى حراسة قيم المجتمع وتنميتها .. الخ .. على المثال الذى اوردنا ، وبآثاره التى تتحقق به كاف لملء الوقت ، وعلاج آفة ضمور الذهن والشخصية .. أى كاف لزوال المبرر الاول من المبررات التى رتبوا عليها خروج المرأة للعمل .

« للحديث بقية »

---

(١) مجلة المختار عدد مارس ١٩٦٥ .

وَرَقات من تاريخ النكبة ٢

موقف السلطان عبد الحميد من توطين اليهود في فلسطين

نعود الى حديث المحاولات اليهودية التى حدثنا عن بعضها الشيخ على شيخ العرب ، فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة أخرى تلت تلك التى قام بها السفير اليهودى (غوش) ، وسبقت تلك التى قام بها اليهود الوقحون الثلاثة ، وعلى رأسهم (مزراحى قراصوه أفندى) وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحفي البريطانى (كريسبى) فى جريدة اقشام (المساء) التركية ، كما نقلتها جريدة « المعرض الاسبوعى » البيروتية فى عددها ١٩٣٦ المجلد العاشر ، فى كانون ثانى (يناير) ١٩٣٣ ص ١٩ قالت الجريدة :

« أرسل المسيو « كريسبى » الى جريدة « أقشام » التركية مقالا حول القضية الصهيونية ، بمناسبة الحوادث الأخيرة التى مرت بفلسطين ، ومما جاء فى هذا الحديث بتاريخ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ هذه الفقرات التى ننقلها فيما يلى الى قراء المعرض ، والتى يشير فيها الكاتب الى حادث وقع خلال سنتى ١٩٠٠ — ١٩٠١ قال :

(.. كان الدكتور هرتزل فى ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبى فى جريدة (نيوفرى) فى فينا ، فأرادنى أن أسعى له فى مقابلة السلطان عبد الحميد ، بعد أن بسط لى بحزن شديد كيف أن غليوم (امبراطور المانيا) والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقهما فى رحلة الامبراطور الى فلسطين . فقد وعده هذا الأخير أن

يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الآستانة اكتفى البرنس بأن عرفه الى عزت باشا (العابد) ، الذي ما كاد يسمع القضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ، ووجد أنها مزراب من الذهب (سبق لهذا الشخص أن ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) . وقد قبلت ان أهتم شخصيا بقضية الدكتور هرتزل ومطالبه ، خصوصا وان هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ .

وبدأت بكل شجاعة عملي ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام (جمال الدين أفندي) ، « وكنت على صلة دائمة به » ، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي ، فان هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور (هرتزل) وتقدماته الى الأعتاب السلطانية ، وكانت هذه التقدمات (الاقتراحات والعروض) باهرة واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في انحاء العالم بفلسطين ، أن يدفعوا الدين العثماني البالغ (اذا لم تخني الذاكرة ٣٣ مليون ليرة انكليزية) ، ويتعهدون كذلك ببناء اسطول كامل للدفاع عن أراضي الدولة العلية .

وفي هذه الأثناء قبل ان يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام .. ولكن هذه .. حبطت ولم تنجح ! ..) انتهى .

والذي كتبه مستر كريسبي في هذه المذكرات هو في الواقع تتمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد ، والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة ، توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية بالاراضي المقدسة . وها نحن نقدم للقارىء ما كتبه هرتزل نفسه في مذكراته التي طبعت بالالمانية في تل أبيب سنة ١٩٣٤ ميلادية حول هذا الموضوع الذي أثاره مسيو كريسبي بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) قال هرتزل :

(بعث السلطان الى وساما عالي الدرجة ومع الوسام جواب مفزع في هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة في هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فاني لست مستعدا لأن اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي ، روى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ..) أ. هـ.

ان مذكرات هرتزل لا تحتمل المناقشة فيما تضمنته من رأي الدولة العثمانية ، وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم ، لاغتصاب فلسطين ، وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! .

وأخيرا تمكن اليهود من غرز أظافر أطماعهم فى قلب فلسطين ، بعد أن أزاحوا من دربهم العائق الرئيسى الذى كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد ، وانتباهه الى أساليبهم المجبولة بالمكر والخداع والتضليل .

وباعلان الدستور (المشروطة) ، ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، فتحت مصاريع أبواب فلسطين أمام تدفق اليهود ، وتقول مجلة الكلمة فى عددها الصادر بتشرين ١٩١١ ص ٤٢٣ التى نقلتها مجلة المشرق المجلد ١٥ سنة ١٩١٢ ، ص ٨٠ .

« ان الدستور العثمانى .. منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود فى تركيا أن أخذوا يظهرون للملأ ماذا يصنعون بهذه المساواة فقبل كل شىء انسلوا الى الوظائف العالية فى المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر أن مديرى دفة جمعية (تركيا الفتاة) هم يهود .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور فى تركيا قد ملأ قلوب بنى اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة أعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الأتراك المسلمين ، وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية .. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جريدة (التايمس) الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة عمالتها لليهود ، رأت أن تذكر اليهود بالدور الذى لعبوه فى تهييج النصارى ضد الاسلام »

« على أن تظاهرهم بنياتهم اليهودية لم يلبث أن أهاج سكان فلسطين ، ولاسيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد تركيا الفتاة التى أمست من جراء استسلامها لليهود مكروهة فى أكثر أنحاء المملكة العثمانية .. » ا . هـ .

وفى معرض الحديث عن تأييد (جمعية الاتحاد والترقى) لليهود فى بلوغ ما هم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الأيام ، يقول عارف العارف فى كتابه : (المفصل فى تاريخ القدس ج ١ ص ٩٩) :

أنفسهم عدد غير قليل من الدونمة (الذين سبقت منا الاشارة الى أصلهم ومنشأهم (١)) فى حكومة الاتحاد والترقى أمثال (جاويد بك) وزير المالية من سلانيك . بساريا افندى وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلياح وزير التجارة والزراعة ، وكان ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (باتيش) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء فى أداة الحكم حتى أصبحت كلمتهم هى العليا .. وعن طريقهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقى ، سنت الحكومة قانونا يجيز للجمعيات أن تمتلك الاراضى فى فلسطين ، وسنت أيضا قانونا آخر ، أجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفتلك ، وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد وهى كثيرة) بالمزاد العلنى . وعن طريق هذه القوانين وأمثالها تمكن الصهيونيون من شراء اراضى فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ..) ا . هـ .

وقبيل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود وأنيابهم فى زحفهم المتوحش نحو فلسطين ، نرى أن

---

(١) هم اليهود الذين تستروا بالدخول في الاسلام .

نرجع بالقلم الى ما سمعناه من الشيخ على شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول بارك الله له فى صحته وعمره :

(سنة ١٩١٦ ، خلال الحرب العالمية الأولى ، كنت فى جبهة بئر السبع مع القائد الألمانى (فون كريس) وجاءت شكوى من يهود يافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابى ، فأرسلنى الجنرال (فون كريس) الى يافا للتحقيق فى شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ، ونزلت ضيفا على السيد على افندى المستقيم من اعيان يافا . وسألت مضيفى وغيره عن حالة حسن بك الجابى ، وعلمت أن عداوة حسن بك لليهود أسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة الانجليز ، واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحى العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابى الى تل أبيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة ١٩١٠ م أى فى فترة أربع سنوات قبل اعلان الحرب وتحقق عندى أن مجموع اليهود بفلسطين بعد أن كان فى عهد عبد الحميد بين أربعين الى خمسين الفا أصبح الآن فوق الثمانين الفا .

وعدت الى بئر السبع ، وقدمت تقريرا الى (فون كريس) وكتبت فى التقرير أن شكوى اليهود من حسن بك الجابى أسبابها احتكارهم لأسباب المعيشة . ولم أذكر (لفون كريس) شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الأركان الحربية التركى (رشدى بك ثم باشا) الذى يعلم بأن القطعات الالمانية عندها يهود يقومون بأعمال الترجمة بين الألمان والأتراك والعرب ، وانهم يشغلون وظائفهم التى تمكنهم من الاطلاع على الأسرار للتجسس على حركة الجيوش العثمانية فى جبهة سيناء ، ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانجليز » .

اما بعد ..

فلقد لعبت سياط سبتيموس سفيروس (الليبى الذى تزوج عربية من حمص اسمها جولياد منة ، ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب قام به ضد سلفه) فى اقفية اليهود سنة ١٣٥ للميلاد ، فغادروا القدس الشريف ، ولم يكونوا يدخلون هذا البلد الا حينما يتوجهون الى حائط المبكى (البراق الشريف) ويدندنون قائلين مع البكاء والنحيب والأمل واليأس بالعبرانية :

(من أجل القصر الذى أصبح خاليا ، نجلس فى الوحدة ونوح) .
(ومن اجل القصر الذى هدم) .
« ومن أجل عظمتنا الراحلة »
ومن أجل رجالنا العظام المائتين
ومن أجل الحجارة الثمينة التى احرقت .
ومن أجل ملوكنا الذين كرموه

نتضرع اليك ، كن رحوما بصهيون
اجمع شمل أبناء أورشليم
عجل الينا يا مخلص صهيون
انزل رحمتك فى قلب أورشليم
فلتكلل صهيون بالمجد والجمال
واعد الينا مملكة صهيون حالا
وامنح العزاء الى النائحين على أورشليم » .

« البقية على ص : ٤٨ »

نفثات

من الشعر الصوفي

شمس الحقيقة

اسقياني واترعا اكوابي	ودعاني فذاك يوم متابي
اسقياني فان سكرت فزيدوا	ان صحوى بان تزيدوا شرابي
كل كاس كانما نحتسوها	من قلوب العباد فى المحراب
احتسى راحها وانسى لديها	نسبا قام لى بهذا التراب
واراني ارف الافق العالى	رفيف الورود غب السحاب
وارى الشمس خير ما لاحت	الشمس تبث الضياء فى اعصابي
ما هدت مقتلى الى سنن الحق	ولكن هدت عصى رغابي

* * *

ايه يا شمس نحن عشاقك الهيم	فبيني ولو وراء نقاب
هل سمعت القصيد الا نسيبا	فى سناك المطهر المستطاب
غزلا للهوى به ومضات	مثل ومض الضحى على الاعشاب
نقطع الليل فى رجاوة لقياك	وندعو بابعد الاسباب
وكان السماء تصغى الى النجوى	وصمت النجوم جد عجاب
وكان الصبا تراوح منها	خفقات ملأن افق الروابي
ما لهذا الظلام يفهم نجواى	ويبدو كانه متغاب ؟
اسقياني من خمرة الامل المنشود	فى منزه فسيح الرحاب
اسقياني فان ظفرت بسر	فسكوتى عن الجواب جوابي
التمست الرضا فلا باس ان القاه	بين السهود والاوصاب
ورجوت الذى تذوق به روحي	سلافا تسمو على الاعناب
ونشدت الهوى يظلل احلامى	فياسو براحة الحب ما بى

روحية

للاستاذ الشاعر :
العوضي الوكيل

الى حبيب الله

لك يا حبيب الله خـــير تحـــية — وعلى ســـناك من القلوب ســـلام
فاءت اليك الروح بعــد ضـــلالها — وهفت الى انوارك الاحـــــلام
مثل الشـــجاعة والبطولة والحجا — والحـــزم .. لو يتـــدبر الاقوام
جاهدت فى الرحمن حق جهـــاده — فســـما بعز جهادك الاســـلام

***

ولقــد دعانى نحو أرضــك هاتف — عــذب الهتـــاف كانه انغـــام
تتلهف الاشـــواق بين جوانحى — ويمر عـــام بالرجـــاء وعـــام
ويـــكاد يعصرنى الحنين لروضــة — فيهـــا الحجـــيج الى ثراك زحام
يا نعمة الله الـــكريم لخلـــقه — بى لهفة مشـــبوبة وهيـــام
ان همت فى هـــذا الجلال وقدسه — وبهـــاه فالعشـــاق قبلى هاموا
لم أمتـــدح يوما ســـواك وانه — ابدا لشدوى فى الزمان وســـام

***

يا رب بالهـــادى الامين وبالـــكتاب — القـــدس قد عـــزت به الايام
صـــلنا بحبلك انه الحـــبل الذى — لا يعـــتريه على الزمان فصـــام
وابعث لنـــا من نور وجهك رحمة — تسقى كما ســـقت الرياض غمام
وامســـح جراحات النفوس براحة — جرح النفـــوس بلمســـها يلتام

الطريق إلى مجتمع عصري

للأستاذ : محمد جلال كشك

عندما روعت الجماهير العربية بالخامس من يونية .. وما جرى فيه ، ذلك الذى وصفته صحيفة كبرى بأنه نصر حققته اسرائيل ، نصر لم يسبق له مثيل فى التاريخ .. ولا يمكن أن يجود الزمان بمثله فى مستقبل الأيام ..

وعندما أطلت الجماهير العربية على جيش اذلاء الأرض يعربد كيف شاء فى أرض ثلاث دول عربية ، تعدادها يصل الى عشرين ضعفا من تعداد اسرائيل ..

عندما روعت بهذا الذى فاق كل تخيل وتخطى كل تحليل .. كان من الطبيعى أن تفتش عن جواب وأن تتساءل عن تفسير لهذه القارعة ! .

وعرفت الجماهير الجواب .. بفطرتها الصادقة ، وغريزتها التى لا تخطىء .. فأمتنا لا تجمع على باطل أبدا .. شهد لها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تثبت النظريات وعبرة التاريخ ، وقبل أن يكتشف دعاة الديموقراطية أن الشعوب على حق دائما ..

أعلنت الأمة رأيها واضحا لا غموض فيه ، عندما صفقت وهتفت للاشارة الى القيم الدينية فى احتفال ٢٣ يوليو الأخير ، تصفيقا من نبضات القلب وصحوة الضمير ومرارة عجز القادرين على التمام ..

ان هذه الاشارة التى نبهت كل من كان له عقل يفقه به ، قد أكدت أن فطرة الجماهير سليمة ، وأن مؤامرات التشويه والافساد التى تكالبت عليها بتحريض الاستعمار والصهيونية وتمويلهما وتدريبهما وتدبيرهما .. قد باءت بالفشل ، فلم تفسد غرائز الجماهير ، ولا شوهت فطرتها ، فما زالت مسلمة مؤمنة صادقة فى اسلامها ، واعية بما يدبر لها ، تهفو بقلبها لمن يستصرخ اسلامها .. لمن يعرف أن الطريق الوحيد للخلاص يبدأ بقولة : لا اله الا الله محمد رسول الله ..

ولكن .. ذلك الذى حدث فى الخامس من يونية .. لم يكن مصادفة ، وان كان أعجب من المصادفة ، ولا كان ضربة حظ جاءت عفوا ، وان فاقت كما قال الاسرائيليون أقصى أحلامهم .. وما كان بالحادث العارض ، الذى افضت اليه احداث الأيام أو حتى الاسابيع والشهور التى سبقته .. بل هو يوم موقوت ، وحلقة جاءت فى موضعها الذى رسم لها ، ضمن سلسلة طويلة من الأحداث ، نفذ بعضها ، ويعد لتنفيذ بعضها الآخر .. من أجل مخطط رسم له واعده شر استعمار عرفته الدنيا .. استعمار الراسمالية اليهودية العالمية التى تسمى

السيطرة على العالم ، من خلال السيطرة على الوطن العربى ، قلب الكرة الأرضية ومركز السيطرة الاستراتيجى على العالم ..

ولكي يأخذ الخامس من يونية مكانه المرتجى ضمن هذا المخطط فلا بد أن يتحقق هدفان :

- أن تزيف على الأمة العربية عبرة هذا الحدث ، فتمنع بكل وسائل التضليل من استخلاص الجواب الصحيح الذى يمكنها من مواجهة التحدى المصيرى الذى تكشف فى ذلك اليوم المشئوم ..
- أن يدلس على الأمة العربية ، فتقدم لها تفاسير مضللة ، لكى تساق الأمة العربية فى متاهات جديدة من الضلال تجرها الى خامس جديد ، والى العديد من ذلك .. حتى يبلغ المخطط الصهيونى غايته ..

ولا شك أن أعداء أمتنا قد روعهم اكتشاف الجماهير واعلانها أن الحل هو الدين .. لذلك فقد سارعوا بما يملكون من وسائل دعاية وتضليل الى تزييف التفسيرات .. وسرعان ما سقط بعض المخلصين .. وغيرهم فى شراك هذه التفسيرات .. فسمعنا بحكاية المجتمع العصرى .. وضرورة أن نصبح مجتمعا عصريا ان شئنا أن نغلب اسرائيل ، وأن الهزيمة ترجع الى اختلاف مستوى التعليم بين العرب واسرائيل ! ..

لم تكن محتومة !

وأول ما يتبادر الى الذهن ، أنه بطرح القضية على هذا المستوى ، يعنى أننا نحول الهزيمة الى قانون طبيعى ، ما من سبيل الى تفاديه ، وأن هذا القانون سيظل يعمل لفترة طويلة من الزمن ، حتى نصبح مجتمعا متحضرا عصريا .. والقضاء على الأمية ، مجرد محو الأمية فى الوطن العربى ، يحتاج لعشرين عاما على الأقل .. فما بالك ببناء مجتمع عصرى فى مستوى أوروبا وأمريكا ؟ !

هذا التفسير (المجتمع العصرى ؟ !) يجعل من الهزيمة قدرا محتوما ويحمل التخلف وحده مسئولية ما جرى .. وانتظروا يا عرب حتى يسوق الدبابة مهندس ! ..

بل بالعقيدة

والخطورة الحقيقية فى هذا التفسير ، تكمن فى أنه يحاول أن يضلل الجماهير عن القضية الرئيسية ، قضية العقيدة .. الدين ..

فليس ثمة خلاف على أهمية الآلات ، ولا أظن أن مجتمعا من المجتمعات لا يعرف أهمية أن تكون لديه طائرات ودبابات من أحدث طراز ، حتى ولو لم يبذل أى جهد فى امتلاكها .. وشهد الله وشهد التاريخ أن الجماهير ما بخلت بشىء فى سبيل أن تمتلك ، وما رفضت يوما أن تتعلم ..

ولا نظن أن الجنس البشرى بحاجة الى من يعلمه فضل التكنولوجيا ، وأهمية المخترعات الحديثة .. وليس فى العرب اليوم من يفضل الحمار على السيارة .. أو (لمبة الغاز) على المصباح الكهربائى .. ولو كان لثوار فيتنام من سبيل الى قنبلة ذرية .. لدفعوا فيها ملايين من أرواح شعبهم ..

لماذا اذن هذا الجدل ؟ وأين هو الكشف العبقرى الذى اكتشفوه .. وهل كنا بحاجة الى مثل هزيمة ٥ يونية لنكتشف أهمية العلم ؟

وما الذى حال بيننا وبين « العصرية » طوال هذه السنوات ؟ وهل عرفنا

من العصرية ، الا منع الطلاق وتعدد الزوجات ، وانشـــاء الفرق الراقصة ، والهوس في النقاش حول الاختلاط في المدارس كأنها قضية مصيرية ؟ !

لماذا لم ننتبه الى أن « المجتمع العصرى » في اسرائيل الذى اكتشفوه فجأة ، يحرم الزواج المدنى ، وتلقي الجماهير فيه الأحجار على من يعمل يوم السبت .. لماذا لم ينتبهوا وهم ينشرون ساخرين في الصحف العبرية هذا الخبر الذى أنقله بحروفه من جريدة عربية :

(العقيدة اليهودية

(في جنازة تشرشل !

(لندن — ا.ب ..

اضطر شازار رئيس جمهورية اسرائيل (٧٦) سنة وبن جوريون (٧٨ سنة) الى السير مشيا على الأقدام مسافة ميل ونصف ميل ، وذلك أثناء تشييع جنازة تشرشل أمس الأول حيث وافق اليوم الذى تحرم فيه الديانة اليهودية على اليهود استخدام وسائل النقل ..)

الصحيفة اكتفت بوضع علامة تعجب .. ربما من قلة « العصرية » في زعماء اسرائيل .. والى الآن لم يحاول أحد أن يفسر لنا هـذا اللغز .. كيف يكون هؤلاء الزعماء غير العصريين ، المتدينين ، يديرون مثل هـذا المجتمع العصرى ؟ ! ولماذا كتب علينا وحدنا أن نتنكر لديننا ان شئنا أن نصبح عصريين ؟ هل ديننا من طراز أقدم من اليهودية .. يا أولي الألباب ! ..

لا .. بل لأن الذين وضعوا المؤامرة الصهيونية قد عرفوا ومنذ سنوات أن « شعب اسرائيل » لم يحافظ على السبت فحسب ، بل ان السبت هو الذى حافظ على شعب اسرائيل (١) .

وما دام البعض قد اختار أن يتعلم من اسرائيل .. فلماذا لا يحسنون الاختيار ..

لقد تحدث بن جوريون أخيرا عن دروس الخامس من يونية ، فماذا قال ؟

« **لقد كان من نصيب شعبنا دائما ان يقف كاقلية امام الاكثرية ، ولذلك ذكر انبياؤنا** (لم يخجل بن جوريون من الاستشهاد بأنبياء بنى اسرائيل .. ولا يرى في ذلك ما يتنافى مع العصرية !) **منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة .. « انكم اقل الشعوب جميعا » .. ولذلك يجب على شعب اسرائيل ان يكون شعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع ان يقف بعظمته امام شعوب اكبر منه ، وبدون التفوق الروحى لم يكن شعبنا يستطيع ان يبقى الفى سنة ، ولا استطاع احياء وطنه** » .

هـذا ما قاله بن جوريون .. فهل يعنى ذلك أن بن جوريون ، درويش مجذوب ؟ .. وهل صحيح أن اسرائيل بعد الحرب لم تستورد طائرات ومدافع ودبابات ؟ .. هل أوقفت اسرائيل التعليم وعكفت على تلاوة التوراة عند حائط المبكى تنشد التابوت الذى ضاع ! ..

لا .. بن جوريون سفاح أشر ، يعرف جيدا أهمية المدافع والصواريخ .. وضرورة ضرب مدرجات الطيران قبل ضرب الطائرات ، ولا يترك صغيرة في التقدم العلمى الا استغلها ، ولكنه أيضا .. بل وأولا — يعرف كيف تأتى المدافع والصواريخ .. وكيف تنطلق فتصيب .. وبماذا تنتصر ؟ ! .. يعرف أنها تنتصر بالقيم الروحية وحدها ..

بالايمان يدفع اليهودى ويتبرع .. ويخترع ، ويسرق الاختراعات .. ويتحمس ويموت .. وبالايمان يقاتل ..

---

(١) من كلمات « آحادها عام » فيلسوف يهودى وصهيونى ١٨٩٨ .

وما ابشع أن يصدف الناس عن اللحم الطازج ويعكفون على مضغ المنتن ! ..
ما أعجب أن تعمى قلوبنا عن تاريخنا ، فلا نستخلص منه العبرة والتجربة .
فعندما خرج الحفاة العراة ، رعاة الشاء من الجزيرة العربية يدكون ملك كسرى ، ويجبرون قيصر على القاء نظرة كسيرة على سوريا ، وهو يقول : وداعا يا سوريا .. وداعا لا لقاء بعده ..
هل كان العرب متفوقين تكنولوجيا على فارس وروما .. ؟! هل كان المجتمع الاسلامي بالمقاييس المادية اكثر عصرية وتمدينا من المجتمع الروماني بكل حضارته وعلمه ومدنيته ؟ . أم كان اكثر تقدما وتفوقا على عرش فارس ومدنية الفرس ، وعلم الفرس ، وصناعة الفرس ؟ ..
لا .. فالعربى الذى أسر ابنة كسرى ، افتدوها منه ، فطلب الف درهم ! .. قالوا لو طلبت مائة الف لدفعنا .. رد العربى المنتصر .. كنت أحسب أن الألف نهاية العدد !
وحكى عبيد بن جحش السلمي ، قال : (لقد رايتنا وانا لنطأ على ظهور الرجال ، من جيش الفرس ، ما مسهم سلاح ، قتل بعضهم بعضا ، ولقد رايتنا أصبنا جرابا من كافور ، فحسبناه ملحا لا نشك أنه ملح ، فطبخنا لحما ، فجعلنا نلقيه في القدر فلا نجد له طعما ، فمر بنا رجل معه قميص فقال يا معشر العرب ، لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميص ؟ فأخذناه منه وأعطيناه منا رجلا يلبسه . فجعلنا نطيف به ونعجب منه ، **فلما عرفنا الثياب** (تأمل) ! ، اذا ثمن ذلك القميص درهمان) .
بهؤلاء الذين لا يعرفون فى العدد اكثر من الف .. والذين لا يعرفون الكافور من الملح .. والذين ما كانوا قد عرفوا بعد الثياب .. انتصر الاسلام ، ودك ملك كسرى ، وانتشروا يحكمون الأرض من البحر الأبيض المتوسط الى أواسط آسيا .. أفكان نسبة هؤلاء للحضارات العريقة المحيطة بهم .. اقرب من نسبة الفلاح العربى للجندى الاسرائيلى ؟ ..
فلماذا انتصر هؤلاء .. وعجزنا نحن ؟ . لأن العرب الأوائل كان معهم الايمان .. فقهروا به الدنيا ..
لقد فاجأهم الفرس بسلاح ما عرفوه ولا جربوه .. الفيل .. حتى انه لما جىء به الى المدينة بعد ذلك .. طافت به النسوة متعجبات ، وهن يقلن (هذا من صنع الفرس) !! ولم يصدقن أنه من مخلوقات الله ! .. ظنوه آلة او حيلة فارسية ؟ ! .
ومع ذلك لم يجبنوا ولا فروا أمام الفيل ..
يروى الطبرى (ولما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب ، أرسل الى أولئك المسلمة وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيلة ، هل لها مقاتل ؟ فقالوا نعم ، المشافر ، والعيون لا ينتفع بها بعدها .. فأرسل الى القعقاع وعاصم ابنى عمرو : اكفيانى الأبيض ، وكانت كلها آلفة له ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ودبافى خيل ورجل فقالا : اكتنفوه لتحيروه ، وهما مع القوم ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كل واحد منهما يمنة ويسرة ، وهما يريدان أن يتخبطا والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحيهما معا فى عينى الفيل الأبيض ، فقبع ونفض راسه ، فطرح سائسه ، ودلى مشفره فنفخه القعقاع ، فرمى به ، ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه .. » .
ما الذى يدفع القعقاع وعاصم الى مواجهة الفيل الذى ما عرفوه ولا قاتلوه .. بالرماح .. وكيف تقوى أعصابهما الى حد أن يضعا معا وفى وقت

واحد الرمح فى عينى الفيل ! .. وفوقه عشرون مقاتلا ؟ ! ، وما الذى يجعل القعقاع وعاصم اليوم يغادران دبابة زنة ستين طنا من الصلب لو آوى اليها ابن نوح لعصمته من الماء والنار .. الا من امر الله ..

لماذا .. لأن قعقاع الأمس كان يملأ قلبه الايمـــان فقهر ايمانه الفيل .. وقعقاع اليوم بلا عقيدة .. ولو استتر بألف طن من الصـــلب لما حمته ولا أمن لها .

كانت روما سيدة البحار بلا منازع ، وكان البحر الأبيض بحيرة رومانية حقا وصدقا .. من سيطرة كاملة على الشـــواطىء جميعها الى التفرد بامتلاك الأسطول الوحيد العامل فى هذه المياه .. وعمر بن الخطاب .. قاهر روما .. لم ير البحر ، ولا ركب سفينة فى حياته .. بل يطلب من فصـــيح أن يصف له البحر ، فيصفه بعبارات بليغة ، تفزع عمر رضى الله عنه ، شفقة على رعيته .. فيقسم الا يحمل المسلمين عليه أبدا ..

ومع ذلك طردت روما ، من شواطىء البحر الأبيض .. وما تـكاد تمضي سنوات ، حتى يكون للمسلمين الأسطول الأقوى ، وحتى ينزلوا بروما هزيمة بحرية ساحقة فى موقعة ذات الصوارى التى لا تقل أهمية عن موقعة الارمادا .

ماذا كان يملك العرب .. لا شىء سوى العقيدة « التفوق الروحى » .. الاحساس بأنهم يقاتلون من أجل قيم أفضل ، ونظرة للوجود .. للانسـان .. للحياة .. أفضل من نظرة خصمهم وأحق بأن تنصر ..

انظر الى قيصر يرسل جاسوسا الى معســـكر المســلمين يتجسس له ليعرف سر انتصار هؤلاء الحفاة الذين صبروا عليهم فى حصـــار حمص وقالوا هؤلاء الحفاة اذا جاء الشتاء .. تجمدت أقدامهم وانهزموا .. فما راعهم الا انهم أكثر ثباتا على الصقيع منهم فى نعالهم الثقيلة وملابسهم الغليظة ! ..

يروى الطبرى نقلا عن شيوخه .. أن قيصر بعث جاســوسه فعاد اليه بصفة المسلمين قال : « بالليل رهبان .. وبالنهار فرســـان .. ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم » .

لا أريد أن أناقش الجانب التاريخى من الواقعة ، فربما بعث قيصر ، وربما لم يبعث ، ولكن القصة تعكس فهم المسلمين لسر انتصارهم .. انه أبدا ليس التفوق التكنولوجى .. بل التفوق الروحى ..

بالعقيدة .. بها انتصروا .. وتعلموا .. وصنعوا واخترعوا .. وأثروا التاريخ البشرى ..

نقطة البدء فى كل حضارة هى .. العقيدة .. هى القيم الموجهة للجماهير .. هى الأفكار التى توجه سلوك قيادتها ..

والذين تسمموا بالغزو الفكرى ، يظنون أنه مما يتنافى مع التقدم الآلى ان يتمسك المرء بدينه .. ناسين أن الباب المفضى الى المخابرات الامريكية منقوش عليه آية من الانجيل (١) .. وأن أول دبابة اسرائيلية دخلت سيناء كانت تحمل نصا من التوراة ! ..

يستخلصون لنا من أحداث الخامس من يونية .. عبرة التكنولوجيا .. ثم لا يتساءلون ما الذى جعل هذا المجتمع الذى يضم أخلاط الشعوب أكثر وحدة وأكثر تماسكا وأكثر اصرارا على الباطل ، وأكثر قدرة على انجاز التكنولوجيا والتفوق الآلى ..

لأن شازار وبن جوريون يرفضان ركوب سيارة فى لندن يوم السبت لأنه محرم فى الديانة اليهودية !

---

(١) من كتاب الحكومة الخفية .

وعندما اقترح أحدهم يوم الثامن من يونية أن يلغى الاحتفال بالمولد النبوى حتى لا يتعطل المجهود الحربى .. ! صحيح أن اقتراحه قد رفض ، ولكن مجرد الاقتراح يكشف طبيعة التفكير المصرى الذى قادنا الى ما صرنا اليه ..

ويقول مؤسسو الصهيونية :

« الحياة الدينية اليهودية هي دون سواها سر خلود اسرائيل ، وسيظل اسرائيل خالدا طالما بقى متعلقا بالتوراة ، فاذا هجر اسرائيل التوراة ، اندثر تاريخه فى رمال الصحراء ولو ظل مقيما فى أرضه وبلاده » .

ويقول شختر « ان نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودى امران لا ينفصلان » .

ونحن تركنا من يتطاول على قرآننا ، وأمكن أن يطبع فى بلد عربى مقال فيه سب لله سبحانه وتعالى قبيل النكسة بأيام ! ..

المصريون فى بلادنا كانت لا تشغلهم مشكلة مثل مشكلة اللغة العربية ، اللغة الحية العريقة ، التى تنفرد وحدها دون لغات العالم أجمع باتصالها الثقافى .. فأنا أقرأ وأنقل لكم من كتاب الطبرى عبر الف سنة أو تزيد ! .. ما تغير فيه حرف ، ولا صعب علينا فهم جملة ! .. أمة بهذا الاستمرار وهذا الاتصال ، تجعل لغتها هدفا للسخرية ، ومحاولات العامية ، وادعاء صعوبتها وتخلفها ..

أما فى اسرائيل فهم يقولون : « طالما سنظل يهودا وطالما سننادى بأن التوراة كتابنا يجب أن نقدس اللغة التى كتبت بها تقديسا لا حد له » .

« الذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشعبنا ومجده الخالد (١) » .

اسرائيل أحيت من الحفريات ، لغة انقرضت منذ ٢٠٠٠ سنة ، وسمت كل منشآتها بها .. « كنيست .. كيبوتيزم .. هستدروت » كل المصطلحات التى لم تسمع بها العبرية قبل أن تختفى من الحياة ، نحتت لها الألفاظ العبرية ، بل وتشترط اسرائيل على كل مهاجر اليها أن يتخلى عن اسمه القديم ويتخذ اسما عبريا أو « يعبرن » اسمه ..

وشموئيل يوسف عجنون ، يكتب بالعبرية ويصفها بأنها لغة الله .. ويتقدم بها للحصول على جائزة نوبل ويفوز بها ..

هل حالت العبرية التى تدرس بها اسرائيل فى معاهدها دون دراسة الطب والذرة والصواريخ ومعادلات الشفرة وحلها ؟ ! ..

هل العبرية لها فى العلوم تاريخ أعرق أو أحدث من العربية .. لماذا يتوقف المصريون عندنا وحدنا ويصرون على أن العلوم لا يمكن أن تدرس بالعربية ويحذروننا من التخلف .. فزادهم الله تخلفا ؟ ! ..

ليس الخلاف يا قوم — اذن — على الآلات ، فلا بد من امتلاكها ، بل على الروح التى تمكننا من امتلاك الآلات ..

الروح التى تمكننا من ادارة هذه الآلات وصنع النصر بها ..

يقول بن جوريون فى عام ١٩٤٩ : « كل ما يجىء به العلم الحديث ، لا يكفى وحده ، ولن تكون الكلمة الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب ، انما تكون للانسان الذى يسخر هذه الوسائل لارادته » .

وقال فى نفس الخطاب أمام الضباط المتخرجين من الكلية الحربية : « سنفوز على العرب بفضل تفوقنا فى القوة والخلق والعقل ، ان جيشنا الذى

---

(١) جوزيف موريس .. يهودى انجليزى ١٩٠٧ (من كتاب الفكر اليهودى) .

شاءت الظروف المادية أن يكون جيشا صغيرا ، سيكون فى المستقبل في طليعة الجيوش الممتازة سواء من الناحية التقليدية الروحية أو الصناعية الفنية » .

اليهود الذين عبدوا عجل الذهب .. عندما ارادوا أن يبنوا دولة ، ويقاتلوا .. عرفوا قيمة القيم الروحية ..

اليهود الذين لا تاريخ حقيقيا لهم كأمة .. جعلوا من توراتهم التاريخ الذى يتعصبون له ، ويستصرخونه وقت الشدائد ، ويبنون له مستقبلا ..

اليهود الذين اندثرت لغتهم ، أعادوا بعثها ، وفرضوها على العالم ، ونالوا بها جائزة نوبل .

لأن الصهيونية تعرف أنه لا يمكن اقناع اليهودى الامريكى بمغادرة واشنطن والهجرة الى صحراء النقب .. من أجل العيش فى مجتمع عصرى ! .. وانما يهاجر اليهودى من أمريكا حيث كل شىء عصرى ، الى فلسطين بدافع العقيدة الذى يتسمم به ، وبحمى العقيدة هذه يقاتل ، ويبنى مجتمعا عصريا ، ويصبر على التخلف فيه ..

وبعد :

فنحن لا نهون من شأن الآلات ، ولكن نركز على حقيقيتين :

● انه بالنسبة لمجتمعنا الذى يخرج من مرحلة تخلف قاسية ، تصبح فلسفة استسلامية تلك التى تعلق استقلالنا الوطنى ، وقدرتنا على مقاومة الغزو الاسرائيلى المتبجح ، تعلق ذلك على تفوقنا التكنولوجى على اسرائيل والغرب الذى يساند اسرائيل !!

ان معنى ذلك ، قبول المذلة لسنوات عديدة ، بل اننا نرى أن رفض الاستسلام والاصرار على القتال هو بداية التطور العلمى والفنى للدول العربية .. ونرى أن حساب القوة ، بحساب التكنولوجيا .. هو حساب مقبول بين الدول المتقدمة : كم صاروخا لدى كل منها .. ومدى كل صاروخ .. ولكنه فى حالتنا نحن ليس بالعامل الحاسم ، لأننا ما زلنا نستطيع أن نسحق اسرائيل بتفوقنا البشرى ، شرط أن يحرك هؤلاء البشر ، عقيدة حقيقية ، كتلك التى حركت المسلمين الاوائل ، فيقتنع المقاتل العربى أن الاستشهاد ينقله الى دار أعز وأكرم ، فيصبح أحرص على الموت من حرص خصمه على الحياة .. عندئذ .. وعندئذ فقط تكتب لأمتنا الحياة ..

فنحن نرفض هذه النظرية التى تحكم على الحرب من مجرد حساب الفرق التكنولوجى بين مجتمعين .. والا لما خافت روسيا ، فى الوقت الذى قاتلت فيه فيتنام .. ولما هزمت فرنسا من الجزائر .. ولا سقطت من قبل روما وفارس تحت ضربات العرب المسلمين .. وقد كان عرب الأندلس اكثر تفوقا فى الحضارة المادية من كاثوليك أسبانيا ، وهزمهم المتخلفون لأنهم كانوا الأكثر حمية لعقيدتهم . بينما دق الأتراك العثمانيون أسوار فينا ، وما كانوا قد عرفوا من الحضارة شيئا كبيرا .. ولكن لأنهم كانوا اكثر تعصبا لعقيدتهم .

أما عندما تتخلى الأمم عن عقائدها ، فالنصر يصبح حينئذ للآلة الأقوى .. فان جمع خصمها بين التفوق فى الآلات والايمان بالعقيدة .. أية عقيدة .. عندئذ يهزم أصحاب العقيدة الفاسدة ومن لا عقيدة لهم ..

● النقطة الثانية : أن التقدم الحضارى ليس مجرد قرار يتخذ .. أو مرسوم يصدر باستيراد الحضارة .. هذه هى مأساة التفكير المنحرف الذى ظن أن التقدم يتحقق باستيراد الآلات والنظم .. لا .. التقدم هو انقلاب فى صميم تكوين المجتمع .. وفوق أرضه ، ومن مكوناته الذاتية ..

وما من سبيل الى خلق الدفعة التى تسوق المجتمعات فى طريق التنمية ،

الا من خلال عقيدة كفاحية تسيطر على المجتمع وتوجهه ، وتطلق كل امكانياته ..

ما الذى يجعل الفرد القادر ينفق أمواله على تقدم المجتمع بدلا من انفاقها على التمتع برفاهية التقدم المستوردة ؟ لا بد من فلسفة تربط المجتمع كله وتوجهه فى طريق التضحية والبناء ..

ولا نريد هنا أن نناقش الأسباب التى تجعل من الاسلام هو وحده العقيدة القادرة على اطلاق طاقات الأمة العربية .. ولكن يكفى أن نستقرىء التاريخ ، فما من مجتمع متخلف عبر التاريخ كله استطاع أن يحقق الانقلاب الآلى ، ويصل الى مجتمع الأقوياء من خلال اعتناق فلسفة المجتمعات المتقدمة ..

أبدا ..

العرب بدءوا برفض عقيدة وفلسفة ونظام حكم المجتمعات المتقدمة حولهم .. حتى كان من تعبيرات النقد والسباب عندهم أن يوصف نظام الحكم أو السلوك بأنه « قيصرية أو كسروية » .. فلم ينادوا بالاقتداء بهم ونقل نظامهم ليصبحوا أغنياء ومتحضرين مثلهم ! انهم لو فعلوا ذلك لما عرف العالم شيئا يسمى الحضارة الاسلامية ..

والحضارة الغربية ، رغم كل ما تعلمته واقتبسته من المسلمين ، قامت على أساس رفض العقيدة الاسلامية ، واختراع صورة بشعة للشرق .. حتى أصبح من المصطلحات المتعارف عليها فى القاموس الايدلوجى للغرب .. « الاستبداد الشرقى » .. « الحاشية الشرقية » « الحريم » .. « الخضوع » .. « القدر » .. الخ من الأكاذيب ..

روسيا لم يمكنها أن تحقق التقدم الصناعى ، الذى انجزه الغرب قبلها . ولا كان بوسعها أن تفرض نفسها على العالم كدولة كبرى .. الا برفض ايدلوجية الغرب وقيمه ، واعتناق نظرية تبشر بانهيار الحضارة الغربية ، وتدينه بكل موبقة ، ثم تحولت هذه النظرية على يد لنين وستالين الى عقيدة روسية خالصة .

وواجهت الصين هذه المشكلة .. فقد كان يمكن لها فى ظل اعتناق فلسفة ونظم الغرب الرأسمالى أن تحقق تقدما بطيئا كذلك الذى تحققه بعض الدول المجاورة لها .. وكان بوسعها أن تحقق معدلا أسرع فى ظل الفلسفة الشيوعية الروسية .. ولكن الصين ، لأنها تريد انجاز المستحيل ، وتصر على أن تصبح دولة كبرى خلال سنوات قليلة ، تعتقد أنها الفسحة التى تنتزعها من خصومها قبل أن يهجموا عليها .. لذلك لجأت الصين الى الطريق الوحيد الذى يحقق التفوق الآلى .. وهو الاستقلال الروحى .. فانفصلت عن الغرب والشرق ، وقطعت كل تبعية روحية لها بالمعسكرين .. واصطنعت لها نظرية خاصة وفلسفة خاصة تكون فيها أمام شعبها رائدة لا تابعة .. فالتابع روحيا لا يحقق تفوقا ماديا ..

فلا سبيل أمام مجتمع متخلف ينشد الانقلاب الصناعى الا اعتناق فلسفة خاصة ، وعقيدة خاصة مستقلة ..

فابدءوا بالعقيدة ، قبل أن تتحدثوا عن المصرية ..

واذا كان الجميع يعترفون اليوم بأن ما طرح بيننا من وسائل ايقاظ القوى المعنوية لم يثمر ثمرته المرجوة .

فان من حق الأمة العربية أن تطالب اليوم وتقول : التفتوا هنا .. فان هذه الأمة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها .. عودوا .. الى الاسلام .. وامنحوا الجماهير عقيدة تقاتل تحتها .. وتنتصر من أجلها وبها ..

محمد جلال كشك

كان ذلك منذ ١٣٥ بعد الميلاد .

نحن اليوم فى سنة ١٩٦٧ بعد الميلاد ، وانا لنجد دولاب الدهر يدور حاملا فى الخامس من شهره السادس القرار للتائهين ، والفرار لأبناء فلسطين المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت أجفانهم من طول البكاء ، يمسحون دموعهم بالخناجر التى ضرجوها بدماء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط بأهازيج النصر ، بعد ان كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسربلين بعار المذلة والخسر ، بينما امتنا المسلمة ، فى عربها وعجمها ، التى ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ، ولا نواحا ،تتحول فى مدى ايام قلائل الى اشباح ذليلة ، تتسكع على أبواب الأمم ، تسأل هذا القائد ، وذلك الرئيس ان يعيد لها الأرض السليبة ، بما فيها القدس الحبيبة من أجل عيون مبادىء الأمم المتحدة ، والقوانين التى وضعت لاجارة المستضعفين من بغى المعتدين ! ! !

يا له من موقف ما كان لنا أن ننتهى اليه لو كنا صادقين ! ! !

وانا اليوم لنتساءل فى لهفة جازعة :

— هل جفت دموع اليهود لتنيض من عيون المسلمين الدموع ؟ !

لقد جعل اليهود من أطلال سور بقى من هيكلهم الذى دنسوه يوم بنوه بالرذيلة والخنا ، حائطا للبكاء طوال مدة بدأت سنة ١٣٥ ميلادية ، وانتهت فى منتصف سنة ١٩٦٧ ميلادية .

فهل رضى المسلمون ان يستحل هؤلاء المسجد الأقصى الذى جبله بالطهر آباء لهم واجداد كرام ؟ وان يستحيل انقاضا تغيب تحت حطامها كلمة الله الخالدة فى أولى قبلتيه وثالث حرميه ؟ !

أيها المسلمون فى مطالع الشمس من الأرض ومغاربها تحت كل سماء وفوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم فى الأيام الخالية ، وآمال أبنائكم فى الأيام الآتية ، تتطلع اليكم ، ومعها مقدسات تراثكم فى فلسطين ، وللجميع نداء واحد ، صادر من أعماق الثرى الذى توسدته أرواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله ، عبر الأجيال والقرون .

انه نداء الشهيد المجهول من أجل الاسلام والمسلمين من اجل المقدسات فى فلسطين :

فاما حياة تسر الصديق

واما مماة يغيظ العدا

ونفس الشريف لها غايتان

ورود المنايا ونيل المنى

الإنسان العربي بين الجاهلية والإسلام

للاستاذ : محمود استانبولي
« دمشق »

عاش الانســـان العربى قبـل الاســـلام فى جاهلية عمياء ، وفى ظلمات بعضها فوق بعض ، فكانت العصبية القبلية على أشـــدها ، شـــعارها : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » بمعناها الضيق البغيض ، فكانت الحـــرب ــ على الرغم من ويلاتها ــ ملهى لهذا الانســـان ، وسفك الدماء من أعظم الهياته . كما كانت الوثنية والخمر والقمار من ابرز مظاهر حياته .

وكان يعامل المرأة معاملة ســيئة فيعبث بها ، ويأكل حقوقها ، ويرثها كما يرث الدابة والمتاع ، بل يروح أيضا يكرهها على (١) الزنا ــ كما وصفه القـــرآن ــ ويأخذ أجرها . قال تعالى فى النهى عن ذلك : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وقد خضع الانســـان العربى فى الجاهلية للاســـتعمار الفارسى فى العـــراق واليمن ، وللاســـتعمار الرومانى فى الشام ، فى ابشـــع صوره وأذل أشكاله .

وما كانت حال الانسان العربى فى الحجاز بأحسن من حاله فى الشام والعراق ، فكان شبه مســـتعمر للرأسمالية اليهودية عن طريق الربا أضعافا مضاعفة حتى استولت على كثير من أراضيه ، علاوة على الفتن التى كانت تثيرها بين القبائل العربية لاشـــعال نيران الحروب بينها حتى كادت تهددها بالفناء .

انحراف وفراغ مخيف ..

هذا وصف مجمل للانسان العربى فى الجاهلية الاولى . انحـــراف فى العقيدة ، انحلال فى الأخلاق ، فكان فى طريقه الى الاحتضار والانتحار .

انا لنتصور هذا العربى المضطرب الضال ، وهو يضرب فى صـــحرائه

---

(١) لا نعتقد أن ذلك كان يمثل ظاهرة عامةفى العرب حتى ندمغهم جميعا بهذا العيب ، وقد كانوا غيارى على محارمهم ، كما كانوايحترمون المراة وينزلون عند رأيها بل ان من كبارهم من كان ينتسب الى امه ، وهذا لايمنع من وجود بعض الصـــفات التى ذكرها الكاتب فى بعض الافراد كما فى كل مجتمعما جعل القرآن الكريم يعنى باجتثاثها لتطهير المجتمع الإسلامى تطهيرا كاملا . (الوعى)

على غير هدى ، حائرا من هذا الكون الذي يحيط به ، مقصرا في استعمال طاقته على هــذه الأرض ، لا يعرف كيف يحيى حيــاته ، أو يســتغل وجــوده ، ولكنه يتمنى لو خرج من هذه الحيرة ، وجلا عنه هذا الظلام ، فما هــذه الحــروب التي كانت تشتعل دونما أدنى تفــكير أو وعى ، الا هربا من هذا الفراغ ، وقتلا للوقت الذي يحـويه .. وما هــذه العــادات المتطرفة لدرجة القبح والشر التي المت بالعربي حينا من الزمن الا محاولة لقهر هــذا الفراغ الذي لا يحصل ضمن اجوائه ادنى معنى للوجــود ، واية غاية للحياة .

تصوروا هذا الانسان وقد افرغ نفســه الا من تأملاته ، وجرد عقله الا من تفكيره الخاص ، وابقى قلبه وروحه في صفاء غريب ، لا ينعكس عليهما الا احســاسات حب عابر ، وتشـوفات تأملية .. سريعا ما تتحول الى وجد وبكاء وذكرى ، وأناشــيد تصدح في الصحراء ، على الســنة الحداة .. لم يزل صداها يرن في أعماقنا الى اليوم .

في رحاب الاسلام ..

تصوروه بعد هذه الشكوك التي المت به ، وبعد هذه الاضطرابات التي عصفت بشخصــه ، وقد رأى أمامه فجأة كل ما يريد .. وكل ما يشبع ميوله ونزعاته الى الحرية والجهاد والسـمو .. ان المفاجأة لا شك قد أخذته ولم يستطع أن يصدق كل ما يرى ، فهب لمقاومته ، ثم وقف على شــاطئه حذرا ، ثم اقترب رويدا رويدا ، حتى اذا اطمأن اليه وأنس له ، عب منه بامتلاء ، فأصبح الحياة التي تعاش ، والرسالة التي تخدم ، والمصير الذي يريد .

لقد كان العــربي فارغا . فاذا بالاســلام يملؤه ، ويفيض مــن جوانبه ، واذا به يمنحه شــخصية جديدة كل الجدة ، كانت شخصيته القــديمة أساسا لها ، ويظل ثلاثا وعشرين سنة ، مدة البعــثة ، في كفاح مرير وعلم مســـتزيد وتطور مستمر ، حتى ينتهي ذات لحظة الى ما يشبه الكمال ، وهو الذي تاقت نفســه للكمال المطلق ، بعد أن امتلأ هذا الامتلاء الثري بالاسلام .

ان أي شخص في العــالمين وجد على الأرض ما استطاعت فلسفة أو عقيــدة أو دين أن يعطيه عشر ما اســتطاع الاســلام ان يعطيه للعربي (١) .

من الضعف الى القوة ..

لما بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واشرقت على هذا الانســان العربي شــمس الاسلام ، انقلب شركه الى ايمان ، وانحلاله الى قوة ، وذله الى عزة ، فسارع الى تحرير بلاده من اليهودية في الحجاز ، ثم من الفرس والرومان في سورية والعراق ..

في طريق المجد ..

وتقدم بعد ذلك شرقا وغربا حتى فتح الهند والصين ، وأسبانيا وقسما كبيرا من فرنســا .. كل ذلك بسـرعة عجيبة أدهشت علماء الغرب فراحوا يطلقون على هذه الحادثة التاريخية اسم « المعجزة العربية » .

لم تقتصر مهمة الانسان العربي على هذا الفتح المبين بل أنشــأ دولة عربية امتدت حدودها من المحيــط الكبير شرقا ، الى المحيط الأطلسي غربا ، وبلاد القفقاس شــمالا الى أندونيسيا جنوبا ، وقد قامت هــذه الدولة بأعظم نصيب في اشــادة الحضــارة ، بما قدمته من العلوم

---

(١) مأساة العربي المسلم ص ٤٣ — ٤٤

الرياضيـــة والطبيعية والكيميائية والفلـكية والجغرافية ، على أيدى علماء ، ما زالت تدرس نظـرياتهم وكتبهم فى الجـامعات العلمية الى عصـــور متأخرة ، وكانوا من أعظم أســـباب يقظة الغرب والجيد من مدينته الحاضرة ، كما شـــهد بذلك كثير من علماء الغرب أنفسـهم .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

قال بريفولت فى كتـــابه « تيار الانسانية » :

« لقد كان العـلم أهم ما جاءت به الحضارة الاسلامية على العـــالم الحديث .. ان ما يدين به علمنـا لعلم المسلمين ليس فيما قدموه الينا من كشـوف مدهشــــة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هــذا العلم الى الثقافة الاســلامية بأكثر من هذا : انه يدين لها بوجود نفسه .. » .

ثم ضرب الامثلة الكثيرة على فضل العرب والمســلمين ولم يقتصر علماء الغرب المنصفون على الاشادة بفضل الانســـان العربى على المدنية ، بل راحوا يألمون لانتصار شارل مارتل علي عبد الرحمن الغافقى فى معركة بواتيه فى فرنسـا .

يقول كلودفارير فى المقدمة التى كتبهـــا للترجمة الفرنسية من رواية العباسية أخت الرشيد تأليف جورجى زيدان « أصيبت الانســانية والعالم الغربى عام ۷۳۲ بـكارثة عظمى لم تصب بمثلها فى القرون الوسطى ، وبقى أثرها ظاهرا فى العـالم مدة سبعة قرون أو ثمانية قرون ، أن لم يكن أكثر من ذلك لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان ، حتى وقعت تلك الكارثة ، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة ، ورجوع العالم الى الوراء ، هذه الكارثة هى الانتصار المؤلم الذى أحرزه وحوش (الكاركا) من جيـــوش الأفرنج ، التى كان يقودها « شارل مارتل » ســـليل الكارلنجيين ، محـــاربا بها كتائب العرب التى لم يحسن عبد الرحمن جمعها وحشدها بالمقدار الـكافى ، فكان ذلك سبب خذلانها وتقهقرها .

(فى ذلك اليوم المظـلم تقهقرت الحضارة الى الوراء ثمانية قرون) .

ظهور الاسلام خاتمة العصـــور القديمة .

لم يقتصر الغربيون على الاشادة بفضل الاسـلام على المدنية ، بل راح الأســـتاذ (بيرون) يعـلن فى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى عقــد بمدينة (أوســـلو) عاصمة النرويج فى ١٤ آب ١٩٢٩ دعـوته التى أعلنهـــا فى المؤتمر الخامس الدولى ، الى اعتبار ظهور الاسلام هو خاتمة العصور القديمة ، وبداية ايقاظ الانســـانية فى اول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوربا الغربية تكون مدنية جديدة وحيـــاة جديدة، يجب معها اعتبارهذا الحادث العظيم هو بداية الوسيط (١) .

مبادىء قوية .

وقد كان الانســـان العربى فى ظلال الاسـلام ايجابيا يؤمن بالقـدر كقوة للاندفاع والنضال والعمل ، فلا يخشى أحـدا الا الله ، ويثور على التواكل وينكر الجـبر ، ويعتقد أنه مسئول وحر ، كما يعتقـد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض اذا هو قام بدوره بحق .

(١) ومما يؤسف له أن جميع مؤرخينا ومؤلفينا بحكم فقدان الشخصية العربية وبحكم التقليد الأعمى للمؤرخين الغربيين المتعصبين لا يزالون يعتبرون انقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية يتطرقون الى ظهور الاسلام كأعظم حادثة تافهة ولا يتطرقون الى ظهور الاسلام كأعظم حادثة تاريخية فى العالم كما ينادى المؤرخ العربى نفسه ! فيا لقلة الوعى وضعف الشخصية !!

أصغى هذا الانسان الى النداء الالهي ، ومثل دوره فى ميدان الجهاد والحضارة أعظم تمثيل ، فدخل التاريخ بدور بطولي وقيادي وتبوأ سدرة المجد ، والفخار والسؤدد .

صورة الانسان العربي المسلم .

وقد أحببت بمناسبة الكلام على الانسان العربي المسلم أن أنقل صورة رائعة من ألوف صوره التي تمثل مبلغ قوة شخصيته وشجاعته ، واحتقاره للمظاهر الجوفاء ، ومبلغ فهمه لمبادىء الاسلام .

أرسل سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية (ربعي بن عامر) رسولا الى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحريرية ، وأظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وكان على رستم تاجه وغير ذلك من الامتعة الثمينة ، ليدهش الرسول وينقل أخبار عظمته الى المسلمين ليهابوه .

ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته فوق رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : اني لم آتكم ، وانما جئتكم حين دعوتموني ، فان تركتموني هكذا والا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ..

فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ .

فقال ربعي : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .. ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

ثم خرج ربعي وقد ملأ قلب قائد الفرس وجنده هلعا ورعبا ، بقوته المعنوية التي غرسها فيه الاسلام .

راحت العصور تمر ، ونجم الانسان العربي يتألق ، وجيوشه تهزم الأعداء فى كل المعارك ؛ وأساطيله تشق عباب البحر ، وتستولي على الممالك ، ومدنيته تعم الخافقين .

مؤامرات الشعوبية .

وعلى حين غفلة ، استيقظت الشعوبية الغادرة اللئيمة ، وقد ساءها مجد هذا الانسان العربي الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس ، وقضى على ملكها وجبروتها ، فأكل الحسد والحقد قلبها فراحت تنسج الخطط ، وتدبر المؤامرات ، وتحيك الدسائس على توالي السنين ، لم تمل ، ولم تهدأ ، فعمدت الى مصدر هذا المجد ، فعكرت نبع الاسلام الصافي ، وأثارت الفتن ، وحولت تياره القوى نحو الداخل ، بعد ما قهر امبراطوريتين من أعظم امبراطوريات التاريخ .

تخدير المارد .

ولم تكتف هذه الشعوبية بكل ذلك ، بل أخذت تسعى لتخدير المارد العربي بسموم الأوهام والبدع والخرافات وغيرها من المبادىء الوثنية الميتة ، وزهدته بالعلم والجهاد ، ورغبته بالخلوات المظلمة ، والتشرد بالبراري والقفار ، وانشأت له الزوايا والتكايا بدلا من حلقات المعرفة والدراسة ، ليخلد الى الكسل والبطالة والفسق ، وزينت له عقيدة الجبر والخضوع ليستسلم للأحداث ، وصرفته عن عبادة الله وحده مصدر قوته وعظمته ، الى عبادة الأنبياء والأولياء ، فراح هذا الانسان العربي يرتمي على عتباتهم ، ويتمسح بتراثهم ، ويقدم لهم النذور والقرابين مستعينا بهم فى الملمات ، وفي قضاء الحوائج ، وقلبه يرتجف

خوفا وجزعا منهم .

هذا فى ميدان العقيدة ، اما فى ميدان العبادات ، فقد زينت هذه الشعوبية لهذا الانسان العربى التعصب المذهبى والتقليد الأعمى ، مما قضى على البقية الباقية من تفكيره وشخصيته ، فاتخذ شيوخه وائمته اربابا من دون الله ، يحللون له ويحرمون ، فيبعد عن الاسلام وعن الله ، وهو يحسب انه لا يزال يعبده .

وكان من نتيجة بعده عن كتاب ربه وسنة نبيه ، انقسامه الى فرق وشيع يقاتل بعضها بعضا ، وهذا جزاء من يترك النور الهادى والصراط المستقيم (فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) .

حملات الصليبيين والتتار .

وبعد تخدير الشعوبية للانسان العربى ، عمدت الى تأليب الصليبية والتتار عليه وعلى بلاده ، فجاسوا خلال الديار واعملوا القتل والذبح فى صفوفه ، وهدموا مدنيته والقوا تراثه الفكرى والعلمى فى اليم .

فاستفاق انساننا العربى على هذه الضربات الشديدة يستحس الخطا ويثير العزائم ، فاستطاع طرد هذه الزحوف الأجنبية حقبة من الزمن ، ولكنه ما لبث أن عاد الى غفوته بتأثير أفيون الشعوبية ، فعاش بعيدا عن مثله العليا الاسلامية ، زاهدا فى الحياة مستسلما للأحداث ، غارقا فى الأوهام ، يوجه — حتى فى المساجد وفى دروس الوعظ والارشاد — توجيها بليدا ومخدرا ، وما زال على هذه الحال حتى فاجأه الغرب فى العصور الحديثة بقواه المادية ، فتقهقر أمام حملات المستعمرين ودسائس المستشرقين الذين زينوا له الالحاد وحببوا اليه الاباحية ، ورغبوه بترك تراثه وتقليد الغرب فى تقاليده ، فسقط صريعا وانطمرت شخصيته تحت ركام المؤامرات ، وخدعوه واوهموه ان اسلامه هو الذى كان سبب نومه وانحطاطه ، كل ذلك ليزهدوه بهذا الدين العظيم الذى حول فى القديم طاقاته وخاماته الى قوى جبارة قيادية ، فتحت الدنيا ، ومدنت العالم .

على مفترق الطرق .

ان الانسان العربى اليوم على مفترق الطرق . فاما أن يختار طريق المستعمرين والمستشرقين ، فيصغى الى دسائسهم عن الاسلام ، فيضيع شخصيته ، ويدفن تراثه ، ويفقد ذاته ، ويضيع فى متاهات الغرب ، كما يضيع الجدول فى رمال الصحراء ، بل يشقى الى الأبد كما يشقى الغرب نفسه اليوم بسبب أنظمته الوضعية التى تقوده الى الهلاك والى انهيار الحضارة كما تنبأ بذلك كثير من فلاسفته .

وقد جرب هذا الانسان العربى بذاته هذا الطريق ، فغدا العوبة بين هذا وذاك ، وفقد كثيرا من اجزاء بلاده ، وغدا مهددا بضياع الأجزاء الأخرى .

واما ان يستيقظ ، ويفهم اسلامه فهما جديدا ، كما فهمه أسلافه المجاهدون ، ويعمل حسب منهاجه ، ولا يرضى بديلا من التشريعات والأنظمة الوضعية مهما قويت الدعاية لها ، وينطلق من قيوده ، غير مصغ لدسائس الشعوبيين والمستعمرين والمستشرقين .

وبذلك يعيد سيرته الأولى كقوة مستقلة ، ومعسكر لا شرقى ولا غربى ، فيقود قافلة الانسانية كما قادها من قبل ، وينقذ الحضارة من السقوط والانهيار .

محاكمة الخير

للدكتور : محمد كامل الفقى

أكثر الأفراد والجماعات ، وأغلب الأمم والشعوب ، عرضة لوقــــوع الشر ، وشيوع الخلاف ، وتفاقــــم النزاع ، وضراوة الصراع ، فاعنــة النفوس بيد اهوائها ، وأزمتها باكــف غرائزها وشهواتها .

وفي طبيعة الحياة ان يفتن الأحياء بما يفتح عليهم من زهرة الدنيا ، وقد « زين للناس حب الشهوات مــن النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومـــة والانعام والحرث » .

والمجالدة على النفوذ والسلطــان وارتكاب الاثم في الكيد والقهر ، أمر أعيا البشرية علاجه . ولو اهتــدى الناس ــ وبايديهم أن يهتدوا ــ الى أن يقتصروا على ما استحر بينهم من خلاف ، وما شجر بينهم من نزاع ، لغدوا ملائكة وقديسين . واظلتهــم السكينة والرحمة ، ورأينا بـــدل الحروب والمعارك التى تفنى البشر ، وتستنفد طاقات الأفراد والأمـــم ، سلاما ووئاما ، وحبا ومودة .

لكن ذلك شأن الحياة ، فلا بد من علاج هذا الداء والطب له ، وفى دين الله وسنة رسوله شفاء من كل داء . وبرء لكل سقام ، وما على النــاس الا أن يفتحوا قلوبهم لخير هذا الدين ، وما تواصى به من الأخوة والحــب والمودة ، فاذ ذاك تغمرهم السعادة في الحياتين جميعا .

ولقد وضعت القوانين وأقيمــت المحاكم . وكثر المحامون ، وأعدت الدول رجال القضاء والادارة والنيابة وغصت مجمعات المحاكم بالمتخاصمين وازدحمت ساحاتها بالمتقاضـــين ، وسهر كل خصم على بذل الجهد لينال النصر ، ويضمن الغلب ، وحـــرص كل أشد الحرص على أن يكون الحن بحجته بلسانه أو بمحاميه من صاحبه فيقضى له ، وزيفت الحجج وصنعت البراهين ، وجلب الشهود ، وما حلت المحكمة خلافا واحدا ، قضت بـــه على كيد أو خصومة ، بل خرج كل من طرفى الخصومة ، وفي نفسه أن

يستأنف النضال ، ان لم يكن في ساحاتها ففى ساحة الأيام ، فبينهما عداء مشبوب ، ونزاع يورث ولو ذهبت أسبابه ، وهان موضوعه ، وتتسلل القطيعة والعداوة من الأجداد الى الأحفاد ، فيقضى على العائلات بالتفرق ، وعلى العلاقات بين الأقرباء بالتمزق ، وتهون الصلات ولو كانت جوارا أو قرابة أو صلة رحم أو أخوة أو أبوة .

وما تجد اكثر المتقاضين راضيا بقضاء المحاكم وحكمها . وما يخلو أحد المتقاضين من بذل مال ، واعداد عدة ، واحكام خطة ، وسهر وتدبير لو أنفق بعضه في غير هذا لأفاد المرء والبشرية ، ويحيا طرفا الخلاف في هذا الجو الوبىء شهورا وسنين عددا .

لكنها حمى نزاع ، وشهوة خلف ، وداء استحكم في قلوب المتخاصمين .

وفي غمرة النزاعات التى اشتد أوارها . واستحكم خطرها ، وتفاقمت آثارها . تحن الانسانية الى عمل جليل . وتهفو الى صلح نبيل ، واطفاء للنار المتقدة ، واخماد للثورة المشبوبة ، وتنبض عروق الأخوة في اجساد المؤمنين ، ويتنادى أكثرهم حبا للخير ، وبغضا للشر ، أما للسلم والتسامح والصفح والتآخى من سبيل ؟

لقد راقنى ما يقوله الامام محمود ابن عمر الزمخشرى فى الكشاف بصدد قول الله تبارك وتعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

يقول الزمخشرى : هذا تقرير لما الزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين ، وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الأخوة ويبرز عليها لم ينقص عنها ، ولم يتقاصر عن غايتها ، ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الأولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ، ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح ، وبثا للسفراء بينهما ، الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه ، وما استشن من الوصال من يبله (١) ، فالأخوة في الدين احق بذلك وباشد منه ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار (٢) قدره .. ثم قال : احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل .

فصلة الايمان كصلة الأخوة تدفع المؤمن ان يسعى لاصلاح ذات البين بين المتخاصمين كأنه أخ لهما . ويسهر على ازالة الجفوة بينهما . وجمع كلمتهما . ولم شعثهما . وبذلك تقوى أواصر المحبة بين المسلمين . ويسود التراحم والتعاطف فيهم ، ويمسون كلمة واحدة ، يتكون منهم مجتمع اتحاد ومودة . لا مجتمع تنابذ وخصام وفرقة ، وما ينفذ العدو الى

---

(١) استشنت القربة أخلقت وبليت .

(٢) القتار بضم القاف ريح القدر والشواء .

المسلمين الا من خلال تفرقهم ، وشتات أمرهم ، فانهم يكونون مشغولين بالتخاصم والتقاضى ، والكيد والتدابر ، عن وطنهم الذى يحنو عليهم ، فيفرطون في صيانته . ويلوون وجوههم عن النظر اليه ، وبذلك يكون هوانهم ، وتسنح الفرصة لعدوهم الذى لا ينام عن انتهازها .

وقد عنى الاسلام اشد عناية بهتك سحائب الخصومة بين المسلمين ، وازالة ظلمات الجفوة بين المرء وأخيه ورغب فى ذلك وحض عليه . ودعا له دعوة قوية بأساليب مختلفة ، وتراكيب متعددة . فالله سبحانه وتعالى قرن الأمر بتقواه بالأمر باصلاح ذات البين . لما يترتب على ذلك من اصلاح المجتمع الاسلامى ، والتمكين له من السيادة ، فذلك حيث يقول : (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) .

وفي الحق أن الدعوة الى فض المنازعات ، وتبديد السخائم ، والترغيب في الوحدة ، والتلاقى ، سلوك واضح الى الهدى الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : (من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) . وذلك فيما يظهر من بعض وجوه الهدى ، فحينما تبدر بادرة بين المسلم وصاحبه ، من الناس من يحتفل بأمرهما ، ويجند نفسه للم شملهما ، والفصل بالعدل فيما بينهما فتلك والله دعوة الى هدى وحق وخير . .

ومن الناس من يلقى بنار الفتنة بين هذين ، ويحبذ لكل منهما ان يكون شاكى السلاح ، معتمدا على القضاء والشرطة ، وما يلزم للنصر في ذلك من جهد وطاقة ، فذلك والله انما هو دعوة الى ضلالة وباطل وشر .

والذين لا يعبأون بتمزق العلاقات بين الناس ، ويصمون آذانهم عن الخلف في حياتهم ، انما هم قوم فقدوا حس المؤمن وحبه لأخيه ، وما كثير عليهم أن يقال ان فيهم بلادة ايمان . وبرود رجولة . .

وفي الدعوة الى اصلاح ذات البين يقول الله في محكم كتابه : (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) .

وفيما يرويه ابو هريرة رضى الله عنه عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أنه قال ... (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة (اى تصلح بينهما بالعدل) وتعين الرجل في دابته صدقة . وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة) .

ذلك ما نسميه محكمة الخير . ومحكمة الخير هذه شرعها الله في طائفتين من المؤمنين اقتتلوا كما سلف لك ، وشرعها للفصل بين الزوجين

المتنازعين فذلك حيث يقول : (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ومتى كانت نية الحكمين اصلاح ما بين الزوجين ، وكانت قلوبهما مشغولة بذلك بارك الله في وساطتهما ، واوقع الله بطيب نفسهما ، وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة . والقى فى نفسهما الحب والمودة .

وشرعها الله كذلك في كل ما يحقق الصفو والوئام . ويدفع الظلم والتباغض ، ويصون الحق لصاحبه ، ومتى تعقدت شئون الحياة ، وتشابكت المصالح فيها ، وكثر النزاع على مواردها ، وشاع التحاسد بين الأقرباء والمتناظرين : مست الحاجة الى هذه المحاكم ، ودعت الضرورة الى جماعة يدعون الى الخير ، ويحكمون بالعدل . صفت من الأهواء نفوسهم ، وخلصت من الأغراض مقاصدهم ، ينهضون براب الصدع ، ودفع الظلم ، ويقربون بين المتباعدين ، ويجمعون بين المتنافرين .

فهذه رسالة الأصفياء من المؤمنين وذلك عمل أهل الضمير والشرف من سادتهم ، وهم حملة اللواء حين يثق الناس بهم لحسن سلوكهم وعدالتهم ، واتشاحهم بوشاح الشرف والتقوى . فتستقر بهم الأمور تشتد الفتن . وتستشرى الأطماع وتنجاب برأيهم الظلمات ، وتبقى علائق الحب والوئام بين من كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها .

ان محكمة الخير تنجح فيما تخفق في علاجه المحاكم ، وان الدعوة لقيامها في القرية والمدينة اقرب الطرق لسلامة الأمن وحقن الدماء .

ورب داء برىء بالحكمين لم يبرا بقانون ولا بذى جاه وسلطان .

ومجلس الأمن ما لم يعبث به المستعمر الضارى محكمة خير ،

والجمعية العامة للأمم المتحدة ما لم يعبث بها المستعمر الضارى محكمة خير .

ومؤتمرات القمة في مستوى الملوك والرؤساء او ما دون ذلك محكمة خير .

ولئن عملت المحاكم والقوانين في نطاق محدود ، فنطاق محاكم الخير أوسع مدى وأكثر سلطانا ، واشد اثرا وأعز نفرا .

حبذا لو عمق الوعي بضرورة هذه المحاكم — ولو باسم آخر — ودعا الواعظ والخطيب لقيامها . والتبصير بعظيم خطرها . ونشرت وسائل الاعلام الايمان بها ، والخير العظيم الناشىء منها ..

اذن لكثرت حمائم السلام ، وحمل الناس بدل الرماح والسيوف باقات الورود والأغصان .

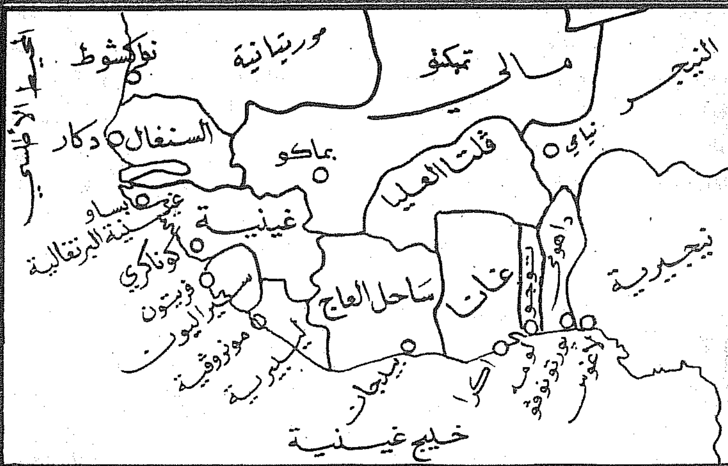
وسادت الأخوة الفاضلة ، وقام المجتمع الفاضل . والله يهدى الى صراط مستقيم .

المسلمون في جمهورية داهومي

جمهورية الداهومى من الدول المستقلة حديثا فى غرب افريقيا ، بعد أن استعمرتها فرنسا مدة طويلة — وهى تطل مثل التوجو على المحيط الأطلنطى الذى يحدها شرقا — ومن الغرب تحيط بها جمهوريتا فولتا العليا والنيجر . اما فى الشمال فتقع جمهورية نيجيريا ويحدها جنوبا جمهورية التوجو .

ويرجع تسمية هذه الجمهورية الى أسطورة قديمة يتناقلها الناس حتى الآن ويؤكدون صحتها ، وذلك أنه فى سنة ١٦١٠ م كان لمنطقة فون « Fon » ملك اسمه دان « Dan » وكان للمنطقة المجاورة لها واسمها الدا « Allda » أمير اسمه أبو « Agbo » ويقال ان هذا الثانى نزل ضيفا على الأول « دان » وبحكم الصداقة أخذ منزلا خاصا ليقيم فيه مدة ضيافته ، ولكن الضيافة طال وقتها وأخذ « أبو » يستحضر بعض أتباعه شيئا فشيئا ، ويستولى على بعض اراضى دان — فضاق هذا به ذرعا وذات يوم قابله وقال له ساخرا : الا تريد بناء منزل على بطنى ؟ بعد ان استوليت على كثير من أراضى مملكتى — فاستشاط « أبو » غضبا ، واقسم أن يجعل هذا الكلام حقيقة . وذات يوم استحضر قواته ، وباغت بها جيوش دان فانتصر عليها وقتل دان نفسه أثناء المعركة ، فوضعه فى أرض فسيحة ، وبنى على بطنه أول قصر فى هذه البلاد ، التى عرفت باسم « داهومى » والتى حرفت عن كلمة « دان هومى » ومعناها « بطن دان » كما أن معنى دان « الثعبان » أى ان معناها « بطن الثعبان » .

ويبلغ سكان هذه الجمهورية حوالى المليونين والنصف تقريبا وعاصمتها «برتنوفو» ولكن العاصمة الفعلية التى بها دور الحكومة والسفارات الأجنبية ومركز التجارة هى « كوتونو » — كما أنه يوجد كثير من المدن الشهيرة مثل « أبومى ، يدا ، باركو ، ساتيتى » ولكن الشىء الذى يثير الانتباه كالعادة فى الدول الافريقية ، هو كثرة اللغات واللهجات وتعددها ، وقد تجد لكل مدينة بل لكل قبيلة



الاستاذ : طلعت غنام — توجو

لغة خاصة بها . وهذا نشأ من تشجيع الاستعمار ليمكن تفريقهم والظفر بهم . واللغة الأولى هنا المستعملة فى دور الحكومة ، ودور التعليم هى الفرنسية ، وبعدها لغة فون « Fons » ثم لغة اليوربا التى يتكلمها المسلمون اليوربا — والذين يرجعون اصلهم الى العروبة من قبيلة يعرب ، والتى حرفت بتداول اللغات . وقد يطلقون عليها « اناجو » كما يوجد أيضا لغة أجا وبربر والفلانية ولغة زونبا . هذا كما قلت بخلاف اللهجات واللغات الداخلية لكل قبيلة .

عدد المسلمين

ويبلغ عدد المسلمين الحقيقى فى داهومى حوالى ٥٠ ٪ من عدد السكان ، وهم متمسكون بالدين الاسلامى ، بالرغم مما يدخلونه فيه من الجهالات والعادات الضارة — ويوجد فى العاصمة « برتنوفو » كثير من الجمعيات الاسلامية . أشهرها : جمعيات «أنصار الاسلام» « وأنوار الدين » ، ويتمثل نشاطها فى بناء المدارس العربية ، التى يدرس بها مدرسون من نفس البلاد ، لم تصل اليهم بعد الطرق المصرية والنطق الصحيح .

واشهر هذه المدارس واقدمها « مدرسة الحاج مجدد التى تخرج فيها طلاب كثيرون يختار المتازين منهم لمساعدته فى المدرسة ، وتوجد مدرسة اخرى عربية فرنسية تعرف باسم « كولج آراب فرنسية » لها مصاريف خاصة ، والغرض من تدريس الفرنسية مع العربية فيها هو فتح باب عيش للخريجين منها ، حيث لا تعترف الدولة ولا تعطى عملا الا لمن يجيد الفرنسية ، فضلا عن ربطه بالمجتمع الذى يعيش فيه .

لا كيان لهم !!

والمسلمون هنا ليس لهم اى كيان سياسى معترف به فى الدولة ، من ناحية المساعدة المادية لبناء مدارس او مساجد ، الا ما يستطيعون جمعه من التبرعات والاشتراكات فى الجمعيات السالفة . بخلاف الفئات الاخرى ، فان الحكومة تتكفل بكل احتياجاتهم ، بالرغم من أن المسلمين — كما قلت — يمثلون نصف الدولة !! وحتى استدعاء

الأساتذة لهم من الخارج ، لا يراد ان يكون بطريق رسمى .

وذلك يرجع لعدم وجود القيادات القوية ، وربما الصراع الداخلى على الزعامة فيما بينهم — هذا بالرغم من وجود مسلمين فى مراكز هامة فى الدولة مثل السكرتير العام لرئاسة الجمهورية ، ومثل رئيس مجلس الأمة قبل الانقلاب الأخير . ولهذا السبب ربما يرجع عدم وجود أى تلاميذ لهم مبعوثين للعالم العربى والأزهر الشريف ، لتعلم اللغة العربية والدين — وتكاد تكون داهومى هى الجمهورية الافريقية الوحيدة فى هذا المجال — وبعد الانقلاب اتفق المسلمون على انشاء اتحاد يضم كل الجمعيات برئاسة الزعيم عبد الوهاب .

ويتناقل مؤرخوهم المسلمون أن الاسلام دخل الى داهومى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما جاء الى غرب افريقيا من الجهات الساحلية حتى بلغ نيجيريا الى حدود الكونغو على يد الصحابى الجليل عقبة بن نافع رضى الله عنه . كما يقال ان من اتى بالاسلام الى داهومى هو أبو بكر بن عمر على أصح الأقوال .

حاصلاتها

وأما حاصلات هذه البلاد فكثيرة وان كانت الاستفادة الاقتصادية معدومة ، ذلك أن الاستعمار كعادته ، ينظر الى المستعمرات على انها مزارع لأخذ المواد الخام منها ، وأسواق لتصدير المنتجات اليها بأضعاف أثمانها .

ومن أهم المحصولات هنا : البن والكاكاو والزيتون وجوز الهند ، وتوجد هذه الزراعة بشكل هائل ، وبأرخص الأثمان ، حيث لا يصدر منها الا ما يحتاج اليه المستعمرون ، والباقى يتداوله المواطنون ، ثم يلقون بالباقى فى المزارع حتى يشاء الله .

كما يوجد فى داهومى القطن والفول السودانى ونبات المنيوك « وطعمه كالبطاطس وحجمه ضخم جدا » وتوجد الذرة والبقول ، ويلاحظ فى هذه البلاد أن المسلمين يتمركزون فى العاصمة « برتنوفو » وفى كوتونو وزوجو وأيضا فى الشمال .

من عادات المسلمين

ويستلفت النظر ما لهم من عادات تستحق التأمل من ذلك مثلا ان كل حاج قبل أن يسافر الى البلاد المقدسة ، يدعو العلماء وكبار القوم ، يطعمهم ويسقيهم ، ثم يطلب دعواتهم له أن يعود بسلامة الله ، وقبيل سفره يقدمون له ما يستطيعون من الهدايا ، ويودعونه بالبكاء والحزن ، كأنه اللقاء الأخير .

وعند عودة الحجاج ترى جموعا حاشدة فى استقبالهم يرقصون ، ويدقون الطبول ، وهم يرتدون فاخر الثياب ، بينما الحجاج أيضا فى افخر الثياب الحريرية اللامعة ، وقلنسواتهم الخاصة التى يسمونها « الميكية » نسبة الى مكة المكرمة ، وينسجون حولها الكثير من الحكايات الخيالية ، ويدعون أن من يرتديها من غير الحجاج يموت بمرض فى رأسه .

وفى كل مسجد تجد للحجاج الصفوف الأولى ، والكلمة المسموعة ، وعند اقامة احتفالات الاستقبال لهم يحضرها كبار مسئولى الدولة ورئيس الجمهورية بنفسه ، احتراما وطلبا لدعواتهم المستجابة .

ولهم اجتماعات مقفلة لا يحضرها غير الحجاج فقط ، حيث يكون الجميع فى ملابس موحدة ، متفق عليها من الحرير المزركش اللامع ، وقلنسوات خاصة بهم . ومثل هذه الأمور هى التى تشعر الكثيرين بالرهبة والخضوع الدينى ، وتحبب الكثير فى زيارة بيت الله ، كما أنها تجذب كثيرا من غير المسلمين للدخول

فى الاسلام . ولهم جمعيات خاصة بهم تقيمها طائفة اليوربا « يعرب » كما يقولون لا يقبل فيها غير الحاج — وويل لمن ينسى او يخطىء لينادى حاجا مجردا من لقبه ، فانه يعطى درسا بالغا فى احترام الحاج وقلنسوة الحاج التى فوق راسه !!

وفى الاحتفالات بمولد النبى الكريم يذبحون الأبقار والطيور ويوزعونها مع الحلوى على الفقراء والمساكين . ويقرءون سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ويروى لى احد المعلمين اليوربا واسمه عبد العزيز أقوش وهو ممن يهتمون باللغة العربية « أن من العادة عند دفن الميت أن يشترى كل من له صلة نسب به ثيابا جديدة يلبسونها وهم يشيعونه الى مثواه الأخير ، بينما أولاده من حوله فى افخر الثياب واحلاها .

وعادات الخطوبة والزواج عندهم لا تقل غرابة عن هذا ، حيث يطلقون على طالب الزواج «الرنا» اى الدليل او الهادى — وعندما تعجبه أحد الفتيات ، يخاطبها مباشرة ، ودائما ترد عليه بأنها ستفكر فى الأمر ، وتذهب للمشاورة مع أمها التى تنصحها بالكتمان ، ثم يأتى الخطيب بنفسه الى دارها ، ويطلبها من أمها التى ترده أكثر من ثلاث مرات ، بينما هو مستمر فى كل مرة فى تقديم الهدايا . ثم يقولون له : سوف نسأل عن نسبك وحسبك . فاذا ما رأوا بعد البحث الطويل ان ليس هناك عداء بين العائلتين ، أو ليس فى نسبه مشرك أو فاسق ، وافق أهل العروس ، وعملوا احتفالا ضخما بيوم العرس يحضره اقارب الأسرتين ، ومعهم الوعاظ ، لبيان امور الزواج لهم والطلاق ، وبعد ذلك تضرب الدفوف ، وتوزع الحلوى حتى الصباح .

مكانة الأئمة

ومن الجدير بالتنويه به تلك المكانة الكبيرة التى يحتلها الامام فى نفوس المسلمين من التقديس والاحترام . ومن عادته فى كل عام ان يقوم بجولة فى الريف ، يعظ فيها الناس عموما ، ويدعو غير المسلمين الى الاسلام ، وفى نهاية الجولة يعود بحصيلة ضخمة من عبدة الأوثان ، أو النصارى صغارا وكبارا . فهناك بعض الطاعنين فى السن الذين لا يستطيعون الذهاب معه ، فيعطونه أبناءهم ليعلمهم الاسلام واللغة العربية — كما حدث اثناء زيارتنا لأحدهم ، وشرحنا لهم بعضا من مبادىء الاسلام فقد قام احدهم ليعلن انه قد تبرع لأعضاء البعثة العربية بولدين لتعلمهم الاسلام واللغة العربية اقتناعا منه بالدعوة .

وان العجب لياخذ المرء كل ماخذ عندما يدخل بيت الامام فيرى منزله مكتظا بهؤلاء الأطفال الذين احضرهم ، وكلهم فى زى واحد ، وعمل لهم مدرسة واحدة ، يطعمهم ويكسوهم من نفقته الخاصة وبعض تبرعات أهل الخير — وان منظرهم ليشرح الصدر ، وهم فى صلاتهم يركعون ، ويسجدون لله ، وهم فى هذا الزى الواحد ، يناجون الله الواحد . وفى الصباح ينتظمون فى طابور المدرسة كانهم ابناء رجل واحد .

وبالرغم مما رايته ولم يعجبنى فقد حمدت الله وشكرته على ان الاسلام ما زال بخير يحميه الله ويرعاه — ينتشر من تلقاء نفسه ، ويقيض الله له من يرعاه ، ولو فى مجاهل البلاد ، من غير دعاية او امكانيات تبشير « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

مع حرية التفكير والتعبير ..

« التفكير والتعبير معا هما الدورة الدموية الصحية للديموقراطية .
اقصد ان اقول ان التفـــكير وحده نصف ديمقراطية ، لا يكتمل ولا يحقق قيمته بغير النصف الآخر .. وهو التعبير » .

« وكلا الوضعين ــ وضع مراكز القوة ، ووضع الأجهزة المتحكمة ــ فرض قيودا على امكانية التفكير والتعبير بطريقة منظمة أى بطريقة جماعية ، ولم يعد هناك ــ فى بعض الأحيان ــ غير التفكير والتعبير الفردى ، الذى يقف وحده فى الجو الموحش ، وامام العواصف .. وهذه مغامرة غير مامونة ، لأنه لا يمكن ان يطلب من كل الناس أن يبلغوا مرحلة القديسين والشهداء » .

« ويقال احيانا فى منطق التبرير : ان مراكز القوة كانت تخدم الثورة ، وان الأجهزة المتحكمة كانت تحميها . وليس ذلك صحيحا فيما اتصور . واغلب الظن ان مراكز القوة كانت تخدم نفسها ، كما ان الأجهزة المتحكمة كانت تحمى نفسها » .

« ويبقى ان نضيف ان الديموقراطية ليست هى حق الشـــكوى من الخدمات مثلا . كبطء الاجراءات الحكومية . ومشـــاكل المواصلات واحوال المستشفيات .. تلك كلها مســـائل لم يغلق باب الكلام عنها فى أى وقت من الأوقات » .

« كذلك فان الديموقراطية ليست هى مناقشـــة خطة التنمية مثلا ، او خطة الصناعة أو الزراعة او التعليم . تلك كلها قضايا اصبحت فى اختصاص العلماء والخبراء ، ووضع دقائقها امام الفرد العادى اصبح نوعا من التعجيز » .

« وانما مجال الديموقراطية الكبير هو العمل السياسى فى كل ناحية من النواحى الداخلية والخارجية » .

« ولقد عشـــنا مرحلة ســـابقة ــ كما قلت مرة من قبل ــ فى تجربة ديموقراطية بالموافقة ، ونحن ندخل الآن مرحلة لا يمـــكن ان تتحقق فيهـــا الديموقراطية الا بالمشاركة . وذلك ضرورى لحماية خط تطورنا العام ، كما انه ضرورى للمحافظة على التوازن الوطنى بينما هو يمشى على هذا الخط » .

« اننا لا نستطيع الحفاظ على توازننا الوطني الا اذا كانت اكبر كمية من الحقائق متاحة لأكبر عدد من الناس يشتركون في المناقشة ، ويشتركون في صنع القرار .. ومن هنا يتحملون مسئوليته » .

تلك فقرات من مقال الاستاذ (محمد حسنين هيكل) في اهرام الجمعة (١٩٦٧/١٢/١) ، رأيت ان اضعها هنا في (خواطر) لأنها خواطري وخواطر كل انسان ينشد لأمته الخير عن طريق الحرية .. ويحرص على ان يشارك برايه وجهده في بناء الشوامخ في بلاده .. ويضيق ذرعا بكل قيد يحول بينه وبين ما يحرص عليه او يحد منه .. ويرى ان كل قيد يفرض عليه ، يجمد مواهبه وقدراته ، ويحرم بلاده منها ، ويميت فيه التطلع لخدمتها ، ويحوله الى شبح انسان ، ويجعله مواطنا اتكاليا ينفض يده من مسئوليته تجاه بلاده ، ان لم يجعله يتربص لكل عمل ، وكل رأى ، وينقض عليه في مجالسه ، ويصبح بذلك اداة تخريب .

ولقد علمنا الاسلام تقديس حرية الفكر وحرية التعبير ، حين لم يقبل ان يتخذ الاكراه وسيلة لاعتناقه ، وهو الحق الذى لا شك فيه .. وسجل ذلك في آياته الخالدة : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) ، « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ؟

وفى الآية الاولى حقيقة لا بد ان نتنبه اليها جيدا ، فقد بنت عدم الاكراه او بنت الحرية على اساس العلم والمعرفة ، على معرفة الحق من الباطل والخطا من الصواب . « قد تبين الرشد من الغى » والمعنى الواضح لهذا الا تكون هناك حرية ، بدون فهم ووعى للموضوع ، بدون ان نضع الحقائق كاملة امام الناس ونبين لهم الضار من النافع ، والخطا من الصواب ، ولعل هذا هو الذى دعانى الى ان انادى في افتتاحية سابقة بفتح النوافذ الداخلية والخارجية وقلت « افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية لنعيش في الأضواء ونبصر امامنا الطريق دون ضباب او خداع » وهذا هو الذى يقوله الاستاذ هيكل من جعل « اكبر كمية من الحقائق متاحة لاكبر عدد من الناس » وبذلك تقوم الحرية على عمدها الطبيعية بناء شامخا تسعد به الأمة ، وتجنى خيره .

وكذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرية الفكر ، وحرية التعبير عنه ، في كل خطوة خطاها بفكره وتدبيره .. واقتدى به الخلفاء الراشدون ، وجعلوا القاعدة العامة في سياستهم لرعيتهم ، « ان رايتمونى على حق فاعينونى وان رايتمونى على باطل فقومونى » وتلك هى اسمى ما يمكن ان تصل اليه حرية الفكر وحرية التعبير . وصل اليها اجدادنا الصالحون وعاشوا في ظلها مع رعيتهم اقوياء كرماء ..

والى ما وصلوا اليه نتطلع ، وعلى خطواتهم نحب ان نسير ..

حرية الفكر وحرية التعبير .. روح سرت فينا مع اشراق الاسلام في نفوسنا .

حرية الفكر وحرية التعبير .. هي اول حق من حقوق الانسان حتى ولدك الصغير لا تستطيع ان تحرمه منها بل تشفق ان تسد عليه منافذها .

حرية الفكر وحرية التعبير .. تجعل منك انسانا يشعر بوجوده وانسانيته ، ويحس واجبه ومسئوليته نحو بلاده ..

نعمة جعلها الله حقك الطبيعي في الحياة ، كنعمة التنفس ، ونعمة الشمس والهواء ، وهي حقا كما يصفها الاستاذ هيكل : « الدورة الدموية الصحية للديموقراطية » .

ولا صحة او لا حياة لأمة بغير الديمقراطية الصحيحة ، او بغير الشورى كما سماها القرآن الكريم .

مع تاريخنـــــا

من مطالعاتى فى تاريخ الاسلام فى الهند ، وسيرة الملوك المسلمين الذين حكموها ، اقدم لك هذه الباقات و .. العظات .. :

مخالى الشعير ..

كان شهاب الدين ابو المظفر محمد الغورى قد زحف بجيوشـــه من غزنة الى الهند ، وانتقل فيها من نصر الى نصر ، حتى خشيه ملوك الولايات الهندية فتجمعوا لقتاله وصده فى مكان قريب من دلهى بثمانية اميال . وامام القوة الكثيرة التى جمعها هؤلاء الملوك انهزم محمد الغورى ، وجرح حتى اشيع انه قتل .. ولكنه كان قد نقل الى مكان مامون ، بعيد عن المعركة ..
وكان اول ما فعله بعد ذلك ، أن اخذ الأمراء الغوريين الذين انهزموا عنه واسلموه ، فملأ مخالى خيلهم شعيرا ، وحلف لئن لم ياكلوه ليضربن اعناقهم ، فاكلوه ضرورة » ابن الأثير ص ٦٥ جـ ١٩ .
هذه واحدة ..

اما الثانية فقد اتجه بها لنفسه لشدة وقع الهزيمة عليه .. فاقسم الا يقرب النساء ، ولا يغير ملابسه حتى ينتصر ، وينتقم ، ويغسل ما لحقه من عار .
ولم يمكث على ذلك طويلا اذ لم تمض سنة ، حتى تلاقى مع اعدائه سنة ٥٨٨ هـ ــ ١١٩٢ م فى مكان الموقعة الأولى ، وهزمهم شر هزيمة .. واسر ملك (اجمير) الذى كان يهدده وينذره من قبل ، وضرب عنقه .. واســـــتولى على بلاده .

نساء مجاهدات ..

فى حملة من حملات السلطان المجاهد محمود الغزنوى على الهند واجه جمعا من الهندوس يفوق جيشه ، ورأى النساء المسلمات أن يشـــــتركن مع السلطان المجاهد فى جهاده باسلوبهن ، فتبرعن بحليهن ، وبما استطعن جمعه من المال للجيش الاسلامى المجاهد فى الهند .. وبهذه الروح التى شملت الجيش المحارب ومن وراءه حتى النســـاء كسب الســـــلطان الحرب واوقع باعدائه الهزيمة ..

علماء وملوك ..

ويذكر ابن بطوطة عن رحلته للهند « انه لما مات الملك قطب الدين ايبك استبد بالملك بعده مملوكه شمس الدين التمش ، واخذ الناس بالبيعة ، فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضى القضاة اذ ذاك (وجيه الدين الكاسانى) فدخلوا عليه ، وقعدوا بين يديه ، وقعد القاضى الى جانبه كالعادة ، وفهم السلطان عنهم ما ارادوا ان يكلموه فيه ، فرفع طرف البساط الذى هو قاعد عليه ، واخرج لهم عقدا يتضمن عتقه ، فقراه القاضى والفقهاء وبايعوه جميعا » . وكلنا يعرف انه كان لهـــذا الموقف من العلماء شبيه له بمصر على صـــورة اروع وكان بطله عالما من افذاذ العلماء واحد الملوك من المماليك .

مصير الصغار عند ارتداد آبائهم

للأستاذ : نعمان عبد الرزاق السامرائي
كلية الشريعة – بغداد

تمهيد :

نود أن نورد هنا أولا توضيحا موجزا لمعنى الردة في المدلول اللغوى ، وفي المتعارف عليه عند الفقهاء ، ونورد لتعريف الردة في اللغة عبارة ابن منظور في لسان العرب ونصها :

« .. وقد ارتد ، وارتد عنه : تحول : وفي التنزيل « ومن يرتدد منكم عن دينه » (١) والاسم : الردة ، ومنه : الردة عن الاسلام ، أى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه : اذا كفر بعد اسلامه .. » (٢) أما في اصطلاح الفقهاء فقد عرف الفقهاء الردة بجملة تعاريف متقاربة لعل من أشملها تعريف الباجورى في حاشيته : (الردة : قطع الاسلام ، بنية كفر ، أو قول كفر ، أو فعل كفر ، أو فعل كسجود لصنم ، سواء كان على جهة الاستهزاء أو العناد أو الاعتقاد .. » وبعد هذه اللمحة .. نعالج أثر الردة على الأولاد الصغار ، على اعتبار تبعيتهم لآبائهم في حالة الاسلام فاذا كان الولد يعد مسلما تبعا لاسلام أبيه ، فهل يصير الولد مرتدا كذلك ، اذا غادر الأب المسلم دين الاسلام ، وارتد عنه ، وله أولاد صغار ؟ أم يبقون على الاسلام ويكون لهم حكم مستقل في هذه الحال ؟ ما الحكم اذا كانت الزوجة (أم الولد الصغير) مسلمة وظلت على اسلامها رغم ردة الأب ؟ وهل تختلف النتيجة اذا كانت كتابية ؟

لا يخلو الأمر حين يرتد مسلم وامرأته ولهما ولد صغير – أو اكثر – من أن يكون الحمل به وولادته قد حصلا في حال اسلام الأبوين ، أو أن يكون الحمل به حدث في حال الاسلام ثم ولد في حال الردة ، أو أن يكون حصول الحمل والولادة في الردة .

ومن جهة ثانية فالردة قد تقع من الأب وحده ، أو منه ومن امرأته معا ، وهذه المرأة اما مسلمة واما كتابية .

---

(١) البقرة آية : ٢١٧

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٤ ص ١٥٣ وجمهرة اللغة لابن دريد جـ ١ – ص ٧٢ وتاج العروس للزبيدى ج ٢ ص ٣٥١ والصحاح للجوهرى جـ ١ ص ٤٧٠ .

ومن حصيلة هذه الاحتمالات يمكننا أن نستعرض ما يتكون منها من قضايا متعددة لبيان الحكم الشرعى لها :

١ — من ولد في الاسلام قبل ردة أبويه :

مما لا نزاع فيه ان من ولد في الاسلام فهو مسلم ، لأنه ولد بين مسلمين ، فيحكم باسلامه تبعا لأبويه فان ارتد الأبوان فان الابن يبقى على اسلامه ، ولا يتبعهما في ردتهما ، لأن التبعية تتحول حينئذ الى الدار وهى دار اسلام . قد يقال : ان الدار لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء فكيف نحكم باسلامه تبعا للدار ؟ والجواب انها تصلح للابقاء ، وفقا للقاعدة الفقهية القائلة : « يصح في البقاء ما لا يصح في الابتداء » .

ولعل الحكم باسلام من ذكرنا من الصغار محل اتفاق بين الفقهاء — فيما أعلم — وفي ذلك يقول الكاسانى الحنفى (.. فولد المرتد لا يخلو من أن يكون مولودا في الاسلام أو في الردة ، فان كان مولودا فى الاسلام بأن ولد للزوجين ولد وهما مسلمان ثم ارتدا : لا يحكم بردته ما دام في دار الاسلام ، لأنه لما ولد وأبواه مسلمان فقد حكم باسلامه تبعا لأبويه ، فلا يزول بردتهما لتحول التبعية الى الدار ، اذ الدار — وان كانت لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء عند استتباع الأبوين فهى تصلح للابقاء ، لأنه أسهل من الابتداء ، فما دام في دار الاسلام يبقى على حكم الاسلام تبعا للدار ..) الا أنى وجدت تعميما للزيدية يقولون فيه ان الصغير يتبع أبويه في الاسلام والكفر ، من غير أن يفصلوا في المسألة بما يوضح رايهم جيدا .

٢ — من كان حملا والأبوان مسلمان ثم ولد في ردتهما :

أما من حمل به في اسلام أبويه ، لكنه ولد بعد الردة فحكمه الاسلام ، وسبب ذلك أنه عند ابتداء الحمل كانا مسلمين فيحكم باسلامه ، ولا يتبع والديه في ردتهما لأن الاسلام يعلو كما يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفي هذا يقول الصباغ الشافعى (.. ان أولاد المرتدين ان كانوا ولدوا قبل ردتهم أو ارتدوا ولهم حمل فانهم محكوم باسلامهم ولا يتبعونهم بالردة ، لأن الاسلام يعلو ، وقد تبعوهم في الاسلام فلا يتبعونهم في الكفر) .

وبمثل ما تقدم قال الزيدية (ويحكم لمن حمل به في الاسلام به لقوله تعالى (الحقنا بهم ذرياتهم) ولا حكم لردة أبويه من بعد) كما نقل هذا الرأى الشيرازى الشافعى .

٣ — من حمل به في حال الردة وولد فيها :

أما من حمل به وولد بعد ردة أبويه فهو كافر ، لأنه ولد بين أبوين كافرين ، لا نعلم في ذلك خلافا ، الا ما حكاه المرداوى الحنبلى من رأيين في اقراره على الكفر أو عدمه ، ثم أوضح أن المذهب هو الاقرار على الكفر ، (١) وما حكاه بهرام المالكى في أحد الأقوال من انه يجبر على الاسلام (٢) .

---

(١) الانصاف للمرداوى جـ ١ ص ٣٤٧ .

(٢) الشامل لبهرام مخطوطة جـ ٢ ورقة ١٧١ .

٤ ـ اذا ارتـــد الأب دون الأم المسلمة :

اذا ارتد رجل مسلم دون امرأته المسلمة ، وولد له بعد ذلك ولد ، فانه يكون مسلما تبعا لأمه ، ولعـل السبب في ذلك أن المرتد لا ملة له ولا دين ، وهو ملزم بالتوبة ، والعودة للاسلام أو القتل ، ولهذا الحقـــوا الطفل بأمه المسلمة وفقا للقاعـــدة القائلة : (يتبع الابن خير الأبويـن دينا) . وفي هذا يقول العلامة الشيخ أحمد ابراهيم بك : (.. واذا ولـد للمرتد ولد من امرأة مسلمة علقت به بعد الردة فان هذا الولد يعتبر مسلما تبعا لأمه ، فاذا مات المرتد ورثه هذا الولد ، لأن المسلم يرث المرتد ..) .

٥ ـ اذا ارتد الأب وكانـت الأم كتابية :

اذا كان الأب مسلما فارتد ، والأم كتابية : يهودية أو نصرانية ، وولد لهم ولد فهو كافر ، لأنه ولد بين أبويـن ليسا مسلمين ولا أحدهما ، لذلـك يحكم بكفـره ، وفي ذلـك يقـــول الشـيرازى الشافعى (.. وان ولد له ولد بعد الردة من ذمية فهو كافر ، لأنه بين كافرين ..) (١) .
ويقول العلامة الشيخ احمد ابراهيم بك : (.. أما أن كانت أمه كتابيـة يهودية أو نصرانية فان هذا الولـد المولود له منها بعد ردته لا يرثه ، لأنه يجعل تبعا للمرتد لا لأمه ، وذلـــك لقرب المرتد الى الاسلام ، لأنه يجبر على العودة اليه ، وبهذا يصير الولد فى حكم المرتد ..) (٢) .

٦ ـ اذا قتل الأب المرتد هل يحكم لابنه الصغير بالاسلام ؟ :

المرتد اما أن يتوب فيعود للاسلام ، أو يصر على ردته فيقتل ، فان قتل والد الطفل لردته ، فمـا مصـير ابنـه الصغير ؟ أيكون كافرا تبعا لوالده ؟ أم يكون مسلما تبعا للدار ؟

قال المالكية ببقاء الولد مسلمـا ، سـواء ولد قبل الردة أو بعدهـــا ، وعللوا ذلك بأن التبعية للأب انمـا تكون في دين يقر عليـه ، يقـــول الخرشى : (وبقى ولده مسلما) يعنى أن المرتد اذا قتل على ردته فـــان ولده الصغير يبقى على الاســلام ، ولا يتبع أباه في ردته ، لأن التبعيـة للأب انما تكون في دين يقر عليه ، ويقصد بعبارة : « وبقى ولده مسلما » أى حكم باسلامه ، صغيرا كان أو كبيرا ، ولد قبل الردة أم بعدهـــا على المذهب .. ولعل التبعية هنـا صارت للدار ، وهى دار الاسلام التى تصلح لاثباتها بقاء ، أو بسبب بقاء الأم مسلمة وان اهمل (الخرشى) بيان ذلك ، وقد أيد ما ذهب اليـــه الخرشى كل من عليش (٣) والقرافى (٤) من المالكية .

ويمكن اجمال ما تقدم من صور ، بأن كل مولود ولد لمسلمين حـــال اسلامهما فهو مسلم ، ومن حمل به في الاسلام ثم ولد في الردة فهو مسلم وأما من حمل به في حال الردة مـــن أبويه وولد فيها فهو كافر ، ومن ولد لأب مرتد وأم كتابية فهو كافر ، أما من ولد لأب مرتد وأم مسلمة فهـــو

---

(١) المهذب للشيرازى جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٢) مجلة القانون المصرية : العدد الأول السنة الاولى ص ١٣ .
(٣) شرح منح الجليل ج ٤ ص ٤٦٦ .
(٤) الذخيرة للقرافي مخطوطة جـ ٢ ورقة ٢١٤ .

مسلم ، وكذلك من قتل أبوه مرتدا فهو مسلم .

ولعل من تتمة الحديث ، ولو من وجه ، أن نختمه بالكلام عمن كان مولودا بين كافرين في دار الاسلام فماتا وهو صغير ، فهل يحكم باسلامه ؟ وان مات احدهما دون الآخر فما حكم الصغير في دار الاسلام ؟؟؟

لندع الحديث لابن قدامة (١) يجلى المسألة قائلا : (وكذلك من مات من الأبوين على كفره قسم له الميراث وكان مسلما بموت من مات منهما) يعنى اذا مات أحد أبوى الولد الكافرين صار الولد مسلما بموته وقسم له الميراث ، واكثر الفقهاء على أنه لا يحكم باسلامه بموتهما ، ولا موت أحدهما ، لأنه يثبت كفره تبعا ولم يوجد منه اسلام ، ولا ممن هو تابع له فوجب ابقاؤه على ما كان عليه ، ولأنه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه انه أجبر احدا من أهل الذمة على الاسلام بموت أبيه ، مع انه لم يخل زمنهم عن موت بعض أهل الذمة عن يتيم .

ويستدل ابن قدامة على رأيه فيقول : ولنا ــ أى للحنبلية ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه) متفق عليه ، فجعل كفره بفعل أبويه ، فاذا مات أحدهما انقطعت التبعية ، فوجب ابقاؤه على الفطرة التى ولد عليها ، لأن المسألة مفروضة فيمن مات أبوه في دار الاسلام ، وقضية الدار الحكم باسلام أهلها ، ولذلك حكمنا باسلام لقيطها ، وانما ثبت الكفر للطفل الذى له أبوان ، فاذا عدما أو احدهما وجب بقاؤه على حكم الدار لانقطاع تبعيته لمن يكفر بها ، وانما قسم له الميراث ، لأن اسلامه انما ثبت بموت ابيه الذى استحق به الميراث فهو سبب لهما فلم يتقدم الاسلام المانع من الميراث على استحقاقه ، ولأن الحرية المعلقة بالموت لا توجب الميراث ، فيجب أن يكون الاسلام المعلق بالموت لا يمنع الميراث ، وهذا فيما اذا كان في دار الاسلام ، لأنه متى انقطعت تبعيته من أبويه أو احدهما ثبت له حكم الدار . .)

ولعل من المعقول أن نقول باسلام الصغير في دار الاسلام حين يموت والداه وهما غير مسلمين ، فنجرى عليه حكم الدار لقصوره حفظا له من الضياع ، ولئلا يصير كافرا في المستقبل ، ولكن عند وفاة احد الوالدين وبقاء الآخر فكيف نحكم باسلام الصغير وهو لم تنقطع تبعيته للباقى منهما ؟.

ثم أين هى الأدلة النقلية للرأى المعاكس غير الحديث المتقدم ، وهو محتمل أن ينصرف الى حال وفاة الوالدين كليهما لا أحدهما ، خصوصا أن الحديث أسند التأثير للاثنين لا لأحدهما (فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه) .

لذا . . فان ساغ الحكم باسلام الصغير بوفاة أبويه الكافرين في دار الاسلام ، فلن يسهل التسليم بالحكم نفسه في حال وفاة أحدهما وبقائه في كنف الآخر وولايته ، اذ من الطبيعى أن يتبع الباقى منهما في دينه .

---

(١) المغنى لابن قدامة الحنبلى ج ٨ ص ٥٥٥ .

حماية الدولة للأجانب

للأستاذ على الخطيب

فى عصرنا الحاضر تبلغ الدولة مكانتها المرموقة بين الدول ، وتكتسب سمعة طيبة بقدر ما تتمتع به من أمن داخلى متين ، لا يقوم على ارهاب ، ولا ينبثق عن جبن ، بل بفضل ما ينتشر فى الدولة من نظم سياسية ، تقوم على توفير الثقة بحريات الشعب ، والايمان بقــدرته على الاحتفاظ بتلك الحرية ، وحســن ممارستها ، ووعيه بحقوق الآخرين فى الدول الاجنبية .

على أن الدولة ترتقى الى الذروة من السمعة الطيبة ، حين يمكنها ان تحفظ لمواطنيها ــ عن ايمان ورغبة ــ حقهم فى الامن والحرية داخل بلادهم وخارجها على السواء ، وأن الدولة التى تبلغ بشعبها هذا المستوى من الرقى ، وتدفع به الى هذه الذروة من الحضارة لدولة قوية تستطيع ــ بجانب « ديمقراطيتهــا » وحبها للسلام ــ أن تفرض هيبتها على الآخرين ، فلا يكون أبناؤها عرضة للعبث بهم اذا حلوا بينهم .

ولقد أصبحت الدولة ــ اية دولة ــ ذات حق مباشر ، ومسئولية أولية فى حفظ حياة أبنائها ، وكرامتهم وأموالهم في داخل البلاد وخارجها ، وارتفع هــذا الحق الى مستوى الصعيد الدولي ، فأقرته المجــالات الدولية ، واصبح نافذ المفعول بين الدول الصــديقة ، أو الدول التى تترابط مع آخرين بمعــاهدات واتفاقات ، بواسطتها يتمكن « ممثل » أى بلد أن يباشر عمله فى حفظ حياة مواطنيه ، وأموالهم وكرامتهم ، أينما حلوا .

وانه لمن الواضح أن هذا الحق لم ينظم فى المجال الدولى بصورة فعالة الا فى العصور الحديثة ، ولا نستطيع أن نخدع أنفسنا ونقول : ان الامم جرت على هذا العرف منذ زمن قديم . فالواقع مخالف لهذا المنطق ، وان كانت هناك حوادث فردية تشير الى وجوده فيما سبق من سنين .

فمنذ تفتت الدولة الرومانية ، وابتدأت القوميات تستقل بأراضيها ، وتعلن سيادتها ــ برزت هذه المشكلة وتضخمت دون ما علاج ، بينما طابع الغــدر بأفراد الجنسيات الاخرى قائم برا وبحرا ، ولا تغيب عن أذهاننا وقائع القرصنة فى البحار ، ولا قطع الطرقات فى القفار ، وان نجا ناج من ذلك فقد يتسم بصفة (عامة) كقنصل أو سفير . أما أفراد الناس العاديين فهم هدف الهلاك من أيد تبطش ، وهى تعلم أنها بمأمن من العقوبة .

وان هذا الوضع الذى كانت عليه الانسانية قبل تأكيد هذه الحقوق فى اطار دولى ليصمها ــ حين تشرع لنفسها ، وتنأى عن السماء ــ بالتأخر ، وان ارتفعت فيها الوان الحضارة ، واطنبت لها ابواق الدعاية ، ويكفى أن نعلم هنا أن القانون الدولى الحديث ــ فى هذه المسألة ــ جاء متأخرا أربعة عشر قرنا هى حياة الاسلام ، الذى نظم هذا الجانب ، وأقام حدوده ، ومارس تطبيقه على ضوء من شرعة الله الصائبة التى لا يمكن أن تضل ، واستطاع أن يعلم الدول الاخرى كيف تحافظ ــ فى هذا الجانب ــ على حقه وحق رعاياه .

واذا قلنا : ان الاسلام هو أول من نظم هذا الامر ، وجعله حقا دوليا ، فلسنا نريد بذلك خطف الاضواء له ، أو التبجح بما يبرأ الاسلام منه ، لذلك نقدم (قانون الاسلام) فى هذا الجانب مصحوبا بوقائعه ، حتى لا يشعر القارىء أننا اقتحمنا فكره عابثين مغرورين مغررين .

١ ــ ففى المهد عندما كانت دولة الاسلام هى رقعة المدينة ليس غير ، ولم تكن تلك الدولة ــ ان صح التعبير ــ تمثل قوة (فارس) أو عظمة (الرومان) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع من أصحابه يريد مكة (معتمرا) وأرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه سفيرا له الى أهل مكة ، يبلغهم رغبة رسول الله وصحابته ، ويبين الهدف من مجيئهم ، وذهب عثمان وغاب ، واشيع بين المسلمين ــ مجرد اشاعة ــ أن عثمان قتل ، فثارت ثائرتهم وجمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، فبايعهم فردا فردا على الموت ، وعدم الفرار ، وقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم .

وسكنت ثورتهم حينما أدركوا أمر الاشاعة ، وعلموا أن سفيرهم سليم معافى . وتلك هى الحادثة التى نزل فيها قوله تعالى : «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة . . الآية » وفى كتب التفسير تفصيل الحادثة لمن أراد. وهنا يتجلى حق الفرد فى حمايته لدى الآخرين .

وثمة حادثة أخرى ، تبرز هذا الدور .

فقد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عكل وعرينة ، وطلبوا اليه ايواءهم ورفدهم ، فأنزلهم الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا طيبا خارج المدينة ، وترك لهم ابلا يفتذون منها ، كى تتوفر لهم الصحة والعافية ، حتى اذا برئوا كروا على رعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم ، واستاقوا الابل ، وفروا بها فى الصحراء ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمطاردتهم فلما عادوا بهم أمر بهم فقتلوا جميعا عقابا لهم على غدرهم (١) .

ولم يتوقف معاوية رضى الله عنه أمام وكزة وكزها « بطريق » عند ملك الروم لأحد الاعراب ، وأسرها معاوية فى نفسه ، ثم احتال حيلة كلفته المال الكثير ، حتى أتى بالبطريق أمامه مخطوفا من بلاده ، وأوقفه أمام الاعرابى وقال له : أهذا صاحبك . . ؟ قال الاعرابى : نعم . قال معاوية : افعل به ما فعل بك ولا تزد ، فوكزه الاعرابى . . ثم رد معاوية البطريق الى بلاده بعد أن لقنه هذا الدرس العادل .

ولا ينس المسلمون سبب فتح (عمورية) الذى قام به المعتصم الخليفة العباسى الثامن ، فقد كان سببه روميا صفع امرأة عربية فاستغاثت وصرخت . وامعتصماه ونقل الخبر عربى الى المعتصم فلباها بجيش فتح عمورية ، وأتى بالرومى فجعله (عبدا) للاعرابية . وكانت بدورها كريمة الطبع ، سخية السجايا فتركت (العبد) .

ان هذه الحوادث لتقرر فى وضوح حق الدولة الاسلامية فى رعاية ابنائها

---

(١) انظر صحيح البخارى باب قصة عكل وعرينة ، وباب المحاربين من اهل الكفر والردة .

فى الخارج ، والدفاع عنهم ، وتوفير أمنهم وكرامتهم وأعراضهم .. دون غصب ، ولا اعتداء من رعاياها ، ولا ينسى الاسلام أيضا وجوب تربية أبنائه على احترام مشاعر الغير ومقدساتهم ، فلا يجوز للمسلمين بأوطانهم ، أو بأوطان غيرهم أن يسبوا هذه المقدسات ، أو ينالوا منها ، يقول تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله — ١٠٨ — الانعام .

كما لا يجوز للمسلم بوطن آخر ان يرتكب جريمة ، ثم يطلب الى الاسلام حمايته ، ويعنى هذا أن حق الفرد فى حمايته فى الداخل والخارج مصون ، طالما كان هو نفسه مستقيم السيرة ، مستقيم السلوك ، غير هدام للآخرين .

واذا كان الاسلام قد قرر لنفسه هذا الحق ، فهل حفظه للآخرين من رعايا الدول الاخرى الذين يقيمون بأرضه ..؟

ان الاسلام منح هذا الحق — حق الأمن وتوفير الكرامة فى بلاده حتى للأفراد من رعايا الاعداء فى بعض الاحوال .

وان الاسلام هنا « لا يعقد » الاجراءات التى تسمح بهذا الحق ، فقد كان الجندى — اى جندى — من المسلمين (١) يستطيع اعطاء هذا الحق لفرد أو أفراد من الاعداء لمصلحة عامة ، فلا يستطيع الحاكم الا ان يمضيه ، فالمسلمون (سواسية) تتكافأ دماؤهم ، ويأخذ بذمتهم أدناهم .

وان هذه البساطة بما اشتملت من وعى ، وهدف لاظهار روح الاسلام ، لا تضيق أبدا برعايا الاجانب على أى وجه كانوا ، سواء كانوا :

ا) أعضاء بعثات سياسية ، أو تجارية ، وما يلحق بهم من موظفين مختلفى الدرجات لشؤون واجباتهم .

ب)أو كانوا أفراد جاليات متعددة الاجناس .

جـ) أو افرادا لجأوا الى الدولة .

د) أو طلبة .

فكل هؤلاء آمنون مطمئنون ، طالما دخلوا البلاد بناء على (معاهدة) أو حصلوا على (اذن خاص) بالاقامة ، ولو كان الحاصل على الاذن عدوا جاء البلاد لمفاوضة فى تبادل الاسرى أو غير ذلك . يقول تعالى :

... فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين — ٤ — التوبة « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » (٢) .

فكل عهد يجب الوفاء به ، ولا يشترط الاسلام من هؤلاء الا ان يحترموا مقدسات أهله ، وعرفهم ، ولا يسعون لضرر بهم ، فان نكثوا هذا العهد ، وطعنوا فى الدين ، وهزءوا بالعرف ، وسعوا الى الهدم ، وجب القصاص منهم تماما كأبناء البلاد .

أما اذا سلكوا بالحسنى ، فالدولة مسئولة عنهم ، وعما يقع لبعض افرادهم من حوادث ، لا تخلو منها دولة ، كان يغتال احدهم ، أو يقتل خطأ ، وتسعى الدولة الى محاكمة الجانى من ابنائها ، وتعويض أسرة القتيل .

قال تعالى فى آية القتل : « وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » — ٩٢ — النساء .

هذا جانب من جوانب « دولة » الاسلام ، وحسب الاسلام فخرا ان القانون الدولى حين قرر وحدد فى هذا الجانب ، كان متاخرا ، ولم يات بجديد ، وكان الاسلام وحده ممهد الطريق ورافع أعلامه . صنع الله الذى اتقن كل شىء .

---

(١) بل أعطاه الأفراد العاديين من الرجال والنساء وحديث « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » عند فتح مكة معروف واضح الدلالة على هذا . (الوعى)

(٢) ٧٦ آل عمران .

جل من أبدع الوجود فنونا

للاستاذ : ابراهيم محمد نجا

ايه دوكان قد أتيتـــك والافـــ	ـــق جميل السمات .. حلو السفور
والطـــريق الجميل .. زهر وعطر	وغنـــاء من جـدول أو غــدير
يلتـــوى تارة .. ويمتد أخـــرى	مثل سـطر يمتد بين الســطور
والروابى خلف الســـهول عذارى	يتراءين مـــن وراء الســـتور
وضـــياء الصــباح يرقص نشــوا	ن ويشـــدو للنرجس المنثــور
وعبيـــر الزهـــور يصــدح فى الرو	ض بلحن من الشـــعاع المنيـــر
ونســـيم المروج منـــديل عذرا	ء ينـــاجى روحى بهمس مثيـــر
عطر الحب نســجه .. وكســـاه	رقة الزهر والنـــدى والحـــرير
وغنـــاء الميـــاه همس شـجى	يسكب السحر فى حنايا الشـــعور

* * *

من أعلى الذرى يجىء .. ومن نبـــ	ـــع تغنى فيـــه بنـــات الحــور
فهنـــاك المجهـــول يبـــدأ من حيـ	ـث تـــوارت معـــالم المنظـــور
وهنـــا المـــاء .. والجبـــال حواليـ	ـــه نطـــاق من عـــالم مسحور
وأنا جـــالس أطـــل عـــلى النهـ	ـــر الذى يرتمى بحضـــن الصـخور
وادعا لا يـــكاد يصـــدر منه	غير خفق مـــن قلبـــه المسرور
مثـــل طفـــل قد لاذ بالأم جذلا	ن .. فغطتـــه بالحنـــان الوفيـــر
أنا من حالق أراه .. كمـــا أبـــ	ـصر عينـــا عميقـــة التعبيـــر
وأرى الســـد شامخا .. من بعيد	يتراءى كالمارد الاســـــطورى
جالســـا فوق عرشـــه ، والرعايا	شـــاخصات من رهبة التـــوقير
يملك النهـــر .. فهو يمنح منـــه	ما تراه ســـجية التـــدبير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« زار الشاعر ناحية دوكان .. مركز قضاء السليمانية فى شمال العراق .. وفيها سد دوكان الكبير وذلك اثناء عمله بالعراق ففاضت شاعريته بهذه القصيدة التصويرية الجميلة » ..

يدفق الماء كالنضار مذوبا — وهو أصفى من رائق البللور
صنعة تبهر العقول .. وفن — أبدعته روائع التفكير
اعجزت كل صنعة .. غير ما قد — أبدعته يد العلى القدير
جل من أبدع العقول التى تبـ — ـدع ما فوق قدرة التصوير

* * *

ها هنا رقة الجمال تجلت — فى سهول صداحة بالطيور
وغدير يجتاز بالسهل نشوا — ن يغنى غناء طفل غرير
وزهور كانهن عذارى — تتلقاك بالرحيق الطهور
وسماء تحلق الروح فيها — وهى ترقى على جناح الاثير

* * *

ها هنا رهبة الجمال تجلت — فى جبال تعلو مطار النسور
آخذ بعضها بجانب بعض — فهى سد يصد كل مغير
كللت هامها بقايا ثلوج — كسنا الفجر أو كزهر نضير
تتبدى شم القصور اذا قا — مت على السفح .. مثل كوخ صغير
ووهاد كانها الافق المقـ — ـلوب فى القاع .. من قديم العصور
أو جبال معكوسة الوضع جوف — نسقتها يد الحكيم الخبير
جل من ابدع الوجود فنونا — من جمال .. لكل قلب شكور
ايه دوكان .. حان وقت رجوعى — فاعذرينى .. وسامحى تقصيرى
واذكرينى كما ساذكر يوما — مر بى فيك مثل حلم قصير
ولأودع هذا الجمال وارجع — لحياتى .. بين الزحام الكبير

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

ما من ليلة يهدي الي فيها عروس أنا لها محب ، او ابشر فيها بغلام احب الي من ليلة شـديدة الجليد في سرية من المهاجرين اصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد .

خالد بن الوليد

فى الجاهلية الاولى

فى الجاهلية الاولى كانت القبـائل المنهزمة تدع الملذات التى الفتها حتى تدرك النصر ، فاذا نالت ثأرها ، ومحت عارها ، عادت الى ملذاتها وشاعرها يقول :

فسـاغ لى الشراب وكنت قبلا   أكاد أغص بالمـاء الفـرات

حقيقة اغرب من الخيال

قال الواقدى : حضر العيد وكنت فى ضائقة شديدة ، فقالت امراتى : أما نحن فنصبر ، وأما صبياننا فكيف نعمل فى كسـوتهم . قلت صبرا وكان لى صديقان ، فكتبت الى أحدهما أسأله العون والمساعدة ، فوجه الى كيسا مختوما فيه ألف درهم ، فما استقر فى يدى حتى بعث الى صديقى الثانى يطلب منى العون والتوسعة ، فأرسلت اليه الكيس بخاتمه ثم اخبرت امراتى بما فعلت ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى .

وبعد قليل حضر صديقى الأول ومعه الكيس بخاتمه ، وقال اصدقنى عما فعلت بالكيس الذى بعثت به اليك ، فعرفته الخبر ، فقال انك حين طلبت منى العون لم أكن املك الا هذا الكيس الذى بعثت به اليك ، وارسلت الى صديقى فلان (الصديق الثانى) أسأله المواساة ، فبعث الى بهذا الكيس الذى ارسلته اليه .

أبو حازم

روى ان سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى قدم المدينة للزيارة ، وبعث الى أبى حازم ، فلما دخل عليه قال : تـكلم يا أبا حازم .. قال : نعم يا أمير المؤمنين أتكلم :

لا تأخذ الأشياء الا من حلها ، ولا تضعها الا فى اهلها .

قال : ومن يقدر على ذلك .

قال : من قلد من امر الرعية ما قلدت .
قال : عظنا يا أبا حازم .
قال : اعلم ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما سار اليك .
قال : مالك لا تجيء الينا .
قال : ما اصنع بالمجيء اليك يا أمير المؤمنين .. ان أدنيتنى فتنتنى ، وان أقصيتنى أخزيتنى ، وليس عندك ما أرجوك له ، وليس عندى ما أخافك عليه .
قال : فادفع الينا حاجتك .
قال : قد دفعتها الى من هو اقدر منك عليها ، فما أعطانى منها قبلت ، وما منعنى منها رضيت .

منهج حياة

اكره الظهور ، وامقت الدعوى ، واجتنب الفضـــول ، اعمل فى صمت ، وامشى فى قصد وهذه الخلال قد تعوق عن الوصـــــول فى عصر كهذا العصر ، أعماله تظاهر ، واقواله هتاف ووسـائله اعلان ، وغاياته شـــهوة ، ولكن الذين يندفعون الى الأمام بهذه الدوافع لا يلبثون ان يفقدوا الأجنحة المصنوعة والمحركات المستعارة .

حكيم

فى محيط الاسرة

فى شعوب اسلامية كثيرة لا حرج من تأخير الزواج وتطويل امر الفوضى الجنسية التى تسبقه حتى يمكن اعطاء مهر باهظ ، ودلالة هذا السلوك أن رعاية التقاليد الموروثة ، والوجاهات المنشـــودة ، احظى لدى الناس من رعاية الدين وابتغاء مرضاة الله . وفى الحديث «اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»

★★★

ان الزواج وحده هو الحل الأول والاخير للمشـــكلة الجنسية ، وهو أنبل صلة عرفتها الانســـانية لتكوين الاسرة وتربية الأولاد فى جو زكى طهور . والله يقول : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

★★★

ان المرأة المطروحة وراء سجن من الجهل والعمى يموت معها نصف الأمة ، ويمرض النصف الأخير .
والمرأة المتروكة للغى والهوى تضطرب معها الأمة كلها ، ويلعب بزمامهم الشيطان .

الأيدى الثلاثة

يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء ، فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هى المن بالمعروف .

خلق السيادة

نظر المأمون يوما الى ابنه العبـــاس وأخيه المعتصم ، فراى ابنه العباس يتخذ المصانع ، ويبنى الضياع ، والمعتصم يمتلك الرجال ، فقال فى المعتصم :

يبنى الرجال وغـــيره يبنى القرى ... شـــتان بين قرى وبين رجـــال
قلق بـــكثرة ماله وضـــــياعه ... حتى يفـــرقه على الأبطـــال

مؤذن الرسول

محمد مؤذن

الأستاذ : احمد حسن قضاة ــ الأردن

نموذج من النماذج الطيبة ، وصحابى عظيم من أولئك الصحابة البررة ، الذين لاقوا الكثير من العنت والاضطهاد فى سبيل العقيدة والثبات على المبــدأ ... انه بلال بن رباح رضى ألله تعالى عنه .

نشــأته :

ولد بلال من أبوين حبشيين ، كان قد جىء بهما من الحبشة وبيعا فــى ســوق الرقيق بمكة . فنشأ بلال فى قبيلة بنى جمح عبدا لأحد اشرافها هو أمية ابن خلف .

وكان بلال عبدا مدللا لدى سيده . فهو مطيع وامين ، حتى ان امية كثيرا ما كان يسيره بقوافل التجارة للقبيلة من مكة الى الشام ، ويخصه مرارا كثيرة بمسئولية القافلة نظرا لأمانته ومهارته .

وعرف عن بلال أنه كان ذا صوت ندى ، يغنى لشباب مكــة فى أكثــر الأوقات ، ويطربهم بحلو نغماته . وكان أكثر ما يتجلى غناؤه ، فى كل مــرة

يذهب بها مع قوافل التجارة الى الشام ، فينساب غناؤه عندئذ عذبا ، وينسكب فى آذان القوم الذين يرافقون القافلة ، فينعش أفئدتهم ، وينسيهم ما يكونون فيه من تعب الطريق ووعثاء السفر . .

اول الغيث :

وفى احدى سفراته الى الشام كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه احد رفاقه فيها . فلما نفقت تجارة قريش ، وكادت القوافل تعود الى مكة ، لمح بلال أبا بكر يجد فى السير فلحقه وسأله . « الى أين يا أبا بكر ؟ » فقال أبو بكر . « الى راهب أستفسر منه عن رؤيا رأيتها » . ودعاه أبو بكر ليذهب معه ، فانطلقا حتى أتيا الراهب . وهناك قال الراهب لأبى بكر : « ان صدق الله رؤياك فانه يبعث نبى من قومك ، تكون أنت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته » . فسأل بلال . « وما النبى ؟ » فقال الراهب . « هو رسول من عند الله ، يرسله الله خالق السموات والأرض هدى للناس ، ويأمر ذلك النبى الناس بعبادة الله وحده ، ووصل الأرحام ، وتحطيم الأصنام » .

احدث قول الراهب وقعا عميقا فى نفس بلال ، وراح يتساءل . لم يعبد الأصنام ، أ فألفى نفسه لا يدرى . اذ شب بين قوم رآهم يعبدونها ، فعبدها مثلهم . ونشبت معركة بينه وبين نفسه انجلت عن تزعزع ايمانه بالأصنام ، والتشكك فى عقيدته .

النبى المنتظر :

وفى احدى الليالى ، والناس فى مكة نيام ، اذا بصوت خافت من جانب حجرة بلال يهتف به ، فيفيق مشدوها ليجد أبا بكر يزف اليه بشرى ظهور نبى هذه الأمة ، محمد بن عبد الله ، يدعو الناس الى التحرر من عبودية الأصنام الى عبادة الله خالق كل شىء ، والى المساواة بين السادة والعبيد ، والى الاخاء بين الناس جميعا ، فيطرق بلال منكرا ، فيقنعه أبو بكر باعتناق هذا الدين معددا فضائله ومزاياه ، فلا يلبث هذا أن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فيسر أبو بكر لذلك ، ويذهب به فى اليوم التالى سرا الى محمد ، فيبايع بلال النبى وهو لا يدرى أنه سيعذب فى هذا الدين ، ويمتحن فيه امتحانا شديدا ، يجعله سيد المتحنين ، وامام المعذبين الصابرين . . .

العذاب :

واصبح يختلف الى الرسول الكريم ، يتلقى منه تعاليم الدين الجديد . وقد أثرت فيه روح محمد القوية ، فحولته من عبد ذليل ، الى انسان ذى مثل عليا .

ووشى به الواشون الى مولاه ، فوقف أمية يوما على باب حجرة بلال يسترق السمع ، ليتأكد من الأمر ، فقرع أذنيه صوت بلال ، وهو يترنم بآيات الله البينات . وأرهف أذنيه فسمع كلاما ما سمع مثله من قبل قط ، فما هو

بالشعر ، وما هو بالسجع . فمفمغ فى نفسه : هذا ما سحر العبد ، هذا قرآن محمد . وهنا ثار غضبه ، وضرب الباب بشدة ، ثم اندفع الى الداخل ، فلم يجزع بلال ، ولم يرتجف ، بل حلت فى قلبه السكينة ، وانتظر مصيره المحتوم .

قال له أمية : ما كنت تقرأ يا بلال ؟ فقال . كنت اقرأ كلام الله . قال : اى اله ؟ فقال : رب السموات والأرض وما بينهما سبحانه . قال : أكفرت بآلهتنا ، واتبعت رجلا مسحورا ؟ فقال . ما كفرت ، بل هدانى الله الى صراط مستقيم . فثارت ثائرة أمية ، ولطمه وصاح به : متى كان للعبد أن يتبع هواه ، أو يتخذ له الها غير آلهة سادته ؟ فقال بلال بلهجة الواثق : انى أعرف جيدا أنى عبدك ، ولكن أعلم يا مولاى أن ما تملك منى هو جسدى فقط ، أما عقلى ، أما ما يكنه صدرى ، فهذا جميعه لى وحدى ، ولا شأن لك به .

أحد .. أحد :

وبذل أمية ما وسعه ليرد هذا الصابىء — فى نظره — عن دينه الجديد . وهدد وتوعد ، ولكن دون جدوى . وأسرع الى الباب هائجا يصيح بالخدم . انضوا عن هذا الكافر ثيابه ، وألبسوه الأسمال البالية ، وقيدوه . فالتفت بلال الى أمية ، وقال : ها هى ذى ثيابكم الغالية ، فلا حاجة لى فيها . وخلع ثيابه ولبس الأسمال ، ثم قيدوه ، ووقف ينتظر العذاب بقلب ثابت ، ونفس راضية ، مما زاد — ذلك من غيظ أمية ، فتقدم منه مغضبا ، ووضع فى عنقه حبلا غليظا ، ثم جذب الحبل جذبة شديدة ، آلمت بلالا ، ولكنه لم يتكلم . ونادى أمية صبيان القبيلة ، وأمرهم أن يعدوا به فى شوارع مكة ، ليكون عبرة للصابئين ، فخرجوا به يتصايحون ، وهو يردد . أحد .. أحد . ونال التعب آخر الأمر من الصبيان ، فعادوا به الى الدار ، وهو أقوى على الحق مما كان ، فقد هان لديه كل شىء بعد أن ذاق حلاوة الايمان ..

وعاد اليه أمية ، راجيا أن يكون ما صادفه فى يومه من بلاء ، رادعا له . فأقبل عليه يلاطفه : عسى أن تكون قد ثبت الى رشدك يا بلال ؟ فيجيبه . احد .. أحد . وكلما تكلم معه أمية بشىء ، يجيبه بشعاره الخالد : احد . احد . فركله هذا ركلة شديدة واتجه صوب الباب ، فصاح به بلال .. « احد .. احد . والله لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها » .

وتتابع العذاب عليه ، وهو صامد ثابت ، لا تضعف له قناة ، ولا يلين له جانب . وقد تفنن أمية فى تعذيبه ، فقيده يوما واضجعه على الرمال ، وتركه للشمس يلفحه حرها ، ثم أمر بوضع صخرة كبيرة فوق صدره ، فازداد الكرب على بلال ، ولكنه ازداد مع ذلك صلابة وعنادا .

أبو بكر يشتريه ويعتقه :

وسمع أبو بكر — وكان جالسا عند النبى — ما بلغ بصاحبه من العذاب . فخرج مسرعا الى المكان الذى يعذب فيه ، وصاح مغضبا بأمية . الى متى

تعذب هذا العبد ؟ فيجيبه امية : انه يعذب بسببك يا ابن ابى قحافة ، فما افسده سواك . وحدث رد وأخذ فى القول بين الرجلين قال له أبو بكر اخيرا . انى على استعدادا لشرائه . فقبل أمية — تخلصا منه — واشتراه أبو بكر ، ثم أزاح الصخرة عن صدره ، وانطلق به الى الرسول . وفى الطريق التفت بلال الى أبى بكر وقال « ان كنت انما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وان كنت انما اشتريتنى لله فدعنى وعمل الله » فأطلق أبو بكر سراحه .

راحت قريش تطارد المسلمين وتفتن فى ايقاع الأذى بهم ، وزال ما كان فيه بلال من نعيم عند أمية ، وأقبل بدلا منه التشرد والجوع ، فما نال هذا التبدل من نفسه شيئا ، بل زادها صفاء وصقلا ..

الحنين الى الوطن :

ولما هاجر المسلمون سرا من مكة الى المدينة ، بعد أن ضاعفت قريش اذاها لهم ، هاجر بلال مع من هاجر ، تاركا وراءه مكة الحبيبة .. مكة التى نشأ فيها ، ودرج فى رحابها ، وتربطه بها ذكريات عزيزة عليه ، وان لم تكن جميلة كلها بسبب ما لقى على أرضها من عذاب . ثم لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ، كان الوباء منتشرا بها ، فأخذت الحمى كثيرا من المسلمين . وكان بلال كلما أقلعت عنه الحمى فترة ، ينتقل به خياله من يثرب الى مكة ، فتجيش نفسه بالحنين ، فيرفع عقيرته ينشد بصوته العذب الحنون .

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لى شامة وطفيل (١)

ثم يقول : اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من مكة .

ولما وصل خبر ذلك الحنين الى سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أحبب الينا المدينة حبنا مكة أو أشد » .

مؤذن الرسول :

وعندما اهتدى المسلمون الى ما يدعوهم الى الصلاة من اذان كان قد اسند الى بلال بايعاز من الرسول — أمر الأذان ، لعذوبة صوته كما قدمنا ، فكان ينساب الأذان من حنجرته فى أجواء يثرب ، حلوا نديا ، يسحر القلوب ويخلب الألباب ..

مقتل امية :

وانجلت غزوة بدر الكبرى عن هزيمة المشركين وانتصار المسلمين كما هو معروف ، وقد قتل فيها أكثر سادات قريش وأشرافها ، وفيهم أمية بن خلف مولى بلال . قتله بلال وهو يقول : أمية بن خلف لا نجوت ان نجا » .

اين انتم من بلال :

ولما جاء آل هند الخولانية — زوج بلال فيما بعد يستمعون راى رسول الله فى بلال ، بعد أن كاشفهم بحاله لما جاءهم خاطبا . قال لهم رسول

---

(١) أسماء أماكن وجبال بمكة وما حولها .

« البقية ص ٨٧ »

لالا خديجة

قصة من نضال الجزائر عاش رجالها أروع أيام الحياة

للاستاذ : محمد صبيح

مقدمة :

« من دق الطبول ورقص الخيول .. من أزيز الرصاص ومروق الحراب والسهام ، صاغت أوروبا خيالاتها عن الشرق .

ومن الاناء الكبير ، وموقد الحطب ،والطاهى الاسود ، والرجل الأبيض موثوق الكتاف ، قدمت اوروبا فكاهاتها ، لتقول ان اهل القارة الافريقية ، لا شىء يبهج زعيمها غير وجبة دسمة من لحم البشر !

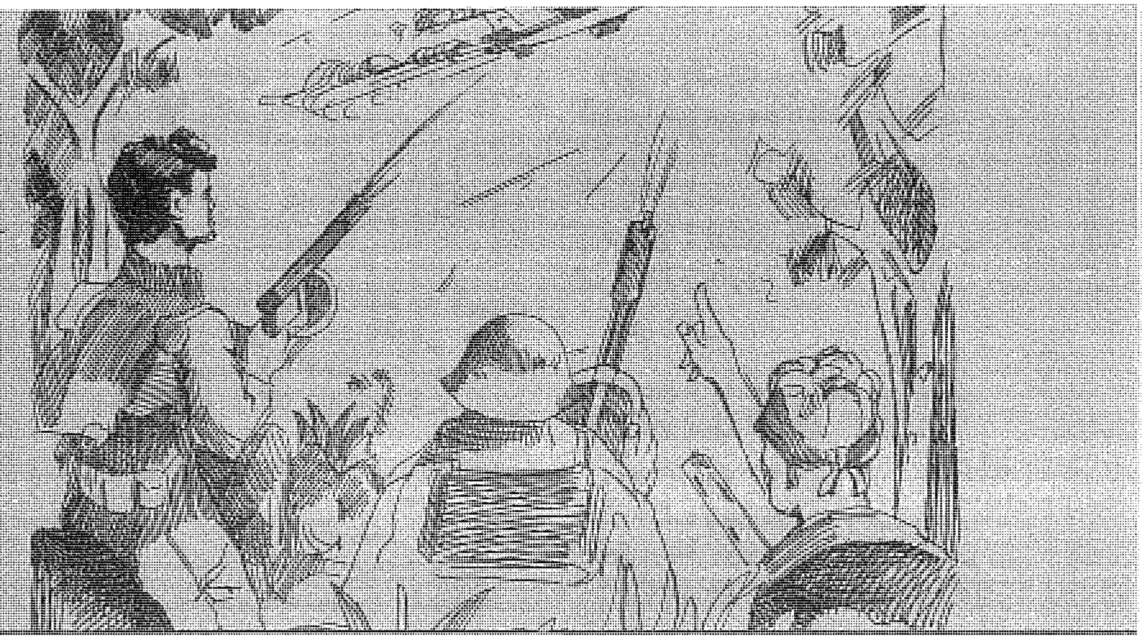
وتجاهل الرجل الأبيض ، فى القارة الاوروبية الصغيرة ، ان كل فكرة تعيش فيه ، وكل علم تعتز به ، انما حمله اليها أقوام عاشوا فى افريقية وآسيا ، وعبروا لها المضيق الذى يحمل اسم واحد من أبنائهم —مضيق طارق — واشعلوا فى ظلام الفكر الاوروبى الف شمعة وشمعة ، حتى خلص هؤلاء البيض من جهالتهم العمياء ، ولكن شيئا لم يتخلصوا منه بعد ، وهو التعصب الاسود ضد كل ما هو شرقى .

والحرب الدائرة الآن ، فى فلسطين ، وما حولها ، هى قمة هذا التعصب ، تعود بالانسان العربى الى صراعه الاكبر منذ عشرة قرون ضد ملايين الاوروبيين الذين رفعوا شعار الصليب ظلما للصليب وتعاليم صاحبه عليه السلام ، لكى تخوض خيولهم الى بطونها فى دماء المسلمين ، ولكى يشقوا طريقهم الى مكة المكرمة والمدينة المنورة !!

ولكنهم خابوا بالامس ، وارتد سعيهم خذلانا وعارا ، وانتقلت المعركة على أيدى العثمانيين الى عقر دارهم حتى نهر الدانوب ..

وهذا الانسان العربى .. وهذا العالم الاسلامى ، ان يترك المغتصب يفوز اليوم ، بما عجز عن الفوز به بالامس .. فالطاقات تتجمع ، والمعركة توشك أن تتجدد ..

ولنا فى معركة الجزائر الباسلة أسوة .. وهذه صفحة من صفحات نضالها تضىء بأروع المعانى .. »



« الفصل الاول »

المكان : منطقة صخرية من جبال الأطلس ، تعلوها أعلى قمم هــذه الجبال ، التى اســمها « لالا .. خديجة » اى السيدة خديجة .

الأشــخاص : الرجال : رزق البشــير — عبدون — بن مهدى العربى — آخرون ..
النســاء : زهرة — رضـــا — امينة ..

(**الريح :** يسمع صوتها تزأر بين قمم الأطلس .. ثم تهدأ وتســكن تدريجيا) ..

رزق البشير : (هامسا فى اناة) يا شباب .. امسكوا حبالكم جيدا .. خمس دقائق باقية على الفجر . ونصل الى قمة « لالا .. خديجة » .

الرجال : « لالا .. خديجة » .. ويتردد النغم .

الصدى : « لالا .. خديجة) ..

« لالا .. خديجــة » .. (يخفت الصـــوت من بعيــد) « لالا .. خديجة » ..

أصوات : (تسمع أنفاس الرجال .. ووقـــع أقدامهم) .. هوب .. صوت بنادق .. وصناديق توضـــع على الأرض .

رزق البشير : هيا يا شباب .. نحمل صناديق الســـلاح والذخيرة داخل المخبأ قبل أن تكتشف الطائرات مكاننا ..

(تســمع حركة نقل ، وهمهمة اصوات) .

حسنا .. والآن .. هيا نصـــلى الفجر (صمت قليل) الله اكبر .

صوت : (موســيقى مثل دقات الساعة)

الجميع : الســلام عليكم ورحمة الله ..

رزق البشير : يا شــباب انا

تجاوزت الستين ، ولكنى احس انى فى عافية ابن العشرين .. فهذا الجبل الجبل (الجرجورة) كأنه جزء منى ، أو أنا جزء منه .. عال .. طاهر .. قوى .. يرفع راسه دائما .

عبدون : استرح قليلا يا عمى رزق ، فان لدى اسئلة عن هذا الجبل ، من جبال الأطلس .. ولماذا سميت قمته « لالا .. خديجة » .

رزق : أنت يا عبدون يجب ان تستريح .. فستنزل بعد الظهر الى نصف الجبل ، تنتظر اخواتنا المجاهدات أمينة وزهرة ورضا وتحضر لنا منهن التموين ، وشقيقتك أمينة تحضر لنا معها تعليمات القيادة ..

بن مهدى : هواء الجبل النقى ، ملأ قلوبنا نشاطا ، وعيوننا يقظة .. وأحاديثك معنا عن كفاحنا وذكريات ماضينا ، تملأ نفوسنا عزما ..

رزق : حسنا يا اخوانى .. قصة « لالا .. خديجة » سمعتها من استاذى عبد الحميد بن باديس ، طيب الله ذكره ..

الجميع : رحمة الله عليه .

رزق : نعم .. انه شيخنا الذى جدد لنا شباب الايمان ، فى جمعية العلماء التى انشأها ونماها ، ودفع حياته ثمنا لها ، لكنه ترك وراءه رجالا مؤمنين بداعى الاسلام .. قال لنا ان العرب عندما وصلوا الى هذه البلاد ، صعدوا الى هذه القمة ، ورفعوا فوقها راية الاسلام ، وكانت راية سيدى عقبة بن نافع ، قيل انها كانت من رايات سيد الخلق سيدنا محمد عليه أزكى صلاة وتسليم .

الجميع : صلى الله عليه وسلم

رزق : ونصب هؤلاء المجاهدون الأول رايتهم فى هذا المكان ، واطلقوا عليه اسم أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها .

عبدون : أى ان «لالا .. خديجة» هى سيدتنا خديجة .

رزق : نعم .

عبدون : يا له من جهد أن يصعد هؤلاء البواسل الى هذا المكان .

رزق : ولقد صعدوا ايضا الى جبال الألب بعد ذلك ، وأقاموا فيها ثمانين سنة كانوا سادتها ، وقمم الألب اعلى من هذه القمة وتكسوها الثلوج ..

بن مهدى : ان اختى امينة دائما تدرس لتلميذاتها سيرة السيدة خديجة ، وتقول انها بصبرها وايمانها تلهم بنات الجزائر ، ويكفى انها وهى فى الستين احتملت حصار قريش ثلاث سنين فى شعب الجبل ..

رزق : نحن دائما نكتب تاريخ الرجال .. اما دور نسائنا من أجل الحياة والحق ، فطالما نسيناه .. ولكن الذين سبقونا لم ينسوه أبدا .

عبدون : نريد أن نسمع ايضا قصة سيدى عقبة .

رزق : سأحكى لكم قصته . وقصة نساء الأطلس ، قبل الاسلام ودورهم فى كفاح غزو الرومان .. والآن نستريح قليلا .

(يسمع صوت الريح ، تنقل نغمة : (لا لا خديجة وصداها) .

— ٢ —

صوت : (صوت صفارة يأتى من بعيد)

صوت نسائى : زهرة .. زهرة .. هل سمعت صوتا !

زهرة : نعم يا امينة .. هذه صفارة أخيك عبدون .. أختنا رضا تستطيع أن تقلد صفارته وترد عليه (تنادى) : رضا رضا .. أين أنت .. كانت وراءنا من دقيقة .

امينة : انتظرى يا زهرة مع هذه الأشياء لأعود باحثة عن رضا .. (فترة صمت) رضا .. رضا .. يا سلام عليك يا رضا .. لماذا لا تردين ؟ هل تعبت ؟

رضا : (فى همس) هس .. س .. س .. هذا زوج من فراخ الحمام الصغير ينتظر امه .

أمينة : وهل انت أم الحمام ؟ حتى تجلسى معه هكذا ؟

رضا : ايوه انه يرقد بين يدى مطمئنا ، بعد أن اعطيته فتات طعام كان معى .

امينة : حسنا .. اتركيه الآن ، فأمينة وحدها .. وعبدون فى طريقه .

رضا : نفسى اصير مثل هذا الحمام الطاير .. فى حرية .. فى أمان .. اغنى .. واعبد الرحمن .. (تقلد صوت الحمام فى نغمة قريبة من لفظ الرحمن) .. ها انذا اعيده الى عشه حتى لا اغضب امه .

امينة : لقد قدموا يبحثون عنا ..

عبدون : انا عارف زميلتنا رضا ، انها تجمع زهورا جبلية .

امينة : تقريبا .. انها مثل الغزال الشارد .. تعيش فى شعرها وأحلامها ..

رضا : (تغنى) ..

المجموعة :

هيا بنا هيا بنا
نزف مجد أمنا
هيا نوادع المنى
بشدونا وحبنا
ونملأ الدنيا غنا
لالا خديجة

الصدى : لالا ..

المجموعة :

هيا بنا الى الجبل
نرتقى الوهاد والقمم
وعند اشراق الأمل
هيا نثبت العلم
نقيم أيدى امنا
لالا خديجة

الصدى : لالا خديجة ..

المجموعة :

هيا نصافح السحاب ..
والجليد .. والمطر
وبالزهور والربيع ..
والنجوم .. والقمر
نقيم أيدى امنا
لالا خديجة

الصدى : لالا .. (١)

عبدون : يا جماعة .. ما احلى اصواتكن .. يا ليت اخواتنا هناك فى القمة كانوا معنا الآن .

رضا : نحن قررنا ..

امينة : نعم قررنا أن نصعد الى القمة .. فمعنا علم جيش التحرير . نسلمه لكم فى المكان الذى سيرفع فيه يوم النصر . وهو قريب .

رضا : (فى شدو) نعم نرفعه .. فوق .. فوق .. فوق ..

عبدون : هذا غير معقول .. تعليمات رزق الشيبى أنى آخذ منكن التموين هنا .. وتعدن .

امينة : مرة واحدة نطلع الى القمة .. نشعر اننا اقرب الى ربنا .. والى أرواح شهدائنا ..

زهرة : ان لم تأخذنا .. لن نبرح هذا المكان .

---

(١) الشعر من نظم الشاعر القاهرى احمد سويلم .

عبدون : أنا أعلم أن الرحلة خطرة .. لكننا نسينا الخطر من زمن .
رضا : (تغنى : فوق .. فوق .. فوق) .

— ٣ —

رزق البشير : انت يا عبدون احضرت الطعام ، ومن عمل الطعام ؟
عبدون : كان هناك تصميم .. وانت تعلم امينة ، وفرقتها !

البشير : اهلا بهن على كل حال .
بن مهدى : انت وعدتنا بقصتين عن نساء بلادنا أيام الرومان ، وعن سيدى عقبة .
البنات : نعم . نريد أن نسمع !

البشير : حدث مرة أيام حروب الرومان ضدنا ، وكان هذا قبل الاسلام بقرن ونصف قرن ، أن ارسلوا جيوشا جرارة ، للاستيلاء على أكبر مدننا ، وهى قرطاجنة .

رضا : أيام هانيبال ، البطل العظيم ؟
البشير : تأملى يا بنتى يا رضا ، ننطق اسم واحد من أبطالنا مثل ما يكتبه وينطقه الأعاجم .. هذا البطل ، أصله من الشام ، واسمه (حن بعل) يعنى الاله القديم بعل عطف عليه .
زهرة : غريبة .. بطلنا هذا من الشام .

البشير : جدودنا القدامى ، واصولنا كلها من الشام .. كان فيه مملكة اسمها صور ، وحدثت مظالم اضطرت اهلها للهجرة فجاءوا الى هنا .. وحتى (حن بعل) عندما خسر آخر معاركه مع روما ، رحل الى أرض أجداده ، ومات ودفن فى أنطاكيه .

عبدون : يعنى نحن عرب من الأزل .
البشير : نعم . وبعد (حن بعل) ابنه استمر فى الحرب ، ورد الرومان عن قرطاجنة ، وقد مات فى هذه المعارك أكثر من نصف مليون قتيل .. وفى احدى المعارك بليت الحبال التي يتسلق بها المغاربة للحصول على تموين المدافعين ، ولم يجدوا [illegible]الا مطلقا نتيجة الحصار .
أمينة : وكيف تصرفوا اذن ؟

البشير : جاء دور النساء لانقاذ الموقف ، اذ قص النساء شعورهن ، وجدلن منها حبالا ، وكانت هذه تضحية عظيمة ، فان الشعر الطويل كان زينة نساء ذلك الزمان .. اليس كذلك يا رضا ..
أمينة : رضا غابت فى خيالها الشاعرى .

رضا : (تغنى .. وموسيقى أشبه بحركة المقصات .. واصداء المعركة) ..

صوت :

لا وقت للمطر
والسحر والزهر

أصوات :

جدتم بما يغلو
بالروح .. والعمر
ونحن نهديكم
جدائل الشعر

صوت :

حبائلا طالت
تضيق بالصبر
شدوا بها الشما
من مفرق الفجر
واسمعوا الدنيا
تكبيرة النصر

البشير : ما أكثر تضحيات بلادنا ضد أوربا .. معركتنا الآن ضد فرنسا ليست الا حلقة من سلسلة معارك استمرت الفين من السنين .
أمينة : وقصة سيدى عقبة يا عم رزق .
البشير : حسنا . اسمعوا يا

أولادى : لما جاء العرب ، رحب بهم كثير من أهلها المغاربة لاتحاد الاصول كما ذكرنا ، ولكن البلاد واسعة ، وكانت الحملات لها محدودة العدد ، ومعاركها ضارية جدا بسبب تغلغل الرومان فيها .. ومن هذه المعارك ما يوازى ما قام به خالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص .. وكانت مصر هى مركز الغزو كلما سمحت ظروف الحكم فى دمشق .

أمينة : سيدى عقبة جاء مرتين الى المغرب .

رزق : نعم فى المرة الاولى بنى مدينة القيروان لتكون عاصمة البلاد بعيدا عن المدن الساحلية ، ولكنه استدعى الى دمشق .. فترك خلفه أحد رجاله ، وهو أبو المهاجر .

زهرة : وهل تابع أبو المهاجر الحرب .

رزق : انهمك فى بناء عاصمة جديدة له ، وترك القيروان تنعى من بناها .. وما هى الا فترة من الزمن حتى عاد عقبة ، فقيد أبا المهاجر فى معسكره ، حتى لا يفسد عليه الأمر ، وتابع الغزو حتى وصل الى طنجة ومراكش .

رضا : نعم . انا اعرف انه واجه المحيط الاطلنطى بخيله .

البشير : انه ما تزال صورة شيخنا عبد الحميد بن باديس ماثلة أمامى الآن وهو يردد خطبة عقبة ، وأمواج المحيط تزمجر أمامه وهو يقول :

« اللهم انى لم اخرج اليك بطرا .. ولا أشرا

« انك سبحانك لتعلم انما نطلب أن تعبد ولا يشرك بك شىء

« اللهم انا معاندون لدين الكفر ، ومدافعون عن دين الاسلام

« فكن لنا يا ربنا ، ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام » .

رضا : لقد تحركت نفسى بشعر يردد أقوال سيدى عقبة .

الجميع : قولى يا شاعرة الجزائر قولى .

رضا :

أيها الأطلسى ماذا وراءك
آه لو أننى علمت انتهاءك
آه لو كانت الجبال .. لدكت
ولعسكرت بالرمال صفاءك
ولأجريت بالدماء الرواسى
ولبددت بالهدى ظلماءك

أمينة : يا عمى البشير .. وماذا حدث لسيدى عقبة ، بعد ذلك .

البشير : عاد جيشه منصورا ، وفى ركابه كسيلة أمير البربر الذى تظاهر بالاسلام .

رضا : وما أصل البربر ؟

البشير : انى أحب مقاطعتك يا بنتى .. البربر كلمة أطلقها الاغريق القدماء على أجدادنا ، لأنهم كانوا لا يفهمون لغتنا القديمة .. وليس معناها أننا همج .. ثم اختلط بنا نحوا من ثمانين الفا من الوندال النازحين من المانيا الى أسبانيا الى المغرب .

أمينة : ولكن الفرنسيين حاولوا أن يبحثوا عن أصول قديمة للغة البربر .

البشير : ووجدوا الكثير من الفاظها أصله عربى .

زهرة : وماذا حدث لسيدى عقبة ؟

البشير : عاد منصورا ، وقرب القيروان ، أمر الجيش أن يسبقه ، وظل هو فى المؤخرة مع ثلثمائة من رجاله ، ومنهم أبو المهاجر وكسيلة .. ولكن كسيلة هذا هرب ، وجمع بسرعة قوة من انصاره ، وحاصر معسكر عقبة .. ففك قيد أبى المهاجر ، وأوعز له أن يتسلل

ويهرب ، ليدبر الامر فى القيروان ، وهنا حدث حادث من أروع صور البطولة .

رضا : (فى لهفة) ماذا حدث ؟

البشير : رفض ابو المهاجر ، ان يجو بنفسه ، وعزم على أميره أن ينجو هو ، اذ كيف يترك ميدان الفداء والاستشهاد ليصبح أميرا .. ان مركز الشهادة أعلى وأعز من كل ما سواه ..

رضا : هذا عظيم .

البشير : وحارب الاثنان واستشهد الجميع ، وهناك قرب بسكرة توجد أضرحتهم ، وهى كما تعلمون اعظم مزار اسلامى فى شمال افريقية كلها .

امينة : عندما تفتح مدارسنا بعد النصر ستكون دروسى عن هذه الامجاد ، ونريد أن نسمع تاريخنا ايام دولتنا العربية ، ودولتنا التركية .

بن المهدى : اننا جئنا هنا نحارب ، لا لنسمع التاريخ .

عبدون : حربنا اليوم ، جزء من تاريخنا القومى .. وكلامنا هذا جزء من حربنا ، وعدة نضالنا وطريقنا للنصر .

البشير : تمام يا ولدى . انت تعرف مثلنا الجزائرى الذى يقول : « ما ينكر اصله الا البغل » .

صوت : (أزيز طائرة) .

عبدون : هس .. هذا صوت طائرة .. ادخلوا المغارة .. هات الرشاش يا ابن المهدى ، خذ حافة الجبل الشرقية ..

صوت : (الطائرة تقترب) .

رضا : أريد أن ارى اخوانى ، وهم يصطادون العدو فى الجو .

صوت : ارجعى يا مجنونة الطيار شافك وشاور عليك .

الطائرة : (تطلق مدفعها الرشاش) .

رضا : (تصاب . وتقول فى أنين) أضربوا .. اضربوا يا اخواتى .

صوت : (طلقات موجهة نحو الطائرة .. صوت انفجار) .

عبدون : (فى مرح) صدناها .. صدناها .

صوت : (ارتطام ضخم فى سفح الجبل) .

بن المهدى : (يحضر من مركزه) مالكم ساكتون ؟

رضا : (بصوت ضعيف) الحمد لله .. رأيت نصرنا .. رأيت عدونا نازل تحت .. تحت .. تحت ..

عبدون ــ بن المهدى : (فى ذعر) رضا أصيبت ..

زهرة : (فى صوت باك) يا ليتنى كنت المصابة .. رضا مدرسة ، ولازمة لبلدنا اكثر منى .

رضا : (فى صوت خافت) .. يا عم البشير .. احكى حكاية بابا عروج .. وخير الدين .. روحى ستكون معكم وتسمع .

البشير : حاضر يا رضا .. يا أعز المجاهدات ..

رضا : أنا ذاهبة للشهيدات .. زاهية .. وحسيبة .. ووديدة .. وبهية .. وكلنا ذاهبون عند أم المؤمنين آمنت بربى ونبيبى .. وعروبتى ووطنى ..

البشير : استريحى يا بنتى .. ربنا يلطف بك وبنا جميعا .

رضا : أشهد الا اله الا الله .. وان محمدا رسول رسول .. انا ذاهبة (.. لا .. لا .. خديجة .. لا .. لا

الصدى : (يردد) لالا خديجة .. لالا .. خديجة) ..

الله صلى الله عليه وسلم . « أين أنتم من بلال ، أين أنتم من رجل من أهل الجنة ؟ » .

بعد وفاة الرسول :

وعندما توفى الرسول الكريم عليه السلام ، ترك فى نفوس الناس لوعة وأسى . فهذا بلال لا يفتأ بعد وفاته يتذكر حب النبى له وعطفه عليه فيقول . ان فى موته خسارة ، ولكن هذا قضاء الله ، فصبرا جميلا . ثم يأبى أن يؤذن لأحد ـ ما استطاع ـ بعد رسول الله . .

جهاده فى سبيل الله :

دارت المعارك الطاحنة بين الجيوش الاسلامية ، وجيوش الفرس فى العراق وجيوش الروم فى الشام ، فهب المسلمون يتسابقون الى الشهادة ، ولحق بلال بأبى عبيدة فى الشام ، اذ خرج وزوجه من يثرب ، تاركين الأهل والوطن ابتغاء مرضاة الله ، فانضما الى الجيش ، وراحا يزحفان معه صوب بيت المقدس .

واتجه أبو عبيدة الى الجابية ، وصحب بلالا معه ، وجاء عمر فأقبل عليه الناس ، ثم حان وقت الصلاة ، فطلب الناس من عمر أن يأمر بلالا بالأذان . فانطلق صوت بلال الذى طالما سرى فى المدينة على عهد الرسول ، فأهاج الذكريات ، وبكى الحاضرون لذكرى الرسول الحبيب ، وبكى عمر حتى بل لحيته .

فتح القدس :

وفتح المسلمون بيت المقدس ، وراح بلال يجوب المدينة التى أورثهم الله اياها . وتذكر يوم قال لهم النبى . أن الله سيورثهم ملك الفرس والروم ، فقال . صدقت يا رسول الله ، أين من كانوا يكذبونك ليروا اليوم جيوشك المظفرة وهى تكتسح جيوش الفرح والروم ؟ أين من كانوا يسخرون كأمية وأبى جهل وشيبة ليروا نصرك المبين ؟؟ »

رؤيا :

ورأى بلال ليلة فى منامه النبى الحبيب يعاتبه ليذهب لزيارته ، فخرج من الشام قاصدا يثرب حيث قبر الرسول عليه السلام ، وهناك وقف أمام القبر هاتفا بصوت تخنقه العبرات . السلام عليك يا رسول الله . ثم مكث بالمدينة ما شاء الله له أن يمكث . واخيرا قرر العودة الى الشام فاتجه قبل عودته الى اصحابه مودعا باكيا كأنه يودعهم الوداع الأخير . . .

وفاته :

واستأنف بلال حياته فى الشام ، الى أن حضرته الوفاة . ولحق بحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبصحبه الكرام الذين سبقوه الى الجنة . . رضى الله عنهم أجمعين .

الفتاوى

في الزكاة

السؤال :

١ – هل يجوز الصرف من الزكاة على مستحقيها قبل وبعـد وجوب استحقاقها ؟

٢ – وهل يجوز ان يصرف منها للهيئات الخيرية لاغاثة ومواساة المسلمين المتضررين من الحروب والنكبات – ولبناء مساجد ومدارس ومساعدة الدعوة الاسلامية لمقاومة الاحتلال الصهيونى ؟

٣ – وهل يجوز ان يصرف منها لمنكوبين مسيحيين ؟

محمد العبد الله – الكويت

الاجابة :

١ – **بالنسبة لتعجيل الزكاة :** يجوز تعجيل الزكاة واداؤها قبل الحول ولو لعامين فمن الزهرى أنه كان لا يرى بأسا ان يعجل زكاته قبل الحول وسـئل الحسن عن رجل أخرج زكاة ثلاث سنين ايجزيه . قال يجزيه ، قال الشوكانى والى ذلك ذهب الشافعى واحمد والاحناف . وقال مالك انه لا يجزى حتى يحول الحول واستند الى الاحاديث التى بهـا تعلق الوجوب بالحول . وتسليم ذلك لا يضر من قال بصحة التعجيل لأن الوجوب متعلق بالحول ، فلا نزاع وانمـا النزاع فى الاجزاء قبله ، وسبب الخلاف نشأ عن كون الزكاة هى عبادة أو حق واجب للمساكين ، فمن ذهب الى أنها عبادة كالصلاة لم يجز اخراجها قبل الوقت ومن قال أنها حق واجب للمساكين أجاز اخراجها قبل الوقت على جهة التطوع استنادا الى حديث على رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم استسلف صدقة العباس قبل محلها .

٢ ـ بالنسبة للجهات التى تصرف اليها الزكاة : قال تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

هناك أشخاص لا يجدون ما يكفيهم ولا يقدرون على تحصيل ما به يكتفون ، وهناك مصالح ضرورية لا بد منها فى اقامة الدولة والدين وقد ورد فى الآية من الافراد . ابن السبيل وهو الشخص الذى انقطع عن بلده واحتاج الى المال ـ ويعتبر كل مسلم تضرر من الحروب والنكبات ممن تجوز صرف الزكاة اليه ـ كما ورد فى الآية أن من الجهات التى تصرف لها الزكاة « وفى سبيل الله » وهذه تشمل سائر المصالح التى هى أساس الدولة واولها الاستعداد الحربى بجميع لوازمه من مستشفيات ومعدات كما تشمل انشاء المساجد فى الجهات التى لا توجد فيها المساجد الكافية ، وانشاء المدارس والمعاهد ومساعدة الهيئات الاسلامية التى تدعو الى اقامة الدين وشعائره ومقاومة أعداء الدين كاليهود وهؤلاء ، لا مانع من دفع الزكاة اليهم ، ونقل عن بعض الفقهاء ـ أنهم أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد ، لأن سبيل الله عام فى الكل . وذهب بعض الفقهاء الى انه لا يجوز صرف الزكاة فى بناء مسجد أو مدرسة أو فى حج أو جهاد أو نحو ذلك لأن ذلك تمليك لغير مستحق الزكاة ـ والتمليك ركن للزكاة .

٣ ـ بالنسبة لصرف الزكاة للمنكوبين المسيحيين :

الزكاة المفروضة لا يجوز دفعها لغير المسلم بالاجماع لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها لفقراء المسلمين فقط فى حديثه لمعاذ حين بعثه الى اليمن وقال له «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» . وأما صدقة الفطر فذهب جمهور الفقهاء الى عدم الجواز وذهب البعض الى جواز دفعها الى غير المسلم وأما سائر صدقات التطوع فجمهور الائمة على جواز دفعها لغير المسلم ـ والافضل دفعها الى القريب لما فيه من صلة الرحم .

السؤال :

رضعت والدتى من اختها الكبيرة (خالتى)
فهل يجوز لى الزواج من بنت خالتى التى رضعت منها امى ؟

م . ع . ا .
الكويت

الاجابة :

المقرر شرعا انه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب . وبرضاع والدتك من اختها الكبيرة صارت أما لها من الرضاع وبالتالى يصير أولاد المرضعة اخوالا لك من الرضاع وخالات ، ولا يجوز لرجل أن يتزوج خالته من النسب او الرضاع .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلـي

التعليم الجامعي

اما في رسالة من الكاتب الكبير والمؤلف الاسلامي المعروف الاستاذ محمود مهدى استانبولى وجهها الى السادة مديرى الجامعات العربية واساتذتها من أجل تجديد الارادات وشحذ الهمم والسير فى دروب الاصلاح الصحيح لانشاء جيل جديد يتحمل التبعات واعادة المجد الضائع . وقد صدر هذه الرسالة بقوله : ان التعليم الجامعى فى الحالة الراهنة لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور القيادى والعمل المصيرى . ما لم تحدث انقلابا جذريا في مناهج الجامعة واساليبها وامتحاناتها ، وما لم نعد الى ذاكرتنا اهداف هذا التعليم بصورة واضحة .

وتناولت الرسالة بشيء من التفصيل اهداف التعليم الجامعى الذى ينشد اعداد صفوة من الشباب الطموح الوثاب لقيادة أمتهم فى الميادين المادية والروحية .. وهذا لا يتم الا بتعليم يقوى فى الطلبة الشعور بالتبعية ، ويدفعهم الى الحرية فى البحث والاستقلال في الراي . يتعرفون على مشكلات أمتهم ووطنهم ، ويساهمون فى وضع الحلول لها بابداع ودراسة وتخطيط .. كل ذلك بموضوعية وشمول خاليين عن التعصب والهوى ، وبروح جامعية بعيدة عن السطحية والغرور .

وتطالب الرسالة بأن تعمل الجامعات على تشجيع البحث العلمي والعمل على تقدم المعارف الانسانية والكشوف العلمية ، وتسنيع التعليم فى مختلف درجاته وخاصة التعليم الجامعى ، كما تركز الرسالة على ضرورة السمو بالقيم الروحية لدى الطالب الجامعى .

ويستثير الواقع المؤلم الذى تعيش فيه الامة العربية صاحب الرسالة ، فيقول فى خاتمتها : آمل أن توقظ هذه النكسة النائم ، وتنبه الوسنان ، وتشحذ الهمم شأن الامم الحية التى تحيى النكسات نفوسها ، وتثير عزائمها ، وقد قال أحد الكتاب : لا شيء يجعلنا عظماء كالالم .

لنذكر الاعداء والاحزاب من يهود وكفرة الذين احاطوا بالعروبة المسلمة من الداخل والخارج فى غزوة الخندق فاستعدت وصبرت وصابرت حتى تم لها النصر .. لنذكر هذه العروبة فى غزوة احد يوم انقض عليها الاعداء من اعلاها واسفل منها ، فاصيبت بنكسة رهيبة ، فجمعت شملها ، وشحذت ارادتها ، وجددت عزيمتها فعاد لها النصر .

لنذكر الوقفة البطولية للامام ابن تيمية يوم انقذ الشام من غزوة التتار بايقاظه للنفوس اليائسة حتى حقق النصر .

لنذكر فى العصر الحديث ما أصاب فرنسا فى أول الحرب العالمية الثانية ،

وما أصاب ألمانيا واليابان في نهايتها من نكسات قاصمة حتى ظن الكثيرون أنه لن تقوم لهذه الدول قائمة ولكن سرعان ما غالبت الصعاب ، وصارعت النكبات ، وسخرت بالمصائب ، وقدمت التضحيات حتى أعادت قوتها ، واسترجعت مكانتها بين الدول الكبرى .

ان حياتنا فى سباق بين العلم والجهل .. بين الجهل والعلم .. بين التخطيط والتخليط .. بين المنهج والفرض .. بين المجد والدمار .

ترى أن يكون لنا تربية قوية وتعليم صحيح ، يجعلاننا نسخر من النكبة ، ونضحك للنكبة ، ونبعث أمتنا من جديد . ؟

□□□

مائدة المسيح

ويطلب السيد جعفر ابو سن من القضارف بالسودان ايضاحا عن مائدة عيسى عليه السلام التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فيقول فى رسالته : هل نزلت لعيسى من السماء حافلة بألوان الطعام اكل منها حواريوه فعلا ؟

ـــ الحديث عن هذه المائدة ورد فى السورة التى سميت بها فى الآيات (١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨) وهى « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

والنص القرآنى صريح فى أن الحواريين وهم أصحاب عيسى المخلصون الذين آمنوا بالله ورسوله عيسى ، واشهدوا الله على ايمانهم ـــ طلبوا من عيسى ان يسأل الله لهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء تسد حاجتهم من الطعام ، وتزيدهم ايمانا واطمئنانا بالمشاهدة بعد ايمانهم بالنظر والفكر والدليل على قدرة الله عز وجل ، وعلى صدق نبيه عيسى ، ويشهدون بهذه الآية عند بنى اسرائيل ، فيؤمن المستعد للايمان منهم .

والنص القرآنى يفيد أن المسيح عليه السلام بعد أن أمرهم بتقوى الله ، التى تستوجب عدم اقتراح الآيات عليه سبحانه ، وبعد أن تيقن من صحة قصدهم ، وانهم لا يريدون بهذا تعجيزا ولا تجربة ـــ دعا الله تعالى وطلب منه ان ينزل مائدة من السماء ـــ ونضع تحت كلمة السماء هنا خطا عريضا ـــ تكون عيدا ومتاعا للمؤمنين دون غيرهم ، وآية واضحة على صدق نبوته ورسالته .

فالمائدة التى طلبها الحواريون مائدة حسية ، والمائدة التى سأل عيسى ربه ان ينزلها عليه مائدة حسية .. بقى القول بعد ذلك : هل نزلت هذه المطلوبة فعلا أم لا ؟.. فذهب بعض المفسرين الى انها لم تنزل . قال الحسن : لما قيل لهم (فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) خافوا وقالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل ، ونقل هذا الرأى عن مجاهد أيضا ، ويميل الى الاخذ به كثير لأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى ، وليس هو فى كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لتواتر نقله عنهم ، وروى عن بعض المفسرين انها نزلت بالفعل ، وتكلموا فى الوان الطعام الذى كان عليها فقيل خبز وسمك وقيل خبز ولحم ، وقيل من ثمار الجنة ، وقيل انه من نوع ما كان ينزل على بنى اسرائيل فى التيه من المن الذى يجمعونه عن الحجارة وورق الشجر ، واستند القائلون بنزولها الى أن الله قال لهم « انى منزلها عليكم » ووعد الله حق .. والله أعلم .

بأقلام القراء

التعدد والطلاق

تناول السيد محمود سليم دوعر — الكويت — موضوع الزوجات والطلاق فقال :

والتعدد فى الاسلام ، مباح ، فهو ليس واجبا ولم يلزم به المسلم ، ان شاء تزوج بالأربع وان شاء أمسك على واحدة .. ولكن كونه مباحا لا يعنى تحريمه من قبل زيد أو عمرو .. قال تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) .. (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .

ولكن الذين أعمى الله قلوبهم عن الحقيقة الناصعة ، يهاجمون التعدد المباح للمسلم ويقبلون تعدد الخليلات والصاحبات . هاجموا ما يبمث فى المجتمع الستر والخلق الرفيع ، وأباحوا الزندقة والفاحشة الحيوانية .

ونذكر أسبابا لا يزيلها الا التعدد ولا يحل مشاكلها الا هذه الشريعة السمحة الطاهرة مثل :

١ — الحروب وما تحصده من الرجال حصدا .. حيث تترك زوجات كثيرات بلا أزواج .

٢ — مرض الزوجة مرضا لا يسهل على الزوج الجماع .

٣ — أن تكون الزوجة عاقرا لا تلد .

٤ — الشهوة الجامحة لدى بعض الرجال .

أما الطلاق فكما نعق الناعقون على التعدد ، فقد نعقوا حول الطلاق أيضا ، قالوا : ان الطلاق هدم للأسرة وتشتيت للأولاد وعيب فى هذا العصر ، ولكن الحق يقال ، العيب فى تفكيرهم . قال سبحانه وتعالى : (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال سبحانه (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فشرع الله سبحانه الطلاق للمسلم ، وهل نجبر الزوجين على حياة كلها نكد وعدم اطمئنان أو أن يطلقها باحسان ؟ هل نجبر الزوجين على حياة طويلة مرهقة اذا مرضت المرأة مرضا معديا أو أصابها مس من جنون تعذر معه العيش فى بيت واحد ؟ هل نجبر الزوج على ابقاء زوجة زلت ولم ترتدع ؟ وهل نحكم بالسجن المؤبد على الزوجين اذا تعذر الصلح بينهما ؟ هل نبقى الزوجين فى جحيم أبدى لا يطاق أو أن الطلاق خير لهما والله العالم بالسرائر وهو علام الغيوب يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) .

اثر القرآن فى صيانة اللغة

وكتب الأخ عبد الخالق عبد الرحمن من بغداد تحت هذا العنوان يقول :
كان من أثر القرآن فى صيانة اللغة العربية ان اتخذت المساجد دار ثقافة لا تقتصر البحوث فيها على الأمور الدينية بل تتناول اللغة والأخبار والشعر ، وقد كانت تقام فى المساجد الاجتماعات العامة وتلقى الخطب ويتقاضى الناس ويتعلمون مختلف العلوم ويشهدون مجالس الدرس والوعظ ، وكتب الادب واسفار التاريخ مملوءة بحوادث كبار الفقهاء والعلماء والأدباء حيث كانوا يعقدون حلقاتهم فى أروقة المساجد ، فحلقة للعلوم الدينية ، واخرى للعلوم اللسانية ، وثالثة للكلام والمناظرة ، وغيرها للشعر والأدب ، وكانت حلقة للمعتزلة فى مسجد المنصور فى بغداد ، وقد أملى الطبرى ، شعر الطرماح فى مسجد عمرو بمصر وتذاكر الكميت وحمادا الراوية فى الشعر وايام العرب فى مسجد الكوفة .

والمجال كان واسعا للراغبين فى ارتشاف مناهل العلم ، والتنقل من حلقة الى اخرى ولهم ملء الحرية فى التعلم والتثقيف .

لقد كان هم العرب تلاوة القرآن وتفسير آياته وفهم اساليبه ودراسة الاحاديث النبوية كتبيان للكتاب ومصدر من مصادر التشريع .

ولم تكن دراسة الأحاديث النبوية كافية لاستجلاء مواضع الغموض والابهام فى القرآن فكان لا بد لهم ان يرجعوا الى اللغة فيتدبروا ما فيها من الأشعار والحكم والأمثال السائرة التى انشدها شعراء العرب أو القاها فصحاؤهم وحكماؤهم فى أيام الجاهلية ليستعينوا بها على فهم ما ورد فى القرآن من الالفاظ الفصيحة .

قال ابن عباس : (اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه فى اشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب) .

قرض لم يسدد

ويوجه الشاعر الأستاذ أحمد ابو المجد عيسى المفتش بوزارة التربية بالجمهورية العربية هذه الأبيات الى الذين يقترضون ولا يسددون :

يا صاح أنت أخذتها	لتردها من بعد يوم
لكن أراك تسومني	فى نيل حقى شر سوم
خلفتني فى حاجة	قد حملتني كل هم
مثل الذى قلبت سفينته	رياح فى خضم
لو كنت املك غيرها	ما كان دمعك بالمهم
قد كنت أرجو أن تكو	ن الصون فى الخطب الملم
فغدوت تبعث للصدا	قة من مطالك اى سهم

••••••

ولقد هززتك بالملا	م فلم يفدني اى لوم
وذهبت فى وفد اليـ	ـك مؤلف من خير قومى
من بعد وعد سابق	اكدته فى صبح يوم
لأرد حقا ضائعا	من أجله قد طار نومى
فلجأت للصمت المميـ	ـق ولست بالرجل الأصم
وعضضت حقى اذ قصد	تك يا صديقى اى هضم
ان كنت لا تنوي السدا	د فانني جربت صومى

قالت صحف العالم

القرآن واحداث الساعة

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) بمكة تقول :
يا أخى المتسائل : لا بد للمسلمين لكى ينتصروا كما انتصر أسلافنا رضوان الله عليهم أجمعين من أمور هامة :

أولا : ان يقاتلوا عدوهم باسم الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ولا يقاتلوا أعداء الله باسم عصبية ولا وطنية ولا شجاعة ولا حمية ولا رياء فكل ذلك لغير الله وقد قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

ثانيا : من أهم أسباب النصر فى القتال : الثبات أمام الاعداء وكثرة ذكر الله تعالى أثناء القتال وعدم الفرقة والصبر وعدم الفرار . والاعتماد على الله فلا تتركن النفس لغير الله . فالايمان بالله والتوكل عليه من أهم أسباب النصر فى ميادين القتال يقول تعالى مبينا كل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » . ولا بد للنصر من اقامة الشعائر الدينية وعدم التفريط فيها كما كان يفعل جنود الاسلام الاولون فى ميادين القتال . وقد ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى تفسيره المنار الجزء العاشر هذه الكلمة نوردها هنا للعبرة والذكرى : قال : وثبت أنه كان من أسباب انتصار الجيش البلغارى على الجيش التركى فى حرب البلقان المشهورة ما كان من ابطال القواد والضباط من الترك للأذان والصلاة من الجيش . والدعاية التى بثوها فيه من وجوب الحرب للوطن وباسم الوطن ولشرف الوطن ، فلما علموا بهذا اعادوا المؤذنين والائمة بعمائمهم الى كل طابور ، وأقاموا الصلاة فيهم ، وقد روت الجرائد ان العساكر لما سمعت [illegible] بينى بذاء بتشنيج عن كان له تاثير عظيم ، وكان تأثير ذلك بعود الكرة على البلغار ا هـ .

فوعد الله لا يتخلف وسنته فى العالم لا تتغير ولا تتبدل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » فاذا أراد المسلمون العزة والكرامة والتأييد والنصر من الله سبحانه فطريق ذلك بين واضح الاخلاص لله والجهاد فى سبيله والاعتماد عليه والالتجاء اليه وازالة الشقاق والفرقة والوقوف صفا واحدا أمام عدونا المشترك . فعلى بركة الله أيها المسلمون وكونوا جنود الله فجند الله لا يغلب « وان جندنا لهم الغالبون » .

معوقات انتشار الاسلام فى افريقيا

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تحت هذا العنوان تقول :
وان هناك صراعا عنيفا ، تدور رحاه فوق أرض افريقيا ، وذلك من اجل

جذب القارة الافريقية الى الاسلام او النصرانية ورغم أن الدين الاسلامي يحرز تقدما لا بأس به فى افريقيا ، الا أن هذا التقدم غير مرض بالنسبة لنا ، وذلك بسبب عدم وجود الاهتمام اللازم والكافى بهذا الامر . ولذلك ، فاننا نجد أن عدد اتباع الاسلام فى افريقيا ، اليوم لا يزيد عن (١٥٠) مليونا من اصل (٣٥٠) مليونا وهم سكان افريقيا . وان البعثات التبشيرية ، الفنية بالوسائل المادية والدعائية ، والتى تؤيدها حكوماتها القوية ، ومنظماتها الخيرة والمعطاءة للأموال بسخاء ، هذه البعثات نشيطة جدا فى التبشير بالنصرانية فى افريقيا ، وقد أدى نشاطها هذا الى اعاقة سير الاسلام وانتشاره ، وذلك بسبب الهجمات الضارية على الاسلام ، أضف الى ذلك سكوت المسلمين وتقاعسهم عن مواجهة هذا الخطر الداهم .

وبالامكان معرفة رجحان كفة البعثات التبشيرية فى الوسائل المادية والدعاية من وجود (٣٥٪) من البعثات التبشيرية البروتستانتية فى العالم ، تعمل بنشاط فى افريقيا . كما أن الكاثوليك ليسوا أقل من البروتستانت فى هذا المجال . وان هذه الصورة المفزعة التى تبرز من افريقيا ، وتعرض لنا النقص المؤلم الذى يعانيه الاسلام فى افريقيا ، من حيث ضآلة عدد جماعات الدعوة للاسلام وصغر حجم الامكانيات المرصودة من أجل ذلك . وأن هذا النقص ، مع ضخامة الامكانيات المضادة ، يشكل تهديدا كبيرا للاسلام والقوى الاسلامية فى افريقيا ، كما يشكل مسؤولية ضخمة لا يجوز التغافل عنها .

الايثـــار والتضحية

ومن مقال بهذا العنوان كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تقول :

البذل والايثار والتضحية هى المعايير التى توزن بها انسانية الانسان ويعرف بها حظه من الخير .. ونصيبه من الفضل .

والبذل والايثار والتضحية هى العمد التى تقوم عليها المجتمعات .. وتستظل بظلها الجماعات والامم . فلا تنضح نفس بخير .. الا بوحيها .. ولا يظهر فى الحياة عمل صالح الا من غرسها .. فهى (لحمة) ما بين الانسان واهله من عواطف التواد والتراحم .. وهى (وصلة) ما بين الانسان ومجتمعه .

وقد جلت الامة العربية معالم هذه الصفات .. وابرزت كرم خصائصها .. بما ظهر فيها — على مر التاريخ — من (فدائية) و (بذل) و (تضحية) .

فللأمة العربية فى جاهليتها واسلامها عدد عديد من الاجواد ، والابطال والفدائيين ممن أصبحوا مضرب المثل فى هذه الصفات .

وتستطيع الامة العربية أن تذكر من هؤلاء الابطال مئات ومئات لا تزال أسماؤهم وأعمالهم تملأ الاسماع .. وتثير مواطن الاعجاب .

لقد كانت حياة الامة العربية فى جاهليتها تدور على هذه الصفات .. فلا مجد لمن لم يأخذ بنصيبه منها .. ولا شرف لمن خذلته وتخلت عنه ..

وجاء الاسلام فزكى هذه الصفات الكريمة ..

وتولاها بأسلوبه الحكيم فصرفها الى الخير .. ورصدها على النفع العام .. وأصبحت رصيدا عظيما من القوى التى انتفع بها الاسلام فى نشر رسالته وحماية دولته .. وبناء مجتمعه المثالى الاول الذى لم تعرف الانسانية مجتمعا مثله .

وغنى عن البيان أن بذل النفس فى مواطن البذل هو غاية الغايات فى الايثار والتضحية .. فليس بعد النفس عزيز ولا وراءها شيء يضن به ويحرص عليه .

وفى هذا المجال تظهر خفايا النفوس وتعرف معادن الرجال .. وتتكشف حقائق الافراد ..

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويـــت :

● صرح سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء بأن التزامات الكويت تجاه الدول العربية الشقيقة أمر ضرورى تحتمه المصلحة العربية العليا والمصير المشترك بغض النظر عن تاثير ذلك فى مشاريعنا الانمائية .

● عقد بالكويت مؤتمر وزراء العمل العرب ومؤتمر الصيادلة العرب ، وقد اتخذ كل من المؤتمرين عدة قرارات هامة لدعم التعاون العربى فى مجالـى العمل والصيدلة .

● قام وفد لجنة التبرعات الشعبية الكويتية بتسليم التبرعات التى جمعتها اللجنة الى كل من العراق والاردن وسوريا والعربية المتحدة .

● تم اعداد جميع الدراسات لاقامة مصنع كبير للأسمدة بالكويت تساهم الكويت بتكاليفه التى تقدر بمليونى دينار وتساهم فيه العربية المتحدة بتوريد الخامات وتوفير الخبرات الفنية كما اتفق على انشاء خط ملاحى بين البلدين .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة العراق عقب مؤتمر القمة العربى الخامس .

● سيزور معالى الشيخ سعد العبد الله السالم كلا من باريس ولندن والهند على رأس وفد عسكرى وينتظر أن تسفر نتائج هامة .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة لايران فى العاشر من يناير القادم .

● صرح أمير البلاد المعظم لمجلة السـياسة الكويتية .. أن على الدول العربية أن تقف صامدة وعلينا أن نضحى مهما كانت التضحية .

الجمهورية العربيـة المتحدة :

● ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى ٢٣ نوفمبر الماضى أوضح فيه أنه لن يكون تصرف فى القضية الفلسطينية الا للشعب الفلسطينى ، وان مرور اسرائيل فى قناة السويس جزء من قضية فلسطين ، وان الحرب ضرورة ان لم تنسحب اسرائيل .

● صدر قرار جمهورى باعادة تنظيم الأزهر وينص على احداث بعض التعديلات على نظم وسنى الدراسة فى القسمين الاعدادى والثانوى .

● أصدر وزير الشباب قرارا بايقاف كل نشاط فى النوادى الرياضية أثناء صلاة الجمعة .

● أهـدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية الى الهيئات والجمعيـات والوزارات الدينية فى ٢١ دولة اسلامية .

● وزعت وزارة الأوقاف مبلغ ١٩٠٠ جنيه مصرى مكافآت للذين نجحوا فى حفظ القرآن من الاطفال التى تقل سنهم عن ١٢ سنة .

السعـوديـة :

● يزور جلالة شاه ايران البلاد فى الثانى من فبراير .

● ابلغ جلالة الملك فيصل السيد حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المصرى انه قرر دفع التزامات المملكة لازالة آثار العدوان بسعر الجنيه الاسترلينى قبل التخفيض .

● تم الاتفاق على انشاء بنك مصرى سعودى لدعم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

● أرسلت رابطة العالم الاسلامى الى المدرسة الدينية الاسلامية فى ممباسا بعض الكتب الدينية مساهمة منها فى نشر الوعى الاسلام .

العراق :

● صدر قرار بعدم اقامة الاحتفالات المعتادة فى عيد الفطر للظروف القائمة .

● أعلن الرئيس عارف عن تشكيل مجلس تشريعى بمثابة البرلمان وجهاز يشرف على أعمال الحكومة .

● قررت فرنسا بيع اسلحة للعراق منها ٧٣ طائرة مع منع تصدير الأسلحة الفرنسية لاسرائيل وقد احدث هذا القرار رد فعل فى اسرائيل والكونجرس الامريكى .

● صدر قرار بالغاء الرقابة على الصحف العراقية وانشاء مؤسسة الصحافة العراقية التى ستصدر خمس صحف يومية هى : الجمهورية . الثورة . المواطن . المساء . الاوبزرفر .

● من المنتظر أن يزور الرئيس الفرنسى ديجول العراق فى بداية العام القادم .

● تقرر اقامة معسكر دائم لتدريب الفلسطينيين على أعمال المقاومة والدفاع .

المغرب : سيجتمع مؤتمر القمة العربى الخامس فى مدينة الرباط ابتداء من ١٧ يناير ١٩٦٨ ، وسينضم اليهم السيد قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

ليبيا : زار البلاد السيد حسين الشافعى نائب رئيس العربية المتحدة وقد عقد اجتماعات هامة مع جلالة الملك ادريس والسيد البكوشى رئيس الوزراء .

● قامت وكالة المخابرات الامريكية خلال الأسابيع الأخيرة بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية بامداد المتمردين فى جنوب السودان بالسلاح واعدادهم فى بلد مجاور ويتوقع قيام هؤلاء بهجوم واسع خلال الأسابيع القليلة القادمة .

● قبلت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عضوا فى كل من الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بالاجماع .

الأردن : صرح جلالة الملك حسين بأنه سيتجه الى الاتحاد السوفياتى لاستيراد السلاح اذا استمرت الولايات المتحدة الامريكية فى موقفها من وقف تصدير السلاح للأردن .

● تصاعدت عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيونى واشتدت هجماتهم على المستعمرات الاسرائيلية خاصة .

● تقوم اسرائيل بطرد المواطنين العرب من الضفة الغربية لنهر الأردن الى الضفة الشرقية وقد قامت الأردن بابلاغ الأمم المتحدة .

● رفضت سوريا استقبال جونار يارنج ممثل الأمم المتحدة فى الشرق الاوسط .

لبنان : اعلن فى بيروت مجلس لقيادة الثورة الفلسطينية وقد بعث السيد أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير يهنىء المجلس بوصفه القيادة الامامية لمنظمة التحرير .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبي الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة . ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين في الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبي : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستماني

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحري ص.ب ٥

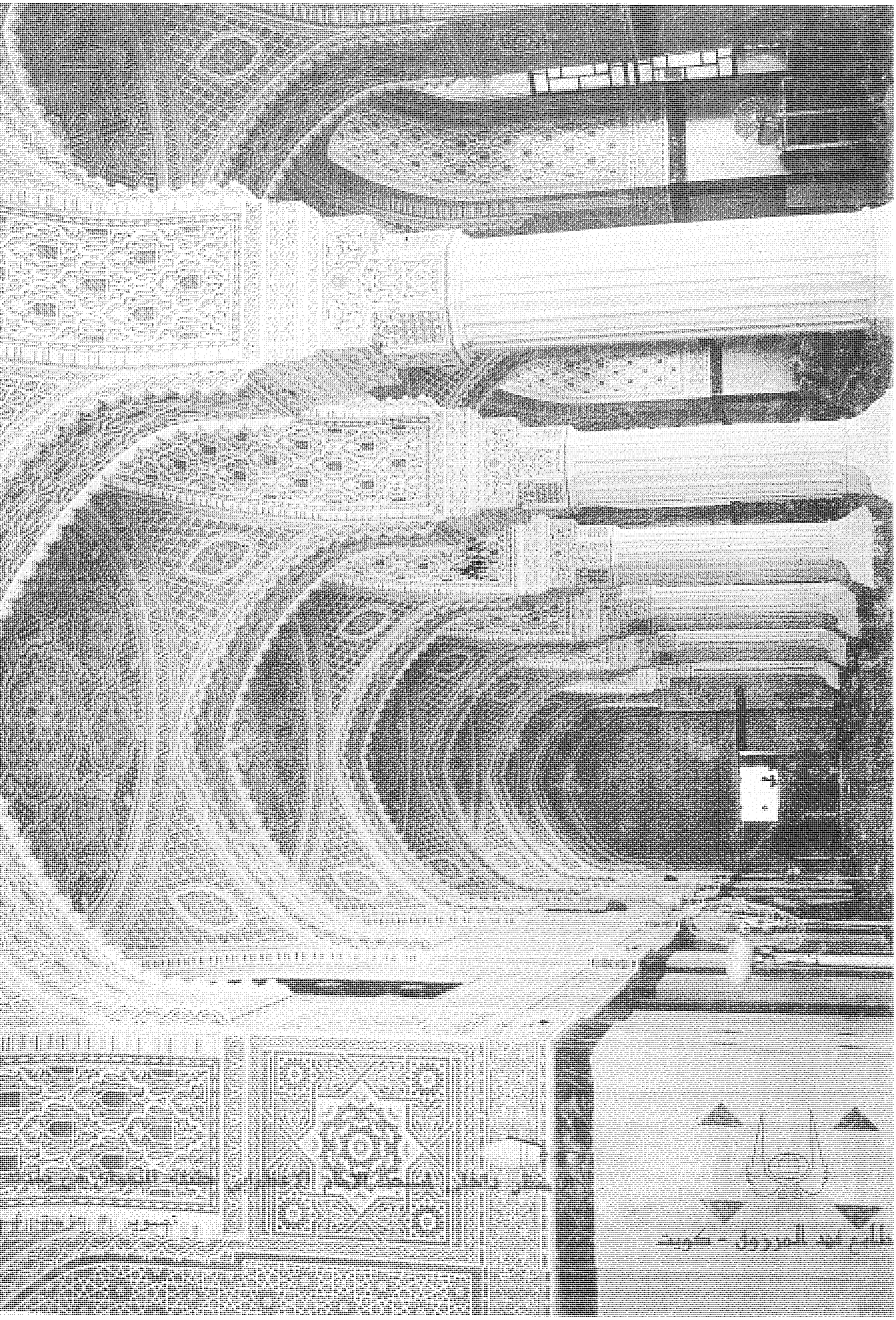
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجاني

بنغازي : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشمالي الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

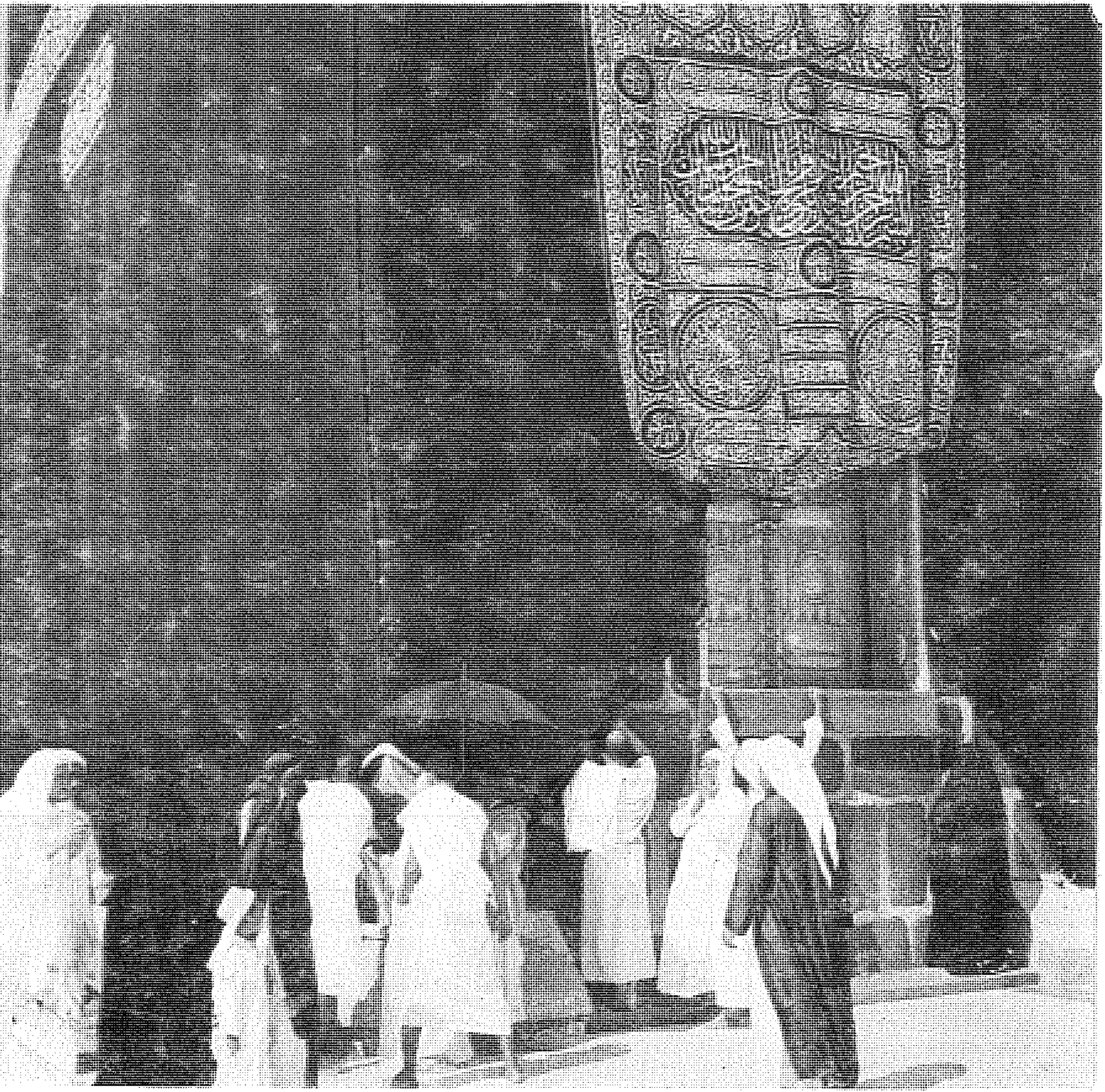
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة


المرزوق - كويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

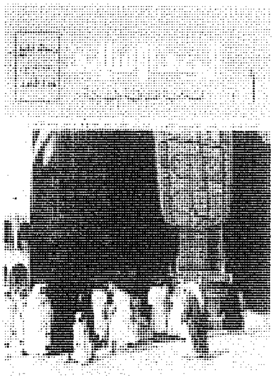
السنة الثالثة ـ العدد الخامس والثلاثون ـ غرة ذي القعدة سنة ١٣٨٧ هـ ـ يناير سنة ١٩٦٨





سمو أمير البلاد المعظم وجلالة الامبراطور الايرانى يستقلان المركبة الملكية عند وصول سموه الى العاصمة الايرانية .

صورة الغلاف



باب الكعبة المشرفة
هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات ويقف المسلمون خاشعين لله رب العالمين ..

تصوير « عظمت شيخ »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس والثلاثون
— السنة الثالثة —

غرة ذي القعدة سنة ١٣٨٧ هـ
يناير سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

احتفلت البلاد الاسلامية فى شهر رمضان بذكرى مرور ألف وأربعمائة سنة على افتتاح نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك البدء الذى كان ايذانا بافتتاح عهد جديد للبشرية ، تسير فيه على رشد وهدى ؛ ولا تجد فى طريقها ما يوئدها ؛ أو يعطل سيرها نحو السمو الانسانى ..

وحين جاء القرآن ، واستوعبه العرب ، فتح الطاقة الكامنة فيهم ، أو بلغة العصر الذرية ، فجر الطاقة النووية فى هذه الامة ، فصنعت الاعاجيب فى ميدانى الروح والمادة ، وحملت مشعل الهداية الربانى الجديد للأمم حولها ، فهدى الله بها من يشاء لهم الهدى ، وفى المجال النووى للطاقة الجديدة تكونت الأمة الاسلامية ، وصار المسلمون عمالقة التاريخ : أساتذة العالم ، وصناع الحضارة ، وهداة الطريق ..

ووقف التاريخ صفحاته على العرب وعلى المسلمين فى كل مكان ، يسجل مفاخرهم ، وينقل بطولاتهم ، ويشيد بمآثرهم فى كل ميدان من ميادين الحياة ..

ولم يصنع كل هذا المجد لأمة العرب وللمسلمين جميعا الا القرآن الكريم ، وصدق بهذا قول الله العليم الخبير يخاطب رسوله الامين « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وقوله يخاطب العرب الذين نزل القرآن فيهم وبلغتهم « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » .

ولقد كانت الميزة لهؤلاء الاول الذين خاطبهم القرآن ، واستنهض فيهم العقول ، كى تفكر وتعمل ، ثم أجابوا جوابا عمليا عن هذا الاستنهاض « أفلا تعقلون » فكان حالهم يقول : بلى يا رب عقلنا وفهمنا ، وخطونا على الطريق ، وعملنا بما أردت أن يكون ، وبما أمرت أن نعمل ، فتحقق فينا وبنا وعدك سبحانك ، وصرنا بذلك سادة الدنيا ، بعد أن كنا رعاة ابل وشياه ؛ وأصبحنا معلمي الدنيا ، بعد أن كنا أمة أمية لا تعد ولا تحسب . وصارت كلمة العرب أو المسلمين كلمة لها وقعها ، ولها صداها فى النفوس ، ولها مجالها فى سجل التاريخ .. وكان كتابك الكريم هو الذى صنع منا كل هذا ، ولك الفضل والمنة .

وسار التاريخ فى ركاب العرب والمسلمين من غير العرب ، ما ساروا مع هذا الكتاب ، وفى ظل هديه وحمايته ، فاذا ما ابتعدوا عن ظله لفحتهم نار الحياة ، وتاهوا فى الظلمات ، فتلقفتهم الايدى الحاقدة ، وعضهم الناب المسعور ، وظل القرآن كما هو ، يحفظه الله الذى أنزله ، وكأنه يمد شعاعه اليهم ليهتدوا به فى متاهاتهم ، وليحفظ لهم ما بقى من حياتهم .. وهم كلما

اقتربوا منه ابعدهم الشيطان والغرور عنه ، وقذفهم الموج ، لأنهم لم يحسنوا السباحة اليه ، ولم يصوبوا النظرة نحوه .. وكأنه يناديهم بصوت جهير : الى أبنائي ، الى شاطيء الامن ، لتبدءوا حياتكم الجديدة ، قوية سعيدة كما بدأها الذين من قبلكم ، وكأنهم لا يسمعون الا صدى ، وكأنهم عمى عليهم مصدر النور ، فظلوا يتخبطهم الموج من كل مكان .. وتحيط بهم سباع البحر ، تفتح أفواهها لتجد فيهم غذاءها ، وهم يصرخون ، يطلبون الانقاذ ، وصراخهم يضيع ، وينكسر على الموجات العاتية ، لأنهم بعيدون عن الشاطيء ، ولأن هممهم فاترة ، ولو أنهم ابصروا الشاطيء والضوء الذى ينبعث منه ، وشدوا عزائمهم ، لاقتربوا شيئا فشيئا من شعاعه ، ووجدوا حبال النجاة تسعفهم ، وتنقذهم من الأخطار المحدقة بهم .

ان الفنار هو الفنار . نوره من نور الله .. لا ينال منه عبث العابثين ، ولا للتائهين والمشرفين على الهلاك « فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » .
ان الفنار هو الفنار نوره من نور الله .. لا ينال منه عبث العابثين ، ولا حقد الحاقدين ولا اعراض المعرضين .. « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

لقد عز المسلمون بالقرآن ، وعاشوا بعد ضعفهم عالة على القرآن ، ولم يعش القرآن عالة عليهم ، ولو كان بقاء القرآن منوطا بهم ، لما ظل بيننا كما هو ، من كثرة المؤامرات عليه من اهله ومن غير أهله !!

ولقد عاشت لغة العرب وازدهرت بالقرآن ، وظلت برغم المحن التى أحاطت بها ، والضربات التى نزلت عليها ، صامدة بالقرآن ، ولولاه لاندثرت وبادت ، كما اندثرت لغات قديمة ، كانت لغات حضارة وأمم قوية .

لولا القرآن لما كان العرب أمة لها وزنها حتى فى ابان ضعفها ، وما جاوزت لغتهم جبال الجزيرة ووديانها وصحاريها ، وما صارت كما هى الآن : لغة أمم لم تكن أصلا أمما عربية ، ولكنها صارت عربية بالقرآن ، واحبت العربية وعشقتها من أجل القرآن ، وما صارت لغة حية بين أمم العالم فى المؤتمرات والاذاعات من كل مكان .

وصدق الله العظيم « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .
لقد احتفلت الامم الاسلامية بنزول القرآن .. وانها لبادرة طيبة كانت « مجلة الوعى » أول من نبه اليها فى عدد ربيع الاول من هذا العام — وانها لمناسبة كريمة ، نرجو أن تفتح القلوب وتنير العيون ..

اننا نحيي هذه الظاهرة التي تسابقت اليها الدول والامم الاسلامية .
ولكن لا بد لنا مع سرورنا بهذه الظاهرة من كلمة ؛ لا أعتقد انهـــا فاتت الكثيرين ممن احتفلوا أو تحدثوا أو سمعوا لمـــا القي في هذه الاحتفالات من كلمات طيبة ؛ تحدثت عن القرآن ؛ وهديه ونوره وفضله .
ان القرآن الذي نحتفـــل بذكرى نزوله هو اولا واخيرا هداية ودستور ونظام ، لم ينزله الله لكي نلتمس به البركة ، او نترحم بـــه على الاموات ، أو نجعل بعض آياته أحجبة وتمائم .

ان القرآن ليس نصبا تذكاريا لقبر جندي مجهول ، انه حياة .. نظام .. مبادىء ، أفهم أن الذين يحتفلون به يتعصبون لمبادئه ، ويتمسكون بهـــديه ؛ ويلتزمون بنظامه ، ويعضون على ذلك بالنواجذ .
لا أريد أن أدخل في تفاصيل ، وانمــــا الذي أريده وانادي به ، أن نكون متجاوبين في عملنا مع كلامنا عنه ؛ القرآن هداية ونظام ومبادىء سليمة للحياة ؛ هذا بالطبع حق وصحيح .. فما الذي يحول بيننـــا وبين رعاية هـــذه النظم والمبادىء ؟!
الا يجد القرآن الكريم كلام الله من أتباعه والمؤمنين به حماسا كحمـــاس الشيوعيين لملهمهم الاكبر « ماركس » وكتبه ومبادئه ؟!
الا يجد القرآن منا نحن المسلمين من يحمي مبادئه ونظمه ، كمـــا تحمي الدول ذات الانظمة الخاصة مبادئها ونظمها ، وتدافع عنها ، وتسخر كل قواها في الحفاظ عليها ؟!

الا يجد القرآن منا عناية مركزة لتنشئة أبنائنا على هديه وآدابه ، كمـــا يعنى أهل المذاهب الاخرى بتنشئة الصغار على مبادئهم ونظمهم ؟!
الا يجد القرآن ومبادئه غيرة عليه ، وحماية لحرماته ، كما تجد بعض المذاهب من أصحابها غيرة عليها ، وحماية لها من الانحراف عنها ؟!
انني لا أطالب الآن بشيء فوق الطاقة ، ولكني أطالب فقط أن نغار على مبادىء القرآن وآدابه ، كما نغار على النظم المسنونة ، ونؤاخذ كل من يخرج عليها .
اريد فقط أن نأخذ من مبادىء القرآن وآدابه خطا نسير عليه ، ونلتزم به ؛ ونضع قوة الدولة وأجهزتها للمحافظة على هذا الخط ، وهذا الاتجاه .
ان من يشتم من كلامه أو من سلوكه مخالفة للتعاليم الماركسية في الدول التي اتخذت من تعاليم ماركس نظاما لها ينال عقابه ، ويحرم من وسائل الحياة المعتادة ، ان لم يحرم كليا من حياته ..
لا أريد أن تأخذ طائفة على عاتقها وحدهـــا مهمة الحفـــاظ على الدين ؛

أو احتكار الغيرة عليه ، وتوعد المخالفين له بالويل والثبور . . وكأن حفظ الدين ، والغيرة عليه ، والمحافظة على آدابه قد ألقى عبؤه عليهم وحدهم !!

بل أريد أن يكون الجميع : الحاكم والمحكوم ، الصانع والزارع ، الموظف والتاجر ، أريد أن يكونوا كلهم مسئولين عن هذا الدين ، غيورين على تعاليمه ، عاملين ما استطاعوا على الحفاظ عليه .

ان الدين دين الجميع ، وكل واحد منا مسئول عنه ، وعما يعمله فى بيته ، وفى دائرة نفوذه من أجله . . واذا كانت الضرورة تقضى بالتخصص العلمى فيه للارشاد وللتعليم ، فان رعايته والعمل على تنفيذه من مسئولية كل واحد منا ، مهما يكن مركزه ، ومهما يكن عمله . .

بل قد تكون المسئولية على من يقدر على العمل والتنفيذ مسئولية مضاعفة ، على قدر حظه من النفوذ « وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » كما قال الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه .

ان عدم تقدم أصحاب النفوذ لحمل مسئولياتهم كاملة تجاه القرآن ومبادئه فى أممهم ، يجعل فريقا فى الامة يسير وحده لتحمل مسئولياته ، فى الوقت الذى يجعل فيه من الامة الواحدة شطرين ، فتعيش بروحين وشخصيتين : شخصية حين تدخل المسجد ، أو تقرأ ، فتسمع كلاما ، وتتصور حياة ، وشخصية حين تترك ذلك فتسمع كلاما آخر ، وتعيش حياة أخرى ، وتجد فرقا كبيرا بين هذا وذاك !!

فكيف تتوحد الامة ــ أذن ــ فى شعورها ، وفى ولائها واخلاصها واتجاهاتها ؟ ولأى اتجاه تدين بالاخلاص ؟

لست أعنى بذلك قطعا أن كل نظم الحياة التى نحياها بعيدة عن مجال الاسلام ، ولكنى أريد أن نلتزم خطا فى حياتنا ونظمنا يتفق مع مبادئنا ، كما تلتزم دول أخرى خطا يتسق مع مبادئها ، وأن نستهدف فى كل ما نعمل أو نقول روح الاسلام فعلا ، وأن نعلن ذلك للناس ، ولا نستحى أو نجبن أن نعلن أن ولاءنا الوحيد هو للاسلام . ونسير ــ ولو بالتدريج ــ حسب هذا الولاء ونحو التمام .

ذلك ما يوحيه منطق احتفالنا وعنايتنا بنزول القرآن ، وما ألقى فيه من كلمات ، حتى لا نكون ممن قال الله فيهم : « يا يها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

ولقد أعزنا الله بالاسلام ، ومن راح يلتمس العزه بغيرة أذله الله .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من هدي القرآن

متى يكون نصر الله؟

للشيخ عبد الجليل عيسى
شيخ كليتى اصول الدين واللغة العربية سابقا
جامعة الأزهر

يقول الله تعالى :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » صدق الله العظيم .

(آيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج)

تسربت فى هذه الأيام وسوسة جنود ابليس الى بعض صدور رق ايمانها هامسة : أين نصر الله الذى وعد به المؤمنين ؟ فأحببت أن أسهم فى ذود هذه الوساوس عن هذه الصدور ، التى يعز على عنتها وحيرتها ورأيت أن أضع أمامهم شرح هذه الآيات الكريمات :

ولعله ينبغى لنا أولا أن نتعرض لتوضيح ما حوته الآية الاولى من مفردات وهى :

(ان) التى للتوكيد ، و (يدافع) ، و (الذين آمنوا) ، و (خوان) ، و (كفور) .

اما التأكيد الذى يهمنا هنــا ، وهو توكيد وعد الله بنصر المؤمنين ، فهو متبوع بتوكيدات أخرى فى هذه الآيات الثلاث ، فالثاني والثالث فى الآية (٣٩) والرابع والخامس والسادس والسابع فى الآية (٤٠) . وما هذه التوكيدات السبع فى موضوع واحد الا لأنه موضوع خطير ، تتقاعس عن ولوجه كثير من النفوس المريضة ، التى يلوى أعناقها حب الدنيا وزينتها ، ذلك الموضـــوع هو القتال فى ســـبيل الله والدفاع عن العقيدة . اقرأ فى ذلك قوله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » آية ٢١٦ من سورة البقرة .

ومما جاء فى القرآن فى هذا المجال مؤيدا لما جاء فى هذه الآيات الأربع من نصر الله قوله تعالى فى هذه السورة نفسها : (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) (آية ٦٠ سورة الحج) ، وقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعـــكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (آية ١١١ من سورة التوبة) .

وقوله سبحانه : « ولقد أرســـلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (آية ٤٧ من سورة الروم ، وكذلك آيات ٤٠ الأنفال و ١٠٣ يونس و ٩٦ النحل ، و ١٧١ ، ١٧٢ الصافات) .

(**يدافع**) هذه الصـــــيغة أصلها للدلالة على المدافعة بين جانبين ، تقول العرب :

ضارب على زيدا اذا كان الضرب حصل من كل منهما ، وهذا المعنى هنا مستحيل ، لأن الله سبحانه لا يقدر مخلوق على دفعه عما يريده . واذن يكون المراد منها هنا الدلالة على تكرار الدفع المرة بعد المرة كلما حاول عدو المؤمنين ايذاءهم . ويدل على ذلك القراءة السبعية الأخرى لابن كثير وعاصم (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) . فالمعنى أن الله يدفع عن الذين آمنوا شر أعدائهم كلما حاولوه ، ومهما تكرر .

(**عن الذين آمنوا**) : من هم المؤمنون الذين ضمن الله ســـبحانه الدفاع عنهم ؟ اذا علمنا ما هو الايمان الحق علمنـــا من هم المؤمنون حقا ، واذا علمنا ذلك نعلم سبب ما نحن فيه اليوم .

وانا واثق أننا اذا أعملنا الفكر ، ودققنا النظر ، فانا نكف عن بعثرة اللوم على الناس شمالا ويمينا ، ونكدسه على رؤوسنا نحن ، لأننا نحن الذين بأعمالنا كنا السبب فى كل ما حصل ، عند ذلك نسارع بجد واخلاص الى تغيير ما نحن فيه من انحراف عن تعاليم ربنا ، فاذا نحن فعلنا ، أصلح الله أحوالنا : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفســـهم وان الله سميع عليم) آية ٥٣ الأنفال .

ان الايمان الذى رضيه الله لعباده الصادقين جاء بيانه فى القرآن الكريم مرارا ، وشرحه صلى الله عليه وسلم على اتم وجه ، روى البخارى والنسائى وأبو داود عن ابى ذر وابى هريرة قالا : سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال : الايمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وفى رواية حلوه ومره :

أما متى يتحقق هذا الايمان ؟ فقد رأى البخارى انه لا يكون الا اذا اثمر عملا صالحا . وأخذ ذلك من أمور . منها : انه صلى الله عليه وسلم قال : « الايمان

بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق » رواه مسلم أيضا .

قال البخارى : ويدل على ذلك قوله تعالى : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم **تعملون**) (آية ٧٢ من سورة الزخرف) وقوله : « أن المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم **تعملون** » (آيات ١٧ و ١٨ و ١٩) من سورة الطور .

ومنها جوابه صلى الله عليه وسلم لمن سأله (اى العمل أفضل ؟) قال : الايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله .. الخ .

وقال البخارى أيضا فى (باب خوف المؤمن أن يحبط عمله) : قال : عن ابراهيم التيمى (١) قال ما عرضت قولى على عملى الا خشيت أن اكون مكذبا .

ومنها ما رواه البخارى ايضا عن أبى مليكة (٢) قال : « أدركت ثلاثين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم احد يقول : انه على ايمان جبريل وميكائيل » .

ومنها قول الحسن : ما خاف الله الا مؤمن ، ولا أمنه الا منافق .

ومنها ما روى عن ابن مسعود : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ثلاثا ، فقالوا من هو يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال صلى الله عليه وسلم غشمه وظلمه » .

ومعنى ذلك فى نظر البخارى أن ما ورد من التفرقة بين الايمان والاسلام ، انما هو تفرقة اصطلاحية لفظية فقط ، أما اذا اعتبرنا ما ينجى عند الله فانه لا بد من العمل والا كان الموجود فى القلب مجرد تصورات لا تتغلغل فى القلب ولا تحمل على العمل ، وفى هذا جاء حديث « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا . لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل » (أخرجه البخارى فى تاريخه وأخرجه ابن أبى شيبة عن الحسن) .

ومما قيل فى تأييد رأى البخارى : ان الله سبحانه وتعالى قلما يذكر فى القرآن الايمان المنجى من العذاب الا وهو مقترن بالعمل الصالح .

فلنضع المصحف أمامنا ، لنجد ذلك فى احدى وثلاثين سورة من أول سورة البقرة الى سورة العصر .

ومما يلفت النظر اننا نجد هذا المعنى يتكرر حتى فى السور غير الطوال عدة مرات ، من ذلك سورة الحج فانه تكرر فيها أربع مرات ، وفى سورة الشورى ثلاث مرات . فأول ما جاء فى البقرة قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » آية ٢٥ ، وكذا فى آيتى ٨٢ ، و ٢٧٧ من السورة نفسها ، وقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم » (آية ٩ من سورة المائدة وكذا آية ٩٣) ، وقوله سبحانه : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا

---

(١) هو من فقهاء التابعين .
(٢) وهو من التابعين أيضا .

الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (آية ٤٢ من سورة الأعراف) وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) (آية ٩ من سورة يونس) وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (آية ٢٣ من سورة هود) . وهكذا فى جميع الآيات التى تعرضت لجزاء الايمان .

وترى من هذا كله قيمة العمل مع الايمان بحيث لا يكون هناك ايمان ينجى صاحبه ويهيئه لدفاع الله عنه الا اذا كان مقترنا بالعمل ، وميدان العمل واسع .

وبعد ما وعد الله بالدفاع عن المؤمنين عقب بقوله : « ان الله لا يحب كل خوان كفور » وما ذلك الا لان صفتى الخيانة والكفر تحولان بين صاحبهما وبين رضاء الله سبحانه ورحمته ، ومن حرمه الله رضاه فمن ذا الذى يدفع عنه شرا ، او يجلب له خيرا ؟ ، فما هى اذن الخيانة التى تستجلب كل هذا الشقاء ؟؟ قال الراغب ما معناه : الخيانة والنفاق توأمان ، فالخيانة فى الأصل تقال اعتبارا بالعهد ، والنفاق يقال اعتبارا بالعقيدة ، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد ، ونقيضها الأمانة ، ومن ذلك فى القرآن : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » آية ٢٧ من سورة الأنفال ، فمن ضيع شيئا مما امر الله به ، او ارتكب شيئا مما نهى عنه ، فهو خائن ، ومن اهمل ارشاد الرسول صلوات الله عليه فهو خائن ، ومن ضيع حقا على مسلم ائتمنه عليه فهو خائن .

ومن ذلك اسرار الدولة ، فمن أضاعها ، أى أفشاها للعدو ، وخصوصا الشئون الحربية منها فهو أفجر الخائنين .

ولما سمع أبو عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة ، قال لا أراه صلى الله عليه وسلم خص بذلك الخيانة فى امانات الناس دون ما افترض الله على عباده وائتمنهم عليه ، وفى ذلك قال السلف : من الخيانة ان يستنصح الانسان أخاه فلا ينصحه ، او أن يسر اليه حديثا فيفشيه ، وفى هذا قال صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثك الرجل ثم التفت فهى أمانة » يريد صلى الله عليه وسلم أن الرجل اذا حدث غيره منفردا ثم التفت حوله حذر أن يسمعه احد ، فلا يجوز للسامع أن يفشى هذا الحديث ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يطبع على كل خلق الا الخيانة والكذب » رواه أحمد .

ومن ذلك قول العرب عن الأسد : انه خائن العين ، أى لأنه ينظر الى فريسته فى فتور ، كأنه لا يريدها .

ومنه قوله تعالى : « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » آية ١٩ من سورة غافر . فخائنة الأعين هى ما تسارق النظر نظرة مريبة الى ما لا يحل . قال بعض العلماء ، ومن الخيانة أن يكف الرجل لسانه عن أخيه ولكنه يومىء لجليسه بطرف عينه غامزا له بما يعيبه .

فاذا كانت هذه هى خطورة الخيانة ، واذا كان أخطبوطها أنشب أظافره فى جل معاملة المسلمين بعضهم لبعض اليوم ، وفى معاملتهم لله ورسوله فى شريعته ، فيجب أن يكون عندنا من الشجاعة ما يمكننا من أن نقول : لا أمل لنا فى نصر الله الا اذا رجعنا الى شرعه ، وغيرنا ما بأنفسنا ، لأنه سبحانه قال : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فهل نحن فاعلون ؟

قال الله سبحانه فى مثل حالنا هذه : « ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا

ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » آيتى ٤٢ ، ٤٣ من سورة الأنعام .

ثم قال سبحانه : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » أى أذن الله بالقتال للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار ، دفاعا عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم بسبب أن المشركين بمكة ظلموهم ، وكانوا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ، ومشجوج راسه ، يشكون اليه صلى الله عليه وسلم ، فكان يصبرهم ، ويعدهم النصر من الله ، ونزل عندئذ قوله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ». (آيتى ٢ ، ٣ من سورة المنكبوت) . ثم أردف سبحانه اذنه للمؤمنين بالقتال بوعده لهم بالنصر تأكيدا للوعد السابق بالدفاع عنهم ، ولبيان انه ليس المراد تخليصهم من أيدى عدوهم ، بل المراد اظهارهم عليهم ، والظفر بهم ، حتى يخوضوا الحرب وهم واثقون بالنصر ، فقال سبحانه فى ذلك : « وان الله على نصرهم لقدير » ثم بين سبحانه هؤلاء الذين قاتلهم الكفار ظلما بأنهم هم الذين أخرجهم المشركون من وطنهم بغير حق ، ولا موجب لاخراجهم فى نظر المشركين الا توحيدهم لله وقولهم ربنا الله وحده ، لا رب لنا سواه ، فقال فى ذلك : « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

ثم أراد سبحانه أن يحرض المؤمنين على قتال المفسدين ، فبين لهم أن سنته جرت فى كل الأمم الماضية أن يسلط من عباده من يدفع شر طغيان الظالمين على المصلحين الآمنين ليبقى ميزان العدل الالهى قائما ، ولتبقى دور العبادة عامرة بما يربط العبد بربه ، ويؤلف بينه وبين بنى جنسه ، وتنمو فى روحه عوامل الخير ، فينتظم الأمر ، ويهنأ الناس بحياة مستقرة سعيدة ، لا يزعجها خوف من ظالم ، ولا يقلقها طغيان جبار ، اذ لولا رحمة الله هذه لخربت دور العبادة التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولضل الناس جميعا طريق الصواب ولكانوا كالوحوش يأكل قويها ضعيفها ، فتفسد الأرض لا محالة ، قال سبحانه فى ذلك : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » الصوامع جمع صومعة ، وهى متعبد رهبان النصارى فى الصحارى ، ويسمى الآن فى مصر بالدير ، وجاء الاسلام بابطال الرهبنة كما فى آية ٢٧ من سورة الحديد ، والبيع جمع بيعة ، بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهى متعبد النصارى عامة ، وتسمى الآن بالكنيسة ، والصلوات جمع صلاة ، وأصلها بالعبرية (صلوتا) بالتاء المثناة ، وهى معبد اليهود ، والمساجد هى معابد المسلمين ، هذه الأماكن التى هى أماكن العبادة قديما وحديثا هى التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ، فلا يجرؤ على تخريبها الا كل طاغية مفسد عنيد

ثم أقسم سبحانه على أنه ينصر من ينصر دينه ، والعاملين به على المفسدين الذين لا يريدون الا العلو فى الأرض ، واستعباد الخلق ، ومن تكفل الله بنصره عز وفاز ، لأنه سبحانه قوى على كل ما يريد تنفيذه ، عزيز غالب لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الارض ، قال سبحانه : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ثم بين سبحانه هؤلاء الذين ينصرون دين الله وأولياءه ، بأنهم هم الذين ان مكن الله لهم فى الأرض وجعلهم أصحاب التصرف فيها ، شكروا فضله سبحانه عليهم بأن جمعوا بين خصال أربع ، هى عماد كل دين وركاز كل سعادة ، وسنتحدث عنها فى المقال التالى ان شاء الله .

مبدأ الاسلام في القضاء والدفاع

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انما انا بشر ، وانه ياتينى الخصم ، فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض ، فاحسب انه صادق فاقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار ، فلياخذها او ليتركها » .

(رواه البخارى)

١ ـ من سنة الكون وطبيعة الوجود ان يكون بين الناس خلاف واختلاف (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) فلكل استعداده الفطرى ، وقد شاء الله سبحانه أن يتفاوت الناس فى العلم والمعرفة ، والرأى والعمل ، والطاعة والعصيان ، والقرب من الحق أو البعد عنه ، ولهذا تشعبت أمور الحياة وتنوعت ، وكل يحاول أن يبرهن على صحة اتجاهه وأن يثبت قوة ادعائه ، واستقامة سلوكه ، كما أن من الناس من لا يقيم وزنا لمصالح الغير ولا يهتم الا بنفسه ولا تعنيه الا مصلحته الخاصة ، يحاول الوصول الى ما يراه صالحا لنفسه غير عابىء بالمقاييس الخلقية أو الروابط الاجتماعية ، أو التوجيهات الالهية ، ولكل رأى أنصار وأعوان مهما كانت مكانته من الحق أو الباطل ، ومهما كان قربه أو بعده عن الصواب أو الخطأ ، ومن رحمهم الله هداهم للصواب ، وجعلهم يتفقون على تحكيم كتاب الله فى خلافاتهم ، ومن سنة الله فى خلقه أن يفصل عقلاؤهم فيما يختلفون فيه مسترشدين بأعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائرين على نسق معين يوصل الحقوق الى أصحابها فى غير عنت او مشقة ، ومن هذا كان القضاء ووجد القضاة ، والقاضى بشر ، والبشر يخطىء

ويصيب وربما كان أحد المتقاضين الحن بحجته ، وأكثر قدرة على اقامة البراهين مدللا على صحة دعواه ولو بغير حق ، فيقضي له بحق غيره تحت تأثير فصاحته وقوة بيانه .

٢ ــ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين الى اتباع سبيل الله ، وايثار الباقى على الفانى والتمسك دائما بالمنهج المستقيم فى كل شيء ، وقد حدث يوما أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة احدى زوجاته رضى الله عنهن جميعا (١) قيل فسمع جلبة وصياحا بالباب ، واذا بقوم يختصمون اليه ، فخرج اليهم ، وقبل أن يجلس منهم مجلس القضاء ، نصحهم ، وخوفهم عقاب الله ، وحذرهم من الكذب وادعاء أحدهم ما ليس له ؛ فقال لهم : انى بشر من البشر ، لا اعلم ما يجول فى نفوسكم ولا ما تنطوى عليه سرائركم ، فعلم الغيب عند الله وحده وقد يكون احدكم اقوى بيانا ، وافصح لسانا ، واكثر قدرة على الادلاء بحجته وهو غير محق ، فأحكم له بما يبدو لى من ظاهر القول ومقتضى الحال ، بينما يكون الآخر عييا وهو صاحب الحق ، لا يحسن الدفاع عن حقه ، متهيبا مجلس القضاء ، مضطربا لا يستطيع الافصاح عن ما يريد ، ولا يمكنه أن يبين عن حقه ، فأحكم عليه فليحذر كل من المتخاصمين عقاب الله ، وليخف سطوته فلا يحاول الوصول الى اخذ حق غيره ببلاغته ، فهذا غش وخداع ، وظلم للنفس ، واتباع الهوى يودى بصاحبه الى غضب الله عليه ويبعده عن رضا ربه ، فتسوء حاله في الدنيا والآخرة .

٣ ــ وكلما بعد الناس عن تعاليم الله ، وانبتت صلتهم بهدايته ، رثت حبال مودتهم وعفنت نفوسهم وركنوا الى المادى البحت ، فتجافوا ، وتقاطعوا ، وأهمتهم أنفسهم وسلكوا كل سبيل يوصلهم الى شهواتهم فتكثر الخصومات ، ويشتد النزاع ، وتهدر الحقوق وتطمس معالم الصراط المستقيم ، وتصبح الغلبة للقوة فتنطوى القلوب على الاحقاد والضغائن وبالتالى تفسد المجتمعات ، وتصبح الحياة جحيما لا يطاق ، وعذابا لا يحتمل ، وألما ممضا ، وعناء دائما ، وذلك حين يغنى كل على ليلاه ، ويحاول صيدا بشباك الزيف والضلال ، لا يستمع لأنات المحرومين ، ولا يلين قلبه للثكالى والمصابين .

والعاقل من آثر الحق ، وحاول التغلب على هوى نفسه ، ونظر الى الحياة نظرة واقعية على انها تسير الى فناء محقق ، وأيقن بما عند الله ، وأدرك أن سعادة الغير سعادة له ، وأحب لمشرائه ما يحب لنفسه ، وابتعد عن الجدال والخصومات التى تؤذى مجتمعه ، وتعكر صفو الآخرين فتحرمهم نعمة الهدوء والراحة ، وتحملهم حملا قويا على التفنن فى المداوات والمنازعات .

٤ ــ ولما كان الكثير من امور الحياة خافيا غير واضح ، فرب مقبل والخير من ورائه ، ورب مدبر والخير أمامه ، لم يترك الله البشر دون هداية ، فأرسل

---

(١) قيل انها ام سلمة .

رسله مبشرين ومنذرين ، واختارهم من صفوة خلقه ، ليبلغوا عنه ، والرسل دائما يحثون على التوكل على الله وايثار الآجلة مع الاخذ فى أسباب المقاصد دون تواكل او وهن ، قال تعالى : « وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » لأن الايمان لا يكون يقينيا الا اذا صدقه العمل ، فالتوكل على الله من أعظم علامات الايمان وهو لا يكمل الا بالصبر على الشدائد ، والدعاء لا يستجاب الا اذا كان مقرونا باتخاذ الاسباب وذلك بعمل ما يستطاع عمله ثم نطلب من الله أن يسخر لنا ما لا نستطيع ، ودلت التجارب والوقائع الماثلة امامنا على أن سوء حال المسلمين من ضعف وفقر تجعلهم موطنا لافتتان الكفار بهم باعتقادهم انهم خير منهم . قال تعالى « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » ومن اعظم ما جر على المسلمين البلاء هو عدم انصياعهم لأوامر الله ، وحرصهم على ان يصلوا الى متاع الدنيا من وجوهه غير المشروعة ولو كان حقــا للآخرين ، ويرفع المسلم خلافه مع أخيه الى القضاء ويحلف أنه على حق وهو كاذب ، ويدلى بما لا صحة له ولا اصل له ليهضم حق أخيه وليحكم له غير عابىء بأوامر الله وغير مقيم للآخرة وزنا ، والقاضى بشر من البشر لا يمكنه اكتشاف العبث ومعرفة المحق من المبطل الا بالادلة الماثلة أمامه ، وقد يقضى بناء على بيان الخصوم وقوة بلاغتهم ولا ضير عليه فى هذا ، وانما الضير والوبال على من أخذ ما لغيره دون أن يكون له وجه حق فى هذا الاخذ .

٥ ــ الظلم دائما يجر الى الخراب وفساد المجتمعات ، ولولا لطف الله لهلك الناس بظلمهم يقول جل شأنه « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة .. » ومن اشد الظلم اغتيال حقوق الآخرين والاصرار على ذلك وقد أخرج البيهقى وغيره عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول (ان الظالم لا يضر الا نفسه ، فقال لا والله بل ان الحبارى فى وكرها لتموت من ظلم الظالم) وعن ابن مسعود رضى الله عنه : كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم ثم قرأ قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ..) ، وأخرج أحمد عن أبى هريرة أنه قال : ذنوب ابن آدم قتلت الجعل فى جحره ، والبعد عن الهداية الربانية يجعل الانسان أنانيا بحتا لا يتجه تفكيره الا الى ذاته ولا يرى الا وجوده هو ، وهذا من تزيين النفس الامارة بالسوء ، وعمل شياطين الانس والجن ، ومن نسى الله وكله الله الى نفسه (نسوا الله فأنســاهم أنفسهم) وحينئذ يضل ابن آدم الضلال البعيد قال تعالى : « تا لله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم) فقد مضت سنة الله فى خلقه انهم متشابهون فى كل الاعصر والازمان ، فقد أرسل الله الى الامم التى سبقت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسلا مبشرين ومنذرين ، وأمرهم بتوحيد الله واخلاص العبادة له ، ولكن شياطينهم حسنوا لهم ما هم عليه من كفر وفسوق ، فكذبوا رسلهم ، وما دعاهم الى ذلك الا شياطينهم وبئس الناصر والمعين الشيطان ، وكانت رسالة خاتم الانبياء والمرسلين زيادة فى توضيح الحق من الباطل ، ودعوة صريحة الى البشرية أن تحرر من عقال الكفر وأن تسير فى ركاب الخير والحق ، وأن يعمل الناس بما أوحى الى رسلهم من الله العزيز العليم ، قال تعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين

لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » فرسالته عليه الصلاة والسلام اقامة للحجة على العباد وهى هدى للقلوب الضالة ورحمة لقوم يؤمنون ليصدقوا بما تضمنته من أوامر الله ونواهيه ، فكتاب الله هو الفيصل بين الناس فيما يتنازعون فيه وهو الهادى الى سبيل الرشاد .

٦ — وفى الحديث الشريف الذى تصدر هذا البحث يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخاصمين الى الايمان بالآخرة ، والثقة بما أعده الله فيها للطائعين من رحمة وللعاصين من عقاب . فما يحمل الناس على اغتيال الحقوق ، وأكلها بالباطل والادلاء بها الى الحكام الا بعدهم عن الايمان بالآخرة ، والآخرة حق والبعث لا ريب فيه ، وان أصر البعيد عن رحاب الله وهدايته على الانكار ، وقد قال قوم فى عهده عليه السلام ومن قبله ومن بعده : ان الحياة الأخرى غير ممكنة ولا معقولة ، وقد رد الله عليهم ما قالوا وهو سبحانه العليم الخبير قال تعالى : « واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين . انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »(١) وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن العالية قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذى أرجوه بعد الموت انه لكذا وكذا ، فقال المشرك : انك لتزعم انك تبعث من بعد الموت ، واقسم جهد يمينه لا يبعث الله من يموت ، فأنزل الله (واقسموا بالله جهد ايمانهم ..) الآية .. وأخرج هؤلاء عن أبى هريرة قال : (قال الله سبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يسبنى ، وكذبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذبنى ، فاما تكذيبه اياى فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) وقلت (بلى وعدا عليه حقا) واما سبه اياى فقال (ان الله ثالث ثلاثة) وقلت (هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

٧ — والاسلام جد لا هزل ، وعمل واتقان للعمل ، وانصياع لأوامره ونواهيه ، وما ترك القرآن شيئا يهم البشرية أمره وتلزمهم معرفته الا وضحه وشرحه ، وجاءت كتب السنة مفصحة عما أجمل فيه ، فلا رأى مع النص ، وقد جدت مذاهب ونحل فى خلال مرور الاسلام فى مختلف الأعصر وكان منها النافع ومنها البعيد عن الصواب ، والعقلاء المؤمنون يحكمون الله ورسوله فيما شجر بينهم ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا من حكم الله وحكم رسوله الذى لا ينطق عن الهوى .

وكثير من الناس يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، ويخرجون فى أحوالهم عن الصراط المستقيم الذى رسمه رسول الله بوحى من الله ، ونسأل الله السلامة ، كما نرجوه آملين فى رحمته ، أن يهدينا سواء الصراط انه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة النحل .

أربع قواعد للإيمان

الأستاذ : علي الطنطاوي

مقدمة :

اذا كنت فى مكة ، وسألك سائل : هل فى الطائف الآن مطر ؟ تقول : لا ادرى ، لا تستطيع ان تجيب بـ (نعم) ، لأنه ليس عندك دليل الوجود ، ولا تقدر ان تجيب بـ (لا) لأنك لا تملك دليل العدم .

وهذا ما يسمى (الشك) : خمسون فى المئة « ايجاب » وخمسون «نفى»

فان ابصرت فى جهة الشرق غيوما ، تلوح على حواشى الأفق من بعيد ، رجح عندك رجحانا خفيفا ، ان فى الطائف مطرا .

وهذا هو (الظن) : ستون فى المئة (نعم) ، واربعون (لا) .

فان ازداد الغمام وتراكم ، واسود وتراكب ، وخرج البرق من خلاله ، ازداد ظنك بنزول المطر .

وهذا ما يقال له (غلبة الظن) : سبعون أو خمس وسبعون فى المئة نعم .

فان كنت ماشيا فى طريق الطائف ، وبلغتها ، فرايت المطر بعينك ، واحسست به على وجهك ، (أيقنت) أنه نازل ، و (علمت) بنزوله **علم اليقين** .

العلم (اليقين) : فالعلم (١) منشؤه الأول الحس : ما أدركه بحواسى أوقن بانه موجود (٢) .

ولكنى أمشى فى الصحراء ، ساعة الظهيرة ، فأرى بركة ماء ، تبدو ظاهرة للعين ، فاذا جئتها لم اجد الا التراب ، لأن ما رأيته (سراب) .

واضع القلم المستقيم ، فى كأس الماء ، فأراه منكسرا ، وهو لم ينكسر .

فهل اشك فيما ادركه بالحواس ؟ اذا شككت فى المحسات لم يصح فى الذهن شيء ، واستوى العاقل والمجنون الذى ينكر ما هو كائن ، ويتوهم ما لا يكون ،

---

(١) عندنا العلم بالمعنى المطلق ، وهو الذى يقابل الجهل ، والعلم الذى يقابل الفن والفلسفة ، والعلم الذى يقابل الشك والظن ، وهو الذى يراد فى هذا البحث .

(٢) وهذا هو العلم الضرورى . ومنشؤه الثانى الخبر المتواتر . ثم العلم النظرى ومنشؤه الدليل العقلى .

لا ، ولذلك أزيد شرطا آخر لحصول العلم بالحس ، وهو الا يحكم العقل بالتجربة السابقة ، ان هذا وهم أو خداع حواس .

الحواس: ما الحواس ، وما مداها ؟

النفس سجينة فى هذا الجسد ، ولكن لها نوافذ تطل منها على العالم ، وهذه النوافذ هى (الحواس) فهل ترى منها كل ما فى العالم ؟

(الحواس) اولا ليست كاملة ، لأن الكامل لا يقبل الزيادة ، ولقد (كنا) نعرف — أن الحواس خمس — ثم أدركنا بالملاحظة والنظر فى أنفسنا أنها فى الواقع تزيد على خمس ، فنحن نحس (مثلا) التعب عقب المشى الطويل ، أو الجهد المبذول ، ونحس الجوع والعطش والغثيان — فكيف احسسنا به ، وما رأيناه ولا سمعناه ، ولا لمسناه ولا شممناه ؟

احسسنا بحاسة سادسة يصح أن تسميها (الحاسة المشتركة) (١) .

ونغمض عيوننا ، فنحس بأن أيدينا مبسوطة أو مقبوضة ، وأنها ممدودة أو مرفوعة ، وهذه حاسة سابعة (هى الحاسة العضلية) .

وحاسة الحرارة والبرودة ، وحاسة التوازن — حتى أن العلماء قد كشفوا (المركز) الذى فيه حاسة التوازن ، وهو (سائل) أوجده الله فى الأذن الداخلية ، جربوا أن يستخرجوه من حيوانات المختبر (الأرانب والفيران) ، فصارت تمشى بعد فقده مترنحة مثل مشية السكارى .

فلو كانت الحواس الخمس كاملة لما قبلت الزيادة عليها .

ثم ان البصر ندرك به (عالم الألوان) ، والسمع ندرك به (عالم الأصوات) ، افليس من الممكن أن يكون بينهما عالم ، لا أدركه ، لأنى لا أملك حاسة أدركه بها ؟ ولم تعط النفس نافذة تطل منها عليه ؟

عالم موجود ولكنى لا أحس وجوده فهو منى كعالم الألوان للأكمه ؟

الأكمه (الذى ولد اعمى) قد يعرف بالسماع أن السهل اخضر ، والبحر أزرق ، والورد أحمر ، ولكنه لا يعرف ما الخضرة ، وما الزرقة ، وما الحمرة — لأن النافذة التى تطل منها نفسه على عالم الألوان مغلقة .

والأصم ، الذى لم يسمع أبدا ، قد يعلم أن فى الدنيا أنغاما ، لها أسماء ، وقد يحفظ أسماءها ، ولكنه لا يعرف ما البيات وما الرصد وما الصبا .

بل ان لدينا دليلا أظهر ، هو أن الغرفة الساكنة التى نسكون فيها ، فلا نسمع فيها همسة ولا نأمة ، لا نحس فيها الا السكون الكامل — فى جوها ، جميع الأصوات (الخطب والمحاضرات والأغانى) التى تذيعها اذاعات الأرض

---

(١) لهذه القواعد قصة ، أرويها كما وقعت ، وهى أنى كنت سنة ١٩٣٧ (أو ١٩٣٨ — نسيت) مدرسا للأدب العربى فى بغداد (بعد الزيات وقبل زكى مبارك) فكان الطلاب فى الفصل على غاية من الهدوء والاصغاء ، فكلفت مع الأدب بدرس الدين ، واذا بالفصل يضطرب ، والفوضى تعم ، فأدركت أن للدين فى نفوسهم صورة مشوهة ، فشرعت بمقدمة القيها بلا اعداد لها ، ولا عزم سابق على القائها ، فألهمنى الله هذا البحث الهاما ، وما رأيته فى كتاب ، ولا قرأته لأحد ، ونشرته ملخصا فى الرسالة من تلك الأيام (من ثلاثين سنة) . ولما كانت الوحدة بين مصر والشام وكلفت اعداد مناهج المدارس الشرعية أعددتها وحدى ، وأدخلت هذا البحث فى درس العقائد وأحلت على ما كتبت فيه فصار تدريسه مقررا فى مدارس سوريا الشرعية ودخل فى كتبها الرسمية وان كان من مؤلفيها من انتحله واوهم أنه من نتاج فكره .

كلها موجودة ، ولكننا لا نحسها ؛ لأنا لا نملك حاسة ندركها بها ، فاذا جئت بالراد (الراديو الذي يردها عليك) سمعتها واضحة .

ولا تعجبوا — فالجماد يدرك احيانا ما لا يدركه الانسان : ميزان الحرارة (الترمومتر) ، يدرك زيادة الحرارة درجة واحدة ، وأنت لا تدركها ، وميزان الضغط (البارومتر) ، والرادار ، والبوصلة ، كلها تحس ما لا تحسه ، وتدرك من أوضاع الكون ما لا تدركه .

والعوالم التي سلطنا عليها ، واعطينا الحواس لادراكها ، هل ندركها كلها ؟ ان البصر ، يدرك عالم الألوان ، ولكن هل يطلع على كل ما فيه ؟ هل يرى بعينه النملة وهي تمشي على بعد الف ذراع ؟

ان لهذه النملة صوتا . فهل يسمع باذنه صوتها ؟ ان في كأس الماء الذي يبدو للعين عذبا صافيا ، آلاف الآلاف من الحيوانات الصغيرة . فهل يراها ؟

وهل يحق له ، ان ينكر وجودها لأنه لا يراها ؟

هل يحق له أن يجحد الموجات الصوتية ، لأنه لم يسمعها ؟

فالقاعدة الأولى :

هي انه : **لا يحق لنا ان ننكر وجود اشياء لمجرد اننا لا ندركها بحواسنا .**

وهذا ما عبر عنه علماؤنا بقولهم : لا يشترط من عدم الوجدان عدم الوجود (١) . وهذه القاعدة ، نرد بها اعتراض الماديين ، على الايمان بالمغيبات ، يقول احدهم : انا لا اصدق بوجود الملائكة ولا الجن ، لأني لا اراهم ولا احس بهم ، فنقول له :

كيف صدقت بوجود الموجات الصوتية في جو الغرفة ، ولم تكن (قبل الراد) تسمعها ، ولا تدرك وجودها ، ونفيت امكان وجود الملائكة ، لمجرد انك لا تراهم ولا تحس بهم ؟

القاعدة الثانية :

ان الله أعطانا قوة نصل بها الى حيث لا تصل الحواس . وهي قوة (الخيال) ان غابت عني داري في دمشق وانا في مكة ، تخيلتها فاذا هي امامي ، أرى بيوتها ومرافقها ، وان نأى عني صديقي تخيلته فرأيته . .

. . أفلا يتمم الخيال نقص الحواس ؟ وما مدى الخيال البشري ؟

الخيال بنوعيه ، هذا (الخيال المرجع) الذي اشرت اليه ، و (الخيال المبدع) خيال الشعراء والأدباء واخوانهم من اهل الفنون ، كله مقيد بالحس .

ان أقصى ما يعمله رجل الفن ، مهما كان عبقريا ، أن يؤلف صورة جديدة من الأجزاء القديمة . . فالذي نحت تمثال (فينوس) لم يأت به من العدم ، ولا مما وراء المادة ، بل نظر الى اجمل عين ، وأجمل وجه ، وأجمل جسم ، فألف بينها ، فجعل منها تمثال امرأة ، لم يجدها كاملة ، ولكن وجد أوصالها فجمعها .

والقزويني في (عجائب المخلوقات) (٢) ، تصور او زعم بانه رأى : حيوانا جسمه كفسطاط الأمير ، وفمه كباب الدار ، واسنانه كأسنة الرماح .

---

(١) فعل (وجد) يتبدل معناه بتبدل مصدره ، فالوجود وجود الشيء بذاته ، والوجدان شعورك بوجوده ، والوجد العشق والموجدة الغضب ، وكلها يقال فيه (وجد) (يجد) .

(٢) أو غيره ، فقد شككت ، وضعفت الذاكرة ، وضاع مني المرجع .

وهو يطير في الجو ، ويخطف برجليه الفيل ، وهذه الصورة على غرابتها ، لم يزد فيها على أن اخذ جسد الفيل ، وفم الحوت ، وأسنان النمر ، وجناحى النسر ، فكبرها وركبها .

والمذهب الخيالى في القصة .. انظروا أغرب ما جاء به أهله من قصص (ولز) الى قصص الحياة على القمـــر ، وفى المريخ — وما جاء به المعرى فى رسالة الغفران ، و (دانت الايطالى) وابن شهيد الأندلسي تروه كله منتزعا من الحياة الأرضية ، حتى الذين كتبوا عن المريخ ، بل الذين تصوروا الحياة الآخرة لم يستطيعوا أن يخرجوا عن حياة الأرض التى عرفوها .

فالقاعدة الثانية هى ان الخيال لا يقدر ان يجاوز هذه الحياة المادية .

فنحن لا نستطيع أن نتخيل نغمة عطرة ، ولا رائحة حمراء ، ولا نتصور الا الأبعاد الثابتة (الطول والعرض والارتفاع) لا نستطيع أن نتصور بعدا رابعا (١) ، ولا دائرة ليس لها محيط ، ولا مثلثا ليس له زوايا .

فكيف (اذن) نتخيل الآخرة ، وما فيها ؟

ان ابن عباس يقول : (ما فى الدنيا مما فى الآخرة الا الأسماء) ، وهذا حق ، فلا خمر الآخرة كخمرة الدنيا ، ولا حورها كنسائها ، ولا نار جهنم كنارها ، ولا الصراط الممدود على جهنم كالجسور الممدودة على الأودية والأنهار .

ولكنها شيء آخر ، شيء لا يمكن ان نتصوره ولا أن نتخيله ، كما ان الجنين فى بطن أمه لو اعطى العقل والفهم ، وقيل له ، ان ها هنا شمسا وقمرا ، وبرا وبحرا ، وسهلا وجبلا ، لا يستطيع ان يتصور ذلك او يتخيله — ونسبة الآخرة الى الدنيا ، كنسبة الدنيا الى بطن الأم الذى فيه الجنين .

العقل :

لما ابصرت العين العود المستقيم ، منكسرا ، وهو فى كاس الماء ، لم ينخدع العقل بما رأت العين ، وعرف أنه لم يزل مستقيما ، ولما رأت التراب ماء ، فى الصحراء ، عرف أنه سراب ، وانه ليس ماء ولكنه تراب ..

فالعقل أصح حكما ، وحكمه أبعد مدى ، ولكن هل يحكم على كل شيء ، ويمتد مداه الى غير ما نهاية ؟

ان العقل لا يستطيع ان يحكم على شيء ، حتى يحصره بين اثنين : الزمان والمكان ، فيقول : متى ؟ وأين ؟ فما لم ينحصر بينهما ، لم يكن للعقل عليه سلطان .

فلو قال لك مدرس التاريخ ، ان حربا وقعت بين العرب والفرس ، ولكنها لم تقع قبل الاسلام ولا بعده ، ولم تقع فى زمن من الأزمان ، ولكنها وقعت فعلا ، لم تدرك ذلك ، ولم تصدقه ، ولم تقبله .

ولو قال لك مدرس الجغرافية ان مدينة ليست فى سهل ولا جبل ، ولا فى شرق ولا فى غرب ، ولا فى أرض ولا فى سماء ، ليست فى مكان ، ولكنها موجودة فعلا ، لم تدرك ذلك ، ولم تصدقه ولم تقبله .

ومعلوم بالضرورة أن الله عز وجل ، وصفاته وآلاءه ، لا تخضع للزمان ولا للمكان ، والله لا اول له ولا آخر ، ولا يشتمل عليه مكان — فالعقل لا يستطيع أن يحكم على الله ولا على صفاته ، ولا على قضائه وقدره — كل عمله فيها فهم نصوص الوحى ، الذى جاء من خارج العقل .

---

(١) أعنى بعدا حقيقيا ، لا بالمعنى الاعتبارى الذى جاء به آنشتاين .

والعقل محدود ، لا يستطيع أن يتصور غير المحدود ، ولا يحكم على غير المتناهي ، جرب أن تتصور حقيقة معنى الخلود فى الجنة ، أو فى النار تجد العقل يحكم بالبقاء فيها مليون سنة ، وعشرة ملايين ، وأضعاف ذلك ، ثم يقف ، ويقول : وبعد ؟ انه يريد أن يصل الى النهاية ، انه لا يتصور الخلود .

والله عز وجل ، غير محدود ،فالعقل لا يستطيع أن يحكم عليه .

وإذا بحث العقل فيما ندعوه (اللانهـــــاية) انتهى بحثه الى الوقوع فى التناقض الذى يحكم العقل ببطلانه . أى أن العقل عند بحثه فى غير المحدود يحكم على نفســه بالبطلان .

الفيلسوف الالماني (كانت) له كتاب اســـمه (نقد العقل) جاء فيه بأربع عشرة مسالة تثبت هذا ، وقد عجب منها الفلاسفة والعلماء ، ثم وجدت أن علماء الكلام فى ادلتهم على ابطال الدور والتسلسل قد سبقوه اليها .

ومن أدلة علمائنا ، أن تخرج من نقطة (م) مثلا خطين مســـــتقيمين متباعدين ، وتفترض امتدادهما الى (اللانهاية) . وتصل بينهما خطوطا مفترضة هى (ب جـ) ، (ب ا جـ ا) ، (ب ٢ جـ ٢) ، (ب ٣ جـ ٣) ، وهكذا حتى تصل الى اللانهايتين ، وتسأل هل الخـــط الأخير (ب ٨ جـ ٨) . محدود أم هو غير محدود ؟

اذا قلت انه محدود ، رد عليك انه بين لا نهايتين فكيف يكون محدودا ؟

وان قلت انه غير محدود ، رد عليك بأنه بين نقطتين ، فكيف يــكون غير محدود ؟ فهو محدود وغير محدود ، وهذا تناقض .

فثبت ان العقل يختل ميزانه ، ان حاول الحكم على غير المحدود ، ويقع فى التناقض المستحيل .

فالعقل اذن لا يستطيع ان يحكم ، ولا يصح حكمه الا فى الأمور المادية ، اما (ما وراء المادة) أى عالم الغيب (الميتافيزيك) فلا حكم للعقل عليه .

وهذا الذى اثبته (كانت) فى كتابه ، قال به علماؤنا من قبل ، انظر كتاب شرح المواقف للسيد ورسالة المقصد الأسنى للغزالى (١) .

القاعدة الرابعة :

هى أن الايمان بإله عقيدة بديهية ، لا تخلو منها نفس ، ولكن الانسان قد يكون صحيح الجسد ، مســـتوفى الأمن ، رخى العيش ، فيمر به وقت لا يحس بها ، وربما أنكرها ، فهو (كافر) بها ، أى مغط لها ، لأن الكافر فى اللغة هو الساتر ، فاذا هزته المصائب ، أو زلزلته الخطوب ، أو شـــارف اليأس ، القى عنها غطاؤها ، فظهرت وقد شرحت ذلك فى مقالتى فى عدد الشهر الماضى ، من مجلة (رابطة العالم الاسلامى) فلا أكرره هنا .

وهذه القواعد الأربع ، أساس للعقائد فيها الرد على جميع الشـــبه التى تعرض لعقول الملحدين وتظهر على السنة الخصوم .

---

(١) بقيت هذه الرسالة (المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحســنى) فى مكتبتى أكثر من ثلاثين سنة ، لم أجد دافعا الى قراءتها ، ثم أخذتها يوما فوجدت فيها شيئا عجيبا ، من عبقرية الغزالى ، فهو يتكلم عن الاسم والمسمى والصلة بينهما ، ويربط بين أســـماء الله وسلوك المسلم فى الحياة ، ويأتى بما لم يأت بمثله أحد .

الضمان لتطبيق الأحكام في الشريعة الإسلامية ودوام سريانها

للاستاذ محمد معروف
الاعظمية — بغداد

توضع الاحكام ، وتشرع القوانين لكي تسود وتنفذ مضامينها ، توسلا لتحقيق ما ابتغى لها من اهداف . لذا فاننا نرى انه لا يولد قانون إلا وضمان تطبيقه قد ولد معه ، وما شرعت شريعة الا وحفت بما يؤمن دوامها ، ويصون كيانها ، ويحقق سريانها ، باختلاف ظاهر بين الشرائع .

وانطلاقا من الفهم الصحيح للنفس البشرية ، والجبلة التى فطر عليها الانسان ، فانه لن يرضخ لكل ما يجب عليه أن يرضخ له ، ولا يطبق كل ما كان الواجب عليه أن يطبقه ، ولن ينتهى عن كل ما وجب عليه الانتهاء عنه .

ويقينا فان النفس البشرية لا تقدم على عمل ، أو تنتهى عن آخر ، الا اذا كانت ترتجى نوال منفعة ، او تنزجر بعقوبة ، ويعيينا البحث ان نحن فتشنا عن غير هذين الأمرين دائما وحافزا ، لاتيان عمل أو ترك آخر . لذا نجد العقوبات الرادعة في شتى القوانين لمن اقترف عملا خلافا لما جاءت به ، ويقابل ذلك ما نجده من امتيازات ومنافع وضعت لمن جاء بعمل طلب منه الاتيان به . فالقاتل يقتل ، والمهرب تصادر بضاعته ، والمخبر عن الأموال المهربة يكافأ ، والموظف المجد يجازى ، والمتقاعس يعاقب .. وهكذا .

ان هذا الطريق لضمان تنفيذ الأحكام والانصياع لها ، قد يكون مجديا فى بعض الأحيان ، الا انه غير مضمون فى أحايين أخرى ، لأن (الانسان حريص على ما منع) ، وقد يقترف العمل المحظور قانونا ، المحرم عرفا ، الممقوت عقلا ، حتى وان كانت عاقبته وخيمة وثمنه باهظا ، والواقع الملموس زاخر بالأدلة على صحة ما قلناه فى كثير من وقائعه وأحداثه .

هذا ويلاحظ ان الكثير من الشرائع والقوانين انعدم اثرها بزوال القوة أو الدولة التى تدعمها وتؤيد تطبيقها ، بل وقد يهجر العمل بحكم من الأحكام ، والدولة الراعية لتطبيقه لا تزال قائمة راغبة فى سيادته مصرة على دوامه وبقائه ، وهى تملك من الحول والطول ما يمكنها من ذلك .

اذن فما الطريق الأكثر امانا لتحقيق المقصود ، ونوال المطلوب ، فى ضمان سيادة الأحكام ؟.

ان ذلك لا يتم فى رأيى الا بخلق (دافع ذاتى) فى النفس ، وهو ما يسمى (بالوازع) ، يكون نابعا عن عقيدة معينة ، يبعد النفس عن مزالق الشر ، ويقربها الى مسالك الأمان ، ذلك الدافع الذاتى النابع عن الايمان يجعل من نفس المرء رقيبا على ذات نفسه ، ينتهى عن الفعل المنهى عنه — وان لم يخش عقابا — ويلتزم بالفعل المطلوب — وان لم يرج نوالا — ذلك لأنه آمن — عن تفكير وبصيرة — بوجوب اتيان هذا ، وضرورة الانتهاء عن ذاك وهو ما يسمى الآن (بوخز الضمير) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب (١) .

ولا آتى بجديد اذا قلت : ان الايمان بالنظم والقوانين المطبقة ، واعتقاد الأمة بصلاحها ، يسهل على الماسكين بناصية الأمور تنفيذها ، ولا يشق عليهم شىء من أجل ذلك ، ويخفف عن كاهل الدولة أعباء كثيرة : مادية وزمنية ، ويوصل الى المجتمع الصالح والغرض المرجو ، بيسر وسهولة بالغين ، ويتم جنى ثمرة تلك الأحكام بأقل جهد ، وعلى اكمل وجه ، وأوفى حال .

والشريعة الاسلامية .. كشريعة متكاملة ، أريد لها البقاء ، وطلب من معتنقيها التطبيق ، ولأحكامها السيادة والاحترام ، لم يفتها شىء مما ذكرنا فنجد أحكامها خالدة باقية ، راسخة فى النفوس متمكنة منها ، حتى وان فقدت القوة التى تدعمها — كأى قانون من القوانين — واذا كان عظم الأثر يدل على عظم المؤثر وقوته وفعاليته فى الوجود ، فان بقاء كثير من احكام هذه الشريعة ، رغم ابتعاد المؤثر ، ليدل دلالة واضحة على مدى فعاليته فى النفوس ، ومدى جدوى ضماناته التى استند عليها لدوام التطبيق والاستمرار فى السريان لآثاره .

فهذه الشريعة حين آمنت بان رجاء النفع ، وخوف المهانة والسوء : ضمان قوى للالتزام بكل حكم او امر ، فما ذلك الا دلالة على اصابتها حقيقة النفس البشرية فى تحليلها الموفق لها ، وما انطوت عليه ، ويظهر هذا الأمر واضحا جليا فى قوله تعالى :

« فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » (٢) .

ويقول جل وعلا : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حنبل ، عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهم انظر راموز الأحاديث لمؤلفه أحمد ضياء الدين الكمشخانوى والنقشبندى والخالدى المجددى ص (٢٠٤) الطبعة الثانية سنة ١٣٢٦ هـ مطبعة خلوصى بالاستانة .

(٢) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء .

المحسنين » (١) . فلا شيء غير الرغبة والرهبة ، والخوف والطمع من دافع في الوجود كله .

ومن شأن الفرد المسلم انه لا يقصر رجاءه من عمله على النفع الحاضر أو يخشى فقط العقاب العاجل ، بل انه دائما يرجو نفعا مؤجلا ، ويخشى عقابا مؤخرا ، فيطمع في نوال رضا الرب ، والفوز بالجنة وما يقربه منهما ، ويبتعد عن كل ما يغضب الاله ويقربه من النار .

والجنة والنار ورضا الاله وغضبه هما المحركان الدائبان ، والموجهان الصائبان لأفعال العباد ، ولا فائدة في عمل لا يرجى منه رضوان الله في نظر الشريعة الاسلامية .

وانطلاقا من هذه النقطة الحساسة فان الشريعة الاسلامية جعلت ضمانات تطبيق احكامها نوعين : —

أولهما : عقوبات مادية دنيوية آنية زاجرة ، شأنها في ذلك شأن القوانين الوضعية .

وثانيهما : ايمانها بالدافع الذاتي ، أو (الوازع) ضمانا للتطبيق ، وهذا هو مرتكزها ، وعليه غالب اعتمادها .

فمن أمثلة الضمانات التي من النوع الأول ، شتى العقوبات التي يوقعها ولي الأمر حسب التفصيل الوارد فيها كعقوبة السرقة ، وقطع الطريق ، والزنا — .. الخ ..

أما الضمان الثاني فهو ما أردناه من كل ما قدمنا به ، حيث توصلت الشريعة الاسلامية الى تحقيقه في نفوس معتنقيها بطريق سليم معقول مقبول ، بعد خلق مقوماته في النفس فهي تؤكد على أن العمل الحرام ما حرم الا لما احتواه من ضرر ، ومرتكبه — اضافة الى ضرره عليه — ستكون النار له يوم القيامة شر جزاء ، ولن يغنيه الافلات في الدنيا عن عقوبة الأخرى ، وان الفعل الواجب والمندوب ما وجب الا لمنفعتهم ، وليس لفاعله جزاء الا الجنة وفي تركهم له عقاب النار وغضب الاله .

ذلك لأن الله هو خالق هذا الكون ، وهو أعرف بمخلوقاته منها : « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٢) ، ولما كان هو الأعرف بهم ، كانت احكامه التي أرادها لهم لا بد هي الملائمة لحياتهم ، فاذا أرادوا لمجتمعهم الاستقرار ، وجب تطبيق ما يلائمه من احكام شرعت بما يوافق الطبيعة البشرية . ومن جهة أخرى فان الله هو الآمر المطاع في ملكوته ، فما أمر به وجب ، وما نهى عنه حرم ، والمخالف لذلك على كلا الحالين آثم ، يغضب الله عليه ، ويخرجه من رحمته .

ومن زاوية أخرى ، تؤكد الشريعة الاسلامية أن الحياة الدنيا ما هي الا وسيلة للآخرة وهي حياة زائلة ، سيعقبها الخلود الأكيد ، اما الى الجنة واما الى النار ، والعامل لسعادته يجب أن ينظر الى نهايته فيستعد لها ، بأن يجعل حياته وفق أوامر من سينزل الناس في الآخرة منازلهم حسب أفعالهم في الدنيا .

ومما تقدم تتضح أمامنا بوضوح مقومات الدافع الذاتي التي تؤكد عليها الشريعة الاسلامية ، لكي تغرزها في النفوس ، وتثبتها في الجنان ، فان هي توصلت الى اقرار ذلك وتثبيته في النفوس ، اقدم المرء على تنفيذ كل ما أمرت به وهو راض مطمئن ، مهما عسر أو صعب ، وانتهى عن كل قبيح مهما احتوى من لذة محرمة ، أو نفع مؤقت زائل .

فعلى سبيل المثال : الفرد المسلم يخرج من أمواله الآلاف ، يواسي بها

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الأعراف . وفي سورة السجدة الآية (١٦) يقول تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » ، وفي نفس المعنى وردت اللفظتين في سورة الروم الآية (٢٤) وفي سورة الرعد الآية (١٢) .

(٢) الآية (١٤) من سورة الملك .

الضعفاء ، لا لكي يتلقى مديحا ، أو يقبض نفعا عاجلا ، لأنه يدفعها ولا حاث له على ذلك الا وازعه المتمكن من نفسه .

ان الدافع الذاتى او الوازع الذى تحرص الشريعة الاسلامية على خلقه فى كل نفس مؤمنة ، لا تسميه هذه الشريعة بهذا الاسم ، كما وانه لا يتحقق لدى كل امرىء بنفس الدرجة والقوة ، لذا كان الاصلاح الذى يمكن ان يقابل هذا المعنى فى الشريعة الاسلامية تختلف تسميته تبعا لدرجة قوته فى النفس البشرية ، وكل درجة منه تجعل المرء اما ممتنعا عن نوع معين من الأمور التى نهى عنها ، أو ممتثلا لنوع معين من الأوامر المطلوب منه تنفيذها .

نبدأ بأول منزلة وهى منزلة الانسان (الكافر) وهو الذى يجحد ما جاءت به الشريعة الاسلامية ، ولا يعترف بوجودها . والدافع الذاتى عند هذا النوع من البشر — بالنسبة لأحكام الشريعة الاسلامية — مفقود تماما ، فقد يأتى من الأفعال ما نهت عنه وقد يترك التى أمرت به . نعم قد يوافق فعل الكافر حكم الشرع ، لا عن اعتقاد به ، وانما لمجرد الاعتقاد بصلاحه ، وهذا العمل المنفصل عن العقيدة لا يؤبه به ، لأنه لا يخرجه عن كفره ، وذلك لأن الأعمال بالنيات، كما أن التزامه بجانب واحد ولو عرضا سوف لا يمنعه عن التفريط بالجوانب الأخرى عملا واعتقادا .

اما النوع الآخر من بنى الانسان فهو (المؤمن) أو (المسلم) (١) ، وان مجرد الايمان يشكل حرزا أو مناعة لدى الانسان يعصمه عن الكفر ، ويخرجه من نطاقه ، وهذا الايمان يشكل دافعا ذاتيا للالتزام بالفكرة الاسلامية عموما ، والتمسك بأصولها الاعتقادية ، (والمسماة بأصول الدين) فالمؤمن أو المسلم مهما بلغ من تحلل فى أعماله لا يرضى الكفر بالله ورسوله وكتابه ، وما جاءت به الشريعة من أصول فى الدين ، ونرى أشد الناس فسقا يثور اذا انتقصت عقيدته ، لأن ايمانه يعصمه عن الكفر .

وقد يعمل هذا المؤمن أو المسلم عملا محرما ، أو يترك واجبا ويسمى بالفاسق لخروجه أحيانا على الشريعة الا أن ذلك لا يخرجه عن حظيرة الاسلام ، وتأتى مرتبة التقوى والورع والاحسان وهو : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . ولعل الصائم فى رمضان اشد الناس شعورا بهذا الأمر .

وكلما تركز الايمان فى النفوس كلما كان الدافع الذاتى أكثر فعالية ، وأشد قوة وتمركزا ، بحيث لا يكتفى المرء بكف نفسه عن المحرمات ، وتطبيق الواجبات ، بل يتقى الشبهات ، وهى الأمور التى منزلتها بين المحرمات والمباحات ولم ينص على تحريمها ، ويدفعه الى المواظبة حتى على المندوبات ، وذلك غاية الايمان ، وذروته ، والتسامى فيه حتى سنامه وعلياء هامته .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى المشتبهات وقع فى المحرمات ،

---

(١) قد يفرق بين المؤمن والمسلم . والذين يميزون بينهما يستندون الى قوله تعالى « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم .. » الآية ١٤ من الحجرات . ويعرفون الايمان بأنه : الاعتقاد بالجنان والتصديق باللسان بكل ما علم مجيئه من عند الله تعالى ، أما الاسلام فهو : أن تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (راجع الدرر المباحة فى الحظر والاباحة لخليل بن عبد القادر الشيبانى مطبعة الاعتدال — دمشق سنة ١٩٤٧ ص ١٤٧)

كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .. » (١) ، وترك ما يريب الى ما لا يريب أمر مطلوب فى الشرع ، روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلفت عليك الأشياء ، وكثرت الأحاديث فان الهدى ان تدع ما يريبك الى ما لا يريبك » (٢) ولا يصل هذه المنزلة الا من كانت صفته على ما ذكرنا . ويقول الشيخ أبو عبد الله محمد الشيبانى فى منظومته :

وايماننا قول وفصل ونية
ويزداد بالتقوى وينقص بالردى(٣)

ويشكل (الزهد) وهو فراغ القلب من الدنيا مع عدم فراغ اليد منها ، يشكل دافعا قويا لتطبيق الاحكام ، ولا سيما فى الأمور التى لها كبير اتصال بأمور المال ، فالزاهد لا يطمع ، ولا يحتكر ، ولا يكنز المال ، ولا يدخر الا ما يسد رمقه .

ان الأمور المتقدمة اذا اجتمعت فى النفس كان حصيلتها الانسان الكامل الذى تصبو اليه الفلسفات قديمها ومحدثها ، والشرائع آبدها وباديها ، والحضارات تالدها وطريفها ان الشريعة الاسلامية وان كانت قد ميزت بين المسلم الفاسق والمسلم التقى الكامل وما الى ذلك ، الا أن هذا لا يعنى ارادتها من اتباعها الالتزام بجزء من احكامها وترك قسم آخر ، أو تقرهم عليه أن هم فعلوه ، بل أن القرآن الكريم يعنف أمثال هؤلاء بقوله : « .. أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب » (٤) .

ولما كان الناس غير مستوين فى أعمالهم ، بل يستحيل تساويهم ، فلا ينبغى أن تتساوى منازلهم ، والأحكام التى تخص كلا منهم ، وهذا ما لا نجده فى أية شريعة أخرى ، ولعلنا نعود الى هذا الموضوع بتفصيل أكثر ان شاء الله تعالى . لذلك فان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » (٥) فيه دلالة على أن الأحكام الاسلامية متكاملة ، والتمسك بها جميعا دون تمييز أمر مطلوب .

وللتدليل على قوة الدافع الذاتى وأثره فى النفوس يمكننا أن نجد فى الجيل الأول من المسلمين ، وهم صحابة رسول الله والصفوة الممتازة من هذه الأمة ، ما يشفى الغليل ، ويقيم لنا أوضح برهان ودليل ، حيث تمكنت الشريعة الاسلامية من تكوين أشخاص كان الدافع الذاتى ، والوازع الدينى قد بلغ منهم اقصى غاياته .

فهذه الغامدية ، تأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما تناهى اليها تحريم هذا الدين للزنا ، وتقر على نفسها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها قد خالفت أمر الله ، فيردها الرسول لكى تراجع نفسها ، وتتفكر فى مغبة ما اقترت به على نفسها ، فتعود اليه ثانية وثالثة ، حتى عادت اليه فى المرة الرابعة ، فكان اقرارها على نفسها أربعة اقرارات مختلفة فى أربعة

---

(١) راجع هامش رقم (١) . (٢) رواه الديلمى ، راجع الكمشخانوى ص (٢٥) المرجع السابق .

(٣) راجع منظومة الشيبانى فى العقائد الاسلامية على المذهب الشافعى وشرح أبو البقاء الأحمدى عليها المسمى (المعتقد الايمانى شرح منظومة الشيبانى) ص ١٧ مطبعة شفيق سنة ١٣٨١ هـ — بغداد) .

(٤) الآية (٨٥) من سورة البقرة .

(٥) رواه ابن أبى حاتم والطبرانى فى الكبير وابن مردوية عن ابن عباس رضى الله عنه .

مجالس مما يقوم مقام شهادات الشهود ، فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا من اقامة الحد عليها ، وهو الرجم حتى الموت ، لأنها كانت محصنة أى متزوجة ، فتتقبل العقوبة عن طيب نفس واطمئنان خاطر ، وكان بامكانها دفعها بالسكوت ، ولكنها العقيدة ورسوخها فى النفس ، تحمل ما يعجز عنه كل بشر .

وهذا سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه تأتيه تجارة فى عير له قادمة من الشام ، فى وقت اشتد فيه الغلاء ، وشحت الأرزاق ، وعظمت الحاجة الى الأقوات ، والناس فى ضيق شديد . فما ان وصلت العير حتى أتاه تجار اليهود ، فأعطوه مثل قيمتها ثمنا لها ، فقال أعطيت أزيد من هذا ، فأعطى مثلاها ، فرفض ، وهم يزيدون وهو لا يحيد عن جوابه ، فما كان منهم الا أن قالوا : يا ابن عفان ، ما نعلم أن هناك فى المدينة من تاجر غيرنا ، فمن الذى أعطاك أكثر مما أعطيناك ، فيجيبهم : ان ربى أعطانى بالحسنة عشر أمثالها (١) ، الا فاشهدوا انى قد تصدقت بهذه العير على فقراء أهل المدينة .

وفى موقعة بدر الكبرى يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ آراء الناس فى مقاتلة أهل الشرك ، فيقوم اليه المقداد ابن الأسود رضى الله عنه فيقول : « يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . (٢) . وحين يشتد القتال ، وتحتدم الحرب يقوم النبى صلى الله عليه وسلم محرضا مشجعا فيقول (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة : فيقوم عمير بن الحمام رضى الله عنه وبيده تمرات يأكلها فيقول : « بخ بخ ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل » (٣) .

وأخيرا ان النظم التى سادت ، والتى لا تزال سائدة ، يعيبها ، بل ان أكبر عامل فى زوالها ، انها لم تتوصل الى تحقيق الدافع الذاتى ، أو الوازع النفسى ، وانما اكتفت بفرض احكامها فرضا ، وحفتها بالقوة لأجل التطبيق ، لذا كان التهرب من احكامها ظاهرا وبشتى السبل ، ومهما تفننت الدول فى مراقبة من تطبق عليهم الأحكام ، ومهما فرضت على المخالفين من عقوبات ، فان الناس تفننوا فى التهرب من قبضتها وأكثروا من مخالفتها والخروج على احكامها .

فى حين أن المسلم الذى نال من هذه الخصلة ايسرها ، وبلغ من هذه المرتبة ادناها ، يطبق من الأمور اصعبها واشدها ، من غير رقيب أو حسيب الا رقابة الله ، فيمتنع عن الأكل والشرب فى رمضان ولا حائل بينه وبين الطعام الا الايمان ويخرج من امواله الآلاف من غير اكراه ليوزعها على الفقراء . فى حين أن أشد المتمسكين بالقوانين يتهرب من دفع (الضريبة) وان كانت أقل بقليل مما يخرجه الفرد المسلم .

وما أصدق الشاعر حين يقول :

لا تنتهى الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

---

(١) يشير الى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) (الآية ١٦١ من سورة الأنعام)

(٢) نور اليقين ، سيرة سيد المرسلين للخضرى ص ١١٥ الطبعة الثالثة عشرة .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

من النعمان بن بشير رضي الله عنهم انظر راموز الأحاديث لمؤلفه احمد ضياء الدين الكمشخانوي

الإسلام بين العقل والقلب أو الاقتناع والحب

الدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى
المدرس بكليتى الشريعة والآداب
جامعة دمشق

القلب قوة مهملة في حياتنا

خلق الله الانسان ، وجهزه بحقيقتين عظيمتين ، هما : العقل والقلب ، وأقام كلا منهما على وظيفة لا يتأتى أن يقوم بها غيره ، ولا يصلح من دون تحقيقها شيء من أمر الدنيا أو الآخرة .

أما العقل ، فوظيفته أن يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها ، وأن يستدل بظواهر الامور على ما وراءها ، وأن يتوصل من وراء ذلك الى معرفة الله عز وجل ، والى الايمان بوحدانيته وربوبيته المطلقة .

وأما القلب ، فوظيفته أن يسير من وراء هدى العقل ، فيحب الخير الذى أثبت العقل أنه خير ، ويكره الشر الذى أثبت العقل أنه شر ، ويجعل ملاك ذلك كله فى محبة الله عز وجل ومحبة رسوله .

ولا بد لعمارة الكون وتحقيق النظام فيه ، من عمل كل من هذين الجهازين ، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس وأهواؤها ، بخفقات القلب وعواطفه ، ولتلاقى السفل والعلو على ايقاد شر مستطير من شأنه أن يفسد كل شيء : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ..)

ولولا القلب ، لما وجد الخير الا فى دنيا الوهم والخيال ، ولظل بنيان الفضائل والمثل العليا مجرد رسوم وخطوط على الورق ، أو كلمات وجمل حلوة على الشفاه ..

فالعقل اذا هو القدرة الكاشفة والمخططة ، والقلب هو القوة الدافعة والمحركة . ولا بد فى كل عمل أو بناء من التخطيط المنظم له أولا ، ثم الاداة المنفذة له ثانيا .

وبسبب أن الاســـلام هو جامع الفضائل كلها ، فقد كان لا بد لتحقيقه من الاعتماد على كلا هذين الجهازين العظيمين . فمن اجل ذلك جاء الاسلام يخاطب العقل والقلب معا : يخاطب العقل ليدرك ويتدبر - ويخاطب القلب ليحب ويتأثر .
وانك لتجد آيات الكتاب المبين تتجه الى تحريك نياط القلب فى الوقت الذى تتجه فيه الى ايقاظ مدارك العقل ؛ وذلك لينهض كل بعمله ، وليسهم كل منهما فى تحقيق انسانية الانسان ، ثم فى اقامته على صعيد من العبودية التامة لله عز وجل .

وانك لتجد ذلك ايضا فى احاديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم . فقد كان يأبى عليه الصلاة والســـــلام دائما الا ان يقرن الايمان العقلى بالمحبة القلبية . ألم تسمعه يقول فى الحديث المتفق عليه : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب اليه من ماله وولده والناس اجمعين) .
وفى الحديث الآخر المتفق عليه ايضا : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الأيمان : أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما - وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وان يكره ان يعود فى الكفر ، بعد ان انقذه الله منه - كما يـــكره أن يقذف فى النار) .

ثم انك تجد هذا المعنى ايضا متمثلا فيما اتفق عليـــه جمهور علمـــاء المسلمين من أن الايمان يزيد وينقص ، وأن المســـلم مطالب بالعمل على تقوية ايمانه وزيادته .
وبدهى أن مجال هذه الزيادة لا يمكن أن يكون العقل - ذلك لأن العقل اذا ارتقى فى ادراك الشىء الى درجة التصديق والاذعان ، فقد وصل الى النهاية التى لا يمكن أن يتجاوزها ؛ اذ الادراك للشىء لا يعدو أن يـــكون تصـــــورا أو تصديقا ، والتصديق نهاية عقلية عليا لا تقبل التفاوت والتشكيك ، لا جرم اذا ان التصديق العقلى غير قابل لأى زيادة أو نقصان .

ولكن مجال هذه الزيادة انما هو القلب .. ففى القلب سلم من العواطف لا تـــكاد تتناهى درجاته ، وفيه وقود هائل من الاشـــواق العارمة لا يقوى على وصفه اى قلم أو بيان . ففى هذه البوتقة ينضج الايمان ويترعرع ، وفيه تتوالد معجزات الايمان التى طالما سمعنا بها قديما وأجدبت منها حياتنا حديثا .
وانظر الى البيان الالهى ، كيف يصور هذا المجال القلبى لتقوية الايمان وزيادته ، تأمل فى قوله تعالى : (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) وانت خبير ان كلمتى : حبب وزين انما يعرفها قاموس القلوب ، فهما يأتيان من وراء يقين العقل واذعانه .

ثم ان هذه المحبة ليس معناها الحقيقى الاتباع والسلوك العملى ، كما قد يتصور بعض الناس ، بل هى مســــتعملة فى معناها الحقيقى نفسه ، وليس الاتباع الا اثرا من آثارها .

وكيف تكون محبة الله ورسوله هى الاتباع العملى ؟ انما الاتباع نفسه يحتاج من وراء اليقين العقلى الى محبة قلبية دافعة ؟ .. ومن البداهة بمكان أن شيئا من صور التضحيات الرائعة التى قدمها الصحابة بالنفس أو المال لم يكن هو المحبة نفســها ، وانما كان اثرا من آثار المحبة العـارمة التى فاضت بها قلوبهم ، والا لكان مجرد التصديق بشىء ما هو وحده سر التضحية فى سبيله ، واذا لكان من اللازم العقلى أن يتساوى المسلمون كلهم فى صفة البذل والتضحية

والفداء . ومن الذى يقول هذا ؟ . . ومن الذى زعم أن المسائل العقلانية (١) وحدها من شأنها أن تؤثر فى العواطف والقلوب ؟ وهل سمع احد من الناس ان رجلا ضحى بحياته ايمانا منه بقاعدة رياضية أو مسألة من مسائل الجبر ؟ . .

ولعمرى كم كان جان جاك روسو على حق يوم اخذ يسخر ممن يظن أن الايمان المجرد بالفضيلة يعتبر انتصارا لها وتحقيقا لمبادئها . فنراه يقول : (كم قيل وأعيد القول عن الرغبة فى اقامة الفضيلة على العقل وحده ، ويا له من أساس متين . . أى أساس هذا ؟ !! . . ان الفضيلة كما يقولون هى النظام ، ولكن هل يستطيع الايمان بالنظام أن يتغلب على مسرتى الخاصة ؟ ان هذا المبدا المزعوم ليس الا لعبا بالالفاظ ، فالرذيلة هى حب النظام بشكل مختلف) .

وانظر ، فلقد ادركت أمريكا يوما ما ، ما فى الخمر من الاضرار الجسيمة المختلفة ، وآمنت بذلك ايمانا عقلانيا قائما على مختلف الادلة التجريبية والعلمية القاطعة . واقدمت الحكومة الامريكية بناء على ذلك على اصدار قانون بتحريم الخمر . . ولكن ما الذى تم بعد ذلك ؟ . لم تمض فترة حتى أخذت رؤوس أولئك المقننين أنفسهم تتمايل من الم الحرمان . . ثم ما هو الا أن عادوا فنكصوا على أعقابهم ، فمزقوا القانون الذى كانوا قد أصدروه ، وراحوا يعكفون على أقداحهم يترعونها من جديد . . أما فى المدينة المنورة ، وقبل اربعة عشر قرنا ، حيث جماعة من الأميين قامت حياتهم منذ امد طويل على الخمر والشمس والماء والهواء ، يقتاتون دنان الخمر كما يقتات الناس زكائب الحنطة ، فقد وقعت المعجزة هناك بسر آية واحدة لم تزد على بضع كلمات .

ما كاد أولئك المؤمنون يسمعونها ، ويسمعون قول ربهم جل جلاله فى ختامها : (فهل أنتم منتهون) ؟ حتى أريقت الدنان ، وحطمت الأقداح ، وتعالت الصيحات : انتهينا يا رب ، وفى ساعة واحدة تحولت الخمر من عنصر من عناصر الحياة كانت ضرورتها من ضرورة الشمس والماء والهواء الى رجس مستقذرة شنيع وفى ساعة واحدة . . نسخت عادة متمكنة أصيلة كأن لم تكن بالأمس وكأن لم تكن لها جذور بعيدة راسخة . .

فما الفرق بين أمريكا التى آمنت عن تجربة ودراية وعلم ، وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استقبلوا الامر تلقيا وآمنوا به غيبا ؟ . .

هنالك ، يقين فكرى اعزل ، لا تشايعه النفس ، ولا يؤيده الهوى ، وهنا شيء وقر فى القلب بعد أن استقر فى الفكر . والقلب — كما تعلم — سيد هذا الكيان الانسانى كله ، يقوده كما يحب ، وفى السبيل التى يريد .

ثم ان القلب كالمرآة ، لا يمكن ان يخلو من صورة تظهر على صفحتها . . فاما أن تثبت فيه صورة من عكر الدنيا وأهوائها ، واما أن يشرق بالمحبة الالهية الصادقة . واذا فاض القلب بعكر الشهوات والاهواء ، فهيهات أن يصبح الاعتقاد وحده حاملا لصاحبه على أى عمل من أعمال التضحية أو الفداء .

---

(١) لعل البعض يقول : ان هذه النسبة الى العقل غير صحيحة فى اللغة ، والنسبة الصحيحة : عقلى . ولكنى لا أجد أن غير كلمة (عقلانى) تدل فى هذا الباب على المعنى الذى اريد ، فلتشفع للكلمة دلالتها ووهجها . .

ولعلك تسالنى الآن : فما هو السبيل الى غرس المحبة الالهية فى القلب وتزكيتها حتى يزداد بذلك الايمـــان ، وتتوفر مقـومات التضـــحية والبذل والجهاد ؟

والجواب يا اخى المسلم ، ان لك الى ذلك سبلا كثيرة .

فمن اهم هذه الســـبل ان تخلو الى نفسك بين كل فترة واخرى مدة من الزمن ، تتأمل فيها نفسك وحقيقتها ومنشأها ، ومدى حاجتها الى عنـــاية الله وتوفيقه ، فى كل لحظة من لحظات الحياة ، وفى الناس ، ومدى ضعفهم أمام الخالق عز وجل ، وفى عدم أى فائدة من وراء مدحهم أو قدحهم ، ثم تتفكر فى مدى عظمة الخـــالق جل جلاله ، وفى مظـــاهر آلائه ونعمه المختلفة التى لا تحصى ، وكيف اسبغ عليك رداء ستره ، فحجز عن الناس عيوبك ، وابقاها سرا بينك وبينه ، ثم اشـــاع فيهم مناقبك وفضائلك . ثم ان تتبع ذلك بالاكثار من ذكره ، وتسبيحه بالقلب واللسان ، والاكثار من تلاوة القرآن .

ومن اهم هذه السبل ايضا أن تكثر من التأمل فى سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ..

واخلاقه ، وطريقة حياته ، ومعاملته للناس ، فان ذلك كله جزء من مظهر نبوته عليه الصلاة والسلام ، ومن شأن التأمل فى ذلك تقوية الايمان وترسيخه فى القلب ..

ثم ان القلب من شأنه أن يخفق بحب الفضـــائل ، والمثل العليا ، ومهما بحثت ، فانك لن تجد الفضيلة والمثل العليا والرقة والجمال النفسي والخلقى مجتمعة كلها فى كيان واحد ، الا كيان حبيب الخالق العظيم محمد عليه الصلاة والسلام . فلا غرو أن يكون مهوى أفئدة المفـــكرين والمتأملين ، وقدوة جميع العقلاء المنصفين .

ومن اهم هذه السبل أيضا ، الاكثار من العبادات عامة والصلوات خاصة ، والاستقامة عليها فى خشية وحضور ، فذلك هذا الغذاء الذى يبقى على العقيدة وينميها ، ويقوى جذورها فى النفس والقلب .

ولا والله لن تتساقط الآفات المختلفة التى تعلق بالنفس ، ولن يحيا القلب بنور المحبة والعرفان ، الا بعد أن يزداد التعبد والتبتل فى حياة المسلم ، حتى يمتد أثرهما الى النفس والقلب فيهزهما هزا ، ويدفعهما جيئة وذهابا ، بين طرفى الخوف والرجاء ، فمنذ ذلك تتساقط تلك الآفات العالقة بالنفس ، وتتبدد تلك الغواشى المكرة الممتدة على صفحة القلب .

فاذا سار المسلم فى هذا السبيل ، وتهيأ له القيام بهذه المهام ، نبتت له من ذلك فى قلبه محبة الهية عارمة ، تجعله لا يخشى اى عظيم ، ويحتقر كل مغرية من المغريات ، ويستهين بكل ايذاء وعذاب ، ويســـتعلى فوق كل اذلال أو استهزاء . ولعمرى تلك هى العدة الكبرى التى جهز الله بها حبيبه محمدا عليه الصلاة والسلام ، للقيام بأعباء الدعوة الاسلامية ، وهى العدة التى ينبغى أن يتسلح بها من بعده كل مسلم .

مكمن الداء فى حياتنا

أريد أن أضع يدك يا قارئى الكريم بعد هذا الذى ذكرت ، على مكمن الداء العضال فى حياتنا الاسلامية اليوم .

ان داءنا المستحكم العضال ، هو اننا مسلمون بالفكر والعقل فقط ، لا بالحب والقلب ايضا ، اى اننا نمارس اسلاما عقلانيا مجردا ، بعيدا عن جواذب القلب ومؤثراته .

ومثل هذا النوع من الحياة الاسلامية قد يثمر ثروة فكرية عظيمة ، أو مكتبة اسلامية واسعة ولكنه لن يثمر ابدا السعادة الاسلامية المنشودة .

ان اقل تجسيد لهذه الحقيقة التى اقولها ، انك قد تلتقى مثلا بجماعة من المسلمين لهم مركز الصدارة فى الفكر والقيادة الاسلامية فى المكان الذى يوجدون فيه ، ويبدأ الحديث بينهم عن الاسلام ، وكيفية الدعوة اليه والنهوض به ، وواجب المسلمين فى هذا العصر ، ويخوضون فى هذا الحديث فى نشاط ولذة وحماس ، ويتعالى صوت مؤذن على مقربة منهم يؤذن للصلاة ، والحديث لا يزال موصولا !! وينتهى صوت الآذان ، ويذوب فى ضوضاء الحديث وصخبه !! ..

ويمتد وقت طويل بعد ذلك ، والقوم مشغولون عن الاستجابة للأذان ، والقيام الى الصلاة ، بالحديث عن الاسلام والاهتمام بشأنه .. ويوشك وقت الصلاة أن يخرج وهنا ربما يقترح احدهم استراحة دقائق ليقوموا الى الصلاة .. وتبدأ صلاة سريعة ، قد لا تزيد على ركعات الفرض وحده ، وتتأمل فى مظهر صلاتهم ، فلا تشك أن كل واحد منهم منصرف بتفكيره الى الحديث الذى قاموا لتوهم عنه !!

وما هو الا أن يسلموا يمنة ويسرة ، حتى يلتفتوا الى بعضهم البعض مرة اخرى ، وقد تذكر هذا فى الصلاة ما كان قد نسيه اثناء الحديث ، وقام فى ذهن الآخر اشكال تصوره عند قراءة الفاتحة .. ويعود الحديث بينهم عن الاسلام ومشاكله ، وما يتعلق به ، وقد نسوا أن من وراء الصلاة التى فرغوا منها تسبيحا وذكرا ودعاء ، وان لها تتمة من الرواتب والنوافل ، وان كل هذا الذى يخوضون فيه من الحديث انما هو وسيلة الى هذه الغاية العظيمة !

وهكذا دواليك .. وقس على هذه الصورة غيرها من أشباهها .

غير أن الذى هو أهم من هذه الصورة نفسها ، ان الكثيرين من المسلمين اليوم يدأبون عنها ، ويتفلسفون فى الدعوة اليها ، ويقتنعون ويقنعون أن الاسلام ليس الا هذا المظهر الحركى الذى ينطبع شكله فى البحوث الفكرية ، والمناقشات النظرية ، والتنظيمات الشكلية ، ويظلون يقللون من أهمية العبادة ، والتبتل والأذكار ، ويوهمون انها بضاعة العامة والجهال الذين لا شغل لديهم يملؤون به فراغ وقتهم .

وانى لأذكر حفلا حاشدا فى احدى بلادنا العربية ، كنت أحد الحاضرين فيه ، وأذكر أن أحد المفكرين من العلماء الفضلاء قام فى ذلك الحفل ، فكان مما قال : ان مشكلة كثير من المسلمين اليوم انهم يحسبون أن الاسلام هو أن يكثر الانسان من الصلاة .. أو أن يكثر من التعبد .. مع أن الاسلام هو العمل والبناء .

ولقد أخذت التفت اذ ذاك بهدوء عن يمينى ويسارى أنظر فى وجوه الحاضرين ، ثم رحت أتأمل فى نفسى طبيعة أهل تلك المدينة كلها ، فما هدتنى عيناى ولا أرشدنى خاطرى الى أن ثمة أقواما انقطعوا عن الحياة الدنيا فى كهوف قاصية للعبادة والصلاة .. وتأملت ، فوجدت أن أعظم متعبد فيهم هو ذاك الذى يحافظ على فرضه يؤديه جماعة فى وقته ، وقد يتبعه بركعات خفيفة من نوافله المتممة .. فما وجه الحاجة الى هذا الكلام وما الضرورة الداعية

الى التكريه بالصلاة أو الدعوة الى التخفيف من العبادات ، وما فى الحاضرين كلهم والبلدة بأسرها الا مقصر عن الحد الأدنى فى ذلك (١) ؟ ..

والعجيب أن ندعو بعد ذلك الى العمل .. والبناء .. والتضحية ..

فما الذى ينهض بالمسلمين الى القيام بذلك كله ، وهم مقيدون بأثقال واغلال من الشهوات والأهواء والمطامع الدنيوية المختلفة ؟ . ما الذى يحملنى على استدبار شهواتى وأهوائى ، وان قلبى ليخفق بحبها والتعلق بها ؟ .

ان الامر يحتاج ولا ريب الى مساعد ومعين ، فأين هو المساعد والمعين وما هو ؟

لقد اجاب البيان الالهى عن ذلك ، ووضع بين يدينا المساعد والمعين ، وذلك فى قوله جل جلاله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وطالما وضع البارى جل جلاله هذا الدواء المساعد بين يدى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كلما حزبه أمر ، أو اطبقت عليه شدة ، أو استيقظت فى نفسه بعض المشاعر البشرية ، تأمل مثلا قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ..) .

وأمعن النظر معى فى هذه الآيات الاخرى : (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا . واذكر اسم ربك بكرة واصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) .

ومعاذ الله أن يكون اسلافنا من المسلمين الذين شادوا صرح هذا الدين ببطولاتهم وجهادهم وتضحياتهم ، قد اقبلوا على ذلك الا بعد أن أزاحوا عن انفسهم أثقال الشهوات ، واغلال الاهواء ، بسلاح من العبادة والتبتل ، والوقوف على الاقدام بين يدى ربهم الساعات الطوال ، فى جنح الليل ، يسكبون دمعا ساخنا ويناجونه فى دعاء خاشع ، ويذكرونه بقلب واجف ..

ولا والله ، لن يستطيع مسلمو اليوم ، أن يسيروا وراء خطى اجدادهم بالأمس ، الا اذا غمرت اللوعة قلوبهم ، وتلظت الاشواق الالهية بين جوانحهم ، وملئوا اكوابهم بتلك الخمرة العلوية التى تنشلهم من قتام هذه الشهوات والاهواء ، وتعالوا بوجدانهم الى مستوى الحقيقة العليا .

الا أن لوعة الحب وحدها هى السوط السائق ، والتيار المحرك . والمحب هو وحده الذى يبذل الجهد شوقا الى المحبوب ، فيسهل بذلك عليه الصعب ، ويقرب له البعيد ، وتفنى لديه القوى ، وتذوب فيه الحياة ولا يرى أنه قد أوفى بعهد المحبة ، أو قام بواجب شكر النعمة .

ويوم يعمر هذا الحب قلوب المسلمين اليوم ، يتكامل البنيان كله ، ويتوفر العمل جميعه ، وتتجلى معجزات التضحية والبذل والجهاد ، وتتنزل معجزات النصر والعزة والتأييد

---

(١) لا أظن أن العالم المتحدث كان يرمى الى شيء مما اخذه عليه الكاتب ، وانما يرمى الى تصحيح فكرة خاطئة قاصرة عند كثير من المسلمين هى أنهم يجعلون الصلاة فقط مظهر التدين ناسين النواحى العملية السلوكية فى الحياة وهى التى يوجه اليها الاسلام عناية خاصة حتى جعل الصلاة والصيام وسيلة من الوسائل المؤدية اليها .. والمسلمون جميعا فى حاجة الى أن يفهموا تماما ان الاسلام عبادة ومعاملة وكل منهما لا بد منه لتكوين المسلم الصحيح . وكل أمر من أمور الاسلام له وضعه وله منزلته والصلاة طبعا فى المقدمة على الا يجعلها المسلم هى كل شيء فيتوفر عليها وينسى أو يهمل ما عداها مما عده الله ثمرة من ثمراتها « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

« الوعى »

الطريقة العلمية عند علماء المسلمين

الأستاذ قدري حافظ طوقان

ظهر من علماء المسلمين من دعا الى الدقة فى العمل ، واجراء التجارب ، والاحتياط فى الاستنتاج . ومن هؤلاء « جابر بن حيان » من أعلام علماء المسلمين الذين أسدوا أجل الخدمات الى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعا « جابر » الى الاهتمام بالتجربة ، وحث على اجرائها ، مع دقة الملاحظة ، كما دعا الى التأني وترك العجلة وقال : « .. ان واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل ، واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها .. » وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية الا يحاولوا عمل شيء مستحيل ، أو عديم النفع ، وعليهم أن يعرفوا السبب في اجراء العملية ، وأن يفهموا التعليمات جيداً (لأن لكل صنعة أساليبها الفنية) على حد قوله ، وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأنى باستنباط النتائج .

وكان لجابر هذا ، فضل كبير على من أتى بعده من كيميائى العرب والمسلمين ، حتى أن بعض العلماء اعتبر الكتابة غير دقيقة ان لم تسبقها تجارب .

وقال الجلدكى عن الطغرائى .. كان الطغرائى رجلا على جانب عظيم من الذكاء ، ولكنه لم يعمل الا قليلا من التجارب ، وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة ..) .

ومن علماء المسلمين الذين اشتهروا بالتدقيق ــ حين البحث في النبات ــ رشيد الدين بن الصورى . فقد كان يستصحب معه مصورا (حين البحث عن الحشائش فى منابتها) ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

دستور البحث العلمى

وننتقل الآن الى الدستور الذى وضعه بعض علماء المسلمين للبحث العلمى

والفلسفي ، كما ورد في رسائل « اخوان الصفا » . وقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع ، ويرى الباحثون أنه وليد المنطق الذي اقتبسه المسلمون عن اليونان ، ويدللون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيغورياس) . فلقد شرح الاستاذ « مظهر » في مقال ظهر له في كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية) أبواب دستور البحث العلمي ، ثم أعقب ذلك بشرح المقولات ، فثبت له « أن أسلوب البحث عند أسلافنا أصله يوناني ، أو بالحرى مستمد من أصل يوناني » ولا يخفى أنه ليس في هذا ما يغير أو ينقص من قدر المسلمين العلمي ، فالانسان دائما وأبدا يأخذ ما عمله غيره ، ويزيد عليه اذا استطاع . وزيادات المسلمين في هذا الميدان أساسية .

ومن الرسالة السابعة من رسائل اخوان الصفا التي تبحث في الصنائع العلمية ، يتبين أن المسلمين اتبعوا دستورا محكما في البحث العلمي ينحصر في تسعة أحكام وها هي كما يلي :

السؤال الاول : هل هو ؟ يبحث عن وجدان شيء أو عدمه ، والجواب : نعم أولا .

السؤال الثاني : ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : كم هو ؟ يبحث في مقدار الشيء .

السؤال الرابع : كيف هو ؟ يبحث عن صفة الشيء .

السؤال الخامس : أي شيء هو ؟ يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل .

السؤال السادس : أين هو ؟ يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته .

السؤال السابع : متى هو ؟ يبحث عن زمان كون الشيء .

السؤال الثامن : لم هو ؟ يبحث عن الشيء المعلوم .

السؤال التاسع : من هو ؟ يبحث عن التعريف للشيء .

وتدل هذه الاسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان يسير عليه بعض العلماء المسلمين في بحوثهم وكتاباتهم ، وهو يحصر اتجاهات العقل (.. ولكن لا يقر المتجه الذي ينبغي أن يتجه فيه العقل ازاء كل بحث بعينه ..) .

ولا يقف الامر عند هذه الحدود ، بل نجد انه وجد في المسلمين وبين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن ، والتي تميز هذه الحضارة عن التي سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتي :

هل وجد في المسلمين من سار على الطريقة العلمية وسلك في أصولها ؟

ما كنت اظن أن للمسلمين أثرا في كشف عناصرها ، والتمهيد الى أصولها ، حتى بحثت في مآثر المسلمين في الفيزياء ، واطلعت على كتاب (الحسن بن الهيثم) . بحوثه وكشوفه البصرية للأستاذ مصطفى نظيف .

ويشتمل هذا الكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة في كتاب المناظر لابن الهيثم ، وفي مقالات أخرى ، وبعد ان درسها الاستاذ مصطفى نظيف ، وفحصها ، وأعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له ان ابن الهيثم (.. قد توافرت فيه (مميزات التفكير العلمي الصحيح) ، وهي تدل على مدى نضج الفكر ، وعمق النظر في عصر ابن الهيثم على النحو الذي وردت في بحوثه في الضوء) .

وأرى قبل التدليل عليها ، أن ألفت النظر الى أن علماء المسلمين لم يتوسعوا في الطريقة ، ولم ينقلوها على النحو الذي توسع فيها واستغلها علماء أوروبا وأمريكا الآن ، كما أنهم لم يدركوا ما لهذا الاسلوب من شأن خطير ، كما أدركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القول أن كتاب (المناظر) لابن الهيثم يدل على

انه وجد فى المسلمين من سار فى بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجد بين علمائهم من سبق (بيكون Bacon) فى انشائها ، بل ومن زاد على طريقته التى لا تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة فى البحوث العلمية .

أما العناصر الاساسية فى طريقة البحث العلمى الحديث فهى : الاستقراء ، والقياس ، والاعتماد ، والمشاهدة ، أو التجربة والتمثيل .

ولقد أدرك (ابن الهيثم) الطريقة المثلى ، وقال بالاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، وضرورة الاعتماد على المواقع الموجودة على المنوال المتبع فى البحوث العلمية الحديثة .

ففى كتاب (المناظر) عند البحث مثلا فى كيفية الابصار ، واختلاف العلماء فيه يقول :

« ونبتدىء فى البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح احوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر فى حال الابصار ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس . ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والتدريب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل ، لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق الذى به مثلج الصدر ، ونصل بالتدرج واللطف الى الغاية التى عندها يقع اليقين ، وتظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وتنحسم به مواد الشبهات .. وما نحن مع ذلك براء مما هو فى طبيعة الانسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله نستمد العون فى جميع الامور » .

ومن أقواله هذه تتجلى لنا الخطة التى كان يسير عليها فى بحوثه ، وان غرضه فى جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) . وبعد ذلك نراه قد رسم الروح العلمية الصحيحة ، وبين أن الاسلوب العلمى هو فى الواقع مدرسة للخلق العالى ، فقواعده التجرد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء ، فيكون قد سبق علماء هذا العصر فى كونه لمس المعانى وراء البحث العلمى الحديث .

وكان يرى فى الطريق المؤدى الى الحق والحقيقة (ما يثلج الصدر) — على حد تعبيره — وهذا ما يراه باحثو هذا العصر من رواد الحقيقة العاملين على اظهار الحق . فان وصلوا الى ذلك فهذا غاية ما يبغون ويؤملون ..

يسبقه ويتفوق عليه

وابن الهيثم فى طريقته العلمية التى اتبعها فى بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (بيكون Bacon) فى طريقته الاستقرائية . وفوق ذلك سما عليه . وكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا . وهو وان لم يعن كما عنى (بيكون) بالبحث النظرى ، وبتأليف المؤلفات التى يعرض فيها الآراء النظرية فى طرق البحث ويلزم العلماء بها الزاما ، فحسبه أنه اتبع الطريقة الصحيحة فى بحوثه ، وجرى عليها عملا وفعلا . وان الامر جاء منه على بينة وروية ، وامعان فكر وحسن تقدير .

ويذهب الاستاذ مصطفى نظيف الى أكثر من هذا فيقول : « .. بل وأن ابن الهيثم قد عمق تفكيره الى ما هو أبعد غورا مما يظن أول وهلة ، فأدرك ما قال به من بعده (ماك) و (كارل بيرسون) ، وغيرهما من رجال العلم الحديث فى القرن العشرين . أدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية ، وأدرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث .

ويمكن القول — من نصوص أقوال ابن الهيثم — أن تفكيره اتجه الى الوجهة التي يتجه اليها التفكير العلمى الحديث « .. وانه ليس من المغالاة أيضا القول بأنه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة فى البحث العلمى ، وأدرك الاوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية .. »

وفعلا سلك ابن الهيثم فى بحوثه الطريقة الحديثة في البحث . وقد وصل بسلوكه الى الحقيقة التى ينشدها بالمعنى الذى رآه . وهذا يتجلى بأوضح بيان ، وابلغ صورة في الكتاب النفيس (الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية) تأليف الاستاذ مصطفى نظيف .

يعتمد على التجارب

ومن الحق أن أشير اشارة بسيطة الى موضوعات كتاب (المناظر) . فلقد استدل ابن الهيثم فى جميع بحوثه فى الضوء على القواعد والقوانين الاساسية بتجارب ، واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذى نعنيه الآن . وذهب الى ابعد من ذلك ، فلقد أدرك قيمة التجربة فى البحوث العلمية ، فهو لا يعتمد على التجربة فى اثبات النتائج التى تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين .

ومن مميزات ابن الهيثم انه كان يشرح الجهاز ، ويبين وظيفة أجزائه المختلفة ، واستعمل أجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعطاف ، وتدل تجاربه وحساباته على انه استطاع أن يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة (.. يدل عليها صنع الاجهزة واستعمالها فى الاغراض المختلفة ..)

وكذلك يمتاز كتاب (المناظر) بعناية (ابن الهيثم) بالقياس . فهو بعد أن يثبت المبادىء الاولية بالتجربة ، يتخذ تلك المبادىء قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التى تفضى اليها ، ويشرح على هذا النمط كثيرا من الظواهر الهامة فى الضوء .

ويتبين من بحوث الكتاب أيضا أن « ابن الهيثم » أدرك قيمة التمثيل فى البحوث العلمية ، ولهذا استعان به فى بعض المواضع ، وكان فيها موفقا ، وفى بعضها كان مبتكرا وملهما . والذى نستخلصه من مآثر « ابن الهيثم » ونتاجه الفكرى ، أنه سلك فى البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمى .

وقد خرج الاستاذ مصطفى نظيف من دراسته « بحوث ابن الهيثم فى الضوء » بالآتى : « .. ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات من تقدموه ، وبحوث من نقدوه ، فقد استفاد حتما طوعا او كرها ، ولكنه اعاد البحث عن كل هذه الامور من جديد ، ونظر فيها جميعا نظرا جديدا لم يسبقه اليه احد من قبله . واتجه فى هذا النظر وجهة جديدة لم يؤتها احد من المتقدمين ، واصلح الاخطاء ، واتم النقص ، وابتكر المستحدث من المباحث ، واضاف الجديد من الكشوف ، وسبق فى غير قليل من تلك الاجيال والعصور ، واستوفى البحث اجمالا وتفصيلا ، وسلك فى البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمى ، مع ما فى هذه الطرق من قصور ، ومع ما فيها من ميزات ، واستطاع ان يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الاجزاء ، على قدر ما كان يمكن ان ترتبط به اجزاؤها فى عصره ، وان وجدنا فيها عيبا او نقصا فتلك سنة الله فى المباحث العلمية . وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر فحسب ، بل هو ايضا اقام بها الاسس التى انبنى عليها صرح علم الضوء من بعده .. » .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

حديث ذو شجون :

مضى العيد ، وستأتي أعياد ، ويبقى الحديث عنها ذا شجون .

فقد بدت الامة العربية في احتفالها بالعيد كما بدت في الاعوام السابقة ، كأنه لا شيء يمر بها ، ولا أحزان تصيبها في كيانها ، وتلف كثيرا من اسرها !! وقد كانت أغاني العيد السارة ، واعلانات الصحف عن الاحتفالات بالعيد ، تصدم سمعي وبصري ، وتثير في نفسي كثيرا من الاسى واللوعة .. لا لانني أكره الفرح ومظاهره ، ولكن لأن ذلك كله غير مناسب لحالنا وواقعنا كأمة مصابة في عزتها .. وكأسر مصابة فوق ذلك بفقد أعزائها ، وفقد أمنها وأوطانها واستقرارها ، وقد كان الذي يثير في نفسي الاسى اكثر من هذا كله واشد ، أن أرى بعض الذين أصيبوا بفقد وطنهم ودورهم وتشريد أسرهم يقبلون على مظاهر العيد كأن لم يكن شيء .. وكأنهم فقدوا حاسة الألم لفقد ما فقدوه ، أو كأنهم يعيشون للقمة العيش التي توفرت لهم ، وليذهب كل شيء بعد ذلك الى الجحيم . وأقول بعض الذين أصيبوا لا كثرتهم .. وكنت أعزى نفسي بأن في كل شيء سقطا ، وفي الناس سقط كذلك ، وكما قيل : الناس معادن ..

وشيء آخر أثار شجوني ، فقد وجدت العيد يتمزق ، أو وجدت المسلمين يتمزقون فيه ، بعد ما قرت عيوننا بتجمعهم في بدء شهر الصوم ، وقد شغل الناس هذا التمزق أو هذا الاختلاف وأثار تعليقاتهم بشكل ملحوظ ، حتى لم يكن حديث للناس في يوم العيد الا هذا الحديث .. وفي كل مجلس تجد الاخذ والرد .

جماعة يقولون لقد اجتمعنا في بدء الصيام اخذا برؤية جهة من الجهات ، وقلنا ان المسلمين أمة واحدة ، ولذلك نعلن بدء شهر الصوم ، فلماذا لم تأخذ بذلك في انهاء شهر الصوم ؟

وآخرون يردون ويقولون : ولكن هل يصح علميا أن يكون رمضان ناقصا باستمرار لمدة خمس سنوات أو عشر مثلا ، فلا نصومه نحن وبعض البلاد

المجاورة لنا الا تسعة وعشرين يوما طوال هذه المدة ؟ وما صمناه كاملا أبدا فيهـا .؟

وهل يمكن الاعتماد على رأى من يتقدم للشهادة ، حتى ولو كان مؤدى شهادته لا تتفق مع العلم الموثوق به ؟ وحتى لو احاطت بهذه الشهادة بعض المغريات المادية التي قد تحمل بعض المجازفين على الادلاء بشهادته طمعـا فى هذه المغريات ؟

ويقومون من مجالسهم ، وينتهى حديثهم ، وفى صدر كل منهم اشياء .. وهذا هو ما يستدعى النظر فعلا ويوجب علينا تحديد هذه الامور . فانها تتصل بركن هام من اركان الاسلام ولا يصح دينا ولا عقلا أن يترك المسلمون فى أمر كهذا يتخبطون فيه هكذا .. ونقول : المسئولية على من أعلن ..

قد يكون من المقبول شرعا أن نختلف فى بدء الصيام ونهايته ، حسب اختلاف المطالع ، لأن هذا راى بعض الائمة الذين نجلهم ونقلدهم ، وان كنـا نفضل الاخذ بالراى الآخر . ولكن اذا اقترن هذا مثلا بظاهرة تثير الشك ، والاخذ والرد ، كظاهرة استمرار شهر رمضان وحده ناقصا لمثل هـذه المدة الطويلة ، فان الامر لا يصح تركه يفعل فى نفوس الناس ما يفعل من الريب والحيرة ، ومن التعليقات المرة ؟

وتبدأ مجلة « الوعى الاسلامى » من جانبهـا بتحمل واجبها ازاء هـذا الموضوع ، فتوجه الى علماء الفلك فى جميع البلاد الاسلامية هذا السؤال :

هل يمكن من وجهة نظر علم الفلك أن يجيء شهر من الشهور العربيـة ناقصا باستمرار لمدة تزيد عن خمس سنوات ؟

وسؤال آخر توجهه الى رجال الفقه والتشريع :
هل يمكن الاعتماد ــ ولاسيما فى نهاية شهر رمضان ــ على شـهادة رصدت لها بعض المغريات المالية ؟

ثم اليس من المناسب الآن أن ندقق فى نصاب الشهادة بأكثر مما كان الامر عليه فى الصدر الاول حين كانت النفوس عامرة بالايمان ، مملوءة بالخشية من الله ؟

ثم اليس الاعتماد على رؤية المراصد بجانب للحساب الفلكى الدقيق الصادر عن العلماء الفلكيين الموثوق بهم أفضل وأحوط لديننا من الاعتماد على شـهادة شاهد أو شاهدين مستورين لا تدرى من باطن كل منهما وبواعثه شيئا ؟
ذلك هو ما أحب أن يشترك معنا فى بحثه علماء الفلك ، وعلماء الفقه والتشريع أداء لواجب دينى تتحمل جميعا مسئوليته ..
ونحن فى الانتظار ..

□□□

سؤال :

جاء فى حديث نشر لرئيس وزراء اسرائيل السابق يوم ٢٠ اكتوبر واطلعت عليه اخيرا : « كل ما ذكر فى التوراة (من الاراضى) هو من حق اسرائيل ، وانه لا بد من الاستيلاء عليه » .

مطامع غريبة لكن يظهر انها عقيدة او بمنزلة العقيدة عند هؤلاء ما داموا متمسكين هكذا بتوراتهم ، وقد دلتنا الحوادث انهم يعيشون ويتصرفون فعلا بمقتضاها .. وهم اصحاب حق فى ان يتمسكوا بعقيدتهم ويتصرفوا حسب توراتهم او حسب ما يفهمونه ، ويستغلونه لصالحهم منها .

لكن يبقى نحن على الطرف الآخر .. هل قدرنا هذا الموقف منهم ، وهل نعد انفسنا لاحتمالاته ، وهل عنينا بشحن النفوس بالروح والطاقة الاسلامية التى تجعل كل مسلم صاروخا منطلقا يدمر كل هدف يقف فى طريقه ؟

ان الذين ينطلقون من عقيدتهم الى مجالات الحياة فى السلم والحرب ، وفى الاعتداء على غيرهم لا يمكن أن يصدهم الا اناس ينطلقون من عقيدة قوية تربطهم بالله فى كل حركاتهم ، وفى سلمهم وحربهم ..

وعلى أساس هذه القاعدة يجب أن نعد انفسنا لملاقاة هذا العدو وردعه والقضاء عليه .

سلاح من جنس السلاح .. ولدينا عقيدة تدفع المسلم الى الموت حبا فى الحياة ..

فلماذا لا نعنى بها .. لماذا لا نجهز انفسنا بهذا السلاح ، وهو امضى وأفتك من كل الاسلحة اذا كنا فعلا جادين ، ولنا ثأر يؤرقنا ويقض مضاجعنا ..

هذا هو السؤال !!

□□□

منطق واضح :

اسرائيل غلبتنا وكسبت الجولة بالسلاح الجوى الذى دمر السلاح الجوى المصرى فى أول لحظة . هذه حقيقة لا يختص بمعرفتها رجال الحرب الآن ..

وعلى حسب ظنى – ولست بالطبع من رجال الحرب ولكن لى عقل يقدر الامور – أقول حسب ظنى أن اسرائيل لن تستطيع الانتصار علينا بغير المفاجأة بسلاحها الجوى ، أو بغير سلاح جوى متفوق وكاسح ..

وهذه – حسب ظنى ايضا – حقيقة مفهومة ، وتكاد تكون لدينا بديهية ..

فماذا فعلنا تجاه هذه الحقيقة استعدادا لاحتمالات المستقبل ، واستفادة من دروس الماضى القريب ؟

أظن أيضا أنه لو كان لدى الدول العربية سلاح جوى فعال وقت الحرب لكان من الممكن أن يعوض العجز الذى أصاب السلاح الجوى المصرى .. ولأسرع لميدان المعركة ، يضرب اسرائيل فى داخلها ويضرب جيوشها ، ويغطى جيوشنا ويحميها ، ويمهد لها طريق الزحف ، و .. الانتصار .. ولما وقعت اخيرا هذه النكبة أو النكسة التى نعانى آثارها اللعينة ..

أظن أن هذا مفهوم .

ومفهوم أيضا انه لا أمل لنا فى غير قوتنا ووحدة قلوبنا . وتكتل قادتنا ونحن من ورائهم لمحو هذا العار ، وقد تحملوا مسئوليته أمام الله والشعوب والتاريخ .. فلم نعد نفرح بالكلام الكثير ، بل أصبحنا نصاب بالغثاء والدوار كلما سمعناه أو قرأناه .. ونصاب بالفجيعة أيضا كلما احسسنا خلافا أو تهاونا ..

اننى انصح الآن بقراءة تاريخ الحروب الصليبية ، وما كتب عن العرب المتخاذلين ، الذين كانوا يتعاونون مع اعدائهم ، أو الذين كانوا يتخاذلون ، ويثيرون المشاكل والخلافات مع اخوانهم ، جريا وراء مصالحهم .. انصح بقراءة هذا التاريخ ليروا مع كل كلمة تكتب عن هؤلاء لعنات عليهم تتجدد دائما بتجدد قراءتها والاطلاع عليها ..

انصح بقراءة هذا حتى نحذر جميعا لعنات الاجيال المقبلة ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى ..

□□□

الذين قال لهم الناس

لا اريد أن اتحدث فى مسائل سياسية ، فما لنا هنا بها شأن ، ونعوذ بالله من شرورها بالنسبة لأمثالنا ..

وانما اريد أن اقول لاخوانى ، الذين يسمعون الاصوات العالية الصادرة هناك ، من أقصى الغرب ، تنادى وتصرخ ، وتضغط لمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من أدوات التدمير ، لتواصل عمليتها فى كبت أنفاسنا .

واقول للذين يقرءون أن المدد المالى الذى يأتى لاسرائيل من هناك من أقصى الغرب بلغ سبعة آلاف مليون دولار فى شكل مساعدات حربية ومدنية !!

وللذين يقرءون أن الطائرات الحربية الفتاكة التى تفوق سرعتها ضعف سرعة الصوت تأتى لاسرائيل من هناك من أقصى الغرب لتضمن النصر المستمر على العرب !!

وللذين يقرءون آثار الحرب الباردة والاعيب المخابرات الاجنبية فى الصفوف العربية ..

أقول لاخوانى .. ان ذلك كله لا يفزعنا ما دمنا مؤمنين بالله الايمان الذى يهد الجبال ويزحزحها ، وما دمنا رجالا نؤمن بأن كرامة الامة من كرامة أفرادها ، ونعمل بمقتضى هذا الايمان ..

ان ذلك مدد بسيط يأتى لاسرائيل ، بجوار ما تسلطه هذه القوة الجبارة — التى تمد اسرائيل — على شعب فيتنام من أدوات الفتك والتدمير .. ومع ذلك فنحن نعرف كيف قابل هذا الشعب القوى — وهو لا يزيد فى عدده عن خمسة عشر مليونا من النفوس — هذه القوى الجبارة .. على مدى السنوات التى مرت بها ..

لقد بلغ عدد ضحايا الغارات الجوية من أبناء هذا الشعب الصغير حتى الشهر الماضى ، أربعمائة الف قتيل حسب احصاء الخبراء الامريكان ..

نعم .. أربعمائة ألف قتيل .. كل قتيل وراءه أسرة بل أسر تتفتت أكبادها عليه .. وكل قتيل كان له عمل يؤديه .. وذلك عدا ضحايا الغارات البرية وقصف المدفعية الخ ..

فهل رأينا هؤلاء قد ضعفوا او خارت لهم عزيمة ؟ أو لان لهم جانب ، أمام هذه القوة العاتية ، وأمام الضحايا الكثيرة منهم ؟!

لقد أسقطوا من الطائرات المغيرة حسب آخر احصاء أيضا (٣٠٣٧) طائرة ، وهم فى كل وقت يقضون مضاجع المغيرين المدلين بقوتهم ، ويبيدون الكثيرين من جيوشهم ..

فاذا كان خمسة عشر مليونا يقفون هذا الموقف الصامد أمام القوة الاصيلة الجبارة التى تمد اسرائيل بشيء من الطائرات او الاسلحة الاخرى .. فهل ترانا — ونحن حسب التعداد مائة مليون واكثر — هل ترانا نفزع أو يخيفنا مثل هذا المدد ؟؟

ان الجبان جبان يخاف حتى من العصا بل من شبحها ..
والشجاع شجاع لا يخشى شيئا ولو كان الموت .
والمهم الايمان .. الايمان الذى يملأ القلوب ، ويسيطر على الانسان .
والذى تهون أمامه كل قوة بل تزيده قوة العدو ايمانا بحقه وتغريه بعدوه وسيان لديه يموت أو يرجع لاهله ..

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

هؤلاء هم أسلافنا .. ونحن أولادهم .. فهل نحسن الاسوة بهم ؟

□□□

بدون تعليق :

جاء فى عريضة السادة رؤساء الطوائف المسيحية فى سوريا الى رئيس الدولة بمناسبة المشكلة التى قامت حول مدارسهم الخاصة ، وتمسك الحكومة بضرورة خضوعها لمناهج وزارة التربية واشرافها التام ما يأتى :
« ان اعتقادنا الراسخ هو أن المدرسة هى جزء جوهرى من كياننا الدينى ، وقد أثبت التاريخ منذ أول المسيحية الى اليوم أنه قلما قامت كنيسة دون أن تقوم الى جانبها مدرسة تساعدها على ترسيخ العقيدة الدينية بحيث أن المدرسة قد أصبحت فى اعتبار الكنيسة جزءا لا يتجزأ منها » !!

شكرا

أصدقاؤنا الذين تفضلوا بارسال تهانيهم وتمنياتهم الطيبة بمناسبة عيد الفطر المبارك نسجل لهم هنا خالص الشكر ، ونرجو من الله العلى القدير أن نتبادل التهانى جميعا بعيد النصر على اعدائنا وتحقيق ما نرجوه من العزة والحرية ووحدة الكلمة .

نساء سبقن الرجال في الإسلام

للاستاذ : الغزالي حرب

ليس عجيبا لدى الشرقيين بعامة ، والمسلمين منهم بخاصة ، أن يسبق الرجل المرأة ، فذلك أمر طبيعي ، وما جاء على أصله لا يسأل عن علته — كما يقولون — وانما العجب العاجب ، أن تسبق المرأة الرجل وتفوقه في ناحية من النواحي ، التى هى مظنة أسبقية الرجال . .

ومقالنا هذا مقصور على ما تيسر من أمثلة تاريخية اسلامية لأسبقية بعض النساء فى العصر الاسلامى الأول :

١ — أما أسبقية المرأة الى الاسلام : فقد مثلتها السيدة خديجة بنت خويلد التي شهد لها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالأسبقية الى الاسلام والايمان ، قائلا فى معرض الوفاء لها بعد انتقالها الى جوار الله « آمنت بى اذ كفر بى الناس ، وواستني بما لها اذ منعني الناس » وهكذا أقر لها الرسول فى هذه الشهادة المحمدية بالأسبقية الي الاسلام اعتناقا وايمانا ، وسلوكا وعملا ، فكانت بذلك المثل الأعلى ، والاسوة الحسنة ، التى استنارت بها الآنسات والسيدات الفضليات السباقات :

١ — أسماء بنت أبي بكر الصديق التي سبقت الى الاسلام جميع اخوتها الذكور ، وجدها أبا قحافة . .

٢ — وفاطمة بنت الخطاب التى سبقت جميع أهلها حتى عمر بن الخطاب الذي كانت هى من الأسباب المباشرة لاسلامه . .

٣ — وسودة بنت زمعة العامرية التى سبقت معظم قومها .

٤ — وأم الفضل لبابة بنت الحارث التى سبقت أهلها ، كما سبقت زوجها العباس بن عبد المطلب على الرغم من أنها لا تمت الى رسول الله بصلة القرابة الوشيجة كزوجها ، وحسبها صلة القربة من الله ورسوله ، وفى التفرقة بين

القربة والقرابة ، قال عمر بن الخطاب كلمته الخالدة (.. القرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح) .

٥ ـ وأسماء بنت عميس التي سبقت معظم أهلها ، وكانت جديرة بشرف زوجيتها من جعفر بن أبي طالب طيار الشهداء الأبطال ..

٦ ـ وأم الخير التي هي أم أبي بكر الصديق ، وقد سبقت زوجها أبا قحافة الذي لم يسلم الا عام الفتح . وشتان ما بين ايمانها وايمانه ..

٧ ـ وأم كلثوم بنت عقبة التي سبقت أهلها وأباها .

٨ ـ وأم حبيبة بنت أبي سفيان التي سبقت زوجها وأباها واخوتها ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان أحد كتاب الوحي لرسول الله ..

٩ ـ وأميمة بنت بشر الأنصارية التي سبقت زوجها حسان بن الدحداح .

١٠ ـ وأم سليم سهلة بنت ملحان التي سبقت أهلها وزوجها مالك بن النضير الذي بقى على كفره حتى قتل بالشام ، تاركا لها صغيرها أنس بن مالك فترملت بعده قائلة : لا اتزوج حتى يكبر ابني أنس ويجلس مجلس الرجال ويأمرني .. ولما بلغ أنس مبلغ الشباب تقدم لخطبة امه أبو طلحة زيد الذي كان مشركا حينذاك فقالت له : كيف تعبد حجرا لا يضرك ولا ينفعك ؟ لا ارضى بك زوجا حتى تسلم ، ولا أريد منك صداقا غير الاسلام .. وقد كان ..

١١ ـ والسيدة سبيعة بنت الحارث القرشية التي حدثنا عنها صاحب « الاصابة » في الجزء الرابع بأنها أول امرأة أسلمت لله عقب عقد معاهدة الحديبية بين الرسول وقريش ، دون أن تخشى جبروت قومها ، أو عدوان قريش ، ثم هاجرت الى رسول الله حيث امتحن ايمانها فنجحت في الامتحان نجاحا باهرا سجله وحي السماء بقوله في السورة التي سميت بصفتها (الممتحنة) (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن) ورد الرسول على زوجها المشرك المتمسك بشركه مهر مثلها ، فتزوجها فاروق الاسلام عمر ..

ب ـ وأما اسبقية المرأة للرجل في الايمان بالله ، والثبات عليه حتى الرمق الأخير .

فنقدم بين يديها بأن علماء السيرة والتاريخ ، يكادون يجمعون على أن جميع المستضعفين من الرجال حاشا بلال بن رباح ، قد نزلوا على حكم الضرورة ، ولوثوا السنتهم بكلمة الكفر ظاهرا ، دون أن يشرحوا بالكفر صدرا ، على حين أن جميع المستضعفات من النساء أو معظمهن ، أبين في بسالة رائعة أن يترخصن في عقيدتهن ، فينزلن على حكم الضرورة ، وآثرن العزيمة على الرخصة ، واستعذبن العذاب ، واستسهلن الصعاب ، واحتملن من الشدائد والأهوال ، ما ناءت به شم الجبال وعزائم الرجال ..

١ ـ هذه سمية بنت خباط ، عرضوا عليها أن تلفظ بكلمة الكفر ولو ظاهرا ـ كما صنع ابنها عمار بن ياسر مرغما ـ ولكنها أبت ـ بالرغم من مضاعفة العذاب الشديد لها ـ الا أن تزداد ايمانا على ايمان ، مما دفع أبا جهل ، الى اغلاظ القول لها ، وطعنها بحربة في أخطر وأعف موضع من جسمها الطاهر .. فراحت أول شهيدة في الاسلام ، كما حقق ذلك كثير من علماء الاسلام ..

٢ ـ وهذه لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب بن كعب ، كان عمر بن الخطاب نفسه يعذبها في جاهليته أشد العذاب ، ولا يريحها من العذاب الا سآمة وملا ـ كما اعترف هو بذلك ـ وأخيرا اشتراها أبو بكر الصديق ، ثم أعتقها لوجه الله ، فصارت تنعم بالحرية والكرامة والاسلام ..

٣ — وهذه « زنيرة » جارية عمر بن الخطاب ، الذى عذبها فى الجاهلية ، حتى فقدت نور بصرها وحسبها نور البصيرة هاديا الى سواء السبيل ..

٤ — وهذه غزية بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية الشهيرة بأم شريك ، التى نشأت فى بنى عامر بن لؤى قريبا من مكة ، ولما تزوجت من أبى العسكر الدوسى ، انتقل بها الى مكة قريبا من رسول الله ، فسبقت قومها جميعا الى الاسلام ، ثم وهبت نفسها لرسول الله ، فشهد لها القرآن قائلا فيها « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى .. » وقد ثبتت هـذه المرأة المؤمنة على ايمانها القوى الراسخ ، غير عابئة بما لاقته من اضطهاد وتعذيب وحرمان من الطعام والشراب — كما قال ابن عباس — فلا عجب أن بهرت بايمانها وثباتها من كانوا يعذبونها ويضطهدونها ، فاذا هم يسـلمون على يديها لله رب العالمين — كما حدثنا بذلك ابن حجر فى الجزء الثامن من (الاصابة) ..

٥ — وهذه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، الذى ارتد فى هجرته عن الاسـلام الى النصرانية ، فقاطعته وغاضبته معتصمة بدينها ، وفية لعقيدتها ، فى دار غربتها ، حتى اختارها رسول الله زوجا له وصارت من أمهات المؤمنين والمؤمنات .. !!

ج — واما اسبقية المرأة الى الهجرة ، فقد شهد به رسول الله نفسـه ، حينما جاءته أسماء بنت عميس قائلة له — وهى احدى المهاجرات السابقات الى الحبشة — يا رسول الله ، ان رجالا يفخرون علينا ، ويزعمون اننا لسـنا من المهاجرين الأولين السـابقين .. تعنى بذلك قول عمر بن الخطاب لها مازحا : يا حبشية .. سبقناكم بالهجرة الى المدينة .. فقال الرسول لأسماء . بل لكم أنتم أهل السفينة هجرتان : هاجرتم الى أرض الحبشة ، ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الىَّ ..

وعقب معاهدة الحديبية التى كانت فى السنة السـادسة من الهجرة ، سـبقت أم كلثوم بنت عقبـة قومها جميعـا الى الاسـلام بمـكة ، ومبايعة الرسول قبل عودته الى المدينة ، ثم سبقتهم الى الهجرة من مكة الى المدينة ماشية على قدميها ، وبصحبتها رجل عف أمين من خزاعة .. فاستحقت بذلك شرف الانخراط فى سلك المؤمنات المهاجرات الممتحنات اللاتى نزلت فيهن سورة الممتحنة كما مرت الاشارة الى ذلك آنفا فى معرض الحديث عن السيدة سبيعة بنت الحارث القرشية ..

وبلغ عدد المهاجرات السابقات الى الحبشة فى الهجرتين اثنتين وعشرين مهاجرة ، ركبن البحر للمرة الاولى فى تاريخ المرأة المسلمة ، بل فى تاريخ المرأة العربية — فيما نعلم — واليهن يرجع الفضل الأول فى نشر الدعوة الاسـلامية بالحبشة .. كما يرجع الفضل — فيما يرجع — الى السيدتين المهاجرتين الى المدينة نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو ، فى تهيئة الجو لاستقبال الرسول بالمدينة فى حفاوة بالغة يفيض بها النشيد الحفى المحبوب الذى مطلعه :

طلع البـدر علينـا من ثنيـات الوداع

وكما سبقت المرأة الى الهجرة ، سبقت الرجل الى الاخلاص فى الهجرة ، ممثلة فى الصحابية المهاجرة السيدة أم قيس التى سبقت خطيبها المسـلم الى الهجرة حبا لله ورسوله ، وبقى خطيبها بمكة ، ثم اضطر الى الهجرة رغبة فى رضاء هذه السيدة المهاجرة ، حتى يتزوج منها .. فلا عجب أن عرف هذا الرجل المهاجر فى التاريخ الاسـلامي بلقب (مهاجر أم قيس) ، وفى الموازنة بين

هجرة أم قيس في اخلاصها ، وبين هجرة زوجها في ريائه يقول الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » وشتان ما بين الهجرتين ..

د ـــ وأما النساء اللائى تفوقن على كثير من الرجال فى ميدان الوغى فاشهرهن : عمرة بنت علقمة الحارثية . وصفية بنت عبد المطلب . ونسيبة بنت كعب الشهيرة بأم عمارة المازنية ، وأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وغزالة الخارجية ...

١ ـــ **أما عمرة الحارثية** ، فقد جبن رجال قومها فى غزوة أحد عن رفع لوائهم الذى أسقطه المسلمون ، فتقدمت هى ورفعته غير هيابة ولا وجلة ، وتحت لوائها قاتل الرجال مستبسلين حتى انتصروا على المسلمين انفسهم ، وفى لواء هذه المرأة وشجاعتها قال حسان بن ثابت بيته المعروف :

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون فى الأسواق بالثمن البخس

٢ ـــ **وأما صفية بنت عبد المطلب** ، فقد جمعها هى وحسان بن ثابت حصن حربى يسمونه (حصن فارع) أو (حصن بنى حارثة) فى غزوة الخندق ، ولما شاهدت يهوديا يحوم حول الحصن ، توجست منه خوفا ، فأوعزت الى حسان أن ينزل اليه ليقتله ، ويكفى المسلمين شره ، ولكن حسان بن ثابت لم ينزل له قائلا لها : لقد علمت يا بنت عبد المطلب أنى لست بصاحب هذا .. فما كان منها الا أن نزلت هى اليه ، حيث قضت عليه بضربة من عمود .. فكان عمود صفية خيرا من أشعار حسان ، ولسان حسان فى مثل هذا الميدان الرهيب ..

٣ ـــ **وأما نسيبة بنت كعب** او أم عمارة المازنية ، فقد فاقت بشجاعتها كثيرا من رجال قومها بنى النجار وغيرهم فى غزوة احد التى ثبتت فيها حول رسول الله ، مدافعة عنه فى ثبات رائع عز على كثير من الرجال . حتى قال فيها الرسول « ما التفت يمينا ولا شمالا الا رأيت نسيبة تقاتل دونى » .. وقد أصيبت ثلاث عشرة اصابة فى هذه الغزوة الرهيبة ، التى انبثقت فيها دماؤها الطاهرة من مواضع متفرقة فى جسدها ، فقال الرسول لابنها محييا مباركا : « يا حبيب .. أمك أمك .. اعصب جرحها .. بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من فلان وفلان » ..

٤ ـــ **وأما أم الفضل زوج العباس** ، فكان من حديثها أنها شاهدت أبا لهب الذى تخلف عن غزوة بدر هائجا كالكلب المسعور يعض من يصادفه ، حينما بلغه انتصار المسلمين فى تلك الغزوة المشهورة ، ولم يكد أبو لهب يرى أبا رافع الصحابى الجليل منبسط الأسارير ، منشرح الصدر بهذا النصر المبين ، حتى طرحه أرضا فى ضراوة وعنف ، وأخذ يضربه بشدة بالغة ، محاولا القضاء عليه والفتك به ، دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، الا أم الفضل الباسلة ، التى عاجلته بضربة قوية من عمود صلب كانت تحمله فوق أم رأسه ، فهوى مصابا باغماء شديد ألزمه الفراش حتى هوى به الى قبره آسفا غير مأسوف عليه .. وهكذا أراح الله الاسلام والمسلمين من الد أعدائهم على يدى أم الفضل .. وان فضلها لفضل عظيم ..

٥ ــ واما غزالة الخارجية زوج شبيب بن يزيد ، فقد تفوقت على كثير من فرسان الحجاج بن يوسف الثقفي ، بل تحدت الحجاج نفسه أن ينازلها ، فأبى مشفقا على نفسه من بطولتها الفذة ، وفى ذلك يقول عمران بن حطان الخارجى أبياته المعروفة ، التى يهجو بها الحجاج ، ويعايره بجبنه أم شجاعة غزالة :

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحى طائر

وظلت غزالة هذه شبحا رهيبا ترتعد له فرائص الحجاج ورجاله ، وتقض مضجع الدولة الأموية ، حتى قتلت غيلة وغدرا فى معركة الكوفة ، بين طعن القنا وخفق البنود ..

٦ ــ واما تفوق المرأة على الرجل في المواقف العاطفية الخطيرة فحسبنا من أمثلته الاسلامية الرائعة ما يأتى :

١ ــ هذه السيدة حمنة بنت جحش ، تفجع دفعة واحدة فى أعز الناس عليها أخيها عبد الله .. وخالها حمزة سيد الشهداء .. وزوجها مصعب ابن عمير ، فلا تزيد عن قولها فى ايمان ويقين . انا لله وانا اليه راجعون ..

٢ ــ وهذه أخت الشهيد الاسلامي العظيم . انس بن النضر ، حينما وقفت أمام جثته التى مثل بها المشركون شر تمثيل ، ولم تعرفه الا باصبع من أصابعه لم تزد هى الأخرى عن الاسترجاع والاحتساب ، فى هذا الموقف الرهيب ، الذى تطيش فيه العقول ..

٣ ــ وهذه أم سليم الأنصارية ، يختار الله ولدها الوحيد العزيز أبا عمير ، بعد مرض أقض مضجع والديه ، وكان زوجها أبو طلحة غائبا ، فقامت الى فلذة كبدها الفقيد ، حيث غسلته وكفنته وغطته فى ناحية من البيت ، ثم هيأت لزوجها وأصحابه ما تيسر من الطعام والشراب عندما عاد ، ولما سألها عن ابنه المريض . كيف حاله ؟ فأجابت جوابها الرائع الحكيم . هو أسكن مما كان .. وما كانت الأم المؤمنة ، والزوج الصالحة تعنى بالسكينة الا سكينة الموت والأبد ولكنها لم تفاجئه بالكلمة الصريحة واختارت هذا الجواب المحتمل للشفاء حتى حسبها زوجها تريد سكينة الشفاء من الداء .. فاطمأن ..

وبعد انصراف أصحابه الى النوم طاعمين مرتوين .. قام هو الى فراشه ، وقد أصلحت له زوجه من أمرها .. وفي جنح الظلام وهدأة الليل ، وظلام السكينة ، والألفة بين الزوجين ، سألت أم سليم زوجها أبا طلحة فى هدوء : ألم تر الى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم ؟

قال أبو طلحة : ما أنصفوا .. أليس لصاحب الوديعة أن يسترد وديعته ؟

وهنا انتهزت أم سليم الفرصة قائلة له : فان ابنك أبا عمير ، كان عارية من الله ، فقبضه الله اليه !! فانتفض زوجها مذعورا من مفاجأة زوجه ، التى فاقته فى ايمانها ، وتسليمها لأمر الله ، وراح شاكيا الى رسول الله ما كان منها ، فحيا فيها الرسول ايمانها القوى ، وثباتها الرائع ، وصبرها الجميل ، داعيا لهم بالبركة والخير ــ كما روى البخارى وغيره ــ ..

وقد أضربنا صفحا عن قصة الخنساء مع أولادها الاربعة فى معركة القادسية لأن من رواة هذه القصة الحلوة المشوقة محمد بن الحسن المخزومى المعروف بابن زبالة ، وهو أحد الوضاعين المتروكين كما نص على ذلك ابن حجر فى الاصابة ج ٨ ص ٦٧ وان انطلت هذه القصة الوعظية المزعومة على كثير من المؤلفين والمتحدثين قديما وحديثا .

والعصمة لله وحده ، وسبحان من أحاط بكل شيء علما .

هَذه الحَياة!

اى سر حائر تلك الحيـــــاه ... ضـل فى طيـاتها العقـل وتاه
انا فيهــــا غارق فى لجــة ... وسط بحر غاب عنى شـــاطئاه
وســـــفينى مزقتهـــا صرصر ... وطواها اليأس فى جوف الميـاه
فتعـــلقت بلوح ســـــابح ... لا انا ميت ولا ذقت النجـــاه
وانيسى الرعب يـكوى خاطرى ... ورفيقى الهـــول تدعونى يداه
لا ارى غـــير ظــلام هائج ... كل تمســــــاح به يفغـر فاه
والمنى نجـــم هـوى فى برهة ... كيف احيا بعد ما غاب ســناه
اين منى بســـــمة كانت هنا ... لم تعد تعرفها منى الشـــفاه

* * *

هـــذه الدنيـــا سراب زائف ... يخدع النـــاس ولا تدرى مداه
ان يـــكن غر عيـــونا برقه ... وتدنت خلفه حر الجبـــاه
وتمــــادت وتفــانت وجرت ... خطوها يلهث فى شـوك الفلاه
فانا ارقبهــــــا فى حسرة ... أرى موكبها ضـــلت خطـــاه

* * *

هبك يا صـــاح بلغت المنتهى ... وســـلبت النجم أسرار ضياه
وغصـــبت الدر من أصـــدافه ... وتربعت على عـــرش وجـــاه
وشربت الصـــفو كاسا مترعا ... ترقص الأفراح من خمـــر هواه
اترى ما انت فيـــــه مانعـــا ... عنك « عزرائيل » يجتث الحيـــاه
فابك ايامك واعــــرف سرها ... ان خلف الورد اشـــواك الوفاه

* * *

انا لا اضـــحك والموت معى ... حيثمــــــا سرت يرانى وأراه
بعــــــد ما راح بامى وابى ... وأخى فى زهرة العمـــر طواه

للاستاذ محمد هاشم عبد الحليم
كلية البنات ، جامعة عين شمس

ثم عمى وهـــو راعى أملى … هدنى فى غربتى ناع نعــاه
ورفاقى غالهم فى قســـوة … والى حـــين تخطتنى يداه
سرت فى دربى شريدا هائمـــا … أنســـج الأوهام من خيط دجاه
واناجيـــــهم ويروى مدمعى … كل قبر شد من قلبى صـــفاه

* * *

رب جســـم كان بضـــا ناضرا … يلبس الديباج لا يرضى ســـواه
باســـــم الآمال وثاب المنى … تعزف البشرى له لحن منـــاه
صـــار للدود غــذاء طيعـــا … ســـالب منـــه وما رد اذاه
عابث فى مقلتـــيه مفـــرغ … ما حوى الراس وبالترب حشاه

* * *

رب هيفـــاء من الدل ارتوت … يسجد الحسن لها كل صـــلاه
تخجـــل الورد بخـــد هائم … يبعث الشـــعر فتكويه لظـــاه
تحسب الدنيا شـــبابا وهوى … وجمـــالا ليس تدرى منتهـــاه
بغـــتة يخطفـــها غول الردى … ظامئا لا يرتوى مما اســـتقاه
زفهـــا للقـــبر فى رونقها … تحضن الترب وتدميها الصـــفاه
جيفة قد راح عنهـــا عطرها … اين عشاقك ؟ كل فى اتجـــاه

* * *

هـــذه الدنيا فماذا تبتغى … من هوى الرقطاء تستل الحيـــاه
لمســـها مثـــل حرير ناعم … ومن الأنيـــاب ســـم لا تراه
ان أفراحـــها وحـــزنا عبث … حلوها مر وان طاب جنـــاه
أنا لا تطـــربنى أمجـــادها … مجدها رقم على ســـطح مياه
ســـوف أحياها بقلب ســـاخر … من قطيع ســـار يحدوه عماه
لا تقـــل لى : سر مع الركب وقل … مثل ما قال ، وبارك ما اشتهاه
أنا لا أنضـــم للركب الذى … تخـــذ الأطماع والشر هـــواه
فادع للحب وللخـــير معى … وازهد الدنيا ففى الزهد نجـــاه
وغـــدا نلقى احبـــاء لنا … فى جنان الخلد ، ان شـــاء الاله

كيف نصنع الرجال

للأستاذ : توفيق الفيل
الكويت

النكسة العسكرية التى ألمت بأمتنا فى الخامس من يونيو (حزيران) الماضى .. خلفت فى كل قلب أعمق الجراح ، ذلك أن الامة العربية ، ومن ورائها شعوب العالم الاسلامى كله .. كانت ترى قرب نهاية الظلم الكبير الذى أصاب الامة فى كيانها .. ووقف حائلا دون تحقيق أعز أمانيها . بعد أن استمر هذا الظلم طوال عشرين عاما .. شرد فيها شعب عربى مسلم ، وانتزع منه حقه الطبيعى فى الحياة .. لذلك كان وقع الهزيمة مرا وقاسيا .

ولقد أخذ الكتاب والمعلقون فى شرح وتحليل ما حدث ، وأسهبوا فى القول . ولا زالت الصحف فى كل يوم تتخذ من ذلك ، ومن العناوين المثيرة مادة لجذب أنظار القراء . ولست أدرى لماذا تكونت لدى فكرة تختلف عن أكثر ما كتب حول هذا الموضوع .. وان كنت أتفق مع الكثيرين بأن من أسباب النكسة المباشرة أن بعض الاشخاص لم يكونوا على مستوى الامانى القومية ، ولم يستطيعوا أن يرتفعوا الى الاحداث التى يمر بها العالم العربى والاسلامى .. وعدت من فورى الى كتاب الله والى تاريخ الاسلام أنظر اليهما نظرة جديدة فاحصة .لعلى أستطيع أن أصل الى السبب الذى جعل المسلمين وهم قلة يرمون الكفار فى القليب يوم بدر ، ويهيلون عليهم تراب الهزيمة والنسيان .. والحقيقة اننى وجدت الطريق الواضح البين .. فليس كل رجل يصلح للقتال .. أو يعتمد عليه فيه . بل ان القرآن الكريم حدد هؤلاء الذين تناط بهم مسئولية من أشرف

المسئوليات وأرفعها فقال : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .. ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » تلك اذن أوصافهم .. باعوا دنياهم بآخرتهم .. فى سبيل مبدأ . هو رفع راية الحق واعلاء لوائه .. وهم يذهبون الى ميدان القتال وهم على ادراك تام بأنهم مقبلون على صفقة رابحة فى كل صورة من صورها ..

ولكن كيف يتم اعداد هؤلاء الناس الذين يجدون الحياة رخيصة فى سبيل العقيدة والمبدأ ؟

ان نظرة الى تاريخنا المجيد تجعلنا نجد أمثلة حية للبطولة ، ونماذج فريدة فى التضحية والفداء . وقد تحملوا فى وقت عصيب مسئولية الدعوة وهم قلة قليلة . وهبت عليهم انواء وعواصف ، ولكنها لم تنل منهم شيئا .. وتصدوا للحوادث ، وهم لا يملكون فى حياتهم سوى شموخ المسلم فى عظمته وبطولته . وصغرت لهم عقيدتهم كل شيء أمامها ، فصنعوا سيرة عطرة ، وبطولة نادرة .. وركعت الحياة تحت أقدامهم تكبر فيهم الجرأة والاقدام .

لقد أعلنوها ثورة عاتية على الوثنية الباغية . والقيصرية المتجبرة والكسروية الطاغية .. ووراء كل منها ما وراءها من الاتباع والانصار . وقف محمد صلى الله عليه وسلم أمام قريش وتحدى سفهها وطيش أفكارها . وأمام اليهود ، وكشف غدرهم وخيانتهم .. وأمام كل أحزاب الشرك واتباعه .. ومن حول الرسول العظيم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وجاهدوا الجهاد الحق فما وهنت لهم عزيمة ، ولا ضعفت لهم قوة .. لقد كانوا لا شيء فى مجتمع مكة .. لا مكانة ، ولا جاه ، ولا سلطان .. فأصبحوا بعظمة الاسلام كل شيء .. وأى انسان يستطيع ان يكون فى مكان خباب .. هذا الذى كان يصنع السيوف فى الجاهلية . ويلمس نور الاسلام شغاف قلبه ، فيعلن كلمة التوحيد .. واذا العتاة الطغاة يسلطون عليه النار يكوون بها جنبه وجبهته .. فيغيب عن الوعى . وما أن يفيق حتى يضمد جروحه ، انتظارا لعذاب جديد يقول الشعبى : « لقد صبر خباب ، ولم تلن له بين يدى الكفار قناة ، فجعلوا يلصقون ظهره العارى بالرضف (١) حتى ذهب لحمه » .

وعمار بن ياسر ، لم يكن يقل فى قوة ايمانه وشموخه عن ذلك .. فقد وهب هو وأسرته الانسانية كلها من أولها الى آخرها شرفا لا ينفد ، وكرامة لا ينتهى جلالها وبهاؤها . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر على آل ياسر وهم مقيدون بالاغلال ، وسفهاء القوم يجرونهم على وجوههم ، وسط حر الهجير ، والمسلمون فى ضعف لا يستطيعون منه رد الاذى عنهم . فلا يملك رسول الله سوى أن يقول : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .. ولقد كان ذكر الجنة كاف وحده لأن تحلق الروح فى عوالم عليا ، ولتفعل قريش بالجسد ما تريد .. حقيقة فدح العذاب ظهر عمار بن ياسر ، ومزق قواه ، ولكنه لم يكن ليفدح روحه المؤمنة . مهما اشتد وقسا . يقول عمرو بن الحكم : (كان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول) .

ولقد انتهزت قريش فرصة غياب وعى عمار . وقالت له اذكر آلهتنا بخير ، واخذوا يقولون وهو يردد وراءهم . فلما أفاق تذكر ما حدث فطار صوابه ، ورأى أن ما فعل لا شيء يغفره أو يكفر عنه .. وعذبه شعوره بالاثم والخطيئة

---

(١) الرضف — بسكون الضاد — الحجارة المحماة .

أضعاف ما عذبته قريش .. وشتان بين هذا العذاب وذاك .. ولولا أن تدارك الوحي عمارا لهلك . فقد لقي الرسول الحاني صاحبه عمار ووجده يبكي وينتحب . فمسح على رأسه ، وقال : أخذك الكفار فغطوك بالماء . فقلت كذا وكذا ؟ أجاب عمار وهو ينتحب : نعم يا رسول .. فقال الرسول « ان عادوا ، فقل لهم مثل قولك هذا » ثم تلا عليه ما نزل في شأنه من القرآن « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » عندئذ تهلل وجه عمار .. وعلاه البشر . وعادت اليه السكينة والاطمئنان .. وروحه كما هي لم تصلها الهزيمة ..

لقد مر هؤلاء الابطال بفترات عصيبة كانت اختبارا لمعادنهم ، فاذا هي معادن أصيلة لا زيف فيها ولا دخن .. ولا بد لمن كان في عظمتهم أن يصل الى نهاية الطريق .. ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام — وقد صنعهم على يديه .. وأدبهم بأدبه .. وأعدهم الاعداد المطلوب للأيام العظام — واثقا من نصر الله لهم .. وما هي الا فترة من الزمن تمر .. حتى يصبح هؤلاء سيوفا تحصد رؤوس الشرك ، وهي التي تحكمت فيهم ، وعذبتهم ، وسامتهم الخسف والهوان ، ولم يكن ذلك لأحقاد في نفوسهم ، فالنفوس الطاهرة لا تحمل الحقد ، ولا تعرف الضغن ، ولكنهم يريدون أن ينصروا دين الله ، ولا شيء سوى أن تعلو راية الحق .. هكذا علمهم المربي العظيم .. وهكذا ضرب لهم الامثلة العملية على ذلك ..

ألم يقبل بين المسلمين يوم فتح مكة هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وقبل منها الرسول اسلامها وعفا عنها ؟ وهي التي أخذت كبد عمه حمزة في غزوة أحد ، ووضعتها في فمها ، وأخذت تمضغها ، ولو استطاعت أن تبتلعها لما ترددت ؟

وحين أقبلت الدنيا على المسلمين .. وامتدت فتوحهم شرقا وغربا .. وملأ المال خزائنهم . وللمال ما له من سحر وسيطرة على النفوس . لم يؤثر كل ذلك على نفوسهم لأنه لا أثر للمال على قلوبهم ولا سلطان .

ولنسر مع الحوادث وحدها تنشر نورها على كل الارجاء .. ولنضرب الامثال بخباب بن الارت ، وعمار بن ياسر ، حيث جعلناهما النموذج في هذا الحديث ..

أما أول الرجلين فتحضره الوفاة فيقول له من حوله « يا أبا عبد الله أبشر ، فانك ملاق اخوانك غدا » .. فيجيبهم وهو يبكي (أما انه ليس بي جزع من لقاء الله .. ولكنكم ذكرتموني أقواما واخوانا ، مضوا بأجورهم كلها ، لم ينالوا من الدنيا شيئا ، وانا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما لم نجد له موضعا الا التراب) وأشار الى داره المتواضعة التي بناها ، ثم أشار الى المكان الذي فيه ماله وقال : (والله ما شددت عليها من خيط ، ولا منعتها من سائل . ثم نظر الى كفنه . وكأنه رآه كثيرا عليه .. فقال (انظروا . هذا كفني . لكن حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يوجد له كفن يوم استشهد الا بردة ملحاء ، اذا جعلت على رأسه . قلصت عن قدميه ، واذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه » ..

وأما عمار فقد تولى أمر الكوفة . ويقول عنه أحد معاصريه (رأيت عمار ابن ياسر ، وهو أمير الكوفة ، يشتري من قثائها ، ثم يربطها بحبل ويحملها فوق ظهره ، ويمضي بها الى داره) ..

نعم . أنهم رجال صنعهم الرسول !

والامثلة كثيرة . لا تتحملها مثل هذه الصفحات .. وقد سقت منها هذا الذي سقت لأرسم صورة كاملة الابعاد . أو بالاحرى ، حاولت بها أن ارسم صورة لنماذج من الرجال .. أمتنا في محنتها القاسية في حاجة الى أمثالهم .

كيف صنعهم ؟

ولنسأل انفسنا كيف صنع محمد بن عبد الله هؤلاء الرجال ؟ كيف استطاع أن يخلق في نفوس العبيد والضعفاء والمهملين ، قوة تسخر من تعذيب قريش ، وصلفها وغرورها ؟

كيف تحول ضعف هؤلاء الى قوة ترهب أعداء الاسلام ومناوئيه ؟ كيف جعلهم لا يأبهون بالنار ، وهي تكوي الجباه والجنوب ؟

كيف استطاع محمد بن عبد الله أن ينزع من قريش ميراث أجيال ، ويجعلهم يتخلون عن دين قالوا له عنه ذات يوم « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

كيف جعل السادة والعظماء يجدون لذة وسعادة في مجالسة عمار وصهيب ومن على شاكلتهم ، وهم الذين ترددوا في دخول الاسلام .. بل حاربوه لانه يسوى بينهم وبين الارقاء ؟ لقد كانوا يستنكفون من مجالستهم او التحدث اليهم .. حتى لقد جاءوا في مساومة يعرضون اسلامهم على أن يجعل لهم الرسول يوما حتى لا يجلسوا مع هؤلاء .. ولكن القرآن الكريم رد عليهم محاولتهم وخاطب النبي محذرا : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم الشاكرين ؟ » بل ان هؤلاء هم الصلف فاستكبروا ان ينزل القرآن على رسول الله لأنه ليس من الاغنياء .. فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فكيف تحول هؤلاء عن طبيعتهم وموروثهم ؟

والمجتمع العربي .. هذا المجتمع المفكك .. المتقاتل .. المنغمس في الشهوات .. الغارق في الترف والتفاخر .. هذا المجتمع الذي ينام على خوف .. ويستيقظ على قتال .. المجتمع الجاهل الجهول .. كيف صار مجتمعا فاضلا .. ينشر فضله لاجيال واجيال ؟

كيف ذابت الكيانات القبلية المتناحرة في كيان واحد .. لا فرقة ولا خلاف .. أصبح أمنا وسلاما بعضهم لبعض .. وحربا على من يقف في سبيله او يتحدى بده العظيم (اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) .

هذا هو السبيل

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ساحرا ، فتمس يده القوم فتغير ما بهم من عشية وضحاها « وما علمناه السحر وما ينبغي له » وقد كان الرسول يدرك من غير شك ثقل المهمة الملقاة على كاهله .. ووجد أن القرآن وحده بما اشتمل عليه من مثل واخلاق يتكفل بهذا التغيير الشامل . ولهذا جمع الرسول المعظم المسلمين في حجة الوداع ، وقال لهم : « لقد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدي . كتاب الله .. الا هل بلغت اللهم فاشهد .. وليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

اذن هذا هو الاساس .. واذا تمكن من قلوب المسلمين ، فانهم لا شك سيجدون فيه كل شيء يهمهم فى دينهم أو فى دنياهم .

ثم تأتى بعد ذلك السنة قولا وعملا شارحة ومبينة لهذا الدستور القويم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولقد وضع القرآن مبادىء الوحدة بين المسلمين موضع التنفيذ حين قال : « انما المؤمنون اخوة » وحين قال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وترجم النبى صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ عمليا .. فقد جمع أهله وقال لهم : « لا يأتينى الناس بأعمالهم ، وتأتونى بأنسابكم . يا فاطمة بنت محمد انى لا اغنى عنك من الله شيئا » .

ثم يقيم الرسول المساواة المطلقة بين المسلمين .. على اختلاف طبقاتهم ومنزلتهم الاجتماعية .. فذات يوم يأتيه أسامة بن زيد يتشفع لرجل سرق .. فيستنكر الرسول ذلك من اسامة ، ويقول له أتشفع فى حد من حدود الله ؟ والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ويغضب الرسول من خالد بن الوليد لأنه عاير عمار بن ياسر . فيقول الرسول العظيم لخالد ، وهو القائد المظفر فى كل معاركه « من عادى عمارا عاداه الله ، ومن ابغض عمارا ابغضه الله » . وما لنا نذهب بعيدا والرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المصطفى من قبل ربه يقول لرجل تهيب لقاءه : « وأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » يا لها من عظمة لا تدانيها عظمة .. هل يصبح عند القوم مجال للتفاخر بأحسابهم وانسابهم ؟ كلا وألف كلا ..

هل من شك فى أن صانع الرجال ومعلمهم محمد بن عبد الله قد اختط بتوجيه الله وعلى أساس هديه أعظم الطرق وأمثلها ؟ ولئن ذهب الرسول لقد بقى الطريق الذى سلكه فى تربية هؤلاء العظماء ينادى كل انسان « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

كانوا اذا حاربوا اقتحموا الحرب اقتحاما من يبحث عن الموت ، لا من يبحث عن النصر « واذا كانوا أمراء حلبوا شياه اليتامى (1) .. واذا كانوا خلفاء لا تغفوا عيونهم ، يستمعون الى مظالم الناس وشكاياتهم .. ثم يحملون الدقيق على اكتافهم ليوصلوه الى بيوت المسلمين .. ثم لا يشتط بهم الغضب من نقد يوجه اليهم مهما كان مصدره وقائله . وان هم أخذوا من بيت المال شيئا لمعاشهم فهو ما يقيم الاود ويحفظ الحياة .. وكثيرا ما فضلوا أن يناموا على الطوى ، أو يجدلوا من الخوص أوعية يعيشون من أثمانها ..

واذا كانت صناعة الرجال جد شاقة وعسيرة .. فان محمد بن عبد الله وضع بين أيدينا أعظم التجارب ، وأخصبها .. وأرشدنا الى النبع الذى صنع به جيلا من الرجال كانوا كما قال عنهم : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ..

فلنعد الى قرآننا وديننا ، ففيهما صلاح أمرنا ، واعادة ما تهدم من بنياننا .. ولنعلم أن ما نجح فيه الاستعمار هو فصلنا عن قيمنا الروحية ، وعزلنا عن هذا التراث الخالد العظيم .. لنعد فى محاولة جادة نصفى فيها الزيف من مجتمعنا وعند ذلك يأتى نصر الله الذى وعد به عباده المؤمنين . فلنعد والعود أحمد .

---

(1) عن كتاب خالد محمد خالد .

الإسلام والتمييز العنصري

الشيخ : أحمد العجوز — لبنان

قرر الاسلام مبدأ المساواة بين الناس ، وأعلن أنهم سواسية كأسنان المشط على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، وقضى على النظام العنصرى والأساس الطبقى ، وجعل التفاضل بينهم على درجات التقوى ، والكفاءات العلمية ، وما يقوم به الانسان من أعمال صالحة ، وما يقدمه من خدمات طيبة نافعة .

فجميع الناس في نظر الاسلام اخوان على سواء ، نشاوا من أصل واحد ، من أب واحد ، ومن أم واحدة ، هما آدم وحواء ، فلا تفاضل بينهم في حقيقتهم الانسانية ، فالانسان الأبيض لا يفضل أخاه الأسمر أو الاسود ببياضه ، ولا يمتاز عنه بعنصره ، فلون البشرة ليس من الفوارق بينهما في شيء ما دامت الحقيقة الانسانية واحدة ، فلا تختلف في أفرادها بما يلابسها من أعراض لونية ، واصطباغات اقليمية .

أسباب اختلاف اللون :

ولقد كان اللون واحدا في الأصل في جميع الأفراد ، لا يتفاوت الناس فيه ، وبانتشارهم في أنحاء الأرض وأرجائها ، اثرت فيهم أجواؤها المتباينة ، وطبائعها المختلفة من حرارة ، وبرودة ، وجفاف ، ورطوبة وغذاء ، وماء ، وما يتبع ذلك من صفاء الجو وشفافيته ، وتلبده بالضباب والغيوم واختلاف الهواء باختلاف المناطق ، وتباين الضغط الجوى ، ونحو ذلك فكان التفاعل بين هذه العوامل ، وبين حساسية جلد البدن ، على تقادم العهد الطويل ، ومرور الزمن المديد ، فاكسبه اللون الذى يناسب محيط هذه العوامل ، ومن ثم اختلفت الوان البشرة من البياض الناصع الى الصفرة الى السمرة ، الى الحمرة الى السواد .

ولئن اختلفت بذلك الوانهم ، فان حقيقتهم لم تختلف ، فانها واحدة ومن طينة واحدة ، وذات طبيعة واحدة .

لا تفاضل باللون :

لا تفاضل باللون ، ولا تمايز فيه ، ففضل الانسان انما هو بمفاخره لا بمظاهره ، وبأعماله لا بأمواله ، وباحسانه لا بألوانه ، لذلك قد يفضل الملون بالسمرة أو السواد كثيرا من أخوانه البيض بصلاح دينه ، وكرم خلقه ، وحسن علمه ، وطيب نشأته وسعة علمه ، وصدق خدمته .

وقد يلاقي الانسان الابيض من اخوانه البيض تعبا وعناء ، واضطهادا وايذاء ، وقد يكون أخوه الأسمر أرحم منهم واعطف ، وأرق قلبا والطف .

فذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه اول ظهور الاسلام ، لاقوا من قومهم ومن عشائرهم كثيرا من المقاومة والاضطهاد ، ومن الظلم والايذاء ، ولا ذنب لهم الا ان آمنوا بربهم الذى خلق السموات والأرض ، ولما اشتد بهم الايذاء قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده احد . وهى ارض صدق . حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه) . فهاجر اليها عشرة رجال . وخمس نسوة في السنة الخامسة للنبوة . فأقاموا فيها آمنين على انفسهم ، بعيدين عن اذى قومهم . والاحباش هم سمر اللون ، وقد فضلهم الرسول صلى الله عليه وسلم حينذاك لانسانيتهم ، وحسن معاشرتهم ، وعدالتهم ، وما هم عليه من الايمان بالله ووحدانيته ، والخضوع اليه ، ولما اتفقت قريش على مقاطعة بني هاشم ، وبني المطلب ، والتضييق عليهم ، ودخل بنو هاشم ، وبنو المطلب شعب أبي طالب ما عدا أبا لهب ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جميع المسلمين أن يهاجروا الى الحبشة ليساعد بعضهم بعضا على الاغتراب . فهاجر أكثرهم ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وثماني عشرة امرأة ، ولحق بهم الذين أسلموا من ناحية اليمن . فكان الاحباش السمر خير ملجأ لهم وحينما أرسلت قريش وفدا الى ملك الحبشة ، ليرد اليهم هؤلاء المسلمين المهاجرين ، رد الوفد على أعقابه عندما عرف صدق اسلامهم ، وأبقاهم في حمايته ، وأحسن معاشرتهم ، وقد وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم وفد حبشي بعد فتح مكة ، فقام يخدمه بنفسه ، فقال له أصحابه : نكفيك . قال : انهم كانوا لأصحابي مكرمين وانني احب ان أكافئهم » .

مقاومة الاسلام للتمييز العنصري :

كان التمييز العنصري عند اكثر الامم ، وكان اكثر ما يسترقون ويستعبدون من الملونين ، فكانوا يعاملونهم أسوأ معاملة ويتخذونهم سلعا تباع وتشرى ، واذا أساء أحدهم عذبوه بالضرب ، أو بقطع الأذن ، أو بجعل النار في فمه ، أو بالقتل ، من غير رأفة ولا رحمة ، ولا يؤاخذ لمجرم على اجرامه .

فجاء الاسلام بالخير والرحمة ، والشفقة والرأفة ، والعدالة والمساواة ، وأعلن الوحدة الانسانية وتكافؤ جميع أبنائها ، في حقوق الحياة ، وأنكر التمييز العنصري ، وعده جريمة نكراء ، وعامل جميع الناس على اختلاف الوانهم وأجناسهم معاملة واحدة ، في التكليف والقضاء ، وفي حقوق الحياة ، وصان حريتهم وكرامتهم ، وراعى حرمتهم ، ومواهبهم الفطرية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر

على ابيض ، ولا لأبيض على احمر فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

فوجد أولئك الأرقاء المعذبون أن الاسلام الذى هو دين الحق ، هو سبيل النجاة والسعادة ، وهو منطلق الحرية والعدالة ، وهو الصراط السوي الذى يلاقي المؤمن به رضاء الله ، ويفوز بنعيم الدنيا ، وسعادة الآخرة ، فطفقوا يدخلون في دين الله ، مستلذين التعذيب في سبيله ، مؤثرين فيه حياة التقشف والخشونة والفقر والقلة على ما كان عليه أسيادهم من نعمة ورخاء ومتعة .

والرسول صلى الله عليه وسلم يحث كل من يملك أرقاء على حسن معاملتهم ، وعلى عتقهم وتحريرهم ، ويقول : (اخوانكم خولكم (أى خدمكم) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس) . ويقول : (ايما امرىء مسلم اعتق امرأ مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار) .

ولأبي داود من حديث كعب بن مرة رضى الله عنه : (وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار) .

وقد مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمكة ، فرأى العبيد وقوفا لا يأكلون مع ساداتهم ، فغضب ، وقال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟! .. ثم دعا الخدم ، فأكلوا مع السادة في جفان واحدة .

وقد بلغ من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبيد السود ، والمحافظة على كرامتهم ، واخوتهم الانسانية أن كان لعبد الله بن رواحة راعية تتعهد غنمه ، وهى عبدة مملوكة له ، فعدا الذئب على واحدة منها فأكلها ، فجاء عبد الله يبحث في الغنم ، فلم يجد الشاة ، فأخبرته الراعية بأمرها ، فلطمها على وجهها ، ثم ندم على ما وقع منه ، وغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بما فعل بجاريته ، فاشتد بالرسول صلى الله عليه وسلم الغضب ، حتى احمر وجهه ، وهاب أصحابه أن يكلموه ، ووقف عبد الله واجما لا يتحرك ، ثم قال عليه الصلاة والسلام عند ذلك : (وما عسى أن تفعل الصبية بالذئب ؟ وما عسى أن تفعل الصبية بالذئب ؟) وما زال يكررها ثم قال : (ان خدمكم اخوانكم جعل الله لكم الولاية عليهم) . فلم يجد عبد الله بن رواحة مخرجا مما وقع فيه الا بعتق جاريته التى لطمها فأعتقها .

وكان قد اختلف في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم مرة ابو ذر الغفارى وبلال ، فاحتد عليه أبو ذر ، وقال له : يا ابن السوداء ، وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم منه ذلك ، فأخذه الغضب الشديد ، وقال (طف الصاع ، طف الصاع (١) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، أو بعمل صالح) . فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وقال لبلال : قم فطأ عليه .

المسلم أخ لكل مسلم :

لا يفرق بين المسلم والمسلم لون ، ولا يميزه جنس ، فالمسلم هو هو بجميع الوانه ، وهو اخ لكل مسلم

(١) أى تجاوز الأمر حده .

على اختلاف أجناسه ، في أى زمان ومكان ، له ما لأخيه المسلم من حق وحرية ، ونصر وحماية ، ونصح ومحبة ، ومعونة وولاء ، يساويه في العقيدة والتكليف ، والمثوبة والعقوبة ، والحق والحرية ، والمسئولية والقضاء والكفاءة والعدالة . فالمساواة العامة مبدأ الاسلام ، وميزة المسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) الحديث .

كان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقودها له في الأسفار ، وقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل عن دابته ويركبه اياها ، والرسول يمشى على قدميه .

وذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سار الى بيت المقدس كان معه عبده وناقته ، فكانا يتناوبان الركوب على الناقة ، وهو خليفة المسلمين ، ولما وصلا الىبيت المقدس كان غلامه الراكب ، وهو ساع خلفه ، وكان الأمير على بيت المقدس أبو عبيدة بن الجراح ، رأى أبو عبيدة ذلك فخشى أن يحقره الناس ، وهو في بلد من بقايا حكم الرومان ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين : أراك تصنع أمرا لا يليق ، فان الأنظار متجهة اليك ، فقال عمر : لم يقل أحد ذلك قبلك ، وقد كنا أذل الناس ، وأحقرهم فأعزنا الله بالاسلام ، ومهما طلبنا العز بغيره أذلنا الله .

رفع الاسلام شأن الأرقاء الملونين :

حظى الأرقاء الملونون في الاسلام بالحرية التامة ، والعزة والكرامة ، ونال بعضهم الرتب الرفيعة .

فذلك بلال بن رباح الحبشى ، فانه كان عبدا مملوكا لأمية بن خلف الجمحى ، يرهقه في أعماله ، ويذله في أشغاله ، ويعذبه لاسلامه ، ولا حيلة له في نجاته ، ولا أمل في هناء حياته ، مر به أبو بكر رضى الله عنه فرآه يعذبه لاسلامه ، فقال : يا أمية : أما تتقى الله في هذا المسكين ؟ حتى متى تعذبه ؟ فقال أمية : أنت الذى أفسدته ، فأنقذه مما ترى . فاشتراه منه ، وأعتقه ، ثم صار مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلوات الخمس ، فاعتز بالاسلام ، وسعد به .

وقد قضى الاسلام بأن تصير العبدة المملوكة حرة ، اذا تزوجها سيدها ، وأتت منه بولد ، ويصبح الولد حرا .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته ، وسالم انما هو عبد أسود .

وقد تقلد كثير من العبيد السمر المناصب العالية في الاسلام ، بعد ان حررهم من ذلة العبودية .

فذلك اسامة بن زيد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا على جيش عظيم ، فيه الكثير من المهاجرين ، والأنصار واجلاء الصحابة .

وذلك كافور الاخشيدى اشتراه الاخشيد من بعض أهالى مصر بثمانية عشر دينارا وحرره ، ولما أعجب بذكائه أخذ يرفع من شأنه ، حتى صار بيده زمام المملكة المصرية التى كانت من أنفس الممالك الاسلامية .

وهذا السلطان المؤيد : كان من الأرقاء السمر ، فاشتراه محمود شاه اليازدى بثمن بخس ، ثم قدمه الى الظاهر برقوق ، فأعجب به ، وبذكائه فحرره ، ثم قلده عدة وظائف في مصر والشام ، الى أن صار سلطانا على مصر ، حتى وافاه الأجل المحتوم ، وقد دامت سلطنته زهاء تسع سنوات ، وهو الذى بنى جامع المؤيد المشهور باسمه في باب المتولى بالقاهرة ووقف عليه أوقافا كثيرة ، ويعد هذا المسجد من أفخم الآثار المصرية الى الآن .

الخلاصة :

والخلاصة أن الاسلام لا ينظر الى لون المسلم وصبغته ، ولا يفرق بين العناصر والأجناس ، ولا ينظر الى الفوارق الاقليمية ، واللغوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من دعا الى عصبية) وانما ينظر الى دين المرء وخلقه ، وعمله الصالح وادبه ، ويعمل على ايصاله الى اعلى الدرجات ، وأسمى المراتب في الحياة ، ويعنى كثيرا بتحرير المماليك ، وترقية شؤونهم واعزازهم .

وقد بلغت جماعة منها أعلى المناصب في البلاد الاسلامية ، واسسوا دولتهم المعروفة بدولة المماليك ، فنشرت العدالة والطمأنينة بين الناس ، وأنشأت الكثير من المساجد لعبادة الله تعالى ، وساست الأمة سياسة حكيمة رشيدة ، وخدمت البلاد خدمات طيبة .

هذه أعمال الاسلام ، وهذه ثمراته في المملوكين الملونين ، وفي مقاومة العصبية ، والتمييز العنصرى ، فلم يكن بين المسلمين ، ولا في البلاد المفتوحة لهم ، ولا البلاد المجاورة لهم في اى عصر من العصور نزاع عنصرى ، ولا خصام تعصبى ، في جميع العصور المتلاحقة الى وقتنا هذا ، بل كان بين الجميع حب ووئام ، وتعاون واخاء ، وخدمة وايثار . وذلك بتأثير هداية الاسلام وعدالته ، واصلاحاته ومعاملته ، بينما تراق الدماء البريئة بسبب التمييز العنصرى الجائر في أمريكا ، وجنوب افريقيا وتقوم الاضطرابات فيها لذلك آنا بعد آن ، ونحن في القرن العشرين ، وفي عصر الرقى ، والتقدم الفنى ، فليس كالاسلام مبدأ يشيد بعزة الانسانية ، ويصون حرمتها في المساواة بين ابنائه . هذا دين الحق ، وان الدين عند الله الاسلام .

الحج عبادة العمر ومؤتمر المسلمين العام

الأستاذ احمد مسلم ابراهيم

للاسلام غايات نبيلة وأهداف سامية تكمن وراء تشريعاته وتقنين قوانينه وسن أحكامه وكلها لسعادة الانسان وخير المسلمين ، ومن بين هذه التشريعات التى لها هذه الاهداف فريضة الحج ، تلك الفريضة التى هى عبادة العمر ومؤتمر المسلمين العام .

واذا كان لكل عبادة فى الاسلام هدفها الكريم وغايتها المثلى فان هدف الحج الاسمى ، وغايته العليا أن يطهر صاحبه من الرذيلة ، وأن يجمله ويحليه بالفضيلة ، ويزوده بزاد من التقوى والخير والبر .

ولكن للأسف الشديد فان الكثير من الناس يحجون البيت الحرام من غير نظر الى معنى الحج ومغازيه ، بل ينظرون اليه على أنه مناسك تؤدى ، وزيارات تقصد ، من غير نظر الى الغاية الاجتماعية منه ، ومن غير تعرف لما كان عليه السلف الصالح ، مع أن القرآن الكريم وجه الى ما يكون فى اجتماع الحج من منافع اجتماعية واقتصادية واسلامية فقال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

لم ينظروا فى الحج الى المعانى الاقتصادية التى بها يعرف أهل كل اقليم ما عند الآخر من خير ليس عندهم ، وما عندهم مما ليس عند غيرهم ، وبذلك يتبادلون المنافع ، وتكون خيرات الامة الاسلامية فى جملتها للمسلمين فى جملتهم ، فلا حواجز بينهم ، ولا ضيق عند قوم ، ورخاء عند آخرين ، ولهذا المعنى الاقتصادى أبيح الاتجار فى أثناء الحج ، وصرح بذلك القرآن الكريم فقال : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقــوى واتقون يا أولي الالبــاب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضـــلا من ربكم » ، والمقصود بابتغاء الفضل في الحج هو الاتجار .

نعم ان المسلمين لا ينظرون الى الدين الا على أنه علاقة نفسية ، تكون في الصلاة والصوم والحج في أضيق صوره ، حتى صاروا يظنون أن الاسلام دين المعابد والصوامع ، ومع ذلك لا يؤدون العبادات وقلوبهم خاشعة ، ونفوسهم خاضعة لله تعالى وحده ، ولو انهم فعلوا ذلك في تقوى صـــادقة لأدركوا كل معانيه . فان تقوى الله توجه المؤمن الى صلاح حاله ، وصـــلاح حال المؤمنين جميعا ، والشعور بأن أهل التوحيد جماعة واحدة ، فالاتجـــاه الى القبلة هو اتجاه الى الوحدة الاسلامية في أسمى غاياتها .

عبـــادة جامعـــة

ان الحج عبادة جامعة لكل العبادات ففيه من الصـــلاة مناجاة الرب جل جلاله والوقوف بين يديه في بيته الاول المعظم الذى قال في شأنه « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

وفيه من الصيام الصبر على المشاق والخروج عن مألوف العادات .

وفيه من الزكاة معنى التضحية بالمال ، وبذله في سبيل الله ، بل فيه نسيان المـــال عامة ، والخروج من جميع مشاغله ، لأن الحاج يترك أهله وأمواله وأعماله في بلده ، ولا يأخذ معه من المال الا ما يكفيه في رحلته ، وما يجود به في صدقته .

وفيه من القرب اراقة الدماء ، تعظيما لمناسك الله ، وتوسعة على عباده ، وتذكرا لسنة أبينا ابراهيم ، عليه وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وفيه قبل ذلك كله ــ وبعد ذلك كله ــ الاساس الاكبر للاســـلام وهو شهادتان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . يتجرد الحاج لها ، ويتفرغ ، وينادى بالتلبية مرة بعد مرة قائلا « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

وبذلك يعتبر الحج المبرور عبادة العمر ، ويكون بمثابة التطهر من جميع الذنوب ، والتزود بالكثير من الفضل والرضوان ، وفي هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

مؤتمر عام

لقد شرع الاسلام للمسلمين هذا الاجتماع العام ، ليجتمع فيه المسلمون من أنحاء العالم حول الكعبة الشريفة ، وجميعهم على دين واحد ، ولفرض واحد ، حيث يقوم العلماء بتعليم الجهلاء ، ويخطب الخطباء ، ويتحدث الحكماء لوعظ المسلمين ، وارشادهم الى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، ويتبادل الجميع الآراء والافكار ، ويعود الحجاج الى بلادهم ، وهم مزودون بكثير من الاخبار عن اخوانهم فيقوى الاخاء بين المسلمين ، ويزول التباغض والتحاسد . فضلا عما يكون فى زيارة تلك الاماكن الطاهرة من تقرب الى الله ، وعظة وعبرة ، والتجاء الى خالق الكائنات ، وتخلق بأخلاق السلف الصالح ، وتنبيه للنفس الغافلة ، وحملها على ذكر الله الواحد القهار ، حيث يجتمع المسلمون فى مكان واحد ، ويتجهون الى الله بقلوبهم رافعين أكف الضراعة اليه بالرجاء ، مبتهلين اليه بالحمد والدعاء ، قلوبهم مؤمنة ونفوسهم راضية طيبة ، فلا يخيب الله لهم رجاء ، ولا يرد لهم دعاء ، بل يشملهم بفضله ورحمته . فيندمون على ما فعلوا من ذنوب ، ويقفون بين يدى الله خائفين من هول اليوم الذى « يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » .

التهيؤ للحج

وينبغى على المسلم اذا عزم على السفر لأداء فريضة الحج أن يبادر الى التوبة النصوح ، ورد المظالم الى أربابها ، وقضاء ما عليه من الديون ، واعداد النفقة لجميع من تلزمهم نفقته ، الى وقت الرجوع من رحلته ، وأن يختار لحجه وعمرته نفقة طيبة ، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا) ويقول عليه السلام (اذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز (الركاب) فنادى : لبيك اللهم لبيك — ناداه مناد من السماء — لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور . واذا خرج بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله فى الغرز ، فنادى — لبيك — فاذا مناد من السماء يقول — لا لبيك ولا سعديك — زادك حرام ونفقتك حرام ، وحجك مأزور ، غير مبرور .

كما ينبغى على المسلم أيضا أن يلتمس رفيقا صالحا ، محبا للخير ، معينا على فعله . ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه ، وان عجز قواه ، وان ضاق صدره ثبته وفرج كربته ، وينبغى أن يودع أهله واخوانه وجيرانه ، ويلتمس دعاءهم ، فان الله جاعل فى دعائهم خيرا كثيرا . ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان دائما يدعو لمن أراد السفر بقوله « فى حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت) .

وعلى الحاج أيضا اذا ركب مركبا أيا كان نوعه أن يقول (اللهم أنت الصاحب فى السفر ، وأنت الخليفة فى المال والاهل والولد ، اللهم انا نسألك فى سيرنا هذا أن تطوى لنا الارض ، وتهون علينا السفر ، وتبلغنا حج بيتك ،

وزيارة مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون) .

والحج — كما لا نحتاج أن نقول — ركن من أركان الاسلام الخمس لا يكتمل اسلام المسلم الا به ، غير أن الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده قد فرضه مشروطا بالقدرة والاستطاعة ، حيث قال (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) . والمراد بالاستطاعة هنا أن يكون المسلم حرا راشدا صحيح البدن ميسور الزاد والراحلة قادرا على نفقة عياله مدة سفره فى حجه مع أمن الطريق وحل المال . فمن لا يتوافر له هذا كله فلا وجوب عليه .

أما مع الاستطاعة المتكاملة — فهو فريضة واجبة الاداء فى غير تردد ولا ابطاء ولا انساء لمرة واحدة فى ميقاتها الزمنى المعروف من كل عام . فان وسع المسلم أن يكرر اداءها فذاك مزيد من الخير مشكور ، ومحمدة مثاب عليها ، لما يقترن بالحج من اعمال صالحات ، تزداد بها الارواح طهرا وصفاء . روى أبو هريرة فقال — خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نزلت آية الحج فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة — فقال : ايها الناس : ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا . فقال رجل — اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت النبى حتى قالها الرجل ثلاثا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لو قلت نعم لوجبت عليكم وما استطعتم) .

وينبغى على المسلمين أن يعلموا أن هناك فى هذا اللقاء الكبير والمؤتمر العام مقاصد انتظمتها شرعته السماوية ؛ حيث يستعرض المسلمون مجريات الاحداث فى بلادهم وشعوبهم كأمة واحدة ، فينظروا فيها نظرا واسعا ، منزها عن الاهواء الشخصية ، مبرءا من المنازع الشعوبية ويدرسونها دراسة وافية ، ويضعون لها الحلول العاجلة ، التى تحقق الخير للأمة العربية والاسلامية على السواء ، ففى الحج يلتقى رجال المال والاقتصاد لوضع أسس التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى ، حماية للانتاج الاسلامى من أن تعبث به أصابع الاستعمار والصهيونية ، كما يلتقى أيضا أمجاد العروبة والاسلام فى وطن الاسلام الاول ، حيث نزلت الآيات البينات نورا وهدى للناس اجمعين ، ومشى فيه الانبياء والابطال الذين كانوا يفجرون ينابيع العلم اذا فكروا ويبسطون لواء العدل اذا حكموا ، ويحملون لواء النصر اذا دافعوا ، وبذلك يصل المسلمون حاضرهم المشرق بماضيهم الخالد المجيد .

معنى اعمال الحج

وللحج اعمال أربعة يجب على الحاج أن يحرص على ادائها وهى الاحرام والطواف حول البيت الحرام والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة . ولو دققنا النظر فى هذه الاركان الاربعة لوجدنا أن لكل منها فلسفته وتوجيهاته ذات الصلة الوثيقة بحياة الفرد والجماعة .

الاحـــــرام

فالاحرام عبادة قوامها التجرد ، ونسيان النفس ، والانخلاع من المظاهر المألوفة ، ومن أبهة الحياة ، ومن غريزة العدوان على الاشـــياء وعلى الحيوان والانسان ، لأن المسلم اذا احرم أخذ وصفا جديدا . ليس له أن يحارب أحدا ، أو يقتل صيدا ، أو يقطع شجرا ، أو يشاحن ، أو يجادل ، بل عليه أن يســـلم نفســه الى الله ، وينظر الى أنه ضيف فى رحابه .

الطـــــواف

والطواف حول البيت الحرام يوحى للمؤمن بأن واجبه أن يلتزم النطـــاق الذى حدده الله له فى حياته ، كما يلتزم الدوران حول بيته ، والطائف حول البيت يدور حوله سبع دورات ، وهو يدعو ربه ، متجها اليه بقلبه وســـمعه وبصره ، يرجو رحمته ، ويطلب توفيقه ، ويخشى عذابه ، ويبرأ اليه من كل ذنب واثم اقترفه ، ويعلن فى صدق واخلاص أن أعظم امانيه فى موقفه هذا أن يرزقه الله النجاة من النار ، ويدخله جنة تجرى من تحتها الانهار .

الســـــعى

والســعى بين الصفا والمروة فيه أيضا ايحاء للمؤمن بأنه حين يسـعى فى حياته ، وينشط رائحا وغاديا ، انما يسعى وينشط فى ظل من عناية الله ، وفى نطاق معونته وتوفيقه . والمؤمنون منا يشعرون بأنهم فى هذا السـعى محققون لأمر الله ، مستظلون بظله ، فدنياهم العملية مرتبطة بما يؤمنون به من عقيـــدة صادقة فى أن الله سبحانه وتعالى هو رب هذا الكون بما فيه ، ومن فيه ، وانه هو الذى هيأ لكل مخلوق مسعاه ومراحه ومغداه (كل ميسر لمـــا خلق له) .

واذا كان يجد فى مسعاه وينشط ، ويبذل ما منحه الله من جهود مادية ، فانه لا ينسى مع ذلك ما عليه لله من واجبات ، وما هو فيه من فضله ونعمته . وبذلك تتصل ماديته بروحه ، وروحيته بمادته ، فيكون مؤمنا عاملا يخدم نفسه ودينه وأمته ، ينطبق عليه قول الله تعالى (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

الوقـــــوف

والوقوف بعرفة فى يوم الحج الاكبر له توجيهـــاته الباقية ، وتاريخـــه وذكرياته الماضية ، فمن توجيهاته وايحاءاته ما يوحى به الموقف العظيم الذى اجتمع له الناس من كل فج عميق . من وحدانيـــة الله التى يؤمن بهـــا هؤلاء الخلق ، المختلفو الاجناس والالوان والالسنة ، وقد تركوا أموالهم واولادهم ، وجميع مظاهر حياتهم واعمالهم ومتاعهم من اجلها ، ورضوا باحتمال المشاق ، وتكبد الاسفار ، ولا يكون هذا الا عن ايمان عميق ، وروح طيبة طاهرة ، خاشعة لمالك الملك والملكوت ، فضلا عن أن المؤمن الواقف بعرفات وسط هذا الجمع

الحاشد ، يدرك تماما معنى التوحيد والايمان حسا وتطبيقا ، كما عرفه من قبل معنى وقولا . ويشهد أيضا بصورة عملية وحدة الامة الاسلامية ، متجلية فى اجتماع وفودها بمكان واحد ، وفى وقت واحد ، وهى تدعو ربا واحدا ، وتؤمن بكتاب واحد ، ورسول واحد ، وتتجه بقلوبها الى الله تطلب منه تحقيق هـذا الهدف الموحد وهو نصر الاسلام ، واعلاء كلمته ، ولو كره الكافرون .

ذكريات يوم عرفة

أما من ناحية ذكريات هذا الموقف فحسبنا أن هذا اليوم هو الذى أتم الله فيه نعمته على المسلمين ، وفيه نزل قول الله تبارك وتعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، وقد قال أهل الكتاب عندما أنزلت هذه الآية « لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلنا يوم نزولها عيدا لنا . فقال عمر بن الخطاب : أشهد لقد نزلت فى عيدين : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، وكان يوم جمعة وكلاهما عيد » .

وقد جاء فى بعض الاحاديث تصويرا لموقف الشيطان حين رأى رحمات الله تنزل على عباده يوم عرفة ، انه لما علم أن الله سبحانه وتعالى استجاب لرسوله صلوات الله وسلامه عليه دعواته لأمته بالمغفرة الشاملة ، أهوى يدعو بالويل والثبور ، ويحثو التراب على رأسه . وقد قيل أيضا فى حديث آخر « ما رئى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر — أى أشد اندحارا — ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة » ، وما ذاك الا لما يرى فيه من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام .

وحسبنا أيضا من ذكريات هذا الموقف الخالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فيه خطبته الكبرى — خطبة الوداع — التى قرر فيها المبادىء العامة للحقوق والواجبات فى الاسلام حيث قال : « أيها الناس : ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . . الا هل بلغت . اللهم فاشهد . أيها الناس : ان لنسائكم عليكم حقا وان لكم عليهن حقا — أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله اتقاكم . ليس لعربى فضـــل على عجمى الا بالتقوى — الا هل بلغت اللهم فاشهد » .

وهكذا فان الاسلام يتابع سيره بالفرد المسلم أو بالجماعة المسلمة فى طريق الوحدة والتجمع بعد ان عرف الطريق الى الله ، وانطلق لسانه وعقله وقلبه وكل جوارحه تعلن أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وبعد أن أخذ بيده ليسير فى التطبيق العملى لمعنى ذلك التوحيـــد حتى لا تستبد به مع الايام شـــهواته فينحرف عن الطريق السوى لمعنى التوحيد وبعد أن حصنه بالصلاة والصـــيام والزكاة فختم أركانه الخمســـة بفريضـــة الحج الى بيت الله الحرام ليخلص الانسانية من طبقية جامحة غاشمة ما كان مقدرا لها أن تتخلص منها بغير ذلك التوجيه .

ولهذا فاننا نرى رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه يقول (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج . فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا حج بيته وشفاعة نبيـــه ويهدينا جميعا سواء السبيل .

اعدها : ابو نزار

سبحان الله

كل شيء هو نفسه الا الانسان فكثيرا ما يكون غير نفسه : شجرة الورد والتفاح والحنظل تعبر عن طبيعتها فى صدق دائما ، وتنتج ثمارها من جنس طبيعتها دائما ، ولا تخرج شجرة التفاح حنظلا يوما ما .

أما الانسان فلا يعبر عن حقيقته دائما ، فقد يعبر عن جوعه وهو متخم ، وعن حبه وهو كاره ، وعن اخلاصه وهو يخفى الاجرام ، وان يقول غير ما يفعل .

□□□

أمانة الحاكم

استدان ولد لعمر بن الخطاب من ابى موسى الاشعرى حين كان واليا على الكوفة ــ اموالا من خزانة الدولة ليتاجر بها . على ان يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصة ..

واتجر ولد عمر ، فربح ، فبلغ ذلك عمر فقال له :

انك حين اقترضت من ابى موسى انما اعطاك لانك ولد امير المؤمنين ..

انك حين اشتريت انقص لك البائعون فى الثمن لانك ولد امير المؤمنين ..

ولما بعت زاد لك المشترون فى الثمن لانك ولد امير المؤمنين ..

لا جرم ان كان للمسلمين حق فيما ربحت ، فقاسمه نصف الربح ، واسترد منه القرض .

واشتد فى العتب على ابى موسى لانه اسلف ولد امير المؤمنين من اموال الدولة ما لا يفعله مع غيره من الرعية .

□□□

وزير لا تقبل شهادته

شهد الفضل بن الربيع وزير الرشيد عند ابى يوسف القاضى ، فلم يقبل شهادته ، فعاتبه الخليفة فى ذلك ، وقال له : لم رددت شهادته ؟

قال ابو يوسف : لانى سمعته يوما يقول للخليفة : انا عبدك . فان كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وان كان كاذبا فلا شهادة للكاذب ، واذا لم يبال فى مجلسك بالكذب ، فلا يبالى به فى مجلسي ، فعذره الخليفة !!

□□□

حماة مثالية

قالت اسماء بنت خارجة الفزارى لابنتها عند الزفاف :

يا بنية : انك خرجت من العش الذى فيه درجت ، فصرت الى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تالفيه ، فكونى له ارضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له امة يكن لك عبدا .

لا تلحفي به فيقلاك (لا تلحى عليه فيكرهك) ولا تباعدي عنه فينساك .

ان دنا منك فاقربى منه ، وان نأى عنك فابعدى عنه .

واحفظى انفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك الا طيبا ، ولا يسمع منك الا حسنا ، ولا ينظر الا جميلا !!

الوالد العـــاق

جاء رجل الى عمر بن الخطاب يشكو اليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد ، وأنبه على عقوقه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .

قال الولد : يا أمير المؤمنين : ان أبي لم يفعل شيئا من ذلك . أما أمي فانهـا كانت أمة لمجوسي .. وقد سماني (جعلا : خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا ، فالتفت عمر الى الرجل ، وقال له : جئت تشكو الى عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت اليه قبل أن يسيء اليك .

□□□

كيف أصبحت ؟

قيل للشافعي : كيف أصبحت ، فقال : كيف أصبح من يطلبه ثمان : الله تعالى بالقرآن ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالسنة ، والحفظة بمـا ينطق ، والشيطان بالمعاصى ، والدهر بصروفه ، والنفس بشهواتها ، والعيال بالقوت ، وملك الموت بقبض روحه .

□□□

حق الجـــار ولو ...

كان لأبى حنيفة جار يشرب طول الليل ويكثر صياحه وترداده لهذا البيت .

اضاعوني وأى فتى أضاعوا — ليوم كريهـــة وســـداد ثغر

حتى يأخذه النوم ، وأبو حنيفة يسمع كل يوم جلبته . ثم فقده ليلة ، وعلم أن العسس أخذه ، فركب أبو حنيفة ، واستأذن على الامير ، وسأله أن يخلى سبيله ، فقال له الامير : وكل من أخذ فى تلك الليلة ، فلما خرج الفتى قال له « أأضعناك ؟؟ » وأعطاه ما يستعين به على نقصان دخله فى أيام حبسه ، فكشف الله بهذا الاحسان الغمة عن عقل الفتى حتى تاب ، وتتلمذ على أبى حنيفة .

□□□

ذكاء مفـــرط

شكت امرأة الى الخليفة المـأمون فقالت : يا أمير المؤمنين . مات أخى وترك ٦٠٠ دينار ، فحكم القاضى لى بدينار واحد . فقال لها المأمون : هـــذا نصيبك . قالت وكيف ذلك ؟ قال : الرجل ترك ابنتين ووالدة وزوجة واثنى عشر أخا . قالت : نعم . قال : فللبنتين الثلثان ٤٠٠ وللوالدة السدس ١٠٠ وللزوج الثمن ٧٥ ولكل أخ ديناران ولك دينار .

□□□

فى مكتبة المعـــز

قال المقريزى : دخل أحد السياح مكتبة المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة فرأى فيها مقطعـا من الحرير الازرق غريب الصنعة فيه صورة أقاليم الارض وجبالهـا وبحارها ومدنها وأنهـارها ومسالكها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر ، مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادهـا وأنهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة ، فقال يكفينى من العجائب هذه .

□□□

ثمانية ملوك فى الأسر

لم يجتمع لخليفة ما اجتمع للمعتصم من الظفر والنصر !!

أسر ملك أذربيجان ، وملك طبارستان ، وملك أستسيان ، وملك اشباصح ، وملك فرغان ، وملك تخارستان ، وملك الصفه ، وملك كابل .

جلال الدين الرومي

أعظم شاعر صوفي عرفه العالم

الأستاذ : لطفي ملحس
عمان : الكلية العلمية الاسلامية

ولد محمد بن حسين البلخي المعروف بجلال الدين الرومي ، في السادس من ربيع الاول سنة ٦٠٤ للهجرة (٣٠ سبتمبر ١٢٠٧ للميلاد) في مدينة بلخ ، التي لم تعد اليوم أكثر من قرية في شمال أفغانستان .. وقد كانت « بلخ » مقرا اداريا وتجاريا ، كما كانت مركزا دينيا شهيرا أيضا .. فقد بنى فيها الزرادشتيون ما لا يقل عن خمسة هياكل لعبادة النار ، واسس البوذيون بها كذلك ديرا سمي « النوبهار » وظل قائما حتى فتحها « الاحنف بن قيس » عام ٣٢ للهجرة (٦٥٣ للميلاد) .. وقد استمرت صلة المدينة الطويلة بالعبادة الى ما بعد مجيء الاسلام .. وقد تولى امارتها عدد من الامراء ، **كان من أبرزهم « ابراهيم ابن ادهم » الذي ترك الامارة بعد توليتها مدة قصيرة ، ليتشغل في امور الدين والتصوف ..**

نسب جلال الدين الرومي :

اختلف الادباء والمؤرخون في نسب جلال الدين الرومي ، فمنهم من رده الى ولد أبي بكر الصديق ، ونسبه آخرون الى ابراهيم بن أدهم ، كذلك تنازع نسبه الفرس والترك ، كما تنازعوا ابن سينا وغيره ، وقد رحل به أبوه المعروف ببهاء الدين ، والملقب بسلطان العلماء وهو في سن الرابعة ، وصحبه في حله وترحاله . وقد تلقى جلال الدين العلم عن والده الذي عرف عنه تضلعه في العلوم الاسلامية التقليدية ، وفي آرائه الصوفية .

ومما يذكر أن بهاء الدين كان قد هرب مع عائلته قبل وصول المغول الى « بلخ » التي دمرتها جحافل جنكيزخان تدميرا كاملا عام ١٢٢٠ م . وكانت قد توقفت جماعة النازحين الصغيرة « بهاء الدين وعائلته » أولا في نيسابور ، حيث

أكرمهم الشاعر الصوفي الفارسي العظيم « فريد الدين العطار » الذي ذهب بعد ذلك ضحية المغول ، ويقال ان فريد الدين تبين في الصبي جلال الدين جميع معالم الولاية اللاحقة ، وانه قدم له نسخة من خير كتبه المعروفة « أسرار نامه » أي كتاب الاسرار ، وقد اقتبس ابن الرومي في كتاباته اللاحقة عن العطار ، كما تاثر بكتابات « سنائي » وهو شاعر صوفي فارسي ، تعرف على كتاباته عن طريق عضو بارز في حلقة والده ، وهو برهان الدين محقق الترمذي الذي أصبح فيما بعد مدرسا لجلال الدين كما سنرى .

استقرارهم في الاناضول :

سار بهاء الدين بعائلته من نيسابور الى بغداد ، ولكنهم لم يمكثوا في العاصمة العباسية طويلا ، بل تابعوا السير الي سوريا ثم تركيا . واخيرا استقروا في قونية « في الاناضول » . حيث حظي بهاء الدين برعاية الحاكم السلجوقي كيقباد .. ومات بهاء الدين عام ٦٢٧ هـ - ١٢٣٠ م ، بعد عمر طويل شاهد فيه ابنه وقد تعلم ، واستقر ، وتزوج ، وانجب في المحيط الجديد .

وفي العام التالي وصل الى قونية برهان الدين محقق الترمذي ، وتابع محاولاته في تدريب جلال الدين علي التصوف ، وشجعه علي السفر الي حلب ودمشق ، لاتمام تعليمه ، وليس هناك ما يدعو للشك في أن الرومي قابل في دمشق محيي الدين بن العربي ، المتصوف الاندلسي العظيم ، وانه تتلمذ عليه .. ولما عاد جلال الدين الى قونية عينه (غياث الدين كيخسرو) معلما وواعظا ، وهي الوظيفة التي شغلها ابوه من قبله ، وكان عمره اذ ذاك (٢٤) سنة ، وهو مركز لا يتمتع به الا من كان على سمة من العلم والثقافة ، والمواهب النادرة ، وعليه امارات التصوف الصحيح ..

من مدرس الى متصوف :

تولى جلال الدين الدرس في اربع مدارس في مدينة قونية في الاناضول ، وكثر طلابه ، وقد وقع له وهو بين الخامسة والثلاثين والاربعين حدث غير اتجاهه ، وهو لقاؤه بالدرويش العجيب « شمس الدين التبريزي » فانقطع بعد لقياه عن التدريس ، وانصرف الي الرياضة الصوفية ، ونظم الشعر ، وسماع الموسيقى ، وقد شعر الرومى أنه وجد في هذا الرجل تجسيد الحكمة كلها والرجل الكامل ، فالتحق بصحبته في حماس بالغ ، وتخلي عن وظائفه الاخرى ، ليتمكن من ملازمته في وجدانه الروحي .

وقد كان ذلك سببا في اغاظة اصدقاء الرومي وطلابه ، فثاروا علي ذلك الدرويش ، واضطروه للهرب من قونية الي دمشق ، فارسل الرومي اليه ابنه « سلطان ولد » ليعود به ، ثم ذهب اليه جلال الدين نفسه ، لانه لم يصبر علي فراقه ، فأرجعه الى قونية ، وساد التفاهم الجو حينا ، ولكن سرعان ما أعقبه انفجار آخر لحقد المريدين القدماء وحسدهم ، فاختفي شمس الدين عن قونية ثانية ، ولم يسمع عنه بعد ذلك .

هوايات جلال الدين الرومى :

شغل جلال الدين بالرياضة ، وشغف باستماع الموسيقى والغناء ، ونظم الاشعار ، وانشادها ، وردد فى كثير منها اسم شمس الدين التبريزى ، ومع انه — أى جلال الدين يعتبر أعظم شاعر صوفى فى العالم فقد وقفت على بعض اقوال له فى بعض كتبه ، ويفهم منها بصراحة أنه كان كارها للشعر ، غير مهتم به ، وأنه لا يحفل الا للنثر الرصين المتزن ، فمما قاله مثلا « .. ولكنى حساس لدرجة أنى أخشى على أصدقائى من الارهاق عندما يأتون الى هنا ، ولذلك أتكلم الشعر حتى أشغلهم به ، والا فمالى وللشعر ؟ انى والله ما أهتم بالشعر ، وما هناك ما هو أسوأ فى نظرى من ذلك . ولكن الشعر واجب على ، مثلما هو واجب على المرء أن يغوص بيديه فى الكرش لينظفها ارضاء لشهية ضيف طابت له الكرش » .

كلمات غريبة تصدر عن رجل قد اتفق العلماء على أنه أعظم شاعر صوفى فى العالم . وأن أشعاره التى نظمها فى كتبه « التى سيأتى ذكرها » قد حسبت بما يزيد عن الخمسين الف بيت عدا رباعياته التى تزيد على ألف وستمائة رباعية .

ومن أقوال ابنه « ابن جلال الدين » عن ابيه قوله « انه لم ينقطع عن السماع للموسيقى ، وعن الرقص ، ولم يسترح قط ، لا فى ليل ولا نهار ، كان مغنيا فأصبح شاعرا ، كان متقشفا فأصبح ثملاً بالوجد . ولكنه لم يثمل من خمرة العنب . فان النفس المستنيرة لا تعاقر الا خمر النور » .. وعلى هذا فقد اجتمع اليه المريدون ، فراضهم على طريقته التى عرفت من بعد باسم « المولويه » ولا يزال قسم غير قليل من المولويين فى دمشق حتى الآن يمارسون طريقتهم بحركات أشبه بالرقص ..

وفاته :

واستمر جلال الدين على تلك الهوايات الى ان توفى فى مغرب يوم الاحد (خامس جمادى الثانية سنة ٦٧٢ هـ — ١٢٧٣ م) ودفن بجانب أبيه فى قونية ، وقبره فى القبة التى شادها له علاء الدين السلجوقى . وخلفه فى مشيخته وطريقته ، خدينه ونجيه « حسام الدين جلبى » الى أن توفى هذا سنة (٦٨٣) هجرية ..

من آثار جلال الدين الصوفية :

ترك جلال الدين أثريه الخالدين على الدهر « المثنوى ، والديوان » وتنسب اليه رسالة منثورة اسمها « فيه ما فيه » توجد منها نسخ فى مكتبات استانبول ، أما كتابه ، المثنوى ، فهو منظومة صوفية فلسفية عظيمة تضم (٢٥٧٠٠) بيت من الشعر ، وتقع فى ستة أجزاء ، وهو قوى البيان ، فياض الخيال ، بارع التصوير ، يوضح المعنى الواحد فى صور مختلفة ، وتأتيه المعانى ارسالا ، وفى المنظومة أى « المثنوى » تعليم بين تفسير آية ، وشرح قصة ، وضرب مثل ،

وكله يتصل بمقصده الاخير حب الله والفناء فيه .. فجلال الدين في المثنوى أستاذ معلم ، مختلف الاساليب ، يخاطب وينصح ، وينتقل بتلاميذه من فن الى آخر ومن كتاب « المثنوى » أذكر للقارىء العزيز الابيات التالية :

استمع للناى غنى وحكى شفه البين طويلا فشكا
أين صدر من فراق مزقا كى أبث الوجد فيه حرقا
كل ناد قد رآنى نادبا كل قوم تخذونى صاحبا
ظن كل اننى نعم السمير ليس يدرى اى سر في الضمير
ان سرى فى أنينى قد ظهر غير أن الاذن كلت ، والبصر
ليس بين الروح والجسم حجب غير أن الروح عنا تحتجب
ان صوت الناى نار ، لا هواء كل من لم يَصْلَها فهو هباء
من رأى كالناى سما ودواء من رأى كالناى غما وعزاء
حارت الأيام فى آلامنا ليس الا النار فى أيامنا
كل ظمآن سوى الحوت ارتوى من يفتقه الزاد أعياه المدى
من يمزق ثوبه العشق صفا وزكا كالدر خلىّ الصدفا
مرحبا يا عشق ، يا خير أمل يا طبيب النفس من كل العلل

□□□

كتاب الديوان :

وكتابه « الديوان » فن آخر من النظم ، هو قصائد قصيرة متفرقة ، كل واحدة مستقلة عن الاخرى ، يغلب فيها فورة الشعر وخياله ، اختار لها وزنا خاصا ، وقافية ، وان كانت المعانى متشابهة متقاربة أو متماثلة ، وهى فيض فى العشق والفناء ، وغيرهما من المطالب العالية فى نحو (٤٦) الف بيت .. واليك هذه المقطوعة من « الديوان » قد وضع أمامك ، منذ جئت عالم الوجود سلم الخلاص ، كنت جمادا ، فصرت نباتا ، ثم صرت حيوانا ، كيف خفى هذا عليك ؟ ثم صرت انسانا ذا عقل وعلم وايمان ، فانظر اى زهرة صار هذا الجسم الترابى .

واذا جاوزت الانسان تصير ، ولا ريب ، ملكا ، فتترك هذه الارض الى السماء .

جاوز الملكية أيضا ، وادخل ذلك اليم تصير قطرتك بحرا هو مئة بحر .

كتاب « فيه ما فيه » :

استغل الرومى موهبته الروائية فى عرضه وتفسيره لما كان يجيش فى صدره من أمور معقدة فى مذهبه ، وهى طريقة كان قد انتهجها المعلمون ، والكتاب الصوفيون من قبله ، وكانت شائعة عند سائر المفسرين فى الاسلام ، سواء كان موضوعهم شعرا أو فصاحة ، أو أخلاقيات ، أو تاريخا . غير أن الرومى كان راوية للنوادر بالفطرة ، وفيما يأتى نورد بعض هذه النوادر التى وردت فى كتابه « فيه ما فيه » « أخذ رجل يهز شجرة مشمش ، ويأكل ثمرها ، فعنفه صاحب البستان قائلا : الا تخاف الله ؟ فأجاب الرجل : لماذا أخافه ؟ الشجرة لله ، وأنا خادم الله .. خادم الله أكل من ملك الله ..

فصاح صاحب البستان : اليك جوابي اذن : أحضروا حبلا ، واربطوا الرجل الى هذه الشجرة ، واضربوه حتى يبين الجواب جيدا .. فقال الرجل : الا تخاف الله ؟ فأجابه صاحب البستان : لماذا اخافه ؟ أنت خادم الله ، وهذه عصا الله ، وانا أضرب خادم الله بعصا الله !!

ومن أقوال جلال الدين فى كتاب « فيه ما فيه » هذا القول : « كلا الكافر والمؤمن يعلن حمد الله . فقد أعلن الله تعالى ان كل من يتبع الصراط المستقيم ، ويعمل الخير متمثلا بالشرع والانبياء والاولياء يمنح سعادة وضياء وحياة . أما اذا فعل عكس ذلك ، لقى ظلاما ورعبا وعثرات وعذابا ، وما دام كلا المؤمن والكافر يسلك طريقه ، وما وعد به الله تعالى يتحقق بدقة وبلا زيادة ولا نقصان ، فان كليهما يصرح بحمد الله .. الواحد بلسان والثانى بلسان .

ولنأخذ مثلا بلص سرق فشنق ، انه أيضا واعظ للمسلمين يقول : « هذا مال من يسرق » ، ورجل آخر خلع الملك عليه ثوب الشرف لبره واستحقاقه . هو ايضا واعظ المسلمين ، غير أن اللص يعظ بذاك اللسان ، والرجل الامين بهذا اللسان » .

ولطريقة الرومى فى العرض نورد مثلا آخر من نفس المصدر : « لنفرض انك ألبست كلبا طوقا من ذهب . انك لن تعتبره كلب صيد ، لمجرد وضع ذلك الطوق حول عنقه . فصفة كلب الصيد صفة معينة فى الحيوان نفسه سواء كان طوقه طوقا ذهبا او حبلا .. والرجل لا يصبح عالما بفضل العمامة والتقفطان ، بل العلم فضيلة فى جوهره ، ولا فرق اذا كان لباسه عاديا أو رسميا .

اسع وراء الانسانية . ذلك هو المقصد الصحيح اما ما عداه فهو عبث ومضيعة للوقت . واستخدام الحلى اللفظية يذهب بالمقصد .

أحب بائع خضار امرأة ، فأرسل لها مع خادمتها يقول « هذا الشعور يخالجنى ، ويخالجنى ذاك . احبك . يضطرم فؤادى ، ويكتوى بنار الحب ، اتألم من قسوتك واتعذب . أمس شعرت بهذا ، وليلة أمس مر بى هذا وذاك .. واستطرد فى أوصاف مطولة . فذهبت الخادمة وقالت لسيدتها : « بائع الخضار يبعث بتحياته ويقول لك تعالى لأفعل بك كذا وكذا .. وسألتها السيدة : « أتكلم بمثل هـذا البرود ؟ » فأجابت الخادمة : لقد تكلم بالتطويل . ولكن هذا كان مقصده » . فالمقصد هو لب الامر اما الباقى فمجرد صداع ..

وكثيرا ما تجرأ الرومى فى تعابيره شأن متصوفين آخرين كثيرين كما يبدو ذلك فيما يلى :

« عندما يسمع انسان أن فى مدينة ما رجلا كريما يوزع العطايا والاحسانات . فمن الطبيعى أن يذهب اليه أملا فى الحصول على نصيب من جوده . وما دام جود الله ذائع الصيت ويعلم به كل انسان ، فلماذا لا تستجديه آملا أن يخلع عليك رداء شرف وعطاء سخيا ؟

أنت تجلس متكاسلا وتقول : يعطينى الله ان شاء ، ولا تلح فى الطلب أبدا . أما الكلب وهو الذى لم يوهب العقل والفهم ، فانه يأتيك عندما يجوع ، ويحرك ذنبه كأنه يقول : أعطنى خبزا مما لديك ، وليس لدى منه .. الكلب نفسه يتمتع بادراك الى هذا الحد وأنت على اى حال ، لست بأقل من كلب ، يأبى أن ينام على الطوى ، قائلا لنفسه ان شاء أن يعطينى خبزا فعل ذلك بنفسه .. بل يستعطف ، ويحرك ذنبه .

فهل تهـز ذنبك وترجو الله ؟ ان الرجاء فى حضرة الله الوهاب فرض لازم » .

باب الكتب

قادة فتح المغرب العربي

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
٣٥٢ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار الفتح للنشر والطباعة ــ بيروت

عرض وتلخيص
الاستاذ سعيد زايد بمجمع اللغة العربية

الاستاذ اللواء محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي ، والعضو المراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والوزير السابق في العراق الشقيق . ومؤلف هذا الكتاب ، عالم عربي أصيل ، ملك عليه اسلامه وعربيته كل زمام نفسه ، فأصبح يتغنى بهما في كل محفل . ويظهر آثارهما في كل مجال ، وقد ابلى في سبيلهما في ميداني السيف والقلم ، فتطوع في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث عين ضابط ركن اللواء المرابط في مدينة جنين ، وحارب في سبيل الحق المقدس ، واشترك في حروب أخرى ، دفاعا عن العروبة والاسلام ؛ وله مواقف عسكرية كثيرة تشهد باخلاصه في ميدان الاسلام ، والذود عن الوطن العربي ، والى جانب ذلك كله اشترك في أربع وعشرين دورة عسكرية ، ونشر عدة بحوث في كافة المجالات العسكرية ، وألف بعض الكتب في ذلك ، مثل كتاب « القضايا الادارية في الميدان » ، وكتاب « التدريب الفردي ليلا » ، وكتاب « المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم » وهو عمل ضخم صدر منه الجزء الاول ، وجزؤه الثاني في سبيله الى الظهور ان شاء الله .

وللأستاذ خطاب غير المؤلفات العسكرية ، مؤلفات اخرى جليلة القدر ، فهي ابحاث علمية تظهر ما للاسلام والمسلمين ، وما للعربية والعرب من اثر جليل على الانسانية ، وهذه الكتب هي : الرسول القائد ، قادة فتح العراق والجزيرة ، قادة فتح بلاد فارس ، قادة فتح الشام ومصر ، الفاروق القائد ، المهلب بن ابى

صفرة الازدي ، الاحنف بن قيس التميمي ، قتيبة بن مسلم الباهلي ، طريق النصر ، قادة فتح المغرب العربي في جزأين .

ويقع الجزء الاول من كتاب قادة فتح المغرب العربي في ٣٥٢ صفحة من القطع الكبير ، أهداه مؤلفه الى ذى النورين عثمان بن عفان ، وقدم له بالآية الكريمة « قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ، واستهله بفصل كبير عن البلاد والسكان والتاريخ قبل الفتح الاسلامى وفى أيامه ، ثم عرض حياة سبعة من القادة ، سماهم القادة العامين .

يبدأ الاستاذ خطاب كتابه بالاشادة بحركة التعريب فى المغرب العربى ، تلك الحركة المباركة التي تهدف الى اعادة المكانة السامية للغة القرآن الكريم في ربوعه ، بعد أن حاول المستعمر فرض لغته ، ثم يتحدث عن بلاد المغرب وهى البلاد التي تبدأ من حدود مصر الغربية الى المحيط الاطلسى ، وكان يسكنها البربر ، وهم أقدم أمة عرفها التاريخ في الشمال الافريقى ، ولم تكن لهم أديان ثابتة قبل الاسلام ، فقد كانوا وثنيين تارة ، ويهودا تارة أخرى ، واعتنقوا المسيحية في القرون الاولى ، ثم نسوها حين استعادوا استقلالهم من الروم .

ولم يعرف تاريخ المغرب الا من عصر الفينيقيين ، أما ما قبل ذلك فلم يعرف منه الا القليل ، ويتحدث المؤلف باختصار عن الفينيقيين ، ويذكر أنهم أسسوا مدينة قرطاجنة سنة ٨٤٠ قبل الميلاد في البقعة التي تسمى الآن بتونس ، وقد قضى الرومان على قرطاجنة في ثلاثة حروب ، وعاملوا المغاربة معاملة قبيحة ، وخسر المغاربة على أيديهم ما كانوا قد اكتسبوه من حضارة في عصر القرطاجنيين . وكانت سياسة الروم في افريقية — كما قلنا سابقا — سببا في القضاء على المسيحية التي انتشرت بين أهلها ، حيث وقف الاهلون موقف العدو من كل ما يتصل بهم من دين وحضارة ، حتى بدا نور الاسلام ينشر الويته على ربوع المغرب ، بفضل جنوده البواسل وقادته الشجعان .

وقد ذكر الاستاذ اللواء خطاب ثمانية من القادة ، تحدث عن سبعة منهم ، واحال القارىء على كتابه (قادة فتح الشام ومصر » لمعرفة أخبار القائد الثامن ، وهو عمرو بن العاص السهمي .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح

وأول قائد تحدث عنه بالتفصيل هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى ، ويكنى : أبا يحيى . وهو أخو سيدنا عثمان بن عفان بالرضاعة . وقد أسلم قبل فتح مكة ، وهاجر الى المدينة ، وكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه افتتن وعاد الى مكة مرتدا ، فأنزل الله فيه آيته الكريمة : « ومن قال سأنزل مثلما أنزل الله » . ورجل هذا شأنه كان من الطبيعى أن يكون من النفر الكفار الذين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين بقتلهم أينما وجدوا . ولكن عبد الله فر الى أخيه عثمان بن عفان ، الذى غيبه ، ثم أتى به بعد أن اطمأن أهل مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستأمنا ، فصمت الرسول صلى الله عليه وسلم طويلا ، ثم قال : « نعم » . وأسلم عبد الله في ذلك اليوم . ولقد كان عبد الله يتوارى من الرسول صلى الله عليه وسلم خجلا كلما رآه . ولما سمع المصطفى عليه الصلاة والسلام بذلك قال : « الاسلام يجب ما كان قبله » .

وقد حارب عبد الله مع جيوش المسلمين فى فتح الشام ، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى فتوحاته فى مصر ، وكم بعث به عمرو الى أطراف افريقية غازيا فكان له النصر دائما . وولى عبد الله صعيد مصر بعد فتحها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم ولى مصر كلها من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد عزل عمرو بن العاص ، ثم ولى المغرب وبعد قليل من ولايته استأذن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى غزو افريقية ، وأذن له عثمان بعد استشارة الصحابة وأمده بجيش اشترك فيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وسمي جيش المبادلة لكثرة من اشترك فيه ممن سموا بعبد الله . وقد لقيه فى برقة عقبة بن نافع فاستولوا على طرابلس . ثم سار جيش عبد الله نحو افريقية والتقى بجيش جرجيرويوس فى موقعة (عقوبة) ، ونشبت بينهما معركة حامية . وأرسل ابن سعد الى ملك الروم يدعوه الى الاسلام أو الجزية فأبى واستكبر ، فاستأنف القائد العربى القتال ، وقوى عضده بوصول مدد عربى بقيادة عبد الله بن الزبير . وتم للمسلمين فتح أفريقية ، وعاد ابن سعد الى مصر بعد أن أمضى بافريقية سنة وثلاثة أشهر . ولكنه رجع اليها مرة ثانية حين نقض أهلها العهد فأرجع للاسلام مجده . ثم انتصر المسلمون فى غزوة (ذات الصواري) سنة أربع وثلاثين هجرية ، وبذلك بعد خطر الروم عن أرض مصر والشام .

وبعد أن عاد عبد الله بن سعد من تلك الغزوة سنة خمس وثلاثين هجرية عاد بالتالى الى أرض الحجاز ليحضر اجتماع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بوزرائه وعماله . وما لبث أن عزل من منصبه بعد مقتل عثمان . ولم يبايع ابن سعد لعلى أو معاوية ، واعتزل الفتنة . ويظهر انه كره الحياة كرها شديدا فدعا على نفسه — ذات ليلة — قائلا : « اللهم اجعل خاتمة حياتى صلاة الصبح » . واستجاب الله لدعائه ، فقبضت روحه قبل أن يسلم على يساره فى صلاة الصبح سنة ست وثلاثين هجرية .

معاوية بن حديج

أما القائد الثانى فهو معاوية بن حديج السكونى . شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وكان موضع ثقته ، فأرسله عمرو الى الخليفة عمر رضى الله عنه ليبشره بفتح مصر والاسكندرية . وحارب معاوية فى بلاد النوبة تحت قيادة عبد الله بن سعد ، فأصيب فى عينه فى احدى المواقع ، وقد غزا ابن حديج أفريقية عدة مرات ، كما ذكر المؤرخون ، ثلاثا منها مهمة هى : غزوة أثناء خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وغزوتين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان . ويعد ابن حديج أول من غزا جزيرة صقلية سنة ست وثلاثين هجرية .

لقد كان معاوية مجاهدا كبيرا فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وكان يتمثل دائما بأحد الأحاديث الأربعة التى رواها هو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى يقول : « غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها » .

وولى ابن حديج مصر سنة سبع وأربعين هجرية من قبل معاوية بن أبى سفيان ، ثم عزل سنة احدى وخمسين هجرية ومات سنة اثنتين وخمسين هجرية . وكان رحمه الله من الثقاة ، واسع العلم ، حازما مقداما . ولقد حاول

جهده أن يبتعد عن الفتن التي وقعت بين المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولكن نيران الفتنة أصابته بشرررها ، فحورب واتهم بما ليس فيه مما لا سبيل الى ذكره الآن .

عقبة بن نافع

والقائد الثالث هو عقبة بن نافع الفهرى القرشى . ولد عقبة قبل هجرة الرسول صلي الله عليه وسلم بسنة واحدة ، ونشأ في بيئة ذات طابع عسكرى بحت ، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة ، وقد تولى عقبة بن نافع منصب القيادة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص . وقاد جيش العرب المسلمين الذى فتح زويلة وبرقة ، فولى قائدا لحامية برقة واشترك مع عبد الله بن سعد في فتوحاته الافريقية ، وأبلى تحت رايته أعظم البلاء . والى جانب هذا كان لعقبة القدح المعلى في غزو الروم بحرا .

ظل عقبة حاكما لبرقة الى ما بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه في أيام الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وقد استعمله عمرو بن العاص سنة احدى وأربعين هجرية على افريقية ، فغزا قبيلة لواتة التي كانت من أشهر القبائل البربر ، وكانت قد نقضت عهد الصلح أيام معاوية بن أبى سفيان فأبى صلحهم ، وفعل نفس الشيء مع قبيلة هوارة ، وهي من أشهر قبائل البربر . وسار عقبة في فتوحاته حتى فتح بلاد ودان ، وبلاد فزان ، وبلاد خاور وبلاد كاوار ، ونشر الاسلام في ربوعها .

وقد حدث أن استعمل معاوية بن أبي سفيان مسلمة بن مخلد الأنصارى الخزرجي على مصر وافريقية ، وعزل عقبة عن افريقية ، وكان ذلك سنة خمس وخمسين هجرية . فعين مسلمة مولاه أبا المهاجر دينارا على افريقية ، فأساء الأخير عزل عقبة وسجنه ، فظل عقبة في السجن حتى أتاه كتاب من معاوية بن أبى سفيان بالافراج عنه . وعاتب عقبة معاوية فاعتذر له ، وقيل انه وجد معاوية قد توفي . والمهم أنه رجع واليا على افريقية سنة اثنتين وستين هجرية ، من قبل معاوية أو من قبل ابنه يزيد . وكانت الخطوة الاولى بعد ذلك هى سيره على رأس عشرة آلاف فارس الى القيروان ، وغزا أبا المهاجر وقبض عليه واستولى على ماله ، ثم جدد بناء القيروان وعمرها .

وتابع عقبة جهاده في سبيل نشر كلمة الله ، فخرج مع أصحابه وبكثير من أهل القيروان الى المغرب ، ففتح مدينة (باغاية) ومدينة (تلمسان) ومدينة (أربة) ومدينة (تاهرت) ومدينة (طنجة) ، وكاد أن يفتح الاندلس ، لولا أنه رأى أن ينشر الهداية بين البربر في بلاد السوس الادنى والسوس الاقصى .

ورأى عقبة بعد ذلك الرجوع الى القيروان ، واطمأن الى الطريق ، حتى أنه أذن لأصحابه بأن يتفرقوا فوجا فوجا ، فلم يكن يدرى أن في عسكره من أضمر له الغدر والخيانة ، ولكن (كسيلة) الذى كان قد أسلم على يدى أبى المهاجر دينار ، وانضم الي جيش المسلمين ، غلبته العزة بالاثم ، فجمع من الروم من جمع ، وغدر بعقبة ، ومن كان معه من المسلمين وكانوا حوالى ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين ، فاستشهدوا جميعا سنة ثلاثة وستين هجرية ، استشهدوا بعد أن أشعلوا — وعلى رأسهم عقبة بن نافع — جذوة الايمان بين سكان افريقية .

ابو المهــــاجر

والقائد الرابع هو ابو المهاجر دينار ، وهو مولى الانصارى مسلمة بن مخلد ، وكان من التابعين . وقد ولى أبو المهاجر ــ كما ذكرنا ــ افريقية بعــد عقبة بن نافع سنة خمس وخمسين هجرية . وكان ذلك مكافأة له من مسلمة بن مخلد . وقد سار ابو المهاجر بجيشه الى قرطاجنة عاصمة الروم فى شــمال افريقية ، فأجبر الروم بعد حصار دام مدة على طلب الصلح . ولكن عبقرية ابى المهاجر الحربية أملت عليه أن يكون الصلح باخلاء جزيرة (شريك) ، وبذا حرم الروم من قاعدة كانت تحتشد فيها جيوشهم لماجمة المسلمين ، وتم تطهير المنطقة من أعداء الاسلام . وكذلك تجلت عبقريته الحربية فى اختيار مدينة (ميــلة) مقرا له ، بعد أن هزم البربر الذين تحصنوا فيها ، وذلك لموقعهــا الوسط بين المغربين الادنى والاوســط ، فكانت بذلك أحسن مكان لمراقبــة أحوال البربر والروم .

وقد استشهد أبو المهــاجر مع عقبة بن نافع ، ونفر كرام من الصحابة والتابعين بلغ عددهم زهاء ثلاثمــائة سنة ثلاث وستين هجرية بأرض الزاب بـ (تهوذة) ، فخسر المسلمون بفقــده قائدا عظيمــا ، وداعية دأب على نشر الاسلام بالسياسة والمنطق والحجة البالغة .

زهير بن قيس

أما القائد الخامس فهو زهير بن قيس البلوى ، ولد فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، روى عن بعض الصحابة وروى عنه ، وشهد فتح مصر سنة عشرين هجرية تحت لواء عمرو بن العاص . وقد غزا افريقية ووليها ، واستخلفه عقبة بن نافع سنة اثنتين وستين هجرية على القيروان . وقد أراد مقاتلة كسيلة سنة ثلاث وستين ، ولكن صاحبه حنش الصنمانى انشق عليه عائدا الى مصر ، فاضطر زهير الى العودة ، ولمــا وصل برقة أقام بها .

وبقى زهير ببرقة حتى استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة ، فحشد لزهير جيشــا عظيما سار به لمقاتلة الروم فى أفريقية سنة تسع وستين هجرية . والتحم جيش المسلمين بجيش الروم والبربر فى (ممس) ، وانهزم الاعداء وقتل قائدهم كسيلة ، وفتح المسلمون مدينة تونس أيضا . ولقد كانت موقعة (ممس) قصمة لظهر الروم ، اذ قضت على كل آمالهم فى الاستعانة ببعض قبائل البربر والوقوف بهم فى وجه العرب .

ولكن الروم لم ييأسوا وسعوا من ناحية البحر ، وجهزوا مراكبهم وخرجوا من القسطنطينية وجزيرة صقلية ، بعد أن بلغهم نبأ عزم زهير فى العودة الى مصر مع جمع من أصحابه . وأراد الله لزهير الشهادة فلقى الروم فى برقة ، لقيهم بقوة غير متكافئة عددا وجهدا نتيجة سفر طويل شــاق ، ولم يتيسر له الوقت لاعداد خطة عسكرية ، أو لتلقى الامدادات من المشرق ، ولكنه لم يجبن ، واندفع هو ورجاله فى أتون المعركة ، فخسروا أرواحهم ، ونالوا شرف الجهاد وعزة الاستشهاد سنة أحدى وسبعين هجرية .

حسان بن النعمان

والقائد السادس هو حسان بن النعمان الازدى الغسانى . ينسب الى الغساسنة وهم ملوك الشام الذين والوا الامبراطورية البيزنطية قبل الفتح الاسلامى ، ولقد كان حسان من التابعين ، وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان مرموقا عند بنى أمية وغيرهم من المسلمين ، وقد أطلق عليه لقب الشيخ الامين . أمره الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين هجرية بالذهاب الى افريقية . ورأى حسان أن يجهز جيشه فى مصر ، فجهز أربعين الفا من المقاتلين وسار بهم سنة ست وسبعين هجرية ففتح قرطاجنة وبرقة وطرابلس الغرب . ثم انتصر على الروم أيضا فى مدينتى صطفورة وبنزرت . وبذلك تم للعرب تطهير افريقيـة من الروم وبعض حلفـائهم من البربر فى تلك المنطقة . ولكن المسلمين هزموا أمام البربر بقيادة الكاهنة فى موقعة نينى ، وارتد حسان وجيشه الى القيروان ، وظل حسان يضمد جراحه ، ويبعث فى جيشه العزم ويبث فى جنوده روح النصر الى أن اذن الله بأن ترفع راية المسلمين ثانية على أرض افريقية .

موسى بن نصير

أما القائد السابع والاخير فهو موسى بن نصير اللخمى ، ولد سنة تسع عشرة هجرية فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ونشأ فى بيت يتصل اتصالا مباشرا بالجندية ، تحت رعاية أبيه نصير اللخمى الذى امتـاز بالجراة والصراحة والورع . وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان تولى موسى بن نصير البحر ، فغزا قبرص ، وبنى فيها بعض الحصون ، وحكمها نائبا عن معاوية ، وشهد موسى معركة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهرى سنة أربع وستين هجرية ، فلما قتل الضحاك وانتصر عليه مروان بن الحكم ، لجـأ موسى الى عبد العزيز بن مروان الذى حماه ، وتوطدت بينهما الصلة بعد ذلك ، وفى سنة خمس وستين هجرية عاون موسى مروان بن الحكم فى تملك مصر ، فلما استعمل مروان ابنه عبد العزيز عليها جعل له موسى وزيرا ومشيرا ، ثم عينه عبد الملك ليكون وزيرا ومشيرا لأخيه بشر الذى كان قد ولاه البصرة والكوفة ، وكان ذلك سنة احدى وسبعين هجرية . ولمـا مات بشر سنة خمس وسبعين هجرية عاد موسى بن نصير الى مصر عند عبد العزيز بن مروان .

وقد تولى موسى بن نصير افريقية والمغرب فى أواخر سنة خمس وثمانين هجرية ، فكان أول ما فعله أن أكمل استعدادات الجيش ، وناقش مطـالب الجنود وساوى نفسـه بهم . وسار بعد ذلك بجيشه فاستعاد فتح جبل زغوان ، وجعل من منطقة القيروان قاعدة أمينة لتنفيذ خططه الحربية فى الفتـوحات الاسلامية . ومنها أغار على قبائل البربر امثال هوارة وزناتة وكتامة ليؤدبها ، ثم غزا المغرب الاوسط وتبعه بالمغرب الاقصى . وتطلع بعد ذلك الى ولاية طنجة ففتحها بمساعدة مولاه طارق بن زياد ، الذى استخلفه عليها ، حين عاد الى القيروان . وفى طريق عودته فتح مدينة مجانة وكانت قلعة تحصن أهلها مخافة منه . وهكذا خضعت بلاد المغرب جميعها لحكم العرب ، ودخل أهلها الاسـلام وتعلم البربر القرآن على أيدى العرب ، وتفقهوا فى الدين على أيديهم أيضا ،

وخاصة بعد التصالح على تسليم مدينة سبتة مع يوليان . ثم اهتم موسى بن نصير بالبحر ، فأصاب صقلية ، وفتح احدى مدنها ، ثم بعث عياش بن أخيل ففتح مدينة أخرى هي سرقوسة . وفتح بعد ذلك سردانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة وتم له بعد ذلك الفتح العظيم للأندلس بمساعدة طارق بن زياد وعبد العزيز بن موسى .

وفي سنة ست وثمانين هجرية استدعى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير الى دمشق . وعزل موسى قبل وفاة الوليد بأيام قليلة . ولم يكن سليمان بن عبد الملك الذى خلف أخاه الوليد بأقل من أخيه غضبا على موسى بن نصير ، ولذا لم يرده ، الى مكانه فى القيادة .

وبعد ، فهذه حياة سبعة من القادة العامين من قادة العرب المسلمين فى افريقية والمغرب ، عرضناها باختصار من خلال الوقائع التاريخية ، كما وردت فى كتاب الاستاذ اللواء محمود خطاب . وقد عرض الاستاذ اللواء سيرهم بأسلوب مشرق جذاب رصين البناء بليغ التراكيب وضع لنفسه منهجا ثم التزمه بكل دقة ، فتناول كل قائد بالحديث عن نسبه ومولده ونشأته ، وعن جهاده فى سبيل الله لنشر دين الاسلام ، وعن حياته كانسان ، وما يتخللها من عواطف انسانية وأحاسيس بشرية ، ثم يضع قيادته فى الميزان ، فيتعرض لها تعرض خبير بالفنون العسكرية ، وأخيرا يضعه تحت مجهر التاريخ وأحكامه الصارمة التى لا تعرف تحيزا أو ميلا مع الاهواء .

وقد تسلح الاستاذ اللواء محمود خطاب أمام الروايات التاريخية بسلاح المؤرخ النزيه الواعى ، فلم يأخذ كل ما كتب قضية مسلمة ، بل قابل الروايات التاريخية ، بعضها ببعض ، وربط بين الخير وبين البيئة الاجتماعية ، وما سرى فيها من ظروف اقتصادية ، وبذا استطاع أن يعرض هذه الحقبة من تاريخ الامة الاسلامية عرضا موفقا . وان اخذ عليه شيء فهو بعض التكرار الذى تمثل فى اعادة بعض عبارات بأكملها سبق له كتابتها فى أمكنة أخرى ، وأحسب أن الذى حمله على هذا هو التشابك الذى حصل فى حياة القادة الذين كتب عنهم .

ولقد خلصت من قراءة كتاب الاستاذ اللواء بحقيقة هامة جدا ، وهى أنه من الواجب الا يكتب تاريخ ابطال الحروب الا من ألم بالثقافة العسكرية ، وتثقف فى تكتيك الحروب ونواحيها الاستراتيجية ، فان المناقشات التى أوردها المؤلف لبعض الانباء الحربية ، وتصويره الدقيق لما يكتنف المعركة الحربية من الجوانب والامكانيات التى كانت فى عهد بطل المعركة ، ليؤيد ما نذهب اليه .

وقد اعتمد الاستاذ اللواء فى اخراج كتابه على مصادر كثيرة ، ولقد كان من الامانة العلمية بحيث لم يترك نبأ تاريخيا عظم أم هزل الا ورده الى أصوله التاريخية . ولقد بلغ من حبه فى الرجوع الى المصادر التاريخية القديمة أنه اعتمد عليها كلية حين أراد أن يعرف ببعض الاماكن من الناحية الجغرافية ، وحبذا لو أضاف الى هذه التعاريف آراء كتب الجغرافيا الحديثة ، فان ذلك يتمم الفائدة المرجوة ، خاصة وأن اهتمامه بالجغرافيا — وهى مكملة للتاريخ — جعله يورد احدى عشرة خريطة لينير السبيل أمام القارىء .

وقد ذيل الاستاذ كتابه بفهارس تحليلية دقيقة للاعلام والاماكن والقبائل والملل والنحل ، تشهد بعظم المجهود الذى بذل فى اعدادها ، وتيسر السبل أمام القارىء الذى يريد أن يرجع الى ما كتب عنها .

ولعلنا — أخيرا — نكون قد وفقنا فى اعطاء القارىء الكريم نبذة عن كتاب عظيم وأرجو أن يتاح لنا تقديم جزئه الثانى ان شاء الله تعالى .

الشبابُ المريض

شـــــبابٌ بآثامه مولـــع	يضر البـــــلاد ولا ينفـــع
تراه مدى الدهر مســـــتهترا	عن الاثم والعــــــار لا يرجع
تفســـــخ من دينـــه ملحـــدا	وصــــار لأهوائه يخضـــع
وجافى تقـــــاليد آبائه	فهــــام على وجهـــه يهمـع
وقلد غيرهمـــــو فانـــــبرى	يعمل ما العقل يســــــتبشع
شـــــباب مريض اذا جئتـــه	تـــــراه بآلامــــــه يصرع
تملـــكه الشك حتى غــــدا	بـــكل الحقـــائق لا يقتـــع
وبات باوهامـــــه مثقــــــلا	عن الوهم والهــم لا يقــلع
يحس الفـــراغ فتنتــــــابه	مخـــــاوف من ظلهـــا يفزع
شـــــقي غريب بافـــــكاره	شـــــقاؤه من ذاته ينبــــع
ضـــــعيف جبـــان فلا غـــيرة	لديه ، ولا همـــــة ترفــــــع
ثقـــافته ســـخف اهل الهـوى	فليس الى غــــــيرهم يـــتزع

في مجتمعاتنا شباب متمرد
على تقاليده ، وهذه صـــورته
كما يراها الشاعر ، نســـال
الله لهم الهداية ..
((الوعى))

للاستاذ المدنى الحمراوى
المستشار بوزارة العدل
المملكة المغربية

وقتـــــل العقـــــول له غاية ... عليهـــــــا مداركه تطبـــع

يظـــــــل ويمسي عـــلى لذة ... حيـــاته بالاثم مســـــــتنقع

تنـــــكر للروح ـ جهـــلا ـ فلا ... يصـــــــدق دينـــا ولا يتبـــع

اذا ما راى مؤمنـــــا لم يزل ... يقـــــول : لمن يا ترى يركع ؟

وكيف يصـــــــدق ما لا يرى ؟ ... وما الرب ؟ والغيب والمرجـــع ؟

وهل يعـــــبد المرء من لا يرى ؟ ... وهل فيــــه ذو فـــــكرة يطمع ؟

وما للأنام ســـــوى عيشـــة ... هنـــا بدؤها ، وهنـــا تقطـــع

شـــباب البـــلاد ، الا رجعة ... الى الحق ؟ ام أنت لا تســـــمع

الى كم تطـــاوع اهل الهـــوى ... ويخـــدعك المنظـــر الأروع ؟

ويبصرك الغـــرب فى كل حـــين ... بعيش ، له مظهـــر يخـــدع

وباطنه ســـــفه مفـــــرط ... وســـــم زعاف به يفجـــــع

شـــباب البـــلاد على حالـــكم ... بـــكينا ، وهل فى البـــكا مقنع

لالا .. خديجة

قصة من نضال الجزائر
عاشت رجالها أروع أيام الحياة

القسم الثاني

تلخيص لما نشر

« كلفت قيادة جيش التحرير الوطنى فى الجزائر — اثناء حرب التحرير — بالاستيلاء على أعلى قمة فى جبال الأطلس ، واسمها قمة « لالا .. خديجة » وكان قائد الحملة — رزق البشير — وهو اسم لشخصية حقيقية عاشت حرب الجبال ، اكبر اخوانه سنا ، وكان تلميذا لابن باديس ، رئيس جمعية العلماء . وهو على علم بتاريخ بلاده ونضالها .
وكان الشباب مغرما بسماع هذا التاريخ منه ، وقد قص عليهم لمحات عن الأصل العربى لأهل المغرب ونضالهم ضد الرومان ، وعن تاريخ سيدى (عقبة بن نافع) الذى دفع رايات المسلمين الى المحيط الأطلنطى .. وفى هذه الأثناء دارت معركة بين هذه المجموعة المناضلة ، وطائرة فرنسية استشهدت فيها الشاعرة « رضا » واسقطت طائرة العدو » .



— ١ —

رزق البشير : عبـــدون .. هـــل وضعت الألغام عند الطريق فى سفح الجبل . فلا بد أن العدو سوف يرسل حملة لاسترداد القمة ، بعد أن يعرف ما حدث .

عبدون : نعم .. وكشفت أيضـــا طريق انسحابنا من الجنوب اذا تجاوز العدو منطقة الألغام .

البشير : عندما يعود زميلنا محمد بن المهدى ، بعد أن تصل زهرة وأمينة الى بر الأمان ســـوف أذهب معـــه بدورى لنكشف الطريق الخلفى ، حتى نعرفه جميعا . وقد أبلغت قيادتنا بما حدث .. وأنا فى انتظار تعليماتهـــا بجهاز اللاسلكى .

صوت : (دقات اللاسلكى) ..

البشير : اكتب يا عبدون .

عبدون : (يقرأ قراءة متقطعـــة) عزاؤنا فى الشهيدة العزيزة رضا .. سنجمع أشعارها فى كتاب .. وافونا بما عندكم منه .. حافظوا على قمـــة « لالا .. خديجة » من أجل الوطن .. ومن أجل الشهيدة رضا .. خـــذوا سلاح الطائرة التى سقطت ان كـــان سليما — القيادة .

البشير : نعم سنحافظ على القمة العالية .. وأنت عندما تذهب لاحضار الطعام من أمينة وزهرة ، حاول أن تصل مع ابن المهدى الى مكان الطائرة للمعاينة .

صوت : (يسمع صوت صفـــارة طويلة ..) .

عبدون : هذه اشارة ابن المهـــدى .. لقد حضر .

محمد بن المهدى : عادت أمينـــة وزهرة للبلد بقلـــب كبيـــر .. ان

الشهيدة رضا ، كانت العصفور المفرد ، ولم تعد معهما .

البشير : انها معنا دائما . . ان أرواح شهدائنا تعيش معنا .. اقول لكم الحق .. ان أرواح أجدادنا معنا في كل لحظة يا أولادى .

ابن المهدى : انا احب الآن جبلنا هذا ، اكثر من كل يوم مضى .. يا عم البشير انت سارح فى مكان بعيد .. يا ترى اين ؟

البشير : والله فكرى وخيالى الآن مع موسى بن نصير .. مع طارق بن زياد .. مع آل رستم .. مع الادارسة مع آل الأغلب العظام الذين علموا أوروبا الشىء الكثير .

ابن المهدى : كيف علمناهم .. هل جاءوا الى بلادنا .

البشير : لقد ذهبنا نحن بجيوشنا وأساطيلنا البحرية وعلمائنا اليهم .. استولينا على جزيرة مالطة ــ ونصف كلامها عربي الى الآن ــ واستولينا على صقلية ، ودخلنا ايطاليا من عند مدينة باري الحالية .. وكان البابا يدفع جزية سنوية ، ليتفادى غزو روما نفسها ، وذلك فى أوائل القرن الثالث .

عبدون : وأظن جاءت دولة الفاطميين بعد ذلك .

البشير : نعم . وقد جمعت هذه الدولة المغرب مع مصر تحت راية واحدة .. وأهم من هذا أن الحكم العربى وصل جنوبا الى بحيرة تشاد وانهار النيجر والكونجو ، وأصبحت افريقية مع الأندلس مركز حضارة عظيمة .

عبدون : معنى هذا أن الاسلام دخل غرب افريقية ، ووصل الى خط الاستواء في وقت مبكر .

البشير : .. نعم .. نعم .. والفضل فى ذلك للأمراء المرابطين ، الذين أسسوا دولة السنغال ، ومدوا وجودهم جنوب الصحراء الكبرى الى المحيط . ولم يكن مضى على ظهور الاسلام غير خمسة قرون .. أين زميلنا ابن المهدى ؟

ابن المهدى : كل شىء هادىء فى الطرف الغربى ، وان كنت أشم بأنفى رائحة العدو من بعيد على بعد أميال .. ماذا كنتم تقولون ؟

البشير : عبدون يقص عليك دور الجزائر القديم فى الوصول بالاسلام الى افريقيا كلها .. والآن جاء دور الحفصيين .

عبدون : متى حكموا ؟

البشير : من ٧٥٠ سنة تقريبا .. وقت أن كان الصليبيون بقيادة لويس التاسع يهاجمون دمياط ، وقد حبسه المصريون فى المنصورة . وبعد أن عاد مخذولا ، فكر فى أن يجدد حملته عسى أن يظفر بالنصر .

محمد بن المهدى : وهل ذهب الى الشرق مرة اخرى .

البشير : لا .. جاء باسطوله وسفنه وجيوشه الى هنا .. الى بلادنا !!

عبدون : عجيب .. وماذا حدث ؟

البشير : هزمناه .. ولم نأخذه هذه المرة أسيرا ، ولكن دفناه مع جيشه تحت أرضنا ..

عبدون : .. وهكذا ربط التاريخ منذ الأزل بين مصر والجزائر فى معركة واحدة .

البشير : ولم تكن الحرب وحدها هى صناعتنا .. فمن ٦٠٠ سنة ، أقام ابن خلدون المفكر العظيم فى قلعة بنى سلامة ، جنوبى وهران ، وكتب مقدمته المشهورة ..

والآن هيا بنا نكشف طريق الجبل الجنوبي ، وفى وقت آخر أقص عليكم قصة أعظم رجال البحر فى تاريخنا كما أوصتنا الشهيدة رضا ..

الجميع : رحمة الله على الشهيدة ألف رحمة ...

عبدون : سوف أنزل لاحضار صندوق الطعام من أمينة وزهرة ، وتعليمات القيادة ..

البشير : احذر من موضع الألغام ..

● ● ●

— ٢ —

صوت : (ريح تهب هادئة .. مع موسيقى خفيفة)

عبدون : (محدثا نفسه) .. نتوكل على الله ، وننزل

صوت : (صفارة طويلة رفيعة .)

عبدون : (يمسك سلاحه فى سرعة .. ويحدث نفسه) لا بد أن العدو عرف مكاننا واشارتنا .

أمينة : عبدون .. عبدون .. لا داعي للسلاح !.

عبدون : (فى دهشة) أمينة .. ماذا جاء بكما ؟. التعليمات الا تحضرا الى هنا مرة أخرى .. وكيف نجوتم من الألغام .

زهرة : رأينا مكانها وأنت تضعها ، وتفاديناها .. وقد جئنا ببعض الزهور البرية نضعها على قبر أختنا رضا .. كانت تحب هذه الزهور .

عبدون : وما هذا الحبل الذى فى أيديكم ؟

أمينة : ساعدنا .. لقد ذهبنا الى مكان الطائرة وأحضرنا منها السلاح السليم ؟!

عبدون : يا الهى .. هذه مخاطرة عظيمة .

زهرة : وجدنا فى جيب قائد الطائرة مفكرة لم تحترق ، وفيها كلام كثير ، ربما تستفيد منه القيادة .

عبدون : البشير ، وابن المهدى قد وصلا .

البشير : (يرى الفتاتين) ماذا أرى ؟ زهرة وأمينة هنا مرة أخرى ؟!!

أمينة : واحضرنا تعليمات القيادة وسلاح الطائرة .. هدية مناسبة .

رزق : بلد فيه نساء مثلكن لن يهزم باذن الله أبدا . سادخل المغارة لأنام قليلا .

● ● ●

صوت : (دقات ساعة متوالية ..)

صوت جماعي منخفض : الله ينصر سي خالد .. الله ينصر سي خالد .

البشير : (يظهر من المغارة فى دهشة) يا له من حلم .. كأنى كنت أسمع هتافا قديما أيقظنى من النوم .

الصوت الجماعي : (كالسابق) الله ينصر سي خالد .. الله ينصر سي خالد .

زهرة : أنا أصغركم يا عم البشير .. ما حكاية سي خالد هذه .

البشير : تسمعونها ، أم تسمعون أبطال البحر .

الفتاتان : (فى صوت واحد) الاثنين .

البشير : أمرى لله .. الأمير خالد يا أولادى هو حفيد بطلنا العظيم ، الأمير عبد القادر الجزائرى ، وفى

مرة رشح نفسه فى الانتخابات البلدية لمدينة الجزائر .. وكانت هذه فرصة للشعب يعبر عن نفسه بهذا الشعار : الله ينصر سى خالد . فجن جنون الاستعمار .

زهرة : ماذا عمل ؟

البشير : اصدر قرارا بأن الأمير خالد الجزائرى ليس جزائريا ، وحرموه من حق الترشيح ، ولكن الشعار ظل باقيا علامة المقاومة الوطنية .

الجميع : الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد ..

ابن المهدى : وحكاية أبطال البحر ؟

البشير : نعم يا اولادى .. من ٤٥٠ سنة استولى الأتراك العثمانيون على مصر ، وانتقلت اليهم الخلافة . فطلبت الجزائر أن تنضم تحت راية الخلافة ، وهى أول مرة ترضى بلد بهذا الانضمام الاختيارى . وفى هذه الفترة كان المسلمون فى الأندلس يشهدون أيامهم العصيبة الأخيرة ، فى وجه موجة من المظالم التى لم يسمع بمثلها .

عبدون : محاكم التفتيش !

البشير : نعم .. وحتى يساعدهم المسلمون ، ذهب اثنان من قواد البحر العثمانيين ، بابا عروج ، وأخوه خير الدين ، على رأس حملة بحرية ، لانقاذ المسلمين فى الأندلس ونقلهم الى افريقية . ووقعت بعض بلاد ساحلنا فى أيدى الاسبان ، فساعد الاخوان على طرد الاسبان منها .. ولم تبق الا المؤامرة ، فقد كان بابا عروج فى بلدة تلمسان ، ففاجأه الاسبان وقطعوا راسه ، وطافوا بها جميع مدن اسبانيا .

امينة : يظهر أن غلهم منه لم يشف الا بهذه الطريقة .

البشير : وواصل أخوه خير الدين العمل ، وحصل من السلطان سليم الأول على مدد ، صد به هجوما اسبانيا طليانيا فرنسيا عن شواطئنا يشبه الهجوم الصليبى على بلاد المشرق تماما ، وكان ذلك فى القرن السادس عشر .

زهرة : اى أن أوربا كلها كانت ضدنا ..

البشير : ونضيف لهؤلاء المانيا . فقد أرسل امبراطورها شارل الخامس حملة هائلة لاحتلال الجزائر ولكن الجزائر تحت قيادة حسن بن خير الدين هزمتهم . وذلك بعد أن استدعى السلطان العثمانى خير الدين وعينه قائدا عاما لاسطوله .

عبدون : وماذا حدث بعد ذلك .

البشير : حدث أمر لا يدور على خاطر انسان .. اخذت الجزائر تعد مشروعا كبيرا لاستعادة الأندلس بعد تخليص البلاد من مواطىء أقدام الاسبان .

زهرة : هذا مشروع ضخم .

البشير : وعرف البابا فى روما بالأمر ، فحشد أكبر تجمع أوروبى ، وضم كل أساطيل الدول الأوروبية تحت قيادة واحدة ، وهاجم الأسطول العثمانى فى بلاد اليونان . ولكن الجزائر كونت أسطولها ، واخذت تهاجم ، وتتحكم فى الطرق البحرية للبحر المتوسط ، حتى أن الشاعر الاسبانى سيرفانتس وقع فى أسرنا .

امينة : الذى الف قصة دون كيشوت ؟..

البشير : نعم .. وظل فى أسرنا سنوات .. وظلت دول أوربا تدفع جزية ، ورسوم مرور للجزائر . ولما أرادت الولايات المتحدة أن تقتحم البحر المتوسط عنوة ، فى عهد جورج واشنطن ، خرجت لها سفن الجزائر

فى المحيط الأطلنطى ، ولقنتها درسا ، فاضطرت الى دفع الجزيــة أســوة بغيرها ، وكانت جزيتها مليون دولار فى السنة .

عبدون : ومتى كان هذا ؟

البشير : فى العام الذى كانت مصر فيه تهزم حملة الانجليز بقيادة فريزر ، كانت الجزائر تهزم أسطول الولايات المتحدة وذلك من عام ١٨٠٥ الى عام ١٨٠٧ م .

زهرة : لقد ملأنا هذا التاريخ فخرا بأجدادنا وبلادنا .

البشير : والآن يا بناتى انزلوا .. وعليك يا امينة أن تلبسى ملابسـك الوطنية ، وتسلمى مفكرة الضابـط الفرنسى للقيادة عن طريــق نقطــة الاتصال .

امينة : لا داعى لأن يصحبنا احد ، فقد عرفنا الطريق .

● ● ●

— ٣ —

عبدون : يا جماعة .. يا جماعــة لمحت بالنظارة نقطا سوداء تتحرك .. العدو يتقدم نحونا من ناحية السفح الشرقى .

البشير : كم يمر من الوقت عــلى وصولهم لمكان الألغام ؟

عبدون : خمس دقائق .. هــذا محمد بن المهدى .

ابن المهدى : رأيتهم أيضا قادمين من الطريق الجنوبى .

البشير : اذن ســـدوا طريــق انسحابنا .. حسنا .. بكم تقدرون عددهم ؟

عبدون : حوالى ٢٠٠ عسكـرى وضابط نصفهم فى الطريــق الأمامى والباقى من الخلف .

البشير : عبدون وابن المهـــدى انتبهوا للطريق الأمامى ، وانسفــوه عند وصولهم تماما .. وسأذهب أنا لنسف الطريق الجنوبى كله بالقنابل اليدوية .

عبدون : وحدك ؟ . سوف تنهـار عليك الصخور .. ان أى انفجار فى الجنوب يؤدى الى هذا .

البشير : حسنا يا بنى .. وماذا يحدث أن اذهب أنا الى لقاء ربى ، ومعى مائة من اعدائنا . .سأسوقهم مكبلين بظلمهم أمام عزة الله وجلاله .

صوت : (كلاب تنبح من بعيد) .

البشير : لقـــد اقتربـــوا .. أستودعكم الله .

عبدون : سوف آتى

البشير : ولا كلمة .. نحــن فى معركة (يعانقهم) .

عبدون — ومحمد بن المهدى : مع سلامة الله .. كتب الله لك السلامة

البشير : ولكـم يا أولادى .

عبدون : بقيت ستون ثانيــة على اشعال فتيلنا .. هيا أشعل .

صوت : (انفجار ضخم . . .وانهيار متكرر .. وصيحات جنــود وعــواء كلاب) .

ابن المهدى : هــذه تنابــل عمى البشير .. يا له من بطل .

صوت : انفجار ثان ..)

عبدون : ونجحنــا نحــن أيضــا والحمد لله .

صوت : لاســلكى .. دقـــات متوالية .

عبدون : بلاغ من القيادة .. اليوم ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ تنزل جميع أعلام فرنسا .. وترتفع أعلام الجزائر .. يوقف القتال فى جميع الميادين .

ابن المهدى : هذا علمنا .. نرفعه .. نرفعه عاليا .. فــوق « لالا .. خديجة » .

الصدى : (يــــدوى) « لالا .. خديجة — لالا .. خديجة » .

الفتاوى

السؤال :

١ — هل تجب الزكاة على الاوراق النقـدية المتداولة بين الناس وهل ما يجرى عليها يجرى على الشيكات ؟

٢ — هل يجوز لخطيب الجمعة ان يخطب بغير العربية ان كان المصلون لا يفهمون العربية ؟

٣ — هل يجوز الاقتداء بالامام عن بعد بواسطة صوت المبلغ ؟

(م٠ ا — السودان)

الاجابة :

□ عن الاوراق النقدية وهى المعروفة (بالبنكنوت) فان التعامل بها من قبيل الحوالة على البنك فمالكها يملك قيمتها دينا على البنك والبنك مدين قوى ومستعد للدفع فورا ، ويمكن صرفها فضـة أو ذهبا فيجب فيهـا الزكاة . اما الشيكات فمنها ما هو على البنك بمعنى أن البنك مستعد لدفعها فورا وهذه تأخذ حكم الاوراق النقدية ، ومنها ما هو على الافراد الذين لهم حسابات بالبنك وهذه لا تدفع زكاتها الا اذا قبض قيمتها من البنك فعلا أو أضيفت الى حسابه ان كان له حساب فى البنك .

ومن ثم فيجب فى الاوراق النقدية والشيكات . الزكاة بشرط أن تتوافر فيها شروط الزكاة من تكامل النصاب وحولان الحول وفيها ربع العشر .

□ أما عن خطبة الجمعة : فقد ذهب الاحناف الى أن خطبة الجمعة تجوز بغير العربية ولو لقادر عليها سواء كان القوم عربا أو غيرهم ، وقال الحنابلة لا تصح الخطبة بغير العربية ان كان قادرا عليها ، فان عجز عن الاتيان بها اتى بغيرها مما يحسنه سواء كان القوم عربا أو غيرهم ، لكن الآية التى هى ركن من الخطبة لا يجوز له أن ينطق بها بغير العربية ، فان عجز سكت بقدر قراءة الآية ، وقال الشافعية : يشترط أن تكون أركان الخطبتين باللغة العربية ولا يكفى غيرها متى أمكن تعلمها فان لم يمكن خطب بغيرها هذا اذا كان القوم عربا أما ان كانوا عجما فانه لا يشترط أداء أركانهما بالعربية مطلقا ما عدا الآية فلا بد أن تكون بالعربية ، فان عجز فعليه أن يثبت بقدر قرار الآية .

□ أما عن الاقتداء عن بعد : فانه متى اتحد المكان وتمكن المأموم من ضبط افعال امامه رؤية أو سماعا ، صح الاقتداء ، وصحت صلاته بشرط الا يكون بين الامام والمأموم حائل .

السؤال :

عندما أقوم بتأدية الصلوات الخمس جماعة او منفردا اتضايق من انفلات الريح ، فقد يؤدى احيانا الى انتقاض وضوئى وانا فى الصـلاة ، وقليل جدا التغلب على هذا ، علما بانى اتوضا لكل صلاة ويحدث هذا عندى بنسبة لا تقل عن ٨٠ أو ٨٥٪ .

فما حكم صلاتى فى هذه الحالة ؟

(ع٠ س — جدة — المملكة العربية السعودية)

الاجابة :

لا حرج ولا مشقة فى الدين قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقال : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والقاعدة الاصولية « الضرورات تبيح المحظورات » فكل شيء فيه عسر وحرج لا يجب على المكلف فعله ، ومن ذلك المرضى بسلس البول الذين يتقاطر البول منهم معظم الوقت أو كله ، وكالمرضى بانفلات الريح الى غير ذلك من الامراض التى لا يمكن التحرز منها ، فهؤلاء يعاملون فى الوضوء وسائر أنواع الطهارة معاملة خاصة تتناسب مع امراضهم وتجعلهم يتمكنون من القيام بما هم مطالبون به من فرائض .

ولقد ذهب جمهور من العلماء الى أن المعذور يجب أن يتوضأ لوقت كل صلاة ولا ينتقض الوضوء الا بناقض آخر غير الحدث المريض به ، كما يجب عليه الموالاة بين افعال الوضوء بعضها مع بعض وبين الوضوء والصلاة ، وأن تكون الاعمال كلها بعد دخول الوقت . وله أن يصلى بالوضوء الواحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل وبعد — وينوى عند الوضوء الاستباحة لا رفع الحدث لأن وضوءه لا يرفع حدثا وانما يبيح له العبادة فقط .

السؤال :

توفى رجل عن : أخ لأب ، ثلاث بنات ، زوجة ، ابن أخ شقيق . فما نصيب كل وارث ؟

(أ٠ م٠ غ — عدن الجنوب العربى)

الاجابة :

بوفاة المتوفى المذكور عن المذكورين يكون توزيع تركته على النحو التالى : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلثان فرضا بالتساوى بينهن — والباقى للأخ لأب تعصيبا ، ولا شيء لابن الأخ الشقيق لكونه أنزل درجة من الأخ لأب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين يكون على المتوفى .

السؤال :

توفيت امراة عن : زوج هو ابن عم شقيق لها ، وابناء عم شقيق غير زوجها ثلاثة ذكور وثلاث بنات .
فما نصيب كل وارث ؟

(خ٠ ع٠ م)

الاجابة :

بوفاة المراة المذكورة عن زوجها وأبناء عمها المذكورين ، يكون توزيع تركتها على الوجه الآتى :

للزوج النصف فرضا لعدم الفرع الوارث ، والباقى وهو النصف لأبناء عمها الاربعة بما فيهم زوجها ما داموا بدرجة واحدة تقسم بينهم مرابعة تعصيبا ولا شيء لبنات الاعمام لأنهن من ذوى الارحام ، فالزوج يأخذ النصف بطريق الفرضية وربع النصف الباقى بطريق التعصيب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين . والله اعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلي

مرور (١٤) قرنا على نزول القرآن الكريم :

تميز شهر رمضان هذا العام على رمضانات السابقة التى عاشتها الأجيال المسلمة المعاصرة — بأنه كان متمما للقرن الرابع عشر على بدء نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد احتفلت الأقطار الاسلامية بهذه الذكرى العزيزة الغالية ، فكتب الكتاب فى الصحف والمجلات ، وتحدث المتحدثون فى الاذاعة والتلفزيون عن القرآن الكريم وأثره فى حياة البشرية ، وكان طابع الكتابة والأحاديث طابعا وصفيا تاريخيا . لم يتجاوز هذه العبارات المألوفة (كان العرب قبل الاسلام فأصبحوا بالاسلام .. وكانت البشرية قبل القرآن ثم صارت بعد القرآن) وأحيانا يناشد الكاتب والمتحدث المسلمين العودة الى كتاب الله فى كلمات مجملة طالما رددها خطباء الجمعة .

ومرت الذكرى وانتهت الاحتفالات كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر ، وقد كنت أتوقع أن يسفر الاحتفال بهذه الذكرى عن نتائج عملية ايجابية فى واقع المسلمين وحاضرهم فما رأيكم ؟ وهل فاتت الفرصة ، وماذا تقترحون ؟

(م — س — طالب بمعهد الكويت الدينى) .

° ° ° ° ° ° ° °

كانت هذه المناسبة يا سيدى ولا تزال فرصة مواتية أمام الغيورين على الاسلام والمسلمين للقيام بعمل أكثر جدية وايجابية من كل ما نشر أو قيل ، ومن كل ما ينشر أو يقال مما يتسم بطابع التمدح بالأمجاد والتغنى بجهود السابقين ، وترداد كان وكنا ، والاكتفاء بالجهود والتلفت الى الوراء دون التحرك والتطلع الى الأمام ، ولعل ذلك راجع فيما يبدو الى أن التنبه الى هذه الذكرى جاء متأخرا ، ومن ثم لم يكن الوقت كافيا لاخراج الاحتفال بها اخراجا يتناسب مع ما لها من مكانة ومنزلة ، وما يتكافأ معها من ثمار ونتائج . على أن هذه الفرصة كما قلت لم تنته بعد وأنها لا تزال سانحة أمام المسلمين للقيام بعمل ايجابى يغير حاضر المسلمين ويتغلغل فى صميم حياتهم ..

وقبل أن يستطرد بنا الحديث ونتورط فيما تعيبه يا سيدى من الوقوف عند القول المجرد الذى لا يلبث أن يتبخر فى الهواء — نؤكد أن العمل المرجو لا ينهض به فرد أو أفراد ، وانما يحتاج الى جهود متواصلة يتوفر عليها جماعات وهيئات علمية ضخمة على مستوى اسلامى عالمى . وهذه الهيئات التى

يشترك فيها أقطاب الفكر الاسلامى تجتمع على هيئة مؤتمر . ينقسم الى عدة لجان : لجنة الاقتصاد الاسلامى ، ولجنة القانون الاسلامى ، ولجنة التربية الاسلامية ، ولجنة الحكم الاسلامى . .الى غير ذلك من اللجان التى يقررها المؤتمر لتسد حاجة المجتمع الاسلامى النظيف ، ويعهد الى كل لجنة من هذه اللجان بانجاز مشروع محدد المواد واضح الأهداف متلائم مع تطور الحياة مستقى من الكتاب والسنة ، ويقوم هذا المؤتمر بعد انجاز هذه المشروعات برفعها الى الحكومات الاسلامية المختلفة لتطبيقها وتنفيذها .

هذا نموذج لما أراه واجبا على المسلمين فى كل وقت وخاصة فى هذه المناسبة الكريمة ، وفى هذه الظروف التى يعانى فيها المسلمون مرارة الانحراف عن كتاب الله ، ولدى الغيورين على الاسلام ، والمسلمين مناهج جادة متنوعة للاحتفال بهذه المناسبة المزيزة التى لا تتاح الا لأحفادنا واحفاد أحفادنا .

الحجر الأسود ومقام ابراهيم :

وردا على رسالة مستفيضة من النيجر بعث بها الأخ محمد الهادى استودعها أشواقه مع عدد من اخوانه لأداء فريضة الحج هذا العام وزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واستفسر فيها عن أصل الحجر الأسود وعن مقام ابراهيم وهل يضم رفاته كما يشيع عندهم نقول لصاحب الرسالة :

انه قد وردت عدة روايات مختلفة فى الحجر الأسود : قيل جاء به جبريل عليه السلام من السماء ، وقيل جاء به من الهند حيث هبط به آدم من الجنة ، وقيل أحضره من جبل تبيس ، ويروى أنه كان أبيض ناصعا يكاد سنا ضوئه يخطف الأبصار ، فسودته انجاس الجاهلية وخطايا الناس ، وليس فى وسع المؤرخ المحقق أن يقطع بشىء من هذا الروايات .

وجاء فى قصة بناء البيت التى رواها المؤرخون على وتيرة تكاد تكون واحدة أن ابراهيم عليه السلام زار ابنه اسماعيل للمرة الثانية بعد أن شب وتزوج ، وقال له : يا اسماعيل أن الله أمرنى أن أبنى بيتا هنا ، وأشار الى اكمة مرتفعة عما حولها ، وتعاون الوالد والولد على البناء ، فكان اسماعيل يجىء بالأحجار وابراهيم يبنيها حتى ارتفع البناء الى قرابة قامة الرجل ثم جاء جبريل بالحجر الأسود ووضع مكانه .

وأما مقام ابراهيم فقد ورد عنه فى القرآن الكريم قول الله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقوله سبحانه « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم .. » .. وليس مقام ابراهيم هذا قبرا يضم رفات الخليل عليه السلام ، وانما هو — كما قال ابن كثير — الحجر الذى استعان به على رفع قواعد البيت وجدرانه حيث كان يقف ، ويناوله ابنه اسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتىأخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى امارته الى ناحية الشرق ليتسع المكان للطائفين .

ونظرا لتضاعف عدد من يؤم البيت الحرام لأداء فريضة الحج اضعافا مضاعفة عما كان عليه فى الماضي حتى أصبح المسجد الحرام يضيق بالوافدين على رغم من التوسعة العظيمة الأخيرة ، وهذا الزحام يشتد فى الجزء الذى يقع فى المكان بين الحجر الأسود وبين مقام ابراهيم ، رات المملكة العربية السعودية — تحت هذه الضرورة الملحة — حل هذه المشكلة ، فأزالت البناء القائم على بناء ابراهيم ، ووضع بدلا منه صندوق بلورى قوى سميك على قدر الحاجة فقط وبارتفاع مناسب لئلا يتعثر به الطائفون ، وقد نفذ هذا العام ، وأقيم بهذه المناسبة احتفال فخم مهيب .

بأقلام القراء

الاقتصاد التعاوني في الاسلام

جاء في مقال للأستاذ عبد الحميد الحلبي بالمصرف الصناعي بحلب بهذا العنوان ما يلي :

يقوم الاقتصاد التعاوني في الاسلام على مبادىء ديموقراطية بناءة لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد وفق مبادىء الحرية الفردية المنظمة ، بعيدا عن جشع النظام الرأسمالي ، وتطرف النظام الشيوعي ، وكلمة تعاون محببة للنفس البشرية ، جميلة في لفظها ، جليلة في معناها ومغزاها ومرماها ، ولذلك سطعت شمس هذا النظام مع بزوغ فجر الحضارة الانسانية ، واستمد قوته من اشهار سلاحه في وجه الانانية الفردية ، وهو في الوقت ذاته سبيل الى التقارب في النفوس ، والتآلف في الشعور الموحد ، وبث الروح التعاونية الجماعية واستثمار كامل للطاقات والجهود الانسانية الصادقة في خدمة الخلية الاجتماعية ، وصهر القطاع العام والقطاع الخاص في قالب واحد يعاضد بعضه بعضا .

ويمكن تلخيص بنيان الاقتصاد التعاوني في الاسلام بما يلي :

١ — اعتبار المال الصالح قوام الحياة وعصبها الحساس ، ووجوب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره بما يعود على المجموع بالخير والسعادة .

٢ — كفاية المحتاج بتأمين وسائل الكسب الطيب من أفراد وجماعات ومؤسسات وجمعيات .

٣ — تحريم موارد الكسب الخبيث ، حتى لا تفسد النفوس ، وتأكل لحوم أبنائها .

٤ — تقريب التفاوت بين الطبقات ، بحيث يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٥ — الضمان الاجتماعي لكل مواطن ، وتأمين حياته والحرص على سعادته .

٦ — فرض التعاون بين جميع المواطنين ، والحث على الانفاق في الوجوه المشروعة .

وبذلك يكون الاقتصاد التعاوني الاسلامي هو النظام الوحيد الذي استطاع — بكل هدوء وحكمة ورزانة — أن يوجه الشعب توجيها كريما انتاجيا يحفزه لاستخراج المكنونات والطاقات المستترة ، واثارة المواهب الانتاجية وبالتالي توزيعها على الافراد توزيعا عادلا يؤمن رفاهية جميع أفراد الدولة من مسلمين وغيرهم ، حتى لم يبق في الدولة الاسلامية الرهيبة فقير يقبل الصدقات ، فانهارت الطبقات بنفسها ، وأصبح المجتمع الاسلامي الكبير اشبه بالطبقة الواحدة المتراصة الاجزاء والاطراف .

التيار الغربي واثره على المجتمع الشرقي

وتلقينا من الاستاذ محمد احمد محمد ابراهيم مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

كان للتيار الغربي اثر كبير على مجتمعنا الشرقي ، فغير في افكار البعض

وعقائد الآخرين مما نتج عن ذلك تفسخ أخلاقى ، وانحطاط فى السلوك لدى بعض شبابنا وشاباتنا ، ولقد كان للمرأة النصيب الاوفى فى ابراز ودعم وتزيين هذا التيار لما يكمن فيها من مظاهر الاغراء والجاذبية .

ان فضائح الغرب الجنسية التى هزت الانسانية هزا ، لهى اكبر حجة ممكن أن تلقيها على مسمع فتياتنا الشرقيات وعلى الاخص العربيات حفيدات خولة والخنساء (ها هى ممثلة الاغراء العالمية التى قامت بدور البطولة فى كثير من الافلام العالمية وقد حصلت على شهرة لم تحصل عليها ممثلة مثلها ، نجدها تمر فى مأساة مرة وحادة نغصت عليها عيشها واقضت مضجعها وحرمتها من نعيم الحياة الباذخة ولذة المجد) .. تجدها تكتب وصيتها الى كل فتاة تطلب المجد عن طريق السينما والشاشة البيضاء .. « احذرى المجد .. احذرى كل من يخدعك بالاضواء .. انى اتعس امراة على هذه الارض .. انى امراة افضل البيت .. الحياة الشريفة على كل شيء .. ان سعادة المراة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل ان هذه الحياة العائلية لهى رمز سعادة المراة » . وتقول فى نهاية وصيتها « لقد ظلمنى كل الناس .. وان العمل فى السينما يجعل من المراة سلعة رخيصة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة .. انى أنصح الفتيات بعدم العمل فى السينما والتمثيل ان نهايتهن كنهايتى ان كن عاقلات » .. وانتحرت تخلصا من العار وهروبا من الفضيحة والحياة التعيسة لأنها لم تستطع أن تحقق لها سعادتها . فهل تعى ذلك بناتنا ونساؤنا .

العالم الاسلامى غنى

وكتب السيد عبد اللطيف الخميس من تطوان تحت هذا العنوان يقول :

يشكل المسلمون ٢٢٪ من سكان العالم تقريبا ، والقارة الوحيدة التى يمكن أن تسمى قارة اسلامية هى افريقيا لأن فيها ما لا يقل عن (١٥٠) مليون مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم (٢٥٠) مليون نسمة ، وفضلا عن الطاقات البشرية الهائلة للمسلمين فان بلادهم تعتبر من أغنى بلاد العالم واوفرها ثروة ، وعلى الرغم من الفترة الطويلة التى رزح المسلمون فيها تحت نير الاستعمار فانهم يقومون بدور فعال فى اقتصاديات العالم ، وفى الارقام التالية التى اخذ معظمها من بحوث واحصائيات الامم المتحدة لسنة ١٩٦١ اكبر دليل على أهمية هذا الدور وايجابيته .

٢٦ ٪ من نفط العالم يستخرج من البلاد الاسلامية .
٩٠ ٪ من نفط روسيا يوجد فى الاقسام الاسلامية جنوب تركستان .
٦٦ ٪ من نفط العالم الذى لم يستخرج موجود فى البلاد الاسلامية وخاصة الكويت والسعودية وايران والعراق .
٧٠ ٪ من المطاط الطبيعى يستخرج من الملايو واندونيسيا ونيجيريا .
١١ ٪ من الالومنيوم .

ومع أن رقعة الوطن الاسلامى اكثرها صالح للزراعة ولم يستصلح منها الا القليل فاننا ننتج :

٩٣ ٪ من التمر ، ٥٦ ٪ من زيت البلح ، ١٠ ٪ من الحنطة ، ١٤ ٪ من الارز ، ١٣ ٪ من الذرة الصفراء ، ٧٣ ٪ من الشعير ، ٢٣ ٪ من الكاكاو ، ١٠ ٪ من الشاى ، ٥ ٪ من البن ، ٢٤ ٪ من الفول السودانى ، ٩ ٪ من السكر ، ١٣ ٪ من القطن .

وتستخرج كذلك (٥٠٤١٠٠٠) متر مكعب من الغاز الطبيعى و (٦٦٠٣٠٠٠) طن من الفحم ، و (٣٧٥٠٠٠) طن من الحديد .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة (القبس) الجزائرية مقالا بهذا العنوان جاء فيه :

ان المسلمين الأوائل لم ترهبهم قوة الفرس ولا قوة الرومان عندما آمنوا بعقيدتهم واعتمدوا على أنفسهم مجابهين لأكبر القوى البشرية والمادية فى ذلك الوقت ، انهم كانوا يعتزون ببساطتهم ويثقون بأنفسهم وهم يعلمون أن العدو اكثر علما وعددا وتنظيما ، وانما شعور المسلم بمسؤوليته فى المجموعة التى ينتمى اليها واعتماده على امكانياته الذاتية هو الذى حقق له الانتصار والسيادة فى ذلك التاريخ ، ولذلك عندما بدأ المسلم يفكر فى نفسه ويعتمد على غيره ويحاول أن يعيش هو لا أن يعيش الآخرون من بنى مجتمعه كانت الكارثة على يد الذين جاءوا معتمدين على أنفسهم وهم التتار فى كارثة بغداد عندما كان خليفة المسلمين فى ذلك الوقت يقول : ان بغداد تكفينى وأسرتى ولم ينتبه الا وقد ذهب هو وأسرته وبغداد أيضا ، وانهار نظام اجتماعى كامل نتيجة للتواكل والاعتماد على الغير والتهاون بالمسئولية فى المجتمع .

واذا نحن لم نتعظ بالتاريخ البعيد فلننظر الى تاريخ بلادنا الى ثورة نوفمبر بالذات ان أسباب النصر فيها كانت ذاتية اكثر منها خارجية أن الذين بداوا الثورة فى أول نوفمبر ببنادق الصيد ضد الجيش المجهز بالمدافع والدبابات والطائرات وكل وسائل الحروب المادية والنفسية لو لم يكونوا قد اعتمدوا على امكانياتهم الذاتية وايمانهم العميق بالنصر وانتظروا الى أن يصبحوا فى مستوى الجيش الذى يريدون محاربته لما بدأت الثورة ولما تحررت الجزائر اليوم ، وهذا هو الذى نشاهده فى كل محاولة للانتصار .

ооооооооо

اليهود .. اليهود ..

ومن مقال نشرته مجلة « حضارة الاسلام » الدمشقية تحت هذا العنوان نقطتف ما يلى :

ان أخلاق اليهود كما جاء فى كتبهم وفى القرآن فساد فى فساد .. ضيق بالحق ، وايمان بالباطل ، والشهوات تتنزى من أجسامهم والسنتهم وكل جوارحهم ، وفساد قلوب ، وتحلل أخلاق ، وانمياع وكراهية للخلق ، ومادية شرسة تسيطر عليهم ، وفزع من كل ذى قوة ، واستئساد على كل ذى ضعف ، أو من يحسبونه كذلك .

واليهودية خلق هو شر ما فى الوجود ، وقد يكون من أخلاقهم من ليس منهم ، كما ترى فى الولايات التى هى عبر المحيط ، فان اليهودية جعلت منهم يهودا خلقا ونحلة ، وان لم يكونوا جنسا وارومة ، ولذلك يحق للمؤرخ الذى يدرس النفوس أن يقول عن الأمريكان انهم يهود ، وان لم يكونوا من بنى اسرائيل .. الم تر نائب كبيرهم الذى يزعم أنه مسيحى يقول عن اليهود انهم رسل الهداية فى الأرض . قال ذلك وأناجيله تبين له محاولتهم قتل المسيح عليه السلام ، وأخبار الكتب المقدسة تقول انهم قتلة الأنبياء ، ولكنه يهودى النزعة والأخلاق .

وان الله تعالى قرر فى كتابه الحكيم ضرب الذلة عليهم فقال : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس » وحبل الناس هم من نرى من امريكا ، وحبل الله هو اختياره للمسلمين لتركهم دينهم ، فابتلاهم باعداء الانسانية ليعودوا الى ربهم ، فان عادوا فان الله سيعيد اليهود الى مكانهم (ان تنصروا الله ينصركم) .

المقاومة فى الأرض المحتلة :

نشرت « فتى العرب » المراقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

المقاومة التى تلقاها سلطات الاحتلال الاسرائيلى فى الأراضى العربية المغتصبة ، أمر طبيعى ، لا يمكن الهروب منه ولا حتى تلافيه بأى اجراء ، غير الخضوع لارادة الشعوب ، واحترام حريتها ، وافساح المجال أمامها لممارسة وجودها على ارضها ، تعيش تاريخها وحياتها متمسكة بحضارتها وقيمها .

فالتاريخ لم يحدثنا على امتداده ، عن شعب خضع للاحتلال واستكان له ، وانما كل فصوله ، نضال وتضحيات ، وقوافل شهداء لتحرير ارضه ، والخروج من الظلام المفروض عليه وممارسة وجوده من غير عوائق أو قيود .

والشعب العربى ، وهو يعيش فى منطقة بالغة الحساسية والأهمية على خريطة الدنيا ، تعرض لكثير من الحملات والغزوات ، كما عرف على شكل واسع حلاوة الأنتصارات وكتب الكثير من سجلات البطولة والفتوحات ، يدرك تماما كيف يحطم القيود ويزيل الحواجز ، ويعود لأحضان الحرية ، يصنع تاريخه ، ويزيل عن أرضه معالم العدوان ، وكأن شيئا لم يتغير الا مضاعفة الايمان بالمستقبل ، ومتابعة العمل من أجل حياة أفضل .

وأبناء الضفة الغربية ، هم من هذه الأمة العريقة لا يمكن أن يغيروا من طبعهم أو يتنازلوا عن جزء من وجودهم وتاريخهم ، وارتباطاتهم بحضارة عريقة ولا يمكن — لطبيعة فيهم — أن يخضعوا للاحتلال الاسرائيلى أو يتجاوبوا معه ، وهم يعرفون طريق المقاومة ، وحياة النضال .

وسوف تظل اسرائيل تلاقى المتاعب وتجد نفسها فى المواضع الصعبة ، ما دامت تقيم على الأرض العربية ، وهى لن تجد الاستقرار مهما طال بقاؤها ، فأبناء فلسطين والشعب العربى الذين دمروا الكثير من اساطير الاحتلال ، وقضوا على أعتى الحملات التخريبية ، والأم الفاتحين يعرفون الآن كيف يتخلصون من شىء اسمه الاحتلال الاسرائيلى ، والوجود الاستعمارى كله على أرضهم .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكـــويـــت

● قام سمو امير البلاد المعظم بزيارة لايران ابتداء من ١٠ يناير الماضى .

● قام السيد طاهر يحيى رئيس وزراء العراق بزيارة البلاد لمدة اربعة ايام وقد حمل رسالــة الى سمو الأمير المعظم من أخيه الرئيس عارف وقد اكد البيان الصادر عن المحادثات دعم التعاون العربى وضرورة عقد مؤتمر عاجل للقمة .

● صدر مرسوم أميرى بالغاء العمل بالأحكام العرفية ابتداء من أول يناير ١٩٦٨ بعد العمل بها منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ .

● سلمت وزارة الأشغال ستة مساجد الي وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى احيــاء مختلفة من الكويت .

● تلقت وزارة الارشاد والأنباء دعوة من اللجنة الثقافية الوطنية التونسية لاقامة اسبوع ثقافى كويتى فى عدة مدن تونسية ضمن الموسم التونسى الذى ينتهى فى ١٩٦٨/٥/٣١ .

● بعثت الأمانة العامة للجامعة العربية مذكرة تطلب ترشيح الجهات الحكومية للمفكرين الذين تراهم للاشتراك فى الحلقة التى سيقيمها المستشرق الفرنسى المعروف جاك بيرك فى الخريف القادم حول النزاع العربى الاسرائيلى .

● احتفلت وزارة التربية فى يوم ١٨ يناير ١٩٦٨ بعيد العلم وقد أعطيت المكافآت للمتفوقين .

● طلبت مديرية التعليم السعودية تزويدها بأفلام تليفزيونية عن الثقافة والتعليم فى الكويت .

● زار البلاد وفد أعلامى ايرانى ردا على زيارة سعادة الشيخ جابر العلى السالم وزيـــر الارشاد والأنبـــاء .

الجمهورية العربيـــة المتحدة

● تأجل انعقاد مؤتمر القمة العربى الذى كان مزمعـــا عقده فى ١٧ ينايـــر ١٩٦٨ الى أجل غير مسمى بناء على اقتراح تقدمت به الجمهورية العربية المتحدة .

● احتفلت البلاد فى شهر رمضان الماضى بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن وقد أقيم احتفال رسمى كبير بالأزهر حضره الرئيس عبد الناصر وكبار المسئولين ورجال السلك السياسى العربـــى والاسلامى .

● وجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية بمناسبة عيد الفطر دعا فيه المسلمين لتوحيد الكلمة وجمع الشمل ومساعدة اللاجئين كما وجه بيانـــا الى العالم المسيحى داعيـــا الى التعاون والعمل على رفع العدوان على المقدسات الاسلامية والمسيحية .

● اعتمد السيد حسين الشافعى نائب الرئيس منهج التعليم الابتدائى بالأزهر وهو يقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتدريس المناهج الثقافية المؤهلة للالتحاق بالمعاهد الأزهرية الاعدادية وتدرس وزارة الأوقاف مشروعا لتعميم تحفيظ القرآن وعلومه .

● أفرج عن عدد كبير من الاخوان المسلمين كما رفع تحديد الاقامة عـــن ٩٠٠ شخص مـــن المبعدين عن الريف وسمح لهم بالعودة الى دورهم .

● ستقوم هيئة قناة السويس باخراج السفن المحتجزة فى القناة وستتم هذه العملية تحت حماية عسكرية عربية .

الســعــوديـــــة

● قام وفد فلسطيني لزيارة البلاد وجمع التبرعات لحركة المقاومة العربية ومساعدة اسـر الشهداء ..

العـــــراق

● كونت لجنة كويتية عراقية لتدعيم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

الأردن

● قام جلالة الملك حسين بزيارة الى السعودية والقاهرة بعد تاجيل مؤتمر القمة العربى ..

● القت اسرائيل عدة قنابل على مخيمات اللاجئين فى الضفة الشرقية لنهر الأردن فى ساعات الصباح والضحى ايام العيد ثم كررت الاعتداء على الأردن .

● قطع راديو اسرائيل اذاعة صلاة عيد الفطر عندما بكى الخطيب وهو يقول هل هناك داع للشعور ببهجة العيد . وصاح المصلون صبرا صبرا فى جو ملىء بالانفعال والتوتر .

● يوالى الفدائيون العرب مقاومتهم الشجاعة للاحتلال الصهيونى .

● الغيت احتفالات عيد الفطر وعيد الميلاد واقتصر فيهما على اداء الشعائر الدينية كما الغيت كذلك فى عدد من الدول العربية .

● صرح الشيخ عبد الحميد السائح بأن وفود ٢٢ دولة اسلامية اجتمعت بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزول القرآن وقد كونت لجانا لتنظيم الجهاد المقدس .

دمشق ــ اصدر مكتب جبهة التحرير الاريترية فى دمشق بيانا مصورا ابرز فيه اضطهاد الحبشة للمسلمين فيها كما بين مساعداتها المادية لاسرائيل وتدريب الضبــاط الاسرائيليين لفرق الفدائييــن الاحباش لقمع الارتيريين المسلمين .

الرباط ــ دعا جلالة الملك الحسن علماء الاسلام لقضاء العيد فى ضيافته واهدى الدكتورة بنت الشاطىء وسام الكفاءة الفكرية .

أخبـــار متفرقة

باريس : ندد الرئيس الفرنسى ديجول بالعدوان الاسرائيلى مرة أخرى فى مذكرة أرسلها ردا على بن جوريون وقد أكد الرئيس الفرنسى ديجول ضرورة انسحاب اسرائيل من الأرض العربية التى احتلتها كخطوة اولى للسلام .

الهند : اطلق سراح الشيخ محمد عبد الله الملقب بأسد كشمير الذى يتزعم حركة تقرير المصير لشعب كشمير. وقد اعتقل منــذ ١٩٦٥ وقد قال لمستقبليـــه الـ ٤ آلاف : انه لم يغير رأيه بسبــب الاعتقـــال .

لندن : يقوم المركز الاسلامى فى لندن مع بعض الرجال المسلمين هناك بالاتصال مع هيئـــة التعليم فى لندن لتدريس الدين الاسلامى للطلاب المسلمين بالمدارس .

اندونيسيا : طلب وزير الخارجية من الولايات المتحدة الامريكية الحد من المبشرين الامريكيين .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

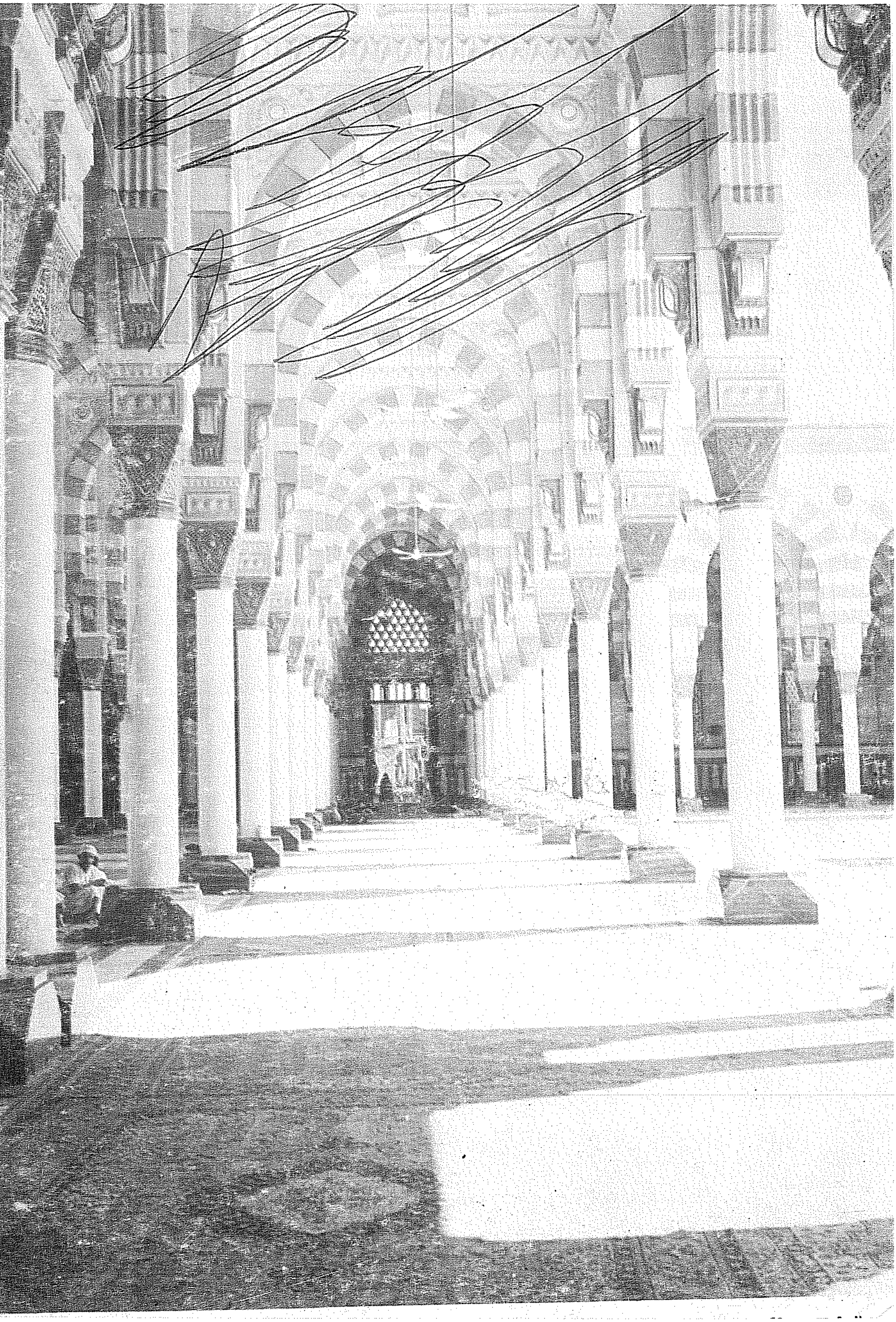
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صرب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ صرب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صرب ٢٢
جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صرب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبي : ساحل عمان ـ صرب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صرب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحرى ص.ب ٥

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب صرب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صرب ٢٨٠ ـ السيد الشمالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صرب : ١٥٧١

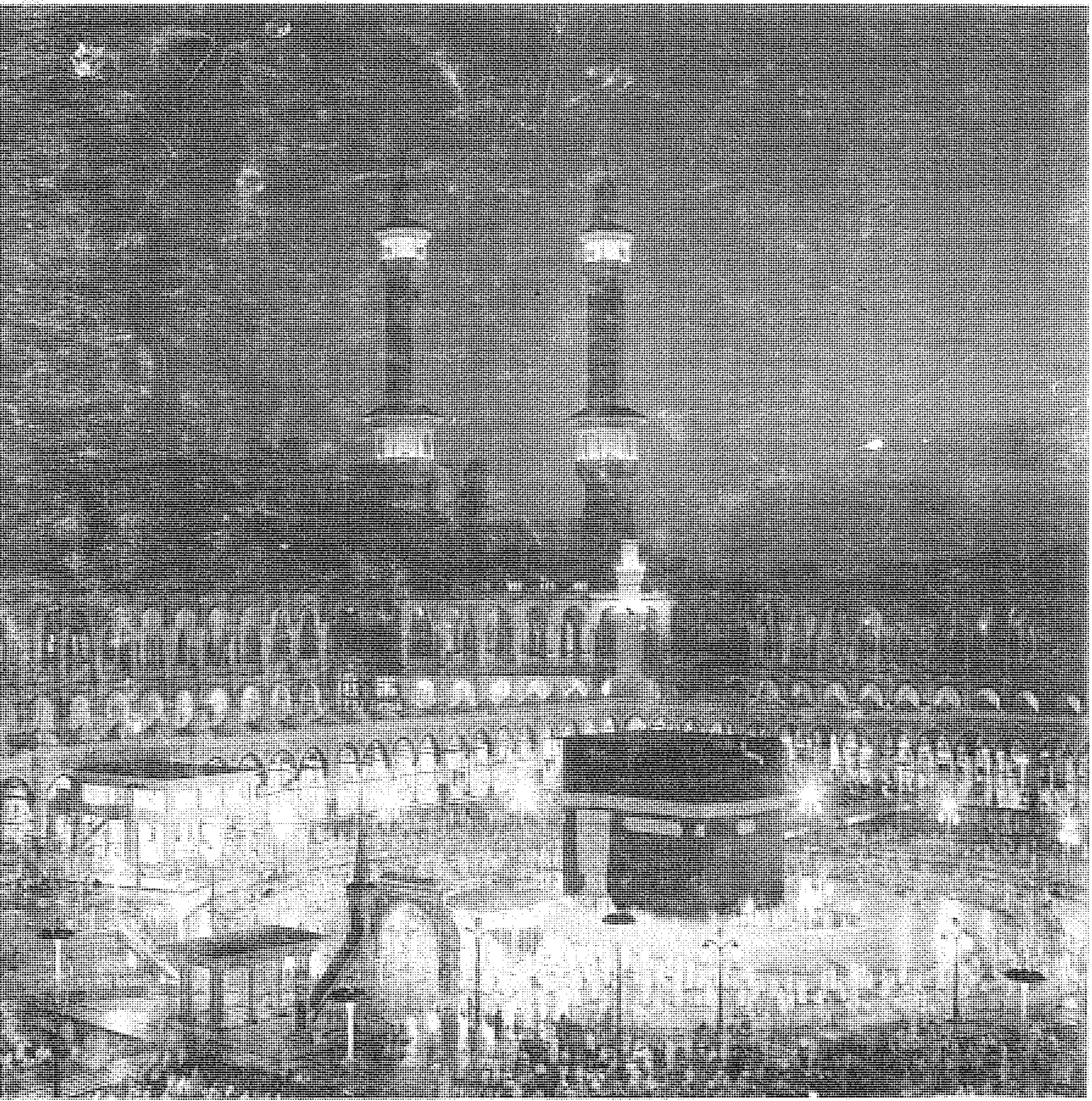
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة — العدد السادس والثلاثون — غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ — فبراير سنة ١٩٦٨ م





سمو الامير المعظم وضيفه الكريم عظمة حاكم البحرين يتسلمان باقات الزهور فى حفل الاستقبال الذى أقيم لعظمته لدى وصوله الكويت .

صورة الغلاف



منظر فريد للمسجد الحرام يكسوه البهاء والنور وتتوسطه الكعبة المشرفة وتبدو فيه المئذنتان تسطع منهما اشعة الهدى والخير .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس والثلاثون

— السنة الثالثة —

غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ

فبراير سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

أخى حاج بيت الله الحرام ..

سيخفق قلبك وانت تودع الأهل والاحباب .. وستظل فى كل لحظة تمضى عليك بعد ذلك ، وانت سعيد القلب قرير العين ، بما ستراه ، بعد ان عشت سنين من عمرك تحلم به وتتخيله ، وتسمع عنه حديث الذين رأوه ..

وسيخفق قلبك كثيرا وانت تقترب من الديار المقدسة .. وانت ترى مبانى مكة والمدينة .

وسيغمرك الفرح ، وانت تجد نفسك فى المسجد الحرام ، تطوف بالكعبة التى طالما توجهت اليها فى صلاتك دون أن تراها ، وانت تتنقل بين مكة ومنى وعرفات .. تؤدى فريضة الله .

وسيطير قلبك الى المدينة قبل ان تراها .. وحين تدخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، تسارع الى الروضة وتزاحم الناس من أجل الصلاة فيها ، وتحاول أن تصلى فى القبلة تتحرى المكان الذى كان يصلى فيه الرسول .. وستقف وقفات خاشعة بجوار القبر ، تسلم عليه هو وصاحبيه وتناجيه وتدعو بما شئت أن تدعو ..

وستجد مئات الآلاف حولك ، يحجون مثلك ، يتلاقى قلبك مع قلوبهم ، ويرتفع دعاؤك مع دعائهم . ويتسق شعورك مع شعورهم ، بل تتشابه ملابسك مع ملابسهم ، وستفيض يداك بما أعطاك الله من مال ، وتنفق بسخاء . وانت فى ضيافة الرحمن ، ثم تعود ، وقد قرت عيناك بما أديت وانفقت .. تعود وانت تحسن الظن بالله ، أن يتقبل منك حجك ، ويضاعف لك من حسناتك ..

أخى الحاج ..

هلا ذكرت فى كل خطواتك هذه وسكناتك ، المسجد الأقصى ، وما يرزأ تحته من قيود ، وما يفيض على جوانبه من مآس وكوارث ؟!

حين تدخل مكة المكرمة هل تذكر مدينة القدس ؟

وحين تضع قدمك على عتبات المسجد الحرام هل تذكر بيت المقدس ؟

هل تذكر — وانت تمشى آمنا فى الرحاب الآمنة — اخوانا لك حول المسجد الأقصى مروعين ، تهدم بيوتهم ، وتكمم أفواههم ، ويعيشون فى رعب تحت سلطة الأراذل السفاكين ؟!!

هل تفكر وانت تدخل مدينة الرسول ، وانت سعيد بتحقيق أمنية العمر ، هل تفكر ان تلك البقعة المزيزة على قلوبنا ، يطمع فيها هؤلاء الأراذل ، ليعيدوا بها سيرتهم الأولى . سيرة أسلافهم الخونة من بنى قريظة والنضير ؟ ..

وهل تذكر مع ذلك ، ما قاله أحد قوادهم يوم دخل القدس ، واستقر فيها ، وشتت شمل أهلها ، الآن انتقمنا لأجدادنا فى خيبر ؟!

هل تذكرون يا حجاج بيت الله أنتم وكل من يهفو قلبه الى هذه الأماكن المقدسة ، هل تذكرون هـذا وغيره من المخـاطر التى نزلت وتنزل ببلادكم الاسلامية ، وتتعرض لها مقدساتكم الباقية فى أيديكم ؟
وماذا تحدثون أنفسكم به من أجل المستقبل وأخطاره .. وماذا أعددتم له ؟

ان عدوكم يخطط لأغراضه ومطامعه خطـوة خطـوة .. وكل يهودى فى العالم يعتبر نفسه جنديا فى خدمة دولة اسرائيل .. مهما يكن حاملا لجنسية من الجنسيات .. فكيف حالكم أنتم ؟
فى أشهر الحج تدفقتم الى الأماكن المقدسة ، لتؤدوا ما فرضه الله عليكم من عبادة ، مضحين بالمال ، والجهد ، وفراق الأهل والأوطان ؟ وفى كل عام يأتى سيكون كذلك ..

فماذا فعلتم أو ماذا انتم فاعلون .. وداعى الجهـاد يدوى نفيره : أن انقذوا مسجدكم الأقصى ، وحرروا أرضكم من أيدى غاصبيها ؟ وادرءوا الأخطار عما لا يزال فى أيديكم ؟

لا شك فى أن قلوبكم أو قلوب الأكثرين منكم يغمرها الألم والحزن مما نحن فيه .. وأن عاطفتكم الاسلامية لا تزال بحمد الله تعمر قلوبكم .. ولكن ماذا فعل الألم أو فعلت العاطفة ؟!!
مئات الآلاف يتقاطرون من كل مكان ليجتمعوا حول المسـجد الحرام ، ويتقربوا الى الله .. وهم فرحون بما بذلوا قريروا العين بما ضحوا .
والجهاد لحراسة المسجد الأقصى ، وصيانته ، وتطهيره ، واسترداده مع ما بارك الله فيه من أراض حوله . هل يقل ذلك قربى الى الله ؟ ..

واليهود الذين طاروا أو هبوا من كل مكان فى الدنيا ، ليشـتركوا فى الحرب ، ويدعموا مكان أمتهم فى الأرض التى اغتصـبوها .. هل رأينا من تدفعهم عاطفتهم الاسـلامية ، أو يهزهم ايمانهم ، ليضعوا خبرتهم وقوتهم فى حراسة مقدساتهم الاسلامية كما فعل هؤلاء ؟!

دعانا الله للحج ، فلبى مئات الآلاف فى كل عام ، ومن كل مكان ، مقبلين على الله ، ملتمسين لرضاه ، يقولون : لبيك اللهم لبيك .
ودعانا الله كذلك للجهاد ، وزين للمجاهدين أبواب الجنات . فمن لبى ومن أقبل ؟!
وهل المسجد الأقصى للعرب المسلمين وحدهم ؟
وماذا فعل المسلمون غير العرب ؟ لئن كانت الأرض أرض العرب ، للمسجد الأقصى للمسـلمين جميعا ، والأرض أيضا أرضـهم ، والدار ، دارهم ـ دار الاسلام .

وتقول لى وماذا فعل المسلمون العرب ؟ أليسوا هم الذين هيئوا بما فعلوا أو بما قصروا : لما يئن منه الجميع الآن ويشكو ؟!
وأقول لك : نعم .. ومعك الحجة فى هذا الذى تقوله . ولكن هل يعفى ذلك مئات الملايين من المسلمين غير العرب من الواجب الدينى الملقى عليهم ؟ .

لقد حال اليهود بين عشرات الآلاف من المسلمين وبين الحج هذا العام ! .

فهل نأمن أن يتفاقم هذا الأمر فيما سيأتى من أعوام ، ونحن على ما ترى من حال ؟ .

وفى العيد فى كل مكان يعيش فيه مسلمون ، وفى الحرم الأمين سيقدم الملايين أضحياتهم أو هديهم .. فهل تذكرنا قبل أن تمتد أيدينا ، لنذبح أضحياتنا ، أو هدينا ، أو فديتنا ، اننا نحن المسلمين فى كل مكان ، قد ساهمنا ــ بتقصيرنا ــ فى تقديم أضحيات من اخواننا ــ الرجال والنساء والولدان ــ ليذبحهم اليهود ، وينكلوا بهم ، بعد أن نكلوا بسمعتنا وكرامتنا ؟

وهل يقبل الله منا تقربا بذبح الحيوان .. بعد أن ضحينا بأخينا المسلم الانسان ؟!

كم من ملايين الجنيهات سينفقها المسلمون فى الأضحية ؟؟ الا ليتهم يحولونها الى أسلحة ومعدات تطهر مسجدهم وتحرر أرضهم ؟

كم من المسلمين سارعوا الى الحج ؟
مئات الآلاف .. وهنيئا لهم ..
وكم ينفقون ؟
عشرات الملايين من الجنيهات بل مئات ، وتقبل اللهم منهم وأثابهم .
ولكن كم من المسلمين سارعوا للجهاد ؟
....
وكم أنفقوا ؟
....

ألا ليتنا نعطى الجهاد من أنفسنا ومن أموالنا ، ما نعطيه الحج من أموالنا وجهودنا . وهذا فرض ، وذاك فرض .
وفى الجهاد حراسة وصيانة للعقيدة والفروض ، وعزة وكرامة للاسلام

وداع العام الثالث ..

بهذا العدد ــ أخى القارىء ــ تتم المجلة السنة الثالثة من عمرها المديد الحافل ان شاء الله بعد أن خطت خطوات واسعة فى طريق الازدهار والانتشار كانت عندنا أشبه بحلم لذيذ عند بدء صدورها ، وذلك بفضل روحك الطيبة التى تحتضن كل عمل جاد مخلص وترعاه وبفضل الجهود المخلصة التى تبذلها وزارة الاوقاف وهيئة التحرير مع الاساتذة الكتاب .

ونحن اذ نودع العام الثالث بهذا العدد نستمد من الله العلى القدير المزيد من عونه وتوفيقه لنواصل السير فى الطريق الجاد المخلص الذى اخترناه لأنفسنا برغم ما يحف به من أشواك ومتاعب . وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير .. والمسلمين ..

مدير ادارة الدعوة

من هدى السنة

لوموا أنفسكم

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر ، وانا الدهر ، بيدى الليل والنهار » ..

(رواه البخارى)

الشيخ : علي عبد المنعم

المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ الدهر : مر الأيام وكر الليالى(١) وهما ظرفان تقع فيهما الأحداث ، حلوها ومرها خيرها وشرها . وقال بعض شراح الحديث من السابقين رحمهم الله : « زعم قوم أن مرور الأيام والليالى هو المؤثر فى هلاك العباد ، وأنكروا ملك الموت ، وأضافوا كل حادثة الى الدهر ، وأخبارهم ملأى بشكوى الزمان ، وبهذا كذبوا الرسل وعادوهم وركبوا متن هواهم ، فضلوا الصراط المستقيم ، وجنحوا الى الاثم المبين » . وقد روى عن الامام أحمد رضى الله عنه بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه : « لا تسبوا الدهر ، فان الله تعالى قال : أنا الدهر الأيام والليالى أجددها وأبليها ، وآتى بملوك بعد ملوك » فاذا سب ابن آدم الدهر على أنه متصرف فاعل لهذه الأمور عاد السب الى الله تعالى لأنه هو المؤثر الفاعل المختار سبحانه وتعالى ، قال القاضى عياض رحمه الله « زعم من لا تحقيق له أن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهو خطأ بين فان الدهر عبارة عن زمان الدنيا » ومعنى أن الله هو الدهر : أنه خالق الدهر أى موجد الأيام والليالى ومدبر الأمور فيهما قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم »(٢) .

---

(١) يشير الى هذا المعنى قول الله تعالى « .. ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » .

(٢) الأيتان من سورة السجدة : رقم ٥ و ٦ .

٢ ــ والمتأمل فى وقائع الحياة الدنيا وأحداثها يرى سيرها سيرا منطقيا معقولا فى الأغلب الأعم ، فكل نتائجها مبنية على مقدمات صحيحة ، ووقائع الحال ثمرة عمل سابق ، ومكنون الغد مبنى على ما يجرى اليوم ، ومن حكمة الله تعالى ، أن جعل لكل شىء سببا ، ولكن دأب الناس وخاصة الاتكاليين منهم ، الذين أهملوا أمورا وسدت اليهم ، وأفسدوا أعمالا نيطت بهم ، واتجهوا اتجاها مضادا لما يجب أن تكون عليه الخطة المثلى الناجحة ، أقول : هؤلاء دأبوا على محاولة التفلت من المسئوليات بالقاء تبعات نتائجها على غيرهم ، فطورا يسبون أيامهم ، ويشكون لياليهم ، ويلعنون وجودهم وتارة أخرى يقولون : هذا عذر فلان ، وتلك اساءة علان ، واهمال ثالث ، ومما يجرى على الألسنة المرة : لعن الله الأيام التى عشناها مع هذا ، والليالى التى جمعتنا بذاك ، ومعلوم من تكرار المثل على مسرح الحياة أن مثل هذا لا يجدى فى الواقع المؤلم فتيلا ، فلا يشفى علة ، ولا يطفىء غلة ، ولا يرأب صدعا ، ولا يلم شعثا ، ولا يجمع متفرقا ، ولا يقوى واهيا ، بل يزيد الطين بلة ، والخرق اتساعا ، فتتفاقم الأمور ، وتدلهم الخطوب وتتجمع سحب الكوارث ، ويصبح العارض مستقبل أوديتهم ريحا صرصرا فيها عذاب أليم ، فلا الصديق أبقوا ، ولا من الهلاك نجوا .

٣ ــ والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة فى هذا الحديث الى درس الأمور دراسة عميقة فاحصة واعية ، والالمام بها الماما كاملاشاملا دقيقا ، والوصول الى أعماقها وترقب نتائجها كأنها واقعة فعلا ، والاعداد لكل شىء بما يناسبه ان اقتضى قوة فليسعوا اليها ، وان استلزم علما فليسبقوا الى ساحاته وان اجتماعا فليأتوا بالحكمة على عوامل التفرق ، وان وحدة فليسلكوا الطريق السوى اليها ، وان مكرا فليمكروا ، والحرب خدعة ، مع دأب مستمر وعمل متواصل وتعقل واحكام وحزم ، ومما يقوى هذا وينميه دراسة التاريخ وفتح العيون لا بل العقول على أحوال الأمم المعاصرة ، والاستفادة من الشر أكثر من الخير ، وعدم الاستهانة بالعدو مهما كان ضعيفا واهيا فى نظرهم « فلربما قتل البعوض الفيلا » . « ولربما تموت الأفاعى من سموم العقارب » . وليقتدوا برسل الله عليهم الصلاة والسلام ، فقد هزأ قوم نوح برسولهم وقالوا كفرا وعنادا : أنظروا نبيكم بعد أن كان رسولا صار مجنونا يصنع سفينة ليركبها فى الصحراء لتجرى على الرمال ، وهكذا يضيع زمانه فيما لا جدوى فيه ولا فائدة ترتجى من ورائه لأنهم لم يصدقوه رسولا ولم يؤمنوا به نبيا فلم ترق أفكارهم عن الحضيض الذى أركسوا فيه ولم يدركوا أنه صادق وأنه غير عابث لأنه ينفذ أوامر من لا يعبث ولا يضل ولا يغلب ، وكان جوابه دائما (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (١) واستمر عاملا مجدا مثابر يواصل ليله بنهاره حتى اذا جاء أمر الله قضى قضاؤه ولا راد لما قضى ، هذا مثل ، وتلك الأمثال يضربها الله لقوم يعقلون .

---

(١) الآيتان (٣٨ ــ ٣٩) من سورة هود .

٤ — وحين يقول الله (يسب ابن آدم الدهر) فانما يصور الانسان التافه الحقير الذى يحاول ان يفر من واقعه الذى تردى فيه ، يضرب ذات اليمين وذات الشمال يريد أن يصم أذنيه عن حقيقة أمره المؤلم الذى كان هو العامل الأول فى ظهوره على صورة مزرية ، والا فما هو الدهر !! هو أيام وليال ، زمان ، أوعية خيالية غير ممتلئة تطلب من يترعها بالعرق والدم ، تريد المستهين بالشدائد ، الهازىء بالعقبات مع السعى الجاد لازاحتها عن طريق مسيرته ، ماضيا قدما الى الصدارة بجدارة ، فان وصل فهو المجلى الذى يفتح له التاريخ صدره ، ويحفظ أعماله بين حنايا ضلوعه ، ويثبتها فى طيات أوراقه وأضابيره ، تلوى اليه الأعناق ، وتشد الرحال الى واديه ، وينتجع الفضل حيث هو لا يبرح ، وان كبا بعد الجهد المبذول ، وزل بعد العمل المتواصل ، بل ان هلك فسيهلك عن بينة ، يعذره معاصروه ، ويقرع التاريخ خصومه ، وصاحت الدنيا تردد وان لم يقل : لنا الصدر دون العالمين أو القبر .

ويدفعنى هذا الى التفكير في المحيط الذى أعيش فيه ، فى المحيط العلمى البحت ، البعيد عن المهاوى المادية ، والمهالك المردية ، فأرى قوما فى جهالة فكر ، وقصر باع ، وعجز دون الغاية ، مع أنهم ذوو مجد تليد ولكن لا طريف(١) لهم ، مجدهم ذكريات . لا . بل وقائع حقيقية مسجلة دروب علوم آبائهم ، تسجيلا يشهد بطول الباع ، وغزارة المادة ، واستهانة بالموت بالفناء المادى فى سبيل الحصول على نتيجة علمية وحقيقة كونية واحدة ، وكان لهم دءوب فتن غير أبنائهم وشغف غير أحفادهم ، فأخذ بألبابهم واستولى على جماع أفكارهم ، تفرغوا له يبحثون عن درره ، ويغوصون على لآلئه .. وكان لهم نتاج وأى نتاج .

وماذا كان موقف الوارث ذى الدم ، كان موقف الابن العاق ، كان ما نراه فى لقاءات فجة سخيفة متهالكة متداعية . وأقول ذلك — لا ملقيا للقول على عواهنه — وانما بالبرهان أستطيع ايضاح الحقائق التى تكمن وراء ما أرى ، وماذا أرى وأى شىء أسمع ، تترامى الى سمعى كلمات لا تخرج الا من ضيق عطن ، وظلام أفق ، كلمات تحمل سبابا لباحث مدقق وعالم محقق ، لأن المتحدث لن يبلغ شأو المتحدث عنه ، ويكفى أن أقول (لم) لأن علم ما بعد لن عند علام الغيوب وحده ! .. والذى أريده أن نعاود النظر فى أمرنا فلا نحاول النيل من الآخرين فندعى أنهم يحاولون تشويه آثار آبائنا ، ويسرقون تراث أجدادنا ، مع أن الواقع الذى لمسته ، والحقيقة التى أدركتها على الطبيعة أن فى هذا الوادى(٢) رجالا يعرضون الحقائق ، حقائق تراث آبائنا ، بل ويتعرضون لحضارتنا المعاصرة الآنية (٣) ويعرضون الكل بطريقة لا ضريب لها عند اضرابهم (٤) عندنا ، ولا هى

---

(١) وفى لغة : طارف أى جديد .

(٢) ليس وادى المنبت أو المنشأ أو العمل انما هو وادآخر بعيد .

(٣) بتشديد الياء ، نسبة الى الآن

(٤) جمع ضريب .

عند تلاميذهم الذين تربوا على أيديهم ثم عقوهم ، ولقد وجدت أحدهم وهو أعلمهم بالحقيقة حقيقة تراثنا بعد سبر غور حاضرنا ، لا يرضى أن ينسب الى الباحثين فى علوم المشرق تحت الاسم المصطلح عليه بل يربأ بنفسه عن ذلك الاسم ، ويقول : أنا عالم وعالم فقط ، لا وأستغفر الله بل أنا باحث وباحث فقط ، وطالب معرفة ولا أزيد (١) ، يصدر منه القول فى تواضع عجيب ، وخلق سمح رضى ، ويجمع حوله الأبناء ذوى الدم الوارث ليطلعهم على مرائى عجيبة ، ومجالى بديعة غريبة من أسرار علوم ومعارف آبائهم فيبهرهم ما يسمعون لأنهم من قبل لم يسمعوه وفى منبته الأصل لم يشاهدوه .

فى مشهد من مشاهد مرورنا بالحياة ، قدم صديق الى ذلك العالم زميلا تحتعنوان انتسابه الىالمادة ، البحتة ، فرد عليه الشيخ فى حزم وخلق متعانقين ، ودماثة طبع ورقة حاشية متناسبين : لقومك لآبائك تراث يعدل ملء الأرض ذهبا ، وحبذا لو غصتم عليه كما غاص من يمثلهم هذا الزميل على درر البحر ولآلئه فانتزعوها منه انتزاعا وأخذوها غلابا ، وأثروا قبل وجود فيض المادة الحديث ، لا اكتم قارئى العزيز أنى أعجبت بالرجل كعالم وكمحقق وكمحق أيضا ، وباحث منصف ، ومع ذلك غبطته على تواضعه الذى يشعر محدثه أنه جاء يعطيه المعرفة لا ليأخذها عنه فيذكرنى هذا الموقف الكريم بقول القائل :

تلقاه اذا ما جيته متهللا ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وأعود الى نفسى والى أترابى والى الجيل الصاعد من بعدنا ، فأقول : الى متى نظل نسب دهرنا ، ونجتر طعام غيرنا ، ونعيب سوانا جهلا ، ونتطاول على زماننا وما لزماننا عيب سوانا ، وأدعو الله مع العمل ، أن يرحمنا ويسلك بنا الطريق الذى يقيل عثارنا ويرأب صدعنا ، ويوجهنا الوجهة المثلى . فاللهم أغرس فى نفوسنا الوفاء لأصحاب الحقوق علينا وفقهنا فى دينك الذى ارتضيته لعبادك ، وحقق السلام على الأرض فى هذا العصر المادى المجحف بالقيم الانسانية ، وارو الجبوب بالماء الفرات السائغ ، بعد أن لوث الانسان الظالم وجهها بالدم المراق فى كل مكان .

ومن عجب أن الأرض لا تشرب الدم ، ولا تسمح له أن يغوص الى أعماقها ، وما ذلك الا ليبقى على وجهها شاهد صدق على ظلم الانسان لأخيه الانسان .. غفرانك ربنا واليك المصير ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، كما آمن الرسول والمؤمنون .

---

(١) يذكرنى هذا العالم بشيخ فلاسفة اليونان (سقراط) حين سمع أن كاهنة معبد دلفى تنعته بـ (الحكيم) وأنه أحكم من أظلتهم سماء أثينا ومن أقلتهم أرضها ، حيث قال قولته التى صارت علما على الحقيقة من بعده : قال : أنا لست حكيما وانما أنا طالب حكمة وترجمت الى لغتنا الشريفة تحت كلمة (فيلسوف) ومعناهامحب الحقيقة من حيث هى أو باحث عنها !!

القرآن وحرية الإرادة

تعقيب على محاضرة للدكتورة بنت الشاطئ

في القرآن وحرية الإرادة

الأستاذ : مصطفى الزرقا

خبير الموسوعة الفقهية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

نشرت جمعية الاصلاح الاجتماعي في الكويت في الحلقة التاسعة من رسائلها محاضرة للكاتبة الكبيرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) بعنوان : (القرآن وحرية الارادة) كانت ألقتها في الكويت بدعوة من الجمعية . وقد نقلت هذه المحاضرة أيضا مجلة « حضارة الاسلام » في العدد الأول من السنة (٨) الصادر في شهر ربيع الأول من العام الهجري الحالي ١٣٨٧ هـ .

قدمت الدكتورة المحاضرة محاضرتها القيمة بكلمة بينت فيها انصرافها منذ سنوات الى تدبر آيات القرآن الكريم والتخصص في خدمته ودراسته من حيث هو كتاب العربية الأكبر ، ومعجزتها البيانية الباهرة . وتطرقت الى ما داخل فهم كتاب ديننا العظيم من مدسوس الاسرائيليات ، وبدع التأويلات ، مما حجب عنا كثيرا من نور هداه ، لما يؤوله كل بحسب هواه ، بانتزاع آيات منه يبترها المؤول من سياقها لتساير مذهبه وتخدم مصالحه !!

ثم تناولت الدكتورة الكريمة موقف القرآن من قضية حرية الارادة فى افعال الانسان ، وهى القضية الشهيرة فى علم العقيدة والكلام ، الخطيرة فى اثرها فى سلوكنا همة وتوكلا ، أو قعودا وتواكلا ، وما ترتب عليها من قول بالجبر أو الاختيار . ثم رسمت الطريق الصحيحة التى ستسلكها فى بحثها ، وهى (استقراء جميع آيات الارادة وما يتعلق بها فى القرآن ثم تدبر دلالات الفاظها وحكم سياقها دون التزام بأى قول سابق فى القضية ولو بدا من المسلمات البديهية) .

وانى لا أكتم سرورى وتقديرى لأن تنصرف الدكتورة بنت الشاطىء الكاتبة الكبيرة الى القرآن دراسة وبحثا وتأملا واستقراء واستنطاقا واستخراجا بهذه الطريقة النيرة الحرة ، والنفس المتطلعة . اذن لعادت جولاتها فى آفاق القرآن بالنتائج الثمينة على قراء العربية ، وعلى بنى الاسلام وبناته ، من رواد الثقافة المتطلعين الى الحقائق ، والمتشوقين الى المعرفة الصحيحة النقية من الشوائب ، فى مناهج الحياة الانسانية وخط السلوك القويم .

ومن صميم هذا التقدير والاعجاب وجدت حاجة الى تعليق ملاحظتين ثنتين على بعض ما جاء فى محاضرة الدكتورة الاديبة الكبيرة ، احداهما تصحيحية ، والثانية تكميلية :

الجبرية لا القدرية

أ — فأما ملاحظتى التصحيحية فهى أنه فى أوائل المحاضرة حين اشارت الى ما طرأ على الأمة الاسلامية من تعطل وشلل وفهم خاطىء للتوكل ، ومن توزع المسلمين فرقا شتى فى قضية الجبر والاختيار قالت الدكتورة الكاتبة ما يلى :

« قالت **القدرية** بالجبر المطلق ، وأن ليس للانسان من أمره من شىء ، وانما هو مسير بقضاء الله وقدره لا مفر ولا مهرب » .

والصواب أن الذين يقولون بذلك هم الجبرية لا القدرية . فأما القدرية فهم نفاة القدر بهذا المعنى . يقولون : ان الانسان يتصرف فى أعماله بمحض حريته واختياره ، وليس خاضعا فيها لقدر الهى سابق . والا لما أمكن توجيه مسؤوليته عن أعماله . ومن ثم سمى المعتزلة بالقدرية . لأن هذا هو مذهبهم فى عدم القول بالقدر ، وعكسهم الجبرية الذين يقولون ان الانسان مجبر بقدر الهى سابق يسيره ، دون أن يكون له اى اختيار فى شىء من أفعاله .

جاء فى المعجم الوسيط (مادة : قدر) ما نصه :

« والقدرية قوم ينكرون القدر ويقولون ان كل انسان خالق لفعله » .

ولننظر أيضا كتب الفرق وعقائدها كالملل والنحل لابن حزم وللشهرستانى ، وكتاب كشاف مصطلحات الفنون للتهانوى باب القاف فصل الراء فى كلمة : (قدر) .

ب — وأما ملاحظتى التكميلية فهى أن الدكتورة بنت الشاطىء — حفظها الله — لأجل تحديد مفهوم الارادة المقصودة فى كتاب الله ، استقرات جميع الآيات التى ورد فيها التعبير بمادة الارادة ومشتقاتها ، لأن هذه الآيات هى مستند جميع الاتجاهات المتضادة فى الاعتقاد ، بين مذهب الجبر المطلق ومذهب الاختيار المطلق (القديمة) وما بينهما من حدود . فانتهت من تتبع هذه الآيات وسياقاتها الى انه : حيث ورد التعبير بأحد مشتقات الارادة فى القرآن مسندا

الى البشر المخلوقين ، فالمراد به : معناها اللغوى الأصلى ، وهو المشيئة التى من لوازمها العزم والرغبة .
وحيثما ورد التعبير بأحد مشتقات الارادة مسندا الى اللهَ تعالى الخالق الحاكم ، جل شأنه ، فالمراد به معنى الأمر النافذ ، والحكم المبرم الذى لا راد له (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . وكثيرا ما تأتى فى مقام بيان سنة الكون ، التى هى من حكم الله وأمره المبرم فى أن يترتب على مسالك الناس من مستقيمة ومنحرفة نتائجها الحتمية من خير وشر . فليس فى ارادة الله تعالى معنى اجبار الناس وسلب اختيارهم فى أفعالهم ، وانما هى حكم حتمى عليهم ، بأن تلزمهم نتائج أفعالهم ومسالكهم التى اختاروا سلوكها من طاعة أو معصية .
وقد استعرضت الدكتورة بنت الشاطىء كثيرا من الآيات القرآنية الواردة فى شتى المناسبات ، واوضحت تنزيلها على هذه المفاهيم ، التى تختلف فيها طبيعة الارادة المضافة الى المخلوقين ، عن طبيعة الارادة المضافة الى الله تعالى الحاكم عليهم بنتائج أعمالهم جل شأنه .
لكنى وجدت أنها لمست بقلمها لمسا خفيفا جدا ، بعض آيات كريمة من شواهد الجبرية التى يتعثر فيها ذلك التأويل ، فبقيت هذه الآيات محل تساؤل لدى القارىء : كيف يمكن توفيقها مع هذا التأويل الجديد للدكتورة بنت الشاطىء بصورة يزول منها أشكال الجبرية :

١ ــ فمن ذلك قوله تعالى على لسان نوح : (ولا ينفعكم نصحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) فقد اكتفت الدكتورة فى تأويل هذه الآية وتنزيلها على المفهوم الذى شرحته بأن تقول :
هذه الآية التى طالما احتج بها القائلون بالجبر انما نزلت فى الملأ الذين كفروا من قوم نوح وقد نصح لهم فضاقوا بنصحه .
وواضح للقارىء أن هذا غير كاف لقطع حجة الجبرية فى ظاهر هذه الآية ، لأن مناط احتجاجهم انما هو فى تسليط الارادة الالهية على الاغواء وتعلقها به . فلو كان متعلقها غير الاغواء من عذاب أو سوء عاقبة لصح للسيدة بنت الشاطىء تأويلها ، كما لو كانت الآية مثلا : « ان أراد الله أن يعذبكم » اذ يقال بحسب تأويل الدكتورة : ان ارادة الله تعذيبهم بعد تكذيبهم لنبيهم نوح عليه السلام وتحديهم له هى حكم من الله عليهم عادل جزاء لما صنعوا .
اما والمتعلق هو الاغواء فيبقى الاشكال ، وهو أن التكذيب نفسه لرسولهم انما هو نتيجة لارادة الله أن يغويهم ، بأى معنى فسرنا هذه الارادة ، ما دامت نافذة لا مرد لها .
٢ ــ وكذلك آية يس : (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) ، فقد اقتصرت الدكتورة فى تأويلها على قولها :
(الآية أبطلت شفاعة آلهة تتخذ من دون الله أربابا ، وهيهات تنقذ من حكم الرحمن) .
وهذا أيضا ، كما ترى ، غير كاف فى دفع ما يتمسك به الجبرية من مدلول هذه الآية بحسب سياقها ، ووجه الاشكال فيها انها حوار بين الرجل المؤمن والمشركين المحكى عنهم : يبين لهم أن العبادة انما يستحقها الاله القادر على النفع والضرر بارادته المطلقة ، فلو أراد أن يوقع به ضررا لكان قادرا عليه ، وكانت تلك الآلهة المزعومة الزائفة عاجزة عن دفعه عنه ، وليس السياق سياق جزاء على سيئة ليمكن القول بأن الارادة هنا حكم مبرم جزاء على السيئة . بل

السياق فيها هو موازنة بين قدرة قادر وارادته المطلقة ، وعجز العاجزين ، استدلالا بأن القادر هو الاله الحق ، فيبقى فى ظاهر الآية متمسك للجبرية فى أن ما يقع للناس من خير وشر ونفع وضر انما هو بارادة الله تعالى التى لا محيص لهم عنها .

هاتان الآيتان وأمثالهما مما جاء فيه اسناد وقوع المكاره الى الارادة الالهية فى غير مقام التعبير عن جزاء الانحراف واقتراف السيئات تبقى ثغرة فى التأويل الذى ذهبت اليه السيدة بنت الشاطىء .

والذى أراه فى تأويلها بصورة واضحة مقبولة ومزيلة لكل اشكال هو ما يلى :

ان هذه الآيات جاءت كلها فى مقام التعبير عن قدرة الله تعالى المطلقة فى ذاتها وليست تعبيرا عن واقع . ولذا جاءت فى صورة الشرط : (ان يردن الرحمن بضر) (ان كان الله يريد أن يغويكم) الخ .. فالمراد بيان أن قدرته وارادته تعالى لا يستطيع أحد أو شىء أن يحد من سلطانهما ، حتى أنه لو أراد الله أن يغوى أحدا أو يضره أو يظلمه لما استطاع أن يدفع عن نفسه ما يريده الله به ، لأن قدرته وارادته مطلقتان كما أن علمه محيط . وهذا لا يدل على أن الله تعالى يظلم فعلا ، أو يلحق بأحد ضررا دون استحقاق . فهو تعالى قادر على العدل والظلم ولكنه لا يظلم ، ولو أراد اغواءنا وتضليلنا لفعل ، ولكنه لا يغوى ، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يسوقهم اليه (وما الله يريد ظلما للعالمين) (ولا يظلم ربك أحدا) بل يبين لهم طريق الخير والشر ليختاروا ويحملوا مسؤولياتهم . وذلك كما تقول : (ان فلانا يستطيع أن يفعل كذا وكذا من خير أو شر . ولو أراد أن يقتل فلانا لفعل) ولا يفهم أحد من ذلك أنه فعل أو يفعل ما يستطيعه .

فالمقصود بيان شمول القدرة والارادة الالهيتين ، وسلطانهما المطلق ، وهو أسلوب مألوف فى اللسان العربى وبيانه ، وليس فيه دلالة على ما يريد الجبرية تحميله اياه من دلالات ليست هى المقصودة بهذا الأسلوب من البيان .

هذه ملاحظة تكميلية لسد بعض الثغرات التى لا يكفى تأويل السيدة الدكتورة بنت الشاطى لتغطيتها .

وتبقى فجوات

يبقى بعد ذلك فجوات فى قضية حرية الارادة لا يكفى رأى السيدة بنت الشاطىء ولا هذه الملاحظة التكميلية منى لدفع الاشكال الذى يتراءى فيها ، وهو الاشكال الذى يتراءى من خلال بعض آيات أخرى فى القرآن الكريم يتمسك بظاهرها الجبرية الذين يؤدى قولهم الى تعطيل التكليف ، من مثل قوله تعالى :

١ ــ «كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم» (الأنعام ــ ١٠٨) .
٢ ــ « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم » (النحل ــ ٤) .
٣ ــ « ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله » (الانعام ــ ١١١) .
٤ ــ « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب » (الرعد ــ ٢٧) .

فهذه الآيات مما لم تأت فيه ارادة الله تعالى ومشيئته حكما لقوم أو على قوم بأعمالهم (جزاء وفاقا) ليس فيها تعليق على ارادة الله . مثل (ان كان الله يريد أن يغويكم) لكى تفسر بأنها تصوير لدى القدرة الالهية المطلقة ، فلا

تدل على ان الله تعالى يقويهم فعلا ، وان كان قادرا عليه ، ولا راد لارادته لو اراده — هذه الآيات وأمثالها القليلة قد أسند فيها أصل السلوك الصالح أو الخاطىء من هداية أو ضلال الى فعل الله تعالى ومشيئته (زينا لهم أعمالهم) (يضل من يشاء ويهدى) فمن ثم كانت مشكلة على التأويلين جميعا .

والذى أرى أن أمثال هذه الآيات أيضا اذا تأمل الناظر فى سياق كل منها لا تستعصى على التأويل الذى ينسجم مع المألوف من طريقة البيان العربى ، ولا ينافى حرية الارادة لدى المكلفين ، ولا ما تقرره النصوص الأخرى للقدرة والارادة الالهيتين من سلطان مطلق :

معنى التزيين

أ — فتزيين الأعمال يمكن فهمه بمعنى تحويطها بما يجذب اليها من متع وملذات ومنافع عاجلة ، وانفلات من القيود الملجمة فى مقابل ما وضع الله فى الانسان من قوة العقل والتمييز والتبصر فى العواقب مما يفرض عليه التقيد وعدم مجاراة الهوى ، وذلك لكى تستحق طاعة أوامر الله تعالى فى الايمان ، وما يستلزمه من أعمال ثوابا ، كما يستحق عصيانه عقابا ، لأن الطاعة اذا كانت غريزية لا مقاومة فيها ولا مشقة فلا مبرر عندئذ للثواب ، كما أن المعصية اذا كانت محتمة على الشخص لا مفر له منها ، فلا مسوغ معها للعقاب .

معنى المشيئة

ب — وكذلك هدى الله تعالى من يشاء ، واضلاله من يشاء ، وعدم امكان ايمان أحد دون مشيئة الله سبحانه يتوقف فهم المقصود به على تحديد معنى المشيئة . والمشيئة يمكن أن تأخذ معانى تختلف حدودها فى كل مقام ، بحسب متعلقها الذى تدل عليه القرائن والسياق ، وينسجم مع آيات أخرى ، ومقررات قطعية تقررها الشريعة القرآنية نفسها . فمتعلق المشيئة هنا هو عدم الحيلولة بينهم وبين الايمان ، واتباع طريق الهدى المدعو اليه . فقوله تعالى : (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) يكون معناه المقبول لغة والمنسجم مع القرائن الأخرى والمقررات القطعية : ما كانوا ليؤمنوا الا اذا شاء الله ايمانهم ، ومشيئته هذه تتحقق بأن لا يريد الله تعالى استعمال قدرته فى صرفهم عن الايمان والحيلولة بينهم وبينه ، وان كان قادرا على ذلك . فهذا القدر من التخلية بين المكلف والمنطلقات التى أمامه فى الخير أو الشر يدخل فى حدود المشيئة متى كان صاحب هذه المشيئة قادرا على الحيلولة .

وعلى أساس هذا الفهم يمكن تنزيل النصوص ذات العلاقة بهذا الموضوع ، بصورة تجمع وتوفق بين ضرورة الحفاظ على مبدأ حرية ارادة المكلف لتصحيح التكليف خروجا من الجبرية ، وبين عقيدة السلطان المطلق لارادة الله تعالى وقدرته وسيطرته على العباد وأفعالهم فى ضوء النصوص القرآنية ودلالاتها .

هذا ما أراه مكملا للموضوع اجمالا ، وسادا للثغرات التى تلوح للقارىء فى محاضرة السيدة الكريمة الدكتورة بنت الشاطىء ، وأرجو أن أكون وفقت فيه الى صواب ، والله سبحانه أعلم بمراده : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) و « ولله المثل الأعلى » وهو الحكيم الخبير .

الحج

الشيخ : حسن خالد

مفتى الجمهورية اللبنانية

الحج فى اللغة القصد الى عظيم . ثم خص بالقصد الى مكة المشرفة للنسك . ويقال حججت بيت الله بمعنى قصدته لافعال النسك . ويقال نسك وتنسك أى تعبد . ونسك نساكة صار ناسكا . والنسك الذبيحة المتقرب بها . ثم توسع بها فصار اسما للعبادة والطاعة . ومناسك الحج مواضع متعبداته .

والحج الى بيت الله الحرام فرض عين اجماعا ، على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع ذكرا أو أنثى . وهو أحد الأركان الخمسة فى الاسلام لقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ولما يروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله الى قوله وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

والحج فرض على المسلم والمسلمة فى العمر مرة وما زاد فهو نفل بدليل ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فقال رجل : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .

والمراد بالبيت المسجد الحرام بدليل قوله تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

وهو أول بيت وضع للعبادة على الاطلاق وباجماع العلماء بدليل النص القطعى . فهو سابق على المسجد الاقصى بعدة قرون . وهو كما قال المفسرون اقدم بيت وضع للعبادة . وليس ثمة أقدم منه .

وتحدثنا روايات عن وجود البيت من قبل آدم . ولكنا نمر عليها لنتحدث عما تحدث عنه القرآن الكريم من بناء سيدنا ابراهيم له بمؤازرة ولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » .

وقد اختلف العلماء فى وقت ابتداء افتراض الحج والجمهور على أنه كان سنة ست للهجرة لأنه فيها نزل قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) ولا يعقل أن يأمر الله باتمام شىء لم يكن مفروضا . ويؤيد هذا ما ورد فى قصة ضمام بن ثعلبة من ذكر الحج . وقد كان قدومه على ما ذكره الواقدى سنة خمس للهجرة ..

ونقل النووى انها كانت سنة تسع . وقد رجح هذا القول بعض العلماء .
ولا يكون الحج فرضا على المسلم الا مع الاستطاعة بدليل قوله تعالى :
(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .
وقد ذهب الامام مالك الى اعتبار الاستطاعة بالبدن ، وأوجب الحج على من قدر على المشى والكسب فى الطريق .
وذهب الامام الشافعى الى اعتبار الاستطاعة بالمال . ولذلك فقد أوجب الاستنابة على المريض الذى لا يرجى برؤه اذا وجد اجرة من ينوب عنه ، معتمدا فى ذلك على جواب الرسول صلى الله عليه وسلم على من سأله عن السبيل بقوله : (الزاد والراحة) .
وذهب الامام أبو حنيفة الى اعتبار الاستطاعة بالصحة والمال معا يؤيده فى ذلك ما رواه عن ابن عباس انه قال : السبيل أن يصح بدن العبد ، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به .
ويؤول الامام أبو حنيفة ما وقع فى الحديث الذى اعتمد عليه الامام الشافعى بأن ما وقع فيه بيان لبعض شروط الاستطاعة بدليل أنه لو فقد أمن الطريق لم يجب الحج عليه . والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لصحة البدن فى الحديث كأحد مقومات الاستطاعة لظهور الامر . يؤيد هذا أنه قد ورد فى بعض الروايات عن الامام على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن السبيل ، فقال : أن تجد ظهر بعير . ولم يذكر الزاد .

الاستطاعة للمرأة ..

ومن معانى الاستطاعة بالنسبة للمراة ان يكون معها رحم محرم أو زوج .
والأئمة الاربعة متفقون على عدم اعتبار المراة مستطيعة ما لم يكن معها زوج أو رحم محرم . غير أن الامام مالك يزيد بأنه يجوز للمراة أن تحج وتعتبر مستطيعة اذا كان لها رفقة مأمونون . كما أن الامام الشافعى يعتبرها ايضا مستطيعة ويوجب عليها الحج اذا كان معها نسوة موثوق بهن . اما ان وجدت امرأة واحدة فقط . أو لم تجد ، وكانت الطريق مأمونة ، فالحج غير واجب عليها ولا تعتبر مستطيعة . غير أنها اذا حجت جاز منها ذلك .
كل هذا فى الحج الذى هو فريضة ، أما حج النفل فلا يجوز من المراة مطلقا الا اذا كان معها رحم محرم أو زوج .
وسبب هذا التصعيب فى حق المرأة الاخبار الصحيحة الواردة بمنع المراة من السفر منفردة والاختلاء بأجنبى . فقد ورد أن ابن عباس سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : (لا يخلون رجل بامراة الا ومعها ذو محرم . ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم . فقام رجل فقال : يا رسول الله ان امرأتى خرجت حاجة وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا فقال فانطلق فحج مع امرأتك)
ومنها ما وقع عند الامام الدارقطنى بلفظ « لا تحجن امراة الا ومعها زوج » .

سفر المرأة للخارج !!

ومن استعراض راى الفقهاء هذا والاخبار الواردة فى الموضوع نجد مقدار تشدد الاسلام فى موضوع سفر المراة ، وبالأخص اذا كان مسافة ثلاثة أيام مشيا . ونرى بالضرورة أنه ينبغى أن يلتفت نظرنا الى ما يقع كثيرا من نسائنا وفتياتنا من سفرهن خارج البلاد ، ومكثهن السنوات الطوال بين أحضان الغرباء بل المخالفين لنا فى الدين والعقيدة ، كما نرى بالضرورة وجوب اسداء النصيحة الى النساء اللواتى يحججن الى بيت الله الحرام حجة النفل

منفردات ، دونما محرم أو زوج بعدم السفر الى الحج ، وبالاستعاضة عنه بعمل صالح آخر من صدقة أو سواها .

هل تجوز الانابة فى الحج ..

وقد يحول المرض أو الموت أو سواهما بين كثير من الناس وبين الحج ، مع توفر الاستطاعة لديهم بمفهومها المالى أو البدنى أو بمفهومهما ، فهل يجوز لهم الاستنابة ؟!

وقبل الاجابة على هذا السؤال نقول ان العبادات تنقسم الى ثلاثة أقسام : بدنية محضة كالصلاة والصوم . ومالية محضة كالزكاة والصدقة ، ومزيج منهما كالحج . ولا يقبل القسم الأول النيابة مطلقا بينما يقبله القسم الثانى دونما خلاف . أما القسم الثالث فقد اختلف فيه العلماء .

فذهب الامام مالك الى القول بعدم جواز الانابة فى الحج . وذهب الأئمة الثلاثة الباقون الى جواز ذلك شرط العجز المستمر .

والذين قالوا بالجواز اعتمدوا الأحاديث الكثيرة الواردة فى هذا الباب :

فقد روى عن أبى عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستوى على ظهر بعيره . قال : (فحجى عنه) .

كما روى أيضا عن ابن عباس قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال : ان أبى مات وعليه حجة الاسلام أفأحج عنه ؟ قال : أرأيت لو أن أباك ترك دينا عليه أقضيته عنه ؟ قال نعم . قال : (فاحجج عن أبيك) .

وأما الامام مالك رضى الله عنه فقد أخذ بظواهر النصوص الواردة فى القرآن الكريم كقوله تعالى : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى) ولذلك فقد ذهب الى القول بأن من مات ولم يحج ، وهو قادر ، ثم استأجر له ورثته من يحج عنه لم تكن حجة الاجير لتسقط الفرض عن كاهل المحجوج عنه ..

ولما كان الأئمة الاربعة فى هذا الموضوع بالذات مجتهدين وكان اجتهاد كل منهم عرضة للخطأ كما يمكن أن يكون صوابا .

ولما كان الامام مالك رضى الله تعالى عنه قد ارتأى عدم جواز الاستنابة فى الحج ، فان من واجبنا أن نستخلص أن على المرء المسلم القادر على الحج المبادرة اليه لأدائه بنفسه ، خشية أن يكون رأى الامام هو الصحيح ، فيكون موته قبل الحج مع القدرة عليه سبب مؤاخذة شديدة جدا خصوصا وان العلماء غير متفقين فيما اذا كان يجوز تأخير الحج مع القدرة أم لا ؟!

فقد ذهب صاحب نيل الاوطار الى القول بوجوب الحج على الفور بعد الاستطاعة ، وان التأخير معها يورثه اثما كبيرا .

والى هذا القول ذهب الامام مالك رضى الله تعالى عنه وأبو حنيفة وأحمد وبعض أصحاب الامام الشافعى كما ذهب الى هذا الرأى من أهل البيت الامام زيد بن على .

بينما ذهب الأئمة الشافعى والأوزاعى وأبو يوسف ومحمد من الاحناف الى أن الحج واجب على التراخى ، وان التأخير مع الاستطاعة لا يجعل المؤخر آثما اذا لم يكن خائفا من فوات الحج بالفقر والعجز .

ولا يكون الحج صحيحا الا اذا كان الاحرام به فى وقت خاص عملا بقوله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) وهذه الاشهر هى شوال وذو القعدة وذو الحجة أى انه يمكن

الاحرام بالحج من أول شـــوال وتنتهى أركانه وواجباته فى آخرها وهو ذو الحجة ..

وقد اختلف العلماء فى هذا ، فقال بعضهم أن الاشـــهر المعلومات هى الثلاثة من أولها الى آخرها . وهو ما ذهب اليه ابن مسعود وابن عمر والامام مالك رضى الله عنهم أجمعين . وقال بعضهم انها الشـــهران وعشر من ذى الحجة . وهو ما ذهب اليه أبو حنيفة والشافعى واحمد .

اركان الحج ..

ولا يتم الحج الا بالقيام بالأركان التالية :

١ ـــ الاحرام ..
٢ ـــ طواف الزيارة ويسمى طواف الافاضة .
٣ ـــ السعى بين الصفا والمروة ..
٤ ـــ الوقوف بعرفة ..

ولو نقص واحد منها بطل الحج باتفاق الشافعية والحنابلة والمالكية .

اما الاحناف فهم يرون أن أركان الحج اثنان فقط ، هما : الوقوف بعرفة ، واربعة أشواط من طواف الزيارة . وما تبقى فهى واجبات لا يبطل تركها الحج بل يجب جبره بتقريب الدم . وهو ذبح شاة أو سواها حسب الواجب المتروك .

والاحرام يكون من المواقيت المكانية المحددة لكل بلد والمبينة فى كتب الفقه . ولا يجوز مجاوزتها ولا محاذاتها دون احرام فمن جاوزها دونما احرام يلزمه الدم ، اللهم الا اذا كان ثمة ميقات آخر يمكن أن يمر عليه ، فعلى قاصد الحج عند الوصول اليه الاحرام .

ما يحرم على المحرم ..

ويحرم على من احرم عقد النكاح عند الشـــافعى ومالك واحمد خلافا للأحناف ، كمـــا يحرم عليه الجماع ودواعيه كالقبلة والمباشرة . ويحرم عليه المخاصمة مع الرفقاء عملا بقوله تعالى : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

ويحرم عليه التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح أو الاشارة اليه أو الدلالة عليه . وأما صيد البحر فحلال وذلك لقوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) .

ويحرم عليه اســـتعمال الطيب ، وتقليم الاظافر ، ولبس المخيط ان كان رجلا أو محيطا ببدنه أو ببعضه بما تعود لبسه فى غير أيام الحج .

ويحرم عليه أيضا قص شعر رأسه أو حلقه أو غيرهما . كما يحرم عليه ازالة شعر غير الرأس ، اللهم الا اذا كان متأذيا به فيجوز له أن يزيله وعليه الفدية .

ويحرم على المحـــرم التعرض لشـــجر الحـــرم بقطع أو قلع أو اتلاف الا الاذخر .

هذا ويسن للمحرم بعض الاجراءات ويكره له البعض الآخر . وبالامكان الرجوع الى المظان الفقهية للاطلاع عليها فى هذا الباب(١) .

---

(١) أصدرنا رسالة فى الحج فيها بيان وتفصيل لاحكامه فى جميع المذاهب ، وقد وزعت هدية مع العدد الماضى من المجلة .

وطواف الزيارة . هو ركن كما قلنا . واذا لم يقم به الحاج فيبطل حجه . وهو سبعة أشواط وعند أبى حنيفة أربعة أشواط والباقى من السبعة واجب .

ووقته من فجر يوم النحر الى آخر العمر عند الاحناف ، ولا يكاد يخالفهم فى هذا الشافعية والحنابلة . أما المالكية فهم يرون أن نهاية وقته آخر ذى الحجة .

وهناك طواف الوداع وهو واجب ، وطواف القدوم وهو سنة ..

ويطلب فى الطواف شروط أهمها الطهارة من الحدث والنجس ، وستر العورة والبدء بالحجر الاسود محاذيا له أو لجزئه ، وجعل البيت عن اليسار . وله سنن وواجبات وهى كثيرة وبالامكان الاطلاع عليها فى مظانها الفقهية أيضا لعدم تيسر ذكرها جميعها فى هذه الكلمة .

أما السعى بين الصفا والمروة فيشترط فيه أن يكون سبعة أشواط وأن يبدأ بالصفا والموالاة ، وأن يكون بعد الطواف مع خلافات يسيرة بين الأئمة فيها وله مندوبات كثيرة ..

أما الوقوف بعرفة فيطلب فيه أن يكون المحرم بالحج موجودا على أرض عرفة على أية حالة . يقظان أو نائما ، قاعدا أو قائما ، بشروط أولها أن يكون من زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة الى فجر يوم النحر عند الشافعية ويكفى الحضور فى هذا الوقت ولو لحظة تجمع بين النهار والليل ، ويشترط فى الواقف أن يكون أهلا للعبادة ، فلا يقبل الوقوف من مجنون ولا سكران .

أما الاحناف فيرون جواز هذا الوقوف من أى انسان مسلم . على أى حال كان ولو مجنونا أو زائل العقل وسواء كان ناويا أو لم يكن كذلك .

ويجب امتداد الوقوف حتى غروب الشمس ان وقف نهارا وان نزل قبل الغروب وجب عليه دم .

واجبات الحج ..

يجب فى الحج واجبات منها الوجود بمزدلفة ، والمبيت بمنى ورمى الجمار والحلق والتقصير .

والوجود بمزدلفة يكون ولو بلحظة بعد نصف الليل ، أما المبيت بمنى فيشترط فيه أن يكون بمعظم الليل من ليالى التشريق لمن لم يتعجل . أما من أراد التعجل والخروج من منى الى مكة فى اليوم الثانى من أيام التشريق أى ثالث أيام العيد فلا بأس لقوله تعالى : (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه) بشرط أن يخرج منها قبل الغروب من اليوم التالى وأن ينوى ذلك ويجوز لمن به عذر أن لا يبيت فيها .. كل هذا فى رأى الشافعية .

أما الأحناف فيطلب عندهم من الحاج الوقوف بمزدلفة ، ولو لوقت قصير بعد طلوع الفجر بقليل . فاذا لم يقف لغير عذر وجب عليه الدم . ثم ينزل الى منى قبل طلوع الشمس ويرمى جمرة العقبة بكيفية مخصوصة . ثم يقطع التلبية ويذبح ويحلق أو يقصر ، ثم يحل له كل شىء من محظورات الاحرام ما عدا النساء . وبعد الفجر من يوم النحر يمكنه أن يذهب الى مكة ليطوف طواف الزيارة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، وبعد الانتهاء منهما يحل له كل شىء حتى النساء .. ومن ثم يعود الى منى ليرمى الجمار الثلاث ثانى يوم النحر وثالثه ورابعه ولو بات خارج منى لم يجب عليه شىء ، وان أراد التعجل فى يومين أيضا فلا اثم عليه عملا بالنص الحكيم ..

ويفسد الحج بترك أحد هذه الاركان عند من اعتبرها أركانا ، كما يفسد بالجماع ، على تفصيل بين المذاهب فى الوقت الذى يكون فيه مفسدا للحج ..

أما اذا ترك شيئا من الواجبات ، او فعل شـيئا مما يحرم عليه فعله حالة الاحرام ، كلبس المخيط المعتاد ، أو التطيب أو تقليم الاظافر أو تغطية الرأس أو الوجه فعليه الفدية . وهى على التخيير اما اسالة دم ، أو اطعام ستة مساكين أو صوم ثلاثة أيام .

بقى علينا أن نتكلم فى كيفية حج النبى صلى الله عليه وسلم . هل حج مفردا أو قارنا أو متمتعا وأيها أفضل ؟

وبين يدى الجواب نقول ان **الافراد** بالحج هو أن ينوى المحرم الحج فقط . **والاقران** هو أن ينوى الحج والعمرة معـا ويلبى بهما ، **والتمتع** هو أن ينوى العمرة متمتعا بها الى الحج .

وسواء كان الحاج قارنا أو متمتعا فان عليه الدم . اما الأول فلما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات . وأما الثانى فلقوله تعالى : (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى) .

وقد وردت بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج قارنا . وقد أكد هذه الاخبار ووثقها ابن القيم فى كتابه زاد المعاد ، واسهب فى التدليل على صحتها ، وابطال نسبة سواه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أن بعض الرواة نقل انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ، وبعضهم نقل انه حج متمتعا .

ويرى الشافعى ان الافراد فى الحج أفضل . بينما يرى الاحناف ان القران افضل . أما مالك فيرى ان التمتع افضل .

وانى لأرى أن ذلك متروك لظروف الحاج ووقته فيختار ايها أنسب له من ناحية الوقت وغيره .

كيفية الحج ..

هذا ولو شئنا وضع خطة يسيرة مختصرة لأعمال الحج ، فانا نستطيع ايرادها كما يلى :

لو أراد أحدنا الحج فان عليه ان ينوى الاحرام بعد أن يغتسل ثم يأتزر بازار ويرتدى برداء غير مخيطين . ويتطيب ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى . ثم يلبى عقب الصـلاة بقوله : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وبهذه التلبية مع النية بعد تلك الاجراءات ، يصبح محرما . ويكون هذا كله عند الميقات .

وبالاحرام يحظر على المحرم ، الرفث والفسوق والجدال ، وقتل الصيد ولبس القمصان والسراويل والبنطلونات والجاكيتات والعمائم والاحذية الكاملة التى تغطى كامل القدم . وتغطية الرأس والوجه ومس الطيب ، وحلق الرأس وشعر البدن ، ويطلب منه أن يكثر من التلبية . وبمجرد دخوله مكة يتجه الى المسجد الحرام ثم يستقبل الحجر الاسود ، ويكبر ويهلل ، ويضعه عن يساره ، ويطوف بالبيت سبعة أشواط ، ثم يأتى المقام أو حيث يتيسر له من المسـجد فيصلى ركعتين . ثم يخرج الى الصفا ، فيستقبل البيت ، ويكبر ويصلى على النبى ، ويرفع يديه بالدعاء ثم يسعى بين الصفا والمروة سـبعة أشواط . ثم يقصر أو يحلق ، ويتحلل من الاحرام ويذبح شاة لهذا التمتع .

فاذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة ، احرم للحج وخرج الى عرفات . فاذا زالت الشمس من اليوم التاسع صلى ان كان اماما بالناس الظهر والعصر من وقت الظهر بآذان واقامتين ولا يتطوع بينهما .

وان كان منفردا صلى الظهر حيث هو ثم عاد فصلى العصر فى وقته أيضا حيث هو .

ثم يتجه الى الموقف . وعرفات كلها موقف الا بطن عرنه . ويلبى ساعة بعد ساعة . حتى اذا غربت الشمس أفاض الى مزدلفة ، حيث يصلى الامام بالناس المغرب والعشاء جمعا بآذان واقامة . والمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر ثم يصلى الفجر . وعند الاسفار يفيض الى منى ، ويبتدىء بجمرة العقبة ، فيرميها بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة . ثم يذبح ان أحب ، ويقصر أو يحلق . ويحل له كل المحظورات ما عدا النساء . ثم يأتى مكة من يومه ، أو من غده ، أو من بعد غده ، ويطوف بالبيت طواف الزيارة . ثم يسعى . ثم يعود الى منى فيقيم بها حتى اذا زالت الشمس من اليوم الثانى من أيام النحر رمى الجمار الثلاث ، ويكرر عمله فى اليوم الثالث ، ثم فى الرابع ، وان أراد التعجل نفر الى مكة فى اليوم الثالث قبل طلوع فجر اليوم الرابع . وان بقى حتى اليوم الرابع جاز له أن يقدم الرمى قبل الزوال وبعد الفجر .. ثم ينزل الى مكة ، ويطوف طواف الصدر ، وهو ما يسمى طواف الوداع . وبذلك يتم الحج .

ولا ريب أن فى هذا الذى سقناه من أعمال الحج ومناسكه مخالفات كثيرة لما عليه المذهب الشافعى وسواه ولكن هى طريقة اتبعها فى غالبها الاحناف فلا بأس من اتباعها .

هذا وان العمرة كالحج سواء بسواء الا أنها تختلف عنه بأنه يمكن القيام بها طيلة أشهر السنة ولا يطلب فيها الوقوف بعرفة ولا المبيت بمزدلفة أو منى ولا رمى الحجار ..

ان الحج الى بيت الله الحرام عمل عام ، جرى عليه العرب قديما فى الجاهلية والاسلام ، ولا يزالون ، وذلك لتعظيم هذا البيت الكريم . وأى تعظيم أكبر من افتراض حج الناس اليه على مدى الاجيال والقرون وتقلب الاوضاع والعهود ؟

انه أفضل الاعمال بعد الايمان والجهاد . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال جهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور . والحج المبرور هو المقبول لأنه لم يخالطه اثم والذى قد وفيت أحكامه ، بل انه جعل الحج بالنسبة للنساء كالجهاد ويقوم مقامه . فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله هل على النساء من جهاد ؟ قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة .. »

وقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما . والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .

أيها الاخوة : فى الحج منافع كثيرة أشار الله تعالى اليها بقوله « ليشهدوا منافع لهم » ومنافع الحج أكثر من أن نستوعبها فى هذه الكلمة . ولكن يكفى أن نقول ان فى الحج تذكيرا للحاج بأحوال الآخرة والموت ، لأنه عندما يقبل عليه يكثر من التوبة ، ويحاول ما استطاع اخراج نفسه من المظالم التى سبق له أن وقع فيها ، ويرد الحقوق الى أصحابها ، ويلبس ثياب الاحرام مشابها بذلك حال الميت عند قيامه من القبر مجردا حاسرا شبه عريان ، مقبلا على الله أشعث أغبر ، ثم يقف فى عرفات وقفة شبيهة بوقفة يوم العرض على الله .

فما أحلى أن يتذكر الانسان دعاوى الخير ، وما أجمل أن يعتبر من هذه التذكرات ، فيصلح يومه وغده وحاله ومآله ..

٧ علم الفلك والقرآن

الدكتور : جمال الدين الفندي
رئيس قسم الفلك بكلية العلوم ــ جامعة القاهرة

« الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » آية ٤٣ سورة النور ..

آثر صديقي ان اكتب هذه المرة ، واعلق على تلك المعاني العلمية الرائعة ، والحقائق المعجزة الأخاذة التي تضمنتها هذه الآية الكريمة ..

ولقد سبق لي ان اشرت الى هذه المعاني ضمن برامج (نور على نور) في العام الماضي (١) ، وكم يحلو لي أن اكتب عنها في مجلة (الوعي الاسلامي) مخاطبا تلك العقول الواعية ، والقلوب المتفتحة والنفوس المطمئنة ، لتزداد ايمانا على ايمانها ، ولتلمس الاعجاز العلمي للقرآن وسبقه للركب ، عن طريق تلك القضايا العلمية العامة التي طالما اشرنا اليها ، ولكن باعطاء نص كامل دقيق لخطوات تولد السحب الركامية النامية التي تجود بالبرد ، وتولد عواصف الرعد .

قلت لطلبة (دبلوم الأرصاد الجوية) خلال محاضراتي عن السحب الركامية منذ سنوات : انه من باب الأمانة العلمية ، يجدر أن نذكر هذه الآية ضمن المراجع العلمية ، بوصفها أول ما عرفنا من حقائق ، تتعلق بتلك السحب ، ويجب أن نوضح ذلك لعلماء الغرب ، ممن درسوا موضوع السحب وبحثوه ، والفوا فيه الكتب ، حتى يتبين لهم السبق العلمي للقرآن الكريم .

والسحب الركامية هي التي تنمو في الاتجاه الرأسي . وربما سميت ركامية نظرا لتراكمها في طبقات بعضها فوق بعض . ويطلق عليها الفرنجة كذلك اسم (كيوميولس) من (كيوميولت) أي يتراكم .

---

(١) استمعت للدكتور حديثه عن هذه الآية في تليفزيون الكويت فاعجبت به ، وكتبت اليه ليقدمها لقراء « الوعي » فاستجاب مشكورا

وهناك نوع آخر من السحب ينتشر عادة فى الاتجـــــاه الأفقى ، فيغطى السماء بأكملها بطبقة متصلة من **السحاب الطبقى** .

ومن مزايا السُحب الركامية انها قد تمتد راســـــيا الى علو خمسة عشر كيلو مترا او اكثر ، وبذلك تظهر لمن ينظر اليها عن بعد كالجبال الشامخة (٢) ، وعندئذ يمكن أن تميز داخلها طبقات ثلاث هى :

الطبقة العليا : وهى تتكون من بلورات من الثلج الناصع البياض .

الطبقة الوسطى : وهى خليط من نقط الماء فوق المبرد (اى الذى تنخفض درجة حرارته تحت الصفر المئوى بسبب شدة برودة تلك الطبقات من الجو) ، وبلورات الثلج المتساقطة من أعلى تحت تأثير جذب الأرض لها .

المنطقة السفلى : واغلبها نقط نامية من المـــاء او بلورات الثلج على أهبة السقوط الى الأرض على هيئة زخات من المطر . ولون هذه الطبقة معتم بسبب عدم نفاذ الضوء خلالها .

وتتيح فرصة النمو فى الاتجاه الراسى نشوء السحب الركامية عبر طبقات من الجـــو ، تختلف درجات حرارتها اختلافا كبيرا ، فتنشـــــأ بذلك الدوامات الراسية ، ويتولد البرد ، ولهذا فان الســـحب الركامية هى وحدها التى تجود بالبرد . وهذه الحقيقة فى ذاتها تفسر لنا قوله تعالى : « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » .

وتتلخص قصة تولد البرد داخل هذه الجبال فى أن بلورات الثلج النامية تتساقط من الطبقة العليا من السحابة ، وسريعا ما تهبط بفعل الجاذبية ، وتدخل المنطقة الوسطى ، حيث تتصادم مع نقط الماء فوق المبرد . ومن خصائص هذه النقط أنها غير مستقرة ، بمعنى أنها قابلة للتجمد او التحول الى جليد — كلها أو بعضها — حسب درجة حرارتها ، بمجرد تصادمها مع جسم صلب مثل بلورات الثلج المتساقطة من أعلى الســـــحب الركامية . وهـــكذا تجمع تلك البلورات بالتصادم والتجمد كميات وفيرة من الثلج ، فتنمو مكونة البرد المعروف . وفى بعض العواصف عندما تشتد تيارات الحمل الصـــــاعدة تنمو حبات البرد حتى تصبح فى مثل حجم البرتقال !!

وعندما استخدم العلماء الرادار فى تصوير مراحل تكون السحب الركامية فى أعقاب الحرب العالمية الماضية ، تبين لهم أن السحابة انما تبدأ على هيئة عدة خلايا ، أو وحدات من السُحب التى تثيرها تيارات الهواء الصاعد ، ويعقب ذلك أن **تتحد كل خليتين أو أكثر** (حسب الظروف) مكونة السحابة الركامية الممطرة .

ورغم أن الانســـان لم يتوصل الى هـــذه الحقيقة العلمية الرائعة الا منذ

---

(٢) رأيت هذه الظاهرة من نافذة الطائرة وهى تحلق فى سماء لبنان فظننتها أولا جبالا أرضية تكسوها الثلوج وحين عرفت الحقيقة تذكرت قوله تعالى « وينزل من السماء من جبال فيها من برد »

عشرات السنين فقط ، نجد أن القرآن يقررها فى بساطة من غير ما جلبة أو ضوضاء اذ يقول : «الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما» .

ويمر المسلمون عليها مر الكرام ، وبدلا من البحث عما فيها من الحقائق العلمية (١) اكتفوا بتفسير معنى الألفاظ ، دون أن يدركوا ما فيها من اعجاز علمى رائع ..

وهكذا يقرر لنا الجزء الأول من الآية مراحل تكون السحب الركامية ، ثم يخصصها (بالنمو الرأسى حتى تصير كالجبال وعندئذ تجود دون غيرها من السحب بالبرد . وليس من اللازم أن يتساقط البرد من السحابة بمجرد تكونه ، اذ ربما يحول تيار الهواء الصاعد دون نزوله فى مكان معين ، حتى اذا ما ضعف هذا التيار هوى البرد على هيئة زخات لا هوادة فيها ، وكأنما قد انفجرت السحابة ، مما يفسر لنا المراد بقوله تعالى : (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء) .

ومن اهم صفات هطول البرد حدوث الرعد . ومرة أخرى نجد أن السحب الركامية النامية هى وحدها التى يمكن أن تتولد فيها عواصف الرعد . وعندما ننظر الى الآية الكريمة نجدها تقول : « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » . أى سنا برق البرد ، لأن البرد هو أقرب مذكور للضمير . والبرق هو التفريغ الكهربى المعروف الذى يولد الرعد . ومنذ فجر عصر النهضة العلمية راح العلماء يبحثون عن سر شحن السحب الركامية بالكهربائية ، وظهرت عدة نظريات مثل نظريات (ولسون) ، ونظرية (سمسون) ، ونظرية الأشعة الكونية ، ثم أخيرا ثبت فى المعمل أن نمو وذوبان البرد بعد أن يبلغ حجما معينا تصحبه حتما انفصال شحنات كهربائية عظمى . واليك التفصيل :

تحدث عواصف الرعد فى كافة أرجاء الأرض ما عدا المناطق القطبية ، ويكثر حدوثها فى المناطق الاستوائية ، حيث يسبقها سكون الجو ، وقد ثبت أنها تلازم نمو وذوبان البرد عند حجم معين داخل السحب الركامية . وينشأ الرعد عن تولد شحنات كهربية هائلة فى السحب ثم تفريغها . ويتم تولد هذه الشحنات عن طريق تجمع الشحنات الموجبة والشحنات السالبة كل على حدة . وقد وجد بالحساب أن عدد عواصف الرعد التى تحدث فى جو الأرض فى اليوم الواحد يبلغ اكثر من ٤٠ الفا ، أى بمتوسط قدره (١٨٠٠) عاصفة فى الساعة الواحدة . وتستهلك العاصفة فى المتوسط نحو ٢٫٥ مليون كيلووات ساعة .

والأصل فى الرعد تفريغات كهربية بين أجزاء السحابة المختلفة ، أو بين بعض السحب وبعض ، أو بين السحب والأرض وهى الصاعقة ، ويصحب هذه التفريغات انبعاث شرارات هى البرق . ويسبب البرق تسخينا شديدا فجائيا فى مناطق الهواء التى ينبعث فيها ، فيتمدد فجأة ويزداد حجمه ، وبذلك تتولد

---

(١) اعتقد أن التقدم العلمى واختراع الآلات التى ساعدت عليه مما ساعدنا الآن على ادراك ما فى الآية من اعجاز علمى ، ولم يكن فى زمن المفسرين شىء من هذه الآلات الحديثة ، انما الذى يمكن أن نقوله مع هذا : ان القرآن الكريم بمثل هذه الآيات الكونية يلقى على عاتق العلماء المسلمين واجب السبق فى الميدان العلمى .

سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل فى الجو المحلى ، هى الرعد . وتعزى جلجلة الرعد المعروفة أو هديره الى ما يعترى سلسلة الموجات الصوتية هذه من عدة انعكاسات من قواعد السحب ومن المرتفعات ونحوها .

وعادة تنشأ الشحنات الكهربية فوق مستوى الصفر المئوى داخل السحب . وتثبت التجارب المعملية أن المكونات الثلجية (البرد) عندما تنمو تكتسب شحنات سالبة ، وقد قيست هذه الشحنات ، واستخدمت تلك القياسات فى حساب معدل تولد الشحنات الكهربية فى منطقة فوق التبريد ، ثم منطقة بلورات الثلج ، ووجد أنه يمكن أن تتولد شحنات مثل الف مليون وحدة خلال ١١ دقيقة فقط . وتحمل هذه الشحنات الى أسفل مع مكونات السحابة الهابطة ، بينما تنفصل شحنات اخرى موجبة بنفس المعدل ، مما يفسر ظاهرة حدوث التفريغ كل عدة دقائق .

ويتوقف معدل تولد الشحنات السالبة بنمو البرد على عوامل عديدة منها :

١ — سرعة تصادم الأجزاء فى منطقة فوق التبريد .

٢ — حجم البرد ويتولد الجزء الأعظم من الشحنات الكهربية عندما تقارب اقطار حبات البرد ٢ ملليمتر فقط .

وكذلك تنفصل شحنات سالبة اكبر من السابقة عندما يتبخر البرد . ولكن عندما تتميع حبات البرد تنفصل شحنات عظمى موجبة ، خصوصا عند تصادمها مع نقط الماء فوق المبرد ، ويصحب الحالتين تناثر أجزاء دقيقة يحملها الهواء ، وتكون محملة بالكهربية المضادة . وتنمحى الشحنة اذا ما تكون الثلج الشفاف . بدلا من البرد المتميع ، مما يفسر اختفاء عواصف الرعد فى المناطق القطبية الباردة حيث يتساقط الثلج بدلا من البرد ..

هكذا ترى أيها القارىء الكريم أن القرآن اتى بجانب من التفاصيل العلمية التى لم يتوصل اليها الناس الا فى عصر الذرة . وهناك بطبيعة الحال ، العديد من الآيات التى لا زلنا نمر عليها مر الكرام ، أو نحاول تفسيرها بطرق افتراضية عقيمة . ولكن سوف يأتى الوقت الذى تظهر فيه تلك المعانى واضحة جلية ، ليثبت بحق أن القرآن معجزة خالدة ، وأنه لا يقف اعجازه عند حد معين ولا عند ثقافة بالذات .

هذا ومن اظهر اضرار البرق الاصابة بالعمى المؤقت ، ولعل اكثر الناس تعرضا لذلك الطيارون ، خصوصا عند تحليقهم داخل السحب الركامية فى المناطق الحارة ، فقد يحدث البرق بمعدل يصل الى ٤٠ تفريغا فى الدقيقة الواحدة !! .

وعندما يصاب الطيار **بالعمى المؤقت** الذى يعبر عنه القرآن الكريم أحسن تعبير اذ يقول : (**يكاد** سنا برقه يذهب بالأبصار) ، يفقد سيطرته على الطائرة ، وعند ذلك يشتد الخطر . ونحن قد لا نتأثر كثيرا بالبرق لبعده عنا ، حتى اننا قد نرى الضوء الذى ينتقل بسرعة ٣٠٠ الف كيلو مترا فى الثانية الواحدة ، ولا نسمع الصوت الذى ينتقل فى طبقات الجو بسرعة تهمل بالنسبة الى سرعة الضوء كما هو معروف .

هذا ما عن لنا أن نكتبه اليوم تعليقا على الآية الشريفة ، ولقد أورد القرآن العديد من آيات الاعجاز العلمى فى هذا المجال وراح يطالبنا بالتفكير والدراسة فيما وجه أنظارنا اليه ، فقال مثلا فى سورة البقرة !

(.. وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) ..

وان تصريف الرياح والسحاب هو مجمل علم الرصد الجوى ، وتكون دراسات تصريفهما هذا أكبر مشكلة تواجه العلماء لأنها لم تكتمل جلها بعد ، ولكن الركب يسير (1) .

وبهذه المناسبة نتحدث فى المرة القادمة ان شاء الله تعالى عن الآية :

(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين) لأنها بدورها تتضمن العديد من حقائق علم الرصد الجوى بعيدا عن فكرة تلقيح الرياح للنباتات التى نادى بها الأقدمون ، والتى لا نرى الوقوف عند حدها فى عصرنا هذا .

أما الصواعق فقد ورد ذكرها فى القرآن فى مثل قوله تعالى فى سورة البقرة :

« يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » .

ويجىء ذكر الصواعق أيضا فى سورة الرعد ، التى تحمل اسم هذه الظاهرة الطبيعية الجبارة ، التى أخافت الناس منذ القدم ، وكان الاغريق يتصورونها صوت مطرقة الاله (زيوس) عندما يدق بها السندان غضبا . وتقول الآية :

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) .

وعادة يتم التفريغ الكهربى فى حالات الصواعق بين السحب والأجسام المرتفعة . ولهذا السبب يتعرض الشجر وخاصة الجوز والبلوط ، للصواعق كما تتعرض لها السفن فى البحار والمحيطات . واذا أصيب شخص بمس من صاعقة وجبت المبادرة الى اجراء التنفس الصناعى له مدة طويلة لا تقل عن ساعة ، فقد تعود اليه الحياة ، والله أعلم .

---

(1) القرآن كذلك هو أول كتاب ربط اثارة السحب بارسال الرياح لتتجمع فى صعيد واحد ، وكان الأقدمون يظنون أن المطر انما ينهمر من ماء مخزون فى السماء عندما تفتح الآلهة الابواب . ولم يكن أحد يعرف أن الهواء هو الذى يحمل بخار الماء الذى يتكاثف فى السحب الى مطر أو برد .

ويمكن أن تتخذ الرياح كدليل على تقلبات الجو المنتظر ، فمنها ما ينذر بالجو الحار المترب أو المضب ، ومنها ما يبشر بالمطر ، ومنها ما يدل على اقتراب عواصف الرعد ، الخ .. وقد ألف الأقدمون هذه الظواهر ، لاسيما اللاحون والرعاة ممن كانت طبيعة أعمالهم تعتمد على الجو وتقلباته . وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن مثلا :

ا — فى سورة الأعراف : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) .

ب — فى سورة الروم : (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) .

وتشمل دراسات الطبيعة الجوية اليوم تحليل الهواء الى كتب معينة ، وقياس ما تحمل من شوائب وأتربة ، بالاضافة الى رصد عناصرها المادية للتعرف على أماكن تولدها ، ووسائل التنبؤ بها ، وطرق مقاومتها أو الحد من أضرارها ، الى آخر ذلك من الدراسات والموضوعات الحيوية التى تتصل بالانسان وكيانه ونشاطه وحياته وحياة ماشيته .

مواكب الحجيج من نساء العرب والاسلام

الأستاذ: محمد عبد الغني حسن

لا شك أن أودية مكة وشعابها وأباطحها قد سالت بها أعناق المطى فى مواسم الحج كل عام ، منذ السنة التى فرض الله فيها الحج على المسلمين رجالا ونساء على السواء .

وقد كان للرجال من ذوى القدر والجاه فى الأمة الاسلامية مواكبهم الى بيت الله الحرام منذ اللحظة التى حج فيها أبو بكر الصديق — وهو خليفة — سنة اثنتى عشرة من الهجرة .

وتختلف مواكب الرجال الى بيت الله الحرام بين البساطة التامة ، والفخامة الزائدة ، تبعا للرجل من ناحية ، وتبعا لظروف العصر وغناه من ناحية أخرى . فقد كان موكب الخلفاء الراشدين الى البيت الذى بارك الله حوله بسيطا متواضعا ، لا يوحى بعظمة المواكب ، ولا بجلال المراكب .. على حين كان الخليفة العباسى هارون الرشيد فى حجاته الكثيرة المتعددة يطرح له الرمل حول البيت الحرام بعرض ذراعين ، ويرش بالماء ، ويقوم الحرس الكثير بينه وبين الناس ، كما كان موكب الظاهر بيبرس والسلطان الناصر قلاوون من المواكب الرائعة العظيمة التى لم تشهد مكة مثلها الا قليلا .

واذا كان التاريخ قد سجل بعض مشاهد الأبهة والجلال لعشرات من الرجال فى موكبهم الى مكة المكرمة ، فان بعض النساء من المسلمات لم تقل مواكبهن فى هذا الميدان أبهة ولا فخامة ولا روعة عن مواكب الرجال .

ومن عجب أنه أتت على موسم الحج فترة فى تاريخ الاسلام استغلها بعض شعراء الغزل للتشبيب بشهيرات النساء اللواتى يقدمن الى مكة وهن فى مشاعر الحج .. وأعجب من هذا أن يحدث ذلك فى عصر قريب جدا من صدر الاسلام . وما حديث الشاعر الغزل عمر بن أبى ربيعة مع عائشة بنت طلحة

بيعيد عن المتتبعين لتطور الشعر الغزلى فى العصر الأموى . فقد كانت نظراته تكاد تخترق مواكبها المترفة وهى بين رفيقاتها فى الطواف .. وما تكاد تلمحه حتى تعلم انها لن تفلت من تشبيبه بها ، فتبعث اليه جاريتها تقول له : اتق الله ولا تقل هجرا .. ! ويشفق الشاعر على عائشة فيقول للجارية : قولى لها : ان ابن عمك لا يقول الا خيرا .. !

ولم يكن ابن ابى ربيعة هو الشاعر الغزل الوحيد الذى اجترأ على مواكب النساء فى الحج ، ومراقبتهن وهن فى الطواف . فقد كان له شركاء فى هذا العمل الذى لا يليق بمسلم متحرج ذى حياء .. ومنهم الحارث بن خالد المخزومى ، وابو دهبل الجمحى ، والأحوص بالمدينة .

ولا ريب أن هذه الظاهرة المستهترة كانت موضع سخط واستنكار من المسلمين جميعا ، على الرغم مما أغرت به بعض الشباب العابث ، كما اغرت اكثر النسوة المشبب بهن ، لأن الغوانى — كما يقول شاعرنا أحمد شوقى — يغرهن الثناء ..

واول موكب من مواكب النساء الحاجات يصادفنا فى التاريخ بصفة جماعية كبيرة هو موكب المغنية (جميلة السلمية) من احذق المغنيات فى العصر الأموى ومن العالمات بأصول الغناء . فقد أخذ عنها معبد ، وابن عائشة ، وحبابة ، وسلامة وغيرهم . ولقد قصدت « جميلة » السلمية هذه الحج يوما ، فخرج معها عدد من المغنين والقيان يؤلف موكبا من أهل الفن لم تشهده مكة فى يوم من ايامها ! ورافق موكبها عدد من الشعراء واشراف الحجاز منهم ابن أبى عتيق ، وكثير صاحب عزة ، والأحوص ونصيب ، والحقت بموكبها خمسين من مواليها حملتهن الابل على الهوادج والقباب ، وقامت جميلة بأعباء نفقتهن ، لم تكلف واحدة منهن درهما واحدا ..

وكان الرجال والنساء فى موكبها على غاية من التانق فى اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف ، كما تأنقت صاحبتنا فى انتقاء الهوادج والقباب .. ولما شارف موكبها مكة ، خرج أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون الى هذا الموكب العجيب ، ويشاهدون حسن هيئته ..

الخيزران

وفى العصر العباسى نرى .. « الخيزران » زوجة المهدى وأم ولديه : الهادى وهارون الرشيد وقد قصدت الحج يوما ، فخرجت الى مكة فى موكب كبير يليق بمقامها ، وهنا لا تفوتنا طريفة تاريخية حدثت لها وهى على أهبة الخروج فى موكبها ، فقد صاح بها الشاعر الظريف « أبو دلامة » فقالت لمن حولها : سلوه ما أمره ؟ فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : ادنونى من محملها : قالت ادنوه ، فأدنوه ، فقال : يا سيدتى : انى شيخ كبير . وأجرك عظيم : قالت : مه ؟ .. قال : تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى ، وترفق بى ، وتريحنى من عجوز عندى — يعنى زوجته — قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى :

فقد عاف جلدي جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها : فضحكت الخيزران ووعدته بالوفاء بما سأل بعد تمام حجها .. وهذه الخيزران التى تستهدى منها الجوارى فتهديها ، كانت هى نفسها جارية اشــتراها الخليفة المهدى من أحد النخاسين وأعتقها ثم تزوجها .

زبيدة

على أن مواكب الحج الاسلامية لم تشهد على خلال العصور موكبا نسائيا يدانى موكب زبيدة بنت جعفر ، أم الخليفة الأمين ، فى الجلال والنفقة وكثرة النفع للمسلمين . فقد عمرت طريق موكبها من بغداد الى مكة بالآبار والبرك والمنازل والمصانع ، التى لفتت نظر الرحالة الأندلسى ابن جبير من رجال القرن السادس الهجرى ، فكتب يقول :

وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التى من بغداد الى مكة هى آثار زبيدة ابنة جعفر بن أبى جعفر المنصور ، زوج هارون الرشــيد وابنة عمه . انتدبت لذلك مدة حيــاتها : فأبقت فى هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة ، من لدن وفاتها الى الآن . ولولا آثارها الــكريمة فى ذلك ما سلكت هذه الطريق . والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها ..)

عين زبيدة

ولم تبال السيدة زبيدة بما ينفق من المال فى سبيل مرافقها هذه الى بيت الله الحرام . فقــد روى المؤرخ ابن الجوزى وعنه نقل المؤرخ ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » انها — بمشروع المياه الذى عملته — سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار . وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبــال ونحت الصخر ، حتى نقلته من الحل الى الحرم .. ولــما شرعت فى عمل « عقبة البستان » .. قال لها وكيلها : يلزمك نفقة كثيرة .. فقالت : اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار ..

ويروى لنا اليافعى صاحب كتاب (مرآة الجنان) — وهو من رجال القرن الثامن — أن آثار عين زبيدة باقية الى عهده ومشتملة على عمارة عظيمة عجيبة مما يتنزه برؤيتها ، على يمين الذاهب الى منى من مكة ، ذات بنيان محكم فى الجبال تقصر العبارة عن وصف حسنه .

ويروى لنا الرحالة المصرى محمد لبيب البتنونى — من أهل عصرنا — قصة هذه العين وتطوراتها ، وما طرأ عليها من طم للمجرى ، وتهدم البنيان ، وانقطاع المياه ، حتى أهملت تماما فى العصر العثمانى ، لولا أن أدركتها عناية من السلطان سليمان وكريمته الأميرة (مهرماه) التى أمرت بأن تكون نفقات الاصــلاح من خاص مالها ..

ويمكننا أن نتصور جلال مواكب السيدة زبيدة الى البيت الحرام ، وفخامتها واتســاع نفقاتها ، اذا عرفنا أن نفقات هذه السيدة المحسنة الجليلة بلغت فى احدى حجاتها ألف ألف دينار . ولما رفع اليها وكيلها حساب النفقة نهته عن ذلك قائلة : ثواب الله بغير حساب ..

علية بنت المهدى

وإذا كانت زبيدة هذه هى زوج الرشيد العباسى ، فان أختها (علية بنت المهدى) قد كان لها موكب الى الحج فى أيام خلافة أخيها الرشيد على أنها قد كادت تنسد حجتها بما صنعته من انصرافها عقب الحج مباشرة — وهى فى طريق العودة — الى المقام بموضع « طيزناباذ »(١) المشهور بخمره . فلما علم الرشيد اخوها بذلك غضب عليها ، فما كان منها الا أن صنعت شعرا فى الاعتذار اليه تقول فيه :

اى ذنب اذنبتــه ؟ اى ذنب	اى ذنب لولا رجائى لربى ؟
بمقـامى بطـيزناباذ يوما	بعـد ليـلة على غير شرب !

ام المتوكل

ولامهات الخلفاء فى العصر العباسى نصيب لا بأس به من مواكب الحج . فقد كانت (شجاع) ام الخليفة المتوكل ذات مال عظيم ، وكانت كثيرة الصدقات فى غير مغالنة بها . فلما حجت سنة ٢٣٦ هـ شـيع ابنها الخليفة (المتوكل) موكبها الى النجف . فلما بلغت الكوفة أمرت لكل رجل من الطالبيين والعباسيين بألف درهم ، ولكل من أبناء المهاجرين بخمسمائة درهم ، وبمثل هذا القدر لكل امرأة من الهاشميات .

وقد كان لبنات الامراء نصيب من هذه المواكب الى مكة . ففى عام ٣٦٦ هـ خرجت الأميرة (جميلة الموصـلية) بنت ناصر الدولة الحمدانى الى الحج . ويصف لنا الأديب الكبير الثعالبى فى كتابه (ثمار القلوب) كيف أنها ابانت فى موكبها من المروءة ، وفرقت من الأموال ، وأظهرت من المحاسن ، ونشرت من المكارم ما لا يوصف بعضـه عن (زبيدة) وعن غيرهن ممن حججن من بنات الخلفاء والملوك .

ويروى الثعالبى أن الناس ضربوا المثل فى زمانه (بحام جميلة) ، ويؤكد لنا كذلك أن الثقات أخبروه أنها سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزذ والثلج . وكانت قد اسـتصحبت البقول المزروعة فى(٢) مراكن الخزف على الجمال ، وأعدت خمسـمائة راحلة للمنقطعين من رحالة الحج . ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ، ولم تستصبح فيها الا بشـموع العنبر ! وأعتقت ثلثمائة عبد ، ومائتى جارية ، وأغنت الفقراء والمجاورين بالصـلات الجزيلة ، فصارت حجتها تاريخا مذكورا ، ومثلا مشهورا .

(البقية ص ٤٣)

---

(١) طيزناباذ موضع بين الكوفة والقادسية على جادة الطريق الى مكة ، وقد قال فيه الشاعر ابو نواس مشيرا الى الخوف من فتنة خمره :

قالوا تنسـك بعـد الحج ، قلت لهم	أرجـو الاله واخشى طـيزناباذا

(٢) المراكن جمع مركن ، وهو وعاء كالحوض تغسل فيه الثياب . والسكر الطبرزذ بالدال أو الذال المعجمة : هو نوع من السكر قريب مما يسمى بالسكر البلاط الذى كان منتشرا الى عهد غير بعيـد ..

حجة الوداع

آن للحق ان يشب عن الطوق ويحدو مسيرة الظافرينا
ويشع الهدى على مفرق الدهر نديا يفيض حزما رصينا
وغدا المسلمون فى الأرض ركنا يتسامون عزة ، ويقينا
واقام الرسول بعد جهاد شق عهدا موثقا ، مامونا
فأضاءت ربى الجزيرة آيات كرام شعاعها لن يبينا
تبهر النفس روعة ورواء والحجى منطقا ، وتجلو الفيونا
بعد أن كان ظلها من ظلام قاتم اللون ، والهتاف أنينا
وانطوت صفحة الضياع وكانت وصمة تملأ النفوس شجونا
وهوى الشرك خاسئا يتوارى وارتدى الكفر ثوب ذل مهينا
واذا الليل قد تبدل فجرا والسموات ترجم المارديبنا
والورى يبصرون بعد عماء كالحيارى محجة السالكينا
ونظام الاسلام ينشر عدلا فى ربوع الحياة ، دنيا ودينا

• • •

وأراد النبى أن تسمع الدنيا بهذا الدوى يطوى السنينا
فتنادى الزحوف . لبيك يارب حجيجا ، يبادرون الأمينا
عرفات ميعادهم وهو صرح شامخ كفتاه ترعى المئينا
وفدت سفحه ، تردد صدقا برجاء ، طوائف الوافدينا
وهناك ارتقى عليه السلام المنبر الفرد ، قائما ماذونا
وأحاطت جموعهم فى حماه وهو يلقى الخطاب فصلا مبينا

الاستاذ: أحمد مصطفى السفاريني

أيها الناس . انكم فى حـــرام — آمن يستجـد حينـا فحينـــا

أيها النـاس . انكم لأبيكـــم — « آدم » أجمعين ، منـه بنينـــا

انما الظلـم فى الحياة حـــرام — والربا ، والفساد . هل تنتهـونا ؟

قاتلوا الباطل الزهـوق بعـــزم — واستبينـوا السلام . حربا ولينا

لا تكونوا أذلـة تخدعـــون اللـه والحـق ، بل أقيمـوا المتونـــا

وأفاض الرسول بالنـاس يمضى — من هدى الوحى يرشد الناسكينا

وهو يبدو مـع النفيـر رضيـــا — باسم الثغر ، يستبين حنينـــا

انهـا حجة الوداع رمـز المعانى — وحى حق ، تذكـر المتقينـــا

كمل اليـوم دينكـم مستقيمـــا — ووفى الله نعمـة الشاكرينـــا

واستوى الأمر بانفسـاح الأمانى — وسبيل الله المبيـن الشئونـــا

● ● ●

هى ذكرى تمـر فى كل عـــام — هل تراهـا تثير أشياء فينـــا !!

هل وعينا عن الرسـول هـــداه — واهتدينـا بشرعـه ورضينـا ؟

هل أقمنـا الجهـاد دعوة حـــق — نحمل الفكر ، يقرع المشركينـا ؟

هل أعدنا الحقوق مـن ساليبهـا — فى فلسطين ، مقدس المسلمينـا ؟

● ● ●

لتكن حجـة الـوداع نذيـــرا — تبعث العزم فى النفوس مكينـــا

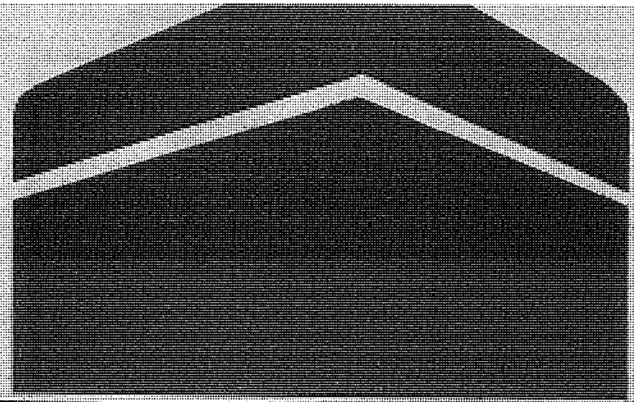
ولنردد مـع الحجيـج دعـــاء — أن نرى المسلمين حصنا حصينـــا

في رحاب الكعبة

اين منى بيت رب متعال ؟ | اين منى كعبة ذات جلال ؟
يد اسماعيل أعلت صرحها | وبابراهيم قرت كالجبال
وعلى الجدران منها حجر | وضعته خير كف في الرجال
في رباها تم ميلاد الهدى | يسكب النور على ليل الضلال

قد دعاهم ربهم شان مليك | راح يدعو عنده خير فريق
واحسوا انهم قد كرموا | فتباروا لرضاه في الطريق
حاسرى الرأس ملبين الندا | قاصدين النور في البيت العتيق
ليس في أضلاعهم غير قلوب | صافيات كشقيق لشقيق
وانتشى الفج بركب هائم | يا لركب هام في الفج العميق

يا الهي ما الذي ابصر من | حسنات قد محون السيئات
يا لسعى وطواف واعتكاف | وانسياب في رحاب الصلوات !
وتجلى الله في عليائه | فوق حشد زاره في عرفات
وتعالت من نفوس دعوات | تنشد الله ، وترمى الجمرات
روضة فيها ثمار حلوة | ان من يزرع يجني الثمرات



الأستاذ: محمد الهادي إسماعيل

الكويت

أين مني جرعة من زمزم ... تنقع الروح ، وتشفى الاحنا ؟

أين مني سجدة في مسجد ... ومعي الطير به قد امنا ؟

ومعي الأخوة في الله سواء ... وصفاء فيه انسى المحنا

والضراعات لربي صاعدات ... ان أرى الخلد لقومي سكنا

رب فامنحنا كآبائي خلودا ... نحن لن نرضى سوى الخلد لنا

أين مني من حجيج مؤتمر ... فيه للاسلام عز منتظر ؟

يبحث العرب به في صحوة ... ما توافيهم به كف القدر

واذا ما هز أركان عداتي ... في فلسطين ـ يولون الدبر

تفتدي أرواحنا فيه على ... مذبح الحق تنادي بالظفر

مثل اسماعيل نادى : يا أبي ... اطع الله ، ونفذ ما امر

أيها الشرق جدير بك ان ... تجمع الشمل ، فتخطو للأمام

وترى عيني بهامات الذرا ... امة العرب الميامين الكرام

وأمامي الأرض تغدو حرما ... آمنا للناس كالبيت الحرام

فهي للانس والجن حلال ... وعلى الأعداء في الدنيا حرام

رب هيئ رشد الأرض ، وأطلق ... في السماوات حمامات السلام

البوذية والهندوكية

الأستاذ: أحمد حسين

استعرضنا بشيء من التفصيل النسبي اليهودية، والمسيحية، وقد حان الوقت لنختم هذا البحث في الأديان المقارنة بذكر بعض الأديان الأخرى التي توصف بالوثنية أو بالأحرى انها ليست ديانات سماوية.

ويوجد في العالم اليوم ٣٥٠ مليونا يدينون بالكونفشيوسية (دين الصين) وهناك (٣٩٥) مليونا يدينون بالهندوكية (دين الهند) وهناك ٦٧ مليونا يدينون بالشنتوية (دين اليابان ومئات الملايين ممن يدينون بشتى المعتقدات، أولا يدينون بشيء. على ان كل هذه الأديان التي ذكرناها، على الرغم من كثرة عدد معتنقيها، فهي لا تخرج عن أن تكون ديانات محلية تتصل بتقاليد وتاريخ كل مجتمع، وتكاد تكون خصوصية لهذا المجتمع تعكس طبيعته ومزاج سكانه وأساطيرهم وتاريخهم، ولذلك فان هذه الديانات غير صالحة بطبيعتها لمن لا ينتمي لهذا المجتمع الخاص. فهي أديان كما يقولون غير معدة للتصدير.

واذا كانت البوذية قد فقدت سلطانها في الهند موطنها الأصلي، فهي لا تزال الدين الرسمي لسيلان وبورما وتايلاند وفيتنام كما هو مشهور ومعروف، وهي الديانة السائدة في اليابان الى جوار الشنتوية، وهي في الصين تقوم الى جوار الكونفشيوسية وهي في اندونيسيا وفي الفلبين، بل ولها معتنقون في أمريكا الشمالية والجنوبية، وان كانوا يعدون بمئات الألوف. ولقد جاء في آخر الاحصاءات الأمريكية التي نقلنا منها الأرقام السابقة، ان عدد البوذيين في العالم يقدر ب ١٦١ مليون نسمة، وهو رقم متواضع جدا لا يمكن أن يدل على الحقيقة(١)، ولا بد أنه أخرج معتنقي هذه الديانة في الصين من حسابه.

فللبوذية طابع عالمي وهذه مسألة مقررة، ومن هنا فلا مناص للباحث في الأديان المقارنة أن يعرض لها بالدرس والتحليل ولكن يحسن بنا قبل أن نخوض هذا البحث أن نستعرض الديانة الهندوكية أو الهندوسية باعتبارها البذرة التي انبثقت منها التعاليم البوذية، والأساس الذي شاد عليه بوذا تعاليمه.

(١) تذكر بعض المراجع أن البوذيين يؤلفون ربع سكان الأرض، وهو رقم مبالغ فيه كذلك.

الديانة الهندوكية :

لا يطمع القارىء فى أن يكون بقدرتنا أو قدرة غيرنا أن يعطيه صورة واضحة محددة عن الديانة الهندوكية كما فعلنا على سبيل المثال بالديانة اليهودية أو المسيحية ، وكما سنفعل بالنسبة للتعاليم البوذية ، ذلك ان الديانة الهندوكية ليست من تعاليم شخص ، وليس لهـا كتاب واحد أو أكثر من واحد يحـدد جوهرهـا .

وكل الذين كتبوا عن الديانة الهندية ،ينتهون الى أن الديانة الهندوكية هى حياة الهند نفسها ، هذه القارة المغلقة التى عزلت عن الدنيا فى القديم بالجبال الشامخة التى تفصلها عن بقية آسيا فى الشمال ، والأعاصير فى البحار التى تحيط بها ، بكل ما فى هذه القارة من متناقضات ، فحيث يغمر الفيضان بعض الأراضى حتى ليميت سكانها غرقا ، فان الأراضى تجف حتى ليموت سكانهـا جوعا وظمأ .

وحيث الثلوج تغطى جبال الهملايا طول العام ، والحر يزهق الأنفاس فى ساحل الملبار ، وحيث الجنس الآرى قد خلف آثاره فى الهند وخاصة فى الشمال ، بالقامات الطويلة والأجساد الفارعة واللون الأبيض ، بينما هناك قصار القامة وسمر الوجوه ، بل هناك سود الوجوه فى الجنوب .

وحيث تقدس البقرة وتعبد ، كما يعبد عشرات ومئات من تماثيل الآلهة وصورها التى تمثل عناصر الطبيعة ، وتقام لها الاحتفالات المفرقة فى الوثنية ، فهناك التوحيد ، بل أروع صور التوحيد للاله الخالق ، وأرفع ما وصل اليه العقل الانسانى من فكر وفلسفة وحكمة .

فلا عجب وهذا شأن القارة الهندية ، أن يكون فيها مائتا لغة و ٣٠٠ لهجة ، ومع ذلك فثمة جامع يسود هذا الخليط وهذه المتناقضات ، قد جعل من الهند هندا ، وذلك هو الهندوكية التى ليست شيئا سوى الحياة الهندية بكل تعقيداتها وكل تقاليدها ورواسبها وتاريخها وأساطيرها .

كتب الهند المقدسة :

واذا لم يكن للديانة الهندوكية كتاب ، فان لها عديدا من الكتب التى تعتبر كلها مقدسة ، وقد جرى الباحثون على تقسيم هذه الكتب الى ثلاثة أقسام ، كل منها يمثل مرحلة من مراحل التاريخ الهندى .

وأقدم هذه الكتب هو مجموعة الويدا (فيداس) المكتوبة باللغة السنسكريتية والتى تمثل المعتقدات الآرية فى طورهـا الأول ، وأشهر هذه المجموعة كتاب (ريج فيدا) ويضم حشدا من الترانيم التى توجه الى آلهة الطبيعة العديدة وعلى رأسها (اندر) الـه الرعد (وتارونا) الـه السماء (واجنى) الـه النار (وأودرا) اله العواصف .. الخ .

وتتضـمن كتب الفيدا الأخرى الرقى والتعاويذ ، وانواع القرابين وكيفية تقديمها وضروب السحر الخ .

وكتب الفيدا عند الهنود كتب الهية كتبتها الآلهة وهى من صنعها .

كتب الملاحم :

وثمة كتابان آخران يتسرب الشك الى أصلهما ومع ذلك فلهما اكبر الأثر فى حياة الهنود التعبدية ، والكتابان من نوع الملاحم الشعرية ويدعى أول الكتابين « رامايانا » أو مغامرات « راما » . والأمير « راما » ليس الا التجسد السابع للاله « فشنو » الذى جاء ينقذ العالم من الشرور ، وتبلغ مقطوعات هذه الملحمة أربعة وعشرين الف مقطوعة .

أما الملحمة الثانية وهى الأكبر فتحتوى على (١١٠,٠٠٠) رباعية وهى المعروفة باسم « مهابهارتا » وتقص هذه الملحمة وقائع تجسد آخر للاله فشنو الذى جاء هذه المرة بصفة (كرشنا) الذى نشأ راعيا للبقر أسهم فى عدد عديد من الوقائع ، والمآثر البطولية ، قبل ان يقتل خطأ من قبل صياد ليعود الى بحر اللبن مثواه السماوى .

مرحلة الكتب البرهمية :

وحوالى القرن التاسع قبل الميلاد دخلت الهندوكية مرحلة جديدة حيث تصدى فيها الكهان من البراهمة الى التعليق على كتب الفيدا بالشرح والتبسيط ، ومن ثم التوجه التدريجى من عبادة الطبيعة الى معرفة الله ، والانتهاء الى جمع الآلهة فى اله واحد (براهما) فهو الذى أخرج العالم من ذاته ، وهو الذى يحفظه باعتباره (فشنو) وهو الذى يهلكه باعتباره (شيفا) .

وهكذا انتهى الهنود الى نوع من التثليث لحقيقة واحدة وهى براهما من حيث الخلق وفشنو من حيث الحفظ ، وشيفا من حيث الافناء ، سابقين بذلك التثليث المسيحى . وليس يعنى هذا التلخيص والتحديد للالوهية الهندية ، ان كان لذلك أثر فى التقليل من عدد الآلهة الأخرى ، حيث ظل كل قوم وكل جماعة ، وكل أهل مدينة يتعبدون لالهتهم ويقيمون الاحتفالات لها .

كتب الاوبانيشاد :

ثم جاءت مرحلة ثالثة فى أطوار الديانة الهندوكية ، حيث ظهرت مجموعة جديدة من الكتب أطلق عليها اسم (اوبانيشاد) ومعناها الحرفى التلمذة على يد أستاذ ، أو كما يطلق الصوفية كلمة المريد لمن يتلقى عن الشيخ ، وقد تألفت مادة هذه الكتب فى بادىء الأمر شفويا بمعرفة الكهان ، ثم اعتبرت مادتها مقدسة لا يجوز ترديدها بحضور الطبقات الدنيا ، ثم كتبت بعد ذلك ، وهى تأملات غامضة ذات طابع صوفى أحيانا ، وطابع مفرق فى الفلسفة احيانا أخرى . وتعتبر الاوبانيشاد ، أساس الفلسفة العصرية الهندوكية .

خصائص عامة للديانة الهندوكية :

لعل هذه الاشارة الى الكتب المختلفة والمراحل المتعددة التى تطورت فيها ، قد بينت لك لماذا كان من الصعب تحديد الديانة الهندوكية ، ومع ذلك فان من يلقى نظرة على حياة الهنود ومعتقداتهم على اختلاف هوياتهم ، سيصادفه مظهر اجتماعى ينبثق من عقيدة دينية ، وذلك هو نظام الطبقات .

كما ستصادفه مجموعة من العقائد الأساسية التى هى محل تسليم الجميع، وهى الكارما أو قانون الجزاء ، والتناسخ أو تجدد الميلاد ، والانطلاق ، وقبل ذلك وبعد ذلك وحدة الوجود فنحاول أن نقول كلمة سريعة عن كل من هـذه المعتقدات .

نظام الطبقات :

يقول قانون مانو الذى كتب فى القرن الثالث والذى جدد شباب الديانـة الهندوكية خلق براهما البرهمى من فمه (وهؤلاء هم الكهنة) ، والكاشتريا من ذراعه (وهؤلاء هم الملوك والفرسان) ، والويشا من فخذه (وهؤلاء هم التجار والزراع) ، والشودرا من رجله (وهؤلاء هم العمال وأصحاب المهن الحقيرة) ، ولكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو ، ومن عدا ذلك من غير هـذه الطبقات الأربع البراهمة والكاشتريا والويشا والشـودرا ، فهم ليسـوا من خلق الله ، بل هم من خلق شـيطانى وهؤلاء هم المنبوذون أو الأنجاس(١) . وهؤلاء المنبوذون لا ينتمون الى الديانة الهندوكية ولا يعبدون آلهتها لأنه لا يجوز لهم ذلك * .

ولا شك ان الأصل فى هذا التقسيم هو محاولة الشعوب الآرية أن تحتفظ لنفسها بحق السيادة على شعوب الهند الأصلية المغلوبة .

ثم تشعب التقسيم وظل يتشعب الى أن اخذ هذه الصورة المتحجرة كما رسمها قانون مانو ، وجعل من أكبر الجرائم التى يمكن أن يرتكبها انسان ، هو أن يتطلع المنتمى الى أى من الطبقات الأربع الى الزواج ممن ليس من طبقته ، فضلا عن أن يرنو من هو فى طبقة أدنى الى أن يصبح فى طبقة أعلا (٢)

---

١ ـ قرر الاستاذ عبد المنعم النمر فى كتابه تاريخ الاسـلام فى الهند (ص ٢٨) ان المنبوذين هم الطبقة الرابعة (الشودرا) وقد أقام الاستاذ النمر طويلا فى الهند ، فهو يعتبر حجة فيما يقول حيث ضم الملاحظة الشخصية الى المطالعة والبحث ، ومع ذلك فقد خرجنا من كل مطالعتنا بأن المنبوذين هم عناصر من غير الطبقات الاربع .

* ((الوعى الاسلامى)) أحب أن يلاحظ القارىء أن كلمة ((شودرا)) فى اللغة المستعملة فى الهند تؤدى معنى المتروك أو المنبوذ وهو الاسم الذى أطلق على الطبقة المنبوذة التى هى الطبقة الرابعة الدنيا فى مدرج الطبقات وقد تكونت هذه الطبقات نتيجة للأعمال التى كان يزاولها كل منهم على مر السنين والطبقة الرابعة هى التى توارثت الأعمال الحقيرة ولا تزال حتى الآن . وقد أراد ((غاندى)) أن يرفع عار هذا الاسم (الشودرا) عن هذه الطبقة فاطلق عليهم اسم ((هريجان)) اى عباد الله ..

هذا شىء والشىء الثانى أن هذه الطبقة الدنيا تنتمى للديانة الهندوكية أصلا لكنها لم تمكن من ممارسة طقوسها مع الطبقات العليا فى المعابد كما لم تمكن من قراءة الكتب المقدسة ولاسماعها . فظلت منسوبة محسوبة على الهندوسية .. ولهذا وجدنا زعماءهم حين لم يستجب الزعماء الهندوسيون ولا الكهنة لمطالبهم ومنها مباشرة طقوسهم فى المعابد . وجدنا زعماء المنبوذين ينذرون بخروجهم من الهندوسية واعتناقهم دينا آخر ونشط رجال الأديان الأخرى لجذبهم اليهم ، وسافرت بعثة من الأزهر للهند لبحث هذا الامر سنة ١٩٣٦ مما جعل غاندى ينشط فى دعوته لانصـاف المنبوذين واعطائهم حقوقهم واباحة دخولهم المعابد خوفا من أن تفقد الهندوسية ٦٠ مليونا فى ذلك الوقت .. ولقد نجح غاندى بعض الشىء وسار من جاءوا بعده على خطته فى انصاف هؤلاء وفتح المجالات أمامهم وكانت نتيجة ذلك بقاء ولائهم للهندوسية .

٢ ـ يرى البعض ان المنبوذين هم نتاج هذا النوع من الزواج الملعون .

طبقة الشودرى اى العمال :

فلا يجوز للشودرى على سبيل المثال وهم طبقة العمال وأصحاب الحرف الحقيرة وأدنى الطبقات : أن يجمع ثروات زائدة ولو كان على ذلك من القادرين لأن الشودرى فى هذه الحالة يؤذى البراهمة بقحته ويعاقب ابن الطبقة الدنيا الذى يحاول أو تحدثه نفسه بأن يساوى رجلا من طبقة اعلى ، بأن ينفى من الأرض بعد أن يوسم تحت الورك . واذا علا شخص من طبقة بيده أو بعصاه على من هو أعلى منه طبقة أو رفسه برجله تقطع يده أو رجله حسب الظروف ، واذا دعاه باسمه او اسم طائفته بدون تقدير أدخل الى فمه خنجر محمى مثلوث النصل طوله عشرة قراريط . اما اذا بلغ أحد من الوقاحة فأبدى رايا للبراهمة فى أمر من أمور وظائفهم ، فان الملك يأمر بصب الزيت الحار فى فمه وأذنيه .

طبقة البراهمة :

أما طبقة البراهمة وهم الذين يدرسون أشعار الفيدا ويعلمونها ويباركون تقديم القرابين التى لا تقدم للآلهة الا عن طريقهم . فهؤلاء عندما يولد الواحد منهم فانه :

— يوضع فى الصف الأول من صفوف الدنيا .
— ويصبح كل ما فى العالم ملك له ، فله الحق فى كل موجود .
— ولن يدنس البرهمى بذنب حتى ولو قتل العوالم الثلاثة .
— وعلى الملك الا يقطع أمرا مهما كان دون استشارة البراهمة (١) .

هذا هو نظام الطبقات الذى عجزت الوف السنين عن أن تنال منه ، وقد اندحرت البوذية فى الهند بعد انتشارها لانها حاولت أن لا تعترف به (٢) .

وقد قتل غاندى قديس الهند وصاحب استقلالها فى العصر الحديث لأنه بدوره حاول فى حياته أن ينال من هذا النظام (٣) .

---

١ — انظر كتاب أديان الهند الكبرى — للدكتور احمد شلبى .

٢ — قارن هذه الفكرة الخاطئة التى تقوم عليها الديانة الهندوكية ، بعظمة التشريع الاسلامى فى هذه الناحية ، حيث يجعل بنى البشر أجمعين قد خلقوا من ذكر وأنثى على سبيل المساواة ، وان لا تفاضل بينهم الا بالعمل الصالح « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

٣ — لعل من أكبر أسباب انحسار البوذية عن الهند ايضا أنها اقتصرت على مجرد تعاليم خلقية لاهميتها دون أن تتعرض لقضية الألوهية حتى قيل عن بوذا بسبب ذلك أنه لم يكن يؤمن بالله . والناس لا تعيش بدون فكرة عن الاله وبدون الذهاب للمعبد ، ولهذا كان البوذيون لا ينخلعون من الهندوسية تماما بل يظلون مع محافظتهم على تعاليم بوذا متعلقين بآلتهم . وبهذا دخلت الهندوسية أو ظلت فى حياة البوذيين وشيئا فشيئا طغت الهندوسية بطقوسها على البوذية الاخلاقية وازاحتها عن الهند .

اما مقتل غاندى فسببه المهم والمباشر بالاضافة الى ما ذكره الكاتب الفاضل هو موقفه المعتدل أثناء حوادث التقسيم وما نزل بالمسلمين فى دلهى ودفاعه عن المعذبين مما دفع بعضو من جماعة هندوكية متعصبة الى قتله ويمكن مراجعة ذلك بتوسع فى كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » ص ٢٦١ وما بعدها .

وسنرى ما الذى ستستطيعه الديمقراطية الحديثة بكل محاولتها فى القضاء على نظام الطبقات .

الكارما او قانون الجزاء :

يأتى بعد ذلك فى الدرجة الأولى فى دنيا المعتقدات الهندوكية الكارما أو ما يمكن أن نسميه قانون الجزاء . وفحواه ان كل عمل لا بد أن يلقى جزاءه ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . ومن ناحية أخرى فلا بد لكل رغبة انسانية ان تتحقق ، ولما كان المشاهد والملحوظ ان الانسان قد يموت قبل أن يحقق رغباته ، وقبل أن يلقى الجزاء الأوفى على ما قدمت يداه من خير أو من شر ، ولذلك فان الروح الانسانية بعد الوفاة ، تتقمص جسدا جديدا ، لتستوفى فيه تحقيق رغباتها من ناحية ، ولكى تعذب أو تكافأ على أعمالها السابقة ، فاذا ظلت الرغبات الانسانية بغير تحقيق ، واذا أتى الانسان أعمالا خيرة أو شريرة فلا بد أن تلقى جزاءها . فاذا مات الانسان ، فلا مناص له من تجدد المولد وهكذا دواليك ، وبذلك يقضى الكارما أو قانون الجزاء (١) .

التناسخ او تجدد الميلاد :

استلزم القول بالكارما وقانون الجزاء على هذه الأرض ، فكرة التناسخ أو التقمص أو تجدد الميلاد ، فمن كان عمله صالحا انسانا أو حيوانا ، تقمصت روحه درجة أعلى من الانسانية أو الحيوانية ومن كان عمله شريرا تقصمت روحه صورة أدنى من صور الحياة . ولما كانت الروح فى جسدها الجديد لا بد سترتكب أعمالا خيرة أو شريرة ، فقد أصبح لا مناص من تجدد الميلاد لاستيفاء قانون الكارما .

---

١ ــ تلتقى الهندوكية فى قانون الجزاء مع الدين الاسلامى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ولكن حيث يجعل الاسلام الجزاء وتحقق الميول والرغبات فى عالم آخر له قوانينه الخاصة التى تختلف عن قوانين الطبيعة الأرضية ، تجعل الهندوكية العقاب والثواب على الأرض ، وتخترع من أجل ذلك فكرة التناسخ التى لا تحل المشكلة لأن الانسان فى حياته الجديدة ، تنشأ له ميول ورغبات ، ويقوم بأعمال صالحة وأخرى طالحة ، فيصبح لا مناص من تجدد المولد ، وهكذا الى ما لا نهاية .

الانطـــلاق :

وجد المفكرون الهنود أنفسهم فى مشكلة الكارما وقانـــون الجزاء ، فان عملية التناسخ وتقمص أجساد جديدة ، ستظل الى مالا نهاية ، وهو ما يجعل الوجود لعنة أبدية . وكان لا بد من سبيل لايقاف عملية التناسخ ، فقالوا انه ما دام تجدد المولد ينشأ عن عدم تحقق رغبات الانسان وميوله ، ولإقدامه على الأعمال الخيرة أو الشريرة ، فلو ان الانسان أوقف ميوله ورغباته وشهواته ، وكف عن الأتيان بأى عمل صالح أو شرير ، فلن تكون هناك حاجة لتكرار الميلاد من جديد ، فيمتزج الانسان ببراهما كما تندمج قطرة الماء بالمحيط ، وأطلق على هذه الحالة كلمة الانطلاق — حيث يتحرر الانسان من الاهواء ، وتطمئن نفسه الى نفسه ولا يعود يرغب فى شىء أو يعود الى حواسه وانما يتحد ببراهما ويصبح الفانى باقيا .

وحدة الوجود :

واتحاد الانسان ببراهما وتحول الفانى الى باق يصل بنا الى لباب العقيدة الهندوكية وهى وحدة الوجود ، فليس هناك اله خالق وكون مخلوق ، وانما هناك وجود واحد هو كل ما تراه حولك فقد فاض كل شىء من ذات اللـــه ، فالعارف الذى يعبد الله يرى الكثرة فى الوحدة ، والوحدة فى الكثرة ، وأينما يتولى يرى الله ، انه تعالى فى كل شىء (١) .

وقد سرى هذا التفكير الهندى فى وحدة الوجود الذى هو ذروة ما وصل اليه الهنود من تصوف وفلسفة ، الى الفكر الانسانى ، فهذه الفكرة تصادفنا عند بعض متصوفى الأديان المختلفة كما تصادفنا عند بعض الفلاسفة ، وكما تصادفنا عند العلماء الماديين الذين يرون وحدة الوجود فى المادة وكل ما فيه أجزاء منها .

اصول البوذية :

هذا هو الجو والمناخ الذى نشأت فى ظله البوذية ، وهذه هى المعتقدات التى تلقاها جوتاما فى صباه وشبابه ، وسار على هداها ردحا من الزمان ، فلنر الآن الى أى حد تأثر بها فى تعاليمه ، وما الذى أخذ به منها ، وما الذى طوره وحوره ، وما الذى ثار عليه ؟ فالى مقالنا التالى .

---

١ — تدلنا المشاهدة وتجربة حياتنا اليومية على أن الأشياء تحدث حيث لم تكن من قبل ، وان كل حادث لا بد له من محدث ، فدل ذلك على أن الكون من مجموعه لا يمكن الا أن يـكون حادثا من خلق قوة أعلى منه وأسمى ، مما فصلناه فى حديثنا من قبل عن الألوهية ، وسنعود اليه عند حديثنا عن الاعتقاد فى الاسلام .

ويشيد الرحالة ابن جبير مرة أخرى فى رحلته بأميرة مسلمة هى (خاتون) بنت الأمير مسعود(١) السلجوقى ، ويصـــــورها بأنها كان لها أفعال كثيرة فى طريق الحج : منها سقى الماء للسبيل . وقد عينت لذلك نحو الثلاثين ناضحة ، ومثلها للزاد . واستجليت من الكسوة والأزودة وغير ذلك نحو المائة بعير . ومن عجب أنها حجت وهى فى سن الخامسة والعشرين !

وتصادفنا فى القرن السادس كذلك الأميرة (زمرد) أخت الملك « دقاق » صاحب دمشق ، وزوجة تاج الملوك (بورى) وأم ولديه : اسماعيل ومحمود . ويذكر لها التاريخ انها لما رأت ولدها شمس الملوك اســـماعيل يتواطأ مع الصليبيين على بلاد المسلمين أمرت غلمانها أن يقتلوه ، فقتلوه سنة ٥٢٩ هـ ، وبهذا رفعت حق الدين والوطن فوق اعتبارات الأمومة وعواطفها .. ولقد كان ركبها الى مكة متواضعا لأنها قصدت الحج بعد أن تقلبت بها الأحوال . وفى خلال مجاورتها بالمدينة المنورة ـــ لا بمكة كما فى بعض المراجع ـــ قل ما بيدها من المال ، فكانت تغربل القمح والشعير ، وتطحن للناس ، وتتقوت بأجرة ذلك العمل !! ..

ولقد شهد النصف الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى موكب الأميرة عزيزة بنت أحمد عثمان داى تونس الى بيت الله الحرام ، وكان معها فى الركب خدمها ومواليها . وكانت خيراتها وصدقاتها فى أرض الحجاز لا تقل عن صدقاتها فى وطنها تونس ، كما يروى العالم المحقق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب .

أما القرن الثالث عشر الهجـــرى فقد شـــهد موكب الأميرة الهندية (سكندر بيكم)(٢) الى الأرض المقدسة . وقد كانت سكندر ملكة على بهوبال بالهند حين قصدت الحج الى المشعر الحرام . وكان ذلك فى سنة ١٨٦٣ م حين خرجت فى موكبها مع كثير من أعضاء أسرتها الحاكمة وحاشيتها وخدمها . ولم تكتف هذه السلطانة المسلمة بما أدته من فريضة الحج ، بل ألفت فى ذلك كتابا وصفت فيه رحلتها وما شـــهدته خلالها ، كما تذكر مجلة المقتطف فى مجلدها السابع والخمسين .

وآخر موكب نسائى الى بيت الله الحرام هو موكب أم الخديوى عباس الثانى فى القرن الرابع عشر الهجرى . فقد أدت فريضة الحج فى العام نفسه الذى أداها فيه ولدها . وكان ذلك سنة ١٣٢٨ هـ وسنة ١٩٠٩ م . وقد ترك لنا الرحالة محمد لبيب البتنونى وصـــــفا دقيقا لهذا الموكب فى كتابه الممتع : (الرحلة الحجازية) .

ولقد كانت هذه المواكب الســـــابقة كلها سارة مفرحة متهللة الى البيت الحرام ، الا موكبا واحدا للسيدة (قبيحة)(٣) أم الخليفة العباسى المعتز بالله الذى قتله الأتراك . فقد كان موكبا يجلله الحزن والذل والتضرع والانكسار .. لقد سارت المسكينة الى مكة مع بعض خواصها لتؤدى فريضة الحج ، وسمعت وهى تدعو بصوت عال على (صالح بن وصيف) الذى كان سبب نكبتها ونكبة ولدها المعتز بالله . ويقضى الله لها ـــ بعد حجها ـــ أن يجبر خاطرها الكسير ، فتعود ـــ أو تعاد ـــ من مكة الى سامرا مكرمة معززة ..

---

(١) هو مسعود بن قليج أرسلان السلجوقى من كبار حكام المسلمين فى القرن السادس .

(٢) أو سكندر بيجوم كما ننطقها نحن اليوم ونكتبها بالجيم .

(٣) كانت آية فى الجمال وسميت قبيحة على سبيل التضاد .

من أسس قضية المرأة

٥

حول مبررات عمل المرأة

الأستاذ : البهي الخولى

لا بد ان يعمل الرجل والمرأة :

وأما قولهم ان مجد الأمة فى كثرة الأيدى العاملة ، وأن المرأة نصف المجتمع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد أن يكون نصف المجتمع عاطلا ، فهو — أيضا حق .. فان مقومات الأمم ضربان : ضرب روحى يتمثل فى قوة عقائدها ، واعتزازها بثروتها من القيم والمثل العليا .. وضرب حسى يتمثل فى قوة جيشها ، ونظامها ، واقتصادها .. وكلما كان حظ الأمة من كل من هذين الضربين أوفر كان حظها من مجد الحياة — أى بطولة النفس ، وشرف الغاية ، والقدرة على التوجيه والقيادة — أبين وأعلى .

ولا غنى للأمة بوجه من الوجوه عن قيام كلا الضربين بها .. وقد جاء الاسلام بوجوب تحقيقهما معا ، اذ أمر ببذل الاستطاعة فى الأولى بقوله : «فاتقوا الله ما استطعتم» وببذل الاستطاعة فى الثانية بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وبذل الاستطاعة معناه بلوغ الغاية فى استفراغ الوسع والجهد فيما أمر بـه .

ميدان كل منهما :

وذلك موكول بطبيعة الحال الى كل من الرجل والمرأة ، فاذا تساويا فى أسهم العمل فى ميدان — الاصلاح الاجتماعى والسياسى ، ومسئولية كل منهما عن تحقيق خصائص تقوى الله فى نفسه ، افترق كل منهما عن الآخر فى تحقيق غايات لا غنى عنها ، أو لا بد منها : الرجل الى الانتاج وتنمية الثروة ، وكسب الرزق .. والمرأة الى الأسرة .. الى عمل أشق وأقوم ، بل أقدس ثمرة مما

قدمنـــا فى المقال الســـابق ان الذين يؤيدون خــروج المرأة للتكسب فى الأسواق ، والشركات والدواوين وسائر مجالات العمل ، يسوغون تأييدهم بان عمل المرأة يوسع آفاقها ، ويقيها ضمور الشخصية « وبأن مجد الأمة فى كثرة الأيدى العاملة ، والمرأة نصف المجتمع ، فلا يجوز أن يكون نصف الأمة عاطلا » وبان المرأة قد تحتاج الى أن تساعد من يعولها ، وقد تكون لا عائل لها فتعول نفسها بالعمل الى آخر ما قدمنا لهم من ذلك .

وقد ناقشنا احتجاجهم بان الخروج للتكسب يوسع آفاقها ويقيهـــا الملل وضمور الشخصية ، وابطلنا هذا الاحتجاج بما يسلمه كل منطق عادل .

يعمل الرجل : تحمل الجنين .. وتلد .. وترضع .. وتربى .. وترعى الزوج .. وتمرض وتدبر ، وتبذل من ذات نفسها وجهدها الحسى ما تبذل ، لتوفــر لقانونى الزوجية والأمومة ظروف عملهما الملائمة .

وهذا الافتراق الذى هو مقتضى ما اهل به كل منهما ، هـــو عين التقاء ارادتيهما وجهديهما على الاسهام بأوفى ما يكون فى بناء الأمة الاقتصـــــادى والروحى .. فاذا ادى كل منهما ما وجب عليه ، استقامت مصلحة الأمة على أكمل وجه .. واذا اهمل أحدهما ، أو كلاهما ، أو فقد صلاحيته لواجبه . فلا قيام للمجتمع ، ولا مجد للأمة بالمعنى الحق الذى بينا ، اذ يكون نصف المجتمع أو كله عاطلا بالجهل ، أو بالاستهتار والتحلل .

ذلك ايجاز ما يقال فى توجيه أو توضيح منطوق المبرر الثانى الخاص بمجد الأمة ، والأيدى العاملة .. ولكنهم يقولونه ويعنون به أن المرأة عندنا — وهى نصف المجتمع — عاطلة ، وأن جهدها ومكانها من بناء الأسرة يعتبر لا شىء .. وانها لا تكون عاملة الا اذا اتخذت سبيلهـــا الى المصنع ، والديوان ، والبنك ونحوه من أنواع العمل الذى تؤجر عليه فى الخارج ..

وقد يكون هذا الاتجاه متأثرا بنظرة اعجاب ، ورغبة تقليد لما فى الغرب وقد لا يكون ، ولكن مما لا شك فيه أن جهل المرأة عندنا .. جهلها بالحياة .. وبنفسها .. وحقيقة مهمتها .. أو أميتها القلمية ، والذهنية ، والقلبية ، وأثر ذلك نحوها ونحو بنيها ، وبيتها ، وعلاقتها بزوجها الخ ، قد يحمل بعضنا على أن يظن للوهلة الأولى أن عمل المرأة فى البيت فى ذاته يعتبر لا شىء أى أن رأى المنادين بعملها فى الخارج قد يكون متأثرا بسوء أثرها فى البيت أو على الأقل بقلة .. جدواه فهى — فى نظرهم — عاطل ، ومن الحسن أن تعمل ..

هل المرأة فى البيت عاطل ؟

فاذا ذهبنا نناقش ذلك ألفينا أنفسنا أمام النتائج الآتية :

أولا : أن المرأة اذا تعلمت ، وتثقفت ثقافتها التى فرضها لها وعليها الاسلام ، وفهمت حقيقة نفسها ، ومهمتها ، وأدت ذلك خير أداء ، وحققت ثمره فى بيتها

وبنيها وزوجها والمجتمع على أتم وجه ، لا تعتبر عاطلة .. وقد بينا أن عملها الحسى والروحى فى ذلك هو قسيم عمل الرجل فى الانتاج ، وتنمية الثروة ، وكسب الرزق .. وأن افتراقهما فى نوع العمل بتوجيه الفطرة ، وبحسب ما أهل به كل منهما هو عين التقاء ارادتيهما ، وجهديهما على الاسهام بأوفى ما يكون فى بناء الأمة الاقتصادى والروحى .. ومن كان عاملا فى ذلك لا يعتبر عاطلا على أى وجه .. على أننا مع ذلك اذا نظرنا الى المشقة ، فعملها أشق .. واذا نظرنا الى فضل القيم ، ففى عملها ما هو أفضل وأقدس ..

ثانيا : اما اذا أريد بأن مكان المرأة فى بناء الأسرة ، ونسج روابطها على الحب ، والرحمة ، والسكن الروحى وامداد الولد — جنينا وغير جنين بخصائص التعظيم التى يحفد بها والديه ، ويعرف حق الله وفضله فى نعمة الحياة .. اذا أريد أن ذلك لا شىء ، وأن المشتغل به مشتغل بقيم افلاطونية فى عالم غيبى لا حقيقة له ، فهو لذلك عاطل يجب أن يخرج ليعمل !! فان ذلك تخريب ووثنية سافرة لا نحسب ذهن أو ضمير القائلين بمجد الأمة والأيدى العاملة قد ذهب الى شىء منه .. ونعيذ أنفسنا ، بل نعيذ الانسانية قاطبة أن يكون فيها من يعدل الحب ، والرحمة وعبادة الله ، وتمجيد الأبوين وبرهما بأية قيمة حسية دنيوية، فضلا عن أن يجعل تلك القيمة راجحة .

التوفيق بين البيت والخارج :

ولنا أن نفترض أنهم قدروا أن المرأة تستطيع أن تخرج للعمل ، على أن نوفق بينه وبين عملها فى البيت أى يكون لها عملان : عمل فى الخارج تحمل فيه ما يحمل الرجل .. وعمل آخر تحمله فوق ما يحمل الرجل هو الحمل والولادة ، والرضاع الى آخر المعروف من عملها الحسى والروحى فى البيت .. فاذا صرفنا النظر عما فى ذلك من الارهاق والظلم ، بقى معنا أمران :

الأول : أن فى قولهم أن المرأة يمكنها التوفيق بين واجبها فى البيت ، وعملها فى الخارج ، اعترافا بأنها عاملة فى البيت غير عاطلة ، فيزول بذلك شق من مقومات هذا المبرر ..

والثانى : أن امكان التوفيق بين العملين دعوى من لم يكلف نفسه جد النظر فى الأمر ، فان أهم عمل المرأة فى البيت ليس من الأمور الحسية التى يمكن ضبطها ، وتقسيم الوقت بين بعضها وبعض ، فالسكن مثلا — وما يثمر من مودة ورحمة ليس كالطبخ وترتيب البيت يمكن تأجيله لوقت معين ، فيقال فيه للمرأة مثلا — دعيه الى ما بعد الظهر ثم زاوليه ما شئت .. وكذا لا يقال للطفل أن يكف عن التقاط تصرفات الخدم على مستواها من الاهمال ، وتفاهة الفكر ، وضعف التقدير لغايات الحياة وقيمها !!

لا يقال له أن يكف عن ذلك الى أن تحضر أمه من الخارج ، فهو قول لا يستحق الوقوف عنده .

فاذا سلمنا — جدلا — بامكان تقسيم الوقت بين العملين ، فمعنى التوفيق بينهما امكان أداء كل منهما على وجهه ، وتحقيق ثمره على أتمه بطاقاتها المحدودة التى لا تزيد على طاقة الرجل ، وذلك فى بدائه العقول غير مسلم ..

فاذا انتفى التوفيق ، ورضينا بما يكون من تقصير ونقص ، فمعناه أن الخسارة فى المقومات المعنوية والثمر الروحى للأسرة لا تعتبر خسارة اذا كان لنا منهسا بديل اقتصادى ، وهو النظر الذى تتنزه عنه العقول المدركة للحقائق ، فان اية قيمة مادية بالغة ما بلغت تغدو لغوا باطلا اذا وزنت بشىء مما يلتئم عليه شمل الأسرة من ثمر الروح .

وما أعجب ما تقول الكاتبة الأمريكية فى مقالها الذى المعنا اليه فى المقال الماضى « واذا قيل لنا على نحو تعسفى . ان من واجبنا أن نعمل فى أى مكان آخر غير المنزل ، فهذا لغو زائف ، فانه لا يوجد عمل يستحق أن يمزق شمل الأسرة من أجله » .. واذا بطلت دعوى التوفيق ، فقد زال شق ثان من مقومات هذا المبرر .

اهمية العمل فى البيت :

على أننا حين ننظر فى جد لنوازن بين عمل الرجل وعمل المرأة من حيث الجدوى على الحياة ، ومجد الدولة نرى المرأة قد ذهبت باللب ، اما الرجل فقد قام من ذلك اللب منذ الأزل بدور لا نقول انه دور ثانوى ولكنه ليس فى صميم اللب . ولننظر ماذا تكون الحراسة وجلب القوت اذا قرنت بدور المرأة فى شركة الحياة بينها وبين الرجل .. أى الدورين تعترف به الحياة ؟.. وايهما ينظر اليه مجد الأمة على انه بالنسبة له فى المقام الأول ؟.. الدور الذى ينجب الذريـة ويحفظ تسلسل الحياة ؟ أم الدور الذى يقوم من ذلك مقام الحاشية والقشر ؟..

ولننظر اى الدورين يكون صاحبه عاملا ، وايهما يكون صاحبه عاطلا ، أو فى حكم المتعطل اذا كان مقياس العمل والتعطل هو الانتاج للحياة ؟ ..

ذلك من اصالة الحقائق ، وصميم الأمور التى يجب أن تكون ميزانا للحكم فيما نحن بصدده من شأن المرأة .. اما أن يكون عمل الرجل هو كل شىء ، وعمل المرأة لا شىء فذلك حكم السطحية الذى لا يقام له وزن .

ولقد التفت برناردشو الى دقائق فى هذا المعنى ، فقال بأسلوبه الرقيق اللاذع : (اما العمل الذى تنهض به النساء .. العمل الذى لا يمكن الاستغناء عنه .. العمل الذى لا يمكن الاستعاضة عنه بشىء آخر ، فهو حمل الأجنة ، وولادتهم وارضاعهم ، وتدبير البيوت من أجلها .. ولكنهن لا يؤجرن عليه بأموال نقدية .. وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الاطلاق .. فاذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم ، وانه هو الكادح وراء الرزق .. الساعى المجد وراء لقمة العيش .. وما الى ذلك من الأوصاف التى يخلعونها عليه فى جهل وافتراء .. الا ان المرأة تعمل فى البيت !! وكان عملها فى البيت منذ الأزل — عملا ضروريا وحيويا لبقاء المجتمع ووجوده ، بينما يشتغل ملايين الرجال أنفسهم ، ويبددون أعمارهم فى كثير من الأعمال التافهة .. ولعل عذر الرجال الوحيد من قيامهم بتلك الأعمال أنهم يعولون بها زوجاتهم اللاتى لا يمكن الاستغناء عنهن .. ومع ذلك فالرجال مغرورون .. لا يريدون أن يفهموا (١) ..

---

١ — مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٦٥ « المرأة .. الى أين تتجه » .

وهذا كلام عميق حق ، لا يمارى منصف فى صدق كلمة منه .. ولعل هذا المبرر — مبرر عمل المرأة بحجة مجد الدولة .. الخ .. لم يعد له محـــل بإزاء ما قدمنـــا .

مبرر آخـــر :

وإما أنها تعمل لتساعد من يعولها .. وقد تكون بلا عائل فتعول نفسها بالعمل .. وقد يتوفى عنها زوجها ويترك لها أطفالا عاجزين عن الكسب ولا شىء لهم ، فتجد فى العمل عصمة لها ولأولادها من الضياع وهى مع ذلك « انسان » ومن كرامتها أن تشتغل بطلب عيشها فلا تكون عبئا على سواها فان الادعاء بأن المرأة انما تعمل لأنها انسان ، وأن كرامتها أن تعول نفسها فلا تكون عبئا على أحد يناقش من ناحيتين :

الأولى : ناحية اتصاله بواقعنا وصلاحيته لتعليل خروج المرأة عندنا للعمل .. فهو من هذه الناحية بعيد عن واقعنا كل البعد .. واقعنا الريفى والحضرى . القديم والحديث .. وما جيلنا الحالى الا امتداد لأجيال مضت من بعد أجيال ، لم يكن من عرف واحد منها أن البنت ، أو الزوجة ، أو الأم تأنف أن تعيش فى كنف أبيهـــا ، أو زوجها ، أو ابنهـــــا .. بل ان عكس ذلك كان هو واقع تلك المجتمعات — وما يزال — فانهن يعتبرن الاقامة فى رعاية هؤلاء هى الكرامة الطبيعية لهن ، ويعتبرن من أفدح المحن ان تصاب احداهن فى تلك الرعاية بما يضطرها الى الخروج لخدمة أو عمل .

ونحن نعرف أن تأذى كرامة المرأة او استنكافها أن تكون بلا عمل ، عرف غربى .. لا عربى ولا اسلامى فاذا كان من « عز » البنت عندنـــا أن تكون فى رعاية أبيها ، فمن المهانة هناك أن تظل بعد سن معينة فى تلك — الرعاية .. ولســـنا بصـــــدد الموازنة بين العرفين : أيهما أدل على الأريحية[1] والحمية للعـــرض ، ولا بصدد مناقشة الجهود التى تبذل لاستعارة وجدان القوم هناك لاحلاله مكان وجداننا هنا فتستبـــدل المرأة عندنا آدابـــا بآداب ، فذلك يفرع الحديث الى قضية أو قضايا أخر ، لها مجال آخر .. وحسبنا ما تقدم بوضوح من أن ادعاء الكرامة لا يصلح تعليلا لخروج المرأة عندنا للعمل ، لأنه لا يصور واقعنا ، بل التقاليد والعرف عندنا بخلافه .

والناحية الأخرى : ناحية اتصاله بعرف الآخرين ، وهى ناحية ترينا الأثر الذى يبلغه تحكم المادية فى مجتمع ما ، اذ يصاب التجاوب الفياض بين الأب وابنته بآفة من الجمود ، فيها أنانية تضيق ينابيعه وتحد من فيضه ، وفيها آلية تؤقت أملها فيه ، وقبولها أياها بوقت معين .. ونشير الى ذلك مجرد اشارة ولا نجعله موضع مناقشة .

---

١ — الاريحية : صفة من كرم النفس ، تجعل الانسان يرتاح الى الافعـــال الحميدة والبذل .. والاريحى الواسع الخلق والهمة ..

وننظر فى العرف الذى يرتب كرامة المرأة على استقلالها فى كسب قوتها عند زوجها وأبيها ، فهو عرف يقوم على اعتبار وظائف المرأة فى الحمل ، والولادة ، والرضاعة ، وعمل البيت لا شىء .. واعتبار المرأة اذا اقتصرت على ذلك عاطلة .. وقد قررنا أن ذلك نظر سطحى محجوب عن تبين الحقائق ، « فاننا حين ننظر فى جد لنوازن بين عمل المرأة وعمل الرجل من حيث الجدوى على الحياة ومجد الدولة . نرى المرأة قد ذهبت باللب والرجل قد قام من ذلك اللب منذ الأزل بدور — لا نقول إنه دور ثانوى — ولكنه ليس فى صميم اللب » الى أن سألنا : « أى الدورين يكون صاحبه عاطلا أو فى حكم المتعطل اذا كان مقياس العمل والتعطل هو الانتاج للحياة ؟ » ولننظر فى جد : إذا كان من شأن الحياة أن تأجر كلا منهما بقيمة ثمره ، ماذا يكون أجر المرأة وأجر الرجل ؟!

ماذا يكون أجر من تكون ثمرتها طفلا وأجر من تكون ثمرته جلب حزمة حطب أو بضع ثمرات من شجرة قريبة ؟!! ولكن الحياة لا تجزى ذلك الأجر النقدى ، فان ثمر المرأة ومقامها أجل من أن يقدر بعرض ، فتركت ذلك الى بديهة تقدر العظيم ، وتنظر الى حساب وراء حساب : « أنا وأنت » حساب قوامه الود والرحمة ، واستعداد كل منهما لأن يذهب فى وقاية صاحبه الى أبعد مدى ..

فاذا غدت بديهة الانسان لا تقدر العمل العظيم ، وقد نضب ضميره الا من حساب « أنا وأنت » فتلك هى المادية التى تمسخ فى الانسان بديهته وانسانيته وتجعل حكمه فى مثل هذا الأمر غير جدير بالنظر .. واذا استبعدنا ما لا يسلم به بعضهم فى ذلك من اعتبار القيم المعنوية ، فان ما يبقى من اعتبار الانتاج المحض — الحمل والإرضاع — الذى لا يعرف الا حسابها وحسابه يجعلها ذات الرصيد الضخم والحساب الراجح ، ولا يدع مجالا لاعتبارها عاطلة على أى وجه ..

فاذا ظل — بمنطق النظر السطحى — يراها عاطلة غير عاملة ، فهو منطق لا يعبر عن الحقيقة على ما قدمنا ، ولا يصلح لأن تقام به دعوى صادقة .

يدل على فساد :

وأما تبريرهم خروج المرأة للعمل بأنها قد تساعد عائلها الفقير ، وتعصم أطفالها اليتامى من الضيعة .. الخ .. فيتضمن الدلالة على أمرين :

الأول : تقصير المجتمع أو قصوره عن فهم واجبه فى رعاية الفقير والعاجز ، ومحدود الدخل .

والثانى : خمود العقل الانسانى نحو المرأة التى تضطرها الضيعة الى العمل لتعول أيتامها .. وواضح من تبريرهم أنه لولا اضطرارها للمساعدة وعيالة الصغار لما عملت .. أو لولا جمود العامل الانسانى وتقصير المجتمع فى واجبه لما كان ثمت داعية للعمل .. ومعلوم أن ذلك من فساد المجتمع ، وأن منطق العلاج فى كل اصلاح هو ازالة الفساد نفسه — أى أصل العلة — لا أن تجعل أوضاعه هى المتحكمة فى توجيه التفكير وأملاء الحلول ، فتخرج البنت لتعول أباها ، والأرملة لتعول أيتامها .

فالتدبير على ما يذهبون اليه يحمل تسليمات بالعلة أو إستسلاما لها ، واكتفاء بعلاج أثرها لا علاجها هى .. وهو واضح البطلان . (البقية ص ٥٩)

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

بستان ابى الدحداح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضـــا حسنا فيضاعفه له » قال أبو الدحداح الانصارى : يا رسول الله . وان الله ليريد منا ان نقرضه ؟! قال : نعم يا أبا الدحداح . قال : أرنى يدك يا رسول الله ، فناوله يده ، فقال أبو الدحداح : أشـــهد يا رســـول الله أنى قد أقرضت ربى حائطى (بستانى) وكان له بستان فيه ستمائة نخلة ، وفى البستان زوجته أم الدحداح وأولاده يسكنونه ، ثم جاء الى البستان ، فنادى زوجته : يا أم الدحداح ، قالت : لبيك . قال : اخرجى أنت وأولادك ، فقد أقرضت الله بستانى .. فما أعولت زوجته ولا عنفته ، ولا صرخت فى وجهه ، ولكنها استبشرت ، وقالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح ، ثم نقلت متاعها وصبيانها ..!!

المستبد لن يكون عادلا

كتب عدى بن أرطاه والى البصرة الى عمر بن عبد العزيز يقول له : ان قبلى أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما ، لست أرجو استخراجه من أيديهم الا ان أمسهم بشىء من العذاب ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى ذلك فعلت .

فكتب اليه عمر يقول : العجب كل العجب من استئذانك اياى فى عذاب البشر كأنى لك جنة من عذاب الله ، وكأن رضائى عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشىء فخذه بما أقر به .. وايم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخيـــاناتهم احب الى من القى الله بدمائهم .

من أدب النصيحة

كان من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انكار المنكر ـ انه اذا بلغه عن جماعة ما ينكر فعله لم يذكر أسماءهم علنا ، وانما كان يقول (ما بال أقوام يفعلون كذا) فيفهم من يعنيه الامر .

وقال رجل لعلى كرم الله وجهه أمام جمهور من الناس : يا امير المؤمنين : انك أخطأت فى كذا وكذا ، وانصحك بكذا وكذا .. فقال على : اذا نصحتنى فانصحنى بينى وبينك ، فانى لا آمن عليك ولا على نفسى حين تنصحنى علنا بين الناس .

وقيل لمسعر : اتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقـــال : ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم ، وان قرعنى بين الملأ فلا .

وقال الشافعى : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

النقـد الهـدام

لو صدق حكم كل صحيفة على من تهـاجمه ، وقول كل فريق فى الآخر
واتهام كل حزب لمن يعاديه .. لكان معنى ذلك أن امتنا كلها باحزابها وزعمائها ورجالها وعلمائها خائنـة ماجورة مفسدة لا تستحق الحيـاة ولا احترام اهل الحياة ..

حتى يشبع المسلمون

اصاب المسلمين مجاعة فى عهد عمر بن الخطاب ، وحدث أن جاءته قافلة تحمل اللحم والسمن والطعام والكساء ، فوزعها بنفسه على الناس ، وأبى أن يأكل منها شيئا ، وقال لرئيس القافلة : ستأكل معى فى البيت ، ومنى الرجل نفسه بطعام شهى .. وجاء الى البيت وأنهكهما الجوع والتعب ، ونادى عمر فحضر الطعام .. وكان ما أذهل الرجل وأدهشه : أن طعام امير المؤمنين لم يكن لحما وسمنا ، ولا شواء وحلوى ، وانما كان كسرات من الخبز الاسود اليابس مع صحن من الزيت ، وعجب الرجل من صنع أمير المؤمنين ، وقال له : لماذا منعتنى من أن آكل مع الناس لحما وسمنا وقدمت لى هذا الطعام الذى لا يساغ .

قال عمر : ما أطعمك الا مما أطعم نفسى .

قال الرجل : وما يمنعك أن تأكل مما يأكل منه الناس وقد وزعت عليهم اللحم والطعام ؟

قال عمر : لقد آليت على نفسى الا أذوق السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعا .

من أوقاف المسلمين

وقف لإطعام الخيل العاجزة عن العمل — والمرج الاخضر فى دمشق وقف على الحيوانات المسنة تأكل حتى تموت دون أن يضطر أصحابها لقتلها تخلصا من نفقاتها .

ووقف على تمريض القطط والكلاب والحيوانات المريضة .

ووقف لتزويج الشباب والفتيات العاجزين عن نفقات الزواج .

ووقف لاستئجار مبصرين ليقودوا العميان ، فكان لكل أعمى قائد يقوده .

وتحدث الرحالة ابن بطوطة عن وقف الزبادى فى دمشق ، فقد حدث أن رأى بعينيه صبيا كانت بيده زبدية فانكسرت ، فبكى خوفا من بطش اهله به ، فأخذه الناس الى ناظر وقف الزبادى فأعطاه زبدية مثلها ، فعاد الى أهله دون أن يشعر اهله بما كسر .

ويروى أن فى طرابلس وقفا لاستئجار اثنين يذهبان كل يوم الى المستشفى فيقفان بجانب المريض يتحدثان بكلام خافت يسمعه المريض من حيث يوهمـانه أنهما يتكلمان سرا عنه فيقول أحدهما للآخر : ما رأيك فى هذا المريض اليوم ؟ فيقول الآخر : انى أراه اليوم أحسن منه بالامس . فوجهه مشرق وعيونه متألقة ، ثم ينصرفان وقد سمع المريض كلامهما بعد أن أوحيا اليه ما يعتقد فى نفسه التقدم نحو الشفاء .

موقف الإسلام من الفنون

الأستاذ: عبد المجيد وافي — المدرس بالأزهر

فى عصر الذرة ، والصورة تنقل لنا ملامح مجتمعات البشر من قارة الى قارة عبر أقمار الفضاء بواسطة التلفزيون ، بل أصبحت تنقل ملامح الفضاء عن طريق الاجهزة التى يحملها ملاحو الفضاء وتعكسها الشاشة الصغيرة متحركة وساكنة .

فى هذا العصر لا يمكن أن نوقف المجتمع الاسلامى عن التطور الحضارى والتقدم العلمى والفنى ، وأمة الاسلام بعلمائها ومن وحى قرآنها قد فتحت آفاق العلم والتحضر والتطور على أوروبا من الشرق والغرب ، وأخرجت أهلها من الظلمات الى النور .

فى هذا الخضم المتطاحن بالعلم لا يمكن أن ننسب الى الاسلام تحريم فن ، أو نتوعد بالعذاب قوما تأسوا بمـــا أمر الله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهـــار لآيات لأولى الالباب) (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) (قل سيروا فى الارض ثم انظروا) ما لم يكن هناك نص قطعى بالحرمة .

واذا كان سادتنا الفقهاء قد أفتى بعضهم بالحل فقد أفتى الآخرون بالحرمة غاية الامر ان ننظر لانفسنا نظرة فى ديننا مستهدين سماحته ومتوسمين رجاحة أحكامه لا متعنتين مضيقين على الناس ، وقديما كان المسلمون ينظرون الى خلاف الفقهاء على أنه رحمة ، فلا يجب ان نجعل اجتهادهم وفتاواهم على العالم نقمة .

من خلال هذا الباب نظرات الى الفن وماذا يرى فيه المسلمون منذ نبيهم عليه أفضل الصلوات وأتم السلام ، الى علماء الامة المعاصرين ممن فهموا بشارات النبى والقرآن بالعلم وفتوحاته .

وقد يقرأ الانسان من حين الى حين رأيا يلم بالموضوع المامة ، ولا يطيل الوقوف ليعطى القارىء راغب المعرفة فرصة امساك الحجة ومعرفة الرأى .

ولكن ذلك ان أغنى ساعة فلن يغنى أكثر ، ولذلك يممت شطر الموضوع بعدما قرأت لأخ فاضل فى عدد « جمادى الاولى » راجيا أن يفتح الله بما اطمأنت اليه نفسى .

مع الديانات السابقة

واذا كان للديانات السابقة على الاسلام مواقف من العمل الفنى ، فيجب أن يستقى خبرها من مصدر مجمع عليه بيننا نحن المسلمين ، وليست التوراة المطبوعة بين أيدينا بمرجع ثبت ثقة بعد أن بدل أهلها كلام الله .

واذا كان الله تعالى يقول عن سليمان عليه السلام (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب) .. (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) فهو لا بد عمل قصد به

في عدد جمادى الاولى نشرنا بحثا للاستاذ محمد رجب البيلي عن الاسلام والفن ، وقد بعث لنا الاستاذ عبد المجيد وافي ببحث واف عن هذا الموضوع ضمنه خلاصة قراءته ورأيه . والاستاذ وافي من علماء الازهر الذين برعوا — مع علمهم في التدريس بالازهر — في الرسم والتصوير ، وله مرسم بالغورية في القاهرة ، كما ان له جولاته الفنية الصحفية المعروفة ، وهذا الموضوع الذي يعالجه كما عالجه كاتب فاضل من قبل هو من الموضوعات التي اختلفت فيها الآراء من قديم ، ويحتاج منا فعلا الى دراسة وتمحيص يمكن ان نخرج منها بنتيجة تطمئن اليها نفوس المخلصين لدينهم ، ولهذا ننشر هذا البحث لا لاننا نلتزم بكل ما جاء فيه ، بل لنفتح باب المناقشة السليمة الهادفة على الفقه الديني والاجتماعي .

« الوعي الاسلامي »



رســـوم شجرية
بالفسيفساء بقبة
الفنانين السوريين
الصخرة من عمل
حوالي « ٧٢ هـ »

التقرب الى الله عمده الله من فاعليه شكرا ، وقليل من عباده الشكور .

وحتى لو فرض جدلا صحة النص الوارد في توراة القوم (لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة .. ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله غيور) .

فالنص لم يخالف روح القرآن لانه نهى عن صناعة وثن يعبد ولم ينه عن صناعة فن .

والمسيح عليه السلام كان يصنع من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، ذلك ما رواه القـــرآن الـــكريم ، ويبعد أن يحـــرم الله على قوم ما لم يحـــرم على نبيهم وهو عليهم في موقع القدوة .

والمعجزة في نفخ الروح فيكون طيرا باذن الله ، وليست في صناعة الطير من الطين ، لانه أمر يفعله سرا وجهرا من اشتغلوا بالفنون قبل عيسى عليه السلام وبعده .

وانما حرم المسيح ان يعبد احد غير الله (ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) .

ورغم تحذير الانبياء ، فقد اتخذ المسيحيون (ما عدا الانجيليين منهم والبروتستانت وما تفرع عنهما من مذاهب) — اتخذوا الصور والتماثيل والايقونات في البيوت والكنائس ، وجثوا امامهـــا راكعين ركوع العباد .

مع الاسلام

وعندما دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، لم يكن للعرب ، فى قلب الجزيرة ، وحيث بدأت الدعوة — نشاط فني بمعنى الكلمة ، وان كان لهم تجاوب مع كل لمحة من لمحات الجمال ، يدل على ذلك ما برعوا فيه من الوصف شعرا ونثرا .

لكن صناعة التصوير او التماثيل ، لم يكن لهم مشاركة فيها ، وما كان لهم من اصنام يعبدونها لم يكن فنا بالمعنى المعروف لدى ارباب الحضارات .

وقصة العربى الذى صنع لنفسه صنما من التمر ، وقام اليه يصلى ، ثم ما لبثت عوادى الجوع أن ألمت به فقام الى صنمه وأكله ، تنبئنا عن المستوى الفنى الذى كانت عليه هذه الاصنام .

وليس معنى هذا أنهم لم يروا صورا أو نحوها ، فلقد كان بالكعبة صور للأنبياء امر النبى صلى الله عليه وسلم بازالة بعضها ، وقد ذكر الازرقي في اخبار مكة (١) ان الرسول عليه الصلاة والسلام « دخل البيت ، فارسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، فجاء بماء زمزم ، ثم أمر بثوب ، فبل بالماء ، وأمر بطمس تلك الصور فطمست ، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه ، وقال : امحوا جميع الصور الا ما تحت يدي ، فرفع يديه عن عيسى وأمه ، ونظر الى صورة ابراهيم فقال : قاتلهم الله !! جعلوه يستقسم بالازلام ، وما لابراهيم والازلام » .

وقد ظل رسم عيسى وأمه حتى أيام ابن الزبير فاندثر مع الحريق الذى شب في الكعبة (٢) .

وكانوا يلبسون الثياب المرحلات والمرجلات ، ويقول المرحوم الدكتور زكى حسن — فى تعليقاته على كتاب التصوير عند العرب « للمرحوم تيمور باشا » — ان المرجلات هى التى رسم عليها الرجال ، والمرحلات التى رسم عليها الجمال ورحالها .

وذكرت السيدة عائشة رضى الله عنها أن الدرنوك (٣) الذى قسمته الى نمرقتين « وسادتين » كانت عليه صور الخيل المجنحة .

أما سكان شمال الجزيرة من العرب فكانوا يجاورون الدولة الرومانية ، وقد أخذ بعضهم بما كان للرومان من فنون ، وحسبنا أن الفنانين السوريين قد اشتركوا فى عمارة المسجدين الاموى والاقصى ، وقاموا بتنفيذ الفسيفساء والزخارف ، خلافا للرأى القائل انها نفذت بأيدى عمال من الروم ، وهى رسوم تمثل صورا لقصور وحدائق غناء وتفريعات نباتية » شكل ١ ، ٢ ، ٣ .

ولعلهم كانوا حتى بداية العصر الاموى يخضعون فنهم للأسس البيزنطية ، فلما أصبحت سورية حاضرة الدولة الاسلامية ، بدأوا فى تغيير أسلوبهم الفنى وموضوعاتهم بما يلائم العقيدة .

والثياب المرسومة لم تكن كلها واردة من بلاد الروم ، بل ان مدنا سورية قد اشتهرت من قديم بصناعة الثياب كما اشتهرت مصر واليمن بذلك أيضا .

فاليد العربية فى شمال الجزيرة العربية لم تكن عاطلة عن مزاولة الفن ، وان كانت أساليبها خليطا بين الساسانية والهلينية .

وقريب من ذلك سكان شرق الجزيرة مما جاور بلاد الفرس ، وقد ساعد وجودهم فى هذه البقعة ، وتجارتهم بين الفرس من جهة وبين عرب قلب الجزيرة من جهة أخرى ، على ورود بعض تلك الصناعات ذات الطابع الفارسى .

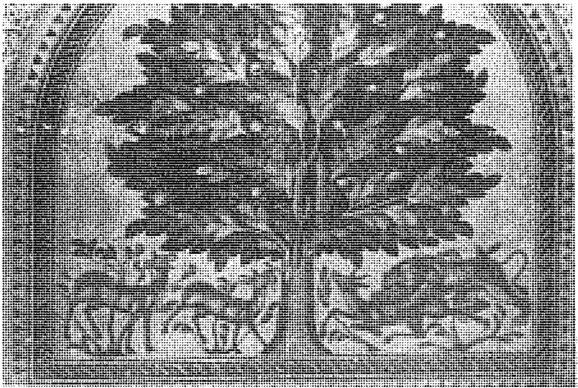
وجنوب الجزيرة كانت فيه بقايا من حضارة سبا التى اختلطت ببعض التأثيرات مما وفد على هذا الجزء من شمال الجزيرة والبحر الابيض المتوسط .

---

(١) جـ ١ ص ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٣) قماش ذو سطح وبرى كالقطيفة مسلم جـ ١٤ ص ٧٨ .



مناظر صيد من قصر خربة المنجر ببادية الاردن
ــ من العصر الاموى حوالى ٧٢ ــ ٨٢ هـ

هكذا كانت البيئة بين يدى البعثة المحمدية ، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التوحيد ، لم يكن من أهدافه أن يمحو فنا ، بل كان يهدف الى ارساء قواعد التشريع الاجتماعى ويعمل على سلامة العقيدة من كل شوائب الشرك ، وكان القوم قريبى عهد بوثنية ، فحطم الاصنام يوم الفتح ، حتى لا يبقى لها ما كان من تعظيم فى الجاهلية .

كما لم يكن من أهدافه أن يقيم فنا جديدا ، فذلك أثر من آثار انتشار الدعوة الجديدة وحضارتها يتم على مر الايام كما حدث فى تطور الفنون الاسلامية بالفعل .

وتحطيم الاصنام لم يكن عداء للفن ، بقدر ما كان يهدف الى تحطيم ما يعبد من دون الله ، وحفظ العقيدة الناشئة من ميل النفوس وهوى القوم الى ما كانوا يقدسونه فى زمن مضى .

ويدل على ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته ، حيث كان يمزق الستور التى عليها شعارات لعبادة غير الله كالصلبان ونحوها .

ولحق الرسول بالرفيق الاعلى ، وتعاقب من بعده الخلفاء ، فلم يشتهر عن احدهم شىء يتصل بالصور أو ما شاكلها ، الا ما كان من سك عمر بن الخطاب رضى الله عنه للدراهم والدنانير وعليها الرسوم الكسروية أو البيزنطية (١) .

آراء الفقهاء

واذا رجعنا الى آراء الفقهاء ، فاننا نرى الامام النووى مثلا يتشدد فى حكم تصوير الحيوان سواء كان رقما فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو اناء أو حائط أو غير ذلك (٢) ..

ونراه يعنى بتوضيح موقف ملائكة الرحمة من دخول بيت فيه تصاوير ، ويأبى أن يفرق بين ماله ظل ، وما لا ظل له ، ويرفض أن يسلم بما رواه بنفسه عن بعض السلف ممن يفرقون بين التماثيل والصور ، ويحكم ببطلان هذا الرأى .

ونرى من الفقهاء من يتوسع ويترخص شيئا ما ــ كالقاضى عياض من المالكية ــ الذى يقرر جواز اتخاذ لعب البنات « العرائس » تتخذ من الحلوى أو الجبس أو القطن ونحوه ــ فى عصره ، والبلاستيك واللدائن فى عصرنا ــ استنادا الى ما ورد من أن عائشة عندما تزوجها النبى صلى الله

---

(١) سيأتى تفصيل لذلك .

(٢) ذكر المقريزى فى رسالة النقود . أن عمر بن الخطاب سك عملة من الدراهم والدنانير وعليها الصور الكسروية والبيزنطية ، ولم يغير فى رسم العملة شيئا ، وان كان قد أضاف الى بعضها « لا اله الا الله وحده ، الله أحد ، محمد رسول الله » ولعل الامام النووى لم يعلم بذلك والا كان عدل بعض رأيه أخذا من سلوك عمر وفقهه ، والا اعتبر عمر رضى الله عنه ممن ترك الامة تتعامل بأمر محرم .

عليه وسلم ، كانت صغيرة ، وكانت لها لعب من هذا النوع ، وكان لها صواحب يلعبن معها .

ويعلق الامام القرطبى على ذلك قائلا : قال العلماء وذلك للضرورة الى ذلك ، وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن — ص ٧٥ ج ١٤ من تفسيره — ولم يقل من هم هؤلاء العلماء .

ويذهب مكى بن أبى طالب المفسر القارىء النحوى — ٣٥٥ هـ — الى جواز التماثيل عامة فضلا عن الصور والرسوم ، استنادا الى ما جاء فى قوله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب » .

قال : ان التماثيل هو كل ما صور على صورة الحيوان أو الانسان ، وكان لسليمان عليه السلام أنواع من التماثيل من زجاج ونحاس ورخام ، وأن بعضها كان يمثل صور أنبياء تقدموا او علماء أو صلحاء ، وبعضها كان يمثل حيوانات أخرى .

كما يروى انه كان يجلس على كرسى يقوم على أسدين فى أسفله ونسرين فوقه ، فاذا أراد ان يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما ، واذا قعد أطلق النسران أجنحتهما .

ذكر مكى ذلك الرأى فى البداية « تفسير » ، وذكره النحاس قبله (١) .

وكما استدلوا لذلك بفعل سليمان استدلوا له أيضا بفعل المسيح عليه السلام ، الذى حكاه عنه القرآن فى قوله تعالى (انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) .

وقد روى القرطبى هذه الآراء فى تفسيره ص ٢٧٢ ج ١٤ .

ولأبى على الفارسى (٢) رأى فى الموضوع ذكره عند الكلام على عبادة بنى اسرائيل للعجل ، يقول فى كتابه « الحجة » (٣) .

فأما قوله تعالى « ثم اتخذوا العجل » وقوله « باتخاذكم العجل » ، « اتخذوه وكانوا ظالمين » « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا » .

فالتقدير فى ذلك كله اتخذوه الها ، فحذف المفعول الثانى .

والدليل على ذلك أن الكلام لا يخلو من أن يكون على ظاهره ، مثل قوله « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » ، أو يكون على ارادة المفعول .

فلا يجوز أن يكون على ظاهره دون ارادة المفعول الثانى لقوله عز وجل ٠ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا » .

ومن صاغ عجلا أو نجره أو عمله بضرب من الاعمال لم يستحق الغضب من الله عز وجل والوعيد عند المسلمين ، فاذا كان كذلك علم انه على ما وصفنا من ارادة المفعول الثانى المحذوف فى هذه الآى .

فان قال قائل : قد جاء فى الحديث يعذب المصورون يوم القيامة ، وفى بعض الحديث ويقال لهم احيوا ما خلقتم ، قيل يعذب المصورون يكون على من صور الله تصوير الاجسام ، وأما الزيادة فمن أخبار الآحاد التى لا توجب العلم ، فلا يقدح ذلك على ما ذكرناه .

وكأنى بالفارسى يقرر هنا امكان صناعة العجل أو نحوه دون مذمة تقرير المسلمات لأن صناعة التمثال فى ذاتها لا تكون سببا فى استحقاق غضب الله .

أما الذى يستحق الغضب والعذاب فهم من يصورون الله تصوير الاجساد ، ويتوجهون لهذه الاجساد بالعبادة .

الشيخ جاويش والامام محمد عبده

واذا كان للشيخ عبد العزيز جاويش رأى بالاباحة ورفع الحرج عن الفنون ، فان للامام محمد عبده رأيا نقله السيد رشيد رضا فى تاريخ الامام (٤) تناول فيه الفنون تصويرا أو نحتا لذاتها ، وذكر

---

(١) ابن النحاس هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحوى المرادى المصرى توفى ٣٣٨ هـ نحوى قارىء مفسر .

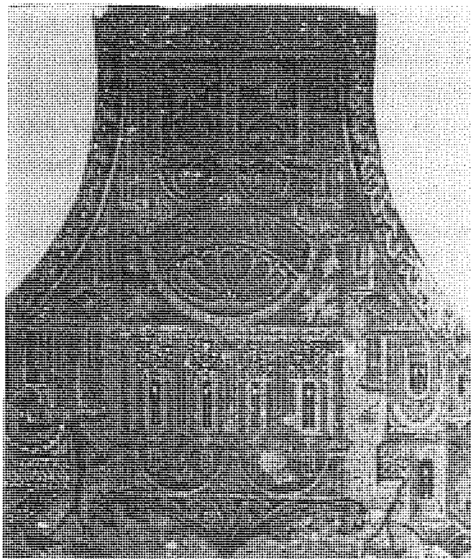
(٢) الفارسى . الحسن بن على بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسى — ٢٨٨ هـ — ٣٧٧ هـ مفسر نحوى قارىء محدث .

(٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم «٤٦٢» مصور جزء ١ ص ٣٥٦ .

(٤) تاريخ الامام محمد عبده للسيد رشيد رضا ص ٤٩٨ ج ١ « بتصرف وتلخيص » .



أ ـ مناظر طبيعية بالفسيفساء على جدران مسجد بني أمية في دمشق حوالي ٧٢ ـ ٧٤ هـ



ب ـ مناظر معمارية من الفسيفساء على جدران المسجد الاموى في دمشق من عمل الفنانين السوريين حوالى ٧٢ ـ ٧٤ هـ

حرص الامم الغربية على العناية بها ، وهو يعلل ذلك بأنها سجل حياة هذه الامم كما أن الشعر سجل حضارة العرب .

بل انه يعد الرسم ضرب من ضروب الشعر يرى ولا يسمع ، كما أن الشعر رسم يسمع ولا يرى .

ثم يقول ملفتا النظر الى دقة الفارق بين المعانى اللغوية ، يدركها الفنان ويسجلها بريشته : « ولكن تنظر فى الرسوم المختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهرا يصورنه مثلا فى حالة الجزع والفزع والخوف والخشية .. ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما .. ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع ، وما الهيئة التى يكون عليها الشخص فى هذه الحال أو تلك .

وأما اذا نظرت الى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فانك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر اليها حسك » .

ولم يعد الفن فى رأيه لهوا أو تعبدا لصورة صالح أو عظيم ، لأن الاول يبغضه الدين والثانى جاء الاسلام لمحوه ، فاذا زال هذان العارضان ، كان رسم الانســـان أو الحيوان بمنزلة تصوير النبات والشجر .

وقد صنع ذلك فى حواشى بعض المصاحف وأوائل السور ، ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع نزاع ، وفائدة الصور ـ فى رأيه ـ مما لا نزاع فيه على الوجه الذى ذكره .

ويعلق على دخول الملائكة أو امتناعها عن الدخول فى بيت حوى الصور ، فيلذع ساخرا من تحدثه نفسه بارتكاب المعاصى محتميا بوجود الصور من تسجيل الملائكة عليه وقد امتنعوا عن الدخول فيقول « فان الله رقيب عليك ، وناظر اليك . حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لأن فيه صورا » .

ويختم رأيه قائلا « وبالجملة انه يغلب على ظنى أن الشريعة الاسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة

من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقق أنه لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل .

أما الفنون الاسلامية فلم تقف مع خلافات الفقهاء ، بل سارت وتطورت ، واستقرت قواعدها وأساليبها على هيئة لم تتح لفن حضارات أخرى سبقت الاسلام أو لحقته ، وذلك كما قلت فى أول المقال طبيعة الدعوات والحضارات ، تبدأ فكرا وعقائد ثم ينعكس أثرها على المجتمعات حضارة وعلوما وفنونا .

وصار التشكيل التصويرى فى تطوره اللونى والتكوينى والموضوعى ، الى جانب التشكيل الهندسى ذى السطح الواحد أو التفريغ النباتى أو التشكيل بالكتابة العربية .

وبلغ الفن فى الاسلام مبلغا من الغنى والرقى فى فروع مختلفة ، كما لو كان كل فرع فنا وحده تطور وتبلور .

بل ان هذا الخلاف الفقهى وشبهاته كان عاملا أساسيا فى ظاهرتين مهمتين ..

الظاهرة الاولى : تطور التشكيل النباتى وتفريعه ، ثم الهندسى وتعدد أشكاله واتساعه تطورا لم يشتهر بين فنون الامم الاخرى ، كما وجدت آثار فنية ، عالية المستوى ، راقية الاداء ، جمعت بين العنصرين فى التشكيل ، أو فارقت بينهما ، دون أن يهدم هذا الجمع التركيب الفنى .

كما أن الخلاف كان عاملا أساسيا فى تطور شكل الحروف العربية ، وأصبحت الكتابة العربية على الجدران وفى القصور ، على العمارة ، أو فى الكتب ، فنا تعبيريا مستقلا ، أو متداخلا مع التشكيلات النباتية والهندسية ، وصارت الكلمة بما لها من مضمون ، وما لها من شكل ، عاملا فنيا لم يشتهر لغير العربية .

وصار لكل هذه الفروع مدارس ومذاهب أغنت التاريخ الحضارى الاسلامى بالعديد المتنوع من التشكيلات ، منفذة على كل المواد الممكنة للفنان ، من خشب وزجاج وحجر ورخام ونحاس وفضة وذهب وجلد وغير ذلك .

وبرع الفنان المسلم فى صياغة فنه وتشكيله فى أضيق الحدود كصفحة الكتاب ، وأبدع وأغرب فى تلوينها وتذهيبها .

كما برع فى صياغة هذه التشكيلات على أوسع مستوى ، كواجهات المساجد والقصور وسقوفها وأرضها ، ولانت فى يده صلاب المواد ، فشكل منها وأبدع الصنائع .

الظاهرة الثانية : أن الخلاف كان عاملا على ظهور ميزة للتصوير الاسلامى عن غيره من فنون التصوير المعاصرة له ، أو المتأخرة عنه ، ذلك هو انعدام البعد الثالث .

وقد أرجعه بعض المشتغلين بالدراسات الاثرية الى ضعف فنى فى التعبير ، كما أرجعه البعض الآخر الى مذمة الفقهاء لأهل الفنون واحتقارهم .

وكيف يكون ذلك صحيحا ، وقد أصبح هذا العيب مثالا يحتذى عند أصحاب المذاهب الحديثة فى الفنون الغربية ، كلفوا بها وشغلوا بتقليدها الى وقتنا هذا ؟ (١) .

وليس بصحيح أن جرأة الخلفاء على الحرمات ، كانت من عوامل انتشار هذه الامور ، فالتصوير كغيره من الفنون تطور فى حضرة الاتقياء وغيرهم من الخلفاء ، وقد رأينا رسوم الفسيفساء فى المسجد الاموى ، وقبة الصخرة ، والمسجد الاقصى ، ولم نسمع عن ثورة العلماء على ذلك ، كما ثار المنذر بن سعيد الاندلسى على عبد الرحمن الناصر لبذخه فى بناء مدينة الزهراء .

والمصورون أنفسهم لم يسلموا من الهمز . فقيل : انهم مسيحيو الاصل ، والله يعلم ان كثيرا من المشتغلين بالحديث والفقه والتفسير كان لهم اشتغال بهذه المسائل ، وذكر المرحوم تيمور باشا بعض أخبارهم فى كتابه التصوير العربى .

وهذا باب لا يطوى طيا ، ولكن يحسن أن يتناول وحده ، حتى يعلم الناس أن أسلافهم — وفيهم الفقهاء — كانوا ذوى حس وذوق وفن .

---

(١) بدأ تقليدها فى نهاية القرن الثامن عشر بالفنان « أنجر » و « ديلاكروا » والتاسع عشر من فنانى المدرسة التأثيرية وفتن بها فى بداية هذا القرن « ماتيس » و « سيزان » ، وعدها « بولكلى » و « موندريان » من أسس التجريد الحديث .

عدالة الاسلام :

ومما يذكر بهذا الصدد أن عدالة الاسلام جعلت حقا فى بيت المال لمحدود الدخل يعطى نفقة من يعول وذلك قوله تعالى « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » (١) فقد قال العلماء : ان المحروم هو الذى لا يكسب ما يكفيه .. ويجعل من لا عائل لها صغيرة كانت أم كبيرة فى كفالة ولى الأمر ببيت المال ؛ لأن صفة الأنوثة فى الاسلام من صفات العجز عن الكسب .. أى أن مجرد الأنوثة عجز (٢) .. ويجعل اليتيم الذى لا مال له فى كفالة ولى الأمر أيضا بصفته قيم بيت المال الى أن يستغنى بالعمل ، وذلك قوله عليه السلام — « ما من مؤمن الا وانا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ، اقرءوا ان شئتم « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وان ترك دينا أو ضياعا ، فليأتنى فأنا مولاه » (٣) والضياع هم العاجزون عن الكسب .

وكان النظام فى العصر الأول أن يقسم الفيء على كل بيت بحسب عدد الأنفس فيه ، قال أبو عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه فيء قسمه من يومه ، فأعطى الآهل حظين واعطى العزب حظا واحدا (٤) .. « وكان عمر رضى الله عنه لا يثبت الرضيع فى دفاتر المستحقين لعطاء الفيء ، ثم ترك ذلك وفرض لكل مولود (٥) .. وكان كل من عثمان وعلى رضى الله عنهما — يفرض لكل مولود مائة كل عام .. وروى أبو عبيد عن أبى اسحاق « أن جده الخبار مر على عثمان فقال له : كم معك من عيال يا شيخ ؟ فقال : معى كذا .. فقال فرضنا لك كذا .. ولعيالك مائة ، مائة (٦) .. » أى لكل فرد .

واذا كان ذلك هو سنة المجتمعات النظرية ، وعلامة الصحة فيها فأولى فى منطق الاصلاح أن يرد المجتمع الى سنته ، لا أن يبقى الفساد ثم يسام الضعفاء حمل آثاره .

« الوعى الاسلامى » قد يسىء بعض الناس فهم اعتبار الاسلام ان الأنوثة عجز . ويتساءل ، ويرفع صوته . وقد تأخذ العزة بعض القارئات فيقلن : وكيف ؟ مستنكرين ذلك . والواقع فى هذا أن الاسلام يحرص على أن يوفر للمرأة الجو الذى يجعلها تقوم بمهمتها الكبرى ، ويصونها من التبذل والعمل لكسب القوت ومن أجل ذلك جعل فى بيت المال ما يكفيها الحاجة التى تضطرها للعمل . وليس هناك أسمى من هذه النظرة للمرأة فهى نظرة تقوم على التكريم أولا وأخيرا . ولقد قرأنا كثيرا اعترافات من المرأة الغربية بحاجتها الى مثل هذه الرعاية وهذه النظرة التى تجعلها وكأنها جوهرة يحافظ عليها ، وتجعلها محل تقدير وصيانة وغيرة من رجلها ومن المجتمع ، وذلك بعد ما احست بالضياع فى عملها وأنها أصبحت فى نظر الرجل والمجتمع كآلة تدور تتناولها الأيدى التى تديرها دون رحمة أو عناية حتى قالت احدى الكاتبات الغربيات : ان النساء فى الغرب يحسدن المرأة فى المجتمع المسلم لما تجده من رعاية الرجل وغيرته عليها ..

---

(١) الذاريات : ١٩ ..

(٢) أحمد ابراهيم : ١٤٣ — الاحكام الشرعية للاحوال الشخصية .

(٣) رواه البخارى ..

(٤) الاموال لابى عبيد : ٢٤٢ ..

(٥) المصدر السابق : ٢٢٧ ..

(٦) المصدر السابق : ٢٢٨ ..

الانتماء إلى الجماعة في سيرة القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم

المقدم: حسن فتح الباب
مدير البحوث الفنية والقانونية بوزارة الداخلية / القاهرة

ان فيصل القول فى وظيفة القيادة الناجحة انها القيام بتلك الأعمال التى تعين أعضاء الجماعة على تحقيق هدف مشترك يقتنعون بأهميته ، فيتفاعلون بطريقة تضمن تماسكهم وتحركهم فى الاتجاه الملائم . ومن ثم فان الانتماء الى الجماعة يقع فى المقام الأول من الأهمية بين مقومات القيادة الاصيلة ، لأنه يصل القائد بقومه برباط نفسى وفكرى وثيق ويجمع بينهما فى سبيل واحد لتحقيق غاية مشتركة .

ولقد اكتمل هذا العنصر القيادى فى القائد الأعظم للأمة الاسلامية ، بحكم المنبت والتنشئة الاجتماعية ، فكان — عليه السلام — أكثر العرب تمثيلا للخصائص العربية فى جوانبها المشرقة ، وأقدرهم على فهم مشاعر قومه وأفكارهم ودوافعهم وأهدافهم .

فلما نزل عليه الوحى كان مهيئا للدعوة معدا وقادرا على النهوض بمسئولياتها ، ولقد اقتضته سعة الرسالة وبعد مراميها أن يعمل — بوحى من الله — على دعم هذا العنصر القيادى وهو الانتماء الى الجماعة وتعميقه وتوسيع آفاقه حتى يخرج لفظ « الجماعة » من معناه الضيق الذى ينصرف الى أقرباء الرسول ، ممن تربطهم به صلة الدم الى معنى أوسع وهو قبيلة قريش بأجمعها ، ثم الى معنى أعم وهو المجتمع العربى فى سائر جوانب الجزيرة العربية ، ثم ينطلق بعد ذلك الى المعنى العام الشامل ، وهو مجتمع العالم القائم حينئذ بأسره ، ثم يستقر أخيرا الى معنى المجتمع البشرى فى كل عصر وكل أوان .

ولكى يرتفع عنصر الانتماء الى مستوى قبيلة قريش بأجمعها ، فلا يقتصر على بيت منها هو بيت عبد المطلب الذى نبع فيه الرسول ، سعى عليه السلام الى توثيق صلاته بسائر بيوت قريش ، وعزز هذه الصلات باختيار بعض زوجاته منها ، حتى تقوم رابطة المصاهرة مقام رابطة الدم والقربى ، وكلتاهما وشيجة قوية من وشائج انتماء القائد الى الجماعة . فكانت الرغبة فى خلق هذه

الآصرة الاجتماعية هي احدى أسباب تعدد أزواج النبى . لقد كان فى حاجة الى انصار يؤمنون بالدعوة من البيوت والقبائل والعشائر جميعهـا ، وليس ثمة وسيلة لتحقيق هذا المطلب أصلح من تعزيز روابط الانتماء بالجميع ، وليس أقوى ولا أبقى من روابط الدم والنسب والمصاهرة فى مجتمع قبلى ، يعتز بالانساب ويقوى بالأصهار ، فكيف اذ كان النسيب أطهر القوم وأجلهم مكانة .

ولقد اشار الى هذا المعنى المرحوم عباس العقاد فى كتابه « عبقرية محمد » اذ يقـول :

« أما سائر زوجاته عليه السلام فما من واحدة منهن — رضى الله عنهن — الا كان **لزواجه بها سبب من المصلحة العامة** أو من المروءة والنخوة » .

ومن الواضح أن الرغبة فى تعزيز الانتماء الى سائر بيوت قريش تدخل فى باب المصلحة العامة . والدليل على ذلك قـول العقاد — رحمه الله — فى السياق ذاته .

« ورملة بنت أبى سفيان تركت أباها لتسـلم وتركت وطنها لتهاجر مع زوجها الى الحبشة ، ثم تنصر زوجها ، وفارقها وهى غريبة هناك بغير عائل . فأرسل النبى الى النجاشى فى طلبها لينقذها من ضياع الغربة وضياع الأهل وضياع القرين . فكانت النجدة الانسانية باعث هذا الزواج ، ولم يكن له باعث من المتعة والاستزادة من النساء ، **وكان للنبى مقصد جليل من وراء هذا الزواج الذى لم يفكر فيه حتى الجأته النجدة الى التفكير فيه ، وهو أن يصل بينه وبين أبى سفيان بآصرة النسب** ، عسى أن يهديه ذلك الى الدين . بما يعطف من قلبه ويرضى من كبريائه » .

ومثلما عزز الرسول انتماءه الى جماعة قريش بالزواج من بعض نسائها . عزز هذه الرابطة ايضا بتزويج بناته من صحابيين جليلين هما على بن أبى طالب وعثمان بن عفان ، لأن توثيق الصلة بهما . أكثر مما كانت ، هو فى نفس الوقت تنمية للعلاقات — الحميدة مـع البيوت العربية الأصيلة وتدعيم للانتمـاء الى الجماعـة .

ولقد اكد المرحوم محمد حسين هيكل أن تقوية انتماء الرسول الى قومـه كانت من مقاصد زواجـه عليه السلام ، بقوله فى الفصل الثامن من كتابـه « حياة محمد » :

« زاد عناد هذه القبائل محمدا عزلة ، كما زاده امعـان قريش فى أذى أصحابه ألما وهما . وانقضى زمن الحداد على خديجة . ففكر فى أن يتزوج ، لعله يجد فى زوجه من العزاء ما كانت خديجـة تأسو به جراحه . على أنـه **رأى أن يزيد الأواصر بينه وبين السابقين الى الاسلام متانة وقربى** فخطب الى أبى بكر ابنته عائشة . ولما — كانت لا تزال طفلة فى السابعة من عمرها عقد عليها ولم يبن بها الا بعد سنتين حين بلغت التاسعة (١) . »

وبقوله فى الحديث عن زواج النبى من حفصة بنت عمر :

« وكذلك كان هؤلاء الأعراب فى فزع من محمد وفى قلق على مصيرهم بعد تزايد بأس المسلمين اثر الهجرة الى المدينة .. وقريش لها سيادة العرب ، وهى لا يمكن أن تنى عن الأخذ بثأرها ... وما كان شىء من هذا ليغيب عن محمد وبعد نظره وسلامة سياسته . فلا بد له اذا من أن يزيد المسلمين به تعلقا وارتباطا . **ومهما يكن الاسلام قد شد من عزائمهم وجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه**

---

(١) يرجح المحققون انها رضى الله عنها كانت حينذاك فوق هذه السن

بعضا ، فان حسن رعايتهم تزيد عزائمهم شدة وتضامنهم قوة . ومن حسن رعايتهم أن يزيد محمد رابطته بهم . لهذا تزوج من حفصة بنت عمر بن الخطاب كما تزوج من عائشة من قبل » .

ونستبين من هذين النصين أن من أولى مقاصد الرسول من الزواج زيادة الأواصر بينه وبين السابقين فى الاسلام متانة وقربى ، وحسن رعاية المسلمين حتى يزيدوا به تعلقا وارتباطا ، وكلا المقصدين يدوران فى الحقيقة حول معنى واحد وهو تعزيز القائد انتماءه الى الجماعة .

ويستطرد المرحوم محمد حسين هيكل فى بيان العلاقة بين زواج الرسول وبين أهداف الدعوة وما تنبىء عنه هذه العلاقة من مقصد تعزيز الانتماء الى الجماعـــة :

« وكما تزوج من حفصة فزاد ابن الخطاب به تعلقا ، زوج ابنته فاطمة من ابن عمه على أشد الناس محبة للنبى واخلاصا له منذ طفولته . ولما كانت رقية ابنته قد اختارها الله الى جواره ، فقد زوج عثمان بن عفان بعدها ابنتـــه أم كلثوم . **وكذلك جمع حوله برابطة المصاهرة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ، وجمع بذلك أربعة من أقوى المسلمين الذين** كانوا معه ، بل أقواهم ان شئت . **بهـذا كفل للمسلمين مزيدا من القوة** ، كما كفل لهم بما غنموا فى مغازيهم اقداما على الحرب يجمع فيها الرجل بين الجهاد فى سبيل الله والمغنم من المشركين » .

فالانتماء الى الجماعة اذا مقوم أساسى من مقومات القائد . لأن القربى والمصاهرة وما اليها من أسباب التقارب والوحدة تكفل للجماعة مزيدا من القوة قوة معنوية لا تقل عن القوة التى يكفلها الانتصار فى الحرب وحيازة المغانـــم . وبغير هذه القوة لن يستطيع القائد أن يشق طريق النجاح فى مسيرة تضم كل أعضاء الجماعة ، ومن ثم فان الانتماء هو احدى الدعائم التى تقوم عليها القيادة الحقة .

ومن الأمثلة الدالة على أهمية انتماء القائد الى الجماعة زواج الرسول مـــن ميمونة أخت أم الفضل زوج العباس ابن عبد المطلب عم النبى ، وخالة خالد بن الوليد . فقد رأت ما رأت من أمر المسلمين فى عمرة القضاء فهوت الى الاسلام نفسها ، فخاطب العباس ابن أخيه فى أمرها ، وعرض عليه أن يتزوجها ، وكان موكلا عنها بذلك وقبل الرسول . وكانت ثلاثة الأيام التى نص عهد الحديبية عليها قد انقضت ، ولكنه عليه السلام **أراد أن يتخذ من زواجه ميمونة وسيلة لزيادة فى التفاهم بينه وبين قريش** . فلما جاءه ســـهيل بن عمرو وحويطب بن عبـــد الفرس من قبل قريش يقولون لمحمد : « انه قد انقضى أجلك فاخرج عنا » قال لهم : « ما عليكم لو تركتمـــونى فاعرست بيـــن أظهركم وصنعنـــا لكم طعامـــا فحضرتموه » .

وتتسع دائرة انتماء القائد الأعظم الى الأمة العربيـــة حتى تشمل يهـــود خيبر وسائر اليهود ، بوصفهم من أهل شبه الجزيرة الذين بعث الرسول لهدايتهم الى الدين الحق ، مهما أبدوا من عداوة ، فيتزوج الرسول من احدى نسائهـــم وهى صفية ابنة حيى بن أخطب النضيرية ، وكانت احدى السبايا اللآتى أخـــذ المسلمون من حصون خيبر ، وقد قيل للنبى فى شأنها : « صفية سيـــدة بنى قريظة والنضير لا تصلح الا لك » فاعتقها وتزوجها . ويعلق على ذلك الأستاذ محمد حسين هيكل ــ رحمه الله ــ بقوله : « ان هذا الزواج من تقاليد العظماء الفاتحين الذين كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التى يفتحونها ليخففوا من مصابهم ويحفظوا من كرامتهم » . ونحن نضيف الى هذا الغرض غرضا آخر لا

يقل عنه وضوحا وهو توثيق الصلات وتدعيم الانتماء توحيدا للصف وتحقيقا للهدف . غير أن اليهود خانوا عهدهم مع الرسول وخرجوا بذلك على الأمة الاسلامية فكانوا من أعدائها .

ويطرد اتساع دائرة الانتماء حتى تتجاوز الجزيرة العربية الى ما حولها من البلاد ، **فيتخذ النبى من جارية مصرية أم ولد له وهى مارية القبطية** التى بعثها المقوقس عظيم القبط فى مصر مع هدايا أخرى الى الرسول ، ردا على الرسالة التى بعثها اليه يدعوه فيها الى الاسلام فتلد له ابراهيم الذى فرح الرسول بميلاده وحزن كثيرا لوفاته . **ومن الواضح أن هذا يمثل مصاهرة بين النبى وبين أهل مصر** ، ولهذا جاء فى الأثر استوصوا بأهل مصر خيرا فان لهم ذمة ورحما تلك المصاهرة التى تعد احدى الوسائل الهامة لتحقيق رابطة الانتماء . ولقد أثبت التاريخ ذلك التأييد المعنوى الذى أبداه المصريون للمسلمين الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص ، والذى كان من عوامل انتصارهم . ولسنا نعدو الحقيقة اذا قررنا أن تلك المصاهرة كانت من أسباب هذا التأييد ، لأن المصريين الذى عانوا طويلا من عبودية الرومان وجدوا فى المسلمين الذين يحملون — رسالة الحرية والعدل والرحمة — عونا لهم على التخلص من جور الرومان الدخلاء ، ولم يجدوا فيهم غزاة من الأجانب لأن العرب والمصريين القدماء ينحدرون من جنس واحد ، وقد جدد هذه القربى وعمقها فى نفوسهم رابطة المصاهرة بينهم وبين النبى العربى ، فكانوا عونا على دخول الاسلام وانتشاره فى بلادهم .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المقام الى أن توثيق الانتماء الى الجماعة لم يكن المقصد الوحيد من تعدد زوجات الرسول ، ولا كان المقصد الأساسى فى جميع الأحوال اذ كان اختيار الرسول لزوجاته على حسب حاجتهن الى الايواء الشريف وعلى حسب المصلحة الكبرى التى تقضى باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه على السواء . بيد أننا اذا تعمقنا دراسة الحالات التى كانت الرحمة والمروءة والنخوة هى الدوافع الأساسية لها ، وجدنا أن توثيق الانتماء يقف كعامل غير مباشر خلف هذه الحالات ، وبخاصة اذا لاحظنا أن هذه الدوافع تحقق انتماء روحيا عميقا بأعضاء الجماعة سواء الأقربين منهم الى الأصهار أو البعيدين منهم ، لأن الحاجة الى التأليف أو الرعاية وتبادل العطف والمودة هى حاجة انسانية أساسية لا تقتصر على القريب دون البعيد بل هى مشاع بين الأسرة الانسانية جميعها ، ولا شك أن التآلف والرعاية هى القاعدة التى تقوم عليها رابطة الانتماء الى الجماعة .

وتتزايد حلقات الدائرة — دائرة الانتماء — حتى تضم الصعيد الانسانى كله لتجمع بين القاصى والدانى والأبيض والأسود والغنى والفقير على قاعدة الاخاء والمساواة . وان لم تتوافر وشائج انتماء القائد الأعظم المبعوث من عند الله الى الناس كافة عن طريق الدم والمصاهرة لاستحالة هذا الأمر ، فليكن مد اليد اليهم حيثما يوجدون بالسلام ومناشدة التعاون فى سبيل نصرة المظلوم ، وارساء القيم الفاضلة والمبادىء القويمة ، بديلا من هذه الوشائج ، بديلا معنويا لا يقل عنها قوة واصالة ان لم يزد عليها . بديلا لا غنى عنه ولا يقوم مقامه مثيل فى سبيل انجاز أهداف الرسالة الاسلامية وهى رسالة عالمية بطبيعتها وأهدافها .

ذلك هو التفسير المنطقى للحكمة التى كان يستهدفها النبى من وصاياه الى جنده وولاته على الأقاليم والأمصار التى فتحوها ، وصايا بحسن المعاملة

والتمسك بالمثل العليا فيما يصدر عنهم نحو أبناء هذه البلاد من أقوال وأفعال . وكان يضرب لهم المثل على ذلك بسلوكه مع الناس ، فهو الكريم السمح العافى عند المقدرة مما زاد المسلمين به تعلقا ، ويرون فيه الى جانب ذلك أبا لهم جميعا. وليس أقوى ولا أوثق من هذه الأبوة الروحية فى التمكن لرابطة انتماء القائد الى الجماعة فكان للحكام المسلمين فى رسول الله أسوة حسنة ، وليذكروا نصائحه وتعاليمه ، وهم يتعاملون مع أهل البلاد المفتوحة حتى تضيق مسافات الخلف بينهم وتقوم مقامها وشائج الانتماء بالمشاعر الودية والتجاوب الصادق والعمل المشترك فى سبيل تحقيق أهداف سليمة يلتقى عليها الجميع حكاما ومحكومين .

ولقد أثمرت هذه التعاليم الرشيدة فى نفوس المسلمين ، وأدرك أولو الأمر من صحابة الرسول ما تنطوى عليه من حكمة سامية . فسعوا الى توثيق رابطة الانتماء بينهم وبين سائر المسلمين فى الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها ، ثم سعى من شغل منهم وظائف القيادة والحكم الى خلق هذه الرابطة بينهم وبين الشعوب المجاورة التى تحققلهم النصر على حكامها المستبدين المستغلين ، فدانت لهم تلك الشعوب بالولاء والطاعة واستجابوا لمبادىء دعوتهم — وعملوا معهم جنبا الى جنب لارساء قواعدها وتدعيم بنيانها .

ولقد اقتدى القادة والحكام المسلمون بنبيهم فى خلق أواصر الانتماء بالجماعات التى تختلف فيما بينها سلالة ولغة وعادات وتقاليد ونظما اجتماعية وسياسية وتتفق فى انطوائها جميعا تحت راية الدين الجديد . فكانت وسيلتهم لتحقيق هذا المقصد هى نفس الوسيلة التى اتبعها الرسول ونعنى بها المصاهرة والمعاملة الحسنة بوصفها أداة — لخلق الانتماء الروحى اذا لم تتيسر السبل الى المصاهرة ، وأداة لتعزيز الانتماء عن طريق النسب اذا توافرت هذه — الرابطة .

ومن ثم فقد اختلط المسلمون بأبناء البلاد التى دخلوها اختلاطا يقوم على المودة والتراحم والعدالة وتبادل المنافع المشتركة والتعاون فى سبيل المصلحة العامة . وأدى ذلك كله الى عقد أواصر المصاهرة بين كثير من الجنود المسلمين وأهل تلك البلاد ، مما أنشأ ووثق روابط الانتماء بين الجانبين ، وأزال من نفوس المحكومين عقدة كراهية الحاكم ومقاومته بشتى وسائل المقاومة ، ذلك لأن العرب الفاتحين أصبحوا أخوة لهم بالمصاهرة والمعاملة الكريمة . وكان من نتائج هذا كله أن تحققت الوحدة القومية فى العالم الاسلامى ، فأصبح العرب وأهل الأقاليم التى دخلوها يكونون أمة واحدة ، تظلها راية العقيدة الاسلامية ، وتقويها وشائج الانتماء بمختلف صورها . واندثرت القيم والعقائد القديمة البالية ، واحتلت مكانها قيم المجتمع الاسلامى الجديد ، بل لقد اندثرت لغات كثير من هذه البلاد وحلت محلها اللغة العربية وهى لغة القرآن ، وأصبح لا فرق بين عربى وأعجمى الا بالتقوى .

ونخلص مما تقدم الى أن الانتماء الى الجماعة من أهم مقومات القيادة فى الاسلام ، اذ كان عاملا أساسيا فى نجاح القادة فى تحقيق أهداف العقيدة الاسلامية . فلقد شعرت القاعدة المحكومة أن القيادة منبثقة منها ، وليست مفروضة عليها ، فتجاوبت معها نفسيا وفكريا واجتماعيا ، وارتفعت معنوياتها ، فتسابقت الى التعاون مع القادة والبذل والتضحية فى سبيل التمكين للعقيدة ، ورفع ألوية الحضارة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وارتياد آفاق جديدة لم يسبق اليها أحد فى تاريخ البشرية .

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

لا يا اخوانى :

حين اجتاحت العاصفة البلاد العربية بما صحبها من مطر وبـــرد أصاب اخواننا النازحين ما أصابهم ، وعانوا فوق ما يعانونه فى هذا الشتاء القارس .. وعلق مسئول كبير على هذا تعليقا طيبا قال فيـــه : لعل فى هذا ما يهـــز الضمير العالمى نحو مشكلتهم ..

ونحن وكل انسان يرجو معه أن يهتز الضـــــمير العالمى ويتحرك نحو هؤلاء ، ونحو المشكلـــة كلهـــا التى تمثل انهيـــــار العدل أمام ضربات القوى الغاشمــــة ..

ومع ذلك فقد وجدتنى أقـــول : والضمير العربى .. أيضا .. والشهامة الاســـلامية العربية التى تجعلنا نتناسى كل شىء من أجل هؤلاء ، بل من أجل عزتنا وكرامتنا وتاريخنا ..

لقد قرأت ـــ مع الأسف الشديد ـــ أن بعض الذين فقـــدوا هذا الضمير انتهزوا فرصـــة ما فعلته العواصف والبرد بالنازحين ، فباعوا لهم البطاطين والطعام بأثمان مرتفعة تفوق أثمانها المعتادة !!

صورة جانبية .. ولكنها تمثل ـــ ان صحت ـــ مدى ما وصل اليه الضمير الاسلامى عند بعض العرب !!

وفى أيام النكسة ، وما حل بالضفة الغربية ، سمعت أحد الفلسطينيين يعلق على هذه الحوادث وكأنه يشمت فى أهلها .. فدهشت مما يقول .. فقال : لا تلمنى .. فقد صادفنا حين أرغمنا على ترك بيوتنا ، ولجأنا اليهم مالا تتصوره .. كانوا يعاملوننا بقسوة واهانة . لم يرحموا حالنا ، ولم يحسنوا لقاءنا حتى ترك ذلك فى نفســى ـــ مع الأسف ـــ ما تسمع آثاره الآن منى .. بعد مرور عشرين سنة . ولكنى هونت عليه الأمر بأن ما رآه قـــد يكون حادثا فرديا ، بجانب الصور اللامعة الطيبة لكثيرين كان لهم ضمير ، وفيهم مروءة ..

والآن .. تعود الى ذهنى هذه الصورة القاتمة ، وانا اقرأ حالة مشابهة لما شكى منه الأخ الفلسطينى من قبل .. واسمع كذلك حالات مشابهة فى بلاد أخرى ، يتجرد فيها بعض الناس من مروءتهم وشهامتهم وضميرهم ، ويستغلون ما حل باخوانهم !! كأنهم الغربـــان تتجمع لتعيش علـــى ضـــــحايا الكوارث والنكبـــات !!

لا .. يا اخوانى .. لا الاسلام ، ولا المروءة ، ولا الشهامة ، ولا الضمير ، ولا مصلحتكم الدائمة الباقية ، ترضى بما تفعلون .. ولقد هب اخوانكم من كل مكان ، فتبرعوا لهؤلاء النازحين بما يقيهم شر هذه الظروف .. فلا تكونوا ـــ

وانتم الأهل والجيران — أقل تقديرا لظروف هؤلاء فى أى مكان يضمهم معكم ..
واللــه مع الجميع ..

شباك التذاكر أم الأخلاق ؟

هل تجد غرابة فى أن أحدثك هنا عن الأفلام والسينما والتمثيليات ؟
لا .. لا تستغرب فالأفلام والتمثيليات أصبح لها دورها الفعال فى التأثير على العقول والأفكار ، وعلى توجيه الشبان والشابات بخاصة .. الى حــد يمكن أن نعتبر معه دور السينما والمسارح من أقوى المدارس الفكرية والخلقية .. القادرة علــى التوجيه ، ذات اليمين ، وذات الشمال ، وعلى تحويل الأفكار والاتجاهات وصبغها بصبغة خيرة أو شريرة .. فهى مدارس مرغوب فيها ، يندفع كل انسان اليها ، ويدفع نقودا نظير قضاء ساعات فيها .. ومن هنا تكون قوة فعاليتها وتأثيرها وتوجيهها .

ولقد لعبت اسرائيل والصهيونية دورا خطيرا لصالحها ضد العرب عــن طريق الأفلام التاريخية وغير التاريخية ، واستطاعت أن تؤثر على الرأى العام عن هذا الطريق ، بجوار ما لها من طرق أخرى .. ومن هنا كان من الممــكن لأية أمة لها هدف ترمى اليه ، وخطط محكمة للوصول الى هذا الهدف أن تستغل السينما والمسرح لتحقيق ما تريد ..

ان الأفلام تســتطيع أن تؤدى من التأثير والتوجيه ما لا تؤديه الخطب الرنانة أو المقالات المسهبة .. ولا سيما بعد اشتراك التلفزيون فى عرضها ، واجتماع كل أسرة حوله .. ولهــذا كان من الواجب على كل أمة ألا تغفل عن الأفــلام : موضوعا واخراجا ، حتى يأتى ذلك كله محققا للغاية التى تتفق مع صالح هذه الأمة . فلا يعرض على أبنائهــا ما يتعارض واهدافهــا ، أو يهدم مخططها . أو يعرقل مسيرتها .

كل أمة تستطيع ذلك سواء أكانت هى التى تتولى الانفاق على هذه الأفلام أو كانت فقط تشرف على عرضها ، وتتحكم فيما يعرض وما لا يعرض منها .
واذا كانت كل دولة تهتم اهتماما خاصا بالمادة الدراسية التى تقدم لطلابها ، بحيث لا يكون فيها ما يتعارض — وتقاليدها وأهدافها ، أو ما يقلل من شأن الغايات التى تعمل لها .. وتجتهد فى أن تكون قاعــة الدرس بيئة صالحــة للتوجيه الصالح حرصا على أبنائها من الانحراف ..
فان السينما — وهى أقوى تأثيرا على النفوس من قاعة الدرس — يجب أن تعطى من العناية ما يتناسب وقوة تأثيرها وتوجيهها .. ســـواء فى ذلك موضوع القصة أو تمثيلها أو عرضها ..

ونحن لا نريد بذلك أن يكون الفيلم درسا جافا فى الوعظ ، ولكنا نريد ان يكون حتى للتمثيل الفكاهى غاية نبيلة ، وألا يكون فى الحوار أو الأداء ما يخدش تقاليدنا أو مثلنا وقيمنا ..

قد يقال : لا بد فى الفيلم أحيانا من أشياء مخالفة للآداب وللذوق ، وذلك حسب الموضوع الذى يعالجه ، وأنا لا أمانع فى هذا اذا كان الغرض من عرضها اظهار النهاية الأليمة لكل من يسلك مثل هذا السلوك ، على الا يكون هنــاك اسراف فى مثل هذه المظاهر المخلــة بقصـــد اثارة الجنس ، وجر المراهقين والمراهقات الى شباك التذاكر .

اننا نرى فى الأفلام أحيانا هزؤا وسخرية من لغتنا العربية !! لا لشىء الا لمجرد اثارة الضحك !! ونرى كذلك مظاهر من شأنها اثارة الاستهزاء والسخرية بالدين ومن يمثلونه !!
وهــذا لا يتفق أبدا مع المفروض فينا من عنايــة واعتزاز بديننا ولغتنــا لقوميتـــة ..

ونرى فى بعض الأفلام اثارة متعمدة ومتكررة للجنس ، دون أن تكون هناك نهاية سيئة للذين يسلكون فى حياتهم مثل هذا السلوك . كأن المقصود فقط هو اثارة غرائز المشاهدين والمشاهدات !!

وهذا اذا كان محتملا فى أمة بلغت شأوها من النهضة والتقدم — مع خطره عليها — فانه لا يحتمل ، ولا يجوز أبدا فى أمة تقارع أعداءها . وتخطو من كبوتها ، تحاول النهوض من عثرتها .

تقول ما الذى جعلك تختار هذا الموضوع ؟

وأقول لك : لقد لفت نظرى حوار صحفى دار حول فيلم من الأفلام الحديثة قال عنه النقاد ان مخرجه تعمد أن يسلط كل الأضواء على ممثلة جميلة تتكسر وتتثنى ، وتغرى ، وتبالغ فى اثارة الجنس ، مهملا جوانب أخرى فى القصة : وطنية وقومية جادة .. حتى قال النقاد عن هذا الفيلم ان الاسم المناسب له هو (قصر الجنس) !! وهو فيلم تحتضنه وتنفق عليه مؤسسة حكومية ، وهذا هو الغريب !!

والأغرب منه أن يتجه النقاد للمخرج فيسألوه : ولم هذه الاثارة ؟ فيقول : اننى اهتم بشباك التذاكر أكثر مما اهتم بشىء آخر !! يعنى أنه يهتم بدخل الفيلم ، وتزاحم الناس على الشباك أكثر من عنايته بالهدف النبيل !!

ومن أجل هذا عمد الى الاثارة الجنسية التى تغرى بالاقبال على مشاهدة الفيلم ، وكأنه لا هدف الا التجارة والمكسب من أى طريق !!

والجمهور ؟ والقيم ؟ .. والظروف الحرجة التى نجتازها ؟ كل ذلك ليس فى الدرجة الأولى عنده ، ولا عند الذين أجازوا عرض الفيلم بعد ما توقف رقيب الأفلام فى عرضه !

جيشنا الذى نبنيه الآن من شبابنا ؟ العدو الرابض على قلبنا ؟ روح التماسك والفداء والتضحية التى نعمل على تقويتها فى أبنائنا وبناتنا ؟ كل ذلك لا اعتبار له أمام شباك التذاكر !

هل هذا كلام ؟ هل هذه خطة ؟

كيف نترك المخرج وهواه يختار الطريقة التى يريدها دون رعاية لحالة الأمة وموقفها ولا سيما اذا كان يعمل فى مؤسسة حكومية ؟!!

اقرأ معى ما يقوله الناقد « وهدف « فلان » المخرج من قديم : الشباك والجنس !! وقد نجح فى هذا الهدف .. وقتل جانبا هاما رائعا من رواية (فلان) أهمل مصر سياسيا وصراعا وأحزابا . وركز عدسة الكاميرا خلال الفيلم كله على جسد الممثلة (....) !! حتى أصبح من الأوفق أن يطلق عليه اسم « قصر الجنس » .. والأمر لله » !!!

ويتوقف الرقيب ، وتأتى لجنة فتعيب عليه توقفه ، وتسفه رأيه ! ويعرض الفيلم !! ويتزاحم المراهقون والمراهقات والرجال والنساء على شباك التذاكر ، ليرووا ظمأهم من الجنس .. وجنودنا البواسل يعيشون على الحدود فى الخنادق وأيديهم على المدافع أمام عدو كاسر غادر !!

ويلف هذا الفيلم العالم العربى كله .. ويفعل فعله فى النفوس فى هذا الوقت الحرج !!

وهل فى ذلك من بأس ما دام المهم هو شباك التذاكر ؟!!

نعم ولتمرغ سمعة الأمة فى الوحل ، وليهدم من معنوياتها ما يرجوه العدو الرابض على قلبها !

ومع ذلك فنحن نجتهد ونعمل لازالة آثار العدوان !!!

والمجلات :

واطلع على مجلة يأتى بها أحد القراء الى ، ونطاق توزيعها ــ بحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ــ ضيق ، لكنها على أية حال مجلة تطبع ليقرأها الناس هنا ، فأجد فى بعض الكلمات والتعليقات نقدا لبعض الخطباء لأنهم ينمقون عباراتهم ! ونقدا لمناهج التربية الدينية للصغار لأنها تذكر لهم آيات النار ! وقلت : مهما تكن درجة هذا النقد من صحة فان كاتبه يبدو أنه معنى بالتوجيه الدينى ، حريص عليه ، وعلى استفادة الجمهور والمتعلمين منه .. وهذا اتجاه من المجلة محمود على أية حال . لأنه يدل على وعى بالأحداث وبطريقة من طرق العلاج ..

ولكن بعد أن قلبت صفحات المجلة وجدت صورا لراقصة بيروتية شبه عارية فى أوضاع مختلفة ومثيرة .. ووجدت حديثا صحفيا معها ــ أى والله ــ حديثا فى كل شىء ، حتى عن قضية فلسطين !! التى يجب أن يتبناها الرقص أيضا » !!

وما لنا هنا ولراقصة فى بيروت تقول عن المينى جوب : « انه كله حشمة » !! طبعا حشمة .. اليست راقصة تظهر للناس وليس عليها الا ورقة التوت .. كما يقولون !!

ما لقراء المجلة هنا ولهذه الراقصة ؟ دعاية لها .. والصيف مقبل ؟ أم ماذا ؟

وهل يتفق هذا مع العناية التى اظهرتها المجلة بالخطب والبرامج الدينية ؟

شىء يحير !!

ويظهر أننا نسينا ما نحن فيه أو ربما استمرأناه !! من يدرى ؟ فنحن شعب يقال عنه انه سريع النسيان ! ولكن هل ينسى العذاب وهو فيه ؟!

ما معنى أن نجد بعض صحفنا العربية ترجع الى التوافه والسقطات التى كانت تزاولها من قبل ، كأنها تعيش الآن فى رخاء ، وتكتب لشعب غير منكوب ؟! .. ما للقراء ولكلير بباوى المتهمة بالقتل ، حتى تشغل بصورها وقصتها مع عشيقها أو صديقها أو زوجها صفحات من صحيفة كبيرة توزع على نطاق العالم العربى كله ولعدة أيام ؟!! فى الوقت الذى نرى هذه الصحيفة تهتم بالتربية الروحية ، وتكتب عنها ، وتدعو اليها ، فنفرح بها وباتجاهها وننقل عنها بعض ما كتب فيها !!

بماذا تفسر هذا كله ؟

لا تفسير له عندى الا أنه لا يوجد لدينا تخطيط نلتزم به جميعا من أجل عودة الروح الى هذه الأمة المعذبة التائهة !!

ولكن .. الى متى ؟

أرض البطولات هنا وهناك

تهتز قلوبنا لأرض البطولات فى فيتنام ، وتشتاق لأن يستعيد الفلسطينيون ذكرى أرضهم أرض البطولات القديمة .. ويجددون لهذه الأرض شبابها ، ويروون بدمائهم نبتها ، ويهزون قلوب العالم ببطولاتهم من أجلها .

نعم .. ولم لا يكون ؟ كانوا مسلمين ونحن مسلمون .. كانوا يدافعون عن عقيدة وأرض ، ونحن ندافع عن عقيدة وأرض ، والعقيدة واحدة والأرض

واحدة .. فلم لا يكون ؟ ..

وأرض البطولات فى فيتنام .. لم لا تكون فلسطين زميلة لها الآن أرض البطولات كذلك ؟

أليس هناك شعب وهنا شعب . وهناك أناس يدافعون عن حقهم ، وهنا أناس يدافعون عن حقهم ؟ ..

هناك يردون الاعتداء وهنا يرفضون الاعتداء .. هناك يطلب منهم أن يسكتوا ويستجيبوا للسلم والمفاوضة وهم فى وطنهم ، فيأبون الا أن يرحل الغرباء عن أرض الشرق كلها .. وهنا طرد الأهل وعذبوا ..

فلم لا يكون الذين هنا كرماء على أنفسهم ، أشداء على أعدائهم ؟ ..

لقد اقتحم الفيتناميون دار السفارة الامريكية فى « سايجون » العاصمة واحتلوها وقاتلوا بشراسة من داخلها وطردوا حراسها .. هل نكون أقل منهم ونحن نؤمن بالله وبثواب الشهداء عنده ؟

نعم لقد فتح باب الخلود لهذا الشعب المطرود المعذب .. فمن يتأخر ؟

لقد قلت من قبل لكم : الأرض أرضكم ، والشرف شرفكم ، ولا يحس أحد ما تحسونه من ذكريات مرة ، وواقع أشد مرارة .. فمن يكون مثلكم حماساً واقبالا على القتال والاستشهاد ؟

وأقول لكم : لم تعد الدنيا تنصت كثيرا للكلام ولكنها تصغى تماما لدوى القنابل ، وزمجرة المدافع .. وقد تعلقت القلوب وأرهفت الآذان الآن مع كل اذاعة وصحيفة تنتظر أخباركم أيها الفدائيون ، وتعلقت الآمال بخطواتكم وأنفاسكم .. حولتم كل الأنظار اليكم .. تطلب المزيد من بطولاتكم وتشد من أزركم .. وترفض رائحة الخلاف حولكم ..

وأنت أيها الشباب الفلسطينى الذى لا زلت بعيدا عن أرضك .. طالما أكثرت من الكلام والجدل وبعثرة الآمال هنا وهناك .. الآن لا مجال للكلام ولا للجدل ولا داعى لانتظار المائدة تقدم اليك ..

هذا هو طريقك الى أرضك ووطنك وشرفك . طريق البطولة . طريق الجنة قد فتح فلم الانتظار طويلا ؟

اخوانك هناك فلم تقعد أنت هنا ؟ شرفك هناك فلا تبحث عنه هنا .. مجدك هناك على أرضك ، وعبثا تحاول أن تجده فى أى مكان آخر . انه هناك .. هناك فى انتظارك فلا تغب عنه طويلا ..

ان الموتة الطبيعية لكم هناك على ثرى الأرض الحبيبة شهداء ..

قال لى :

قال لى : ما رأيك فيما تسمعه من أخبار فيتنام الرائعة وما أعلنه قائد أمريكى من أن هجوم الفيتناميين يتسم بطابع الاستهانة بالحياة .

قلت : هم قوم يطلبون الحياة .

قال : كيف ؟

قلت : ألم تقرأ : اطلبوا الموت توهب لكم الحياة ؟ أليست هذه حقيقة ؟

قال : بلى ، ولكن ، ماذا عنا ؟

قلت : لقد فضحنا هؤلاء بشجاعتهم هناك ، بينما نحن نبكى هنا !!

المسلمون في اليابان

أول مسجد وأول مسلم

يترجم القرآن في صومعة راهب بوذي

الأستاذ محمد صلاح الدين الحسيني

— اليابان —

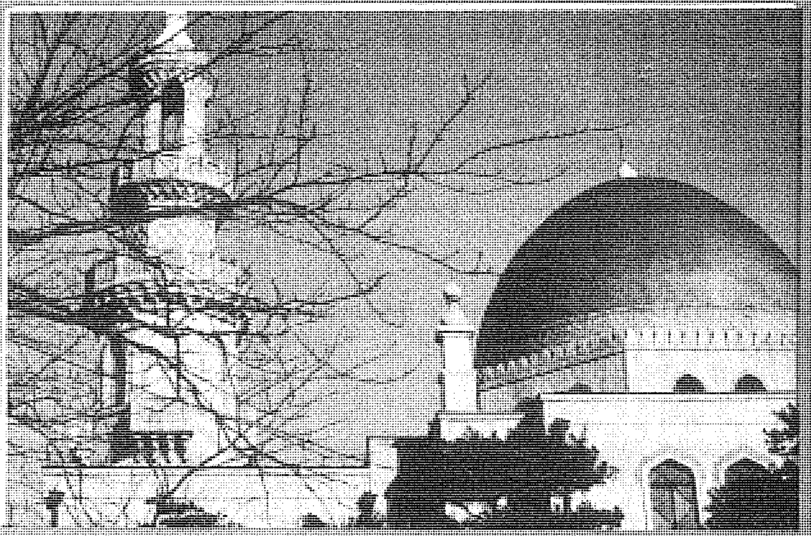
مسجد طوكيو

منذ ثلاثين عاما ، عندما تم انشاء مسجد طوكيو ، لم يعرف من اليابانين سوى مسلم يابانى واحد ، على أنه كان فى اليابان مسلمون .. كانوا طائفة من مسلمى تركستان الذين هاجروا من ديارهم ، فرارا بدينهم من اضطهاد الشيوعية ، وتفرقوا فى الأمصار ، حيث حطت فئة منهم رحالها فى عاصمة اليابان .

ومرت سنوات والجالية التركستانية الاسلامية تحاول أن تلتقط أنفاسها ، وتترقب أن تصلح أحوالها ، وأن تعود المياه الى مجاريها ، فيعود المشردون الى بلادهم . .ولكن تأخرت الآمال وهم يقيمون صلواتهم فى منازلهم الصغيرة ، حتى استقر رأيهم على بناء مسجد لهم . فلما أخذوا يجمعون الأموال للمشروع ، اتصل النبأ بمسامع مضيفيهم اليابانيين ، وسرعان ما انهالت عليهم التبرعات والمساعدات من أفراد وشركات ومؤسسات .. حتى قام مسجد طوكيو فى أوائل عام ١٩٣٨ م زاهيا بهيا .

أول مسلم

فى ذلك الحين كان هناك من اليابانيين باحثون ودارسون للاسلام ، فقد كانت الامبراطورية اليابانية فى أوج عهدها الذهبى الملىء بالطموح والآمال ،



وخاصة بالنسبة لعلاقاتها مع الشرق الاسلامى . على أنه لم يعتنق الاسلام من اليابانيين وقتئذ سوى (عمر ياماوكا) الذى كان أول يابانى مسلم ، وأول يابانى حج الى بيت الله الحرام ..

كان ياماوكا من أوائل الذين التحقوا بجامعة الدراسات الأجنبية اليابانية غداة افتتاحها ، وأهلته دراسته للغة العربية ، ولتاريخ الاسلام الى مزيد من البحث والتفقه ، مما ملأه اعجابا بهذا الدين ، فاعتنقه باخلاص وحماس ، وكرس حياته للتأليف والكتابة عن الاسلام والدعوة اليه ، حتى وافاه الأجل منذ سنوات قليلة .

وكان انفكاك اليابان من عزلتها فى مطلع القرن العشرين ، وانطلاقها الى العالم المحيط بها — وخاصة فى آسيا — فرصة لكثير من الشباب اليابانى للاحتكاك بالاسلام ، والاطلاع على طراز جديد من طرز الحياة لم يألفوه . فهذا الشاب اليابانى (ميتا) خرج من جزيرته الى الصين ، منذ خمسين سنة ، طلبا للرزق والتجارة ، حتى حط رحاله فى مقاطعة هونان الصينية ، وكغريب فقير يبحث عن ملجأ ، وجد الأبواب موصدة أمامه ، حتى اذا مر أمام دار كبيرة فخمة ، مفتحة الأبواب ، دخلها فوجد الترحيب والاكرام والعناية ، فلما سأل دار من هذه ؟ قيل له هى المسجد بيت الله مفتوح لكل قاصد . ومن هنا سمع الشاب اليابانى (ميتا) اسم الاسلام لأول مرة ، وكانت الصدفة وحدها هى التى أتاحت له التعرف الى مقاصد الاسلام وسماحته ومزاياه .

واليوم ، فى صومعة أثرية قديمة ، من بقايا المعابد البوذية ، قائمة فى أطراف طوكيو ، يقبع شيخ نحيل ، طاعن فى السن ، على حصير ، أمام منضدة عتيقة منخفضة ، ، تكاد تكون هى كل ما فى الصومعة .. وامامه أكوام من الكتب والأوراق ، لا يرفع رأسه عنها الا اذا كررت ابنته عليه النداء ، لينهض الى طعام أو شراب ، فلا يأخذ منه كسرة أو رشفة ، حتى ينتفض عائدا الى منضدته ، منهمكا فى قراءته وكتابته .

ولو أتيح للداخل الى الصومعة أن يطلع على الكتاب الذى يعلو كل هذه الكتب والأوراق لأخذته الدهشة .. انه القرآن الكريم . وهذا الرجل الطاعن هو الشاب (ميتا) المعروف اليوم باسم الحاج عمر ميتا الذى أنشأ الجمعية الاسلامية اليابانية ، ورأسها فترة ، حاملا لواء الدعوة الى الاسلام بين مواطنيه اليابانيين ، الى أن اعتزل المنصب ، حتى يتفرغ للعمل الذى يقوم به الآن ، وهو ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، ذلك المشروع الذى بذل حياته من أجله ، ويراه حلمه الذى يعيش له ، والخيط الوحيد الذى يمسكه بالحياة .

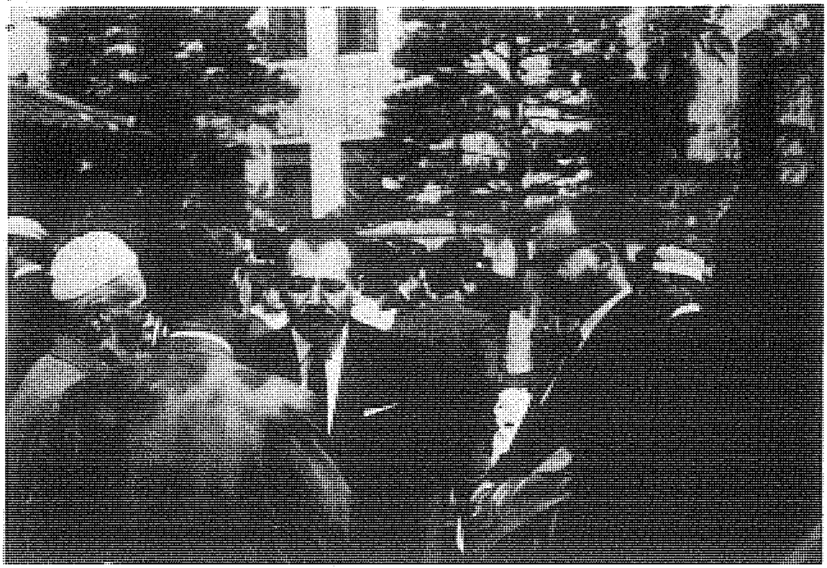
وهو المشروع الذى تقف من ورائه رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة التى تبنت القصد النبيل منه . وترجمة معانى القرآن الكريم التى يضع الشيخ ميتا الآن لمساتها الأخيرة ، يعتبرها الشيخ أجل خدمة يقدمها لأبناء وطنه ، الذى يدرك هو أكثر من غيره حاجتهم الى دين حى يملأ فراغهم الروحى ، ويضيف معنى للانهماك المادى وراء الكسب والمتعة فى حياة الانسان .

والصومعة التى يعيش فيها الشيخ ويعمل ، هى مثال على تسامح اليابانين واعجابهم بالدين الاسلامى ، بالاضافة الى شخصية الشيخ التى اكسبته كل احترام ، ودفعت الراهب البوذى ، متولى تلك الصومعة الى وضعها تحت تصرف الشيخ المسلم ، حتى يساعده على اتمام مشروعه الجليل فى راحة وهدوء .

وزائر مسجد طوكيو يوم الجمعة يلاحظ تعدد جنسيات المصلين واجناسهم والوانهم . واذا لم يكن فى هذا الأمر غرابة على كل جماعة اسلامية ، فأن كثيرين لا يتمالكون من الدهشة عندما يتعرفون بعد الصلاة على كاهن بوذى وزوجته اعتنقا الاسلام وآمنا به أعمق الايمان ، عندما وجدا أنه هو الضالة التى كانا ينشدانها فى محاولاتهما الروحية السابقة .

والطلائع اليابانية الأولى للاسلام تكاد تكون كلها من هذا الطراز . أمثلة على الطريقة التى تعرفوا بها على الاسلام . لم يحمله اليهم احد ، بل هم الذين بحثوا عنه ، ووجدوه أو صادفوه فى تجاربهم ، فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة ومستقرهم الروحى .

فهذا جندى من جنود الغزو اليابانى فى الصين ، وذاك موظف فى ادارة الاحتلال اليابانى فى أندونيسيا ، وثالث دبلوماسى فى مفوضية يابانية فى بلد اسلامى . تعرفوا على الاسلام فى مصادره المتعددة فأضاءت أنواره جوانب



حياتهم ، فحملوا المشعل عائدين به الى بلادهم ، يحاولون أن يضيئوا به قلوبا تبحث عن الهدى والاطمئنان .

واذا كان المسلمون اليابانيون لم يبلغوا كثرة عددية — فهم لا يزيدون على بضع مئات — فأن منهم من ضرب المثل على صدق الايمان والعزيمة الاسلامية .

فهذا الحاج الدكتور عبد الكريم سايتو ، رئيس الجمعية الاسلامية اليابانية والأستاذ فى احدى الجامعات ، أرسل أكبر ولديه لدراسة الاسلام والعربية فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ليعود معلما داعيا لأبناء وطنه ، ولما أوشك الشاب المؤمن الصالح على التخرج ، واقترب موعد العودة اختطفه المنون فى حادثة عجيبة من حوادث القضاء والقدر ، أمام عينى والده الذى أصيب هو نفسه فى الحادث ، ولكن كتب الله له النجاة . ورغم فجيعة الوالد فى ولده لم يمنعه ذلك من الاصرار على ارسال ابنه الثانى الذى صار وحيده ، لدراسة الاسلام فى الجامعة نفسها من جديد .

واليوم ، وبعد مرور ثلاثين سنة على انشاء مسجد طوكيو ، يوشك المسجد الأنيق الجميل أن يحنى ظهره للزمن وتؤثر عليه الأمطار والأعاصير والزلازل ، فتتصدع قبته العالية ، وتسقط جوانب من مئذنته ، وتتسرب مياه الأمطار الى داخله وتنساب الى سجاده ، فتبادر سفارات اسلامية وعربية الى اشعار حكوماتها بهذا الخطر ، وتكون الكويت والمملكة العربية السعودية وأخوات لها أول المبادرين المنجدين بأموال وجهود ، لتبقى معانى التوادد والتراحم الاسلامى حية نابضة لتشعر كل ذى حس بأن الاسلام ما زال كما كان نابضا فى القلوب وسيبقى أبدا رسالة التضامن والحياة ، دين النهوض والخلود .

بوادر تحوّل جديد في الصحافة العربية

رب ضارة نافعة .. ولقد قلنا من قبل : كم فى هذه النكسة من دروس ينبغى أن نعيها تماما ، ولقد تفتحت قلوب المسلمين وعيونهم فى وقت الشدة ، تبحث عن الشيء الذى فقدوه أو كادوا .. وعرفوا وتيقنوا .. ان اختلال القيم الروحية الدينية فى نفوسهم كان من أكبر عوامل الهزيمة .. وبدأ الناس — كل الناس — يتحدثون عن هذا ويتلاومون ويقولون « نسوا الله فنسيهم » ..

ولقد كان هذا الوعى بادرة خير وسط الشرور التى رزئنا بها .. والحق أن كل شيء يهون ويمكن تعويضه الا ضياع الروح .. وفقدان الايمان .. البعد عن الثقة بالله ، والعيش فى رحاب تعاليمه القويمة .. وقد نشط العلماء فى المساجد والنوادى والكتاب الاسلاميون فى كتاباتهم يغذون هذا الوعى ويزيدون من طاقاته .. وربما كان ذلك عند بعض الناس أمرا لا غرابة فيه .. لأن ذلك هو شأن العلماء والكتاب الاسلاميين وهذا واجبهم .. وقد كان يساورنى القلق كلما رأيت الدائرة لا تزال ضيقة ، لأننى كنت أطمع فى أن تتولى الصحف العامة الواسعة الانتشار — والتى لها تأثيرها بذلك على القراء — هـذه المهمة كذلك وتحتضنها كواجب قومى كذلك ، كما كنت أطمع فى أن يخطو المسئولون خطوة توجيهية تتبعها خطوات عملية فى هذا المجال . ليقوى الرأى العام ويستيقظ ، ونسير جميعا فى هذا الاتجاه السليم .

والحق أن الشعوب الاسلامية لها حساسيتها القوية نحـو دينها .. ما يحول بينها وبين ذلك شيء ، وان كان يعطل مسيرتها بعض العوائق التى يضعها بعض الناس الذين لا يهمهمّ الا التشدق بالكلام ، غير فاهمين ولا مدركين لحقيقة النهضة . والا بعض المعطلين الذين يشبهون جمود « الروتين الحكومى » فى قضائه على المصالح ومناقضاته أحيانا للبدهيات من الامور .

ولقد كنت أخشى دائما أن يحدث الانفصام الكامل بين الشعوب الاسلامية وحكوماتها ما لم تتدارك الامر ، وتستمد وحيها فى حكمها من روح شعوبها ..

- اختلال القيم الروحية كان من أكبر عوامل الهزيمة
- ضرورة اعادة النظر في دراسة التربية الدينية في جميع مراحل التعليم
- على الصحفيين والكتاب أن يؤدوا الأمانة التي في أعناقهم

ولهذا كله سرني كثيرا أن تنتقل العناية بهذا الامر الى الصحافة العامة والى المسئولين .. وأجد فى أسبوع واحد وفى صحيفة واحدة « هى صحيفة الاخبار القاهرية » حملة قوية للعناية الحقيقية بالروح الدينية ، وغرسها فى نفوس الشباب .. باعتبار أن ذلك واجب أصيل لا مفر منه فى تربية أمة قوية تستطيع النهوض والوقوف أمام التيارات العنيفة التى تهب عليها تريد اقتلاعها وابتلاعها ..

وكان ما سرنى اكثر ، أن ينزل الى الميدان كاتب مسيحى معروف فيشهر قلمه فى تلك الصحيفة كالجندى الذى يسدد سلاحه ويصرخ « لا بد من الرجوع للدين وتربية الشباب تربية دينية » .

ولا أريد هنا أن أكتفى بهذا التعليق ، بل أرى أن أضع أمامك بعض ما قاله هؤلاء ليرى كل انسان أن الامر جد لا هزل فيه .. ولأدعو بذلك الصحفيين الآخرين فى كل بلد وصحيفة أن يتحملوا مسئوليتهم ، ويؤدوا الامانة التى فى أعناقهم نحو هذه الامة وفى هذه الظروف التى تمر بها ، وكفانا ما مر من ميوعة وانحلال .

تدريس الدين

وقد قدمت جريدة الأخبار القاهرية لهذه الحملة بما يأتى :

ان الوقت المخصص لتدريس مادة الدين فى مدارس المرحلة الاولى والاعدادى والثانوى وما فى مستواها ، يقل عن الوقت المخصص للمواد الاخرى كالالعاب والموسيقى والهوايات وغيرها من المواد الدراسية الاخرى (!!) .

ويقول الذين يقومون بتدريس مادة الدين فى المدارس أنهم لا يجدون الوقت الكافى لتدريس هذه المادة .. فقد خصصت للدين فى المنهج الدراسى حصتان اسبوعيا .. ويجب أن يزيد عدد الدروس ومدتها على ذلك !!

ويضاف الى ذلك أن الطلبة والطالبات يدرسون الدين فى كل السنوات ويؤدون فيه الامتحان فى سنوات النقل فقط ، أما فى الشهادات العامة مثل المرحلة الاولى والاعدادية والثانوية فان الطلبة يدرسون الدين ولا يمتحنون فيه .. بل ان المدرسين فى تلك السنوات ينتهزون فرصة دروس الدين لمراجعة المواد الاخرى المقررة بدلا من حصص الدين !!

وقد اخذ مندوب الصحيفة رأى كثير من كبار المسئولين عن التعليم ، فأجمعوا على ضرورة العناية بالتربية الدينية .. نذكر لك من آراء هؤلاء رأى المسئول الاول عن التربية وهو الوزير الاستاذ عبد العزيز السيد قال :

ان الدين عقيدة وعلم وسلوك ينبع من ضمير الانسان وتساعد على نموه عوامل ثلاثة هى المدرسة والبيت والمجتمع . انى لا أريد تخريج جيل متواكل ، ولا أريد للدين أن يكون مادة تحفيظ يمتحن الطلاب فيها آخر كل عام .. لا أريد أن يكون هم الطلاب الاول والاخير بالنسبة للدين هو زيادة فى عدد الدرجات ومجموعها ، ليمكنهم بعد ذلك الإلتحاق بمدرسة ثانوية أو جامعة . لا أريد ذلك أبدا ، فالدين ليس مادة كالحساب أو الهندسة .. ان الدين أوسع وأعمق من ذلك بكثير ، انه عقيدة وعلم وسلوك .

وقال الوزير — ان العقيدة تنبع من ضمير الانسان ، ولكى نصل الى غرس القيم الروحية وتمكين العقيدة الدينية من نفوس الشباب يجب أن يؤدى كل معلم فى المدرسة واجبه كاملا ، ويجب أن تكون تصرفات المعلم نابعة من الدين ، ومتمشية مع الفضائل التى تدعو اليها جميع الأديان .. ويأتى بعد ذلك دور الاسرة الذى يكمل رسالة المدرسة فى تعليم الدين .

والدين — ليس وسيلة لخلق روح التواكل ، ولكنه يدعو الى العمل والتفكير مع العبادة لا العبادة وحدها ، وقال — ان أول عمل أشجعه وأدعمه هو غرس تعاليم الدين فى النشء وربط الحياة بالدين ..
ان المدرسة يجب أن تكون أول مجتمع يوجه الاشعاع نحو تعاليم الدين وبهذا نخلق القيم الروحية التى تتمشى مع عقيدتنا وتعاليمها السماوية ..

ويأتى بعد ذلك دور الكتاب . فيكتب الاستاذ حامد دنيا الكاتب المعروف فى يومياته فى اليوم نفسه تحت عنوان .

وماذا بعد رمضان ؟!

اتجهنا الى الله كثيرا فى رمضان .. فماذا نحن فاعلون وقد انتهى رمضان .. هل نتوقف ؟ .. هل نتكاسل ؟ .. هل نعود كما كنا قبل رمضان ؟ .. بالطبع لا .. فانتهاء رمضان ليس انتهاء لمشكلتنا .

فقد شهد رمضان هذا العام برنامجا دينيا ضخما .. لم تشهده لياليه منذ بضع سنين . انتشر رجال الدين وكبار المسئولين فى الدولة . وعقدوا ندوات دينية وسياسية للتوعية بالدين والتمسك به وشرح دور المواطن فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها بلادنا .. وذلك بعد أن نادى كل عربى وكل

مسلم فى شتى أنحاء الدنيا ، بعد كارثة النكسة مباشرة .. **بضرورة العودة الى الله والاتجاه الى طريق الدين السليم الذى لا مخرج لنا من محنتنا الا الله ، ولن يتحقق لنا النصر اذا كنا ننساه .**

والحق .. اننا فى مسيس الحاجة الآن الى الاستمرار فى نشر الدعوة والاهتمام بها وتعميقها فى قلوب المواطنين .. **وبلا اجتهاد لن نجد أسمى من دعوة الله ، ولا غير دين الله ما يلتف حوله أبنـــــاء الوطن وهم يدافعون عن مقدساتهم وحرماتهم وحرياتهم وأراضيهم ..**

ونحمد الله أن ديننا يحارب اليأس ، ويدفع الانسان دفعا الى الجهاد فى سبيل دينه وأرضه وعرضه .

وكم نحن فى حاجة الى قلوب المؤمنين لانقاذ هذا الوطن .. فالايمان على مر العصور ـ هو دائما أقوى الاسلحة وأشـــــدها فتكا بالاعداء .. والرجل المؤمن دائما يحمل قلبا أقوى من القنبلة الذرية ، وعندما يحارب يدافع بعناد ، ويهاجم بعزيمة لا يصيبها الوهن ، ولا يتسرب اليها الضـــعف لحظة واحدة . فخلال المعركة المقدسة تكون الجنة هدفه . والنصر هو طريقه اليها .. ومن اجل ذلك فهو يصنع المعجزات .

وكما نحن فى حاجة الى قلوب الرجال المؤمنة . فنحن أيضا فى حاجة الى قلوب النساء المؤمنات . فان الرجل لا يستمد قوته من ذاته فحسب ، ولكنه يستمدها أيضا ممن حوله ، من الذين يؤمنون معه بعدالة قضـــــيته ، فالأم المؤمنة ، والزوجة المؤمنة ، والابنة المؤمنة لا تبكى ورجلها فى الطـــريق الى الجهاد . ولا تجزع بل تسعد وتفرح عندما ينقل اليها خبر استشهاده .. وليس أدل على ذلك من مواقف الشاعرة العربية العظيمة الخنساء كصـــورة وضاءة لسيدات الاسلام المؤمنات بالجهاد والاستشهاد فى سبيل الله .. كلنا نعلم كم بكت الخنساء على أخيها صخر الذى مات فى الجاهلية .. وكم نظمت من ابيات الشعر فى رثائه وكم أصابها الجزع لفراقه ، ولقد نالت شهرتها الكبيرة كشاعرة رثاء . وفاقت جميع الشعراء فى هذا اللون من الشعر أيام الجاهلية .. ولكن الخنساء نفسها عندما دخلت دين الله وأســـلمت وعمر قلبها بالايمان .. تغير حالها .. فلقد اشترك أبناؤها الاربعة فى معركة القادسية التى شنها القائد العربى والصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ضد الفرس .. وكان الفرس والروم وقتئذ هما أقوى دولتين فى العالم ، وكانت قوتهم بالنسبة للعرب ، تماما كقوة أمريكا والاتحاد السوفياتى الآن .. ولكن العرب بايمانهم دحروهم .. ولما عاد المجاهدون الابطال من المعركة المقدسة ، سألت الخنساء أحدهم عن نتيجة المعركة أولا .. ولم تسأله كأم عن مصير أولادها الاربعة .. ولما أخبرها الرجل بالنصر فرحت كثيرا .. ثم لما أنبأها باستشهاد أبنائها الاربعة قالت « الحمد لله الذى شرفنى بهم » .

موقف عجيب من الخنساء ملكة البكاء والنحيب .. تغير مفاجىء .. كيف تبكى أخاها طوال عشرات السنين وتنتحب من أجله ، ثم تعود وتحمد الله أن استشهد لها كل أبنائها الاربعة ؟ .. ما سر ذلك ؟ هل أجريت للخنساء عملية جراحية ؟ .. هل نقل اليها قلب آخر ؟ .. هل تجزع لفراق أخيها ولا تجزع لموت أربعة شبان هم كل أولادها ؟ .. ما هذا السحر الذى غير الخنساء ؟ .. لا شك انه الايمان بالله ..

من أجل هذا .. لا بد أن تظل هذه الندوات السياسية الدينية مستمرة طوال العام وحتى تزول آثار العدوان ، لا بد أن يوضع البرنامج التنفيذى الذى يضمن استمرار هذه الندوات الدينية .. **ولا بد أن نعيد النظر فى دراسة التربية الدينية بجميع مراحل التعليم — والحمد لله أن الدكتور عبد العزيز السيد وزير التربية والتعليم يضع فى هذه الايام أسس دراسة التربية الدينية ، حتى تعرض على مؤتمر التربية والتعليم الثانى .. وبذلك يمكن أن نخلق جيلا قادرا على الجهاد ، جيلا نظيفا جادا فى عمله ، جيلا ينتج ولا يعبث ، جيلا يبنى ولا يخرب جيلا يقدس العمل ويبذل العرق والجهد ليزيد الانتاج . تحقيقا لرسالة ديننا العظيم رسالة الحق والعدل والخير والمساواة .**

قضية هامة

ويأتى بعد ذلك دور الكاتب المعروف أيضا الاستاذ موسى صبرى ، فيشن حملة هو الآخر على الاهمال فى التربية الدينية ويتحدث عن اليهود ، وكيف انبعث كل نشاط لهم من اتجاههم الدينى الذى استحوذ على نفوسهم ، وكيف حققوا ما حققوه لأنهم أثاروا مشاعر مواطنيهم بالفكرة الدينية ، فكان مما قال :

أثارت جريدة (**الجمعة**) فى أول أعدادها التى صدرت مع (الاخبار) يوم الجمعة الماضى .. قضية هامة أرجو أن تستمر مناقشتها يوم الجمعة المقبل .. وما بعده من جمع نظرا لخطورتها .

القضية تتساءل عن تعليم الدين فى المدارس .. ولماذا لا يمتحن فيه الطالب مثل الحساب والجغرافيا واللغات ؟ ..

النتيجة الحتمية لذلك ، هى أن المدرسين يهملون فى تعليم الدين .. كما أن الطلبة لا يهتمون بمادة لا يؤدون فيها امتحانا .. وبذلك أصبح تدريس الدين مجرد مظهر عابر فى حياة أبنائنا .

ومنذ أيام كان معنا فى نادى مؤسسة (أخبار اليوم) الاستاذ أحمد كامل ، أمين منظمة الشباب .. وقال ان دراسات المنظمة لقيادات الشباب لا تشمل فروض الدين ، فهذه مهمة المدارس .. ولكنها تنمى فى قلوب الشباب القيم الروحية والفضائل التى يدعو اليها الدين ..

وصرح الدكتور عبد العزيز السيد وزير التربية لجريدة الجمعة أنه لا يريد للدين أن يكون مادة تحفيظ يمتحن الطلاب فيها آخر كل عام .. ولا يريد أن يكون هم الطلاب الاول والاخير بالنسبة للدين هو زيادة فى عدد الدرجات ومجموعها ليمكنهم بعد ذلك الالتحاق بمدرسة ثانوية أو جامعة . ووزير التربية لا يريد ذلك أبدا .. لأن الدين ليس مادة كالحساب أو الهندسة .. أن الدين أوسع وأعمق من ذلك بكثير .. انه عقيدة وعلم وسلوك .. ولذلك فهو يرى الفائدة فى أن تكون تصرفات العلم نابعة من الدين ومتمشية مع الفضائل التى تدعو اليها جميع الاديان .. ويأتى بعد ذلك دور الاسرة الذى يكمل رسالة المدرسة فى تعليم الدين .

وهذا كلام هام من وزير التربية والتعليم .. جدير بمناقشة طويلة .. خاصة فى هذه المرحلة بالذات ، التى تهددنا فيها دولة قامت على أساس دعوة دينية .. وبررت وجودها على زعم دينى .. وهى تردد أنها تنشىء حضارة عبرية .. الى آخر ما هو معروف للعامة والخاصة .

يجب أن نعترف أن قادة الصهيونية استطاعوا أن يجمعوا المهاجرين من أوروبا ، ويدربوهم فى معسكرات خاصة قبل ترحيلهم الى اسرائيل .

واستطاعوا أن يلهبوا مشاعر مواطنيهم في قيام ما سموه بالوطن القومي .. وتحقيق أطماعهم التوسعية .. وطرد العرب من ديارهم وقيام عصاباتهم التى بدأت بمذبحة دير ياسين المشهورة .. كل هذا حققوه ، لأنهم أثاروا مشاعر مواطنيهم بفكرة دينية .

ولا يعنى هذا أن الفكرة الدينية وحدها هى التى حققت لهم ما أرادوا .. ولكنهم بدأوا منذ اليوم الاول لدعوة الوطن القومى اليهودى ، فى استخدام التطور العلمى والتكنولوجى لخدمة فكرتهم .. ان وايزمان حصل على وعد بلفور بعد أن قدم اختراعا جديدا استخدمته بريطانيا فى الحرب الاولى .. وقد بدأ اليهود فى تثبيت أقدامهم فى فلسطين بالحصول على امتياز مشروعى الكهرباء والبوتاس ، وشغلوا عشرات المصانع الاستهلاكية خلال الحرب الاخيرة للتصدير لجيوش الحلفاء ..

وهكذا فان التجميع الروحى .. سار جنبا الى جنب مع الاعتماد على التطور العلمى والتكنولوجى .. ومهما كان الرأى فيما زعموه . ومهما كان الرأى فى سلوكهم الاجرامى والعنصرى لقيام دولتهم واغتصاب أرضها وحدودها .. فاننا يجب ألا نغفل أن الفكرة الدينية هى التى عاونتهم على تجميع أنفسهم والالتفاف حول شعار دولة اسرائيل الكبرى .. من النيل الى الفرات . أما نحن فمنظمة شبابنا تقول ان تدريس الدين وفرائضه من اختصاص وزارة التربية .. ووزير التربية يقول أنه لا يقبل أن تكون مادة الدين مثل الحساب والهندسة .. ويترك هذه الرسالة للاسرة . هذا كلام يجذب الى حوار طويل ..

واننى لأتساءل .. كيف يمكن الفصل بين تثبيت القيم الروحية التى تدعو اليها الاديان دون دراسة الاديان ، ان النتيجة التى نلحظها الآن أن الشاب المصرى فى المدرسة يعرف من الحساب والهندسة أكثر مما يعرف عن فروض دينه وقيمه وفضائله ، وهنا خسارة ضخمة فهذا المجتمع الذى يأوينا فى حاجة الى طبيب واحد مؤمن برسالته كانسان .. أكثر من عشرة أطباء يجيدون الجراحة وتشخيص الداء .. الطبيب المؤمن .. لا يتردد فى انقاذ مريض مهما كلفه الامر .. والطبيب الشاطر غير المؤمن يمد يده ليقبض قبل أن يسكن آلام ضحيته وأمثلة ذلك تصرخ حولنا ليل نهار .. لا فى الطب .. ولكن فى كل شئون مجتمعنا . وقد فتحت النكسة عيوننا على انحرافات مخجلة ، فى أهم وأخطر أجهزة الدولة ..

ان ملاحقة التطور العلمى التكنولوجى وتعديل برامج التعليم بما يتابع هذا التطور ركن أساسى فى تطورنا .. ولكنه لا يعنى أبدا اغفال الغاية الكاملة بتدريس الدين .. وليس المهم اذن مجرد تدريس الدين كما يقول وزير التربية .. ولكن العلاج لن يكون أبدا بعدم اعتبار الدين مادة يمتحن فيها الطالب .. اننا لا نريد من الدين مجرد الفروض الشكلية أو المظاهر اليومية .. ولكننا نريد أن نربط فى قلوب شبابنا بين فروض الشعائر .. وجوهر هذه الشعائر . وكثير من المدارس الغربية تبدأ يومها بالصلاة .. والجامعات الامريكية التى زرتها وجدت فيها المستشار الدينى المثقف الذى يهتم بسلامة القيم الروحية فى قلوب الطلبة .. والدول الشيوعية التى أنكرت الدين استبدلت الفلسفة المادية الجدلية

(البقية ص ٨٥)



قصّة

هبّي ريح الجنّة

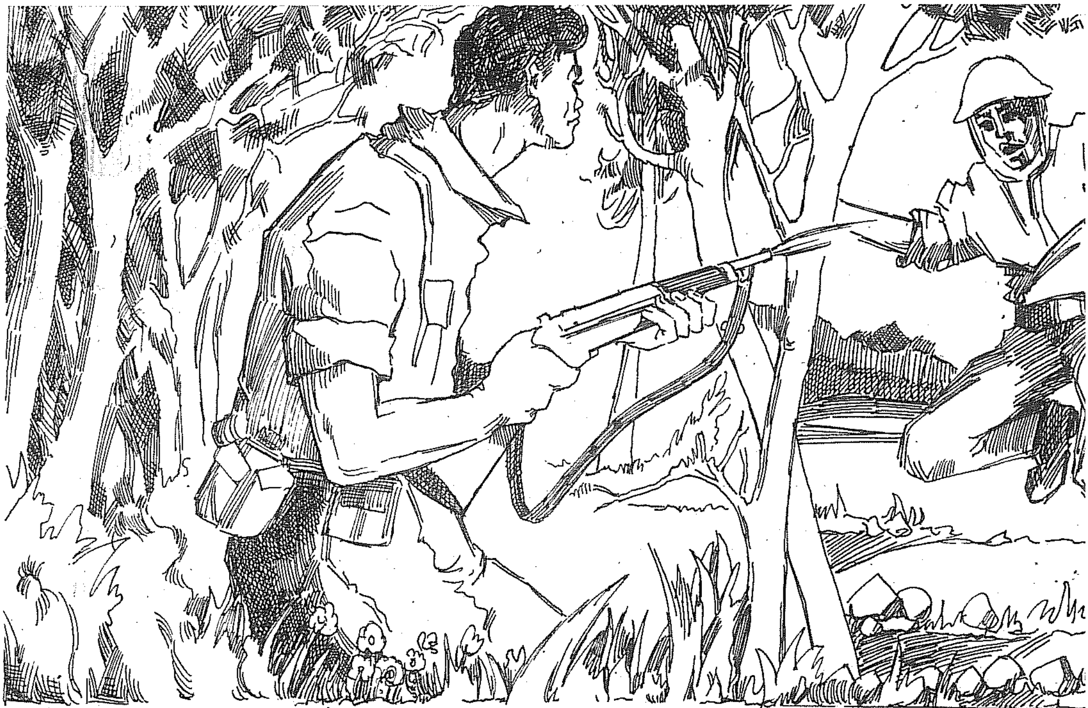
للأستاذة : ابتسام الكيلاني

خطوات سريعة قوية .. وهم كبير قد ملأ القلب .. وايمان قوى قد ربط النفس بخالقها فلا ينسى لحظة انه عبد الله .. وذلك هو خالد بطل قصتنا .. ها هو يحث الخطى الى مركز توزيع الأسلحة ... بينما تحرك لسانه بأبيات من الشعر تجاوبت أصداء روحه :

يا فؤادى اما تحن الى طوبى
اذا الريح حركت اغصانا
مثل الأولياء فى جنة الخلد
اذا ما تقابلوا اخوانا
قد تعالوا على اسرة در
لابسين الحرير والأرجوانا

ها هو يدلف الى المركز ، وقد كثر الداخلون ــ اقترب الخطر ، وانتهى عهد الكلام فلينطق السلاح ..

ها هو يخرج وقد أمسك البندقية بكلتا يديه ... وأخيرا أصبح يملك



بندقية .. انها اغلى ما يملــك ... وراح يحرك زنادها معتزا فرحا وكانه ملك الدنيا ... ان أمه ستزغرد وأباه الشيخ سيقص عليه قصة جديدة من قصص الشهداء الأول .. فليسرع الي البيت ان وقته من ذهب ... وسرت فى المدينة روح جديدة من الحماسة والحركة ، أصبحت المعركة قريبة ، وجو المعركة يصبغ كل شيء ، لا لهو ولا غناء .. لا لغو ولا تاثيم .. ليتهم كانوا كذلك من قبل ... وراح يحدث نفسه ((لقد خذلتنا الدول . من قال لهم اننا نعتمد عليهم ؟.. ان الله معنا .. اننـــا نتكـــل عليـــه .. ثم على استعدادنا .. ترى هــل قمنا بمـــا يجب ؟ وهل ندرك ما يجب ؟ وتذكر حديثا دار بينه وبيـــن بعض زملائـــه بالأمس .. قال أحدهـــم : ــ غـــدا نشرب ــ الخمر ونقيم الليالى الحمراء احتفالا بالنصر .

وقال الآخر : ــ اخشى ان تطول المعركة ويطول معها هذا الجو الخانق الخشن .

وقال هو : ــ لا تتكلموا هكذا ان كلامكم يملؤنى يأسا ومرارة .. يبدو اننا أضعنا طريق النصر ... ان الله تعالى يقول : ((الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكـــاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكـــر ولله عاقبة الأمور)) هذا هو طريق النصر بالنسبة لنا نحن المسلمين ..

هزوا رؤوسهم . وقالوا : شيخ كابيه ... وانتبه هو من ذكرياته على صوت رجل يحييه .. فرد التحيـــة وعرف أنه أبو أحمد جارهـــم الطيب يحمل بندقيته أيضا :

ــ اسرع يا خالد لقد سبقنا شيخنـــا الى المعركة ... اننى سالحق بكم بعد قليل .. وفكر .. ((أبوه المسن ! كيف

فاته أن أباه سيكون فى المقدمة ؟ ... انها فرصة العمر .. شهيد ؟ ان الشهادة تعنى كثيرا عند المؤمن .. وتذكر دروس أبيه الأسبوعية .. كم كان يحدثهم عن الجهاد والمجاهدة .. لم يخل درس من دروس الشيخ من ذكر الجهاد ، جهاد النفس .. جهاد الشيطان .. جهاد الطغاة .. جهاد الكفرة ..

ومر فى خاطره درس البارحة العجيب الذى الهب حماس الحاضرين ... كلمات قليلة قالها ابوه بلهجة جديدة : (ان الله وعدنا احدى الحسنيين ، النصر او الجنة .. وانها فرصة لا تسنح دائما .. معهم دول ... ومعنا الله .. معنا الله .. وراح أبوه يكرر تلك العبارة .. وقد سرت مع كلماته روح غريبة ملأت الجو بالخشوع والحماس ... وامتزج الصمت بنشيج مكبوت عبرت به أفئدة عما بها وهى تدرك ضخامة المسئولية .. وشعر هو بروحه تسمو وتنطلق معاهدة خالقها على الفناء فى سبيله .. بينما اخذت الدموع طريقها الى كثير من الأعين ..

واخرجه من أفكاره مراى البيت واستقبال امه له وهى تضغط على مشاعرها ... فى صوتها تصميم وهدوء ... ومن خلفها وقفت سلمى خطيبته . وقالت أمه : ليكن الله معكم . أما نحن فلا نطلب منكم الا الثبات والتضحية .. النصر او الشهادة .. فاذا استشهدتم فالله حى لا يموت .

وتناهى اليه صوت يقول : ابنك وزوجك ايتها المراة ... رويدك . وردت أمه بحزم مرددة صدى الماضى: وماذا فى ذلك ؟ اذا ذهب الأكالون بقى الرزاق ، وانا ايضا ، وأنت ، كل منا يجب أن يشارك .. انها فرصة لا تسنح دائما فى بيتى ستضمد الجراح .. ومن هنا سنخرج لنسقى ونطعم المجاهدين .. اذهب يا بنىوكن طالبا للجنة ..

غادر خالد البيت يعدو .. ثم وقف يلهث .. وبدا له الأمر هائلا للوهلة الأولى .. وانتابته رجفة شديدة — سرت فى جميع بدنه .. هذا الأزيز الفظيع .. واستلقى على الأرض متهيئا مرددا .. (فى سبيلك يا رب فى سبيلك) وتحولت الأصوات المزعجة فى سمعه الى تكبيرات قوية .. ان الكون باسره فى قبضة الخالق العظيم .. وراح يكبر مشاركا الدنيا فى تكبيرها .. وقد شعر انه تغير ، الدنيا لا تساوى ذبابة فى نظره ، الجنة الجنة .. وراح ينشد : هبى ريح الجنة هبى ...

ونظر فوقه .. ان السماء قد امتلأت ، والأرض قد اهتزت .. وشعر بالنار تجتاح جسده وتخيل سلمى ... عينيها الجميلتين — لا .. لا .. لن يدنس الأنذال ارضى

الطاهرة ... وشرفى الغالى .. لا ... لا ..

انه كتلة من بارود .. لن يدعهم يمشون على ارضه ــ سيمزقهم قبل ان يصلوا الأرض ... سيصيدهم من السماء كما كان يفعل بالعصافير وهو صغير .. وضغط الزناد وهو يتمتم : « اعلاء لكلمتك يا رب » ... لقد اصاب احدهم وراه يرتمى على الأرض بلا حراك ، وعدا نحوه حتى وقف بجانب الجثة .. ثم ركلها بقدمه متمتما : الى الجحيم .. لقد قتلت واحدا ..

لقد ازداد عددهم فى السماء ، وراحت بندقيته تعمل بلا توقف ، وهو ينشد : هبى ريح الجنة هبى ... وفجاة راى احدهم يقف على الأرض فى المنخفض القريب .. واحس شعورا غريبا وهو يرقب اليهودى .. يا لله ما اشد خوفه .. من اراد ان يرى الخوف مجسدا فلينظر لهذا اليهودى .. واحس جراته تزداد .. انهم جبناء .. انه يستطيع ان ــ يخنقه بيديه .

وتحرك اليهودى متقدما فى حذر وقد وضع يده على سلاح فى وسطه ... وضغطت يد خالد على الزناد ، فترنح اليهودى وهوى الى الأرض .. وتلفت خالد حوله يبحث عن عدو جديد .. لا شىء لقد توقف المطر البشرى ... ترى اين هم الآن ؟ اولئك الذين جاءوا لتدنيس ارضه ... وتذكر اباه .. امه .. سلمى وخفق قلبه بشدة .. لا شك ان كلا منهم يقوم بواجبه الآن ...

وبدات الأرض تهتز تحت قدميه .. المدرعات تقترب .. من هنا ستمر .. ونظر حوله لقد كان وحيدا فى المكان ... هل يعود الى القرية ليرى ماذا حل باهله واخوانه ؟ وتذكر كلمات امه .. النصر او الشهادة . انها فرصة العمر .. وعاد الى نشيده .. « هبى ريح الجنة هبى » .. بينما راح ذهنه يهيىء خطة للعمل .. وارتاح الى فكرة خطرت له .. فصعد شجرة ، وعلق بندقيته بين اغصانها ، واخفاها بالأوراق .. ثم هبط الى الأرض ، وتوجه الى اليهودى يبحث عن القنبلة التى كان ممسكا بها . وذهب الى الآخر واخذ قنبلته ايضا ، ثم صنع من سترته كيسا لها ، وعلقها فى رقبته بتؤدة .. ثم عاد يتسلق الشجرة بحذر شديد ، حتى وصل الى مكان ارتاح له ... فغطى نفسه بالأغصان .. ثم تمتم : الحمد لله . هكذا لن يرونى ... وتذكر اباه .. ترى اين هو الآن وماذا يفعل ؟ وامه وسلمى . ماذا يحدث لو قتل هو وقتل ابوه ؟ وتذكر كلمات امه : ان الله حى لا يموت اذا ذهب الأكالون بقى الرزاق ... فالتهب حماسا ، وعاد الى نشيده ..

ها هى ذى الدبابات تقترب .. انه يستطيع ان يراها ... النجمة القذرة .. وامسك احدى القنابل بيده .. انها لحظة حاسمة : انه يسمع قلبه يدق بعنف ... وبدا له ان الوقت اصبح مناسبا .. واختار احدى الدبابات ، وبسرعة البرق رمى القنبلة

وهو يتمتم : فى سبيلك يا رب .. ثم اتبعها باخرى .. واندلعت النيران .. وتوقف رتل الدبابات فجأة .. ونزل بعضهم يتفقد المكان بينما شعر هو أن الشظايا قد أصابت جسده ... ولكن سره جدا أن يرى خطته البسيطة تنجح .. وأنه قد عطب دبابتين الأعداء .. وابتسم ليت رفيقه أحمد يراه .. احمد الذى اشتهر ببطولته فى التسلل الى الأراضى المحتلة ، وارهاب اليهود وترويعهم .. ليته يرى الآن ما فعل خالد .. وسمع خالد صوتا ينطلق من داخل نفسه يقول : ان الله يراك ...

شعر خالد ان قواه بدات تضعف .. وان الدماء تسيل من اكثر من مكان فى جسده .. وتمسك بالغصن لئلا يهوى على الأرض ... بينما عاد اليهود الى دباباتهم .. وراحت بعض الأشجار تتهاوى تحتها .. وحدس ان دور شجرته سياتى .. لا لن يمروا فوقه ... واقتربت احدى الخنافس .. انها ليست اكثر من خنافس فى نظره ..

لقد هان كل شىء فى عالمه .. لا عظيم الا الله .. وتبدد كل اثر للخوف فى نفسه .. وتحسس الخنجر يطمئن على وجوده ... واقتربت الدبابة اكثر ... واحس كان أطرافه قد تجمدت ... ان الشظايا قد اصابت اماكن كثيرة فى جسده .. ان — جراحه تنزف .. وشعر انه سيهوى الى الأرض ، ولكن لا .. ليس الآن .. لتقترب الدبابة اكثر .. ان يده اليمنى لا تزال سليمة .. الدماء تنزف بغزارة ... وخيل اليه أنه يسمع صوت أبيه .. الشهادة أو النصر يا ولدى .. وتمتم انها الشهادة ان ريح الجنة التى كان يطلبها تهب عليه .. الا ما اطيبها من ريح ..

وتذكر سلمى .. سيلتقى بها هناك .. كل احبابه سيلتقى بهم هناك ... وابتسم فى اطمئنان .. وتنبه ، ان الدبابة تحته الآن .. واستجمع قواه .. ورمى نفسه فوقها .. وانطلقت قذيفة من مكان ما ولكنها اخطاته .. وطاش صواب قائد الدبابة فراح يدور بها بلا وعى .. وافترت شفتا خالد عن ابتسامة راضية ... وانفتحت فوهة الدبابة .. واخرج اليهودى راسه وتلفت فى حذر .. وارتفعت اليد المؤمنة لتهوى على صدر اليهودى بالسلاح الأخير . بالخنجر .. بينما كانت الروح المؤمنة الطيبة تغادر الجسد الى الأبد .. .. ترى كم عدد الذين فتحت لهم ابواب الجنة اليوم ؟ كم عدد الذين خرجوا للجهاد طلبا للجنة يا ترى ؟ ..

وفى الطرف الآخر كانت الأم تتسلل من مكان الى آخر حاملة الطعام والشراب ، .. عما قريب ستصعد روحها الى السماء ... أما الشيخ فقد استسلمت روحه الطاهرة لأكف الملائكة بعد جهاد امتد طوال حياته .. اما سلمى فقد بقيت .. تحمل ذكرى لن تموت أبدا .. ومن يدرى ؟ ربما أنعم الله عليها بالشهادة كذلك .. فى معارك لا بد أنها ستاتى .. ويوم القيامة « يبعثون جميعا تشخب جروحهم دما : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » .

طوبى لهم . انه لفوز عظيم .

بتعاليم الخالق .. فانها قدمت لمواطنيها عقيدة جديدة مهما كان رأينا فيها .. فهى عقيدة تتجمع حولها العقول والافكار والعواطف .

والفضيلة وهى تنبع من تعاليم الدين .. تنمو فى النفوس اذا أصبحت عادة ، ولذلك فان الاهتمام الكامل بتدريس الدين .. وامتحان الطلبة فيه .. واشتراط ذلك فى الشهادات العامة والجامعات .. يعادل فى يقينى الاهتمام الكامل بملاحقة التطور العلمى والثورة التكنولوجية .. كل شاب تمر به مرحلة الشك .. وهو فى هذه المرحلة يجد نفسه مضيعا بين مدرسة لا تعطى الدين الاهتمام الايجابى الاساسى ، وأسرة غارقة فى مشكلاتها وقد لا يوجد فيها من يستطيع أن يبصره بأمور دينية .. ولذلك رأينا عددا من شبابنا المتفوقين فى معاهدهم ، قد وجدوا المخرج من هذا الضياع فى تعصب متطرف حبب اليهم الدم والجريمة .. ولهذا فاننا نقول أن الامر يحتاج الى مناقشة واسعة شاملة عميقة وانني أدعو زملائى محررى جريدة (الجمعة) .. الى اثارة هذه المناقشة على أوسع نطاق .. **فنحن في مرحلة بناء جديدة .. أخطر ما فيها أن أعداءنا من الخارج .. وأعداءنا من أنفسنا .. يهددون مصيرنا .. بأن نكون أو لا نكون . ا ه**

هذا ما كتبه اخوان لنا يحسون الفجيعة والحقيقة معا ومن احساسهم هذا انبعثت دعوتهم التى نرجو أن يكون لها صداها وآثارها ونحن فى أيام فاصلة من تاريخنا فليس هناك طوق للنجاة الا هذا الطوق .. وليكن مفهوما لدى كل انسان أننا حين ندعو ويدعو معنا هؤلاء الكتاب وغيرهم الى طوق النجاة هذا ، لا نريد الا تكوين الفرد المسلم على أساس صحيح يجعل منه انسانا متكاملا يخلص لله عمله فى كل مجال يكون فيه ، وحين يذهب للميدان يكون شعاره الذى يغنى فيه : ((اطلبوا الموت توهب لكم الحياة)) .

اننى أحيى هذه الروح الجديدة ، وأحيى كل قلم يحمل شعلتها فى أى ركن من أركان العالم الاسلامى ، وأرى نفسي مضطرا لابداء أسفى الشديد للرأى الذى أبداه بعض رجال الجامعات ضد فكرة تدريس الدين وتعميق روحه فى طلاب الجامعة . هذا الموقف الذى يشبه موقفا قديما كان بعض الناس يقفه من تدريس الدين فى المدارس . ان طلاب الجامعة فى مرحلة نضج مع قلق تحتم ضرورة تعميق الايمان فى نفوسهم ، وهذا هو الذى أخذت به جامعة الكويت الحديثة حيث قررت تدريس الثقافة الاسلامية فى جميع كلياتها وعلى جميع السنوات . وهو ما نرجو أن يكون قدوة حسنة لكل الجامعات فى البلاد الاسلامية .. ((أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)) .

ع.ن

السنة الرابعة

تبدأ المجلة سنتها الرابعة فى أول المحرم وبهذه المناسبة سيكون عدد المحرم عددا ممتازا ..

الفتاوى

الولد يتبع خير الأبوين دينا

السـؤال :

سيدة مسيحية تزوجت من غير مسلم ، وتم الزواج بينهما بالكنيسة الكاثوليكية بالمراسيم المتبعة فيها ، ورزقت منه بطفلين أكبرهما في العاشرة وتريد اعتناق الاسلام ، فما مصير الطفلين ؟

ع . ح

الاجابـة :

المقرر شرعا أن الصغار يتبعون خير الأبوين دينا « والدين عند الله الاسلام » . فاذا اعتنقت هذه السيدة الاسلام فعلا ، فان الصغار يتبعونها ويكونون تحت رعايتها ، كما أنه من الواجب التفريق بين الزوجين باسلامها حيث لا يجوز الزواج أصلا بين مسلمة وغير مسلم .

قراءة القرآن

السـؤال :

اقتنيت مصحفا أقرأ فيه أحيانا ، غير أن قراءتي فيها أخطاء كثيرة ، وقد لاحظت ذلك عندما أقرأ بحضرة من يعرف أحكام القراءة .. فهل أستمر في القراءة مع الخطأ غير المتعمد ؟

مسلم سالم / الكويت

الاجابـة :

الواجب على كل من يقرأ القرآن أن يقرأه سليما من الخطأ قال تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » وقال العلماء : ان القرآن الذى يقرأ خطأ لا يسمى قرآنا ولا ثواب لقارئه بل فيه اثم وحرام بالاجماع ان تعمد الخطأ .

فاذا أردت أن تقرأ القرآن فاقرأ ما تجيد قراءته فقط ، والدين يسر ولا يكلفك الله بما لا تستطيع تأديته على وجه سليم . واسترشد بمن يصحح لك القراءة .

في النكاح

السـؤال :

رجل تزوج امرأة ولها بنت كبيرة بالغة ، وبعد اتمام عقد الزواج وقبل الدخول يريد أن يطلق الأم ويأخذ البنت . فهل يجوز ذلك شرعا .

محمد خالد محمود

الاجابـــة :

المقرر شرعا أن الدخول بالأمهات يحرم البنات والعقد على البنات يحـــرم الأمهات وعلى ذلك يحرم على الرجل فروع زوجته اذا دخل بها ، وفى حكـــم الدخول بها خلوة شرعية ولا يحرم فى حالة عدم الدخول بالأم ولا الخلوة بهـــا العقد على البنت ، بينما تحرم الأم بمجرد العقد على البنت ، وبما أن السائل لم يدخل بالأم ولم يختل بها ، فلا مانع من أن يتزوج بنتها اذ لا تحرم البنت شرعا الا بالدخول أو الخلوة بالأم .

في الطلاق

الســـؤال :

قلت : ان طلبت زوجتي الطلاق وأعادت لى ما نقص من الفضة وابراتنى من المهر فهى طالق ــ وهي لم تفعل شيئا من ذلك ــ لكنها تزوجت بآخـــر على هذا القول .فماحكمالشريعة ؟

(محمد جمعه من المهرة)

الاجابـــة :

القول المذكور من قبيل الطلاق المعلق ، وحكمه الوقوع عند حصول المعلق عليه وبما أن السائل قرر أن زوجته لم تفعل شيئا من المعلق عليه ، فلا يقـــع طلاقه ، لأنه علق طلاقه على الابراء من المهر ورد ما نقص من الفضة ولم يحدث من ذلك شىء ، ومن ثم فتعتبر الزوجية بينه وبينها قائمة ، ويكون زواجها بغيره باطلا اذ يشترط لصحة عقد الزواج أن تكون الزوجة خالية من الموانع الشرعيـــة وهى ليست كذلك لأنها فى عصمة زوجها الأول .

في الميراث

الســـؤال :

١ ــ توفى المرحوم سالم عن بنته نوير ــ وابنه راشد .
٢ ــ ثم توفى راشد عن ابنه زايد .
٣ ــ ثم توفيت نوير عن ولديها اصفير ومناحى .
٤ ــ ثم توفى مناحى عن أخيه شقيقه اصفير وأخيه لأبيه عبد الله .
فما حكم نصيب كل ؟

(عبد الله بن ناشى)

الاجابـــة :

أولا : بوفاة سالم عن بنته نوير وابنه راشد ، اذا لم يكن ورثة سـواهمـــا تكون تركته لهما للذكر ضعـــف الأنثى .

ثانيا : بوفاة راشد عن ابنه زايد تكون تركته جميعها لابنه المذكور اذا لم يكن وارث سواه .

ثالثا : بوفاة نوير عن ولديها اصفير ومناحى ، تكون تركتها لهما مناصفة ما لم يكن ورثة سواهما .

رابعا : بوفاة مناحى عن أخيه الشقيق اصفير ــ وأخيه لأبيه عبـــد الله تكون تركته لأخيه الشقيق اصفير ولا شىء لأخيه لأبيه عبد الله .

وعلى ذلك فيرث اصفير كل ما ورثته أمه من والدها لأنه بوفاتها يستحق النصف ويستحق النصف الآخر اخـــوه مناحى ــ وبوفاة أخيه شقيقـــه مناحى يستحق كل تركته ولا شىء لأخيه من أبيه .

بريد الوعي الإسلامي

إشراف رضوان البيلي

آيات القرآن وسوره

على أى أساس قام تحديد الآية من القرآن الكريم بدءا ونهاية ، وتحديد اول السورة وآخرها ، وترتيب الآيات فى السورة الواحدة ، وتسلسل السور على النحو الموجود فى المصاحف المتداولة بيننا اليوم ، وهل كان ذلك بوحى من الله عز وجل ، أو باجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم أو برأى الصحابة رضى الله عنهم .

(عبد الرشيد ـــ بغداد)

قبل الاجابة على هذه الأسئلة يحسن أن نبين معنى الآية والسورة فى اصطلاح العارفين بعلوم القرآن . أما معنى الآية عندهم فهو طائفة من الحروف ذات مطلع ومقطع مندرجة فى سورة من القرآن الكريم ، والآيات تختلف طولا وقصرا ، فأطولها آية الدين فى سورة البقرة ، وأقصرها كلمة يس فى صدر سورة (يس) . وأما معنى السورة فهو طائفة مستقلة من آيات القرآن ، والسور تختلف أيضا طولا وقصرا ، فأطول سورة هى سورة البقرة ، وأقصر سورة هى سورة الكوثر .

أما تحديد أول الآية ونهايتها فيرى جمهور العلماء أن ذلك كان بتوقيف وتعليم من النبى صلى الله عليه وسلم نقلا عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل ، فلا مدخل للعقل ولا للاجتهاد فى هذا التحديد ، ويؤيدون هذا القول بأن (المص) عدت آية ، (والمر) نظيرتها لم تعد آية و (يس) حسبت آية ، ونظيرتها (طس) لم تحسب آية ، و (حمعسق) عدت آيتين ، و (كهيعص) عدت آية واحدة ، فلو كان للرأى والعقل مدخل فى التحديد لكان حكم المثلين (حمعسق) و (كهيعص) واحدا ولكنه لم يجىء كذلك ، بل هما مختلفان ، وهذا يعنى أن التحديد خارج عن نطاق عقل البشر .

وذهب فريق آخر من العلماء الى أن بعض الآيات كان تحديدها بتوقيف وتعليم من النبى ، وبعض الآيات كان تحديدها بالقياس ، لا بالسماع والتوقيف ، ويقولون : « ما ثبت » أن النبى وقف عليه دائما تحققنا انه فاصلة . نهاية آية ، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس فاصلة ، وما وقف عليه مرة ، ووصله مرة أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة ، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها وفى هذا مجال للقياس ـــ وسواء أكان تحديد الآيات كلها توقيفيا ، أو كان تحديد بعضها توقيفيا وتحديد بعضها بالقياس فان هذا الخلاف لا يؤدى الى محظور . لا الى زيادة ، ولا نقصان فى القرآن الكريم ، وانما غايته تعيين محل الفصل والوصل .

وأما ترتيب الآيات فى السورة فقد انعقد الاجماع على أن هذا الترتيب كان بأمر وتوقيف من النبى ، وانه لا مجال للرأى ، ولا للاجتهاد فيه ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويدله على مكان كل آية من سورتها ، ثم يقرؤها النبى على أصحابه ، ويأمر كتاب الوحى بكتابتها ، ويحدد لهم سورتها وموضعها من السورة ، فليس لبشر كائنا من كان أى تصرف فى ترتيب شىء من آيات القرآن الكريم ، ويؤيد هذا ما رواه الامام أحمد عن عثمان عن أبى العاص قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ شخص ببصره ، ثم صوبه ، ثم قال : اتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية فى هذا الموضع من السورة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ..) الآية .

وتحديد أول السورة وآخرها كان بتوقيف من النبى ، وثبت ذلك من قراءته صلى الله عليه وسلم ، ومما قراه سورة الأعراف فى صلاة المغرب ، وسورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة الروم فى صلاة الصبح ، وسورة السجدة وسورة (هل اتى على الانسان) فى صبح الجمعة ، وسورة الجمعة والمنافقين فى صلاة الجمعة وسورة ق فى الخطبة وسورتى اقتربت و ق فى صلاة العيد .

أما تسلسل السور فى المصحف وترتيبها هذا الترتيب الموجود فى المصاحف الآن فللعلماء فيه ثلاثة أقوال :

الأول : ان هذا الترتيب لم يكن بتوقيف من النبى . انما كان باجتهاد من الصحابة .

الثانى : ان هذا الترتيب كان بتوقيف من النبى كترتيب الآيات ، وانه لم توضع سورة فى مكانها الا بأمر من النبى .

الثالث : ان بعض السور رتبت بتوقيف من النبى ، ورتب البعض الآخر باجتهاد من الصحابة ..

وبقى بعد هذا القول بأن احترام الترتيب الموجود الآن واجب على المسلمين لأنه كان عن اجماع من الصحابة .

المعصوم من الناس

سمعت أن أعداء الاسلام حاولوا فى القديم سرقة جثمان الرسول الطاهر صلى الله عليه وسلم فهل حدث هذا حقا ؟

(درويش الفرا ــ الاردن)

ان الله تبارك وتعالى تكفل بعصمة رسوله من جميع الخلق ، وقد حقق الله وعده لرسوله فنجاه من عدة مؤامرات دبرت لاغتيال حياته كمؤامرة قريش ليلة الهجرة ، ومؤامرة اليهود فى المدينة بالقاء حجر ضخم عليه عند استناده الى أحد الجدران ، وتروى كتب التاريخ أن هناك مؤامرة دبرت لسرقة جسده الشريف من قبره فى المدينة المنورة ، ولكن الله الحافظ عصمه من الناس بعد وفاته كما عصمه فى حياته .

فقد روى انه بينما كان نور الدين بن زنكى مشغولا بحرب الصليبيين فى أواسط القرن السادس للهجرة اذ رأى فى منامه ذات ليلة رؤيا أفزعته ــ رأى

النبى صلى الله عليه وسلم يشير الى رجلين اشقرين وهو يقول : أنقذنى من هذين .

رأى هذه الرؤيا ثلاث مرات فى ليلته تلك ، فأرسل فى طلب وزيره جمال الدين الموصلى وكان من أهل التقوى والصلاح . فلما حضر قص عليه رؤياه ، فأشار عليه الوزير بالتوجه بنفسه الى المدينة المنورة لاستجلاء حقيقة الأمر ، فتوجه نور الدين الى المدينة ، وقصد من فوره الى المسجد النبوى ، وصلى فى الروضة ، ثم استدعى أهل المدينة ، فوزع عليهم الأموال والأغذية والألبسة ، ثم استفسر عمن بقى من الناس ليأخذ حظه ، فقالوا : لم يبق الا رجلان من اهل الأندلس صالحان ، وهما فى غنى لا يأخذان من أحد شيئا ، ويكثران الصدقة على الفقراء ، فقال : على بهما . وجىء بالرجلين ، فوجدهما يشبهان اللذين رآهما فى المنام ، فتوجه الى دراهما ، فرأى عندهما أموالا طائلة ، وأخذ يتردد فى الدار ، ثم رفع حصيرا كانت مفروشة فى احدى الغرف ، فاذا تحتها سرداب يتجه صوب الحجرة النبوية !

واضطربت المدينة حين بلغها النبأ ، وثار أهلها وكادوا يقتلون الرجلين فاستخفا بنور الدين على أن يعترفا له بالحقيقة ، وهى أنهما مؤجران من قبل الصليبيين ، لسرقة جثمان الرسول ، فأمر نور الدين فضربت عنقاهما ، ثم قصد الى الحجرة النبوية الشريفة فحفر حولها خندقا عظيما حتى بلغ منابع الماء . ثم صب الرصاص حتى امتلأ الخندق وصار منه سور متين لا تنفذ اليه يد آثمة وصدق الله والله يعصمك من الناس .

الملتزم ..

حججت أكثر من مرة ولم أسمع عن الملتزم الا هذه الأيام ، وأنا عازم بمشيئة الله تعالى على الحج فى هذا العام ، فما هو الملتزم وماذا يصنع الحاج عنده ؟
سهيل الريحان ـــ الكويت

الملتزم هو المكان الذى يلتزمه ويلتصق به الطائفون بالبيت الحرام وهو حائط الكعبة المشرفة من الجهة الشرقية يقع بين بابها والحجر الأسود ، والتزامه سنة مأثورة عن النبى ، روى أبو داود وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : طفت مع عبد الله ، فمضى حتى استلم الحجر ، وأقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا ، وبسطهما بسطا ، ثم قال هكذا رأيت رسول الله يفعله .

وعن عبد الرحمن بن صفوان قال : لما فتحت مكة قلت لألبسن ثيابى ، فلأنظرن كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت ، فرأيته قد خرج من الكعبة هو وأصحابه ، واستلموا البيت (الكعبة) من الباب الى الحطيم ، وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله وسطهم .

هذا يا سيدى هو الملتزم ، وهذا ما يسن الحاج فعله عنده ، ولا تنسنا من الدعاء لنا وللمسلمين بخير .

بأقــلام القــرّاء

الاسلام قاعدة الحياة

كتب الاخ مجيد حميد الثامر من البصرة تحت هذا العنوان يقول :

انطلقت الدعوة الاسلامية المباركة كالعملاق تصنع التأريخ ، وتفتح للبشرية صفحة حياة حرة كريمة ، ويتمخض الصراع العنيف باقامة الكيان السياسي للاسلام والمسلمين فى المدينة المنورة ، ويبنى صرح الدولة الاسلامية الشامخ ، ويتولى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أعنة السياسة ، وينطلق ليجسد الاسلام فى واقع الحياة فيطبقه فى الداخل ، وينشره فى الخارج ، وهذه من أولى مهمات الدولة الاسلامية .

وحمل دعاة الاسلام رسالتهم الخالدة الى الشعوب بأسرها مبشرين بالاسلام قاعدة فكرية تشاد الحياة على أساسها ليسترد الانسان انسانيته ، وتحترم حقوقه ، ويصان عرضه ، ويحقن دمه ، ويختفى من وجوده شبح الفقر والجهل .

وثبتوا بيارقهم الخالدة المظفرة فى قلب الصين شرقا،وطغى المد الاسلامى فى الغرب ، فجال فرسان أمتنا الاسلامية فى سهول بواتيه وضواحى باريس ، وأمتد الاسلام حتى بلغ سيبريا شمالا ، وانحدر جنوبا حتى بلغ زنجبار .

هذه الأمجاد .. هذه البطولات .. تذكرنا بالحياة التى أشادها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أساس الاسلام ، فكانت حياة تفيض بالعدل والرحمة ، خلد فيها الناس الى الهدوء والطمأنينة ، ورفرفت على ربوعهم حمامات السعادة ، وخفقت على رؤوسهم بنود النصر ، وشمخت فوق جباههم أكاليل الغار ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

ومرت على أمتنا الاسلامية المحن والويلات جراء ابعاد الاسلام عن مجاله القيادى ، وفسح المجال أمام قوانين وأحكام الجبت والطاغوت تعمل عملها فى بلاد المسلمين ، هذا والمسلمون يدعون الاسلام ، ولا يشعرون بانحرافهم عن خطه وصراطه المستقيم ، والسبب فى ذلك واضح بين ، وهو الغزو الاستعمارى الخبيث الذى استعمر العقول والأفكار ، فحولها الى قواعد فكرية استعمارية « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

وطريق العودة الى الاسلام واضح لا لبس عليه ولا غموض وذلك بالرجوع الى الاسلام وفهمه واستقرائه من مصادره الأصيلة ، وتغيير الروح وبلورتها بروح الاسلام وأخذه من حملته علماء الأمة الأبرار ، وتجنيد النفس للعمل للاسلام والذب عن حياضه والتضحية فى سبيل الحفاظ على نقائه وصفائه ، وتحويل هذا الفكر وهذا الايمان الى سلوك متجسد فى واقع الحياة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمــل » .

هذا هو الايمان الواقعى الذى لا يمكن أن تزعزعه النوازل .. الايمان الذى يقف صاحبه كالطود الأشم ساخرا من جحافل الكفر والضلال مطمئنا الى نصر الله تعالى داعيا الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالاسلام رمــز

عزتنا .. وأساس نهضتنا .. وهو وحده الكفيل باسعادنا والانسانية جمعاء وتوفير الحياة الحرة الكريمة للانسان الخاضع لحكمه وعدله ..

التربية الاسلامية

ومن مقال بهذا العنوان يتحدث فيه الأستاذ محمد صالح بربندى عضو الادارة القانونية بالرياض عن مميزات التربية الاسلامية وفضائلها وأهدافها وضرورة الاهتمام بها — نقتطف منه ما يلى :

وفى التربية الاسلامية نجد تلقى العلم وتهذيب الأطفال واجبا دينيا ، او فريضة على المسلمين ، وبتأثير تلك العقيدة امتلأت النفوس حماسة لانشاء الكتاتيب والمدارس ، ودور الكتب ، دون تدخل من جانب الدولة بمؤازرة أولى الأمر .

وفى العصر الحاضر نحن بحاجة شديدة الى ناحية المسئولية الفردية والنشاط التلقائى من جانب الأفراد فى نشر العلم وتحصيله ، دون الاعتماد الكلى على جهود الحكومات ، ليتسنى بذلك اقامة الجامعات والكليات العلمية ودور العلم والمكتبات الأهلية بجهود الأشخاص والجمعيات على نحو ما يجرى فى بعض الدول ، وقد اتخذ هذا التعاون فى ميادين العلم ظاهرة تقدمية كبرى فى العصر الحاضر ، وقد سبقنا اليه أجدادنا منذ عصور عديدة ، وكرسوا له جهودهم ، وانفقوا فى سبيله نفائس الأموال .

والمدارس الاسلامية كانت شديدة الاتصال بالحياة والناس ، فلم تغلق الأبواب دونهم ، وهى مفتوحة للأغنياء والفقراء يدخلونها على قدم المساواة ، بينما يجد الفقراء كل وسائل المعونة متوفرة لمتابعة الدرس .

ومناهج التربية الاسلامية القديمة تتفق والعادات العربية والاسلامية ، وتلائم بيئتها السابقة ، فيقول المفضل بن يزيد انه رأى ابن اعرابية فأعجبه منظره ، فسألها عنه فقالت :

« اذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب ، فحفظ القرآن فتلاه ، وعرف الشعر فرواه ، ورغب فى مفاخرة قومه ، وطلب مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل ، فتمرس وتفرس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى الى صوت الصارخ » .

دعاء

وفى حالة الاشراق الروحى والصفاء النفسى تنفعل نفس الأستاذ عبد المجيد محمد طه المدرس بمدرسة رقى المعارف الاعدادية بطما ج ٠ ع ٠ م فتفيض على لسانه هذه الأبيات :

وقفنا أمام الله صفا وكلنا	يكبر .. احراما .. وتصعد كفاه
نسوى صفوفا والخطى فى قيودها	وكل فؤاد .. قد تعلق مولاه
تلوت دعائى : ايه يا رب فاهدنى	فأنت عليم بالفؤاد .. وفحواه
وتمتم جارى فى ضراعة عاشق	فكف لسانى يسمع الأذن نجواه
فتابع قولا ينشر النور والشذى	وسار لسانى فى خطاه قصاراه
ولكننى لم الحق الركب فانثنى	لسانى يرنو .. حائرا .. فوق مجراه
تجلدت حتى ما انتهى من دعائه	وأثلج صدرى واستضاءت حناياه
رفعت يدى لله والبشر هزنى	وقلت : أنا يا رب أدعو وإياه
فهبنى أجرا مثلما أنت واهب	له — ان تشأ — أو ان أقل فأرضاه

قالت صحف العالم

قولوا .. يهود
لا بنو اسرائيل

نشرت صحيفة الدعوة السعودية تحت هذا العنوان تقول :

نحن نؤكد ويجب علينا أن نؤكد أن اليهود الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا أصحاب عرق سلالى تاريخى فى هذا الوطن العربى الاسلامى المغتصب .. بل هم سلالات قوميات متعددة وأبناء أمم متشعبة لا يجمعهم جامع سوى الديانة اليهودية وحدها .. ونحن على صفحات هذه الصحيفة (الدعوة) نتحدى أولئك الذين يسمون أنفسهم (دولة اسرائيل) أن يسلسلوا انسابهم أو يضبطوا طوائفهم — تاريخيا — حتى يصلوا بها الى ما يثبت صحة دعواهم بأنهم (بنو اسرائيل الحقيقيون) علما بأن العرب كانوا يسكنون فلسطين قبل بنى اسرائيل بآلاف السنين .. وليس ابتداء من الفتح الاسلامى لفلسطين فى زمن عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — فهذا الفتح كان لدخول الاسلام الى فلسطين وليس لدخول العرب اليها الذين كانوا فيها قبل الاسلام بعشرات القرون .. هذه حقائق تاريخية يجب أن يعيها العرب والمسلمون ويضربوا منها على الأوتار الحساسة فى المجالات العالمية تنويرا للرأى العام الذى غسلت أدمغته اليهودية المجرمة وشوهت حقائق التاريخ الانسانى بما يلائم اهواءها وأغراضها الخبيثة .

ان واجب العالم الاسلامى اليوم وهم يواجهون محنة .. قاسية .. واجبهم عربا وغير عرب أن يشهروا كل سلاح فى وجه اليهودية التى تحالفت — بالدم والروح والفكر — مع الصليبية ضد الاسلام فى الدرجة الأولى .. وضد العرب والمسلمين بالتبع .

سكينة النفس

من الحلقة الثانية التى نشرتها مجلة (حضارة الاسلام) الدمشقية تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى :

والفطرة ليست تفكيرا خالطا ، ولا شعورا محضا ، انها مزيج من التفكير والشعور . والدين قد جاء يخاطب الفطرة كلها . يخاطب التفكير والشعور معا . يخاطب العقل والقلب جميعا . والذين يعتمدون على سلطان العقل وحده فى الوصول الى عقيدة سليمة راسخة ،وفكرة كلية واضحة ،تفسر هذا الوجود ، وتحل الغازه ، قد جاوزوا بالعقل حدوده واختصاصه ، وأهملوا جانبا هاما فى الفطرة الانسانية هو جانب الشعور والوجدان ، جانب القلب . كما اغلقوا على أنفسهم بابا واسعا ما كان أحوجهم اليه ، وما أضل سعيهم بغيره . هو باب الوحى .

ان العقل ـــ مهما أوتى من الذكاء والقدرة على التجربة والقياس والاستنتاج محدود بحدود الطاقة البشرية ، مقيد بقيود المكان والزمان والوراثة والبيئة ، فلا غنى له أبدا عن سند ومعين ، يسدده اذا أخطأ ، ويهديه اذا ضل ، ويرده الى الصواب اذا شرد ، وهذا السند هو الوحى ، الذى هو أساس الدين .

ان الوحى قد أراح الانسان من عناء البحث فيما يبدد طاقته دون الظفر بما يشبع ويغنى ، وأعفاه من تجشم رحلات طويلة وشاقة ، والسير فى دروب معتمة وملتوية ، لا يدرى الام تنتهى به ؟ وقدم لـه ما ينبغى أن يعلمه ـــ وما يستطيعه ـــ عن مبدأ الوجود ومنتهاه ، وعلته وأسراره ، قدمها اليه خالصة سائغة ، سالمة من جدل المجادلين وتمحكات المتفلسفين ، وتخرصات المتكلفين .

وليت شعرى ما الذى يستطيع أن يعلمه الانسان عن وجوده هو ، وعن وجود العالم الكبير من حوله ، وعن صاحب هذا الملك الكبير ـــ سبحانه ـــ لو مشى فى الطريق وحده دون دليل من وحى الله ؟

انه سيضرب فى بيداء لا يعرف فيها طريقا ، ولا يجد فيها غير السراب يحسبه ماء ، حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ، ويسبح فى بحار من الظلمات لا يهتدى فيها الى بر ولا قرار ، كالتى حدثنا الله عنها فى كتابه : « كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور » .

مكانة الجهاد فى الاسلام

ومن مقال فى هذا الموضوع نشرته مجلة التربية الاسلامية العراقية تناول الكاتب فيه حكم الجهاد واستدل بالآيات والأحاديث التى تستنفر المسلمين ، وتفرض عليهم حشد كل طاقاتهم للدفاع عن حرماتهم نقتطف هذه الفقرة :

من أجل الحفاظ على الدين الحنيف ومثله العليا ومبادئه السامية السمحاء من أجل هذا وذاك يأمرنا الاسلام أن نستعد للقتال والنزال ونخوض المعارك وكلنا ثقة بالله وأمل وانتصار دون أن نهتم بالموت أو نحسب له حسابا حيث الجبانة لا تطيل الآجال ولا الشجاعة تدنى الآجال : واليك أيها القارىء الكريم ما قاله البطل خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو على فراش الموت (شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح ولم أمت وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) ومن جملة ما أوصى به أبو بكر رضى الله عنه خالد ، حين أمره على الجيش (احرص على الموت توهب لك الحياة) .

اذا كانت الحياة لا تبقى لحى ـــ كل نفس ذائقة الموت ـــ فان جريمة الحياة العظمى هى الهوان والموت ذليلا ولقد أجاد المتنبى اذ قال :

غيــر أن الفتـى يلاقى المنايـا	**كالحـات ولا يلاقى الهـوانا**
ولو أن الحيـاة تبقـى لحـى	**لعددنا أضـلنا الشـجعانا**
واذا لم يكـن من المـوت بـد	**فمـن العجـز ان تكـون جبانـا**

وان على المسلمين أن ينهضوا عن بكرة أبيهم للذود عن حياض الدين وعن بلاد المسلمين وأن يتذرعوا بالصبر والثبات ويتسلحوا بصدق العزيمـة وقوة الشكيمة لدحر قوى الظلم والطغيان وندعو الله العلى القدير أن يوفقنا لما فيه خير الدنيا والدين وينصرنا على القوم الكافرين المجرمين الذين (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

مكتبة المجلة

اعداد : عبد الستار محمد فيض

جنة الحيوان فى عهود الأنبياء

صفحات موجزة عن سيرة بعض الأنبياء والمرسلين فى صورة حوار بين فتى وشيخ . وقد نهج المؤلف فى هذه الصفحات الأسلوب الحوارى الذى يرسم الموقف ويصور الحدث ويعطى الحقيقة التاريخية ذلك الاطار الفنى الجميل الى جانب اعتماده المطلق على النص القرآنى الكريم فى تفسير المواقف وشرحها .

وكتاب جنة الحيوان فى مائتى صفحة ، تتضمن أربعة عشر قسما وكل قسم من هذه الاقسام يعالج حياة نبى من الأنبياء المشاهير وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة التدريب المهنى بدمنهـــور (ج . ع . م) .

أحاسيس

مجموعة قصائد اجتماعية وانسانية ووطنية للشاعر الشاب أحمد عبد الهادى ، والديـوان يقع فى (١٤٢) صفحة وقامت بطبعه مطبعة دار الجهاد ١٤ شارع الجمهورية ــ القاهرة .

وهذا الديوان فيض أحاسيس الشاعر وصور عواطفه ، وبعض قصائده تشوبها روح القصص والتأمل الواعى ، وتعاطفه مع الزمن والحياة والناس واضح فى تسجيله للحوادث .

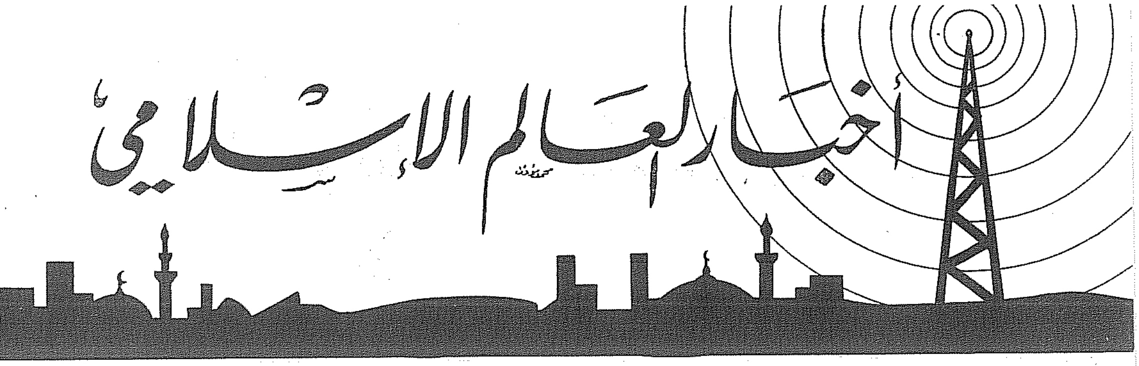
تقويم جامعة الكويت

لقد حققت دولة الكويت خلال فترة وجيزة من الزمان تقدما عظيما فى شتى الميادين وكان أهم حدث فى هذه الدولة هو انشاء جامعة الكويت التى كان هدفها رفع مستوى التعليم وتطوير الحياة الثقافية .. وقد أصدرت جامعة الكويت هذا التقويم ليكون مرجعا تاريخيا عن نشأة الجامعـــة وتكوينها وقواعد الدراسة فيها وخطط المناهج ونظم الامتحانات والنشاط الطلابى وغير ذلك ..

والتقويم يقع فى (١٢٢) صفحة ، وقامت بطبعه مطبعة حكومة الكويت .

الحركة الفكرية فى عصر الخلفاء الراشدين

بحث فى الحركة الفكرية فى عصر الخلفاء الراشدين فى ثمانية فصول تشمل ابتداء نشـــر الأدب شعره ونثره بين المسلمين وتأثير القرآن الكريم والحديث الشريف على الحركة الأدبية وقد الف هذا الكتاب الدكتور كمال الدين فريق ، وترجمه الى العربية الاســـــتاذ سليم طه التكريتى وقامت بطبعه ونشره دار الثقافة الاسلامية فى بغداد ضمن سلسلتها الثقافية .



الكويت :

◎ زار البلاد عظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين وقد أجرى مع سمو أمير البلاد المعظم مباحثات هامة استهدفت العمل على تأكيد عروبة البحرين ووسائل تدعيم العلاقة بين البلدين

◎ أهدى سمو أمير البلاد المعظم ثلاث طائرات مدنية للأردن .

◎ قام سمادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية بجولة هامة فى امارات الخليج العربى بغية العمل على تنظيم التعاون بين الكويت وامارات الخليج كما قام بزيارة للرياض .

◎ قام سمادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع بزيارة كل من فرنسا وبريطانيا وقد صرح سمادته بأنه قام بدراسة الوضع الراهن فى الشرق الاوسط مع الرئيس الفرنسى ديجول كما سلمه رسالة من سمو أمير البلاد المعظم .

◎ بحث مؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى ١٧ — ٢٢ فبراير حوالى ٢٢ موضوعا تربويا من أهمها : وضع قانون أخلاقى موحد لمهنة التعليم وتطوير التعليم فى الجنوب والخليج العربى ووضع المصطلحات العربية فى العلوم والرياضة .

◎ اشتركت الكويت فى احتفال باكستان بذكرى مرور ١٤٠٠ سنة على نزول القرآن وقد مثلها سمادة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعى وزير الدولة .

◎ بدأت وزارة الاوقاف موسمها الثقافى حيث القى الاستاذ البهى الخولى محاضرتين ازدحم على الاستماع اليهما جم غفير من مختلف المستويات . وسيليه الاستاذان عمر بهاء الاميرى ، ثم الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الاسلامية .

الجمهورية العربية المتحدة :

◎ عقد السيد حسين الشافعى نائب الرئيس عدة اجتماعات مع المحافظين لبحث مشروع الانفاق على الدعوة الاسلامية بالمحافظات من ايرادات الاوقاف الخيرية .

◎ عقد فى القاهرة المؤتمر الثانى للصحفيين العرب فى العاشر من فبراير .

◎ اشتركت الجمهورية فى احتفال الباكستان بذكرى مرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم وقد مثلها الاستاذ الباقورى مدير جامعة الازهر والدكتور حب الله أمين مجمع البحوث .

◎ أجرت وزارة الشئون الاجتماعية مع الازهر تقييما عاما لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم لتطوير أهدافها وتحديد علاقتها بالازهر والوزارة .

◎ تدرس وزارة الاوقاف مشروعا لانشاء متحف دائم للمخطوطات الاسلامية يضم الوثائق المختلفة من أنحاء العالم الاسلامى .

◎ يعد مجمع البحوث قوائم ترشيح كبار العلماء الصالحين لشغل الاماكن الخالية فى عضوية المجمع

السعودية :

◎ ابلغت الجمهورية العربية المتحدة جلالة الملك فيصل أنها تؤيد جلالته تأييدا كاملا فى أى خطوة يتخذها للحفاظ على استقلال وعروبة امارات الخليج كما أصدرت السعودية بيانا تستنكر فيه موقف اسرائيل من اخراج السفن المحتجزة وتؤيد حق مصر الكامل فى القناة .

◎ زار البلاد عظمة حاكم البحرين وتباحث مع جلالة الملك فيصل فى الامور الهامة التى تتصل بالبحرين وامارات الخليج .

◎ الغى شاه ايران زيارته للسعودية قبل موعدها المقرر بـ ٤٨ ساعة .

◎ زار الامير سلطان وزير الدفاع فرنسا وسيزور بعدها بلجيكا بدعوة رسمية .

◎ طلبت المملكة السعودية من فرنسا تزويدها بالسيارات المصفحة وبعض الاسلحة الاخرى .

العـــراق :

◎ **قام الرئيس عارف بزيارة لفرنسا بدعوة من الرئيس ديجول حيث جرت مباحثات حول أزمة الشرق الاوسط ، وامكانية تزويد العراق بطائرات ميراج واستغلال فرنسا لنفط العراق وقد زار الرئيس عارف القاهرة في طريق عودته .**

◎ قدمت العراق معونة جديدة للاجئين العرب فى الاردن وتبلغ حمولتها ١٢ سيارة من الدقيق والاغذية والملابس .

◎ **احتفلت البلاد بذكرى ثورة ٨ فبراير التى قام بها المرحوم الرئيس عبد السلام عارف فى ٨ فبراير ١٩٦٣ .**

◎ سيزور عظمة حاكم البحرين العراق بدعوة مسبقة من الرئيس العراقى .

الاردن :

◎ **قام جلالة الملك حسين بزيارة لباكستان وقد بحث جلالته مع الرئيس ايوب خان مختلف جوانب القضية الفلسطينية ووسائل ازالة آثار العدوان وسيزور أفغانستان قريبا .**

◎ جددت اسرائيل عدوانها الآثم على مخيم الكرامة للاجئين .

◎ **أعرب يوثانت عن قلقه الشديد لمعاملة اسرائيل للعرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة .**

◎ احتجت أمانة القدس على مصادرة اسرائيل لمساحات واسعة من الاراضى العربية لاقامة مساكن للاسر اليهودية عليها .

◎ **ادى اضطهاد اسرائيل للعرب فى الاراضى المحتلة الى اجبار ما يزيد على ٢٠٠ الف على مغادرة ديارهم منذ وقف اطلاق النار .**

لبنـــان :

◎ **استقالت وزارة الرئيس كرامى وشكل السيد عبد الله اليافى الوزارة الجديدة لاجراء الانتخابات .**

◎ اعتقلت الحكومة بعض أشخاص كانوا يحاولون اعادة نشاط الحزب القومى السورى المنحل .

ليبيـــــا :

◎ **قام الرئيس التركى جودت صوناى بزيارة لجلالة ملك ليبيا وصدر بيان رسمى يطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة .**

◎ سيقوم السيد عبد الحميد البكوش رئيس الوزارة بجولة فى الدول العربية لبحث وسائل تدعيم العلاقات بين الدول العربية فى المجالات الاقتصادية والتجارية والسياسية .

المغـــــرب :

◎ منح جلالة الملك الحسن وسام الكفاءة الثقافية لكل العلماء الذين اشتركوا فى الاحتفال بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن .

الســـودان :

◎ **الغى الرئيس اسماعيل الازهرى زيارته للقاهرة نظرا للأحداث السياسية بين الحكومة والمعارضة.**

◎ قرر مجلس السيادة حل الجمعية التأسيسية واصدار قانون الانتخابات التى حدد لها يوم ٢٦ أبريل القادم .

و « الوعى الاسلامى » ترجو أن يجنب الله السودان الشقيق شرور الاختلاف وتدعوهم الى توحيد الكلمة وضم الجهود .

الجـــزائر :

◎ تسلم الجيش الوطنى الجزائرى قاعدة المرسى الكبير بعد أن تم جلاء القوات الفرنسية نهائيا عن القاعدة .

باكســـتان :

◎ افتتح الرئيس أيوب خان الاحتفال الرسمى بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم . اشتركت فيه وفود رسمية من الدول الاسلامية . بدأ يوم السبت ١٢ ذى القعدة واستمر ثلاثة أيام .

ايـــران :

◎ تدرس الحكومة الايرانية حاليا تخصيص (٣٠٠) مليون جنيه استرلينى لشراء الاسلحة وتدعيم الاسطول البحرى .

اقرأ في هذا العدد

صفحة

فهرس عام للمجلة

في عامها الثالث

١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

أخي القارئ

للشيخ عبد المنعم النمر

تربية واجتماع

عقيـــدة

المقـــال	الكاتب	العدد والصفحة
أربع قواعد للايمان	الاستاذ على الطنطاوى	١٧/٣٥
الاسلام دعوة للناس أجمعين	الاستاذ عبد الرزاق نوفل	٦٨/٢٩
الاسلام والحياة	الاستاذ عمر بهاء الاميرى	١٨/٣٠
الأيدولوجيات والدين	الاستاذ محمد همام الهاشمى	٢٤/٢٧
بين الدعوة الى الاسلام والدفاع عنـــــه	الاستاذ أنور الجندى	٣٧/٢٦
التصوف الذى نريده	الشيخ محمد الغزالى	٥٢/٢٨
التوحيد أولا	الشيخ عبد الحميد السائح	١٧/٣٣
حاجتنا الى الايمان	الشيخ يوسف القرضاوى	٥٠/٢٩
ركائز التفكير الاسلامى	الشيخ نديم الجسر	٢٦/٣٢ ، ١٠/٣٤
العقل والقلب	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٢٨/٣٥
العلم يؤكد الايمان	الدكتور جمال الدين الرمادى	٤٥/٣٠
الفضـــائح الكامنة بين دفتى التـــوراة	الاستاذ عابد توفيق الهاشمى	٥٢/٣٢
لماذا الاسلام ؟	الاستاذ أحمد حسين	٢٠/٢٦ ، ٢٢/٢٨
		٢٠/٣١ ، ١٩/٣٤ ، ٣٦/٣٦
لماذا الايمان أولا ؟	اللواء محمود شيت خطاب	٢٨/٣٠
متى يكون نصر الله ؟	الشيخ عبد الجليل عيسى	٨/٣٥
المعنويات فى مصير الجيش والأمة	اللواء محمود شيت خطاب	٢٩/٣٣
مناقشة حول مقال الجنة والنار	التحـــرير	٩٤/٢٥
الهجرة بين التفسير المـــادى والروحى	الاستاذ البهى الخولى	٤٠/٢٥
وجدتها .. وجدتها	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	٣٤/٢٥

قصــائد

القصـــيدة	الكاتب	العدد والصفحة
الأنى الانسان ؟	الاستاذ محمد التهامى	٦٠/٢٨
انها هجرة الى الله زلفى	الاستاذ حسن فتح الباب	٧٠/٢٥
ان يوم النضال آت	الاستاذ محمد هارون الحلو	٣٦/٣١
جل من أبدع الوجود	الاستاذ ابراهيم محمد نجا	٧٢/٣٤
هجة الوداع	الاستاذ أحمد مصـــــطفى السفارينى	٣٢/٣٦
داعى الجهاد	الاستاذ محمد التهامى	٣٠/٣٢

تتمة قصائد

فقه وتشريع واقتصاد

دراسات قرآنية

علوم

من هدي السنة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد

بريد الوعي الإسلامي

باشراف الشيخ رضوان رجب البيلي

مكتبة المجلة

اعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

أدب

كلمات وأحاديث

كتاب الشهر

قصة

بأقلام القراء

تتمة باقلام القراء

فتاوى

خواطر

للشيخ عبد المنعم النمر

تتمة خواطر

تاريخ وحضارة

تتمة تاريخ وحضارة

قالت صحف العالم

اعداد : الشيخ رضوان البيلي

الموضوع	الصحيفة	العدد والصفحة
استمرار المعركة ليس فى مصلحة الاستعمار	الأهرام	٩٤/٢٨
الاسراء الجديد	مجلة الشبان المسلمين	٩١/٣٣
الاسلام فى تايوان	مجلة نداء الاسلام	١٢٥/٢٥
الى الاسلام .. دين الحياة	مجلة حضارة الاسلام	٩٣/٢٦
الايثار والتضحية	الأهرام	٩٥/٣٤
الثرثارون	صحيفة الشعب	٩٥/٢٨
الحرب النفسية	صحيفة أخبار اليوم	٩٢/٢٩
دور الصحافة العربية فى المرحلة الحاضرة	مجلة الطليعة	٩٥/٣٠
الدين	مجلة الشباب	٩٣/٣٢
الزكاة على الاموال المدخرة	صحيفة الجمهورية	١٢٥/٢٥
سكينة النفس	مجلة حضارة الاسلام	٩٤/٣٦
سلاح البترول فى المعركة	مجلة الطليعة	٩٤/٢٧
شعب ارتيريا الشقيقة	مجلة الرسالة	٩٤/٢٦
الشيطان الأعور	مجلة الحوادث	٩١/٢٩
عيدنا الوطنى. منطق جديد للسير	مجلة الكويت	١٢٤/٢٥
الفدائيون	صحيفة الاخبار	٩٤/٣٢
فلتكن حربا تزيل اسرائيل	صحيفة الرأى العام	٩٣/٢٧
فلسطين والأمة العربية	نشرة فلسطين	٩٣/٢٦
فى منطق الوعى	مجلة حضارة الاسلام	٩٠/٣٣
القدس تتحدى دولة العصابات	مجلة الهدف	٩٤/٣٠
القرآن وأحداث الساعة	مجلة رابطة العالم الاسلامى	٩٤/٣٤
كلمتان	مجلة رابطة العالم الاسلامى	٩٣/٣٦
لقد صمم شعبنا	صحيفة الرأى العام	٩١/٢٩
متى الجولة الثانية ؟	مجلة السياسة	٩٣/٢٨
معوقات انتشار الاسلام فىأفريقيا	مجلة حضارة الاسلام	٩٤/٣٤
المقاومة فى الارض المحتلة	صحيفة فتى العرب	٩٥/٣٥
مكانة الجهاد فى الاسلام	مجلة التربية الاسلامية	٩٣/٣٦
المؤسسات الاجنبية أوكاره للتجسس والاستخبارات	مجلة الرسالة	٩٢/٢٩
نريد وحدة تبنى على العقل	صحيفة الرأى العام	٩٤/٢٨
نعمل ونبنى والله معنا	مجلة الشبان المسلمين	٩٤/٣٠
نماذج من التفسير النبوى	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٢٤/٢٥
نهج وعمل	مجلة الرسالة	٩٠/٣٣
هكذا يعملون بالاسلام والمسلمين	صحيفة (شن بات ياو)	٩٣/٢٦
ورابطوا واتقوا الله	مجلة حضارة الاسلام	٩٣/٣١
يجب مراجعة الحساب	مجلة السياسة	٩٣/٣٢
اليهود .. اليهود	مجلة لواء الاسلام	٩٢/٣١

صور ورسوم

الصور والرسوم

تابع الصور والرسوم

مائدة القارئ

اعداد : أبي نزار

الاعداد والصفحات :

الكتاب

الكاتب	المقال	العدد والصفحة
ابتسام الكيلاني	عبى ريح الجنة (قصة)	٣٦/٨٠
ابراهيم على شعوط	الكبرياء الاسلامى	٣٣/٣٠
ابراهيم محمد نجا	جل من أبدع الوجود (قصيدة)	٣٤/٧٢
أبو بكر ذكرى	تراثنا بين الاصالة والتبعية	٣٦/٤٨
أبو نزار	مائدة القارىء	جميع الأعداد
احسان النمر	سيد الخلق	٢٧/٢٤
أحمد حسن القضاة	بلال مؤذن الرسول	٣٤/٧٦
أحمد حسين	لماذا الاسلام ؟	٢٦/٣٠ ، ٢٨/٢٢ ، ٣١/٣٠ ، ٣٤/١٩ ، ٣٦/٣٦ .
أحمد الخميس	الزواج وأثره في حياة الفرد	٢٩/٣٦
أحمد الشرباصى	مكانة الشباب في الاسلام	٢٧/٢٩
	شباب الاسلام في شعر أحمد محرم	٣٣/٦٥
أحمد شوكت الشطى	فيلا سياسيا أمير شعراء الأسبان	٢٨/٧٤
أحمد العجوز	الاسلام والتمييز العنصرى	٣٥/٥٥
أحمد العنانى	ماهية البطولة النبوية	٢٩/٥٩
أحمد مسلم	الحج عبادة العمر	٣٥/٦٠
أحمد محمد جمال	كارليل وأكاذيب المستشرقين	٢٥/٧٩
	تاريخكم يا شباب الاسلام	٣٠/٥٤ ، ٣٣/٥٢
أحمد محمد الصديق	يا مسلمون (قصيدة)	٣١/٦٨
أحمد مصطفى السفارينى	محمد بن جرير الطبرى	٣٢/٦٢
	حجة الوداع (قصيدة)	٣٦/٣٢
أحمد مظهر العظمة	طغيان ووئام « قصيدة »	٣٦/٦٤
أنور الجندى	بين الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه	٣٦/٣٧
بسام الاسطوانى	خطر اليهودية العالمية (كتاب الشهر)	٣٢/٧٨
البهى الخولى	الهجرة بين التفسير المادى والروحى	٢٥/٤٠
	من أسس قضية المرأة	٢٧/١٦ ، ٣٠/١٢ ، ٣٤/٢٩ ، ٣٦/٤٤ .
توفيق الفيل	كيف نصنع الرجال	٣٥/٥٠
جاسم عبد الرحمن الجاسم	ذكرى المولد النبوى (قصيدة)	٢٧/٦٧
جمال الدين الرمادى	المسلم يؤكد الايمان ويثبت القلوب	٣٠/١٥
حسن خالد	الحج	٣٦/١٦

تابع فهرس الكتاب

تابع فهرس الكتاب

تابع فهرس الكتاب

تابع فهرس الكتاب

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت

((الى راغبي الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص. ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبي : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحرى ص.ب ٥

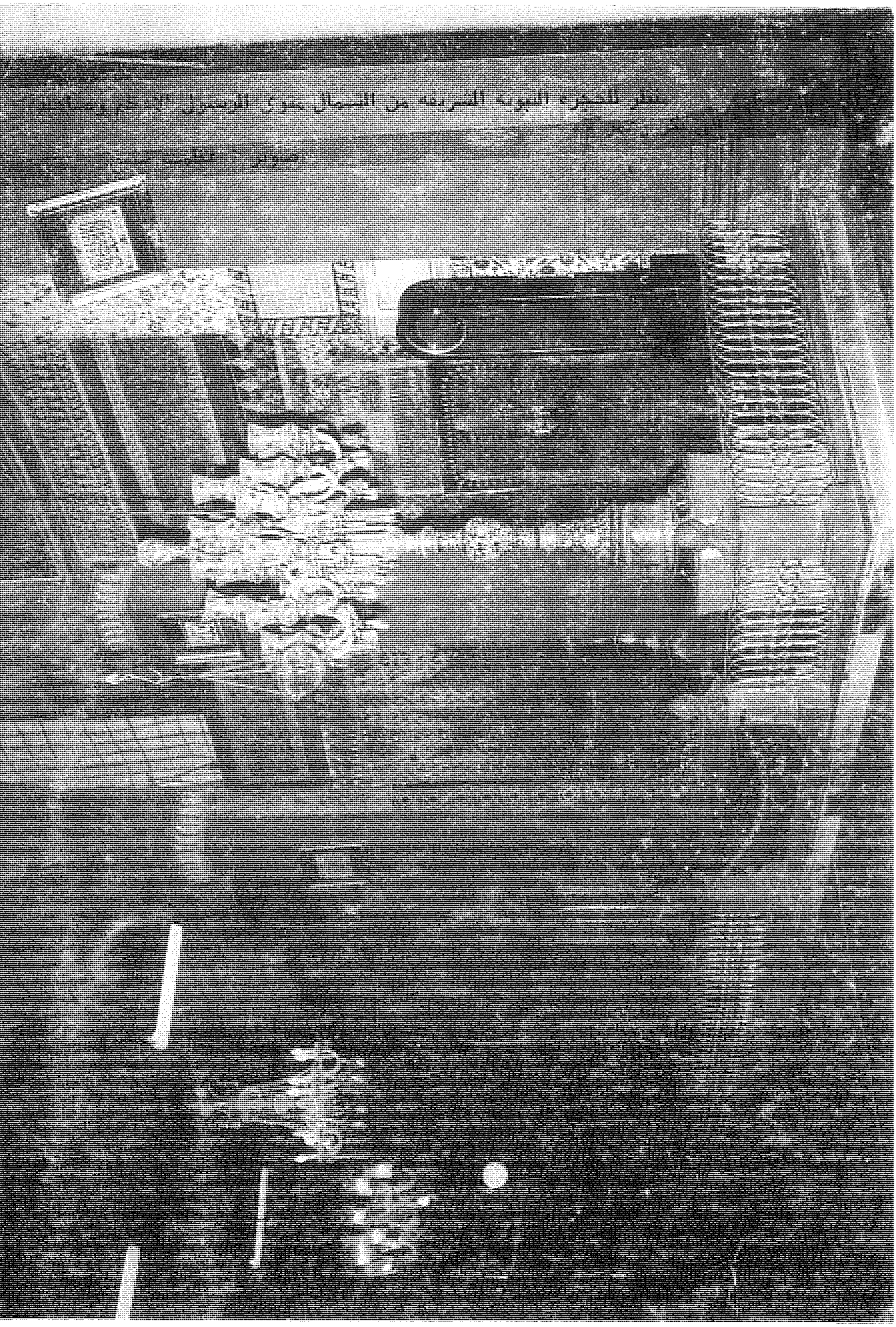
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر للحجرة النبوية الشريفة من الشمال [illegible] الرسول الأكرم [illegible]

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

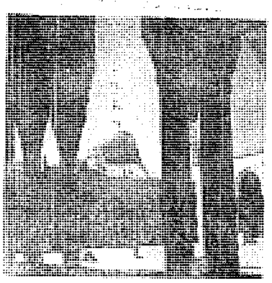
العدد السابع والثلاثون ـ السنة الرابعة ـ غرة محرم ١٣٨٨ هـ ـ مارس ١٩٦٨ م





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بعد أن أدى صلاة عيد الاضحى المبارك في جامع السوق الكبير ، يلتف حوله عدد من المصلين .

صورة الغلاف



منظر فريد للمسـجد النبوى من الداخل ويبدو فيه ايوان المحـراب بعقوده واعمدته الجميلة وتعلوه القبة الخضراء بينما يبدو فى مقدمة الصورة صحن المسـجد الواسع واعمدة البناء الجديد .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والثلاثون

ــ السـنة الرابعة ــ

غرة محرم سنة ١٣٨٨ هـ

مارس سـنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص . ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

مع العام الهجرى الجديد

للأستاذ: عبد الرحمن عبد الله المحم
وكيل الوزارة

ان لكل امة فى ماضيها حوادث بارزة ، ومواقف حاسمة ، تملى على تلك الامة لونا من السلوك ، يتمم ما بدأته الاجيال السابقة ، وينسج على منوالها ، وهذه ناحية مشتركة فى الامم ، ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخر ، بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقه ، أو عماوته وظلامه ، وتاخذ منه ايحاءات العزة والمجد ، أو تتوارى من سوء ما زخر به من انحطاط وتخلف .

وأمتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا ، وتعى ذاكرتها أكبر نسبة عرفها التاريخ من الصفحات المشرقة المفعمة بالمجد والسؤدد . ويظهر ذلك بصورة أكمل فى الرعيل الاول الذى عاش ولادة النهضة ، وكان وقودها وشعلة ضيائها الذى انتشر فى ربوع المعمورة ..

وان اروع تلك المواقف الفذة فى تاريخ امتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها النبى عليه السلام والفئات الاولى من أصحابه نجاة بدينهم من الاضطهاد والايذاء وبحثا عن التربة الصالحة لغرسة الاسلام ، واسعادا بهديه الامم التى تقدره وتتطلع اليه ، وذلك ما حدث لمجتمع المدينة دار الهجرة والنصرة .

ومع كل عام هجرى يتجدد ، تتوارد ذكريات الهجرة ، لتلقى عظاتها الحسية ، وتقوم بدورها فى الامة وارثة المهاجرين والانصار ، فتذكى فى الافئدة ادراك موضع هذا الدين من الحياة للتمسك بمبادئه واللواذ بها من عواصف الاهواء ، ونعرات الضلال والارتجال .

وان عامنا هذا الذى نستقبله قد ألقيت علينا فيه أعباء من العام الذى نودعه تاركا لنا ما هو أقوى من الذكريات وأبقى من الخواطر / وقائع حية عشناها كشبه الخيال ، وكان من حصادها / خسارة معركة مقدسة ، وضياع

بقاع طاهرة وسيول من المشردين ، فقدوا المأوى ومورد العيش بعد حملة التهجير التى سلطت عليهم .. والى جانب هذا نجد الصيحات الصادقة التى تهيب بامتنا للتامل والنظر فى اسباب نكبة العام الماضى ، وتدبر وسائل الخلاص ، والتداعى الى واجب الغوث ، ونجدة اولئك الذين ضرستهم الحرب ، ونصرة المشردين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم بالعدوان والتهجير .

ففى هذه الظروف نولى وجوهنا شطر الماضى المشرق وذكرياته ــ وخاصة حادثة الهجرة ــ فناخذ من وحيها / ان صلاح هذه الامة لا يكون الا بالتفافها حول دعوة الاسلام ، واعداد البيئة الصالحة لانتعاشها والمجتمع الذى يعرف قدرها وان تلك الكبوات فى حياتنا لا يسوغ أن تمر دون اخذ العبر منها ، ومضاعفة الاندفاع للنهوض ، بعد استجماع القوى ونفض غبار الخيبة ، والانفكاك من اسباب النكبة .

وقد أوجز لنا الذكر الحكيم هذه الحقيقة الابدية ، وهذا المبدا الكونى حين قرر أن لاصلاح لاحوال الامم الا بتغيير ما بالنفوس من الاسباب التى أحدثت الاضطراب والخلل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .. فما احرانا ان نتمثل هذا المبدا ليكون منارا لنا فيما نامله فى عامنا الجديد ..

واخيرا / فان حادثة الهجرة تعتبر ثالثة الحوادث الكبرى العظيمة فى فجر تاريخ الامة الاسلامية ، بل فى تاريخ الانسانية عامة ، والتى كان اولاها ولادة النبى حامل الدعوة والمثل الكامل ، وثانيها نزول القرآن دستور الحياة الخالد ، ثم كانت الهجرة النبوية التى حصل بها تكوين المجتمع الاسلامى فى المدينة ، وانطلق منها نور الاسلام يملأ الآفاق ...

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

فى سبيل الحرية ، ومن اجلها ، كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
نعم ، كانت الهجرة من اجل الحرية ، ولا شىء غير الحرية ..
وهل هناك فى الدنيا كلها شىء اثمن من الحرية ، واعز منها ؟..
الأوكسجين شىء لا بد منه للحياة على هذه الأرض .. حياة كل شىء ..
والحرية كالأوكسجين للانسان ..

اذا فقد الأوكسجين تلف جسمه ، واذا فقد الحرية تلفت روحه . او ماتت فيه انسانيته ..
وهل يسمى بعد ذلك انسانا ؟
لا ..
هل يسمى حيوانا ؟
لا ..
وليته كالحيوان لا يدرك معنى الحرية الا فى الانطلاق والجزى والاكل والشرب .
اذن لكان الأمر سهلا ..

ولكنه انسان يكابد .. فيه روح ، وعقل ، وفكر وله عقيدة .. وكل ذلك غذاؤه الحرية ، فكيف اذن يعيش وهو الانسان بدون روح ، وعقل ، وفكر ، وعقيدة ؟
هذا هو الشقـــاء ..
كيف يكون عند الانسان فكرة لا يستطيع ان يتحدث عنها ؟
كيف يكون له عقيدة لا يتمكن من اعلانها ؟..
كيف يضرب اذا جهر بالحق ، وتكلم بالصدق ؟
واهل الباطل يمرحون ، ويسيطرون . .يروجون لباطلهم ، ويصفقــون لأخطائهم ..
بل ويطلبون من الجماهير ان تصفق لهم ، وتشترك معهم فى اضطهاد كلمة الحق ومن يمثلونها !!
واذا كان على اهل الحق ان يصبروا ، ويتحملوا .. فالى متى ؟
واذا كانت اشخاصهم واموالهم هينة عليهم ، فان الفكرة التى يحملونها ، ويمثلونها . ليست بهينة .
اذا ضحوا باشخاصهم ومصالحهــم ، فانهم لا يستطيعــون التفريط فى فكرتهم ..
انها عندهم اغلى واعز من ذواتهم ، ومن كل مصالحهم ..
وانهم ليتحملون العذاب والتنكيل باجسامهم وبمصالحهــم ، ولكنهــم لا يطيقون ، ولا يصبرون أن يروا فكرتهم مضطهدة ، وحريتهم فيها مكبلة .

ولقد صبر الرسول والمؤمنون على العذاب والاضطهاد سنين . فما حولهم العذاب عن فكرتهم ، ولا ثناهم عن عزمهم ، ولقد كان من الممكن ان يصبروا أكثر مما صبروا ، ولكن .. ليس هذا هو الهدف ..

أنهم يصبرون من اجل عقيدة ملكت عليهم نفوسهم ، املا فى اليسر بعد العسر ، وفى الفرج بعد الضيق .

لقد مر عليها ثلاثة عشر عاما ولا يزال اتباعها محدودين .. فماذا يكون مستقبلها لو مر عليها مثل هذه المدة ، وهى تعيش فى هذا الجو الخانق ، وتحت وطأة الاضطهاد والكبت ؟

ان اهل الباطل كانوا يزدادون كل يوم عتوا ، يثيرهم ثبات المؤمنين ، ويغريهم بالمزيد من اساليب الاضطهاد لهم ، والتفنن فى تعذيبهم ، وهم يظنون واهمين أنهم باسلوب القوة والقهر ، وتحت وطأة السياط وحرارة الشمس ، يستطيعون أن يذيبوا الايمان فى نفوس المؤمنين ، وفاتهم أن الايمان شقيق الروح ، لا ينزع ولا يسلب حتى تنزع الروح ، وأن الايمان كالمعدن ، كلما كان اصيلا ، ازداد على النار لمعانا وصفاء .. ولكن القوة التى كانوا يملكونها — ولا يملكون غيرها — زينت لهم ما كانوا يقترفون .

فلم يعد هناك — اذن — أمل أى أمل فى انحسار هذه الموجة الطاغية ، فى هذه البلدة التى تحجرت على معبوداتها وتقاليدها ، ورأى زعماؤها فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على سلطانهم ، وايذانا بزوال نفوذهم وسيطرتهم ..

والانسان المستبد الظالم أشد ما يكون ضراوة ، وايغالا فى الشر ، حين يمس سلطانه ، أو يكاد يفلت منه نفوذه ، ويتخيل رحى الحق تطحنه فى دورانها ..

لم يعد — اذن — امل فى هذه البلدة ..

فالى أين ؟ ..

الى الحبشة ؟ ..

فليكن . فان فيها ملكا لا يستهجن مثل هذه الدعوة ، ولا يظلم أصحابها .. وليهاجر اولئك الذين يستطيعون الهجرة اليها ، حتى يجدوا حريتهم فى الجهر بعقيدتهم هناك .

وخرج الرجال والنساء الى بلاد لا يعرفونها ، وتحملوا المشقات والأهوال وركبوا البحر فى سبيل الوصول اليها ، ومن أجل الحرية .. ووجدوا فيها لأول مرة حريتهم وتحدث مهاجر منهم يقول « وقدمنا الى أرض الحبشة ، فجاورنا بها خير جار . أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه »

وكان هذا هو الهدف .. الحرية .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اراد ادخار هؤلاء النفر الصالحين ، وتنمية عقيدتهم وتثبيتها فى جو اخر غير الجو الكئيب المستعر الذى يعيشون فيه بمكة ..

وماذا بعد ذلك ؟

ان الاضطهاد لا يزال يشتد ، والعتو يزداد ، والكبت على الحرية تضيق حلقاته على أنفاس المؤمنين الباقين فى مكة حول الرسول ، حتى لتكاد هذه الحلقات تخنقهم ، لا تخنقهم عن الكلام فحسب ، بل عن نسائم الحياة كذلك !!

والى متى ؟
الى متى يصبر الرسول والفئة القليلة حوله على هذا الاضطهاد ؟
والى متى يظل هؤلاء المؤمنون المغتربون بعيدين عن بلادهم ، ولا يجدون متنفسا لحريتهم الا عبر البحار .. هناك فى الحبشة ؟

الى متى يظل الرسول وتابعـوه القليلون مشتتيـن موزعين بين مكـة والحبشة ؟!

والزمن يمر .. والدعوة تكاد تتوقف او تتجمد .. وكانها تشق طريقها فى صخر عنيف عنيد ؟!
لا بد — اذن — من متنفس جديد قريب ، وعلى أرض العرب .
فى الطائـف ؟

قد يكون .. فبين اهلها وبين مكة عداء قديم قد يحملهم على حسن استقبال الرسول ، واحتضان دعوته التى غالى أهل مكة فى حربها .

وشق الرسول طريقه الى الطائف ، وسار فى حر النهار ، وظلمة الليل ، مسافة طويلة لعلها مائة كيلومتر ، يحدوه الأمل فى هؤلاء ويخفف عنه المتاعب والمصاعب .

ولكن — مع الأسف — تحكم فى هؤلاء عداؤهم للدين الجديـد أكثر من عداوتهم للمكيين ، فاضاعوا الأمل فيهم ، وأضاعوا على انفسهم وعلى بلادهـم الجميل فرصة الحياة والخلود ، وكانوا اشـد من اهل مكة عتوا وفسـادا ، ومطاردة لكلمة الحق ، وللرسول الذى يمثلها .. وسجلوا بعتوهم وانغـلاق افكارهم اقسى فترة مرت بالرسول ، حتى اطلقت منه أول شكوى وآخرهـا وامرها ايضا توجه بها لربه ((اللهم أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . أنت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ..))

وتتوتر أعصاب أهل مكة ، لأن محمدا ذهب يتلمس فى أعدائهم عونا له عليهم ، ويزيد فى اغرائهم به عدم نجاح خطته ، فيسدون عليه منافذ مكـة ، ويتربصون به لينقضوا عليه ، ويحرموه حق الحياة فى بلده .. ويسلبوه حتى بقايا الحرية التى كان يتمتع بها قبل ذهابه الى الطائف !! فلم يستطع الرجوع الى منزله آمنا الا فى حماية عربى مشرك ، دفعته نخوته الى حمايته !!

فهل فى مثل هذا الجو تطيب حياة ، أو تنمو دعوة ؟
لا بد من مواصلة البحث عن متنفس آخر ..
والوطن ؟ .. اليس عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن ما قيمة الوطن اذا فقد الانسان فيه حريته ، وفقد مع ذلك امنه وطمانينته ، وعاش مروعا مهددا فى ليله ونهاره ؟ .

أليست الحرية أغلى عند الحر ، صاحب المبدأ والفـكرة من حفنات التراب ، وذكريات الصبا والشباب ؟! وكل مكان ينبت العزطيب .
ولكن الدار والمال والمصالح ؟.. اليس ذلك كله عزيزا عليهم ؟

بلى .. ولكن الحرية اعز واغلى . وما قيمة الدار والمال والمصالح والرفاق اذا عاش الانسان مع ذلك كله ذليلا مهينا ، مسلوب الارادة والحرية . لا يريدون له ان ينطق الا بما يشاءون ، ولا يستحسن الا الأصنام التي يعبدون ؟!!

وهل على مثل هذا التعسف والضغط والتنكيل يقيم انسان ؟

ولا يقيم على ضيم يراد بـــه   الا الأذلان : عير الحي والوتد

وهل في مثل هذا الجو تنمو دعوة الحق ، أو تترعرع القيم الصالحة ؟

لا .. « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة »

فكانت الهجرة الثالثة .. الهجرة الى المدينة .. من أجل الحرية والأمن .

وفي جو الحرية الجديد ، تفتحت الدعوة ، كما تتفتح الأزهار في الشمس والهواء ، وسرى عبيرها شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، وكان نصر الله والفتح .. وكانت بعد ذلك الامبراطورية الاسلامية ، والحضارة الاسلامية .. وكان كل هذا المجد الذي نعيش في رحابه ..

نعم .. من أجل الحرية هاجر الرسول والمؤمنون وبذلوا ما بذلـــوا ..

ومن اجل الحرية ، لم يعترف الرسول باسلام من اسلم اذا آثر ان يعيش في جو الكبت بمكة ، مسلوب الحرية والارادة ، ولم يهاجر الى بلد الحريـــة ـ المدينة ـ لينعم بحريته ، ويجهر بعقيدته ..

حتى اذا فتح الله للرسول مكة ، وسرى جو الحرية في ارجائها من جديد ، رد الرسول اليها اعتبارها ، واعلن للنـــاس الا هجرة منها بعد الفتـــح ، ولكن جهاد ونيـــة ..

من أجل الحرية ـ اذن ـ كانت الهجرة ، وبالهجرة عز الاســـلام وانتصر وانتشر ..

ومن أجل الحرية .. كان الجهاد بعد الفتح بدلا من الهجرة ، دفاعا عن الحرية ، وصونا لها ، لتتنفس الدعوة الصالحة في جوها ، وتترعرع القيـــم العليا في أرضها ، وتتكون وتقوى الشخصية الاسلامية على غذائها ..

نعم .. ومن أجل الحرية أبى الله أن يعبده انســـان عن طريـــق الضغط والاكراه .

وفي أرض الحرية وجوها نما الاسلام وازدهر وأثمر .

وفي أرض الحرية وجوها كذلك ، تنبت كل دعوة صالحة ، وتنمو كل فكرة خيرة ، ويزدهر كل علم نافع ، ويتكون الرجال الصالحون .

وفي جو الحرية يختنـــق الضلال ، ويهوى البـــاطل ، ويتبدد الخبيث ، وينكشف كل غش وتدليس .

الا ما أعذب الحرية ، وما أعظم قيمتها عند الله وعند الناس .. وما أسعد الذين يعيشون في ظلها ، ويتمتعون بخيراتها ، أو يموتون في سبيلها ، ومـــا اشقى الذين يعيشون محرومين من نسماتها ، وأشـــد منهم شقاء في الدنيـــا والآخرة ، أولئك الذين يسلبون الناس أثمن ما أعطاهم الله .. الحرية ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشـــاد

من هدى السنة

حوار

للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن حذيفة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتنة (١) الرجل فى أهله (٢) وماله (٣) وولده (٤) وجاره (٥) تكفرها الصلاة والصوم ، والصدقة ، والامر والنهى » (رواه البخارى) .

التقيا على غير ميعاد ، وتبادلا التحيات والبسمات ، وعلقت يد أحدهما بيد الآخر وسارا متجاورين يشقان طريقهما وسط الجماهير المتدافعة كالموج ، وكانا يتحدثان كأنهما يتصايحان وأحيانا يتهامسان خوفا على حديثهما أن يحمله النسيم الى أسماع لا يحبان أن يصل اليها ، ثم اخترقا الجموع الصاخبة اللجبة ، وحملتهما أقدامهما الى ركن هادىء فى حديقة ذات ماض عريق ضارب فى القدم ،

---

(١) أصل الفتنة فى اللغة : الابتلاء والاختبار ، ثم أطلقت عرفا شرعيا على كل ما يكشفه الامتحان من سوء ، وقد تطلق أحيانا على الكفر ، والبلية ، والعذاب ، والتحول من الحسن الى القبيح . وأحيانا على الميل الى الشىء والاعجاب به وقد يكون ذلك فى الخير والشر قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

(٢) فى أهله : فقد يتجاوز الحد فى حبهم فيعميه ذلك عن فعل الخيرات ، أو يفرط فى رعايتهم فتسوء حالهم ، وفى كلا الحالين هو مسئول عنهم لانه راعيهم وكل راع مسئول عن رعيته كما ورد فى حديث شريف .

(٣) وماله : بان يحاول تنميته بطريقة لا يقرها الشرع كالربا مثلا ، أو يبذره ولا يوجهه حيث أمر الله سبحانه .

(٤) وولده : أفرده صلى الله عليه وسلم بالذكر مع أنه داخل فى الاهل غالبا — لانه كالمال — زينة الحياة الدنيا والأب مغرم دائما بابنائه وكثيرا ما يؤدى به ذلك الى الغفلة عن حقوق الله تعالى .

(٥) وجاره : فان كان الجار غنيا فقد يتمنى جاره الفقير زوال نعمته لشدة حقده عليه ، أو قد يهمل ذلك الغنى عون جاره الفقير ، وكلاهما ان فعل ، فهو بعيد عن أداء الحقوق التى وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقوم الى جوار حى من أحياء مدينة دعيت ولا زالت تدعى (**مدينة النور**) (٦) . ولهذه الحديقة قصة فى تسميتها وفى وجودها المستمر ، **طالما تلاقى تحت** أشجارها الوارفة الظلال ، وحول بحيرتها الجميلة الساكنة — عشاق ومحبون ؛ للعشق والمحبة الوان ومعان يطول شرحها ، ولا اعنى **هنا العشق الفانى** ؛ وانما أقصد المتيمين بالبقاء الذين أحبوا الحقيقة وجاءوا **هنا يبحثون عنها** — بين هذه الاخلاط العجيبة من البشر — على أيدى **علماء أفذاذ عباقرة** .

وقصارى القول : جلس القرينان الخيران ، ودار بينهما **حوار ليس** عجيبا وان كان لا يخلو من عجب .

قال أحدهما : ان أمر الحياة والناس أمر يذهل العقول ، **أيام تمر وتنقضى** ؛ وأخرى تلاحقها ثم تتابع نفس المصير ، وهذا عام من أعوام **الهجرة الشريفة** جديد ، وقد سبقته أعوام تلاشت ثم فنيت وسيدركه **ما أدركها من التلاشى** والفناء ، والناس هم الناس منذ ان هبط أبواهم الارض ، **تسيرهم أهواء** وتحكمهم رغبات ، وترفعهم أو تخفضهم شهوات ، **منهم من أعمل فكره ، فتأمل** وبحث وعقل ودرس ، ومن الدارسين من أنتج **للانسانية ما أفادها ، ومن** الباحثين من مضى بالحياة قدما ، ومنهم من اضاء حنادس **زمانه ولا زال يسرى** على ضوء هداه المدلجون ، وعلى النقيض من هؤلاء **من هوى وانزوى ولم يشعر** الوجود بوجوده ، بل منهم من وجمت يوم نجم أمه ، ومضى **حيوانا مكرر الهيولى** لا يعدل سائمة ولا يزن قارضة ، ولا يباع ولا يشرى بدرهم ، **فلم تدر به الليالى** ولم تدرك عبوره لحظات عبوره .

وهنا قاطعه الثانى : على رسلك يا أخى ماذا **تريد من الحياة وتلك سنة** الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، ولن تجد **لها تحويلا كما نص القرآن** الكريم فى محكم آياته البينات .

قال الاول : ألق الى سمعك وانت شهيد ، وعش معى **لحظات بعقلك** وقلبك لأبثك شجونى ، وأفضى اليك بذات نفسى ، **فقد بلغ السيل الزبى وجاوز** الحزام الطبيين ، ولم نعد نجد ملجأ أو مغارات أو طريقا **نسلكه لنتوارى عن لوم** اللائمين تارة ، وشماتة الحاقدين أخرى ، فنحن ورثة مجد ، **وخلفاء من احسنوا** قيادة العالم ردحا من الزمان ، وملأوا رحابه **علما ومعرفة وأصالة رأى** ، وحملوا مشاعل الحضارة حقبا طويلة ، **ولنا من التراث الباقى ما يبلى الزمان** ولا يبلى أرجه العطر ولا يختفى نوره الوضاء — **واعلم قبل أن تعترض أن هذا** لا يجدى فى واقعنا الماثل فتيلا ، (فان الفتى من **يقول ها أنذا**) « **ولكن سأسوق** القول مقتبسا من مجلس من مجالس رسول الله **صلى الله عليه وسلم قد يبدو** لك — لأول وهلة — أنه قصى عن مجرى حديثنا **ولكن متى تأملت وفكرت الفيت** كل ما يصدر عنه صلوات الله عليه **يصلح قاعدة وأساسا لنهضة عامة شاملة** ومحركا قويا للهمم الوانية ، والعزائم الخائرة **فى يسر ولطف وايناس ، وتوجيه** حكيم ، وتدبير قويم . واليك قول حبيب رب العالمين : « **فتنة الرجل فى أهله** وماله .. الخ الحديث الشريف » .

أليس أهل الرجل همه الذى يهمه ، يعنيه أمرهم ، **ويسعى فى الحياة**

---

(٦) هى مدينة (باريس) ولهذه التسمية أصل وسبب خاصان حدثنا بهما عالم كبير من علمائها الافرنسيين الأجلاء وان كنت أرى أن مدنا أخرى كانت ولا تزال تستحق المشاركة فى هذا الوصف الكريم ، وان صار علما عليها منذ آن بعيد .

جاهدا من اجلهم ، يستصرخهم فى الملمات ، ويستعين بهم فى النائبات ، ويفخر بعددهم وعديدهم فى الرخاء والسلام ، فقل لى بربك : أليس اذا أحسن القوامة على أمورهم ، وسلك بهم المسالك الرشيدة التى شرعها الله ، ونأى بهم عن المهالك ، وجنبهم المزالق التى تغضب الحق ، فقوم معوجهم ، وهدى ضالهم — كون بذلك جماعة متماسكة مؤمنة بحقها فى الحياة ، حريصة على حق غيرها لا يعتدى ولا تقبل الاعتداء عليها .

والمال : وما أدراك ما المال ؟! عصب الحياة ، ومهوى الافئدة ، يحقق الشىء ونقيضه ، فيدفع البعض الى الجبروت والعدوان ويوردهم موارد الرذيلة والفساد ، ويرفع من يحسن ادارته ، ويقدره قدره الى مصاف القادة والسابقين فى كل مناحى الحياة ، فبقوته وسيولته تشاد المصانع على اختلافها وتبنى دور العلم ، وتعد القوة المستطاعة ، وتجنى المعرفة الحقة ، وتنمو الحضارة ، وتزدهر دروب الامم ويقوى كيانها ، وذلك اذا وضع فى موضعه وصين عن المباذل ، والضد بالضد (وبضدها تتميز الاشياء) ، ثم ألم تقم باسمه مبادىء وحضارات ، كما أبيدت باسمه أيضا مبادىء أخرى وحضارات ، ولن يزال هدف المعارك والمناوشات .

وهلم يا أخى متأملا الولد : والولد اما عبء واما عون ، وما الافراد الا أولاد الآباء ، أو آباء الاولاد ، فلو سلك كل رجل مسلك الهداية الالهية ، وحافظ على هذا الكنز العظيم ، والطاقة التى لا حد لها من القوة الانسانية الكامنة فى الولد (ذكرا كان أو أنثى) وأفرغ خبرته فى حسن توجيههم ، فأماط الاذى عن طريقهم ، وشرع لهم نهجا قويما مستمدا من توجيه السماء ثم من خبرة عقلاء الانسانية وهم كثر — انه لو فعل — لصنع لبنة وأية لبنة ، وكون فردا وأى فرد — انه لو فعل — لأخرج لقومه قوة تبنى وتصنع المجد ، وتحارب الانحراف ، وتمضى لما أمر الله فى غير لين ولا هوادة ، لا تقبل الوقوف فى المؤخرة ، بل تأتى فى المقدمة دائما (١) .

ثم الجار : وما الناس الا جار ومجاور جار ، ولا يوجد من عاش غذا وحيدا بلا جار ، ولو ضرب خباءه فى قنن النيق أو وسط الصحارى أو سكن سفينة فى عرض المحيطات ، فجاره هو أول من ينتهى خطه اليه ، فلا عزلة فى الحياة عن جار ولا انقطاع عن جوار ، وتأمل ثم احكم .

وأمر الجار فى الاسلام ، فى التقييم الاجتماعى ، فى البناء الانسانى أمر عظيم ، فلا تقترب من جارك بحجر أو مدر ، وانما بقلبك وروحك ، ولو أن

---

(١) لقيته رجلا فرنسيا من المحاربين القدماء يقيم فى مدينة تورا (TOURS) احدى مدن فرنسا الكبيرة يعمل أستاذا فى معهدها وجامعتها وقد جاوز السبعين عاما ، حدثنى انه حضر الحربين العالميتين الاولى والثانية (١٩١٤ ثم ١٩٣٩) جنرالا وله أربعة أولاد وبنتان ، كلهم اما طبيب أو قائد فى الجيش أو مهندس أو أستاذ فى جامعة فاطريت نبوغهم فقال : كم من نبوغ وأراه التراب حين لم يجد راعيا ، ولكن أنا الذ وجوت وجهدت حتى وصلوا . ولا يخلو قول الرجل الكبير من صدق ووعى حقيقيين جديرين بالاعتبار ، وليت كل الآباء يفعلون فعله .

الوصايا طبقت كما وردت . ولو أن الانسانية فقهت أن جبريل ما زال يوصى سيد الخلق صلوات الله عليه بالجار وشؤون الجار حتى ظن عليه السلام أنه سيورثه لتضامت وتجمعت وتقويت والتأم أمرها وما تفرق شملها ، ولا فت فى عضدها ، والجار الذى لا يستل سخيمة نفس جاره بمواساته بالمال ان كان ممولا ، وبالجاه ان ضاق جاره بالحياة او ضاقت الحياة به ، وبالمروءة وطلاقة الوجه ، والعون بمختلف ضروب العون ، لا يكون مؤمنا ولا ذا أثر فعال فى تكوين مجتمع متحاب متواد ، لانه فصم المروءة ، وهدم البناء ، وخان الحق ، واتبع الهوى ومن أضل ممن اتخذ الهه هواه .

الا ترى يا أخى بعد ما سقت اليك من الايضاح أن هذا الحديث الشريف يضع يد العاقل على موطن الداء ثم ها هو ذا يصف العلاج فيدعو الى الارتباط بقيوم السماوات والارض حق الارتباط ويدل على الدواء الناجع ، فالصلاة تذكر بالله وبالتالى تحمل المرء على رأب الصدع ، وجبر الكسر ، ثم الصوم ولعلك وعيت ما قيل عن الصوم وما أكثر ما تحدث عن هذا الركن من أركان الاسلام ، انه يذكر الصائم الواجد بأخيه المعدم ، ويضع يده على تيمة المال ، ويهديه الى الهدف السامى لصرفه وانطلاقه ، **ثم الصدقة** : انها لذات أثر فعال فى تقوية حبال المودة ، وليس المراد بها هنا الزكاة المفروضة ابدا فتلك أمر محتوم لا فكاك منه ولا مفر عنه لمن آمن بالله واليوم الآخر ، وانما المراد هنا ما تعطيه يمينك حتى لا تعلم شمالك ما تنفقه ، هى ما ورد ذكرها فى الكتاب العزيز « ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم .. » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » (١) .

والامر والنهى : وتلك مهمة شاقة لا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم ، ولا يزال يوجد من يقوم بها ويؤديها (٢) والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

وهنا : تنفس الثانى الصعداء وعقب على حديث صاحبه قائلا : صدقت وما عدوت الحقيقة والواقع ونرجو ولا ينقطع لنا فى الله رجاء أن يفطن المسلمون لوحى السماء فان مع العسر يسرا ثم ان مع العسر يسرا ثم انفض مجلسهما على أن يلتقيا دائما فى رحاب الله وعلى مائدة رسوله خاتم الانبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله وسلامه . فتلك هى الباقيات الصالحات وهى خير ثوابا وخير أملا .

---

(١) أما الزكاة المفروضة فيكاد ينعقد الاجماع على وجوب اظهارها ليقتدى الاغنياء بعضهم ببعض فى اخراجها وليعلم الناس أن هذا الركن العظيم من أركان الاسلام لم يهدم بعد ، وان كان قد ورد ذكرها فى القرآن العظيم باسم الصدقات أحيانا مثل قوله تعالى (انما الصدقا ت.. الخ)

(٢) فى عدد سابق من هذه المجلة الواعية الغراء أفردت لهذا الموضوع بحثا كاملا فليرجع اليه من أراد تفصيلا .

الهجرة
منطق اليقين

للشيخ : محمد الغزالى

نحن فى عالم يسوده المنطق المادى ، ويعد المحسوسات وما يتصل بها هى الوجود الذى لا وجود وراءه .. !

وجمهرة البشر اخذت تستكين لهذا التفكير ، وتبنى عليه سلوكها فى الحياة ، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !
نعم . انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة ، وتأوى الى هذا الايمان فى الساعات العصيبة ..

بيد أن لغوب الناس على ظهر الأرض ، وكدحهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته ــ أما الدار الآخرة وما يمهد لها ، فأمر قلما يخطر على البال واذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد .. !

وحقيقة الدين تنافى هذا المسلك الخامل ، فان الايمان بالغيب قسيم للايمان بالحاضر . ولا يصح تدين ما الا اذا كان المرء مشدود الأواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع فى هذه الدنيا ..

والغيب الذى اقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا ، أو مشاهد الجزاء الأخروى ، أو المرويات التى أنبأنا الوحى بها ، ولا نستطيع الوصول اليها بمداركنا ..

الغيب الذى اقصده هنا ما يتصل بالسلوك الانسانى المأنوس لنا ، أى ما ننبعث عنه فى كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقصاء ما نكره .. !

ان النصر على الاعداء غيب ، خصوصا اذا وهنت الوسيلة ، وقل العون ، وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله وحده جل شأنه ، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضى فى طريق الكفاح المر ، وهو واثق من النتيجة الأخيرة . . !

ان غيره يستبعدها ، أو يرتاب فيها . . أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وان طال المدى .

فاذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر . .

ان ايمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » والرزق — مثل النصر — غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — لما ادخر له صبرا من طعام :

« أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا » .

ولماذا يخشى الاقلال وقد وعد الله أن يخلف على من أنفق ؟ ووعده منجز لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجح عند المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفسه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأميل فى الحياة ، والرغبة فى سعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان . . !

ولذلك جاز فى الحديث « افضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم : « أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون انصبة وافرة من الايمان بالمستقبل . يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وأن ضعف اليوم حملته — ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم ، راجون ما عنده .

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم ، من تقدير للحياة ، والرأى العام ، وكفالة الأولاد ، وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق . وأشواق الدنيا . ثم آثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى أنصار الحق ، وكيف يخرجون من غباره أوفياء لله ، أحقاء بكرامته .

عن « سبرة » بن « الفاكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

فعصاه ، فأسلم ، فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهاجر ، وتذر دارك . وأرضك . وسماءك ؟ فعصاه فهاجر . .

فقعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال . فتقاتل . فتقتل ، فتنكح المرأة ويقسم المال .

فعصاه فجاهد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك فمات ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .
هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفانى فى نصرته .

والواقع أن ايمان هؤلاء بالغيب مثل ايمان غيرهم بالمحسوس . ان الرجل الذى يقطع تذكرة للسفر من القاهرة الى الاسكندرية لا يخامره شك فى أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به اليها !

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينا الى جنة عرضها السموات والأرض ، ايماننا اليوم بأن السفر من عاصمة الى عاصمة أو من قارة الى اخرى يصل بنا الى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الايمان بالغيب الى هذه القمة الراسخة ، فان اصحابه ينتصرون بمبادئهم حتما وناشروها فى الحياة نشرا لا يدركه طى ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون امامهم من عوائق .

والمستقبل الذى تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه اصحابها يتكون من جزاين احدهما قريب والآخر بعيد .

اما القريب ففى هذه الدنيا وعلى ارض الميدان الذى تدور فيها المعارك .. اما البعيد فعند الله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل ، وفى المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى : « ام يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء فى سورة أخرى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بها وكل ما عناهم أن ينهضوا بحقوق الدين الذى اعتنقوه ، وان يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن .

من اجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر ان يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق ان يبذلوا النفس والمال .
ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم اشبه بانتقال الموظف اليوم الى بلد اتصل فيه رزقه او نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التى تواضع الناس على الاحتفال بها ..

اما المهاجرون الأوائل فهم ينتقلون من بلد الى بلد اقامة لدين مضطهد ، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ، ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا .

ان هجرات الاحياء على ظهر الارض كثيرة ، بل ان الطيور فى الأجواء ، والاسماك فى المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة .

لكن الهجرة التى علت بها اقدار ، وخلد بها اقوام تلك التي قامت ودامت ببواعث الايمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليمه ، والعيش بهـا أو الموت دونها .

ومع أن الوحى الاعلى لقن المؤمنين ان رسـالتهم ستستقر ، ورايتهم ستعلو ، وأن الكفر سيذوب ، وينخذل حزبه ، الا أنه تملق أفئدتهم بالمستقبل البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ولهذه الآيات معنى ينبغى أن نقف عنده طويلا . فان المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال . وهذا جائز ، بل كثير الوقوع . لأن انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه أن يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى تعبر عليه المبادىء وتشق طريقها الى مستقبل وطيد .

لكن هل ذهاب عدد قل أو كثر من أهل الايمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ، ان الانتقام الالهى لاحق بهم يقينا .

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هـذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ، أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » .
والخطة المثلى أن يؤدى الانسان واجبه المجرد دون استعجال المصير فى هذه الدنيا ، والا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه .

فمن يدرى ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الايمان الذى جحدوه من قبل .. !

وفى أعقاب احد ، ومع مرارة الهزيمة التى أصابت المسلمين ، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين . ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم .. »

فى اطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عنـدما طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين .

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت ، ولا يعروه الفناء .

والمؤمنون حين يغرسون فى هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرسـهم فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد ، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك .

ولن يخامرهم قنوطه لأن ما ارتقبوا تأخر ميعاده .
ولن يسأموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى ، وان يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه .

دروس حول الهجرة

للدكتور: محمد محمد خليفة

المفتش بالازهر

من الخير للمسلمين حين يذكرون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وحين يعيشون مع هذه الذكرى بخواطرهم ومشاعرهم ان يتخذوا منها دروسا لحاضر أمتهم الكبيرة ومستقبلها .

وما أكثر الدروس التى تدور حول الهجرة من اسباب ونتائج ، وخوارق وتدبير ، وقصص وتضحيات ، وصبر وقوة احتمال .

وما أكثر الآثار التى خلفتها وراءها من تربية النفوس ، وبناء المجتمع الاسلامى ، ومن كسب غير مجرى التاريخ العربى ، بل اثر فى التاريخ الانسانى حقبا من الزمان .

وحسبنا أن نقدم جانبا من تلك الدروس ، لعل اشراقات من فيضها تهدى عالمنا الحائر الى الخير الذى ينشده كل غيور على بناء هذه الأمة الذى يوشك ان يتداعى .

« الدرس الأول »
« الصبر والتضحية فى سبيل العقيدة »

لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله ضروبا من العنت وصروف الأيذاء ، فقد كذبه قومه ، وهو الذى عرف بينهم قبل بعثته بالصدق والأمانة ، وحين ضاقت نفسه بذلك التكذيب نزل عليه الوحى يسليه « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » وقد عذبوه ونال منه رجالهم ونساؤهم ، فهز الأسى قلبه ، وسرعان ما أمره ربه بالصبر : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وأوذى أصحابه المؤمنون وعذبوا فبين لهم أن من كان قبلهم كان يمشط بمشاط من الحديد ما يثنيهم ذلك عن دينهم » .

وقد مر بآل ياسر وهم يعذبون على الرمضاء ، والسياط تأكل جسومهم ، والصبيان يعبثون بهم فقال لهم : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » . ولو أن الدعوة على الرغم من كل هذا لقيت بعض النجاح لهان على نفس الرسول ونفوس أصحابه كل ما يلقون من القرشيين ، ولكن قريشا لم تدخر جهدا فى محاربة الدعوة ، والوقوف فى وجهها بكل ما تملك ، حتى يخيل أن قريشا جمدت الدعوة داخل مكة ، فعاشت فى قلوب من كانوا أسلموا فى الأعوام الأولى من المكيين ، وبين قلة قليلة من ابناء

القبائل الذين وقفوا على أمرها فى موسم الحج .

لكل هذا أذن الله لرسوله بهجرة اصحابه الى المدينة بعد بيعة العقبة ؛ فلبى الصحابة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهجروا وطنهم ، ولهم فيه ذكريات وأهل وولد ومال ، وضحوا بكل ذلك فى سبيل عقيدة منحوها قلوبهم ، ومبادىء ملكوها أرواحهم ، فآثروا العقيدة والمبادىء التى جاء بها الاسلام على كل ما لهم فى الحياة ؛ وطلبوا بذلك رضاء الله .

ثم أذن الله لرسوله بالهجرة ، بعد أن عبأت قريش لقتله من كل بيت من بيوتها فتى جلدا ؛ ليضربوه ضربة رجل واحد ؛ فيتفرق دمه بين البيوت ولكن عناية الله تولته وحمته حتى بلغ المدينة ..

ما أفقر المسلمين اليوم الى شىء من صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر أصحابه يواجهون به التعبئة التى عبأها الانحلال ، ويواجهون به الردة المستترة المتنكرة لكل ما يدعو اليه الدين والخلق

وما أحوج المسلمين الى شىء من التضحية بجهد اللسان والقلم فى سبيل الله ، وشىء من التضحية بالمال ؛ يفتحون به للاسلام طريقا بين الشعوب المتخلفة التى تغزوها المسيحية واللادينية .

اننا حين نذكر تضحية المهاجرين الأولين بأوطانهم فرارا بدينهم ؛ واستعدادا لحمل رسالة الحق ونشرها فى الآفاق ؛ يجب أن تدفعنا هذه الذكرى الى أن نهيىء نفوسنا للهجرة برسالة الاسلام الى من يجهلونها .

وحين نذكر تخليهم عن أموالهم فى مكة يجب أن نقدر تلك التضحية ونتخذ منها درسا للبذل فى سبيل عزتنا وعزة ديننا وانشاء مراكز اسلامية فى أقطار الأرض تحتضن التائهين بين ضلالات الديانات ؛ والضاربين فى مجاهل الدنيا ؛ لا يدرون عن الديانات شيئا ؛ لأن الاستعمار ضرب عليهم سجونا عاشوا وراء أسوارها بعيدين عن نور الاسلام ..

....

« الدرس الثانى »
« التربية »

كان جل هم الرسول صلى الله عليه وسلم حين يلتقى بالمسلمين قبل الهجرة يتجه الى تبليغهم ما نزل عليه من القرآن ، وتعميق الايمان فى قلوبهم ، بتوجيههم الى النظر والتدبر ، وقد شغلته مناوآت قريش له ولأصحابه وخوفه على أصحابه عن المغامرة والانتقال الى القبائل لتبليغها دعوة الاسلام ، وبخاصة بعد أن رأى موقف أهل الطائف منه ومن دعوته ، وموقف قريش من المهاجرين الى الحبشة .

فلما استقر به المقام فى المدينة ، وأقبل الناس أفواجا على الاسلام ، اتخذ من مسجده مدرسة تحلق حوله فيها المهاجرون والأنصار ، يتلقون القرآن ومبادىء الاسلام ، ويربيهم فى هذه المدرسة تربية قوامها الاخلاص والطاعة والصدق والأمانة والبذل والحب فى الله ، والبغض لله والايثار والتفانى لخير الاسرة الاسلامية الكبيرة ، والعمل المتعاون لبناء الكيان الاسلامى ؛ فكل فرد فى تلك الأسرة لبنة صلبة يشتد ويطول به البناء ، فلا مكان بين تلك الأسرة لأنانى ، ولا لجشع ، ولا لمستغل ، ولا لانتهازى ؛ ولا لاحتكارى ؛ كلهم سلم لمن سالم تلك المبادىء ، وكلهم حرب على من حاربها .

هكذا عاشوا أعوامهم الأولى فى المدينة ، أعوام التربية الصادقة فى مدرسة الرسول ، فلا تنفض حلقاتهم الا لأداء فريضة ، أو سعى قانع وراء عمل يجتنون منه لقيمات تقيم أصلابهم وأصلاب ذويهم . فلما اطمأن الرسول

صلى الله عليه وسلم الى تربية أصحابه ،و تهذيب طباعهم وتأديب نفوسهم بعثهم الى الآفاق مع السلاح او وراء السلاح أو بلا سلاح ، روادا الى الخير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون بهم على ينابيع الحق التي تفيض بها دعوة الاسلام . وهكذا كان الدرس الثاني من دروس الهجرة تربية المسلمين وتهيئتهم للرسالة العظيمة التي سيحملونها الى العالم .

وكان لهذه التربية أثرها فى بناء الأمة الاسلامية فى حياة الرسول وفى عهد الشيخين .

ومن هنا غيرت الهجرة مجرى تاريخ العرب الديني والخلقى ، بل كان لها أثرها فيما بعد فى تغيير التاريخ الانسانى فى بعض الأرجاء التى سطع فيها نور الاسلام .

ولا يخالج احدا شك فى أن قوة الأمة الاسلامية فى فجر حياتها كانت نتيجة للتربية الاسلامية الخالصة .

فما أحوج قادة المسلمين ورؤساءهم — وكلهم يؤمن بأثر التربية فى البناء — الى أن يعنوا بتربية شعوبهم ، وتعميق الايمان بالحق والمبادىء فى النفوس ، قبل أن يخوضوا بشعوبهم معارك الحياة والعزة والكرامة .

ان الانحرافات الملموسة بين صفوف القيادات ، وفى مراكز التوجيه تفرض على المسئولين العناية بتربية النفوس ، واعدادها لحمل الرسالات . وما احوجنا الى مدرسة كمدرسة محمد صلى الله عليه وسلم تنهل منها العقول والقلوب والأرواح خير زاد للمستقبل .

« الدرس الثالث »
وطن المسلم هو الوطن الذى يجد فيه العزة له ولدعوته

لقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاعدة لدعوة الاسلام بعد هجرته اليها ، فأصبحت بذلك مركزا للاشعاع الروحى ينبعث منها الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى آفاق الأرض فى عهد الخلفاء ، واصبحت لهذا مثابة لطلاب العلم والمعرفة ينزحون اليها من الأقطار والحواضر والبوادى ثم يرجعون الى ذويهم دعاة الى الخير موجهين الى الحق ، مجاهدين فى سبيله ، وبهذا صارت المدينة موطنا للدعوة التى عزت فيها وبها ، كما صارت موطنا حقيقيا لأصحاب الدعوة وحملة رسالتها ، وقد نسوا جميعا أوطانهم التى شبوا بين مرابعها ، حين لاقوا فى المدينة اخوة انستهم اخوة الأرحام وأبوة انستهم ابوة الأصلاب ، ولقوا بين وشائج العقيدة ما ربط أرواحهم بالمدينة التى عاشوا فيها حياة زاخرة بالسمو الروحى ، فى كنف دين تفاعلوا مع توجيهاته ودعوته .

. . . . . .

« الدرس الرابع »
« تكوين البناء الاجتماعى للمسلمين »

لقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة الأسرة الاسلامية الصغيرة من الاحرار والعبيد من الرجال والنساء ، وقد تفانى افرادها فى التعاون لخيرها ودرء الشر عن اعضائها ، ولا يغيب عن احد عاطفة الأخوة الاسلامية التي حملت أبا بكر رضى الله عنه على أن يشترى بلالا من سيده بالثمن الذى غالى فى طلبه ، ليمتقه من الرق ، وينجيه من سياط الاستعباد التى كانت تمزقه فوق بطاح مكة .

كما لا يغيب موقفه من قريش حين تكالب قساتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت الله الحرام فأخذوا بخناقه حتى أحمرت عيناه ، وعندئذ ثارت أخوة أبى بكر غير مكترثة بقوى الكفار ولا ببطشهم

وصاح فيهم : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » ؟

ولما هاجر الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرص على بناء المجتمع الاسلامي وتوطيد جوانبه ، فكان أول ما قام به لتدعيم بناء الوحدة الاسلامية هو ذلك التآخي الذي سنه ، فآخى بين المهاجرين والأنصار وجعل لكل أنصاري أخا من المسلمين المهاجرين يؤويه في بيته ويطعمه من طعامه ويكسوه من كسائه ، ويتعهده بالرعاية ، وبذلك الاخاء نسى المهاجرون مرارة الاغتراب التي قد تعانيها نفوسهم في الوطن الجديد .

وظل المجتمع الاسلامي ينمو ، وتشتد قواه وعراه رابطة العقيدة تحت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعناية خلفائه من بعده ، حتى أصبح عمر يرى أنه مسئول أمام الله والأمة عن كل فرد في هذا المجتمع الكبير ، وكان لايمانه بحقوق الفرد على الخليفة وعلى الدولة أثره في توطيد بناء الوحدة الاسلامية ، وله أثره كذلك في تفاني الفرد في العمل لخير الأمة . ولم يعرف ذلك البناء الاجتماعي روح الأثرة المخربة ، بل كثيرا ما كانت ثروات الأفراد تستغل لخير الكيان الاسلامي أو المعوزين من المسلمين ، ولا ننسى في هذا الموطن تجهيز عثمان لجيش العسرة ، وتصدقه بحمل الف بعير على المسلمين في عام الجدب ، وكم جهز غير عثمان الكثير من المجاهدين بالخيل والسلاح ، وان لم يبلغوا مبلغه ، وكم ضحى بعض المسلمين بماله كله أو أكثره في سبيل الله والأمة .

وكم صادر عمر كثيرا من أموال ولاته ووضعها ببيت مال المسلمين وكان يقول لهم : لم أبعثكم تجارا وانما بعثتكم هداة ومعلمين ولم يبرح عمر يسائل ولاته في كل عام : من أين لكم هذا ؟ حتى لقي ربه .

ان تماسك البناء الاجتماعي في السلم والحرب هو الذي تحطمت أمامه دسائس اليهود وتكسرت دونه قوى الفرس والروم ، فلم تفتهم كثرة ولا عتاد أمام هدير القوى الاسلامية المتدفقة التي لم تسلم ظهورها الى الأعداء ، ولكن كان شعارها : تلقى الطعن في النحور والصدور أكرم من تلقيه في الأدبار والظهور » .

هذا هو الدرس الرابع من الدروس التي يجب أن ننتفع بها في ذكرى الهجرة . فليتنا نذكره ونحن نرى بناء مجتمعنا وقد أصبح كبيت العنكبوت تخفق الأرياح فيه ، وتلعب بخيوطه نفثات الضعفاء ، وتعبث فيه الأهواء .

ان مئات الملايين من المسلمين يعيشون حيارى في متاهات آلامهم حين تسترجع خواطرهم ذكريات أولئك الحفاة وهي يقتحمون ايوان كسرى ، ويقلبون عرش القيصر ، ويجتاحون بايمانهم وتماسكهم خطوط القتال التي كانت تموج بكل فتاك من الحديد .

((نداء ورجاء))

ان الهجرة خلقت في العالم أمة صنعتها عناية الله ، وربتها رعايته ، وهيأت مشيئته لها وطنا جديدا عزت فيه ، وشدت مبادىء الحق بناء مجتمعها وانا لنضرع الى الله أن يعيدها على الوجود كما كانت أمة قوية البنيان يشد بعضها بعضا .

وان اعنف جراح تستنزف قوى هذه الأمة هي جراح التفكك الاجتماعي والانحلال الخلقي، وطغيان الأثرة ، وسيطرة أعداء الله على مقاليد العالم ، فأضرع الى الله أن يجمع الأمة على الوحدة ، وان يطهر قلوب الرعايا والرعاة من كل جرح يضعف كيانهم وسلطانهم لتعود الى الوجود خير أمة عرفها الوجود .

ملحمة الهجرة

خطة وتصميم

للدكتور: صبحي الصالح

اذا استشففنا حجاب التاريخ الفينا فيه هجرة الرسول ابرز حادثة من حوادث الدهر . ولكي تكون كذلك ــ وهي حقا كذلك ــ لا بد أن يكون لبطولة الرسول فيها اثر ؛ ولا بد أن يكون لشجاعته ونضاله وجميل صبره وطول اناته فيها اثر ؛ ولا بد بوجه عام من ربط عوامل نجاحها بشخصيته الكاملة وفكره الثاقب وعقله الراجح ؛ فبهذا كله يسعنا ان نقول : ان تلك الهجرة كانت ملحمة خالدة ، بل اخلد الملاحم ، وان بطلها هو النبي العظيم ؛ لأنها قبل أن تختم بالنصر افتتحت بالاضطهاد والعذاب ، وكانت بين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطولة النبي ، ومواطن شجاعته ؛ ومشاهد نضاله وجهاده .

ومن الناس من يقتنع في سذاجة عجيبة بأن ملحمة الهجرة لم تك الا وحيا من عند الله خالصا . واقل ما يعنيه هذا القول المدهش الغاء كل عمل شخصي للنبي الكريم في انجاح هجرته أو رسم خطته ، كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستشعر قط ضرورة القيام بها والتفكير فيها ثم تنفيذها على الوجه الاكمل . ومثل هذا القول كان يقتضي بداهة أن يقدم الله لنبيه الحبيب موعد هجرته انقاذا له من قومه الجفاة العتاة ، ومن اذاهم واضطهادهم له وسخريتهم به ، ولكن الله حين ترك نبيه البطل ثلاثة عشر عاما في مكة يلقي صنوف العذاب ما ودعه وما قلاه ، وانما اراد ان يذيقه حلاوة النصر بعد مرارة الصبر والمصابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه ، فلا يغتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون انهم على ربهم يتوكلون .

كان الجو في مكة قاتما مكفهرا في كل ناحية ، وكان كل شيء في مكة يدعو الى اليأس ، ولكن النبي لم ييأس وما كان لنبي أن ييأس ، فان عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه وان لم يفعل فما بلغ رسالته ، والله يعصمه من الناس ! رأى عليه السلام من كفر قريش وكبرها وعنادها ما اكد له أنها لن تعرف طريق الايمان ؛ وعرض نفسه على القبائل فردته ردا غير جميل ، ولا سيما في الطائف التي لقي فيها أشد العذاب ، حتى لجأ الى كرمة يتفيأ ظلها ويبتهل الى ربه بهذا الدعاء الضارع المستغيث : « اللهم انت رب المستضعفين ، وانت ربي ، الى من تكلني ؟ الى عدو يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي » فلم يكن بد ــ بعد هذا الجو المكفهر المقيت ــ من أن يلتمس النبي الكريم للدعوة

جوا تستطيع التنفس فيه ، ولم يكن بد من أن يجد عليه السلام الجو الآمن الجديد المبشر بالخير فى غير مكة التى نبت به وهى مسقط رأسه ومربى طفولته ومزدهر شبابه .

وفكر النبى الـذى لا ينطق عن الهوى — أول ما فكر — بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأمرهم بالهجرة الى الحبشة ، لأن بها النجاشى الملك النصرانى الذى (لا يظلم عنده أحد) كما قال الرسول الكريم .

وحين اذن الله لنبيه بالهجرة أمره بتنفيذ الخطة التى الهمه رسمها وتصميم مراحلها ، فلم تكن هجرته فرارا من الأذى وهربا من الاضطهاد ، اذ لو اراد ذلك لهاجر الى بلد بعيد كالحبشة مثلا ، بعد أن نصح اصحابه بالهجرة اليها ، ولكنه صلوات الله عليه كان المثل الأعلى للشدة فى الحق ، والثبات على المبدأ ، فظل يصبر ويصابر حتى تسنح الفرصة ويأذن الله ، فلم يتألم من عدوان سفيه ، بل كان يجد فيما يحسبه الناس الما لذة سامية ، وكان سعيدا بآلامهالفوادح ، لا يبالى ما دام الله معه يهديه ، ويسمع سره ونجواه ، ويكلؤه فى متقلبه ومثواه . ولذلك حاول وهو فى مكة لما يفارقها أن يضع خطة حكيمة يتابع تنفيذها طورا بعد طور واثقا من النجاح ، مطمئنا الى تأييد الله ، صابرا الصبر الجميل !

ان النبى عليه الصلاة والسلام ليعلم أن موسم الحج هو الملتقى الطبيعى للوافدين الى مكة من غير المكيين ومن غير القبائل التى عرض نفسه عليها ودعاها الى دين الله . ويشاء الله أن تكون بداية الفرج خروج نفر من الخزرجيين الى مكة فى موسم الحج بعد وقعة بعاث المشؤومة التى قتل فيها مئات من الاوس والخزرج ، فلقى النبى هؤلاء الحجيج ودعاهم الى الاسلام فشرح الله صدورهم لدينه الحنيف .

ومع استدارة العام وحلول موسم الحج اتى مكة اثنا عشر رجلا من أهـل المدينة ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه عند العقبة البيعـة الاولى ، وارسل معهم عليه السلام مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين .

ولما جاءه فى العام القابل فى موسم الحج سنة ٦٢٢ م . خمسة وسبعون من أهل المدينة بينهم امرأتان ، بايعهم عليه السلام سرا فى جوف الليل على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم ، واتخذت هذه البيعة الكبرى عند العقبة صورة الحلف أو الميثاق ، فقد قال الرسول الكريم للقوم يومئذاك : « أنتم منى وانا منكم ، احارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ، واختار منهم اثنى عشر نقيبـا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وهو عليه السلام كفيل على قومه .

ولقد قال حينئذ البراء بن معرور سيد قومه ، وهو من الذين أسلموا بعد العقبة الاولى ، معلنا البيعة بلسان الجميع : « بايعنا يا رسول الله . فنحن والله أبناء الحـروب ورثناها كابرا عن كابر » . واعترض ابو الهيثم بن التيهان يقول : « يا رسول الله ، ان بيننا وبين يهود المدينة عهودا نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان قطعنا هـذه العهود ثم نصرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » وأجاب النبى الصفى الوفى . « بل الدم الدم والهدم » .

ورغم ما أحيطت به بيعة العقبة الكبرى من سرية بالغة ، ورغم اتمامها في جوف الليل عند شعب العقبة في عزلة عن الناس ، تسرب الى قريش نبأ هـذه المعاهدة الخطيرة ، وأحسب قريشا قد أحست قبيل هذه البيعة بنشاط النبي في الدعوة ودأبه المتواصل لتبليغ الرسالة ، فأرسلت بعض عيونها وجـواسيسها يتابعون حركاته ، اذ ما كاد الحلف يتم وما كاد الانصار يقسمون للنبي على تنفيذه نصا وروحا حتى سمعت قريش مناديا يناديها بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب ! يا أهل المنازل بمنى ، هل لكم في مذمم (١) والصباء الخـارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ وربما كان هذا المنادى يريد في آن واحـد تحذير قريش وتثبيط عزائم الانصار . أما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين في شعب العقبة وأنشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين : يا معشر الخزرج ، نحن لا نريد حربكم ، وما نكره أن نقاتل قوما كمـا نكره أن نقاتلكم ، فما بالكم تبايعون محمدا على حربنا وتخرجونه من بين اظهرنا ؟

ولما ايقنت قريش أن هذا الحلف قد تم حقا ، وأن الانصار سينفذونه فعلا ، خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر الا بسعد بن عبادة بأذاخر قريبا من مكة ، فربطوا يديه الى عنقه بجلد رحله ، وجروه من شعره ، وردوه الى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له في الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن أمية .

وأما الانصار فما ازدادوا الا ايمانا وتسليما حتى قال العباس بن عبادة للنبي : « واللـه الذي بعثك بالـحق ، ان شـئت لنميلن على أهـل منى غدا بأسيافنا ! » ولكن القائد الحكيم عليه السلام أجاب : (لم نؤمر بذلك ، فارجعوا الى رحالكم » .

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الانصار في مهدها ، وتفكر في حماية أصنامها وعبادها ، وفي الابقاء على سيادتها وزعامتها ، اقدم النبي صلى الله عليه وسلم ببراعة وحكمة على عمل سياسي عظيم ، فأمر اصحابه بالهجرة الى المدينة فرادى أو نفرا قليلا ، فسوف يجدون النصر والتأييد في يثرب أوسها وخزرجها بين قوم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وخافت قريش من هجرة المؤمنين الى المدينة ، ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير الى يثرب مع زوجها المؤمن ، ونكلوا أشـد التنكيل بكل من أصـابوه يعتزم الهجرة والرحيل .

وظل النبي البطل الشجاع في مكة دؤوبا على الدعوة الى الاسلام ، وقال لصاحبه أبي بكر حين استأذنه بالهجرة : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » . وفي رواية أخرى (لم يؤذن لي) وكأنه كان ينتظر الفرصة السانحة التي يلهمـه الله أنها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البارعة !

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التي كانت تحمل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجرا له تكاد تقطع بأن عمله الشخصي في رسم خطة الهجرة لم يكن ضئيلا : فقد كانت للرسول في المـدينة علاقة قربى ، ففيها أخوال جده عبد المطلب من بني النجار ، وفيها قبر أبيه عبـد الله بن عبد المطلب . وفي السادسـة من عمره زار النبي عليه السـلام مع أمه آمنة بنت وهب قبر أبيه ، ومرضت أمه في الطريق فماتت ودفنت بالأبواء في

---

(١) لم يقل المنادي « محمد » عكسها فقال « مذمم » بغيا من نفسه اثارة للقوم .

منتصف الطريق بين مكة والمدينة . ومن المعلوم أن النبى عليه السلام كان أول الامر يتجه فى صلاته الى ناحية المدينة جاعلا قبلته المسجد الاقصى ببيت المقدس مقام النبيين ، فهل يلغى الدارس هذه الدوافع كلها ولا يرى فيها شيئا مذكورا ؟.

على أن وضع النبى عليه السلام خطة الهجرة لا ينبغى أن يتعارض مع تأييد الله له فيها بالوحى ، فان كلا من الامرين يتمم الآخر ، وينسجم معه بدلا من أن يناقضه : اذ المعروف عن الرسول الكريم فى جميع مراحل حياته انه قد امتاز بمضاء العزيمة ، وعلو الهمة ، والكفاح الدائب ، والثبات على المبدأ ، والثقة بالنجاح ، وما كان يستمد هذه الخصال كلها الا من اطمئنانه الى الله حتى ذهب مذهب الامثال قوله لعمه أبى طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وحين أوى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر الى غار ثور ، وقفا المشركون آثارهما ، قال أبو بكر فى جزع شديد : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فهمس النبى الشجاع فى أذن صاحبه همسته الخالدة : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » ولذلك عد الله نجاح نبيه فى هجرته نصرا ربانيا أيده به ، فقال فى سورة التوبة : « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » وصرح فى سورة الانفال بأن الله هو الذى مكر بالقوم الذين مكروا برسوله ، فقال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

ليس من الخطأ اذا أن نقول : ان الله ايد بالوحى محمدا فى الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وأنجحه . فلا ريب ان هذا التأييد قد وقع ، ولم يكن بد من أن يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتا لفؤاده . ولكن الخطأ فى قول من يقول : ان هذه الحادثة الكبرى كانت وحيا من الله خالصا . كما أن الخطأ فى قول من يزعم أن النبى انفرد برسم خطته . وانه انتصر بمحض قدرته الشخصية وارادته . فالحق أن أحدا من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وارادته لا ينفرد بشىء . والنبى الكريم لم يكن بدعا من البشر ، ولا بدعا من الرسل ، ولكم قص الله على نبيه قصص الانبياء السابقين : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا ان نصر الله قريب » .

وعلى هذا الاساس . يمكن الجمع بين الامرين : فقد قام النبى البطل الشجاع المقدام بالهجرة ، تبعا لخطة وضعها وأحكمها ثم نفذها ، وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره ، وانتظر الاذن الربانى بالشروع فيها واتمامها على ما يرضى الله . وهكذا تجلت فى ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التى ما عرفت الايام ولن تعرف لها نظيرا .

وعلى هذا الاساس ايضا يمكننا أن نعالج آثار النكسة التى اصابت العرب والمسلمين فى الصميم ، فعلينا اليوم أن نحصر طاقاتنا كلها فى مواصلة النضال ، متوكلين على الله رب العالمين ، واثقين أن النصر من عنده وحده ، وهو العزيز الحكيم .

رحلة إلى طيبة

للشيخ : حمد الجاسر

قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب) وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونشر هذا التحقيق في مجلة (العرب) . .

وقد رأينا نظرا لاهميته ان نستأذن الاستاذ الفاضل في تقديمه لقراء (الوعي الاسلامي) ، فاذن مشكورا .

وفي العدد القادم ننشر البقية ان شاء الله .

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة ، تكاد تنحصر فى جانب واحد ، هو أن كثيرا من مواضع بلادنا لا يزال محتفظا باسمه القديم الذى نقراه فى كتب التاريخ والرحلات وفى شعر الشعراء المتقدمين .

وقد خطر لى — أثناء تعليقى على القسم المتعلق بتحديد الامكنة من كتاب اللغوى المعروف مجد الدين الفيروز آبادى عن تاريخ المدينة النبوية المسمى « المغانم المطابة من معالم طابة » — خطر لى القيام بزيارة البلدة الطيبة ، لعلى استطيع أن أحدد بعض الاماكن القريبة منها مما ذكره الفيروز آبادى أو التابعة لها على ما جاء فى كتابه تحديدا صحيحا .

وكنت ضعيف الامل فى الاهتداء الى معرفة تحديد كثير من الامكنة لتغير الاسماء وانقطاع تدوين تحديدها منذ أمد بعيد .

وقلت فى نفسى لتكن تجربة ، اقوم بها متتبعا طريق هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ العلماء أولوا آثاره عليه الصلاة والسلام ، عناية فاقت كل عناية .

وكان أن رجعت الى اقدم المؤرخين الذين حددوا معالم ذلك الطريق ، واقدم من استطعت الحصول على تحديده ، هو ابن هشام مختصر سيرة ابن اسحاق ، ثم ابن جرير من بعده ، فنقلت اسماء المواضع التى ذكرها هذان العالمان من كتابيهما المعروفين .

ووجدت من كرم أخى الاستاذ أبى الخضر عبد الرحمن الشيبانى ، ما يسر لى وهيأ كل وسيلة لتحقيق اربى ، فكان أن قمت بتلك الـرحلة القصيرة الـى المدينة ، وان لم تكن كاملة من كل ناحية ، الا انها بعثت في نفسى آمالا طيبة ، وكان لها من الآثار الحسنة ما ملأت فؤادى تفاؤلا بأن كثيرا من معالم تاريخنا ، وما يتعلق بتحديد المواضع الاثرية في تاريخنا لا يزال سهلا ميسورا .

للمدينة المنورة من مكة طرق كثيرة اشهرها ثلاثة :

١ ــ الطريق الساحلية التى تسير بمحاذاة ساحل البحر الاحمر ــ بحر القلزم ــ حتى تحاذى بلدة (بدر) التي كانت فى السابق احدى المحطات الرئيسية لطرق القوافل في غربى الجزيرة الى الشام والتى حدثت فيها الوقعة العظيمة التى انتصر فيها الاسلام أعظم انتصار فى عهد الرسول عليه الصـلاة والسلام .

ومن بدر يتجه المرء الى المدينة ذات اليمين ، سائرا مع واديها الذى أعلاه (وادى الصفراء) حيث تجتمع أودية كثيرة تنحـدر من السـلسلة الجبلية جنوب المدينة ــ وسيأتى الحديث عنها ــ ثم يسلك المرء أحد تلك الاودية متجها صوب الشمال ، حتى ينتهى منحدرا فى واد آخر ويفضى به الطريق بعد ذلك الى وادى العقيق مدخل المدينة المنورة .

٢ ــ الطريق النجدية وهو طريق يتجه من مكة مشرقا حتى يقطع سلسلة جبال الحجاز ثم يسير منحرفا نحو الشمال بمحاذاة تلك السلسلة الجبلية مارا بأودية كثيرة ومخترقا قسما من بلاد هذيل ، ثم بلاد بنى سليم وطـرفا من بلاد مزينة ، ثم يأتى الى المدينة من الناحية الشرقية ، وهذا الطريق كان مسلوكا الى عهد قريب ، وقد كان للعمل فى معدن بنى سليم ــ الذى يمر ذلك الطريق بقربه فى الأزمنة الاخيرة ــ كان للعمل فى ذلك المعدن من الأثر ما أحيا هذا الطريق ، واصلح كثيرا من المواضع التى تحتاج الى اصلاح وتقع محطات له أو قريبة منه .

٣ ــ الطريق الأوسط الذى يعتبر الطريق الرئيسى الى المدينة من مكة ، وهذا يمر بكثير من الأودية ويعترضه عقبات ، وأمكنة وعرة ، وكانت قوافل الحجاج والزوار فى العصور القديمة تسلك هذا الطريق ، وقبل عشر سنوات أصلح بعضه حتى صار طريقا للسيارات ، ومن أشهر العقبات التى تقع فى هذا الطريق ، عقبة (هرشا) وقد عبدت قديما لسلوك القوافل ثم سهلت لمرور السيارات .

ويجتمع هذا الطريق مع طريق الساحل فى محطة تعرف قديما باسـم (المنصرف) وحديثا باسم (المسيجيد) قرية كبيرة الآن .

وهناك طرق فرعية اخـرى ، الا أن فيهـا كثيرا من الوعـورة بحيث لا تجتازها الابل الا بمشقة كطريق (الغاير) الذى يتجه الى المدينة قبل محطة (المسيجيد) بما يقارب مرحلة بسير الابل .

ولحسن الحظ فان هذا الطريق على وعورته ومروره في أودية رملية وتلاع صخرية ، فانه لا يزال يسلك حتى عهدنا الحاضر ، لأن الزوار في شهر رجب يسلكونه لاختصاره ولكونه هو الطريق القديم واكثر من يسلكه راكبو (الحمير) الذين يسيرون في موكب معروف في شهر رجب من مكة ، ويجوزون ثنية الغائر ، مشاة أو ركبانا فوق دوابهم فيصلون الى قمة السلسلة الجبلية الواقعة بقرب المدينة ثم ينزلون مع وادي (ريم) الى وادي العقيق في المدينة .

ومما ينبغي الانتباه له ، أن بعض المتقدمين قد يحددون جبلا أو موقعا بأنه على الطريق بين مكة أو في شمال الطريق او يمينه . واذا لم يكن لدى الباحث العام بمعرفة تلك الطرق وتعددها ، قد يقع في اشكال من هذه الناحية .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم من أن جبل « عير » — وهو جبل عظيم لا يزال معروفا ومشاهدا بقرب المدينة يقع على يمين طريق المتوجه من المدينة الى مكة ، وهذا الكلام حق بالنسبة لمن سلك طريق « ريم » ونزل من ثنية « الغائر » ولكن من أتى مع الطريق الاوسط مارا بالسيالة فملل فالفرش ، يدعه عن يمينه اذا اتجه الى المدينة ، وعلى يساره اذا اتجه الى مكة .

وملاحظة أخرى ينبغي ادراكها : هي أن الاسم قد يطلق على عدة مواضع . وكثير من المتقدمين لا يفرقون بين تلك المواضع ، فيوردون تعاريفها وما قيل في تحديدها . عند الكلام على احدها فيقع الالتباس ، ويقع التضارب عند المتقدمين عندما يحاولون تحديد موضع من المواضع ، اذ يعتمد أحدهم على قول ، ويعتمد الآخر على قول ثان يخالفه في ظاهر الامر ، وقد يكون في الواقع منطبقا على موضع آخر ، بعيد عن الموضع المقصود . وامثلة ذلك كثيرة فيما بين ايدينا من معجمات الامكنة ، وكتب التاريخ والرحلات ، التي حاول مؤلفوها ايراد ما جاء عن المتقدمين في تحديد بعض الامكنة التي يتعرضون لذكرها .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر الى المدينة طريقا غير الطريق الذي اعتاده الناس في ذلك العهد سلوكه . يقول السهيلي — في الروض — ، حاكيا عن دليلهما : فكنت آخذ بهم في اخفاء الطريق ، وفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم اخفاء الطريق ومخارمه . ا هـ .

وعندما خرج هو وصاحبه الصديق رضي الله عنه ، اخذهما دليلهما فسلك بهما اسفل مكة ، ثم مضى على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل (عسفان) ثم سلك بهما على أمج ، ثم جاز بهما ، تاركا الطريق على يمينه ، وقد فعل ذلك خوفا من ترصد قريش للرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا أردنا أن نبحث عن تحديد المواضع التي ذكرها ابن هشام وغيره فانها تبدو بهذا الترتيب :

١ — أسفل (عسفان) معروف وهو أسفل الوادي عندما يصب في البحر بقرب (ذهبان) الذي يبعده عن جدة (٥٠) كيلا .

٢ ــ أمج ، وأمج هو أسفل وادى (ساية) الوادى الذى يقع فى اسفله (خليص) .

وقد حدد المتقدمون المسافة بين (عين خليص) وبين أمج ، بميلين ، أى ان العين بعد أمج للمتوجه الى المدينة ، وهــذا الوادى يجتمـــع مع وادى (غران) فيكونان واديا واحدا يفيض فى البحر فيما بين (ذهبان) (وثول) .

٣ ــ تديد : واد طويل ، ويظهر أن طريق الرســول صلى اللــه عليه وسلم كان على أسفل الوادى ، لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد .

٤ ــ والخرار على ما ذكر المتقدمون قريب من (الجحفة) وبعضـــهم يعده فيها و (الجحفة) لا تزال معروفة ، فكأن الدليل جاز وادى (الستارة) وهو أسفل (قديد) ويصب فى البحر فيما بين (القظيمة) و (ثول) ثم سار قريبا من الساحل حتى جاز (الخرار) ثم أخذ ثنية تدعى (ثنية المرة) .

٥ ــ وثنية المرة لم اجد من يعرفها ولكن يوجد بجهة (كلية) فيما بينها وبين (رابغ) ثنية يسلكها المتوجه الى (كلية) والمتقدمون يقولون : عن ثنية المرة انها قريبة من ماء يدعى (الاحياء) وانه فى وادى (رابغ) .

٦ ــ ويسوق المتقدمون خبر الطريق فيذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (ثنية المرة) سلك (لقفا) .

ولقف هذا واد لا يزال معروفا ، وهو من روافد (وادى النخل) يقع بين وادى (الفرع) ووادى (مجاح) ويفيض فى وادى النخل عنــــد محطة (بئر رضوان) التى تبعد عن (بئر مبيريك) مسافة تقرب من (٣٠) كيلا من جهة مطلع الشمس .

ووادى النخل يصب فى (القاحة) عند بئر مبيريك) ووادى (القاحة) يصب فى وادى (الابواء) وقول ابن هشام : ان (لقفا) يقـــال له (لفت) واستشهاده بشعر معقل بن خويلد الهذلى على ذلك ، يظهر انه تصـــحيف فابن أسحق أعرف منه بتلك المواضع لقدمه ولاقامته فى المدينة . وقد سماه (لقفا) .

ويظهر من سياق الخبر أن الرسول صلى الله عليه وســـلم ترك طريق ثنية (عرشا) يساره اذ هو الطريق المعروف وانه نزل من (مدلجة لقف) .

٧ ــ و (مدلجة لقف) تلعة كبيرة ، تصب فى وادى (لقف) تبعد عن (بئر رضوان) مسافة ١٠ اكيال اذا سندت فى وادي (لقف) تفيض فيه من جهة الشمال .

٨ ــ وفى الخبر : ثم استبطن بهما (مدلجة مجاح) .

و (مدلجة مجاح) رافد من روافده لا يزال معروفا .

٩ — أما (مجاح) فقد ورد بصيغ مختلفة (محـــاج) و (مجاج) و (مجاح) والاخيرة هى الصواب ، وقد لاحظ هذا السهيلى حيث قال : وقد الفيت شاهد الرواية ابن اسحق فى (لقف) وفيه ذكر (مجاح) بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن اللـــه بطن لقف ، مسيـــلا و (مجاحا) وما احب (مجاحا) !!
لقيـــت ناقتـــى بـــه ، وبـ (لقف) بلدا مجـــدبا ، وارضا شـــحاحا !

ان وادى (مجاح) لا يزال معروفا ، وهو من فروع وادى النخل ، يصب فيه قبل اجتماعه بوادى (القاحة) ، بما يقرب من ٥ أكيال قبل (بئر مبيريك) .

١٠ — وورد فى الخبر (مدلجة مجاح) .

وهى رافـــد من روافده ، ولا يزال معـــروفا ومدلجة (لقف) ومدلجة (مجاح) يتقاربان حتى يلتقيان .

١١ — ثم سلك بهما (مرجح مجاح) .

(مرجح) رافد من روافد (مجاح) مقابل لمدلجة مجاح ، يصب فيه :
وقد ورد فى كتـــاب البلدان لنصر بن عبـــد الرحمن الاســـكندرى مصحفا : (مدجج) بضم الميم ، وفتح الدال وتشديد الجيم الاولى وكسرها — والصواب : بفتح الميم وسكون الراء ، وجيم مكسورة ، بعدها حاء مهملة .

١٢ — وجاء فى الخبر : ثم تبطن بهما مرجح من ذى الغضـــوين : قال ابن هشام : ويقال (العضوين) ، واقول : المعروف الآن عند أهـــل الجهـــة (العصوين) بالعين والصاد المهملتين ، تثنية عصا ، وهما تلعتان كبيرتان ، كل واحدة منهما تسمى (العصا) تلتقيان ، ثم تصبان فى وادى (مجاح) بقرب اجتماعه بوادى النخل . وارى ان الغضوين او العضوين تصحيف .

١٣ — ثم بطن (ذى كشر) .

يعرف هذا الموضع الآن باسم (أم كشد) بكاف مكسورة ، وشين معجمة ساكنة ، ودال مهملة ، لا كما جاء فى (سيرة ابن هشام) وفى (معجـــم البلدان) (وأم كشد) هذه تلعة تصب فى وادى يدعى (ثقيب) وهو واد يجتمع مع وادى (القاحة) بعد أن يتجه المرء من (بئر مبيريك) الى جهـــة المدينة ، بما يقرب من ١٥ كيلا .

فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وســـلم ترك وادى (القـــــاحة) يســارا فى هذه الجهة ، ثم التقى بهذا الوادى فيما بعد .

١٤ — وفى الخبر : ثم اخذ بهما على (جداجد) وهو واد صغير من روافد وادى (ثقيب) .

١٥ — وورد فى الخبر ذكر (الاجرد) و (ذى سلم) .

والاجـــرد يسمـــى الآن (أجيرد) بالتصغير (وذا ســـلم) يسمى (أم السلمة) .

بعد ان يقطع المسافر ما يقرب من ثمانية أكيال سائرا فى وادى (ثقيب) يصل الى موضع يدعى (البستان) مسكون ، ومنه طريق الى (الفرع) حيث اتجاه أعلى (ثقيب) وعلى بعد اقل من كيل واحد تقع (أم كشد) وهى واد . (اجيرد) على الشمال منها و (أم السلمة) تلعة كبيرة تصب فى (اجيرد) وكلها تصب فى (ثقيب) ثم يسير الطريق المتجه الى (القاحة) تاركا (اجيرد) على يمينه ، جازعا اعلاه ، وبعد أن يتركه ينحدر فى تلعة تصب فى وادى (القاحة) حيث يرجع الطريق اليها مرة أخرى .

١٦ ــ وورد فى الخبر أسماء منها (تعهن) و (اعداء) .

اما (تعهن) فانها واد كبير يصب فى (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم (أم البرك) وقديما باسم (السقيا) ــ كما سيأتى الحديث عن مراحل الطريق العام .

والغريب ان اهل تلك الجهة ينطقون هذا الاسم (تعهن) بفتح التاء بامالة نحو الكسر ، وكسر العين بالهاء المشددة المكسورة بعدها نون .

١٧ ــ وذكر ابن هشام فى سياق خبر الهجرة بعد اعداء مدلجة تعهن قال : ثم العبابيد ، قال ابن هشام : ويقال : العبابيب ، ويقال : العثيانة ، يريد العبابيب .

لم اجد احدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذى ذكر له ابن هشام ثلاثة اسماء ، مع أن من قابلتهم لم يكونوا من اهل الموضع الذى يقع بعد (تعهن) ذلك اننى مررت بتلك الناحية ليلا ، فلم اصادف أحدا من اهلها .
ولعل أخى الاستاذ سليمان سليم مدير التعليم فى تلك النواحى يكرم ــ وهو كريم ــ فيحقق للقراء هذا الموضع وغيره مما تقدم أو سيأتى ذكره ، فالمار والذى من غير اهل البلاد يفوته الشىء الكثير .

١٨ ــ قال ابن هشام : (ثم اجاز بهما الفاجة ــ ويقال القاحة فيما قال ابن هشام) .
وقول ابن هشام هنا هو الصواب ، فالقاحة بالقاف ثم الحاء المهملة المفتوحة بعدها هاء ، واد عظيم يفيض فيه فى أعلاه وادى (تعهن) والسالك مع هذا الطريق بعد (تعهن) يجوزه ، بقرب ما يدعى الآن (أم البرك) جمع بركة وهى قرية كانت كبيرة ، الا انهـا ضعفت الان ، وكانت تدعى قديمـا (السقيا) بالسين المهملة المشددة المضمومة بعد قاف ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة معدودة ، وهى سقيا بنى غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها فى القديم ، واعالى (السقيا) تبتدىء من مكان يبعد عن (أم البرك) بما يقارب ٤٥ كيلا بعد أم البرك للمتوجه الى المدينة ، عند محل يدعى (الرصفة) وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة .

ويمتد وادى (القاحة) من هذا المكان متجها صوب الجنوب ، حتى يفيض فى وادى (الابواء) وتجتمع به أودية كثيرة من اشهرها وادى (ثقيب) ووادى (النخل) الذى يفيض فيه سيل واديى (مجـاج) و (لقف) وأودية أخرى كثيرة تقدم ذكر بعضها .

١٩ ــ وقال ابن هشام : ثم هبط بهما (العرج) .
والعرج على ما ذكر المتقدمون يبعد عن أول وادى (القاحة) بما يقارب ثلاثة عشر ميلا .

ولعله هو اعلى ما يسمى الآن وادى (الجى) بجيم مكسورة بعدها ياء مشددة ، وهو يبعد عن أعلى وادى (القاحة) بما يقارب الميل الواحد . هذا أعلاه ، فكأن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم جزءه من اثنائه .

ووادى (الجى) ليس له ذكر عند المتقدمين فهم لا يذكرون الا (موضع الجى) ويقولون انه منازل فيه بئران ، عذبتا الماء ، وأنه فى سفح جبل ، وان ورقان الجبل العظيم المعروف ينتهى عنده ، ويحددون المسافة بينه وبين (عقبة العرج) بأقل من عشرة أميال . ويقولون بأن عقبة العرج بين جبلى (قدس) و (ورقان) وهذا الوصف ينطبق على أعلى وادى (الجى) فكأن اسم (الجى غلب على وادى العرج لوقوع الجى فى أعلاه .

أما (قدس) هذا فكان من اشهر الجبال القديمة واعرفها ، ويسمونه الآن (ادقس) بهمزة مكسورة بعدها دال ساكنة ، فقاف فسين ، تحريف للاسم القديم .

من أول وادى الجى تتجه سيول الطريق مغربة حيث تجتمع كل الاودية الواقعة دون المدينة عن يسار جبل ورقان وهى السلسلة الجبلية الممتدة من نهاية وادى الجى الى نهاية وادى (الروحاء) مما يسيل من هذه السلسلة وغيرها فتكون أودية عظيمة تجتمع بهذا الوادى المسمى الآن بوادى الجي ثم يجتمع معها وادى الروحا ، ووادى (النازية) بتخفيف الياء ووادى (وختان) وتفيض كلها بوادى الصفراء ثم تتجه صوب البحر غربا حتى تصب فيه جنوب (مستورة) موضع (ودان) القديم .

لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه المواضع بيساره وعدل عن الطريق المعروف وسلك ثنية الغائر .

٢٠ — وجاء فى السير من رواية ابن هشام وغيره ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هبط العرج ، خرج منه ، فسلك ثنية العائر عن يمين ركوبه ، ويقال (الغائر) .

والعائر بالعين المهملة تصحيف صوابه الغائر بالغين المعجمة وهى ثنية لا تزال معروفة ، ويسلكها الذين يذهبون للزيارة قديما مشاة او على الدواب . وهى ثنية صعبة السلوك ، وغير معبدة فى الوقت الحاضر ، ولا تسلكها الابل الا بجهد ومشقة .

وعندما رغبت المرور بها ، لم اجد فى تلك الناحية احدا يرشدنى الى الطريق ، وقيل لى ، ان الابل — فى هذا العام لتوالى الجدب — هزيلة ومن الأيسر أن أنزل معها نزولا من جهة المدينة .

٢١ — وقال ابن هشام بعد ذكر ثنية الغائر : « حتى هبط بهما بطن (رئم) » .

ورئم هذا وهو ينطق الآن بتسهيل الهمزة (ريم) — وهو واد من روافد وادى عقيق المدينة — لا يزال معروفا .

أثر الإسلام في إحراز النصر

اللواء : محمود شيت خطاب

— ١ —

حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الاعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الاسلام .

كان جنود النبى صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلى العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان أعداء الاسلام من العرب المشركين ، كثيرى العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددى والعددى مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، حارب العرب المسلمون الغساسنة فى معركة (اليرموك) الحاسمة التى فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، وحاربوا المناذرة فى معركة (القادسية) الحاسمة التى فتحت ابواب أرض العراق للمسلمين ، وكان الغساسنة والمناذرة من العرب الأقحاح ، وكانوا أعرق مدنية واكثر حضارة ، واغنى مالا وسلاحا ، واعرف بأساليب القتال ، وأقرب الى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون على العرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من اليهود والروم والفرس والبربر فى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، لا لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم عرب مسلمون .

لقد كان انتصار العرب المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم انتصار عقيدة لا مراء .

فما أثر العقيدة الاسلامية فى احراز النصر ؟

— ٢ —

كان العرب فى الجاهلية متخلفين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرفع الاسلام مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

كان الفرس والروم سادتهم ، وحتى الأحباش كانت لهم صولة وجولة ومكانة فى اليمن ، فأصبح العرب بالاسلام سادة الفرس والروم والأحباش والبربر وسادة أمم اخرى لا تعد ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا .

وكان العرب اقل حضارة ومدنية من الفرس والروم خاصة ، فأصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة العالمية ورواد المدنية فى الدنيا .
وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام فى الصحراء ، فأصبحوا بعد الاسلام اغنياء مترفين يسكنون القصور والبيوت فى الحواضر على ضفاف الانهار .
وكانوا من الناحية العسكرية لا يطمعون ان يحموا أرضهم من الفرس والروم وحتى من الاحباش ، فأصبحوا بعد الاسلام لا يطمع احد فى حماية أرضه من قوتهم القاهرة التى ملأت الارض سماحة وعدلا .
اذن كان للاسلام اثر اى اثر على العرب ، بدلهم من حال الى حال ، وجعل منهم امة لها مكانتها ولها اعتبارها ولها تأثيرها على سير الاحداث الكبرى ، ولها كلمتها المسموعة بين الامم .

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ، يستطيعون أن يقولوا كثيرا عن أثر الاسلام فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العرب .

ولكننى سأقتصر هنا ، على اثر الاسلام فى العرب من الناحية العسكرية فقط ، مذكرا ان العرب لو لم ينتصروا فى الحروب ، ولو ترفرف راياتهم شرقا وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامم فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذلك يمكن القول بأن اثر الاسلام عسكريا على العرب هو الأساس الأول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لأن الدول لا تحترم غير الاقوياء ، وان القوى وحده هو الذى يستطيع ان يؤثر فى سير الاحداث العالمية ، سواء أكان هذا التأثير هدفه الخير للعالم ، أم هدفه الشر والخراب والدمار .

— ٣ —

كان فى العرب أيام الجاهلية مزايا متميزة : الذكاء الفطرى ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها وأفاد منها ، ونجح فى مسعاه أعظم النجاح .

وكان فى العرب أيام الجاهلية صفات رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الاوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصارا باهرا .
وصدق الله العظيم : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) (١٠٣ — آل عمران) .

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين فى حروب العصابات ، وفى استعمال السلاح ، وفى الفروسية ، وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، واقل تكاليف ادارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

واحيانا على بكر اخينا اذا ما لم نجد الا اخانا

لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية ، تذهب عبثا فى المناوشات المحلية بين القبائل .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووحد أعمالهم ، ووحد صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا فأصبحت — لذلك كله وبذلك كله — قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعة ، تعمل بنظام وضبط ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ، واصبح المؤمنون فى مشارق الارض ومغاربها أخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين فى عمرة القضاء ، ومائة الف فى حجة الوداع ، يسيرون كلهم فى نظام أدق نظام : هرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من اسباب القوة ، بل هو مصدرها ، وملاكها ، وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهر يؤمن اصحابه بصدقه ، هى روح هذه القوة وقوامها .

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صلاة الجماعة التى اداها المسلمون وراء امام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجداتها فى تناسق مدهش وفى نظام ووقار ، لا يمكن ان يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية فى نفوس المسلمين . ان العرب اباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة اهمية بالغة فى (ايقاظ) روح النظام فى نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقى للتدريب على النظام عند المسلمين .

ثم ان انتظام المسلمين فى الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التى كانت أفكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هى رابطة الدم ، فأصبحت الوحدة السائدة هى وحدة العقيدة .

لقد وجد الاسلام بتعاليه التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، وأشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك اصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيد شبه الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا .

والمعروف ان الجندى لا يمكن ان يقاتل فى الحروب قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه مقبلا غير مدبر ، الا اذا كان يؤمن بعقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس .

والجندى الذى يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن أن يصمد فى الميدان ابدا .

وما يقال عن الجندى ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب أيضا ، فليس الجيش الا مجموعة من الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب .

فما اثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك ان هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلى للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التى وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبادة أوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط فى النظر واسفاف فى الفكر — الى عبادة اله وراء المادة : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (١٠٣ — سورة الانعام) .

كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه فاله قبائل أو اله العرب ، فأبانه الاسلام اله العالمين ، ومدبر الكون وبيده كل شىء وعالما بكل شىء ، فاستطاع العربى بهذه التعاليم ان يرقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وافهمهم الاسلام أن دينهم خير الاديان ، وأن العالم حولهم فى ضلال ، وأن نبيهم نبى الناس جميعا ، وأنهم ورثته فى حمل دعوته الى الأمم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الأمم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، اثر عظيم فى بيع كثير منهم نفوسهم فى سبيل نشر الدعوة : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

وكان للاسلام اثر كبير فى تغيير قيمة الاشياء والاخلاق فى نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، واصبحت مقومات الحياة فى نظرهم غيرها بالأمس .

ان الاسلام رسم للحياة مثلا اعلى غير المثل الأعلى للحياة فى الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التى لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة فى الانتقام والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل — هذه المثل التى كانت أصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، اصبحت فى الاسلام الخضوع لله والانقياد لأوامره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة — هى المثل العليا للمسلم فى الحياة (٢) .

---

(١) سورة التوبة (آية ١١١) .

(٢) انظر — فجر الاسلام (٩٣/١ — ٩٥) — احمد أمين .

ان الاسلام ، صهر نفسية العربى ، ونفى عنها الخبث ، فأصبح العربى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخـون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته اكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولى الامر ، وبذلك أصبح فردا مفيدا باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته .

هذا العربى المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح بدون شك ، عنصرا مفيدا كل الفائدة لتكوين أمة صالحة : تعبد ربا واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا .

لقد تصرف العربى المسلم فردا تصرفا لا يزال يعتبر من الأعمال الفذة النادرة فى حياة البشر : تحمل التعذيب والموت صابرا راضيا مطمئنا ، وترك أهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الأقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربى المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفا لا يزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد فى سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التى اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ فى أحقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحا (مستداما) مثلما شهد انتصارات الفتح الاسلامى[1] ، تلك هى العقيدة التى جعلت العربى المسلم يقاتل قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من أجلها .

وهذه العقيدة هى التى دفعت العربى المسلم الى التضحية والفداء ، وجعلته صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس . وهذه العقيدة هى التى قادته من نصر الى نصر ما دام متمسكا بها ، فلما أعرض عنها لم ير النصر بعينه ابدا .

— ٥ —

فكيف يربى الاسلام ملكة الجندية الحقة فى المسلم فردا وفى المسلمين جيوشا وامة .

هناك صفات خالدة للجندى الحق هى التى تميز الجندى الامين عن الجندى المزيف الذى لا قيمة عسكرية له .

هنا لا بد لى من أن أذكر ، بأنه ليس كل من ارتدى البزة العسكرية وقضى ردحا من الزمن فى الجيش أصبح جنديا حقا .

بل لا بد أن تتوفر فى الجندى صفات معينة ، ليكون جنديا يفيد ولا يضر ويبنى ولا يهدم ويقاتل ولا يفر .

من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هى ما نطلق عليه فى المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير : الضبط[2] .

والضبط : معناه اطاعة الأوامر وتنفيذها نصا وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وأمانة واخلاص .

لقد وردت كلمة (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة آية من آيات

---

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٢٦٧ — ٢٧٦) .

(٢) يطلق على كلمة : الضبط فى قسم من الجيوش العربية كلمة : الانضباط .

القرآن الكريم . قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)(١) وقال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرســـول وأطعنا)(٢) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم)(٣) .

والفرق الكبير بين الجندى الجيد والجندى الردىء ، هو أن الأول مطيع والثانى غير مطيع ، أي أن الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثانى قليل الضبط ، كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

وقد ضرب السلف الصالح أروع الامثال بالطاعة لله ولرســوله ولاولى الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام ملىء بأمثلة الطاعة التى أدت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله .

كما أن الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو أن الجيش يتحلى بالضبط المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا ينتصر جيش فى الحرب بدون ضبط مهما يكن حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة .

— ٦ —

ومن صفات الجندى الخالدة : الصبر على المشقـــات العســـكرية وفى الميدان .

وقد ورد كلمة (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات القـــرآن الكريم . قال تعالى : (يا أيها الـــذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله)(٤) ، وقال تعـــــالى : (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)(٥) ، وقال تعالى : (سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار)(٦) ، وقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)(٧) ، وقال تعالى : (ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم)(٨) .

ومن صفات الجندى الخالدة : الثبات فى الحرب .

والثبات له معنيان : الأول الصمود الى آخر اطلاقة وآخر رمق ، فليس جنديا من يفر او يستسلم للعدو ومعه سلاح وعتاد ، حتى يتحطم سلاحه وينفد عتـــاده .

والثانى الشجاعة فى مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد .

وقد وردت (ثبت) ومشتقاتها فى ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم قال تعـــالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا)(٩) ، وقال تعـــالى وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام)(١٠) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا

---

(١) سورة النساء (الآية ٨٠) .
(٢) من سورة النور (الآية ٤٧) .
(٣) من سورة النساء (الآية ٥٩) .
(٤) سورة آل عمران (الآية ٢٠٠) .
(٥) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٦) سورة الرعد (الآية ٢٤) .
(٧) سورة النحل (الآية ١٢٦) .
(٨) سورة النحل (الآية ١١٠) .
(٩) سورة الانفال (الآية ٤٥) .
(١٠) سورة الانفال (الآية ١١) .

ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)(١) ، وقال تعالى : (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)(٢) وقال تعالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا)(٣) ، وقال تعالى : (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا)(٤) .

أما الشجاعة وهى من أهم صفات الجندى ، فيكفى أن نذكر أن المسلم لا يجبن أبدا ، وان التولى يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)(٥) .

وجعل التولى يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين ، قال تعالى : (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا)(٦) ، وقال تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قاتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)(٧) ، وقال تعالى : (لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار)(٨) ، وقال تعالى : (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسؤولا)(٩) .

ولست أعرف عقيدة سماوية ولا أرضية حثت على الشجاعة حثا حاسما جازما كما فعلت العقيدة الاسلامية ، ويكفى أنها أخرجت الجبناء من حظيرة المؤمنين ، فالجبن والاسلام على طرفى نقيض وهما ضدان لا يجتمعان .

واذا كانت الشجاعة هى التى تؤدى الى احراز النصر ، أو هى من أهم عوامل النصر على الاطلاق ، فان الشجاعة فى العقيدة الاسلامية هى مزية من مزايا المسلم الذى لا يكون مسلما بدونها .

— ٧ —

ومن صفات الجندى الخالدة الحذر واليقظة .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذو حذركم)(١٠) وقال تعالى : (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم)(١١) وهى صلاة الخوف كما يعبر عنها الفقهاء .

واذا كان الجندى حذرا يقظا ، صعب على عدوه أن ينال منه أو أن يباغته ليقضى عليه ، والمباغتة مبدأ من اهم مبادىء الحرب .

وليس جنديا حقا من ينام عن عدوه ، لأن المبدأ السليم فى الحرب هو ادخال أسوأ الاحتمالات فى الحساب .

---

(١) سورة محمد (الآية ٧) .
(٢) سورة البقرة (الآية ٢٥٠) .
(٣) سورة آل عمران (الآية ١٤٧) .
(٤) سورة الانفال (الآية ١٢) .
(٥) سورة الانفال (الآية ١٥ — ١٦) .
(٦) سورة الفتح (الآية ٢٢) .
(٧) سورة الحشر (الآية ١٢) .
(٨) سورة آل عمران (الآية ١١١) .
(٩) سورة الاحزاب (الآية ١٥) .
(١٠) سورة النساء (الآية ٧) .
(١١) سورة النساء (الآية ١٠٢) .

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون الأولون فى الحرب لا ينامون ولا ينيمون . . .

وما أصدق المثل العربى القائل : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

والاستهانة بالعدو اعتمادا على الكثرة الكاثرة والعدد العديد ، يؤدى الى الكوارث فى الحرب ، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى درسا عسكريا سجله القرآن الكريم ، فقال تعالى : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) (١) .

ان الاستهانة بالعدو تؤدى الى الهزيمة ، ومن حق المنتصر أن يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ، أما قبل المعركة فلا بد أن يدخل فى حسابه عن عدوه أسوأ الاحتمالات .

— ٨ —

من تلك الصفات الخالدة للجندى الحق ، أن يجاهد بماله ونفسه فى سبيل مثله العليا .

وقد وردت كلمة (جهد) ومشتقاتها فى احدى وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله) (٢) ، وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) (٣) ، وقال تعالى : (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) (٤) ، وقال تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) (٥) .

وقد فرض الاسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا فى الدنيا ، اذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع الاسلامى نظرة احتقار وازدراء قال تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) (٦) .

ان عقاب المتخلف عن الجهاد فى الاسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل اهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث فى القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى بأهل قريته فى بعض الاحيان .

ويهمنا أن نعرف أن كثيرا من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة أبيهم فى الدول التى طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية فى القرن العشرين .

أما فى الاسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فأين هذا العقاب الذى طبقه المسلمون على المتخلف فى القرن الأول الهجرى من هذا العقاب الذى طبقته أرقى الدول فى القرن الرابع عشر الهجرى ؟ .

لقد سبق الاسلام الأمم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن . . يا ليت قومى يعلمون !

---

(١) سورة التوبة (الآية ٢٥)
(٢) سورة الصف (الآية ١١)
(٣) سورة التوبة (الآية ٨٨)
(٤) سورة التوبة (الآية ٤١)
(٥) سورة النساء الآية ٩٥)
(٦) سورة التوبة (الآية ١٨)

أمجاد تاريخنا الماضي

صقلية تحت حكم المسلمين ٤

للدكتور: زكي محمد غيث

رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

أصبح « الأغالبة » أصحاب صقلية منذ عام ٢١٦ هـ (٨٣١م) ، وصاروا سادة العاصمة الرومانية (بلرم) في الجزيرة . واتخذوها مركزا لامارتهم الجديدة ، واستمر حكمهم للجزيرة زهاء الثمانين عاما (٢١٦ — ٢٩٦هـ) (١) . تقضوا منها نصف قرن في الصراع مع الصقليين بالجزيرة ، وقوات القسطنطينية في البر والبحر ، يتنازعون المدن والحصون والقلاع فيما بينهم ، حتى كتب النصر للأغالبة أخيرا .

وكان الأغالبة قد أخذوا — منذ وطئت أقدامهم أرض الجزيرة على التوالى ، وفي أثناء فترة هذا الصراع الطويل — يستقرون في السهول الخصبة المحاطة بالجبال الشاهقة ، وينزلون فيما يفتحونه من مدن وحصون ، وأقاموا بناء امارتهم الجديدة فيها ، وعنوا بادارتها وتنظيمها وترتيب شئونها ، فاستقامت لهم الأحوال ، ونجحوا في تأسيس نظام ادارى ومالى بالجزيرة ، التزمه كل من أتى بعدهم حتى (النورمان) المسيحيون .

مع الفاطميين

ثم انتقل حكم الجزيرة من بعد الأغالبة الى أيدى الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) وأصبحت صقلية جزءا من ممتلكات دولتهم التى أسسها المهدى في شمال افريقية ، فأخذوا يرسلون اليها الولاة من قبلهم ، ولكن حدث بعد أربع سنوات من حكمهم أن أعلن مسلمو صقلية بزعامة « أحمد بن قرهب » انفصالهم عن الفاطميين سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) وخطبوا يوم الجمعة للخليفة العباسى

---

(١) بدأ غزو صقلية سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) ولكن بسقوط (بلرم) مكن للمسلمين في الجزيرة وأصبح الفتح حقيقيا ، وملك الأغالبة الجزيرة من يومها حتى قضى الفاطميون عليهم سنة ٢٩٦هـ ، وورثوا أملاكهم في البر والبحر بما فيها جزيرة صقلية .

المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ — ٩٣٢م) ، ثم عادت الى الطاعة فى سنة ٣٠٤ هـ (٩١٧م) ، واستأنف الفاطميون ارسال الولاة اليها من جديد ، وقد ظلت صقلية طوال الاربعين السنة الأولى من الحكم الفاطمى مثار فتن وتلاقـل ، استنفدت من الدولة مجهودا كبيرا ، وكلفتها من الأموال والرجال شيئا كثيرا ، وصارت الحياة السياسية خلالها قلقة وغير مستقرة ، والحالة الداخلية غير مرضية ، ومع ذلك كانت مراسم الملك تجرى عليها ، فيأتيها الولاة ، والقضاة ، ويقوم الولاة بواجبهم الأول من الغزو والفتح ، ثم يرتبون حكام الأقاليم ونوابهم ، ويشرفون على تنفيذ القوانين والأحكام ، ويتولون جمع الضرائب والجزية ، وينظرون فى أوجه الدخل والصرف .

مـع الكلبيين

وفى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧م) عين الخليفة المنصور العلوى واليا على الجزيرة هو القائد : « الحسن بن على بن ابى الحسين الكلبى » فوضع أساس حكومة قوية مستقلة ، واعاد بحسن سياسته ، وجميل صنعه حياة الأمن والاستقرار فى الجزيرة ، وعلى عهده وعهد خلفائه من بعده نمت الحياة فى جميع مرافقها وازدهرت حتى بلغت غاية الكمال على عهد الأمير الكلبى : ابى الفتوح يوسف بن عبد الله (٣٧٩ — ٣٨٨هـ) وبذرت بذور الثقافة العربية ، ونمت فى تلك الجزيرة المتعددة اللغات والأجناس ، واعتبر عصر (أسرة الكلبيين) فى صقلية « العصر الاسلامى الذهبى لها » لأنها تمتعت فيه بما لم تتمتع به فى أى عصر اسلامى آخر .

وقد استمرت جموع المسلمين تفد على الجزيرة الغنية منذ الفتح حاملة معها دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وتقاليد وعادات جديدة ، كان لها بحكم ما لأهلها من سلطان وسيادة ذيوع وانتشار فى المجتمع الصقلى ، ومع ذلك لم تختف المسيحية ، ولا اللغة اللاتينية أو اللغة اليونانية بتاتا ، وظلت الكنائس والأديرة تجاور المساجد ، وتقام فيها الشعائر الدينية ، وبقيت اللغة اللاتينية ، ثم اللغة اليونانية مستعملة فى الجزيرة بجانب اللغة العربية .

وادخلت هذه الهجرة كذلك دما جديدا ، كما حمل المهاجرون معهم وسائل جديدة فى الزراعة والصناعة ، كان لها أثرها فى رخاء الجزيرة ونمو ثروتها ، وقد نشأ حينئذ مجتمع جديد فى ظل حكومة اسلامية جديدة على رأسها وال يحكم باسم حكومة افريقية المركزية .

مجتمع الجزيرة

طبقت فى الجزيرة نظم الحكم السائدة فى الولايات الأخرى التابعة للحكومة المركزية بافريقية ، سواء من الناحية السياسية ، أو الادارية ، أو التشريعية ، غير أن صقلية كان لها مجتمعها الخاص ، اذ كان المجتمع الصقلى على عهد المسلمين يتألف من اجناس مختلفة ، وطبقات متعددة ، فقد وفد المسلمون على الجزيرة فوجدوا فيها أقلية من الفينيقيين ، الذين امتزجوا بالعناصر الأخرى، كما وجدوا الرومان اللاتين ، واليونان أو الروم البيزنطيين ،

كما وجدوا اليهود ، ثم الرقيق الذين استوطنوا الجزيرة منذ أزمان بعيدة ، أما المسلمون الفاتحون فقد كانوا خليطا من العرب والبربر من قبائل مختلفة ، بينهم عدد من الموالى الفرس ، وكان المسلمون العنصر الغالب فى المجتمع الصقلى بما انضم اليهم من الموالى الصقليين ، ومن الأرقاء الذين اعتنقوا الاسلام ، وقد مصر المسلمون الفاتحون الحواضر وسكنوها ، وكانت لهم يد فى السياسة والصناعة والتجارة ، فوق ثقافتهم العربية التى نمت وازدهرت فى الجزيرة على ايامهم ، واستمرت بعد انقراض دولتهم .

وكان بطبيعة الحال يقف على راس السلم الاجتماعى الوالى واهل بيته وحاشيتهم ، ويقف الى جانبهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم ، وقواد الجند ، والقضاة ، وكان هؤلاء جميعا يعيشون غالبا فى سعة ورغد من العيش لهم الثروة والجاه ، والسلطان ، واليد الطولى ، والكلمة النافذة بعد الأمير ، أما اتباع هؤلاء فيكونون الطبقة الأولى فى المجتمع ، ويمكن أن يضاف اليهم الجند والحرس .

اما جمهور الشعب أو العامة فكان يتكون من طبقتين : عليا تقترب من الطبقة الأرستقراطية الأولى ، وتضم رجال الأدب والفنون ، والعلماء ، والعمال والتجار ، وأرباب الحرف والصناعات .
وطبقة دنيا تكون اغلبية الشعب ، وتضم الزراع ، والرعاة ، واهل الريف الذين كانوا يمثلون فى الأصل السكان الوطنيين ، وصاروا الآن موالى مسلمين ، واهل ذمة من المسيحيين واليهود ، وكان أهل الذمة يتمتعون على عهد المسلمين بقسط وافر من الحرية ، والتسامح الدينى ، كما كانوا يحتفظون بقوانينهم الدينية والمدنية ، ويشتركون مع المسلمين على قدم المساواة فى الاحتفالات العامة ومعهم اعلامهم الخاصة بهم ، ويظهر قساوستهم وأحبارهم بملابسهم المزركشة . (١)

وفى اسفل درجات السلم الاجتماعى كانت تقف طبقة الرقيق الذين كانوا يستخدمون فى فلاحة الأرض والخدمة الخاصة ، وهذه الطبقة وان لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها فى مستوى الطبقات السابقة ، الا ان الرقيق فى صقلية تحت الحكم الاسلامى كان أحسن حالا بكثير من السكان الايطاليين فى شبه الجزيرة تحت حكم اللمباردو الفرنجة(٢) .

وكان بالجزيرة سوق رائجة لتجارة الرقيق الذين يقبل على شرائهم الأغنياء وهم من أسرى الحرب ، أو من الأجناس السلافية (الصقالبة) الذين كان يجلبهم

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، هذا اذا استثنينا فترة وجيزة سرت فيها موجة اضطهاد لأهل الذمة فى دولة الخلافة العباسية والامارات التابعة لها زمن الخليفة العباسى المتوكل منذ سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) ووصلت صقلية التى كانت تابعة للعباسيين اذ ذلك ففرضت عليهم تلك القيود كسائر الولايات الاخرى ، وقد اورد الطبرى فى تاريخه ج ١١ ، ص ٣٦ — ٣٨ ، وابن الاثير فى تاريخه ج ٥ ص ٢٨٥ صورة للقيود التى فرضها المتوكل على اهل الذمة ، حيث منعوا من حمل السلاح ، وركوب الخيل ، وعدم تشييد مبان تعلو على ابنية المسلمين أو تساويها ، وتمييز دورهم بعلامات خاصة .. الخ ولم تكن تلك سياسة خاصة باهل الذمة فى صقلية بل عمتهم وعمت غيرهم فى سائر ارجاء دولة الخلافة العباسية .

(٢) جاكسون (صقلية) : ف ٣ .

التجار للبيع والشراء ، ولم يكد يتم فتح الجزيرة حتى اعتنق الأرقاء الخلص الاسلام ، وانتشر الاسلام بين باقي السكان حتى أصبحت الغالبية الساحقة من السكان مسلمين ، فغربى الجزيرة ، ووسطها كله مسلمون ، وكذلك معظم الاجزاء الشرقية(١) .

ومع أن الاسلام قد كسر من حدة النعرة الجنسية ، واضعف من نظام الطبقات الاجتماعية الا انا لا نستطيع أن ننكر ما كان يقوم فى المجتمع الصقلى من منافسات ، كانت تصل فى معظم الأحيان الى اسالة الدماء ، والتى كان سببها فى الغالب العداوة الجنسية بين العرب والبربر !! والعصبية القبلية بين العرب أنفسهم !! والحسد للدولة الحاكمة نفسها ، وبسبب الفروق الواضحة بين الفاتحين عامة وبين الموالى من الصقليين مما كان يسبب قيام الثورات والفتن ضد الحكام فى الجزيرة ، بل وضد الحكومة المركزية بافريقية !

داء العصبية

وكان من أخطر الظواهر الاجتماعية شعور العناصر العربية بأنها أسمى هذه الأجناس كلها حتى اخوانهم من البربر الذين شاركوهم الفتح ، وأقاموا معهم بناء هذه الامارة الجديدة ، وكان يقوى هذا الشعور عند العرب اعتماد الحكام والولاة عليهم فى غالب الأحوال ، ولعل الذى حمل الحكام والولاة على ذلك هو ما كانوا يرونه فى البربر والموالى الصقليين من الطاعة الزائفة لالتماس مأرب ، أو تحين فرصة ، وكانت تقوم بسبب ذلك الفتن والثورات فى كل حين ، ولم ينس العرب أبدا ارستقراطيتهم وسموهم عن سائر الأجناس حتى كانت النتيجة الحتمية أخيرا ، وهى : « تقويض سلطان المسلمين السياسى فى الجزيرة على يد النورمان » .

الحالة الاقتصادية

وكما كان لصقلية مجتمعها الخاص ، كذلك كان لها ظروفها الاقتصادية والمالية الخاصة ، فان الحالة الاقتصادية والمالية فى الجزيرة كانت داعية الى التفاؤل لأول عهد الحكومة الاسلامية ، فمع أن الحروب والفتن والثورات من شأنها عرقلة سير الحركة الاقتصادية ، والتأثير فى الحالة المالية ، الا انها لم تكن لتضربها ضررا يخشى منه قتل هذه الحركة ، أو فشلها على الأقل فى أثناء هذه الاضطرابات ، بل بالعكس رأيناها تزداد نموا ونشاطا واتساعا فى وسط هذا المعترك المشحون بحوادث الحرب والفتن ، واستطاعت الحكومة الاسلامية الأولى أن توجه معظم جهود أهل الجزيرة الى الانتاج العام فى الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى اذا استقرت الحياة السياسية فى الجزيرة على عهد الكلبيين ، رأينا الحالة الاقتصادية والمالية قد استقرت تبعا لذلك ، وأخذت جهود كل الأجناس تتحد وتمتزج بعضها ببعض فتتشكل بعد ذلك فى صورة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وشارل دييل (بالرموسيراكيوز) ص ٩٥ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

خاصة عليها سمات الأجناس ، وملامح الشرق والغرب ، فعمد النـــاس الى الزراعة والصناعة فأحيوها ، وادخل العرب فى الجزيرة أصنافا من النباتـــات وأنواعا من الأشجار جديدة فنقلوا اليها شجيرات القطن من الشام ، وقصـــب السكر من طرابلس الغرب ، وأدخلوا فيها أنواعا جديدة من أشجار الزيتون ، ونبات البردى الذى لم ير (ابن حوقل) له مثيلا الا فى مصر ، وجلبوا اليهـــا غير ذلك من النباتات المفيدة التى نقلت من اليمـــن ووادى الفرات ، وشـــمالى افريقية ، كشجر الصنوبر ، والفستق ، واللوز ، والبندق . (١)

وقد أصلح المسلمون فى الجزيرة نظام الرى بما كفل زيادة الانتاج الزراعى الى حد كبير ، فأقاموا المجارى ، وعلموا الناس عمـــل القنى ذات الأنابيب العقف (السيفونات) وكانت غير معروفة قبلهم ، ورفعوا المياه من الآبار ، بما أقاموه عليها من النواعير (السواقى) ، ونهضوا بالزراعة والفلاحة نهضة مباركة ، كان لها أثرها العظيم فى زيادة الحاصلات وتعدد أنواعها ، واقبال الناس على فلاحة الأرض لاخراج كنوزها . (٢)

وقد عدنوا المناجم فى الجزيرة ، وفيها الذهب ، والفضـــة ، والنحاس ، والحديد ، والزئبق ، والرصاص ، والكبريت ، والملح ، والكحل ، والنوشادر ، والشب ، وزيت النفط .. واستعملوا أنواع الرخام والصوان فى المبانى(٣) .

واعتنوا بتربية الماشية من الخيول ، والبغال ، والحمير ، والبقر ، والغنم عناية فائقة ، وكانت تعد منها مقادير عظيمة للتصدير الى ايطاليا والأندلس ، وكان المسلمون مهرة فى حفظ الأسماك بالتمليح وغير ذلك من الوسائل ، وكانت هذه الثروة الحيوانية مصدر رخاء ، وعاملا كبيرا من عوامل تدعيم المركز المالى والاقتصادى فى الجزيرة بجانب الصناعات الأخرى والزراعة والتجارة .
وقد كانت التجارة قبل العرب ضيقة النطاق ، قليلة الأهمية فى هذه الجزيرة ، فأصبحت على عهدهم متشعبة النواحى ، غزيرة المواد ، تحملها سفنهم الى ثغور أوربة فى ايطاليا الجنوبية ، والأندلس ، وتوزع فى داخلية البلاد ، فيعجب أهل أوربة بها ويقبلون عليها(٤) .

وثب الأهلون بالزراعة والصناعة والتجارة وثبة كأنما نشطوا من عقال ، فكثرت الأموال ، وفاضت الخيرات الى الحد الأقصى ، وافتن الناس فى ضروب الترف والنعيم ، واتساع العيش ، والتأنق فيه ، والتلون بأزهى ألوانه ، فقد كان أمراء الكلبيين يعيشون فى قصور فخمة ، فى مدينتهم الزاهرة (بلرم) التى كان بها مقر الوالى ، وقاضى القضاة ، وديوان الحسبة ، ودار الصناعة وفى

---

(١) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، سيديو (خلاصة تاريخ العـــرب) ص ١٤٦ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣ .

(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ ــ ٦ (ومعجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٣٧٤ (وحضارة العرب لغوستاف لوبون) ف ٧ ص ٣١٨ ، و (المدنية العربية فى الغرب للويجى رينالدى) ص ٢٠ .

(٣) ياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٧٤ ، والمكتبة الصقلية (آثار البلاد .. للقزوينى) ج ١ ص ١٤٢ ، وغوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، وسيديو (خلاصـــة تاريـــخ العرب) ص ١٤٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

(٤) غوستاف لوبون (حضارة العرب) ف ٧ ص ٣١٨ ، ولويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٦ ، وجاكسون (صقلية) ف ٣

مينائها كان يربض اسطولها العظيم الذى طالما فتح به المسلمون الثغور الايطالية وغزو الجزر القريبة والبعيدة من صقلية . (١)
ولقد أعطانا صورة مشرقة ومشرفة عن مقدار عمارة الجزيرة ، وسعة

رخائها . ورواج تجارتها ذلك الرحالة الشرقى (ابن حوقل) الذى زارها سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ ـــ ٩٧٣م) على عهد الأمير : ابى القاسم بن الحسن الكلبى (٣٥٩ ـــ ٣٧٢هـ / ٩٦٩ ـــ ٩٨٢م) فقد وصف الجزيرة بقوله : « واكثر أرضها مزرعة » ، كما انه يشير كذلك الى الحدائق الغناء ، والأسواق العامرة المحيطة (ببلرم) العاصمة ، ويصف نظام الرى الدقيق بواسطة المياه المجلوبة من الآبار . . . الخ . (٢)

ويعتبر وصف ابن حوقل للعاصمة (بلرم) لا اقدم وصف فحسب ، بل الوصف الوحيد الذى كتبه شاهد عيان من المسلمين ، فيقول : « وهى (بلرم) قصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، وهى خمس حارات محدودة غير متباينة ببعيد مسافة ، وان كانت حدودها ظاهرة » ، ويعدد هذه الحارات ، ويصفها ، ويذكر ما فيها من مساجد كثيرة ، واسواق ، وما فيها من متاجر وصناعات ، ويدهش من كثرة المساجد فى الجزيرة ، وبخاصة فى العاصمة (بلرم) ويقول : « لم أر مثل هذه العدة فى بلد من البلدان الكبار على ضعف مساحتها ، ولا سمعت به الا ما يتذاكره أهل قرطبة » ، ويذكر انه كان واقفا بجوار مسجد لأحد الفقهاء الأعيان فى (بلرم) فرأى من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره .

ثم اخذ يعدد رباطاتها على الساحل . . وذكر اخيرا ان فى المدينة (بلرم) أكثر من ثلاثمائة معلم فى مكاتبها لتعليم الناشئة ، وكان يعتبرهم القوم أشد الناس تقى ، واقربهم الى الله ، واعلاهم قدرا(٣) .

لعل فيما قدمناه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية والمالية واستبحار العمران فى الجزيرة على عهد المسلمين ما يضع أمام القارىء صورة امارة عظيمة طموحة ، وشعب قوى البنيان ، كامل العدة ، بارز الحيوية ، ومجتمع منسجم يسوده الوئام والسلام الا فى بعض الفترات القصيرة ، كما تدلنا هذه الصورة ايضا على أن الحضارة فى صقلية على عهد المسلمين كانت من أزهى الحضارات الاسلامية المعاصرة لها ، وانها كانت المنار الذى يضىء الجانب الغربى من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتتلألأ انواره على سواحل أوربة الجنوبية والغربية بجانب الأندلس الينبوع الذى استقت منه أوربة اصول حضارتها الحديثة .

أما الحديث عن: « الثقافة العربية فى جزيرة صقلية » على عهد المسلمين فموعدنا به المقال القادم باذن الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ ـــ ١٠.
(٢) المكتبة الصقلية (المسالك والممالك لابن حوقل) ج ١ ص ٤ ـــ ٦ ، و (معجم البلدان لياقوت) ج ٥ ص ٢٧٦ وهو ينقل عن المسالك والممالك لابن حوقل .
(٣) راجع نصوص ابن حوقل فى المكتبة الصقلية (المسالك والممالك) هـ ١ ص ٤ ـــ ١٠ ، وياقوت (معجم البلدان) ج ٥ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، وهو ينقل المسالك والممالك لابن حوقل .

الإنسان والكون

الأسس والآثار الحضارية في الإسلام

للدكتور: مازن المبارك
جامعة الرياض

بين المـادة والروح

لقد اتى على الانسان حين من الدهر ، ظن فيه أن بلوغ الكمال فى الحياة ، لا يكون الا عن طريق الرقى المـادى ، فانطلق فى ميدان المـادة ، كما ينطلق وحش الغابة ، حتى وصل الى القمر أو كاد ، وحقق فى ذلك نصرا لا ينكر ، ولكنه نسى فى غمرة انطلاقته المـادية جانب الحياة الآخر ، انه اهمل الجانب الروحى ، فاذا هو قوى فى جسمه ، منتصر بمادته ، متخلف فى روحه ، ضعيف فى خلقه .

وقد ادرك عقلاء العالم اليوم ، أن الطريق المادى ليس كافيا وحده لبلوغ الانسانية درجة الكمال ، وان رقى الانسان المادى لم ينقذ العالم من الويلات التى تزداد يوما بعد يوم ، فالاستعمار والحروب ، والثورات وسحق القوى للضعيف ، والتعصب العنصرى .. كل ذلك اخذ يزداد مع الايام ، ومع ازدياد الرقى المادى !! بل ان الرقى المادى لم يكن فى هذه المعارك الظالمة على الحياد ؛ وانما كان على العكس سلاحا للفتك والدمار فى أيدى الظالمين .

ان العالم اليوم أشبه بمدرب عنى بتدريب انسان « أحمق » حتى أصبح عملاقا قوى العضلات ، ثم سلحه بالحديد والنار ، واطلقه ليعيث فى الارض فسادا ، وليس فى قلبه رادع من ضمير ، وليس فى عقله غاية غير منفعته الخاصة .

والانسان مخلوق من طين وروح ، ولا بد لرقيه من العنـاية بعنصريه جميعا ، ولذلك كان للاسلام وكشفه عن حقيقة خلق الانسان فضل فى تغيير نظرة العالم الى علاقة الجسد بالروح ، فلم يعد هناك جسد ينطلق يائسا من

وجود حياة روحية فاذا هو آلة مادية ، ولم تعد هنالك روح تتنكر للجسد ، وتزعم أن رقيها لا يكون الا باهماله ، وطهارتها لا تتحقق الا بتعذيبه .

لقد اصبح واضحا ان الجسم مستقر مؤقت للروح ، وزالت تلك الاوهام القائمة على افتراض العداء بينهما ، فالجسم مخلوق فى احسن تقويم لا ليهان ويحتقر ويعذب ، ولكن ليقوى ويحقق وجوه نشاطاته بما فيها اللذة الحلال . وبذلك يكون الجسم اقوى على مسايرة الروح فى انطلاقتها ، لأنها انما تحقق نشاطها أولا فى اطاره .

وليست الدنيا فى نظر الاسلام مباءة ، على المرء أن يفر منها ، وليست طيباتها مكروهة ، وانما الدنيا دار امتحان ، وعلى المرء أن يجد فيها ويكدح ، وأن يتعاون فيها مع بنى جنسه فى كل ميدان ، ليحقق فى الحياة الدنيا عمـــارا ورقيـــا وازدهارا ، وليقرب هـــذه الحياة من المثل الاعلى فى الحق والخير والجمال .

ان الجانب الروحى والخلقى فى حياة الانسان ذو اثر بعيد وهام فى امن الانسان ورفاهه ، بل ان بعض العلماء ليرى ان اهمية هذا الجانب تفوق اهمية المعرفة العلمية التى تتوخى سيطرة الانسان على الطبيعة ، لأن العالم اليوم يعانى ازمة خلقية ودينية ، اكثر مما يعانى من التخلف العلمى ! انه ليعانى من كيفية استثمار نتائج العلم اكثر مما يعانى فى الوصول الى تلك النتائج(١) .

الاسلام دين واقعى

ولقد كان الاسلام هو المذهب الوحيد الذى ادرك حاجة الانسان الى الرقى الروحى والمادى فى وقت واحد فجمع بين الامرين وقرن بينهما من غير افراط ولا تفريط ، انه لم يجعل الكون المادى غاية ، كما هو الامر عند الماديين ، ولم يتناس الطبيعة ، أو يتنكر للجسد ، كما هو شأن الروحيين ، وانما كان واقعيا معتدلا يعترف بالمادة ، فلا يغلو الى درجة جعلها غاية ، ويعترف بالروح اعترافا لا يعنى انها اهلاك للجسد .

ان الاسلام الذى كشف القناع عن خلق الانسان من طين ليعترف للانسان بغرائزه ، فى الوقت الذى يحتم فيه اتباع الطريق الذى رسمه للتنفيس عنها ، ثم هو بعد ذلك — تمشيا مع عنصر الروح فى خلق الانسان — ينظر الى أبعد من الكون المادى ، ويجعل الغاية أسمى من أن تقف عنده ، ان الكون المـــادى مسخر للانسان ، ولكن غاية الانسان تتعدى هذا الكون .

نعم ان الدنيا لك أيها الانسان ، ولكنك انت للآخرة ، فتمتع من الاولى وهيىء نفسك للثانية (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)(٢) .

بل لقد جمع القرآن ما فى الاكل والشرب وطيبات الرزق والزينة من مادة الى ما فى العبادة من جانب روحى فقال « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »(٣) وأمرنا أن يكون دعاؤنا شاملا لحسنتى

---

(١) انظر كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .

(٢) سورة القصص .

(٣) سورة الأعراف .

الدنيا والآخرة فقال « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق(١) ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »(٢) .

فالاسلام — اذن — لم يتنكر للدنيا ، ولم يحرم التمتع بالرزق الطيب ، والزينة التى أخرج الله لعباده ، ولكنه من ناحية ثانية حذر من أن يركن الانسان الى الدنيا ، ويغرق فى لذاذاتها ، ويغتر بها ، وينسى انها فانية .. انه حذر الانسان من ان تكون دنياه حجابا دون الآخرة ، وكثيرا ما لفت نظره الى سرعة زوال الدنيا ونعيمها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »(٣) . « من كان يريد الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .. »(٤) وذلك لأنكم « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة »(٥) « بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وابقى »(٦) .

وعلى هذه الصورة جمع الاسلام بين الروح والمادة ، وقرن بين الدنيا والآخرة ، فكانت صورة رائعة لا نظير لها فى أى دين أو مذهب آخر ، ان عمار الدنيا واتقان الصناعة والتوسع فى العلوم امور حض الاسلام عليها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعلها غاية نهائية ، يقف الانسان عندها ، وينتهى طموحه لديها ، وانما جعل الغاية وراء ذلك سموا وعلوا ، ودعا الانسان الى الرقى ، ليصل الى ما يستطيع من مشارف تلك الحياة السامية الخالدة .

الأسس والآثار الحضارية فى الاسلام

ولنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من أسس صالحة لبناء الحضارة ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان أثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها أثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من أبرز خصائص هذه النظرة الاسلامية أنها ارست للحضارة أسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى أوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين ، فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

---

(١) أى نصيب ..
(٢) سورة البقرة ..
(٣) سورة الكهف ..
(٤) سورة هود ..
(٥) سورة الانفال ..
(٦) سورة الاعلى ..

١ ــ ففى مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولا : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ، ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .
وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانســـان ضميره . فأصبح له من نفسه حارس عليه .
وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الاساس الاول : وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته ، وتقتل موهبته ، ولا تتسع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التى يدور فيها اليوم صراع شـــديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد أنه اذا أردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته ، وعلى المرء مروءته ، فلا بد ان نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه ، واستثمار كفاءاته ، ليتنافس الافراد فى تقديم الخير لأنفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس فى ظل الاسلام وتحت اشرافه ، الا تنافسا خيرا ، يرعى حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة .

ونحن نستطيع ان نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه فى ميــدان الفكر ، كما نطبقه فى ميــدان الاقتصـــاد ، وذلك بأن نترك للأفراد أن يفكروا كيف يشـــاؤون ، وأن يكتبوا ما يشاؤون ، على ألا يكون فى شيء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها .
ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة فى تاريخ حضارتنا ، يوم طبق فلم يشل حركة الفكر ، بل هيأ للعالم علماء افذاذا ، كابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد ، وغيرهم ، ممن قال عنهم علماء الغرب : انهم ظلوا أساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم « ليس ثمـــة ميدان من ميـــادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ، ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيـــه غنى » .

وأما الاساس الثانى : وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالاســاس الاول ، اذ قد يجنح بعض الافراد او ينحرفون ، تستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة ، فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة ، كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب . فكان الاســاس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وايقاظه دائما ليكون حارسا امينا ، او صمام أمان ، يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا ، لأن الله سبحانه مطلع عليه ، وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى .
وأما اذا صدىء هذا الضمير ، أو قصر فى واجبــه ، فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ، ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ، ويعيـــد الى المجتمع توازنه المطلوب .

وأما الاساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ، أيا كان ، وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى الحياة الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق ، تلك التى كانت تعيشها ، واوجد

فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل المثمر ، والانتاج النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » .

ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع الوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحى ، وبيان قيمته فى العلاج النفسى ، وحسبك ان تقرا كتاب (دع القلق وابدا الحياة) « لديل كارلنجى » (وكتاب العودة الى الايمان) « لموريس كريسون » .. فكارلنجي يقول « **ان أطباء النفس يدركون أن الايمان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبى** » ويقول الدكتور بريل « **ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا** » .

والحقيقة انه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة فى ميدان الخير ، تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما لصلة الانسان بربه من اثر فى رفعة الخلق وسمو الغاية .

فى الحيـاة الاجتماعية

٢ — **وفى مجال الحياة الاجتماعية** ، وضع الاسلام التكافل الاجتماعى اساسا يقوم عليه المجتمع ، وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات ، أو اعانة الفقراء ، وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات ، وذلك ان الاسلام اوجب على المجتمع الاسلامى أن يكفى نفسه ، فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون ، فكل اهل البلد آثمون ، ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميادين الصناعة مثلا — من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الاعباء والمغانم ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم ، تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

فى ميدان الانسـانية

٣ — **وأما فى ميدان الانسانية عامة** ، فكان الاساس الذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون ، لا يفرق بينهم نسب ، ولا لغة ، ولا لون ، ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم واممهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية ان التقت لأول مرة فى تاريخ الانسانية امم وشعوب ، تعاونت على بناء العالم ، ورقى حضارته ، رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من أثر هذه النظرة ايضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم أجمع ، فتمتعت بها أقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

في ميـــدان العلم

٤ — **وفي ميدان العلم** قامت نظرة الاســـلام على اساسين : ايمـــانى وتجريبى .

اما الايمانى فخاص بما اخبر به الله تعالى ، وما تنزل به الوحى ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحى ، وختمت النبوات .

واما العلم التجريبى فهو الذى لفت القرآن اليه اذهان الناس ، وحثهم على البحث فيه ، واخضاعه للتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد راينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر فى الآيات الكونية ، فكان صوته أول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ، ودعا الانسـان الى اكتشـاف قوانين الكون ومعرفة أسراره .

وكان من أثر هذه النظرة ان نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر ، الى مرحلة العلم والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية ، وعرف النابغين من العلماء ، كالبيرونى ، وابن الهيثم ، والجاحظ ، والرازى .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم فى الطب والفلك والـكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضـــارة الاسلامية عصر العلم والعلماء(١) .

ولقد اثبت الاسلام — كما يقول غوستاف لوبون — **انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم** ، بل ان لوبون يصرح : **بان المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الاول** فيقول : (يعزى الى بيكون على العموم انه أول من اقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ ، ولكنه يجب ان يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..) وهو يعنى المسلمين .

ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رايه هذا ، ثم يقول : (قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك هذا المنهاج فى العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا) (٢) .

في ميـــدان الســـلام

٥ — **واخيرا أرسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام** ، فالاسلام والسلم والسلام من أصل لغوى واحد ، والله تبارك وتعالى هو السـلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له ، فكان اول ما يذكر فى اللقاء بين مسلمين ، بل كان هو شـعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام) .

والحق أن الاسلام منح السلام للعقل الانسانى الذى كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون ، فلا يهتدى ، ومنح السلام للنفس الانسانية التى كانت مضطربة تعتقد انها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ، فهى دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها ، فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بإله واحد ، وهو إله يحبها ويفرح باهتدائها ، ويدعوها لإنهاء الخصومة ، والاستسلام له او الاسلام له « وانيبوا الى ربكم واسلموا له » (سورة الزمر) . « ومن

---

(١) انظر الحضارة الاسلامية لفرونباوم ص (٣٠٩) .

(٢) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ص (١٢٦) و (٤٣٥—٤٣٧) .

أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (سورة النساء) . ومتى وجد السلام فى النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر ، فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

قوة تحرس السلام

٦ — **على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجانحة ، وانما دعمها بالقوة تحرسها ، وتسهر على تحقيقها . انه يؤثر السلام « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولكنه يدعو الى أن تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق ، وتنتصر له ، فامر باعداد القوة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وامر بقتال الفئة الباغية « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله » .**

وهكذا هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير ، وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟

وأى دليل أصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى ، وشهد أنه بفضلها اخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم ، وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد أن تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال ، كما هو الامر فى اكثر الدعوات ، وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية ، وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال (**لم يفتح الاسلام العالم ولكنه غزاه بحضارته**) (١) وكان منهم من قال (**الحق أن اتباع محمد ظلوا اشد من عرفته أوروبا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما لا يرهبوننا باسلحتهم — كما فى زمن الحروب الصليبية — كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة**) (٢) وقال (**ان للحضارة الاسلامية تاثيرا عظيما فى العالم . وان أوروبا مدينة بحضارتها للعرب**) (٣) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الاسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها أسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية . فهى تمتاز :

أولا : **بالنزعة الانسانية** التى لا تعرف حدود الارض أو القوم أو اللغة ، ولا تقبل تفرقة للجنس أو اللون أو غيرهما من العصبيات .

---

(١) الحضارة الاسلامية لفرونباوم .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون (٥٧٧) .

(٣) انظر حضارة العرب ص (١٧٦) وما بعدها .

ثانيا : **بالبساطة** وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : **بالشمول** لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : **يمتاز الجانب الاخلاقى فيها بشمول رائع** للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا أن يكذب أو يخدع أو يخون أو يعتدى من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة أو الدولة من أجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة . .

وبعـــد ..

فان الحضارة الاســـلامية ذات أساس ايمانى ، لأن الايمـــان بالله هو الاساس الاول الذى ترتكز اليه ــ وهو ايمان يحرسها ، ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شىء فى الحياة نصيبه ، وتضع كل شىء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

نظـــام شـــامل

على انه يجدر بنا أن نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وانه اذا أردنا له أن يقيم نظاما حضاريا ، وأن يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التى نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعضه الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك أن ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ، ولا دين من أديان السماء جاء كالاسلام ، بانيا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ، ويحضه على الاتقان فيه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم ، وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام وتلك هى نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته ، لينظر من خلالها الى الكون والى الانســـان ، وليبنى على أساسها حضـــارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم . وما أحوجه الى النظرة الاسلامية ، التى تتفرد بأنها وحدها من بين أديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحى ، الى ما فى العقل من طموح علمى ، الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسألنى سائل بعد الذى ذكرت : أين هى اليوم أسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا أين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

واحات الروح وخاطرة من سيرة الامام علي

رضى الله عنه فى العلماء الزاهدين ، والحكام العادلين
والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين

للأستاذ : سعيد الأفغاني
كلية الآداب ـ جامعة دمشق

ما اقصر عمر الانسان ، سنوات معدودة عليه ان يقطعها الى نهايته فى مراحل ، كالعربى القديم يخرج من مكة على راحلته الى الشام ، مكابدا حر الشمس فى صحارى الجزيرة ، تسلمه مفازة الى مفازة ، يسير الليل ، ويقبع فى النهار ، لا جديد بين يدى سفره ، غير وهج الصخور ، وسعير الهواجر ، وبحار من الرمال عن يمين وشمال ، ثم كسر يابسة ، يتبلغ بها ، وصبابة من ماء يحرص على الا تنفد ، فيهلك هو وراحلته عطشا ، فاذا لمح فى طريقه الشاق الطويل مورد ماء او قليلا من ظل او نزرا من خضرة ، مال اليه ، كانه ظفر بجنة الخلد والنعيم المقيم ، يريح راحلته وبدنه من سفر مضن وعرق متصبب .

هذا حال الروح اليوم مع صاحبها الغارق فى عيشه المادى الكادح ، الطافح بالهموم والأفراح والأحزان ، هى مسافر فى صحراء ، جائعة ظماى مكدودة ، على شفا المهالك ، اما اللحظات التى نصلها فيها بعالم المثل والفضائل ، فهى الواحات النضرة فى سفرها ، تروى فيه ظماها ، وتبعث نشاطها ، وتبل شوقها ، وترد حياتها ، وتشعر بالسعادة فتحلق فى عالمها العلوى .

وشهر ذى الحجة والمحرم واحة من واحات الروح ، تبلغها بعد احد عشر شهرا من سير حثيث جاهد ، فتجد عليها عالما آخر فى انتظارها ، تأنس به ، وتحن الى مباهجه : تخفيف من اعباء المادة ، بل هروب منها ، ورياضة النفس على شىء من هجر الراحة ومن وعثاء السفر ، واخذ البدن بشىء من الشظف والحرمان فى المطعم والمشرب والمبهج والمسكن والملبس ، ثم اقبال على الاتصال بالله

فى منازل وحيه ، ومهابط رحمته ، ليلا ونهارا ، يراقبه ويبتغى رضوانه فى مغداه ومراحه ، وبيعه وشرائه واخذه وعطائه . وهو ان صلى أو قرأ القرآن أو صام أو تهجد ، شعر فى قرارة نفسه باشراق لا يألفه فى غير هذه الأيام أيام الحج .

ثم حين يودع العام الراحل ، ويستقبل المحرم من عامه الجديد ، سائلا ربه خيره وخير ما فيه ، وعائذا من شره وشر ما فيه ، وان لم يكتب له حج وزيارة ، وجد كل شىء قد أعد حوله من وسائل الاعلام ليلائم الجو العلوى لهذه الأيام ، شأنه فى ذلك شأنه فى رمضان : محطات تتزود فيها الروح زادها من العام الى العام ومن هذا الزاد سير العظماء الصالحين ، الذين عاشوا على الأرض وكأنهم الملائكة طهرا ونزاهة وسموا ، ايثارا لخير الناس على النفس وهواها ، ولرضاء الله على رضا غيره ، وللآخرة على الأولى .

. . . .

من هؤلاء العظماء الصالحين الصحابى الجليل ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وخاتمة الخلفاء الراشدين ، أول الناس اسلاما بعد السيدة خديجة ، وربيب النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته صغيرا ، واخوه كبيرا ، البطل الشجاع ، والفارس المغوار ، ابلغ الخطباء بعد النبى ، ومفزع الخلفاء فى الشورى والعلم والقضاء ، **امير المؤمنين على ابن أبى طالب .**

ومن ظن أنه يستطيع المرور ببعض مآثره فى صفحات ، فقد ظن جهلا ، ان ضخام المجلات لتضيق عن ذلك . والذى سنذكره فى هذه الأسطر خطرات عن الرجل ، الذى امتحنته الدنيا بكل مغرياتها ، فذلت مغرياته تحت قدميه ، ثم حطت عليه الدنيا بكل بلاياهاو مضايقاتها ، لتزيحه عن صلابته فى الحق ، فخسئت البلايا والمضايقات ولم يتزحزح ، وبقى على ابن أبى طالب معلما من أشمخ المعالم فى تاريخ الانسانية ، ومثلا أعلى للحاكمين ، الذين لا يعيشون لأنفسهم وانما يعيشون للخير العام ، والفضيلة الخالصة ، والمثل الرفيعة النبيلة ، هازئا بكل المرغبات والمرهبات ، التى تقوم أعذارا لكبار الرجال ، حين يميل فى أيديهم الميزان .

ومن قرأ التاريخ وكتب الطبقات وجد عليا فى الصف الأول من كل طبقة : فى مقدمة الفرسان الشجعان وفى طليعة المجاهدين القواد ، وعلى راس العلماء الزهاد ، وأول القضاة ، وفى المحدثين والمفسرين ، وفى البلغاء الخطباء ، وفى المتصدقين الأجواد . . انه أمة فى رجل ، وليس هذا بكثير على ربيب النبوة فى منزل الوحى .

وخاطرة اليوم تحوم حول منقبته راعيا للأمة ، وأميرا للمؤمنين ، وكلنا راع ذو سلطان قل أو كثر ، لكننا لا نملك من انفسنا ما ملك من نفسه ، فاذا استطعنا أن نتمثل مواقفه ، كلما جمحت بنا الأهواء فاقتدينا به ما وسعنا الاقتداء ، كان هذا حسبنا نفعا وخيرا .

لم يكن لهوى النفس ولا لسكرة السلطان سبيل على هذا الراعى العظيم ، حتى فى المواقف العصيبة الدقيقة التى لا ينجو فيها العظماء من ضعفهم البشرى :

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، فطاشت العقول ، وأخذت الناس غشية المصيبة ، كبارهم وصغارهم فى ذلك سواء ، حلماؤهم وضعفاؤهم ، ثم رجعوا الى أنفسهم قليلا قليلا ،

وعرفوا أن لا بد من خليفة للرسول يقوم بأمر الناس ، والتفتت أذهان كثير من الصحابة الى على ، فلما بويع أبو بكر كان له على نعم المشير ، ونعم المعين ، ولم يأنف أن يكون جنديا فى خلافة أبى بكر ، ولو كان لنفسه عليه سلطان كما نعهد فى المرشحين ، ودعا الى نفسه ، لوجد المؤيدين ، لكن عليا وعمر وعثمان وابا بكر طبقة من البشر كبار النفوس ، قل أن يجود الزمان بمثلها .

ثم بايع الناس عمر ثم عثمان ، فخلص على النصح لهما ، ويبقي كعهده أمام أبى بكر حسن طاعة وسماحة وخلوص نصح ، وعرفوا له جميعا عظمة نفسه ، وانه ركن من أركان المسلمين ، حتى حين تغلب على عثمان آخر حياته بطانة فى اخلاصها شك ، وجعلته يطرح راى على ، ويأخذ برايهم ، حتى فى ذلك الحين لم تأخذ عليا موجدة ما على عثمان ، واستمر على تقديم كل خير يطيقه .

ثم آلت الامور — كما يعرف قراء التاريخ — من سىء الى اسوأ ، وحوصر عثمان ، وتألبت عليه زمر الشر ، فجرفت معها الصالح وغير الصالح ، ولم تخامر نفس على فى هذا الموقف نزوة ولا انتصار لرأيه ، بل عذر عثمان ، وهب ينافح عنه ، ويخفف من غلواء أهل الأمصار .

ولما بلغ السيل الزبى ، وغلب راى بطانة السوء ، ترك ابنيه الحسن والحسين بسيوفهما على باب الدار — دار عثمان — يحميانها مع نفر من خيار الصحابة وابناء المهاجرين والأنصار ، وحذرهما أن يخلص احد من الغوغاء الى عثمان ، وفيهما عين تطرف .

ولكن الأشرار تجنبوا الباب ، وتسوروا جدارا لا حراس عليه ، ووقع القضاء بالخليفة الصابر الشهيد وهو يقرأ القرآن ، فلما بلغ عليا مقتله ، لم تسعه الأرض ، وأسرع الى الدار ، فلم يكن منه الا أن لطم ابنيه الحسن والحسين ، ظانا فيهما التقصير ، وهذا موقف يحسن أن يقف عنده طويلا زعماء الأمس واليوم ويتفهمونه حق التفهم ، حتى لا ينصروا نزواتهم واهواءهم حين يختلفون ، وينسوا شعوبهم ومصائرها ، لقد كان أحوج الناس الى هذا الدرس زعماؤنا يوم نكبة فلسطين ، وهم الآن اليه أحوج .

ثم بويع على ، ولكن اية بيعة ؟ انها لم تكن كبيعة عمر وعثمان ، فقد آلت اليهما احوال موافقة ، وسياسة رشيدة حازمة ، وامر جميع ، وكلمة موحدة ، وأمة تناهض عدوها صفا واحدا ، وتسعى الى نشر رسالة واحدة ، وآلت الى على احوال منتشرة ، وسياسة افسدها بطانة السوء ، وامر شتيت ، وكلمة متفرقة وامة يناهض بعضها بعضا ، والعدو بها متربص .. فحمل الاعباء بعزم البطل المنفذ المؤمن بتأييد الله ، وشمر للاصلاح ، فغير الولاة الذين اضطرب الأمر على عهدهم ، وبدأ بأقواهم شكيمة واكثرهم حزبا وناصرا : معاوية بن أبى سفيان والى الشام على عهد عمر وعثمان ، ونصح الناصحون عليا أن يبقيه سياسة ورفقا ، فأبى عليه يقينه وقوته فى الاصلاح . ومتى حسب أولو المبادىء والرسالات حسابا للسياسات ؟

خلع معاوية ، فشذ معاوية بالشام عن البيعة والجماعة ، فانشطر الصف الواحد ، ولم يكد على ينظر فى هذا الأمر حتى فوجىء بخرق اوسع : بأم المؤمنين عائشة وبطلحة والزبير واهل البصرة ، وبعض أهل مصر ينسلون من البيعة له ، ويعلنون أن لا بيعة الا بعد الأخذ بثأر عثمان ، وكان هذا

المطلب أقرب الى التعجيز فى تلك الظروف ، فبذل على من نفسه أغلى ما يبذل مصلح مسئول ، واوشك الفريقان على الاتفاق ، بل قد اتفقا ، لكن الزمان آلى أن يجند على على كل المحن ، فبعث رءوس الشر فى العسكرين ينشبون القتال فى الظلام ، قبل ان يفرغ الفريقان ، لتنفيذ ما اتفقا عليه ، وظن كل من الفريقين الغدر بصاحبه ، وصاحبه برىء ، ووقعت الكارثة ، وانفرجت عن عشرة آلاف قتيل ، وانهزم أصحاب جمل عائشة !!

وفى الليل ، طاف على على الجرحى والقتلى من الفريقين : انصاره وخصومه ، فعاملهم جميعا المعاملة اللائقة بنبله ، وكرم نفسه وابوته ، وجعل يقول : « اللهم اغفر لنا ولهم » وامر بحمل جميع الجرحى والعناية بهم ، وحمل من الحزن على هؤلاء ما الله به عليم ، حتى كأنهم جميعا ابناؤه ، وانه ليشعر انهم كذلك بحكم ولايته .

عاد على الى البصرة يتفقد الدور المكتظة بالجرحى من الداء خصومه ومحاربيه ، وتسمعه احدى نسوتهم فى دخوله وخروجه من الطعن والدعاء عليه ما يضيق به صدر الحليم ، فيتجاوز تجاوز النبلاء ، ويأمر بالاحسان والاكرام ، ويجهز السيدة عائشة زعيمة المعارضة اكرم جهاز الى المدينة ، ويعطيها ، ويصحبها فى سفرها الموكب الضخم تعظيما ، ويخاطب الناس فى وداعها فيقول :

« ايها الناس ، صدقت والله وبرت ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة » ثم يشيعها أميالا ويسرح بنيه معها فى موكبها الى المدينة .

أما الزعيمان الآخران طلحة والزبير فقد تقطع قلبه حسرة عليهما ، ولما رأى طلحة فى القتلى متعفرا ، جعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول : « أعزز على أبا محمد ان أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الأودية ، انا لله وانا اليه راجعون . والله انى لأرجو ان اكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وصدق والله .

انصرف على بكل عزمه الى ما يصلح امر الأمة ، لم يلن فى حق ، ولا جامل قريبا ولا اخا ، ولم يحتمل الناس ذلك ، فجفاه اخلص الأقارب والأصدقاء ، واحدا بعد واحد ، ادركهم ضعف البشر ونصرة الهوى ، فارقه ابن عمه واخلص نصحائه واقواهم ، عبد الله بن عباس ، وانحاز اخوه عقيل بن ابى طالب الى عدوه معاوية ، ثم انشق عليه الخوارج فحاربوه ، وهو ثابت كالجبال الرواسخ لا يغير من سيرته . وصلابته واقدامه قيد شعرة ، واخذ الناس ينفضون من حول الأمير الحارس الأمين ، الذى حرم نفسه راحتها ، ولم يمتعها من الدنيا بمتاع ، انصرفوا الى الملك الذى يكسب لنفسه ويعطى غيره . ومضى قدما صادقا ما عاهد الله عليه ، أميرا اجيرا ، حتى لقى الله على سنة النبى الكريم وخليفتيه الراشدين ، لم يفتر ، ولم يبدل فكان الراعى القوى الأمين .

يقول السطحيون من متفلسفى التاريخ : (ان عليا ضعيف السياسة) وفاتهم أنه اختار السيرة التى سارها عن بصيرة وروية وتصميم ، حين

جعل هدف الحياة ارضاء الله واسعاد البشر ، والا فأهون الأمور ، أن يبقى معاوية على عمله ، ويزيده فيه ، ويعطى فلانا وفلانا ، وبذلك يكون عند هؤلاء من الدهاة السياسيين . انه أراد الله فى كل ما فعل ، فلم يقم لغيره وزنا . وصدر عن ذلك فى كل ماتيه ، وليس عليه ان تواتيه الأمور او لا تواتيه ، لقد قال الحق ، وعمل بالحق ، وابتغى الحق ، وهذا كل ما على أصحاب الايمان .

اختلف عليه الناس فى حياتهم ، لكنهم اتفقوا جميعا منذ وفاته ، الى يوم الناس هذا على الشهادة بأنه كان الحاكم المثالى فى كل الفضائل المطلوبة من الحاكم . وليس عليك الا ان تقرأ فى كتب الأدب والتاريخ تلك المجالس التى كانت شيعته تبكيه فيها أمام خصمه القوى العنيد معاوية ، وترثيه بمناقب تلحقه بالأنبياء والمرسلين ، يجهرون بهذا صدعا بالحق ، معرضين انفسهم لانتقام الحاكم وسطوته ، ثم تنجلى هذه المجالس عن عكس ما أراد منها معاوية ، تنجلى عن تقديس على ، وانتصار الذين كان على أماما لهم ، ثم صار عقيدة فى قلوبهم ، وعن اقرار معاوية حزينا متحسرا بكل ما قالوا . لقد خضعت القوة القوية أخيرا للحق ، وصاحبه من أصحاب القبور ، وهذا غاية ما يخلد به ناصر للحق مخلص له .

قال معاوية لضرار الصدائى : ((يا ضرار صف لى عليا)) فقال : ((اعفنى يا امير المؤمنين)) قال : ((لتصفنه)) قال : ((اما اذا اذنت فلا بد من صفته :
كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كاحدنا : يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه . ونحن مع تقريبه ايانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت ، أم الى تشوفت ؟ هيهات . قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، وخطبك يسير . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق)) فبكى معاوية حتى اخضلت دموعه لحيته وقال : رحم الله ابا الحسن فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟)) قال : ((حزن من ذبح واحدها فى حجرها)) .

....

ان وقفة عند سيرة هذا الراعى العظيم ، تملأ النفس ايمانا وطمأنينة وحفزا الى التسامى ، وتنعش الروح وتشحنها بالقوة ، فتقتحم ميادين الخير قوية مؤمنة . وهكذا يكون المثال الذى تقدمه سير العلماء أجدى بكثير من عشرات الصحف ، حكما ومواعظ .

رحم الله عليا أمير المؤمنين ، ورضى الله عنه فى العلماء الزاهدين والحكام العادلين ، والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين .

قصيدة

في ذكرى الهجرة

سرت بيننا كالحلم فى ليلة الصيف   مهفهفة الأعطاف ناعسة الطرف

مكحلة بالسحر ملء جفونها ..   فنون من الاغراء والرفق واللطف

فيممت شطر الحسن اخطب وده   واسرعت اسراع الكريم الى الضيف

وقلت : سلام الله يا اخت يوشع   ويا بنت احلامى ، ويا ربة الظرف

حنانيك ما هذا الصدود ، وانني   لابدى من الأشواق بعض الذى اخفى

صداقك لو تبديه اعطيه راضيا   وان كان الفا ، او يزيد على الألف

فردت سلامى ، ثم قالت بعزة   صداقى بحسبانى يجل عن الوصف

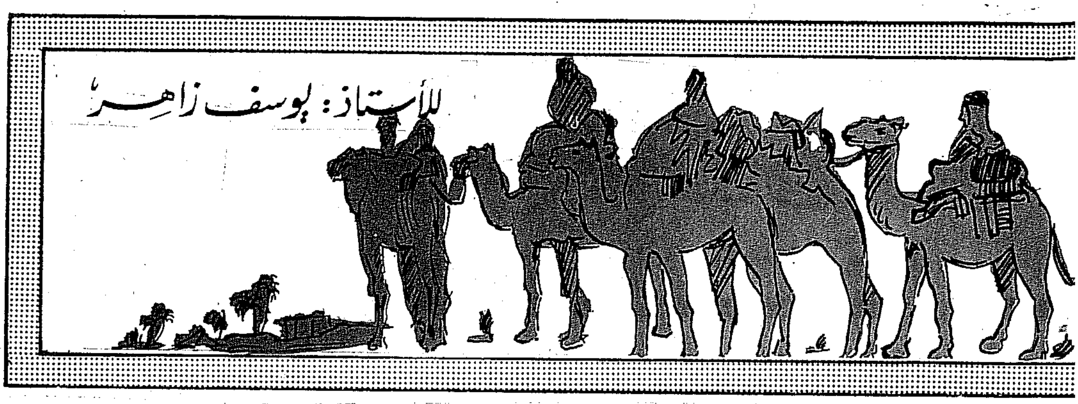
سل المصطفى المختار عنه فانه   ابو عذرة المهر الكريم الذى يكفى

وحسبك ان المشركين تظاهروا   عليه بألوان من المكر والحيف ..

وشنوا عليه الحرب يضرم نارها   وقود من البغضاء والكيد والعنف

فلما رايت الظلم جاوز حده   وليس لتيار الجهالة من وقف

عرضت لخير المرسلين محمد   متوجة بالطهر والمنطق العف



ونادیته : الســـيل قد بلغ الزبى   واضحى جميل الصبر لونا من الخوف

الى : .. الى من تسلم الحر قلبها   اذا ثار فى وجه الجبـــابرة الغلف

الى .. الى من تمنح الحـــر حبها   اذا عاف شرب الذل فى حانة الخسف

فما هو الا الليل أرخى ســـدوله   واذ برســـول الله يهزأ بالخوف

ويعبر أســـوار الجحيم مظفـــرا   الى جنة فيحـــاء دانية القطف

بهـــا شـــاد للدين الحنيف دعائما   موطـــدة الأركان مأمونة الـــكنف

فان رمت يا هـــذا اكتساب محبتى   فدونك هـــذا النهج تلق به عطفى

ووصلى وصل المجـــد والعز والعلا   وليس بوصل النهد والخصر والردف

فما الغزل المشـــبوب ســـلم نيله   ولـــكنه الاقدام فى موطن الحتف

واعزاز أهل الفضل بالعلم والتقى   واذلال أهل الشرك بالرمح والسيف

وعيشـــك فى الدنيـــا بنفس أبية   تظل ـ برغم الفقر ـ شامخة الأنف

وتخلف بعـــد الموت ذكرى عزيزة   منضرة الأفنـــان مســـكية العرف

يأس وأمل

حول مؤتمر القمة

للشيخ : نديم الجسر
مفتى طرابلس — لبنان

اخشى على قلبى ، وانت حبيبه ، ان يستشيط اذا ظللت تذيبه
ما بى ، وحقك ، ان يكون منعما سيان ، عندى ، برده ولهيبه
كلا ، ولا بى ان يقر قراره هين على سكونه ووجيبه
لكن اخاف فراره واباقه ان طال من هذا الجفاء نصيبه
ويلى اذا انتهت الحياة ولم اجد قلبا منيبا فى الحساب انيبه
فتن الحياة امرها تلك التى تاتى على القلب الكسير تريبه

★

واحسرتا للعبد يظلم نفسه ويظل يعلو بالثبور نعيبه
ويقول ربى شاننى واهاننى ويخوض فى قدر السماء يعيبه
واذا اصاب الخير قال ، بجهله هذا على علم لدى اصيبه
يكبو ، ويطلب ان يقال عثاره يجنى ويرجو ان تقال ذنوبه
وينام عن سنن الحياة ويشتهى ان المحال اذا دعاه يجيبه

★

يا سادة جمع « الكتاب » شتاتهم ووقاهم من فرقة تهذيبه
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذى ما زال ينهر فى القلوب صبيبه
لا تتركوا احقادكم تطغى على ايمانكم بالله فهى تشوبه
الخطب فى الاسلام فوق صغائر نلهو بهن وقد اطل رهيبه
لم ننس « اندلسا » وكيف اضاعها ذاك الشقاق ، وفى الفؤاد ندوبه
دول نكاد نكون ، فى تاريخنا ، صورا لها يطوى البعيد قريبه
ما كانت « الحمراء » الا ومضة من عهد مجد قد اطل شحوبه

عرف القراء فضيلة الشيخ نديم الجسر كاتبا مجيدا وباحثا عميقا ولكن ربما لم يعرف الكثير منهم انه شاعر ممتاز أيضا ، وهذه قصيدة من قصائده يعبر فيها اصدق تعبير واجوده عما يجيش فى صدورنا جميعا .

« الوعى »

القصر لا يبقى اذا لم يحمـــــــه ... شـــعب أبى ضرســـته حروبه

اولى عـــلامات الزوال لامـــــة ... ترف يدب الى الشـــعوب دبيبه

اســـتغفر الرحمن من ياس بـــدا ... منى عـــلى غرب الدموع غريبـــه

لم يجتمع ، فى صـــدر عبـــد مؤمن ... ياس مع الايمـــان فهو يشـــوبه

ثلث البســـيطة ملـــكنا ، وعـــديدنا ... ثلث الورى والدين نحـــن قطـــوبه

★

ولنـــا من البر الفســـيح عوالم ... ولنـــا من البحـــر المحيـــط دروبه

ولنـــا من الأمواه اعظـــم أنهـــر ... ولنـــا من النفـــط العظـــيم قليبه

ولنا ، ببحـــر الروم ، أطول ســـاحل ... هو حصة الأســـد اشـــترته نيـــوبه

وعلى معـــابره الثـــلاثة تلتقى ... اشـــداقنا ، فنجبه ، ونجـــوبه

ويشـــد وحدتنا كتـــاب واحد ... نلقى عليـــه الله وهو حســـيبه

مهمـــا تفرقنا فلا معـــدى لنـــا ... عـــن الفـــة يقضى بهـــا تاديبه

هـــذا بمعركة البقـــاء ســـلاحنا ... لم يجتمع عنـــد الشـــعوب ضريبه

★

ان مســـنا قرح فمـــا من معشر ... الا اتاه ، من القـــروح ، نصـــيبه

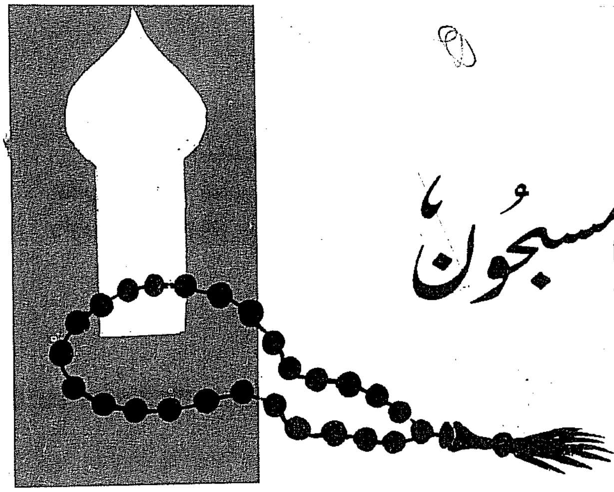
دول هى الدنيـــا يداولهـــا الذى ... خلق الوجـــود وصرفته غيـــوبه

هى نـــكبة لكن اكاد ارى بهـــا ... خيرا لشـــعب اترفته عيـــوبه

ما الخطب ، عنـــدى ، أن يباغت نائم ... فى غفـــلة ، بالمترفات ، تنـــوبه

الخطب ان يبقى الخمـــار ملازما ... شـــعبا توطا بالنعـــال جنـــوبه

نديم الجسر



المسبحة والمسبحون

للأستاذ : علي الجندي

عميد دار العلوم ــ جامعة القاهرة سابقا

التسبيح ــ الصلاة ، ومنه قوله ــ تعالى ــ « ... وكان من المسبحين » والتسبيح ــ التنزيه ، وسبحان الله ، معنــاه : التنزيه عن الصاحبــة والولد ، وقد نصب على المصدر ، كأنه قال : ابرىء الله من السوء براءة .. او معناه : السرعة اليه والخفة فى طاعته ، والتسبيح أيضا : صلاة التطوع .

وسبح ــ كمنع ــ سبحانا ــ وسبح تسبيحا : قــال : سبحان اللــه ، وسبحة الله ــ بضم وسكون ــ : جلاله .

والسبحة : خرزات تعد ، يسبح بها ، وهى أيضا : التطوع من الذكر ، والدعاء ، تقول منه : قضيت سبحتى .

جواز التسبيح باداة :

وفى ترجمة أبى الدرداء : انه كان يسبح فى اليوم مائة الف تسبيحة .
وكان خالد بن معدان يسبح فى اليوم أربعين الف تسبيحة ، سوى ما يقرأ .
قال السيوطى : ومن المعلوم المحقق : ان المائة الف ، بل الاربعين الفا .
واقل من ذلك لا يحصون بالانامل . فقد صح بذلك وثبت أنهما كانا يعدان بآلة .

التسبيح بعقد اليد :

أخرج ابن أبى شيبة ــ وابو داود ، والنسائى ، والحاكم ، وصححه عن ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : « رأيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعقد التسبيح بيده » واخرج ابن أبى شيبة ، وابو داود ، والترمذى ، والحاكم عن « بسيرة » ــ وكانت من المهاجرات ــ قالت : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليكن بالتسبيح والتهليل ، والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل ، فانهن مسئولات ومستنطقات » .

وفى كتاب « تحفة العباد » (قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل افضل من السبحة ، لحديث « ابن عمر » المتقدم .

ولكن يقال : ان المسبح ان امن الغلط ، كان عقده بالأنامل افضل ، والا فالمسبحة أولى .

التسبيح بالحصى والنوى :

اخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن « صفية » — رضى الله عنها — قالت : « دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بهن » .

فقال — « ما هذا يا بنت حيى » ؟

قلت — « أسبح بهن » .

قال — « قد سبحت منذ قمت على راسك أكثر من هذا » .

قلت — « علمنى يا رسول الله » .

قال — « قولى سبحان الله عدد ما خلق من شىء » .

وكان سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — يسبح بالحصى أو النوى .

وعن سعد بن ابى وقاص أيضا : انه دخل مع النبى — صلى الله عليه وسلم — على امراة — وبين يديها نوى أو حصى تسبح به .

فقال : « اخبرك بما هو ايسر عليك من هذا وافضل (قولى : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك » .

وعن ابى بن كعب عن جده عن ابى صفية مولى النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه كان — اى أبا صفيه — يوضع له نطع (١) ، ويجاء بزنبيل (٢) فيه حصى ، ليسبح به الى نصف النهار ثم يرفع ، فاذا صلى الاولى اتى به ، فيسبح به حتى يمسى .

وعن يونس بن أبى عبيد عن امه ، قالت : رايت أبا صفيـة — رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — وكان جارنـا ، قالت : فكان يسبح بالحصى .

وعن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : كان لأبى الدرداء نوى من نـوى العجوة فى كيس ، فاذا صلى الغداة (٣) اخرجها واحدة واحدة ، يسبح بهن حتى ينفذن .

واخرج ابن سعد عن أبى هريرة — أنه كان يسبح بالنوى المجزع (٤) .

واخرج ابن ابى شيبة عن أبى سعيد الخدرى : أنه كان يسبح بالحصى .

وعن رجل من الطفاوة (٥) قال : نزلت على ابراهيم — وفى بعض النسخ أبى هريرة — ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، فيسبح به حتى ينفذ .

---

(١) النطع — بساط من الاديم .

(٢) الزنبيل — القفة .

(٣) الغـداة — الصبح .

(٤) المجزع — ما فيه سواد وبياض .

(٥) الطفاوة — بضم الطاء — هى من قيس عيلان .

وقال شيخ من الطفاوة — بينما انا عند أبى هريـــرة بالمدينة ، وهو على سرير له ، ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح به ، حتى اذا انفذ ما فى الكيس ، القاه اليها فأعادته فى الكيس ، فدفعته اليه يسبح به .

التسبيح بالعقـــد :

وكانت فاطمة بنت الحسين ، تسبح بخيط معقود فيه عقد .

وكان لأبى هريرة خيط فيه الفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به .

وعن عكرمة — فكان لا ينام — اى أبا هريرة — حتى يسبح به اثنتى عشرة الف تسبيحة .

التسبيح بالسبحة :

عن أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن ابيها عن جدها عن على — عليه السلام — مرفوعا « نعم المذكر السبحة » .

وقد قال عمر المالكى لأستاذه الحسن البصرى — ورأى فى يده سبحة — انت يا استاذ مع عظم شأنك ، وحسن عبادتك ، وانت الى الآن مع السبحة .؟

فقال له الحسن — شىء كنا استعملناه فى البدايات ، ما كنا نتركه فى النهايات — احب أن اذكر الله بقلبى ، ويدى ولسانى .

وذكر ابن خلكان « فى « وفيـــات الأعيان » انـــه رأى فى يد « أبى القاسم الجنيد » يوما سبحة .

فقال له — انت مع شرفك ، تأخذ بيدك سبحه ؟

فقال — طريق وصلت به الى ربى ، لا افارقه .

وكان الامام — أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد الله ، وشيخه الامام — أبو العباس احمد بن أبى المحاسن ، وشيخه — ابو المظفر الترمذى ، وشيخه — أبو الثناء ، وشيخه عبد الصمد بن احمد بن عبد القادر ، وشيخه — أبو محمد يوسف بن أبى الفرج ، وشيخه — أبو الفضل بن ناصره ، وشيخه — أبو محمد عبد الله السمرقندى ، وشيخه — أبو بكر محمد بن على السلمى الحـــداد ، وشيخه — أبو نصر عبد الوهاب المقرى ، وشيخه — أبو الحسن على بن الحسن الترفق الصوفى ، وشيخه — أبو الحسن المالكى ، وشيخه — الجنيد ، وشيخه — السرى السقطى ، وشيخه — معروف الكرخى ، وشيخه — أبو بشر الحافى ، وشيخه — عمر المالكى ، وشيخه — الحسن البصرى ، كل هؤلاء كانوا يمسكون السبح .

قال السيوطى — وقد اتخذ السبحة سادات ، يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتمد عليهم ، فلو لم يكن فى اتخاذ السبح غير موافقة هؤلاء السادة ، والدخول فى سلكهم لكفى ، فكيف بها وهى مذكرة بالله — تعالى لأن الانسان قل ان يراها الا ويذكر الله ، وهذا من اعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف المذكرة — اى المذكرة بالله .

ومن فوائدها أيضا — الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر انها آلة للذكر فقاده ذلك الى الذكر ، فيا حبذا سبب موصل الى دوام ذكر الله — عز وجل .

وكان بعضهم يسميها — « حبل الوصل » .
وبعضهم يسميها — « رابطة القلوب » .
ولم يُنقل عن أحد من السلف ولا من الخلف ، المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان أكثرهم يعدون بها ، ولا يرون ذلك مكروها .
وقد رئى بعضهم بعد تسبيحه ، فقيل له — أتعد على الله ؟
فقال — لا — ولكن أعد له .
والمقصود — أن أكثر الذكر المعدود ، الذى جاءت به السنة الشريفة ، لا ينحصر بالأنامل غالبا ، ولو أمكن حصره ، لكان الاشتغال بذلك ، يذهب الخشوع .

نادرة :

ويقول السيوطى — اخبرنى من اثق به — انه كان مع قافلة فى درب « بيت المقدس » فقامت عليهم سرية من الاعراب ، وجردوا أصحاب القافلة جميعا ، وجردونى معهم . فلما اخذوا عمامتى سقطت المسبحة من راسى — فقالوا — هذا صاحب مسبحة ، فردوا على ما كان اخذ منى ، وانصرفت سالما .

وصف السبحة :

قال فيها عما د الدين المناوى :

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فتجمع من همته .
اذا ذكر الله جل اسمه عليها تفرق من هيبته .

وقال النحيمى فى سبحة سوداء :

وسبحة مسودة ، لونها يحكى سواد القلب والناظر .
كانى وقت اشتغالى بها أعد أيامك يا هاجرى .

وقال شوقى :

ما تلك اهدابى تنظم بينها الدمع السكوب
بل تلك سبحة لؤلؤ تحصى عليك بها الذنوب

وقد اهدى بعض الأصدقاء الى الشاعر المرحوم محمد الأسمر فى شهر من شهور رمضان مسبحة طريفة ، كل حبة منها ذات لونين اصفر واسود ، فقال يصفها ويصف احوال بعض المسبحين .

مسبحتى كأنها	من عنبر وعسجد
ضمت تباشير الصبا	ح ، للظلام الأسود
فمن رآها ظنها	مسبحتين فى يدى
رقطاء الا انها	من معبد لمعبد
وهى – ولا ناب لها	تعض كل ملحد
احب بفيها الادرد	وما به من شهد (١)
عكازة المستغفر الطا	لب ، ضبط العدد
وحلية التهجد	وزينة التعبد
وربما الفيتها	يلهو بها أخو الدد (٢)
فقد ترى فى حانة	كما ترى فى المسجد
وعدة للنصب من	ادهى وشر العدد (٣)
حبالة الخاتل ان	تلق حمارا تصطد
يحملها فى كفه	وهى فساد المفسد
ومن رآها ظنها	هداية للمهتدى
شاعت وذاعت فهى انى	سرت ملء البلد
قالوا – اتى موسمها	يا «رمضان» فاشهد
كم صائم مسبح	لسانه كالمبرد
سبحته فى يده	كالخنجر المجرد

سبحة زيدان التاريخية :

كانت لأم المقتدر العباس قهرمانة تدعى « زيدان » وكانت ممكنة من خزانة الجواهر وفيها جوهر الخلافة – فاتخذت سبحة تشتمل على ثلاثين درة متشابهة فى الوزن واللون كل واحدة منها كبيضة العصفور ، مفصلة بعشر يواقيت ، لم ير مثلها فى عقد ملكة ، ولا خزانة ملك .
فصارت مثلا فى النفائس والذخائر .

---

(١) الادرد – من ليس فى فمه سن .
(٢) الدد – اللهو .
(٣) يحملها من نطلق عليهم النصابون المحتالون ليظهروا بمظهر المتعبدين ليطمئن لهم صيدهم من المغفلين .

خواطر

للشيخ : عبد المنعم النمر

ونحن نستقبل العام الجديد

لا ادرى — أخى القارىء — ونحن نستقبل العام الرابع من عمر مجلتنا الحبيبة ، أى الخواطر أتحدث عنها معك فى هذه المناسبة ؟ ، وهى تتزاحم كما يتزاحم الماء المتدفق عند الممر الضيق ، وانها لخواطر المجلة فى ثلاث سنوات مع قرائها ، وحديث القلب الى القلوب الكبيرة التى تعيش معنا دائما على بعدها الحسى عنا .

اننى وانا استقبل العام الرابع انظر الى الوراء ، الى ثلاث سنوات مرت فى جهاد مرير بسلاح الكلمة ، ولكنه شيق الى النفس ، من اجل هذا الدين الذى اختاره الله طريقا وحيدا لنظام الحياة السعيدة الهادئة ، ومن اجل الوطن الاسلامى الذى حمل أمانة الله ، وأمانة التاريخ ، ثم بدا وكأنه قد تخلى عن امانته ، وفرط فى سعادته ، ثم يبدو الآن وكأنه أحس واقعه متلمسا الخروج من هذا الواقع ، مستأنفا حمل الرسالة بجدارة وثقة . .

أتذكر الآن كيف كنا ونحن نعد العدة لاخراج هذه المجلة ، ونرسم أمامنا صورا متعددة لمجلة نريدها فى موضوعها واسلوبها ومظهرها مغرية بالاقبال عليها ، وامتصاص مادتها ، وتشرب روحها . .

نريد بها أن نحول افكار الناس وبخاصة الشباب ، عن فكرتهم التقليدية عن المجلات الدينية ، وخلوها من المادة الجذابة ، والمظهر المشجع على القراءة ، ونضع امامهم صورة جديدة مشرقة للمجلات الدينية الهادفة ، التى لا يصرفها العناية بالجوهر ، عن العناية بالمظهر ، فان اهمال المظهر ، أو سوء العرض ، كثيرا ما يضر بالسلعة الاصيلة الثمينة ، ويصرف الانظار عنها .

واستعنا بكل تجاربنا وآمالنا ، وبتجارب المخلصين وآمالهم ، وبالاستعداد الكريم من المسئولين لاحتضان هذا المشروع الاسلامى وتشجيعه ، وخطونا أولى خطواتنا على الطريق فى ثقة ، ولكن فى استحياء ، وانتظار لرد الفعل . .

والآن ، وبعد ثلاث سنوات مضت ، أشعر بكثير من فضل الله يغمرنا ، وبوعـــده الكريم للعاملين يحفنا من أول عـــدد أخرجناه .. وانما الاعمــــال بالنيات ..

لقد كان صدى جميلا طيبا ، وجزاء معادلا ، للعمل الجاد الهادف ، وللنيات المخلصة ، فزادنا ايمانا وثقة بوعد الله ورعايته ، كما زادنا اصرارا على بذل الكثير من الجهد والاستهانة بالكثير من المتاعب ..

فما كنا نتوقع ان نصل اليه فى عشرة اعوام ــ وكان ذلك املا ضعيفا على اساس الضوء الخافت الذى كان يحيط بالمجلات الدينية ــ وصلنا اليه بحمد الله وعونه فى مدى قصير ، ووجدنا الاضواء تسلط على المجلة من كل ركن من اركان العالم .. او وجدناها تضىء قلوبا فى كل ركن من اركان العالم وينعكس الشعاع من هذه القلوب ليصل الينا هنا ، فيزيد طريقنا نورا وبصيرة ، ويزيد من عزمنا جهدا وتضحية ..

ما كنا نتوقع ان نجد انفسنا بعد هذه المدة القصيرة من عمـــر المجلـــة ، مضـــطرين لطبع (٤٠) اربعين الفا منها ، لنلبى ما يمكن لنا تلبيته من حاجة القراء ، ويجد المسئولون انفسهم امام هذا النجاح ، مقبلين على بذل كل ما يمكن لهم بذله ، لتوفير الامكانيات التى تفسح لها الطريق الى يد كل قارىء ..

ولعلنى أضع الامور فى نصابها اذا قلت ان المسئولين يعتبرون الخـــدمة التى تؤديها المجلة للاسلام والمسلمين ، انما هى من الخدمات العامة التى تقوم بها الوزارة ، لا ينتظرون من ورائها كســـبا ، بل ولا ينتظرون منها أن تغطى نفقاتها ، وحسبهم فى هذا ــ عند الله وعند الناس ــ انهم يسهمون فى خدمة هذا الدين الذى ارتضاه الله لعباده .

ومن هنا عملت الوزارة من اول يوم على ان تكون اسعارها فى متناول كل يد ، وان تتحمل فوق مئونة طبعها واخراجها ، مئونة حملها الى كل قطـــر عربى وغير عربى بالطائرة .. وليس ذلك بالامر الهين فان العدد الواحد قد يتكلف حمله بالطائرة ما يوازى ثمنه الذى يباع به فى بعض البلاد ، ويزيد عن الثمن اضعافا فى البعض الآخر .. والوزارة مع ذلك جد مغتبطة لقيامها بهذه الرسالة الدينية .. ويضاعف من سرورها أن تجد لهذه الرسالة آثارها الطيبة فى كل مكان . وأن تصل اليها الرسائل متتابعة من كل ركن من اركان العالم ، تشيد بهذا الجهد الذى تؤديه ، وتشد على كل يد تشارك فيه ..

وكم كنت أود أن يتسع المجال لأضع امامك بعض هذه الرسائل المشرقة ، التى نعتبرها باقات زهور تصلنا من انحاء متفرقة فى أمريكا وآسيا وافريقيا .. من الافراد والجامعات والهيئات .. وكلها يشيد بمستوى المجلة الفـــريد بين المجلات الاسلامية وبحرصها على أن تعرض الاســـــلام ومبادئه بلغة العصر . وتناقش قضاياه على ضوء الدين والعقل ، وعلى أن تلتزم بالادب القرآنى فى دعوتها الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنـــة ، بعيـــدة عن الخـــلافات المذهبية ، والتيارات السياسية ، مما جعل القلوب والحـــدود تتفتح لها .. وتنتظرها بتلهف مع اشراقة الهلال من كل شهر ، وجعل احد القراء من احـــد الاقطار يرسل الينا شاكيا من أن المجلة تأتى فى السر ، وتباع فى السر ، ولا

يستطيع الحصول عليها ، مع اننا نرسل الى هذا القطر أربعة عشر الفا منهـا كل شـهر ، ولكنها كمية لا تكفيه فتنفذ بسرعة . كما يعمد بعض البائعين الى حجزها لعملائه .

ولقد حرصنا مع هذا الالتزام على ان تتفاعل المجلة مع الاحداث التى تمر بنا ، والتيارات الفكرية وغير الفكرية التى تهب علينا . . لا تفاعل التابع العاجز ، ولكن تفاعل الموجه الحكيم ، والناقد البصير ، الذى يلتقط العبرة من الاحداث . ويوجه القلوب الحائرة المضطربة الى الهدى الحكيم . ويوقظ الضمائر النائمة لتبصر طريقها المستقيم ، بالكلمة اللينة حينا ، والقاسية غير الجارحة حينا آخر .. وبالايماء والاشارة الواضحة حينا ، وبالصراحة التى لا تثير العنـاد حينا آخر .. وهى تهدف فى ذلك كله الى ان تجنب المسلمين خطورة الانحـلال والتفتت ، وتجمع الشمل حول كلمة الله ، ونداء العقل ، ومصلحة البلاد ...

ومع ان التيارات المذهبية الاسلامية تكاد تفـوق فى حـدتها وتشعبهـا التيارات السياسية ، ومع أن الاشتباك السياسى يتخذ من الدين أحيانا كثيرة ميدانا لمعاركه ، ومع أن المجتمع الاسلامى تغشاه آراء دينية متفاوتة البعد .. ما بين متمسك محافظ على الموروث من كلام السابقين وآرائهم لا يريد أن يحيد عنها ، وبين من يعطى نفسه حرية التحرك والفهم والاختيار من كلام السابقين او الاستنباط فى دائرة الهدى الحكيم ، وبين من لا يرضيه هذا ولا ذاك ، ويريد أن يطوع الدين لأغراضه بحجة التطور وملاءمة العصر .

اقول مع هذه التيارات كلها نشق طريقنا الى الهدف الذى نؤمن به . وإن كنا نجد منتهى الصعوبة والحرج أحيانا فى اختيار الرأى ، والكلمة المعبرة عنه . ونجد انفسنا مضطرين احيانا الى ان نجعل المجلة ميدان نقاش هادىء هادف . بين هذا وذاك ، بقصد الوصول الى رأى ناضج ، فان الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، والحجة تقرع بالحجة ، لا بالشتائم ، ولا بكيل الاتهامات جزافا .

ومع هذا كله لا ندعى اننا وصلنا الى ان نكون محل رضا من الجميع . فتلك غاية لا تدرك ... ولكن حسبنا عند الله أننا نجتهد لنصل الى الصواب . والعقلاء يعرفون مما علمنا الرسول اياه : أن من اجتهد فأخطأ فله أجر . ومن اجتهد فأصاب فله اجران ، ولا يبيح عاقل لنفسه أمام هذا أن يجردنا حتى من الأجر الواحد ، ان اختلف معنا ، أو لم يعجبه شىء مما نقدمه اليه . ولقد قلت فى افتتاحية اول عدد اننا نرحب ونفرح بالنقد الهادف ، وشـعارنا فى هـذه المجلة : رحم الله امرءا أهدى الى عيوبى ..

ومع دقة الظروف والاوضاع التى تغشى عالمنا العربى ، ومع شـدة الحساسية من القراء ، ومع ما تفرضه طبيعة الحياد الذى تنبت فى ظله المجلة ومنه تخرج ، أقول مع ما يفرضه هذا كله ، فاننى لا أعتقد اننا توانينا عن واجبنا فى ابداء الرأى لاصلاح حال هذه الامة ، ولا غضضنا الطرف عما جرى ويجرى فيها من أمور شاركت مشاركة فعالة فى تأخرها ثم فى هزيمتها .. بل كنـا صرحاء — ولكن فى حكمة — مع انفسنا ومع قرائنا وقادتنا ، صراحة حتمتها حالنا .

وفرضتها مرارة الهزيمة التى حلت بنا ، والرغبة فى الخروج منها ، والتخلص من آثارها .. ولا اغالى اذا قلت : ان القراء قد وجدوا فيما كتبناه وقدمناه اليهم تعبيرا صادقا حرا عما فى نفوسهم ، أعتقد انهم لم يجدوه فى مجال آخر ..

كتب لى رئيس تحرير صحيفة يومية كبيرة تطبع ربع مليون نسخة يوميا يقول : ان ما تقوله « الوعى الاسلامى » هو ما كان يجب على كل صحيفة وعلى كل كاتب أن يقوله فى هذه الظروف ..

وكتب لى وزير عربى سابق يقول : « أود أن أبلغكم بكل صراحة لا شأن للمجاملة او المودة فيها أخلص التهنئة على ماقدمتموه فى الاعـداد الاخيرة من « الوعى الاسلامى » من كلمات تمتاز بصراحتها ونضجها وعمقها ، ووعيهـا الكامل لحقيقة الاحداث ، وتعاليها عن الاساليب اللامسئولة ، التى تمتلىء بها الصحف العربية ، ودنيا العرب العامة . ولقد كنت أطرب وأنا أقرأ بعض هذه الكلمات طربا عقليا شديدا ، وآلم فى الوقت ذاته ألما شديدا حين أقارن ذلك بما يبدو من تقصير الكتاب فى الصحف السياسية عن اللحاق بأسلوب المسئولية الرفيع الذى تمتاز به كلمات « الوعى الاسلامى » ، ولكم تمنيت — وأنا أقرؤها — أن تتواجد فى البلاد العربية صحافة سياسية على نسقها ، تصدر عن شعور عميق بالمسئولية ، لتلعب دورها الحيوى فى توعية شعبية حقيقية ، لا عن روح تطبعها الانانية والانتهازية ، وعدم المبالاة بكل الاعتبارات والقيم العظيمة ، التى كان التخلى عنها سببا أساسيا فى انحطاط الامة العربية وانحدارها ، عندما انغمست فيما تنغمس فيه الآن من الصفات التى تأباها الروح العربية الاصيلة ، والشمائل الاسلامية الكريمة ، مثلما كان التحلى بها سببا فى رفعة الامة العربية وعظمتها فى الايام الغابرة ، لذلك كله بورك فى « الوعى الاسلامى » صراحـة الرواد المخلصين ، ونضج العلماء المجربين وبورك الوعى المدرك ، والاسلوب الرفيع ، وبالله عليكم زيدونا من فهمكم فهما ، ومن وعيكم وعيا ، وأنيروا دروب المنتفعين بكم ، تسهموافى خدمة أمتكم العربية ، وعالمكم الاسلامى اسـهاما عظيما » ..

صورة يرسمها قارىء من ذوى الثقافة الواسعة ، والادراك الواعى . عاش فى معترك الحياة السياسية سنين طويلة ، ثم تركها ، ولم يكن من الذين يجولون فى الفلك الدينى ، ولكنه كما يقول — جذبته « الوعى الاسـلامى » فأصبح من قرائها وعشاقها كما ترى .. وفى اطار هذه الصـورة تلقى معالى الوزير ، والسيد الوكيل ، كما تلقينا فى المجلة عشرات الرسـائل من جميع أنحاء العالم ، وكلها تجمع على أنهم وجدوا فى « الوعى الاسـلامى » شـيئا جديدا وروحا متوثبا ، لم يأنسوه فيما قرءوا ويقرءون من مجلات ..

ونحن لا نملك ازاء هذا كله الا أن نحمد الله على ما وفقنا اليه ، ونسأله سبحانه المزيد من هديه وتوفيقه .. ونعاهده ونعاهد القراء على أن نظل سائرين على النهج الذى اخترناه وأعلناه ، لتظل « الوعى الاسلامى » مجلـة الشباب والشيوخ والرجل والمرأة ، تشق طريقها الى القلوب ، فى عالم مضطرب حائر ، حاملة هداية الله اليها فى غير تزمت ولا تحلل والله الموفق والمعين .

شباب الإسلام

٢

في شعر أحمد محرم

للدكتور: أحمد الشرباصي
المدرس بكلية اللغة العربية — جامعة الازهر

ونعود مرة اخرى الى ديوان « مجد الاسلام » :

اذا كان شاعرنا قد عطر صفحات هذا الديوان بذكر مواقف مليئة بالبطولة والاقدام للسابقين الأول من شباب الاسلام ، فانه لم ينس أن يخصص من هذه الصفحات جانبا لفتيات الاسلام ، وها هو ذا مثلا — وهو يعرض قصة الهجرة النبوية — يذكر الفتاة المسلمة فيها ، ويشير الى ما بذلته الشابة المؤمنة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، فقد روت السيرة أنه عقب خروج الرسول مع الصديق من مكة جاء أبو جهل دار ابى بكر ، فوجد عندها أسماء ، فقال لها فى غفلة : اين أبوك ؟

فأجابت وهى صادقة : الله يعلم أين هو . فلطمها ابو جهل لطمة أطارت ترطها من أذنها ، ومع ذلك احتملت أسماء ، وشاركت فى اتمام الهجرة بخطواتها ، وحملها الزاد الى صاحبى الغار ، وشق نطاقها نصفين لربط زاد المهاجرين ، حتى سميت « ذات النطاقين » .

يصور شاعرنا موقف أسماء مع ابى جهل بقوله :

ويح أسماء اذ يجيىء أبو جهـــ	ــل على خدرها المصون مغيرا
صاح : أسماء ، أين غاب أبو بكـ	ـر ؟ أجيبى فقد سألنا الخبيرا
قالت : العلم عنده ، ما عهدنا	أجم الأسد تستثير الخدورا (١)
فرماها بلطمة تعرض الأجيا	ل عن ذكرها صوادف صورا (٢)
تذفت ترطها بعيدا ، ورضت	من وجوه النبى وجها نضيرا (٣)

* * *

(١) الاجم : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٢) الصدوف والصور : الميل والاعراض .

(٣) رضت : دقت أو كسرت . انظر ديوان مجد الاسلام ، ج ٢ ص ١٠ .

ويتحدث محرم عن فرحة المدينة بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة ، فقد خرجت المدينة عن بكرة أبيها تستقبل النبى المهاجر ، والرسول الفاتح للقلوب والعقول ، وفى مقدمة من خرج فتيات كالزهرات من بنى النجار ، يحيين نبى الرحمة بالغناء والنشيد ، ويقلن فيما يقلن :

نحن جــوار من بنى النجـــــار   يا حبــذا محمد من جـــــار !

ويثير هذا اللقاء شاعرية محرم فيقول :

ما للديـــار تهزها نشـــواتهـــا   اهى الأناشيد الحســـان ترتــل ؟
رقت نضارتها ، وطاب اريجهـــا   وترددت أنفاســـها تتسلســـل
فكأنمـــا فى كل مغنى روضـــة   وكأنمـــا فـــى كـــل واد بلبـــل
هن العذارى المؤمنـــات اقمنـــه   عيدا تحييه الملائك مـــن عـــل
فى موكب لله اشرق نـــــوره   فيه ، وقـــام جلالـــه يتمثـــل
جمع النبيين الكـــرام ، فآخـــذ   بيد الامام ، وعائـــذ يتوســـل
يمشى به الروح الأمين مسلمـــا   وجبينـــه نعـــم النبـــى مقبـــل
ايه بنى النجـــار ان محمــــدا   لأشـــد حبا للتى هى اجمــل (١)

* * *

واحمد محرم يرى ان الحياة تتلخص فى امرين : البيت والولد ، وان اعداد الأبناء هو الوسيلة لاصلاح البلاد ، فيقول :

اعملت رايى فى معنى الحياة لمــن   يبغى الحياة ، فكان البيت والولدا
هذا يصـــان بتدبيـــر ومعرفـــة   وذا يعد لاصـــلاح البلاد غـــدا !

وهو يؤمن بأن تربية الشباب افضل من اقتناء المال ، ولذلك يجب انشاء المدارس لتعليمهم دون مبالاة بما ننفق من مال فى هذه السبيل ، فيقول :

نبنى المدارس للطـــلاب تعمرهـــا   وما نبالى أقـــام المـــال أم نفـــدا

ويطالب محرم بأخذ الشباب بالحزم ، حتى لا تضعف هممهم ، ولا تخـــور عزائمهم ، ولذلك ينعى على اولئك الذين يدللون اولادهم ، فيسيئون اليهم وهـــم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، فيقول :

اوص البنين بما يعظم شانهـــم   من خلة شرف ، وصنع ســـؤدد
لا تؤذهـــم بالبر تجهـــل حكمـــه   فترى بمنزلة العـــدو المفســـد
كم والد جمـــح التدلـــل بابنـــه   حتى تمنى أنـــه لـــم يولـــد

---

(١) ديوان مجد الاسلام ص ١٧ و ١٨ .

ومحرم يؤمن بأن واجب الأب يقتضيه أن يكون قدوة صالحة لأبنائه بالقول والعمل ، والارشاد والمعاونة ، حتى ينشئوا شبابا صالحين ، تساعدهم البيئة بما فيها من حوافز الخير ودوافع الاستقامة على تحصين نفوسهم وتطهير قلوبهم ، فيخاطب الأب قائلا :

عود بنيك الخيــر ، ان نفوســهم ... صحف بما شاءت يمينك تكتـب
ما للبنين من الخلال سوى الـذى ... سـنت لهـم أم ، وأورثهـم أب
للمرء من شــرف العشيرة زاجر ... ومن الخلال الصالحات مـؤدب !

* * *

ولأحمد محرم وصاة رائعة ، وجهها الى ابنه سليمان . وهى وصاة تصلح نبراسا لكل شاب يريد أن يكون ماجدا فى حياته ، وحينما نظرت فى هذه الوصية البليغة استطعت أن اقسمها الى خمسة اقسام ، كل قسم منها يدور حول أمر له قيمته ومكانته ، فالقسم الأول من الوصية فيه تذكير بحق الوطن العظيم ، مع ضرب المثل على اعزاز هذا الوطن من حياة الشاعر نفسه ، ومن اعماله وجهوده والقسم الثانى منها فيه حث على مجموعة من الفضائل ، مـع التحريض على الاستمساك بالدين وعصمة اليقين ، والقسم الثالث فيه تحذير من طائفة مـن الرذائل وقبائح الأعمال ، والقسم الرابع فيه وصية بالصبر والاحتمال ، مع فسحة الرجاء وسعة الآمال ، وفى القسم الخامس والأخير من الوصية يعـود الشاعر الى حث ابنه على الاستمساك بالدين ، لأنه عماد الأمر وملاك الحياة .

ان الشاعر فى القسم الأول من وصيته يذكر ابنه بحق الوطن ، ويحذره أن ينساه ، فانه أمانة فى عنقه دونها الأمانات الأخر ، وانه الجدير بأن يذهب فداء له والشيب والشباب ، ويقرر الشـاعر انه عاش وفيا لوطنه ، لم يخن ولـم ينحرف ، ورأس ماله فى حياته حبه لأمته وبلاده ، وفى سبيل هذا الوطن أعـد كل شيء : أعد المال والأولاد والروح ، وظل على وفائه من صباه الناضر الى شيخوخته التى وهن لها العظم واشتعل فيها الرأس شيبا .

يقول مخاطبا ابنه :

سـليما ن، لا تنس حق الوطـن ... فأنـت علـى عهـده مؤتمـن
شـباب البنين لمصـر الفـداء ... وشـيب الرجال لمصر الثمـن
رأت مـن أبيـك فتى ماجـدا ... عفيـف المذاهـب حـر السـنن
يرى حبها من معـالى الامور ... ويقيـدها مـن غوالى المـنن
أعد لها مالـه ، والبنـين ... وملكهـا روحـه والبـدن
رعت عهدهـا نضرات الصـبى ... وبر بها العظـم لمـا وهـن !
فهـذا سـبيلى ، فـلا تعـده ... عدتك بنى عوادى الزمـن ! (1)

* * *

---

(1) ديوان محرم ، ج ٢ ص ١٠٩ و ١١٠ .

والوفاء للوطن والقيام بحقه يحتاجان الى نفس كريمة قويمة ، تستعصم بالقيم والمبادىء وتستطلى على الآفات ــ والشهوات ، ولذلك ينتقل الشاعر فى القسم الثانى من وصاته الى مطالبة ابنه ــ ومطالبة كل ابن مثل ابنه ــ بتطهير نفسه عن الفواحش والرذائل ، والا يخدعه عن استقامة من زل أو انحرف ، وان يصون عرضه وكرامته ، وأن لا يقبل الضيم او الاذلال من انسان ، وأن يحفظ دينه ويلوذ بتعاليمه ، وان يتحصن باليقين اذا هاجمته الخطوب او عادته المحن .

يقول :

ونفسك صنها عن الفاحشات	ولا يستخفنك من لم يصن
وعرضك لا تمتهنه الرجال	فان البلية أن يمتهن
وضن بدينك ، واستبقه	ولا تتخطفك أيدى الفتن
واما رمتك خطوب الزمان	ونابتك أرزاؤه والمحن
فلذ باليقين ، فان اليقين	أجل الدروع وأقوى الجنن !(١)

* * *

وينتقل الشاعر فى القسم الثالث من وصيته الى تحذير فتاه من طائفة من الرذائل واخلاق السوء ، ومن البديهى أن النفور من الرذائل يتضمن الحث على مقابلها من الفضائل ، ويذكره فى بداية هذا القسم بأن الأصيل الكريم لا بد أن يكون محسنا ، وأن يكره القبيح ويحب الحسن ، ثم ينهاه عن الظلم فانه من سيئات الشيم ، وعن الاستجابة للسفيه فى استفزازه ، فان مجاوبته تريحه ، والاعراض عنه يقتله ، وعن العقوق فانه يشين كل مخلوق ، وعن الغضب المؤدى الى الجهالة والنزق ، ويوصيه مع هذا ببعض المكارم ، فيقول :

واحسن الى الناس ، ان الكريم	يعاف القبيح ، ويرضى الحسن
واياك والظلم ، لا تأته	ومهما يقل قائل فاستبن
ولا يستفزك قول السفيه	فليس يضيرك مهما يكن
وان آثر الناس دين العقوق	فوال الجميل ، ولا تندمن
وبالرفق فى كل ما تبتغى	ــ اذا كنت ذا اربة ــ فاستعن(٢)
خذ الأمر الحزم ، ان الأمور	لذى الحزم مأخوذ بالرسن(٣)
وعود لسانك قول الجميل	ومهما غضبت فلا تجهلن
وهون عليك اذا ما غبنت	فلست بأول حر غبن !

* * *

---

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى الوقاية .
(٢) الاربة : الدهاء والاحتيال .
(٣) الرسن : الحبل .

وفى القسم الرابع من الوصية نجد الشاعر يوصى ابنه بالصبر والاحتمال واذا عرضت له على الطريق ظلمات ، أو صادفته عقبات ، فلا يركن الى اليأس والقنوط ، بل ينتظر الشـــمس بعد ظلام الليل البهيم ، والفجـــر بعد الدياجى المنتشرة ، ثم يضرب المثل من نفسه ، فقد مرت عليه تجارب فى الحياة ، وذاق مرارة الفشل ولذعة الحرمان ، ولكنه صابر وثابر ، حتى مرت الصعاب وبقى ايمانه سليما ورجاؤه عميقا ، والرجل اللبيب الفطن يستطيع أن يقهر المتاعب والمصاعب بأخلاقه الثابتة ونفسه المطمئنة ، وايمانه بأن مع العسر يسرا ، وأن مع الشدة لينا وأن مع الضيق فرجا ومتسعا .

يقول الشاعر :

ورج العواقـــب ان اخلفتـــــك ... مبادى الأمـــور ، ولا تيأســـــن
لقد رضت قبلك هـــذا الزمـــان ... رياضـــة مصـــطبـــر مطمئـــن
اذا غضب الخطب ابـدى الرضى ... وان عصف الشر يومـــا ســـكن
يثــوب لـــه خلـــق لـــــين ... اذا ثاب للدهـــــر خلق خشن(١)
ويشتـــد حينا فيلـــوى بـــه ... ويهـــوى بركنيه ان لم يلـــن
وما أن يصيب أذى الحادثـــات ... اخـا اللب بين الرجال الفطـــن
بأخـــلاقه يتــــوقى اللبيب ... فنعم الســلاح له والمجـــن !

* * *

ويبلغ الشاعر القسم الخامس والأخير من وصاته ، فاذا هو يعـــود الى نصح ابنه بالايمان والاعتزاز باللـــه وطاعته والاعتماد عليه ، ويؤكد الشاعـــر الوصاة فى هذا تأكيدا بليغا واضحا ، لأنه مفتتح الأمر وختامه ، فيقول :

الى الله فاسكن ، ودع من تـــرى ... فما لامرىء دونه من ســــكن
دع الكل وانس بـــه تســـترح ... فكل عنـــاء ، وكـــل حـــزن
وما ينـــه عنـــه فـــلا تأتـــه ... وما يرض من صالح فاعملـــن
فتقواه أفضـــل ما يقتـــــنى ... ومرضـــاته خيـــر ما يختـــزن
حملنـــا الأمـــانة من ربنـــــا ... فطـــوبى لنفس امرىء لم يخن !

* * *

وهكذا عنى شاعرنا أحمد محرم بالشباب ، وحذرهم مفاطب الطريق ، ورسم أمامهم معالم السبيل ، وحاسبهم على الهفوات ، وحذرهم من السيئات ، وحرضهم على المكرمات ، واغراهم بمكارم الأخلاق ، لعلمه أن الشباب معقـــد الأمل ومناط الرجاء ، فعليه سلام ربه فى الخالدين من الشعراء .

---

(١) يثوب : يرجع .

لقد تجلت سخرية القدر بقوة المشركين فى ان جعلت من حمامة الغار ردا لكيدهم

حمامة الغار

للأستاذ: أحمد أبو المجد

أرأيت ما فعلت حمامه ... حملت الى النور السلامه ؟!

فى هجرة ميمونة ... ردت الى البشر الكرامه

حمت النبى وصاحبا ... رب الورى اعلى مقامه

والشرك عبا حقده ... فى موقف أحمى ضرامه

رحلا وقد ذاقا بمكة ... ما تضيق به الاقامه

قامت على الدين الجديد ، على النبى ، لها قيامه !!

....

وقفت حجابا حائلا ... رب البرية قد أقامه

والكفر القى مرغما ... بحجابها الغالى سهامه

أيرد كيد المشركين على شراستهم حمامه ؟!

أرأيتها والعنكبو ... ت بغارها القى خيامه ؟!

سلم وحرب جمعا ... فى موقف بادى الكرامه !!

....

قدر الهى أتى ... كانت له هذى علامه

هى قدرة الجبار كل ... الراسيات بها حطامه

من ذا يرد النصر من ... عند الاله له دعامه ؟!

هو اعزل لكنما الـ ... ايمان ظل له حسامه

من ينصر الرحمن لم ... تعوزه فى الميدان لامه

في ذكرى الهجرة

بين يدي النبي

للأستاذ : معوض عوض ابراهيم

في مقـــــام النبي بين رحـــابه   يجـــد الانس من يلوذ بيـــابه
قد بلغت المنى واســـعد نفسي   انني قد دنوت من اعتــــــابه
واجتلى القلب نـــور أحمـــد في الرو   ضــــة من قبره الى محــــرابه
في وجــوه الألــوف خفوا مشـــوقــــين كشـــوقي للمصطفى وصـــحابه
في دموع الخشـــوع والشـــكر للـــــه واكـــرم بالدمـــع في اعرابـــه
ان في كل جـــانب من ثـــرى أحمـــــد تبـــدو مشـــاهد مـــن جنـــابـــه

.. ..

هــــذه البــــــلدة التي نضر اللـــــه ثراها ، وزاد في اطيــــــــابه
منذ آوى الانصـــار فيها أبا القـــا   ســم بعـــد الوفود من أصـــحابه
ها هو المسجد الطهور فســـــارع   واقض فيــــه للقلب بعض رغـــابه
هــذه القبــة التي نســـخ الليــــــل سناها ، وما لهـــا من مشـــــابه
وحمـــــام الحمى يروح ويغـــدو   كيفما شـــاء ، آمنـــا غير آبه
أو يخشى غوائـــل الدهـــر من جا   ور طـــه ، وعـــاش بين رحابه ؟!
ذلك المنبر الـــذي غمـــر الـــكو   ن هـــــداه ، وعب مـــن اكوابه
وسيبقى يذيع في الناس دينـــــا   خلد الله ذكره في كتـــــــابه
ووصـــايا محمـــد حيث لا معـــــــدل عنهـــا لـــــكل اصـــيد نابـــه
والـــذي ينشيء الحيـــــاة على الـــديــن ســـــعيد في حـــاله ومآبـــه

.. ..

في مقـــام النبي ســـاءلت ربي   لي وللمذنبين حســـــن متـــــابه
فانلنـــا الرضى وثبت عـــــلى الحـــــق خطى الآخـــذين في اســــبابـــه

أول معرض للمصاحف النادرة في العالم

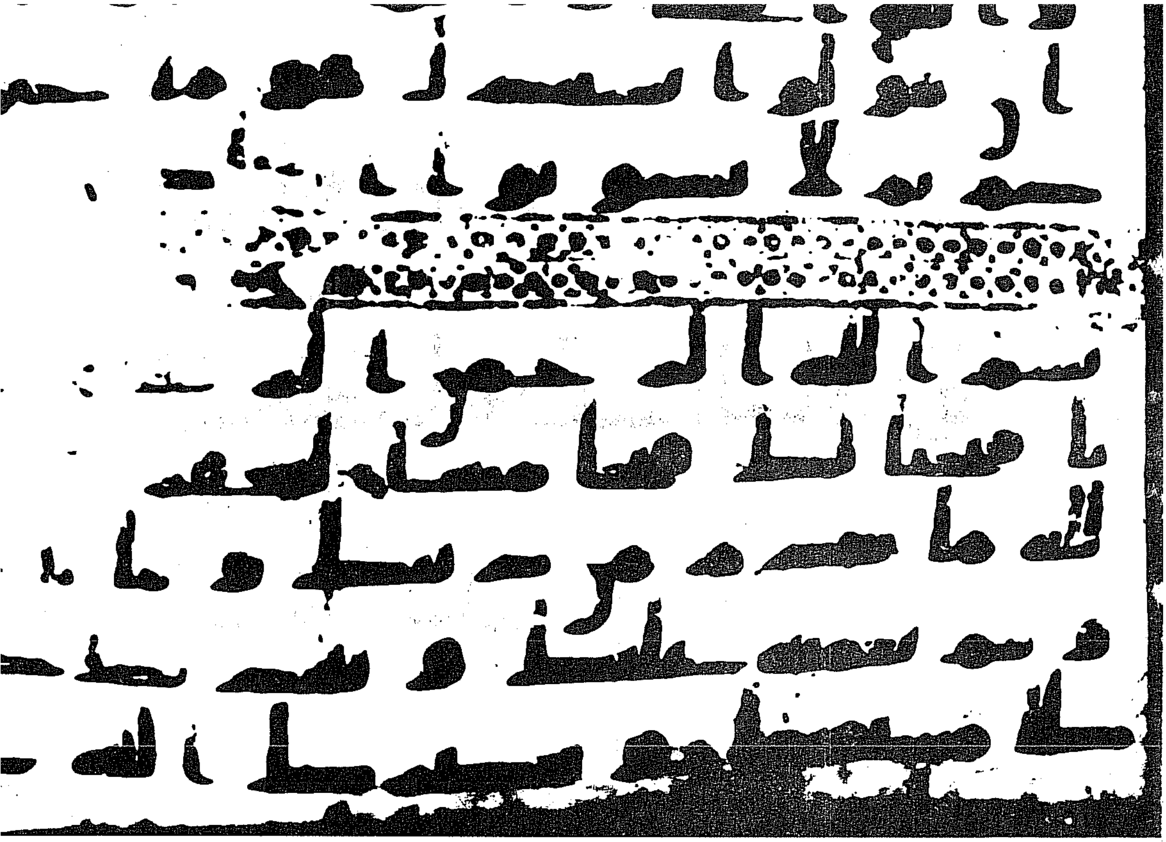
للأستاذ: صلاح عزام

مصاحف عثمان بن عفان وجعفر الصادق وحسن البصري

فى الأيام القليلة الماضية انتهى معرض المصاحف الذى اقامته القاهرة ولمدة حوالى شهرين بدات مع ليلة القدر الأخيرة .

وقد اقيم المعرض فى اكبر قاعات دار الكتب بميدان باب الخلق .. وتردد عليه (١٩/٨٧٢) مواطنا ومسلما من جميع أنحاء العالم الاسلامى المقيمين بالقاهرة والزائرين لها ..

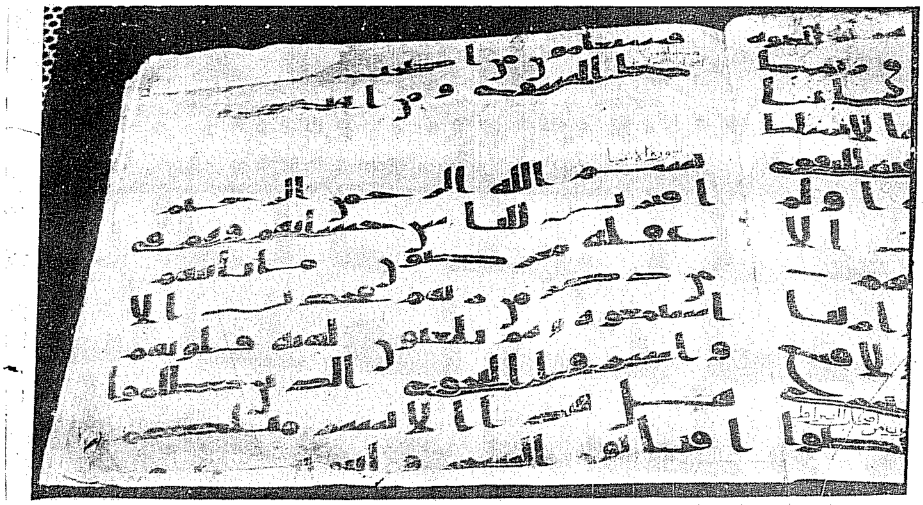
وقضيت يوما كاملا مع العدد القليل من المصاحف التى عرضت ، والتى لا تتجاوز السبعين مصحفا .. ولكنها تمثل تطور الكتابة المصحفية واحجام المصاحف .. والفن الابداعى فى اخراجها ، حتى توقفت ، عند القرن الثالث عشر الهجرى .. لتعرض نموذجا واحدا لتطور الكتابة المصحفية بعد ذلك .. بطريقة بريل للذين حرموا نعمة البصر ..



اكبر مجموعـــة

وقصة معرض المصاحف يحدثنى عنها الأستاذان : احمد عابدين مدير عام دار الكتب ، وأحمد عبـــد الرحمن رئيس أمنـــاء المخطوطات والمعارض بدار الكتب ، فيقولان . ان دار الكتب تضم أكبر مجموعة من المخطوطات القرآنية فى العالم .. اذ بها ۲۰۰۰ مصحف مخطوط على مر العصور ، ومن أجل ذلك رأى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهوريـــة ووزير الأوقـــاف والشـــئون الاجتماعية أن يكون من بين مظاهر احتفالات القاهرة بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم ، أن يكون هناك معرض قرآنى ، يعرف منه الناس : كيف كانت المصاحف فى أول العهد بها منذ أيام سيدنا عثمان الى يومنا هذا .. فسارعنا بعرض نماذج من المصاحف من أول مصحف سيدنـــا عثمان ، الى ان تطورت الكتابة ، وما يكتب عليه المصاحف ــ الرق ــ والدرج ــ والجلد ــ والحرير ــ والورق ...

ويقولان : ان المعرض لم يكلف دار الكتب استعدادا اكثر من سبعة أيام .. وبعدها افتتحه السيد حسين الشافعى وبدأ كلمته التى سجلها بهذه المناسبـــة بقولـــه .



مصحف بخط سيدى حسن البصرى

« بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى شرف مصر ودار كتبهـــا أن تكون مقرا لحفظ المصـــاحف النادرة التاريخية ، وقد سعدت فى مناسبة احتفالنا بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم بأن أرى هذه الثروة الفخمة ليست من ناحيتها العاطفية فحسب .. بل وكذلك ما تحتويه من ثروة فنية وتاريخية لا تقدر بثمن » .

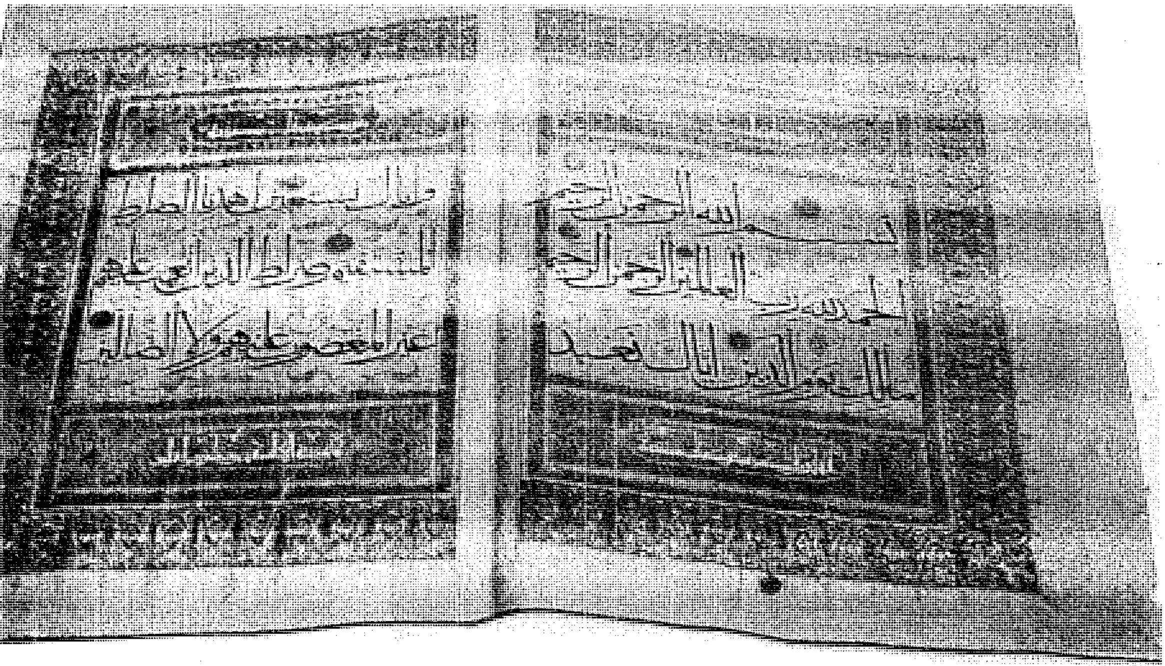
. . . .

وطوال أيام المعرض جاءته وفود من مسلمى العالم الـــذين يقيمون فى القاهرة أو يزورونها ..

ومن الزيارات التى لا تنسى ما يذكره لى الأستاذ احمد عبد الرحمـــن المشرف على المعرض من أن أسرة الطبيب المشهور المرحوم على ــ باشا ــ ابراهيم ، جاءتهم أسرة صديقة من لبنان عندما علمت بخبر المعرض لتشاهده ، وكان هذا فى عطلة العيد ، واتصلت الأسرة بمدير دار الكتب تذكر له الأمر ، وترجو منه السماح بفتح المعرض .. فوافق على ذلك واستمر المعرض مفتوحا أيام العطلات ، ومن الثامنة صباحا الى التاسعة مساء كل يوم ..

وكان المعرض موضوع دراسة تفصيلية لطلبة قسم الوثائق والمكتبـــات بآداب القاهرة .

وكذلك موضع دراسة فنية لطلبة الفنون الجميلة ، ومعهـــم أستاذهـــم الدكتور طه حسين ــ وهو غير عميـــد الأدب العربى ــ الذين تـــرددوا على المعرض خمسة عشر يوما ، لنقل هذا الفن الاسلامى الرائع ودراسته .



مصحف قايتباى ٨١٥ ــ ٩٠١ هـ

وقد بلغ عدد الذين سجلوا اسماءهم كما سبق أن ذكرنا (١٩/٨٧٢) ، ويضاف اليهم مثل هذا العدد من رواد دار الكتب ، ولم يقيدوا اسماءهم فى دفتر زيارات المعرض كما يقول لى المسئولون .

مع النماذج المعروضة

ومن بين النماذج القرآنية المعروضة .. كانت مصاحف نادرة يقول لى المشرف على المعرض ، انها لا توجد الا فى دار الكتب فقط .. وأن المعروض منها قليل ، ولكنه يمثل أولا النادر منها .. ويمثل أيضا هذا الطابع التاريخى المرتبط بالقرآن الكريم .. ويمثل ثالثا تطور الكتابة القرآنية ومنها الكتابى والزخرفى ..

اول المصاحف

ومصحف سيدنا عثمان بن عفان ، هو أول ما يلقاه زائر المعرض ، وهو بالخط الكوفى ، وكل الذى كتب عليه أنه مصحف عثمان بن عفان الذى كان يقرأ فيه لحظة مقتله ، ويشرح لى قصته الأستاذ نصر الله الطرازي الذى تفضل مشكورا بصحبتى ، شارحا أن هذا المصحف نسخة مصورة عن المصحف الحقيقى الموجود حاليا بطشقند ، وقد أتيح له أن يراه فعلا هناك ، وعليه آثار دم سيدنا عثمان ، ومكتوب بجواره هناك نبذة تاريخية تقول : انه كان موجودا فى جامع خواجه عبد الله الأحرار ، ثم اشتراه حاكم تركستان ، ونقل الى



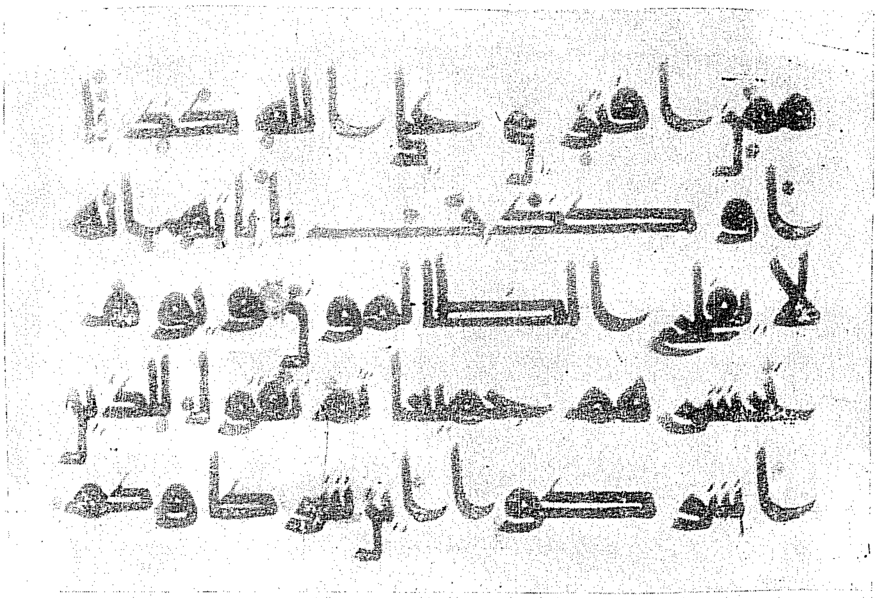
مصـــحف جعفـر الصـــادق مجلد بقطع خشب الصنوبر وفى اوائل ســـوره وبعض آياته حليات ذهبية

بطرسبرج ، فوضع فى دار الكتب القيصرية ، حتى قامت ثورة ١٩١٨ الروسية . فنقل فى حراسة مشددة الى النظارة العربية ، حتى عام ١٩٢٣ وبعدها نقل الى تركستان ، حيث ظل مدة طويلة فى سمرقند ، حتى حوالى الاربعينيات من هذا القرن ، فنقل الى طشقند ، حيث يكون الآن بناء على طلب المسلمين هناك .

ومرة اخرى يؤكد لى السيد نصر الله الطرازى ان آثار الدم باقية الى اليوم على المصحف الأصلى .. دم الخليفة الثالث عندما قتل رضى الله عنه .

ومصحف حسن البصرى

وثانى المصاحف المعروضة .. مصحف بقلم كوفى على الرق ، ومن غير شكل ولا نقط ، وبه بداية سورة النساء .. وفى آخره انه كتب بخط ســـيدى حسن البصرى عام ٧٧ هـ .



اول مصــــحف على طريقـــة (ابوالاسود الدؤلى)

ومصحف جعفر الصادق

ومصحف ثالث .. وهو الثالث فى الترتيب .. مفتوح على صفحة واحدة ومكتوب فى القرن الثانى الهجرى ، على ورق ، ومجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى أوائل سوره وبعض آياته حليات ذهبية ، ومكتوب فى آخره انه مصحف سيدى جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨ هـ .

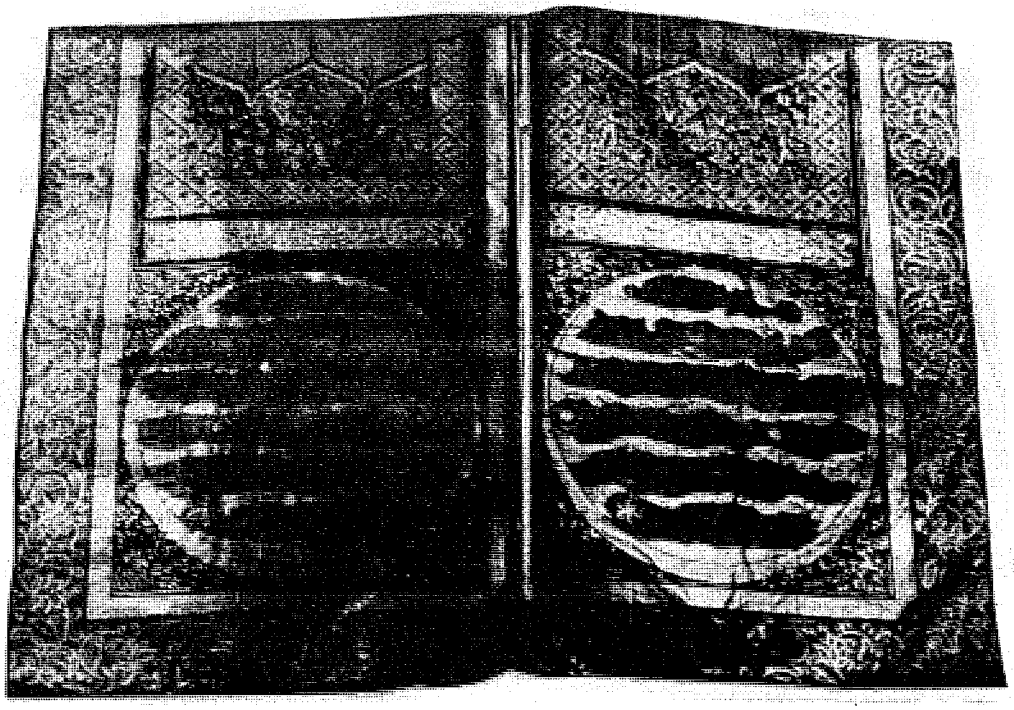
وبــدايـــة تطـــور

ومع بداية القرن الثالث الهجرى وطوال شهوره مع القرن الرابع الهجرى أيضا يرى المشاهد تطورا فى كتابة القرآن ومحاولات فنية رائعة ، تستعين بالذهب والحليات ، وان استمرت الكتابة على الرق وبالخط الكوفى ، وعــدم التقيد بأن يكون المصحف فى مجلد واحد بل وجد مصحف فى ١٣ جزءا .

ويقدم المعرض فى مقدمـــة المصحفين او الثلاثة المعروضـــة تعبيرا عن القرنين الثالث والرابع الهجرى .. أول مصحف يظهر فيه النقط والتشكيل على الكلمات .

وبعدها يجمع المعرض المصاحف بدون تحديد زمنى .. وانما يضعها تحت اسم الدولة التى كانت مسيطرة على الحكم فى مصر كل فى جانب .

- فمصاحف من الدولة الفاطمية .
- ومصاحف من الدولة الأيوبية .
- ومصاحف من عصر المماليك .. وما أكثرها .



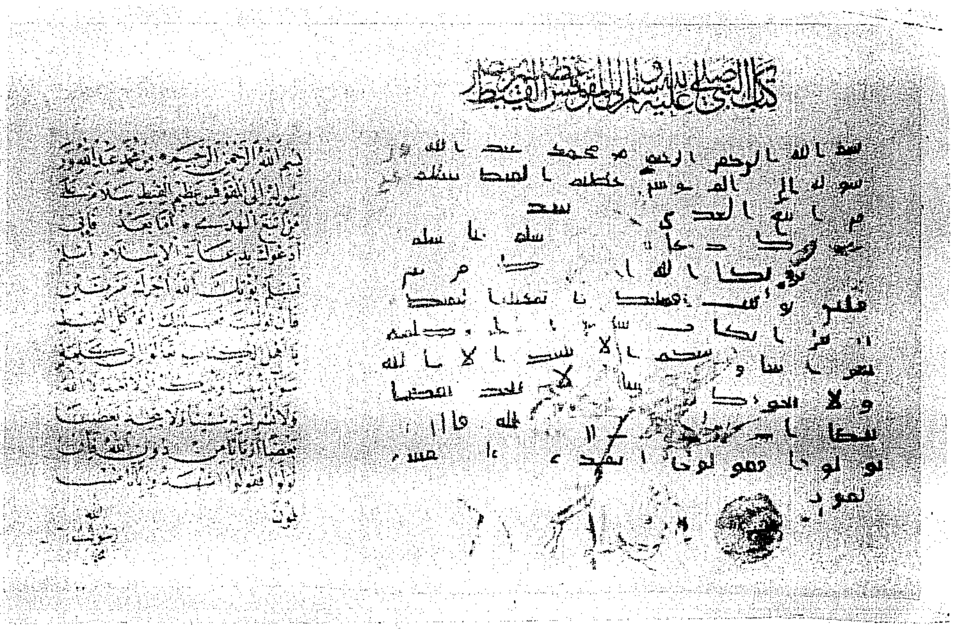
مصحف السلطان قلاوون مكتوب بالذهب الخالص ــ وصحائف ذهبية

وتقف جميعها عند القرن العاشر الهجرى .. وجميع مصاحف هذه العصور تتشابه الى حد كبير ولكن تتنافس فى روعة الفن والبذخ .. والتحلية بالذهب .. واختلاف الأحجام ما بين مستطيل ومربع .. وكبير وصغير . .

ووضعت نماذج للمصاحف الخاصة تعبيرا عن أرقى ما وصل اليه الفن الكتابى للمصاحف ، ممثلة لمصاحف السلاطين وهى بالتحديد :

- مصحف السلطان محمد بن قلاوون ٦٩٣هـ
- مصحف الأمير ارغون شاه ٧٥٠هـ
- مصحف السلطان شعبان ٧٦٤هـ
- مصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ
- مصحف السلطان المؤيد ٨١٥هـ
- مصحف السلطان خشقدم ٨٦٥هـ

ومن أجمل المصاحف خطا مصحف قايتباى ٨١٥هـ ــ ٩٠١هـ وهو بخط جانم السيفى جانى بيك الدودار الكبير .



ومن أروع ما زخر به المعرض في العصر المملوكي مصاحف «خوندبركة» أم السلطان شعبان ٧٧٥هـ

واربع ربعات مملوكية ، تمثل تقدم الخط في القرن العاشر الهجرى ، وقد كتبها بخطه الخطاط الشهير حمد الله المعـــروف بابن الشيخ خطاط السلطان با يزيد .

ومصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ الذى يذكر ان كاتبه قد استغرق في كتابته ستين يوما .. وبقلم واحد لم يتغير .

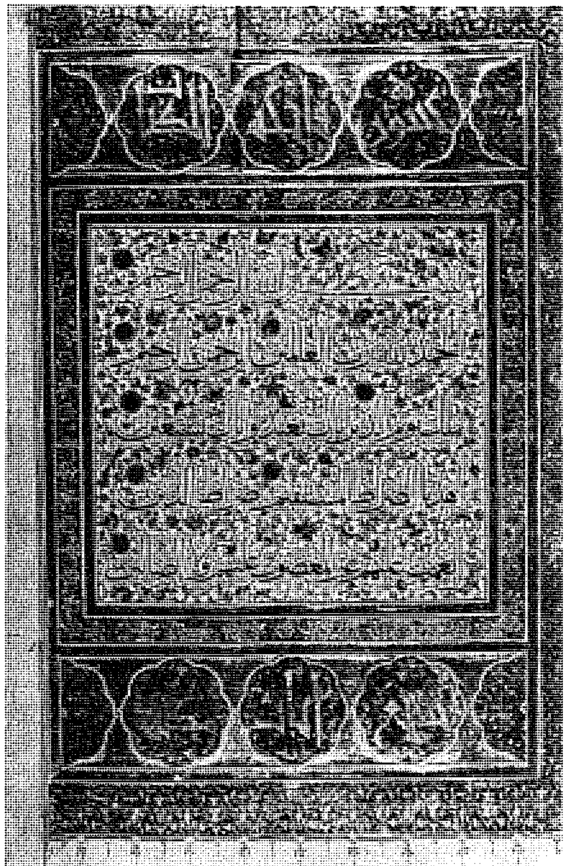
ومصحف الامير برغتمش ٧٧٦ هـ الذى التزم الكاتب فيه أن يبدأ كل صفحة بكلمة قرآنية تبدأ بحرف ا .

وقد بلغ الروعة مصحف قلاوون الذى كتب بالذهب الخالص وعلى صحائف ذهبيـــة .

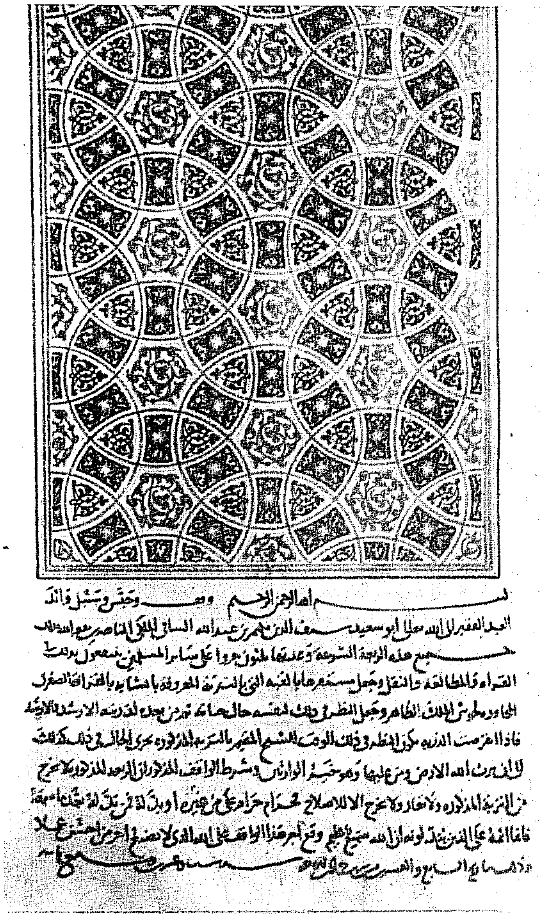
ومن بلاد اخرى

وبعدها يقف المعرض عند هذا الحد من المصاحف المصرية ، ليبدا جانبـــا آخر من المعرض ، يمثل نماذج من الفن العالمى الاسلامى متخذا اربعة اقطـــار اسلامية لا تزيد .

● تبدأ بالخطوط العثمانية .. وهنا تبدأ المصاحف في الصغر التي [illegible] تصل الى حجم الكف الواحد ، وبحلف ألوان [illegible] والورق ، مع الالتزام المستمر باستعمال الذهب والزخارف المختلفة .. ويعرض



اضخم مصحف فى العالم يزن ٢ طن
مهدى من نواب بهوبال
الغلاف من الفضة والماس
مكتوب فى القرن الحادى عشر



من الدولة الفاطمية

٤٠ مصحفا عثمانيا ، ومن أروعها ما كتبه الى صدر الصدور بروسـلى محمد باشا فقد كتب القرآن كله فى ٣٠ صفحة مقاس ٢٥ سم × ٣٠ سم وبخط نسخ والمصحف كله محلى ومجدول بالذهب .

و ٣ مصاحف كتبت فى ايران ، وكلها بخط ياقوت المستعصمى ، وهو كما ذكر لى مرافقى من أكبر أساتذة الخط فى التاريخ .. ومن المدرسة النظامية فى القرن السابع الهجرى ، وقد كتب أكثر من ١٠٠٠ مصحف وقال عنه الامام ـ عبد القادر الجيلانى : (كان فى يده سر من اسـرار الله) وعلى أحد هـذه المصاحف بعض التفسيرات باللغة الايرانية .

وثالثة البلدان الاسلامية التى انتقى المعرض بعض مصاحفها الهنـد .. ومن بين مصاحفها القليلة التى عرضت واحدا بخط محمد روح الله بن محـمد

حسين اللاهورى ١١٠٧ هـ وهو فى ٣٠ ورقة تزيد عن حجم (الوعى الاسلامى) قليلا ، والتزم فيه بأن يكتب فى أول سطر من كل صفحة كلمة تبدأ بحرف ! .

وآخر البلاد الاسلامية .. المغرب وقد اختير منها ٣ مصاحف طومار .. للحرب .. حيث كان صاحبها يلفها حول وسطه ، وهو يحارب ، ولا يزيد طول المصحف عن مترين × ٢٠ سم فقط .. ومن الجلد .. ومكتوب عليه بخط النسخ ..

وقبل النهاية : نموذجان

وقبل النهاية .. وفى مكان متقابل يقع نظر المشاهد للمعرض على نموذجين غريبين .. أولهما .. المصحف بطريقة بريل وهو احدث ما كتب عام ١٩٦٧ .. ويقابله النموذج الثانى ٣٠ جزءا من مصحف السلطان المغولى (سلطان الجاتيو مغل همذان ٧١٣هـ . وهو مزخرف بطريقة هندسية مختلفة ، بحيث لا يتشابه جزء مع الآخر وقد آل الى الناصر قلاوون) .

ومخطوطات اخرى

والى جانب المصاحف عرضت دار الكتب رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس .

و ١٠٠ كتاب مخطوط صغير فى التفسير والقراءات من بينها :

- الحجة فى القراءات لابن خالويه فى القرن الثالث الهجرى .
- وايضاح الوقف والابتداء لابن الانبارى .
- وتحبير التيسير فى قراءات العشر لمحمد بن الجزرى .

وقبل النهاية

ومع نهاية المعرض يودع الزائر اكبر مصاحف العالم — كما يقولون لى — اذ تبلغ زنته طنين وحجم الصفحة منه ١٧٥ × ١٢٠ سم ، ويقع فى ٧ أجزاء ، ومكتوب بالخط النسخ ، وعلى الجلد ، ومستعمل فيه الذهب فى أجزاء مختلفة من صفحاته ووقفاته ، وله غلاف آية فى الروعة والفن ، يتسع للأجزاء السبعة . وهو من الفضة الخالص . ومحلى بالياقوت ، وقد اهداه الى مصر نواب بهوبال (أمير بهوبال) فى وسط الهند وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى .

ومع نهاية المعرض يبدأ حديث العالم كله عنه ، بعد أن جاءته وفود .. وبعد أن طلبت اخباره وكالات أنباء العالم والجامعات الكبرى .

أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقي العلوم في جامعاتها

للأستاذ: سليم طه التكريتي

اخذ الكثيرون من علماء أوربا ومؤرخيها فى الآونة الأخيرة . يتحررون من التعصب ويعترفون في كتبهم وابحاثهم العلمية والتاريخيـة بفضل الحضـارة الاسلامية على النهضة الأوربيـة . ويوردون الأمثلة الدامغة التى تؤكـد ان الحضارة الاسلامية هى أم الحضارة الغربية الحاضرة ؛ وان ما ابدعته العقول الاسلامية كانت المعين الفياض الذى استقى منه علماء الغرب فى عصر الانبعاث الأوربى علومهم ومعارفهم وحتى فنونهم وصناعاتهم .

ولقد كانت الأندلس أول المسالك التى سلكتها الحضارة الاسـلامية فى انتقالها الى الغرب واخطرها اثرا فى نقل التراث العربى الاسلامى الى أوربـا ووضع اسس الحضارة الأوربية الراهنة .

ذلك ان الشهرة التى بلغتها الأندلس فى مضمار التقدم والازدهار قـد حفزت العديد من ملوك أوربا وامرائها فى ذلك العهد الى محاولة محاكاة العرب والمسلمين الأندلسيين فى تقدمهم وتمدنهم فلم يجدوا امامهم من سبيل سوى أن يبعثوا بالبعثات العديدة من ابنائهم الى الأندلس للدراسة فى معاهدها وجامعاتها الكثيرة .

يقول المؤرخ الفرنسى « فالبير FALIER » فى كتابه « اســترداد الأندلس Raprisa oaindeloussia » ان البعثات العلمية كانت قائمة فى أوربا على قدم وساق لارسالها الى الأندلس الاسلامية لتلقف العلوم والفنـون والصناعات فى معاهدها الكبرى وذلك نتيجة الدعايات التى انتشرت فى قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوربية فى ذلك الوقـت كانكلترا وفرنسا والمانيـا وهولندا وتوسكانيا » .

أخذت البعثات الأوربية تتدفق على الأندلس بأعداد متزايدة بسـنة بعد اخرى حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ (١٢٩٣م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة .

وكانت احـدى هذه البعثات من فرنسـا برئاسـة الأميرة « اليزابث » ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا .

وراست الأميرة « دوبان » ابنة الأمير جورج مالك مقاطعة ولز الانكليزية احدى البعثات من بريطانيا واقبلت بعثات اخرى من سافوى . وبافاريا . والرين وسكسونيا وغيرها .

وبعث فليب ملك بافاريا الى الخليفة هشام الأول بكتاب يطلب اليه ان يأذن له بارسال بعثة من بلاده الى الأندلس للاطلاع على أحوالها وأنظمتها وشرائعها وثقافتها وذلك لاقتباس المفيد المثمر منها لبلاده .
ووافق الخليفة هشام على هذا الطلب وعندئذ أرسل الملك فليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو « ويلمبين » الذى يسميه المؤرخون العرب باسم وليم الأمين .

وسار ملوك آخرون من أوربا على المنوال ذاته . فالبعثة التى أوفدها جورج ملك ولز برئاسة ابنة أخيه كانت تضم ثمانى عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان وقد توجهت البعثة الى اشبيلية ورافقهن فى سفرهن النبيل « سفيلك » رئيس موظفى القصر فى ولز وكان سفيلك هذا يحمل رسالة من الملك جورج الى الخليفة هشام الثالث نشر المؤرخ الانكليزى الشهير « جون دوانيورث JOHN DOINBURTH » نصها فى كتابه الخطير « العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى Arabs : Element of Surerniacy in The Meadeuel Centuries

تقول الرسالة .

من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير . فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أربعة أركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبان » على رأس بعثة من بنات اشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .
ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع جورج م . ا .

وقد رد الخليفة هشام الثالث على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة الرقيقة البليغة التى تمثل كرم المسلمين وسماحتهم ولطفهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين .
وبعد .
الى ملك انكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل .
لقد اطلعت على التماسكم فوافقت . بعد استشارة من يعنيهم الأمر من

أرباب « الشونة » (١) ، على طلبكم وعليه فاننا سنعلمكم بأنه سيتم الانفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيدا على مودتنا لشخصكم الملكى .
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة أبعث اليكم بغالى الطنافس الأندلسية وهو من صنع ابنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافى للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله على ديار الأندلس
هشـــام .

ويقول المؤرخ التركى عبد الرحمن شرف أن هدية ملك ولز الى الخليفـــة هشام كانت تتألف من شمعدانين من الذهب الخالص طول الواحد منهما ثلاثة أذرع ، واثنان وعشرون قطعة ذهبية من اوانى الطعام .

أما بعثة ملك بافاريا التى راسها ويلمبين فكانت تتألف من مائتين وخمسة عشر طالبا وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لدراسة الفلسفة والعلوم وصناعة النسيج والنقش والتطريز ، والطبابنة والتمريض وصناعة الاسلحة . والزجاج ، والورق ، وبناء السفن وصنع البارود وبناء القلاع ، بالاضافة الى دراسة علم الفلك والكيمياء والفيزياء والعلوم الزراعية وغيرها ولقد اعتنـــق ثمانية من افراد هذه البعثة الدين الاسلامى ومكثوا فى الأندلس ورفضوا العودة الى بلادهم . ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس فى ذلك الوقت وانجبن عددا من العباقرة كان منهم عباس بن مرداس الفلكى .

وهناك عدد آخر من الفتيات أتدمن فى بعثات الى الأندلس من فرنســـا وهولندا وايطاليا والمانيا وبلجيكا اتمن فى الأندلس واعتنقن الاسلام وتزوجن من المسلمين من امثال الأميرة « مارى غوبيه » من بلجيكا ، وروبيكا ستارت مـــن المانيا ، والراهبة جانيت سمبسون من انكلترا ، وشوتا ابنة الكونت سيرجاك من هولنـــدا .

***

وبالاضافة الى البعثات العديدة التى بعثت بها أوربا الى الأندلس . عمد بعض **ملوك أوربا وأمرائها الى استقدام** الأساتذة والخبـــراء والمهندســـين من الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع ونشر الوية التنظيم والعمران .
ففى خلال القرن التاسع الميلادى وما بعده وقعت حكومات انكلترا وهولندا وسكسونيا وغيرها على عقود مـــع حوالى تسعين من الأســـاتذة العرب فى الأندلس بمختلف العلوم لانشاء مختلف المعاهد فى أقطار تلك الحكومات . وقد اختير هؤلاء الأساتذة العرب من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين اللاتينية والاسبانية الى جانب اللغة العربية .
ووقعت تلك الحكومات عقودا أخرى مع حوالى مائتى خبيـــر عربى فى مختلف الصناعات ولا سيما انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبنـــاء وفنون الزراعة .

---

(١) يقصد بعبارة ارباب الشونة . اركان الدولة .

ولقد أقام بعض المهندسين العرب أعظم جسر على نهر التيمس فى بريطانيا هو جسر « هليشم Helichem » . وهذه الكلمة تحريف لكلمة « هشام » خليفة الأندلس الذى أطلق الانكليز اسمه على ذلك الجسر اعترافا بفضله لأنه ارسل اليهم أولئك المهندسين العرب .

وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيدوا قباب الكنائس فى بافاريا . ولا تزال توجد بمدينة « شتوتغارت » بألمانيا حتى اليوم سقاية ماء تدعى « أميديو Amedeo » وهو تحريف لكلمة « أحمد » اسم المهندس العربى الذى صنع تلك السقاية .

وكان الأسطول الهولندى الذى قهر الأسطول الانكليزى فى لشبونة سنة ١٥١٢م من صنع العرب وكان قائد ذلك الأسطول الهولندى يسمى نفسه « أميرال البحر طارق » .

* * *

كان من بين الذين درسوا فى معاهد الأندلس العلمية وساهموا بقسط كبير فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا الراهب الفرنسى « غربرت » المولود سنة ٩٤٥م . فقد رحل غربرت هذا الى الأندلس فأمضى فيها ثلاث سنوات درس فى معاهدها بأشبيلية وقرطبة الرياضيات والفلك والعلوم الأخرى ثم عاد الى بلاده واخذ يبشر فيها بالثقافة الاسلامية فرماه بعض قومه بالكفر والسحر واذ ذاك رحل الى أوربا فعين مستشارا لقيصر روما ثم ما لبث أن أصبح كبيرا للأساقفة هناك وأخيرا ارتقى سنة ٩٩٩م كرسى البابوية وسمى بالبابا سلفستر الثانى . وكان هذا البابا أول من ادخل الأرقام العربية ونظامها الى أوربا والتى لا زالت سائدة فيها .

وهناك راهب فرنسى آخر يدعى « أبيار » تفقه فى الفلسفة والعلوم الأخرى على المصادر العربية الاسلامية واشتهر بها فى القرن الثانى عشر الميلادى .

وممن درس فى قرطبة وتخرج على أيدى علمائها المسلمين « شانجة » ملك ليون واستوريا فى شمال اسبانيا .

ومنهم « هرمان » الكسيح ابن أمير والماسيا الذى نقل مآثر الحضارة الاسلامية فى ألمانيا ودول البلطيق عن الطلاب الأوربيين العائدين من الأندلس والذين كانوا يمرون بدير « ريخناو » الذى يمكث فيه هرمان ويقضون فيه أياما عديدة قبل تفرقهم الى أهليهم . وعن هؤلاء نقل هرمان كل ما جلبوه من الآلات الفلكية العربية وفى مقدمتها الاسطرلاب الذى صنع أول واحد منه فى أوربا على الأسس العربية فى القرن الرابع الميلادى .

ومن المعاهد الطبية فى مدن اشبيلية والغوصة وزردقة وقرطبة فى الأندلس تخرج ما لا يقل عن عشرين طبيبا أوربيا كان من بينهم الراهب الانكليزى « سبيرومان » الذى اتخذه البابا يوس الثالث طبيبا خاصا له .

ولقد ظلت الأندلس تلعب دورها الفعال هذا فى نقل الحضارة الاسلامية الى أوربا حتى بعد ان قضى على الحكم العربى فيها وأجهز على المسلمين تقتيلا وتجهيزا وتنصيرا فى عصر محاكم التفتيش الفظيعة . فلقد تفرق فطاحل العلماء من المسلمين الأندلسيين فى مختلف الولايات الاسبانية وفى فرنسا وايطاليا وغيرها يحملون معهم علومهم وفنونهم التى لم يضنوا بها حتى على الكفار الذين انزلوا بهم وبأهليهم سوء العذاب مما كان له أثره فى ازدهار حركة البعث الأوربى ونشوء الحضارة الأوربية الراهنة .

مائدة القارئ

أعدها : أبو نزار

الرسالة المهاجرة

ان الرسالة الاسلامية التى هاجرت مغلوبة من مكة الى المدينة . هاجرت غالبة من الشرق الى الغرب . بفضل مبدئها الالهى الذى قامت عليه . ودعت اليه . وفازت به . وهو توحيد الله . وتوحيد الكلمة . وتوحيد القوى . وتوحيد الغاية .

أين عمر ؟

سمع عمر بن الخطاب بكاء طفل آخر الليل . فأتى أمه فقال : انى لأراك امرأة سوء . مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله : انى أمرنه على الفطام . قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لا يفرض للرضيع . وانما يفرض للفطيم . قال : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لا تعجليه وذهب . فصلى الفجر . وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤسا لعمركم قتل من اولاد المسلمين . . ثم امر . فنادى : الا تعجلوا اولادكم عن الفطام فاننا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب الى الآفاق كافة .

مؤول الأحلام ؟

كان سعيد بن المسيب من أعلم الناس بتعبير وتفسير الرؤيا . جاءه رجل فقال له : انى ارى كأنى ابول فى يدى فقال له : اتق الله فان تحتك ذات محرم . فنظر فاذا امراته بينها وبينه رضاع .

وقال الحصين بن عبد الله بن نوفل : طلبت الولد . فلم يولد لى فقلت لابن المسيب : انى ارى [illegible] فى حجرى بيضا . فقال ابن المسيب : الدجاج اعجمى . فاطلب سببا الى العجم . قال : فتسريت فولد لى .

أمسلم هو ؟

مما يذكر من سرعة جواب المتنبي أنه حضر مجلس الوزير ابن خنزابة . وفيه أبو على الامدى الاديب المشهور . فأنشد المتنبي أبياتا جاء فيها :

انما التهنئات للأكفاء

فقال أبو على : التهنئة مصدر . والمصدر لا يجمع .
فقال المتنبي لآخر بجنبه : أمسلم هو ؟
فقال : سبحان الله . هذا استاذ الجماعة ابو على الامدى .

قال المتنبي : فاذا صلى المسلم وتشهد أليس يقول : « التحيات »
فخجل أبو على وقام .

عظامي عصامي

يروى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختباره ، فقال له : اعظامى أم عصامى ؟ يقصد : اشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما ، أم بنفسك .

فقال الرجل : عظامى عصامى ، فقال الحجاج : هذا افضل الناس ، ثم تبين له بعد ذلك من مناقشته انه أجهل الناس ، فتعجب الحجاج ، وسأله : كيف أجبتنى بما أجبتنى به حين سألتك .

فقال الرجل : لم أعلم اعصامى خير أم عظامى ، فخشيت أن أقول احدهما ، فقلت كليهما ، فان اضرنى أحدهما نفعنى الآخر .

فقال الحجاج : المقادير تصير العيى خطيبا .

ساعة هارون الرشيد

ذكر فولتير المؤرخ الفرنسى أن أول ساعة عرفت فى أوربا هى الساعة التى اهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ . وكانت بدعا فى ذلك العصر ، حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا .

كان لها اثنا عشر بابا صغيرا بعدد الساعات ، فكلما مضت ساعة فتح باب وخرجت منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات ، وتبقى الابواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارسا على خيل تدور على صفحة الساعة .

لا نتركه يبرد !!

قيل لاعرابى : ما تسمون المرق ؟
قال : السخين
قال : فاذا برد ؟
قال : لا ندعه يبرد

ثاريخكم يا شباب الاسلام

٣

للأستاذ: أحمد محمد جمال

نواصل الحديث عن (سوابق) الفكر العربى والاسلامى فى المجالات المختلفة للحضارة الانسانية . فنذكر نظرية « العقد الاجتماعى » للمفكر الفرنسى جان جاك روسو — التى يتحدث عنها كثير من الكتاب العرب ، المفتونين بكل ما هو (أجنبى) أو (غربى) على انها نظرية حديثة وابتكار غربى !

لقد كنت أقرأ بعض رسائل النبى صلى الله عليه وسلم ، التى يزود بها بعض عماله وولاته ، ويرسم لهم فيها منهج الحكم وكيفية سياسة المحكومين . فوقعت على كتابه الذى كتبه عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم حيث بعثه واليا على اليمن ، فماذا فاتحته تقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم — يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . .) ثم مضى الكتاب يفصل لعمرو بن حزم مسؤولياته كحاكم مسلم : من التقوى ، والأخذ بالحق ، وأمر الناس بالخير ، وأن يلين لهم فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، وينهاهم عن التعصب للعشيرة ، وأن يعلمهم أمور دينهم من وضوء وصلاة وجمعة وحج ، وأن يفقههم فى القرآن الخ (١) .

وفى افتتاح الرسول عليه الصلاة والسلام كتابه عن موضوع الحكم ومسؤولية الحاكم بهذه الآية القرآنية : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) اشارة تغنى عن عبارة — الى نظرية العقد الاجتماعى التى طلع بها جان جاك روسو خلال القرن الثامن عشر الميلادى ، أى بعد نحو اثنى عشر قرنا من نزول القرآن بهذه الآية ، واستدلال الرسول بها فى موضوع الحكم وواجبات الحاكم ،

---

(١) القى الكاتب محاضرة بعنوان (مهمة الحاكم المسلم) فى أحد المواسم الثقافية بمكة المكرمة — تحدث فيها باسهاب عن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .. وهى تحت الطبع .

كاشارة بليغة وجيزة الى ان الحكم انما يقوم على اساس التعاقد والاتفاق بين الحاكم والأمة — وهو مضمون نظرية روسو عن العقد الاجتماعى .

ويؤيد رأينا فى هذا السبق الاسلامى الى نظرية العقد الاجتماعى — ما تواتر من احاديث الرسول وآثار الصحابة وقواعد البيعة : من ان (السمع والطاعة) من المحكوم للحاكم انما هما (فى المعروف) . وما يشترط الناس على الحاكم حين مبايعته : أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

فبذلك يتضح أن (الحكم) فى الاسلام عقد اجتماعى يتم بين الحكومة والأمة .. على أن تكون طاعة الأمة رهنا بقيام الحكومة على العدالة والمعروف .

• • • • • •

وفى مجال التشريع :

صدر قبل شهور معدودة كتاب للدكتور بيران وولف اسماه (افضل سنوات المراة) تحدث فيه عن الطلاق ، واقتراح أن تبذل محاولة للشورى والتوجيه بين أهل الزوجين ، قبل اقدام الرجل على توقيع الطلاق ، أو قبل عزم المرأة على طلب الانفكاك من زوجها . ويرى الكاتب الغربى أن يكون الذى يتدخل بين الزوجين المقبلين على الفراق خبيرا محنكا ، أو صديقا للطرفين ، أو رجلا من رجال الدين ، أو محاميا ، أو عالما نفسيا .. فاذا رئى بعد ذلك أنه لا جدوى أو لا مصلحة فى استمرار الحياة الزوجية بينهما . فان الطلاق عندئذ يكون هو الدواء الشافى والحل الوحيد ..

ونحن المسلمين نجد تشريعنا الاسلامى قد سبق الى هذا الراى الاصلاحى منذ أربعة عشر قرنا .. اذ شرع لنا هذا المنهج الاجتماعى فى آيتين من سورة النساء فى القرآن الكريم احداهما تقول : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » والثانية تقول : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

ان الدكتور بيران وولف يرى الراى نفسه الذى نزل به القرآن الكريم ووجه به الناس الى بذل محاولة مخلصة ، فى سبيل التوفيق بين الأزواج المتنازعين ، قبل ايقاع الطلاق ، وما يترتب عليه من تشريد أطفال وترميل نساء ..

وفى مجال التخطيط العمرانى :

تظن أجيالنا الناشئة او الصاعدة أن ما يسمونه « تخطيط المدن » من مبتدعات العصر الحديث ، وانه من ابتكارات الحضارة الغربية العصرية . ويعتذر لهم عن خطأ هذا الظن بعض الكتاب فيزعمون بأن تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد حتى يقرأه الجيل الصاعد ، ويعلم به ما جهل من سوابقنا الحضارية ..

ان تخطيط المدن .. الذى يعنى تنظيم العمارات والشوارع والطرقات والميادين والحدائق العامة . والذى يظن بدعة غربية عصرية — قد عرفته عهود الصحابة رضى الله عنهم ،كما يروى القاضى أبو يعلى فى كتابه (الأحكام السلطانية) اذ يقول : لقد مصر الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجعلوها خططا لقبائل أهلها . وجعلوا عرض الشارع الأعظم ستين ذراعا . وجعلوا عرض ما سواه عشرين ذراعا . وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع . وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيلهم .

وبتحويل الأذرع الى امتار نجد ان عرض الشارع العام كان منذ ذلك العهد السحيق نحوا من اربعين مترا ، والشارع الفرعى خمسة عشر مترا ، والزقاق خمسة امتار أو اربعة امتار . وذلك ما لم يتحق فى عصرنا الحاضر .. فى كثير من الشوارع والدروب والأزقة ، فى عدد من البلدان العربية المتطورة ، بل وفى البلاد الأوروبية ايضا :

ويلاحظ ان الرحبة الفسيحة ، التى ذكرها ابو يعلى فى تخطيط البصرة ، هى (الميدان) فى تخطيطنا الحديث . وهو ما يخصص جزء منه موقفا للسيارات وما بقى مدارا لحركة المرور .

ويتحدث الأستاذ حيدر بامات فى كتابه (دور المسلمين فى بناء المدنية الغربية) عن الهندسة المعمارية الاسلامية ، التى اقتبس الغربيون جمالها وجلالها ونفسها العربى ، ويشير الى مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر ، فى الأندلس ، والى قصر الحمراء بها . ويقول : ان الفن الاسلامى المقدس الذى يتجلى فى المساجد ، هو الذى يشهد بعظمة الماضى الاسلامى وجلاله فى مضمار الهندسة المعمارية . ويؤكد فى نفس الوقت تأثير العرب الفنى على الفن الايطالى نتيجة لاقامة العرب فى صقلية . ويشير الأستاذ بامات الى اقتباس الهندسة والزخرفة الاسلاميتين فى كنائس بعض دول أوربا .

. . . . . .

وفى الحضارة الاسلامية سوابق اقتصادية كثيرة ..

فابن خلدون — مثلا — سبق المدارس الاقتصادية الحديثة التى تدعو الى حرية التداول التجارى ، وعدم ايغال الدولة فى التدخل والتسلط والتوجيه ، وعدم الاسراف فى فرض الضرائب .

فهو يقول : ان واجب الدولة ان تتأكد من ان الضرائب لا تثمر اذا هى فرضت فرضا تعسفيا ، وان الضرائب المعتدلة أعظم حافز على العمل .

ثم يتحدث ابن خلدون — باسهاب — عن المصادرة ، والاحتكار ، وعن اشراف الدولة على شؤون التجارة .. حتى ينتهى الى القول : بأن الدولة انما تقوم على الشعب وعلى روح الاقدام والمغامرة التى يتحلى بها ، وعلى مدى انتاجه . ويؤكد : أن المبالغة فى تدخل السلطات الحكومية تعيق التطور الطبيعى للاقتصاد والتجارة ، وتسبب نقصا فى الثروة وضعفا فى الانتاج ...

.. وهذا ما حدث ويحدث فى تجارب بعض المذاهب الاقتصادية الجديدة .. اذ تنقص الثروة ويضعف الانتاج .

. . . . . .

والطب العربى القديم :

وننتقل الآن الى ميدان آخر ، ميدان الطب العربى وسوابقه . حيث نجد الشباب العربى والاسلامى لا يكتفى باهماله مطالعة صفحات التاريخ الاسلامى عن سوابق المسلمين الطبية — بل يضيف الى جهله بحضارة الاسلام انكارا لها واستهزاء بها ، ويخوض فى حديث الطب العربى القديم ، فيقف منه ذلك الموقف الذميم حيث يصفه بالتخريف والشعوذة :

ولقد كان « الطب » خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية جـزءا لا يتجزأ من الثقافة العربية الاسلامية العامة .. وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال فى تقدم العلوم الطبية لدى الغرب ، اذ ظلت كتب الرازى — وابن زهر — وابن سينا — وابى القيس أساسا للدراسات الطبية فى المدارس الغربية خلال قرون عديدة . ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية وأشهرها كتاب (الحاوى) وكتاب (المنصورى) للرازى ، وكتاب (القانون) فى الطب لابن سينا ، الذى نشر بالعربية فى روما فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، واتخذ أساسا لتدريس الطب فى جامعات فرنسا وايطاليا خلال ستة قرون كاملة .

وقد تحدث الرازى فى كتابه (الحاوى) عن الحميات الطفحية ، كالجدرى والحصبة . واستحدث الرازى فى الصيدلية استعمال المسهلات الخفيفة ، والحجامة فى حالات الفالج ، والماء البارد فى حالات الحمى المستعصية واستعمال فتيلة الكى .

كما تحدث ابن سيناء فى كتابه (القانون) عن علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وعلم الأمراض ، وعلم المواد الطبية . والف ابن سينا — ايضا — كتابا فى علامات امراض القلب ، ونظم قصائد فى الطب وبلغت علاجاته الطبية (٧٦٠) علاجا .

ويعترف العالم الفزيولوجى (هاللر) بأن ابا القاسم خلف بن عباس القرطبى كان أهم جراح عربى ، وكانت مؤلفاته مصدرا ومرجعا لجميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر .

ويقول جوستاف لوبون : ان مدرسة سالون اول مدرسة فى أوروبا ، مدينة بكثير من شهرتها للطب العربى .

وقد سبق المسلمون الى « الطب الوقائى » الذى كان معروفا يومذاك بعلم الصحة ، وهو علم يبحث فى طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها . كما سبقوا ايضا الى تدريس الطب فى المستشفيات نفسها ، حيث يدرس الطلاب المعارف الطبية بالقرب من أسرة المرضى . وهو ما يتبع الآن فى تدريس الطب الحديث ، حيث يقضى الطلاب بعد خروجهم من الكلية عاما فى بعض المستشفيات للتمرس بشؤون الفحص ، وطرق العلاج الى جانب الأطباء السابقين المتفوقين ، وقريبا من المرضى الذين يعالجونهم .

كما سبق الطب العربى الاسلامى الى افراد كل نوع من المرضى بمصح خاص كالمجانين — والمجاذيب . وكانت عندهم جمعيات للبر والاحسان تقوم بعلاج المرضى الفقراء فى أيام معينة من كل أسبوع . وارساليات طبية فى الأماكن البعيدة لمداواة المرضى فيها ، وتوزيع الأدوية عليهم .

وهذا ما يجرى عليه الطب الحديث ، حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرضى .. كمرض السل ، والجنون ، والعيون الخ .. وكما نرى ونسمع الآن عن المستشفيات المتنقلة ، أو السيارة ، التى ترسل الى القرى والمدن النائية لمعالجة مرضاها .

أرحنا بها يا بلال

للأستاذ : أحمد العنانى

كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقفتنى طويلا .. طويلا ..
واحسست بها راحة هانئة عميقة .. عميقة
ونقلتنى من متاهة نكراء موحشة الى درب أمم . صراط سوى
واستشعرت روحى هادئة فى جسدى
وقلبى مستقرا مستريحا فى صدرى
وعينى وجدتهما أهالا دمعتين ثم تحررتا من كرب محتبس كدمعتى طفل ضل عن أهله فى سوق مزدحمة بالناس
ثم فجأة عثر عليهما . وتعلق بأهدابهما . من بعد أن ظن ألا تلاقى

□□□

كلمة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
كانت المفتاح الرئيسى العميد ، الذى يفتح كل الابواب فى عمـارة كثيرة الحجرات ، متعددة الابواب .
أو الطاقة الصغيرة الخفية ، يتسرب منها النور فى سفح جبـل ، فاذا اهتدى اليها عابر سبيل فنظر منها كشفت له من ورائها ومن تحتها عن عالم من الآثار ، وعمائر الحفائر لم تكشف نفسها لكل سائر ..

□□□

أرحنا بها يا بلال

بلال بن أبى رباح الحبشى الذى كان قبل سنوات من هذه الكلمة عبـدا حبشيا أسود يجرجره فى وحول المهانة كما يشاء رجل من قريش يسمى أمية ابن خلف .
بلال بن بى رباح الذى كان مولى مهانا ، فأصبح اليوم فى مركز صدارة ، بين احرار مكة والمدينة المؤمنين ، ثم أذن للصلاة ، لندخل فى فترة من الحياة ليس فيها شىء من هذا الذى يزعجنا فى دنيانا ، وبذلك ننتشى ، وننسى وننشط ونتجدد .

□□□

كأنما رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لبلال بن ابى رباح : هذه الحياة متعبة يا بلال .

متعبة لأن نفوس الناس من داخلهم تتعرض لوساوس تحبب اليهم الكسل وقلة العمل ، وتغريهم مع ذلك بسريع المغنم ومفاجىء الربح .

لأن نفوس الناس من داخلهم نزقة هشة ملولة يصعب عليها ان تصبر وتنتظر حتى مطلع الحق ، ويشق عليها ان تجانب الهوى فى الحكم ، وتحتمل عبء النزاهة فى الرأى .

لأن نفوس الناس هلوعة جزوعة ، وعقولهم مشاكسة مجادلة ، وهواهم لجوج ، وقلوبهم حارة قلقة تغاديها الغيرة ، والحيرة ، ويداخلها الحسد ، والحسرة ، وتسارع الى القنوط للتافه التافه ، وتضج بالغرور للعارض الزائل .

واذا فالمخرج المخرج .. ومخرج المسلم من ذلك هو الصلاة .

وليس التخدير مثلا بالخمر ، ولا اللهو الشرود بالقمار ، ولا ما دخل فى باب الخمر أو اندرج تحت فصيلة القمار .

وانما هى الصلاة يا بلال .
واذا كانت الصلاة كان بالله اتصال

وهناك يكون الصبر الجميل بغير ضجر
واسلام الروح لهداية غراء لا تضلل ولا تغدر .

□□□

من لى ببلال يريح المؤمنين بها وهم جماعة !

يصفون لدى التهيؤ لتلك الراحة الى تقى منهم يعلن حلول موسمها .

تقى لا هو ناظر بحسرة الى لونه الاسود أو الاحمر

ولا الذين يسمعونه فى أنفسهم شىء له غير الاعجاب والمحبة

كلهم خالصون من الكبرياء والحقد

وهل افسد دنيا الناس اليوم الا كبرياء القوة ، وحقد الضعف ؟

□□□

من لى بالصلاة تؤدى على وجهها حقا ، فتوفر على جيل الضياع الحائر كل هذا الضجيج الذى لا يولد الا ضجيجا مثله واقسى .

توفر هذه الموسيقى المحمومة الثملة فى حفلات النفاق ، واهتزاز الاجساد الرعن فى حركات كحركات القردة البلهاء .

وهل مسخ الناس الضالون الا قردة بغير اذناب ، وهم فى رقصهم المختلط المجنون ، يفرون من أوصاب الضمائر الملطخة بمظالم النفوس ، فاذا هم فى اسوأ مما فروا منه يرتكسون .

يناديهم لموسيقى « الجاز » رجال اكثرهم من العبدان السود لأن هـذه الموسيقى أصلا انفجرت من مظالم المنبوذين فى حضارة الانانية والفساد .

والعبدان يعزفون وهم حاقدون ، يتميزون غيظا على الوافدين والعابثين الراقصين .

والعابثون يفرون من فراغ الكبرياء والنفاق الى كؤوس يشربون فيها مع الخمر دماء المستذلين السوداء .

□□□

وكأنما يقول محمد صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال

أى انقل انفسنا بهذا التغيير المسعد من رتابة الحياة الى الاتصال بالله

انقلها من حالة الاجهاد ، من الصراع ضد الشر والظلام ، الى واحة نغتسل فيها بالضياء ، فنعود أحد عزما ، وأعظم مضاء ، لنستأنف المعركة تحت لواء الحق .

فترة تجدد وتأهب واستعداد

لاستئناف المعركة ، لا للفرار كما يفعل أولياء الشيطان
لأن صلاتنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا لله رب العالمين .

□□□

لكن واضحا من كلام الرسول عليه السلام أن الصلاة اذا لم توجد راحة فلا تكون صلاة .

فمن حيث الشكل والاسلوب والاداء — كما نقول اليوم — ثبت أن الرسول عليه السلام قال — وهو يرى مصليا معجلا ينقر فى صلاته نقرا — عن ذلك الرجل « كأنه لم يصل »

ومن حيث الموضوع والمحتوى فان صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ليست ابدا بصلاة .

وانما هى تماوت يميت على المسلمين دينهم كما اشار عمر بن الخطاب عليه رضوان الله . .

□□□

ولكى نستطيع أن نجد الراحة بالصلاة يجب أن نهيىء اسباب الاداء الصحيح لها شكلا وموضوعا . . ففى نطاق الفرد طهارة لا تتقبل الاثم ، ولا تسيغه أن يستمر اذا وقع ، ولا تلبث أن تغسل آثاره بالتوبة ونفس لا تستمرىء الكسب الا حلالا ، ولا تعيش على الناس عالة ، وقلب اذا أحس القوة لم يجنح الى الكبرياء ، وان استشعر الضعف لم يرتكس فى المذلة أو الحقد .

واستعداد دائم لأداء الحساب أمام الله عن النفس والاسرة ، وكل ما دخل فى نطاق المسئولية ضاق ذلك أم اتسع .

ومن نطاق الامة تباعد عن الشح والانانية ، والترف والتبذل ؛ وتأهب فعال للجهاد والتضحية ، وبث الحقيقة وحمل الرسالة ولو الى أقاصي الارض ؛ في محبة مطلقة للمؤمنين ، وشدة شديدة على المقاومين والمحاربين .

□□□

وبلال يرفع الاذان قرير العين ساكن البال

يقف في صف كأنه صف الملائكة حيث ينتهي به المكان

لا يدافع عن موقف لانه فقير ، ولا عن منزلة كرامة لانه أسود

ولا عن حق لانه ضعيف

لو عمل لأخذ اجره على تمامه قبل أن يجف عرقه

ولو استأذن على عمر لدخل بسابقة الايمان قبل ابي سفيان

ولو اقعده ضعف أو شيخوخة فله في بيت المال سبيل الى الامان

أما بعد أيها الناس فنحن عبيد الله لا محالة

نعيش أطوارا محتومة بقضائه وننتهي الى حساب عنده

وليس لنا مفر من الله الا اليه

ولذلك يرحمنا ويشرفنا باستقبالنا خمس مرات اليه ، يؤتينا من نوره ماتجدد به العزم ، ونستأنف النضال والصيال .

فمن كان سبيله غير هذا السبيل ، فانما فراره من صعوبة الى مصيبة . ومن قلق الى هم وداهية

واذا سألتم لماذا تظلم دروب الحياة كل هذا الاظلام

فان لكم جوابا لبقا حسيفا من مدرسة في جامعة ميلانو

هي الدكتورة الدارسة فاجليري التي تقول :

لقد اشتد الظلام بهجران القرآن

وهل آلة الصلاة ومادتها غير القرآن ؟

□□□

ليت شعري هل تنهض العدالة في الارض كما نهضت ذات يوم ؟

هل تعلو كلمة الحق كما علت فأضاءت الارض في ذلك العهد ؟

هل تصبح الموازين هي العمل والتقوى والفداء في الله ؟

هل يرتفع في الآفاق صوت صادق الاداء كصوت بلال ؟

فتجد الانسانية المعذبة تلك الراحة الحقة دون راحة القرار القلقة التمسة في حمأة الشيطان . .

ونسمع صوت الرسول الكريم ونحس أبعاد كلمته المنيرة الخالدة

« ارحنـــا بهـــا يا بلال » !

هل الاسلام دين سلام ؟

للشيخ : محمد محمد أبوخوات

المدرس الاول بالازهر ـ الاسكندرية

كلما احتفل المسلمون بذكرى الهجرة النبوية ، ثارت ، تساؤلات تتناول اسباب الهجرة ، وما حدث فيها من احداث معجزة ، وقد تتفرع عن هذا احاديث تتناول حقيقة هذا الدين ، ادين حرب أم دين سلام ؟ .

واذا كان هذا الدين دين سلام ـ كما يصفه دعاته ، وكما يبدو من حادث الهجرة ـ فلماذا حمل المسلمون السلاح ؟؟ .

ونحن من جانبنا ـ انطلاقا من حادث الهجرة وبمناسبته ـ نعطى هذا التساؤل حقه من البحث ، اسهاما فى تجلية أمره للمتسائلين ، وردا مقنعا ـ ان شاء الله ـ على المتحاملين ، فنقول وبالله التوفيق ..

أولا : الاسلام دين سلام ، سواء فى دعوته ومبادئه ، أم فى واقع اعتناقه ونشره ..

أ) الدعوة والمبادىء .

فأما الدعوة فهى بطبيعتها دعوة الى السلام ، وذلك لان اكثر ما يثير الخلافات بين البشر ، شعور الجماعة بوضع متميز ظالم يفرض عليها لصالح فرد أو افراد .... ودعوة الاسلام تجردت عن هذا المعنى تجردا كاملا سواء فى ذات المدعو له سبحانه وتعالى ، أم فى شخص الداعى ..

فأما ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فقد دعا الاسلام للايمان به ، على أساس من العدل يلجىء كل ذى عقل غير معاند الى الايمان به ومحبته والخضوع له ، .. فعن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى خلق السموات وما فيها من أجرام ، وخلق الارض وما فيها من معادن وماء وزروع وثمار ، وخلق الانسان نفسه وما يميزه عن غيره من أسباب التكليف والتكريم ، وذلك كله من غير أن يزعم احد ـ سواء من الداعى أم المدعوين ـ بأنه هو الذى خلق ، أو

بأن شيئا من هذه المخلوقات ، هو الذى خلق غيره ، مع اعتبار حب الانسان للعدل والشعور به فى نفسه لدرجة ان يسأل . افمن يخلق كمن لا يخلق ؟ .

اقول . عن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى ذلك كله وغيره ، مما زخرت به صفحات الكتاب الكريم ، يشعر المدعو الى الايمان ، بأن المدعو له حقيق بالايمان به ، جدير بالخضوع له ، وبأن من الظلم العظيم سلب حقه فى العبادة واعطاء هذا الحق لغيره من شمس أو قمر ، أو نبات أو انسان أو حجر ، ومن هنا اعجب المشركون بأسلوب القرآن فى دعوته للخالق ، واخذوا به وتحيروا فقالوا . « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ،

واعتمدت الدعوة على تأثير القرآن فى نفوس العرب حتى جعلت مجرد سماع المشركين لآياته الباهرات هدفا من اهدافها . « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ... ولقد بلغ من تأثرهم به أن تواصوا . « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » ...

وهذه الطريقة فى الدعوة الى الله طريقة سلام ما فى ذلك شك ، لانها تعتمد على الاقناع العقلى ، والايقان النفسى دون تقلد قوس او امتشاق حسام ، ولكن اصحاب الزعامة الدينية ، والأغنياء السادة المستغلين للتجارة والزراعة والناس من العبيد والفقراء ، تصوروا فى الدعوة الجديدة سلبا لزعاماتهم وقضاء على استغلالهم ، فوقفوا ضد الدين الجديد يحاربونه بكل ما يملكون ، على أن هناك طائفة ثالثة تحجرت عقولها وعميت بصائرها فلم تعرف الى الحق أى سبيل ...

هذا ما سلكته الدعوة بالنسبة الى ذات الله والايمان به . وان شئت فاقرأ الآيات من أول سورة الرعد ، أو آيات سورة النمل من قوله تعالى . (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أم ما يشركون ؟ .. الى قوله تعالى . (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والارض اله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) .. بل ان شئت فاقرأ القرآن كله تجد الدعوة الى الله قد تجردت عن كل ظلم وقسر ، فهى كما ترى تطلب من المدعوين — بالحق وبالعدل — الايمان والخضوع لمن يستحق الايمان والخضوع ...

وأما شخص الداعى ، فقد حرص على ابراز عبوديته وخضوعه لمن يدعوهم للايمان به والخضوع له ، وعاضده القرآن فى ذلك أيما معاضدة فلم يطلب لنفسه ، ولم يطلب له القرآن وضعا متميزا على غيره من المدعوين . « ان عليك الا البلاغ .. ان انت الا نذير . قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ...

ولئن كانت نشأة النبى وحياته نشأة الفقراء وحياتهم ، مما جعل المعاندين يأنفون أن يؤمنوا برسالته ، لقد كان لهم من مقام أرومته وأصالة محتده ومنزلة آبائه ، ما يجمعهم عليه ان كانت دوافع ايمانهم بصدقه ترتبط بعراقة الاصل ومجد الآباء والجدود ...

وبهذا ثبت أن طبيعة الدعوة ، من حيث ذات المدعو اليه وهو الله سبحانه ، ومن حيث صفات الداعى الأصلية ، وما تحلى به بعد تكليفه بالرسالة ، طبيعة سلام ، لأن سلاحها الحق والعدل .

وأما المبادىء التى دعا اليها داعية الاسلام ، فهى مبادىء أمن وسلام ، واصول حياة تقوم على المحبة والنظام ، ونحن اذا استعرضنا قدرا من أهم المبادىء والأصول التى قام عليها هذا الدين ، على أنه علاقة بين العبد وربه ، وتنظيم اجتماعى وسياسى واقتصادى بين البشر تبين لنا صدق دعوانا حتى لكأن المقصود بكل مبادىء الاسلام وأصوله وقضاياه الكبرى هو تحقيق السلام والأمن والنظام ، برغم ما يلقيه بعض النـــاس من أحجـــار فى هـــذا الخضـــم الواسـع ، فمهما يلقوا فى البحر يغرق . .

فتنظيم العلاقة بين العبد وربه ، من صـــدق الايمان وكامل الايقـــان ، والصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه المطلوب كما قررته الدعوة فى كتابها وعلى لسان الداعى ، أمر يملأ نفس المؤمن معـــرفة للحق — وانفعـــالا بمعانى العدل ، وحبا للخالق يدعوه لطاعته ، فيأتمر بما أمر وينتهى عما نهى ، وهذا كله يصنع من المؤمن انسانا يتخلق بأخلاق الله من العدل والرحمة والأمن والسلام ، مع استحضار حصر الدعوة كلها فى رحمة الله بالخلق ، وما ارسلناك الا رحمة للعاملين . . .

وهذه المعانى تنعكس على علاقة المؤمن بغيره من المخلوقات كلها ، علاوة على مافى الصلاة والزكاة والحج والصيام ، من تجسيد هذه المعانى فى علاقة كل مؤمن بغيره من المخلوقات ، وهذا شىء واضح . ، وكذلك تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين الناس ، لم يكن له من هدف فى الاسلام الا أن تقوم هذه العلاقات على العدل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، مع ما يغرسه فى نفوس معتنقيه من المحبة والاخاء والايثار .

وبهذه العجالة نستطيع أن نحكم — مستريحى الضمير — بأن الاســـلام فى دعوته ومبادئه دين سلام يكره العنف والاذلال والاعنات ، لانه يكره الظلم ويقيم للحق والعدل أعلى الدعامات . . .

ب) تاريخ الاسلام وواقع نشره واعتناقه .

أما أن الاسلام — من واقع نشره ، وتاريخ اعتناقه — دين سلام ، فذلك باب واسع ، يطول بنا البحث لو قصصنا الاحداث التاريخية والوقائع المروية عن الثقات من الرواة ، التى تدل عليه . .

فالاسلام عقيدة يمتلىء بها القلب والوجدان فيندفع الانسان — بها ومن أجلها — الى القيام بمختلف العبادات التى تدل على صدق المعتقد فى اعتقاده ، ولئن كانت العبادات الظاهرة صالحة للمراقبة البشرية والحساب الدنيوى ، فان العقيدة القلبية لا يمكن أن تكون محلا للمراقبة والملاحظة ، لأن عقيدة أى شخص سر من اسرار نفسه ، لا يعرفها على الحقيقة سواه ، ومن هنا لم يكن من الممكن كشف المنافقين الا عن طريق الوحى . . ولننظر . بماذا تكون نجاة المسلم ؟ أبقيامه بالعبادة الظاهرة دون ايمان وايقان ، أم الايمان بالخالق وما يجب له من العبادة والخضوع ايمانا يدفع صاحبه راغبا للعبادة والخضوع ؟ .

وهذا الايمان المطلوب لا تمكن مراقبته ، لانه أمر نفسي . كما لا يمكن القسر عليه ، لان العقائد لا تكتسب بالقوة ولكن تتحقق بالاقناع .. والا فماذا صنعت قريش حين لجأت الى تعذيب من آمنوا بمحمد ورسالته بأقسى أنواع التعذيب ؟ ...

هل ردوا أحدا بالقوة وعن طريق القسر عن ايمانه ؟ وهذا جانب من البحث له دلالته على ما نحن فيه .. وفرق بين رجلين يقفان فى صف واحد . احدهما يؤمن بأن عقيدته تستحق أن يبذل فى سبيلها نفسه ، لأن بقاء عقيدته أسمى وأعز عنده من بقاء نفسه ، والآخر يأتى الى الصف بلا عقيدة ، فان تحقق النصر فهو مع المنتصرين ، وان راى الهزيمة فر وتولى لا يلوى على شىء . فعلى مثل الاول قام الاسلام ونهضت مبادئه ، وعلى مثل الثانى تضيع المبادىء والمنادون بها جميعا ...

واذا كان معنى الدعوة الى الاسلام غرس عقيدة مكان عقيدة ، فهل باشر محمد مع من آمن به فى أول الأمر شيئا من أساليب الضغط او الاكراه ، وهو الفقير الذى لا يستطيع ان ينثر الذهب على تابعيه ، البعيد عن مجالس الحكم والرياسة والجاه ، بحيث لا يطمع طامع ان ينال من آثار هذه المجالس أدنى نصيب ؟! ... وحين يحدثنا رواة التاريخ عن الحقبة التى قضاها النبى فى مكة قبل الهجرة ، لا نجد فى حديث واحد منهم ، سواء المسلم وغير المسلم ، ما يدل على ان محمدا اكره أحدا على الايمان بالله وبرسالته ، بأى نوع من أنواع الاكراه ..

وبعد الهجرة ، يثبت التاريخ ان الدعوة الى الله لم تأخذ صورة العنف ابدا ، فقد دخل الرسول يثرب وما يكاد يوجد فيها بيت فيه مسلم ، وتقبل الأنصار وجود المهاجرين معهم ، واوسعوا لهم فى السكن وفى العمل وفى القلوب جميعا ، وأحلوا الرسول من ذلك كله محل الكرامة والعزة والمنعة ، ومع ذلك لم يقاتل اليهود الموجودين بها ، بل عقد معهم المعاهدات التى تجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولما صارت للمسلمين بالمدينة دولة أصبح عليهم — كما تقضى بذلك سنة العمران — ان يحافظوا على حدود دولتهم ، وعلى حقوق مواطنيها من المسلمين وغير المسلمين ، وان يمنعوا عنها بالقوة — اذا لزم الامر — كل من يحاول ان يعتدى على حرماتها او يخترق حدودها ، وذلك شىء من طبيعة العمران لا شأن للدعوة الى الله او لغير الله فيه . ونخلص من هذه النقطة ، بأن الدعوة الى الله فى المدينة هى نفس الدعوة اليه فى مكة وفى كل مكان ، سبيلها الاقناع بالحق وبالعدل .

ورغم الغزوات التى خاضها المسلمون بقيادة الرسول الكريم ، والتى اضطروا فيها لحمل السلاح دفاعا عن دولتهم ومواطنيها ، فاننا لا نعدم فى كل غزوة منها روح السلام تبدو من جانب المسلمين ، وروح الاعتداء والغدر والتفاخر بالقوة تبدو من الجانب الآخر ...

ويروى التاريخ أن من كان يبعثهم الرسـول لاسكات من يشغبون على الدولة ، كان يأمرهم بألا يقاتلوا الا المقاتلة ، أما المسالمون والشيوخ والنساء والمستضعفون ، فعلى قادة البعوث الا يتعرضوا لهم بسوء ، ومن هذا القبيل قول الله تعالى : « فلا عدوان الا على الظالمين » ..

ويروى التاريخ بمداد من نور موقف النبى والمسلمين فى الحديبية ، ففى سبيل حقن الدماء ، ورغبة فى السلام للجميع قبل النبى شروط الصلح التى عرضها اهل مكة ، رغم ما فيها — فى ظاهر الامر — من اجحاف بالمسلمين الذين كانوا يستطيعون القتال لو كانوا يريدونه ، فقد كانوا الفا واربعمائة ، كل رجل منهم يحب الموت اكثر من حب غيره للحياة ...

كما يروى التاريخ ان النبى يوم فتح مكة أوصى خالدا بعدم القتال ، وكان خالد قد قاد جزءا من جيش المسلمين عن طريق أسفل مكة (المسفلة) ، وقاد النبى سائر الجيش من طريق أعلى مكة (المعلاة) ، وعزل سعد بن عبادة لما بلغه عنه انه تكلم بلسان الحرب فى موكب السلام ، وامر ابا سفيان أن ينادى بالأمن والسلام لكل من يفعل اى فعل يدل على رغبته فى السلام ، فمن القى سلاحه ومن دخل المسجد وحتى من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، وقال لمن اخرجوه منذ ثمانى سنوات بعد أن دبروا قتله ، وقد كانت حياتهم وموتهم على كلمة منه يومئذ ، قولته الخالدة . اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وعاتب خالدا عتابا شديدا لما بلغه انه قاتل ، حتى اعتذر خالد بأنه لم يقاتل الا من بدءوه بالقتال .

وبعد الفتح زال الحرج الذى كان مسيطرا على أكثر قبائل العرب ، الذين لم يريدوا أن يغضبوا قريشا ، ولا يودون محاربة الرسول ، فدخل الجميع — دون قتال — فى دين الله أفواجا ...

ثم لنقف هنا وقفة لنسأل الذين يرمون الحديث من أفواههم ، ترديدا لمن سبقوهم به ، أو انفعالا ببعض المواقف دون بحث ظروفها وأسبابها ، فيقولون . ان هذا الدين فرض على المؤمنين به بالسيف والقوة ، لنسأل هؤلاء . اى الاوقات بعد الهجرة وبدر كان أخصب فى ظهور الدعوة وكثرة المؤمنين بها ، أوقات التربص والخوف أم أوقات الصلح والامن والسلام ؟؟ . ان التاريخ الصادق يحدثنا أن عدد من آمن بهذه الدعوة فى ظل الامن والهدوء والحرية والسلام فى سنتين بعد الحديبية يفوق اضعافا مضاعفة من آمن قبل ذلك فى خمس سنين فى ظل التربص والحذر والخوف — ... افبعد هذه الحقيقة الواقعة الدامغة ، يكون هذا الدين من واقع نشره والايمان به دين حرب واعنات واكراه ؟؟ .. وهل تصلح هذه الصفات وسائل لتثبيت عقيدة أو تخليد مبادىء أو تأسيس حضارة ، اللهم ان العقيدة ثابتة والمبادىء خالدة والخضارة قائمة ، ولا يمكن أن ينهض هذا كله على الاكراه والاعنات ... وصدق الله العظيم . «لا اكراه فى الدين» . « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .. ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ... ومن هذا القصص التاريخى المختصر يتبين لنا أن هذا الدين من واقع نشره واعتناقه ، لا تزدهر مبادئه ، ولا يربو عدد تابعيه الا فى ظل الامن والسلام ...

كتاب "ميلاد الفرق في الإسلام"
أو مدخل إلى دراسة الدين الإسلامي

تأليف : هنرى لاوست

عرض وتلخيص الدكتور محمد غلاب

مؤلف هذا الكتاب استاذ شهير فى الكليج دى فرانس ، وقد الف قبل هذا الكتاب دراسات عن الاسلام ک « محاولة على المذاهب الاجتماعية والسياسة لابن تيمية » و « رسالة عن الحق العـــام عند ابن تيمية » وهى ترجمة مهمشـــة ل « السياسة الشرعية » تأليف ابن تيمية . و « عقيدة ابن بطة » و « الخلافة فى رأى رشيد رضا » وهى ترجمة مهمشة ايضا لكتاب « الخلافة » لهذا الاخير .

وغاية هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن ــ كما يقول المؤلف فى تمهيده ــ هى أن يقدم الى الطلاب الجامعيين الغربيين ، والصفوة العقلية المتطلعة الى التثقف ، سفرا أكثر شمولا وتعمقا فى الفروع المتباينة ، وانواع الثراء الداخلى للاسلام الذى اصبح دوره عظيم الاهمية فى العصر الراهن ، الذى صار من الضرورى فيه أن تتبادل الاديان الكبرى فيما بينها علائق التفاهم والاحترام .

موضوع هذا الكتاب اذن هو تقديم عرض واف للاختلافات الداخلية التى وقعت بين مدارسه وشيعه التى يطلق عليها اسم « الاسرة العقلية العظمى » والتى اختفى كثير منها على مر الزمن ، ولكن عددا منها ــ ولا سيما أقدمها ــ قد برهن على حيوية قوية قمينة بمقاومة الزمن .

ولـــا لم يكن من الممكن وجود عامل اقوى فى ابراز النشاط ، واستحقاق الاجلال والخلود من عامل التباين فى الآراء والاختلاف فى الفكر ، فقد كان من الطبيعى أن يكون موضوع هذا الكتاب الذى يهدف الى الكشف عن الثراء العقلى فى الاسلام ، هو ابانة هذه الاختلافات .

ولـــا كانت هذه المذاهب وتلك الشيع أبعد ما تكون فى الاختلاف بينها ، فقد صح لدى المستشرقين أن يطلقوا عليها عنوان « الانشقاقات الداخلية أو التشققات فى الاسلام » .

نبذ المؤلف منهج دراسة هذه الفرق مستقلة بعضها عن بعض ، بمعنى انه لا يعنى فيها الا بالتحليل وحده وسبر اغوار كل فرقة على حدة سائرا على النظام التالى : اى السنية ، والخوارجيـــة ، والشيعية ، والاعتزالية ، والفلسفية ، والصوفية ؛ لأن من عيوب ذلك المنهج الذى نبذه انه لا يسمح للدارس بابراز علائق كل منها بالاخريات ولا بفهم الظروف التى أحاطت بها ، ولا بايضاح الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما ؛ ولا بتحليل الاحداث السياسية والاجتماعية التى احدقت بها . واذن فقد فضل المنهج التاريخى الذى سمح له بالنجاة من هـــذا المأزق ، وان كان قد الجأه الى تخصيص مكان واسع للتاريخ . ولذا يشير الى ان كل مذهب من تلك المذاهب الاســـلامية له جوانب سياسية واقتصـــادية واجتماعية ، لا يمكن فصلها فى سهولة عن مظاهره المذهبية . وهذا ناشىء عن انه لا ينبغى الاغضاء عن أن الناحيتين الروحية والمادية فى الاسلام مرتبطتان ارتباطا غير قابل للانحلال .

ولكى يكون هذا المنهج نزيها ومحايدا ــ كما يحدثنا المؤلف ــ يجب الا يصدر مبتدئا من مدرسة معينة يدرس الباقيات على ضوئها ولو كانت أكثرية او ظافرة بالرجحان ، بل هو يقتصر على دراسة الظروف والاوقات والبيئات التى نشأت فيها هذه المدارس وتطورت عبر التاريخ ، كما يعول فى دراسته على المؤيدات السياسية التى سندتها ، والخصوم الذين شوهوها او هاجموها ، فاذا فرغ من هذا ، شرع فى تحليلها ، ووضع طوابعها التى تميزها عن سوابقها ولواحقها ، وأبان زعماءها وعلماءها .

يتألف هذا الكتاب بعد التمهيد الذى اشرنا اليه آنفا ــ من احد عشر فصلا وخاتمة علمية تحليلية طويلة . فأما الفصول العشرة الاول ، فقد خصصها لدراسة الشيع والفرق مقترنة بتاريخ الخلفاء وآرائهم ، منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى نهاية القرن الثامن عشر . وأما الفصل الحادى عشر ، فانه يهجر فيه التاريخ نهائيا ويخصصه لتلخيص واف يحتوى اهم الحركات الدينية والسياسية والاصلاحية او التطورية . وأما الخاتمة فهى تعنى على الاخص بالنقاط البارزة التى يحدث فيها الجدل من كل مذهب ، والتى تسفر المناقشات فيها عن اتفاقات جامعة ، او اختلافات مفرقة . وقد اعتمد فى هذا كله على آراء علماء المسلمين الادقاء التى وردت فى كتبهم المعتمـــدة . ولم يعول فى هـــذه المناقشات على الباحثين الغربيين الا قليلا وفى كثير من التحفظ والاحتياط .

عرض سريع :

يبدأ مؤلفنا هذا العرض السريع بانه لا يكاد النبى صلوات الله عليه يلتحق بالملأ الاعلى حتى تبدو مسوغات الانشقاقات ، وسر هذا كله هو أولا اختلاف الامزجة والاهواء والغايات بين الصحابة الذين انبجست منهم منابع الخلاف . ثانيا : سخط الذين آمنوا فى مبدأ الرسالة على من آمنوا اخيرا !! وكان الاولون يتهمونهم بالانتهازية ، بل وصل بعضهم الى حد القول بأن عددا من المسلمين الاخيرين لم يؤمنوا الا للفوز بالغنائم والمناصب ، ورغم هذا وضعوا فى صفوف السابقين ، وعلى نفس مستواهم بلا تفريق ولا تمييز !! ثالثـــا : تمرد البدو والمنقسمين على أنفسهم فى الشمال والجنوب ، والذين كانوا حديثى عهد بالاسلام من جهة ، وساخطين على تقدم قريش عليهم فى الرياسات من جهة أخرى . غير أن قوة الخليفتين الاولين ، وحزمهما وايمانهما وشجاعتهما قد قضت على هذه الفتنة الاولى فى مهدها . على أن هذه الجهود الجبارة التى بذلها ذانك الخليفتان العظيمان لم تمنع بعض متأخرى الشيعة من مخـــالب الهررة التى حاولوا ان

يخدشوا بها تصرفاتها الحكيمة فيما نقله مؤلفنا عن ابن تيمية وابن كثير ، كان أخذوا على ابى بكر مثلا انه غاصب للخلافة فرضه عمر بن الخطاب على المؤمنين فرضا ، وانه اعتبر منع الزكاة ردة يستحق عليها فاعلوها القتل ، وقتلهم فعلا ، وانه ارتكن على حديث آحادى لم يروه الا هو ، فمنع فاطمة من ميراث ابيها . وأسندوا الى عمر عدم تطبيق الحدود كما وردت عن الله ورسوله ، وانه منح عائشة وحفصة ابنته نفقات أكثر مما تستحقانه .

ولكن التشققات الحقيقية الاولى ، قد بدأت تكشر عن انيابها فى عهد عثمان وانتهت بقتله . ذلك الحادث الجلل الذى تسببت الاحكام المتباينة عليه — فيما بعد — فى اختلافات جسيمة من جانب اهل السنة والشيعة والخوارج . وعلى أثر ذلك فتحت مسألة خلافة الامام على كرم الله وجهه أبواب الانشقاق الاول ، وهو وجود عصبة الخوارج والاحكام التى صدرت عليها فى القرون التالية ، ونشأة الشيعة المغـــالية التى رمى مؤسسوها الاولون بالزندقة ، ثم انتشار الشيعة بوجه عام وفى شيء من العنف بعد فاجعة كربلاء .

ثم يتابع المؤلف بعد ذلك دراسة نشأة الفرق الشيعية المختلفة على مر الزمن مع أحكام علماء الاكثرية لها أو عليها كالكيسانية ، والحربية ، والبيانية ، والباقرية ، والمنصورية . وكذلك نشأة المرجئة . ثم يستمر فى دراسة الخوارجية بأفرعها الثلاثة : الصفرية ، والاباضية ، والازارقة ومناضلاتها السياسية والدينية ضد الامويين . ثم يحدثنا كيف أن خلفاء بنى امية — بعد أن حطموا الشيعية والخوارجية — يهاجمون القدرية التى اسسها معبد الجهنى ، والجهمية التى اسسها جهم بن صفوان . ثم يصل بعد ذلك الى المعتزلة فيحدثنا أنها نشأت فى اواخر حكم بني امية ، وان مؤسسها هو واصل بن عطاء ، وانها كانت فى اول أمرها مذهبية محضة قبل أن تختلط بالسياسة وتظفر بالاهمية العظمى ، وتتأرجح بين عواصف أهواء الخلفاء فى العصر العباسى . ولم تكن المعتزلة وحدها هى التى قاست أهوال الخضوع للخلفاء ، بل ان الشيعة أيضا قد كان لها معهم مواقف عنيفة ، فلم يكد الخلفاء الاولون من العباسيين ينتهون من القضاء على الامويين حتى تفرغوا للعلويين فصبوا جام غضبهم واضطهادهم على الشيعة عامة ، والزيدية خاصة . وليس هذا فحسب ، بل ان الفروع الشيعية التى نشأت بعد جعفر الصادق كالناوسية ، والموسوية ، والخطابية وغيرها من المذاهب والفرق التى نشأت فى ذلك العهد ، والتى كان تعددها وتعارضها سببا فى تكون المذهب السنى وتسميته بهـذا الاسم أملا فى العثـور على الصراط المستقيم الذى يقتاد اتباعه الى اهداف الرسول التى لم تشوهها البدع ، ولم تنل منها الاغراض . وكان من بين المؤسسين الاولين لهذه الجماعة تحت اسم « اهل السنة » عدد من تلاميذ الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وابو قلابة ، وابو حنيفة ، ومالك بن انس .

ولـــما ولى المأمون الخلافة اراد محو الشقاق بين العباسيين والعلويين بحجة أنهم جميعا هاشميون ، فدعاه ذلك الى رعاية الشيعيين وحمايتهم لانهم أنصار اهل البيت الهاشميين ، وقد سند الاعتزال ، وايد المعتزلة بكل ما لديه من قوة ، بل صار هو نفسه معتزليا مقتنعا قوى الشكيمة ، ولكن هذه المناصرة للمعتزلة جعلتها تطغى وتضطهد زعماء أهل السنة ، وعلى الاخص الامام احمد بن حنبل الذى يحدثنا ابن الجوزى أن الخليفة المعتصم قد أمر بجلده وسجنه فجلد وسجن ، ولم يظفر بحريته الا بعد ثمانية وعشرين شهرا .

بيد أن هذا لم يدم طويلا ، اذ لم يكد الخليفة المتوكل يلى الحكم حتى جعل رد الفعل يظهر ويتجلى فى حياة اهل السنة فيستعيدون قوتهم ويكافحون ضد الشيعة والمعتزلة .

وليس هذا فحسب ، بل ان شأن هذه الجماعة جعل ينمو ويعظم . وفي ذلك العهد ظهر فيها عدد من العلماء حملوا لواءها بهيئة مشرفة ترفع الرؤوس ، وتسجل مواقف العقلية الاسلامية بأحرف الخلود كالترمذى ، والنسائى ، وأبى بكر الخلال ، وأبى بكر السجستانى ، وعلى الاخص توجت أعمالها فى هـــذه الحقبة بمنتجات أبى الحسن الاشعرى الذى كان مذهبه على قمة الاعتدال بين الحنابلة والمعتزلة ، والذى رفع نجاحه رأس أهل السنة خاصة ، وعلماء الكلام عامة . وقد ظلت الحال على هذا المنوال من التقدم ووفرة الانتـــاج حتى تم الامر لأسرة البويهيين فى سنة ٣٣٤ هـ وجعل الخلفاء السنيون يضعفون شيئا فشيئا ، ويهبط معهم حظ أهل السنة من التلألؤ . وكان الاشعرى قد توفى منذ سنة ٣٢٤ هـ .

وعند ذلك رفعت طوائف الشيعة رؤوسها لا سيما فرعى الاسماعيليين القرامطة . والفاطميين الذين كان لهم فيما بعد شأن عظيم فى مصر ثم فى أصقاع الدروز ، ومعنى هذا أن جماعتى السنية والشـــيعية المعتدلة فى مطلع حكم البويهيين كانتا قد وقفتا على اقدامهما . وكذلك الصوفية كجماعة محددة ، والفلسفة التى ان كانت قد تأثرت بالعناصر الاغريقية ، فانها لا تزال اذ ذاك فى داخل المحيط الاسلامى .

وفى منتصف القرن الرابع الهجرى استولى الفاطميون على مصر ونشروا فيها مذهبهم . وبهذا أحيط مذهب اهل السنة بعوامل المحاربة والاضعاف من كل جهة ، فالفاطميون فى مصر ، والبويهيون فى بغداد قد ضيقوا عليها الخناق ، ولم يبق لها ولى ولا نصير سوى السلطان محمود الغزنـــوى . وفى أثناء هذا الاحداق الخانق من كل الجوانب هب السلاجقة السنيون واستولوا على بغداد فى سنة ٤٤٥ للهجرة ، فتنفس أهل السنة الصعداء ، وجعلت مدارسهم تنتعش . ولهذا كان القرنان الرابع والخامس ساطعين فى المعارف الدينية بأنواعها : فمن أهل السنة ظهر أبو بكر الآجرى ، وأبو حسين الملطى ، وابن بطة العكبرى ، وابو بكر الباقلانى ، والحاكم النيسـابورى ، وأبو منصور البغدادى وامام الحرمين الجوينى ، والامام الغزالى . ومن المحيط الشيعى برز الشيخ المفيد ، والشريف المرتضى ، وأبو جعفر الطوسى فى الشرق ، وابن حزم فى الغرب ، وكان فى عصره أقوى المدافعين عن المذهب الظاهرى .

وعندما هزم الايوبيون الفاطميين فى مصر وسوريا زادت قوة أهل السنة واخذ نجمها فى الصعود . فظهر ابن الجوزى الذى يعتبر كتابه « تلبيس ابليس » موسوعة جامعة لكل المذاهب المغالية والشيع المتطرفة التى نبذها أهل السنة وهاجموها مهاجمات تتفاوت عنفا ولينا بتفاوت ابتعادها فى رأيهم عن مبادىء الدين .

وفى أواخر ذلك العصر ازهر امام العارفين محيى الدين بن عربى ، وكان متمتعا برعاية الملك الاشرف الايوبى فى دمشق تلك الرعاية التى انبثق منهـــا هدوؤه الصـــافى الذى سمح له بتســــجيل تلك النفحات القدسية فى كتاب « الفتوحات المكية » .

بيـــد انه لم يكد القرن الســـادس الهجرى ينتهى حتى تغيرت الظروف والاجواء ، فجعل الخلفاء العباسيون الثلاثة : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر يحسون بشـــدة الضيق من الســلاجقة ، ويفكرون فى التخلص منهم ، وقـــد اضطرهم هذا الى الاستعانة عليهم بوزراء شيعيين دون أن يلتفتوا الى مذاهبهم الدينية ما داموا سيحققون لهم اغراضهم السياسية . ولما تولى الخليفة الضعيف المستعصم ، لم يستطع أن يقاوم غزو المغول الذى لم يكد يتم حتى اعتنق الغزاة

مذاهب الشيعة وتحولوا الى جانبهم ، فملأ نجمهم ، وقويت شوكتهم . ولكن سلاطين المماليك السنيين — بعد أن انتصروا على فلول الايوبيين فى مصر وسوريا — اخذوا يكافحون الشيعية المغولية المنتشرة فى بغداد ، وجعلوا يناصرون المذهب السنى حتى استعاد حيويته وانتعاشه فى القرون الاربعة : من السابع الى العاشر .

ومما ساد فى عصر المماليك بعث الحنبلية الذين كانوا مضطهدين فى بغداد فى عهد المغول ، وقد مثل هــذا البعث على الاخص ابن تيميــة الذى كافح — بمنتجاته القوية فى القاهرة ودمشق حتى وفاته — ضد اسلام المغول المشتبه فيه من أساسه ، وضد الشيعة والمبتدعة ، والباطنية ، وضد المتكلمين عامة ، والاشاعرة خاصة .

وفى نهاية الربع الاول من القرن العاشر الهجرى ، تم للعثمانيين الاستيلاء على مصر بعد أن شنقوا طومان باى آخر سلاطين المماليك ، وفى هذه الفترة عينها حاربوا الشيعة حتى هزموها فى شخص الشاه اسماعيل الذى كان قد جمع حوله الايرانيين والعراقيين والمغول . وبعد أن انتصر السلطان سليم على الشيعة من جهة ، والمماليك من جهة أخرى ، وفاز بسبب هذا ، بلقب السلطان السنى الاقوى فى العالم الاسلامى ، بل أعلن أنه أصبح الوارث العملى للخلافة غير أن النضال ضد أسرة الشاه اسماعيل قد استمر بحظوظ مختلفة ونتائج متباينة . ولم ينقطع الا فى القرن الثانى عشر الهجرى حين عقد نادر شاه معاهدة السلام مع العثمانيين سنة ١١٦٠ هـ .

وفى عهد المماليك والعثمانيين السنيين ، نلتقى بعدد من المتكلمين المتأخرين، والمؤرخين المحققين كعضد الدين الأيجى مؤلف كتاب « المواقف » الذى شرحه الجرجانى ، والدوانى ، وكتاب « العقائد العضدية » الذى همش عليه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وكتاج الدين السبكى مؤلف « طبقات الشافعية » : وابن خلدون . والمقريزى . والسيوطى الاشعرى الشافعى الشاذلى المؤرخ المعروف ، وأبى البركات النسفى الماتريدى الحنفى مؤلف كتابى « العمــدة » و « الكنز » . وقد اعتمد فى تأليف هذا الاخير على كتاب « الهداية » وسعد الدين التفتازانى شارح كتاب نجم الدين النسفى الماتريدى .

وبهذا ينهى مؤلفنا الفصول العشرة الاول من كتابه التى لخصناها تلخيصا عاجلا ، بل خاطفا ، ولم نكد نرسم منها سوى خطوطها العريضة التى دلت على سعة اطلاع داعية للاعجاب بهذا المؤلف المثقف الدقيق النزيه . .

غير أن هذا العرض السريع لم يمنعه من أن يخصص جانبا عظيما من الاهمية للسنية والشيعية المعتدلة ، ولكن ذلك التمييز من جانب المؤلف لم يكن بعنوان السلفية بل بســـبب أهميتها من وجهة أن زعماءهما من اكبر علماء الاسلام . وأن اتباعهما هم الاكثرية الغالبة من المؤمنين ، وأنهما كانتا دائما دين الدولة الرسمى على التوالى ، أو متعاصرتين فى هذه المنزلة الرسمية فى امتين مختلفتين من الامم الاسلامية . وقد دفع هذا الاعتبار مؤلفنا الى الاحساس بهذه الضرورة العلمية . وهى ابراز آراء اكبر علماء الاسلام من هاتين الطائفتين كل منهما فى الاخرى على التبادل ، ثم معرفة آرائهم فى المذاهب الباقية . ولمـا كانت كل طائفة من هاتين الطائفتين تضم بين دفتيها شيعا كثيرة وفرقا متباينة (تنقسم أمتى الى اثنتين وسبعين فرقة) فقد تباينت أحكام كل فرع من كل طائفة على الاخر من اتباعهــا وخصومها . وقد اعتمد مؤلفنا — فى فهمــه وتحليله وأحكامه — على أمهات كتب هذه المذاهب وأساسياتها الرئيسية ، وكتب التاريخ الموثوق بها مثل : (كتاب السنة) لاحمد بن حنبل و (منهج السنة النبوية) لابن تيمية . و (تلبيس ابليس) لابن الجوزى ، و (أصول الدين) لعبد القــاهر

البغدادى ، و (الفرق بين الفرق) لنفس المؤلف ، و (مقالات الاسلاميين) للأشعرى ، وكتاب (الفصل) لابن حزم ، و (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، و (الملل والنحل) للشهرستانى ، وكتاب (الخطط) للمقريزى ، و (الخطط) لابن الاثير ، و (تاريخ الامم والملوك) للطبرى ، وكتاب (الارشاد) للشيخ المفيد ، و (منهاج الكرامة فى معرفة الامامة) لجمال الدين الحلى ، و (فرق الشيعة) لحسن بن موسى النوبختى ، و (فهرست كتب الشيعة) لأبى جعفر الطوسى ، وكتاب (طبقات المعتزلة) لابن المرتضى . وكثير غير هذا من المصادر الاسلامية والاوروبية التى يعتبر مؤلفوها من اعيان الباحثين كـ (ماسينيون) و (هنرى كوربان) و (رينيه بلاشير) و (بروكيلمان) و (دونالسون) و (نادير) وما الى ذلك مما يؤلف مجموعة محترمة من المستندات المذهبية والتاريخية المعتمدة التى سمحت له بأن يجرى تحليلات دقيقة لعلماء المسلمين البارزين كالغزالى ، وابن حنبل ، وابن تيمية ، وجمال الدين الحلى .

ومما يلفت النظر فى هذه الدراسة أن المؤلف هنا قد عنى بمذهب اهل السنة عناية فائقة يبدو من خلالها امتياز هذه الطائفة ورجحانها على بقية الطوائف الاسلامية ، فخصص لها مكانا واسعا فى كتابه تناول فيه نشأتها وطرفيها : السلبى والايجابى اللذين وضعهما لها مؤرخو الحركة العقلية الاسلامية الذين وصفوها فى النظرة الاولى بأنها تنبذ جميع المذاهب التى شققت الاسلام قبل تكونها ، وصوروها فى النظرة الثانية مرتبطة بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة والاجماع المعتبر احكم أنواع الارتباط . ويستنبط المؤلف من هذا أن من العناصر الرئيسية التى هيأت الانتصار الرائع للسنية على جميع الفرق عنصر ذلك الوضع المعتدل بين الشيعة والخوارج . ومن هذه العناصر أيضا الواقعية السياسية التى تأمر بطاعة السلطات الحاكمة ما دامت لا تأمر بعصيان الله ورسوله « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ومن ذلك ايضا الاغضاء عن جميع الانشقاقات التى وقعت بين الصحابة ، أو تصغيرها ، أو تصيد الاعذار لفاعليها بقدر المستطاع . ومن هذه العناصر كذلك اعتبار الخلفاء الراشدين الاربعة شرعيين ، وقبول من جاءوا بعدهم من خلفاء المسلمين وامرائهم مهما قيل فى شأنهم . وقد جعل هذا العنصر الاخير أهل السنة جديرين حقا باسم مذهب (جمع الامة الاسلامية) . ولكى توفق هذه الجماعة بين الآراء الداخلية لدى طوائفها الفرعية اقرت مذهبى اهل الحديث واهل الراى ، ذلك الاقرار الذى لا ادرى لماذا يطلق عليه مؤلفنا — وهو دقيق معتدل — اسم الوسيلة التى تشوبها الصناعة قليلا . وكان ينبغى له أن يسميه بالوسيلة الحكيمة او السياسة الرشيدة . ومن آيات استحقاق هذا الاقرار للرشاد والحكمة ما أنتجه من ثمار مفيدة خالدة .

ومهما يكن من الامر ، فان الدور الذى مثله اهل الحديث واهل الراى وكل ما يتصل بهم على مر الزمن من قريب او من بعيد والخلفاء او السلاطين الذين كانوا ينعطفون نحو المذهب السنى ، والاهمية التى ظفر بها مذهب اهل السنة ، كل ذلك قد فاز بنصيب الاسد من عناية مؤلفنا .

وتلى هذه المنزلة عنده منزلة الشيعة المعتدلة ، اذ يعنى بقيمة زعمائها العقلية والعلمية وبنضالهم القوى ضد غلاة الشيعة ، وضد جميع الفرق التى احدثت تشققات فى الصفوف الاسلامية ، أو فتحت ثغرات فى الامة .

وبعد هاتين المنزلتين العظيمتين ، وضع مؤلفنا المعتزلة الذين صاروا — منذ عهد المأمون وخلفيه المعتصم والواثق — على رأس مدارس علم الكلام . وفى الحق أن هذه الطائفة من المتكلمين الممتازين ، قد طبعت العقلية الاسلامية بطابع قوى سواء اكان ذلك عن طريق التأثير المباشر أم عن طريق رد الفعل الذى تولد

من مجادلاتهم فيما بينهم من جهة ، وما وقع بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى . وقد خصص المؤلف فى كتابه دراسة تحليلية هامة لمبدأ الحركة الاعتزالية ولمؤسسها واصل بن عطاء . وقد تتبع هذه الحركات عبر التاريخ الاسلامى مسجلا اهم الاحكام التى صدرت لهم أو عليهم من أعاظم العلماء السنيين والشيعيين ، وقد اهتم على الاخص بمبادئهم الاساسية وقواعدهم الخمس التى اتفقوا عليها والتى وصفها بأنها قد احتلت المنزلة الاولى فى المجادلات الاسلامية . وبعد ذلك علق على هذه الدراسة التحليلية النزيهة بأن المعتزلة هم مع الفلاسفة ، ابرز فرق المسلمين التى استرعت انتباه الباحثين الاوروبيين وشغلت من مؤلفاتهم عددا وفيرا .

واخيرا خصص مكانا واسعا من كتابه للصوفية وابان كيف أن التصوف — بسبب انبثاق أصوله من الاسلام — كان موضع القبول الذى لا مشاحة فيه ، بل كان فى مرتبة الحب والرعاية والثقة والدعاية من اتقياء المسلمين واذكيائهم . ولكن هذه الخطوة قد تبدلت عندما خضع التصوف للتأثيرات : الهندية ، والفارسية ، والاغريقية . وقد عنى مؤلفنا — فى هذا الموقف كما فى غيره — بتسجيل الاحكام التى دانت التصوف عن دقة وتثبت حينا ، وعن سطحية وتشورية حينا آخر ، وعن اهواء نفسية ، واغراض فردية حينا ثالثا .

الحركات التطورية :

أسلفنا أن الفصل الحادى عشر قد عنى بالحركات التطورية منذ القرن الثامن عشر حتى الان ، فعرض للوهابية وابرز جانبا واضحا من حرص زعمائها على مزج الاسرة السعودية بالمذهب الوهابى حتى جعلوا منهما وحدة لا تتجزأ .

وكذلك لخص ما يدعى « بعصر التنظيمات » فى تركيا . ثم بسط الحديث عن السيد جمال الدين الافغانى ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا ، ثم عرض للحركة المهدية فى السودان حيث يرى أثر الاستعمار البريطانى بارزا ملموسا ، ويشاهد انقلاب الفتن الانجليزية ضد صانعيها ، وانتصارهم حينا ، وانهزامهم أحيانا .

وبعد ذلك يقف هنيهة عند السنوسية فيشرح ميولها وحركاتها الدينية الممتزجة بسياسة الانعزال عن التيارات الاوروبية .

وعلى اثر انتهاء المؤلف من افريقيا يعود الى آسيا ، ويعرض للهند فيدرس فيها الحركات الدينية والسياسية التى لا يفوته أن يسجل أنها لم تدرس كما ينبغى ، وان الباحثين الغربيين لم يمنحوها ما تستحقه من العناية . ومن هذه الحركات مثلا حركتا الفرائضية ، والمجاهدية ، وهما كلتاهما ضد الاستعمار الانجليزى ، وحركتا البهادرية التى يتزعمها السيد سيد احمد خان بهادر ، والاحمدية التى كان يقودها ميرزا غلام أحمد ، وكلاهما من مؤيدى الاحتلال الانجليزى . ولذا كان اكثر ابتداعاتهما خارجا على الاسلام السنى .

وبعد أن يفرغ من هذه الحركات يلقى نظرة فاحصة على حركات : الشيخية التى يتزعمها الشيخ الاحسائى ، والبابية التى يراسها السيد على محمد الشيرازى الملقب بالبابى ، والتى كان لها تاثير سياسى بارز ، وتركت وراءها انتاجا ادبيا رائعا ، والبهائية التى اسسها ميرزا حسين على نورى تلميذ البابى . وهذه الحركات الثلاث الاخيرة متفرعة عن الدوحة الشيعية .

ونحن نرى — بعد القراءة المتمعنة المستانية — انه كتاب قيم جدير بالتداول والتشجيع ، بل نرى وجوب ترجمته لا لنظرته العميقة فى الاسلام وتاييده اياه ، وتادبه الفائق مع علمائه الاقدمين فحسب ، بل لأن مجرد الاطلاع على المراجع الاصيلة التى يسجلها يشعر كثيرا من مثقفى المسلمين النزهاء الحساسين بالخجل العميق لأنهم لم يروها قبل استعراضهم هذا السفر الجليل .

السيدة أسماء

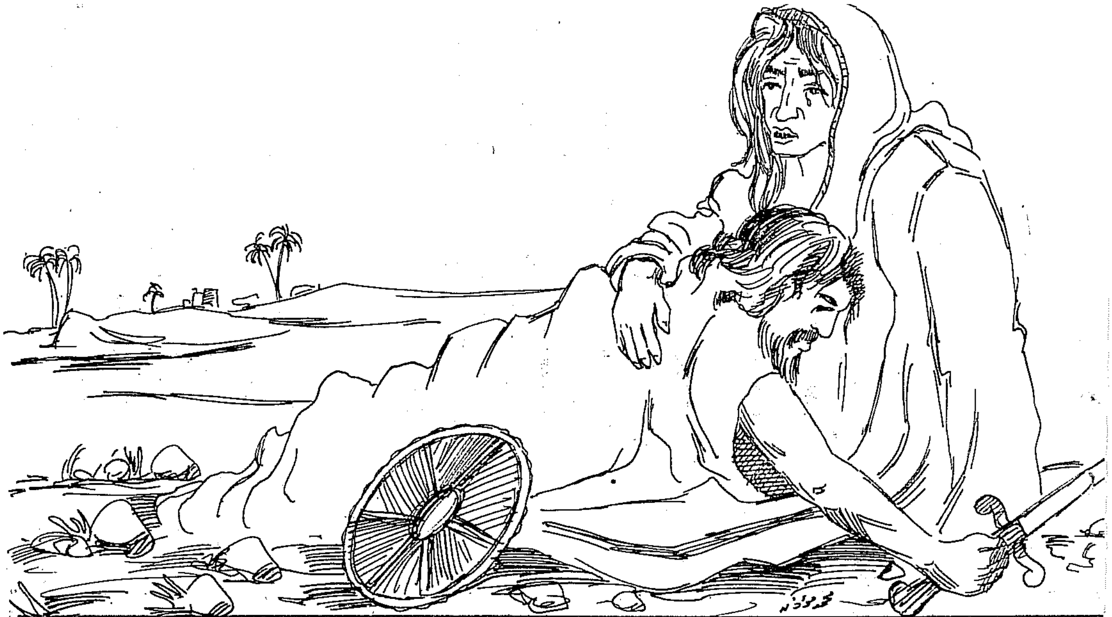
للأستاذ: محمد لبيب البوهي

دار دولاب الأيام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وقد اتم الله نعمته على الناس ، وارتضى لهم الاسلام دينا ، وأشرقت الارض بنور ربها ، وامتلأت عدلا وفضلا وعلما ، وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار مولاه الكريم ، ولحق به بعد ذلك أبو بكر ، ثم عمر ، ثم بقية الراشدين ، وتقف بنا الأحداث عند سيدة مؤمنة فاضلة هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن أبيها وعن كل المؤمنين والصالحين الى يوم تقوم الساعة .

ذات النطاقين

واسماء هى صاحبة القصة المعروفة يوم الغار ، اذ ضربت المثل الأعلى فى الشجاعة فى حادث الهجرة يوم كانت تحمل الطعام الى النبى صلى الله عليه وسلم وأبيها اذ هما فى الغار ، وكانت من الذكاء بحيث أدركت بأن قدميها ستتركان أثرهما على الرمال حين تسير ، فيعرف المشركون المكان ، فكانت تأخذ معها خادما لها يرعى الغنم ، وتسير بحيث تجعل الأغنام من خلفها ، فتطمس الأغنام معالم قدميها ، وقد شدت الى كتفيها اناءين بحزام لها هو نطاق قد شقته ، فجعلته شطرين ، ولذلك سماها النبى صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين ، وهى التى وضعت بعد الهجرة أول مولود يولد فى الاسلام هو عبد الله بن الزبير الذى حملته حين وضعته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتناوله بيديه الشريفتين ثم قبله ، ودعا له بالخير .

هذه مقدمة يسيره عن أسماء ، لندخل بعد ذلك الى بعض الأحداث التى أشرقت فيها فضائل هذه السيدة الكريمة ، فقد كانت قد نيفت على المائة من عمرها ، وما زالت تجلس لتعليم المؤمنين الذين كانوا يأتون الى حلقة درسها من كل فج عميق ، فقد كانت فى شيخوختها مصباحا منيرا من مصابيح العلم ، وامتحنتها بعد ذلك الأيام بأقسى ما تمتحن به امرأة وأم .



ذلك أنه لما تولى معاوية الثانى أمر الخلافة ، لم يرض عنه اهل الحجاز ، وأسرعوا الى عبد الله بن الزبير وهو ولد السيدة أسماء — يبايعونه فى مكة ، لما يعلمون من علمه وورعه ، وعجز الأمويون عن اخضاع عبد اللــه ، فحاربــوه فأرسل عبد الملك بن مروان قائد جيوشه الحجاج بن يوسف على رأس جيش كبير ، فحاصر مكة ، وذهب يضربها بالمنجانيق ، وهى أشبه ما تكون بالقنابــل تصنع من الحجارة ، فتوضع فى المقاليع الهائلة ، ويرمى بها الناس والدور ، وذهب الحجاج يلتمس من أنصار عبد الله ضعاف النفوس ، فيغريهم بالمــال الكثير ، والجاه العريض ، والضعف فى كل زمان ومكان كائــن فى الناس ، والشيطان يغوى هؤلاء بالعاجل من زينة الحياة وترفها ، ويهون لهم ما يكــون من شأن الخيانة وعاقبتها ، ويلتمس لهم من ذات أنفسهم أسبابا ينيم بها ما قد يكون هناك من بقايا الضمير ، فانفض عن عبد الله أنصاره أو أكثرهم ، وبقى وحيدا أو شبه وحيد ، يلوذ بالحرم ، يسأل الله من هذه الفتنة النجاة .

وعلمت أمه العجوز أسماء بمأساة ولدها عبد الله ، وما هو فيه من شدة وبلاء ، وانصراف أعوان ، ووقوفه فى مواجهة الشر الكبير وحيدا .

وكانت الأم حينذاك فى المدينة ، فأسرعت بالسفر الى مكــة ، تتحامل عــلى ضعفها ، وفى قلبها ما يكون فى قلوب الأمهات من الهم والغم ، والاشفاق على ولدها الذى لا تدرى أتصل الى مكة فتراه حيا ، أم تكون سيوف الفتنة قد ناشته من كل جانب ، وأذاقته كأس المنايا ، فلا يقدر لها أن تراه .

وأسرع اليها الحجاج يطلب اليها أن تطلب الى ولدها تسليم نفسه ، وسيضمن له حينذاك العفو والعافية ، وتركها على هذا الرجاء تذهب الى ولدها فى مكانه من داخل الحرم .

وشدت من قامتها حتى علت على الأحداث . وتصــاغرت الدنيا تحــت قدميها ، وتداخل بعضها فى بعض ، وتركت كل شىء جانبا ، وأمسكت قلــب الأم بقبضة من حديد ، ونحت كل عاطفة جانبا لتشد من أزر ولدها بما يجعله يواجه الدنيا والأحداث والفتن بروح المؤمن الذى لا يساوم فى الحق ولا يلين .

لقد لقيها عبد الله قرير العين ، وأسرع فدفن وجهه فى صدر الأم الحنون ، وشعر بدفء الحياة والأمن فى أحضان الأمومة ، ثم أخذ بيدها ، واجلسها الى جانبه ، وراح يلتمس منها نصحا ، فقال رضى الله عنه : « يا أماه لقد خذلنى الناس حتى من كان منهم من خاصة اهلى ، فلم يبقى معى الا الله ، وها هى ذى جيوش الحجاج تحاصرنى ، وان قوتى لن تقوى على مواجهة بأسـهم ، وان رسل الحجاج وعبد الملك يصلون الى تباعا يعرضون على أقصى ما يتمنى المرء من رغد ودنيا ونعيم ، ويضمنون لى الأمن والعافية والسلامة .

ونظرت الأم المحطمة القلب ، الملتـاعة الفؤاد الى ولدها ، واطرقت راسها ، وظن انه لمس وترا من قلبها ، وانها ستوصيه بما توصى به كل أم فى مثل هذه الساعة ، وهى تتمنى لودها العافية والنجاة .

وطال صمتها ، واربد وجهها ، وارتعشت شـفتاها ، وهبت بعد ذلك واقفة كالطود ، واخذت تمسح راس ولدها فى عطف ومودة ، فأسرع مـرة اخرى ، ولاذ برحاب حنانها وعطفها وبرها ، يلتمس آخر ما فى الوجود مـن قطرات الحنان ، وجاءه صوتها هادئا قويا وقورا مستأنيا تشرق كل حروفه بنور الايمـان ..

اى ولدى عبد الله . تلتمس منى الراى والمشورة !؟ انك اعلم يا ولدى بنفسك فان كنت على حق ، واليه تدعو فقد قتل على الحق اصحابك ، فلا تمكن من نفسك بني امية ، وان كنت انما تريد الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك .

وعاودت تمسح راسه في رفق ، ثم ودعته بنظرة تتصارع في وميضهـا اقصي ما عرفته البشرية من حنان وحـب ، وهي تدرك انها تودع أحب الناس فى الدنيا الى قلبها ، لا تودعه وداع السلامة والنجاة من الأحـداث ، وانمـا تودعه وهى تلقى بقلبها الى سيوف الطغيان .

لقد تصورت دماء الولد العزيز تترقرق تحت لحيته ، تحت ضربة منتظرة من سيف احمق مجنون ، فشدت من جفنيها حتى تحبس الدمع بارادة لم تعرف لها الدنيا مثيلا ، وانصرفت وهو ينظر اليها ، وكانها تعلو بقامتها ، وتعلو فوق هضاب مكة وفوق الدنيا باسرها ، واخذ ينظر اليها قبل ان يتوارى شبحها ، وفى اذنيه طنين يملأ عليه رحاب نفسه « لقد قتل على الحق اصحابك ، فلا تمكن من نفسك بنى امية ، وان كنت تريد الدنيا فبئس العبد انت ...

وصرخ صرخة ارتجت لها أعماق نفسـه ، وأسرع من خلفها يصيح بجماع قلبه وروحه وايمانه ، رحماك يا أمى رحماك ... لبيك ربى لبيك .. وحمـل سيفه وحيدا ، وتقدم ليلقى سيوفا ظامئة منذ بعيد الى دمه ، فتوقفت امه لتراه فى معركة لا أمل له فيها . **توقفت الأم لترى السيوف تناله من جميع انحائـه حتى سقط امامها ، فانحنت تقبله ، ولم تزل تضمه الى صدرها حتى أمر الحجاج ان تنحى ، وان تعلق جثته اياما ثلاثة فى مكة عبرة للآخرين .**

وظلت فى مكانها أمامه لم تبرحه ، وكان حديثا صامتا تعجز عن فهمه الدنيا يدور بين روحه وروحها من وراء عالم الفتنة ودنيا الناس ..

كانت عيناه مفتوحتين ، وكأنه يريد أن يعبر بهما تعبيرا يلمس به قلبها ، ويلتمس رضاها ، ويشكرها على برها ونصيحتها ، ويطمئنها على ايمانـه ، ويبشرها بما لقى هناك .

تباركت يا أماه فهل أنت راضية ؟ لقد محضتنى خير نصح يا أماه ... فما دنيا الحجاج !؟ وما دنيا بنى أمية !؟ وما دنيا الناس جميعا بازاء ما يلقاه فى سبيل الحق شهيد ؟!!

الفتاوى

في الايــــلاء

قلت لزوجتي (تحرمي على لمدة اربعين يوما) ولا اقصد الطــلاق ورجعت اليها وعاشرتها معاشرة الازواج بعد اسبوع من اليمين . فما حكم الشريعة .
(ن . ع ــ وزارة الكهرباء والماء ــ الكويت) .

الاجـــابة :

الحلف على تحريم الزوجة المدة المذكورة يعتبره بعض الفقهاء من قبيـــل الايلاء وبعض الفقهاء يرى أن أقل مدة الايلاء أربعة أشهر ، وبناء على ذلك لا يكون قوله المذكور ايلاء .

وبما أن السائل قرر انه لا يقصد به طلاقا ــ فعلى رأى من يقول انه ايلاء فيكون حنثه فى يمينه خيرا قال عليه السلام : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه ، وليأت الذى هو خير ، ويجب عليه كفارة اليمين . وهى اطعام عشرة مساكين يوما أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة وعلى رأى من يقول ان القول المذكور لا يعتبر ايلاء يكون قوله من قبيل الكنايات ، وحكم ذلك انه لا يقع به يمين الا بالنية وما دام لم يقصد طلاقا فلا يقع به شيء ولا كفارة عليه .

الحج عن الغير

شخص مقيم فى الاراضى المحتلة التى اغتصبتهـــا اسرائيل ولا يستطيـــع الخروج منها منذ مدة طويلة وهو مسلم بلغ من العمر أكثر من تسعين عاما . فهل يجوز لابنه أن ينيب عنه فى الحج ويسقط عنه بذلك فريضة الحج .
(عبد الله قدوم) .

الاجـــابة :

الحج من الاعمال التى تقبل الانابة عند الأحناف والشافعية والحنـــابلة ولا تقبل الانابة عند المالكية .

وبما أن الشخص المسئول عنه يعتبر زمنا لكبر سنه فضلا عن عدم تمكنه من تأدية فريضة الحج فيعتبر عاجزا عن أدائه ومن أسباب العجز كبر السن ومنها أيضا وجوده فى مكان لا يستطيع الخروج منه ، فيجـــوز لابنه أن ينيب عنه من يحج عنه ، باعتبار أن ذلك من قبيل البر بالوالدين والاحسان اليهما قال تعـــالى « وبالوالدين احسانا » .

واذا حج عنه فيسقط فرضه ــ ويرى الحنابلة انه لو قدر على الحج بعـــد ذلك فلا يلزم بأدائه مرة أخرى ــ ويشترط فى النائب أن يكون قد حج الفرض .

حج الصبي

رجل يريد الحج ومعه ابنه الصغير وعمره سنة . فماذا يفعل له من أعمال الحج وهل ينوى عنه الاحرام ويطوف عنه .
(ف ــ ق ــ الكويت) .

الاجـــابة :

من شروط وجوب الحج البلوغ فلا يجب على الصبى ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة لقوله عليه السلام : (أيما صبى حــج عشر حجج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام) . والصبى غير المميز لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة أى عمل من أعمال الحج ، ولكن الولى يحرم عنه ، وعليه أن يحضره المواقف ، فيطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة .

وفى الحديث : أن امرأة أخرجت صبيا من محفته وقالت يا رسول الله هل لهذا حج ، قال نعم ولك أجره .

ويتبين مما سبق أن مثل الطفل المذكور لا يصح منه الاحرام ولا مباشرة أى عمل من أعماله ، ويحرم عنه الولى ويحضره المواقف ويطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة ولكن لا تسقط عنه الفرض حين يصل سن التكليف وهو البلوغ .

فى النكـــاح

زنا رجل بامرأة وولدت بنتا من مائه . فهل يصح للزانى الزواج من هـــذه البنت ؟

(حسين عبد الله حسين / قطر) .

الاجـــابة :

يقول ابو حنيفة : ان من زنى بامرأة أو لمسها أو نظر الى العضو المخصوص منها بشهوة ، ترتب على ذلك خرمات المصـــاهرة ، فيحـــرم على الزانى التزوج بفروع المزنى بها ، وبأصولها وتحرم المزنى بها على أصول الزانى وفروعه .

ويقول الشافعية : أنه يجوز للرجل أن يتزوج بنته المخلوقة من مائه زنا لأن ماء الزنا لا حرمة له ، ولكن يكره له نكاحها .

ويقول المالــكية : ان البنت المتخلقة من ماء الزانى فى تحريمها خلاف ، والمعتمد الحرمة .

ويقول الحنابلة : ان وطء الزنا يثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها وحرمت على أبيه وابنه .

وواضح مما سبق أن الأحناف والحنابلة والمالكية يحـــرمون على الرجـــل التزوج من بنته المتخلفة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من بنته من الزنا .

فى الميراث

توفى شخص عن :
زوجتين ، وثلاثة أخوة لام ، وأخ من أب .
فما نصيب كل وارث ؟

(م . ع . ج ـــ طالب بمعهد الامامة بالكويت)

الاجـــابة :

بوفاة شخص عن زوجتيه وثلاثة أخوة لام وأخ لاب ، يكون توزيع التركة بينهم على الوجه الآتى :

للزوجتين الربع مناصفة بالتساوى بينهما فرضا لعدم وجـــود فرع وارث للمتوفى ، وللأخوة للأم الثلث فرضا مثالثة بالتســـاوى بينهـــم ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين ان كانا .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلي

يا حــــاج

من أدى فريضة الحج فى ديارنا يضاف الى اسمه تشريفا وتعظيمـــا لقب (حاج) فيقال مثلا : يا حاج ، أو الحاج فلان ، أو الحاجة فلانة ، فهــل يجـــوز هذا فى الاســلام .

(رمضـان ارسـلان بابا) .
مفتى دارنده ــ تركيا

ونجيب الاخ الكريم بأن هذه عادة مستحـــدثة لم تكن معـــروفة فى عصر الرســـول الـكريم ، ولا فى عهـــد الخلفـــاء الــراشـــدين ، ولا زمـــن الائمة الاربعة ، وانما درج عليها كثير من المسلمين فى العصور المتأخرة ، وقد ذاعت وشاعت ، فأصبحنا نسمعها فى لغة التخاطب بين الناس ، ونقرؤها فى الرسائل ، ونطالعها فى الصحف فى اعلانات التهانى والوفيات ، بل نراها فى بعض البطاقات الشخصية ، وقد اتخذ بعض الناس هذا اللقب وســيلة لتملق الحكام والرؤساء ، أو للتباهى والتفاخر وكثيرا ما نجد هذا اللقب متبوعا بالاسم منقوشا بخط جميل على الحجارة أو الواح الرخام فى واجهة بعض المساجد او المنشآت الخيرية ، أو القبور مثل : انشأ هذا المسجد ولى النعم جنـــاب الوالى الحاج .. او افتتحت هذه المدرسة فى عهد السلطان الحاج .. أو انشىء هــذا السبيل صدقة على روح الحاجة .. او هذا قبر المرحوم الحاج .. وهكذا .

وقد شاهدت بنفسى بعض الذين ادوا فريضة الحج يغضب على محدثه اشد الغضب اذا جرده من هذا اللقب ، ولم ينعته بهــذا النعت ، بل انه ليذهب فى دفاعه عن لقبه (الحاج) وحرصه على أن يضاف الى اسمه ــ الى القول لمن جرده منه بأنه تكبد مشقة السفر الى الارض المقدسة ، وأنفق اموالا طائلة فى اداء هذه الفريضة . كأنه انما سافر وانفق ليشترى لقبا لا ليؤدى فريضة من فرائض الله التى أوجبها على عباده القادرين .

وفريضة الحج كأى فريضة من فرائض الاسلام يؤديها المسلم طاعة لله عز وجل فى اخلاص ورجاء للقبول دون اعلان ولا مباهاة ، ومثل هذه الفريضة مثل سائر الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة ، فكما لا يقال يا مصل أو يا مزك او ياصائم فكذلك لا ينبغى ان يحرص الحاج على أن يلقب بهذا اللقب .

المصاحف العثمانية

ويسأل الاخ أبو فارس من درعا ــ بسوريا ــ عن عدد المصاحف العثمانية ، وعن الموجود منها الآن .

وأحب قبل الاجابة عن سؤال الاخ ان اشير الى ان جميع المصاحف المعتمدة تداولة الآن فى جميع الاقطار ــ هى مصاحف عثمانية بمعنى انها موافقة تمام موافقة للرسم العثمانى الذى كتبت به المصاحف فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، واقره عليه جميع الصحابة الموجودين فى عصره .

والثابت ان هذا الخليفة الراشد جمع القرآن الكريم من الصحف فى مصحف واحد سماه المصحف الامام ، واحتفظ به لنفسه ، وأمر بنسخ عدد من المصاحف على نسقه تكفى حاجة الامة ، وارسل هذه المصاحف الى الاقاليم الاسلامية ، وانفذ مع كل مصحف حافظا ثقة يقرىء اهل الاقاليم ويلقنهم القراءة والنطق الصحيح الموافق لقراءة امين الوحى جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سيدنا عثمان بارسال المصاحف فحسب اذ أن المعول عليه فى نقل القرآن الكريم هو السماع والتلقى ، لا مجرد القراءة والمطالعة .

وقد روى أنه رضى الله عنه استبقى بالمدينة المنورة مصحفا غير مصحفه الخاص ، وامر زيد بن ثابت أن يتولى قراءة القرآن لأهل المدينة ، وبعث عبد الله ابن السائب مع مصحف الى مكة ، وانفذ المغيرة بن شهاب الى الشام مع مصحف الشام ، وارسل الىالكوفة مصحفا مع الحافظ أبى عبد الرحمن السلمى ،وسير عامر بن عبد الله القيس الى البصرة مع المصحف البصرى .

وبهذا يبلغ عدد المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان ستة : المصحف الامام الخاص به ، والمصحف المدنى العام ، والمصحف المكى والمصحف الشامى ، والمصحف الكوفى ، والمصحف البصرى .

وقيل أنه رضى الله عنه أرسل مصحفا سابعا الى البحرين ، وثامنا الى اليمن ، وينقل انه بعث مصحفا الى مصر .

ولا يوجد دليل قاطع على وجود شىء من هذه المصاحف الآن ، ويرجح العلماء أن المصحف الموجود ، الآن فى خزانة الآثار النبوية بالمسجد الحسينى فى القاهرة منقول عن المصاحف العثمانية وليس واحدا من المصاحف التى استنسخها سيدنا عثمان .

المساجد في الكويت

ويستفسر الاخ عبد الله العبد العزيز من الكويت فى رسالته عن عدد مساجد الكويت وتاريخ بنائها واسماء مؤسسيها ، وقد أجاب عن سؤاله فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير ادارة شؤون المساجد فقال :

عدد المساجد بدولة الكويت (٢٢٥) مسجدا منها (٥٣) مسجدا بمدينة الكويت (محافظة العاصمة) و (٣٩) مسجدا بضواحيها و « ١١ » بقراها .

و (٣٣) مسجدا بضواحى محافظة حولى ، و (٥٩) بقراها و (٩) مساجد بمدينة الاحمدى (المحافظة) و (٣١) بقراها .

وايمانا من الوزارة برسالة المسجد ودوره فى التربية فقد قررت انشاء مسجد (الدولة الكبير) على مستوى عالى وعالمى ، وتسمى المساجد بأسماء مؤسسيها أو بأسماء الصحابة والتابعين وتابعيهم من رجالات الاسلام الاعلام .

وقد طبعت الوزارة سجلا مصورا بأسماء المساجد ومؤسسيها وتاريخ بنائها ، وهو موجود بالمكتبة العامة للوزارة لمن شاء أن يستزيد من هذه المعلومات .

بأقلام القراء

الهند فى القرن ١٩ م

كتب الاستاذ حبيب ريحان الندوى المدرس بمعاهد الجامعة الاسلامية بليبيا تحت هذا العنوان يقول :

يعتبر القرن التاسع عشر فى تاريخ الهند الاسلامية قرنا مهما جدا . ففى هذا القرن بدأ الاستعمار الغربى يوطد أركانه بعد فشل الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ وبدأ المسلمون فى الهند يشعرون بكيانهم المستقل وبدينهم وشريعتهم وعلومهم ، فقام العلماء المسلمون المخلصون بواجبهم وقامت حركات عديدة من أهمهـــا :

١ ــ حركة ديوبند . السلفية التى تدعو الى الكتاب والسنة ، ولكنها لا تؤمن بالتطور حتى فى وسائل التعليم .

٢ ــ وقامت (حركة عليكره) : الحديثة التى تؤمن بالتطور وتدعـــو الى الأخذ من الغرب فى كل شىء بدون قيد ولا شرط .

٣ ــ وقامت حركة ندوة العلماء الجامعة بين القديم والحديث التى تؤمن بالله المشرع وبمحمد خاتم الأنبياء وتؤمن بالدين الاسلامى وتؤمن بالتطور والأخذ من الغرب أيضا ولكن فى الحدود التى رسمها الاسلام وفى ضوء القوانين التى سنتها الشريعة السمحاء وتؤمن بأن العقيـــدة غير متطورة لأنها حقيقـــة ازلية طبيعية أصدق من الحقيقة الهندسية .

ولكل من هذه الحركات الثلاثة كيان مستقل ، فبتأثير حركـــة « ديوبند » قامت « دار العلوم ديوبند » لتعليم العلوم الاسلامية ، وقامت (جامعة عليكره) لتعليم العلوم الغربية ، وقامت (دار العلوم لندوة العلماء) لتدريس العلـــوم العربية والاسلامية بمنهج حديث مع البحث فى العلوم الحديثة أيضا .

دائرة المعارف : ولا يمكن لأية نهضة علمية أن تقوم على التعليم المدرسى فحسب ، بل لا بد لها من المقومات الثلاثة : وهى الترجمة والنشر واحياء التراث القديم ، فقامت فى الهند دائرة المعارف العثمانية سنة ١٨٨٨م بحيدر آباد لتقوم بهذه الأعباء الثلاثة الكبرى . وهى تعتبر هيئة علمية كبيرة .

النشر : ومن حيث النشر فعندها مطبعة عربية حديثة ومطبعة انجليزية كاملة ومطبعة اردية نشرت منها مئات الكتب فى اللغة الاردية .

ترجمة التراث الغربى : ومن حيث الترجمة فانهـــا ترجمت كل التـــراث الغربى فى العلوم والرياضيات والاقتصاد والفلسفة والطب وغيرها الى اللغـــة الاردية ، وتترجم كل يوم جهود العباقرة من الغربيين الى اللغة الاردية ، وأدت دائرة المعارف بهذا العمل فائدتين عظيمتين . أولهما انها اعطت للغة الارديـــة ثـــروة ضخمة لا يستهان بها . وثانيهما أن الجامعة العثمانية فى حيدر آبـــاد كانت تدرس من قديم كل العلوم الغربية الحديثة فى اللغة الاردية مستندة الى كتب دائرة المعارف المترجمة واصطلاحاتها بينما الجامعات الأخرى تدرس العلوم الغربية الانجليزية ، وبهذا العمل المجيد أحيت دائرة المعارف اللغة الاردية ، وجعلتها صالحة للنمو والبقاء رغم كل الظروف ورغم كل الأعداء .

مجلة انجليزية : وتصدر دائرة المعارف العثمانية مجلة اسلامية فى اللغة الانجليزية من ٣٠ سنة ، تحت ادارة الدكتور عبد المعيد خان ، والدكتور نفسه رئيس دائرة المعارف الآن .

احياء التراث الاسلامى : ولكننا فى هذه المقالة القصيرة لا نريد تبيان اعمال النشر والترجمة من اللغة الانجليزية او الاردية وغيرها ، بل نتكلم على احياء التراث الاسلامى القديم ، فدائرة المعارف العثمانية لم تقتصر فى هذه الناحية بل تعتبر اعمالها فى هذا المضمار مشرفة للغاية فانها طبعت حتى الآن اكثر من ٤٠٠ من المخطوطات العربية القديمة مع تصحيحها وتنقيحها .

زرع قلب محل قلب آخر ليس عمرا جديدا للانســان

ويتناول الأستاذ محمود سليم دوعر من الكويت هذا الموضوع فيقول :

نشرت وسائل الاعلام المختلفة أن اطباء بجنوب افريقيا زرعوا قلب انسان محل قلب انسان آخر ، وشغل الناس بهذا الحادث ، حتى أن بعضهم جعله من أبرز ما كان بعام ٦٧ وقالوا عن هذا المريض انه (اشهر مريض فى العالم) .. ولا شك أن هذا يدل على تقدم الطب وفنونه ، وهذه ليست الطفرة الأولى بالتقدم الانسانى ، بل الانسان هذه سنته ، يسير بتقدم كلما تقدمت به الحياة ، منذ آدم حتى تقوم الساعة بفضل ما أنعم الله عليه (بالعقل) .

ولكن .. ليس هذا هو الموضوع الذى اردناه ، بل اردنا أن نضع بعض النور على تساؤلات قسم من النـــاس حول زرع القلب ، هل هو عمر جديـــد للانسان الذى زرع به القلب الجديد .

والجواب ان عمر الانسان محدود واجله معلوم لا يتعداه ولا ينقص عنـــه لحظة واحدة ، وما مسألة وقوف قلب انسان ثم حركته بعد تدليكه وما وجود قلب محل قلب ، الا حالات للانسان وليست أسبابا للحياة .

وان زرع القلوب لا يطيل عمرا لا لانسان زرع له قلب ولا ينقص مـــن عمر انسان اخذ منه قلب ، بل لا يجوز أن نعد الانسان ميتا الا بنهاية اجله .

فلا يستغربن مسلم من زرع القلوب ، وكل ما فى الأمر تقدم فى الطب لا ينكر دون اختصاص ذلك بالحياة او الموت .

ساعـــود للاقصى

وتلقينا من الشيخ محمد على قطب ــ صيدا ــ لبنان ــ هذه الأبيات الملتهبة :

مزقت طرسى قد هجرت تصيدى	وسئمت لحنى بعد كل نشــيد
اخفيت لحظى كى اوارى عبرتــى	خجــلا وعــارا بعد كل مجيــد
وجرعت كأسى مترعـــا بمــرارة	كالسـم يسرى أو دبيب صديــد
وسفحت دن الحب فوق ربوعهـــا	(قدسى) فديـت ترابها بوليـــدى
لن اغبق اللذات .. او نمسى معا	فالمجــد ظلى والخفــا لليهـــودى
سأهدم الأســـوار عبر حدودهـــا	ســأغز فى الأعـــداء كل حديــد
سأسعر النيران فى جــوف الثرى	حمما تحطم فى (جنيـــن) تيودى
سأثور بالقرآن فـــوق جبالهـــــا	سألقـــن التاريـــخ صدق وعودى
سأعــود للأقصى اقبـــل ركنــه	وابـــث فى افيائـــــه تغريـــدى
فتشـــع من فوق المآذن هالــــة	ويرجـــع الناقوس لحـــن العيد

قالت صحف العالم

المقاومة العربية ومصير اسرائيل

تتحدث صحيفة الشعب اللبنانية عن المقاومة العربية فى الأرض المحتلة فتقول :

ان اسرائيل باصرارها على احتلال أراضى الدول العربية وباصرارها كذلك على أعمال القمع والارهاب الجماعى للمواطنين العرب فى المناطق المحتلة ، لن تؤدى قط الى تحقيق حالة مستقرة من السلام والأمن فى منطقة الشرق الأوسط .

وان مخططات القادة والعسكريين الاسرائيليين العدوانية تحت زعم حماية أمن اسرائيل وسلامتها ، لن تجلب السلام أو الأمن للآلاف من الاسرائيليين بل سوف تقحمهم فى مؤامرات عسكرية لا يمكن الزعم قط بأنها تتعلق بالوجود الاسرائيلى ، ذلك أنها تتعلق فى الحقيقة بالمؤامرات العدوانية للاستعمار ضد شعوبنا المسالمة وتحقيق المخططات الاستعمارية فى محاولة القضاء على حركة التحرر العربى ، والقضاء على حركة التصنيع والتقدم العربية ، والقضاء على أى محاولة مقبلة من جانب العرب للسيطرة على مواردهم الخاصة التى تشكل جانبا أساسيا من بعض احتياجات العالم الغربى الاستراتيجية .

ولذلك فليس هناك من نتيجة تنتظر الاسرائيليين بسبب اصرارهم على احتلال أراضى الدول العربية بالقوة سوى المزيد من المقاومة وسوى المجابهة على الصعيد المسلح ، كذلك فان دورها العدوانى فى الوطن العربى سوف يزيد بشكل مطرد من نشاط المقاومة العربية وفى اتجاهها أكثر نحو اتحاد وتنظيم أوسع لصفوفها .

الى مؤتمر وزراء التربية العرب

ونشرت صحيفة الراى العام الكويتية المذكرة التى رفعتها جمعية الاصلاح الاجتماعى الى مؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت مؤخرا ، وقد تضمنت المذكرة المقترحات الآتية :

١ ــ تدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال الى المرحلة الجامعية ، واختيار مدرسى الدين من المتخصصين بهذه الدراسة ،

ن يكونوا قدوة حسنة ومثلا أعلى يقتدى بهم طلابهم ، ويكون لهم اسلوبهم طلاعهم الواسع العميق الذى يمكنهم من عرض حقائق الاسلام عرضا يرى فيه الجيل الحاضر طريقه الى السكينة والأمان .

٢ — العناية بدروس القرآن الكريم وتعميم التلاوة حتى ختم القرآن والاكثار من آيات الحفظ والاحاديث النبوية وتنظيم المسابقات لحفظ القرآن الكريم وزيادة حصص للدين تكفى للحفظ والتلاوة .

٣ — فصل التفتيش الدينى عن تفتيش اللغة العربية ، وتخصيص موجه دينى لكل مدرسة وانشاء مصلى فيها مهيأ بما يناسبه وتخصيص وقت يكفى للصلاة .

٤ — الاهتمام بدراسة السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى ، ودراسة الفتوحات الاسلامية وأعلام الفكر الاسلامى ورجالات التشريع وما لهم من مواهب متعددة وما ظهر لهم من انتاج اثار دهشة العلماء ، والعناية بالفقه الاسلامى وتوضيح مزايا التشريعات الاسلامية وافضليتها على غيرها .

٥ — تدريس الجغرافيا الاسلامية لتوضيح كيفية انتشار الاسلام فى العالم وحدود الوطن الاسلامى وثرواته وامكانياته والأماكن الاسلامية المقدسة ، وبيان ما لها من تاريخ مجيد فى نشر الدين وتدريس قضية فلسطين على أنها قضية اسلامية .

٦ — ربط المناهج الرياضية والكشفية والجوالة بمعنى الجهاد فى الاسلام .

٧ — يراعى فى وضع المناهج أن تكون مبنية على عقيدة الأمة .

٨ — تقوية الصلات الثقافية مع البلدان الاسلامية والاهتمام بنشر اللغة العربية بين الشعوب والجاليات الاسلامية وتخصيص منح دراسية للدول الاسلامية وخاصة الافريقية .

٩ — فصل الطلبة عن الطالبات فى جميع مراحل التعليم باستثناء رياض الأطفال ، ويراعى فى المناهج اعداد الفتيات وتوجيههن الوجهة السليمة .

١٠ — الاهتمام بأخلاق الناشئة فى المناهج والتوجيه والاعتزاز بالتراث الاسلامى وبعث روح البطولة والعناية بالقصص والتمثيليات الاسلامية .

١١ — رفع المستوى العلمى بما يكفل تخرج الخبراء والمتخصصين فى الشئون العلمية التى تمس حياتنا ، ولكى تكتفى أمتنا اكتفاء ذاتيا بخبراتها وعلمائها عن الخبراء الأجانب .

١٢ — العناية بتعميم الروح الدينية وجعلها تسرى فى كل مرافق الحياة ، وذلك عن طريق توثيق الصلة بين البيت والمدرسة ومجالس الآباء والمسابقات التشجيعية والنشرات والمحاضرات والحفلات وأجهزة الاعلام ودورها الكبير فى حماية المجتمع من وسائل الاغراء والأفكار المنحرفة .

مكتبة المجلة

موجز تفسير القرآن الكريم

كتاب صدر عن دار الثقافة الاسلامية فى بغداد ، وهو الجزء الثانى من مجموعة اجزاء كتاب « موجز تفسير القرآن الكريم » من تاليف الشيخ عبد الجبار الأعظمى ، وقد أورد المؤلف فى هذا التفسير الآية فتفسير مفرداتها ثم التفسير العام كما ذكر المناسبة التى نزلت فيها كل آية ، والتفسير واضح الأسلوب مرتب المعانى بعيد عن الغموض والتعقيد ، والجزء الثانى من هذا التفسير يحتوى على (١٢٠) صفحة وثمنه (٢٥٠) فلسا .

تاريخ النظم القانونية

كتاب من تاليف الدكتور محمود سلام زناتى استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت تناول فيه بالبحث والدراسة حالة المجتمعات البشرية والوقوف على صور النظم القانونية فيها مقسما كتابه الى ثلاثة اجزاء خص الأول منها بالمجتمع البدائى والثانى بالمجتمع القبلى والأخير بالمجتمع المدنى .

والكتاب يقع فى (٤٤٠) صفحة والناشر دار النهضة العربية ــ ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت ــ القاهرة .

المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم

كتاب من تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى ويقع فى جزاين شاملا لجميع المصطلحات العسكرية التى وردت فى القرآن الكريم . وقد فصل المؤلف كل مصطلح عسكرى ورد فى الذكر الحكيم فى ثلاث مواد فاورد فى المادة الأولى بعض الآيات القرآنية كأمثلة لاستعماله وذكر فى المادة الثانية مشتقاته ومعانيه اللغوية وسجل فى المادة الثالثة مقارنة بين المصطلح العسكرى الوارد فى القرآن الكريم ومثيله المستعمل فى الجيوش العربية هادفا من ذلك توحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية .

والكتاب من طبع دار العلم للملايين فى بيروت وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر ص . ب (٤٢٩٥) ــ بيروت ــ لبنان .

الأركان الأربعة فى ضوء الكتاب والسنة

للاستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى وقد تحدث فيه مؤلفه عن أركان الاسلام الأربعة وعن وضعها السماوى وحقيقتها الشرعية ومكانتها فى الحياة الفردية كما قررها الكتاب والسنة وفهمها المسلمون فى مختلف العصور والأجيال ، والكتاب مطبوع فى مطابع معتوق اخوان ــ وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان ويقع فى ٢٨٦ صفحة .



الكويت

● أكد سمو أمير البلاد المعظم ان الكويت تملك قوة دفاعية عصرية رادعة قادرة على صد أى عدوان يمكن أن يقوم به عدو ؛ وهذه القوة العسكرية ليست للكويت وحدها بل للعرب اجمعين .

● أدى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فريضة الحج وقد التقى هناك بجلالة الملك فيصل والمسئولين واجرى معهم محادثات حول الوضع الراهن .

● بعث ممثلو الدول العربية فى المجلس العربى لمحو الأمية المجتمعون فى دورتهم الرابعة بتونس يشكرون سمو أمير البلاد المعظم لتشجيع سموه للعلم وتبرعه للصندوق العربى لمحو الأمية .

● أقامت وزارة التربية فى مختلف معاهدها ومدارسها احتفالا بيوم المعلم ، وقد وجه سمو أمير البلاد المعظم تحية الى المعلمين والطلاب والآباء والأمهات حثهم فيها على مواجهة مسئولياتهم للحاق بركب العلم .

● طلبت بعض المدارس الاسلامية فى أمريكا من وزارة التربية تزويدها ببعض الكتب التى تدرس فى المرحلتين الابتدائية والاعدادية للاستفادة بها .

● أكد سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أننا فى الظروف الراهنة أحوج ما نكون الى عقد مؤتمر قمة عربى جديد ، ودعا الى الوقوف صفا واحدا أمام التحديات التى تواجه الأمة العربية .

● سيزور البلاد فى الشهر القادم (مايو) رئيس وزراء ليبيا على رأس وفد ليبى وستستغرق الزيارة عدة أيام .

القاهرة : وجه الرئيس عبد الناصر كلمة الى الفرقة الكويتية على خط القتال فى السويس شكرهم فيها على مشاعرهم الطيبة كما وجه التحية الى شعب الكويت وأميرها المعظم .

● زار سماحة رئيس الاتحاد الاسلامى الصينى فى ماليزيا فضيلة شيخ الازهر وقد عبر الضيف عن أمانيه فى أن يتبوأ المسلمون العرب مكانة الزعامة ، كما كانوا فى الماضى .

● يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالاتصال بكبار المفكرين ورجال السياسة والاقتصاد لاعداد بحوث ورسائل حول قضية فلسطين والعدوان الصهيونى .

● اشترك الازهر فى المؤتمر الدينى العالمى الذى عقد فى براغ فى الشهر الماضى وقد تضمن مناقشة قضية فلسطين وبعض القضايا العالمية وموقف الأديان منها .

● زار وزير التربية والتعليم فى جمهورية اليمن الجنوبية فضيلة شيخ الازهر وقد طلب الوزير مساعدة الازهر الثقافية والدينية ، فوعده فضيلة شيخ الازهر بذلك .

السعودية : اجرى أمين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة عدة اجتماعات هامة مع الزعماء والعلماء المسلمين الذين وفدوا لحج بيت الله الحرام وقد تركزت المحادثات حول وسائل انقاذ القدس ونشر الدعوة الاسلامية .

- اصدر وزير المعارف تعميما على جميع المناطق التعليمية بوجوب أداء صلاة الجماعة فى حينها والمحافظة على الاخلاق الاسلامية .
- ستتعاون السعودية مع باكستان على انشاء بنك مشترك بينهما فى نطاق التعاون الاقتصادى للدولتين المسلمتين .
- بلغ عدد الحجاج الذين وفدوا على الاراضى المقدسة هذا العام لأداء فريضة الحج قرابة ٤٠٠ الف حاج .

العراق : تركزت المحادثات التى اجراها سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت فى بغداد حول تأكيد عروبة الخليج ومستقبل التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وقد قال سعادة الشيخ صباح لقد وجدنا انفسنا متفقين حول كل النقاط .

- سيزور سمو أمير الكويت المعظم العراق قريبا .

الاردن : اصدرت اسرائيل عدة قرارات باعتبار المناطق العربية التى احتلتها فى الضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان مناطق غير عربية ، كما غيرت الاسماء العربية لهذه المناطق بأسماء اسرائيلية .

- وزع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة وثيقة دولية تثبت ملكية المسلمين لحائط المبكى فى القدس .
- تقدمت الاردن لمؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت فى الشهر الماضى وثائق تثبت تحريف الصهاينة للقرآن الذى يدرس فى الضفة الغربية بعد أن غيرت اسرائيل مناهج التعليم العربية .

السودان : انتقل الى رحمة الله الزعيم السودانى السيد على الميرغنى بعد عمر ناهز التسعين عاما قضاها فى خدمة الاسلام والعروبة . والوعى الاسلامى تنعى العالم العربى والاسلامى الفقيد العظيم وتسأل الله له فسيح الجنات .

- اكد الرئيس الازهرى فى افتتاح الندوة العلمية لأسبوع القرآن الكريم انه لا سبيل الى مواجهة الصهيونية والاستعمار الا باتحاد الأمة الاسلامية فى جميع بقاع الارض واعتصامها بكتاب الله الكريم .

الجزائر : سيوضع ميثاق جديد لحزب جبهة التحرير يعتمد على العقائد الاسلامية وعلى ميثاق الحزب .

باكستان : اصدر المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى روالبندى عدة قرارات باسترجاع مدينة القدس والمناطق العربية المحتلة والعمل على نشر التعاليم الاسلامية فى بقاع الارض .

موريتانيا : أصدر مؤتمر الشعب العام لتخطيط سياسة الدولة العليا قرارا بجعل اللغة العربية لغة رسمية لجمهورية موريتانيا الاسلامية بدلا من الفرنسية .

اندونيسيا : اعلن جنرال سوهارتو رئيس جمهورية اندونيسيا بالوكالة عن تشكيل حزب اسلامى جديد شكل رسميا من ست جمعيات اسلامية مستقلة ومن المنتظر ان يكون الحزب الجديد من اقوى الاحزاب الاندونيسية .

اقرأ في هذا العدد

صفحة

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منــا فى تســهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســا مع متعهد التوزيع عنــدهم ، وهــذا بيــان بالمتعهديــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبــار ــ ٧ شارع الصحافــة

مكة المكرمــــة : مكتبة الثقافة للصحافة .. ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريــاض : مكتبة المدينة ــ ص.ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص.ب ٢٢

جـــــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب : ٢٠٤٣

بغــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحــدودة

دبــى : ساحل عمان ــ ص.ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيــة ــ السيد رجا العيســى

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

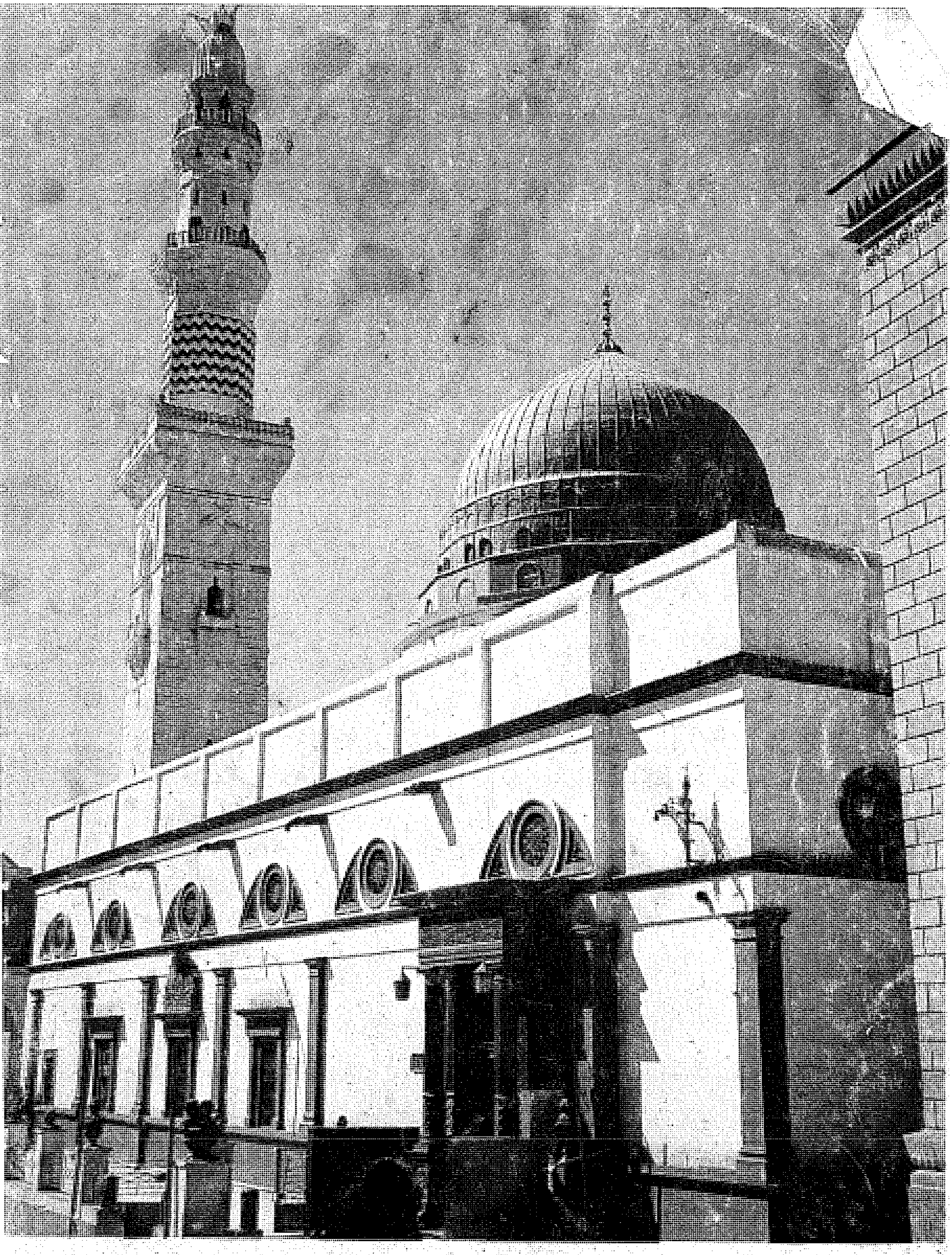
مراكــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيــــا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



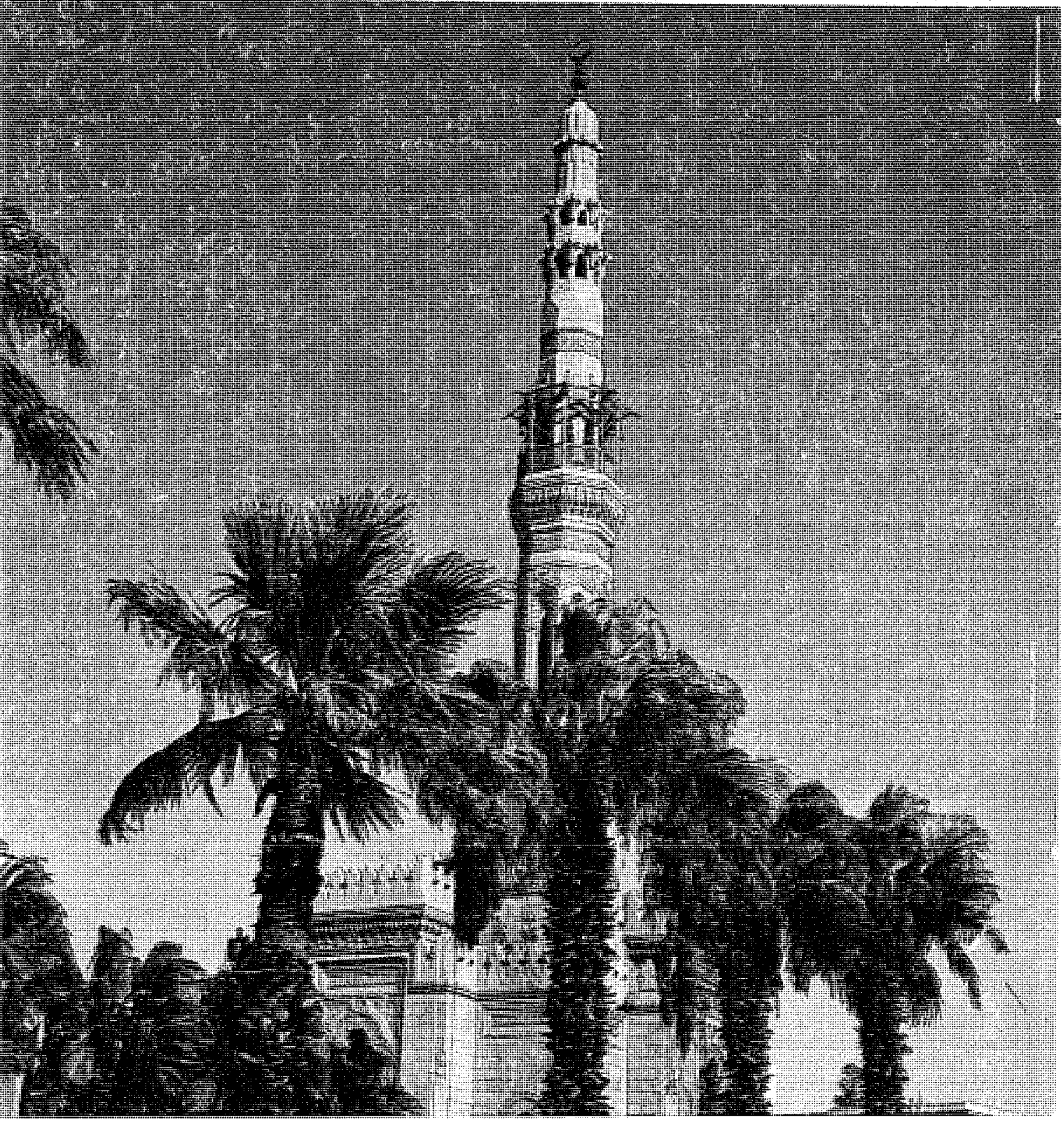
منظر آخر للمسجد النبوى من الجهة الشرقية ويظهر فى الصـورة باب جبريل عليه السلام .

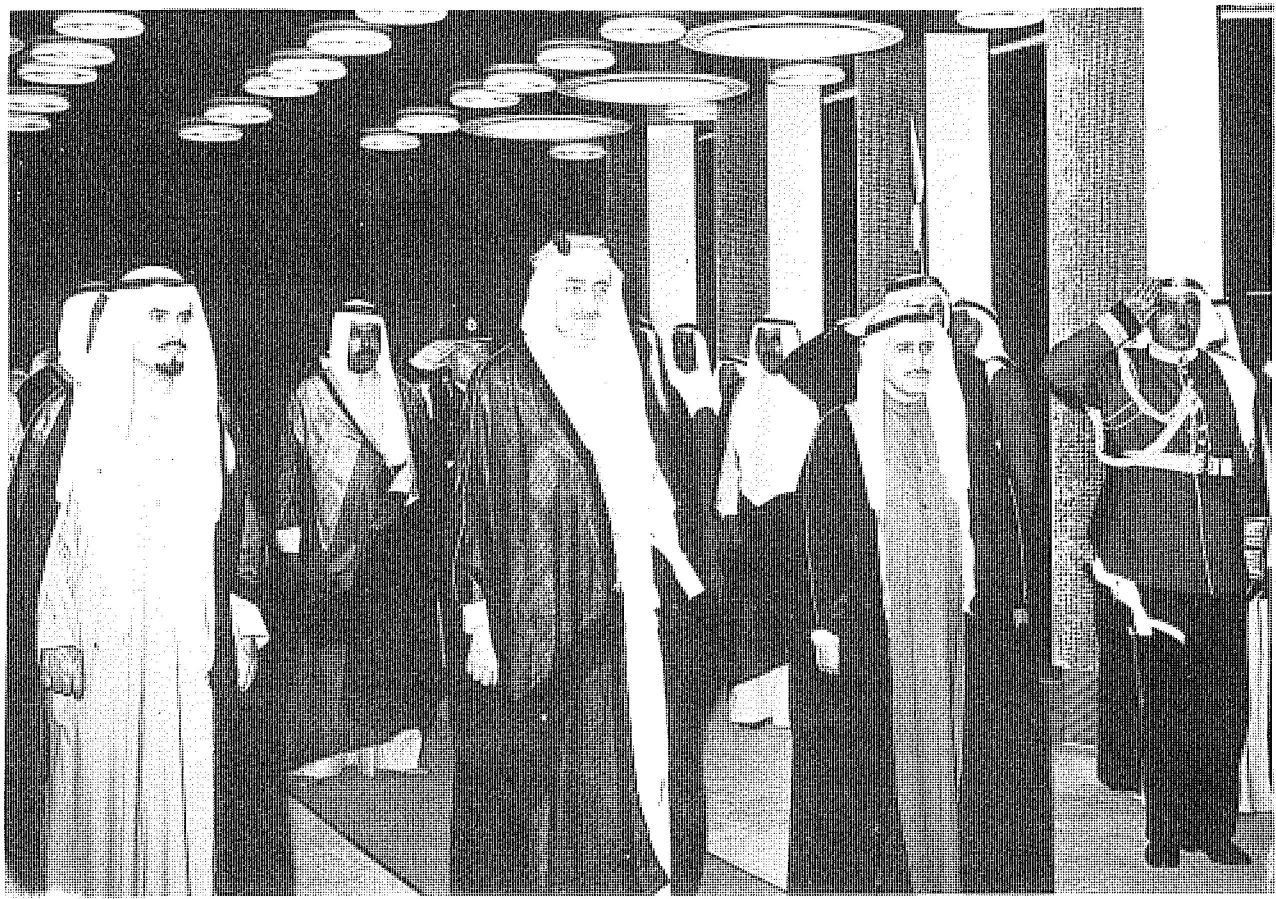
تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

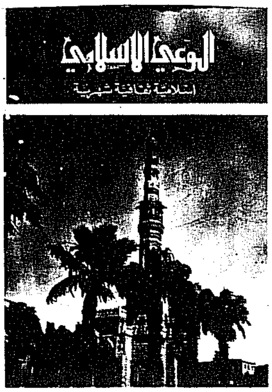
السنة الرابعة ــ العدد الثامن والثلاثون ــ غرة صفر سنة ١٣٨٨ هـ ــ ابريل « نيسان » ١٩٦٨ م





سمو أمير البلاد المعظم وجلالة الملك فيصل المعظم في مادبة العشاء الكبرى التي أقامها سمو الأمير المعظم على شرف ضيفه الكبير في قصر المسيلة العامر .

صورة الغلاف



مسجد القائد ابراهيم

من أفخم المساجد التي بنيت حديثا فى مدينة الاسكندرية ويعد تحفة من روائع العمارة الاسلامية ، ويمتـاز بجمـال موقعه ، وتطـل مئذنته الشـاهقة على البحـر الأبيض المتوسط .

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن والثلاثون

ـ السـنة الرابعة ـ

غرة صفر سـنة ١٣٨٨ هـ

ابريل « نيسـان » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيـة

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسـا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة
ص. ب ١٣ هاتـف ٢٢٠٨٨
الكويـت

كلمة معالي وزير الأوقاف في الاحتفال بذكرى الهجرة.

اقامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى بذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام فى مسجد السوق الكبير وتولت الاذاعة والتليفزيون نقل هــذا الاحتفال وقد افتتحه سعادة الوزير عبد الله المشارى الروضان بهذه الكلمة :

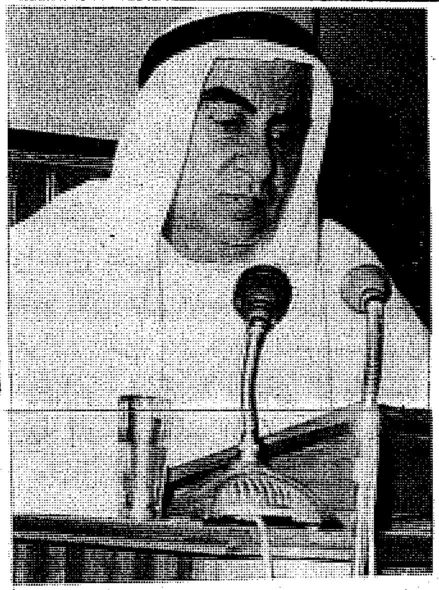
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والســــلام على سيدنا محمد نبى الهجرة والجهاد وعلى آله وصحبه .

نعيش هذه الساعات المباركة ، فى استقبال عامنا الجديد ، وفى ظلال ذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما غادر أحب البلاد اليه ، مكة المكرمة قبل ان تصبح دار أسلام ، مع النخبة المختارة من اصحابه الســـابقين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضـــلا من الله ورضـــوانا ، متجهين الى المدينة المنورة حيث توفرت البيئة الصالحة لحماية الدعوة والداعية .. وقيض الله لهم من أهلها انصارا مخلصين ، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صــدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فارتحل عليه الصلاة والســـلام مع اصـــحابه تاركين ديارهم وأموالهم ، مؤملين ما عند الله من عوض طيب واثقين بما وعدهم من نصر وتأييد .

نتيجة ما قدموه من صـــبر وتحمل وجهـــاد .. وقد وصف الله ــ عز



وجل ـ هـذه الحـال واثر الهجرة فيها فقال (واذكروا اذ انتم قليل مسـتضعفون فى الأرض تخـافون أن يتخطفكم الناس فاواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) .

واننا كلما استقبلنا عاما هجـريا جديدا ، تداعت الى خواطرنا تلك المواقف الخالدة من رسول الله وأصحابه ، واستلهمنا من وحى تلك الذكرى روح الجهاد وبذل النفس والنفيس ، لنشر دعوة الاسلام ، وحماية دياره من كيد الظالمين ، والقضاء على الاطماع الصـهيونية الغادرة .. تلك الاطماع التى تمتد الى دار الهجرة نفسـها ، وهى الارض التى طهرها النبى عليه الصلاة والسـلام من دنس اليهود الماكرين ، بعد أن لقى الأهوال من كيدهم ومؤامراتهم .

فلنذكر دائما أن مكمن الخطر فى اليهود ، وأن شرهم الذى كان متوقعا أصبح اليوم واقعا ، فها هم قد دنسوا مدينة القدس الخالدة .. والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وها هى آثار عدوانهم ما تزال ماثلة ونواياهم التوسعية تتجسم فى اعتداءاتهم المتكررة ، ففى كل يوم لهم سـطو على ممتلكات الأفراد ، وعدوان على مخيمات اللاجئين العزل ، وهجمات على ديار المسـلمين ، يجوسـون خلالها

بالنار والحديد مستأسدين على الآمنين من النســـــاء والأطفال تقتيلا وتشريدا ، بعد أن أقض مضاجعهم نضال الفدائيين واقتناصهم رؤوس الشر ، وزاد غيظهم صمود المجاهدين على الثغور يقتلون من العـــدو المتجاسر ما لم يكن فى حســـــبانه ويقضى نحبه منهم من كتب الله له الشهادة وصدق ما عاهد الله عليه .. فتحية من عند الله الى أرواح الشهداء وبارك الله فى المرابطين على الثغور ، ونصر المجاهدين فى كل واد من ربوعنا .. فيتحتم الآن على المســـــلمين فى جميع بقاع الأرض ، أن يستنفروا كل قواهم للذود عن ديار الاســــلام وتخليص مسرى رسول الله وحماية ديارهم ، وذلك لا يتحقق الا بالعـــودة الى دين الله والاستمساك بالعروة الوثقى كتاب الله وهدى رســـوله .. واحياء روح الجهاد بالنفس والمال لنعيد ذكرى معـــارك الاســــــلام الخالدة .

هذا وان ذكرى الهجرة مليئة بالدروس الحية فى كل وقائعها ، من الصبر والتضحية والبذل والتآخى والمشاطرة .

وجدير بنا أن نذكر بالاكبـــار والتقـــدير ذلك الرعيل الأول من الصحابة ممن أدوا دورهم كاملا بالهجرة والنصرة والجهاد ، وجعلوا من أنفسهم وقودا لدعوة الاســـلام ، حتى غدت منارا خالدا على مر الزمن .. يهدى الانسانية التائهة الى سواء السبيل .. ومن أجل هذا نحيى تلك الذكرى المجيـــدة ، امتثالا للتوجيه الالهى الكريم اذ يقول : ((وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)) .

ويقول (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وفى الختام .. لا يسعنى فى هذه الذكرى الا أن أرفع أســـمى آيات التقدير والاحترام الى مقام حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم وولى عهده والشعب الكريم .

راجيا المولى العلى القدير أن يعيد هذه الذكرى على المســـلمين والعرب ، وقد تحررت أوطانهم وتأكد انتصارهم وتحقق ما يصبون اليه من عزة وتقدم ورقى وازدهار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أنعى القـــارئ

كتبت مجلة « الحوادث » اللبنانية تقول : ان الحاخام الاكبر فى اسرائيل منع زواج بنت رئيس الوزراء السابق (بن جوريون) من ضابط يهودى .. وذلك لأن أمها كانت مسيحية وتهودت ، ولكنها لم تثبت يهوديتها . وقدم بن جوريون شهادات تثبت أنها تهودت عند زواجه بها منذ (٢٥) عاما فى بريطانيا ، ولــكن الحاخام لم يعترف بهذا ، وفشلت كل الجهود التى بذلها رئيس الوزراء السابق وأنصاره وكبار المسئولين لتسهيل الاجراءات ، فلم تجد زوجة بن جوريون وابنته بدا من الانصياع ، وتقديم طلب اشهار يهوديتهما وللحـــاخام أن يقبل الطلب أو يرفضه بعد ذلك ..

خبر له معان متعددة يهمنا منها :

١ — أن الحاخام وقف فى وجه تيار رئيس الوزراء السابق وأنصاره وكبار المسئولين ، وتمسك بوجهة نظره الدينية ، ورفض كل الشهادات التى قدمت له ، وكان من الممكن أن يعتمدها ويجامل ، ولكنه أبى ..

٢ — أن رئيس الوزراء السابق اضطر للخضوع لرأى الحاخام الاكبر ، وتنفيذ ما يراه من وجهة نظره الدينية ، دون أن يتطاول عليه ويرميه بالجمود والتأخر وغير ذلك من الالفاظ المشابهة !!!

ومعنى هذا وذاك كما قالت المجلة « أن الحاخام يتمتع بنفوذ ســياسى (وصحته دينى) قوى أكثر بكثير مما تتمتع به اية شخصية دينية فى العالم » .

وهذا معنى واضح من الخبر . وقد عللت المجلة لهذا النفوذ فقالت : « لأن مثل هذا النفوذ هو جزء سياسى ضرورى فى الحركة الصهيونية لتعبئة اليهود ، سواء لتلبية نداء الهجرة او لغير ذلك من القضايا » .

واضيف الى هذا أن الدولة كلها تقوم على اساس دينى ، وكل حركة فيها تنبعث أصلا من العقيدة الدينية ، وهذا هو السر فى هذا التجمع الغريب من نوعه على أرض اسرائيل : وطن يضم أشتاتا لا تلتقى فى جنس ، ولا لغة ، ولا ثقافة ، ولا منبت ، يعنى كل أسباب التفرقة والتشتت متوفرة بينها ، لكنها مع هذا متآلفة متعاونة بصورة غريبة .

وسبب ذلك شىء واحد . هو : العقيدة الدينية التى جمعتهم ، وحملتهم على أن يتركوا رفاهية أوربا وأمريكا ليعيشوا فى صحراء النقب ، وفى أماكن لم يطرقها انسان من آلاف السنين .

ونحن لا ندهش لهــــذا كما يدهش بعض الناس ، فقد عرفنا ما فعلته العقيدة الدينيــة فى نفوس العرب ، حين جاء الاســـلام ، فقاموا بما يشبه المعجزات .

ولكننا نندهش لأننا — مع هذه الشواهد من الماضى والحاضر على ما تفعله العقيدة — نجد بعض الناس يحملون — لحاجة فى نفوسهم — على مجتمع يقوم على العقيدة الدينية ، وبعض آخر يخشى أن يعلن تمسكه بدينه ، خوفا من أن يتهم بانه غير عصرى ، وغير متمدن !! فى الوقت الذى نجد فيه دولا تقوم على عقيدة لا دينية ، وتجعل ذلك أساس وجودها وبرنامج عملها .. وتجد (دلاديل) لها فى كل مكان حتى من بين المسلمين — مع الاسف الشديد !!

وهؤلاء المسلمون بشهادة الميلاد ، هم اشد الناس تحمسا لمهاجمة قيــام دولة على أساس من العقيدة الاسلامية ، بحجة أن ذلك تعصب دينى لا يليق بالقرن العشرين !! فى الوقت الذى يدينون فيه بعقيدة يتفانون فى العمل لها ، وينسون دينهم وأصولهم وتاريخهم ويتنكرون لكل ذلك من أجلها !!

وسبب تحمسهم هذا مفهوم ، لأن قيام المجتمع على أساس التعاليم الدينية سيجعله ينفض كل خبث يأتى من الشرق أو الغرب . وليس ذلك من صالحهم !

ارايت — اخى المسلم — فى كل مكان هذه اللعبة التى يخوفونك بها : التعصب ؟! ويريدون أن يحملوك باسمها على التنصل من ولائك لدينك وأمجادك ، والتجرد من العقيدة الكريمة التى تصلك بخالقك ، وتوفر لك القوة والعزة ، فى الوقت الذى يدينون هم فيه بالولاء لغير ربهم وغير أرضهم وتاريخهم وأمجادهم !!

وهذه اسرائيل قامت على أساس دينى مستمد كله من التوراة .. اللغة العبرية التى كانت من الاثريات بعثوها ، لأنها لغة دينهم . والاسماء العبرية للأماكن كما جاءت فى التوراة أطلقوها .. والخطوات التى رسمتها التوراة ، والتوجيهات التى جاءت بها ، كل ذلك يتمسكون به ، ويسيرون على هديه .. وقد ذكرت لك فى عدد سابق ما صرح به بن جوريون نفسه : (من أن الاماكن التى ذكرتها التوراة لا بد أن يحصلوا عليها ويحتلوها) . لم نجد منهم واحــدا يخجل من الاعلان عن نفسه بانه يتبع التوراة ، ولم نجد الدولة نفسها تتحاشى ذلك ، بل ان زعماءها وقادتها يعلنونه ، ويفخرون أمام العالم كله به ..

لم يعملوا حســـابا لأحد يتهمهم بانهم : متعصــــبون دينيون ، أو غير عصريين .

ولم يحجموا عن اعلان تمســكهم بدينهم ، خوفا من أن يقـــال عنهم : متاخرون !!

بل مضوا فى سبيلهم ، وجمعوا اليهود من أنحاء العالم بســـلاح الدين والعقيدة .. وساروا جميعا فى الطريق باسم اعادة امجادهم وتاريخهم القديم ، وأرضهم — أرض الميعاد — !! وأقبلوا على العلم والتبحر فيه ، والتخصص فى كل فروعه ، وسبقونا وسبقوا الكثيرين فى العلم والاختراعات و ((التكنولوجيا)) فلم تعقهم عقيدتهم التى يتمسكون بها عن ميدان السبق فى العلم والصناعة ..

فهل وجدنا فى العالم كله من يخاصمهم ، لأنهم اقاموا دولتهم على أساس دينى ، وساروا على هدى من كتابهم المقدس ؟! لا ..

حتى الذين كان المفروض فيهم الا يلتقوا معهم ، لمـــا فعلوه بعيسى عليه السلام — تلاقوا معهم ، وكانوا — ولا يزالون — اكبر عون لهم علينا !!

ولو كان الاسلام حقيقة دين تاخر وجمود ـ كما يزعمون ـ لكان لهؤلاء الذين يخشون احياء تعاليمه أو الذين ينفرون أو ينفرون الناس منه عذرهم !!
ولكن الاسلام بعقيدته وتعاليمه اكبر دافع على التقدم والنبوغ ، فى كل جانب تعرفه البشرية ..
فان كنا نريد حرية فالاسلام ابو الحرية بمعناها الحقيقى لا بمعناها المصطنع الذى نراه فى عالمنا الآن ..
وان كنا نريد عدالة اجتماعية فالاسلام قد سبق بتحقيقها منذ اربعة عشر قرنا ، على صورة لا يزال العالم بأفكاره قاصرا حتى عن القرب من ظلالها .
وان كنا نريد كرامة ، فالاسلام هو الذى حقق ويحقق أسمى معانى الكرامة للانسان ..

وان كنا نريد قوة وعزة ، فالاسلام دين القوة والعزة .
وان كنا نريد علما ، فالاسلام هو الدين الحى الذى يقوم على العقل ، ويحرص على التبحر فى كل علم .
ولا اريد هنا أن ألجا الى شواهد لذلك كله فقد تكفلت الكتب به ، واصبح امرا معروفا حتى لدى المنصفين من علماء الغرب .

ولكنى أريد أن اذكر فقط شاهدا واحدا من القرآن ، ذلك هو الامر الذى وجهه الله لنا فى قوله تعالى : ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)) .
هذا الامر وحده كاف لأن يقيم أقوى دولة واعزها ، على احدث طريقة عصرية فى اى مكان وأى زمان ..

فهو يوجب على المسلمين أن تكون فى أيديهم أكبر قوة فى العالم ترهب ولا ترهب ، تخيف ولا تخاف ، بحيث يكون لهم النفوذ الاول والاعلى فى هذا العالم ، دون استغلال هذه القوة طبعا فى الاعتداء والصلف ، لأن الله لا يحب المعتدين .

فهل يمكن تحقيق امر الله هذا الآن مثلا ، دون أن يكون المسلمون اسبق الناس وصولا للقمر ، وأقواهم علما واختراعا وصناعة واقتصادا وخلقا ؟ أو بمعنى جامع أقوى الناس فى كل جانب من جوانب الحياة ؟
وهذا أمر واجب التنفيذ لا مجرد اشارة من بعيد ..
آية واحدة يمكن ان نجعلها شعارا لأقوى دولة فى العالم ، ومنارا لها الى هذه القوة ..
فالاسلام ـ اذن ـ لا يقبل تلك الافتراءات التى يوجهها اليه بعض ابنائه ، من انه دين تأخر أو جمود .. الخ ..
وليس لمسلم أى مسلم العذر فى بعده عن الاسلام ..
ولقد ظل المسلمون عشرات أو مئات السنين يعيشون كالايتام على مآدب اللئام . مآدب الغرب والشرق . وهم وجلون من الاقبال على دينهم ، متجهون الى غيره ، فما الذى استفادوه طوال هذه السنين ؟.

وهذه اسرائيل تعلن وتفخر بانها دولة دينية ، تقوم على اساس التوراة وتعاليمها .. فما الذى ضرها ؟.

وهذا هو الحاخام الاكبر فيها يتمتع بسلطة دينية لا تتمتع بها أية شخصية دينية فى العالم . والدولة نفسها هى التى تساعده على هذا وتخضع له .. لأنها فى حاجة فعلا الى سلطة دينية تساندها وتستنفر كل القوى لمؤازرتها .. فهل خسرت شيئا بتدعيم النفوذ الدينى فيها ؟.

ان الروح الدينية هى أكبر حافز على النهوض ومجابهة الاخطار ، ولقد عرفت اسرائيل كيف تستفيد منها ، وتستغلها فى السطو على أرضنا ، وفى تثبيت أقدامها على بطوننا ، كما عرفت كيف تستفيد من بعدنا عن ديننا ، ومما نرتكبه من أخطاء وحماقات واختلافات !!

ومن قبل استطاع المسلمون أن يهزموا جحافل الغرب التى هاجمتهم باسم العقيدة ، ويطهروا بلادهم منها ، لأنهم قابلوا العقيدة بالعقيدة ، وكان هتافهم : الله أكبر .. وفى مقدمتهم قائدهم يصيح : وا اسلاماه ..

وقد ذكرت مجلة (الحوادث) أيضا أن هذا الحاخام هو الذى أصدر الفتوى التى تقول : ان كل يهودى يقبل اخلاء شبر واحد من الاراضى المحتلة — الاراضى العربية — يعتبر كافرا ، لأن هذه الاراضى المحتلة تقع جميعها فى أرض الميعاد ، ولا يملك أى يهودى حق تسليم ذرة واحدة من هذه الاراضى ، الا اذا كان كافرا)) .

((وكانت هذه الفتوى هى السبب فى أن ٩٤ فى المائة من الاسرائيليين عارضوا الانسحاب فى آخر احصاء بين الرأى العام ، وكانت هذه النسبة أقل بكثير قبل ان يصدر الحاخام الاكبر فتواه هذه)) .

أرأيت كيف يتغلغل النفوذ الدينى فى نفوسهم ، وكيف يتقبلونه ؟

كل شىء هناك يقوم على أساس الدين : الهجرة من بلاد الرفاهية الى الشظف فى اسرائيل باسم الدين ، والعمل باسم الدين . والعطلة باسم الدين ، والحرب باسم الدين ، حتى الاعتداء الوحشى يرتكبونه باسم الدين !!

ومع ذلك لم يتهيبوا أن يعلنوا ولاءهم لدينهم ، ولم يدمغهم أحد بتاخر ، ولم يخاصمهم لأنهم يعملون بدينهم ...!!

ونحن نتهيب ، أو نتهرب ، أو نتنكر ، أو نتهجم ، وننتظر مع ذلك النصر من الله ..

ونسينا الوعد الصادق ، والقول الحاسم : ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) . والله لا يخلف الميعاد .

ترى : الى أين نسير ؟

ربى . ان الهدى هداك ..

للشيخ : عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

مدى الآيات المحكمات والآيات المتشابهات في القرآن

للأستاذ: محمد عزة دروزه

قال الله تعالى : (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب) . آل عمران ٥ و ٦

١ — سبب نزول الآيات

أوجه الروايات انها نزلت فى مناسبة وفد نصارى نجران اليمن الذى قدم الى المدينة . فقد تناظر هذا الوفد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى عليه السلام فلما أفحمهم قالوا له : ألست تقول انه من روح الله وكلمته . قال : بلى . فقالوا : هذا حسبنا ، فنزلت لتندد بهم لاحتجاجهم بالآيات المتشابهة وتركهم الآيات المحكمة التى تنزه الله عن الولد وتحكى قول عيسى عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وأنه يدعو الناس الى عبادة الله وحده ربه وربهم ، وتقرر أن مثله « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . والرواة متفقون على أن صدر سورة آل عمران نزل فى مناسبة قدوم هذا الوفد ومناظرته مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا يقوى وجاهة الرواية .

٢ — معنى كلمتى المحكمات والمتشابهات

والتأويلات التي يرويها المفسرون عن المؤولين من اصحاب رسول الله وتابعيهم لمعنى الكلمتين عديدة .

فمما اولت به (المحكمات) انها كل ما يعول عليه فى القرآن من احكام وما يعمل به من حلال وحرام . او انها الآيات الواضحة التى لا تحتمل تأويلات عديدة . أو انها الحقائق التى لا تتحمل مراء ولا جدلا . او انها اركان الاسلام . أو أنها عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما كلفوا به لعاجلهم وآجلهم . ولم نطلع فى هذا على حديث نبوى او قول صحابى وثيق . وعلى كل حال يمكن أن يقال استلهاما من روح الآية ومن جملة (هن أم الكتاب) انها تعنى الآيات التى لا تتحمل تأويلات عديدة ولا مراء ولا اشتباها والتى فيها الى ذلك عقائد وتقريرات ومبادىء وأحكام ووصايا واضحة غير منسوخة فى الشؤون الدينية والدنيوية .

أما كلمة المتشابهات فقد قيل انها ما سوى الأحكام والحلال والحرام او انها ما استأثر الله تعالى بعلم حقيقته . او انها المجازات والتشبيهات ، او انها ما تتحمل تأويلات عديدة أو انها المتشابهة فى الصفة المختلفة فى النوع . ولم نطلع كذلك على اثر نبوى او صحابى وثيق . والذى نستلهم من روح الآية انها الآيات التى تتحمل وجوها عديدة من التأويل بسبب سبكها أو الفاظها أو مقامها والله تعالى أعلم .

٣ — آيات القرآن نوعان :

والآية الأولى تقرر بصراحة كما هو ظاهر ان القرآن يحتوى نوعين من الآيات . واحدا محكما وهو على ما يتبادر المبادىء والأسس والأحكام التى لا تتحمل تأويلات عديدة وتكون المرجع للنوع الثانى ، وآخر متشابها وهو ما عدا ذلك من الآيات التى قد تختلف أساليبها والفاظها والتى أريد بها على ما يتبادر التشبيه والتمثيل والتقريب والترغيب والترهيب والوعظ والتذكير والتنبيه والتنويه والتنديد والتبشير والانذار بقصد تدعيم النوع الأول . وقد يدخل فى عداد ذلك الآيات التى فيها صفات الله عز وجل وروحه وأعضاؤه وحركاته وكلامه . والملائكة والجن وابليس والشياطين والمعجزات . وخلق الأكوان ومشاهدها ونواميسها . ومشاهد الحياة الأخروية . وكل هذا يمكن أن يتشابه فهمه على الأذهان أو تتعدد وجوه تأويله . أو يعجز العقل البشرى بعامة أو عقول بعض الناس عن ادراك حكمته ومداه . أو يبدو للمشرع وغير المتمعن وغير الراسخ فى العلم أن فيه تغايرا او تباينا او تناقضا .

والمتمعن فى آيات وفصول النوع الثانى هذا يلمح فيه بكل قوة هدف تدعيم المبادىء والأسس والعقائد والتقريرات والأحكام والتلقينات التى احتوتها آيات وفصول النوع الأول . من وحدانية الله المطلقة وربوبيته الشاملة واستحقاقه وحده للعبادة والاتجاه اليه والاعتماد عليه ونبذ كل ما سواه ومن صدق الرسالة النبوية وشمولها واستمرارها ومن حقيقة الحياة الأخروية وحكمتها . ومن كل ما فيه الحق والعدل والخير والسعادة والنجاة للانسان والانسانية فى الدنيا والآخرة .

٤ ــ احاديث نبوية حول الآية

ولقد اثرت فى ذلك أحاديث عديدة . من ذلك حديث رواه الشيخان عن عائشة قالت (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال : فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) . وحديث رواه مسلم جاء فيه (سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين اختلفا فى آية فعرف فى وجهه الغضب وقال : انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب) وحديث اخرجه ابن مردويه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به) وحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى عن حذيفة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ان فى أمتى قوما يقراون القرآن . ينثرونه نثر الدقل . ويتأولونه على غير تأويله) وحديث اخرجه الامام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا . ضربوا كتاب الله بعضه ببعض . وانما أنزل الله كتابه ليصدق بعضه بعضا . فلا تكذبوا بعضه ببعض . فما علمتم به فقولوا به وما جهلتم فكلوه الى عالمه) وروى أبو داود حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه (المراء فى القرآن كفر) . وفى هذه الأحاديث تدعيم لما فى الآية من اطلاق عام يشمل كل موقف مماثل للموقف الذى رجحنا أنها نزلت فى مناسبته . وتلقين بما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين المخلصين من الآيات المتشابهة . وتحذير من ابتغاء الفتنة والشبهات والجدل فيها . وكل هذا متساوق مع ما فى الآيتين .

٥ ــ روايات عمن يدخل فى نطاق التنديد فى الآية والاحاديث .

ولقد روى المفسرون عن علماء التابعين أن الآية والأحاديث فى حق الحرورية والخوارج والسبئية والقدرية . والأولون هم اول فئات الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه لأول مرة . والخوارج هم الذين استمروا فى الخروج على الأمويين والعباسيين ، والسبئية هم الذين ينتسبون الى مذهب عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تنسب اليه بدعة القول بوصاية على رضى الله عنه عن النبى بعده ثم برجعته ثم بألوهيته . والقدرية هم فرقة لم تؤمن بالقدر وكانت تقول أن الانسان خالق أفعال نفسه أو الفرقة التى كانت تقول ان الانسان لا تأثير له فى عمله وأنه مجبر عليه . والمتبادر أن هذه الأقوال من وحى الوقائع التى وقعت فى صدر الاسلام . ولقد قال الطبرى بعد أن أوردها ان المعنى بها كل مبتدع بدعة فى دين الله فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة الآيات المحكمة ارادة منه بذلك اللبس على أهل الحق المؤمنين . وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان وأى أصناف البدعة كان وفى هذا السداد والصواب والتساوق مع اطلاق العبارة القرآنية .

٦ ـ الشذوذ عن توجيه الآية والأحاديث

ومن المؤسف أن كثيرا من المسلمين لم يتقيدوا بالتوجيه الجليل الذى احتوته الآية والأحاديث . وانصرف همهم الأكبر الى الانشغال والجدل فيما يدخل فى نطاق المتشابهات التى عددناها أكثر بكثير مما انصرف الى النوع الأول الذى هو الجوهرى المحكم من كتاب الله ورسالة رسوله . ولقد أداهم ذلك الى الاغراب والتورط فى التخمين والتخيل والتزايد . والناظر فى كتب التفسير المطولة يجد الشىء الكثير الذى يعكس ذلك الاهتمام ، ويجد الأقوال والروايات المعزوة الى مسلمة اليهود وغيرهم والتى فيها الكثير من الخيال والمبالغة والتناقض والكذب والاغراب حول المتشابهات المذكورة هى التى تشغل الحيز الأوسع من هذه الكتب رغم ما فيها وما تؤدى اليه من تشويش وتغطية على النوع الأول . ورغم ما فيها من اشغال ذهن واستنفاد جهد على غير طائل . ورغم تحذير كتاب الله ورسوله . وقد أدى ذلك الى استمرار ذلك الانصراف والانشغال الى اليوم حتى لا يكاد السائلون عما فى القرآن يسألون عن غيرها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد . فهناك من أول آيات المشاهد الكونية تأويلا فيه كثير من التمحل والتجوز بسبيل استخراج نظريات فنية وكونية . أو اثبات كون القرآن احتوى حقائق علمية وفنية لم يكن يعلمها الناس سابقا وثبتت مع تقدم العقل البشرى والعلوم مهما كا نفى ذلك من تجوز وتمحل ثم من تعريض لكتاب الله للجدل والتنقض عند اختلاف النظريات وتباينها واخراجه من نطاق قدسيته وهدفه الذى هو هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم ونجاتهم فى الدنيا والآخرة ، وعلى غير طائل ولا ضرورة ، لأن القرآن ليس فى حاجة الى ذلك لاثبات كونه وحيا من الله تعالى . ودلائل ذلك ومظاهره ساطعة فى كل فصل من فصوله ، وليس القرآن يعد كتاب فن وطبيعة وفلك .

وكثيرا ما يكتبون مثل هذه الفصل تحت عنوان آية سورة فصلت (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . . .) والآية فى صدد الحجاج مع المشركين فى زمن النبى والتنديد بهم فلا محل لأخذها وحدها والاتكاء عليها . وما بعد هذه الجملة ثم الآية التالية دليل حاسم على ذلك .

وهناك من فعل ولا يزال يفعل ذلك فيما ورد فى القرآن من قصص دون أن ينتبه الى أن القرآن ليس كتاب تاريخ ولم يقصد بما ورد فيه السرد القصصى وتقرير الأحداث لذاتها وانما قصد التذكير والموعظة والعبرة بقصص يعرفها السامعون جزئيا أو كليا ، وفى كل مقام من مقامات القصص يظهر هذا القصد واضحا ، كما أنه واضح فى تكرارها مرارا .

ومن الواجب أن يوقف عندما اقتضته حكمة التنزيل منها وبالأسلوب الذى جاءت عليه والذى يتحقق به الهدف القرآنى من القصة بدون تورط فى التخمين والتزيد والنقاش .

وهناك من حاول استخراج الغيب والأسرار من بعض الآيات والحروف . هناك من زعم أن القرآن ظاهرا وباطنا . وجرى فى متاهات وتخيلات عجيبة من المعانى والاستنباطات واللعب بالألفاظ . وشطح الى ما يكاد يكون هذيانا بسبيل اظهار هذا الباطن . منهم من فعل ذلك بتأثير النزعة الصوفية وتورط فى متناقضات واستنباطات عجيبة فى صدد صفات الله وأنبيائه وملائكته وخلقه . وصرف آيات القرآن المحكمة منها والمتشابهة عن مداها الواضح وهدفها الملموح بقوة الى ما يشبه المعميات . وما قد يؤدى الى الكفر البواح . ومنهم من فعل ذلك بسبيل تأييد الهوى المذهبى والبدع المتنوعة . وهناك من كذب على الله ورسوله وأصحابه مما نفضل عدم التبسط فيه .

٧ ـ تاويلات واجتهادات فى صدد (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

وهناك من زعم أن للقرآن ظاهرا وباطنا . وجرى فى متاهات وتخيلات عجيبة

فهناك من قال ان (الواو) السابقة لكلمة (الراسخون) واو عطف ، وان العبارة تفيد أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله أيضا . وهناك من قال : انها استئنافية وان الجملة التى بعدها مستقلة عما قبلها وان العبارة تفيد ان الراسخين فى العلم لا يتمحلون فى التأويل ويكتفون بايكال ما اشتبه عليهم فهمه وتأويله الى الله ويقولون آمنا به كل من عند ربنا . ويدعون الله أن لا يزيغ قلوبهم بعد اذ هداهم .

ومما دلل عليه القائلون بالقول الأول والآخذون به انه لا يصح أن يكون فى كتاب الله ما لا يعرف تأويله وما لا يفهمه أحد ما .وللامام ابن تيمية كلام طويل فى صدد البرهنة على وجاهة هذا القول أورد فيه حججا عقلية ونقلية قوية . وقد يكون هذا القول متسقا مع تلقينات القرآن الكثيرة المنطوية فى آيات كثيرة والتى تقرر أن الله أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته وأنه أحكم أياته وفصلها لقوم يعقلون وأنه أنزله لتبيينه للناس وليتفكروا فيه وتبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وليبين للناس ما يختلفون فيه الخ .

ومع ذلك فانه يتبادر لنا أن كلا القولين وجيه ووارد فى وقت واحد ، فان كلمة (تأويله) يصح أن تكون بمعنى (حكمته والمقصود منه) ويصح أن يقال حينئذ أنه ليس فى متشابهات القرآن التى عددناها ما يمكن أن يعجز الراسخون فى العلم عن لمح حكمته والمقصود منه فضلا عن محكماته . وان الآيات التى أشرنا اليها آنفا هى فى هذا المدى .

ويصح أن تكون هذه الكلمة بمعنى (السر والكنه والماهية) ويصح حينئذ أن يقال ان فى المتشابهات ما لا يمكن أن يعرف سره وماهيته أحد من البشر . فالقرآن مثلا يقرر أن عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه . وأن الله نفخ فى أمه وفى فرجها من روحه . فان الأفهام البشرية فى اعتقادنا بما فيها أفهام الراسخين فى العلم تظل قاصرة عن ادراك ذلك وماهيته . ولا يحل المسألة أن يقال ان ذلك يشير فى جملته الى مافى خلق عيسى عليه السلام من اعجاز ربانى اذا أريد من كلمة (تأويله) السر والماهية ، لأن سر هذا الاعجاز وماهيته

يظلان على كل حال غير ممكنى الادراك والفهم بالنسبة للعقل البشرى ومثل هذا يقال فيما ورد فى القرآن من صفات الله تعالى الذاتية والفعلية واعضائه وحركاته . والوحى والنبوة والملائكة والجن وابليس . وخلق آدم من تراب ونفخ روح الله فيه . وخلق الكون . والحياة الأخروية ومشاهدها . مما يجب الايمان به لأن القرآن اخبر به . فان العقول البشرية لا تدرك سرها ادراكا تاما .

ولا يكفى فى ذلك أن يقال انها سر الله وحكمته وانها فى نطاق قدرته . لأن هذا القول لا يمكن أن يوصف بأنه علم تأويلها اذا اريد بالكلمة السر والماهية . وان كان يمكن أن يقال ان العقول البشرية والراسخين فى العلم يستطيعون أن يلمحوا حكمة الله ومدى هدفه فيها .

٨ ــ هل كان الرسول يعلمها ؟

وقد يسائل عما اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم أيضا لا يعلم تأويله اذا اريد بالتأويل السر والماهية ؟ ونحن لا نرى من غير الجائز وبسبب الطبيعة البشرية التى يشترك فيها النبى صلى الله عليه وسلم مع سائر البشر أن لا يعلم سر واجب الوجود وسر الحياة والكون والمغيبات وسر الملائكة والجن وابليس وماهية نفخ الله من روحه فى آدم وفى مريم وعبارة (كلمته وروحه) بالنسبة لعيسى عليه السلام . ولقد أمره الله بأن يقرر أكثر من مرة أنه بشر . وانه لا يعلم الغيب . وهناك أحاديث نبوية كثيرة يكل فيها العلم والسر لله تعالى فى بعض الأمور المذكورة مما يفيد أنه لا يعلمها . وهناك آيات كثيرة مما يدخل فى نطاق المتشابهات والأسرار المذكورة لم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث صحيح فى تأويلها . وقد كان يأمر أصحابه بأن يكلوا ما لا يعلمونه أو ما لا يستطيعون فهمه من متشابهات القرآن الى الله ولا يتجادلوا فيها ولا يضربوا بعض القرآن ببعض . ولهذا مغزى كبير فيما نحن فى صدده . ومعلوم أن السلف الاسلامى الأول درج كما هو المأثور المتواتر على عدم الخوض فى كيفيات وماهيات ما ورد فى القرآن من صفات الله وحركاته ومشاهد كونه وسائر تلك الأسرار والمغيبات والمتشابهات والاكتفاء بالقول : (آمنا به كل من عند ربنا) . والمتبادر أن ذلك هو نتيجة لتلقين النبى صلى الله عليه وسلم وتنبيهه وتحذيره . والمتبادر كذلك أن هذا الموقف الذى يراه كثير من الأئمة فى مختلف العصور أنه الأولى والاسلم هو نتيجة لذلك .

ونعتقد أن هذا لا يتناقض مع ما أوجبه الله على رسوله من تبيين ما انزله عليه . فهو مكلف ببيان الأحكام والمحكم وما علمه اياه من تأويل المتشابهات وأطلعه عليه من الأسرار . وقد قام بما هو مكلف به من دون ريب . ولو كانت تلك الأسرار مما كان يعلمه أو مما علمه الله اياه لكان حتما علمها للناس تنفيذا لأمر الله وقياما بمهمته .

ولقد روى عن ابى عباس قوله ان التفسير على أربعة أنحاء . تفسير لا يعذر أحد فى علمه . وتفسير يعرفه العرب من لغاته . وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم . وتفسير لا يعلمه الا الله . وهذا القول يروى عن عائشة وعروة وغيرهما من أصحاب رسول الله وتابعيهم .

والمتبادر أن فى هذا القول توفيقا سديدا بين القولين . والله تعالى أعلم .

من هدى السنة

سؤال وجواب

عن عائشة رضى الله عنها ، أن امرأة من الانصار (١) قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : كيف اغتسل من الحيض ؟ ، قال : خذى فرصة (٢) ممسكة (٣) فتوضئى (٤) بها ثلاثا ، ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم استحيا فاعرض بوجهه ، أو قال: توضئى بها فاخذتها فجذبتها فاخبرتها بما يريد النبى صلى الله عليه وسلم » .
رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ قلت لصاحبى مالى أراك تبدو شارد الفكر ، مبلبل الخاطر ، مضطرب النفس ، لا تشعر بما يدور حولك ولا تلقى بالا للعابرين أمامك ، ماذا دهاك ، وأى خطب اعتراك ؟ هل هناك نازلة لم تسبق بمثيل ، أم أن بعـد الوطن قد أضناك ، أم أن التى جئت تخطب ودها فى بلاد الفرنجة قد أشاحت وماطلت ؟! ، لا تدعنى ألقى أسئلة ولا أتلقى جوابا ! فما هذا عهدى بك ، ولا هو من شنشنتك ، فكل صنو هنا أو هناك يخبر صراحتك ، وتدفق حديثك كالسيل انحدر من عل ، فقال : على رسلك ، لا تسترسل هكذا فى أسئلتك ، فما المصاب واحد ولـكنه عديد ، ولا النازلة فريدة وانما هى خطوب وأحداث ، وما يجرى على أرضنا إن هو الا حصاد زرع سابق ، وثمرة ما رويناه بجهلنا ، وعدم حيطتنا ، واشتغالنا بتوافه الأمور وسفسافها عن النظر والتأمل فى المستقبل الذى أصبح واقعنـا الآن ، حاضر يزعج الأصدقاء ، ويهلك الواقعين فيه ، وهكذا تغرق السفينـة لأن الربان وأصحابه لم يأخذوا على يد مأفونهم الذى رام الراحة من عناء السقيا

---

(١) هى اسماء بنت يزيد بن السكن (بالسين المهملة المفتوحة ، والكاف المفتوحة ايضـا ، وكانت تسمى خطيبة النساء أى واعظتهن .

(٢) فرصة : بكسر الفاء وبالصاد المهملة ــ فى مختار الصحاح : الفرصة : قطعة قطن او خرقة تمسح بها المراة الحيض ، فى المصباح المنير : الفرصة على وزن سدرة : قطعـة قطن أو خرقة تستعملها المراة فى مسح دم الحيض ، ولا بن سيده : تثليث الفاء .

(٣) ممسكة بضم الميم الاولى وفتح الميم الثانية : ثم سين مهملة مشددة مفتوحة ، اى مطلية بالمسك وهو الطيب المعروف

(٤) فتوضئى : المراد بالوضوء هنا معناه اللغوى ، اى تنظفى من الوضاءة وهى الحسـن (بضم الحاء وسكون السين المهملتين) .

من اعلاها فخرقها ليندفع الماء من اسفلها ، فاستراح لحظة خاطفة(١) فهلك الى الأبد ، وهلك معه مرافقوه العقلاء لأنهم لم يحاولوا الضرب على يده .

هل سمعت أحداث الشرق ، مشرقك ، وطنك ، أخوتك ، قومك ، هناك يستأسد الجبان الرعديد ، ويتهاوى المقاتل الصنديد(٢) فهل خلت البقاع من آهليها ، أم أن ام دفر لها ثأر قديم عندنا تجتره الآن ، أم ماذا ؟ لا ادرى كيف ادير القول ؟! ثم تأمل ، انظر ، ماذا يفعل الأعداء وماذا يكتب موجهو العصر من ابنائنا ورصفائنا ، وناولنى صحيفة عربية ، واشار الى عنوان وكاتب ومقال طويل وبحث مستفيض ، ظننته لأول وهلة وقبل التأمل ، مقالا فى فنون القتال ، وتكوين الرجال ، وضم الصفوف ، ودراسة الواقع المحزن ، ووصف علاج ، ودلالة على دواء ، واقالة عثرات الى ميدان الجهاد ، فى هذا الظرف العصيب الذى لا يدرى أحد فيه ايصبح بين أهل وولد ، أم تطلع عليه شمس الغد ، وهو فى العراء منبوذ ، أو فى جوف الأرض مدفون ، أو تخطفه الطير أشلاء ، لا يدرى ، نعم لا يدرى ! . واذا المقال المدبج المنمق عن الجنس وما أدراك ما الجنس ، وانا لا أفهم — وان كنت فاهما — معنى الجنس(٣) بهذا المعنى ، فرجعت الى لفتى الفصحى أسائلها ، ولفة أخرى قد تكون هى مصدر تلك المفاهيم ، فقال صاحبى : لا عليك من التحكك بالألفاظ ، وانما اقرأ واسمع (بفتح الهمزة وكسر الميم) ، وقرأت ولم أسمع (بضم الهمزة وكسر الميم أيضا) لأن المجلس عام ونحن نقتعد ركنا قصيا نتعاور القول ، قرأت كلاما يريد كاتبه أن يدرس الجنيى فى مدارس الشرق ، وأن يعلم فى البيوت ، وأن يعرف فى النوادى ، وأن يلم به الناشئة ، لأنه شىء يغير مجرى حياتهم ، ويؤثر فى مستقبل أمرهم ، وان لم تتدارك حكومات الشرق هذا الأمر الخطير ، وتجلس (بضم التاء المثناة من فوق) الولد الى جانب البنت فى كل المراحل الدراسية ، وتدعهما يتلاقيان على البلاجات وفى الشوارع والمقاهى والحافلات التى تجوب البلاد — ان لم تفعل حكومات الشرق هذا ، فقد ادلهم الخطب وزاد فداحة ، واستشرى الشر ولا يمكن تداركه ، ولا نستطيع أن ننازل الأعداء ، ولا نتمكن من صدهم عن أرضنا ، أرض الآباء والأجداد ، ومسرح حياتنا ، ومرابع أولادنا ، ومنبت قوتنا ، وضرب صاحبى كفا بكف فى الم مرير ، وتقلص وجهه وتشنجت عضلاته حتى خشيت عليه أن يهلك غما ، ويتلاشى أسفا على ما يتجه اليه الموجهون ، وما يضيع فيه وقتهم . ثم اتجه الى بكليته ليقول : تأمل الاسلام ورسول الاسلام ، وقواعد الاسلام ، وتوجيهات الاسلام ، تر أدبا وعفة ، وتدرك حسن التأنى للافهام والتفهيم ، ثم دعنى افصح لك عما أريد من واقع الحياة ، ولنختر بيئة من البيئات التى ينعتونها متزمتة !! ولنسائلها . هل يجهل ناشئتها علاقة الرجل والمراة جهلا مطبقا ، هل لا يدرون وظيفة كل عضو فى الهيكل الذى يحملهم أو يحملونه !.

---

(١) الفاء للترتيب والتعقيب لان الفرق يعقب الخرق دون ابطاء .

(٢) يشير الى أحداث الاردن الاخيرة مع اسرائيل .

(٣) الجنس المنطقى — هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة فى جواب ما هو !

والجواب : أن هذه أمور معروفة مدروسة تجرى مع الدم منذ جـرى ، وتلاحق النفس على أول نفس للمرء فى الحياة ، فالأم ـ دائما ـ تعلم بنتها كيف تتطهر من الدم اذا أدركها البلوغ ، والاسلام يوضح فى دروسه الجبرية المفروض تعلمها على كل فتى وفتاة ابان السابعة من العمر ، أى والعود غض رطيب ، ودليل ذلك قول الرسول الكريم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) . ومعلوم بداهة من الشريعة ان الصلاة لا تصح بدون وضوء شرعى ، والوضوء يستلزم غسل أعضاء وازالة الأدران عن أعضاء ، وتلك الأعضاء يذكرها فقه الاسلام بأسمائها ولا يكنيها ، ويعلم الناشىء الصغير واخته ما هو القبل وما هو الدبر !! وفى حديث الباب سؤال امراة وجواب رسول ، وتوضيح أم المؤمنين ، فواعظة النساء على عهد رسول الله تستفسر منه عليه الصلاة والسلام ، عن الطهارة من الحيض ، وكيف يغتسل منه ، وهو عليه الصلاة والسلام يجيبها فى أدب نبوى كريم ، وما استحياؤه صلى الله عليه وسلم الا ليوجه نساء المسلمين أن يتعلمن ليعلمن ، وأم المؤمنين عائشة تعرف الأحكام بدقة وهى كمعلمة توضح أدق توضيح ولا تستحى من الحديث عن أعضاء خاصة مع نساء المؤمنين وهن يعلمن بناتهن ، وهكذا تمضى السلسلة الكريمة المتواصلة ، ومن له بنات يعلم تمام العلم كيف يصلن الى الطهارة من النجاسات الناجمة عن الحيض والنفاس وغيرهما ، يصلن الى المعرفة عن طريق أمهاتهن ، وهى طريق أكثر سلامة ووضوحا وأقل عثرات ، وكذلك الولد واجب عليه شرعا أن يعرف أحكام الغسل ومن قبلها أحكام الوضوء ، ويجر ذلك الى الكلام الصريح الواضح عن الأعضاء التى يهمه أن يعرف عنها ما يريد ، وبهذا لا نحتاج الى دراسة أكثر من دراسة الفقه الاسلامى فى هذا الموضوع ، فلا يمكن للمعلم الواعى الفاقة الملم بحكمة التشريعات الاسلامية أن يصد الطالب عن سؤال أو يمتنع عن اجابة ، وقد زاولت التعليم فى مختلف مراحله وصنوفه سنين وسنين ، وما صددت طالبا عن سؤال أبدا ، وما تركت مسألة دون توضيح كامل شامل ، وخبرت الشباب خبرة طويلة ، فى مختلف الأسنان والأعمار وأفضوا الى بما يريدون وما تنطوى عليه نفوسهم فى صراحة ووضوح ، وكانت الشريعة دائما هى مصدر الجواب المقنع الشافى الواقى .

٢ ـ الحق ـ أن الاسلام دين ونظام لأمة تعمر الكون ، وتعمره بكل ما تحمله الكلمة من معان كريمة ، ولكن ـ واسفاه ـ جهل المسلمين باسلامهم جعله بعيدا عن مجرى حياتهم ، والاسلام يعنى بالناشئة من كل نواحيها يعلم ويوجه ، ويعطى الدروس فى أسلوب عف مفهم فاحص لا التواء فيه ، ولكنه ينأى عن مهاوى الردى ، ويباعد بين الوليد ـ ذكر أو انثى ـ وبين مساقط

الزلل الأخلاقى ، وقد قال شراح الحديث من العلماء السابقين رحمهم اللـــه : يستفاد من هذا الهدى النبوى الكريم أن العالم يجب أن يكتى بالجواب عن الأمور المستورة ، وأن المراة تسأل عن أمور دينها ، وتكرير الجواب لافهام السائل .

واقول : ان دراسة الفقه الاسلامى فى عباداته وغير العبادات ، فرض على كل مسلم ومسلمة اذ بدونها لا يدرى شىء عن طرائق العبادات ولا الدخول فيها ، ولا ينفع التقليد فى العبادة ولا المحاكاة ، وتعلم العبادات يصل بالناشئة المسلمة الى معرفة كل ما تهم مَعرفته فى هذه الحياة خاصها وعامها جنسيـــة وغير جنسية وتدقيق النظر فى حديث الرسول وحوار السيدة السائلة وجوابه لها ثم شرح أم المؤمنين يوضح تماما انه لا بد وان تعرف المراة كـــل شىء عن أخص ما يخصها تقول عائشة : ان امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسـلم عن غسلها من الحيض فأمرها كيف تغتسل قال : خذى فرصة من مسك فتطهرى بها ، قالت كيف اتطهر بها ؟ قال : سبحان الله تطهرى بها ! قالت عائشة فجذبتها فقلت لها : تتبعى بها أثر الدم » .. وما بعد توجيه الرسول من توجيه .. وقد تحدث الفقهاء عن أشياء قد يظنها من لا اطلاع له على الفقه الاسلامى أن البحث فيها وليد العصر الحاضر ، ولا يعلم أنها قد قتلت بحثا فى عصور سلفت ، وما ذاك الا لأن الانسان هو الانسان فى رغباته وميوله وشهواته فى كلياتها لم يتغير منه شىء منذ أن دب أبواه على وجه البسيطة .

٣ ـ وعودا الى التعقل والبحث والاستقصاء ، ودراسة ما معنا ، وما بين أيدينا من الاستنارة بآراء الغير فى بعض المشكلات التى لم تطـرق وما أقلها . والواقع أننا فى حاجة الى وعى نابع من مقدساتنا من أخلاقنا من عقـائدنا من أرضنا من محيطنا ، وكثير من النبات المزهر الجيد الثمر ، العبق الأرج ، يذبل ويذوى اذا غرس فى منبت لا يناسبه . وجو لا يليق به ، والفضائل الانسانيـة معروفة ومدروسة والطريق اليها واضحة ، وحاجتنا فى هذه الأيام الى استعمال الحكمة والتوافق والبعد عن تمييع الأخلاق حاجة ملحة ولا شك ، ويعجبنى كاتب معاصر ، يسطر مقالاته فى احدى الصحف المستنيرة تماما ويغـــذيها بخبرته الطويلة فى حقول ثقافية مختلفة ، وقد طرق فى الشهر الماضى موضوع الواقع المرير الذى يعيشه الشرق العربى الآن ، وعالجه علاجا حكيما محكما ، فلمثله يهدى القول وفى مطالعة كتاباته لا يضيع الزمن (١) ، والله الموفق المستعان .

---

(١) سأعود لهذا الموضوع موضوع الحديث مرة أخرى بعون الله تعالى .

لماذا الإسلام؟

البوذية وتعاليمها

للأستاذ: أحمد حسين

فى المقال الماضى المنشور بالعدد ٣٦ تحدث الأستاذ احمد حسين عن الهندوكية باعتبارها الأرض التى نبتت فيها بذرة البوذية وتفرعت وامتدت فى الهند وفى خارجها ، واليوم يحدثنا عن بوذا وتعاليمه ، وعن البوذية باعتبارها احدى الديانات التى يدين بها مئات الملايين فى جنوب وشرق آسيا .

شخصية جوتاما بوذا :

ان ما يفرض البوذية فرضا على كل باحث فى الأديان ، هو شخصية معلمها جوتاما بوذا (١) والتى تمثلت فيها الفضائل كلها وأصبحت علما على المثالية الأخلاقية ، وما ظنك بانسان يعتزل الجاه والغنى والثروة والسلطان ، ليحيا حياة الحرمان والتجوال بحثا خلف الحقيقة ، حتى اذا استضاء بنورها ، كرس بعد ذلك حياته الطويلة من أجل نشرها بين الناس ، لاحلال السكينة فى قلوب الأفراد ، والسلام والحب بين الجماعات ، ولما كانت هذه صفات الرسل وأخلاقهم ، وتلك هى أهدافهم فهى جديرة بالدراسة والتأمل ، ولنعرض عليك الآن سيرة بوذا بشىء من التفصيل الموجز .

حياة بوذا :

ولد الامير سدهاراتا (سدهاتا) جوتاما على ارجح الآراء فى القرن السادس قبل الميلاد فى الناحية الشرقية من الهند ، فى المنطقة التى تقع بين مدينة بنارس (٢) وجبال الهملايا حيث كانت تقيم قبيلة ساكيا ، وكان والدا سدهاتا من أمراء هذه القبيلة ، وأصحاب السيادة عليها .

---

(١) اسمه الأصلى جوتاما Gautama أو سدهارتا Siddhartna أما كلمة بوذا أو بدها Boddha فلقب معناه العظيم . « الوعى »

(٢) أتيح للكاتب أن يزور مدينة بنارس وأن يشهد الآثار البوذية المقدسة بها ، (اقرأ له أمة تبعث) .

وعاش سدهاتا منذ ميلاده ، كما يعيش امثالــه من ابناء ذوى الجــاه والسلطان مدللا منعما ، لا هم له الا اللهو واللعب والاستمتاع بالحياة ، والعب من ملذاتها ، حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمره ، واصبح فى زهرة الشباب زوجه ابوه من ابنة عمه الجميلة الفاتنة « باسودهرا » ، والتى لم تلبــث أن انجبت له غلاما جميلا أسموه راهولا ، وهكذا تحققت له كل أسباب السعادة المادية ، ولكن القدر كان يعد لسدهاتا مصيرا مختلفا كل الاختلاف عما كان يتوقع لمثله من حياة .

الشيخوخــة :

وتختلف القصص التى تروى عن سدهاتا ، والمشاهــدات التى غيـــرت مجرى حياته ، ولكن الجوهر فى هذه القصص واحد ، فقد خرج الامير سدهاتا ذات يوم من قصره للتنزه ، وامتطى احدى المركبات التى كان يقودها تابع له ، وبينما الأمير فى أوج نشوته ، اذ وقعت عيناه لأول مرة على شيخ كئيب أثقلت السنون كاهله ، فأصبح يدب على الأرض دبيبا ، متكئا على عصاه ، وقد تقوس ظهره فاهتزت مشاعر سدهاتا لهذا المنظر الكئيب ، وساءل تابعه ما شأن هذا الرجل ، فقال له تابعه هذه سنة الحياة ، وقدر كل انسان اذا امتد به العمر ، انها الشيخوخة يا مولاى .

فأحس سدهاتا بالاكتئاب ، وعزفت نفسه عن النزهة ، فعاد ادراجه الى القصر .

المرض :

ومضت فترة نسى فيها سدهاتا ما أحزنه من فكرة الشيخوخة ، وعــاد للتنزه مرة أخرى ، وتعمد أن يسير فى طريق غير الذى سلكه أول مرة ، فاذا به يصادف هذه المرة مشهدا هز نفسه بأعنف مما هزها المنظر الســـابق ، اذ وقعت عيناه على انسان شوهه البرص ، وهده المرض ، فراح الناس يتحامونه ويتحاشون الاقتراب منه ، وسأل سدهاتا تابعه : وما هذا ؟

ــ انه المرض يا مولاى احد سنن الحياة الانسانية .

واغتم سدهاتا مرة أخرى ، وزهد فى نزهته وعاد أدراجه الى القصر .

المــــوت :

وخرج سدهاتا مرة ثالثة من طريق ثالث ، فوقعت عيناه على جثة ميت سقط فى الطريق وقد تعفنت جثته واصبح منظرها بشعا .

ولم يحتج سدهاتا هذه المرة لسؤال تابعه ، فقد كان هذا الاخير يهمس فى اذنه قائلا : وهذا يا مولاى نهاية الحياة .

وكان هذا المنظر الأخير كفيلا ، بأن يفسد شهية سدهاتا ، لا عن النزهة هذه المرة فحسب ، بل وعن مسرات الدنيا ومباهجها ، وشغل بمشكلة الحياة التى صدعته مظاهرها من مرض وشيخوخة وموت فى خاتمة المطاف ، وراح يسائل نفسه ، اى شىء هذه الحياة التى يغشاها الالم من جوانبها ؟ ما هى حقيقتها ، ما سرها ؟ أمن المستطاع التغلب على آلامها ؟

وقرر الأمير الشاب أن ليس هناك فى الدنيــا ما يعلو على كشــف هذه الحقيقة ، وقرر أن يكرس حياته للبحث عنها .

حيـــاة النسك والتشـــرد :

وفى ليلة جميلة مقمرة والقصر يغص بكل اسباب المسرات دخل سدهاتا الى حجرة نوم زوجته وكانت نائمة فقبلها قبلة الوداع ، وكذلـــك قبل طفلـــه المولود ، وانسل فى هداة الليل خارجا من القصر ، واسرع يغذ السير مبتعدا عن النعيم الذى كان يغيش فيه ، وعندما قابل فى طريقه اول متسول فقيـــر ، عرض عليه أن يبادله اسماله البالية بملابسه الثمينة ، فرحب المتسول بالصفقة وهو لا يكاد يصدق ، وكان فرح سدهاتا بالاسمال البالية ، يفوق فرح المتسول بملابس الأمير .

ويقال : إن ســـــــدهاتا جوتاما (١) . قد التقى بعد ذلك ببعض الرهبان الهندوكيين ليتلقى على ايديهم علم الحياة واسرارها ، فلقنوه التعاليم الهندوكية التي تقوم على أن تعذيب الجسد يؤدى الى سمو الروح وخلاصها ، فراح جوتاما يأخذ نفسه بأنواع من المشقات . وضروب تعذيب الجسد وتجويعه ، الى الحد الذى لفت اليه انظار النساك ، فالتف حوله خمسة منهم وجعلوه زعيما لهم ؛ لأنه كان أكثرهم تعذيبا لجسده ، حيث كان يلقى بنفسه بين الاشواك والحصا ، ولا يتبلغ فى اليوم الواحد (على ما تقول القصص) الا بحبة أرز واحدة .

وكان اصحابه الخمسة يبكون من فرط الألم لشدة ما يعانيه جوتاما مـــن المشاق ، وتقول بعض الروايات إن جوتاما قد أمضى فى هذا النوع من الحياة سبع سنوات ، اقتنع فى آخرها بأن تعذيب الجسد لم يزد حياته الا اضطرابا وقلقا وتشويشا ، وأنه أصبح ابعد عن الحقيقة مما كان من قبل ، فقرر فجأة أن يضع حدا لهذه الحياة ، وطلب من اصـــحابه أن يحضروا له الطعـــام ليأكل ، والشراب ليشـــرب ، فان ذلك خير الف مرة من تعذيبه لجســـده بالجـــوع والحرمان (٢) وفزع النساك الخمسة من هذا التصرف الذى اعتبروه تجديفـــا وكفرا ، فانفضوا عن جوتاما واعتبروه قد سقط وهلكت روحه .

الاشراق والتنوير :

وسار جوتاما قاصدا العودة من جديد الى مسقط راسه ، وجلس يرتاح فى ظل احدى الأشجار فى غابة أرويلا ، ويتناول طعامه ، فاذا بالمقام يطيب له فى ظل الشجرة ، ويحس الرغبة فى البقاء تحتها بعض الوقت ، وتروى بعض القصص ان جوتاما سمع صوتا داخليا يقول له بكل جلاء ووضوح : نعـــم فى الكون حق أيها الناسك ، هنـــاك حق لا ريب فيه ، جاهد نفســـك اليوم حتى تناله ، وهبطت على جوتاما سكينة عظيمة عمرت قلبه ، وعندما استيقـــظ فى الفجر لم يكن هو جوتاما ، الذى كانه بالأمس ، بل «أى المتنور» ، فقد أشرقت الحقيقة فى نفسه واستضاءت ، فأدرك سر الآلام التى يتكبدها البشر ، وعرف اسبابها وطريق علاجها ، ولم يشأ بوذا أن يحتكر هذه الحقيقة التى اكتشـــفها لنفسه ، بل بدأ ينشرها ويعلمها للناس ، وكان النساك الخمسة الذين تبعـــوه فى فترة نسكه هم أول من استجاب الى تعاليمه الجديدة ، ثم جمع بوذا حولـــه ستين شابا راح يلقنهم مبادئه وتعاليمه ، وطلب منهم أن ينشروها فى الآفاق ، فاستجابوا لدعوته ، وظل بوذا يدعو لتعاليمه خمسا وأربعين سنة بعد أن اصبح يطلق عليها اسم النظام او عجلة الشريعة .

---

(١) يغلب على اسمه ابتداء من هذه المرحلة كلمة « جوتاما »

(٢) انظر كيف اهتدى بوذا الى حكمة الاسلام بالنسبة للطعام حيث يدعو الى الاعتدال فلا افراط ولا تفريط ، ففى ذلك الاعتـــدال مزاج للجســـــد (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المســـرفين) .

روح التعاليم البوذية :

وليس هناك ما يكشف عن السر الذى مكن دعاة البوذية من نشرها فى الآفاق الأسيوية ويكشف فى الوقت ذاته عن جوهر التعاليم البوذية من هـذه القصة التى تروى عن حديث دار بين بوذا وأحد تلامذته قبل بعثه الى أحـد القبائل للتبشير بينها .

بوذا — ان رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب ، فاذا وجهوا اليك الفاظا بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك ، فماذا أنت فاعل ؟

بورنا — اقول لا شك ان هؤلاء قوم طيبون لينو العريكة ، لأنهم لم يضربونى بأيديهم ويرجمونى بالحجارة .

— فان ضربوك ورجموك بالحجارة ؟.

— اقول انهم طيبون لينون اذ لم يضربونى بالسيوف .

— فان ضربوك بالسيوف ؟

— اقول انهم طيبون لينون اذ لم يحرمونى نعمة الحياة نهائيا .

— فان حرموك الحياة ؟

— اقول انهم طيبون لينون اذ خلصوا روحى من سجن هذا الجسد السىء بلا كبير الـم .

قال بوذا — أحسنت يا بورنا انك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن فى بلاد قبيلة سرونا بارنشا ، فاذهب اليهم يا بورنا ، وكما تخلصت فخلصهم ، وكما وصلت الى الساحل فادخلهم معك ، وكما تعزيت فعزهم معك ، وكما وصلت الى مقام النرفانا الكاملة فأوصلهم اليها مثلك .

فذهب بورنا اليهم وكانت النتيجة : أن آمنوا كلهم بالبوذيـة واتبعـوا مذهبه . وعاش بوذا ما عاشه من حياته وهو مثل حى لكل الفضائل التى بثها ودعا اليها ، ولم يعهد عليه أنه خانها أو حاد عنها فى يوم من الأيام ومما يتعجب منه فى سيرته أنه لم يصب بمكروه أثناء بثه دعوته على كثرة من كانوا يترصدون لقتلـه .

ومات بوذا فى هدوء تحت احدى أشجار الغابة وقد بلغ الثمانين ، وأحرق تلامذته جسده بعد ثمانية أيام على عادة الهنود ، ووزع الرماد المتخلف من الجثة الى ثمانية أجزاء بعث بكل جزء منها الى احدى نواحى الهند وغيرها من الجهات التى رأوها لائقة بـه .

انتشار البوذية فى الهند ثم انحسارها :

سادت البوذية بلاد الهند عقب وفاة بوذا ، حتى أوشكت ان تعمهـا ، ولكنها عادت الى الذبول والانكماش والانحسار تحت ضغط الديانة الهندوكية ، وكان يمكن أن تذوب البوذية فى الهند منذ عصر مبكر ، لولا أن اعتنقها الملـك اشوكا فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وجعل منها دينا رسميا للدولة ، وتعتبر فترة حكم أشوكا فى الهند من أزهى صفحات الحكم لا فى الهند وحدها بل الدنيـا كلها ، حيث كان عهد سلام وبناء وانشاء ونشر للرحمة بكل وسائلها ، وقـد أرسل أشوكا دعاة ومبشرين بالبوذية الى أنحاء العالم ، حتى لقد بعث بهم الى الاسكندرية فى ذلك الوقت ، وكان ذلك مبدأ قيام البوذية فى سيلان وفى غيرها من دول آسيا الجنوبية الشرقية ، ولكن البوذية التى بدأت تزدهر خارج الهند عادت من جديد للذبول فى الهند نفسها . . حتى انحسرت منها تقريبا ويحسـن بنا بعد ذلك أن ننتقل لعرض التعاليم البوذية .

الحقائق الأربعة النبيلة :

لخص بوذا لب تعاليمه فيما أسماه الحقائق النبيلة الأربع :

الحقيقة الأولى : الحياة الم .

منذ يولد الانسان حتى يموت والأكدار تلاحقه والآلام تسـيطر عليـه ، فالشيخوخة الم ، والمرض الم ، والموت الم ، وتعرض المـرء لما يكره ألـم ، والتفريق بينه وبين ما أو من يحب الم ، والاخفاق فى تحقيق مأربه الم .

الحقيقة الثانية : سبب الألم .

رغبات الانسان وشهواته سواء كانت مادية أم معنويـة ، والرغبة فى الصيرورة ، وشهوة اللذات وشهوة الحكم والسـلطات هذه كلها هى سـبب الآلام ، لأنها ليست سوى نار تحرق صاحبها ، وكلما تحققت الرغبات ولـدت رغبات جديدة اكثر اشتعالا فكأنها النار يصب عليها البترول .

الحقيقة الثالثة : ايقاف الألم .

عن طريق التحرر والخلاص بابادة الشهوات والرغبات وطردها نهائيا ــ وهذا هو جوهر البوذية .

الحقيقة الرابعة : كيفية منع الألم .

يمكن كبح جميع الشهوات والقضاء على كل الرغبات باتباع الطريق المثمن اى ذى الثمانية مبادىء .

١ ــ **الادراك الصحيح** ــ للحقائق الأربع النبيلة .

٢ ــ **الأهداف الصحيحة** ــ بالتخلى عن الملذات وعدم اضمار الحقد او الحسد او الكراهية او رغبة الايذاء .

٣ ــ **القول الصحيح** ــ الابتعاد عن كل زور وبهتان فى القول وعن السب والاهانة وكل الألفاظ الخشنة أو الثرثرة الفارغة .

٤ ــ **السلوك الصحيح** ــ وهو العمل بفضائل الحياة مــع الضغط على التحذير من القتل واخذ ما ليس من حق الإنسان ، وكل صنوف الاســتهتار او التحلل او الاستغراق فى الشهوات (أنظر الوصايا العشر الآتية) :

٥ ــ **الجهد الصحيح** ــ وفى هذا المبدأ يقول بوذا : لسنا فى الحقيقة الا ثمرة لما يعتمل فى تفكيرنا ، فعندما يتكلم الانسان ، أو يتصرف بفكـرة شريرة ، فان الألم يتبع ذلك على الفور ــ واذا تكلم او تصرف بأفكار خيرة فان السعادة تتبع ذلك كما يتبع الظل الشىء دائما .

٦ و ٧ ــ **ويندرج تحتها ضبط النفس** ، ويقول بوذا فى شرح هذا المبدا ــ اذا كان هناك رجل قد انتصر على الف رجل فى الف معركة ، وثمة رجل انتصر على نفسه فان هذا الأخير هو أعظم الرجلين (١) .

٨ ــ **النشوة الصحيحة** ــ وتلك هى ختام المراحل التى لا يحصل عليهــا الانسان الا من خلال التأمل والتفكير العميق للوصول الى الاشراق الروحى ، فيصبح الانسان حرا من كل العواطف التى تربطه بالحياة ، ويدخل بذلــك الى حالة السكينة والسلام سكينة النرفانا ، (وسوف نتحدث عنها فيما بعد) .

---

(١) وفى مثل هذا القول المأثور رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ــ جهاد النفس .

(١) وفى مثل هذا القول المأثور : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ــ جهاد النفس .

وصايا البوذية العشر :

هذه الوصايا تحدد السلوك الصحيح مما أشرنا اليه سابقا فى (٤) :

ــ لا تزهق روحا .
ــ لا تأخذ ما لا تستحق .
ــ لا تــــزن .
ــ لا تكذب أو تغش أحدا .
ــ لا تســـكر .
ــ كل باعتدال ولا تأكل شيئا ابدا بعد الظهر .
ــ لا تشهد رقصا ولا تسمع غناء أو تمثيلا .
ــ لا تلبس حليا ولا تتعطر ولا تتخذ زينـــة .
ــ لا تنم فى فرش باذخة .
ــ لا تتبل ذهبـــا ولا فضة .

والوصايا الخمس الاولى واجبة على كل بوذى على الدوام ، والخمس الاخيرة واجبة الاتباع فى أيام الصوم ، أما الرهبان فان عليهم اتباع الوصايـــا كافة فى سائر الاوقات .

أوجه الكمـــال العشـــرة :

الكمال الأول ــ العطـــاء ــ وهو أن يعطى الانسان بلا تحفظ .
الكمال الثانى ــ الواجـــب ــ وهو ان يؤثر الانسان الموت على أن يفرط فى واجبه .
الكمال الثالث ــ النبـــذ ــ وهو أن ينظر الانسان الى وجوده فى هـــذه الدنيـــا . كأنه سجن وان يترقب اطلاق سراحه .
الكمال الرابع ــ الفراسة والبصيرة ــ وهو ان يسأل الانسان الحكماء دائما لاغتنام البصيرة .
الكمال الخامس ــ الجزاة ــ وهو التمسك بالشجاعة فى مواجهة الذات .
الكمال السادس ــ الصبر ــ كما تحمل الأرض كـــل ما عليها من نقـــاء وفساد لا تحس جذلا أو استياء فكذلك يجب ان يكون الانسان .
الكمال السابع ــ الصدق ــ وهو أن يثبت الانسان فى طريق الصدق لا يحيـــد عنه أبـــدا .
الكمال الثامن ــ القرار ــ كما يجثم الجبل الصخرى صامـــدا لا تزحزحه الزوبعة فكذلك يجب ان يصمد الانسان فى قراره اذا ابرمه .
الكمال التاسع ــ الرحمة والشفقة ــ كما يطفى الماء غلة الصالح والطالح على السواء ويطهر أرجاسهم ، كذلك عليك أن تعامل صديقك وعدوك سواسية فى الرحمة والشفقة .
الكمال العاشر ــ الهدوء ــ كما تنظر الأرض هادئة الى ما على ظهرها من فاسد وطهور ، كذلك تلقى انت الأفراح والأتراح فى هـــدوء اذا أردت بلـــوغ الحكمـــة .

للحديث بقية

ذو النورين عثمان (رضي الله عنه)

للأستاذ: محب الدين الخطيب

يسرنا ويسر القراء ان يستجيب العالم الكبير والكاتب الحجة الاستاذ محب الدين الخطيب لرغبتنا فى الكتابة لقراء الوعى الاسلامى . ولقد قضى الاستاذ محب الدين حياته الحافلة المديدة ان شاء الله فى الذود عن دين الله وعن عزة المسلمين . وقد اغرانى حديثه الذى استمعت اليه فى تليفزيون الكويت فى برنامج « شخصيات اسلامية » والذى تحدث فيه عن شخصية سيدنا عثمان رضى الله عنه . فى عدة حلقات اغرانى بدعوته للكتابة فى هذا الموضوع ، فلبى الدعوة مشكورا ومقدرا » .

نشأته :

ولد عثمان بن عفان بمكة فى السنة السادسة من عام الفيل ، فى أسرة كانت اقوى أسر قريش عصبية وجاها وثروة وعددا ومكانة . وأبوه عفان هو ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، وقصى بانى مكة من حول الكعبة وحرمها ، ومؤسس مجد قريش الذى قال فيه شاعرهم :

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبائل من فهر

وعثمان يشترك فى النسب القريب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف بن قصى .

وأم عثمان هى أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، فهى تشترك فى النسب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف كذلك .

بل ان قرابة أمه من النبى صلى الله عليه وسلم أقرب من ذلك بكثير لانها هاشمية النسب من جهة أمها ، فهى بنت البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن

هاشم بن عبد مناف بن قصى ، فأم ذى النورين بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسبك هذا قرابة قريبة بين عثمان وبين المبعوث بأكمل رسالات الله صلوات الله وسلامه عليه .

ولأروى — أم عثمان — أخت هى سعدى بنت كريز ، دخلت فى الاسلام مبكرة ، وكانت ترغب فى أن يهدى الله ابن أختها عثمان للاسلام ، وأن تسعد بأن تراه صهرا للنبى صلى الله عليه وسلم على بنته رقية ، فتزداد أواصر القرابة وثوقا بين الفرعين الكريمين من بنى عبد مناف : فرع هاشم ، وفرع بنى عبد شمس . وكان مما يحبب ذلك اليها أن رقية الهاشمية وعثمان العبشمى الصهر المرجو لها كانا من أجمل قريش جمالا ، ومن أكملها كمالا .

كان عثمان مع جمال صورته كامل الأخلاق ، مستجمعا لصفات الخير ، فكان — مع الصدق الذى هو خلق جيله من اهل مكة — حييا حليما ، كريما رحيما ، لذلك كان محبوبا من قريش جميعا ، من بداية نشأته الاولى ، وكانت الامهات يناغين أطفالهن فى مهادهم ، فيخاطبنهم بحنان :

أحبك والرحمن حب قريش عثمان

ولما كان عثمان يسمع بما يدعو اليه رسول الانسانية صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ومعاليها لا يجد شيئا من ذلك غريبا عليه ، بل ان هذه الرسالة تدعو الناس جميعا الى مثل ما يشعر عثمان بأنه متحل به من الاخلاق التى جعلته محبوبا الى قريش ، حتى ضربت نساؤها الأمثال لمحبتهن فلذات أكبادهن بمحبة قريش لعثمان .

من هنا كان لعثمان فى بدء ظهور الدعوة الأسلامية عواطف متجاوبة مع هذه الدعوة من أخلاقه التى فطره الله عليها ، فكان ذلك مع قرابة النسب بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم الى عبد مناف بن قصى ، وكون أمه أروى بنت عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، كل ذلك كان من الاواصر والميول النفسية التى سهلت على أبى بكر الداعية الأول للرسالة المحمدية مهمته فى اكتساب قلب عثمان ، وجعله أحد القلوب القليلة الأولى المؤمنة بآخر رسالات السماء الى الارض .

هذه خلاصة نشأة عثمان ، وهى نشأة فيها اعداد من الله ليكون عثمان حجرا من الاحجار الأولى فى بناء الاسلام .

اسلامه واصهاره الى النبى صلى الله عليه وسلم :

كان عثمان — كسائر شباب أسرته — مشتغلا بالتجارة ، وكان ابو بكر من أعيان تجار مكة ، وكان مؤلفا لقومه ، يدعو الى الاسلام من يثق به ، وكانت له مع عثمان صلات تجارية تتخللها أحاديث عن أحداث البلد ، وكان أهم أحداث البلد فى ذلك الحين قيام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى رسالته العظمى للانسانية كلها ، وكانت تعقد بينهما مجالس فى فناء الكعبة لهذا الغرض .

نقل الحافظ ابن حجر فى (الاصابة) عن كتاب (شرف المصطفى) لأبى سعد النيسابورى ، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج روى عن أبيه عن جده ، أن جده الاعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال :

« كان لى مجلس من أبى بكر ، فاتيته فأصبته فى مجلسه ، ولا أحد عنده ، فجلست اليه فرآنى متفكرا ، فسألنى عن أمرى — وكان رجلا رقيقا — فاخبرته

بما سمعته من خالتى ، فقال لى : ويحك يا عثمان ، والله انك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل . هذه الأوثان التى يعبدها قومك أليست حجارة صما لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ؟ قلت : بلى والله انها لكذلك . قال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته الى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه ؟ فقلت : نعم . فوالله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على بن أبى طالب ، يحمل ثوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه أبو بكر قام اليه فساره فى أذنه ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقعد ، ثم أقبل على فقال : يا عثمان ، أجب الله الى جنته ، فانى رسول الله اليك والى جميع خلقه . قال عثمان : فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت ، وشهدت أن لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . ثم لم ألبث أن تزوجت رقية » .

وذلك لأن خالته سعدى كانت من ورائه ، ووراء رقية حريصة على اتمام هذا الزواج .

قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة سعدى بنت كريز ، بعد أن نقل هذا النص عن قول عثمان نفسه عن كتاب (شرف المصطفى) : « وكان يقال : أحسن زوجين رآهما انسان رقية وزوجها عثمان » ، ويقول أبو المقدام مولى عثمان : بعث النبى صلى الله عليه وسلم مع رجل بهدية الى عثمان ، فاحتبس الرجل ، أى تأخر فى العودة ، الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ، ما حبسك الا كنت تنظر الى عثمان ورقية .

وفى اسلام عثمان ومصاهرته النبى صلى الله عليه وسلم تقول خالته سعدى :

هدى الله عثمان الصفى بقوله ... فأرشده ، والله يهدى الى الحق
فتابع بالرأى السديد محمدا ... وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وانكحه المبعوث احدى بناته ... فكان كبدر مازج الشمس فى الافق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتى ... فأنت أمين الله أرسلت فى الخلق

ويقول الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : قيل انه ولدت له رقية ابنا ، فسماه عبد الله ومات ، ثم ولد له عمرو فاكتنى به الى أن مات . هذا ما عرفه التاريخ من خبر اصهار عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرته الى الحبشة :

بعد اسلام عثمان واصهاره الى النبى صلى الله عليه وسلم اشتدت الحال على المسلمين فى مكة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان من قبل يلين فى دعوة قريش الى الاسلام ، ثم اشتد فى ذكر أوثانهم ومعبوداتهم ، فتألبوا عليه . وائتمروا على المسلمين ، وشرعوا فى ايذائهم ، قال ابن اسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه ، وانه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وكانت هجرة الحبشة عند دخول النبى صلى الله عليه وسلم شعب عبد المطلب ، وفترة عيشه فى حمى أبى طالب .

كتب امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فى زمن خلافته الى عروة بن الزبير يسأله عن هجرة الحبشة . فكتب اليه عروة : « أما بعد فانه — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى انزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ، حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكروا ذلك عليه ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، واغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، الا من حفظه الله منهم وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من ابنائهم واخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الاسلام ، فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء . فلما فعل ذلك بالمسلمين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحد بأرضه ، وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش ، يتجرون فيها ، يجدون فيها رفاغا (هنيئا) من الرزق ، وامنا ، ومتجرا حسنا ، فأمرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. » .

قال أبو جعفر الطبرى : فاختلف فى عدد من خرج الى أرض الحبشة ، وهاجر اليها هذه الهجرة الاولى ، فقال بعضهم : كانوا فى البداية احد عشر رجلا واربع نسوة ، وهم : عثمان بن عفان معه امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة الاموى ، معه امراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام الاسدى ، ومصعب بن عمير من بنى عبد الدار سدنة الكعبة ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وابو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، معه امراته أم سلمة بنت أبى أمية المخزومية ، وعثمان بن مظعون الجمحى ، وعامر بن ربيعة العنزى حليف بنى عدى بن كعب ، معه امراته ليلى بنت أبى حثمة ، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، وحاطب بن عمرو ابن عبد شمس ، وسهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة . خرجوا من مكة حتى انتهوا الى الشعيبة ، منهم الراكب والماشى . ووفق الله للمسلمين من أهل هذه الهجرة الاولى — ساعة جاءوا الشعيبة — سفينتين للتجار حملوهم فيهما الى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مخرجهم فى رجب فى السنة الخامسة من حين نبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركب المهاجرون ، فلم يدركوا منهم أحدا . قالوا وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه .

قال الطبرى : فكان أول من خرج من المسلمين من بنى امية بن عبد شمس ابن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ومعه امراته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الحافظ الذهبى فى تاريخ الاسلام عن أنس بن مالك قال : خرج عثمان برقية بنت رسول الله الى الحبشة فأبطأ خبرهم ، فقدمت امراة من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيت ختنك ومعه امرأته ، فقال : على أى حال رأيتهما ؟ قالت : رأيته حمل امراته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط .

بعض جوانب من اخلاقه وشخصيته وفضائله :

كانت الأخلاق الغالبة على ذى النورين عثمان السكينة والحلم والرحمة ، وطول العبادة والسخاء والكرم والعدل ، وحب العافية فى الدين والدنيا ، للفرد وللجماعة .

روى عبد الله بن المبارك عن الزبير بن عبد الله أن جدته أخبرته ــ وكانت خادما لعثمان ــ قالت : كان عثمان لا يوقظ نائما من أهله الا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه للصلاة .

وكان وضوؤه وصلاته كأنهما وضوء النبى صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وفى كتب السنة بيان كيف كان الناس يتعلمون وضوء النبى صلى الله عليه وسلم من وضوء عثمان .

بئر رومة

ومن أمثلة كرمه عقب هجرتهم الى المدينة أن يهوديا كان يملك بئرا يحتاج المسلمون الى تناول الماء منها ، فلا يمكنهم اليهودى من ماء هذه البئر ــ واسمها بئر رومة ــ الا بالثمن الذى يجهدهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى بئر رومة فيجعلها للمسلمين ، يضرب بدلوه فى دلائها ، وله بها مشرب فى الجنة ؟ فأتى عثمان اليهودى فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر الف درهم ، فجعل عثمان نصف البئر للمسلمين ، وقال لليهودى : ان شئت جعلت على نصيبى قرنين نستقى عليهما ، وان شئت فلى يوم ولك يوم . قال اليهودى : بل لك يوم ولى يوم . فكان اذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين . فلما رأى اليهودى ذلك قال لعثمان : افسدت على ركيتى (بئرى) ، فاشتر النصف الآخر ، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم ، وصارت البئر كلها مباحة للمسلمين فى كل يوم يستقون منها مجانا وبلا أى حرج .

ومن عجائب الاقدار فى تقلبها ، وعجائب الناس فى مكافأتهم للمحسنين من رجالهم على احسانهم ، أن يحاصر دعاة الفتنة أمير المؤمنين عثمان فيمنعوه الشرب من ماء رومة ، ومن كل ماء ، فيشرف عثمان على دعاة الفتنة ويقول لهم : السلام عليكم ، فما يرد عليه أحد ، فقال لمن هناك من المسلمين الأولين : أنشدكم الله ، هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة من مالى وجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين ؟ فقيل : نعم . فقال : فعلام أمنع من مائها وأفطر على الماء المالح ؟! لأنه كان صائما ، واذا أراد أن يفطر لا يجد الا ماء بئر مالح فى داره .

شراؤه الارض لتوسعة المسجد

ولما ازداد عدد المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ، وضاق المسجد النبوى بالمصلين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد فى مسجدنا ؟ فاشترى عثمان رضوان الله عليه موضع خمس سوارى من الارض ، فزاد فى سعة المسجد ما يوسع على المسلمين .

فلما كانت الفتنة منعوه فى آخر الأمر من الصلاة فى المسجد ، الذى زاد فيه من ماله ، وهو فى أقل التقدير له حق الصلاة فيه كما كان يصلى فيه على

مقربة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بين الهجرة والوفاة النبوية ، فخاطبهم معاتبا وسائلا : هل منع من الصلاة فى هذا المسجد أى مسلم قبل أن يقع المنع عليه ؟!

تجهيز جيش العسرة

وفى غزوة تبوك — وكانت تسمى غزوة العسرة ، لشدة من الحر وجدب فى البلاد ، وحين طابت الثمار والظلال فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها فى الحر والجدب — فحض النبى صلى الله عليه وسلم أهل الغنى على النفقة والتبرع بالركائب ، لحملان المجاهدين فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا ، وأنفق عثمان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته ، فقد بلغ ما جهزه عثمان بنفسه لجيش العسرة تسعمائة وخمسين بعيرا واتم الألف بخمسين فرسا ، ثم زاد ذلك حتى بلغ الف بعير وسبعين فرسا .

وليقارن المسلم ذلك بحال عثمان لما قتل ، واحتيج الى حمله للقبر الذى يوارى فيه ، كيف حمل ؟ ، وكيف واراه أهل الحق والخير بالخفاء والستر على مالا يرضاه الله ورسوله وصالح المؤمنين .

فى أيام خلافته

وفى أيام خلافته فتحت الفتوح ، وسارت رايات الاسلام عزيزة ظافرة فى كل فج ، حتى دخلت فى الاسلام بلاد المسلمين التى فى روسيا الآن مجتازة الدربند التى كانوا يسمونها باب الابواب ، مما لم تبلغه دولة الأكاسرة فى أقوى عصورها .

وكانت الامة فى عدل ورخاء ومحبة وتناصف . روى السدى عن السرى ابن يحيى عن ابن سيرين قال : كثر المال فى زمن عثمان — ولم يكن لمال فى زمانهم الا الفضة والذهب — حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة الف درهم ، ونخلة بألف درهم .

وقال الحسن البصرى سمعت عثمان يخطب وهو يقول : يا أيها الناس ، ما تنقمون على ، وما من يوم الا وأنتم تنفقون فيه خيرا ؟

قال الحسن : وشهدت منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا على عطيتكم ، فيغدون ، ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم ، فيغدون ، فيأخذونها وافية . حتى والله سمعته إذناى يقول : اغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والعسل . قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . وما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا الا يوده ، وينصره ، ويألفه . فلو صبر الانصار على الاثرة — اى كما أوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم — لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصار عن الكفار مغمدا ، وعلى المسلمين مسلولا !!

لماذا ولى أقاربه

روى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن ابيه قال : لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه ، ولعله يشير الى تولية عثمان اقاربه من بنى أمية ، وهم كانوا أهل كفاءة وبراعة فى صناعة الحكم ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من ولى هذه الاسرة الاحكام ، وبولايتهم كان

الخير والرزق والسعة والعدل ، وسائر ما وصف به الحسن البصرى المجتمع الاسلامى أيام خلافة عثمان ، فرجال عثمان كانوا بين فاتح ظافر لا نظير له ، وبين حاكم حليم عادل لا مثيل له .

وبعد وقعة الجمل لما ولى على عبد الله بن عباس على البصرة غضب الأشتر وقال : فلان على البصرة ، وفلان على اليمن ، وفلان على الحجاز ، ففيم قتلنا الشيخ اذن ؟ ويعنى بالشيخ ذا النورين ، يشكو من ولاية على اقاربه ، وغضب وركب فرسه وتوجه الى الكوفة ، فترك على أعماله ، ولحق بالاشتر مسرعا لئلا يثير عليه فتنة كالتى اثارها على عثمان .

ان ادارة عثمان العادلة ، وطريقته الرحيمة فى الحكم ، وتوسعه الباهر فى الجهاد والفتوح ، وادخال الامم فى دين الله أفواجا ، قد جعل مدة خلافة عثمان لا يكاد يكون لها نظير فى اذاعة الاسلام واشاعته ، وهذا هو اللائق بعثمان ، وما كان يرجوه له ويدعو له به خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يعلم بوحى من الله ، أن عثمان سيكون من أهل الشهادة والجنة .

روى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن أحد كرام التابعين ، عن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » .

وفى كتاب فضائل الصحابة من صحيح الامام مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى عثمان : ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة » ؟ .

وقال النزال بن سبرة : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان . قال : ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى « ذا النورين » .

وقيل للمهلب بن أبى صفرة : لم قيل لعثمان « ذا النورين » ، فقال : لانه لم يعلم أن أحدا أرسل سترا على ابنتى نبى غيره .

وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : سألت ربى أن لا يدخل النار أحدا صاهر الى أو صاهرت اليه .

وفى صحيح البخارى عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبى بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم .

وقال عبد الله بن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة : بايعنا خيرنا ولم نأل .

ووصفه على بن أبى طالب بعد انقضاء أجله فقال : كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين .

وقال على فى عثمان بعد انتهاء الفتنة : من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الايمان . والله ما أعنت على قتله ، ولا أمرت ولا رضيت ، ويؤيد قول على فى ذلك فعله طول مدة الفتنة ، فقد جعل ابنيه — الحسن والحسين — فى حراسة عثمان ، وأمرهما أن يطيعاه فى الدفاع عنه ، وأن يكونا عونا له فى كل ما يطلب ويرغب مما يستطيعانه . ولما كان اليوم الاخير — يوم الشهادة لعثمان — كان الحسن بن على أحد الجرحى فى الدفاع عنه .

وروى موسى بن طلحة قال : أتينا عائشة رضى الله عنها نسألها عن عثمان ، فقالت ، اجلسوا أحدثكم عما جئتم له . انا عتبنا على عثمان رضى الله عنه فى ثلاث خصال — ولم تذكرهن — فعمدوا اليه ، حتى اذا ماصوه كما يماص الثوب بالصابون ، اقتحموا عليه الحرم الثلاث : حرمة البلد الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، وحرمة الخلافة . ولقد قتلوه وانه لمن أوصلهم للرحم ، وأتقاهم لربه رضى الله عنه فى الخالدين .

شهيد مؤتة
جعفر الطيار

له صادق الحب فى خافقى ... شهيد بفردوسه الشاهق
أهيم بأخباره النيرا ... ت وأهفو لايمانه الصادق
وأسعى الى ورده ظامئا ... لأنهل من فيضه الدافق
وأشدو الأغاريد فى مدحه ... وإطراء اسلامه السابق
وما كان شعرى لآل النبى ... سوى مقول بالشذا عابق
قبست الهدى من ينابيعهم ... ولذت بدوحهم الوارق
تغلغل منذ الصبا حبهم ... بنفسى وأهديتهم خافقى
وما الحب إلا لأربابه ... أولى الفضل والمحتد السامق
وهل صيغ قلبى لغير الهوى ... وللحب فى طوره الفائق
وهذا يراعى لفى لهفة ... لتسطير مجد الفتى الباسق
واحلاله فى رياض القريض ... بموضعه الزاهر المشرق
فتى قد أتاه نداء الهدى ... فلباه تلبية العاشق
وسار الى الروم فى جحفل ... به كل مستبسل حاذق
فما بينهم فارس مارق ... وهل فى الميامين من مارق
ترفرف فى الأفق راياتهم ... الى النصر رفرفة الواثق
وليس الجهاد لصحب الرسول ... سوى منية المولع الوامق
وفرحتهم بصليل السيوف ... اذا أطبق النقع من حالق

***

جعفر بن ابى طالب ذو الجناحين . شهيد مؤتة وخطيب المهاجرين الى الحبشة .

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث جيشا لغزو الروم فى السنة الثامنة للهجرة واعطى الراية لزيد بن حارثة ، فان قتل فالراية لجعفر بن ابى طالب ، فان قتل فلعبد الله بن رواحه ، وقد قتل الثلاثة فى مؤته على مرحلتين من بيت المقدس ، وقتل جعفر بعد قطع يديه قبل الغروب وهو صائم وفى جسمه أكثر من تسعين جرحا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ، ويروى عنه انه لما فقد يديه اخذ الراية باحضانه الى ان قتل ، وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا بيديه ، جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء،وقد اخذ الراية بعد الشهداء الثلاثة خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينقذ الجيش بخدعة حربية نادرة المثال ويعود به للمدينة . وكان جيش العدو يفوقه خمسين مـــرة ..

فالى احفاد زيد وجعفر وعبد الله وخالد اهدى قصة الاجداد لعلها تنفع فى مثل هـذه الايام الشـــداد .

للاستاذ: فاضل خلف

وســار الشهيد على دربـــه	لســـاح القتـــال بلا عائـــق
يصوم لخالقــه فى النهــــار	ويســـجد فى ليلــه الغاسق
الى ان بدا الروم فى زحفهــم	يموجون فى عســكر حانـق
فهب الكمى : فتــى هاشــم	وافصح عن صيتــه الناطـــق
وجاهــد وهو حليف الوغـــى	وجالد بالصــارم الصــاعق
واصبح وهو ربيـــب العلـــى	يذود عـــن العلــم الخافـق
ولابـــن ابى طالب صولـــة	بســيف لهام العــدا فالـق
يشــق صــفوفهم ظــافــرا	ويرفل فى نصـــره الســاهق
الى ان اتــاه نــداء الســماء	ومونلهــا الخالـــــد الشائق
فحزت يداه بســاح الجهـــاد	وخر اللواء مــع البــــارق
وقد أسلم الروح فى مؤتـــة	وطار اشتياقــا الــى الخالق
ومؤتـــة خطت بســفر الخلود	فصولا عن المعجــز الخــارق

* * *

وجـــاء الـــى المصطفى امـــره	واصغى الـــى الخبـــر الطارق
فاسمع اصــــحابه الأوفيـــاء	حديثا عـــن الواهــب الرازق
جناحان فى الخلد ــ بشراكم ــ	اعدهما اللـــــه للباشـــــق
يطيـــر بفردوســــه جعفـــر	ويرشف من كوثــر رائـــق

قضاء الله في بني إسرائيل

للدكتور : محمد سيد طنطاوي

جامعة البصرة

الأمم — ولا سيما — فى أوقات الشدائد والمحن ، احوج ما تكون الى الايمان العميق ، والاخاء الوثيق ، والتفكير السليم ، والاعتبار بسنن الله فى خلقه ، ونبذ الاشاعات الضارة التى تحول بينها وبين ما تصبو اليه من عزة وطمأنينة .

ومن الاشاعات الكاذبة التى روجها ضعفاء النفوس فى الأيام الأخيرة اشاعة تقول :

« ان انتصار اليهود على المسلمين فى الحرب القريبة الماضية إخبرت عنه الكتب السماوية) ثم يدعمون مزاعمهم هذه بقوله تعالى : « **وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » (٢) .**

ولا شك ان هذه الآيات ابعد ما تكون عما أشاعه أولئك المضللون ، أو المضللون الذين يهدفون من وراء أكاذيبهم الى أن يرضى المسلمون بالذل والهوان ، وأن يستسلموا لأنها — فى زعمهم — أمر أخبر عنه القرآن الكريم :

ويهمنا بهذه المناسبة ان نوضح أمرين رئيسيين :

اولهما : تفسير الآيات الكريمة :

وثانيهما : بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل **بعد** مرتى افسادهم فى الأرض .

---

(١) هذا المقال مقتبس من رسالة حصل بها الكاتب على (الدكتوراه) بتقدير (**ممتاز**) **فى** التفسير والحديث ، من جامعة الازهر — كلية أصول الدين ، وكان موضوعها (بنو **اسرائيل فى** القرآن والسنة) وتبلغ صفحاتها زهاء ثمانمائة صفحة .. وستطبع قريبا — بإذن الله .

(٢) سورة الاسراء الايات ٤ — ٨ .

ولتوضيح الأمر الأول نقول :

قوله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب .. » معناه : واوحينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب — وهو التوراة — وحيا مؤكدا واعلمناهم فيه على لسان نبيهم موسى — عليه السلام — بما سيقع منهم من افساد كبير فى ارض الشام مرتين ، كما قال تعالى (لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) اى : لتعصن الله تعالى ، ولتخالفن امره فى أرضه مرتين . ولتستعلن على الناس بغير حق استعلاء عظيما ، يؤدى بكم الى الخسران والدمار .

فان قال قائل : وما الفائدة فى ان يخبر الله بنى اسرائيل فى كتابه انهم يفسدون فى الأرض مرتين ، وانه يعاقبهم على ذلك عقابا اليما ؟ .

فالجواب : ان اخبارهم بذلك يفيد أن الله لا يظلم الناس شيئا ، وانما يعاقبهم بما كسبت أيديهم ، ويعفو عن كثير ، وان رحمته مفتوحة للتائبين ، كما يفيد أن الأمم المغلوبة على أمرها : تستطيع ان تسترد عزتها المسلوبة ، وكرامتها المغصوبة وأوطانها المنهوبة ، متى استقامت على أمر الله ، واخذت بأسباب القوة والنصر فى كل شؤونها .

ثم بين — سبحانه — ما سيحل بهم من عقوبات بسبب فسوقهم عن امره فقال تعالى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) اى : فاذا جاء وقت عقابكم — يا بنى اسرائيل — على المرة الأولى من افسادكم فى الأرض ، سلطنا عليكم عبادا لنا ذوى قوة وبطش فى الحرب ، فأنزلوا بكم الهوان ، وترددوا بين مساكنكم لقتلكم ، وسلب أموالكم ، وهتك أعراضكم ، وتخريب دياركم ، وكان ذلك العقاب لكم ، وعدا نافذا لا مرد له ولا مفر لكم منه .

ثم اخبر — سبحانه — انه نصرهم على اعدائهم حين اصلحوا انفسهم فقال تعالى : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) . اى : أعدنا لكم الدولة والغلبة على أعدائكم الذين قهروكم وأذلوكم بعد أن أحسنتم العمل ، وأمددناكم بالأموال والبنين ، وصيرناكم أكثر عددا ، واعز ناصرا ، فعليكم أن تقدروا هذه النعم وتؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى تعرفون صدقه كما تعرفون أبناءكم .

وقوله تعالى بعد ذلك : (ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها ، بمثابة التعليل لما قبله ، فكأنه — سبحانه — يقول لهم : رددنا لكم الكرة على أعدائكم وغمرناكم بنعمنا بعد ان اصلحتم شأن انفسكم . لتعلموا سنة من سننا التى لا تتغير ولا تتبدل وهى أن الفساد فى الأرض عاقبته الدمار وتخريب الديار ، وان الاحسان والطاعة عاقبتهما النصر والاستقرار .

ثم بين — سبحانه — انه سيكون منهم افساد كبير مرة ثانية . وانه سيبعث عليهم من يذلهم فقال تعالى : (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) اى : فاذا جاء وقت عقابكم على المرة الثانية من مرتى افسادكم . سلطنا عليكم اعداءكم ليجعلوا آثار الكآبة والذلة بادية على وجوهكم . وليدخلوا المسجد الاقصى فاتحين غالبين كما دخلوه أول مرة ، وليدمروا ما ظفروا به تدميرا شديدا .

وكان من مظاهر مفاسدهم فى المرتين . تحريفهم للتوراة . وتركهم العمل بها ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه . وأكلهم أموال الناس بالباطل ... الخ .

ثم بين سبحانه ان هذا الدمار الذى حل بهم قد يكون طريقا لرحمتهم ، ان فتحوا قلوبهم للحق ، فقال تعالى : (عسى ربكم أن يرحمكم وأن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

اى : لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم متى أخلصتم العبادة واحسنتم العمل ، فان من سنته سبحانه انه لا ينزل بلاء الا بذنب ولا يرفعه الا بتوبة ، أما اذا عدتم الى المعاصى ، فانه سيعود عليكم بالعقاب والتعذيب ، ولقد عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة ولهم بعد ذلك فى الآخرة جهنم وبئس المهاد .

قال ابن عباس : (عادوا الى المعاصى فسلط الله عليهم المؤمنين فأذلوهم وقهروهم) .

هذا ، وقبل ان نتحدث عن الأمر الثانى نسوق بين يديه هذه المقدمات :

أ — لم يرد عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديث صحيح فى بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم .

ب — الافساد فى الأرض قد حدث من اليهود كثيرا ، والمقصود من قوله تعالى (لتفسدن فى الأرض مرتين) انما هو أظهر مرتين حدث فيهما الافساد منهم ، ومما يدل على تكرر معاصيهم ومفاسدهم قوله تعالى (وان عدتم عدنا) كذلك مما يدل على أن التسليط عليهم مستمر الى يوم القيامة قوله تعالى (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ..) .

ج — الرجوع الى التاريخ الصحيح هو الذى يعيننا على معرفة المسلط عليهم بعد مرتى افسادهم .

د — نعتقد أن المقصود من سياق الآيات ، بيان سنة من سنن الله فى الأمم حال اصلاحها وفسادها ، وقد ساق القرآن ، هذا المعنى بأحكم عبارة فى قوله تعالى (ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) .

ويعجبنى فى هذا المقام قول الامام الرازى : (واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض فى معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم ، بل المقصود انهم لما أكثروا من المعاصى سلط الله عليهم أقواما آخرين فقتلوهم وأذلوهم) (١) .

ومع ايماننا بأن الآيات واردة لبيان سنة الله فى خلقه وانه لا يتعلق كثير غرض من معرفة الأقوام الذين سلطوا على بنى اسرائيل بعد مرتى افسادهم ، الا أننا نحاول التعرف على أولئك الأقوام الذين اختلف المفسرون فى شأنهم اختلافا كبيرا ، واضطربت أقوالهم عنهم اضطرابا شديدا فنقول بايجاز شديد .

الرأى الذى نختاره ان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض ، هم جالوت وجنوده ، ونستند فى اختيارنا لهذا الراى الى أمور من أهمها ما يلى :

أولا : صرح بعض المفسرين بأن القوم الذين أخرجوا بنى اسرائيل من ديارهم هم جالوت وجنوده ، قال ابن جرير : قال ابن عباس (بعث الله عليهم فى الأولى جالوت فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج ، فسألوا الله ان يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيله فبعث لهم طالوت فقاتلوا جالوت وانتصروا عليه ، وقتل جالوت بيد داود ..) (٢) .

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٢٠ ص ١٥٦ طبعة عبد الرحمن محمد ولابن كثير وأبى حيان كلام يشبه كلام الرازى فراجعهما .

(٢) تفسير ابن جرير ج ١٥ ص ٢١ طبعة الحلبى الآيات ٢٤٥ — ٢٥٢ .

ثانيا : ذكر القرآن الكريم فى سورة البقرة قصة القتال الذى دار بين بنى اسرائيل وبين جالوت وجنوده ، وبين فيها ما يدل على انهم كانوا قبل ذلك القتال مهزومين مستذلين ، ويتجلى هذا المعنى فى قولهم لنبيهم (وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فهذا القول منهم — كما حكاه القرآن — يدل على انهم قبل قتالهم لجالوت كانوا قد هزموا على ايدى اعدائهم هزائم منكرة اضطروا معها الى الخروج من ديارهم ومفارقة ابنائهم ، والذين أوقعوا بهم هذه الهزائم هم جالوت وجنوده كما قال بعض المفسرين .

ثالثا : قوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم ..) صريح فى أن الله نصر بنى اسرائيل — بعد أن تابوا وأنابوا — على أعدائهم الذين جاسوا خلال ديارهم ، ولقد كان هذا النصر نعمة كبرى لهم ، لأنه اتاهم بعد أن اخرجوا من ديارهم وبعد أن اعترضوا على اختيار (طالوت) ملكا عليهم ، وبعد أن قاتل معه عدد قليل منهم ، أما اكثرهم : فقالوا : (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ..) .

رابعا : قوله تعالى (وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) ينطبق على العهد الذى تولى فيه داود وسليمان — عليهما السلام — حكم بنى اسرائيل ، ففى ذلك العهد ازدهرت مملكتهم ، وصاروا اكثر نفيرا من أعدائهم .. وتاريخهم قبل ذلك وبعد ذلك ، هو فى مجموعه سلسلة من المآسى والنكبات التى حلت بهم بسبب ظلمهم وبغيهم من مختلف الشعوب وفى شتى العصور .

هذا ما نرجحه فى بيان المراد بالعباد الذين سلطوا على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض ، اما المراد بالعباد الذين سلطوا عليهم بعد افسادهم الثانى ، فيرى جمهور المفسرين انهم البابليون بقيادة (بختنصر) فقد غزاهم ثلاث مرات الأولى سنة ٦٠٦ ق.م ، والثانية سنة ٥٩٩ ق.م . والثالثة سنة ٥٨٨ ق.م ، وفى هذه المرة الثالثة ، قتل زهرة شبابهم . وهدم هيكلهم ، وساق الأحياء منهم أسارى الى بابل ، وقد ظلوا فى أسره زهاء خمسين سنة ، ثم انقذهم منه (قورش) الفارسى الذى تربى فى حجر (أستير) اليهودية .. وهذا الرأى ليس ببعيد عن الصواب لما ذكرنا من تنكيله بهم ، ولكنا نؤثر عليه ان يكون المسلط عليهم فى هذه المرة ، هم الرومان بقيادة (تيطس) لأمور اهمها :

اولا : الذى يتتبع التاريخ يرى أن رذائل اليهود فى الفترة التى سبقت تنكيل الرومان بهم اشد وافحش من رذائلهم التى سبقت اذلال (بختنصر) لهم ، وبالتالى كان تسليط الرومان عليهم أنكى واقسى ، فهم — على سبيل المثال — قبيل بطش الرومان بهم كانوا قد قتلوا من أنبياء الله زكريا ويحيى — عليهما السلام — ، وحاولوا قتل عيسى ، واتخذوا لذلك جميع السبل ، ولكنهم لم يفلحوا لأسباب خارجة عن ارادتهم ، وقد قتلوا — فعلا — شبيه عيسى ظنا منهم انه عيسى عليه السلام .

ثانيا : التاريخ الصحيح لا يؤيد ما ذكره المفسرون من أن الله تعالى سلط عليهم (بختنصر) بعد افسادهم الثانى فى الأرض بسبب قتلهم لزكريا ويحيى عليهما السلام ، وذلك لأن ، بختنصر يسبق عصرهما بخمسة قرون على الأقل ،

وقتل اليهود لهذين النبيين الكريمين . ومحاولتهم قتل عيسى . كان فى عهد حكم الرومان لفلسطين (١) . ولم يكن فى عهد (بختنصر) البابلى .

ثالثا : ضربات الرومان فى ذاتها كانت اشد واقسى على اليهود من ضربات (بختنصر) .

فقد وصف المؤرخون النكبة التى اوقعها بهم الرومان بأوصاف تفوق ما انزله بهم (بختنصر) ، يقول احد الكتاب كان (تيطس) فى الثلاثين من عمره حينما وقف سنة ٧٠ ميلادية أمام اسوار اورشليم على راس جيشه ، واخذ سكانها من اليهود يعانون اهوال الحصار ، وسرت فيهم المجاعات ، فكانوا يخرجون على ايديهم وارجلهم كالاشباح الذابلة . تسبقهم الشائعات بأنهم قد ابتلعوا الذهب فى بطونهم ، فكان جند الرومان يتصيدونهم فى الظلام . ثم يشقون بطونهم بحثا عن الذهب .. وبعد ان اقتحم الرومان (اورشليم) استباحوها ، ثم احرقوا هيكل اليهود ودمروه ، وتحققت نبوءة المسيح حين قال : (ستلقى هذه الأرض بؤسا وعنتا وسيحل الغضب على اهلها ، وسيسقطون صرعى على حد السيف ، ويسيرون عبيدا الى كل مصر ، وستطأ (اورشليم) الأقدام) (٢) .

رابعا : ضربات الرومان — من حيث آثارها على اليهود — اشنع من ضربات (بختنصر) وذلك لانهم بعد تنكيل (بختنصر) بهم . استطاعوا أن يعودوا الى فلسطين تحت حماية (قورش) الفارسى ، اما بعد تنكيل الرومان بهم فقد مزقوا شر ممزق وانقطع دابرهم كأمة . وقضى على كيانهم كدولة أو ما يشبه الدولة .

يقول صاحب (تاريخ الاسرائيليين) بعد وصفه لما حل باليهود على يد (تيطس) :

(الى هنا ينتهى تاريخ الاسرائيليين كأمة ، فانهم بعد خراب أورشليم على يد الرومان ، تفرقوا فى جميع البلاد ، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التى نزلوا فيها) (٣) .

ولهذه الأسباب نرجح ان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الأول فى الأرض هم (جالوت وجنوده) والذين سلطهم عليهم بعد افسادهم الثانى هم الرومان بقيادة (تيطس) .

اما الحقيقة التى نعتقدها ونكررها فهى أن الآيات الكريمة مسوقة لبيان سنة من سنن الله فى خلقه ، وهى أن الامم التى تفرط فى جنب الله . وتنتهك حرماته ، وتهمل الأخذ بأسباب النصر الروحية والمادية ، هذه الأمم — فى كل زمان ومكان — مصيرها الفشل والخسران .

اما الأمم المؤمنة بربها ، القوية فى كل شأن من شؤونها ، فان العاقبة ستكون لها . وما يصيبها من هزيمة فى بعض المواقف ، ما هو الا نوع من الامتحان الذى يصقل النفوس . ويميز الخبيث من الطيب ، وهذا وعد الله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) .

والعاقل هو الذى يعتبر بسنة الله التى لا تتبدل ولا تتحول .

---

(١) حكم الرومان لفلسطين استمر من سنة ٦٣ ق.م الى سنة ٦١٤ ميلادية ، ثم خضعت لحكم الفرس من سنة ٦١٤ الى سنة ٦٢٨م ، ثم عادت الى حكم الرومان من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٣٦م ثم فتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ الموافق ٦٣٦م ..

(٢) من مقال للأستاذ عمر طلعت زعران ، عنوانه (تدمير أورشليم) نشر بمجلة الأزهر المجلد ٢١ ص ٤٧ .

(٣) تاريخ الاسرائيليين . ص ٧٧ لشاهين مكاريوس طبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ م .

كان عمر مجتهداً وعبقرياً في اجتهاده

للأستاذ: محمد البلتاجي

من الحقائق المسلم بها فى تاريخ الفكر البشرى بعامة أن اتحاد الغايه والهدف لا يتضمن بالضرورة اتحاد المقدمات والوسائل . فكثيرا ما تتفق الغايات المقصودة مع الاختلاف الكبير فى الوسائل والمقدمات المتبعة فى الوصول اليها.

وهذا يصدق الى أقصى حد على هذا التعليق الذى أقدمه هنا حول مقال « حول اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب » للاستاذ محمود مهدى استانبولى الذى نشر فى العدد الحادى والثلاثين .

فبالرغم من اتفاقى التام معه فى أن الذين نظروا الى التشريعات العظيمة التى تمت فى خلافة عمر بن الخطاب على أنها مخالفات منه لنصوص التشريع ـ قد جانبوا الحق فى نظرهم هذا ، وبالرغم من اتفاقى معه أيضا فى أن هذه التشريعات كانت تطبيقا لهذه النصوص ، ولم تكن بأى حال من الأحوال مخالفة او تركا لها . بالرغم من ذلك فاننى أختلف معه تماما فى المقدمات ، ووجهات النظر ، والمقررات التى ساقها للوصول الى هذه النتيجة التى اتفق معه عليها تماما . وذلك على التفصيل الآتى :

ـ ١ ـ

قال الأستاذ استانبولى : « وقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع الخطير لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد **لم يكن مجتهدا** ، انما كان متبعا لنصوص الشريعة » .

وانى أقول : ان البحث الموضوعى قد أثبت بما لا يدع مجالا لأية مخالفة أن عمر بن الخطاب كان أكبر مجتهد فى تاريخ التشريع الاسلامى ، بأوسع ما تحمله كلمة (الاجتهاد) من معنى ومضمون . وسوف تبدو هذه الحقيقة واضحة فى مناقشتى للأمثلة الثلاثة التى ساقها كاتب المقال . بل اننى لأذهب الى القول بأن البحث الموضوعى قد أثبت أن عمر لم يكن مجتهدا فحسب ، بل كان ذا منهج عبقرى متميز فى الاجتهاد ، تمثل فى خطة عقلية كان يصدر عنها فى مجال تطبيقه لنصوص التشريع ، مما لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

ثم ، هل هناك تعارض بين ان يكون عمر — او غيره — مجتهدا ، وبين ان يكون متبعا لنصوص الشريعة فى الوقت نفسه (كما تدل على ذلك الفقرة التى تنفى عن عمر صفة الاجتهاد لتثبت له صفة اتباع النصوص) ؟ اننا لنذهب الى القول — ومعنا عشرات من الائمة والمجتهدين والفقهاء — الى ان ضرورة اتباع نصوص الشريعة نفسها تتطلب فى كثير من الأحيان فكرة الاجتهاد — بطرقه المتعددة — فى هذه النصوص وحولها . وتبدو هذه القضية ايضا واضحة فى مناقشتى للأمثلة التى سيقت فى المقال المذكور .

— ٢ —

ثم يقول كاتب المقال : ان عمر بن الخطاب اخطأ فهم المقصود بقوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) فضيق هذا المقصود حيث حصرهم فيمن وجد منهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون من وجد بعده . مع ان الآية تتسع لمن وجد منهم فى كل عصر . فمضمون هذا السهم أوسع فى الحقيقة من فهم عمر فيه . ولأن عمر اخطأ فى هذا الفهم (فلا يجوز أن يتخذ فعل عمر هذا مثالا للمنهاج الفقهى الواقعى) !

ونحن لا نعطى عمر — او غيره من الصحابة او المجتهدين — صفة العصمة عن الخطأ فى اجتهاده . لأنه أولا: بشر ، يجوز عليه فى نهاية الأمر ما يجوز على سائر البشر من الخطأ والنسيان والجهل ببعض الأمور . وثانيا : لأنه لم يعط نفسه ، أو اجتهاده ، هذه الصفة . فقد كتب أحد كتابه فى احدى مسائل اجتهاده : هذا ما راى الله وراى عمر . فقال له عمر : بئسما قلت! قل : هذا ما راى عمر ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمن عمر (١) . وقال عمر ايضا : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الراى (اى احتمال الخطأ فيه بحكم انه راى) سنة للأمة (٢) . وقال مرة على المنبر : ايها الناس ، ان الراى انما كان من رسول الله مصيبا ، ان الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف (٣) . وقد كان من خطة عمر ومنهجه فى اجتهاده الا يجعل نتيجة اجتهاده — هو او غيره من الناس — نصا تشريعيا ملزما لا احتمال فيه لخطأ أو اعادة نظر (٤) .

لا نعطى عمر اذن صفة العصمة عن الخطأ فى الفهم والاجتهاد بصفة عامة ، ولكننا مع ذلك نقول : ان عمر فهم موضوع المؤلفة قلوبهم الفهم الصحيح الذى كان فيه ذلك العبقرى الملهم الذى لم يفر أحد فريه ، والذى كان الحق يدور معه حيث دار ، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

الفهم مشترك

وقد شارك عمر فى هذا الفهم أبو بكر الصديق وباقى الصحابة وهذه الموافقة موافقة يمكن اعتبارها نوعا من (الاجماع السكوتى) الذى لم نعلم أحدا

(١) اعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٦٢ وابطال القياس والرأى لابن حزم ص ٥٨ .

(٢) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) المرجعين السابقين .

(٤) انظر : منهج عمر بن الخطاب فى التشريع (دراسة مطولة حصل بها كاتب هذه السطور على درجة الماجستير فى الشريعة الاسلامية من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز سنة ١٩٦٦م ص ٣٦٢ — ٣٦٤ .

(٥) انظر الصحيحين ، وسائر كتب السنة فى باب فضائل الصحابة .

خالفه . فقد أعطى رسول الله المؤلفة قلوبهم . وجاء الى أبى بكر فى خلافته رجلان ممن كان يعطيهم الرسول تأليفا لقلوبهم ، وطلبا منه أن يعطيهما أرضا قائلين له : ان عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تعطيها ايانا .. فكتب لهما كتابا بذلك — وليس فى القوم عمر — فانطلقا اليه ، ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله منهما ، وتفل فيه فمحاه ، ثم قال لهما : ان رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل ، وان الله قد أغنى الاسلام وأعزه اليوم ، فاذهبا فاجهدا جهدكما كسائر المسلمين ، فالحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . فرجعا الى أبى بكر متذمرين ، وقالا مقالة سيئة ، فوافق أبو بكر عمر على ما فعله ، ورجع الى رأيه ، فقالا له : الخليفة أنت أم عمر ؟! فقال أبو بكر : هو ، ان شاء (١) .

وقد استمر عمر على منعه سهم المؤلفة قلوبهم — الثابت بنص القرآن — فى خلافته هو بعد وفاة أبى بكر . ويقول الجصاص (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) « فترك أبى بكر الصديق النكير على عمر فيما فعله ، بعد امضائه الحكم ، دليل على أنه عرف مذهب عمر حين نبهه اليه » (٢) : ويقول كمال الدين ابن الهمام (المتوفى سنة ٨٦١هـ) : « فلم ينكر أحد من الصحابة على عمر ، مع ما يتبادر منه الى كونه سببا لاثارة الثائرة ، أو ارتداد (٣) بعض المسلمين ، فلولا اتفاق عقائدهم على حقيقته لبادروا الى انكاره » (٤) .

لم ينفرد عمر اذن برأيه فى المؤلفة قلوبهم ، بل وافقه عليه أبو بكر الصديق ، وباقى الصحابة دون مخالف ، مما يمثل نوعا من (الاجماع السكوتى) الذى يعتبره بعض العلماء مصدرا تشريعيا لا يحتمل الخطأ . لكنا لن نسلك هذا الطريق فى محاولة اثبات أن فهم عمر فى المؤلفة قلوبهم هو الفهم الصحيح . وانما أردنا فحسب أن ننبه الى أن صفة الخطأ فى الفهم يجب الا تسند لعمر وحده ، بل لأبى بكر الصديق أيضا وباقى الصحابة الذين لم يخالفوه فى فهمه . فما هو هذا الفهم الذى نذهب الى أنه هو — وحده — الفهم الصحيح الصادق لنص القرآن ؟

لا يوجد مؤلفة

مما لا شك فيه أن سهم المؤلفة الثابت بنص القرآن لا يستطيع عمر — أو غيره من الناس — الغاءه أو نسخه — الا أن عمر مع هذا أوقف العمل به فى خلافة أبى بكر وخلافته هو ، وذلك لسبب بسيط جدا هو أنه لم يكن فى عصرهما مؤلفة حتى يعطون هذا السهم ، لأن نصوص السنة التى جاءت مفسرة للقرآن تدل بوضوح على أن الحكم بوجود مؤلفة أو عدم وجودهم فى أى مجتمع اسلامى مرهون بوضع الجماعة الاسلامية ، فان احتاجوا الى تأليف القلوب فحينئذ يوجد المؤلفة ، ويستحقون نصيبهم المفروض فى القرآن ، وان لم يحتج المسلمون

---

(١) انظر : فتح القدير لابن الهمام جـ ٢ ص ١٥ وأحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ١٥٢ — ١٥٤ وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٢٧٥ مع اختلاف يسير فى الرواية لا يمس مضمونها الفقهى .

(٢) احكام القرآن جـ ٣ ص ١٥٣ .

(٣) لثبوت سهم المؤلفة بنص القرآن الكريم ، انظر سورة التوبة آية ٦٠ .

(٤) فتح القدير جـ ٢ ص ١٤ — ١٥ .

الى تأليف القلوب فكيف يوجد (المؤلفة) اذن ؟ وكما يدل كلام عمر السابق فى منعه اعطاء الأرض — فان الاسلام فى خلافة أبى بكر وبعدها كان عزيز الجانب ، وكان يحقق انتصارات متوالية يرث بها الامبراطوريتين الفارسية والرومانية . فكيف يحتاج عندئذ الى تأليف قلوب بعض الأعراب ؟

ومن ثم فانه لم توجد فى هذا العصر حاجة بالمسلمين الى تأليف القلوب ، فلم يوجد من يطلق عليه وصف (المؤلفة قلوبهم) ، وبذلك توقف الاعطاء بهذا السهم ، حتى يحتاج المسلمون الى تأليف القلوب . فيوجد المؤلفة عندئذ ، فيعطون بهذا السهم .

وفى كلمة واحدة ، كان وجود (مؤلفة) أو عدم وجودهم مرهونا بوضع الجماعة الاسلامية ، وليس مرهونا بمجرد وجود عدد من الناس يطلبون العطاء بهذا السهم ، دون أن يحتاج المسلمون الى تأليف قلوبهم .

وكما يقول الجصاص فان سهم المؤلفة قلوبهم مقصور على الحال التى يكون عليها أهل الاسلام من قلة العدد . وكثرة الكفار ، واحتياج المسلمين عندئذ الى التأليف . وكما يقول ابن الهمام : فعدم الدفع للمؤلفة فى خلافة أبى بكر وعمر تقرير لما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نسخ له ، لأن الواجب هو اعزاز الدين ، وكان بالدفع فى عهد الرسول ، وقد اصبح بعدم الدفع فى حال عزة المسلمين .

لا خطأ ولا ابطال

لم ينسخ عمر والصحابة اذن نص الآية ، ولم يبطلوا العمل بها ، كما انهم لم يخطئوا فهمها ، ولم يخصصوه ببعض مفهومه ، حيث لم يذهب عمر — أو غيره من الصحابة — الى وقف العمل بهذا السهم الى الأبد ، انما كانوا ينظرون الى ظروف عصرهم فحسب . ولم يقل واحد منهم مطلقا — وما كان له ان يقول — ان هذا السهم اوقف بعد وفاة رسول الله حتى نهاية العالم . ويبدو الفارق بين الحالين واضحا حين يحتاج المسلمون بعد ذلك الى تأليف القلوب ، وقد حدث هذا بالفعل فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، حين تألف قلب البطريق واعطاه الف دينار ، لحاجة المسلمين ومصلحتهم عندئذ ، وعملا بالآية والسنة (١) .

فالأمر فى المؤلفة قلوبهم « ماض أبدا » كما يقول ابو عبيد القاسم (٢) ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ) وان كان الحكم بوجودهم أو عدم وجودهم يرجع الى التقدير الحكيم لولى أمر المسلمين فى كل عصر . ويوافقه فى هذا أبو جعفر الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) والشوكانى (المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ) وغيرهم (٣) . وقد كان هذا ايضا من قبل رأى أبى حنيفة والشافعى (٤) وغيرهما من كبار الأئمة ، الذين فهموا رأى عمر ووافقوه ، كما وافقه الصحابة.

---

(١) انظر كتاب : الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) الاموال ص ٦٠٧ .

(٣) انظر : جامع البيان جـ ١٠ ص ١٠٠ ونيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٤) انظر مثلا : بداية المجتهد لابن رشد جـ ١ ص ٢٥١ .

والأمر فى المؤلفة قلوبهم فى خلافة أبى بكر وعمر يشابه الأمر باعطاء سهم للفقراء أو الغارمين فى نفس الآية . فاذا لم يوجد فى مجتمع ما من ينطبق عليه وصف (الفقراء) أو (الغارمين) فحينئذ يوقف العمل بهذين السهمين دون أن يكون هذا الايقاف نسخا للنص أو خطأ فى فهمه ، حتى يوجد من ينطبق عليه أحد الوصفين .

ثم ، أليس هناك تناقض واضح بين أن يقول الأستاذ استانبولى فى أول مقاله انه يبحث هذا الموضوع الخطير ليثبت للملأ أن عمر لم يكن مجتهدا ، ثم يقول بعد ذلك فى آخر مسألة المؤلفة قلوبهم : ان عمر (اجتهد فيها) فأخطأ الفهم المقصود من النص فيها ، فله أجر الاجتهاد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا أصاب الحاكم فله أجران ، وان أخطأ فله أجر) ؟!!

— ٣ —

فى حد السرقة

وفى المثال الثانى الذى يسوقه الأستاذ استانبولى يقول ان عمر فى وقفه تنفيذ حد السرقة فى عام المجاعة لم يكن مجتهدا (فانه لا اجتهاد فى مورد النص ، انما هو اتباع لنص قوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقوله سبحانه (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) .

وبصرف النظر عن أنه جعل عمر بن الخطاب « يجتهد » فى نص قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) ويخطىء — فان جملة (لا اجتهاد فى مورد النص) — وهى احدى مقررات أصول التشريع الاسلامى — انما تقال وتصدق حين يكون النص — بالنظر الى الواقعة التى يطبق فيها — واضحا كل الوضوح لا يحتاج الى أى فكر أو تأمل ، فلا يحتاج الا الى مجرد التطبيق ، وذلك مثل قوله تعالى : (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) (١) أما اذا احتاج النص — بالنظر الى الواقعة التى يطبق فيها — الى نظر وتأمل ، فحين ذلك يجب الاجتهاد فى تفهم معانيه ومقاصده . وكمثال على ذلك — من آيات المواريث أيضا — فان قوله تعالى فى نفس الآية السابقة : (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) واضح أنه فى ميراث الأخوة لأم ، كما أن قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) (٢) . وواضح أنه فى ميراث الأخوة الأشقاء ، أو لأب . فميراث الاخوة جميعا ثبت بالنص القرآنى . هذا صحيح ، لكن كيف نورثهم مثلا لو وجد الأخوة الأشقاء مع الاخوة لأم فى مسألة مثل (المشتركة) ؟

وتنشأ صورتها اذا توفيت امرأة وتركت زوجها ، وأمها واخوتها لأمها ، واخوتها لأبيها وأمها . وقد حدثت هذه المسألة فعلا فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ميراث الأخوة فيها ، مع وجود نص القرآن عليه فى آيتين — مجالا لاجتهاد كبير بين الصحابة . انقسموا فيه الى قسمين بين تشريك الأخوة الأشقاء مع

---

(١) سورة النساء ١٢ .

(٢) سورة النساء ١٧٦ .

الأخوة لأم فى الثلث بعد نصيب الزوج والأم او عدم تشريكهم (١) بل ان عمر ابن الخطاب راجع فيها نفسه بعد عام كامل ، فرجع عن اجتهاده فيها الى غيره ، مع عدم قطعه بالصحة المطلقة — التى لا تحتمل أى مراجعة أو تعديل — لاجتهاده الأخير ، ومن ثم فانه لم يلغ العمل باجتهاده الأول حيث قال : تلك على ماقضينا ، وهذه على ما نقضى (٢) .

اذن فالقول بأنه (لا اجتهاد فى مورد النص) ليس على اطلاقه ، انما له مقيدات خاصة يعرفها الأصوليون والفقهاء . وكنا نحسب من قبل أن هذه حقيقة من بديهيات التشريع الاسلامى لا تخفى على الكاتب ولا على الذين يرددون هذا القول . .

ثم ان النص القرآنى فى قطع يد السارق من النصوص التى تحتاج لاجتهاد كبير عند تطبيقها فى مسائل واقعية كثيرة . ومن ثم يقول فيه القرطبى (المتوفى سنة ٦٧١ هـ) بحق : (وظاهر الآية يقتضى العموم فى كل سارق ، وليس كذلك . .) ثم يأتى بالاخبار التى خصصت عموم الآية وبينت المراد منها ، وكل خبر منها يحتاج تطبيقه هو الآخر الى اجتهاد كثير لفهمه ، والتعرف على مدى تحقق مضمونه — أو عدم تحققه — فى السراق الذين تبحث حالتهم (٣) .
والنصان اللذان اوردهما الأستاذ استانبولى بعد جملة (لا اجتهاد فى مورد النص) يحتاجان — فى الموطن الذى يستدل بهما فيه — الى اجتهاد ليصبح كل منهما دليلا فيه . وذلك أنه يستشهد بقوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقول : (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) على أن سقوط الحد عن السارق المضطر عام المجاعة ثابت بحرفية النص فلا يحتاج الى اجتهاد ، ولهذا لم يكن عمر فى هذا التشريع مجتهدا .

ولست أوافقه على الاطلاق فى هذا ، لأن الآيتين لم تردا فى السارق مضطرا كان أو غير مضطر . انما وردتا فى المضطر الى اكل ما لا يحل من الأطعمة المحرمة فى أصل تشريعها . حيث نجد فى سورة المائدة قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب . الى أن قال : فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) (٤) كما نجد فى سورة البقرة : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) (٥) ونجد فى سورة الأنعام : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر

---

(١) انظر مثلا : احكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ١١١ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٨٩ وتفسير القرطبى جـ ٥ ص ٧٩ .
(٢) احكام القرآن جـ ٢ ص ١١١ واعلام الموقعين جـ ١ ص ١٣١ وراجع فى نظرة عمر لنتيجة اجتهاده هذا : اعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٤ .
(٣) انظر : تفسير القرطبى جـ ٦ ص ١٦٠ — ١٧٣ .
(٤) آيـة ٣ .
(٥) آيـة ١٧٣ .

غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم)(١) ونجد فى سورة النحل : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم)(٢) ، وهذه الآيات الأربع كلها تأتى فى سياق ما يحل وما يحرم من الطعام(٣) . فلا تحتوى بأصل معانيها أى تشريع له صلة مباشرة بالسرقة ، انما هى تحتوى اباحة الأقدام على تناول بعض الطعام المحرم لضرورة حفظ الحياة ، حين ينعدم وجود ما أحله الله من الطعام من غير الميتة وما شابهها ، ومن ثم لا يقال فيها ابدا ان عمر اوقف تنفيذ حد السرقة عام المجاعة اتباعا لحرفيتها دون أى اجتهاد . هذا كله مع اتفاقى على أن هذه الآيات كان لها شأن فى تشريع عمر هذا . لكن هذا الشأن هو (القياس) الذى هو أبرز طرق الاجتهاد فى التشريع الاسلامى .

فلا بد من اتباع القياس العقلى لنصل من هذه الآيات الى اسقاط الحد عن السارق المضطر حيث نقول : أباح الله الميتة — المحرمة فى اصلها — للمضطر ، حفظا لحياته ، ومن ثم يقاس عليها كل طعام حرام فى أصله ، فيحل للمضطر ، بجامع أن الاضطرار يبيح الحرام ، ومتى أبيح للانسان أن يسرق ما يحفظ عليه حياته فقد سقط عنه حد السرقة .

هذا هو التكييف الفقهى للاستشهاد بهذه الآيات هنا . وعليه فلا يسقط الحد عن كل سارق باطلاق عام المجاعة ، فلا يسقط على من يجد مع المجاعة ما يحفظ عليه حياته وحياة من يعولهم ، وأيضا لا يسقط الا عن من يسرق قدر ما يحفظ هذه الحياة ، دون من يستغل هذا التشريع لبث الفوضى وانتهاب أموال الناس ، بغية الغنى والثراء وتكديس المال الحرام ، لا دفع الجوع والموت . وكل هذا قياسا على ما جاء فى اباحة الميتة من قوله تعالى : (غير باغ ولا عاد) ، أى غير مجاوز قدر الضرورة والحاجة ، كما فسر .

فنحن نوافق كاتب المقال على أن عمر استند الى هذه الآيات فى ايقافه حد السرقة عام المجاعة ، لكننا نخالفه تماما فى قوله : ان هذا كان عملا منه بحرفية النصوص ، وليس فيه أى اجتهاد . لأننا نرى أن هذا كان منه اجتهادا طريقه القياس العقلى .

ويرى هذا الرأى أيضا كثير من الفقهاء والدارسين منهم ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) الذى ينقل عنه كاتب المقال بعض آرائه . حيث يقول ابن القيم — بعد أن يروى تشريع عمر هذا ، وموافقة العلماء له فيه : (وهذا محض قياس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه الى ما يسد به رمقه)(٤) . والى جانب هذا القياس الذى استند اليه عمر فان اضطرار

---

(١) آية ١٤٥ .
(٢) آية ١١٥ .
(٣) انظر الآيات المجاورة لها فى السور الأربع .
(٤) اعلام الموقعين : جـ ٣ ص ٢٣ .

السارق فى المجاعة ، مع وجوب بذل ما يحفظ عليه حياته على كل من يملك ما يفيض عن حاجته — وقد دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة — قد أوجد للسارق شبهة قوية فى المال المسروق تدفع عنه الحد ، « لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه . وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم ، والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه ، فدرئ »(١) .

والى جانب هذين الاعتبارين : القياس على النص ، ودرء الحدود بالشبهات ، فاننا نجد فى بعض الروايات خبرا يروى عن النبى يدل بحرفيته — دون أى اجتهاد — على اسقاط الحد عن السارق فى المجاعة ، حيث يروى السرخسى (المتوفى سنة ٤٩٠ هـ) عن مكحول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا قطع فى مجاعة مضطر)(٢) . وهذا الخبر — وحده — هو الذى يصلح نصا حرفيا اتبعه عمر دون أى اجتهاد لاسقاط الحد عن السارق . وعلى اية حال ليس هناك ما يمنع من مؤازرة النص بالقياس أو غيره من القواعد التشريعية المعتبرة التى تكفى وحدها حتى عند عدم وجود النص الحرفى .

— ٤ —

ثم ينقل الأستاذ استانبولى عن ابن القيم أن الامام مخير فى الأرض المفتوحة عنوة بين قسمها أو وقفها — وهذا حق — ثم يقول : (فيكون عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — اختار فى أراضى العراق ما فعله الرسول فى مكة) — وهذا ايضا حق — لكن ، الا نرى بوضوح أن هذا الاختيار فى حد ذاته يحتاج الى نوع من الاجتهاد فى التعرف على ما يحقق المصلحة فى عهده ؟ والا فلم لم يختر عمر أن يقسمها كما قسم رسول الله أرض بنى قريظة وشطر خيبر ؟

والجواب هو أن مثل هذه القسمة لم تكن لتؤدى الى مصلحة عامة للمسلمين فى عهده ، كما صرح بذلك فى قوله لمخالفيه : (اذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره ؟ وقوله : (ارايتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . ارايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ (٣) .

---

(١) المرجع السابق . وابن القيم يشير بهذا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ادرأوا الحدود بالشبهات) وهى قاعدة تشريعية متفق عليها .

(٢) المبسوط جـ ٩ ص ١٤٠ .

(٣) انظر الخراج لأبى يوسف ص ١٤ — ١٥ ونلاحظ أن عمر يقول عن اختياره هنا : (هذا رأى) ويقول عن فكرة تقسيم الأرض التى أشار بها مخالفوه أولا : (ما هذا برأى) أى لا يحقق المصلحة العامة . والتعبير بالرأى يدل على أن المسألة مجال للاجتهاد والرأى ، وقد وافق الصحابة جميعا فى النهاية على رأى عمر .

والأستاذ استانبولى نفسه يقول فى نهاية مقاله عن عمر بن الخطاب : (وقد كان اجتهاده ينحصر فى تقديم نص على آخر راى فيه مصلحة للمسلمين) ولا أجد مفرا أيضا من أن اقارن بين هذا القول وبين قوله فى أول مقاله : (وقد رايت ان ابحث هذا الموضوع الخطير لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهدا) أما فى آخر مقاله فقد أنبت له انه كان « مجتهدا » وكان (ذا رأى) وكان رأيه هذا يحقق (مصلحة) للمسلمين فى عهده .

ولست ادرى لم يحاول كاتب المقال — فى بعض كلامه — أن ينفى عن عمر صفة الاجتهاد ، مع أنه ينقل عن رسول الله انه شرع الاجتهاد ، واخبر أن المجتهد دائر فيه بين الأجر والأجرين ؟ أما قوله — حين يثبت وصف الاجتهاد لعمر — ان اجتهاده كان فى فهم النص لا فى تركه فنحن نقول فيه : ان كل ما يستحق وصف (الاجتهاد) فى التشريع الاسلامى انما هو الذى يدور فى دائرة فهم النص الخاص او النصوص العامة . اما التارك للنص فلا يعد مجتهدا ، بل لا يعد مسلما ان استباح تركه عمدا .

... اريد أن اصل من ذلك كله الى أن عمر بن الخطاب لم يكن مجتهدا فحسب ، انما كان أكبر مجتهد اسلامى بأوسع ما تحمله هذه العبارات من مضمون . وقد اثبت فى دراستى(١) عنه التى استقصت كل مسائله وتشريعاته انه كان عبقريا فى اجتهاده ، لم ير أحد من الناس يفرى فريه كما قال عنه رسول الله . وقد وصل بى البحث الموضوعى الى أنه — مع اجتهاداته الكثيرة العظيمة — لم يخالف نصا واحدا من نصوص التشريع الاسلامى ، وانه — فى بحثه عن علل النصوص وغاياتها فى بعض مراحل اجتهاده — انما كان يفعل ذلك بغية تطبيق النص تطبيقا صحيحا ، لا بغية تركه ، وانه كان يصدر فى بحثه العميق الدقيق فى النصوص عن يقين ، ثبتت صحته ، بأنه حين تفهم النصوص — مضافة الى ظروف تطبيقها فى أى زمان ومكان — فهما صحيحا ، فان تطبيقها على ضوء هذا الفهم ، لا بد أن يؤدى الى تحقيق مصالح الناس فى أى عصر .

وفى النهاية ، لماذا نحاول اغفال فكرة (الاجتهاد) وقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فيما ليس فيه قرآن ولم تمض فيه منه سنة ، وذلك فى حديث معاذ بن جبل ، ذلك الحديث المشهور ، الذى يرويه ابن القيم(٢) وغيره ممن ينقل عنهم الأستاذ استانبولى بعض نصوصهم ؟.

---

(١) وقد سبقت الاشارة اليها .

(٢) راجع : اعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٤٣ وحديث الاجتهاد أخرجه ابو داود والترمذى والدارمى وغيرهم وقال فيه الغزالى : (تلقته الأمة بالقبول ، ولم يظهر أحد فيه طعنا او انكارا) انظر : المستصفى جـ ٢ ص ٢٥٤ .

من مزامير التوبة

الضمير الهارب

للأستاذ: محمود حسن اسماعيل

وقفت طويلا على سدتك   انادى ربى النور فى سدرتك
كانى سبابة اومات   بقلب المصلى الى كعبتك
انادى ، واجار فى حومة   من الصمت تهدر فى حضرتك
وانشق ذاتين .. ذاتا تنوح   واخرى تسبح من خشيتك
وكلتاهما من رياح الضمير   صدى ذائب فى صدى موجتك
تصيحان من غير ذكر ، ولا   صلاة تؤوب فى خيمتك ..
اجرنى يا رب ، من كل شيء   يسد طريقى الى ومضتك ..
من الليل ، يسحق فيه الظلام   خطاى الضريرات عن نظرتك
من النور ، يفضح سر الطريق   اذا جئت أشرب من كرمتك
من الفجر ، يفهق منه الضياء   فيغرق دنياى فى هالتك
من الخطو ، يوغل طي الدروب   وينسى اتجاهى الى ساحتك
من الشدو ، أعصره للجمال   وانساب هيمان فى نشوتك
من الحب ، تصهرنى ناره   رمادا شقيا على ضفتك
من القلق السابح المستطير   على زورق ذاب فى لجتك
من الطهر ، يغرف منى العبير   عذابا يضوع لدى جنتك
من الاثم ، طير شجى المثاب   يغنى ، ويندس فى رحمتك
من النفس ، تورق عند الدعاء   ويقطفها العقل من ساحتك
من العقل ، يحمل نعش الضمير   ويهرب خزيان من سكتك
من الناس ، ما انا فيهم سوى   رؤى عابد ضل عن آيتك ..
اجرنى !! فما زلت فى كل شيء   صدى كبلته كوى لمحتك
وما زال وجهى خلف الضباب   هوى يستشف سنا راحتك
يمد اليك انعتاق الضمير   فيرتد خزيان عن رؤيتك
ويدعوك ، وهو كفيف الندامة   حيران ، يصرخ من وهلتك
أجرنى ! فما لى يد فى الذى   سقانى لظى التيه فى طاعتك !!

القيم العليا للفكر الإسلامي

للأستاذ: أنور الجندي

ماذا يمكن ان يعطى جوهر الفكر الاسلامى العرب والمسلمين ، وماذا يمكن ان يعطى البشرية والفكر الانسانى العالمى ؟

الواقع ان هذا الفكر قد اعطى وما يزال يعطى الفكر الانسانى مزيدا من الخير والحق .

ففى المجال الانسانى ، مجال حقوق الانسان ، يبدو الفكر العربى الاسلامى مصدرا غزير المنابع للمساواة وحرية العبادة ، حيث لا فضل لعربى على اعجمى ، ولا أبيض على أسود والناس سواسية كأسنان المشط ، ويكاد يكون مصدر حقوق الانسان واضحا فى كلمة عمر بن الخطاب .

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

وفى مجال العدل والرحمة :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قيل يا رسول الله ، نعرف كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال ترده عن الظلم » .

وفى الحرب . احترام للوعود والعهود ، ولا تستخدم القوة الا لرفع ظلم ، وحماية كاملة للطفل والشيخ والعباد الماكفين فى الصوامع .

ولقد كان للعلم فى مجال الفكر الاسلامى مقام خطير .

« فلا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتصرفوا به وجوه النـــاس ، وهو دعوة عامة . كن عالمـــا أو متعلما أو مستمعا واياك والرابعة فتهلك » . والرابعة هى أدعاء العلم .

وأبرز مفاهيم العلم فى الفكر الاسلامى العربى المطـــابقة بين الكلمـــة والسلوك .

ولقد اهتز القاضى المجاهد « أسد بن الفرات » لفضل العلم عندما خرج على رأس الجيش الزاحف الى صقلية وهاله ما رأى من كثرة المودعين له من العلماء والوجوه ورجال الدولة وعامة الناس ، وقد صهلت الخيل وضربت الطبول ونشرت البنود ، فقال : والله يا معشر الناس ما ولى لى أب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى مثل هذا قط . وما رأيت ما ترون الا بالاقلام ، فأجهدوا

انفسكم واتعبوا أبدانكم فى طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة .

وقد ظلت مزية الفكر العربى الاسلامى هى القدرة على الجمع بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، وبين الدين والعلم . وهو ما تتطلع اليه الانسانية الآن حيث يقول دعاة المذهب الانسانى : إن تطور الانسان يجب أن يمتد فى أبعاد ثلاثة فى وقت واحد هى : الابعاد المادية والثقافية والاخلاقية ، ويقول جوستاف لوبون : اننا مسيرون بثلاث حقائق هى الحقائق العاطفية والحقائق الدينية والحقائق العقلية .

وقد وصل « برجسون » الى أن الذهن البشرى وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة .

ويبدو جوهر الفكر الاسلامى حول بناء انسان ممتاز ، ويدعو الى التحرر من استهلاك طاقاته الجسدية والمادية ، على اساس من القصد لا الاسراف . وتتمثل انسانيته فى التعالى عن الصغائر ، فالفكر الاسلامى يعمل على التكوين الفردى الانسانى التقدمى ، فالغنى غنى النفس ، وذو البأس تعرف قدرته فى مواقع اللقاء ، وذو الامانة يعرف عند الاخذ والعطاء ، والاخوة تعرف عند النوائب ، ولكل اجر جزاء ، ومن يحصل على الاجر يعمل بضمير ، والزكاة ليست صدقة ، والعمل شرف ، والعلم من المهد الى اللحد ، والعمل للدنيا والآخرة ، والناس تتكافأ دماؤهم وأموالهم ، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص .

وقد كان للفكر الاسلامى آثاره الواضحة العميقة فى النهضة الاوروبية مرتين .. الاولى : فى ثورة الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر بقيادة مارتن لوثر وكلفن ، وكانت آراء — ابن رشد قد خلقت مدرسة ضخمة لها فى قلب أوربا ، فلم يلبث أن نادى (كلفن) بما ينادى به الفكر الاسلامى العربى فقال « أن الصلة بين الانسان والله هى السبيل الوحيد للغفران ، وأن لا قوة الا بالله ، وليس لرأى بشرى حرمة التقديس » .

والثانية : فى نقل الغرب للفكر العربى الاسلامى فى مجال العلم ، وقد بدا فضل المسلمين واضحا على الادب والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء والطب والموسيقى والفنون والصناعة والزخرفة والعمارة ونحن لم نكن عالة على اليونان ، وكان استمدادنا من منبعين أساسيين : القرآن الكريم وكلمات محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى مجال استقلالية الفكر العربى الاسلامى ، يبدو اعلامنا وقد خالفوا آراء ارسطو وافلاطون فى كثير من النظريات فلم يتقيدوا بها ، بل أخذوا منها ما يتفق مع (روح الاسلام) وقال ابن سينا إن الفلاسفة يصيبون ويخطئون كسائر الناس .

وقد رفض المسلمون الخرافات الوثنية وتعدد الاله وطابع الاباحة فى الفكر اليونانى .

ودعا (جابر بن حيان) الى اجراء « التجربة » وقال ان واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها .

وفى هذا يقول جوستاف لوبون عن هميرلد : ان القاعدة عند العرب المسلمين هى « جرب وشاهد ولاحظ » تكن عارفا .

وقد كان المسلمون اكثر دقة فى هذا المجال الى درجة حملتهم على التعالى عن أخذ آراء الغير ونسبتها الى أنفسهم ، قال ابن الهيثم : ان وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه لنفسك واكتف باستفادتك منه ، ويقول ابن حزم « ما

مذهبى أن انضى مطية سواى » وعنده ان « التقليد حرام ، وانه لا يحل لأحد ان يأخذ بقول أحد من غير برهان » .
وقد سبق المعرى دانتى الى كتابة الكوميديا الالهية بكتابه المعروف « رسالة الغفران » وقد أخذ دانتى مادة الكوميديا التى كتبها أساسا من جوهر الفكر الاسلامى .
وزين العابدين الآمدى (٧١٢ هـ) هو أول من ابتكر الكتابة البارزة للعميان .
ونظرية « التطور » قال بها اخوان الصفا فى رسائلهم ، وذكرها ابن مسكويه فى كتبه ، قبل داروين ، وقد وردت كلمة « التطور » بمفهومها فى الطبقات الكبرى للسبكى ومقدمة ابن خلدون من غير ان يذهبوا مذهب داروين فى أصل الانسان .

وطريقة البحث العلمى المنهجى ، وضع أصولها ابن الهيثم وابن رشد وابن حزم والجاحظ ، قبل أن يقول بها فرنسيس باكون فى القرن السادس عشر .
كما سبق ابن الهيثم « بيكون » فى الطريقة « الاستقرائية » وسما عليه ، وكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا فقد جمع ابن الهيثم بين الاستقراء والقياس ، وقدم الاستقراء على القياس ، وحدد الشرط الاساسى فى البحث العلمى وهو « طلب الحقيقة » دون أن يكون لرأى سابق أو نزعة من عاطفة أيا كانت دخل فى الامر (راجع تراث العرب العلمى لقدرى طوقان) .

وقد وضع علماء المسلمين أساس النظريات الاقتصادية ، فظهر كتاب (الخراج) ليحيى بن آدم القرشى ٢٠٣ هـ وكتاب (الاكتساب فى الرزق المستطاب) للامام الشيبانى ٢٣٤ هـ وكتاب الخراج لأحمد حنبل فمقدمة ابن خلدون .
وابن حزم دافع عن كروية الارض بالعقل والدين ، وسبق (كانت) فى نظرية (المعرفة) بسبعة قرون والفارابى فكر فى (أمم متحدة) منذ قرون ، وعنده ان الدين والفلسفة لا يتناقضان ، وابن رشد دعا الى مشاركة المرأة الرجل فى خدمة المجتمع والدولة .

ويرى الفارابى : أن السعادة ممكنة على وجه الارض اذا تعاون المجتمع على نيلها بالاعمال الفاضلة ، وابن ماجد هو الذى قاد (فاسكودى جاما) فى طوافه حول الارض .
واخذ (دافيد هيوم) نظرية « الغزالى » فى أن الامور تتم بارادة الله لا بالاسباب الظاهرة وفى علوم الطب سجل (الكرك) ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية ، وقال : ما عرفت أوربا المدنية الا بعد أن مرت على لسان أتباع محمد .

وما تزال قواميس اللغات الاوروبية تعج بالكلمات العربية سواء ما يتعلق منها بالحاجات اليومية أو الاطعمة أو الالبسة أو العقاقير ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالملاحة .
وأشار جورج سارطون الى فضل المسلمين على العلم فقال : انهم لم ينسخوا من المصادر اليونانية أو السنسكرتية (الهندية) ولكنهم جمعوا بين المصدرين ثم لقحوا الآراء ، وهذا هو الابتكار ، فالابتكار هو حياكة الخيوط المتفرقة فى نسيج واحد . وقد أكد العلماء بأن المسلمين هم مبدعو « التجربة » بالمعنى الدقيق للكلمة ، وأول من جعل من الوقائع المعزولة عن متنها نقطة الانطلاق لكل بحث .

وقد تأكد أن الغزالى فى دراسته للدولة أو المدينة يعقد المقارنة بينها وبين جسم الانسان ، ويرى الباحثون أن الغزالى فى ذلك أسبق من الفيلسوف هربرت سبنسر الذى عمد الى نفس المقارنة ، فالغزالى يشبه الملك بالقلب ، واصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم والشرطة بعصب الانسان ، والوزراء بحس الادراك والقضاء بالشعور .

ومصدر الفكر الاسلامى يلتمس اساسا من القرآن الكريم كتاب الاسلام والعربية ، وليس أدل على اثر القرآن فى الفكر والثقافة العربية من كلمة جورجى زيدان فى كتابه آداب اللغة العربية يقول :

« وتأثير القرآن فى أخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيئية لا يخلو من التأثير فى عقولهم وقرائحهم وآرائهم فالصيغة القرآنية أو الاسلامية تظهر فى مؤلفات المسلمين ، ولو ألفوا فى الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية والطبيعية ، فضلا عن العلوم الاسلامية والشرعية والادب .

والقرآن اشد تأثيرا فى المسلمين من سواه لأنهم مكلفون بحفظه قبل كل علم ، وهو داخل فى كل شيء من امورهم الدينية والدنيوية ، واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية وأحوالهم العائلية ، حتى الطعام واللباس والشراب والنوم ، وهذا ما لا نراه فى الاناجيل مثلا ، فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط ، ولا نجد فيها شرعا او حكومة أو احوالا شخصية او نحو ذلك .

وبالجملة فان للقرآن تأثيرا فى آداب اللغة العربية ليس لكتاب دينى مثله فى اللغات الاخرى » .

ولقد صارت اللغة العربية التى نزل القرآن بها اساسا « لغة عالمية » أدهشت الباحثين فى تطورها ونموها على النحو الذى يصوره أرنست رينان فى كتابه « اللغات السامية » يقول :

« ان من اغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، فبدأت فجاة فى غاية الكمال سلسة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كاملة ، بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا اى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت أول أمرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى .

ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال الى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى أنه لم يعرف لها فى كل اطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة » .

وقد اعطى « الفكر الاسلامى العربى » طابعه وروحه فى كل مجالات الفكر .

فى مجال العلوم والفلسفات ، اعطى « منهج البحث العلمى » الذى عرفه الغرب من بعد ، وكانت له الاوليات الاساسية فى دراسات التاريخ والاقتصاد .
وفى مجال التربية كان للكلمة العربية آثارها ومكانها ، فان الآراء التى أعلنها

ابن سينا ونادى بها وما تزال حية وقد أثبتتها الآن دراسات التربية الحديثة . ونظرته هى اليوم موضع التطبيق من حيث التوجيه المدرسى وفقا لميول الاطفال وقدراتهم ، والتوجيه المهنى والاخذ بنظام التعلم الفردى والجمعى فى وقت واحد ، والتعلم وفق قاعدة الانتقال من السهل الى الصعب .

ونظرات الغزالى فى التربية هى أيضا اليوم مصدر نظريات العصر كنظرية التعليم بالترابط والتداعى حيث يكون الترابط فيه بين فكرة وأخرى وهو ما صوره الغزالى فى قوله « على الطالب الا يدع فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته طالبا التبحر ، لأن العلوم متفاوتة وبعضها مرتبط ببعض » .

وكذلك « الطريقة القياسية الحديثة » حيث يبدأ التدريس من الجزئى الى الكلى .

ويصور هذا المعنى « بيارد دودج » فى كتابه التربية الاسلامية فى العصور المتوسطة والذى يلخصه أساسا فى عبارة الرسول « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ويقول عن مفهوم التربية الاسلامية « ان التربية تفاعل بين المعلم والطالب وتجاوب بين نفسين وعقلين فى جو من الحرية والاحترام ، وليس للمنهاج شأن يذكر » .

وقال : ان التربية الاسلامية تهدف الى نشدان الحقيقة والخير لذاتهما ، وعندما ندرس سير علماء المسلمين الذين انقطعوا للعلم نعجب بالتصرف العلمى والجلد اللذين كانا يتجليان فى العالم الاسلامى ، فلا غرض مادى ، ولا هوى سياسى ولا سعى لشهرة زائلة ، بل وقف العقل والنفس للوصول الى الحقائق والسعى اليها ، ولقد كانت التربية الاسلامية تعنى بالاخلاق والفضائل ، ولقد أدرك المربون بالبداهة ان تدريب العقل واستيعاب الحقائق هما جزء من عملية تدريب الطالب ولكن الغاية القصوى هى تهذيب النفس وتقويم الاخلاق » .

ومما يذكر فى هذا الصدد ان العلامة « العبدرى » هو اول من دعا الى أن يلعب الاطفال باللعب بعد المكتب حتى تذهب عنهم آثار التعب والملل .

ويمكن أن يصحح هذا خطأ شائعا حاول « التغريب » اذاعته ، وهو أن الغرب أول من دعا الى التعليم المجانى الملزم ، والواقع أن المسلمين قد بدأوا ذلك منذ فجر الاسلام ، وقد أشار أبو الحسن القابسى فى دراسته المسماة « رسالة أحوال المعلمين والمتعلمين » الى أن التعليم حق لكل صبى ، وواجب على الدولة وهى مكلفة به ، اذا لم يكن أهله قادرين على الانفاق عليه ودفع أجر معلم الكتاب من بيت مال المسلمين .

وثانيا : تعليم البنات ، لأن الاسلام عام لجميع الناس تمثلا بقول الرسول « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ولا ننسى هذا حديث النبى صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » . ولقد أخذ كثير من الدول الغربية هذا الحديث واعتبرته شعارا لها ، وظن بعض شبابنا انه من صناعتهم وانه غير مسبوق فى الفكر الاسلامى .

وترد هذه الكلمات على كل ما يوجه للفكر العربى الاسلامى من اتهامات وهى تعطى الدليل الاكيد على خطأ الرأى القائل بأن فكرنا روحى خالص . ذلك أن فكرنا يمثل امتزاج الروح والمادة بالعقل . ويؤكد أيضا أن فكرنا لا يعطى

روح التشاؤم ولا السلبية ولا الانحراف ولا الاحساس بأن الحياة عبث كما تعطى بعض الفلسفات .

وهذه الكلمات تدلل بالبرهان على أن المسلمين كانت لهم عقليتهم ومقومات فكرهم وانهم لم يستمدوا علومهم وفلسفتهم من فكر اليونان ولا من أى فكر آخر . وهى ليست قاصرة على الاخلاق وحدها ، أو عاجزة عن استنتاج المعانى او مجاراة الزمن .

وتكذب أيضا ما يقال من ان فكرنا فكر « غيبى » أو فكر التواكل والتسليم ، بل انها لتؤكد الواقعية والعصرية والايجابية للفكرة الاسلامية بأوضح دليل واجلى برهان .

وفى ضوء هذه اللمحات السريعة تتكشف الحقيقة الواضحة من أن مفاهيم الاسلام تلتقى بالحياة ولا تنفصل عنها ، وانها تستطيع أن تعطى طابع الابداع والايجابية والعصرية والتطور والحركة ، وليس صحيحا ما وصفت به من انها كانت تتطلع الى العالم الآخر وحده ، فلقد كانت تمزج بين نظرتى الدنيا والآخرة ، ولم يمنعها ذلك من الكشف والبحث والعلم والعمل الايجابى المنتج فى مجال الحضارة الانسانية .

وليس من العدل أو الانصاف أن يحاكم الفكر الاسلامى بفترة الضعف التى مر بها العالم الاسلامى حين لم تكن قيم الاسلام هى التى حالت دون التقدم ، أو هى التى وقفت بالمسلمين وقتة الجمود ، بل كان تركها واهمالها هو السبب فى الانفصال الذى وقع بين جوهر الفكر الاسلامى وبين التطبيق ، فليس الاسلام سبب التخلف بل أن المسلمين تخلفوا عندما انسحبوا من مقومات فكرهم .

ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا على الحياة دائما وعلى التخلص من النظريات التى تحاول أن تفسد جوهره ، فقد حارب فى فترات نموه ، التقليد الاعمى والجمود والخرافات ، وحرص كثير من أعلامه كالاشعرى والغزالى وابن تيمية على حمايته من تجاوز الفلاسفة أو تجاوز الصوفية .

وقد عاش دائما واقعية الحياة واستطاع أن يتجدد وأن يجتهد متخلصا من قيود التقليد ، وقد أعطت النماذج المتعددة ، لمفاهيمه وقيمه قدرة المفكرين المسلمين من فقهاء وائمة على ملابسة احوال العصور وتعرف حاجات الناس ؛ وايجاد حلول ايجابية تقدمية حية لكل حالة ، مقدرين تطور الزمن وتغير البيئات .

فالفكر الاسلامى يمثل خطا موحدا متصلا ، عماده الانسان ، وبناء كيانه النفسى والمادى معا ، وايجاد حلول لمختلف قضاياه ومشاكله . ولقد يذهب بعض الدارسين هنا وهناك يبحثون عن كلمات شرقية أو غربية حديثة ليجدوا فيها عصارة التجربة الانسانية الايجابية . وما من كلمة هنا وهناك ، الا وقد مرت على لسان العربية وفكر الاسلام .

وقد أعطت الكلمة المستمدة من القرآن ، تلك القوة الذاتية التى مكنت من مقاومة كل عدوان ، وحماية المقومات .

وما زال الفكر الاسلامى فى جوهره ومنابعه قادرا على اعطاء الانسانية فيضا من الكرامة ، واقامة العدل الاجتماعى ، وتوثيق بنـاء الحضـارة على أساس التضامن والمساواة والاخوة . وفى ازمة الانسان والضمير العالمى اليوم يجد الفكر الاسلامى طريقا جديدا ليكون بلسما للانسانية وعلاجا لها من أزمتها الحاسمة .

خواطر

عبد المنعم النمر

كلكم يبكى :

لعل مما يشفع للمجلات الشهرية عند القراء فى عدم متابعة الاحداث بالسرعة المطلوبة انها تصدر كل شهر ، وليست كالصحف اليومية والاسبوعية .. وانني أكتب لك هذا بعد حادث الاعتداء الغادر على الاردن فى الثانى والعشرين من ذى الحجة الماضى ــ الحادى والعشرين من مارس الماضى أيضا ، وعدد المحرم تدور به المطبعة فلم يبق أمامنا الا عدد صفر نلتقى فيه معك بخواطرنا ..

لقد استوقف نظرى ونظر كل عربى ما جاء فى رسالة الملك حسين للملوك والرؤساء ، فى يوم العدوان ، يطالبهم فيه بعقد مؤتمر القمة فيقول :

« واذا كان مدى هذه العمليات أو منتهاها غير معروف فى هذه اللحظة ، فان الذى لا ريب فيه هو أن فى طليعة الاسباب التى تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان وتشجعه على اقتراف المزيد منه معرفة العدو معرفة دقيقة واكيدة بحقائق الوضع العربى تجمعا وحشدا واعدادا » .

« فبينما يعمل العدو يدا واحدة ، وهدفا واحدا ، فانه يعرف حقيقة الامكانيات والطاقات التى وضعتها الامة العربية وقياداتها فى الميدان ، وهو ايضا يعلم اننا نكتفى بالتحدث عن الصف العربى ووحدته ، من غير أن نعمل جديا على بنائه عربيا سليما ، يتطابق فيه مع المضمون الذى كان لصفنا العربى والاسلامى يوم كان لنا آباء واجداد يؤثرون الموت فى سبيل الله والوطن والعقيدة على كل عرض فى هذه الدنيا الزائلة » .

« اننا لا نعرف حتى هذه اللحظة الى أين ستنتهى معارك اليوم الدامية ، وان كنا نخوضها بكل العزم والتصميم ، دفاعا عن قدسية وطننا ، وشرف عروبتنا .. ولئن اخذتم تسمعون عنا ، وليس منا ، بعد هذا اليوم ، فلاننا ــ والله ــ قد طالت نداءاتنا ، وتوالت ، ولم يبق لدينا من مزيد الا أن نهيب بكم للمرة الاخيرة أن تلتقوا فى الحال بمستوى القمة ، وكونوا بعون الله قمة فى مواجهة اصعب ظروف ، واقسى منعطف تاريخى يجابه أمتنا فى تاريخها كله » .

وهذه الحقيقة التى يعبر عنها الملك حسين فى رسالته من « اننا نكتفى بالتحدث عن الصف العربى ووحدته من غير أن نعمل جديا على بنائه .. الخ .. وان من الاسباب التى تسهل على العدو قيامه بالعدوان تلو العدوان معرفته معرفة دقيقة بحقائق الوضع العربى الخ .. » .

اقول هذه الحقيقة المرة لم تعد بعيدة حتى عن فهم العربى الامى فى الحقل ، او فى الصحراء ، فهى ليست جديدة بالنسبة للشعب العربى كله .. بل ان الذى يحزنه ويدميه هو عدم تجاوب المسئولين عن هزيمته وعاره مع هذه الحقيقة ..

ولكن الجديد الذى لفت نظرى هو أن المسئولين عنا على مستوى الملوك والرؤساء أخذوا هم الآخرون يتحدثون عن هذه الحقيقة فى رسائلهم التى ردوا بها على الملك حسين !!

فلمن يتحدثون ؟!
وفي وقت آخر سمعت وقرات نداء موجهــا من أحد الرؤساء الى الامة العربية أن تتحد لمواجهة العدوان .. نعم الى الامة !! والامة تستغيث من هذا التفرق ، وتطالب الرؤساء بالاتحاد وهي متحدة فعلا . ليس هناك ما يفرقهــا برغم ما بين رؤسائها من خلاف . فمن يطالب بالاتحاد ؟!

نحن نتحــدث ونطــالب الرؤســاء بان ينتبهــوا لهــذه الحقيقــة ، ويعملوا على مستواها ، لاننا لا نملك الا الحديث ، أو ــ في الحقيقة ــ بعض الحديث !! اما الرؤساء الذين يملكون العمل والبت ، والذين طال انتظار شعبهم العربى الكبير لخطوة منهم نحو هذه الحقيقة ، فلمن يتحدثون ؟ ومن يطــالبونه بالعمل ؟
عجيب والله امرنا .. الهزيمة وقعت للفرقة والاختلاف . والنصر ومحو العار معلق امرهما بالاتحاد : اتحاد الرؤساء وجمع الطاقات العربية كلها .
فمن الذى يحول دون محو العار وتحقيق الانتصار ؟ من الذى يؤخر يوم النصر ؟
لقد تحيرت ــ والله امام هذه الظواهر ، وكاد راسى ينفجر ، وان كانت اوقاتى كلها لا تخلو من دهشة وحيرة والم من واقعنا الذى نعيش فيه ، مثل كل عربى . وذكرنى ما يمر بنا بحادث طريف ، ولكنه مرير ، يروى عن رجل من صلحاء هذه الامة ..
فقــد جلس الحسن البصرى يوما يعظ النــاس ، ويذكرهم بالله واليوم الآخر ، حتى ابكاهم . فلما انتهى من درسه ، واخذ يستعد للانصراف ، بحث عن مصحفه الذى كان بجواره ، فوجده قد سرق ، فتغيظ الرجل الناسك ممــا حدث ، ولم يستطع السكوت ، والتفت الى هؤلاء الذين لم تجف دموعهم وقال لهم فى الم مر : كلكم يبكى ، فمن سرق المصحف ؟!!

حكمــة :

قال لى :
كان المسئول العربى الكبير يتحدث ، وانا اســتمع الى حديثه بشغف ، فكان مما قاله : اننى احرص على أن اتيح للشعب ان يبدى رايه بحرية وصراحة ، بالرغم مما يشوب هذه الحرية احيانا من مظاهر المرض وسوء الاستغلال .. لان الحرية تتيح لى ان اعرف كل شيء عن الشعب ، واقف على آلامه وآماله ، وعلى التيارات التى يتاثر بها .. فاعمل بقدر الطاقة على ان احقق للشــعب آماله ، وابعــد عنــه آلامه ، ثم لا يغيب عنى ــ وقــد وقفت عــلى التيــارات والنزعات ــ ما يرمى اليه هــذا من كلامه ، وذاك من تصرفه ، وتنكشف امامى بعض خبيآت النفوس .. فاتصرف على ضوء ما اعرفه ، ولا انخدع بالمظاهر ، ثم احتاط فى الوقت المناسب لبعض هذه التيارات الضارة ، واقى الشعب شرورها ..
قلت له : هذا ارقى ما يصل اليه حاكم من تفكير وحكمة ، فيجنى هــو والشعب معه ثمرات هذه الحكمة ..
قال لى صديقى : الا تعرف ان اللورد كرومر حين كان يحكم مصر باســم الاستعمار الانجليزى ــ وهو من دهاة السياسيين الانجليز المعروفين ــ كان يحلو له احيانا أن يطلق للصحافة الوطنية حريتها ، تتحدث بما تشاء ، وتعارض كما تشاء ، ليقف على التيارات التى تسود الوطنيين فى مصر ، وتشغل افكارهم ، فيبنى سياسته على ضوء ما يعرفه من خلال هذه الحرية . وقد تحدث عن هذا

فى مذكراته ، وأشاد بهذه السياسة التى اتبعها ، لأنها أتاحت له أن يعرف كل شيء عن الشعب . ولو أنه استعمل الضغط والـكبت ، وقيد حرية الصحافة والكلام لمـا استطاع أن يحصل على المعلومات التى أتاحتها له حرية الصحافة ، هذا فوق أن الحرية تصرف كثيرا من الانفعالات المكبوتة ، فلا تكون هناك ضرورة للبحث عن مسارب ضارة للأمة وللحاكم معا ..

قلت له : انها لحكمة حقا ولـكن العجيب فى الامر ان ما ادركه كرومر الداهية الذى ينتسب الى الامة الداهية بعد أن تعلم ودرس وتقلب فى المناصب واستفاد مع العلم بالتجارب .. أدركه هذا المسئول العربى بفطنته وحرص على تطبيقه بسماحته وحكمته .. وان كان الموقف يختلف بالنسبة للاثنين .

فكرومر المستعمر كان يتخذ من حكمته طريقا لتثبيت دعائم الاستعمار ، وتمكين قبضته من عنق الشعب .. اما هذا الحاكم العربى الوطنى فانه يتخذ منها طريقا لاسعاد شعبه ، وتقديم المزيد من الخدمات له ، وصيانة بنيـانه من الهزات التى تعرضه للخطر .. والكسب النهائى فى الحالة الاولى للمستعمر لا للشعب .. أما فى الحالة الثانية فالكسب للشعب وللحاكم معا ..

وبمثل هذا تساس الامم بابنائها ، وتخدم بحكامها .

ومن اجل هـذا تسعى الامم المستعبدة وتجـاهد ، وتضحى ، لتـأخذ استقلالها وحريتها ، وتحكم نفسها ، وتتخلص من حكم الغرباء عنها ، لتنعم بعد التضحية والعذاب باليد الرحيمة من ابنائها ، الذين يحرصون على مصلحتها ، ويوفرون لها حريتها وكرامتها ، ويعوضونها ما عانته من عذاب وتنكيل ، وما بذلته من دماء وتضحيات ، من أجل استقلالها . فتنعم بالحرية الحقة بعد الكبت او بعد الحرية المصطنعة الملغمة ، وتنعم بالامن بعد الخوف ، وبالرفاهية بعد الضيق ، وبشعورها بانها تشارك فى حكم نفسها ، وتحمل تبعات نهضتها ..

ولهذا كان من الخطر كل الخطر على معنى الحرية والاستقلال ان تجـد الامة من ابنائها الذين يتسلمون ــ بعد الاستقلال ــ مقاليد الحكم فيها ، استهتارا بتبعاتهم ، وتنكرا لأمتهم ، وتشبثا بالحكم يلغى فى نفوسهم كل معانى الحرية والاستقلال والعدل ، ويدفعهم الى حكم الامة بالسياط ، وارغامها على ما لا تريد بالخوف والارهاب ، واراقة الدماء ، والعبث بالارزاق والكرامات ، والقوانين والحرمات ، مما لم تكن الامة تراه تحت حـكم الاستعمار .. أو كانت تنتظر الخلاص منه بالاستقلال ..

نعم . من الخطر كل الخطر أن ينقلب المحاربون للاستعمار ، الى جلادين لأبناء أمتهم بعد زوال الاستعمار . وقاتلين فيهم روح الاباء والشمم التى دفعتهم من قبل لمشاركتهم فى حرب المستعمرين .. فمن العسير أن تمنع أى انسان من المقارنة بين ما كان يراه ويشعر به فى عهد الاستعمار ، وبين ما يراه ويشعر به فى عهد الاستقلال . ومن الكارثة ان يخرج انسان بنتيجة ليست فى صالح القيم التى ظل يجاهد السنين الطوال من اجلها ، من الكارثة أن ترتفع أصوات تبكى الايام الماضية وما كان فيها من حرية واحترام لدماء الناس وأمنهم على قلة ذلك .

فليتق الله فى شعوبهم وفى المعانى الحلوة الكريمة أولئك الذين يتيح الله لهم السلطان والحكم ، وليكونوا رحماء عادلين كما وصف الله المؤمنين .

عبـــادة :

يشعر الذين يقرءون القوانين او يدرسونها عادة بشيء من الجفاف النفسي يزهدهم فى قراءتها اللهم الا اذا كانوا محتاجين اليها فى امتحان او فى قضية من القضايا .. لذلك تجد كتب القوانين كتبا خاصة لا تقرأ الا عند الضرورة .. وما وجدنا انسانا ـ كما أعتقد ـ يقضى فراغه فى قراءة القانون ..

ومن هنا لاحظت أن الآيات التشريعية التى جاءت فى القرآن الكريم تنفرد بميزة لا يشاركها أى تشريع فيها .. فتلاوتها عبادة يقبل المسلم عليها ، ويقرؤها المصلى فى صلاته ، ويستمع الناس الى قراءتها من القراء فى خشوع .. واذا وجد المسلم فراغا أو مللا او ضيقا فانه يلجأ الى القرآن الكريم يشرح به صدره ، وفيه هذه الآيات التشريعية ، لا فرق فى ذلك كله بين عالم متخصص وغير عالم .. ومن هنا يمتزج التشريع بالنفوس .. وتحس ما له من قداسة مستمدة من قداسة الله تعالى ، منزل الآيات الكريمة ، ومشرع هذه التشريعات .

وهذه ميزة ـ كما قلت ـ ينفرد بها التشريع الاسلامي .. ميزة يمـكن للحاكم الرشيد أن يستغلها لتوفير أسباب الأمن والرخاء للأمة عن طريق سيادة القانون ، ومعرفة الناس به ، وخضوعهم ـ دينا ـ له . وهى ميزة تحقق له راحته ، كما تحقق للأمة راحتها وهدوءها ، واستقامة الأمور فيها ..

ميزة .. ولكن ـ مع الأسف ـ لا نستغلها ، وفرصة .. ولكن لا ننتهزها .. وهذا من سوء حظ هذه الأمة ، ومن اسباب ما تعانيه من بلاء ومحن ..

ما راينا قانونا او تشريعا يتعبد الناس بتلاوته ، ويقرؤونه فى صـــلاتهم كتشريعنا ..

وما راينا قانونا اقرب الى قلوب الناس من قانوننا ..
وما راينا اناسا يهملون ـ مع كل ذلك ـ قانونهم مثلنا ..
اليس ذلك هو الفشل الذى نعوذ بالله منه ، ونرجوه أن ينجى هذه الأمة من شره ؟!

هبى ريح الجنة :

طالما اهبت بالفلسطينيين ان يكونوا صـــادقين مع الله ومع انفســــهم وبلادهم ، ويقدموا الدليل العملى على اخلاصهم لقضـــيتهم ، وهم اول الناس اكتواء بالنار واكثرهم احساسا بلهيبها ، وقلت لهم فيما قلت : ان الموتة الطبيعية لكم هناك .. على أرضكم شهداء .
ولا زلت أؤمن بان عشرة آلاف يهبون أرواحهم لبـــلادهم ، مع التخطيط المحكم ، وفى وقت متلاحق ـ كما يفعل الفيتناميون ـ يمكنهم أن يغيروا وجه التاريخ فى المنطقة ..

ولقد جاءت اخبار معركة الكرامة وما بعدها مبشرة بامل جديد فى العمل الفدائى البطولى ، ولقد كنت وأنا أقرأ ما نشر عن اعمال الفدائيين فى المعركة بين شعورين : شعور بالألم لهؤلاء الذين استشهدوا ، وشـــعور بالفرح لأن العمل الجدى فى سبيل الارض السليبة ، والكرامة المهدرة قد بدا وبدات الدماء

والارواح تبذلان جديا في سبيلهما .. وفي الوقت نفسه كنت أحدث نفسي بما بلغه هؤلاء الشهداء من منزلة عند الله ، كما يحدثنا القرآن الكريم والرسول العظيم .. ووجدتني أردد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتمنى ان يقتل في سبيل الله فيحيا ليجاهد فيقتل ثم يحيا فيقتل وذلك لما للشهداء عند الله من منزلة وكرامة قررها الله سبحانه وهو يقول : ((لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) .

اذكر هذا واقول : ضمن هؤلاء الشهداء الجنة ، فما أسعدهم .. لقد دخلوا المعركة ليدافعوا عن دينهم وأرضهم ومقدساتهم .. وليست هناك غاية اكرم من هذه الغاية يلقى المسلم ربه في سبيلها ..

لقد هبت ريح الجنة على ((الكرامة)) وعلى كل شبر من الارض السلبية سقط فيه شهيد ..

وهبت مع ريح الجنة ريح الرضا من الله ، تشفي جراحات النفوس من الأحياء ، وتوحد قلوبهم ، وتجعلهم جميعا فدائيين يحرصون على الشهادة واللحاق بمن سبقوهم عند ربهم يرزقون ..

شيء واحد اسفت له خلال المعركة وهو عدم توفر الأسلحة الحديثه السريعة في يد المناضلين الفدائيين واضطرارهم لاستعمال السكاكين والعصي امام جنود الأعداء المسلحين . اما كفى ما فات من زمن ومن تهديد العدو لنا لنستعد بمثل اسلحته او بما يقاربها على الاقل ؟!

ان المؤمن كريم على نفسه وعلى ربه وعنده من الشجاعة والاستبسال وحب الاستشهاد ما يانف معه ان يربط بجنزير في دبابته كما يفعل الأعداء ..

فهيا يا اتباع محمد ويا احفاد خالد وابن الجراح .. هيا الى رياض الجنة ، والى رياض أرضكم ، فان عدوكم جبان ، وما جمله يستاسد الا ما ظهر فيكم من قبل من حب الدنيا وكراهية الموت . واطلبوا الموت توهب لكم الحياة ..

قال لي :

ماذا دهى امريكا التى تمثل الحضارة الغربية حتى نرى فيها ما نرى من قتل للأبرياء ونار وحرائق وتخريب ؟

قلت له : هذا امر طبيعي واقل مما ينتظر لحضارة او لمجتمع يقوم على البغي والعدوان والصلف ، لا على غير الامريكان فقط بل على الامريكان أنفسهم كذلك لا لشيء الا من اجل لونهم . فهل رأيت تفاهة في التفكير ، وسقوطا في المدنية والحضارة ، كهذه التفاهة ، وهذا السقوط ؟!

قال : والنتيجة ؟

قلت : اقرا قوله تعالى ((فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)) .

رحلة إلى طيبة

للشيخ : حمد الجاسر

قام الاستاذ المدقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة (العرب) وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة الى المدينة يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونشر هذا التحقيق في مجلة (العرب) . .

وقد نشرنا في العدد السابق القسم الأول من هذا التحقيق وفيما يلي القسم الاخير منه .

ويحسن ايراد وصف موجز للطريق العـام الذى سار عليه الصـلاة والسلام بقربه ولم يسلكه .

ولقد عنى المتقدمون بتحديد مواقع هذا الطريق عناية كبيرة كما عنى ملوك المسلمين المتقدمون باصلاحه ووضع العلامات التى تحدد المسافات فيه لانه الطريق الذى يصل بين المدينتين الكريمتين من أقرب المسافات ولكن هجران هذا الطريق منذ أن اختل الامن فى أثناء العهد العباسى جعل الناس ينصرفون عنه لوقوع أكثر منازلة بين أودية وجبال تحتلها القبائل الذين كثيرا ما تقسو عليهم الحياة وتضطرهم الى النهب والسلب أثناء عجز ولاة تلك النواحى عن تأمين ذلك الطريق .

وكان من أهم الأمور التى دعت الى تحديد منازل هذا الطريق سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وسيره فيه أثناء أسفاره من المدينة الى مكة ، والمتقدمون كانوا يعنون بتتبع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة مساجده .

وقد كان من أبرز من عنى بتحديد منازله من العلماء المتقدمين عالم يدعى

أبا عبد الله محمد بن أحمد الأسدى [1] ولا نعرف عن هذا العالم الا ما أورده السمهودى مؤرخ المدينة عنه فهو يقول (انه من المتقدمين يؤخذ من كتابه أنه كان فى المئة الثالثة)[2] وقد ذكر أن له منسكا حدد فيه أمكنة المساجد النبوية ، وأورد السمهودى ذلك التحديد مفرقا فى كتابه .

ويظهر مما نقل السمهودى عنه أنه من جهة العراق لوصفه مواضع تقع فى طريق البصرة الى مكة فى نجد [3] ومواضع أخرى تقع فى طريق الكوفة كتحديده للطريق من فيد الى المدينة[4] وقد حدد مواقع فى طريق المدينة الى مكة ، الطريق النجدية مثل (أفاعية)[5] وحدد الطريق من ذات عرق وهو ميقات أهل المشرق [6] .

وقد نقل القاضى عياض فى شرح مسلم عند الكلام على اهاب عن عالم يدعى الاسدى ووصفه بأنه من مشائخه ولا نعلم هل هو هذا أم غيره ؟
يحدد المتقدمون مراحل هذا الطريق على النحو الآتى :
— من المدينة الى الشجرة (٦) أميال ، ومعروف أن الشجرة فى ذى الحليفة مكان الاحرام المعروف الآن بأبيار على .

ويستمر الطريق القديم مع الطريق الذى تسلكه السيارات الآن الى المسيجيد ومن أشهر المواضع القديمة فيه (الروحاء) . ولا تزال معروفة وكانت لها شهرة قديمة ، ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال وهو فى وادى الروحاء مشيرا الى الجبل العظيم الممتد عن يسار المتجه الى مكة : (ما اسم هذا الجبل) ؟ فقالوا : (ورقان) فقال : اسمه (حمت) جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه وبارك لأهله فيه أتدرون ما اسم هــذا الوادى يعنى وادى الروحاء ؟ هذا سجاسج لقد صلى فى هذا المسجد قبلى ٧٠ نبيا ولقد مر بها — يعنى الروحاء — موسى بن عمران فى ٧٠ الفا من بنى اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم حاجا أو معتمرا) والحديث من رواية ابن زبالة ومعروف مقامه عند المحدثين .
ولقدم الروحاء نشأت فكرة وجود قبر مضر بن نزار فيها ، كما أشار الى ذلك البكرى فى (معجم ما استعجم) .

ويشاهد المرء غرب البئر والمسجد آثار بناء قديم ومقابر كثيرة هناك .
وتبعد الروحاء هذه عن المدينة بما يقارب ٨٠ كيلا ، وبعد الروحاء بأربعة أكيال يمر المسافر بطرف جبل عن يمينه يسمى عرق الظبية ، بجواره مسجد متهدم وآثار قبور بطرف المسجد ، وللمسجد هذا ذكر عند المتقدمين حيث يعدونه هو ومسجد الروحاء من المساجد النبوية والذى يعنينا من هذا هو الاشارة الى قدم هذه المواضع .
ومن الروحاء الى المسيجيد القرية الكبيرة الآن ٨ أكيال ، والمسيجيد اسم

---

(١) وفاء الوفاء ١/٦٨ الطبعة الاولى
(٢) المصدر السابق ٢/١٦٤
(٣) وفاء الوفاء ٢/٢٢٨
(٤) نفس المصدر ٢/٢٦١
(٥) المصدر السابق ٢/٢٤٨
(٦) نفس المصدر ٢/١٨٣ .

حديث ويعرف قديما باسم المنصرف بفتح الصاد وفيه مسجد يعرف بمسجد الغزالة لا يزال معروفا وهو قديم ايضا ذكره البخارى فى صحيحه .

وسيل وادي الروحاء يفضى الى المنصرف ولهذا يسمى منصرف الروحاء ، ويجتمع مع أودية النازية ورحقان ووادى الجى ثم تفيض هذه الاودية على الصفـــراء .

والطريق القديم ينصرف من المنصرف ذات اليسار متجها صوب الجنوب تاركا الطريق المعروف الآن بيمينه .

ومن الأمكنة القديمة التى كان يمر بها هذا الطريق الرويثة ، وكانت من اشهر منازله ، فيها آبار وحياض ويقع بقربها جبلان يدعى الشرقى منهمـــا (الحسناء) ويدعى الغربى (الحمراء) ولا تزال آثار قرية الرويثة باقية بعد أن ينزل المرء فى الوادى يشاهد تلك الآثار عن يمينه ، ويحـــدد المتقدمون المسافة بينها وبين الروحاء بـ ١٥ ميلا على وجه التقريب .

ومن الرويثة الى السقيا وهذه درس اسمها وتعرف الآن باسم أم البرك ، وقد نقل السمهودى عن الاسدى أن فى السقيا اكثر من ١٠ آبار وان عندها بركة وفيها عين غزيرة الماء تصب فى بركة المنزل ، وهى تجرى الى صدقات الحسن بن زيد عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت فى سنة ٢٤٣ هـ ثم انقطعت فى سنة ٢٥٣ هـ وعلى ميل منها تقع صدقات الحسن ، فيها من الآبار المزروعة ٣٠ بئرا وفيها ما احدث فى ايام المتوكل ٥٠ بئرا ، ماؤهن عذب وطول رشائهن قامة وبسطة واقل واكثر ، وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها (تعهن) انتهى كلامه . وهذه السقيا تعرف قديما بسقيا بنى غفار تفريقا بينها وبين السقيا التى فى وادى الجزل ، وتقع السقيا هذه فى أعلى وادى القاحة حيث يلتقى بوادى تعهن .

وقبل السقيا هذه يمر المسافر بواد عظيم هو وادى الجى وقد ذكرنا فيما تقدم ان هذا الوادى ليس له ذكر عند المتقدمين وهذا سهو منا فقد ذكروه .

جاء فى رسالة عرام بن الأصبغ السلمى : « ورقان جبل أسود عظيم ينقاد من سيالة الى المتعشى بين العرج والرويثة ، ويقال للمتعشى الجى ، وبسفح ورقان من عن يمين : سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجى » .

وقال ياقوت فى المعجم : « جى بالكسر واد عند الرويثة بين مكة والمدينة ويقال له المتعشى ، وهناك ينتهى طرف ورقان وهـــو فى ناحية الجبل الذى سال بأهله وهم نيام فذهبوا والله اعلم ! » وهذا القول لنصر الاسكندرى .

ان الطريق من المسيجيد الى أم البرك المعروفة قديما بالسقيا ، يتجه الى الشرق ثم الى الجنوب ، وعندما يقبل على أم البرك ، ينعدم اتجاهه الى الجنوب فيتجه شرقا يميل نحو الشمال ، ولا يزال على هذا الاتجاه حتى يصل مدينة رابغ .

اما الطريق الحديث ، فانه من المسيجيد يتجه غربا ثم يأخذ فى الاتجاه صوب الجنوب عندما يصل بلدة بدر ويستمر بمحاذاة البحر .

واهم المواضع الأثرية الواقعة على الطريق القديم بعد السقيا : عين تعهن وقد ضعفت هذه العين منذ امد طويل ، ولم يبق الآن سوى آثارها ، يدعها المرء عن يساره اذا اتجه من السقيا الى الأبواء .

يسير المتجه فى وادى القاحة ، والسقيا فى هذا الوادى ، ويلتقى بوادى تعهن بعد السقيا بكيلين اثنين تقريبا ، ثم يدع وادى القاحة بيمينه وينزل فى واد يدعى ثقيب بفتح الثاء وكسر القاف ، له ذكر من الشعر القديم وفيه آثار عمران لا يزال باقيا منها موضع يدعى البستان وهو بستان كاسمه . وثقيب من روافد وادى القاحة ، ومنه طريق الى الفرع فى اتجاه أعلى الوادى ، وبعد ثقيب بما يقارب عشرة أكيال واد يدعى (نعا) فى ملتقاه بوادى القاحة آثار بنيان وعمران قديم .

ثم يستمر السير فى وادى القاحة ، وعلى بعد عشرة أكيال من وادى نقا للمتجه نحو مكة هناك يلتقى وادى النخل بوادى القاحة ، وهذا الوادى من اشهر الأودية ، وعند التقائه تتسع الأرض وتكثر آثار العمران القديمة حول المكان المعروف الآن باسم : بئر مبيريك .

ويذكر المتقدمون ، أن بين السقيا وبين الأبواء فى الوسط بينهما عين تدعى عين القشيرى وهى عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل الايسر المشرف عليها قدس وأوله فى العرج ، وآخره وراء هذه العين . ويقال للجبل الذى يقابلها يمنة يقال له باتل ، وللوادى الذى بين هذين الجبلين وادى الأبواء (١) . ان هذا الوصف ينطبق على الموقع المعروف الآن باسم بير مبيريك والتى يقال بأنها منسوبة الى احد مشايخ قبيلة زبيد اهل رابغ فى العصر الحاضر ، وانه حفر هذه البئر منذ عهد قريب فى هذا الموضع فنسبت اليه ، ولا يزال يعرف بوادى الأبواء .

وعلى بعد خمسة عشر كيلا توجد القرية المعروفة باسم الابواء ، وكانت الى عهد قريب تعرف باسم الخريبة وفى سفح الجبل الواقع بقرب مدرسة هذه القرية يوجد آثار قبر منسوب الى آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم ، وبقربه مسجد قديم . والمتقدمون يذكرون من المساجد النبوية ، مسجد الأبواء .

ومن الابواء يأخذ الطريق ذات اليسار متجها صوب الشرق ، وبعد ١٩ كيلا يصل الى ثنية هرشا ، وهذه الثنية تجزع طرفا يمتد من الحرة حرة رهاط يمتد معترضا الطريق الى الغرب حتى يقرب من البحر فيما بين رابغ ومستورة ، وفى هذا الطرف قسم يدعى باسم هرشا فيه ثنيتان الغربية منهما اسهل من الشرقية لتعبيدها وفى هذه الثنية ورد المثل :

خذ انف هرشا أو قفاها فانما كلا جانبى هرشا لهن طريق

وقد حرف هذا الاسم فى بعض الكتب الحديثة الى حرشا (٢) وقد مهدت ثنية هرشا قبل عشر سنوات لمرور السيارات عندما كان هذا الطريق مسلوكا قبل اصلاح الطريق الحالى طريق الخبت ، وكان الطريق القديم الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة ثم كان المسلمون قديما يسلكونه . كان يمر بهذه الثنية . ويحدد المتقدمون المسافة بينها وبين الابواء بثمانية أميال ، وقد سلكتها بالسيارة فبلغت من الثنية الى مدرسة الابواء ، ١٩ كيلا وهذا يقارب تحديد المتقدمين .

---

(١) وفاء الوفاء) فى الكلام على مسجد الرمادة .
(٢) مسافات الطرق فى المملكة .

وبقرب الإيواء تقع (ودان) وليست على الطريق ، ولكنها فى اسفل الابواء ، وادى الابواء يفيض فيها والذى يقصدها ينحرف اليها ذات اليمين قبل وصوله الى الابواء ، وبعد صدوره منها يعود الى ثنية هرشا ، ولا يمر بالأبواء .

وتقع (ودان) بحسب ما حدده المتقدمون بقرب قرية مستورة اذ وادى الأبواء يفيض فى البحر عندما يحف مستورة من جهة الجنوب .

وودان هى بلدة الشاعر نصيب المشهور التى يقول فيها :

اقول لركب موجفين لقيتهم	قفا ذات أوشال ، ومولاك قارب
قفوا حدثونى عن سليمان اننى	لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى انت أهله	ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

يقصد الخليفة سليمان بن عبد الملك .

وممن عرف من شعراء هذه النواحي الشاعر خارجة بن فليح المللى وكان يسكن وادى ملل وهذا الوادى لا يزال معروفا ويقع بين الفريش الذى يبعد عن المدينة بـ ٤٩ كيلا وبين وادى تربان الذى يصب فى ملل ويبعد عن المدينة ٣٣ كيلا .

ومن (تربان) : الشاعر عروة بن اذينة الكنانى .

ومن هرشا يتجه الطريق الى الجحفة هذا الطريق القديم ، وتقع الجحفة فى الجنوب الغربى من بلدة رابغ ، ولا تزال معروفة ، وتبعد عنها بـ ١٩ كيلا وكان المتقدمون يحرمون من رابغ قبل محاذاة ميقات الاحرام ، لأن طريق رابغ يأخذ الساحل ويدع الجحفة بيساره ، ووادى الجحفة يصب فى البحر عند نقطة تبعد جنوبا عن رابغ بـ ٢٠ كيلا .

والجحفة كانت قديما مدينة أثرية فى العهد الجاهلى وفى صدر الاسلام ، ولا تزال آثار المسجد النبوى قائمة وقد بنى بقربه مسجد حديث .

ويشاهد المرء على ضفاف الوادى آثار العمران من آبار ومزارع وقبور واساسات بالصخور .

ومن أغرب ما يشاهده المرء بقرب الجحفة وعلى مسافة ١٠ اكيال تقريبا غرب المسجد يشاهد آثار بناء واطلال قصر لا تزال قائمة يدعى (قصر عليا) ويحوك أهل تلك الجهة حوله أخبارا تتعلق بأبى زيد الهلالى وبصلة عليا هذه به . والعرب فى هذا العصر كثيرا ما ينسبون كل شىء قديم الى قبيلة (بنى هلال) كما كان المتقدمون ينسبون كل شىء قديم الى قبيلة (عاد) .

وهذا القصر مبنى بحجارة الحرة السوداء وبالجص بناء محكما وهو شبه مربع ، ولا تزال جدران الجهة الغربية والجهة الجنوبية قائمة سامقة الارتفاع .

ويحيط به من داخله محاريب كثيرة باستطالة الجدارين القائمين ، وهذه المحاريب ممتدة بامتداد الجدارين من الداخل وليس فيها نوافذ .

ويظهر أن هذا معبد قديم .

وهو يقع على الضفة الغربية من واد يدعى بالفايضة يفيض فى وادى الجحفة .

وعلى بعد ٢٠٠ خطوة تحت القصر فى بطن الوادى ، توجد بئر مطوية بالصخر وحولها آثار الزراعة مما يدل على انها كانت عامرة الى عهد قريب وفى فناء القصر ، توجد بعض الأشجار ، مما يدل على أن الماء كان متصلا به .

هؤلاء المتشاعرون

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

الاستاذ المساعد للادب والنقد فى كلية اللغه العربية — جامعة الازهر

هناك كلام يسميه اصحابه بالشعر الحر كما يسمى الخارجون على القوانين خروجهم حرية .. ونحن مع احترامنا لاشخاصهم وأفكارهم ، لا نستسيغ هذه التسمية التى يطلقونها على كلامهم وما يضيفونه اليه من نقط وعلامات تعجب واستفهام .. ولا نرى لتشبثهم بهـذه التسمية الا اجلالهم للشعر وحبهم للانتسـاب اليه مع عجزهم عن حقيقة مواصفاته . وقد جاءتنا كلمات من هذا القبيل لها معناها الجميل لكنا لم ننشرها لان أصحابها يدعون أنهـا شعر . ونحن لا نقرهم على هذه التسمية ، ولهذا رحبنا بمقال الكاتب الناقد لهذا اللون من الادعاء .
« الوعى الاسلامى »

لا جدال فى أن الظواهر التى تطرأ على الفنون تستمد وجودها من قوانين البيئة فى مفهومها العام ، اذ الفن فى حقيقته لا يعدو أن يكون تعبيرا جميلا عن البيئة ، ونتاجا شرعيا لنظامها المتطور دائما الى ما يبدو انه الافضل والامثل ، وعلى هذا فالظواهر الفنية التى قد نظنها مستحدثة فى هذا المجال ، ليست الا براعم جديدة ، تخلقت من جيشان الحياة والنماء فى الجذور الضاربة فى اغوار البيئة ، التى تفصح عنها الفنون بوسائلها المختلفة .

واذا كان المقام يحتاج الى شاهد يفسر الصلة الوثيقـة بين البيئة وما تستحدثه فى الفنون من ظواهر متنوعة ، فان الادب الاوربى فى الامم اللاتينية يصلح شاهدا على تأكيد هذه الصلة وتقويتها ، بل والتعليل لها على وجه فيـه شمول ، فاذا تتبعنا العوامل التى تأثر بهـا الادب الفرنسى مثلا منـذ القرن السادس عشر الميلادى حتى الآن ، نلاحظ فى وضوح تأثير البيئة الفرنسية على الادب فيما كانت تنادى به جماعة (الثريا Lapeiade) التى تألفت خلال ذلك القرن من سبعة شعراء فرنسيين تحت زعامة الشـاعر المشهور : (رونسار Ronsaro) (١٥٢٤ — ١٥٨٥ م) ويكفى فى هذا المقام أن نشير الى الكتاب الذى أصدره الشاعر (دى بللى Du Bellay) عضو هذه الجماعة بعنوان (دفاع عن اللغة الفرنسية) ، فقد ندد فيه الشاعر بأولئك الذين يكتبون

الى الشعب الفرنسي باللغة اللاتينية ، ويتجاهلون لغته التى تحددت قسماتها وتأثرت بها أذواق الجماهير ، وأهاب بالشعراء والناثرين أن يستعملوا اللغة المحلية مع تطويرها فى نطاق المفردات ، اما بالاقتباس من اللغات القديمة ، واما بصقل الالفاظ التى يتحدث بها الشعب صقلا يجعلها صالحة فى الاستعمالات الادبية .

وهذه الظاهرة التى تناولت مادة الادب من ناحية الالفاظ نراها تتجدد فى نطاق الموضوعات والنماذج التى يقصد اليها الاديب فى فنه ، فقد شهد مطلع القرن التاسع عشر الميلادى حركة قوية لصرف الادباء عن استلهام النماذج الاغريقية واللاتينية القديمة ، بتوجيههم الى أن يتخذوا من مشاعرهم — فى ارتباطها بمجتمعهم الذى يعيشون فيه — مصادر الهامهم ، وقبلة آدابهم ، فاستقام للبيئة بهاتين المحاولتين أن تطبق قانونها ، وتفرض نظامها على الفن الكلامي كما أشرنا اليه فى مطلع هذا الحديث .

□□□

ونحن حين نحسن الظن بالادعياء فى الادب العربى ، نعترف لهم بأنهم يعلمون بعض هذا أو كله ان ارادوا ، فاننا لن نخسر شيئا اذا صدقناهم فيما يدعون ، وربما نكسب بهذا التصديق راحة من عناء الجدل ، واعراضا عن ملاحاة الجاهلين . . واذن فمن الاحسان لأنفسنا ان « ننبذهم » بالعلم ، أو « نتهمهم » بالمعرفة ، وأن نعود لنستغفر الله على ما فرط منا فيما قدمنا من حديث مقتضب عن الآداب اللاتينية فى غرب أوربا ، لأنهم يعرفون أخبارها كما يعرفون أنفسهم ، ويعشقون آثارها عشقا يملك عليهم قلوبهم وعقولهم جميعا ، فعالمهم وجاهلهم فى ذلك سواء . . !! والذين لا يجيدون منهم لغة أوربية — وهم كثرة — يعشقون تلك الآداب على طريقة الشاعر بشار بن برد الذى اهتدى بحسه المرهف الى « أن الاذن تعشق قبل العين احيانا » .

والادعياء فى الادب العربى حين علموا أو سمعوا بالتطور الذى احدثته البيئة فى الآداب اللاتينية ، تنادوا مسرعين الى اعلان ثورة عارمة على كل ما هو عربى قديم ، متذرعين بأن التطوير فى مجال الشعر العربى وانقاذه من تبعية « الخليل بن احمد » مما تقتضيه روح العصر ، وتفرضه قوانين البيئة . . !!

وقد ذكرت بهذا قصة ذلك المخبول الذى رأى مريضا يشكو ألما حادا فى عينه ، فقال له : ولم تحتمل كل هذه الآلام ، ولا تصنع صنيع اخى حينما كان مريضا فى العام الماضي ؟ فتجدد أمل الشفاء عند المريض ، فسأله — وهو لا يعلم أنه مخبول — : وماذا صنع اخوك ؟ فقال : كان يشكو من ضرس ، فلما خلعه استراح وذهب عنه الالم !!

وأصحابنا — عافاهم الله — لا يعلمون أن هناك ذوقا عربيا قد استراح منذ نشأة الشعر حتى الآن الى الموسيقى التى ضبطها الخليل فى عروضه ، فاستطاع بهذا النغم الرتيب أن يفرق بين جنس الكلام ، وأن يعرف الشعر بموسيقاه وتآلف الحانه ، وأن يهتدى الى النثر بما عرف له من مزايا وصفات ؛ وبهذه المزية أصبح الذوق العربى العام هو الحكم الذى لا راد لحكمه ، والقاضى العدل الذى لا ينقض قضاؤه .

وأصحابنا هؤلاء قد تعبوا واتعبوا فى الدعوة الى (الشعر الحر) ، كأن الشعر من قبلهم كان مستعبدا فحرروه !! فلعلهم راجعون الى صوابهم حين يستمعون الى هذا الحديث ، فأما اذا أصموا آذانهم عنه فان واجب القراء على يقتضينى أن أوضح لهم المقام ، لأن من بين القراء شبابا عربيا تعقد عليه المروبة آمالا كبارا ، وترتقب منه سدادا فى الفكر وعمقا فى الفهم .

□□□

قد اطمأن الذوق العربى من لدن المهلهل بن ربيعة وامرىء القيس حتى يومنا هذا الى الموسيقى السارية فى الشعر ، فأجبها حبا شديدا يحسه كلما عابثت وجدانه ، أو حركت فى جوانب نفسه نشوة لا تعدلها نشوة ، وقد ضبط فن العروض ببحوره المختلفة أوتار المعزف الذى يعزف عليه شعراء العربية ، فتتابعت الالحان شجية ساحرة لا نشاز فيها ولا اضطراب ، وربما دعت الحاجة الملحة الى اضافة وتر جديد الى المعزف أو اهمال آخر على الا يخل ذلك بالانسجام العام فى تعاطف اللحون ، وتآخى الالحان ، وهذه الحقائق يعرفها كل من عرف طبيعة الشعر فى لغته أو فى غير لغته ، وهى من قبل ومن بعد حقائق ثابتة ثبوتا لا يقبل الجدل أو المناقشة .

والحق ان المقام يحتاج الى استعراض سريع لما طرا على هذه الموسيقى الشعرية ، من تعثر فى الاوزان ، او بذل المحاولات فى استحداث موسيقى جديدة ، لندرك ان اصحاب « الشعر الحر » من شعراء التفعيلة فى عصرنا مقلدون فى اسوأ ما يكون فيه التقليد ، ولنستيقن أن بينهم وبين التجديد الذى يدعون اضعاف ما بين السماء والارض :

- ١ -

فالشاعر الجاهلى « عبيد بن الابرص » معاصر لنشأة الشعر العربى كما يقول الجاحظ فى كتابه الحيوان ، وكان ينبغى ان يغتفر له النقاد العرب اضطرابه فى الوزن الشعرى ، ولكن محمد بن سلام الجمحى يعيب شعره بقوله : « وعبيد ابن الابرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا اعرف له الا قوله :

اقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

ولا ادرى ما بعد ذلك .

وقصيدة عبيد هذه تكاد تشبه النثر فى كثير من أبياتها ، وهى لا تلتزم بحر البسيط الذى نظمت عليه ، ولهذا يقول الشاعر أبو العلاء المعرى :

وقد يخطىء الراى امرؤ وهو حازم كما اختل فى وزن القريض (عبيد)

فاختلال الشعر بميله عن النغم الموسيقى الذى يستسيغه الذوق العربى من الامور التى تخرج به عن مجال الفن الشعرى ، حتى لو كان صادرا من شاعر شهد حداثة الشعر مثل عبيد .

والنزوع الحقيقى الى ابتكار اوزان جديدة فى المجال الشعرى ما نجده عند فحول الشعراء العباسيين امثال أبى العتاهية ومسلم بن الوليد ، فقد دفعهم تنوع الاغراض الشعرية واتساع آفاقها الى استحداث انغام تلائم البيئة الجديدة وميلها بالاذواق الى الرقة والخفة ، فهذا أبو العتاهية يستجيب الى نغم يراه منسجما من توالى صوت المدق وضرباته المتعاقبة فى دكاكين القصارين ، فيحاول محاكاة ايقاعاته فى شعر جرى على لسانه ، فيقول :

للمنون دائرات يدرن صرفها
حتى ينتقيننا واحدا فواحدا

والوزن كما نرى لا صلة له ببحور الشعر المعروفة ، ولكن الشاعر نظم به نزوعا منه الى اقرار مبدأ الحرية للشعراء فى ابتكار الاوزان الملائمة التى تستسيغها أذواقهم ، وهذا منهج حسن من حيث المبدأ ، لان تقييد الشاعر يخمل موهبته الفنية ، ومع هذا فان على كل شاعر ــ بالغا ما بلغ ــ حين ينزع الى

التجديد أن يلائم بين فنه والذوق العام الذى يقدم له نتاجه ، وتلك هى القاعدة التى حاول أبو العتاهية أن يتمرد عليها ، فقد لامه أهل الذوق فى عصره على أنه يقدم للجمهور شعرا لا تستريح اليه أسماعهم لاضطراب موسيقاه ، فلم يجد الشاعر الكبير ما يقوله لهؤلاء المعترضين اكثر من تلك الدعوى العريضة التى لا تقنع احدا ، فهو عند نفسه كما قال للساخطين على تجديده : « أنا اكبر من العروض » !!

وأخذ شعراء الفرس زمن العباسيين يتجهون الى ابتكار الاوزان باستعمال ما يرونه مناسبا من النغم الفارسى المستعمل فى شعر تلك اللغة ، فاستعملوا فى العربية « الدوبيت » ، و « السلسلة » و « القوما » و « المواليا » و « كان كان » ، وقد عكس بعضهم بحور الخليل بن احمد ونظم بها شعرا غريبا ساغته أذواق ، وانصرفت عنه أذواق ، فمن ذلك قولهم فى مقلوب بحر المديد :

من لقلبى العامرى بالذى يتمنى من وصال القصى

— ٣ —

وفى الأندلس كثرت الدواعى الى التجديد فى الميزان الشعرى ، اذ بلغ الولع بالغناء اقصاه ، فاحتاج الشعراء الى نوع من القصيد يساير الغناء ويلاحق ضروب الأنغام المستحدثة ، فتعلقت همم الكبار من شعراء الأندلس الى ابتكار أوزان جديدة فكانت « الموشحات » .

وأول من اقتحم هذا الميدان الشاعر المجيد مقدم بن معافر الفريرى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وتبعه احمد بن عبد ربه المتوفى عام ٣٣٨ هـ ثم برع فى هذا النمط الجديد عبادة القزاز المتوفى عام ٤٢٢ هـ .

وهذه المحاولة الأندلسية لم يكن من غايتها نبذ القديم ، أو الخروج من دائرة الذوق العربى ، وانما كان غايتها توسيع نطاق الفن العربى ، واسباغ شىء من الخفة والرقة على مقاطعه وأوزانه .

ولعل فيما يقرره عبد الرحمن بن خلدون اشارة الى ان الشعر بلغ فى البيئة الأندلسية مبلغا عظيما ، مما حمل الشعراء على الاستزادة من الأوزان ، يقول ابن خلدون :

« وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر فى قطرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ من التنسيق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون فيه فنا سموه « الموشح » ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة » .

— ٤ —

والتجديد فى الأوزان الشعرية أمنية راودت عزائم فحول الشعراء فى مختلف العصور ، ومن حق هؤلاء الفحول أن يرسلوا فى قصائدهم نغما جديدا ، لأنهم أهل حذق وذوق وبصر ، وهم أصحاب حاسة فنية لا تتأتى لغيرهم ، فاذا أبيح لهم أن يجربوا وزنا حسبوه شجيا ثم عدلوا عنه بعد محاولة أو محاولتين فليس لهذا من معنى الا انهم وهموا أولا فى استقامته واعتداله ، فلما تبين لهم عوجه واضطرابه ونبوه عن الأذن أنكروه ، ولم يأنسوا اليه ، وهذا ما نجده عند باعث الشعر الحديث محمود سامى البارودى ، وما نطالعه عند شوقى وخليل مطران .

ففى ديوان البارودى قصيدة واحدة تجرى على وزن اخترعه الشاعر وليس لها ثانية فى سائر شعره ، لأنه — فيما يبدو — آثر السلامة ورجع الى طبعه الشعرى الذى لم يخذله أبدا ، فمن أبياتها قوله :

املأ القدح	واعص من نصح
وارو غلتى	بابنة الفرح
فالفتى متى	ذاقها انشرح

وقد تبعه شوقى فى قصيدته المشهورة التى مطلعها :

مال واحتجب	وادعى الغضب
ليت هاجرى	يشرح السبب
عتبه رضى	ليته عتب

وأما خليل مطران فقد خرج فى القصيدة الواحدة الى أوزان عدة متأثرا بطبع الأندلسيين فى الموشحات ، وربما يعمد الى وزن مبتكر ليقحمه فى تلك الاوزان المعروفة لنا ، وخير مثال لهذا ما نراه فى قصيدته التى عنوانها « نفحة الزهر » فقد استهلها ببيتين من مجزوء الكامل وهما :

باسم المليكة فى الازاهر	ذات الجلالة والبهاء
يهدى اليك بيان شاعر	أزكى التهانى والدعاء

ثم يعدل فى هذه القصيدة الى وزن آخر من بحر الرمل فيقول :

انظريها تجديها زهرا	واقرئيها تجديها فكرا
تلك اشباه المنى فى لطفها	لبست حسنا فجاءت صورا

ولكنه قبل أن ينتهى منها يلجأ الى وزن مبتكر فيقول :

قالت الوردة ذات النهى	والامر فى الزهر
يا وصيفاتى بنات النور	والعطر فى الفجر

ولعلنا لا نأسف كثيرا على هذه الجولة السريعة فى تراثنا القديم والحديث ، فقد استعرضنا فيها مواقف التجديد الاصيلة التى حاولها فحول من شعراء العربية ، نعرف لهم موهبة وحذقا فى فنون اللغة ، ورواية وفهما لأدبها ، وما يتصل به من قواعد وقوانين ، وتلك فائدة قد تعوضنا كثيرا عما سنفقده بالحديث عن شعراء التفعيلة والدعاة الى الشعر الحر ، أولئك الذين ينبذون ما نعرفه لشعرنا العربى من ضوابط ، أو الذين يتخففون من قواعده عالمين بها او جاهلين .

ومجمل دعوة هؤلاء تنحصر فى الثورة على القوانين التى وجهت الشعر العربى وجهته المعروفة منذ نشأته حتى الآن ، والانتقاض على الميزان العروضى ، والتخلص من قيد القافية ، ويحتجون لهذا : بأن الحياة متطورة . وأن موضوعات الشعر مرتبطة بهذا التطور ، وأن مشاعرهم فى حاجة الى الانطلاق مع ركب الزمن المجد فى سيره ، وأن احساسهم بجمال الطبيعة ينزع بهم الى معانقة أشواق الحياة وتأمل المستقبل ، ولا سبيل الى ذلك الا بالحرية فى التعبير ، واطراح كل المعوقات التى تكمن فى أوزان الشعر وقوافيه المأثورة .. !!

وهؤلاء الأغرار يحسبون أنهم بهذا الهدم دعاة تجديد وأساتذة مذهب مبتكر ، لأن أحلام اليقظة تخيل لأصحابها أوهاما أخطر مما يظن الظانون ، فمنطقها يقوم دائما على اهتبال ما يلوح لها انه نتائج لمقدمات وهمية لا ترقى اليها العقول ، لأنها خارجة عن نطاق الأفكار .

وقد يصبح وهم التجديد لديهم عقيدة ثابتة حين تحتضنهم وسائل الاعلام فى بعض الأقطار العربية ، وحين تساندهم هيئات ذات طابع تجارى أو مذهبى فى أقطار معروفة ، ونحن — مع هذه القوى المتساندة — لا نجزع على مصير شعرنا العربى لا فى حاضرنا ولا فى مستقبلنا ، فان استساغة الأذواق العربية الأصيلة لمثل هذا الغثاء امر نراه بعيد الاحتمال فضلا عن حدوثه وتأثر الأذواق به .

فاذا قيل لهؤلاء المتشاعرين : ان ما تذيعونه فى دواوينكم وثيق الصلة بالنثر المضطرب والانشاء الضال ، وليس له أدنى صلة بالشعر ومفهومه الفنى ، اجابوا : بأن له من الشعر وزن « التفعيلة » الواحدة من البحر الواحد العروضى ، وفيه من مفهومه موسيقاه المطردة فى وجدان الشاعر الحر مصورة فى المقاطع ، ومنتشرة فى تمطيط الحروف حينا ، والهمس بها حينا آخر حسبما يقتضيه الحس الشاعر !!

وما أثبتناه فى مستهل هذا البحث يبطل ما زوروا من حجج ، وارتجلوا من براهين ، وتوضيحا لذلك نشق على انفسنا بدراسة عابرة لجوهر المشكلة ، وهى دراسة كما يقول الاستاذ العقاد خليقة « بالدراسة ، كما يدرس العلماء عوارض الامراض والعلل والنكبات ، على أنها خليقة كذلك الا تحمل طابع القدوة والاحتذاء .

ونحن نعرف أن موضوعات الشعر متطورة مع الحياة دون حاجة منا الى تصريحات « هيئة الشعر الحر » فكثيرا ما أتعب مؤرخو الأدب انفسهم فى دراسة ما طرأ على الشعر فى مختلف العصور من ظواهر وتغييرات اثرت فى الفاظه وموضوعاته واوزانه ، والفحول من شعراء العربية لم يصادفوا مشقة تذكر فى الملاءمة بين فنهم وبين تلك الحياة المتجددة أبدا ، فالشعراء من امثال بشار بن برد ، وأبى نواس ، وأبى تمام ، وابن الرومى ، والمتنبى ، لم يتمردوا يوما على ميزان الشعر بحجة انه قيد يحول بينهم وبين ما يريدون الافصاح عنه ، بل انهم استطاعوا أن يوقظوا الحياة فى قصائدهم ، وأن ينشروا صور الطبيعة جديدة فيما نقرأ لهم ، ولم يحدثنا علماء النفس أن بشارا مثلا مات وفى نفسه شيء من العروض ، ولم يشر ناقد الى أن التزام الوزن سد على شاعر قدير منافذ الخيال ، أو قعد به عن تلقف الخاطرة التى قد تسنح لفكره من بعيد .

والبحور العروضية لا تغيض أمام السابحين المهرة ، ولا تقذف بهم على شطآنها ، وانما تشد الى قيعانها أولئك الذين لا يحسنون السباحة أو الذين يحسنونها فى المياه الضحلة التى تركد فى البرك وتسيل فى الغدران ، فالملكة الأصيلة قادرة أن تنظم — فى يسر — صور الحياة المتكاثرة فى لحون شعرية لها من الوزن سحر الموسيقى ومن القافية حسن الايقاع الرتيب .

والعجز عن تلك المساوقة الفنية لا يرادفه الا فتور فى الموهبة ، وكلال فى نهج البيان ، ومن ثم يصير تجديد العاجزين أسوأ من تقليد القادرين .

على أن هناك فرقا بين قوانين الفنون وبين القيود التى تطرأ عليها ، فانتظام الموسيقى فى القصيدة العربية قانون التزمه الذوق العربى ، وقاعدة

تحد مفهوم الشعر منذ جرى على الألسنة ، وبهذه الموسيقى المتطورة استقل الشعر عن النثر ، وصار قسيما له فى الفن الكلامى ، فأما القيود فهى التى لا تتصل بطبيعة الفنون ولا يتوقف عليها المدلول الحقيقى لجوهر الفن ، وانما تعرف طريقها اليه بوسائل خارجية ذات علاقة قريبة أو بعيدة فى التوافق أو التنافر بمفهومها الذى يحدد قسماتها ويفصح عن ملامحها الاصيلة ، وعلى سبيل المثال فان الاهابة بالشعر أن يلتزم غرضا واحدا يعتبر قيدا له ، وعلى الشاعر حينئذ أن يحطم هذا القيد ويستعلى عليه ، وان يسلك بفنه المسلك الذى يراه قريبا الى طبعه ولصيقا بوجدانه ، فتنوع الاغراض والموضوعات يمنحه الحرية الكاملة فى اختيار ما يلائم تكوينه الفنى ، واذن فلا معنى لأن يسلب هذه الحرية ويحرم من حقه فى الاختيار .

ومن هنا يظهر بطلان ما يروج له شعراء التفعيلة من وجوب التخلص من الوزن والقافية لأنهما قيد « للحرية الفنية » وتعويق للموهبة عن الافصاح والتصوير ، فاذا شئنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ، فان دعوتهم تلك ليست الا أمنية ساذجة يراد منها ابطال الفن الشعرى جملة ، لأنهم يهيبون بالشعراء أن ينفصلوا عن أخص ما نعرف له من قوانين وقواعد ، ولكن تشبثهم بالتزام « التفعيلة » من البحر العروضى يشير الى الحقيقة الثابتة دون أن يصرحوا بها ، وتلك الحقيقة هى أنهم مرغمون على الاعتراف الضمنى بأن : الميزان الشعرى قانون وقاعدة فيما يسميه العقلاء شعرا ، وما أشبههم فى هذا بالطفل الذى يلح على والده أن يشترى له حلوى يشتهيها .. فاذا زجره أبوه ، وهم بالانصراف دونه ، تعلق الطفل بأطراف ثوب والده .. وعينه تلتهم الحلوى من بعيد ، فاذا شاء « الشاعر الحر » أن يرى فى القوانين الشعرية قيودا ، فيرسل أحاديثه على غير قاعدة ، فخليق به عندئذ الا يزعم للعقلاء — ما يزعمه لنفسه — أنه شاعر ، وحسبه عندنا أنه صاحب فن « مشكل » لا هو من قبيل الشعر .. ولا هو من قبيل النثر .

فأما اهمالهم للقافية التى تستريح لها الأذن فليس لديهم تعليل شاف لهذا الاهمال المعيب ، فما تكاد تقرأ لهم الا مقطوعات مختصرة كل الاختصار قد اختفت فى سراديبها الأفكار ، وشاهت الصور فى معارضها ، ولو أنهم تعلقوا بنظم القصة الطويلة ، لكان لهم مندوحة فى العدول عن حرف الروى ، لأن القافية مهما اتسعت مادتها وكثرت مرادفاتها لا تتسع لهذا اللون ، الذى يستدعى آلاف الأبيات حتى تصل القصة الى نهايتها ، ولكن أكثر ما لهؤلاء — كما نقرأ لهم — مقطعات وسطور تقصر أو تطول حتى تتساوى بالنقط . وعلامات التعجب والاستفهام .. !!

ولو أن أصحابنا هؤلاء سلكوا سبيل الموهوبين فى استخدام « الرجز والتوشيح والتسميط » لأغناهم ذلك عن قيد القافية فى المسرحيات والقصص .

واذا سلمنا لهم ان الموسيقى الشعرية متحققة فى استعمال التفعيلة والتزامها ، فان من حقنا أن نسأل عن سر هذا الاختزال وغايته ، فاذا كان من غايته توفير الحرية للشاعر كى يتاح له تصوير دقائق الفكر واستيعاب « أشواق الحياة وترانيم المستقبل » كما يزعمون ، فان قصيدة واحدة من شعرهم المترنح كافية فى اقناعنا أنهم قد جددوا فى شكل الشعر أو فى مضمونه بما تحمل من شكل جديد أو مضمون مبتكر .. فأما حين يصبح منهجهم الذى يتنادون به وسيلة من وسائل العبث والسخرية بالعقول ، أو يصير الى تقليد المحدثين من شعراء أوربا .. فان الأقلام العربية مسئولة عندئذ عن حماية الأذواق ، وتنبيه الناشئة من أبنائنا الى ما وراء هذا العبث من هدم أو ارتزاق .

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

النفير النفير

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » .

الحريه

ولا يقيم على خسف يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له احد

منهج تربية وخطة دراسة

عهد الرشيد الى الاحمر النحوى بتعليم ابنه الامين ، ووضع له منهج تربيته وخطة دراسته فكتب اليه :

يا احمر : ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين .
اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباها فعليك بالشدة والغلظة .

ابراهيم واسماعيل

قال ثعلب فى أماليه : الاسماء الاعجمية لا تعرف العرب لها تثنية ، ولا جمعا .

فأما التثنية فتجيء على القياس . مثل ابراهيمان واسماعيلان ، فاذا جمعوا حذفوها فردوها الى أصل كلامهم ، فقالوا أباره ، وأسامع ، وصغروا الواحد على بريه وسميع .

التاريخ فى العهد النبوى

قال أبو الريحان البيرونى فى كتابه الآثار الباقية :
كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمون كل

سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها له عليه الصلاة والسلام .

فالاولى بعد الهجرة سنة الاذان ، والثانية سنة الامر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص ، والرابعة سنة الترفئة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سنة الإستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشرة سنة الوداع ، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة .

المد يحمل البريد

لم يكن لجزيرة (سنت كيلدا) بشمال سكوتلندا بانكلترا مواصلات للبريد انما الذى يحمل بريدها هو مد البحر . ولذلك كانت تجمع الخطابات منها فى أوعية من الصفيح ومعها النقود المقابلة لما يلزم لها من طوابع . ثم تلقى هذه الأوعية فى البحر مربوطة بعوامات من جلد الماشية ، ويعلق بها قطع من الخشب طافية ويكتب عليها بريد (سنت كيلدا) الرجاء فتحه .

وتحمل تيارات البحر معظم هذه الرسائل الى (جزائر شيتلان) ومنها تحملها بواخر البريد الى انكلترا .

ذكاء معاوية

يروى أن عبد الرحمن بن حسان الشاعر شبب بابنة معاوية ، وبلغ ذلك ابنه يزيد ، فغضب ، وطلب من ابيه أن يقتله ، فقال له معاوية : لا ولكن أداويه بغير ذلك .

ثم دخل عبد الرحمن على معاوية فأكرمه واستقبله احسن استقبال ، وقال له : ان ابنتى الأخرى عاتبة عليك ، قال : فى اى شيء ؟ قال : فى مدحك اختها وتركك اياها قال : فلها العتبى وكرامة . انا ذاكرها ، ولم يكن لمعاوية غير بنت واحدة فخرج عبد الرحمن واخذ يشبب بالبنت الثانية ، وبلغ شعره الناس ، فعرفوا كذبه .

البيت الفنى

لما ولى المنصور الخلافة لقيه احد معارفه القدامى وكان فقيرا ، فسأله المنصور : ما عيالك ؟ قال : ثلاث بنات والمراة وخادم لهن ، فقال له : انت ايسر العرب . أربع مغازل يدرن فى بيتك ، ولم يعطه شيئا .

اخلاق الخلفاء

قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوما ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيا وصاح : يا غلام ، فدخل غلام وهو يقول : ما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟! كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام . يا غلام الى كم يا غلام !! فنكس المأمون راسه طويلا ، فما شككت أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر الى وقال : يا عبد الله : ان الرجل الذى حسنت اخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع أن تسوء أخلاقنا لتتحسن أخلاق خدمنا .

كتاب الشهر

الإسلام والحضارة

للمستشرق الدكتور مونتجمرى وات

عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة

عرض ومناقشة للأستاذ : عبد الحميد فرحات

ينبغى أن ننظر بتحفظ شديد الى كل ما يصـــــدر فى مكتبات الغرب عن الاسلام ، وينبغى أيضا أن نتخذ أمام هذه المؤلفات الغربية موقفا واضــــحا ومحددا يختلف بالطبع من كتاب الى كتاب ومن باحث الى باحث . ويمكن أن يقال بصفة عامة أن الكتب الغربية عن الاسلام تتحرك فى اتجاهات ثلاث . .

هناك أولا . . اتجاه يعرف أصحابه ــ وما أقلهم ــ حقيقة الدين الحنيف ، ويقومون فى أمانة العلماء ونزاهتهم بتسجيل ما للدين الاســـلامى من مميزات وفضائل ، وعلينا أن نستفيد ببحوثهم ونترجمها الى العربية ، ونستقدم من كان منهم على قيد الحياة الى بلادنا للتعارف والتباحث .

وهناك ثانيا . . اتجاه يعرف أصحابه ــ وما أكثرهم ــ الحقيقة ، ويقومون بتشويهها وتلويثها ، بدافع من سوء النية والتعصب الموجه بالدرجة الاولى الى المسلمين العرب ، وعلينا التحرك السريع المدروس بغير انفعال أو تشـــنج للكشف عما فى أفـــكارهم من ســـخافات وتفاهات ، بمقارعة الحجة بالحجة ، والرأى بالرأى ، وفضح ما خلفها من سوء نية وتعصب ، لأن السكوت والتزام الصمت أمام هذا اللون من الكتابات هو بلا شك ضدنا ، وليس لصالحنا .

وهناك ثالثا . . اتجاه يرفض أصحابه ــ وما أخطرهم ــ كل الأديان ، ومن بينها الاسلام بالطبع ، وعلينا الاسراع بمحاصرة هذا النوع من الكتب فى أضيق نطاق ، وفى الوقت نفسه نصدر من جانبنا ما يناهض هذا الاتجاه ويقضى عليه ، ويقلل من أخطاره .

ويصبح هذا التحفظ الذى اشرت اليه ، اكثر ضرورة ، واشد الحاحا فى كمه وكيفه ، اذا أدركنا الدور الخطير الذى تقوم به الصهيونية والاستعمار العالمى خلف كل كلمة تكتب ضد الاسلام هناك ، وهو الدور الذى توظف وتوجه فيه امكانيات لا حدود لها بهدف تدمير المقدرات الروحية والخلقية للانسان المسلم .

أما الكتاب الذى اقدمه اليوم لقارىء « الوعى الاسلامى » فيقع فى الاتجاه الأول ، وصاحب هذا الكتاب الاستاذ الدكتور مونتجمرى وات M. Watt عميد قسم الدراسات العربية بجامعة ادنبرة . ولقد أصدر الاستاذ وات فى عامين متتاليين كتابين عن الاسلام ، أما الكتاب الأول فهو « الاسلام والجماعة المتحدة » Islam and the United Group الذى صدر فى فبراير عام ١٩٦٦ ، ومن يريد معرفة شىء عن هذا الكتاب الرجوع الى بحث أستاذنا الراحل العقاد « ما يقال عن الاسلام » ، ففيه من التلخيص والتحليل عن هذا الكتاب ما يفيد .

وأما كتابه الثانى وهو موضوع هذا المقال فهو « الاسلام والحضارة » Islam and Culture والذى صدر فى مارس ١٩٦٧ م .

ويقول العقاد — رحمه الله وعوضنا عنه — عن المستشرق وات : لقد كان لهذا الرجل فضل تفسير التاريخ الاسلامى بالكشف عن دور العامل الاقتصادى جنبا الى جنب مع العوامل الروحية والاجتماعية .

واود أن أضيف الى ما رآه العقاد بأن هذا الرجل مفكر موسوعى ، قد سلح نفسه بقدر كبير من الثقافة فى مختلف فروع المعرفة ، غير أنه يستقطب دائما كل روافد ثقافته كى تصب فى مجرى التخصص الرئيسى الذى أراده لنفسه ، وهو الدراسات العربية والاسلامية ، ولهذا تلتقى فى مؤلفاته بالكثير من لمسات الفيلسوف ، وعالم النفس ، والمؤرخ ، والجغرافى ، وهؤلاء جميعا يلتقون وينصهرون فى رجل واحد جعل اثبات ما للاسلام من فضائل هدف أهداف حياته .

وثمة فضيلة اخرى لهذا الأستاذ المستشرق ، فلقد روعه العدوان الصهيونى الأخير على أرض (القداسات) كما يسميها ، ومن ثم رفض العدوان ، وكتب يفضح الصهيونية ، وانطلق لسانه بين زملائه وأصدقائه وتلاميذه يقول قولة الحق ، وحتى وصل به ايمانه بالقضية العربية الى حرج موقفه مع ادارة الجامعة التى أنذرته بالطرد .

وبهذا الموقف المشرف يكون الاستاذ مونتجمرى وات ثانى مفكر انجليزى حر يقف بجانب الحق العربى ، ويكون قد سبقه على نفس الطريق المؤرخ الانجليزى صديق العرب المنصف « توينبى » الذى وضع قضية اسرائيل كلها فى مهب الرياح بمناظرته المشهورة مع (ياكوف هيرزوج) سفير اسرائيل فى كندا صباح يوم ٣١ يناير عام ١٩٦١ .

وكتاب الأستاذ وات هذا « الاسلام والحضارة » بحث طيب يسجل فيه صاحبه الدور الحضارى للدين الحنيف ، وبرغم أن هذا هو الموضوع الرئيسى للكتاب ، الا أن المؤلف قد نثر فوق صفحاته العديد من التفاصيل الفقهية الدقيقة ، والكثير من المقارنات العديدة بين الأديان . وهذا الذى فعله المؤلف يجعل من محاولة تلخيص الكتاب ومناقشته فى صفحات معدودة مسألة عسيرة بل وقليلة النفع . الا أن هناك ثلاث قضايا عنى بها المؤلف ، وجعلها تسير

متوازية على امتداد صفحات كتابه ، والأصوب والأفيد أن نقف أمام قضـــاياه الثلاث ، لنرى من خلالها كيف يفكر الرجل ، وكيف يثقب بفـــكره كل محاولة لتشويه الحقائق . . وسط ظروف تبدو الحقيقة داخلها ــ أية حقيقة ــ كتجارة بائرة ، يحل بالمشتغل بها الفاقة الأبدية . . !!

انسانية الاسلام

ثمة ادعاء يقول أن أى دين له خواص وسمات محلية ، وأنه يؤدى مهمته فى حدود هذه الخواص والسمات فقط ، ولقد جعل الأستاذ وات قضيته الاولى فى ابطال هذا الادعاء ، والقول بأن الاسلام هو خاتم الأديان ومن ثم فهو يصلح دائما مهما اختلف المكان أو امتد الزمان . وقد انطلق المؤلف الى هذا الهدف من مقدمة فلسفية خالصة قائلا : ان التصور الخالص يلزمنا بتصور أصل أو جذور أو نواة أو جوهر لأى شىء من الأشياء ، ولقد كان الدين على مر العصور هو جوهر الوجود ، أو كما يفضل تسميته بروح العـــالم Animamundi **وكما يتهاوى جسد الانسان بعد خروج الروح منه ، فان العالم ينهار اذا ما زال الدين منه ، أى أن العـــلاقة بين الدين والوجود خالدة خلود العـــلاقة بين الجوهر ، والعرض .**

ويدلل الأستاذ وات على مقدمته الفلسفية هذه باستعراض شامل لتاريخ الأديان أكانت ديانات منزلة أم غير منزلة ، اكانت تقـــول بتعـــدد الآلهـــة Polytheism أم تقول باله للشر وآخر للخير Ditheism أم تقول باله واحد لا شريك له Theism وخلال هذا العرض الشيق لتاريخ الأديان يضع المؤلف يد القارىء على حقيقة هامة ، وهى أن كل الديانات السماوية ما عدا الاسلام تحمل كل مبادئها وتعاليمها شكل التحذيرات والمواعظ Admonitions وليس فى هذا الشكل ما يعيب هذه الديانات التى كان يترك كل دين منها للدين الذى يليه مهمة شرح ما به من تحذير ووعظ ، وأن يكمل كذلك ما فيه من نقص . ولما كان الاسلام هو خاتم الأديان المنزلة ــ وهذه مسلمة لا يجب نقاشها ــ كان لا بد من اشتماله على كل فضائل الديانات السابقة ، وأن يزيد عليهـــا ما يفيد البشرية مستقبلا . ولهذا يقول الأستاذ وات أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى تخطى مستوى المواعظ والتحذيرات الى مستوى تســـجيله لجملة العقائد المشرعة Legal dogmas **وهو يعنى بهذا أن العقائد الاسلامية تصلح أصولا تستمد منها البشرية كل القوانين التى تسير حياتها** . ويضـــيف المؤلف الى هذا بأن الدليل على انسانية هذا الدين أنه قد نشر جناحيه فوق رقعة كبيرة من العالم ، وانه يكسب مع كل صـــباح جديد المزيد من المؤمنين به ، هؤلاء الذين بلغوا بحسب آخر احصاء خمسمائة مليون مسلم .

ولا يفوت هذا الباحث أن يقول هنا ــ فى عتاب الصـــديق ــ بان على الجهات الاسلامية المسئولة عن نشر الدين مضاعفة الجهد التبشـــيرى الذى تقوم به ، وأنهم لا يقومون ــ فى رأيه ــ بالجهد الكافى لانجاح مهمتهم ، وهو يذكر علماء الاسلام وفى مقدمتهم رجال الأزهر والأعضاء الدوليين بمجمع البحوث الاسلامية ، بأن هناك فى العالم مناطق واسعة ، لم يعرفها الاسلام بعد ، وهى مناطق يقع أغلبها ، فى آســيا وافريقيا على مقربة من الدول الاســـلامية الرئيسية .

وهناك فى ختام دفاع المؤلف عن الاسلام وبيان انســانيته وصلاحيته فى الحاضر وفى المستقبل « هدية » يقدمها الرجل للمشرع الاسلامى فيقول : ان أسماء الله الحسنى Attributes of God بالعدد والشكل الذى جاءت به فى الاسلام تصلح لأن يستمد منها أى قانون انسانى ، وان تحليل القوانين مدنية كانت او دينية يجعلنا ندرك أنها تحتوى على بعض ما فى أسماء الله الحسنى من دلالات ومعانى .

دين الروح والعقل

وفى القضية الثانية يناقش المؤلف موقف الاسلام من العلم والفكر ، وهو يفرد لهذه المسألة ثلاثة فصول مطولة بعنوان : « الاسلام ـــ العقل والروح » Islam - Reason and Spirit وهو ينتهى من خلال هذه الفصول الى أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يؤاخى بين الروح والعقل ، والذى لا يرى تعارضا بين الدين والعلم ، ومن ثم أصبح الحديث عن خلاف العلم والدين فى العالم الاسلامى غير ذا أهمية بالمرة .

ويصل المؤلف ـــ كعادته ـــ الى هذه النتيجة بعد دورة كاملة حول قصة الخصومة الشهيرة بين العلم والدين . ومن البداية يعترف فى حزن عميق بأن أوربا المسيحية كانت منذ القرن التاسع عشر « الرحم » الذى تخلقت فيه كل صنوف الالحاد atheism وأن أوربا هى التى اصابت الشرق بهـــذا الخطر الجسيم .

ويقول المؤلف أن خلاف العـــــلم والدين قد رجع فى جوهره الى تعصب جمود رجال العلم من جهة ، ورجال الدين من جهة أخرى . فالعلماء قد تعصبوا ون العلمى ، رغم كونه نسبيا ، يصلح فى حدود ظروف معينة ، وظنوا أن منهجهم هو المنهج الوحيد للامســـاك بالحقيقة . ورجال الدين قد تعصـــــبوا لعقيدتهم ، فلم يفرقوا بين الأصول والفروع ، وبين ما يصح فيه الاجتهاد وما لا يصح .

ويقول الأستاذ وات فى دهشة : لقد فات العلماء أن العـــــلم بقوانينه ومنهجه يتعـــامل فى حدود معطيات facts العالم المـــادى ، وانه يفشـــل بالضرورة فى الوصول الى منشىء ، أو مبدع أو خالق هذا الكون Creator ومن نفس هذه النتيجة يصل المؤلف الى نتيجة أخرى ، وهى أن الاسلام لا ينظر الى الانسان بوصفه عقلا فقط ، بل من حيث هو عقل وروح وشعور feeling وارادة Will وجملة من القوى غير المنظورة ، يقال عنها الحاسة السادسة أو الحدس أو الالهام Intuition وأن الاسلام يحترم فى الانسان هذا كله ، ويدعوه الى استخدام كل طاقته للوصول الى الحقيقة فى مجال المادة ، وأيضا فى مجال ما وراء المادة .

ولا يمل الباحث على امتداد عرضه للموضوع من أن يؤكد رحابة الدين الحنيف ، وتشجيعه للعلم والفكر ، وأن يؤكد كذلك أن رجل الدين المسلم ، لم يكن فى تعصبه بالدرجة التى كان عليها رجل الدين المسيحى فى القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى شـــهد بداية الانتصـــــارات العلمية فى علوم الفلك (كوبرنيكس) والحياة (دارون) وغيرها ، وأن يؤكد أيضـــــا فى تفاؤل : أن القضية كلها قد أصبحت بالنسبة للدين الاسلامى تحل نفسها يوما بعد يوم ، وعن قريب سيأتى يوم تكون العلاقة بينهما لقاء فوق أرض المحبة والتفاهم التام ، ويكون هدفهما معا هو : اطلاق كل قوى الانســـــــان ـــ كعقل وروح وارادة ، وشعور والهام الى ناحية الحقيقة المحدودة « العالم » وغير المحدودة « الله » خالق هذا العالم .

(بقية على صفحة ٨٦)

قصة
حارس البستان

خلاء فى مخرج مدينة طرسوس فى القرن الثانى للهجرة . يظهر فى الخلفية (الباكجروند) بعض أسوار المدينة وحصونها .

على الطريق الجادة يلتقى اثنان عليهما سيما الزهاد . كلاهما يحمل مزودة واداوته ويتوكأ على عصا . أما أحدهما فخارج من المدينة راحل عنها وأما الآخر فداخل اليها . الأول ابراهيم بن ادهم والثانى شقيق البلخى .

ابراهيم : السلام عليكم .

شقيق : وعليكم السلام ورحمة الله (ينظر اليه) اغلب الظن أنك من اهل خراسان .

ابراهيم : نعم أنا من خراسان .

شقيق : أنا أيضا من خراسان . من بلخ أتعرف بلخ ؟

ابراهيم : أنا من بلخ .

شقيق : (يعانقه بحرارة) أهلا وسهلا بأخى وابن بلدى . سائح فى أرض الله ؟

ابراهيم : بل فقير التمس رزقا .

شقيق : علام اذن لم تنزل بطرسوس ؟

ابراهيم : لم أستطع ان أجد بها عملا يقيم صلبى فقررت الرحيل .

شقيق : ان لم تستطع ان تجد عملا فى طرسوس فلن تجده فى أى مكان آخر .

ابراهيم : انت مقيم فى طرسوس ؟

شقيق : لا ، ولكن لى فيها أحبابا وأصدقاء . ان شئت عدت اليها معى فدللتك على العمل الذى تنشده .

ابراهيم : شكر الله لك . أنت أيضا رحلت من خراسان فى طلب الرزق ؟

شقيق : الرزق يا أخى فى كل مكان حتى فى بلخ .

ابراهيم : (يبتسم ابتسامة خفية للهجة الاعتداد بالنفس التى أحس بها فى كلام شقيق) ففيم اذن هاجرت ؟

شقيق : ألتمس الطريق ..

ابراهيم : الطريق الى الله ؟

شقيق : هو ذاك .

ابراهيم : فالله موجود فى كل مكان حتى فى بلخ .

شقيق : (يحس بالوخز) هذا حق ، ولكن الوصول اليه يحتاج الى مجاهدة وسياحة من قبل الطالب .

ابراهيم : أنت اذن من المجاهدين السائحين ؟

شقيق : أرجو الله أن يتقبل ويوفق .

ابراهيم : سمعت من بعض الصالحين أن المرء اذا أخلص سريرته تقبل الله منه ووفقه .

شقيق : هذا حق . نسأل الله أن يرزقنا الاخلاص .

ابراهيم : سمعت أيضا يا أخى ان الله لن يرزقنا الاخلاص الا اذا أخلصنا .

شقيق : هذا كلام نفيس . هيه يا اراك الا من المريدين . انت سائح مثلى تلتمس الطريق .

ابراهيم : انا ماش فى الطريق .
شقيق : ان كان لى ان انصحك يا أخى فاياك والغرور .

ابراهيم : الغرور أحيانا فى ان تظن بغيرك الغرور .
شقيق : منذ كم سرت فى الطريق ؟

ابراهيم : منذ سبع سنين .
شقيق : انت اذن غير ملوم .
ابراهيم : وانت منذ كم ؟

شقيق : منذ عشرين سنة وما زلت فى أول الطريق .

ابراهيم : يقول الله تعالى (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) .
شقيق : هل لى ان اسألك ؟
ابراهيم : تريد ان تمتحننى ؟

شقيق : اذا اذنت .
ابراهيم : افعل .

شقيق : ماذا ترى فى مقامى الشكر والصبر .

ابراهيم : هل لى ان اسمع رايك أولا ؟
شقيق : انا ان وجدنا شكرنا وان لم نجد صبرنا .

ابراهيم : يا اخى هكذا كلاب بلخ ان وجدت شكرت وان لم تجد صبرت .

شقيق : فماذا تقول انت ؟

ابراهيم : انا ان وجدنا آثرنا , لم نجد شكرنا .

شقيق : (فى طرب وفرح وقد زال ما كان يجده من الحرج فى أول الأمر) الله . الله . انت الضالة التى انشدها . الحمد لله اذ هدانى اليك . انت ابراهيم بن ادهم .

ابراهيم : (يتغير وجهه) وانت شقيق البلخى .

شقيق : عجبا .. كيف عرفت ؟
ابراهيم : كما عرفتنى انت .

شقيق : كلا انا لست مثلك يا بن ادهم . انت رجل مشهور .

ابراهيم : قاتل الله اللسان . لا يوتى المرء الا من لسانه .

شقيق : اللسان اداة التسبيح يا ابن أدهم .

ابراهيم : ما نفع تسبيح اللسان اذا لم يسبح القلب ؟

شقيق : الله . الله . ائذن لى يا سيدى ان الازمك .

ابراهيم : بل ائذن لى يا سيدى ان أودعك .

شقيق : لم يا سيدى الأننى عرفتك ؟
ابراهيم : نعم .

شقيق : انى اعاهدك يا سيدى ان اكتم سرك فلا يعرفك احد .
ابراهيم : انك تريد أن تلازمنى .

شقيق : لا ، لن الازمك . بحسبى ان أجتمع بك بين الفينة والفينة ، فانى أعرف انك تنتقل من بلد الى بلد هربا من معرفة الناس لك .

ابراهيم : نعم .

شقيق : فسأكون لك عونا على التخفى والتنكر فلا يعرفك أحد . هلم بنا الى طرسوس . سأبحث لك فيها عن عمل يناسبك .

ابراهيم : ولا تدعونى باسمى ؟

شقيق : اقترح أى اسم لأدعوك به .

ابراهيم : ادعنى أبا اسماعيل الخراسانى .

شقيق : يا أبا اسماعيل أى نوع من الاعمال تختار ؟

ابراهيم : أى عمل ينأى بى عن الناس ، ولا يشغلنى عن ذكر الله .

شقيق : انى أعرف صاحب بستان فى الضاحية فما ترى لو تعمل ناطورا عنده فى البستان .

ابراهيم : عمل حسن . اذهب بى اليه .

فى البستان . بستان كبير . فى الخلفية يرى قصر صاحبه .

كوخ صغير على باب البستان يقيمه الناطور (ابراهيم بن أدهم) وأمامه مصطبة يجلس عليها وهو يذكر الله .

(يظهر شقيق البلخى)

شقيق : كيف وجدت المكان يا أبا اسماعيل ؟

ابراهيم : جزيت خيرا يا شقيق . لقد أحسنت اختياره .

شقيق : اذن فأذن لى أنصرف .

ابراهيم : الا تجلس قليلا . (يقدم كسرة خبز) شاركنى هذا الطعام .

شقيق : انا على الشرط يا .. يا أبا اسماعيل (يخرج) .

ابراهيم : الحمد لله . الآن أستطيع أن اتيم هنا ما شاء الله أن أقيم (يبدأ فى أكل الخبز) .

(تظهر امرأة فقيرة على باب البستان)

المرأة : عابرة سبيل يا سيدى . جائعة مستحقة أطعمنى مما أطعمك الله .

ابراهيم : خذى يا سيدتى . هذا رزقك أنت (يعطيها كسرة الخبز) .

المرأة : نصف رغيف . كل ما سخت به نفسك ؟

ابراهيم : ما عندى غيره . فاعذرى وسامحى .

المرأة : أعطنى شيئا من الفاكهة .

ابراهيم : ما عندى يا سيدتى .

المرأة : وهذا البستان كله .

ابراهيم : هذا لصاحبه وليس لى . انما أنا ناطور .

المرأة : اتخشى أن يحاسبك سيدك اذا قطعت لى تفاحة أو عنقود عنب ؟

ابراهيم : اذا عدت غدا فسأعطيك من الفاكهة بعد استئذان المالك .

المرأة : غدا ؟ لو أستطيع أن انتظر الى غد ما مددت يدى بالسؤال . أطفالى فى البيت يتضاغون من الجوع .

ابراهيم : حسنا . انتظرى (يغيب قليلا ثم يعود ومعه تفاحتان وعنقود من العنب فيناول ذلك للمرأة) .

المرأة : جزيت خيرا .. لن يعلم بهذا أحد (تخرج) .

ابراهيم : (يتمتم) تفاحتان اثنتان وعنقود عنب . ما أظن ثمن ذلك يزيد على درهم واحد . فليأخذ منى درهما ونصف درهم على سبيل الاحتياط .

(بعد أيام من حوادث المشهد السابق)

ابراهيم : (لمعتوق وكيل صاحبة البستان) خذ هذا يا سيدى .

معتوق : ما هذا يا أبا اسماعيل .

ابراهيم : ثمن تفاحتين أخذتهما من البستان أمس .

معتوق : كل يوم تأخذ شيئا من البستان وتعطينى به ثمنا ؟ والله لا ادرى أنت ناطور عندنا أم تاجر ؟

ابراهيم : أنا يا سيدى ناطور .

معتوق : اسمع يا هذا . ان مالت نفسك الى شيء من البستان فكله ولا حرج عليك .

ابراهيم : كلا يا سيدى انى لا استحل ذلك .

معتوق : قد اذنت لك .

ابراهيم : ما يدرينى هل ترضى سيدتك مالكة البستان اذا علمت أم تسخط .

معتوق : ما شأنك بمالكة البستان ؟ أنا هنا مكانها .

ابراهيم : شكرا لك على كل حال . لكن دعنى وما اخترت لنفسى لو تكرمت .

معتوق : كما تحب يا أبا اسماعيل . اسمع الآن قبل أن أنسى . ان السيدة المالكة تنوى زيارة البستان اليوم ، ومعها صديقاتها من علية القوم ، فاجمع لها شيئا من التفاح ، ومن العنب ومن الرمان . تخير أجود ما فى البستان .

ابراهيم : سمعا يا سيدى (يخرج) .

معتوق : (يتمتم) يظن أننى سأسلم هذه الدراهم للسيدة المالكة . يا له من أحمق لكن من يدرى لعله يغتال لنفسه كثيرا من الفاكهة ، ويظهر لنا ورعه هذا خديعة منه ، لئلا تنكشف خيانته . انه كثير الصلاة كثير الذكر . لكن الا يجوز أن تكون هذه حبائله ؟ حبائل الشيطان ؟

غرفة فى القصر الذى فى البستان .

تجلس السيدة المالكة ومعها صديقتان لها حول مائدة وقد رفعت الصحاف ، وجاء دور الفاكهة فقدمت أطباق التفاح والعنب والرمان .

احداهما : هذه الفاكهة من بستانك ؟

المالكة : نعم . لا يوجد فى طرسوس كلها اجود فاكهة من هذا البستان .

الثانية : (تأكل من تفاحة فتكف) وى ، هذه تفاحة حامضة .

المالكة : حامضة ؟

الاولى : (تأكل من عنقود عنب) والعنب أيضا حامض .

المالكة : حامض ؟

الاولى : الا تصدقين ؟ ذوقى ان شئت .

الثانية : وذوقى هذه التفاحة .

المالكة : (تتذوق من التفاح والعنب فتثور غاضبة) قبح الله هذا الوكيل ، يقدم لنا الفاكهة التى لم تنضج (منادية) معتوق ! يا معتوق !

معتوق : (يدخل) لبيك يا سيدتى .

المالكة : لا لبى الله لك صوتا . ما هذا الذى قدمت لضيوفى يا أحمق ؟ تفاح حامض وعنب حامض . قبحك الله . أتستأثر بالحلو وترمى لى ولضيوفى الحامض ؟

معتوق : معـــــذرة يا مولاتى . الناطور هو الذى جمع الفاكهة .

المالكة : ويلك كيف تعتمد عليه فى امر كهــذا ؟ لمـــــاذا لم تتخير انت بنفسك ؟

معتوق : ما خطر ببالى يا مولاتى انه لا يحسن اختيار الفاكهة .

المالكة : انت مســئول ايضا عن اختيار هــذا الناطور . الست انت الذى عينته ؟

معتوق : بلى يا مولاتى لما بلغنى من صلاحه واستقامته .

المالكة : ادعه لى الساعة .

معتوق : حالا يا مولاتى (يخرج منطلقا) .

المالكة : (تتخير من الأطباق ما تراه جيدا فتقدمه لصديقتيها) هذا حلو ، كلى يا فاطمـــــــة . وانت يا خديجة كلى من هذا العنقود .

(يدخل معتوق ومعه ابراهيم)

المالكة : انت الذى جمعت لنـــا الفاكهة اليوم ؟

ابراهيم : (خجلا يتقى النظر نحو النسوة) نعم يا سيدتى .

المالكة : اتعمدت ان تحرجنى امام ضيوفى بتقديم هذا التفاح الحامض والعنب الحامض ؟

ابراهيم : معاذ الله يا سيدتى ان اتعمد ذلك .

معتوق : الم اؤكد عليك ان تتخير اجود ما فى البستان ؟

ابراهيم : بلى وقـــد ظننت انى فعلت ولكن لعلى اخطأت .

المالكة : ويلك تعـــين ناطورا لا يميز بين الحلو والحامض ؟

معتوق : يا مولاتى غـــير معقول انه لا يميز بين الحلو والحامض . لقد صار له عندنا اليوم عام ونصف عام فلو كان طفلا صغيرا لميز .

ابراهيم : (متلعثما) انا . انا .

المالكة : انت ماذا ؟ تكلم !

ابراهيم : انا لم اذق شيئا مما فى البستان .

المالكة : طوال هذه المدة لم تذق شيئا ؟ اضـــحكن معى وتعجبن من هذا الناطور ! (يقهقهن ضاحكات)

معتوق : يا ابا اسماعيل لقد كنت اظنك صـــــالحا فما حملك على ان تكذب ؟

المالكة : وكذاب ايضا ؟ اى ناطور هذا ؟

ابراهيم : انا والله ما كذبت .

معتوق : هـــــذه كذبة ثانيـــة . يا مولاتى انه كثيرا ما يطلب منى أن اقتطع من اجره الشـــــهرى دراهم معدودة يزعم انها ثمن ما اســـتهلك لنفسه من فاكهة البســتان فى بعض الايام . فكيف يزعم الساعة انه لم يذق شيئا من البستان قط ؟

المالكة : ما تقول فى هـــذا ايها الناطور الورع ؟

ابراهيم : يا ســـيدتى ارجو ان تبحثوا لكم عن ناطور غيرى فانى لم اعد اصلح لهذه المهنة .

النسوة : (يتضاحكن) مسكين . ان كان لا يصلح ناطورا فلأى شىء يصلح ؟

ابراهيم : سامحينى يا ســـيدتى فيما بدر منى دون قصد :

المالكة : اذهب يا معتوق فاعطه حسابه .

معتوق : تعـــــال معى يا ابا اسماعيل (يخرجان)
(شـــقيق البلخى ومعتوق أمام مصطبة ابراهيم وقد ظهر فى وجه شقيق الاسف والحزن) ..

معتوق : اتسم لك ما طردناه نحن ولكنه هو الذى استعفى .

شقيق : لا بد انكم احرجتموه .

معتوق : بل هـــو الذى أحرجنى أمام سيدتى ، واحرج ســـيدتى أمام ضيوفها . والله لولا مكانه منك لكان لى معه شأن آخر .

شقيق : انت تظن انه كذبك حين قال انه لم يذق شيئا من البســـتان قط ؟

معتوق : لست اظن ظنا بل اوقن واجزم .

شقيق : انت لا تعرف هذا الرجل يا معتوق . لو كذب من فى الارض جميعـــا ما كذب هذا (تنظر المراة الفقيرة على باب البســـتان وتتطلع الى الرجلين)

معتوق : ما خطبك ؟ ماذا تريدين يا امراة ؟

المراة : سأنتظر حتى يجىء .

معتوق : من ؟

المراة : الناطور .

معتوق : ماذا تريدين منه ؟

المراة : (فى حذر) لا شىء .. حتى يجىء هو .

شقيق : (بلطف) يا ســــيدتى قولى ما عنـــدك ولا تخافى فأنا من اصدقاء الناطور .

معتوق : هل كان يعطـــيك من فاكهة البستان ؟

المراة : نعم . جزاه الله خيرا . أين هو يا سيدى ؟
(يتبادل شقيق ومعتوق النظر)

معتوق : انتظرى تليـــلا (يغيب لحظة)

المراة : (لشــــقيق) اين الناطور الطيب يا سيدى ؟

معتوق : (يعود بشىء من الفاكهة فيعطيه للمراة) خذى .

المراة : الناطور هو الذى أوصاك ان تعطينى ؟

معتوق : نعم .

المراة : جزاه الله خيرا وجزاكما انتما ايضا خيرا . ســيفرح اطفالى اليتامى بهذه الفاكهة (تذهب) .

شقيق : ارايت يا صـــاحبى لقد فاتك خير كثير اذ تركته يرحل عنك . اتدرى من كان هذا الرجل ؟

معتوق : من ؟

شقيق : ابراهيم بن ادهم .

معتوق : (فاغـــــرا فاه مـــن الدهشة) ابراهيم بن ادهم ؟

شقيق : نعم . نعم ،

معتوق : لأبحثن عنه فى المدينــة واعيده .

شقيق : هيهـــات . لا بد انه قد ترك المدينة الى مدينة اخرى .

معتـــوق : هلا اخبرتنى من الاول يا سيدى ؟

شقيق : لو عرف انك عرفته ما رضى ان يبقى عندك ساعة واحدة .

معتوق : وا اســـفاه على كنز ما علمت به الا حين ضاع !

حضارة الاسلام

وتحت عنوان رئيسي هو الحضارة الاسلامية Islamic Civilization وفي جملة فصول متوالية يعرض المؤلف قضيته الثالثة ، فينطلق كما عودنا بوضع النتيجة التى وصل اليها أولا وهى : **لم تعرف البشرية قبل ظهور الاسلام دينا سماويا أو غير سماوى قد قامت عليه حضارة بالمعنى السليم لكلمة حضارة .** وعلى هذا ، فلم يكن هناك فى رأيه حضارة يهودية قامت على الديانة اليهودية ، وكل ما هنالك ثقافة يهودية ، ولم تكن هناك حضارة مسيحية بل ثقافة مسيحية ، والفارق كبير بين الثقافة والحضارة ، فالاولى محلية Local محدودة والثانية واسعة وشاملة وأكثر انسانية .

وهذا المعنى العميق للحضارة قد تحقق بالنسبة للاسلام ، ومن ثم كانت الحضارة الاسلامية التى ضمت فى رحابها شعوبا مختلفة الى حد كبير . ولكن ، لماذا كان للاسلام حضارة ولم يكن لغيره ؟ أو ليكن السؤال بشكل آخر ، ما هى اسس الحضارة الاسلامية ؟

يجيب الاستاذ وات على هذا السؤال قائلا :

هناك أولا ذلك العصب الدينى الذى يلتقى حوله المسلمون ، وهذا العصب الدينى ينبض دائما وأبدا بكل ما هو انسانى وبناء .

وهناك ثانيا ذلك الدور الهام الذى جعل من كل مسلم مبشرا Missionory وجعل العمل على نشر الدين شرطا تفضيليا بين المسلمين ، ويقول المؤلف فى هذا الموضوع بالذات انه لو قام كل مسلم بتنفيذ الدعوة والتكليف كما ينبغى لصار الاسلام هو اساس الحكومة العالمية Cosmopolitism التى يحلم بوجودها السياسيون .

وهناك ثالثا ذلك القدر العظيم من التيسير الموجود فى الاسلام ، فالله لا يكلف نفسا الا وسعها ، وهذا التبسيط Simplicity من شأنه أن يحبب الناس فى الدين ، فيدخلون فيه أفواجا مما يوسع من القاعدة الاسلامية .

وهناك رابعا تلك الرحابة الرائعة الموجودة فى الاسلام والتى اصبح الاسلام بفضلها دينا يرفض الانغلاق حول نفسه ، ومن ثم يقول الاستاذ وات : ان الاسلام بسبب رحابته لم يتعصب لثقافة معينة أو لحضارة معينة ، بل على العكس ، فهو دين يحترم العقل غير الاسلامى الى درجة أنه قد فتح صدره لكل ما هو مفيد من الثقافات والحضارات الاخرى .

ثم هناك أخيرا ذلك التنسيق الشيق بين ما فى تركيب الانسان من ماديات وروحانيات ، فلم يطلب الاسلام التضحية بالدنيا من أجل الآخرة ، وانما طلب بذل أقصى جهد من أجل صالح الدنيا والآخرة ، من أجل النفع فى أمور الدين والدنيا ، **ولذا فالاسلام كما يقول الاستاذ وات : هو دين الحاضر والمستقبل ، دين اليوم والغد ، دين الانسانية ما شاء رب الانسانية أن يقوم لها مقام .**

وما أحسب بعد هذا كله ، أن كلمات هذا المقال ، تعطى الاستاذ المستشرق مونتجمرى وات حقه ، أو تعطى كتابه « الاسلام والحضارة ٢٨٠ » صفحة حقه أيضا . وكل ما قلته عن الرجل وكتابه لا يتعدى فى تقديرى مجرد اشارة ، وان كنت أتمنى أن يترجم هذا البحث الطيب وينشر مسلسلا فى احدى المجلات العربية الاسلامية ، ثم تجمع الاجزاء المنشورة بعد ذلك فى كتاب ، وبهذا الاسلوب نستطيع أن نعرف قارىء المجلات أو قارىء الكتب بهذا البحث العظيم .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة
ان تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

التوكيل فى الزواج

شخص يريد الزواج من بنت بالغة رشيدة . فهل يجوز لها أن توكل شخصا آخر ليجرى عقد الزواج بالنيابة عنها سواء كان عقد الزواج فى بيتها أو فى مكان آخر . (محمود) .

الاجابة :

يجوز التوكيل فى كل تصرف يصح أن يباشره المرء بنفسه والقاعدة : « أن كل عقد جاز أن يعقده الانسان بنفسه جاز أن يوكل به غيره » ، والوكيل مقيد فى تصرفاته بما يأمره به الوكيل ، فان خالفه لا ينفذ تصرفه عليه ويشترط فى التوكيل ان يملك الموكل حين التوكيل ما يوكل فيه ، فلا يصح التوكيل فيما لا يملكه .

وقد اختلف الفقهاء فى التوكيل فى عقد الزواج ، فيرى الأحناف أن للمرأة الحرة البالغة الرشيدة أن توكل غيرها فى النكاح ، لأنها تملك اجراء العقد بنفسها لعدم اشتراطهم الولى بالنسبة لها ، ويؤولون الأحاديث الواردة بشأن الولى بأنها خاصة بغير البالغة الرشيدة ، ويستندون الى قوله عليه الصلاة والسلام : « الأيم أحق بنفسها من وليها » والأيم هى من لا زوج لها بكرا أو ثيبا ، ويرى جمهور الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة أن المرأة لا يجوز لها التوكيل فى عقد النكاح اذ لا بد فيه من وجود ولى — لأنه ليس لها حق توليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا نكاح الا بولى » . ولقوله : « أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل » . ومن لا يملك شيئا لا يجوز له أن يوكل غيره فيه . فوليها هو صاحب الشأن فى أن يباشر العقد بنفسه أو يوكل غيره عنه .

وعلى هذا يجوز للبنت البالغة الرشيدة بكرا كانت أو ثيبا أن توكل غيرها فى اجراء عقد زواجها — على رأى الأحناف ولا يجوز لها أن توكل غيرها فى هذا العقد على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء .

فى الطلاق

تزوجت امرأة زواجا شرعيا صحيحا وتركتها بالسودان منذ سنة ١٩٦٥ حيث حضرت للعمل بالكويت — والمكاتبات بيننا مستمرة وهى تعرف مكانى وعملى ، ولكن حدث أن أخى أجرى طلاقها منى دون أخذ توكيل منى أو تفويض . فما حكم الشريعة فى هذا الطلاق ؟ . (أحمد محمد على) :

الاجابة :

الزواج شرعا هو عقد بقيد حل استمتاع كل من الرجل والمراة بالآخر ، وركنه الايجاب من احد الزوجين والقبول من الآخر ، واذا تم علي هذا الوجه مستوفيا شروطه فلا ينفصم عراه الا الطلاق أو الموت ــ والزوج هو وحده دون سواه الذى يملك أن يرفع قيد النكاح ــ وله ان يطلق بنفسه او يوكل عنه .

وبما أن السائل لم يطلق كما لم يفوض أو يوكل أخاه فى طلاق زوجته المذكورة فيكون هذا الطلاق الذى حصل بدون علمه غير صحيح ، وتكون هى فى عصمته ، ولا يحل لها أن تتزوج بغيره ، اذ أن عقد زواجهما لا يزال قائما ــ ومن ثم فكل عقد عليها لرجل غيره يكون باطلا وغير مقبول شرعا .

فى الشفعة

لى بيت يلاصق بيت جارى والحائط بيننا واحد وجارى رهن بيته ثم أراد بيعه للمرتهن . فهل يجوز لى أن آخذه بالشفعة ؟

(محمد حمود الراسبى) .

الاجابة :

الشفعة هى حق تمليك العقار المبيع كله أو بعضه جبرا للشفيع مقابل دفع الثمن المناسب والمصروفات التى قام المشترى بدفعها .

وقد وردت بها السنة فى أحاديث كثيرة ، فقد روى عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة بين الشركاء فى الأرضين والدور . واختلف الفقهاء فيها فقال البعض : ان القياس يأبى ثبوت الشفعة لأن الشفيع يتملك ملكا صحيحا له بغير رضا المشترى وذلك لا يجوز ، وفى الحديث : « لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه » فلا يحل لأحد أن يدفع الضر عن نفسه بالاضرار بغيره فالشفعة عقبة فى سبيل حرية تصرف المالك فى ملكه ، ومن ثم فقد تدفع البائع أن يترك فى عقد البيع مساحة صغيرة من العين المبيعة ليمنع تلاصق الملك المبيع لملك الشفيع ، وقد يهبها البائع للمشترى ، وقد تكون سببا فى أن يبالغ الطرفان فى الثمن .

وبناء على ذلك ذهب جمهور الفقهاء الى عدم جواز الشفعة للجار ، وخالف أبو حنيفة الجمهور ، فذهب الى الجواز كما أجاز التحايل لاسقاطها بأن يهب البائع الى المشترى الجزء المجاور للشفيع حتى لا يتمكن الجار من الشفعة ، هذا من حيث الحكم الشرعي فى حد ذاته ، أما من حيث حكم القضاء فانه في بلد يجوز أن يختلف عن الآخر نظرا لاختلاف المذهب فبعض البلاد يجوز ان يأخذ برأى الامام الشافعى والامام مالك ، فيمنع الشفعة ، وبعضها يأخذ برأى الامام أبى حنيفة ويجيز الشفعة . فعليه البحث عن الجواز وعدمه فى التشريع المعمول به فى بلده .

بريد الوعي الإسلامي

اشراف رضوان البيلي

التقويم الهجري

وقعت على اثر يفيد ان النبى صلى الله عليه وسلم ارخ بالهجرة . فقد جاء فى كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ٢٥٦ عن ابى طاهر بن محمش الزيادى انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران ، وامر عليا رضى الله عنه ان يكتب فيه انه كتب لخمس من الهجرة ، .. فكيف يتفق هذا مع ما هو معروف من ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى وضع التاريخ الهجرى .

واذا كانت الهجرة النبوية تمت فى شهر ربيع الأول كما هو معروف فلم لم يجعل هذا الشهر مبدأ للتاريخ الاسلامى بدلا من المحرم .

سمهان الراشد ــ الكويت

لم يكن للعرب قبل الاسلام مبدأ ثابت يؤرخون به أحداثهم ، بل كانوا يؤرخون بأشهر الحوادث التى تقع بينهم ، فاذا وقعت حادثة كبيرة ارخوا بها الى ان يقع حدث آخر كبير فيؤرخون به ، ويتركون التأريخ بالحادثة السابقة عليه وهكذا .

ومن اشهر الحوادث التى ارخوا بها بناء الكعبة ، وكان ذلك فى ١٨٥٥ قبل الميلاد ، ثم أرخوا بانهيار سد مأرب ، باليمن والمرجح ان انهياره كان سنة ١٢٠ ق . م . ولم يستقر تأريخهم بهذا الحادث ، بل أرخوا بعد ذلك بموت كعب بن لؤى جد الرسول السابع ، وقد مات سنة ٦٠ ميلادية ، ثم ارخوا بعام الفيل بعد هذه الحادثة ، ولما هاجر الرسول الى المدينة أرخوا بالهجرة ، ولما شرع القتال فى السنة الثانية من الهجرة ارخوا بها ، ولما حج الرسول حجة الوداع فى السنة العاشرة ارخوا بها ، فلم يكن لهم تاريخ ثابت ، وقد ارخ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى نجران بالهجرة جريا على هذه العادة المتبعة فى العرب من قديم .

اما الذى جعل الهجرة نقطة ثابتة لمبدأ التاريخ الاسلامى فلا يتغير بتجدد الحوادث فهو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد وردت عدة روايات تؤكد هذا . قال ميمون بن مهران : جمع عمر وجوه الصحابة ، فقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت ، فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك . فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم ، فقيل : انه يطول ، وانهم يكتبون من عند

ذى القرنين . فقالوا : يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس ، فاستحضر عمر الهرمزان ، وسأله عن ذلك ، فقال : ان لنا حسابا نسميه (ماه روز) معناه حساب الشهور والأيام ، فعربوا الكلمة وقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ، ثم طلبوا وقتا يجعلونه مبدأ لتاريخ دولة الاسلام قال قرة بن خالد : فأراد عمر والناس أن يجعلوا المبدأ من البعثة النبوية ثم عدلوا عن ذلك ، وقالوا من الوفاة ، ثم عدلوا وقالوا من المولد ، وقال على رضى الله عنه : منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك يعنى يوم هاجر ، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة ، فلو كان الرسول اشار بجعل الهجرة مبدأ ثابتا لتاريخ المسلمين لنزلوا على رايه ، ولما كان هناك مجال للاقتراحات السابقة .

وقد اتخذ اول المحرم من السنة التى هاجر فيها النبى مبدأ للتاريخ مع ان الهجرة لم تقع فى هذا اليوم ، فالثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غادر مكة فى الأيام الأخيرة من شهر صفر ، ومكث ثلاث ليال فى غار ثور ، ثم خرج منه ليلة غرة ربيع الأول قاصدا المدينة ، ووصل الى قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، واستراح هناك ايام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، ثم شرف المدينة يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول .

وانما اعتبر المحرم مبدأ للتاريخ ولم يعتبر شهر ربيع الأول الذى تمت فيه الهجرة مبدأ له لأن المحرم هو اول شهور السنة عند العرب ، وتغييره يحدث اضطرابا فى التاريخ ، ومما يذكر أن التاريخ الميلادى لم يحسب من مولد المسيح عليه السلام فقد ولد فى ٢٥ ديسمبر ، وانما حسب من يناير السابق عليه لأنه كان مبدأ للسنة من عهد سابق على مولد المسيح ببضعة قرون .

المقاييس الزمنية

ما هو الأساس الذى بنى عليه تقسيم الزمن الى سنة وشهر واسبوع ويوم ، ومن الذى وضع أسماء الشهور العربية .

سعيد الفرا ـ لبنان

وضع الانسان من اقدم العصور مقاييس للزمن وهى اليوم والسنة الشمسية والشهر القمرى ، واعتمد فى هذه المقاييس على حركة الأرض حول نفسها ، وحركة الأرض حول الشمس ، وحركة القمر حول الأرض .

فاليوم هو الفترة التى تتم فيها الأرض دورة واحدة حول محورها ، ويبدأ اليوم عند العرب من غروب الشمس ويمتد الى غروبها التالى ، فالليل سابق النهار ، وعند الافرنج يبدأ اليوم من نصف الليل ، ويمتد الى نصف الليل التالى ، فالنهار يقع بين نصفى ليلة .

والسنة الشمسية هى المدة التى تتم فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس .

والشهر القمرى هو المدة التى يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض .
والأسبوع هو سبعة أيام وليست له علاقة بالأجرام السماوية .
وكانت للشهور العربية أسماء غير الأسماء الحالية . وفيما يلى اسماؤها القديمة وما يقابلها من الأسماء الحالية :

	الاسم الحالى	الاسم القديم
١	المحرم	المؤتمـــر
٢	صفر	ناجـــر
٣	ربيع الأول	خـــوان
٤	ربيع الآخر	صـــوان
٥	جمادى الأولى	حنتـم
٦	جمادى الآخرة	زبـــاء
٧	رجب	الأصـــم
٨	شعبان	عـــادل
٩	رمضان	نـــافق
١٠	شوال	واغـــل
١١	ذو القعدة	هـــواع
١٢	ذو الحجة	بـــرك

ويقال ان الأسماء الحالية وضعت فى عهد كلاب بن مـــرة فى منتصف القرن الرابع الميلادى . وقيل وضعت فى مبدأ القرن الخامس .

لن يهزم التلمود الا القرآن

أما لهذا الليل ان ينجلى .. أما لهذه الغمة أن تنكشف .. أما لهذا العار ان يغسل .. ولو تركت للقلم ينفس عن الالم الحبيس المحرق لملأت الصفحات « بأمات » لا نهاية لها نطالع الصحف ، ونســـمع الأخبار ، ونقرأ التصريحات والبيانات ، ونتتبع الاجتماعات واللقاءات ونلاحق الوساطات ، ولو تركت نفسى تملى على قلمى « واوات » من هذا القبيل لما توقفت عن الاملاء .

كادت السنة تمضى على « وكسة » ٥ حزيران ، والعـــــدو لا تنقطع اعتداءاته . ولا تفتر تحدياته ، فالى متى يظل الأقصى فى قبضة اليهود ، والى متى تظل فلسطيننا الحبيبة مرتعا للغاصبين . فهل الى مرد من سبيل ؟..

فوزان الشعار

يا صاحب « الامات » و (الواوات) لا يبلغ بك اليأس مداه حتى يجعـل الدنيا فى عينك أضيق من سم الخياط ، ولو أنك قرأت قول الله عز وجل « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » لتجدد أملك وقوى عزمك ، وعظمت ثقتك بالوصول الى الأقصى والعودة الى الوطن السليب .. ان حياة الأمم نصر وهـــزيمة . والأمة الباقية هى التى تصمد للهزيمة ، ولا تستسلم لها . ولو كانت الأمم تقوم على النصر وحده لما كتب الله على رسولنا صلى الله عليه وسلم تجربة أحـــد وحنين ، ان النصر لم ينتزع منا ، وانما سرق منا فى اغفاءة غشيتنا حتى ظننا أنفسنا أيقاظا ونحن رقود ، ويقظتنا فى ايقاد جذوة العقيدة فى قلوبنا ونفوسنا وصدورنا . فى استيلاء العقيدة على مشاعرنا وأحاسيسنا . فى سيطرة العقيدة على أهوائنا وشهواتنا ، حين يقول الأب لولده انى برىء منك حتى تجاهد . وحين يقول الولد لأبيه بيتنا فى ميدان المعركة ، وحين تدفع الأم وحيدها الى ساحة القتال ، وتشيح بوجهها عنه اذا تلكأ .. حين تقول الخطيبة لخاطبهـــا لا يضمنا مضجع حتى تأتى برأس بن غوريون ، وتحز رقبة ابن ديان .. حين تقول العروس لزوجها بيت عرسنا فى القدس وحيفا وعكا ويافا فى داخـل الوطن الحبيب .. حين توجد هذه العقيدة بهذه القوة ننصر القرآن ، ولا يهزم التلمود الا القرآن .

قالت صحف العالم

الذين حطموا أسطورة قوة العدو

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة الدعوة السعودية تقول :

جميع الدلائل والوقائع والأحداث السريعة المتلاحقة تحمل فى طياتها نذر حرب يهودية عدوانية جديدة واسعة النطاق .. لا نقول ان الشرق العربى الاسلامى ينتظر انفجارها المدمر بين سنة وسنة أو شهر وآخر بل بين يوم وآخر ان لم نقل بين ساعة وساعة .. ذلك أن المسافة الزمنية فى تجدد العدوان والغزو اليهودى الاستعمارى المجرم على الأمة العربية ـ أصبحت مسافة تخنقها الأحداث ويطويها مرور الوقت سريعا مع اتضاح فشل الحل السياسى ويأس العدو من تحقيق مآربه التى علقها على عدوان ٥ حزيران الماضى .

كان عدوان اسرائيل يوم الخميس الماضى على مخيمات اللاجئين شرقى نهر الاردن يستهدف فى التخطيط الصهيونى أكثر مما أعلن رسميا وهو الزعم بأنه لمجرد تدمير مراكز الفدائيين العرب .. كان يستهدف احتلال الضفة الشرقية من النهر والمساومة على البقية الباقية من المملكة الأردنية ، فاما ان تتحقق مطالبها بقيام مفاوضات بينها وبين العرب مجتمعين ، أو كل دولة بمفردها أو يستمر التهامها للبلاد العربية قطرا بعد قطر ما دامت تشعر بتفوقها العسكرى ومساندة بعض الدول الصليبية الكبرى لعدوانها وعجرفتها .. ولكن الفدائيين ورجال الجيش الأردنى الباسل لقنوها درسا قاسيا لعله أول درس يلقنه العرب لاسرائيل منذ هزيمتهم فى حرب حزيران الماضى .. وردوها خاسرة مندحرة .. ولكن ليس معنى هذا أنها لن تعاود الكرة بل هى تستجمع قواها وتختلق الأسباب والمعاذير الواهية الرعناء لمعاودة العدوان على مستوى تعتقد أنه يضمن لها النصر وبالتالى التوسع والامتداد على مزيد من الأراضى العربية .

ان للعرب أن يفخروا بما حققه رجال المقاومة الفلسطينيون والجيش الأردنى من نصر حاسم فى معركة الخميس الماضى .. لقد رفعوا رؤوس العرب عالية وأثبتوا للعالم أجمع أن الجندى العربى حين يؤمن بقضيته ويمسك السلاح بيده ويتدرب جيدا على استعماله فانه يفعل به الأعاجيب ويحطم به أسطورة التفوق التكنولوجى لجنود العدو مهما بلغت قوة هذا العدو وحشده واستعداده

تعليق اردني

ونقلا عن وكالة انباء الشرق الأوسط ننقل للقراء هذا التعليق :

اكدت الصحف الاردنية ضرورة عقد مؤتمر القمة العربى الخامس ودعم الأردن فى كفاحه ضد العدوان الاسرائيلى . . وقالت الصحف ان العدوان لم يعد يهدد الأردن وحده ولكن يهدد الأمة العربية كلها ، ويجب ان يدرك العرب جميعا ذلك .

جاء ذلك فى معرض تعليق الصحف الأردنية على المؤتمر القومى الذى عقده الملك حسين ملك الأردن وتحدث فيه الى كبار الشخصيات الأردنية عن تطورات الموقف الراهن .

وشنت صحيفة الدستور الأردنية هجوما كبيرا على الوضع العربى وقالت ان الأردن يتعرض لأشد انواع الضغط السياسى من جانب العدو والى اشد الخذلان من الجانب العربى فى الوقت نفسه .

وقالت الصحيفة ان العرب يعترفون نظريا بأن قضية فلسطين هى قضيتهم جميعا ، ولكنهم عمليا يتسرفون وكأن القضية قضية اردنية او مصرية فقط .

وقالت صحيفة الدفاع انه ليس من شفيع لهذه الأمة العربية ان هى لم تلق بكل ثقلها فى الموقف الحالى الذى قد لا يكون بعده اية مواقف حاسمة او اية مواقف على الاطلاق .

علم على الحرمين ذكرهم

وطالعتنا صحيفة الحياة البيروتية بالقصيدة التالية : للشاعر اللبنانى جورج صيدح

حجوا جناح الله واعتصموا — يا قاضى الحاجات كن لهموا
الله يسمع ما يخالجهم — ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس فى شعائرهم — شكوى تضيق ببثها الكلم
ما كان يوم النحر يشهدهم — عربا يطوق نحرهم عجم !
طافوا ، ولولا أنهم خجلوا — من ربهم عادوا وما استلموا
ان الحجيج يحثهم امل — غير الحجيج يحزهم ألم
علم على الحرمين ذكرهم — بالثالث الهاوى به العلم
بالمسجد الأقصى ، بجيرته ، — بمآتم فى العيد تنتظم
بخلائق نحران وما سمعت — ذكرا عليه ينحر الغنم ،
بفواجع فى الدور نازلة — لم تنج من اهوالها الخيم
حملت فلسطين الوفود الى — قبر الرسول اليه تحتكم
تستشفع الأضحى وحرمته — فى موطن هانت به الحرم
فى أمة « للبيت » زاحفة — والغاصبون ببيتها ازدحموا . .
ساح الوغى تشتاق همتها — فى القدس ان كانت لها همم . .

***

قسما باوطان اقدسها — ان جاز بالقدوسة القسم
للعرب أوضاع اذا انحطمت — اضلاع اسرائيل تنحطم
نحن البراكين التى خنقت — لم يرم فى احشائها ضرم
لا ينصر الله العباد اذا — كرمت اصولهمو وما كرموا

بأقلام القراء

الايمان اولا

تلقينا من الأستاذ توفيق على وهبة من القاهرة كلمة تحت هـذا العنوان جاء فيها :

قبل أن ندخل اى معركة يجب أن نعرف اولا لماذا نحارب ؟ اننا نحارب فى سبيل الله من اجل اعلاء كلمته ودفع العدوان عن أرض الاسلام . ان الدفاع عن الدين وعن الأرض وعن المسلمين فرض على كل مسلم ومسـلمة . فالقضية الفلسطينية ليست قضية سياسية فقط ، وليست قضية تشريد مليون ونصف مليون عربى ، وانما هى قبل كل هذا قضية هـذا الدين ، فاليهود هم الأعداء الألداء للأديان وللبشرية جمعاء : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » انهم يحاولون القضاء على الاسـلام حتى يمكنهم البقاء فى أرض فلسطين التى اغتصبوها « ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسـهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

يجب أن يعرف جنودنا البواسل انهم يجاهدون فى سـبيل الحفاظ على دين الله واعلاء كلمته ، وعليهم أن يقاتلوا اليهود بكل شـدة حتى يقتلوهم : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخـزهم وينصركم عليهم ويشف صـدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم .. »

والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال وبكل ما يملك المسـلم . فالتطوع فى صفوف الجيش او المقاومة الشعبية ، والتبرع بالمال او الدم ، وتقديم العون للقوات المحاربة جهاد فى سبيل الله .

من واجبنا أن نؤمن بالله وبعدالة قضيتنا وان نقف صفا واحدا ضد عدونا لا ترهبنا قوته ولا من يقفون وراءه فقد وعدنا الله بالنصر على اليهود حيث قال : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسـدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الـكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا . ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للـكافرين حصيرا » . كما بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم بتحقيق النصر على اليهود فقال : « يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر للمسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فاقتله » . فيومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الجمال

وتلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين مكتبة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت كلمة بهذا العنوان جاء فيها :

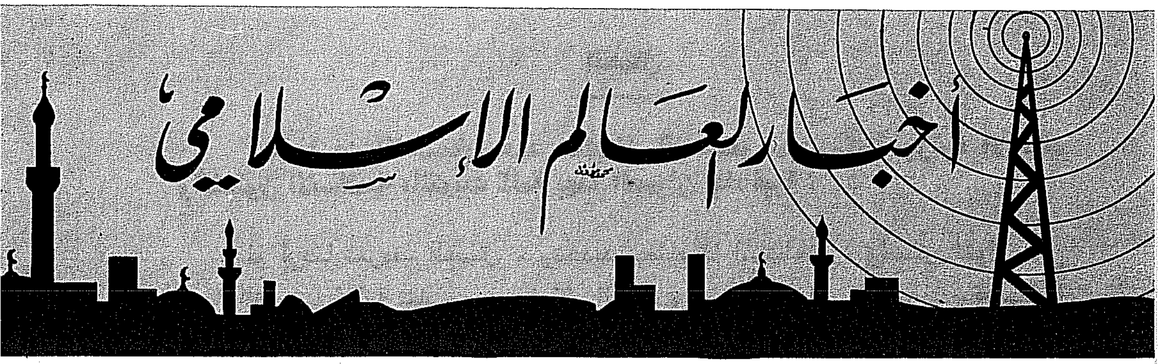
لو أردنا تعريف الجمال ، وتحديد معناه لما استطعنا ، ولكن نقول على وجه التقريب : انه تناسب فى شكل الشيء ولونه وسائر صفاته . وهذا التناسب يبعث فى النفس الانسانية قوة الاحساس بالجمال ، والشعور به ، والابتهاج له . ومن الناحية المقابلة بث الله تبارك وتعالى الجمال فى مخلوقاته المتنوعة . فالجمال نراه فى تركيب الذرة ، ونراه فى صور الجمادات المختلفة من الجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر والنجوم . ونرى الجمال أيضا فى اصناف النبات ، فنراه فى أوراق الشجر ، ونراه فى أزهارها ذات الأشكال الدقيقة ، والألوان المتناسقة والروائح العطرة . ونراه فى المناظر الخلابة للحدائق الغناء ، والغابات الملتفة والمروج الخضراء . (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) . سورة ق .

هذه ولو ترقينا فى سلم الموجودات من الجماد والنبات الى الحيوان لرأينا صورا من الجمال اعجب ، وأجلب للنظر والعبرة ، فنرى الأشكال الرائعة والألوان الزاهية فى الطيور كالطاووس والعندليب والببغاء وغيرها ، ونرى الى جانب ذلك الأصوات الجميلة التى تمتع السمع ، والحركات البديعة فى الرفرفة والطيران .

والجمال الانسانى ظاهر وباطن : فالظاهر هو الصورة الحسنة ، واللون الحسن ، والهيئة والقامة المعتدلة ، والأعضاء المتناسبة . وقد شرع الله لنا تكميل الجمال الظاهر بلبس الثياب الحسنة التى تستر ما يقبح ظهوره من السوءات ، وتزيد فى الجمال بأشكالها المختلفة .

وعرض هذا الجمال الانسانى للأعين التى لا يحل لها ، واستخدامه كسلعة فى سوق الدعاية والاعلان والتجارة ، هو حط للكرامة الانسانية ، وفتنة شيطانية يمقتها الله ورسوله والمؤمنون .

اما الجمال الانسانى الباطن ، فهو فى هذه النفس الانسانية العجيبة ، التى وهبها الله القوى المختلفة من الاحساس والشعور والعواطف والانفعالات ، والادراك والنظر والفهم والتعقل والتدبر . وجمال النفس فى أن تكون هذه القوى متجهة نحو أهداف الخير والنفع لبنى الانسان ، وأن تكون دافعة الى سلوك الطريق السوى فى الحياة ، الذى يوصل الى رضوان الله فى دار كرامته . وأن تكون النفس متصفة بالحلم ، والصدق ، والشجاعة ، والتواضع ، طاهرة من أدناس الحسد والبغضاء والكبر والمذلة والتفاهة .



الكويت

قام جلالة الملك فيصل بزيارة البلاد لمدة ٤ ايام ابتداء من ٨ ابريل الماضى .
كما قام جلالة الملك حسين بزيارة سمو أمير البلاد المعظم وأمراء الخليج .

احتفلت الكويت رسميا وشعبيا بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلا كبيرا تحدث فيه معالى الوزير وبعض السادة العلماء .

رفعت اللجنة الدائمة للمعونات برئاسة سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية توصياتها الى مجلس الوزراء بشأن مطالب بعض الهيئات الاسلامية فى الخارج .

● أخرجت وزارة الاوقاف كتابها الثانى من سلسلة التراث الاسلامى وهو كتاب « الجمان فى تشبيهات القرآن » وكان كتابها الاول الفوائد فى مشكل القرآن . .

اختتمت وزارة الأوقاف موسمها الثقافى الثالث بمحاضرتين ألقاهما الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الاسلامية .

القاهرة :

قام رئيس جمهورية الصومال بزيارة للجمهورية العربية المتحدة استمرت عدة أيام . كما قام الملك حسين بزيارة قصيرة للقاهرة .

أفرج عن (٢٠٠) من المعتقلين من الاخوان المسلمين وبذلك — كما قالت الأهرام — لا يبقى منهم فى السجن الا المحكوم عليهم بالفعل .

بلغ عدد الطلاب الوافدين على القاهرة للدراسة (٤٠) الفا من (١٢٩) دولة منهم (٣٠) الفا من العرب عدد الذكور منهم (٢٤٨٩٨) وعدد الاناث (٥٠٩٨) (احصائية) .

السعودية :

رحب جلالة الملك فيصل فى اجتماع عقد مع الشيخ احمد بن على آل ثانى حاكم قطر فى الرياض باتحاد امارات الخليج ووعد بمساعدته وتدعيمه على أوسع مجال .

أمر جلالة الملك فيصل بتشكيل مجلس من العلماء لاقامة حدود مرئية لجبل عرفات بعد ما لوحظ أن بعض الحجاج يخطئون فى الوقوف بعرفة .

قررت وزارة المعارف معادلة الشهادة الثانوية للمعهد الدينى بالكويت بثانوية دار التوحيد بالسعودية .

العراق :

قام عظمة حاكم البحرين بزيارة الى العراق فى الشهر الماضى وقد أجرى مباحثات هامة حول تأكيد عروبة الخليج وحمايتها . كما قام الملك حسين بزيارة

قصيرة لبغداد .

قبلت جامعة الأزهر (٤٦) طالبا عراقيا هذا العام .

الأردن :

فشلت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الاردن فى النيل من حركة المقاومة العربية وقد اعلن زعيم منظمة فتح أن الفدائيين باستطاعتهم ارجاع الحق الى نصابه اذا حصلوا على الامكانيات اللازمة .

دعا جلالة الملك حسين مجددا بسبب تكرر العدوان الاسرائيلى الى عقد مؤتمر قمة عربى .

اعترفت اسرائيل فى مذكرة بعثتها الى القيم الدولى على الآثار فى الأرض العربية بأنها قصفت بالقنابل والصواريخ الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية كما اعترفت بضرب قبة الصخرة وتحطيم الباب الأوسط للمسجد الأقصى وتحطيم متحف الآثار الفلسطينى .

لبنان :

شكل المجلس الوطنى الفلسطينى من مائة عضو وقد مثلت فيه منظمة فتح ومنظمة تحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمتان سريتان اخريان .

الجزائر :

بلغ عدد سكان الجزائر وفق آخر احصاء اثنى عشر مليونا ومائة الف شخص منهم ٨١٫٥ يتكلمون العربية و ٠٫٤ر يتكلمون الفرنسية ونسبة الأمية ٦٤٫٦ والمثقفين بالعربية ٨٥٫٥ .

المغرب :

قام جلالة الملك الحسن بعدة زيارات الى عدد من الأقطار الاسلامية منها تركيا وايران والسعودية .

ليبيا :

بدأ السيد عبد الحميد البكوش رئيس وزراء ليبيا فى ٢ ابريل الماضى جولة فى عدد كبير من دول العالم لشرح السياسة الليبية تجاه القضايا العربية .

الباكستان :

وضع معهد البحوث الاسلامية فى باكستان مشروعا كبيرا لاعداد كتب وموسوعات علمية عن تاريخ العرب والحركات الاصلاحية .

قامت مظاهرات ضخمة فى كراتشى احتجاجا على الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الأردن وقد اعلن الرئيس ايوب خان أن باكستان تضع كل امكانياتها الاقتصادية والعسكرية مع الأردن وانها مستعدة لتقديم اى معونة للدفاع عن العرب .

أعرب الرئيس خان عن اسفه الشديد لغرق باخرة تحمل (٤٤٤) حاجا باكستانيا بالقرب من ميناء دبى فى الخليج العربى وقد غرق فيه حوالى (٢٠٠) شخصا . ومما يذكر أن أمير دبى والأهالى هناك جمعوا تبرعات للمنكوبين .

الهند :

انشأت الجامعة الاسلامية فى عليكرة مركزا للدراسات تتناول شئون بلدان غرب آسيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومنها تركيا وايران وافغانستان والدول العربية .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافـــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جـــــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب : ٢٠٤٣

بغـــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـــدودة

دبـــى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

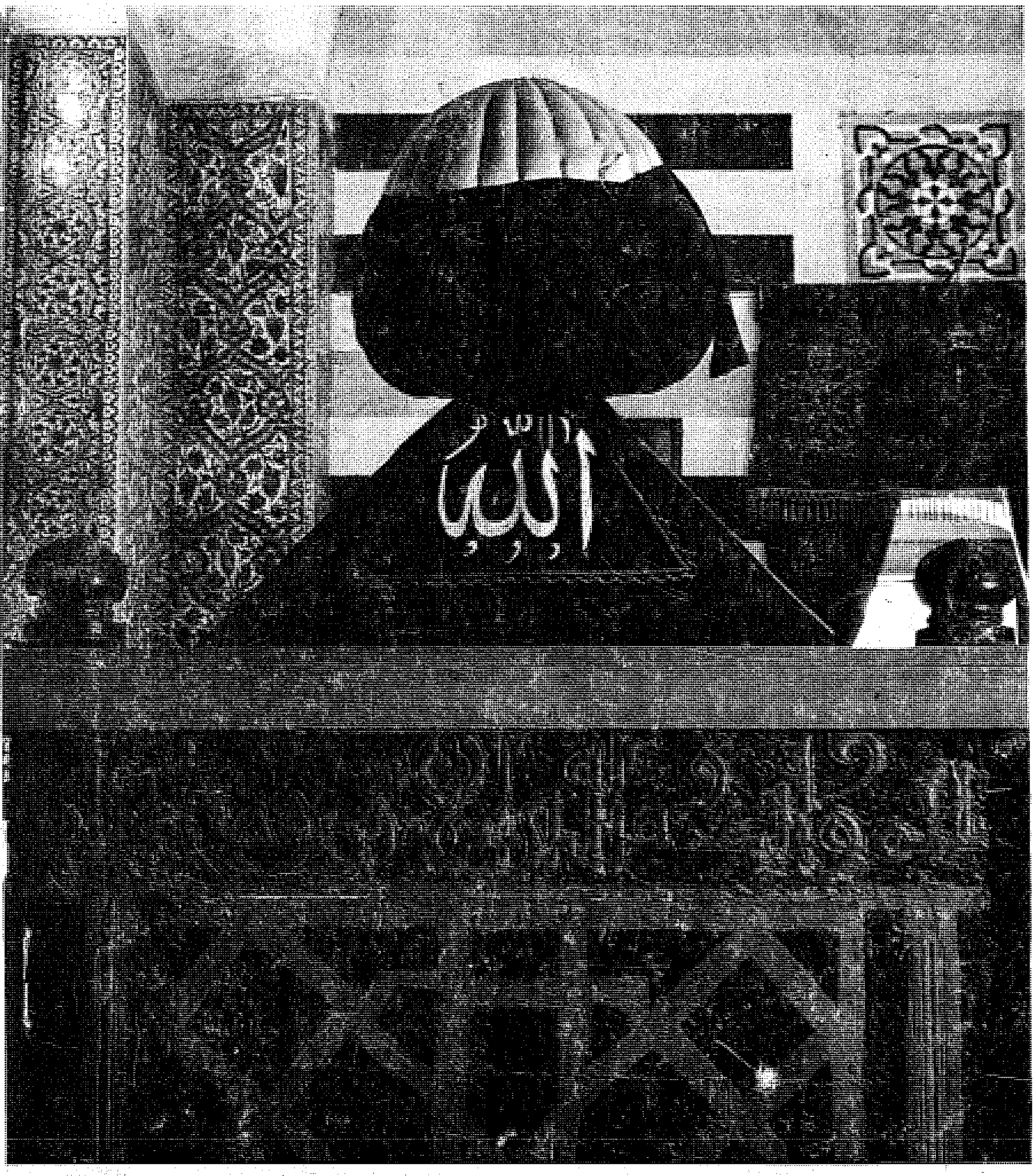
مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

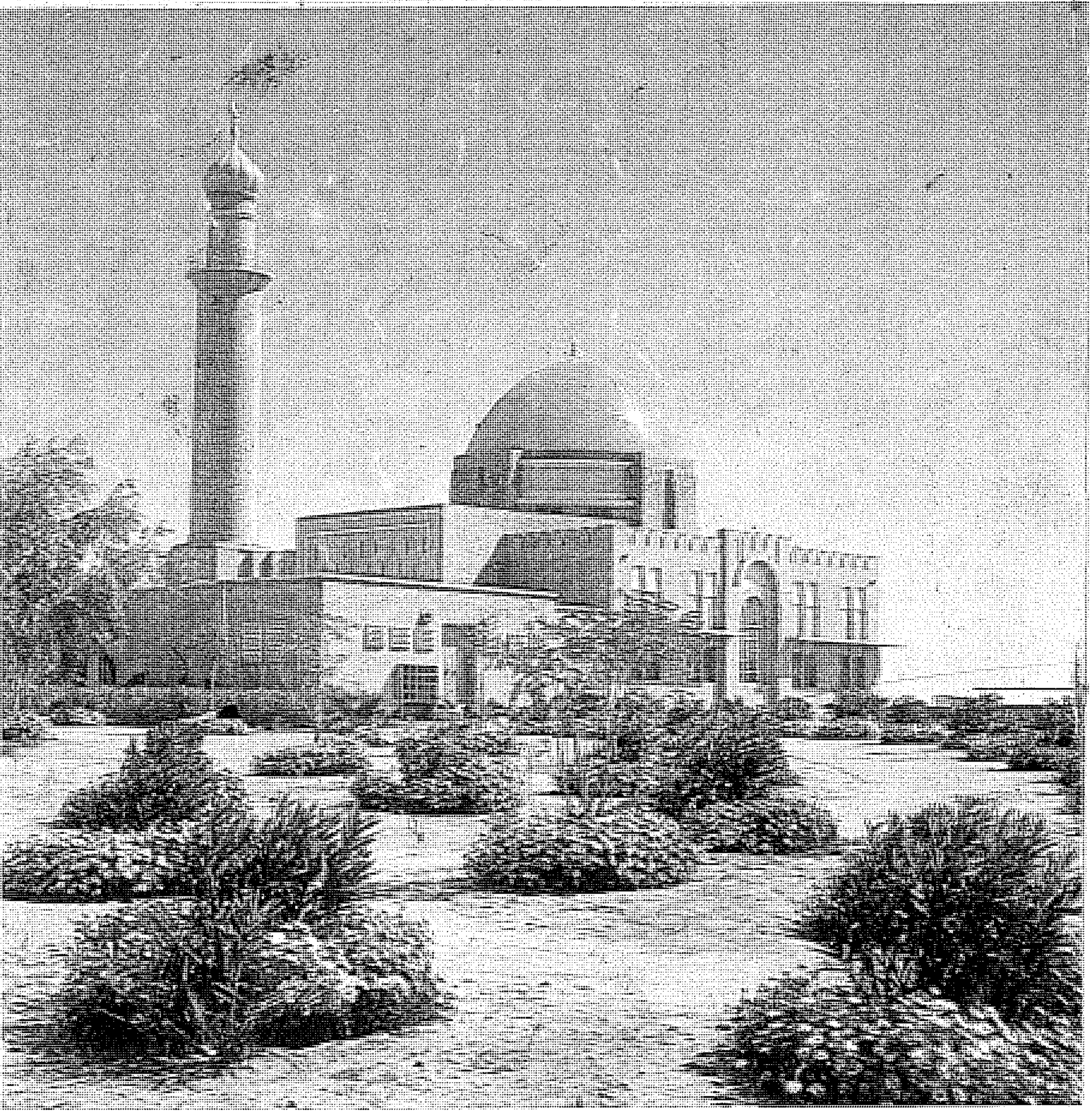


هنا يرقد منقذ المسجد الأقصى البطل صلاح الدين فى مقبرته الخاصة به بجانب المسجد الأموى بدمشق .
من من زعماء المسلمين يشتاق الآن لمثل هذه البطولة ؟

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

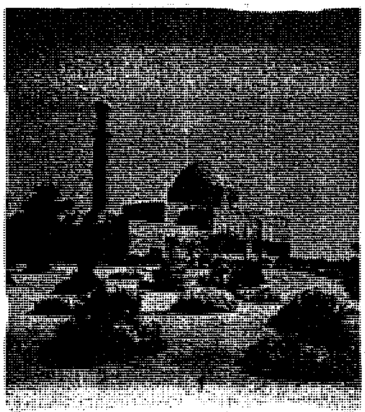
السنة الرابعة ـ العدد التاسع والثلاثون ـ غرة ربيع الأول ١٣٨٨ هـ ـ مايو ١٩٦٨ م





الجالية الاسلامية فى بلجيكا تؤدى صلاة الجماعة فى مسجد بروكسل ..

صورة الغلاف



مسجد أبى عبيدة بن الجراح .. يقـــوم على ربوة عالية فى مدينة الاحمدى ، وهذا هو اسمه الجديد بعــــد أن عملت وزارة الاوقاف والشئون الاســـلامية على اطلاق أسماء مشـــاهير الصـــحابة على مساجدها .

وقد تأسس فى ١٩٥٧/٣/١٥ .

« تصوير : عظمت شيخ »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع والثلاثون

ــ الســـــنة الرابعة ــ

غرة ربيع الاول سنة ١٣٨٨ هـ

مايـــو « آيـــار » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيـــة

الثمن

الكويت	٥٠ فلســـا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلســا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلســا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشــا
مصر والسودان	٤٠ مليمــا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـــت ١ دينـــار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأســـا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـــة
ص. ب ١٣ هاتـــف ٢٢٠٨٨
الكويـــت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

كلما اطلت علينا ذكرى ميـلاد الرســول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، اطلت علينا معها حقائق تاريخ عملاق ، ولد مع ولادته ، واخذت تتميز ملامحه وشخصيته منذ بدأت رسالته ..

واذا كان العظماء فى التاريخ قد وضعوا بصماتهم على صفحاته .. فان رسولنا العربى العظيم قد صنع تاريخا بأكمله ، فيه كل مميزات التاريخ الحافل بالسمو وبالامجاد .. وهو ــ عليه صلاة الله وســـلامه ــ الوحيد الفريد فى ذلك ، من بين عظماء البشر ، ذلك لأن الله لم يتركه لتفكيره الخاص ــ وكان أسمى تفكير ــ بل كان ســبحانه يرعى خطاه ، ويحرس فـكره ، ويرسم له خطته وعمله .. ويرعاه فى سلمه وحربه ، وصحوه ونومه ، وقوله وفعله ..

تضيق أمامه الدنيا بأحداثها ، فيتولى الله تفريجها ، وتبدو له المشكلات ، فتمده رعاية الله بعلاجها ، وتحـاك ضـــده المؤامرات ، فينزل عليه الوحى بكشـفها . وتضعف من حوله بعض النفوس ، فيعالج الله ضـعفها ، ويشد بالقرآن عزمها .. وتلك ميزة كبرى انفرد بهـا رســـول الله بين اخوانه المرسلين . وكان نزول القرآن الكريم عليه المرة بعد المرة هو الذى يتكفل بذلك كله ..

وميزة اخرى انفرد بها أيضا ، ذلك انه لم يـكن مجـرد واعظ .. يقول وينتهى بذلك واجبه . بل كان رسـولا مبلغا ، ومؤسس دولة وحكم ..

صحيح أن الله قال له ، وهو يواسيه فى شدائده : « ما على الرسـول الا البلاغ » لكنه بين هذه القضية وشرحها فى آية أخرى « فانما عليك البلاغ وعلينا الحسـاب » ــ فكان مع التبليغ مشرعا ومنظما وقائد حرب ، ومصـلح دنيا ، وبانى أمة ، وهادى طريق أما حساب الناس ومجازاتهم فالى الله ..

ومن هنا ثقلت مسئوليته ، واتسعت رسالته .. ومع ثقل المسـئولية ، واتسـاع مهام الرسالة ، لم تنته حياته الكريمة على هذه الارض ، حتى كان قد ادى رسالته ، وارسى دعائم الحياة على عمد من صنع الاله ورعايته .. وترك من بعده تلامذة له واصحاب ، أمناء أقوياء ، يتابعون الســـير على خطاه ، ويحرصون الحرص كله على هداه ، ويمكنون للدولة الجديدة التى أسســـها ، ويوسعون حدودها ، وينشرون الهدى فى ربوعها فكانت أمة وكانت حضارة ..

وحين يفكر الذين يقـــدرون العظمة فى العظماء ، وينصـــفون فيما يستنتجون ، يقطعون بأن محمدا وتاريخه ليسا من صنع نفسه ، ولا من صنع

أسرته ، ولا بيئته ، ولكنه من صـــــنع الاله الذي اختاره واجتباه ، وحياه أكرم تحية حين ناداه « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا » .

انه ليس تابعا من اتباعه هو الذي يقول له هـــذا ، وليس قريبا من اقربائه ، أو ملكا من ملوك الارض .. ولكنه الله جل شأنه ، وعزت كلمته ، هو الذى يقول له هذا ويقرره « ومن أصدق من الله حديثا » ؟

نعم . الله ، مالك الملك ، وخالق الخلق ، هو الذى يكرم محمدا ، ويثنى عليه هذا الثناء . وهو مع ذلك أو من أجله يزداد لله خشية وتواضعا وتقربا ، ويقول « أفلا أكون عبدا شكورا ؟ » .

ذلكم هو محمد الذى يقول الله في شأنه « من يطع الرســول فقد أطاع الله » .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ويقول : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعــوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

ويقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويقول : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ويقول : « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما » .

ويقول : « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم . يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » .

أخى :

ذلك قليل من كثير مما اثنى الله به على حبيبه ومصطفاه ، وما قرره بشأنه .. لم يجاره أو يسم اليه بشر غيره . واذا كان لكل منا فى هذه الحياة عظيم من الناس يمنحه قلبه واخلاصه وحبه ، ويتخذه مثلا أعلى يقلده ، ويقتدى به ، فهل هناك فى عظماء البشر جميعا من اثنى الله عليه ومدحه كما اثنى على محمد ؟

هل هناك من سماه الله : هاديا وبشيرا ، وســـراجا منيرا ، كما سمى محمدا ؟

هل هناك من البشر من اعلن الله عنه أن طاعته من طاعة الله كما أعلن عن محمد ؟

هل هناك من البشر من أعطاه الله هذا التفويض العام : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » كما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ؟

هل هناك من البشر من قرر الله عنه أنه : « حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » كما قرر عن محمد ..

ومن يكون اجدر بالحب الذى يملأ قلوبنا ، ويفوق حبنا لأنفسنا .. غير محمد ؟

ومن أولى بأن يكون قدوتنا ... غير محمد ؟
ومن يكون أجدر بالحب الذى يملأ قلوبنا .. غير محمد ؟

رسول قائد ، اثنى الله عليه ، وكمله ، وتقرأ هذا الثناء عليه فى كتاب الله الخالد الذى تؤمن به ..

فكيف يجوز لك أن تتركه لتتعلق بغيره ؟.. وكيف يجوز لك ان تتخلى عن الاقتداء به ، ثم تروح تتعلق بزعامة هذا أو ذاك ، وتتفانى فى الاخلاص لهم ، وتصادق أو تخاصم من أجلهم ، وتسير وراءهم ، حتى ولو اعلنوا خصومتهم لرسولك وقائدك ؟..

كيف ؟ أتستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟

وكيف ؟ وانت دائما حريص على الذى هو خير ، حتى فى أتفه الاشياء التى تملكها . فما بالك بأمر يتعلق بمصيرك ؟..

ثم بلغة المنطق المفهوم بالضرورة : من من الناس تأتمنه لتسلمه قيادك ، وتمنحه ثقتك ؟

انسان شهد الله له واثنى عليه ؟ أو انسان مهما قيل فيه من أوصاف العظمة التى يخلعها عليه امثاله من الناس ، ففيه زوايا من النقص معروفة أو مستورة ، ولا يمكن أن يكون كاملا من جميع الجوانب .؟

انسان سار بوحى الله ، وهدايته ، وفى حراسته ، وطريقه مأمون ، ووصوله بك الى النهاية السعيدة مضمون ، أو انسان يسير وراء نزواته ، ويتخبط فى شهواته ، يتعثر بين الخطأ والصواب ، وينخدع حتى بالسراب ؟.

من أولى بالاتباع ، والاقتداء ، والحب والاخلاص ؟
اذا شكوت أو شكى احد حولك مرضا ، بحثت عن امهر الأطباء .

واذا كانت لك قضية لجأت الى أمهر المحامين ، ليحسن الدفاع عن وجهة نظرك ، ويصل بك الى الحق الذى تريده ..

واذا كانت امامك مشكلة ــ أية مشكلة ــ استشرت أوثق الخبراء فيها ، واستنرت بآرائهم ..

واذا كانت لك حاجة عند انسان استعنت عليه بأحب الناس الى قلبه ، واكثرهم حظوة لديه واخذت تتودد لهذا الانسان ..
وهذا كله فى أمور الدنيا العارضة والمطامع الزائلة ..

فكيف بك وأنت حريص الحرص كله على أن يرضى الله عنك ويوفقك ، ويلطف بك ، ويسهل لك أمورك فى دنياك ثم تحظى بنعيمه وجنته فى أخراك ؟

فمن تختار ليصل بك الى هذا الهدف ويحققه لك ؟
أتختار رجلا لا يعرف الله ، ولا يعترف بوجوده ويقول عنه سبحانه — فى تبجح — انه خرافة ؟!

أتختار رجلا ليس على صلة طيبة بربه وان كان يؤمن به ؟!

قال لى من تختار ليكون دليلك الى رضا الله ، وهاديك الى جنته ؟ ..

من تختار لينظم لك حياتك ، ويرتب لك شئونك فى هذه الدنيا ترتيبا يرضى عنه مولاك ، ويحقق لك السعادة فى أخراك ؟..
الست عاقلا تحسب الأمور ، وتستخلص النتائج ، وتختار الأحسن لك ؟

انهما طريقان ..
طريق يقوم عليه هاد واحد من قبل رب العالمين ، يرشدك ، ويقودك فى هذا الطريق المعبد ، لتصل الى النهاية السعيدة وتستقر فيها آمنا .

وطريق آخر تتشعب منه المسالك ، وتكثر فيه « المطبات » والتعاريج ، وله دعاته الكثيرون ، كل يعرض بضاعته ، ويزين لك طريقته .. يغريك بالشهوات ويجذبك اليه بالأمنيات ، حتى يبعدك عن ربك ورسولك ، ويدفعك الى متاهات الضلال ، ويلقى بك فى تيه الضياع والخسران .. وفى النهاية تلتقى أنت وهو فى أتون النيران « يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون » ..

فأى طريق تختار لنفسك ؟
قل لى يا أخى ..

فى تجارتك تريد أن تربح ، وفى وظيفتك تريد أن ترقى .. وفى كل عمل تتولاه تريد أن تكون السباق فى الحصول على أحسن الثمرات ..

فكيف أنت وصلتك بالله ؟
ألا تختار الدليل الذى يحقق لك الربح ويهيىء لك الرقى ، ويوفر لك أطيب الثمرات ؟

انه رسولك وهاديك حبيب الله ومصطفاه ، الحريص علينا ، الرحيم بنا .. حتى فى الآخرة يأخذ بيدنا ، ويشفع لنا عند الله ..
انه محمد ، الرحمة المهداة ، حبيبى رسول الله

يا رب أحسنت بدء المسلمين به   فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من هدى السنة

قلب وكلب

للشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

« عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان رجلا رأى (١) كلبا يأكل الثرى (٢) من العطش فأخذ خفه فجعل يغرف (٣) له به حتى أرواه (٤) فشكر الله له (٥) فادخله الجنة (٦) .. »

رواه البخارى

١ — يموج عالمنا المعاصر ويضطرب بغارات تشن ، وحروب تستعر ، وأجسام تهاوى تحت وقع القنا والقنابل ، وأرواح تصعد الى بارئها شاكية ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وتسائل الزمان فيجيبك : ما أنا الا ليل ونهار ، وعاء يحتوى الباغم والصامت ، ويظل المحسن والمسىء ، ويدب فى أرجائه حامل السم وبائع البلسم ، ولقد عييت بما عنه تسأل ، ولم أجد جوابا يشفى الغليل ، ويريح القلب العليل ، راقبت الكائنات فوجدت الجماد يتحرك ليغير موضعه فيكشف عن خبىء ، أو يرتفع لصد عاد ، والفيت العجماوات تتهارش ولكن

---

(١) رأى : فى سياق الحديث الشريف بمعنى ابصر .

(٢) الثرى : فى مختار الصحاح : بفتح الثاء المثلثة والراء المهملة مقصورا ، هو التراب الندى ، وأما الثراء بالمد فهو كثرة المال ، وليس مرادا هنا . وفى رواية اخرى للحديث الشريف : كلبا يلهث ، وورد فى المختار ايضا : اللهثان بفتح الهاء ، العطش ، وبسكونها ، العطشان ، والمرأة لهثة ، وبابه طرب ، واللهاث بالضم ، حر العطش ، ولهث الكلب اخرج لسانه من العطش أو التعب وكذا الرجل اذا اعيا وبابه : قطع .

(٣) يغرف : (بفتح الياء المثناه التحتية وكسر الراء) فى المصباح المنير : غرفت الماء غرفا من باب ضرب ، اخذت منه وهو فى موضعه .

(٤) ارواه : جعله ريان ، ضد عطشان .

(٥) فشكر الله له : قال المتقدمون رحمهم الله ورضى عنهم : معنى الشكر الثناء أو المجازاة .

(٦) ورد هذا الحديث الشريف بروايات أخرى : منها (بينما رجل يمشى بطريق فاشتد عليه الحر ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى نزل بى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى من البئر فسقاه) وفى رواية : فشكر الله له فغفر له ، قالوا يا رسول الله : ان لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال : ان فى كل كبد حرا رطبة أجر .

بمقدار ما يملأ المعدة الخاوية ، ويسد الرمق ، ويمسك الذماء ، فما دام المفترس مليء البطن ، فلا يفكر فى الاعتداء(١) فقد يمر الغزال بالأسد فلا يلتفت اليه حينا ، والثعبان لا يعض الا اذا ديس ، والكلب لا ينبح الا اذا أهيج ، والقطا اذا أمن الاساءة صار اليفا ، منظر رائع تراه فى الحرم الشريف ، يمسك الرجل بالحب فى راحته فيسقط عليه الطائر يلتقطه ، ثم يعود الى جوه الطليق بملء حريته ، مرفوفا بأجنحته شاكرا حسن الصنيع .

دع ذا : وتأمل الانسان ذلك الحيوان الذى اسموه عاقلا ، تجد العجب العجاب ، الذى حير الفلاسفة ، واعيا المباترة ، تجده أخضع ما باينه ، ووضعه قيد البحث والدرس ، وعجز فى الوقت نفسه عن أن يخضع شهوته(٢) فجمع الشيء ونقيضه ولكن فى غير تقابل(٣) وصب جام احساساته الحيوانية البحتة على نفسه ، كالشاعر الهجاء الذى قبح وجهه حين أبصره فى مرآته ، وأزكى الانسان نار الصراع فى غير موضع نزاع ، فتطايرت اشلاؤه تحت وطأة ممزقها ، وقسوة مفترسها ، وعج بها الكون ، واكتظ الفضاء حتى عافتها وحوش الفلاة ، ولوت عنها أعناقها عقبان الهواء ، فأزكمت الأنوف بما ثار من روائحها الكريهة التى عجت بها الدنيا المعاصرة ، فما نجت من شرها تارة ، ولا تخلص من آثارها قطر ، فى آسيا قتال ، مثله فى افريقيا ، اثارته دولتان يعجز عقلاؤهما — ان وجدوا — عن تعليل اثارتها ، ادعتا انهما كبيرتان ولكنه كبر مادة وكثرة عدد ، وتضاؤل تفكير ، وانعدام روح .

٢ — قال صاحبى ، الصراع عبر التاريخ موجود ، لم يخل منه عصر ، ولم ينج من شره مصر ، ولكن صراع الأقدمين من الممكن تعليله ، او تبريره ، فقد تستطيع أن تلتمس لهياجه عذرا ، فقد كانت آفاق الارض منعزلة تماما ، فالمرء فى قرية أو مدينة لا يدرى ما يدور فى القرى والمدن المجاورة ، فغزا مدفوعا بحب الاستطلاع ، وأحيانا تحت وطأة الجوع ، وأما الآن فقد تلاشت المسافات ، وقضى على الفوارق الطبيعية ، ومن الممكن تبادل الانتاج دون عناء أو مشقة ، فالتاجر الآن فى أقصى المعمورة يستورد انتاج مصنع فى الطرف الآخر منها بمفاوضات مباشرة لا تديرها حكومة ولا تحرسها طائرات قتال ، ولا تدفع اليها غريزة استملاك ، وانما رائدها المصلحة مصلحة الطرفين ، ونفع الجانبين ، يلتقى المشترى مع المنتج فى جو أخوة حانية يحدوهما النفع العام ، ويسوس لقاءهما خير المجتمع المنقولة اليه البضائع والمنقولة عنه ، والسائح الذى قدم ماله طائعا مختارا راضيا لقاء مشاهد لم يعهدها ، ومناظر يستجليها ، يقابل

---

(١) ذلك الأعم الاغلب وله وضعت القواعد والشاذ لا حكم له .

(٢) المراد بالشهوة هنا ، الرغبة الملحة التى تقوى حتى تلاشى الارادة ، وقد تضعف حتى تتلاشى هى وكلا الوصفين مذموم ، والممدوح ، الاعتدال .

(٣) ولهذا لا يعد تناقضا على مذهب ارسطو ، وان عد واقعيا عين التناقض .

فى كل مكان يحل فيه بالتبجيل والتيسير والاكبار ويقفل عائدا الى مسقط رأسه بعد أن يكون صداقات ، ويكتسب ثقافات ومعارف ، ويغنم صحة وراحة ، فالشعوب الآن مندمجة فى بعضها حتى لا تستطيع أن تميز المقيم فيها من المسافر ، ولا الغريب من صاحب البلد ، ولقد جبت بلادا من أرض الله واسعة فما رأيت غربة ولا شعرت بفرقة ، ففى كل مكان لقاء كريم مع رحابة صدر ، وفى كل موطن صديق قد تفوق صداقته أخوة اللحم والدم ، فعلام القتال يا عقلاء البشر ، ولماذا النزاع والصراع يا أرباب المبادىء وحراس الانسانية ، وسدنة السلام كما تدعون ؟! أو كما استقر فى صفحات مكتوبة مطوية ، وتلاشى واقعا وتطبيقا . هل من مجيب ؟!

٣ ــ قال صاحبى : لقد شطت ، ولحدود الحديث تجاوزت فما الربط بين كلام النبوة الذى جعلته عنوانا وبين ما جرى به القلم ؟ وما درى صاحبى ــ وهو يدرى ــ أن صاحب الغيب الذى عنده مفاتحه يأخذ بيد البشر الى مسرح الحوادث لتلمسها لمسا وتحس بها فى موضع قد يظن السامع أو الملتقى أنه بعيد وما هو ببعيد ، فمن رحم حيوانا أعجم كان بالانسان أرحم ، ومن عرف أن مغفرة الله منوطة بكل ذات كبد رطبة ، بدأ بنفسه ثم بمن يليه ، فابتعدت عن الفعل السيىء فعاله ، واتجهت الى النافع المفيد حركاته وسكناته ، وذلك توجيه السماء على لسان خير الأنبياء ، لا يسلك الطريق المباشر وانما يضرب الأمثال ليجذب الانتباه ، ويوقظ مكامن الادراك ويوجه القلوب القاسية حتى تلين ، ويشحذ العزائم لفعل الخير ، فهذا حيوان ضال فى فلاة ، لا يضير الرجل موته ولا تنفعه حياته ، وسيان فى سباق جولانه الحياتى فنى الكلب أم عمر ، فلماذا يتحمل النزول الى أغوار البئر والصعود منها ، ولماذا يمسك بفيه خفه ، ويتلمس بيديه طريق النجاة ، ويتحاشى السقوط فى الأعماق ، ماذا يفيده فعله هذا عاجلا ، لا شىء فى رأى ماكيافلى العصر وجزارى الانسانية ، حماة المادة وأعداء الروح ، نسوا أو تناسوا حتى نسوا شيئا كامنا يحسونه ولا يرونه ، يستكن بين جوانحهم حقيقة لا تنكر ، ويهال عليه تراب المادة كى لا يظهر ، شعور ، احساس ، ضمير ، تعبر به الانسانية مفاوز الحياة ، وتجتاز على ضوئه طرقها المتشعبة ، ماضية الى مصيرها المحتوم آمنة ، راضية ، نافعة ، منتفعة ، يسقى الكلب فيستريح القلب ، وأى قلب ، القلب ذو الاحساس الانسانى الدفين الذى أنبته الله ولم تقتله المادة العفنة النتنة ، ثم ينطلق من مجال الاحسان مع الحيوان الأعجم الى مجال أرحب ، والى فضيلته أقرب ، فيزيل الضر عن أخيه ، ويدرك أنه اذا آذى انسانا فانما آذى نفسه التى بين جنبيه ، ويجرنى الحديث ــ والحديث ذو شجون ــ اذ أذكر حادثة مرت بتاريخ شخص عزيز على الله ، تبدو فيها حيوية الضمير ، وانبعاث الروح الكريمة المؤمنة بقيوم السماوات والأرض الى الخير ، جاءنى يوما ذلك

العزيز مهتاج النفس ، قلق البال ، لا يدرى كيف يدير القول ، فهدأت من ثائرته ما شاء الله أن يمكننى من ذلك ، وبدأ يقص مثار ثورته النفسية الأليمة ، قال : ان فلانا وسمى شخصا لا أعرفه (هيولى) وانما اخبره وظيفة وعملا ، قد اساء الى ، وبالبحث تكشف النقاب عن اساءات له متكررة بنفس الصورة مع كل طالب حق لديه ، مع أنه غريب عن الديار ، وفد اليهـا طالبا القوت التى أعياه العثور عليه فى مسقط رأسه ، فجشعت نفسه حين اشتمت رائحة القتار ، فلم يكفه الحلال الذى ينساب بين يديه ، فراح يطلب المزيد فى الممنوعات دينا وعرفا وقانونا وأخلاقا وانسانية ، فأسلمته متلبسا بجريرته الى من اقاله من عمله ، وكان ذلك أخف العقاب ولكنى اشعر الآن بمرارة واسى فقد اكون جانيا على من يعول ، ولا ادرى كيف الخلاص من عذاب الضمير فأنجدنى : وكان الجواب الذى كان ، والذى لا يوجد دواء انجع منه لتلك النفوس الكريمة ، ورضى محدثى بالجواب واجرى نفقة دائمة لا يزال يبعث بها من ماله الحلال الى ذلك الذى فارق وظيفته وما فارقته متاعب النفس الآثمة ، وذكرنى هذا الصاحب بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خلاصته : ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت صخرة فهو يخشى أن تقع عليه ، ومن ران على قلبه العصيان يرى ذنوبه كذبابة مرت بأنفه فقال بها هكذا ، واشار الرسول بيده الشريفة اشارة من يدفع الذباب عن وجهه .

ومن تأمل الحروب الجارية ، والعداوات الأممية السارية ، وجد أن الانسان عند المتزعمين للعالم المعاصر لا يعدل كلبا ولا يساوى شربة ماء .

٤ ـ وقال صاحبى وقد هاله أمر الانسانية المعاصرة عجبا لهذا المخلوق وأى عجب ، تسمو روحه حتى لا تقف أمامها حدود المادة ولا تعوقها قيودها ، وتضعف أحيانا حتى تتلاشى فى بيداء الجهالة بالله والبعد عن رحابه حتى يتساوى الجمل الهائج والرجل الغاضب ، ويعوى الذئب فيأنس السارى ، ويرتفع صوت انسان فيفر منه فرار السليم من الأجرب . وقد قيل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى ... وصوت انسان فكدت اطير

وجعل صاحبى يدير القول ، وختم حديثه بمقالة المتصوف الضارب فى اغوار التاريخ مثلا والسارى عبر الأيام عملا وواقعا ، ذلك المتصوف الذى دعا لقاتله حين ظلمه ، تتلوه باسم الدين ، باسم الحرية ، باسم الانسانية ، فمضى ضحية شهوة أخيه الى الدماء ، يلتمس له العذر ، ويردد : تلك حكمة الله ولا اعتراض . .

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم فى دوران الفلك
فلا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

وانفض المجلس ، وانا لا ادرى متى ترحم الأكباد الرطبة ، ومتى يلجأ الناس الى بارئهم ولكن : (فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا) . وصدق الله العظيم .

من إحاطة القرآن الكريم بالفطرة

السماء في القرآن وفي العلم

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

كنت عرضت على صفحات (الوعى الاسلامى) (١) قضية كبرى تقول : ان القرآن الكريم محيط بالفطرة احاطته بالدين ، مجملها كمجمله ، ومفصلها كمفصله ، لكن تلك الحقيقة العظمى لم توضح بضرب الأمثال . ثم جاء الأستاذ على الطنطاوى وطرح للمناقشة رأيا له في : ما هى السماء في القرآن وفى علم الفلك الحديث(٢) ، لم أجد أحدا على طول الفترة بعده تناوله بتمحيص(٣) ، فالآن أتناول موضوعه كمثال يوضح كيف أن القرآن الكريم محيط بفطرة هذا الكون المشهود احاطته بالدين ، الا أن الدين قد وكل الله سبحانه تفصيل مجمله وتطبيق مفصله فى القرآن الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، أما فطرة عالم الشهادة فقد وكل سبحانه الى علمائها ، شرح ما اجمل وما فصل منها في كتابه العزيز ، فى آيات من عجائبها أن ترد فيها مادة (علم) بالمعنى الحديث

---

(١) عدد جمادى الثانية سنة ٨٦ .

(٢) عدد المحرم سنة ٨٧ .

(٣) جاءنا من الأستاذ البهى الخولى بحث فى هذا اجلناه حتى ينتهى من سلسلة بحوثه عن المرأة .

كما هو واضح من موضوعها فى مثل قوله تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) وقوله عز وجل (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لآيات العالمين) بكسر لام (العالمين) .

والقرآن الكريم أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون ، فان الهداية التى جاء القرآن من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون ، فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على تكذيبه . وهى أيضا تقتضى ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به ، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور العلم الكوني التى علم الله الذى أنزل القرآن أنها ستكون . وتجنب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع اعجاز أسلوبه ، ومن أكبر الدلائل على أنه حقا من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون .

سماء وسماء

والسماء فى العلم هى سماء الشمس والقمر والشهب والكواكب والنجوم والسدم . **أما فى اللغة** التى نزل بها القرآن فالسماء متعددة المعانى : هى سماء العلم هذه ، وهى أيضا السماء الزرقاء التى تبدو النجوم كأنها فيها وهى فوقها . ثم هى تطلق أيضا على السحاب ، وعلى ما ينزل من السحاب من أمطار .

فالناظر فى موضوع السماء فى القرآن الكريم وفى العلم ، عليه أن يميز فى الآيات القرآنية بين ما هو خاص بالنجوم وما اليها ، وما هو خاص بسماء جو الأرض من سحاب وما اليه من زرقة الطبقات العليا من هوائه التى هى عادة أول ما يفهم الناس من لفظ السماء ومن وصفها .

فالسماء فى قوله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) . ليست هى سماء الكواكب والنجوم ، ولكن هى سماء السحاب الذى ينزل الله منه الماء المصرح به فى قوله تعالى من سورة الواقعة : (افرأيتم الماء الذى تشربون . أانتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟) واذن فأبواب السماء المذكورة فى الآية الكريمة من سورة القمر هى ابواب سماء السحاب على المجاز .

كذلك قوله تعالى فى سورة الملك : (فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) يدل ، اول ما يدل ، على ما يلقى البصر اذا نظر الى السماء الزرقاء وما يبدو وراءها من قمر وكواكب ونجوم بالليل وشمس بالنهار ، اذا لم يكن فى الليل أو النهار بين الناظر وبينها حاجب من سحاب أو غبار . كذلك تصدق الآية الكريمة على منظر السماء ، اذا تجاوزنا السماء الزرقاء بتجاوز الغلاف الهوائى ، كما تجاوزه ملاحو الفضاء فى القميرات والسفن الفضائية ، فان السماء عندئذ تبدو كما بدت لهم سوداء حالكة ولو كانت الشمس طالعة ، وتتراءى الشمس والنجوم فيها أجساما مضيئة من غير أن يكون لأضوائها أثر فى تخفيف ذلك الظلام ، لأن الضوء فى ذاته لا يرى ، وليس فى ذلك الجو المظلم ما يشتت ضوء الشمس ويعكسه الى العين أينما توجه بصرها ، كما يحدث فى جو الأرض اثناء النهار .

فلولا الهواء وما يحمل فى جو الأرض ، لبدت السماء للناس حالكة السواد حين تكون الشمس طالعة ، ولكانت الظلال على سطحها سوداء مثل ظلال القمر وسماته ، اذ هو قد فقد هواءه منذ زمن بعيد . فشتان بين نهار الأرض ، ونهار

القمر . وشتان ثم شتان بين سماء الأرض ، تضيء جوها الشمس فلا يلقى العين منه إلا نور — كما نبه الله اليه فى سورة الشمس بقوله سبحانه : (والنهار اذا جلاها) — وبين السماء اذا تجاوزنا جو الأرض وغلافها الهوائى بالنهار ، فلا تقع العين منها الا على ليل مظلم تبدو الشمس فيه قرصا فيه زرقة . والى ليل السماء هذا وآية الله فيه أشار القرآن الكريم بل صرح به فى قوله تعالى (وأغطش ليلها) فى سورة النازعات ، اذ هاء التأنيث راجعة الى السماء السابق ذكرها فى قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) .

والمفسرون أجمعون لم يخطر ببالهم أن السماء من وراء جو الأرض سوداء حالكة والشمس طالعة ، ففسروا الليل بليل الأرض الذى عهدوه ، رغم اضافة الليل فى الآية الكريمة الى ضمير راجع الى السماء لا الى الأرض التى لم تذكر الا فى الآية بعدها فى قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) وهذا مثال للحقيقة الكونية تذكر فى القرآن ، قبل أن يهتدى اليها الانسان من علم ، فيصرف الانسان النص عن معناه الحرفى الذى يجهله ، الى أقرب معنى يعرفه .

ولو أنه لزم النص وكان منطقيا معه حسب القاعدة النحوية التى قعدها ، لسبق علم الفلك الحديث الى حقيقة عن السماء لم يكشفها العلم الا بعد قرون من نزول القرآن .

لكن لعل من الاسراف أن نتوقع من قدامى المفسرين ، او من محدثيهم الذين لم يدرسوا جانبا كافيا من العلم الكونى أن يتصوروا سماء حالكة السواد والشمس فيها طالعة لاحجاب دونها ، وقد كانوا يظنون نور النهار ممتدا الى أقصى الكون ، وأقصاه عندهم كان السماء الزرقاء التى كانت تضيئها الشمس بالنهار ، وتنيرها الكواكب والقمر بالليل . حتى كبير المفسرين المحدثين الشيخ محمد عبده رحمه الله لم يخطر بباله أن المعنى الحرفى للآية الكريمة قد يكون صحيحا فيبحثه ، ولو بحث لاهتدى الى التفسير الصحيح الحديث كما اهتدى اليه — مختصر طبعا — فى تفسير قوله تعالى (بناها) من الآيات السابقة وقوله تعالى (والسماء وما بناها) من سورة الشمس فى تفسيره جزء (عم) كما سنراه بعد اذا حان موعده ، لكنه عند تفسير قوله تعالى (واغطش ليلها) لجأ الى التأويل فقال : (ونسبة الليل الى السماء لأنه يكون بمغيب كواكبها) ونظنه أراد مغيب شمسها فالكواكب انما تظهر بالليل . لكن هكذا جاء النص فى تفسير جزء عم ؛ طبع مجلة المنار وطبع كتاب الشعب .

وقد زاد الفخر الرازى علة أخرى لنسبة ليل الأرض الى السماء ، هى حركة الفلك ، وذلك اذ يقول فيما فسر به الآية الكريمة : (انما أضاف — ولعلها أضيف — الليل والنهار الى السماء لأن الليل والنهار انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها . ثم غروبها وطلوعها انما يحصلان بسبب حركة الفلك) وهو تعليل لو صح كان وجيها ، لكنه مبنى على النظرية الفلكية التى فسر بها فلاسفة اليونان ظواهر الشروق والغروب فى السماء ، والتى تقول بأن القمر والزهرة وعطارد والشمس والمريخ والمشترى وزحل مغروزة فى أفلاك كروية شفافة تدور بها من المشرق الى المغرب حول الأرض الواقفة فى مركزها المشترك ، ومن ورائها فلك النجوم الثوابت . وهى نظرية ظلت سائدة الى أن ابطلها علم الفلك الحديث . حين أثبت أن القمر وحده هو الذى يدور حول الأرض بحركة ذاتية ، لا بدوران فلك يحمله . وأن الأرض سيار يدور والسيارات الأخرى حول الشمس بحركة ذاتية أيضا ، فى مسارات فى الفضاء هى أفلاكها ، كل منها على شكل

قطع ناقص ، الشمس فى احدى بؤرتيه أو مركزيه ، الا أن فلك الأرض يكاد يكون دائرة لتقارب بؤرتيه ، وأن للأرض حركة أخرى حول نفسها ، اذ تدور حول محور لها أمام الشمس من المغرب الى المشرق دورة واحدة فى اليوم ، ينشأ عنها الليل والنهار ، فتبدو الشمس والسيارات الباقية كأنها تدور حول الأرض من المشرق الى المغرب .

والقرآن الكريم قد دل على كل هذا ، وعلى غيره من الحقائق الفلكية ، تارة تصريحا ، وتارة تنبيها عن طريق الاشارة ، بأسلوبه الدقيق المعجز الذى يزداد الناظر فيه فوزا بأسراره ، كلما ازداد أخذا بالمنطق الصارم فى تفهم آياته ، والاستنباط منها ، طبق ما تقرر من قواعد اللغة الكريمة التى أعدها الله لتحمل معانيه .

مع هذه الآية

والآيات المتعلقة بالسماء وظواهرها كثيرة فى القرآن الكريم . لكن من اصرحها فى ابطال النظرية الفلكية اليونانية ، وأملئها بالحقائق العلمية عن طريق الاشارة اللغوية الدقيقة ، قوله تعالى فى سورة الأنبياء : « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل فى فلك يسبحون » الآية ٣٣ . فالفعل (يسبح) يستلزم الحركة الذاتية ، اذ لا سباحة ولا سبح بدونها . نهذه كلمة قرآنية دلت بجزء منها على بطلان ما قال به فلاسفة اليونان من فلك مادى لكل من الشمس والقمر يتحرك الغير بحركته لتدليه منه ، أو لانغرازه فيه .

والفعل بعد ذلك يدل على صفات فى الحركة . فمنها الاسراع ــ من وصف العرب الجواد بالسابح اذا كان عظيم السرعة فى سهولة ، من قول الزمخشرى فى تفسير (والسابحات سبحا) فى سورة النازعات (التى تسبح فى مضيها اى تسرع) ــ ومنها الابعاد فى السير كما فى القاموس من معانى (السبح) ، والمسافة التى يقطعها القمر فى مداره حول الأرض أعظم بكثير بداهة من محيط الأرض . . أما الشمس فقد أثبت العلم لها حركة فى فضاء الكون سرعتها نحو اثنى عشر ميلا فى الثانية فى اتجاه النجم الذى يسميه الافرنج (فيجا Fega) ويسميه العرب النسر الواقع (١) .

فمسار الشمس فى حركتها العظيمة هذه هى فلكها ، واسراعها فى سيرها قد أشار اليه الفعل (يسبح) فى آية سورة الأنبياء ، وصرح به الفعل يجرى فى آية سورة يس اذ يقول الحق سبحانه (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) وليس يعلم الا الله بعد ما بينها اليوم وبين ذلك المستقر ، ولا متى تصل اليه بعد الذى قطعته فى جريها نحوه منذ نزل الوحى بالآية الكريمة فى سورة يس .

هل الضمير للجمع

وبقى ضمير الجمع فى الفعل (يسبحون) وما يدل عليه فى الآية الكريمة من سورة الأنبياء . وللوقوف على دلالة هذا الضمير طريقان حسب مرد الضمير فى الآية الكريمة ، واحتمال أن تكون أداة التعريف فى (الشمس والقمر) للعهد أو للجنس . فاذا كان مرد الضمير اليهما وحدهما تحتم أن تكون

---

(١) أنظر دليل المصطلحات العلمية الملحق بكتاب النجوم فى مسالكها ، للعالم الفلكى جينز ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى من كتب لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(ال) للجنس والا لجاء الضمير على التثنية واذن فالنص الكريم يدل على أن فى السماء شموسا وأقمارا . وما كان ذلك ليخطر ببال أحد يرى بعينيه شمسا واحدة ، وقمرا فردا ، الى أن جاء علم الفلك الحديث فأثبت صحة هذا الوجه فى الآية الكريمة ، اذ اثبت أن كل نجم فى السماء ، شمس وأن شمسنا ان هى الا نجم متوسط بين النجوم .

فالشعرى مثلا التى يقول الله فيها (وانه هو رب الشعرى) اكثر ضوءا من الشمس ستا وعشرين مرة ، وأعظم منها كتلة ، ولولا أنها تبعد عنا بنحو خمسين بليون ميل لأحرقت الأرض وما عليها . كذلك أثبت الرصد أن فى السماء اقمارا الى قمرنا ، وان اقتصر ثبوت ذلك اليوم على المجموعة الشمسية : فللمريخ قمران صغيران ، وللمشترى تسعة أقمار منها أربعة كبار ، ولزحل تسعة أقمار منها واحد صغير ، وليورانوس أربعة أقمار كبار ، ولنبتيون قمر صغير ، ولا قمر لعطارد ولا للزهرة ، ولم يعرف لبلوتو — أبعد السيارات عن الشمس — قمر . وبلوتو أبعد من الأرض عن الشمس أربعين مرة(١) .

هذا طريق . أما اذا كانت (ال) للعهد فيتحتم أن يرجع ضمير الجمع فى الآية الكريمة لا الى الشمس والقمر فقط وهما اثنان ، ولكن اليهما والى الليل والنهار معهما ، ويكون لكل من الليل والنهار اذن حركة فى فلك . والليل والنهار يتعاقبان على جو الأرض . ففلكهما اذن هو جو الأرض وغلافها الهوائى . وتعاقبهما فى كل مكان حيث يتبع الضوء الظلمة وتخلف الظلمة الضوء اذا انسلخ عن جو مكان ما ، هو حركة فعلية يدل على كيفيتها قوله تعالى فى الآية الخامسة من سورة الزمر (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) . وفى القاموس أن التكوير (لوث العمامة وادارتها) وفى الكشاف عند تفسير الآية (والتكوير اللف واللى . يقال كار العمامة على رأسه وكورها) .

وقد جاء الزمخشرى فيه بأوجه ، ليس منها الحركة ، مع أنها أساس اللف واللى ، لكن العلم اثبت حرفية معنى التكوير حين اثبت للأرض لفا ودورانا حول محورها أمام الشمس ، ينشأ عنها النهار والليل ، طبق الخواص التى أودعها الله فى الضوء ، فسبحان الذى بكلمة أو بكلمات قليلة فى كتابه يدل عباده على آية أو عدد من آياته فى الخلق ، كما دل بكلمة (يكور) على حركة الأرض حول محورها وحركة الضوء فى جوها . وعلى شكلها أيضا ، وكما دل بقوله سبحانه : (كل فى فلك يسبحون) فى موضعها من آية سورة الأنبياء على آيات متعددة له فى الخلق ، تعدد الاحتمالات اللغوية التى فى الآية الكريمة . فكل احتمال منها يدل على آية فى الخلق أو آيات كانت تجهلها البشرية كلها حين نزل القرآن .

---

(١) هذا وما قبله عن السير فرانك ديسون فى فصل (الفلك) من كتاب العلم اليوم وغدا .

الضمير هنا بين الفلاسفة والمفسرين

هذا من ناحية كون الضمير للجمع فى قوله تعالى (يسبحون) وان بقى للقول فيه بقية . أما كونه لجمع العاقل فقد ذهب المأخوذون بالفلسفة اليونانية الى أنه دليل كون الكواكب أحياء ناطقة كما قال ابن سينا فيما ذكر الفخر الرازى فى الجزء السادس من تفسيره . وهذا مثـــل للهوى يغلب حتى الفيلسوف ، فيسارع الى فهم ما يوافق هواه من الآى القرآنى من غير التدقيق الواجب عليه على اى حال . فلو انه دقق لوجد أن ضمير العاقل قد ورد فى القرآن الكريم على المجاز لما لا يمكن أن يكون فيه عقل ، وذلك فى قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شىء قدير) الآية (٤٥) من سورة النور .

واذن فضمير العاقل فى (يسبحون) ، كضمير العاقل فى (منهم) ، هو للدلالة على سر من أسرار الخلق وسنن الفطرة فى ما استعمل الضمير له ، يشبه فيه أهل العقل . فأما آية النور فقد صرح الله سبحانه بسر ضمير العاقل فيها فى قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وهى الآية (٣٨) من سورة الأنعام . السابقة على سورة النور فى تاريخ النزول وفى ترتيب المصحف معا . فالضمير فى آية النور كأنه تذكير بما سبق التصريح به والتنبيه اليه فى آية الأنعام . أما ضمير العاقل فى (يسبحون) فالمجاز فيه أوضح وأظهر حتى من المجاز فى ضمير آية النور ، لأنه فى آية الأنبياء راجع الى مالا حياة فيه قط ، من ليل ونهار وشمس وصفها الله فى آية أخرى بأنها سراج وهاج ، وقمر يستمد نوره من الشمس .

وقد علل الفخر الرازى ضمير العاقل فى (يسبحون) بقوله ردا على ابن سينا (انما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة) وهو تعليل قاله الفراء من قبل فيما ذكر أبو حيان فى تفسيره . لكن السباحة ليست خاصة بالانسان ، فدواب البحر امهر منه فيها ، بل وبعض حيوان البر . فـــكان ينبغى لمثل الفخر ان يتوقف ويفوض الى الله ما دام لم يجد تعليلا يليق بجلال القرآن .

والتعليل فى مثل هذا ينبغى ان يتطلب فى القرآن نفسه . والدليل اليه هو قوله تعالى (قالتا اتينا طائعين) فى الآية (١١) من سورة فصلت : (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين) .. وطاعة الله هى التى من شأن العقلاء . فنزول السماء والأرض على أمر الله طوعا لا كرها ، اشارة الى تمام نفوذ سنن الله فيهما ، هو العلة التى تليق بجلال الآى القرآنى فى ذكرها بضمير العاقل فى آية فصلت ، وذكر ما لهما من ظواهر واجرام فى آية الأنبياء ، وسورتا فصلت والأنبياء مكيتان كلتاهما ، لكن فصلت سابقة على الأنبياء فى تاريخ النزول ، نزول الوحى بهما ، فكأن ضمير العاقل فى آية الأنبياء جاء ليذكر بأخيه فى آية فصلت الذى جاء ومعه تعليله الصريح ، كالذى كان من تذكير الضمير فى آية النور بالحكمة المصرح بها فى آية الأنعام .

للبحث بقية .

ذو النورين

عثمان بن عفان رضي الله عنه

كيف تولى الخلافة

للأستاذ: محب الدين الخطيب

فى حديث عمرو بن ميمون من صحيح البخارى (رقم ٣٧٠٠) انه لما طعن أمير المؤمنين عمر قال له النـــاس : أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف ، قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض : فسمى عليا وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وقال ــ يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء ــ كهيئة التعزية له ــ فان أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك ، والا فليستعن به ايكم ما أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، زاد المدائنى ، وما أظن أن يلى هذا الأمر الا على أو عثمان ، فان ولى عثمان فرجل فيه لين ، وان ولى على فستختلف عليه الناس ، ثم ذكر وصيته للخليفة من بعده ، وآخرها : وصيته بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، ووصيته باهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وان لا يكلفوا الا طاقتهم)) .

قال عمرو بن ميمون ــ فلما قبض (رضوان الله وسلامه عليه) خرجنا به ، فانطلقنا نمشى (فلما بلغ موكب الجنازة منزل عائشة) سلم عبد الله بن عمر وقال : يستأذن عمر بن الخطاب قالت عائشة : ادخلوه فادخل ، فوضع هناك مع صاحبيه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضوان الله عليه) . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط . فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى الى على ، وقال طلحة : قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن ابن عوف .

فقال عبد الرحمن بن عوف (يخاطب عثمان وعليا) أيكما تبرأ من هـذا الأمر فنجعله اليه (أي نجعل اليه اختيار الخليفة) والله عليه والاسلام لينظرن افضلهم فى نفسه ، فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن ـ افتجعلونه الى ؟ (أى أنه يتبرأ من ان يكون هو الخليفة ، ويقوم باختيار من يتولاها) والله على أن لا آلو عن أفضلكم . قالا : (أى قال عثمان عن نفسه وعن طلحة ، وقال على عن نفسه وعن الزبير) نعم (أى وافقا وصاحباهمـا على أن يتولى الاختيار عبد الرحمن بن عوف بعد أن تنازل عن اى حق له فى الولاية) . فأخذ عبد الرحمن بيد أحدهما (وهو على) فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الاسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ثم خلا بالآخر (وهو عثمان) فقال مثل ذلك . زاد المدائنى أن سعد بن أبى وقاص اشار عليه بعثمان ، وأن عبد الرحمن دار تلك الليالى كلها على الصحابة ، ومن وافى المدينة من أشراف الناس ، لا يخلو برجل الا أمره بعثمان . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه ، فبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه » .

هذه وثيقة تاريخية عن شـاهد عيان وهو عمرو بن ميمون حفظها لنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه ، عن أشياخه وهم من خيرة الرواة وأصدقهم ، وليس فى أخبار التاريخ خبر يضارع هذا الخبر فى صحته وصدقه .

خطبة عثمان بعد ولايته

روى الطبرى فى تاريخه عن سيف عن بدر بن الخليل عثمان عن عمه قال : لما بايع أهـل الشورى عثمان ، خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال :

« انكم فى دار قلعة ، وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم ، صبحتم أو مسيتم » .

« ألا وان الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » .

« اعتبروا بمن مضى ، ولا تغفلوا ، فانه لا يغفل عنكم » .

« أين أبناء الدنيا واخوانها الذين أثاروها ، وعمروها ، ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ » .

« ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لها مثلا ، والذى هو خير ، فقال عز وجل (٤٥ الكهف) : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا .

فلما انتهى الخليفة الثالث من خطبته ، اقبل الناس يبايعونه البيعة العامة بعد بيعة أهـل الشورى الذين اختارهم عمر الفاروق من صفوة الصحابة الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض .

وقفة بين يدى خطبة الخلافة

كأنى بالخليفة الراشد عثمان عندما تمت له البيعة فى المسجد النبوى ، وقام يخطو نحو منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناجي الأمة فيما ينبغى لها وهى تستقبل عهدا جديدا ، انه كان يتمثل حال الاسلام وأهله فى زمن حامل رسالته صلى الله عليه وسلم وصاحبيه الكريمين ، وأنهم كانوا فى الجيل المثالى الذى لم تر الانسانية نظيرا له فى جميع الدهور قبله ، ويخشى أن لا يأتى نظير له فى الدهور المنتظرة بعده ، فنظر بنور الله نظرة ثاقبة الى ما يتوقعه بعد الفتوح الواسعة التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلوات الله عليه ما كان يخشى الفقر على أمته فى المستقبل القريب ، وانما كان يخشى عليهم اتساع الدنيا بين أيديهم ، وانشغالهم بها عما كان فيه الناس الى يوم الناس هذا ، من ايثار الآخرة على كل ما يخالف طريقها ، فكان عثمان وهو يرقى درجات المنبر النبوى يعالج فى ذهنه هذا المعنى العظيم ، الذى أراد أن يلفت اليه أنظار اخوانه الذين ولاه الله أمرهم ، وكان يرى أنه خير ما ينصح به لأمته ويناجيها به ، فضرب لهم من كتاب الله مثل الدنيا والآخرة ، وأن زينة الدنيا قصيرة زائلة كالنبات ينمو بماء السماء حقبة قصيرة ، ثم يعود هشيما تذروه الرياح ، وخير من هذه الزينة القصيرة الأمد الزائلة سريعا ، أن نتعاون جميعا على ايثار الأعمال الصالحة الباقية ، كالذى كنا عليه فى العهد النبوى وامتداده فى خلافتى الصديق والفاروق رضوان الله عليهما .

هذا ما نصح به الخليفة الجديد للأمة التى ولاه الله أمرها ، وقد بقى عثمان كما كان أسبق الناس الى السخاء بماله فى مرضاة الله للخاصة والعامة ، وما تعارضت مصلحة الدنيا ومصلحة الآخرة فى مدة خلافته الا كان مؤثرا مصلحة الآخرة على مصلحة الدنيا الى أن نال سعادة الشهادة ، رحمة الله ورضوانه وسلامه عليه فى الأولين والآخرين .

موقف عثمان من عبيد الله بن عمر فى حادث مقتل الهرمزان

روى الطبرى فى تاريخه (٥ — ٤٢) عن التابعى الجليل سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال عند وقوع شهادة أمير المؤمنين عمر : « مررت على أبى لؤلؤة عشى أمس ومعه جفينة النصرانى من أهل الحيرة والهرمزان ، وهم يتناجون فلما فاجأتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فانظروا بأى شىء قتل عمر ؟ وخرج فى طلب القاتل رجل من بنى تميم ، فرجع اليهم التميمى — وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه ، وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر ، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فانتظر حتى مات أبوه ، فاشتمل على السيف وأتى الهرمزان فقتله » .

فلما تولى عثمان بعد البيعة له كان فى أوائل ما اهتم به مقتل الهرمزان بسيف عبيد الله ابن عمر ، وعند الطبرى فى ذلك روايتان : (احداهما — فى ٥ — ١٣ — ١٤) أن عثمان عرض على القماذبان بن الهرمزان أن يثأر لأبيه من قاتله وهو عبيد الله فاعلن أنه تركه لله وللمسلمين .

والرواية الثانية (فى ٥ — ٤١) أن عثمان جلس فى جانب المسجد ، ودعا عبيد الله وكان محبوسا فى دار سعد بن أبى وقاص — وهو الذى نزع السيف من يد عبيد الله — فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار ، أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق ، فقال على : أرى أن تقتله ، وقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، ان الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث (أى مقتل الهرمزان) كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالى .

موقف عثمان من أبي ذر الغفاري
واقامتـــه في الربـــذة

سنة الاسلام في اقتناء المال والتصرف فيه ما برحت قائمة — في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة خلفائه الراشدين ، وفي مذاهب الائمة المتبوعين — على اساس الاباحة لكل مسلم أن يقتني المال من حله ، بلا تحديد مقدار له ، ثم أن يضعه في مواضعه التي اباحها الاسلام لأهله ، وأن يخرج زكاته بالنظام الشرعي الذي استقر منذ بدء الاسلام ، وقد حث الاسلام كل مسلم على السخاء في الانفاق في سبيل الله وفي مرضاة الله ، وفي سعادة المجتمع .

ولا شك أن المال في نظام الاســـــلام وسيلة لسد حاجات الفرد والجماعة ، فهو في حكم الأمانة لله ، تحت يد من ساقه الله اليه ، يتصرف فيه بالمعروف ، ومن الخطأ اعتبار جمعه غاية مقصودة لذاتها ، فاذا تصرف فيه المسلم باعتدال ، متوخيا سد حاجاته الذاتية وحاجات ذوى قرباه ، واداء ما عليه من الحقوق الخاصة والعامة ، ولم يمسك يده عن البذل في مرضاة الله ، فان الاسلام لا يمنعه من أن يكون في أمانته ، وتحت تصرفه أي مقدار من المال ، من غيــر تحــديــد .

هكذا عاش أغنياء الصحابة وفي طليعتهم أمير المؤمنين عثمان ، وأخوه عبد الرحمن بن عوف ، وقبلهما الصديق الاعظم ابو بكر ، وسائر تجار الصحابة من اصحاب الالوف الى اصحاب الملايين ، وهكذا عاش الأغنياء بعدهم من ائمة الدين كالليث بن سعد واضرابه ، وعبد اللــه بن المبارك واضرابه ، وهم في ذلك من صالحي المؤمنين ، حتى لقد جرت المناظرات ، وقدمت فيها الادلــة والبراهين ، في أي المسلمين أحب واقرب الى الله واكثر مثوبة عنده — الغني الشاكـــر ، أم الفقيـــر الصابر .

على هذا مضى المسلمون في صدر الاسلام الى أن كان زمن خلافة أمير المؤمنين عثمان فخالف هؤلاء جميعا صاحب رسول الله صلى اله عليه وسلم أبو ذر الغفاري فرأى أن المسلم لا يجوز له أن يبيت وعنده دينار واحد زائد عن قوت يومه ، وكان يرى اقتناء المسلم لأكثر من حاجته اليومية يجعله من الذين قال الله فيهم في الآية (٣٤) من سورة التوبة (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) .

ان أبا ذر كان صادق اللهجة في كل ما يقوله بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له ، ولكن مذهبه في اقتناء المال ، ولو كان من حله ، لا يوافق ما قام عليه نظام الاسلام في المال ، ولو عمل المسلمون كلهم بمذهب أبي ذر لكان معنى ذلك إبطال فريضة الزكاة ، ولتعطل كثير من مصالح الدولة والملة ، ولأقفلت أبواب المعونة العامة ، والخير الشامل ، وأن جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما عالمهم عبد الله بن عمر بن الخطاب كانوا يعلنون أن « ما اديت زكاتــه فليس بكنز » .

أبو ذر وابن سبأ

نقل الطبري (٥ — ٦٦) واكثر المصادر الاسلامية أن اليهودي ابن السوداء عبد الله بن سبأ ورد الشام فلقي أبا ذر فقال له : يا أبا ذر ، الا تعجب الى معاوية يقول « المال مال الله ، الا إن كل شيء لله » كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ، فاتى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك الى أن تسمي مال المسلمين« مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا

(البقية ص ٤٦)

طفولة .. ونبوة

على اذرع الضـــــوء .. فى قلب مـــكة .. كان ينام الصغير اليتيم
يداه على صـــــدره .. هائم بعينيه خلف الفضـــــاء العظيـــــم
صـــــديق لكل شعاع يطل .. صـــــديق لكل ســـحاب يهيـــــم
عميق التامل .. فذ البراءة .. طفـــل .. نبى .. وسيم .. قسيـــم
على شفتيه استراح الخلـــود .. والقى مراســـيه من قـــديم

× × ×

وتاتى المراضـــع .. من كـــل صوب .. ويمضين عنه الى من سواه
يتيم ؟ وماذا وراء اليتيم ؟ ســـؤال يعـــذب قلب الحيـــاة
وتمضى به مرضـــع .. لوحت لهـــا فى ابتهـــال برىء يداه
وكالضوء .. والعطر .. كان الصغير .. وكانت خطاه .. وكانت رؤاه
على كـــل واد له وقفـــة .. وفكر .. ونجوى .. والف صـــلاة

× × ×

وحين أتم الـــرضاع .. وعاد الى أمه من رحيـــل الرضـــاع
أصاخ الى ألف ذكرى .. وذكرى .. تحـــدثه عن أبيه الشجـــاع
(لقد كان حـــرا .. وكان جميـــلا .. وكان صديقا لكل الجيـــاع)

للأستاذ: محمد أحمد العزب

ويرجو الفتى أمه أن تزور به قبـــره .. ليقـــول : الـــوداع
فيرتحـــلان الى يثرب .. شمـــاعا يفـــرد خلف شمـــاع

x x x

وترجع قافلة الزائرين .. بجرحين .. جـــرح الأسى والغيـــاب ..
وتمضى .. وبعض الـــردى خلفهـــا .. يمزق صحو الربى والشعاب
وآمنة الخير .. تخبو .. وتكتم عن طفلهـــا كل هذا العـــذاب
ويصفر ضوء النهار حـــزينا .. ويعـــدو وراء الضباب ضبـــاب
وتشهق أم الصغير .. وتمضى الى رحلـــة الصـــمت تحت التراب

x x x

تراب من البــــدء والمنتهى تراب فأين يـــكون الخـــلود ؟
وتملأ قلب الصـــغير الدمـــوع .. ويركض فى مقلتيـــه الشرود
ويمضى .. على مهل .. واجمـــا .. يحلق خلف حـــدود الحـــدود
ويمضى يحلق .. حتى يطيـــر الى أبد غارق فى السجـــود
يدوى بصوت جليل .. جليل .. تباركت يا رب هـــذا الوجـــود

السمات الأصيلة للحضارة الإنسانية في الإسلام

للأستاذ : فتحي الدريني
الأستاذ فى جامعة دمشق

ا ــ لعل ابرز سمة للحضارة الانسانية فى الاسلام هى تقريرها للقيمة الذاتية للانسان الفرد ، لأنه ــ فى نظرها وفى الواقع أيضا ــ هو الكائن الحى الحر المتحرك المفكر ، وذو الشخصية الذاتية العاملة والمسئولة ، ولكنه ــ مع ذلك ــ مرتبط بجماعته ارتباط تعاون فى دائرة البر والصالح العام .

ب ــ كان طبيعيا اذن ان تنطلق الحضارة الاسلامية ، فى الاصلاح الاجتماعى ، والاتجاه الانسانى من نقطة اصلاح **(الفرد)** فاتجهت الى ضميره اولا ، لتسمو به نحو الكمال ، وذلك عن طريق : (الايمان) بالله تبارك وتعالى ، ليصبح هذا (الضمير الدينى) مركز قيادته لنفسه ، وليملك القدرة ــ بعد ذلك ــ على قيادة غيره .

جـ ــ هذا ، ومن شأن هذا (الضمير الدينى) السامى اليقظ أن يقوى فيه **(الارادة الذاتية الخلاقة)** التى تقاوم هواه ونزعاته الانانية الفردية ، لتوجهها الى المشاركة الاجتماعية ، فكأن هذا الايمان ــ فى واقع الأمر ــ قوة دافعة للفرد لاستخدام ملكاته وطاقاته فى سبيل الخير ، واجتناب الشر ، بعد أن حررته العقيدة الصافية من الشعوذة والخرافة والكهانة والأوهام والأساطير ، ووضعت أمامه انموذجا مثاليا للحياة الصالحة بوسعه أن يحققه ، وقد فعل ، كما يشهد بذلك تاريخ فجر الاسلام ، فأصبح فردا ، اجتماعيا وانسانيا ، يتسم سلوكه (بالاستقامة) اذ يقوم بدوره الايجابى الحضارى الذى يبدو فى (العمل الصالح المثمر البناء) وفى (الجهاد) باستماتة فى سبيل ما يعتقد .

د ــ وسر انسانية (الحضارة) فى الاسلام ، أنها تتسم (بالواقعية) وتفتح الباب على مصراعيه لمن أراد أن يسمو الى (المثالية) .

أما واقعيتها فتبدو فى أنها اعتبرت الانسان (كلا) لا يتجزأ ، اذ اقرت

طبيعته (المادية والروحية) فنأت عن التطرف والغلو المادى بالقوة عينها التى حاربت بها ، « الروحية السلبية » التى تقضى بالانطواء على الذات ، والزهد فى الدنيا ، واحتقار الحياة ، فكانت بذلك حضارة الانسان المتكامل ، المتساوى الأبعاد ، المتوازن القوى والملكات واذا كان هذا سر انسانيتها فهو بالتالى سر خلودها .

د ـــ ونتيجة لذلك ، لم تحل بين الفرد والاستمتاع بالدنيا ، وما فيها من خيرات وثمرات ، بل حثته على الا ينسى نصيبه من الدنيا ، ولكنها ـــ فى الوقت عينه جذرته من ان يتخذ المال أو الجاه أو النفوذ وسيلة للعبث والفساد فى المجتمع ، قال تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقال مع ذلك : (ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

هـ ـــ تعمقت الحضارة فى الاسلام خصائص الانسان فوجدته مهيئا للخير والشر « وهديناه النجدين » « فألهمها فجورها وتقواها » فوجهته الى خصائصه الخيرة ، وزودته بالضمير الحى اليقظ القائم على خشية الله تعالى ، وقوت فيه (الارادة ـــ الخلقية) وهذا هو معنى « التزكية » فى قوله تعالى : « قد افلح من زكاها » وطلبت اليه أن يصون هذه الخصائص من الانحراف ، أو بالأحرى طلبت اليه أن يكون (انسانا) لا أن يكون ملكا ، أو أن ينحدر الى دركات الحيوان الأعجم ، فكانت بذلك حضارة انسانية واقعية خالدة لملازمتها لخصائص الوجود الانسانى نفسه .

و ـــ وتبلور اتجاهها الانسانى فى أنها لم تتخذ من العنصرية أو العرقية سندا لها ، لأن العنصرية عدوان على أصل الفطرة ، ووحدة المنشأ ، والله يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » ، وقال جل شأنه ، « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، ولكن ليس معنى الانسانية هنا أن الأمة التى اصطبغت بهذه الحضارة تذوب فى غيرها بل على معنى أن علاقات افرادها ، بعضهم تجاه بعض وعلاقاتها مع الأمم الأخرى وموقفها منها ، فى السلم والحرب ، وطريقة حياتها ، ووجهة نظرها فى الحياة ، تتسم بالطابع الانسانى ، ولا ريب أن الأمم متفاوتة فى هذه الخصائص ، وبذلك قضت على بواعث الاستعمار وأغراضه قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا » وقال جل شأنه « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

ز ـــ ومن هنا جعلت « الكرامة الانسانية » حقا انسانيا مشتركا اقتضته الجبلة الآدمية (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

حـ ـــ غير أنها لم تقرر حق الكرامة الانسانية هذا فى حيز النظر فحسب ، بل شرعت من المبادىء ما يكفل تحقيق هذه الكرامة فى حيز العمل ، فأرست مبدأ (العدل المطلق) حتى بين الأعداء ، ليكون العدل حقا انسانيا مشتركا كذلك وليكون أساس التعامل والقضاء والحكم ، قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » وقال تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ط ـــ كما أرست مبدأ « المساواة » فى الحقوق والواجبات وفى (جعل الاعتبار الانسانى ، وكان هذا ركنا من أركان السياسة الخارجية ، وقد تبدى

تطبيق هذا المبدا في اروع صورة لم تعرفها الانسانية في تاريخها الطويل ، تلك هي صورة المساواة المطلقة في الاتجاه الى الله سبحانه في جبل (عرفات) وهم يؤدون مناسك الحج ، شعثا غبرا ، وفي لباس بسيط موحد ، يستوى فيه الغني والفقير ، والكبير والصغير ، وذو الجاه والمغمور ، ذلك مثل أعلى للمساواة لم تظفر الانسانية بتحقيقه الا بعد أن جاءت حضارة الاسلام .

ى — تدخلت في جميع شئون الفرد والمجتمع فأيقظت في الأول وعيه لذاته ، من حيث هو كائن حي حر مستقل مسئول كما أيقظت فيه وعيه لمجتمعه : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

واقرت للمجتمع صالحه العام ، واقامت منه رقيبا على تصرفات الفرد حتى لا يعبث بالسفينة على مصلحة المجتمع الجوهرية ، وهذه الرقابة هي ما يطلق عليها اليوم « بالراى العام » الذى يستلزم « المسئولية الجماعية » وهما اللذان يقررهما قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقوله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

ك — عملت على استقرار المجتمع وامنه عن طريق اقامة « التوازن » ورأت تحقيق ذلك التوازن في العدالة الاجتماعية ، لا في طغيان راس المال : فعمدت الى توجيه غريزة « التملك » حتى لا تكون الملكية — كسبا وانتفاعا — معقلا للانانية الفردية ، وحتى لا تتحول الى جشع واستغلال يقضى على مالها من « وظيفة اجتماعية » .

ل — كما رأت تحقيق ذلك « التوازن » في التعاون المثمر بين الفرد والفرد وبين الفرد والمجتمع ، وبالعكس ، وبين هؤلاء والدولة ، في سبيل الخير العام والصالح المشترك ، وبذلك حالت دون جنوح الفرد الى الاستجابة لدواعي انانيته الفردية المسرفة ، أو غرائزه العمياء ، فيبقى في طفولته البشرية ، هذا من جهة .

م — ومن جهة أخرى حملت الدولة على أن تضع نصب عينيها (مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع) اقرارا منها بمسكونات الواقع ، وارست من القواعد المحكمة ما يزيل التعارض بينهما على وجه يتفق ومقتضيات العدالة ، وقررت القاعدة المحكمة التي تحتكم في تصرفات الرئاسة العليا في الدولة واعوانها ، التي تقضى بأن تصرف (الامام على الرعية منوط بالمصلحة) ثم عمدت في سبيل تحقيق (التوازن) الى ازالة العقبات التي تعترض سبيله ، من الثروة أو الجاه أو العصبية ، فلم تجعل أيا من هذه عنصرا في تقييم الانسانية ، بل ناطت تقييمها بالعمل الصالح البناء « الذى يصدر عن (الذات) قال تعالى : (ولكل درجات مما عملوا) .

ن — ثم اتجهت اتجاها عالميا ، فضلا عن اتجاهها الانساني ، وتبدو عالميتها في استيعابها لكل ما سبقها من حضارات لم تفرق في ذلك بين شرقية وغربية ، ما دام ذلك لا يمس عقيدتها ، ولا يناقض أهدافها ، (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها) ولكنها — مع ذلك — لم تضمحل أمام هذه الحضارات ، بل على العكس هضمتها ، لتنتج لنا حضارة انسانية ذات طابع خاص متميز ، لم يعرف التاريخ الانساني له مثيلا في السمو والعمق والسعة والشمول ، ومما لا ريب فيه أن الحضارة لا تقوى على الحياة اذا لم تكن حية تعطى وتأخذ ، وتؤثر وتتأثر ، ولكن في حدود معالمها الأصيلة وبذلك كانت ذات اسهام واضح في كل نواحي الفكر والحياة .

المرأة وعمل التكسب في الخارج

ليست قضية المرأة بالتى يقضى فيها بالنظر العابر ، أو الخطرة الطارئة ، فانما هى قضية الطبيعة ، وقضية الكون الروحى ، ومكان الانسان منهما .. ولا يستقيم لنا الرأى السليم فى أمر من أمور الانسان أو غيره الا اذا رجعنا فيه الى أصالة نواميسه وحكمة خلقه ..

وقد أقسم الله تعالى بما « خلق الذكر والانثى » .. وهو تعالى أقدس وأحكم من أن يريد بقسمه مجرد ظاهر الانوثة والذكورة ، او انه مهد السبيل للذة ما ، بين جنسين من خلقه .. انما يريد التنبيه الى شأنه تعالى في الحكمة ونظام الخلق ، فانه اذا خلق كائنا ما ، خلقه على وفق نواميس خاصة به غاية فى الدقة ، تحقق وظائف وثمارا هى فى مستوى دقة نواميسها .. فيكون الكائن بهذا آية افتكار ، واعتبار ، واستدلال ، تثير في القلب أقصى طاقات الاعجاب ، وتستنزل العقل على حكم الاذعان للصانع جل شأنه ، وينفتح للب بذلك من معارف صفاته تعالى ما هو لباب العبرة والعلم . فاذا كان الله تعالى أخفى عنا حكمة خلق العالم ، فان ثمة حكمة تبدو للاذهان ، هى أن غايتها بالنسبة لنا معرفة الله تعالى بما هى حافلة به من دقائق العبر ، وعجائب النواميس ، فاذا كانت نواميس الكائنات تقيم لكل كائن نظام وجوده ، وتؤدى له من الوظائف ما فيه مصلحته الخاصة ، فان أقدس منفعة لها هى دورها الذى تؤديه فى الدلالة على الله .. ويمتاز الانسان من الكائنات بمقدرته الخاصة على فهم تلك الدلالات فى نفسه وفى كل كائن .. فهو ككل كائن آية تحمل من آثار صفات الله ما هو لباب العبرة والعلم ، ولكنه ينفرد من غيره بمواهبه التى تقرأ له او تستخلص رحيق المعرفة فى كل آية ، ولذا كان هو رأس كائنات هذه الارض المنفرد من بينها بخطاب الوحى ورسالة السماء .

على ضوء هذه الحقيقة ندرك أن قسم الله بما خلق الذكر والانثى يتضمن تقرير نواميس الذكورة والانوثة ، وما تؤدى من وظائف وغايات روحية وحسية ، ويرشد الى ما تنفرد به تلك النواميس والوظائف من دلالتها على الخالق ، وهى حكمة وجودها ، وبها استحقت أن يقسم بها الله ، فان النواميس والوظائف ليست معظمة لذاتها ، بل لما تتضمن من الاثار الدالة عليه تعالى .

وبما أن نواميس الكائنات وخصائصها ليست مرادة لذاتها ، بل لدلالتها على الله ، فان ما انفرد به الإنســـان من مواهب فهم تلك الدلالات ليس مرادا لذاته ، بل لمـــا يحصل بها من صدق المعرفة .. ومعرفة الله على حق ، هى داعية عبادته تعالى على حق ، واذن ، فوجود الانسان كله — روحه وحسه — ليس مرادا لذاته ، بل لمعرفة الله وعبادته التى هى ثمرة المعرفة واليه الاشارة بقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

على هذا الفهم لحقيقة الانسان ، وحكمة وجوده ، وصلته بعالم الروح ، ومكانه بين كائنات الطبيعة ، يجب أن نعالج قضية عمل المرأة وكل قضية أخرى لها .. فاننا بذلك نلتزم النهج الحق .. وكل نهج سواه لا يفضى الا الى الخطأ .

(٢)

واذا كان الامر مرجعه الى نواميس تتكون منها حقيقة المرأة والرجل فاجراء كل منهما على نواميسه هو المنطق الذى تقتضيه فطرته .. ويحقق ثمرته الخاصة الروحية والحسية ، ويحقق الحكمة العامة من وجوده : معرفة الله وعبادته .. ويكون كل منهما على أتم قدرته وصـــلاحيته لمـــا خلق له ، ويكون من تحصيل الحاصل أن نقول : ان المرأة صالحة للحمل والولادة ، والارضاع ، والحضانة ، ولتحقيق ثمار الزوجية والامومة ، وسائر عمل الاسرة والبيت .. ويكون من هذا القبيل أيضا أن يقال : ان الرجل صالح لأعمال التكسب فى الخارج ونحوها .

وانما يكون عجزها أو عجزه ، اذا اراد احدهما ، أو اريد له ان يقوم مقام الآخر ، فان معناه انه يراد لناموس ما أن يؤدى عمل ناموس آخـــر ، كأن يراد لقانون الجاذبية أن يؤدى مهمة قانون التكاثف ، أو أن يراد لقانون الأجســـام الطافية أن يؤدى عمل المغناطيس ، وهو محال ، لانحصار كل فى خصـــائص معينة ، وعجزه أن يخرج عنها أو يضيف اليها أخرى «ولن تجد لسنة الله تحويلا»

ولذا فليس من نواميس الذكورة أن تعمل عمل المرأة ، وليس من نواميس الأنوثة أن تؤدى مهمة الرجل وهذا معنى ما أسلفنا من أن الاسلام يعتبر صفـــة الأنوثة من صفات العجز عن التكسب أى أن « مجرد الأنوثة عجز » فان الاسلام قد نظر الى محض السنن ، وعجز كل منها أن يحقق عمل غيره فقانونا الزوجية والأمومة ، قانونان روحيان ، لهما قدرتهما على تحقيق أقدس قيم الحيـــاة ، ولكنهما سنة عجز اذا أريد التكسب .

والثدى الذى يلتقم الطفل ، والرحم الذى يجن الجنين فى قـــراره المكين ، يعملان لصميم الحياة ، ولكنهما فى ميدان التكسب سلبيان ، والسلبية عجز .

وقد وهبت من الحنان ، وذكاء العاطفة ، ورهافة الحس ما هو ضرورى لتحقيق ظروف العمل لقانونى الزوجية والأمومة .. ولتمهيد نفس الطفل والزوج لتلقى ثمار هذين القانونين .. وتأهيل نفسها لاحتمال المشقة والتضحية ، حتى يكون من عبقريتها الا تفرق بين الألم واللذة فيما تعانى من رعاية الولد ، ولترى المرأة — اى بذكاء العاطفة ورهافة الحس — جانب البأس فى الرجل فتذوق منه طعما يملأ وجدانها بالاعجاب والرضا .. وذلك لب قانون « القوامية » (١) ونبع احساسها واقرار نفسها به ..

---

(١) نقصد بالقوامية المعنى الذى يتضمنه قول الله تعالى « الرجال قوامون على النساء » .

ويقابل ذلك من الرجل انه يجد به معنى يرتاح اليه لا يجده في صراعه مع الحياة .. معنى التسليم ببأسه والرضا بامتيازه ، وهو طعم يرضى طموحه ويؤكد ثقته بنفسه ويجند عناصر القوة والعزيمة فيه .. وهو من عوامل السكن الذى قرره القرآن ولذلك كله — قطعا — من الثمار والآثار ما تطهر به النفوس ، وتوثق روابط الأسرة ، ويتقدس المجتمع ، فهو لون من العبقرية يجدى على الحياة مالا تجدى عبقرية أخرى .. ولكنا اذا أردناه للتكسب كان هو العجز بعينه ..

وقد أوتيت حظا من العقل على قدر ما تفهم به نفسها ، وواجبها ، ومكانها من الحياة ، وما تثمر لها ، وما تحصل من آيات معرفة الله ، وما تسوس به وظائفها ، وما يلابسها من صلات وعلاقات ، وهو حظ ليس بالقليل ، لأن تلك المهام ليست بالهينة ، ولكنها لا تذهب فيه الى مدى عبقرية الرجل لأن الطبيعة فى توزيع المواهب والمزايا على الكائنات كافة ، ترعى الاختصاص ولا تمنح منها الا القدر الذى يتحقق به المراد ، فذكاء العاطفة لديها ليس بحاجة الى عبقرية العقل لكى تدرك مثلا جانب البأس فى الرجل فيتحقق السكن وقانون القوامية .. كما ان قوة الذهن لدى الرجل ليست بحاجة الى « عبقرية العاطفة » لاختراع فلسفة أو جهاز او تفطن لمكيدة ، او راى يصرع به شمل عدوه .

فثمة حظ مشترك بين الرجل والمراة فى لين العاطفة ، ولكنه لا يذهب فيه الى مداها وقد اوتى هذا الحظ بالقدر والكيفية التى تجعله مأنوسا فى معاملته . ويقابله حظ آخر مشترك بينهما فى العقل ، ولكنها لا تذهب فيه الى مدى الرجل ، وقد اوتيت هذا الحظ — كما اسلفنا — بالقدر والكيفية التى تفهم بها نفسها وواجبها ، وتحقق ثمار وظائفها الحسية والروحية .

فاذا قيل : ان الرجل يستطيع أن يستعمل حظه من العاطفة فى تحقيق السكن وقانون القوامية .. أو ان المراة تستطيع أن تستعمل حظها من العقل كما يستعمله الرجل فى أعمال التكسب بالخارج فهو خطأ محض ، لأنه لم ينظر الى « اطار المواهب » التى تلابس ذلك القدر من العاطفة لدى الرجل ، ويتحدد له مهمته بينها ، ولا الى « اطار المواهب » التى تلابس ذلك القدر من العقل لدى المراة وتحدد له مهمته بينها .. ومواهب الانسان انما تعمل بجمعها متآزرة متعاونة على غايتها فى اطارها العام ، فاذا حاولنا سلخ احداها من تماسكها وتناسقها أى صرفها عن غايتها الى مهمة أخرى ، كان فى ذلك من تشويش نواميس الانسان ما هو الفساد عينه وكان فيه من سوء التدبير ابتغاء المصلحة من غير قانونها .. وكان فيه من الاستحالة توجيه قانون الى غير مهمته .. وهى ضروب من العجز ، لا ضرب واحد يتعدى خطرها الى افساد ما هو اعم ، ولا يقتصر على السلبية فى عدم تحقيق المنفعة .. وحينئذ تكون الذكورة صفة من صفات العجز اذا نظرنا الى جدواها فى عمل الانوثة ، والأنوثة صفة من صفات العجز اذا نظرنا الى جدواها فى ميدان التكسب .. وهو المعنى الذى لحظه الاسلام حين قرر من عجز الأنوثة ما قرر .

(٣)

على أن ثمة عوارض طبيعية تشترك مع منطق النواميس فى تقرير عجز المراة عن عمل التكسب فى الخارج .. تلك هى العادة الشهرية — الحيض — والحمل تسعة أشهر .. والولادة والنفاس ونرى أن نضيف الى ما نعرف ويعرف الناس كافة من حكم الواقع فى ذلك — حكم الطب الذى يقرر — على علم — مختلف الآثار النفسية ، والعقلية ، والبدنية التى تحدثها تلك العوامل فى كيان « المراة

العام » وننقل فى ذلك بعض ما أثبته السيد العلامة أبو الاعلى المودودى فى كتابه « الحجاب » قال « قد أثبتت بحوث العلم وتحقيقاتــه أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء من الصورة والسمت .. والاعضاء الخارجية .. الى ذرات الجسم والجواهر الهيولينيه (البروتينية) لخلاياه النسيجية .. ومع بلوغها سن الشباب يعروها المحيض الذى تتأثر به افعال كل أعضائها وجوارحها ، وتدل مشاهدات أساطين علمى الاحياء والتشــريح على ان المراة تطرأ عليها فى مدة حيضـــها التغييرات الآتية :

١ — تقل فى جسمها قوة امساك الحرارة ، فتنخفض حرارتها .
٢ — يبطؤ النبض ، وينقص ضغط الدم ، ويقل عدد خلاياه .
٣ — وتصاب الغدد الصماء ، واللوزتان ، والغدد اللمفاوية بالتغيير .
٤ — ويختل الهضم ، وتضعف قوة التنفس .
٥ — يتبلد الحس ، وتتكاسل الاعضاء ، وتتخلف الفطنـــة ، وقوة تركيز الفكر .

وكل هذه التغييرات تدنى المراة الصحيحة الى حالة المرض ادناء يستحيل معه التمييز بين صحتها ومرضها .

ويكتب الطبيب « أميل نووك » الذى هو محقق كبير فى هــذا الفرع من العلم « ان ما يعهد فى الحوائض عامة من الامراض هو الصـــداع ، والتعب ، ووجع العظم ، وضعف الاعصاب .. وتخلف المزاج .. واضطراب المثانة .. وسوء الهضم والغثيان فى بعض الحالات » .

وقد أورد اقوالا لبعض الاطباء والعلماء فى تأييد ما تقدم وتقرير أثره فى قدرتها على العمل الى أن يقول عن الحمل :

« واشد على المراة من مدة الحيض زمان الحمل ، فيكتب الطبيب ريبريف ، لا تستطيع قوى المرأة ابان حملها أن تتحمل من مشقة الجهد البدنى والعقلى ، ما تتحمله فى عامة الاحوال .. وان عوارض الحامل ان عرضت لرجل أو امراة غير حامل لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك ففى هذه المدة يبقى مجموعها العصبى مختلا على أشهر متعددة ، ويضطرب فيها الاتزان الذهنى وتعود جميع عناصرها الروحية فى حالة فوضى دائمة » .

وقد أورد أقوالا لبعض الاخصائيين فى تأييد ذلك وتقرير أثره فى قدرتها على العمل ثم قال عن النفاس : (أما عقب وضع الحمل فتكون المراة عرضـــة لأمراض متعددة ، اذ تكون جروح نفاسها مستعدة أبدا للتسمم ، وتصبح أعضاؤها الجنسية فى حركة لتقلصها الى حالتها الطبيعية قبل الحمل ، مما يختل به نظام جسمها كله ويستغرق بضعة أسابيع فى عودته الى نصابه .. وبذلك تبقى المرأة مريضة ، أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل ، وتعود قوة عملهـــا نصف ما تكون فى عامة الاحوال ، أو اقل منه) (١) .

ذلك قول العلم والطب فى أثر عوامل الحيض ، والحمل والولادة والنفاس فى قوى المرأة الذهنيـــة والنفسية والبدنية ولا جدال فى أنهـــا آثار تسهم فى تصديق ما يقرر الاسلام من معنى عجز الانوثة عن التكسب .

فعجز المرأة مقدور لها بثلاثة عوامل :

الاول : ان خصائص الانوثة ومواهبها — كقانون الزوجية ، والامومة ، وذكاء العاطفة ، ليست أسبابا للتكسب .

---

(١) صفحات : ٢٢٧ — ٢٢٨ — ٢٢٩ — ٢٣٣ — ٢٣٥ — من كتاب « الحجــاب » للسيد المودودى .

الثانى : ان حظها من العقل الذى لم تبلغ فيه مدى الرجل ، فصل على قدر ما تفهم به نفسها وواجبها ، ومكان وظائفها من الحياة ، وتدبير أفضل الظروف لتلك الوظائف .

والعامل الثالث : ما يطرأ على قواها البدنية ، والنفسية ، والفكرية من ضعف بسبب عوارض الحيض والحمل والولادة على ما بينا .

وقد أصدق الواقع هذه الحقائق عمليا ، فما من عمل زاولته المرأة من غير وظائفها الاصلية فى البيت أو خارجه ـ الا وكان الرجل متفوقا عليها فيه ، ومما ذكره الاستاذ العقاد فى ذلك « ان المرأة تشتغل باعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاما قبل فجر التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها فى مساكن الاسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه .. ولكنها بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذى يتفرغ لها بضع سنوات ، وصناعة التطريز وعمل الملابس من صناعات النساء القديمة فى البيوت ، ولكنها تعول على الرجال فى أزيائها ولا تعول على نفسها ، ولا تفضل معاهد « التفصيل » التى يتولاها بنات جنسها (١) » . وذكر عقب ذلك أمثلة لصناعات وأمور عرفت بها النساء قديما ، فتفوق فيها الرجال عليهن فيها على حداثة اشتغالهم لها ..

وقد حدثنى اثنان من الاطباء أحدهما عميد احدى كليات الطب عندنا فى مصر ان المرأة تفضل الاطباء من الرجال لعلاج نفسها من الامراض النسوية وغيرها ، وقد كان المظنون أن ظهور العنصر النسوى فى عالم الطب فى بلادنا العربية الاسلامية الشرقية المحافظة سيتيح للاسر التى تتحرج من اطلاع الرجال على دخائل نسائها عيادات يتخلصون بها من هذا الحرج ولكن التجربة لم تحقق للمحافظين ولا غير المحافظين ، الاستغناء عن العيادات الاخرى فعادوا اليها .. ويقول الاستاذ محمد زكى عبد القادر الصحفى المفكر المعروف : « ان المرأة ستتجمد فى مجال الحكم عند عدد محدود من النساء البارزات ، كما تجمدت فى مجالات أخرى من مجالات العمل كالهندسة ، والطب ، والمحاماة ، والتجارة ، والزراعة ، فعلى رغم أن بلوغ مناصب العمل البارزة فى هذه المجالات لا يتطلب من الجهد ، والمقدرة ، والاستعداد ما يتطلبه بلوغ مقاعد الحكم ، فان تأثير المرأة فى هذه المجالات ظل محدودا ، ولا يبشر بتقدم كبير ، لأن طبيعتها تفرض عليها الاتجاه الى أعمال أخرى أقرب الى استعدادها وظروفها الخاصة المعروفة (٢) .

وبيانات ديوان الموظفين عندنا ـ أثناء وجوده ـ وشهادات المسؤولين فى المؤسسات والمصالح المختلفة الآن ، وهى شهادات وبيانات مدعمة بالارقام والامثلة الحاسمة تقرر بما لا حيلة فى دفعه نقص الكفاية الانتاجية واضطراب النتائج فيما تمارس من عمل ، وذلك هو الاثر الحتم لعجزها فى ميدان لم تؤهل له .

---

(١) كتاب المرأة فى القرآن : ٦ ، ٩ ، ١٠ للاستاذ عباس العقاد من فصل قيم أبطل فيه مساواة المرأة للرجل فى العبقرية فاجاد واقنع .

٢ ـ من احدى كلمات « نحو النور » التى تنشرها جريدة أخبار اليوم للاستاذ محمد زكى عبد القادر .

مناجاة

لا يستوي حق بغير حماة
يا سيدي يا رسول الله . . .

القول فيك ممطر الكلمات — يا صاحب الآيات والسورات

أيام مولدك الكريم مضيئة — فى كل ماض فى الزمان وآت

يوم أتى بك للوجود فانه — تاج الزمان وغرة السنوات

تتعاقب الأيام فى دوراتها — وترد كل جديدة لمنوات

وضياك ينصو (١) كل يوم نوره — ويزيد فى الاشراق والنفحات

فالحق أنت وأنت اشراق الهدى — ولك الكتاب الخالد الصفحات

ان شرق القوم الكبار وغربوا — فاليك حتما منتهى الخطوات

ضلت علومهم برغم نبوغهم — وتعرضوا لمهالك خطرات

وتنكبوا سبل السلام وأقبلوا — يتشدقون بأجوف الكلمات

لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا — ما غير دينك سلم لنجاة

علمتنا سر الحياة وقدتنا — للخير والتوفيق والبركات

جنبتنا الزلل الكبير وصنتنا — من شهوة تطغى ومن نزوات

من يقصد الدنيا بدونك يلقها — تيها من الأهوال والظلمات

**

---

(١) من نصا ينصو .. أى يمتد نوره .

للأستاذ: محمد التهامي

لما أراد الله جل جلاله / أن ينقذ الدنيا من العثرات

أهداك ربك للورى يا سيدى / فيضا من الأنوار والرحمات

يا صاحب الحق الكبير عرفته / وبسطته فى حكمة وأناة

وطلعت فى الليل البهيم مؤذنا / بالحق والانوار والصلوات

ودعوت للخيرات قوما ضللوا / ما كان أبعدهم عن الخيرات

ودعوت حتى كنت أصبر من دعا / واقمت بين اساءة واذاة

فصبرت ثم رحلت ثم ضربت فى / أعناقهم فى عزة وثبات

فحظيت بالنصر المبين مؤزرا / واقمت حقك خافق الرايات

وضربته مثلا لكل مكابر / لا يستوى حق بغير حماة

يا سيدى لما ذكرتك أشرقت / نفسى وهامت بالسعادة ذاتى

القاك فى الليل البهيم وفى الضحى / القاك فى صحوى وفى غفواتى

القاك فى الحق المجلجل فى دمى / فى زحمة الدنيا وفى خلواتى

القاك من حولى وبين جوانحى / فى بسمتى تاتى وفى عبراتى

فلأنت فى خيرى تزيد دعاته / ولأنت فى شرى ؟ تذود دعائى

ولأنت فى قلبى وملء نواظرى / وخواطرى ومشاعرى وحياتى

بحوث في فقه الزكاة : ((١))

الزكاة فى العمارات والمصانع

هل تجب ؟ وما نصابها ؟ وما مقدارها ؟ وكيف تزكى ؟ ومتى ؟

للأستاذ : ي . ق

الاول : وجوب الزكاة فى هذه الأشياء بين المضيقين والموسعين ..
الثانى : كيف تزكى هذه الأشياء ، وكم يكون الواجب ؟
الثالث : كيف يحسب النصاب فيها ؟

* * *

المبحث الأول

وجوب الزكاة بين المضيقين والموسعين ..

تعددت انواع المال النامي فى عصرنا تعددا واضحا ، فلم يعد مقصورا على الماشية والنقود وسلع التجارة والارض الزراعية .

فمن الأموال النامية فى عصرنا : العمارات التى تعد للكراء والاستغلال ؛ والمصانع التي تعد للانتاج ، والسيارات والطائرات والسفن التي تنقل الركاب والبضائع والأمتعة ، وغير ذلك من رؤوس الاموال الثابتة أو شبه الثابتة ؛ وبعبارة أدق : رؤوس الاموال المغلة النامية غير المتداولة التي تدر دخلا وفيرا على أصحابها ، فماذا تقول شريعة الاسلام وفقهاؤها فى زكاة هذه الأشياء ؟

ان الجواب عن هذا السؤال يختلف باختلاف وجهة المضيقين والموسعين فى ايجاب الزكاة .

وجهة المضيقين فى ايجاب الزكاة ..

أما الذين يميلون الى التضييق فى الأموال التى تجب فيها الزكاة فيقولون :

١ — ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — حدد الأموال التي تجب فيها الزكاة ، فلم يجعل منها ما يستغل او ما يكرى من العقارات والدواب والآلات

فى احدى المقالات القيمة التى تنشرها « الوعى الاسلامى » الغراء ، عن « الاقتصاد الاسلامى » للأستاذ الكبير الدكتور محمد عبـــد الله العربى ، تعرض لوجوب الزكاة فى العمارات المؤجرة والمصانع ونحوها ، كما تعرض لزكاة كسب العمل والمهن الحرة . وتبنى الدكتور رأيا أصدره ثلاثة من فقهائنا المبرزين فى هذا العصر ، وهم : الشيخ محمد أبو زهرة مد الله فى عمره ، والشيخان : عبد الوهاب خلاف وعبد الرحمن حسن ، رحمهما الله (١) .

ولما كان الرأى الذى اختاره شيوخنا الثلاثة ، وتبناه الدكتور العربى ــ وهو وجوب الزكاة فى غلة العمارات والمصانع ونحوها بمقدار العشر أو نصفه ــ مصادما لما ألف الناس سماعه وقراءته فى ذلك ، وكان للموضوع خطره وأهميته فى حياة المسلمين ــ فقد أحدث كثيرا من الجدل والنقاش ، وطلب الى بعض الاصدقاء أن أشارك بجهدى الضعيف ، مبينا ما انتهيت اليه فى هذا الامر ، حيث عشت عدة سنوات فى « فقه الزكاة » وأعددت فيهـــا بحثا ضخما ، لم يقدر له أن ينشر بعد .

ولم يسعنى أن أرفض هذه الرغبة ، فالموضوع هام ، ويتطلب تعـــاون الباحثين ، وادلاء كل منهم بدلوه ، والحقيقة بنت البحث ، كما يقولون .

وسيشتمل موضوعنا على ثلاثة مباحث :

ونحوها ، والأصل براءة الناس من التزام التكاليف ، ولا يجوز الخروج عن هذا الأصل الا بنص صحيح صريح عن الله ورسوله ، ولم يوجد فى مسألتنا .

٢ ــ يؤيد هذا أن فقهاء المسلمين فى مختلف الأعصار ، وشتى الأقطار ، لم يقولوا بوجوب الزكاة فى هذه الأشياء ، ولو قالوا به لنقل عنهم .

٣ ــ انهم نصوا على ما يخالف ذلك فقالوا : لا زكاة فى دور السكنى ، ولا أدوات المحترفين ، ولا دواب الركوب ، ولا أثاث المنازل ونحوها .

واذا يكون الحكم عندهم : أن لا زكاة فى المصانع وان عظم انتاجها ، ولا فى تلك العمارات ، وان شهق بنيانها ، ولا فى تلك الســـيارات والطائرات والسفن التجارية ، وان ضخم ايرادها .

فاذا قبض من ايرادها شىء ، وبقى حتى حال عليه الحـــول ففيه زكاة النقود ٢/١٢ ٪ بشروطها المدونة ، وان لم يبق الى الحول نصـــاب أو ما يكمل نصابا فلا شىء عليه .

والتضييق فى أموال الزكاة مذهب قديم ، عرف به بعض السلف ، وتبناه ودافع عنه الفقيه الظاهرى ، ابن حزم ، وأيده فى الأعصر الأخيرة الشوكانى ، وصديق حسن خان ، حتى قالوا : لا زكاة فى عروض التجارة ، ولا فى الفواكه والخضراوات ونحوها !!

ومن أوضح العبارات فى ذلك ما قاله صاحب « الروضة الندية » ردا على من قال : « فى المستغلات صدقة » : ان ايجاب الزكاة فيما ليس من الأموال التى تجب فيها الزكاة باتفاق ــ كالدور والعقـــار والدواب ونحوها ــ بمجرد تأجيرها بأجرة من دون تجارة فى أعيانها ، مما لم يسمع به فى الصدر الأول الذين هم خير القرون ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فضلاً من أن يسمع فيه بدليل من كتاب أو سنة(٢) .

---

(١) نشر هذا البحث فى العدد : ٢٩ .

(٢) الروضة الندية ج ١ ص ١٩٤ .

وأما المتوسعون فى الأموال التى تجب فيها الزكاة ، فيقررون وجوبها فى الأشياء المذكورة من مصانع وعمارات ونحوها ، وهو رأى بعض العلماء المعاصرين ، أمثال أساتذتنا الأجلاء : أبى زهرة وخلاف وعبد الرحمن حسن ، وهذا الرأى هو الذى أرجحه ، استنادا الى الأمور الآتية :

١ — أن الله أوجب فى كل مال حقا معلوما ، أو زكاة ، أو صدقة ، لقوله تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم » وقوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أدوا زكاة أموالكم » من غير فصل بين مال ومال .

وقد رد ابن العربى على الظاهرية الذين نفوا وجوب الزكاة فى عروض التجارة لعدم ورود حديث صحيح فيها ، فقال : قول الله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة » عام فى كل مال على اختلاف أصنافه ، وتباين أسمائه ، واختلاف أغراضه ، فمن أراد أن يخصه فى شىء فعليه الدليل »(١) .

٢ — أن علة وجوب الزكاة فى المال معقولة ، وهى النماء ، كما نص الفقهاء الذين يعللون الأحكام ، ويعملون بالقياس ، وهم كافة فقهاء الأمة ما عدا جماعة قليلة من الظاهرية والمعتزلة والشيعة ، ومن هنا لم تجب الزكاة فى دور السكنى ، وحلى الجواهر ، وآلات الحرفة ، وخيل الجهاد بالاجماع ، وكان القول الصحيح سقوط الزكاة عن العوامل من الابل والبقر ، وعن حلى النساء المستعملة المعتادة ، وعن كل مال لا ينمى بطبيعته أو بعمل الانسان .

واذا كان النماء هو العلة فى وجوب الزكاة ، فان الحكم يدور معه وجودا وعدما ، فحيث تحقق النماء فى مال ، وجبت فيه الزكاة ، والا فلا .

٣ — أن حكمة تشريع الزكاة — وهى التزكية والتطهير لأرباب المال ، والمواساة لذوى الحاجة ، والاسهام فى حماية الدين والدولة — تجعل ايجاب الزكاة هو الاولى والأحوط لأرباب المال أنفسهم ، حتى يتزكوا ويتطهروا ؛ وللفقراء والمحتاجين ، حتى يستغنوا ويتحرروا ، وللاسلام دنيا ودولة ، حتى تقوى شوكته ، وتعلو كلمته .

وقد قال الكاسانى فى دلالة العقل على فرضية العشر : (أن اخراج العشر الى الفقير من باب شكر النعمة ، واقدار العاجز ، وتقويته على القيام بالفرائض ، ومن باب تطهير النفس من الشح ومن الذنوب ، وتزكيتها بالبذل والانفاق ، وكل ذلك لازم عقلا وشرعا) . ا هـ . فهل يكون شكر النعمة ، ومساعدة العاجز ، وتطهير النفس وتزكيتها بالبذل ، لازما عقلا وشرعا لصاحب الزرع والثمر ، غير لازم لصاحب المصنع والعمارة والسفينة والطائرة ونحوها ، مما يدر من الدخل أكثر مما تدره أرض الذرة والشعير بأضعاف مضاعفة ، ويجهد أقل من جهدها ؟

(١) شرح الترمذى ج ٣ ص ١٠٤ .

١ ـ أما قولهم : لا زكاة الا فيما أخذ منه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الزكاة ، فنقول : ان عدم نص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أخذ الزكاة من مال ما ، لا يدل على عدم وجوب الزكاة فيه ، فانما نص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاموال النامية التى كانت منتشرة فى المجتمع العربى فى عصره ، كالابل والبقر والغنم من الحيوانات ، والقمح والشعير والتمر والزبيب من الزروع والثمار ، والدراهم الفضية من النقود .

ومع هذا أوجب المسلمون الزكاة فى أموال اخرى لم يجئ بهـــا نص ، قياسا على تلك الأموال ، او عملا بعموم النص ، وتطبيقا لما تقرر من حكمة فرض الزكاة .

أ ـ من ذلك ما قاله الامام الشافعى فى الرسالة عند زكاة الذهب ، قال : وفرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الورق (الفضة) والنقود الفضية صدقة ، واخذ المسلمون فى الذهب بعده صدقة ، اما بخبر من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يبلغنا ، واما قياسا على أن الذهب والفضـــة نقد الناس الذى اكتنزوه ، واجازوه أثمانا على ما تبايعوا به فى البـــلدان ، قبل الاسلام وبعده . ا هـ(١) .

واحتمال وجود خبر نبوى لم يبلغ الشافعى فى عصره ـ مع حاجة الناس الى تناقل هذا الخبر ـ احتمال ضـــعيف ، فالعمدة هو القيـــاس ، وبهذا جزم القاضى الفقيه أبو بكر ابن العربى ، فذكر فى شرح الترمذى ، فى بيان الحكمة فى ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفضة ، ونصابها ، ومقدار الواجب فيها ، وترك ذكر الذهب ، قال : ان تجارتهم انما كانت فى الفضـــة خاصـــة معظمها ، فوقع التنصيص على المعظم ليدل على الباقى ، لأن كلهم أفهم خلق الله وأعلمهم ، وكانوا أفهم أمة وأعلمها ، فلما جاء (الحمير) الذين يطلبون النص فى كل صـــغير وكبير ، طمس الله عليهم باب الهدى ، وخرجوا عن زمرة من استن بالسلف واهتدى(٢) . وهو يعنى بكلمته الاخيرة العنيفة الظاهريين الذين ينفون القياس ، ولا يلتفتون الى العلل .

ب ـ ومن ذلك أنه لم يرد نص صحيح صريح بوجوب الزكاة فى العروض التجارية ، ومع هذا نقل ابن المنذر الاجماع على وجوبها ، ولم يخالف فى ذلك الا الظاهرية الذين تعلقوا بشبهات واهية .

جـ ـ ومن ذلك : أن عمر أمر بأخذ الزكاة من الخيل ، لما تبين له ان فيها ما تبلغ قيمته مبلغا عظيما من المـــال ، وتبعه فى ذلك أبو حنيفة ، ما دامت سائمة ، واتخذت للنماء والاستيلاء .

د ـ أن أحمد أوجب الزكاة فى العسل ، لما ورد فيه من الأثر ، وقياسا على الزرع والثمر ، وأوجب الزكاة فى كل معدن ، قياسا على الذهب والفضة ، ولعموم آية « ومما أخرجنا لكم من الأرض » .

---

(١) الرسالة ص ١٩٣ ، ١٩٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

(٢) شرح الترمذى ج ٣ ص ١٠٤ .

هـ ــ أن الزهرى والحسن وابا يوسف أوجبوا فيما يستخرج من البحر من لؤلؤ وعنبر ونحوهما الخمس ، قياسا على الركاز والمعدن .

و ــ أن كل مذهب من المذاهب المتبوعة أدخل القيـــــاس فى الزكاة فى احكام عدة ، كقياس الشافعية غالب قوت البلد ، أو غالب قوت الشخص على ما جاء به الحديث فى زكاة الفطر من التمر أو الزبيب أو الحنطة او الشعير ، وكقياسهم كل ما يقتات على الأقوات الأربعة المذكورة ، التى جاء بها النص فى عشر الزرع والثمر .

٢ ــ واما قولهم : ان فقهاء الاسلام فى جميع أعصاره وأمصاره لم ينقل عنهم القول بذلك فلأن بعض هذه الأموال النامية لم ينتشر فى عصرهم انتشاره فى عصرنا ، مما يدفع الفقيه الى الاجتهاد والاستنباط ، وبعضها لم يكن موجودا قط ، بل هو من مستحدثات الأزمنة الأخيرة .

ومع هذا وجد من اقوال الفقهاء ما يدل على وجوب الزكاة فى هـــــذه الأشياء ، كما سنذكر بعد .

٣ ــ واما نص الفقهاء على اعفاء الدور والآلات ونحوها من الزكاة ، فهو عين الصواب ، ولكن هذه الأشياء التى اخرجها علماؤنا من وعاء الزكاة غير ما نحن فيه ، فدور السكنى غير العمارات الاســـــتغلالية ، وآلات المحترف كالقـــدوم والمنشار ونحوهما ، غير الماكينات والأجهزة التى تنتج وتعمل وتدر ربحا ودخلا (!!) ودواب الركوب غير هذه السيارات والطائرات والجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، وأثاث المنازل غير محلات الفراشة التى تؤجر أثاثها ومقـــــاعدها ومعـــداتها للنـــاس ، فما أخطأ علماؤنا حين قرروا أن لا زكاة فيما ذكروا من الأشياء ، بل طبقوا بدقة وبصر ما اشترطوه لوجوب الزكاة ، أن يـــكون المــال ناميا ، فاضلا عن الحاجة الأصلية لصاحبه ، ولهذا علل صاحب « الهـــداية » الحكم بعدم الزكاة فى الأشياء المذكورة بقوله : لأنها مشغولة بالحاجة الأصلية ، وليست بنامية أيضا(١) .

ووضح ذلك صاحب « العناية » فقال : يعنى ان الشغل بالحاجة الأصلية وعدم النماء ، كل منهما مانع من وجوبها ، وقد اجتمعا هنا : أما كونها مشغولة بها ، فلأنه لا بد له من دار يسكنها ، وثياب يلبسها .. الخ ، وأما عدم النماء فلأنه اما خلقى كما فى الذهب والفضة ، واما باعداد للتجارة ، وليسا موجودين ههنا(٢) .

وعلى هذا اتفق الفقهاء : أن لا زكاة فى دار اتخذها صاحبها للســـكنى ، وهذا من العدل والتيسير الذى جاء به الاسلام . وان كنا نرى كثيرا من قوانين الضرائب فى الدول المعاصرة تعمد الى اخذ ضريبة على العقار . ولو كان سكنا لصاحبه ، وقليل منها ــ مثل التشريع الامريكى ــ هو الذى نص على اعفاء مالك المبنى من الضريبة اذا كان يتخذه لسكناه .

هذا الى ان تعليل فقهائنا لعـــدم وجوب الزكاة فى الدور والثياب وآلات الحرفة ونحوها بأنها مشغولة بالحاجة الأصـــلية ، وبأنها غير نامية ، يدل ــ بمفهوم المخالفة ــ ان ما اتخذ منها للنماء ولغير الاستعمال فى الحاجة الأصلية يصبح صالحا لوجوب الزكاة .

---

(١) الهداية مع فتح القدير ج ١ ص ٤٨٧ .

(٢) العناية . نفس الصفحة السابقة .

نظرية الوسطية في الأخلاق

عند أرسطو وعلماء المسلمين

عرض للنظرية ونقد لها

للدكتور : أحمد الحوفي

أستاذ بجامعة القاهرة وجامعة بغداد

تتراءى الأخلاق الاسلامية فى القمة أمام الباحث المنصف ، اذا ما وازن بينها وبين النظريات الأخلاقية المتعددة القائمة على أساس من العرف أو المنفعة ، أو السعادة الفردية ، أو العامة ، أو الضمير أو القوة أو الوسطية ، فان فى كل منها عجزا وقصورا وهبوطا عن الأوج الرفيع الذى تطل منه الفضائل الاسلامية .

فليكن هذا الحديث عن نظرية الوسطية ، لأنها كانت أكثر المذاهب شيوعا ، وأعظمها تأثيرا على الدارسين والباحثين منذ وضع أرسطو (٣٨٤ — ٣٢٢ ق . م) مقياسا للأخلاق وأساسا للفضائل : أنها وسط بين طرفين ، واعتدال بين رذيلتين .

عند أرسطو

قال أرسطو : « ان الوسط بالنسبة الى شىء ما ، هو النقطة التى على بعدين متساويين من كلا الطرفين ، والتى هى واحدة بعينها فى كل الأحوال . أما بالاضافة الى الانسان ، فالوسط هو الذى لا يعـاب ، لا بالافراط ، ولا بالتفريط .

وكل انسان عالم وعاقل يجهد نفسه فى اجتناب الافـراط من كل نوع ، سواء أكان بالأكثر أم بالأقل ، ولا يطلب الا الوسـط القيم ، ويفضلـه على الطرفين ..

ولكن هذا الوسط ليس وسط الشىء عينه ، بل الوسط بالنسبة الينـا ، وأنا أعنى بالكلام هنا الفضيلة الأخلاقية ، لأنها هى التى تختص بانفعالات الانسان وأفعـاله .

فالفضيلة نوع وسط ، ما دام الوسـط هو الغـرض الذى تطلبه بلا انقطاع » (١) .

ثم ضرب أرسطو أمثلة للحد الوسط ، فقال ان الاعتدال أو العفة وسط بين الفجور والخمود ، والسخاء وسط بين الاسراف والبخل ، والكبر وسـط بين الوقاحة والضعة ، والحلم وسط بين الفتور والشراسة ، والصدق وسط بين النفج (الادعاء والمبالغة) والتعميه ، والبشـاشة وسـط بين الفظـاظة والسخرية ، والصداقة وسط بين الملق والشراسة . (٢)

ولقد أعجب بهذا المذهب كثير من العلماء ، وجـاراه بعض فلاسـفة المسلمين ، ولعل مرد هذا ، الى مكانة أرسطو ، والى أن مذهبه هذا يدعو الى الاعتدال ، والاعتدال خلة يرضاها الاسلام ، ويحمدها النـاس ، لأنه يدل على الاتزان ، وعلى سلامة التقدير ، وصواب التدبير ، والبعد عن الشطط .

عند الغزالى

وحسبنا أن نذكر ان الغزالى (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ) ذهب الى ان أمهـات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والفقه والعدل ، وقال : ان المراد بالحـكمة : حالة للنفس تدرك بها الصـوّاب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية .

أما العدل : فهو حالة للنفس وقوة بها ، تسوس الغضب والشهـوة ، وتحملهما على مقتضى الحكمة .

وأما الشجاعة فهى : انقياد قوة الغضب للعقل فى اقدامها وفى أحجامها ،

وأما العفة فهى : تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع .

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلهـا ، اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقابة الرأى ، واصابة الظن ، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ، ومن افراطها تصـدر الجريزة ــ الخبث والخداع ــ والمكر والدهاء ، ومن تفريطها يصدر البله والغفلة والحمق والجنون .

---

(١) علم الأخلاق لارسطو ٢٤٥/١ .

(٢) علم الأخلاق ٢٥٠/١ ــ ٢٥٧ .

وأما الشجاعة فيصدر منها الكرم والنجدة والشهامة والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها ، وافراطها ، وهو التهور ، يصدر منه الصلف والبذخ والتكبر والعجب ، وتفريطها تصدر منه المهانة والذلة والجزع والخسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب .

وأما العفة فيصدر منها السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والظرف وقلة الطمع ، وميلها الى الافراط أو التفريط يحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير ، والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء ، واستحقار الفقراء وغيرها .

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع وهى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، والباقى فروعها .

ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ثم قال الغزالى ان الامساك حيث يجب البذل بخل ، وان البذل حيث يجب الامساك تبذير ، وبينهما وسط هو المحمود ، وهو الجود أو السخاء أو الكرم ، اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا به ، وقد قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » (٢) ، وقال تعالى : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٣) ، فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض (٤) .

وردد الفكرة نفسها فى كتاب آخر ، فقال : ان الحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة : فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، والعدالة : وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب .

وذكر أن الحكمة وسط بين رذيلتين هما الخب — الخداع — والبله ، وهما طرفا افراطها وتفريطها ، وأن الشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والعفة وسط بين الشره — افراط الشهوة — والخمود .

ثم عقب على هذا بأن العدل لا تكتنفه رذيلتان ، بل ان رذيلة الجور هى المقابلة له (٥) .

وهكذا جعل يطبق مذهب الوسطية ، فالكرم وسط بين البذخ والشح ، والنجدة وسط بين الجسارة والجبن ، وكبر النفس وسط بين التكبر وصغر النفس ، والحلم وسط بين الاستشاطة والبلادة ، والوقار وسط بين الكبر والتواضع (٦) .

عند ابن مسكويه .

كذلك رأى ابن مسكويه (٤٢١ هـ) أن الفضائل أوساط بين أطراف ، وتلك الأطراف هى الرذائل ، ثم قال إنه من الصعب وجود الوسط ، وأن التمسك به

(١) الاحياء ٤٦/٢ .
(٢) سورة الاسراء ٢٩
(٣) سورة الفرقان ٦٧
(٤) الاحياء ٢٢٥/٣
(٥) ميزان العمل للغزالى ٦٧ — ٧٤
(٦) الميزان ٧٥

بعد وجوده أصعب ، ولذلك قالت الحكماء : اصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها ، ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطئها أعسر وأصعب(١) . غير أنه مع هذا جعل يطبق النظرية كما طبقها سواه .

نقد نظرية الوسط :

لكن هذه النظرية ـ على قدمها وذيوعها ـ ليست سليمة من القصور والعيوب .

١ ـ ولقد يتضح قصورها اذا ما طبقناها على كل فضيلة من الفضائل . فالشجاعة مثلا ليست وسطا بين التهور والجبن ، وان كان التهور رذيلة والجبن رذيلة ، بل الشجاعة فضيلة حيثما كانت وكيفما كانت ، ما دامت سندا للحق . ودفاعا عن العرض والمال والحياة ، وحماية للضعفاء من جبروت الطغاة وعدوان الأقوياء .

ولن تكون الشجاعة فى حال من أحوالها هذه مذمومة . ولن تكون فى مجاوزتها الحد المألوف رذيلة توصف بالتهور ؛ لأن التهور ليس شجاعة انحرفت عن الوسطية الى طرف التهور كما يقول دعاة الوسطية ، بل التهور رذيلة ، لأنه حمق وخرق وخطل فى التدبير وعجز عن ضبط النفس وغفلة عن الحزم وعن تدبر العواقب .

ليست الشجاعة دائما الا يخاف المقدم ، فانها كما تكون فى الاقدام تكون فى الاحجام ، وكما تكون فى الاستهانة بالمخاوف تكون فى توقى بعض المخاوف ، وفى تقديرها ، وفى التغلب عليها ، لا للاستكانة لها .

وهذه الشجاعة درجات ، أولاها فضيلة ، وعلياها فضيلة ، بل أفضل الفضيلة ، وهى الفداء والبطولة والاستشهاد . وكذلك الكرم تتفاوت درجاته من جود بالقليل الى جود بالكثير الى بذل للأكثر الى سخاء بالمال كله ، ولكل حالة من هذه الحالات بواعثها وأهدافها السامية .

فقد يجود الشخص فى سبيل الخير بالعشرة أو بالمئة ويسمى كريما ، لأن طاقته لا تحتمل اكثر من هذا ، أو لأن الصالح العام لا يوجب عليه فوق هذا .

وقد يجود شخص بالآلاف أو بمئات الآلاف ، ولا يسمى مسرفا ، لأن ثراءه يتسع لهذا السخاء ، أو لأن مصلحة الأمة توجب هذا السخاء وتقتضيه .

على أن هذا الشخص أو ذاك يوصف بالاسراف اذا بذل المال القليل فى عبث لا يمت الى الخير بسبب ، أو انفق الكثير فى هوى من أهواء نفسه ، وقد كان فى القليل غناء ، أو انفق اقل القليل فى معصية الله أو اضرار الناس .

وهل يستطيع الناس أن يصفوا بالاسراف غنيا لا وارث له يخرج عن ماله كله للفقراء ، أو يشيد به مدرسة أو مسجدا أو مصنعا ، أو يشترى به سلاحا للدفاع عن الوطن ؟ .

ان هذا الغنى لا يوصف الا بأنه بلغ ذروة الأريحية والسخاء .

تحديد الوسط صعب

وهل يستطيع أحد أن يصف بالتهور البطل المقدام الذى يستهين بالحياة ليفتدى دينه أو وطنه أو عرضه ؟

وهذا الذى نقوله فى نقد الوسطية فى الفضائل كلها ، نقول مثله فى نقدها فى الرذائل كلها ، كالجبن والبخل والفجور وغيرها .

---

(١) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ٢٠ .

تحديد الوسطية صعب

٢ ــ على أن نقطة الوسط بين الرذيلتين لا يمكن تحديدها ، فكيف تعرف ؟ ومن الذى يحكم بأن هذه النقطة هى الاعتدال دون غيرها ؟ وهل الوسط بين رذيلتين محدود ، أو ممكن التحديد ، مثل منتصف طريق معروف الطول ؟ واين ذلك المقياس الذى يعين المنتصف الذى عناه أرسطو وسواه ؟ وانه ليسترعى النظر حيرة أرسطو فى تعيين الوسط ، فقد ذكر أن ادراك الوسط فى كل شىء أمر صعب جدا ، كما أن استكشاف مركز دائرة لا يتيسر لجميع الناس ، ولهذا كان على من يريد اصابة ذلك الوسط أن يبتعد عن الرذيلة التى هى اشد ما تكون تضاديا مع هذا الوسط ، لأن هذين الطرفين احدهما اكبر اثما والآخر أقل (١) .

وقد سبق قول ابن مسكويه انه من الصعب جدا وجود الوسط ، وان اصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها .

٣ ــ ونستطيع أن نفهم من كلام أرسطو نفسه أن الوسط متنقل غير ثابت ولا محدد ، فهو تارة يقول أن المراد الوسط بالنسبة الينا (٢) ، وتارة يقول أن بعض الأطراف تشبه الوسط ، فالتهور به بعض شبه بالشجاعة ، والسرف به شبه بالسخاء ، ولكن المفارقة الكبرى تتبين بين بعض الأطراف وبعض (٣) .

٤ ــ فاذا ما راعينا أن الفضيلة ليست دائما متساوية البعد عن الطرفين تبين لنا أن الوسط بين رذيلتين ليس هو الفضيلة ، لأن الشجاعة ابعد عن الجبن من بعدها عن التهور ، والكرم اقرب الى جانب الاسراف منه الى جانب البخل ، والعفة أدنى الى الخمود منها الى الفجور ، وهكذا .

٥ ــ على أن بعض الفضائل لا يتحقق فيها أنها أوساط بين رذائل ، فالصدق ليس وسطا بين الكذب وشىء آخر ، انما الصدق صدق فحسب ، والكذب كذب فحسب ، والعدل ليس وسطا بين الجور وشىء آخر ، بل العدل عدل خالص والجور جور خالص ، والعفة ليست وسطا بين الفجور والخمود ، بل العفة هى العفة .

وقد ذكر أرسطو أن الوسط القويم بين طمع غال فى المجد وقعود تام عن المجد ليس له اسم خاص (٤) ، وذكر أن الصدق ليس وسطا بين رذيلتين (٥) ، وحار فى التواضع فلم يعده فضيلة (٦) .

ولعلنا ما زلنا نذكر أن الغزالى ــ وهو من دعاة نظرية الوسط ــ جهر بأن العدل لا تكتنفه رذيلتان ، وقال إن الرذيلة المقابلة للعدل هى الجور .

شبهة وردود :

قد يتبادر الى الخاطر أن فى بعض الآيات القرآنية مدحا للوسط بذلك المعنى ودعوة اليه .

١ ــ فالكرم مثلا وسط بين البخل والاسراف ، لقوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

---

(١) علم الأخلاق ٢٦٢/١ .
(٢) علم الأخلاق ٢٤٥/١ .
(٣) علم الأخلاق ٢٥٩/١ .
(٤) علم الأخلاق ٣٢/٢ .
(٥) علم الأخلاق ٤٣/٢ .
(٦) علم الأخلاق ٢٥٠/١ .

لكن هذا الفهم غير صحيح ، لأن الآية الكريمة مسبوقة بقوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا »(١) ، ومعنى هذا أن الله سبحانه أمر عباده بصلة اقاربهم وبصلة المساكين وابناء السبيل ، بعد أن أمرهم في آية سابقة ببر آبائهم وأمهاتهم ، ثم نهاهم عن التبذير وهو الانفاق في المعاصي وفي غير الحق ، ونهاهم عن التقتير وهو البخل بالمال في الخيرات والطاعات ، وهذا هو المعنى الذي روى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ومجاهد وقتادة وابن زيد .

أما الانفاق في الخير وفي الحق فقد قال فيه مجاهد : لو انفق انسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ، ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا(٢) ، وروى عنه قوله : لو انفقت مثل ابي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان اسرافا ، ولو انفقت صاعا في معصية الله كان اسرافا(٣) .

وإذن فقد نهى الله عن البخل في الحقوق التي أوجبها على الأغنياء في أموالهم ، ونهى عن السفه في الانفاق ، لأن السفيه باتلافه لن يجد ما ينفقه على نفسه فيما بعد ، ولن يجد ما يعطيه اذا اراد العطاء ، فيلوم نفسه ويلومه غيره .

على أن بعض المفسرين ذهب الى ان المراد بالبسط انفاق المال في المعاصي وفيما يتسخط الله تعالى وفيما لا ينبغي انفاق المال فيه(٤) (!!!)

والذي يصح استنباطه من هذا أن القرآن الكريم أمر بفضيلة هي الجود بالمال على المحتاجين من الأقرباء والمساكين وابناء السبيل ، وفي اعزاز الدين وحمايته والدفاع عنه ، ونهى عن رذيلة هي : البخل ، وعن رذيلة أخرى هي : الاسراف ، قال تعالى : « كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »(٥) .

فليس في الآيات ما يفهم منه أن الكرم وسط بين رذيلتين ، بل الذي يفهم أن القرآن نهى عن رذيلتين هما البخل والاسراف ، وبين هاتين الرذيلتين درجات من الكرم تختلف باختلاف مقدرة المنفقين ، فقد يكون انفاق شخص معتدلا وهو أقرب الى البذل الكثير ، وقد يكون انفاق آخر معتدلا وهو شديد القرب الى الحرص والتقتير ، وربما يسخو الشخص بماله كله في نصرة الحق والخير وهو براء من التبذير .

وعلى غرار هذا الفهم ينبغي تفسير قوله تعالى : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »(٦) ، لأن القوام هو الاستقامة والاعتدال .

مع الرسول وصحابته

ولنرجع الى مشرق الاسلام لتطالعنا اعمال الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الاسراء ٢٦ ـ ٢٩ .
(٢) تفسير الطبرى ٥٣/١٥ .
(٣) الطبرى ٢٣/١٩ .
(٤) الطبرى ٥٦/١٥ .
(يضعف هذا التفسير أن الله يقول : « ولا تبسطها كل البسط » ومعنى هذا أن يبسطها بعض البسط وهذا يؤدى الى جواز انفاق شىء من المال فى المعاصى . وهو فاسد . (الوعى)
(٥) سورة الانعام ١٤١ .
(٦) سورة الفرقان ٦٧ .

واعمال صحابته بما ينقض نظرية الوسطية فى كل فضيلة من الفضائل ولنتخذ الكرم نموذجا للتطبيق .

لقد كانوا اسخياء بأموالهم فى حماية الدعوة ، وفى مؤازرة الرسول ، وفى محاربة الذين يصدون عن سبيل الله ، وفى الانفاق على الفقراء من المسلمين الذين فقدوا اموالهم فى سبيل الله ، أو عجزوا عن الكسب ، وفى رعاية اليتامى والأيامى ، وفى تحرير الأرقاء ، وما شاكل هذا من جليل ونبيل .

وكان النبى وبعض صحابته يعطون وهم فى حاجة الى ما يعطون ، ويبذلون الكثير وهم فى حاجة الى القليل ، وهذه هى الدرجة العليا من الكرم التى امتدحها الله تعالى فى قوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١) . فمثلا حملت الى النبى تسعون الف درهم ، فوضعها على حصير ، ثم قام اليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها .

واتى بمال من البحرين فقال : انثروه فى المسجد ، وكان اكثر مال اتى به ، فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه ، فما راى احدا الا اعطاه ، وما قام وثم منها درهم .

وكان من الصحابة من يتصدق بثلث ماله ، ومنهم من يجود بنصف ماله ، ومنهم من يسخو بماله كله .

قال عمر بن الخطاب : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم اسبق ابا بكر ، فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله : ماذا ابقيت لأهلك ؟ فقال : مثله . وجاء ابو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله : ما ابقيت لأهلك ؟ فقال : ابقيت لهم الله ورسوله : فقلت : لا اسبقه ابدا .

كذلك كان عثمان بن عفان ، فقد اشترى وحده بئرا من يهودى بالمدينة بعشرين الف درهم ، وجعلها ملكا للمسلمين ، واشترى وحده موضع خمس سوار (اى اعمدة) زاد بها مساحة مسجد المدينة ، وهو الذى مد الجيش الاسلامى فى غزوة تبوك بتسعمائة بعير وخمسين فرسا والف دينار .

فها هنا سخاء كثير ، لكنه ليس من الاسراف فى شىء ، لأن البذل فى الطاعات لا يوصف باسراف ، فقد سمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف ؛ فقال له : لا اسراف فى الخير .

٢ — اما قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢) ، فان الوسط هو الاعتدال والشرف والخير ، ومنه رجل وسيط فى قومه أى شريف حسيب .

وذلك أن الناس كانوا قبل الاسلام قسمين : قسم يلتزم بالمادية المحضة كاليهود والمشركين ، وقسم يعيش فى روحانية خالصة كالرهبان من النصارى واصحاب الرياضات من وثنيى الهنود ، فجاء الاسلام جامعا حق الروح وحق الجسد .

والمراد انكم عدول خيار تستمتعون بالحقين ، وتبلغون الكمالين ، وستكونون شهداء على الناس الذين فرطوا فى دينهم بتهالكهم على دنياهم ، وعلى الناس الذين تغالوا فى دينهم واهملوا دنياهم ، وسيكون الرسول شهيدا عليكم فيما وافقتم فيه سنته او خالفتم لأنه المثل الأعلى فى رعاية دينه ودنياه .

---

(١) سورة الحشر ٩ .
(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فانى لا أقول انه ليس لله ، ولكن سأقول « مال المسلمين » . وأتى ابن السوداء الصحابى الجليل فقيه أهل الشام أبا الدرداء فقال له : ما قال لأبى ذر ، فأجابه أبو الدرداء : من أنت ؟ أظنك والله يهوديا . وأتى ابن سبأالصحابى المجاهد عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أباذر .

قال القاضى أبو بكر ابن العربى — ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام مالم يكن يقوله فى زمان عمر ، فاعلم معاوية بذلك عثمان ، وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فان أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، وانما هى مخصوصة ببعضهم ، فكتب عثمان الى أبى ذر ان يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع اليه الناس ، فقال أبو ذر لعثمان : أريد الربذة ، فقال له عثمان : افعل ، فاعتزل . قال قاضى الأندلس أبوبكر بن العربى : ولم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته .

« والربذة » ضاحية من ضواحى المدينة تبعد عنها ثلاثة أميال ، وتتوفر فيها راحة السكن والعزلة ، وأبو ذر نفسه هو الذى اختار الاقامة فيها كما روى المؤرخ الكبير ابن خلدون فى بقية الجزء الثانى من تاريخه (ص ١٣٩) قال : ان أبا ذر استأذن عثمان فى الخروج من المدينة ، وقال « أن رسول اللهصلىالله عليه وسلم أمرنى أن أخرج منها اذا بلغ البناء سلعا » فاذن له عثمان ونزل الربذة وبنى فيها مسجدا ، وأقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة بين حين وآخر ، قال ياقوت فى معجم البلدان — وكانت الربذة من أحسن منزل فى طريق مكة .

والذى تحصل عندى من تتبع نصوص الشريعة فى أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص فى سيرة السلف وعملهم بها ، أن المسلم بعد اداء زكاة المال يكون فى امتحان من الله كيف يحسن التصرف فى ماله بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزا ، فان كان تاجرا فمن طريق التجارة ، أو مزارعا فمن طريق الزراعة ، أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة . والاسلام فى دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عونا ويسرا وقوة ، وتجارة التاجر المسلم اذا أغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم ، بقدر ما يصدق صاحبها فى هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم ، والنية فى هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة اليه .

وبالجملة فان للمسلم أن يكون غنيا بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله ، وأن يكتفى منه بالصرف على ما يكفيه بالمعروف ، محاولا دائما ان يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات ، فضلا عن توافه الحضارة وسفاسفها ، وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر ما زاد عن حاجته كالأمانة لله تحت يده ، فيتصرف فيها بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسرا وعزا وسعادة .

أما طريقة أبى ذر فى أن لا يبيت المسلم وعنده مال ، فليست من مصلحة المسلمين ، وطريقة بعض أغنياء المسلمين الآن — فى أن يعيشوا لأنفسهم ومتعهم غير مبالين بعزة الاسلام وقوة دولته وحاجة اهله — ليست من الاسلام ، والاسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه ، ولى فى ذلك مقالة فى صدر جزء شوال سنة ١٣٧٤ هـ. من مجلة الأزهر ، لعل فيها ما يزيد هذا الموضوع بسطة ووضوحا .

« للبحث بقيــة » .

أهل الحديث

للدكتور: تقى الدين الهلالى

مكناس — المغرب

ندبنى الاستاذ رئيس تحرير مجلة (الوعى الاسلامى) الى المشاركة فى تحرير مقالات هذه المجلة المباركة ، التى اسست لايقاظ المسلمين ، ونشر الوعى فى نفوسهم ليزدادوا تبصرا ، واستنارة فى أمر دينهم ودنياهم ، ويعيدوا للاسلام عزته ومجده ، ففكرت فى الموضوع الذى أطرق بابه ، فبدا لى موضوع شريف يهم كل قارىء من المسلمين ، وكل طالب علم من المحصلين ، الا وهو معرفة أهل الحديث ، نضر الله وجوههم ، فانه موضوع مع شرفه وفضله قل من يشتغل به فى هذا الزمان ، واذا علمنا أن حديث النبى صلى الله عليه وسلم هو خير الكلام بعد كلام الله تعالى ، ولا يمكن تدبر الكتاب العزيز ، ومعرفة معانيه الا بالعلم بأحاديث نبيه الكريم لقوله تعالى فى سورة النحل ٤٤ (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

فالتفكر والتدبر للقرآن متوقفان على بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحديث هو الاصل الثانى من أصول الاسلام التى عليها تقوم الشريعة ، وبها تستنبط الاحكام . روى مالك فى الموطأ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله .

قال مؤلف تنقيح الرواة فى تخريج أحاديث المشكاة : سنده هذا المرسل بحديث (أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم من رواية معقل بن يسار عند الحاكم باسناد حسن . وايضا له شاهد عن ابن عباس يرفعه عند الحاكم والبيهقى (انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه) الحديث ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد . ا هـ ..

وفضائل علم الحديث كثيرة ، والمراد هنا ذكر نبذة فى فضل اهل الحديث ، قبل ذكر تراجم أهل الحــديث من الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ممن بعدهم .

قال استاذى العالم الربانى عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكبورى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ فى مقدمة كتابه (تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذى) ص ٦ ما نصه : وقد ورد فى فضيلة علم الحديث وأهله أحاديث كثيرة ، وأنا أقتصر هنا على ذكر خمسة أحاديث .

الاول : روى الترمذى عن ابن مسعود قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم على صلاة . وقال : هــذا حديث حسن غريب . قال القارى فى المرقاة شرح المشــــكاة : ورواه ابن حبان فى صحيحه ، ذكره ميرك . والاحاديث فى هذا الباب كثيرة .

قال ابن حبان عقب الحديث : فى الخبر بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى القيامة يكون أصحاب الحديث ، اذ ليس فى هذه الامة قوم أكثر صلاة عليه منهم . وقال غيره : لأنهم يصلون عليه قولا وفعلا . ا هـ .

وقال الخطيب فى كتابه شرف أصحاب الحديث : قال لنا ابو نعيم : هذه منقبة شريفة تختص بها رواة الآثار ونقلتها ، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يعرف لهذه العصابة نسخا وذكرا .

وقال ابو اليمن بن عساكر : ليهن أهل الحديث هذه البشرى ، فقد أتم الله تعالى نعمه عليهم بهذه الفضيلة الكبرى ، فانهم أولى الناس بنبيهم وأقربهم — ان شاء الله تعالى — وسيلة يوم القيامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يخلدون ذكره فى طروسهم ، ويجددون الصلاة والتسليم عليه فى معظم الاوقات فى مجالس مذاكرتهم ودروســــــهم ، فهم ان شاء الله تعالى الفرقة الناجية ، جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم . ا هـ .

الحديث الثانى : روى الترمذى عن ابن مسعود قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرءا سمع منا شيئا ، فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع . وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفى الباب أحاديث أخرى ، وقال القارى : خص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء ، لأنه سعى فى نضارة العلم ، وتجديد السنة ، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله ، وهذا يدل على شرف الحديث وفضــــــله ودرجة طلابه ، حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم بدعاء لم يشرك فيه أحدا من الامة ، ولو لم يكن فى طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنما ، وجعل فى الدارين حظا وقسما . ا هـ .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : قال علماء الحديث : ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها . الحديث . .

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ، ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته . ا هـ

والى هذه النضرة اشار ابو العباس العزفى بقوله :

اهل الحديث عصابة الحق	فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة	لألاؤها كتألق البرق
يا ليتنى معهم فيدركنى	ما ادركوه بها من السبق

الحديث الثالث : روى الطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم خلفائى ، قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون أحاديثى ، ويعلمونها الناس .

قال القسطلانى فى ارشاد السارى بعد ذكر هذا الحديث : ولا ريب ، ان اداء السنن الى المسلمين نصيحة لهم من وظائف الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه ، وكما لا يليق بالانبياء عليهم السلام ان يهملوا أعاديهم ولا ينصحوهم ، كذلك لا يحسن لطالب الحديث وناقل السنن أن يمنحها صديقه ، ويمنعها عدوه ، فعلى العالم بالسنة أن يجعل اكبر همه نشر الحديث فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه حيث قال : بلغوا عنى ولو آية . الحديث رواه البخارى .

قال المظهرى : أى بلغوا عنى أحاديثى ، ولو كانت قليلة . قال البيضاوى : قال : ولو آية ، ولم يقل : ولو حديثا ، لأن الامر بتبليغ الحديث يفهم منه بطريق الاولوية ، فان الآيات مع انتشارها وكثرة حفظتها تكفل الله تعالى بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف . ا هـ .

وقال مالك رحمه الله تعالى : بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عن تبليغهم العلم كما تسأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقال سفيان الثورى : لا أعلم علما افضل من علم الحديث ، لمن أراد به وجه الله تعالى ، ان الناس يحتاجون اليه حتى فى طعامهم وشرابهم ، فهو افضل من التطوع بالصلاة والصيام ، لأنه فرض كفاية . ا هـ .

الحديث الرابع : روى البيهقى فى المدخل عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .. كذا فى المشكاة .

قال القسطلانى بعد ذكره من حديث أسامة بن زيد : وهذا الحديث رواه من الصحابة ، على وابن عمر وابن عمرو ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر بن سمرة ، ومعاذ ، وابو هريرة ، واورده ابن عدى من طرق كثيرة ، كلها ضعيفة ، كما صرح به الدارقطنى وأبو نعيم ، وابن عبد البر . لكن يمكن ان يتقوى بتعدد طرقه ، ويكون حسنا كما جزم به العلائى ، وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية ، وتعظيم لهذه الأمة المحمدية ، وبيان لجلالة قدر المحدثين ، وعلو مرتبتهم فى العالمين ، لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات ، من تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه اليها .

وقال النووى فى أول تهذيبه : هذا أخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم وحفظه ، وعدالة ناقليه ، وان الله تعالى يوفق له فى كل عصر خلفاء من العدول يحملونه ، وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، وهذا تصريح بعدالة حامليه فى كل عصر ، هكذا وقع ، ولله الحمد ، وهو من أعلام النبوة . ولا يضركون بعض الفساق يعرف شيئا من علم الحديث ، فان الحديث انما هو اخبار بأن العدول يحملونه ، لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئا . ا هـ

على أنه قد يقال ما يعرفه الفساق من العلم ليس بعلم حقيقة لعدم عملهم ، كما أشار اليه سعد الدين التفتازانى فى تقرير قول التخليص ، وقد ينزل العالم بمنزلة الجاهل ، وصرح به الشافعى : ولا علم الا مع التقى ، ولا عقل الا مع الأدب ، ونظمته فقلت من بحر الطويل :

ولا خير فى علم اذا لم يكن تقى ... ولا خير فى عقل اذا لم يكن أدب

ولعمرى ، ان هذا الشأن من اقوى اركان الدين ، وأوثق عرى اليقين ، لا يرغب فى نشره الا صادق تقى ، ولا يزهد فيه الا كل منافق شقى .

قال ابن القطان : ليس فى الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث . وقال الحاكم : لولا كثرة طائفة المحدثين على حفظ الاسانيد لدرس منار الاسلام ، ولتمكن اهل الالحاد والمبتدعين من وضع الاحاديث وقلب الاسانيد . ا هـ

واقتصر على هذا فى ذكر اقوال اهل العلم فى فضائل أهل الحديث نثرا ، وأما النظم فمن أجمل ما قيل فى ذلك ما انشده القسطلانى فى مقدمة شرحه لصحيح البخارى لأبى بكر حميد القرطبى الاندلسى رحمه الله :

نور الحديث مبين فادن واقتبس ... واحد الركاب له نحو الرضى الندس

واطلبه بالصين فهو العلم ان رفعت ... أعلامه برباها يا ابن أندلس

فلا تضع فى سوى تقييد شارده ... عمرا يفوتك بين اللحظ والنفس

وخل سمعك عن بلوى أخى جدل ... شغل اللبيب بها ضرب من الهوس

الى أن قال :

واقف النبى واتباع النبى وكن ... من هديهم أبدا تدنو الى قبس

والزم مجالسهم واحفظ مجالسهم ... واندب مدارسهم باالاربع الدرس

واسلك طريقهم والزم فريقهم ... تكن رفيقهم فى حضرة القدس

تلك السعادة أن تلم بساحتها ... فحط رحلك قد عوفيت من تعس

وقد اقترح على العالم السلفى محمد حسين الفقى الحجازى الجدى سنة ١٣٤١ هـ حين حججت أول حجة تخميس هذه القصيدة ، وكنت مشغول البال بالاهتمام بالسفر الى الهند فى طلب علم الحديث ، فلما وصلت الى دلهى عاصمة الهند ، واستقررت فيها ، استجابت القريحة لطلب العالم المذكور فنظمت

تخميسها ونشرته في دلهي مع قصائد أخرى سميتها (الهـدايات) وقد نقله بتمامه استاذنا الاحوذي ، المتقدم ذكره ، مصـــدرا له بقوله : وقال بعض الإعلام ، اثبته هنا الا بيتا واحدا ، وهذا نص التخميس .

ان كنت تطلب علمــــا جد ملتمس   وحرت اذ غم عنـــك الرطب باليبس

فاســـــمع لنصح لبيب أي محترس

نور الحـــديث مبين فادن واقتبس   واحد الركاب له نحو الرضي الندس

واقطع علائق من تحصــــيله منعت   تنظر شموس الهدى في الافق قد طلعت

وحجب غي ترى عن قلبـــك ارتفعت

فاطلبه بالصين فهو العلم ان رفعت   أعــــــلامه برباها يا ابن أندلس

ولازم الدرس واغنــــم من فوائده   لا تقنـــــع الدهر من حلوى موائده

واشرب فديتك عــــلا مــن موارده

ولا تضع في سوى تقييد شــــارده   عمــرا يفــوتك بين اللحظ والنفس

دع الكلام فما فيه ســــوى الخطل   وانبذ مجالســــــه تحفظ من العـــلل

فذاك شر ابتـــــداع جاء بالخــــلل

وخل ســـمعك عن بلوى أخي جدل   شغل اللبيب بهـــا ضرب من الهوس

الله يعــــلم كم ســــيق من ضرر   للنـــاس من أجله في البدو والحضر

اقبح بهـــا بدعة تدني الى ســـــقر

الى ان قلت :

ورد بقلبك عذبا من حياضــــــهما   تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس

شد الرحال اليهم كي تجالســــــهم   واحذر فديتك يوما أن تعاكســــــهم

لا تحسدنهم ولكن كن منافســــــهم

والزم مجالسهم واحفظ مجالســـهم   واندب مدارســـــهم بالاربع الدرس

واطلب مودتهم وكن صـــــــديقهم   وكن مجالســــــــهم تشرب رحيقهم

وقرهم كلهــــم واعرف حقوقهـــــم

واســـلك طريقهم واتبـــع فريقهم   تــكن رفيقهم في حضرة القـــدس

هي الشريعة فانظر في ســـماحتها   كفيلة للنفـــوس باســــــتراحتها

في حظـــرها حكمة وفي اباحتهـــا

تلك السعادة ان تلمم بســــاحتها   فحـــط رحلك قد عوفيت من تعس

خواطر

للشيخ عبد المنعم النمر

تقدير يستحق التقدير

صورة طيبة كريمة من تقدير العلماء العاملين وتكريمهم ، رايت الا تمر دون ان اسجلها ، ويعرفها قراء الوعي في كل مكان .. في وقت قل فيه من يقدر العلماء الذين يفنون حياتهم ونشاطهم على خدمة الاسلام والمسلمين ..

في يوم الأربعاء الرابع من شهر صفر عام ١٣٨٨ هـ الأول من شهر مايو ١٩٦٨ ، انتقل الى رحمة الله العالم الجليل الشيخ محمد محمد المدني الذي عرف في كل ركن من اركان العالم الاسلامي ببحوثه واحاديثه الاسلامية في الاذاعة والتليفزيون ، وعرفه تلامذته استاذا للشريعة الاسلامية ، وعميدا لكلية الشريعة بجامعة الأزهر ، واخيرا استاذا ورئيسا لقسم الشريعة بجامعة الكويت ، كما عرفه قراء « الوعي » ببحوثه الفقهية العميقة ..

ولقد ظل عليه رحمة الله في مستشفى الصباح ، منذ عاد من فريضة الحج ، حتى لقي ربه ، بين الأسى والأسف عليه ، من جميع الذين عرفوه ، من قريب أو بعيد ..

والصورة الطيبة الكريمة التي احببت أن أسجلها هنا بالشكر والتقدير هي ما أصدره مجلس الوزراء الكويتي في جلسته المنعقدة يوم الأحد ٨ صفر — ٦ مايو من : « صرف المخصصات المالية للمغفور له الأستاذ الشيخ محمد محمد المدني أستاذ الشريعة ورئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة الكويت اعتبارا من تاريخ وفاته في ٦٨/٥/١ حتى نهاية اعارته في ٦٨/٨/٣١ تقديرا للجهود المشكورة التي بذلها فضيلته في مجال الثقافة والبحث الاسلامي » .

ان ما يعنيني في هذا القرار ، ويعني القراء ، وكل محب للاسلام ، مقدر لعلمائه ، هو المعنى الكريم الذي يحمله هذا القرار ، ويعبر عنه صراحة من (تقدير للجهود المشكورة التي بذلها فضيلته في مجال الثقافة والبحث الاسلامي)

انه تقدير من دولة الكويت لجميع العاملين في خدمة الاسلام في كل مكان ، يقابلونه بالشكر والتقدير وعرفان الجميل .

شيء غريب !!!

جاء في جريدة « الحياة » البيروتية بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٦٨ : « أن اسرائيل خطت خطوة اخرى في تنفيذ سياستها التوسعية على اساس خريطة خيالية تريد ان تنبشها من بطن الماضي السحيق . فقد أعلن رئيس مجلس الآثار الاسرائيلي ان خريطة لما يزعم انه « لمملكة اسرائيل » الوارد ذكرها في التوراة يجرى إعادة رسمها على اساس نتائج عملية مسح للآثار في مناطق جبال **(اليهودية والسامرية)** **(وهو الاسم الجديد الذي اطلقه العدو على الضفة الغربية المحتلة ومرتفعات الجولان السورية المحتلة)** . ا.هـ .

يستطيع القارىء ان يأخذ من هذا الخبر صورة عن الروح الدينية التي يترسمها الصهيونيون في خطواتهم ، كما جاء في التوراة ، وهو يؤكد ما قلناه في افتتاحية العدد الماضي ، ونادينا من اجله الحكام المسلمين جميعا الا يتهيبوا من إعلان احتضانهم لدينهم ، والسير على تعاليمه ، لأن في ذلك حبل النجاة . .

هذه ملاحظة لا بد منها ، قبل ان انتقل بالقارىء الى شيء آخر ، لفت نظري ، اضعه امامه كذلك ليفكر فيه . .

فقد جاء في المنجد الجزء الخاص منه بالأدب والعلوم ص (٣٦٠) المسمى بمعجم أعلام الشرق والغرب ما يأتي عن مدينة (عمواس) بالنص :

عمواس أو عمَّاوس : بلدة في سهل **اليهودية (فلسطين)** حدث فيها الطاعون الجارف مات فيه نحو (٢٥) الفا منهم ابو عبيدة ومعاذ بن جبل ويزيد ابن ابي سفيان (٦٣٨) . ا.هـ .

وهذه الطبعة الثامنة عشرة تم طبعها كما جاء في آخر الكتاب في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥م ، وقد حرص واضعو المنجد على ان يذكروا اسم المنطقة بأنه « اليهودية » كما جاء الاسرائيليون بعد احتلال الضفة الغربية ، وغيروا الاسم الحالي واطلقوا على المنطقة اسم « اليهودية » !!

وهذا الجزء من المنجد الخاص بأعلام الشرق والغرب اضيف للمنجد في اللغة سنة ١٩٥٦ . . يعني ان واضعي المنجد سبقوا الصهيونيين في اطلاق هذا الاسم : (اليهودية) على المنطقة وابرازه بعشر سنوات واكثر !!

شيء غريب !! اليس كذلك ؟ !

وفي دائرة المعارف الاسلامية :

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فانني اذكر ان الصديق المؤمن اللواء محمود شيت خطاب ، حين كان يزورنا في منتصف المحرم مررنا على مكتبة وزارة الأوقاف . وحين وقع نظره على مجلدات : « دائرة المعارف الاسلامية » المترجمة من الانجليزية مد يده الى احد المجلدات ، وبحث فيه عن كلمة « عمواس » ، ولفت نظري الى خطأ وقع فيه المؤلفون والمترجمون معا . . اما الذي وقع فيه المؤلفون فهو أنهم ذكروا ان أبا عبيدة مات في عمواس ، والصحيح أنه مات بسبب طاعون عمواس ، ولم يمت ولم يدفن فيها ، والطاعون أو أي وباء يسمى غالبا بالبلدة التي ظهر منها وانتشر . . وفرق بين مات في عمواس ، ومات بسبب طاعون عمواس . .

أما الخطأ الذى وقع فيه المترجمون للعربية فهو خطأ لا يغتفر لهم فقد كتبوا اسم « عمواس » هكذا (أمواس) فكتبوها كنطقها بالانجليزية ، وترجموا حرف الـ (A) الذى تكتب به الغين فى الانجليزية ، الفا مهموزة (أ) وهذا إن دل على شىء فهو يدل على عدم إلمام المترجم بالتاريخ ، وكان من الضرورى أن يرجع الى العربية فى ذكر أسماء البلاد والأشخاص ، فيكتبها بالأسماء الأصلية فى العربية ، والا لجاز له أن يكتب اسم (على) مثلا حين ترجمته من الانجليزية (الى) !

وشكرا للرجل البحاثة اللواء محمود شيت خطاب ..

علاقة الاسلام باللغة العربية :

المغرب العربى ظل مدة طويلة تحت الحكم الفرنسى ، الذى كان يهدف فيما يهدف الى القضاء على معالم البلاد العربية الاسلامية ، وفى مقدمتها الدين واللغة واستطاع ان يقطع شوطا فى سبيل هدفه .. ولكن ما كادت البلاد تتمتع باستقلالها ، حتى سارت مع طبيعتها الاسلامية العربية ، ورأينا فيها جهودا طيبة رسمية وأهلية تبذل فى هذا السبيل .. وان قلبنا ليخفق سرورا بهذه الجهود ، ويحيى كل من يشارك فيها من قريب أو بعيد .

وأمامى الآن رسالة من الأخ الأستاذ عبد العزيز « بنعبد الله » الأمين العام للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب فى الرباط التابع لجامعة الدول العربية ، تحمل أخبارا ومشروعات طيبة تنبىء عن الجهود التى يقوم بها المكتب لخدمة اللغة العربية .. يقول فيها :

« إن المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى ، قد نظم فى الموسم الماضى استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية . وقد حظى هذا الاستفتاء باهتمام المفكرين العرب والمستشرقين والمعتنين بالدراسات اللغوية والشرقية فى العالم ، إذ حددوا فى إجاباتهم — التى نشرنا البعض منها فى مجلة « اللسان العربى » — العدد الخامس مع مقدمة وتلخيص وتعليق — أنواع المشاكل التى تعترض سير وانتشار الضاد » .

ثم يقول :

ومزيدا فى بحث قضايا اللغة العربية وعلاقتها مع الانسان والعالم قرر المكتب الدائم تنظيم استفتاء آخر حول : « علاقة الاسلام باللغة العربية » .

وهذا موضوع له اهميته البالغة ولا سيما فى هذا الوقت الذى تعالت فيه بعض الأصوات تطالب بأن تأخذ اللغة العامية دورها وأن نكتب للناس بها ..

وشعورا منا بأهمية هذا الموضوع ننشر هنا نص هذا الاستفتاء ..

« السؤال : هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟ وفى حالة الإيجاب ما هو مدى هذا التلازم أو هذا الارتباط ؟ .

ومع هذا السؤال العام أسئلة ايضاحية جانبية تزيد الموضوع وضوحا وهى :

١ — هل تناصرون الرأى القائل بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية .. وأنه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية أن تنتشر فى العالم ، كما أنه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ؟ — مهما كان جوابكم هل يمكنكم أن تتفضلوا بالاستدلال على صحة رأيكم بواقع بيئتكم الإقليمية وبماضيها ؟

٢ — هلا تلاحظون فى بلدكم بصفة خاصة ، وفى البلاد الاسلامية بصفة عامة أن الوعى الاسلامى والوازع الدينى يقويان ويضعفان ، تبعا لما يعترى لغة الضاد من قوة وضعف ، وأن العكس بالعكس ؟

٣ — ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامى عن طريق لغة القرآن فى اللهجات أو اللغات الإقليمية فى الأقطار الاسلامية غير العربية ، أو لدى الجاليات الاسلامية فى الأقطار الغربية أو الآسيوية ؟ .

٤ — إذا كان هنالك تأثير ما للهجتكم الإقليمية فى تعابيركم العربية المحلية فما هى نسبته ومداه ؟

٥ — ما هى المكانة التى يجب أن تحتلها العربية فى بلدكم بالنسبة للغات الأجنبية ؟ » ا.هـ .

والمكتب ينتظر من المعنيين بهذه الدراسات أن يسهموا بالكتابة فى هذا الموضوع ويوافوه بما يكتبون على عنوانه : (22 شارع المرابطين — الرباط — ص.ب 290) .

وبهذه المناسبة أحب أن يعلم القارىء أن المغرب العربى يكتب أرقامه بهذه الصورة التى نسميها نحن أجنبية علما بأنها فى الأصل صورة عربية . أما صور الأرقام التى نستعملها فى المشرق الآن فهى مأخوذة أصلا من الهندية ..

ونحن من جانبنا نتمنى للقائمين بهذا المكتب كل توفيق فى سبيل خدمة لغة القرآن الكريم ولا سيما فى هذا الجزء الغالى من الوطن العربى الاسلامى .

وصية الشيطان :

مساكين هؤلاء المسلمون السذج ، الذين يقعون فى حبائل ما يسمى بوصية الشيخ احمد خادم الحجرة النبوية ، فيتعبون ويكتبون على أمل أن يثابوا وهو : « كأمل ابليس فى الجنة » كما يقال .. مساكين هؤلاء بجهلهم وسذاجتهم ، ولقد كتبنا من قبل ننبه الى هذا الدجل ، وهذه الشعوذة ، ونهيب بالعقلاء من المسلمين الا يكونوا من الغفلة الى حد ان يصدقوا بهذه الوصية المزعومة .. ولكن لا يزال هناك أناس يتخذ العنكبوت من عقولهم عشا يبيض فيه ويفرخ مثل هذه الخرافات .. ومن هؤلاء هذا المسلم الساذج (المغفل) الذى أتعب نفسه ، وكتب الى من أجل أن يكسب ثوابا ، وهو لم يكسب الا أوزارا ، ولا تشفع له نيته الطيبة ، ولا عقليته الساذجة .

إنها وصية اخترعها شيطان ، يعاونه عليها شياطين مثله ، حتى ولو لبسوا لباس الأتقياء ..

وان كل مسلم تروج عنده مثل هذه الوصية الشيطانية إنما يعلن عن نفسه ويدمغها بالجهل ، والبعد عن فهم الدين وتعاليمه الواضحة ..

وإنني أهيب بكل مسلم مقتدر أن يحارب مثل هذه الخرافة حوله ما استطاع ، فقد عاشت زمنا ، ويجب أن تموت كما تموت الطفيليات ..

وقبل أن انتهي من الكلام حول هذه الوصية الشيطانية أدعوكم معي للضحك على عقلية هذا المرسل الذي كتب على غلاف الرسالة « الكويت — المجمع الإسلامي — أو الهيئة — أو غير ذلك — مواطن من الجمهورية المتحدة ، وبجانب ذلك على الظرف وهذا بيت القصيد « هذه دعوة اسلامية هامة » !!

مسكيـــن !!

انه متحمس لدينه ، ولكنه ضل السبيل اليه .. ليته يقرأ هذا ، ويتوب الى الله مما فعل ، لعل الله يغفر له ترويجه لهذا الضلال ، أو هذه الدعوة اللاإسلامية .. أو هذه الوصية الشيطانية .

قال لــي :

قال لي محدثي وهو يلفت نظري إلى شيء هام :

إن « الوعي الاسلامي » تحدث رعبا في صفوف اللادينيين والمنحرفين .. وكلما ظهر عدد منها وقع كالصاعقة على رؤوسهم .. « وركبهم العفريت » الى حد أنهم يحاولون بمختلف وسائلهم الشيطانية أن ينفذوا للجهات المسئولة لمنعها من دخول البلد الذي يباشرون نفث سمومهم فيه . فاذا لم ينجحوا في ذلك عمدوا بوسائل اخرى للحيلولة بينها وبين النـــاس ، حتى أنهـــم يوصي بعضهم بعضـــا بشرائها واعدامهـــا !!

قلت له : هذا بشير خير . فمن قبل تواصي عبدة الأصنام ، وقال بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون) ومع ذلك شق القرآن طريقه الى القلوب ، لأنه حق من الحق تبارك وتعالى .. وتهاوت الأصنام وعبادها ، وارتفعت راية الرحمن ..

ولو أن « الوعي الاسلامي » ضعيفة ، ما حفل بها رءوس الشياطين ، وان لها — والله — لجنودا في كل بيت ، وفي كل بلد وقطر ، هم جنود الله .. وما يعلم جنود ربك الا هو ..

وان المسلم قد يغفل عن دينه حينـــا ، أو يهمل بعض تعاليمه ، ولكنه حين يرى استئساد الهررة عليه ، لا يتركهم حتى يدوسهم تحت قدميه ..

واذا كانت بعض المجلات الملتزمة التي تصدر في البلاد العربية ، بلغـــة عربية ، وفكر غير عربي ، تعرض بنا ، وتحمل علينا ، وتتهمنا بالرجعية .. فذلك لأنهم احسوا وقع « الوعي الاسلامي » وخطرها عليهم ، ونقضها لكل ما يغزلون أو يغزل لهم . ونحن — والله — نرحب بكل المعاني التي يقصدونها من كلمـــــة (الرجعية) ونحبها ، ونعبد الله بها . ونحيا عليها ، ونموت عليها ، ونلقى بها الله يوم الحساب ، غرة بيضاء في جباهنا ، وحسنات ثقيلة في ميزاننا . ولا نقول لهم الآن الا ما علم الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقوله لأعدائه : « **قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون** » .

عيد الخلود

بمناسبة احتفال المسلمين بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم

للشيخ : كمال عون

نعم . اربعة عشر قرنا من الزمان مضت على بدء نزول هذا القرآن من سماء الحق على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فكانت اربعة عشر من الشهود العدول ، فى يد كل شاهد مائة دليل ، يزكى كل دليل ويدين به مئات الملايين من البشر ، فى مدى الأرض الاسلامية الفسيحة على وجه هذه البسيطة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، يشهدون جيلا بعد جيل أنه كتاب الله ، وانه على حاله ، كما أنزل يوم أنزل ، بلفظه وادائه ، لم تحرف فيه آية ، ولم تسقط منه كلمة ، ولم ينخرم فيه حرف .

ومن هؤلاء عشرات الألوف من العلماء والباحثين فى البيئات المختلفة ، والعصور المتطاولة يقضون حياتهم عاكفين ، يتقربون الى الله سبحانه بتفهم آياته ، وتعلم احكامه ومدارسة شريعته ، وينتجون فى ظل القرآن الكريم ، وعلى هداه ، أروع ما عرفت البشرية فى تاريخها الطويل من التراث العلمى فى كل فنون المعرفة ، ثم لا يشعرون أنهم استنفدوا كل ما فيه ، أو أتوا على جل ما يحتويه ، بل علموا أنهم أمام آيات الله وكتابه المسطور ، وانه سيظل مفتوحا أمام البشر ، يأخذون منه حاجتهم ، كما سيظل الكون بأرضه وسمائه كتاب الله المنشور ، حتى يرث الله الأرض ويطوى السماء .

القرآن والعالم :

ومن خلف هؤلاء جميعا أمم العالم بعلومها وعلمائها ، وساستها وقادتها ، ومنهم الناقدون والحاقدون ، وفيهم الباحثون والدارسون ، وبينهم المستشرقون واتباع المستشرقين ، والقرآن الكريم يراوحهم ويغاديهم بصوته المدوى لا فى سماء العروبة والاسلام وحدها ، بل فى سماء الشرق والغرب واذاعاتهما كذلك ،

يعلن على الجميع نسبته السماوية ، وعزته الالهية ، وعصمته على الزمن ، ومنعته من الخلائق اجمع ، متحديا شانئيه أن يغيروه أو يضاهئوه أو يجدوا فيه مغمزا ، والقوم حراص على توهين كلمته ، ونقض عروتـــه ، ولكنهم يجدون انفسهم بعد طول ترداد ومحال ، أمام هذا العهد الوثيق ، من قول الله العلى القدير « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وبرهـــان الواقع يسجل : « لا تبديل لكلمات الله » ــ « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـــه اختلافا كثيرا » .

اسرائيل ايضا :

ولقد سولت لاسرائيل نحيزة خبيثة وعرق موروث فى تحريف ما انزل الله على الأنبياء السابقين ، فحاولت تغيير بعض كلمات من القرآن الكريم ، فى اذاعات قدمتها منذ بضعة اعوام لدول افريقية ، فقام جند الله بعمل جليل فى خدمة كتابه ، وسجل المصـــحف المرتل ، بالأداء المتقن لأفاضل القراء ، وعم نشره فى جميع الأرجاء ، « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . ارادوها فتنة وضلالا ، فجاءت نعمة وهدى « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » ان حفظ الله تعالى لمعْجزة هذا الكتاب أمر قضت به الحكمة ، وتمت به النعمة ، وناسب رسالته وشاكل موضوعه ، فالاسلام وارث النبوات ، وخاتم الرسالات ، والدين الباقى ما بقى على الأرض انسان ، فكان لزاما أن تخلد حجته ، وتبقى علــى الزمان معجزته ، لا خبرا يرويه مؤمن ، ولا حديثا يمارى فيه جاحد ، ولكن عيانا يراها الناظرون ، وآيات يتلوها القارئون ، وحكما يعقلها العالمون ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » « بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

التحدى بالقرآن :

لقد تحدى الله العرب ــ وقد بلغوا اقصى ما تبلغه سليقة انســـانية فى لغتها ــ أن يأتوا مجتمعين أو منفردين بمثل القرآن حكما صادقا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله بلاغة وأسلوبا ولو كانت العشر مفتراة ومتخيلة ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلما اتضح لهم عجزهم ضرب عليهم بحكمه القاطع بأنهم وشهداءهم والانس والجن مجتمعين لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وكشفت حجة الله البالغة التى أعجزت العرب عن تقاصر القوى البشرية مهما استحكمت وتعاظمت عن اللحاق بمداهـــا ، فكانت بهذا حجة الله على العالميـــن .

من وجوه الاعجاز :

ولقد افرغ العلماء والباحثون جهدهم فى تبين وجوه الاعجاز ، وما يزالون يكشفون بتقدم العلم كل جديد ، فتحدثوا فى بيان اعجاز القرآن عن :

١ ــ لفظه ومبناه ، وأسلوبه ومعانيه ، وذاك أصل الاعجاز فيه .

٢ ــ وما ذكر من انباء السابقين مما لم يكن لأحد به علم ، ولا ورد ذكره فى الكتب السالفة كعاد وثمود وغيرهما ، وأكد صحتها البحث الحديث ، وما قدم علماء الحفريات والآثار من جهود ، كذلك صحح القرآن الكثير مما أخطأ فيه السابقون أو حرفوه .

٣ ــ وما أخبر به من أمور غيبية لاحقة تحققت على ما اخبر به من مثل : « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » ــ « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » ــ « والله يعصمك من الناس » .. الى غير ذلك كثير .

٤ ــ وما تضمنه من علوم ومعارف سبقت ما عرف البشر حينذاك وما تزال سابقة : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » ــ « وأرسلنا الرياح لواقح » ــ « ومن كل شىء خلقنا زوجين » .

٥ ــ وما قروه من عقائد وعبادات ، وفضائل وآداب وتشريع سياسى واجتماعى فضل كل ما سبقه من الشرائع السماوية ، وما لحقه من النظم الوضعية التى تحتاج دائما الى التغيير والتبديل ، على حين سلامته من التغيير وغناه عن كل تعديل .

٦ ــ وفى وروده بهذا كله على لسان النبى الأمى الذى لم يقرا صحيفة ولم يكتب سطرا ، وقد تفجرت به من رمال الصحراء ينابيع العلم والحكمة ففاضت على العالم كله ، واقامت الممالك والدول تؤمن بالقرآن ، وتمضى على سننه ، وتقيم المعاهد والمدارس لتقوم بدراسة هدايته ، وتبليغ رسالته .

ونكتفى الآن بالحديث الوجيز فى نقطتين هما فى الحقيقة على هامش اعجازه وهداه .

أولاهما : عن سورة الكوثر واعجازها :

والكلام فيها سؤال يقول : اذا كان القرآن بروعة مبناه ، وجلال معانيه ، وما تضمن من عقائد وآداب وعلوم وتشريع معجزا للعرب وغيرهم فكيف تعجز سورة فى سطر واحد من سطروا الأسفار والطوامير ؟ وكيف لا يتفق مثلها لخاطر بليغ أو لعقل اريب وقلم كاتب ؟ .

وفى الجواب :

نسوق ما قالوا من أن ادب الأديب هو اسلوبه ، وما قالوه بعبارة اخرى من ان الأسلوب هو فكر الأديب وصورة من عقلية الكاتب ، ومن هنا فبيان الخالق الحكيم فى كتابه روح من أمره يبعث الحياة والهدى ، والله يقول : « وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا .. » فكيف إذا يبلغ احد المخلوقين مضاهاة أحكم الحاكمين ؟ .

ثم نظر العلماء فيما نظروا من السورة الكريمة لفظة الكوثر (للخير الكثير الجامع) فى أولها ، وكيف لا تغنى كلمة فى اللغة غناءها ، وترتب الأمر بالصلاة والنحر على ذلك وما فيهما من بشرى التمكين والنصر فى وسطها ، ثم نبأ الغيب الصادق عن العدو الشانىء فى آخرها .

وأنت واجد بعد ذلك الكثير من رضا البلاغة ومنتهى آمادها ، من افتتاحها بضمائر العظمة فى جملة خبرية مؤكدة ليشاكل ذلك تحقق العطاء سابقا ولاحقا ، مع الجرس الموسيقى فى الآية الكريمة ، ثم الوصل والفصل كل فى موضعه ،

ولطف أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة لربه ، وما فى الرب من معانى التربية والإنعام مقرونا بكاف الخطاب تشريفا ، وغيره وغيره .

فليس الأمر اذا أمر سطر من الكلام ، ولكنه الاعجاز — كما ترى — فى سطـر .

ودعنى أسأل غير بعيد ، وربك يقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس » .

هؤلاء الألى بنوا ناطحات السحاب ، وصنعوا قاذفات العـذاب ، وعتوا بعابرة المحيطات ، وفخروا بالهابطات على قمر السماء ، اتراهم مع هـذا كله أنشأوا من الملكوت شيئا ، أم تراهم اخرجوا من الطين والماء نبتا ؟ كلا انهم عن الخلق لمعزولون ، وعن سر الحياة محجوبون ، وانهم لهم المخلوقون ، وفى حدود المادة وحدها بأمر خالقها مصرفون .

ان السورة القصيرة من القرآن فى حدود ثلاث آيات هى — وان صغرت حجما — كالبنية الحية لا تصنع فى مخابر العلماء ولا تنزل فى خواطر البلغاء ، ولا تنالها أقلام الأدباء ، وذلك بأمر يفوق طاقة الجميع هو فيها سر الحياة .
وكما عجز الناس أن يخلقوا من الكون ذرة كذلك عجزوا أن ينشئوا من القرآن سورة .

***

ان سورة الكوثر فى اعجازها بالنسبة الى اعجاز القرآن الكريم كسر الحياة المستكن فى أيسر الكائنات مماثلا فى حقيقته ما استكن فى اعظمها ، يعجز الخلائق بوسائلهم عن الاتيان بمثله ، وان سلكوا اليه كل سبيل .

والثانية : **عن القرآن والمعجزات السابقة :**

عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى الا اوتى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا يوحى ، فأنا أرجو أن اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة » .

فالمعجزات السابقة كالعصا واليد لموسى عليه السلام ، وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى من معجزات المسيح عليه السلام ، ومثلها معجزات سائر الأنبياء ، وكذا المعجزات الحسية لنبينا عليه الصلاة والسلام كانشـقاق القمر وتسبيح الحصا ونبع الماء من بين أصابعه وغيرها هى آيات بينات عجزت القوى البشرية عن الاتيان بمثلها ، ولكنها محدودة لوقتها ، وبأداء دورها فى الشهادة لمن أجراها الله على يديه بصدق نبوته ، وصحة رسالته ، فتراها وقد انتهت بمجرد وقوعها ماضية الى ذمة التاريخ ، تاركة الانسان منها حيث هو لم يتقدم بها خطوة الا بما يتمثله من هدى الأنبياء ، وتعـاليمهم الموحى بها . أما القرآن واعجازه لمن استبصر فالأمر فيه جد مختلف ، انه وحى ، وفى هذا الوحى اعجاز عقلى وعلمى يشهده كل من شاء ، ويشـهد به كل منصف من العقلاء والعلماء .

ان المرء ذا العقل والحجا يتحسس لسانه وعقله أمام حيوية البيان وروح القرآن فاذا هما فى العجز سواء ، بيد أن القرآن حينما أعجز الانسان من داخله — مستقر الانسانية فيه — ملك هذا الداخل قلبا ولسانا ، ليسمو به الى آفاق يسعد بالسمو اليها ، فاذا هو فوق مستوى نفسه درجات ودرجات .

انه يعجز الانسان ليسلم زمامه الى داعى الله ، فيتولاه قائدا ومرشدا وهاديا ، فاذا كانت المعجزات الحسية اعجازا وحسب ففى القرآن اعجاز واعلاء ، فيه اعجاز وفيه بناء .

ان معجزة القرآن جاءت لتبنى الانسان عقلا وقلبا ولسانا ، وآدابا وسلوكا وتشريعا ، فيبنى لنفسه كل جميل واصيل ، ويدرأ عن حياته كل قبيح ودخيل .

فى حياة المؤمنين :

* * *

ان الدارس الباحث يتفقه بالنظر فيه فيفتح له من الفهم والفقه أبوابا ، ويرود به من العلوم والمعارف آفاقا ، ويسن له تشريعا وآدابا وخلقا .

وان البليغ يتمرس بأسلوبه ويحتذيه فى وضوحه وبلاغة ايجازه ، فغايته أن يفيد مما وعى فى ذوقه وفهمه وبيانه .

وان المتحدث يدعم قوله بشاهد منه فلا يرى منصف بعد شاهده مقالا .

وان القاضى يستشهد بنصه فيقيم للعدالة ميزانها الذى لا يحيف ولا يجور .

وان القارىء ليتلوه متدبرا فاذا هو بما تلا من القرآن استدرج نصيبا من النبوة بين جنبيه .

* * *

ولكن الأمر اكثر من ذلك فى حياة المؤمنين ، ان المؤمن يحيا به ويحيا فيه ، ان على كل مؤمن فرضا لا زما كى تقبل منه صلاة وترفع له عبادة أن يتصل بهذه المعجزة كل يوم مرات ومرات ، وفى كل مرة يثنى على الله ، ويخلص العبادة لمولاه ، ويسأله من خلال آيها ونور هداها أن يهديه الصراط المستقيم ، وأن يلحقه بمثله العليا ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، مصونا من سبيل المغضوب عليهم وسبيل الضالين .

ان هذا قدر ضرورى من جملة ما أودع فى أم الكتاب ، لا يحرم انواره مؤمن ، اذ لا صلاة بدونها ، فاذا مضى المؤمن فى رياض القرآن وفراديس معانيه ، وخاطب مولاه بآياته ، وناجاه بكلامه استقبل من غيض ربه وفضله العميم ما شاء الله ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

هذه الحقيقة :

فالقرآن للمؤمنين كما وصفه الحق تعالى : نور « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ـــ « واتبعوا النور الذى انزل معه » .

والقرآن هداية : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ـــ « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

والقرآن شفاء ورحمة : « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » .

والقرآن روح وحياة : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » ـــ « أو من كان ميتا فأحييناه (ضالا فهديناه) وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

(البقية ص ٦٩)

مائدة القارئ

أعدها : أبو نزار

« قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون »

(قرآن كريم)

من جهز غازيا فى سبيل الله ، فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى اهله بخير فقد غزا .

رواية لم تتم فصولهـا

بعثت أوروبا بجنودها الصليبيين ، وقذفت بهم لفتح فلسطين ، وطلع عليهم صلاح الدين الأيوبى ، وحرض المؤمنين على القتال ، وانقض بهم على الأعداء واستنقذ بيت المقدس ، فى اكتوبر سنة ١١٨٧م وخرج الصليبيون مخذولين من بيت المقدس بعد ان استولوا عليه نحو قرن .

والتاريخ يعيد نفسه فاليوم تؤيد أوربا وامريكا هؤلاء الصهيونيين وستتم الرواية اخيرا كما تمت أولا : فالله يهب نصره لمن اخلص له وصـدق وعده وبذل الأرواح والأموال لتكون كلمة الله العليا وكلمة الكافرين السفلى .

قصة زوج وزوجـة

لقى الشعبى شريحا القاضى فسأله عن حاله فى بيته ، فقـال شريح من عشرين عاما لم أر ما يغضبنى من اهلى ، قال له : وكيف ذلك ، قال شريح : من أول ليلة دخلت على امراتى ، رايت فيها حسنا فاتنا ، وجمالا نادرا ، قلت فى نفسى : فلأطهر واصلى ركعتين شكرا لله ، فلما سـلمت ، وجدت زوجتى تصلى بصلاتى ، وتسلم بسلامى ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصـدقاء ، قمت اليها فمددت يدى نحوها ، فقالت : على رسلك يا ابا أمية ، كما انت ، ثم قالت : الحمد لله أحمده واستعينه ، واصلى على محمد وآله ؛ انى امراة غريبة لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب فآتيه ، وما تكره فأتركه ، وقالت : انه كان لك فى قومك من تتزوجه من نسائكم ، وفى قومى من الرجال من هو كفء لى ؛ ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله : امساك بمعروف أو تسريح باحسان .. اقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك .. !!

قال شريح : فأحوجتنى والله يا شعبى الى الخطبة فى ذلك الموضـــع . فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلى على النبى وآله وسلم ، وبعـــد ، فانك قلت كلاما ـــ أن تثبتى عليه يكن ذلك حظك ، وأن تدعيه يكن حجة عليك ، احب كذا وكذا ، واكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت :

كيف محبتك لزيارة اهلى . قلت : ما احب أن يملنى أصهارى . فقالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ، ومن تكره فأكره ، . قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولا لا أرى الا ما أحب . فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فاذا بفلانة فى البيت . قلت من هى ؟ قالوا : ختنك « أى ام زوجك » فالتفتت الى وسألتنى : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . قالت : يا ابـــا أمية ان المراة لا تكون اسوا حالا منها فى خالين : اذا ولدت غلاما ، او حظيت عند زوجها ، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المـــــراة المدللة . فأدب ما شئت أن تؤدب وهذب ما شئت أن تهذب .

فمكثت معى عشرين عاما لم اعتب عليها فى شىء الا مرة واحدة وكنت لها ظالما .. هكذا فلتكن النساء ..

معيشـــة قائـــد

ولى عمر بن الخطاب ابا عبيدة بن الجراح قيادة الجيـــــوش كلها التى ارسلت لفتح الشام ، ولما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة ، فقال له عمر : اذهب بنا الى بيتك . ولعله كان يقصد استطلاع عيشة قائده ، فقال له أبـــو عبيدة : وما تصنع عندى ؟ ما تريد الا أن تعصر عينيك على . ثم دخل منزله ، فلم ير شيئا ، فقال : أين متاعك وانت امير ؟ ثم سأله : أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة الى جونه فأخرج منها كسيرات ، فبكى عمر ، وقال ، غيرتنا الدنيا كلنـــا غيرك يا أبا عبيدة !!

تغيير الأسماء القبيحـــة

قال أبو داود : غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اســـم العاصى ، وعزيز ، وعتلة وشيطان والحكم ، وغراب ، وحباب وشهاب ، فسمى ، هشاما ، وسمى حربا سلما ، وسمى المضطجع المنبعث ، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضـــلالة سماه شـــعب الهدى ، وبنى الزنيـــة سماهم بنى الرشد ، وسمى بنى مغوية بنى رشـــدة .

بين أبى الدرداء وزوجته

قال أبو الدرداء لامراته : اذا رايتنى غضبت فرضنى ، واذا رايتك غضبى رضيتك ، والا لم نصطحب ، وانشد :

خذ العفـــو منى تســـتديمى مودتى ... ولا تنطقى فى ســـورتى حين اغضب
ولا تنقرينى نقـــرك الـــدف مـــرة ... فـــانك لا تـــدرين كيـــف المغيـــب
ولا تكثر الشـــــكوى فتذهب بالقوى ... ويأباك قلبى والقـــــلوب تقـــلب
فانى رأيت الحب فى القلـــب والأذى ... اذا اجتمعا لم يلبـــث الحب يذهـــب

النؤاسي

الرصين المنيب

للدكتور: علي شلق

« كثير من الناس لا يعرف عن أبى نواس الا أنه شاعرماجن كثير الدعابة حتى أن بعض المثقفين دهشوا لما سمعوا أن لأبى نواس شعرا فى الزهد ومناجاة الخالق يفوق مـا قاله الشعراء المعروفون بالزهد – ولهؤلاء ونظرائهم يتحدث الدكتور على شلق الذى يعيش بذوقه الأدبى وروحه مع أبى نواس ، وله فيه دراسات جديدة مطبوعة » .

الـــوعى .

الحسن بن هانىء ، الملقب بـأبى نواس ، كان شاعرا ماجنا ، لكنه كان عميق الايمان ، استجاب لاشراقه بعد أن انقشعت عن بصره التماعات من سراب الغواية ، فبان **وراءها لون ذاته الحميم** ، يرتسم صورا صورا عن الانابة ، والشوق الي رحاب اللـه ، ليغيب فى مداه الذى لا تدركه الأبصار ، وتحن اليه البصائر .

القى فى أوقيانوس الوجود ، لم يعايش أبا يتمثله فى معاطاته ، وما وثق بأم يطمئن الى استقامة طريقها .

والمكان مدينة البصرة عاصمة الفكر الأولى قبل بغداد فى الاسلام ، وسيدة مدرسة العقل ، لم تصل الى فلكها المدينة ، ولا الكوفة .

والزمان : القرن الثانى الهجرى ، ترك البصرة بعد انغماره فى آفاق الكوفة مع (والبة) الى بغداد مدينة العالم الأولى آنــذاك كما يقـول (بروكلمـن) . درس فى بـصرة (المربد) ذلك الجسر الفكرى بين بلاد العرب ، والفرس والصين ، والهند ، من جانب ، وملتقى تيارات السريان حفظة التراث اليونانى ، العابر من أثينا الى الاسكندرية ، فأنطاكية فجنديسابور .

وعى الجدل والكلام ، والفقه ، والقراءات ، والفلسفة ، والرواية ، واللغة والأدب ، والرياضيات ، والعلوم التطبيقية ، وناقش فى المذاهب « فأرجأ » ولم « يعتزل » وحفظ الحديث ورواه ، وفهم القرآن وحفظه ، الشىء الذى دفع الدكتور طه حسين أن يقول عنه : « وانما كان

ذا مكانة عالية ، وعالية جـداً (١) ، مثلما قيل فيـه : « اقل مـا فى أبى نؤاس قول الشعر » .

يكفى أن يكون من أسـاتذته فى دراسة القرآن الكريم « يعقـوب الحضرمى » (٢) الذى دفع اليه خاتمه اعجابا باتقانه فن القراءة ، ودرس النحو على « ابى زيد بن ثابت » (٣) ونظر فى كتاب سيبويه (٤) .

قرأ الحديث الشريف ورواه على عدة شيوخ منهم (ابـن زيـاد) و (يحيى القطان) و (البسمان) (٥) .

وقرأ شعر ذى الرمة على الراوية (ابن حبيب الناشىء) (٦) . أمـا تخرجه فى فنون الشعر فعلى (خلف الأحمر) (٧) ثـم حضر مجلس أبى عبيـدة (والهيثم الكـوفى) (والسجستانى البصرى) وسمع من (الأصمعى) (٨) .

قال عنه ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٩) : « كان أبـو نؤاس متفننا فى العلم ، وقد ضرب فى كل نوع منه بنصيب ، ونظر مع ذلك فى علم النجوم ، وعلم الطبائع ، واتقن الموسيقى ، وعرف الفارسـية على الأغلب ، شافه الاعراب ، ثم عـاد الى البصرة .

. . . . .

عقد المستشرق الألمانى (نولدكه) فصلا فى كتابه عن الأدب العـربى وشعره ، مقارنا بينه وبين (هنريخ



هينى) فأظهر علو كعب شاعرنا على شاعر الألمان ، واستطالة آفاته .

وعده (لويس جرده) المستشرق الفرنسى فى رسالته (انسـانية الاسـلام) من كبار الانسـانيين المسـلمين فى عصر بنى العباس :

« .. الذين هم بلا شك ليسـوا للجمهور العربى الاسلامى فحسب ، بل للمعطيات الفكرية لجميع البشر المتحضرين » .

وقـد عنى بدراسـته كبـار المستشرقين من طراز « بروكلمن ، فون كريمر ، أهلـورد ، نلينـو ، سوفاجه ، جود فرواده مومبين ،

---

(١) حديث الأربعاء جـ ٢ ص ٥٤
(٢) ابن منظـور جـ ٦ .
(٣) شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٤) شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٤٠ .
(٥) شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٥٥ .
(٦) ابن منظور جـ ٧ .
(٧) ابن منظور جـ ٤٤ .
(٨) ابن منظور ص ٣٠٥ .
(٩) ابن منظور ص ٣١٤ .

كليمان هيوار ، بلاشير ، بلا ، وسواهم . (١)

. . . . .

نشد النؤاسى الخلاص باللذة مثلما نشده ابن الرومى بالطبيعة ، والمتنبى بالتعالى ، و (نيتشه) بالانسان الأعلى ، وشوبنهور بالفن ، لكن النؤاسى لم يجد فى بحار اللذة لؤلؤا بعد ان غاص ، بل شهق وهو على الشاطىء يفتش عن الجوهر ، ودار ببصره فى الجهات الأربع ، ثم صاح : يا الله . « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده » .

زهد النؤاسى ، وسكب عصارة روحه فى شعره ، فتخطى ميوعة ابى العتاهية ، وعد شاعر الزهد والتوبة فى الاسلام ، مثلما كان قبل ذلك شاعر المجون ، يقابله (بودلير) الفرنسى شاعر الشيطان والخطيئة، الذى صار من بعد شاعر التجاوز فى المسيحية .

هنا تبرز حقيقة وجودية هائلة ، تتمثل فى أن من عرف الشر واقلع وأناب ، كان ذلك اقوى فى دفعه الى الخير والهداية .

قيل لعمر بن الخطاب : فلان لا يعرف الشر (٢) فقال : (ذلك ادعى أن يقع فيه) من هذا الاطار اقصوصة : « الصبى الشاطر » فى المسيحية ، وتوبة المجدلية .

. . . . .

ذكر ابن قتيبة أن الرشيد قال : (لو تمكنت الدنيا من النطق لما وصفت نفسها بغير قول أبى نؤاس :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق (٣)

. . . . .

اننى عندما استعرض زهدياته ، يتصور لعينى وجه راعب ، بعينين هلوعتين ، وجبهة يتحدر عنها الصبيب ، وفم فاغر يرتعد ، ويدان راعشتا الابتهال ، يذكرنى بصورة (هنرى ده وروكيه) عن البائس . فأردد معه أبياته تلك التى تشبه الجمر يكوى ، واللهب يشوى ، تقذفه اضالع النفس المنطلقة بكل وجودها وأبعادها نحو من بيده وحده الغفران والخلاص .

تعاظمنى ذنبى ، فلما قرنته
بعفوك ربى ، كان عفوك أعظما(٤)

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » .

ثم يرتجف من هول الذنوب التى تتمثل فى خاطره وتتصور فى باله مرحلة مرحلة ، فيخشى أن تكون العاقبة ظلال شجرة الزقوم ، تلك التى طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فيستغيث فى لهفة تتفجر من الأعماق :

لو أن دون النفس واقية
لفديتها بالمال والولد (٥)
ما حجتى يوم الحساب اذا
شهدت على بما جنيت يدى ؟

---

(١) من أراد الاستزادة فليقرأ كتابنا عنه (ابو نؤاس بين التخطى والالتزام) نشر دار الثقافة ببيروت .

(٢) لا نظن أن المراد هنا أن فلانا لم يفعل الشر بدليل الجواب بعده .. ورحم الله من قال : واعرف الشر لا للشر ولكن لتوقيه . (الوعى)

(٣) الشعر والشعراء ص ٣٢٧ .

(٤) الديوان ص ٢٠٠ .

(٥) الديوان ص ١٩٣ .

وربما سئمت نفسه من دجل المجتمع ، وتدليس الناس ، اطماعا ، أصباغا ، منازع ، ومسارب ، مع الشطار ، في درك (عصابة السوء) او لدى الكبراء ، والأمراء ، والخلفاء فينفض عن كاهله غبارهم ، ويغرق في تأمل ذاته ، ثم يمد بصره في الأفلاك ، فيرى كل شيء هباء ، الا حقيقة البارى سبحانه ، فهو وحده الملجأ ، والمستغاث :

لو لم تكن لله متهما
لم تمس محتاجا الى احد (١)

واذا سأله سائل : « كيف تترك متع بغداد ، ومرابع قطربل ، وكلواذي ، ودير حنة : من ذات الأكيراح ؟ هناك الحياة وقد خبرتها يا ابن هانيء ، فدعك والزهد ، وارجع في حاضرتك .

ساعتئذ يجيب الشاعر ، وقد خبر حلو الحياة ومرها ، اجابة الصادق الذى ينسل خيوط نوله من الواقع :

ان مع اليوم فاعلمن غدا
فانظر بما ينقضي مجيء غده (٢)
ما ارتد طرف امرىء بلذته
الا وشيء يموت من جسده

فيقول السائل : « ومالك يا حسن ؟ لا تزال فيك بقية شباب » فتدمع مقلتا الشاعر وينشد :

دب في السقام سفلا وعلوا
وأرانى اموت عضوا فعضوا (٣)
ذهبت جدتى بطاعة نفسى
وتذكرت طاعة الله نضوا
لهف نفسى على ليال وايام
تمليتهن لعبا ولهوا
قد اسأنا كل الاساءة فاللهم
صفحا عنا ، وغفرا وعفوا

ثم يشيح بوجهه عن المسول له السوء ويردد :

يا سوأتا مما كسبت ويا
أسفى على ما فات من عمرى (٤)

. . . . .

افر اليك منك واين الا
اليك يفر منك المستجير

واكثر ما كان يهز اعماق النؤاسي رؤيته القبور، وتصوره المصير هوة تفتح بلومها لابتلاعه ، فينفرط عقد طمأنينته ، ويركع مبتهلا الى ربه ليصفح عن ماضيه :

الا تاتى القبور صباح يوم
فتسمع ما تخبرك القبور ؟ (٥)
فان سكونها حرك تنادى
كأن بطون غائبها ظهور

. . . . .

ايا من ليس لي منه مجير
بعفوك من عذابك استجير (٦)

---

(١) ابن منظور ص ٦٣ .
(٢) الديوان ص ١٩٣ .
(٣) الديوان ص ٥٨٠ .
(٤) الديوان ص ٦١٠ .
(٥) الديوان ص ٦١٢ .
(٦) الديوان ص ٦١٠ وهذه القصيدة تذاع الآن ضمن الابتهالات الدينية .

انا العبد المقر بكل ذنب
وانت السيد المولى الغفور

فان عذبتني فبسوء فعلى
وان تغفر فانت به جدير

. . . . .

ما حجتي فيما اتيت وما
قولي لربي ، بل وما عذرى ؟(١)

لكن الشاعر التائب يثق بعفو الله ويطمئن لرضاته فى مثل قوله :

انقضت شرتي وعفت الملاهى
اذ رمى الشيب مفرقي بالدواهى(٢)

ونهتنى النهى فملت الى العد
ل واشفقت من مقالة نـاه

أيها الغافل المقيم على السهو
ولا عذر فى المقام لساه

لا باعمالنا نطيق خلاصا
يوم تبدو السماء فوق الجباه

غير انى على الاساءة والتفري
ط راج لحسن عفو الله

. . . . .

على ان الحسن بن هانىء ، ارتفع بشعره الى مرتبة النجوى والدعاء ، ساعة صفت نفسه ، وهو يلبى فى الحج ، فنسى الوجود كله ، الا شيئا واحدا ، جلال الله فأخذ يردد ، والحجاج حوله يرجعون فى خشوع غامر :

الهنا ما اعدلك
مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك

لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك

ما خاب عبد سالك
انت له حيث سلك

لولاك يا رب هلك

. . . . .

واخيرا لا اجد فى شعر النساك او الزهاد العرب ، واحدا بلغ من صدق النية ، وخلوص القصد ، فى عذوبة نغمة ، وجلال تعبير ما بلغه ابو نؤاس فى تضرعه الى الله ، ابتهالا يصعد بمجامر الكون ، حتى تسبح النجوم بالبخور ، والعبير :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم(٣)

ان كان لا يرجوك الا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم

أدعوك رب كما امرت تضرعا
فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم

مالى اليك وسيلة الا الرجا
وجميل عفوك ، ثم انى مسلم

---

(١) الديوان ٦١٠ .

(٢) كتابنا عنه ص ٣٦٥ .

(٣) الديوان ص ٦١٨ .

ويلاحظ أن هذه القصيدة وسابقتها فى الحج تغنيان الآن فى الابتهالات والمناسبات الدينية (الــوعى)

(بقية عيد الخلود)

والقرآن ذكر وشرف : « لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » . . « بل أتيناهم بذكرهم » . . « وانه لذكر لك ولقومك . . » .

نحن والقرآن :

ونحن بحمد الله أمة القرآن ، وان بيننا وبين كتاب الله نسبا لا ينفصم ، ولنا به حسب لا يزول ، فمن قبل قامت به دولة الاسلام فى بلادنا العربية ترسل الهدى والنور على العالم المعمور اذ ذاك ، ثم لم يخب ذلك الضياء منذ اشتعل، وقامت الدراسات الدينية والمدنية فى كل بقاع الاسلام ، وقام الأزهر فى مصر من اكثر من الف عام وكثرت معاهده يحمل رسالة الله ويبلغها الى المسلمين . وقام غير الأزهر كذلك بنصيبه المحمود فى دراسة القرآن واشماع نوره فى العالميـن .

وفى الحديث عنينا بمدارس القرآن ومكاتبه ، واقيمت للقرآن اذاعة خاصة كاملة الى جانب خطة فى كل الاذاعات العربية ، فوصلنا القديم بالجديد ، وضممنا الطارف الى التليد ، فما عسى يحول بيننا نحن العرب وبين الحياة الحقيقية فى نور القرآن ؟ .

أخى فى الاسلام :

هل ترى للمسلمين دواء بغير القرآن ؟

هل تنتظر لهم شفاء فى سواه ؟

هل تصلح لهم نهضة لا ترتكز على هداه ؟

هل تجد غير القرآن أرفق بأهل القرآن واوفق لهم ، يشفى قلوبهم ، ويجمع شتيتهم ، ويرفع بالايمان أرواحهم ، ويملأ بالشجاعة والأمل نفوسهم ؟

هل تظن العرب فى معاركهم ودفاعهم عن مقدساتهم وأوطانهم يردون كيد الناس بغير صحيح الايمان ؟

انما يرد كيد الناس ايمان العرب المستمد من بأس الله ، ذلك الايمان الذى يجعل من كل مؤمن قوة موصولة بمدد السماء ، فاذا قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم زادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

بروح القرآن تسرى فى كيان امتكم ايها العرب تردون عنكم حديد الناس ومكر الشياطين ، والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

فاللهم عزمة من عزمات التوفيق والهداية ، ترفعنا الى مستوى حياة القرآن ، فاذا نحن على الجادة فى حياة حرة كريمة ، بناءة رائدة « خير امة اخرجت للناس » .

اللهم وفق الأمة وقادتها للعمل بالقرآن ، والحياة كما رسم القرآن ، وسدد خطانا واكتب لنا بالقرآن عزا ونصرا ومجدا خالدا . والسلام .

بني الإسلام

الا ما للملاحة والفنون ... بمهجة يدنف صنو الانين

وما انا في الهوى يا اخت مي ... وحقك غير ماسور رهين

سعيد في هواك وكيف يشقى ... محب المصطفى الهادي الامين

حبيب الله خير الخلق طرا ... امام الانبيا والمرسلين

محمد الذي جاء البرايا ... بخير شريعة واجل دين

نظام لا يعادله نظام ... يجل عن المثالب والطعون

منار هدى ومنهاج قويم ... الي سبل الرشاد المستبين

توسط لا ترى فيه انحرافا ... ولا شططا عن الحق المبين

فحاشى ان يسير الي يسار ... ويابى ان يميل الي يمين

يوافق ما يراه العقل خيرا ... بحكم القسط في كل الشؤون

به قاد الانام بخير نهج ... الي الاسعاد في دنيا ودين

سل التاريخ عنا كيف انا ... بنينا المجد في ماضي القرون

ثقافتنا انارت كل درب ... لاوروبا على مر السنين

وزودنا بني الدنيا جميعا ... بمختلف المعارف والفنون

ي ركود

للأستاذ عبد العزيز العندليب

بما انهمرت عليهم من علـــوم … كهاطـل وابل الغيث الهتـون

ملكناها شمـالا في جنـوب … من (الوادى الكبير) الى (سيزون)

بني الإسـلام .. لا يجدي ركـود … أفيقـوا من كراكم والـركون

معين الفضـل فيكم .. اقصدوه … فخير الـري من هـذا المعين

دعوا عنـكم خـلافات تفشت … فـكانت علـة الداء الدفـين

فما خاب الألى يقفون جمعـا … ويعتصمـون بالحبـل المتين

ولا تخشى الجمـاعة اى سـوء … اذا استنـدت الى الركن الـركين

اليك ابا البتـول ابث شـكوى … هي النفثـات من صـدر حزين

قد اتبع الهـوى فينـا اناس … وعاثوا فى حمى الحـق المبين

فيطعن في الشريعة كـل غـر … ويسخر من هـداها كـل دون

وتحفنـا الجـرائد كـل يوم … مقـالة حـاقد وغـد مهين

همو ابنـاؤه جـاروا عليـه … وشر مصـابه جـور البنين

وليس على الشريعـة اى ضـير … فمـا اقـوالهم غير الطنيـن

وان يك ثم للشـار جـرف … فلن يقـوى على الحصن الحصين

السيد محمد بن علي السنوسي

للدكتور : محمود زيادة

أستاذ التاريخ بالجامعة الاسلامية ــ البيضاء

كان العالم الاسلامى فى نهاية القرن الثامن عشر قد وصل الى درجة كبيرة من الضعف والتفكك ، وبدأت مطامع الغرب تظهر بشكل واضح ، وحدثت القارعة الكبرى التى هزت العالم الاسلامى هزة عنيفة تلك هى غزو فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨م فنبهته من غفلته واثارت كرامته . فها هو ذا يواجه مرة اخرى بعد / خمسة قرون حربا صليبية جديدة متنكرة فى ثياب مختلفة . فلا يلبث حتى ينهض من رقدته ثائرا عليها ، وقد اجتمعت له قواه الكامنة . ثم اذا هو فى نهاية الأمر منتصر عليها ، وهذا الانتصار الذى اتيح للمسلمين هو عامل كبير من عوامل النهضة الحديثة ، فقد اخذت اليقظة تفرض نفسها على الشعوب الاسلامية ، وتنبهه من غفلته ، فيثبت شخصيته ويقوى كيانه لمواجهة الخصم الذى ما زال يناوشه ويتربص به .

وكان العالم الاسلامى فى موقفه هذا يتجاذبه تياران لتحقيق غايته والوصول الى اهدافه . اما احدهما فكان قد اخذ بمظاهر المدنية الأوربية فيرى التوجه نحو أوربا الغالبة المتفوقة . فما غلبت فى نظره الا بما تصطنعه من علم وحضارة فليأخذ المسلمون عنها أساليبها فى التشريع والادارة ، وما الى ذلك .

واما التيار الآخر فيرى الرجوع الى الاسلام ومبادئه السامية . بعد تنقيتها من كل شائبة خالطتها ، وتصفيتها مما علق بها من خرافات وأوهام فى عصور التخلف والضعة ، فتعود الأمة الاسلامية كما كانت أمة قاهرة غالبة ، فان آخر هذه الأمة لا يصلح الا بما صلح به اولها ، وكان من اشهر زعماء هذا التيار السيد / محمد بن على السنوسى / فمن هو ؟ وما دعوته ؟ وما آثارها فى النواحى المختلفة ؟ ذلك ما نريد الحديث عنه .



التعريف به :

هو محمد بن على السنوسى الخطابى من قبيلة مجاهر من جهات « مستغانم » بالجزائر ، فجده عبد الله بن خطاب المجاهرى ، ويتصل نسبه بمؤسس دولة الأدارسة بالمغرب « ادريس الأول / بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علىّ بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فهو اذن شريف النسب . نبيل الحسب » .

ولد الامام السنوسى يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢٠٢هـ — ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٨٧م بمحلة يقال لها « الواسطة » فى مقاطعة وهران بالجزائر فهو جزائرى الأصل والمولد ، ويظهر أن أبناء البيت السنوسى كلهم منتسبون الى العلم ، فان والد السيد محمد بن على وجده وأعمامه وأبناء أعمامه ، والكثير من نسائهم مثل جدته لأبيه السيدة / الزهراء / وعمته السيدة (فاطمة) كانوا علماء فنشأ فى هذا الوسط العلمى الصالح ، وتأثر به تأثرا قويا ، وكان والده السيد (على) يجمع الى العلم والصلاح الفروسية والرماية . لذلك تجد السنوسية ينزع بهم عرق الى السيف . كما ينزع بهم عرق الى القلم .

وقد توفى والده (السيد على) فى الخامسة والعشرين من عمره ، فكفلته بعد وفاة ابيه عمته السيدة / فاطمة / وكانت أكثر تربية السيد / محمد / على يد هذه السيدة العظيمة التى وصفها من عاصرها بأنها كانت من فضليات أهل زمانها ، فكانت متبحرة فى العلوم ، منقطعة للتدريس والوعظ يحضر دروسها ومواعظها الرجال .

وقد عنيت هذه السيدة بتربية ابن أخيها لما توسمته فيه من باهر النجابة وحيث كانت أسرته من الأسر المعنية بالعلم المعروفة بالتقى والورع المتجهة الى الدعوة والارشاد ، فقد كان طبيعيا أن يكون اتجاهه الى طلب العلم ، فجلس

الى علماء (مستغانم) يأخذ عنهم . وهو يتمثل الغايـــة التى يود أن يتهيأ لها ، وينتهى اليها من خلال البيئة التى ولد فيها ، والجو الذى كان يتنفسه صغيرا أن يكون عالما داعية ، وهذا الاتجاه جعله كثير التأمل فى حالة المسلمين . فكان يمضى وقته فى التفكير فيما يرى حوله من أحوالهم ، وما وصل اليه الاسلام على أيديهم وانتهى الى العمل من أجل الدين وتوحيد صفوف المسلمين . لأن العالـــم الاسلامى مريض . بل وفى حالة تدهور مخيف ، ووصل الى أن هذا التدهور ما هو الا نتيجة لخمول العلماء ، وانصرافهم الى الراحة والدعة ، وابتعادهم عن اجهاد الجسم والعقل فى نشر كلمة الله العلى العظيم . واحياء نور الاسلام .

وعندما وصل الى هذا أراد أن يتزود من العلم ليكون له سلاحا وعدة فى المستقبل ، فرحل الى فاس سنة ١٨٢٢ ، والتحق بجامع القرويين محط رحال العلماء ، وقبلة المتعلمين بالمغرب الأقصى ، فأخذ العلم بالرواية من افاضل علماء فاس ، ولم يلبث طويلا حتى اجتاز مرحلة طيبة فى العلوم التى درسها ، وحصل على المشيخة الكبرى وعين مدرسا بالجامـــع الكبير بمدينة فاس ، وفيها نـــال شهرة علمية عظيمة ، وصلاحية كبيرة .

ولكن دعوته الى جمع كلمة المسلمين ، وتطهير النفوس . لم تثمر ثمرتها ، فقد توجست حكومة السلطان الخطر من دعوته ، وخشيت أن تتحول الى دعوة سياسية تعصف بالحكم والسلطان فشددت الحكومة مراقبته .

ولما وجد ذلك قرر الارتحال فى أواخر عام ١٨٢٩ ، ولكنه لم يعد الى بلده وصار ينتقل من مكان الى آخر حتى بلغ (عين مهدى) فـــدرس بها الطريقـــة التيجانية ، وكان أثناء اقامته بفاس قد درس الطرائق : القادرية والناصريـــة والحبيبية والشاذلية والجزولية ، وكان شيخ الشاذلية الشيـــخ / العربى بن أحمد الدرقاوى / ــ وهو من أكبر الشخصيات الدينية فى المغرب وأقواهـــا نفوذا ــ ولعل صلة الشيخ السنوسى به . كانت مما سدده فى السبيل التى اختارها . كما كانت هذه الصلة من الأسباب التى وجهته الى دراسة الطرق الدينية التى كان المغرب يعرف عددا كبيرا منها دراسة متعمقـــة مســـتبصرة مستقلة . جديرة أن تكشف له عن مزاياها وعيوبها .

وبعد أن قضى وطره من عين مهدى . قصد أغوات ــ فى جنوب الجزائر ــ لأهمية موقعها الصحراوى فهى تعتبر أحدث مفاتيح الصحراء فقضى بهـــا بعض الوقت ، ونشر دعوة الاصلاح بين القبائل القاطنة فيهـــا ، وفى رجـــال القوافل التى تمر من تلك المحطة ، ثم ارتحل منها الى بلاد كثيرة فى الجزائر .

وفى هذا الوقت سنة ١٨٣٠ . احتلت فرنسا الجزائر ، ففكر فى العودة الى وطنه . لكنه رأى من الخير أن يستمر فى سيره نحو الشرق ، ليروى غلته من الاطلاع على أحوال العالم الاسلامى ، ويضع الخطة الاصلاحية وليحج بيت الله الحرام ، وبعد ذلك يعود الى وطنه ، فسار متجها نحو الشرق فزار (قابس) وطرابلس وبنغازى . . ثم سار فى طريقه نحو الشرق ، وهو لا يكف عن التأمل حتى بلغ مصر فأقبل عليها متهلل النفس ، متفتح الخاطر ، فقد كانت صورتها فى نفسه . مما كان يبعثه الى التطلع اليها ، ويهيج فى نفسه الحنين الى لقـــاء علمائها وشهود مجالسها ، والقاء دروسه فى أزهرها ، ولكنه لم يجد فى مصر وأزهرها ما كان يرجوه . فقد كان أمر شيوخها قد تغير منذ أخذ أمير مصر فى ذلك الحين (محمد على) يضرب بعضهم ببعض ، ويسلبهم المنزلة الرفيعة التى

كانت تتيح لهم — بزعامة السيد عمر مكرم — أن يصرفوا شئون البلد بما تقتضيه شريعة الله فى قوة وحزم .

دخل الامام السنوسى الى مصر ، واتجه أول ما اتجه الى الأزهر يجعله ميدان نشاطه فأخذ يبث تعاليمه ، ويدعو الى اصلاح أمر المسلمين ، والانظار متطلعة اليه والنفوس متعلقة به لصدق لهجته ، فكان ذلك مما أثار حوله الريبة من ناحية السلطات الحاكمة . كما أثار عليه نوازع الحقد والحسد من ناحية بعض شيوخ الأزهر فاشتدت حملتهم عليه واتهموه بالابتداع فى الدين . فلم يجد الامام السنوسى مناصا من ترك مصر .

لكن كانت هذه التجربة ذات فائدة عظيمة لأنها زادته بصيرة فى أمره وايمانا بما كان قد وقر فى نفسه من قبل وهو أن ينأى بدعوته الاصلاحية عن مثل هذه المواطن فمضى فى طريقه الى الحجاز .

وفى مكة التقى بالعارف بالله السيد / أحمد بن ادريس الفاسى الذى كان رئيسا للخضيرية ، فاجتمع به ولازم دروسه ، وتوثقت العلاقات بينهما وظل أمره على ذلك حتى ارتحل الشيخ / أحمد / الى اليمن بسبب ما لقيه من عنف رجال الحكومة ومعارضة علماء الحجاز ، فسار معه ، وأقام فى اليمن حتى توفى ابن ادريس سنة ١٨٣٥ فعاد ثانية الى مكة .

آثار رحلات الامام وأهميتها فى الاصلاح :

ان انتقال السنوسى من الجزائر الى فاس ، ثم توجهه نحو المشرق حتى وصل الحجاز واليمن ، واقامته فترات فى كثير منها ، ومقابلته العلماء فى كل قطر نزل به جعله يدرس فوق العلوم الدينية والعربية المذاهب الصوفية والعلوم الفلسفية والاجتماعية بعمق حتى صار حجة يقتدى برأيه . كما أنه فى أثناء تجوله فى البلاد كان يختلط بأفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم ، ويدرس طبائعهم ، ويتعرف اتجاهاتهم فأكسبه ذلك معرفة واسعة بأخلاق الناس ، ومعرفة مواطن الضعف فيها ، فأخذ يرسم الخطة لعلاج أمراض الشعوب الاسلامية والعربية ، والأخذ بيدها الى الخير الذى جاء به الاسلام . كما أنه عرف أيضا المجتمعات الاسلامية فالمجتمع المدنى معقد ومتحلل بسبب تعرضه لفتن الحياة الأوروبية ، والمجتمع البدوى بعيد عن هذا التحلل وذاك التعقيد ، وهو فى الوقت نفسه ملتقى الاسلام والوثنية . الاسلام فى صورته المشوهة ، والوثنية البدائية التى تنحسر شيئا فشيئا أمام المد الاسلامى . كما رأى الزوايا التى يقوم عليها أصحاب الطرق الصوفية .

شهد ذلك كله ودرسه دراسة عميقة ، وربما كان اتجاهه بعد ذلك الى البادية واتخاذها ميدان نشاطه ومجال دعوته يرجع الى اقامته فى تلك الرحلات فترة غير قصيرة فى الصحراء والسودان ، فقد أقنعته أن الدعوة فى البادية اقرب استجابة من الدعوة فى الحاضرة ، لتغلغل الفساد فيها ، وتعقيد الحياة الاجتماعية ، وسيطرة الأهواء السياسية بها ، ووجود الأجانب الذين يزينون فى المدن ولأهلها ما يأباه الدين ، ولا تقره الشريعة الاسلامية . فرأى أن يبعد بدعوته الاصلاحية عن المدن وضجيجها ، وما فيها من حياة صاخبة .

فما تلك الدعوة ؟ وما أسسها ؟ ومتى نفذت ؟ وأين ؟ وما آثارها فى مجرى التاريخ الاسلامى ؟ هذا ما ستعرفه فى المقال التالى .

الدفاع المدني وجرائم الحرب في الفقه الاسلامي

للدكتور : جمال الدين الرمادي

تقدم الأستاذ وهبه الزحيلى الموفد من جامعة دمشق برسالة الى كلية الحقوق بجامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه فى القانون فى موضوع « آثار الحرب فى الفقه الاسلامى » .

ويعد هذا البحث الذى تقدم به من امتع واخصب البحوث القانونية التى تدمت الى الكلية فى السنوات الأخيرة فى مادة الشريعة الاسلامية ، وقد تضمنت الرسالة ثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب التمهيدى : ويشمل عموميات عن الحرب وفيه فصلان ، الفصل الأول فى تعريف الحرب شريعة وقانونا وتاريخ الحروب وعلاقة المسلمين بغيرهم وما يتفرع عن ذلك ، والفصل الثانى عن كيفية بدء الحرب .

أما الباب الأول فيبحث فى الآثار المترتبة على قيام الحرب ، وهو يتضمن خمسة فصول ، انقسام الدنيا إلى دارين أو ثلاث واثر الحرب فى العلاقات السلمية ، واثرها فى العلاقات السياسية الدولية ، والأسرى والجرحى والقتلى ، واثر الحرب فى الأشخاص والأموال والجرائم المرتكبة اثناء الحرب .

أما الباب الثانى فيبحث فى الآثار المترتبة على انتهاء الحرب كانتهاء الحرب بالاسلام وآثاره ، وانتهاء الحرب بالصلح بقسميه المؤبد والمؤقت ، وانتهاء الحرب بترك القتال أو التحكيم .

وقد اشتمل البحث الذى قام به السيد وهبه الزحيلى على فصول ممتعة عن الاستعداد للحرب والدفاع عن حياض الوطن ، واخذ الترتيبات الكفيلة لحماية المواطنين من بلاء الحرب مما يعبر عنه فى العصر الحديث بأساليب الدفاع المدنـــى .

ويستفاد من هذا البحث أن الباعث على القتال فى الاسلام هو دفع العدوان وارساء قواعد الحرية الدينية لشعوب الأرض ، وللعدوان مظاهر مختلفة فكان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على صورتين : احداهما أن يهاجم الاعداء النبى صلى الله عليه وسلم فيرد كيدهم فى نحورهم ، والثانية أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ، فكان على النبى صلى الله عليه وسلم أن يمنع ذلك الاعتداء على حرية الفكر والعقيدة . وعلى هذا النهج سار المسلمون ، فما كانوا يفاجئون قوما بحرب الا بعد أن يظهر روح العداء منهم أو معارضة الدعوة والوقوف فى وجهها والتحقير من شأنها ، ولكنهم ما كانوا ينتظرون مهاجمة العدو لهم فى بلادهم وذلك جريا على القاعدة الاجتماعية الفطرية التى قررها على بن أبى طالب « ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا » .

وذكر فى مغنى المحتاج ما قاله الشافعية « وجوب الجهاد ووجوب الوسائل لا المقاصد اذ المقصود بالقتال انما هو الهداية وما سواها من الشهادة ، وأما قتل الكفار فليس بمقصود ، حتى لو امكن الهداية باقامة الدليل بغير جهاد كان اولى من الجهاد » .

فالاسلام يفضل سلوك السلام بصفة اصيلة كلما امكن ذلك ، وان اعلان الحرب هو آخر الدواء الذى يعالج ما استعصى من الأمراض الوبائية القاتلة أو الضارة لمصلحة المجموعة البشرية ، وقتل الكفار ليس مقصودا لذاته وما الحرب الا ضرورة اجتماعية لدفع البغى ومنع الظلم ، وقد برر القتال فى الاسلام فى حالة العدوان وهى حالة اعتداء مباشر أو غير مباشر على المسلمين أو اموالهم أو بلادهم بحيث يؤثر فى استقلالهم او اضطهادهم وفتنتهم عن دينهم أو تهديد أمنهم وسلامتهم ومصادرة حرية دعوتهم او حدوث ما يدل على سوء نيتهم بالنسبة للمسلمين بحيث يعتبرون خطرا محققا .

حالات الدفاع الوقائى

ويمكن أن تحصر اوجه مشروعية الجهاد بما نسميه «حالات الدفاع الوقائى» وهـى : —

١ — كفالة حرية العقيدة ومنع الفتنة فى الدين قال تعالى « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير (الآيات من سورة الحج ٣٩ — ٤١) « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (البقرة ١٩٣) .

٢ — الحرب لنصرة المظلوم فردا او جماعة قال الله تعالى « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها» (النساء ٧٥) وقد ناصر الرسول عليه السلام خزاعة على قريش(١) فى هدنة الحديبية ، بعد أن استنصروا به ، واقر حلف الفضول وقال : « ان الاسلام لا يزيده الا شدة » .

واذا قيل بأن هذه الحالة تدخل فى شؤون الغير ، والتدخل اعتداء قلنا ان التدخل مشروع اليوم للسلامة الاجماعية ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ، وهو مشروع أيضا دفاعا عن الانسانية فى حالة اضطهاد دولة للأقلية من رعاياها .

٣ — الدفاع عن النفس ودفع الاعتداء عن البلاد قال الله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (البقرة ١٩)

وفى صدر المقارنة نتبين ان هذه الحالات التى تتطلبها حماية المعترف بالدعوة الاسلامية لا تخرج عن كونها استعمالا لحق من حقوق الدولة الطبيعية المعترف بها فى القانون الدولى الحاضر ، وهى حق البقاء ، وحق الدفاع الشرعى ، وحق المساواة ، وحق الحرية ، وحق الاحترام المتبادل . وكلها تبرر مشروعية الباعث على القتال فى الاسلام الذى حددناه بوجود عدوان ، ولا يفهم من كلمة « عدوان » هو أن يكون المسلمون فى حالة سلبية مطلقة ، وانما قد يكون لهم دور ايجابى فى البدء بالقتال عند توافر مقتضياته كما ان حق الحرية يخول للدولة حق التدخل دفاعا عن حقوتها أو رعاياها او دفاعا عن الانسانية .

(١) كان هذا بمقتضى الحلف المقصود بينهما وبمقتضى هدنة الحديبية التى نقضها القرشيون . (الوعى)

فالأصل فى علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم ، والحرب عارض لدفع الشر واخلاء طريق الدعوة ممن وقف أمامها ، وتكون الدعوة الى الاسلام بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان ، ويقول فقهاء القانون الدولى ان الحالة الطبيعية بين الدول هى السلام ، والحرب حالة وقتية عارضة مهما كان سببها .

فالسلم أساس العلاقات الدولية حتى يتيسر تبادل المنافع والتعاون على بلوغ النوع الانسانى درجة كماله ، واعتبر القانون الدولى الحرب ضرورة قصوى يلجأ اليها ، وهى الدواء الأخير اذا استعصى الداء .

ولا بد لحماية السلام من اتخاذ التدابير الكافية لتحصين الحدود والثغور ، واعداد العدة الملائمة تجاه أى عدوان ، مما نطلق عليه اليوم وسائل الدفاع المدنى ، ولا سيما والدول اليوم سرعان ما تتناسى كل اعتبار لمعاهدة اذا وجدت أن مصالحها لا تحصل عليها الا بالحرب ، كما حدث فى العدوان الثلاثى الغاشم على مصر سنة ٥٦ .

وقال فخر الدين الرازى فى تعليل الأمر باعداد العدة فى قوله تعالى « ترهبون به عدو الله وعدوكم » فإن الله تعالى ذكر ما لأجله أمر باعداد هذه الأشياء فقال « ترهبون به عدو الله وعدوكم » وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون لـــه مستكملون لجميع الأسلحة والآلات خافوهم ، كما جاء فى تفسير المنار . ويؤيد ذلك قول الله عز وجل « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » (الحديد ٢٥) . فقد جمعت الآية بين القوى كلها من كمال الوعى النفسى والعقلى والروحى العام ، والاستعداد الاجتماعى عند جميع أفراد الأمة ، وسيطرة المثل العليا الواضحة الموحدة على الشعور الجامع ، المثل فى الاعتصام بالله بالاجتماع على أمره وشريعته ورضاه .

وقد كان المسلمون لا يألون جهدا فى تحصين مدنهم وحمايتها من المعتدين ، كما حدث فى غزوة الأحزاب أو الخندق ، فعندما بلغ الرسول اجتماع الأحزاب على مهاجمة المسلمين حفر الخندق ، وعمل الرسول بنفسه فى الخندق ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون حتى احكموه .

وكان الخندق شمالى المدينة لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت ، وقد اختلف المؤرخون فى مكان الخندق وطوله ، ويظهر لنا أنهم خطوه من الجهة الشرقية الى الشمال فالغرب ،ثم الى الجنوب قليلا واذا صحت الراوية القائلة بأن الرسول قد وكل الى كل عشرة من المسلمين أن يحفروا قطعة من الخندق طولها أربعون ذراعا فاننا نستطيع أن نستنتج أن طول الخندق قد بلغ اثنى عشر الف ذراع على الأقل اذا فرضنا أنه لم يعمل فى حفر الخندق الا رجال الجيش الذى اتفقت المصادر على انهم كانوا ثلاثة آلاف .

وفرغ المسلمون من حفر الخندق قبل وصول قريش على الرغم من تسلل المنافقين وهربهم أثناء العمل دون استئذان الرسول .

وقد كان هذا الخندق من الوسائل الوقائية لحماية المسلمين ورد اعتداء المشركين ، وتم حفره بمشورة سلمان الفارسى ، وهو من الاستحكامات الحربية التى لم تعرفها العرب قبل ذلك حتى دهشت قريش عندما رأته ، وقال قائلهم « والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » .

وكان المسلمون لا يتوانون فى حماية الاهلين من هجمات العدو وانشاء الاستحكامات الحربية والحصون المنيعة وأكوام الصخور والحجارة الكبيرة .

جرائم الحرب

هذا بالنسبة الى الدفاع عن الأهلين اما بالنسبة الى الجرائم التى ترتكب فى أثناء الحرب فقد قسم الفقهاء المسلمون الدار الى دارين دار سلام ودار حرب أما دار الحرب فتشمل جميع البلاد التى ليس فيها ولاية ولا تسود فيها أحكام الشريعة ، وذلك أيا كانت أنظمتها القانونية أو السياسية .

ورعايا دار الحرب يسمون « حربيين » ولا يلزم أن يكونوا أعداء دائما . فقد يرتبطون بميثاق مع المسلمين فيسمون « معاهدين » ولا يشترط فى الميثاق أن يدفعوا الينا مالا — وهؤلاء مع المستأمنين يعتبرون أجانب عن الدولة الاسلامية بحسب الاصطلاح الحديث فى التفرقة بين الوطنى والأجنبى .

واما دار السلام فتضم جميع الأقاليم الاسلامية مهما كانت متباعدة عن بعضها ، ورعاياها هم المسلمون وغيرهم من الذين يقيمون فيها اقامة دائمة . ويعرفون بالذميين ، وأما المستأمنون فهم الذين دخلوا دار الاسلام بأمان مؤقت لمدة دون السنة ، فهم يشبهون الأجانب الذين يقيمون فى دولة أخرى اقامة مؤقتة لمدة لا تتجاوز سنة .

وقد اختلفت الأحكام القضائية باختلاف الدارين ، فاذا ارتكب المسلم شيئا من الأسباب الموجبة للعقوبة لا يعاقب عند الحنفية حتى ولو رجع الى دار الاسلام لانه لم يقع الفعل موجبا للعقاب اصلا لعدم ولاية امام المسلمين على دار الحرب وليس لأمير السرية اقامة الحد عليه اذا لم يفوض فى ذلك .

فاذا كان الجيش بقيادة نفس الامام فله اقامة الحد فى دار الحرب ، وكذلك أن وقعت الجريمة فى دار الاسلام ثم هرب الشخص الى دار الحرب فلا يسقط عنه اقامة الحد لوقوع الفعل موجبا للعقاب فلا يسقط بالهرب .

أما اذا وقع من المسلم فى دار الحرب ما يوجب تعزيرا لا حدا أى مما ليس له عقوبة مقدرة فى الشريعة كجرائم الحرب ، والجرائم التى تضر بالمصلحة العامة فان الحنفية نصوا على أنه لا يؤديه الأمير لأول وهلة ، ولكن ينصحه حتى لا يعود الى مثل ذلك أملا للعذر ، فان عصاه بعد ذلك أدبه الا أن يبين فى ذلك عذرا ، فحينئذ يخلى سبيله بعد ان يحلف اليمين على قوله .

واستدل الحنفية على رأيهم بحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه كتب الى عماله أن لا يجلدن أمير الجيش او السرية أحدا حتى يخرج الى الدرب قافلا لئلا يلحقه حمية الشيطان فيلتحق بالكفار .

وكان ابو الدرداء رضى الله عنه ينهى أن تقام الحدود على المسلمين فى أرض العدو مخافة أن تلحقهم الحمية فيلحقوا بالكفار فإن تابوا تاب الله عليهم وان كان الله تعالى من ورائهم .

وقال جمهور الفقهاء مالك والشافعى واحمد وابو ثور والامامية والزيدية والأوزاعى واسحق اذا صدر عن مسلم ما يوجب حدا أو تعزيرا فى دار الحرب فانه يستحق العقاب عليه الا الحنابلة قالوا لا ينفذ العقاب الا فى دار الاسلام .

وقال الأوزاعى لا ينفذ قطع السارق فى دار الحرب والباقون قالوا يقيم الحد فى دار الحرب ولا يؤخر الى بلد الاسلام ، لأن اقامة الحد طاعة ، فاذا

خيف من اقامة الحد ببلد الحرب من حصول مفسدة فانه يؤخر ذلك للرجوع لبلدنـــا .

والملاحظ ان مذهب الحنفية يمكن المجرم من الافلات من العقوبة مما يؤدى الى كثرة ارتكاب الجرائم وامكان النجاة من العقوبة ، فيتذرع المجرمون بهـــذا المذهب وتشيع المفاسد ولا سيما فى مثل ظروف اليوم نظرا لسهولة المواصلات وامكان هرب المجرم من بلد الى آخر .

والدول اليوم وان كانت تسير على مبدا اقليمية القضاء فى محاكمة المجرم ، وتوقيع العقاب عليه الا انه قد يمتد حق الدولة فى القضاء الى خارج اقليمهـــا استثناء استنادا مثلا الى سيادتها الشخصية على رعاياها الموجودين فى الخارج وبذلك فلا يفلت المتهم من العقاب ولا يفر من وجه العدالة .

ويؤيد الباحث مذهب الجمهور حرصا على الفضيلة والشرف والأمانة وحفظ النفس ، وهو مقتضى اطلاق نصوص القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم الفعلية دون استثناء احد فى دار الاسلام أو دار الحرب .

ولذلك هم سعد بن أبى وقاص يوم القادسية بجلد ابى محجن الثقفى حينما شرب الخمر ، وقد حبسه فى القيد لولا ان سلمى ابنة حفصة اطلقت سراحه . ليقاتل مع المسلمين بعد أن عاهدها على أن يرجع الى القيد ، ثم عفا عنه سعد وقال — لا والله لا اضرب اليوم رجلا ابلى الله المسلمين ما ابلاهم وخلى سبيله ، فقال ابو محجن قد كنت اشربها اذ يقام على الحد واظهر منها فأما إذ بهرجتنى فوالله لا اشربها ابدا .

هذا قليل من كثير مما ورد فى هذه الرسالة التى حصل بها الأستاذ وهبه مصطفى الزحيلى على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة القاهرة .

(الوعى الاسلامى)

لم يتطرق الدكتور الرمادى للحديث بشىء من التفصيل عن بقية الرسالة من الباب الثانى الذى يتحدث عن انتهاء الحرب والآثار المترتبة عليها وهو باب حافل وممتع ومهم علما بان هذه الرسالة القيمة استحقت مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بتبادلها مع الجامعات الأجنبية .. وقد أخرجها الدكتور فى كتاب ضخم فى أواخر عام ١٣٨٢هـ أوائل عام ١٩٦٣ .

وتحت يدى الآن الطبعة الثانية منها الصادرة فى سنة ١٣٨٥ — ١٩٦٥م فى ٨٩٥ صفحة مهداة من المؤلف وقد صدر الدكتور وهبه هذه الطبعة بكلمة : تحدث فيها عن سرعة نفاد الطبعة الأولى وعن تقدير الجامعات والهيئات والقراء لها وعن الرسائل التى تلقاها من الجامعات العربية والأجنبية وكلها تشيد بهذه الرسالة القيمة التى كشفت عن ثراء الفقه الاسلامى وغناه بالمبادىء التى تجابه كل حالة من حالات الحرب والسلم بما يعالجها سلما وحربا ..

وبجوار شهادة الدكتوراه التى حصل عليها الدكتور وهبه من جامعة القاهرة حصل على شهادة العالمية من كلية الشريعة مع اجازة التدريس من الأزهر الشريف .. وهو الآن يشغل منصب عميد كلية الشريعة بجامعة دشمق ..

ورسالته هذه تعتبر مرجعا عاما فى موضوعها فهو كما قال فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة رئيس لجنة التحكيم فى مناقشة الرسالة (لم يدع صغيرة ولا كبيرة فى الحرب وآثارها الا اتى بها) .

الأكف الدامية

للأستاذ: عبد الحميد المشهدى

« ما لأحد عندنا يد . الا وقد كافيناه بها . ما خلا ابا بكر . فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة » .

حديث شريف

بيت الله الحرام يطل ساخرا على الطوافين عـــراة الأبدان من رجـــال ونسـاء . والاوثان حول البيت وفوقه تفيض بالبلاهة والجهل والغباء . وتجـار المال حول زمزم يملأون الجو ضجيجا وشتما وشحناء . وشيوخ قريش تتوافد صامتة حزينة على دار الندوة مع أول خيوط الظلماء . وخادم النــار يغـذيها بالاحطاب لتشتعل الدار وما حولها بالضياء . (١)

وكؤوس الخمر تدور على الجالسين عساها تذهب بما فى نفوســهم من كمد ولأواء . وعمرو بن هشام يسوى من ثيابه ، ثم يمشــط لحيته ، ثم يطلق صوته راعدا فى المجلس بكلمة « وبعد » . . فشخصت اليه الأبصار وســاد المجلس صمت رهيب . ثم قال .

ــ ما وراءكم أشياخ قريش .

أبى بن خلف ــ وحقك لقد بلغ السيل الزبى . ولا ندرى الى متى ينتهى بنا المطاف حول هذا المذمم . (٢)

الوليد بن المغيرة ــ حقا أن سحب الخطوب تتجمع وتتفاقم تقطع الليل الحالك . وان الأمور تسير على غير ما نريد لها ، واذا كان اســلام عثمان بن عفان وعامر بن عبد الله الجراح (٣) وعبــد الـــرحمن بن عوف ، وابن أبى قحافة (٤) ــ قد أخرج الدعوة الجديدة من محيط المستضعفين الى دائرة ذوى

---

(١) كانت المحال العامة تضاء ليلا باشعال النار فى أحد أركانها .

(٢) ضد معنى كلمة محمد .

(٣) الشهير بأبى عبيدة بن الجراح .

(٤) يقصد أبا بكر .

الجاه والمال ــ فان اسلام حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب . وهما من تعرفان شجاعة وقوة وجاها ــ قد شجع المسلمين على الخروج من ظلمة جحورهم الى شمس مكة ، وندوات العرب وأسواقهم . وأن أنس لا أنسى خروجهم من دار الأرقم بن الأرقم فى صفين متوازيين على رأس الصف الاول حمزة بن عبد المطلب ، وعلى رأس الصف الثانى عمر بن الخطاب . وفى هذا من التحدى لقريش ما فيه .. بل ان عمر لم يكفه خروجه على اجماع قريش ، ودخوله فى دين محمد . بل ذهب الى دار قريبه عمرو بن هشام « أبو جهل »(١) متحديا اياه وأخبره باسلامه . فضرب الحكم الباب فى وجهه وقال له . قبحك الله وقبح ما جئت به .

عتبة بن ربيعة ــ ان تطورات الدعوة الجديدة ــ تسير فى نظرى باندفاعات هذا الأحدب القمىء ، الاصفر الوجه القضوب السفيه(٢) يتظاهر بالزهادة فى الخمر والقمر (٣) ، ويتعالم على قريش بما يعرفه من سلاسل النسب بين العرب .

لقد ضلت قريش طويلا . باختيارها له ــ أمينا على أموال الديات وابلها وعروضها . وسارت خلفه تصدقه وتثق برأيه وتأتمنه . فانقلب عليها يسفه أحلامها ، وينال من آلهتها ، ويشوه من عاداتها ، وينتقص من كبرائها ، ويفرق بين جماعتها . يتقيل(٤) بذلك خطى صاحبه محمد .

لقد كنت أتوقع له الموت ، بعد أن صافحت النعل رأسه ، حتى غاب عن وعيه . غير أنه لم يلبث أن أفاق .. صحيح أنه لم يعد يجاهر بقرآن صاحبه فى المسجد . ولكنه ابتنى له مسجدا بفناء داره ، ليستعلن فيه بما زعم أنه ينزل على صاحبه من فوق سبع سماوات . ولما لم يشفه ذلك من قريش لجأ الى ابن الدغنة(٥) ، فأجاره ، دخل فى حمايته ، ولكنه لم يحترم هذه الحماية . وراح يؤذى قريشا بما اعتاد أن يؤذيها به ، وينفق على رعاع المسلمين وأبقيهم(٦) بصورة ستوصل أولاده قريبا الى حضيض الفاقة والاملاق ثم لا يلبث بعد هذا أن يفرض نفسه على المعركة .. فيتدخل لانقاذ صاحبه من يد من كادوا يفتكون به . فكان أشبه بريشة فى مهب الريح ، ثم يستأسد منفعلا ويقول (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ، ثم أدرك بعد انفعاله أنه فقد احدى ضفيرتيه فى المعركة(٧) ، على أن هذا الذى

---

(١) المعروف بأبى جهل .
(٢) المبذر لماله .
(٣) القمار .
(٤) يقتدى .
(٥) بشدة وضمة على الدال وضم الغين زعيم الاحابيش .
(٦) جمع أبق وهو الشريد الضائع .
(٧) كان لأبى بكر ضفيرتان على عادة السادة الكماة فى العرب على أنه لا يفتنا أن نذكر أن كل ما ورد على لسان هذا المشر العنيد فى وصف أبى بكر ــ لم يكن الا تحريفا وتشويها وتأويلا خاطئا من وجهة نظره الى الخليفة الاول يرضى الله عنه سيما ما يتصل بابن الدغنة سيد الاحابيش فانه الذى منع أبا بكر من الهجرة الى الحبشة وأدخله فى جواره . تقديرا لفضائله . ولكن قريشا قد أزعجها أن يجهر أبو بكر بالقرآن حول الكعبة فحملت ابن الدغنة زعيم الاحابيش على استرجاع جواره الذى منحه لأبى بكر فخضع لها واسترجعه .

فقد فتوته لم يفقد قدرته على تحريك الأحداث ، وتأليب كبار اصحابه على قريش . وحماية الدعوة وصعاليكها من بطش العرب فى كل مكان . فهذا رجل جدير بأن نتخلص منه قبل صاحبه محمد .

ابو جهل — سنخلصك قريبا من الجميع .

المطعم بن عدى — علام هذا التهديد والوعيد . ان مرور الأعوام الطويلة قد اثبتت قلة الخطورة علينا منهما . فعلى الرغم من خروج بعض اشراف قريش على اجماعها . وما انفقه ابن أبى قحافة من اموال استغرقت اكثر ثروته(1) لتحرير العبيد والاماء — فان عدد المسلمين فى مدى اثنتى عشرة سنة أو تزيد — سبعون — مسلما او تزيد قليلا . واذا كانت الدعوة عاشت الى اليوم . فذلك بفضل نفوذ أبى طالب . ومال خديجة بنت خويلد . واسراف ابن أبى قحافة . وقد هلك الأولان فى عام واحد . وان ثقيفا(2) حين ردته من الطائف ردا مهينا — لم يستطع دخول مكة الا مستجيرا بى . فهل دعوة محمد فى مثل وضعها الحاضر يمكن أن تعيش طويلا .؟ لا أرى ذلك .

ابو جهل — ليته بعد كل ما صب عليه من احزان وآلام ومتاعب — ينتهى عن السير فى طريق دعوته وانك لتعلم انه حين دخل مكة فى جيرتك . وجاء الى المسجد فى حمايتك قلت مازحا . هذا نبيكم يا بنى عبد مناف . قد وافاكم فحمى عتبة بن ربيعة وقال . وما تنكر ان يكون منا نبى او ملك ؟ فعلم محمد بذلك . فانتفض ثائرا وقال (اما أنت يا عتبة فوالله ما حميت لله ولا لرسوله . ولكن حميت لأنفك . واما انت يا ابا جهل . فوالله لا يأتى عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلا وتبكى كثيرا . واما انتم يا معشر الملأ من قريش . فوالله لا يأتى عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون وانتم كارهون) فهل يتفوه بمثل هذا الكلام رجل نالت منه متاعبه واحزانه ؟ لا بد من وضع نهاية لهذه الحالة .

شيبة بن ربيعة — الراى عندى الا نهون من امر هذه الدعوة وصاحبها ، والا نستخف بثمارها ونتائجها وان كانت محدودة . لانها عناصر عنيدة . آثرت عقيدتها على الأهل والمال والروابط العائلية ، لشراء ما زينه محمد لهم . فخروجهم مهاجرين الى الحبشة مرتين . وركوبهم أخطار البحر ، ووحشة النأى ، وصعوبة البحث عن الرزق ، واحتمال الاذى ، والحرمان ، ومغبة المقاطعة — كل هذا لا يدل الا على شىء واحد . هو ان هذه الروابط الجديدة بين المسلمين — شىء لا يمكن التغلب عليه . وان الغد يشير الى أحداث وتغيرات خطيرة .

المطعم بن عدى — لا زلت عند رايى ايها القوم . وان الامر دون ما صورتم . ولو أن جماعة محمد لهم من القوة والترابط ما يتفق وما ذكر ابو جهل

---

(1) انفق أبو بكر ثروته بمكة ٣٥ الف درهم وهاجر الى المدينة بخمسة آلاف درهم .

(2) قبائل تسكن جبال الطائف وما حولها .

وشيبة بن ربيعة ــ لما ارتد عن الاســـــلام من أصـــــحابه من ارتد ، حين سمعوا مقالته عن الاسراء من مكة الى بيت المقــدس ، وعـــــروجه منها الى السماء ، ثم عودته الى مكة ولما يبرد فراشه .. الأمر الذى بادر بتصديقه ابن ابى قحـــافة ، وهو مغمض العين مغلق الذهن . بل راح يمعن فى طـــــريق التصديق ويقول (اننى لأصدقه فيما هو أعظم من ذلك . انى لأصدقه فى خبر السماء ينزل عليه .. أفلا أصدقه فى اسرائه الى بيت المقدس وعودته قبـــل ان يصبح ؟

الوليد بن المغيرة ــ كل دعوة لها انصار . وكلما اتسعت دائرة الأنصـــار استقبلت شتى الطباع والاتجاهات ، ومثل دعوى الاسراء لا تحتملهـــا بعض العقول .

اصوات ــ لا بل كل العقول . ويستمر فى كلامه ..
ولعل هذا البعض هو الذى صبأ من دين محمد الى سواه ، ولكن الكثرة من اصحابه ظلت على دينها مؤمنة بما جاء به نبيها . وليس فى هـــــذا كلـــه ما يدعو الى القلق . وانما الذى يدعو الى القلق هو لقاءات محمد بزعمـــــاء الحجيج كل عام من كل حدب وصوب .

واذا كان عدد المهاجرين الى الحبشة من اصحاب محمد فى رحلته الاولى قد بلغ ستة عشر . وفى الرحلة الثانية وبعد عامين تقريبا ، قد بلغ المائة ــ فانهم لم يبلغوا هدفا . ولم يحققوا غرضا . بل آثروا السلامة وحسن الجوار ، بل أن منهم من آثر النصرانية على الاسلام لقاء العيش الرغيد فى بلاد الزرع والضرع ، ثم جاء الباقون لتستقبلهم قريش بما هم أهله من عذاب ونكال .

واذا كان هذا الرهط من المسلمين لم يحققوا فى هجرتهم غرضا ــ فان محمدا وحده قد استطاع فى لقاءاته بزعماء يثرب فى مواسم الحج أن يدخل فى دينه ستة عند اول لقاء ، ثم اثنى عشر فى ثانى لقاء . ثم اثنين وسبعين رجلا وامرأة فى ثالث لقاء (١) وأمر عليهم اثنى عشر نقيبا منهم ، ولعل فى تصاعد عدد المقبلين على الدعوة بهذه السرعة ما يدعو الى التشاؤم والقلق . ولو أن محمدا قد استطاع أن يهرب مع أصحابه الى يثرب ، فسوف لا يمر وقت طويل حتى يدق علينا ابواب مكة . أو على الأقل يقطع علينا طريق التجارة الى الشام فى رحلة الصيف .

وهنا فغر الجميع افواههم ، وساد المجلس صمت رهيب ، ولم يقطع هذا الصمت الا قعقعة داوية . وزلزلة هاوية . فزع لها الجالسون . وفر بسببها من المجلس آخرون ، ثم انجلى الموقف عن صخرة ضخمة تحدرت من جبـــــل ابى قبيس ، فكتمت انفاس الركية(٢) وحولت النور ظلاما دامســـا ، وكادت تقضى على خادم النار لولا فراره . وامسى القوم فى ليل من التشاؤم بالمستقبـــل . واضطراب من الحادث اليم .

ومن أقرب الحانات الى دار الندوة . سارت قدما مخمور حتى وقع فوق بعض المجتمعين . فماد اليهم الفزع . وصاح فى وجهه بعض من اصابه الهلع .

---

(١) كان ذلك فى السنة الثانية عشرة من البعثة (٦٢١ م) .
(٢) حفرة النار .

ولكن الصيحة لم تفلح فى ازالة غفوته . او رد صحوته . بل راح يتحسس صدر الأخنس بن شريق وهو يهتف :

سلمى .. سلمى .. ردى على .. ماذا دهاك ؟. لم لا تردين ؟. هل انت وسنانة ؟. أم انت سكرانة ؟. أم بك مس من الجن ؟. أعرف يا سلمى انك تكرهين رائحة الخمر . ولكنك ترحبين بآثار السكر ؟.

ثم ارتفعت يد المخمور الى وجه الأخنس ثم توقفت بسرعة الملسوع .. ثم صاح من جديد .. سلمى .. سلمى من النائم فى فراشى ؟ من المحموم . الذى اختار لنفسه المصير المحتوم ؟. أين سيفى . اين رمحى . أين جوادى ؟.

كان السكران يقول ذلك نصف مغمض . ويده هائمة فى الفضاء فى كل اتجاه .. فارتفعت قهقهة المجتمعين . وتتالت طرف المتندرين . فأفاق السكران من سباته .. وعرف مواضع خطواته . وكان خادم النار قد لم جمراتها وجمع شتاتها .. وتأججت من جديد السنتها .. فضرب ابو جهل كفا بكف . وصاح فى القوم : عود على بدء .

ابو سفيان بن حرب — اذا كان الامر كما ذكر ابن المغيرة — فان الموقف اصبح خطيرا . واننا اصبحنا بين الحياة والموت . ولا بد من عمل حازم .

اصوات مدوية — الموت لمحمد واصحابه .

ابو سفيان — وكيف ذلك فى وجود بنى هاشم ؟

ابى بن خلف — لم يعد لبنى هاشم خطورتهم المعروفة بعد موت ابى طالب .

ابو سفيان — ولكنا لا نريد لقريش أن يقتل بعضها بعضا . بل نريدها ملحمة سريعة لا يقتل فيها سوى محمد .

عتبة بن ربيعة — وابن ابى قحافة فهو الذى يمون محمدا بعد موت زوجته خديجة . ويساعد الدعوة من ماله حتى نفد او كاد . ولقد علمت انه اشترى ناقتين وراح مولاه عامر بن فهيرة يعلفهما له من ورق السمر(١) منذ أربعة أشهر . وأن مثل هذا العلف فى مثل هذه المدة لا يكون الا لرحلة طويلة وخطيرة .

ابو سفيان — أعود فأقول وكيف تقتل محمدا .

عتبة بن أبى ربيعة — بل وصاحبه أبا بكر .

شيبة بن أبى ربيعة — أن نختار من كل قبيلة شابا جلدا ثم يقتحمون عليه منزله . ويضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل . فلا يستطيع بنو هاشم أن يثأروا من هذه القبائل مجتمعة ولا تقف دونها فترضخ للواقع . وتلوذ بالصمت الرزين .

اصوات — مرحى .. مرحى .

أبو جهل — على بجفنة مليئة بالدم نغمس فيها ايدينا جميعا . توثيقا لما اتفق عليه . ورمزا للتضحية اذا اقتضى الأمر . انقاذا لشرف قريش وقصاصا لآلهتها .

أصوات — مرحى .. مرحى .

اصوات اخرى — لقد تم النصر !!

---

(١) بضم الميم واحدة سمره شجر معروف فى علف الابل .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

في الزواج

السؤال :

أريد الزواج من امرأة بدون علم والدى . فهل يجوز لى ذلك شرعا .

(أ. ع. م — طالب بالمعهد الاسلامى ببغداد) .

الاجابة :

اذا كان السائل بالغا عاقلا رشيدا كامل الأهلية فلا ولاية لأحد عليه فى الزواج ، وكافة التصرفات الأخرى — ولعل السائل باعتباره طالب علم بالمعهد الاسلامى اعتقد أن الزواج لا يصح الا بولى كالأب — مع أن المقرر أن الولاية لا تكون الا على القاصر وفاقد الأهلية كالمجنون والمعتوه والصبى المميز ، هذا بالنسبة للذكور ، أما الأناث فلا يصح عقد الزواج عليهن بدون ولى على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة ، وخالفهم فى ذلك الامام ابو حنيفة حيث قال :

ان البالغة العاقلة لها أن تزوج نفسها بمن تريد ، غاية الأمر أن لوليها حق الاعتراض اذا تزوجت بغير كفء ومن الأفضل أن تكل عقد زواجها الى الولى ، أما بالنسبة للذكور الذين بلغوا سن الرشد وأهليتهم كاملة فلا سلطان لأحد عليهم فى جميع تصرفاتهم من زواج وغيره .

هذا من حيث صحة التصرف وعدمه .

وبقيت ناحية مهمة وهى حسن العلاقة بينك وبين والدك والتقاليد المرعية فى هذا الموضوع للابقاء على الصلة الطيبة بين أفراد الأسرة . وهذه تجب مراعاتها واعطاؤها حقها من الاعتبار فى ضوء الظروف الخاصة ، والعوامل المحيطة بكم . . حتى لا يكون الزواج سببا فى قطيعة الرحم . والله يوفقك .

التلفزيون والصلاة جماعة

السؤال :

نجلس فى البيت لمشاهدة التلفزيون ونرى قوما يصلون خلف امام بالتلفزيون فهل يصح لنا أن نصلى معهم وتكون الصلاة مقبولة ؟.

(ابراهيم محمد)

الاجابة :

صلاة الجماعة مشروعة وتفضل صلاة الفرد قال عليه الصلاة والسلام « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » وذلك لما فيها من تجمع المسلمين فى مكان واحد يتعارفون فيه ويتآلفون . ولذلك اشترطوا لصحة

اقتداء المأموم بالامام الا يوجد فاصل بينهما يحول بين امكان اتصال الامام والمأموم كطريق او نهر أو مسافة بعيدة خارج المسجد — ولا شك أن من يجلس فى بيته ويرى التلفزيون يكون بينه وبين الامام مسافات فضلا عن اختلاف المكان مما لا يحقق معنى الجماعة المقصودة فى الاسلام — ومن ثم فلا تصح الجماعة على هذه الحالة ، ومن صلى كذلك فان صلاته تكون باطلة .

في الوصية

رجل عنده أولاد — بعث بأحدهم للدراسات الجامعية خارج بلده ، وانفق عليه مصاريف كثيرة ومعروفة ، وباقى أولاده كان ينفق عليهم من مأكل ومشرب وكل ما يحتاجونه ، ولا يعرف ما أنفقه عليهم لأنهم معه وفى بيته .

فهل يجوز للوالد أن يوصى لباقى أولاده المقيمين معه بما يوازى المبالغ التى صرفها على ابنه الذى سافر للتعليم خارج بلده .

(مسلم — العراق) .

الاجابة :

الوصية من الأحكام الشرعية التى ورد بجوازها الكتاب والسنة . وهى تصرف فى التركة مضاف الى ما بعد الموت بمعنى ان الموصى له لا يستحق الوصية الا بعد وفاة الموصى — وقد منعت بالنسبة للوارث — لأنها توجب نزاعا بعد الوفاة ، والدين الاسلامى يحث على التواد والتراحم ، واجيزت اذا اجازها الورثة ، وذلك مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث الا أن تجيزها الورثة » لأن الوصية من غير اجازة الورثة تؤدى الى قطيعة الرحم .

وكون الوالد صاحب المال ، يريد أن يعدل بين أولاده باحتساب ما انفقه على الولد الذى سافر — وبتعويض باقى أولاده بمثل ما أنفق يعتبر أمرا محمودا ، ولكنه غير مأمون العاقبة فى حالة الوصية بالذات ، على انه يستطيع أن يعوضهم عن ذلك بأى طريق أثناء حياته لأن الوصية لا تستحق الا بعد الموت ، وهى غير جائزة لوارث للحديث السابق .

وعلى هذا يجوز للأب فى أثناء حياته ان يعطى أولاده ما يقابل ما انفقه على ابنه المسافر بطريق غير طريق الوصية أما بطريق الوصية فغير جائز الا ان اجازتها باقى الورثة ولا تستحق الا بعد الوفاة .

في الميراث

توفيت امرأة عن :

زوج — وبنت من زوجها الذى مات وهى فى عصمته — وبنتين من زوج آخر قبله . فما نصيب كل وارث .

(أحمد نايف) .

الاجابة :

بنات المتوفاة سواء كن من زوجها الأول أو الثانى — هن بناتها ولا فرق بينهن فى الارث منها لأنها أم لهن جميعا . وبوفاتها عن زوجها وبناتها الثلاث فقط يكون تقسيم تركتها حسب البيان التالى :

للزوج الربع فرضا ٣/١٢ والثلثان ٨/١٢ للبنات الثلاث فرضا بالتساوى والباقى وهو ١/١٢ يرد على البنات بالتساوى فتصير للبنات ثلاثة أرباع التركة . وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين ان كانا .

والله أعلم

بريد الوعي الإسلامي

مولد النبى ..

رضوان المبيلي

لقد اكرمنى الله بحج بيته الحـــــرام اكثر من مرة . وفى كل مرة حاولت التعرف على المكان الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وســـــلم ، ولكنى اخفقت ، وقد سألت عنه عددا وفيرا من اهل مكة ، فلم يستطع احد أن يدلنى عليه ، فأين هو ؟ ولماذا لا يهتم المسلمون بهذا المكان العظيم المبارك الذى شهد أول اطلالة لخاتم المرسلين على الدنيا ؟

(عثمان الفضلى ـــ السودان)

يا سيدى : لا يضير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا الاسلام ، ولا المسلمين أن يكون مكان مولده الشريف قد عفى عليه الزمن ، ودرست آثاره . ولا يرفع من قدر رسول الله ، ولا الاسلام ، ولا المسلمين أن يكون هذا المكان قصرا منيفا ، أو متحفا مشيدا ، وحسب رسول الله من رفعة القدر وخلود الذكر أن اسمه الشريف يتردد كل يوم مرات ومرات على السنة الملايين من المسلمين مقرونا بالتعظيم والتبجيل ، والاقرار برسالته ، وحسبه من نباهة الشأن ورفعة المنزلة أن الشهادة له بأنه عبد الله ورسوله الطريق الوحيد الذى لا معدى عنه الى الدخول فى الايمان والاســـلام .. وما دلالة الأحجار الجامدة ، والعمد الصامتة . وما قيمتها ، وما أثرها بجانب هذه الدلالة الحية الناطقة ، المستمرة الباقية ما بقى الليل والنهار ، وهل بعد هذا تخليد وتشريف ورفعة وصدق الله « ورفعنا لك ذكرك » .

أما من الناحية التاريخية ، فقد ذكر (العياشى) فى رحلته تعليقا على هذا الموضوع (ويبعد عندى كل البعد تعيين ذلك ـــ مـــكان المولد الشريف ـــ من طريق صحيح لما تقدم من الخلاف فى كونه اى المولد بمكة ، أو غيرها ، وعلى القول بأنه فيها ففى أى شعب من شعابها ، وعلى القول ، بتعيين الشعب ففى أى الدور ، وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار ، والولادة وقعت فى زمن الجاهلية ، وليس هناك من يعنى بحفظ الامكنة ، لاسيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجىء الاسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم عــدم اهتمامهم بتعيين الامكنة التى لم يتعلق بها عمل شرعى ، لصرفهم اعتناءهم ـــ رضوان الله عليهم ـــ لما هو أهم من ضبط الشريعة ، والذب عنها بالسنان واللسان ، وكان ذلك هو السبب فى خفاء كثير من الآثار الخ ..)

ولا يخفى يا سيدى أن تشييد الدور ، واقامة المتاحف ، وتخليد الآثار من مظاهر الترف لدى الأمم ، والأمة الاسلامية فى الصدر الأول كانت فى شـــغل شاغل عن هذا كله ، فلا يحزنك أنك لم تعرف من مـــكان المولد الشريف ، وقد عوضك الله عن ذلك ما يروى ظمأك الى رسوله وشـــوقك اليه فشرع لك فى صلاتك التى تؤديها كل يوم مرات ومرات أن تخاطبه عليه الصلاة والسلام كأنك قريب منه ، حاضر معه ، تشاهده ويسمعك .. السنت تقول فى تشـــهدك فى الصلاة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ؟

ظلموها !!

تذكر كتب السيرة النبوية أن امرأة فى الجاهلية عرضت نفسها على عبد الله ابن عبد المطلب ، وطلبت منه أن يتغشاها فأعرض عنها ، فلما تزوج عبد الله السيدة آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لقيته هذه المرأة مرة ثانية ، ولكنها أعرضت عنه ، فلما سألها عن ســبب اقبالها عليه فى المرة الاولى واعراضها عنه فى المرة الثانية ــ اجابته بأنها كانت ترغب فيه أولا طمعا فى النور الذى كان يتلألأ فى جبينه ، وانه لما انتقل منه هذا النور لم تجد سببا لاقبالها عليه فى المرة الثانية ، فهل هذه الحادثة صحيحة ، ومن هذه المرأة ؟

سيد حسين ــ ج. ع. م

لا يكاد كتاب من كتب السيرة النبوية يخلو من ذكر هذه الواقعة ، ويسوقها الرواة للاستدلال بها على اكتمال رجولة عبد الله وقوة شــخصيته ، وأنه كان مطمح أنظار الفتيات فى عهده ، ومناط أمالهن لما كان يتمتع به من بســطة فى الجسم والعقل وقوة وجاذبية تغرى النساء بالتعلق به . ويؤكد الرواة بهــذه القصة أمرا آخر وهو شرف عبد الله ونبله وعفته وطهره ، وبعده عن النزوات والزلات على خلاف ما هو معروف عن كثير من الشباب وخاصة فى الجــاهلية حيث لا دين يعصم ولا خلق يردع .. ويستنتجون من هذا وذاك طهارة نســبه صلى الله عليه وسلم من لدن آدم عليه السلام ، وأنه ما زال يتنقل فى الأصلاب الماجدة والأرحام الطاهرة حتى حملت به أمه آمنة ..

وهذا كله أمر ثابت مقطوع به لجميع الأنبياء والمرسلين فان الله عز وجل لم يصطف نبيا ، ولم يبعث رسولا الا وهو فى ذؤابة قومه حسبا ونســبا عفة وشرفا فضلا عن أن يكون هذا النبى والرسول خاتم الأنبياء وسيد المرســلين الذى يتحدث عن نفسه فيقول : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

والى هذه النقطة من القصة لا غبار عليها ولا مطعن فيها . الا أن الرواة ذكروا أن هذه الفتاة طلبت من عبد الله أن يواقعها سفاحا ، ولا أدرى لمــاذا تورطوا فى هذا ؟ وما الذى حملهم على التجنى عليها فى أخطر شىء يمس المرأة وهو شرفها وعرضها ؟ هل هو مجرد اثبات عفة عبد الله وطهارته ؟ وهل هــذه الصفة لا تثبت الا اذا كانت هذه الفتاة ماجنة خليعة ؟ لماذا لا تــكون الفتاة عرضت نفسها على عبد الله ليتزوجها اعجابا به وحبا له ، وجاء رفض عبد الله لهذا العرض لرغبته فى السيدة آمنة وطاعة لوالده عبد المطلب الذى كلمه فى شأنها ، ويدعم هذا ما روى من أن عبد المطلب عقد قرانه على هالة بنت وهيب فى نفس المجلس الذى عقد فيه لابنه عبد الله على آمنة بنت وهب .

على أن سياق القصة يوحى بأن هذه الفتاة رغبت أولا فى عبد الله حين رأت النور يتلألأ فى جبينه فطمعت فى أن تكون حاملة هــذا النور ، وأن تحظى بهذا الشرف الرفيع الذى كثيرا ما حدثها عنه أخوها ورقة بن نوفل ، ويؤكد هذا الفهم ما ذكره الرواة من رغبتها عن عبد الله بعد تزوجه بالسيدة آمنة ، وحمله منه وانتقال النور النبوى اليها ، فهل كان الدافع لهذه الفتاة أولا طيش عارض أو نزوة طارئة أنه يبعد كل البعد أن تكون فتاة بهذا العقل والطموح تطمع فى أن تنال شرف الأمومة لنبى آخر الزمان من طريق غير مشروع .. فأنصــفوا هذه الفتاة وهى قتيلة بنت خويلد صاحبة الشرف الرفيع والاصل العريق

بأقـــلام القـــراء

في ذكرى المولد النبوي

بعث الأستاذ عبد المنعم البحقيرى من نوسا الغيط كلمة فى هذه المناسبة يقول فيها :

انها ذكرى الانسان الذى انقذ البشرية من الجهـل وحررها من البـدع والضلال وسار بها فى طريق امين نحو بناء شخصيتها واتساع دولتها .

والانسان العاقل هو الذى يستفيد من المناسبات وهل هناك مناسبة اغلى من مناسبة المولد النبوى ؟

تعلمنا المناسبة كيف ربى الرسول قومه على الايجابية بمحاربة السلبية الضارة .. يعلمهم كيف يقومون الخطأ ..

وكيف ربى اصحابه على الحب والاخلاص والصداقة البريئة دون أطماع ولا منافع بل تحابوا بروح الله وابتغاء وجه الله .

لله درك ايها الرسول العظيم .. أيها الأب الرحيم .. ايها الانسان الكامل .. منك نتعلم ومنك نتعظ أنت القدوة الطيبة .. أنت المثل الطيب .

كيف استطعت أن تحول البيئة القاسية : الى حب واخـلاص الى قلوب موحدة الى نفوس طاهرة .. الى ايثار ومودة الى تسابق فى وجه الخير والبر .. الى الحب وبالحب وحده انتصرت دعوتك .. وملأت بنورها الدنيا .

سيدى رسول الله .. تحية اليك .. وتحية الى دعوتك وتحية الى الرجال الذين آمنوا بك ونصروك وايدوك .. تحية الى دعوتك السمحة والى خصالك الطيبة .. تحية لك سيدى رسول الله فى يوم ميلادك .. فى يوم هجرتك .. فى يوم مماتك .. تحية اليك منقذ البشرية ورسول الانسانية .

• • • • •

نظرة حديثة في موضوع الزكاة

ويقول الأستاذ عبد الرحمن أحمد شادى معلقا على ما جاء فى رســالة (الصيام والزكاة) التى وزعتها المجلة مع عدد رمضان الماضى ..

سرتنى بعض النظرات الحديثة فى موضوع الزكاة مثل ابقاء سهم المؤلفة قلوبهم لمن دخلوا الاسلام وحرمتهم اسرهم من مواردهم القديمـــة فيجب على

المسلمين تبنيهم وحل مشاكلهم التى ظهرت بسبب دخولهم فى الاسلام .. واختصاصهم بكل الوان العون والرعاية .. فأولها العون المادى ، ومنها شمول كلمة فى سبيل الله لكل جهد يبذل لرفع راية الاسلام فى أى ميدان ولجميع وجوه الخير مثل انشاء المدارس والمساجد والمراكز الاسلامية وجمعيات التحفيظ وتكفين الموتى الخ ..

وازيد على هذا أن معظم الأئمة يرون وجوب الزكاة فى كل ما يزرع للقوت ويصلح للادخار كالحبوب المعروفة مثل القمح والشعير والذرة والأرز والعدس والحمص الخ .. ولا زكاة عندهم فى الخضر والفواكه والقطن والكتان الخ ..

ومن النظرات العصرية ترجيح رأى الأحناف وهو القول بوجوب الزكاة فى كل ما زرعه الانسان ونبت من الأرض لا فرق فى ذلك بين ما يتخذ قوتا وبين غير القوت كالخضروات والفواكه والقطن والقصب الخ ..

لأن بعض البلاد تعتمد على غلة واحدة كالقطن مثلا وزراعة الحبوب فيها قليلة او نادرة وتستورد الحبوب اللازمة لقوتها من البلاد الأخرى وقد ساعدت وسائل النقل الحديثة على تسهيل عملية التصدير والاستيراد واصبحت الأفضلية للغلة التى تدر دخلا أكبر ..

فلو سرنا مع رأى جمهور الفقهاء فى اشتراط الزراعة للقوت أو الصلاحية للادخار لضاعت زكاة ملايين الأفدنة ، وملايين الجنيهات على الفقراء والمساكين بحيث تترك نصف الأراضى المزروعة فى اقليم من الأقاليم بدون زكاة لأن اهلها يفضلون الايراد الأعلى وليست الزراعة للقوت فى المقام الأول عندهم كما كان الحال فى العصور القديمة ..

ولأنهم يخاطرون بالاعتماد على غلة واحدة كالقطن أو الشاى أو البن أو القصب أو الفواكه أو البرسيم أو الخضروات .. افتترك كل هذه الأراضى الشاسعة بغير زكاة .. وتحتم الزكاة على الأراضى القليلة التى تزرع حبوبا يشتريها زراع البطيخ أو القطن مثلا بثمن بخس ..

وهناك أراض لا تجوز فيها زراعة الحبوب فتظل طول عمرها فى زراعة الخضروات أو الفاكهة أفتبقى هذا الأمد الطويل بغير زكاة ..

ومن النظرات العصرية فى موضوع الزكاة دراسة الزكاة فى العمارات السكنية والقصور التى تبنى للاستغلال والايجار . فهل من العدل أن نطالب فلاحا اخرجت له الأرض نصابا من الحبوب ونترك صاحب العمارة يحصل من دخلها فى شهر واحد اكثر مما يناله الفلاح البسيط من فدان أو اكثر فى عام كامل وكذلك الحال فى السيارات المؤجرة الخ ..

اننا فى حاجة الى الكثير من هذه النظرات العصرية فى موضوع الزكاة حتى لا يفلت منها الأغنى الذى ينمى أمواله ويستغلها فى ميادين بكر جديدة ليست موجودة فى العصر الذهبى للفقه وللاجتهاد .

قالت صحف العالم

الجهـــــاد
عدة الاسلام وقوة المسلمين :

نشرت صحيفة الدعوة السعودية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

متى يؤدى المسلم فريضة الجهـاد اذا لم يؤدها اليوم ؟ دينه يتقحم عليـه الكفر . محاربيه مع الصهيونية ، ووطنه تتفجـر على جوانبـه الدواهى مـن الاستعمار ، واخوته فى فلسطين أخرجتهم دول النصرانية من ديارهم وأموالهـم ليدخلوا فيها من صنعوا الصليب للمسيح — حسب اعتقادهم — من سلائل يهوذا وشعبه فى أقطار العروبة وديار الاسلام لا يزال فى معترك الخطوب ومشتبك المطامع يجار بالشكوى ، ويصرخ من الظلم ويغضب للكرامة ويثور للحق فلا ينال من الضمير الغربى الا ما تنال هبة الريح من الصخر الأصم .

والجواب : ان المسلم المؤمن لا يزال على ذكر من أن دينه قرآن وسيف . وتاريخه فتح وحضارة ، وشرعه دين ودنيا وحربه جهاد وشهادة ، وحكومتـه خلافة وقيادة ، فهو مجاهد أبدا ، لا ينفك عنه الجهاد أصغره وأكبره ، فاذا لـم يجاهد عدوه جاهد نفسه ، واذا لم يراقب ثغوره راقب ضميره ، والمسلمون منذ استيقظ وعيهم ادركوا ان علة ما أصابهم من الاستعباد والاستعمار انما هى اعتمادهم على الحق دون القوة ، وعلى القول دون العمل .

وأصل ذلك الضعف ، والضعف يجافى طبيعة العربى ، وينافى حقيقـة المسلم ، فتنادوا من وراء الحدود المصطنعة والستور المضروبة بلسـان الأدب والهام الروح ووحى العقيدة الى العمل سرا وعلنا للاستقلال الذى يحرر ، ثـم الى الألفة التى تجمع ، ثم الى الوحدة التى تقوى ، ثم الى القوة التى تدافع .

وهذه المراحل الوعرة المهلكة التى تؤدى الى الحرية والعزة لا يقطعها الا الجهاد الفدائى الذى فرضته شريعة الله واقتضته طبيعة العرب .

وذلك الجهاد الفدائى هو بذل المال والنفس فى سبيل فكرة سامية ، كاعلاء كلمة الله ، وتكريم ذات الانسان ، وتحقيق حرية الوطن .

هو فرض عين على كل مسلم قادر اذا وقع المسلمون فى خطر عام لا يقدر على دفعه قوم دون قوم ، كالاستعمار والصهيونية .

والقيام به لا يتقيد بزمن ولا أرض ولا جنس .

مثله فى ذلك مثل الأركان الخمسة للاسلام ، ولكنه يختلف عنها فى أمـر دقيق : ذلك أن العمل بهذه الأركان قائم بين المسـلم وربه فلا وازع لها الا مـن ضميـره .

أما عقيدة الجهاد فقائمة على الصلات بينه وبين ربه ووطنه وولده ومالـه وتراثه وذكرياته وأمانيه ، فهى لا تزال حية فى نفسه على تراخى الزمن وشدة الترك ، كالنار فى البركان الهادىء ، تسكن ولا تنطفىء ، وتكمن ولا تظهر ، حتى اذا أثارتها الحمية لدين يهان ، أو لوطن يهاجم ، انفجرت فى نفوس المسـلمين انفجار الحمم فما تذر من شىء أتت عليه الا دمرته .

أعمال الفدائيين في الصحف الأجنبية

طالعتنا مجلة (اليقظة) الكويتية بترجمة لما نشر فى الصحف البريطانية عن أعمال الفدائيين ، وننقل فيما يلى ترجمة لما نشرته صحيفة (الفايننشال تايمز) اللندنية :

يبدو أن الفدائيين العرب خرجوا كأقوى مجموعة بعد القتال الذى دار ضد اسرائيل فى أعقاب غارتها على الأردن بتاريخ ٢١/٣/٦٨ والذين زاروا معسكر الكرامة هدف الهجوم الاسرائيلى قالوا انه لا يزال يغص بالفدائيين .

لقد خرج الفدائيون العرب الآن الى العلانية فى الأردن والناس يعلقون أهمية بالغة على الملاحظة التى وردت فى تصريحات الملك حسين فى مؤتمره الصحفى فى عمان اذ قال : « اننا سنصبح جميعا فدائيين » وقد تحدثت منظمات الفدائيين العرب فى سلسلة من البيانات عن دورها البطولى فى مقاتلة الغزاة الاسرائيليين وأكدت منظمة (فتح) أن نتيجة المعركة قد حطمت اسطورة التفوق الجوى والتكنولوجى الاسرائيلى . وقالت صحيفة الدستور الأردنية شبه الرسمية ان معركة الكرامة قد نسفت اسطورة (اسرائيل لا تهزم) . وتشير التقارير الواردة من عمان الى الحماس الذى عم سكان الأردن ، وقد خرجت الجماهير فى عمان بعشرات الألوف للاشتراك فى جنازة الذين استشهدوا فى المعركة ضد اسرائيل ، وقام كثير من هؤلاء بعد ذلك بامتطاء الدبابات والسيارات المدرعة الأخرى التى استولى عليها الأردنيون من الاسرائيليين وجروها الى العاصمة لعرضها أمام الجمهور ، وقد أدى القتال الذى اعتبر نصرا كبيرا للعرب الى رفع معنويات الشعب العربى حتى أكثر من حادثة أغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات فى أكتوبر الماضى . ويقول المراقبون أن مركز الملك حسين ربما يكون قد تعزز نتيجة ذلك . وهم يشيرون الى النظام الذى ساد جنازة الشهداء فى عمان على الرغم من اشتراك هذا العدد الهائل من الناس بحيث لم يقع حادث واحد ، وهذا له أهمية كبيرة خاصة اذا ما تذكرنا الاضطرابات التى حدثت ضد الملك حسين فى أعقاب غارة اسرائيلية على قرية السموع الأردنية فى نوفمبر ١٩٦٦ .

طهر بلاد القدس

وطالعتنا صحيفة الحياة البيروتية بقصيدة للأستاذ أحمد بن سودة السفير المغربى نقتطف منها ما يلى :

وكيف يرى الانسان فى الأرض متعة ... وقد أصبح القدس الشريف ملاهيا
يجوس به الأنذال من كل جانب ... وقد كان للأطهار قدسا وناديا
عتا بها ، صهيون فدنس طهرها ... وصيرها للمومسات مغانيا
فمهلا بنى «غريون» ان مصيركم ... الى الدرك الأدنى قريبا وماتيا
فان عدتم عدنا ، وعيد منزل ... من الحكم القهار يقصم باغيا
فأين خليل الله يحمل فأسه ... يحطم أوثانا ويفحم عاتيا ؟
وأين كليم الله يظهر سره ... يهزىء سحارا ويفضح حاويا ؟
وأين مسيح الله ينقذ مهده ... بآياته العظمى يدك الرواسيا ؟
وأين رسول الله يرسل جيشه ... يظلله القرآن فى الله غازيا ؟
وأين سيوف الله فى كف خالد ... وكف على كف ترد الأعاديا ؟
وحمزة ؟ والمقداد ؟ أين جميعهم ؟ ... جميعهم باعوا النفوس الغواليا
وأين صلاح الدين والجيش حوله ... ينظم أبطالا ويجزى جواريا ؟
وأين ابن تاشفين ؟ وطارق قبله ... لأجل رضى البارى يجاهد راضيا

مكتبة المجلة

اعداد : عبد الستار محمد فيض

عبد الرحمن الاوزاعى

دراسة مفصلة تعتبر الاولى من نوعها ، وهى تتناول تاريخ شيخ الاسلام الامام الاوزاعى ، والمؤسسات المنسوبة الى اسمه والتقاليد الشعبية المتاثرة بمكانته الروحية مع مجموعة من الرسوم والوثائق التوضيحية من تاليف الشيخ طه الولى أحد علماء بيروت . والكتاب يحتوى على ٢٥٤ صفحة وقامت بطبعه دار صادر ببيروت ــ لبنان .

من تاريخنا

مجموعة مقالات وبحوث فى ميادين التاريخ والاجتماع والصحافة والادب وهى بحوث ممتعة مفيدة تجمع بين جمال الاسلوب وبساطة التعبير للكاتب الاسلامى المعروف الاستاذ محمد سعيد العامودى رئيس تحرير مجلتى الحج ورابطة العالم الاسلامى .

ويتالف الكتاب من تسعة بحوث ، وكل بحث يصح أن يسمى كتابا بمفرده ، وهو من منشورات الدار السعودية للنشر ويحتوى على (٢٤٤) صفحة .

وحى الفؤاد

ديوان شعر فى (٤١٥) صفحة للشاعر فؤاد شاكر ، ويبحث هذا الديوان فى مجالات كثيرة متنوعة ، ففى المجال الاسلامى انطلقت من هذا الديوان صيحات مدوية ترفع عقيرتها بالدعوة الى الله والحض على الخير والبر ، وفى المجال العربى سجل هذا الديوان كل ما له مساس بالحياة العربية السياسية والاجتماعية والديوان فوق كل هذا يعتبر سجلا تاريخيا كبيرا للاحداث العربية والاسلامية ــ وقد قامت بطبعه مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالمملكة العربية السعودية .

تحفة العروس أو الزواج الاسلامى السعيد

كتاب يبحث فى الموضوعات الجنسية التى بحثها الاسلام بدقة وطرافة وتفصيل هادف الى بناء الاسرة على أسس اسلامية سامية قائمة على دعائم القوة والخير والجمال ، كما انه يعطينا صورة كاملة عن البيت الاسلامى ، كما كان فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ليكون نموذجا واضحا لما يجب أن تكون عليه البيوت الاسلامية .

والكتاب يحتوى على (٢٠٠) صفحة ومن منشورات مكتبة كرم بدمشق .

الوجيز فى العسكرية الاسرائيلية

مجموعة محاضرات القاها اللواء الركن محمود شيت خطاب على طلبة قسم البحوث والدراسات الفلسطينية بمعهد البحوث والدراسات العربية جمعت فى كتاب يقع فى (٢٢٥) صفحة .

ويشمل الوجيز فى العسكرية الاسرائيلية فصولا كثيرة أهمها : لمـاذا خلقت اسرائيل ..؟ السوق الاسرائيلى . التعبئة ودعوة الاحتياط ، والتجنيد والتشريع فى أسرائيل وغير ذلك .

وقد اتسمت هذه البحوث بالموضوعية والصراحة فى محاولة لبناء الاســاس القوى الرصين للبحوث التى يجب أن تكتب عن العسكرية الاسرائيلية . وذلك لاشاعة الثقافة العسكرية السليمة من جهة ولاطلاع الشعب كله على حقيقة عدوهم لكى يستعدوا له ويعملوا على مقاومته من جهة أخرى .

واحترقت القاهرة

مؤلف هذه القصة الاستاذ أحمد حسين الذى شارك فى الاحداث السياسية المصرية السابقة على الثورة مشاركة ايجابية طوال ربع قرن ، وقد اختار الاستاذ أحمد حسين العمل الفنى وهو القصة لتصوير هذه الحقبة من تاريخ حياته الممتزج بتاريخ مصر لتكون القصة فى حد ذاتها عمــلا جديدا مبدعا خلاقا يضم الى سجل أعماله .

والقصة ثلاثية ومقسمة الى ثلاث حلقات :

الحلقة الاولى بعنوان : (أزهار) وهى قصة مصر فى الثلاثينيات ، والحلقة الثانية بعنوان : (الدكتور خالد) وهى قصة مصر فى الاربعينيات . أما الحلقة الثالثة وهى التى بين أيدينا فبعنوان : (واحترقت القاهرة) وهى تلقى الضوء على تاريخ مصر بعد الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والظروف والملابسات التى ادت لحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ والكتاب يقع فى (٥٥٨) صفحة ومن طبع المطبعة العالمية ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة .

صفارة الانذار

ديوان من تاليف الاستاذ سعد البواردى الملحق الثقافى السعودى لشئون الاعلام والنشر وهو مجموعة قصائد من الشعر الحر قيلت بعد عدوان يونيو ٦٧ والديوان فى (٩٨) صفحة . ومن طبع مطبعة الغريب ، بيروت ــ لبنان .

المعتــدون اليهود
من أيام موسى الى أيام دايان

أول كتاب عربى يظهر بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ليناقش العدوان اليهودى على البلدان العربية ويرجعه الى أصوله العقائدية والتاريخية ، ويثبت بالنصوص القاطعة أن وجود اليهود الحالى فى فلسطين لا يرجع الى اضطهاد الدول لهم ، ولكن يرجع الى تحقيق مخطط قديم ورد فى التوراة ، والى حقد دفين تاصل فى نفس اليهود ضد العرب منذ خمسة وثلاثين قرنا ، وكتاب الاستاذ محمد صبيح عن هذا الموضوع يوضح أبعــاده الحقيقية ويضيف حلقة جديدة الى سلسلة دراســاته التاريخية السابقة . والكتاب يقع فى (٢٩٤) صفحة وقامت بطبعه مطبعة العالم العربى ٢٢ شارع الظــاهر بالقاهرة . ويطلب من مؤلفه ٣٩ شارع الفلكى القاهرة .

جغرافية الاندلس وأوربا

كتاب من تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجى جمع كل النصوص التى بقيت من كتــاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى ، والمتعلقة بجغرافية الاندلس وأوربا ، وقد اعتنى المحقق بضبط كل لفظة والتعليق عليها مع الشرح والتعريف كما ذكر جميع المراجع العربية والاجنبية ، التى لهــا صلة بهذا الموضوع .

والكتاب يقع فى (٢٥٨) صفحة ومن جمع دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ص. ب ٦٣٤٧ بيروت ــ لبنان .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطي بيومي

الكويت :

● قام سمو أمير قطر بزيارة لأخيه سمو أمير البلاد المعظم استغرقت أربعة أيام ابتداء من الأحد ١٢ مايو ١٩٦٨ ، وقد أجريا مباحثات هامة تناولت تدعيم الوضع العربي ولا سيما في الخليج .

● زار البلاد السيد / عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء الليبي لمدة ثلاثة أيام من ٨ مايو وقد صرح سيادته بان الكويت وليبيا بامكانهما القيام بدور هام في الشئون العربية والاسلامية وشئون الشرق الأوسط بوجه عام .

● وافق مجلس الوزراء على التبرع بمبلغ ٣٢ الف دينار لنشر الثقافة الاسلامية وانشاء بعض المساجد والمراكز الثقافية الاسلامية في بعض البلاد العربية والأجنبية وفق توصية معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية .

● احتفل في مدينتي تونس وصفاقس بالاسبوع الثقافي الكويتي الذي افتتحه وزير الثقافة التونسي عرضت فيه الكويت الصور والرسوم والطوابع البريدية ومطبوعات التراث العربي وما تصدره من مجلات ، وقد اقبل عليها الشعب اقبالا منقطع النظير مما ينبىء عن تلهف شديد للثقافة العربية .

● منحت حكومة تايلاند سعادة وزير الخارجية الكويتي وسام الفيل الأبيض من الدرجة الأولى كما منحت معالي وزير العدل أيضا الوشاح الأكبر لوسام تاج تايلاند تقديرا لخدماتهما لمؤسسة الايتام الاسلامية في تايلاند .

● وجه النادي العربي الثقافي في بيروت الدعوة للكويت للاشتراك بمعرض الكتاب العربي الرابع عشر الذي سيقام بقاعة اليونسكو في بيروت خلال الفترة الواقعة بين ١١/٢٥ ، ١٩٦٨/١٢/٧م

● أصدرت الحكومة عدة قرارات مالية حول منع التعيين وتنظيم الاعارة والتعاقد والاحالة على المعاش وذلك لمعالجة التضخم الوظيفي وتطبيقا لسياسة التقشف .

● القاهرة : أجريت مباحثات هامة بين المتحدة وسوريا حول الوضع الراهن ..

● عقد في قاعة محمد عبده بالأزهر الشريف مؤتمر كبير لأئمة المساجد والوعاظ وأساتذة جامعة الأزهر حضره السيد / حسين الشافعي وزير الاوقاف والدكتور عبد العزيز كامل نائب الوزير وذلك لبحث شئون الدعوة .

● يعد الدكتور عبد العزيز كامل نائب وزير الاوقاف خطة جديدة للوزارة تستهدف توسيع قاعدة الدعوة الاسلامية بدل الخطة الحالية للوزارة وهي منذ خمسين سنة .

● استقبل فضيلة شيخ الأزهر مستشار المركز الاسلامي بالنمسا وقد جرت مباحثاتهما حول الشئون الاسلامية العامة .

● أثيرت ضجة صحفية حول ما قيل من ظهور طيف السيدة مريم في احدى الكنائس . والموضوع يكتنفه الغموض والتهويل ..

● الرياض : التقى في الرياض في الشهر الماضي أصحاب الجلالة الملك الحسن ملك المغرب والملك حسين ملك الأردن والملك فيصل الذي قال « لسنا ولله الحمد قلة ولسنا ضعفاء ولكن ينقصنا شيء واحد ينقصنا قبل كل شيء الايمان بالله سبحانه ووحدة العمل والاخلاص .. »

● وضع الملك فيصل مبلغ عشرة ملايين جنيه استرليني كاعتماد خاص ، تحت تصرف الحكومة الاردنية كما قدمت امارة « أبو ظبي » (١٤) مليونا من الجنيهات ضمن جهد مشترك لاعطاء أكبر قدر من التأييد العملي للأردن .

● قدم الى المملكة رئيس المركز الاسلامي بروما وقد أوضح أن المنشآت والجهود التي يبذلها المركز بحاجة الى العون المادي من الغيورين على الدين حتى تواصل العمل وتستمر فيه .

● بغداد : اعلن الرئيس عارف فى حديث له ان هزيمتنا بسبب تفرقنا . وأن الواجب على الدول العربية دعم العمل الفدائى .

● تعمل لجنة التبرعات للعمل الفدائى الفلسطينى على جمع مليون دينار لهذا العمل خلال ثلاثة اشهر .

● الأردن : قام جلالة الملك حسين بجولة واسعة لزيارة المتحدة وليبيا ولندن وباريس كما قام السيد بهجت التلهونى رئيس الوزراء بزيارة المتحدة والعراق ولبنان ضمن الجهد الذى تبذله الأردن لرد العدوان .

● احرزت المقاومة العربية للاحتلال الاسرائيلى تقدما كبيرا رغم اقامة اسرائيل للحاجز الالكترونى ، وقد استعمل العرب الصواريخ الموجهة لأول مرة فى احدى هجماتهم الاخيرة كما أعلنت منظمة فتح عن نفسها كمسئولة أمام الشعب عن الكفاح .

● وجه يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة واديكى بورما رئيس منظمة الأغذية والزراعة بالامم المتحدة نداء الى دول العالم يناشدانها تقديم المعونات العاجلة لحوالى (٣٠٠/٠٠٠) لاجىء حرب عربى فى الاردن اذ ان المعونة التى رصدها لهم برنامج الاغذية ستنتهى فى مايو الجارى .

● طلب وزير الثقافة الاردنى من القيم الدولى على الآثار المعين من قبل اليونسكو منع اسرائيل من تحديها لمشاعر المسلمين بالاستمرار فى حفرياتها فى ساحة الحرم القدسى الشريف والمناطق الاخرى .

● لبنان : شيعت لبنان بـ (٦٠) الف مواطن عربى وممثلين عن سائر الهيئات اللبنانية جنازة الشهيد الشاب خليل الجمل اول لبنانى يستشهد على الارض العربية السليبة ، وبهذه المناسبة اعلنت « فتح » انها تقبل جميع المتطوعين من غير الفلسطينيين للعمل الفدائى .. لقد فتح باب الجنة للراغبين.

● السودان : اسفرت انتخابات السودان عن فوز حزب الاتحاد الديمقراطى برياسة الشيخ على عبد الرحمن بـ (١٠١) مقعدا وكل من جناحى حزب الامة بـ (٣٦ ، ٣٠) مقعدا وحزب الميثاق الاسلامى بـ (٣) مقاعد ، والحزب الشيوعى بمقعد واحد وسقط السيد صادق المهدى رئيس أحد جناحى حزب الأمة ، بينما فاز الأزهرى ، ومحمد محجوب والشيخ على عبد الرحمن .

● ليبيا : من المنتظر أن يتم قريبا تزويد ليبيا بأسلحة بريطانية للدفاع الجوى تبلغ قيمتها أكثر من مائة مليون جنيه كما جرت عدة مباحثات بين فرنسا وليبيا بهدف تزويد الجيش الليبى ببعض الاسلحة .

● تونس : قطعت تونس علاقاتها الدبلوماسية مع سوريا !! كما قام الرئيس بورقيبة بزيارة لكندا او الولايات المتحدة واسبانيا .

● الجزائر : قرر مجلس الوزراء الجزائرى عدم تعيين اى موظف جزائرى اعتبارا من ١٩٧١ اذا لم تكن لديه معرفة كافة باللغة العربية .

● اندونيسيا : أثناء زيارة الامبراطور هيلا سلاسى قوبل بمظاهرات وهتافات عدائية من الشعب بسبب سوء معاملته للمسلمين فى الحبشة وارتيريا .. واتخذت الحكومة احتياطات مشددة للمحافظة عليه .

● باكستان : وقف مندوب باكستان فى مجلس الأمن على عادته موقفا مشرفا من القضية العربية وحمل على اسرائيل حملة عنيفة .

● أبلغت سفارة الاردن فى باكستان وزارة خارجيتها بان عددا كبيرا من الشباب الباكستانى قد سجلوا اسماءهم متطوعين لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

● ايران : عقد فى طهران فى الشهر الماضى مؤتمر الامم المتحدة لحقوق الانسان وقد أصدر المؤتمر عدة قرارات منها استنكار معاملة اسرائيل للعرب واستنكار التمييز العنصرى .

● افغانستان : قام الرئيس التركى جودت صوناى بزيارة افغانستان وقد اجرى مع الملك محمد ظاهر شاه مباحثات هامة .

● فينا : احتفل فى فينا فى الشهر الماضى بانشاء مركز اسلامى حضره سفراء الدول العربية والاسلامية واعضاء الجالية الاسلامية فى النمسا .

اقرأ في هذا العدد

	الكاتب	الصفحة

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار – ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء – السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة – ص‌ب ١٩ – السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة – عمارة ابن الملوح – ص‌ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر – ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى – السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية – ص‌ب ٧٦ – السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها – المنامة – السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية – السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ – حضرموت – مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان – ص‌ب ٢٦١ – السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية – السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

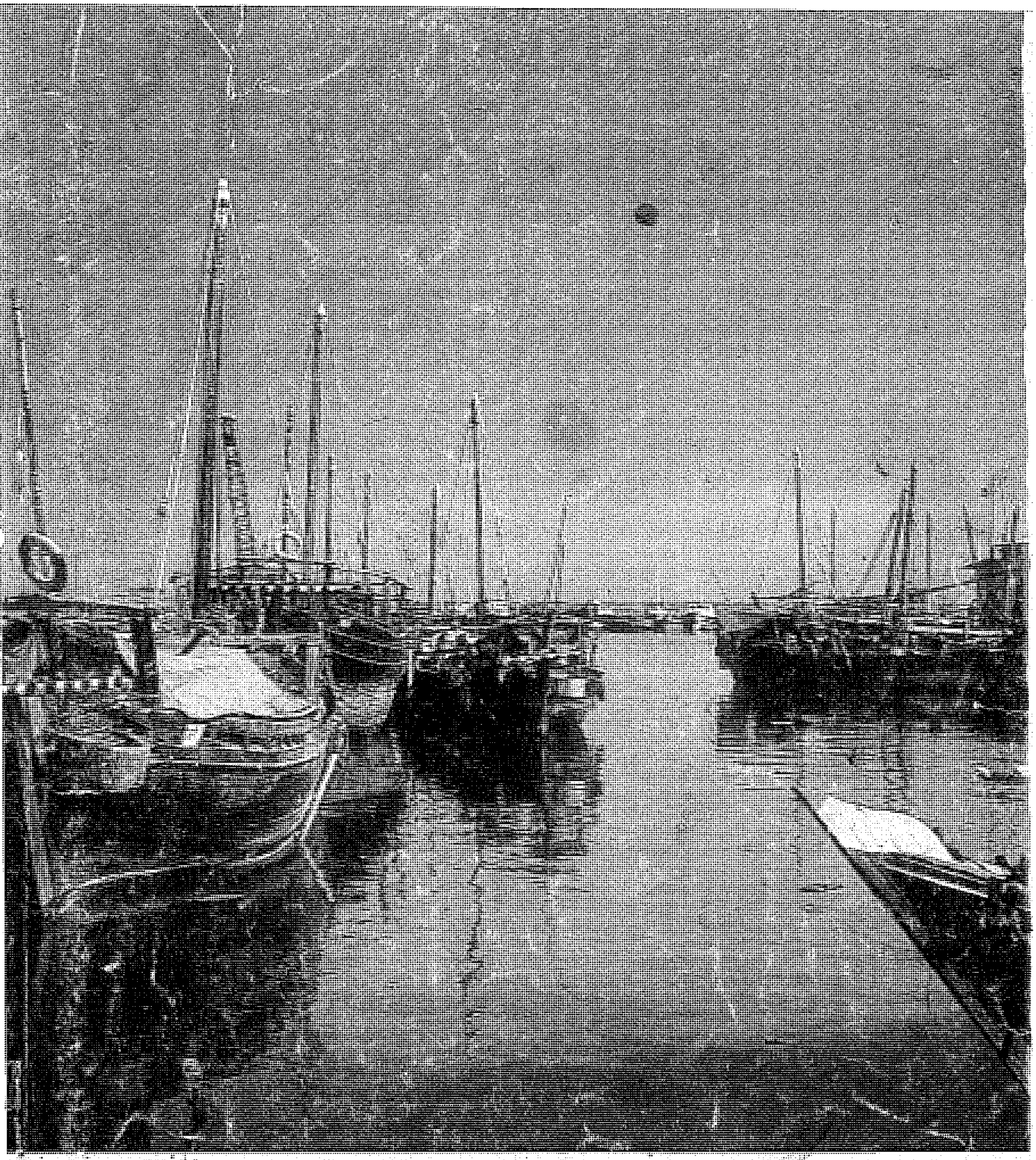
مراكش : الدار البيضاء – مكتبة الوحدة العربية – السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ – السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ – السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



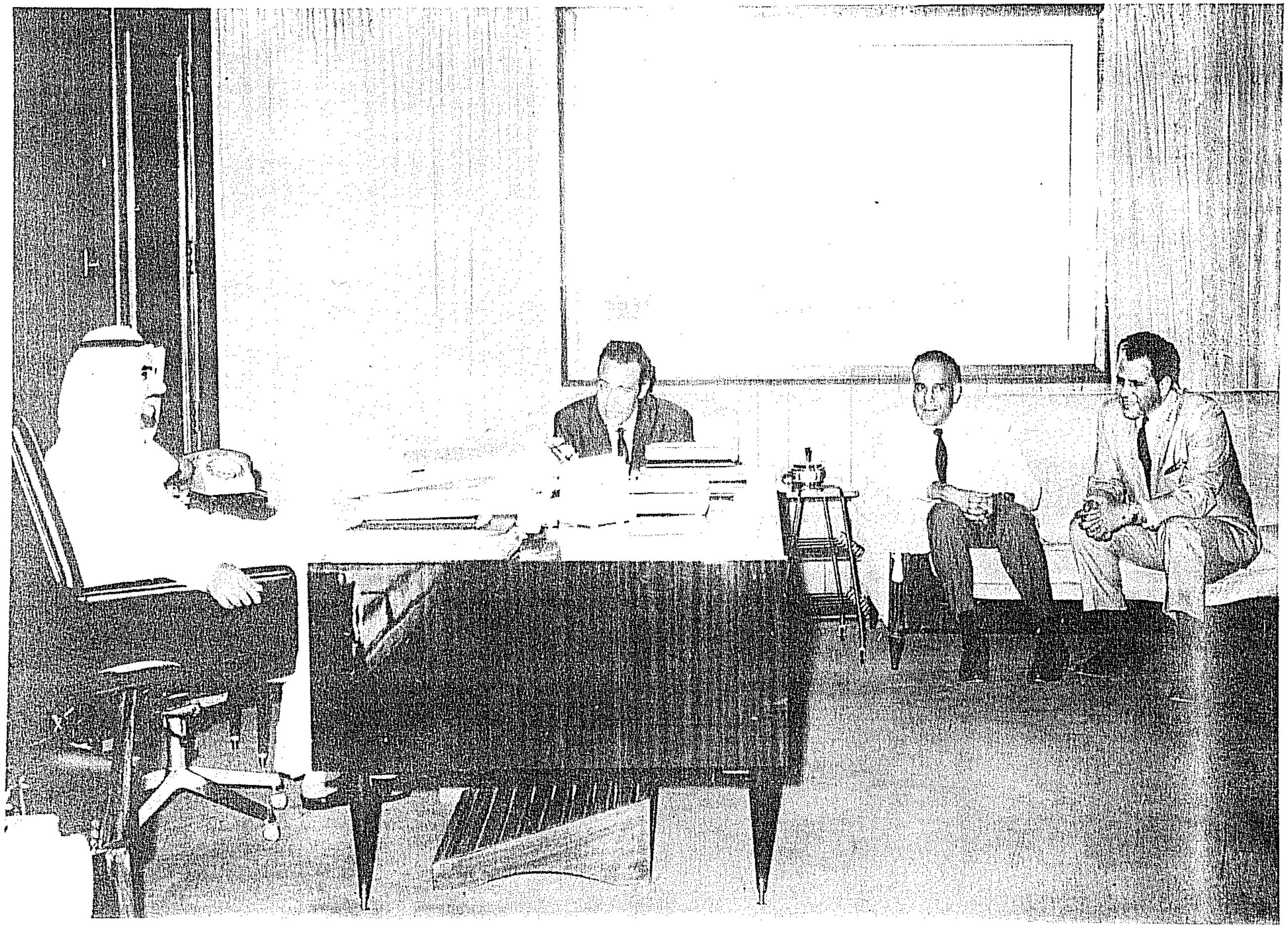
جانب من ميناء الكويت حيث تزدحم فيه بعض السفن التى تستعمل للنقل القصير أو السفر الى الهند ..

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

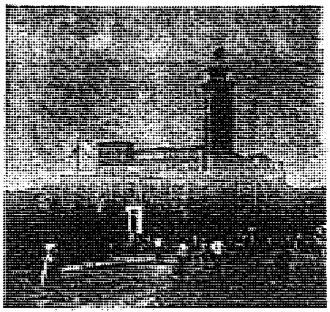
العدد الاربعون — السنة الرابعة — غرة ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ — يونيو (حزيران) ١٩٦٨ م





يقوم وفد من كبار المعنيين بالشئون الاسلامية فى جنوب كاليفورنيا بامريكا بجولة فى بعض الدول الاسلامية لجمع تبرعات لاقامة مركز اسلامى يرعى شئون المسلمين دينيا وثقافيا هناك ، وفى هذه الصورة يستـ[illegible] سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس مجلس وزراء الكويت الوفد برئاسة ا[illegible]ر عبد المحسن المبلى استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة جنوب كاليفورنيا وعضوية الدكـ[illegible] صبرى الفرا والدكتور الهادى من كبار الاطباء هناك ..

صورة الغلاف



منظر خارجي لمبنى قاعة الامام الشيخ محمد عبده للمحاضرات وبرج الساعة فيها ، بجوار الجامع الأزهر .. وهي قاعة حديثة فسيحة مجهزة بأحدث الأجهزة .. وبجوارها بعض كليات الجامعة الأزهرية ، وترى الى اليسار جزءا من حديقة الادارة العامة الأزهر .. وعلى خطوات منها مسجد الامام الحسين رضي الله عنه .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الاربعون

ـ السنة الرابعة ـ

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٨٨ هـ

يونيو « حزيران » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

معالي وزير الأوقاف يقول

رسول الله هو قدوتنا في الصبر والجهاد

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل مراسم الحفل التليفزيون والاذاعة ، وقد افتتح معالى السيد/عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف الحفل بهذه الكلمة المركزة الجامعة :

ان لكل أمة اياما تعتز بهـــا ، وذكريات كريمة غالية فى تاريخها لا تنساها ، ولكنها تكون أشد ذكرا لها ، حين تمر عليها مناسباتها ، فتعيش معها بقلبها ووجدانها ، وتأخذ منها العبرة والدرس ليومها وغدها .

وانا اليوم والعالم الاســـلامى كله معنا وذكرى ميلاد الرسول الأعظم تمر بنا لفى أشد الحاجة الى أن نأخذ من ذكرى هـــذا اليوم يوم ميلاد الهدى والنور نقطة تحول فى تاريخنا الحاضر . كما كان يوم الميلاد بدء ميلاد تحول جديد فى تاريخ البشرية .

ان عظمة يوم المولد ترجع الى ما كان للوليد اليتيم بعـــد ذلك من اختيار الله له ، ليتم برسالته الرسالات ويختم بنبوته النبوات . ويخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويبنى بهذه الرسالة أمة ، ويؤسس على مبادئها حضارة ودولة .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله ومصطفاه ، وأحب الخلق اليه وأكرمهم عنده ، وكان الله سبحانه قادرا على أن ينصره دون حرب ولا جهاد ، ولكن الله أراد أن يجعل من حياة رســــوله مثلا وقدوة لعباده فى كل ميدان من ميادين الحياة ، وهو سبحانه يقول لقد كان لــكم فى رسول الله أسوة حسنة ، ولقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته بعد بعثته مجاهدا صابرا ، مع المشركين تارة ، ومع اليهود تارة ، ومع الروم تارة أخرى وكانت عدته وعدة أصحابه فى هذا الجهاد الايمان والصبر والثبات وحسن التأهب والاستعداد .

خاض معارك كثيرة ، وانتصر وانهزم ، فلم يحمله الانتصـــار على الغرور ، ولم تدفعه الهزيمة الى اليأس ، بل ظل قوى الايمان بالله ، شديد البأس على أعدائه ، حتى جاء نصر الله والفتح ، واتم له الدين ، وأكمل عليه نعمته . واذا كانت الأمة الآن تعيش اقسى ايامها وتمتحن امتحـــانا شـــديدا فى ايمانها وثباتها ، وتقف وجها لوجه أمام قوى الشر المتجمعة عليها ، فلقد امتحن رسول الله من قبل امتحانا شديدا ، وتألبت عليه قوى الشر فى الدنيا كلها ، فلم يضعف له ايمان ، ولم تهن فيه عزيمة ، لا هو ولا أصحابه المؤمنون به الذين باعوا الدنيا كلها رخيصة فى سبيل عقيدتهم وايمانهم بربهم ورسولهم .

ولقد وقف أعداء الله اليهود من رسولنا موقف العدو الالد يتربصون به ويؤلبون قوى الشر عليه ، يحسن اليهم فيســـيئون اليه ، ويهادنهم فيتآمرون عليه .. « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين » .

وان التاريخ الآن ليعيد نفسه ، ويقف أعداء الله من الاسلام وأتباعه نفس الموقف الذى وقفه أجدادهم من قبل وصدق الله العظيم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

فلنجعل من ايماننا ويقظتنا واتحاد كلمتنا وصبرنا فى جهاد عدونا سلاحنا وعدتنا للقضاء على أعدائنا .

واننا لنحيى بكل قلوبنا هؤلاء الأبطال الفدائيين الذين باعوا أرواحهم رخيصـــة فى سبيل دينهم وتطهير ديارهم من أعداء الله : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

أولئك الذين فتحوا باب الجنة وميدان الخلود لرجال هذه الأمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وفى ختام كلمتى يسرنى أن أرفع أسمى آيات التقدير والاحترام الى مقام حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم وولى عهده والشـــعب الكويتى الكريم ، وأحيى اخوانى المسلمين فى كل مكان . واسأل الله جلت قدرته أن يجمع كلمتنا ويوحد على الحق قلوبنا حتى تعود علينا هـــذه الذكرى الكريمة ونحن فى فضل من الله بالعزة والانتصار .

والسلام عليكم

أخي القارئ

أبناؤنا وبناتنا ..

رجال الغد .. وامهات المستقبل ..

تكثر الشكوى منهم ، ومنهن .. ويقول الآباء والأمهات : اننا كلما وجهنا اليهم أو اليهن نصحا ، أو أبدينا لهم أو لهن رأيا لا يتفق وهواهم .. رفضوه .. واذا الححنا عليهم بدافع الشفقة والحب تخلصوا من هذا كله بانهم أبناء القرن العشرين .. وأن زماننا انتهى ، واننا نتحدث من خلال الماضى ، الذى لا تصلح افكاره للحاضر والمستقبل .. وهكذا ..

وتفيض المرارة بالآباء وهم يذكرون هذا ، مشفقين على اولادهم من هـذا الانفصال الفكرى الذى يتوهمونه ، والذى يتخذون منه سلما للاعتداد بآرائهم ، والاستخفاف بما عداها ، حتى ولو كانت آراء الوالدين ، عصيرة الحنان والحب والتجربة .. والحرص على مستقبل اولادهم ..

والذى يشكو منه الآباء ظاهرة واضحة ، جديرة بالتفـكير والعنـاية والدراسـة ، فهى لا تخص بلدا أو مجتمعا عربيا دون آخر .. فما تنقلت فى بلد أو مجتمع الا سمعت هذه الشكوى ، ولمست هذه الظاهرة ، لا بالنسـبة للآباء وحدهم ، بل بالنسـبة كذلك للمدرسين والمربين .. وهى ظاهرة تمرد خطيرة ، تحجب عن الشـباب ذخيرة التجارب التى يختزنها الآباء والمربون ، وتجعله كانه يسير فى صحراء ، دون هاد أو دليل ، أو كانه نبت شيطانى طفيلى ليس له جذور ولا أصول ، سرعان ما يطير مع الهواء .. يجف ورقه ، وتتناثر آثاره ..

هذا النوع من الشباب يحطم بيديه المصـباح الذى يضىء له الطريق ، ويزيح اليد الرحيمة التى تمتد اليه تساعده على النمو الفـكرى والاجتماعى ، وعلى تهيئته للاضطلاع بدوره كاملا فى حياته المسـتقبلة .. ويقع من حيث لا يدرى فى يد النصابين والمحتالين والمضللين الاجتماعيين ، يكيفون حياته على ما يريدون لا على ما يريده له أرحم الناس به ، واكثرهم حدبا وعطفا عليه ..

والشبان بهذا لا يعرضون انفسهم وحدهم للخطر ، بل يعرضون مجتمعهم الذى سيتولونه لعوارض الضعف الصحى فى افكاره واعماله ، ويصنعون مجتمعا ضعيفا ، لا حصانة فيه ضد العدوى التى تتوافد عليه من كل اتجاه .

ولست القى اللوم كله على الجيل الجديد من ابنائنا وبناتنا كما يفعل بعض الناس .

كما لا القى اللوم كله على الوالدين فى بيوتهم ، ولا المدرسين والمربين فى مدارسهم ، أو قاعات محاضراتهم .. فهؤلاء جميعا مجنى عليهم كابنائهم وطلابهم .. وكل واحد منهم ـ أبا كان أم مربيا ـ يبذل قصـارى جهده ، وعصـارة فكره ، وكل حيله ، لينشئوا الجيل الجديد على خير ما يحبون ويشتهون ، ولكن حيلهم تقصر عما يريدون .

فمن الملوم اذن ؟

هنا يجب أن نتصارح ، فليس الأمر أمر صفقة تجارية تربح او تخسر ، او زرعة تنمو أو تبور ، وانما هو أمر الجيل القادم الذى سياخذ على عاتقه مسئوليات هذه الأمة ، ويعطيها من نفسه ما يجدد شخصيتها وملامحها ، وما يصلها بتراثها وأمجادها ، ويحفظ عليها كيانها ، ويجدد لها قوتها ، ويدعم مثلها وقيمها . ويحقق الآمال التى نعجز عن تحقيقها . أو التى لا يسعفنا زماننا بتحقيقها ..

انه أمر امتداد هذه الأمة للمستقبل ، وتسليم امانة نموها ومثلها لجيل يبنى على ما بناه الآباء ، ويزيدون عليه قوة وارتفاعا واتساعا .. لا لجيل يتنكر لماضيه ، ويهدم ما بناه الأولون .

واننا جميعا — وفى مقدمتنا أصحاب القدرة الفعلية على التوجيه — يجب أن ندرك أننا نعيش هنا فى الشرق الاسلامى العربى — تحت ضربات عاتية تأتينا من الخارج ، تغزو فينا العواطف ، والعقول ، والشارع والبيت ، والحانوت والمكتب ، والمصنع ، وكل شىء فى حياتنا .. وان من الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن يكون لذلك كله تاثيره وآثاره فى حاضرنا ومستقبلنا .. واننا فى مثل هذه الحالة بين أمرين :

اما أن نستسلم ، ونلقى بانفسنا فى أحضان هذه التيارات ، توجهنا وتؤثر علينا كما تشاء هى ، لا كما نشاء نحن ، وتصنع منا دمى لها تلعب بها وتحركها ، وتقتل فينا كراة الدم التى تجرى فى عروقنا من آبائنا وأجدادنا ، وتقضى على كل نزوع فينا للاعتزاز بتاريخنا ، أو استعادة أمجادنا ، وتقطع صلاتنا بماضينا .

واما أن نؤمن باننا ورثة الذين علموا الدنيا ، وبثوا فيها الحضارة ، وكانوا خير أمة عرفتها البشرية : دينا وخلقا ، وعلما وعملا .

وأننا لسنا السفهاء الذين يضيعون أمجادهم ، أو يبيدون ثرواتهم .

ولسنا الضعفاء الذين يفرون من مسئولياتهم ، أو يفرطون فى أماناتهم ، أو يستهينون بكراماتهم .

ولسنا الامعات الذين يعيشون على موائد غيرهم ، ويميلون مع الريح حيث تميل ..

ولسنا نرضى بأن نكون أمة كاللقطاء ، لا رابط لها يربطها باصولها .

ولسنا نرضى بأن نكون أمة ممسوخة مشوهة .. لا تناسق بينها وبين أرضها وجوها ، بل لا تناسق فى معالم تفكيرها ..

ولا يمكن لنا أن نترك أبناءنا فريسة لتربية لا تتفق مع ماضينا ولا حاضرنا ولا مستقبلنا ، ولا تتلاقى مع آمالنا : فى أن يكون غدنا أفضل من يومنا وأمسنا ، وأن يحتل أبناؤنا وأحفادنا مراكز الأجداد العظام فى ركب الحياة : دينا وخلقا وقوة .

أمران لا ثالث لهما :

أما الاستسلام للتيارات الوافدة الغريبة : غربية أم شرقية ، فتشكلنا كما تريد ، وتخلق منا مسخا مشوها ..

واما مقاومة هذه التيارات وبذل كل الجهود لاثبات شخصيتنا ، والحفاظ على مقوماتنا .

ولا أظن أن هناك أحدا يختار الأولى على الثانية .. الا اذا كان عميلا على امته متآمرا عليها ..

فبقى بعد ذلك من يتحمل العبء لتحقيق الثانية ..

وهو عبء ليس بالهين ، فهو لا ينهض به الآباء وحدهم ، لأن جهودهم جهود أفراد مبعثرين ، وكثيرا ما تضيع جهودهم أمام التناقض البين فى مجتمعهم ..

ولا ينهض به المربون والمدرسون وحدهم ، لأن جهودهم كذلك جهود افراد محكومة بالمجتمع الذى يعيشون فيه ، وبالتخطيط الذى يسيرون عليه .. وكثيرا ما تضيع رغباتهم وجهودهم أمام السيل الجارف من التناقضات ، التى تفشى مجتمعهم ، برغم أنوفهم ..

فالأمر اذن ليس أمر الآباء ولا المربين وحدهم ، ولكنه أعظم من هذا كله واخطر .. لأن وسائل التربية والتأثير على النشء الجديد ، وعلى الأفكار والاتجاهات عموما لم تعد قاصرة على البيت ، ولا على المدرسة ، بل تعددت وسائلها ، واتسع ميدانها . وخرجت عن طوق الآباء والمربين .. وأصبح من الضرورى أن يتحمل هذا العبء معهم من يقدر عليه .

وانه لعبء ضخم يتناسب مع ضخامة الهدف النبيل الذى نسعى اليه ونرجوه ، وهو تثبيت شخصية الأمة ومقوماتها وصيانتها من الانحراف والانهيار ..

عبء يحتاج الى تخطيط شامل ، والى تعبئة كاملة ..

وليس هناك من يستطيع حمل هذا العبء أولا الا الحكومات التى تعتبر مسئولة عن حاضر الأمة ومستقبلها ، والتى تهيمن على وسائل التأثير والتوجيه ، وتملك من قوة التقنين والتوجيه والردع ما لا يملكه الأفراد أو الهيآت .

فليس من المعقول أن نلقى العبء كله على البيت ، والشباب يرى فى ((السينما والتليفزيون)) ويقرأ فى الصحف والمجلات ما يمكن أن يهدم كل توجيه كريم تلقاه فى البيت !!

ليس من المعقول أن نلوم الشباب أو البيت أو المدرسة فى الوقت الذى نسمح فيه بمعاول الهدم تهوى على كل ما يبنيه البيت والمدرسة فى نفوس الناشئة من معان كريمة ..

ان الحكومات التى ترعى شئون رعاياها فى كل بلد هى المسئولة اولا عن صنع الجيل الجديد ، وتربيته على أساس من الخلق القويم ، والعلم المكين ..

وهى المسئولة عن صيانته من الغزو الفكرى المنحل ، والانحراف الخلقى السقيم ..

وأية حكومة تقصر فى أداء واجبها ، أو تتهاون فى حمل مسئولياتها من هذه الناحية تعتبر شريكة من حيث تدرى أو لا تدرى مع الذين يتآمرون على هذه الأمة ، ليزلزلوا بنيانها ، ويشوهوا حاضرها ، ويمسخوا مستقبلها ..

ان الصحافة لها نفوذها على النفوس ، وكذلك ((التليفزيون والسينما)) والاذاعة ، وليس من المقبول أن يقفز أناس الى مكان التوجيه فى هذه الأجهزة ، يكتبون ، أو يتحدثون ، أو يعرضون للجماهير ما يحلو لهم ، دون أن يكون هناك مخطط مرسوم ، هدفه : صيانة أخلاق الأمة ، وتدعيم الروح الدينية فى نفوس أبنائها ، والحفاظ على معنوياتها ..

ليس من المقبول فى أمة تدين بالاسلام أن يقفز الى مكان التوجيه فيها أناس لا ثقة لهم بدين ، أو لا تجاوب فى حياتهم بينهم وبين تعاليم دينهم وآدابه .

ليس من المقبول أن يسمع الابن في البيت من التوجيه الديني والخلقي ما يجده موضع استخفاف فيما يقرؤه لبعض الكتاب ، أو يراه في بعض التمثيليات والأفلام ..

وليس من أمانة الرعاية التي وضعها الله في عنق الحكام أن تترك اية حكومة اسلامية ، في أي بلد اسلامي الجيل الجديد من ابنائها ، نهبا سائغا لبعض الموجهين الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه ..

ليس مقبولا أن نسمع من القادة حرصا على أخلاق الامة ، وتكوين جيل سليم الخلق ، ثم نرى معاول الهدم تنهال تحت سمعهم وبصرهم على أخلاق الأمة ، وبنيان الشباب ..

اننا في عالمنا الاسلامي الذي يحتمل واجب الحفاظ على الاسلام والنهوض به ، نعيش في متناقضات ، ونخبط في متاهات لا ندري الى أين نسير ؟

هل نحن حقا أمة اسلامية تحترم انتسابها للاسلام ؟

هل نحن حقا أمة تتطلع الى المستقبل ، وتعمل له على أساس سليم من عقيدتها واخلاقها ؟

لقد دق بعض الكتاب والموجهين على نغمة أن التمسك بالدين رجعية ، وأن الحفاظ على الآداب والتقاليد الاسلامية تأخر وهمجية ، فالتقط الشباب مثل هذه الكلمات والأفكار — سواء تأثروا بها حقيقة ، أم لم يتأثروا — ليستعملوها سلاحا ضد كل من يدعوهم الى الدين والتقاليد الكريمة !!

فهل نلوم الشباب وحدهم ونترك هؤلاء الكتاب والذين عبدوا لهم الطريق ، وهيئوا لهم مراكز التوجيه والقيادة ، وعبدوا لهم الطريق ، لينفثوا هذه السموم ؟

ان فينا ظاهرة مرضية خطيرة تؤذن بشر مستطير — يجب علينا جميعا العمل لتطهير المجتمع منها .. فبعض الناس يتخذ من مهاجمة الدين وتعاليمه وآدابه سلما للشهرة ، ورواج البضاعة ، ونجد بعض الصحف والاذاعات ودور النشر ترحب به ، وتقدمه للجمهور على أنه مفكر عملاق ، وحلال معضلات !! وهذا اتجاه من شأنه تفشي هذا الوباء ، وشيوع العدوى به ، واغراء الشباب بالسير في هذا الطريق ، الذي يوفر لهم الشهرة واللمعان في المجتمع الذي يعيشون فيه !! ولهذا نجد بعض الشباب في المدارس والجامعات والمجتمعات يسلك هذا الطريق الوعر ، تشبها بهؤلاء الذين اشتهروا على حساب النيل من دينهم .. وطمعا في أن ينالوا ما نال هؤلاء من شهرة !!

فماذا يعني هذا ؟ ومن المسئول عن رواج هذه السيئات ؟

وقد تقول ان الشعب كذلك يشارك في بناء مثل هؤلاء الرجال .. ولكن ماذا يفعله الشعب وهو يرى أجهزة الاعلام على اختلاف أشكالها ، وعلى قوة تأثيرها تركز عليهم الأضواء ، وتصب في سمعه وبصره أن هؤلاء هم قادة الفكر ، وعمالقة الأدب وأطباء النفوس والمجتمع ..

الا أن رعاية الشعوب أمانة ، وبناء الجيل الجديد وحسن اعداده أمانة ، ووضع الرجل الصالح في المكان المناسب أمانة .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » .

ولكل أمة ساعة ، قبل أن تقوم الساعة ..

« وان الله سائل كل راع عما استرعاه : حفظ أم ضيع » .

مدير ادارة الدعوة

عبد المنعم النمر

للشيخ : عبد الجليل عيسى

عميد كليتي اللغة العربية وأصول الدين سابقا ـ جامعة الازهر

لمن يكون النصر من الله

قال تعالى :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

تكلمنا فى المقال السابق(1) على الآيات من ٣٨ الى ٤٠ من سورة الحج ، وكان آخرها (ولينصرن الله من ينصره) .

وبعد ما وعد سبحانه بنصر كل من ينصره ، ويكون ذلك بنصر دينه والعاملين به ، ودفع كيد الخصوم عنه حتى تطهر الأرض من المفسدين الذين لا يريدون الا علوا على عباد الله ، وسيطرة عليهم ، وابتزازا لأموالهم ، واستغلالا لجهودهم .

بين فى هذه الآية الأخيرة بعض صفات هؤلاء الذين ينصرون دين الله بقوله : « الذين ان مكناهم فى الأرض » ، أى أرض كانت ، اتسعت رقعتها أو ضاقت ، اذا مكن الله لهم من التصرف فى شئون أهلها ، وولاية أحكامهم ، وقيادة أمورهم فانهم يحافظون على القيام بهذه الامور الاربعة :

اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

واذا كان النصر على الأعداء هو أسمى مطالب الاحرار ، وانه لصعوبة نيله يبذل الرجل الأبى فى سبيله كل ما يملك من نفس ومال ، فما هو السر اذن فى أن يربط سبحانه بينه وبين هذه الأمور الاربعة ؟ لا جرم ان لكل واحد منها من الآثار النافعة للفرد ، وللمجتمع ما يجعلها جديرة بهذه المنزلة .

فاقامة الصلاة ، أى اداؤها كاملة الأركان والشروط الظاهرة والباطنة ، لها ثمرات كثيرة فى سعادة الأمة وافرادها . فمن شروط اثمارها أن تكون مستوفاة حقها ظاهرا وباطنا ، فالظاهر الاطمئنان فى ركوعها وسجودها ، وتأمل المصلى فيما يقرأ ويقول ، من ذكر وأدعية .

والباطن استشعاره خشية الله ، وهو واقف بين يديه فيها ، فلا يصرفه عنها شاغل ما مهما كان عظيما . ولمنزلة الصلاة هذه كانت أول شىء يطلبه خليل الله ابراهيم عليه السلام من ربه لنفسه ولذريته فيقول : « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى » آية «٤٠» من سورة ابراهيم .

ومن أجل هذه المنزلة للصلاة أيضا طلب سبحانه من خاتم المرسلين صلى

---

(1) العدد ٢٥ من الوعى .

الله عليه وسلم ، ان يامر اهله بها ، ويصبر على مشاقها ، فقال : « وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » آية «١٣٢» من سورة طه . ومن ثمرات هذه الصلاة أنها لو أديت على الوجه الذى طلبه سبحانه فانها تكف صاحبها عن كل فحش ، وتقصيه عن كل منكر ، كما جاء ذلك في آية «٤٥» من سورة العنكبوت ، ومن ثمراتها ايضا ان يتعود المؤمن على الاستهانة بالشدائد ، وتحملها بقلب مطمئن ، وعزيمة صلبة ، انظر فى ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » . ومن ثمار الصلاة ايضا أنها تمحو الخطايا والسيئات ، ومن منا ليس له خطايا وسيئات ؟ فكلنا فى حاجة شديدة الى هذه العبادة المطهرة ، قال تعالى : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » آية «١١٤» من سورة هود . ومن ثمارها أيضا أنها فى الصدارة من الصفات التى تضع بين صاحبها وبين التذبذب فى دائرة الجزع ، والبخل ، سدا منيعا ، قال تعالى : « ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون » آية «١٩» وما بعدها من سورة المعارج .

وبعد ذلك اذا رأينا رجلا يصلى ولا تكسبه صلاته ثمرة من هذه الثمرات الثمينة ، تحتم أن نجزم أن صلاته ليست هى الصلاة التى طلبها الله سبحانه من عباده ، بل تكون أشبه بصلاة من قال فيهم سبحانه « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » آية «١٤٢» من سورة النساء ، وقانا الله شر ذلك .

الأمر الثانى مما يستجلب نصر الله ، الزكاة التى شرعها الله ، تحمل بين جنبيها ابتلاء للعباد ورحمة . ابتلاء لصاحب الثراء ، هل يشكر أم يكفر ، هل يشكر مسديها فيمد يد العون للمحتاج من خلقه ، فيزداد من الله فضلا . أو يكفر فيقبض يده الى عنقه ، فيكون ما بخل به عليه نارا يكوى بحرها يوم القيامة .

وهى أيضا ابتلاء للعقل المعدم . هل تحول بينه وبين الحسد ، فلا يمد عينيه لما ليس له ، ولا يتمنى زوال نعمة أنعمها الله على غيره .

وهى أيضا رباط تراحم قوى متين ، اذا أحسن اداءها صاحب الفضل ، فانه يأسر بها قلوب المعوزين ، فيضعونه فى سويدائها ، ويحيطونه وماله بسياج من محبتهم ، تجعل عوامل الافساد لا تجد للحقد والحسد الى قلوبهم سبيلا .

والمتأمل لما جاء فى القرآن فى هذا الموضوع يعلم أن المسلم مطالب باسداء البر لكل من يصلح البر حاله ، سواء كان ذلك البر عن طريق الزكاة المعهودة أو غيرها . والزكاة المعهودة هى ما جاءت فى آية «٦٠» من سورة التوبة (انما الصدقات للفقراء والمساكين .. الخ) . وجاء فى غيرها قوله تعالى فى وصف المتقين : (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) آية «١٩» من سورة الذاريات ، وقوله سبحانه فى سياق الكلام على تقسيم التركات (واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) آية «٨» من سورة النساء .

ويتجلى أن فى المال حقا غير الزكاة المعروفة فيما جاء فى قوله سبحانه : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب النبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة .. الخ » آية «١٧٧» من سورة البقرة .

فنرى أنه سبحانه تعرض لبذل المال فى هذه الآية مرتين ، الأولى ايتاء

المال المحبب لدى النفوس المذكور فى قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آية «٩٢» من سورة آل عمران ، وعين الجهات التى يبذل فيها وانها ست ومنها ذوو القربى . والثانية فى قوله تعالى : (واقام الصلاة وآتى الزكاة) والزكاة قرينة الصلاة هى التى قاتل الناس عليها الخليفة الأول ابو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، ومصارفها ثمانية معروفة أوسع مما ذكر فى الفقرة الاولى .

فتبين من المجموع أن فى المال حقا غير الزكاة ، وقد جاء صريحا فى هذا المعنى الحديث الذى رواه ابن ماجه ، والترمذى ، عن فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى المال حقا سوى الزكاة ، ثم ذكر هذه الآية (ليس البر أن تولوا وجوهكم .. الخ) .

وقال مالك بن انس : يجب على المسلمين فداء أسراهم ، وان استغرق ذلك أموالهم ، اذا كان بيت المال لا يفى بذلك .

وقال محققو العلماء فى تفسير قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .. الخ » آية «١٠٣» من سورة التوبة ، قالوا : ان المراد من الصدقة هنا هى كل ما ينفقه المؤمن تقربا الى الله تعالى على وجه يدل على صدق ايمانه ، وعلى أن الله طهره من كل آثار الشح ، والنفاق ، وغير ذلك من أمراض القلوب ، فهى تزكى نفس صاحبها ، وتنمى فيها الفضائل الانسانية وتزيدها استعداد للخير .

وانما كان الاسلام حريصا على كثرة الحث على البذل فى سبيل الخير ، وفى مصالح الأمة ، لأن الله سبحانه يعلم ان المال هو عماد حياة الناس الخاصة والعامة ، كما يعلم أنهم متفاوتون فى الاستعداد ، والكسب ، والتثمير ، فلا يستغنى بعضهم عن بعض ، فلما كان للمال هذه المنزلة فى حياة الناس مع حرص النفوس على الشح به ، جاء الدين مرشدا لهم الى ما يطهر نفوسهم ، ويصلح أحوالهم ، فشرع لهم من الأحكام ما يحفظهم من شرور فتنة المال ، وأوجب على ذى السعة فى الرزق أن يبذل من النفقات والصدقات ما يبدل الثروة الى حسنات .

قال صاحب المنار : لقد قال بعض علماء الاجتماع من الغربيين ان اكثر الثورات ، والحروب ، كان المال هو أهم الاسباب المؤثرة فيها .

واذا كان هذا الكلام صادقا فى جملته ، فان الاسلام جاء لعلاج هذا المرض الوبيل ، وادرك ذلك وانتفع به الخلفاء الراشدون ، ومن سار على سيرتهم ، فعاشوا عيشة أوساط الناس ، فكانوا بعملهم خير قدوة لغيرهم من الأمة ، **وقد قال العلماء : القدوة الحسنة تفعل ما لا يفعله الف واعظ ، أو خطيب مصلح .**

مرض عبادة المال الذى لوث به نفوس الغربيين أشرار الخلق من اليهود ، حتى اتخذوا منهم مطايا لاستعباد الالوف من العمال ، وتسخيرهم لمصالحهم الشخصية ، مرض لولاه لما كان هناك سبب لظهور هذه المبادىء البراقة التى خدعت العمال ، والفقراء حتى وقعوا فى شباكها ، وأمسوا كالانعام والدواب التى لا تنال من الطعام الا بمقدار ما تعيش لتعمل فقط .

ولا منقذ للامم من هذه الفتنة الا العمل بالدين الذى جاء خاتما لشرائع الله ، ولاصلاح حال البشر ، وقد تفتحت الآن عيون بعض عقلاء الافرنج فأدركت الحاجة الى مبادىء تنقذ البشر من هذا الشر المستطير الذى حول كل خيرات الأرض الى أسلحة تدمير ، وفتك ، وتخريب .

ونحن نقول وبحق : انه لا يصلح لذلك الا هذا الدين الذى جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، جامعا للمبادىء الآتية :

أولا : جاء باقرار الملكية الشخصية واحترامها ، لأن ذلك اقوى حافز على

هذا المبدأ حرم أكل اموال الناس بالباطل ، وحرم الربا ، والقمار ، وكل ما فيه اخذ مال الغير من طريق غير مشروع .

ثانيا : حرم ان يكون المال دولة بين الاغنياء فقط ، لا ينـال منه المحتاج نصيبه الذى فرضه الله له .

ثالثا : امر بالحجر على السفهاء الذين يضيعون اموالهم فيما يضر امتهم ولا ينفعهم .

رابعا : فرض حقا للفقراء فى أموال الأغنياء ، واوجب على الحاكم اخذه منهم وصرفه فى وجوهه التى بينها له مما ينفع المحتـاج ، ويعود بالنفع على مجموع الأمة .

خامسا : حرم ادخار القوت الفائض عن حاجة مالكه فى زمن المجاعة ، لما فى ذلك من مظاهر قسوة الانسـان على اخيه الانسـان ، مما يجر الى المصائب والشرور .

سادسا : فرض نفقة القريب المحتاج على قريبه الغنى ، حتى تبقى علاقة التراحم بين الأقرباء مصونة مما يقطعها ، ويا ويل أمة تقطعت أرحامها ، فانها تصبح مجموعة وحوش ضارية ، لا مجموعة انسانية .

سابعا : اوجب على القادرين انقاذ المضطر من بنى الانسان من كل جنس او دين ، وضيافة الغريب كذلك ، الذى لا مأوى له ما لم يـكن مرتكب جناية توجب هدر دمه .

ثامنا : جعل بذل بعض المـال كفارة لبعض الذنوب ، كافطار يوم من رمضان ، او مظاهرة الرجل من زوجته ، التى أوجب الله تعالى فيها على الرجل اطعام ستين مسكينا آية «٤» من سورة المجادلة ، أو حنث فى يمين ، الى غير ذلك من كل التصرفات التى تشعر بأنه حاد عن أوامر الشرع ، فجعل بذل المال كفارة لذلك .

تاسعا : رغب بعد كل ذلك فى صدقات التطوع حتى جوز لصاحب المـال أن يوصى بثلث ماله للمحتاجين من الأمة .

عاشرا : فضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر ، لأن الغنى الشاكر هو الذى ينفق ماله على الفقراء ، خيره متعد لغيره ، وأما الفقير الصابر ، فخيره قاصر على نفسه .

حادى عشر : مع كل ذلك أباح الله سبحانه للمؤمن الزينة التى أخرجها لعباده ، وطيبات الرزق ، بشرط عدم الاسراف والتباهى على الناس ، والاغراق فيما تشتهيه نفسه ، لا يشعر برقابة دين ، ولا وخز ضمير .

وهل رأى عاقل اروع فى الترغيب فى البذل ، والتنفير من الشح والبخل ، مما قاله سبحانه حاصرا الفلاح فيمن اتقى شح نفسه. (ومن يوق شـح نفسه فأولئك هم المفلحون) آية «٩» من سورة الحشر .

اما الامر الثالث والرابع اللذان تجب المحافظة عليهما ليستجلب المؤمن نصر الله ، وهما الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنـكر ، فهما القطب الأعظم فى الدين ، الذى جعله الله سبحانه سبب امتياز امة محمد صلى الله عليه وسلم على الأمم جميعا . وما دهم الامة الاسلامية من الضعف والتفكك حتى صار كل فرد منها يفعل ما يريد الا من يوم أن اهمله أمراؤها ، واستهان به أهل الصدارة فيها . ولدقة مسالكه ، وحاجة القائم عليه الى الحكمة والبصر بأخلاق الناس وعوائدهم ، حتى تكون دعوته فى اطار الحكمة والموعظة الحسنة ، ولان منه ما هو مطلوب من كل فرد من افراد الأمة ، ومنه ما هو مطلوب من الذين يفقهون دقائق الدين ، ويعلمون المجمع عليه ، والمختلف فيه ، ومنه ما لا يقـوم به الا أولياء الامور ، الذين بيدهم التنفيذ ، ولا يجوز لغيرهم ان يتولاه . لمـا كان كل هذا رأينا ان نفرده ببحث مستقل ان شاء الله تعالى .

في الذكرى الأولى
الهزيمة

سنة ثقيلة مرت على الأمة منذ هزيمتها المرة فى ٥ يونيو الماضى .
وكأنها سنوات ، بل كأن كل ساعة أو لحظة فيها سنة .. والألم يقض المضاجع ، ويعتصر القلوب ، ويلهب العزائم ليوم الثأر ، وما كان هناك واحد من الأمة ينتظر ان تمر سنة على جراحاتنا المفتوحة ، ودمائنا المهدورة .. ويأتى الخامس من يونيو دون أن تكون الأمة كلها قد أخذت أهبتها واستردت هيبتها ، لكن فداحة الهزيمة ، وعدم استيعاب الدرس استيعابا كاملا على كل مستوياتنا قد حال بيننا وبين ما كنا نؤمله .. ولكن الى حين ، فان الأمة لا يمكن أن تصبر طويلا على جراحاتها ، ولا أن تترك أحدا يتهاون فى مصيرها .. ولقد تحدثت الأمة كلها على لسان قادتها حديث العزم والتصميم ، والوعى السليم ، فى هذه الذكرى الأليمة ..

ونحن نسجل هنا بعض ما تحدث به القادة ، عهدا بينهم وبين الأمة نسأل الله أن يعينهم على تحقيقه ، وأن يكون حديثنا فى العام الآتى عما أحرزناه من نصر ان شاء الله .

الكويت ..

أكد سعادة وزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله الصباح أن الكويت بتوجيه من حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الأعلى للقوات المسلحة تقف بكل طاقاتها وامكانياتها فى معركة العرب المصيرية ضد المخططات التوسعية الصهيونية ، وقال سعادته فى تصريح خاص لمندوب الاذاعة والتلفزيون ان الكويت وهى تستعيد ذكرى العدوان الاسرائيلى الغاشم على الأمة العربية فى الخامس من يونيو من العام الماضى لتؤكد من جديد وقوفها مع شقيقاتها العربيات واصرارها على مواصلة الكفاح حتى تستعيد الأمة العربية حقوقها المغتصبة ، وأعلن أن الجيش الكويتى سيبقى بمقدمة صفوف الفداء مدافعا عن الوجود العربى ، وحيا سعادة وزير الداخلية والدفاع الكفاح البطولى الذى يخوضه الفدائيون الفلسطينيون لتحرير وطنهم .

وقال سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية :

لسنا الآن بصدد ايجاد التفسيرات لما حدث فى مثل هذا اليوم من العام الماضى ، فان الذى حدث قد صار فى سجل التاريخ ، لكننا نقف عند هذه المناسبة لا لنستذكر مآسيها بل لنستخلص عبرها ، ولا لنأسف على نتائجها ، بل لنشحذ الهمم لاجتثاث جذورها ، وللحقيقة نقول — بأن ما كان فى الخامس من يونيو الماضى كان من الممكن ألا يكون ، لو سرنا على طريق المحبة والتآخى وانكار الذات ، وجعل التضامن العربى أساس عملنا ، لا هدف لنا سوى العدو ، ولا غرض سوى استعادة الحق العربى فى فلسطين .

ولعل من أعظم عبر النكسة التأكيد على التضامن العربى باعتباره الأسلوب

الفعال المؤدى الى الثأر للكرامة العربية . وقد تجلى هذا التضامن فى مؤتمر الخرطوم ، الذى اكد بأن استرداد الأراضى العربية المحتلة مسؤولية جميع الدول العربية .

كما تخلص العرب منذ النكسة ، من كثير من الأساليب التى كانوا يستخدمونها لتوضيح قضيتهم ، فلم نكن نراعى المفهوم العلمى فى دعايتنا ؛ واعتمدنا على كون الحق بجانبنا ، دون تطوير أساليب ابراز هذا الحق ، حتى قال بعض من فى الغرب ، بأن العرب أسوا محامين لأعدل القضايا . ومنذ النكسة برز الأسلوب العلمى فى الدعاية وأسلوب التحرك السياسى بدلا من الجمود ، وبدأ الرأى العام العالمى يدرك بأننا دعاة سلام ، نراعى حق شعب فلسطين ، ولسنا هواة دماء .

سيكون النصر حليفنا اذا سرنا بروح التضامن وبروح المشاركة ووضعنا خطط التنسيق وحددنا أسلوب العمل المشترك الذى يحدد مسؤولية كل منا الى طريق النصر ، وان ينصركم الله فلا غالب لكم . وسينصرنا الله بحسن توكلنا عليه .

وقال معالى السيد عبد الله مشارى الروضان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية :

علينا نحن المسلمين والعرب ان نأخذ من ذكرى الخامس من حزيران عبرة فى الاعتماد على انفسنا لاسترداد حقوقنا السليبة .

وقال الوزير ان ذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء يجب ان تكون حافزا لنا .. لتحطيم أسطورة الاحتلال الغاشم .. والبدء فى مسيرة كبرى يعلن فيها الجهاد المقدس حتى النصر الأخير .

وأعرب وزير الأوقاف فى ختام تصريحه عن أمله بأن تحتفل الأمة الاسلامية والعربية بذكرى مولد النبى الكريم على ارض القدس بعد ان تطهر من الأعداء اللئام .

وفى القاهرة ..

وجه الرئيس جمال عبد الناصر حديثا الى الأمة قال فيه :

أيها الاخوة . لقد كان حرجى شديدا على ان التقى بكم اليوم فى ذكرى مرور عام على تجربة عشناها وعاشتها امتنا العربية كلها بالمرارة والألم . ومهما كان ما نشعر به جميعا فى هذا اليوم فلقد احسست بحاجتى الى لقائى معكم أفضى به ببعض خواطرى واستمد منكم على المسئولية الكبيرة عونا وسندا ، ثم تكون الذكرى عهدا جديدا نؤكد به فوق الأحزان كلها وفوق الصعاب ايماننا وتصميمنا على استعادة الحق كاملا وعلى السير فى طريقه الى النهاية .

ليس المهم هو حساب الأيام ، ولكن الأهم هو حساب النصر ، على ان الشرط الذى أراه ضروريا لكرامة هذا الدرس ولتكريمه هو الا تكون الأيام ضائعة ، والا تتسرب ساعاتها من ايدينا فراغا . واعتقد أيها الأخوة ان هذا الشرط مكفول ، وأن عملنا محفوظ به ومصان .

ثم قال :

وفيما تحقق ايجابيا خلال هذا العام الذى مضى فانه تعنينا مجموعة من الحقائق لا شك فيها ولا شبهة حولها .

أولا : ان القوات المسلحة المصرية تعيد بناء نفسها رجالا وسلاحا ، علما وتدريبا بشكل لم يكن متوفرا لها فى يوم من الأيام .

ثانيا : ان الأمة العربية بالاجماع تدرك انها سوف تواجه معركة يتقرر فيها مصير العربى الى عشرات السنين وربما مئات السنين ، ومن هذا الادراك

الاجماعى فان الأمة العربية تملك من ارادة التصميم ما لم تكن تملكه فى يوم من الأيام .

ثالثا : ان العمليات الشجاعة التى تقوم بها المقاومة الفلسطينية فى وجه مخاطر شرسة . كما ان الوقفة المجيدة للجماهير الفلسطينية فى الضفة الغربية وفى غزة رفضا للاحتلال . وتحديا لسيطرته وجبروته . وتحملا مؤمنا صامدا . كلها علامات تحول هام واساسى بالنسبة للنضال الفلسطينى .

ثم ختم خطابه فقال :

ايهـا الاخوة المواطنون . ان الآلام العظيمة تبنى الأمم العظيمة اذا وعت وتعلمت .. ان نار المحنة لا تحرقها وانما تساعد على نضوجها .. والصدمة لا تحطمها . ولكن تكسر اغلالها وتحررها . ومن وسط الظلام الكثيف ينبثق شعاع الأمل ..

أيها الاخوة المواطنون .. فلنفتح صدورنا اليوم لشعاع الأمل ، ولتكن ثقتنا بالنفس غير مترددة . فان الثقة بالنفس على الحق هى الثقة بالله صاحب كل حق وناصره .. وليكن رضا الله رحمة تحيط بكل شهدائنا ، ولتكن روحه القدسية عزما يشد أزر أبطالنا . ولتكن لنا من لدنه شجاعة العقل ، وشجاعة القلب . لنقرر ما لا بد أن نقرره . ونتحمل ما لا بد ان نتحمله . ونحقق ما لا بديل على الاطلاق من تحقيقه : نصرا كريما عزيزا واضحا .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفى عمان ..

وجه جلالة الملك حسين خطابا بهذه المناسبة قال فيه :

ان العالم الذى عاشه الانسان والامة العربية كلها منذ ٥ يونيو الماضى قد صنع للانسان العربى وللأمة العربية ما لم تصنعه سنوات وسنوات . وقال : اننا عبرنا خلال هذا العام من ظلمات النكسة الى دنيا اليقظة الحافلة بالأمل العظيم .

وقال ان الأمة العربية اخذت بعد النكسة تتساءل كيف نعمل لحماية حقها فى صمت وعزيمة . واوضح ان درس النكسة قد علم العرب انهم أمة واحدة تواجه اخطارا واحدة لا سبيل لردها إلا بالتضامن الصامد ..

وفى دمشق ..

اهاب الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورية . فى بيان القاه من راديو دمشق بالدول العربية التى لا تربطها حدود مشتركة مع فلسطين المحتلة والتى لم تساهم حتى الآن فى المعركة ان تتحمل مسئولياتها الفعلية فى الدفاع عن الاراضى العربية . وقال لقد مضى عام على النكسة التى حلت بشعبنا نتيجة العدوان الصهيونى الاستعمارى . وما تزال هذه القوى ماضية فى الاعداد والتخطيط لتنفيذ مؤامرات متلاحقة بهدف القضاء على ارادة الكفاح والصمود لدى الجماهير العربية وفرض الصلح والاستسلام على الشعب العربى .

وفى الخرطوم

اعلن السيد اسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة السودانى ان بلاده تؤيد الكفاح المسلح للفدائيين العرب . وانها لن تتردد فى المساهمة بكل ما لديها من قوة لتصعيد هذه المقاومة . وقال : اننا سنظل نسعى لعقد مؤتمر قمة عربى فى اقرب فرصة ممكنة . واكد ان الدول العربية لن تستسلم للضغوط الاستعمارية للتراجع عن موقفها وهو عدم التفاوض مع اسرائيل او عقد صلح معها .

حقيقة وشريعة ..!!

للشيخ : محمد الغزالى

جلست يوما اختم الصلاة واردد الألفاظ المائة المأثورة ، متدبرا ما تدل عليه من تسبيح وتحميد وتكبير ، بيد أن الشيطان سرق فكرى دون أن ادرى ، فاذا انا أسرح فى إحدى القضايا ، أستعرض أحداثها وأتتبع مراحلها وأتوجس من نتائجها !! وغصت فى أعماق القضية العارضة حتى ارتطمت بقاعها ولسانى يحصي آخر الكلمات المائة التى تعقب الصلوات المكتوبة ، لتكون ذكرا بعد ذكر ، وتحية بعد تحية !!

وشعرت بتناقض بين بين حالي ومقالى ، وساءلنى ضميرى : اكنت حقا تذكر ربك ، وتسبحه وتحمده وتكبره ؟

ولم يكن للكذب مجال ، لقد كان فؤادى فى واد آخر ، وان كان لسانى يردد ما تعوده من كلمات . .

لقد كنت حاضرا كغائب ، أو غائبا كحاضر ، وما استطيع الزعم بأنى فيما هممت كنت من الذاكرين !!

ان البون بعيد جدا بين الكلمات التى ننطق بها ، وبين معناها المصاحب لها ، المخبوء تحت حروفها . .

لو كانت ادارة الألفاظ على الشفتين تثبت معانيها للفور كما تدير أزرار الكهرباء فتسطع المصابيح للفور ، لكنا فى حال غير الحال ، ووضع غير الوضع ! ولكن المسافة شاسعة بين الكلمات ودلالتها الملاصقة .

وكم فينا من ببغـــاوات تجرى على أفواههم كلمات جليلة ، فاذا ذهبت تلتمس حقائقها فى نفوس القائلين ، وجدت الفراغ أو وجدت النقيض .

والمؤسف أن اغلب معاملتنا لله يسيل من هذه العين الحمئة !!

ان أسوأ ما يعترى الفرائض المكتوبة والعبادات الرتيبة أن يؤديها المكلفون وهم فى شبه غيبوبة ، لا تلاحق عقولهم معانيها ، ولا تحصل نفوسهم حكمتها . .

ويقول علماء النفس : ان درجات الحس تتفاوت عند مباشرة المرء لشتى الأعمال ، فقد يقع الاحساس فى بؤرة الشعور وذلك فى حالات الانتباه الكامل ، وقد يهبط الوعى الى حاشية الشعور عند ملاحظة أمور مألوفة .

وهناك منطقة شبه الشعور التى تصحب القيام بأعمال معتادة ، وأظن بعض الدواب تشارك البشر فى هذه الحالة ، فهى اذا دربت على اشغال معينة أدتها بدقة ـــ دون وعى طبعا .

والتكاليف الدينية يوم تؤدى على أنها عادات مجردة ، ليس معها الصحو العقلى المطلوب تصبح الى الأدواء أقرب منها الى الأدوية ..

بل ان الكفار الصاحين الايقاظ اذا التقوا فى ميادين الحياة بعابدين من هذا النوع المخدر الغافى سرعان ما يسبقونهم سبقا بعيدا ويغلبونهم غلبا اكيدا ..

ان الله شرع الدين موضوعا وشكلا ، معنى ولفظا ، يقظة نفسية ، وحركة بدنية ؛ فمن أخذ الظاهر من هذا كله وترك الباطن فهو يعبث بالدين ، ويتخذه لعبا ولهوا ..

ويحسن أن نفرق هنا بين عدة أحوال ، فان المؤمن الجاد الصادق عندما يشرع فى نسك ، يقبل على الله معقود العزم حسن القصد ..

وربما اختلس الشيطان شيئا أو أشياء من عبادته ، فهو يحزن لذلك ويتعلم الحرص والحذر ، ومراتب المؤمنين فى مدافعة هذه الغارات لا حصر لها ..

وخيرهم من تنجح مجاهداته فى صيانة عمله جوهرا ومظهرا ، واعجزهم من استغفله الشيطان فشتت لبه فى متاهات ليس لها آخر كلما تقرب الى الله بعمل ..

ولا بد من استبعاد النيات الملتاثة فى هذا المجال ..

اننى أحيانا اسمع الأغنية الدينية تصف مناسك الحج أو تعرض حياة الرسول ، فيمتلىء قلبى بالرقة والضراعة .. ثم أستحضر سيرة المغنى والملحن والعازفين فأحس فجوة رهيبة بين جلال ما يقال وفساد من يقول ..

ان الفرق الماهرة فى أداء هذه الألحان الدينية هى هى التى تستفز الشهوات الساكنة ، وتزين مزالق الشر لألوف من الخلق وتجدد نشاط الأشرار كى يسترسلوا فى غوايتهم .. ولذلك عندما أسمع مناجاة الله على لسان مغن أو مغنية أسأل النفس : اهذا ذكر الله حقا أم هى صنعة الكلام والتطريب وحسب ؟؟

ولم التمثيل بالغناء الدينى ؟

هل تتبعت مجالس القرآن التى تحف بنفر من القراء المشهورين ورأيت ما يسود هذه المجالس من صخب وخفة ؟

ان الصياح الطائش الذى يفتعله بعض السامعين يستخف للأسف هؤلاء القراء فتراهم ينسون الكتاب ومنزله ، وما ينبغى له من اجلال وتوقير ، ويحولون الآى الى نغم معجب للجهال يزيدهم ولها على وله !!

ثم ينفض الحفل الماجن دون أن ينشرح بذكر الله صدر أو تدمع لخشيته عين ، أو تنعقد على طاعته ارادة ، ويئوب القارىء والسامعون الى بيوتهم وهم يخوضون فى غضب الله خوضا !!

ان ما يطلب من الناس ليس شيئا صعب التصور أو عسر المنال ، مطلوب من الانسان العاقل أن يعى ما يقول ، وأن يعنيه ، وأن يفقه ما يسمع ويستوعبه ، فهل هذا تكليف بما يبهظ الهمم ؟ مطلوب من المصلى اذا وقف بين يدى الله أن يعرف من يناجى ، فاذا قال : الله أكبر ، كان شعوره أنه فى حضرة الكبير المتعال عاصما له من الالتفات الى غيره ، ومحرما عليه الاشتغال بأمر دونه ، وهذا سر تسمية افتتاح الصلاة بتكبيرة الاحرام .

مطلوب من التالى للوحى أن يفك أغلاق قلبه فاذا نودى سمع ، واذا بصر رأى ، واذا استثير نشط ، وقد جاء فى وصف عباد الرحمن : « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

العلاقة بالله — على الحقيقة لا على التجوز — تطلب البعد عن آفتين : التوهم أو الخيال ، والتميل أو التصنع .. الآفة الأولى تجعل المرء يرسل القول

على عواهنه ، وقد تخدعه نفسه فيخال الأمنية البعيدة حقيقة ماثلة . أو يخال الأمل السامى غاية سهلة .
وقوانين الايمـــان لا تدع المؤمنين طويلا بازاء هذه الاوهام ، بل ترميهم بالأحداث تلو الأحداث حتى ينكشف معدن النفس ، فاما ثبت الانســـان عندما يقول وتحمل تبعاته كاملة ، واما انهزم وبدا عواره ، وفى ذلك يقول جل شأنه : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .
والأمل فى الاستشهاد قبل مواجهة العدو شىء عظيم . واعظم منه وادل على صدقه الا يتبخر الحماس عند اللقاء ، ويتغلب حب الحياة وايثار السلامة ..
ان الله تبارك اسمه يبغض اصحاب المزاعم العريضة . فاذا دقت ساعة الجد وجدت الثرثارين خرسا « لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .
أما الآفة الأخرى التى تبعد ذويها عن جوهر الدين فهى اخذ العبادات من مراسمها البادية ، وبذل الجهد فى اتقان الظاهر وحده .
ولو عقلنا لأدركنا أن القليل مع صحو الضمائر افضل من كثير لا روح فيه ، تأمل فى حديث ابراهيم الخليل عن ربه . انه حديث ليس فيه كشف لمجهول ، ولا تصوير لمعنى مبتدع ، انه يتناول اقرب المحسوسات الينا : « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين » .
ان الرجل العامى يجد هذا الكلام قريبا من حسه . ولـكن حقائق هذا الكلام هى التى فاتت العباقرة فزاغوا .
ليس الأمر تزويق عبارات بليغة ، ولا شرح فلســـفات عويصة ، الأمر لا يتطلب أكثر من أن يقرأ المســلم فاتحة الكتاب ، فيعنى كل كلمة ينطق بها ، ويكون قلبه مرآة نقية لما احتوت من حمد الله ، وثناء عليه ، وتعاهد معه ، وتطلع الى هداه ونعمته .
هذه هى الحقيقة التى تحدث عنها التصوف ورجال التربية .
لا دلالة لهذه الكلمة غير ما قلنا ، أن يلتزم المسلم بشريعته مبنى ومعنى ، أن ينفعل بتعاليمها لبا وقلبا وجسدا ، أن يرقى الى مســـتواها فكرا وعاطفة وسلوكا ..
لا تعريف للحقيقة غير ما أوضحنا فى الكلمات الآنفة ، أن يتطابق الفؤاد مع اللسان عند ذكر الله ، وأن تتعانق الروح والجسد عند الانقياد لأمره .
ولبعض الصـــــوفية كلام متهافت يوهم ان الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر .. !
يقول ابن عجيبة فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى : « الأعمال عند أهل الفن — يعنى فن التصوف — على ثلاثة اقســـام عمل الشريعة ، وعمل الطريقة وعمل الحقيقة أو تقول عمل الاســلام وعمل الايمان وعمل الاحسان أو تقول عمل اهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل اهل النهاية ، فالشريعة ان تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو تقول الشريعة لاصلاح الظواهر والطريقة لاصلاح الضمائر والحقيقة لاصلاح السرائر .. الخ .
وهذا كلام مضطرب مدخول يقوم على التلاعب بالألفاظ والعبث بالمفاهيم فان الشريعة اصلاح للظاهر والباطن معا ، وهى عبادة ونية واحسان ، ولا ينفك أحد هذه العناصر عن الآخر .
ويوغل ابن عجيبة — غفر الله له — فى خطئه ، فيصور لقرائه ان الكتاب والسنة اقسام ، بعضها يشير الى الشريعة ، والآخر يشير الى الحقيقة فيقول :

(البقية ص ٢٩)

أقرآن جديد ؟!

إنها الفتنة الجديدة الكبرى في الإسلام

(هل يطيق مسلم أى مسلم ان يرى مصحفا فى اوله سورة اقرا ثم المدثر والمزمل .. ويرى سورة البقرة وزميلاتها المدنيات فى آخر المصحف ، ويرى آيات نزعت من هذه السورة لتوضع في سورة او في مكان آخر ؟ ذلك هو ما ازعج سماحة الشيخ نديم مفتى طرابلس وشمال لبنان وعضو مجمع البحوث الاسلامي بالأزهر فارسل الينا هذه الكلمة الخطيرة المستعجلة ((لنشرها سريعا)) قبل ان يخطر على بال صاحب المشروع اخراج هذه الفتنة الى حيز الوجود ، وطبع هذا المصحف المبتدع فى لبنان . ونحن وكل الذين عرفوا عن طريق هذه الرسالة من المسئولين والعلماء وكل الذين سيعرفون امر هذا المشروع الجديد عن طريق المجلة او غيرها يستنكرون كل الاستنكار ان يطبع مصحف مخالف فى ترتيب سوره وآياته المصحف المتداول الذى جمعه وامر بكتابته سيدنا عثمان ، واجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم جميعا ، واجمعت الأمة بعلمائها وائمتها وعامتها عليه ، واذا كانت الأمة لا تزال حتى الآن متمسكة ببقاء الرسم العثمانى كما هو خوفا من تغيير فى شكل بعض الكلمات ، فكيف تقبل أن ترى مصحفا مقلوب الملامح فى سوره وآياته بحجة ترتيبها حسب نزوله ، واننا لنرجو أن نسمع نحن وغيرنا راى فضيلة المفتى العام فى لبنان الشيخ حسن خالد ، كما نرجو المسئولين فى لبنان الا يسمحوا باخراج هذا المشروع ، حتى يعرضوه على الأزهر ومجمع البحوث فيه كما هو الشان فى طبع المصاحف المتداولة .. فلسنا فى حاجة الى فتن تمزق الصفوف وتثير النفوس . وانا لمرتقبون) .
فلسنا فى حاجة الى فتن تمزق الصفوف وتثير النفوس . واذا كان صاحب المشروع يريد الفائدة دون اثارة فتن فليخرجه فى شكل بحث كما فعل العلماء السابقون . وانا لمرتقبون) .

الوعى الاسلامى

فتوى [illegible] من سماحة مفتي طرابلس وشمال لبنان
الشيخ نديم الجسر
إلى كل مسلم وإلى كل دولة إسلامية

اطلعت على الرسالة [illegible] عنوانها (الكتاب الكامل [illegible] سور القرآن حسب التنزيل الإلهي) [illegible] أول ما [illegible] حسب التنزيل الإلهي بدلا من القول [illegible] حسب ترتيب النزول [illegible] أن هذه الصفحة الخارجية التي تحمل اسم [illegible] ولا تحمل [illegible] على [illegible] وإلى كل [illegible] المنشور [illegible] وذلك من [illegible]

الأول: قوله (أعظم مشروع ديني قام به الفيلسوف الأعظم [illegible] الروح [illegible]).

[illegible] ليس المراد من هذا الترتيب أن يحل محل القرآن [illegible] الذي جمعه الخليفة الإمام عثمان بن عفان [illegible] أن يكون إلى جانبه [illegible] على الفهم والاستنباط والعمل [illegible] ذلك [illegible] الإمام [illegible]

[illegible] المراد اختراع مصحف جديد غير مصحف عثمان الذي [illegible] المسلمون على [illegible] إنما المراد [illegible] كتاب علمي [illegible] سور القرآن وآياته.

وكان [illegible] حسن الظن [illegible] هذه الرسالة [illegible] (نشر القرآن الجديد) [illegible] الإسلام [illegible] خطيرة في دين الإسلام [illegible] الكتاب [illegible] بوصفه أنه (أعظم مشروع ديني قام به الفيلسوف الأعظم [illegible]) [illegible]

نزول سور القرآن ، لما استحق أن يوصف بأنه (أعظم مشروع ديني) لأن علماء الاسلام قد سبقوا الى بيان تواريخ نزول السور في كتب كثيرة . .

وزادني ميلا الى اساءة الظن تلك الجملة ، التي أراد كاتبها ، من تصديرها وابرازها في صدر الصفحة الخارجية ، اظهار التبرؤ من أن يكون قصده أو قصد أبيه المؤلف (احلال الترتيب الجديد محل القرآن المجيد) فدل ، بهذا التبرؤ ، على أن الامر مريب ولولا هذه الريبة لما كان في الأمر ما يحتاج الى هذا التبرؤ والتطمين والاحتماء ، وراء اسم الامامين السيد رشيد رضا والشيخ محمد عبده ، فالتأليف في بيان تواريخ نزول الآيات والسور أمر مباح فعله كثير من العلماء الأعلام . .

ومن خطوات هذا التردد دخلت الى صفحات الرسالة وقرأتها أكثر من مرة ، وخرجت منها الى ما يشبه القطع والجزم بأن المراد (ايجاد قرآن جديد ومصحف جديد ، على ترتيب نزول السور ، يضاهي مصحف عثمان) . فتجسمت امامي (المعركة المنتظرة) التي صرح بتوقعها احد أكابر العلماء عند تقريظه الرسالة نفسها بقوله :

(وقد تدور ، كما أخال والمح بظهر الغيب ، حول هذا الكتاب الجليل ، معركة كلامية ، يشترك في اقتحامها الموالف والمخالف ، والمسلم وغير المسلم ، ويكثر الجدال والقيل والقال . .) وأردت بهذا النداء دعوة المسلمين الى أن يقفوا في وجه هذه المعركة قبل اشتعالها واحتدامها فكتبت هذه الكلمة . أطلب فيها من الدول العربية والاسلامية العمل على منع طبع هذا الكتاب ، (بشكل مصحف جديد) والوقوف في وجه انتشاره في بلاد العرب والمسلمين درءا لفتنة خطيرة لم يسبق لها نظير في الاسلام .

الاجماع على مصحف عثمان . .

ومهما تعددت الأقوال في ترتيب سور القرآن ، فان الاجماع (الفعلي) قد استقر من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، على الأخذ بالترتيب الذي جاء في مصحفه ، وترك ما عداه تركا نهائيا وأبديا ، وحرق ما سواه من المصاحف ، وهذا الاجماع الفعلي قد تحقق من ذلك الحين بالأمور الآتية :

١ ـ جمع عثمان القرآن على ترتيب السور الوارد في مصحفه ، وأمر بحرق ما سواه من المصاحف .

٢ ـ اجمع القراء من الصحابة كلهم على اعتماد الترتيب للسور الذي ورد في مصحف عثمان ، ولم يظهر من احد منهم اعتراض او مخالفة ، ولو كان هذا الترتيب للسور موضع خلاف او اعتراض لما سكتوا ، ولما اقروا هذا الترتيب اقرارا دائما مستمرا في عهد عثمان وما بعده من العهود منذ أربعة عشر قرنا الى يومنا هذا .

٣ ـ بعد أن جمع عثمان القرآن في مصحف واحد (أرسل الى كل أفق بنسخة من هذا المصحف وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) . وتلقى جميع الصحابة والقراء أمر الاحراق بالقبول والرضى ونفذوه ، ومنهم الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه الذي قال (لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا) ، انظر فضائل القرآن لابن كثير) .

٤ — ومن هذا اليقين قال الامام أبو بكر الانبارى (فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو اخرها أفسد نظم القرآن) . (انظر الاتقان للسيوطى ج ١ ص ٧٧ وما يليها) .

٥ — ومن هذا اليقين نفسه شدد السيد رشيد رضا رحمه الله على أن ترتيب جميع السور الذى ورد فى مصحف عثمان هو (توقيفى) عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد ما ذهب اليه ابن كثير (من أن ترتيب السور من عند أمير المؤمنين عثمان بن عفان) بقوله (هذ خطأ) بل ان السيد رشيد لم يرض حتى باستثناء سورتى (الأنفال وبراءة) فى قول الامام البيهقى (ان ترتيب جميع السور توقيفى عن النبى صلى الله عليه وسلم الا الأنفال وبراءة) فقال السيد رشيد (أنه لا يعقل ان يرتب النبى صلى الله عليه وسلم جميع السور الا (الأنفال وبراءة) ثم قال (التحقيق ان وضعهما فى موضعهما (توقيفى) وان فات عثمان أو نسيه ، ولولا ذلك لعارضه الجمهور او ناقشوه فيه عند كتابة القرآن ، (انظر تعليق السيد رشيد على كتاب تفسير ابن كثير الذى طبع مع كتابه (فضائل القرآن) فى مطبعة المنار بمصر) .

٦ — وهكذا يظهر بجلاء ان قول السيد رشيد (فى كتابه تاريخ حياة الشيخ محمد عبده عن الميرزا باقر رحمه الله (وقد عنى بجمع القرآن على ترتيب النزول للاستعانة به على الفهم والاستنباط والعمل) لا يريد به السيد رشيد ان يفتى بجواز احداث (مصحف جديد غير مصحف عثمان) . كما أراد صاحب المشروع أن يوهم الناس عند نقله بعض كلام السيد رشيد فى الصفحة ٤ من الرسالة ، بل ان قول السيد رشيد (للاستعانة به على الفهم والاستنباط والعمل) يحمل بذاته الاشارة الى عدم جواز طبع القرآن على ترتيب النزول بشكل مصحف مبتدع) ، وانما الذى يجوز شرعا هو وضع مؤلف علمى اعتيادى تذكر فيه تواريخ نزول الآيات والسور ، مع أدلتها ، وهذه الاشارة من السيد رشيد هى كالتبرئة للميرزا باقر من بدعة أختراع مصحف جديد غير مصحف عثمان ، وأرجح أن يكون التبرؤ من هذه البدعة مأخوذا من كلام السيد الباقر نفسه ، عندما تحدث الى السيد رشيد وبين له قصده من جمع القرآن على ترتيب النزول . .

ولولا ما نكنه لأخينا الأستاذ ابن الباقر من المودة لنقلنا هنا جميع كلام السيد رشيد رضا بحروفه ، ففيه أكثر من برهان على أن قصده ما ذكرنا ، ولم يخطر بباله ان يتجاسر مسلم فى الأرض على ابتداع قرآن جديد فى مصحف جديد . ولو فعله انسان ، فى غفلة من الدهر ، لكانت فتنة كبرى تصدها عن بلاد العرب والاسلام ، الدول العربية والاسلامية ، والمسلمون من ورائها بالحديد والنار .

هذا ما أردنا أن نكتبه ، واننا لنرجو من مجلتكم الكريمة الواسعة الانتشار العظيمة الاعتبار فى بلاد العرب والاسلام أن تدعو الدول العربية والاسلامية ، وعلماء المسلمين ، والمجلات والصحف العربية والاسلامية ، للوقوف فى وجه هذه الفتنة قبل ايقاظها وان تكرر هذه الاستغاثة فى كل عدد من اعدادها بعناوين بارزة تلفت انظار حكام الدول والعلماء والكتاب . والله المستعان ، وهو سبحانه القائل (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

رأي العلم في ظهور مريم عليها السلام
ما نشر في هذه الأيام

للدكتور: محمد جمال الدين الفندي

رئيس قسم الفلك ــ جامعة القاهرة

ما حدث كان ظاهرة طبيعية تكررت

لأهل العلم الطبيعي قول غير الذى قيل فى تلك النيران ، أو ذلك الوهج الذي ظهر خلال فترة من ليالى متعاقبة امتدت نحو شهر .

وعندما نكتب عن تلك الظاهرة الطبيعية باسم العلم لا نعتبر هذا الكلام خارجا عن حدود كونه ملخصات ما اثبتــه العلم فى هذا الشــأن ، من حقائق مدروسة لا تحتمل الجدل ، ولا تقبل التأويل ، ولكل شأنه وتقديره :

ولطالما كتبنا فى مجلة « الوعى الاسلامى » تحت عنوان : القرآن وعلم الفلك ، مظهرين ما فى كتاب الله العزيز من حقائق علمية ، تبهر العقول ، وترد كيد المكابرين ، وقد الف قراء المجلة كتاباتنا العلمية .

والعلم الطبيعى لا ينكر حدوث تلــك الظاهرة ، واســتمرارها فى بعض الليالى لعدة ساعات ، بل يقرر ذلك ، ولكن على اساس أنها مجرد وهج ، أو ضياء أو نيران متعددة الأشكال غير محدودة المعالــم ، بحيث تسمح للخيــال الخصب أن يلعب فيها دوره ، فينسج تحت تأثير العقائد المختلفة ، ما شــاءت الظروف أن ينسج من ألوان الصور وأشباه البشر .

انها من ظواهر الكون الكهربائية التى تحدث تحت ظروف جوية معينــة تسمح بسريان الكهرباء من الهواء الى الأرض بمقادير ، تكفى لأحداث الوهــج عبر الأجسام المرتفعة نسبيا ، والمدببة فى نفس الوقت ، شأنها فى ذلك مثــلا

اننا نجل مريم عليها السلام ونضعها فى المكان العظيم الذى وضعها فيه القرآن الكريم ، ونحترم شعور كل انسان ، ولكنا مع ذلك نحترم عقلنـــا ، ولا نسمح لموجات التهويل أن تجرفه فى طريقها حتى تضيع معالمه ، واننا لنرحب الترحيب كله باية بادرة حقيقية تثبت دعائم الايمان فى النفوس ، ولكنا لا نرحب باية بادرة تقوم على التخيلات والفروض والمبالغات . لأن الحقـــائق يجب أن تحترم ، ويجب على كل الذين يحترمون عقولهم أن يتشبثوا بها احتراما لأنفسهم وقد ظن بعض الصحابة حين انكسفت الشمس يوم وفاة ابراهيم ابن الرسول العظيم أن الشمس انكسفت لوفاته .. فلم يرض الرسول هذا الظن ، وبادر بتصحيح الأمور . تصحيحا للدين واحترامـــا للحقائق والعقـــول ، فقال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته » .

وقد سرنا ـــ ونحن فى وجل وحيرة مما يكتب كثـــيرا ويذاع حول هـــذه الظاهرة ـــ أن يسعفنا العالم المؤمن الدكتور جمال الدين الفندى بهـــذا البحث القيم الذى خص به « مجلة الوعى » ليجلو للقراء حقيقة هذه الظـــاهرة التى شغل بها الناس فى وقت كان يجب الا يشغلوا فيه الا بمأســـاتهم ، وطريق الخروج منها ، فلا يعلو صوت على صوت الثار واسترداد الكرامة ..

ويبقى على كل قارىء مؤمـــن أن يلفت نظر كل من يعرفه الى هذا البحث القيم الذى يضع الامور فى نصابها .

الوعى الاسلامى

فى أمكنة وأزمان متعـــددة .

شأن الصواعق التى هى نيران مماثلة ، ولكن على مدى أكبر ، وشدة أعظم ، وشأن الفجر القطبى الذى هو تفريغ كهربى فى أعالى جو الأرض . ولطالما أثار الفجر القطبى اهتمام الناس بمنظره الرائع الخلاب ، حتى ذهب بعضهم خطأ الى انه ليلة القدر ! وذلك لأنه يتدلى كالستائر المزركشة ذات الألوان البديعة التى تتموج فى مهب الريح .

ومن امثلة الظواهر المماثلة لظاهرتنا هذه ايضا ـــ خصوصـــا من حيث ظهور الأضواء وسط الظلام ـــ السحب المضيئة العالية المعروفة باسم (سحاب اللؤلؤ) . وهذا السحاب يضىء ويتلألأ وسط ظلام الليل ، لأنه يرتفع فوق سطح الارض ، ويبعد عنها البعد الكافى الذى يسمح بسقوط أشـــعة الشمس عليه ، رغم اختفاء قرص الشمس تحت الأفق . وتضىء تلك الأشعة ذلك الســـحاب العالى المكون من ابر الثلج ، فيتلألأ ويلمع ضياؤه وسط ظلام الليل ونقاء الهواء العلوى فيتغنى به الشعراء .

وتذكرنا هذه الظاهرة كذلك بظاهرة السراب المعروفة ، تلك التى حيرت جيوش الفرنسيين اثناء حملة نابليون على مصر ، فقـــد ظنوا انها من عمـــل الشياطين ، حتى جاءهم العالم الطبيعى مونج بالخبر اليقين ، وعرف الناس انها من ظواهر الطبيعة الضوئية .

وظاهرتنا التى تهمنا وتشغل بال الكثيرين منا تسمى فى كتب العلم (نيران القديس المو) او (نيران سانت المو) . ونحن نسوق هنا ما جاء خاصا عنها فى دائرة المعارف البريطانية التى يملكها الكثيرون ويمكنهم الرجوع اليها .

والنسخة التى تحت يدنا هى : (الموسوعة الميسرة الطبعة الحادية عشرة) . ففى الصحيفة الأولى من المجلد الرابع والعشرين تحت اسم (نيران القديس المو) « St. Elmes Fire » تجد ما ترجمته بالحرف (نيران سانت المو — هى الوهج الذى يلازم التفريغ الكهربى البطىء من الجو الى الارض . وهذا التفريغ المطابق لتفريغ (الفرشاة) المعروف فى تجارب معامل الطبيعة ، يظهر عادة فى صورة رؤوس من الضوء على نهايات الأجسام المدببة التى على غرار برج الكنيسة وصارى السفينة ، أو حتى نتوءات الاراضى المنبسطة . وعادة تصحبها ضوضاء طقطقة او أزيز .

وتشاهد نيران سانت المو اكثر ما تشاهد فى المستويات المنخفضة من الأرض خلال موسم الشتاء اثناء وفى أعقاب عواصف الثلج .

واسم سانت المو هو لفظ ايطالى محرف عن سانت ارمو ، واصله سانت اراموس وهو البابا فى مدة حكم دومتيان ، وقد حطمت سفينته حوالى ٢ يونيو عام ٣٠٤ م ومنذ ذلك الحين اعتبر القديس الراعى لبحارة البحر المتوسط الذين اعتبروا سانت المو بمثابة العلامة المرئية لحمايته لهم . وعرفت الظاهرة عند قدماء الاغريق ويقول بلن فى كتابه (التاريخ الطبيعى) انه كلما تواجد ضوءان كانت البحارة تسميهما التوءمان واعتبرا بمثابة الجسم المقدس) . انتهى ما جاء بدائرة المعارف البريطانية — .

على هذا النحو نرى ان الظاهرة خدعت الأقدمين ، وأن التاريخ يعيد نفسه ، وأن أهل العلم الطبيعى لا يتحدثون عن خوارق الطبيعة ، وانما يرجعون كل شىء الى قانونه السليم العام التطبيق .

والذى خلق الكون ، ووضع نظامه ، يهمه بقاء ذلك النظام قائما من غير تبديل أو تحوير على هيئة الخوارق ، لأن فى هذا الثبوت وحده دليل وجوده ، وبرهان سيطرته . فكيف يعمد الخالق اذا الى تغيير سننه ، وتبديل نواميسه من أجل اثبات ذاته او ارضاء الجماهير ؟ ! هذا هو منطق العلم وكلام أهل العلم .

ولما كانت لتلك النيران بعض الألوان المميزة بطبيعة الحال فنحن نرجع فى ذلك الى بعض ما عمله العلماء الألمان امثال جوكل « Jockel » فهو يبين فى كتابه « Dasgewiter » من التجارب التى أجراها فى المانيا انه اثناء سقوط الثلج تكون الشحنة موجبة واللون احمر ، أما اثناء تساقط صفائح الثلج فان الشحنة تكون سالبة ، ويصحبها أزيز ، كما يغلب اللون الأزرق .

وقد أجرى كاتب هذا المقال بعض القياسات فى أجوائنا المتربة ، فوجد أن الشابورة الترابية تساعد على تبادل الشحنات الكهربائية ، وانه قد تحدث تفريغات كهربية فى عواصف الرمال ، تحكى عواصف الرعد المعروفة ، هذا وللكتل الهوائية المختلفة ، وتبادلها بين خطوط العرض من آن الى آخر ، تأثيراتها العظمى فى تغير الجو والكهربائية الجوية .

وفى كتاب الكهربائية الجوية لمؤلفه شونلاند نجده يقول فى صحيفة (٢٨ : (.. تحت الظروف الجوية الملائمة نجد ان القمم البارزة على سطح الأرض مثل صوارى السفن اذا ما تعرضت لمجالات شديدة من حالات الكهربائية الجوية ، يظهر وهج التفريغات واضحا جليا ، ويسمى نيران سانت المو) .

والآن قارن هذا كله بالأوصاف التى وردت مثلا فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٦٨/٥/٦ التى تقول : (هيئة جسم كامل من نــور يظهر فوق القباب الأربع الصغيرة لكنيسة الزيتون ، أو فوق الصليب الاعلى للقبة الكبرى ، أو فــوق الأشجار المحيطة بالكنيسة الخ) .

وتقول (أما الألوان .. فقد اجمعت التقارير حتى الآن على انها الأصفر الفاتح المتوهج والأزرق السماوى الفاتح) .

ونحن عندما نرجع بالذاكرة الى الحالــة الجويــة التى سبقت أو لازمت اشتداد الظاهرة هذه ، حتى لفتت النظر ، نجد ان البــلاد كانت تجتاحهــا فى طبقات الجو العلوى موجة من الهواء البارد جدا الذى فاق فى برودته هواء اوروبا نفسها ، مما وفر الظروف الملائمة لتولد حالات عدم الاستقرار الجــوى وعواصف الرعد .

ويضيف ملهام Milham فى كتابه المتيورولوجيا Meteorology قوله فى صحيفة ٤٨١ : (انه احيانا تنبعث رائحة من الوهج ..) . وقد سمعنا من تحدثوا كذلك عن انبعاث العطور من تلك الأضواء . وتفسيرنا العلمى لها انها من نتاج التفاعلات الكيميائية التى تصاحب التفريغات الكهربائيــة والتى تكون مركبات مثل الأوزون .

وخلاصة القول انه يجب أن نتوقع حــدوث الوهج الناجم عن التفريــغ الكهربى من الهواء الى الأرض على الأجسام المدببة مثــل النخيل والابــراج ونحوها ، وعندما يكون التغير فى الجهد الكهربى كافيا ، والظروف ملائمة من حيث انتشار الظلام وارتفاع الجسم المتصل بالأرض .

وقد ذكر ولسون العالم البريطانى فى الكهربائية الجوية أن التفريــــغ الكهربى البطىء للأجسام المدببــة التى على الأرض انمــا يلعب دورا هاما فى التبادل الكهربائى بين الجو والأرض ، خصوصا عن طريق الشجر والشجيرات وتمم المنازل وحتى حقول الحشيش . وليس من اللازم أن ينتهى الجسم الموصل بطرف مدبب أو يبرز الى ارتفاعات عظيمة لتحقيق التبادل الكهربى .

وفى ضوء هذه الحقائق كلها نطرح الاستفهامات الآتية :

١ ــ اليست رؤوس التفريغات الكهربائية هى التى يطلقون عليها اســم الحمام ؟

٢ ــ هل الروح تتغير الوانها حسب اطياف انبعاث الغازات الموجودة فى الجو مثل الأوكسجين والأزوت ؟.

٣ ــ الظاهرة الطبيعية التى نتحدث عنها تحدث فى الهواء الطليق اعلى المبانى والشجر ، ولا تحدث داخل المبانى . أو ليس ذلك عين ما شوهد ورصد ؟

٤ — لا يمكن مشاهدة الوهج فى ضوء النهار . ولكن ما الذى يمنع رؤية العذراء نهارا ؟ ولماذا لا تجىء الا فى الليل ؟ وتحت ظروف جوية معينة ؟

٥ — ظهور الوهج لا يتم الا متقطعا ، ولا يحـدث بانتظام تبعا للظروف الجوية الملائمة ، فهل هذه الظروف هى عينها التى تلائم ظهور الروح ؟.

٦ — ماذا يكون الوضع لو علمنا ان الظاهرة تحدث فى اماكن اخرى من مصر وغير مصر ؟!

٧ — اذا كان الوهـج روحا ، فلماذا لا تظهر داخل الكنيسـة ، بدلا من الأسطح الهوائية ؟ ثم لماذا اختفت فى عيد ميلادها ؟

اننا جميعا نجل ونحترم شعائر الأديان ونحفظ لمريم عليها السلام قداستها ونرتفع بها فوق الذى وصف .

الوعى الاسلامى :

ولا تزال فى اذهاننا واذهان الكثيرين تساؤلات اخرى يمكن ان نطرحها ايضا :

١ — من أين لنا أن ما رآه الناس صورة السيدة مريم ؟ هل عرفوا صورتها الحقيقة ، فوجدوا فى الطيف ملامح هذه الصورة الحقيقية ؟

٢ — واذا كان ما رأوه يشبه الصورة المرسومة لها المتداولة فى كل مكان . فهذه الصورة لا تمثل صورتها الحقيقية لأنها صورة تخيلها الرسام بعد وفاتها بقرون عديدة . ولا يمكن أن تظهر السيدة مريم بملامح الصورة المتخيلة .

٣ — ثم قيل انها ظهرت فى شكل حمامتين . فمن الذى انبأنا بذلك ؟

٤ — ثم هل كانت مريم فى حياتها تبرىء الأعمى من عماه ، وتشفى المرضى من أمراضهم حتى ندعى هذا لطيفها المتخيل ؟. والذى ذكره القرآن أن ذلك كان معجزة لعيسى عليه السلام لا لغيره .

٥ — ثم أن كثيرا من المتصلين بالجمعيات الروحية فى مصر يتحدثون عن بعض العلاجات التى كانت تحدث لبعض المرضى ليلا وهم فى بيوتهم دون أن يدخل عليهم طبيب فمن الذى كان يعمل ذلك لو صح ؟.

٦ — وفى العام الماضى قامت ضجة فى صحيفة الاخبار بمصر حول رجل أعمى من قرية « الدلجمون » قيل إنه كان يجرى بعض العلاجات المشابهة لما قيل عن ظهور العذراء ، وانتهت الصحيفة الى أن ذلك تدجيل ودعوا الى تقديم الرجل للمحاكمة مع أن الكثيرين ممن اتصلوا به أقروا بصحة مـا كان يقال عنه من علاجات ليلية . وقيل إن ذلك كان بوساطة استخدامه الجان .. فما الفرق بين ما قيل عن الرجل وما قيل الآن ، اننا مع تقديرنا التام بل وتشوقنا لكل ما من شأنه تدعيم الروح الدينية فى النفوس ، فاننا لا نحب مطلقا أن يقوم هذا التدعيم الا على أسس متينة لا تزعزعها الشبهات والعواصف ، لأنها بغير ذلك تصيبها هزات رد الفعل العنيفة فتزلزلها وتقضى عليها وليس هذا من مصلحة الدين ، ولا العقلاء المخلصين .

« اشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) مع قوله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) والجواب — كما يزعم ابن عجيبة — ان الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة ، أو بين تشريع وتحقيق ، فقد يشرعان في موضـــع ويحققان فى آخر ، وقد يشرع القرآن فى موضع وتحقق السنة هذا الأمر فى موضع آخر » . فقوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وســـلم (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . تشريع لأهل القدوة وهم أهل الحقيقة .. الخ) .

وهذا كلام باطل ، لا ينطوى الا على الفراغ والدعوى .. وليس فى دين الله أهل شريعة وأهل حقيقة . ولا انتسم الوحى الالهى الى فريق لهؤلاء وفريق لأولئك .

أما الاشكال الذى أورده فاليك تفسيره .

اتفق أئمة المسلمين على أن العمل لا بد منه لدخول الجنة ، وانه سبب شرعي مطلوب لا يستثنى منه بشر ، ولا يدخل بدونه أحد . وقد تظاهرت الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة جميعا .. قال تعالى : (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) وقال : (وتلك تتوناهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وقال : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة ..) وقال فى المستقيمين (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) الخ ..

ولكن المطلوب من العابدين لله أن يتواضعوا له وأن يكبروا جقه وأن يخافوا لقاءه مهما قدموا من صالحات قال تعالى : « والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات » .

ويؤتون ما أتوا . ليس معناها فعل المعاصي والحذر من عقباها ! بل معناها فعل الطاعات والحذر من عدم قبولها ، لأنها دون ما يجب لله أو دون ما يحسن المرء .

وبهذا المعنى جاء الحديث الشريف فهو نهى عن الاغترار بالعمل وليس نفيا لقيمة العمل ، انه نهى عن الاطمئنان الى العمل والاستكبار به والجراءة على الله بعد اتمامه وليس نهيا عن التزود بالصالحات والاستكثار منها .

وغريب أن يفهم عوام المسلمين من الحديث الشريف أن العمل لا لزوم له ، فلم نزل القرآن ؟

ولماذا جاهد نبيه ربع قرن لأبلاغه واقامة الأمة عليه .

الحديث نفى لأن يكون العمل ثمنا حقيقيا للجنة ، وليس نفيا لأن يكون سببا حقيقيا لدخولها .

نعم ، فان الخلود الدائم فى نعيم مقيم ليس الثمن المكافىء لعبادة الله سنين عددا ، ذاك لو خلت العبادة من شوائب الرفض ، فكيف وأكثرنا لو فحص عمله رد فى وجهه ثم كيف لو حوسب الانسان على النعم المغدقة عليه فى الدنيا ، وقيل له : عملك نظير بعض هذه النعم !!

الحديث ليس مناقضا للآيات ، ولا للأحاديث الأخرى ، وانما هو كما قلنا كسر للغرور البشرى وتذكير برحمة الله وتجاوزه وصفحه .

وعلى ضوء هذا التفسير نعرف أن ما ذكره ابن عجيبة وغيره عما يسمى حقيقة وشريعة لا أصل له فى الاسلام ، فدين الله واحد لجميع خلقه .

لماذا الإسلام؟

البوذية وتعاليمها

[illegible]

للأستاذ: أحمد حسين

تحدث الأستاذ أحمد حسين في مقاله الماضي عن نشأة بوذا وتعاليمه الخلقية الانسانية التي أتاحت للبوذية الانتشار السريع في الهند وما حولها .. ويكمل الحديث عن بوذا في هذا المقال ، وينتهي بذلك من عرضه للأديان المهمة في عالمنا لينتقل بعد ذلك الى حديثه عن الاسلام حديثا مقارنا ..

مثالية رفيعة — أهو رسول ؟

تحدثنا من قبل عن التعاليم البوذية ، تلك التى يقف أمامها الكثير من متصوفى الأديان المختلفة مبهورين لعظمتها ، حتى ليقول لنا علامة اسلامى كبير وهو المرحوم محمد فريد وجدى : ان امر بوذا هذا عجيب ، ولا يبعد أن يكون واحدا من المرسلين ، ولا يمنعنا عن الجزم بذلك ما يصادفنا فى مذهبه من المقررات الظاهرة البطلان ، فلا شك أنها من وضع الكهان ، وخرافات الرهبان وقد حدث مثل ذلك فى اكثر الأديان . والله أعلم (دائرة معارف القرن العشرين مادة بوذا) ومحمد فريد وجدى فى ذلك لم يخرج على قواعد الدين الاسلامى ، اذ يتصور انسانا لم يرد اسمه فى القرآن على أنه رسول ، ذلك ان القرآن الكريم قد نبه الى انه لم يذكر جميع الرسل الذين عرفتهم الارض بالاسم :

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » ..

كما أشار القرآن ، ان الله قد بعث فى كل أمة رسولا : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله » .

وقد كنت قبل أن أتعمق البحث ، ممن يميلون الى راى محمد فريد وجدى ، من أنه ليس هناك ما يمنع ان يكون بوذا رسولا بالفعل ، وان تأليهه بعد موته ، لا يعدو أن يكون من مثل ما حدث للمسيح بعد موته ، وكان يعزز هذه النظرة عظم الاثر الذى تركه بوذا وتعاليمه .

بوذا ينفي عن نفسه انه رسول :

على ان ما يقطع ان بوذا لم يكن رسولا ، أنه هو نفسه قد نفي عن نفسه ان يكون رسولا من الله ، ذلك لانه قرر انه لا يعرف الله ، ويؤثر الا يتحدث عنه ، فهو القائل : لست اعرف شيئا عن الله ، ولكنى اعرف الكثير عن بؤس الانسان ..

ويقول بطريقة يشتم منها السخرية : ان النساك الذين يتكلمون عن الله ، لم يروه وجها لوجه ، فهم كالعاشق الذى يذوب كمدا ، وهو لا يعرف من هي حبيبته ! أو كالذى يبنى السلم وهو لا يدرى : أين يوجد القصر ! أو كالذى يريد ان يعبر نهرا فينادى الشاطىء الآخر ليقدم له !

وقد لخص العلامة رادها كرشنن الذى كان رئيسا لجمهورية الهند فى بحث له عن الديانة البوذية أن بوذا ــ لا يقرر العقائد ولا يؤسس دينا .

ليس رسولا ولم يجىء بدين ..

وهكذا ينبغى ان نجزم أن بوذا لم يكن رسولا ، ولم يجىء بدين ، ودليل ذلك لا يستفاد فقط من اقواله السابق الاشارة اليها ، وانما من خلو كل تعاليمه من مناسك أو طقوس او صلوات ، فضلا عن قرابين تقدم لهذا الاله ، وكل ما يوجد الآن فى البوذية من هذا القبيل ، هو من وضع أتباعه ، ومن وحى تأليه بوذا بعد وفاته ، والتى تختلف من قطر الى قطر ، ومن شعب الى آخر .

مصلح اجتماعى ودينى ..

والتقييم الصحيح لشخصية بوذا وتعاليمه ، أنه معلم هندى عظيم ، جاء ليصلح المعتقدات الهندية والمجتمع الهندى ، فهو مصلح اجتماعى دينى .

واما كونه مصلحا اجتماعيا فذلك يستفاد من انكاره نظام الطبقات ، ودعوته الى الغائه بالانضمام الى نظامه ، وعجلة شريعته ، وهو يقول لنا فى هذا الصدد :

اعلموا أنه كما تفقد الانهار الكبيرة اسماءها عندما تصب فى البحر ، كذلك تبطل الطبقات الاربع عندما يدخل الشخص فى النظام ويقبل الشريعة(١) .

وقد لا يفسر نجاح التعاليم البوذية فى عصرها الاول ، الا دعوتها لالغاء نظام الطبقات فقد كانت طبقة الحاكمين انفسهم (الكاشتريا) والتى ينتمى اليها بوذا تئن من نير استبداد البراهمة واستعلائهم ، فوجدوا فى هذه المبادىء البوذية سندا لتحطيم هذا النير .

بوذا المصلح الدينى ..

كما ان موقف بوذا السلبى من قضية الالوهية ، يرفعه الى مرتبة المصلح الدينى بالنسبة للديانة الهندوكية ، فحيث تؤله الهندوكية كل العناصر ، وتجعل الآلهة بلا عدد أو حصر وتسيطر على حياة الناس ، وعلى كل دقيقة ، بطقوس العبادة لهذه الآلهة المختلفة ، والقرابين التى يجب أن تقدم لها ، فان الوقوف موقفا سلبيا من هذا الخضم من الآلهة والقول بأنه (أى بوذا) لا يعرف شيئا عن الله ولكنه يعرف الكثير عن بؤس الانسان .

---

(١) اى ان شرط الغاء الطبقات اعتناق البوذية .

هو أعظم صيحة احتجاج فى وجه هذه المعتقدات الفاسدة فى الالوهية(١) .

بوذا يعمل فى اطار الهندوكية ..

أما لماذا نعتبره مصلحا للديانة الهندوكية ، ولم يخرج عن اطارها ، فمرجع ذلك الى أن تعاليم بوذا قد اخذت من معتقدات الهندوكية الرئيسية التى اشرنا اليها من قبل وهى : الكارما أو قانون الجزاء ، والتناسخ ، ووحدة الوجود والانطلاق ، أساسا تعتمد عليه .

فقد رأينا كيف أن قانون الجزاء فى الاعتقاد الهندى ، قد استلزم تناسخ الارواح ، لتستوفى كل روح ما لها وما عليها فى جسد جديد ، ورأينا كيف عمد الفكر الهندى الى ايقاف عملية التناسخ التى يمكن أن تظل تعمل الى ما لا نهاية ، وذلك عن طريق ما اسموه بمرحلة الانطلاق حيث يصل اليها الانسان بايقاف ميوله ورغباته ، والقيام بأى عمل صالح أو طالح ، فان ذلك من شأنه أن يطلق روحه نهائيا لتندمج مع براهما .

هذه الافكار الثلاثة من جزاء ، وتناسخ ، وانطلاق ، هى بذاتها أساس البوذية ، فبوذا يدعو الناس للتخلص من رغباتهم وشهواتهم ، ليوقفوا قانون الجزاء ، وبالتالى عملية التناسخ ، ويصلوا الى حالة الانطلاق بعد أن صك لها اسما جديدا وهو النرفانا .

فلنستمع اليه وهو يقول :

ان الحياة كلها من الولادة الى الموت لهيب وحريق ، انها نار الشهوة ؛ ونار البغض والعداء والهوى ، ومن هم أولئك الخدم الذين يشعلون هذه النيران ؟ انهم العواطف الست والحواس الست . ان العين ترى الاشياء الجميلة مزخرفة اللون ، والاذن تسمع الاصوات الحلوة ، والانف تشم الروائح الطيبة ، واليد تشعر بنعومة الريش والحرير ، والفم او الحلق يقول ان ثمر المانجو لذيذ حقا ، والقلب يتأثر بالأشياء المرغوبة . هؤلاء هم العبيد الستة الذين يسعون لتنفيذ أوامر سيدهم فيجمعون الحطب لتزداد النار اشتعالا .

ولكن هناك طريق لاخماد هذه النار ، اتبعوا الصراط السوى المنير ، ان هذا الصراط مستقيم لا عوج فيه . أما بابه فهو تطهير الذهن ، ونهايته السلام والحنان لكل الخلق من الاحياء .

وهذه النهاية التى يمكن أن يصل اليها الانسان الذى يسيطر على هواه ونفسه هى التى سماها بوذا بالنرفانا ، حيث تقف عملية تكرار المولد ، وتناسخ الارواح .

---

(١) الا أن هذا القدر فيه غير كاف فى ان نطلق عليه لقب « المصلح الدينى » فاذا صح انه اعترض على هذا المخضم من الآلهة ، فانه لم يقدم بدلها ما يخلص الناس من هذا المخضم .. ولو انه فعل لقضى على الكثير من هذه الطقوس ، بل ولجنب اتباعه الوقوع فى عبادته ، واضافة اسمه الى هذا المخضم من الآلهة . فهو حقا مصلح اخلاقى اجتماعى وحسب .

« الوعى »

وعندما يصل بوذا للحديث عن النرفانا ، فانه يغرق فى الغيبيات والضباب ، وهو الحريص على الا يتكلم الا على ما يفهمه جيدا ــ فلنسمع اليه يصور لنا حالة النرفانا :

النرفانا ايها المريدون ، هى طور لا ارض فيه ولا ماء ، لا نور فيه ولا هواء ، لا فيه مكان غير متناه ، ولا غفل غير متناه ، ليس فيه خلاء مطلق ، ولا ارتفاع الادراك واللا ادراك معا ، ليس هو هذا العالم ، ولا ذاك العالم ، لا فيه شمس ولا قمر ، ايها المريدون هى طور لا اقول عنه باتيان ولا بذهاب ولا بوقوف ، لا يموت ولا يولد ، هى من غير أساس ، من غير مرور ، من غير انقطاع ، ذلك نهاية الحزن[1] .

ولا يمكن الجزم فى نسبة هذا القول الى بوذا فى وصف النرفانا ، فقد يكون هذا التعريف لها من وضع احدى مدارس البوذية العديدة ، والامر المتفق عليه ان تعريف النرفانا من اشق الامور فى الديانة البوذية ، وقد تضاربت فى شأنها الآراء .. فهناك من يقول انها حالة يبلغها الانسان فى الحياة ، وهناك من يقولون : بل بعد الموت .

طريقة حياة وسلوك ..

والتقييم الصحيح للتعاليم البوذية وبوذا ، انه بمثابة احد أصحاب الطرق الصوفية الذين نجدهم فى كل دين ، ويكثر اتباعهم بحسب قوة شخصيتهم ومدى فضيلتهم ، واستقامة سلوكهم ، ولا جدال أن بوذا بلغ فى ذلك القمة ، فكانت هذه الوصايا وهذه التعاليم التى تحض على الزهد والاستقامة والعفة والرحمة والحب . والتى على جمالها ومثاليتها يؤخذ عليها مأخذان ..

١ ــ اغفالها قضية الالوهية ..

اما المأخذ الاول ــ فهو اغفالها لقضية الالوهية كما قدمنا ، وكان يتعين على بوذا اذ قد قطع نصف الطريق بتجاهل الآلهة الهندوكية أن يدل على الاله الصحيح ، ولكنه لما لم يفعل وتصور أنه يستطيع أن يرسم السلوك الانسانى بغير حاجة الى فكرة الالوهية فقد أحدث هذا الفراغ الذى سده اتباعه من بعده بأن رفعوه هو الى مرتبة الالوهية ، وانشأوا له التماثيل راقدا وجالسا ، واقاموا فوقها المعابد والهياكل ، وتقدموا لها بالقرابين فدل ذلك على أن الانسان لا يستطيع أن يحيا حياة مثالية اخلاقية فاضلة ، الا ان يستند فى ذلك الى فكرة الالوهية .

ولم يكن تأليه بوذا بالامر الصعب فى الهند ، حيث تحل الآلهة فى كل شىء ، فقد اعتبروا بوذا أحد تجسدات « فشنو » الاله الحافظ ، أو هو التجسد

---

(١) اديان الهند الكبرى للدكتور محمد شلبى .

التاسع كما يقولون . وفي غير الهند من البلاد التي دخلت اليها البوذية ، اصبح بوذا هو أحد تقمصات الاله السائد في هـــذا الاقليم ، واقيمت له التماثيل ، وانشئت له الهياكل ، وعبد على هذا الاعتبار . وهكذا لم تعد التعاليم البوذية ، بناء قائما في الهواء ، بل على أساس مكين بعد أن سد ما فيها من فراغ .

هزيمة البوذية في الهند ..

على أن سد الفراغ باعتبــار بوذا هو الاله ان كان قد نفع في البـــلاد الآسيوية التي دخلت اليها البوذية فأبقى عليها وحافظ على كيانها ، فقد كان هو السبيل لمحو اثرها من الهند كدين ، ذلك انه ما دام هو أحد تجسدات «فشنو» فان أمره قد انتهى الى أن يوضـــع تمثاله الى جوار الحشـــد من تماثيل الآلهة الهندوكية ، دون أن يحس أي هندوكي في ذلك بشيء جديد أو متميز .

أما من حيث قواعد السـلوك التي دعا اليها بوذا وحثه على القصـــد والاعتدال ، والسير على الطريق المســـتقيم ، والبعد عن كل عنف وازهاق للروح . فذلك كله لا جديد فيه بالنسبة للتعاليم الهندوكية التي تتسع لكل شيء . ولذلك فسرعان ما ذابت البوذية في خضم الهندوكية .

ويعتبر انحسار البوذية عن الهند بعد انتشارها الذريع ، وازدهارها في عهد « اشوكا » الذي توحدت الهند فيه لأول مرة في تاريخها تحت ظل البوذية ، وأن يحدث هذا الانحسار من غير اضـطهاد أو اكراه من اي نوع كان ، وانما تحت تأثير مجرى الزمن ، واســـقاط الجماهير لها ، فان ذلك هو الدليل على فشلها كدين قادر على الصمود في وجه الزمن وفي وجه باقي المعتقدات الأقل صلاحية منها(١) .

ويجب أن نقول للانصاف ، ان صاحب التعاليم لم يدع كما قدمنا انها دين .

٢ ــ تعاليم للقلة من بني البشر ..

واذاكان انعدام فكرة الالوهية قد أسقط عن البوذية بالميزان الصحيح ، أن تكون دينا فان المثالية المطلقة التي صيغت بها التعاليم البوذية ، ان صلحت أن تكون سلوكا للقلة من البشر الممتازين (المتصـــوفة) الذين يختارون طريق الزهد والتجرد ، والامتناع عن كل عمل وانتاج ، الا التفكر والتأمل ، واشــاعة الحب والخير والرحمة بين الناس ، نقول اذا صلح ذلك لقلة من الناس ، فانه لا يصلح للغالبية العظمى من البشر ، الذين يجب أن يعملوا وينتجوا ويزرعوا ويصنعوا ويتاجروا ، ويتجسسوا ويكتشفوا ويخترعوا ويعمروا ، ولو أن البشر جميعا اخذوا بالمذهب البوذي ، وسعوا جميعا للوصــول الى درجة النرفانا ، فكفوا عن السعي والعمل والانتاج لتوقفت الحيـــاة الانسانية ، ولـــا وجد الرهبان البوذيون من يقـــدم لهم الطعام والكســـاء ليواصلوا ترهبهم ، ولرأوا

(١) من الضروري أن نضيف الى هذا أن فشلها في الهند كدين راجع الى انه في ذلك الوقت كان دينا بغير اله خاص به كما سبق للكاتب ملاحظة ذلك .. اما بعد أن عمل الكهان على تأليه بوذا فقد اعتمد الدين على اله في نظرهم واستكمل بذلك قوة الصمـــود كما نرى البوذية الآن كدين له خصائصه الخلقية والالوهية في الامم البوذية .

انفسهم وقد عادوا الى حالة الطبيعة الاولى ، حيث يجب على كل انسان أن يشقى ويكدح ويعمل عملا متواصلا للحصول على قوته اليومى .

فالتعاليم البوذية اذن هى سبيل لتهذيب نفوس القلة من البشر ، وهى من هذه الناحية جديرة بكل تقدير واعتبار . وقد أحدثت تأثيرا فى سلوك معتنقى سائر الاديان والمعتقدات الاخرى ، وباستطاعتنا أن نلمس أثرها فى حياة متصوفة بعض المسلمين والمسيحيين ، ولعل هذا التأثر يتجلى أعمق ما يتجلى فى عصرنا الحديث فى شخصية وتعاليم كاتب روسى عظيم وهو ليوتولستوى ، أو شخصية وتعاليم الزعيم الهندى العظيم محرر الهند ونعنى به غاندى(١) .

على أن الأديان لا تأتى للقلة من الناس ، وانما يجب أن تكون صالحة للكافة ، وهذا هو ما يسقط صفة الدين عن البوذية من ناحية أخرى .

وعلى الدين المثالى ان يرسم طريق المثل الاعلى الذى ينبغى على كل انسان أن يسعى لتحقيقه فى نفسه ، ومع ذلك فينبغى الا يحرم الانسان العادى الذى لا يستطيع تحقيق هذا الكمال ، من أن يظل عاملا فى الحياة على هدى من هذا الدين ، بل وأن يجعل مزاولة النشاط الانسانى فى شتى ضروب الانتاج اللازم لحياة البشر جزءا من تعاليم هذا الدين وطريقا لكسب ثواب الله ورضاه ، لا خروجا عليه أو على كماله .

الدين الاسلامى ..

ولعل هذا الدين المثالى متحقق فى الاسلام ، فهو الدين الذى تجمع تعاليمه بين أرفع التعاليم الاخلاقية التى تدعو لها البوذية ، من زهد واعتدال ورحمة وتسامح ومحبة وصفاء نفس ، وبين الدعوة الى الاخذ بأسباب الحياة البناءة المتطورة الخلاقة ، واذ ترسم القمة التى يمكن للانسان أن يبلغها ، فهى تحدد له الخط الذى ينبغى ألا يهبط عن مستواه وبين هذين الحدين : الاعلى والادنى ، يسعى كل انسان قدر جهده وطاقته لتحقيق ما يمكن أن يحققه من خير وصلاح لنفسه وللناس (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

واحسب ان الوقت قد حان بعد أن استعرضنا ثلاثا من الاديان العالمية ، ان نصل الى نتيجة هذه المقدمات كلها والتى لم نقدمها الا لنكون أكثر فهما وتقديرا للاسلام وتعاليمه عندما نعرض لها ، أقول : أحسب أن الاوان قد آن لنرد على السؤال الذى ما فتئنا نتساءله : لماذا الاسلام ؟

---

(١) من الضرورى هنا ان نشير الى حقيقة قد تخفى على كثير من الناس . وهى ان غاندى ينتسب الى أسرة ليست هندوسية اى ليست من اتباع الديانة الهندوسية وانما تتبع المذهب الجينى . وهو احد الاديان الموجودة فى الهند ، وان كان اتباعه قليلين جدا — حول المليون — ومؤسس هذا الدين هو « مهاويرا » ولد سنة ٥٩٩ ق. م اى قبل بوذا الذى ولد سنة ٥٥٧ ق. م وتعاصرا مدة خمسين سنة لكنهما لم يلتقيا وتعاليم هذا الدين تلتقى كثيرا مع تعاليم البوذية فى اعتراضها على الآلهة وعلى الطبقات وعنايتها بالسلوك وعدم الايذاء الى غير ذلك من التعاليم التى يمكن ان نعدها مشتركة بين البوذية والجينية فشخصية غاندى اذن — وتعاليمه يمكن ارجاعها الى دينه الاصلى لا الى البوذية .

راجع تاريخ الاسلام فى الهند ص ٤٨ وما بعدها ، وكفاح المسلمين فى تحرير الهند ص ٨٦—٨٩ .
« الوعى »

الفقه الإسلامي

في ماضيه - وحاضره - ومستقبله

تعليل بعض الأحكام ومرونة بعض النصوص

للشيخ : زكريا البري

أستاذ مساعد ـ جامعة الكويت

لعله من المفهوم لنا جميعا أن الغاية من الشريعة الاسلامية ــ فى جملتها وتفصيلها ــ هى منع المفاسد من دنيا الناس ، وجلب المصالح لهم ، وسياسة الدنيا بدين الله . بالحق والعدل والخير ، وتحقيق السعادة البشرية والرحمة الالهية للناس أجمعين .

اما الله ــ سبحانه ــ فانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ، ولا تضره معصية ، وانما النفع او الضرر يعود على العباد افرادا وجماعات ، بحسب استجابتهم لربهم ، واستقامة سلوكهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، لا يختلف فى ذلك حكم عن حكم ، حتى ما كان داخلا فى العبادات .

يقول الله سبحانه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم .. » .

ويؤكد هذا المعنى ان القرآن الكريم يذكر احكامه مقرونة بعللها ، وبالمصالح التى تترتب عليها .

يشرع القصاص ويقول : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

ويأذن بالحرب دفاعا عن الأديان والأوطان ، ودفعا للظلم ، ومنعا للفساد فيقول :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

ويأمر ببلوغ الغاية فى اعداد القوة الحربية مع اليقظة التامة وعدم الغفلة ارهابا للعدو ، حتى لا يغريه الضعف او الغفلة بالاعتداء لتحقيق أغراضه الظالمة فيقول :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ويقول :

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

ويحرم الخمر لأنها رجس ضار بالجسم والعقل ، وعمل شيطانى ضرره أكثر من نفعه ، وسبب للعداوات والخلافات ، وصارفة عن القيام بالطاعات والواجبات فيقول :

« يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون » .

وقد كان هذا شأن السنة النبوية المطهرة ، التى تعلن فى احدى جوامع كلمه ــ عليه الصلاة والسلام :

« لا ضرر ولا ضرار » وتبين الأهداف الاجتماعية ، والمصالح البشرية فيما تشرعه من أحكام .

يدعو الرسول الى الزواج بالنسبة للقادرين ، والى الرياضة الروحية بالنسبة لغير القادرين ويبين ما فى الأمرين من مصلحة « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » .

ثم لا يترك الخاطب يتزوج على عمى وجهل بمخطوبته ، بل يرشده الى النظر اليها ، حتى يتبين رغبته فيها أو رغبته عنها ، ويتم الزواج عن بينة ، فتكون بينهما الألفة والمودة ، ويقول للمغيرة بن شعبة ، وقد أراد أن يخطب امرأة : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » أى تدوم المودة بينكما ، ثم ينهى عن زواج المرأة على عمتها أو خالتها او بنت أخيها أو بنت أختها ، ويقول : « انكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » .

ويقصر الوصية على الثلث جمعا بين مصلحة الموصى ، ومصلحة الموصى له ، ومصلحة الورثة . يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى من وجع اشتد بى ، فقلت يا رسول الله : قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ، ولا يرثنى الا ابنة لى ،

افاتصدق بثلثى مالى ؟ قال : لا ، قلت : فالنصف ؟ قال : لا . ثم قال الرسول : الثلث والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » .

ويمنع البائع من اخذ ثمن المبيع اذا اصابته جائحة سماوية ، لأنه يكون اكلا للمال بالباطل ، وعوضا بلا مقابل ، واثراء بلا سبب ، فيقول : « ان بعث من اخيك ثمرة فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا ، بم تأخذ مال أخيك » .

وينهى عن المناجاة والمسارة بين اثنين فى حضور ثالث لا رابع معه ، حتى لا يؤدى ذلك الى وحشته وحزنه ، لشعوره بعدم الثقة به أو التكلم عنه بسوء ، فيقول : « اذا كنتم ثلاثة يتناج اثنان دون الثالث ، فان ذلك يحزنه » .

ويطيل معاذ بن جبل فى صلاته الجامعة ، فيدعوه الرسول الى التخفيف حتى لا يتضرر المصلون فيقول : « من صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة » .

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث في مختلف أنواع العلاقات وهى كلها تنطق بأن الشريعة معقولة المعنى ، واضحة الهدف ، تستهدف مصالح الأفراد والجماعات :

ولا بد لشريعة تتجه الى هذه الغاية الكبرى فى عمر الدنيا الطويل ، وآفاقها الرحبة من ان يكون فى نصوصها ومصادرها ما يتسع لحاجات الناس المتجددة والمتعددة ، وأغراضهم الصحيحة ، فى شتى بقاع الدنيا ، جيلا بعد جيل ، مهما تعددت الحضارات واختلفت المدنيات .

مرونة وشمول ..

ولا بد لها ان تكون من المرونة والسعة والشمول ، بحيث تتسع للحرية الفكرية الرشيدة ، والرأى النزيه الأمين .

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم وبيانها فى السنة النبوية بالاحكام ، مفصلة فيما لا يتغير بتغير الزمان والمكان : كالمحرمات فى الزواج وانصبة الوارثين ، وبالاحكام مجملة فى قواعد كلية بالنسبة لما يتغير ويتطور ، ويختلف باختلاف البيئات فى جوانب الدنيا الواسعة ، وتتابع العصور فى مدى الزمن الطويل ، تاركة تفصيلها واختيار ما يتلاءم من أحكامها الجزئية لأهل الذكر وأولى الأمر فى كل زمان ومكان .

ففى النظام الدستورى لم يحدد القرآن أو السنة شكلا معينا للحكومة ، ولا لتوزيع سلطاتها ، ولا لاختيار أهل الحل والعقد فيها . واكتفى بتقرير العدل والشورى والمساواة اساسا فى الحكم .

« واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » .
« وشاورهم فى الأمر » .
« وأمرهم شورى بينهم » .
« انما المؤمنون اخوة » .
« المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .
« الناس سواسية كأسنان المشط » .
« ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

وفى التشريع الجزائى يقتصر على بيان العقوبات الخاصة بأمهات الجرائم ، التى يشتد خطرها ، ويتساوى أثرها فى كل عصر ومصر ، تاركا ما عداها من الجرائم — وما اكثرها — الى اهل الذكر ، يحددون لها من العقوبات ، ما يكفى لردع المجرم ، وتطهير المجتمع .

وفى النظام المالى يفرض فى المال ضريبة الزكاة ، للانفاق على المحتاجين ، والصرف على المصالح العامة ، ويترك بعد ذلك لكل امة أن تشرع ما يناسبها من غير اسراف ولا تقتير .

وفى العلاقات الدولية يقيمها على السلام والعدل ، مع الوفاء بالعهد ، ودفع الاعتداء .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وفى المعاملات يضع اساسها وهو التراضي والوفاء بالعقود وعدم الاستغلال : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

« أحل الله البيع وحرم الربا » .

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

« يأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » .

وقد جاءت السنة لتوضح هذه الاسس وتبيينها للناس ..

وبهذا تبين لنا الفرق بين هذه النصوص العامة وبين النصوص التى جاءت فى سورة النساء فى المحرمات من النساء ، وفى أنصبة الورثة .

وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى ، بعد ان بلغ رسالة السماء الى أهل الأرض ، وأعلن الوحى ختامه ، وترك الرسول فى المسلمين ما ان تمسكوا به لن يضلوا بعده أبدا ، كتاب الله وسنة رسوله . وكانت اظهر معجزاته — عليه الصلاة والسلام — هذه الشريعة الباهرة ، المشتملة على خير نظام فى جميع العلاقات الى أن تقوم الساعة ، فى عهد كان يغلب فيه الظلم ، وتغطيه الظلمات .

ولقد واجه صحابته من بعده حوادث ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية بيان خاص بها ، ولا حكم قاطع فيها ، فاجتهدوا فى تفهم حكم الله على ضوء النصوص واستهداف المصلحة ، واختلف فهمهم فى هذا وذاك ، تبعا لما

يراه كل واحد منهم مقتضى النص ، او سبب المصلحة . وقد ينتهي التشـــاور بينهم الى راى واحد يجمعون عليه .

كثر القتل في حفاظ القرآن في معركة اليمامة ، وخاف عمر على القرآن من الضياع ، فاشار على ابى بكر بجمعه ، فتوقف ابو بكر وقال : كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال به عمر يقنعه ويقول له : والله انه خير ومصلحة للاسلام ، حتى اقتنع ابو بكر ، ووافق الصحابة ، واجتهد ابو بكر فاستخلف على المسلمين عمر ، واجتهد عمر فلم يستخلف احدا عليهم ، وترك الامر شورى في ستة من الصحابة .

واجتهد ابو بكر ايضـــا فراى أن الجد اب ، فيأخذ حكم الأب فى الميراث ، ويرث وحده دون الاخوة ، ويوافقه عمر ، ثم يرجع عن رايه بعد ان يسمع راى زيد بن ثابت ، الذى يرى مشاركة الاخوة للجد فى الميراث ، لأن صلتهم بالأخ لا تقل عن صلة الجد به .

ويقول عمر قبل وفاته : اني كنت قد رايت فى الجـــد رأيا فان رايتم أن تتبعوه فاتبعوه ، فيجيبه عثمان : ان نتبع رأيك فانه رشـــد ، وان نتبع راى الشيخ يعنى أبا بكر فنعم ذو الراى كان .

ويجتهد عمر ، فيمضى الطلاق الثـــلاث على من طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحدة . ويقول : ان الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه اناة ، فلو أنا أمضيناه عليهم .

ويجتهد عثمان فيورث المطلقة بائنا من زوجها اذا مات ، معاملة له بنقيض مقصوده ، وزجرا لأمثاله ، حتى لا يتخذ النـــاس من الطلاق البائن وســـيلة للتهرب من فرائض الله فى الميراث .

ويجتهد على فى المطلقة يتزوجها رجل فى عدتها من زوجها الأول ، فيجيز لهما ابتداء الزواج بعد انتهاء العدة ، لزوال المانع ، بينما يرى عمر تحريمها على هذا الرجل الثانى حرمة مؤبدة ، عقوبة على مخالفة حكم الشرع ،ومن استعجل الشىء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

ويجتهد على فيفتى بالزام الصناع قيمة ما يضيع من أمتعة الناس ، التى تكون تحت أيديهم حتى يحافظوا عليها ، ولا يدعوا ضياعها ، ويقول فى ذلك : « لا يصلح الناس الا ذاك » .

وتقتل امرأة وخليلها ابن زوجها ، ويكتب بذلك يعلى بن أمية الى عمر بن الخطاب يساله الحكم فيتوقف عمر ، لأن شريعة القصاص المساواة ، فلا يقتل اثنان فى واحد ، ثم يفكر فيرى أن معنى ذلك ضياع دم المقتول ، واغراء الناس بالقتل فى جماعة حتى لا يكون قصاص . ويســـتشير عليا فيقول له : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو أن جماعة اشتركوا فى سرقة جمل ، فأخذ هذا عضوا وهذا عضوا ، أكنت قاطعهم ؟ فيجيبه : نعم ، فيقول له على : فكذلك « ويطمئن عمر ويكتب الى يعلى : اقتلهما ، فلو اشترك فيه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم » .

وينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التقاط الابل الضـــالة ، ويقول لسائله عنها : مالك ولها ، معها سقاؤها وحذاؤها ، دعهـــا حتى يأخذها ربها « يعنى بذلك أنها مصونة فى الصحراء ، لا خوف عليها من جوع أو عطش أو يد تمتد اليها ، ترد الماء وترعى الشجر ، حتى يعثر عليها صاحبها .

ويجرى العمل على ذلك فى عهد أبى بكر وعمر . ثم يأمر عثمان فيما بعد بالتقاطها خوفا عليها من السراق ، ويأمر بتعريفها اى بحصر أوصافها ثم بيعها اذا لم يعرف صاحبها حتى اذا جاء صاحبها اعطى ثمنها .

ثم يرى على فيما بعد أن بيعها واعطاء صاحبها ثمنها قد لا يغنى غناءها ، ويأمر ببناء دار يحفظ فيها الابل الضالة ، وينفق عليها من بيت المال ، حتى اذا جاء صاحبها وعرفها اخذها .

وهكذا يتغير الحكم فى هذه المسألة تبعا للمصلحة التى تظهر فى كل عهد .

وانقضى عصر الصحابة تاركا من القواعد والتطبيقات ثروة تلقاها عنهم التابعون ، فتابعوهم فى الاجتهاد فى فهم النصوص وتحقيق المصلحة .

جاء فى السنة أن الناس قالوا : يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا ، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم — ان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وانى لأرجو ان القى الله وليس فى عنقى مظلمة لاحد منكم .

وذلك ان الرسول — كحاكم — راى أنه مطالب برعاية مصلحة الكافة ، وأن نظره لمصلحة المشترين ليس أولى من نظره لمصلحة البائعين ، التى تتعارض كل منهما ، فليحكم بينهم القانون العادل : قانون العرض والطلب الطبيعى ، ولتكن التجارة عن تراض ، ولتقل الأسعار وترخص فى هذا الاطار ، ورحم الله عبدا سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، ولكن سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن وغيرهما من فقهاء التابعين ، رأوا ضرورة التسعير الجبرى بعد ان تغيرت الأحوال الاقتصادية ، وضعف الوازع الدينى فى النفوس ، ودعت الحاجة والمصلحة الى التسعير .

وفى شهادة الشهود لم يكن يشترط فى قبول شهادة الشاهد الا أن يكون عدلا ترضى حاله وامانته ، فكان عمر يقبل شهادة الوالد لولده ، والولد لوالده ، والأخ لأخيه ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء » ويقول : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والأقربين » ثم ترك بعض التابعين العمل بما رآه عمر ، يقول الزهرى : « لم يكن يتهم سلف المسلمين الصالح فى شهادة الوالد لولده ، ولا الاخ لاخيه ، ولا الزوج لامرأته ثم ظهرت امور حملت الولاة على اتهامهم ، فتركت شهادة من يتهم من قرابة ، وكان ذلك الولد والوالد والأخ والزوج والزوجة .. » .

« للبحث بقية »

أثر الاسلام في إحراز النصر

٢

اللواء : محمود شيت خطاب

تحدثنا في مقالنا السابق عن الصفات التي يرى الاســـلام ضرورة اعداد الجندي المسلم عليهـــا من أجل النصر الذي وعد الله به عبـــاده المؤمنين .

فكيف ربى الاسلام جيش المسلمين ، بعد أن ربى كل فرد من أفراد هذا الجيش ؟

عمل الاســلام على تقوية معنويات(١) المجاهدين . قال تعالى « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال »(٢) .

وحث الاســلام على الاهتمام باعداد القوة المادية ، قال تعالى : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (٣) ، وقال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون »(٤) .

كما حث الاسـلام على انشاء المعامل الحربية لصنع الاسلحة ، وذكر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للأغراض العسكرية : « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنــــاس وليعلم الله من ينصره ورســـله بالغيب ان الله قوى عزيز »(٥) .

وأعد الاســلام تنظيمات عملية للاعفاء من الجنـــدية ، واعلان الحرب ، والدعوة الى الجهاد ، وتطهير الجيش واساليب القتال وقضايا الكتمان ، والهدنة والصلح ، والاسرى والمحافظة على العهود .

---

(١) انظر بحث المعنويات .

(٢) سورة الانفال (الآية ٦٥) .

(٣) سورة النساء (الآية ١٠٢) .

(٤) الانفال (الآية ٦٠) .

(٥) الحديد (الآية ٢٥) .

فقد حصر الاسلام اسباب الاعفاء من الجندية فى الضعف ويشمل : المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق ، قال تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله)(١) . وقد نصت الآية على عدم القدرة على الانفاق لأن الجندى كان يلتزم حينذاك بنفقته وادوات حربه . وقد زال هذا السبب الآن ..

وحذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو المعاهد واخذه على غرة غدرا ، قال تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)(٢) ، فتطلب الآية الكريمة طرح العهد عند توجس الشر من العدو ، وتطلب أن يكون هذا النبذ صريحا .

وحذر الاسلام من التباطؤ فى تلبية داعى الجهاد والتثاقل عنه . قال تعالى :\(يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير)(٣) .

وامر بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ، ومن الذين يختلفون عن افراده بالعقيدة ، حتى يكون الجيش كله مؤمنا بعقيدة واحدة ، يعمل لتحقيقها ، ويبذل كل ما يملكه فى سبيلها ، وبذلك يستطيع الفوز فى الحرب ، قال تعالى : (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا)(٤) « ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » ٤٦ — ٤٧ .

ونظم الاسلام المواضع الدفاعية موزعا المقاتلين على تلك المواضع : (واذ غدوت من اهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال)(٥) . وابتكر الاسلام أسلوبا جديدا فى القتال لم تكن العرب تعرفه من قبل هو أسلوب الصف ، اذ كانت تقاتل بأسلوب الكر والفر : (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا)(٦) . ويطلق اسم هذا الاسلوب من القتال على سورة من سور الذكر الحكيم ، هى سورة الصف .

ويحذر الاسلام من اذاعة الأسرار العسكرية . ويجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، ويطالب المؤمنين بالرجوع الى القيادة العامة ، كما يطالبهم بالتثبت مما يصلهم من أنباء قبل الركون اليها والعمل بها : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك

---

(١) التوبة (الآية ٩١) .
(٢) الانفال (الآية ٥٨) .
(٣) التوبة (الآية ٣٨ — ٣٩) .
(٤) الاحزاب (الآية ٢٠) .
(٥) آل عمران (الآية ١٢١) .
(٦) الصف (الآية ٤) .

ويمكن ان نطلق الصف الآن على كل تنظيم حربى يراه القائد فى وضع الجيش المحارب تجاه عدوه دون ان نتمسك بحرفية الصف الواحد والمهم هو التماسك والتعاون فى الجيش المحارب واسلحته المختلفة .

(الوعى)

فيها الا قليلا)(١) . « واذا جاءهم أمر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » سورة النساء . الآية ٨٣ .

وأمر الاسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب اذا جنح اليها الأعداء ، وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء . قال تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله)(٢) .

وخير الاسلام القائد بين أن يمن على الأسرى ويطلقهم من غير فدية او مقابل ، أو يأخذ منهم الفدية من مال ورجال وذلك حسب اقتضاء المصلحة . قال تعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء)(٣) .

وحث الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على العهود ، واوجب الوفاء بها ، وحرم الخيانة فيها ، والعمل على نقضها ، وارشد الى أن القصد منها احلال الأمن والسلم ، محل الاضطراب والحرب ، وحذر أن تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقيعة بالضعفاء . قال تعالى : (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة)(٤) .

(١٠)

هذا غيض من فيض مما جاء فى القرآن الكريم من آيات كريمة لتربية الجندى فردا ولتربية الجيش جماعات .

ومما ذكرنا يتضح أن الجندى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس على جيشه ، يخلص لواجبه أعظم الاخلاص ، وينسى نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين . يتحلى بالضبط المتين ، فيطيع الأوامر وينفذها بأمانة واخلاص واندفاع . يصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ، ويتحمل المشاق العسكرية صابرا محتسبا ، يتصف بالشجاعة والاقدام ، ويثبت فى الميدان ولا يفر أبدا ، ولا يولى يوم الزحف ، حذرا يقظا ، لا يستهين بعدوه ، يجاهد بماله وروحه فى سبيل الله ، ولا يتخلف عن الجهاد مطلقا .

هذا الجندى المسلم ، بهذه الصفات الرائعة ، هو بالتأكيد عنصر مفيد فى جيش له تعاليمه المتينة الرصينة فى التنظيم وفى التجنيد وفى الدعوة الى الجهاد . فى جيش نقى من الدخلاء والملوثين ، لا يغدر ولا يخون ولا يجور على أحد له تعاليمه القوية فى القتال وفى الاسلام ، وفى التمسك بالعهود والمواثيق ، وفى معاملة الأسرى معاملة انسانية رفيعة .

هذا الجيش الذى يعد كل متطلبات القتال سلاحا وعتادا وقضايا ادارية ومعامل عسكرية ، لا يمكن أن يغلب أبدا .

وغزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، والفتح الاسلامى العظيم ، خير شاهد على ما نقول .

---

(١) الاحــزاب (الآية ٦٠) .
(٢) سورة الانفال (الآية ٦١ — ٦٢) .
(٣) سورة محمد (الآية ٤) .
(٤) سورة النحل (الآية ٩١ — ٩٢) .

لقد انتصر المسلمون الأولون ، لأنهم كانوا ترجمة عملية تمشى على الارض لتعاليم الدين الحنيف .

وحين أعرض المسلمون عن دينهم ، وتركوا تعاليمه السماوية ، تداعت عليهم الامم واصبحوا غثاء كغثاء السيل .

لقد أعزهم الله بالاسلام ، ولن يعزوا بغيره .

والاسلام ليس نسبا ولا ارثا ولا منطقة جغرافية ، بل هو عمل وتضحية وفداء .

والمسلمون الذين يصومون ويصلون ويؤدون الفرائض ، ثم يقعدون عن الجهاد فى سبيل الله ، حينما يكون الجهاد فرض كفاية او فرض عين ، ليسوا مسلمين حقا .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق) .

(١١)

والسؤال الكبير الذى يدور على كل لسان اليوم : لماذا اندحرنا فى فلسطين هذا العام ؟

واسباب الاندحار كثيرة ، من اهمها أن العرب تخلوا عن عقيدتهم السمحاء .

انه لا جيش قوى بدون معنويات عالية ، وقد اثبتت الأحداث ، أن معنويات الجيوش العربية لم تكن عالية بحيث تتحمل اعباء حرب طويلة الأمد بصمود وتضحية وفداء .

لم يكن من المتوقع مطلقا . ان تنهار الجيوش العربية بهذه السرعة المذهلة . والقول بأن تفوق تفوق اسرائيل بالقوة الجوية لا يبرر أبدا سرعة انهيار الجيوش العربية بشكل يندى له الجبين .

وقد تعلمنا من دروس تاريخ الحرب ، ان المعنويات أقوى من السلاح . وان الجيش الذى يتحلى بالمعنويات العالية ينتصر فى النهاية مهما طال الأمد على اعدائه .

ان المعنويات ترتكز اولا وآخرا على العقيدة . فما هى العقيدة التى كانت الجيوش العربية تؤمن بها ؟

هل هى المبادىء المستوردة شرقية كانت أم غربية ؟!

هل هى الشعارات التى لم تتجاوز اللسان هتافا وصراخا والتى لم تخالط القلب والوجدان ؟!

هل هى عبادة الأشخاص والعمل من أجل الأمجاد الشخصية ؟!

كل تلك الأمور وأمثالها لا يمكن أن تسمى عقيدة منشئة بناءة ، يمكن أن يضحى الجندى فى سبيلها بروحه مقبلا غير مدبر ، والروح أغلى ما يملكه الانسان .

ان العرب يمتلكون عقيدة هى اقوى العقائد وأصلبها ، وقد قادت العرب الى النصر والى قيادة العالم قرونا طويلة .

وهذه العقيدة ، تحث على الجهاد بالمال والنفس ، وتحث على الشجاعة والاقدام ، وتأمر بالصبر والصمود ، وتنهى عن التولى يوم الزحف ، وتغرس فى النفوس الطاعة .

ولست أعرف عقيدة غير الاسلام ، تبنى كل هذه الفضائل العسكرية فى العقول والنفوس معا ..

فماذا فعلنا لغرس هذه العقيدة فى أبناء الشعب قاطبة ومنهم الجيش ؟
لا شيء أبدا .. لا شيء على الاطلاق ..

لقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق أهدافه الهدامة ، وكان ما بذله الاستعمار أمرا طبيعيا بالنسبة لأهدافه ، لأنه يعلم أن الأمة بدون عقيدة ، لا قيمة لها فى الحياة ولا خطر منها عليه .

وكان من المتوقع أن يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكن العكس حدث تماما ، فقد بدأ حكام العرب أول ما بدأوا بمحاربة عقيدتهم ، فنفذوا عن طيبة خاطر وبحماسة شديدة أهداف المستعمرين .

هل يبنى الشعب العربى باشاعة الفحشاء والمنكر بين ابنائه ؟
هل يبنى هذا الشعب بالأغانى الخلاعية والأفلام الداعرة وقصص المخدع والاستهتار بالقيم الروحية ؟

ماذا فعلنا لغرس مبادىء الدين الحنيف فى أذهان التلاميذ والطلاب فى المدارس والجامعات ؟!
ماذا فعلنا لغرس تلك المبادىء بين أبناء الشعب ؟!

ماذا فعلنا لغرسها فى نفوس العسكريين ؟!
لقد حاربت جيوشنا بدون عقيدة ، لذلك فرت بعد الصدمة الأولى بشكل لم يسبق له نظير .

ولو ان العسكريين استقر فى نفوسهم ، أن الرجل لا يموت الا بأجله ، وأن الشهادة فى سبيل الله من أعظم الدرجات ، وأن الفرار يوم الزحف من الكبائر ، وأن الجهاد أفضل العبادات ، وأن جهاد ساعة خير من عبادة ستين عاما .

لو استقر فى أذهان العسكريين مثل هذه المثل العليا النابعة من صميم الاسلام ، لكان لهم شأن فى الحرب اى شأن ، ولصبروا وصابروا ورابطوا فى الميدان .

انى أطالب المسؤولين باقرار التعليم الدينى فى المدارس والمعاهد والجامعات على أسس رصينة سليمة ، وغرس مبادىء الدين الحنيف فى نفوس العسكريين ضباطا وجنودا بالدروس والمحاضرات ومراقبة سلوكهم الشخصى مراقبة دقيقة ، ومحاربة أسباب اشاعة الفوضى الاخلاقية والترف ، والعمل على غرس الفضيلة والخلق الكريم بين ابناء الجيش خاصة والشعب عامة .

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب اقفالها ؟

(١٢)

لقد عزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى تفوقها على العرب فى العلوم التطبيقية (التكنلوجيا) .
ولعل هذا التفوق العلمى سبب من الاسباب ، ولكنه ليس السبب الاول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام الشمالية تفوقا عظيما فى الناحية العلمية ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

وعزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى التفوق الجوى .

ولعل هذا التفوق الجوى سبب من الأسباب ، ولكنه ليس السبب الأول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام تفوقا ساحقا فى الجو ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

لقد استطاعت فيتنام ان تكبد الولايات المتحدة مائة الف عسكرى منهم ستة عشر الف قتيل واربع وثمانون الف جريح (١) .

واستطاعت فيتنام ان تسقط ثلاثة آلاف طائرة من طائرات الولايات المتحدة الامريكية (٢) .

ان الصمود وحده هو الذى حقق لفيتنام الشمالية هذا النصر . ولا صمود بدون عقيدة (٣) .

لقد صرح مسؤول اسرائيلى كبير ، ان عوامل انتصارهم على العرب خمسة ، على راسها العامل الروحى .

وحين احتلت اسرائيل القدس القديمة يوم ١٩٦٧/٦/٦ ، زحفت جموعهم وعلى راسها رئيس الدولة حفاة حاسرى الراس الى حائط المبكى !!

وذكر احد رجالات اسرائيل ، انهم انتصروا على العرب لأنهم يؤمنون بالله .
فهل صرح مسؤول عربى مثل هذا التصريح حتى اليوم ؟!

واذا كان يهود يؤمنون بالله ، فبماذا يؤمن العرب ؟

وهل فكر العرب بالعودة الى تعاليم الدين الحنيف ، ليكون لهم سندا وعونا فى الشدائد والملمات ؟!
أم لا يزال العرب يعتبرون الدين وتعاليمه من الامور الثانوية ؟!

ان الناحية العلمية التطبيقية واعداد الطائرات والدروع والاسلحة والعتاد ، واكمال التدريب والتجهيز ، كلها تدخل فى نطاق الاعداد العسكرى الذى أمر به الاسلام .
ولكن الناحية المعنوية ، وهى التمسك بالعقيدة ، لا تقل أهمية للجيش والشعب على حد سواء من الاعداد المادى .

---

(١) اعلن ذلك مسئول امريكى يوم ١٩٦٧/١٠/٦ واذاعته جميع محطات الاذاعة العالمية ونشرته الصحف .

(٢) اعلن ذلك خلال شهر أيلول ١٩٦٧ .

(٣) « الوعى الاسلامى » وهؤلاء وان لم تكن عقيدتهم سليمة فى الله لكنهم لهم عقيدة يؤمنون بها ويتفانون فيها . فليس بلازم أن تكون سليمة فى الواقع بل يكفى أن تكون سليمة فى نظر صاحبها المؤمن بها فتجعله يتفانى ويضحى من أجلها .

« البقية على ص ٥٣ »

الفدائيون ..!

لن يذكروا ولدا ، او يذكروا عملا ... حتى يردوا من الاعداء ما اغتصبوا

فلا حياة على الدنيا بلا ظفر ... وليس للحر الا العز والغضب

صبوا - بنى سادة الدنيا - لهيبكمو ... فالقيد يصهره فى ارضنا اللهب

عظام آبائكم فى الارض قد صرخت ... تقول : هبوا ولا تبكوا وتنتحبوا

هيا اجيبوا نداء من حناجرها ... تلك المناجر فيها الصمت والصخب

ارواح جند (صلاح الدين) هائمة ... عليكم الآن لا تنفك تقترب

فى ذلك الركن صولات لهم ، وهنا ... فتح مبين ، وهذا التل قد ركبوا

هيا صلوا الماضى المهجور يحملكم ... جسر من الدم والارواح ينتصب

مآذن القدس قد حنت لصوتكمو ... هاماتها نكست ، والوجه مكتئب

ويهتف المسجد الاقصى : اتتركنى ... يا بن الحنيفة وسط الرجس اضطرب !

ترنو الديار لمرآكم بمقلتها ... فيها الحنين وفيها العطف والحدب

تود لو تحتويكم بين اضلعها ... وليس تملك الا الدمع ينسكب

من ذاك يمنحنى بيتى ومزرعتى ... لا كنت ان عاش فى ملواى من سلبوا

الموت والنسف للاوغاد فى وطنى ... بذلكم حكم الاسلام والعرب

يايها العربى الحر فى وطن ... دانت له الارض والعليا له نسب

امدد الى النصر اسبابا نتيه بها ... للنصر كم مد فى تاريخنا سبب

جاهد بروح واموال تجود بها ... ان فاتك الجود بالارواح فالنشب

بالنفس والمال لا تبخل على وطن ... ممن شروا بهما الجنات قد كسبوا

للأستاذ: محمد الهادي اسماعيل

مدرس أول اللغة العربية ــ الكويت

من فى ســـبيل الحمى والحق قد ذهبوا ؟ ... ولا يظنـــون ان ارواحهم وهبـــوا ..

من يعمـــلون وفى صــــمت ؟ حديثهمو ... الضرب فى الحرب لا الاشــــعار والخطب

عشرون عاما نصـــوغ القول ، فانتفضـــوا ... وغيروا القـــول بالنـــيران تنسكب

عشرون عاما ، ولم نســـمع خطـــابتهم ... فليخطب المدفع الرشـــــاش واللهب

عشرون عاما بنى الاعـــداء انفســـهم ... فيهـــا ، ولم نبن صـــفا عنـــده داب

فهب للحــــرب من ابنــــائنا نفر ... لم يرضـــهم ان يقـــال : العرب قد نكبوا

هم ينـــكرون على الدنيـــا ذواتهمو ... لم يعرف اســـم لهم فيهـــا ولا لقب

لـــكن انمـــالهم عبر الاثير سرت ... وانصـــعت عنهـــم الاقلام والكتب

القفر والخنـــدق المســـحور يعرفهم ... والقصر يعـــرفهم ، والمنزل الخـــرب

لا عين للانس فى الصـــحراء تبصرهم ... الطـــير ترقبهم ، والنجم والســـحب

اضـــحوا كجن به الاعـــداء فى هلع ... او كالقضــــاء وكالاقـــدار ترتهب

لا يخفق القـــلب فى اضـــلاعهم فزعا ... وللعـــدو قلـــوب منهمو تجب

دوت قنـــابلهم فى كل ناحيـــة ... والريح تهتف : هيـــا اقبـــلوا وثبوا

مالت عليـــهم ذرا الاغصـــان حانية ... قد شـــفها الوجد لا بل هزها الطـــرب

والارض تفتـــح للابطـــال الرعة ... وكيف لا ؟ وبهـــا ام لهـــم واب ؟

ارواحهم فى ســـبيل الله قـــد بذلوا ... دماءهم فوق وجـــه الارض قد ســـكبوا

وهم شـــباب تروق العـــين طلعتهم ... العـــمر كالزهر والامـــال ترتقب

ابنـــاءهم تركوا ، لم يحفـــلوا بهمو ... ان مســـهم ظما او مســـهم ســـغب

نســـوا العشـــائر والاحباب خلفهمو ... انســـاهم الحيف او انســـاهم الغضب

الأرض لنا والحق لنا

آمن بالحق ليسترجع

نشدو بالشعر لكى نرفع … من روح الشعب فلا يخضع
لنحطم يأسا قد يبدو … ونثير جبانا قد يخنع
كى نلقى الصدمة فى صبر … ونقيل العثرة لا نجزع
فالشوط طويل يربحه … الأكثر صبرا فالأشجع
فأتى من يعكس متصدنا … بمعاول تهدم ما نرفع
لا يعرف الا شق الجيب … ب ولطما فى خد أسفع
ويصيح الخونة قد باعوا … واضاعوا الأرض فلن ترجع
فى لفظ مملوء فحشا … يلوى الأعناق بما يسجع

● ●

فسمحت لنفسى ان امحو … ما تنشر يا طبلا يقرع
فالأرض لنا والحق لنا … آمن بالحق ليسترجع
هو جد هذا لا هزل … والهزل يضر وقد يصرع

● ●

فكلامك اما عن خبث … كالعقرب تلدغ أو تلسع
أو ان كلامك عن جهل … لا تدرى ماذا قد تصنع
فالناس تميل لأن تسمع … من يهذى بالفحش المقذع
والسم بلفظ معسول … يسرى فى الشعب وان أمتع
فكلامك يخفى أخطارا … بل يخفى المقتل والمصرع

● ●

دعوى الأعداء كما تدعو … ولأنت صداها المسترجع
هم قالوا القائد مسئول … والشعب برىء كى نقنع

فتردد أنا ليس لنا — فى النكبة كف أو اصبع
كصغير يقطع دفتره — ويقول « برىء لم أقطع »
والطفل كذلك عادته — يخشى أن يزجر أو يصفع
أنعيش كهذا الطفل بلا — تفكير أو رأى ينفع ؟
أو نرجع للنوم الهانى — والغازى نتركه يشبع

● ●

أنا لست أبرىء من تمنى — ممن لم يثبت فى الموقع
ضعفوا أو خانوا أو باعوا — أو كانوا أدنى أو أرفع
لكن من أين هم نبتوا — ما جاءوا من قفر بلقع ؟
فهم منا وكما كنا — فى المنهج كانوا والمشرع
فدليل ادانتهم باد — ودليل ادانتنا انصع

● ●

النكبة كانت موجعة — وحديثك يجعلها أوجع
والجرح يعالج كى يشفى — وكلامك يفتحه أوسع
فحديثك فحش منحرف — عن أصل الداء عن المنبع

● ●

ان كنت تريد الحق اذن — فانظر فى نفسك واسترجع
استرجع حالك فى الماضى — من قبل حزيران الأبشع
فالحال شنيع فى الوادى — والقمة حالتها اشنع
والحال مخيف فى المزرع — والحال مخيف فى المصنع
والحال فظيع فى الملهى — والمنزل حالته أفظع
والمعبد خال ليس به — من يعبد ربا أو يركع

خلينا دربا يهدينا ... لسراب فى درب يلمع
لم نحكم أمر معيشتنا ... وتركنا الحبل لمن يرتع
واليوم صحونا من نوم ... لنكيل اللوم لمن يخدع
والخادع نحن زرعناه ... فحصدنا ما كنا نزرع
فاللوم لنا فردا فردا ... والحق أحق بأن يتبع

● ●

فاذا ما عشنا فى خلف ... وضلال عنه لا نقلع
نلقى باللوم على بعض ... فلنا عظة يوم المرجع
فى يوم الحشر محاكمة ... للناس بلا عمل يشفع
قال الأتباع لخالقنا ... « اللوم لمن كنا نتبع »
وعذاب الله يضاعفه ... عدلا للتابع والمتبع

● ●

الجرح عميق محتاج ... لدواء شاف أو مبضع
والداء بداخل أنفسنا ... عالجه وحاول أن تسرع
نظف أدرانك نظفها ... وابدأ من قاع المستنقع

● ●

جدد ايمانك جدده ... ان الايمان هو المرجع
أصلح أحوالك بالتقوى ... ولغير الله فلا تخشع
فالمؤمن لا يخشى احدا ... والمؤمن حقا لا يجزع
بالتقوى والايمان ترى ... شعبا كالصخرة لا يصدع
فالحقل تطيب سنابله ... والمنزل يصلح والمصنع
والملهى يغلق ابوابا ... ويضيق المسجد بالركع
والحاكم يحكم منتصحا ... لا يخشى وثبة من يطمع

● ●

فالقوة نجمعها حتى ... نلقى الاعداء بما نجمع
بدلا من فرقتنا نسعى ... لنلم الشمل ونستجمع
ونسير بوحدتنا صفا ... صفا مرهوبا لا يدفع
فالباطل بالقوة زاه ... والحق مع القوة أروع
ان كنت محقا وقويا ... بلسانك تنطق والمدفع

● ●

فهنالك حجتنا تسطع ... والعالم اجمعه يخضع
والغاصب يترك مغلوبا ... أرض الاحرار فلا يرجع

● ●

وخلاصة قولى يا قومى ... فالنصر وسائله أربع
القوة ، تحميها التقوى ، ... والصبر ، ووحدتكم أجمع

فلا بد من العودة الى الله تائبين منيبين ، ولا بد من العودة الى تعــاليمه السماوية ، وعند ذاك لن نغلب أبدا .

ان الذى يحتاج اليه العرب اليوم ، هو الايمان بالله ، والايمان بالعلم ، وحينذاك سيقول يهود كما قال أسلافهم من قبل : ان فيها قوما جبارين .

(١٣)

واأسفاه على القدس ..

واأسفاه على بلد الانبياء والمرسلين ..

واأسفاه على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم ..

ولكن القدس لا يمكن انقــاذها بالاسى والاسف ، حتى ولو ابيضت عيون المسلمين من الدمع .

وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » (١).

ونصر الله ايمان به ، وثقة بقدرته ، وعمل بتعاليمه ، ثم اعداد لمتطلبات القتال التى امر بها « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الانفال الآية ٦٠ .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين ينصرهم فقال : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (٢) .

فأين هم هؤلاء حتى ينصرهم الله .. اين ؟!

ان المؤمن لا ييأس ..

والمؤمن لا يقنط ..

واسرائيل اذا انتصرت ساعة ، فلن تنتصر الى قيام الساعة ..

ان الله يغار على قبة الصخرة أن يرتفع عليها علم اسرائيل ..

ويغار على المسجد الاقصى أن تنتهك فيه الحرمات ..

ويغار على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم أن تقترف فيه الموبقات .. ومصير يهود معلوم ، وانا واثق من نصر الله ..

وقد أعد الله لليهود يوما عصيبا « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ..

فهل نعود الى الله ، ونعمل بتعــاليمه ، لينصرنا على اسرائيل ، وعلى أعدائنا جميعا ، ام لا نزال بحاجة الى النكسـات والنكبات ؟!

---

(١) سورة الحج (الآية ٤٠) .

(٢) سورة الحج (الآية ٤١) .

الإمام القرافي

لم تكن دعوة الاسلام دعوة رهبانية تخلق الانفصال بين الدين والحياة ، ويصبح الفرد ذا وجهين في حياته ، وجه لله ، ووجه لرغباته ، وجه للدين ، ووجه للدنيا ، كما دعا بعض من ينتسب الى غير الاسلام « دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر » .

وقد انقاد لهذه الدعوة — مع الأسف — بعض من ابناء المسلمين ممن لا يعرف عقيدته حق المعرفة .

ولكن دعوة الاسلام كانت دعوة حياة ، بنيت على أساس من القيم ، فتكاملت دينا ودنيا ، والله لي ومعي في مصنعي ومسجدي ، وكفاحي لأسرتي ووطني من ايماني بالله .

ومن هنا كان علماء الاسلام وفقهاؤه عمالا وتجارا ، لا يمنعهم فقه ولا تفسير ولا امامة عن العمل ، فكان منهم الفقيه البزاز « تاجر الأقمشة » وكان منهم الصوفي الخواص . وكان منهم النحوي الزجاج (يشتغل بصناعة الزجاج) ، وكان منهم الفقيه المحدث (القفال) — صانع الأقفال — (١) .

وكان كل عالم يعطي علمه ودينه بقدر ما يعطي دنياه ، لذلك لا نعجب أن يكون من بين هؤلاء العلماء أو الفقهاء فنانون ، اشتغلوا بالفنون وتشكيلاتها .

فمثلا نرى أبا بكر محمد بن الحسن — النقاش — القارىء

---

(١) كان المروزي القفال — من ائمة الشافعية في القرن الرابع والخامس الهجري في مصر — يصنع اقفالا دقيقة يزن الواحد اربع حبات . ا هـ حسن عبد الوهاب (توقيمات الصناع) ، ابن خلكان جـ ١ ص ٢٥٧ .



للأستاذ: عبد المجيد وافي

المفسر(1) ، يتعيش من نقش السقوف والجدران ، والنقش والزخرفة فرع من فروع الفنون الاسلامية عريق في أصالته ، عظيم في روعته — وفيما نراه في سقوف مساجد فرج بن برقوق ، والمؤيد وقايتباى وغيرها من القصور والبيوت الأثرية في مصر وسورية وتونس والمغرب والأندلس دون حصر — المثل الباقي على روعة ذلك الفن الباهر .

والمتتبع لكتب التراجم والسير ، يجد الكثير من أخبار علماء وأدباء وشعراء ، لم يعزلهم أدبهم ولا علمهم ولا شعرهم ، عن الاحتراف لطلب الرزق ، عملا بروح الاسلام « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » .

وفي كتاب من كتب علم أصول الفقه ، وجدتني أمام اسم من الأسماء لم أكن أظن الفن كذلك يجمعني وإياه ، هو : شهاب الدين — أبو العباس — أحمد بن ادريس ابن عبد الرحمن ، الصنهاجي (قبيلة من قبائل المغرب) ، البهنسي — والبهنسة بلدة بصعيد مصر — ولد فيها الامام المصري — المشهور بالقرافي(2) .

ولشهرته بالقرافي طرفة ، ذلك أن كاتب السجلات في الأزهر نسي اسمه ساعة التسجيل ، وكان الامام طالبا يأتي من جهة القرافة « المقبرة » فكتبه في سجلاته — القرافي —

(1) وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٩٩ .

(2) ولد سنة ٦٢٦ هـ وتوفي سنة ٦٨٤ هـ ودفن بدير الطين (دار السلام) بجهة مصر القديمة بالقرب من القاهرة .

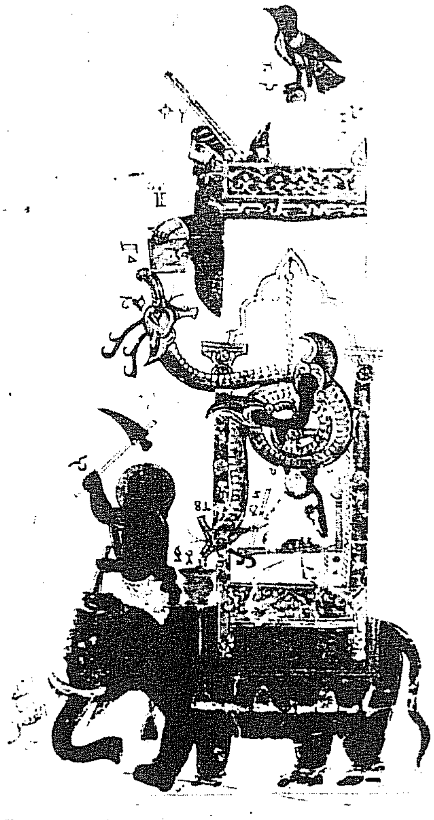
فجرت عليه النسبة ، وصارت له علما .

وهو بين المالكية لا يحتاج الى تعريف فهو صاحب كتاب (الذخيرة) الفه فى فقه المالكية مقارنا بالمذاهب

الأخرى فى ثمانية عشر جزءا ، مخطوط فى مكتبتى الأزهر والقرويين ، وقامت كلية الشريعة بالقاهرة بطبع جزئه الأول(١) .

كما اشتهر بكتابه (الفروق) الذى يدل على احاطته بدقائق التشريع وفهم أمين لخصائصه .

الف فى العقائد ، والفقه ، واصول الفقه ، كما الف فى الرد على شبه أهل الكتاب ، والف فى اللغة ، والرياضيات ، والفلك ، والمنطق ، وعلم الكلام ، ومع ذلك كله كان فنانا عظيما ، ولكن كيف ذلك :



بينما أنا فى اثره أبحث عن راى له فى الدلالات ، أطالع مخطوطا له فى علم أصول الفقه(٢) ، وصلت الى فصل عنوانه « الكلام فى اللغات » بداه الامام بالكلام عن الدلالة الصوتية ، وعقب ذلك بسؤال : « هل مجرد الصوت يدل على صاحبه » ؟

واعتقدت أن جواب الشيخ بحكم عصره : « نعم » ، وان كان عصرنا والعلم الحديث يقول : لا ، حيث الأصوات على أجهزة التسجيل والاسطوانات تصنع نقلا عن أصحابها أو تقليدا لهم .

ولكن الامام أجاب : « لا يكفى أن نسمع الصوت فنقول انه لا بد من شخص صاحب لهذا الصوت ، لأن الصوت يصنع فى غير الانسان » .

واستدل على ذلك بما سمعه من الوزير الأديب الفقيه (القاضى الفاضل) وزير صلاح الدين .

يقول القاضى الفاضل : ان رجلا جاءه وأخبره بمكان تمثال ينطق ، فطلب القاضى الفاضل الى ذلك الرجل أن يأخذه الى حيث يوجد التمثال ، وعندما بلغه وجده صامتا

لا يتكلم ، فاستفسر منه عن ذلك الذى يدعيه من كلام التمثال ، فأشار الرجل الى ثقب فى رأس

---

(١) كان ذلك باشراف عميد الكلية يومذاك ــ فضيلة المرحوم الشيخ محمد المدنى ــ ثم وقفت ظروفه فى سبيل نشر العلم وطبع بقية اجزاء الكتاب .

(٢) مخطوط فى ثلاثة أجزاء تحت عنوان : « نفائس الاصول شرح المحصول » بدار الكتب المصرية ..

التمثال ، ثم سد الثقب بيده ، فجعل الريح يدخل الى قلب التمثال من ثقب آخر فى دوى شديد فترة ثم سكن ، فرفع الرجل يده عن الثقب ،

فخرج الهواء على هيئة صوت يحكى تاريخ المدينة التى كان فيها ومن بناها ، فى جملة محدودة ، حتى

اذا انتهت خفت الصوت حتى تلاشى بخروج جملة الهواء ، واصبح الصوت حفيفا كالحلق المبحوح .

وكلما أعاد الرجل سد الثقب امتلأ التمثال هواء حتى اذا رفع يده عاد الى نفس الجملة السابقة لايزيد عليها » .

فيعقب الامام القرافى على حكاية الوزير قائلا (١) : « ومن ذلك أن الكلام — يعنى فى الانسان — أصله الريح الذى هو النفس ، فاذا ضغطه

الانسان ، حدث الصوت من غير حرف ، فان قطع الصوت فى مقطع مخصوص حدث الحرف المباشر لذلك المقطع ، فصار الصوت عارضا للنفس ، والحرف عارضا للصوت » .

وهذا فهم دقيق لعمل الحلق وأوتار الصوت ، ثم يقول : « ولكن يشترط فى المجرى ملوسة خاصة ، وصقال خاص ، فان تغير بطل

الكلام ، الا ترى الى الانسان اذا خشن حلقه بكثرة الصياح انقطع كلامه ، أو بكثرة الرطوبة ، كما يحدث فى النزلات الباردة انقطع كلامه أيضا » .

« فمن استطاع أن يصنع مجرى على هذه الصورة ، تأتى له أن يتحيل على هذا الكلام من الجماد ، فعامل هذا الصنم — يعنى التمثال — صنع

هذا المجرى ، وسلط عليه الريح من مكان ينزل منه ، ويخرج من رأس هذا الصنم .. الخ كلامه » .

كل هذا كان استدلالا منه على عدم دلالة الصوت على وجود شخص صاحب له ، وهو وأن كان عملا هندسيا دقيقا فى صنعته وفهمه ، لكنه ليس مطلوبا لنا ، وانما مطلوبنا دليل آخر ساقه الفقيه الفنان للدلالة على نظريته ،

ساقه استطرادا فأدى الى الحديث عن الأشكال الفنية وصناعتها وتحريكها وتلوينها ، ثم تنافسه هو فى صناعة مثلها .

فتحدث مضيفا مستدلا على صنعة الصوت فى الجماد :

« وبلغنى أن الملك الكامل (٢) ، وضع له شمعدان ، كلما مضى من الليل ساعة انفتح منه باب وخرج منه شخص يقف فى خدمة الملك ،

فاذا انقضت عشر ساعات طلع الشخص على أعلى الشمعدان وقال : « صبح الله السلطان بالخير

والسعادة ، فيعلم أن الفجر قد طلع » (٣) .

كل ذلك الذى يرويه الامام فى سبيل أن يدلل على صناعة الصوت فى غير الانسان ، ولكن مرادنا ،

والذى منه عرفنا اشتغال الفقيه العالم بالفنون ، هو ما قاله بنفسه عن نفسه بعد ذلك مباشرة :

---

(١) ص ١٠٨ ج ١ مخطوط (نفائس الاصول)

(٢) المرجع السابق .

(٣) هذا قريب مما نراه فى عصرنا من ساعات — صنعت فى اليابان او اوربا — اذا بلغت انصاف الساعات او ارباعها او تمامها ، تفتح فيها ابواب ، فتخرج طيور تغرد أو فرسان تضرب البوق ، وما أشبه ذلك .

« وقد عملت أنا هذا الشمعدان — يقصد مثيلا له — وزدت فيه أن الشمعة يتغير لونها كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد الى البياض الشديد الى الحمرة الشديدة ، فى كل ساعة لها لون ، وتسقط حصاتان من طائرين ، ويدخل شخص ويخرج شخص غيره ، ويغلق باب ويفتح باب ، فاذا طلع الفجر ، طلع الشخص الى اعلى الشمعدان ، واصبعه على أذنه — يشير الى الأذان — » (١) .

من هذه العبارة عرفنا القرافى الفنان المهندس الميكانيكى ، فنان لأنه صنع هذه الصور والشخوص فى تلك الآلة التى سموها شمعدانا ، لأنها تحمل الشمع ، ولكننا الآن نسمى مثلها ساعة زمنية ، وهو فى صناعتها مهندس يرتب حركة على حركة سابقة ، ويؤقتها توقيتا زمنيا دقيقا ، مربط بتوقيت الفلك . ولا غرو فقد كان القرافى الفقيه فلكيا رياضيا الى جانب فقهه .

---

(١) فى عصر الامام القرافى نفسه ، يصف ابن جبير الاندلسى — فى رحلته ايام صلاح الدين — ساعة كبيرة دقاقة كانت فى المسجد الأموى بدمشق ، وكان فى تلك الساعة تماثيل صقور وكان لهذه الساعة طيقان — فتحات — بعدد ساعات النهار (من النحاس) ، وعند انقضاء ساعة من النهار يسقط صنجان من النحاس ايضا من كل طاق واحدة فى فمى الصقرين المصنوعين من النحاس ، وتحت كل صقر طاس من نحاس مثقوب ، فاذا انتهت ساعات النهار ، القى كل صقر بنفقه (اى صنجاته) من فمه فى الطاس ، فترجع بسرعة متتابعة الى غرفة فى آخر الساعة محدثة دويا عظيما ، وكان لهذه الساعة نظام اضاءة فى الليل قريب فى الحيل « الهندسية » من النظام الأول .

وفى كتاب (معرفة الحيل الهندسية) لابن الجزرى — مخطوط مؤرخ ٧١٥ هـ — ١٣١٥ م — محفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك — وصف لساعة دقاقة — والعصر قريب من زمن القرافى ومن زمن ساعة دمشق — ولها رسم فى المخطوط ، وهى على هيئة فيل يحمل برجا فيه اشخاص وحيوانات ، وحركة الساعة عند كل نصف ساعة على التوالى : يصفر عصفور بأعلى البرج فيلقى رجل يجلس فى شرفة بأعلى البرج ، كرة من صندوق فى يده ، يتلقفها افعوان كبير فى فمه الواسع ، ثم يلقيها فى اناء فوق ظهر الفيل امام البرج ، وعندئذ يدق رجل جالس داخل البرج طبلا بعصا فى يده ، ويطرق رجل آخر — جالس على رقبة الفيل — بمطرقة على صنج من نحاس فوق راس الفيل .

والكثير من هذه التحف التى أبدعها فنانو المسلمين نهبت فى عصور تخلفنا قبل حملة نابليون وبعدها ، وكنائس الغرب ومتاحفه مليئة بمثل هذه التحف ، ويابى السارقون ان ينسبوا الفضل لأصحابه وانما ينسبون مخترعاتهم الحديثة وأصولها لامثال دافنشى ، والغريب ان دافنشى فى القرن — ١٥ الميلادى — نفسه يقول فى مدوناته — المحفوظة بالاسكوريال بمدريد — انه اطلع على مؤلفات عربية ونقل عنها .

ولله الأمر من قبل ومن بعد ..

ولكن الامام القرافى يتجاهل انه فى هذا الحديث فنان يحدثنا عن فنه ، وما صنع منه ، وما زاد فيه عن غيره ، ويتابع خطوه وراء صنعة الصوت فى غير الانسان فيقول :

« ولكني عجزت عن صنعة الكلام » .

ابعد أن وصفت هيئة مخرج الصوت ومقاطعه فى مجرى النفس أيها الامام تقف عاجزا عن صنعة الصوت انه يصر ويحاول حتى يقول عن نفسه ثانية :

(ثم صنعت صورة حيوان يمشى ويلتفت يمينا ويسارا ويصفر ولا يتكلم) .

وهكذا يصل بفعله هو الى صناعة نوع من الصوت ، ويستدل بصنعته على ما وصف وشرح . ولكنه من وراء ذلك يطلعنا من نفسه على فنان مصور مهندس ، يصور الصورة ، ويصنع التمثال ويحركه ، ويحاول صنعة الصوت ، كل ذلك يصنعه ثم يصفه ولا يرد على ذهنه ، أو يتبادر الى خاطره ـــ وهو العالم الفقيه الامام ـــ حرمة التصوير او حله ؛ بل هو لم يذكر حتى الخلاف بين الفقهاء حول هذا الأمر .

ترى هل نسى ذلك ، أم تناساه أم وجه الروايات والاحاديث وجهتها ، ونسبها الى أسبابها ، ففهم الأمر على وجهه وسار بفنه وفقهه معا ؟

أم تراه قد سوغ لنفسه الخروج على الشريعة وأحكامها ؟ معاذ الله أن نظن به ذلك فهو قد اجتهد اجتهاد الفارسى ، ومكى ، وابن النحاس .

وغاية الأمر أن الامام القرافى كان فنانا صناعا ، فلم يبخل علينا بوصفة صنعته ، وحفظت لنا كتبه ذكر ما صنع ، وكان شجاعا ، فلم يتبرأ من الصورة وصنعتها ما دامت لن تعبد من دون الله .

بقيت كلمة اقولها لمن اتهموا فقهاءنا بالجمود ، اقول ان الامام القرافى الفقيه قد ألف مما ألف كتاب (المناظر) فى الهندسة والرياضيات . فهل يستطيعون فى الفقه واصول التشريع شيئا .

ولكن العلم كله لله يهب لمن يشاء بحساب ، ولمن يشاء بلا حساب ، ولو بحثنا لوجدنا للقرافى قرناء وقرناء ، ولكن الجهد قاصر والله المعين .

خواطر

للشيخ عبد المنعم النمر

هل يصبح الكذب حقيقة ؟

لا يمكن للذين يؤمنون بالوحدة والجامعة التى جمع الله عليها المسلمين ان يقبلوا الطعن فى رجل من علمائنا لا لشىء الا لأنه نادى بجامعة اسلامية تضم شتات المسلمين .. ولا يمكن للذين يعرفون قيم الرجال والوفاء أن يمر عليهم بسهولة ما يكيله الأحياء من اتهامات غير بريئة للذين لاقوا ربهم شرفاء كرماء وكانوا من رجالاتنا الذين نفخر بهم ، وزادتنا الأيام اعتزازا بذكراهم ، وبما كانوا يتمتعون به من عزة نفس ، واباء ضيم ، وحرص على كرامة العالم أو على كرامة منصبهم الاسلامى الكبير .

ماذا يضير المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الأسبق اذا كان قد قال « ان الجامعة العربية خطوة فى طريق اقامة جامعة اسلامية » ؟ كيف يعد هذا عيبا فى نظر الاستاذ التابعى أو فى نظر الأستاذ عبد الجليل الراوى الذى روى عنه الأستاذ التابعى فى عدد أول مايو الماضى من آخر ساعة ؟

ان ما قاله الشيخ المراغى عليه رحمة الله هو امل كل مسلم ، حين قاله ، والى الآن ، والى ان تقوم الساعة ، تلبية للوحى الالهى وتقريره ، « انما المؤمنون اخوة » ، وتحقيقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » .

فهل تخلينا نهائيا عن الاسلام وطبيعته وتعاليمه ، حتى يعد مثل هذا القول من سيئات الشيخ المراغى ؟ ومن نحن اذن ؟ عرب ؟ وما قيمة العرب بغير الاسلام ؟ لم يعتز العرب ، ولم يكن لهم تاريخ مجيد الا بالاسلام ، ولقد كانوا قبل الاسلام كما قال عمر رضى الله عنه « أذل الناس فأعزهم الله بالاسلام ومن يطلب العزة بغير الاسلام أذله الله » .

وماذا كسبنا من اهمال الجامعة والروح الاسلامية ، والاكتفاء بالضرب على وتر القومية مراعاة لأحلام وأوهام ؟

ولماذا ترتفع الأصوات ، وتشتط الأقلام ، الى حد التهوين بجامعة يضمنا تحتها رابط الهى من صنع الله ؟ ولمصلحة من يكتب هذا الكلام فى وقت تجب العناية فيه بتجميع المسلمين حولنا ، ليشدوا أزرنا فى نكبتنا ؟

أليس من الواجب عقلا ودينا ومصلحة أن ننمى هذه الصلات ، ونبذل جهدنا لضم المتفرقين واصلاح الشاردين ؟

ثم اية حقيقة تلك التى يقولها الكاتب الكبير ! « والحقيقة والتاريخ نذكر أن المرحوم الشيخ المراغى كان من انصار الاحتلال البريطانى ... وأن الانجليز اشاروا على فاروق بتعيينه شيخا للأزهر » ؟

والصحيح أن الشيخ المراغى عينه الملك فؤاد سنة ١٩٣٥ . لا فاروق وأنه جاء لمشيخة الأزهر بعد ثورة أزهرية عاتية قام بها الطلاب والعلماء ، وصدر بسببها قرار رسمى بالغاء السنة الدراسية ، ثم اضطر المسئولون تحت ضغط الأزهريين والشعب معهم الى تعيين الشيخ المراغى .. وكنت ممن سجن وعذب وفصل من الأزهر بسبب هذه الثورة .. فهل هذه هى حقائق الكاتب الكبير المحترم ؟ !! وقس على هذا قوله :

أن الشيخ المراغى كان من انصار الاحتلال !!

من الذى وقف أمام الانجليز فى ذلك الوقت وعارضهم فى دخول مصر الحرب ، وقال قولته الحادة المشهورة « ان هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ؟

هل الكاتب المحترم هو الذى وقف هذا الموقف او الشيخ المراغى هو الذى قالها على الملأ ؟ . لقد كنت انا ممن يستمعون اليه ، وكان شيخا للأزهر ، فأقض مضاجع الانجليز ، وقامت ازمة حادة فى وقتها ، وحاول رئيس الحكومة حينذاك ان يخفف الشيخ من حدته ، فهدده وهدد الانجليز بترك منصبه ، وكانوا يعرفون عاقبة ذلك فسكتوا على مضض ؟

ان الكاتب لم يلفق هذه الاساءة للشيخ الا لأن الشيخ عليه رحمة الله كان ينادى بجامعة اسلامية .

ويسىء اليه بعد أن مات بأكثر من عشرين سنة ، وقد كان الكاتب يصول ويجول يوم أن قال الشيخ ما قال ، فهل فكر فى أن يكتب حينذاك وينتقده فى دعوته لجامعة اسلامية ، كما يكتب وينتقد فى هذه الأيام ؟

وحتى اذا اراد أن يكتب بعد هذه المدة الطويلة ، ألم يكن من الحصافة والرعاية للمصلحة وللشعور الاسلامى الكريم الذى يتجمع حولنا الآن أن يخرج من مذكراته وذكرياته بعض الأخطاء الأخرى التى دونها أو التى يتذكرها ويتخيلها ؟!!

أن أخانا التابعى .. الكاتب الكبير قد شاخ وكبرت سنه .

فتش عن اليهود ..

سألنى ماذا تعنى كلمة « عبد » فى القرآن ؟ .

قلت : لها معان متعددة تختلف باختلاف الموضع الذى تستعمل فيه .

قال : هل تأتى كلمة « عبد » بمعنى أسود ؟

قلت : لا .. لم يستعملها القرآن ولا الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تأت فى العربية — حسب علمى — بهذا المعنى مطلقا .

قال : وما معنى : « ولعبد مؤمن خير من مشرك » قلت له يراد بكلمة العبد هنا الرقيق أسير الحرب الذى ضرب عليه الرق ، وصار مملوكا لمن أسروه .. بغض النظر عن لونه ..

قال لى : اننى أسألك هذا السؤال لأننى كنت أصلى مرة فى مسجد « كارديف » بانجلترا .. وذكر الخطيب هذه الآية ، فخرج اثنان من المصلين وكانا من « نيجيريا » غاضبين محتجين ، وهما يقولان : كيف يهيننا الخطيب ويحتقرنا ؟ ألأننا سود البشرة ؟!..

قلت له : انهما لم يفهما معنى كلمة «عبد» هذه فى القرآن على حقيقتها التى

بينتها لك . بل فهماها على أن المراد بالعبد : الأسود — وهذا فهم خاطىء وغير صحيح بالمرة ... وانتهى الحديث بيننا . ولكنى ظللت أفكر ..

ان كثيرا من الناس يطلقون كلمة « عبد » أحيانا على أسود البشرة ، لا يقولون أسود ، بل يقولون « عبد » وكلمة عبد من معانيها الصحيحة « الرقيق » ومن هنا نشأت الحساسية الشديدة من كلمة « عبد » حينما تطلق على أسود البشرة ، لأنها تصبح فعلا كلمة مهينة بالنسبة له ، والاستعمال العامى الخطأ لهذه الكلمة هو السبب ..

فالأخوان اللذان غضبا لم يفهما المراد من الكلمة فى القرآن ، ولكنهما بلا شك كانا متأثرين بما عرفا عن الاستعمال العامى لهذه الكلمة ، وظنا — خطأ — أن هذا الاستعمال هو المراد فى القرآن ..

ولا شك أن هذا اللبس الذى وقع فيه الأخوان يقع فيه كثيرون غيرهما .. فقد حدثنى أحد المبعوثين الأزهريين لشرق افريقيا عن مشكلة كان سببها شبيها بما وقع فى مسجد « كارديف » ، اذن هناك فهم خاطىء لمعنى كلمة « عبد » يستولى على الكثيرين من اخواننا فى افريقيا ، ومن الضرورى أن يفرقوا بين استعمال الكلمة فى القرآن وفى اللغة العربية الفصحى ، وبين استعمالها العامى أحيانا البعيد عن الصواب .

ومن الضرورى كذلك على الذين ينطقون العربية أن يرتفعوا بذوقهم ، فلا يستعملوا هذه الكلمة فى أحاديثهم الا فى معناها العربى الأصيل الذى استعمله القرآن فيه وهو « الرقيق المملوك » سواء كان لونه أبيض أو أسود أو أصفر أو أحمر ..

ومع ذلك ظللت أفكر : من أين تسرب هذا المعنى الخطأ الى اللسان العامى أو الى الأفهام السطحية ؟ . ومرت بذهنى أشياء يمكن أن تكون أصل هذا الخطأ ولكنى مع ذلك لم أركن اليها تماما ..

ثم صادف فى اليوم نفسه أن امسكت بكتاب جديد جاءنى من مؤلفه « الأستاذ محمد صبيح » واغرانى عنوانه « المعتدون اليهود من أيام موسى الى أيام ديان » بالبدء فى قراءته على الفور .

ولم أمض فى قراءة الكتاب كثيرا ، حتى توقفت عند الصفحة العاشرة وهو يقدم لنا « أخلاق اليهود من توراتهم .. وقلت : وجدتها .. من هنا تسرب هذا الخطأ فى استعمال كلمة « عبد » على خلاف ما جاء به القرآن واللغة العربية .

واقرأ معى ما جاء تحت عنوان **« نوح واستعباد السود »** .

« نستطيع أن نمر سريعا بخلق البشرية فى سفر التكوين ، لكى نقف عند جزء من قصة نوح فى الأصحاح التاسع ، بعد الطوفان .. » قالت القصة :

« ابتدأ نوح يكون فلاحا ، وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر ، وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، واخبر أخويه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما الى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره ، علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لاخوته ، وقال مبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا لهم . لينفتح الله ليافث ، فيسكن فى مساكن سام . وليكن كنعان عبدا لهم » .

وحام هو أبو كنعان ..

وما نأخذه من هذه القصة ، أن هناك دعاء قديما قدم نوح عليه السلام بأن تكون سلالة حام مستعبدة مسترقة .. وعندما قسمت الأرض الى اجناس ، كان من نصيب السود أن يكون جدهم حام ، ليكون الساميون أى **اليهود غير** الملونين هم السادة يخدمهم الملونون غير البيض .

وهكذا نشأت فكرة الاسترقاق على أساس اللون ، من تلاوة **الصفحات الأولى للتوراة ..** ولا عبرة بأن يقول قائل ان الرق فى العصور الأولى ، كان فريضة مقررة على الضعفاء جميعا . فهذا شىء ، والرق الأبدى بسبب اللون : والاستبعاد المطلق من حق الانسانية فى المساواة والحرية ، انما هو الذى تعنيه لعنة نـــوح !!

ونوح — يعلم الله — برىء من هـــــذه التفرقة فانما هو واحد من أنبياء الله » ا هـ فاليهودية اذن بتوراتها الملفقة هى السبب فى اطلاق هذه الكلمة (عبد) على ذوى اللون الاسود أما القرآن الكريم فانه ينكر التفرقة على اساس اللون ويقول .. « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفتش عن اليهود كما قيل : فتش عن المراة ..

يا وزراء التربية .. هل يصح هذا ؟

نحن امة تستمد وجودها وكيانها من الاســلام ومن القرآن الكريم مهما يبدو فينا من تقصير . وما جاء به القرآن من اخبـــار يجب أن نتلقـــاه بالقبول والاذعان دون أن يبدو منا اى شك فيه ، والا كنا معرضين انفسنا لأن نكون فى موقف الذين كفروا أو يكفرون به ..

أظن أن هذا كلام مسلم به لا يمكن أن يكون مثار نقاش أو جدل ...

ومما يجب أن نسلم به كذلك انه لا يجوز لنا ان نعلم أولادنا فى المدارس شيئا يعارض نص القرآن الكريم ، ويؤدى الى تكذيبه ، لا يجوز أن نعرض خبرا من الأخبار التى جاء بها القرآن للشك فيه أمام أية نظرية علمية قائمـــة على الافتراضات ، فان خبر القرآن صـــادق يقينا . أما النظريـــة فهى محل بحث ومناقشة مثل كثير من النظريات .. التى تروج زمنا ثم يثبت بطلانها ..

اقول هذا بمناسبة ما قرأته فى كتاب يدرس لأبنائنا فى المدارس الثانوية فى . « علم الأحياء » ففى الكتاب فصــل بعنوان — « فصيلة الرئيســيات » « الحيوانات العليا » ..

وفى هذا الفصل تكلم المؤلفون عن التطور الذى حدث فى الحيوانات العليا حتى وصل للانسان حسب تصنيف الدكتور « سمبسون » !!

ثم قال تحت عنوان « الانسان » :

تبين لنا مما سبق أن الانسان قريب الشبه تركيبيا من القردة . **ولا بد أنه تطور من نفس الأصل الذى تطورت منه هذه القردة .. الخ .. » ا هـ**

هذه « اللابدية » التى تستعمل فى موضوع علمى كهذا تفيد عند العلمـــاء القطع بهذا التطور .. الذى مر فى أدوار حيوانية كثيرة جدا حتى وصـــل الى الانســان ..

وهذا الكلام أو هذه « اللابدية » « السمبسونية » تقف أمام حديث الله فى القرآن الكريم عن خلق آدم موقفا معارضا تماما .

حتى لا يبقى أمام القارىء أو التلميذ الا أن يؤمن أو يعتقد بصـــحة ما جاء فى هذه النظرية الفرضية أو بصحة ما جاء به القرآن .. اما هـــذا .. وأما ذاك ..

والكتاب يسوق هذه النظرية سوق الأشياء المسلم بها مما جعله يستعمل كلمة « لابد » فأين اذن خبر القرآن عن خلق الانســان الأول « آدم » ؟

أهمله الكتاب تماما أو بمعنى آخر كذبه ولم يعترف به !!

واذا كان من الضرورى أن ندرس لأولادنا النظريات العلمية التى تدرس فى أنحاء العالم حتى يكونوا على علم بهذه الدراسات وعلى اتصال بها . فانه

كان من الضرورى — ونحن نؤلف لطلاب مسلمين فى دول اسلامية تقدس القرآن — أن نعنى بعد سرد هذه النظرية بذكر ما جاء به القرآن عن خلق الانسان الأول .. « آدم » ولو من طريق عرض رأى آخر فى خلق الانسان . فما بالك اذا كان كلاما مقدسا ، وخبرا حقا من الله سبحانه وتعالى ، والايمان بصدقه هو الايمان ..

ماذا يقول هؤلاء فى قوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » سورة الحجر .

وفى آية البقرة يقول « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها .. » الى آخر القصة التى ذكرتها الآيات من أمر الملائكة بالسجود له وتمرد ابليس على هذا الأمر ..

ثم فى آيات أخرى تعرض ، وجود آدم وحواء فى الجنة ، ووسوسة الشيطان لهما ، وهبوط آدم وحواء الى الأرض . الخ هذه الآيات التى تصور لنا أصل خلق الانسان ، وكيف أن الله خلقه من تراب .. ثم سواه ونفخ فيه من روحه .. الخ ...

وهذا شىء وما تفيده نظريات التطور شىء آخر ..

فكيف نعنى بتلقين أولادنا هذه النظريات التى تعارض ما جاء فى القرآن ، دون أن نشير الى رأى القرآن فى هذا الموضوع ؟!

كأن النظريات أمر يقينى يجب أن يؤمن به الطلاب ، وينبذوا ما عداه مما جاء به القرآن !!

فهل يجوز هذا فى بلاد اسلامية تقدس كتاب الله وتؤمن به ؟

اننى أدعو وزراء التربية فى البلاد الاسلامية ، وكل المسئولين منهم الى أن يراجعوا مثل هذا ، ويتحاشوا أن يلقنوا طلابنا ما يتعارض مع كتاب الله . ويعرضه للتكذيب والاستنكار ..

فذلك أول الواجبات على مسئول اسلامى يرعى تربية الجيل الاسلامى الناشىء ..

ثم كنت أنتظر وينتظر الكثيرون مثلى من علمائنا المخلصين لدينهم ممن تخصصوا فى علوم الاحياء الا يعيشوا بأفكارهم أسرى نظرية فرضية وأسرى تقسيم « سمبسونى » بل كنت أود أن تظهر شخصيتهم وعقليتهم الاسلامية فى أمر كهذا .. فلا يندفعوا ويدفعوا كل الأجيال التى يعلمونها الى أحضان نظرية تقرر عكس ما يقرره القرآن . وينحازوا الى جانب النظرية مسلطين معاول الشك والانكار على كتاب الله .

كنت — ولا زلت — أنتظر رأيهم فى أمر كهذا ، باعتبارهم مسلمين يؤمنون بالقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

واننى أرحب بكل بحث يتقدم به عالم مؤمن مستنير فى هذا المجال ..

رجاء :

أرجو من اخوانى الكتاب الأفاضل أن يحرصوا على ذكر مراجعهم فى كل ما ينقلونه من آيات أو أحاديث أو غيرهما حتى يتسنى لنا وللقراء الرجوع اليها عند الحاجة .. كما أرجو أن يمنوا بوضوح خطهم وتصحيح ما يكتبونه على الآلة الكاتبة قبل ارساله الينا ..

صبغة الإسلام

للأستاذ: علي هاشم رشيد

يا صحابي متى يطل الصباح ... ومتى النفس بالمنى ترتاح
ومتى تملأ العروق دماء ... ومتى تحضن الشراع الرياح
ومتى يملأ القلوب يقين ... انما العزم للعلا مفتاح
ومتى نرفع الأذان بيانا ... واذا الفجر بالربى ينداح
عزمات وامنيات حسان ... في نفوس ما أوهنتها الجراح

***

يا صحابي على الرمال حديث ... سطرته حوادث سوداء
أيقول التاريخ ذلوا وهانوا ... واذا العيش والممات سواء ؟
أنقر الظلام والظلم فينا ... وبأرض الجدود حل البلاء ؟
ليس هذا ما ترتضيه المعالي ... شرعة الله عزمة وفداء

***

اخوتي الفرهل ترانا وعينا ... ما الذي حل بالبلاد وصارا
أترانا نرى الأمور بصدق ... فنرى العار في الحقيقة عارا ؟
أترانا نحس طعم هوان ... حل في ارضنا الحبيبة نارا ؟
ونرى الهون اذ بنونا جياع ... في ضياع بين الورى لا يجاري
أم ترانا عن كل ذاك عمينا ... واستكنا مذلة واصطبارا ؟

***

انه الخطب يا صحابي جسيم ... ليس تجدي في رده الأعذار
انه سبة الزمان وعيب ... ما روت مثل شؤمه الأخبار
حين نرضى الحياة والخصم باق ... في ربانا وتحتويه الديار
ويداس الأقصى فترتجف الجدران ... غضبى وترعد الأحجار
أين اين الاسلام ؟ بل اين قومي ... فلقد دنس الحمى الفجار

***

يا رجال الاسلام غابت صلاة ... عن ربى القدس ثم غاب الصيام
غاب عن مسجد الاله سجود ... وجفاه يا قوم ذاك القيام
فجهادا كما تشاء المعالي ... وانطلاقا يزول منه الظلام
نقتدي بالرسول فعلا وعزما ... ليس يجدي يا قوم ذا الكلام
هذه شرعة الاله جهاد ... يرتضيه لدى المعالي الكرام

مستشفياتنا

في عهودنا المضيئة وعهودهم المظلمة

للدكتور محمد أبو شوك
رئيس قسم الأمراض الباطنية
بالمستشفى الأميرى ــ الكويت

اذا استعرضنا تاريخ انشاء مستشفياتنا منذ العصور الاسلامية الاولى فاننا نجد أن هناك صفحات ناصعة تدل دلالة قاطعة على مدى ما احرزه المجتمع الاسلامى من تقدم فى كل مجالات الحياة .

ولعلنا فى هذا المجال نسترشد برسول الاسلام حينما امر بالتداوى كما نصح أصحابه به على أيدى اخوانهم حتى الذين لم يسلموا منهم بعد كالحارث ابن كلدة وغيره ممن كانوا يمارسون التطبيب فى تلك الأيام .

وليس عجبا أن نعلم أن رسول الله أمر بجعل خيمة خاصة لعلاج الجرحي وتضميدهم في الحرب فى جميع غزواته . وكانت تقوم بهذه المهمة الشاقة السيدة/نسيبة وغيرها من فضليات المسلمات .

وعلى هذا النهج القويم سارت الدولة الاسلامية تمد يد الرحمة الى المرضى فى كل زمان ومكان الى أن جاء عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فكان مستشفاه المسماه « البيمارستان » والذى أوقف له من ماله الخاص الشىء الكثير ، وسهر على مرضاه أمهر الأطباء فى ذلك العصر ، وخصصت جل أسرته للمرضى الذين يشكون ضعفا فى قواهم العقلية .

ونظرة فاحصة الى معاملة العرب لمرضى العقول فى تلك الآونة ، والى الغرب فى هذه الفترة من الزمان ، بل والى نهاية القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ترينا الفرق الشاسع البين بيننا وبينهم .

• (صورة مشرقة) ..

فلننظر معا الى كتاب أرسله مريض الى ابنه يصف له المستشفى الذى كان فيه ، وذلك قبل الف سنة أو يزيد ، لترى معى الى اى حد وصلت هذه المستشفيات التى انتشرت فى دمشق ، وبغداد ، وفى قرطبة (التى زاد عدد مستشفياتها عن الخمسين مستشفى) ثم فى القاهرة وغيرها من الامصار .
يقول الوالد :

« ابني الحبيب

تسالنى ان كنت بحاجة الى نقود ، فاخبرك بانه عندما اخرج من المستشفى ساحصل على لباس جديد وخمس قطع ذهبية ، حتى لا أضطر الى العمل حال خروجي مباشرة ، فلست بحاجة اذن الى أن تبيع بعض ماشيتك . انى الآن فى قسم العظام ، وعند وصولى الى المستشفى حملنى ممرض الى قسم الرجال ، واخذت حماما ساخنا ، والبسنى ثيابا نظيفة من المستشفى ، وحينما تصل ترى الي يسارك مكتبة ضخمة ، وقاعة كبيرة ، حيث يحاضر الرئيس فى الطلاب . واذا نظرت وراءك يقع نظرك على ممر يؤدى الى قسم النساء .

فاذا ما سمعت موسيقي او غناء ينبعثان من قاعة ما فادخلها ، وانظر بداخلها ، فلربما اكون هناك أشنف اذانى بسماع الموسيقى . وكل شيء هنا جميل للغاية ونظيف جدا ، الاسرة وثيرة واغطيتها من الدمقس الأبيض ، وفى كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جاريا ، وفى الليالى القارصة تدفأ الغرف ، وأما الطعام فحدث عنه ولا حرج ، فهناك الدجاج ، أو لحم الماشية ، يقدم يوميا لكل من بوسعه ان يهضمه » .

من هذا نرى الصورة المشرقة التى كانت عليها مستشفياتنا ، والتى توفرت فيها من أسباب الراحة والرفاهية ما لا تجد بعضه الآن . فى الوقت الذى كانت تفتح فيه أبوابها لكل ابناء الشعب دون تمييز .

ولم يكن اقامة المستشفيات وقفا على الخلفاء والسلاطين والأغنياء ، وانما ساهم فى ذلك الأطباء ، مثل سنان بن ثابت ، وثابت بن سنان ، وثابت بن قرة وحفيده ، كما انشئت المستوصفات المتنقلة بين القرى ، وفى عام ٩٢٣ م أيام الوزير ابن الفرات أسست فى بغداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة ، وخصصها للمواطنين العاملين تحت امرته ، وكانوا يعالجون فيها دون مقابل .

مستشفيات كبار ..

ولنأخذ قصة أكبر ثلاث مستشفيات عرفت وذاع صيتها ، لتقف معى على مدى اهتمام خلفاء المسلمين بالمرضى ، وبهذه المستشفيات فى ذلك العصر .

مستشفى عضد الدولة فى بغداد باقسامه الواسعة :

عندما عزم عضد الدولة على انشاء مستشفى اختار أشهر الأطباء قاطبة فى هذا العصر هو « الرازى » ووكل اليه اختيار المكان الملائم لاقامتها فهداه تفكيره الى تعليق قطع كبيرة من اللحم ، فى أنحاء متفرقة من بغداد ، وذلك لمدة ٢٤ ساعة ، وانتقى المكان الذى لم يتلف فيه اللحم الى درجة كبيرة . هذه القصة ان دلت على شيء فانها تدل على مدى اهتمام الخلفاء كما تدل على عناية الأطباء

باختيار المواقع الصالحة للمستشفيات . ثم ان عضد الدولة اختار لهذا المستشفى اكفأ الأطباء فى ذلك العصر أمثال الرازى وثابت بن سنان وغيرهما .

وثمة قصة اخرى فى رحاب هذا المستشفى نذكرها ، لنقف سويا على مدى الاهتمام البالغ بامر المستشفيات . فقد روى عن ثابت بن سنان رئيس الأطباء فى مستشفى عضد الدولة ، انه ارسل الى الوزير علي بن عيسي بتقرير يشرح فيه : ان دخل المستشفى من الأملاك التى أوقفت عليه قد قل كثيرا ، وأن المرضى يشكون شدة البرد ، وقلة الطعام ، وندرة الدواء . فماذا كان من امر الوزير على بن عيسى ؟

لقد كتب على ظهر رسالة ثابت بن سنان الى مدير الأملاك ابن صقر هذه العبارات :

((لك انت — رعاك الله — ان تقرا بنفسك ما جاء فى هذا الكتاب ، وهو امر ذو شان للغاية — فعليك ان تبعث للمستشفى بكامل نصيبه من الاملاك ، مهما تكن الظروف ، فالأمر جليل يتعلق ببيت المرضى ، حيث ينتظرون هناك العون والمساعدة . اخبرنى عن حقيقة هذا النقص فى اموال المستشفى ، وتخفيض التموينات خلال الشهر المنصرم ، خاصة فى فصل الشتاء هذا ، حيث البرد لا يزال قارسا قتالا . ابذل ما فى وسعك ، واسرع فى دفع حصة المستشفى من الاموال ، حتى يشعر المرضى بالدفء ، ويصلهم الغذاء الجيد ، ويكون لهم العناية الطبية السليمة . اخبرنى — كان الله فى عونك — بكل ما ستقوم به لتحقيق هذا الأمر)) .

فأى اهتمام بعد هذا الاهتمام ، وأية رعاية ، تلك التى كانت تحظى بها هذه المستشفيات من القادة المسلمين .

المستشفى النورى بدمشق :

ومستشفى آخر كان له مكانته ذلك هو المستشفى النورى بدمشق الذى قام على بنائه السلطان نور الدين زنكى ، وبذل له من المال الكثير ، وعين له أشهر الأطباء فى عصره ، واقام به مكتبة ضخمة جمعت كتبا ومخطوطات قيمة ، وفضلا عن أنه كان مستشفى كبير يؤمه مختلف المرضى ، كان فى الوقت نفسه بمثابة مدرسة للطب . فكانت الدراسات الواسعة على المرضى ، والنقاش فيما استعصى من حالات ، ولقد تخرج من هذه المدرسة على يد (ابن الداخوار) رئيس أطباء المستشفى النورى الكبير ، أطباء ذاع صيتهم مثل ابن أبى أصيبعه وابن النفيس .

ونظرة الى ما كتبه ابن أبى أصيبعه عن رئيس أطباء المستشفى النورى ترينا كيف كان المستشفى يسير على أكمل وجه :

((كان داب أبى الحكم رئيس اطباء مستشفى النوري فى دمشق القيام بزيارته للمرضي صباح كل يوم ، ليستخبر عن احوالهم ، ويستعلم عن رغباتهم ، وكان يصحبه فى تجواله هذا رهط كبير من مساعديه الأطباء والمرضين ، وكان كل ما يصفه للمرضى من أدوية أو حميات (بسكون الميم طعام خاص) يسجل بلا ابطاء ، ويعمل به بلا توان ، وبعد جولته هذه كان يذهب الى حى القصبة ، ليعاين النبلاء وموظفى الدولة ذوى الشأن ، ثم يعود الى المستشفى ، فيجلس فى القاعة الكبيرة بين كتبه وأوراقه ، ليحضر محاضراته التالية . وكان ياتى اليه

اطباء وطلاب كثيرون يجلسون بين يديه ، ويسمعون له ، ويحفظون عنـــده ، ويجـــادلونه في الامور المســـتعصية والحالات النادرة التى صـــادفتهم في مستشفياتهم » .

مستشفى المنصورى بالقاهرة ..

أســـه المنصور (قلاوون) واختار له احسن تصـــوره ، بما فيه من ثمين الأثاث ، فكان أعظم المســـتشفيات واغنـــاها على وجه الارض آنذاك ، وكان يستهلك سنويا ما قيمته مليون درهم . ولننظر مما كيف انشأ السلطان قلاوون مستشفاه .

فلقد مرض قلاوون ، وادخل المستشفى النورى بدمشق ، وبعد شـفائه طافت به امنية : انه اذا تربع على العرش فانه يبنى مســـتشفى يـكون اعظم مســـتشفى على وجه الارض ، فلما كان له ما اراد ، وتربع على عرش مصر ، بنى مستشفاه المنصورى ، وعندما انتهى من بنائه ذهب اليه ، وطلب قدحا من عصير الليمون من المستشفى وشربه ، وقال : « انى قد وهبت هذا المستشفى الى أندادى واتباعى ، وخصصته للحكام والخدم ، للجنود والامراء ، للـــكبار والصغار ، للأحرار والعبيد ، للرجال والنساء على السواء » . ولقد سهر على راحة المرضى فى هذا المستشفى الكبير العظيم مشـــاهير الأطباء أمثال : ابن النفيس وابن ابى أصيبعه وابن رضوان وغيرهم .

وفى كل هذه المستشفيات وغيرها التى انتشرت على أرض الامبراطورية الاسلامية من شرقها الى غربها وفى اندلسها ، والتى بلغ تعـــدادها فى مدينة قرطبة وحدها اكثر من خمسين مستشفى ــ اقول فى كل هذه المستشفيات كانت العنـــاية بالمرضى مضرب الأمثال فى العلاج والنظـــافة ، وفى الكشف على المرضى .

ونظرة واحدة الى ما كان يقوله ابن رضوان رئيس اطباء القيروان وهو ينصح الأطباء عند الكشف على المرضى ترينا المســـتوى الذى وصـــلت اليه مستشفياتها والعلاج فيها :

« افحص الجسم كله ، ولا تكتف بموضع الالم والشكوى ، اسأل مريضك عن عاداته وأمراضه التى اصيب بها ســـابقا ، ما هى آلامك ، وكيف تعيش يا هذا ؟ تامل مريضك وانظر الى وجهه ، ولون سحنته ، وشـــعره ، وعمق تنفسه ، وفى حالة المريض ان كان هادئا أو مضطربا ، بطيئا أو مندفعا ، ناحلا أو بدينا . لا تنس يا بنى أن تفحص حالة المريض النفســـية . اساله عن بعض الأمور ، وتيقن ان كان يجيب عن وعى أم لا ، مره بالقيـــام ببعض الأعمال ، لتمتحن طاقته الاجمالية وطاعته ، لتعرف ان كنت تستطيع الاعتماد على كلمته فى تناول الدواء بنظام ، وابحث عن ميوله كاشفا عن اسباب اثارته ومواضيع اذيته . حقق فى مدى قوة أذنيه ، بان تسر اليه ــ عن بعد ــ بعض كلمات ، وامتحن حالة عينيـــه بان تطلب من المريض أن ينظر الى بعـــد ، والى قرب ، واكشف عن اللسان ثم اختبر قوة المريض ذاتها ، بان تحمله اثقالا ينقلها وراقب حركاته فى مشيته جيئة وذهابا ، ودقق فى جس نبضه بعنـــاية فائقة ، ودع المريض يستلقى على ظهره لتتاكد من حالة عضـــلاته ومدى نموها ، ثم افحص الكبد والكلى ، بان تتلمس مواضعهما باصابعك وافحص ماءه وبرازه » .

وكان كل شيء يسجل في سجل المريض ، ويحفظ في ملف خاص ، وكان لدى المستشفيات ملفات عن الفحوصات بكاملها ، وعن الكشف بأجمعه ، وعن العقاقير التي استعملها المريض ، ومدى تأثيرها عليه ، والملاحظات التي شوهدت .

فنظرة واحدة الى ما كان يجري في هذه المستشفيات في القرون الوسطى — قرون الغرب المظلمة وقروننا المضيئة — ترى الى أي مدى وصل أطباؤنا ، والى أي مدى كانت عليه حالة مستشفياتنا — مما لا يختلف كثيرا عن مستشفياتنا في عصرنا الحديث .

اما في الغرب :

ثم تعال معي لنرى ماذا كان عليه الغرب في هذه الحقبة من الزمن اننا نرى العجب العجاب . وتكفيك هذه القصة الغربية التي لها مغزاها : « كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر ، فمرض ، واشرف على الموت ، فجئنا الى قس كبير من قساوستنا ، وقلنا : تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلانا ؟ قال نعم ومشي معنا ، ونحن نقول : انه اذا وضع يده عليه عوفي من مرضه . فلما رآه قال : أعطوني شمعا ، فأحضرنا له قليلاً من الشمع ، فلينه مثل عقد الأصبع ، وعمل كل واحدة في جانب أنفه ، فمات الفارس ، فقلنا له قد مات ، قال نعم كان يتعذب سددت أنفه حتى يموت ويستريح » !!

لقد كان الأطباء في هذه الحقبة في الغرب هم رجال الكنيسة ، وكانوا هم المسيطرين على الطب ، ومداواة المرضى ، ولقد اعتبر التداوى بعقاقير غير عقاقير الكنيسة وأدوية الروح أو ممارسة مهنة الطب ، واجراء العمليات الجراحية بآلات ، عملا اقل من مركز الكنيسة ، ودون جلال الروح وقدسيتها . واعتبر جس النبض امرا دنيئا مهينا . فهذا جريغوريوس الثورى يقول : « ماذا بوسع الأطباء ان يحققوا بآلاتهم . ان وظيفتهم تسبب الآلام أكثر من العمل على تخفيف وطأتها ، وانهم عندما يفتحون العين ، ويعملون فيها بمباضعهم الحادة تجريحا وتنظيفا ، يدفعون المريض في أهوال الموت قدما ، قبل أن يعينوا العين على الابصار ثانية » .

وقد أثر عن القديس بنلوس الروسانوى انه رفض وهو مريض أن يعالجه طبيب يهودى تلقى علومه الطبية عن العرب قائلا : « قال أحد أصحابك اليهود إنه لخير لى أن أعتمد على الله من أن أعتمد على البشر ، وأنا أيضا في غنى عن طبك عندما أعتمد على الله ، وأسلم أمرى له ولسيدنا يسوع المسيح » .

ثم لننظر معا ما قرره السندوس الكنسي في مدينة تانت سنة ٨٩٥ « كل كاهن ملزم أن يعود كل مريض من رعيته ، وأن يرشه بالماء المقدس ، ويشاركه الصلاة ، ثم ينبغى له أن يقبل منه اعترافه في غياب ذويه ، ويحثه على تصفية أموره الدينية والدنيوية معا على أكمل وجه ، وبناء على هذا فليس ثمة علاج بدون اعتراف » أى أنه لا يعالج المريض الا بعد اعترافه .

ولقد قيل ان أفضل المستشفيات التى أنشئت باديء ذي بدء في بلاد الغرب كانت مستشفيات أوتيل ديو (فندق الله) في باريس ، وهاك وصف المستشفى الكبير في باريس : **«كان ثمة قش كثير موضوع على الأرض يتزاحم عليه المرضى ، واقدام بعضهم الى جانب رؤوس الآخرين ، الأطفال قرب الشيوخ ، والرجال بجانب النساء ، بشكل يدعو الى العجب ، وكان ذوو الأمراض البسيطة بجانب**

ذوى الأمراض المعدية ، والتى تعانى من الم الحمل ، بجوار الطفل الذى يعالج سكرات الموت ، والمصاب بالتيفوس الذى يهذى من الحمى ، ومريض السل الرئوى الذى مزق صدره السعال ، والذى يبصق دما . الطعام شىء يقدم لهم فى قلة ، وفى أوقات متباعدة ، والكمية قليلة ، لا تزاد الا اذا أشفق على هؤلاء المرضى رجل وجيه من أعيان المدينة ، وأرسل لهم شيئا من الطعام . وكان المبنى الذى يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات . أضف الى ذلك فساد الهواء فى الداخل لدرجة لا تطاق ولا تحتمل ، وكان الداخلون الى القاعة يسدون أنوفهم باسفنجة مبللة خلا . وكانت جثث الموتى من المرضى تترك مدة أربع وعشرين ساعة ، قبل أن تنقل فيشاطر المرضى الجثث المكان فى هذا الوقت ، وتفوح الروائح النتنة فى الأجواء ، وينقض البعوض ويهجم ممعنا نهشا وأكلا من اللحم العفن » .

هذا ما قالته الدكتورة : ويفريد هونكه المستشرقة الالمانية فى كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » وفيها نرى الى أى مستوى وصلت المستشفيات الأوروبية فى العصور الوسطى . عصر الظلام عندهم وعصر النور عند العرب .

وبينما كنا نبنى المستشفيات لمرضى العقول . كان الغرب يعتقد ان هذا المرض ما هو الا لعنة من السماء ، حلت بصاحبها . عقابا له على اثم ارتكبه ، او أن شيطانا دخل لنفسه ، فكان هؤلاء يوضعون فى سجون مظلمة . وقد قيدت أيديهم وارجلهم ، او يعزلون عن العالم وعن اهلهم فى (المستشفى السجن) او (البيت العجيب) أو (برج المجانين) او (القفص العجيب) كما كانوا يسمونها ، ويسلم امرهم الى رجال أشداء لا يعرفون الى الرحمة سبيلا .

حتى فى القرن التاسع عشر كان هنالك عالم أوروبى يدعى (يوستينوس كارنير) Yustinus Kerner يحث أساتذة الطب فى جامعة « ميونخ » على أن يكتبوا عن مرض (تسلط الشيطان من اثم المرض ، وطرق الشفاء القاتلة بطرد الشيطان بالقوة بالصلاة والدعاء للقديسين » .

هذه صورة أضعها أمام ناظريك يا أخى المسلم لترى كيف كنا وكيف كانوا ، صورة مشرقة وضاءة لنا ، وصورة مظلمة جاهلة لهم فى عصر كان وضاء عندنا ، ومظلما قاتما عندهم ، ولست أبسطها للفخر فحسب ، ولكن لنشحذ الهمم ونرقى حتى نصل الى مستوانا اللائق بنا .

فان التأخر الذى أصابنا لا يرجع الا الى ضعف هممنا ، وبعدنا عن روح ديننا ، ذلك الدين القيم الذى فهمه الاوائل واستمدوا منه روح النهضة العظيمة التى وصلوا اليها ..

ان الاسلام هو دين العلم والبحث والتقدم فى كل مجال من مجالات الحياة .. ولو كنا حقا أبناء بررة لهذا الدين ما هبط مستوانا الى هذه الدرجة التى نشكو منها .. والتى شوهت جمال الاسلام فى نظر أولئك الذين لا يعرفونه ..

واذا كان الشعور بالنقص أول درجة من درجات السعى للكمال ، فاننا نستبشر خيرا فى مستقبلنا ، وفى الحركة العلمية التى تسود المجتمع الاسلامى . وفى الروح الدينية التى أخذت تسرى فى النفوس حنينا الى مجد يبنيه أبناء الاسلام بعقولهم وسواعدهم ، والله مع العاملين .

أعدها : أبو نزار

ان مشاعر التعصب لجنس من الأجناس ماتت في دمي لأني مسلم .

غير أن التحمس للعروبة وادبها غلبني في هذه الآونة !! اذ احسست كأن التضحية بالعرب ولفتهم بعض ما تكنه السياسة الدولية في ضميرها الملوث ، وبعض ما تسخر له اتباعها واذنابها في ربوع الشرق الأوسط .

محمد الغزالي

انس نفسك

قال ابليس : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .
وقال النمروذ : أنا أحيي وأميت .
وقال فرعون : أنا ربكم الأعلى .
وقال قارون : انما أوتيته على علم عندي .
وقال صاحب الجنتين : أنا اكثر منك مالا واعز نفرا .

والا

فاخرج منها فانك رجيم	عاقبة ابليس
فبهت الذي كفر	عاقبة النمروذ
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم	عاقبة فرعون
فخسفنا به وبداره الأرض	عاقبة قارون
فأصبح يقلب كفيه	عاقبة صاحب الجنة

الحاطوم = الهاضم

قال الحسن : ان قوما لبسوا هذه المطارف العتاق ، والعمائم الرقاق ، وأوسعوا دورهم ، وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم .. طعام أحدهم غصب وخادمه سخرة ، يتكىء على شماله ، ويأكل من غير ماله حتى اذا ادركته الكظة قال : يا جارية هاتي لي حاطوما !! ويلك وهل تحطم الا دينك ؟ اين مساكينك ؟ اين يتاماك ؟ أين ما أمرك الله به ؟ أين ؟ أين ؟

من أدب الزوج في الاسلام

دخلت امراة على عمر بن الخطاب ، ومعها زوجها اشعث اغبر قبيح المنظر ، فقالت : يا أمير المؤمنين . لا أنا ولا هذا . خلصني منه ، فنظر عمر الى الرجل ، فرآه رث الثياب غير محسن ولا مزين ، فعرف ما كرهت منه ، فأشار الى رجل ، فقال له : اذهب به فحممه ، وقلم أظفاره ، وخذ من شعره ، وائتني به ، فذهب ، ففعل ذلك ، ثم أتاه به ، فتبدل الزوج خلقا آخر ، واصبح وضيئا وسيما حسن المظهر تفوح منه رائحة الطيب ، فأومأ اليه عمر أن خذ بيد زوجك ،

فلما مد اليهـــا يده انكرته وظنت انه رجل اجنبى . فقالت له : يا عبد الله .. سبحان الله ! أبين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ فلما عرفته ذهبت معه . فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن ، فوالله انهن ليحببن أن تتزينوا لهن ، كمـا تحبون أن يتزين لكم .

هذا خلقنا

قال الشاعر العربى لزوجته :

اذا ما صـــنعت الزاد فالتمسى له ... أكيـلا فانى لست آكله وحـــدى
أخـــا طارقا أو جـــار بيت فاننى ... اخاف مذمات الاحاديث من بعـــدى

وهذا ليس خلقنا

تبيتون فى المشـــتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصـــا

....

وضيف عمرو ، وعمرو : ساهران معا ... فذاك من كظة . والضيف من جوع

المحافظة على كيان الأسرة

قال الأحنف بن قيس تعلمت الحلم من قيس بن عاصـم المنقرى : بينا هو قاعد بفنائه ، محتب بكسـائه ـ اتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف . فقيل له : هذا ابنك قتله ابن أخيك ! فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه . ثم التفت الى ابن له فى المجلس فقال : قم فأطلق عن ابن عمك ووار اخاك . واحمل الى امه مائة من الابل ، فانها غريبة .

ثم اقبل على القاتل . فقال له : قتلت قرابتك . وقطعت رحمك . واقللت عددك .

الهقعـــة

الهقعة ثلاثة كواكب صغار يقال انها رأس الجـــوزاء . قال ابن عباس لرجل طلق امرأته عدد نجوم السـمـاء : يكفيك منها هقعة الجوزاء ، وطلوعها لتسع خلون من حزيران . يقول ســـاجع العرب : اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ، ورجعوا الى النجعة .

ضعف الذاكرة

قال أحد الظرفاء : ان ضعف الذاكرة أصبح فى هذا العصر من اكبر نعم الله ، ولما سئل لماذا ؟ قال : انك تقرأ اليوم المقال ، أو تسمع الحديث الذى كنت قرأته أو سمعته منذ عام لنفس الكاتب أو المتحدث فتنسى انك قرأته أو سمعته من قبل .

لا

لا ظفـــــر مـــع بغى .. ... ولا شرف مع ســـــوء أدب
ولا صـــحة مع نهـــم .. ... ولا عـــذر مـــع اصرار
ولا ثنـــــاء مـــع كبر .. ... ولا راحـــة مع حســـد
ولا صـــداقة مـــع خب .. ... ولا ســؤدد مع انتقـــام

اعرف عدوك

كتب تخشاها إسرائيل

أمر عسكري إسرائيلي يحظر على العرب قراءتها

ع . ن

جاءنا بالبريد صورة نشرة أصدرها (جيش الدفاع الاسرائيلي) في (الضفة الغربية من الأردن) ليمنع العرب وقراء العربية من الاسرائيليين قراءة بعض الكتب العربية ، التي تفضح اسرائيل ، وتبرز جرائمها وخططها العدوانية ، وليس هناك من شك في ان الذي حمل الصهيونيين على اصدار هذا الحظر هو ما لمسوه من جدية هذه الكتب . وما حوت من حقائق تدينهم ، وتفضح مخططاتهم وجرائمهم .

والصهيونيون بهذا منطقيون مع مصالحهم واهدافهم . ويبقى علينا ان نكون منطقيين مع مصالحنا واهدافنا . ونعمل بكل ما نستطيعه وتستطيعه اجهزة الاعلام العربية كلها على نشر هذه الحقائق . التي تضمنتها هذه الكتب بصورة واسعة . لا بالكلمة المقروء فقط . ولكن بالكلمة المسموعة التي لا تقف أمامها الحدود ولا أوامر الحظر ...

ونحن نضع أمام القارىء صورة لأمر الحظر هذا . مع كشف واضح بالكتب التي وردت فيه ، كي يستطيع القارىء معرفتها . ويعنى بقراءتها .

ولعل من المناسب هنا أن ألفت النظر كذلك الى الكتب والنشرات التي يصدرها مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . باعتبارها كتبا ذات اهمية وحساسية خاصة بالنسبة لنا في هذه الظروف

צבא הגנה לישראל

תקנות ההגנה (שעת חירום) (1945)

צו מס' 1

צו בדבר פרסומים אסורים

[illegible]

جيش الدفاع الاسرائيلي

نظام الدفاع (الطوارئ) لسنة ١٩٤٥

امــر رقم ١

أمر بشأن نشرات محظــــــورة

نشرات محظورة: ١ـ عملا بالصلاحية المخولة لي بموجب المادة ٨٨ (١) من نظـــام الدفـــاع (الطوارئ) لسنة ١٩٤٥ والمادة ٨ من الامر بشأن حظــر اعمال دعائية معادية (منطقة الضفة الغربية) (رقـــم ١٠١) لسنة ٥٧٢٧ـ١٩٦٧ فاني احظــر بهذا استيراد وطبـــع ونشــر كـل نشرة من النشرات الواردة تفصيلــها في ذيل هذا الامر حيث ان استيراد وطبـــع ونشر النشرات المذكورة من شأنهـــا المساس بامن الجمهور والنظام العام في المنطقة ·

بدء سريان: ٢ـ يبدأ سريان هذا الامر اعتبارا من ٢٣ ايلول ٥٧٢٧ (٢٨ ايلول ١٩٦٧)·

الاسم: ٣ـ يطلق على هذا الامر اسم "أمر بشأن نشرات محظورة (رقم ١) (منطقة الضفة الغربية) لسنة ٥٧٢٧ـ١٩٦٧"·

נספח — ذيل

١ـ الخوري انطون يمين:
مؤامرة اليهود على الشعوب المقررات الصهيونية او ضابط الجلسات السرية لحكماء اسرائيل·

٢ـ مدوخ قبعل: طبع جمعية التمدن الاسلامي في دمشق:
اهداف الصهيونية

٣ـ خليفه التونسي:
الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون

٤ـ الكتب السياسية القاهرة:
بروتوكولات حكماء صهيون

٥ـ ناصر نسيم، المكتبة الدولية، دار المعارف في مصر:
الشيوعية والصهيونية

٦ـ انطون الخوري:
الصهيونية سافرة، ضربات اليهود

٧ـ عجاج نويهض:
بروتوكولات حكماء صهيون

٨ـ ابيل الخوري حرب ـ بيروت:
مؤامرة اليهود على المسيحية·

٩ـ عباس محمود العقاد:
الصهيونية العالمية

١٠ محمد على طه: الهلال ـ القاهرة
فلسطين والضمير الانساني

١١ عمر رشدي القاهرة:
الصهيونية وربيبتها اسرائيل

١٢ العميد محمد فايز القصري:
حرب فلسطين عام ١٩٤٨

١٣ عبد الرحمن وسامي صبحة:
الصهيونية والماسونية

١٤ كتب قومية:
الصهيونية الماسونية

١٥ عبد الله التل:
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ـ القاهرة·

١٦ احمد يوسف احمد:
الشعب الذليل اسرائيل ـ القاهرة

١٧ صبري ابو المجد:
نهاية اسرائيل ـ القاهرة

١٨ الدكتور بولص باروكي:
اليهودية العالمية ـ بيروت

١٩ محمد عطية راكد:
اسرائيل في الميزان

٢٠ محمد عطية راكد:
اسرائيل وكر الاستعمال

٢١ علي محمد علي وابراهيم المصاني:
اسرائيل قاعدة عدوانية·

٢٢ احمد عبد الكريم:
تحويل نهر الاردن ـ الجمهورية العربية المتحدة·

٢٣ محمد سعيد الفاتح:
الظاهر الماسوني صهيون اخطر تقريرات من الصهيونية العالمية

٢٤ الكتب السياسية:
شعب اسرائيل عندما يحكم

٢٥ الصهيونية في استبيانات ـ اليهودية العالمية والفاتيكان

٢٦ شاكر مصر:
العرب واسرائيل ـ بيروت

٢٧ جون جورج سكوت:
المنظومة السرية في بيرعاصة

٢٨ محمد عزت دروزه:
تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ـ مصر

٢٩ الدكتور داود سعد:
مشكلة الانتشار العرب

٣٠ م· كموري:
الصهيونية، نشأتها واثرها الاجتماعي ـ مصر

٣١ عبد الجبار الجبار:
فلسطين للعرب

٣٢ دوقان الهنداوي:
قضية فلسطين ـ المملكة الاردنية الهاشمية، وزارة التعليم والتربية ١٩٦٤

٣٣ س· صاجي:
المفسدون في الارض او جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، ١٩٦٥

٣٤ محمد على الزعبي:
اسرائيل بنت بريطانية البكر ـ بيروت

٣٥ عبد الفتاح طباره:
اليهود في القرآن ـ بيروت

٣٦ عبد المنعم سعيس:
اسرار الصهيونية

٣٧ عرفان حجازي:
الصهيونية

٣٨ عبد العزيز ازوبي:
محنة كارثة فلسطين العربية

٣٩ وزارة الثقافة والارشاد بغداد:
فلسطين والغزو الاستعماري الجديد

٤٠ احمد فراج طايع:
صفحات مطوية من فلسطين

٤١ شمس الرحمي:
الصهيونية اخر مراحل الاستعمار

٤٢ يوسف الحاج:
من سبيل الحق، هيكل سليمان او الوطن القومي لليهود ـ بيروت

٤٣ـ توجيه لبلقي:
نحن واسرائيل

٤٤ محمد على الزعبي:
الماسونية منشئة ملك اسرائيل

[illegible] בתשרי תשכ"ח ([illegible] באוקטובר 1967)

١ تشرين ٥٧٢٧ [illegible]

מאיר כהני — [illegible] كهاني

צבאי — اسرائيلي

.. فهى فى مجموعها تقدم للقارىء باللغة العربية وغيرها ، معلومات وافية ودقيقة ، عن كل ما يجب معرفته عن فلسطين ، وعن اسرائيل وما يجري فيها ، وهذه المعلومات كلها قائمة على دراسات علمية ، واحصائيات دقيقة .

ولقد مضى الوقت الذى كنا نقيم فيه الحواجز عمدا بيننا وبين معرفة عدونا ، وعرفنا مدى الخطأ الذى ارتكبناه فى حق أنفسنا . فعدوك لا بد أن تعرفه معرفة دقيقة حتى تستطيع أن تنازله ، وتضربه فى مقتله ..

ومن أجل هذا أضع أمام القارىء أيضا أسماء بعض الكتب والنشرات التى أصدرها مركز الأبحاث فى بيروت ، والتى هى أيضا من النوع الذى تخشاه اسرائيل ، مما يؤكد حاجتنا الى الكثير من مثل هذا المركز ليقدم لنا ما نحتاج الى معرفته من شئون عدونا . فان عدونا يملك الكثير من مراكز الأبحاث المتخصصة المزودة بكل الامكانيات ، وهى تمده وتمد بعض الدول الغربية كذلك بحاجتها من المعلومات المدروسة عن الشرق . فى الوقت الذى لا يوجد لدينا فيه الا مركز ابحاث واحد فى بيروت ، لما يستكمل عوامل القوة والنمو حتى الآن . وفى حاجة الى مؤازرة ، الى أن تقوم كل دولة من دولنا بمثل ما قامت به اسرائيل فى هذه الناحية ..

ومع أن العرب جميعا ليس لهم الا هذا المركز بامكانياته الضعيفة ، التى استطاع أن يصدر فى ظلها بعض الأبحاث والكتب ، التى ستعرف شيئا منها ، فاننى قرأت للدكتور صايغ مدير المركز حديثا فى مجلة (الحوادث) اللبنانية ، يفيض بالمرارة لعدم عناية القراء العرب ، بل ولعدم عناية الحكومات العربية بتشجيع هذه الأبحاث والكتب المتخصصة ، وعدم قيامها بشراء كميات منها توزعها على مدارسها وجامعاتها ومكتباتها واجهزة الاعلام فيها فتساعد المركز على مهمته من ناحية ، وتتيح للكثيرين معرفة عدوهم من ناحية أخرى ..

وان « الوعى الاسلامى » لتشد على يد القائمين بهذا المركز والعلماء المتعاونين معه ، وتسهم بأسلوبها فى خدمته وخدمة القراء العرب معا ؛ فتقدم اليهم أسماء بعض ما صدر عن المكتب من ابحاث وكتب ، واثقة أن الكثيرين سيجدون فى ذلك شيئا مما يأملون ويحبون ، ونرجو أن نوفق فى المستقبل الى تقديم تلخيص وعرض لهذه الكتب .

ونقدم للقارىء — اولا — الأمر العسكرى (الاسرائيلى) بحظر بعض الكتب :

وهذا هو ما جاء فى المنشور

جيش الدفاع الاسرائيلى

نظام الدفاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥

أمـــر رقـــم (١)

أمر بشان نشرات محظورة

نشرات محظورة : ١ ــ عملا بالصلاحية المخولة لى بموجب المادة ٨٨ (١) من نظام الدفـــاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥ والمادة ٨ من الامر بشان حظر أعمال ودعاية معادية (منطقة الضفــة الغربية) (رقم ١٠١) لسنة ٥٧٢٧ ــ ١٩٦٧ ، فانى احظر بهذا استيراد وطبع ونشر كل نشرة من النشرات الوارد تفصيلها فى ذيل هذا الامر ، حيث أن استيراد وطبع ونشر النشرات المذكورة من شانها المساس بأمن الجمهور وبالنظام العام فى المنطقة .

بدء سريان : ٢ ــ يبدأ سريان هذا الامر اعتبارا من ٢٣ ايلول ٥٧٢٧ (٢٨ أيلول ١٩٦٧) .

الاسم : ٣ ــ يطلق على هذا الامر اسم أمر بشان نشرات محظورة (رقم ١) (منطقة الضفة الغربية) لسنة ٥٧٢٧ ــ ١٩٦٧ .

ــ ذيــل ــ

١ ــ الخورى انطون يمين : مؤامرة اليهود على الشـــعوب ــ المقررات الصهيونيـــة أو مضابط الجلسات السرية لحكماء اسرائيل .

٢ ــ مردوخ زريق : طبع جمعية الهمدان الاسلامي في دمشق ــ اهداف الصهيونية .

٣ ــ خليفة التونسى : الخطر اليهـــودى بروتوكولات حكماء صهيون .

٤ ــ الكتب الســـياسية القـــاهرة : بروتوكولات حكماء صهيون .

٥ ــ ماهر نسيم ، المكتبة الدولية ــ دار المعارف فى مصر . الشيوعية والصهيونية .

٦ ــ انطون الخورى : الصهيونية سافرة ، مقررات اليهود .

٧ ــ عجاج نويهض : بروتوكولات حكمـــاء صهيون .

٨ ــ اميل الخورى حرب ــ بيروت : مؤامرة اليهود على المسيحية .

٩ ــ عباس محمود العقاد : الصهيونيـــة العالمية .

١٠ ــ محمد على علوبه : الهلال ــ القاهرة فلسطين والضمير الانسانى .

١١ ــ عمر رشدى ــ القاهرة : الصهيونية وربيبتها اسرائيل .

١٢ ــ العميد محمد فايز القصرى : حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

١٣ ــ عبد الرحمن وســـامى عصـــمت : الصهيونية والماسونية .

١٤ ــ كتب قومية : الصهيونى العالمى .

١٥ ــ عبد الله التل : خطـــر اليهوديـــة العالمية على الاسلام والمسيحية ــ القاهرة .

١٦ ــ أحمد يوسف أحمد : الشعب الذليل اسرائيل ــ القاهرة .

١٧ ــ صبرى أبو المجد : نهاية اسرائيل ــ القاهرة .

١٨ ــ الدكتور رياض بارودى : اليهوديـــة العالمية ــ بيروت .

١٩ ــ محمد عطية واكد : اسرائيـــل فى الميزان .

٢٠ ــ محمد عطية واكد : اسرائيل وكـــر الاستعمار .

٢١ ــ على محمد على وابراهيم العصانى : اسرائيل قاعدة عدوانية .

٢٢ ــ احمد عبد الكريم : تحويل نهر الاردن ــ الجمهورية العربية المتحدة .

٢٣ ــ محمد سعيد الفاتح : الطابـــور الخامس لصهيون اخطر تقريرات عن الصهيونية العالمية .

٢٤ ــ الكتب السياسية : شعب اسرائيل عندما يحكم .

٢٥ — الصهيونية في الستينيات — اليهودية العالمية والفاتيكان .

٢٦ — شاكر عمر : العرب واسرائيل — بيروت .

٢٧ — جون جورج سكوت : الحكومة السرية في بريطانية .

٢٨ — محمد عزة دروزه : تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم . مصر .

٢٩ — الدكتور ادورد سيدهم : مشكلة اللاجئين العرب .

٣٠ — م. كفورى : الصهيونية ، نشاتها واثرها الاجتماعي — مصر .

٣١ — عبد الغفار الجبار : فلسطين للعرب .

٣٢ — نوقان الهنداوى : قضية فلسطين — المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٤ .

٣٣ — س. مماجى : المفسدون في الارض او جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ ١٩٦٥ .

٣٤ — محمد على الزعبي : اسرائيل بنت بريطانية البكر — بيروت .

٣٥ — عبد الفتاح طباره : اليهود في القرآن — بيروت .

٣٦ — عبد المنعم شميس : اسرار الصهيونية .

٣٧ — عرفان حجازى : الصهيونية .

٣٨ — عبد العزيز ازولى : عظة كارثة فلسطين العربية .

٣٩ — وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد : فلسطين والغزو الططارى (بريد التتارى) الجديد .

٤٠ — أحمد فراج طايع : صفحات مطوية من فلسطين.

٤١ — فتحى الرملي : الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار .

٤٢ — يوسف الحاج : في سبيل الحق ، هيكل سليمان او الوطن القومي اليهودي — بيروت .

٤٣ — توفيق لطفي : نحن واسرائيل .

٤٤ — محمد على الزعبي : الماصونية (بريد الماسونية) منشئة ملك اسرائيل .

٤ تشرى ٢٤٢٧هـ (٨ تشرين الاول ١٩٦٢)

منير كهانى

المراقب

وهذه بعض منشورات مركز الأبحاث :

(١)

سلسلة « دراسات فلسطينية »

١ — « الاستعمار الصهيوني في فلسطين » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية والانجليزية والفرنسية) .

٢ — « الهدنة في القانون الدولي » ، للدكتور عابدين جبارة (بالانجليزية) .

٣ — « المطامع الصهيونية التوسعية » ، للأستاذ عبد الوهاب كيالي (بالعربية) .

٤ — « الكيبوتز : المزارع الجماعية في اسرائيل » ، للأستاذ عبد الوهاب كيالي (بالعربية) .

٥ — « الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي » ، للأستاذ بسام ابو غزالة (بالعربية) .

٦ — « المقاطعة العربية لاسرائيل » ، للأستاذ مروان اسكندر (بالانجليزية) .

٧ ـ « المابای : الحزب الحاكم فی اسرائيل » ، للأستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) .

٨ ـ « نظرة فی احزاب اسرائيل » ، للدكتور أسعد رزوق (بالعربية) .

٩ ـ « الهستدروت » ، للآنسة ليلى سليم القاضی (بالعربية) .

١٠ ـ « العنف والسلام » ، للأستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) .

١١ ـ « التسلل الاسرائيلی فی آسيه » ، للأستاذ أسعد عبد الرحمن

١٢ ـ « ميزان القوى العسكرية » ، للدكتور انيس صايغ (بالعربية) .

١٣ ـ « الدبلوماسية الصهيونية » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .

١٤ ـ « العرب فی اسرائيل ـ ج ١) ، للأستاذ صبری جريس

١٥ ـ « المنظمة الصهيونية العالمية » ، للأستاذ أسعد عبد الرحمن

١٦ ـ « عوامل تكوين اسرائيل » ، للآنسة انجليتا الحلو (بالعربية) .

١٧ ـ « اخطار التقدم العلمی فی اسرائيل » ، للأستاذ يوسف مروة

١٨ ـ « التخطيط فی اسرائيل » ، للأستاذ بسام ابو غزالة (بالعربية) .

١٩ ـ « اسرائيل قبيل العدوان » ، للأستاذ رفيق مطلق (بالعربية) .

٢٠ ـ « البترول العربی سلاح فی المعركة » ، للشيخ عبد الله الطريقی

٢١ ـ « العرب فی اسرائيل ـ ج ٢ » ، للأستاذ صبری جريس

٢٢ ـ « فی الأدب الصهيونی » ، للأستاذ غسان كنفانی (بالعربية) .

٢٣ ـ «اسرائيل فی أوروبه الغربية» للأستاذين عقيل هاشم وسعيد العظم

٢٤ ـ « المياه الاقليمية فی القانون الدولی » ، للأستاذ احمد الشقيری (بالانجليزية) .

٢٥ ـ « التصويت والقوى السياسية فی الجمعية العامة للأمم المتحدة » للأستاذ مصطفى عبد العزيز (بالعربية) .

٢٦ ـ « الموشاف : القرى التعاونية فی اسرائيل » ، للأستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) .

٢٧ ـ « سكان اسرائيل : تحليل وتنبؤات » ، للأستاذ أحمد حجاج (بالعربية) .

٢٨ ـ « المقاطعة العربية فی القانون الدولی » ، للأستاذ جوزيف مغيزل (بالعربية)

(٢)

سلسلة « كتب فلسطينية »

١ — « الاقتصاد الاسرائيلي » ، للدكتور يوسف صايغ (بالعربية) .

٢ — « نحن والفاتيكان واسرائيل » ، للأستاذ أنيس القاسم (بالعربية) .

٣ — « تحرير — لا مفاوضة » ، للأستاذ أحمد الشقيرى (بالانجليزية) .

٤ — « مؤتمرات القمة العربية وقضية فلسطين » : للآنسة ليلى سليم القاضى (بالانجليزية) .

٥ — « الاعداد الثورى لمعركة التحرير » ، للأستاذ أنيس القاسم (بالعربية) .

٦ — « المقاومة العربية فى فلسطين » ، للأستاذ ناجى علوش (بالعربية)

٧ — « الحرب الفدائية فى فلسطين » ، للمقدم محمد الشاعر (بالعربية)

٨ — « دراسات فلسطينية » ترجمة ١٣ دراسة وبحثا صدر معظمها عن المركز بالعربية أو الانجليزية ، (باللغة الألمانية) .

٩ — (بلدانية فلسطين المحتلة) ، للدكتور انيس صايغ (بالعربية) .

١٠ — « يوميات هرتزل » ، اعداد الدكتور انيس صايغ وترجمة السيدة هلدا شعبان صايغ (بالعربية) .

١١ — « من الفكر الصهيونى المعاصر » ترجمة ٢٢ مقالا صهيونيا عن العبرية والفرنسية ، (بالعربية) .

(٣)

سلسلة (ابحاث فلسطينية)

١ — (حفنة من ضباب) ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .

٢ — (الصهيونية والعنصرية) ، للدكتور حسن صعب (بالانجليزية) .

٣ — (فلسطين والقومية العربية) ، للدكتور أنيس صايغ (بالعربية) .

٤ — هل لليهود حق دينى بفلسطين ؟ » ، للدكتور فايز صايغ (بالانجليزية)

٥ — (مشروع الدولة العربية المتحدة) ، للأستاذ أحمد الشقيرى (بالعربية) .

٦ — « نزعات متأصلة فى الحركة الصهيونية » ، للدكتور منذر عنبتاوي (بالعربية) .

(٤)

سلسلة (حقائق وارقام)

١ — « هل تعلم ؟ عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية والروسية والاسبرانتو) .

٢ — « الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية من ١٩٤٧ حتى ١٩٦٥ » ، للدكتور فايز صايغ (بالانجليزية والفرنسية والاسبانية) .

٣ ـ « التمييز ضد العرب فى اسرائيل فى حقل التعليم » ، للدكتور فايز صايغ (بالانجليزية) .

٤ ـ (اسرائيل فى الميدان الدولى) ، للآنسة ليلى سليم القاضى (بالعربية) .

٥ ـ (القضية الفلسطينية فى ٣٣ مؤتمرا دوليا) ، للآنسة ليلى سليم القاضى (بالعربية) .

٦ ـ (المساعدات الاميركية والألمانية الغربية لاسرائيل) ، للأستاذ أسعد عبد الرحمن (بالعربية والانجليزية) .

٧ ـ (عرض موجز للقضية الفلسطينية) ، للأستاذ الحكم دروزة (بالعربية والانجليزية والفرنسية) .

٨ ـ (الصحف الاسرائيلية) ، للآنسة سلوى حبيبى (بالعربية) .

٩ ـ (الحياة السياسية فى اسرائيل) ، للأستاذ رفيق مطلق (بالعربية)

١٠ ـ (المعهد الافرو ـ آسيوى فى تل أبيب) ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية) .

١١ ـ (التمثيل الدبلوماسى العربى) ، للأستاذ هانى أحمد فارس (بالعربية) .

١٢ ـ (المؤسسات العلمية والثقافية والفنية فى اسرائيل) ، للأستاذ يوسف مروة والآنسة نورما دندن والدكتور م. ص. (بالعربية) .

١٣ ـ « علماء الطبيعة فى اسرائيل » ، للأستاذ يوسف مروة (بالعربية) .

وهناك أبحاث وأعمال أخرى لمركز الابحاث هذا ، لم يتسع المقام لذكرها هنا .. ونحن نرجو أن نكون بذلك قد أتحنا لمحبي الاطلاع والدراسة من الأفراد والهيآت فرصة لاشباع رغبتهم ، أو تحقيق مصلحة لأوطانهم .

ان من الضرورى أن تعرف كل شيء عن عدوك ، لتستطيع أن تضربه فى مقتله . وتستفيد بكل ما تعرفه عنه لمصلحتك .. والعدو نفسه يحرص على هذا الحرص كله ويجعله من ضروريات المعركة . وقد قرأت فى كتاب « المعتدون اليهود » للأستاذ صبيح هذه الأسطر .

« من الواجب الآن ان نشير الى أن كمية المعلومات المتاحة للعدو كثيرة جدا وأن من الاوراق التى وجدت مع البعض خرائط تفصيلية لمواقع آبار فى سيناء منها ما تعرفه مراجعنا الزراعية ومنها ما لا تعرفه ، وقد تكون آبارا مهجورة ، ولكنها صالحة للاستعمال بمعالجة يسيرة » !!

الى هذا الحد وصلت معلومات للعدو عنا .. واذا كانت معرفة الأمور الدقيقة متروك أمرها لجهات الاختصاص فان على كل قارىء عربى أن يعرف الكثير والكثير عن عدوه ، فانه اذا كانت الحكمة التى نعرفها « أعرف نفسك » ضرورية ، فمن الضرورى كذلك أن نرفع شعار « أعرف عدوك » ونجعله فى مقدمات الحكم البديهية الضرورية بالنسبة لنا .. والله يتولانا ..

(ع. ن)

نور الله

للدكتور: نجيب الكيلاني

شعر « الأسير الرومى » بما يشبه الاختناق . وضاقت الدنيا فى عينيه . وأخذت دقات قلبه تتزايد بصورة مزعجة ، انه الانتظار القاتل . والانتظار شىء مقيت رهيب ، لأنه يحمل فى طياته الغموض والقلق والرعب الذى لا نهاية له . . ان الأسير يتمنى فى هذه اللحظات أن ينقض عليه جندى مسلم بسيفه ، ليفصل رأسه عن جسده حتى يستريح ، ويترك الدنيا بما فيها من عناء وشقاء . . ولكن هيهات . انه الانتظار الكئيب الأسود . . شىء أفظع من الموت . . وتجمعت فى رأسه المتعب المكدود خليط من الذكريات . . انها حياته بحلوها ومرها ، بآمالها الباسمة ، وصورها البائسة الحزينة . . ومن خلال الخليط العجيب تبدو صورة « ماريانا » متألقة حية بكل بهائها وفتنتها الطاغية . وابتسامتها الوادعة الآسرة . وهذا الصوت يقول له :

— « أى ولدى العزيز . وتلميذى النجيب « هيدرا » سيكون لك المجد فى الأرض والسماء اذا نفذت ما آمرك به . أنت تجيد اللغة العربية ، وتحسن الطعان والنزال ، وتتمتع بذكاء نادر . . ولذا اخترناك لهذه المهمة العسرة . . ان تأتى لنا بمعلومات كافية عن جيش المسلمين الوافد من الجنوب » .

هذه الكلمات ما زالت منقوشة فى ذاكرة الأسير الرومى ، تلك الكلمات التى فاه بها « الراهب بطرس » أحد رجال الدين المشهورين فى الدولة الرومانية . وأخذ الأسير يستطرد فى تذكره للأحداث والكلمات الحاسمة التى قالها الراهب :

— « . . أى ولدى . . ان أبانا الذى فى السماوات قد شاءت ارادته أن تقوم عنا بهذه المهمة . . وقيامك بها يعنى أنك قدمت لوحيدتى الغالية « ماريانا » أعظم صداق وانك قد قدمت أروع تضحية لتفتح الطريق أمامك الى جنة الله » . .

وطأطأ الشاب رأسه فى حيرة ، وتمتم فى صوت خافت :

— « أبتاه . الطريق وعر شاق . . »

— « أعرف ذلك يا هيدرا . . »

— « وخير لى يا أبتاه أن أخوض المعركة الى جانب جنودنا »

— « لماذا ؟؟ »

ـــ « لم اخلق للعمل الذى تقترحه على ، كل انسان يعرف ما يجيد »
وارتسم الضيق على وجه الراهب ، وهتف :
ـــ « لقد وعدت القائد بذلك ، وقرارى لا رجعة فيه .. و .. »
والتفت الراهب خلفه ليجد وحيدته ماريانا قادمة ، ترفل فى اثوابها الحريرية الفاخرة ، والابتسامة الساحرة ترتسم على ثغرها الجميل ، وقالت مريانا :
ـــ « لسوف يذهب أبتى ، سترافقه عناية الله ، وتصاحبه بركاتك ، وتلاحقه دعواتى كلما أشرقت الشمس أو جن الليل .. وسينجو من هؤلاء الوحوش الكاسرة .. »
أفاق الأسير من ذكرياته وهواجسه ، على صوت احد الحراس يقول له :
ـــ « جئتك بالطعام والماء »
ـــ « حسبتكم ستتركوننى أموت جوعا .. »
قال الحارس فى دهشة :
ـــ « أيها الانسان .. ان نبينا قد أوصانا خيرا بالأسرى ، ونحن نمضى على الطريق الذى رسمه لنا ديننا .. وأنت صاحب قضية لم يبت فيها بعد ، الا يجوز أن تكون بريئا .. »
وهم الحارس أن يستطرد فى بيانه ، لكن أذان المؤذن لصلاة العصر تردد فى آفاق المعسكر الكبير . فتراجع الحارس فى أدب وهو يقول : (معذرة .. هذا وقت الصلاة ..) .
ومن خلال كوة صغيرة فى الخيمة التى يجلس فيها الأسير ، رآهم يتوافدون من كل مكان ، ويتراصون فى صفوف منظمة دونما جلبة أو فوضى ، ثم رآهم يركعون ويسجدون فى خشوع كبير ، يتشابهون فى أزيائهم البسيطة ، وتحركاتهم المتزنة الوئيدة ، ليس فيهم من يلبس طيلسانا فاخرا ، أو تاجا مرصعا ، لم يلفت نظره بريق اخاذ ، أو موكب فخم مزركش ، ولم يستطع أن يميز الأمير من الفقير ، ولا الجندى من القائد . ثم هرول الاسير صوب باب خيمته ، وقال لأحد الحراس :
ـــ « لم لا يصلى أميركم معهم ؟؟ »
ـــ « انه هناك .. الا تراه .. ذلك الذى يحرك السواك فى فمه » .
تطلع الأسير ، وهتف فى دهشة : (مستحيل) انه نحيف أسمر الجبهة .. ليس بالطويل ولا بالقصير ينتعل نعلا رخيصا ، ويلبس بردة تكاد تكون بالية .. »
قال الحارس باسما :
ـــ « نحن هنا نزن الرجال بميزان آخر » .
ـــ « كيف ؟؟ »
استعاذ الحارس من الشيطان الرجيم ، وبسمل ثم قال :
ـــ « ان أكرمكم عند الله أتقاكم .. »
ـــ « من قال هذا ؟ »
ـــ « الله .. ونحن نعرف قائدنا الهمام .. انه حجة فى ايمانه وصبره وتقواه وحسن بلائه .. ولهذا نسير خلفه حتى لو خاض بنا البحار ، أو صعد الجبال .. » .
واطرق الأسير ساهما يفكر ، ثم هتف سائلا :
ـــ « ما هى أعظم امنية فى حياتك ؟؟ »
ـــ « أن أموت شهيدا فى سبيل الله .. »
رفع الأسير رأسه فجأة ، وسدد نظرات ذاهلة الى الحارس العربى ذى

الكلمات البسيطة المعبرة ، وتذكر الأسير فاتنة قلبه (ماريانا) ، تلك التى كانت السبب الأول فى قبوله القيام بهذه المهمة العسرة ، ولم لا ؟! الم تكن ماريانا أعظم حقيقة ملأت قلبه وروحه ، وبعثت الحيوية الدافقة الحارة فى جسده وفؤاده ؟! لم يكن يكترث كثيرا لدعوات الراهب أو بركاته ، ولم يكن يفكر فى جنة أو نار ، كانت (ماريانا) هى الجائزة الكبرى التى يحلم بالحصول عليها . . وها هو ذا قد وقع أسيرا فى قبضة المسلمين ، بعد أن جاب القفار ، وجد فى السير بالليل والنهار ، وظل ممزقا بين الخوف والرجاء ، والقلق والتربص ، واخيرا وقع بين أيدى المسلمين فضاع كل شىء . . لن يعود الى ماريانا !! والجنة ؟! انه لم يفكر فيها منذ البداية ، وتلك هى الحقيقة المرة ، وهو لا يستطيع أن يخدع نفسه وان خدع العالم أجمع .

وافاق الأسير على صوت الحارس يقول :

ـ « رب اشعث أغبر ، لو اقسم على الله لأبره » هكذا يقول رسولنا الكريم . .

رفع الأسير عينين مبللتين بالدموع وقال :

ـ « حدثنى عن الله . . ماذا تعرف عنه ؟! لا شك أنك قرأت الكثير من الفلسفة . . »

قال الحارس فى هدوء وبساطة :

ـ « لقد عرفت الله من كتابه . . ارتاحت نفسى لكلماته . . وتشربها عقلى فى يسر غريب . . انه واحد أحد فرد صمد لا والد ولا ولد . . » .

قال الأسير : « يبدو انك من كبار رجال الدين ، انك تبسط القضايا بطريقة سهلة متعمقة » .

ـ « كلنا يعرف ذلك . . الصبية الصغار يعرفون ذلك . . »

وقطع عليهما الحديث وافد جديد ، وبعد أن اقرأهما السلام ، قال :

ـ « كيف حال الأسير ؟! »

ـ « انه بخير يا سيدى القائد . . »

وصرخ الأسير فى فزع : « القائد !! »

ـ « أجل . . انني هو » . .

لقد حانت ساعة المنية . . معذرة يا سيدى . . ان ما فعلته كان خطيئة كبرى . . لكن قلبك الكبير يتسع لحماقات مثلى . . لا شك . . لا شك فى ذلك . . »

وانفجر باكيا ثم ارتمى على قدمى (القائد) يبللهما بالدموع ، فتراجع القائد وهو يمتم (حاشا لله) ثم استطرد :

ـ « أتريد شيئا ؟! »

ـ « أعرف أن من حقكم ان تلهبوا ظهرى بالسياط ، وأن تمزقوا جسدى بسيوفكم ، أو تحرقوه بالنار . . ان التجسس عقوبته القتل . . » .

قال القائد فى هدوء :

« لا تفزع . . لا تفزع يا رجل . . لك حقوق الأسير كاملة ، ولن تنالك يد بأذى ، وليس عندنا سر نخاف من اذاعته ، وليست هذه أولى المعارك ، ولن تكون آخرها ، ان اردت أن تعرف عددنا أو عددنا ، فلن يضيرنا ذلك فى شىء . . الحرب ليست عددا وعتادا ، ولكنها قلوب مؤمنة بالحق والخير ، تتحرك بنور الله ، وهذه حقيقة لا نكتمها عن أحد . . » .

وصمت القائد برهة ، ثم عاد يقول :

ـ « ان قتلك لن يزيد المسلمين قوة ، أو يزيد الرومان ضعفا ، بل ان تركك حيا قد يزيل الغشاوة عن عينيك ، ويفتح قلبك لنور الله . . وهل دعوتنا

تريد شيئا سوى الخير والهداية لبنى البشر من كل جنس ولون ؟؟ حسن . . انك تعرف القراءة والكتابة . . فان أمكنك أن تعلم عشرة من الأميين فلسوف يطلق سراحك . . » .

انفرجت أسارير الأسير . وفاض وجهه بشرا . وبانت البهجة فى عينيه . على الرغم مما يبللهما من الدموع وانحنى قائلا : « اشكرك يا سيدى : اننى مدين لك بحياتى » .

لم ينم الأسير ليلته ، كان عقله نهبا لصراعات وأفكار وذكريات عديدة . وفى النهاية استقر رأيه على عمل حاسم . . أجل لن يتردد لحظة فى تنفيذ ما ارتآه . ليتهمه المسلمون بالخيانة وليرموه بالغدر . . لكنه لن يحجم . . وفى الليلة التالية ، كانت الظلمة دامسة ، وابتسامات النجوم قد اختنقت خلف ركام من السحب الكثيفة ، والريح تزار دون هوادة ، والبرد يكاد يجمد الأطراف ، وتمتم الأسير بينه وبين نفسه قائلا :

— « لسوف أهرب . . أجل . . وسأعود الى عاصمتى والى أستاذى الراهب . . واليك يا ماريانا . . من العار الا أؤدى مهمتى على الوجه الأكمل كما رأى الراهب ، وكما رأت حبيبة الفؤاد . . » .

القلب واجف مرتعش من هول الرعب ، والظلام يختزن أسرارا وعيونا وأشباحا لا حصر لها ، والطريق غامض مهول محفوف بالشوك والخطر والعذاب ، وطلائع المسلمين تجوب النواحى ، والموت يترصده من كل جانب . لكنه سيهرب لا بد من الهرب . . لا قيمة للموت . . سيحاول أن يقهر نوازع الخوف . . انه يشعر شعورا يشبه اليقين بأنه سينجو . . وتسلل عبر الظلام ، تاركا الخيمة الصغيرة ، والحارس القريب الذى وثق به بعد أن أخذ يعلمه القراءة . . ومضى الأسير الهارب فى الطريق الشاق الطويل حتى بلغ العاصمة . . هب الراهب من مقعده : « هل أتيت يا هيدرا ؟ » .

سدد هيدرا اليه نظرات عاتبة وقال :

— جرعة ماء . . ومقعدا . . »

— « استرح يا بنى . . لو علمنا بمقدمك سلفا لدقت لك الأجراس أيها الفارس الهمام . . تكلم . . ماذا وراءك من أنباء ؟؟ اننى لا أطيق صبرا . اننى انتظر اليوم الذى نسحق فيه أولئك الوحوش على أحر من الجمر . . » .

قال هيدرا فى هدوء :

— « جئتك بالخبر اليقين . . » .

— « مرحى . . مرحى . . تكلم . . » .

— « لتأت ماريانا أولا . . » .

صفق الراهب بيديه وهو يقول : « يا لغبائى . . كدت أنسى . . » ثم هتف بصوت عال :

— « ماريانا . . ماريانا . . لقد قدم هيدرا . . أسرعى لاستقباله . . »

ارتمت ماريانا على صدره ، فتلقاها بفتور ملحوظ ، عللته لأول وهلة بالتعب الذى عاناه ، والجهد الكبير الذى بذله ، ونظر هيدرا اليها . . ذلك الجمال الرائق ، وتلكما العينان الفاتنتان ، وذلك الفم المثير ، آه . . ماذا وراءه ؟؟ لا شىء غير الخواء . . والفراغ الروحى . . والآثام المختبئة . . وبدا وجهها كعملة ذهبية ذات بريق بارد وتمتم هيدرا قائلا : « يا ثمن النجاح فى الصفقة الآثمة . . » .

قال الراهب : « ماذا تقول ؟! يبدو أنك متعب . . » .

— «اننى منهوك الجسد ، لكن روحى فى القمة من الصفاء والانتعاش . .»

ـ « لم يخب ظنى فيك يا ولدى .. فما هى معلوماتك ؟؟ » .
تنهد هيدرا وقال :
ـ « عرفت السر الأكبر ، عرفت السلاح الخطير الذى ينتصرون به .. »
قالت ماريانا وأباها فى صوت واحد :
ـ « ما هو ؟ »
تمتم هيدرا فى ذهول :
« الحرب ليست عددا وعتادا ، ولكنها قلوب مؤمنة بالحق والخير ، تتحرك بنور الله .. »
وصمت لحظة ليتذكر كلام الحارس ، ثم قال :
ـ « ان اعظم امنية لديهم الموت شهداء فى سبيل الله .. »
صرخ الراهب فى صبر نافذ :
ـ « ان ما أريد معرفته هو : عدد الجنود ، المؤن التى يمتلكونها ، خططهم ، نقط الضعف فيهم ، موعد هجومهم المرتقب .. ذلك ما نريده يا هيدرا العزيز .. »
ومضى هيدرا فى حديثه قائلا :
ـ « وهم لا يقتلون الأسرى ولا يعذبونهم . بل ويطلقون سراح الأسير اذا علم عشرة من الأميين القراءة والكتابة .. انهم قوم يعرفون الله .. ويعرفون واجبهم المقدس .. يتحركون فى ثقة وصبر ويقين فريد .. انه شىء يراه الانسان فى كلامهم وسلوكهم وعبادتهم .. وبهذا ينتصرون .. » .
ضرب الراهب بقبضته المتشنجة على منضدة أمامه وقال :
ـ تكلم عن سلاحهم السرى الذى أخبرتنا عنه .. هل جئت تبشر بدين محمد او لتكشف عن سوآتهم ؟؟ »
قال هيدرا وقد تساقطت الدموع من عينيه :
ـ « يا أيها الانسان الجديد .. بشراك .. بشراك .. »
التفت الراهب الى فتاته وقال :
ـ « انه يهذى . ترى هل أصابه الخبال ؟ »
قدمت ماريانا نحوه ، وأخذت تربت على كتفه فى حنان بالغ وتقول :
ـ « ماذا جرى لك يا حبيبى ؟؟ هل تألمت كثيرا ؟؟ أتراك جائعا ؟ » فلم يعرها التفاتا . كانت يدها الحانية اللدنة تتحرك فوق جسده ، وكأنها يد من رخام . ونظراته الشاردة تجوب الغرفة الواسعة ذات البساط الأحمر الفاخر ، والقناديل الملونة الثمينة ، والستائر الحريرية ، والروائح الزكية ، وعاد يتمتم فى شرود :
ـ .. يا أيها الانسان الجديد .. بشراك بشراك .. « لقد عرفت الله .. » .
وقرر الراهب بعد نظراته الفاحصة أن هيدرا مريض ، وأنه يجب أن يستريح أولا ، حتى يجمع شتات نفسه ، وتهدأ أعصابه ، اذ لا شك أنه قد تعرض لانتقام شديد ، وعذاب فوق طاقة البشر ، مما اثر على قواه العقلية والنفسية .
وأخذوه الى حجرة النوم ..
وفى الصباح بحثوا عنه فلم يجدوه ..
وقرر جنود الحببة من الرومان أن هيدرا قد انطلق راكبا جواده نحو الجنوب .. الى الشام . الى المكان الذى يعسكر المسلمون فيه استعدادا للانقضاض على الرومان .. حيث يفتحون الطريق للانسان الى غد حر .. شريف ..

الفتاوى

هذا استفتاء موجه الأستاذ مصطفى الزرقا خبير الموسوعة بوزارة الأوقاف والجواب عنه رأينا أن ننشره هنا للتفاصيل المهمة التى جاءت فيه :

والسؤال :

تزوجت من فتاة مسلمة وبعد أسبوعين من زواجنا ذهبت الى بيت أبويها ومكثت فيه شهرا وكنا فى وئام تام خلال الأسبوعين الأولين لزواجنا ، ثم ذهبت لردها الى بيتى فرفض والدها رفضا باتا . فالتمست ذلك بوساطة الجماعة المسلمة هنا ، ولكن دون جدوى اذ أنكر أبوها أنه زوجتى البتة . وفى الاسبوع الفائت تزوجت زوجتى الشرعية شخصا آخر دون أن تطلق منى ، أو أن ترد لى ما أنفقته عليها .

فالمرجو الآن بيان حكم الشريعة الاسلامية فى الأمرين التاليين :

١ — هل تستطيع الزوجة فى الشريعة الاسلامية أن تطلق زوجها ؟ واذا كان كذلك فعلى أى أساس ؟

٢ — هل تستطيع المرأة المتزوجة أن تتزوج شخصا آخر دون أن تطلق من زوجها الأول ؟

(أيوب أحمد دادا)
(أوغنـدا)

الجواب :

ج١ : الطلاق فى شريعة الاسلام له طريقان : طريق اختيارى . وطريق قضائى اجبارى :

أ — فبالطريق الاختيارى جعلت الشريعة الطلاق بيد الرجل . فهو الذى يستطيع تطليق زوجته بمحض اختياره اذا لم تطلب له العشرة معها . وعندئذ عليه أن يؤدى اليها المتبقى من مهرها فى ذمته (المؤجل ان كان) . لكن ليس من المستحسن دينا ان يطلق الرجل زوجته دون سبب مبرر بل يكره ذلك شرعا . وان كان الطلاق يقع بارادة الزوج وتعبيره . لأنه ادرى بواقع حال زوجته . وأسرار حياتهما الزوجية ومدى راحته معها وملائمتها له عمليا ، وهو الذى سيكلفه التطليق مالا من مهر ونفقة عدة . ثم نفقة حضانة للأم عن الأولاد الصغار ان كانوا . ذلك لان المفروض غالبا أن الرجل يكون هو الأكثر ترويا وتعقلا فى ايقاع الطلاق . لهذا السبب . ولا سيما أن الرجل يستطيع فى نظام الاسلام تزوج امراة اخرى مع بقاء الأولى ان شاء . فطريق الزواج بالأخرى ان احب ذلك ليس مسدودا عليه ما دامت الأولى فى عصمته حتى تكون رغبته فى

الزواج بالأخرى دافعا الى تطليق الأولى كما فى النظم غير الاسلامية التى تمنع تعدد الزوجات . فلاعتبارات كثيرة (هذه بعضها) كان الطلاق الاختيارى فى شريعة الاسلام بيد الرجل لا المرأة

على انه يجوز أن يشترط فى عقد الزواج باتفاق الطرفين اعطاء الحق للمرأة بتطليق زوجها بمحض ارادتها متى شاءت ، كما يجوز بعد الزواج أن يفوض الزوج الى الزوجة تطليق نفسها ان شاءت . وحينئذ يصح منها ايقاع الطلاق . وهذا فى الحقيقة عائد الى ارادة الزوج نفسه .

ب ـ اما بالطريق القضائى فتستطيع المرأة إن تطلب الى القاضى تطليقها من زوجها فى حالات كثيرة منها ما اذا تركها دون نفقة ، أو غاب غيبة منقطعة ، أو ارتكب جريمة وحكم عليه بالسجن مدة طويلة ، او وجد فيه مرض يمنع المباشرة الزوجية أو اصيب بالجنون .. وكذلك اذا أساء معاملتها . وفى هذه الحالة الأخيرة اذا طلبت الزوجة من المحكمة تطليقها لهذا السبب يعين القاضى حكمين (من اهل الزوجين أن أمكن والا فمن غير الأهلين) ، ويعقدون مجالس عائلية مع الزوجين يحاولون فيها الاصلاح بينهما فان لم يمكن الاصلاح يقضى القاضى بالطلاق بينهما اذا تبين له أن الزوج هو المذنب ، وهذا حكم المذهب المالكى . على أن بعض القوانين الشرعية فى بعض البلاد الاسلامية والعربية (كما فى سورية) أوجبت على القاضى فى هذه الحالة (حالة عدم امكان الاصلاح والتوفيق) الاستجابة لطلب التطليق القضائى ولو كان الزوج غير مذنب ، نظرا الى المصلحة ، لأن الحياة الزوجية الصالحة أصبحت متعذرة لاستحكام التنافر . وعندئذ تكون الحقوق المالية فقط هى ذات التبعية للذنب ودرجة صلة كل من الزوجين به :

فالحقوق المالية الناشئة من الزواج والطلاق (المهر ، نفقة العدة) تقع كلها على عاتق الزوج اذا ثبت انه هو المسيء ، وفى حالة العكس تسقط حقوق المرأة . واذا كان الذنب مشتركا توزع الحقوق المالية بينهما بنسبة درجة ذنب كل منهما تجاه الآخر .

ج٢ : لا تستطيع المرأة المتزوجة فى شريعة الاسلام أن تتزوج ثانية الا من بعد وقوع الطلاق بينها وبين الزوج السابق بالتطليق الاختيارى أو القضائى (المبين آنفا) وانقضاء مدة العدة الواجبة على الزوجة وهى ثلاث دورات طمثية ان كانت ممن يأتيهن الطمث أو ثلاثة أشهر ، أو بعد ولادتها ان كانت حاملا وقت الطلاق ، لأن شريعة الاسلام اباحت تعدد الزوجات ، ولم تبح تعدد الأزواج بحال من الأحوال .

واذا تزوجت المتزوجة ثانية قبل طلاقها وانقضاء عدتها من الزوج الأول فالزواج الثانى باطل ، واذا أعقبته معاشرة زوجية كانت حراما اذا كان الزوج يعلم الحقيقة ويستحق بذلك الطرفان عقوبة شرعية .

أما فى القصة المسؤول عنها فاذا كانت الزوجة واهلها ينكرون أمام القضاء تزويجها منك سابقا فلا يحق للقاضى الحكم ببطلان الزواج الثانى ما لم تثبت أنت بالمثبتات المقبولة شرعا زواجكما بصورة صحيحة مقبولة .

بريد الوعي الإسلامي

حول قصة داود عليه السلام

كان يتحدث حول تفسير قوله تعالى : « ان هــذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه . وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

فقال ان التسع والتسعين نعجة المقصود بها المرأة ، ومعلوم أن هــذا القول من الاسرائيليات التي لا يعتد بها . قال ابن كثير في تفسيره : « ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم حديث » .

وقال أحد المفسرين : « ان الخصمين اللذين تسوروا المحراب هما ملكان جاءا ليمتحنا النبي داود الذي ولاه الله الملك ليقضي بين الناس بالحق والعدل وليتبين قبل اصدار الحكم ، وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية ، صورة مثيرة ولكن القاضي ينبغي عليه الا يتعجل .. وما ذكر من اسرائيليات فان طبيعة النبوة تتنزه عنه ولا يتفق مع قوله تعالى : « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وكنا نود من المتحدث الفاضل أن يفسر القرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال التابعين ، ويتجنب الأمور التي لم تصح ، فان المسلمين يرغبون في سماع ما يفيدهم ويزيدهم ايمانا واستمساكا بعقيدتهم .

(عبد الرزاق الصالح المطوع — الكويت)

لم ينج واحد من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام من كيد خصومه له في حياته . ولا من الدس والافتراء عليــه . بعد مماته . والذين تفننوا في هذا الدس وتولوا كبره هم من بني اسرائيــل أعداء الله وأعداء رسله وأعداء الحق في كل جيل وزمان وقد سجل عليهم الوحي الالهي هذه الخسة والدناءة ، فهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله من بعد ما سمعوه ، ويقتلون النبيين بغير الحق . وقد وقع في حبائلهم بعض المفسرين . فدونوا أكاذيبهــم ومفترياتهم في تفاسيرهم . كما حدث بعض القصاص والوعاظ ! اما عن غفلة واما لنقدهــا والرد عليها ، ورحم الله المحققين من علمائنا فقد تتبعوا هــذه المفتريات الاسرائيلية وأفردوها بمؤلفات تكشف عن زيفها وبهتانها .

والاسرائيليات التي وردت في تفسير هذه الآيات الكريمة واضحة الزيف والبطلان لأنها تتنافى مع مقام النبوة والرسالة وفي الآيات الكريمة نص الهي — كما ذكرت — يشهد بعلو مقــام سيدنا داود عليه الســلام وبراءته من كل ما نسب اليه « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وما نظن أن المتحدث ترك التعقيب على هذه المفتريات فهو من الأساتذة الكبار المشهود لهم بغزارة العلم وقوة الحجة .. وهذا لا يمنع أنا معك في الرأي الذي يقضي بوجوب أن نجنب السامعين ما يبلبل عقولهم ويجعلهم في حيرة من أمرهم لأنهم ليسوا في مستوى واحد من القدرة العقلية والثقافة الاسلامية . وأن نقتصر في التحدث اليهم على ما يفيدهم وتربو به عقيدتهم ويزداد ايمانهم

وانا نتطلع الى اليوم الذى يعكف فيه علماؤنا على تجريد كتب التفسير والوعظ من هذه المفتريات .
اليهم على ما يفيدهم وتربو به عقيدتهم ويزداد ايمانهم وانا نتطلع الى اليوم الذى يعكف فيه علماؤنا على تجريد كتب التفسير والوعظ من هذه المفتريات .
بقى بعد هذا أن نقرر اننا نميل الى ترجيح الراى الذى يرى أن القصة من اولها الى آخرها ، وبجميع تفصيلاتها قصة واقعية حقيقية على ظاهرها الذى تدل عليه الألفاظ بوضعها اللغوى فالخصمان رجلان من بنى آدم لا من الملائكة والنعجة هى انثى الضأن ، وان الرجلين جاءا الى داود فى اليوم الذى خصصه للعبادة وتسورا عليه المحراب واقتحما الحجرة ، وانهما ينويان اغتياله وهذا امر شائع فى بنى اسرائيل ، وقد قتلوا قبل ذلك اشعيا وزكريا ، والقرآن الكريم يسجل عليهم ذلك « ويقتلون النبيين بغير الحق » وانهما لما رايا يقظة الحراس افتعلا هذه القصة مبررا لاقتحام المحراب على داود ، وأن هذا الدافع دافع الاغتيال لم يغب عن ذهن داود عليه السلام ، فخطر له أن ينتقم منهما ولكنه رجع عن هذا الخاطر لأنه رأى أن مقام النبوة يقتضى الصفح والعفو فسايرهما فى قضيتهما وحكما بما رأى .. وهذا الخاطر الذى خطر لداود هو الذى يعبر عنه القرآن الكريم بقوله « وظن داود انما فتناه » اى وظن أن دخولهما عليه فى تلك الخلوة وعلى هذه الكيفية من تسور المحراب ابتلاء من الله تعالى لاغتياله ، ولما لم يقدما بتنفيذ ما عزما عليه ، ولم يقع ما كان قد ظنه استغفر ربه من هذا الظن وخر ساجدا لله رب العالمين .

رسالة من نيجيريا

وجاءتنا رسالة مطولة من السيد مصطفى السنوسى احد المشتغلين بتعليم اللغة العربية والاسلام قال فى آخرها : اننى تأكدت من خلال اطلاعاتى وتجاربى أن الرابطة الاسلامية هى خير الروابط .. الخ ..

من بين عشرات الرسائل التى وردت الى هذا الباب . اخترت هذه الرسالة ووجدت من نفسى رغبة ملحة فى نشرها ، ولعل السبب فى ذلك أنها تركز على الرابطة الدينية فى الوقت الذى أجمع فيه قادة العرب على أن التضامن الاسلامى بين جميع الدول الاسلامية ضرورة تحتمها التجربة المريرة التى مرت بنا مع الصهيونية الخبيثة .
والتضامن الاسلامى قائم شكلا لا موضوعا . صورة لا حقيقة . فهناك تمثيل دبلوماسى ومعاهدات ثقافية واقتصادية بين اكثر الدول الاسلامية ان لم يكن بينها جميعا . ولكن هذه الشكلية والصورة أفقدته قوته ، وسلبته مضاءه . والتضامن المطلوب هو القائم على العقيدة لا على مجرد المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة .. العقيدة التى تجعل المسلم أخا للمسلم والشعب المسلم أخا للشعب المسلم ، والشعوب الاسلامية كلها أمة واحدة لا ينال بعضها من بعض ولا يسلمه الى عدوه ، بل يعينه وينصره كما جاء فى الحديث الشريف المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه .. التضامن الذى يضع الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم حدوده وابعاده فى قوله : المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . ولو كان المسلمون يدا واحدة لما جرأت الصهيونية ولا من وراء الصهيونية على غزو المسلمين فى عقر دارهم واستلاب أوطانهم . التضامن الذى تذوب فيه الأطماع والاهواء ويتحول الى أخوة فى الله وفى دين الله . غايتها اعلاء حكمة الله وهدفها اعزاز الاسلام والمسلمين . وبعد فانا نحيى فى كاتب هذه الرسالة من وراء المسافات الشاسعة هذه الروح الايمانية وهذه الأخوة الاسلامية ، ونرجو أن يكون لهذه الرسالة اثرها الفعال فى نفوس القراء .

العالم الاسلامى ومستقبله

يتحدث الاستاذ أحمد عبد الرحيم أحمد عبد الرحمن فى هذا الموضــــوع فيقول :

ان العالم الاسلامى يتربع على كنوز ثمينة ، ويربض على ثروات معدنية هائلة ، ويملك من حقول البترول اجداها نفعا وأكثرها قوة وازدهارا ، ويتبوأ استراتيجية هامة ، ويشغل من خريطة الدنيا حيزا جغرافيا عظيما .

فالاطار الخارجى الأقصى للاسلام يصل شمالا حتى أعالى الفولجــا غير بعيد عن دائرة العرض ٦٠ شمالا ، ويترامى جنوبا حتى نهاية افريقيا عند الرأس على خط عرض ٣٥ جنوبا ، اما شرقا بغرب فنحن مع الاســلام من خط طول ١٢٠ شرقا حيث الفلبين الى حوالى ٢٠ غربا عنــد الرأس الأخضر فهذه شقة تبلغ ٩٥ درجة بالطول — ونحو ١٤٠ درجة بالعرض ، أى حوالى ربع وثلث محيط الأرض على الترتيب ، أو مايعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ، ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالى . وبهذا فان محيط الاســلام يتمدد اساسا بنصف الكرة الشمالى اولا . وبنصف الكرة القديم ثانيا .

فالاسلام جنوب خط الاستواء أطراف أو أصابع ثانوية ، وهو فى العالم الجديد شظايا سديمية متطــايرة ، وهذا — بالمنــاسبة — هو النمط الهيكلى العريض لتوزيع السكان العام على الكرة الأرضية ذلك الربع من الكرة الارضية هو اذن الربع الاسلامى .

ويمكننا أن نعبر عن هذا الامتداد النادر بأكثر من طريقة أخرى فنقول :

ان الاســلام يمتد فى قوس محــدد من بكين الى كازان الى بلغراد فى الشمال ، أو فى قاطع من فرغانة الى غانة كما كان يقول مؤرخو الاســلام ، او فى قاطع آخر من جبل طارق الأطلسى الى سنغافورة جبل طارق الهادى . او من مالاجا بالأندلس الى ملقا بالملايو الى قبائل المورو بالفلبين . كذلك يمكن ان تحدد قاعدة العالم الاسلامى فى الجنوب بمحور يمتد من قبائل السنغال حتى قبائل التاجال بالفلبين ، أو من غينيا الى غينيا الجديدة ، أما بالطول فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزى والليمبوبو وبعامة . فتلك أبعاد لا تقل بحال عن نصف مساحة العالم القديم .

والاسلام دين عالمى أو كوكبى بلا مراء رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جزئى أو اقليمى أحيانا . أو من أنه دين (أفريقاسى) أحيانا أخرى — اذ يوشك الا تكون هناك دولة فى عالم اليوم لا يتمثل الاسلام فيها ولو ببضعة عشرات من الألوف كما فى استراليا أو غرب اوربا مثلا .

وبالعــالم الاسلامى قابليــات بشرية فائقة ، والمسلمون يمثلون تقريبــا ١.٥ ٪ من مجموع سكان هذا الكوكب الذى يبلغ اليوم قرابة ٣٣٠٠ مليون نسمة وبعبارة أقرب نقول :

ان واحدا من كل ستة اشخاص فى العالم يدين بالاسلام .

ولقد أشار بعض الباحثين الى ان أغلب مناطق العالم الاسلامى يعد من اقاليم النمو السكانى السريع .

كل هذه الأمور تجعــل العالم الاسلامى فى وضــــع يسمح له ان ينمى

فلسفته الخاصة به المتميزة عما عداها التى تنبع من مبادىء الاسلام . وتستمد اصولها من كتاب الله وسنة رسوله . وذلك دون أن يتبع اى شكل من الاشكال الشيوعية او النظرية السياسية الغربية .

عودا .. الى الاسلام

وتلقينا من الأستاذ أحمد حسن القضاة برئاسة الأركان بالاردن كلمة بهذا العنوان جاء فيها :

من واجب المسلم — أى مسلم — فى كل زمان ومكان أن يدعو للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، سيما اذا استفحل الخطر بالمجتمع الاسلامى .

ويزداد الواجب اكثر فأكثر على اولئك (الدعاة) و (العلماء) الذين وهبهم الله تعالى شرف العلم والتبصر بآيات الله وسنة نبيه .

لقد حلت النكسة بأمتنا ، ومضى عليها سنة كاملة ونحن لم نغز عدونا كما غزانا مرارا ، بل ولم نأخذ اهبتنا الكاملة . واستعدادنا (الحقيقى) بالرجوع الى ديننا الذى ارتضاه الله تعالى لنا ، وتهذيب اخلاق مجتمعاتنا طيلة هذه السنة الماضية ، لكى نظهر لعدونا — على الأقل — اننا بدلنا نهجنا الذى كنا ننتهجه قبل النكسة ، وكان السبب المباشر لخذلاننا . فيخافنا هذا العدو . وينسحب من أراضينا ؟!

وهذه وسائل اعلامنا فى كل بلد عربى ، ممثلة فى الصحف والمجلات والاذاعات وغيرها لم تغير (أسلوبها) الأول ولا برامجها (القديمة) . فـ (الجعجعة) و (التهريج) و (التضخيم) و (الأغانى المجوجة الرخيصة) والبعد عن النقد (البناء) أو (الواقعية) .. لا تزال هذه الصفات كلها هى نهجها الذى تنتهجه ، وطريقها الذى تسلكه ...

. . . . .

كان الناس يقولون اثر النكسة مباشرة : ان العرب لن يعودوا سيرتهم الأولى التى كانت تسير عليها مجتمعاتهم قبل الخامس من حزيران . فلن يكون هناك انحلال فى المجتمع . ولا هزل فى الأمور الخاصة والعامة على السواء . ولا (خمارات) مفتوحة او (سينمات) أو اماكن للرقص واللهو والمجون . وسيهجرون عيش (الرفاهية) ويبتعدون عن كل ما من شأنه أن يؤدى الى حياة (الترف) ، حتى يحرزوا النصر على الأعداء ، ويحرروا أرضهم المغتصبة ومقدساتهم . وسيكون هناك استعداد عسكرى وروحى و (عود) الى الله بمعنى الكلمة ، وتمسك بأهداب الدين والفضيلة ، والميل الى حياة (الخشونة) ، ومحاسبة الأنفس على كل هفوة .

هكذا كان الناس يؤملون ويقولون . وهذا هو (الحل المنطقى والمعقول) لمثل هذه النكسة ولغيرها من النكسات .. ولكن !!

وقد يقف متسائل أو متفائل ليقول : ما بال هذا الرجل ؟! هل وصل به اليأس الى هذا المدى لكى يقول مثل هذا القول ؟؟ فأجيب اخى المتسائل المتفائل : ان هذا هو واقعنا الذى لا يستطيع مكابر فى هذه الأمة أن ينكره . وليست دهشتك يا صاحبى او تساؤلك هذا الا لأنك لم تألف مثل هذا القول (الصريح) (الواقعى) فى صحفنا ومجلاتنا ووسائل اعلامنا الا قليلا وبين الحين والآخر ...

أسس التضامن الاسلامي

من سلسلة مقالات تنشرها مجلة الايمـــان المغربية تحت عنوان (واقع العالم الاسلامي) ننقل هذه الفقرة :

اذا تأكد أن التضامن بين المسلمين حقيقة واقعية ملموسة يقربها الجميع وأن عناصر التضامن وعوامل التجمع بين الشعوب الاســـلامية متوفرة متعددة متينة سواء من الناحية الاقليمية الجغرافية أو من النواحي التاريخية والاقتصادية والسياسية ، فان هذا يوجب علينا الاقرار بأن التضامن بين المســلمين أسمى من أي رابطة سياسية وأقوى من أي تكتل سياسي .

غير ان معارضي حركة التجمع الاسلامي يستندون الى هذه الحقيقة للقول بأن لا ضرورة لهذه الدعوة ولا فائدة منها ، لأنها تحصيل حاصل ، ومصدر هذا الزعم هو سوء فهم مضمون الدعوة وأهدافها ، ان كثيرا ممن يعارضون دعوة التجمع الاسلامي بحسن نية يظنون أن الغرض منها ايجاد تكتل ســياسي جديد مماثل للتكتلات السياسية القائمة حاليا في آسيا وافريقيا ، والتي تشترك فيها الدول الاسلامية كل بحسب ظروفها واتجاهاتها ومصـــالحها ، ومعنى ذلك في نظرهم أن أقل ما يوصف به التكتل الجـديد انه مجرد تكرار للتكتلات الحالية لا يضيف شيئا لواقع العالم الآسيوي الافريقي سوى البلبلة والتعقيد والغموض .

ولكن هذا النظر الخاطىء يكفي لدحضه أن نوازن بين حقيقة التــكتلات القائمة حاليا ، وبين التجمع الاسلامي فان تلك التكتلات ســـياسية بحتة في طبيعتها وأسسـها وفي أهدافها ومضمونها أما التجمع الاســـلامي فهو يتجاوز الاطار السياسي في أهداف ومضـــمونه وأسسه وطبيعته وينقلنا الى مرحلة التجمع الانشائي والتعاون البناء في جميع مظاهر حضارتنا المشتركة ، حضارة الاسلام التي صهرت شــعوبنا وجمعت بينها قرونا طويلة فتركت فيها طابعها المشترك في نواحي الفكر والعقيدة والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وهو بذلك خطوة تقدمية في حركة الوحدة العالمية تهدف الى تعميق حركات التكتل وتقويتها وتدعيمها لتدفع الشعوب في طريق الاندماج .

ليست المسئولية على العرب وحدهم

نشرت مجلة (دعوة الحق) التي تصدر عن دار العلوم بديوبند مقالا لمدير الجامعة تحت هذا العنوان جاء فيه :

اننا اذا استعرضنا موقف العرب وما أسفرت عنه الحرب الماضـــية من النتائج المؤلمة من الناحية الدينية نتأكد من صحة قولنا : ان القاء المسئولية عن هــذه النكسة والهزيمة المفجعة على العرب وحدهم ليس مما مصـــدره عدل وانصاف ، وليس من الجائز المعقول أن نقول : انها نتيجة لمجرد سوء أعمالهم وقصر نظرهم في عواقب الأمور ، بل ان وحدة كلمة الاسلام ورابطة المسلمين الدينية يحتم كل منهما على كل مسلم الاعتراف بالمسئولية عن هذه المأســـاة الأليمة ، فان الوحدة التي ندعيها والتي خلقتها وحدة كلمتنا وعقيدتنا والترابط الذي أحدثه ديننا يوجب علينا كحلقات متواصلة من سلسلة الاسلام طبعا وعقلا وشرعا أن نعد أنفسنا على الســواء من جملة من ســـببت أعمالهم القبيحة

واخطاؤهم النظرية والفكرية هذه النكسة والهزيمة والهوان . ويجب أن نجاهر بذلك كما نبرز اجتراءنا على جعل العرب وحدهم مسئولين عن هذه النكسة مع هتافنا بالوحدة الاسلامية .

وبعبارة أخرى نقول : ان طرح تبعات الهزيمة على العرب وحدهم لا يمكن الا بعد الاقرار بالانعزال الذى لا يلائم وحدتنا الملية وائتلافنا الدينى ، ومن الظاهر أن الاستسلام لمثل هذا الانعزال والانفراد والاذعان للتفرقة الاقليمية والتقسيمات الجغرافية لا يبقى معه أى معنى لوحدة الكلمة التى نقوم بالدعوة اليها .

والى جانب ذلك لا يجوز فى نظرنا تبرئة العرب من الأخطاء الفكرية والسلوكية كليا ، فان معنى ذلك أن ليس فى هذه الأمة فرد أو جماعة ترتكب الأخطاء أو المنكرات . والحال أن الأمة المسلمة قد حاد معظمها عن مقوماتها الدينية وشعائرها وخصائصها الاسلامية . فمن الواجب أن نتمسك بالاعتدال بين الاتجاهين ، فنشاطر اخواننا العرب ما اصابهم من آلام النكسة والخسائر الفادحة ، ونشعر بمسئوليتنا عن القيام بواجبنا نحو الكفاح والنضال فى قضية البلاد العربية ، كما يلزم أن نلفت انظارهم الى مواضع أخطائهم ومواطن ضعفهم مخلصين فى ذلك بعيدين عن التكتلات السياسية على حسب ما يتطلبه ديننا الحنيف وواجبنا الأخوى والاسلامى .

صحوة

وطالعتنا أخبار العالم الاسلامى التى تصدر بمكة المكرمة فى افتتاحيتها بالكلمة التالية :

مناسبات قليلة ، تلك التى يصحو فيها الضمير العالمى ، ويثوب الى رشده ، أو يثوب اليه رشده ، فيرفع عقيرته بكلمة حق ، أو يجلجل صوته باستنكار كلمة باطل . ومن تلك المناسبات القليلة ، ما حدث فى الأسابيع الاخيرة ، سواء فى الأمم المتحدة او فى غيرها من المجالات الدولية العالمية من اجماع عالمى على استنكار تصرفات الصهيونية المعتدية الباغية ، فى عدوانها على الأردن الشقيق ، وفى مواصلة تحدياتها لقرارات الأمم المتحدة ، وغيرها من الهيئات العالمية المحترمة ، التى رات فى تصرفات اسرائيل ظاهرا لئيما ، لم تراع معه اى حق ، او واجب . او تجاوب مع من رفع عقيرته مهيبا بها أن تنصاع الى دعوة هى من مظاهر السلام او الرغبة فيه ، او تلبية الى نداء يدعو اليه .

لقد فعلت اسرائيل فعلتها ، فى الاصرار والتحدى . فهل تحسب أن لهذا العمل الفاضح ، اى ثمرة تكسبها شيئا من الهيبة المزعومة ، أو الوقار الموهوم ، فما كان لذلك الاستعراض من نتيجة سوى الخيبة والاستهزاء والازدراء ، حيث عم جميع العرب السكان الى التزام منازلهم وأضربوا عن الخروج من بيوتهم ، وفوتوا على الصهيونية ذلك الغرض الذى قصدوا اليه ان كانوا يزعمون أنهم يخيفون العرب بمظاهر خلابة خادعة . لقد خاب فألهم فى ذلك المظهر الذى فرضوه فى الشوارع والطرقات ، وهم يسيرون منتفخو الأوداج ، والخوف من العرب والفدائيين يقطع نياط قلوبهم ، ويفتت أكبادهم ، حتى كانوا من الخوف فى حذر ، وأى حذر ، لا يقر لها قرار حتى انتهت سويعات العرض وعادوا الى جحورهم لائذين مرددين قول القائل :

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الحرب وحده ، والنزالا

والموعد معهم ليس ببعيد ان شاء الله ، حتى يطهر الله الأرض المقدسة السليبة من رجسهم وجورهم .

مكتبة المجلة

أعدها: عبد الستار فيض

الاسلام فى وجه الزحف الاحمر

آخر كتاب من تاليف فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الغزالى ، يوضح فيه بالحقائق العلمية والتاريخية ما يعانيه العالم العربى والاسلامى من ذبذبة وحيرة ومن فراغ دينى رهيب جعله فريسة للاستعمار الثقافى بعد الاستعمار العسكرى .

وفيه دعوة الى الامة الاسلامية أن تلم شعثها ، وتصلح شأنها ، وتنقى منابع ثقافتها ، وتفقه الطور الانسانى الذى تجتازه ويجتازه معها الآخرون .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ، والناشر مكتبة الأمل — السالمية — الكويت .

القومية والغزو الفكرى — أخطر من النكسة

كلاهما من تاليف الكاتب المعروف الأستاذ محمد جلال كشك ، تناول فى الاول نشوء الدولة العثمانية ثم سقوطها لتحديد العلاقة السليمة بين العروبة والاسلام .

وهذا البحث ينظر الى القومية كعلاقة نضالية ضد الاستعمار الغربى الذى يعتبر العدو الأول للعرب والمسلمين . وقد ركز المؤلف فى هذه الدراسة على الحركات القومية فى آسيا العربية وأكد الترابط القوى بين العروبة والاسلام .

والكتاب يحتوى على ٢٧٦ صفحة ، وقامت بنشره مكتبة الأمل — الكويت .

أما الكتاب الثانى — أخطر من النكسة — فهو آخر ما أخرجته مكتبة الأمل وهو كتاب صغير لكنه « كالرادار » يكشف كثيرا من الكتاب والموجهين العرب ويبين كيف يتجهون بأخلاقهم ومخططاتهم بعيدا عن خدمة أهداف الأمة العربية ، من الضرورى أن يطلع عليه كل قارىء مهتم بشئون أمته .

الظاهرة القرآنية

الطبعة الثالثة لهذا الكتاب القيم الذى ألفه الأستاذ مالك بن نبى وترجمه الاستاذ عبد الصبور شاهين ، يبحث فى الظواهر الدينية والخصائص الظاهرية للوحى ويتعرض لموضوعات ومواقف قرآنية ، ويبين القيمة الاجتماعية لأفكار القرآن والكتاب من ٣٦٤ صفحة ومن طبع دار الفكر ببيروت

الفكر الاسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية

من تاليف الأستاذ محمد المبارك ، والكتاب ليس كتابا تقليديا ينقسم الى فصول وأبواب وانما عرض من غير ترتيب مصنوع لعدة موضوعات تتصل بالاسلام والمجتمع الاسلامى والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ، ومن صنع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع فى بيروت .

الدين والحياة

من تاليف العالم الأزهرى الشيخ محمود البرشومى الواعظ العام فى العراق وقد أصدرته وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العراقية — والكتاب يحتوى على مجموعة كبيرة من الموضوعات التى تتعلق بالمجتمع والحياة والاصلاح ، يقع فى ٢٩٦ صفحة ، ومن طبع دار الجمهورية ببغداد .

القرآن والعلم

كتاب من تاليف الدكتور جمال الدين الفندى رئيس قسم الفلك واستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة ، وهو تفسير لآيات القرآن الكريم التى تدخل تحت نطاق العلوم متبعا الأسلوب السهل ، مبينا الحقائق العلمية الثابتة التى وردت فى القرآن الكريم ، كما عرفه القراء فى مقالاته ، والكتاب يضم ٢٧٦ صفحة ، وقامت بطبعه دار المعرفة بالقاهرة .

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت :

● قام سمو امير البلاد المعظم بزيارة للعراق تلبية لدعوة من اخيه الرئيس عارف للتباحث فى الوضع الراهن ..

● اعلنت وزارة الخارجية عن تمسك الكويت بقرارات مؤتمر الخرطوم ومواصلتها دعم الموقف العربى بكل ما تستطيع .

● تلقت الجهات المختصة من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ميثاق المعلم العربى الذى يبين ان الوطن العربى مهد الحضارات والاديان التى اسهمت فى التقدم الانسانى كما يوضح ان هدف التربية خلق جيل مؤمن بالله .

● زار الكويت وفد اسلامى من جنوب كاليفورنيا ضمن جولة يقوم بها فى الدول العربية لجمع التبرعات لانشاء مركز اسلامى هناك .

● احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تحدث فى بدء الاحتفال معالى الوزير ثم اعقبه فريق من العلماء وقد عطلت المصالح الحكومية والمؤسسات بهذه المناسبة .

● تولت وزارة الشئون الاجتماعية الاشراف على كل عمليات جمع التبرعات للمنظمات الفدائية الفلسطينية .

القاهرة :

● اتخذت وزارة التربية والتعليم عدة خطوات هامة لتدعيم التعليم الدينى .

● أهدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية ضخمة للدول الاسلامية فى أفريقيا وشمال اسيا .

● يواصل مجلس اتحاد المعلمين العرب اجتماعاته للاعداد لمؤتمر المعلمين العرب الخامس الذى سيعقد فى تونس خلال الفترة ٢٤ ــ ٢٩ أغسطس القادم .

● وجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا الى العالم العربى والاسلامى بمناسبة ذكرى مولد الرسول أشار فيه الى عظمة المبادىء النبوية فى تحرير الانسان وتحويل العالم من الشر الى الخير وذكر المسلمين جميعا بموقف اليهود العدائى من رسولنا الكريم .

السعودية :

● رصد جلالة الملك فيصل مبلغ (١٥) مليون جنيه لصالح الجيش الأردنى ..

● تلاقى جلالة الملك فيصل فى مطار جدة بجلالة شاه ايران وهو فى طريقه لزيارة الحبشة وأمريكا.

● قام مكتب البعثة التعليمية السعودية بالجزائر بانشاء مكتبة ضخمة تكون مرجعا لطلاب العلم .

● انشأت وزارة المعارف قسما للدراسات العليا فى كلية الشريعة بمكة المكرمة وسيفتح من العام القادم .

العراق :

- أرسى الرئيس عارف الحجر الاساسى لجامعة الموصل .
- سيقوم وفد من علماء الاسلام بالعراق للاتصال بكبار علماء المسلمين فى العالم للاشتراك فى الدورة الجديدة للمؤتمر الاسلامى العراقى الذى سيعالج دعم الوحدة الاسلامية كما يبحث موضوع انتهاك مقدسات الاسلام .

الأردن :

- اشتدت هجمات الفدائيين العرب على معسكرات العدو الاسرائيلى ومنشآته .
- أعلن السيد روحى الخطيب رئيس بلدية القدس العربية أن اسرائيل صادرت مساحات كبيرة من الاراضى والعقارات العربية فى القدس مما سيؤدي الى اجلاء أكثر من ستة آلاف عربى عن المدينة وان اسرائيل تنفذ خطة غادرة لتهويد القدس .
- تسلمت الحكومة الأردنية من حكومة قطر نصف مليون جنيه استرلينى لصالح المجهود العربى.
- حطم العرب فى مدينة القدس لافتات أسماء الشوارع العبرية وقد انطلقت المظاهرات من المسجد الأقصى فى ذكرى المولد النبوى وقد أصيب (١٥) عربيا بنيران الاحتلال الصهيونى .
- قتل العدو بنيرانه بعض الفتيات المتظاهرات فى غزة ضد الاحتلال الغادر .

لبنان :

- قام وفد اسلامى لبنانى برآسه فضيلة الشيخ حسن خالد بزيارة الى العراق .
- استنكرت كل الهيآت فى لبنان محاولة اغتيال السيد كميل شمعون .

السودان :

- اجتمعت الجمعية التأسيسية الجديدة وجددت اختيار السيد الأزهرى رئيسا لمجلس السيادة كما اختارت السيد محجوب ليستمر رئيسا للوزارة الجديدة .

ليبيا :

- استقبلت ليبيا الوفد الاسلامى القادم من جنوب كليفورنيا لجمع تبرعات لانشاء مركز اسلامى هناك . وقد اهتم المسئولون والشعب بهذا الموضوع وبدأوا جمع تبرعات سخية له ..

تونس :

- أقيم فى تونس أسبوع ثقافى مغربى شارك فى افتتاحه وزير الثقافة المغربى وقد عرضت فيه نوادر المخطوطات من التراث العربى الاسلامى كما عرضت فيه الطوابع البريدية .

الجزائر :

- صرح الوفد الصحفى الجزائرى فى حفل استقبال أقامه معهد البحوث الاسلامية فى دلهى الجديدة أن ثورة الجزائر كانت مستمدة من تعاليم الاسلام .

باكستان :

- صرح الشيخ عبد الله رئيس وزراء كشمير الأسبق بأن مشكلة كشمير هى كالسرطان الذى ينهش فى جسم الهند ، وأعلن أن استقلال كشمير هو أفضل حل للمشكلة .
- ستقوم لجنة كراتشى فى المجلس الباكستانى لتعليم القرآن بدراسة اقتراح اصدار كتب ومطبوعات دينية تساعد الأمهات على تقوية الروح الاسلامية فى نفوس النشء .

ايران :

- قام جلالة شاه ايران بزيارة لاثيوبيا ثم الولايات المتحدة ..

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبي : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صورة الامام القرافى كما تخيلهـا الأستاذ عبد المجيد وافى .

انظر مقاله عن الامام فى هذا العدد ...

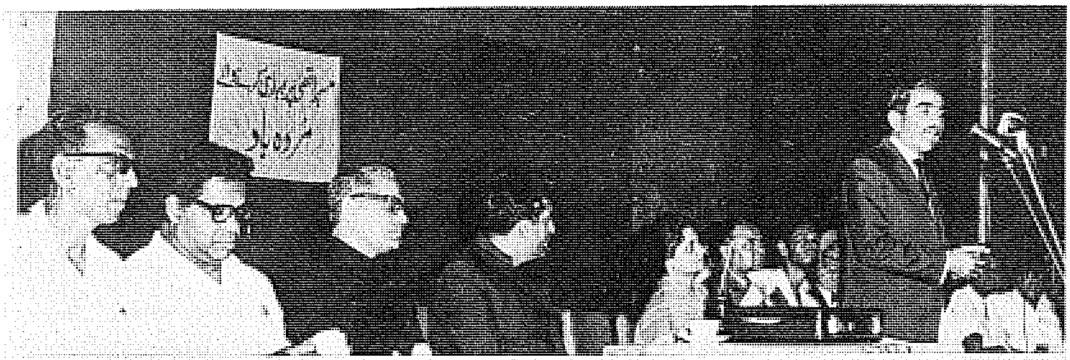
مطابع مؤسسة محمد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السـنة الرابعة ـ العدد الحادى والاربعون ـ غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٨ هـ ـ ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٦٨ م







أقامت اللجنة الهندية للقضايا العربية في ٥ حزيران (يونيو) الماضي مؤتمرا بمناســـبة مرور عام على الاعتداء الاسرائيلي ، وفي الصورة العليا مستر كرانجيا رئيس تحرير مجلة بلتز يلقي كلمة بهذه المناسبة ، وتحتها مستر كريشنا مينون يلقي كلمته .. ونحن نقدر كل صوت يقف مع قضـــيتنا العادلة ، ونأسف في الوقت نفسه للموقف الذى وقفه رئيس رابطة شباب الســـيخ في الهند حين أهدى الوزير الاسرائيلي سيفا لتقديمه الى موشي دايان تقديرا لبطولته !!

صورة الغلاف



مدرسة الشـــويخ الثانوية أول وأضخم مدرسة بالكويت ، افتتحت الدراسة فيها سنة ١٩٥٣ ، وهى تقوم على مساحة واســـعة تشمل أماكن الدراسة ومســـاكن الطلاب والاساتذة وقاعة للمحاضرات وناديا وحماما للسباحة وساحات لمختلف أنواع الرياضة ، وهى تطل على الخليج .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادى والاربعون

ـ السـنة الرابعة ـ

غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٨ هـ

٢٦ يوليـو « تمـوز » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيـة

الثمن

الكويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـت ١ دينـار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راسـا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة

ص . ب ١٣ هاتـف ٢٢٠٨٨

الكويـت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

قبل ان تبدو امام الراى العام العالمى ظاهرة التمرد العالمية لطلاب الجامعات كتبت حديثى اليك عن : « ابنائنا وبناتنا » وعن ظاهرة التمرد التى يشكو منها الآباء والمربون ، وتناولت فى حديثى بعض الأسباب التى شاركت وتشارك فى صنع هذه الظاهرة فى مجتمعاتنا . .

وتوجيه الشباب واعدادهم هو — كما قلت — : « ليس امر صفقة تجارية تربح أو تخسر ، او زرعة تنمو او تبور ، وانما هو امر الجيل القادم ، الذى سيأخذ على عاتقه مسئوليات هذه الأمة ، ويعطيها من نفسه ما يجدد شخصيتها وملامحها ، وما يصلها بتراثها وامجادها ، ويحفظ عليها كيانها . . » .

لذلك أرى من الضرورى ان أتحدث معك الآن ايضا عن هذا الأمر المهم الفاصل فى مصير امتنا . .

ولقد قلت فى حديثى الماضى كلاما احب ان اضعه امام القارىء هنا للمرة الثانية . .

« ليس من المقبول ان يسمع الابن فى البيت من التوجيه الدينى والخلقى ما يجده موضع استخفاف فيما يقرؤه لبعض الكتاب ، أو يراه فى بعض التمثيليات والأفلام » .

« وليس من امانة الرعاية التى وضعها الله فى عنق الحكام أن تترك أية حكومة اسلامية فى اى بلد اسلامى الجيل الجديد من أبنائها نهبا سائغا لبعض الموجهين ، الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه » .

« ليس مقبولا ان نسمع من القادة حرصا على أخلاق الأمة ، وتكوين جيل سليم الخلق ، ثم نرى معاول الهدم تنهال تحت سمعهم وبصرهم على أخلاق الأمة وبنيان الشباب » .

ولم أكن فى هذا الكلام اعبر عن راى شخصى فحسب ، ولكنى كنت اعبر عن راى عام يلح فى فرض نفسه على حياتنا لتسير سيرتها الطبيعية ، ولكنه يجد الصدود والاهمال ، ان لم تكن المعارضة الصريحة او المتسترة . .

ودعونا نتصارح فان الأمر امر امة لا امر اشخاص ، يحكمون زمنا ، ثم يطويهم التاريخ فى سجلاته ، كما طوى الكثيرين من قبلهم ، ومن مصلحتهم أن تكون ذكراهم حديثا حسنا لمن وعى . .

ان الأمة لا تصدق ابدا اى انسان يعلن حرصه على مصلحتها وعلى رقيها ونهضتها ، فى الوقت الذى يهمل فيه — او يعارض — تغلغل الروح والتعاليم الدينية فيها . .

ويخدع نفسه ، ذلك الذى يظن ان سكوت الأمة عن اهمال هذه الروح ،

او الوقوف فى وجهها ، يعبر عن رضاها وموافقتها ..
ويخدع نفسه كذلك ، ذلك الذى يظن أن هناك بديلا عن الروح الدينية يكون له الأثر المطلوب فى رقى الأمة ونهضتها ، وتماسكها فى رخائها وشدتها ..
يخدع نفسه ، ويضيع وقته ووقت أمته ، ويشوه تاريخه ..
لأن هذه الأمة لم تجتمع الا بالدين ، ولم تنهض الا بالدين .. ولا يمكن أن تنهض وتجتمع الا به ..

ورحم الله العلامة ابن خلدون الذى عنى بهـذه الحقيقة ، وأبرزها ، حين قال فى مقدمته على طريقته التحليلية فى فصل جعل عنوانه « العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو اثر عظيم من الدين بالجملة » :

« والسبب انهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة ، وبعد الهمة ، والمنافسة فى الرئاسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم . فاذا كان الدين بالنبوءة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشـملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبى أو الولى الذى يبعثهم على القيام بامر الله ، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودها ، ويؤلف كلمتهم لاظهـار الحق ، تم اجتماعهم ، وحصل لهم التغلب والملك . وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق » .

وابن خلدون فى هذا يمزج ايمـانه العميق ، بعلمه الدقيق ، ومعرفته النفسية بالطبائع والنفسيات ، ويصل الى هذه النتيجة .
ونحن نعرف أن الدين اقوى وسيلة للتجمع ، سواء أكان القوم عربا أم غير عرب ، نعرف هذا ونؤمن به افرادا وجماعات ، الا شواذ تنفيهم طبيعة أمتهم ..
وان كانت هـذه المعرفة — مع الأسف — قد حال بينها وبين الخروج الى عالم الواقع ، غشاوة على القلوب ، ورخاوة فى العزائم ..
ولهذا رحبت كثيرا بما جاء فى تقرير اللجنة الوزارية التى تألفت فى مصر ، لبحث طرق الاصلاح فى الدولة ، وهى تقول تحت عنوان : « دعم القيم الروحية والخلقية » :

« ان غرس المثل العليا والقيم الخلقية فى نفوس المواطنين يعين على تحقيق كل أسباب النهوض والارتقاء بالشعب ، نحو ما نبتغيه له من أمن وسـعادة ورخاء . والسبيل الى ذلك :

١ — الاهتمام بالتربية الدينية فى دور التعـليم فى مرحلته العامة ، حتى نخلق لدى الناشئين الوازع لأداء الواجب ، واستعذاب الاستشهاد ، دفاعا عن الوطن ، وتحصينهم من كل صنوف التحلل والانحراف ، على أن يجرى تدريسها بأسلوب يربط بين الدين والواقع الاجتماعى والحياة العلمية العصرية ..

٢ — منع تداول كتب الاثارة الجنسية التى توجه اهتمامات الشـباب نحو

المفاسد والغرائز الدنيا ، واحكام الرقابة على الأفلام السينمائية والتليفزيونية التى تقدم صورا من الانحرافات ، ونماذج من البشر ، تؤثر تاثيرا ضارا فى تشكيل المواطنين ، وتوحي اليهم بتصورات وتصرفات ، تنطوى على الابتذال والاستهتار ، مما قد يصل احيانا الى مرتبة الاجرام » .

وهذا الذى قررته اللجنة الوزارية يتلاقى فى جملته مع ما سبق أن قلته ، ولفت الأنظار اليه فى حديثى الماضى .. وان كنت لم أسترح الى ما ذكرته اللجنة من قصر (التربية الدينية فى دور التعليم على مرحلته العامة) لأن التربية الدينية يجب أن تنمو مع نمو التلميذ حتى يصل الى أعلى المستويات فى تلقيه العلم .. لأن لكل دور ما يناسبه من معلومات وتوجيهات .. والتلميذ فى مرحلة التعليم العامة قد لا يصل الى المستوى الذى يمكن أن نعرض عليه ، أو نناقش معه القضايا العامة للاسلام كطالب الجامعة ، الذى يتفتح ذهنه ، وتكثر المشكلات أمامه ، ويطلع على نظريات وشبهات ، ويحتاج الى شرحها ، أو ازالتها .. وهو فى هذه المرحلة يكون اشد حاجة الى فهم دينه ومبادئه فى الحياة أكثر من حاجة التلميذ فى المرحلة العامة ..

فكيف نتركه اذن فى هذه المرحلة الخطيرة من تفتح الذهن ، وتكون الشخصية ، هدفا سهلا لحملات التشكيك والتضليل ؟

ومن أجل هذا سررت بما جاء فى توصيات اللجنة الوزارية المشكلة لاعادة النظر فى مناهج وكتب التربية الدينية ، على ضوء ما اقترحته لجنة الاصلاح ، من **ضرورة العناية بتدريس مادة الدين : منهجا واستاذا ، فى جميع مراحل التعليم بما فيها الجامعات والمعاهد العليا** ، لأن هذا هو الذى يتفق مع طبيعة الاصلاح المنشود ، أن كنا جادين فعلا فى هذا الاصلاح ..

على أن الأمر ليس أمر تقرير يوضع ، أو لجان تتخذ قرارات أو توصيات ، أو أمر بلد اسلامى دون بلد آخر ..

بل ان الموضوع ليس موضوع دراسة الدين فى المدارس والجامعات ، والوقوف عند هذا الحد ..

لا .. ان الموضوع الذى يجب أن يأخذ منا اهتمامنا وعنايتنا هو أن تلتزم الدولة باتجاه اسلامى ، لا فى تدريس مادة الدين وحسب ، بل فى كل تصرف .. وقرار .. وعمل .. بحيث يكون مظهرا عاما للدولة ، وخطة تحرسها من الخدش ، وتغار عليها من العبث ، كما نرى فى بعض الدول المذهبية التى تتخذ لها مذهبا فى الحياة ، تجعل ولاءها كله له .

يجب أن يكون لدى الحكومات الاسلامية كلها منهج اسلامى واضح ، تتقيد به ، ويقوم على الولاء الفعلى — لا القولى — للاسلام ، بقدر ما تمكننا منه الظروف ، التى لا نستطيع التغلب عليها أحيانا ..

اننا لا نطلب من الحكومات — وهى صاحبة السلطة القادرة على التنفيذ —

ان تخضع — فورا — كل شيء فيها ، وكل مرفق من مرافق الحياة عندها ، لتعاليم الاسلام ومبادئه ، لأننا بذلك نكون متعنتين ، وغير مقدرين ، ولا بصيرين بالحياة وظروفها . .

ولكنا نريد ونطالب ، ونلح في المطالبة بولائها الفعلى للاسلام ، وتحديد اتجاهها نحوه ، ثم تسير في هذا الاتجاه ، تنفذ وتطبق ما تستطيع تطبيقه وتنفيذه — وهو كثير — وتأخذ مع ذلك في تهيئة الجو لتقدم أكثر في مجال التطبيق والتنفيذ . .

اننا ندرك الصعاب التي تعترض طريق الاسلام فى بلاد الاسلام ، والتى هي — مع الأسف — من صنع أهله وغير أهله !!

ولسنا تجار كلام ، أو تجار دين ، ولسنا ممن يهوون وضع الألغام في طريق العاملين .

ولكنا مع ايماننا العميق بالاسلام ، وقدرته على صنع الحياة الفاضلة الناهضة الراقية المنتجة ، نؤمن بأن التدرج في الاصلاح يفرض نفسه أحيانا ، ويكون ضرورة لا بد منها ، كضرورته في علاج المريض ، وأنه كان — لذلك — الطريق الالهى الحكيم لارساء دعائم الاسلام ، وفرض تعاليمه فى بيئته الأولى ؛ ولسنا في ذلك مبتدعين بل متبعين ، ولسنا متهاونين بل حريصين .

ويكفينا شاهدا ومساندا . . ما رواه الامام الشاطبى فى الموافقات عن خامس الخلفاء الراشدين ، الخليفة الزاهد الورع : عمر بن عبد العزيز ، وقد جاءه ابنه عبد الملك يقول له — في حماس المؤمن المخلص :

« مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق » .

فقال له أبوه الخليفة الورع :

« لا تعجل يا بنى ، فان الله ذم الخمر فى القرآن مرتين ، وحرمها فى الثالثة ، وانى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » . مع الفرق الشاسع بين أيامنا وأيامه .

أومن بهذا — ولو أنه قد لا يرضى بعض المتحمسين — لأنه هو طريق الاصلاح السليم فى ظروف كظروف مجتمعنا الذى ابتعد كثيرا فى حياته عن تعاليم الاسلام وروحه ، وارتبط بغيره فى أعماله وأفكاره . .

ولأننى أعتقد أننا بهذا نفتح الطريق لمن يريد أن يعمل ، ويبرهن على اخلاصه وحسن نواياه . .

والله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .

مدير ادارة الدعوة

القواعد القرآنية والنبوية

في تنظيم الصلات بين المسلمين وغيرهم

للأستاذ : محمد عزة دروزة ـ دمشق

في كتاب الله وسنة رسوله نصوص كثيرة تلهم قواعد عديدة في تنظيم صلات المسلمين بغيرهم . فيها من الانصاف والحق والروعة ما يعد من مرشحات الاسلام للشمول والخلود .

والمستلهم منها أن غير المسلمين بالنسبة للمسلمين أربع فئات . وهي : الأعداء . والمسالمون . والمعاهدون . والخاضعون .

صفات الفئة الاولى وواجب المسلمين ازاءهم :

والأعداء هم الذين يقاتلون المسلمين . ويكيدون لهم . ويطعنون في دينهم ، ويصدون عن الدعوة اليه ، ويمنعون حرية التدين به ، ويفتنون المسلمين عنه ، ويظلمون المستضعفين منهم ، وينكثون ايمانهم وعهودهم معهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ويبيتون لهم الغدر والخيانة ، ويظاهرون عليهم أعداءهم ، ويتآمرون عليهم معهم ، ويضيقون عليهم حتى يخرجوهم من ديارهم ، ويعتدون على أموالهم وأعراضهم ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق على ما جاء في آيات سورة البقرة ١٩٠ ـ ١٩٤ و ٢١٧ وسورة النساء ٧٢ ـ ٧٦ و ٩١ و ٩٤ ـ ١٠٤ وسورة الأنفال ١٥ ـ ١٦ و ٣٨ ـ ٤٠ و ٥٥ ـ ٦٠ وسورة التوبة ١ ـ ١٥ و ٢٩ والحج ٣٩ ـ ٤١ ومحمد ١ ـ ٤(١) .

فكل من فعل واحدا من هذه الأفعال أو أكثر ، وجب على المسلمين قتاله ومطاردته ، بدون هوادة ولا تهاون ، وبكل وسيلة ، وفي كل ظرف وموقف ،

---

(١) اكتفينا بذكر اسماء السور وأرقام الآيات لأن حجم المقال والمجلة لا يتسع للنصوص . ويحسن بالقارىء أن يقرأ الآيات من المصحف أثناء قراءته المقال حيث يجعله ذلك أكثر استيعابا للموضوع .

ولو كان فى المسجد الحرام ، والشــــهر الحرام ، الى أن ينتهى من موقفه ويدين بالاسلام أو يخضع للسلطان الاسلامى ، ويؤدى اليه الجزية ، أو يقوم بينه وبين المسلمين عهد صلح ، واذا دان بالاسلام أصبح أخا للمسلمين ، وغفر له ما قد سلف . على ما جاء فى الآيات المذكورة .

ونعتقد أن أوصاف العـــــدو المذكورة التى هى من موجبات القتـــال فى الاسلام تحسم الجدل الذى يثور أحيانا بين الباحثين فى حد الجهاد الاسلامى . فالقول بأنه للدفاع والمقابلة بالمثل صحيح ، أى أنه ليس قاصرا على سبب قتال الكفار للمسلمين فعلا . بل انه واجب وســـائغ ازاء كل فعل وموقف آخر من الأفعال والمواقف التى عددناها غير القتال الفعلى ، وكل منصف عاقل لا يمكن الا أن يرى كل موقف وفعل من هذه المواقف والأفعال موجبا للقتال حتما الى أن ينتهى صاحبها منها .

ولقد روى الخمسة الا البخـــارى عن بريدة قال : ((كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصـــاه فى خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال : اغزوا باسم الله فى ســــبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصـــال ، فأيتهن مما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاســـــلام ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دراهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم ، فان أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المســـلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجـرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفيء شيء الا أن يجاهدوا مع المسلمين . فان أبوا فسلهم الجزية . فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاســـتعن بالله وقاتلهم . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذلك ، واجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تنزلهم على حكم الله فلا تقبل منهم ، ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا(١))) .

والحديث يصف الذين كان يســـــير النبى صلى الله عليه وسلم جيوشه وسراياه اليهم بصفة (عدوكم من المشركين) تلك العداوة التى يكون اتصف بها بأحد الافعال التى ذكرناها .

أما العدو من أهل الكتاب فآية ســـــورة التوبة هذه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (آية ٢٩) قد احتوت موجبات قتالهم والكف عنهم فى حالة عدم اعتناقهم الاســــلام اذا خضعوا للمسلمين وأدوا الجزية . وحرف (من) التبعيضى فى الآية يجعل أمر قتال أهل الكتاب خاصا بطوائف منهم تتصف باحدى الصفات المذكورة فيها . . وقد أول بعض المؤولين من أصحاب رسول الله وتابعيهم هذه الصفات بأنها فى

---

(١) ظاهر أن النبى صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن اعطاء ذمة الله ورسوله وانزالهم على حكم الله محتاط لئلا يبدو من المســـــلمين ما يناقض ذلك فيقعوا فى الحرج ازاء الله ورســـــوله وازاء أعدائهم . وفى هذا ما فيه من حكمة سياسية باهرة .

صدد بيان انحراف هذه الطوائف عما حرمه الله عليهم ورسله وكتبه اليهم وعدم اعترافهم بالحق لأهله ، وعدم التزامهم به مع عدم الايمان الصادق بالله واليوم الآخر . وهذه الصفات يمكن أن لا تكون صفات أهل الكتاب جميعهم . وهذا تأويل سديد يكون به الطوائف المأمور بقتالها اعداء للمسلمين . ومن تحصيل الحاصل أن يقال مع هذا ان الآيات التى تعدد الصفات والمواقف التى توجب قتال من يتصف بها تنسحب على الكتابيين أيضا . وقد يلمح ذلك فى آية التوبة .

فرضية القتال :

وقتال الأعداء فرض صريح فى القرآن كما جاء فى آية سورة البقرة هذه (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٢١٦) وقد انطوى فيها تعليل قوى نافذ الى القلوب والعقول . ولقد روى أبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا . والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر) .

والحديث ذو مغزى عظيم ، وحكمته بالغة ، فلا يصح لمسلم أن يتحجج بأية حجة للتهرب من الفرض الواجب عليه . وفى سورة التوبة آيات مهمة جدا فى بابها وهى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير ..) (٣٨ — ٣٩) .

وجمهور العلماء يصفون فرض الجهاد بأنه فرض كفاية اذا قام به بعض المسلمين سقط عن باقيهم . استنادا الى بعض الآيات والأحاديث . من ذلك آية سورة التوبة هذه : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١١٢) ومن ذلك حديث رواه الخمسة عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (اذا استنفرتم فانفروا) .

وقد يكون القول متسقا مع طبائع الأشياء . فليس من الضرورى ولا من المعقول أن يشترك جميع المكلفين من المسلمين من رجال ونساء وفتيان وشيوخ فى الجهاد كما هو الأمر فى الصلاة والصيام . غير أن هذا لا ينبغى أن يعنى ولا أن يوهم أن قوة فرض الجهاد اخف من قوة فرض الأركان الأخرى . فضلا عن خطر أثره فى حياة المسلمين الخاصة والعامة الذى يفوق أثر الأركان الاخرى فى هذه الحياة . وكل ما هناك انه ركن اجتماعى وليس ركنا شخصيا . فاذا دعت الحاجة اليه لغاياته المقررة وجب على المسلمين المكلفين من رجال ونساء وفتيان وشيوخ أن يقوموا بواجباتهم بالقدر الذى يكفى لتحقيق الغاية سعة أو ضيقا ، وكل حسب ما يستطيع على اختلاف وجوه الاستطاعة ؛ مع فضل عظيم يقرره القرآن للمجاهد على القاعد اذا كانت الحالة تسمح له بالقعود ، ولم يكن قعوده تهربا من واجب الجهاد على ما جاء فى آية سورة النساء هذه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة

وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القـــــاعدين أجرا عظيما) فاذا قصروا عن ذلك القدر الكافى اثم المقصرون والمتقاعسون اثم عدم القيـــام بفرض خطير من فروض الدين وأركانه ، فضلا عما لتقصيرهم من آثار خطيرة فى حياتهم العامة والخاصة .

ولقد كان بعض المسلمين ومرضى القلوب والمنافقين يتقاعسون عن النفرة الى الجهاد ، ويثبطون ويبطئون ويعوقون عنه ، ويعتذرون بالأعذار الواهية ، فكانت تنزل الآيات القرآنية بالتنــــديد بهم ، وفضــــحهم بأســـلوب قارع قاصم مما هو مبثوث فى سور عديدة منها آيات سورة النساء ٧٢ — ٨٣ و ٩٧ وسورة الأنفال ٥ — ٨ وسورة التوبة ٣٨ — ٧٣ و ٨١ — ٩٦ و ١٢٠ — ١٢١ وسورة الأحزاب ٩ — ٢٥ وســـورة محمد ٢٠ — ٢٣ و ٣٧ و ٣٨ وســـورة الصف ٢ — ٤ .

وبالاضـــافة الى هـــذه الآيات القارعة القاصــــمة فى حق المتقاعسين والمتباطئين والمعوقين والمعتذرين بالاعذار الواهية ففى القرآن آيات كثيرة فيها حث على الجهاد بالمال والنفس فى سبيل الله ، وتنويه بالمجاهدين ، وتبشير لهم بالنصر ، وايذان للمسلمين بأنهم باسلامهم قد باعوا أنفسهم وأموالهم لله مقابل الجنة ليقتلوا ويقتلوا ، وتبشير للشهداء . وتصــبير للمســـلمين على مكاره القتال . وتنبيه الى أنه لا يقدم الأجل ، وأن التخلف عنه لا يؤخره . وتقرير بأنه عنوان على صدق ايمـــان المسلم واخلاصه لدينه ، كما جاء فى آيات البقرة ١٥٣ — ١٥٧ و ١٩٠ — ١٩٥ و ٢١٨ وآل عمران ١٣٩ — ١٤٨ و ١٥٧ و ١٦٩ — ١٧٨ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٢٠٠ والنساء ٧١ — ٧٩ و ١٠٠ و ١٠٤ والمائدة ٥٤ والأنفال ٦٠ و ٦٥ و ٦٦ والتوبة ١ — ١٥ و ١٩ — ٢٤ و ١١١ ، ١١٩ — ١٢٣ والأحزاب ٢٢ — ٢٣ والصف ١٠ — ١٤ حيث يبدو من ذلك العناية العظمى التى أعارها القرآن لهذا الفرض الخطير . وحكمة ذلك واضحة . فهو السبيل الأمثل والأوحد لحماية الاسلام والمسلمين وضمان الحرية والعزة والكرامة لهم ، وردع أعدائهم وارهابهم اذا ما اقتضته الظروف .

ولقد أثرت أحاديث نبوية عديدة متساوقة مع ما احتوته الآيات . من ذلك حديث رواه مسلم والبخارى عن أبى هريرة جاء فيه (والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل) .

وحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم (لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب)

وحديث رواه الخمسة جاء فيه (سئل النبى صلى الله عليه وســـلم أى الناس افضل ؟ قال مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله) .

وحديث رواه البخارى والنسائى والترمذى جاء فيه (ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار) .

وحديث رواه مسلم وابو داود جاء فيه (من مات ولم يغز ولم يحـــدث به نفسه مات على شعبة من نفاق) .

وحديث رواه الخمسة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع الى الدنيا وأن له الدنيا وما فيهـــا الا الشهيد لما يرى من فضل الشــــهادة . فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل

مرة أخرى) وفي رواية (غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

وحديث رواه ابو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا) .

وحديث رواه ابو داود ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، فقال قائل ومن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) .

نقاط يحسن عرضها وتجليتها فى هذه المناسبة :

١ ــ فى سورة محمد هذه الآية (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ..) والآية تفيد أن قتال الأعداء ليس للابادة ، وانما هو للارغام والقهر ، وجعل الأعداء عاجزين عن الأذى ، وأن من واجب المسلمين أن يكفوا عن قتلهم اذا ما تم ذلك .

٢ ــ فى سورة الأنفال هذه الآية (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) والآية تفيد أن من واجب المسلمين أن يجنحوا للسلم والصلح اذا ما جنح اليهما العدو ويكفوا عن قتاله . ويأتى بعد هذه الآية آية ذات مغزى بعيد فى بابها وهى (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ..) حيث تفيد أن ما يمكن أن يرد على البال من احتمال كون جنوح العدو للسلم خداعا أو كسبا للوقت ينبغى أن لا تمنع مقابلة جنوحه للسلم بالمثل .
والآيات تفيد أولا : ان القتال ليس لاجبار العدو على الاسلام . وثانيا : انه ليس غاية وانما هو وسيلة فاذا تحققت غايته وهو منع أذى العدو حصل المقصود .

وهناك من قال ان الآيات منسوخة . ونحن نتوقف فى هذا . فليس هناك حديث وثيق يفيد ذلك أولا ، وثانيا ان النبى صلى الله عليه وسلم ظل يعمل بها طيلة حياته . ومن ذلك الصلح الذى عقده مع قريش المعروف بصلح الحديبية . ومن ذلك ما تفيده آيات سورة التوبة هذه : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا .. » وهذه (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) وسورة التوبة من آخر ما نزل من القرآن .

استدراك مهم ..

ومن الواجب أن نستدرك أمرا فى مسألة الصلح . فهذه انما تنطبق على عدو له وجود وكيان وبلاد يعيش فيها قبل أن يصبح عدوا للمسلمين . أما اليهود فى فلسطين فانهم لم يكن لهم فيها وجود وكيان ، وانما جاءوا اليها من بلاد اجنبية مختلفة غزاة ، وساعدهم طواغيت الاستعمار ، فاغتصبوها بالنار والحديد من أهلها المسلمين والعرب ، وأقاموا عليها دولتهم بعد أن قاتلوا العرب ، واقترفوا معهم كل جريمة ، وسفكوا دماءهم ، وهتكوا أعراضهم ، وقتلوا أطفالهم ونساءهم وشيوخهم ، ومثلوا بهم أبشع تمثيل ، ودنسوا مقدساتهم ، وشردوهم عن مواطنهم ، واستولوا على أموالهم وأملاكهم . ولذلك

فان مقابلة جنوحهم الى السلم لا تجب على المســلمين ، لأنهم انما يفعلون ذلك على أساس احتفاظهم بما اغتصبوه من وطن المســـلمين وأموالهم وأملاكهم وبدولتهم التى أقاموها على أنقاضهم .

وهم فى موقفهم هذا صاروا أشد أعداء العرب والمسلمين . وظهرت بذلك معجزة القرآن مرة أخرى بعد أن ظهرت فى زمن النبى صلى الله عليه وســلم بوصفه اياهم بأشد الناس عداوة للذين آمنوا .

وصار من واجب جميع المسلمين أن يقاتلوهم بكل قوة وشــدة ، وبدون هوادة ولا تهاون ، حتى ينتقموا منهم ، ويشتتوا شملهم ، ويقوضــوا دولتهم ، ويســـتردوا أموالهم وأراضيهم ، ويطهروا الأرض من رجسهم ، ويعيدوا لها صبغتها العربية الاسلامية . وكل تهاون فى ذلك وتخاذل عنه ، وتسامح فيه ، اثم عند الله عظيم ، وخطر على الاسلام والمسلمين وبلادهم جسيم .

٣ ــ **وفى سورة البقرة هذه الآية** (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) وفى سورة الأنفال هــذه الآية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى ســـبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . حيث ينطوى فى الآيات تلقين عظيم المدى بوجوب بذل المال المقتضى لاعداد القوة على انواعها ، وبأوسع قياس يمكن ، لأن ذلك من شأنه أن يرهب الأعداء المعروفين وغير المعروفين ، وقد يغنى عن القتال الذى هو وسيلة لا غاية . وبأن التقصير فى ذلك مؤد بالمســلمين والاســـلام الى التهلكة . .

٤ ــ **فى سورة النساء هذه الآيات :** (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فســـوف نؤتيه أجرا عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى ســـبيل الله والمســـتضعفين من الرجال والنســاء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) ثم هذه الآيات أيضا (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وســاءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنســاء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وســعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورســـوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) وفى هذه الآيات موقف من نوع خاص وهو غير موقف المسلمين الذين لهم مكان وكيان ازاء أعداء لهم مكان وكيان كما هو واضح . فهى توجب على المسلمين الذين يكونون تحت سلطان غير مسلم ، يقف منهم موقفا ما من مواقف العدوان المذكورة ، قبل هذا ــ أن يتمردوا عليه ويقاتلوه بأية وسيلة ، ولو بالخروج من أرضه لايجاد الوسيلة الى قتاله وارغامه . وتندد بالذين يحتجون كذبا بالضعف وعدم القدرة(١) .

((للبحث بقية))

---

(١) كما تندد بالمسلمين الآخرين الذين لا يمدون يدهم للمستضعفين من اخوانهم ولا يساعدونهم فى محنتهم التى يقاسونها تحت هذا العدو الباطش بهم والآيات بذلك تتمشى مع منطق الاسلام الذى يجعل المسلمين جميعا جسدا واحدا .. يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

((الوعى))

الشيخ والمدينة

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ — لو تتبعنا أخطاءنا فى هذا العصر ، فى تلك الحقبة التى نعيشها ، فى الفترة القصيرة التى مرت بنا — ومهما طـالت الفترات فهى قليلة فى عمر الزمان — اقول لو تتبعنا ما وقعنا فيه من مخالفات على بساط الواقع البحت ؛ لألفيناها تربو على الحصر ، وتتجاوز العد ، وان هذه النتائج لهى جنى مقدمات لم نحضر زمانها ولا أجدادنا وانما تضرب فى غور الزمان الى مدى بعيد(١) ، فالأمة العربية لسانا ونسبا وموقعا ، قد حملت أمانة لم تطق حملها السموات ولا الأرض ، ومضت بها هينة لينة تسوس الدنيا وتحكم أواصرها ، ونمت فى ظلها حضارات ، وبرزت فى العلوم أسماء وأسماء ، وخلدت على ضوء المعرفة الحقة نتائج عقول وعقول ، وكانت ذات أثر فعـال فى تطور الفكر الانسـانى ونموه ، وانتقاله من مرحلة الى اخرى أرفع شأنا وأعز مكانا ، وشواهد ذلك لا تحصى ، ولا تحتاج الى شاهد من أهلها ، فقد بنيت على أساسها معـارف جديدة ، **وكانت مرحلة لا بد منها لكي تصل المعرفة الى ما وصلت وما سـتصل اليه من تقدم وازدهار ورقي واضطراد نمو .. فلك كان(٢) .**

٢ — ... ومع هذا بدأ المسيطرون على الأمور يلعبون على غير المسرح الحقيقى ، وناديهم لم يوصد ، ولم يمنعوا عنه ولم يذادوا عن حوضه ، مكان فسيح ، وناد مريح ، وعطاء وافر ، وبحر فيضه زاخر ، وقف الأبناء فى زماننا والأجداد فى زمانهم على السلم لا نزلوا ولا صعدوا ، تركوا الماضى وراءهـم ظهريا ، فلم يصيخوا له سمعا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وغفلوا عن الآتى ، عن الغد الذى يلاحقهم فلم يعدوا لمفاجآته عدة ، وصاروا نارا يأكل بعضها بعضـا ثم يحور الجميع رمادا ! هذا .. فى اللحظات التى عاصرهم فيها وعاش قبلهم وجاء من بعدهم ، من حمل حقد الدنيا مجتمعا عملا وقولا وبناء وجدا ومذاكرات، مال يرصد ، وجمعيات تجمع شتات الرعوس الخربة(٣) لتتخذ مدرجا وسلمـا

---

(١) والعيب فينا اننا نكررها هى هى محورة بما يتناسب مع زمان وقوعها ، وضـمير الجمع يشمل حملة الشريعة جميعا وكل مسلم من حملتها ومسئول عنها ، وان نتصل هنا فسوف لا يجـد حجة تنفعه هناك .

(٢) ونامل ان يعود .

(٣) من غير المؤسسين لانهم وسيلة الهدف .

يرقى(٤) عليه الى الهدف الأصيل ، قالت تلك الطغمة الجادة والتى لبست حينا جلد الحمل على هيكل ذئاب ، لنا ميراث اغتيل ، وحق اغتصب ، ولئن وورى جانبيه التراب :. **فسننتقم من ورثته مهما بعد المدى بينه وبينهم ، فهذا مكاننا ولا بد لنا من الوصول الى غايتنا . والطرف الآخر فى غفلته ساه** ، وفى هواه لاه ، يرضى بمذاق حلو فى لحظة عابرة تعقبه مرارة الأبد ، فانتفخت بطون ، وورمت أوداج ، وانعكست فعال ، فقريب اليه يساء ، وغريب اليه يحسن ، وكان من النتائج ما وقع فى الواقع الذى — لسوء طالعنا — عاصرناه ، ومع ضعفنا حملنا آثاره ، ولكن . سننفض الغبار ، ونجلو الصدأ .

٣ — تأمل معى ما مضى — وتابعه فى الحاضر — تجد عداوة فى غير موضعها مع أهل وولد ، فهذا يفتك بأخيه لأنه يتوقع أن سيقف فى طريق ولايته، وذاك يجرد جيشا لقتال صنوه لأنه يستعجل السلطة والاقتدار ، وثالث يرسل عيونه وراء أبناء أبيه ، وينوشهم بسلاحه واحدا واحدا لخصومات متخيلة ، ووراء هذه الحوادث كلها — فى مجرى التاريخ القديم والمعاصر — عيون صغيرة ، وأجسام قميئة ، ونفوس منطوية على شر يراد بالجميع لا يستثنى ، وانما يصدم الكبير بالصغير حتى يتفتتا جميعا ، ثم يقفز هو على صدورهم ليجز رقابهم وحينذاك يخلو له الجو ليبيض ويصفر ، ففى كل مكان أمير المؤمنين ومنبر ، وتوالى الزمان صورا مكررة وفصولا معادة ، وان اختلف الجواد ومكان الحلبة فهل من مدكر .

يعيى المفكر بتاريخنا والذين ملأوا فراغه ظلالا لا حقيقة ، وان خطأ واحدا قد جر الى أخطاء ، وان بابا فتح لعدو مستتر فى زى صديق قد جنى على الأمة كلها جناية لا يمحوها كر ليل ولا مر نهار ، وانما يعفى آثارها ايمان بالله ، ثم بالحق المضاع ، وعزم وصدق وحزم ، ووفاء واقدام ، وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، وما نحن بكافرين أبدا .

٤ — برز فى الزمان رجال لم يسمع لهم ، وضاع كتاب ثم أول وكثر تأويله وتجاوز حملته(٥) وما هم بحملته فقد حملوه ولم يحملوه — حدود ما ورد فيه ، **وهم يدعون السير على ضوء وحيه وهداه ، صدقت به السنة فانبتت من** أماكنها ، وامتدت به أيد فلم تعد الى مواضعها ، وماجت به رءوس فانفصلت عن أجسادها . . وهناك . . هناك بعيدا عن الوادى . . نشأت جماعة ونبتت فكرة صارت عندهم عقيدة(٦) ، وحملها من غره سرابها ، وقدمها للعالمين قوانين ونظما تدعى الدفاع عن المظلومين وهى ظالمتهم ، ورد الحقوق الى أصحابها وهى تجتاح محارمها ، كلام معسول ولكنه فى التطبيق العملى مفقود الأثر ، همهم امتلاك الدول ولدابهم — بغير سلاح مسنون — امتلكوها .

وهنا نقف قليلا نتذاكر ما بين أيدينا ، هل فيه الكفاية والغنية أم أن زمانه مضى مع الزمن الذى مضى ، وطالعت وفكرت وراجعت مفكرين على مستوى رفيع وتأملنا ، فلم نجد فى مقال القوم جديدا فقد فى قديمنا ، ولا بابا لخير فتح كان موصدا ، ولا كنزا عثروا عليه كان خافيا ، وانما ألفينا العكس ، والعكس الحقيقى بل التناقض فى أوضح صوره ، وأدناها لمن أراد فهما وعقلا ولو قليلا ،

---

(٤) بالبناء للمجهول .

(٥) هم المسلمون جميعا ؟!

(٦) ولدت فى دولة ونمت فى أخرى وتزايد نسلها حتى كاد يعم العالم القديم جميعا ؟!

فالانسانية فى أدق مدلولاتها لا وجود لها عندهم وانما الكل آلة ــ قــالوا ــ لنمحو الطبقات ، ونظامهم ثبتها ، وقالوا : لا مال لأحد ، وجعلوا ما يطلب بالمال فى القمة المسيطرة وصاحوا ليساس الناس بغير سلاح ، واعملوا السلاح فى رقاب الأحرار ، وان صاح صائحهم الما قضوا عليه كمدا ، وان عافت الأرض الدم اجبروها على قبوله ، فحفروها لتبتلعه على رغمها ، ومهما صرخت تحت معاولهم فلا يسمع لها .

والآن لنستغفر لذنوبنا ولذنوب أجدادنا ، ولنعد الى بارئنـــا ، ولنبسط كتابنا ولنصح :

هاؤم اقرؤوا كتابيه ، تريدون نظاما .. ! هورب النظام وعدو الفوضى ، تطلبون قوة فى اتحاد ... هو أول داع اليها ، ترفعون عن الفقير أصر فقره .. ما الحب الطريق التى رسمها لوصول كل ذى حق الى حقه .. تنادون بنظـــافة اليد وطهارة القلب .. ما أشد حرصه على تنفيذ ما به تنادون ... تعالجون المرضى وتنشئون المشافى ، تشيدون المدارس وتهدمون الجهل .. تعمرون .. تبنون .. هى دعوته الى التعمير والبناء .. تتعاطفون وتتراحمون .. هــذا نهجه وذاك مسلكه ..

والآن لنستغفر لذنوبنا وذنوب أجدادنا .. ونستعين بالله العلى القادر ، لنعمل بعد أن طال وكثر قولنا ولننظم شملنا ، ونسهر على تنفيذ ما نريد كمـــا سهر عدونا ، ونصبر ونصابر وان طال المدى ، فالموقف لا يحتمل التسويف ، وكفى النائمين نوما ، وكفى المخالفين مخالفات ، ولنمض معا ولا ننظر الى مثبط أو معوق عن الوصول الى حقنا الى كرامتنا الى تحقيق انســـانيتنا كأناس لهم ما لغيرهم من البشر من العيش الحر فى أرضهم ، فى وطنهم ، فوق ترابه وتحت سمائه ، فقد امتلأ الكأس حتى فاض ، وأصبحنا لا نستطيع أن نرفع الطرف أمام التاريخ ، الذى لا ندرى ماذا سيكتب عنـــا غدا فى هذه الفترة من الزمـــان ، سيصفنا بالجبن والنذالة ويسمنا بالتقصير والخور ، ان نحن توانينا ولم نمض سراعا الى هدفنا الى تحرير وطننا من أرجاس المعتدى الأثيم ، واعادة مشردينا الى ديارهم التى بنوا ، وأرضهم التى نبتوا بين نباتها وطعموا ثمارها ، وتكونت لحومهم وعظامهم من غلاتها .

اهيب بكل قادر على التفكير أن يفكر جديا ، وبكل قادر على العمـــل أن يعمل فورا دون توان ، وأؤمل أن يصيخ سمعا أولئك المثبطون فيكفوا شرهم عنا ، ولنتجه كلنا صفا واحدا وقلبا واحدا الى الجهاد فى أشرف ميـــدان وأعز مكان على الله وعلى الناس فنخلصه من العدو الشانىء الحقود ..

والآن : لنستغفر لذنوبنا ولأجدادنا .. ونغسل عارنـــا بدمائنا ، فليكتب الكاتبون وليبذل الواجدون ، وليسر الى ميدان الشرف القــادرون حتى نكون جديرين بوراثة خير الأنبياء وأكرم الآباء أخوتنا . أليس من آبائنا القائل : لنـــا الصدر دون العالمين او القبر ، حولوها الى عمل كما فعل ونفــذ . أليس منهم المنادى : أحد أحد شاهت الوجوه ، وانتصر الحق وانتصر فعلا ، أين شبابنا : أين كهولنا ! أين ثراؤنا ! أين سلاحنا ؟! هيا نمضى على بركة الله حتى لا نلاقى الاهانة فى كل مكان ، والاحتقار مع مضى الزمان ، فالعدو الكاشح جاد ومثابر ، وقد ملك ناصية الأمر فى أماكن كثيرة من العـــالم المعـــاصر ، واستأسد حين استنوق الجمل ، وتجمع مع تفرق قوانا ، وهو فى كل أحواله ثعلبـــان ماكر

وحية رقطاء .

٥ ــ اصغيت الى (ديار) قال : مر بى منذ بضعة ايام استاذ فى جامعة .. ودعانى لمرافقته الى دولة غير الدولة التى اقضى فيها حاضرى ، فلنمض بعيدا عن صخب الجماهير الثائرة ــ هنا ــ فى عنف وتنظيم ، مطالبة بحقوق ومدافعة عن مطالب ، ثورة شملت كل مرفق عام فى المدن والريف ، ولا يعلم متى تنتهى ، وبدأ المسئولون يعالجون فى رفق وحزم ولكن الداء عيـــاء ، يلوح فى الجو ان الطبيب نطاسى ماهر ، لبيت لأرى معالم الحياة فى دولة مجاورة قد أجد فيهـــا جديدا ، وفى هذه القارة كل يوم جديد من الأفكار ، وجديد من العمل والانتاج ، وصحبته حتى اذا وصلنا الى الحدود اجتزناها فى رفق ويسر كما يجتـــاز أى عابر (بوابة الجهراء الى الشويخ(٧)) وهذا حدث يثير انتباه الشرقى لما يرى بين بلاد شقيقة من تعقيد الاجراءات فى مثل هذه الحـــالة ، وادرك الأستاذ ما يدور فى رأس مرافقه . فقال : لا تعجب فهذا هو الوضع فى بلادنا ، فلكل دولة فى هذه القارة حدود ، ولكن بمقدار ما يعرف المزارع فى الريف أن لأرضه حدودا لا يصح لغيره أن يفلحها الا باذنه ، أما أن يزوره أو يتحـدث معه عبر الحدود فهذا لا يستدعى كبير اهتمام !... وواصلنا المسير الى أطراف مدينة .. لم يطلعنى على معاهد العلم فيها ، ولا دور اللهو أو المعالم القديمة ، وانما دلف بى الى مبنى فسيح لا أعدو الحقيقة اذا قلت انه مدينـــة مستقلة ، شيدت فى طرفها النائى غرفة فسيحة مؤثثة على نسق قديم ، وذوق جميل ، وفى الصدر منها جلس شيخ مهيب تحيط به آلات اتصال تربط مصـــانعه بالعالمين القـــديم والجديد ، رحب بنا الشيخ وهش للقائنا ، ورغم أنه تجاوز الثمـــانين فسمعه لا يزال سمعه لم يحوجه الى ترجمان ، وعيناه الحادتان عيناه يوم كان شارخا ، وكل مظهره يدل على حيوية وقوة ، الا أن لون شعره قد حال الى ضد ما كان عليه فى صباه ، وقبع فى هدوء وتنسيق فوق جبهة عريضة كأنه حارس يقظ يرد العادى ويدافع المهاجم ، وقدمنى الاستاذ اليه على انى صديق موال من الهند(٨) ومظهر (ديار) يؤيد الوصف وان كان عربيا ، وجرى الحديث بينهما يعـــالج الأحداث الحاضرة ، وأنا انصت وأشارك قليلا ولكن بمقدار ما يوجد للقـــول مجال ، واذا الشيخ يتنفس الصعداء ويدور فى كرسيه « اللولبى » فى فتـــوة ابن العشرين ربيعا كأنه يزيح عن صدره آلام سنين وسنين ، وينتصب واقفـــا كأنما نشط من عقال ثم يعود الى مجلسه فى هدوء متكلف ، ويواصل الحديث : الا تدرى يا ... انى استرحت وقرت عيناى ولو قضيت الآن ما أسفت لشىء ، فها انذا أرى التابوت(٩) يعود الى موضعه وبهذا تحقق ما رجوته وما كان يثيره أبى وما تواصى به أجدادنا كابرا عن كابر ، وها هم أولاء حراسه الموعودون به ، ولقد وضعت كل ذرة فى مصانعى هذه ، ومثلها فى دول أخرى تحت أمر الرجل الذى شرف اصلابا ينتمى اليها حين فتح مدينة ، وحقق أحلاما وغلب أمة تمثلها عدة دول ، كل دولة منها تفوقه عديدا ، وها هو ذا قد مارس حقا مشروعا فى توراتنا(١٠) : ويقول « ديار » هنا : شعرت بنار تثور فى مفـــاصلى غلا منها

---

(٧) هما ضاحيتان من ضواحى الكويت .

(٨) هكذا بالنص ولا أتزيد .

(٩) اقرأوا سورة البقرة .

(١٠) هكذا تعبير الشيخ يعنى (التوراة) .

دمى ، وهممت بالرجـــل لولا بقية من تفكير حـــارس ، وأدرك ذلك صاحبى ، فضغط على قدمى ، واتجه الى الشيخ يطلب مسكنا لداء يثور بالهندى كلما سار طويلا ، وشكرت معتذرا عن العلاج فما دوائى الا شربة من دمه(١١) ، وتعجل صاحبى مستأذنا ، ولما ابتعدنا صاح بى : هكذا رايت رأى العين صـــورة من **الواقع العملى الذى يعيشه المطالبون ـــ ان صدقوا ، وما هم بصادقين ـــ بحق متوهم قد مرت آلاف السنين ، ولو رام كل شعب ما يرومون ما اســـــتقرت** بأمة أرض ، فأكاد أجزم انك لا تجد أمة نبت أجدادها الابعدون فى الوطن الذى تشغله ، بل ان ملوكا فى قارتنا هذه لا يمت نسبهم الى الشعوب التى يحكمونها بصلة دم أبدا وفى العالم الجديد أشباه وأشباه . . . وهنا ـــ كما يقول « ديار » مرت أمامى قوافل تاريخنا محملة بالمآسى ومتى ؟ فى المواقع الفاصلة دائمـــا ، ولم أستطع لهذا تعليلا ، وان كان له تعليل منطقى معقـــول . . ورن فى اذنى صوت الأستاذ : لن يجمع شتاتكم الا جامع السماء ، فما أكثر المبـــادىء التى تعج بها الدنيا المعاصرة ، وكل يزين (طبقه) ليقدمه لآكليه شهيا فى مظهره ، وقد يكمن السم فى الدسم ولسوء الحظ أو لجسنه عند البعض قد وصلت هـــذه المذاهب فى خطورتها الى مدرجات الجامعات واعتنقها أســـاتذة وطلاب ، ولا أرى لدائكم علاجا أفضل من الالتفاف حول كتـــاب العرب الفريد فى صفـــاته الأول دون شرح أو تعقيد(١٢) ، وقلت أتعنى القرآن ؟ فأجاب وهل فى الدنيـــا اكمل منه ، فان سمعتم وعملتم والا كانت النتائج التى ترون ، وما ترون هـــو البداية لنهاية لا يعلمها الا صاحب الغيب ، وقال (ديار) وعدت الى نفسى فلم أجد الا الاستغفار لذنوبنا ولأجدادنا وتقصيرنا معا ، والعزم على مواصلة الكفاح فى الحقل الذى يرد كرامتنا ، ويضم صفوفنا ، ويجمع قلوبنا ، ومواطنو هـــذه المنطقة من العرب مدعوون لنفير عام ، ومعهم مسلمو الدنيا فى كل بقعـــة من بقاع المعمورة لانقاذ المسجد الأقصى ، ومهد المسيح اثباتا لوجودهم وتحقيقـــا لرجولتهم وانسـانيتهم ، والله المستعان .

باريس ـــ على عبد المنعم

---

(١١) هكذا حلا للاستاذ أن يقول .

(١٢) .. حماس السيد (ديار) يقرب الى القارىء صورة (البالون) الواهى الجدران الذى ينتفخ بقليل من الهواء ثم ينفجر عند اقل صدمة ، ويذكر باصوات طالمـــا صرخت ثم ذهبت أدراج الرياح ، والطبل الاجوف هو أكثر قوة من غليان دم (ديار) ، والمرحلة الآنية تحتاج الى عمـــل ومثابرة ، واتقان للعمل وأحكام للمثابرة ، ومثل هذا الموقف يدفع أمثال الشيخ ـــ ماليـــا وسنا وقوة ـــ الى محاكاته على أضعف الايمان حتى نمضى وننتج ونصل وحتى لا يصدق علينا (اسمع جعجعة ولا أرى طحنا) وأكرر : هذه مواقف عملية يا (ديار) ويا (آل ديار) فاستغفروا ربكم ثم امضوا حيث تؤمرون ..

العقيدة الدينية

وأثرها فى تربية النشء

للدكتور : محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بجامعة الازهر

عندما تحدق بالبلاد ظروف عسيرة ، وتنزل بها محن قاسية تؤلم الكبير والصغير ايلاما شديدا وليس ايلاما من النوع المادى الذى يرهق الضعفاء ، أو يزعج الجبناء ، او ينال من افئدة المترددين والانهزاميين ، بل هو ايلام معنوى ناشىء من خدش عزة الأمة المتأصلة فى الرفعة ، والمتعودة على الشموخ ، حين تجد أن تلك المحنة قد نزلت بها على يد ذنب قذر من أذناب دولة مستعمرة غادرة ، لا تاريخ لها ، ولا ماض يشرفها ، ولا وراثة شهمة ترفع من قدرها .

عندما تلقى احدى الأمم العريقة كأمتنا مثلا نفسها فى هذه الحالة ، تشعر بألم قاس يحز فى قلبها ، وتحس احساسا باطنيا فعالا بأن عاملا قويا يدفعها الى ضرورة التفكير الجدى ، والتأمل العميق فى معانى الاحداث المحيطة بها ، والاخطار التى تتعرض لها الأمة العربية كلها . وسرعان ما تجد أن مقدمة الخطوة الاولى هى العمل السريع الحاسم الحازم على التخلص من هذه المحنة بطريقة عزيزة كريمة ، تحتفظ للأمة جمعاء بهيبتها كاملة غير منقوصة ، وان مؤخرة هذه الخطوة هى النظر العاجل فى اعادة تكوين الشباب ، وتقويم تربيته ، وتقييم جميع حركاته وسكناته ، وتعويده على الصدق فى القول والاخلاص فى العمل . وهذا لا يتيسر الا اذا ربى الشباب تربية دينية تعتمد قبل كل شىء على العقيدة والايمان .

ونحن فى هذا لا نلقى الكلام على عواهنه ، فقد اثبتت الوقائع المادية صحة هذه الدعوى مرارا ، ونشرت فى تقارير رسمية . فحين روعت الهزيمتان

المادية والمعنوية جيش الحلفاء فى احدى مواقـــع الحرب العالمية الثانيـــة ، اســـــتدعى المسئولون أطباء نفسيين ليدرســـوا حالات المنهزميـــن أو دعاة الانهزام ، فلما فعلوا تبين لهم ان أولئك وهؤلاء جميعا ممن فقدوا العقيدة الدينية وصاروا لا يؤمنون بشىء البتـــة ، وبالتالى فقدوا الايمـــان بالغايـــة فانهارت معنوياتهم ، واصبحوا لا يجدون فى نفوســـهم الهدف الذى يستحق التضحية بالحياة .

ومن ثم فانه حين نزلت الآية الكريمة « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » كان لها ــ كما أجمع الرواة ــ اثر بعيد الغور فى النفوس .

مــن هـــــذا كله يتبين ذلك الأثر الرائع الذى تطبع به العقيـــدة نفوس المؤمنين ، وتهون عليهم التضـــحية بالمال والحياة فى ســـبيل الشرف والكرامة والعزة .

واذا أغضينا مؤقتا عن مواقف الحرب والتضـــحية واســـــترجاع الهيبة وتضميد ذلك الخدش العارض الذى أصابها ، ونظرنا الى سير الحياة العامـــة وشؤونها العادية التى لا تستقيم الا بالفضائل والاخلاق ، الفينا أن عشرين فى المائة يمتنعون عن الجرائم خوفا من القانون ، وأن عشرة فى المائة منهم فقـــط يمتنعون بدافع الاخلاق الاجتماعية أو المدنية ، وأن سبعين فى المائة يمتنعـــون لا عن الجرائم فحسب ، بل عن صغائر الآثام والسيئات بدافع الدين .

فينبغى ــ اذن ــ أن يقدر المربون الذين تعنيهم استقامة الشـــــباب ، وصلاح المجتمع ، أن ترفع المؤمنين الحقيقيين عن الغدر والخيانة والخداع ، هو ترفع أصيل ، صادر من القلب ، ثابت مدى الحياة ، بينما أن امتناع الخائفين من القانون هو امتناع الروغان ، وأن الفرق بين الامتناعيـــن كالفرق بين المـــرأة التى تصون عرضها من كل قلبها وعقلها ، والأخرى التى تصونه خوفا من بطش زوجها أو أسرتها أو من كشـــفها أمام المجتمع ؟ وشـــــتان ما بين حالة الثقة والطمأنينة ، وحالة المراوغة الظاهرية .

على انه قد يغلب على أوهام فريق من شبابنا الســـــطحيين أن التمسك بالدين أو السير على نهجه القويم ، وصراطه المســـــتقيم ضرب من التأخر أو الجمود ، وذلك خطأ شنيع فادح الكوارث والنكبات .

وربما كان هذا الشباب الساذج كان فى النصـــف الاول من هذا القرن معذورا فى انزلاقه فى هذه الهوة ، اذ أن المستعمرين الذين كان لهم فى البلاد العربية سماسرة ، وأعوان ذوو قوة وسلطان ، كانوا قد أعدوا ميزانية خاصة وضعوها تحت أيدى أولئك السماسرة الخونة ، قصد انفاقها فى افساد تربيـــة الشبان وعقولهم وعقائدهم . وقد نجحوا فى الوصول الى هذه الغاية ، فنقشوا فى أذهان أنصاف المثقفين ، ان أداء الفروض الدينية من : صوم وصلاة وزكاة وما الى ذلك من التكاليف ، من شأنه أن يجلب الى أصحابه الاهانة والاستهزاء .

ولقد خلقت هذه المحاولات الاستعمارية الخطرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية ، كان من نتائجها أن دفعتهـــم الى التهاون فى اقامـــة الشعائر الدينة ، التى هى مناط التماسك والترابط . وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى اليها المستعمرون ، لأنهم يعلمون تمام العلـــم أنه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ســـاد الانحلال ، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان تثبتت أقدام الاستعمار . وسر ذلك أن المستعمرين قد حنقوا على

اهل هذه التعاليم القوية المتينة ، فودوا أن يعملوا على ضعضعة قواهم ، ومحو هيبتهم ومقاومتهم ، وقد استعملوا لهذه الغاية سلاح أزلاق الشباب فى هذا الاستهتار بالشعائر الدينية ، وابعاده عن فهم مغزى الأوامر السماوية ، واغلقوا دون عقوله أبواب الحضارة الاسلامية الأصيلة ، وفتحوا أمامه لمعان المدنية الغربية المادية .

ولكن لو أن المسلمين المسئولين عن تربية الشباب وقيادته نحو الحياة الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السليمة ، قد فهموا دينهم حق الفهم ولقنوا الشباب مبادئه وتعاليمه على أصولها ، وراقبوا تطبيقها مراقبة دقيقة ، لو انهم فعلوا ذلك لاحتقر الشباب سخرية الساخرين منهم ، ولتباهوا بقوة الايمان ، وثبات العقيدة ، والمحافظة على تأدية الواجبات الدينية والدنيوية ، ولنظروا الى المثل العليا المرسومة فى دينهم ، وتطلعوا الى السمو المثل فى مبادئهم وشعائرهم ، ولأيقنوا أن هذه المبادىء ، وتلك الشعائر من شأنها أن تقودهم الى الحرية والسعادة ، بل الى الرفعة والسيادة ، لا عن طريق الاستبداد والطغيان ، والاستعلاء والتحكم فى شؤون الغير ، بل بوساطة المبادىء العالية المسعدة وذلك لانه اذا انتصرت فى قلوب المؤمنين روح الخير التى تمثل الألوهية على الارض ، تعهدت العلائق بين الانسان وربه بالتقوية والتنمية ، ومتى تقوت هذه العلائق ، جعلت النفس المؤمنة ، تتلقى أوامر السماء بهيئة نقية صافية ، ثم تمليها أولا على حياتها العملية الخاصة ، لكى يطبق العلم على العمل ، فتتحقق الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب » .

واذا تم له ذلك ، أفاض تلك الاوامر الالهية علي بيئته ومجمعه ، وقد تتسع الدعوة حتى تعم الانسانية جمعاء ، فتصلح حالة الدنيا ، ويسودها الوئام والسلام ، وتعمها العدالة والنصفة ، ويحل الرضى محل النزاع ، وتشغل المحبة من النفوس موضع البغض والحفيظة . ومن آيات ذلك أن الاوامر الالهية ، كانت منذ غابر العصور ، وستظل ، تقتاد بنى الانسان الى الفلاح والكمال ، اذا وضعوها موضع الاحترام والعناية والتطبيق ، ولكنها — ولا قدر الله — تشهد دمارهم وفناءهم ، اذا هم سحبوا عليها أذيال الاهمال والنسيان .

فاذا كانت كل الظروف والاحوال شاهدة بأننا كنا فى أشد الحاجة الى ارشاد الأوامر السماوية ، وقيادة الكتاب الكريم ، والسنة الغراء ، لجميع أقوالنا وأفعالنا وخطواتنا وتصرفاتنا ، وأن ذلك كله كان قبل أن نختلط بالأجانب، ونتعرض لما هب علينا من ربوعهم من عواصف الفتن والغوايات ، فكيف بنا بعد أن انهمرت علينا من أصقاعهم سيول المادية ، والميوعة والتحلل ، والزندقة ، والالحاد ؟

نعم ان الذين ينظرون الى الامور نظرة سطحية عائمة ، تفتنهم روعة المدنية الغربية البراقة ، التى يؤلف انتاجها العلمي والادبى والفنى والثقافى الوانا لماعة ، لشبح مدنية زائفة ، تعلن أنها راقية مصقولة ، وتزعم أنها بعيدة عن كل عنف وقسوة . ولكن النظرة الفاحصة تكشف للأدقاء المتعمقين حقيقة هذه المدنية ، وتبين فى وضوح أن الأزمات الخلقية الراهنة النابعة من الغرب ،

تنم عن غلظة وفظاظة ، لا نظير لهما الا بين الوحوش الضارية ، وان الحربين العالميتين الأخيرتين ، قد كشفتا لنا عن حقيقة هــذه المخلوقات التي يعتبرها القشوريون عندنا ينابيع المدنية ، وان الحالة الراهنة تظهر لنا أن كل ما بينهم ، هو عبارة عن كفاح وحشي حاد دائم ، مخبوء تحت ستار الحقد والغل والجشع المغطى بالنفاق الكثيف حينا ، والخفيف أحيانا ، وأنهم غارقون في معارك طاحنة لا نظير لها في عهود البشرية الاولى التي يطلق عليها أولئك المتبجحون الماجنون اسمي العصر الحجري ، والعصر الحديدي .

وذلك لأنهم استخدموا في ضرواتهم البغيضة مقدرتهم العقلية ، ووسائلهم التكنولوجية ، ومخترعاتهم الميكانيكية ، التي تزلزل تنوعاتها وتجـديداتها المتوالية ، جميع النظريات العلمية الســابقة بمباغتاتها المفاجئة ، فتقضي على مظاهر الاعتدال والاتزان ، ولا تلبث أن تحقق رجحــان احدى الكفتين حينا من الزمن ، سرعان ما يزول ، ويتخلى للكفة الأخرى عن ذلك الامتيــاز ، وهكذا دواليك صعودا وهبوطا تتابعهما الابصــار والعقول والقلوب بــلا ثبات ولا استقرار .

وتلك بالاجمال هي حرب الفروض والتكهنات والرهبة والفزع والتسابق على الاسلحة المدمرة والجاسوسية والتنافس في مضــاعفة الميزانيات لتقوية مصانع التخريب والتقويض . ومن المجون أيضا أنهم يسمونها حروب المذاهب والمبادىء ، وكان الأولى بهم أن يطلقوا عليها اسم «حروب القهر على التمذهب» أو الاجبار على اعتناق المبادىء ، ولو لم تسترح لها العقول ولا القلوب .

غير أن هناك من بني الانســان أفرادا وجماعــات ، يعرفون واجباتهم ، ويدركون أن الضرورة تحتم عليهم مجاراة أولئك الذين ليس لهم من الانســانية الا اسمها ، ولكن اخلاصهم لبلادهم ، وأملهم في انقاذ مبادئهم من مخالب هذه الوحوش الضارية ، يتطلبان منهم أن يسايروهم في الاستعداد اسـتجابة لأمر كتابهم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » لا سيما أنهم يعلمون تمام العلم زجاجية ذلك السلام الظاهري الزائف ، الذي ينادي به أولئك المنــافقون ، ويوقنون بامتلاء قلوبهم بالحفائظ والتحفزات ، للهجوم في كل لحظــة من لحظات النهار والليل .

ولا ريب أن هؤلاء الاناس الجديرين باسم الانسانية يعلمون أنه حين يجد الجد تتحدد مسئوليتهم وتبدو هائلة . ومن ثم يستعدون لتلك الساعة ، ويعدون مشروعاتهم التي ستتلاقى مع أمثالها ، والتي هم يتنبأون بها ، ويحســبون حسابها ، كأنهم يتغلغلون في أعماقها منذ الآن ، لكي يستطيعوا ــ بفضل اتقان دراستها ــ أن يردوا على كوامن مشروعات أعدائهم والا تأخذهم ابتــكارات أولئك الاعداء على غرة .

لذلك كله نحن ندعو الأمة العربية خاصة والأمم الاسلامية عامة أن تتكتل لمواجهة هذه الأخطار الوحشية ، وأن تعتصم بحبل الله القوي المتين ، وأن تنقب في دينها عن تلك المبادىء العالية ، التي هي وحدها القديرة على تعميم السلام ، وانقاذ البشرية من هذه الوهدة ، التي هي سائرة على حافتها ، والتي لو لم تغشها تلك المبادىء السماوية ، لتردت فيها ، وقضي عليها القضاء الاخير . ونهيب بالمسلمين الا يقفوا سلبيين أمام هذه الســيول العارمة ، والعواصف العاتية ، والاحداث المجتاحة ، فليس أبغض الى الاسلام ، ولا أبعد عن تعاليمه

من السلبية والجمود .

كما ندعوهم الى أن يصونوا أبناءهم وبناتهم عن التحلل والميوعة باحكام تربيتهم على النماذج الاسلامية ، اذ أن التربية هى الوسيلة المثلى التى يؤسس بها كل مجتمع فى قلوب ابنائه الدعائم الجوهرية لوجوده الخاص ، وهى الأثر الخالد الذى تتركه الاجيال الناضجة فى نفوس الاجيال التى لم تنضج بعد ، ولم تهيأ لحسن مزاولة الحياة الاجتماعية . وهدفهـا الرئيسى هو أن تنشىء وتنمى فى تلك الاجيال الشابة مزيجا من الشعور بالحاجة الى العوامل الدينية والاخلاقية والعقلية ، الى جانب القوة البدنية التى هى ضرورية لقوام المجتمع بوجه عام ، وللأوساط التى تحيا فيها بنوع خاص .

ومنشأ ضرورة التربية و الحاجة الماسة اليها هو ن الطفل لا يحمل معه الى الحياة الا طبيعته الفردية بالانانية الغريزية ، ولكنه يحمل ايضا الاستعداد لتعلية تلك الانانية وترقيتها . ومعنى هذا ان المجتمع ــ بازاء كل جيل جديد ــ يكون أمام صحيفة بيضاء ينبغى أن يبذل جهوده لينقش عليها ما يجعلها صالحة للحياة والسعادة المسعدة للغير اى ان المهيمنين على اموره يجب عليهم ــ عن طريق أصلح المناهج ــ أن يمزجوا بذلك الكائن الأنانى كائنا آخر عادلا معتدلا ، قادرا على قيادة حياة خلقية واجتماعية ، لا تستطيع الوراثة أن تحققها له .

ولما كانت هذه الجهود فى أشد الحاجة الى مدنية دائمة السير الى الامام ، لتكلل مساعيها بالنجاح ، وتضمن لباذليها الفوز بنتائج جهودهم .

ولما كان كل متأمل فى المدنية الغربية المادية ، يتضح له تمام الاتضاح أنها سائرة الى التدهور والانحدار بخطوات واسعة نرجو الا تهوى بسببها الانسانية كلها الى الحضيض .

ولما كانت الحضارة الاسلامية هى وحدها المستقيمة المعتدلة المتزنة السائرة الى التقدم والرفعة ، ولم تكب عبر التاريخ فى أية نكسة الا بسبب تقصير أبنائها أو انحرافهم عن مبادىء دينهم القويم .

لما كان كل ذلك من الحقائق الواقعية الناصعة ، فان أقل ما يحقق الانسانية من مسكة العقل ، يحتم على المهيمنين على شؤون الاطفال والمراهقين الا ينشئوهم الا على مبادىء التربية الاسلامية ليضمنوا لهم الاستقامة والقوة والشهامة والعدالة والسهر على اسعاد المجتمع الذى يعيشون فيه . بل على اسعاد الانسانية جمعاء « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » .

وأكثر من ذلك أن مبادىء الاسلام لا تقف عند تسوية الغير بالنفس الا بازاء المسلم العادى ، أما المسلم الذى يتطلع الى مزيد من السمو ، ويمد عينى قلبه الى وفرة من رضاء ربه ، والى رفعة منزلته الخلقية ، ولا يكتفى بمستوى الأخيار ، بل يرنو الى مكانة الأبرار ، فهو يفضل الغير على نفسه ، ويقف فى الدرجة الثانية أو الثالثة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

قدسية الهدف ومقومات النصر

للدكتور: وهبة الزحيلي
عميد كلية الشريعة ــ جامعة دمشق

لست فى هذا المقال قائدا يخطط لمعركة ، ولا مسؤولا ذا سلطة يتكلم عن نتيجة حرب بالأرقام والوثائق ، ولكنى امرؤ كسائر الملايين من مسلمى العالم هزته كارثة الهزيمة الاخيرة التى حلت بأمتنا ، فبات القدس الشريف والمسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومعراج ومسرى رسول الاسلام مثار الاحزان والآلام العميقة التى تتفطر منها القلوب ، واصبحت بلاد المسلمين والعرب فى ايدى أعداء المدنية والانسانية ، والديانات السماوية ، يعيثون فيها فسادا ، ويتملكهم الغرور والخيلاء ، فيهددون ويتوعدون ، ويتحدون العالم بما تهيأ لهم من دعم كبير ، وظروف مواتية تعاون فيها الحقد والبغى والعداء المستحكم للنيل من كرامة الاسلام والمسلمين وشرفهم وعزتهم ..

فانطلقت أصور ما يتفاعل فى نفسى وما يجول فى خاطرى من تأملات وملاحظات ، حول واقعنا المر الاليم ، مقارنا ومحاكما أوضاع أمتنا فى ماضيها وحاضرها .

حالة المسلمين والعرب :

ان اغلب بلاد المسلمين قد عانت من ويلات الاستعمار الشىء الكثير ، وحينما تهيأ الاستقلال الوطنى لأوطانهم جند المستعمر كل طاقاته ، وحشد كل امكانياته السياسية والفكرية والعسكرية لابقاء الضعف فينا ، وتقييد الانطلاق المنتظر نحو بناء مجدنا ، والوقوف بكل اصرار وعناد أمام وثبتنا الجبارة نحو غد مشرق افضل ، فلم يتمكن المسلمون والعرب من اعداد نفوسهم فى فترة الاستقلال القريب العهد اعدادا كاملا ، وحاول العدو والصهيونية العالمية أن تلعب دورا فى القاء بذور التفرقة بين الاخوة والدول العربية ، فاستضعفنا العدو ، واستمرا فعله ، وتأثر الناس بالاوهام والدعايات ، وكادوا يحسون العجز من نفوسهم لولا عناية الله ورحمته بنا .

ومع ذلك كله فمما لا شك فيه أن المسلمين والعرب توحد بينهم فى كل آونة ظروف الملمات والمصائب والاحداث ، فهم أبعد ما يكونون عن التغاضى عن أحوال أعـــدائهم ومؤامراتهم ، وهم أصلب النـــاس فى الصمود الطويل أمام الغزاة الطامعين ، وانى لمؤمن كل الايمان أن لدينا من الطاقات ما يمكننا بعون الله من النصر ، وأن جميع أفراد هذه الامة يسترخصون فى وقت الشدة كل غال ونفيس ، يقدمونه فى سبيل الصالح العام ، ولكن ينبغى على القواد أن يحسنوا الاستفادة من ذلك ، وأن يتولوا تنظيم تلك القوى المتحفزة بما يحقق الامل المرجو . فنحن أخوة وأمة واحدة ، فى الآلام والآمال ، والمصير المشترك . يقول سبحانه : « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. » الآية .

متطلبات المعركة :

الايمان ، التضحية والايثار ، البأس والاقدام .

نحن الآن فى مجال التربية والتعليم والتوجيه والاعداد أحوج الناس الى أن نفهم القتال بأن أساسه الايمان الصادق بالله عز وجل ، والعقيدة القوية ، والاحســاس بقدسية الهدف فى الدفاع عن دين الله ، وأرض الوطن ، وحرمات البلاد والحق والعدالة والحقوق والواجبات الدينية . فلا يكون احراز النصر من أجل عصبية أو قومية أو حزبية أو طائفية ، فالوطن للجميع ، ولا بديل عن الايمان يمكن أن يبذل المقاتل نفسه من أجله ، أو يضحى بحياته ، ما لم يكن هناك أصل مقدس يعتمد عليه ، ويحارب فى سبيله ، فلقد اثبت التاريخ أن العرب انتصروا بالايمان والجهاد فى سبيل الله ، وهذه طبيعة أصيلة فى نفوس أبناء أمتنا . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » فمن خلا عن هذه الخصلة فليس فى سبيل الله بل ان النصر منه بعيد ، فالقتال من اجل طلب المغنم ، أو اظهار الشجاعة ، أو الرياء ، أو الحمية لأهل أو عشيرة أو صاحب ، أو الغضب لجلب المنفعة ، وكل ما يتناوله المدح والذم ، كل ذلك ليس فى سبيل الله .

ولقد كان حسن الصلة بالله ، والايمان الخالص به ، هو ركيزة الانتصار وأساس الغلبة فى حروب المسلمين ، وهذا مثل من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـــا اقبلت قريش بغرورها الى وادى بدر فى موقعة بدر الكبرى : « اللهم هذى قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى » ولقد القى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بمكة يدعو فيها أصحابه الى الايمان قائلا : « ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم ـــ العرب ـــ خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعـ[illegible] ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، وانها لجنة ابدا أو لنار أبدا » .

فالمؤمن يعلم أن الاجل محتوم ، وأن الحرب لا تقـــدم ولا تؤخر فى أجل الانسان ، وأن الجهاد للآخرة لا للدنيا ، وأن طريق العرب والمسلمين الى تحرير الاجزاء المغتصبة هو الجهاد المقدس القائم على الايمان الحق الذى يحشد من أجله آلاف الطاقات المادية والمعنوية والبشرية من كل بلاد الاسلام ، وأن الشهداء

أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يسجلون لأمتهم أخلد صفحات العزة والفخار : « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » « من اغبرت قدماه فى سبيل الله ، حرمه الله على النار » « والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل » .

فلا يظنن الشهيد أنه مات فداء غيره ، فأصبح نسيا منسيا ، فهو ان استشهد فى سبيل الله مؤمنا به ومصدقا برسله مدافعا عن كيان امته وبلاده ، فهو مع الابرار والصديقين ، وفى أعلى الجنان يوم الخلود فى الآخرة ، فهو رابح على كل حال : ان مات ، فله حسنى الشهادة ، وان بقى حيا تكون له مثوبة وكرامة الجهاد ، وان انتصر المسلمون عزوا به ، وسادوا فى الارض وحققوا المجد والخلود ، وجنى هو ثمرات الانتصار : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين » .

والايمان والحرب يتطلبان التضحية والايثار ، فلن يتمكن المسلمون من تقرير مصير المعركة الفاصلة لجانبهم مع العدو الصهيونى الا اذا سالت الاباطح والجبال والوديان بالدماء الزكية الطاهرة ، وجند الناس كافة امكانياتهم المالية والبشرية فى سبيل المعركة المقدسة : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » .

والمعركة تتطلب الايثار : أن يؤثر الناس المقاتلين بكل ما يحتاجون اليه من امداد ومعونة وقوة واسعاف ومال ورجال ، فهذا أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وابن عوف ، والزبير ، وطلحة بن عبيد الله ، وغيرهم من سلفنا الصالح ساهموا مساهمة فعالة فى تجهيز الجيوش الاسلامية ، يقدم بعضهم كل ماله ، وبعضهم نصف ماله ، وبعضهم يجهز جيشا بكامله ، وبعضهم يبذل نفسه رخيصة فى سبيل الله ، مستشعرا ريح الجنة فى المعركة . لذا وصف الله المؤمنين بقوله سبحانه : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » : اى حاجة .

ومن المعلوم أن حالة المسلمين اليوم مع الصهاينة الاشرار تقتضي أن يكون الجهاد المسلح فرضا عينيا على كل قادر على حمل السلاح بتنظيم القادة والاعتماد على القوتين : المادية والروحية .

والمعركة تتطلب الصرامة والبأس والشجاعة والاقدام وانكار الذات والسرعة فى قلب المعركة لصالحنا : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق » « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » .

علائم النصر

العلم ، الاعداد ، الاخلاص فى القتال ، التوقيت الملائم للمعركة ، الصدق فى اللقاء والاستماتة فى سبيل الله .

قيل فى أعقاب الهزيمة الأخيرة : ان العلم غلب الجهل ، وهذا حكم صادق لحد ما ، فان عوامل الفشل : التخلف والجهل والتراخي الطويل فى التهيئة والتعبئة القائمة على أساس من الوعى والعلم والمعرفة واعداد أسباب القوى بأمضى سلاح واحدث اسلوب .

فلا ينكر أحد تغير وسائل القتال ، وتفنن البشرية فى ابتكار اساليب جديدة فى الحروب ، ونحن مطالبون بأن نعبىء للمعركة كل القوى العلمية والفكرية والآلية ، جاء فى الاثر : « قاتلوهم بمثل ما يقاتلونكم به » وقال عليه الصلاة والسلام : « الحرب خدعة » وقال تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقديما قال الشاعر العربى :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهى المحل الثانى

ويلاحظ أن العدو يجدد دائما فى عملياته الحربية ، والمسلمون والعرب عليهم أن يقوموا بتدريبات على أحسن طراز وأتومه ، فقد كان من أهم عوامل انتصار المسلمين فى الماضى هو التكتيك الحربى الرائع ، واستعمال كل ما تستدعيه الحرب من مبادىء الاستكشاف والتعرض والمفاجأة أو مباغتة العدو والتطويق والمطاردة وغيرها من مبادىء الحرب .

وذلك كله يتطلب اخلاصا فى العمل ، وتفانيا فى أداء الواجب ، وتمثيلا صادقا للأمة ، واستهانة بالراحة ، والعمل السريع اليقظ الذى تقتضيه سرعة المعارك الحديثة ، ونبذ الخلافات الشخصية والمنازعات الداخلية ، وتوجيه الدعم الحربى نحو صالح الجماعة ، والمحافظة على وحدة الأمة وكيانها ، والتخلص أولا من العدو المشترك .

ودخول المعركة تنتهز له الفرصة المواتية ، والتوقيت المناسب ، واستغلال الظروف التى تضع العدو تحت الأمر الواقع ، وفى ظلال رهيبة من النيران والرعب والخوف والذعر .

والثبات فى القتال أمام هجمات العدو وعدم الفرار الا لضرورة حربية من أهم دعائم الحرب : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم » .

ومن أمثال العرب : « الشجاعة وقاية والجبن مقتلة » وقد عرف العرب بالنجدة والمروءة ، والتضحية الرائعة ، والشجاعة الفذة والبطولة الخارقة . واما عدونا فقد بين الله سبحانه أنه مفطور على المراوغة والجبن والغدر والنذالة فهم لا يواجهون أحدا الا ضمن الآليات : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . وقد رأينا أخيرا كيف يربطون قائد الدبابة بالجنزير حتى لا يفر ويتركها ..

واما المسلمون فقد مثل آباؤهم أروع الامثلة عند لقاء الاعداء ، وهم اليوم كذلك أيضا اذا أحسن قيادهم ، فهذا سعد بن معاذ الانصارى سيد الاوس يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل الخروج الى معركة بدر : « قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر بالحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله » .

نفسية المقاتل :

بهذه النفسية المؤمنة الصادقة المخلصة كان المسلم يقاتل ، وهكذا ينبغى أن يقاتل ، محبا للموت ، كارها للحياة الذليلة ، مقبــلا على الله ، مدبرا عن الدنيا ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاؤها ليس برخاء ، انما النعيم والرخاء فى الآخرة ، كما قال سيدنا عبادة بن الصامت رضى الله عنه . وعندما كان الفرس والروم يهابون الموت ، سارعت الهزيمة باللحاق بهم وقد جنبنا الله سبحانه هذا الخوف ، لأنه لا يجتمع مع الايمان ، فقال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم : انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » « الذين آمنوا يقــاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت (الاوثان والضلالات) فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

واذا كان العربى لا يقيم على ضيم ابدا ، ولا يرضى بالذل والهوان ، فانه ان شاء الله سيطهر الارض من رجس المشركين ، ويعلى كلمة الله تعالى ، وتظهر هذه النفسية فى قول شاعرنا العربى أبى فراس الحمدانى حيث قال :

ونحن أنــاس لا توســط بيننــا ... لنا الصــدر دون العــالمين او القبر
أعز بنى الدنيــا وعلى ذوى العــلا ... وأكرم من فوق التــراب ولا فخــر

وليست اعتداءات اليهود المتكررة أمرا جديدا على البشرية ، فهم الذين كانوا سبب الحروب العالمية الحديثة ، وهم الذين حدثنا القرآن الــكريم عن طبيعتهم ونفسيتهم ، فقال تعالى واصفا حالهم : « لتجدن اشد الناس عــداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفــأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » .

القيادة الحكيمة الصارمة :

تتطلب الجيوش والمعارك كفاءات ممتازة ، وقيادة سليمة حكيمة ، وادارة حازمة صارمة تعرف المواقف ، وتدبرها على أساس منطقى ، لا ندم فيه . ولقد حدثنا التاريخ عن ضروب فذة للقيادة الراشدة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص ، وشرحبيل ابن حسنة وعلى بن أبى طالب وأبى عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود وطارق بن زياد وموسى بن نصير والحجاج بن يوسف وجعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وصلاح الدين الايوبى وغيرهم .

ولعل أهم صفة للقائد هى الايمان المطلق بالله ، وبضرورة الجهاد والثقة بالنفس وسعة الافق ، والاخلاص للبلاد ، ومعرفة المواقع والرجال ، والدقة فى معرفة الآليات ، واليقظة والحذر ، والذكاء والحكمــة ، والجراة والصرامة ، والتدرب الطويل على المعارك والحروب ، ونحو ذلك من كل ما يمثل القوة والسمو والفهم والحذق وضبط النفس .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

عثمان المفترى عليه

للأستاذ : محب الدين الخطيب

(١) رد اعتبار الحكم بن ابى العاص ..

من المؤاخذات التى يذكرها المتحاملون على عثمـــان زعمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن ابى العاص من المدينة ، وان عثمان اعاده .

وقد تناول هذه المسالة بالتحقيق اعلام المسلمين ، ومنهم شيخ الاســلام ابن تيمية فى كتابه العظيم ((منهاج السنة)) فى الجزء الثالث ص ١٩٦ . وقبله قاضى الأندلس الامام ابو بكر بن العربي فى ((العواصم من القواصم)) ص ٧٧ . والامام ابو محمد ابن حزم فى كتاب ((الامامة والمفاضلة)) المدرج فى الجزء الرابع

من كتابه ((الفصل فى الملل والنحل)) . ومجتهد الزيدية السيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى فى كتابه ((الروض الباسم)) ، بل من هم ابعد الناس عن محاباة امير المؤمنين عثمان ومنهم الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع فى كتابه ((سرح العيون)) .

وخلاصة ما دارت عليه اقوال هؤلاء الاعلام :

١ — ان نفى انسان من بلد الى بلد يكون بتغريبه عن بلده الى بلد آخر ، والحكم بن ابى العاص كان وطنه مكة ولم ينف منها الى غيرها ، ولم نعرف ان الحكم هاجر الى المدينة حتى يطرد منها .

٢ — قول شيخ الاسلام ابن تيمية ان قصة طرد الحكم ليس لها اسناد نعرف به صحتها .

٣ — قوله ان كثيرا من اهل العلم طعن فى نفى الحكم وقالوا هو ذهب باختياره ، أى أنه اختار الاقامة فى بلده .

٤ — اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد عزر رجلا بالنفى — وهو ما لم يثبت فى قصة الحكم ، لم يلزم أن يبقى نفيا دائما ، قال ابن تيمية — بل غاية النفى المقدر سنة . والتوبة مبسوطة ، فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الاسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة له كما قال الامام ابن حزم .

٥ — قال القاضى ابن العربى — قال علماؤنا قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال — أى عثمان — لأبى بكر وعمر فقالا له : ان كان معك شهيد رددناه ، فلما ولى قضى بعلمه فى رده .

وإذن النبى صلى الله عليه وسلم لعثمان رواه ايضا الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع ، قال ابن الوزير والمعتزلة من الشيعة والزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة .

٦ — كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فقبل صلى الله عليه وسلم شفاعته فيه وبايعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ؟ وقد رووا ان عثمان سأله أن يرده فأذن له فى ذلك .

٧ — ان قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح معروفة بالاسناد ، وأما قصة الحكم فقد ذكرت مرسلة ، وذكرها مؤرخون يكثر منهم الكذب فيما يروونه .

(٢) اعطاء عثمان خمس الخمس لابن ابى سرح ..

ومن المؤاخذات التى يذكرها المتحاملون على عثمان اعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن سعد بن ابى سرح .

وقصة ذلك على ما فى تاريخ الطبرى (٥ ــ ٤٩) ان عثمان لما امر ابن ابى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له « ان فتح الله عليك غدا افريقية فلك ما افاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا ارض مصر ، واوغلوا فى ارض افريقية ، وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما افاء الله عليهم ، واخذ خمس الخمس ، وارسل بأربعة أخماس الخمس الى عثمان مع ابن وثيمة النصرى ، فشكا وفد ممن كان معه الى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد فقال لهم عثمان : انا أمرت له بذلك ، فان سخطتم فهو رد ، قالوا ــ انا نسخطه ، فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده ، فرده ، ورجع عبد الله بن سعد الى مصر ، وقد فتح افريقية .

وقد ثبت فى السنة تنفيل اهل الغناء والبأس فى الجهاد ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى مكافأة سلمة بن الأكوع فى اغارة عبد الرحمن الفزارى على سرح النبى صلى الله عليه وسلم (انظر المنتقى فى أحاديث الاحكام (للمجد ابن تيمية ٤٣١٤ ، وفى غزوات أخرى ٤٣١٩ ، ٤٣٢٠ ، ٤٣٢١) قال القاضى أبو بكر بن العربى على أنه قد ذهب مالك وجماعة الى أن الامام يرى رأيه فى الخمس ، وينفذ فيه ما أداه اليه اجتهاده وان أعطاه لواحد جاز .

من هو سعد ؟

وعبد الله بن سعد بن ابى سرح صحابى من بنى عامر بن لؤى من قريش ، كان اخا عثمان من الرضاعة استجار له عثمان يوم فتح مكة فأجاره النبى صلى الله عليه وسلم ، وحسن اسلامه ، وكان من عظماء المجاهدين الفاتحين ، ولما اراد الله ادخال مصر فى الاسرة الاسلامية كان ابن ابى سرح فى طليعة الصحابة الذين اكرمهم الله بهذا الجهاد ، فكان صاحب الميمنة فى الحرب تحت لواء عمرو ابن العاص ، وكانت له مواقف محمودة فى الفتوح ، وبعد ان استتب الأمر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وادى النيل اختط ابن أبى سرح لنفسه خطة فى بقعة الجهاد المباركة حول الفسطاط الذى قام عليه أول مسجد للاسلام فى مصر .

وروى البرقى فى تاريخه عن الليث بن سعد انه قال « كان ابن أبى سرح على الصعيد زمن عمر ، ثم ضم اليه عثمان مصر كلها ، وكان محمودا فى ولايته » وهذه الحقيقة التى يقررها الليث بن سعد امام مصر عن امارة ابن ابى سرح على

مصر سنة ٢٥ هـ كانت مقدمة لقيام هذا الادارى العادل بقيادة الجيوش سنة ٢٧ هـ لافتتاح افريقية ، وكان ذلك من أعظم الفتوح ، بلغ منه سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وكان العبادلة على جلالتهم تحت قيادة ابن أبى سرح فى هذا الجهاد ، ثم واصل هذا القائد جهاده سنة ٣١ هـ فى غزاة الأساود ، وفى سنة ٣٤ هـ فى ذات السوارى فلما وقعت الفتنة فى المدينة كتب ابن أبى سرح الى عثمان يستأذنه فى القدوم الى المدينة من طريق العريش والعقبة ، واستخلف على مصر السائب بن هشام بن عمير ، فتغلب على مصر محمد بن أبى حذيفة الذى منع ابن أبى سرح من دخول مصر ، فمضى الى فلسطين واختار الاقامة بين عسقلان والرملة واعتزل الناس الى سنة ٥٧ هـ ، وفى صبح يوم من الأيام وهو بالرملة قال — اللهم اجعل آخر عملى الصبح ، فتوضأ ثم صلى ، فسلم عن يمينه ، ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه برحمة الله .

(٣) الكتاب المزور على أمير المؤمنين عثمان ..

تحدثنا من قبل عن قصة الكتاب الذى زعم من زعم أن أمير المؤمنين كتبه الى عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بأن يقتل محمد بن أبى بكر ، وأن ينكل بمن معه من الثائرين على عثمان .

وذكرنا من ادلة تزوير هذا الكتاب ، وانه لم يصدر عن عثمان ولا عن كاتبه مروان ، ان عثمان ومروان كانا يعلمان ان ابن ابى سرح لم يكن وقتئذ موجودا فى مصر ، لانه كتب من قبل الى الخليفة يستأذنه فى المجىء الى المدينة وانه فارق مصر ، وتغلب عليها محمد بن ابى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم فى الفسطاط .

وذكرنا ان زعيمى ثوار العراق الاشتر النخعى وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يخرجا منها — عند خروج جماعتهما من البغاة عائدين من المدينة الى اوطانهم فى المرة الاولى ، مقتنعين باجوبة أمير المؤمنين عثمان على الشبه التى وجهوها اليه ، فكان من مصلحة مدبرى الثورة ان يبتكروا وسيلة لاعادتهم الى المدينة ، ليجددوا الفتنة ، وكان هذا الكتاب المزور هو الوسيلة المبتكرة لذلك ، وذكرنا شواهد على تعدد الكتب المزورة بايدى رؤساء البغاة .

فتزوير الكتب فى مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة عليه ، وهم حين قدومهم الى المدينة فى بداية الأمر ، كانوا زعموا انهم تلقوا من علي وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها الى الثورة على عثمان ، بدعوى انه غير سنة الله ، فالأشتر النخعى وحكيم بن جبلة وأمثالهم من منظمى الثورة والدعاة اليها ، هم الذين تكرر منهم تزوير الرسائل من قبل ومن بعد لتحقيق غرضهم السيىء المبيت .

واعجب العجب فى أمر الكتاب المزور على عثمان ، وادعاء انه كتبه الى اميره على مصر عبد الله بن سعد بن ابى سرح الذى لم يكن حينئذ موجودا فى مصر ، اعجب العجب فى ذلك أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق ، عن قوافل الثـــوار المصريين فى الغرب عادتا الى المدينة معا فى آن واحد ، مع أن الكتاب المزور موجه الى طائفة واحدة منهما وهى قافلة المصريين .

فمسرحية الكتاب المزور مثلت فى الطريق الغربى الذى كان المصريون فيه وحدهم وكان الراكب المستأجر لحمل هذا الـــكتاب يتعرض لقافلة المصريين ثم يفارقها مبتعدا عنها ، ويكرر ذلك المرة بعـــد المرة ليثير شـــبهتهم فيه ، وكان المفروض لو كان صادقا وغير ممثل لمسرحية تلقنها أن يختفى عن عيـــون أهل القافلة ، ولا يشعرهم بوجوده ، لكنه لما تراءى لهم المرة بعد المرة ، قالوا له ــ مالك ؟ قال ــ أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر ان يصلبهم ويقطع ايديهم وأرجلهم ، فصدقوا ما أريد لهم أن يصدقوه ، ولم يعلموا أن الـــكتاب من تزوير الأشتر وحكيم بن جبلة ، اللذين لم يسافرا مع جماعتهما الى بلديهما ، بل تخلفا فى المدينة (الطبرى ٥ ــ ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان فى المدينة لأجله ، الا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران يومئذ فى غيرها .

فلما عادت قوافل الفريقين ــ العراقيين والمصريين ــ الى المدينة وصـــلتا اليها معا كأنما كانوا على ميعاد ، ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين ، استأجروا راكبا آخر خرج من المدينة قاصدا قوافل العراقيين شرقا ، ليخبرهم بأن المصريين اكتشـــفوا كتابا بعث به عثمان الى عبد الله بن ســـــعد بن أبى سرح فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر (الطبرى ٥ ــ ١٠٥) .

فقال لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه عند وصـــــولهم جميعا فى آن واحد : كيف علمتهم يا اهل الكوفة ويا اهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر ابرم بالمدينة . (يشير كرم الله وجهه الى تخلف الأشتر وحكيم فى المدينة ، وانهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية) .

فاجابه الثوار العراقيون بلسان رؤسائهم ــ فضعوه على ما شـــئتم . لا حاجة لنا الى هذا الرجل ، ليعتزلنا .

وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة وان الغرض الأول والاخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان ، وسفك دمه الذى عصمه الله بشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(٤) محاباة الأقارب وتوليتهم ..

ومن مؤاخذاتهم لعثمان أنه حابى أقاربه ، وكان يوليهم الادارة فى البلاد ، والقيادة للجيوش . وعثمان لم يول أقاربه محاباة لهم ، بل لكفاءتهم فى صناعة الحكم ، وتفوقهم فى قيادة الجيوش ، ونجاحهم فى انتصاراتهم التى لا يكاد يكون لها نظير .

وليس عثمان أول من ولى رجالات بنى أمية الادارة والقيادة ، بل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أسبق فى اسناد الولايات اليهم ، فقد استعمل عتاب ابن أسيد الأموى على مكة كبرى مدن الوطن الاسلامى فى الصدر الأول ، وولى أبا سفيان بن حرب على نجران ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، واستعمل غيرهم ، وكذلك فعل ابو بكر فى خلافته ، ثم عمر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة : **والنقل عن النبى صلى الله عليه وسلم فى استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه ، بل متواتر عن أهل العلم ، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عند كل عاقل فى منتهى الظهور .**

واذا كان عثمان قد ولى اقاربه لكفاءتهم وتفوقهم ، فان عليا ولى اقاربه من قبل ابيه وامه كعبد الله بن عباس ، وعبيد الله بن عباس ، وحكم بن عباس ، وثمامة ابن عباس وولى على مصر ربيبه محمد بن ابى بكر الذى رباه فى حجره وتزوج امه بعد وفاة الصديق الأعظم .

قال ابن تيمية : والذين ينكرون ما ينكرون من ذلك على عثمان فى ولاية اقاربه من بنى أمية فان عليا كان فى ذلك ابلغ من عثمان ، واذا ادعى لعلى العصمة مما يقطع عنه السنة الطاعنين ، فان ما يدعى لعثمان من الاجتهاد والذى يقطع السنة الطاعنين اقرب الى المعقول والمنقول (انظر منهاج السنة ٣ — ١٧٣ — ١٧٤) .

(٥) لين عثمان وبعض مظاهره ..

اللين والشدة من الصفات النسبية التى لا يمكن تحديدها فى مختلف الأحوال ، وقد يكون الحاكم لينا فى نفسه ، وفى معاملته لأفراد الناس ، ولا يكون كذلك فى حكمه وتصريفه لأمور الدولة .

وكان أبو بكر موصوفا باللين ، لكنه كان يولى الشديد ، ويستعين به ليعتدل

(البقية على صفحة : ٥٦)

إسرائيل

جريمة الاستعمار

تقرير بريطاني في سنة ١٩٠٧ يقترح زرع إسرائيل في قلب العرب

للدكتور : محمد ضياء الدين الريس

رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة

اسرائيل ليست ظاهرة منفصلة أو قائمة بذاتها ، ولكنها أثر الاستعمار أو نتيجته . وهى متلازمة معه ، ولا بقاء لها الا فى حمايته ورعايته .

واذا كان الاستعمار القديم الذى أوجدها قد اندثر أو قضى عليه بفضل الجهاد العربى ، فانها تحاول أن تبقى الآن فى حماية الاستعمار الجديد ، وهو الذى لا بد أن تقضى عليه الأمة العربية أيضا .

فاسرائيل ما هى الا ظاهرة شاذة مفتعلة ، مضادة لسير التاريخ ، ومناقضة لروح العصر والمدنية المتقدمة . ولذا فان نهايتها محتومة ، ومقضى عليها بالزوال — وذلك اذا اجمعت الأمة العربية امرها ، واتخذت الوسائل القوية الحاسمة ، لتطهير الوطن العربى من هذا الأثر الاخير للاستعمار ، وهو بقية عصر باد ، أو يوشك أن يصل الى نهايته .

بدأ وجود هذه الحركة فى أواخر القرن الماضى — التاسع عشر — وكان هذا الوقت هو الذى بلغ فيه الاستعمار الأوربى ذروته . فكان يتسابق ويتدافع للوثوب على الأقطار فى آسيا وافريقيا ، ومنها بلاد الشرق الأوسط . وجاء الاحتلال البريطانى لمصر — ١٨٨٢ — نذيرا بما ينوى الاستعمار أن يفعله بالدولة

العثمانية ، والأقطار العربية المتصلة بها . فحينئذ فكرت جماعات من اليهود ، المكروهين فى أوربا ، أن هذه هي فرصتهم ليلحقوا بركاب الاستعمار ، ويلتقطوا قطعة من بلاد الدولة العثمانية ؟ وولوا أنظارهم نحو فلسطين بالذات ، لأوهام وخرافات تملأ اذهانهم ، ولأطماع عدوانية يخفونها حتى تتمكن اقدامهم . فظهرت اذن الحركة الصهيونية ، وهى السعى للعودة الى صهيون — القدس — وفلسطين . فلم تكن الا جزءا من حركة الاستعمار العامة ، ومن موجة الاندفاع نحو الشرق العربى ، الذى كانت الدول الأوربية تتطلع الى تقسيمه والتهامه .

• • •

وحانت الفرصة حين انضمت تركيا الى المانيا والنمسا ضد بريطانيا وحلفائها ، فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) فحينئذ اقتربت لحظة التقسيم ، ونشط زعماء الصهيونية ، فاتصلوا برجال السياسة البريطانية والتقت الأغراض ، وتم الاتفاق على المؤامرة .

فقد كان هؤلاء الساسة من غلاة المستعمرين واصحاب العقلية البائدة ، الذين يعملون لبناء الامبراطورية ، وتوسيع حدودها ، ويعتقدون أن الاستعمار البريطانى سيبقى الى الأبد . كما انهم كان يستولى عليهم — أيضا — ويوجههم تعصب دينى ، فهم متأثرون بكتب اليهود وأساطيرهم ومعتقداتهم ، ويشاركونهم الحقد والكراهية للدولة العثمانية والعرب . والاسلام . وهذا الجيل من عتاة المستعمرين هم الذين حكموا بريطانيا ، وتصرفوا فى شئون الشرق الاوسط وذلك من بدء الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى نهاية الربع الأول من القرن العشرين .

• • •

خطة قديمة

وكانت سياسة الاستعمار ازاء الشرق العربى قد تبلورت فى تقرير خاص كتبه خبراء وزارة الخارجية البريطانية فى عام ١٩٠٧ ، وجاء فى هذا التقرير :

((ان الخطر ضد الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط ، فعلى الشواطىء الشرقية والجنوبية لهذا البحر يعيش شعب واحد ، تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعته للتحرر . فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة ، وامكانيات الصناعة الأوربية ، وانتشر التعليم بها ، فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربى . فيجب اذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة ، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتاخر ، وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الآسيوى . وتقترح اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب ، يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقيا ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة)) .

• • •

ولما حانت الفرصة فى اثناء تلك الحرب ، وعرض زعماء الصهيونية على المستعمرين الانجليز مشروع انشاء وطن لليهود فى فلسطين ، واستطاعوا أن يقنعوهم بأن هذا — الى جانب ارضائه لميولهم الدينية — فيه مصلحة للاستعمار وتثبيت للنفوذ البريطانى فى الشرق العربى ، وحراسة لموارد البترول وقناة السويس وكان الاستعماريون اذ ذاك فى أزمة اقتصادية وحربية وجدوا أن

الاتفاق مع الصهيونيين ــ فوق أنه يحقق مطامعهم الاستعمارية ــ سيؤدى أيضا الى مساعدتهم للخروج من الأزمة ، لانضمام الراسمالية اليهودية العالمية الى جانبهم ، وعملها ضد الألمان فى داخل وطنهم بالخيانة وسعيها لاشراك امريكا فى الحرب الى جانب الحلفاء .

• • •

ومن الوثائق المثبتة للعلاقة الوثيقة بين المشروع الصهيونى والاستعمار الرسالة التى وجهها الزعيم الصهيونى « وايزمان » الى الشعب البريطانى والمسئولين ، ونشرتها صحيفة « المانشستر جارديان » ، والتى قال فيها : ..
« الا ترون انه يمكننا الآن القول بانه اذا اصبحت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني ، ووافقت بريطانيا على اقامة مستعمرة يهودية فيها تحت الحماية البريطانية ، فانه فى خلال عشرين سنة نستطيع أن يكون لنا هناك مليون يهودى أو اكثر ، يشكلون حراسة عملية لقناة السويس ؟ » !!

وفيما يتعلق بالمشاعر الدينية التى كانت تحرك الساسة الانجليز وكانت تقترن بالتعصب ، فان « وايزمان » ــ الذى كان على اتصال مستمر بهم ــ يقول فى مذكراته :

« ينسبون الى فضل الحصول على تصريح « بلفور » .. ولكن الحقيقة أن السبب الرئيسى لفوز اليهود فى الحصول على وعد من بريطانيا بانشاء الوطن القومى اليهودى هو شعور الشعب البريطانى المتأثر « بالعهد القديم » (توراة اليهود) . وان رجالا من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين من أعماق قلوبهم ، ومؤمنين بما ورد فى هذا الكتاب ، ونظروا الينا معشر الصهيونيين كممثلين لفكرة يعتقدون فيها اعتقادا كليا » .

• • •

فكانت نتيجة كل هذه العوامل ــ السياسية والدينية ــ أن أصدر اللورد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا وكان أحد هؤلاء المستعمرين المتعصبين ــ تصريحه المنكود المعروف فى نوفمبر ١٩١٧ ، وذلك بالنيابة عن حكومته ، وهو الذى أعلن فيه تأييد بريطانيا للأغراض الصهيونية ، وتعهدها بأن تبذل أقصى ما فى وسعها لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

صدر هذا التصريح فى صورة خطاب وجهه وزير الخارجية الى اللورد (روتشيلد) ــ أحد كبار الصهيونيين الراسماليين ــ ولم تكن بريطانيا قد دخلت فلسطين بعد ، ولم يكن لها أى حق ، قانونى أو دولى فيها ، فكان وعدا صادرا من غير ذى صفة ، ودون رعاية لحق شعب فلسطين فى تقرير مصيره ، فكان تصرفا باطلا .

وكان نص هذا التصريح كما يلى :

« عزيزى اللورد روتشيلد »

يسرنى سرورا كثيرا ان انهى اليك ــ نيابة عن حكومة جلالته ــ التصريح الآتى الذى يعلن العطف على المطامح اليهودية وقد عرض هذا التصريح على الحكومة البريطانية فوافقت عليه .

ان حكومة جلالته تنظر بعين الرضا والتأييد الى اقامة وطن قومى فى

فلسطين للشعب اليهودى . وستبذل أعظم جهودها لتسهيل تحقيق هذا المشروع .

على أنه مفهوم بوضوح أنه لن يعمل شىء يمس الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية التى توجد الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر .

واكون معترفا بالشكر اذا تفضلت بأن تبلغ هذا التصريح الى الاتحاد الصهيونى » .

هكذا كان بدء هذه الجريمة ، أو هذا المشروع الصهيونى الذى أسموه فيما بعد « اسرائيل » وقد كان — كما بينته هذه الحقائق — مشروعا استعماريا يهدف الى تحقيق مطامع الامبرياليين البريطانيين واتباعهم الصهيونيين ، وتدفعه مشاعر دينية تعصبية نابعة من معتقدات ضالة .

وقد وضع هذا المشروع ، وأخذ فى تنفيذه دون اعتبار لارادة شعب فلسطين ، بل دون نظر الى وجوده ، فكان مشروعا عدوانيا ظالما مخالفا لكل القوانين والمبادئ . ولذا لم يمكن تنفيذه الا بقوة الاستعمار — قوة السيف والحديد والنار . وعلى مدى ثلاثين عاما (١٩١٧ — ١٩٤٧) رزحت فيها فلسطين تحت الحكم العسكرى المباشر .

ومع ان بريطانيا دخلت فلسطين بمعونة العرب ومتحالفة معهم ، واخذت الانتداب من عصبة الأمم لكى تدرب شعب فلسطين — كما تقول وثيقة الانتداب — على الحكم الذاتى ، الى ان تصل به الى الاستقلال ، فانها غدرت بالعرب وخانت الأمانة ، فأدخلت الشعب السجون ، وفتكت به ، على حين فتحت باب الهجرة لليهود على مصراعيه ، وسلمت زمامها للوكالة الصهيونية ، فكانت هذه جريمة من أبشع الجرائم التى ارتكبها الاستعمار فى تاريخه الممقوت ، بل أكبر جريمة ارتكبها على الاطلاق ضد الانسانية والعدل والقانون .

وبعد أن أتم الاستعمار القديم تنفيذ جريمته ، سلم البلاد الى شركائه الصهيونيين والى الاستعمار الجديد ، ليواصل حماية الجريمة ، واستمرار نتائجها . فتولت « أمريكا » المهمة بدلا من بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية ، فدفعت بالعدوان مرحلة ابعد . وأكبر خطورة ، وبذلت جهدها لتكسبه صفة دولية . وكانت نتيجة هذا كله المأساة التى نشهدها ويراها العالم ، وهى اخراج شعب بأكمله من وطنه ، ليعيش لاجئا فى الصحراء أو البلاد المجاورة ، واقامة دولة من الغرباء فى هذا الوطن على أساس الاغتصاب ، وصارت مهمة هاته الدولة المصنوعة أن تشن العدوان من حين لآخر على الدول العربية ، وتنهب الأراضى بالقوة ، وتقضى على الأمن والسلام فى الشرق الأوسط ، وهى فى ذلك تخدم الاستعمار ، فتحقق اغراضه ، بأن تستنزف جهود الدولة العربية ، وتقف حاجزا بينها فتمنع وحدتها ، وتعوق نهضتها ، وبذلك تعمل على اخضاع المنطقة للنفوذ الامبريالى لخدمة مصالحها الاحتكارية ، وفى مقدمتها البترول ، وتنفيذ خططه السياسية أو الحربية ، وتظل هكذا قاعدة للاستعمار والتحدى والعدوان فى الشرق العربى .

فالاستعمار الجديد يقف اليوم وراء هذه القاعدة يحميها ويسندها ، ويمدها بالأسلحة والأموال ، ويدفعها للقيام بأعمال عدوان أخرى ، وهو لا يختلف في

أهدافه عن الاستعمار القديم ، فله مثل مطامعه الاقتصادية والسياسية ، وتحركه المشاعر الدينية التعصبية وان كانت وسائله مختلفة لأنها ليست بقوة الاحتلال الظاهر ، وانما بالسيطرة المستترة ، أو باستخدام أدوات له لتنفيذ مآربه ، كما أنه أيضا أكثر حماقة لقلة خبرته ، ولأنه يستولى عليه غرور القوة .

غير أنه فى هذا الغرور يكمن السر الذى سيؤدى الى التغلب عليه وفشله فى النهاية ، فهو لا يدرك روح العصر ، ولا يكاد يعترف بما طرأ على العالم من تطور وظهور قوى مؤثرة تعمل للسلام ، وتناضل من أجل العدل واحترام حقوق الشعوب ، كذلك لا يفهم حقيقة الأمة العربية ، ولا ما حدث من تغير فى أوضاع منطقة الشرق الأوسط .

فحين أصدر المستعمرون الانجليز تصريحهم الذى بدأ به العدوان على فلسطين كانت « الدولة العثمانية » التى تشغل هذه المنطقة فى آخر عهدها ، ولم تكن الأمة العربية قد ظهرت بعد على مسرح التاريخ كقوة سياسية أو دولية أو اقتصادية (١) ، لكن قد مضى الآن على هذا التاريخ خمسون عاما أو أكثر ، وقد زالت الدولة العثمانية وحلت محلها الأمة العربية ، فبدأت نهضتها وأثبتت وجودها وكافحت الاستعمار حتى ظفرت بحريتها ، وقامت فيها دول عديدة مستقلة . فالأمة العربية المتوثبة الطامحة هى التى تشغل الآن منطقة الشرق الأوسط ، وهى تعمل بكل دأب واصرار على تحقيق وحدتها ، واستكمال قوتها ، وطرد الاستعمار فى أى شكل من أشكاله من أرضها ، ولا تتم هذه الوحدة والقوة والتخلص من الاستعمار الا باستعادة فلسطين العربية ، وتوحيد الأرض العربية كلها من المحيط الى الخليج ، وازالة القاعدة الباقية للاستعمار « اسرائيل » من هذه المنطقة لتأمن الشعوب العربية على حريتها ، ويزول عنها الخطر الذى يهددها فى كل وقت ، ويتأكد استقلالها وتتضاعف قوتها .

ولذا فان الواجب على الأمة العربية — وهى صاحبة الحق الطبيعى — وقرينة التاريخ ، ومظهر القانون ، والتى تمثل روح العصر ، تعاونها كل قواه التقدمية أن تجمع كل ارادتها وتحشد كل جهودها لتحطيم هذه القوة المادية ، وهذا شىء فى امكانها ، وقادرة عليه — بالبداهة — كل القدرة ، وما عليها الا أن توفر لنفسها الشروط اللازمة لاحراز التفوق الحربى ، وتحقيق النصر .

والتفوق الحربى يتم بالأسلحة الحديثة — ولا سيما السلاح الجوى — والتدريب والمهارة فى وضع الخطط والتنفيذ ، كما أن من أول شروطه الايمان والاخلاص والشجاعة والاتحاد ، وأن توجهه السياسة الحكيمة التى تضمن بلوغه الى هدفه . فحاضر العرب اذن ومستقبلهم مرهون بعلو الهمة وصدق العزم وقوة الايمان والارادة للنهوض بهذا الواجب ، وما بين العرب والوصول الى أهدافهم — من الاستقرار والسلام والمجد — الا أن يسجلوا نصرا خالدا على عدوهم فى موقعة حاسمة تاريخية تضاف الى أمجادهم السابقة ، أيام ظفروا بانتصاراتهم الداوية : فى « اليرموك وحطين ، والمنصورة ، وعين جالوت » . والله ناصر الحق ومؤيد المؤمنين ■■

---

(١) واذا كان اختيار ذلك الوقت بالذات لوضع حجر الاساس لهذا الشر يدل على مهارة سياسية نادرة كان مخططا لها من قبل فان صحوة الدول العربية كفيلة بافساد هذه « الطبخة » والقضاء عليها ، وهذا يتوقف على يقظتنا وجديتنا فى فرض وجودنا على القوى المعادية . « الوعي »

(٤) تاريخكم ..
يا شباب الإسلام !!

آمنوا بأنفسكم وماضيكم المجيد

للاستاذ : احمد محمد جمال

استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الرياض

كنت استمع ، ذات ليلة ، الى محاضرة عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. القاها مدرس مصرى ، فى أحد الأندية الرياضية . وكانت محاضرة قيمة ممتعة . وقام بعض الحضور للتعقيب على المحاضر فى بعض ما ساقه من آراء .. فراعنى أن ينهض أحد الشباب معقبا بكلام سقيم ، يطالب فيه المحاضر بتطبيق مذهب الديكارتية فيما تحدث عنه من تاريخ الامام ، دون أن يبدى رأيا له فى فقرة بعينها من حديث المحاضر أو آرائه ..

كان تعقيبه مجرد تشدق وتظاهر بأنه يعرف شيئا اسمه (الديكارتية) ومفكرا غربيا اسمه (ديكارت) !!

لقد أسفت على هذا الشاب المحسوب على العروبة والاسلام ، وزاد أسفى أنه ليس الوحيد فى دنيا العرب والمسلمين . فهناك الكثير من شبابنا العربى المسلم ينحو نحوه ، ويحيا حياته ، اعجابا واصطحابا لنظريات الغربيين على ما فيها من اعوجاج وانحراف . دون أن يلتفت الى (ماضيه) الحافل بجلائل الفكر النير . وقد صدق عليه قول الشاعر العربى :

واذا فاتك التفات الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التاسى

ان الديكارتية .. التى يملأ بها ذلك الشاب فمه ، ويرائى بأنه مثقف عصرى ، لأنه ينطق بها ، ويطالب المتحدثين بتطبيقها فى مناهج أبحاثهم ودراساتهم — هى نظرية ديكارت فى البحث العلمى الذى يجب أن يقوم أولا على الشك حتى ينتهى الباحث الى اليقين .

السبق الاسلامى الى مذهب الشك

ولو أن شبابنا العربى المسلم قرأ تاريخه ، ودرس حضارته الفكرية .. لعرف أن المسلمين سبقوا ديكارت واتباعه وطلابه ، الى نظريته التى يظنون انها حديثة ، وانها ابتكار غربى جديد .

ونحن — المسلمين — لا نسمى هذه النظرية « مذهب الشك » كما سماها ديكارت واتباعه ، والمتمدحون ببراعته وبلاغته . وانما نسميها (التوثيق) ذلك المبدأ الذى اخذ به علماء الحديث النبوى لمعرفة حقيقة الرواة ، وللتثبت من نص الحديث المروى ، والاستيثاق من حفظ الراوى ، واتقانه ، وضبطه لما يرويه ، وحسبنا أن نشير الى قواعد الجرح والتعديل ؛ لنعرف مدى تمسك رواة السنة النبوية بمبدأ (التوثيق) .. أومذهب الشك كما يحب أن يسميه العصريون .

ولم يكتف المسلمون بمذهب التوثيق فى رواية الحديث النبوى وحده باعتباره الأصل الثانى أو المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .. بل تجاوزوه الى كتابة التاريخ .. فقارىء كتب التاريخ العربية يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يثبتون الأحداث ، ويروون الأخبار عن عدد من الرواة ، كما هو الشأن فى الحديث النبوى ، وان كانت قواعد الجرح والتعديل لا تطبق كثيرا فى رواية التاريخ . كما يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يكتفون بتقرير الحقائق التاريخية ، دون أن يدخلوا فيها بآرائهم وأهوائهم .. كما هو الحال فى كتابة التاريخ عند الغربيين .

وقد اخذ بعض مفكرى الغرب المحدثين على المؤرخين العرب نقلهم الأحوال التاريخية الموروثة الى الأجيال التالية بدون نقد أو تعليق ، واتهموهم — لذلك — بضيق الأفق والعجز عن النقد ...

مع أن النظرية العربية فى كتابة التاريخ هى الأصوب ، والأسلم من تداخل الآراء الخاصة فى صلب الأحداث والأخبار ، مما يبتعد بالرواية عن مبدأ التوثيق ، وقد ايد النظرية العربية فى كتابة التاريخ من المؤرخين الغربيين العصريين : (أكتون) و (كريتون) اللذان ناديا بعدم الاسراف فى تفسير الحوادث ، وطالبا بأن يكتب التاريخ بطريقة موضوعية ، مع مراعاة الأمانة ، فى وصف الأحداث ، والبعد عن المبالغة والتهويل .

وتمشيا مع مبدأ (التوثيق) فى كتابة التاريخ دعا ابن خلدون الى فحص الحقائق ، والتأكد من صحتها ، وتمحيص الأسباب التى أنتجتها .

ومن مظاهر (التوثيق) الذى سبق اليه المفكرون المسلمون : تلك الاجازات التى كان العلماء يمنحونها لتلاميذهم اذنا لهم بالتدريس أو الفتيا أو رواية الحديث النبوى ، بعد أن يستوثقوا من أمانتهم ومقدرتهم وصلاحهم .

وكما سبق الفكر الاسلامى الى مبدأ التوثيق — الذى يطلقون عليه اليوم (الديكارتية) — فى تفسير القرآن ، ورواية الحديث النبوى ، وكتابة التاريخ .. طبق علماء اللغة ، هذا المذهب فى الاستعمالات اللغوية ، فراعوا فى وضعهم لأصول اللغة العربية وقواعدها ما راعاه علماء الحديث النبوى — ومن ذلك تقسيمهم اياها الى متواتر وآحاد . .وعنوا بالمتواتر : لغة القرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب . وكان هذا النوع الدليل القطعى ، واشترطوا للتواتر أن يبلغ عدد النقلة حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب . وأما غير المتواتر فهو ما تفرد بعض اهل اللغة بنقله ، ولم يتحقق فيه شرط التواتر .

أمثلة من أئمة التوثيق :

ونضرب بعض الأمثلة من ائمة التوثيق — فى المناهج الفكرية الاسلامية —

لشبابنا الذى يتغنى بمذهب الشــك عنــد ديكارت ، ويجهــل أن فى تاريخه الاسلامي سبقا الى ما هو مثله في موضوعه ، ولكنه افضل واكمل ..

فالامام الغزالى حجة الاسلام ــ سبق الى مذهب الشك . فهو يقول فى كتابه (المنقذ من الضلال) : انه كان منذ شبابه في طلبه للعلم يتوغل في كل مظلمة ، ويتهجم على كل مشكلة ، ويتفحص عقيدة كل فرقة ، ويكشف أسرار مذهب كل طائفة . ولا يغادر باطنيا ولا ظاهريا ، ولا فلسفيا ولا متكلما ، ولا صوفيا ولا متعبدا ولا زنديقا الا بعد أن يعرف دوافعهم ومعارفهــم واسرارهم وبراهينهم .

ويقول الغزالى في كتابه (ميزان العمل) موجها نصيحته الى طالب العلم : اطلب الحق بطريق النظر . ولا تكن في صورة أعمى مقلد . وانما خــذ الحق أينما وجدته » .

وكان شعاره فى عمله الفكرى : « لا تعرف الحق بالرجال ، بل أعــرف الحق تعرف اهله » .

ويقول الدكتور عمر فروخ تعليقا على مذهب الامام الغزالى فى تحصيل العلوم والتفقه فى الدين عن طريق الشك الباحث في حقائق الأمور : « ان هذا الموقف الذى وقفه الغزالى من الدين لا نجده عنــد معاصريه من الأوربيين ، ولا عند الذين جاءوا من بعده . فما كان بالامكــان أن يفترض مفكر أوروبى أن النصرانية لا تثبت صحتها الا بالعقل ، كما فرض الغزالى أن الاسلام الموروث عن الوالدين لا قيمة له ما لم يقم فى نفس كل مسلم مفكر برهان على صحته » .

. . . .

والمثال الثانى على سبق الفكــر الاســـلامى الى مذهب التوثيــق : هو الفيلسوف (ابن رشد) الذى يحث على النظر فى الموجودات واعتبار ما تقتضيه منها شرائط البرهان ، فما كان موافقا للحق قبلناه ، وما كان غير ذلك نبهنا اليه وحذرنا منه » .

والمثال الثالث : ابو اسحاق النظام .. الذى يعتبر (الشك) اساســا للبحث ويقول : الشاك اقرب اليك من الجاهد . ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل احد من اعتقــاد الى اعتقاد غيــره حتى يكون بينهما حــال « شك » أما (التجربة) فقد استخدمها النظام كما يستخدمها رجال الطبيعــة والكيمياء اليوم فى معاملهم ، واجرى تجاربه على الحيوانات والطيور والأفاعى لمعرفة تأثير الخمر عليها !

فأين يقف (ديكارت) ومذهبه فى الشك .. أمام هذه الثروة الضخمــة الفخمة من سوابق الفكر الاسلامى فى مذهب التوثيق : شكا فبحثا فيقينا ؟ .

من سوابق التفكير الاسلامى التربوى :

ومن الشبهات والتهم التى يغالط بها شبابنا العربى المســلم : زعم بعض المستشرقين ــ أمثال كارادى فو ــ انه لم يوجد فى الشرق ذوق فطرى للتعليم ، ولا ميل للبحث عن المناهج العقلية ، ولا رغبة فى مسائل التربية ، ولا اهتمام بأمر الطفولة الخ ..

ولازالة هذه الشبهات من أذهان شبابنا ، وأبطال هذه المزاعم ــ نذكر

بعض ما دافع به مفكرونا وعلماؤنا ، ثم نشير الى شيء يسير من حقائق السبق الاسلامي في مجال التربية والتعليم .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق (ان المسلمين لم يتخلفوا عن غيرهم في ميدان التربية والتعليم . فقد كتب أئمتهم ومفكروهم في موضوع التربية والتعليم منذ القرون الأولى . وكانت لهم أنظار طريفة لم يخلق تطاول الزمن جدتها) .

ويقول الدكتور احمد فؤاد الأهواني في كتابه (التربية فى الاسلام) : لا نزاع في أن العرب قد بلغوا فى القرون الأولى الاسلامية درجة عظيمة من الحضارة .. انتشرت من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . ولا حضارة بغير علم ، ولا علم بغير تعليم ، ولا تعليم بغير نظام معين يرتب الصلة بين المعلمين والتلاميذ ، ويفصل المناهج وطرق التربية وسائر ما يتصل بالتعليم من ادوات »

اذن فهناك تربية اسلامية ، وتعليم اسلامي منذ القرون الأولى . بل هناك مؤلفات تربوية وضعها مفكرون اسلاميون أمثال ابن كنون ، والقابسي ، والغزالي ، وابن خلدون ، وغيرهم . ولم يضعها المسيحيون العرب كما زعم المستشرق الفرنسي كارادى فو ...

ويتحدث الدكتور الأهواني فى كتابه عن رسالة (القابسي) فى تعليم الأطفال ، فيؤكد أنها من الحجج التي تذهب بالوهم الذى علق بالأذهان ، وهو أن المسلمين لم يهتموا بتعليم الأطفال ، وتثبت أن المسلمين ابتكروا فى التربية آراء جديدة لم يصطنعوها عن العرب المسيحيين ، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية واللاتينية ...

ورسالة القابسي هذه ترفعه الى قائمة قادة التربية ، وتضعه فى سجل المبرزين .. فهى ترسم منهجا تربويا رائعا ، يشمل واجب الآباء نحو أبنائهم — ومؤهلات المعلمين ومسؤولياتهم — وطرائق تعليم الأطفال — ومراقبة سلوكهم — وتحديد العقوبات التي ينبغى أن تنزل بالمخالفين منهم مع النهى عن عقوبة الانتقام — وتعويد الأطفال على الاستقلال الشخصي — والرفق فى معاملتهم . وقد دعا القابسي فى رسالته الى تعليم البنات فى حدود طبيعتهن ووظيفتهن ، كما نادى (بالتعليم الالزامي) فدل بذلك على تقدم الفكر الاسلامي التربوى ، وعلى سبقه للحضارة العصرية .

وهناك سوابق تربوية وتعليمية فى رسائل اخوان الصفا — وكتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لاحمد بن مسكويه — وفى كتاب (السياسة) لابن سينا — ومؤلفات الغزالي — وكتاب (تعليم المتعلم ..) للزرنوجي — وفى مقدمة ابن خلدون الخ .

وحسبنا أن نشير هنا الى سبق ابن سينا الى القول بمسايرة ميول الطفل ثم توجيهه الى الصناعة أو المهنة التي تتفق مع ميوله ، فقد ألزم معلم الطفل أن يسبر قريحته ، ويزن طبعه ، ويختبر ذكاءه .. ثم يختار له الصناعة التى تتفق مع استعداده . وهو رأى — كما يقول الدكتور الأهوانى — من الآراء الحديثة فى التربية وعلم النفس !

كما سبق الزرنوجى علماء التربية الحديثة الى طريقة التكرار الموزع على عدة أيام لضبط المعلومات وتذكرها . هذه — يا شباب الاسلام — صفحات أخرى من تاريخكم تشعركم بالفخر ، وتدعوكم للذكر ، وتلزمكم بالعمل ■■

نسمات من أفياء الأقصى

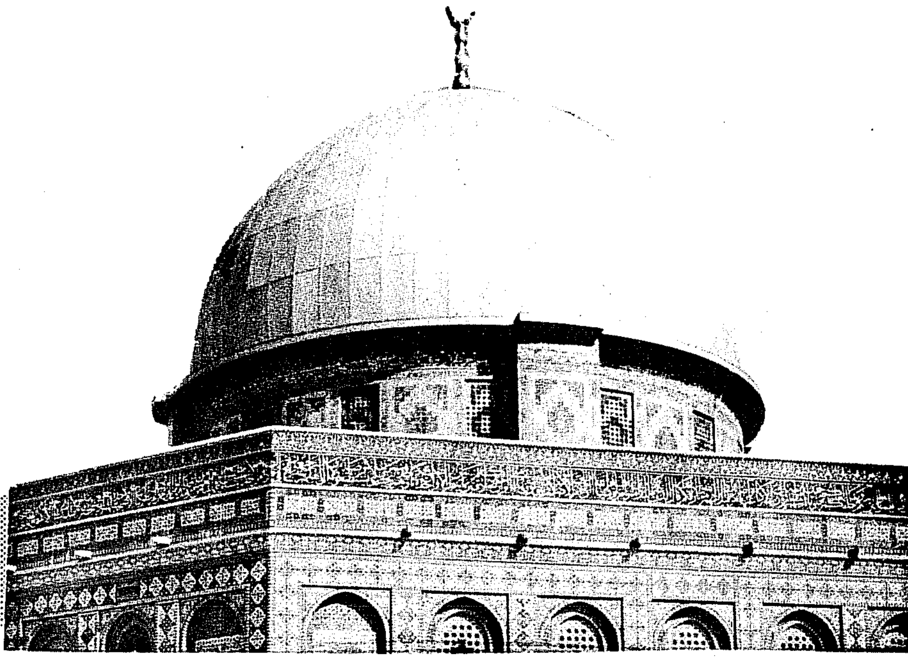
للأستاذ : يوسف العظم - عمان

أشرق الـــكون بالصـــباح وحيا في بلادي مرابعـــا ونجـــودا
ومشى الفجر باســـما في رباها يلثم الطـــير والنـــدى والورودا
تربهـــا طاهر يفوح شـــذاه كم حوى عالمـــا وضم شـــهيدا
وفروع الزيتـــون والتين باتت نضرات تداعـــب العنقـــودا
وخرير الغدير في افقهـــا الرحب تناهى ترتيـــلة ونشـــيدا
تلك ارض الاسراء والنـــور تاهت بالنبيـــن ركعـــا وســـجودا

★

كل شـــبر من أرضـــها ضمخته دفقات من مهجـــة لشـــهيد
وعـــلى كل ذروة مـــن رباها هينمـــات من دعوة التوحيـــد
والنجـــوم التي أطلت علينـــا في ســـماها تروي تراث الجدود
شرحبيـــل الذي يقـــود السرايا ومعـــاذ وخالـــد بن الوليـــد
ولواء الايمـــان يخفق بالنصر ويمضـــي في عـــزة وصـــمود
يا لحطين صـــيحة تتعـــالى وتـــدوي في أرضـــنا من جديد

★



ومـــع الليـــل والظــــلام تراءت   من بعيد فيــــالق العـــــدوان
تحمــل المــوت والدمار وترسى   فى بلادى قواعــد الطغيـــان
ولغت فى الـدم الزكى لطفــل   ولشـــيخ محدودب الظهر فان
وأبادت من الصـــفار جموعــا   روعت بعـــد هـــداة وأمـــان
المحـــاريب أظلمـــت بعـــد فجر   فيـــه تسرى ترتيلة القـــرآن
والآذان الحـــزين دوى جريحـــا   فســـمعنا الاذان غيـــر الاذان

✶

سنة الـكون والحيـــاة عرفنـــا   لا يـلاقى الرمـــاح الا الرمـــاح
أو يخيف العـــدو غــــير رجوع   لهتاف ترتج منـــه البطـــاح
فيه روح اليرموك تسرى يقينـــا   لا صراخ وضـــجة وصـــياح
فيه حطـــين عـــزة وفــــداء   ودمـــاء زكيــــة وجـــراح
فيـــه وعى وعفـــة وضـــياء   فيه حق ورحمـــة وســـماح
ولئـــن مزق الظـــــلام حمانا   فليبـــدد ظلامنـــا اصـــباح

إلى الإنسان

كن نسمة حب حانية … تسري في الأفق النشوان
كن نبضة خير من قلب … تنساب الى قلب ثان
كن فرحة طفل ترسمها … بضياء القلب .. العينان
كن نورا يشرق من أمل … يشدو بأحب الألحان
وربيعا مزدهرا ، حلوا … يسري في قلب الانسان
أو نبعا بالروح يحيي … ويعانق روح الظمآن
ويغني للطير الشادي … ما بين الأيك الفينان
أو زهرا في الروض ينادي … بالعطر .. بسحر الألوان
قد نسق .. لكن في فوضى … زادت من حسن البستان
وتفرق .. لكن بنظام … من صنعة رب الانسان
تسقيه النسمة في حب … من نبع الحب الملآن
كن عطرا ينساب طليقا … كالحلم بدنيا النعسان
كن طيرا بالحب يغني … فيثير حنين الأغصان
كن ومضة نور دافقة … من مشرق نور الايمان
وصلاة من قلب تقي … تسمو لرحاب الديان
ودعاء يرفعه قلب … يشكو من ليل الأحزان
وعطاء يمحو مأساة … صاغتها كف الحرمان

* *

للأستاذ : ابراهيم محمد نجا

كـن سـيفا صلبا بتـارا — لكـن .. فى وجـه الطغيـان
أقتلـه .. مزقـه اربـا — فقتيلـك صنـو الشيطـان
انظر بنيـان الكفـر عـلا — فى أرضـك .. تبـا للبـانى
فاضربـه بمعـولك المـاضى — ينقض أسـاس البنيـان
والشـر الأحمـر منسـاب — فى روضـك مثـل الثعبـان
فاسـحقه بعنـف وبحقـد — أو يشـرب من دمـك القـانى

* *

ستقول ظـلام الليـل طغـى — طغيـان المـوج الغضبـان
والنبـت الأخضر تسـلمه — للمـوت يـد القيـظ الجـانى
والماء يجف ، لأن الـ — قيـظ يجفف مـاء الغـدران
واقـول ، ففكـر فى قـولى — وتأمـل فيـه بامعـان
هل أشـرق فجر لـم يمحـق — بسـناه دجى ليـل فـان ؟
وهـدى الايمان .. ألم يسـحق — بالعزم .. ضـلال الأوثـان ؟
والنهـر .. أيمتـد بعيـدا — من فـوق صخـور القيعـان
لو أبصـر فى الأرض صـخورا — فارتـد كسـير الوجـدان ؟
هل يظهـر ضـوء لـم ينفـذ — من بين ضـلوع الجـدران ؟
فاثبت .. لا تستسـلم أبـدا — وتقـدم بـين الفرسـان
بعزيمـة جيـش منتصـر — وبقلـب نـبى انسـان

من تاريخنا القريب

العرب بين دولة الخلافة والاستعمار الغربي

مقدمات ونتائج

للشيخ : طه الولي - بيروت

في هذه المرحلة التاريخية التي تعتبر أخطر مرحلة تمر بها بلادنا ، أجد من الضروري أن أضع أمام قراء (الوعي) دراسة سريعة عن تطور الحركة العربية التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، وما أدت اليه هذه الحركة بالنسبة للبلاد العربية في أعقاب تلك الحرب الضروس ، ليرى القراء كيف أن للشر الذي يحيط بنا الآن جذورا يجب أن يعرفوها ، ويركزوا جهودهم عليها ليستأصلوها .. ويعرفوا كيف انخدع البعض منا فقام في وجه الدولة التي كانت في نظر الغرب تمثل الاسلام ، ومن أجل ذلك عمل على القضاء عليها وجر بعض المسلمين معه ليشاركوه في عملية الاجهاز التي أرادها ، وحين تم له ما أراد ظهر على حقيقته أخطر عدو للاسلام والمسلمين ..

عوامل تاريخية :

قبل أن تصبح الحركة العربية القومية حقيقة واقعة مرت فكرتها في مراحل كثيرة ، وكانت أولى بوادر ملامح الوعي القومي عند العرب في العصور الحديثة سنة ١٨٧٥ ميلادية . وذلك حين تنادى فريق من المثقفين السوريين الى تكوين جمعية سرية تطالب المسؤولين في الدولة العثمانية باستقلال سورية بكامل حدودها الطبيعية التي كانت في حينها تضم الأجزاء المعروفة اليوم : فلسطين (التي يحتلها اليهود) والمملكة الاردنية الهاشمية التي هي عبارة عن بقايا أشلاء فلسطين الممزقة في الضفة الغربية من نهر الشريعة المعروف بالأردن وبلاد البلقاء التي سماها الانتداب الانكليزي شرقي الأردن . والجمهورية اللبنانية التي شكلها الانتداب الفرنسي من بعض ولاية بيروت القديمة مضافا اليها متصرفية جبل لبنان الممتازة والأقضية الأربعة ، حاصبيا وراشيا ومعلقة زحلة وبعلبك . والجمهورية العربية السورية وهي الجزء الداخلي من بلاد الشام الذي احتفظ حتى الآن بالاسم التاريخي لمجموعة هذه المناطق المذكورة .

وكان هدف هذه الجمعية السرية تحديد معـــالم الوجود العربى القومى داخل الامبراطورية العثمانية عن طريق الاعتراف بالعربية لغة رسـمية للبلاد وعدم استخدام الوحدات العسكرية المجندة من أهالى المنطقة الا ضمن حدودهم الاقليمية .

ولم يكن الوعى القومى قد بلغ أشده فى ذلك الحين بين الناطقين بالضاد نظرا لتداخل العاطفة الدينية بالحماس الوطنى ، فجاءت حركة هـذه الجمعية القومية خلجات مبهمة تحاول تلمس الكيان العربى من خلال الاحساس بالذات

وكان هدف هذه الجمعية السرية تحديد معـــالم الوجود العربى القومى لغويا وعسـكريا فقط ، وفى ذلك يقول أحد سـياح الفرنجة د. دى ريفوير D. De. Rivoyer فى انطباعاته عن زيارته لسـورية فى أواسـط النصف الثانى من القرن الماضى : « .. ويلوح فى الأفق البعيد طيف حركة عربية ولدت حديثا .. وسيقوم هذا الشعب الذى كان مغلوبا على أمره حتى الآن بالمطالبة عما قريب بمركزه الطبيعى فى عالم الاسلام وفى توجيه مصير هذا العالم » .

الا أن نسمات الفكرة العربية لم تجد فى أفق البلاد الجو الصالح لتفاعلها واستمرارها لأن العالم العربى الممتد من سـواحل الأطلنطى فى الغرب الى الخليج العربى فى الشرق تعرض فى أكثر البلدان لغزو الاسـتعمار الاوروبى الذى تسابقت ممالكه وجمهورياته لاقتسـام سلب الامبراطورية العثمانية التى كانت تلقب يومئذ بالرجل المريض .

ففى سنة ١٨٣٠ استولت فرنسا على الجزائر بحجة الثأر لتنصلها من ضربة المروحة التى وجهها اليه الداى . وفى سنة ١٨٨٠ نزلت جيوشـها فى تونس تحت ستار الحماية . وفى سنة ١٨٨٢ أناخت بريطانيا بكامل جيوشـها البرية وأساطيلها البحـرية على أرض مصر متذرعة بحـادثة أحمد عرابى المشهورة . وفى سنة ١٩١١ فاجأت قوات ايطاليا سـاحل طرابلس الغرب بخيلها ونيرانها . وهكذا بدا للنـاس فى الشرق العربى أن بلادهم قد تعرضت من جديد لحرب صليبية تستهدف كيانهم القومى وعقائدهم الدينية فى آن واحد . فلم يجدوا بدا من العودة بعواطفهم الوطنية الى المناخ الدينى فوضعوا أنفسهم طائعين تحت لواء الدعوة الاسـلامية الذى رفعه المغفور له سـاكن الجنان السلطان عبد الحميد الثانى بواسطة داعية جرىء قدير هو جمال الدين الأفغانى الذى اتخذ من مصر منطلقا لحركته الفكرية الروحية تحت شعار : تحرير الاسلام من السيطرة الأجنبية : (على أن يكون هـذا التحرير القـومى مقدمة لبعث عقائدى يعقبه توحيد الديار الاسلامية من جديد وتنصيب خليفة عليها يرضى عنه الجميع) .

وبالفعل فان السـلطان العثمانى وجد فى معركة الافغانى التى دعيت يومها : « بحركة الجامعة الاسلامية » ما كان يرجوه من القضـاء على النزعة العنصرية التى كانت تهدد وحدة امبراطوريته بالانحلال والتفكك ، كما وجد فيها أيضا أداة فعالة لوقف انهيار الدولة العثمانية تحت ضربات الغزاة الأوروبيين الذين أصبحوا فى نظر جميع المسلمين ، عربا وغير عرب ، أحفاد الصـليبيين الذين يتوجب على كل مسلم محاذرتهم ومحاربتهم حفاظا على الاسـلام وأرضه وأهله من غائلة العدوان والابادة .

بيد أن دعاة العروبة لم يقنطوا من البحث عن الوسيلة التى يستعيدون بها المبادرة مرة أخرى من يد السلطان العثمانى ودعاة سياسته الذكية ، وبالفعل ، فان هؤلاء العروبيين عثروا على هذه الوسـيلة بقلم الكاتب الحلبى المعروف

الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الذى تحلى بالمرونة واللباقة وسـايـر الجماهير العربية من مواطنيه بتقبول فكرة الجامعة الاسلامية ، ولكنه ذهب الى القول بأن خليفة العالم الاسلامى لا يجوز الا أن يكون عربيا ومن قريش بالذات . وهذا ما كان عمليا ، يتناقض تمام التناقض مع أغراض السياسة العثمانية . بل انه بالعكس ، يتفق تمام الاتفاق مع أهداف الدعوة القومية العربية ولو تحت ستار الفكرة الدينية التى كانت فى ذلك الحين الغذاء الروحى الجذاب لعواطف الناس الوطنية فى ذلك الحين .

ازدهار الفكرة القومية فى الجناح الآسيوى من البلاد العربية :

لقد كان من نتائج وقوع شمال افريقيا العربى فى قبضة الاحتلال الأجنبى ، أن الوطنية العربية فى تلك البلاد اختارت لنفسها الشعارات الدينية للافادة من الروابط الروحية التى تشدها الى دولة الخلافة الاسلامية فى صراعها المميت مع المستعمرين الأجانب ، من اجل الحرية والاستقلال . وكان التناقض الديني بين افريقيا العربية المسلمة واوروبا سببا رئيسيا فى ابتعاد اخواننا المغاربة عن الشعارات التى رفعها عرب المشرق فى وجه السياسة التركية لتحقيق وجودهم القلومى .

وعلى هذا فلقد تابعت آسيا العربية سبيلها فى الدعوة الى التمييز بين العنصرين العربى والتركى فى الادارة والجيش والشؤون الثقافية معتمدة على تأييد المراجع الغربية التى كان من مصلحتها توسيع الثغرة بين العناصر القومية التى كانت تشكل المجتمع العثمانى ، والعرب بطبيعة الحال فى مقدمة هـذه العناصر لأنهم كانوا يشكلون جغرافيا وعدديا اكبر مجموعة داخل هذا المجتمع . وعلى الرغم من حرص القائمين بالفكرة العربية على مراعاة الرأى العام العربى فى شعوره الموالى لدولة الخلافة العثمانية باعتبارها رمزا لوحدة الاسلام فى العالم ، بالرغم من هذا الحرص ، فان بعض اللبنانيين الجبليين لم يستطيعوا كبح عواطفهم السلبية من السلطة العثمانية ، فأطلق اليازجى أحد شعرائهم المعروفين فى أواخر القرن الماضى صيحته المثيرة المدوية .

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب »

فى قصـيـدة طويلة تغلى فى ابياتها وكلماتها مراجل الحقد والكراهية والاهاجة ضد العنصر التركى . ولكن شعور بعض المفكرين المخلصين بمطامع الاستعمار الغربى ، وادراكهم لما يتحينه من الفرص للانقضاض على بقية البلاد العربية جعلهم يسعون الى ايجاد نظام جديد يكفل للعرب حقوقهم السياسية وحريتهم ونصيبهم الفعلى فى ادارة شؤون الامبراطورية دون الانفصال عنها » .

وهكذا بقيت الروح العربية فى اغلب مظاهرها دائرة فى فلك الاستمرار العثمانى مع التطلع الى كيان قومى خاص فى اطار هذا الفلك الذى كان جميع المسلمين فى العالم والعرب من جملتهم ، يريدون له البقاء ليكون لهم رداء ومجنا يتقون به غائلة التدخل الأجنبى الذى كان يتحاشاه الجميع ويحاربونه بكل قوة .

الجمعيات العربية فى محاولاتها القومية الاولى :

وعندما أشرف القرن الماضى على نهايته وبدت طلائع القرن الحالى كانت الأحداث الدولية تتوالى بشكل مثير ، الامر الذى جعل أصحاب الفكرة العربية

يبادرون الى تنظيم انفسهم تارة بالسر ، واخرى بالعلن ، لكى يكونوا قادرين على الافادة من الظروف السياسية لتحقيق اهدافهم القومية وفى سنة ١٩٠٨ وقع فى اسطمبول عاصمة السلطنة العثمانية انقلاب سياسى اجبر السلطان عبد الحميد الثانى على اصدار دستور حديث يحد من نفوذ العرش فى ادارة البلاد ، وهو ما كان يطلق عليه فى حينه « المشروطية » ونظرا لتردد عبد الحميد فى تنفيذ هذا الدستور ، ومحاولة العودة بالوضع الى سابق عهده ، فان جمعية الاتحاد والترقى التى نظمت الانقلاب ، وفرضت الدستور تابعت حملتها التى أدت فى النهاية الى خلع السلطان نهائيا عن الخلافة والملك ، وجلوس أخيه السلطان محمد رشاد المعروف بمحمد الخامس مكانه فى قصر يلدز .

وكان من الطبيعى ان يحاول دعاة الفكرة العربية مع أركان جمعية الاتحاد والترقى المذكورة ، لعلهم يحققون لفكرتهم بعض أسباب التقدم داخل اجهزة الدولة التى اصبحت جميعها تحت سلطان هذه الجمعية وانصارها .

بيد أن الوقائع كانت على غير ما اشتهت الآمال ، اذ أن الاتحاديين كانوا اشد من سابقيهم فى التعصب للقومية التركية والحقد على القوميات الأخرى لاسيما العربية بالذات ، اذ سار هؤلاء على سياسة عنصرية متزمتة واصروا على حكم الامبراطورية العثمانية على أساس سيادة العنصر التركى . كما انتهجوا ادارة مركزية شديدة لا تتفق وحركة سير القوى التى ولدتها اليقظة القومية العربية . فما لبث قادة الفكرة العربية أن تراجعوا عن التعاون مع الحاكمين الجدد ، وانصرفوا الى تكوين الجمعيات الخاصة ببنى جلدتهم فى البلاد العربية .

وهكذا شهدت الأوساط العربية مولد :

ا ــ جمعية (العربية الفتاة) التى تسعى الى تحقيق استقلال البلاد العربية وتحريرها من الحكم التركى .

ب ــ حزب اللامركزية الادارية العثمانى .

جـ ــ جمعية الاصلاح .

د ــ المؤتمر العربى الأول .

هـ ــ الجمعية القحطانية .

و ــ جمعية العهد .

وكل هذه الجمعيات والأحزاب والمؤتمرات كانت تعمل على تنبيه المشاعر القومية فى البلاد العربية ، دون أن تجنح الى الخروج عن دائرة الولاء للتاج العثمانى الذى كان يعتبر آنذاك ، رمزا روحيا لوحدة العالم الاسلامى ، بازاء القوى الأوروبية التى يؤلف بينها اتجاهها الدينى ..

ومما يؤكد الروح العثمانية عند العرب ، لاسيما المسلمون منهم ، الحادثة التالية .

عندما افسحت الحكومة الفرنسية لقادة العرب بأن يعقدوا مؤتمرهم الأول فى باريس سنة ١٩١٣ ، كان أيوب ثابت ــ احد الذين تولوا امانة سر الدولة فى لبنان أيام الانتداب الفرنسى ــ يتردد خلسة على وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس ، ويؤكد لموظفيها أن اللبنانيين والسوريين بأكثريتهم الساحقة على اختلاف اديانهم يتمنون أن تحتل فرنسا بلادهم وأن تنقذهم من الظلم التركى .

ولاحظ سليم على سلام المعروف (بأبو على سلام) — والد صائب سلام أحد رؤساء الحكومات اللبنانية فى عهد الاستقلال وزميله أحمد مختار بيهم (والد أمين بك بيهم رئيس المجلس البلدى فى بيروت حاليا) ذلك التردد ورجحا أن يكون رفيقهما أيوب ثابت ساعيا الى ترويج السياسة الفرنسية فحفظا الأمر فى صدريهما .

ولما انتهى المؤتمر رأى كبار المؤتمرين أن يزوروا وزارة الخارجية الفرنسية ليشكروها على سماحها لهم بعقد مؤتمرهم فى باريس . وقد قاموا بالزيارة فاستقبلهم الأمين العام لوزارة الخارجية معتذرا بأن الوزير غائب ، وأنه كان يود أن يستقبلهم شخصيا .

وفى أثناء حديث المجاملات وتبادل العواطف بين فرنسا وسورية اغتنم أبو على سلام المناسبة وقال لممثل فرنسا : (يهمنا يا سعادة السفير أن تعرفوا حقيقة شعورنا ورأينا فى مصير بلادنا . فنحن اذا طالبنا باللامركزية وبالحقوق العربية المهضومة — فاننا شديدو الاخلاص لسلطنة جلالة أمير المؤمنين الخليفة الأعظم ، ولا يمكن ان ننسلخ عن سلطنته ولا يخطر ببالنا مطلقا أن نطلب حمايتكم ومجيئكم الى بلادنا . وهذا كلام اصدقاء يشكرون لفرنسا عطفها على أمانى العرب وخدماتهم لهم !) .

وقد أيد المرحوم أحمد مختار بيهم كلام زميله ، فامتقع وجه أمين وزارة الخارجية الفرنسية ، ولكنه كتم غيظه اذ كان ينتظر عكس الذى سمعه ! . .) .

ثورة الشريف حسين بن على :

ونتيجة لاحتقان الأوضاع السياسية فى أوربا لاسيما فى بلاد البلقان انفجرت براكين الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ واصطلت بنيرانها الدول الكبرى فى الشرق والغرب على حد سواء ، وقد اختارت الامبراطورية العثمانية جانب المانيا فتحالفت معها ضد دول الحلفاء ، وهكذا أصبح المسلمون آليا فى الجهة المعادية للحلفاء الأمر الذى دعا هؤلاء وفى مقدمتهم انكلترا الى استدراج أحد الزعماء المسلمين لشق عصا الطاعة على الخليفة العثمانى ، وبالتالى ايصال تأثير هذا الأخير على مسلمى العالم حتى يأمن الحلفاء على الاستقرار فى مستعمراتهم الاسلامية ، فلا تستجيب شعوبها لداعى الجهاد الذى اعلنه أمير المؤمنين من سدة الخلافة العظمى باسطمبول .

ولم يعد خافيا أن دوائر الاستخبارات الانكليزية بثت عملاءها فى ديار العرب بحثا عمن يستجيب للتعاون معها تحت تأثير العوامل القومية اذا كان ذلك أمرا لا بد منه ، على أن الوفود التى حملت الرغبات الانجليزية الى النافذين فى الجزيرة العربية فشلت فى مهمتها لدى امام اليمن يحيى حميد الدين وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود وغيرهما من أمراء المناطق الموزعين فى هذه الجزيرة ، ولم تجد من يتجاوب معها الا شريف مكة حسين بن على الذى كان يحمل فى نفسه شيئا على المسؤولين فى اسطمبول لأسباب تتعلق بامارته الروحية على الديار المقدسة ، فضلا عن مطامحه فى أن يصل الى خلافة عربية أو على الأقل الى عرش يدعم سلطان ملكيته على البلاد العربية كلها فضلا عن الحجاز نفسه . وعندما انطلقت رصاصة الحسين من شرفات قصره بمكة المكرمة اعلانا للثورة العربية على السلطنة العثمانية تجاوب معها كثير من الضباط العرب فى الجيش العثمانى والتحقوا بالشريف فى مكة المكرمة ليقودوا القبائل البدوية

التى استأجرها الانجليز من أجل اشغال القوات العثمانية بضرب مؤخرتها فى بلاد العرب ، وتخريب مواصلاتها لشل تنقلاتها العسكرية ما بين مركز القيادة وبين المناطق التابعة لها .

وبالرغم من أن الشريف حسينا كان يتصرف وكأنه مقتنع بالوعود والعهود التى قدمها اليه السير هنرى مكماهون باسم الحلفاء ، فان هؤلاء كانوا فى الواقع ينظرون الى حركته الثورية من خلال مصلحتهم العسكرية والسياسية ، وذلك فى اضعاف التأثير المعنوى للجهاد الدينى الذى أعلنه خليفة المسلمين فى اسطمبول ، وبالتالى للحيلولة دون تمكين القوات العثمانية من مساعدة حليفتها القوات الالمانية فى جبهات الحرب الاوروبية ، وهذا ما كشفت عنه المذكرات التى نشرها أركان الجيوش الحليفة وزعماء الانكليز السياسيون فيما بعد .

سايكس ــ بيكو وأثرها على الحركة العربية :

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى حدث انقلاب ضخم فى روسيا القيصرية حولها الى بلاد شيوعية ، وأدى الى انسحاب الروس فجأة من الحرب ، واذاعتهم لكثير من الأسرار والاتفاقات التى كانت خافية على أصدقاء الحلفاء ، والعاملين لحسابهم ، ومن جملة هذه الاسرار والاتفاقات كانت المعاهدة التى اتفق على تنفيذها الانجليز والفرنسيون فى البلاد العربية ، فى حال انتصارهم على أعدائهم من الالمان والعثمانيين .

وخلاصة هذه المعاهدة كما هو معروف ، توزيع البلاد العربية المؤلفة من سورية والعراق بينهما تحت مصطلح سياسى جديد سموه : الانتداب ، وترك شبه الجزيرة العربية لحكامها المحليين من الشيوخ والامراء على أن يكونوا من الناحية العملية بيد السياسة الغربية توجههم بما يتفق ومخططاتها الاستعمارية فى سائر انحاء المنطقة التى تشمل الشرق الأدنى بأكمله .

وصحيح أن اذاعة هذه المعاهدة الغادرة أحدث ردود فعل سلبية لاسيما فى أوساط الضباط العرب ، لكن « الشريف حسين » كان قد بلغ فى تورطه مع الحلفاء ضد خليفة المسلمين الحد الذى لم يعد يسمح له بالتردد أو التراجع عما أخذ نفسه به ، فتابع نهجه تحت شعارات الفكرة العربية ، حتى وضعت الحرب أوزارها ، وأصبح وجها لوجه أمام الواقع المرير ، وهو احتلال الأجانب لبلادنا ، وتقسيمها فيما بينهم الى أجزاء مبعثرة ، فى شكل دويلات هزيلة ، يحكمها فى الظاهر رجال من العرب .

الاحتلال :

فى آخر ايلول سنة ١٩١٨ سكتت أصوات المدافع على كافة الجبهات الحربية فى الشرق والغرب ، وارتفعت اصوات المؤتمرين فى فرسايل ، وهم يتناقشون فى تقرير المصير النهائى للمهزومين فى البلاد التى اعتبرها الحلفاء عدوة لهم ، وكانت بلادنا فى الشرق العربى فى نظرهم بلادا عدوة رغم الجهود التى بذلها العرب من أجل مصلحة هؤلاء الحلفاء ، والاتفاقات الرسمية التى عقدوها مع ممثليهم فى القاهرة .

وعندما رفعت شقيقة الأخوين محمصانى اللذين أعدمهما الاتراك خلال الحرب ، الراية العربية المربعة الألوان على السراى الكبير فى بيروت أمر القائد

الفرنسى بانزالها على الفور لأن السلطة فى سورية ولبنان قد انتقلت من العثمانيين المهزومين الى الفرنسيين المنتصرين دون أن يكون لأهالى البلاد أى رأى أو قيمة فى الموضوع !

وبانطواء العلم العربى عن أفق بيروت ، انتهى الحلم الجميل الذى عاشه البيروتيون لمدة أسبوع واحد ، واختنقت فى الصدور زغاريد الفرح والابتهاج التى انطلقت بها الحناجر بعد أن بحت من الهتاف لمجد العرب واستقلالهم ووحدتهم .

لقد كان نزول مشاة البحرية الفرنسية الى بيروت يجوسون خلال أزقتها وشوارعها بخيلهم ورجلهم فى ٨ تشرين الأول سنة ١٩١٨ ، صدمة مروعة أيقظت رجال الحركة العربية من أعوان الشريف حسين ، وابنه الأمير فيصل على الواقع المرير ، الذى انتهى اليه كفاحهم الى جانب الحلفاء ، الأجانب ، ضد دولة الخلافة الاسلامية التى كانت على أى حال تعتبرهم رعية عثمانية ، شأنهم فى الادارة والحكم والجيش شأن أى مواطن عثمانى آخر مهما كانت لغته أو قوميته أو دينه .

على أن العرب لم تذهلهم الصدمة فلم يستسلموا لذل الخيبة والخسران ، ولم يستكينوا لما حاق بأمتهم ووطنهم من سوء المنقلب . فما لبثوا أن تنادوا من جديد للم شعثهم ، وجمع كلمتهم لاستئناف معركتهم القومية ضد الاحتلال الأجنبى الذى رأوا فيه انتهاكا لحرمة العهود والمواثيق الرسمية ، وتحديا معيبا لميثاق الشرف الذى جعلهم ينفكون عن ولائهم للدولة العلية العثمانية ويربطون مصيرهم بأغراض الدول الاجنبية .

اعلان الاستقلال :

وبينما كان الحلفاء مجتمعين فى سان ريمو سنة ١٩٢٠ لتنفيذ ما تعاقدوا عليه فيما بينهم أثناء الحرب من اتفاقات سرية أو علنية ، وقرروا بالفعل توزيع سورية والعراق بين فرنسا وانكلترا على أن تكون الاولى فى شطرها الشمالى من حصة فرنسا ، ويكون شطرها الجنوبى مع كامل بلاد العراق من حصة انكلترا . .

بينما كان الحلفاء فى هذا الصدد ، تنادى رجال الحركة العربية الى اجتماع قومى حافل فى ٨ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ أى من السنة نفسها بمدينة دمشق عرين العروبة وظئر الاسلام ، وأعلنوا استقلال سورية — التى تضم أيضا فلسطين ولبنان — دولة ملكية دستورية يقوم على رأسها الامير فيصل بن الحسين . وحذا حذوهم رجالات العراق الذين انتخبوا الامير عبد الله بن الحسين ، شقيق فيصل ، ملكا عليهم .

فرنسا وبريطانيا تفرضان سياستهما بالقوة :

ولكن هذا الموقف الصامد للوطنيين العرب فى سورية والعراق لم يرق للحلفاء الذين وجدوا فيه تحديا لمشروعاتهم الاستعمارية فى المنطقة ، وحائلا دون تحقيق وعودهم التى قطعوها لعملائهم من الصهيونيين ، وبعض الأقليات

الاخرى ، فما عتموا ان فتحوا النار الفرنسية على السوريين فى خان ميسلون ودكوا استقلال سورية فى ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ ، كما فتحوا النار الانكليزية على العراقيين ، ودمروا مدائنهم وقراهم وحريتهم فى عمليات عسكرية وحشية أظهروا فيها كل ما عندهم من مقدرة على (تمدين) العرب بالنار والحديد والبطش الشديد !! وما هى الا عشية أو ضحاها حتى دخلت سورية الداخلية ثم تبعها العراق فى اتون الانتدابين الفرنسى والانكليزى وتوارى عرشا فيصل واخيه عبد الله عن دمشق وبغداد خلف حجاب صفيق من قوات الحلفاء التى كانت خلال الحرب صديقة العرب ، ثم أصبحت بعدها العدو الذى لا يرحم ! ..

وبزوال استقلال سورية والعراق دخل الكفاح العربى مرحلة جديدة على اساس جديد .

أوضاع عربية جديدة وكفاح عربى جديد :

بفضل القوة العسكرية الساحقة استطاعت عصبة الأمم التى كانت أداة مسخرة لمصالح الحلفاء المنتصرين ان تفرض الانتداب الانكليزى على العراق وجنوبى سورية . والانتداب الفرنسى على شمال سورية داخلا وساحلا .

ولقد أتاح هذا التوزيع الاعتباطى لبلادنا بين انكلترا وفرنسا ان تتصرف كل منهما فى حدود منطقتها بما يتلاءم ومخططاتها الاستعمارية محليا وخارجيا .

اما فرنسا فقد قطعت شمال سورية الى أشلاء مشوهة ، تفصل بينها حدود وهمية مصطنعة واطلقت على كل شلو منها لقب دولة : دولة حلب ، دولة حماة ، دولة الدروز ، دولة دمشق ، دولة العلويين ، دولة لبنان الكبير .

واما انكلترا فانها بعد أن اخمدت أنفاس الثورة العراقية بكل شراسة وعنف ، وحاولت الانتقام من العراقيين بتقطيع وطنهم الى ثلاث دويلات :

دولة للأشوريين والأكراد فى الشمال .

دولة بغداد فى الوسط .

كما أوعزت الى عملائها فى الجنوب بأن يتقدموا الى الحاكم الانكليزى بطلب انضمام متصرفية البصرة واراضى شط العرب الى الادارة الهندية التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية .

ولكن هذه المحاولة الرخيصة لم يمكنها أهل العراق من البروز الى حيز الوجود ، وحافظوا على وحدة ترابهم القومى سليمة تحت تاج الملك فيصل الأول رحمه الله .

وفى جنوبى سورية استطاع الانكليز تقسيم المنطقة التابعة لهم الى جزئين ، أطلقوا على أحدهما لقب : امارة شرقى الأردن ، وجعلوا عليها الامير عبد الله بن الحسين حاكما من قبلهم .

واطلقوا على الجزء الثانى فلسطين . هيئوه ليكون وطنا قوميا لليهود تحقيقا للوعد الذى قطعه الوزير البريطانى بلفور لهذه الطائفة سنة ١٩١٧ جزاء عمالتها للمصالح الانكليزية قبل الحرب وخلالها !

وهكذا أصبح الشرق العربى فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ! ..

عثمان المفترى عليه

" بقيه "

بذلك امره ، ويخلط الشدة باللين ، لأن مجرد اللين يفسد ، ومجرد الشدة تفسد ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ومختصره المنتقى للذهبى (ص ٣٦٢) قال : ولهذا كان أبو بكر يستعين باستشارة عمر ، وباستنابة خالد ، وهذا من كماله الذى سار به خليفة رسول الله ، ولهذا اشتد فى قتال اهل الردة ، وبرز بشدته فى ذلك على شدة عمر .

وعمر كان شديدا فى نفسه ، فكان من كماله استعانته بأهل اللين ليعتدل امره ، فكان يستعين بأبى عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابى وقاص ، وأبى عبيدة الثقفى ، والنعمان بن مقرن ، وسعيد بن عامر ، وامثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم اعظم زهدا وعبادة من مثل خالد بن الوليد .

وعثمان كان يقتدى فى لينه بسلوك ابى بكر فى لينه ، فيستعين لكل أمر باكفائه ، ويحل المشاكل المالية بالتضحية لحلها من ماله الخاص ، لذلك كان المجتمع فى مدة خلافته الطويلة اسعد مجتمع نعرفه ، كما وصفه الحسن البصرى ومحمد بن سيرين فيما نقلناه عنهما من قبل .

وبلين عثمان الشخصى المزوج بوجوه الشدة التى كان يستعين بها وباهلها كانت جيوشه تضرب فى انحاء الأرض فاتحة ظافرة ناشرة كلمة الله فى كل مكان .

وقد يذهب ذاهب الى ان لين عثمان كان اعظم مظاهره موقفه من دعاة الفتنة لما احاطوا به فى المدينة لينزعوا عنه القميص الذى البسه الله اياه باجماع الأمة خاصتها وعامتها ، وما كان هذا من لينه ، بل ليقينه انه مقبل على لقاء الله شهيدا شهادة كان موعودا بها من النبى صلى الله عليه وسلم فى اكثر من مرة .

لكن قد يكون من لينه انه لم يقمع اسبابها الاولى ، وهى تتكون خارج المدينة من دعاة الفتن متسلطا عليهم ابليس اليهود عبد الله بن سبأ ، ولعله تهاون فى مطاردتهم وقمعهم ، وهم لا يزالون فى بداية التآمر والتدبير ، لاعتقاده ان دعوتهم لن تستشرى فى حكم صالح ، ذاق الناس فيه حلاوة العدل والاحسان ، فهو يقول فى نفسه : **انى تجنبت فساد الشدة والاستعلاء على الناس ، ومهدت لهم من اسباب السعادة ما استطعت ، فما اظن ان اللين الذى عندى وهو من فطرة الله يبلغ بهم حد الفساد ، بكفر النعمة والغفلة عما هم فيه من عز الفتوح ، والاغتباط ، بانتشار الاسلام ، والتمتع بثمرات ذلك فى الدنيا والدين .**

ومما لا شك فيه أن من مظاهر اللين الذى فطر عليه عثمان اصغاؤه الى شكاوى الشاكين من ولاته ، ولو بغير حق ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ان عثمان كان لين العريكة ، كثير الاحسان والحلم ، فكان اذا شكا له بعض الحجاج واليا لهم أن يستبدله فيرضيهم .

((للحديث بقية))

خواطر

للشيخ عبد المنعم النمر

رد اعتبار بعد ٣٠٠ سنة !!

قرأت خبرا فى صحيفة (الأهرام) الصادرة فى الثانى من يوليو فتح شهيتى للكلام ، بعد أن أصابها جو الصيف الحار بالكسل ، كما يصيب المعدة ، ويجعلها تعزف عن الطعام .. كان هذا الخبر هو ما يأتى تحت هذا العنوان :

« اعادة محاكمة جاليليو لتبرئته من حكم عمره ٣٠٠ سنة » :

لنداو (المانيا الغربية) فى أول يوليو . رويتر . أعلن الكاردينال فرانز كونج كاردينال النمسا أن الكنيسة الكاثوليكية سوف تعيد محاكمة العالم الايطالى جاليليو ، لاعادة النظر فى الحكم الذى كانت قد أصدرته الكنيسة ضده فى القرن السابع عشر ، وقال الكاردينال كونج ان لجنة خاصة سوف تؤلف لهذا الغرض فى محاولة للتقريب بين العلم والدين ، **وكانت الكنيسة قد حكمت بالاعدام على جاليليو منذ ثلاثة قرون لأنه أعلن أن الشمس — وليست الأرض — هى مركز الكون » اهـ .**

ولا أريد هنا أن أتحدث عما كان يفرضه رجال الدين فى الغرب — باسم الدين — من قيود على التفكير ، ومطاردتهم لكل انتاج عقلى يخالف آراءهم . والحكم عليه أو على صاحبه بالاعدام كما حدث لجاليليو .. لا أريد أن أتحدث عن هذا فهو معروف حتى لطلاب الثانوى الذين يدرسون الحركة العلمية فى الغرب أو النهضة الأوروبية .. ولكن الذى يشدنى للحديث هو رد الفعل الذى تركه الاضطهاد الفكرى فى الغرب من تمرد على سلطة الكنيسة العامة فى كل شئون الحياة ، وحصر سلطانها فى المراسم الدينية الخاصة وداخل جدرانها .. أو ما سمى بفصل الدين عن الدولة ..

هذا الفصل الذى جعلوه منهج حكمهم وتسييرهم لدفة شئون الحياة فى الدولة هناك ، كان رد فعل لما عانوه من تدخل رجال الدين فى كل شىء ، وفرض سلطانهم على كل تفكير ، ومطاردتهم — كما قلت — لكل ما يخالف آراءهم مما يعتبر الحكم على جاليليو بالاعدام مثلا له ..

هذا الذى حدث فى الغرب من اضطهاد الفكر . وما أعقبه من رد الفعل كان حدثا محليا يرتبط بالبيئة التى حصل فيها . وبالظروف التى أدت إليه .. ومن الخطأ البين أن نأخذ النتيجة التى أدت اليها تلك الظروف الخاصة هناك . ونعلنها فى بيئات اسلامية لم تحدث فيها تلك المقدمات ، ونفرضها على مجتمعات

لم تعان من اضطهاد الفكر ما عانته المجتمعات الغربية .. بل كانت على العكس منها تعيش فى ظل الحرية الفكرية المنطلقة الى آفاق البحث فى كل جانب من جوانب الحياة العلمية ..

فمن الظلم البين — إذن — أن نفرض عليها النتيجة التى ادى اليهـــا اضطهاد الفكر ومحاربة العلم والعقل فى مجتمع آخر .. لأن فرض العزل الصحى مثلا على مرضى لا يبيح بداهة أن نفرضه على أصحاء ..

فليس معنى اطلاق شعار فصل الدين عن الدولة هناك أن نتبنى هذا الشعار عندنا ، ونفرضه على تنظيم حياتنا .. ونتخذه قاعدة فى حكمنا على شئوننا ، ونحصر الدين داخل المسجد وفى مسائل الطلاق والزواج !!

ولقد كان من سوء حظ بلاد الاسلام انها ابتليت بالاستعمار ، الذى جعل من اهم أهدافه الحيلولة بيننا وبين ديننا ، وأن تكون الطليعة التى تولت ادارة شئوننا ، وتوجيه سياستنا قد تعلمت كلها أو أغلبها فى أوربا ، ولم يكن عندها المام كاف عن دينها . وعادت مأخوذة بما رأته هناك ، وما حصلت عليه من علم ، فساعد هذا وذاك على تبنى هذا الشعار وفرضه على حياتنا ؛ فنتج عن ذلك عزل الاسلام عن الحياة ، واصبحت النظرة اليه هنا كنظرتهم هناك الى دينهم ، واصبحنا لا نهتم بالدين الا كوسيلة لتدعيم السياسة ، حتى ولو كان الدين بريئا من هذا التدعيم ..

كما أصبحت كلمة الدين السليمة غير مقبولة اذا رئى فيها انها تخـــالف الاتجاه السياسى ، ونتج عن ذلك وجـــود أشخاص من المتكلمين باسم الدين يتاجرون به للحصول على مركز ، أو الوصول الى مغنم !!

نتيجة وصلنا اليها هنا لاننا بسوء نظرتنا وفهمنا قلدنا الغرب فى شعار تبناه ، وكان له العذر فيما فعل . بينما لا عذر لنا فى تقليده ، وفى تجهمنا لديننا الذى أعلن حرية الفكر منذ وجوده ، ولم يحدث على مر تاريخه أن حد من انطلاق العقل ، أو فرض علماؤه سلطانهم على العقول فحالوا بينها وبين التفكير الحر .

خطا ارتكبه غيرنا ، فى مجتمع غير مجتمعنا ، وكنا ابرياء من هذا الخطا ، ولكنا مع ذلك تحمسنا لفرض عقوبة هذا الخطا علينا وعلى ديننا وحياتنا ، وتحملنا نحن وديننا اوزار غيرنا ، فكيف يجوز هـــذا المنطق ؟ وكيف يعيش ويروج ؟

. . . .

حديث ذو شجون

جاء يقول لى فى اهتمام : نسمع كثيرا فى هذه الأيام : اننا اذا اردنـــا الانتصار فلا بد من الرجوع الى الدين . فهل صلاتنا وصيامنا وحجنا يضمن لنا الانتصار ، ونحن نعرف أن الانتصار يحتاج الى تدريب وأسلحة .. الخ ؟ ..

قلت له : ان فهمك لمعنى الرجوع الى الدين فهم محدود وقاصر .. ولعل السبب فى تكوين هذا الفهم عندك أنك نشأت فى ظل مجتمع لا يرى من الدين الا العبادات المفروضة المعروفة ، ففهمت أن الدين قاصر على هذه العبادات .. وأن من اداها فقد قام بواجبات الدين كله !!

وهذا ما أراده الاستعمار وأراده الذين سيطروا على شئوننا ردحا من الزمن ، حتى لا يتدخل الدين فى أعمالهم وأساليب حكمهم .. وفهمك هذا ثمرة من ثمرات نجاحهم فيما أرادوه مع الأسف !!

ان الاسلام ينظم كل شان من شئون حياتك ، وله فيها راى وتوجيه : فى البيت ، والشارع والمدرسة ، والمصنع .. والمزرعة والمتجر .. وفى ديوان العمل ، وفى أسلوب الحكم .. وميدان الحرب .. كل شىء فى حياتك رسم الاسلام له طريقة . وأساسه : الاخلاص والاتقان ، ومراعاة الله المطلع على السر والعلن .

فاذا قلنا الرجوع الى الدين او الرجوع الى الله ، فمعنى هذا مع اداء العبـادات أن نباشر كل أعمالنا باخلاص ونؤديها باتقـان .. لأن الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه . وهو فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .. ويريد من كل واحد منا أن يجيد عمله مهما يكن نوع هذا العمل .. ويعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به . ويعد لعدوه ما اسـتطاع من قوة ، ولا يفر أمامه لأنه يطلب النصر أو الجنة ..

فلو راعى كل واحد منا دينه فى عمله ، واتقى الله فيه ، لقلت الشكوى ، وقويت الثقة فيما بيننا ، ولم نجد متكاسلا ولا خائنا ولا ماجنا ، ولا مستهترا ، ولا ظالما ، ولا حاقدا حاسدا .. او على الأقل نقضى على كثير من هذه الظواهر الضـارة .. وحينئذ ننهض فى كل مرفق من مرافق حياتنا ، ونـكون بذلك قد اعددنا العدة للنصر على الأعداء ..

هذا فى اختصار معنى الرجوع الى الله ، او الرجوع الى الدين ..

قال : هذا معنى جميل . ونحن فعلا فى حاجة ماسة الى ان نحقق فى حياتنا هذا المعنى . لأننا بغير الحرص عليه لا يمكن أن نتقدم خطوة .. وسنبقى نكرر الأخطاء ، وتتكرر الهزائم والمآسى . ولكننى وكثيرين معى لم نفهم معنى الرجوع الى الله أو الدين على هذا المعنى الواسع الجميل ..

قلت : الذنب ليس ذنبكم وحدكم ، ولكنه ذنب التربية التى تربيتموها فى جو بعيد عن الفهم الصحيح للدين .. حتى أصبحتم تسخرون من كل داعيـة مخلص .. وتتهكمون عليه ، وتعدونه كأنه دخيل عليكم ، أنتم فى واد وهو فى واد .. مع أنه لا يخترع شيئا ، بل يتحدث ويدعو باسم الله واسم رسوله . ويذكركم بالقرآن وبالسنة .. وأنتم تفضلون هواكم على قول الله وقول الرسول .. وتؤثرون ظواهر المدنية الكاذبة على حقائق الاسلام وآدابه .. مع احساسكم الداخلى بأنكم تسيرون فى منحدر الى هاوية سحيقة .. وتبتعدون عن الله . وصوت القرآن يناديكم : ((**استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم**)) .

وتأمل معى قليلا قوله تعالى : ((**لما يحييكم**)) فالحياة هنا هى حياة الأمة المعنوية الحيـاة القوية الفاضلة العزيزة الناهضـة .. لا حياة الجبنـاء الأذلاء التعساء التى هى الموت الحقيقى . أو التى هى حياة كل حيوان . ومع دعوة الله هذه للحياة بمعناها الجميل نرفض الاستجابة لصوت الله ، ونؤثر عليه

اصواتا اخرى تغرينا بمختلف أنواع الاغراء ، فنسير وراءها غير مدركين تماما لحقيقتها ولا للمآل الذى تدفعنا اليه . .

فهل يذنب الداعى الى الله حين يدعوكم لما يحييكم حتى تتجنبوه وتسخروا منه ، بينما تحتفلون بكل داع الى المجون والانحلال ، والى ما فيه فساد الفرد وضياع الأمة ؟؟ !!

قال : انك تصور حقيقة واقعنا المر . . هذا الواقع الذى اسلمنا الى ما هو امر منه . ولا ندرى ماذا يكون فى مستقبل ايامنا ومستقبل اولادنا ؟ ان الأولاد يقبلون على « التلفزيون » حينما يعرض اغنية او تمثيلية فاذا جاء موعد حديث دينى اغلقوه . . وتلك ظاهرة مؤسفة !!

قلت له : هى مؤسفة حقا . . ولكن لو أن الآباء فى البيت اعتنوا بالاستماع لهذه الأحاديث لسرت العدوى او القدوة الطيبة منهم للأولاد . . ومع ذلك فاننى ارجو ان يعنى المختصون بتخطيط البرامج بتقديم تمثيليات قصيرة قائمة على غرس المعانى الدينية والخلقية فىالنفوس ، ليمكن جذب الجيل الجديد اليها وتربيتهم عن طريقها . . لأننا كمربين وموجهين يجب علينا أن نتحسس الوسائل التى تشد المستمع والمشاهد ، لنصل بذلك الى ما نريد . . والتمثيليات وسيلة مهمة جدا فى هذه الناحية ، بل ان الأغنية التى تلفت الاسماع والقلوب الى المعانى الكريمة وسيلة كذلك لا يمكن أن ننكر أثرها . .

قال : ان هنــاك تمثيليات او افلاما تعرض مشـــــهدا فيه « مأذون » يعقد عقد الزواج ، او مدرسا للغة العربية فتتعمد عرض المأذون او المدرس العربى وحديثهما بصورة تثير الهزء والاستخفاف بالدين واللغة العربية معا وهذا بلا شك يترك أثره السيىء فى النفوس .

قلت له : نعم أعرف ذلك واعرف انه من معــاول الهدم للدين واللغة فى النفوس . . فى الوقت الذى لا نرى فيه رجلا من غير رجال الاسلام يتعرض لمثل هذا ، بل يحاط بالاجلال . . وهذه طريقة خبيثة . لأنه اذا عرض شكل العالم بعمامته فى تمثيلية مثلا بشكل يثير الهزء والضـــحك انطبعت فى الأذهان — ولاسيما أذهان الصغار — هذه الصورة ، فلا يمكن لهم بعد ذلك أن يثقوا بمن يلبس هذا الزى أو يتقبلوا منه توجيها . . وبهذا يحال بين الشباب وبين التوجيه الدينى من أربابه والمتخصصين فيه . . ومع الأسف نرى بعض كتابنا ورسامى الكاريكاتير عندنا ينسجون احيانا على هذا النهج ويسممون الآبار كما يقال . .

قال : ومتى تنتهى هذه الموجة ؟

قلت : حين تكون هناك عناية مخلصة بالدين واللغة وكل ما يتصل بهما ، وتكون هناك غيرة صحيحة عليهما . .

قال : وممن ننتظر هذه العناية وهذه الغيرة ؟

قلت : من الجميع ، ولكن من المسئولين أولا عن توجيه امورنا ، وقيادة سفينتنا ،

فادع الله معى لهم بالتوفيق . .
فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

الزكاة فى العمارات والمصانع

هل تجب؟ وما نصابها؟ وما مقدارها؟ وكيف تزكى؟ ومتى؟

للأستاذ : ي . ق

تحدث الكاتب فى مقـــاله السابق عن الزكاة فى رءوس الاموال النامية كالعمارات والمصانع وغيرهما مما يدر دخلا ونيرا لأصحابها وذكر ادلة القائلين بوجوب الزكاة عليها اجتهادا منهم وأدلة الواقفين عند الأشياء المنصوص عليها . وهنا يتابع بحثه لتكملة هذا الموضوع .

المبحث الثانى

كيف تزكى العمارات والمصانع رنحوها ..

الأموال النامية التى أوجب فيها الاسلام الزكاة نوعان :

الأول : نوع تؤخذ الزكاة من أصله ونمائه معا ، أى من رأس المال وغلته ، عند كل حول . كما فى زكاة الماشية وعروض التجارة ، وهذا لتمام الصلة بين الأصل وفوائده وغلاته ، ومقدار الزكاة هنا هو ربع العشر ، أى ٥ر٢٪ .

الثانى : نوع تؤخذ الزكاة من غلته وايراده فقط ، بمجرد الحصـــول على الغلة دون انتظار حول ، سواء كان رأس المال ثابتا كالأرض الزراعية ، أو غير ثابت كنحل العسل ، ومقدار الزكاة هنا هو العشر أو نصـــــفه ، أى ١٠٪ أو ٥٪ .

فعلى أى أساس تعامل هـــذه الأموال النامية الجديدة ؟ وكيف نأخذ منها الزكاة ؟ أنأخذ الزكاة من رأس المال ، وما بقى من غلته كما فى أموال التجارة ؟ أم نأخذ من غلته وايراده فقط كما فى الحبوب والثمار والعسل ؟

رأيان قديمان فى زكاة الدور المؤجرة ونحوها ..

ولعل كثيرا من المتصـــــلين بالفقه يظنون ، بل قد يؤمنون أن الدور التى

تكرى للناس بأجر ، وتدر فى كل عام أو فى كل شهر مالا وايرادا متجددا ؛ لم ينص أحد من الفقهاء على حكم فى زكاتها ؛ لأنها لم تكن مما عمت به البلوى ، وانتشر بين الناس ، واحتاجوا فيه الى حكم حاسم .

وهذا التعليل حق ، ولكن وجدنا رغم ذلك من فقهائنا من يقول بتزكيتها ؛ وان اختلفوا فى معاملتها والنظر اليها : أتعامل معاملة رأس المال التجارى ؛ فتقوم كل حول ، وتؤخذ الزكاة منهـا ربع عشر قيمتهـا ؟ أم يغض النظر عن قيمتها ، وتؤخذ الزكاة من غلتها وايرادها اذا بلغ نصابا مستوفيا لشروط الزكاة ؟

الرأى الأول : أن تقوم وتزكى زكاة التجارة ..

هذا الرأى يعامل مالك العمارة الاستغلالية ، والطائرة والسفينة التجاريتين ونحوها معاملة مالك السلع التجارية ، فتثمن العمارة كل عام . مضافا اليها ما بقى معه من ايرادها ، وتخرج عن ذلك كله ٥ر٢ ٪ ككل عروض التجارة .

وقد وجد فى فقهاء السنة ، وفى فقهاء الشيعة من ذهب هذا المذهب .

رأى ابن عقيل الحنبلى ..

ففى فقه أهل السنة وجدت هذا الرأى للفقيه الحنبلى أبى الوفاء ابن عقيل — وهو عالم قوى الذهن ، ناضج الفكر ، خصب الاستنتاج ، وقد نقل عنه هذا الرأى المحقق ابن القيم فى كتابه « بدائع الفوائد » نقل الموافق المقر . قال ابن عقيل مخرجا على ما روى عن الامام أحمد فى تزكيته حلى الكراء : يخرج من رواية ايجاب الزكاة فى حلى الكراء والمواشط ، أن تجب فى العقار المعد للكراء ، وكل سلعة تؤجر وتعد للاجارة .

قال : وانما خرجت ذلك عن الحلى ، لأنه قد ثبت من أصلنا أن الحلى لا تجب فيه الزكاة ، فاذا أعد للكراء وجبت — فاذا ثبت أن الاعداد للكراء أنشأ ايجاب الزكاة فى شىء لا تجب فيه الزكاة ، كان فى جميع العروض التى لا تجب فيها الزكاة ينشىء ايجاب الزكاة .

« يوضحه أن الذهب والفضة عينان تجب الزكاة بجنسهما وعينهما ، ثم ان الصياغة والاعداد للباس والزينة والانتفاع ، غلبت على اسقاط الزكاة فى عينه ، ثم جاء الاعداد للكراء فغلب على الاستعمال ، وأنشأ ايجاب الزكاة ، فصار أقوى مما قوى على اسقاط الزكاة ، فأولى أن يوجب الزكاة فى العقار والأوانى والحيوان التى لا زكاة فى جنسها »(١) .

هذا ما ذكره ابن عقيل تخريجا على مذهب أحمد . ونحن نقول : ان ما ذهب اليه الامام أحمد من اسقاط الزكاة عن الذهب والفضة اذا استعملا فى حلى مباح ، ومن ايجابها فى الحلى اذا أعد للكراء ، مذهب قوى ، يستند الى أصل هام فى باب الزكاة وهو : أن لا زكاة فى مال غير نام ، أو مشغول بالحاجة الأصلية ، وانما الزكاة فى المال النامى وهو الذى يدر على صاحبه كسبا ودخلا .

والحلى المباح المستعمل للزينة واللبس مال غير نام ، ومشغول بحاجة صاحبته ، فاذا أعده للكراء فقد خرج عن ذلك الى حيز النماء ، وأصبح صالحا للدخول فى « وعاء الزكاة » .

وهو قول لمالك أيضا كما ذكر ابن رشد(٢) .

واذا طبقنا هذا على العقارات والأثاث والسيارات والسفن والطائرات والماكينات والأجهزة الصناعية المختلفة ، اتضح لنا هذا الحكم : أن لا زكاة فيها اذا كانت للاستعمال الشخصى ، فاذا أعدت للكراء ، وغدا من شأنها أن تجلب نماء وربحا ، فقد غدت صالحة لوجوب الزكاة ، وزكاتها فى هذه الحال كزكاة عروض التجارة نصابا ومقدارا .

ومعنى هذا أن مالك العمارة أو الأتوبيس أو الطائرة أو الفندق أو محل الفراشة أو أى سلعة تؤجر وتعد للاجارة ــ كما قال ابن عقيل ــ عليه ــ فردا كان أو شركة ــ أن يقوم عقاراته أو ماكيناته ، فاذا عرف قيمتها ضم اليها ما لديه من رأس المال النقدى ، وما له من ديون مرجوة ، كما يصنع التاجر فى رأس ماله ، ثم يخرج ربع عشرها زكاة .

ولا يقال : ان هذه الأشياء رأس مال ثابت ، فيجب أن يعفى من الزكاة ، كما يعفى الأثاث الثابت فى حوانيت التجارة ، لأنا نقول : ان هذه الأشياء الثابتة هنا هى نفسها رأس المال النامى المغل الذى به تجلب المكاسب والأرباح ، وانما يعفى ما لم يكن مقصودا للكسب من ورائه ، كالأرض والمبانى التى توضع فيها الماكينات الصناعية ، لأن الماكينات هى المقصودة ، بخلاف الارض والمبانى فى العمارة والفندق والسينما ونحوها ، فان المبنى نفسه هو الذى يجلب الفائدة والمال .

مذهب الهادوية ..

وفى فقه الشيعة وجدت صاحب البحر الزخار ــ وهو سجل جامع لمذاهب علماء الأمصار أهل سنة وشيعة ــ قد نقل عن الهادوية من الشيعة الزيدية أنهم ذهبوا الى ايجاب الزكاة فى المستغل من كل شىء ، لأجل الاستغلال ، لعموم قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة » . ولأنه مال قصد به النماء فى التصرف فكان كمال التجارة ، فيزكيه اذا بلغت قيمته نصابا(٢) .

اعتراضات المانعين ..

وقد اعترض على هذا الرأى بعض الفقهاء الذين يميلون الى التضييق فى ايجاب الزكاة ، مثل الامام الشوكانى فى « الدرر البهية » ، وشارحها صديق حسن خان فى « الروضة الندية » .

ولا يبعد ممن يقول : ليس فى الخضراوات ولا فى البقول ولا فى اموال التجارة زكاة . أن يقول : ليس فى المستغلات كالدور والدواب التى يكريها مالكها زكاة .

وجملة ما احتج به فى الروضة يرجع الى شبهتين : احداهما : تتعلق بالمنقول من الخبر ، والثانية تتصل بالمعقول من النظر .

أ ــ فأما الخبر فحديث « ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة » وهو يصرح بنفى الصدقة عن فرس المسلم نفيا عاما ، وهذا النفى يشمل حالة استغلاله بالتجارة أو بالكراء .

وأما الشبهة الاخرى فهى أن ايجاب الزكاة فيما ليس من الأموال التى تجب فيها الزكاة . بالاتفاق كالدور والعقار والدواب ونحوها ، بمجرد تأجيرها

بأجرة بدون تجارة فى أعيانها ، مما لم يسمع به فى الصدر الأول الذبن هم خير القرون ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فضلا عن أن يسمع فيه بدليل من كتاب أو سنة .

وقد كانوا يستأجرون ويؤجرون ، ويقبضون الأجرة من دورهم وضياعهم ودوابهم ، ولم يخطر ببال احدهم أن يخرج فى رأس الحول ربع عشر داره أو عقاره أو دوابه ، وانقرضوا وهم فى راحة من هذا التكليف الشاق ، حتى كان آخر القرن الثالث من اهل المائة الثالثة ، فقال بذلك من قال بدون دليل الا مجرد القياس على أموال التجارة ، وقد عرفت الكلام فى الأصل ـــ يعنى زكاة التجارة ـــ فكيف يقوم الظل والعود أعوج ؟

مع أن هذا القياس فى نفسه مختل بوجوده ، منها : وجود الفـــارق بين الأصل والفرع ، فان الانتفاع بالمنفعة ليس كالانتفاع بالعين(٤) .

ب ـــ وخلاصة هده الشبهة : أن الأصل براءة الناس من التكاليف ، ولم يوجد دليل يوجب الزكاة فى هذه المستغلات ، حتى أن أحدا من السلف لم ينقل عنه القول بزكاتها ، فضلا عن نص من آية أو حديث .

أما القياس على أموال التجارة وزكاتها ، فعلى فرض التســـــليم بثبوت الزكاة فيها ، فقد اختل القياس بوجود الفارق وهو : أن أموال التجارة وسلعها ينتفع بعينها ، فتنتقل العين من يد الى يد بالبيع والشراء ، بخلاف هذه الأشياء ، فانها باقية ، وانما يستفاد من منفعتها فحسب .

تعقيب وترجيح ..

أما حديث « ليس على المسلم فى عبده أو فرسه صدقة » فالذى اخترناه أن نفى الصدقة فيهما انما كان لأنهما من حوائجه الأصلية ، فالعبد يخدمه ، والفرس مركبه وعدته للجهاد ، ومن ثم أوجب جمهور الفقهاء منذ الصدر الأول اخراج الزكاة عن العبد والفرس اذا كانا للتجارة ، بل نقل ابن المنذر الاجماع على ذلك ، ولم يقف ظاهر هذا الحديث دون ما فهموه وأفتوا به .

وأما عدم النقل عن الصدر الأول ما يفيد ايجاب الزكاة فى هذه الأشياء ، فانما كان لعدم شيوع الكراء والاستغلال فيها بحيث تعم به البلوى ـــ على حد تعبير الفقهاء ـــ ويظهر الحكم ، ويتناقله الرواة ، وكل عصر له مشكلاته التى تثار ، ويطلب ابرام حكم فى شأنها ، ولم تكن هذه (المستغلات) من مشكلات تلك الأعصار . قال فى (البحر) : وقد ادعى مخالفة الهادوية للاجماع ، وفيه نظر ، اذ لم يصرح السلف فيها بحكم(٥) .

أما قياس هذه (المستغلات) على عروض التجارة ، فربما كان له وجه عند النظرة الأولى ، اذ كل من المستغلات والعروض رأس مال نام مغل ، وكلا المالكين تاجر يستثمر رأس ماله ويستغله ويربح منه ، وكون صاحب العروض ينتفع باخراج عين الشىء عن ملكه ، وصاحب العمارة والمصنع ينتفع بالغلة مع بقاء العين ، ليس فرقا يوجب الزكاة على أحدهما ويعفى الآخر .

بل قد يقال : ان المنتفع باستغلال الشىء مع بقاء عينه فى ملكه ـــ كمالك العمارة وصاحب المصنع ـــ ربما كان أكثر ضمانا للربح ، وأمانا من الخسارة ، من صاحبه التاجر الآخر .

هذا ما قد يبدو لأول وهلة ، ولكن عند التأمل يتبين لنا المفارقات الآتية :

أولا : أن أصدق تعريف لعروض التجـــارة هو : كل ما يعـد للبيع من الأشياء ، كما جاء فى حديث سمرة أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يأمرهم أن يخرجوا الزكاة مما يعدونه للبيع . وقد تقدم فى زكاة التجارة .

ومما لا يخفى أن هذه العمارات والمصانع وما شـاكلها لا يعدها مالكها للبيع ، بل للاستغلال ، وانما ينطبق هذا على التجار والمقاولين الذين يشترون العمارات او يبنونها بقصد بيعها ، والربح من ورائها . فهـذه تعامل معاملة عروض التجارة بلا نزاع .

ثانيا : أننا لو جعلنا كل مالك يستغل رأس ماله ، ويبتغى نماءه تاجرا . ولو كان رأس المال غير متداول وغير معد للبيع — لكان مالك الأرض والشجر التى تخرج له زرعا وثمرا تاجرا أيضا ، ويجب أن يقوم كل عام أرضـه أو حديقته ، ويخرج عنها ربع عشرها زكاة ، وهذا ما لا يقبل . ولا يقول به أحد .

ثالثا : أن هذه المستغلات قد يتوقف فى بعض الأحيان استغلالها لسبب من الأسباب ، فلا يجد صاحب العمارة من يستأجرها ، ولا يجد صاحب المصنع المواد الأولية اللازمة ، أو الأيدى العاملة ، أو السوق الرائجة .. الخ . فمن أين يخرج زكاتها ؟

ان صاحب العروض التجارية السائلة (المتداولة) يبيعها ، ويخرج زكاتها من قيمتها ، بل يمكن عند الحاجة أن يدفع الزكاة من عينها — كما رجحنا ذلك — ولكن صاحب الدار أو المصنع كيف تؤخذ منه الزكاة اذا لم يكن له مال آخر ؟ لا سبيل الى ذلك الا ببيع العقار أو جزء منه ليستطيع أداء الزكاة . وفى هـذا عسر ظاهر ، والله يريد بعباده اليسر ، ولا يريد بهم العسر .

ومن هنا تظهر قيمة الفرق بين ما ينتفع بعينه كالعروض ، وما ينتفع بغلته كالعقارات ونحوها .

رابعا : يعكر على هذا الرأى من الناحية العملية : أن العمارة أو المصنع ونحوه ستحتاج كل عام الى تثمين وتقدير ، لمعرفة كم تساوى قيمتها فى وقت حولان الحول ، اذ المعهود أن مرور السـنين ينقص من صلاحيتها ، وبالتالى من قيمتها ، كما أن تقلب الأسعار تبعا لشتى العوامل الداخلية والخارجية له أثره فى هذا التقويم ، ولا شك أن هـذا التقويم الحولى تلابسه صـعوبات تطبيقية ، ويحتاج أول ما يحتاج الى مختصين ذوى كفاية وأمانة قد لا يتوافرون ، كما أن كل هذا يقتضى جهودا ونفقات تنتقص أخيرا من حصيلة الزكاة .

لهذا نرى أن الأولى أن تكون زكاة العمارة والمصنع ونحوهما فى غلتهما ، وهذا ما اتجه اليه الرأيان الآخران .

---

(١) بدائع الفوائد ج ٣ ص ١٤٣ .

(٢) بداية المجتهد ج ١ ص ٢٢٧ ط استانبول سنة ١٣٣٣ هـ .

(٣) البحر الزخار ج ٢ ص ١٤٧ .

(٤) الروضة الندية ج ١ ص ١٩٤ .

(٥) البحر الزخار ج ٢ ص ١٤٨ .

أخطاء المترجمين والنقلة في الأعلام وأسماء الأماكن

للاستاذ : محمد عبد الغنى حسن

جاء فى ((خواطر)) العـــدد التاسع والثـــلاثين من مجلة ((الوعى الاسلامى)) للأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر ، خـــاطرة حول ما وقع فيه مترجمو (دائرة المعارف الاسلامية) من خطأ فى كتابة لفظ (عمواس) هكذا (امواس) ، لأنهم حين نقلوا اللفظة عن الاصل الانجليزى للموسوعة ترجموا حرف الـــ (A) الذى تبدأ به هذه الكلمة فى اللغة الانجليزية الى الف مهموزة ، ظنا منهم أن هذا هو الأصل ، ونسوا أن أصل اللفظة هو حرف (العين) العربيـــة التى تحولت فى الانجليزية الى حرف (A) ، فكان الواجب ردها الى اصلها العربى الذى عرفها به العرب ونطقوهـــا به منذ أن خلق الله بلد (عمواس) وأوجدها فى المعجم العربى ، وفى الأطلس العربى ، وفى كتب الحديث والتاريخ والادب العربى ..

وفضيلة الأستاذ عبد المنعم النمر ، والمؤرخ المحقق اللواء محمود شيت خطاب مشكوران أصدق الشكر على هذا التصـــحيح الذى يرد الى لفظة عربية لبلدة عربية اعتبارها ، ويعيد اليها كيانها العربى ، وحلتها العربية الصحيحة ، التى لم يؤثر فيها اعوجاج الألسنة ، والجهل بتاريخ العرب والاســـلام ، على الرغم ممـــا يجنح اليه المترجمون فى أحيـــان كثيرة من ركوب متن الشطط فى ترجمة الأعلام ، واسماء الأماكن ، والبعـــد بها عن قوامها العربى ، وبنائهـــا السليم .

وليس هذا الخطأ اول خطأ تقع عليه العين فيما ينقله النقلة من تاريخنا وتراثنا . ولو ان هؤلاء النقلة كانوا عجما لالتمسنا لهم العذر فيما يقعون فيه . ولكن المسألة أكبر من أن يشفع فيها عذر ، أو يغنى فيها التماس المعـــاذير .

فما عذر العربى المسلم حين ينقطع عهده ، أو تنبت آصرته بماضيه ولغته وتاريخه فينسي من الأعلام والأماكن ما لا يجوز أن يتطرق اليها نسيان ، أو يعدو عليها طغيان ؟ وما عذر العربى المسلم حين ينسى قطعة من أرضه ، أو فلذة من تاريخه ، أو بلدا من بلدان أرضه العربية الواسعة فينطقها على غير حقيقتها ، ويديرها على غير وجهها الذى خلقها الله به ، وأنبتها عليه ؟

وما زلت أذكر من نماذج هذه الأخطاء الشنيعة ما لا يجوز ذكره الا على سبيل التنبيه اليه ، والتدليل عليه ، والتذكير به ، حتى تتجنبه الألسنة ، وتتحاشاه الأقلام ، ويعود اليه بناؤه العربى الصحيح الذى لم تشوهه عجمة ، ولم تحرفه غفلة .

ومن أشنع وأبشع ما لقيته من تلك الأخطاء ما جاء فى معجم (المنجد) — أو على الأصح فى المعلمة الملحقة به — وهو قسم قام بعبء تحقيقه والقيام عليه الأب فردينان توتل اليسوعى ، وهو رجل عربى من حلب ، فلا عذر له حين يكتب اسم زوجة النبى عليه السلام : زينب بنت جحش — رضى الله عنها — هكذا : (زينب بنت جهش) بالهاء لا بالحاء . لأنه يترجم عن الفرنسية أخت الانجليزية بلا معرفة بأصول تاريخنا العربى ، فنقل حرف الـ (H) هاء ، كما يفعله النقلة الذين لا يفقهون بدون تثبت أو تكليف الخاطر بالرجوع الى كتاب من كتب السيرة ، وبهذا نقل اسم أم المؤمنين رضى الله عنها الى غير حقيقته ، ومسخه مسخا بعد به عن أصله الصحيح .

ويرسم الأب فردينان توتل الباحث العربى اسم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده هكذا : محمد عبدو . وهو رسم غريب لا معنى له . وفيه أثر النقل والترجمة الحرفية . مع أن اضافة لفظ (عبد) الى الهاء فيها تحقيق معنى العبودية لله .

وشبيه بما وقع فى لفظ (عمواس) فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ما وقع فى المعلمة الملحقة بمعجم (المنجد) فى كلمة (أوالى) التى هى اسم مكان فى بلاد البحرين ، فقد كتبت هكذا : (عوالى) . وهو نقل أعجمى أيضا . لأنها تكتب بالحروف اللاتينية هكذا : Awaly . فتوهم الأب توتل العربى أن الـ (A) أصلها عين لا همزة ، ولو أنه كلف نفسه الرجوع الى معجم بلدان أو مصور جغرافى عربى لما وقع فى مثل هذا الوهم الشنيع .

وأعجب من هذا الخلط والخبط فى ترجمة الأعلام والأماكن ما جاء فى معجم المنجد أيضا من الحديث عن عبد المؤمن بن خلف الدمياطي صاحب كتاب (فضل الخيل) وغيره من نفيس المؤلفات ، فقد جاء فى ص ٦٦ من المعلمة أن اسمه هكذا : (عبد المؤمن بن خلف الضمياطى) !! وهى ترجمة حرفية لا واعية لحرف (D) الافرنجي ، أو لعل الأب الجليل يريد أن يحقق تسمية لغة الضاد — أى لغتنا العربية — بمثل هذه الضاد فى مدينة دمياط .. لا ضمياط !!

ومن غرائب الخطأ فى ترجمة الأعلام ما وقع فى المنجد أيضـــا للتعريف بالفقيه العـــالم المصرى نور الدين الأجهورى . فقد جـــاء فيه أنه (نور الدين الأغورى . ولد فى أغور شمالى القـــاهرة) . وليس هنـــاك بلدة فى شمال القاهرة اسمها : أغور وليس هنـــاك فقيه مالكي مصرى اسمه : الأغورى . ولعل هذا من فساد النقل والترجمة عن الفرنسية والحروف اللاتينية . وانمـــا الصحيح أن هناك نور الدين الأجهورى ، وهو منسوب الى بلدة : أجهور ، من أعمال محافظة القليوبية . وهى ترسم بالحروف الافرنجية هكذا :

(aghour) فقرأها الأب توتل بالغين لا بالجيم ، على عادة ابدال الـــ (GH) غينا فى اللغات الأجنبية .

ويذكرنا قلب الدال ضادا فى مدينة (دمياط) على يد الأب العربى فردينان توتل الحلبى بما صنعه الأستاذ توما ديبا المعلوف من قلب اسم الشيخ محمـــد عياد الطنطاوى الرائد الأزهرى المشهور فى بلاد الروس الى محمد عياض .. بالضاد لا بالدال . واظن أن الأستاذ تومـــا قد ترجم اسم الشيخ المصرى عن حروف لاتينية ترسم هكذا « ayyad » فجعل (حرف D) ضـــادا بدلا من جعله دالا على حقيقته .

وأذكر هنا للمرة الثالثة دالا عربيـــة قلبت الى ضاد حين ترجمـــة اسم (ريدان) قائد جيوش الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى . ففى كتاب (الفنـــون الشعبية فى يوغوسلافيا) الذى صدر عن دار المعارف فى سلسلة (مكتبـــة الثقافة الشعبية) ذكر المؤلف اسم هذا القائد هكذا : « ريضان » !! لا ريدان . وهو هنا ينقل ويترجم عن اللغة الأجنبية بلا وعى ، وبدون رجوع الى التـــاريخ العربى . واغرب من هذا أن مؤلف هذا الكتاب حين يتحدث عن الخليفة الحاكم بأمر الله ، فانه يذكره هكذا : الحكيم . فكأنه يترجم حرفيا وبلا وعى اللفظـــة مكتوبة بالحروف الافرنجية هكذا : « Hakim » !!

ومن أعجب ما وقعت عليه العـــين من أوهام المترجمين للأعلام والأماكن العربية ما وقع فى اسم الخليفة الأموى مروان والد الخليفة عبد الملك بن مروان . فقد كتبه مؤلف كتاب « الفنون الشعبية فى يوغوسلافيـــا » هكذا : مرفان !! لأن مروان يكتب باللاتينية هكذا : Mirwan . فترجم حرف « w » الى حرف « ف » بالعربية ! وهـــكذا من أشنع الأوهام التى تدل على انقطاع تام عن تاريخ العرب والاسلام .

ومن أغرب الأوهام والتخليط فى ترجمة الاعلام والاماكن العربية الاسلامية . ما وقع فى ترجمة كتاب (تاريخ أفريقية) لرولاند أوليفر وجون فيج . فقد تولت الدكتورة عقيلة محمد رمضان ترجمته ، وظهر سنة ١٩٦٥ . ولكنه كان مشحونا بأخطـــاء الترجمة التى تدل على بعد المترجمة والمراجع عن تاريـــخ قومها .. فكتبت مدينة (فاس) المراكشية هكذا : « فيز » !! على الطـــريقة الامريكية أو الانجليزية ! ويظهر أن ياقوت الحموى ـــ رحمه الله ـــ قد كان محتاطا لمثل هذا الوهم أن يتسرب الى هذه اللفظة فضبطها فى كتابه المشهور (معجم البلدان) هكذا : (فاس : بالسين المهملة ، بلفظ فاس النجار ..) .

وفى كتاب تاريخ أفريقيـــة هذا ذكرت مدينة قرطـــاجنة الافريقية هكذا : (كارتيج) !! وهى ترجمة حرفية عن اللفظ الانجليزى . والصواب مـــا تذكره جميع المعاجم وكتب التاريخ العربى الاسلامى من أنها : قرطاجنة .

ومن أوهام الترجمة فى ذلك الكتاب ما جاء عن يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين . فقد كتب اسمه هكذا : (ابن طشفين) !! وهى أيضا ترجمة حرفية عن الانجليزية . فقد ترجم حرف (T) المكتوب به الاسم باللغة الانجليزية الى حرف « ط » ، فصار طشفين . .

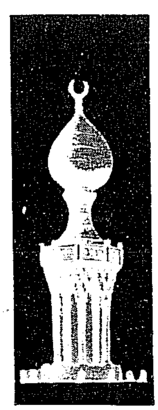
وقد ترجمت الدكتورة عقيلة رمضان اسم الحفصيين أو بنى حفص هكذا : الحافصيين ! ولا أدرى من أين جاءت بهذه الألف ، الا أن تكون حرف (A) فى الانجليزية الذى وقع بعد حرف « H » ، وهو المقابل للحاء العربية . .

وكثيرا ما تأتى الأعلام والأماكن العربيـــة فى الكتب المترجمة على غير حقيقتها ، فان قبيلة « صنهاجة » المغربية قد وقعت فى الترجمة العربية لكتاب تاريخ أفريقية هكذا : (سنهاجا) !! فترجم حرف « S » الى حرف سين ، بدلا من الرجوع به الى أصله العربى .

وقد ترجمت الدكتورة عقيلة رمضان اسم الحفصيين او بنى حفص هكذا : والمصورات العربيـــة التى تنقل عن الفرنجة ، فوجدت أن الوهم يتسرب الى الترجمـــة والنقل فى حروف معينـــة مثل (A) . وهـــل هى الف أو عين . وحرف « D » وهل هو دال أو ضاد . وحرف « H » وهل هو حـــاء أو هاء ، وحرفى gH وهل هما ج . أو غ . وحـــرفى KH وهـــل هما كاف أو خـــاء ، وحرف S » وهل هو س أو ص . وحرف T وهل هو تاء أو طاء .

وما زلت اذكر ما وقع فى أطلس عربى حديث حيث ذكرت فيه بلدة « كوت العمارة » بالعراق هكذا : كوت الأمارة . وما وقع فى أطلس آخر حيث ذكر فيه المخلاف اليمنى المشهور : بيحان . هكذا : بيهان لأن مترجم الأطلس وناقله نقل عن أصل انجليزى أو فرنسى تكتب فيه اللفظة هكذا : Bihan . فتحير الناقل فى حرف الـــ « H » ماذا يترجمه : أيترجمه حاء كما هو الأصل ، أم يترجمه هاء كما وقع فى المحظور !

ولا شك أن ازالة مثل هذه الأوهام فى ترجمة الأماكن والاعلام تحتـــاج الى تفطن ودراية ومعرفة بالتاريخ العربى الاســـلامى وطبقات الرجال وبلدانية الأوطان العربية التى تشرف العربى وتزيده اعتزازا بقومه ، واعتدادا بوطنه ، واستمساكا بعرى تاريخه العظيم .



سيف الله المسلول

فى غزوة الخندق جمع المشركون جيشا عظيما حاصروا به المدينة . فلما طال الحصار عليهم خرج عمرو بن ود فارس العرب . فتوجه الى المسلمين . وقال : من يبارز ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين .

فقام على . فقال : انا يا نبى الله . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس انه عمرو بن ود . فنادى عمرو الثانية وسلط لسانه فى المسلمين . وقال : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين .

وقام على . فقال : أنا له يا رسول الله . فقال له النبى : اجلس انه عمرو بن ود ؛ فنادى عمرو الثالثة فلم يجبه أحد من المسلمين . فقام على فقال : أنا يا رسول الله فقال له النبى : انه عمرو فقال على : وان كان عمرا فأذن له فى الخروج اليه . فلما رآه عمرو قال : من أنت ؟ قال : على . فقال عمرو : ابن أبى طالب ؟ قال : نعم . فقال عمرو : غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك وانى أكره أن أريق دمك . فقال على : وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب . وكان راكبا على فرسه . وعلى واقف على قدميه . فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك !! فنزل عمرو . وسل سيفه كأنه شعلة وعقر فرسه . وهجم على على . فاستقبله بدرقته . فضربه عمرو فيها . فقدها وأصاب رأس على ، فضربه على على عاتقه . فسقط عمرو قتيلا . فكبر المسلمون فرحا بقتل عدو الله .

. . . .

الملعونة

كان العباس بن على المنصور ينظر الى الخمر . ثم يقول لها : اما المال فتبلعين وأما المروءة فتخلعين ، وأما الدين فتفسدين .

الخبز والملح

دعا رجل صديقا له الى منزله ، وقال : لنأكل معك خبزا وملحا . فظن الصديق ان ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ أعده صاحب المنزل . فمضى معه . فلم يزد على الخبز والملح ؛ فبينما هما يأكلان اذ وقف بالباب سائل الح فى المسألة فقال له صاحب المنزل اذهب والا كسرت رأسك . فقال الضيف للسائل : انصرف فانه صدق فى وعده . وسيصدق فى وعيده .

قال

قال حكيم : أعجب ما فى الانسان قلبه .
ان سنح له الرجاء أذله الطمع .
وان هاجه الطمع أهلكه الحرص .
وان ملكه اليأس قتله الأسف .
وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ .
وان أسعد بالرضا نسى التحفظ .
وان أتاه الخوف شغله الحذر .
وان اتسع له الأمن استلبته الغرة
وان أصابته مصيبة فضحه الجزع .
وان استفاد مالا أطغاه الغنى
وان عضته فاقة بلغ به البـــلاء .
وان جهد به الجوع قعد به الضعف .
وان أفرط فى الشبع كظته البطنة .
فكل تقصير مضر ، وكل افراط قاتل .

اكـــرم من حاتـــم

دخل رجل من الأنصار على عبيد الله بن عباس ، فقال : يا بن عم رسول الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وانى سميته باسمك تبركا منى به ، وان أمه ماتت .

فقال عبيد الله : بارك الله لك فى الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفـــع اليه مائتى دينار للنفقة على تربيته .

ثم قال الأنصارى : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس ، وفى المال قلة .

قال الأنصارى : لوسبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطل كرمك اكثر من وابلـــه .

المنزل الوســـط

دخل على زياد رجل من اشراف البصرة . فقال له زياد : اين مسكنك من البصرة ؟ قال : فى وسطها قال له : كم لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فلما خرج من عنده قيل له : انه ليس كذلك فى كل ما سألته ، وليس له من الولد الا واحد . وهو ساكن فى طرف البصرة ، فلما عاد اليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له مـــا كذبتك : لى تسعة أولاد ، قدمت منهم ثمانية فهم لى . وبقى معى واحد ، فـــلا ادرى الى يكون أم على ؟ ومنزلى بين المدينة والجبانة فأنا بين الأحياء والأموات فمنزلى فى وسط البصرة . قال زياد : صدقت .

من أمجاد تاريخنا الماضي

صقلية (٥)

الدول كالأفراد تحيا وتموت . ولكن المدنية الحقيقية لا تخشى الموت . وليس قياس المدنية الحقيقى بكثرة الإحصاء . أو بحجم المدن . أو قيمة الحاصلات والتجارة فحسب . بل بنوع الرجال الذين تخرجهم إلى العالم . والعلوم التى يشيد عليها صرح المدنية .

وقد استولى المسلمون على صقلية فى زمن كانت تتلألأ فيه مدنيتهم فى الشرق والغرب . وأوربة قد عادت وسقطت فى ظلمات الجهل . ولجأ العلم إلى ظل الأديرة الهادىء ؛ حيث كان الرهبان قد انزووا فى مقصوراتهم . واخذوا يمسحون رقاقهم القديمة ليكتبوا عليها أصول ديانتهم (١) ؛ ودخل المسلمون صقلية يحملون معهم دينا جديدا ، ونقلوا إليها كل علومهم ؛ وصنائعهم ؛ وقوانينهم . وعوائدهم . ولغتهم ، وآدابهم ؛ وفنونهم ، وظل يتدفق الى الجزيرة طوال الحكم الإسلامى لها — وهى غاصة بذكريات المدنيات القديمة — تيارات الثقافة الشرقية التى كانت ممتزجة بتراث اليونان والرومان الفنى . واستطاع المسلمون بقوة نفوذهم . وتأثيــر سلطانهم الدينى والسياسى ، وذكائهم وعبقريتهم أن ينتجــوا أحسن ثمارها ؛ فازدهرت على عهدهم العلوم والآداب والفنون ؛ وتخرج رجال فى كل فرع من هذه الفروع ، وما فيهم إلا العالم ، والأديب والحكيم ، والمنجم والطبيب . والمهندس ؛ وكانت لهم يد على الجزيرة فى إنهاضها فى مادياتها ومعنوياتها . بتصانيفهم وتحقيقاتهم وصناعاتهم وشاركوا المسلمين فى الأندلس وغيرها فى وضع أساس التمدن العلمى الحديث فى أوربة .

العلوم الدينية والعربية

فنجد أن « العلوم الدينية » قد حظيت فى صقلية بنصيب وافر من العناية والخدمة ؛ فقد عنى الصقليون بكتاب الله حفظا ، وتجويدا ، وتفسيرا ؛ وكانت لهم فى الحديث آثار جليلة ؛ وألف كثيــر منهم فى القراءات ؛ كما نال الفقـــه والأصول قسطا وافرا من العناية . وتآليفهم فى الفقه كثيرة ومفيدة ؛ فلا عجب إذا نبغ فى صقلية من الفقهاء ، والمفسرين ، والقراء ، والمحدثين ، والمتكلمين عدد وافر ممن كانت لهم آثار خالدة وتآليف قيمة .

وكذلك « العلوم العربية » فقد كانت مشاركة أهل صقلية فيها عظيمة .

---

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ لمحمد كرد على (نقلا عن غوستاف لوبون — حضارة العرب) ، والمدنية العربية فى الغرب ، ص ٢ للويجى رينالدى .

الإسلامية

للدكتور: زكي محمد غيث

وحظهم منها كبيرا . فكان نصيب اللغة جزيلا وافرا ، وما كان يرجى من أهل هذا البلد النائى أكثر من أن تكون العربية لغة كتابة وتدوين على قدر المكنة ولكن أبت هذه الهمم الوثابة . والنفوس الطامحة إلا أن تعمل حيث كانت . وفى أية بقعة من بقاع الأرض . فرحل الراحلون فى طلب اللغة ومفرداتها وغريبها . وظهر الحفاظ اللغويون الكبار بصقلية . وكان منهم النحاة المصنفون . وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم . وتركت أثرها القوى فى الجزيرة ، وتكلم السواد الأعظم بها . ورسخت جذورها وبقيت حية حتى بعد زوال سلطان المسلمين السياسى عن صقلية .

والعلـــوم

وكذلك « العلوم » فإن عنايتهم بها تضارع عنايتهم بالعلوم الدينية والعربية . لأنهم وجدوا إبان ازدهار الحضارة الاسلامية ، وفى وقت كان الاسلام أعظم قوة فى العصور الوسطى . فكان ذلك دافعا لهم على السير مع القافلة ، والاشتغال بالعلوم المختلفة . فساهموا فى دراسة العلوم الرياضيــة والفلكيــة والعلوم الطبيعية . والكيمياء . والطب . والصـــيدلة . والجغرافيا ، والتاريخ ، ووجد منهم علماء فى هذه الفروع كانت لهم أبحاث ومؤلفات لا يزال بعضها باقيا إلى اليـــوم .

الفنـــون

وأيضا « الفنون » فقد تحلل أهل صقلية من القيود التى كانت تحول دون اشتغال المسلمين فى الصدر الأول من الإسلام بالفنون التجسيديـــة (كالنحت والتصوير) فرأيناهم يتمشون مع روح العصر الفاطمى . ويعيرونها اهتمامهم . فاتقنوا فن النقش والحفر والنحت . بجانب تفوقهم فى الموسيقى والغناء . وكان المسلمون فى صقلية قد ادخلوا معهم فى الجزيرة الأصول الرئيسية لفنهم . من عقود البناء العالية الجميلة ، والمترنصات ، وقيشانيهم ذى الميناء ، وفسيفسائهم المتخذة من الرخام الملون ، ورسومهم الجميلة ، وبهيج صناعاتهم الصادرة عن علمهم . وهى من الأعمال الخاصة بالمترفين ، وارباب النعيم ، وكانت مصانع نسيجهم مثالا يحتذى فى اقامة مصانع العهد النورمانى ، وكان فيهم مهندسون برغوا فى فن النقش والزخرفة ، وهندسة البناء ، وقـــد احتذيت آثار العصر

الإسلامي كانموذج في العهد النورماني . فمهندسو المسلمين الذين كانوا في خدمة الأمراء المسلمين احتفظ بهم النورمان . فقدموا إليهم ما ورثوه عن أسلافهم . وكانت أعمالهم ذات أثر خالد (١) .

وكذلك كان الشأن بالنسبة « للفنون الفرعية » وهي ما تعرف أيضا بالفنون الصناعية . أو التطبيقية ، أو الزخرفية ، أو الصغرى . والمقصود بها على كل حال هو : الفن في الأشياء المنقولة التي ينتفع بها ، أو تتخذ للزينة والزخرف كالنقش . والزخرفة . والنحت على الأحجار ، والحفر على الأخشاب وغيرها من المواد (٢) . فقد برع مسلمو صقلية في الرسوم المكونة من الأشكال النباتية . وعملوا أشكالا تمثل الطيور والحيوانات ، وكونوا أشكالا هندسية مركبة من خطوط مستقيمة متقاطعة ، وخطوط منحنية ، وألفوا الألوان الزاهية وكتبوا بها آيات قرآنية بخط الثلث والكوفي ، وطلوا بها الآنية المختلفة ونقشوا بها على الجلود . غير أنه لم يكن للنقش والحفر عندهم أهمية عظيمة إلا ما كان خاصا منها بالزخرفة . فكان في غاية الإبداع والإتقان ، أما الصور فقد أهملت بسبب الدين ، فإنه حرمها خشية العودة إلى الوثنية الأولى (٣) .

أما « صناعة النسيج » فقد بلغت شأوا عظيما على أيامهم . فكانت دار النسيج المشهورة التي أسسها المسلمون في (بلرم) تمد ملوك أوربة بما يحتاجون إليه من الثياب الملكية التي كان يطرز عليها النقوش العربية . والتي كانت تخلب الألباب ببهجتها وتطريزها البديع برسوم الأزهار والصور(٤) . حتى انهم أدهشوا الغربيين (بسندسهم) الفخم الذي كان موضع إعجابهم مما ولد الرغبة عندهم في تقليده . فأنشأوا لذلك المصانع الكبيرة في بلادهم ، وكان أكبرها وأفخمها في ايطاليا(٥) .

وفوق ذلك فإن المسلمين في صقلية هم أول من عرف الغربيين (بالتطريز . والترصيع) وهذا يدلنا على فن آخر ادخله المسلمون معهم إلى صقلية ، وانتقل منها إلى ايطاليا . ولا تزال توجد أنسجة مرصعة بنقوش وكتابات عربية بديعة مثل التي في القبعة (البلاتينية) الموجودة في بلرم(٦) ، كما يوجد في متاحف أوربة وكنائس صقلية أوان معدنية ، وصناديق خشبية عليها زخارف ونقوش صقلية إسلامية ، كما توجد جلود كتب مزينة بالزخارف والألوان الزاهية ترجع الى ذلك العصر(٧) .

---

(١) لويجي رينالدي (المدنية العربية في الغرب) ص ١٩ ، وشارل دييل (بالرمو وسيراكيوز) ص ٥٦ .

(٢) تراث الاسلام ج ٢ ص ٢ (هامش للمرحوم الدكتور زكي محمد حسن) .

(٣) لويجي رينالدي (المدنية العربية في الغرب) ص ١٩ ، والمرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة بصدد هذه الصور بمناسبة زيارته لصقلية سنة ١٩٠٢م ، أثبتها رشيد رضا في (تاريخ الشيخ محمد عبده) الذي جمعه عنه .

(٤) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

(٥) لويجي رينالدي (المدنية العربية في الغرب) ص ١٨ ، ١٩ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

وقد كان اعتراض الدين على الصور الآدمية حائلا دون أى تقدم فى (صناعة التماثيل الآدمية) . ولكنهم برعوا جدا فى النحت على الأحجار . والحفر على الخشب وغير ذلك من المواد . وكانت لهم قدرة فنية عظيمة وتفوق فنى بالغ فى اختيار الألوان وصناعتها .

وبعد فإنا نستطيع أن نقرر : أن صقلية كانت ذات ثقافة زاهرة على عهد المسلمين . واستطاعت أن تحتل مكانة رفيعة فى العالم الإسلامى القوى بسلطانه السياسى والعلمى فى العصور الوسطى . وأن تخرج فى مدرستها الخاصة عددا كبيرا من العلماء الأعلام الذين كان لهم اشتغال بمختلف العلوم والفنون . وكانت لهم آثار خالدة وأياد جليلة على الجزيرة فى تكوين حضارتها العلمية والمادية .

يقول غوستاف لوبون (١) : « وقد دلت الآثار على أن العرب لما خرجوا من هذه الجزيرة كانت اكثر رقيا من اليوم الذى دخلوها فيه ، فمعظم تأثيرهم النافع فى صقلية . والتحسين الذى يدخله شعب على شعب هو معيار نفوذ الحضارة التى يحملها الأول الى الثانى . فالأثر النافع للعرب فى صقلية جدير بالتقدير والاعتبار » .

تأثيرها على أوربا

أما « مكانة صقلية فى نقل الثقافة العربية » فلا شك أن صقلية كانت نقطة الالتقاء بين تيارتين ذاتى ثقافتين . وبمعنى أوضح كانت نقطة الالتقاء بين الشرق والغرب . وهى بحكم هذا المركز الخاص كانت وسيلة لنقل علم العصور القديمة والعصور الوسطى . لأنها كانت مجتمعا لعدة عناصر مختلفة من البشر . ففيها الإغريق الذين يتكلمون اليونانية . والمسلمون الذين يتكلمون العربية . وفريق من العلماء الذين يعرفون اللاتينية ، وكانت هذه اللغات الثلاث شائعة الاستعمال فى السجلات الرسمية ، والأوامر الملكية . كما كانت لغة الكتابة والتخاطب بين اهل الجزيرة . ولغة العلم اذ ذاك أيضا(٢) .

وقد ترجم هؤلاء العلماء الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية ككتاب (البصريات) المنسوب إلى بطليموس من العربية بعد أن ضاع أصله اليونانى . وككتاب (كليلة ودمنة) العربى إلى اللغة الإغريقية . وقد كان ليهود صقلية كما كان ليهود الأندلس وقتئذ أثر واضح فى أعمال الترجمة هذه ، فقد ترجم الطبيب الصقلى اليهودى (فرح بن سالم) من العربية إلى اللاتينية الموسوعة الطبية التى وضعها (الرازى) ، وكان هذا الكتاب هو الكتاب الطبى الوحيد الهام الذى نقل إلى اللغة اللاتينية فى صقلية . أما بقية الترجمات فكانت للكتب التى تعالج علم الفلك والرياضيات فى الغالب . وكان لهذه الترجمات الفضل فى تعريف

---

(١) حضارة العرب ، ف ٧ ص ٣١٦ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وهلال فبراير سنة ١٩١١ م ، ص ٢٧١ .

الغربيين بكثير من الفلاسفة والأطباء والعلماء فى مختلف العلوم والفنون مما كان له أكبر الأثر فى بعث النهضة العلمية الأوروبية الحديثة(١) .

ولم يكن تاثير صقلية قاصرا على (العلوم والآداب) بل كان لها فضل كبير فى تعريف الغربيين (بأساليب الفنون الإسلامية المختلفة) كهندسة المبانى . والنقش والزخرفة والنحت ، وعن صقلية عرفوا أحسن طرق الزراعة والصناعة والتجارة ، فإذا كنا نعجب اليوم من مخترعات أوربة وتقدمها فى العلوم والفنون والآداب والصناعات ، وتفوقها فى الزراعة والتجارة ، فإن الأوربيين بدورهم فى خلال العصور الوسطى كانوا يعجبون بمصنوعات العرب وبارع فنونهم . وكانت تأخذهم الدهشة عند رؤية مصنوعات المسلمين التى كانت تأتى إليهم من مصانعهم ومتاجرهم بصقلية والأندلس ، من الأنسجة الحريرية النفيسة ذات التطريز البديع ، والألوان الزاهية . والجودة المتناهية ، ومن التحف الثمينة ذات الصنعة البارعة ، والنقوش المتناسقة الجميلة ، ولقد حملت منسوجات صقلية أول صناع المنسوجات الإيطالية على اتخاذها نماذج لهم ، وصارت إيطاليا تصدر المنسوجات إلى مختلف جهات أوربة مقلدة فيها المنسوجات الصقلية . كما تأثرت إيطاليا وأواسط أوربة إلى حد كبير بالطرز الإسلامية فى فن العمارة . وقلد أهلها المسلمين فى معالجة الجلد وزخرفتـه ، وتكفيت النحاس بالذهب والفضة ، أو النحاس الأحمر(٢) .

فصقلية تعتبر بحق إحدى المسالك التى سلكتها الثقافة العربية فى طريقها إلى أوربة ، شأنها فى ذلك شأن الأندلس ، وإن كانت الأندلس أكثر عطاء . وأكثر تأثيرا ، ذلك أن الأندلس قد أقام المسلمون فيها زهاء ثمانية قرون ، وكان من بين حكامها أعاظم بنى أمية ممن طالت أيامهم ، وكانوا قد وطنوا أنفسهم على اتخاذها وطنا أبديا لهم لا يلتفتون إلى ما وراءهم إلا بقدر ما يربط أمة بأمة بعيدة عنها ، ولكنها متفقة معها فى النزعة الدينية والعواطف ، على حين كانت صقلية مستعمرة للأغالبة ، ثم للفاطميين من بعدهم زهاء قرن ونصف قرن ، ولم تقم فيها حكومة لمصلحة الجزيرة بالذات الا زهاء قرن واحد تحت حكم الكلبيين .

وفوق هذا فان مساحة صقلية تتضاءل جدا بجانب مساحة الاندلس ، فهى لا تعدو أن تكون مقاطعة من مقاطعاتها الصغيرة ، وطبيعى والظروف هذه ان تكون نهضـــة العلم على فروعه ، والفن فى عامة ضروبه فى الأندلس أقوى وأضخم منها فى صقلية ، ومن ثم النقل منها الى أوربة .

على أن هذا لا يحط من شأن صقلية ولا ينفى أنها مع صغر مســاحتها . وقصر فترة الاستقلال فيها تعتبر نسبيا كالاندلس ، فى نقل الثقافة الاسلامية

(١) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ ، وهلال فبراير سنة ١٩١١ م ، ص ٢٧١ .
(٢) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

الى أوربة من ناحية الكيف لا الكم على الاقل . لأن ما أفادته أوربة من الثقـــافة الاسلامية بصفة عامة من كلا البلدين يضـــــع الاندلس فى المرتبة الاولى دون جدال ، ثم تقف من ورائها مباشرة صقلية .

* * *

وقد يكون من المناسب أن نختم حديثنا عن : « صقلية الاسلامية » باثبات شهادة أحد علماء الغرب ــ الذين أنصفوا العرب ــ فى شأن حضارة المسلمين اطـــــلاقا ، ومدى ما تدين به أوربة لهـــم ، ذلك هو المســـــتشرق الفرنسى : **غوســـــتاف لوبون حيث يقول : « .. كان تأثير العرب فى الغرب عظيما ، واليهم يرجع الفضـــل فى حضــــارة أوربة .. وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية ، والأدبية ، والأخلاقية عظيما ، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذى أثره العــــرب فى الغرب الا اذا تصـــــور حالة أوربة فى الزمن الذى دخلت فيه الحضارة** ، واذا رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر الميلادى يوم كانت المدنية الاسلامية زاهرة باهرة ، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة فى عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون .

وكانت الطبقة العالية المســــتنيرة فى النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت بالتكسب فى ديرهم بنسخ كتب القدماء ، وليبتاعوا ورق البردى اللازم لنسخ كتب العبادة .. ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلا بالحاجة الى نفض كفن الجهل الثقيل الذى كان الناس ينوءون تحته ، طرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون اليه ، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم فى ذلك العهد »(١) .

* * *

بهذا نكون قد أوضحنا عدة جوانب من تاريخ « جزيرة صقلية » فى فترة من فترات تاريخها الزاهر خلال العصــــــور الوسطى ، فلعل ذلك يلفت النظر لناحية من نواحى التاريخ الاسلامى لم تفز بعناية كافية من قبل لتنال ما تستحقه من عناية الكتاب والباحثين مستقبلا ، والله ولى التوفيق .

---

(١) محمد كرد على بك (الاســـلام والحضــــارة العربية) ج ١ ص ١٩٦ ــ ١٩٩ (نقلاً عن غوستاف لوبون ــ حضارة العرب) .

قصة الإيمان
بين الفلسفة والعلم والقرآن

تاليف : الشيخ نديم الجسر
عرض ونقد : عبد المعطى بيومى

مؤلف هذا الكتاب القيم هو فضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس فى لبنان ، وعضو مجمع البحوث الاسلامى بالأزهر والشيخ نديم يعتبر من خيرة الكتاب الاسلاميين الذين لا يجمدون على القديم لقدمه ، ولا يندفعون وراء الحديث للمعانه وجدته ، ولكنه يحكم عقله فى هذا وذاك ، ثم ينتقى لنفسه ولمحدثه وقرائه ما يراه القول الحق ، والتعبير المناسب ، فى منطق معقول ، وأسلوب سلس ، يستهوى الشباب ، ويعجب به العلماء والادباء .

وأهم ما يشغل الشيخ نديم فى مجالسه وكتاباته هم الشباب ، وتعرضهم للتيارات الوافدة ، وحرصه على حماية عقولهم وأفكارهم من الاصابة بهذه التيارات ، حتى يظلوا فى حصانة تقيهم شرور الانزلاق ومآسيه .

والشيخ يؤدى رسالته باخلاص المؤمن ، ونزاهة العالم ، لا يثنيه عن عزمه اغراء عرض ، أو شهوة مادة ، طبع على نفقته من الكتاب الذى نحن بصدده ألف نسخة ، وزعها بلا مقابل على الشخصيات والهيئات الاسلامية ، ثم أذن لدار الأندلس فى بيروت ، فطبعت منه أربعة آلاف نسخة اخرى دون أجر ، غير أجر يتمناه من الله ، ولقد نفدت نسخ الطبعتين جميعا ، ونعتقد أن عشرات الطبعات ستصدر فيما بعد من هذا الكتاب القيم .

وأنا أعلم جيداً أنه قد قدمه قبلى كثيرون ، ومع ذلك فان موضوعه هو موضوع كل يوم ، وحديث كل مجلس ، ذلك لأنه فى هدفه يحارب نزعة خبيثة ، ويقرر حقيقة طيبة .

يحارب نزعة استهوت بعض المتفلسفين والمتعالمين ، وهى ادعاء الهوة بين الدين والفلسفة والعلم ، فجاء هذا الكتاب يثبت اتفاق هذه الثلاثة : النظر العقلى الخالص ، والبحث العلمى المجرد ، والوحى الالهى المنزل ، على قضية الايمان .

والكتاب فى اثباته لهذه الحقيقة ، وحربه لتلك النزعة ، جهاد عال ومخلص فى سبيل الحق ، مؤيد بالأدلة والبراهين التى جمعت فى عقد متسلسل ، تسلم حباته بعضها الى بعض ، فى منهج يبرز ثقافة الشيخ ، وسعة اطلاعه وتمكنه .

ولقد اختار الشيخ لهذا البحث العميق أن يسلك به سبيل القصة الجذابة ،

حتى يستهوى القراء ، ويخفف عنهم جفاف البحوث العلمية ، والأدلة العقلية . وهو فى هذا ــ بلا شك ــ قد بلغ هدفه الذى يرمى اليه .

فالشيخ فى خيال ينتزعه مما حوله يفترض بادىء ذى بدء وجود شخص اسماه (حيران بن الأضعف) طلب العلم فى جامعة (بشاور) فى البنجاب ، فلم يقنع منها بالقشور التى كان يكتفى بها شيوخه ، بل تطلع الى آفاق أوسع للمعرفة ، ولكن اساتذته الجامدين لم يهيئوا له الفرصة المبتغاة للتعمق والدرس ، فاتسعت هوة الخلاف بينهم وبينه ، حتى امتلأت صدورهم عليه ، واصبح واضحا انه لم يعد له مكان فى هذه الجامعة ، ولو اقتصر الأمر على ذلك لكان هينا عليه ، ولكن الذى زاد من حيرته وعذابه أن هؤلاء الشيوخ بجمودهم كانوا يفتحون بابا لغرور بعض العلماء السطحيين ، فتعمق الهوة عنده بين الدين والعلم والفلسفة . الى أن حدثه أبوه بشيخ له قديم ، يقيم الآن فى قرية (خرتنك) من أعمال سمرقند ، هو الشيخ أبو الموزون ، وهو وحده الذى يستطيع أن يشفى غلته ، ويروى ظمأه .

ولم يدر الوالد أنه حين حدث ولده بذلك ، أنه هيأ له الطريق ليرحل عن جامعته الى « خرتنك » . . ! وهناك عرف أن لقاءه مع الشيخ صعب لا ينال ، لأن الشيخ الموزون لا يرى أحدا ولا يراه أحد ، يختفى نهاره بين الرياض المحيطة بمسجد الامام البخارى فى خرتنك ، فاذا غربت الشمس عرج على سياج البستان ، حيث يضع خادم المسجد الطعام على طريقه فيأخذه ثم يأوى الى المسجد ، ليقضى ليله كله فى ركوع وسجود دائمين .

ولكن حيران مع ذلك كله التقى بالشيخ ، وقص عليه القصص ، فرثى الشيخ لحاله ، وطلب منه دفترا ، ووعده بلقائه كل ليلة عند ضريح الامام البخارى ، وفى هذه اللقاءات أخذ حيران يسأل ، والشيخ يجيب ، ويسجل اجابته حيران ، فكانت حصيلة هذا الحوار « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » .

وتمثلت فى تلك الليالى الهادئة بجوار الضريح ، رحلة البشرية كلها منذ البدء ، بحثا عن الحقيقة ، وغوصا فى أعماق الوجود الى سر الوجود ، وتساميا من الكائنات الى مصدر الكائنات ، مع الفلاسفة الأولين فى بلاد اليونان ، الى الفلاسفة المسلمين فى الشرق ، ثم فى أوربا ، ومع العلماء الطبيعيين الذين رأوا فى نواميس الطبيعة هداهم الى الايمان بالله ، ومع القرآن حيث فصل قضية الايمان وأدلتها باعجاز فاق كل اعجاز .

ولعل المؤلف قد رأى أن محاولات المصريين والهنود القدامى فى البحث عن الله والايمان به لم تكن محاولات منتظمة ، حيث بدأ باليونان . هؤلاء الذين شاقهم البحث عن الله من طاليس الذى رأى أن مصدر الكائنات هو الماء الى انكسمنس وانكسمندر وفيثاغورس الذى كان أول من جرد فكرة الاله عن المادة . ثم اكزانوفنس وبارميندس ، ومن جاء بعده حتى ظهور السوفسطائيين الذين ذهبوا الى القول بأن الانسان هو مصدر كل شىء ، فما يراه كل انسان حقا فهو كذلك . ذلك القول الذى أنتج للبشرية منكرا لا تزال تذكره وهو سقراط حيث تحولت بعده محاولات البحث عن الله الى مجراها الصحيح بظهور افلاطون وارسطو اللذين اهتديا الى « نظرية الوجود الميتافيزيقى » والايمان بوجود الله .

ثم اصيبت نظرية الوجود الميتافيزيقى بنكسة مادية عند الرواقيين والأبيقوريين أدت الى ظهور الشكاك ، حتى جاءت الفلسفة الافلاطونية الحديثة تؤكد وجود اله خالق للكون ، وهكذا تكرر الدور الأول الذى بدأ بالمادية على لسان الفلاسفة الأولين ، ثم توسطته السفسطة ثم انتهى بتوكيد وجود الاله الخالق للعالم على لسان الفلاسفة : سقراط وافلاطون وارسطو .

وبسعة صدر المؤمن العالم ، يقول المؤلف على لسان الشيخ الموزون : أن هؤلاء جميعا وان أخطأهم التوفيق فى كثير من الأحيان ، فقد وصلوا الى الحق فى أحيان أخرى ، وخاصة فيما يتعلق بوجود الله ، دون وحى يرشدهم الى وجوده ، اذ أن الدين والفلسفة الصحيحة لا يتضاربان ، والذين آمنوا بوحى الله كالفارابى وابن سينا وابن مسكويه رأوا فى الفلسفة واحة لرياضة عقولهم ، ومجالا لتأييد عقيدتهم ، وأوضح شاهد على ذلك ما يسوقه المؤلف من قصة حى بن يقظان التى تبرز لقاء العقل والدين معا على الحقيقة .

ويعرض الكتاب هنا للامام الغزالى والفيلسوف ابن رشد وخلافهما المشهور ثم يحمل على ابن رشد ويكذبه في وسيلته وان أنصفه للحقيقة فى هدفه .. يقول الشيخ نديم :

« ولكن الرجل — يعنى ابن رشد — سامحه الله لم يكن مخلصا كل الاخلاص فى وضع هذا الكتاب — تهافت التهافت — وفى تسميته ، ولا مبرأ من حب التحذق واظهار الفضل والسبق فى مضمار الفلسفة ، فناقش الامام فى كل ما رد به على الفلاسفة من المسائل مناقشة لم يقصد بها ابطال الحقائق التى دافع عنها الامام ، بل أراد اظهار خطئه فى طريقة الاستدلال ، وتقصيره فى فهم مقاصد الفلاسفة . وقد كان رحمه الله فى غنى عن هذا اللمز والتفيهق مع رجل يدافع عن الدين ، وكان يكفيه أن يتناول المسائل الكبرى ، كوجود الله ، وخلق العالم ، فيبين بأسلوب العالم المخلص العف اللسان أن الفلاسفة لم ينكروها ، ويتأول لهم ما شاء وأراد من أقوالهم من غير غمز أو لمز ، ومن دون أن يسمى كتابه « تهافت التهافت » فى مقابلة تسمية الغزالى لكتابه «تهافت الفلاسفة» ، ففى هذه التسمية من الظلم وقصر النظر ما لا يتفق مع الحق والحكمة والاخلاص والأدب مع الله . فالغزالى انما سمى كتابه « تهافت الفلاسفة » وهو يعتقد أنه يبطل أقوال جماعة يكادون ينكرون وجود الله بما يزعمون من قدم العالم ، وبما يقولون فى علم الله وارادته ، وسواء أكان على حق فى فهمه لأقوالهم ، أو على غير حق — كما يظن ابن رشد — فانه على كل حال رجل مخلص يدافع عن الله ، ويدعو الى الايمان ، ويسد على الناس باب الشبهات . فأى داع يدعو لأن يسمى عمله هذا تهافتا من غير تفكير ، بما ينجم عن هذه التسمية من تصغير لقدر الكتاب ، وتزهيد للناس فيه ، وتشكيك لهم بما ينطوى عليه من الحق والخير » .

ومن الوقفة التى طالت مع الغزالى وابن رشد ينتقل الحوار الى أبى العلاء المعرى ويصف الكتاب أبا العلاء بأنه لم يكن فيلسوفا بالمعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة ، وانما كان من أصدق الناس ايمانا بالله ، وصبرا على بلائه ، وانما كان شكه فقط فى الامور الاخرى كالقضاء والقدر ، وحكمة الخلق ، وحقيقة الروح والنفس .

وليت شعرى ماذا يكون الايمان بعد ذلك وما قيمته ان لم يمنح المؤمن

راحة النفس ويقين القلب ، خاصة وقد أعطى الدين الجواب المرضى لهذه الامور واعتبر الايمان بالقضاء والقدر ركنا للايمان .

والى أوربا بعد ذلك يتجه الحديث عن فلاسفتها العباقرة ، حتى يصل الى علمائها . ويقف عند داروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء ، ويعرض المؤلف هنا للرسالة الحميدية لوالده الشيخ حسين الجسر ، حيث يناقش داروين والطبيعيين لينتهى الى أن هذا المذهب وغيره من مذاهب العلماء لو ثبتت فانها لا تتعارض مع الدين .

ومن الأفق الواسع لتلاقى العباقرة من الفلاسفة والعلماء يهبط التلميذ وشيخه الى « ليلة الامتحان » حيث يقرران معا ان الدين الحق لا يتعارض مع النظر العقلى الخالص ، والبحث العلمى الصحيح ، ثم راح الشيخ يتلو على تلميذه آيات القرآن التى ضمت كل أنواع البراهين العقلية الدالة على وجوده تعالى وكمالاته .

وهذه الفصول الاخيرة من أروع فصول الكتاب وأهمها حيث تشرح بوضوح انعدام حظ المصادفة فى خلق هذا الوجود وتسييره ، وتتصفح آيات الله فى السماء والأرض والقمر ، وكيف ينزل المطر والمعجزة فى جريان الفلك فى البحر ، وما يشير اليه هذا مما عرفه العلم بعد ذلك فى قانون أرشميدس ، ثم الماء والهواء وقوانين الصوت والضوء حتى قانون النسبية ذاته .

ثم هبط بهما التطواف الهادىء المتأمل فى ملكوت السموات والأرض الى النفس ، وما خلق الله للانسان من قلب ولسان وأذن ، وما بث فيه من عواطف مما ينفى وجود أى أثر للمصادقة .

ومرض التلميذ الحيران ، ثم خرج من المستشفى ، وافتقد أستاذه خمسة أيام ، فلما سأل عنه أبلغ بأن شيخه سبقه الى الله ومات . وترك له وصية طويلة . كانت وحدها العزاء للتلميذ الحزين . وكان ختامها :

« يا حيران بن الأضعف : احفظ هذه الأمالى التى أمليتها عليك مع هذه الوصية الاخيرة وانشرها على الناس لعل الله يشرح بها صدور الحيارى ، ويصلح بالهم ، ويهدى من يشاء منهم الى الطيب من القول والى صراط الحميد .

يا حيران بن الأضعف : ان كان فى الأجل فسحة تلاقينا والا فترحم علينا »

والى هنا يبلغ الشيخ نديم قمتين : قمة الوصول الى الهدف الذى قصد اليه من كتابه ، وقمة العاطفة القوية التى تشده نحو أبيه العلامة الشيخ حسين الجسر أو التى تشد حيران الى الشيخ الموزون . حتى سمعت أن المؤلف كلما قرأ هذه الوصية فاضت عيناه بالدمع وانطلقت منه الدعوات لأبيه ..

وبعد .. فلا أظن — للحق والأمانة — أننى قد أغنيت عن قراءة الكتاب بهذه الكلمات المتواضعة فانه كتاب لا يغنى عن قراءته الا قراءته ، وحسبنا أنه كتاب رائع ، وأروع ما فيه أنه للعصر الذى كتب فيه .. هذا العصر الذى يموج بالانحراف والشك .. فهو للشباب يهدى الحيارى منهم ، وللشيوخ يقدم لهم فى خريف العمر الوسيلة المقنعة الى الايمان الذى يهتدى اليه الفيلسوف المخلص ، والعالم الحق ، والمؤمن الصادق .

■■

قصة

ذو الأصابع الست

قال الاستعماري المتعصب (رديارد كبلنج) شاعر الامبراطورية البريطانية التى غربت عنها الشمس (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) . وهـــذه اصدق كلمة قالها ذلك الرجل الجهنمى الذى تمنى أن تضم الامبراطورية البريطانية تحت جناحيها جميع ما على الارض من ممالك وأمصار .

والشرق بروحانيته وطهارته وصفائه وكونه مهبط الأديان السماوية وغير السماوية ، لا يمكن أن يلتقى بالغرب فى جحوده ووحشيته وانانيته وعبادته للمادة وحدها ، وجنوحه الى الشر واندفاعه الى مهاوى الجرائم والمنكرات .

ولقد كان الغرب ــ حتى فى أيام جاهليته البشعة ــ يحقد على الشرق ، ويحاول أن يبيد ما عليه من أناس وخيرات وكنوز ، وما حديث (الاسكندر الاكبر) عنا ببعيد .

وفى القرون المظلمة ، التى كان الغرب يعيش فيهـــا على الجهل والفقر والمرض ، تجمعت فلول من ممالكه وأماراته ، واعتزمت أن تغـزو الشرق تحت راية صليب المسيح ، مع ان المسيح برىء من أصحاب هـــذه الحروب ، التى اقترنت باسم صليبه ، فقد كان السيد المسيح عليه السلام يدعو الى السلم ، والى الرحمة ، والى التعاطف بين الناس جميعا ، لا فرق بين غربى وشرقى ، ولا بين امير وفقير ، وكان يحرم الحروب ، وهو القائل (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) .

لم يكن الدين المسيحى هو الذى دعا هـــذه الوحوش من الغرب للحروب الصليبية ، ولكن كانت هناك أسباب كثيرة هى التى اضطرت جيوش الغرب الى أن تتجه الى الشرق . منها افلاس خزائن كثير من الدول الغربية وخلافات شديدة بين هذه المملكة وتلك على ما حققته المؤرخون .

وشاءت ارادة الله أن يضـــعف بعض الحاكمين فى الشرق ، وان تجرفهم الخلافات الشخصية الى ابعد مدى .. الى الخيانة حيث يستعين البعض منهم

للأستاذ : محمد علي غريب

ــلاثــة

بالصليبيين على اخيه المسلم دون رادع من دين ومن ضمير .

وهكذا كانت حال المســلمين ، لا لأنهم كانوا غير قادرين على الدفاع عن سيادتهم ، بل لأنهم تنازعوا فيما بينهم ، فاستطاع عدوهم أن يملك بعض المناطق فى بلادهم .

ومن بين الذين اقامهم الأوربيون على فلسطين ذلك الوغد المسمى (الملك جون) والذى كانت تلقبه زوجته السفاحة (القديس جون) كان هــــذا الوغد وحشا ضـــــاريا لا يتورع من انتهاك الحرمات ، وارتكاب الجرائم والنزول الى مستوى السفلة والأنذال .

كان يبغض المسلمين بغضا شديدا ، وكان يتمنى أن لو كان لهم راس واحد لقطعه واستراح منه ، وكان لا يحترم معاهدة ، ولا وعدا قطعه على نفسه ، وقد كانت بينه وبين البطل الاسلامى صلاح الدين الأيوبى معاهدة تقضى بألا يتعرض للمسلمين ، وهم فى طريقهم الى الحج ، غير أن هذه المعاهدة لم تكد تتم ، حتى مزقها هذا الصعلوك الغادر ، اذ سلط جنوده البغاة على قوافل الحجاج المسلمين فأبادهم عن آخرهم .

ولما بلغ هذا النبأ المروع مســـامع البطل صــــلاح الدين اقسم انه لا بد أن يقتل هذا الشرير الغادر .

ولقد بر صلاح الدين بقسمه هذا . فلما دارت رحى الحــرب بين جيوش المسلمين وجيوش الأوربيين ، وانتصر المسلمون انتصارا رائعا ، جىء بهذا الملك النذل الى صلاح الدين فقتله شر قتلة ، جزاء حنثه فى معـــاهدته ، واقترافه جريمة من ابشع الجرائم الانسانية .

فى هذا العهد الذى ظهر فيه هذا الملك الكريه على مسرح الســياسة فى بلاد المسلمين ، كان جنوده اشد منه بغيا وارتكابا للجرائم ، وتحررا من كل قيد انسانى يعصمهم من الهبوط الى الدرجات السفلى واقتراف المنــكرات فى غير

ما حياء ولا خجل .
وكان من بين هؤلاء الجنود ما لا يمكن أن يسمى انسانا ، وان كانت له ملامح الانسان ومظهره ، وكان يدعى (جورج فينست) .
كانت حياته كلها تقوم على الخمر والنساء ، وكان بعض زملائه يصفونه بأنه فى الحرب جبان رعديد لا يستطيع أن يخوض معركة الا توارى وراء الجنود ، فلا يصيبه من أحداثها شيء ، ولكنه عندما ينفرد من عقال الحرب يصبح وحشا كاسرا ، تقوده غريزته الدنيئة الى اشباع بطنه وجسده بما خلق له وهو الخمر والنساء .
وكان زملاؤه الجنود يضيقون بشروره وآثامه ، فلا يحبون أن يلتقوا به ، ولا أن يجتمعوا معه على مائدة واحدة .
كانوا يعرفون عنه أنه اذا شرب كؤوسا من الخمر انقلب الى شيطان رجيم ، يضرب ويحطم ويقتل ولا يرده عن ذلك قانون ولا عرف ولا نظام .
وعلى مسافة غير بعيدة من القدس كانت تقع (قرية ابو العافية) وقد محيت من الوجود منذ مئات السنين لاسباب لا سبيل الى تقصيها الآن . كانت هذه القرية هادئة وادعة ، تضم عائلات مترابطة متعاونة فيما بينها ، ولا يكاد يصيب أحدا من ابنائها سوء حتى يجتمع أهل القرية كلهم عنده يواسونه ، ويخففون عنه ما أصابه ، ويبذلون غاية جهدهم فى أن ينهض من كبوته بما يقدمونه اليه من معونة ومساعدة .
وكان لشيخ هذه القرية ابنة وحيدة اسمها (هند) على غاية من الجمال والفتنة ، مع خفر وحياء شديدين ، وطهارة وبراءة تجعلانها خليقة بالزوج المناسب ، الذى تحفظ عليه عرضه وتصون شرفه .
وكان لها ابن عم وهو خطيبها واسمه (ابراهيم) وكان الحب بينهما اقوى ما يكون ، مع عفة ونزاهة ، ولم يكن أحد فى القرية يستطيع أن يرفع عينيه الى وجه هند ، وينظر اليها نظرة خاطئة ، فقد اتفق أهل القرية — على ما تقضى به عاداتهم وتقاليدهم الكريمة السامية — على أن الفتاة المخطوبة لا يجوز النظر اليها احتراما للعرف المتبادل .
وكان ابراهيم فتى متين البنيان ، قوى الجسم ، وسيما جريئا ، لا يهاب الخطر بل يتحداه ، وكان قد أنف من بقائه فى القرية وجيوش المسلمين تتصارع مع أعداء الله ، فغادرها ليلحق بجيش صلاح الدين .
ولقد أبلى ابراهيم فى حروب صلاح الدين بلاء شديدا ، وبرزت مواهبه العسكرية فى جراة وشجاعة ، حتى استحق أن يذكر اسمه عند صلاح الدين مقترنا بالحمد والثناء .
فقربه صلاح الدين اليه ، وجعله من خاصته ، واغدق عليه من بره وعطفه ما جعله يضاعف فى ساحات الوغى من مقدرته وبسالته .
وندع ابراهيم الى شأنه فى معاناة الحروب ، ومجالدة الاعداء لنعود مرة اخرى الى قرية « أبو العافية » حيث كان أهلها يتخفون فى بيوتهم بعد أن ذهب شبابهم الى الحرب ، وبقى فيها العجائز والنسوة والاطفال .
ولا يدرى الا الله أية ساعة نحس جلبت الى هذه القرية الآمنة المطمئنة قدمى هذا الغول البشع (جورج فينسنت) .
لقد قدم اليها ومعه عشرة من رفاقه ، وكان أهل القرية يعلمون جيدا ما الذى يقصد اليه هؤلاء الذئاب ، فكانوا يخفون فتياتهم فى أمكنة مظلمة ، حتى لا

تقع عليهم أعين أولئك الأنذال .
وانفرد « جورج » وحده بالسير في جهة قصية ، وشاءت المصادفة السيئة أن يقع بصره على (هنـــــد) وراح يركض ، حتى أمسك بها ، وحاول جاهدا أن يغتصبها ، ولكنها قاومته ببسالة ، وأمسك النذل بســـــكين يتهددها بها ، فلما تظاهرت بملاينته ، والخضوع له ، ترك السكين تسقط من يديه على الارض ، وعندئذ التقطتها هند وصوبتها نحوه فجن ، وأراد أن ينتزعها منها ، فاستطاعت أن تمزق اصبعين من أصابعه .
وحينئذ تملكته ثورة طاغية ، فلم يفـكر في الفتـــــاة ، ولكنه راح يطعنها بالسكين حتى لفظت أنفاسها وهى بريئة طاهرة .

وربط الوغد يده بمنديل ، ووقف مهتاجا يعـــوى من الألم ، وعـــاد الى المعســـــكر ، وكان أهل القرية قد تجمعوا على صرخات الفتاة ، ولم يـكن فى طاقاتهم أن يمنعوا عنها هذا الاعتداء الوحشى ، فلما انقلب جورج الى معسكره اقتربوا من الفتاة ، وعرفوا حقيقة ما حدث ، وكان بكاء ، وكان عويل .
وظلت القرية فى حزن دائم على هذه الفتاة التي ضحت بروحها فى سبيل شرفها وعفافها ، ولم يحتمل والدها الشيخ وقع هذه المأســـــاة على قلبه فمات كمدا . ومضت الأيام .
وبرز اسم صلاح الدين ، وكان على راس جيوش الاوربيين مخلوق ليس من دم ولحم ، بل هو من حجر صلب اسمه (ريتشارد قلب الأسد) تخلت عنه نوازعه الانسانية جميعها ، فأصبح تمثالا من حجر ، الا أنه حجر يؤذى ويسىء .
وقد وصفه انجليزى من ابناء وطنه اسمه (تشارلس كالتون كوفن) فقال عنه وهو يتحدث عن أخيه (جون لاكلاند) :
« أنه (ريتشارد قلب الأسد) الذى اتصف بالشجاعة ، ولكنه كان شريرا ، ليس للرحمة فى قلبه سبيل ، وكان قائد جيوش الحروب الصـــليبية ، وحارب العرب فى فلسطين ، وكان صـــــلاح الدين الأيوبى على راس العرب ، وقائد جيوشهم وفى يوم ما طلب الى طاهيه أن يحضر له لحم الخنزير الطازج لغذائه ، ولكن الطاهى لم يكن لديه لحم خنزير ، ولم يكن يدرى من اين ياتى به ، فاضطرب وقلق ، لأنه اذا لم يوجد على المائدة اللحم المطلوب ، فان ريتشـــــارد لا محالة سيقتله ، وكان قد سمع أن لحم الانسان يشبه مذاقه لحم الخنزير ، فقتل أسيرا عربيا ، وطبخ بعض لحمه ، ووضعه على المائدة ، ومدح الملك الطعام ، وربما ظن فى نفسه أن اللحم ليس لحم خنزير فقال للطاهى : احضر لى راس هــــذا الخنزير حتى أراه .
ولم يدر الطاهى ماذا يفعل ؟ انه اذا لم يقدم الرأس فان رأسه ولا شك ســيقطع ، وامتلكه الفزع ، واخذ يرتعد فرقا ، واخيرا احضر راس الأســـير العربى ، فضحك الملك وقال :
اذن لا حاجة بنا الى لحم الخنزير ، ما دام لدينا ستون الف أسير عربى !!
ولم يزعجه انه اكل لحم آدمى ، وأرسل اليه صلاح الدين ثلاثين رسولا الا يقتل الاسرى ، فاقام لهم مادبة ، وبدلا من أن يزينهـــا بالازهار ، قتل ثلاثين عربيا ، ووضع رؤوسهم على المائدة ، وبدلا من أن يجيب طلب صلاح الدين ، ذبح ستين الف عربى بين رجال ونساء واطفال فى السهل الشرقى لمدينة عكا » .
هكذا كانوا فى حروبهم مع المســـــلمين ، غير أن الله جلت قدرته اراد أن

ينتقم للشهداء فدحرت جيوش صلاح الدين جيوش الأوربيين ولم يبق منهم الا فلول هائمة شاردة .

فى هذه الأثناء عاد ابراهيم ، خطيب هند الى قريته ، وهو ظافر منصور ، ولم يكن يزدهى ببطولته ، ولا يغتر بشـــــجاعته ، فقد كان يؤمن فيما بينه وبين نفسه بأنه انما يؤدى الواجب نحو دينه ووطنه وحسب .

وكانت أنباء فروسيته قد سبقته الى قريته (أبو العافية) وكذلك الحظوة التى نالها لدى البطل صلاح الدين .

واستقبله أهل القرية بحفاوة بالغة ، ولكنها كانت حفاوة مشـــوبة بالحزن والأسى ، ولم يلبث طويلا حتى عرف الحقيقة ، ووقع نبأ الـــــكارثة عليه وقوع الصاعقة ، فلم يستطع أن ينطق بحرف ، وظل أياما يسير فى طرقات القرية هائما لا يدرى ماذا يفعل ؟ لقد رووا له ما حدث ، وكان الذى حدث فظيعا ، لا يمـــكن تصويره ، ثم ذكروا له مع الاعجاب أن فتاته دافعت عن عرضها وشرفها ، وانها بترت اصبعين من أصابع الوحش الذى أراد الاعتداء عليها من يده اليمنى .

وقال ابراهيم :

— صفوه لى وصفا دقيقا شاملا .

ووصفوه فقالوا :

انه ضخم الجثة فارع الطول يغطى شعر لحيته وجهه كله .

وغادر ابراهيم القرية ، يضرب فى فيافى الارض على غير هدى ، يبحث عن هذا الجبان الذى استغل ضعف فتاة مســكينة طاهرة ، وراح يختلط بفلول الأوربيين ، الذين بدد شملهم صلاح الدين ، حتى حسبه بعض الأهلين ضالعا مع هذه الوحوش الكاسرة ، وراحوا يبتعدون عنه ، ويتهربون منه .

ولم يكن يبالى شيئا من اهتمام الناس به ، أو قلة مبالاتهم لشأنه ، فان له من وراء سعيه الدؤوب غرضا أسمى هو أن يعثر على هذا القاتل الدنىء ليجرعه غصة الموت .

وعثر على ضالته أخيرا منفردا وحده فى احدى الحـــــانات ، وقد عرفه باصبعيه المبتورتين ، فاقترب منه ، وراح يحدثه عن ســــهرات حمراء فيها خمر ونساء ، وعندئذ استيقظ الوحش الكامن فى أعماق هذا الغول البشرى ونهض ليرتوى من هذه السهرات الحمراء .

وقاده ابراهيم الى منزل أحد أصدقائه ، يقيم قريبا من هذا المـــكان ، فلما احتوتهما غرفة مستطيلة ، أحضر ابراهيم الخمر وجلس يتظاهر بالشراب ، وكان (جورج) هذا قد شرب حتى لا يستطيع الحراك .

وفى لغة السكارى التى يشوبها التلعثم كان جورج يســـأل فى عصبية وجنون :

— أين .... أين .... النساء ؟

وكان ابراهيم يهدىء من ثائرته ، حتى اذا اطمأن الى انه راح فى غيبوبة السكر ، ولن يستطيع أن يحرك اصبعا ، قام اليه ابراهيم وحز رأسه بسكين ، فكان له فى نزعه الاخير خوار أشد عنفا من خوار الثور الذبيح .

وبعد ذلك حمله ابراهيم بمساعدة صديقه ، والقيا به فى أوحال الطريق .

فى هذه الأيام كانت جنود المسلمين مظفرة ، وفلول الأوربيين مبعثرة ، فلم يعد أحد يهتم برؤية جثة لواحد منهم ملقاة فى العراء .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

حق الطـــلاق

الســـؤال :

اولا : اريد الزواج من امراة اشترط اهلها لاتمام عقــد الزواج أن تكـــون العصمة بيدها . فهل يجوز لها التنازل عن هذا الحق بعد العقد ؟

ثانيا : اذا كان الزوجان قد بلغا سن الرشد . فهل عقد زواجهما بدون ولى **صحيح ؟.**

ارجو بيان حكم الشرع فى السؤالين .

م ـــ ط ـــ ع / الكويت

الاجابــة :

بالنسبة للسؤال الاول : الأصل فى الزواج أن تكون العصمة بيد الرجـــل **دون المراة ، فالرجل هو الذى يملك الطلاق** ، وقد شرعه الله واستقل به الزوج **لأنه يحتاج الى كثير من التريث** والتفكير ، خصوصا وان الطلاق يترتب عليه تبعاته **المالية من حلول مؤخر صداق ونفقة** عدة على الرجل الى غير ذلك من الامــــور **التى تجعله يفكر فيما يحدثه** من طلاق قبل أن يقع فيه ، وقد ذهب الفقهاء الى أن **للزوجة أن تشترط** عند الزواج أن تكون العصمة بيدها ـــ بشرط أن تبدأ المــرأة **بالشرط فتقول** زوجتك نفسى على ان أمرى بيدى فيقول الزوج قبلت ويكون هذا **القول بنفسها أو بوليها أو بوكيلها** والمؤمنون عند شروطهم ـــ وبما أن الزوجـــة **قد ملكت هذا الحق فلا مانع** من تنازلها عنه برضاها لأنه خلاف الأصل . بخلاف **الزوج فانه لو قرر أنه لا يصح** له طلاقها فلا يعتد باقراره لأنه حق ثابت له أصلا . **ومن باب التزام ما لا يلزم ، فلو طلقها** رغم تعهده بعدم طلاقها فانه يقع طلاقه .

وبالنسبة للسؤال الثانى : وهو صحة الزواج بدون ولى فقد ذهب جمهور **الفقهاء من مالكية وشافعية وحنابلة** الى أن الزواج لا بد فيه من ولى استنادا الى **قول الرسول عليه الصلاة والسلام** : (من انكحت نفسها بغير ولى فنكاحها باطل **باطل ، باطل**) **والى قوله** عليه الصلاة والسلام أيضا : (لا نكاح الا بولى وشاهدى **عدل**) . وذهب الحنفية الى جواز ذلك بالنسبة للبالغين الراشدين .

وخلاصة القول بالنسبة للسؤال الأول وهو اشتراط العصمة بيد الزوجة

فهو جائز شرعا كما يجوز لها التنازل عن هذا الحق بعد العقد .
وبالنسبة للسؤال الثانى وهو الزواج بدون ولى فهو غير جائز على رأى جمهرة الفقهاء . جائز عند الأحناف .

فى الطـــلاق

الســـؤال :

حلفت بالطلاق بالثلاثة مرتين فى مكان واحد — أنى ما أعطى والدتى نقودا ولا أنوى طلاق زوجتى ، وذلك من مدة أربعة أيام ، ثم اعطيت والدتى نقدية بعد يومين ولم يسبق ايمان طلاق قبل ذلك .
فما حكم الشريعة ؟

(ش. م. ع)

الاجابـــة :

الحلف بالطلاق بالثلاث بلفظ واحد أو بالتكرار فى مجلس واحد لا يقع به الا طلقة واحدة رجعية على ما جرت عليه الفتوى اذ انه كان الأمر على هذا فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وسنتين من خلافـــة عمر ، وبما أن السائل حلف بعدم اعطاء والدته نقودا ، فهو من قبيل الطلاق المعلق ويقع الطلاق عند حصول المعلق عليه .
وبما أن السائل — أعطى والدته نقودا بعد حلفه فيقع يمينه طلقة واحـــدة رجعية ، وله مراجعتها بالقول أو بالفعل فى أثناء العـــدة وتحل له بعقـــد ومهر جديدين بعد انتهائها .

. . . .

التركة الملوثـــة

الســـؤال :

رجل صاحب أعمال واسعة ومعاملاته معظمهـــا مع البنـــوك تحت ضغط طبيعة العمل واتساعه ، ودخل فى اعماله معاملات ربوية ثم توفى هذا الرجل .
فهل يجوز لولده أن يأخذ حصته من تركة والده ، وهل يعتبر آثما اذا كان مصرفه وطعامه فى بيت أبيه ؟

مسلم فى العراق

الاجابـــة :

ضغط العمل واتساع التجارة ، وما الى ذلك . كل هذا لا يبيح التعامـــل بالربا فى أى ظرف من الظروف .
أما بالنسبة لأخذ الولد نصيبه من تركة والده فجائز ، قال تعـــالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، وقال أيضا : « كل نفس بما كسبت رهينة » . فبوفاة الوالد تكون تركته ميراثا لورثته كل واحد منهم يأخذ نصيبه منها ولا شأن لهم فى كون التركة فيها شىء من الربا أو ليس فيها والاثم على الوالد لا عليهم .
وبالنسبة لمصرفه وطعامه فى بيت أبيه فالأب ملزم شرعا بالانفاق على أولاده من طيب ماله ، والواجب عليه أن يطعمهم من حلال ، والاثم عليه هو اذا أطعمهم من مال حرام وليس عليهم شىء . .

بريد الوعي الإسلامي

باشراف : الشيخ رضوان البيلي

حول تمثيل الأنبياء :

لماذا يعارض علماؤنا فى ظهور نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على شاشة السينما ، أو على خشبة المسرح أو فى التمثيليات الاذاعية والتليفزيونية مع أننا نشاهد صورة المسيح والكليم عليهما الصلاة والسلام فى افلام سينمائية قوية ، ولم نسمع أن أحدا من رجال الديانتين عارض فى هذا .. ألا ترون معى أن الزمن تغير ، وأن صناعة السينما والتمثيل تطورت وأن السينما والمسرح من أقوى أجهزة الاعلام ، وأوسعها انتشارا ، وأعظمها جاذبية واغراء .

لماذا لا يستغل المسلمون هذه الأجهزة الاعلامية التوجيهية ، فى التبشير بديننا ، وابراز مواقف البطولة الخالدة لنبينا .. أى فائدة يجنيها الاسلام من هذا التشدد فى الحظر والمنع مع أننى لم أطلع على نص فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله يمكن الاعتماد عليه أو الاستدلال به على هذا المنع والتحريم ؟

(مسلم)

بعد الاكبار والتقدير للدوافع الخيرة التى أملت هذه الرسالة ، وبعد الاشادة والتنويه بما شغل به السيد المسلم نفسه من البحث عن أحدث الوسائل وانجحها لتبليغ الدعوة ونشر الاسلام .. بعد هذا كله نوضح أن ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام على شاشة السينما ، أو تمثيله على خشبة المسرح .. الخ . أمر يتصل بديننا ، وما يتصل بالدين لا نقلد فيه غيرنا من أصحاب الديانات الأخرى ، وليس عملهم حجة لنا أو علينا وسواء أرضى أرباب هذه الديانات عن تمثيل أنبيائهم أو لم يرضوا فان للمسلمين رأيهم المستقل ، وحكمهم النابع من عقيدتهم ، المستند الى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله — على أن ما نرضاه لنبينا نرضاه لاخوانه الأنبياء والمرسلين ، وما نأباه لنبينا ننزه عنه جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .. وبناء على هذا لا يكون ظهور صورة المسيح والكليم وغيرهما من الأنبياء والمرسلين مبررا ومسوغا لتمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم .

يا سيدى : ان تعظيم وتكريم أنبياء الله ورسله أصل عندنا من أصول العقيدة لأن الله عز وجل أمرنا بتوقيرهم وتعظيمهم وتنزيههم عن كل نقص ، وقد أجمع العلماء على أن من عاب نبيا أو عرض به تعريضا يضع من شأنه فهو كافر مرتد .. وتمثيل النبى هو قيام انسان آخر بتقليده فى أقواله وحركاته وسكناته فى موقف من المواقف ، ومهما بلغ الممثل من اتقان دوره والبراعة فى تمثيله والاندماج فى شخصية من يقلده كما يقولون فانه لن يكون كالنبى الذى يمثله تماما ، وهذا يؤدى الى الزيادة أو النقص . وهو كذب على النبى وكذب على الله .. على أن الشخص المقلد لم يتجرد من شخصيته الأصلية بما فيها من عيب ونقص ، ونحن نتصور أنبياء الله ورسله فى أعلى مراتب الكمال الانسانى ، فاذا عرضت شخصياتهم هبطت من هذا المستوى العالى ، وهذا يؤثر على ما وقر فى النفوس من تمجيد هذه المثل الرفيعة . وان الله عز وجل قد حال بين شياطين الجن وبين الظهور فى صورة الأنبياء والمرسلين رحمة بالناس وتعظيما لسفرائه الى خلقه . روى الامام البخارى ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : **من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل فى صورتى .**

ان تمثيل الأنبيـــــاء والمرســـــلين يعرضـــــهم ولا شك الى شيء من النقص والمهانة ، وهذه مفسدة تجر الى الفتن بين الناس ، ولهذا عارض علماء المسلمين فى تمثيل هذه الشخصيات الكريمة على الله والكريمة على المؤمنين .. وفى غير هذا من أساليب الدعوة ووسائل التبليغ لدين الله غناء وأى غناء .

وأحب أن أذكر الأخ المسلم بأن الافلام الدينية التى ظهرت فى الســـينما الغربية مثل (الوصايا العشر) و (الرداء) و (كوفاديس) لم تقابل من الجمهور بالرضا والارتياح ، بل على العكس من ذلك لقد كانت موضع نقد لاذع ، ومثار فتن بين المشاهدين ، وقد قابل النقاد فيلم الوصايا العشر بثورة ، ووصفوه بأنه كان جنسيا أكثر منه دينيا ، وقالوا : ان الشـــخص الذى قام بدور فرعون فيه كان محبوبا أكثر من الذى قام بدور موسى ، وهل علمت يا أخى أن مخرج هذا الفيلم كان يبحث عن ممثل يسند اليه القيام بتسجيل صوت الله .. اظنك بعد هذا لا ترضى لنا أن نتردى فى هذه الهاوية .

■ ■ ■

اخوان الصفا

وردت الينا عدة رســـائل يســـــتفسر فيها أصحابها عن جماعة (اخوان الصفا) عن نشأتهم وأهدافهم وعصرهم ورسائلهم .

وهذه الجماعة كما شغلت أصحاب هذه الرســـائل شغلت من قبلهم آلاف الدارسين والمفكرين عبر عدة قرون ، وأفردوها بمؤلفات عديدة ، كما تحدثت عنها دوائر المعارف العربية والأجنبية .

وتتحدث عنها احدى دوائر المعـــــارف فتقول : هى جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية . عاشوا فى البصرة فى النصف الثـــانى من القرن الرابع الهجرى ، ومن أشهرهم محمد بن بشير البستى الملقب بالمقدس ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى ، ومحمد بن أحمد النهرجورى ، والعوفى ، وزيد بن رفاعة .

سموا باخوان الصفا وخلان الوفاء ، وصبوا معارفهم العالية والفلسفية والدينية فى رسائل تزيد على الخمسين ، وهى أشبه ما تكون بدائرة معارف . أو موسوعة فى العلوم المختلفة ، وقد كتبت بأسلوب مسهب فيه تكرار وحض على الفضيلة . وتقع هذه الرسائل فى أربعة أقسام : قسم فى الرياضيات ، وقسم فى الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم فى النفسانيات (العقليات) وقسم فى الناموسيات (الالهيات) ولهم رسالة جامعة تجمع وتوضح كل ما فى رسائلهم وهـــذه الجمـــــاعة أخذت مذهبها من كل علم وقامت على أن الشريعة ملئت بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى تنقيتها الا بالفلسفة .

وقد أحاطت هذه الجماعة نفسها بسياج متين من الكتمان ، وزعموا انهم لم يكتموا أسرارهم عن الناس خوفا من سطوة الملوك ذوى السلطة ، ولا حذرا من شغب جمهور العوام ، ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لهم ، وشددوا فى تداول رسائلهم ، واوصوا كل من حصل على هذه الرسائل أن يتحرز فى حفظها واسرارها واعلانها واظهارها كل التحرز ، ويحرسها غاية الحراسة ويصنها أحسن الصيانة .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

المجتمع الاسلامى

كتب الأستاذ عبد الستار الهوارى تحت هذا العنوان يقول :

للانسان المسلم رسالة فى الحياة هى ان يكون ذا ارادة ، وللمجتمع الاسلامى رسالة هى أن يحقق العدل والسلم ، ويدفع الأذى والعدوان ، ورسالة المسلم مقدمة لرسالة المجتمع الاسلامى ، اذ لا يتحقق عدل ولا سلم فى مجتمع ، ولا يدفع اذى وعدوان عن مجتمع الا اذا كان أفراده ذوى ارادة ، ذوى مراس على الكفاح ؛ ذوى قوة على المثالية .

الاسلام بعد ذلك ليس مسئولا عن ضعف المسلم وخضوعه لشهوته ؛ وليس مسئولا عن ضعف روابط المجتمع الاسلامى او انحلاله ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام ، والانحراف فى تطبيقه . كتاب الله ليس مسئولا عما يستورد من الشرق والغرب من فكر فى التوجيه ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه .

وسوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه لا يسأل عنه نفر معين من المسلمين ؛ انما المسلم ما دام قد ارتضى لنفسه أن ينتسب الى الاسلام — عليه أن يؤمن اولا بقلبه بالله ، فاذا آمن حقا بالله عرف الطريق الصحيح اليه **((واتقوا اللــه ويعلمكم اللــه)) .**

ترد بضاعة من الشرق واخرى من الغرب . بعضها يدعو الى الالحاد ويكفر بالانسانية وبقيمها . وبعضهـا الآخر يدعو الى الطغيان ، طغيـان المال على القيم الانسانية ، وطغيان النار والحرب والقوة المادية على حق الشعوب فى الحريـة والحياة .

واسلامنا لا يتصل بالشرق أو بالغرب ، لأنه يقوم على الايمان بالله ، وعلى تمجيد القيم الانسانية ، وعلى مكافحة الطغيان فى أية صورة ، أننا لسنـا شرقيين ولا غربيين ، اننا مسلمون ، اننا دعاة الايمان بالله وحده وبالقيم الانسانية الفاضلة .. اننا مجندون من ديننا لمقاومة الطغيان ، واحلال العدل والسلم محله .

ان اسلامنا لا يعرف مجتمعا يقوم على ارستقراطية المال والشرف ، كما لا يعرف مجتمعا يقوم على خصيصة العمل البدنى وحده ولكن يعرف التفاضل بين افراده على اساس توجيهه . **((ان اكرمكم عند الله اتقاكم))** . ولذا لا يقر أن تتحكم طبقـة فى طبقة ، ولا طائفة فى طائفة .

اسلامنا يعتمد على الضمير فى الانسان ، ولذا لا يعرف الارهاب فى دفع الأفراد . اسلامنا يعتمد على الخشية من الله . ولذا لا يخشى طغيانا فيه . من مجموعـة على مجموعة .

للمستورد من الغرب او الشرق بريق ، ولكنه بريق خادع ، واسلامنا هو الذهب

الذى لا تتغير قيمته ، ولكننا فى حاجة الى أن نزيل عنه ما لابسه من سوء الفهم ، وانحراف التطبيق .

مشروع لتدارس القرآن الكريم ..

وفى هذه الآونة التى اشتدت حاجة المسلمين فيها الى ما يزكى نفوسهم ويطهر قلوبهم ، وينقلهم من الجو المادى الكدر الذى طغى على الحياة الى جو روحى طهور يقترح الأستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائى المدرس فى كلية الدراسات الاسلامية ــ بغداد ــ هذه التجربة التى نرجو أن ينتفع بها المسلمون فيقول :

التجربة من ايران وآمل أن يثير وصفى لها مناقشة جمهور القراء عسى أن نخرج بمشروع مناسب نستفيد منه نحن فى البلاد العربية على وجه الخصوص ، كما آمل أن يستفيد منها شبابنا المغترب فى الشرق والغرب ، وعلى الأخص الشباب المسلم فهو بحاجة ماسة الى هذه التجربة والى معطياتها والى الدفء الروحى الذى يحسه المشاركون بتلك الجلسات التى سأصفها :

والتجربة تقوم على دراسة القرآن وتلاوته فى جو روحى بهيج ففى كل حى يجتمع بعض الناس ويسجلون أسماءهم عند متفقه باعتبارهم يرغبون فى تلاوة القرآن الكريم وفهمه ، وبعد أن يجتمع منهم عدد مناسب يحددون ليلة الجمعة موعدا للاجتماع على أن يكون ذلك فى (دار) أحدهم ، ثم تجهز مصاحف ورحلات توضع عليها حسب العدد ، فاذا آن أوان الاجتماع توافدوا على الدار بعد أن يضعوا مصباحا خاصا امام الباب ، وبعد أن يكتمل العدد تبدأ الجلسة بتلاوة القرآن من رئيس الجلسة ، وهو فى العادة رجل متفقه فى الدين ، وبعد أن ينتهى من التلاوة يطلب ممن يليه أن يعيد ما قرأ ، وهكذا حتى ينتهى من القراءة آخر شخص مسجل فى (الدورة) كما يسمونها وفى خلال ذلك يكون المتفقه أو رئيس الدورة قد استمع للكل وأصلح لهم ما يحتاجون من قراءتهم .

ثم يبدأ بعد ذلك اما بشرح معانى الآيات حينا أو التحدث عن باب من ابواب الفقه أو شرح حديث من أحاديث الرسول الكريم . . وبينما يكون الرجال يقرؤون بصوت مسموع تكون نساء الحى فى الغرف المجاورة تستمع الى هذه التلاوة كما تستمع الى الدروس التى تعقبها . . فاذا انتهى كل ذلك حددوا مكان الجلسة القادمة من الأسبوع القادم .

وهذه الجلسات تكون مفتوحة يستطيع أن يحضرها كل من أحب . . ونظرا لتعدد هذه الجلسات وكثرتها فى المدينة الواحدة فهى تختص عادة بأهل الحى ، ومن النادر أن يطرقها غريب فاذا حضر أحد فهــو مجرد مستمع ليس الا ، فاذا رغب بالأنضمام للحلقة فعليه أن يسجل اسمه ليعد له مصحف للتلاوة ، ويدخل ضمن أعضاء الحلقة وكل داخل يستقبل بالتشجيع .

واذا بدأ الدرس فلا كلام ولا حديث ، وللجلسة نظام وادب ، وفيها روحانية ، وهى تنهى دائما بدعاء وابتهال الى الله تعالى . . فهى من هذه الناحية جلسة روحية وتلاوة قرآنية ودرس تثقيفى وواسطة تعارف . . وأعتقد أن هذا المنهج ــ يناسب الإقليات المسلمة والمغتربين بالدرجة الأولى .

الأمة العربية
صاحبة الرسالة الخاتمة

وجاء فى صحيفة الرائد التى يصدرها النادى العربى بندوة العلماء فى لكنو بالهند خطبة طويلة للسيد/أبى الحسن الندوى فى طلابه نقتطف منها :

ان هذه الأمة سوف تبقى بعد هذه النكبة ، او النكبتين بل بعد خمسين نكبة ــ لا قدر الله ــ فاننى أعيذ سمعى وبصرى واعيذ ايمانى وعقيدتى ان تكون هناك نكبة بعد هذه النكبة ، واننى اعيذ الأمة العربية العزيزة ان تكتب لها نكبة اخرى بعد هذه النكبة .

ان هذه الأمة ايها الأبناء الأعزة تبقى مهما توالت النكبات وتتابعت الأزمات ، صاحبة الرسالة الاسلامية ، وصاحبة النبوة الاخيرة ، صاحبة الكتاب الأخير ، صاحبة الأمانة الاخيرة ، صاحبة الاتصال الأخير اتصال الارض بالسماء .

ان هذه الأمة العربية ولو نكبت بأعظم من هذه النكبات ــ كما قلت لكم ــ ولو اقصيت من ميدان القيادة العالمية ، لا تزال موضع الثقة فى التاريخ الاسلامى ، هى موضع الثقة فى تاريخ البعث الاسلامى ، موضع الثقة فى التاريخ الانسانى ، انها اكرم أمة ، وأغنى امة ، واشرف امة فى اخلاقها ، ابى الله أن تضيع فى هذه الزلازل والنكبات .

انه لا بقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد ، وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى ، اندثرت أمم فاندثرت اديان ، وقد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين ــ قد تندثر امة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العالم فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به ، وقد يندثر دين لأنه قد ادى رسالته وفقد صلاحيته ، ثم تندثر هذه الأمم التى كانت تدين به ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قال : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** فاذا كان هذا الكتاب مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله **(ان علينا جمعه وقرآنه)** فقد تحقق ان هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله تعالى مكفولة البقاء ، مكفولة الحياة ، فانه لا فائدة فى بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة ، واذا ضاع اهلها فمن يفهمه ؟ ومن يفسره ؟ ومن يعرف مبادئه ومضمراته ومكنوناته ؟

المؤتمر العام للتربية الدينية

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية توصيات اللجان الفرعية المنبثقة عن المؤتمر العام للتربية الدينية ، واشارت الى اجتماع اللجنة المكونة من وزير التربية والتعليم ونائب وزير الأوقاف ، والسكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ووكلاء وزارتى الثقافة والارشاد وممثلين من الجامعة العربية

وجامعة الأزهر ومجلس الأمة والهيئات النسائية فقالت :

القى الدكتور لبيب شقير كلمة تحـدث فيها عن الأهداف التى ترمى اليها التربية الدينية وهى تكوين العقيدة لدى أبنائنا ، والعناية بالأسـاس الأخلاقى لشخصية الفرد ، وجعل الفرد يرجع الى القيم الدينية فى جميع شئون حياته . وهذا كله يقتضى توجيه أبنائنا الى العلم بأن كل شيء فى الحياة يمـكن الرجوع فيه الى الدين . ومن ذلك قضايا العلم وموقف الاسلام منها وقضايا الانتاج . ثم قال وفى اعتقادى أن أسلوب دراسة الدين اساس لخلق مقومات النفس عند الطالب ، وتحدث بعد ذلك عن دور الجامعات والمعاهد العليا فى هذا المجال . فقال انه يجب ان يكون لها دور فعال ، ونحن نبحث كيف نستثير طالب الجامعة للبحث الدينى .

وأعقبه الدكتور عبد العزيز كامل فدعا الى عقد مؤتمر عام سنوى للتربية الدينية ، ثم قال ان لدينا أمرين **أحدهما** أن نضع سـياسة قصيرة الأجل تتصل بالدراسة التى يجب تهيئتها للطالب فى أقرب فرصة ، **وثانيهما** سياسة بعيدة الأجل تقوم على فلسفة شاملة ، تقـوم على تعميق المفـاهيم الدينية والقيم الأخلاقية .

وبعد ذلك عرض مقررو اللجان الفرعية التوصـيات التى انتهوا اليها : فأوصت لجنة الخطة والأهداف والمناهج بعقد دورات تدريبية ، والاتصـال بوزارة التعليم العالى لاقتراح تدريس الدين بالجـامعات والمعـاهد العليا والاستعانة بالتسجيلات الصوتية فى تحفيظ القرآن الكريم . ورفع درجة التربية الدينية فى المرحلتين الاعدادية والثانوية الى ٣٠ درجة . وكذلك باعادة النظر فى مناهج المرحلة الابتدائية . وتعديل بعض موضـوعات مناهج المرحلتين الاعدادية والثانوية .

ومما أوصت به لجنة اعداد المعلم للتربية الدينية ، الا يقوم بتدريس الدين بالمرحلة الابتدائية الا المتخرجون من دور المعلمين للشعبة العامة مع الاهتمام باعداد مدرسى المسـتقبل للتربية الدينية ، وتخريج معلم متخصص للصفين الخامس والسادس مع العنـاية بمناهج الدين فى دور المعلمين والمعلمات ، وبالنسبة لمدرسى الاعدادى والثانوى أوصت بعدم الفصـل بين مادتى اللغة العربية والتربية الدينية مع تخصيص مدرسين أوائل ومفتشين ، وعقد حلقات تدريبية لمدرسى التربية الدينية .

وتناولت توصيات لجنة الكتب الدراسية عدة مقترحات تشمل تعديل بعضها واعادة النظر فى البعض الآخر .

وتضمنت توصيات لجنة النشاط الدينى العمل على تهيئة جو روحى فى البيت والمدرسة . وأن يكون لكل مدرسـة مجموعة من الرواد الدينيين . مع محاسبة المدرسين الذين يستهينون بدروس التربية الدينية ، والتزام الحشمة والوقار فى الزى المدرسى بمدارس البنـات . وفتح أبواب بعض المدارس لتحفيظ القرآن الكريم . فى عطلة الصيف مع تخصيص مكافآت مغرية لكل من يحفظ جزءا من القرآن . وأن ترصـد المناطق التعليمية مكافآت مالية سـخية للطالب المثالى ، والمدرس المثالى فى السلوك الدينى .



أعدها : عبد المعطي بيومي

الكويت : صرح سمو أمير البلاد المعظم أن الروابط بين ايران والكويت روابط تاريخية متينة ورحب سموه بالتعاون بين البلدين للحفاظ على استقرار وأمن الخليج .

● تبرع سمو الأمير المعظم لمتضررى فيضـــان الفرات بالعراق بمبلغ (١٠٠) ألف دينار من حسابه الخاص .

● قام سعادة وزير الخارجية بجولة فى امارات الخليج كان لها أثرها فى نجاح مؤتمر اتحاد الامارات أخيرا .

● قام الفريق حسن العمرى رئيس وزراء الجمهورية اليمنية بزيارة البلاد ضمن جولة قام بها فى تسع دول عربية لشرح الموقف فى اليمن .

● وافقت الكويت على قبول (٣٠) يمنيا للتدريب فى وزاراتها على أعمال الادارة مع التكفل بنفقات اقامتهم ..

القـــاهرة : شكلت لجنة وزارية لاعادة تنظيم وتدريب الشباب سياسيا ومعنويا وعسكريا من وزراء الحربية والشباب والتربية والتعليم العالى ونائب وزير الاوقاف .

● استقبل فضيلة شيخ الازهر حاكم ولاية كيرالا الهندية وبحثا معا تدعيم الثقافة الاســـلامية بين الهند والمتحدة .

● افتتح فى القـــاهرة المعرض الثقافى « اعرف عدوك » عرض فيه كل ما كتب عن قضية فلسطين وسيطوف المعرض بالاقاليم .

● أعدت الجامعة العربية الاجراءات اللازمة لتزويد امارات الخليج بمكتبات كاملة تشـــمل القضايا العربية الثقافية والاجتماعية والسياسية .

● بعث المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية كاملة لدول افريقيا الاســـلامية وجنوب شرق آسيا .

● اجتمع فى القاهرة المجلس الوطنى الفلسطينى لأول مرة بعد تشـــكيله من كافة المنظمات والهيئات الفلسطينية لوضع الخطط وتوحيد الجهود لتصـــعيد العمل الفدائى من أجل تحرير الارض المغتصبة ..

السعودية : استقبل جلالة الملك فيصل القائد العام للجيش الاردنى ..

● قام الأمير فهد بن عبد العزيز بزيارة الى الصـــومال ضمن تدعيم الروابط بين البـــلدين المسلمين .

● زار البلاد الدكتور لقمان هرون أمين عام الحزب الاسلامى فى اندونيسيا وصرح سيادته أن المسلمين فى اندونيسيا على استعداد تام للمساهمة مع اخوانهم العرب لتحرير فلسطين .

● شكلت لجنة بوزارة الصحة للنظر فى متطلبات شئون الحج للعام القادم .

● تقوم الادارة العامة للمكتبات بوزارة المعارف بشحن الكتب للمناطق المختلفة دعما للمكتبة المدرسية وفتحا لأبواب المعرفة .

اخبار العالم الاسلامي

العراق : قام الرئيس قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية بزيارة العراق وقد بحث خلال هذه الزيارة وزيرا التربية فى البلدين امكانية فتح فرع لجامعة بغداد فى عدن .

● أقام السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء بزيارة لايران .

● عطلت الحكومة جريدة الثورة العراقية لنشرها نص محاضرة كانت موضع اعتراض لمساسها بالأديان ، وقد عادت الجريدة للظهور بعد اعتذارها وتعهدها بعدم الخوض فى هذه المسائل .

● نفت العراق اشاعة اسرائيلية بسوء معاملة العراق لليهود هناك وكشف خداع اسرائيل للرأى العام العالمى .

الاردن : وسع الفدائيون الفلسطينيون عملياتهم العسكرية ضد اسرائيل وقد تكون المؤتمر الفلسطينى من جميع المنظمات الفدائية .

● صرح السيد بهجت التلهونى رئيس الوزراء أن الجيش فى وضع ممتاز وأن اى مشروع غير قرار مجلس الامن لا قيمة له .

● بلغ عدد النازحين من الضفة الغربية المحتلة حوالى (٤٠٠) الف نازح منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ م .

السودان : صرح السيد على عبد الرحمن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية بأن اسرائيل تغذى حركات التمرد فى جنوب السودان وقال ان السودان هو اول بلد افريقى يواجه أضخم نشاط اسرائيلى هدام .

ليبيا : صرح السيد عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء ان ليبيا تقدم أقصى ما فى استطاعتها من عون مادى للدول العربية .

● يزور السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ليبيا فى اواخر يوليو الحالى .

الجزائر : أعلن العقيد هوارى بومدين فى خطاب القاه الشهر الماضى أن على الفلسطينيين أن يقاتلوا ويقاوموا والا يهربوا وينزحوا فى كل مرة يجرى فيها قتال مع اسرائيل .

المغرب : استقبل جلالة الملك الحسن وفدا يمثل الاتحاد الفلسطينى وتبرع له بمبلغ (٢٠٦) جنيه استرلينى سيستخدم لانشاء مدارس للأطفال الفلسطينيين .

تونس : نظم المجلس العالمى للمعالم التاريخية لليونسكو بالتعاون مع المعهد التونسى للآثار ندوة تهدف الى تجديد المعالم التاريخية على الساحل الافريقى والآسيوى للبحر الأبيض .

باكستان : زار الرئيس الباكستانى ايران فى (٢٠) يوليو الماضى كما قام السيد أرشد حسين وزير الخارجية بزيارة لتركيا وايران .

الهند : عقد فى نيودلهى مؤتمر كبير لنصرة فلسطين وقد اتخذ المؤتمر قرارا بالتنديد باسرائيل ومناشدة جميع الدول المحبة للسلام العمل على انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

غيانا : سيعقد فى شهر اغسطس القادم المؤتمر الدولى الذى يقوم بتنظيمه مجمع البعثات الاسلامية لجزر الكاريبى وأمريكا الجنوبية وقد وجهت الدعوة الى كثير من المنظمات والهيئات الاسلامية فى العالم .

اتحاد امارات الخليج

فى ١٠ ، ١١ من ربيع الثانى سنة ٨٨ الموافق ٦ ، ٧ يوليو سنة ١٩٦٨ اجتمع فى « أبو ظبى » المجلس الاعلى لاتحاد امارات الخليج العربى وضم الاجتماع اصحاب السمو حكام : قطر ، دبى ، راس الخيمة ، الشارقة ، البحرين ، ابو ظبى ، ام القيوين ، عجمان ، الفجيرة ..

ومما يذكر أن جلسة الاتحاد السابقة التى انعقدت فى ٢٦ مايو الماضى كان قد شابها شىء من الاختلاف فى وجهة النظر بين الحكام ، مما جعل أشقاءهم العرب فى الكويت والعراق والسعودية والجمهورية المتحدة يبذلون مساعيهم الحميدة للتوفيق بين هذه الوجهات ..

وقد كان لهذه المساعى أثرها الطيب حيث استطاع المجتمعون من الامراء أن يصلوا الى نتيجة اجماعية فى الجلسة الاولى من الجلستين اللتين استغرقتهما الاجتماع ، وســـاد الجميع جو من الأخوة والشعور المتبادل بالحرص على الوصول للهدف الذى يعملون له وينتظره اخوانهم العرب فى كل مكان ..

وقد تلاقت وجهات النظر جميعا على اصدار قرارات تعتبر خطوات أساسية فى قيام الاتحاد وسيره فى طريقه سيرا طبيعيا نحو حياة قوية دائمة ان شاء الله .

و « الوعى الاسلامى » اذ يسرها تلاقى وجهات النظر وزوال شـــبح الخـــلاف بين الاخوة الاشقاء ، وتعاونهم فى سبيل الرقى ببلادهم ، ويد الله معهم ترعاهم وتشد أزرهم . ترجو أن يجد القراء على صفحاتها دائما أخبارا طيبة وبناءة عن اتحاد امارات الخليج .

ويسرها أن تكون باكورة أخبارها عن هذه الامارات العزيزة على قلوبنا نبأ نجاح الاتحـــاد فى اجتماعه هذا ، وبعض القرارات المهمة التى صدرت عنه وهى :

١ ــ تعيين خبير قانونى لوضع مشروع الميثاق الدائم للاتحـــاد واختيار الدكتور عبد الرزاق السنهورى لهذه المهمة .

٢ ــ أن تكون رئاسة الاتحاد دورية بين الامارات وكذلك مكان اجتماعه .

٣ ــ تشكيل لجنة من ممثلين عن الامارات للبحث فى توحيد النقد والبريد ، وعلم الاتحـــاد ونشيده وانشاء جريدة للاتحاد .

٤ ــ تعيين مجلس اتحاد مؤقت برئاسة نائب حاكم قطر وولى عهده الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى .

وقد تقرر أن يعقد المجلس الاعلى جلسته المقبلة فى قطر يوم ٢٠ اكتوبر المقبل .

وفى الكويت ادلى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بأول تصريح رسمى يصدر عن الحكومة قال فيه :

يسرنا ان نستمع الى انباء اتفاق امراء الخليج العربى على الامور المتعلقة بالاتحاد . وقال : ان هذه خطوة مباركة تهدف الى رفع وتحسين مستوى الشعب وتحقيق الاستقرار فى الخليج العربى لما فيه الخير والمصلحة العامة للمنطقة . والاتحاد دائما قوة .

وان الكويت ــ كما اعرب صاحب السمو امير البلاد المعظم ــ على استعداد دائم لدعم الاتحاد وتقديم كافة ما يلزم له ايمانا بسياستها الحكيمة التى استنتها بتوجيهات قائدنا واميرنا المفدى ..

وقد اعرب صاحب السمو امير ابو ظبى عن تقديره للـــكويت ودورها الفعال والايجابى فى السعى لتحقيق التقارب بين وجهات النظر داخل الامارات .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ـ ٧ شارع الصحافـــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢

جـــــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣

بغـــداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـــدودة

دبـــى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ـ السيد رجا العيســـى

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٢٤٧٣

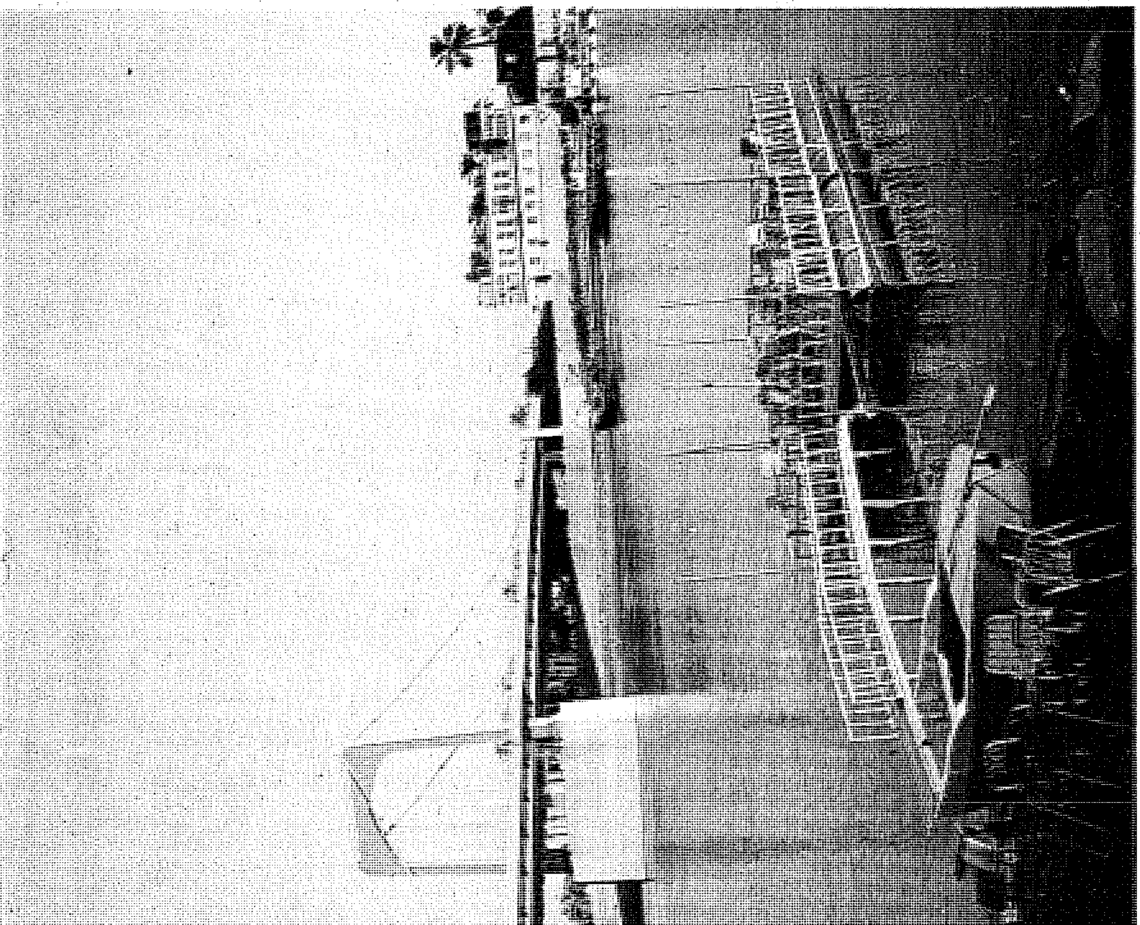
مراكـــش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



من مناظر بغداد الرائعة (الكوبرى المعلق) على نهر دجلة ..

تصوير : عظمت شيخ